مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء التاسع

المحتوى
تتمة كتاب الآداب - كتاب الرقاق

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطَبعَة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شـارع البحتري، بنايـة ملكـارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنـان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمٰن الرحيم

(٧) باب الضحك

الفصل الأول

٤٧٤٥ ـ (١) عن عائشةَ [رضي اللّهُ عنها]، قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مستجمِعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهَواتِهِ، إنما كانَ يتبسَّمَ.

باب الضحك

هو بكسر فسكون في الأصول، وفي القاموس ضحك ضحكاً بالفتح وبالكسر وبكسرتين ككتف، هذا ولعل المصنف أراد بالضحك المعنى الأعم الشامل للتبسم وإلا فكان أكثر ضحكة ﷺ تبسماً، أو أراد بالضحك من حيث هو استدلالاً على جوازه بوقوعه منه ﷺ ومن أصحابه رضي الله عنهم، وأما ما نقل البغوي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿**لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**﴾ [الكهف ـ ٤٩] عن ابن عباس أنه قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة: الضحك فمحمول على سخرية الكفار بالمؤمنين أو جهلة الفجار بالعلماء الصالحين كما أخبر الله سبحانه بقوله: ﴿**إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون**﴾ [المطففين ـ ٢٩].

(الفصل الأوّل)

٤٧٤٥ ـ (**عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً ضاحكاً**) أي أي ما أبصرته حال كونه مستجمعاً من جهة الضحك، فقوله: ضاحكاً نصب على التمييز وإن كان مشتقاً كقوله: «لله دره فارساً»، والمعنى ما رأيته يضحك تاماً منبلاً بكليته على الضحك، (**حتى أرى منه لهواته**) بفتح اللام والهاء جمع اللهاة وهي اللحمات في سقف أقصى الفم مشرفة على الحلق، (**إنما كان يتبسم**) أي غالباً، وقد يضحك لكن لا يصل إلى الحد المذكور، والاعراب السابق زبدة كلام الطيبي، ومال ابن الملك إلى أن قوله: ضاحكاً حال أي ما رأيته مستجمعاً لضحكه في حال ضحكه أي لم أره يضحك ضحكاً تاماً ضاحكاً بجميع فمه اهـ، وهو مأخوذ من كلام شارح سبقه وقال: فكأنها قالت: مستجمعاً ضحكاً، وفي المصباح استجمعت شرائط الإمامة، واجتمعت بمعنى حصلت، فالفعلان على اللزوم وحينئذ لا يحتاج إلى تقدير مفعول، وفي المغرب استجمع السيل اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره اجتمع له ما يحبه، وهو لازم كما ترى، وقولهم: استجمع الفرس جرياً نصب على التمييز، وأما قول

الحديث رقم ٤٧٤٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٠٤ الحديث رقم ٦٠٩٢، ومسلم في ٢/ ٦١٦.

رواه البخاري.

٤٧٤٦ ـ (٢) وعن جريرٍ، قال: ما حجَبني النبيُّ ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلاَّ تبسَّمَ. متفق عليه.

٤٧٤٧ ـ (٣) وعن جابر بنَ سَمُرةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا يقومُ من مصلاَّهُ [٣٥٧ ـ ب ـ] الذي يصلِّي فيه الصُّبحَ حتى تطلعَ الشَّمسُ، فإذا طلعتِ الشمسُ قامَ، وكانوا يتحدثون فيأخذونَ في أمرِ الجاهليَّةِ

الفقهاء: مستجمعاً شرائط الجمعة فليس يثبت والله أعلم. **(رواه البخاري)**. وروى أحمد والترمذي والحاكم عن جابر بن سمرة أنه ﷺ «كان لا يضحك إلا تبسماً» جعل التبسم من الضحك واستثنى منه، فإن التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم، ومنه قوله تعالى: **﴿فتبسم ضاحكاً﴾** [النمل ـ ١٩] أي شارعاً في الضحك.

٤٧٤٦ ـ **(وعن جرير)** أي ابن عبد الله البجلي **(قال: ما حجبني النبي ﷺ)** أي ما منعني من مجالسته الخاصة أو من بيته حيث يمكن الدخول عليه، والمقصود أني لم أحتج إلى الاستئذان، ويحتمل أن يكون المراد ما منعني من ملتمساتي عنه، بل أعطاني ما طلبته منه البتة **(منذ أسلمت)**، وقد أسلم قبل موته ﷺ بأربعين يوماً، **(ولا رآني)** أي منذ أسلمت إذ الحذف من الثاني لدلالة الأوّل كثير، ويؤيده ما في رواية للترمذي عنه بلفظ «ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني منذ أسلمت»، فهو متعلق بكل من الفعلين لكن قوله: **(إلا تبسم)** مرتبط بالفعل الثاني، وفي رواية للترمذي إلا ضحك، والمراد به التبسم وهذا من كمال مكارم أخلاقه ﷺ، ولعل منشأ كثرة انبساطه عليه السلام معه أنه رضي الله عنه كان من مظاهر الجمال، ولذا قال عمر رضي الله عنه: إن جريرا يوسف هذه الأمة. **(متفق عليه)**.

٤٧٤٧ ـ **(وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه)** أي الصبح **(حتى تطلع الشمس)** أي طلوعاً حسناً كما سبق، **(فإذا طلعت الشمس قام)** أي لصلاة الإشراق وهو مبدأ صلاة الضحى، أو معناه قام للانصراف. قال النووي: فيه استحباب الذكر بعد الصبح، وملازمته مجلسها ما لم يكن عذر. قال القاضي عياض: وكان السلف يواظبون على هذه السنة ويقتصرون في ذلك على الذكر والدعاء حتى تطلع الشمس، **(وكانوا)** أي أصحابه **(يتحدثون)** أي فيما بين الوقتين، وهو الأظهر أو في غيره أو مطلقاً غير مقيد بوقت دون وقت، **(فيأخذون في أمر الجاهلية)** أي على سبيل المذمة أو

الحديث رقم ٤٧٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٠٤ الحديث رقم ٦٠٨٩، ومسلم في ٤/ ١٩٢٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٩.

الحديث رقم ٤٧٤٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٠ الحديث رقم ٢٣٢٢، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٨ الحديث رقم ٢٨٥٠.

فيضحكونَ، ويتبسَّمُ ﷺ. رواه مسلم. وفي رواية للترمذي: يتناشدون الشِّعْرَ.

الفصل الثاني

٤٧٤٨ ـ (٤) عن عبدِ الله بن الحارثِ بن جَزْء، قال: ما

بطريق الحكاية لما فيها من فائدة وغيره من جملته أنه قال: واحد ما نفع أحداً صنمه مثل ما نفعني، قالوا: كيف هذا؟ قال: صنعته من الحيس، فجاء القحط فكنت آكله يوماً فيوماً، وقال آخر: رأيت ثعلبين جاآ وصعد فوق رأس صنم لي وبالا عليه فقلت:

«أرب يبول الثعلبان برأسه»

فجئتك يا رسول الله وأسلمت، (**فيضحكون ويتبسم رسول الله** ﷺ. **رواه مسلم، وفي رواية للترمذي يتناشدون الشعر**) أي يقرؤونه أو يطلب بعضهم من بعض قراءته في الشمائل عن جابر بن سمرة قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما يتبسم معهم، ومن المعلوم أن في مجلسه الشريف لا يتناشد إلا الشعر المنيف المشتمل على التوحيد والترغيب والترهيب، وقد كان ﷺ يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

وقد قال ﷺ وهو الصادق المصدوق: إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

أي من نعيم الدنيا لقوله بعد ذلك:

نعيمك في الدنيا غرور وحسرة ... وعيشك في الدنيا محال وباطل

هذا ومن لطائف ما حكي عن بعض المشايخ أنه قرأ بعد صلاة الصبح حزبه من القرآن ثم أنشد أحد من أصحابه شعراً، فحصل له بكاء وتواجد فلما سكن قال: أتلومون الناس يقولون: فلان ملحد أو زنديق، قرأت كذا من القرآن ولم يخرج لي دمعة، فلما سمعت هذا الشعر كدت أن أتجنن، أقول: هذا فتح باب للسماع وينجر إلى ما وقع فيه من النزاع ويحتاج إلى بيان الحكمة في الفرق بين حالي الشيخ في ذلك المقام مما يحتاج إلى بسط في الكلام فأعرضنا عنه شروعاً في الأهم منه من المرام.

(الفصل الثاني)

٤٧٤٨ ـ (**عن عبد الله بن الحارث بن جزء**) بفتح جيم وسكون زاي بعده همز (**قال: ما**

الحديث رقم ٤٧٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦١ الحديث رقم ٣٦٤١، وأحمد في المسند ٣٦٤١.

رأيتُ أحداً أكثرَ تبسُّماً من رسولِ الله ﷺ. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٤٧٤٩ ـ (٥) عن قتادةَ، قال: سُئلَ ابنُ عمَرَ: هلْ كانَ أصحابُ رسول الله ﷺ يضحكونَ؟ قال: نعمْ والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من الجبلِ. وقال بلالُ بنُ سعد: أدركتُهم يشتدونَ بين الأغراض، ويضحكُ بعضُهم إِلى بعض،

رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي).

(الفصل الثالث)

٤٧٤٩ ـ **(عن قتادة)** من أكابر التابعين **(قال: سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم. والإيمان)** أي نعم يضحكون، والحال أن عظمة الإيمان وجلالته **(في قلوبهم أعظم من الجبل)** فكانوا في غاية من الوقار والثبات على قواعد الآداب الشرعية، وفي نهاية من مراعاة مكارم الأخلاق الرضية حيث لم يتجاوزوا في حال الضحك وغيره عن دائرة الأمور الدينية وقال الطيبي: هو من باب الرجوع والقول بالموجب أي نعم كانوا يضحكون لكن لا يتجاوزون إلى ما يميت قلوبهم ويتزلزل بهم إيمانهم من كثرة الضحك كما ورد أن كثرة الضحك تميت القلوب، **(وقال بلال بن سعد.)** تابعي، ولم يذكره المؤلف في أسمائه **(أدركتهم)** أي كثيراً من الصحابة **(يشتدون)** بتشديد الدال من الشد وهو العدو أي يعدون ويجرون **(بين الأغراض)** جمع الغرض بفتحتين وهو الهدف زنة، ومعنى، والمراد بالجمع هنا ما فوق الواحد ليوافق ما في النهاية في حديث عقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير، ثم قوله: **(ويضحك بعضهم إلى بعض)** أي متوجهاً وملتقياً إليه لا معرضاً ومائلاً عنه أو إلى بمعنى مع كما نقل في قوله تعالى: **﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾** [النساء ـ ٢] وفي قوله: **﴿إلى المرافق﴾** [المائدة ـ ٦] أو ضمن يضحك معنى ينبسط. وأغرب الطيبي في قوله: وضمن ضحك معنى السخرية وعداه بإلى، كقوله تعالى: **﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾** [البقرة ـ ١٤] ووجه غرابته من وجهين أما أوّلاً فإن السخرية يتعدى بمن كقوله تعالى: **﴿فيسخرون منهم سخر الله منهم﴾** [التوبة ـ ٧٩] نعم في قوله تعالى: **﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾** [المطففين ـ ٢٩] ضمن الضحك معنى السخرية، وأما ثانياً فلأن قوله تعالى: **﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾** [البقرة ـ ٧٦] ليس فيه تضمين السخرية بل ولا يصح لفظاً ولا معنى، بل فيه تأويلان أحدهما أن إلى بمعنى مع كما في قوله عزَّ وجلّ: **﴿من أنصاري إلى الله﴾** [آل عمران ـ ٥٢]، وثانيهما تضمين إلى معنى الانضمام أو الانتهاء. هذا

الحديث رقم ٤٧٤٩: أخرجه البغوي في شرح السنن ١٢/٣١٨ الحديث رقم ٣٣٥١.

فإذا كانَ الليلُ كانوا رُهباناً. رواه في «شرح السنَّة».

(٨) باب الأسامي

الفصل الأول

٤٧٥٠ - (١) عن أنسٍ، قال: كان النبيُّ ﷺ في السوقِ،

وحاصل المعنى إن هذا كان حالهم في النهار وفي مجالس أصحابهم الأبرار، **(فإذا كان الليل)** أي وجد أو كان الوقت زمان الليل ومقام الوحدة ومرتبة الخلوة بعد منزلة الجلوة **(كانوا رهباناً)** بضم الراء جمع راهب كركبان وراكب، وقد يقع على الواحد ويجمع على رهابين، ففي النهاية الرهبان من ترك الدنيا وزهد فيها وتخلى عنها وعزل عن أهلها وتعمد مشاقها اهـ، فهم كما قال تعالى فيهم: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾ [النور - ٣٧]، وقال عزَّ وجلّ أخباراً عنهم ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [السجدة - ١٦] وقال سبحانه: ﴿**كانوا قليلاً من الليل يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ [الذاريات - ١٨] بل أقول: «إنهم كانوا حال الضحك ظاهراً في عين البكاء باطناً، فإنهم فرشيون بأشباحهم، عرشيون بأرواحهم كائنون مع الخلق بأبدانهم، بائنون عنهم مع الحق بقلوبهم وجنانهم، قريبون في الظاهر مع القريب والبعيد، غريبون عن الخلق في الباطن على قدم التجريد والتفريد، ملوك في سلوك لباس الأطمار، وأغنياء مع كمال فقرهم في هذه الدار رضي الله عنهم ونفعنا ببركة ما ظهر منهم». **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)**.

باب الأسامي

بتشديد الياء وتخفيفها، فإن الأسماء جمع اسم وكذا أساميّ وأسام على ما في القاموس، فأسامي على وزن أفاعيل، وأسام على وزن أفاعل.

(الفصل الأوّل)

٤٧٥٠ - **(عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في السوق)** أي قاعداً أو واقفاً أو

الحديث رقم ٤٧٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٩٩ الحديث رقم ٢١٢٠، ومسلم في ٣/ ١٦٨٢ الحديث رقم ٢١٣١، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٩ الحديث رقم ٤٩٦٥ والترمذي في ٥/ ١٢٥، الحديث رقم ٢٨٤١، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٥، والدارمي في ٢/ ٣٧٩ الحديث رقم ٢٣٩٣، وأحمد في المسند ٣/ ١٧٠.

فقال رجلٌ: يا أبا القاسم! فالتفتَ إليهِ النبيُّ ﷺ فقال: إِنما دعوتُ هذا. فقال النبيُّ ﷺ: «سمُّوا باسمي، ولا تكتَنوا بكُنيتي». متفق عليه.

٤٧٥١ ـ (٢) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «سمُّوا باسمي ولا تَكتَنوا بكُنيتي، فإِني إِنما جُعِلْتُ قاسماً أَقسمُ بينكم».

ماراً (**فقال رجل: يا أبا القاسم فالتفت إليه النبي ﷺ فقال:**) أي الرجل (**إنما دعوت هذا**) أي وأشار إلى غيره ﷺ (**فقال النبي ﷺ: سموا باسمي**) يعني فإنه لا يوجب الالتباس لأنكم منهيون عن دعائي باسمي لقوله تعالى: **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾** [النور ـ ٦٣] وللتعليم العقلي من الله تعالى لعباده حيث ما خاطبه ﷺ في كلامه إلا بيا أيها النبي، ونحوه بخلاف سائر الأنبياء حيث ناداهم بأسمائهم وقال: «يا آدم ويا إبراهيم ويا موسى ويا عيسى»، (**ولا تكتنوا**) من باب الافتعال، وفي نسخة «ولا تكنوا» بضم التاء وتشديد النون من التكنية من باب التفعيل، وفي نسخة بفتح أوّله وسكون ثانيه، والكل لغات، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس ولا تكنوا (**بكنيتي**) لأن الكنية من باب التعظيم والتوقير بخلاف الاسم المجرد فنهاهم عن ذلك لئلا يقع الالتباس حين مناداة بعض الناس ثم اعلم أن علماء العربية قالوا: العلم إما أن يكون مشعراً بمدح أو ذم، وهو اللقب، وإما أن لا يكون فأما أن يصدر باب أو ابن وهو الكنية أولاً وهو الاسم، فاسمه محمد ﷺ، وكنيته أبو القاسم، ولقبه رسول الله ﷺ، وإنما كني بأكبر أولاده. (**متفق عليه**).

٤٧٥١ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سموا باسمي ولا تكتنوا»**) من باب الافتعال، ولفظ الجامع «ولا تكنوا»، وهو يحتمل أن يكون مجرداً، وأن يكون من باب التفعيل (**بكنيتي**) أي المخصوصة بي، قيل: مذهب العرب في العدول عن الاسم إلى الكنية هو التوقير إلا أن تكون الكنية نبذاً يتأذى منه المدعو به، ولما كان من حق الرسول ﷺ فيما يراد به التعظيم أن لا يشاركه فيه أحد كره أن يكنى أحد بكنيته، وقد قال تعالى: **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾** [النور ـ ٦٣] وبين هذا المعنى قوله: (**فإني إنما جعلت**) أي جعلني الله (**قاسماً**)، وفي رواية الجامع إنما بعثت قاسماً (**لأقسم بينكم**) أي العلم والغنيمة ونحوهما، وقيل: البشارة للصالح والنذارة للطالح، ويمكن أن تكون قسمة الدرجات والدركات مفوّضة إليه ﷺ ولا منع من الجمع كما يدل عليه حذف المفعول لتذهب أنفسهم كل المذهب ويشرب كل واحد من ذلك المشرب، وهذا المعنى غير موجود حقيقة في حقكم، بل مجرد اسم لفظاً وصورة في شأنكم وشأن أولادكم، والحاصل أني لست أباً لقاسم بمجر[دان] ولدي كان مسمى بقاسم، بل لوحظ فيّ معنى القاسمية باعتبار القسمة الأزلية في الأمور الدينية

الحديث رقم ٤٧٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢١٧ الحديث رقم ٣١١٤، ومسلم في ٣/ ١٦٨٣ الحديث رقم (٣ ـ ٢١٣٣)، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٥ الحديث رقم ٢٨٤٢، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٦، وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٩.

. . . .

والدنيوية فلست كأحدكم لا في الذات ولا في الأسماء والصفات، فعلى هذا يكون أبا القاسم نظير قول الصوفية: الصوفي أبو الوقت أي صاحبه وملازمه الذي لا ينفك عنه، فمعنى أبي القاسم صاحب هذا الوصف كما يقال: أبو الفضل، وإن لم يكن له ولد مسمى بالفضل ومجمله إن هذه الكنية ترجع إلى معنى اللقب المحمود والله أعلم. [وقيل: النهي مخصوص بحياته لئلا يلتبس خطابه بخطاب غيره، وهذا هو الصحيح لما تقدم من سبب ورود النهي في الحديث المتفق عليه بالصريح، وقيل: النهي عن الجمع بينهما، وهو أيضاً ينبغي أن يكون مخصوصاً بحياته عليه السلام، هذا وقد قال الطيبي: اختلفوا فيه على وجوه أحدها أنه لا يحل التكني بأبي القاسم أصلاً سواء كان اسمه محمداً أو أحمداً، ولم يكن اسم لظاهر هذا الحديث]، وذلك أنه لما كان رسول الله ﷺ يكنى أبا القاسم لأنه يقسم بين الناس من قبل الله تعالى إما بوحي إليه وينزلهم منازلهم التي يستحقونها في الشرف والفضل وقسم الغنائم، ولم يكن أحد منهم يشاركه في هذا المعنى، منع أن يكنى به غيره بهذا المعنى وهو مذهب الشافعي، وأهل الظاهر. قال القاضي: هذا إذا أريد به المعنى المذكور أما لو كني به أحد للنسبة إلى ابن له اسمه قاسم أو للعلمية المجردة جاز، ويدلك عليه التعليل المذكور للنهي، قلت: لكن يأبى عليك ما سبق من سبب الورود المسطور للنهي، قال: وثانيها أن هذا الحكم كان في بدء الأمر ثم نسخ فيباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد سواء فيه من اسمه محمد أو غيره، وعلته التباس خطابه بخطاب غيره، ويدل عليه نهيه عنه في حديث أنس عقيب ما سمع رجلاً يقول: يا أبا القاسم، فالتفت إليه ﷺ فقال: إنما دعوت هذا، وما روي في الفصل الثاني عن علي رضي الله عنه أنه قال: «يا رسول الله إن ولد لي بعدك ولد أسميه محمداً وأكنيه بكنيتك قال: نعم» أقول: دعوى النسخ ممنوعة لأنها غير مسموعة، بل ينبغي أن يقال: ينتفي الحكم بانتفاء العلة، والعلة في ذلك الاشتباه وهو متعين في حال الحياة. قال: وهذا مذهب مالك، قال القاضي عياض: وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وثالثها أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم، وهو مذهب جرير، قلت: وهو خلاف الأصل في أن النهي للتحريم لا سيما وما يترتب عليه من الأذى له ﷺ ولو كان في بعض الأحيان من حياته على أنه علل النهي بعلة دالة على اختصاص الاسم به حال وجوده، قال: ورابعها أن النهي للجمع ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى واحداً من الاسمين، ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ «نهى أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته»، ونظيره قولهم، «اشرب اللبن ولا تأكل السمك» أي حين شربته، فيكون النهي عن الجمع بينهما وهو مذهب جماعة من السلف، قلت: هذا مع مخالفة ظاهر الحديثين المتفق عليهما من جواز التسمية ومنع التكنية أعم من أن يكون مقارناً بالتسمية أو مفارقاً لها لا يلائمه سبب ورود النهي في الحديث الأوّل، ولا يناسبه العلة المسطورة في الحديث الثاني، فتأمل. والنظير لفظي لا معنوي، فإن الجمع بين شرب اللبن وأكل السمك مضر على قول الأطباء، وأما هنا فالضرر في التكنية وحدها أعم من أن يوجد معها اشتراك الاسم أم لا، فالنظير الحقيقي هو أن يقال: خالط

متفق عليه.

٤٧٥٢ - (٣) وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أحبَّ أسمائِكم إِلى الله: عبدُ الله، وعبدُ الرحمن».

الناس ولا تؤذ، قال: وخامسها أنه نهى عن التكني بأبي القاسم مطلقاً وأراد المقيد، وهو النهي عن التسمية بالقاسم، وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه حين بلغه هذا الحديث فسماه عبد الملك، وكان اسمه القاسم، وكذا عن بعض الأنصار قلت: لو قيل قول سابع وهو النهي عن التكنية بأبي القاسم كما يدل عليه سبب الورود المذكور، وعن التسمية بالقاسم أيضاً نظراً إلى التعليل المذكور لكان له وجه وجيه مع التقييد في حال حياته تنزيهاً لغيره أن يكون مشاركاً له في أسمائه وصفاته، وأما جواز إطلاق أبي القاسم ومنع القاسم فممنوع ولا له وجه مشروع، والظاهر أن مروان غيّر اسم ابنه القاسم لما بلغه الحديث عن التكني بأبي القاسم، وخاف أنه يكنى به ويقع المحظور فغيره تخلصاً من حصول المحذور قال: وسادسها أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقاً وجاء فيه حديث عن النبي ﷺ «تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنوهم»، قلت: ليس في الحديث دلالة على منع التسمية بمحمد، بل فيه إشعار إلى أنه إذا سمى ولد بمحمد يجب تعظيمه بسبب هذا الاسم الشريف فلا يعامل معه معاملة سائر الأسماء، ويؤيده ما رواه البزار عن أبي رافع مرفوعاً «إذا سميتم محمداً فلا تضربوه ولا تحرموه» وما رواه الخطيب عن علي مرفوعاً «إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له في المجلس، ولا تقبحوا له وجهاً». قال: وكتب عمر إلى الكوفة «لا تسموا أحداً باسم النبي ﷺ وسببه أنه سمع رجلاً يقول لمحمد بن يزيد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد، فدعاء عمر رضي الله عنه، فقال: أرى أن رسول الله ﷺ يسب بك، والله لا تدعى محمداً ما بقيت وسماه عبد الرحمن، قلت: فالنهي عنه ليس مطلقاً لذاته بل مقيد بأن يحصل بسببه إهانة لسميه ﷺ من حيث إنه شربكه في اسمه، قال: وهذا أكثره من كلام الشيخ محيي الدين النووي، وقال أيضاً: أجمعوا على جواز التسمية بأسماء الأنبياء إلا ما قدمناه عن عمر بن الخطاب، قلت: وقد قدمت ما هو الصواب، قال: وكره مالك التسمي بأسماء الملائكة كجبريل، قلت: ويؤيده ما رواه البخاري في تاريخه عن عبد الله بن جرار «سموا بأسماء الأنبياء ولا تسموا بأسماء الملائكة». **(متفق عليه)**.

٤٧٥٢ - **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»)**. قيل: أي بعد أسماء الأنبياء عليهم السلام بدليل الإضافة فدل

الحديث رقم ٤٧٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٢ الحديث رقم (١٢ - ٢١٣٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٣٦ الحديث رقم ٤٩٤٩، والترمذي في ٥/ ١٢١ الحديث رقم ٢٨٣٣، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٢٨، والدارمي في ٢/ ٣٨٠ الحديث رقم ٢١٩٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٤٥.

رواه مسلم.

٤٧٥٣ ـ (٤) وعن سَمُرةَ بن جُنْدُبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُسمِّينَّ غلامكَ يساراً، ولا رَباحاً، ولا نَجيحاً، ولا أفلحَ، فإنَّكَ تقول: أثَمَّ هوَ؟ فلا يكونُ، فيقول: لا». رواه مسلم. وفي رواية له، قال: «لا تُسمِّ غلامكَ رباحاً، ولا يساراً، ولا أفلحَ، ولا نافعاً».

على أن الاسمين ليسا بأحب من اسم محمد فهما في مرتبة التساوي معه أو يكون اسم محمد أحب من الاسمين إما مطلقاً أو من وجه، والله سبحانه أعلم. **(رواه مسلم)**. وروى الحاكم في الكنى والطبراني عن أبي زهير الثقفي مرفوعاً «إذا سميتم فعبدوا أي أنسبوا عبوديتهم إلى أسماء الله، فيشمل عبد الرحيم وعبد الملك وغيرهما، ولا يجوز نحو عبد الحارث ولا عبد النبي ولا عبرة بما شاع فيما بين الناس».

٤٧٥٣ ـ **(وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تسمين)** أي البتة أيها المخاطب بالخطاب العام **(غلامك)** أي صبيك أو عبدك **(يساراً)** من اليسر ضد العسر **(ولا رباحاً)** بفتح الراء من الربح ضد الخسارة **(ولا نجيحاً)** من النجح، وهو الظفر **(ولا أفلح)** من الفلاح، وهو الفوز، **(فإنك تقول:)** أي أحياناً **(أثم)** بفتح المثلثة وتشديد الميم بتقدير استفهام أي أهناك **(هو)** أي المسمى بأحد هذه الأسماء المذكورة **(فلا يكون)** أي فلا يوجد هو في ذلك المكان اتفاقاً **(فيقول:)** أي المجيب **(لا)** أي ليس هناك يسار أو لا رباح عندنا أو لا نجيح هناك أو لا أفلح موجود، فلا يحسن مثل هذا في التفاؤل أو فيكره لشناعة الجواب في شرح السنة معنى هذا أن الناس يقصدون بهذه الأسماء التفاؤل بحسن ألفاظها أو معانيها، وربما ينقلب عليهم ما قصدوه إلى الضد إذا سألوا فقالوا: أثم يسار أو نجيح، فقيل: لا، فتطيروا بنفيه وأضمروا اليأس من اليسر وغيره فنهاهم عن السبب الذي يجلب سوء الظن والأياس من الخير، قال: حميد بن زنجويه «فإذا ابتلي رجل في نفسه أو أهله ببعض هذه الأسمء فليحوله إلى غيره، فإن لم يفعل، وقيل: أثم يسار أو بركة»، فإن من الأدب أن يقال: كل ما هنا يسر وبركة والحمد لله، ويوشك أن يأتي الذي تريده، ولا يقال: ليس هنا ولا خرج والله أعلم. **(رواه مسلم. وفي رواية له)** أي لمسلم **(قال: لا تسم غلامك رباحاً ولا يساراً ولا نافعاً)**. في شرح مسلم للنووي قال أصحابنا: يكره التسمي بالأسماء المذكورة في الحديث وما في معناها، وهي كراهة تنزيه لا تحريم، والعلة فيه ما نبه ﷺ بقوله: أثم هو، فيقول لا فكره لشناعة الجواب.

الحديث رقم ٤٧٥٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٥ الحديث رقم (١٠ ـ ٢١٣٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٣ الحديث رقم ٤٩٥٨، والترمذي في ٥/ ١٢٢ الحديث رقم ٢٨٣٦، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٣٠، والدارمي في ٢/ ٣٨١ الحديث رقم ٢٦٩٦، وأحمد في المسند ٥/ ٧.

٤٧٥٤ ـ (٥) وعن جابرٍ، قال: أرادَ النبيُّ ﷺ أنْ ينهى عن أن يُسمَّى بيَعْلى وببركة وبأفلحَ وبيسارٍ [٣٥٨ ـ أ ـ] وبنافعٍ وبنحو ذلك. ثمَّ رأيته سكتَ بعدُ عنها، ثمَّ قُبِضَ ولم يَنهَ عن ذلك. رواه مسلم.

٤٧٥٥ ـ (٦) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أخْنى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ الله رجلٌ يُسمَّى

٤٧٥٤ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: أراد النبي ﷺ أن ينهي عن أن يسمى بيعلى)** بالفتح مضارع على في الشرف بالكسر، **(وببركة)** بعدم الصرف، وكذا قوله: **(وبأفلح)**، وأما قوله: **(وبيسار)** فالياء أصلية فصرف **(وبنافع وبنحو ذلك)** أي وبمعنى ما ذكر من الأسماء كما سبق بعضها **(ثم رأيته سكت بعد)** بالضم مبنياً أي بعد إرادته النهي عن التسمية بما ذكر **(عنها)** أي سكت عن الأسماء المسطورة وغيرها، ولم يصرح بنهي ولا بجواز، **(ثم قبض)** أي توفي **(ولم ينه عن ذلك)** أي عما ذكر من الأسماء. قال الطيبي: كأنه رأى أمارات، وسمع ما يشعر بالنهي، ولم يقف على النهي صريحاً، فلذا قال ذلك، وقد نهاه ﷺ في الحديث السابق لسمرة، وشهادة الإثبات أثبت، قلت: وله وجه آخر من التأويل وهو أنه أراد أن ينهي نهي تحريم ثم سكت بعد ذلك رحمة على الأمة لعموم البلوى وإيقاع الحرج لا سيما وأكثر الناس ما يفرقون بين الأسماء من القبح والحسن، فالنهي المنفي محمول على التحريم والمثبت على التنزيه، وقد روى أبو داود وابن ماجه عن سمرة أنه ﷺ «نهى أن يسمى أربعة أسماء أفلح ويساراً ونافعاً ورباحاً»[١]. وروى الطبراني بسند حسن عن ابن مسعود أنه ﷺ «نهى أن يسمى الرجل حرباً أو وليداً أو امرأة أو الحكم أو أبا الحكم أو أفلح أو نجيحاً أو يساراً». وروى الطبراني عن بريدة أنه ﷺ «نهى أن يسمى كلب أو كليب».

٤٧٥٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ أخنى الأسماء)** بسكون الخاء المعجمة بعدها نون أي أقبحها، وروي أخنع أي أذلها وأوضعها باعتبار مسماه **(يوم القيامة عند الله)** أي وإن كان اليوم عند عامة الناس أعظم الأسماء وأكرمها **(رجل)** أي اسم رجل **(يسمى)** بصيغة المجهول من التسمية نص عليه السيد جمال الدين، وهو المطابق لما في النسخ المصححة، وفي نسخة بفتح الفوقية وتشديد الميم ماض معلوم من التسمي مصدر من باب التفعل، قال بعضهم: وقع في أكثر نسخ المصابيح بصيغة المجهول من التسمية، وكذا رأيته في

الحديث رقم ٤٧٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٦ الحديث رقم (١٣ ـ ٢١٣٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٤ الحديث رقم ٤٩٦٠، والترمذي في ٥/ ٢٢ الحديث رقم ٢٨٣٦، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٢٩.

الحديث رقم ٤٧٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٨١ الحديث رقم ٦٢٠٦، ومسلم في ٣/ ١٦٨٨ الحديث رقم (٢٠ ـ ٢١٤٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤٥ الحديث رقم ٤٩٦١، والترمذي في ٥/ ١٢٣ الحديث رقم ٢٨٣٧، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

مَلِك الأملاكِ». رواه البخاري. وفي روايةٍ لمسلم، قال: «أغيظُ رجلٍ على الله يومَ القيامةِ وأخبثُه رجلٌ كانَ يسمَّى مَلِكَ الأملاكِ لا مَلِكَ إلاَّ الله».

أصل مصحح من كتاب مسلم ووقع في بعض النسخ بصيغة المعروف من التسمي، ثم قوله: **(ملك الأملاك)** منصوب على المفعولية والأملاك جمع ملك كالملوك على ما في القاموس، وقد فسره سفيان الثوري فقال: هو شهنشاه يعني شاه شاهان بلسان العجم، وقدم المضاف إليه ثم حذف الألف وفتح الهاء تخفيفاً وهو بالعربي سلطان السلاطين. **(رواه البخاري. وفي رواية مسلم قال:)** أي النبي ﷺ **(أغيظ رجل)** اسم تفضيل بني للمفعول أي أكثر من يغضب عليه ويعاقب، فإن الغيظ غضب العاجز عن الانتقام، وهو مستحيل في حقه سبحانه، فيكون كناية عن شدة كراهة هذا الاسم أو مجازاً عن عقوبته للتسمي بالاسم الآتي، وأضيف إلى مفرد بمعنى الجمع أي أشد أصحاب الأسماء الكريهة عقوبة **(على الله)** بحذف مضاف أي بناء على حكمه **(يوم القيامة وأخبثه)** أي حالاً ومقاماً **(رجل كان يسمى ملك الأملاك)** وهو من التسمية بصيغة المجهول في جميع الأصول، والمفهوم من كلام ابن حجر أنه بصيغة الفاعل حيث قال: أي يسمي نفسه بذلك فيرضى أن اسمه على ذلك **(لا ملك)** أي لا سلطان **(إلا الله)**، والجملة استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية، فبين أن الملك الحقيقي ليس إلا هو وملكية غيره مستعارة فمن سمي بهذا الاسم نازع الله برادائه وكبريائه، وقد قال تعالى في الحديث القدسي «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته»، ولما استنكف أن يكون عبد الله جعل له الخزي على رؤوس الاشهاد، وهذا مجمل الكلام في مقام المرام، وفي الجامع الصغير رواه الشيخان وأبو داود والترمذي ولفظه «أخنع الأسماء عند الله يوم القيامة رجل يسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله»[(١)] اهـ. وظاهره أن الأملاك جمع الملك بالكسر فيكون بهذا المعنى أيضاً مذموماً على أنه يمكن أن يقرأ ملك مالك كما في قوله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ [الفاتحة - ٤] وهو مرسوم بحذف الألف اتفاقاً والله أعلم. وقال الطيبي: لا بد في الحديث من الحمل على المجاز لأن التقييد بيوم القيامة مع أن حكمه في الدنيا كذلك للإشعار بترتب ما هو مسبب عنه من إنزال الهوان وحلول العقاب، والرواية الأخرى لمسلم أخنع اسم عند الله، وقال الشيخ محيي الدين: سأل أحمد بن حنبل أبا عمرو عن أخنع فقال: أوضع، والمعنى أشد ذلاً وصغاراً يوم القيامة اهـ. وقوله: رجل يسمى خبر أخنى، ولا بد من التأويل ليطابق الخبر المبتدأ وهو على وجهين أحدهما أن يقدر مضاف في الخبر أي اسم رجل، وثانيهما أن يراد بالاسم المسمى مجازاً أي أخنى الرجال رجل كقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى - ١] وفيه من المبالغة أنه إذا قدس اسمه عما لا يليق بذاته فكان ذاته بالتقديس أولى، وهنا إذا كان الاسم محكوماً عليه بالهوان والصغار فكيف بالمسمى، فإذا كان حكم الاسم[(٢)] ذلك فكيف بالمسمى، وهذا إذا كان رضي المسمى بذلك الاسم واستمر عليه ولم يبدله، وهذا التأويل أبلغ

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٤ الحديث رقم ٣٠٣.

(٢) في المخطوطة «المسمى».

. . . .

من الأول وأولى لأنه موافق لرواية أغيظ رجل. قال القاضي: أي أكبر من يغضب عليه غضباً اسم تفضيل بني للمفعول كألوم، وأضافه إلى المفرد على إرادة الجنس والاستغراق فيه. قال الطيبي: وعلى هنا ليست بصلة إلا غيظ كما يقال: اغتاظ على صاحبه وتغيظ عليه لأن المعنى يأباه كما لا يخفى، ولكن بيان كأنه لما قيل: أغيظ رجل قيل: على من قيل على الله كقوله تعالى: ﴿هيت لك﴾ [يوسف ـ ٢٣] فإن لك بيان لاسم الصوت، قلت: التقدير ما أفاد التغيير ليكون دفع الفساد، بل وقع في عين ما أراد منه الشر إذ ثم ليس نظيره ما ذكره من الآية، فإن الغيظ تعديته بعلى في أصل اللغة بخلاف هيت، فإنه ليس بمتعد أصلاً بل معناه أقبل وبادر أو تهيأت، والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح عند جمهور القراء كأين واللام للتبيين كالتي في سقياً لك، فالأولى ما أوّلناه أولاً، وفي النهاية هذا مجاز الكلام معدول عن ظاهره، فإن الغيظ صفة تعتري المخلوق عند احتداده يتحرك لها والله تعالى يتعالى عن ذلك، وإنما هو كناية عن عقوبته للمسمى بهذا الاسم أي أنه أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبة عند الله سبحانه. قال الطيبي: إن الغيظ والغضب من الأعراض النفسانية لها بدايات وغايات، فإذا وصف الله تعالى بها يتعين حملها على الغايات من الانتقام بإنزال الهوان وحلول العقاب لا على بداياتها من التغيير النفساني، فعلى هذا في على معنى الوجوب أي واجب على الله تعالى على سبيل الوعيد أن يغيظ عليه ويتكل به ويعذبه أشد العذاب، قلت: هذا غاية كلام صاحب النهاية، غايته أنه زاد في معنى على أنه للوجوب وهو لا يصح في هذا المقام لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء لذاته، وإنما يحب وقوع ما أخبر به إذا كان على سبيل التحتم كما في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ [النساء ـ ٤] فحينئذ يقال: إنه يجب وقوع عذاب الكفار، وألا يقع الخلف في اخباره تعالى عن ذلك، فهذا واجب لغيره وهو لا يصح في هذا المحل لأن ما عدا الشرك تحت المشيئة، فلا يصح أن يقال: واجب عليه تعالى على سبيل الوعيد أن يعذبه، فتدبر وتأمل لئلا تقع في الخلل والخطر، وقد أوضحت هذه المسألة في رسالتي المسماة بالقول السديد في خلف الوعيد.
هذا وفي شرح مسلم للنووي عند قوله: ملك الأملاك زاد ابن أبي شيبة في روايته «لا مالك إلا الله»، قال سفيان: مثل شاهنشاه، وقال القاضي عياض: وقع في رواية شاه شاه، قال: وزعم بعضهم أن الأصوب شاه شاهان، قلت: كذلك حتى يصح الإضافة أو يقدر مضاف فيقال شاه كل شاه، قال القاضي: فلا ينكر مجيء ما جاءت به الرواية لأن كلام العجم مبني على التقديم والتأخير في المضاف والمضاف إليه، قلت: هذا إنما يستقيم في شاهنشاه، قال الطيبي: فيتغير الاعتبار فيكون المعنى شاهانراشاه، قلت: والتحقيق ما قدمناه فلا يحتاج إلى زيادة الراء على ما بيناه، ثم قال القاضي عياض: ومنه قولهم: شاه ملوك وشاهان الملوك، وكذا ما يقولون: قاضي القضاة، قال الطيبي: ومما يلحق به ملك شاه، وتأول بعضهم قوله: باسم ملك الأملاك أي تسمى باسم الله عزَّ وجلّ كقوله: ﴿الرحمن الجبار العزيز﴾ وفي شرح السنة، والذي قاله سفيان أشبه، وكل له وجه.

٤٧٥٦ ـ **(٧)** وعن زينبَ بنتِ أبي سلَمةَ، قالت: سمِّيتُ برَّةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تزكُّوا أنفسكم، اللَّهُ أعلمُ بأهلِ البرِّ منكم، سمُّوها زينبَ». رواه مسلم.

٤٧٥٧ ـ **(٨)** وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: كانت جوَيريةُ اسمُها برَّةَ، فحوَّلَ رسولُ الله ﷺ اسمَها جويريةَ، وكان يكره أن يقال: خرجَ من عند بَرَّة. رواه مسلم.

٤٧٥٨ ـ **(٩)** وعن ابن عمر، أنَّ بنتاً كانت لعمرَ يقال لها: عاصيةٌ،

٤٧٥٦ ـ **(وعن زينب بنت أبي سلمة)** وهي ربيبة النبي ﷺ **(قالت: سميت)** بصيغة المجهول أي سماني أهلي **(برة)** بفتح الموحدة وراء مشددة مبالغة بارة إما على الوصفية أو المصدرية، **(فقال رسول الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم»)** أي كما قال تعالى: **(﴿الله أعلم بأهل البر منكم﴾)** قال ابن الملك: تزكية الرجل نفسه ثناؤه عليها، والبر اسم لكل فعل مرضي، **(سموها زينب)**، في القاموس زنب كفرح سمن والأزنب السمين، وبه سميت المرأة زينب يعني إخباراً أو تفاؤلاً أو من زبانا العقرب لزباناها أو من الزيب الشجر حسن المنظر طيب الرائحة أو أصلها زين أب. **(رواه مسلم)**. وفي الجامع الصغير كان ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة ويقول: «يا زوينب يا زوينب» مراراً. رواه الضياء عن أنس[(١)].

٤٧٥٧ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان)**، وفي نسخة كانت **(جويرية)** بجيم مضمومة تصغير جارية، وهي من أمهات المؤمنين رضي الله عنها **(اسمها برة)** أي قبل أن تدخل في عصمته ﷺ **(فحوّل رسول الله ﷺ اسمها)** يعني برة **(جويرية)** على نزع الخافض أي إلى جويرية، ويمكن أن يجعل حوّل بمعنى صير، فيصير متعدياً إلى مفعولين، **(وكان)** أي النبي ﷺ **(يكره أن يقال: خرج من عند برة)**. الظاهر أن هذا من عند ابن عباس، ويحتمل أنه عليه السلام أخبره عما في ضميره، فحينئذ يصح قول النووي: بين ﷺ في الحديثين نوعين من العلة، وهما التزكية وخوف التطير، قلت: يعني أن العلة في الأول التزكية، وفي الثاني التطير مع أنه لا منع من الجمع. **(رواه مسلم)**.

٤٧٥٨ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن بنتاً كانت لعمر يقال لها: عاصية)**، ولعلها

الحديث رقم ٤٧٥٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٧٥ الحديث رقم ٦١٩٢، ومسلم في ٣/ ١٦٨٧ الحديث رقم (١٩ ـ ٢١٤٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٣٩ الحديث رقم ٤٩٥٣، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٢، والدارمي في ٢/ ٣٨١ الحديث رقم ٢٦٩٨.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٤١ الحديث رقم ٧١٨٨.

الحديث رقم ٤٧٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٧ الحديث رقم (١٦ ـ ٢١٤٠)، وأحمد في المسند ١/ ٣١٦.

الحديث رقم ٤٧٥٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٨٧ الحديث رقم (١٥ ـ ٢١٣٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٣٨ الحديث رقم ٤٩٥٢، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٣ الحديث رقم ٢٨٣٨، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٠ الحديث رقم ٣٧٣٣، والدارمي في ٢/ ٣٨١ الحديث رقم ٢٦٩٧.

فسماها رسول الله ﷺ جميلةً. رواه مسلم.

٤٧٥٩ ـ (١٠) وعن سهلِ بن سعدٍ، قال: أُتي بالمنذرين أبي أُسَيْدٍ إِلى النبيِّ ﷺ حين وُلد، فوضعه على فخذه فقال: «ما اسمُه؟» قال: فلان. قال: «لا، لكن اسمه المنذر». متفق عليه.

٤٧٦٠ ـ (١١) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم

سميت بها في الجاهلية، ويمكن أن لا يكون من العصيان بل من العيص، وهو بالكسر الشجر الكثير المتلف، ويطلق على المنبت، ومنه عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وكأنه لما أبدلت الياء ألقاها فتحت العين، ومنه العاص وأبو العاص، والحاصل أنها مؤنث العاص لا تأنيث العاصي، لكن لما كان يتبادر منه هذا المعنى غيرها، **(فسماها رسول الله ﷺ جميلة)**، ولعله لم يسمها مطيعة مع أنها ضد العاصية مخافة التزكية والله أعلم. ثم رأيت التوربشتي قال: وإنما كان ذلك منه في الجاهلية، فإنهم كانوا يسمون بالعاص والعاصية ذهاباً إلى معنى الأباء عن قبول النقائص والرضا بالضيم، فلما جاء الله بالإسلام كره له ذلك، وقال الطيبي: كان من الظاهر أن يسمي بما يقابل اسمها، والمقابل برة وهو أيضاً غير جائز للعلتين السابقتين، ولذلك عدل إلى جميلة وهي مقابلة لها من حيث المعنى لأن الجميل لا يصدر منه إلا الجميل والبر، قلت: لا يلزم من التحويل المقابلة البتة، فلا يحتاج إلى مراعاتها مع أن المقابل للعاصية إنما هو المطيعة على ما قدمناه، فالظاهر أن الجميلة هنا بمعنى الحسنة لا بمعنى الآتية بالجمال، فإنها ترجع إلى معنى التزكية والله أعلم. قال النووي: وفيه استحباب تغيير الاسم القبيح كما يستحب تغيير الأسامي المكروهة إلى حسن. **(رواه مسلم)**.

٤٧٥٩ ـ **(وعن سهل بن سعد رضي الله عنه)** أي الساعدي الأنصاري، وكان اسمه حزناً فسماه النبي ﷺ سهلاً، مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة، روى عنه ابنه العباس والزهري وأبو حازم. **(قال: أتي)** أي جيء **(بالمنذر)** بالكسر **(ابن أبي أسيد)** بالتصغير هو الساعدي أيضاً **(إلى النبي ﷺ حين ولد فوضعه على فخذه)** بفتح فكسر، في القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر، **(فقال:)** أي لمن أتي به **(ما اسمه قال: فلان)** لم أقف على تعيينه **(قال: لكن)**، وفي نسخة لا لكن أي لا أرضى بذلك لكن **(اسمه المنذر)**. قال الطيبي: أي لا أرضى بما سميتموه ولكن أرضى له أن يكون اسمه المنذر، ولعله ﷺ تفاءل به ولمح إلى معنى التفقه في الدين في قوله تعالى: **﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم﴾** [التوبة ـ ١٢٢]. **(متفق عليه)**.

٤٧٦٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم**

الحديث رقم ٤٧٥٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٧٥ الحديث رقم ٦١٩١، ومسلم في ٣/ ١٦٩٢ الحديث رقم (٢٩ ـ ٢١٤٩).

الحديث رقم ٤٧٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٧٧ الحديث رقم ٢٥٥٢، ومسلم في ٤/ ١٧٦٤ =

عبدي وأُمَتي؛ كلكم عبيدُ الله، وكلُّ نسائكم إماءُ الله. ولكن ليقلْ: غلامي وجاريتي، وفتايَ وفتاتي. ولا يقلِ العبدُ: ربي؛ ولكنْ ليقلْ: سيدي». وفي رواية: «لِيقُلْ: سيدي ومولايَ». وفي رواية: «لا يقلِ العبدُ لسيدِه: مولايَ؛ فإنَّ مولاكم اللَّهُ».

عبدي») أي يا عبدي أو عبدي فلان دفعاً لتوهم الشركة في العبودية أو في حقيقة العبدية، وكذا قوله: (**«وأمتي»**) في الإعراب، والمعنى فإن الأمة هي المملوكة على ما في القاموس ولا ملك في الحقيقة إلا له سبحانه وتعالى، (**كلكم**) استئناف تعليل، والمعنى كل رجالكم (**عبيد الله**) بقرينة المقابلة بقوله: (**وكل نسائكم إماء الله**)، ويحتمل أن يكون الأول عاماً على وجه التغليب، والثاني تخصيصاً بعد تعميم، ويؤيد التوجيه السابق قوله تعالى: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾ [النور - ٣٢] (**ولكن ليقل: «غلامي وجاريتي»**) أي بدلاً عن عبدي وأمتي، وكذا قوله: (**«فتاي وفتاتي»**). فالواو بمعنى أو وهما بمعنى الشاب أو الشابة بناء على الغالب في الخدم أو القوي والقوية، ولو باعتبار ما كان، (**ولا يقل. العبد: ربي**) أي بالنداء أو الإخبار لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد فكره المضاهاة بالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك إذا العبد والحر فيهد بمنزلة واحدة، (**ولكن ليقل: سيدي**) لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة وحسن التدبير في المعيشة، ولذلك يسمى الزوج سيداً، (**وفي رواية ليقل: سيدي**) أي تارة (**ومولاي**) أي أخرى لكن بمعنى متصرف؛ (**وفي رواية لا يقل العبد لسيده: مولاي**) أي بمعنى الناصر والمعين، فلا ينافي ما سبق، ولذا يطلق المولى على المعتق والمعتق، ومنه قوله ﷺ: «مولى القوم من أنفسهم»[١] على ما رواه البخاري عن أنس، ومولى الرجل أخوه وابن عمه على ما رواه الطبراني عن سهل بن حنيف، والحاصل أن المولى له معان متعددة منها ما يختص به سبحانه، فلا يجوز استعماله في حق غيره تعالى وهو نعم المولى، ولذا قال: (**فإن مولاكم الله**) أي المختص بهذا المعنى الخاص، ولذا قيل في كراهة هذه الأسماء هو أن يقول ذلك على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه، وإلا فقد جاء به القرآن قال الله تعالى: ﴿**والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾ [النور - ٣٢] وقال: «عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء»، وقال: اذكرني عند ربك، وقال: ألفيا سيدها لدى الباب، ومعنى هذا راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع، فلم يحسن لأحد أن يقول: فلان عبدي، بل يقول: فتاي، وإن كان قد ملك فتاه ابتلاء وامتحاناً من الله بخلقه كما قال تعالى: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**﴾ [الفرقان - ٢٠] وعلى هذا امتحان الله تعالى لأنبيائه وأوليائه ابتلى يوسف عليه السلام بالرق، كذا في شرح السنة، وفي شرح مسلم للنووي. قالوا: «إنما كره للمملوك أن يقول لمالكه: «ربي لأن فيه إيهام المشاركة لله تعالى، وأما حديث حتى يلقاها ربها في الضالة، فإنما استعمل لأنها غير مكلفة، فهي كالدار والمال، ولا كراهة أن يقول رب المال

= الحديث رقم (١٥ - ٢٢٤٩)، وأبو داود في السنن ٥/٢٥٦ الحديث رقم ٤٩٧٥، وأحمد في المسند ٢/٤٩٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٤٨ الحديث رقم ٦٧٦١.

رواه مسلم.

٤٧٦١ ـ (١٢) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تقولوا: الكرمَ؛ فإنَّ الكرم قلبُ المؤمنِ». رواه مسلم.

والدار، وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿**اذكرني عند ربك**﴾ [يوسف ـ ٤٢] و﴿**إنه ربي أحسن مثواي**﴾ [يوسف ـ ٢٣] ففيه جوابان أحدهما أنه خاطبه بما يعرفه وجاز ذلك للضرورة، وثانيهما أن هذا منسوخ في شرعنا اهـ. والأظهر في الجواب عن قوله: ﴿**إنه ربي أحسن مثواي**﴾ [يوسف ـ ٢٣] أن الضمير لله تعالى أي أنه خالقي أحسن منزلتي ومأواي بأن عطف عليّ القلوب فلا أعصيه، وعن قوله: ﴿**اذكرني عند ربك**﴾ [يوسف ـ ٤٢] أي اذكر حالي عند الملك كي يخلصني فأنساه الشيطان ذكر ربه أي أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره، ويؤيده قوله عليه السلام: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعاً بعد الخمس» كذا في تفسير البيضاوي، وقال أبو سعيد القرشي: لما قال لصاحب السجن ﴿**اذكرني عند ربك**﴾ نزل جبريل عليه السلام، فقال: الله يقرئك السلام ويقول: من حببك إلى أبيك من بين أخوتك، ومن قيض لك السيارة لتخليصك، ومن طرح في قلب من اشتراك من مودتك حتى قال: ﴿**اكرمي مثواه**﴾ [يوسف ـ ٢١] الآية. ومن صرف عنك وبال المعصية؟ قال: الله تعالى قال فإنه يقول: أنا الذي حفظتك في هذه المواضع أخشيت أن أنساك في السجن حتى استعنت بغيري وقلت: ﴿**اذكرني عند ربك**﴾ أما كان ربك أقرب منك وأقدر على خلاصك من رب صاحب السجن لتلبثن فيه بضع سنين، قال يوسف: وربي عني براض، قال: نعم. قال: لا أبالي ولوالي الساعة». كذا في حقائق السلمي. **(رواه مسلم)**.

٤٧٦١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه **(عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا:)** أي للعنب **(الكرم)** بسكون الراء ويفتح على ما في بعض النسخ، **(فإن الكرم قلب المؤمن)**. قال شارح: سمت العرب العنبة كرماً ذهاباً إلى أن الخمر تورث شاربها كراماً، ويلتفت إليه قول القائل:

فيا ابنة الكرم لا بل يا ابنة الكرم

فلما حرم الخمر نهاهم عن ذلك تحقيراً للخمر وتأكيداً لحرمتها، وبين لهم أن قلب المؤمن هو الكرم لأنه معدن التقوى لا الخمر المؤدي إلى اختلال العقل وفساد الرأي وإتلاف المال، وصرفه لا على وجه الصواب. وفي الفائق أراد أن يقرر ما في قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣] بطريق منيف ومسلك لطيف، وفي القاموس الكرم محركة ضد اللؤم وأرض كرم محركة أي طيبة والكرم العنب والكريمان الحج والجهاد، ومنه

الحديث رقم ٤٧٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٦٦ الحديث رقم ٦١٨٣، ومسلم في ٤/١٧٦٣ الحديث رقم (٧ ـ ٢٢٤٧)، وأبو داود في السنن ٥/٢٥٥ الحديث رقم ٤٩٧٤، والدارمي في ٢/ ٣٨٢ الحديث رقم ٢٧٠٠، وأحمد في المسند ٢/٣١٦.

٤٧٦٢ ـ (١٣) وفي رواية له عن وائلِ بن حُجرٍ، قال: «لا تقولوا: الكرمُ؛ ولكن قولوا: العنبُ والحَبَلَةُ».

٤٧٦٣ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ [٣٥٨ ـ ب ـ]: «لا تسمُّوا العنبَ الكرمَ، ولا تقولوا: يا خيبَةَ الدَّهر! فإنَّ اللَّهَ هو الدهرُ». رواه البخاري.

٤٧٦٤ ـ (١٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يسبَّ أحدُكم الدهرَ، فإنَّ اللَّهَ هوَ الدهرُ». رواه مسلم.

خير الناس مؤمن بين كريمين، وفي الحديث «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم»، وليس الغرض حقيقة النهي عن تسمية العنب كرماً، ولكنه رمز إلى أن هذا النوع من غير الأناسي المسمى بالاسم المشتق من الكرم أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه بهذه التسمية غيرة للمسلم التقي أن يشارك فيما سماه الله وخصه بأن جعله صفته فضلاً أن تسموا بالكريم من ليس بمسلم، وكأنه قال: «أن تأتي لكم أن لا تسموه مثلاً باسم الكرم فلا تسموا به غيره». وقوله: فإن الكرم أي فإنما المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم، وفي شرح مسلم للنووي قال: أهل اللغة رجل كرم وامرأة كرم، ورجلان كرم ورجال كرم، ونسوة كرم كله بفتح الراء وإسكانها بمعنى كريم وصف بالمصدر كعدل وضيف.

٤٧٦٢ ـ **(وفي رواية له)** أي لمسلم **(عن وائل بن حجر)** بضم حاء وسكون جيم **(لا تقولوا: الكرم، ولكن قولوا: العنب)** وهو يطلق على الثمر والشجر، والمراد به هنا الشجر **(والحبلة)** بفتح مهملة وباء موحدة ويسكن وهو الأصل من شجر العنب.

٤٧٦٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم ولا تقولوا: يا خيبة الدهر»)** الخيبة الحرمان والخسران وهو من إضافة المصدر الفاعل، وكانوا في الجاهلية إذا أصابتهم مصيبة قالوا: يا خيبة الدهر يريدون سب الدهر، فنهوا عن ذلك بقوله: **(«فإن الله هو الدهر»)** أي هو ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر أو فإن الله خالق الدهر ومصرفه ومقلبه والمتصرف فيه، والدهر مسخر حكمه. **(رواه البخاري)**. وفي الجامع الصغير رواه الشيخان[١].

٤٧٦٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسب أحدكم الدهر فإن الله هو الدهر»)** قد مر شرحه في كتاب الإيمان مفصلاً. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٤٧٦٢: أخرجه مسلم في ٤/ ١٧٦٤ الحديث رقم (١٢ ـ ٢٢٤٨).

الحديث رقم ٤٧٦٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٦٤ الحديث رقم ٦١٨٢، ومسلم في ٤/ ١٧٦٣ الحديث رقم (٤ ـ ٢٢٤٦)، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٩.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٠ الحديث رقم ٩٨٠٠.

الحديث رقم ٤٧٦٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٣ الحديث رقم (٦ ـ ٢٢٤٧)، وأبو داود في السنن ٥/ ٤٢٣ الحديث رقم ٥٢٧٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٧٢.

٤٧٦٥ ـ (١٦) وعن عائشةَ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي؛ ولكن ليقُلْ: لَقِسَتْ نفسي». متفق عليه.

وذكر حديثُ أبي هريرةَ: «يُؤذيني ابنُ آدمَ» في «باب الإيمان».

الفصل الثاني

٤٧٦٦ ـ (١٧) عن شريح بن هانىء، عن أبيهِ، أنَّه لما وفَدَ إلى رسول الله ﷺ مع قومِهِ سمعهم يكنُونَه

٤٧٦٥ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «لا يقولن أحدكم: خبثت»)** بفتح خاء معجمة وضم موحدة وفتح مثلثة وتاء ساكنة **(«نفسي، ولكن ليقل: لقست»)** بفتح لام فكسر قاف أي غثيت على ما في النهاية من أن اللقس الغثيان، وإنما كره خبثت هرباً من لفظ الخبث والخبيث يعني من الاشتراك المعنوي مع التبادر إلى المعنى القبيح، وقال شارح: لقست بالكسر وخبثت أي غثيت، والعرب تستعمل كلاً منهما مكان الآخر، فكره النبي ﷺ أن يضرب المؤمن لنفسه مثل السوء، ويضيف الخبث الذي يطلق على خباثه النفس وسوء الخلق كما يطلق على الغثيان إلى نفسه، ولذلك أطلق على من لم يقم الصلاة الليل كسلاً وتهاوناً الخبث حيث قال: أصبح خبيث النفس كسلاناً ذماً وزجراً له وقال النووي: إنما كره لفظ «الخبث» لشناعته، وعلمهم الأدب في الألفاظ واستعمال أحسنها وهجران قبيحها، فإن قيل: قد قال ﷺ في الذي ينام عن الصلاة: خبيث النفس كسلان، والجواب أنه ﷺ مخبر هناك عن صفة غيره وعن شخص مبهم مذموم الحال، قال التوربشتي: وكم مثل ذلك في السنن نهى عن لعن المسلم أشد النهي، ثم قال: لعن الله من تولى غير مواليه، ولعن الله من سرق منار الأرض وأمثال ذلك مما كان القصد فيه الوعيد والزجر لا اللعن لمسلم بعينه. **(متفق عليه، وذكر حديث أبي هريرة يؤذيني ابن آدم في باب الإيمان)**.

(الفصل الثاني)

٤٧٦٦ ـ **(عن شريح)** بالتصغير **(ابن هانىء)** بنون مكسورة فهمزة **(عن أبيه)** أي هانىء بن يزيد **(أنه لما وفد)** أي جاء **(إلى رسول الله ﷺ سمعهم)** أي سمع النبي ﷺ **(يكنونه)** بتشديد

الحديث رقم ٤٧٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٦٣ الحديث رقم ٦١٧٩، ومسلم في ٤/ ١٧٦٢ الحديث رقم (٢ ـ ٢٢٤٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٥٨ الحديث رقم ٤٩٧٨، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨١.

الحديث رقم ٤٧٦٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٠ الحديث رقم ٤٩٥٥، والنسائي في ٨/ ١٢٢٦ الحديث رقم ٥٣٨٧.

بأبي الحكمِ، فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال: «إنَّ اللّهَ هوَ الحَكَم، وإليهِ الحُكْمُ، فلِمَ تُكنَى أبا الحكم؟» قال: إنَّ قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمتُ بينهم، فرضي كلا الفريقين بحكمي. فقال رسولُ الله ﷺ: «ما أحسنَ هذا، فما لكَ من الولدِ؟» قال: لي شريح. ومسلم، وعبدُ الله. قال: «فمن أكبرهُم؟». قال: قلتُ: شريحٌ. قال: «فأنتَ أبو شريح».

النون مع ضم أوّله وتخفيف مع فتح أوله (**بأبي الحكم**) الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل وأبي المعالي وأبي الحكم وأبي الخير، وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة وأبي شريح وإلى ما لا يلابسه كأبي هريرة، فإنه عليه السلام رآه ومعه هرة فكناه بأبي هريرة، وقد تكون للعلمية الصرفة كأبي بكر وأبي عمرو (**فدعاه رسول الله ﷺ**) أي طلب هانئاً (**فقال: إن الله هو الحكم**) عرف الخبر وأتى بضمير الفصل فدل على الحصر، وأن هذا الوصف مختص به لا يتجاوز إلى غيره (**وإليه الحكم**) أي منه يبتدأ الحكم وإليه ينتهي الحكم له الحكم وإليه ترجعون لا رادّ لحكمه ولا يخلو حكمه عن حكمته، وفي إطلاق أبي الحكم على غيره يوهم الاشتراك في وصفه على الجملة، وإن لم يطلق عليه سبحانه أبو الحكم لما فيه من إيهام الوالدية والولدية وقد غير ﷺ اسم عمرو بن هشام المكنى بأبي الحكم بأبي جهل، وفي شرح السنة الحكم هو الحاكم الذي إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق بغير الله تعالى ومن أسمائه الحكم، (**فلم تكنى أبا الحكم**) أي فلأي شيء وبأي سبب من أنواع الكنية تكنى بأبي الحكم (**قال: إن قومي**) استئناف تعليل (**إذا اختلفوا في شيء**) وصاروا فرقتين مختلفتين وكاد أن يقتتلا (**أتوني، فحكمت بينهم**) أي بأي نوع من الحكم (**فرضي كل الفريقين بحكمي**) أي لمراعاتي الجانبين والعدل بين الخصمين وحصول الصلح من الطرفين (**فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسن هذا»**) أي الذي ذكرته من الحكم بالعدل أو من وجه التكنية وهو الأولى، وأتى بصيغة التعجب مبالغة في حسنه لكن لما كان فيه من الإيهام ما سبق في الكلام أراد تحويل كنيته إلى ما يناسبه في المرام فقال: إذا كان الأمر كذلك، (**فما لك من الولد**)؛ وأغرب المظهر في قوله: ما للتعجب يعني الحكم بين الناس حسن، ولكن هذه الكنية غير حسنة، وتبعه الطيبي فقال: ولما لم يطابق جواب أبي شريح قال له ﷺ على ألطف وجه وأرشقه رداً عليه ذلك ما أحسن هذا لكن أين ذلك من هذا فأعدل عنه إلى ما هو يليق بحالك من التكني بالأبناء، وهو من باب الرجوع والتنبيه على ما هو أولى به وأليق بحاله. (**قال لي شريح ومسلم وعبد الله**): ظاهر الترتيب المقتضي لعقله أنه قدم الأكبر فالأكبر لكن الواو لدلالته على مطلق الجمع كان غير صريح في المدعي (**قال: ومن أكبرهم**)، في شرح السنة فيه أن الأولى أن يكنى الرجل بأكبر بنيه فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة بأكبر بنيها فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها. (**قال:**) أي هانيء (**قلت: شريح**) أي أكبرهم (**قال: فأنت أبو شريح**) أي رعاية للأكبر سناً فصار ببركته ﷺ أكبر رتبة وأكثر فضلاً، فإنه من أجلة أصحاب علي رضي الله عنه، وكان مفتياً في زمن الصحابة ويرد على بعضهم، وقد ولاه علي رضي الله عنه قاضياً، وخالفه في قبول شهادة الحسن له والقضية مشهورة، قال بعض علمائنا: وأما التابعي فإن ظهرت فتواه في زمن الصحابة كشريح كان مثلهم عند البعض، ولعله عد في فصل الصحابة في أسماء رجال المصنف لهذا المعنى أو

رواه أبو داود، والنسائي.

٤٧٦٧ - (١٨) وعن مسروقٍ، قال: لقيتُ عُمَرَ. فقال: مَنْ أنتَ؟ قلتُ: مسروقُ بنُ الأجدَعِ. قال عمَرُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الأجدَعُ شيطانٌ». رواه أبو داود، وابنُ ماجه.

٤٧٦٨ - (١٩) وعن أبي الدرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُدعَونَ يومَ القيامةِ بأسمائكم وأسماءِ آبائكم، فأحسِنوا أسماءَكم» رواه أحمد، وأبو داود.

٤٧٦٩ - (٢٠) وعن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ نهى أنْ يجمعَ أحدٌ بين اسمه

لكونه من المخضرمين كما قاله ابن عبد البر في الاستيعاب والله أعلم بالصواب. **(رواه أبو داود والنسائي)**.

٤٧٦٧ - **(وعن مسروق)** همداني كوفي أسلم قبل وفاة النبي ﷺ وأدرك الصدر الأوّل من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكان أحد الأعلام والفقهاء، قال محمد بن المنتشر: إن خالد بن عبد الله وكان عاملاً على البصرة أهدى إلى مسروق ثلاثين ألفاً وهو يومئذ محتاج فلم يقبلها، يقال: إنه سرق صغيراً ثم وجد فسمي مسروقاً. **(قال: لقيت عمر فقال: من أنت؟ قلت: مسروق بن الأجدع، قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأجدع شيطان)** أي اسم شيطان من الشياطين. قال الطيبي وهو استعارة من مقطوع[(١)] الأطراف لمقطوع الحجة اهـ. وهو يحتمل أن يكون مطايبة من عمر رضي الله عنه أو تنبيهاً على تغيير هذا الاسم عن أبيه إن كان حياً، ويقال له: أبو مسروق إن كان ميتاً واحتراساً من أن يسمى ولده باسم أبيه، ويكنى بأبي الأجدع والله تعالى أعلم. **(رواه أبو داود وابن ماجه)**، وكذا أحمد والحاكم[(٢)].

٤٧٦٨ - **(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تدعون)**، وفي رواية الجامع «إنكم تدعون» وهو بصيغة المجهول أي تنادون أو تسمون **(«يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فاحسنوا»)** أي أنتم وآباؤكم **(«أسماءكم»**. **رواه أحمد وأبو داود)**.

٤٧٦٩ - **(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ «نهى أن يجمع أحد بين اسمه**

الحديث رقم ٤٧٦٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٣ الحديث رقم ٤٩٥٧، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٩ الحديث رقم ٣٧٣١، وأحمد في المسند ١/ ٣١.

(١) في المخطوطة «مقطوف». (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٧٩.

الحديث رقم ٤٧٦٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٦ الحديث رقم ٤٩٤٨، والدارمي في ٢/ ٣٨٠ الحديث رقم ٢٦٩٤، وأحمد في المسند ٥/ ١٩٤.

الحديث رقم ٤٧٦٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٤٤ الحديث رقم ٢٨٤١، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٣.

وكُنيتِه، ويسمَّى محمَّدٌ أبا القاسمِ. رواه الترمذي.

٤٧٧٠ - (٢١) وعن جابرٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا سمَّيتم باسمي فلا تكتنوا بكُنيَتي». رواه الترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. وفي رواية أبي داود، قال [٣٥٩ - أ -]: «مَن تسمَّى باسمي، فلا يكتنِ بكُنيتي؛ ومَن تكنَّى بكنيتي، فلا يتسمَّ باسمي».

٤٧٧١ - (٢٢) وعن عائشةَ [رضي اللَّهُ عنها]، أنَّ امرأةً قالتْ: يا رسولَ الله! إني

وكنيته»، وسمي) بصيغة المجهول **(محمد)** بالرفع **(أبا القاسم)** بالنصب، ويؤيده ما في بعض النسخ نهى أن يجمع بين اسمه على بناء المفعول من غير ذكر أحد، وفي نسخة صحيحة يسمى بصيغة الفاعل ومحمداً بالنصب وهو ظاهر مطابق لما قبله. قال الطيبي: محمد مرفوع على أنه مفعول أقيم مقام الفاعل، كذا في جامع الترمذي وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح، والمعنى يسمى المسمى بمحمد أبا القاسم، وفي جامع الأصول وبعض نسخ المصابيح محمداً منصوب، فالفعل يكون على بناء الفاعل اهـ، ولا يخفى أنه على بناء الفاعل يكون بفتح الياء بالنصب الظاهري بخلاف ما إذا كان مفعولاً، فإن نصبه مقدر على الألف ثم على الأوّل يكون تقديره وأن يسمى أحد محمداً أبا القاسم وتقدم تحقيقه، وأن النهي في الحقيقة إنما هو عن كنيته ﷺ في حال حياته، ولعل تخصيص اسم محمد لما كان الغالب عليهم ذلك، والله أعلم. **(رواه الترمذي)**.

٤٧٧٠ - **(وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا سميتم باسمي)** أي فلا حرج عليكم في تسميته، **(فلا تكتنوا بكنيتي»)** أي في حياتي لئلا يلتبس في ذاتي كما يدل عليه الحديث الصحيح «تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي» على ما رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أنس، وأحمد والشيخان وابن ماجه عن جابر وقال ابن الملك: في الحديث أن أفراد لكنية جائز، فإنه أقل كراهة من الجمع إذ في الأفراد يمكن رفع اللبس بخلاف الجمع فإنه لا يمكن الرفع إلا بكفه لكثرة الاشتراك، سواء كان ذلك في زمانه أو بعده اهـ، وما قررناه سابقاً أولى. **(رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وفي رواية أبي داود قال: «من تسمى باسمي فلا يكتن بكنيتي ومن تكنى بكنيتي فلا يتسم باسمي»)**، وهذه الرواية تؤيد قول ابن الملك، لكن تخالف الحديث الصحيح السابق نعم يمكن تقييده بأن هذا بعد موته ﷺ لئلا يورث الاشتباه في ذكره أو نسبه، وأما الكنية في حال حياته فمنهية مطلقاً لما سبق من سبب وروده، وأما وجه المنع على التعليل المتقدم فإنه مع وجود الفرد الأكمل لا ينبغي إطلاق الوصف على غيره والله أعلم.

٤٧٧١ - **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن امرأة قالت: «يا رسول الله أني**

الحديث رقم ٤٧٧٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٩ الحديث رقم ٤٩٦٦، والترمذي في ٥/ ١٢٤ الحديث رقم ٢٨٤٢، وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٩.

الحديث رقم ٤٧٧١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥١ الحديث رقم ٤٩٦٨، والترمذي في ٥/ ١٢٥ الحديث رقم ٢٨٤٣.

ولدتُ غلاماً فسمَّيتُه محمَّداً، وكنَّيتُه أبا القاسمِ، فذُكِرَ لي أنَّكَ تكرهُ ذلكَ. فقال: «ما الذي أحلَّ اسمي وحرَّمَ كنيتي؟ أو ما الذي حرَّمَ كَنيتي وأحلَّ اسمي؟». رواه أبو داود. وقال محيي السنة: غريبٌ.

٤٧٧٢ ـ (٢٣) وعن محمَّدِ ابن الحنفيَّةِ، عن أبيهِ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! بتَّ إِنْ وُلد لي بعدَكَ ولدٌ أُسميهِ باسمِكَ وأُكنِّيهِ بكنيتِكَ؟ قال: «نعمْ». رواه أبو داود.

٤٧٧٣ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، قال: كنَّاني رسولُ الله ﷺ ببقلَةٍ كنتُ أجتنيها. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ لا نعرِفه إلا من هذا الوجه. وفي «المصابيح»:

ولدت غلاماً») أي نفسه (**«فسميته محمداً وكنيته أبا القاسم»**) أي تبركاً بهما (**«فذكر»**) بصيغة المجهول أي فذكر بعض (**لي أنك تكره ذلك**) أي كراهة تحريم كما يدل عليه ما أجاب (**«فقال: ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي»**) بالاستفهام الإنكاري (**«أو ما الذي حرم كنيتي وأحل اسمي»**) شك من أحد الرواة، وفيه تصريح على أن النهي عن الجمع ليس للتحريم بل للتنزيه كما سبق. (**رواه أبو داود، وقال محيي السنة: غريب**) أي متناً أو إسناداً.

٤٧٧٢ ـ (**وعن محمد ابن الحنفية**) هو محمد بن علي بن أبي طالب يكنى أبا القاسم وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ويقال: بل كانت أمه من سبي اليمامة فصارت إلى علي رضي الله عنه، وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: رأيت أم محمد ابن الحنفية سندية سوداء وكانت أمة بني حنيفة، روى عنه ابنه إبراهيم مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة، (**عن أبيه قال:**) أي أبوه علي كرم الله وجهه (**قلت: يا رسول الله أرأيت**) أي أخبرني (**أن ولد لي بعدك**) أي فرضاً وتقديراً (**ولد**) أي من فاطمة أو غيرها (**أسميه**)، وفي نسخة وأسميه (**باسمك وأكنيه**) بتشديد النون (**بكنيتك**) أي تبركاً وتذكراً (**قال: نعم**) فيه أن النهي مقصور على زمانه ﷺ، فيجوز الجمع. بينهما بعده لرفع الالتباس، وبه قال مالك، وقد حققنا البحث قبل ذلك. (**رواه أبو داود**).

٤٧٧٣ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كناني**) بتشديد النون الأولى [أي جعلني مكنى بأبي حمزة] (**رسول الله ﷺ ببقلة**) أي بسبب اسم بقلة خريفية في طعمها حموضة اسمها حمزة بالحاء والزاي (**كنت أجتنيها**) أي أقلعها. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه**) أي الحديث غريب، والغرابة تجتمع مع الصحيح وغيره، ولذا قال المؤلف، (**وفي المصابيح صحيحة**).

الحديث رقم ٤٧٧٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٠ الحديث رقم ٤٩٦٧، والترمذي في ٥/ ١٢٥ الحديث رقم ٢٨٤٣، وأحمد في المسند ١/ ٩٥.

الحديث رقم ٤٧٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٠ الحديث رقم ٣٨٣٠، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٧.

٤٧٧٤ ـ (٢٥) وعن عائشةَ [رضي اللَّهُ عنها]، قالتْ: إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يغير الاسْمَ القبيحَ. رواه الترمذيُّ.

٤٧٧٥ ـ (٢٦) وعن بشيرِ بن ميمونٍ، عن عمِّه أُسامةَ بن أَخْدَرِيّ، أنَّ رجلاً يقال له أصْرمُ كانَ في النَّفرِ الذينَ أتوا رسولَ الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما اسمُكَ؟» قال: أصْرمُ قال: «بلْ أنتَ زُرْعَةُ». رواه أبو داود.

٤٧٧٦ ـ (٢٧) وقال: وغيَّر النبي ﷺ اسمَ العاص، وَعزيز، وعَتَلَةَ،

٤٧٧٤ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح)** أي غير اللائق بضده وقد تقدم بعض الأمثلة، وروي أن رجلاً كان اسمه أسود فسماه أبيض. **(رواه الترمذي)**.

٤٧٧٥ ـ **(وعن بشر بن ميمون)** ذكره المؤلف في فصل التابعين وقال: صدوق، روى عنه بشر بن المفضل وغيره **(عن عمه أسامة بن أخدري)** بفتح همزة وسكون خاء معجمة وفتح دال مهملة وكسر راء وياء مشددة لم يذكره المؤلف في أسمائه، وقيل: في صحبته وفي إسناد حديثه مقال، له حديث واحد في تغيير الأسماء **(أن رجلاً يقال له أصرم)** افعل من الصرم **(كان في النفر الذي)** أفرد الموصول باعتبار لفظ النفر وجمع في قوله: **(أتوا)** بحسب المعنى، ونحوه قوله تعالى: ﴿**كالذي خاضوا**﴾ [التوبة ـ ٦٩] وفي نسخة الذين أتوا **(رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ قال: أصرم، قال: بل أنت زرعة)** بضم زاي وسكون راء مأخوذ من الزرع وهو مستحسن بخلاف أصرم فإنه مأخوذ من الصرم وهو القطع، فبادله به وغيره له. **(رواه أبو داود)**.

٤٧٧٦ ـ **(وقال:)** أي أبو داود بطريق التعليق **(وغير النبي ﷺ اسم العاص)**، قال شارح: لأنه من العصيان، وفي الفائق كره العاصي لأن شعار المؤمن الطاعة لكن المفهوم من القاموس أن العاص ليس من مادة العصيان حيث ذكر في معتل العين لأن الأعياص من قريش أولاد أمية ابن عبد شمس الأكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص، قال: والعيص المنيت وعيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، فلعل التبديل الاسمي لأجل الاشتباه اللفظي **(وعزيز)** لأنه من أسماء الله تعالى، فينبغي أن يقال: عبد العزيز لأن العبد موصوف بالذل والخضوع والعزة لله تعالى، وكذا لا ينبغي أن يسمى بحميدة فإنه من أسمائه وصفاته على وجه المبالغة فلا يقال: إلا عبد الحميد وكذلك الكريم وأمثاله، **(وعتلة)** بفتحات لأن معناه الغلظة والشدة من عتلته إذا جذبته جذباً عنيفاً، والمؤمن موصوف بلين الجانب وخفض الجناح وقيل:

الحديث رقم ٤٧٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٢٤ الحديث رقم ٢٨٣٩.
الحديث رقم ٤٧٧٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٩ الحديث رقم ٤٩٥٤.
الحديث رقم ٤٧٧٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٤٣ الحديث رقم ٤٩٥٦.

وشيطان، والحَكَم، وغُرابٍ، وحُبَابٍ، وشِهاب، وقال: تركت أسانيدها للاختصار.

٤٧٧٧ ـ (٢٨) وعن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ، قال لأبي عبد الله، أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود: ما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في (زعموا؟) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ

العتلة عمود حديد يهدم به الحيطان، وقيل: حديدة كبيرة يقلع بها الحجر والشجر **(وشيطان)** لأنه مع قطع النظر عن مسماه يتشاءم به كل من رآه، وهو باعتبار اللغة أيضاً مأخوذ من شاط احترق أو هلك، قال صاحب القاموس: ومنه الشيطان في قول أو من شطن، ففي القاموس الشاطن الخبيث، والشيطان معروف، وكل عات متمرد من أنس أو جن أو دابة، وشيطن وتشيطن فعل فعله والحية، وفي شرح السنة لأن اشتقاقه من الشطن وهو البعد عن الخير **(والحكم)** بفتحتين مبالغة الحاكم فإن الله تعالى هو الحاكم ولا حكم إلا له، فإذا كان ﷺ غير أبا الحكم على ما سبق فالحكم بالأولى كما لا يخفى، **(وغراب)** لأن معناه البعد ولأنه أخبث الطيور لوقوعه على الجيف وبحثه عن النجاسات، وقال شارح: لأن الغراب طير مذموم شرعاً أو لأنه من الغروب وهو غير مستحسن في التفاؤل يعني وكان ﷺ يحب الاسم الحسن والفأل الحسن على ما ورد كما سبق **(وحباب)** بضم الحاء وموحدتين اسم الشيطان، ويقع على الحية أو نوع منها، **(وشهاب)** بكسر الشين المعجمة لأنه شعلة نار ساقطة والنار عقاب الكفار ولأنه يرجم به الشيطان والظاهر أنه إذا أضيف إلى الدين مثلاً لا يكون مكروهاً، **(وقال:)** أي أبو داود اعتذاراً عن إيراد هذه الأحاديث معلقاً **(تركت أسانيدها للاختصار)**، ويمكن أن يكون قوله: تركت استئناف تعليل، وإعادة قال: لطول الفصل هذا الذي ظهر لي في حل هذا المحل، وقال الطيبي: قوله: وقال تركت أسانيدها عطف على قوله: قال: وغير وهو قول راوي أبي داود، يقول: روى أبو داود أحاديث متعددة بإسناده إلى النبي ﷺ وفيها أنه غير أسامي رجال ثم عطف أبو داود قوله وغير الخ من حيث المعنى على المذكور، ثم قال: ما ذكرته من التغيير ورد في أحاديث متفرقة مسندة وإني تركت أسانيدها اختصاراً كذا في شرح السنة، وفي سنن أبي داود قال: أبو داود سليمان بن الأشعث وغير النبي ﷺ غير اسم العاص، ولعله سهو من الناسخ اهـ. كلام الطيبي فتأمل.

٤٧٧٧ ـ **(وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال لأبي عبد الله:)** وهو كنية حذيفة عند الإطلاق في اصطلاح المحدثين **(أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود:)** الشك من أحد الرواة عنهما **(ما سمعت رسول الله ﷺ)** أي أي شيء فسمعته **(يقول في زعموا)** أي في شأن هذه الكلمة أو في حق هذا اللفظ، ويمكن أن تكون ما نافية وهمزة الاستفهام مقدرة أي أما سمعته ﷺ يطعن، ويذكر الذم فيما استعمله الناس من قولهم: زعموا، وينسبون الأخبار إليهم بهذه العبارة ظناً وحسباناً لا تحقيقاً وإيقاناً. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ**

الحديث رقم ٤٧٧٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٢/ ٣٦١ الحديث رقم ٣٣٩٢، وأحمد في المسند ٤/ ١١٩.

يقول: «بئس مطيَّةُ الرجلِ». رواه أبو داود

يقول: بئس مطية الرجل) وهو بفتح ميم وكسر طاء مهملة وتشديد تحتية أي مركوبه ويقال له بالفارسية باركير يعني إذا عجز عن كل شيء تعلق به ليخلص عهدته، وفي القاموس(١) مطاجد في السير، والمطية التي تمطو في سيرها وما أحسن مناسبة اشتقاقها بالمقام، فإنه شبه بها الكلام الذي لم يتوقف في تحقيقه ويتبادر فيه إلى نقله ونشره، ثم الجملة مفعول يقول، والمخصوص بالذم محذوف للعلم به أي بئس مطية الرجل زعموا ولو رويت المطية منصوبة لكان في بئس ضمير راجع إلى زعموا قيل: أراد بذلك النهي عن التكلم بكلام يسمعه من غيره ولم يعلم صحته أو عن اختراع القول بإسناده إلى من لا يعرف يقول: زعموا أن قد كان كذا وكذا فيتخذ قوله: زعموا مطية يقطع بها أودية الإسهاب، وقيل: سماه مطية لأن الرجل يتوصل بهذا القول إلى مقصوده من إثبات شيء كما أنه يتوصل إلى موضع بواسطة المطية، وتوضيحه ما في النهاية من أن معناه أن الرجل إذا أراد شيئاً من المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب مطية وسار حتى يقضي أربه، فشبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة، وإنما يقال: زعموا في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما يحكى عن الألسن على سبيل البلاغ فذم من الحديث ما كان هذا سبيله والزعم بالضم والفتح الظن اهـ. وفي الحديث مبالغة في الاجتناب عن اخبار الناس كيلاً يقع في الكذب، وقد ورد في حديث رواه أبو داود والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: «كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع» لأن الرجل إذا كان مذموماً مع قوله: زعموا أن الأمر كذا وكذا حيث أسند إلى الناس ولم يجعله إنشاء من تلقاء نفسه ولا جزم به، بل عبر بالزعم الذي بمعنى الادعاء والافتراء كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿**زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا**﴾ [التغابن - ٧] فكيف لا يكون مذموماً إذا أسند إليهم القول على وجه التحقيق أو نسب إلى نفسه من غير إسناد إلى من سمعه أو كذب عليه ﷺ، والحاصل من الحديث أنه ينبغي تبديل هذه اللفظة وهذه الإضافة فأما أن يحقق الكلام وينسبه إلى قائله أو يسكت كما قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». ولعل وجه مناسبة إيراد هذا الحديث للباب مجرد التغيير المذموم أعم من أن يكون اسماً أو غيره، وكذا الأمر في الحديث الآتي. هذا وقال الطيبي: قوله: في زعموا أي في شأن زعموا وأمره أي هل كان يرضى به قولاً أم لم يرض، ولا بد من هذا التأويل ليدخل في باب تغيير الأسماء الشنيعة ولما لم يرض به ﷺ قال: بئس مطية الرجل يعني ينبغي أن لا يكثر الرجل في كلامه زعم فلان وفلان كيت وكيت وينسب الكذب. إلى أخيه المسلم اللهم إذا إذا تحقق وتيقن كذبه وأراد أن يحترز الناس عنه كما ورد في كلامه تعالى: ﴿**زعم الذين كفروا**﴾ [التغابن - ٧] ﴿**بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً**﴾ [الكهف - ٤٨] ﴿**أين شركائي الذين زعمتم**﴾ [القصص - ٦٢] اهـ. وليس مسلك غير ما شرحه الشراح كما قدمناه، فتأمل. **(رواه أبو داود)** أي هكذا على الشك، وفي الجامع الصغير بئس مطية

(١) في المخطوطة «الفاتن».

وقال: إن أبا عبد الله، حذيفةُ.

٤٧٧٨ ـ (٢٩) وعن حُذيفةَ عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاءَ فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله ثمَّ شاءَ فلانٌ». رواه أحمد وأبو داود.

٤٧٧٩ ـ (٣٠) وفي رواية منقطعاً قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاءَ محمّدٌ [٣٥٩ ـ أ ـ] وقولوا: ما شاءَ اللَّهُ وحْدَه».

الرجل زعموا رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة[1]. **(وقال:)** أي أبو داود **(أن أبا عبد الله)** أي المذكور في صدر الحديث **(هو حذيفة)**.

٤٧٧٨ ـ **(وعن حذيفة)** لم يقل، وعنه لئلا يرجع الضمير إلى أبي مسعود، **(عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان)** فيه حذف تقديره فهو كائن أو كان لما فيه من التسوية بين الله وبين عباده لأن الواو للجمع والاشتراك **(ولكن قولوا: ما شاء الله)** أي كان، **(ثم شاء فلان)** أي ثم بعد مشيئة الله شاء فلان، لأن ثم للتراخي، وإنما قدرنا كان قبل، ثم شاء فلان ليندفع توهم الاشتراك في الحكم ولو بالتراخي أيضاً فتأمل، فإنه مسلك دقيق وبالتحقيق حقيق وحينئذ قوله: ثم شاء فلان جملة مستأنفة أو معطوفة على الجملة السابقة كما أشرنا إليه، وثم لتراخي الأخبار هذا مجمل ما ظهر لي في حل هذا المحل، وفي شرح السنة لما كان الواو حرف الجمع والتشريك منع من عطف إحدى المشيئتين على الأخرى وأمر بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة من سواه بحرف ثم الذي هو للتراخي قال الطيبي: ثم ههنا يحتمل التراخي في الزمان وفي الرتبة، فإن مشيئة الله تعالى أزلية ومشيئة غيره حادثة تابعة لمشيئة الله تعالى قال تعالى: **﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾** [التكوير ـ ٢٩] وما شاء الله كان، ومشيئة العبد لم يقع أكثرها فأين أحدهما من الأخرى. **(رواه أحمد وأبو داود)**.

٤٧٧٩ ـ **(وفي رواية منقطعاً)** أي إسنادها **(قال: لا تقولوا: شاء الله وشاء محمد، وقولوا: ما شاء الله وحده)** أي شاء غيره أو لم يشاء وهو لا ينافي ما سبق من جواز ما شاء الله ثم شاء فلان كما لا يخفى. قال الطيبي: فإن قلت: كيف رخص أن يقول: ما شاء الله ثم شاء فلان ولم يرخص في اسمه ﷺ حيث قال: قولوا: ما شاء الله وحده، قلت: فيه جوابان أحدهما قال دفعاً لمظنة التهمة في قولهم: ما شاء الله وشاء محمد تعظيماً له ورياء لسمعته، وثانيهما أنه رأس الموحدين ومشيئته مغمورة في مشيئة الله تعالى ومضمحلة فيها، أقول: أصل السؤال مدفوع لأنه ﷺ داخل في عموم فلان، فيجوز أن يقال: ما شاء الله ثم شاء محمد، ولا

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٩١ الحديث رقم ٣١٨٨.

الحديث رقم ٤٧٧٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٩ الحديث رقم ٤٩٨٠، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٤.

الحديث رقم ٤٧٧٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٢/ ٣٦١، والدارمي ٢/ ٣٨٢ الحديث رقم ٢٦٩٩، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٩.

رواه في «شرح السنة».

٤٧٨٠ ـ (٣١) وعنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تقولُوا للمنافقِ سَيِّدٌ، فإِنَّه إِن يكُ سيِّداً فقد أسخطتُم ربَّكم».

يجوز أن يقال: ما شاء الله وشاء محمد، فجوابه الأوّل خطأ فاحش لأنهم لو قالوا: ما شاء الله وشاء محمد لكان شركاً جلياً لا مظنة للتهمة التي ذكرها وجوابه الثاني في نفس الأمر صحيح لكن لا يفيد جواز الإتيان بالواو مع أن مشيئة غيره ﷺ أيضاً مضمحلة في مشيئة الله تعالى سبحانه، وأيضاً ما سبق من قوله ﷺ: ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان لمجرد الرخصة، وقال: هنا قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد لكان أمر وجوب أو ندب، وليس الأمر كذلك مع أن المشيئة المسندة إلى فلان إنما هي مشيئة جزئية لا يجوز حملها على المشيئة الكلية كما رمزنا إليه فيما سبق من الكلام والله سبحانه أعلم بالمرام. **(رواه)** أي ما ذكر من الرواية المقطوعة الإسناد **(في شرح السنة)** فقوله في المصابيح وفي رواية معناه في رواية أخرى لغير أحمد وأبي داود خلافاً لما هو المتبادر من الإطلاق.

٤٧٨٠ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة، وفي بعض الحواشي عن بريدة لكن لم يظهر لي وجه صحته **(عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا للمنافق سيد)** مفهومه أنه يجوز أن يقال للمؤمن سيد، وهو لا ينافي ما رواه أحمد والحاكم عن عبد الله بن الشخير مرفوعاً «السيد الله»[1] لأن في الحقيقة لا سيادة إلا له وما سواه مملوكه، **(فإنه)** أي الشأن أو المنافق **(إن يك سيداً)** أي سيد قوم أو صاحب عبد وإماء وأموال **(أسخطتم ربكم)** أي أغضبتموه لأنه يكون تعظيماً له وهو ممن لا يستحق التعظيم فكيف إن لم يكن سيداً بأحد من المعاني، فإنه مع ذلك يكون كذباً ونفاقاً وفاقاً. وفي النهاية فإنه إن كان سيدكم وهو منافق فحالكم دون حاله والله لا يرضى لكم ذلك، وقال الطيبي: أي إن يك سيداً لكم فتجب عليكم طاعته، فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم أو لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم فوضع الكون موضع القول تحقيقاً له، قال: وفيه إن قول الناس لغير الملة كالحكماء والأطباء مولانا داخل في هذا النهي والوعيد بل هو أشد لورود قوله تعالى مولانا في التنزيل دون السيد قلت: إذا كان المراد به تعظيمه فلا شك في عدم جوازه، وأما إذا أريد به أحد معاني المولى مما سبق فلا يبعد جوازه لا سيما عند الحاجة والضرورة، والمخلص أن يكون على سبيل التورية وقد قال تعالى في تجويز إطلاق المولى على غيره سبحانه: **﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾** [الأحزاب ـ ٥] أي في المسلمين ومواليكم في غيرهم، والحاصل أن المولى والسيد على الإطلاق هو الله سبحانه، وجواز إطلاقه وعدمه على غيره لا يعرف إلا من الشارع ولم يرد نهي عن إطلاق المولى على غيره سبحانه، فيجوز على أصل الإباحة وهو المتعارف فيما بين

الحديث رقم ٤٧٨٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٧ الحديث رقم ٤٩٧٧، وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٦.

(١) أحمد في المسند ٤/ ٢٤.

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٧٨١ ـ (٣٢) عن عبدِ الحميدِ بنِ جُبيرِ بن شيبةَ قال: جلستُ إلى سعيد بن المسيِّب، فحدَّثني أنَّ جدَّهُ حَزْناً قدِمَ على النبي ﷺ فقال: «ما اسمُك؟» قال: اسمي حَزْنٌ، قال: «بل أنت سَهْلٌ» قال: ما أنا بمغيِّرٍ اسماً سمانيه أبي. قال ابن المُسيِّب: فما زالت فينا الحُزُونةُ بعدُ. رواه البخاري.

المسلمين وما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن. (رواه أبو داود)، ورواه الحاكم والبيهقي عن بريدة بلفظ «إذا قال الرجل للمنافق: يا سيد فقد أغضب ربه»(١)، ولعل هذا منشأ وهم المحشي فيما صدر عنه مما ذكرناه في صدر الحديث.

(الفصل الثالث)

٤٧٨١ ـ **(عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة)** قال المؤلف: حجبى روى عن عمته صفية وابن المسيب وعنه ابن جريج وابن عيينة **(قال: جلست إلى سعيد بن المسيب)** بتشديد التحتية المفتوحة وقد تكسر وهو من أكابر التابعين وقد سبق ذكره، **(فحدثني أن جده حزناً)** بفتح حاء وسكون زاي **(قدم على النبي ﷺ فقال: ما اسمك؟ فقال: اسمي حزن، قال: بل أنت سهل)** أي فإن الحزن ضد السهل، وقد ورد أن الله تعالى يحب السهل الطليق على ما رواه البيهقي وغيره عن أبي هريرة ومنه قوله ﷺ: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت»، وفي القاموس: «الحزن ما غلظ من الأرض والسهل من الأرض ضد الحزن». **(قال: «ما أنا بمغير اسماً سمانيه أبي»)**، وفي رواية أبي داود لأن السهل يوطأ ويمتهن أي لا أغير اسمي لأن السهل يوطأ ويهان أي يداس بالأقدام، وفيه نوع نزغة من نزغات إبليس وقياساته من التلبيس حيث لم يدر أن من تواضع لله رفعه الله، وأن المرء عند الامتحان يكرم أو يهان، والحاصل أنه كما قيل: الأسماء تنزل من السماء يوفق اسمه حزنه الجبلية مطابقاً للحزن الجبلي، وما أفاده قول الحكيم الإلهي وأبعد الطيبي في قوله: بل أنت سهل أي هذا الاسم غير مناسب لك لأنك حليم لين الجانب ينبغي أن تسمى سهلاً، فإنه لو كان حليماً لين الجانب لراعى أدب جانب النبوّة وعمل بمقتضى أخلاق الفتوّة ولو بدل اسمه السهل بالحزن فكيف والأمر بالعكس، وقد أباه حتى سرى هذا الطبع في ذريته، **(قال ابن المسيب: فما زالت فيناً)** أي معشر أولاده **(الحزونة)** أي صعوبة الخلق على ما ذكره السيوطي **(بعد)** أي بعد إباء أبي اسم السهل من النبي ﷺ. **(رواه البخاري)**.

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١١.

الحديث رقم ٤٧٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٧٥ الحديث رقم ٦١٩٣، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٤١ الحديث رقم ٤٩٥٦، وأحمد في المسند ٥/ ٤٣٣.

٤٧٨٢ ـ (٣٣) وعن أبي وهبٍ الجُشَميِّ، قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «تسمَّوا أسماءِ الأنبياءِ، وأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ: عبدُ اللهِ وعبدُ الرَّحمن، وأصدقُها حارثٌ وهمامٌ، أقبحها حربٌ ومُرَّةٌ». رواه أبو داود.

(٩) باب البيان والشعر

الفصل الأول

٤٧٨٣ ـ (١) عن ابن عمر، قال: قدم رجلانِ من المشرقِ

٤٧٨٢ ـ (**وعن أبي وهب الجشمي**) بضم جيم وفتح شين معجمة قال المؤلف: اسمه كنيته، وله صحبة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء»**) أي دون الملائكة لما سبق، ولا بأسماء الجاهلية من كلب وحمار وعبد شمس ونحوها، (**«وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»**) أي ونحوهما من عبد الرحيم وعبد الكريم وأمثالهما (**«وأصدقها حارث وهمام»**). فإن الأوّل بمعنى الكاسب والثاني فعال من هم يهم فلا يخلو إنسان عن كسب وهم بل عن هموم (**«وأقبحها حرب ومرة»**) لأن الحرب يتطير بها وتكره لما فيها من القتل والأذى، وأما مرة فلان المركريه ولأن كنية إبليس أبو مرة. (**رواه أبو داود**) وكذا النسائي في مسنده والبخاري في تاريخه.

باب البيان والشعر

في النهاية البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب وأصله الكشف والظهور، وقال الراغب: الشعر معروف، وشعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر قيل: وسمي الشاعر شاعر الفطنتة ودقة معرفته، فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم: ليت شعري صار في التعارف أسماء للموزون المقفى من الكلام، والشاعر للمختص بصناعته اهـ. وقال بعضهم: الشعر كلام مقفى موزون قصداً ليخرج ما وقع في القرآن أو كلام النبوّة قلت: لكن يشكل مع هذا في الكلام الإلهي لعدم تصوّر نفي الإرادة فيه، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن اللهم إلا أن يقال: بأن وقوعه غير مقصود بالذات كما ذكروا في قوله ﷺ: «والخير بيديك والشر ليس إليك».

(الفصل الأوّل)

٤٧٨٣ ـ (**عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلان من المشرق**) أي من جانبه قال الميداني: هما الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وكذا عن الشيخ التوربشتي على ما سيأتي

الحديث رقم ٤٧٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٧ الحديث رقم ٤٩٥٠، وأحمد في المسند ٤/ ٣٤٥.
الحديث رقم ٤٧٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٢٣٧ الحديث رقم ٥٧٦٧، وأبو داود في السنن =

فخطبا، فعَجِبَ الناسُ لبيانهما، فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْراً».

(فخطبا) أي بكلمات محسنات جامعة للبلاغة والفصاحة **(فعجب الناس لبيانهما)** أي ولفصاحة لسانهما وغرابة شأنهما **(فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً»)** أي في استمالة القلوب كالسحر قال التوربشتي: وكان هذا القول منه ﷺ عند قدوم وفد بني تميم، وكان فيهم الزبرقان وعمرو ففخر الزبرقان فقال: يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيثهم والمجاب أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك فقال عمرو: إنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أذنه فقال الزبرقان: «والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد» فقال عمرو: «أنا أحسدك، فوالله أنك لئيم» الحال حديث المال ضيق العطن حمق الولد مضيع في الغيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أوّلاً وما كذبت فيما قلت آخراً ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً فقال النبي ﷺ إن من البيان لسحراً قال الميداني: يضرب هذا المثل في استحسان المنطق، وإيراد الحجة البالغة اهـ. والأظهر أنه ذو وجهين، والمعنى أن بعض البيان بمنزلة السحر في ميلان القلوب له أو في العجز عن الإتيان بمثله، وهذا النوع ممدوح إذا صرف إلى الحق كمذمة الخمر مثلاً ومذموم إذا صرف إلى الباطل كمدحها مثلاً، وفي شرح السنة اختلفوا في تأويله فمنهم من حمله على الذم وذلك أنه ذم التصنع في الكلام والتكلف لتحسينه ليروق للسامعين قوله وليستميل به قلوبهم، وأصل السحر في كلامهم الصرف وسمي السحر سحراً لأنه مصروف عن جهته فهذا المتكلم ببيانه يصرف قلوب السامعين إلى قبول قوله وإن كان غير حق، أو المراد من صرف الكلام فضله وما يتكلف الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة قد يدخله الرياء ويخالطه الكذب، وأيضاً قد يحيل الشيء عن ظاهره ببيانه ويزيله عن موضعه بلسانه إرادة التلبيس عليهم فيصير بمنزلة السحر الذي هو تخييل لا حقيقة له، وقيل: أراد به أن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الاثم ما يكتسب الساحر بسحره، وقيل: معناه الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وشاهده قول النبي ﷺ: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»[1] الحديث. وذهب آخرون إلى أن المراد منه مدح البيان، والحث على تحسين الكلام، وتحبير الألفاظ لأن إحدى القرينتين وهو قوله: «إن من الشعر حكماً». على طريق المدح، فكذلك القرينة الأخرى، وقال شارح: هذا ورد للذم أي أن من البيان نوعاً يحل من العقول والقلوب محل السحر، فإن الساحر بسحره يزين الباطل في عين المسحور حتى يراه حقاً، وكذا المتكلم بمهارته في البيان وتفننه في البلاغة وترصيف النظم يسلب عقل السامع

= ٥/ ٢٧٧ الحديث رقم ٥٠١١، والترمذي في ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٨، ومالك في ٢/ ٩٨١ الحديث رقم ٧، وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٣.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٨٨ الحديث رقم ٢٦٨٠، ومسلم في ٣/ ١٣٣٧ الحديث رقم (٤ - ١٧١٣).

رواه البخاري.

٤٧٨٤ ـ (٢) وعن أُبيّ بن كعبٍ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ منَ الشِّعْرِ حكمةً». رواه البخاري.

٤٧٨٥ ـ (٣) وعن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المُتَنَطِّعون»

ويشغله عن التفكر فيه، والتدبر له حتى يخيل إليه الباطل حقاً والحق باطلاً، فبين النبي ﷺ إن جنس البيان وإن كان محموداً فإن فيه ما يذم للمعنى الذي ذكرناه، وأن جنس الشعر وإن كان مذموماً فإن فيه ما يحمد لاشتماله على الحكم وهو ما فيه موعظة وثناء لله ورسوله وزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة قلت: ومما يدل على أن البيان في أصله محمود قوله تعالى: **﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾** [الرحمٰن ـ ٤] ومما يدل على أن الشعر في أصله مذموم قوله تعالى: **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾** [الشعراء ـ ٢٢٦] الآية وقد كثر الأحاديث في ذمه ومن ثم سموا الأدلة الكاذبة شعراً وقيل في الشعر: أكذبه أحسنه، ولذا قال بعض المفسرين في قول الكفار له ﷺ: «إنه شاعر» يعنون أنه كاذب لأن ما يأتي الشاعر أكثره كذب والله أعلم. وروي عن عمر بن عبد العزيز إن رجلاً طلب إليه حاجة كان يتعذر عليه إسعافه بها فاستمال قلبه بالكلام فأنجزها له ثم قال: هذا هو السحر الحلال، وقال الطيبي: من للتبعيض والكلام فيه تشبيه وحقه أن يقال: إن بعض البيان كالسحر، فقلب وجعل الخبر مبتدأ مبالغة في جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ووجه الشبه أنه يتغير بتغير إرادة المدح والذم. **(رواه البخاري)**، وكذا مالك وأحمد وأبو داود والترمذي، ورواه أحمد وأبو داود عن ابن عباس بلفظ «إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً»[1].

٤٧٨٤ ـ **(وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر حكمة»)** أي ما فيه حق وحكمة أو قولاً صادقاً مطابقاً للحق، وقيل: أصل الحكمة المنع، فالمعنى إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع عن السفه والجهل، وهو ما نظمه الشعراء من المواعظ والأمثال التي ينتفع به الناس، فإن الشعر كلام فحسنه كحسن الكلام. **(رواه البخاري)**.

٤٧٨٥ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون»)** أي المتكلفون في الفصاحة أو المصوّتون من قعر حلوقهم والمرددون لكلامهم في أفواههم رعونة في القول. قال التوربشتي: أراد بهم المتعمقين الغالين في خوضهم فيما لا يعنيهم من

---

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٧ الحديث رقم ٥٠١١، وأحمد في المسند ١/ ٣٠٣.

الحديث رقم ٤٧٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٣٧ الحديث رقم ٦١٤٥، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٧٦ الحديث رقم ٥٠١٠، والترمذي في ٥/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٨٤٤، وابن ماجه ٢/ ١٢٣٥ الحديث رقم ٣٧٥٥، والدارمي في ٢/ ٣٨٣ الحديث رقم ٢٧٠٤، وأحمد في المسند ٥/ ١٢٥.

الحديث رقم ٤٧٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٥ الحديث رقم ٢٦٧٠.

قالها ثلاثاً. رواه مسلم.

٤٧٨٦ ـ (٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللَّهَ باطلٌ».

الكلام، والأصل في المتنطع الذي يتكلم بأقصى حلقه مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى **(قالها:)** أي هذه الكلمة أو الجملة **(ثلاثاً)**، إنما ردد القول ثلاثاً تهويلاً وتنبيهاً على ما فيه من الغائلة وتحريضاً على التيقظ والتبصر دونه وكم تحت هذه الكلمة من مصيبة تعود على أهل اللسان والمتكلفين في القول الذين يرومون بسبك الكلام سبي قلوب الرجال، نسأل الله العافية من الدخول في الأوحال. قال الطيبي: لعل المذموم من هذا ما يكون القصد فيه مقصوراً على مراعاة اللفظ ومجيء المعنى تابعاً للفظ، وأما إذا كان بالعكس وكلام الله تعالى وكلام الرسول مصبوب في هذا القالب فيرفع الكلام إلى الدرجة القصوى. قال تعالى حكاية عن الهدهد **﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾** [النمل ـ ٢٢] الكشاف. هذا من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع، وهو من محاسن الكلام التي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعاً أو بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فحسن وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحاً وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال، وقال أبو الحسن الهروي صاحب دلائل النبوّة: «اعلم أن التلاؤم يكون بتلاؤم الحروف وتلاؤم الحركات والسكنات وتلاؤم المعنى، فإذا اجتمعت هذه الوجوه خرج الكلام غاية في العذوبة، وفي حصول بعضها دون بعض انحطاط عن درجة العذوبة، وكلما ظهرت الصيغة أكثر كان الكلام أقرب إلى التعسف. **(رواه مسلم)**، وكذا أحمد وأبو داود.

٤٧٨٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أصدق كلمة)** أي جملة من الكلام **(قالها الشاعر:)** أراد به جنس الشعراء، وفي شمائل الترمذي أشعر كلمة تكلمت بها العرب أي أحسنها وأجودها **(كلمة لبيد:**

«ألا كـــل شـــيء مـــا خـــلا الله بـــاطـــل»)

قال النووي: المراد بالباطل الفاني المضمحل، وفي الحديث منقبة للبيد وهو صحابي، قال الطيبي: وإنما كان أصدق لأنه موافق لأصدق الكلام، وهو قوله كل من عليها فان، فإن قلت الأوفق أنه أصدق، لما قال الحق: كل شيء هالك إلا وجهه، وقد بينت وجه الوجيه في شرح حرب الفتح عند قول الشيخ استغفر الله مما سوى الله وقول بعض العارفين ليس في الدار غير ديار، وقول آخر سوى الله، والله ما في الوجود، وأوضحت معنى التوحيد لتحصيل المريد

الحديث رقم ٤٧٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٣٧ الحديث رقم ٦١٤٧، ومسلم في ٤/ ١٧٦٨ الحديث رقم (٢ ـ ٢٢٥٦)، والترمذي في السنن ٥/ ١٢٨ الحديث رقم ٢٨٤٩، وابن ماجه ٢/ ١٢٣٥، الحديث رقم ٣٧٥٧.

متفق عليه.

٤٧٨٧ ـ (٥) وعن عمرو بن الشَّريدِ، عن أبيهِ، قال: رَدِفتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يوماً فقال: «هل معكَ من شِعْرِ أميَّة بنِ أبي الصَّلتِ شيءٌ؟» قلت: نعم. قال: «هِيهِ» فأنشدتُهُ بيتاً. فقال: «هيهِ» ثم أنشدته بيتاً فقال: «هيه» حتى أنشدتُه مائةَ بيتٍ. رواه مسلم.

إذا كان من أهل المزيد وأما لبيد فهو ابن ربيعة الشاعر العامري قدم على النبي ﷺ سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام نزل الكوفة ومات بها سنة إحدى وأربعين وله من العمر مائة وأربعون سنة، وقيل: «مائة وسبع وخمسون سنة» ذكره المؤلف ومن جملة فضائله أنه لما أسلم لم يقل: شعراً وقال يكفيني القرآن وتمام كلامه:

وكل نعيم لا محالة زائل نعيمك في الدنيا غرور وحسرة
وعيشك في الدنيا محال وباطل

(متفق عليه)، ورواه ابن ماجه.

٤٧٨٧ ـ (**وعن عمرو بن الشريد رضي الله عنه**) سبق ذكرهما (**عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ**) بكسر الدال أي ركبت خلفه ورواية الشمائل كنت رديفه يوماً، وهذا يدل على كمال قربه ويشعر إلى كمال حفظه (**فقال: هل معك من شعر أمية**) بالتصغير (**ابن أبي الصلت**) بفتح فسكون (**شيء**) بيانه مقدم قال شارح: وإنما استنشده شعر أمية لأنه كان ثقفياً أدرك مبادىء الإسلام وبلغه خبر المبعث لكنه لم يوفق للإيمان برسول الله ﷺ وقال ميرك: كان رجلاً مترهباً غواصاً في المعاني معتنياً بالحقائق مضمناً لها في أشعاره، ولذا قال ﷺ في شأنه: «كاد أن يسلم». وفي خبر آخر: «آمن لسانه وكفر قلبه» (**قلت: نعم. قال: هيه**) بكسر هاء وسكون تحتية بينهما أي هات، قال ابن الملك هو بمعنى: أية بكسر الهمزة فأبدلت الهمزة هاء وهو اسم فعل بمعنى الأمر «أي تكلم وقد ينون فتحاً وكسراً للتنكير أي حدث حديثاً (**فأنشدته بيتاً**) أي قرأت له بيتاً من أشعار أمية فأعجبه (**فقال: هيه**) أي زد في النهاية تقول للرجل إيه بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما فإن نونته استزدته من حديث مّا غير معهود للتنكير (**ثم أنشدته بيتاً فقال: هيه حتى أنشدته مائة بيت**)، والغرض أنه ﷺ استحسن شعر أمية واستزاد من إنشاده لما فيه من الإقرار بوحدانية الله تعالى والبعث، وهذا يؤيد قول من قال من أرباب الحال: «انظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال»، ويوافق حديث الحكمة ضالة المؤمن، وفيه استحباب إنشاد الشعر المحمود المشتمل على الحكمة. (**رواه مسلم**).

الحديث رقم ٤٧٨٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٧ الحديث رقم (١ ـ ٢٢٥٥)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٣٦ الحديث رقم ٣٧٥٨، وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٠.

٤٧٨٨ ـ (٦) وعن جُنْدُبٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دَمِيتْ إِصْبَعُهُ فقال:

«هَــلْ أنــتِ إلا إِصْــبَــعٌ دَمِــيــتِ وفي سبيلِ اللَّهِ [٣٦٠ ـ أ] ما لقيتِ»

٤٧٨٨ ـ **(وعن جندب)** بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها أيضاً وهو ابن عبد الله بن سفيان البجلي، روى عنه جماعة، مات في فتنة ابن الزبير ذكره المؤلف في فصل الصحابة **(إن النبي ﷺ كان في بعض المشاهد)** أي المغازي وهو غزوة أحد على ما قاله العلامة الكرماني في شرح البخاريّ، ووقع في صحيح مسلم كان النبي ﷺ في غار، فدميت أصبعه قال القاضي عياض: قال أبو الوليد الباجي: لعله غازياً فتصحف، قلت: الأظهر في التصحيف أن يقال في غاز بالزاي والتقدير في فريق غاز أي معهم ثم قال الباجي: لما قال في الرواية الأخرى في بعض المشاهد، ولما جاء في رواية للبخاري يعني في كتاب الأدب بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فدميت أصبعه قال القاضي عياض، وقد يراد بالغار الجيش والجمع لا الغار الذي هو الكهف ليوافق رواية بعض المشاهد ومنه قول علي كرم الله وجهه «ما ظنك يا مريء جمع بين هذين الغارين» أي العسكرين، وقال العسقلاني: وقع في رواية شعبة عن الأسود خرج إلى الصلاة، أخرجه الطيالسي وأحمد، قلت: يمكن الجمع بأنه كان في غزوة وخرج إلى الصلاة فآجره مرتين أو في سبيل الله كرتين، **(وقد دميت)** بفتح الدال **(اصبعه)** بكسر الهمزة وفتح الموحدة على ما في الأصول، وفي القاموس أنه مثلث الهمزة والباء ففيه تسع لغات عاشرها أصبوع، وفي الشمائل أصاب حجر أصبع النبي ﷺ فدميت **(فقال:)** أي النبي ﷺ اتفاقاً على مقتضى الطبع السليم السليقي من غير قصد إلى وزنه كما يقع لكثير من الناس:

(هــل أنــت إلا أصــبــع «دمــيــت»)

الاستفهام في معنى. النفي ودميت صفة أصبع والمستثنى منه أعم عام الصفة أي ما أنت يا أصبع موصوفة بشيء من الأشياء إلا بأن دميت كأنها لما تجرحت وتوجعت خاطبها على سبيل الاستعارة أو الحقيقة مسلياً لها، والمعنى هوّني على نفسك فإنك ما ابتليت بشيء من الهلاك والقطع سوى إنك دميت ولم يكن ذلك هدراً، بل كان في سبيل الله ورضاه كما أفاده بقوله:

(«وفــي ســبــيــل الله مــا لــقــيــت»)

ما موصولة[1] أي الذي لقيته هو في سبيل الله لا في سبيل غيره فلا يكون ضائعاً فافرحي به قيل: ويجوز أن يكون ما نافية أي ما لقيت شيئاً تحقيراً لما لقيه فيه قلت: هذا تحصيل للحاصل لأنه استفيد من المصراع الأوّل مع ما يوهم إطلاقه من الخلل فتأمل، قال السيوطي:

الحديث رقم ٤٧٨٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٩ الحديث رقم ٢٨٠٢، ومسلم في ٣/ ١٤٢١ الحديث رقم (١١٢ ـ ١٧٩٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٣١٢.

(١) في المخطوطة «موصوفة».

متفق عليه.

٤٧٨٩ ـ (٧) وعن البَراءِ، قال: قال النبيُّ ﷺ يومَ قُريظةَ

الرواية بكسر التاء فيهما ومن قال: إنهما بالسكون فراراً من الوزن يعارضه أنه مع السكون أيضاً موزون من الكامل واختلفوا هل قاله النبي ﷺ: منشئاً أو متمثلاً، وبالثاني حزم الطبري وغيره، فقيل: هو للوليد بن الوليد بن المغيرة، وقيل: لعبد الله بن رواحة قاله في غزوة مؤتة وقد أصيبت أصبعه، وبعده:

يا نفس إن لا تقتلي تموت هذي حياض الموت قد صئيت
وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلي فعلهما هديت

أي فعل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب اهـ. وقد جزم به بعض شراح المصابيح بأن الرجز [الذي] في الحديث قول ابن رواحة وقد تلفظ به النبي ﷺ، قلت: الظاهر أن ابن رواحة ضمن كلامه ﷺ تبركاً وصدر به شعراً صدر من صدره تيمناً لأن قضية مؤتة متأخرة عن غزوة أحد مع احتمال التوارد والله أعلم. قال الخطابي: اختلف الناس في هذا وما أشبهه من الرجز الذي جرى على لسان النبي ﷺ في بعض أسفاره وأوقاته، وفي تأويل ذلك مع شهادة الله تعالى بأنه لم يعلمه الشعر وما ينبغي له، فذهب بعضهم [إلى أن الرجز ليس بشعر وذهب بعضهم] إلى أن هذا وما أشبهه وإن استوى على وزن الشعر فإنه لم يقصد به الشعر إذ لم يكن صدوره عن نية له وروية فيه، وإنما هو اتفاق كلام يقع أحياناً فيخرج منه الشيء بعد الشيء على أعاريض الشعر، وقد وجد في كتاب الله العزيز من هذا القبيل وهذا مما لا يشك فيه أنه ليس بشعر، وقال بعضهم معنى قول الله تعالى: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾ [يس ـ ٦٩] الردّ على المشركين في قولهم بل افتراه بل هو شاعر والبيت الواحد من الشعر لا يلزمه هذا الاسم فلا يخالف معنى الآية هذا مع قوله: «إن من الشعر لحكمة»، وإنما الشاعر هو الذي قصد الشعر ونشيه ويصفه ويمدحه ويتصرف تصرف الشعراء في هذه الأفانين وقد برأ الله رسوله ﷺ من ذلك وصان قدره، وأخبر أن الشعر لا ينبغي له وإذا كان مراد الآية هذا المعنى لم يضر أن يجري على لسانه الشيء اليسير منه فلا يلزمه الاسم المنفي عنه. قال القاضي عياض: وقد غفل بعض الناس وقال: «رواية أنا النبي لا كذب» بفتح الباء «وأنا ابن عبد المطلب» بالخفض، وكذا قوله: دميت» من غير مد حرصاً منه على أنه بغير الرواية ليستغني عن الاعتذار، وإنما الرواية بإسكان الباء والمد اهـ. وسبق أن القصر ما يضر بالوزن وأما ما في بعض النسخ من ضبط قوله: «دميت ولقيت» على صيغة الغائبة وإن كان يخرجه عن حيز الوزن لكن لا أصل له أصلاً. (**متفق عليه**).

٤٧٨٩ ـ (**وعن البراء**) أي ابن عازب رضي الله عنه (**قال: قال النبي ﷺ: يوم قريظة**) أي

الحديث رقم ٤٧٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٤ الحديث رقم ٣٢١٢، ومسلم في ٤/ ١٩٣٣ الحديث رقم (٥١ ـ ٤٢٨٥).

لحسانَ بن ثابتٍ: «أُهجُ المشركين، فإنَّ جبريلَ معكَ» وكان رسولُ الله ﷺ يقولُ لحسانَ: «أجبْ عني، اللَّهمَّ أيِّده بروحِ القُدُس». متفق عليه.

٤٧٩٠ ـ (٨) وعن عائشة [رضي الله عنها] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أُهجوا قريشاً؛ فإنَّه أشدُّ عليهم من رَشْق النَّبل». رواه مسلم.

يوم محاصرة بني قريظة طائفة من اليهود في أطراف المدينة (لحسان) بغير الصرف على الأصح (ابن ثابت)، قال المؤلف: أنصاري خزرجي شاعر رسول الله ﷺ وهو من فحول الشعراء أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت، روى عنه عمر وأبو هريرة وعائشة، مات في خلافة علي وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام (اهج المشركين) أمر بالهجو ابتداء أو جواباً (فإن جبريل) بكسر الجيم وفيه أربع قرآن متواترات ذكرناها سابقاً أي الروح الأمين (معك) أي معين لك وملهم إياك والحديث إلى هنا متفق عليه من حديث البراء، وأما ما بعده فمتفق عليه من حديث أبي هريرة كما سيأتي بيانه، (وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان: «أجب عني») أي من قبلي وعوضاً عن جانبي («اللهم أيده») أي قوّ حسان («بروح القدس») بضم الدال ويسكن أي بجبريل سمي به لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب، فهو كالمبدأ لحياة القلب كما أن الروح مبدأ حياة الجسد، والقدس صفة للروح وإنما أضيف إليه لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة عن العيوب، وقيل: القدس بمعنى المقدس وهو الله، فإضافة الروح إليه للتشريف ثم تأييده إمداده له بالجواب وإلهامه لما هو الحق والصواب، قيل: لما دعاه أعانه جبريل تسعين بيتاً. (متفق عليه) أي من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث أبي هريرة وقد حقق ميرك شاه [رحمه الله] حيث قال: ظاهر إيراد المؤلف يقتضي أن قوله: وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان أجب الخ من حديث البراء وليس كذلك بل يفهم من الصحيحين إن حديث البراء ينتهي إلى قوله: فإن جبريل معك، وقوله: وكان الخ من حديث أبي هريرة لا من حديث البراء.

٤٧٩٠ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها إن رسول الله ﷺ قال لشعراء المسلمين: اهجوا قريشاً) أي مجازاة لمهاجاتهم (فإنه) أي الهجو (أشد) أي أصعب (عليهم) وأكثر تأثيراً فيهم (من رشق النبل) بفتح الراء وسكون الشين المعجمة وبالقاف والنبل بفتح النون فسكون موحدة فلام أي من رمى السهم إليهم، قال النووي: الرشق بفتح الراء، الرمي بالسهم وبالكسر النبل التي ترمي دفعة واحدة وفيه جواز هجو الكفار وإذا هم ما لم يكن لهم أمان لأن الله تعالى قد أمر بالجهاد فيهم والأغلاظ عليهم لأن في الأغلاظ بياناً لنقصهم، والانتصار منهم لهجائهم المسلمين، ولا يجوز ابتداء لقوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام ـ ١٠٨] (رواه مسلم).

الحديث رقم ٤٧٩٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٣٥ الحديث رقم (١٥٧ ـ ٢٤٩٠).

٤٧٩١ ـ (٩) وعنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحسانَ: «إنَّ روحَ القُدُس لا يزال يؤيِّدُكَ ما نافحتَ عن اللّهِ ورسولِهِ». وقالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «هجاهُم حسَّانُ فشفى واشتفى». رواه مسلم.

٤٧٩٢ ـ (١٠) وعن البَراءِ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ينقُل الترابَ يومَ الخندقِ حتى اْغبرَّ بطنُهُ يقول:

والـلّـهِ لـولا الـلّـهُ مـا اهـتـدينـا ولا تـصـدَّقـنـا ولا صـلَّـيـنـا

فـأنـزلـنْ سـكـيـنـةً عـلـيـنـا وثـبِّـتِ الأقـدام إن لاقـيـنـا

٤٧٩١ ـ (وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنه (أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك») بفتح الهمزة ويجوز إبدالها واواً («ما نافحت عن الله ورسوله») أي دافعت وخاصمت واجتهدت في الذب عن حريمهما، في النهاية المنافحة المدافعة والمضاربة، والمراد بمنافحة هجاء المشركين ومحاربتهم على إشعارهم، قال التوربشتي: المعنى إن شعرك هذا الذي تنافح به عن الله وعن رسوله يلهمك الملك سبيله بخلاف ما تقوله الشعراء إذا اتبعوا الهوى وهاموا في كل واد فإن مادة قولهم من إلقاء الشيطان إليهم، (وقالت:) أي عائشة (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى») أي المسلمين («واشتفى») أي بنفسه، قال التوربشتي: ويحتمل أنه أراد بالكلمتين التأكيد أي شفى العيظ بما أمكنه. (رواه مسلم).

٤٧٩٢ ـ (وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ينقل التراب) أي مع الأصحاب (يوم الخندق) أي يوم الأحزاب (حتى اغبر بطنه) أي صار ذا غبار (يقول:) استئناف أو بدل من ينقل أو حال من ضميره (والله) قسم (لولا الله) أي لو هدايته أو فضله علينا معشر الإسلام بأن هدانا (ما اهتدينا) أي بنفسنا إلى الإسلام وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف ـ ٤٣] (ولا تصدقنا) أي على وجه الإخلاص (ولا صلينا) أي صلاة الاختصاص (فأنزلن سكينة) أي وقاراً وطمأنينة (علينا)، وهو مستفاد من قوله سبحانه: ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [الفتح ـ ٢٦] (وثبت الأقدام) أي أقدامنا (إن لاقينا) أي إن رأينا الكفار وبلغنا إليهم ثبتنا على محاربتهم وانصرنا عليهم، وهو مأخوذ من قوله عزَّ وجلّ: ﴿وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة ـ ٢٥٠] (إن الأولى) مقصور أولاء وهو لغة فيه، والإشارة إلى أهل مكة والأحزاب الذين تحزبوا معهم يومئذ (قد بغوا علينا) أي تكبروا وتجبروا وتعدوا بالظلم علينا والسبب في ذلك أنهم كما قال: (إذا

الحديث رقم ٤٧٩١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٣٥ الحديث رقم (١٥٧ ـ ٢٤٩٠).

الحديث رقم ٤٧٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٩٩ الحديث رقم ٤١٠٤. ومسلم في ٣/ ١٤٣٠ الحديث رقم (١٢٥ ـ ١٨٠٣). وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٢.

إنَّ الأولى قد بغَوْا علينا ... إذا أرادُوا فتنةً أبَيْنا

يرفع بها صوته: «أبَينا أبَينا». متفق عليه.

٤٧٩٣ ـ (١١) وعن أنسٍ، قال: جعلَ المهاجرونَ والأنصارُ يحفِرونَ الخندَقَ وينقلونَ الترابَ وهم يقولون:

نحن الذينَ بايعوا محمَّدا ... على الجهادِ ما بقينا أبدا

يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

«اللهمَّ لا عيشَ إلاَّ عيشُ الآخره ... فاغفر للأنصارَ والمهاجره»

أرادوا فتنة) أي شركاً أو قتلاً ونهباً أو إضلالنا وإعادتنا في ملتهم **(أبينا)** أي امتنعنا عن القبول أشد الامتناع على ما في النهاية، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون﴾** [الممتحنة ـ ٢] **(يرفع)** أي النبي ﷺ **(بها)** أي بهذه الكلمة أو بجملة أبينا **(صوته)** قائلاً **(أبينا أبينا)** أي مكرراً للتأكيد والتلذذ والتسميع لغيره من المسلمين والكافرين قال الطيبي: الضمير في بها راجع إلى الأبيات وأبينا أبينا حال أي خصوصاً أبينا أبينا، ويحتمل أن يكون مفعولاً مطلقاً، ويجوز أن يكون الضمير في بها مبهم مفسر بقوله: أبينا كقوله تعالى: **﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾** [الكهف ـ ٥] **(متفق عليه)**.

٤٧٩٣ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق)** وهو حفرة كبيرة عريضة طويلة حاجزة بين المسلمين والكافرين، **(وينقلون التراب وهم يقولون: نحن الذين بايعوا محمداً)** بفتح التحتية ماض من المبايعة **(على الجهاد ما بقينا)** بكسر القاف أي ما عشنا **(أبداً يقول النبي ﷺ)** استئناف جواباً لما يقال، فما كان يقول وقوله **(وهو يجيبهم)** جملة حالية معترضة بين القول ومقولة وهو: **(«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»)** وهي بهاء ساكنة للوقف، وفي نسخة بالتاء المخفوضة أي الحياة الهنيئة الدائمة هي حياة الآخرة وفيه تسلية للأصحاب عن تحمل مشاقهم في مجاهدة الأحزاب، كقوله تعالى: **﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾** [آل عمران ـ ٨٥] **﴿وأن الآخرة هي دار القرار﴾** [غافر ـ ٣٩] **﴿والآخرة خير وأبقى﴾** [الأعلى ـ ١٧] **﴿والآخرة خير لمن اتقى﴾** [النساء ـ ٧٧] وأمثال ذلك. وقال النووي: هو ما يسد الرمق، وقال القرطبي: أي ما يقربهم ويكفيهم بحيث لا يشعرهم الجهد ولا يرهقهم الفاقة ولا تزلهم المسألة والحاجة ولا يكون في ذلك أيضاً فضول يخرج إلى الترفه والتبسط في الدنيا والركون إليها. وقال الطيبي: يعني أنهم إذا وفوا بما عاهدوا الله ورسوله جازاهم مجازاة ليس بعدها ولا يكون ذلك إلا في الآخرة **(فاغفر للأنصار والمهاجرة)** أي فاغفر لهم الآن ليكون ذلك

الحديث رقم ٤٧٩٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٦ الحديث رقم ٢٨٣٥، ومسلم في ٣/ ١٤٣٢ الحديث رقم (١٣٠ ـ ١٨٠٥) وأحمد في المسند ٣/ ١٧٢.

متفق عليه.

٤٧٩٤ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لأَن يمتلىءَ جوفُ رجلٍ قَيْحاً يَرِيهِ خيرٌ من أن يمتلىءَ شِعْراً». متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٧٩٥ ـ (١٣) عن كعبِ بنِ مالكٍ،

سبباً للمطلوب اهـ، ضمن اغفر معنى استر، وفي نسخة للأنصار فيقرأ بالنقل مراعاة للوزن والتاء في المهاجرة للجمع يريد جماعة المهاجرين (**متفق عليه**)، ورواه النسائي.

٤٧٩٤ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لأن يمتلىء**) بهمزة في آخره (**جوف رجل قيحاً**) نصبه على التمييز أي صديداً ودماً وما يسمى نجاسة (**يريه**) بفتح ياء وكسر راء وسكون ياء أخرى صفة قيح أي يفسده من الورى وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيحاً يأكل جوفه ويفسده، وقيل: أي يصل إلى الرئة ويفسدها ورد بأن المشهور في الرئة الهمز (**خير من أن يمتلىء**) أي ما في جوفه من الصدر والقلب (**شعراً**) أي مذموماً. في شرح مسلم قالوا: المراد منه أن يكون الشعر غالباً عليه متولياً بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى، وهو مذموم من أي شعر كان وإلا فلا يضره حفظ اليسير من الشعر لأن جوفه ليس ممتلئاً شعراً، وقيل: هذا الذم مختص بمعين كما يجيء في الفصل الثالث، وقال السيوطي: قيل: خاص بشعر هجي به النبي ﷺ لرواية شعر أهجيت به قلت: الظاهر الإطلاق وهو يدخل فيه دخولاً أوّلياً ولعل وجه تخصيصه بالذكر تنبيهاً على أنه أقبح أنواعه أو إشعاراً بأن الشعر مذموم لأنه قد يؤدي إلى ذلك وإلا فلا يحتاج إلى قيد الامتلاء كما لا يخفى على أرباب الإملاء، فإن هذا النوع من الشعر وما يلحق به من هجو مسلم أو افتراء مذموم سواء امتلأ الجوف أم لا. (**متفق عليه**)، ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. ذكره ميرك، وفي الجامع الصغير رواه أحمد والشيخان والأربعة[1].

(الفصل الثاني)

٤٧٩٥ ـ (**عن كعب بن مالك**) أنصاري خزرجي وكان أحد شعراء النبي ﷺ، روى عنه

الحديث رقم ٤٧٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٤٨ الحديث رقم ٦١٥٥، ومسلم في ٤/٧٦٩ الحديث رقم (٧ ـ ٢٢٥٧) وأبو داود في السنن ٥/٢٧٦ الحديث رقم ٥٠٠٩، والترمذي في ٥/١٢٩ الحديث رقم ٢٨٥١، وابن ماجه في ٢/١٢٣٦ الحديث رقم ٣٧٥٩، والدارمي في ٢/٣٨٤ الحديث رقم ٢٧٠٥، وأحمد في المسند ١/١٧٥.

(١) الجامع الصغير ٢/٢٤٤ الحديث رقم ٧٢١٨.

الحديث رقم ٤٧٩٥: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٢/٣٧٨ الحديث رقم ٣٤٠٩، وأحمد في المسند ٣/٤٥٦.

أنّه قال للنبيِّ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى قد أنزلَ في الشعرِ ما أنزلَ. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ، والذي نفسي بيدِهِ لكأنَّما ترمونهم به نَضْحَ النبل». رواه في شرح السنة.

وفي «الاستيعاب» لابن عبدِ البرِّ، أنَّهُ قال: يا رسولَ الله! [٣٦٠ ـ ب ـ] ماذا ترى في الشِّعْر: فقال: «إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِهِ».

٤٧٩٦ ـ (١٤) وعن أبي أُمامةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «الحياءُ والعِيُّ

جماعة ومات سنة خمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة بعد أن عمي، ذكره المؤلف وقال ابن عبد البر في الاستيعاب عن ابن سيرين قال: كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وكان كعب يخوّفهم الحرب. قال ابن سيرين: بلغنا أن دوساً إنما أسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك، ثم اعلم أنه وقع في بعض النسخ هنا عن أبيه، وهو خطأ فاحش، **(أنه قال:)** أي كعب **(للنبي ﷺ: إن الله تعالى قد أنزل في الشعر)** أي في حقه **(ما أنزل)** أي من الذم، فكأنه لما سمع قوله تعالى: ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾ [الشعراء ـ ٢٢٤] أنكر على نفسه الشعر، **(فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم»)** اللام زائدة لتأكيد القسم، والتقدير: والذي نفسي بيده إنما ترمونهم» **(به)** أي بالشعر أو باللسان **(«نضح النبل»)** بالنصب أي نضحاً مثل نضح النبل؛ وقال الطيبي: أي كنضح النبل لأن أصل كان زيد الأسد إن زيداً كالأسد فقدم حرف التشبيه اهتماماً به، ويدل عليه ما في الفصل من قوله، والفصل بينه وبين الأصل أنك ههنا بأن كلامك على التشبيه من أوّل الأمر، وثم بعد مضي صدره على الإثبات. وقال القاضي: نضح النبل رميه مستعار من نضح الماء، والمعنى أن هجاءهم يؤثر فيهم تأثير النبل، وقام قيام الرمي في النكاية بهم؛ وقال الطيبي: خلاصة جوابه ﷺ أنه ليس فيه ذم الشعر على الإطلاق فإن ذلك في شأن الهائمين في أودية الضلال، وأما المؤمن فهو خارج من ذلك الحكم لأنه إحدى عدتيه في ذب الكفار من اللسان والسنان، بل هو أعدى وأبلى كما قال ﷺ: «فإنه أشد عليهم من رشق النبل»، وإليه ينظر قول الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتأم ما جرح اللسان

(رواه في شرح السنة). قال ميرك بإسناد الصحيحين، إلا أحمد بن منصور، فإنه عالم ثبت؛ **(وفي الاستيعاب لابن عبد البر أنه قال: يا رسول الله ما ترى في الشعر؟ فقال: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»)**، قلت: وقد رواه أحمد والطبراني عن كعب بن مالك مرفوعاً «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

٤٧٩٦ ـ **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي **(عن النبي ﷺ قال: الحياء والعي)** بكسر العين المهملة وتشديد التحتية أي العجز في الكلام والتحير في المرام، والمراد به في هذا المقام هو

الحديث رقم ٤٧٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٧، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٩.

شُعبتانِ من الإيمانِ، والبَذاءُ والبيانُ شعبتان منَ النِّفاقِ». رواه الترمذي.

٤٧٩٧ ـ (١٥) وعن أبي ثَعلبةَ الخُشنيِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أحبَّكُمْ إليَّ وأقربَكم مني يومَ القيامةِ، أحاسنُكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضَكُم إليَّ وأبعدَكم مني، مساويكم أخلاقاً».

السكوت عما فيه اثم من النثر والشعر لا ما يكون للخلل في اللسان (**شعبتان من الإيمان**)، فإن المؤمن يحمله الإيمان على الحياء فيترك القبائح حياء من الله تعالى ويمنعه عن الاجتراء على الكلام شفقة عن عثرة اللسان فهما شعبتان من شعب الإيمان، والحاصل أن الإيمان منشؤهما ومنشأ كل معروف وإحسان، (**والبذاء**) بفتح موحدة فذال معجمة، فحش الكلام أو خلاف الحياء، (**والبيان**) أي الفصاحة الزائدة عن مقدار حاجة الإنسان من التعمق في النطق وإظهار التفاصح للتقدم على الأعيان، (**شعبتان من النفاق**)! ومنه قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام**﴾ [البقرة ـ ٢٠٤] قال القاضي: لما كان الإيمان باعثاً على الحياء والتحفظ في الكلام والاحتياط فيه عدا من الإيمان وما يخالفهما من النفاق، وعلى هذا يكون المراد بالعي ما يكون بسبب التأمل في المقال والتحرز عن الوبال لا للخلل في اللسان، وبالبيان ما يكون سببه الاجتراء وعدم المبالاة بالطغيان والتحرز عن الزور والبهتان. (**رواه الترمذي**) وقد قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن مطرف اهـ، ورجاله رجال الصحيحين، كذا نقله ميرك عن التصحيح، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه.[1]

٤٧٩٧ ـ (**وعن أبي ثعلبة الخشني**) رضي الله عنه مر ذكره (**إن رسول الله ﷺ قال: «إن أحبكم إلي»**) أي في الدنيا (**«وأقربكم مني يوم القيامة»**) أي منزلة (**«أحاسنكم أخلاقاً»**) نصبه على التمييز وجمعه لإرادة الأنواع أو لمقابلة الجمع بالجمع، (**«وإن أبغضكم إلي»**) أي في الدنيا (**«وأبعدكم مني»**) أي في العقبى (**«مساويكم أخلاقاً»**) بفتح الميم وكسر الواو جمع مسوأ بفتح الميم والواو، كمحاسن في جمع محسن وهو إما مصدر وصف به وإما اسم مكان أي محال سوء الأخلاق، ويروى أساويكم وهو جمع أسوأ كأحاسن جمع أحسن وهو مطابق لما في أصل المصابيح، هذا مجمل الكلام في مقام المرام، وقال القاضي: افعل التفضيل إذا أضيف على معنى أن المراد به زائد على المضاف إليهم في الخصلة التي هو وهم مشتركون فيها جاز الافراد والتذكير في الحالات كلها وتطبقها لما هو وصف له لفظاً ومعنى، وقد جمع الوجهان في الحديث فأفرد أحب وأبغض وجمع أحاسن وأساوي في رواية من روى أساويكم بدل مساويكم وهو جمع مسوأ كمحاسن في جمع محسن، وهو إما مصدر ميمي نعت به ثم

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٩.

الحديث رقم ٤٧٩٧: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٠ الحديث رقم ٤٩٦٩.

الثرثارون، المتشدِّقون، المتفيهقون». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٧٩٨ ـ (١٦) وروى الترمذي نحوَه عن جابرٍ، وفي روايته قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارونَ والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون».

جمع، أو اسم مكان بمعنى الأمر الذي فيه السوء، فأطلق على المنعوت به مجازاً. وقال الدارقطني: أراد بأبغضكم، بغيضكم وبأحبكم للتفضيل فلا يكون المخاطبون بأجمعهم مشتركين في البغض والمحبة، وقال الحاجبي: تقديره أحب المحبوبين منكم وأبغض المبغوضين منكم، ويجوز إطلاق العام وإرادة الخاص للقرينة. قال الطيبي: إذا جعل الخطاب خاصاً بالمؤمنين، فكما لا يجوز أبغضكم لا يجوز بغيضكم لاشتراكهم في المحبة، فالقول ما ذهب إليه ابن الحاجب لأن الخطاب عام يدخل فيه البر والفاجر والموافق والمنافق، فإذا أريد به المنافق الحقيقي فالكلام ظاهر، وإذا أريد به غير الحقيقي كما سبق في باب علامات النفاق فمستقيم أيضاً، كما يدل عليه قوله: **(الثرثارون)** الخ، وهو إما بدل من مساويكم أخلاقاً فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوأ الأخلاق لأن المبدل كالتمهيد والتوطئة وإما رفع على الذم فإنه خبر مبتدأ محذوف، فيكون أشنع وأبلغ. وفي النهاية الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق من الثرثرة وهي كثرة الكلام وترديده **(المتشدقون)** أي المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز، وقيل: أراد بالمتشدق المستهزىء بالناس يلوي شدقه لهم وعليهم، وقيل: هم المتكلفون في الكلام فيلوي به شدقيه، والشدق جانب الفم **(المتفيهقون)** أي الذين يملؤون أفواههم بالكلام ويفتحونها من الفهق، وهو الامتلاء والاتساع، قيل: وهذا من التكبر والرعونة، والحاصل أن كل ذلك راجع إلى معنى التزيد في الكلام ليميل بقلوب الناس وأسماعهم إليه؛ قال الطيبي: وزاد في الفائق والنهاية على هذا أي على هذا الحديث أو على هذا الوصف المعهود الموطؤون أكنافاً الذين يألفون يؤلفون، قال: وهذا مثل وحقيقته من التوطئة، وهي التمهيد والتذليل، وفراش وطيء لا يؤذي جنب النائم، والأكناف الجوانب أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

٤٧٩٨ ـ **(وروى الترمذي نحوه)** أي مثله معنى لا لفظاً **(عن جابر)**. قال ميرك: ولم يقل فيه: مساويكم أخلاقاً بل قال: وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون الخ؛ **(وفي روايته)** أي رواية جابر والترمذي **(قالوا: «يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال: المتكبرون»)** أي المظهرون للكبرياء والعظمة في أقوالهم وأفعالهم. قال النووي في الأذكار: يكره التفخر في الكلام وبالتشدق وتكلف السجع، والفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون من زخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك التحري في دقائق الأعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته إياهم لفظاً يفهمونه فَهْماً جَلِيّاً، ولا يدخل في الذم تحسين القادر للخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط

الحديث رقم ٤٧٩٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٨.

٤٧٩٩ ـ (١٧) وعن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يخرجَ قومٌ يأكلونَ بألسنتِهم كما تأكل البقرةُ بألسنتِها». رواه أحمد.

٤٨٠٠ ـ (١٨) وعن عبدِ الله بن عُمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ يُبغِضُ البليغَ مِنَ الرجالِ الذي يتخلَّلُ بلسانِهِ كما يتخللُ الباقرةُ بلسانها». رواه الترمذي، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب.

وإغراب، لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى؛ ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر

٤٧٩٩ ـ **(وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقرة»)** بفتحتين، وفي نسخة الباقرة، وهي جماعة البقرة (**«بألسنتها»**) أي يجعلون ألسنتهم وسائل أكلهم كالبقرة تأخذ العلف بلسانها، قال التوربشتي: ضرب للمعنى مثلاً يشاهده الراؤون من حال البقر ليكون أثبت في الضمائر، وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، فضرب بها المثل لمعنيين أحدهما أنهم لا يهتدون من المآكل إلا إلى ذلك سبيلاً كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها، والآخر أنهم في مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة وبين الحلو والمر، بل تلف الكل بلسانها لفاً فكذلك «هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الحلال والحرام، سماعون للكذب أكالون للسحت». **(رواه أحمد)**، ورواه محيي السنة في شرح السنة بإسناده[1]، ذكره ميرك وفي الحلية لأبي نعيم عن أبي هريرة مرفوعاً «لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً».

٤٨٠٠ ـ **(وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبغض البليغ»)** أي المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته (**«من الرجال»**) أي مما بينهم وخصوا لأنه الغالب فيهم (**«الذي»**) صفة البليغ (**«يتخلل بلسانه»**) أي يأكل بلسانه أو يدير لسانه حول أسنانه مبالغة في إظهار بلاغته وبيانه (**«كما يتخلل الباقرة بلسانها»**) أي البقرة كأنه أدخل التاء فيها على أنه واحد من الجنس كالبقرة من البقر، واستعمالها مع التاء قليل. قال القاضي: شبه إدارة لسانه حول الأسنان والفم حال التكلم تفاصحاً بما تفعل البقرة بلسانها، والباقرة جماعة البقرة. وفي النهاية: هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة بلسانها لفاً اهـ. فالمرضي من الكلام ما يكون قدر الحاجة يوافق ظاهره باطنه على منوال الشريعة. **(رواه الترمذي وأبو داود)** وكذا الإمام أحمد. **(وقال الترمذي: هذا حديث غريب)**. وذكر الحاكم في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله يبغض كل عالم بالدنيا جاهل بالآخرة».

الحديث رقم ٤٧٩٩: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٨٤.

(١) شرح السنة للبغوي ١٢/ ٣١٨ الحديث رقم ٣٣٩٧.

الحديث رقم ٤٨٠٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٤ الحديث رقم ٥٠٠٥، والترمذي في ٥/ ١٢٩ الحديث رقم ٢٨٥٣، وأحمد في المسند ٢/ ١٨٧.

٤٨٠١ ـ (١٩) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مررْتُ ليلةَ أُسرِيَ بي بقومٍ تُقْرَضُ شفاهُهم بِمقاريضَ منَ النّارِ، منَ النّارِ، فقلتُ: يا جبريلُ! مَنْ هؤُلاءِ؟ قال: هؤلاءِ خُطباءُ أُمتكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٤٨٠٢ ـ (٢٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تعلَّمَ صرفَ الكلامِ ليَسْبي بهِ قُلوبَ الرِّجالِ أو النَّاسِ لمْ يقبلِ اللّهُ منه يومَ القيامةِ صرْفاً ولا عدْلاً». رواه أبو داود.

٤٨٠٣ ـ (٢١) وعن عمْرِو بن العاصِ، أنَّه قال يوماً وقامَ رجلٌ فأكثرَ القولَ. فقال عمْرٌو:

٤٨٠١ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي»)** بنى الليلة على الفتح لإضافتها إلى الجملة، وفي نسخة بالتنوين، فالتقدير ليلة أسري بي فيها، وقوله: **(«بقوم»)** متعلق بمررت **(«تقرض»)** بصيغة المجهول أي تقطع **(«شفاههم»)** بكسر أوّله جمع الشفة بالفتح **(«بمقاريض»)** جمع مقراض **(«من النار فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء»)** إشارة تحقير، ولذا أعيد **(«خطباء أمتك»)** أي علماؤهم ووعاظهم أو شعراؤهم **(«الذين يقولون ما لا يفعلون»)**. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾** [الصف ـ ٣] وقال عزَّ وجلَّ: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** [البقرة ـ ٤٤] **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**(١).

٤٨٠٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم صرف الكلام»)** أي إيراده على وجوه مختلفة، وقيل: أي الزيادة من القول والتصرف فيه كيف شاء، والصرف الفضل **(«ليسبي»)** بكسر الموحدة أي ليسلب ويستميل **(«به»)** أي بصرف الكلام **(«قلوب الرجال أو الناس»)** أي عامتهم، وأو للشك من الراوي **(«لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»)**. في النهاية الصرف التوبة أو النافلة، والعدل الفدية أو الفريضة. **(رواه أبو داود)**. وقد روى الترمذي عن ابن عمر مرفوعاً: «من تعلم علماً لغير الله فليتبوّأ مقعده من النار»(٢).

٤٨٠٣ ـ **(وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال:)** أي عمرو **(يوماً)** أي من الأيام **(وقام)** أي وقد قام **(رجل)** أي خطيباً وواعظاً، **(فأكثر القول)** أي أطال الكلام إظهاراً للفصاحة والبلاغة حتى حصل للسامعين الملالة **(فقال عمرو:)** كذا في جميع نسخ المشكاة. قال الطيبي: كذا في سنن أبي داود وبعض نسخ المصابيح وهو تكرار لطول الكلام لأن قوله: **(«لو**

الحديث رقم ٤٨٠١: أحمد في المسند ٣/ ١٨٠.

(١) ليس هذا الحديث عند الترمذي بل رواه أحمد.

الحديث رقم ٤٨٠٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٤ الحديث رقم ٥٠٠٦.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٢ الحديث رقم ٢٦٥٥.

الحديث رقم ٤٨٠٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٦ الحديث رقم ٥٠٠٨.

لوْ قصَدَ في قولِه لكانَ خيراً له، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لقد رأيتُ - [٣٦١ - أ -] أو أُمرتُ - أنْ أتجوَّزَ في القولِ، فإنَّ الجوازَ هو خيرٌ». رواه أبو داود.

٤٨٠٤ - (٢٢) وعن صخرِ بن عبد الله بنِ بُريدةَ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ منَ البيانِ سحراً، وإنَّ منَ العلمِ جهْلاً،

قصد في قوله لكان خيراً له») هو المقول لقوْله: قال يوماً، وقوله: «وقام رجل» حال، فلما وقع بينهما طال الكلام فأعاد. قال عمرو: ونظيره قول الحماسي وإن أمر أدامت مواثيق عهده، على مثل هذا أنه لكريم؛ فقوله: لكريم خبران الأولى، وأعاد أنه لطول الكلام. وقال التوربشتي. قوله: قصد أي لو أخذ في كلامه الطريق المستقيم، والقصد ما بين الإفراط والتفريط. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد رأيت»)** أي علمت **(«أو أمرت»)** شك من الراوي **(«أن أتجوّز في القول»)** أي أسرع فيه وأخفف المؤنة عن السامع، من قولهم: تجوز في صلاته أي خفف، ذكره التوربشتي: **(«فإن الجواز»)** بفتح الجيم، وهو الاقتصار على قدر الكفاية **(«هو خير»)**. قال شارح: التجوّز في القول، والجواز فيه الاقتصار لأنه إسراع وانتقال من التكلم إلى السكوت. **(رواه أبو داود)**. قال ميرك: وفي سنده محمد بن إسماعيل بن عباس عن أبيه وفيهما مقال اهـ. وفي الجامع الصغير بلفظ: «لقد أمرت أن أتجوّز في القول، فإن الجواز في القول وهو خير». رواه أبو داود والبيهقي عن عمرو بن العاص.

٤٨٠٤ - **(وعن صخر بن عبد الله بن بريدة)** تابعي يروي عن أبيه عن جده، وعن عكرمة، وعنه حجاج بن حسان وعبد الله بن ثابت، **(عن أبيه)** أي عبد الله بن بريدة وهو قاضي مرو تابعي من مشاهير التابعين وثقاتهم سمع أباه وغيره من الصحابة، وروى عنه ابنه سهل وغيره، مات بمرو وله أحاديث كثيرة **(عن جده)** أي بريدة بن الحصيب الأسلمي، أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وبايع بيعة الرضوان، وكان من ساكني المدينة ثم تحوّل إلى البصرة، ثم خرج منها إلى خراسان غازياً فمات بمرو زمن يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين، روى عنه جماعة. والحصيب تصغير الحصب. ذكره المؤلف. **(قال:)** أي بريدة **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من البيان سحراً»)** مر بيانه **(«وإن من العلم جهلاً»)** أي لكونه علماً مذموماً والجهل به خير منه أو لكونه علماً بما لا يعنيه فيصير جهلاً بما يعنيه. في النهاية قيل: هو أن يتعلم من العلوم ما لا يحتاج إليه كالنجوم وعلم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة، فالاشتغال به يمنعه عن تعلم ما هو محتاج إليه فيكون جهلا له. قال الأزهري: وقيل: هو أن لا يعمل بعمله. فيكون ترك العمل بالعلم جهلاً ومصداقه قوله تعالى: **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾** [الجمعة - ٥] قلت: ويؤيده أيضاً قوله تعالى: **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾** [النساء - ١٧] ففي معالم التنزيل قال قتادة: أجمع أصحاب النبي ﷺ على أن كل ما عصي به الله فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن،

الحديث رقم ٤٨٠٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٢٧٨ الحديث رقم ٥٠١٢.

وإنَّ من الشعرِ حُكْماً، وإنَّ من القولِ عيالاً». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٨٠٥ ـ (٢٣) عن عائشةَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يضعُ لحسَّانَ منبراً في المسجدِ يقومُ عليه قائماً، يُفاخِرُ عن رسولِ الله ﷺ، أو يُنافحُ. ويقولُ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يُؤيِّدُ حسَّانَ بروحِ القدسِ ما نافحَ أوْ فاخرَ عن رسولِ الله ﷺ». رواه البخاري.

وكل من عصى الله فهو جاهل، **(وإن من الشعر حكماً)** بضم فسكون أي حكمة كما سبق، ولقوله تعالى: ﴿**وآتيناه الحكم صبياً**﴾ [مريم ـ ١٢] أي الحكمة **(وإن من القول)** أي الكلام **(عيالاً)** بكسر أوّله، وفي رواية لغير أبي داود عيلاً بفتح فسكون أي ثقلاً ووبالاً عليك أو ثقلاً على سامعك لأنه عالم به أو جاهل لا يفهمه. ففي النهاية هو عرضك حديثك وكلامك على من لا يريده وليس من شأنه. **(رواه أبو داود)**. قال ميرك: وفي إسناده أبو عبيدة يحيى بن واضح الأنصاري وثقه ابن معين وأبو حاتم قال: وأدخله البخاري في الضعفاء، قال أبو حاتم: تحوّل من هناك اهـ. ووهم أبو حاتم فيه بل البخاري احتج به.

(الفصل الثالث)

٤٨٠٥ ـ **(عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً)** أي قياماً، ففي المفصل قد يرد المصدر على وزن اسم الفاعل نحو قمت قائماً **(يفاخر عن رسول الله ﷺ)** أي لأجله وعن قبله **(أو ينافح)** بنون ثم فاء فحاء مهملة أي يدافع عنه ﷺ، ويخاصم المشركين، ويهجوهم مجازاة لهم؛ وأو تحتمل الشك والتنويع، ويؤيد الأوّل ما في الشمائل أو قال: أي الراوي، وفي نسخة أو قالت: **(ويقول رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد حسان»)**، وفي بعض نسخ الشمائل حساناً **(«بروح القدس»)** بضم الدال ويسكن، والمراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه حديث «إن جبريل مع حسان ما نافح عني»، وإضافته إلى القدس وهو الطهارة لأنه خلق منها على ما ذكره في النهاية، وقيل: المراد به القدس وهو الله تعالى، والإضافة فيه للتشريف كبيت الله وتسميته بالروح لأنه يأتي الأنبياء بما فيه الحياة الأبدية والطهارة السرمدية **(ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ)**. وفي الشمائل ما ينافح أو يفاخر أي ما دام مشتغلاً بتأييد دين الله وتقوية رسول الله ﷺ، وقد تقدم بعض ما يتعلق به من المعاني في الحديث المتفق عليه. **(رواه البخاري)**.

الحديث رقم ٤٨٠٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٨٠ الحديث رقم ٥٠١٥، والترمذي في ٥/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٨٤٦، وأحمد في المسند ٦/ ٧٢.

٤٨٠٦ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، قال: كانَ للنبيِّ حادٍ يقالُ له: أنجشةُ، وكانَ حسنَ الصَّوتِ. فقال له النبيُّ ﷺ: «رُويدَكَ يا أنجشةُ لا تكسرِ القواريرَ». قال قتادةُ: يعني ضعفةَ النساءِ. متفق عليه.

٤٨٠٦ ـ **(وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كان للنبي ﷺ حاد)** اسم فاعل من حدا الإبل، وبها حدواً وحداء وحداء زجرها وساقها، ذكره صاحب القاموس، وفي أساس البلاغة حدا بها إذا عنى بها. قال صاحب القاموس: وأصل الحداء في دي دي، وقال: فيه ما كان للناس حداء فضرب أعرابي غلامه [وعض أصابعه] ومشى وهو يقول: «دي دي دي» أراد بأيدي، فسارت الإبل على صوته فقال له: الزمه وخلع عليه، فهذا أصل الحداء اهـ، وله تأثير بليغ في سرعة مشي الإبل وتأثير الفناء فيهن، ومما حكي فيه «إن شخصاً صار ضيفاً لأعرابي فرأى عبداً أَسْودَ مسلسلاً مقيداً وبين يديه بعير واحد فقال له: اشفع لي عند سيدي فإنه لا يرد شفاعة الضيف، فتكلم في حقه فقال: إن هذا عمل ذنباً كبيراً فإنه كان لي عشرة من الابل فحدا بهن ليلة حتى سرن فيها مسافة ليالي، فلما وصلن إلى المنزل لم يبق إلا هذا الإبل، لكني قبلت شفاعتك، فقال: إذا تأمره أن يسمعني بعض حدياته وهنياته، فأمر به، فلما أبدى بعض الكلمات قامت الإبل ونفرت وحشية إلى الصحراء، وقام الرجل مجنوناً أو مجذوباً لا يدري أين يذهب في البيداء». **(يقال له:)** أي للحادي **(أنجشة)** بفتح همز وسكون نون وجيم وشين معجمة مفتوحتين مولى رسول الله ﷺ على ما في القاموس، وقال السيوطي: هو غلام للنبي ﷺ حبشي يكنى أبا مارية، **(وكان)** أي أنجشة **(حسن الصوت)** أي وكان يحدو ابل بعض النساء، **(فقال له النبي ﷺ: «رويدك»)** أي امهل إمهالك ومنه قوله تعالى: ﴿**أمهلهم رويداً**﴾ [الطارق ـ ١٧] فهو مصدر منصوب بفعله المقدر والكاف في محل جر، وقيل: اسم فعل والكاف حرف خطاب **(«يا أنجشة لا تكسر القوارير»)** بالجزم على جواب الأمر، والقوارير جمع قارورة سميت بها لاستقرار الشراب فيها، وهي الزجاجة كني بها عن النساء لما فيهن من الرقة واللطافة وضعف البنية، أمره أن يغض من صوته الحسن خشية أن يقع من قلوبهن موقعاً لضعف عزائمهن وسرعة تأثرهن كسرعة الكسر إلى القوارير. وفي النهاية شبههن بالقوارير لأنه يسرع إليها الكسر، وكأن أنجشة يحدو وينشد القريض والرجز فلم يأمن أن يصيبهن أو يقع في قلوبهن حداوّه فأمره بالكف عن ذلك. وفي المثل «الغناء رقية الزنا»، وقيل: «أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي واشتدت فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة»، قلت: وهذا المعنى أظهر كما لا يخفى، فإنه ناشيء عن الرحمة والشفقة، وذاك عن سوء ظن لا يليق بمنصب النبوّة **(قال قتادة:)** تابعي جليل يروي عن أنس وغيره **(يعني)** أي يريد النبي ﷺ **(بالقوارير ضعفة النساء)** وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٤٨٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٩٤ الحديث رقم ٦٢١١، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ والدارمي في ٢/ ٣٨٢ الحديث رقم ٢٧٠١، وأحمد في المسند ٢٧٠١.

٤٨٠٧ ـ (٢٥) وعن عائشةَ [رضي الله عنها]، قالتْ: ذُكرَ عندَ رسولِ الله ﷺ الشِّعْرُ فقال رسولُ الله ﷺ: «هوَ كلامٌ، فحسنَهُ حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ». رواه الدارقطني.

٤٨٠٨ ـ (٢٦) وروى الشافعيُّ، عن عروةَ، مرسلاً.

٤٨٠٩ ـ (٢٧) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: بيْنا نحنُ نسير معَ رسولِ الله ﷺ بالعَرْجِ إذ عرضَ شاعرٌ يُنشِدُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «خُذوا الشيطانَ، أو أمسِكوا الشيطانَ، لَأَنْ يمتلىءَ جوفُ رجلٍ قيحاً خيرٌ له من أنْ يمتلىءَ شِعْراً». رواه مسلم.

٤٨٠٧ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنه قالت: ذكر)** بصيغة المجهول **(عند رسول الله ﷺ الشعر)** فكأنه ذمه بعض ومدحه بعض على إطلاقه أو ذكر بالذم فقط ومنه قوله تعالى حكاية **﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾**، **(فقال رسول الله ﷺ: «هو كلام»)** أي كسائر الكلام أو هو نوع من الكلام، فإنه قول موزون **(«فحسنه حسن وقبيحه قبيح»)**، والمعنى أن الحسن والقبح إنما يدوران مع المعنى ولا عبرة باللفظ سواء كان موزوناً أو غيره، عربياً أو غيره. **(رواه الدارقطني)**، وكذا أبو يعلى الموصلي بإسناد حسن، ذكره ميرك. وفي الجامع الصغير «الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبح الكلام»[1] رواه البخاري في الأدب، والطبراني في الأوسط عن ابن عمر، وعبد الرزاق في الجامع عن عائشة، وروي في نسخة

٤٨٠٨ ـ (ورواه الشافعي عن عروة مرسلاً)[2]، وهو لا يضر لكون المرسل حجة عند الجمهور وكذا عند الشافعي إذا اعتضد، وقد تقدم من طرق أنه أسند.

٤٨٠٩ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا نحن)** أي معشر الصحابة **(نسير مع رسول الله ﷺ بالعرج)** بفتح فسكون، في القاموس العرج بالفتح بلد باليمن، وواد بالحجاز، ونخيل وموضع ببلاد هذيل، ومنزل بطريق مكة. وقال النووي: هو بفتح العين المهملة وإسكان الراء وبالجيم، قرية جامعة من عمل الفرع على نحو ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة **(إذ عرض)** أي ظهر **(شاعر ينشد)** بضم أوله أي يقرأ شعره أو شعر غيره **(فقال رسول الله ﷺ: «خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان»)** شك من الراوي أي امنعوه من إنشاده، ولعله ﷺ لما رآه ينشد الشعر متعرضاً غير ملتفت إليهم وميال بهم مستهتراً بإنشاد الشعر عرف أن الغالب عليه هو قرض الشعر وأنه مسلوب الحياء معزول عن الأدب، ولذلك أطلق عليه اسم الشيطان وأتبعه بقوله: **(«لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً»)** وقد مر بيانه. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٤٨٠٧: أخرجه الدارقطني في السنن ٤/ ١٥٥ الحديث رقم ٢ من باب الخبر الواحد يوجب العمل.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤ الحديث رقم ٤٩٣٩.

(٢) وهي نسخة المتن.

الحديث رقم ٤٨٠٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٦٩ الحديث رقم (٩ ـ ٢٢٥٩) وأحمد في المسند ٣/ ٨.

٤٨١٠ ـ (٢٨) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الغِناءُ يُنبتُ النِّفاقَ في القلبِ كما يُنبتَ الماءُ الزَّرعَ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨١١ ـ (٢٩) وعن نافعٍ، [رحمه الله]، قال: كنتُ معَ ابن عمَرَ في طريقٍ، فسمعَ مِزماراً، فوضع أصبعَيهِ في أُذنيهِ وناءَ عن الطريقِ إلى الجانبِ الآخرِ، ثمَّ قال لي بعدَ أن بعُدَ: يا نافعُ! [٣٦١ ـ ب ـ] هلْ تسمعُ شيئاً؟ قلتُ: لا، فرفعَ أصبعيهِ منْ أُذنيهِ، قال: كنتُ معَ رسولِ الله ﷺ فسمعَ صوتَ يراعٍ، فصنعَ مثلَ ما صنعتُ. قال نافعُ: فكنتُ إذ ذاكَ صغيراً.

٤٨١٠ ـ **(وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الغناء)** بكسر الغين ممدوداً أي التغني **(«ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع»)** يعني الغناء سبب النفاق ومؤد إليه، فأصله وشعبته كما قال البذاء: «والبيان شعبتان من النفاق»، وفي شرح السنة قيل: «الغناء رقية الزنا»، وقال الشافعي: ولو كان يديم الغناء ويغشاه المغنون معلناً فهذا سفه يرد شهادته وإن كان يقل لا ترد شهادته». وقال النووي في الروضة: «غناء الإنسان بمجرد صوته مكروه، وسماعه مكروه، وإن كان سماعه من الأجنبية كان أشد كراهة، والغناء بآلات مطربة هو من شعار شاربي الخمر كالعود والطنبور والصنج والمعازف، وسائر الأوتار حرام، وكذا سماعه حرام». وفي اليراع الوجهان؛ صحح البغوي الحرمة، والغزالي الجواز وهو أقرب، وليس المراد من اليراع كل قصب بل المزمار العراقي «وما يضرب به من الأوتار حرام بلا خلاف». ثم قال: الأصح أو الصحيح حرمة اليراع وهي هذه المزمارة التي تسمى الشبابة، وقد صنف الإمام أبو القاسم الدولقي كتاباً في تحريم اليراع مشتملاً على نفائس وأطنب في دلائل تحريمه. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن ابن مسعود لكن لفظه البقل بدل الزرع.

٤٨١١ ـ **(وعن نافع رضي الله عنه قال: «كنت مع ابن عمر في طريق، فسمع مزماراً فوضع أصبعيه في أذنيه وناء»)** بهمز بعد الألف أي بعد **(«عن الطريق إلى الجانب الآخر»)** أي مما هو أبعد منه **(«ثم قال لي بعد أن بعد:»)** بفتح فضم أي صار بعيداً بعض البعد عن مكان صاحب المزمار **(«يا نافع هل تسمع شيئاً»)** أي من صوت المزمار **(«قلت: لا، فرفع أصبعيه من أذنيه قال:»)** استئناف بيان وتعليل بالدليل **(«كنت مع رسول الله ﷺ فسمع صوت يراع»)** بفتح أوّله أي قصب **(«فصنع مثل ما صنعت»)** أي من وضع الأصبعين في الأذنين فقط، أو جميع ما سبق من البعد عن الطريق ومراجعة السؤال والله أعلم. **(قال نافع: وكنت إذ ذاك صغيراً)**، ولعل ابن عمر أيضاً كان صغيراً فيتم به الاستدلال والله أعلم بالحال مع أنه قد يقال: إنه أيضاً كان واضعاً أصبعيه في أذنيه، فلما سأله رفع أصبعيه فأجاب وليس حينئذ محذور، فإنه لم

الحديث رقم ٤٨١٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٧٩ الحديث رقم ٥١٠٠.

الحديث رقم ٤٨١١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٢٢ الحديث رقم ٤٩٢٤.

رواه أحمد، وأبو داود.

(١٠) باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

الفصل الأول

٤٨١٢ - (١) عن سهلِ بن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يضمنْ

يتعمد السماع ومثله يجوز للشخص أن يفعل أيضاً بنفسه إذا كان منفرداً، بل التحقيق إن نفس الوضع من باب الورع والتقوى ومراعاة الأولى وإلا فلا يكلف المرء إلا بأنه لم يقصد السماع لإبانة يفقد السماع والله أعلم. وقال الطيبي: هذا جواب سؤال مقدر يعني ليس لقائل أن يقول: سماع اليراع مباح، والمنع ليس للتحريم بل للتنزيه، لأنه لو كان حراماً لمنع أيضاً نافعاً عن الاستماع، والجواب أن نافعاً لم يبلغ مبلغ التكليف وإليه الإشارة بقوله: وكنت إذ ذاك صغيراً ولو لم يذهب إلى هذه الفائدة لكان وصفه لنفسه بالصغر ضحكة للساخرين كما في قولك: «الميت اليهودي لا يبصر هذا»، وذكر الحديث بعيد السابق شعر بأن استماع الغناء والمزمار واليراع من واد واحد أي في الجملة، وفي شرح السنة اتفقوا على تحريم المزامير والملاهي والمعازف، وكان الذي سمع ابن عمر صفارة الرعاة، وقد جاء مذكوراً في الحديث وإلا لم يكن يقتصر فيه على سد المسامع دون المبالغة في الرد والزجر، وقد رخص بعضهم في صفارة الرعاة اهـ؛ ولعله كان صاحب اليراع يهودياً من أهل الذمة أو بعيداً عن المواجهة. هذا وفي فتاوى قاضي خان: أما استماع صوت الملاهي كالضرب بالقضيب ونحو ذلك حرام ومعصية لقوله عليه السلام: «استماع الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها من الكفر»، إنما قال ذلك على وجه التشديد، وإن سمع بغتة فلا اثم عليه ويجب عليه أن يجتهد كل الجهد حتى لا يسمع لما روي أن رسول الله ﷺ أدخل أصبعه في أذنيه، وأما قراءة أشعار العرب ما كان فيها من ذكر الفسق والخمر والغلام مكروه لأنه ذكر الفواحش **(رواه أحمد وأبو داود)**.

باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

حفظ اللسان من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، والمراد منه حفظه عما لا يعنيه، فعطف الغيبة والشتم على الحفظ من باب التخصيص بعد التعميم، والغيبة بكسر الغين «إن تذكر أخاك بما يكره، في الغيبة بالفتح، بشرط أن يكون موجود فيه وإلا فهو بهتان، والشتم السب واللعن هو يشمل الحاضر والغائب والحي والميت».

(الفصل الأوّل)

٤٨١٢ - **(عن سهل بن سعد)** أي الساعدي **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن»)**

الحديث رقم ٤٨١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٣٠٨/١١ الحديث رقم ٦٤٧٤.

لي ما بينَ لَحْيَيْه وما بينَ رجليهِ، أضمنْ له الجنَّةَ». رواه البخاري.

٤٨١٣ ـ (٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ منْ رضوانِ الله لا يُلقي لها بالاً، يرفعُ اللّهُ بها درجاتٍ،

بالجزم على أن من شرطية («لي ما بين لحييه») بفتح اللام منبت الأسنان أي من يكفل لي محافظة ما بينهما من اللسان والفم عن تقبيح الكلام وأكل الحرام («وما بين رجليه») أي من الفرج عن الزنا ونحوه («أضمن له الجنة») أي دخولها أو لا أو درجاتها العالية. قال الطيبي وعن بعضهم: «من يضمن لي لسانه أي شر لسانه وبوادره وحفظه عن التكلم بما لا يعنيه ويضره مما يوجب الكفر والفسوق، وفرجه بأن يصونه أضمن له دخول الجنة، ولحييه بفتح اللام تثنية لحى وهما العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان علواً وسفلاً. (رواه البخاري)، ورواه أحمد والحاكم عن أبي موسى بلفظ: «من حفظ ما بين فقميه ورجليه دخل الجنة»[١]، والفقم بالضم والفتح اللحى على ما في النهاية؛ ورواه الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً، ولفظ: «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة»[٢]، وفي رواية للبيهقي عن أنس «من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وجبت له الجنة»، واللقلق اللسان، والقبقب البطن، والذبذب الذكر. كذا في مختصر النهاية للسيوطي.

٤٨١٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله) بكسر أوّله ويضم، ومن بيانية حال من الكلمة أي من كلام فيه رضاه («لا يلقي») بضم الياء وكسر القاف أي لا يرى («لها») أي لتلك الكلمة («بالاً») أي شأناً أو بأساً («يرفع الله») أي له («بها») أي بتلك الكلمة («درجات»)، والمعنى إن العبد لا يعرف قدرها ويظنها هينة قليلة الاعتبار وهي عند الله عظيمة الاقتدار، والجملة مستأنفة بيان للموجب كأن قائلاً يقول: ماذا يستحق بعد قيل: له يرفع الله بها درجات وفي بعض النسخ بفتح الياء والقاف، والمعنى لا يجد لها عظمة عنده، ولا يلتفت عاقبتها عند ربه؛ والجملة حال من ضمير يتكلم في النهاية أي لا يستمع إليها ولا يجعل قلبه نحوها اهـ. وفيه حث على التدبر والتفكر عند التكلم، وفي شرح المشارق أنه بفتحهما ورفع البال، فالبال على هذا بمعنى الحال، والظاهر أنه في المصابيح كذلك، فإنه قال شارحه زين العرب أي لا يلحقه بأس وتعب في قولها أولاً، ولا يحضر باله أي قلبه لما يقوله منها، أو هو من قولهم: «ليس هذا من بالي أو مما أباليه»، والمعنى أنه يتكلم بكلمة الحق يظنها قليلة وهي عند الله جليلة، فيحصل له

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٥٨، وأحمد في المسند ٤/٣٩٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في ١٣/٨ الحديث رقم ٥٠٧١، والترمذي في السنن الحديث رقم (٢٤٠٨).

الحديث رقم ٤٨١٣ أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٣٠٨ الحديث رقم ٦٤٧٧، ومسلم في ٤/ ٢٢٩٠ الحديث رقم (٥٠ ـ ٢٩٨٨)، والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٤ الحديث رقم ٢٣١٩، وابن ماجه في ٢/ ١٣١٢ الحديث رقم ٣٩٦٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٥ الحديث رقم ٥، وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

وإنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ منْ سَخَطِ الله لا يُلقي لها بالاً، يهْوي بها في جهنَمَ». رواه البخاري وفي رواية لهما: «يهوي بها في النارِ أبعدَ ما بينَ المشرقِ والمغرب».

٤٨١٤ ـ (٣) وعن عبد الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سِبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ».

رضوان الله، وقد يتكلم بسوء ولا يعلم أنه كذلك وهو عند الله ذنب عظيم، فيحصل له السخط من الله. وهذا معنى قوله: (**«وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله»**) أي مما يوجب غضبه (**«لا يلقي لها بالاً، يهوي»**) بكسر الواو أي يخوض ويقع ويسقط (**«بها»**) أي بتلك الكلمة (**«في جهنم». رواه البخاري**)، وكذا الإمام أحمد. (**وفي رواية لهما**) أي الشيخين ذكره السيد جمال الدين (**«يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»**) أي هوياً أبعد من البعد الذي بينهما، قال الطيبي: الظاهر أنه صفة مصدر محذوف أي هوياً بليغاً بعيد المبتدأ والمنتهى؛ وفي الجامع الصغير «وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» رواه أحمد والشيخان عنه[1].

٤٨١٤ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شباب المسلم»**) بكسر أوّله أي شتمه وهو من باب إضافة المصدر إلى مفعوله (**«فسوق»**) لأن شتمه بغير حق حرام. قال الأكمل: الفسوق لغة الخروج زنة، ومعنى وشرعاً هو الخروج عن الطاعة (**«وقتاله»**) أي محاربته لأجل الإسلام (**«كفر»**). كذا قاله شارح، لكن بعده لا يخفى لأن هذا من معلوم الدين بالضرورة، فلا يحتاج إلى بيانه، بل المعنى مجادلته ومحاربته بالباطل كفر بمعنى كفران النعمة والإحسان في أخوة الإسلام، وأنه ربما يؤول إلى الكفر أو أنه فعل الكفرة أو أراد به التغليظ والتهديد والتشديد في الوعيد كما في قوله ﷺ: «من ترك صلاة متعمداً فقد كفر»، نعم «قتاله مع استحلال قتله كفر صريح». ففي النهاية السب الشتم. يقال: سبه يسبه سباً وسباباً قيل: هذا محمول على من سب أو قاتل مسلماً من غير تأويل وقيل: إنما ذلك على جهة التغليظ لا أنه يخرجه إلى الفسق والكفر، وفيَ شرح السنة «إذا استباح دمه من غير تأويل ولم ير الإسلام عاصماً له فهو ردة وكفر». قال الطيبي: معنى الحديث راجع إلى قوله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2]، وقد تقرر أن المراد بالمسلم هنا الكامل في الإيمان المؤدي لحقوقه بحسب استطاعته، فالنسبة إلى الكفر في هذا الحديث إشارة إلى نقصان إيمانه تغليظاً اهـ، وهو منه وهم حيث ظن أن الإضافة من باب إضافة المصدر إلى فاعله وليس

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٢٦ الحديث رقم ٢٠٦١.

الحديث رقم ٤٨١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١١٠ الحديث رقم ٤٨، ومسلم في ١/ ٨١ الحديث رقم (١١٦ ـ ٦٤)، والترمذي في السنن ٤/ ٣١١ الحديث رقم ١٩٨٣، والنسائي في ٧/ ١٢١ الحديث رقم ٤١٠٥، وابن ماجه في ٢/ ١٢٩٩ الحديث رقم ٣٩٣٩، وأحمد في المسند ١/ ٣٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٣ الحديث رقم ١٠، ومسلم في ١/ ٦٥ الحديث رقم (١٤ ـ ٤٠).

متفق عليه.

٤٨١٥ - (٤) وعن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أيُّما رجلٍ قال لأخيهِ كافرٌ، فقدْ باءَ بها أحدُهما».

كذلك كما قدمناه «لأن سب المسلم وقتاله فسق وكفران سواء يكون كامل الإسلام أم لا». هذا وفي شرح السنة فيه دليل على المرجئة الذين لا يرون الطاعة من الإيمان ويقولون: «إن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية»، فإنه ﷺ أشار بقوله: «قتاله كفر» إلى أن ترك القتال من الإيمان وأن فعله ينقص الإيمان، قلت: قد سبق في أوّل الكتاب ما هو فصل الخطاب في هذا الباب من أن القول الصواب هو أن الأعمال ليست من أصل الإيمان بل من كماله، وأن حقيقة الإيمان وهو التصديق غير قابل للزيادة والنقصان، نعم قد يحصل له قوّة بحسب معرفة الدليل وضعف بفقده، وقد يثمر ثمرته من ظهور الطاعات، وقد لا يثمر، فيقع صاحبه في السيئات والله أعلم بالحالات والمقامات. (متفق عليه). ورواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة وعن سعد، والطبراني عن عبد الله بن مغفل وعن عمرو بن النعمان بن مقرن، والدارقطني في الأفراد عن جابر، وزاد الطبراني في رواية عن ابن مسعود «وحرمة ماله كحرمة دمه».

٤٨١٥ - (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما رجل قال لأخيه: كافر»**) بضم الراء على البناء، فإنه منادي حذف حرف ندائه كما ذكره ميرك ويؤيده ما جاء في رواية بالنداء، وفي بعض النسخ بتنوينه على أنه خبر محذوف تقديره أنت أو هو (**«فقد باء بها»**) أي رجع بأثم تلك المقالة (**«أحدهما»**). وفي النهاية التزمها ورجع بها اهـ. وفي بعض نسخ المصابيح به أي بالكفر وهو أولى، ذكره ابن الملك وفيه بحث، بل الأولى إن معناه رجع بأثم ذلك القول المفهوم من قال: أحدهما، أما القائل إن اعتقد كفر المسلم بذنب صدر منه أو الآخر إن صدق القائل، كذا ذكره بعض الشراح من علمائنا، وقال الطيبي: لأنه إذا قال القائل لصاحبه: يا كافر مثلاً، فإن صدق رجع إليه كلمة الكفر الصادر منه مقتضاها، وإن كذب واعتقد بطلان دين الإسلام رجعت إليه هذه الكلمة، وقال النووي: هذا الحديث مما عده بعض العلماء من المشكلات من حيث إن ظاهره غير مراد، وذلك إن مذهب أهل الحق «أنه لا يكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا وقوله لأخيه كافر من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام»، وإذا تقرر ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه، أحدها أنه محمول على المستحل لذلك فعلى هذا معنى باء بها أي بكلمة الكفر أي رجع عليه الكفر، وثانيها أن معناه رجعت عليه نقيصته ومعصية تكفيره، وثالثها أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين، وهذا ضعيف لأن المذهب

الحديث رقم ٤٨١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥١٤ الحديث رقم ٦١٠٤، ومسلم في ١/ ٧٩ الحديث رقم (١١١ - ٦٠) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٤ الحديث رقم ١ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٤٧.

متفق عليه.

٤٨١٦ ـ (٥) وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوقِ، ولا يرميهِ بالكفرِ إلاَّ ارتدَّتْ عليه إنْ لم يكنْ صاحبُه كذلكَ» رواه البخاري.

٤٨١٧ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دعا رجلاً بالكفرِ، أو قال: عدوَ الله وليسَ كذلكَ، إلاَّ حارَ عليهِ». متفق عليه.

٤٨١٨ ـ (٧)، ٤٨٢٠ ـ (٨) وعن أنس، وأبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال:

الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون: أن الخوارج كسائر أهل البدع لا تكفر، قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا، فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع: قال: وخامسها فقد رجع إليه تكفيره، وليس الراجع حقيقة الكفر بل كفر من هو مثله. قال: لأن كفر من لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام؛ وقال الطيبي: وفي أكثر الوجوه أحدهما محمول على القائل. **(متفق عليه)**. وفي الجامع الصغير «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما». رواه البخاري من أبي هريرة، ورواه أحمد والبخاري عن ابن عمر[(١)].

٤٨١٦ ـ **(وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه»)** أي رجل رجلاً **(بالكفر إلا ارتدت»)** أي رجعت تلك الكلمة من نسبة الفسق أو الكفر **(«عليه»)** أي على القائل أو على أحدهما، والظاهر الأوّل لقوله: **(«إن لم يكن صاحبه»)** أي المقول له: **(«كذلك»)** أي مثل ما قيل له من الفسوق أو الكفر. **(رواه البخاري)**.

٤٨١٧ ـ **(وعنه)** أي عن أبي ذر رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا رجلاً بالكفر»)** أي بأن قال له: «يا كافر» **(«أو قال: عدو الله»)** بالنصب أي يا عدو الله، وفي نسخة عدوّاً لله أي هو أو أنت عدواً لله **(«ليس كذلك»)** أي والحال أنه ليس مثل ما ذكر من كونه كافراً أو عدوّ الله، بل هو مسلم محب لله **(«إلا حار عليه»)** بالحاء المهملة والراء أي رجع عليه ما نسب إليه كذا في النهاية، وقال الطيبي: المستثنى منه محذوف [دال] على جواب الشرط أي «من دعا رجلاً بالكفر باطلاً فلا يلحقه من قوله ذلك شيء إلا الرجوع عليه»، ويجوز أن يكون من استفهامية، وفيه معنى الإنكار أي ما يفعل أحد هذه الفعلة في حالة من الأحوال إلا في هذه الحالة. **(متفق عليه)**.

٤٨١٨ ـ **(وعن أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: قال**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٤ الحديث رقم ٧٧٦.

الحديث رقم ٤٨٩٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٦٤ الحديث رقم ٦٠٤٥، وأحمد في المسند ٥/ ١٨١.

الحديث رقم ٤٨١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٩ الحديث رقم (١١٢ ـ ٦١) وأحمد في المسند ٥/ ١٦٦.

الحديث رقم ٤٨١٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٠ الحديث رقم (٦٨ ـ ٢٥٨٧)، وأبو داود في السنن ٤/ ٢٠٣ الحديث رقم ٤٨٩٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٥.

«المستبَّان ما قالا، فعلى البادىء ما لم يعتد المظلوم». رواه البخاري.

٤٨١٩ ـ (٨) وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصدِّيقٍ أنْ يكونَ لعَّاناً». رواه مسلم.

المستبان) بتشديد الموحدة تثنية اسم الفاعل من باب التفاعل أي المتشاتمان وهما اللذان سب كل منهما الآخر لكن الآخر أراد رد الآخر أو قال شيئاً من معايبه الموجودة فيه، وهو مبتدأ خبره جملة **(«ما قالا:»)** أي اثم قولهما **(«فعلى البادىء»)** أي على المبتدىء فقط، والفاء إما لكون إما شرطية أو لأنها موصولة متضمنة للشرط، ثم البادىء بالهمز، وإنما كان الإثم كله عليه لأنه كان سبباً لتلك المخاصمة، وقيل: إثم ما قالا: للبادىء أكثر مما يحصل للمظلوم **(«ما لم يعتد المظلوم»)** فإن جاوز الحد بأن أكثر المظلوم شتم البادىء وإيذاءه صار إثم المظلوم أكثر من إثم البادىء، وقيل: إذا تجاوز فلا يكون الإثم على البادىء، فقط، بل يكون الآخر آثماً أيضاً باعتدائه، وحاصل الخلاف يرجع إلى خلاف الاعتداء. قال الطيبي: يجوز أن تكون ما شرطية، وقوله: فعلى البادىء جزاؤه أو موصولة فعلى البادىء خبره، والجملة مسببة، ومعناه إثم ما قالاه على البادىء إذا لم يعتد المظلوم، فإذا تعدى يكون عليهما؛ نعم إلا إذا تجاوز غاية الحد فيكون إثم القولين عليه اهـ، وفيه بحث ظاهر، وفي شرح السنة، من أربى الربا من يسب سبتين بسبة» **(رواه مسلم)**. وفي الجامع الصغير بلفظ «المستبان ما قالا، فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم». رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة من غير ذكر أنس(١)، وفي رواية لأحمد والبخاري في الأدب عن عياض بن حمار «المستبان شيطاناً يتهاتران ويتكاذبان» والتهاتر التعالج في القول.

٤٨١٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي»)** أي لا يجوز **(«لصديق»)** بكسر فتشديد أي مبالغ في الصدق، والمراد به المؤمن لقوله تعالى: **﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾** [الحديد ـ ١٩] ولرواية لا ينبغي للمؤمن **(«أن يكون لعاناً»)** أي كثير اللعن وهو الطرد، والمراد به هنا الدعاء بالبعد عن رحمة الله تعالى، وإنما أتى بصيغة المبالغة لأن الاحتراز عن قليله نادر الوقوع في المؤمنين، قال ابن الملك: وفي صيغة المبالغة إيذان بأن هذا الذم لا يكون لمن يصدر منه اللعن مرة أو مرتين، وقال الطيبي: قوله: ولا ينبغي لصديق حكم مرتب على الوصف المناسب وذلك أن هذه الصفة تالية صفة النبوّة وقال تعالى: **﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾** [النساء ـ ٦] والأنبياء إنما بعثوا رحمة للخلق ومقربين للبعيد والطريد إلى الله ورحمته واللاعن طارد لهم وطالب لبعدهم منها فاللعنة منافية له اهـ، وفيه أن مفهوم المخالف المختلف جوازه المعتبر عنده يخالفه. **(رواه مسلم)**.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٠ الحديث رقم ٩١٩٧.

الحديث رقم ٤٨١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٥ الحديث رقم (٨٤ ـ ٢٥٩٧)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٧.

٤٨٢٠ ـ (٩) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللعَّانينَ لا يكونونَ شهداءَ ولا [٣٦٢ ـ أ ـ] شفعاءَ يومَ القيامةِ». رواه مسلم.

٤٨٢١ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذا قال الرجلُ: هلكَ النَّاسُ؛ فهوَ أهلكُهم» رواه مسلم.

٤٨٢٠ ـ **(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن اللعانين لا يكونون شهداء»)** أي على الناس وهم الأمم السالفة بأن رسلهم بلغوا الرسالة إليهم فيحرمون عن هذه المرتبة الشريفة المختصة بهذه الأمة كما قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾ [البقرة ـ ١٤٣] قال الطيبي: المراد بالوسط العدل واللعنة سالبة للعدالة، وقال شارح: لا يكونون شهداء لصيرورتهم فاسقين باللعن على الناس، **(«ولا شفعاء»)** أي ولا تكون لهم مرتبة الشفاعة لأنهم باللعنة أسقطوا مرتبتهم تلك من مراتب الأنبياء والشهداء **(«يوم القيامة»)** ظرف لهما. **(رواه مسلم)**.

٤٨٢١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس»)** أي استوجبوا النار بسوء أعمالهم **(«فهو أهلكهم»)** بضم الكاف ويفتح، ففي النهاية يروى بفتح الكاف وضمها، فمن فتحها كان فعلاً ماضياً، ومعناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس، فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم لا الله تعالى يعني، ولا عبرة بإيجابه لهم، فإن فضل الله واسع ورحمته تعمهم. ثم قال: أو هو الذي لما قال لهم ذلك وآيسهم حملهم على ترك الطاعة والانهماك في المعاصي، فهو الذي أوقعهم في الهلاك، وأما الضم فمعناه أنه إذا قال لهم: فهو أهلكهم أي أكثرهم هلاكاً، وهو الرجل يولع بعيب الناس ويذهب بنفسه عجباً ويرى له فضلاً عليهم، وزاد في شرح السنة أنه روى معنى هذا عن مالك حيث قال: إذا قال ذلك: عجباً بنفسه وتصاغراً للناس فهو المكروه الذي نهى عنه، وأما إذا قال ذلك: تحزناً أو تحذيراً لما يرى في الناس من أمر دينهم فلا أرى به بأساً اهـ. وقيل: المراد به أهل البدع الذين يؤيسون الناس من رحمة الله ويوجبون الخلود بذنوبهم إذا قالوا ذلك في أهل السنة والجماعة، فهم أهلكهم أي هم بهذا الاعتقاد الفاسد أنجس من المؤمن الفاسق. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٤٨٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٦ الحديث رقم (٨٥ ـ ٢٥٩٨) وأحمد في المسند ٦/ ٤٤٨.

الحديث رقم ٤٨٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٤ الحديث رقم (١٣٩ ـ ٢٦٢٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢٦٠ الحديث رقم ٤٩٨٣، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٤ الحديث رقم ٢ من كتاب الكلام وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٢.

٤٨٢٢ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تجدونَ شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوَجهينِ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ». متفق عليه.

٤٨٢٣ ـ (١٢) وعن حُذيفةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنَّةَ قَتَّاتٌ». متفق عليه وفي رواية مسلم: «نمَّام».

٤٨٢٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين»)** أي بقصد الفساد **(«الذي يأتي هؤلاء»)** أي طائفة **(«بوجه وهؤلاء بوجه»)** أي بوجه آخر كالمنافقين والنمامين، وقد قال تعالى: **﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** [النساء ـ ١٤٥] **(متفق عليه)**. هذا مختصر من حديث رواه أحمد والشيخان عنه ولفظه: «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية قبل أن يقع فيه، وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين». الحديث.

٤٨٢٣ ـ **(وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة»)** أي مع الفائزين **(«قتات»)** بفتح القاف وتشديد التاء أي نمام، والنميمة نقل الكلام على وجه الفساد فلا يحتاج إلى ما قاله ابن الملك من أن هذا إذا لم يكن للإصلاح فلو كان له جاز لأنه حينئذ يكون مصلحاً، وقد قال تعالى: **﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾** [النساء ـ ١١٤] وفي النهاية القتات هو النمام، يقال: قت الحديث إذا زوّره وهيأه وسواه، وقيل: النمام هو الذي يكون مع القوم يتحدث فيهم وعليهم، والقتات هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم، قال الشيخ أبو حامد: قيل: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي آثافي الذل، فينبغي أن يبغض النمام ولا يوثق به وبصداقته، حكي أن حكيماً زاره أحد وأخبره عن غيره بخبر، فقال: أبطلت زيارتي ثم أتيتني بثلاث جنايات بغضت إلي أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة. **(متفق عليه. وفي رواية مسلم)** الأولى، وفي رواية لمسلم كما في نسخة **(نمام)**.

الحديث رقم ٤٨٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٧٤ الحديث رقم ٦٠٥٨، ومسلم في ٤/ ٢٠١١ الحديث رقم (١٠٠ ـ ٢٥٢٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٠ الحديث رقم ٤٧٨٢، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٨ الحديث رقم ٢٠٢٥، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩١ الحديث رقم ٢١ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٤٩٥.

الحديث رقم ٤٨٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٧٢ الحديث رقم ٦٠٥٦، ومسلم في ١/ ١٠١ الحديث رقم (١٦٩ ـ ١٠٥)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٠ الحديث رقم ٤٨٧١، والترمذي في ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٦، وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٢.

٤٨٢٤ ـ (١٣) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عليكم بالصِّدقِ فإنَّ الصدْقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصّدْقَ حتى يُكتبَ عندَ اللّهِ صدِّيقاً. وإيَّاكم والكذِبَ، فإنَّ الكذِبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». متفق عليه. وفي رواية لمسلم قال: «إن الصدق بر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار».

٤٨٢٤ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق»)** أي الزموا الصدق وهو الأخبار على وفق ما في الواقع **(«فإن الصدق»)** أي على وجه ملازمته ومداومته **(«يهدي»)** أي صاحبه **(«إلى البر»)** بكسر الباء، وهو جامع الخيرات من اكتساب الحسنات واجتناب السيئات، ويطلق على العمل الخالص الدائم المستمر معه إلى الموت **(«وإن البر يهدي»)** أي يوصل **(«صاحبه إلى الجنة»)** أي مراتبها العالية ودرجاتها الغالية، **(«وما يزال الرجل»)** أي الشخص **(«يصدق»)** أي في قوله وفعله **(«ويتحرى الصدق»)** أي يبالغ ويجتهد فيه **(«حتى يكتب»)** أي يثبت **(«عند الله صديقاً»)** بكسر الصاد وتشديد الدال أي مبالغاً في الصدق، ففي القاموس الصديق من يتكرر منه الصدق حتى يستحق اسم المبالغة في الصدق، وفي الحديث إشعار بحسن خاتمته وإشارة إلى إن الصديق يكون مأمون العاقبة، وقيل: المراد بالكتابة الحكم عليه بذلك وإظهاره للملأ الأعلى وإلقاء ذلك في الأرض **(«وإياكم والكذب»)** بفتح فكسر، وفي نسخة بكسر فسكون، والأوّل هو الأفصح **(«فإن الكذب يهدي إلى الفجور»)** بضم الفاء أي الميل عن الصدق والحق والانبعاث في المعاصي وهو أظهر للمقابلة بالبر، وفي القاموس فجر فسقَ وكذب وعصى وخالف. **(«وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»)** قال النووي: ومعنى يكتب هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، وأما بأن يكتب اسمه بخط المصنفين حتى يوضع له القبول أو البغضاء بقدرة الله سبحانه وتعالى. **(متفق عليه)**. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في الأدب، ومسلم في صحيحه، والترمذي عن ابن مسعود، **(وفي رواية لمسلم قال: «إن الصدق بر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الكذب فجور، وإن الفجور يهدي إلى النار»)**. وفي الجامع الصغير «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى

الحديث رقم ٤٨٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٥٠٧ الحديث رقم ٦٠٩٤، ومسلم في ٤/٢٠١٣ الحديث رقم (١٠٥ ـ ٢٦٠٧) وأبو داود في السنن ٥/ ٢٦٤ الحديث رقم ٤٩٨٩، والترمذي في ٤/ ٣٠٦ الحديث رقم ٥٩٧١، والدارمي في ٢/ ٣٨٨ الحديث رقم ٢٧١٥، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٩ الحديث رقم ١٥، وأحمد في المسند ١/ ٣٩٣.

٤٨٢٥ ـ (١٤)وعن أم كلثوم، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً»

الفجور، وأن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». رواه الشيخان عن ابن مسعود.

٤٨٢٥ ـ (**وعن أم كلثوم**) بضم الكاف، وقد صرح به المغني، وفي نسخة بفتحها، ففي القاموس أم كلثوم كزنبور بنت رسول الله ﷺ اهـ؛ والمراد بها هنا بنت عقبة بن أبي معيط أسلمت بمكة وهاجرت ماشية وبايعت ولم يكن لها بمكة زوج، فلما قدمت المدينة تزوّجها زيد ابن حارثة فقتل عنها في غزوة مؤنة، فتزوّجها الزبير بن العوّام ثم طلقها فتزوّجها عبد الرحمن ابن عوف، فولدت له إبراهيم وحميداً ومات عنها فتزوّجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً وماتت، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه؛ روى عنها ابنها حميد (**قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس الكذاب»**) بالرفع على أنه اسم ليس، وفي نسخة بالنصب على أنه خبرها مقدم على اسمها وهو أظهر دراية لأنه المحكوم به والمحكوم عليه قوله: (**«الذي يصلح بين الناس»**)، ثم الظاهر أن الفعال هنا للنسبة كلبان وتمار أي ذي كذب، كما قيل في قوله تعالى: ﴿**وما ربك بظلام**﴾ [فصلت ـ ٤٦] أي بذي ظلم إذ لا يلزم من نفي المبالغة انتفاء أصل الفعل، والمعنى من كذب ليصلح بين الناس لا يكون كاذباً مذموماً (**«ويقول خيراً»**) أي قولاً متضمناً للخير دون الشر بأن يقول للإصلاح مثلاً بين زيد وعمرو: يا عمرو يسلم عليك زيد ويمدحك ويقول: أنا أحبه، وكذلك يجيء إلى زيد ويبلغه عن عمرو مثل ما سبق (**«وينمي خيراً»**) أي يبلغه ويرفعه إليه؛ هذا وأغرب الطيبي في قوله: اللام في الكذاب إشارة إلى الكذاب المعهود الذي في الحديث السابق ونحوه يعني الكذاب المذموم عند الله تعالى، الممقوت عند المسلمين، ليس من يصلح ذات البين، فإنه محمود عند الله تعالى وعندهم، فعلى هذا يجب أن يكون الكذاب مرفوعاً على أنه اسم ليس، وقوله: الذي يصلح خبره خلافاً لمن زعم أن الكذاب خبر ليس، والذي اسمه اهـ. ووجه غرابته أنه لا يلزم من سبق الحديث السابق في الكتاب صدوره من صدر صدر الأنبياء أو لا في هذا الباب، أو وقوعه عند هذا الخطاب والله أعلم بالصواب. ثم في النهاية يقال: نميت الحديث وأنميته إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة قلت: نميته بالتشديد، هكذا قال أبو عبيد وابن قتيبة وغيرهما من العلماء، قلت: فقوله: خيراً أي حديث خير للتأكيد أو على إرادة التجريد، وقال الحربي: نمى مشددة، وأكثر المحدثين يقولها: مخففة وهذا لا يجوز ورسول الله ﷺ لم يكن يلحن، ومن خفف لزمه أن يقول: خير بالرفع. قال صاحب النهاية: وهذا ليس بشيء فإنه ينتصب بنما كما انتصب بقال وكلاهما على زعمه لازمان، وإنما نمى متعد يقال: نميت الحديث أي رفعته وأبلغته اهـ. وفي القاموس نما ينمو زاد كنمى ينمي نمياً وأنمى ونمى الحديث ارتفع، ونميته

الحديث رقم ٤٨٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٩٩ الحديث رقم ٢٦٩٢، ومسلم في ٤/ ٢٠١١ الحديث رقم (١٠١/ ٢٦٠٥) وأحمد في المسند ٦/ ٤٠٣.

متفق عليه.

٤٨٢٦ ـ (١٥) وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب». رواه مسلم.

ونميته رفعته وعزوته، وأنماه أذاعه على وجه النميمة. **(متفق عليه)**. ولفظ الجامع ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً ويقول: خيراً. رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن أم كلثوم بنت عقبة، والطبراني عن شداد بن أوس[1].

٤٨٢٦ ـ **(وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه)**، قال المؤلف: هو المقداد بن عمرو الكندي وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها، وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه كان في حجره، وقيل: بل كان عبداً فتبناه، وكان سادساً في الإسلام، روى عنه علي وطارق بن شهاب وغيرهما، مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة، **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المداحين»)** أي المبالغين في المدح متوجهين إليكم طمعاً سواء يكون نثراً ونظماً **(«فاحثوا»)** بهمزة وصل وضم مثلثة أي ارموا **(«في وجوههم»)**، وفي نسخة في أفواههم **(«التراب»)** قيل يؤخذ التراب ويرمي به في وجه المداح عملاً بظاهر الحديث، وقيل: معناه الأمر بدفع المال إليهم إذ المال حقير كالتراب بالنسبة إلى العرض في كل باب أي اعطوهم إياه واقطعوا به ألسنتهم لئلا يهجوكم، وقيل: معناه أعطوهم عطاء قليلاً فشبهه لقلته بالتراب، وقيل: المراد منه أن يخيب المادح ولا يعطيه شيئاً لمدحه، والمراد زجر المادح والحث على منعه من المدح لأنه يجعل الشخص مغروراً ومتكبراً. قال الخطابي: المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود يكون منه ترغيباً له في أمثاله وتحريضاً للناس على الاقتداء في أشباهه فليس بمداح؛ وفي شرح السنة قد استعمل المقداد الحديث على ظاهره في تناول عين التراب وحثيه في وجه المادح، وقد يتأول على أن يكون معناه الخيبة والحرمان أي من تعرض لكم بالثناء والمدح فلا تعطوه واحرموه، كني بالتراب عن الحرمان كقولهم: «ما في يده غير التراب»، وكقوله ﷺ: «إذا جاءك يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه تراباً»، وفي الجملة المدح والثناء على الرجل مكروه لأنه قلما يسلم الماحد عن كذب يقوله في مدحه، وقلما يسلم الممدوح من عجب يدخله. **(رواه مسلم)**؛ ورواه أحمد في مسنده، والبخاري في الأدب، وأبو داود والترمذي عن المقداد، والطبراني والبيهقي عن ابن عمر، والحاكم في الكنى عن أنس، ولفظ الجامع الصغير «أحثوا التراب في وجوه المداحين»، رواه الترمذي عن أبي هريرة وابن عدي في الكامل وأبو نعيم في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٧٥٨٤.

الحديث رقم ٤٨٢٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٧ الحديث رقم (٦٩ ـ ٣٠٠٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٨٠٣، والترمذي في ٤/ ٥١٨ الحديث رقم ٢٣٩٣، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٢ الحديث رقم ٣٧٤٢، وأحمد في المسند ٦/ ٥.

٤٨٢٧ ـ (١٦) وعن أبي بكر، قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق أخيك ثلاثاً من كان منكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب فلاناً كذا وكذا والله حسيبه إن كان يرى أنه كذلك ولا يزكي على الله أحد».

الحلية عن ابن عمر؛ وفي رواية ابن ماجه عن المقداد «أحثوا في أفواه المداحين التراب»، وكذلك رواه ابن حبان عن ابن عمر، وكذا ابن عساكر عن عبادة بن الصامت[١].

٤٨٢٧ ـ (**وعن أبي بكرة**) أي الثقفي (**قال: «أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ»**) أي بالغ في مدحه (**«فقال: ويلك»**) الويل بمعنى الهلاك أي هلكت هلاكاً وأهلكت إهلاكاً، وفي نسخة ويحك وهو للشفقة والمرحمة بخلاف الأوّل فإنه للزجر في الموعظة (**«قطعت عنق أخيك»**) بضم عين ونون في جميع النسخ المصححة والأصول المعتمدة، وفي القاموس العنق بالضم وبضمتين وكأمير وصرد الجيد ويؤنث، وإنما كره ذلك لئلا يغتر المقول له فيستشعر الكبر والعجب وذلك جناية عليه، فيصير كأنه قطع عنقه فأهلكه. قال النووي: هذه استعارة من قطع العنق الذي هو القتل لاشتراكهما في الهلاك لكن هذا الهلاك في الدين، وقد يكون من جهة الدنيا (**ثلاثاً**) أي قاله: ثلاث مرات (**من كان منكم**) استئناف لبيان المدح الممدوح (**مادحاً**) أي لأحد (**لا محالة**) بفتح الميم أي البتة، وفي نسخة بضمها. ففي القاموس لا محالة منه بالفتح أي لا بد، والمحال بالضم من الكلام ما عدل عن وجهه، وفي الصحاح لا محالة بالضم بمعنى لا بد أي لا فراق، وبالفتح بمعنى لاحتيال (**فليقل: أحسب فلاناً**) بكسر السين وفتحها أي أظنه (**كذا وكذا**) يعني رجلاً صالحاً مثلاً (**والله حسيبه**) أي محاسبه ومجازيه على أعماله وهو عالم به ومطلع على أحواله، والجملة حال من المفعول وبقية المقول (**إن كان**) شرط لإباحة القول المسطور أي فليقل ما ذكر إن كان القائل المادح (**يرى**) بضم الياء أي يظن، وفي نسخة بفتحها أي يعلم (**أنه**) أي الممدوح (**كذلك**) أي مثل ما مدحه (**ولا يزكي**) أي والحال أن المادح لا يزكي (**على الله**) أي على حكمه من قضائه وقدره (**أحداً**)، والمعنى لا يقطع بتقوى أحد ولا بتزكيته عند الله فإن ذلك غيب، وقيل: عداه بعلى لتضمنه معنى الغلبة لأن من جزم على تزكية أحد عند الله فكأنه غلب عليه في معرفته، هذا ما ظهر لي في حل هذا المحل، وقال الأشرف: والله حسيبه جملة اعتراضية، وقوله: إن كان يرى متعلق بقوله: أحسب فلاناً، وقوله: ولا يزكي على الله أحداً منع عن الجزم وهو عطف على قوله: فليقل اهـ. وفيه أن لا يزكي جاء بإثبات الياء فيحتاج على هذا بأن يقال إخبار في معنى النهي أي ولا يكن منكم التزكية على الله. وقد أبعد بعضهم حيث قال: ولا يزكي عطف على يرى وهو الصواب، وأنت لا يخفى عليك أنه هو الخطأ منه في هذا الباب، ثم لا يخلو كلام الطيبي من الأغراب أيضاً في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢١ الحديث رقم ٢٣٤ و٢٣٥.

الحديث رقم ٤٨٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٥٢ الحديث رقم ٦١٦٢، ومسلم في ٤/ ٢٢٩٦ الحديث رقم (٦٥ ـ ٣٠٠) وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٨٠٥، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٢ الحديث رقم ٣٧٤٤ وأحمد في المسند ٥/ ٤٧.

متفق عليه.

٤٨٢٨ ـ (١٧) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة» قالوا: الله ورسوله أعلم. «قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرايت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» رواه مسلم. وفي رواية «إذا قلت لأخيك ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه

الأعراب حيث قال: إن كان يرى الجملة الشرطية وقعت حالاً من فاعل فليقل؛ وعلى في على الله فيه معنى الوجوب والله أعلم. (**متفق عليه**).

٤٨٢٨ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة**») بكسر الغين المعجمة، قيل: أي أتعلمون ما جواب هذا السؤال («**قالوا: الله ورسوله أعلم**»)، والأظهر أن يقال: أتدرون ما الغيبة التي ذكرها الله في قوله: ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾ [الحجرات ـ ١٢] قالوا: الله ورسوله أعلم يعني ولو علمنا بعض العلم لكن يستفاد منك حقيقة العلم بكل شيء فضلاً عن الغيبة ونحوها. («**قال: ذكرك**») أي أيها المخاطب خطاباً عاماً («**أخاك**») أي المسلم («**بما يكرهه**») أي بما لو سمعه لكرهه. قال النووي: اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشاراً في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس، وذكرك فيه بما يكرهه عام سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو مشيه وحركته وبشاشته وعبوسته وطلاقته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك أو كتابك أو رمزت أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك، وضابطه «إن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة»، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطأطئاً أو على غير ذلك من الهيئات مريداً حكاية هيئة من ينقصه بذلك («**قيل:**») أي قال بعض الصحابة: («**أفرأيت**») أي فأخبرني («**إن كان في أخي**») أي موجوداً («**ما أقول:**») أي من المنقصة، والمعنى أيكون حينئذ ذكره بها أيضاً غيبة كما هو المتبادر من عموم ذكره بما يكره («**قال: إن كان فيه ما تقول**») أي من العيب («**فقد اغتبته**») أي لا معنى للغيبة إلا هذا، وهو أن تكون المنقصة فيه («**وإن لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته**») بفتح الهاء المخففة وتشديد التاء على الخطاب أي قلت عليه البهتان وهو كذب عظيم، يبهت فيه من يقال في حقه. (**رواه مسلم**): وكذا الثلاثة ذكره السيد جمال الدين، والمراد بهم الترمذي وأبو داود والنسائي ولفظهما قيل: «يا رسول الله ما الغيبة؟» قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، وذكره بتمامه على ما حرره ميرك، (**وفي رواية**) المتبادر منه أنها رواية لمسلم وليس كذلك، بل رواية للبغوي في شرح السنة على ما بينه السيد (**إذا قلت لأخيك ما فيه فقد اغتبته، وإذا قلت ما ليس فيه**

الحديث رقم ٤٨٢٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠١ الحديث رقم (٧٠ ـ ٢٥٨٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩١ الحديث رقم ٤٨٧٤، والترمذي في ٤/ ٢٩٠ الحديث رقم ١٩٣٤، والدارمي في ٢/ ١٣٨٧ الحديث رقم ٢٧١٤، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٧ الحديث رقم ١٠ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٤.

فقد بهته».

٤٨٢٩ ـ (١٨) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا فبئس أخو العشيرة فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت عائشة:

فقد بهته»). قال ميرك: هذه الرواية ليست في واحد من الصحيحين وإنما رواها صاحب المصابيح في شرح السنة بإسناده عن أبي هريرة[١] اهـ، وفيه تلويح إلى الاعتراض على صاحب المصابيح حيث ذكر هذه الرواية في الصحاح ومر مراراً الاعتذار عنه بأن ذلك الالتزام إنما هو في الأصول لا في معتضدات الفصول.

٤٨٢٩ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رجلاً)**، قيل: هو عيينة الفزاري، وقيل: مخرمة بن نوفل، ويمكن الجمع بتعدد الواقعة **(استأذن على النبي ﷺ)** أي في الدخول عليه **(فقال: ائذنوا)** بهمزة ساكنة وصلاً، ويجوز إبدالها ياء لكن إذا ابتدىء به يقرأ بهمزة مكسورة وياء ساكنة والذال مفتوحة مطلقاً أي اعطوا الاذن **(له)**، أو اعلموا بالاذن **(فبئس أخو العشيرة)** أي بئس هو من قومه، وفي رواية للبخاري «بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة» من غير شك، وفي الشمائل، «بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة» على الشك، فقيل: يحتمل أن يكون الشك من سفيان، فإن جميع أصحاب المنكدر رووه عنه بدون الشك. قال الطيبي: العشيرة القبيلة أي بئس هذا الرجل من هذه العشيرة، كما يقال: يا أخا العرب لرجل منهم، قال النووي: واسم هذا الرجل عيينة بن حصين ولم يكن أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبي ﷺ أن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف بحاله، وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل على ضعف إيمانه، ووصف النبي ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة من أعلام النبوّة لأنه ظهر كما وصف، **(فلما جلس)** أي بعد دخوله **(تطلق النبي ﷺ في وجهه)** أي أظهر له طلاقة الوجه وبشاشة البشرة، **(وانبسط إليه)** أي تبسم له وألان القول له كما في رواية، وقال شارح: أي جعله قريباً من نفسه. قال النووي: وإنما ألان له القول تألفاً له ولأمثاله على الإسلام، وفيه مداراة من يتقي فحشه وجواز غيبة الفاسق؛ وفي شرح السنة فيه دليل على أن ذكر الفاسق بما فيه ليعرف أمره فيتقي لا يكون من الغيبة»، ولعل الرجل كان مجاهراً بسوء أفعاله «ولا غيبة لمجاهر»، قال النووي: ومن الذين يجوز لهم الغيبة المجاهر بفسقه أو بدعته فيجوز ذكره بما يجهر به ولا يجوز بغيره، **(فلما انطلق الرجل)** أي ذهب **(قالت عائشة:)** لعل هذا نقل بالمعنى ويدل عليه رواية الشمائل عن عروة عن عائشة قالت: «استأذن رجل على رسول الله ﷺ وأنا عنده فقال: بئس ابن العشيرة أو أخو العشيرة ثم أذن له، فألان له القول

---

(١) البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٣٨ الحديث رقم ٣٥٦٠.

الحديث رقم ٤٨٢٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٢ الحديث رقم ٦٠٣٢، ومسلم في ٤/ ٢٠٠٢ الحديث رقم (٧٣ ـ ٥٩١) وأبو داود في السنن ٥/ ١٤٤ الحديث رقم ٤٧٩٢، والترمذي في السنن ٤/ ٣١٦ الحديث رقم ١٩٩٦، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٣ الحديث رقم ٤ من كتاب حسن الخلق.

يا رسول الله قلت له: كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال رسول الله ﷺ: «متى عاهدتني فحاشاً إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره». وفي رواية اتقاء فحشه متفق عليه.

فلما خرج قلت: (**يا رسول الله قلت له: كذا وكذا**). وفي الشمائل قلت له ما قلت، (**ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه**) أي ألنت له القول على ما في الشمائل (**فقال رسول الله ﷺ: متى عاهدتني**) أي وجدتني ورأيتني (**فحاشاً**) أي ذا فحش يعني قائلاً للفحش، وأصل الفحش زيادة الشيء على مقداره، وهذا إنكار على قولها: إنك خالفت بين الغيب والحضور فلم لم تذممه في الحضور كما ذممته في الغيب (**إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة**) استئناف كالتعليل لقوله: متى عاهدتني فحاشاً (**من تركه الناس**)، وفي رواية ودعه الناس كقراءة ما ودعك في الشواذ بالتخفيف، وفيه رد لقول الصرفيين أماتوا ماضي يدع إلا أن يريدوا بإماتته ندرته، فهو شاذ استعمالاً صحيح قياساً، والمعنى من ترك الناس التعرض له (**اتقاء شره**) كيلا يؤذيهم بلسانه وفيه رخصة المداراة لدفع الضرر؛ (**وفي رواية**) أي للشيخين وغيرهما (**اتقاء فحشه**)، وهو مجاوزة الحد قولاً وفعلاً، وقيل: المعنى إنما ألنت له القول لأني لو قلت له في حضوره ما قلته في غيبته لتركني اتقاء فحشي فأكون أشر الناس، قيل: ذلك الرجل كما وصفه النبي ﷺ فإنه ارتد بعد موته ﷺ مع المرتدين وجيء به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله عنه، وفي فتح الباري أن عيينة ارتد في زمن الصديق وحارب ثم رجع وأسلم، وكان يقال له: الأحمق المطاع، كذا فسره به القاضي عياض والقرطبي والنووي، وأخرج عبد الغني من طريق أبي عامر الخزاعي عن عائشة قالت: «جاء مخرمة بن نوفل يستأذن، فلما سمع النبي ﷺ صوته قال: بئس أخو العشيرة». الحديث ذكره القسطلاني في المواهب وقد جمع هذا الحديث كما قاله الخطابي علماً وأدباً، وليس قوله عليه السلام في أمته بالأمور التي يسمهم بها ويضيفها إليهم من المكروه غيبة، وإنما يكون ذلك من بعضهم في بعض، بل الواجب عليه ﷺ أن يبين ذلك ويفصح به ويعرف الناس أمورهم، فإن ذلك من باب النصيحة والشفقة على الأمة، ولكنه لما جبل عليه من الكرم وأعطيه من حسن الخلق أظهر له البشاشة ولم يجبه بالمكروه، وليقتدي به أمته في اتقاء شر من هذا سبيله، وفي مداراته ليسلموا من شره وغائلته؛ وقال القرطبي: فيه جواز غيبة المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة، ثم قال تبعاً للقاضي حسين: والفرق بين المداراة والمداهنة إن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين أو هما معاً وهي مباحة وربما استحسنت، والمداهنة بذل الدين لصلاح الدنيا اهـ. وهذه فائدة جليلة ينبغي حفظها والمحافظة عليها فإن أكثر الناس عنها غافلون وبالفرق بينهما جاهلون، (**متفق عليه**). وفي الجامع الصغير «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ترك اتقاء فحشه»[١]. رواه الشيخان وأبو داود والترمذي، وفي رواية الطبراني في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٨ الحديث رقم ٢٢٨٤.

٤٨٣٠ ـ (١٩) وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»

الأوسط عن أنس بلفظ «من يخاف الناس شره»[١].

٤٨٣٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ كل أمتي معافى)**، هكذا في جميع نسخ المشكاة وهو اسم مفعول من عافاه الله أي أعطاه الله العافية والسلامة من المكروه، وقال النووي في شرح مسلم: معافاة بالهاء في آخره هكذا هو في معظم النسخ والأصول المعتمدة. قال الطيبي: وفي نسخ المصابيح معافى بلا هاء، وعلى هذا ينبغي أن يكتب ألفه بالياء فيكون مطابقاً للفظ كل كما ورد «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢] **(إلا المجاهرون)** بالرفع في جميع نسخ المشكاة. قال التوربشتي: كتب مرفوعاً في نسخ المصابيح وحقه النصب على الاستثناء. قال الأشرف: هو مستثنى من قوله: معافى، وهو في معنى النفي أي كل أمتي لا ذنب عليهم إلا المجاهرون، وأورد الحافظ أبو موسى في مجموعه المغيث إلا المجاهرين بالنصب على الأصل، وهكذا أورده في النهاية. قال الطيبي: والأظهر أن يقال: «كل أمتي يتركون عن الغيبة إلا المجاهرون» كما ورد «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»، والعفو بمعنى الترك وفيه معنى النفي، ونحوه قوله تعالى: **﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾** [التوبة ـ ٣٢] والمجاهرون هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله عليهم منها فيتحدثون. يقال: جهر وجاهر وأجهر أقول قول الأشرف: «كل أمتي لا ذنب عليهم» لا يصح على إطلاقه، بل المعنى «كل أمتي لا يؤاخذون أو لا يعاقبون عقاباً شديداً إلا المجاهرون». وأما ما ذكره الطيبي من التقييد بالغيبة فلا دلالة للحديث عليه ولا عبرة بعنوان الباب كما لا يخفى على أولي الألباب، بل في نفس الحديث [ما] يؤيد ما ذكرناه وهو قوله ﷺ على طريق الاستئناف البياني: **(«وإن من المجانة»)** بفتح الميم وخفه الجيم مصدر مجن يمجن من باب نصر وهي أن لا يبالي الإنسان بما صنع ولا بما قيل له من غيبة ومذمة ونسبة إلى فاحشة، **(أن يعمل الرجل بالليل)** أي مثلاً **(«عملاً»)** أي من أعمال المعصية **(«ثم يصبح»)** بالنصب، وفي نسخة بالرفع أي ثم هو يدخل في الصباح **(«وقد ستره الله»)** أي عمله عن الناس أو ستره ولم يعاقبه في ليله حتى عاش إلى النهار **(«فيقول:»)** بالنصب ويرفع أي فينادي صاحباً له **(«يا فلان عملت البارحة»)** أي في الليلة الماضية **(«كذا وكذا»)** أي من الأعمال السيئة **(«وقد بات»)** أي والحال أن الرجل العاصي دام في ليله **(«يستره ربه»)** أي عن غيره ولم يكشف حاله بالعقوبة **(«ويصبح»)** أي الرجل مع ذلك **(«يكشف»)** خبر يصبح أي يرفع ويزيل **(«ستر الله عنه»)** وهو

---

(١) الجامع الصغير ١/١٣٨ الحديث رقم ٢٢٨٣.

الحديث رقم ٤٨٣٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٨٦ الحديث رقم ٦٠٦٩، ومسلم في ٤/٢٢٩١ الحديث رقم (٥٢ ـ ٢٩٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/٣٨٠ الحديث رقم ٨٩٣.

متفق عليه. وذكر حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله في باب الضيافة.

(الفصل الثاني)

٤٨٣١ ـ (٢٠) عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له قصر في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسط الجنة

بكسر السين بمعنى السترة والحجاب، وفي نسخة بفتحها وهو مصدر، والمقصود غاية الاستغراب؛ ولذا وقع في الكلام نوع من الإطناب **(متفق عليه)**. وفي الجامع الصغير بلفظ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون» وإن من الجهار أن يعمل الرجل[1]. الحديث لكن بدون يا فلان، رواه الشيخان عنه، ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي قتادة ولفظه: «كل أمتي معافى إلا المجاهر الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول: يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا، فيكشف ستر الله عزّ وجلّ». قال المؤلف: **(وذكر حديث أبي هريرة من كان يؤمن بالله)** أي واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت **(في باب الضيافة)** أي في حديث طويل ذكر فيه، وسببه أن صدره مناسب لذلك الباب فيكون إسقاطه هنا للتكرير، فكلامه للاعتذار لكنه متضمن لنوع من الاعتراض.

(الفصل الثاني)

٤٨٣١ ـ **(عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الكذب»)** أي وقت مرائه كما يدل عليه القرينة الآتية ويحتمل الإطلاق والله أعلم. **(وهو باطل)** جملة معترضة بين الشرط والجزاء للتنفير عن الكذب، فإن الأصل فيه أنه باطل أو جملة حالية من المفعول أي والحال أنه باطل لا مصلحة فيه من مرخصات الكذب كما في الحرب أو إصلاح ذات البين والمعاريض، أو حال من الفاعل أي وهو ذو باطل بمعنى صاحب بطلان **(«بني له»)** بصيغة المجهول وله نائبه أي بنى الله له قصراً **(«في ربض الجنة»)** بفتح الراء والموحدة أي نواحيها وجوانبها منْ داخلها لا من خارجها، وأما قول شارح: هو ما حولها خارجاً عنها تشبيهاً بالأبنية التي حول المدن وتحت القلاع، فهو صريح اللغة لكنه غير صحيح المعنى، فإنه خلاف المنقول ويؤدي إلى المنزلة بين المنزلتين حساً، كما قاله المعتزلة معنى، فالصواب أن المراد به أدناها كما يدل عليه قوله: **(«ومن ترك المراء»)** بكسر الميم أي الجدال **(«وهو محق»)** أي صادق ومتكلم بالحق **(«بني له في وسط الجنة»)** بفتح السين ويسكن أي في أوسطها لتركه كسر

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٩١ الحديث رقم ٦٢٧٨ و٦٢٧٩.

الحديث رقم ٤٨٣١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٥ الحديث رقم ١٩٩٣، وابن ماجه في ١/ ١٩ الحديث رقم ٥١، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٨٢ الحديث رقم ٣٥٠٢.

ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن وكذا في شرح السنة وفي المصابيح غريب.

٤٨٣٢ - (٢١) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتدرونَ ما أكثرُ ما يدخلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟ تَقوى اللّهِ، وحُسنُ الخلُقِ. أتدرونَ ما أكثرُ ما يدخلُ الناسَ النَّارَ؟ الأجْوَفانِ: الفمُ والفرْجُ».

قلب من يجادله ودفعه رفعة نفسه وإظهار نفاسة فضله، وهذا يشعر بأن معنى صدر الحديث أن من ترك المراء وهو مبطل، فوضع الكذب موضع المراء لأنه الغالب فيه، أو المعنى أن من ترك الكذب ولو لم يترك المراء بني له في ربض الجنة لأنه حفظ نفسه عن الكذب، لكن ما صانها عن مطلق المراء فلهذا يكون أحط مرتبة منه (**«ومن حسن»**) بتشديد السين أي أحسن بالرياضة (**«خلقه»**) بضمتين ويسكن اللام أي جميع أخلاقه التي من جملتها المراء وترك الكذب (**«بني له في أعلاها»**) أي حساً ومعنى؛ وهذا يدل على أن الخلق مكتسب وإن كان أصله غريزياً، ومنه خبر صحيح «اللهم حسن خلقي كما حسنت خلقي»[1] وكذا خبر مسلم «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت»[2]. قال الإمام حجة الإسلام [حد] المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما لفظاً أو معنى أو في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن**) وتمامه لا يعرف إلا من حديث سلمة بن وردان. قال ميرك نقلاً عن التصحيح، وسلمة تكلم فيه لكن حسن حديثه الترمذي، وللحديث شواهد اهـ. فالحديث حسن لذاته أو لغيره، (**وكذا في شرح السنة**) أي حسن، (**وفي المصابيح غريب**) أي إسناداً لما سبق، وهو لا ينافي كونه حسناً كما قررناه.

٤٨٣٢ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة»**) أي ما أكثر أسباب إدخالهم الجنة مع الفائزين (**«تقوى الله»**) وأقلها التقوى عن الشرك وأعلاها عن خطور ما سوى الله (**«وحسن الخلق»**) أي مع الخلق وأدناه ترك أذاهم، وأعلاه الإحسان إلى من أساء إليه منهم، وفيه مبادرة إلى الجواب حيث يعلم جهل أهل الخطاب وفائدة يراد السؤال أوّلاً إبهام وتفصيل وهما يوجبان إيقاع الكلام وتأثيره في النفوس أكثر (**«أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان»**) أي المجوّفان أو المعتلان الوسط علة معنوية (**«الفم والفرج»**)، لأن المرء غالباً بسببهما يقع في مخالفة الخالق وترك المخالفة مع المخلوق، وبه يظهر الارتباط بين القرينتين من الكلام والله أعلم بحقيقة المرام. وقال الطيبي: قوله: «تقوى الله» إشارة إلى حسن المعاملة مع الخالق بأن يأتي جميع ما أمره به، وينتهي عما

---

(١) أحمد في المسند.
(٢) أحمد في المسند ١/ ١٠٢.

الحديث رقم ٤٨٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٩ الحديث رقم ٢٠٠٤، وابن ماجه في ٢/ ١٤١٨ الحديث رقم ٤٢٤٦، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩١.

رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

٤٨٣٣ ـ (٢٢) وعن بلالِ بن الحارثِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منَ الخيرِ ما يعلمُ مبلغها يكتبُ اللَّهُ له بها رضوانَه إلى يومِ يلقاهُ. [٣٦٢ ـ أ ـ] وإِنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منَ الشرِّ ما يعلمُ مبلغَها يكتبُ اللَّهُ بها عليه سَخَطَهُ إِلى يومِ يلقاهُ».

نهى عنه، وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق، وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما النار، فأوقع الفم والفرج مقابلاً لهما، أما الفم فمشتمل على اللسان وحفظ ملاك أمر الدين كله، وأكل الحلال رأس التقوى كله، وأما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين. قال تعالى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ [المؤمنون ـ ٥] لأن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها على العقل عند الهيجان؛ «ومن ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وصل إلى درجة الصديقين». قال تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ [النازعات ـ ٤٠] وقصة الرشيد في تعليق طلاق زبيدة مع الإمام أبي يوسف مشهورة، ومعنى الأكثرية في القرينتين إن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين هاتين الخلتين، وإن أكثر أسباب الشقاوة السرمدية الجمع بين هاتين الخصلتين. (**رواه الترمذي وابن ماجه**).

٤٨٣٣ ـ (**وعن بلال بن الحارث**)، قال المؤلف في فصل الصحابة: وأبو عبد الرحمن المزني سكن بالاستعراء[١] وراء المدينة، روى عنه ابنه الحارث وعلقمة بن الوقاص، مات سنة ستين وله ثمانون سنة، (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الخير»**) من بيانية (**«ما يعلم»**) أي الرجل (**«مبلغها»**) أي قدر تلك الكلمة ومرتبتها (**«عند الله»**)، والجملة حال أي والحال أنه يظن أنها يسيرة قليلة وهي عند الله عظيمة جليلة (**«يكتب الله»**) أي يثبت ويديم (**«له بها رضوانه»**) بكسر الراء وبضم أي رضاه، وهو يحتمل أن يكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله والأول أظهر لمقابلة القرينة الآتية (**«إلى يوم يلقاه»**) بكسر الميم في أكثر النسخ وبفتحها في بعضها، وبالتنوين في بعضها، والضمير البارز في يلقاه يحتمل أن يكون إلى اليوم، والمستتر إلى الرجل ويمكن عكسه تجوّزاً، ويمكن أن يكون أحد الضميرين إلى الله والآخر إلى الرجل، فتأمل. (**«وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يعلم مبلغها يكتب الله بها سخطه»**) أي غضبه (**«إلى يوم يلقاه»**) قال ابن عيينة: هي الكلمة عند السلطان، فالأولى ليرده بها عن ظلم، والثانية ليجره بها إلى ظلم، وقال ابن عبد البر: لا أعلم خلافاً في تفسيرها بذلك، نقله السيوطي. قال الطيبي: فإن قلت: ما معنى قوله: «يكتب الله بها رضوانه، وما

الحديث رقم ٤٨٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٨٤ الحديث رقم ٢٣١٩، وابن ماجه في ٢/ ١٣١٢ الحديث رقم ٣٩٦٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٥ الحديث رقم ٥ من كتاب الكلام، والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣١٤ الحديث رقم ٢١٢٤، وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

(١) في المخطوطة «الأشعري».

رواه في «شرح السنة». وروى مالك، والترمذي، وابن ماجه نحوَه.

٤٨٣٤ ـ (٢٣) وعن بَهْزِ بن حكيم، عن أبيهِ، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «وَيْلٌ لمن يُحدِّثُ فيكذبُ ليُضحكَ به القومَ»،

فائدة التوقيت إلى يوم يلقاه» قلت: معنى كتبه رضوان الله توفيقه لما يرضي الله تعالى من الطاعات والمسارعة إلى الخيرات فيعيش في الدنيا حميداً وفي البرزخ يصان من عذاب القبر ويفسح له قبره، ويقال له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويحشر يوم القيامة سعيد، ويظله الله تعالى في ظله، ثم يلقى بعد ذلك من الكرامة والنعيم المقيم في الجنة ثم يفوز بلقاء الله. ما كل ذلك دونه، وفي عكسه قوله: يكتب الله بها عليه سخطه، ونظيره قوله تعالى لإبليس: **﴿إن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾** [ص ـ ٧٨] **(رواه في شرح السنة)** أي بهذا اللفظ، **(وروى مالك والترمذي وابن ماجه نحوه)** أي بمعناه، وفي الجامع الصغير رواه مالك وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن بلال بن الحارث مرفوعاً ولفظه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه يوم القيامة، وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة». وفي الأحياء، وكان علقمة يقول: وكم من كلام مَنَعنيهِ حديثُ بلال بن الحارث[1].

٤٨٣٤ ـ **(وعن بهز)** بفتح موحدة وسكون هاء فزاي **(ابن حكيم)** تابعي، قال المصنف: قد اختلف العلماء فيه؛ روى عنه جماعة ولم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما شيئاً منه، وقال ابن عدي ولم أر حديثه منكراً، **(عن أبيه)** أي حكيم بن معاوية القشيري البصري قال البخاري: في صحبته نظر، روى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم وقتادة، **(عن جده)** أي معاوية ابن حيدة بفتح حاء مهملة فسكون تحتية ودال مهملة لم يذكره المؤلف. **(قال: قال رسول الله ﷺ: «ويل»)** أي هلاك عظيم أو واد عميق في جهنم **(«لمن يحدث»)** أي لمن يخبر الناس **(«فيكذب»)** أي لا يصدق في تحديثه وإخباره **(«ليضحك»)** بضم أوله وكسر حائه **(«به»)** أي بسبب تحديثه أو الكذب **(«القوم»)** بالنصب على أنه مفعول ثان هكذا في النسخ، ويجوز فتح الياء والحاء ورفع القوم، ثم المفهوم منه أنه إذا حدث بحديث صدق ليضحك القوم فلا بأس به، كما صدر مثل ذلك عن عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ حين غضب على بعض أمهات المؤمنين؛ قال الغزالي: وحينئذ ينبغي أن يكون من قبيل مزاح رسول الله ﷺ فلا يكون إلا حقاً ولا يؤذي قلباً ولا يفرط فيه، فإن كنت أيها السامع تقتصر عليه أحياناً وعلى الندور فلا حرج عليك، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة، ويواظب عليه، ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل رسول الله ﷺ، فهو كمن يدور مع الزنوج أبداً لينظر إلى رقصهم، ويتمسك بأن

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٢١ الحديث رقم ١٩٧٣.

الحديث رقم ٤٨٣٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٥ الحديث رقم ٤٩٩٠، والترمذي في ٤/ ٤٨٣ الحديث رقم ٢٣١٥ والدارمي في ٢/ ٣٨٢ الحديث رقم ٢٧٠٢، وأحمد في المسند ٥/ ٥.

ويلٌ له، ويلٌ له». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والدارميُّ.

٤٨٣٥ ـ (٢٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ العبدَ ليقولُ الكلمةَ لا يقولُها إِلاَّ ليُضحكَ به الناسَ، يهْوي بها أبعد ما بينَ السماءِ والأرضِ، وإِنَّه ليزِلُّ عن لسانه أشدَّ ممَّا يزِلُّ عن قدمِه». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

رسول الله ﷺ أذن لعائشة رضي الله عنه في النظر إليهم وهم يلعبون». (**«ويل له، ويل له»**) إنما أعاده مرتين للتأكيد أو أولها للبرزخ وثانيها للموقف، وثالثها للنار. (**رواه أحمد والترمذي**) أي وقال: حسن اهـ. وقد تكلم بعضهم في بهز ووثقه جماعة، ذكره ميرك (**وأبو داود والدارمي**) وكذا النسائي والحاكم[١].

٤٨٣٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد»**) أي الشخص (**«ليقول الكلمة»**) أي الكاذبة (**«لا يقولها إلا ليضحك به الناس»**) أي بتلفظها، أو المراد بها الكلام على أنها كلمة لغوية، والمستثنى من أعم عام الغرض (**«يهوي»**) بفتح الياء وكسر الواو أي يسقط في جهنم (**«بها»**) أي بسببها (**«أبعد»**) أي هوياً وسقوطاً أبعد (**«مما بين السماء والأرض»**)، وفي نسخة، «أبعد ما بين السماء والأرض»، وقيل: معناه يبعد بها عن الخير والرحمة بعداً أبعد ما بينهما، (**«وإنه»**) أي العبد، والمراد به الجنس، فلا يرد أن المعرفة إذا أعيدت تكون عين الأول فتأمل. (**«ليزل»**) بفتح اللام والياء وكسر الزاي وتشديد اللام أي ليعثر ويزلق ويخطأ (**«عن لسانه»**) أي عن جهته ومن قبله وبسببه (**«أشد»**) أي زللاً أقوى وأكثر (**«مما يزل عن قدمه»**)، والمعنى أن صدور الكذب ونحوه عن لسانه أضر عليه من ضرر سقوطه عن رجله على وجهه، فإن الضرر البدني أهون من الضرر الديني. قال الطيبي: قوله: وإنه ليزل عن لسانه تمثيل بعد تمثيل مثلاً أوّلاً مضرته في جاهه، وسقوطه من منزلته عند الله تعالى بمن سقط من أعلى مكان إلى أدناه، ثم مثل ثانياً مضرته بها في نفسه وما يلحقه من المشقة والتعب بمن يتردد في وحل عظيم فيدحض قدماه في تلك المزالق قلما يتخلص منها. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**). قال ميرك ناقلاً عن التصحيح، ورواه أحمد في مسنده من طريق مكحول عن أبي هريرة، ورواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا اللفظ من طريق يحيى بن أبي عبيد عن أبيه عن أبي هريرة[٢]، قلت: وفي الجامع الصغير بلفظ «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب». رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة، وفي رواية للترمذي وابن ماجه والحاكم عنه بلفظ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار». وفي رواية أحمد عن أبي سعيد ولفظه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً ليضحك بها القوم وأنه ليقع بها أبعد من السماء»[٣].

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/٤٦.

الحديث رقم ٤٨٣٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/٢١٣ الحديث رقم ٤٨٣٢.

(٢) البغوي في شرح السنة ١٤/٣١٩ الحديث رقم ٤١٣١.

(٣) الجامع الصغير ١/١٢٦ الحديث رقم ٢٠٦١.

٤٨٣٦ ـ (٢٥) وعن عبد اللَّهِ بن عمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صمتَ نجا». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨٣٧ ـ (٢٦) وعن عُقْبَةَ بن عامرٍ، قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: ما

٤٨٣٦ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من صمت»)** أي سكت **(«عن الشر نجا»)** أي فاز وظفر بكل خير أو نجا من آفات الدارين. قال الراغب: الصمت أبلغ من السكوت لأنه قد يستعمل فيما لا قوّة له للنطق[١] وفيما له قوّة النطق، ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت يقال: لما له نطق فيترك استعماله. وقال الغزالي: اعلم أن ما ذكره ﷺ من فصل الخطاب وجوامع الكلم وجواهر الحكم ولا يعرف أحد ما تحت كلماته من بحار المعاني الأخواص العلماء، وذلك إن خطر اللسان عظيم وآفاته كثيرة من الخطأ والكذب والنميمة والغيبة والرياء والسمعة والنفاق والفحش والمراء، وتزكية النفس والخوض في الباطل وغيرها، ومع ذلك النفس مائلة إليها لأنها سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه، ولها حلاوة في النفس، وعليها بواعث من الطبع والشيطان، فالخائض فيها قلما يقدر على أن يزم اللسان فيطلقه بما يجب وكفه عما لا يجب، ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغة للفكر والعبادة والذكر، والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في العقبى. وقد قال تعالى ما يلفظ من قول **﴿إلا لديه رقيب عتيد﴾** [ق ـ ١٨] ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محضر، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم لا ضرر فيه ولا منفعة، أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا نفي بالضرر، وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران ظاهراً فلا يبقى إلا القسم الرابع وفيه خطر إذ قد يمتزج به ما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً يخفي مدركه فيكون الإنسان به مخاطراً اهـ. وحاصله أن آفات اللسان غير محصورة، وفي الصمت خلاص منها. وقد قيل: «اللسان جرمه صغير وجرمه كبير وكثير» **(رواه أحمد والترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان)**.

٤٨٣٧ ـ **(وعن عقبة بن عامر)** أي الجهني **(قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: ما**

الحديث رقم ٤٨٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٩ الحديث رقم ٢٥٠١، والدارمي في ٢/ ٣٨٧ الحديث رقم ٢٧١٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٤ الحديث رقم ٤٩٨٣، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٧.

(١) في المخطوطة من «النطق».

الحديث رقم ٤٨٣٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٣ الحديث رقم ٢٤٠٦، وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٩.

النَّجاةُ؟ فقال: «أَمِلكْ عليكَ لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ». رواه أحمد، والترمذي.

٤٧٣٨ ـ (٢٧) وعن أبي سعيدٍ، رفعَه، قال: «إذا أصبحَ ابنُ آدمَ، فإنَّ الأعضاءَ

النجاة»؟) أي ما نجاة هذا الأمر حتى نتعلق به، أو ما الخلاص عن الآفات حتى أحترس به، **(«فقال: أملك عليك لسانك»)** بفتح الهمزة وكسر اللام أي احفظ لسانك عما ليس فيه خير كما قاله شارح، والأظهر أن معناه أمسك لسانك حافظاً عليك أمورك مراعياً لأحوالك، ففيه نوع من التضمين. وفي النهاية أي لا تجره إلا بما يكون لك لا عليك اهـ. وهو حاصل المعنى كما لا يخفى، وعن بعضهم أي «اجعل لسانك مملوكاً لك فيما عليك وياله وتبعته فامسكه عما يضرك وأطلقه فيما ينفعك» اهـ. وهو ناظر إلى أن الصيغة من الثلاثي المجرد، ففي القاموس ملكه يملكه ملكاً مثلثة احتواه قادراً على الاستبداد به، وأملكه الشيء وملكه إياه تمليكاً بمعنى لكن النسخ المصححة والأصول المعتمدة بصيغة المزيد مضبوطة؛ نعم كتب ميركشاه على هامش كتابه الظاهر «إملك» بكسر الهمزة من الثلاثي المجرد فإنه متعد، لكن في الأصل صحح من الثلاثي المزيد فيه وليس بظاهر تأمل، قلت: لعل الزيادة لزيادة المبالغة في التعدية فتدبر هذا وقد قال الطيبي هذا الجواب من أسلوب الحكيم سئل عن حقيقة النجاة فأجاب عن سببه لأنه أهم بحاله وأولى، وكان الظاهر أن يقول: حفظ اللسان، فأخرجه على سبيل الأمر الذي يقتضي الوجوب مزيداً للتقرير والاهتمام اهـ، وما فيه من التكلف لا يخفى، بل من التعسف في حق الصحابي فإنه جعل العدول عن معرفته حقيقة النجاة بالنسبة إليه أولى، فالصواب أن تقدير السؤال ما سبب النجاة بقرينة الجواب وقد أشرنا فيما تقدم إلى تقدير آخر والله أعلم. **(«وليسعك»)** بكسر اللام ويسكن **(«بيتك»)** بأن تسكن فيه ولا تخرج منه إلا لضرورة ولا تضجر من الجلوس فيه، بل تجعله من باب الغنيمة، فإنه سبب الخلاص من الشر والفتنة، ولذا قيل: «هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة إلى أن يموت». قال الطيبي: الأمر في الظاهر وارد على البيت، وفي الحقيقة على المخاطب أي تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار **(«وابك على خطيئتك»)** أي ابك إن تقدر وإلا فتباك نادماً على معصيتك فيما سبق من أيام حياتك. قال الطيبي: ضمن بكى معنى الندامة وعداه بعلى أي اندم على خطيئتك باكياً. **(رواه أحمد والترمذي)**؛ وروى ابن قانع والطبراني عن الحارث بن هشام صدر الحديث فقط وهو «أملك عليك لسانك».

٤٨٣٨ ـ **(وعن أبي سعيد)** أي الخدري **(رفعه)** أي أسند الحديث إلى النبي ﷺ وإنما أبهمه الراوي لأنه شك في كيفية رفعه أنه هل هو بصيغة السمع أو القول ونحوهما **(قال: «إذا أصبح ابن آدم»)** أي دخل في الصباح وهو مفتاح باب النجاح [لأن آفات اللسان إنما هي بمعاشرة الإخوان وهي في النهار أكثر باعتبار أغلب الأزمان] **(«فإن الأعضاء»)** أي التي يتأتى

الحديث رقم ٤٨٣٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٣ الحديث رقم ٢٤٠٧، وأحمد في المسند ٣/ ٩٦.

كلَّها تكفِّرُ اللسانَ، فنقولُ: اتقِ اللَّهَ فينا، فإنا نحنُ بكَ، فإنِ استقمتَ استقمْنا، وإنِ اعوججْتَ اعوَججْنا». رواه الترمذي.

منها العصيان أو مطلقها فإن لها تعلقاً ما في الحركات والسكنات للإنسان، ويؤيده تأكيدها بقوله: («**كلها تكفر**») بتشديد الفاء المكسورة أي تتذلل وتتواضع («**للسان**»)، من قولهم: كفر اليهودي إذا خضع مطأطأ رأسه وانحنى لتعظيم صاحبه، كذا قاله شارح، وفي النهاية التكفير هو أن ينحني الإنسان ويطأطىء رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه («**فتقول**»:) أي الأعضاء («**اتق الله فينا**») أي في حفظ حقوقنا («**فإنما نحن بك**») أي نتعلق ونستقيم ونعوج بك» («**فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»). قال الطيبي: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»، قلت: اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم كما في قولك: «شفى الطبيب المريض». قال الميداني: في قوله: المرء بأصغر به يعني بهما القلب واللسان أي يقوم ويكمل معانيه بهما وأنشد لزهير:

وكأن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

اهـ ولا يخفى ظهور نوقف صلاح الأعضاء وفسادها على القلب بحسب صلاحه وفساده فإنه معدن الأخلاق الكريمة كما أنه منبع الأحوال الذميمة، ونظيره الملك المطاع، والرئيس المتبع، فإنه إذا صلح المتبوع صلح التبع. وقد قال بعض أكابر الصوفية: «إن البطن عضوان جاع هو شبع سائر الأعضاء» يعني سكن فلا يطالبك بشيء، «وإن شبع هو جاع سائر الأعضاء»، وبيانه على ما في منهاج العابدين أن في كثرة الأكل فتنة الأعضاء وانبعاثها للفضول والفساد، فالرجل إذا كان شعبان بطراً اشتهت عينه النظر إلى ما لا يعنيه من حرام أو فضول، والاذن الاستماع إليه واللسان التكلم به والفرج الشهوة والرجل المشي إليه، وإذا كان جائعاً فتكون الأعضاء كلها ساكنة هادية لا تطمْح إلى شيء من هذا ولا تنشط له. وجملة الأمر إن أفعال الرجل وأقواله على حسب طعامه وشرابه، «إن دخل الحرام خرج الحرام، وإن دخل الفضول خرج الفضول كأن الطعام بذر الأفعال، والأفعال نبت يبدو منه»، فهذا المعنى ظاهر جداً في أمر القلب والبطن، وأما تعلق الأعضاء جميعها باللسان فلم يظهر لي مدة من الزمان حتى ألهمني الله تعالى ببركة الصلاة على نبيه ﷺ وهو أن اللسان من أعضاء الإنسان آله البيان للكفر والإيمان، فمع استقامته تنفعه استقامة سائر الأعضاء، ومع اعوجاجه تبطل أحوالها سواء تكون مستقيمة أو معوجة في أفعالها والله الملهم بالصواب وإليه المرجع والمآب. (**رواه الترمذي**)، وكذا ابن خزيمة والبيهقي.

٤٨٣٩ ـ (٢٨) وعن عليِّ بن الحسينِ [رضي اللّهُ عنهما] قال قال: رسولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنِيه».

٤٨٣٩ ـ **(وعن علي بن الحسين)** أي ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو الإمام زين العابدين وقد سبق بعض مناقبه من جملة محاسن مراتبه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء»)** أي من جملة محاسن إسلام الشخص وكمال إيمانه **(«تركه ما لا يعنيه»)** أي ما لا يهمه ولا يليق به قولاً وفعلاً ونظراً وفكراً، «فحسن الإسلام عبارة عن كماله، وهو أن تستقيم نفسه في الاذعان لأوامر الله تعالى ونواهيه والاستسلام لأحكامه على وفق قضائه وقدره فيه وهو علامة شرح الصدر بنور الرب ونزول السكينة على القلب وحقيقة ما لا يعنيه ما لا يحتاج إليه في ضرورة دينه ودنياه، ولا ينفعه في مرضاة مولاه بأن يكون عيشه بدونه ممكناً وهو في استقامة حاله بغيره متمكناً، وذلك يشمل الأفعال الزائدة والأقوال الفاضلة، فينبغي للمرء أن يشتغل بالأمور التي يكون بها صلاحه في نفسه في أمر زاده بإصلاح طرفي معاشه ومعاده، وبالسعي في الكمالات العلمية والفضائل العملية التي هي وسيلة إلى نيل السعادات الأبدية والفوز بالنعم السرمدية»؛ ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى: **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾** [المؤمنون ـ ٣] قال الغزالي: وحد ما لا يعنيك أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه ولم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مآل ومثاله أن تجلس مع قوم فتحكي معهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم، فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر، وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى، فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك إذ تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت زمان الكلام في الذكر والفكر ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى ما يعظم جدواه، ولو سبحت الله بنى لك بها قصراً في الجنة، ومن قدر على أن يأخذ كنزاً من الكنوز فأخذ بدله بدرة لا ينتفع بها كان خاسراً خسراناً مبيناً، وهذا على فرض السلامة من الوقوع في كلام المعصية وأنى تسلم من الآفات التي ذكرناها. وذكر أن بعض العارفين مر على غرفة بنيت فقال: «مذ كم بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه وقال: يا نفسي المغرورة تسألين عما لا يعنيك؟ وعاقبتها بصوم سنة» وقد ورد في الحديث ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها على ما رواه الطبراني عن معاذ مرفوعاً، فطوبى لمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾** [الحشر ـ ١٩] قال الأوزاعي: كتب إلينا [عمر بن] عبد العزيز: أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن

الحديث رقم ٤٨٣٩: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٣ الحديث رقم ٣ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ١/ ٢١١.

رواه مالك، وأحمد.

٤٨٤٠ ـ (٢٩) ورواه ابنُ ماجه، عن أبي هريرة.

٤٨٤١ ـ (٣٠) والترمذيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان» عنهما.

عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه، وقيل: ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة، وكان إذا أصبح وضع قرطاساً نقياً وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء. هذا وعن بعضهم من في قوله: «من حسن إسلام المرء» تبعيضية، ويجوز أن تكون بيانية، اهـ وبيانه أن تركه ما لا يعنيه هو حسن إسلام المرء وكماله فيه، وتقديم الخبر لكون التركيب من باب على التمرة مثلها زبداً. قال الطيبي: وعلى أن تكون تبعيضية إشارة إلى قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1]. الحديث بعد الإيمان والإسلام وأنت تعلم أن التحلية مسبوقة بالتخلية، فالترك بعض من الاحسان، فيكون إشارة إلى الانسلاخ عما يشغله عن الله، فإذا أخذ السالك في السلوك تجرد بحسب أحواله ومقاماته شيئاً فشيئاً مما لا يعنيه إلى أن يتجرد عن جميع أوصافه، ويتوجه بكليته إلى الله سبحانه، وإليه يلمح قوله تعالى: ﴿**بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن**﴾ [البقرة ـ ١١٢] وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾ [البقرة ـ ١٣١] قال النووي: هذا أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. قال أبو داود: وهي أربعة الأوّل حديث نعمان بن بشير الحلال بين والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهن»، الثاني «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، الثالث «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، الرابع «الأعمال بالنيات»، وقيل بدل الثالث: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس». وأنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه في معناه:

عمدة الخير عندنا كلمات ... أربع قالهن خيراً لبريه
اتق الشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملن بنيه

قلت: مدار الأربعة السنية على تصحيح النية، فإنه إذا عمل بالنية المرتبطة بحسن الطوية يورث له اتقاء الشبهات أكلاً وترك ما لا يعنيه قولاً وفعلاً ويترتب عليها الزهد في الدنيا والزهد فيما في أيدي الناس بالأولى، فيحب المؤمنين ويحبونه لله تعالى، فنية المؤمن خير من عمله كما ورد في حديث، وقد جعلت في شرحه رسالة تعين مبانيه وتبين معانيه. **(رواه مالك وأحمد)** أي عن علي بن الحسين.

٤٨٤٠ ـ **(ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة)**.

٤٨٤١ ـ **(والترمذي)** أي في جامعه، **(والبيهقي في شعب الإيمان عنهما)** أي عن علي

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١١٤ الحديث رقم ٥٠، ومسلم في ١/ ٤٠ الحديث رقم (٧/ ١٠).

الحديث رقم ٤٨٤٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٥ الحديث رقم ٣٩٧٦.

الحديث رقم ٤٨٤١: أخرجه الترمذي في السنن، ٤/ ٢٨٣ الحديث رقم ٢٣١٧، و٢٣١٨ والبيهقي في =

٤٨٤٢ ـ (٣١) وعن أنسٍ، قال: توفيَ رجلٌ منَ الصَّحابةِ. فقال رجلٌ: أبشرْ بالجنَّةِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أوَ لا تدري، فلعلَّه تكلَّم فيما لا يعنِيه، أو بخِلَ بما لا ينقصُه» [٣٦٣ ـ ب ـ].

وأبي هريرة معاً، أما في حديث واحد أو في حديثين والله أعلم. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والطبراني عن الحسين بن علي، والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، والحاكم في الكنى عن أبي بكر، والشيرازي عن أبي ذر، والحاكم في تاريخه عن علي بن أبي طالب، والطبراني في الصغير عن زيد بن ثابت، وابن عساكر عن الحارث بن هشام[١]. قال المؤلف: هو علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا الحسن المعروف بزين العابدين من أكابر سادات أهل البيت ومن أجلة التابعين وأعيانهم اهـ، فكان حقه أن يقول في آخر الحديث أو أوّله مرسلاً، ويمكن أن يكون عن أبيه ساقطاً أو وقع تغيير بتقديم وتأخير من أحد من الرواة أو المصنفين، وأصله عن الحسين بن عليّ على ما نقلناه عن الجامع والله أعلم، ثم رأيت كلام ميرك حيث قال: حديث «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». رواه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، قال: وحدثنا قتيبة عن مالك عن الزهري علي بن الحسين عن النبي ﷺ: «أن من حسن إسلام المرء» الخ. قال: وهكذا روى غير واحد من أصحاب الزهري عنه عن علي بن الحسين نحو حديث مالك قال: وهذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة اهـ، كلام الترمذي وطريقه عن أبي سلمة عن أبي هريرة جيدة، وقال النووي: حديث حسن، قال الشيخ الجزري وقال جماعة من الحفاظ: الصواب أنه عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ مرسل، كذا قاله أحمد وابن معين والبخاري وغيرهم، وكذا رواه مالك عن الزهري عن علي بن الحسين، ذكره المنذري والله أعلم.

٤٨٤٢ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: توفي رجل من الصحابة فقال رجل: أبشر بالجنة، فقال رسول الله ﷺ: أو لا تدري)** بفتح الواو على أنها عاطفة على محذوف أي تبشر ولا تدري أو تقول هذا ولا تدري ما تقول، أو على أنها للحال أي والحال أنك لا تدري، وفي نسخة بسكونها وهي رواية، فأو عاطفة على مقدر أيضاً أي أتدري أنه من أهلها أو لا تدري، والمعنى بأي شيء علمت ذلك؟ أو كيف دريت ما لم يدر غيرك؟ **(فلعله تكلم فيما لا يعنيه)** أي فيما يضره ولا ينفعه **(أو بخل بما لا ينقصه)** أي مما لا يغنيه فيما يجب عليه بذله من العبادات المالية أو المسائل العلمية أو إعطاء الماعون بالعارية، والضمير المنصوب للرجل، والمرفوع لما قال الغزالي؟ وفي حديث آخر «أن النبي ﷺ فقد كعباً فسأل عنه فقالوا: مريض، فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال: أبشر يا كعب، فقالت أمه: هنيأ لك الجنة يا كعب، فقال: من هذه المتألية على الله، قال: هي أمي يا رسول الله قال: وما يدريك يا أم

= شعب الإيمان ٤/ ٢٥٥ الحديث رقم ٤٩٨٧ و٤٩٨٦.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٣ الحديث رقم ٨٢٤٣.

الحديث رقم ٤٨٤٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٣ الحديث رقم ٢٣١٦.

رواه الترمذي.

٤٨٤٣ ـ (٣٢) وعن سُفيانَ بن عبدِ الله الثَّقفيِّ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! ما أخوَفُ ما تخافُ عَلَيَّ؟ قال: فأخَذَ بِلِسانِ نفسِه وقال: «هذا».

كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه»[1]، ومعناه أنه «إنما تتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان مباحاً، فلا تتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب، فإنه نوع من العذاب». **(رواه الترمذي)** ورجاله رجال الصحيحين إلا سليمان بن عبد الجبار البغدادي شيخ الترمذي، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، كذا في التصحيح وقال المنذري: رواه الترمذي، وقال: غريب اهـ. ورواته ثقات، وروى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى عن أنس أيضاً قال: «استشهد منا رجل يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيأ لك يا بني الجنة فقال النبي ﷺ: ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»، وروى أبو يعلى أيضاً والبيهقي عن أبي هريرة قال: «قتل رجل على عهد رسول الله ﷺ شهيداً فبكت عليه أمه وقالت: واشهيداه فقال النبي ﷺ: وما يدريك أنه شهيد، لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه». وفقنا الله لما يعنينا ومن سوى مرضاته يغنينا.

٤٨٤٣ ـ **(وعن سفيان بن عبد الله)** أي ابن ربيعة **(الثقفي)**، قال المؤلف: يكنى أبا عمرو يعد في أهل الطائف له صحبة، وكان عاملاً لعمر بن الخطاب على الطائف، وقال الجزري: وقع في بعض نسخ المصابيح سعيد بن عبد الله الثقفي، والصواب سفيان بن عبد الله **(قال: قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ)** ما الأولى استفهامية مبتدأ خبره أخوف وهو اسم تفضيل بني للمفعول نحو أشهد وألوم وأشعل، وما الثانية مضاف إليه لأخوف وهي موصولة والعائد محذوف أي أي شيء أخوف أشياء تخاف منها عليّ؛ وقال الطيبي: ما في ما تخاف يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة وأن تكون مصدرية على طريقة جد جده وجن جنونه وخشيت خشيته **(قال:)** أي سفيان **(فأخذ)** أي النبي ﷺ **(بلسان نفسه)** الباء زائدة لمزيد التعدية **(وقال: هذا)** هو مبتدأ أو خبر، والمعنى هذا أكثر خوفي عليك منه، قال في الأحياء: وإنما أسند ﷺ شدة خوفه على أمته في سائر الأخبار إلى اللسان لأنه أعظم الأعضاء عملاً إذ ما من طاعة ومعصية إلا وله فيها مجال، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجي من شره إلا أن يقيد بلجام الشرع، وعلم ما يحمد إطلاق اللسان فيه أو يذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير

---

(١) الخطيب ذكره في كنز العمال ٣/ ٦٤١ الحديث رقم ٨٢٩٥.

الحديث رقم ٤٨٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٤ الحديث رقم ٢٤١٠، وابن ماجه في ٢/ ١٣١٤ الحديث رقم ٣٩٧٢ والدارمي في ٢/ ٣٨٦ الحديث رقم ٢٧١١، وأحمد في المسند ٣/ ٤١٣.

رواه الترمذيُّ، وصحَّحَه.

٤٨٤٤ ـ (٣٣) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذا كذبَ العبدُ تباعدَ عنه الملَكُ ميلاً منْ نتنِ ما جاءَ به». رواه الترمذي.

٤٨٤٥ ـ (٣٤) وعن سُفيان بن أسدٍ الحضرميِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كَبُرتْ خيانةً أن تحدِّثَ أخاكَ حديثاً هوَ لكَ بهِ مصدِّقٌ وأنتَ به كاذبٌ».

لكن على ما يسره الله يسير. **(رواه الترمذي وصححه)**، قال ميرك: ورواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم[١]، وقال: صحيح الإسناد.

٤٨٤٤ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك»)** أي الحفظة، وفي بعض النسخ لفظ عنه مؤخر (**«ميلاً»**) وهو ثلث الفرسخ أو قطعة من الأرض أو مد البصر، وذكره ابن الملك (**«من نتن ما جاء به»**) أي عفونته، وهو بفتح النون وسكون التاء في القاموس هو ضد الفرح، والمعنى من نتن شيء جاء ذلك الشيء بالنتن أي من نتن الكذب أو جاء العبد به والباء للتعدية. **(رواه الترمذي)**. وفي الجامع الصغير بلفظ: «إذا كذب العبد كذبة» الخ. رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية[٢].

٤٨٤٥ ـ **(وعن سفيان بن أسد)** بفتحتين، وفي نسخة صحيحة بل هي الأصح أسيد بفتح فكسر فتحتية ساكنة **(الحضرمي)**، زاد المؤلف في أسمائه الشامي روى عنه جبير بن نفير حديثه في الحمصين[٣] ذكره المؤلف في الصحابة وقال: أسيد بفتح الهمز وكسر السين وهو الأكثر، والثانية بضم الهمزة، والثالثة بفتح الهمزة والسين وحذف الياء **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كبرت»)** بضم الموحدة أي عظمت (**«خيانة»**) تمييز (**«إن تحدث أخاك»**) فاعل كبرت، قال شارح: انثه باعتبار التمييز إذ هو فاعل معنى، وقيل: بتأويل الخصلة أو الفعلة، وقال الطيبي: أنت الفعل له باعتبار المعنى لأنه يعني التحديث نفس الخيانة وفيه معنى التعجب كما في قوله تعالى: ﴿**كبر مقتاً عند الله**﴾ [الصف ـ ٣] الكشاف، هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه، فإنه قصد في كبر التعجب من غير لفظه، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله اهـ كلامه، والمعنى جناية عظيمة منك إذا حدثت أخاك المسلم (**«حديثاً هو لك به مصدق وأنت به»**) أي له كما في رواية (**«كاذب»**) أي بحديث كذب وهو يعتمد عليك ويثق بقولك، وظن بك أنك مسلم لا

---

(١) أخرجه ابن حبان في ١٣/ ٧ الحديث رقم ٥٧٠٠.

الحديث رقم ٤٨٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٠٧ الحديث رقم ١٩٧٢.

(٢) أخرجه في الجامع الصغير ١/ ٥٨ الحديث رقم ٨٤٠.

الحديث رقم ٤٨٤٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٥٤ الحديث رقم ٤٩٧١.

(٣) في المخطوطة «الحصين».

رواه أبو داود.

٤٨٤٦ ـ (٣٥) وعن عمَّارٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كانَ ذا وَجْهينِ في الدنيا، كانَ له يومَ القيامةِ لسانانِ منْ نارٍ». رواه الدارمي.

٤٨٤٧ ـ (٣٦) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: رسولُ الله ﷺ: قال: «ليسَ المؤمنُ الطعَّانِ ولا باللعَّانِ، ولا الفاحشِ، ولا البذِيءِ» رواه الترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان». وفي أخرى له: «ولا الفاحشِ البذيءِ». وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريبٌ.

تكذب فيصدقك، والحال أنك كاذب. **(رواه أبو داود)**، وكذا البخاري في الأدب عنه، ورواه أحمد والطبراني عن النوّاس.

٤٨٤٦ ـ **(وعن عمار)** أي ابن ياسر **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان ذا وجهين في الدنيا»)**، قيل: المراد به من يرى نفسه عند شخص أنه من جملة محبيه وناصحيه وهو يحدث في غيبته بماسويه، وقيل: المعنى مع كل واحد من عدوّين كأنه صديقه، ويظن أنه ناصر له، ويذم هذا عند ذلك وذلك عند هذا. **(«كان له يوم القيامة لسانان من نار». رواه الدارمي)**، وكذا رواه أبو داود لكن بلفظ «من كان له وجهان» الخ، وقال ميرك نقلاً عن المنذري: حديث عمار رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه، وقال العراقي: حديث عمار «من كان له وجهان» البخاري في كتاب الأدب المفرد، وأبو داود بسند حسن.

٤٨٤٧ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن»)** أي الكامل **(«بالطعان»)** أي عياباً للناس **(«ولا اللعان»)**، ولعل اختيار صيغة المبالغة فيها لأن الكامل قل أن يخلو عن المنقصة بالكلية **(«ولا الفاحش»)** أي فاعل الفحش أو قائله، وفي النهاية أي من له الفحش في كلامه وفعاله قيل: أي الشاتم، والظاهر أن المراد به الشتم القبيح الذي يقبح ذكره **(«ولا البذيء»)** بفتح موحدة وكسر ذال معجمة وتشديد تحتية، وفي نسخة بسكونها وهمزة بعدها، وهو الذي لا حياء له كما قاله بعض الشراح، وفي النهاية البذاء بالمد الفحش في القول، وهو بذيء اللسان، وقد يقال: بالهمز وليس بكثير اهـ، فعلى هذا يخص الفاحش بالفعل لئلا يلزم التكرار أو يحمل على العموم، والثاني يكون تخصيصاً بعد تعميم لزيادة الاهتمام به لأنه متعد، وقد يقال: عطف تفسير ولا زائدة ويؤيده الرواية الآتية. **(رواه الترمذي)** أي في جامعه، **(والبيهقي في شعب الإيمان، وفي أخرى)** أي وفي رواية أخرى للبيهقي **(«ولا الفاحش البذيء»، وقال الترمذي: هذا حديث غريب)**. قال ميرك ورجاله رجال الصحيحين

الحديث رقم ٤٨٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩١ الحديث رقم ٤٨٧٣، والدارمي في ٢/ ٤٠٥ الحديث رقم ٢٧٦٤.

الحديث رقم ٤٨٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٠٨ الحديث رقم ١٩٧٧، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٥ والبيهقي في الشعب ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ٥١٤٩.

٤٨٤٨ ـ (٣٧) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يكونُ المؤمنُ لعَّاناً». وفي رواية: «لا ينبغي للمؤمنِ أنْ يكونَ لعَّاناً». رواه الترمذيُّ.

٤٨٤٩ ـ (٣٨) وعن سمُرةَ بن جُندبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تلاعَنوا لعنةِ الله، ولا بغضبِ الله، ولا بجهنم». وفي رواية «ولا بالنار». رواه الترمذي، أبو داود.

٤٨٥٠ ـ (٣) وعن أبي الدرداءِ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ العبدَ إذا لعن شيئاً صَعِدتْ اللعنةُ إلى السَّماءِ،

سوى محمد بن يحيى شيخ الترمذي وثقه ابن حبان والدارقطني، وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه[١].

٤٨٤٨ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكون المؤمن»)** أي الكامل **(«لعاناً»)** أي كثير اللعن وإن كان قد يتبادر منه أحياناً، **(وفي رواية «لا ينبغي للمؤمن»)** أي مطلقاً **(أن يكون لعاناً. رواه الترمذي)**.

٤٨٤٩ ـ **(وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تلاعنوا»)** بحذف إحدى التاءين **(«بلعنة الله»)** أي لا يلعن بعضكم بعضاً فلا يقل أحد لمسلم معين: عليك لعنة الله مثلاً **(«ولا بغضب الله»)** بأن يقول: غضب الله عليك **(«ولا بجهنم»)** بأن يقول: لك جهنم أو مأواك. **(وفي رواية «ولا بالنار»)** بأن يقول: أدخلك الله النار أو النار مثواك. وقال الطيبي: أي لا تدعوا الناس بما يبعدهم الله من رحمته، إما صريحاً كما تقولون: لعنة الله عليه أو كناية كما تقولون: عليه غضب الله أو أدخله الله النار، فقوله: لا تلاعنوا من باب عموم المجاز لأنه في بعض أفراده حقيقة وفي بعضه مجاز، وهذا مختص بمعين لأنه يجوز اللعن بالوصف الأعم كقوله: ﴿**لعنة الله على الكافرين**﴾ أو بالأخص كقوله: «لعنة الله على اليهود» أو على «كافر معين مات على الكفر كفرعون وأبي جهل». **(رواه الترمذي وأبو داود)**، وكذا الحاكم ولفظهم: «ولا بالنار» على ما في الجامع[٢].

٤٨٥٠ ـ **(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت»)** بكسر العين أي طلعت اللعنة وكأنها تتجسد **(«إلى السماء»)** أي جهة العلوّ

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٧٥٨٤.

الحديث رقم ٤٨٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٦.

الحديث رقم ٤٨٤٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١١ الحديث رقم ٤٩٠٦، والترمذي في ٤/ ٣٠٨ الحديث رقم ١٩٧٦، وأحمد في المسند ٥/ ١٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ الحديث رقم ٩٨٦٣.

الحديث رقم ٤٨٥٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١١ الحديث رقم ٤٩٠٥.

فتغلق أبواب السماءِ دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثمَّ تأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعَن، فإن كان لذلك أهلاً، وإلاَّ رجعت إلى قائلها». رواه أبو داود.

٤٨٥١ ـ (٤٠) وعن ابنِ عبَّاسٍ، أن رجلاً نازعتهُ الريحُ رداءه فلعنها. فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنها [٣٦٤ ـ أ ـ] فإنها مأمورةٌ، وإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعتِ اللعنةُ عليه». رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٨٥٢ ـ (٤١) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلّغني

(«فتغلق أبواب السماء») بصيغة المجهول من الإغلاق لأن غلق الباب لثغة أو لغة رديئة في أغلقه ـ على ما في القاموس. نعم يجوز تشديد لامه، ومنه قوله تعالى: ﴿وغلقت الأبواب﴾ [يوسف ـ ٢٣] («دونها») أي قدام اللعنة («ثم تهبط») بكسر الموحدة أي تنزل («إلى الأرض») أي جهة السفل («فتغلق أبوابها») أي أبواب طبقاتها (دونها) أي عند ظهور اللعنة («ثم تأخذ يميناً وشمالاً») أي تميل إلى جهتي اليمين واليسار مما بين السماء والأرض فيمنعان دونها. قال ابن الملك: صعود اللعنة وهبوطها وأخذها يميناً وشمالاً تصوير أن فعله ههنا كالمتردد الذي لا يجد سبيلاً («فإذا لم تجد مساغاً») بفتح الميم أي مدخلاً وطريقاً من ساغ الشراب في الحلق دخل فيه بسهولة («رجعت إلى الذي لعن») بصيغة المجهول («فإن كان») أي الملعون («لذلك») أي لما ذكر من اللعنة («أهلاً») جزاء الشرط محذوف تقديره لحقته ونفذت فيه» («وإلا») أي وإن لم يكن أهلاً بأن كان مظلوماً («رجعت إلى قائلها»)، فإنه المستحق لها وأهلها. (رواه أبو داود) أي وسكت عليه وأقره المنذري، ورجاله موثوقون، نقله ميرك عن التصحيح.

٤٨٥١ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلاً نازعته الريح») أي جاذبته («رداءه فلعنها، فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنها فإنها مأمورة») أي بأمر مّا أو المنازعة من خاصيتها ولوازم وجودها إعادة أو فإنها مأمورة حتى بهذه المنازعة أيضاً ابتلاء لعباده وهو الأظهر («وأنه») أي الشأن («من لعن شيئاً ليس») أي ذلك الشيء («له») أي اللعن («بأهل») أي بمستحق («رجعت اللعنة عليه») أي على اللاعن لأن اللعنة، وكذا الرحمة تعرف طريق صاحبها. (رواه الترمذي وأبو داود)، وكذا ابن حبان في صحيحه[1]، ذكره ميرك.

٤٨٥٢ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغني») بتشديد

الحديث رقم ٤٨٥١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٢ الحديث رقم ٤٩٠٨، والترمذي في ٤/ ٣٠٩، الحديث رقم ١٩٧٨.

(١) أخرجه ابن حبان ١٣/ ٥٥ الحديث رقم ٥٧٤٥.

الحديث رقم ٤٨٥٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٨٣ الحديث رقم ٤٨٦٠ والترمذي ٥/ ٦٦٧ الحديث رقم ٣٨٩٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٩٦.

أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئاً، فإني أُحِبُّ أنْ أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصَّدرِ». رواه أبو داود.

٤٨٥٣ ـ (٤٢) وعن عائشةَ، قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حسبك من صَفيَّةَ كذا وكذا ـ تعني قصيرةً ـ فقال: «لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَ بها البحر لمزجَتْهُ».

اللام ويخفف، وهو نفي بمعنى النهي، وفي نسخة بالجزم أي لا يوصلني («أحد من أصحابي») بيان لأحد («عن أحد») أي عن قبل أحد منهم أو من غيرهم من المسلمين («شيئاً») أي مما أكرهه وأغضب عليه، وهو عام في الأفعال والأقوال بأن شتم أحداً وآذاه أو قال فيه خصلة سوء («فإني أحب أن أخرج إليكم») أي من البيت والاقيكم («وأنا سليم الصدر») أي من مساويكم جملة حالية. قال ابن الملك: والمعنى أنه ﷺ يتمنى أن يخرج من الدنيا وقلبه راض عن أصحابه من غير سخط على أحد منهم، وهذا تعليم للأمة أو من مقتضيات البشرية. (رواه أبو داود).

٤٨٥٣ ـ (وعن عائشة رضي الله عنه قالت: «قلت للنبي ﷺ: حسبك من صفية») أي من عيوبها البدنية («كذا وكذا») كناية عن ذكر بعضها، وهو كذا في جميع نسخ المشكاة، وقيل: هذا تحريف في كتاب المصابيح والصواب حسبك من صفية أنها كذا وكذا («تعني») أي تريد عائشة بقولها: كذا وكذا («قصيرة») أي كونها قصيرة، قال شارح: قولها: كذا إشارة إلى شبرها. قلت: الظاهر من تكرار كذا تعدد نعتها، فلعلها قالت بلسانها: أنها قصيرة وأشارت بشبرها أنها في غاية من القصر، فأرادت التأكيد بالجمع بين القول والفعل والله أعلم. («فقال: لقد قلت كلمة») أي طويلة عريضة ومرة نتنة عند أرباب الحواس الكاملة («لو مزج») بصيغة المجهول أي لو خلط («بها») أي على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعاً («البحر») أي ماؤه («لمزجته») أي غلبته وغيرته، قال القاضي: المزج الخلط والتغيير بضم غيره إليه، والمعنى أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرته وغزارته، فكيف بأعمال قذرة خلطت بها، وقال التوربشتي: قد حرفت ألفاظ هذا الحديث في المصابيح، والصواب لو مزجت بالبحر لمزجته، قال الطيبي: قد ورد هذا الحديث كما في المصابيح، والمتن في نسخة مصححة من سنن أبي داود، ولعل التخطئة من أجل الدراية لا الرواية إذ لا يقال: مزج بها البحر بل مزجت بالبحر، ويمكن أن يقال: إن المزج والخلط يستدعيان الامتزاج والاختلاط، وكل من الممتزجين يمتزج بالآخر يعني مع قطع النظر عن الكثرة والقلة والمائعية والجامدية، وإن كان الأصل هو الفصل عند أرباب الفضل، ثم قال: قال تعالى: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ [يونس ـ ٢٤] قال الكشاف: وكان حق اللفظ «فاختلط بنبات الأرض»، ووجه صحته أن كل واحد منهما موصوف بصفة صاحبه على أن هذا التركيب أبلغ لأنه حينئذ من باب عرضت الناقة على الحوض أقول: فيه أبحاث، أما أوّلاً فينبغي أن تكون الدراية تابعة للرواية، فتخطئة المحدثين ليس من شأن أرباب العناية فلا بد من تنبيه نبيه وتوجيه وجيه بعد ثبوت هذا

الحديث رقم ٤٨٥٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٢ الحديث رقم ٤٨٧٥، والترمذي في ٤/ ٥٧٠ الحديث رقم ٢٥٠٢، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٩.

رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

٤٨٥٤ ـ (٤٣) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحْشُ

اللفظ ممن أوتي، جوامع الكلم وبدائع الحكم، وأما ثانياً فقوله: يقال: مزجت بالبحر لا مزج بها سببه أنه ينسب القليل إلى الكثير لا عكسه عرفاً وعادة وإن جاز لغة، فإنه يقال: اختلط اللبن بالماء وعكسه تفاضلاً وتساوياً فنقول: في الحديث الشريف إشارة لطيفة إلى أن هذه الكلمة منك ولو كانت صغيرة وقليلة عندك فهي عند الله كبيرة وكثيرة بحيث لو مزج بها البحر بأجناسها وأصنافها وأنواعها ووسعها من طولها وعرضها وعمقها لغلبته، وهذا من البلاغة غاية مبلغها، وفي البليغ من الزجر نهاية حدها ومنتهاها، وأما ثالثاً فقول الكشاف في قوله تعالى: **﴿فاختلط به نبات الأرض﴾** [الكهف ـ ٤٥] حق اللفظ، فاختلط نبات الأرض خطأ فاحش لأنه ليس المعنى على أنه اختلط بالماء نبات الأرض إذ ليس تحته طائل، بل الصواب أن الباء للسببية وأن المختلط هو بعض نبات الأرض ببعضه، وتوضيحه أن المطر سابق وجوده على تحقق النبات على ما أشار إليه، فاء التعقيبية في قوله تعالى: **﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾** [يونس ـ ٢٤] الآية فكيف يتصوّر اختلاطهما[1]، وأما رابعاً فقوله: إنه من باب عرضت الناقة على الحوض ممنوع ومدفوع بأن العرض إنما يكون على أرباب التمييز، فبهذه القرينة يعرف أن الكلام مقلوب بخلاف ما نحن فيه، فإن بكل من الطرفين قابلية الخلط على ما بيناه، فإن قلت: لعل صاحب الكشاف أراد اختلاط أثر ماء المطر بما ينبت به الأرض من الحبة مثلاً قلت: الظاهر أن هذا مطمح نظره ومطلع فكره لكنه يرده قوله تعالى: **﴿فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾** [الكهف ـ ٤٥] إذ تعقيبية الأصباح المذكور، إنما هو عند حصول اختلاط النبات بعضها ببعض لاحين اختلاط الماء بالحب والنوى كما لا يخفى، ومما يدل صريحاً على كون الباء للسببية قوله تعالى: **﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾** [الأنعام ـ ٩٩] ثم رأيت الكشاف اختار ما اخترناه وحرر ما حررناه حيث قال: فالتفت بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً ثم قال: وقيل: نجمع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفاً، وكان حق اللفظ على هذا التفسير «فاختلط بنبات الأرض»، ووجه صحته إن كلاً من المختلطين موصوف بصفة صاحبه. اهـ كلامه. فالاعتراض يحول إلى ما قيل، ويتوجه عليه أيضاً من جهة تحريره وتوجيهه وتقريره، ويبين أن نقل الطيبي محمول على تقصيره، ثم لا يخفى ما فيه من الدسيسة الاعتزالية في قوله: وحق اللفظ مع سوء الأدب بالنسبة إلى الآية القرآنية والله ولي دينه وناصر نبيه. **(رواه أحمد والترمذي وأبو داود)**.

٤٨٥٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش»)** أي القبيح

---

(١) في المخطوطة «اختلافهما».

الحديث رقم ٤٨٥٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٠٧ الحديث رقم ١٩٧٤، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٥، وأحمد في المسند ٣/ ١٦٥.

في شيءٍ إلا شأنَهُ، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زانَهُ». رواه الترمذي.

٤٨٥٥ ـ (٤٤) وعن خالدِ بن معدانَ، عن معاذٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عيَّرَ أخاه بذنبٍ لم يمتْ حتى يَعْمَلَهُ» ـ يعني من ذنب قد تاب منه ـ. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل، لأنَّ خالداً لم يُدرك معاذ بن جبل.

٤٨٥٦ ـ (٤٥) وعن واثلةَ،

من الكلام (**«في شيء»**) أي في أمر من الأمور (**«إلا شأنه»**) أي عيبه الفحش، والأظهر أن المراد بالفحش العنف لما في رواية عبد بن حميد والضياء عن أنس أيضاً «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شأنه»، (**«وما كان الحياء في شيء إلا زانه»**) أي زينه. قال الطيبي: قوله: في شيء فيه مبالغة أي لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لزانه أو شأنه فكيف بالإنسان اهـ؟ ويمكن أن يكون المراد بشيء شيء يتصور فيه الفحش والحياء، فكأنه قال: ما كان في أحد. (**رواه الترمذي**). قال ميرك: وإسناده صحيح، وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه لكن بزيادة قط بعد كل من قوله: في شيء(١).

٤٨٥٥ ـ (**وعن خالد بن معدان**) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين يكنى أبا عبد الله الشامي الكلاعي من أهل حمص قال: لقيت سبعين رجلاً من الصحابة، وكان من ثقات الشاميين مات بالطرطوس سنة أربع ومائة كذا ذكره المؤلف. (**عن معاذ**) بضم الميم وهو ابن جبل عند الإطلاق (**قال: قال رسول الله ﷺ: «من عير»**) بتشديد التحتية أي وبخ ولام، (**«أخاه»**) أي المسلم (**«بذنب»**) أي صدر منه سابقاً أو على طريق الشماتة (**«لم يمت حتى يعمله»**) أي مثل ذنبه (**«يعني»**) أي يريد النبي ﷺ التعيير (**«من ذنب قد تاب منه»**). قال ميرك: هذا التفسير منقول عن الإمام أحمد، (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل لأن خالداً لم يدرك معاذ بن جبل**) قلت: وكان معاذاً ليس من السبعين الذين أدركهم، ولعل سببه أنه مات سنة ثماني عشرة وإلا فالمعاصرة تكفي في صحة الاتصال عند الجمهور واعتباراً للقي إنما هو عند البخاري ومن تبعه، وفي الأحياء قال أعرابي لرسول الله ﷺ: «أوصني! فقال: عليك بتقوى الله، وإن امرؤ عيرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك»، قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي، قيل: اسمه جابر بن سليم وقيل: سليم بن جابر.

٤٨٥٦ ـ (**وعن واثلة**) بكسر المثلثة وهو ابن الأسقع الليثي أسلم والنبي ﷺ متوجه إلى

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٦ الحديث رقم ٧٩٦٣

الحديث رقم ٤٨٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧١ الحديث رقم ٢٥٠٥.

الحديث رقم ٤٨٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧١ الحديث رقم ٢٥٠٦.

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشماتةَ لأخيكَ فيرحمُهُ الله ويبتليكَ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

٤٨٥٧ ـ (٤٦) وعن عائشةَ [رضي الله عنها] قالت: قال النبيُّ ﷺ: «ما أُحِبُّ أنّي حَكيتُ أحداً وأنَّ لي كذا وكذا». رواه الترمذي وصحَّحه.

٤٨٥٨ ـ (٤٧) وعن جُنْدُبٍ، قال: جاءَ أعرابيٌّ، فأناخَ راحِلَتَهُ، ثمَّ عقَلَها ثمَّ دخلَ

تبوك ويقال: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصفة ومات ببيت المقدس وهو ابن مائة سنة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تظهر الشماتة»**) أي الفرح ببلية عدوّك (**«لأخيك»**) أي لأجل أخيك المسلم الذي وقع في بلية دينية أو دنيوية بدنية أو مالية (**«فيرحمه الله»**) بالنصب على جواب النهي، وفي نسخة بالرفع وهو الملائم لمراعاة السجع في عطف قوله: «ويبتليك»، والمعنى يرحمه رغماً لأنفك (**«ويبتليك»**) حيث زكيت نفسك ورفعت منزلتك عليه ونحوه قوله ﷺ: في قول من قال لصاحبه «والله لا يغفر الله لك أبداً، فقال الله تعالى للمذنب: أدخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: تستطيع أن تحظر عن عبدي رحمتي»[1]. الحديث (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب**). وفي الأحياء بلفظ «فيعافيه الله ويبتليك». قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع، وفي رواية ابن أبي الدنيا «فيرحمه الله».

٤٨٥٧ ـ (**وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: «ما أحب»**) أي ما أود (**«إني حكيت أحداً»**) أي فعل أحد، والمعنى ما أحب أن أتحدث بعيب أحد قولياً أو فعلياً (**«وإن لي كذا وكذا»**) أي ولو أعطيت كذا وكذا من الأشياء بسبب ذلك الحديث، كذا قاله شارح، أو حكيت بمعنى حاكيت، ففي النهاية أي فعلت مثل فعله، يقال: حكاه وحاكاه وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة قلت: فيحمل حكيت على الحسن فيفيد المبالغة. قال الطيبي: وإن لي كذا وكذا جملة حالية واردة على التتميم والمبالغة أي ما أحب أن أحاكي أحداً واو أعطيت كذا وكذا من الدنيا اهـ، وفيه أن الأصول المعتمدة على فتح أن، والظاهر أنه معطوف على ما سبق من قوله: «إني»، والمعنى إني ما أحب الجمع بين المحاكاة حصول كذا وكذا من الدنيا وما فيها بسبب المحاكاة، فإنها أمر مذموم. قال النووي: ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مطأطأ رأسه أو غير ذلك من الهيئات كما مر. (**رواه الترمذي وصححه**). وفي الجامع الصغير عنها بلفظ «ما أحب أني حكيت إنساناً» الخ. رواه أبو داود والترمذي[2].

٤٨٥٨ ـ (**وعن جندب**) مر ذكره رضي الله عنه (**قال: «جاء أعرابي»**) أي واحد من الأعراب وهم سكان البادية من العرب (**«فأناخ راحلته ثم عقلها»**) أي قيدها (**«ثم دخل**

---

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٢٣.

الحديث رقم ٤٨٥٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧ الحديث رقم ٢٥٠٣، وأحمد في المسند ٦/ ١٢٨.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٧٧ الحديث رقم ٧٧٨٦.

الحديث رقم ٤٨٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٨ الحديث رقم ٤٨٨٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣١٢.

المسجدَ فصلَّى خلفَ رسولِ الله ﷺ، فلما سلَّم أتي راحِلَتَه فأَطْلَقَها، ثمَّ رَكِبَ، ثمَّ نادى: اللَّهمَّ ارحمني ومحمَّداً ولا تشرِكْ في رَحمَتِنا أحداً. فقال رسولُ الله ﷺ: «أتقولون هو أضلُّ أم بعيره؟ ألم تسمعوا إلى ما قال؟» قالوا: بلى. رواه أبو داود.

وذُكر حديث أبي هريرة «كفى بالمرءِ كذباً» في «باب الاعتصام» في الفصل الأول.

الفصل الثالث

٤٨٥٩ ـ (٤٨) عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا مُدِحَ الفاسِقُ غضِبَ الرَّبُّ تعالى، واهتزَّ [٣٦٤ ـ ب ـ] لهُ العرشُ».

المسجد فصلى خلف رسول الله ﷺ فلما سلم») أي من الصلاة أو عليه عليه السلام **(«أتي راحلته فأطلقها ثم ركب ثم نادى»)** أي رفع صوته بقوله: **(«اللهم ارحمني ومحمداً ولا تشرك في رحمتنا أحداً، فقال رسول الله ﷺ: أتقولون»)** في النهاية أي أتظنون **(«هو أضل أم بعيره»)** أي أجهل **(«ألم تسمعوا إلى ما قال»)** فيه تنبيه على أنه يستحق أن يقال في حقه ما قال **(«قالوا: بلى»)** وقال الطيبي: أيدور هذا الترديد في ظنكم ولا يقول: ما قال إلا جاهل بالله وسعة رحمته حيث يحجر الواسع. **(رواه أبو داود)**، ورجاله رجال الصحيحين إلا أبا عبد الله الجشمي الراوي عن جندب لم يرو له غير أبي داود ولم يتكلم فيه أحد. كذا نقله ميرك عن التصحيح، وفي الحصن للجزري ومن جملة آداب الدعاء أن لا يتحجر. رواه البخاري وأبو داود وابن ماجه. قال ميرك: كلهم من حديث أبي هريرة «إن أعرابياً دخل المسجد فصلى فيه ثم دعا فقال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا، فقال النبي ﷺ: لقد تحجرت واسعاً». قال صاحب النهاية: أي ضيقت ما وسعه الله فخصصت به نفسك دون غيرك. **(وذكر حديث أبي هريرة «كفى بالمرء كذباً»)** تمامه أن يحدث بكل ما سمع **(في باب الاعتصام في الفصل الأول)**، كان الأولى أن يقول في الفصل الأوّل من باب الاعتصام ثم في تحويله من هذا الباب المناسب له أيضاً بل الأنسب، فإنه يفيد المعنى الأعم من كون الكذب في حديثه ﷺ أو في حديث غيره بكل ما سمع من غير تثبت خلاف الصواب كما لا يخفى على أولي الألباب، فالاعتذار المتضمن للاعتراض مردود عليه.

(الفصل الثالث)

٤٨٥٩ ـ **(عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مدح الفاسق»)** بأن قال له: يا سيد مثلاً **(«غضب الرب تعالى»)** أي على المادح **(«واهتز له»)** أي لأجل مدحه، وفي رواية لذلك **(«العرش»)** أي وكاد أن يتحرك ويندك من هيبة أثر عظمة سخطه سبحانه،

الحديث رقم ٤٨٥٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٣٠ الحديث رقم ٤٨٨٦.

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨٦٠ ـ (٤٩) وعن أبي أمامةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُطبَعُ المؤمِنُ على الخِلالِ كلِّها إلا الخيانةَ والكذبَ».

ونظيره قوله تعالى: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً إن دعوا للرحمن ولداً﴾ [مريم ـ ٩٠] وقال الطيبي: اهتزاز العرش عبارة عن وقوع أمر عظيم وداهية دهياء لأن فيه رضا بما فيه سخط الله وغضبه، بل يقرب أن يكون كفراً لأنه يكاد أن يفضي إلى استحلال ما حرمه الله تعالى، وهذا هو الداء العضال لأكثر العلماء والشعراء والقراء المرائين في زماننا، هذا وإذا كان هذا حكم من مدح الفاسق فكيف بمن مدح الظالم وركن إليه ركوناً، وقد قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾ [هود ـ ١١٣] الكشاف. النهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زمرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين «عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً وقد أنقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه، وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ [آل عمران ـ ١٨٧] واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغيّ بدونك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين أدناك، اتخذوك قطباً يدور عليك رحى باطلهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمرو لك في جنب ما أخربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ [مريم ـ ٥٩] فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فَدَاوِ دينَكَ فقد دخله السقم وهيىء زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام». **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**، وكذا رواه أبو يعلى الموصلي وابن أبي الدنيا في الصمت وإسناده ضعيف، ذكره ميرك، وكذا رواه ابن عدي عن بريدة.

٤٨٦٠ ـ **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي **(قال: قال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن»)** بصيغة المفعول أي يخلق ويجبل **(«على الخلال»)** أي الخصال زنة ومعنى **(«كلها»)** أي جميع الأخلاق الذميمة لأن الكلام فيها أو الأعم منها **(«إلا الخيانة والكذب»)** بنصبهما أي غيرهما، فإن المؤمن يخلق ويجبل على الصدق والأمانة كما هو مقتضى التصديق والإيمان، ولذا قال تعالى بصيغة الحصر ﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾ [النحل ـ ١٠٥]

الحديث رقم ٤٨٦٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٢.

رواه أحمد.

٤٨٦١ ـ (٥٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سعد بن أبي وقَّاصٍ.

٤٨٦٢ ـ (٥١) وعن صفوان بن سليم، أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جَباناً؟ قال: «نعم». فقيل له: أيكون المؤمنُ بخيلاً؟ قال: «نعم». فقيل: أيكون المؤمنُ كذاباً؟ قال: «لا». رواه مالك والبيهقي في «شعب الإيمان» مرسلاً.

أي الكاملون في الكذب أو المجبولون عليه وقال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، على ما رواه أحمد والبيهقي عن أنس، فما يصدر عن المؤمن من الكذب والخيانة فهو من الأمور العارضة لطبيعته لا من أصل خلقته وجبلته، ويمكن أن يراد به المبالغة في نفي المؤمن عنهما. قال في النهاية: قوله: يطبع عليها أي يخلق، والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزاولها[1] من الخير والشر. قال الطيبي: وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين بحاله، فإن الإيمان أفعال من الأمن وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغي أن يكون أميناً لا خائناً. **(رواه أحمد)** أي عن أبي أمامة.

٤٨٦١ ـ **(والبيهقي)**، والأظهر ما في نسخة، ورواه البيهقي **(في شعب الإيمان عن سعد ابن أبي وقاص)**. وفي الجامع الصغير «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب»، رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.

٤٨٦٢ ـ **(وعن صفوان بن سليم)** بالتصغير تابعي كبير روى عن أنس بن مالك ونفر من التابعين، وكان من خيار عباد الله الصالحين يقال: إنه لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، ويقولون: إن جبهته ثقبت من كثرة السجود، وكان لا يقبل جوائز السلاطين، ومناقبه كثيرة. روى عنه ابن عيينة. كذا ذكره المؤلف، **(أنه قيل لرسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن جباناً»)** أي بالطبع أو مطلقاً وهو بفتح الجيم وتخفيف الموحدة ضد الشجاع **(«قال: نعم»)** أي يكون ولا ينافي الإيمان. **(«فقيل له:»)** أي لرسول الله ﷺ **(«أيكون المؤمن بخيلاً»)** أي بالطبع كما قال تعالى: **﴿وكان الإنسان قتوراً﴾** [الإسراء ـ ١٠٠] أو بإخراج ما يجب عليه من المال لميله على وجه الكمال **(«قال: نعم»)** أي يكون ولا ينافيه مطلق الإيمان أو كماله، **(«فقيل»)** أي له **(«أيكون المؤمن كذاباً»)** أي كثير الكذب مبالغاً فيه أو ذا كذب بحسب الطبع والخلقة **(«قال: لا»**. **رواه مالك والبيهقي في شعب الإيمان مرسلاً)**، قيد لهما.

---

(١) في المخطوطة «بزوالها».

الحديث رقم ٤٨٦١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٠٧ الحديث رقم ٤٨٠٩٠.

الحديث رقم ٤٨٦٢: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ الحديث رقم ١٩ من كتاب الكلام، وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٤٠/ ٢٠٧ الحديث رقم ٤٨٣٢.

٤٨٦٣ ـ (٥٢) وعن ابن مسعودٍ، قال: «إنَّ الشيطانَ ليتمثلُ في صورةِ الرجلِ، فيأتي القومَ فيحدِّثهم بالحديثِ من الكذبِ فيتفرَّقونَ؛ فيقول الرجل منهم: سمعتُ رجلاً أعرفُ وجْهَهُ ولا أدري ما اسمُه يحدِّث». رواه مسلم.

٤٨٦٤ ـ (٥٣) وعنِ عمران بن حِطَّان، قال: أتيتُ أبا ذَرٍّ فوجدته في المسجدِ محتبياً بكساءٍ أسودَ وحده. فقلتُ: يا أبا ذرّ! ما هذه الوحدة؟ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الوحدةُ خيرٌ من جليسِ السوء، والجليسُ الصالحُ خيرٌ من الوَحدة وإملاءُ الخير خيرٌ من السكوتِ، والسكوتُ خيرٌ من إملاءِ الشر».

٤٨٦٥ ـ (٥٤) وعن عمرانَ بن حُصَينٍ، أنَ رسولَ الله ﷺ قال: «مقامُ الرجلِ

٤٨٦٣ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل») أي أحياناً («فيأتي القوم») أي جماعة («فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه») أي رسمه («ولا أدري ما اسمه») أي ووصفه («يحدث») أي كذا وكذا، وظاهره أنه من حديث رسول الله ﷺ فإنه من أقبح أنواع الكذب حتى عد كفراً، فلهذا يعتني به رئيسهم ويتصوّر بصورة حسية تقوية للوسوسة الداخلية المعنوية، فكان الأنسب إيراده في باب الاعتصام، ولا يبعد أن يراد به مطلق خبر الكذب أو ما يتفرع عليه الفساد من نحو البهتان والقذف وأمثالهما، والمراد بالشيطان واحد من الجنس. قال الطيبي: وفيه تنبيه على التحري فيما يسمع من الكلام، وأن يتعرف من القائل أهو صادق يجوز النقل عنه، أو كاذب يجب الاجتناب عن نقل كلامه، على ما ورد «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». (رواه مسلم).

٤٨٦٤ ـ (وعن عمران بن حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء المهملتين وبالنون دوسي خزرجي سمع عائشة وابن عباس وأبا ذر، وروى عنه محمد بن سيرين ويحيى بن أبي كثير وغيرهما (قال: أتيت أبا ذر فوجدته في المسجد محتبياً بكساء أسود وحده) أي منفرداً ليس أحد عنده (فقلت: يا أبا ذر ما هذه الوحدة؟) أي التي تورث الوحشة، والمعنى ما سببها وباعثها («فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوحدة خير من جليس السوء») بفتح السين وبضم أي السيىء الطالح («والجليس الصالح خير من الوحدة») يعني والجليس الصالح قليل في هذا الزمان («وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر») يعني ومما يعين على السكوت العزلة والوحدة. في الجامع الصغير رواه البيهقي والحاكم.

٤٨٦٥ ـ (وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: مَقام الرجل) بفتح

الحديث رقم ٤٨٦٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٨ الحديث رقم (٧٣ ـ ٤٦)، وأحمد في المسند ٣/ ٨٩٨.
الحديث رقم ٤٨٦٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٦ الحديث رقم ٤٩٩٣.
الحديث رقم ٤٨٦٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٥ الحديث رقم ٤٩٥٣.

بالصَّمتِ أفضلُ من عبادةِ ستينَ سنةً».

٤٨٦٦ ـ (٥٥) وعن أبي ذرٍّ، قال: دخلتُ على رسولِ الله ﷺ، فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: قلت: يا رسول الله! أوصني قال: «أوصيكَ بتقوى الله، فإنَّهُ أزينُ لأمركَ كلِّه» قلت: زدني قال: «عليكَ بتلاوةِ القرآن وذكرِ اللَّهِ عزَّ وجلّ، فإنه ذِكرٌ لكَ في السماءِ، ونورٌ لكَ في الأرض».

الميم وبضم أي ثباته («بالصمت») أي بمداومة سكوته عن الشر، وقال الطيبي: أي منزلته عند الله («أفضل من عبادة ستين سنة») أي مع كثرة الكلام وعدم التثبت في المقام. قال الطيبي: لأن في العبادة آفات يسلم عنها بالصمت كما ورد «من صمت نجا»، وفي الجامع الصغير رواه الطبراني والحاكم عن عمران لكن لفظه «مقام الرجل في الصف في سبيل الله»[(١)] اهـ. ولعل الصمت وقع فيه تصحيف فراجع في الأصول.

٤٨٦٦ ـ (وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فذكر) أي أبو ذر أو راويه (الحديث بطوله). قال الطيبي: ولعله أراد مثل ما ذكر في حديث أنس التالي لهذا الحديث وفيه أنه لا دلالة له على هذا مع أنه لو كان هو المراد لجمع بينهما في حديث واحد، ثم رأيت الحديث في الجامع الصغير وفيه طول، لكن في أثنائه وأواخره على ما سنورده (إلى أن قال:) أي أبو ذر («قلت: يا رسول الله أوصني قال: «أوصيك بتقوى الله») وهو وصية الله للأولين والآخرين كما قال تعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء ـ ١٣١] («فإنه») أي الاتقاء أو ما ذكر من التقوى («أزين») أي غاية من الزين ونهاية [من] الحسن («لأمرك») أي لأمور دينك الاعتقادي والقولي والعملي، بل ولأمور دنياك التي هي معاشك المقتضية لحسن معادك كله لأن التقوى بجميع مراتبها من ترك الشرك الجلي والخفي واجتناب الكبائر والصغائر والاحتراز عن الشبهات والتورّع في المباحات والتنزه عن الشهوات والتخلي عن خطور ما سوى الله بالبال من شيم أرباب الكمال في الأحوال. قال الطيبي: نسب الزينة إلى التقوى كما نسب إليه تعالى اللباس في قوله: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف ـ ٢٦] بعد قوله: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف ـ ٣١] فكما أن السماء مزينة بزينة الكواكب كذلك قلوب العارفين مزينة بالمعارف والتقوى. قال تعالى: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج ـ ٣٢] اهـ وفيه أنه غير مذكور بعد قوله: ﴿خذوا زينتكم﴾ بل قبله بعد قوله: ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً﴾ [الأعراف ـ ٢٦] (قلت: زدني) أي في الوصية بالعمل الصالح (قال: «عليك بتلاوة القرآن») أي فإنها مجلبة للتقوى ومورثة للدرجات العلى (وذكر الله عزّ وجلّ) تعميم وتتميم («فإنه») أي ما ذكر لك من التلاوة والذكر، («ذكر لك في السماء نور لك في الأرض») وهو يحتمل أن يكون باعتبار كل واحد

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٠١ الحديث رقم ٨١٩٤.

الحديث رقم ٤٨٦٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٢ الحديث رقم ٤٩٤٢.

قلت: زدني. قال: «عليك بطول الصَّمتِ، فإنَّهُ مَطْرَدةٌ للشيطانِ وعَوْنٌ لكَ على أمرِ دينكَ» قلت: زدني. قال: «إيَّاكَ وكثرةَ الضحكِ، فإنَّهُ يُميتُ القلبَ، ويذهَبُ بنورِ الوجهِ» قلت: زدني قال: «قُل الحق وإن كانَ مرّاً». قلت: زدني. قال: «لا تخف في الله لومةَ لائم». قلت: زدني. قال: «ليحجزكَ عن [٣٦٥ ـ أ ـ] الناسِ ما تعلمُ من نفسكَ».

وأن يكون بطريق اللف(١) والنشر المرتب، فإن ما بينهما من الفرق كما بين السماء والأرض على ما أشار إليه ﷺ بقوله: «فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(٢)، ويمكن أن يكون ضمير، فإنه «راجع إلى أقرب مذكور وهو الذكر، فيعرف مرتبة التلاوة بالأولى على أن التلاوة مناجاة مع الرب سبحانه وتعالى («قلت: زدني») أي في الوصية بما يعنيني على ما ذكرت («قال:»)، وفي نسخة فقال: («عليك بطول الصمت») أي بدوامه («فإنه مطردة للشيطان») أي لرئيسهم أو لجنسهم، ويؤيده ما في نسخة للشياطين («وعون») أي معين («لك على أمر دينك») أي استقامته («قلت: زدني قال: إياك وكثرة ضحك، فإنه») أي إكثاره، وقيل ما ذكر من كثرة الضحك أو الضحك الكثير («يميت القلب»)، وفي نسخة القلوب أي يورث قساوة القلب، وهي مفضية إلى الغفلة وليس موت القلب إلا الغفلة عن الذكر («ويذهب بنور الوجه») أي بهائه وحسنه في قوله سبحانه: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ («قلت: زدني. قال: قل الحق وإن كان») أي وإن كان قول الحق على النفس أو عند أهل الباطل المتلهين بالحلويات النفسانية («مراً») أي صعب المذاق وشديد المشاق وأنشد:

«لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا»

قال الطيبي: شبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيمن يأباهما بالصبر، فإنه مر المذاق لكن عاقبته محمودة («قلت: زدني قال: لا تخف في الله») أي في حقه وطريق عبادته («لومة لائم») أي ملامة أحد، وفيه قطع تعلقه عن الخلق بالكلية فيما يأتي ويذرو ثباته على الحق من غير نظر إلى مذمة الناس ومدحهم قال تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ [المزمل ـ ٨] وقال الطيبي: أي كن صلباً في دينك إذا شرعت في إنكار منكر أو أمر بمعروف أمتن فيه كالمسامير المحماة لا يرعك قول قائل ولا اعتراض معترض اهـ، ولا يخفى أن هذا المعنى فهم من قوله: «قل الحق ولو كان مراً»، والحمل على التأسيس أولى من التأكيد («قلت: زدني قال: لِيحَجزْكَ») بكسر اللام وفتح الياء وسكون الحاء المهملة وضم الجيم وسكون الزاي أي ليمنعك («عن الناس») أي عيوبهم («ما تعلم من نفسك») أي من عيوبها كما ورد عن أنس، أخرجه الديلمي «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس». قال ميرك: حديث المتن رواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد(٣). وفي الجامع الصغير روى عبد بن حميد في تفسيره، والطبراني في الكبير عن أبي ذر مرفوعاً: أوصيك بتقوى الله تعالى

---

(١) في المخطوطة «اللغو» والصواب ما أثبت.

(٢) ابن عدي.

(٣) أخرجه ابن حبان ٢/ ٧٦ الحديث رقم ٣٦١.

٤٨٦٧ ـ (٥٦) وعن أنسٍ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «يا أبا ذر! ألا أدلُّكَ على خَصْلَتينِ هما أخفُّ على الظَّهْر، وأثقَلُ في الميزانِ؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: «طول الصَّمْتِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، والذي نفسي بيده ما عمل الخلائقُ بمثلهما».

٤٨٦٨ ـ (٥٧) وعن عائشةَ، قالت: مرَّ النبيُّ ﷺ بأبي بكرٍ وهو يَلْعَنُ بعضَ رقيقهِ، فالتفت إليه فقال: «لعانين وصدِّيقين؟

فإنه رأس الأمر كله، عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض، عليك بطول الصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك، إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي، أحب المساكين وجالسهم، انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، صل قرابتك وإن قطعوك، قل الحق وإن كان مراً، لا تخف في الله لومة لائم، ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم فيما تأتي وكفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحيي لهم مما هو فيه، ويؤذي جليسه. يا أبا ذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق»(١).

٤٨٦٧ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله**)، وفي نسخة أن رسول الله (ﷺ **قال: «يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر»**) أي ظهر المكلف وبدنه أو على ظهر اللسان (**«وأثقل في الميزان»**). قال الطيبي: تشبيه للمعقول بالمحسوس في تأتيه بالسهولة كما في قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان». (**«قال: قلت: بلى قال: طول الصمت»**) أي المتضمن ليتفكر (**«وحسن الخلق»**) أي المشتمل على الصبر والشكر وهو أعم من المعاملة مع الحق أو الخلق (**«والذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما»**) الباء زائدة أي ما عمل الخلائق عملين مثل عملهما أو عمل بمعنى أتي أي ما أتوا بمثلهما من الأعمال. قال ميرك نقلاً عن المنذري: أخرجه ابن أبي الدنيا والبزار والطبراني وأبو يعلى، ورواته ثقات. ورواه البيهقي ورواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئك بأمرين خفيف أمرهما عظيم أجرهما لم تلق الله عزَّ وجلّ بمثلهما: طول الصمت وحسن الخلق». ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً عن صفوان بن سليم مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق».

٤٨٦٨ ـ (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مر النبي ﷺ بأبي بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت**) أي النبي ﷺ كما في نسخة (**إليه**) أي إلى أبي بكر أو فالتفت أبو بكر إليه ﷺ (**فقال:**) أي النبي ﷺ (**«لعانين وصديقين»**) بتقدير همزة الاستفهام في صدر الكلام أي هل رأيت لعانين

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٦ الحديث رقم ٢٧٩٣.

الحديث رقم ٤٨٦٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٢ الحديث رقم ٤٩٤١.

الحديث رقم ٤٨٦٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٤٩٤ الحديث رقم ٥١٥٤.

كلا وربِّ الكعبة» فأعتق أبو بكرٍ يومئذٍ بعضَ رقيقِه، ثمَّ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: لا أعُودُ. روى البيهقي الأحاديث الخمسة في «شعب الإيمان».

٤٨٦٩ - (٥٨) وعن أسلم، قال: إنَّ عمرَ دخلَ يوماً على أبي بكر الصِّدّيق [رضي الله عنهم] وهو يجْبِذُ لسانَهُ فقال عُمر: مه، غفر الله لك فقال له أبو بكر: إنَّ هذا أوردني الموارد. رواه مالك.

وصديقين أي جامعين بين هاتين الصفتين، والعطف لتغاير الصفة، ويمكن أن يكون الجمع لإرادة تعظيم الصديق («**كلا ورب الكعبة**»). قال الطيبي: أي هل رأيت صديقاً يكون لعاناً كلا والله لا تتراءى ناراهما، فالواو للجمع أي لا يجتمعان أبداً، وفي الكلام معنى التعجب («**فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه**») أي كفارة لما صدر عنه من غير شعوره («**ثم جاء إلى النبي ﷺ**») أي للاعتذار («**فقال: لا أعود**») أي في لعن أحد الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف وضعفه الجمهور، وكان أحمد حسن الرأي فيه. ذكره العراقي. (**روى البيهقي الأحاديث الخمسة في شعب الإيمان**).

٤٨٦٩ - (**وعن أسلم**) [هو] مولى عمر بن الخطاب كنيته أبو خالد كان حبشياً اشتراه عمر بمكة سنة إحدى عشر سمع عمر بن الخطاب، وروى عنه زيد بن أسلم وغيره، مات في ولاية مروان وله مائة وأربع عشرة سنة. (**قال: إن عمر دخل يوماً على أبي بكر الصديق وهو يجبذ**) بكسر الموحدة أي يجذب («**لسانه**») ويمده ويجره، ففي المغرب الجبذ بمعنى الجذب وكلاهما من باب ضرب. قال الطيبي، وفي النهاية: الجبذ لغة في الجذب، وقيل: هو مقلوب منه اهـ، وفي القاموس الجبذ الجذب وليس مقلوبه بل لغة صحيحة، ووهم الجوهري وغيره (**فقال عمر: مه**) بفتح ميم وسكون هاء اسم فعل بمعنى اكفف وامتنع عن ذلك («**غفر الله لك**») دعاء أو إخبار عما سمع في حقه («**فقال له أبو بكر: إن هذا**») أي اللسان والإشارة للتعظيم أو التحقير («**أوردني الموارد**») أي أدخلني المهالك. (**رواه مالك**)، وكذا ابن أبي الدنيا والبيهقي، وفي لفظ البيهقي قال: «إن هذا أوردني شر الموارد أن رسول الله ﷺ قال: ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله ذرب اللسان على حدته». كذا نقله ميرك عن المنذري، وقال العراقي: حديث ابن عمر اطلع على أبي بكر، وهو يمد لسانه فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال: «إن هذا أوردني الموارد أن رسول الله ﷺ قال: ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته»[1] ابن أبي الدنيا في الصمت وأبو يعلى في مسنده، والدارقطني في العلل، والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر، وقال الدارقطني: إن المرفوع وهم على الدراوردي قال: وروي هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له. قال الغزالي: وفي الآثار روي عن الصديق أنه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام،

الحديث رقم ٤٨٦٩: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٨٨ الحديث رقم ١٢.

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٤٤ الحديث رقم ٤٩٤٧.

٤٨٧٠ ـ (٥٩) وعن عبادة بن الصامت، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اضمَنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمنْ لكم الجنَّة: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا أُتمنتُم، واحْفَظوا فروجَكم، وغضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيديَكُم».

٤٨٧١ ـ (٦٠) ٤٨٧٢ ـ (٦١) وعن عبد الرحمن بن غَنم، وأسماء بنت يزيد [رضي الله عنهم]، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خيارُ عبادِ الله الذينَ إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ.

وكان يشير إلى لسانه ويقول: «هذا الذي أوردني الموارد».

٤٨٧٠ ـ **(وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي»)** بفتح الميم أي تكلفوا لأجلي (**«ستاً»**) أي من الخصال (**«من أنفسكم»**) أي من خصالها أو من أجل منفعتها (**«أضمن لكم الجنة»**) أي دخولها مع الفائزين أو وصولها إلى أعلى درجات المقربين (**«أصدقوا»**) بضم الدال أي تكلموا بالصدق (**«إذا حدثتم»**) أي أخبرتم، (**«وأوفوا إذا وعدتم»**) أي وعهدتم (**«وأدوا»**) أي أدوا الأمانة وأعطوا الشهادة (**«إذا ائتمنتم»**) بصيغة المجهول (**«واحفظوا فروجكم»**) أي عن الزنا ونحوه (**«وغضوا أبصاركم»**) بضم الغين أي غموضها عن النظر إلى ما لا يجوز (**«وكفوا أيديكم»**) بضم الكاف وتشديد الفاء أي امسكوا أنفسكم عن الظلم. قال ميرك: حديث عبادة رواه أحمد وابن أبي الدنيا وابن حبان في صحيحه، والحاكم[(١)] والبيهقي كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد اهـ. وقال المنذري: المطلب لم يسمع من عبادة، وفي الجامع الصغير «اضمنوا لي ست خصال أضمن لكم الجنة، لا تظالموا عند قسمة مواريثكم، وانصفوا الناس من أنفسكم، ولا تجبنوا عند قتال عدوّكم، ولا تغلوا غنائمكم، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم». رواه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً[(٢)].

٤٨٧١ ـ ٤٨٧٢ ـ **(وعن عبد الرحمن بن غنم)** بفتح الغين المعجمة وسكون النون على ما ضبطه المغني ونص عليه المؤلف وقال: هو أشعري شامي أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه النبي ﷺ إلى اليمن إلى أن مات معاذ، وكان أفقه أهل الشام. روى عن قدماء الصحابة مثل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل اهـ فكان حقه أن يقول في آخر الحديث؛ مرسلاً تنبيهاً على ذلك **(وأسماء بنت يزيد)** أي ابن السكن، ولم يذكرها المؤلف في الأسماء، **(أن النبي ﷺ قال: «خيار عباد الله الذين إذا رؤوا**

الحديث رقم ٤٨٧٠: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ٥٢٥٦، والترمذي في ٤/ ٢٨٣ الحديث رقم ١٩١٩.

(١) ابن حبان في ١/ ٥٠٦ الحديث رقم ٢٧١، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٨.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٧١ الحديث رقم ١٠٩٤.

الحديث رقم ٤٨٧١ و٤٨٧٢: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٢٧، والبيهقي في الشعب ٧/ ٤٩٤ الحديث رقم ١١١٠٨ وعن أسماء أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٥٦.

وشرارُ عبادِ الله المشَّاؤونَ بالنَّميمةِ، والمفرِّقونَ بينَ الأحبَّة، الباغونَ البرَآءَ العَنَتَ» رواهما أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٨٧٣ ـ (٦٢) وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ رجُلينِ صلَّيا صلاةَ الظهرِ أو العصر،

ذكر الله») بصيغة المفعول فيهما أي يتذكر برؤيتهم ذكر الله، وفيه إيماء إلى حديث: «المؤمن مرآة القلوب»(١) على أحد معانيه. قال الطيبي: يحتمل وجهين أحدهما أنهم في الاختصاص بالله بحيث إذا رؤوا خطر ببال من رآهم مولاهم لما فيهم من سيما العبادة، وثانيهما أن من رآهم يذكر الله تعالى كما روى ابن الأثير في النهاية عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى وجه علي عبادة»، قلت: وقد رواه الطبراني والحاكم عن أبي مسعود وعن عمران بن حصين بلفظ: «النظر إلى علي عبادة»، ونظيره ما روى أبو الشيخ عن عائشة مرفوعاً «النظر إلى الكعبة عبادة»، ثم قيل: معناه أن علياً كرم الله وجهه، كان إذا برز قال الناس: «لا إله إلا الله ما أكرم هذا الفتى، ما أشجع هذا الفتى، ما أعلم هذا الفتى، ما أحلم هذا الفتى»، فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد **(«وشرار عباد الله المشاؤون»)** بصيغة المبالغة للنسبة أي الذين يمشون **(«بالنميمة»)** أي على وجه الفساد كما بينه بقوله: **(«المفرقون بين الأحبة الباغون»)** أي الطالبون **(«البراء»)** بفتح الموحدة والراء بمعنى البريء: مصدر وصف به للمبالغة، ففي القاموس «أنت بريء» والجمع بريؤون، وكفقهاء وكرام وأشراف وأنصباء ورجال وأنا براء منه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بريء. قال الطيبي: وهو وقوله: **(«العنت»)** منصوبان مفعولان للباغين. يقال: بغيت فلاناً خيراً، وبغيتك الشيء طلبته لك، وبغيت للشيء طلبته اهـ. وحاصله أن العنت مفعول ثان للباغون، وفي رواية للبراء العنت وهو بفتح العين المهملة والنون المشقة والفساد والهلاك والإثم والخطأ والغلط والزنا كل ذلك قد جاء وأطلق العنت عليه، والحديث يحتمل كلها، فإن الموجود في نسخة صحيحة بضم الموحدة في البراء وهو جمع بريء كما سبق، وفي نسخة بضم موحدة وفتح راء وهمزة ممدودة. قال النووي في شرح مسلم: هو على وزن فضلاء جمع بريء اهـ. والحديث في الجامع الصغير بلفظ «خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله بهم وشرارهم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون البراء العنت»(٢). رواه البيهقي عن ابن عمر؛ لكن قال المؤلف: **(رواهما)** أي الحديثين السابقين وسبق الكلام على السابق منهما **(أحمد والبيهقي في شعب الإيمان)**. وفي الجامع الصغير رواه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم، والطبراني عن عبادة بن الصامت بلفظ. «خيار أمتي الذين إذا رؤوا ذكر الله، وشرار أمتي المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون البراء العنت»(٣).

٤٨٧٣ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين صليا صلاة الظهر أو العصر)** أي

---

(١) الطبراني كما في الجامع الصغير ٢/ ٥٤٨ الحديث رقم ٩١٤١، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد.
(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٣ الحديث رقم ٣٩٨٦. (٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٢٣ الحديث رقم ٣٩٧٦.
الحديث رقم ٤٨٧٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٠٣ الحديث رقم ٦٧٢٩.

وكانا صائمينِ، فلمَّا قضى النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ قال: «أَعِيدا وُضوءَكما وصلاتكما، وامْضِيا في صومِكما واقضِياهُ يوماً آخرَ». قالا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «اغْتبتُم فلاناً».

٤٨٧٤ ـ (٦٣) ٤٨٧٥ ـ (٦٤) وعن أبي سعيدٍ، وجابرٍ، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «الغِيبةُ أشدُّ منَ الزِّنا». قالوا: يا رسولَ الله! وكيفَ الغِيبةُ أشدُّ منَ الزنا؟ قال: «إنَّ الرَّجلَ ليزني فيتوبُ، فيتوبُ اللّهُ عليه» [٣٦٥ ـ ب ـ] وفي رواية: «فيتوبُ فيغفرُ اللّهُ له، وإنَّ صاحبَ الغِيبةِ لا يُغفرُ له حتى يغفِرَها له صاحبُه».

معه ﷺ **(وكان صائمين)** عطف أو حال **(فلما قضى النبي ﷺ الصلاة)** أي فرغ عن إدائها **(قال:)** أي النبي ﷺ للرجلين **(«أعيدوا»)** بصيغة الجمع على أن الاثنين أقله بقرينة ما بعده، وفي نسخة أعيدا **(«وضوءكما وصلاتكما وامضيا»)** بهمز وصل وكسر ضاد أي انفذا في صومكما يعني لا تقطعاه بالإفطار عن مضي في أمره إذا نفذ فيه ولم يتوقف **(«واقضياه»)** أي صومكما **(«يوماً آخر»)**. قال الطيبي: وهذا في الصوم ظاهر لقوله تعالى: **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾** [الحجرات ـ ١٢] وأما في الصلاة، فلأنه شرب دم أخيه ولحمه فحمل النجاسة اهـ. وحاصله أن الإتيان بالمعصية قبل الطاعة ينقص كمالها كما أن الحسنة بعد السيئة توجب زوالها فإن قوله تعالى: **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾** [هود ـ ١١٤] ورد فيمن قبل امرأة أجنبية، ولعله ﷺ هنا أظهر الزجر الشديد والتغليظ والوعيد لما يتعلق بالغيبة من حق العباد، وربما تذهب العبادة بالكلية حيث يعطى لصاحب الغيبة النافلة الطوية، فيبقى المذنب بلا صوم وصلاة، فلهذا أمرهما بإعادتهما وقضائه وهذا من قبيل فتوى الخاصة لا من قبيل أحكام العامة وفي مسند الفردوس للديلمي عن ابن عمر مرفوعاً: «الغيبة تنقض الوضوء والصلاة» **(قالا:)**، وفي نسخة فقالا: **(«لم يا رسول الله»)** أي لأي سبب **(«قال: اغتبتم فلاناً»)** أي قبل الصلاة وبعد الطهارة ومباشرة الصوم.

٤٨٧٤ ـ و٤٨٧٥ ـ **(وعن أبي سعيد وجابر رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الغيبة أشد من الزنا»)** أي أصعب منه لتعلقها بحق العباد ألبتة بخلافه **(قالوا:)** أي بعض الصحابة، ويمكن أن يكون هما المراد بهم **(«وكيف الغيبة أشد من الزنا»)** أي والحال أن الزنا ذنب كبير وقد وقع عليه وعيد كثير وتعلق به الحد والرجم ونحو ذلك، قال الطيبي: أشد من الزنا مبتدأ على سبيل حكاية قول رسول الله ﷺ، وكيف خبره أي كيف قولك هذا؟ **(«قال: إن الرجل ليزني فيتوب»)** أي بينه وبين الله **(«فيتوب الله عليه»)** أي فيقبل توبته ويفقه على ثباته؛ **(وفي رواية «فيتوب فيغفر له، وإن صاحب الغيبة»)** عطف على ما سبق **(«لا يغفر له»)** أي ولو تاب بينه وبين ربه **(«حتى يغفر هاله»)** أي لصاحب الغيبة.

الحديث رقم ٤٨٧٤ و٤٨٧٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/٣٠٦ الحديث رقم ٦٧٤١.

٤٨٧٦ ـ (٦٥) وفي رواية أنسٍ [رضي الله عنه]، قال: «صاحبُ الزِّنا يتوبُ، وصاحبُ الغِيبةِ ليسَ له توبة». روى البيهقيُّ الأحاديث الثلاثةَ في «شعب الإيمان».

٤٨٧٧ ـ (٦٦) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ منْ كفَّارةِ الغِيبةِ أنْ تستغفِرَ لمنِ اغتبْتَه، تقولُ: اللهُمَّ اغفِرْ لنا وله».

٤٨٧٦ ـ **(وفي رواية أنس قال: «صاحب الزنا يتوب»)** أي يتصوّر منه التوبة أو يتوب غالباً لأنه ذنب عظيم عنده (**«وصاحب الغيبة ليس له توبة»**) أي غالباً لأنه يحسبه هيناً وهو عند الله عظيم، لكن البلية إذا عمت طابت، أو ليس له توبة مستقلة لتوقف صحتها على رضا صاحبها. (**روى البيهقي الأحاديث الثلاثة**) أي حديث ابن عباس وأبي سعيد وأنس (**في شعب الإيمان**)، قال ميرك نقلاً عن المنذري: إن حديث أبي سعيد وجابر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الغيبة والطبراني في الأوسط، وروى البيهقي حديث أنس عن رجل لم يسم عنه، ورواه عن سفيان بن عيينة غير مرفوع وهو الأشبه.

٤٨٧٧ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من كفارة الغيبة»)** أي بعد تحقق التوبة (**«أن تستغفر»**) أي أنت أيها المخاطب خطاباً عاماً (**«لمن اغتبته، تقول:)** بدل أو بيان أو حال (**«اللهم اغفر لنا»**) أي إذا كانوا جماعة أو لنا معشر المسلمين عموماً (**«وله»**) أي لمن اغتبته خصوصاً، والظاهر أن هذا إذا لم تصل الغيبة إليه، وأما إذا وصلت إليه فلا بد من الاستحلال بأن تخبر صاحبها بما قال فيه، ويتحللها منه، فإن تعذر ذلك فليعزم على أنه متى وجده تحلل منه، فإذا حلله سقط عنه ما وجب عليه له من الحق، فإن عجز عن ذلك كله بأن كان صاحب الغيبة ميتاً أو غائباً فليستغفر الله تعالى، والمرجو من فضله وكرمه أن يرضى خصمه من إحسانه فإن جواد كريم رؤوف رحيم، وفي روضة العلماء سألت محمداً فقلت له: «إذا تاب صاحب الغيبة قبل وصولها إلى المغتاب عنه هل تنفعه توبته؟ قال: نعم. تنفعه توبته، فإنه تاب قبل أن يصير الذنب ذنباً يعني ذنباً يتعلق به حق العبد قال: «لأنها تصير ذنباً إذا بلغت إليه، قلت: فإن بلغت إليه بعد توبته قال: لا تبطل توبته بل يغفر الله لهما جميعاً، المغتاب بالتوبة والمغتاب عنه بما لحقه من المشقة، قلت: أو بما حصل له من المغفرة، قال: لأنه كريم ولا يحمل كرمه رد توبته بعد قبولها بل يعفو عنهما جميعاً، قلت فيه: إنه يحتمل أن يكون قبل توبته موقوفاً على عدم تحقق وصولها إليه وحصول مشقته والله أعلم». وقال الفقيه أبو الليث: قد تكلم الناس في توبة المغتابين هل تجوز من غير أن يستحل من صاحبه؟ قال بعضهم: تجوز، وقال بعضهم: لا تجوز، وهو عندنا على وجهين، أحدهما إن كان ذلك القول قد بلغ إلى الذي اغتابه فتوبته أن يستحل منه، وإن لم يبلغ فيستغفر الله ويضمر أن لا يعود لمثله اهـ. وهل يكفيه أن يقول: اغتبتك فاجعلني في حل أم لا بد أن يبين ما اغتاب؟ قال بعض علمائنا في

الحديث رقم ٤٨٧٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٠٦ الحديث رقم ٦٧٤٢.

الحديث رقم ٤٨٧٧: أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير.

رواه البيهقيُّ في «الدَّعوات الكبير» وقال: في هذا الإِسناد ضعفٌ.

(١١) باب الوعد

الفصل الأول

٤٨٧٨ ـ (١) عن جابرٍ، قال: لما ماتَ رسولُ الله ﷺ، وجاءَ أبا بكرٍ مالٌ

الغيبة: لا يعلمه بها بل يستغفر الله له إن علم أن إعلامه يثير فتنة، ويدل عليه ما هو المقرر في الأصول أن الإبراء عن الحقوق المجهولة جائز عندنا، ثم اعلم أنه يستحب لصاحب الغيبة أن يبرئه منها ليخلص أخاه من المعصية ويفوز هو بعظيم ثواب الله في العفو. وفي القنية تصافح الخصمين لأجل العذر استحلال؛ وقال النووي: رأيت في فتاوى الطحاوي أنه يكفي الندم والاستغفار إلى الغيبة وإن بلغت، فالطريق أن يأتي المغتاب ويستحل منه فإن تعذر لموته أو لغيبته البعيدة استغفر الله تعالى، ولا اعتبار بتحليل الورثة، وإذا اغتاب أحداً فهل يكفي أن يقول: قد اغتبتك فاجعلني في حل؟ أم لا بد أن يبين ما اغتابه به؟ فيه وجهان لأصحاب الشافعي أحدهما يشترط، فإن أبرأه من غير بيانه لم يصح كما لو أبرأه عن مال مجهول، وثانيهما لا يشترط، لأن هذا مما يتسامح فيه بخلاف المال، والأوّل أظهر لأن الإنسان قد يسمح بالعفو عن غيبة دون غيبة. وقال الشيخ أبو حامد: «سبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له فتقابل بها سيئة الغيبة في القيامة» **(رواه البيهقي في الدعوات الكبير)** اسم كتاب له، **(وقال: في هذا الإسناد ضعف)** قلت: وما يضر فإن فضائل الأعمال يكفيها الحديث الضعيف للعمل والله أعلم ثم رأيت في الجامع الصغير ما يعضده وهو ما رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أنس أيضاً ولفظه: «كفارة من اغتبت أن تستغفر له».

باب الوعد

الوعد يستعمل في الخير والشر. يقال: وعدته خيراً ووعدته شراً، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا: في الخير الوعد والعدة وفي الشر ألا يعاد والوعيد ومنه قول القائل:

وأنـــي وإن أوعـــدتـــه أو وعـــدتـــه   لـمـخـلـف مـيـعـادي ومـنـجـز مـوعـدي

(الفصل الأوّل)

٤٨٧٨ ـ (عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: لما مات رسول الله ﷺ وجاء أبا بكر مال

الحديث رقم ٤٨٧٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٢٦٨ الحديث رقم ٣١٦٤، ومسلم في ٤/١٨٨ الحديث رقم (٦٠ ـ ٢٣١٤).

مِنْ قِبَلِ العلاءِ بن الحضرميِّ. فقال أبو بكرٍ: مَنْ كانَ له على النبيِّ ﷺ دَينٌ، أو كانتْ له قِبَله عِدَةٌ فلْيأتِنا. قال جابر: فقلتُ: وعدَني رسولُ الله ﷺ أنْ يُعطيَني هكذا، وهكذا، وهكذا. فبسطَ يدَيهِ ثلاثَ مرَّاتٍ. قال جابر: فحَثا لي حَثيةً، فعدَدْتُها فإذا هيَ خمسمائة، وقال: خُذْ مثلَيها. متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٨٧٩ - (٢) عن أبي جحيفةَ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أبيضَ قد شابَ، وكانَ الحسنُ بن عليٍّ يشبهُه، وأمرَ لنا

من قبل العلاء بن الحضرمي) بكسر القاف وفتح الموحدة أي من جهته وهو بفتح العين واسمه عبد الله، من حضرموت وكان عامل رسول الله ﷺ على البحرين وأقره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عليها إلى أن مات العلاء سنة أربع عشرة، روى عنه السائب بن يزيد وغيره **(فقال أبو بكر: «من كان له على النبي ﷺ دين أو كانت له قبله»)** بكسر ففتح أي عنده **(«عدة»)** بكسر فتخفيف دال أي وعد **(«فليأتنا»)**. قال الأشرف وغيره من علمائنا: فيه استحباب قضاء دين الميت وإنجاز وعده لمن يخلفه بعده، وأنه يستوي فيه الوارث والأجنبي اهـ. وفيه إشعار بأن الوعد ملحق بالدين كما ورد عنه ﷺ «العدة دين» على ما رواه الطبراني في الأوسط عن علي وابن مسعود. **(قال جابر: فقلت: «وعدني رسول الله ﷺ أن يعطيني هكذا وهكذا»)** أي ثلاثاً، وفي نسخة مرتين والأول هو الظاهر لقوله: **(«فبسط يديه ثلاث مرات بياناً لهكذا، قال جابر: فحثا لي حثية»)** أي فملأ أبو بكر كفيه من الدراهم وصبها في ذيلي **(«فعددتها»)** أي ما فيها **(«فإذا هي خمسمائة، وقال: خذ مثليها»)** أي مثلي ما في الحثية من العدد لئلا يزيد ولا ينقص. **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٤٨٧٩ - **(عن أبي جحيفة)** بضم جيم فحاء مهملة مفتوحة فياء ساكنة بعدها. قال المؤلف: ذكر أن النبي ﷺ توفي ولم يبلغ الحلم، لكنه سمع منه وروى عنه مات بالكوفة سنة أربع وسبعين، روى عنه ابنه عوف وجماعة من التابعين **(قال: رأيت رسول الله ﷺ أبيض)** أي أبيض اللون مائلاً إلى الحمرة، ومنه قوله ﷺ لعائشة: «يا حميراء» **(قد شاب)** أي بعض لحيته أو ظهر فيه شيب **(وكان الحسن بن علي يشبهه)**. والمشهور أنه شبيهه في النصف الأعلى والحسين في النصف الآخر. **(وأمر لنا)** أي لأجلنا أو لإعطائنا، وهو كذا في جامع الأصول،

الحديث رقم ٤٨٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٤ الحديث رقم ٣٥٤٤، ومسلم في ٤/ ١٨٢٢ الحديث رقم (١٠٧ - ٢٣٤٣)، والترمذي في السنن ٥/ ١١٨ الحديث رقم ٢٨٢٦.

بثلاثةَ عشر قلوصاً، فذهبْنا نقبضُها، فأتانا موتُه. فلم يُعطونا شيئاً. فلمَّا قامَ أبو بكرٍ قال: مَن كانتْ له عندَ رسولِ الله ﷺ عِدَةٌ فلْيجيءْ فقُمتُ إِليه فأخبرتُه، فأمرَ لنا بها. رواه الترمذي.

٤٨٨٠ ـ (٣) وعن عبدِ الله بن أبي الحَسْماءِ، قال: بايعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أنْ يُبعثَ، وبقيتْ له بقيَّةٌ، فوعدتُه أنْ آتيَه بها في مكانِه، فنسيتُ، فذكرتُ بعدَ ثلاثٍ، فإِذا هوَ في مكانِه، فقال: «لقدْ شقَقتَ عليَّ، أنا ههُنا منذُ ثلاثٍ أنتظرُكَ»

وفي سائر نسخ المصابيح أمر له، والأوّل أنسب لاتفاق الضمائر التالية **(بثلاثة عشر قلوصاً)** بفتح فضم أي ناقة شابة **(فذهبنا نقبضه)** أي فشرعنا في الذهاب إلى المأمور لنقبض العطاء المذكور **(فأتانا موته)** أي خبر موته (ﷺ) بالقدر المقدور **(فلم يعطونا شيئاً)** فيه دليل على أن الهبة والعطية والصدقة لا تملك إلا بالقبض **(فلما قام أبو بكر)** أي خطيباً أو قام بأمر الخلافة **(قال: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة فليجيء)** أي فليأت إلينا فإن وفاءه علينا، ولعل الاكتفاء بها وعدم ذكر الدين هنا لأنه يلزم منها بالأولى، ويمكن أن يكون اقتصاراً من الراوي لا سيما وكلامه في العدة (**«فقمت إليه»**) أي متوجهاً (**«فأخبرته»**) أي بما سبق (**«فأمر لنا بها»**) أي بالقلوص الموعودة. **(رواه الترمذي)**. قال في جامع الأصول: اتفق البخاري ومسلم والترمذي على الفصل الأوّل من حديث أبي جحيفة، واتفق البخاري والترمذي على الفصل الثاني، وانفرد الترمذي بذكر أبي بكر وإعطائه إياهم، كذا قاله الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح. قال ميرك: ولذا قال المؤلف في آخر مجموع الحديث: رواه الترمذي.

٤٨٨٠ ـ **(وعن عبد الله ابن الحمساء)** بفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وبالسين المهملة. ذكره الشيخ الجزري في التصحيح وهو كذلك في القاموس وزاد المغني وهو بالمد **(قال: بايعت النبي ﷺ)** أي بعت منه بمعنى اشتريت، فهو من البيع لا من المبايعة، فإنه الطيبي: وفيه أنه غير مستقيم بحسب القاعدة الصرفية، فالظاهر أنه محمول على بيع المقابضة والمعاوضة فتكون الصيغة من المفاعلة على بابه (**«قبل أن يبعث»**) أي للرسالة (**«وبقيت له»**) أي للنبي ﷺ (**«بقية»**) أي شيء من ثمن ذلك المبيع (**«فوعدته أن آتيه بها»**) أي أجيئه بتلك البقية (**«في مكانه»**) أي المعين أو النسبي (**«فنسيت»**) أي ذلك الوعد (**«فذكرت بعد ثلاث»**) أي ثلاث ليال (**«فجئت ذلك المكان فإذا هو»**) أي النبي ﷺ [ينتظرني] (**«في مكانه»**) أي في ذلك المكان أو في مكانه الموعود وفاء بما وعد من لزوم المكان حتى أجيئه بما بقي من الثمن، وفيه إرشاد إلى ندب تصديق الوعد والوفاء بالعهد **(فقال: «لقد شققت»)** بقافين أي حملت المشقة (**«علي»**) وأوصلتها إلي (**«أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك»**)، وكان انتظاره ﷺ لصدق وعده لا لقبض ثمنه. قال الطيبي: واعلم أن الوعد أمر مأمور الوفاء به في جميع الأديان، حافظ عليه الرسل المتقدمون. قال تعالى: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ [النجم ـ ٣٧] ومدح ابنه إسماعيل» يعني جد

الحديث رقم ٤٨٨٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٨ الحديث رقم ٤٩٩٦.

رواه أبو داود.

٤٨٨١ ـ (٤) وعن زيدِ بن أرقمَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا وعدَ الرجلُ أخاهُ ومنْ نيَّتِه أنْ يَفيَ له، فلم يَفِ ولم يجيءْ للميعادِ، فلا إِثمَ عليه» [٣٦٦ ـ أ ـ] رواه أبو داود، والترمذي.

٤٨٨٢ ـ (٥) وعن عبدِ الله بن عامرٍ، قال: دعَتني أُمي يوماً ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ في بيتِنا، فقالت: ها تعالَ أُعطيكَ.

نبينا عليهم السلام بقوله عزَّ وجلّ: ﴿إن كان صادق الوعد﴾ [مريم ـ ٥٤] يقال: «إنه وعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه، فأقام عليه حتى حال الحول قلت: وذلك بحوله وقوّته». **(رواه أبو داود)**.

٤٨٨١ ـ **(وعن زيد بن أرقم)** يكنى أبا عمرو الأنصاري الخزرجي سكن الكوفة ومات بها سنة ثمان وسبعين وهو ابن خمس وثمانين، روى عنه عطاء بن يسار وغيره **(عن النبي ﷺ قال: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي»)** بفتح فكسر وأصله أن يوفي **(«له»)** أي للرجل **(«فلم يف»)** أي بعذر **(«ولم يجيء للميعاد»)** أي لمانع **(«فلا إثم عليه»)**. قال الأشرف. هذا دليل على أن النية الصالحة يثاب الرجل عليها وإن لم يقترن معها المنوي وتخلف عنها اهـ. ومفهومه أن من وعد وليس من نيته أن يفي فعليه الإثم سواء وفى به أو لم يف، فإنه من أخلاق المنافقين ولا تعرض فيه لمن وعد ونيته أن يفي ولم يف بغير عذر، فلا دليل لما قيل: من أنه دل على أن الوفاء بالوعد ليس بواجب إذ هو أمر مسكوت عنه على ما حررته، وسيجيء بسط الكلام على هذا المرام في آخر باب المزاح. **(رواه أبو داود والترمذي)**.

٤٨٨٢ ـ **(وعن عبد الله بن عامر)** قال المؤلف: قرشي خال عثمان بن عفان ولد على عهد رسول الله ﷺ فأتى به فتفل عليه وعوّذه، ورأى النبي ﷺ وله ثلاث عشرة سنة وقيل: إنه لم يرو عن النبي ﷺ شيئاً ولا حفظ عنه، ومات سنة تسع وخمسين. ولاه عثمان البصرة وخراسان وأقام عليها إلى أن قتل عثمان، فلما أفضى الأمر إلى معاوية رد إليه ذلك وكان سخياً كريماً كثير المناقب، وهو افتتح خراسان وقتل كسرى في ولايته، ولم يختلفوا أنه افتتح أطراف فارس وعامة خراسان وأصفهان وكرمان وحلوان وهو الذي شق نهر البصرة. **(قال: دعتني أمي يوماً)** أي نادتني وطلبتني وأنا صغير **(ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا)** الجملة حالية **(فقالت: ها)** للتنبيه أو اسم فعل بمعنى خذ، فقولها: **(«تعال»)** بفتح اللام بلا ألف تأكيد **(«أعطيك»)** أي أنا

الحديث رقم ٤٨٨١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٨ الحديث رقم ٤٩٩٥، والترمذي في السنن ٥/ ٢١ الحديث رقم ٢٦٣٣.

الحديث رقم ٤٨٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٥ الحديث رقم ٤٩٩١، وأحمد في المسند ٣/ ٤٤٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢١٠ الحديث رقم ٤٨٢٢.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «ما أردتِ أنْ تُعطِيهِ؟» قالت: أردتُ أنْ أُعطيَه تمراً. فقال رسولُ الله ﷺ: «أَما إِنَّكِ لو لم تُعطيهِ شيئاً كُتِبَتْ عليكِ كذبةٌ». رواه أبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان».

الفصل الثالث

٤٨٨٣ ـ (٦) عن زيدِ بن أرقَمَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ وعدَ رجلاً فلم يأتِ أحدهُما إلى وقتِ

فهو مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وفي نسخة اعطك بغير ياء على أنه مجزوم، قال الطيبي: هو بالجزم في بعض نسخ المصابيح جواباً للأمر، وفي بعضها بإثبات الياء وهو لرواية في سنن أبي داود وشعب الإيمان على أنه استئناف كقوله تعالى: ﴿**فهب لي من لدنك ولياً يرثني**﴾ [مريم ـ ٦] بالرفع اهـ. وفي الآية الوجهان متواتران على أنه يمكن أن الياء حصل من الأشباع فلا ينافي الجزم على أن إثبات الياء في المجزوم لغة كقوله تعالى: ﴿**أنه من يتقي ويصبر**﴾ [يوسف ـ ٩٠] ونحوه كثير (**فقال لها رسول الله ﷺ: «ما أردت»**) أي شيء أنويت (**«أن تعطيه»**) بسكون التحتية لأن الصيغة للمخاطبة وعلامة نصبها حذف النون، ووقع في أصل السيد وبعض النسخ هيَا بفتح الياء، وهو من زلة القلم أو زلقة القدمة (**«قالت: أردت أن أعطيه تمراً»**) أي واحداً أو شيئاً من التمر فإنه اسم جنس. قال الطيبي: قوله: فقال لها: ما أردت أن تعطيه قالت: أردت أن أعطيه تمراً»، ليس في المصابيح فكأنه سقط من النساخ والله أعلم. (**فقال لها رسول الله ﷺ: أما**) بالتخفيف للتنبيه (**«إنك لو لم تعطيه»**) بالياء فإنها ضمير الكلمة لا لامها أي لو لم تنوي بإعطائه شيئاً (**«كتبت عليك كذبة»**) بفتح الكاف وسكون الذال أي مرة من الكذب، وفي بعض النسخ بكسر فسكون أي نوع من الكذب، وأما ما في بعض النسخ المصححة على زعم صاحبه من ضبطه بفتح الكاف. وكسر الدال فغير صحيح لما سبق تحقيقه من نقل اللغة وكلام الأئمة، فكأنه غير كلام ابن الملك حيث قال: بفتح الكاف ثم السكون وبفتحهما مع كسر الذال والباء الموحدة اهـ، وهو غير صحيح لأن الفتح مع كسر الذال لم يوجد مع التاء لغة، وقد نص النووي أن الذال ساكنة فيهما، فكلام ابن الملك مخالف للرواية والدراية. (**رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان**).

(الفصل الثالث)

٤٨٨٣ ـ (**عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من وعد رجلاً»**) أي مثلاً، والمعنى أن الرجل وعده أيضاً في مكان وزمان معينين (**«فلم يأت أحدهما إلى وقت**

الحديث رقم ٤٨٨٣: رواه رزين.

الصَّلاةِ، وذهبَ الذي جاءَ ليُصلي، فلا إثمَ عليهِ». رواه رزين.

(١٢) باب المزاح

الصلاة») أي قيامها وقد أتى الآخر (**«وذهب الذي جاء ليصلي فلا إثم عليه»**) أي على الجائي لوعده والذاهب لصلاته في غيبته لحضور الصلاة لأنه من ضرورات الدين، والظاهر أنه كذلك إذا ذهب لضرورات أمر البدن من أكل وشرب وقضاء حاجة ونحوها. (**رواه رزين**).

باب المزاح

بضم الميم ويكسر. قال شارح: المزاح بالضم اسم المزاح بالكسر، وقيل: بالضم اسم من مزح يمزح وبالكسر مصدر مازح، وفي القاموس مزح كمنع مزحاً ومزاحه ومزاحاً دعب ومازحه ممازحة ومزاحاً بالكسر وتمازحاً، ثم المزاح انبساط مع الغير من غير إيذاء فإن بلغ الإيذاء يكون سخرية، ثم اعلم أنه ورد عنه ﷺ «لا تمار أخاك ولا تمازحه»[١]، وأخرجه الترمذي في جامعه من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الجزري: إسناده جيد، فقد رواه زياد بن أيوب، عن عبد الرحمن بن محمد البخاري، عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الملك بن أبي بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس، وهذا إسناد مستقيم وليث بن أبي سليم وإن كان فيه ضعف من قبل حفظه، فقد روى له مسلم مقروناً وكان عالماً ذا صلاة وصيام. ذكره ميرك، والحديث له تتمة على ما في الجامع الصغير وهي لا تعده موعداً فتخلفه، والحديث سيأتي في أصل الكتاب. قال النووي: اعلم أن المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما ما سلم من هذه الأور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا فإنه مما يعظم الاحتياج إليه اهـ. وقال الحنفي: لكن لا يلائمه ما روي عن عبد الله بن الحارث قال: ما رأيت أحداً أكثر مزاحاً من رسول الله ﷺ قلت: يلائمه من حيث إن غيره ما كان يتمالك من نفسه مثله ﷺ، فكأن ترك المزاح بالنسبة إلى غيره أولى، وقد روى الترمذي في الشمائل عن أبي هريرة قال: «قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً»، والمعنى لا يقاس الملوك بالحدادين، والحاصل أن غيره ﷺ داخل تحت نهيه إلا إذا كان متمكناً في الاستقامة على حده وعدم العدول عن جادته.

(١) راجع الحديث رقم ٤٨٩٢.

الفصل الأول

٤٨٨٤ ـ (١) عن أنسٍ، قال: إنْ كانَ النبيُّ ﷺ ليُخالطنا حتى يقول لأخ لي صغيرٍ: «يا أبا عُمَير! ما فعلَ النُّغيرُ؟» كانَ له نُغيرٌ يلعبُ به فمات

(الفصل الأوّل)

٤٨٨٤ ـ (**عن أنس رضي الله عن قال: إن**) مخففة من المثقلة واسمها ضمير الشأن أي إنه (**كان النبي ﷺ ليخالطنا**») بفتح اللام وتسمى لام المفارقة، وفي نسخة للشمائل ليخاطبنا، والمعنى ليخالطنا غاية المخالطة ويعاشرنا نهاية المعاشرة ويجالسنا ويمازحنا («**حتى يقول لأخ لي**») أي من أمي وأبوه أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري («**صغير: يا أبا عمير**») بالتصغير واسمه كبشة («**ما فعل**») بصيغة الفاعل أي ما صنع («**النغير**») بضم ففتح تصغير نفر بضم النون وفتح الغين المعجمة طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، وقيل: هو العصفور، وقيل: هو الصعو صغير المنقار أحمر الرأس، وقيل: أهل المدينة يسمونه البلبل، والمعنى ما جرى له حيث لم أرَهُ معك وفي هذا تسلية له على فقده بموته بينه بقوله: («**كان له نغير يلعب به فمات**») أي النغير، وحزن الولد لفقده على عادة الصغار، قال الطيبي: حتى غاية قوله: «يخالطنا»، وضمير الجمع لأنس وأهل بيته أي انتهت مخالطته لأهلنا كلهم حتى الصبي، وحتى الملاعبة معه، وحتى السؤال عن فعل النغير. وفي مسلم أنه ﷺ كان لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا أم سليم فإنه كان يدخل عليها، وأم سليم أم أنس بن مالك، وقال الراغب: الفعل التأثير من جهة مؤثرة، والعمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد وهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها بغير قصد وقد ينسب إلى الجمادات اهـ. كلامه. فالمعنى ما حاله وشأنه، ذكره الطيبي، ولو روي بصيغة المفعول لكان له وجه وجيه وتنبيه نبيه وصار المعنى ما **فعل** به، وفي شرح السنة فيه فوائد منها أن صيد المدينة مباح بخلاف صيد مكة قلت: لو ثبت هذا لارتفع الخلاف في أن المدينة لها حرم أم لا، لكن للشافعية أن يقولوا: ليس نص في الحديث على أنه من صيد المدينة لاحتمال أنه صيد من خارجها وأدخل فيها، وحينئذ لا يضر، فإن الصيد لو أخذ خارج مكة ثم أدخل في الحرم وذبح كان حلالاً عندهم فكذا هذا والله أعلم. قال: وإنه لا بأس أن يعطى الصبي الطير ليلعب به من

الحديث رقم ٤٨٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٨٢ الحديث رقم ٦٢٠٣، ومسلم في ٣/ ١٦٩٢ الحديث رقم (٣٠ ـ ٢١٥٠) وأبو داود في السنن ٥/ ٢٥١ الحديث رقم ٤٩٦٩، والترمذي في ٤/ ٣١٤ الحديث رقم ١٩٨٩، وابن ماجه في ٢/ ١٢٢٦ الحديث رقم ٣٧٢٠، وأحمد في المسند ٣/ ١١٥.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٨٨٥ ـ (٢) عن أبي هريرةَ، قال: قالوا: يا رسولَ الله! إِنَّكَ تداعبُنا. قال: «إِني لا أقولُ إِلاَّ حقّاً». رواه الترمذي.

غير أن يعذبه قلت: هذا فرع آخر على المسألة السابقة إذ لو ثبت حرمية المدينة لوجب إرسال الصيد أن أخذ منها، وكذا عندنا بعد دخوله في حرم مكة قال: وإباحة تصغير الأسماء قلت: لأنه مبني على اللطف والشفقة لا سيما وفيه مراعاة السجع وهو مباح الكلام إذا لم يكن مقروناً بالتكلف قال: وإباحة الدعابة ما لم يكن اثماً قلت: بل استحبابه إذا كان تطييباً ومطايبة قال: وجواز تكنى الصبي ولا يدخل ذلك في باب الكذب قلت: لأنه قصد به التفاؤل قال: وقد نقل عن الشيخ نجم الدين الكبير غير ذلك من الفوائد، وهي أن يجوز للرجل أن يدخل في بيت فيه امرأة أجنبية إذا أمن على نفسه الفتنة قلت: فيه بحث لأنه إن أراد جواز الخلوة مع الأجنبية فهو لا يجوز بالإجماع وإن أراد الدخول عليها مع وجود غيرها فهو أمر ظاهر لا شبهة في جوازه حتى مع عدم الأمن عن الفتنة أيضاً كما في مسألة تحمل الشهادة ونحوها، وليس في الحديث دلالة على الخلوة مع أنها لو ثبت لكان جوازه من خصوصياته ﷺ مع كونه معصوماً، مع أنه أب للأمة وليس لغيره ذلك، ولو كان ولياً فإن الحفظ مرتبة دون العصمة ولذا لما سئل الجنيد أيزني العارف؛ فاطرق رأسه ملياً ثم قال: «وكان أمر الله قدراً مقدوراً». وإنما أطلت هذا المبحث لئلا يتعلق به بعض الزنادقة والملأ حدة والمباحية مع أنا لا نشك في جلالة الشيخ قدس سره حيث أثر نظره في الكلب قال: وأن يجوز للرجل أن يسأل عما هو عالم به تعجباً منه قلت: هذا يتوقف على تقدم علمه ﷺ بموت النغير لاحتمال صدور هذا القول بمجرد فقده وهو أعم من حصول موته، قال: وفيه كمال خلق النبي ﷺ، وإن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق ويستحب استمالة قلوب الصغار وإدخال السرور في قلوبهم قلت: كيف لا وقد قال تعالى في وصفه الكريم في كلامه القديم: ﴿وأنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم ـ ٤] (متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٤٨٨٥ ـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا: يا رسول الله) أي بعض الصحابة («إنك تداعبنا») من الدعابة أي تمازحنا وكأنهم استبعدوه منه فلذلك أكدوا الكلام بأن وباللام أيضاً ما في بعض النسخ من قوله: لتداعبنا، والأظهر أن منشأ سؤالهم أنه ﷺ نهاهم عن المزاح كما قدمناه («قال: إني لا أقول: إلا حقاً»). أي عدلاً وصدقاً، ولا كل أحد منكم قادر على هذا الحصر لعدم العصمة فيكم. (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٤٨٨٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٤ الحديث رقم ١٩٩٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٠.

٤٨٨٦ ـ (٣) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً استحملَ رسولَ الله ﷺ، فقال: «إني حاملكَ على ولدِ ناقةٍ؟» فقال: ما أصنعُ بولدِ النَّاقةِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهلْ تلدُ الإبلَ إلاّ النوقُ؟». رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٨٨٧ ـ (٤) وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «يا ذا الأذُنَينِ!». رواه أبو داود، والترمذيُّ.

٤٨٨٨ ـ (٥) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال لامرأةٍ عجوزٍ:

٤٨٨٦ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً**) قيل: وكان به بله، (**استحمل رسول الله ﷺ**) أي سأله الحملان، والمعنى طلبه أن يحمله على دابة، والمراد به أن يعطيه حملة يركبها (**فقال: «إني حاملك على ولد ناقة»**) قاله: مباسطاً له بما عساه أن يكون شفاء لبلهه بعد ذلك (**«فقال:»**) أي يا رسول الله كما في الشمائل (**«ما أصنع بولد الناقة»**) حيث توهم أن الولد لا يطلق إلا على الصغير وهو غير قابل للركوب (**«فقال رسول الله ﷺ: هل تلد الإبل»**) أي جنسها من الصغار والكبار (**إلا النوق**) بضم النون جمع الناقة وهي أنثى الإبل، والمعنى أنك لو تدبرت لم تقل ذلك، ففيه مع المباسطة له الإشارة إلى إرشاده وإرشاد غيره بأنه ينبغي لمن سمع قولاً أن يتأمله ولا يبادر إلى رده إلا بعد أن يدرك غوره. (**رواه الترمذي وأبو داود**).

٤٨٨٧ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين»**) معناه الحض والتنبيه على حسن الاستماع لما يقال له لأن السمع بحاسة الاذن ومن خلق الله له الأذنين وغفل ولم يحسن الوعي لم يعذر، وقيل: إن هذا القول من جملة مداعباته ﷺ ولطيف أخلاقه. قاله صاحب النهاية: وقال شارح: الأظهر أنه حمده على ذكائه وفطنته وحسن استماعه، ويحتمل أنه قال ذلك: على سبيل الانبساط إليه والمزاح معه قلت: لا منافاة بينهما حتى يجعل قولان في معناه، فإن مزحه الصوري اللفظي لا ينفك عن مزح حقه المعنوي على أنه يمكن أن يكون في أذنه نوع طول أو قصر أو قصور فأشار بذلك. (**رواه أبو داود والترمذي**).

٤٨٨٨ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله عنه (**عن النبي ﷺ قال لامرأة عجوز:**) بفتح أوّله، وأما العجوز بالضم فهو الضعف، وفي القاموس ولا تقل: عجوزة أو هي لغة ردئية ثم قيل: هي صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوّام عمة النبي ﷺ وسيأتي أنها غيرها، ويمكن

الحديث رقم ٤٨٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٠ الحديث رقم ٤٩٩٨، والترمذي في ٤/ ٣١٤ الحديث رقم ١٩٩١، وأحمد في المسند ٣/ ٢٦٧.

الحديث رقم ٤٨٨٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٢ الحديث رقم ٥٠٠٢، والترمذي في ٤/ ٣١٥ الحديث رقم ١٩٩٢، وأحمد في المسند ٣/ ١٢٧.

الحديث رقم ٤٨٨٨: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٨٣ الحديث رقم ٣٦٠٦.

«إنَّه لا تدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ» فقالتْ: وما لهُنَّ؟ وكانت تقرأُ القرآنَ. فقال لها: «أَما تقرئينَ القرآنَ؟ ﴿إنَّا أنشأناهن إِنشاءً فجعلناهُنَّ أبكاراً﴾. رواه رزين. وفي «شرح السنة» بلفظ «المصابيح».

الجمع بتعدد الواقعة والله أعلم، («أنه») أي الشأن (لا تدخل الجنة عجوز فقالت: وما لهن) أي وأي مانع للعجائز من دخولها وهن من المؤمنات أي الداخلات في عموم المؤمنين من أهل الجنة («وكانت تقرأ القرآن») أي ولذا سألته مستغربة لمعنى كلامه ﷺ («فقال لها: أما تقرئين القرآن») أي وقد قال تعالى: (﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾) الضمير لما دل عليه سياق السباق في الآية وهو فرش مرفوعة، والمراد النساء أي أعدنا إنشاءهن إنشاء خاصاً وخلقناهن خلقاً غير خلقهن (﴿فجعلناهن أبكار﴾)[1] أي عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً. وفي الحديث، «هن اللواتي قبض في دار الدنيا عجائز خلقهن الله بعد الكبر فجعلن عذارى متعشقات على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، ومن يكون لها أزواج فتختار أحسنهم خلقاً». الحديث في الطبراني والترمذي، مطوّلاً. (رواه رزين) أي بهذا اللفظ الذي ذكر في المشكاة. (وفي شرح السنة) أي للبغوي بإسناده، (بلفظ المصابيح)، وهو روى أنه ﷺ قال لعجوز: «إن الجنة لا يدخلها العجز» بضمتين جمع عجوز ذكره شارح، فولت تبكي قال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى قال: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً﴾ [الواقعة، ٣٥ ـ ٣٦] اهـ ورواه الترمذي في الشمائل عن الحسن البصري مرسلاً قال: «أتت عجوز النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، قال: فولت تبكي فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً﴾» [الواقعة، ٣٥ ـ ٣٦] وفي نسخة زيادة ﴿«عرباً أتراباً»﴾ [الواقعة ـ ٣٧] والعرب بضمتين ويسكن الثاني جمع عروب كرسل ورسول أي عواشق ومتحببات إلى أزواجهن، وقيل: العروب الملقة، والملق الزيادة في التودد ومنه التملق وقيل: الغنجة والغنج في الجارية تكسر وتدلل، وقيل: الحسنة الكلام والأتراب المستويات في السن، والمراد هنا بنات ثلاثين أو ثلاث وثلاثين كأزواجهن على ما في المدارك وهذا أكمل أسنان أبناء الدنيا، وقد أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من طريق محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حسن عن ليث عن مجاهد قال: دخل النبي ﷺ على عائشة وعندها عجوز فقال: من هذه؟ قالت: هي عجوز من أخوالي، فقال النبي ﷺ: «إن العجز لا يدخلن الجنة»، فشق ذلك على المرأة، فلما دخل النبي ﷺ قالت له عائشة، فقال: إن الله عزَّ وجلّ «ينشئهن خلقاً غير خلقهن». وأخرج ابن الجوزي في كتاب الوفاء من طريق الزبير بن بكار قال: حدثني رجل، حدثنا الفضل بن خالد النحوي، ثنا خارجة ابن مصعب، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس «إن عجوز أدخلت على رسول الله ﷺ فسألته عن شيء فقال لها ومازحها: إنه لا يدخل الجنة عجوز»، فخرج النبي ﷺ إلى

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.

٤٨٨٩ ـ (٦) وعنه، أنَّ رجلاً منْ أهل البادية كانَ اسمُه زاهرَ بن حرامٍ، وكانَ يُهْدي للنبيِّ ﷺ من البادية، فَيُجَهِّزُه [٣٦٦ ـ ب ـ] رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أنْ يخرجَ فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ زاهراً باديتنا ونحنُ حاضروه». وكانَ النبيُّ ﷺ يحبُّه، وكانَ دميماً. فأتى النبيُّ ﷺ يوماً وهوَ يبيعُ متاعَه،

الصلاة فبكت بكاء شديداً حتى رجع النبي ﷺ فقالت عائشة: «يا رسول الله إن هذه المرأة تبكي لما قلت لها: إنه لا يدخل الجنة عجوز فضحك وقال: أجل لا يدخل الجنة عجوز ولكن قال الله تعالى ﴿أنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً﴾ وهن العجائز الرمص». قال ميرك: هو جمع الرمصاء والرمص وسخ العين يجتمع في الموق. هذا وجعل بعض المفسرين ضمير أنشأناهن للحور العين على ما يفهم من السياق أيضاً، فالمعنى خلقناهن من غير توسط ولادة، ثم يحتمل أن المراد ثم ربيناهن حتى وصلن لحد التمتع، ويحتمل وهو الظاهر أنهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج في التربية والسن لكن وجه المطابقة بين الحديث والآية غير ظاهر على هذا، فالصواب أن يجعل الضمير إلى نساء الجنة بأجمعهن، وحاصله «إن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالى خلقاً آخر يناسب الكمال والبقاء والدوام، وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية وانتفاء صفات النقص عنها»، والله سبحانه أعلم.

٤٨٨٩ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(أن رجلاً من أهل البادية)** في الاستيعاب أنه كان حجازياً يسكن البادية، وقال ابن حجر: أشجعي شهد بدراً، **(كان اسمه زاهر بن حرام)** أي ضد حلال، ولم يذكره المؤلف في أسمائه، **(وكان يهدي)** بضم الياء وكسر الدال **(للنبي ﷺ)** أي لأجله أو إليه، وفي الشمائل إلى النبي ﷺ هدية **(من البادية)** أي حاصلة مما يوجد في البادية من الثمار والنبات والرياحين والأدوية ونحوها **(فيجهزه رسول الله ﷺ)** بتشديد الهاء، وفي نسخة بالتخفيف على ما في الشمائل أي يعدله ويهيىء له أسبابه ويعوّضه ما يحتاج إليه في البادية من أمتعة البلدان **(إذا أراد)** أي زاهر **(أن يخرج)** أي من المدينة إلى البادية **(فقال النبي ﷺ: «إن زاهراً باديتنا»)** أي ساكن باديتنا أو صاحبها أو أهلها، وفي بعض نسخ الشمائل بادينا من غير تاء، والبادي المقيم بالبادية ومنه قوله تعالى: **﴿سواء العاكف فيه والباد﴾** [الحج ـ ٢٥] وهو في المعنى أظهر من الأوّل **(«ونحن حاضروه»)** من الحضور وهو الإقامة في المدن والقرى. قال الطيبي: معناه أنا نستفيد من ما يستفيد الرجل من باديته من أنواع النباتات ونحن نعد له ما يحتاج إليه من البلد اهـ. وصار المعنى كأنه باديته، وقيل: تاؤه للمبالغة، وقيل: من إطلاق اسم المحل على الحال، **(وكان النبي ﷺ يحبه)** أي حباً شديداً **(«وكان»)** مع حسن سيرته **(«رجلاً دميماً»)** بالدال المهملة أي قبيح المنظر كريه الصورة **(فأتى النبي ﷺ)** بالرفع أي فجاءه أو مر عليه النبي **(«يوماً وهو»)** أي زاهر **(«يبيع متاعه»)** أي في سوق أو فضاء

الحديث رقم ٤٨٨٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٨١ الحديث رقم ٣٦٠٤، وأحمد في المسند ٣/ ١٦١.

فاحتضنَه منْ خلفِه وهو لا يُبصره. فقال: أرسلني، مَن هذا؟ فالتفتَ فعرفَ النبيَّ ﷺ، فجعلَ لا يألو ما ألزَقَ ظهرَه بصدرِ النبيِّ ﷺ حينَ عرفَه، وجعلَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «مَن يشتري العبدَ؟» فقال: يا رسولَ الله! إذاً والله تجدُني كاسداً فقال النبيُّ ﷺ: «لكنْ عندَ اللّهِ لستَ بكاسدٍ» رواه في «شرح السنة».

(«**فاحتضنه**»)، وفي الشمائل بالواو أي أخذه من حضنه وهو ما دون الإبط إلى الكشح («**من خلفه**») أي من جهة ورائه، وحاصله أنه عانقه من خلفه بأن أدخل يديه تحت إبطي زاهر وأخذ عينيه بيديه لئلا يعرفه، وقيل: معناه أنه أخذ من عقبه من غير أخذ عينيه. ذكره النووي («**وهو لا يبصر**») جملة حالية، وفي الشمائل ولا يبصر، وفي نسخة ولا يبصره، (**فقال: أرسلني**) أي أطلقني («**من هذا**») أي المعانق، وفي الشمائل من هذا أرسلني («**فالتفت**») أي زاهر فرآه بطرف عينه («**فعرف النبي ﷺ فجعل**») أي شرع وطفق («**لا يألو**») بسكون الهمز ويبدل وضم اللام أي لا يقصر («**ما ألزق ظهره**»)، وفي الشمائل ما ألصق بالصاد وهو بمعناه، وما مصدرية منصوبة المحل على نزع الخافض أي في إلزاق ظهره («**بصدر النبي ﷺ**») أي تبركاً حين عرفه، قيل: ذكره ثانياً اهتماماً بشأنه وتنبيهاً على أن منشأ هذا الإلزاق ليس إلا معرفته («**وجعل**») بالواو، وفي الشمائل فجعل («**النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد**»)، وفي بعض نسخ الشمائل هذا العبد، ووجه تسميته عبداً ظاهر، فإنه عبد الله، ووجه الاستفهام عن الاشتراء الذي يطلق لغة على مقابلة الشيء بالشيء تارة وعلى الاستبدال[1] أخرى أنه أراد من يقابل هذا العبد بالإكرام، أو من يستبدله مني بأن يأتين بمثله، ويمكن أن يكون من قبيل التجريد؛ والمعنى من يأخذ هذا العبد («**فقال: يا رسول الله إذا**») بالتنوين جواب وجزاء أي أن بعثني أو عرضتني للبيع أو الأخذ إذا («**والله تجدني كاسداً**») أي رخيصاً أو غير مرغوب فيه، وفي بعض نسخ الشمائل إذا تجدني والله كاسداً بتأخير كلمة القسم عن الفعل أي متاعاً كاسداً لما فيه من الدمامة، وتجد بالرفع في أكثر النسخ، وفي بعضها بالنصب وهو ظاهر فإنه نحو:

إذا والله نـــرمـيـهـم بـحـــرب

ولعل وجه الرفع هو أن يراد بالفعل معنى الحال دون الاستقبال. قال ميرك: وفي بعض نسخ الشمائل تجدوني بلفظ الجمع، ويحتاج إلى تكلف قلت: صيغة الجمع قد تأتي للتعظيم فيكون الضمير له أو له ولأصحابه. (**فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسد**») تقديم الظرف على متعلقه وعامله للاهتمام والاختصاص، وفي الشمائل أو قال أنت عند الله غال والشك من الراوي، ولا يبعد أن يكون أو بمعنى بل، وفي نسخة لكن عند الله غال وفيه زيادة منقبة لا تخفى. (**رواه**) أي صاحب المصابيح (**في شرح السنة**) أي بإسناده، وكذا الترمذي في الشمائل وابن حبان وصححه هذا، ونظير هذا الحديث ما روى أبو يعلى أن رجلاً كان يهدي إليه ﷺ العكة من السمن أو العسل، فإذا طولب بالثمن جاء بصاحبه فيقول للنبي ﷺ: اعطه متاعه أي

---

(١) في المخطوطة «الاستدلال».

٤٨٩٠ ـ (٧) وعن عوفِ بن مالكِ الأشجعيِّ، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ في غزوةِ تبوك، وهوَ في قُبَّة من أَدم، فسلَّمتُ، فردَّ عليَّ وقال: «ادخُلْ» فقلتُ: أكلِّي يا رسولَ الله؟ قال: «كلُّكَ» فدخلتُ. قال عثمانُ بن أبي العاتكة: إنما قال ادخل كلّي منْ صِغَرِ القُبَّةِ. رواه أبو داود.

٤٨٩١ ـ (٨) وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: استأذنَ أبو بكرٍ على النبيِّ ﷺ، فسمعَ صوتَ عائشة عالياً، فلمَّا دخلَ

ثمنه فما يزيد ﷺ على أن يتبسم ويأمر به فيعطي، وفي رواية أنه كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى ثم جاء بها فقال: يا رسول الله هذا هدية لك فإذا طالبه صاحبه بثمنه جاء به فقال: اعط هذا الثمن فيقول: ألم تهده لي فيقول: ليس عندي، فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه، قلت: فكأنه رضي الله عنه من كمال محبته للنبي ﷺ كلما رأى طرفة أعجبت نفسه اشتراها وآثره ﷺ بها وأهداها إليه على نية أداء ثمنها إذا حصل لديه، فلما عجز وصار كالمكاتب رجع إلى مولاه وأبدى له صنيع ما أولاه فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم، فترجع المطالبة إلى سيده، ففعله هذا حق ممزوج بمزاح صدق. والله أعلم.(١)

٤٨٩٠ ـ (**وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه**). قال المؤلف: أول مشاهده خيبر وكان مع راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام ومات بها سنة ثلاث وسبعين، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، (**قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في قبة**) أي خيمة صغيرة (**من أدم**) بفتحتين أي جلد (**فسلمت**) أي سلام الاستئذان أو سلام الملاقاة (**فرد عليّ**) أي السلام (**وقال: أدخل، فقلت: أكلّي يا رسول الله، قال: كلّك**) بالرفع وينصب، قال الطيبي: يجوز فيه الرفع والنصب، والتقدير أيدخل كلي، فقال: كلك يدخل أو أدخل كلّي، فقال: أدخل كلك، (**فدخلت قال عثمان بن أبي العاتكة**) أحد رواة الحديث: (**إنما قال: أدخل كلي**) بمتكلم ثلاثي، وفي نسخة من المزيد. قال الطيبي: الظاهر أنه مضموم الهمزة على أنه من باب الأفعال ولو ذهب إلى الفتح، فوجهه أن يحمل كلي على أنه تأكيد وهو بعيد (**من صغر القبة**)، ويمكن من كبر عوف لا سيما مع صغرها أو من كثرة الناس فيها وهذا من مزاح أصحابه معه ﷺ وطي لبساط الأدب عند انبساط الحب وترك التكلف في مقام القرب. (**رواه أبو داود**).

٤٨٩١ ـ (**وعن النعمان**) بضم أوله (**ابن بشير**)، قيل: مات النبي ﷺ وله ثمان سنين وسبعة أشهر، ولأبويه صحبة. ذكره المؤلف في فصل الصحابة وقد سبق زيادة في ترجمته (**قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع**) أي أبو بكر (**صوت عائشة عالياً، فلما دخل**) أي

---

(١) ابن حبان في ١٣/ ١٠٦ الحديث رقم ٥٧٩٠.

الحديث رقم ٤٨٩٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧٢ الحديث رقم ٥٠٠٠، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤١ الحديث رقم ٤٠٤٢، وأحمد في المسند ٦/ ٢٢.

الحديث رقم ٤٨٩١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٧١ الحديث رقم ٤٩٩٩.

تناولَها ليلطمَها وقال: لا أراكِ ترفعينَ صوتكِ على رسولِ الله ﷺ، فجعلَ النبيُّ ﷺ يحجُزه، وخرج أبو بكرٍ مغضَباً. فقال النبيُّ ﷺ حينَ خرجَ أبو بكرٍ: «كيفَ رأيتِني أنقذتُكِ منَ الرَّجلِ؟» قالتْ: فمكثَ أبو بكرٍ أياماً، ثمَّ استأذنَ فوجدهما قدِ اصطلَحا، فقال لهما: أدخلاني في سِلمِكُما كما

بعد الاذن («تناولها») أي أخذها («ليلطمها») بكسر الطاء، ويجوز ضمها من اللطم، وهو ضرب الخد وصفحة الجسد بالكف مفتوحة على ما في القاموس («وقال: لا أراك») أي بعد هذا، وهو نفي بمعنى النهي من قبيل «لا أرينك ههنا»، أو على لغة إثبات حرف العلة مع الجازم، ومنه قول الجزري:

ألا قولوا: لشخص قد تقوّى   على ضعفي ولم يخشى رقيبه

وقول غيره:

ألم يأتيك والأنباء تنمي

وعليه وردت رواية قنبل عن ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إنه من يتقي ويصبر﴾ [يوسف ـ ٩٠] («ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ»)، الجملة مفعول ثان لأرى، ولا يبعد أن يكون لا أراك دعاء، وهمزة الإنكار مقدرة على قوله: «ترفعين»؛ وقال الطيبي: أي لا تتعرضي لما يؤدي إلى رفع صوتك، فالنهي وارد على المتكلم، والألف في لا أراك للإشباع؛ ويجوز أن تحمل على النفي الواقع موقع النهي أي لا ينبغي لي أن أراك على هذه الحالة. («فجعل النبي ﷺ يحجزه») بضم الجيم والزاي أي يمنع أبا بكر من لطمها وضربها («وخرج أبو بكر مغضباً») بفتح الضاد أي غضبان عليها («فقال النبي ﷺ: حين خرج أبو بكر: كيف رأيتني»). أي أبصرتني أو عرفتني («أنقذتك من الرجل») أي خلصتك من ضربه ولطمه. وقال الطيبي: الظاهر أن يقال: من أبيك فعدل إلى الرجل أي من الرجل الكامل في الرجولية حين غضب لله ولرسوله («قالت: فمكث»)، قيل: هكذا وجد في أصل أبي داود، وقال الطيبي: وهذا يدل على أن النعمان سمع هذا الحديث من عائشة، قلت: فيكون من مراسيل الصحابة وهي مقبولة إجماعاً، ثم هو بضم الكاف ويفتح أي فلبث («أبو بكر أياماً») أي لم يدخل فيها عندهم، والظاهر أنه ثلاثة أيام للنهي عن الهجران فوقها، قال الطيبي: قولها: فمكث أبو بكر بدل أبي لما حدث في صحبتها من غضبه عليها فجعلته كأنه أجنبي إذ في الأبوة استعطاف قلت: هذا يبعد منها كل البعد مع كمال عقلها وفهمها وأدبها وعلمها بمرتبة النبوّة والولاية، وأن يكون غضب أبيها في باطنها بعد مدة بمجرد قصده أن يلطمها أو مع تحقق لطمها رعاية لأجل رسول الله ﷺ، وتأديبها لها، وقد وقع نظيره كثيراً في الصحابة أن يذكروا آباءهم بأسمائهم وهذا من عدم تكلفاتهم التي استحدثت بعدهم، وإن كان ذكره بوصف الأبوة أولى وأنسب؛ نعم نداؤه باسمه خلاف الأدب على أن الظاهر أن في الحديث تصرفاً من الراوي حيث إنه نقل بالمعنى، ولذا قال: («ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما:»)، فإن حق الكلام من عائشة فوجدنا قد اصطلحنا فقال لنا: («ادخلاني في سلمكما») بكسر السين ويفتح أي في صلحكما («كما

أدخلتُماني في حربِكُما فقال النبيُّ ﷺ: «قدْ فعلنا، قدْ فعلنا». رواه أبو داود.

٤٨٩٢ ـ (٩) وعن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تُمارِ أخاكَ، ولا تُمازِحْه، ولا تعِدْهُ موعداً فتُخلفَه». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب.

أدخلتماني في حربكما») أي في شقاقكما وخناقكما، وإسناد الإدخال إليهما في الثاني من المجاز السببي أو من قبيل المشاكلة، وإلا فالمعنى كما دخلت في حربكما (**«فقال النبي ﷺ: قد فعلنا»**) مفعوله محذوف أي فعلنا إدخالك في السلم أو نزل الفعل منزلة اللازم أي أوقعنا هذا الفعل، وقد للتحقيق. وقوله ثانياً: (**قد فعلنا**) للتأكيد أو ثانيهما عوض عن عائشة أو على لسانها. (**رواه أبو داود**).

٤٨٩٢ ـ (**وعن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا تمار»**) بضم أوله من المماراة أي لا تجادل ولا تخاصم (**«أخاك»**) أي المسلم (**«ولا تمازحه»**) أي بما يتأذى منه (**«ولا تعده موعداً»**) أي وعداً أو زمان وعد أو مكانه (**فتخلفه»**) من الأخلاف وهو منصوب، وفي بعض النسخ بالرفع. قال الطيبي: إن روي منصوباً كان جواباً للنهي على تقدير فيكون مسبباً عما قبله، فعلى هذا التنكير في موعد النوع من الموعد وهو ما يرضاه الله تعالى بأن يعزم عليه قطعاً ولا يستثني، فيجعل الله ذلك سبباً للأخلاف أو ينوي في الوعد كالمنافق، فإن آية النفاق الخلف في الوعد كما ورد «إذا وعد أخلف» ويحتمل أن يكون النهي عن مطلق الوعد لأنه كثيراً ما يفضي إلى الخلف، ولو روي مرفوعاً كان المنهي الوعد المستعقب للأخلاف أي لا تعده موعداً، فأنت تخلفه على أنه جملة خبرية معطوفة على إنشائية وعلى هذا يتفرع عليه مسائل. قال النووي: أجمعوا على أن من وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهي عنه فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب، فيه خلاف ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنه مستحب، فلو تركه فإنه الفضل وارتكب المكروه كراهة شديدة ولا يأثم يعني من حيث هو خلف وإن كان يأثم إن قصد به الأذى. قال: وذهب جماعة إلى أنه واجب منهم عمر بن عبد العزيز وبعضهم إلى التفصيل، ويؤيد الوجه الأوّل ما أورده في الأحياء حيث قال: وكان ﷺ: «إذا أوعد وعداً قال: عسى»، وكان ابن مسعود لا يعد وعداً إلا ويقول: إن شاء الله تعالى وهو الأولى، ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي به فهذا هو النفاق اهـ. وهذا كله يؤيد الوجوب إذا كان الوعد مطلقاً غير مقيد بعسى أو بالمشيئة ونحوهما مما يدل على أنه جازم في وعده، فقوله: وهو الأولى محل بحث كما لا يخفى. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**). وقد سبق ما تعلق به.

الحديث رقم ٤٨٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٦٦ الحديث رقم ١٩٩٥.

[وهذا الباب خالٍ عن الفصل الثالث].

(١٣) باب المفاخرة والعصبية

[٣٦٧ ـ أ ـ]

الفصل الأول

٤٨٩٣ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أيُّ النَّاسِ أكرَم؟

باب المفاخرة والعصبية

الفخر ويحرك التمدح بالخصال كالافتخار، وفاخره مفاخرة عارضة بالفخر، كذا في القاموس، وفي النهاية العصبي هو الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم، والعصبة الأقارب من جهة الأب لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشتد بهم، ومنه «ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل عصبية»(١) قلت: لأنها من حمية الجاهلية، والقواعد الشرعية ﴿إنهم يكونون قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾، ولعل وجه الجمع بين المفاخرة والعصبية إن بينهما تلازماً غالبياً ومنه قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر، ١ ـ ٢] أي شغلكم التباهي والتفاخر بالكثرة حتى وصلتم إلى ذكر أهل المقابر. روي «أن بني عبد مناف وبني أسهم تفاخروا بالكثرة فكثر سهم بني عبد مناف فقال بنو سهم: «إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات فكثر بنو سهم».

(الفصل الأوّل)

٤٨٩٣ ـ (**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ أي الناس**») أي من بين أنواعهم أو أوصافهم (**«أكرم»**) أي أشرف وأعظم؛ قال الطيبي: يحتمل أن يراد به أكرم عند الله تعالى مطلقاً من غير نظر إلى النسب ولو كان عبداً حبشياً، وأن يراد به الحسب مع النسب، وأن يراد به الحسب فحسب، وكان سؤالهم عن هذا لقوله ﷺ «فعن معادن العرب أي عن أصولهم التي ينسبون إليها وكان جوابهم، فسلك على ألطف وجه حيث جمع بين الحسب

---

(١) راجع الحديث رقم ٤٩٠٧.

الحديث رقم ٤٨٩٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٣٦٢ الحديث رقم ٤٦٨٩، ومسلم في ٤/ ١٨٤٦ الحديث رقم (١٦٨ ـ ٢٣٧٨)، وأحمد في المسند ٢/ ٤٨٥.

قال: «أكرمُهم عندَ اللَّهِ أتقاهُم». قالوا: ليسَ عنْ هذا نسألُكَ. قال: «فأكرمُ النَّاسِ يوسفُ نبيُّ اللَّهِ ابن نبيِّ الله ابنِ نبيِّ الله ابنِ خليلِ الله». قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ قال: «فعنْ معادنِ العربِ تسألوني؟» قالوا: نعمْ. قال: «فخيارُكم في الجاهليَّةِ خِيارُكم في الإِسلامِ إِذا فُقُهوا».

والنسب» وقال: إذا فقهوا، قلت: لما أطلقوا السؤال؟ وكان المناسب صرفه عليه الصلاة والسلام إلى الفرد الأكمل والوصف الأفضل (**قال: أكرمهم عند الله أتقاهم**) وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣] بعد قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكمْ شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾ [الحجرات ـ ١٣] وقد نبه سبحانه وتعالى أن معرفة الأنساب إنما هو للتعارف بالوصلة، وأن الكرم لا يكون إلا بالتقوى لأن العاقبة للمتقين والعبرة بما في العقبى، ثم يحتمل أنه علم غرضهم ولكن عدل عنه إلى أسلوب الحكيم (**قال: «ليس عن هذا نسألك»**) تنزيل للفعل منزلة المصدر. قال الطيبي: تقديره ليس سؤالنا عن هذا على منوال قوله، فقالوا: ما تشاء؟ فقلت: الهوى اهـ. فلما تبين له ﷺ أنهم لم يسألوه عن الكرم المطلق وظن أن مرادهم الجمع بين النسب والحسب (**«قال: فأكرم الناس»**) أي من حيثية جمعية النسب والحسب النبوية (**«يوسف نبي الله ابن نبي الله»**) أي يعقوب (**«ابن نبي الله»**) أي اسحاق (**«ابن خليل الله»**) بإثبات ألف ابن في المواضع الثلاثة، والمراد بالخليل إبراهيم عليه السلام، فقد اجتمع شرف النبوّة والعلم وكرم الآباء والعدل والرياسة في الدنيا والدين في يوسف، وهو قد يهمز ويثلث سينه على ما في القاموس، والضم هو المشهور (**«قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب»**) أي قبائلهم (**«تسألوني»**) بتشديد النون وتخفيفه (**«قالوا: نعم. قال: فخياركم في الجاهلية خياركم»**) أي هم خياركم (**«في الإسلام»**) أي في زمنه (**«إذا فقهوا»**) بضم القاف ويكسر أي إذا علموا آداب الشريعة وأحكام الإسلام بعد دخولهم فيه. ففي القاموس الفقه بالكسر العلم بالشيء والفطنة له، وغلب على علم الدين لشرفه، وفقه ككرم وفرح فهو فقيه، ولعله ﷺ أراد بهذا إخراج المنافقين والمؤلفة قلوبهم، ويحتمل أن يراد به التنبيه على أن استواء النسب إنما يكون عند استواء الحسب بأن يكونوا مستوين في الفقه، وأما من زاد في الفقه فهو أعلى، ومن لم يفقه فهو في مرتبة الأدنى، والمراد بالفقه هو العلم المقرون بالعمل وهو حاصل التقوى، فرجع الأمر إلى قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣] لكن كما قال عزَّ وجلّ: ﴿**لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ [النجم ـ ٣٢] وقال ﷺ: «التقوى ههنا»(١)، وأشار إلى صدره الشريف مومياً إلى انحصارها فيه بحسب كمالها، وفي شرح السنة يريد أن من كانت له مأثرة وشرف إذا أسلم وفقه فقد حاز إلى ذلك ما استفاده بحق الدين، ومن لم يسلم فقد هدم شرفه وضيع نسبه. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: لما سئل ﷺ: «أي الناس أكرم» أجاب: «بأكملهم وأعمهم» وقال:

---

(١) الترمذي في السنن ٤/ ٢٨٦ الحديث رقم ١٩٢٧.

متفق عليه.

٤٨٩٤ ـ (٢) وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الكريمُ بنُ الكريمِ بن الكريمِ بن الكريم، يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بن إبراهيمَ». رواه البخاري.

٤٨٩٥ ـ (٣) وعن البراءِ بن عازبٍ، قال: في يوم حنينٍ كانَ أبو سفيانَ بن الحارثِ آخذاً بعنان بغلتِه، يعني بغلةَ رسول الله ﷺ، فلمّا غشيَه المشركونَ، نزلَ فجعلَ

«أتقاهم لله» لأن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقياً كان كثير الخير وكثير الفائدة في الدنيا وصاحب الدرجات العلى في الأخرى، ولما قالوا: ليس عن هذا نسألك قالوا: «يوسف جمع النبوّة والنسب وضم مع ذلك شرف علم الرؤيا والرياسة وتمكنه فيها، وسياسة الرعية بالسيرة الحميدة والصورة الجميلة». (**متفق عليه**).

٤٨٩٤ ـ (**وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم»**). قال ابن الملك في شرح المصابيح: كتب ابن في الثلاثة بدون الألف وصوابه أن يكتب بها لوقوعها بين الصفات (**«يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم». رواه البخاري**)، وكذا الإمام أحمد عنه. وعن أبي هريرة أيضاً.

٤٨٩٥ ـ (**وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما**) صحابيان جليلان (**«قال: في يوم حنين»**) ظرف مقدم والجملة هي المقول (**«كان أبو سفيان بن الحارث»**) أي ابن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وكان من الشعراء المطبوعين، وكان سبق له هجاء في رسول الله ﷺ وأجابه حسان بن ثابت ثم أسلم فحسن إسلامه، ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه، وكان إسلامه عام الفتح، وقال له علي كرم الله وجهه: «ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له: ما قال إخوة يوسف: تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين، ففعل ذلك أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين». وقبل منه وأسلم، وكان سبب موته أنه حج فلما حلق الحلاق رأسه قطع أثلولاً في رأسه فلم يزل مريضاً منه حتى مات بعد مقدمه من الحج بالمدينة سنة عشرين، ودفن في دار عقيل بن أبي طالب وصلى عليه عمر رضي الله عنه؛ والحاصل أنه يوم حنين (**«كان آخذاً بعنان بغلته يعني»**) هو كلام بعض الرواة أي يريد البراء بقوله: بغلته (**«بغلة رسول الله ﷺ»**) احترازاً من رجع الضمير إلى أبي سفيان (**«فلما غشيه»**) بفتح فكسر (**«المشركون»**) أي أتوه من جميع جوانبه (**«نزل»**) أي عن بغلته (**«فجعل**

الحديث رقم ٤٨٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤١٧ الحديث رقم ٣٣٨٢، والترمذي في السنن ٥/ ٢٧٣ الحديث رقم ٣١١٦، وأحمد في المسند ٢/ ٩٦.

الحديث رقم ٤٨٩٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦٤ الحديث رقم ٣٠٤٢، ومسلم في ٣/ ١٤٠٠ الحديث رقم (٧٨ ـ ١٧٧٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٠.

يقول:

«أنــا الــنــبــيُّ لا كــذِبْ أنــا ابــنُ عــبــدِ الــمــطــلــبْ»

قال: فما رُئِيَ منَ النَّاسِ يومئذٍ أشدُّ منه.

يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) بسكون الباء فيهما على الصواب وقيل: بفتحها في الأول وكسرها في الثاني، وقد تقدم الكلام عليه من جهة أنه شعر أم لا. قال التوربشتي: ليس لأحد أن يحمل هذا على المفاخرة، والشيخ يعني صاحب المصابيح لم يرد في إيراد هذا الحديث في هذا الباب، ولا شك أنه تبع بعض أصحاب الحديث في منصفاتهم ولم يصيبوا أولئك أيضاً، وقد نفى نبي الله ﷺ عن نفسه أن يذكر الفضائل التي خصه الله بها فخراً بل شكراً لأنعمه، فقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» الحديث. وذم العصبية في غير موضع فأنى لأحد أن يعد هذا الحديث من أحد القبيلين، وكيف يجوز على نبي الله ﷺ أن يفتخر بمشرك وكان ينهى الناس أن يفتخروا بآبائهم، وإنما وجه ذلك أن تقول: تكلم بذلك على سبيل التعريف، فإن الله تعالى قد أري قوماً قبل ميلاده ما قد كان علماً لنبوّته ودليلاً على ظهور أمره، وأظهر علم ذلك على الكهنة حتى شهد به غير واحد منهم، فالنبي ﷺ ذكّرهم بذلك وعرفهم أنه ابن عبد المطلب الذي روي فيه ما روى وذكر فيه ما ذكر. قال الطيبي: الجواب ما ذكره في شرح السنة من قوله: الافتخار والاعتزاز المنهي عنه ما كان في غير جهاد الكفار، وقد رخص النبي ﷺ الخيلاء في الحرب مع نهيه عنها في غيرها؛ وروي أن علياً رضي الله عنه بارز مرحباً يوم خيبر فقال: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة» قلت: حاصله يرجع إلى تأويل التوربشتي أنه للتعريف لا للافتخار، ثم قال الطيبي: وكأنه ﷺ يرى الكفار شدة جأشه وشجاعته مع كونه مؤيداً من عند الله تعالى حين قل شوكة المسلمين وهو السكينة التي أنزلها الله عليه يوم حنين وعلى المسلمين، وتلخيص الجواب أن المفاخرة نوعان مذمومة ومحمودة، فالمذموم منها ما كان عليها الجاهلية من الفخر بالآباء والأنساب للسمعة والرياء، والمحمود منها ما ضم مع النسب الحسب في الدين لا رياء، بل إظهاراً لأنعمه تعالى عليه، فقوله: لا فخر احترازاً عن المذموم منها وكفى به شاهداً قوله في الحديث السابق: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»، وقوله ﷺ حين جاءه عباس، وكأنه سمع شيئاً فقام على المنبر فقال: «من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً» قلت: وهذا كله تعريف لنسبه الشريف المنضم بحسبه المنيف وليس فيه الافتخار بآبائه الكفار لما سيأتي في أوّل الفصل الثاني مع أنه لو أراد الافتخار لافتخر بأجداده الأبرار وقال: «أنا ابن إسماعيل أو إبراهيم عليهما السلام»، وقد قال في الأحياء: كان افتخاره ﷺ بالله تعالى وبقربه لا بكونه مقدماً على ولد آدم، كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه **(قال:)** أي الراوي **(«فما رئي»)** بصيغة المجهول أي ما عرف **(«من الناس»)** أي أحد منهم **(«يومئذ أشد منه»)** أي أقوى وأشجع من النبي ﷺ، ومما يدل عليه اختياره البغلة

متفق عليه.

٤٨٩٦ ـ (٤) وعن أنس، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا خيرَ البريَّة! فقال رسولُ الله ﷺ: «ذاكَ إبراهيمُ».

التي لا تصلح للعزة بالمرة، ثم زاد عليه بأنه نزل منها وعرف الناس به بإظهار نسبه وحسبه المتضمن لكمال التعريف المنافي عادة لمقام التخويف، وما ذاك إلا لقوّة قلبه وتوكله على ربه واعتماده على عصمته بمقتضى وعده حيث قال تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة ـ ٦٧] وبموجب حكمه حيث قال: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله**﴾ [التوبة ـ ٣٣] (**متفق عليه**).

٤٨٩٦ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية**) بتشديد الياء، ويجوز تسكينها وهمز بعدها، ومعناها الخليقة؛ ففي النهاية يقال: برأه الله يبرأ برأ أي خلقه ويجمع على البرايا والبريات من البري وهو التراب إذا لم يهمز، ومن ذهب إلى أن أصله الهمزة أخذه من برأ الله الخلق يبرأهم أي خلقهم ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً ولم تستعمل مهموزة قلت: بل المهموزة مشهورة متواترة قرأ بها الإمام نافع وابن ذكوان عن ابن عامل على الأصل والباقون بإبدال الهمزة ياء وإدغامها في الياء تخفيفاً (**فقال رسول الله ﷺ:**) أي تواضعاً لربه وأدباً مع جده (**«ذاك»**) أي المشار إليه الموصوف بخير البرية (**«هو إبراهيم»**). قال النووي: فيه وجوه أحدها أنه قال هذا تواضعاً واحتراماً لإبراهيم عليه السلام لخلته وأبوّته، وإلا فنبينا ﷺ كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، وثانيها أنه قال هذا قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فإن الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء فأخبر بفضيلة إبراهيم عليه السلام إلى أن علم تفضيل نفسه فأخبر به، قلت: وفيه أنه يحتاج إلى معرفة تاريخ ليدفع التعارض به، وثالثها أن المراد به أنه أفضل برية عصره، فأطلق العبارة الموهمة للعموم لأنه أبلغ في التواضع، قلت: ومآل هذا يرجع إلى الأوّل مع أن كون كل منهما أفضل برية عصره ليس فيه مزيد مزية قال: وفيه جواز التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام قلت: لا دلالة عليه في كل من الوجوه الثلاثة، نعم أفضلية نبينا ثابتة بأدلة صحيحة صريحة كاد أن تكون المسألة قطعية بل إجماعية، منها حديث مسلم وأبي داود «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشق عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفع»[١] ومنها حديث الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لولاء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر»[٢]،

الحديث رقم ٤٨٩٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٩ الحديث رقم (١٥٠ ـ ٢٣٦٩)، وأحمد في المسند ٣/ ١٧٨.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ الحديث رقم (٣ـ ٢٢٧٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ٥٤ الحديث رقم ٤٦٧٣.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٨ الحديث رقم ٣٦١٥، وابن ماجه في ٢/ ١٤٤٠ الحديث رقم ٤٣٠٨.

رواه مسلم.

٤٨٩٧ ـ (٥) وعن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُطْروني كما أَطَرَت النصارى ابنَ مريمَ،

ومنها حديث الترمذي عن أبي هريرة «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسي حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[1]؛ وأمثال ذلك من الأحاديث كثيرة صحيحة شهيرة، ومما يدل على سيادته وزيادته في سعادته. وفي الأحاديث المسطورة إشعار بتأخير قوله: «أنا سيد ولد آدم عن قوله: «ذاك إبراهيم» لأن الأوصاف المذكورة يوم القيامة لا تتصوّر أن تكون في المفضول مع أن النسخ لا يوجد في الأخبار. هذا وقد قال بعض الشراح من علمائنا: بحمل الحديث على أنه ﷺ قاله تواضعاً ليوافق الأحاديث الدالة على فضله على سائر البشر، أو على أن إبراهيم كأنه يدعى بهذا النعت حتى صار علماً له كالخليل فقال: ذاك إبراهيم أي المدعو بهذه التسمية إبراهيم إجلالاً له يعني من التشريك، فيكون معنى خير البرية راجعاً إلى من خلق دون من لم يخلق بعده، ولم يكن ذكر البرية على العموم فلم يدخل النبي ﷺ في غمارهم اهـ. وحاصله أنه ﷺ مستثنى منهم إما بطريق النقل وهو ما ذكرنا، وإما بطريق العقل، فإن المتكلم عند بعض الأصوليين غير داخل في أمره وخبره والله أعلم. (رواه مسلم).

٤٨٩٧ ـ (**وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطروني»**) بضم أوله وأصله لا تطريون من الإطراء وهو المبالغة في المدح والغلو في الثناء (**«كما أطرت النصارى ابن مريم»**) أي مثل إطرائهم أياه، مفهومه إن إطراءه من غير جنس إطرائهم جائز ولله در صاحب البردة حيث قال:

دع ما أدعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وفي شرح السنة، وذلك أن النصارى أفرطوا في مدح عيسى عليه السلام وإطرائه بالباطل وجعلوه ولد الله تعالى، فمنعهم النبي ﷺ أن يطروه بالباطل. قال الطيبي: وفي العدول عن عيسى والمسيح إلى ابن مريم تبعيداً له، عن الألوهية يعني بالغوا في المدح والإطراء والكذب بأن جعلوا من جنس النساء الطوامث إلا هاء أو ابن إله اهـ. ولكون اليهود بالغوا في قدح المسيح والنصارى في مدحه قال تعالى: **﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق﴾** [المائدة ـ ٧٧] فالحق هو الوسط العدل كما بينه سبحانه بقول: **﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾** [النساء ـ ١٧١] والمعنى أنه عبد الله ورسوله لأن كونه ابن مريم يدل على أنه عبده وابن أمته كما أشار إليه بقوله: **﴿كانا يأكلان الطعام﴾** [المائدة ـ ٧٥] أي يبولان ويغوطان

(١) الترمذي في السنن ٥/٥٤٦ الحديث رقم ٣٦١١.

الحديث رقم ٤٨٩٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤٧٨ الحديث رقم ٣٤٤٥، والدارمي في ٢/٤١٢ الحديث رقم ٢٧٨٤، وأحمد في المسند ١/٢٣.

فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه» متفق عليه.

٤٨٩٨ ـ (٦) وعن عياضِ بن حمارٍ المجاشعيِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللّهَ أوْحى إليَّ: أنْ تواضَعوا حتى لا يَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغيَ أحدٌ على أحد». رواه مسلم.

ويحتاجان إلى الأكل والشرب فلا يصلحان للألوهية، ولا مناسبة لهما بالربوبية، وإنما شأنهما العبودية («**فإنما أنا عبده**») أي الخاص في مقام الاختصاص، وهو في الحقيقة أفضل مدح عند الفاضل الكامل، كما قال القائل:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أفضل أسمائيا

ولذا ذكره الله سبحانه في مواضع من كتابه بهذا الوصف المنيع والفضل البديع، منها في مقام الإسراء ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده**﴾ [الإسراء ـ ١] ومنها في مقام إنزال الكتاب ﴿**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده**﴾ [الفرقان ـ ١] و﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**﴾ [الكهف ـ ١] وفيه إشارة لطيفة وبشارة شريفة أن العناية الربوبية باعتبار غاية العبودية ﴿**فقولوا: عبد الله ورسوله**﴾ أي ليتميز به عن بقية عبيده، وفي ذكرهما أيضاً إيماء إلى مبدأ حالته ومنتهى غايته، وكان إياس الخاص أخذ حظاً الشمائل، كذا قاله الشيخ الجزري، فتأمل في قول المصنف. متفق عليه.

٤٨٩٨ ـ (**وعن عياض بن حمار**) بكسر أولهما (**المجاشعي**) بضم الميم يعد في البصريين، وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً، روى عنه جماعة (**إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا**») إن هذه مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول، وتواضعوا أمر من التواضع تفاعل من الضعة بالكسر وهي الذل والهوان والدناءة («**حتى لا يفخر**») متعلق بأوحى وهو بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبرياء والشرف أي كي لا يتعاظم («**أحد على أحد ولا ينبغي**») بكسر الغين أي ولا يظلم («**أحد على أحد**») وفي الجمع بينهما إشعار بأن الفخر والبغي نتيجتا الكبر لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسه فوق كل أحد ولا ينقاد لأحد. (**رواه مسلم**) أي في حديث طويل في آخر صحيحه ذكره ميرك، وكذا رواه أبو داود وابن ماجه عنه، وروى البخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه عن أنس ولفظه «إن الله تعالى أوحى إليّ أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض»(١).

الحديث رقم ٤٨٩٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢١٩٨ الحديث رقم (١٤ ـ ٢٨٦٥)، وابن ماجه في السنن ٢/١٣٩٧ الحديث رقم ٤١٧٩.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/١٤٠٩ الحديث رقم ٤٢١٤.

الفصل الثاني

٤٨٩٩ ـ (٧) عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَيَنتهيَنَّ أقوامٌ يفتخرونَ بآبائهم الذينَ ماتوا، إنما هُم فحمٌ من جهنمَ، أو ليكوننَّ أهونَ على اللَّهِ منَ الجُعَلِ الذي يُدَهْدِه [٣٦٧ ـ ب ـ] الخِراءَ بأنفِه

(الفصل الثاني)

٤٨٩٩ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «لينتهين)** بلام مفتوحة في جواب قسم مقدر أي والله ليمتنعن عن الافتخار (**«أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا»**) أي على الكفر، وهذا الوصف بيان للواقع لا مفهوم له، ولعل وجه ذكره أنه أظهر في توضيح التقبيح، ويؤيده ما رواه أحمد عن أبي ريحانة مرفوعاً «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وكرماً ما كان عاشرهم في النار»(١)، (**وإنما هم**) أي آباؤهم (**«فحم من جهنم»**) حالاً ومآلاً. قال الطيبي: حصر آباءهم على كونهم فحماً من جهنم لا يتعدون ذلك إلى فضيلة يفتخر بها (**«أو ليكونن»**) بضم النون الأولى عطفاً على لينتهين، والضمير الفاعل العائد إلى أقوام، وهو واو الجمع محذوف من ليكونن، والمعنى أو ليصيرن (**«أهون»**) أي أذل (**«على الله»**) أي عنده وفي حكمه (**«من الجعل»**) بضم جيم وفتح عين، وهو دويبة سوداء تريد الغائط يقال لها: الخنفساء فقوله: (**«الذي يدهده الخراء»**) أي يدحرجه (**«بأنفه»**) صفة كاشفة له والخرا بفتح الخاء والراء مقصوراً، وفي نسخة بالمد، وفي نسخة مصححة بكسر الخاء ممدوداً وهو العذرة، ويحتمل أن يكون بالفتح المصدر وبالكسر الاسم؛ ففي لباب الغريبين. «إن الخرء العذرة» وجمعه خروء كجند وجنود، وفي القاموس خرى كفرح خراء أو خراءة ويكسر، والاسم منه الخراء بالكسر، وفي شرح المصابيح إن الخرء بفتح الخاء وضمها واحد الخروء مثل قرء وقروء والقرء بفتح القاف وضمها الحيض، وكتب الخرء في الحديث بالألف إما لأنها مفتوحة فكتبت بحرف حركتها وإما لأنه نقلت حركتها إلى الراء وقلبت ألفاً على لفظ العصا، والحاصل أنه ﷺ «شبه المفتخرين بآبائهم الذين ماتوا في الجاهلية بالجعل، وآباءهم المفتخر بهم بالعذرة ونفس افتخارهم بهم بالدهدهة بالأنف»، والمعنى أن أحد الأمرين واقع البتة، أما الانتهاء عن الافتخار، أو كونهم أذل عند الله تعالى من الجعل الموصوف؛ وأغرب القاضي حيث قال: أو

الحديث رقم ٤٨٩٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٣٩٩ الحديث رقم ٥١١٦، والترمذي في ٥/٦٩٠ الحديث رقم ٣٩٥٥، وأحمد في المسند ٢/٣٦١.

(١) أحمد في المسند ٤/١٣٤.

إِنَّ الله قدْ أذهبَ عنكم عُبِيَّةَ الجاهليَّةِ، وفخرَها بالآباءِ، إنما هوَ مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، النَّاسُ كلُّهم بنو آدمَ، وآدمُ منْ ترابٍ».

ههنا للتخيير والتسوية، والمعنى أن الأمرين سواء في أن يكون حال آبائهم الذين يفتخرون بهم وأنت مخير في توصيفهم بأيهما شئت اهـ. والصواب ما قدمناه، وقد راعى الأدب معه الطيبي حيث قال: الظاهر أنه عطف على قوله: لينتهين، والضمير فيه ضمير القوم لأن اللام في المعطوف والمعطوف عليه لام الابتداء على نحو قوله تعالى: **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾** [الأعراف ـ ٨٨] كأنه ﷺ حلف على أن أحد الأمرين كائن لا محالة، ثم أغرب الطيبي في سوء سؤاله حيث قال: فإن قلت: هب أنه ﷺ عرف أنه تعالى يعذبهم بسبب المفاخرة بآبائهم فاقسم عليه فبم عرف انتهاءهم عنها قلت: لما نظمهما بأوفى الحكم الذي هو الحلف، آل كلامه إلى قولك: ليكونن أحد الأمرين يعني إن كان الانتهاء لم تكن المذلة وإن لم تكن كانت كذا، حققه صاحب الكشاف في النمل، فكأنه قيل: أحد الأمرين لا بد منه، أما الانتهاء عما هم فيه أو إنزال الصغار والهوان عليهم من الله تعالى اهـ. وهو ظاهر المرام لكن وقع بسط في الكلام، ثم إنه ﷺ استأنف لبيان علة الانتهاء عن الافتخار بعد زوال زمان الجاهلية وكمال القواعد الإسلامية بقوله: (**«إن الله قد أذهب»**) أي أزال ورفع (**«عنكم عبية الجاهلية»**) بضم العين المهملة وكسرها وكسر موحدة فتحتية مشددتين أي نخوتها وكبرها (**«وفخرها»**) أي وافتخار أهل الجاهلية في زمانهم (**«بالآباء»**). قال التوربشتي: يقال: رجل فيه عبية بضم العين المهملة وكسرها أي كبر وتجبر، والمحفوظ عن أهل الحديث تشديد الياء؛ وذكر أبو عبيد الهروي أنه من العبء بمعنى الحمل الثقيل، ثم قال وقال الأزهري: بل هو مأخوذ من العبء وهو النور والضياء. يقال: هذا عب الشمس وأصله عبوء الشمس، وعلى هذا فالتشديد فيه كما في الذرية من الذرء بالهمز، والجوهري أدخله في باب المضاعف قلت: وكذا فعل صاحب القاموس حيث قال: العبية وبالكسر الكبر والفخر والنخوة. وقال أيضاً: عب الشمس ويخفف ضوءها. وذكره في المهموز أيضاً وقال: العبء بالفتح ضياء الشمس (**«إنما هو»**) أي المفتخر المتكبر بالآباء لا يخلو عن أحد الوصفين فأما هو (**«مؤمن تقي»**)، فلا ينبغي له أن يتكبر على أحد لأن مدار الإيمان على الخاتمة والله سبحانه وتعالى أعلم بمن اتقى (**«أو فاجر»**) أي منافق أو كافر (**«شقي»**) أي غير سعيد فهو ذليل عند الله، والذليل لا يناسبه التكبر ولا يلائمه التجبر، فالتكبر لا يليق بالمخلوق فإنه صفة خاصة للخالق ولذا قال: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما قصمته»، ثم أشار ﷺ إلى دليل آخر ينتفي به التكبر عن الإنسان بقوله: (**﴿الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب﴾**) أي فلا يليق بمن أصله التراب النخوة والتجبر، أو إذا كان الأصل واحد قال أخوة فلا وجه للتكبر لأن بقية الأمور عارضة لا أصل لها حقيقة، نعم العاقبة للمتقين وهي مبهمة، فالخوف أولى للسالك من الاشتغال بهذه المسالك، هذا ما اخترناه في هذا المقام من خلاصة المرام، وتكلف الطيبي فقال: في ضمير هو وجوه أحدها إن في الكلام تقديماً وتأخيراً، فقوله: **﴿الناس كلهم بنو آدم﴾** مقدم لأنه مجمل وذاك تفصيله على نحو قوله:

رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٠٠ ـ (٨) وعن مُطرِّفِ بن عبدِ الله بن الشِّخِّيرِ، قال: [قال أبي:] انطلقت في وفدِ بني عامر إلى رسول الله

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاء

ووحد الضمير نظراً إلى الجنس أو على تأويل الإنسان، وثانيها أنه ضمير مبهم يفسره الخبر. كذا قرر صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿**وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا**﴾ [الجاثية ـ ٢٤] وقولهم: «هي العرب تقول ما شاءت»، وثالثها أن يكون بمعنى اسم الإشارة فيرجع إلى المذكور السابق منطوقاً ومفهوماً، وبيانه إن قوله أقوام من باب سوق المعلوم مساق غيره وهم قوم مخصوصون نكرهم وجعلهم غائبين، ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب في قوله: «قد أذهب عنكم» وهذا يشعر بغضب شديد وسخط متتابع» كان أناساً من المسلمين تفاخروا بأسلافهم الذين ماتوا على الكفر كالعباس بن مرداس وإضرابه حتى قال قائلهم:

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع

فوبخهم وزجرهم وسفه رأيهم، والمعنى لينته من شرفه الله وخلع عليه حلل الإسلام ورفعه من حضيض الكفر إلى بقاع الإيمان عن هذه الشنعاء وإلا فيحطه من تلك المنزلة ويرده إلى أسفل السافلين من الكفر والذل، فإن تشبيههم بأخس الحيوانات في أخس أحواله يدل عليه، فالمعنى «ما ذاك العزيز الكريم عند الله إلا رجل تقي، وما ذاك الذليل الدنيء عنده إلا فاجر شقي»، ثم رجع ﷺ من ذاك العنف إلى اللطف ومن التوبيخ إلى إسماع الحق قائلاً: «والناس كلهم بنو آدم لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**﴾ إلى قوله: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣] وفي ذكر التراب إشارة إلى نقصانهم وأنهم فيه سواء طف الصاع بالصاع. (**رواه الترمذي وأبو داود**). وروى البزار بسند حسن عن حذيفة مرفوعاً «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان».

٤٩٠٠ ـ (**وعن مطرف**) بتشديد الراء المكسورة (**ابن عبد الله بن الشخير**) بكسر فتشديد خاء معجمة، وفي نسخة بالتعريف. قال المؤلف في فصل التابعين: مطرف عامري بصري روى عن أبي ذر وعثمان بن أبي العاص، وفد أبوه على النبي ﷺ في بني عامر، روى عنه ابناه مطرف ويزيد (**قال:**) أي قال أبي: (**«انطلقت»**) كما في سنن أبي داود، ذكره السيد جمال الدين وهو المفهوم من أسماء الرجال (**«في وفد بني عامر إلى رسول الله»**) أي قاصدين ومتوجهين إليه

الحديث رقم ٤٩٠٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٨٠٦. وأحمد في المسند ٤/ ٢٥.

ﷺ، فقلنا: أنتَ سيِّدنا. فقال: «السيِّدُ اللَّهُ» فقلنا وأفضلُنا فضلاً، وأعظمُنا طَوْلاً. فقال: «قولوا قولكم، أو بعضَ قولِكم، ولا يستجرِينَّكُم الشيطانُ».

(«صلى الله عليه وسلم فقلنا:») أي بعدما وصلنا («أنت سيدنا فقال: السيد الله»)، وفي نسخة السيد هو الله بزيادة ضمير الفصل لمزيد تأكيد إفادة الحصر مبالغة في تعظيم ربه وتواضع نفسه، فحوّل الأمر فيه إلى الحقيقة مراعاة للآداب الشرعية والطريقة أي الذي يملك نواصي الخلق ويتولاهم ويسوسهم هو الله سبحانه، وهذا لا ينافي سيادته المجازية الإضافية المخصوصة بالأفراد الإنسانية حيث قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي لا أقول افتخاراً، بل تحدثاً بنعمة الله وإخباراً بما أمرني الله، وإلا فقد روى البخاري عن جابر أن عمر كان يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً اهـ. وهو بالنسبة إلى بلال تواضع والله أعلم. («فقلنا: وأفضلنا فضلاً») أي مزية ومرتبة، ونصبه على التمييز («وأعظمنا طولاً») أي عطاء للأحباء وعلوّاً على الأعداء، والواو الأولى استئنافية لربط الكلام أو من قبيل العطف على التوهم («فقال: قولوا قولكم») أي مجموع ما قلتم، أو هذا القول ونحوه («أو بعض قولكم») أي اقتصروا على إحدى الكلمتين من غير حاجة إلى المبالغة بهما، ويمكن أن تكون أو بمعنى بل أي بل قولوا بعض ما قلتم مبالغة في التواضع، وقيل: «قولوا قولكم الذي جئتم لأجله وقصدتموه، ودعوا غيركم مما لا يعنيكم» ونظيره قوله ﷺ لجويريات يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد، دعي هذه وقولي: ما كنت تقولين أو قولوا قولكم المعتاد المسترسل فيه على السجية دون المستعمل للإطراء والتكلف لمزيد الثناء، وحاصله لا تبالغوا في مدحي فضلاً عن غيري («ولا يستجرينكم الشيطان») أي لا يتخذنكم جرياً بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية أي كثيراً لجري في طريقه ومتابعة خطواته، وقيل: هو من الجراءة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز، وفي النهاية أي «لا يغلبنكم فيتخذكم جرياً أي رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه»، هذا زبدة الكلام في مقام المرام، وقد تكلف الطيبي حيث قال: وأفضلنا عطف على قوله: سيدنا كأنهم قالوا: أنت سيدنا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فكره رسول الله ﷺ الكل وخص الرد بالسيد، فأدخل الراوي كلامه بين المعطوف والمعطوف عليه، والذي يدل على كراهة الكل قوله: «قولوا قولكم» أي بقول أهل ملتكم، وما هو من شعار المسلمين، وذلك قولهم: «رسول الله ونبي الله»، وقال المظهر: وقوله: «قولوا قولكم» يعني قولوا هذا القول أو أقل منه ولا تبالغوا في مدحي بحيث تمدحونني بشيء يليق بالخالق ولا يليق بالمخلوق. وقال الخطابي: أراد ﷺ بقوله: قولوا بقول أهل دينكم أو ملتكم وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله في كتابه، ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم لأني لست كأحد منهم إذ كانوا يسودونكم في أسباب الدنيا وأنا أسودكم بالرسالة والنبوّة فسموني رسولاً ونبياً». وقال التوربشتي: سلك القوم في الخطاب معه مسلم مع رؤساء القبائل، فإنهم يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب، فكره ذلك لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبي والرسول فإنها

رواه أحمد وأبو داود.

٤٩٠١ ـ (٩) وعن الحسنِ، عن سمُرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الحسَبُ المالُ، والكرَمُ التَّقْوى». رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

المنزلة التي لا منزلة وراءها لأحد من البشر، **(رواه أبو داود)**. وفي نسخة صحيحة رواه أحمد وأبو داود.

٤٩٠١ ـ **(وعن الحسن)** أي البصري، فإنه المراد عند الإطلاق على اصطلاح المحدثين لكن لم يظهر وجه ذكره، فإن مقتضى العادة هو الاكتفاء بذكر الصحابي إلا لسبب عارض في الإسناد محوج إلى ذكر التابعي. **(عن سمرة)** بفتح وضم **(قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسب»)** بفتحتين **(«المال»)** أي مال الدنيا الحاصل به الجاهل غالباً **(«والكرم»)** أي الكرم المعتبر في العقبى المترتب عليه الإكرام بالدرجات العلى **(«التقوى»)** لقوله تعالى: **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** [الحجرات ـ ١٣] وفيه تنبيه نبيه على «أن الدنيا فانية والأخرى باقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن من أحب آخرته أضر بدنياه، ومن أحب دنياه أضر بعقباه فما ضدان لا يجتمعان»، فمثالهما كفتا الميزان، ونعم ما قال بعض أرباب الحال:

زيادة المرء في دنيا نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

قال شارح: الحسب ما يعده الرجل من مفاخر آبائه، والكرم ضد اللؤم فقيل: معناه الشيء الذي يكون به الرجل عظيم القدر عند الناس هو المال، والشيء الذي يكون به عظيم القدر عند الله التقوى والافتخار بالآباء ليس بشيء منهما، وبهذا المعنى يظهر مناسبة إيراد هذا الحديث بعنوان الباب وقيل: معناه «أن الغني يعظم كما يعظم الحسيب وأن الكريم هو المتقي لا من يجود بماله ويخطر بنفسه ليعد جواداً شجاعاً». وقال الطيبي: الحسب ما يعده من مآثره ومآثر آبائه، والكرم الجمع بين أنواع الخير والشرف والفضائل، وهذا بحسب اللغة، فردهما ﷺ إلى ما هو المتعارف بين الناس وعند الله أي ليس ذكر الحسب عند الناس للفقير حيث لا يوقر ولا يحتفل به، بل كل الحسب عندهم من رزق الثروة ووقر في العيون، ومنه حديث عمر رضي الله عنه من حسب الرجل اتقاء ثوبيه أي أنه يوقر لذلك من حيث إنه دليل الثروة وذو الفضل والشرف عند الناس، ولا يعد كريماً عند الله، وإنما الكريم عنده من ارتدى برداء التقوى وأنشد:

كانت مودة سلمان له نسباً ... ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(رواه الترمذي وابن ماجه). وقال الترمذي: حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ذكره ميرك، وكذا رواه أحمد والحاكم(١).

الحديث رقم ٤٩٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٦٣ الحديث رقم ٣٢٧١، وابن ماجه في ٢/ ١٤١٠ الحديث رقم ٤٢١٩، وأحمد في المسند ٥/ ١٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ١٦٣.

٤٩٠٢ - (١٠) وعن أُبيِّ بن كعبٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَن تعزَّى بعزاءِ الجاهليَّةِ، فأعضُّوهُ بهَنِ أبيه ولا تَكْنوا». رواه في «شرح السنَّة».

٤٩٠٣ - (١١) وعن عبدِ الرَّحمن بنِ أبي عُقبةَ، عن أبي عُقبةَ، وكانَ مولىً مِنْ أهلِ فارس، قال: شهِدتُ مع رسول الله ﷺ أُحُداً، فضربتُ رجلاً منَ المشركينَ، فقلتُ: خذها مني وأنا الغُلامُ الفارسيُّ! فالتفتَ إليَّ فقال: «هلاَّ قلتَ: خُذْها مني وأنا الغلامُ الأنصاريُّ؟».

٤٩٠٢ - **(وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعزى»)** أي انتسب **(«بعزاء الجاهلية»)** بفتح العين أي نسب أهلها وافتخر بآبائه وأجداده **(«فأعضوه»)** بتشديد الضاد والمعجمة من أعضضت الشيء جعلته يعضه، والعض أخذ الشيء بالأسنان أو باللسان على ما في القاموس **(«بهن أبيه»)** بفتح الهاء وتخفيف النون، وفي النهاية لهن بالتخفيف والتشديد كناية عن الفرج أي قولوا له: أعضض بذكر أبيك أو أيره أو فرجه»، **(ولا تكنوا)** بفتح أوّله وضم النون أي لا تكنوا بذكر الهن عن الأير بل صرحوا له بآلة أبيه التي كانت سبباً فيه تأديباً وتنكيلاً، وقيل: معناه من انتسب وانتمى إلى جاهلية بإحياء سنة أهلها وابتداع سنتهم في الشتم واللعن والتعيير، ومواجهتكم بالفحشاء والتكبر، فاذكروا له قبائح أبيه من عبادة الأصنام والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك مما كان يعير به من لؤم ورذالة صريحاً لا كناية كي يرتدع عن التعرض لأعراض الناس. **(رواه)** أي صاحب المصابيح **(في شرح السنة)** أي بإسناده.

٤٩٠٣ - **(وعن عبد الرحمن بن أبي عقبة)** بضم أوّله هو مولى جبير بن عقيق **(عن أبي عقبة)**، قال ميرك: اسمه رشد بضم الراء وفتح الشين المعجمة مولى الأنصار، ويقال: مولى بني هاشم، وقال المؤلف: هو صحابي من أبناء فارس وابنه عبد الرحمن تابعي، روى عن أبيه وعن داود بن الحصين، **(وكان)** أي أبو عقبة **(مولى من أهل فارس قال: شهدت مع رسول الله ﷺ أحداً)** بضمتين أي حضرته **(فضربت رجلاً من المشركين)** أي برمي أو برمح أو بسيف **(فقلت: «خذها»)** أي الضربة أو الطعنة مني **(«وأنا الغلام الفارسي»)** بكسر الراء، والجملة حال وهذا على عادتهم في المحاربة أن يخبر الضارب المضروب باسمه ونسبه إظهاراً بشجاعته **(«فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال: هلا قلت:»)** «أي لا قلت **(«خذها مني وأنا الغلام الأنصاري»)** أي إذا افتخرت عند الضرب فانتسب إلى الأنصار الذين هاجرت إليهم ونصروني،

الحديث رقم ٤٩٠٢: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٢٠ الحديث رقم ٣٥٤١، وأحمد في المسند ٥/ ١٣٦.

الحديث رقم ٤٩٠٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٢ الحديث رقم ٥١٢٣، وابن ماجه في ٢/ ٩٢١ الحديث رقم ٢٧٨٤.

رواه أبو داود.

٤٩٠٤ ـ (١٢) وعن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن نصرَ قومَه على غيرِ الحقِّ فهوَ كالبعيرِ الذي رُدِّي، فهو يُنزَعُ بذنَبِه». رواه أبو داود.

٤٩٠٥ ـ (١٣) وعن واثلةَ بن الأسقعِ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! ما العصبيَّةُ؟ قال: «أنْ تُعينَ قومكَ على الظلمِ». رواه أبو داود.

٤٩٠٦ ـ (١٤) وعن سُراقَة بن مالكِ بن جُعْشُم،

وكان فارس في ذلك الزمان كفاراً فكره ﷺ الانتساب إليهم وأمره بالانتساب إلى الأنصار ليكون منتسباً إلى أهل الإسلام، وفيه إشعار بأن الصحابة مما عدا المهاجرين قد يطلق عليهم الأنصار وليسوا بمخصوصين بأهل المدينة كما يتوهم، وبهذا يحصل العموم والشمول للصحابة في قوله تعالى: ﴿من المهاجرين والأنصار﴾ [التوبة ـ ١٠٠] **(رواه أبو داود)**.

٤٩٠٤ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نصر قومه على غير الحق»)** أي على باطل أو مشكوك **(«فهو كالبعير الذي ردي»)** بفتح الدال مخففة، وفي نسخة بكسرها وفتح الياء، وفي نسخة صحيحة بضم الراء وكسر الدال مشددة وفتح الياء أي تردى وسقط في البئر، وقيل: معناه هلك **(«فهو»)** أي البعير إذا وقع فيها **(«ينزع»)** بصيغة المفعول أي يعالج ويخرج **(«عنها بذنبه»)** أي بجر من ورائه، قيل: المعنى أوقع نفسه في الهلكة بتلك النصرة الباطلة حيث أراد الرفعة بنصرة قومه، فوقع في حضيض بئر الإثم وهلك كالبعير، فلا ينفعه كما لا ينفع البعير نزعه عن البئر بذنبه، وقيل: شبه القوم، ببعير هالك لأن من كان على غير حق فهو هالك، وشبه ناصرهم بذنب هذا البعير، فكما أن نزعه بذنبه لا يخلصه من الهلكة، كذلك هذا الناصر لا يخلصهم عن بئر الهلاك التي وقعوا فيها. **(رواه أبو داود)**. وأما ما رواه البيهقي والضياء عن أنس مرفوعاً «من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا الآخرة» فمحمول على نصرة الحق وإن كان اللفظ مطلقاً.

٤٩٠٥ ـ **(وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما العصبية؟)** أي الجاهلية **(«قال: إن تعين قومك على الظلم»)** يعني أن الواجب عليك متابعة الحق من غير نظر إلى ملاحظة الحق، ولهذا قال ﷺ على ما رواه الدارمي وابن عساكر عن جابر مرفوعاً «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فأردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره». **(رواه أبو داود)**، وكذا ابن ماجه.

٤٩٠٦ ـ **(وعن سراقة)** بضم أوّله **(ابن مالك بن جعشم)** بضم جيم وسكون عين مهملة

الحديث رقم ٤٩٠٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤١ الحديث رقم ٥١١٨.

الحديث رقم ٤٩٠٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤١ الحديث رقم ٥١١٩، وابن ماجه في ٢/ ١٣٠٢ الحديث رقم ٣٩٤٩.

الحديث رقم ٤٩٠٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤١ الحديث رقم ٥١٢٠.

قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: «خيرُكم المدافعُ عن عشيرتِه ما لم يأثَم». رواه أبو داود.

٤٩٠٧ - (١٥) وعن جُبيرِ بن مُطعم، أنَّ رسولَ الله ﷺ [٣٦٨ - أ -] قال: «ليسَ منَّا مَنْ دعا إلى عصبيَّة، وليسَ منَّا مَن قاتلَ عصبيَّةً، وليسَ منَّا مَن ماتَ على عصبيَّة». رواه أبو داود.

٤٩٠٨ - (١٦) وعن أبي الدَّرداءِ، عن النبيِّ ﷺ قال: «حبُّكَ الشيءَ يُعْمي ويُصِمُّ».

وضم شين معجمة، قال المؤلف: مدلجي كناني كان ينزل قديداً، ويعد في أهل المدينة. روى عنه جماعة، وكان شاعراً مجيداً مات سنة أربع وعشرين **(قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «خيركم المدافع عن العشيرة»)** أي أقاربه المعاشر معهم **(«ما لم يأثم»)** أي ما لم يظلم على المدفوع، فإنه حينئذ يكون جامعاً بين نصرة المظلوم ووصلة الأقارب، ثم اعلم أنه لو قدر على دفع الظالم عن قومه بكلام لم يجز له الضرب، ولو قدر بالضرب لم يجز له القتل لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجب مراعاة الترتيب. قال تعالى: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾** [النحل - ١٢٥] إلى قوله: **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾** [النحل - ١٢٦] الآية. **(رواه أبو داود)**.

٤٩٠٧ - **(وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه)** مره ذكره **(أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا»)** أي من أهل ملتنا أو من أصحاب طريقتنا **(«من دعا»)** أي الناس **(«إلى عصبية»)** أي إلى اجتماع عصبية في معاونة ظالم، وفي الحديث ما بال دعوى الجاهلية؟ قال صاحب النهاية: هو قولهم: يا آل فلان كانوا يدعون بعضهم بعضاً عند الأمر الحادث» **(«وليس منا من قاتل عصبية»)** أي بالباطل **(«وليس منا من مات على عصبية»)** أي على طريقتهم من حمية الجاهلية. **(رواه أبو داود)**.

٤٩٠٨ - **(وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «حبك»)** من إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله **(«الشيء»)** وهو مبتدأ خبره **(«يعمي ويصم»)** بضم أوّلهما وكسر عينهما أي يجعلك أعمى عن رؤية معايب الشيء المحبوب بحيث لا تبصر فيه عيباً ويجعلك أصم عن سماع قبائحه بحيث لا تسمع فيه كلاماً قبيحاً لاستيلاء سلطان المحبة على فؤادك، كما قال:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

وحاصله أنك ترى القبيح منه حسناً وتسمع منه الخنا قولاً جميلاً، كما قيل:

الحديث رقم ٤٩٠٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٣ الحديث رقم ٥١٢١.

الحديث رقم ٤٩٠٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٦ الحديث رقم ٥١٣٠، وأحمد في المسند ٥/ ١٩٤.

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٩٠٩ ـ (١٧) عن عُبادةَ بن كثيرٍ الشاميِّ من أهلِ فلَسطينَ، عن امرأةٍ منهم يُقال لها فَسيلةَ، أنَّها قالت: سمعتُ أبي يقولُ: سألتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله! أمِنَ العصبيَّةِ أنْ يُحبَّ الرجل قومَه؟ قال: «لا، ولكنْ منَ العصبيَّةِ أنْ ينصرَ الرجلُ قومَه على الظلمِ». رواه أحمد، وابنُ ماجه.

٤٩١٠ ـ (١٨) وعن عُقبةَ بن عامرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنسابُكم هذِه ليستْ بمسبَّةٍ

ويقبح من سواك الفعل عندي فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقال الأستاذ أبو علي: «حبك الشيء يعمي عن الغير غيرة، وعن المحبوب هيبة». قال الطيبي: ومورد الحديث في الذم وذكر العصبية يستدعي أن يقال: إنه ﷺ قال فيمن يتعصب لغيره ويحاميه بالباطل «وحبه إياه يعميه عن أن يبصر الحق في قضيته ويصمه عن أن يسمع الحق في قصته»، وإلا فالحديث ذو وجهين. **(رواه أبو داود)**، وكذا أحمد والبخاري في تاريخه عنه، والخرائطي في اعتلال، القلوب عن أبي برزة وابن عساكر عن عبد الله بن أنيس والله أعلم.

(الفصل الثالث)

٤٩٠٩ ـ **(عن عبادة بن كثير الشامي)**، لم يذكره المصنف في أسمائه، **(من أهل فلسطين)** بكسر ففتح فسكون فنون مفتوحة، وفي المغني فلسطون وفلسطين بكسر أوّلهما، وفي القاموس وقد يفتح فاؤهما كورة بالشام تقول: في حال الرفع بالواو وبالنصب والجر بالياء، أو تلزمها الياء في كل حال. **(عن امرأة منهم)** أي من أهل فلسطين **(يقال لها: فسيلة)** بفتح فاء فكسر سين مهملة، وفي نسخة بالتصغير، ولم يذكرها المؤلف في التابعيات **(أنها قالت: «سمعت أبي»)** ليس له ذكر في أسماء المؤلف **(«يقول:»)** أي أبو فسيلة **(«سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه؟»)** أي حباً بليغاً **(«قال: لا. ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم»)** أي على ظلمهم أو مع ظلمهم أو على وجه الظلم **(رواه أحمد وابن ماجه)**.

٤٩١٠ ـ **(وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «أنسابكم هذه»)** أي المعروفة المشهورة كأمر محسوس يشار إليه **(«ليست بمسبة»)** بفتحتين وتشديد موحدة أي

الحديث رقم ٤٩٠٩: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٢ الحديث رقم ٣٩٤٩، وأحمد في المسند ٤/ ١٠٧.

الحديث رقم ٤٩١٠: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٤٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٩٢ الحديث رقم ٥١٤٦.

على أحدٍ، كلكم بنو آدمَ طَفُّ الصَّاعِ بالصَّاعِ لم تملؤوه، ليسَ لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلاّ بدينٍ وتقوى، كفى بالرجلِ أن يكونَ بذيّاً فاحشاً بخيلاً». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(١٤) باب البر والصلة

محل سب وسبب عار (**«على أحد»**) أي منكم (**«كلكم بنوا آدم»**) أي جميعكم أولاد آدم وحواء (**«طف الصاع بالصاع»**) بفتح طاء وتشديد فاء، وهو مرفوع ومنصوب، والثاني أظهر على أنه بنزع الخافض ورفعه على الخبرية، وبنو آدم بيان أو بدل أو مبتدأ ثان، فيكون من التشبيه البليغ أي كلكم متساوون في النسبة إلى أب واحد متقاربون كتقارب ما في الصاع أو تساويه للصاع إذا لم يملأ ملأ تاماً حتى يزداد عليه، وهذا معنى قوله: (**«لم تملؤوه»**) أي والحال أنكم لم تملؤوه، وفي النهاية أي قريب بعضكم من بعض يقال: هذا طف المكيال أي ما قرب من ملئه، والمعنى كلكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام شبيههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ المكيال، ثم اعلم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى حيث قال: (**«ليس لأحد»**) أي على أحد كما في نسخة ضعيفة (**«فضل»**) أي زيادة مرتبة (**«الأبدين»**) أي من الأديان الحقة (**«وتقوى»**) بالقصر، وفي نسخة بالتنوين أي باجتناب من الشرك الجلي والخفي واحتراز من الكبائر والصغائر، والحاصل أن أفراد الإنسان كلهم في مرتبة النقصان والخسران إلا ذوي التقوى والكمال من أهل الأديان كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ [العصر - ١ - ٣] هذا وقال الطيبي: قوله: طف الصاع يجوز نصبه على أنه حال مؤكدة نحو زيد أبوك عطوفاً فإن ذكر بني آدم يدل على النقصان لكونهم من التراب، وبالرفع على أنه بدل أو خبر بعد خبر، والباء في بالصاع للحال أي طف الصاع مقابلاً بمثله من النقصان، والمراد التسوية بينهم في النقصان (**«كفى بالرجل»**) الجار والمجرور فاعل كفى، والتمييز محذوف أي مسبة وعاراً أو نقصاناً (**«أن يكون بذياً»**) بيان للتمييز كقوله ﷺ: «كفى بالمرء اثماً أن يحدث بكل ما سمع»[(١)]. وهو فعيل من البذاء بمعنى الكلام القبيح فقوله: (**«فاحشاً»**) عطف بيان له، وفي القاموس البذي كرضى الرجل الفاحش (**«بخيلاً»**) أي جامعاً بين إطالة اللسان وتقصير الإحسان. (**رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**).

باب البر والصلة

في النهاية البر بالكسر الإحسان، وهو في حق الأبوين والأقربين ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقهم، يقال: بربير فهو بار، وجمعه بررة، وجمع البرابر، وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والتعطُّف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وقطع الرحم ضد ذلك يقال: وصل رحمه يصلها وصلاً وصلة والهاء فيها عوض عن

(١) راجع باب الاعتصام الفصل الأول.

الفصل الأول

٤٩١١ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رجل: يا رسول الله! من أَحقُّ بحسْنِ قرابتي؟ قال: «أُمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «أُمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «أُمُّك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك». وفي رواية، قال: «أمَّك، ثمَّ أمكَ، ثمَّ أمَّكَ، ثمَّ أباك، أدناكَ أدناكَ». متفق عليه.

الواو المحذوفة فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر.

(الفصل الأول)

٤٩١١ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق)** أي أولى وأليق **(بحسن صحابتي)** بفتح أوّله وبكسر أي بإحسان مصاحبتي في معاشرتي، قال الجوهري: صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح، وفي القاموس صحبة كسمعه صحابة ويكسر، وصحبه عاشره، وقال النووي: هو بفتح الصاد هنا بمعنى الصحبة **(قال: أمك)** بالرفع كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصحّحة هنا وفيما بعده إلى آخر الرواية الأولى، وفي نسخة بالنصب، وهو خطأ، كما سنذكر وجهه**(قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك)** وفي رواية قال: قال ميرك: هذه الرواية من إفراد مسلم فتأمل في قوله: متّفق عليه، قلت: أراد المتّفق عليه معنى **(أمك)** بالنصب على الإغراء أي ألزم **أمك** أي أحسن صحبتها أو رعاية معاشرتها أو على نزع الخافض أي أحسن إليها أو على المفعول به، والتقدير بر أمك وهو الأظهر **(ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك)** أي أقربك **(أدناك)** بحذف العاطف وأعيد للتأكيد، قال الطيبي: قوله: «أمك» الخ جاء مرفوعاً في رواية، وفي أخرى منصوباً أما الرفع فظاهر والنصب على معنى أحق من أبر، ويدل عليه رواية بهز بن حكيم من أبر اهـ، وهو موهم أن **أمك** في الروايتين جاء مرفوعاً ومنصوباً وليس كذلك، بل الرفع متعيّن في الأول لقوله: أبوك هناك، والنصب متعيّن هنا لقوله: «أباك» وإياك أن تخلط الرواية فتحرم الدراية، وفي شرح للنووي فيه الحث على بر الأقارب وأن الأم أحقّهم بذلك ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب قالوا: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفعتها وخدمتها، قلت: وفي التنزيل إشارة إلى هذا التأويل في قوله تعالى: **﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾** [الأحقاق ـ ١٥] فالتثليث في مقابلة ثلاثة أشياء مختصة بالأم وهي تعب الحمل ومشقة الوضع ومحنة الرضاع. **(متّفق عليه)**.

الحديث رقم ٤٩١١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٠١ الحديث رقم ١٩٧١، ومسلم في ٤/ ١٩٧٤ الحديث رقم (١ ـ ٢٥٤٨) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٧ الحديث رقم ٣٦٥٨.

٤٩١٢ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُه، رغم أنفه، رغم أنفُه». قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدركَ والديه عندَ الكبرِ، أحدُهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة».

٤٩١٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: رغم)** بفتح فكسر أي لصق بالرغام وهو التراب المختلط بالرمل **(أنفه)**، والمراد به الذل وهو اخبار أو دعاء، والضمير مبهم سيبينه، والقصد من الإبهام ثم التبيين كونه أوقع في نفس السامع، وكذا تأكيداً بإعادته مرتين **(رغم أنفه قيل: من)** أي من هو أو هو من أو تعني من أو أنف من **(يا رسول الله: قال: من أدرك والديه)** فيه تغليب، **(عند الكبر)** خص به لأنه أحوج الأوقات إلى حقوقهما. قال المظهر: هو ظرف في موضع الحال، والظرف إذا كان في موضع الحال يرفع ما بعده فقوله: **(أحدهما)** مرفوع بالظرف وقوله: **(أو كلاهما)** معطوف على أحدهما اهـ، فهما فاعلان في المعنى، وقال الأشرف: يجوز أن يكون أحدهما خبر المبتدأ محذوف أي مدركه أحدهما أو كلاهما فإن من أدرك شيئاً فقد أدركه ذلك الشيء وهذه الجملة بيان لقوله: «من أدرك والديه»، وفي شرح المصابيح قوله: من أدرك والديه الكبر أحدهما أو كلاهما الكبر فاعل أدرك وأحدهما مفعوله قلت، الظاهر أنه بدل من مفعوله وهو والديه، قال الطيبي: قوله: عند الكبر بالإضافة، وأحدهما أو كلاهما مرفوعان، هكذا هو في جميع روايات مسلم، وفي كتاب الحميدي وجامع الأصول وبعض نسخ المصابيح وغير في بعضها إلى قوله: «عنده» بالهاء، والكبر بالرفع وأحدهما أو كليهما بالنصب، نعم هو في الترمذي كذا عن أبي هريرة أنه قال ﷺ: «رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة». اهـ ثم عطف على أدرك أي **(ثم)** بعد إدراكه ما ذكر وإمهاله مدة يسع فيها قضاء حقوقهما وأداء برهما **(لم يدخل الجنة)** بصيغة المعلوم من الدخول أي لم يدخلها بسبب عقوقهما والتقصير في حقوقهما وقال النووي: معناه أن برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك سبب لدخول الجنة فمن قصّر في ذلك فاته دخول الجنة، وقال الطيبي: ثم في قوله: ثم لم يدخل الجنة استبعادية يعني ذل وخاب وخسر من أدرك تلك الفرصة التي هي موجبة للفلاح والفوز بالجنة ثم لم ينتهزها وانتهازها هو ما اشتمل عليه قوله تعالى: **﴿وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾** [الإسراء ـ ٢٣] إلى قوله: **﴿وقل رب ارحمهما كما ربّياني صغيرا﴾** [الإسراء ـ ٢٤] فإنه دل على الاجتناب عن جميع الأقوال المحرمة والإتيان بجميع كرائم الأقوال والأفعال في التواضع والخدمة والإنفاق عليهما ثم الدعاء لهما في العاقبة. **(رواه مسلم)**. وفي الجامع الصغير «رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه من أدرك أبويه عنده الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة»[1] رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة، ورواه الترمذي والحاكم عنه بلفظ: رغم

الحديث رقم ٤٩١٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٨ الحديث رقم (٩ ـ ٢٥٥١)، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٠٧. الحديث رقم ١٦٦٨، والترمذي في ٥/ ٥٥٤ الحديث رقم ٣٥٤٥، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٦.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٣ الحديث رقم ٤٤٦٠.

رواه مسلم.

٤٩١٣ ـ (٣) وعن أسماءَ بنت أبي بكرٍ [رضي الله عنه]، قالت: قدِمَتْ عَليَّ وهي مشركةٌ في عهدِ قريشٍ، فقلت: يا رسول الله! إِن أمي قدِمَتْ عليَّ وهي راغبةٌ أفأصِلُها؟ قال: «نعم صِليها». متفق عليه.

٤٩١٤ ـ (٤) وعن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ آلَ

أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»[1].

٤٩١٣ ـ **(وعن أسماء بنت أبي بكر)** أي الصديق الأكبر **(رضي الله عنهم قالت: قدمت على أمي)** أي من مكة إلى المدينة **(وهي مشركة)** أي ما أسلمت بعد **(في عهد قريش)** متعلّق بقدمت أي كان ذلك القدوم وفي المدة التي كان عهد المصالحة بينه ﷺ وبين قريش على ترك قتالهم فيها **(فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي)** أي نزلت عندي **(وهي راغبة)** بالموحدة أي معرضة **(عن الإسلام)** أو مائلة فيه أو راغبة في صلتي أو راغبة في الإشراك، وفي نسخة صحيحة راغمة بالميم أي كارهة إسلامي وهجرتي أو ذليلة محتاجة إلى عطائي، وقيل: أي هاربة من قومها، قال التوربشتي: قد روي بالباء وكذلك هو في المصابيح، والصواب راغمةً بالميم بدل الباء، وقال النووي في شرح هذا الحديث: قدمت على أمي وهي راغبة أو راهبة، وفي الرواية الأخرى راغبة بلا شك وهي مشركة، قال القاضي عياض: الصحيح راغبة بلا شك، وفي رواية أبي داود راغبة في عهد قريش وهي راغمة مشركة[2]، قيل: معناه راغبة عن الإسلام أو كارهةً له، وقيل: طامعة فيما أعطيها حريصةً عليه، ومعنى راغمة بالميم كارهةً للإسلام ساخطةً له، قال الطيبي: تحريره إن قوله: راغبة إذا أطلقت من غير تقييد يقدر راغبة عن الإسلام لا غير، وإذا قرنت بقوله: وهي مشركة أو في عهد قريش يقدر راغبة في صلتي، ليطابق ما رواه أبو داود وهي راغمة، **(أفاصلها؟ قال: نعم صليها)** أي واعطيها ما يرضيها، قال النووي: وفيه جواز صلة القريب المشرك. **(متّفق عليه)**.

٤٩١٤ ـ (وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن آل

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٣ الحديث رقم ٤٤٥٩.

الحديث رقم ٤٩١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٨١ الحديث رقم ٣١٨٣، ومسلم في ٢/ ٦٩٦ الحديث رقم (٢ ـ ٦٩٦)، وأحمد في المسند ٦/ ٣٤٤.

(٢) أبو داود في السنن ٢/ ٣٠٧ الحديث رقم ١٦٦٨.

الحديث رقم ٤٩١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٩ الحديث رقم ٥٩٩٠، ومسلم في ١/ ١٩٧ الحديث رقم (٣٦٦ ـ ٢١٥)، والترمذي في السنن ٥/ ٣١٦ الحديث رقم ٣١٨٥، والنسائي في ٦/ ٢٤٨ الحديث رقم ٣٦٤٤، وأحمد في المسند ٢/ ٥١٩.

عمرانٍ ليسوا لي بأولياءَ، إِنما وليَيَ اللَّهُ وصالحُ المؤمنين، ولكن لهم رَحِمٌ أَبلُّها بِبِلاَلِها». متفق عليه.

٤٩١٥ ـ (٥) وعن المغيرة[٣٦٨ ـ ب ـ] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله حرَّم عليكم عقوقَ الأمهاتِ،

أبي) أي أبي فلان كما في نسخة صحيحة، فقيل: هو كناية من بعض الرواة خوفاً من الفتنة، والمكنّى عنه هو أبو سفيان بن حرب، وقيل: هو الحكم بن العاص، والأظهر أنه على العموم من طوائف قريش أو بني هاشم أو أعمامه وهو ظاهر الحديث أي أهل أبي (**ليسوا لي بأولياء**) لأنه كما قال تعالى: ﴿**إن أولياؤه إلاّ المتّقون**﴾ [الأسراء ـ ٣٤] وأشار إليه بقوله: (**إنما وليي الله**) وفي نسخة بياء واحدة مشددة مفتوحة، وروي مكسورة (**وصالح المؤمنين**) أي صلحاؤهم، والمراد بالصالح الجنس، ولذلك عم بالإضافة وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين**﴾ [التحريم ـ ٤] وكذلك في قوله: ﴿**إن وليي الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين**﴾ [الأعراف ـ ١٩٦] إيماءً إلى هذا المعنى، وفي رواية الطبراني عن أنس مرفوعاً آل محمد كل تقي، وقيل: المراد بصالح المؤمنين الأنبياء، وقيل: أبو بكر وعمر، وقيل: علي، والصحيح العموم، قال التوربشتي: المعنى إني لا أوالي أحداً بالقرابة، وإنّما أحب الله سبحانه وأوالي من والى بالإيمان والصلاح وأراعي لذوي الرحم حقّهم بصلة الرحم، وهذا معنى قوله: (**ولكن لهم**) أي لآل أبي (**رحم**) أي قرابة أعم من ذي محرم أو غيره (**أبلها**) بضم الموحدة واللام المشدّدة أي أصلها (**ببلالها**) بكسر الموحدة الثانية ويفتح أي بصلتها والإحسان إليها، والأصل في معناه أن يقال: «أنديها بما يجب أن تندى لئلاّ تنقطع، وأصلها بما ينبغي أن توصل به» يقال: الوصل بل يوجب الالتصاق والاتصال والهجر يبس يفضي إلى التعنت والانفصال، فالبلال بالكسر ما يبل به الحلق من الماء واللبن، والمراد به ههنا ما يوصل به الرحم من الإحسان، وقال بعض الشراح، يروى بفتح الباء على المصدر وبكسرها جمع بلل مثل جمل وجمال، وقيل: الكسر أوجه ومنه قوله عليه السّلام على ما رواه البزار عن ابن عباس والطبراني عن أبي الطفيل والبيهقي عن أنس وسويد بن عمر ومرفوعاً بلوا أرحامكم ولو بالسّلام» أي صلوها وندوها، والعرب تقول للقطيعة: اليبس شبه قطيعة الرحم بالحرارة تطفا بالماء وتندى بالصلة. (**متّفق عليه**).

٤٩١٥ ـ (**وعن المغيرة**) أي ابن شعبة الثقفي أسلم عام الخندق وقدم مهاجراً بالكوفة وهو أميرها لمعاوية، (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات**) أي مخالفتهن من العق وهو القطع والشق، المراد صدور ما يتأذّى به أحد الوالدين من ولده عرفاً بقول أو فعل، وخصّ الأمهات بالذكر للاهتمام بشأنهن وضعفهن، ويمكن أن يكون من قبيل الاكتفاء،

الحديث رقم ٤٩١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٠٥ الحديث رقم ٥٩٧٥، ومسلم في ٣/ ١٣٤١ الحديث رقم (١٢ ـ ٥٩٣)، والدارمي في ٢/ ٤٠١ الحديث رقم ٢٧٥١، وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٤.

ووأدَ البناتِ، ومنعَ وهاتِ. وكره لكم قيلَ وقال، وكثرةَ السؤالِ،

يذكر أحد الشيئين من الآخر كقوله تعالى: ﴿وسرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل ـ ٨١] أي الحر والبرد، وقال الخطابي: لم يخص الأمهات بالعقوق، فإن عقوق الآباء محرّم أيضاً، ولكن نبه بأحدهما عن الآخر فإن بر الأم مقدّم على بر الأب إلاّ أن لعقوق الأمهات مزية في القبح، وحق الأب مقدّم في الطاعة وحسن المتابعة لرأيه، والنفوذ لأمره، وقبول الأدب منه. **(وأد البنات)** بسكون الهمز ويبدل أي دفنهنّ حيّات، قيل: قدّم حقوق الأمهات لأنهنّ الأصول وعقبه بوأد البنات لأنهنّ الفروع، فكان ذلك تنبيهاً على أن أكبر الكبائر قطع النسل الذي هو موجب لخراب العالم **(ومنع)** بسكون النون ويفتح وبفتح العين على أنه مصدر أو ماضٍ، وفي رواية الجامع الصغير ومنعاً بالتنوين **(وهات)** بكسر التاء وهو اسم فعل بمعنى اعط، وعبّر بهما عن البخل والسؤال أي كره أن يمنع الرجل ما عنده ويسأل ما عند غيره، قيل: ولم ينوّن على رواية المصدر لأن المضاف إليه محذوف منه مراداً أي كره منع ما عنده، وقول: هات، وفي النهاية أي حرّم عليكم منع ما عليكم عطاؤه وطلب ما ليس لكم أخذه اهـ. وقيل: نهى عن منع الواجب من أمواله وأقواله وأفعاله وأخلاقه من الحقوق اللازمة فيها، ونهى عن استدعاء ممّا لا يجب عليهم من الحقوق، وتكليفه إياهم بالقيام بما لا يجب عليهم، فكأنه ينصف ولا ينتصف، وهذا من أسمج الخلال **(وكره)** بكسر الراء، وفي نسخة بتشديدها مع فتحها في القاموس كره كسمعه وكرهه إليه تكريهاً صيّره كريهاً **(لكم)**أي لأجلكم **(قيل: وقال)** بصيغتي المجهول والمعلوم للماضي، في الفائق نهى عن فضول ما يتحدّث به المجالسون من قولهم: قيل كذا، وقال: كذا، وبناؤهما على كونهما فعلين محكيين متضمّنين للضمير، والإعراب على إجرائهما مجرى الأسماء خاليين من الضمير، ومنه قوله: إنّما الدنيا، قال: وقيل: وإدخال حرف التعريف عليهما لذلك في قولهم: يعرف من القيل، وفي النهاية، وهذا النهي إنّما يصح في قول لا يصح ولا يعلم حقيقته فأما من حكى ما يصح ويعرف حقيقته وأسنده إلى ثقة صادق فلا وجه للنهي عنه ولا ذم، وقال أبو عبيد: فيه تجوّز عربية، وذلك أنه يجعل كلاً من القيل والقال مصدراً كأنه نهى عن قيل، وقول: يقال قلت: قولاً وقالا، وقيلا، وهذا التأويل على أنهما اسمان، وقيل: أراد النهي عن كثرة الكلام مبتدئاً ومجيباً، وقيل: هذا الكلام يتضمّن بعمومه حرمة النميمة والغيبة، فإن تبليغ الكلام من أقبح الخصال، والإصغاء إليها من أفحش الفعال. وقال شارح قوله: قيل وقال، إما مصدران أتى بهما للتأكيد وحذف التنوين لإرادة المضاف إليه المحذوف أي كره لكم قيل: وقال ما لا فائدة فيه أو ماضيان، وفيه تنبيه على ترك الخوض في إخبار الناس وتتبيع أحوالهم حكاية أقوالهم وأفعالهم. وقال السيوطي: المراد بها كثرة الكلام لأنها تؤول إلى الخطأ في المرام وقيل: حكاية أقاويل الناس والبحث عنها ليخبر بها ويقول: قال فلان كذا، وقيل له: كذا، والنهي إما للزجر عن الاستكثار منه أو لشيء مخصوص وهو أن يكرهه المحكي عنه ثم هما فعلان ذكرا على الحكاية، وقيل: اسمان مصدران بمعنى القول، وللكشميهني قيل وقال بالتنوين. **(وكثرة السؤال)** بالهمز ويبدل، وفيه وجوه أحدها ما في الفائق السؤال عن أمور الناس وكثرة البحث عنها، وثانيها مسألة الناس

وإِضاعةَ المالِ». متفق عليه.

٤٩١٦ ـ (٦) وعن عبد الله بن عمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «من الكبائرِ شتمُ الرجلِ والديه». قالوا: يا رسول الله! وهل يشتمُ الرجلُ والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه؛ ويسبُّ أُمَّه، فيسبُّ أُمَّه».

أموالهم قال التوربشتي: ولا أرى حمله على هذا، فإن ذلك مكروه وإن لم يبلغ حد الكثرة، وثالثها كثرة السؤال في العلم للامتحان وإظهار المراء، وقيل: بلا حاجة أو مطلقاً، فإنه قد يفضي به إلى ما لا يعنيه، ورابعها كثرة سؤال النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**لا تسألوا عن أشياء أن تبد لكم تسؤكم**﴾ [المائدة ـ ١٠١] **(وإضاعة المال)**، في الفائق هو إنفاقه في غير طاعة الله والسرف. قال الطيبي: قيل: والتقسيم الحاصر فيه الحاوي بجميع أقسامه أن تقول: إن الذي يصرف إليه المال إما أن يكون واجباً كالنفقة والزكاة ونحوهما فهذا لا ضياع فيه، وهكذا إن كان مندوباً إليه، وإما أن يكون مباحاً ولا إشكال إلاّ في هذا القسم إذ كثير من الأمور يعده بعض الناس من المباحات، وعند التحقيق ليس كذلك كتشييد الأبنية وتزيينها والإسراف في النفقة والتوسع في لبس الثياب الناعمة والأطعمة الشهية اللذيذة وأنت تعلم أن قساوة القلب، وغلظ الطبع يتولد من لبس الرقاق، وأكل الرقاق وسائر أنواع الارتقاق، ويدخل فيه تمويه الأواني والسقوف بالذهب والفضة وسوء القيام على ما يملكه من الرقيق والدواب حتى تضيع وتهلك، وقسمة مالا ينتفع الشريك به كاللؤلؤة والسيف يكسران، وكذا احتمال الغبن الفاحش في البياعات وإيتاء المال صاحبه وهو سفيه حقيق بالحجر، وهذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق الذي هو منبع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة قلت: وهو من جوامع الكلم وبدائع الحكم، ومما يدل على جواز السجع حيث لا تكلّف. **(متفق عليه)**.

٤٩١٦ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** أي ابن العاص رضي الله عنهما **(قال: قال رسول الله ﷺ: من الكبائر)** يا أي من جملتها أو بعضها **(شتم الرجل والديه)** أي سبّه إياهما أو أحدهما ولو تسبباً **(قالوا: يا رسول الله وهل يشتم)** بكسر عينه ويضم أي يسب **(الرجل والديه)** أي هل يقع ذلك **(قال: نعم)** أي يقع حقيقة تارةً، وهو نادر ومجازاً أخرى، وهو كثير لكن ما تعرفونه ثم بينه بقوله: **(يسب أبا الرجل فيسب)** أي الرجل **(أباه)** أي أبا من سبّه **(ويسب)** أي تارةً أخرى، وقد يجمع ويسب أيضاً **(أمه)** أي أم الرجل **(فيسب)** أي الرجل **(أمه)** أي أم سابه وفي الجمع بين الشتم والسب تفنّن، ففي القاموس شتمه يشتمه ويشتمه سبّه وقد يفرّق بينهما ويقال: السب أعم، فإنه شامل للعن أيضاً بخلاف الشتم، وأصل السب على ما في القاموس سبّه قطعه وطعنه في السبّة أي الأست وشتمه والسبة بضم العار، وقيل: وإنما ذلك من الكبائر إذا كان

الحديث رقم ٤٩١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٠٣ الحديث رقم ٥٩٧٣، ومسلم في ١/ ٩٢ الحديث رقم (١٤٦ ـ ٩٠)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥٢ الحديث رقم ٥١٤١، والترمذي في السنن ٤/ ٢٧٦ الحديث رقم ١٩٠٢، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٤.

متفق عليه.

٤٩١٧ ـ (٧) وعن ابن عُمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ من أبرِّ البرِّ صِلَةَ الرجلِ أهلَ وُدِّ أبيهِ بعد أن يُولِّي».

الشتم ممّا يوجب حداً كما إذا شتمه بالزنا والكفر وقال له: أبوك زان أو كافر أو نحوهما، فقال في جوابه: بل أبوك كافر أو زان أما إذا شتمه بما دون ذلك بأن قال له: أبوك أحمق أو جاهل أو نحوهما فلا يكون من الكبائر قلت: «إذا كان بعض أفراده كبيرة فيصدّق عليه أنه من الكبائر قال الطيبي: ويمكن أن يقال: إنه من الكبائر مطلقاً لأن سبب السب سب، فكأنه واجه أباه بقوله: «أنت أحمق وجاهل»، ولا شك أن هذا من الكبائر وقد قال تعالى: **﴿ولا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما﴾** [الإسراء ـ ٢٣] ونحوه قوله تعالى: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾** [الأنعام ـ ١٠٨] قلت؛ السب لا يصح أن يكون كبيرة لا سيما إذا وجد من غير قصد، ألا ترى أنه من سب رافضياً أو خارجياً فسب أحدهما بعض الصحابة لا يعد الأوّل ساباً، وكذا إذا سب أحد بعض الكفار فيسبوا الله فإنه لا يصير كافراً، نعم ما يتوسّل به إلى الحرام حرام لكن بشرط وعلمه. قال النووي: وفيه قطع «بتحريم الوسائل والذرائع فيؤخذ منه النهي عن بيع العصير لمن يتّخذ الخمر، والسلاح ممّن يقطع الطريق» ونحو ذلك قلت: ويؤخذ هذا الحكم من قوله: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** [المائدة ـ ٢]. **(متّفق عليه)**. وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة مرفوعاً من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجلٍ مسلم، ومن الكبائر البهتان بالسبة.

٤٩١٧ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبر البر»)** أي أفضله بالنسبة إلى والده، وكذا الوالدة أو هي بالأولى. **(صلة الرجل أهل ودّ أبيه)** بضم الواو أي أصحاب مودّته ومحبته، وفي القاموس الود الحب والمحب ويثلث اهـ، وإرادة المعنى الثاني أبلغ هنا كما لا يخفى. **(بعد أن يولي)** بتشديد اللام المكسورة أي يدبر ويغيب بسفر أو موت، وهو الأظهر لكونه أبعد من الرياء والسمعة فيكون أخلص، فأجره أكثر، ولمّا رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه: «من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه من بعده»(١). قال التوربشتي: هذه الكلمة ممّا يتخبّط الناس فيها، والذي أعرفه هو أن الفعل مسند إلى أبيه أي بعد أن يغيب أبوه أو يموت من ولى يولي، ويؤيّده حديث أبي أسيد الساعدي يعني الآتي: «إنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلاّ بهما، وإكرام صديقهما». قال الطيبي: وهكذا صحّح في جامع الأصول ومشارق الأنوار أن يولي بضم الياء وفتح الواو

الحديث رقم ٤٩١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٧٩ الحديث رقم (١٣ ـ ٢٥٥)، وأبو داود في السنن ٥/٣٥٣ الحديث رقم ٥١٤٣، والترمذي في ٤/٢٧٦ الحديث رقم ١٩٠٣، وأحمد في المسند ٢/٨٨.

(١) ابن حبان في ٢/١٧٥ الحديث رقم ٤٣٢.

رواه مسلم.

٤٩١٨ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يُبسَطَ لهُ في رِزْقِهِ ويُنْسَأ له في أثرِهِ؛ فليصِلْ رحمِه».

وكسر اللام المشدّدة قلت؛ ولعلّ الخبط جاء من قبيل الضبط بأن ضبط يولي مجهولاً أو معلوماً من التولي أو من قبل الإسناد حيث أسند إلى أهل ود أبيه والله أعلم. ثم المعنى «إن من جملة المبرّات الفضلى مبرّة الرجل من أحباء أبيه، فإن مودّة الآباء قرابة الأبناء»، وخلاصته أنه إذا غاب الأب أو مات يحفظ أهل ودّه يحسن إليهم، فإنه من تمام الإحسان إلى الأب، وإنما كان أبرّ لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى، وإذا راعى أهل ودّه فكأن مراعاة أهل رحمه أخرى. **(رواه مسلم)**.

٤٩١٨ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه أحب أن يبسط)** بصيغة المجهول أي يوسع **(له في رزقه)** أي في دنياه أو آخرته. **(وينسأ)** بضم فسكون ففتح فنصب فهمزة أي يؤخر له **(في أثره)** بفتحتين أي أجله **(فليصل رحمه)**. في النهاية النسأ التأخير، يقال: نسأت الشيء انسأ وأنسأته إذا أخرته، والنساء الاسم، ويكون في العمر والدين والأثر والأجل ويسمّى به لأنه يتبع العمر.. قال زهير:

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدةٌ والهم منتشرُ
والمرء ما عاش ممدودٌ له أمل ... لا ينتهي العمر حتى ينتهي الأثرُ

وأصله من أثر مشيه في الأرض، فإن من مات لا يبقى له أثر فلا يرى لإقدامه في الأرض أثر. قال النووي في تأخير الأجل. سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدّرة ولا تزيد ولا تنقص، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون، وأجاب العلماء بوجوه أحدها أن الزيادة بالبركة في العمر بسبب التوفيق في الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك، وثانيها أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم في اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾** [الرعد ـ ٣٩] فبالنسبة إلى علم الله تعالى وما سبق قدره لا زيادة بل هي مستحيلة، وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصوّر الزيادة وهو مراد الحديث، وثالثها أن المراد بقاء ذكره الجميل فكأنه لم يمت وهو ضعيف اهـ. وإنّما قال: في القول الأوسط أنه مراد الحديث، لأن الأوّل أيضاً يرجع إليه، فإن بركة العمر وتوفيق العمل من جملة المقدّرات التي لا تزيد ولا تنقص في الحقيقة وكذا الأخير، وإنجما ضعفه لأنه من جملة الصيت المشتمل على الرياء والسمعة غالباً فلا يصح أن يكون مراد الحديث، وإن كان له وجه في الجملة على أنه ورد في

الحديث رقم ٤٩١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٥ الحديث رقم ٥٩٨٦، ومسلم في ٤/ ١٩٨٢ الحديث رقم (٢١ ـ ٢٥٥٧)، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٢١ الحديث رقم ١٦٩٣.

متفق عليه.

٤٩١٩ ـ (٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقَ اللَّهُ الخلقَ، فلما فرَغَ منه قامتِ الرَّحِمُ فأخذت بحقوي الرحمنِ فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك

غير حديث أن صلة الرحم تزيد في العمر فإرادة غير الأجل المتعارف خلاف الحقيقة والعدول منها إلى المجاز غير جائز بلا ضرورة، وقد غفل الطيبي عن هذا المعنى فتعقب النووي على غير المبني فقال: وكان هذا الوجه أظهر، فإن أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، فمعنى يؤخّر في أثره أي يؤخّر ذكره الجميل بعد موته أو يجري له ثواب عمله الصالح بعد موته قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدّموا وآثارهم﴾ [يس ـ ١٢] قلت: وفيه إن المعنى الثاني عام غير مخصوص بواصل الرحم. بقي الأوّل قال: وعليه كلام صاحب الفائق حيث قال: يجوز أن يكون المعنى أن الله يبقي أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم، قلت: كيف يجوز ما عبّر عنه الفائق بيجوز أن يكون هو الأظهر في مراد الحديث والله أعلم. **(متّفق عليه)**. ورواه أبو داود والنسائي عن أنس وأحمد والبخاري أيضاً عن أبي هريرة.

٤٩١٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الخلق»)** أي قدّر المخلوقات في العلم السابق على ما هو عليه وقت وجودهم **(فلمّا فرغ منه)** أي لمّا صح ذلك ووقع ما هنالك، قال التوربشتي: أي قضاء وأتمه أو نحو ذلك ممّا يشهد بأنه مجاز القول فإنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن حتى يطلق عليه الفراغ الذي هو ضد الشغل **(قامت الرحم)** أي قيام صورة مصوّرة أو معنوية مقدّرة **(فأخذت بحقوي الرحمن)** أي بكتفي رحمته العامة والخاصة؛ والحقو بفتح الحاء وسكون القاف الإزار والخصر ومعقد الازار في اللغة، والمراد به هنا والله أعلم الاستعارة عن الاستغاثة والاستعانة كما يقال: «أخذت بذيل الملك حتى أنصفني»، وتوضيحه أنه لمّا كان من شأن المستجير أن يستمسك بحقوي المستجار به وهما جانباه الأيمن والأيسر استعير الأخذ بالحقو في اللياذ بالشيء تقول العرب: عذت بحقو فلان أي استجرت واعتصمت به، والحاصل أن الرحم استعاذت بلسان القال أو ببيان الحال، والتجأت وعاذت بعزّة الله وعظمته من أن يقطها أحد، ووجّه تخصيص الرحمن لا يخفى من مناسبة المبنى والمعنى ولا يبعد أن يقال: التقدير بحقوى عرش الرحمن أي بطرفيه أو أطراف ذيله متردّدة من جانب إلى جانب كما يدل عليه حديث عائشة الآتي: «الرحم معلقة بالعرش»، **(فقال: مه)** بفتح ميم وسكون هاء اسم فعل أي اكففي وامتنعي عن هذا الالتجاء، فإن حاجتك مقضية، والأظهر أن يكون استفهاماً وقلبت الألف هاء ويمكن حذف ألف الاستفهام ثم إتيان هاء السكت، والمعنى ما يقول، والمراد منه الأمر بإظهار الحاجة ليعلم الاعتناء بها لا الاستعلام، فإنه يعلم السر وأخفى **(قالت: هذا)** أي مقامي هذا **(مقام العائذ)** أي المستعيذ بك

الحديث رقم ٤٩١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٧ الحديث رقم ٥٩٨٧ ومسلم في ٤/ ١٩٨٠ الحديث رقم (١٦ ـ ٢٥٥٤)، وأحمد في المسند ١/ ١٩١.

من القطيعةِ. قال: أَلا ترضَيْنَ أن أَصِلَ من وصَلَكِ، وأقطَعَ من قطَعَكِ؟ قالت: بلى يا ربِّ! قال: فذاكِ». متفق عليه.

٤٩٢٠ - (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الرحم شِجْنَةٌ من الرحمن. فقال الله: من وصلَكِ وصَلْتُه، ومن قَطَعَكِ قطَعتُه». رواه البخاري.

٤٩٢١ - (١١) وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم مُعلَّقةٌ بالعرش

(من القطيعة) أي قطيعتي، والمعنى أن سبب عياذي وباعث لياذي بذيل رحمتك التي وسعت كل شيء أن يقطعني أحد فيقع في غضبك وسخطك **(قال: ألا ترضين)** بفتح الضاد أي ألا تحبين **(أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت: بلى يا رب)** أي أرضى بذلك فإنك الرب تربي من تشاء بما تشاء وتعطي من تشاء ما تشاء **(قال: فذاك)** بكسر الكاف مبتدأ أو خبره محذوف أي لك، والمعنى أفعل، ما قلت؛ من الوصل والقطع، قال النووي: الرحم التي توصَل وتقطَع إنّما هي معنى من المعاني، والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون المراد تعظيم شأنها وفضيلة وأصلها، وعظم اثم قاطعها، ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وقطيعتها معصية كبيرة، وللصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها ولا يسمّى قاطعاً، ولو قصر عمّا يقدر عليه، وينبغي له أن يفعله لا يسمّى واصلاً.

٤٩٢٠ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: الرحم)**، قال السيوطي: أي رحم الأقارب كيف كانوا **(شجنة)** بكسر الشين المعجمة وبضم وسكون الجيم فنون، وفي القاموس أنها مثلّثة، وضبط في النهاية بالكسر والضم، وبعض الشراح، بالكسر والفتح وهي في الأصل عروق الشجر المشتبكة، والمراد منها هنا أنها مشتقة **(من الرحمن)** أي من الرحم المشتق من اسم الرحمن، فكأنها مشتبكة به اشتباك العروق، وقيل: في وجه الشجنة أن حروف الرحم موجود في اسم الرحمن ومتداخلة كتداخل العروق لكونهما من أصل واحد، والمعنى أنها أثر من آثار رحمته ومشتبكة بها، فالقاطع منها قاطع من رحمة الله، والواصل فيها واصل إلى رحمته تعالى كما بينه ﷺ بقوله: **(فقال الله: من وصلك)** أي أيها الرحمن بالصلة **(وصلته)** أي بالرحمة **(ومن قطعك قطعته)** أي عنها. **(رواه البخاري)**، وكذا أبو داود ولكن عن عائشة.

٤٩٢١ - **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش»)**

الحديث رقم ٤٩٢٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٧ الحديث رقم ٥٩٨٨، والترمذي في ٤/ ٢٨٥ الحديث رقم ١٩٢٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠.

الحديث رقم ٤٩٢١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٧ الحديث رقم ٥٩٨٩، ومسلم في ٤/ ١٩٨١ الحديث رقم (١٧ - ٢٥٥٥)، وأحمد في المسند ٦/ ٦٢.

تقول: من وصلني وَصَلَهُ الله، ومن قطعني قطَعَهُ الله». متفق عليه.

٤٩٢٢ ـ (١٢) وعن جبيرِ بنِ مُطْعِم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنة قاطعٌ» متفق عليه.

٤٩٢٣ ـ (١٣) وعن ابن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصِلُ بالمكافىء،

أي مستمسكة بعرش الرحمن متعلّقة بذيله مستجيرة من القطيعة مخبرة عن حكم الصلة **(تقول)** أي بطريق الإخبار بداية ورواية وحكاية وتلذذاً بما سمعت من الله تعالى أو على سبيل الدعاء **(من وصلني وصله الله)** أي بحسن رعايته وبجميل حمايته **(ومن قطعني قطعه الله)** أي عن عين عنايته، ومن كمال رحمته ورأفته، فالوصل كناية عن الإقبال إليه والقبول منه، والقطع عبارة عن الغضب عليه والإعراض عنه. قال النووي: واختلفوا في حد الرحم التي يجب صلتها فقيل: «في كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال» واحتج هذا القائل بتحريم بين المرأة وعمّتها أو خالتها في النكاح ونحوه، وجواز ذلك في بنات الأعمام، وقيل: هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ «ثم أدناك ثم أدناك» قلت: وهذا هو الصحيح لقوله تعالى: **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾** وأما ما قاله القائل الأول فإنّما هو تعريف ذي رحم محرم لا مطلق الرحم، والله أعلم. **(متّفق عليه)**. وفي الجامع أسنده إلى مسلم والله أعلم.

٤٩٢٢ ـ **(وعن جبير بن مطعم)** مرّ ذكره **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع»)** أي للرحم أو للطريق، ويدل على الأوّل إيراده في هذا الباب مع أنه يمكن أن يكون باعتبار أحد معنييه. قال النووي: قد سبق نظائره ممّا حمل تارةً على من يستحل القطيعة بلا سبب ولا شبهة مع علمه بتحريمها، وأخرى لا يدخلها مع السابقين. قلت: وأخرى لا يدخلها مع الناجين من العذاب. **(متّفق عليه)**، ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

٤٩٢٣ ـ **(وعن ابن عمرو)** بالواو، وفي نسخة بلا واو. قال ميرك: الصحيح أن راوي هذا الحديث عبد الله بن عمرو بن العاص لا ابن عمر، والله أعلم. قلت: وكذا أسنده السيوطي في الجامع الصغير إلى ابن عمرو **(قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصل»)** أي واصل الرحم **(بالمكافىء)** بكسر فاء فهمز أي المجازي لأقاربه أن صلة فصلة وإن قطعا فقطع، والمراد به

الحديث رقم ٤٩٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤١٥ الحديث رقم ٥٩٨٤، ومسلم في ٤/ ١٩٨١ الحديث رقم (١٨ ـ ٢٥٥٦)، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٢٣ الحديث رقم ١٦٩٦، والترمذي في ٤/ ٢٧٩ الحديث رقم ١٩٠٩، وأحمد في المسند ٤/ ٨٠.

الحديث رقم ٤٩٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٢٣ الحديث رقم ٥٩٩١، وأبو داود في السنن ٢/ ٣٢٣ الحديث رقم ١٦٩٧، والترمذي في السنن ٤/ ٢٧٩ الحديث رقم ١٩٠٨، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠.

ولكنَّ الواصلَ الذي إذا قُطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلهَا». رواه البخاري.

٤٩٢٤ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي قَرَابَةَ أصلهم ويقطعوني، وَأُحسِنُ إليهم ويسيؤونَ إليَّ، وأَحْلمُ عنهم ويجهلون عَلَيّ. فقال: «لئن كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسفُّهم

نفي الكمال (ولكن الواصل) بتشديد النون وفتح اللام، وفي نسخة بتخفيف النون وكسرها للالتقاء ورفع اللام أي ولكن الواصل الكامل (الذي إذا قطعت) بصيغة المجهول (رحمه) بالرفع على نيابة الفاعل، ويؤيّده رواية الجامع «إذا انقطعت رحمه»، وفي نسخة بصيغة الخطاب ونصب رحمه على المفعولية ـ (وصلها) أي قرابته التي تقطع عنه، وهذا من باب الحث، على مكارم الأخلاق كقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ [فصلت ـ ٣٤] في آية أخرى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت ـ ٣٤] ﴿وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظٍ عظيم﴾ [فصلت ـ ٣٥] ومنه قوله ﷺ على ما رواه البخاري عن علي: «صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحق ولو على نفسك». هذا وقد قال الطيبي: التعريف الواصل للجنس أي ليس حقيقة الواصل ومن يعتد بوصله من يكافىء صاحبه بمثل فعله، ونظيره قولك: هو ليس بالرجل بل الرجل من يصدر منه المكارم والفضائل، والرواية في لكن بالتشديد وإن جاز التخفيف. (رواه البخاري)، وكذا أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان.

٤٩٢٤ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: «يا رسول الله أن لي قرابة») أي ذوي قرابة (أصلهم ويقطعوني) بتشديد النون ويخفّف، وكأنه أراد بالوصل المأتي إليهم وبالقطع ضده ولذا قال: (وأحسن إليهم) أي بالبر والوفاء (ويسيؤون إليّ) أي بالجور والجفاء (واحلم عنهم) أي بالعفو والتحمُّل (ويجهلون عليّ) أي بالسب والغضب، وكان لفظة على ساقطة في أصل الطيبي فقال قوله: ويجهلون متعلقة بمحذوف أي علي يعني يغضبون ثم هذا كما قال بعض الشعراء:

وإن الذي بيني وبين بني أبي ... وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيّعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا عني هويت لهم رشدا

(فقال:) أي النبي ﷺ (لئن كنت كما قلت) أي إن كان مقولك كما قلت، أو إن كنت مثل ما قلت من الأوصاف الجميلة والأخلاق الجزيلة (فكأنما) بالفاء (تسفهم) بضم فكسر فتشديد فاء من باب الأفعال مأخوذ من السقوف بالفتح يقال: سففته بالكسر أسفه وأسعفته

الحديث رقم ٤٩٢٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٢ الحديث رقم (٢٢ ـ ٢٥٥٨) وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٠.

المَلَّ، ولا يزالُ مَعَكَ من الله [٣٦٩ ـ أ ـ] ظهير عليهم مَا دُمْتَ على ذلك». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٤٩٢٥ ـ (١٥) عن ثوبانَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرُدّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ في العمر إلا البرُّ،

غيري أي تلقي في وجوههم (الملّ) بفتح الميم وتشديد اللام أي الرماد الحار الذي يدفن فيه الخبز (لينضج) أي تجعل الملة لهم سفوفاً يسفونه، والمعنى إذا لم يشكروا فإن عطاءك إيّاهم حرام عليهم ونارٌ في بطونهم، وقال التوربشتي: أي إحسانك إليهم إذا كانوا يقابلونه بالإساءة يعود وبالاً عليهم حتى كأنك في إحسانك إليهم مع إساءتهم إيّاك أطعمتهم النار اهـ. وقيل: «إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقّرهم في أنفسهم فصاروا كمن سف المل»، وقيل؛ «بإحسانك إليهم كالمل يحرق أحشاءهم» وقيل: «يجعل وجوههم كلون الرماد». هذا وقال الطيبي: قوله: فكأنّما في المصابيح، ومسلم وكتاب الحميدي وجامع الأصول بالفاء، والظاهر باللام لأن اللام في قوله: «لئن كنت» موطئة للقسم وهذه جوابه سد مسد جواب الشرط اللهم إلاّ أن يعكس ويجعل جزاء الشرط ساداً مساد جواب القسم، وقد ورد في شرح السنّة لكأنّما (ولا يزال معك من الله) أي من عنده (ظهير عليهم) أي معين لك عليهم ودافع عنك أذاهم (ما دمت على ذلك) أي ما ذكرت من إحسانك وإساءتهم، فالجملة عطف على قوله: لئن قلت: «وإن عطفت عليّ فكأنّما فقوله: ما دمت واقع موقع التأكيد وإشعار بأن هذا هو المسلك السديد، وإن كان على النفس لشديد. (رواه مسلم).

الفصل الثاني

٤٩٢٥ ـ (عن ثوبان) أي مولى رسول الله ﷺ رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرد القدر») بفتح الدال، وقد يسكن أي القضاء المعلّق (إلاّ الدعاء) أي المستجاب المحقق (ولا يزيد في العمر) بضمّتين، وهو الأفصح، وبضم فسكون أي أيام الحياة الفانية التي خلقت لعمارة الحياة الباقية (إلاّ البر) كما روي أن الدنيا مزرعة الآخرة، فالدنيا معمر والآخرة معبر. قال التوربشتي: يحتمل أن يكون المراد بالقدر أمر لولا الدعاء لكان مقدراً وبالعمر ما لولا البر لكان قصيراً، وهو القضاء المعلّق في اللوح المحفوظ المكشوف لملائكته وبعض خلّص عباده من أنبيائه وأوليائه لا من القضاء المبرم المتعلق به علم الله المعبّر عنه بأم الكتاب في قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد ـ ٣٩]. فيكون الدعاء والبر سببين من أسباب ذلك وهما مقدّران أيضاً كتقدير حسن الأعمال وسيّئها اللذين من أسباب السعادة

الحديث رقم ٤٩٢٥: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٤ الحديث رقم ٤٠٢٢، وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٧.

وإن الرجلَ ليُحرمُ الرزقَ بالذنبِ يصيبهُ». رواه ابن ماجه.

٤٩٢٦ ـ (١٦) وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فَسمعتُ فيها قراءةً، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمانِ،

والشقاوة مع أنهما مقدّران أيضاً، والمراد برد القدر تسهيل للأمر المقدور عليه حتى يصير كأنه قد رد، والمراد بزيادة العمر البركة فيه، ففي شرح السنّة ذكر أبو حاتم السجستاني في معنى الحديث أن دوام المرء على الدعاء يطيب له وروداً القضاء، فكأنّما ردّه والبر يطيب له عيشه، فكأنّما زيد في عمره والذنب يكدر عليه صفاء رزقه إذا فكّر في عاقبة أمره، فكأنّما حرمه **(وإن الرجل ليحرم)** بصيغة المفعول وقوله: **(الرزق)** بالنصب على أنه مفعول ثان، والمعنى ليصير محروماً من الرزق **(بالذنب)** أي بسبب ارتكابه **(يصيبه)** أي حال كونه يصيب الذنب ويكتسبه. قال المظهر: له معنيان أحدهما أن يراد بالرزق ثواب الآخرة، وثانيهما أن يراد به الرزق الدنيوي من المال والصحة والعافية، وعلى هذا إشكال، فإنّا نرى الكفار والفسّاق أكثر مالاً وصحة من الصلحاء، والجواب أن الحديث مخصوص بالمسلم يريد الله به أن يرفع درجته في الآخرة فيعذّبه بسبب ذنبه الذي يصيبه في الدنيا، قلت: وهذا أيضاً من القضاء المعلّق لأن الآجال والآمال والأخلاق والأرزاق كلها بتقديره وتيسيره. **(رواه ابن ماجه)** وكذا ابن حبان والحاكم في صحيحيهما[(١)] والبغوي في شرح السنّة، ذكره ميرك، وفي الجامع الصغير «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر»[(٢)]. رواه الترمذي والحاكم عن سلمان، وفي الحصن: «لا يرد القضاء إلاّ الدعاء ولا يزيد في العمر إلاّ البر». رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم في مستدركه. قال ميرك: رواه الترمذي وابن ماجه عن سلمان والباقيان عن ثوبان، لكن في روايتهما لا يرد القدر كما نقله صاحب السلاح عنهما، وفي الترغيب للمنذري عن ثوبان كما في أصل المشكاة، وقال: رواه ابن حبان والحاكم، واللفظ له وقال: صحيح الإسناد والله أعلم.

٤٩٢٦ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة»)** أي في عالم المنام لما سيأتي **(فسمعت فيها قراءة)** أي صوت قراءة يقرؤها أحد أو قراءة قارىء على أن التنوين عوض من المضاف إليه **(فقلت: من هذا؟)** أي القارىء لها **(قالوا: حارثة بن النعمان)** بضم أوّله شهد بدراً وأحد والمشاهد كلّها، وكان من فضلاء الصحابة، روي أنه قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل جالس بالمقاعد فسلّمت عليه وجزت، فلمّا رجعت وانصرف النبي ﷺ قال لي: هل رأيت الذي كان معي قلت: نعم. قال: فإنه جبريل وقد ردّ عليك السّلام، وكان قد كفّ بصره هذا، ولمّا قصّ عليهم الرؤيا كما ورد في رواية أخرى عن الزهري

---

(١) ابن حبان في ٣/ ١٥٣ الحديث رقم ٨٧٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٧ الحديث رقم ٩٩٦٩.

الحديث رقم ٤٩٢٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٧ الحديث رقم ٣٤١٨، وأحمد في المسند ٦/ ١٥١ الحديث رقم ٦/ ١٥١.

كذلكم البرُّ، كذلكم البرُّ». وكان أبرَّ الناس بأمّه رواه في «شرح السنة»، والبيهقي في «شعب الإيمان». وفي رواية: قال: «نِمتُ فرأيتني في الجنة» بدل: «دخلتُ الجنة».

٤٩٢٧ ـ (١٧) وعن عبد الله بن عمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «رضى الربِّ في رضى الوالدِ، وسخطُ الربِّ في سخط الوالد». رواه الترمذي.

٤٩٢٨ ـ (١٨) وعن أبي الدرداء، أنَّ رجلاً

قال: «نمت فرأيتني في الجنة» الخ خاطبهم بقوله: (**كذلكم البر**) جزاؤه أو أريد به المبالغة حيث جعل جزاء البر براً (**كذلكم البر**) كرّره للتقرير والتوكيد. قال الطيبي: المشار إليه ما سبق، والمخاطبون الصحابة، فإنه ﷺ رأى هذه الرؤيا وقصّ على أصحابه، فلمّا بلغ إلى قوله حارثة بن النعمان نبّههم على سبب نيل تلك الدرجة فقال: «كذلكم البر» أي مثل تلك الدرجة تنال بسبب البر اهـ. ولا يبعد أن يكون كذلك البر من جملة مقول الملائكة والخطاب له ﷺ، وجمع تعظيماً أو أريد هو وأصحابه تغليباً (**وكان أبر الناس بأمه**) هذا من كلام الراوي، ويحتمل أن يكون من كلامه ﷺ (**رواه في شرح السنة والبيهقي في شعب الإيمان، وفي روايته**) أي رواية البيهقي (**قال: نمت فرأيتني في الجنة بدل دخلت الجنة**)، وقال الجزري: في التصحيح بعد الرواية الأولى رواه الحاكم في صحيحه وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي، ورواه البيهقي في شعبه، ورواه محيي السنّة في شرح السنّة من طريقين.

٤٩٢٧ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) أي ابن العاص (**قال: قال رسول الله ﷺ: «رضا الرب في رضا الوالد»**)، وكذا حكم الوالدة بل هي أولى (**وسخط الرب في سخط الوالد. رواه الترمذي**). أي من طريق يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً وموقوفاً قال: والموقوف أصح، أخرجه ابن حبان في صحيحه مرفوعاً ولفظه: «رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد» كذا في التصحيح، وفي الجامع الصغير رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمرو والبزار عن ابن عمر، ورواه الطبراني عن ابن عمرو ولفظه: «رضا الرب في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما»[(١)]. وقال المنذري في حديث الأصل رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ورواه الطبراني من حديث أبي هريرة إلاّ أنه قال: «طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد». رواه البزار من حديث ابن عمر أو ابن عمرو ولا يحضرني الآن أيهما، ولفظه قال: «رضا الرب تبارك وتعالى في رضا الوالدين وسخط الرب تبارك وتعالى في سخط الوالدين»[(٢)].

٤٩٢٨ ـ (**وعن أبي الدرداء**). كان حق المؤلف أنه يذكر التابعي لتستقيم روايته «(**أن رجلاً**

الحديث رقم ٤٩٢٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧٤ الحديث رقم ١٨٩٩.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٣ الحديث رقم ٤٤٥٦.

(٢) كشف الأستار ٢/ ٣٦٦ الحديث رقم ١٨٦٥، وهو عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الحديث رقم ٤٩٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧٥ الحديث رقم ١٩٠٠، وابن ماجه في ٢/ ١٢٠٨ =

أتاهُ، فقال: إِنَّ لي امرأةً وإِنَّ أمي تأمرني بطلاقها فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئتَ فحافظْ على الباب أو ضيِّعْ». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٤٩٢٩ - (١٩) وعن بَهزِ بن حكيمٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قلت: يا رسول الله! من أبرُّ؟

أتاه» أي أبا الدرداء (**«فقال: أن لي امرأة وأن أمي تأمرني بطلاقها فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة»**). قال القاضي: أي خير الأبواب وأعلاها. والمعنى أن أحسن ما يتوسّل به إلى دخول الجنة، ويتوصّل به إلى وصول درجتها العالية مطاوعة الوالد ومراعاة جانبه، وقال غيره: «إن للجنة أبواباً وأحسنها دخولاً لا أوسطها، وأن سبب دخول ذلك الباب الأوسط هو محافظة حقوق الوالد» اهـ. فالمراد بالولد الجنس أو إذا كان حكم الوالد هذا، فحكم الوالدة أقوى وبالاعتبار أولى، (**«فإن شئت فحافظ على الباب»**) أي داوم على تحصيله (**«أو ضيع»**) حصول الباب بترك المحافظة عليه، وهذا كلام أبي الدرداء، والمعنى فاختر خيرهما. (**رواه الترمذي وابن ماجه**)، وكذا ابن حبان في صحيحه وأبو داود الطيالسي والحاكم في مستدركه[١]، وصححه وأقرّه الذهبي والبيهقي في شعبه، وصححه الترمذي، ونقله ميرك عن التصحيح وقال المنذري: رواه الترمذي وغيره واللفظ وقال: ربّما قال سفيان: إن أمي أو ربّما قال: أبي قال: وهذا حديث صحيح. رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه: «إن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن أبي لم يزل بي حتى زوّجني وإنه الآن يأمر بطلاقها قال: ما أنا بالذي آمرك أن تعق والدك ولا بالذي آمرك أن تطلق امرأتك غير أنك إن شئت حدّثتك ما سمعت من رسول الله ﷺ سمعته يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ على ذلك إن شئت أو دع»، قال: فاحسب عطاء قال فطلّقها قلت: وسيأتي في الفصل الثالث أنه ﷺ قال لابن عمر: طلّقها لأن عمر كان يكرهها؛ وفي الجامع الصغير، «الوالد أوسط أبواب الجنة». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي الدرداء.

٤٩٢٩ - (**وعن بهز**) بفتح موحدة وسكون هاء فزاي (**ابن حكيم**) أي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري قد اختلف العلماء فيه، وقد روى عن أبيه عن جده ولم يخرج البخاري ومسلم في صحيحهما شيئاً. وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً، ذكره المؤلف في فصل التابعين (**عن أبيه**) أي حكيم، قال المؤلّف: أعرابي حسن الحديث روى عن أبيه وسمع منه ابنه بهز والجريري (**عن جده**) أي جد بهز وهو معاوية بن حيدة لم يذكره المؤلف لا في الصحابة ولا في التابعين، والظاهر أنه صحابي (**قال: قلت: «يا رسول الله من أبر»**) بفتح الموحدة

= الحديث رقم ٣٦٦٣، وأحمد في المسند ٥/ ١٩٦.

(١) ابن حبان في ٢/ ١٦٧ الحديث رقم ٤٢٥، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٢.

الحديث رقم ٤٩٢٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥١ الحديث رقم ٥١٣٩، والترمذي في السنن ٤/ ٢٧٣ الحديث رقم ١٨٩٧، وابن ماجه في ٢/ ١٢٠٧ الحديث رقم ٣٦٦١، وأحمد في المسند ٥/ ٣.

قال: «أمَّكَ» قلتُ: ثُمَّ من؟ قال: «أمك» قلتُ: ثم من؟ قال: «أمَّك». قلت: ثم من؟ قال: «أباك، ثم الأقربَ فالأقربَ» رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٣٠ - (٢٠) وعن عبد الرحمن بن عوفٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلَها وصلتُهُ، ومن قطعَهَا بتَتُّه». رواه أبو داود.

وتشديد الراء على صيغة المتكلم أي من أحسن إليه ومن أصله («قال: أمك») بالنصب أي أبر أمك وصلها أولاً («قلت: ثم من») أي أبر («قال: ثم من؟ قال: أمك») وتقدّمت حكمة هذا الحكم («قلت: ثم من؟ قال: أباك ثم الأقرب فالأقرب») أي إلى آخر ذوي الأرحام. (**رواه الترمذي وأبو داود**). وفي التصحيح أن اللفظ للترمذي وقال: حسن. وفي بعض النسخ حسن صحيح، ورواه أبو داود بلفظ: «من أبر قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم الأقرب فالأقرب». ورواه الحاكم وقال: صحيح، وفي الجامع الصغير «أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب»[1] رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن معاوية بن حيدة وابن ماجه عن أبي هريرة قلت: وتقدم الحديث المتفق عليه في هذا المعنى أوّل الباب.

٤٩٣٠ - (**وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه**) أحد العشرة المبشرة (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تبارك وتعالى أنا الله»**) أي المعبود الواجب الوجود، وكان هذا توطئة للكلام حيث ذكر العلم الخاص ثم ذكر الوصف المشتق من مادة الرحم فقال: (**«وأنا الرحمن»**) أي المتصف بهذه الصفة (**«خلقت الرحمن»**) أي قدرتها أو صوّرتها مجسّدة. (**«وشققت»**) أي أخرجت وأخذت اسماً (**«لها»**) أي للرحم (**«من اسمي»**) أي الرحمن وفيه إيماء إلى أن المناسبة الاسمية واجبة الرعاية في الجملة وإن كان المعنى على أنها أثر من آثار رحمة الرحمن، ويتعيّن على المؤمن التخلُّق بأخلاق الله تعالى والتعلُّق بأسمائه وصفاته ولذا قال (**«فمن وصلها وصلته»**) أي إلى رحمتي أو محل كرامتي (**«ومن قطعها بتته»**) بتشديد الفوقية الثانية أي قطعته من رحمتي الخاصة. (**رواه أبو داود**)، وكذا الترمذي وكلاهما من رواية أبي سلمة عنه وقال الترمذي: حسن صحيح، قال المنذري في تصحيحه له نظر، فإن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يسمع من رسول الله ﷺ شيئاً قاله ابن معين وغيره، نقله ميرك، وفي الجامع الصغير بلفظ: «قال الله تعالى أنا الرحمن أنا خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته، ومن بتها بتته»[2]، فهو للتأكيد، والمراد بالبت القطع الكلي ومنه طلاق البت، وكذا قولهم: «البتة» والله أعلم. رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف والحاكم أيضاً عن أبي هريرة.

---

(١) الجامع الصغير ١/١٠٣ الحديث رقم ١٦٥٠.

الحديث رقم ٤٩٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٢/٣٢٢ الحديث رقم ١٦٩٤، والترمذي في ٤/٢٧٨ الحديث رقم ١٩٠٧، وأحمد في المسند ١/١٩٤.

٤٩٣١ ـ (٢١) وعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تَنْزِلُ الرحمةُ على قومٍ فيهم قَاطِعُ الرحم» رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٣٢ ـ (٢٢) وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أحرى أن يعجِّلَ اللّهُ لصاحبِهِ العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدخِرُ له في الآخرة، من البغي وقطيعةِ الرحم». [٣٦٩ ـ ب ـ]. رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٣٣ ـ (٢٣) وعن عبدِ الله بن عمرٍو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ

٤٩٣١ ـ (**وعن عبد الله بن أبي أوفى**) جهني أنصاري شهد أحداً وما بعدها (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنزل الرحمة»**) بصيغة الفاعل (**على قوم فيهم**)، وفي نسخة فيه، وأفرده باعتبار لفظ القوم (**«قاطع رحم»**)، قال التوربشتي: يحتمل أنه أراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه، ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر أي يحبس عنهم المطر بشؤم القاطع. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**).

٤٩٣٢ ـ (**وعن أبي بكرة**) أي الثقفي (**قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب»**) ما نافية ومن زائدة للاستغراق (**«أحرى»**) أي أحق وأولى (**أن يعجل الله**) صلة أحرى على تقدير الباء أي بتعجيله سبحانه (**«لصاحبه»**) أي لمرتكب الذنب (**«العقوبة»**) مفعول يعجل وظرفه قوله: (**««في الدنيا مع ما يدخر»**) بتشديد الدال المهملة وكسر الخاء المعجمة أي مع ما يؤجّل من العقوبة (**«له»**) أي لصاحب الذنب (**«في الآخرة من البغي»**) أي من بغي الباغي، وهو الظلم أو الخروج على السلطان أو الكبر، ومن تفصيلية (**«وقطيعة الرحم»**) أي ومن قطع صلة ذوي الأرحام. (**رواه الترمذي وأبو داود**). قال ميرك وقال الترمذي: حسن. صحيح، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي بكرة، ورواه الطبراني عنه أيضاً ولفظه: «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب، وأن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونوا فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا».

٤٩٣٣ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة**

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥ الحديث رقم ٦٠٣٢.

الحديث رقم ٤٩٣١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٢٣ الحديث رقم ٧٩٦٢.

الحديث رقم ٤٩٣٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٠٨ الحديث رقم ٤٩٠٢، والترمذي في ٤/ ٥٧٣ الحديث رقم ٢٥١١، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠٨ الحديث رقم ٤٢١١.

الحديث رقم ٤٩٣٣: أخرجه النسائي في السنن ٨/ ٣١٨ الحديث رقم ٥٦٧٢، والدارمي في ٢/ ١٥٣ الحديث رقم ٢٠٩٤.

مَنَّانٌ، ولا عاقٌ، ولا مدمنُ خمرٍ». رواه النسائي، والدارمي.

٤٩٣٤ ـ (٢٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلَّموا من أنسابكم ما تصلونَ به أرحامَكُم، فإن صلة الرحم محبةٌ في الأهل، مثْراةٌ في المالِ، منسأة في الأثرِ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٤٩٣٥ ـ (٢٥) وعن ابن عمر، أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول

منّان» قيل: هو من المنة أي من يمن على الناس بما يعطيهم، وذلك مذموم، قال تعالى: **﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾** [البقرة ـ ٢٦٤] وقيل: من المن بمعنى القطع، قال تعالى؛ **﴿وإن لك لأجراً غير ممنون﴾** [القلم ـ ٣] ومنه المنية أي قاطع الرحم وقاطع الطريق، والظاهر أن الصيغة للنسبة أي صاحب المن (**«ولا عاق»**) أي عاص بأحد والديه (**«ولا مدمن خمر»**) أي شاربها من غير توبة، وأما ما قيل: من أن المعنى من يداوم على شرب الخمر، فله مفهوم غير صحيح، قال التوربشتي: محمل هذا أنه لا يدخل مع الفائزين أو لا يدخل حتى يعاقب بما اجترحه من الإثم بكل واحد من الأعمال الثلاثة، قلت: لا بدّ من تقييده بالمشيئة لقوله تعالى: **﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء ـ ٤٨] أي بشفاعة أو بغيرها. **(رواه النسائي والدارمي)**.

٤٩٣٤ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا من أنسابكم»)** أي من أسماء آبائكم وأجدادكم وأعمامكم وأخوالكم وسائر أقاربكم (**«ما»**) أي قدر ما **(تصلون به أرحامكم»)**، وفيه دلالة على أن الصلة تتعلّق بذوي الأرحام كلها لا بالوالدين فقط، كما ذهب إليه البعض على ما سبق، والمعنى «تعرفوا أقاربكم من ذوي الأرحام ليمكنكم صلة الرحم وهي التقرُّب لديهم والشفقة عليهم والإحسان إليهم» (**«فإن صلة الرحم محبة»**) بفتحات وتشديد موحدة مفعلة من الحب مصدر المبني للمفعول، وفي نسخة بكسر الحاء أي مظنّة للحب وسبب للود (**«في الأهل»**) أي في أهل الرحم، وفي نسخة بضم الميم، ففي القاموس أحبه وهو محبوب على غير قياس، ومحب قليل، وحببته أحبه بالكسر شاذ وحببت إليه ككرم صرت حبيباً (**«مثراة في المال»**) أي سبب لكثرة المال وخبر ثان، وفي النهاية هي مفعلة من الثرى وهو الكثرة (**«منسأة»**) بفتح الهمزة مفعلة من النسا وهو التأخير (**«في الأثر»**) بفتحتين أي الأجل، والمعنى أنها سبب لتأخير الأجل وموجب لزيادة العمر وقيل: باعث دوام واستمرار في النسل، والمعنى أن يمن الصلة يقضي إلى ذلك. **(رواه الترمذي وقال؛ هذا حديث غريب)**. أي من هذا الوجه على ما في الجامع، ورواه الحاكم وقال: صحيح ذكره ميرك.

٤٩٣٥ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: «يا رسول**

الحديث رقم ٤٩٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٠٩ الحديث رقم ١٩٧٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤.

الحديث رقم ٤٩٣٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧٦ الحديث رقم ١٩٠٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٤.

الله! إِني أذنبتُ ذنباً عظيماً، فهل لي من توْبةٍ؟ قال: هل لك من أمٍّ؟» قال: لا. قال: وهل لك من خالةٍ؟». قال: نعم. قال: «فبرَّها». رواه الترمذي.

٤٩٣٦ ـ (٢٦) وعن أبي أسيد الساعدي، قال: بينا نحن عندَ رسول الله ﷺ: إذ جاءَ رجلٌ من بني سَلمة، فقال: يا رسول الله! هل بقي من برِّ أبويَّ شيءٌ أبرُّهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفارُ لهما، وإِنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحمِ التي لا توصَلُ إِلا بهما، وإِكرامُ صدِيقهما».

الله إني أصبت») أي فعلت (**«ذنباً عظيماً»**) أي قولياً أو فعلياً (**«فهل لي من توبة»**) أي رجعة بطاعة بعد الندامة القلبية تداركاً للمعصية العظيمة (**«قال: هل لك من أم»**) أي ألك أم فمن زائدة (**«قال: لا قال: وهل لك من خالة»**) يحتمل أن تكون من زائدة أو تبعيضية (**«قال: نعم قال: فبرها»**) بفتح الموحدة وتشديد الراء أمر من بررت فلاناً بالكسر أبر بالفتح أي أحسنت إليه، فأنا بارٌ به وبر به، والمعنى أن صلة الرحم من جملة «الحسنات التي تذهبن السيئات أو تقوم مقامها من الطاعات»، وهو أحد معنى قوله تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [الفرقان ـ ٧٠] قال المظهر: يجوز أنه أراد عظيماً عندي لأن عصيان الله تعالى عظيم، وإن كان الذنب صغيراً، ويجوز أن يكون ذنبه كان عظيماً من الكبائر، وأن هذا النوع من البر يكون مكفراً له، وكان مخصوصاً بذلك الرجل علمه النبي ﷺ من طريق الوحي اهـ. وتبعه ابن الملك وفيه أنه لا دلالة على أن الرجل مصر غير تائب من ذلك الذنب ليكون من خصوصياته. (**رواه الترمذي**).

٤٩٣٦ ـ (**وعن أبي أسيد**) بالتصغير (**الساعدي**) قال المؤلف: أنصاري شهد المشاهدة كلها، روى عنه خلق كثير، مات سنة ستين وله ثمان وسبعون سنة بعد أن ذهب بصره وهو آخر من مات من البدريين (**قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة**) بكسر اللام بطن من الأنصار ليس في العرب سلمة غيرهم (**فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي**) أي والدي وفيه تغليب (**«شيء»**) أي من البر (**«أبرهما»**) بفتح الموحدة أي أصلهما وأحسن إليهما (**«به»**) أي بذلك الشيء من البر الباقي (**بعد موتهما قال: نعم، الصلاة عليهما**) أي الدعاء، ومنه صلاة الجنازة (**«والاستغفار»**) أي طلب المغفرة لهما وهو تخصيص بعد تعميم (**««وإنفاذ عهدهما»**) أي إمضاء وصيّتهما (**«من بعدهما»**) أي من بعد موتهما ولو من عهدهما (**«وصلة الرحم»**) أي وإحسان الأقارب. (**«التي لا توصل إلاّ بهما»**) أي تتعلّق بالأب والأم، فالموصول صفة كاشفة للرحم. قال الطيبي: الموصول ليس بصفة للمضاف إليه بل للمضاف أي الصلة الموصوفة فإنها خالصة بحقهما ورضاهما لا لأمرٍ آخر ونحوه، قلت: يرجع المعنى إلى الأوّل فتدبّر وتأمّل. وأما اعتبار خلوص النية وتصحيح الطوية فمعتبر في كل قضية غير

الحديث رقم ٤٩٣٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٢ الحديث رقم ٥١٤٢، وابن ماجه في ٢/ ١٢٠٨ الحديث رقم ٣١١٤، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩٧.

رواه أبو داود، وابن ماجه.

٤٩٣٧ ـ (٢٧) وعن أبي الطفيل، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يقسم لحماً بالجعرانةِ إذ أقبلتِ امرأةٌ حتى دَنَتْ إلى النبيِّ ﷺ، فبسط لها رِدَاءَهُ، فجلستْ عليه. فقلت: من هي؟ فقالوا: هي أمه التي أرضعَتْه. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٤٩٣٨ ـ (٢٨) عن ابنِ عمر، عن النبيِّ ﷺ، قال: «بينما ثلاثةُ نفرٍ

منحصر في جزئية مع أن ما ذكره مضاف لما نقله عن الإمام في الإحياء، وأن العباد أمروا بأن لا يعبدوا إلاّ الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره، وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدم لطلب منزلة عندهما إلاّ من حيث إن رضا الله في رضا الوالدين، ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين، فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه فتسقط منزلته من قلبهما أيضاً اهـ. فنقله كلام الحجة حجة عليه لا علينا. **(رواه أبو داود وابن ماجه)**.

٤٩٣٧ ـ **(وعن أبي الطفيل)** بالتصغير وهو آخر من مات من الصحابة على وجه الأرض، **(«قال: أرأيت النبي ﷺ: يقسم لحماً بالجعرانة»)** بكسر جيم فسكون عين وتخفيف راء وقد يكسر ويشدّد الراء على ما في بعض النسخ **(«إذ أقبلت امرأة»)**، وهي حليمة **(حتى دنت»)** أي قربت **(«إلى النبي ﷺ فبسط لها رداءه فجلست عليه»)** إما لعدم التكلُّف على ما هو دأب العرب أو لوجود أمر هناك، قيل: فيه إشارة إلى وجوب رعاية الحقوق القديمة ولزوم إكرام من له صحبة سابقة **(«فقلت:»)** أي لبعضهم **(من هي؟ فقالوا: هذه)**، وفي نسخة هي **(«أمه التي أرضعته»)**، في المواهب اللدنية أما أمه في الرضاعة فحليمة بنت أبي ذؤيب من هوازن وهي التي أرضعته حتى أكملت رضاعه وجاءته عليه السّلام يوم حنين، فقام إليها وبسط رداءه لها فجلست عليه، وكذا ثويبة جارية أبي لهب أيضاً واختلف في إسلامها كما اختلف في إسلام حليمة وزوجها والله أعلم، وكانت ثويبة تدخل عليه ﷺ بعد أن تزوّج خديجة، فكانت تكرمها، وأعتقها أبو لهب وكان عليه السلام يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر. ذكره أبو عمرو. **(رواه أبو داود)**.

الفصل الثالث

٤٩٣٨ ـ **(عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: بينما)** بالميم **(«ثلاثة نفر»)**

الحديث رقم ٤٩٣٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٣ الحديث رقم ٥١٤٤.

الحديث رقم ٤٩٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٩٩ الحديث رقم (١٠٠ ـ ٢٧٤٣)، وأحمد في المسند ٢/ ١١٦.

يتماشَوْنَ أخذَهم المطرُ، فمالوا إلى غارٍ في الجبلِ، فانحطتْ على فمِ غارِهم صخرةٌ منَ الجبلِ، فأطبقتْ عليهم فقال بعضُهم لبعضٍ: انظروا أعمالاً عمِلتموها للّهِ صالحةً، فادعوا اللّهَ بها لعله يفرِّجُها. فقال أحدُهم: اللهُمَّ إنَّه كانَ لي والدانِ شيخان كبيران، ولي صبيةٌ صغارٌ كنتُ أرعى عليهم، فإذا رحتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيهِما قبل ولدي، [٣٧٠ ـ أ ـ] وإنَّه قد نأى بي الشجرُ،

بالإضافة البيانية («يتماشون») بفتح الشين أي يسيرون في طريق («أخذهم المطر») أي جاءهم بكثرة («فمالوا إلى غار في الجبل فانحطّت») أي نزلت وقعت. («على فم غارهم صخرة») أي حجر كبير من الجبل («فأطبقت»)أي الصخرة («عليهم») وأغلقت عليهم باب الغار وغطّتهم («فقال بعضهم لبعض: انظروا») أي تفكّروا وتذكّروا («أعمالاً عملتموها لله صالحة») صفة أخرى لأعمالاً أي خالصة لوجهه لا رياء ولا سمعة فيها يدل عليه قوله: ابتغاء وجهك فيما بعد، كذا قاله الطيبي، وقال السيد جمال الدين: الأظهر أن يقال: صالحة لأعمالاً، وفي العبارة تقديم وتأخير أي انظروا أعمالاً صالحة لله، فأخرج بالقيد الأوّل الأعمال الغير الصالحة، وبالثاني الغير الصالحة لله، ويؤيّده ما وقع في رواية للبخاري، انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله قلت: لا شك أن كلاً من صالحة ولله صفة لأعمالاً سواء أخرت إحداهما أو قدمت، وإنّما حمل الطيبي الثانية على أنها صفة مؤكّدة لأن الأعمال التي عملت لله لا تكون إلاّ صالحة، لكن قوله يدل عليه قوله: ابتغاء وجهك فيما بعد مستدرك لأنه فهم من قوله: «لله» نعم كلام السيد له وجه وجيه وتنبيه نبيه لكن على روايته التي ذكرها فإنه لا يلزم من الأعمال الصالحة أن تكون خالصة لله، ولذا قيل: «الخلق كلّهم هلكى إلاّ العاملون، والعالمون كلّهم هلكى إلاّ العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلاّ المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»، («فادعوا الله بها») أي بتلك الأعمال الصالحة وبجعلها شفيعة ووسيلة إلى إجابة الدعوة («لعلّه») أي على رجاء أنه تعالى أو لكي («يفرجها») بتشديد الراء المكسورة، وفي نسخة بفتح أوّله وتخفيف الراء أي يزيل الصخرة أو يكشف الكربة، ففي القاموس «فرج الله الغم يفرجه»، كشفه كفرجه («فقال أحدهم: اللهم إنه») أي الشان («كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية») بكسر فسكون جمع صبي أو ولي أيضاً أطفال («صغار كنت أرعى عليهم»)، قال ابن الملك: أي أرعى ماشيتهم، قال الجوهري: يقال: فلان يرعى على أبيه أي يرعى غنمه اهـ. والتحقيق ما ذكره الطيبي من أن الرعي ضمن معنى الإنفاق، فعدى بعلى أي أنفق عليهم راعياً الغنيمات، وكذا قوله: («فإذا رحت عليهم») ضمن معنى رددت أي إذا رددت الماشية من المرعى إلى موضع مبيتهم («فحلبت») عطف على رحت، وقوله: («بدأت بوالدي») جواب إذا، وقوله: («أسقيهما») بفتح الهمزة ويضم («قبل ولدي») بفتحتين وبضم الواو ويسكن اللام أي أولادي إما حال أو استئناف بيان للعلة («وأنه»)أي الشأن («قد نأى بي الشجر») أي بعد بي طلب المرعى («يوماً»)، وفي نسخة ناء بهمز بعد الألف وهو كرواية ابن ذكوان عن ابن عامر في قوله تعالى: ﴿ونأى بجانبه﴾ [الإسراء ـ ٨٢] قال النووي: وفي بعض نسخ مسلم نأى يجعل الهمزة قبل الألف، وبه

فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فوجدتُهما قد ناما، فحلبتُ كما كنتُ أحلبُ، فجئتُ بالحِلابِ، فقمتُ عند رؤوسهما أكرهُ أنْ أوقظهما، وأكرهُ أنْ أبدأ بالصبيةِ قبلَهُما والصِبيةُ يتضاغونَ عند قدميَّ، فلم يزلْ ذلكَ دأبي ودأبُهم حتى طلعَ الفجرُ، فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ فافرجْ لنا فرجةً نرى منها السَّماءَ. ففرَجَ اللَّهُ لهم حتى يرَوْنَ السماءَ.

قال الثاني: اللهُمَ إنَّه كانتْ لي بنتُ عمٍّ أُحبُّها كأشدِّ ما يُحبُّ الرجالُ النساءَ،

قرأ أكثر القرّاء السبعة وهما لغتان أي صحيحتان (**«فما أتيت»**) أي إليهم لبعد المرعى عنهم (**«حتى أمسيت»**) أي دخلت في المساء جداً (**«فوجدتهما قد ناما»**)أي من الضعف أو من غلبة الانتظار وكثرة الإبطاء (**«فحلبت كما كنت أحلب»**)بضم اللام، ويجوز كسره على ما في القاموس (**«فجئت»**) أي إليهما (**«بالحلاب»**) بكسر أوله وهو الإناء الذي يحلب فيه، قيل: وقد يراد بالحلاب هنا اللبن المحلوب، ذكره الطيبي فيكون مجازاً يذكر المحل وإرادة الحال، والأظهر أنه أتى بالحلاب الذي فيه المحلوب استعجالاً (**«فقمت»**) أي وقفت (**«على رؤوسهما»**) أي عند رؤوسهما كما في نسخة صحيحة (**«أكره أن أوقظهما»**) استئناف بيان أو حال (**«وأكره»**) يعني أيضاً (**«أن أبدأ بالصبية قبلهما»**) أي مع أنهم غير نائمين لأجل الجوع (**«والصبية يتضاغون»**) بفتح الغين المعجمة أي يضجون ويصيحون من الجوع (**«عند قدمي»**) بفتح الميم وتشديد الياء، ، وفي نسخة بالكسر والتخفيف، والجملة حالية (**«فلم يزل ذلك»**) أي ما ذكر من الوقوف وغيره (**«دأبي ودأبهم»**) بالنصب، وفي نسخة بالرفع أي عادتي وعادتهم، والضمير للوالدين والصبية (**«حتى طلع الفجر»**) انشق الصبح وظهر نوره، والمعنى أنه حينئذٍ سقيتهما أوّلاً، ثم سقيتهم ثانياً تقديماً لإحسان الوالدين على المولودين لتعارض صغرهم بكبرهما، فإن الرجل الكبير يبقى كالطفل الصغير، ومن لم يصدق بذلك أبلاه الله بما هنالك (**«فإن كنت»**) أي بالله «تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك»)، والترديد في أن عمله ذلك هل اعتبر عند الله لا خلاص فيه أو لا لعدمه (**«فأفرج»**) بهمز وصل وضم راء وفي نسخة بهمز قطع وكسر راء، قال ميرك: بهمزة الوصل وضم الراء من الفرج ويجوز بهمز القطع وكسر الراء من الإفراج أي اكشف لنا (**«فرجة»**) بضم الفاء وبفتح (**«نرى منها السماء، ففرج»**) بتخفيف الراء ويكسر أي كشف (**«الله لهم حتى يرون السماء»**) بإثبات النون كما في بعض نسخ شرح السنّة فيكون حكاية حال ماضية كقولك: «شربت الإبل حتى يخرج بطنه»، وفي بعضها بإسقاطه، وحينئذٍ بضم الواو وصلاً للالتقاء (**«قال الثاني: اللهم إنه»**) أي الشأن (**«كانت لي بنت عم أحبها»**)، قال الطيبي: ذكر ضمير الشان والمذكور في التفسير مؤنث وهذا يدل على جواز ذلك اهـ. وقال العسقلاني: وقع في كلام الأوّل اللهم إنه «والثاني اللهم إنها»، والثالث «اللهم إني» «وهو من التفنن وإنه في الأوّل ضمير الشان وفي الثاني للقصة ناسب ذلك أن القصة في امرأة اهـ. فهذا الكلام يدل على أن رواية البخاري وقعت أنها في كلام الثاني خلاف المشكاة. ذكره ميرك، والظاهر أن عبارة المشكاة مأخوذة من مسلم لفظاً ويكون قوله متفق عليه معنىً (**«كأشد ما يحب الرجال النساء»**) أي حباً شديداً نحو قوله تعالى: ﴿**يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً**

فَطلبتُ إليها نفسَها، فأبتْ حتى آتيها بمائةِ دينارٍ، فسعيتُ حتى جمعتُ مائةَ دينارٍ، فلقيتُها، فلمَّا قعدْتُ بينَ رجليها. قالتْ: يا عبدَ الله! اتَّقِ اللَّهَ ولا تفتحِ الخاتمَ، فقمتُ عنها. اللهُمَّ فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ، فافرجْ لنا منها، ففرجَ لهم فرجةً.

قال الآخرُ: اللهُمَّ إني كنتُ استأجرتُ أجيراً بفَرَقِ أَرُزٍّ، فلما قضى عملَه قال: أعطِني حقي. فعرضتُ عليه حقَّه، فتركه ورغبَ عنه، فلم

لله﴾ [البقرة - ١٦٥]. قال الطيبي: صفة مصدر محذوف وما مصدرية أي أحبها حباً مثل أشد حب الرجال النساء أو حالاً أي أحبها مشابهاً حبي أشد حب الرجال النساء، ونظيره قوله تعالى: ﴿يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية﴾ [النساء - ٧٧] فإن قوله تعالى أشد خشيةً حال على تقدير مشبهين أشد خشية من أهل خشية الله (**«فطلبت إليها نفسها»**) فيه تضمين معنى الإرسال أي أرسلت إليها طالباً نفسها (**«فأبت حتى آتيها»**) بالنصب، وفي نسخة بالسكون على حكاية الحال الماضية أي أجيئها (**«بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فلقيتها»**) أي أتيتها (**«بها فلمّا قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله»**)، يحتمل الاسمية والوصفية (**«اتق الله»**) أي عذابه أو مخالفته (**«ولا تفتح الخاتم»**) بفتح التاء، وهو كناية عن البكارة (**«فقمت عنها»**) أي معرضاً عن تعرُّضها (**«اللهم»**) فيه زيادة تضرع (**«فإن كنت»**)، قال الطيبي: عطف على مقدر أي اللهم فعلت ذلك فإن كنت (**«تعلم إني فعلت»**)، ويجوز أن يكون اللهم مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد الابتهال والتضرُّع إلى الله تعالى فلا يقدّر معطوف عليه وهو الوجه، يدل عليه القرينة السابقة واللاحقة، وإنّما كرّر اللهم في هذه القرينة دون أختيها لأن هذا المقام أصعب المقامات، وأشقّها، فإنه ردع لهوى النفس فرقاً من الله تعالى ومقامته قال تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ [النازعات - ٤٠] قال الشيخ أبو حامد: شهوة الفرج أغلب الشهوات على الإنسان وأصعبها عند الهيجان على العقل فمن ترك الزنا خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسُّر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة حاز درجة الصديقين قوله: (**«ذلك»**) أي ما ذكر (**«ابتغاء وجهك فافرج لنا»**) أي زيادة (**«فرجة منها»**) أي من هذه الكربة أو الصخرة، ويمكن أن تكون من للتبعيض أي بعض الفرجة (**«ففرج»**) أي الله (**«لهم فرجة»**) أي أخرى (**«وقال الآخر:»**) بفتح الخاء، وفي نسخة بكسرها ومآلهما واحد، والثاني أدل على المقصود (**«اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز»**) بفتح همز وضم راء وتشديد زاي، وفي القاموس الأرز كأشد وعتل وقفل وطنب ورز ورنز وآرز ككابل وارز كعضد اهـ، ففيه لغات بعدد أوّله وآخره، والفرق بكسر الراء ويسكن، قال الطيبي: الفرق بفتح الراء مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وفي القاموس الفرق مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ويحرك أو هو أفصح أو يسع ستة عشر رطلاً أو أربعة أرباع، وفي النهاية الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وبالسكون مائة وعشرون رطلاً ثم قيل: وفي رواية بفرق ذرة، فيجمع بأن الفرق كان من صنفين (**«فلمّا قضى عمله»**) أي عمل عمله وانتهى أجله (**«قال: اعطني حقي فعرضت عليه حقه فتركه ورغب عنه»**) أي أعرض عن أخذه لمانع أو باعث (**«فلم

أزلْ أزرعُه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها، فجاءَني فقال: اتَّقِ اللّٰهَ ولا تظلمْني وأعطِني حقي. فقلتُ: اذهبْ إلى ذلكَ البقرِ وراعيها فقال: اتَّقِ اللّٰهَ ولا تهزَأ بي. فقلتُ: إني لا أهزأ بكَ فخذْ ذلكَ البقرَ وراعيَها، فأخذَه فانطلقَ بها. فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهِكَ فافرُجْ ما بقي ففرَّجَ اللّٰهُ عنهم».

أزل أزرعه») أي الأرز («حتى جمعت منه») أي من ذلك الأرز أو من زرعه («بقراً وراعيها») أي قيمتهما، فاشتريتهما، وهذا يدل على جواز تصرُّف الفضولي في مال الغير على وجه النصيحة وطريق الأمانة وإرادة الشفقة حيث استحسن ذلك منه ﷺ فهو في حكم التقرير، لا يقال: لعلّ هذا شرع من قبلنا، فإنه قد ورد نظيره في زمانه ﷺ حيث دفع قيمة كبش لبعض أصحابه فاشتراه بها فباعه بضعف ثمنه، واشترى كبشاً آخر وأتى به مع قيمته فدعا له ﷺ بالبركة («فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي») ظاهر كلامه عنف لكن باطنه حقٌ ولطف («فقلت: اذهب إلى ذلك البقر وراعيها»)، قال الطيبي: ذلك إشارة إلى البقر باعتبار السواد المرئي كما يقال: ذلك الإنسان أو الشخص فعل كذا، وأنت الضمير الراجع إلى البقر باعتبار الجنس («فقال: اتق الله ولا تهزأ بي») بالباء، وفي نسخة بالنون، ولعلّه توهّم أنه حصل له من كلامه لا تظلمني جزع مع إيهام قوله: اذهب إلى ذلك («فقلت: إني لا أهزأ بك فخذ ذلك البقر وراعيها فأخذه») أي مجموع ما ذكر، وفي نسخة فأخذها أي كلّها («فانطلق»)، قال ميرك: عند قوله: حتى جمعت بقراً وراعيها وقع في رواية الصحيح فثمرت[1] أجره حتى كثرت منه الأموال وفيها، فقلت له: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق من أجرك، وفيها فاستاقه فلم يترك شيئاً فدلّت هذه الرواية على أن قوله في الرواية المذكورة في المشكاة: «جمعت بقراً» أنه لم يرد جمع البقر فقط، وإنّما كان الأكثر الأغلب، فذلك اقتصر عليه، ووقع في بعض الروايات أنه دفع إليه عشرة آلاف درهم وهو محمول على أنها كانت قيمة الأشياء المذكورة، قلت: ولا بدع أن الدراهم من زوائد الفوائد منضمة إليها فإن البركة توافي («فإن كنت تعلم إني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج ما بقي») أي من إطباق الباب («ففرج الله عنهم») فإن قلت: رؤية الأعمال نقصان عند أهل الكمال فما بال هذه الأحوال قلت: فكأنهم توسلوا بما وقع له تعالى معهم من توفيق العمل الصالح المقرون بالإخلاص على أنه ينجيهم من مضيق الهلاك إلى قضاء الخلاص، فكأنهم قالوا: كما أنعمت علينا بمعروفك أوّلاً فأتم علينا فضلك ثانياً فإنا لا نستغني عن كرمك أبداً، قال النووي: استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو في حال كربه وفي الاستسقاء وغيره ويتوسّل بصالح عمله إلى الله تعالى، فإن هؤلاء فعلوه واستجيب لهم، وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم، وفيه فضل بر الوالدين وإيثارهما على من سواهما من الأهل والولد، وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرّمات لا سيما بعد القدرة عليها، وفيه إثبات كرامات الأولياء وهو مذهب أهل الحق،

---

(١) في المخطوطة «فنموت».

متفق عليه.

٤٩٣٩ ـ (٢٩) وعن معاويةَ بن جاهِمةَ، أنَّ جاهمةَ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! أردتُ أنْ أغزوَ وقدْ جئتُ أستشيرُكَ. فقال: «هلْ لكَ منْ أُمٍّ؟» قال: نعمْ. قال: «فالزمْها، فإنَّ الجنَّةَ عندَ رجلِها». رواه أحمدُ، والنسائيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان».

قلت: لا خلاف في جواز استجابة الدعاء للولي وغيره ما عدا الكافر، فإن فيه خلافاً لكنه ضعيف لاستجابة دعاء إبليس، والاستدلال بقوله تعالى: ﴿**وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال**﴾ [الرعد ـ ١٤] غير صحيح لأنه ورد في دعاء الكفار في النار بخلاف الدنيا، فإنه ورد أنه ﷺ قال: «اتق دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونه حجاب»، على ما رواه أحمد وغيره عن أنس، فمثل هذا لا يعد بعد من كرامات الأولياء لأن الكرامة من أنواع خوارق العادة، قال: وتمسّك به أصحاب أبي حنيفة وغيرهم ممّن يجوز بيع الإنسان مال غيره والتصرُّف فيه بغير إذنه إذا أجازه المالك بعد ذلك، وأجاب أصحابنا بأن هذا إخبار عن شرع من قبلنا وفي كونه شرعاً لنا خلاف، فإن قلنا: إنا متعبّدون به فهو محمول على أنه استأجره في الذمة ولم يسلم إليه بل عرضه عليه فلم يقبضه فلم يتعيّن ولم يصر ملكه، فالمستأجر قد تصرّف في ملك نفسه ثم تبرّع بما اجتمع منه من البقر والغنم وغيرهما، قلت: وفيه أن قوله: «استأجره في الذمة» غير صحيح لما في الحديث التصريح بخلافه حيث قال: «استأجرت أجيراً بفرق أرز»، ولا بدّ من تعيينه وإلاّ فالإجارة المجهولة غير صحيحة عندهم، وكذا يرد عليه قوله: «فعرضت عليه حقه» لأنه لو فرض أنه في الذمة من غير تعيين لا يسمّى حقه، فالحق أحق أن يتبع ولا يوصل تقليد ويفرع. (**متفق عليه**).

٤٩٣٩ ـ (**وعن معاوية بن جاهمة**) بجيم ثم هاء مكسورة سلمي عداده في الحجازيين روى عن أبيه وعنه طلحة بن عبيد الله، كذا ذكره المؤلّف في فصل الصحابة ولم يذكر أباه (**أن جاهمة**)قيل: هو ابن العباس بن مرداس السلمي (**«جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك، فقال: هل لك من أم؟ قال: نعم، قال: فالزمها**») أي التزم خدمتها ومراعاة أمرها (**«فإن الجنة»**) أي وإن ورد أنها تحت ظلال السيوف على ما رواه الحاكم عن أبي موسى فهي حاصلة (**«عند رجلها»**) لكونها سبباً لحصولها على ما ورد من رواية الخطيب في الجامع عن أنس أيضاً الجنة تحت أقدام الأمهات. قال الطيبي: قوله: «عند رجلها» كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل كما في قوله تعالى: ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة**﴾ [الإسراء ـ ٢٤]، ولعله ﷺ عرف من حاله وحال أمه حيث ألزمه خدمتها ولزومها إن ذلك أولى به. (**رواه أحمد والنسائي والبيهقي في شعب الإيمان**). قال المنذري: رواه ابن ماجه والنسائي واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه الطبراني بإسناد جيد ولفظه:

الحديث رقم ٤٩٣٩: أخرجه النسائي في السنن ٥/ ١١ الحديث رقم ٣١٠٤، وأحمد في المسند ٣/ ٤٢٩ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٧٨ الحديث رقم ٧٨٣٣.

٤٩٤٠ ـ (٣٠) وعن ابنِ عمَرَ، قال: كانتْ تحتي امرأةٌ أُحبها، وكانَ عمرُ يكرهُها، فقال لي: طلِّقْها، فأبيتُ. فأتى عمرُ رسولَ الله ﷺ، فذكرَ ذلكَ له، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «طلِّقها». رواه الترمذي، وأبو داود.

٤٩٤١ ـ (٣١) وعن أبي أُمامةَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! ما حقُّ الوالدَين على ولدِهما؟ قال: «هُما جنَّتُكَ ونارُكَ». رواه ابنُ ماجه.

٤٩٤٢ ـ (٣٢) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ ليموتُ والداهُ أو أحدُهما وإنَّه لهما لعاقٌّ،

قال: «أتيت النبي ﷺ أستشيره في الجهاد فقال النبي ﷺ: ألك والدان؟ قلت: نعم. قال: ألزمهما، فإن الجنة تحت أرجلهما»[1] اهـ. ولعل الاقتصار في الرواية الأولى للإشعار بأن خدمة الوالدة هي الأولى، ولهذا اقتصر في حديث آخر على الأم حيث قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات» مع أن خدمة الوالد أيضاً سبب لدخول الجنة بلا مرية وسيأتي في الحديث «هما جنتك ونارك».

٤٩٤٠ ـ **(عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانت تحتي امرأة أحبها وكان عمر يكرهها فقال لي: طلقها فأبيت)** أي امتنعت لأجل محبتي فيها **(فأتى عمر رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال لي رسول الله ﷺ: «طلقها»)** أمر ندب أو وجوب إن كان هناك باعث آخر. **(رواه الترمذي وأبو داود)**، وكذا النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث صحيح، نقله ميرك عن المنذري.

٤٩٤١ ـ **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي رضي الله تعالى عنه **(أن رجلاً قال: يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «هما جنتك ونارك»)** أي أسبابهما، والمعنى أن حقهما رضاهما الموجب لدخول الجنة وترك عقوقهما المقتضي لدخول النار، ولا ينحصر في حق دون حق على ما يفهم من السؤال، فالجواب له مطابقة مع المبالغة. قال الطيبي: الجواب من أسلوب الحكيم أي حقهما البر والإحسان إليهما وترك العقوق الموجبان لدخول الجنة وَعْداً، وترك الإحسان والعقوق الموجبان لدخول النار وعيداً، فأوجز كما ترى. وقوله: «جنتك ونارك» على الخطاب العام لأن سؤاله عام فيدخل فيه السائل دخولاً أوّلياً، **(رواه ابن ماجه)**.

٤٩٤٢ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليموت والداه أو أحدهما وأنه لهما»)** أي لأجلهما الصادق لهما أو لأحدهما **(«لعاق»)** اللام فيه للتأكيد ولهما

---

(١) سبق التعليق عليه في كتاب الجهاد.

الحديث رقم ٤٩٤٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥ الحديث رقم ٥١٣٨، والترمذي في ٣/ ٢٩٤ الحديث رقم ١١٨٩، وابن ماجه في ١/ ٦٧٥ الحديث رقم ٢٠٨٥.

الحديث رقم ٤٩٤١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٨ الحديث رقم ٣٦٦٢.

الحديث رقم ٤٩٤٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٠٢ الحديث رقم ٧٩٠٢.

فلا يزالُ يدعو لهُما ويستغفرُ لهُما حتى يكتبَه اللّهُ بارّاً».

٤٩٤٣ ـ (٣٣) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أصبحَ مُطيعاً للّهِ في والدَيهِ أصبحَ له بابانِ مفتوحانِ منَ الجنَّةِ، وإن كانَ واحداً فواحداً. ومَنْ أمسى عاصياً لله في والدَيه أَصبحَ له بابانِ مفتوحان من النَّارِ، إن كانَ واحداً فواحداً» قال رجلٌ: وإنْ ظلماهُ؟ قال: «وإنْ ظلماهُ، وإن ظلماهُ، وإنْ ظلماهُ».

٤٩٤٤ ـ (٣٤) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما منْ ولَدٍ بارٍّ ينظرُ إلى والدَيه نظرةَ رحمةٍ إلا كتبَ اللّهُ له بكلِّ نظرةٍ حجَّةً مبرورةً». قالوا: وإنْ نظرَ كلَّ يومٍ مائةَ مرَّةٍ؟

متعلق بعلق قدم عليه للاختصاص (**«فلا يزال»**) أي العاق في حياتهما التائب بعد موتهما (**«يدعو لهما»**) أي بالرحمة ونحوها (**«ويستغفر لهما»**) أي لذنوبهما (**«حتى يكتبه الله»**) أي في ديوان عمله بأمر الحفظة (**«باراً»**)، ﴿**فإن الحسنات يذهبن السيئات**﴾، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإنما قيدنا بالتوبة، فإن العقوق من حقوق الله أيضاً فلا بد منها حتى يصير باراً.

٤٩٤٣ ـ (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح مطيعاً لله في والديه»**) أي في حقهما، وفيه أن طاعة الوالدين لم تكن طاعة مستقلة بل هي طاعة الله التي بلغت توصيتها من الله تعالى بحسب طاعتهما لطاعته، وكذلك العصيان والأذى وهو من باب قوله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله**﴾ [الأحزاب ـ ٥٧] ذكره الطيبي، قلت: ويؤيده إنه ورد: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[(١)]، بل من أطاعهما ولم ينو رضا الله تعالى لا يكون باراً، وفي نسخة والده وكأنه أراد به الجنس مع قطع النظر عن وصف الذكورة والأنوثة؛ وقيل: إنه من صبغ النسب كتامر، ولابن، فيشمل الأب والأم قلت: ومع هذا لا بد أن يراد به الجنس ليستقيم قوله: (**«أصبح له بابان مفتوحان من الجنة»**) يجوز أن يكون صفة أخرى لقوله «بابان»، وأن يكون حالاً من الضمير في مفتوحان. ذكره الطيبي، (**«وإن كان»**)، وفي نسخة فإن كان أي الوالد المطاع (**«واحداً فواحداً»**) أي فكان الباب المفتوح واحداً. إلى هنا رواه ابن عساكر عن ابن عباس، (**«ومن أمسى عاصياً لله تعالى في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحداً فواحداً، قال رجل: وإن ظلماه**) قال الطيبي: يراد بالظالم ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا الأخروية. (**«قال: وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه»**) ثلاث مرات، للتأكيد والمبالغة.

٤٩٤٤ ـ (**وعنه**) أي عن ابن عباس رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ قال: «ما من ولد بار ينظر إلى والديه»**) أي أو أحدهما (**«نظرة رحمة»**) أي محبة وشفقة (**«إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة»**) أي ثواب حجة نافلة (**«مقبولة، قالوا: وإن نظر كل يوم مائة مرة»**) أي أيكون

الحديث رقم ٤٩٤٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/٢٠٦ الحديث رقم ٧٩١٦.

(١) أحمد في المسند ١/١٣١ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخرجه أيضاً عن غيره.

الحديث رقم ٤٩٤٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/١٨٦ الحديث رقم ٧٨٥٦.

قال: «نعمْ، اللّهُ أكبرُ وأطيبُ».

٤٩٤٥ ـ (٣٥) وعن أبي بكرةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ الذنوبِ يغفرُ اللّهُ منها ما شاءَ إلاّ عقوقَ الولدَين فإنَّهُ يُعجِّلُ لصاحبِه في الحياةِ قبلَ المماتِ».

كذلك (**قال: نعم الله أكبر**) أي أعظم مما يتصوّر، وخيره أكثر مما يحصى ويحصر (**«وأطيب»**) أي أطهر من أن ينسب إلى قصور في قدرته ونقصان في مشيئته وإرادته، قال الطيبي: وبالاستبعاده من أن يعطي الرجل بسبب النظرة حجة وإن نظر مائة مرة يعني الله أكبر مما في اعتقادك من أنه لا يكتب له تلك الأعداد الكثيرة ولا يثاب عليه ما هو أطيب اهـ. وفيه أن قوله: «أطيب» صفة لله لا للثواب والله أعلم بالصواب.

٤٩٤٥ ـ (**وعن أبي بكرة**) بالهاء رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: «كل الذنوب»**) أي جميع أنواع المعاصي ما عدا الشرك (**«يغفر الله منها»**) أي من جملتها (**«ما شاء»**) فمن تبعيضية، والأظهر أنها مبينة مقدمة (**«إلا عقوق الوالدين فإنه»**) أي إليه (**«يعجل»**) [أي الله] (**«لصاحبه»**) أي لمرتكب العقوق جزاء ذنبه (**«في الحياة قبل الممات»**) أي فلا يؤخر إلى يوم القيامة، واللام عوض عن المضاف إليه أي في حياة العاق قبل مماته، ويمكن أن يكون التقدير في حياة الوالدين قبل مماتهما، ثم يحتمل أن يكون في معناهما سائر حقوق العباد، ولأن مثل هذا الوعيد أيضاً ورد في حق أهل الظلم والبغي بغير الحق. هذا وقال الطيبي: أن من تبعيضية منصوبة المحل مفعول يغفر مجازاً، وما شاء بدل منه. ويجوز أن يتعلق بيغفر وتكون ابتدائية وما شاء مفعول، ومعنى الشمول في الكل الاستغراق يعني كل فرد من أفراد الذنوب مغفور إذا تعلقت مشيئة الله تعالى به إلا عقوق الوالدين، وهذا وارد على سبيل التغليظ والتشديد، ومفعول يعجل محذوف أي العقوبة يدل عليه سياق الكلام اهـ. وتبعه ابن الملك، لكن في عبارتهما خطأ فاحش إذ مفهومه أن مغفرة عقوق الوالدين مستثنى، ولو تعلقت بها مشيئة الله تعالى، وليس كذلك، فإيراد ما شاء في الحديث إنما هو لإخراج الشرك فقط قال تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء ـ ٤٨] فالصواب إن معناه كل فرد من أفراد الذنوب التي قد يتعلق به مشيئة الله تعالى مغفور إلا عقوق الوالدين، فإن الغالب أن لا يتعلق به مشيئة المغفرة، وفي هذا أو في زجر وتهديد، ولا يصح أن يقال: التقدير إلا عقوقهما فإنه لا يتعلق به المشيئة مطلقاً وحينئذ يكون وارداً على سبيل الوعيد والتشديد لأن كلامه ﷺ لا يحمل على ما يكون ظاهره مناقضاً لكلامه سبحانه، وقد أخبر بأن مشيئته تتعلق بما عدا الشرك.

الحديث رقم ٤٩٤٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٩٧ الحديث رقم ٧٨٩٠.

٤٩٤٦ ـ (٣٦) وعن سعيدِ بن العاص، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حقُّ كبيرِ الإِخْوَةِ على صغيرِهم حقُّ الوالدِ على ولدِه». روى البيهقيُّ الأحاديثَ الخمسةَ في «شعب الإيمان».

(١٥) باب الشفقة والرحمة على الخلق

الفصل الأول

٤٩٤٧ ـ (١) عن جريرِ بن عبد الله، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يرحمُ اللَّهُ مَنْ لا يرحمُ النَّاسَ». متفق عليه.

٤٩٤٦ ـ **(وعن سعيد بن العاص)** هو أخو عمرو بن العاص ولد عام الهجرة وكان أحد أشراف قريش، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان فافتتحها، ومات سنة تسع وخمسين. ذكره المؤلف في فصل الصحابة **(قال: قال رسول الله ﷺ: «حق كبير الأخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده»)** أي كحقه عليهم فهو من التشبيه البليغ مبالغة. **(روى البيهقي الأحاديث الخمسة في شعب الإيمان)**، ولفظ الجامع «كحق الوالد على ولده». والله أعلم.

باب الشفقة والرحمة على الخلق

الشفقة الاسم من الإشفاق وهو الخوف، والشفقة عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه من المشقة الدنيوية والأخروية، وفي القاموس أشفق أي حاذر.

(الفصل الأوّل)

٤٩٤٧ ـ **(عن جرير بن عبد الله)** أي البجلي **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس»)** أي من لا يتعطف عليهم ولا يرأف بهم، والظاهر أنه أخبار، ويحتمل أن يكون دعاء، والمعنى أنه لا يكون من الفائزين بالرحمة الكاملين والسابقين إلى دار الرحمة وإلا فرحمته وسعت كل شيء. قال الطيبي: الرحمة الثانية محمولة على الحقيقة والأولى على المجاز لأن الرحمة من الخلق التعطف والرقة وهو لا يجوز على الله والرحمة من الله، الرضا عمن رحمه لأن من رق له القلب فقد رضي عنه، أو الأنعام وإرادة الخير لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وأنعامه. **(متفق عليه)**؛ ورواه أحمد والشيخان وأبو داود

الحديث رقم ٤٩٤٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢١٠ الحديث رقم ٧٩٢٩.

الحديث رقم ٤٩٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٣٥٨ الحديث رقم ٧٣٧٦، ومسلم في ٤/ ١٨٠٩ الحديث رقم (٦٦ ـ ٢٣١٩)، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٤ الحديث رقم ١٩٢٢، وابن ماجه في ٢/ ١٣٥٤ الحديث رقم ٣٦٦٥، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٨.

٤٩٤٨ ـ (٢) وعن عائشةَ، قالتْ: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أتُقبِّلونَ الصبيانَ؟ فما نُقبِّلهم. فقال النبيُّ ﷺ: «أوَ أملكُ لكَ إن نزعَ اللَّهُ من قلبِكَ الرحمةَ؟». متفق عليه.

٤٩٤٩ ـ (٣) وعنها، [٣٧١ ـ أ ـ] قالتْ: جاءَتني امرأةٌ ومعها ابنتانِ لها تسألني، فلم تجدْ عندي غيرَ تمرةٍ واحدةٍ، فأعطيتُها إيَّاها، فقسمتْها بينَ ابنتيها، ولم تأكلْ منها، ثمَّ قامتْ فخرجتْ. فدخل النبيُّ ﷺ، فحدَّثته، فقال:

والترمذي عن أبي هريرة، والشيخان عن جرير أيضاً بلفظ: «من لا يرحم لا يرحم» وفي رواية لأحمد والشيخين والترمذي عن جرير، ولأحمد والترمذي أيضاً عن أبي سعيد بلفظ: «من لا يرحم الناس؛ لا يرحمه الله» وفي رواية للطبراني عن جرير «من لا يرحم من في الأرض لا يرحمه من في السماء»، وفي أخرى له عنه أيضاً «من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له ومن لا يتب لا يتب عليه»، كذا في الجامع الصغير، ولم يذكر فيه لفظ المشكاة والله أعلم.

٤٩٤٨ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى رسول الله)**، وفي نسخة إلى النبي، (ﷺ **فقال: أتقبلون الصبيان)** أي الصغار، والهمزة للإنكار **(فما نقبلهم)** أي إن كنتم تقبلونهم فما نقبلهم، وهو إما للاستكبار أو للاستحقار، قال الطيبي: الفاء استبعادية أي أتفعلون ذلك وهو مستبعد عندنا، قلت: الظاهر أن الاستبعاد مفهوم من الاستفهام لا من الفاء لأنه غير معروف في معانيها، **(فقال النبي ﷺ: «أو أملك لك»)** بفتح الهمزة الاستفهامية الإنكارية وواو العاطفة أو الرابطة **(«أن نزع الله من قلبك الرحمة»)** بفتح همزة أن، فإن مع الفعل مصدر وقع موقع الظرف، وفي نسخة بكسرها، فإن شرطية دل على جزائها ما قبلها. قال الأشرف: يروى أن بفتح الهمزة فهي مصدرية ويقدر مضاف أي لا أملك لك دفع نزع الله من قلبك الرحمة، أو لا أملك لك أن أضع في قلبك ما نزعه الله منه من الرحمة، ويروى بكسرها فتكون شرطية. والجزاء محذوف من جنس ما قبله أي إن نزع الله من قلبك الرحمة لا أملك لك دفعه ومنعه. **(متفق عليه)**.

٤٩٤٩ ـ **(وعنها)** أي عائشة رضي الله عنه **(قالت: «جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها تسألني»)** أي عطية **(«فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها إياها»)** أي التمرة ولم تستحقرها لقوله تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾** [الزلزلة ـ ٧] ولقوله عليه السلام: «اتقوا النار ولو بشق تمرة»، **(«فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها»)** أي مع جوعها إذ يستبعد أن تكون شبعانة مع جوع ابنتيها **(«ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته»)** أي بما جرى **(«فقال:**

الحديث رقم ٤٩٤٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٢٦ الحديث رقم ٥٩٩٨، ومسلم في ٤/١٨٠٨ الحديث رقم ٦٤/٢٣١٧، وابن ماجه في السنن ٢/١٢٠٩ الحديث رقم ٣٦٦٥.

الحديث رقم ٤٩٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٢٦ الحديث رقم ٥٩٩٥، ومسلم في ٤/٢٠٢٧ الحديث رقم ١٤٧ ـ ٢٦٢٩، والترمذي في السنن ٤/٢٨٢ الحديث رقم ١٩١٥ وابن ماجه في ٢/١٢١٠ الحديث رقم ٣٦٦٨، وأحمد في المسند ٦/٣٣.

«مَن ابتُلِيَ من هذه البنات بشيءٍ فأحسنَ إليهنَّ كنَّ له ستراً من النّارِ». متفق عليه.

٤٩٥٠ ـ (٤) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عالَ جاريتينِ حتى تبلغا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهوَ هكذا» وضمَّ أصابعَه. رواه مسلم.

من ابتلي») بصيغة المجهول أي امتحن لأن الناس يكرهونهن غالباً («من هذه البنات بشيء») متعلق بابتلي، ومن بيانية مع مجرورها حال من شيء، والإشارة إلى الجنس. وقال شارح للمصابيح: قوله: من بلي من الإبلاء من هذه البنات شيئاً أي بشيء، وفي كتاب مسلم من ابتلي من هذه البنات بشيء وهو الصواب. وروى لفظ المصابيح بلي من الولاية لمكان شيئاً وليس بشيء؛ وقال التوربشتي: قوله: «من ابتلي من هذه البنات بشيء»، هذه الرواية هي الصواب. والرواية التي اختارها صاحب المصابيح يتخبط الناس فيها لمكان قوله: شيئاً، ورُوي بالياء من الولاية وليس بشيء. والصواب فيه «من بلي من هذه البنات بشيء» اهـ. وحاصل كلامه أن الرواية الثانية إما ابتلي كما في المشكاة وإما بلي كما في المصابيح، وإن الصواب فيهما بشيء، وإن شيئاً بالنصب خطأ وكذا بلي من الولاية، بل هو تصحيف وتحريف والله أعلم. قال الطيبي: الرواية في البخاري والحميدي والبيهقي وشرح السنة «من ابتلي من هذه البنات بشيء»، ولم أتفق على ما في المصابيح وهو «من بلي من هذه البنات شيئاً» في الأصول اهـ. («فأحسن إليهن») قيل: بتزويجهن الأكفاء، والأحسن أن يعم الإحسان («كن له») أي للمبتلى («ستراً») بكسر أوّله أي حجاباً دافعاً («من النار») أي دخولها، ولعل وجه تخصيصهن أن احتياجهن إلى الإحسان يكون أكثر من الصبيان فمن سترهن بالإحسان عن لحوق العار يجازى بالستر عن النار جزاء وفاقاً، واختلف في المراد بالابتلاء هل هو نفس وجودهن أو الابتلاء بما صدر منهن أو الإنفاق عليهن. وكذا اختلف في المراد بالإحسان هل يقتصر على قدر الواجب أو ما زاد عليه، والظاهر الثاني، ثم شرط الإحسان أن يوافق الشرع، والظاهر أن الثواب المذكور إنما يحصل لفاعله إذا استمر عليه إلى أن يحصل استغناؤهن عنه بزوج أو غيره. (متفق عليه)؛ ورواه أحمد والترمذي بلفظ المشكاة على ما في الجامع الصغير.

٤٩٥٠ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من عال جاريتين») أي أنفق عليهما وقام بمؤنتهما («حتى تبلغا») أي تدركا البلوغ أو تصلا إلى زوجهما» («جاء يوم القيامة أنا وهو كذلك») جملة حالية بغير واو أي جاء مصاحباً لي («وضم أصابعه») أي أصبعيه. (رواه مسلم). وفي الجامع الصغير بلفظ «من عال جاريتين حتى تدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين». رواه مسلم والترمذي عن أنس، وروى أبو داود بسند حسن عن أبي سعيد ولفظه: «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوّجهن وأحسن إليهن فله الجنة»[١].

الحديث رقم ٤٩٥٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٧ الحديث رقم (١٤٩ ـ ٢٦٣١)، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨١ الحديث رقم ١٩١٤.

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٥ الحديث رقم ٥١٤٧.

٤٩٥١ ـ (٥) وعن أبي هريرةَ، قال رسولُ الله ﷺ: «السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ كالساعي في سبيلِ الله»، وأحسبِه قال: «كالقائمِ لا يفتُرُ وكالصَّائمِ لا يفطرُ». متفق عليه.

٤٩٥٢ ـ (٦) وعن سهلِ بن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا

٤٩٥١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة»)** بفتح الميم التي لا زوج لها، قيل: سواء كانت غنية أو فقيرة، وفيه بعد، وإن كان ظاهر إطلاق الحديث يعمهما (**«والمسكين»**)، وفي معناه الفقير بل بالأولى عند بعضهم (**«كالساعي في سبيل الله»**) أي ثواب القائم بأمرهما وإصلاح شأنهما والإنفاق عليهما كثواب الغازي في جهاده، فإن المال شقيق الروح وفي بذله مخالفة النفس ومطالبة رضا الرب. قال النووي: المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمؤنتهما، والأرملة من لا زوج لها سواء تزوّجت قبل ذلك أم لا. وقيل: التي فارقها زوجها. قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج. يقال: أرمل الرجل إذا فنى زاده. قلت: وهذا مأخذ لطيف في إخراج الغنية من عموم الأرملة. قال الطيبي: وإنما كان معنى الساعي على الأرملة ما قاله النووي، لأنه ﷺ عداه بعلى مضمناً فيه معنى الإنفاق (**«وأحسبه»**) بكسر السين وفتحها أي أظنه (**«قال: كالقائم»**)، قيل: قائله عبد الله بن سلمة القعنبي شيخ البخاري، ومسلم الراوي عن مالك كما صرح به في البخاري، ومعناه أظن أن مالكاً قال: كالقائم، وظاهر المشكاة أن قائله أبو هريرة، فالتقدير أحسب النبي ﷺ قال أيضاً: كالقائم، أو وقع له الشك في التشبيه الأوّل والثاني، ويؤيده ما في الجامع الصغير برواية أحمد والشيخين والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار»، على أنه يمكن أن تكون أو بمعنى بل والله أعلم. فقوله: كالقائم أي بالليل للعبادة (**«لا يفتر»**) من الفتور، وهو الملل والكسل، وهو من باب نصر كما في المفاتيح، ومن باب ضرب أيضاً على ما في القاموس، وأكثر النسخ على الأوّل، فهو المعوّل. والمعنى لا يضعف عن العبادة (**«وكالصائم لا يفطر»**) أي في نهاره بل يصوم الدهر كله. قال الأشرف: الألف واللام في كالقائم والصائم غير معرفين، ولذلك وصف كل واحد بجملة فعلية بعده كقوله الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

وقال الطيبي: هما عبارتان عن الصوم بالنهار والقيام بالليل كقوله: «نهاره صائم وليله قائم» يريدون الديمومة. **(متفق عليه)**. وتقدم رواية غيرهما.

٤٩٥٢ ـ **(وعن سهل بن سعد)** أي الساعدي رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا**

الحديث رقم ٤٩٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٣٧ الحديث رقم ٦٠٠٧، ومسلم في ٤/ ٢٢١٦ الحديث رقم (٤ ـ ٢٩٨٢)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٠٥ الحديث رقم ١٩١٩، والنسائي في ٥/ ٨٦ الحديث رقم ٢٥٧٧، وابن ماجه في ٢/ ٧٤٤ الحديث رقم ٢١٤٠، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦١.

الحديث رقم ٤٩٥٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٣٦ الحديث رقم ٦٠٠٥، ومسلم في ٤/ ٢٢٨٧ =

وكافلُ اليتيمِ له، ولغيرِه، في الجنّةِ هكذا» وأشار بالسَّبابة والوسطى وفرَّجَ بينهما شيئاً. رواه البخاري.

٤٩٥٣ ـ (٧) وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ترى المؤمنينَ في تراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ إِذا اشتكى عضواً

وكافل اليتيم» أي الذي مات أبوه وهو صغير يستوي فيه المذكر والمؤنث أي مربيه (**«له»**) أي كائناً لذلك الكافل كولد ولده وإن سفل أو ابن أخيه ونحوه (**«ولغيره»**) الواو بمعنى أو أي أو كائناً لغيره فيكون أجنبياً منه (**«في الجنة»**) خبر أنا ومعطوفه (**«هكذا»**) إشارة إلى كمال القرب (**«وأشار بالسبابة»**) أي المسبحة (**«والوسطى وفرج»**) بالتشديد أي فرق (**«بينهما شيئاً»**) أي قليلاً لعدم تصوّر الكثير، وكأنه أشار بذلك إلى علق مرتبة النبوّة وإن تلوها رتبة الفتوّة والمروّة. هذا وفي النهاية الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له، وهو من الكفيل بمعنى الضمين، والضمير في له ولغيره راجع إلى الكافل أي أن اليتيم سواء كان للكافل من ذوي رحمة وأنسابه أو كان أجنبياً لغيره وتكفل به. قال الطيبي: قوله: «في الجنة» خبر أنا، وهكذا نصب على المصدر من متعلق الخبر وأشار بالسبابة والوسطى أي أشار بهما إلى ما في ضميره عليه السلام من معنى الانضمام وهو بيان هكذا اهـ. والظاهر أنه ﷺ ضم أصبعيه عند قوله: «هكذا» فعبر الراوي عن فعله ﷺ بقوله: وأشار، إذ الإشارة عما في ضميره عليه السلام غير متصوّر للراوي، قيل: اليتيم من الناس من مات أبوه ومن الدواب من مات أمه، وكافل اليتيم من يقوم بأمره ويعوله ويربيه وينفق عليه ولو من مال اليتيم والله أعلم. (**رواه البخاري**). وفي الجامع الصغير «أنا وكافل اليتيم في الجنة» هكذا رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد اهـ. وظاهره أن قوله في المشكاة: «له ولغيره» من كلام سهل أو من بعده أدرج في الحديث، أو هو رواية أخرى وفيها زيادة مقبولة، وأما قوله: «وأشار» فهو من كلام سهل، ولعله تركه صاحب الجامع اختصاراً والله أعلم.

٤٩٥٣ ـ (**وعن النعمان بن بشير مر ذكرهما رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ترى المؤمنين»**) أي الكاملين (**«في تراحمهم»**) أي في رحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب رحم ونحوه (**«وتوادهم»**) بتشديد الدال المكسورة أي تواصلهم الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي (**«وتعاطفهم»**) أي بإعانة بعضهم بعضاً (**«كمثل الجسد»**) أي جنسه (**«الواحد»**) المشتمل على أنواع الأعضاء (**«إذا اشتكى»**) أي الجسد (**«عضواً»**) لعدم اعتدال حال مزاجه،

= الحديث رقم (٤٢ ـ ٢٩٨٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥١ الحديث رقم ٥١٥٠، والترمذي في ٤/ ٢٨٣ الحديث رقم ١٩١٨، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٤٨ الحديث رقم ٥ من كتاب الشعر، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٥.

الحديث رقم ٢٩٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٣٨ الحديث رقم ٦٠١١ ومسلم في ٤/ ١٩٩٩ الحديث رقم (٦٦ ـ ٢٥٨٦). وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٨.

تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى». متفق عليه.

٤٩٥٤ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنونَ كرجلٍ واحدٍ، إِنِ اشتكى عينه اشتكى كله، وإِنِ اشتكى رأسه اشتكى كله». رواه مسلم.

٤٩٥٥ ـ (٩) وعن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ، قال: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً» ثمَّ شبَّكَ بينَ

ونصبه على التمييز، والمعنى إذا تألم الجسد من جهة ذلك العضو، وفي نسخة إذا اشتكى عضو بالرفع أي إذا تألم عضو من أعضاء جسده (**«تداعى له»**) أي لذلك العضو (**«سائر الجسد»**) أي باقي أعضائه (**«بالسهر»**) بفتحتين أي عدم الرقاد (**«والحمى»**) أي بالحرارة والتكسر والضعف ليتوافق الكل في العسر كما كانوا في حال الصحة متوافقين في اليسر، ثم أصل التداعي أن يدعو بعضهم بعضاً ليتفقوا على فعل شيء، فالمعنى أنه كما أن عند تألم بعض أعضاء الجسد يسري ذلك إلى كله، كذلك المؤمنون كنفس واحدة إذا أصاب واحداً منهم مصيبة ينبغي أن يغتم جميعهم ويهتموا بإزالتها عنه. وفي النهاية كأن بعضه دعا بعضاً، ومنه قولهم: تداعت الحيطان أي تساقطت أو كادت، ووجه الشبه هو التوافق في المشقة والراحة والنفع والضر. (**متفق عليه**).

٤٩٥٤ ـ (**وعنه**) أي عن النعمان رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون كرجل»**) أي كأعضاء رجل (**«واحد»**) لأنهم على دين واحد (**«إن اشتكى عينه»**) بالرفع، وفي نسخة بالنصب، وكذا فيما بعده (**«اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله». رواه مسلم**). وكذا الإمام أحمد.

٤٩٥٥ ـ (**وعن أبي موسى**) أي الأشعري (**رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن»**) التعريف للجنس، والمراد بعض المؤمن للبعض، ذكره الطيبي، ويمكن أن يكون للاستغراق أي كل مؤمن لكل مؤمن، والأظهر أنه للعهد الذهني في الأوّل وللجنس في الثاني أي المؤمن الكامل لمطلق المؤمن (**«كالبنيان»**) أي البيت المبني (**«يشد بعضه»**) أي بعض البنيان (**«بعضاً»**)، والجملة حال أو صفة أو استئناف بيان لوجه الشبه وهو الأظهر، ثم لا شك أن القوي هو الذي يشد الضعيف ويقويه، وحاصل معناه أن المؤمن لا يتقوّى في أمر دينه أو دنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يقوّي بعضه (**«ثم شبك»**) أي النبي ﷺ أو أبو موسى (**«بين**

الحديث رقم ٤٩٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠ الحديث رقم (٦٧ ـ ٢٥٨٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٦.

الحديث رقم ٤٩٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٤٩ الحديث رقم ٦٠٢٦، ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٩ الحديث رقم (٦٥ ـ ٢٥٨٥)، والنسائي في السنن ٥/ ٧٩ الحديث رقم ٢٥٦٠، وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٤.

أصابِعِه. متفق عليه.

٤٩٥٦ ـ (١٠) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه كانَ إذا أتاهُ السَّائلُ أو صاحبُ الحاجةِ قال: «اشْفعوا فلْتُؤجَروا ويقضي اللَّهُ على لسان رسولِه ما شاءَ».

أصابعه») أي أدخل أصابع إحدى يديه بين أصابع اليد الأخرى، قال الطيبي: قوله: «ثم شبك كالبيان» لوجه الشبه أي شداً مثل هذا الشد. **(متفق عليه)**. قال ميرك: اختص البخاري بذكر التشبيك، وبدونه رواه الترمذي والنسائي، قلت: وفي الجامع الصغير بدون التشبيك أسنده إلى الشيخين والترمذي والنسائي، وهذا يؤيد أن ضمير شبك إلى أبي موسى، فمن رواه إنما رواه مدرجاً والله أعلم. قال النووي: فيه تعظيم حقوق المسلمين بعضهم لبعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير اثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الإفهام.

٤٩٥٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا أتاه السائل»)** أي للعطية **(«أو صاحب الحاجة»)** أي إليه أو إلى غيره وهو أعم من السؤال، فأو للتنويع **(«قال: اشفعوا»)** أي له **(«فلتؤجروا»)** بسكون الهمزة ويبدل، وهو أمر المخاطب باللام نحو قوله تعالى: **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾** [يونس ـ ٥٨] بالخطاب في رواية يعقوب من العشرة بفاء على الأصل المرفوض، وقد روي مرفوعاً ويؤيده أنه قرىء فأفرحوا، والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل: إن شفعتم فتؤجروا، وفي المغني أن اللام الطلبية قد تخرج عن الطلب إلى غيره كالتي يراد بها أو بمصحوبها الخبر نحو قوله تعالى: **﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾** [العنكبوت ـ ١٢] أي فيمد ونحمل اهـ. وخلاصة المعنى أشفعوا تؤجروا كما في رواية ابن عساكر عن معاوية، وكذا في هذا الحديث على ما سيأتي، ثم رأيت الطيبي قال: الفاء في فلتؤجروا أو اللام مقحمة للتأكيد بل كلاهما مؤكدان لأنه لو قيل: تؤجروا جواباً للأمر ثم كلامه ولا يخفى ما سبق من التحقيق والله ولي التوفيق. قال المظهر: والمعنى إذا عرض صاحب حاجة حاجته على اشفعوا له إلى فإنكم إن شفعتم له حصل لكم بتلك الشفاعة أجر سواء قبلت شفاعتكم أو لم تقبل. وقوله: **(ويقضي الله على لسان رسوله)** أي يجري على لساني **(ما شاء)** أي إن قضيت حاجته من شفاعتكم له فهو بتقدير الله، وإن لم أقض فهو أيضاً بتقدير الله اهـ. وقوله على لسان رسوله: يحتمل أن يكون نقلاً بالمعنى وأن يكون فيه نوع التفات، وهو ظاهر كلام المظهر، وفي زيادة المضاف إفادة أن غيره في هذا المعنى بطريق الأولى. وقال الطيبي: هو من باب التجريد إذ الظاهر أن يقال على لساني كأنه قال: اشفعوا لي ولا تقولوا ما تدري أيقبل رسول الله ﷺ شفاعتنا أم لا، فإني وإن

الحديث رقم ٤٩٥٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٤٨ الحديث رقم ٧٤٧٦، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٦ الحديث رقم (١٤٥ ـ ٢٦٢٧)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٣٤ الحديث رقم ٥١٠٨، والترمذي في ٥/ ٤١ الحديث رقم ٢٦٧٢، والنسائي في ٥/ ٧٨ الحديث رقم ٢٥٥٧، وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٠.

متفق عليه.

٤٩٥٧ ـ (١١) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنصُرْ أخاكَ ظالماً أو مظلوماً». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! أنصرُه مظلوماً، فكيفَ أنصرُه ظالماً؟ قال: «تمنعُه من الظلم، فذلك نصرُكَ إِيّاهُ». متفق عليه.

٤٩٥٨ ـ (١٢) وعن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: [٣٧١ ـ ب ـ] «المسلمُ أخو

كنت رسول الله ونبيه وصفيه لا أدري أيضاً أقبل شفاعتكم أم لا لأن الله تعالى هو القاضي، فإن قضى لي أن أقبل أقبل وإلا فلا، وهو من قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»، قلت: وفيه تلميح وتلويح إلى قوله: «ما أدري ما يفعل بي ولا بكم». قال النووي: أجمعوا على تحريم الشفاعة في الحدود بعد بلوغها إلى الإمام، وأما قبله فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، وأما المعاصي التي لا حد فيها والواجب التعزيز. فيجوز الشفاعة والتشفع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لاثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه مؤذياً وشريراً. **(متفق عليه)**؛ ورواه أبو داود والترمذي والنسائي ذكره ميرك؛ وفي الجامع الصغير «اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء». رواه الشيخان والثلاثة.

٤٩٥٧ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك»)** أي المسلم **(«ظالماً»)** حال من المفعول **(«أو مظلوماً»)** تنويع **(«فقال رجل: يا رسول الله أنصره»)** أي أنا **(«مظلوماً»)** أي حال كونه مظلوماً وهو ظاهر المبنى **(«فكيف أنصره ظالماً»)** فإنه خفي المعنى **(«قال: تمنعه من الظلم»)** أي الذي يريد فعله **(«فذلك»)** أي منعك إياه منه **(«نصرك إياه»)** أي على شيطانه الذي يغويه أو على نفسه التي تطغيه. **(متفق عليه)**. قال ميرك: فيه نظر، فإن الحديث بهذا السياق من أفراد البخاري من حديث أنس ورواه الترمذي أيضاً كما صرح به الشيخ الجزري أيضاً. نعم أخرجه مسلم من حديث جابر في أثناء حديث بلفظ: «ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره». قلت: وينصره صنيع صاحب الجامع الصغير حيث أورد الحديث بلفظ «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قيل: «كيف أنصره ظالماً قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره». رواه أحمد والبخاري والترمذي عن أنس ثم قال: وفي رواية الدارمي وابن عساكر عن جابر «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يك ظالماً فأردده عن ظلمه وإن يك مظلوماً فانصره».

٤٩٥٨ ـ **(وعن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو**

الحديث رقم ٤٩٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٣٢٣ الحديث رقم ٦٩٥٢، ومسلم في ٤/١٩٩٨ الحديث رقم (٦٢ ـ ٢٥٨٤)، والترمذي في السنن ٤/٤٥٣ الحديث رقم ٢٢٥٥، والدارمي في ٢/٤٠١ الحديث رقم ٢٧٥٣، وأحمد في المسند ٣/٩٩.

الحديث رقم ٤٩٥٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٩٧ الحديث رقم ٢٤٤٢، ومسلم في ٤/١٩٩٦ الحديث رقم (٥٨ ـ ٢٥٨٠)، والترمذي في السنن ٤/٢٦ الحديث رقم ١٤٢٦.

المسلم، لا يظلِمه، ولا يُسلِمَهُ، ومن كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كُربات يوم القيامة،

المسلم» فيه إشعار بأن المسلم والمؤمن واحد لقوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾ [الحجرات ـ ١٠] وهو مجمل تفصيله ما بعده، ولهذا ورد منقطعاً عما بعده على ما رواه أبو داود عن سويد بن حنظلة، وابن عساكر عن واثلة. وحاصله «أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والأخ لا يضر أخاه بل ينفعه في كل ما يراه»، ويمكن أن يكون التركيب من قبيل التشبيه البليغ مبالغة كما ورد «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (**«لا يظلمه»**) نفي بمعنى النهي، والمعنى لا ينبغي له أن يظلمه، وفي حكم المسلم الذمي والمستأمن ثم إنه لا مفهوم له، فإن الظلم لا يتصوّر في حق الكافر، وهو استئناف بيان للموجب أو لوجه الشبه، فإن الظالم ينحط أوّلاً عن رتبة النبوّة «لا ينال عهدي الظالمين»، وثانياً عن درجة الولاية «ألا لعنة الله على الظالمين»، وثالثاً عن مزيد السلطنة «لبيت الظالم خراب ولو بعد حين»، ورابعاً عن نظر الخلائق «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»، وخامساً عن حفظ نفسه «ولكن كانوا أنفسهم يظلمون». (شعر).

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً ... فالظلم آخره يأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

(**«ولا يسلمه»**) بضم أوله وكسر اللام أي لا يخذله بل ينصره، ففي النهاية يقال: أسلم فلان فلاناً إذا ألقاه إلى التهلكة ولم يحمه من عدوّه، وهو عام في كل من أسلمته إلى شيء لكن دخله التخصيص وغلب عليه الإلقاء في الهلكة، وقال بعضهم: الهمزة فيه للسلب أي لا يزيل سلمه، وهو بكسر السين وفتحها الصلح. (**«ومن كان في حاجة أخيه»**) أي ساعياً في قضائها (**«كان الله في حاجته»**) هذا من قبيل المشاكلة، وقد ورد في رواية مسلم عن أبي هريرة ولفظه: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، وفيه تنبيه نبيه على فضيلة عون الأخ على أموره، وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما لدفع المضار أو جذب المنافع إذا لكل عون (**«ومن فرج»**) بتشديد الراء ويخفف، وفي رواية من نفس بتشديد الفاء، والمعنى واحد أي أزال وَكشف (**«عن مسلم كربة»**) أي من كرب الدنيا كما في نسخة، وهي كذلك في رواية مسلم عن أبي هريرة، والكربة بضم الكاف فعلة من الكرب، وهي الخصلة التي يحزن بها، وجمعها كرب بضم ففتح، والتنوين فيها للأفراد والتحقير أي هما واحداً من همومها أي هم كان صغيرة أو كبيرة عرضه وعرضه عدده وعدده، وقوله «من كرب الدنيا» أي بعض كربها أو كربة مبتدأة من كربها (**«فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة»**) بضم الكاف والراء، وفي رواية من كرب يوم القيامة أي التي لا تحصى لأن الخلق كلهم عيال الله، وتنفيس الكرب إحسان لهم، وقد قال تعالى: ﴿**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ [الرحمن ـ ٦٠] وليس هذا منافياً لقوله تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ [الأنعام ـ ١٦٠] لما ورد من أنها تجازي بمثلها وضعفها إلى عشرة إلى مائة إلى سبعمائة إلى غير حساب على أن كربة من كرب يوم القيامة تساوي عشراً أو أكثر من كرب الدنيا، ويدل عليه

ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

٤٩٥٩ ـ (١٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يَخْذله، ولا يَحْقِرُه، التقوى ههنا».

تنوين التعظيم، وتخصيص يوم القيامة دون يوم آخر. والحاصل أن المضاعفة إما في الكمية أو في الكيفية، (**«ومن ستر مسلماً»**) أي بدنه أو عيبه بعدم الغيبة له والذب عن معايبه، وهذا بالنسبة إلى من ليس معروفاً بالفساد وإلا فيستحب أن ترفع قصته إلى الوالي، فإذا رآه في معصية فينكرها بحسب القدرة وإن عجز يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتب عليه مفسدة، كذا في شرح مسلم للنووي (**«ستره الله يوم القيامة»**). وفي رواية «ستره الله في الدنيا والآخرة»، وفيه إشارة خفيفة صوفية صفية إلى أن من وقف على شيء من مقامات أهل العرفان وكرامات ذوي إلا يقال إن، أن يحفظ سره ويكتم أمره، فإن كشف الأسرار على الأغيار يسد باب العناية ويوجب الحرمان والغواية.

من أطلعوه على سر فباح به ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاش

(**متفق عليه**)، وهو مختصر من حديث طويل ذكره الإمام النووي في أربعينه مسند إلى مسلم عن أبي هريرة وقد سبق ذكره في الكتاب.

٤٩٥٩ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله»**) بضم الذال المعجمة من الخذلان، وهو ترك النصرة والإعانة (**«ولا يحقره»**) بكسر القاف وفتح أوله أي لا يحتقره بذكر المعايب وتنابز الألقاب والاستهزاء والسخرية إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لائق في محادثته، فلعله أخلص ضميراً وأتقى قلباً ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله (**«التقوى ههنا»**). وقال المظهر: يعني لا يجوز تحقير المتقي من الشرك والعاصي، والتقوى محله القلب، وما كان محله القلب يكون مخفياً عن أعين الناس، وإذا كان مخفياً فلا يجوز لأحد أن يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره، ويحتمل أن يكون معناه محل التقوى هو القلب، فمن كان في قلبه التقوى فلا يحقر مسلماً لأن المتقي لا يحقر المسلم. قال الطيبي: والقول الثاني أوجه والنظم له أدعى، لأنه ﷺ إنما شبه المسلم بالأخ لينبه على المساواة وأن لا يرى أحد لنفسه على أحد من المسلمين فضلاً ومزية ويحب له ما يحب لنفسه، وتحقيره إياه مما ينافي هذه الحالة، وينشأ منه قطع وصلة الأخوة التي أمر الله بها أن توصل، ومراعاة هذه الشريطة أمر صعب لأنه ينبغي أن يسوى بين السلطان وأدنى العوام وبين الغني والفقير وبين القوي والضعيف والكبير والصغير، ولا يتمكن من هذه الخصلة إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وأخلصه من الكبر والغش

الحديث رقم ٤٩٥٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٦ الحديث رقم (٣٢ ـ ٢٥٦٤)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٦ الحديث رقم ٤٨٨٢، والترمذي في ٤/ ٢٨٦ الحديث رقم ١٩٢٧، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩١.

ويشير إلى صدره ثلاث مرار «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حَرامٌ: دمُه ومالهُ وعرضه». رواه مسلم.

والحقد ونحوها إخلاص الذهب الابريز من خبثه ونقاه منها، فيؤثر لذلك أمر الله تعالى على متابعة الهوي، وكذلك جاء قوله ﷺ التقوى ههنا **(ويشير إلى صدره ثلاث مرات)** معترضاً بين قوله: «ولا يحقره»، وبين قوله: **(«بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم»)**، فإن كلاً منهما متضمن للنهي عن الاحتقار، وأنت عرفت أن موقع الاعتراض بين الكلام موقع التأكيد وقوله: **(«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»)** هو الغرض الأصلي، والمقصود الأولى، والسابق كالتمهيد، والمقدمة له، فجعل المسلم وعرضه جزءاً منه تلويحاً إلى معنى ما روى «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»، والمال يبذل للعرض قال:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لأبارك الله بعد العرض في المال

ولما أن التقوى تشتد من عقد هذه الأخوة وتستوثق من عراها قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله**﴾ [الحجرات ـ ١٠] يعني أنكم إن أتقيتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف والمسارعة إلى إحاطة ما يفرط منه، وإن مستقر التقوى ومكانها المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله قال تعالى: ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ [الحجرات ـ ٣] ولذلك كرر ﷺ هذه الكلمة وأشار إلى صدره ثلاثاً، وإنما عدل الراوي عن الماضي إلى المضارع استحضاراً لتلك الحالة في مشاهدة السامع واهتماماً بشأنها؛ وهذا الحديث من جوامع الكلم، وفصل الخطاب الذي خص به هذا النبي المكرم ﷺ إلى هنا كلام الطيبي قد تم، فلنرجع إلى بعض ما يتعلق بالحديث الشريف من زوائد فوائد شرحه المنيف، منها قوله: التقوى ههنا، قال بعض العارفين: معناه أن حقيقة التقوى في صدري وفروعها في قلوب جميع الخلق لأنه محل عين الجمع ومرآة كشوف الغيب، كما قال: «أنا أعلمكم بالله وأخوفكم منه» بين أن من زاد معرفته زاد خشيته وتقواه وليس في الكونين أعرف منه، وقد ورد أنه قال: «لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين» لأن العارف غائب في عظمة الله تعالى، شائق إلى لقائه، هائم في محبته، تجري عين التقوى من بحار معرفته من روحه إلى قلبه ومن قلبه إلى قالبه، وسره معدن التوحيد لأن الحق تجلى فيه بنعت القدم، وروحه معدن المعرفة لأن الحق تجلى بوصف البقاء فيها، وقلبه معدن الخشية والتقوى لأنه تجلى بوصف الكبرياء، والعظمة، فالتوحيد من عين القدم، والمعرفة من عين البقاء، والتقوى من عين الكبرياء. وقوله ثلاث مرار براء في آخره. في الأصول المعتمدة، وفي بعض النسخ بالتاء الفوقية، ثم قوله: «بحسب امرىء» مبتدأ والباء فيه زائدة، وقوله: «أن يحقر أخاه» خبره أي حسبه، وكافيه من خلال الشر ورذائل الأخلاق تحقير أخيه المسلم. كذا ذكره الطيبي وهو موهم إن قوله: «يحقر» من باب التفعيل وليس كذلك بل هو بفتح الياء وكسر القاف في الأصول، قال بعض المحققين: وحسب يستوي فيه الواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث لأنه مصدر قال النحاة إذا كان ما بعده معرفة فرفعه على الخبرية، والإضافة لفظية أو على الابتداء، وإن كان نكرة فرفعه على الابتداء فقط،

٤٩٦٠ ـ (١٤) وعن عياض بن حمار، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسطٌ متصدّقٌ موفَّقٌ، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكلِّ ذي قربى ومسلم،

والإضافة معنوية؛ ثم المراد بالعرض ما يجب أو يستحب شرعاً حمايته لا العصبية والحمية الجاهلية التي اعتادها كثير من الناس فيصرفون المال لطلب الجاه، والمنزلة في قلوب الخلق إذ هو من الهوى المتبع المهلك لكثير من الناس، فما أهلك الناس إلا الناس، ولو أنصف العلماء لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلاً عن العادات ما يحملهم عليها إلا مراعاة الخلق. قال يحيى بن معاذ: الرياسة ميادين إبليس ينزل هو وجنوده، وقيل: آخر شيء يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه. هذا وزبدة الحديث أنه يجب على كل مسلم أن لا يقع في عرض أخيه بالغيبة والطعن والقذف والشتم والغمز واللمز والتجسس عن عوراته وإفشاء أسراره، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته ولا يماريه، ويرى الفضل لكل أحد على نفسه؛ أما الصغير فلأنه لم يعص الله وهو قد عصى، والكبير فلأنه أكثر عبادة، والعالم لعلمه، والجاهل لأنه قد عصى الله بجهله فحجة الله على العالم أوكد، ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات، وأما لكافر فلأن حسن العاقبة غير معلومة، والمدار على خاتمتها ختم الله لنا بالحسنى وبلغنا المقام الأسني. **(رواه مسلم)**، وهو أيضاً بعض من الحديث الذي رواه الإمام النووي في أربعينه وأسنده إلى مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوان، المسلم أخو المسلم». الحديث.

٤٩٦٠ ـ **(وعن عياض بن حمار)** وهو اسم الحيوان المعروف، والعرب ما كانوا يتحاشون عن مثل هذه الأسماء حتى كانوا يسمون أولادهم كلباً وكلاباً. قال المؤلف: هو عياض بن حمار التميمي المجاشعي يعد في البصريين وكان صديقاً لرسول الله ﷺ، أسلم قديماً، روى عنه جماعة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة»)** أي ثلاثة أجناس من الأشخاص **(«ذو سلطان»)** أي حكم، قال الطيبي: أي سلطان لأنه ذو قهر وغلبة من السلاطة، وهي التمكن من القهر، قال تعالى: **﴿ولو شاء الله لسلطهم﴾** [النساء ـ ٩٠]، ومنه سمي السلطان، وقيل: ذو حجة لأنه يقام الحجج به **(«مقسط»)** بالرفع صفة المضاف أي عادل يقال: اقسط فهو مقسط إذا عدل، وقسط فهو قاسط إذا جار، فالهمزة فيه للسلب كما يقال: شكا إليه فأشكاه، **(«متصدق»)** أي محسن إلى الناس **(«موفق»)** أي الذي هيىء له أسباب الخير وفتح له أبواب البر **(«ورجل رحيم»)** أي على الصغير والكبير **(«رقيق القلب لكل ذي قربى»)** خصوصاً **(«ومسلم»)** أي لكل مسلم عموماً. قال الطيبي: مفسر لقوله: رحيم أي يرق قلبه ويرحم لكل من بينه وبينه لحمة القرابة أو صلة الإسلام اهـ. والظاهر أن يراد بالرحيم صفة فعلية

الحديث رقم ٤٩٦٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢١٩٧ الحديث رقم (٦٣ ـ ٢٨٦٥)، وأحمد في المسند ٤/٢٦١.

وعفيفٌ متعفِّف ذو عيال. وأهلُ النار خمسةٌ: الضعيفُ الذي لا زَبْر له الذين هم فيكم تَبَعٌ

يظهر وجودها في الخارج وبالرقيق صفة قلبية سواء ظهر أثرها أم لا، والثاني أظهر فيكون باعتبار القوّة، والأوّل باعتبار الفعل ويمكن أن تتعلق رحمة الرحيم إلى المعنى الأعم من الإنسان والحيوان الشامل للمؤمن والكافر والدواب، فيكون الثاني أخص. والحاصل أن التأسيس أولى من التأكيد («وعفيف») بالرفع على أنه الثالث من الثلاثة أي مجتنب عما لا يحل («متعفف») أي عن السؤال متوكل على الملك المتعال في أمره وأمر عياله مع فرض وجودهم، فإنه أصعب، ولهذا قال: («ذو عيال») أي لا يحمله حب العيال ولا خوف رزقهم على ترك التوكل بارتكاب سؤال الخلق وتحصيل المال الحرام والاشتغال بهم عن العلم والعمل مما يجب عليه، ويحتمل أنه أشار بالعفيف إلى ما في نفسه من القوّة المانعة عن الفواحش، وبالمتعفف إلى إبراز ذلك بالفعل واستعمال تلك القوّة وإظهار العفة عن نفسه. قال الطيبي: وإذا استقريت أحوال العباد على اختلافها لم تجد أحداً يستأهل أن يدخل الجنة ويحق له أن يكون من أهلها إلا وهو مندرج تحت هذه الأقسام غير خارج عنها. («وأهل النار خمسة») إشارة إلى كثرتهم («الضعيف الذي لا زبر له») بفتح الزاي وسكون الموحدة أي لا رأي له ولا عقل كاملاً يعقله ويمنعه عن ارتكاب ما لا ينبغي، وقد ورد «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له». وفي القاموس: الزبر العقل والكمال والصبر والانتهار والمنع والنهي اهـ، ولكل وجه في المعنى؛ وفي شرح السنة أي لا عقل له، وفي الغريبين يقال: ماله زبر أي عقل، قال التوربشتي: المعنى لا يستقيم عليه لأن من لا عقل له لا تكليف عليه، فكيف يحكم بأنه من أهل النار، وأرى الوجه فيه أن يفسر بالتماسك، فإن أهل اللغة يقولون: «لا زبر له» أي لا تماسك له، وهو في الأصل مصدر، والمعنى لا تماسك له عند مجيء الشهوات فلا يرتدع عن فاحشة ولا يتورع عن حرام؛ قلت: التماسك إنما هو من كمال العقل وحاصل بالصبر، فيحمل على أحدهما. وأغرب الطيبي في قوله: لعل الشيخ ذهب إلى أن قوله: («الذين هم فيكم تبع») قسم آخر من الأقسام الخمسة، ولذلك فسره بقوله: يعني به الخدام الذين يكتفون بالشبهات والمحرمات، وعليه كلام القاضي حيث قال: «الذين هم فيكم تبع» يريد به الخدام الذين لا مطمح لهم ولا مطمع إلا ما يملؤون به بطونهم من أي وجه كان، ولا تتخطى هممهم إلى ما وراء ذلك من أمر ديني أو دنيوي أقول: والظاهر أن الضعيف وصف باعتبار لفظه تارة بالمفرد، وباعتبار الجنس أخرى بالجمع، أو الموصول الثاني بيان أو بدل مما قبله لعدم العاطف كما في الأصول المشهورة، وعليه كلام الأشرف حيث قال: الذي في قول: الذي لا زبر له بمعنى الذين للجمع، وهو الذي جوّز جعل قوله: «الذين هم فيكم تبع» بدلاً من قوله: «الذي لا زبر له»، اهـ، كلامه؛ وعلى هذا لا يتوجه الإشكال الذي أورده الشيخ التوربشتي، ويتعين تقسيم الأقسام الخمسة أحدها الضعيف، وثانيها الخائن، وثالثها رجل، ورابعها البخيل، وخامسها الشنظير. تم كلام الطيبي، ووجه غرابته أنه ليس في كلام الشيخ والقاضي ما يدل على جعله قسماً آخر وهما أعقل من أن يخالفا النص على الخمس بالزيادة عليه لا سيما عند عدم وجود العاطف على ما في الأصول المشهورة، ولا دلالة لتفسير بهما

لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دَقَّ إلاَّ خانه، ورجلٌ لا يصبح ولا يُمْسي إلا وهو يخادعك عن أهلِك ومالِك، وذكر البُخْلَ أو

على ما توهم الفاضل، إذ لا منافاة بين الوصف السابق واللاحق، بل الثاني مميز للأوّل. وحاصله أن القسم الأوّل هو جنس الضعيف في أمر دينه «الناقصون في عقولهم الذين هم فيكم تبع» («**لا يبغون أهلاً**») أي لا يطلبون زوجة ولا سرية فأعرضوا عن الحلال وارتكبوا الحرام («**ولا مالاً**») أي ولا يطلبون مالاً حلالاً من طريق الكد والكسب الطيب فقيل: «هم الخدم الذين يكتفون بالشبهات والمحرمات التي سهل عليهم مأخذها عما أبيح لهم وليس لهم داعية إلى ما وراء ذلك من أهل ومال»، وقيل: «هم الذين يدورون حول الأمراء ويخدمونهم ولا يبالون من أي وجه يأكلون ويلبسون، أمن الحلال أم من الحرام ليس لهم ميل إلى أهل ولا إلى مال، بل قصروا أنفسهم على المأكل والمشرب»، ثم الإشكال الذي أورده الشيخ على معنى لا زبر له لا تعلق له بأن يكون ما بعده قسماً آخر أو لا والله أعلم. ثم قوله: تبع هو الأصل، وفي نسخة بالنصب، وهو بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم. قال الطيبي: تبع في بعض نسخ المصابيح مرفوع كما في صحيح مسلم على أنه فاعل الظرف أو مبتدأ خبره الظرف، والجملة خبرهم، وفي بعضها منصوب كما في الحميدي وجامع الأصول، وهو حال من الضمير المستتر في الخبر اهـ. وقوله: «لا يبغون» بفتح الباء وتسكين الموحدة وضم الغين المعجمة في النسخ المصححة المعتمدة، وفي بعضها بفتح الياء وتشديد الفوقية وكسر الموحدة والعين المهملة من الاتباع، وفي نسخة بضم الياء وسكون الفوقية وكسر الموحدة والعين المهملة. قال النووي: «لا يتبعون» بالعين المهملة يخفف ويشدد من الإتباع، وفي بعض النسخ يبغون بالغين المعجمة، («**والخائن الذي لا يخفى له طمع**») مصدر بمعنى المفعول. قال القاضي: أي لا يخفى عليه شيء مما يمكن أن يطمع فيه («**وإن دق**») بحيث لا يكاد أن يدرك («**الإخانة**») أي إلا وهو يسعى في التفحص عنه والتطلع عليه حتى يجده فيخونه، وهذا هو الإغراق في الوصف بالخيانة قلت: بل هو إغراق في وصف الطمع، والخيانة تابعة له، والمعنى أنه لا يتعدى عن الطمع ولو احتاج إلى الخيانة، ولهذا قال الحسن البصري: «الطمع فساد الدين والورع صلاحه». قال: ويحتمل أن يكون خفي من الأضداد، والمعنى لا يظهر له شيء يطمع فيه إلا خانه وإن كان شيئاً يسيراً، قلت: لا خفاء في أن المعنى الأسبق أبلغ وأنسب بقوله وإن دق، فهو بالاعتبار أولى وأحق، وإن كان تعدية خفي باللام في معنى الإظهار أظهر فإنه يقال: خفي له أي ظهر، وخفي عليه الأمر أي استتر على ما ذكره بعض الشراح لكن في القاموس خفاء يخفيه أظهره، وخفي كرضي لم يظهر اهـ. فالمعنى الأوّل هو المعوّل بفتح الفاء في لا يخفى إلا أن ثبت الرواية بكسرها كما لا يخفى والله أعلم. («**ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك**») أي بسببهما، فعن بمعنى الباء كما في قوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ [النجم ـ ٣] على ما في القاموس. الكشاف، في قوله: فأولهما الشيطان عنها أي حملهما الشيطان على الزلة بسببها («**وذكر**») أي النبي ﷺ إن كان لشك الآتي من الصحابي أو ذكر عياض أن كان من التابعي وهلم جرا («**البخل**») أي في القسم الرابع («**أو**

الكذب، والشِنظير الفحَّاشُ». رواه مسلم.

٤٩٦١ ـ (١٥) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه».

الكذب»). قال التوربشتي: أي البخيل والكذاب، أقام المصدر مقام الفاعل؛ وقال الطيبي: ولعل الراوي نسي ألفاظاً ذكرها ﷺ في شأن البخيل أو الكذاب، فعبر بهذه الصيغة، وإلا كان يقول: والبخيل أو الكذاب، قلت: المعنى كما قال الشيخ: سواء كان هناك صفة أخرى لهما أم لا. هذا وروي بالواو، وحينئذ إما أن يجعل اثنين من الخمسة فيكون قوله: (**«والشنظير»**) منصوباً عطفاً على الكذب تتمة له، وإما إن يجعلا واحداً فيكون الشنظير مرفوعاً، كذا قاله شارح. لكن قوله: تتمة له غير صحيح لأن التعدد المفهوم من الواو وهو الذي فر منه واقع فيه، ولا يصح أن يكون الشنظير عطف تفسير للكذب لما بينهما من التباين، فالصواب أن الواو بمعنى أو كما يدل عليه الأصول المعتمدة. والنسخ المصححة، ثم الشنظير بكسر الشين والظاء المعجمتين بينهما نون ساكنة السيىء الخلق وهو مرفوع على التصحيح كما سبق قوله: (**«الفحاش»**) نعت له، وليس بمعنى له أي المكثر للفحش، والمعنى أنه مع سوء خلقه فحاش في كلامه لما بينهما من التلازم الغالبي. هذا وفي شرح مسلم للنووي في أكثر النسخ أو الكذب بأو وفي بعضها بالواو، والأوّل وهو المشهور في نسخ بلادنا. وقال القاضي عياض: روايتنا عن جميع شيوخنا بالواو إلا ابن أبي جعفر عن الطبري. وقال بعض الشيوخ: ولعله الصواب، وبه تكون المذكورات خمسة. قال الطيبي: فعلى هذا قوله: والشنظير مرفوع فيكون عطفاً على رجل كما سبق، وعلى تأويل الواو ينبغي أن يكون منصوباً من تتمة بالكذب أو البخل أي البخيل السيىء الخلق الفحاش أو الكذاب السيىء الخلق الفحاش اهـ. وما قدمناه هو التحقيق وإن خفي على بعض أرباب التدقيق والله ولي التوفيق. (**رواه مسلم**).

٤٩٦١ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد**)، أي إيماناً كاملاً (**«حتى يحب لأخيه»**) أي المسلم (**«ما يحب لنفسه»**) أي مثل جميع ما يحبه العبد لنفسه، وفي شرح مسلم للنووي قالوا: «لا يؤمن الإيمان التام»، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة، والمراد يحب لأخيه من الطاعات والمباحات يدل عليه ما جاء في رواية النسائي في هذا الحديث حتى يحب لأخيه من الخير. وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وهذا قد يعد من الصعب الممتنع وليس كذلك إذ معناه «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه»، والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها، وذلك سهل على القلب السليم اهـ. وتحقيق ذلك أن المؤمنين

الحديث رقم ٤٩٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٦ الحديث رقم ١٣ ومسلم في ١/ ٦٨ الحديث رقم (٧٢ ـ ٤٥)، والنسائي في ٨/ ١٢٥ الحديث رقم ٥٠٣٩، والدارمي في ٢/ ٣٩٧ الحديث رقم ٢٧٤٠، وأحمد في المسند ٣/ ٢٥١.

متفق عليه.

٤٩٦٢ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمَنُ جارُه بوائقه».

متحدون بحسب الأرواح متعددون من حيث الأجسام والأشباح كنور واحد في مظاهر مختلفة، أو كنفس واحدة في أبدان متفرقة بحيث لو تألم الواحد تأثر الجميع كما لوح إلى هذا المعنى قوله ﷺ: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله». وكما روي عن بعض المشايخ النقشبندية أنه أحس بالبرودة فقال: «زملوني زملوني فغطوه»، فجاءه مريد له وقع في ماء بارد في شتاء شديد، فقال الشيخ: «أدفؤه» فلما دفىء المريد قام الشيخ مستدفئاً، ونظيره أن ليلى اقتصدت فخرج الدم من يد العامري فأنشد:

أنـا مـن أهـوى ومـن أهـوى أنـا　　　نـحـن روحـان حـلـلـنـا بـدنـا

لكن الأظهر أن يقول: نحن روح واحد تعلق بها بدنان فيكون إشارة إلى الأبدان المكتسبة الواقعة للسادة الصوفية وإلا فهو موهم للحلول، ثم بل لو تمكنوا فيه صح ذلك لهم بالنسبة إلى جميع الأشياء كما روي عن بعضهم أنه ضرب عبده حماراً فتألم الشيخ بحيث رئي ألم الضرب في عضوه الذي بإزاء العضو المضروب للحمار، وذلك لأن إيمانهم من أثر نور الهداية شرعاً وطريقة ومن أثر نور الله حقيقة، وهو نور التوحيد من عكس نور الفردانية من نور الذات فأرواحهم اتحدت بذلك النور المقتضي للإلفة والرحمة، فإن حزن واحد حزنوا وإن فرح واحد فرحوا، وهذا مقام الجمع بالروح، وهو أن يجتمع عند تجلي الروح الأعظم عن تفرقة الطبيعة وتتحد الأرواح، وهناك مقام أعلى يقال له: جمع الجمع، وهو أن يجتمع عند تجلي الحق له عن تفرقة الغير روحانياً ونفسانياً ملكياً وملكوتياً، فلا يرى غير الله لاختفاء جميع الأشياء في نور التوحيد كاختفاء النجوم عند إشراق الشمس، وهذا رشحة من رحيق مختوم ختامه مسك. **(متفق عليه)**. أي معنى، فلفظ البخاري: «لا يؤمن أحدكم» وفي نسخة عبد، وفي أخرى أحد من غير قسم، ولفظ مسلم «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو ـ قال: لأخيه ـ ما يحب لنفسه»، فلم يذكر المؤلف لفظ واحد منهما؛ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، ذكره ميرك. فالمتفق عليه لفظاً هو «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». كما رواه النووي في أربعينه وقال: رواه البخاري ومسلم، وكذا في الجامع الصغير وقال: رواه أحمد والشيخان والثلاثة.

٤٩٦٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والله»)** قسم خبره **(«لا يؤمن»)** أي إيماناً كلاماً أو إيماناً مطابقاً لمبناه ومعناه **(«والله لا يؤمن والله لا يؤمن»)** كرره ثلاثاً للتأكيد، وهو بلا عاطفة للتأكيد **(«قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»)** جمع بائقة بالهمز وهي الداهية، أي غوائله وشروره على ما في النهاية، وذلك لأن كمال

الحديث رقم ٤٩٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٤٣ الحديث رقم ٦٠١٦.

متفق عليه.

٤٩٦٣ ـ (١٧) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من لا يأمنُ جارهُ بوائقَهُ». رواه مسلم.

٤٩٦٤ ـ (١٨) وعن عائشة وابن عمر [رضي الله عنهم] عن النبيِّ ﷺ قال: «ما زال جبريلُ يُوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورّثه». متفق عليه.

٤٩٦٥ ـ (١٩) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم

الإيمان هو العمل بالقرآن، ومن جملته قوله تعالى: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾ [النساء ـ ٣٦] (متفق عليه).

٤٩٦٣ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة»**) أي مع الناجين (**«من لا يأمن جاره بوائقه»**)؛ وفيه مبالغة حيث جعل عدم الأمن من وقوع الضرر سبباً لنفي دخول الجنة فكيف إذا تحقق لحوق الضرر والشر. (**رواه مسلم**).

٤٩٦٤ ـ (**وعن عائشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل»**) تقدم فيه أربع قراءات (**«يوصيني بالجار»**) أي يأمرني بحفظ حقه من الإحسان إليه ودفع الأذى عنه (**«حتى ظننت أنه»**) أي جبريل (**«سيورثه»**) أي الجار، وهو بتشديد الراء ويجوز تخفيفه على ما في القاموس، ورث أباه ومنه بكسر الراء يرثه كيعده، وأورثه جعله من ورثته أي سيشركه جبريل في الميراث كما قال شارح. والمعنى أنه يحكم بميراث أحد الجارين من الآخر. (**متفق عليه**). قال المنذري: ورواه الترمذي أيضاً من حديثهما، ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عائشة وحدها، وابن ماجه أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة، ذكره ميرك. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي. عن ابن عمر، ورواه أحمد والشيخان والأربعة عن عائشة، ورواه البيهقي بسند حسن من حديث عائشة بلفظ: «ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنه يورثه، وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلاً أو وقتاً إذا بلغه عتق».

٤٩٦٥ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم**

الحديث رقم ٤٩٦٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٨ الحديث رقم (٣٣ـ٤٦)، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٧٣.

الحديث رقم ٤٩٦٤: أخرجه البخاري في: صحيحه ١٠/ ٤٤١ الحديث رقم ٦٠١٤ و٦٠١٥ ومسلم في ٤/ ٢٠٢٥ الحديث رقم (١٤٠ ـ ٢٦٢٤) و(١٤١ ـ ٢٦٢٥)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٥٧ الحديث رقم ٥١٥٢، والترمذي في السنن ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ١٩٤٢. وابن ماجه في ٢/ ٢١١ الحديث رقم ٣٦٧٣ وأحمد في المسند ٦/ ٥٢ و٢/ ٨٥.

الحديث رقم ٤٩٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٨٢ الحديث رقم ٦٢٩٠، ومسلم في ٤/ ١٧١٨

ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، ومن أجل أن يحزنه» متفق عليه.

٤٩٦٦ ـ (٢٠) وعن تميم الداري،

ثلاثة») أي في المصاحبة سفراً أو حضراً (**«فلا يتناجى اثنان»**) أي لا يتكلما بالسر (**«دون الآخر»**) أي مجاوزين عنه غير مشاركين له لئلا يتوهم أن نجواهما لشر متعلق به (**«حتى تختلطوا»**) أي جميعكم (**«بالناس»**)، وفيه إيذان بأن النهي محله أن يكونوا في موضع لا يأمن الواحد فيه على نفسه (**«من أجل أن يحزنه»**) بفتح الياء وضم الزاي، وفي نسخة بضم أوّله وكسر ثالثه، وهما لغتان فصيحتان، والأولى أشهر وعليها الأكثر، وأما ما ضبط بفتح الياء والزاي فخطأ لأنه لازم وهنا الفعل متعد وضمير الفاعل للتناجي وضمير المفعول للآخر. قال الطيبي: يجوز أن يكون علة للنهي أي «لا تناجوا لئلا يحزن صاحبك»، وأن يكون علة للفعل المنهي عنه أي لا ينبغي أن يصدر منكم تناج هو سبب للحزن، فعلم أن هناك تناجياً غير منهي عنه، والأوّل هو المعوّل لرواية، فإن ذلك يحزنه. قال الخطابي: وإنما يحزنه ذلك لأحد معنيين أحدهما أنه ربما يتوهم أن نجواهما لتبييت رأى فيه أو دسيس غائلة له أو الأحزان لأجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه، قلت: ويرد القول الآخر قوله: «حتى يختلطوا»، وقد قال أبو عبيد: هذا في السفر وفي الموضع الذي لا يأمن الرجل فيه صاحبه على نفسه، فأما في الحضر وبين ظهراني العمارة فلا بأس به. وقيل: قيد بالثلاثة لأنهم لو كانوا أربعة فتناجى اثنان فلا بأس وقال شارح: «إن تناجى اثنان إذا كثر الناس فلا بأس لأنه لا يظن الثالث أنهما يذكر أن منه قبيحاً قلت: ولو ظنه أيضاً لا يبالي حيث إنه مختلط بالناس، وفي شرح السنة قد صح عن عائشة: «إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده يوماً فأقبلت فاطمة، فلما رآها رحب ثم سارها». ففيه دليل على أن المسارّة في الجمع حيث لا ريبة جائزة. قال النووي: هذا النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث وكذا ثلاثة وأكثر بحضرة واحد هو نهي تحريم، فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا بإذنه، وهذا مذهب ابن عمر ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء وهو عام في كل الأزمان حضراً وسفراً. (**متفق عليه**). وفي الجامع الصغير بلفظ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه». رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود[(١)].

٤٩٦٦ ـ (**وعن تميم الداري**) منسوب إلى جد له اسمه دار عند الجمهور ومروياته ثمانية عشر حديثاً وليس له في الصحيحين إلا هذا. قال المؤلف: هو تميم بن أوس الداري كان

= الحديث رقم (٣٧ ـ ٢١٨٤)، والترمذي في السنن ٥/ ١١٧ الحديث رقم ٢٨٢٥ والدارمي في ٢/ ٣١٧ الحديث رقم ٢٦٥٧، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٨٩ الحديث رقم ١٤.

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٨ الحديث رقم ٨٤٢.

الحديث رقم ٤٩٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٤ الحديث رقم (٩٥ ـ ٥٥)، والترمذي في السنن ٥/ ٢٨٦ الحديث رقم ١٩٢٦، والنسائي في ٧/ ١٥١ الحديث رقم ٤١٩٩، والدارمي في ٢/ ٤٠٢ الحديث رقم ٢٧٥٤، وأحمد في المسند ٤/ ١٠٢.

أن النبيَّ ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً قلنا: لمن؟ قال: «للّهِ، ولكتابهِ،

نصرانياً أسلم سنة تسع، وكان يختم القرآن في ركعة، وربما ردد الآية الواحدة كلها إلى الصباح، قال محمد بن المنكدر: إن تميماً الداري نام ليلة ولمن يقم للتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع، سكن المدينة ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وأقام بها إلى أن مات، وهو أوّل من أسرج السراج في المسجد؛ روى عنه النبي ﷺ قصة الدجال والجساسة، وعنه أيضاً جماعة (**إن النبي ﷺ قال: «الدين»**) أي أعماله وأفضل أعماله أو الأمر المهم في الدين (**«النصيحة»**)، وهي تحري قول أو فعل فيه صلاح، ولصاحبه أو تحري إخلاص الودّ له، والحاصل أنها إرادة الخير للمنصوح له وهو لفظ جامع لمعان شتى. قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة وجيزة يحصرها ويجمع معناها غيرها؛ كما قالوا في الفلاح ليس في كلامهم كله أجمع لخير الدنيا والآخرة منه، فقوله عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة» يريد عماد الدين وقوامه إنما هو النصيحة وبها ثباته كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» وكما في قوله: «الحج عرفة»، فالحصر ادعائي، وهو مبني على ما اشتهر من أن هذا الحديث أحد أرباع الإسلام، وأما على ما اختاره النووي من أنه عليه مدار الإسلام كما سيأتي، فالحصر حقيقي، وهي مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول والفعل من الغش بتخليص العسل من الشمع (**«ثلاثاً»**) أي ذكرها ثلاثاً للتأكيد بها والاهتمام بشأنها، وليس له ذكر في الأربعين للنووي، ثم لما كانت النصيحة من الأمور الإضافية استفصلت. فقال الراوي: (**«قلنا»**): أي معشر الصحابة، والمراد بعضهم (**«لمن»**) أي النصيحة لمن (**«قال:»**) أي النبي عليه الصلاة والسلام (**«لله»**) أي بالإيمان وصحة الاعتقاد في وحدانيته وترك الإلحاد في صفاته وإخلاص النية في عبادته وبذل الطاقة فيما أمر به ونهى عنه والاعتراف بنعمته والشكر له عليها وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه، وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصيحة نفسه لله، والله غني عن نصح كل ناصح. كذا ذكره الخطابي، وخلاصته أن النصيحة لله هي التعظيم لأمره والشفقة على خلقه؛ وقال بعض المحققين: هي الإيمان بوجوداً بأن يعلم أن وراء المتحيزات موجود خالقاً وبصفاته الثبوتية والسلبية والإضافية، وبأفعاله بأن يعلم أن كل ما سواه المسمى بالعالم، فإنما حدث بقدرته، وهو من العرش إلى الثرى بالنسبة إلى العظمة الإلهية أقل من خردلة بالنسبة إلى جميع العالم، وبأحكامه بأن يعلم أنها غير معللة بغرض؛ وأن المقصود من شرعها منافع عائدة إلى العباد، وأن له الحكم كيف يشاء، ولا يجب عليه شيء إن أثاب فبفضله، وإن عذب فبعدل له، وبأسمائه بأن يعلم بأنها توفيقية، ثم بإخلاص العبادة واجتناب معاصيه والحب له والبغض فيه، (**«ولكتابه»**) أي والنصيحة لكتابه بالإيمان به وبأنه كلام الله ووحيه وتنزيله لا يقدر على مثله أحد من المخلوقين، وإقامة حروفه في التلاوة والتصديق بوعده ووعيده، والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه. ذكره الخطابي. وقيل: هو أن يكرمه ويبذل مجهوده في الذب عنه من تأويل الجاهلين وابتهال المبطلين. وقال بعض المدققين: المراد بالكتاب القرآن لأن الإيمان به يتضمن الإيمان بجميع

ولرسولِهِ ولأئمةِ المسلمين، وعامتهم». رواه مسلم.

الكتب أو جنس الكتب السماوية إذ الجنس المضاف يفيد العموم كما تقرر في الأصول على أن صاحب المفتاح صرح بأن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، ولذا قال ابن عباس: الكتاب أكثر من الكتب لتناوله وحدان الجنس بخلاف الكتب، لكن حقق بعض الأفاضل أن الجمع المحلى باللام يشمل كل فرد فرد مثل المفرد، قلت: ولو سلم فليس شمول الجمع مثل شمول المفرد، ثم وقوع الكتاب في جواب من على سبيل التغليب. («ولرسوله») بالتصديق لنبوّته وقبول ما جاء به ودعا إليه، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والانقياد له وإيثاره بالمحبة فوق نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، والمراد محمد ﷺ أو الجنس ليشمل الملك أيضاً إذ هم رسل إلى الأنبياء كما قال تعالى: ﴿**جاعل الملائكة رسلاً**﴾ [فاطر - ١] وقال الله: ﴿**يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾ [الحج - ٧٥] («**ولأئمة المسلمين**») بأن ينقاد لطاعتهم في الحق ولا يخرج عليهم إذا جاروا، ويذكرهم برفق ولطف، ويعلمهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم [من حقوق المسلمين] ويؤلف قلوب الناس لطاعتهم، ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وأن لا يغرهم بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعو لهم بالصلاح. هذا كله على أن المراد بالأئمة الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولاية؛ ومجمل معنى الإمام من له خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على الكل، وقد يتناول ذلك الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم، («وعامتهم») أي ولعامة المسلمين، ولعل حكمة ترك إعادة العامل هنا إشارة إلى حط مرتبتهم بسبب تبعيتهم للخواص من أئمتهم بخلاف ما قبله، فإن كلاً من المعمولات مستقل في قصد النصيحة، ثم نصيحة العامة بإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وإعانتهم عليه قولاً وفعلاً، وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق، وتوقير كبيرهم ورحم صغيرهم، وتخوّلهم بالموعظة الحسنة وترك غيبتهم وحسدهم، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم، ومجملة «أن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر». قال الطيبي: وجماع القول فيه أن النصيحة هي خلوص المحبة للمنصوح له والتحري فيما يستدعيه حقه، فلا يبعد أن يدخل فيه نفسه بأن ينصحها بالتوبة النصوح، وأن يأتي بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، ويجعل قلبه محلاً للنظر والفكر، وروحه مستقراً للمحبة، وسره منصاً للمشاهدة، وعلى هذا أعمال كل عضو من العين بأن يحملها على النظر إلى الآيات النازلة والأحاديث الواردة، واللسان على النطق بالحق وتحري الصدق، والمواظبة على ذكر الله وثنائه. قال تعالى: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ [الإسراء - ٣٦] (**رواه مسلم**). وروى البخاري في تاريخه صدر الحديث فقط وهو قوله: «الدين النصيحة»، عن ثوبان والبزار عن ابن عمر قال النووي: هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام والإيمان، وأما ما قيل: من أنه أحد أرباع الإسلام أي أحد الأحاديث

٤٩٦٧ ـ (٢١) وعن جرير بن عبد الله، قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامِ الصلاة وإِيتاءِ الزكاة، والنُّصح لكل مسلم متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٩٦٨ ـ (٢٢) عن أبي هريرة، قال: سمعتُ أبا القاسم الصادقَ

الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوا، بل المدار على هذا وحده، وقال بعضهم: فيه أن النصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول وقالوا: «النصيحة فرض كفاية إذا قام به واحد سقط عن الباقين»، «والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه تقبل نصيحته ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، وإن خشي أذى فهو في سعة»، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤٩٦٧ ـ **(وعن جرير)** أي ابن عبد الله كما في نسخة، وهو البجلي **(قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة»)** أي إقامتها وإدامتها، وحذف تاء الإقامة عند الإضافة للإطالة، **(«وإيتاء الزكاة»)**، أي إعطائها وتمليكها لمستحقيها. قال النووي: وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لكونهما أما العبادات[1] المالية والبدنية، وهما أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين وإظهارها اهـ. لا يقال: لعل غيرهما من الصوم والحج لم يكونا واجبين حينئذ، لأنه أسلم عام توفي رسول الله ﷺ ـ كما سبق في ترجمته ـ ولأن الصوم من جملة العبادات البدنية، ومن أقام على محافظة الصلوات ومداومتها فبالأولى أن يقيم بالصوم بخلاف عكسه كما هو مشاهد في أهل الزمان، والحج مركب من العبادات المالية والبدنية، فمن قام بهما قام به لا سيما ومحله في العمر مرة بخلاف الصلاة فإن لها أوقاتاً في كل يوم وليلة، والزكاة واجبة في كل سنة **(«والنصح»)** بضم فسكون أي وبالنصيحة **(«لكل مسلم»)** أي من خاصة المسلمين وعامتهم. قال النووي: روي أن جريراً رضي الله عنه اشترى له فرس بثلاثمائة درهم فقال جريراً لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم أتبيعه بأربعمائة قال: ذلك إليك يا عبد الله فقال: فرسك خير من ذلك أتبيعه بخمسمائة، ثم لم يزل يزيد مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة، فاشتراه بها. فقيل له في ذلك فقال: بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم. **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٤٩٦٨ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: «سمعت أبا القاسم الصادق»)** أي في

الحديث رقم ٤٩٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣١٢ الحديث رقم ٢٧١٥، ومسلم في ٢/ ٧٥ الحديث رقم (٩٧ ـ ٥٦).

(١) في المخطوطة «العبادة».

الحديث رقم ٤٩٦٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٢٣ الحديث رقم ٤٩٤٢، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٥ الحديث رقم ١٩٢٣، وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٢.

المصدوقَ ﷺ يقول: «لا تُنزعُ الرَّحمةُ إلاَّ مَن شقي». رواه أحمدُ، والترمذي.

٤٩٦٩ ـ (٢٣) وعن عبدِ الله بن عمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الراحِمون يرحمُهم الرحمنُ، ارحَمُوا مَنْ في الأرضِ يرحمْكم مَن في السَّماءِ». رواه أبو داود والترمذي.

أقواله وأفعاله («**المصدوق**») أي المشهود بصدقه في قوله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ [النجم ـ ٣] («ﷺ»). قال المظهر: الصادق من صدق في قوله وتحراه بفعله، والمصدوق من صدقه غيره اهـ، وهو بتخفيف الدال، ومعناه أنه قال له: صدقت، وأما بتشديد الدال، فالمفعول منه مصدق لا مصدوق فافهم والله أعلم. («**يقول: لا تنزع الرحمة**») بصيغة المجهول أي لا تسلب الشفقة على خلق الله ومنهم نفسه التي هي أولى بالشفقة والمرحمة عليها من غيرها بل فائدة شفقته على غيره راجعة إليها لقوله تعالى: ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**﴾ [الإسراء ـ ٧] ولأن شفقته على خلق الله سبب لرحمته تعالى عليه لما سيأتي «أن الراحمون يرحمهم الرحمن» («**إلا من شقي**») أي كافر أو فاجر يتعب في الدنيا ويعاقب في العقبى. (**رواه أحمد والترمذي**). قال ميرك وأبو داود وقال الترمذي: حسن. قلت: ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه.

٤٩٦٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو («**رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ**: «**الراحمون يرحمهم الرحمن**») لأنهم مظاهره ومتخلقون بأخلاقه. («**ارحموا من في الأرض**»)، قال الطيبي: أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهم، والوحوش والطير اهـ. وفيه إشارة إلى أن يراد من لتغليب ذوي العقول لشرفهم على غيرهم أو للمشاكلة المقابلة بقوله: («**يرحمكم من في السماء**»)، وهو مجزوم على جواب الأمر، وفي نسخة بالرفع أي [«من ملكه الواسع وقدرته الباهرة في السماء»، أو] من أمره نافذ في السماء والأرض من باب الاكتفاء، وخص السماء بالذكر تشريفاً، أو لأن الأرض تفهم بالأولى أو لأن السماء محيطة بها وهي كحلقة بجنبها في وسطها فلا تذكر معها لحقارتها. وقيل: المراد سكن فيها، وهم الملائكة، فإنهم يستغفرون للذين آمنوا ويقولون ﴿**ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا**﴾ [غافر ـ ٧] الآية. قال المظهر: اختلف في المراد بقوله: من في السماء، فقيل: هو الله سبحانه أي «ارحموا من في الأرض شفقة يرحمكم من في السماء تفضلاً»، وتقدير الكلام «يرحمكم من في السماء ملكه وقدرته» وإنما نسب إلى السماء لأنها أوسع وأعظم من في الأرض، أو لعلوّها وارتفاعها، أو لأنها قبلة الدعاء ومكان الأرواح القدسية الطاهرة، وقيل: المراد منه الملائكة أي يحفظكم الملائكة من الأعداء والمؤذيات بأمر الله ويستغفروا لكم الرحمة من الله الكريم. قلت: المعنى الأوّل هو المدار عليه كما أشار صدر الحديث إليه، ولأن رحمة الملائكة فرع رحمته تعالى. (**رواه أبو داود والترمذي**)، وزاد فيه «الرحم شجنة من الرحمن من

الحديث رقم ٤٩٦٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٣١ الحديث رقم ٤٩٤١، والترمذي في السنن ٤/ ٢٨٥ الحديث رقم ١٩٢٤، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٠.

٤٩٧٠ - (٢٤) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ منَّا مَن يرْحَمْ صغيرَنا، ولم يوَقِّرْ كبيرنا، ويأمرْ بالمعروفِ، وينهَ عن المنكرِ». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريب.

٤٩٧١ - (٢٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما أكرمَ شابٌّ شيخاً منْ أجلِ سنِّه إلا قيَّضَ الله له عندَ سنِّهَ من يُكرمه».

وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه»، وقال: حسن صحيح اهـ، كلام الترمذي؛ وهذا هو الحديث المسلسل بالأولية ذكره ميرك وبينا طريقه في بحث المسلسل من شرحنا على شرح النخبة؛ وفي الجامع الصغير رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عمر، وزاد أحمد والترمذي والحاكم «والرحم» الخ[١].

٤٩٧٠ - **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا»)** أي من خواصنا، وهو كناية عن التبرئة **(«من لم يرحم صغيرنا ويوقر»)** بالجزم، وفي نسخة، ولم يوقر أي لم يعظم **(«كبيرنا»)**، وهو شامل للشاب والشيخ **(«ويأمر بالمعروف»)** بالجزم عطفاً على المجزوم، وكذا قوله: **(«وينه عن المنكر»)**، وهو بحذف الألف، وأما إثباته على ما في نسخة فغير صحيح رواية وإن كان له وجه دراية فتأمل. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**، وفي نسخة: حسن غريب، ورواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في سننه عن ابن عمر أيضاً لكن بلفظ: «من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا».

٤٩٧١ - **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم»)** أي ما عظم ووقر **(«شاب شيخاً من أجل سنه»)** أي كبر عمره [لأن الغالب عليه] زيادة علم وعمل مع سبق إيمانه **(«إلا قيض الله»)** بتشديد التحتية: ومنه قوله تعالى: **﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾** [الزخرف - ٣٦] نقيض له شيطاناً، فهو له قرين أي قدر، **(«له»)** أي للشاب **(«عند سنه»)** أي حال كبره **(«من يكرمه»)** أي قريناً يعظمه ويخدمه، لأن من خدم خدم، وفيه إشارة إلى طول عمر الشاب المعظم للشيخ المكرم، وقد حكي أن بعض المريدين خرج من خراسان لملازمة شيخ من أهل مصر فاجتمع به وكان معه مدة فجاء جماعة من الأكابر لزيارة الشيخ فأشار إلى المريد أنه يمسك دوابهم، فخرج المريد إلى الخدمة. لكن خطر بباله أنه مع طول مدة السفر واجتماعه سنين مع الشيخ في الحضر هذا نتيجته، فلما خرج الأكابر ودخل المريد عند الأستاذ فقال: «يا ولدي سيأتيك الأكابر ويقدر الله لك من يخدمهم». قال شيخ الإسلام ونديم الباري عبد الله الأنصاري صاحب منازل السائرين نفعنا الله من بركاتهم أجمعين، فكان كما قال الشيخ، حيث إنه لم يوجد زمان إلا على بابه بغل أو فرس لكثرة زيارة الأكابر. هذا وراوي هذا الحديث ممن

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٥ الحديث رقم ٤٤٨٩.

الحديث رقم ٤٩٧٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٨٤ الحديث رقم ١٩٢١.

الحديث رقم ٤٩٧١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٧ الحديث رقم ٢٠٢٢.

رواه الترمذي.

٤٩٧٢ ـ (٢٦) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِن إجلالِ الله إكْرامَ ذي الشَّيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرامَ السُّلطان المقسطِ». رواه أبو

وفقه الله لهذا المنصب الجليل، وهو القائم بخدمة الحبيب وعمره عشر سنين وقد أطال الله عمره، وأكثر ماله وولده، فهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة وله من العمر مائة وثلاث سنين، وولد له مائة ولد، وروى عنه خلق كثير. (**رواه الترمذي**). قال ميرك، وقال الترمذي: حديث غريب.

٤٩٧٢ ـ (**وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله»**) أي تعظيمه وتكريمه، والمصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول قاله ابن الملك، والظاهر هو الثاني كما هو متعين في قوله: (**«إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن»**) أي وإكرام قارئه وحافظه ومفسره (**«غير الغالي فيه»**) بالجر أي غير المجاوز عن الحد لفظاً ومعنى كالموسوسين والشكاكين أو المرائين أو الخائن، في لفظه، بتحريفه كأكثر العوام، بل وكثير من العلماء، أو في معناه بتأويله الباطل كسائر المبتدعة (**«ولا الجافي عنه»**) أي وغير المتباعد عنه، المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته واتقان معانيه، والعمل بما فيه. وقيل: الغلو المبالغة في التجويد أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى، والجفاء أن يتركه بعدما علمه لا سيما إذا كان نسيه، فإنه عد من الكبائر في النهاية، ومنه الحديث «اقرؤوا القرآن ولا تجفوا عنه» أي تعاهدوه ولا تبعدوا عن تلاوته بأن تتركوا قراءته وتشتغلوا بتفسيره وتأويله، ولذا قيل: «اشتغل بالعلم بحيث لا يمنعك عن العمل، واشتغل بالعمل بحيث لا يمنعك عن العلم». وحاصله أن كلاً من طرفي الإفراط والتفريط مذموم، والمحمود هو الوسط العدل المطابق لحاله ﷺ في جميع الأقوال والأفعال. (**«وإكرام السلطان المقسط»**) أي العادل، وأقله أن يغلب عدله جوره خلافاً لمن كان عكسه، فإن البعد عنه أفضل، ولذا قال بعض علمائنا: من قال في هذا الزمان: سلطاننا عادل، فهو كافر مع أنه لا يخلو كل سلطان عن نوع عدل، وتحقيقه مبني على الفرق بين من يعدل وبين العادل، فإن الثاني يطلق عرفاً على من كان موصوفاً بالعدل على طريق الدوام كما يقال: فلان المصلي وفلان الذي يصلي. هذا وفي شرح السنة قال طاوس: من السنة أن توقر أربعة العالم، وذا الشيبة، والسلطان والوالد. قلت: وفي معناه الوالدة، والمراد بالعالم هو الجامع بين العلم والعمل كما هو مستفاد من قوله: «حامل القرآن»، ولعل عدم ذكر الوالد في الحديث لظهوره وعمومه، أو لأن الكلام في الأجانب، فإذا كان الأب شيخاً وحاملاً للقرآن وسلطاناً ظاهرياً أو باطنياً فيزاد في إجلاله لأنه يجب تعظيمه من وجوه كثيرة. (**رواه أبو**

الحديث رقم ٤٩٧٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٤ الحديث رقم ٣٨٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٦٠ الحديث رقم ١٠٩٨٦.

داود، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٧٣ ـ (٢٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خيرُ بيتٍ في المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسنُ إليه، وشرُّ بيت في المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يسُاءُ إليه». رواه ابنُ ماجه.

٤٩٧٤ ـ (٢٨) وعن أبي أُمامةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مسحَ رأسَ يتيمٍ لم يمسحْه إلاَّ لله، كانَ له بكلِّ شعرة تمرُّ عليها يدُه حسناتٌ، ومن أحسنَ إلى يتيمة أو يتيمٍ

داود والبيهقي في شعب الإيمان)، وروى الخطيب في الجامع عن أنس «إن من الإجلال توقير الشيخ من أمتي»، ولعله من جوامع الكلم، فإن الشيخ يطلق على ذي الشيبة والعالم والرئيس، ومنه ما روي «الشيخ في قومه كالنبي في أمته».

٤٩٧٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير بيت في المسلمين»)** أي فيما بين بيوتهم **(«بيت فيه يتيم يحسن إليه»)** بصيغة المفعول **(«وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه»)** أي يؤذي بالباطل، فإن ضربه للتأديب وتعليم القرآن جائز فهما داخلان في الإحسان معنى وإن كان في الصورة إساءة، والعكس عكس. **(رواه ابن ماجه)**. زاد في الجامع «أنا وكافل اليتيم في الجنة» هكذا وقال: رواه البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة.

٤٩٧٤ ـ **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من مسح رأس يتيم»)** وكذا حكم اليتيمة بل هي الأولى بالحنية لضعفها، ثم التنكير يفيد العموم فيشمل القريب والأجنبي يكون عنده أو عند غيره **(«لم يمسحه»)** حال من فاعل مسح أي، والحال أنه لم يمسح رأس اليتيم **(«إلا لله»)** أي لا لغرض سواه **(«كان له»)** أي للماسح **(«بكل شعرة»)** بسكون العين ويفتح أي بكل واحدة **(«من شعر رأسه يمر»)** بالتذكير ويؤنث من المرور أي يأتي **(«عليها»)**، وكذا حكم محاذيها **(«يده»)**، وفي نسخة من الإمرار، ففاعله ضمير الماسح ويده مفعوله **(«حسنات»)** بالرفع على اسم كان، والظاهر أن الحسنات مختلفة كمية وكيفية باعتبار تحسين النيات. قال الطيبي: مسح رأس اليتيم كناية عن الشفقة والتلطف إليه، ولما لم تكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة لإمكان الجمع بينهما كما تقول: فلان «طويل النجاد» وتريد طول قامته مع طول علاقة سيفه رتب عليه قوله: «بكل شعرة يمر عليه يده»، **(«ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم»)** قيل: أو للتنويع وقدم اليتيمة لأنها أحوج، والظاهر أنه شك من أحد الرواة وقع في غير محله لأن حكم اليتيم قد علم مما سبق؛ ففي هذه الفقرة جير اليتيمة باللطف اللهم إلا أن يخص الإحسان بالأنعام والإنفاق ونحوهما مما يغاير معنى مطلق الإحسان الشامل للمسح، فأو للتنويع حينئذ مع احتمال الشك، لأن الأحكام الشرعية غالباً يستوي فيها المذكر والمؤنث مع

الحديث رقم ٤٩٧٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢١٣ الحديث رقم ٣٦٧٩.

الحديث رقم ٤٩٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٨٢ الحديث رقم ١٩١٧، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٥.

عنده كنتُ أنا وهو في الجنَّة كهاتين» وقرنَ بينَ أصبعَيهِ. رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٤٩٧٥ ـ (٢٩) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ آوى يتيماً إِلى طعامِهِ وشرابه أوجبَ اللَّهُ له الجنَّةَ البتَّة، إلاَّ أن يعملَ ذنباً لا يُغفَرُ. ومَن عالَ ثلاثَ بناتٍ أو مثلَهُنَّ منَ الأخَواتِ فأدَّبهنَّ ورحِمُهن

احتمال أن يكون كل فصل من الحديث على حدة، سمعه الراوي فجمعهما في الأداء. ثم قوله: (**«عنده»**) أعم من أن يكون اليتيم له أو لغيره (**«كنت أنا وهو»**) أي المحسن، وأتى بضمير الفصل ليصح العطف على الضمير (**«في الجنة»**) خبر كان، فيجب أن يقدر متعلقه خاصاً يوافق قوله: (**«كهاتين»**) أي متقارنين في الجنة اقتراناً مثل هاتين الاصبعين، ويجوز أن يكون كهاتين حال من الضمير المستقر في الخبر، وأن يكون هو الخبر وفي الجنة ظرف لكنت. كذا حققه الطيبي، (**«وقرن بين أصبعيه»**) أي المسبحة والوسطى. وفي الحديث إشارة إلى بشارة حسن الخاتمة. (**رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب**). وفي الجامع الصغير «من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين». رواه الحكيم عن أنس[(١)]، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس بلفظ: «من آوى يتيماً أو يتيمين ثم صبر واحتسب كنت أنا وهو في الجنة كهاتين»[(٢)].

٤٩٧٥ ـ (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من آوى»**) بمد الهمزة ويقصر، ففي النهاية آوى وأوى بمعنى واحد، والمقصور منهما لازم ومتعد أي ضم (**«يتيماً»**)، واليتيمة بالأولى، أو هو من باب الاكتفاء (**«إلى طعامه وشرابه»**) أي سواء أكل معه أم لا، والضميران لمن، ويحتمل أن يكونا لليتيم، وإلى بمعنى مع، فيكون أبلغ في الترغيب ويفهم الأول بالأولى (**«أوجب»**) أي أنبت (**«الله له الجنة»**) أو أوجب الله سبحانه على نفسه بمقتضى وعده (**«البتة»**) أي إيجاباً قاطعاً بلا شك وشبهة (**«إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»**). المراد منه الشرك لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء ـ ١١٦] كذا ذكره الطيبي وهو ظاهر. وقال شارح وتبعه ابن الملك: أي الشرك. وقيل: مظالم الخلق قلت: والجمع هو الأظهر للإجماع على أن حق العباد لا يغفر بمجرد ضم اليتيم البتة، مع أن من جملة حقوق العباد أكل مال اليتيم، نعم يكون تحت المشيئة، فالتقدير إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر إلا بالتوبة أو بالاستحلال ونحوه، وحاصله أن سائر الذنوب التي بينه وبين الله تغفر إن شاء الله تعالى (**«ومن عال ثلاث بنات»**) أي تعهدهن وقام بمؤنتهن (**«أو مثلهن»**) أي في العدد (**«من الأخوات فأدبهن»**) أي البنات أو الأخوات، وكذا قوله (**«ورحمهن»**) أي أشفق

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٨ الحديث رقم ٨٣٣٦.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٥ الحديث رقم ٨٢٧٣.

الحديث رقم ٤٩٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ١٩١٧، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٤٤ الحديث رقم ٣٤٥٧.

حتى يغنيَهنَّ اللَّهُ أوجبَ اللَّهُ له الجنةَ». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! واثنتَينِ؟ قال: «أو اثنتَين» حتى لو قالوا: أو واحدةً؟ لقال: واحدةً «ومَن أذهبَ اللَّهُ بكريمتَيه وجَبتْ له الجنَّةُ». قيل: يا رسولَ الله! وما كريمتَاهُ؟ قال: «عيناهُ». رواه في «شرح السنَّة».

عليهن وأحسن إليهن («حتى يغنيهن الله») إما بمال أو بزوج أو بموت («**أوجب الله له الجنة. فقال رجل: يا رسول الله أو اثنتين**») قال الطيبي: عطف تلقين أي قل أو اثنتين ولذلك قال: («**أو اثنتين**») قلت: واو للتنويع أو بمعنى بل أو بمعنى الواو للتشريك في الحكم، وكأن الحكم الإلهي كان عاماً أو مطلقاً مفوضاً إليه فاختار الأكثر بالذكر ترغيباً، فلما قيل تهويناً للأمر أو اثنتين قال: أو اثنتين، («**حتى لو قالوا:**») أي بعض الصحابة أعم من ذلك القائل («**أو واحدة**») بالنصب («**لقال: واحدة**») أي أو واحدة. قال الطيبي: حتى غاية الموافقة أي لم يزل يوافقه في التنزل حتى لو قال: أو واحدة لوافقه اهـ. ويمكن أنه ﷺ أخبر عن حكم الثلاث، وقال رجل: أو «اثنتين» فقال بوحي جديد: «أو اثنتين» حتى لو قالوا: «أو واحدة» لوافقهم بناء على عادة الله الجارية للأمة المرحومة من كمال لطفه وكرمه إليهم ببركته ﷺ، ونظيره: «اللهم ارحم المحلقين قالوا: والمقصرين». الحديث، استدعى أن يشمل الرحمة للمقصرين أيضاً، وإنما وقع الالتماس التلقيني هنا لأنه ربما لا توجد عند شخص ثلاثة أو اثنتين فيصير محروماً من الثواب، وهم حريصون على تحصيله من كل باب كما ورد في البخاري عن أبي سعيد أنه ﷺ قال: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كن لها حجاباً من النار» فقالت امرأة منهن: يا رسول الله أو اثنين، فأعادتها مرتين، ثم قال: «واثنين واثنين». وفي رواية لأحمد عن معاذ «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهما، فقالوا: يا رسول الله أو اثنان، قال: أو اثنان، قالوا: أو واحد قال: أو واحد». وجاء في بعض الروايات: «ومن لم يكن له فرط فأنا فرطه فإنهم لن يصابوا بمثلي». وحاصله إن حكم البنت والأخت الواحدة كذلك، لكنها في المرتبة الأدنى، «ومن لم يكن له بنت أو أخت فليتعهد يتيمة من الأقارب أو الأجانب، ومن لم يقدر على ذلك فنية المؤمن خير من عمله». («**ومن أذهب الله كريمتيه**») أي عينيه، والمراد نورهما، وهو بأن خلق أكمه أو حدث له في الصغر أو الكبر، وفي النهاية أي جارحتيه الكريمتين عليه، وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك، وفي القاموس «الكريمان الحج والجهاد»، ومنه «خير الناس مؤمن بين كريمين»، أو معناه بين فرسين يغزو عليهما أو بعيران يستقي عليهما وأبوان كريمان مؤمنان، وكريمتك ابنتك وكل جارحة شريفة كالاذن، والكريمتان العينان اهـ، فتأمل. وفي نسخة صحيحة بكريمتيه، فالباء زائدة فيها للمبالغة في التعدية، والمعنى «فصبر على فقدهما وشكر ربه على سائر نعمه» («**وجبت له الجنة**»). وفي نسخة إلا أوجب الله له الجنة («**قيل: يا رسول الله وما كريمتاه؟ قال: عيناه**»)، والظاهر أن إيراد التثنية لإرادة كمال الثواب، وإلا فقد واحدة أيضاً لا يخلو عن المثوبة. (**رواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي بإسناده، ونقل ميرك عن التصحيح إن الحديث رواه الطبراني بجملته، وروى الترمذي [منه] إلى قوله: «إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر»، ورواه المصنف يعني صاحب المصابيح في شرح السنة بتمامه أيضاً إلا قوله: «إلا أن يعمل ذنباً لا

٤٩٧٦ ـ (٣٠) وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لأَنْ يؤدّبَ الرجلُ ولدَه خيرٌ له من أنْ يتصدَّقَ بصاعٍ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وناصحٌ الراوي ليسَ عند أصحابِ الحديث بالقويِّ.

٤٩٧٧ ـ (٣١) وعن أيوبَ بن موسى، عن أبيهِ، عن جدِّه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ما نحَلَ والدٌ ولدَه من نُحلٍ

يغفر» اهـ. فالصواب أن ينسب الحديث إلى الطبراني فيتوجه الاعتراض على صاحب المشكاة في قصور تتبعه؛ وفي الجامع الصغير «من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوّجهن وأحسن إليهن، فله الجنة». رواه أبو داود[1] عن أبي سعيد، وفيه أيضاً «من ذهب بصره في الدنيا جعل الله له نوراً يوم القيامة إن كان صالحاً». رواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود.

٤٩٧٦ ـ **(وعن جابر بن سمرة)** رضي الله عنه مر ذكره **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يؤدب الرجل»)** أي والله لتأديب الرجل يقول أو فعل **(«ولده»)** أي تأديباً واحداً ليلائم قوله: **(«خير له»)** أي للرجل **(«من أن يتصدق بصاع»)**، وإنما يكون خيراً له لأن الأوّل واقع في محله لا محالة، بخلاف الثاني، فإنه تحت الاحتمال، أو لأن الأوّل إفادة عملية حالية، والثاني عملية مالية، أو لأن أثر الثاني سريع الفناء ونتيجة الأوّل طويلة البقاء، أو «لأن الرجل بترك الأوّل قد يعاقب وبترك الثاني لم يعاقب»، وأمثال ذلك. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب، وناصح الراوي ليس عند أصحاب الحديث بالقوي)**. أي ولم يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه اهـ، ذكره ميرك، وعلى تقدير ضعفه يعمل به في فضائل الأعمال إجماعاً، ولا شك أن المراد بالتأديب هنا تعليم الآداب الشرعية وهذا المعنى مستفاد من الأدلة القرآنية والحديثية، وقد روى الطبراني بسند حسن عن أبي رافع مرفوعاً «لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت». ومما يؤيده الحديث الآتي مما يليه.

٤٩٧٧ ـ **(وعن أيوب بن موسى)** أموي تابعي، روى عن عطاء ومكحول وطبقتهما، وعنه شعبة وغيره، وكان أحد الفقهاء **(عن أبيه)** أي موسى بن عمر، ولم يذكره المصنف، **(عن جده)** أي عمرو بن سعيد أو سعيد بن العاص ـ وسيأتي بيانه ـ وسعيد بن العاص ولد عام الهجرة وكان أحد أشراف قريش، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس طبرستان فافتتحها، ومات سنة تسع وخمسين ذكره المصنف في فصل الصحابة **(إن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل»)** أي ما أعطى **(«والد ولده من نحل»)** بضم النون

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٤ الحديث رقم ٨/٤٤٧.

الحديث ٤٩٧٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٧ الحديث رقم ١٩٥١. وأحمد في المسند ٥/ ٩٦.

الحديث رقم ٤٩٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٩٨ الحديث رقم ١٩٥٢، وأحمد في المسند ٤/ ٧٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٩٩ الحديث رقم ٨٦٥٣.

أفضلَ من أدبٍ حسَنٍ». رواه الترمذيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الترمذي: هذا عندي حديثٌ مرسل.

٤٩٧٨ ـ (٣٢) وعن عوفِ بن مالكٍ الأشجعيّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا وامرأةٌ سَفعاءُ الخدَّينِ كهاتين

ويفتح أي عطية أو إعطاء، ففي النهاية النحل العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. يقال: نحله ينحله نحلاً بالضم، والنحلة بالكسر العطية، وفي القاموس النحل الشيء المعطى، وبالضم مصدر نحله أعطاه، والاسم النحلة بالكسر ويضم (**«أفضل من أدب حسن»**)، وهو المطابق للعرف الموافق للشرع. قال الطيبي: جعل الأدب الحسن من جنس المال والعطيات مبالغة كما جعل الله القلب السليم من جنس البنين والمال في قوله: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ [الشعراء ـ ٨٨، ٨٩] قلت: الصحيح في الآية أن الاستثناء منقطع أي ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه أو متصل، والمعنى الأمال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله من البر، وأرشد بنيه إلى الحق. وقيل: الاستثناء مما يدل عليه المال والبنون أي لا ينفع غنى الأغنياء. هذا ولم يظهر وجه المبالغة لا في الحديث ولا في الآية مع أن الحديث مستغن عن التكلف، فإنه إذا قيل: «الأدب خير من الذهب أو البشر خير من الملك»، فالمعنى أن هذا الجنس أحسن من هذا الجنس، ولا يحتاج إلى جعل أحدهما من جنس الآخر، إذ معنى الكلام تام بدونه. (**رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان وقال الترمذي: هذا حديث عندي مرسل**). قال الطيبي: قوله: عندي يدل على اختلاف فيه، وذلك أن قوله عن جده يوهم الاتصال والإرسال، فإنه يحتمل أن يكون جد أيوب وهو عمرو، فيكون مرسلاً، وأن يكون جد أبيه وهو سعيد صحابي، فيكون متصلاً. قال الطيبي[1]: روى البخاري الحديث في تاريخه وقال: إنه لم يصح سماع جد أيوب فوافق الترمذي البخاري وقال: هذا عندي مرسل. وفي جامع الأصول إشعار بأنه متصل حيث روي عن سعيد بن العاص، عن النبي ﷺ. قلت: وفي الجامع الصغير إشارة إلى أنه مرسل حيث قال: رواه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد بن العاص. هذا وكلام البخاري أنه لم يصح له سماع جد أيوب، إن أراد به جده الكبير فلا يضر الحديث لأنه حينئذ من مراسيل الصحابة وهو مقبول عند الكل، وإن أراد به جده بلا واسطة فهو المرسل المتعارف، لكنه حجة عند الجمهور على أن الحديث من فضائل الأعمال والله أعلم بالحال.

٤٩٧٨ ـ (**وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وامرأة شفعاء الخدين»**) بضم الهمزة ويفتح بتقدير هي أو أعني أي متغيرة لون الخدين لما يكابدها من المشقة والضنك صفة كاشفة باعتبار غالب حالها ليصح الإطلاق في رواية أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي عن سهل بن سعد «أنا وكافل اليتيم» هكذا (**«كهاتين»**) أي من

---

(١) في المخطوطة «البيهقي».

الحديث رقم ٤٩٧٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٦ الحديث رقم ٥١٤٩، وأحمد في المسند ٦/ ٢٩.

يومَ القيامة». وأومأ يزيدُ بن ذريع إلى الوُسطى والسَّبابة «امرأةٌ آمَتْ من زوجِها، ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، حبَستْ نفسَها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا». رواه أبو داود.

٤٩٧٩ - (٣٣) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانتْ له أُنثى فلمْ يئِدها ولم يُهنْها، ولم يُؤثِرْ ولدَه عليها - يعني الذكورَ -

---

الأصبعين («يوم القيامة وأومأ») بهمز في آخره، من ومأ إليه أشار كأومأ، كذا في القاموس، ولم يذكر فيه مادة و م ي فما في بعض النسخ أومي بالياء لا يظهر له وجه إلا أن يقال: بالإبدال، وإبدال الهمز المتحرك ضعيف عند قوم والله أعلم. والحاصل أنه أشار (**يزيد بن زريع**) بضم زاي وفتح راء أحد رواة الحديث (**«إلى الوسطى والسبابة»**) أي بياناً لهاتين (**«امرأة»**) أي هي، فهي خبرها محذوف (**«آمت»**) بمد همزة وتخفيف ميم أي صارت أيماً بأن فارقت (**«من زوجها»**) بموت أو طلاق (**«ذات منصب»**) بكسر الصاد أي صاحبة نسب أو حسب (**«وجمال»**) أي كمال صورة وسيرة، وهي صفة لامرأة، وأريد بها كمال الثواب، وليست للاحتراز. والمعنى أنها مع هذه الصفة المرغوبة المطلوبة لكل أحد (**«حبست نفسها»**)، فالجملة استئناف أو صفة أخرى أو حال بتقدير قد أو بدونه أي منعتها عن الزواج صابرة أو شفقة (**«على يتاماها»**)، وقال شارح: أي اشتغلت بخدمة الأولاد وعملت لهم، فكأنها حبست نفسها أي وقعت عليهم، وفي نسخة على أيتامها (**«حتى بانوا»**) أي إلى أن كبروا وحصلت لهم الإبانة أو وصلوا إلى مرتبة كمالهم، فإن البين من الأضداد بمعنى الفصل والوصل، وقال شارح: أي حتى فضلوا وزادوا قوّة وعقلاً واستقلوا بأمرهم من البون، وهو الفضل والمزية (**«أو ماتوا»**) أي أو ماتت، فأو للتنويع. وقال القاضي قوله: امرأة آمت الخ بدل مجرى مجرى البيان والتفسير، وآمت المرأة أيمة وأيوماً إذا صارت بلا زوج، وقوله: حتى بانوا أي استقلوا بأمرهم وانفصلوا عنها. وقال الطيبي: التنكير في امرأة للتعظيم، وقوله: «سفعاء الخدين» نصب أو رفع على المدح، وهو معترض بين المبتدأ والخبر. (**رواه أبو داود**).

٤٩٧٩ - (**وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أنثى»**) أي بنت أو أخت (**«فلم يئدها»**) على وزن يعدها أي لم يدفنها حية كما هو عادة الجاهلية للقرار عن الفقر أو لعار (**ولم يهنها**») من الإهانة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب**﴾ [النحل - ٥٩] فالمعنى ولم يمسكها على هوان ومذلة وحقارة ومشقة (**«ولم يؤثر»**) من الإيثار أي لم يختر (**«ولده»**) أي صبيه إذا كان له (**«عليها»**) أي على الأنثى، ولما كان الولد في اللغة يطلق على الابن والبنت قال ابن عباس: (**«يعني»**) أي يريد النبي عليه السلام بالولد (**«الذكور»**)، ويحتمل أن يكون التفسير لغير ابن عباس فتأمل، ثم تفسير الولد

الحديث رقم ٤٩٧٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٥٤ الحديث رقم ٥١٤٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٣.

أدخلَه اللَّهُ الجنَّةَ». رواه أبو داود.

٤٩٨٠ ـ (٣٤) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن اغتيبَ عنده أخوه المسلمُ وهو يقدرُ على نصرِه فنصرَه؛ نصرَه اللَّهُ في الدنيا والآخرةِ. فإنْ لم ينصُرْه وهو يقدرُ على نصره؛ أدركه اللَّهُ به في الدنيا والآخرةِ». رواه في «شرح السنَّة».

٤٩٨١ ـ (٣٥) وعن أسماءَ بنت يزيد، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عن لحمِ أخيهِ بالمغيبَة كانَ حقاً على اللَّهِ أنْ يُعتقَه منَ النَّارِ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

بالذكور على صيغة الجمع لأن الولد اسم جنس، أو الجنسية هنا مستفادة من الإضافة، ولعل العدول في التفسير عن الذكر إلى الذكور تحاشياً عن ذكر الذكر فتدبر. (**«أدخله الله الجنة»**) أي مع السابقين. قال الطيبي: في وضع الأنثى موضع البنت تحقير لشأنها، كما وضع الولد موضع مكان الابن تعظيماً له إيذاناً بمخالفة عظيمة لهوى النفس وإيثار رضا الله على رضاه، ولذلك رتب عليه دخول الجنة. (**رواه أبو داود**).

٤٩٨٠ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: «من اغتيب»**) يجوز كسر النون وضمها وصلاً أي من تكلم بالغيبة (**«عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره»**)، الجملة حال من ضمير من (**«فنصره»**) عطف على الشرط أي فمنعه ودفعه وجزاؤه (**«نصره الله في الدنيا والآخرة، فإن لم ينصره وهو يقدر على نصره أدركه الله»**) أي عاقبه (**«به»**) أي بسبب عدم نصره عند وجود قدرته (**«في الدنيا والآخرة». رواه في شرح السنة**)؛ وفي سنده ضعف، لكن له شواهد يقوي بها. نقله ميرك عن التصحيح.

٤٩٨١ ـ (**وعن أسماء بنت يزيد**) أي ابن السكن (**قالت: قال رسول الله ﷺ: «من ذب»**) أي دفع (**«عن لحم أخيه»**) كناية عن غيبته على طبق الآية، والمعنى من دفع أو من منع مغتاباً عن غيبة أخيه (**«بالمغيبة»**) أي في زمان كون أخيه غائباً، وهو مصدر أو اسم زمان أو مكان. قال الطيبي: كأنه قيل: «من ذب عن غيبة أخيه في غيبته»، وعلى هذا بالمغيبة ظرف، ويجوز أن يكون حالاً، وفي هذه الكناية من المبالغة أنه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان، ولم يقتصر عليه، بل جعلها كلحم أخيه لأنه أشد نفاراً من لحم الأجانب، وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتاً (**«كان حقاً على الله»**) أي ثابتاً عنده أو واجباً عليه بمقتضى وعده (**«أن يعتقه من النار»**)، وهو إما في أوّل وهلة قبل دخولها أو بعده قبل استيفاء العقوبة. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**). وفي التصحيح رواه الطبراني ومحيي السنة، وفي سنده ضعيف وقال الحافظ المنذري في الترغيب: رواه أحمد بسند حسن، وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم. نقله ميرك، وفي الجامع الصغير بلفظ: «من ذب عن عرض أخيه بالمغيبة كان حقاً على الله أن يقيه من

الحديث رقم ٤٩٨٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٠٧ الحديث رقم ٣٥٣٠.

الحديث رقم ٤٩٨١: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٦١، والبيهقي في الشعب الإيمان.

٤٩٨٢ ـ (٣٦) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما منْ مسلمٍ يردّ عن عِرْض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يردّ عنه نارَ جهنم يوم القيامة». ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾. رواه في «شرح السنة».

النار». رواه أحمد والطبراني في الكبير عن أسماء بنت يزيد.

٤٩٨٢ ـ **(وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يرد عن عرض أخيه»)** أي يمنع عن غيبة أخيه مثلاً، **(«إلا كان حقاً على الله أن يرد»)** أي يصرف **(«عنه»)** أي عن الراد **(«نار جهنم يوم القيامة»، ثم تلا)** أي النبي ﷺ استشهاداً، ويحتمل أنه قرأ أبو الدرداء اعتضاداً (**﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾**(1)). قال الطيبي: قوله: «وكان حقاً علينا» الخ استشهاد لقوله: «إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه»، والضمير في عنه راجع إلى المسلم الذاب عن عرض أخيه. أتى بالعام فيدخل فيه من سبق له الكلام دخولاً أوّلياً كما في قوله تعالى: **﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾** [البقرة ـ ٨٩] وهو أبلغ من لو قيل عليهم لموقع الكناية اهـ، ولا خفاء أن ما في صدر الحديث نافية ومن مزيدة لاستغراق النفي. فالحكم عام شامل، وليس في الحديث ما يدل على أن هناك من سيق له الكلام ليدخل دخولاً أوّلياً، وأما الآية فالظاهر أن حكمة العدول عن عليهم إلى على الكافرين ليخرج من سيؤمن منهم ويدخل فيهم غيرهم من سائر الكفار مع ما فيه من تنبيه نبيه على أن لعن الأحياء من الكفار غير جائز إذا كانوا قوماً محصورين، لأن المدار على الخاتمة. وأما قول الطيبي، وفيه أن مفهوم المسلم والمؤمن واحد كما في قوله تعالى: **﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾**، ففيه أن الصواب كون مفهومها لغة وشريعة متغايرين على ما يشهد له قوله تعالى: **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾** [الحجرات ـ ١٤] ويدل عليه حديث جبريل كما سبق في أوّل الكتاب من تغاير تعريف الإيمان والإسلام، نعم ما صدقهما واحد في اعتبار عرف الفقهاء والمتكلمين بحيث يطلق كل موضع الآخر لأن انقياد الظاهر بدون انقياد الباطن غير صحيح، وكذا العكس، فلا بد من تحققهما، ثم لا يلزم من ترك عمل من أعمال الإسلام عدم انقياد الظاهر للفرق بين تركه كسلاً وإعراضاً، فمن ترك صلاة متعمداً أو قتل نفساً غير معتقد وجوب الأوّل وحرمة الآخر كان كافراً، وهذا هو [المذهب] الفارق بين مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة، وبين مشرب المعتزلة والخوارج وسائر أهل الضلالة والبدعة. **(رواه في شرح السنة)**. وقال المنذري: أخرجه الترمذي بلفظ: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». وقال: حديث حسن، ورواه ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ ولفظه قال: «من ذب عن أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة»، وتلا رسول الله ﷺ: **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** [الروم ـ

الحديث رقم ٤٩٨٢: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٠٦ الحديث رقم ٣٥٢٨، والترمذي في ٤/ ٣٢٧ الحديث رقم ١٩٣١، وأحمد في المسند ٦/ ٤٥٠.

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.

٤٩٨٣ ـ (٣٧) وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «ما منْ امرىء مسلم يخذل أمرأً مسلماً في موضعٍ يُنتهك فيه حرمتهُ وينتقص فيه من عرضه إلاَّ خذله الله تعالى في موطنٍ يُحبّ فيه نصرته وما من امرىءٍ مسلم ينصر مسلماً في موضع يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحبُّ فيه نصرته». رواه أبو داود.

٤٩٨٤ ـ (٣٨) وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورةً فسترها

٤٧] نقله ميرك. وفي الجامع الصغير بلفظ: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة». رواه أحمد والترمذي عن أبي الدرداء، وروى البيهقي عن أبي الدرداء أيضاً بلفظ: «من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار».

٤٩٨٣ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من امرىء مسلم يخذل»)** بضم الذال (**«امرأ مسلماً في موضع ينتهك»**) بصيغة المجهول أي يتناول بما لا يحل (**«فيه»**) أي في ذلك الموضع (**«حرمته»**) أي احترامه وبعض إكرامه؛ ورواية الجامع الصغير «من حرمته»، ولعله هو الصواب في الرواية كما تقتضي الدراية من حسن المقابلة، إلا أن في الجامع «ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته»، ولا يخفى أن ترتيبه أيضاً هو الأنسب ليكون تعميماً بعد تخصيص، وهو المطابق لما سيأتي في الفقرة الثانية فعكس في ترتيب المشكاة هنا بقوله: (**«وينتقص فيه عرضه»**) بصيغة المجهول من الانتقاص، وهو لازم ومتعد، والمعنى ليس أحد يترك نصرة مسلم مع وجود القدرة عليه بالقول أو الفعل عند حضور غيبته أو إهانته أو ضربه أو قتله ونحوها (**«إلا خذله الله تعالى في موطن يحب»**) أي ذلك الخاذل (**«فيه»**) أي في ذلك الموطن (**«نصرته»**) أي إعانته سبحانه، ويجوز أن تكون إضافته إلى المفعول، وذلك شامل لمواطن الدنيا ومواقف الآخرة (**«وما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص من عرضه وينتهك»**) أي فيه. كما في نسخة مطابقة لرواية الجامع (**«من حرمته»**) أي من بعض احترامه من لوازم إكرامه (**«إلا نصره الله في موطن»**)، فيه تفتن بالعبارة. ورواية الجامع في الموضعين بلفظ موطن (**«يحب فيه نصرته»**)، ولعل هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿**جزاء وفاقاً**﴾ [النبأ ـ ٢١] وقوله عزّ وجلّ: ﴿**ومن يعمل سوءاً يجز به**﴾ [النساء ـ ١٢٣]. (**رواه أبو داود**). وكذا أحمد والضياء عن جابر وأبي طلحة بن سعد.

٤٩٨٤ ـ **(وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورة»)** وهي ما يكره الإنسان ظهوره، فالمعنى من علم عيباً أو أمراً قبيحاً في مسلم (**«فسترها»**) أو رأى عورة مسلم مكشوفة فسترها بثوبه أو من عنده وقال الطيبي: أي من رأى خللاً من هتك ستر أو

الحديث رقم ٤٩٨٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٧ الحديث رقم ٤٨٨٤، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠.
الحديث رقم ٤٩٨٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٠٠ الحديث رقم ٤٨٩١، والترمذي ٤/ ٢٨٧ الحديث رقم ١٩٣٠، وأحمد في المسند ٤/ ١٤٧.

كان كمن أحيا موؤدة» رواه أحمد، والترمذي وصححه.

وقع في عرض ونحوهما لأن الناس يختل حالهم عندها («كان كمن أحيا») أي كان ثوابه كثواب من أحيا («موؤدة») بأن رأى أحد أحداً يريد وأد بنت فمنع أو سعى في خلاصها ولو بحيلة. وقال المظهر: بأن رأى حياً مدفوناً في قبر، فأخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت، ووجه تشبيه الستر على عيوب الناس بإحياء الموؤدة. «إن من انتهك ستره يكون من الخجالة كميت، إذ يحب الموت منها، فإذا ستر أحد على عيبه فقد دفع عنه الخجالة التي هي عنده بمنزلة الموت» اهـ. ويمكن أن يقال: وجه المشابهة هو المناسبة الضدية، فإن بالشيء يذكر ضده، والمعنى «من ستر ما شرع الله ستره كان كمن رفع الستر عما لم يشرع ستره»، أو وجه الشبه هو إصلاح الفساد في القرينتين فلا إشكال والله أعلم بالحال. وقال الطيبي: يمكن أن يقال: إن وجه الأمر الشبه العظيم يعني «من ستر على مسلم فقد ارتكب أمراً عظيماً كمن أحيا موؤدة فإنه أمر عظيم»، فيدل على فخامة تلك الشنعاء نحو قوله تعالى: **﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾** [المائدة ـ ٣٢] الكشاف فيه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليستمر الناس على الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل جميع الناس عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها، اهـ كلامه. فكذا من أراد أن يستر عيب مؤمن وعرضه إذا تصوّر أنه إحياء الموؤدة عظم عنده ستر عورة المؤمن، فيتحرى فيه ويبذل جهده قلت: وهذا المعنى لا ينافيه اعتبار وجه الشبه فيما سبق. نعم في الآية لما عظم على صاحب الكشاف وجه شبه «قتل نفس واحدة بقتل الأنفس جميعها»، وكذا «إحياؤها بأحيائها» اعتبر معنى العظمة المشتملة على المناسبة للمشابهة بين الكمية والكيفية مع أن في الآية معاني أخر أظهر من قول الكشاف، فقال بعضهم: أي «من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس» لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، وهذا قول ابن عباس، أو لأنه يقتل قصاصاً كما لو قتل جميع الناس وجزاؤه جهنم كما لو قتل الجميع، وهذا قول مجاهد، أو كما قتل الناس جميعاً وزراً وإثماً، وهذا قول قتادة، وهو تعظيم للقتل، ولا يصح إلا على طريق الوعيد والتهديد. وقال البيضاوي: فكأنما قتل الناس جميعاً من حيث إن قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم أي في أصل الاستجلاب والله أعلم بالصواب. **(رواه أحمد والترمذي، وصححه)**. ونقل ميرك عن التصحيح أنه رواه أحمد وأبو داود، وفيه قصة. وقد جاء من عدة طرق اهـ. وفي الجامع الصغير بلفظ «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها». رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر.

٤٩٨٥ ـ (٣٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن أحدكم مرآة أخيه، فإِن رأى به أذىً فليمُطْ عنه». رواه الترمذي وضعفه. وفي رواية له ولأبي داود: «المؤمنُ مرآة المؤمنِ، والمؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عنه ضيعته، ويحوطه من ورائه».

٤٩٨٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم مرآة أخيه»)** بكسر ميم ومد همز أي آلة لإراءة محاسن أخيه ومعايبه، لكن بينه وبينه، فإن النصيحة في الملأ فضيحة، وأيضاً هو يرى من أخيه ما لا يراه من نفسه كما يرسم في المرآة ما هو مختف عن صاحبه، فيراه فيها أي إنما يعلم الشخص عيب نفسه بأعلام أخيه كما يعلم خلل وجهه بالنظر في المرآة (**«فإن رأى»**) أي أحدكم (**«به»**) أي بأخيه (**«أذى»**) أي عيباً مما يؤذيه أو يؤذي غيره (**«فليمط»**) أي فليمطه، كما في رواية الجامع الصغير من الإماطة، والمعنى فليزل ذلك الأذى (**«عنه»**) أي عن أخيه إما بإعلامه حتى يتركه أو بالدعاء له حتى يرفع عنه، وهذا وجه قول عمر رضي الله عنه «رحم الله امرأ أهدى إليّ بعيوب نفسي»، وفي إتيانه بصيغة الجمع إشارة إلى أن النفس معدن العيوب ومنبعها، ولذا قيل:

وجـــودك ذنـــب لا يـــقـــاس بـــه ذنـــب

وفي شرح الطيبي قيل: أي المؤمن في إراءة عيب أخيه كالمرآة المجلوة التي تحكي كل ما يرسم فيها من الصور ولو كان أدنى شيء، فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه يستشف من وراء أقواله وأفعاله وأحواله تعريفات وتلويحات من الله الكريم، فأي وقت ظهر من أحد المؤمنين المجتمعين في عقد الأخوة عيب قادح في أخوته نافروه، لأن ذلك يظهر بظهور النفس من تضييع حق الوقت فعلموا منه خروجه بذلك عن دائرة الجمعية فتنافروه ليعود إلى دائرة الجمعية. قال رويم: لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا هلكوا، وهذا إشارة منه إلى حسن تفقد بعضهم أحوال البعض إشفاقاً من ظهور النفس، يقول: إذا اصطلحوا ورفع التنافر بينهم يخاف أن يخامر البواطن المساهلة والمرآة ومسامحة البعض البعض في إهمال دقيق آدابهم، وبذلك تظهر النفوس وتتولى وتصدأ مرآة القلب، فلا يرى فيها الخلل والعيب. قال عمر رضي الله عنه في مجلس فيه المهاجرون والأنصار: «أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين مرتين أو ثلاثاً فلم يجيبوا، قال: بشير بن سعد لو فعلت ذلك قوّمناك تقويم القدح، قال عمر: «أنتم إذاً أنتم» كذا في كتاب العوارف. **(رواه الترمذي وضعفه وفي رواية له ولأبي داود)**. وكذا للبخاري في الأدب المفرد (**«المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته»**) أي يمنع عن أخيه تلفه وخسرانه، فهو مرة من الضياع. وقيل: ضيعة الرجل ما يكون منه معاشه أي يجمع عليه معيشته (**«ويحوطه»**) أي يحفظه وينصره ويضمه إليه (**«من ورائه»**) أي في غيبته نفساً ومالاً وعرضاً بأن لا يسكت إذا اغتيب عنده وقدر على دفعه هذا،

الحديث رقم ٤٩٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٧ الحديث رقم ٤٩١٨، والترمذي في ٤/ ٢٨٧ الحديث رقم ١٩٢٩.

. . . .

وصدر الحديث وهو قوله: «المؤمن مرآة المؤمن» حديث مستقل أيضاً. ورواه الطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس، وللطائفة الصوفية الصفية تعلق بهذا الحديث من حيث تصوير الجمع بين الكثرة والوحدة تارة بوجود مرآة واحدة ومراء متعددة، وتارة بالعكس في الانعكاس، وجعلوا أحد المؤمنين عبارة عن المؤمن المهيمن المتعال وهو تمثال على وجه الكمال ولله المثل الأعلى والصفة الأعلى من حجة دلالته على تنزيه الرائي والمرئي من المحب والمحبوب والطالب والمطلوب، ومن حيثية كون المرآة مظهر أو مظهر المتعالي عن الحلول والاتحاد والانفصال والاتصال خلاف ما تصوّره أهل الضلال، وأيضاً فيه إشارة إلى أن تجليات الظهور الرباني وتجليات العوارف الصمداني إنما هو بقدر[١] صفاء المرآة عن صداء الذنوب وتخليات الشهوات وسائر العيوب مما يحجب القلوب عن مطالعة الغيوب: لكن إذا كان الرائي متوجهاً إلى مرآة القلب لا معرضاً عنها، وإلا فيكون وجه المرآة وفقهاءها مستويين عنده، وكذا إذا تراكم الصدأ والرين وارتفع العين بسبب الغين فيكون محجوباً في البين، فانظر التفاوت بين الفريقين، فإنه بون بين، ولذا قال نديم الباري خواجه عبد الله الأنصاري صاحب منازل السائرين ومقامات الطائرين. آه آه من تفاوت سالكي طريق الإله مع أن الكل من حديد واحد في كير وارد فيصاغ من قطعة مرآة يرى بها وجه المحبوب ويصنع من أخرى نعل يوضع تحت رجل المركوب مشير إلى قوله تعالى: ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾ [الأعراف ـ ١٧٩] أي الكافرون الكاملون في الغفلة بخلاف المؤمنين الكاملين في مرتبة الحضور دائماً كالأنبياء أو غالباً كالأولياء وتارة وتارة كسائر المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فإن الغفلة كفر كما بينته في شرح حزب الفتح للشيخ أبي الحسن البكري قدس الله سره السري. هذا وكان صاحب المنازل أراد بأحدهما مثل آدم وموسى والخاتم وبالآخر إبليس وفرعون وأبا جهل، لكن عندي أن يقال: نبينا الرئيس بمقابلة إبليس، فإن سيدنا محمد أعظم مظاهر الجمال وإبليس أقوى مظاهر الجلال، وكذا ما يترتب على متابعتهما من الجنة والثواب والنار والعقاب، وأبو جهل يقابل بآدم الذي هو أبو العلم، ولكل فرعون موسى، وهنا يفتح أبواب بحث القضاء والقدر ويدخل أسباب التحير في أمر القوي والقدر، والجواب المحمدي لا يسأل عما يفعل، ثم هذان الأمران باقتضاء صفتي الجمال والجلال من صاحب الكمال وبسطهما يوجب كلال أرباب الملال مع أنه غاية ذوق أصحاب الحال فقد مزجت لك الإشارة الصوفية الباطنية بالعبارة العملية الظاهرية لعلك تعترف بالجهل من هذا المذهب وتغترف بالعلم من هذا المشرب ولو كان ممزوجاً لعدم حصوله صرفاً. كما أشار إليه سبحانه ودل عليه كلامه وبرهانه حيث قال: ﴿**إن كتاب الأبرار لفي عليين**﴾ [المطففين ـ ١٨] إلى أن قال: ﴿**يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون**﴾ [المطففين ـ ٢٨] وقد قال العارف ابن الفارض:

---

(١) في المخطوطة «بمقدر».

٤٩٨٦ ـ (٤٠) وعن معاذ بن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمى مؤمناً من منافق بعثَ اللّهُ ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مسلماً بشيءٍ يريد به شينَه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرُجَ مما قال». رواه أبو داود.

٤٩٨٧ ـ (٤١) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره». [٣٧٣ ـ ب ـ] رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها   فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

أذاقنا الله من كأس مشربهم ورزقنا سلوك مذهبهم وحسن مطلبهم.

٤٩٨٦ ـ **(وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه)** أي الجهني روى عنه ابنه سهل ذكره المؤلف في فصل الصحابة **(قال: قال رسول الله ﷺ: «من حمى»)** أي حرس **(«مؤمناً»)** أي عرضه **(«من منافق»)** أي مغتاب، وإنما سمي منافقاً لأنه لا يظهر عيب أخيه عنده ليتدارك، بل يظهر عنده خلاف ذلك أو لأنه يظهر النصيحة ويبطن الفضيحة **(«بعث الله ملكاً يحمي لحمه»)** أي لحم حامي المؤمن **(«يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى»)** أي قذف **(«مسلماً»)** فيه تفنن وإشعار بصحة إطلاق كل موضع الآخر **(«بشيء»)** أي من العيوب **(«يريد به شينه»)** أي عيبه، والجملة حال من الضمير للاحتراز عمن يريد به زجره أو احتراس غيره عنه ونحو ذلك من المجوّزات الشرعية **(«حبسه الله»)** أي وقفه **(«على جسر جهنم»)** وهو صراط ممدود بين ظهرانيها أدق من الشعر وأحد من السيف **(«حتى يخرج مما قال:»)** أي من عهدته، والمعنى حتى ينقى من ذنبه ذلك بإرضاء خصمه أو بشفاعة أو بتعذيبه بقدر ذنبه. **(رواه أبو داود)** أي من طريق سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه. ذكره ميرك.

٤٩٨٧ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** [بالواو] **(قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب»)** أي أكثرهم ثواباً **(«عند الله»)** أي في حكمه الذي هو المعتبر عند الكل **(«خيرهم لصاحبه»)** أي أكثرهم إحساناً ولو بالنصيحة **(«وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره»)** أي ولو برفع الأذى عنه. **(رواه الترمذي والدارمي)**، وكذا أحمد والحاكم في مستدركه(١). **(وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب)**. قال ميرك: وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح، وفي الجامع الصغير «خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإن نسيت ذكرك»(٢). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأخوان عن الحسن مرسلاً.

الحديث رقم ٤٩٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٦ الحديث رقم ٤٨٨٣، وأحمد في المسند ٣/ ٤٤١.

الحديث رقم ٤٩٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٤ الحديث رقم ١٩٤٤، والدارمي في ٢/ ٢٨٤ الحديث رقم ٢٤٣٧، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٨.

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٤٤٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٤ الحديث رقم ٣٩٩٩.

٤٩٨٨ ـ (٤٢) وعن ابن مسعود، قال: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله! كيف لي أن أعلم إذا أحسنتُ أو إذا أسأتُ؟ فقال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت؛ فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأتَ؛ فقد أسأت». رواه ابن ماجه.

٤٩٨٩ ـ (٤٣) وعن عائشة، أن النبي ﷺ قال: «أنزِلوا الناس منازَلهم». رواه أبو داود.

٤٩٨٨ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: «كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو إذا أسأت»)**، وفي نسخة بالواو بمعنى أو، والمعنى كيف يحصل لي العلم بإحساني أو إساءتي إذا صدر مني عمل غير معروف حسنه وقبحه شرعاً (**«فقال النبي ﷺ: «إذا سمعت جيرانك»**) أي جميعهم لعدم اجتماعهم على الضلالة غالباً (**«يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت»**)، وفيه إشارة إلى أن ألسنة الخلق أقلام الحق. **(رواه ابن ماجه)**؛ وكذا ابن حبان في صحيحه، وأحمد في مسنده، والطبراني ورجال ابن ماجه رجال الصحيحين إلا شيخه محمد بن يحيى، قد أخرج له البخاري دون مسلم، كذا في التصحيح؛ وفي الجامع رواه أحمد وابن ماجه والطبراني عن ابن مسعود، وابن ماجه أيضاً عن كلثوم الخزاعي.

٤٩٨٩ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «أنزلوا الناس»)** أمر من الإنزال وقوله: (**«منازلهم»**) منصوب بنزع الخافض قيل: أي مقاماتهم المعينة المعلومة لهم، قال تعالى حكاية عن الملائكة، ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾، ولكل أحد مرتبة ومنزلة لا يتخطاها إلى غيرها، فالوضيع لا يكون في موضع الشريف ولا الشريف في منزل الوضيع، فاحفظوا على كل أحد منزلته ولا تسوّوا بين الخادم والمخدوم والسائد والمسود، وأكرموا كلاً على حسب فضله وشرفه»، وقد قال تعالى: ﴿**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات**﴾ [الزخرف ـ ٣٢] وقال عزّ من قال: ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [المجادلة ـ ١١] وهذا الحديث مبدأ فهم أقوال العلماء في تفاضل الأنبياء وتفضيل البشر على الملك وتفضيل الخلفاء وأمثال ذلك من المباحث، كما أنه منشأهم الأغنياء والأغبياء والمتكبرين من الأمراء والوزراء على ما هو مشاهد في مجالس الحوادث «قد علم كل أناس مشربهم، وفهم كل فريق مذهبهم، يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً»، **(رواه أبو داود)** أي من طريق ميمون بن أبي شعيب عن عائشة، وقال ميمون بن شعيب: لم يدرك عائشة اهـ. وسئل أبو بكر الرازي ميمون عن عائشة متصل قال: لا. نقله ميرك عن التصحيح، وفي الجامع الصغير رواه مسلم وأبو داود عن عائشة، فالاعتراض متوجه على صاحب المصابيح، وكذا على صاحب المشكاة في غفلة الأول بإيراده في الفصل الثاني، وفي تقصير الثاني بقصور التتبع، بل وعلى صاحب التصحيح إن كان نقل الجامع هو التصحيح. هذا ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: «أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة».

الحديث رقم ٤٩٨٨: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١١ الحديث رقم ٤٢٢٢، وأحمد في المسند ١/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٤٩٨٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧٣ الحديث رقم ٤٨٤٢.

الفصل الثالث

٤٩٩٠ ـ (٤٤) عن عبد الرحمن بن أبي قُراد، أن النبي ﷺ توضأ يوماً، فجعل أصحابُهُ يتمسَّحون بوضوئه، فقال لهم النبي ﷺ: «ما يحملُكم على هذا؟» قالوا: حبُّ الله ورسولِهِ فقال النبي ﷺ: «من سرَّهُ أن يحبَّ اللَّهَ ورسوله أو يحبَّهُ اللَّهُ ورسولهُ فليصْدُقْ حديثَه إذا حدَّث، وليؤدِّ أمانته إِذا أؤتمن، وليحسن جوار من جاوره».

(الفصل الثالث)

٤٩٩٠ ـ **(عن عبد الرحمن بن أبي قراد)** بضم القاف، قال المؤلف: صحابي أسلمي يعد في أهل الحجاز، روى عنه أبو جعفر الخطمي وغيره **(إن النبي ﷺ: «توضأ يوماً فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه»)** بفتح الواو، وأبعد من ضمها وقدر الماء **(«فقال لهم النبي ﷺ: ما يحملكم على هذا»)** أي التمسح، وكان هذا من المعلوم الواضح عنده أنه للتبرك الناشىء عن حسن الاعتقاد في الله ورسوله فالسؤال لإظهار ما يترتب على الجواب **(«قالوا: حب الله ورسوله»)** أي الحامل أو حملنا **(«فقال النبي ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله»)** أي على وجه الكمال **(«أو يحبه الله ورسوله»)** أو للتنويع أو بمعنى بل، وهو الأظهر، ويحتمل شك الراوي **(«فليصدق»)** بضم الدال **(«حديثه»)** بالنصب أي في حديثه، ففي القاموس الصدق بالكسر والفتح ضد الكذب أو بالفتح مصدر وبالكسر الاسم، وصدق في الحديث وصدق فلاناً الحديث أو القتال وصدقه تصديقاً ضد كذبه **(«إذا حدث»)** أي متى تكلم وتحدث **(«وليؤدّ أمانته إذا اؤتمن»)** بسكون الهمز، ويبدل ألفاً حال الوصل، وهو على بناء المفعول، ويكتب بالواو لأن حالة الابتداء به بعد الوقف على ما قبله، يجب قلب الهمزة الثانية واواً، ولا يعزك كتابته في أكثر النسخ إذا ائتمن بالياء، فإنه نشأ من قلة الإطلاع على الرسم وآداب الوقف والوصل، وهو علم مستقل بل علمان غير ما يتعلق بالكلمة من القواعد الصرفية والنحوية وسائر علوم العربية، ومن هذا القبيل قوله تعالى: **﴿فليؤدّ الذي اؤتمن أمانته﴾** [البقرة ـ ٢٨٣] **(«وليحسن»)** من الإحسان أي ليكرم **(«جوار من جاوره»)** بكسر الجيم أي مجاورة جيرانه ومعاشرة أصحابه وإخوانه، فإن هذه الأوصاف من أخلاق المؤمنين وأضدادها من علامات المنافقين، فالمدار على الأفعال الباطنة دون الأحوال الظاهرة، فكأنه ﷺ نبههم على أن جملة همتهم يجب أن تكون على أمثال هذه الأخلاق دون الاكتفاء بظواهر الأمور المشترك فيها المؤمن والمنافق والمخالف والموافق والله الموفق، وخلاصة معناه ما ذكره الطيبي من قوله: «يريد أن ادعاءكم محبة الله ومحبة رسوله لا

الحديث رقم ٤٩٩٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٠١ الحديث رقم ١٥٣٣.

٤٩٩١ ـ (٤٥) وعن ابن عباس، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه». رواهما البيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٩٢ ـ (٤٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! إن فلانةَ تُذْكَرُ من كثرةِ صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنَّها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار» قال يا رسول الله! فإن فلانة تذكر قلةَ صيامها وصدقتها وصلاتها،

يتم ولا يستتب بمسح الوضوء فقط بل بالصدق في المقال وبأداء الأمانة وبالإحسان إلى الجار».

٤٩٩١ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس المؤمن»)** أي الكامل **(«بالذي»)** الباء زائدة قد تدخل في خبر ليس، وفي نسخة صحيحة الذي **(«يشبع وجاره جائع إلى جنبه»)**، الجملة حال من ضمير يشبع أي، وهو عالم بحال اضطراره وقلة اقتداره، وفي ذكر الجنب إشعار بكمال غفلته عن تعهد جاره. **(رواهما)** أي الحديثين **(البيهقي في شعب الإيمان)**، والأوّل رواه الطبراني بإسناد ضعيف. ذكره ميرك، والثاني رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير بسند صحيح وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في شعبه على ما في الجامع الصغير.

٤٩٩٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أن فلانة)** بفتح آخرها، وهي كناية عن اسم امرأة **(«تذكر»)** بصيغة المجهول مسنداً إلى ضمير فلانة، والمعنى أنها تذكر فيما بين الناس بطريق الشهرة **(«من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها»)** أي من أجل هذه النوافل، ومن تعليلية متعلقة بتذكر **(«غير أنها»)** أي إلا أنها **(«تؤذي»)** قال الطيبي: الاستثناء منقطع يعني لكن تؤذي **(«جيرانها بلسانها»)**، ولعل وجه التقييد باللسان أنه أغلب ما يؤذي به وأقوى ما يتأذى به الإنسان. كما قال الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتأم ما جرح اللسان

(«قال: هي في النار») أي لارتكاب النفل المباح تركه واكتساب الأذى المحرم في الشرع، وفي نظيره كثير من الناس واقعون حتى عند دخول البيت الشريف واستلام الركن المنيف، ومن هذا القبيل عمل الظلمة من جمع مال الحرام وصرفه في بناء المساجد والمدارس وإطعام الطعام **(«قال:»)** أي الرجل **(«يا رسول الله إن فلانة»)** أي غيرها **(«تذكر»)** أي على ألسنة الناس **(«قلة صيامها وصدقتها وصلاتها»)**، وفي نسخة من قلة صيامها، قال الطيبي: القرينة الثانية ليست فيها من، وقلة نصب على نزع الخافض اهـ، وكأنه ثبت عنده رواية النصب كما

الحديث رقم ٤٩٩١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣١ الحديث رقم ٥٦٦، وأحمد في المسند ١/ ٥٥.

الحديث رقم ٤٩٩٢: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٧٩ الحديث رقم ٩٥٤٦.

وإنها تصدَّقُ بالأثوار من الإقطِ، ولا تؤذي بلسانها جيرانها. قال: «هي في الجنة». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٩٣ ـ (٤٧) وعنه، قال: إن رسول الله ﷺ وقف على ناسٍ جلوسٍ فقال: «ألا أخبركم بخيركم من شركم؟» قال: فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات [٣٧٤ ـ أ ـ] فقال رجلٌ: بلى رسول الله! أخبرْنا بخيرنا من

تقتضي مراعاة المناسبة بين القرينتين، وإلا فلو روي أو قرىء بالرفع، فوجهه ظاهر والله أعلم. (**«وأنها»**) بالكسر (**«تصدق»**) بحذف إحدى التاءين وضم القاف، والجملة حال، وإن روي بفتح إن عطفاً على أنها معمول تذكر فله وجه، فتذكر، والمعنى أنها تتصدّق (**«بالأثوار من الأقط»**) أي بقطع منه جمع ثور بالمثلثة وهو قطعة من الاقط. ذكره الجوهري، ففي الكلام تجريد أو توكيد، وفي ذكره إشارة إلى أن صدقتها بالنسبة لتلك المرأة قليلة جداً، ثم في القرينة الثانية توسطت العبادة المالية بين عبادتي البدنية لعلها بسبب طرفيها تنجبر قلتها (**«ولا تؤذي بلسانها جيرانها»**) عطف على تصدق أو حال من ضميره (**«قال: هي في الجنة»**) لأن مدار أمر الدين على اكتساب الفرائض واجتناب المعاصي، إذ لا فائدة في تحصيل الفضول وتضييع الأصول كما هو واقع فيه أكثر العلماء وكثير من الصلحاء حيث لم يقم الأوّلون بما يجب عليهم من العمل، ولم يحصل الآخرون ما يجب عليهم من العلم، وأما الصوفية المجامعون بين العلم والعمل المقرونين بالإخلاص فهم يقدمون رعاية الاحتماء إلى إعطاء الدواء سالكين سبيل الحكماء فيقولون: التخلية مقدمة على التحلية، ولذا جعلوا التوبة أوّل منازل السائرين ومقامات الطائرين، وفي كلمة التوحيد إشارة إلى هذا المعنى بطريق النفي والإثبات دائماً إلى أن الصفات السلبية مقدمة على النعوتية الثبوتية فكأنه يلزم من الأولى حصول الثانية بخلاف العكس والله أعلم. (**رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**)، وكذا البزار وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح ذكره ميرك.

٤٩٩٣ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: إن رسول الله ﷺ**: **«وقف على ناس جلوس»**) أي جالسين أو ذوي جلوس (**«فقال: ألا أخبركم بخيركم من شركم»**) أي مميزاً منه حال من المتكلم (**«قال:»**) أي الراوي (**«فسكتوا»**) أي متوقفين في أن السؤال أولى أو السكوت أحرى خوفاً من أن يكون من باب لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسؤوكم وعملاً بقوله ﷺ، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها (**«فقال ذلك:»**) أي الكلام السابق (**«ثلاث مرات»**)، فلما أفاد التكرار أنه لا بد من الاختيار أجاب بعضهم (**فقال رجل:**) أي كل الرجل شديد القلب، فتنوينه للتعظيم (**«بلى يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من**

الحديث رقم ٤٩٩٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٧ الحديث رقم ٢٢٦٣، وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٥٤٠ الحديث رقم ١١٢٦٨.

شرنا فقال: «خيركم من يُرجى خيرُهُ ويؤمن شرّه، شرُّكم من لا يرجى خيرُه ولا يؤمن شرُّه». رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٤٩٩٤ ـ (٤٨) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب

شرنا»)، وفيه بسط الكلام بمقتضى انبساط المقام (**«فقال:»**) أي بطريق الإبهام احترازاً من فضيحة الأنام (**خيركم من يرجى خيره»**)، فخبر الأوّل بمعنى الأخير والثاني مفرد الخيور أي من يرجو الناس منه إحسانه إليهم (**«ويؤمن شره»**) أي من يأمنون عنه من إساءته عليهم (**«وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره»**)، وترك ذكر من يأتي منه الخير والشر ونقيضه، فإنهما ساقطاً الاعتبار حيث تعارضا تساقطاً، ونظيره ما أشار إليه ﷺ في حديث آخر ما معناه أن من الناس من هو سريع الغضب سريع الفيء، فهذا بذاك، ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيء، فكذلك، وخيرهم من يكون بطيء الغضب سريع الرجوع، وشرهم عكس ذلك». هذا وقال الطيبي: ولما توهموا معنى التمييز وتخوفوا من الفضيحة سكتوا حتى كرر ثلاثاً ثم أبرز البيان في معرض العموم لئلا يفضحوا فقال: خيركم»، والتقسيم العقلي يقتضي أربعة أقسام ذكر منها اثنين ترغيباً وترهيباً وترك قسمين لأنه ليس فيها ترغيب وترهيب. (**رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح**). وفي الجامع الصغير «خيركم من يرجى خيره»[1] الحديث. رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس، وأحمد والترمذي عن أبي هريرة، ورواه أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي هريرة بلفظ «ألا أخبركم بخيرك من شركم، خيركم من يرجى خيره» الخ. وروى ابن عساكر عن معاذ بلفظ «ألا أنبئكم بشر الناس من أكل وحده ومنع رفده وسافر وحده وضرب عبده، ألا أنبئكم بشر من هذا، من يبغض الناس ويبغضونه، ألا أنبئكم بشر من هذا، من يخشى شره ولا يرجى خيره، ألا أنبئكم بشر من هذا من باع آخرته بدنيا غيره، ألا أنبئكم بشر من هذا من أكل الدنيا بالدين».

٤٩٩٤ ـ (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قسم»**) بالتخفيف، ويجوز تشديده، ففي القاموس قسمه، وقسمه جزأه، والمعنى قدر بمقدار معين (**«بينكم أخلاقكم»**) أي أعمالكم وأحوالكم (**«كما قسم بينكم أرزاقكم»**) أي أموالكم سواء حرامكم وحلالكم كما قال تعالى: ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا**﴾ [الزخرف ـ ٣٢] إلى أن قال: ﴿**ورحمة ربك خير مما يجمعون**﴾ [الزخرف ـ ٣٢] اللهم فحسن أخلاقنا وطيب أرزاقنا (**«إن الله يعطي الدنيا»**) أي الأرزاق الدنيوية الدنية (**«من يحب»**) أي من يحبه من

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٠ الحديث رقم ٤١١٣.

الحديث رقم ٤٩٩٤: أخرجه البيهقي في كشف الإيمان ٤/ ٣٩٥ الحديث رقم ٥٥٢٤ وأحمد في المسند ١/ ٣٨٧.

ومن لا يحب، لا يعطي الدينَ إلا من أحب فمن أعطاه الله الدينَ فقد أحبَّه، والذي نفسي بيده لا يُسْلم عبدٌ حتى يسلم قلبُه ولسانه، ولا يؤمنُ حتى يأمنَ جارهُ بوائقَه».

الأنبياء والأولياء كسليمان وعثمان (**«ومن لا يحب»**) أي ويعطيها أيضاً من لا يحبه كفرعون وهامان قال تعالى: **﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾** [الإسراء ـ ٢٠] أي ممنوعاً **﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾** [الإسراء ـ ٢١] (**«ولا يعطي الدين»**) أي الأخلاق الحسنة والآداب المستحسنة (**«إلا من أحب»**)، قال بعض العارفين: التصوّف هو الخلق، فمن زاد عليك بخلق حسن فقد زاد عليك في التصوّف (**«فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»**) أي سواء أعطاه الدنيا أم لا، ولا يتوهم أن من جمع له بين الأرزاق الدنيوية والأخلاق الدينية أنه أفضل ممن اقتصر له على الدين مع قدر كفايته من الدنيا كما يتبادر إلى فهم أرباب العقول الناقصة، فإنه ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من أحب آخرته أضر بدنياه، ومن أحب دنياه أضر بآخرته، فآثروا ما يبقى على ما يفنى». وفي رواية قال: «أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة». وورد أن سليمان عليه السلام يدخل الجنة بعد الأنبياء بخمسمائة عام، وعبد الرحمن بن عوف مع كونه من العشرة المبشرة يدخل الجنة حبواً، وحاصل المسألة يرجع إلى القول: «بأن الفقير الصابر أفضل أم الغني الشاكر» وإجماع الصوفية وأكثر العلماء على الأول، بل قال بعضهم: «الفقير الشاكر أفضل»، وقال بعضهم: التفويض والتسليم أكمل، وهو كذلك، لكن ليس له دخل في البحث، بل فيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** [الإسراء ـ ٣٠] قد بسطت في الجملة هذه المسألة في شرح حزب الفتح للشيخ أبي الحسن البكري، والعاقل يكفيه الإشارة ولا يحتاج إلى تطويل العبارة، ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب الأحياء (**«والذي نفسي بيده لا يسلم عبد»**) أي إسلاماً كاملاً مطابقاً اسمه لمسماه من العبودية وموافقاً وصفه لما أخذه من الإسلام والسلامة، وحاصله أن مدار الخلق الحسن على ترك الإساءة وإحسان القلب واللسان إذ هما منبع الأخلاق، وأحدهما ترجمان الآخر، فإن الإناء يترشح بما فيه (**«حتى يسلم قلبه ولسانه»**). وفي نسخة يسلم بفتحتين بمعنى ينقاد (**«ولا يؤمن»**) أي عبد إيماناً تاماً (**«حتى يأمن جاره»**) أي خصوصاً أو مثلاً (**«بوائقه»**) أي شرور. قال الطيبي: قوله: إن الله تعالى يعطي الدنيا كالنشر لما لف قبله، وأشار بالدنيا إلى الأرزاق، وبالدين إلى الأخلاق ليشعر بأن الرزق الذي يقابل الخلق هو الدنيا وليس من الدين في شيء، وأن الأخلاق الحميدة ليست غير الدين. قال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** [القلم ـ ٤] ثم أتى بما يفضل الدين من الأعمال الخارجة والداخلة من الانقياد والتصديق كما في حديث جبريل عليه السلام «أتاكم يعلّمكم أمر دينكم بعد ذكر الإسلام والإيمان، وفسرهما بما ينبىء عن الأخلاق، وخص القلب واللسان بالذكر لأن مدار الإنسان عليهما كما ورد في المثل «المرء بأصغريه»، فإسلام اللسان كفه عما فيه آفاته، وهي لا تكاد تنحصر، وإسلام القلب تطهيره عن العقائد الباطلة والآراء الزائغة والأخلاق الذميمة ثم تحليتهما بما يخالفهما.

٤٩٩٥ ـ (٤٩) وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المؤمن يَألَفُ لا خيرَ فيمن لا يألفَ ولا يُؤلف» رواهما أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٤٩٩٦ ـ (٥٠) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأحدٍ من أمَّتي حاجةً يريد أن يَسرَّه بها فقد سرَّني، ومن سرَّني فقد سرَّ الله، ومن سرَّ الله أدخلهُ اللّهُ الجنةَ».

٤٩٩٧ ـ (٥١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أغاثَ ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرةً،

٤٩٩٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المؤمن يألف»**) بفتح اللام مصدر ميمي استعمل في معنى الفاعل والمفعول أي يألف ويؤلف كما في رواية، ويؤيده آخر الحديث أيضاً. وقال الطيبي: يحتمل أن يكون مصدراً على سبيل المبالغة كرجل عدل يعني إذا لم يألف صاحبه ألف معه وإذا ائتلف ائتلف، أو اسم مكان أي يكون مكان الإلفة ومنشؤها ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها، (**«ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»**) لأن التألف سبب الاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الاجتماع بين المسلمين، وبضده يحصل التفرقة بهم وهو بتوفيق الله وتأليفه. وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**﴾ [آل عمران ـ ١٠٢] (**رواهما**) أي الحديثين (**أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**). وفي الجامع الصغير روى الحديث الثاني أحمد عن سهل بن سعد، ورواه الدارقطني في الأفراد، والضياء عن جابر ولفظه: «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس».

٤٩٩٦ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأحد من أمتي»**) أي أمة الإجابة (**«حاجة»**) أي دينية أو دنيوية (**«يريد أن يسره»**) أي أحد أمتي (**«بها»**) أي بقضاء حاجته (**«فقد سرني»**) أي فإني أسر بسرور جميع أمتي (**«ومن سرني فقد سر الله»**) أي أرضاه (**«ومن سر الله أدخله الجنة»**) أي وأحسن مثواه، وفي الجامع الصغير «من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن حج أو اعتمر». رواه الخطيب عن أنس. «ومن قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره». رواه أبو نعيم في الحلية عن أنس أيضاً[(١)].

٤٩٩٧ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: «من أغاث ملهوفاً»**) أي ضعيفاً متحيراً، وفي النهاية مكروباً (**«كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة»**) حكمة

الحديث رقم ٤٩٩٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٧٠ الحديث رقم ٨١١٩، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٠.

الحديث رقم ٤٩٩٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١١١ الحديث رقم ٧٦٣٥.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٩ الحديث رقم ٨٩٦٠.

الحديث رقم ٤٩٩٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٠ الحديث رقم ٧٦٧٠.

واحدةٌ فيها صلاحُ أمره كلِّه، وثنتان وسبعون له درجاتٌ يوم القيامة».

٤٩٩٨ ـ (٥٢)، ٤٩٩٩ ـ (٥٣) وعنه، وعن عبد الله، قالا: قال رسول الله ﷺ: «الخلق عيالُ الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسنَ إلى عياله». روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان».

العدد مفوّض إلى صاحب الوحي، ولعل فيه إشارة إلى أن مثوبته مزيدة بوصف الجمعية على العدد المشهور في الكثرة، ويمكن أن يكون بالنظر إلى صاحب الحساب عدد الثلاث مأخوذ من الثلاثة الحروف في آخر الملهوف، وعدد السبعين من مجموع الميم واللام، وهذا من أنواع التعمية والإبهام والله أعلم بالمرام. (**«واحدة فيها صلاح أمره كله»**) أي في الدنيا (**«وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة»**)، فيه إشارة خفية إلى بشارة جلية وهي أن المغفرة الواحدة تعم جميع ذنوبه في الدنيا، ويعوّض عن سائر أعداد المغفرة بالدرجات العلى في العقبى، ولعل هذا الحديث مأخذ ما قاله بعض العلماء كالنووي وغيره «أن المكفرات إذا اجتمعت، فتتوجه أوّلاً إلى محو الصغائر، ثم إلى تخفيف الكبائر من السيئات، ثم تكون سبباً لرفع الدرجات العاليات». وقال الطيبي: فيه «إن غفران الذنوب مقدمة على فتح باب رحمة الله تعالى في الدنيا والعقبى»، ومن ثم قدمها في قوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح ـ ٢] على قوله: ﴿**ويتم نعمته عليك ويهديك**﴾ [الفتح ـ ٢] لأن التحلية بعد التخلية اهـ، فتأمل يظهر لك ما لا يخفى.

٤٩٩٨ ـ ٤٩٩٩ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (**وعن**) بالعاطف مع إعادة العامل ليصح العطف على الضمير المجرور على القول المشهور (**عبد الله**) أي ابن مسعود (**قالا:**) أي كلاهما (**قال رسول الله ﷺ**: **«الخلق عيال الله»**) عيال المرء بكسر العين من يعوله ويقوم برزقه وإنفاقه، وهو بالنسبة إلى غيره مجاز صورة وإلا فهو الرزاق كما أنه هو الخلاق، وقد قال تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها**﴾ [هود ـ ٦] (**«فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله»**) أي من هيىء ووفق إلى الإحسان إلى خلقه تعالى كما ورد «خير الناس أنفعهم للناس»، وفي الجامع الصغير «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»، وقال: رواه أبو يعلى في مسنده، والبزار عن أنس، والطبراني عن ابن مسعود. (**روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان**)، ولعله عدل عن الضمير بأن يقول: رواها إلى الاسم الظاهر تنصيصاً على العدد لئلا يلتبس بالتثنية لفظاً أو معنى، ثم الحديث الثاني منها أسنده في الجامع الصغير إلى البخاري في تاريخه عنه أيضاً.

الحديث رقم ٤٩٩٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٠ الحديث رقم ٧٦٧٠.

الحديث رقم ٤٩٩٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٢ الحديث رقم ٧٤٤٧ و٧٤٤٨.

٥٠٠٠ ـ (٥٤) وعن عقبةَ بن عامرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أولُ خصمين يوم القيامة جاران». رواه أحمد.

٥٠٠١ ـ (٥٥) وعن أبي هريرة، أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ قَسْوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين». رواه أحمد.

٥٠٠٠ ـ (**وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوّل خصمين»**) أي متخاصمين بعد خصام أهل الدار (**«يوم القيامة جاران»**) أي فيما حصل من الأذى أو وقع تقصير من حقوق واجب الأداء، وقال السيوطي ورد أوّل «ما يحاسب به العبد صلاته»، وورد «أوّل ما يقضى بين الناس الدم»، ولا تنافي لأن ذلك بالنسبة إلى المظالم كذا في الزجاجة حاشية على ابن ماجه، وحاصله أن «أوّل ما يحاسب العبد فيما بينه وبين ربه هو الصلاة لفضلها على سائر العبادات، وأوّل ما يقضى من حقوق العباد قتل النفس، فإنه أكبر الخطيئات»، وأما هذا الحديث فمقيد باختصام خصمين وقع الذنب من كل منهما نوع تقصير، وإن فرض أن التقصير من أحدهما، وإطلاق الخصمين على التغليب أو المشاكلة كقوله تعالى: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ [الشورى ـ ٤٠] فالأول إضافية، ولعل المراد منه الصغائر دون الكبائر والله أعلم. (**رواه أحمد**)، وكذا الطبراني عنه.

٥٠٠١ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**«أن رجلاً شكا»**) ينبغي أن يكتب بالألف كدعا وعفا، ويجوز كتابتها بالياء أيضاً لأن شكيت لغة في شكوت (**«إلى النبي ﷺ قسوة قلبه»**) أي قساوته وشدته وقلة رقته وعدم إلفته ورحمته (**«قال: امسح رأس اليتيم»**) لتتذكر الموت فيغتنم الحياة، فإن القسوة منشؤها الغفلة (**«واطعم المسكين»**) لترى آثار نعمة الله عليك حيث أغناك وأحوج إليك سواك، فيرق قلبك ويزول قسوته؛ ولعل وجه تخصيصهما بالذكر أن الرحمة على الصغير والكبير موجبة لرحمة الله تعالى على عبده المتخلق ببعض صفاته، فينزل عليه الرحمة ويرتفع عنه القسوة، وحاصله أنه لا بد من ارتكاب أسباب تحصيل الأخلاق بالمعالجة العلمية أو بالعملية أو بالمعجون المركب منهما على ما بينه في الأحياء. وقال الطيبي: خصهما بالذكر تلميحاً إلى قوله تعالى: ﴿**أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة**﴾ [البلد، ١٤ ـ ١٦] ومراعاتهما من اقتحام العقبة الشاقة لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس، فمن اقتحم تلك العقبة يرق قلبه وتسمح نفسه في تعاطي كل خير، وفيه أن من ابتلي بداء من الأخلاق الذميمة يكون تداركه بما يضاده من الدواء، فالتكبر يداوى بالتواضع، والبخل بالسماحة وقاسي القلب بالتعطف والرقة. (**رواه أحمد**).

الحديث رقم ٥٠٠٠: أحمد في المسند ٤/ ١٥١.

الحديث رقم ٥٠٠١: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٦٣.

٥٠٠٢ ـ (٥٦) وعن سراقة بن مالك، أن النبي ﷺ قال: «ألا أدلُّكم على أفضلِ الصدقة؟ ابنتُك مردودةً إليك ليس لها كاسبٌ غيرك» [٣٧٤ ـ ب ـ] رواه ماجه.

(١٦) باب الحب في الله ومن الله

الفصل الأول

٥٠٠٣ ـ (١) عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح جنودٌ

٥٠٠٢ ـ **(وعن سراقة)** بضم السين **(ابن مالك)** أي ابن جعشم المدلجي صحابي مشهور **(أن النبي ﷺ قال: ألا أدلكم على أفضل الصدقة ابنتك»)** بالرفع أي هو صدقتها **(«مردودة»)** بالنصب على الحالية أي مطلقة **(«راجعة إليك ليس لها كاسب»)** أي منفق عليها **(«غيرك»)** بالرفع على الوصفية، وفي نسخة بالنصب على الاستثناء لكنه ضعيف، لأن الصحيح في ذي الحال أن يكون معرفة. هذا وفي النهاية المردودة هي التي تطلق وترد إلى بيت أبيها، وأراد ألا أدلك على أفضل أهل الصدقة، فحذف المضاف. قال الطيبي: ويمكن أن تقدر صدقة تستحقها ابنتك في حال ردها إليك وليس لها كاسب غيرك، وهما حالان إما مترادفان أو متداخلتان والله أعلم. **(رواه ابن ماجه)**.

باب الحب في الله ومن الله

الحب في الله أي في ذات الله وجهته لا يشوبه الرياء والهوى، ومن الله أي من جهة الله أي إذا أحب عبداً أحبه لأجل الله وسببه، ومن ههنا كما في قوله تعالى: **﴿تفيض من الدمع﴾** [المائدة ـ ٨٣] وفي كما قوله تعالى: **﴿والذين جاهدوا فينا﴾** [العنكبوت ـ ٦٩] وهو أبلغ من حيث جعل المحبة مظروفاً كذا حققه الطيبي، وفيه أن مآلهما إلى معنى واحد، والظاهر أن مراده من عنوان الباب فضيلة الحب لله وما يترتب عليه من الحب من جانب الله كما سيصرح الأحاديث الآتية بهذا المعنى، فالصواب أن يقال: إن في تعليلية، ومن ابتدائية والمعنى حب العبد لعبد لأجل رضا الرب، والحب الكائن من الله للعبد، والثاني نتيجة الأول كما في الشريعة أو مقدمة له كما في الطريقة، أو هو محفوف بهما كما في الحقيقة على ما حقق في قوله تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة ـ ٥٤] وقوله تعالى: **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾** [آل عمران ـ ٣١] والله أعلم.

(الفصل الأوّل)

٥٠٠٣ ـ **(عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الأرواح»)** أي أرواح الإنسان **(«جنود»)**

الحديث رقم ٥٠٠٢: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٠٩ الحديث رقم ٣٦٦٧، وأحمد في المسند ٤/ ١٧٥.

الحديث رقم ٥٠٠٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٦٩ الحديث رقم ٣٣٣٦، ومسلم في ٤/ ٢٠٣١ =

مجندة، ما تعارف منها ائتلفَ، وما تناكر منها اختلف».

جمع جند أي جموع («مجندة») بفتح النون المشددة أي مجتمعة متقابلة أو مختلطة منها حزب الله ﴿ألا أن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة ـ ٢٢] ومنها حزب الشيطان ﴿ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة ـ ١٩] وفي قوله تعالى: ﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ [الفتح ـ ٤] إشارة إلى أن الجندين أحدهما علوي الهمة والآخر سفلي النهمة («فما تعارف منها») التعارف جريان المعرفة بين اثنين والتناكر ضده أي فما تعرف بعضها من بعض قبل حلولها في الأبدان («ائتلف») بهمزة وصل ثم همزة ساكنة تبدل ألفاً في الوصل جوازاً وتبدل ياء حال الابتداء وجوباً أي حصل بينهما الإلفة والرأفة حال اجتماعهما بالأجساد في الدنيا («وما تناكر منها») أي في عالم الأرواح («اختلف») أي في عالم الأشباح، والأفراد والتذكير في الفعلين باعتبار لفظ ما، والمراد منه بطريق الإجمال والله أعلم بحقية الحال. إن الأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على مراتب مختلفة وشواكل متباينة، وكل ما شاكل منها في عالم الأمر في شاكلته تعارفت في عالم الخلق وائتلفت واجتمعت، وكل ما كان على غير ذلك في عالم الأمر تناكرت في عالم الخلق، فاختلفت وافترقت. فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه، وبالتناكر ما بينهما من التنافر والتباين، فتارة على وجه الكمال وتارة على وجه النقصان، إذ قد يوجد كل من التعارف والتناكر بأدنى مشاكلة بينهما إما ظاهراً وإما باطناً، وتحقيقه بطول وتخاف من أعراض الملول واعتراض الفضول. هذا وقيل: هذا الاجتماع كان يوم الميثاق فمن تقابل منهم اثنان يومئذ يأتلفان في الدنيا غاية المؤالفة ومن تدابر منهم شخصان يختلفان في نهاية المخالفة، ومن وقع في الاجتناب له مشاركة من مشاكلة كل باب كالمنافقين وأشباههم مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ثم لا يمنع من هذا التعارف والتناكر وصلة الأجانب وشجنة الأقارب.

كانت مودة سلمان له نسباً ... ولم يكن بين نوح وابنه رحم

ولا يدفعه بعد الدار ولا يجمعه قرب المزار.

مناسبة الأرواح بيني وبينها ... وإلا فأين الترك من ساكني نجد

قال حكيم: أقرب القرب مودة القلب، وإن تباعد جسم أحدهما من الثاني، وأبعد البعد تنافر التداني، وفي النهاية قوله: «جنود مجندة» أي مجموعة، كما يقال ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة، ومعناه الاخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد أي أنها خلقت أول خلقتها على قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجندة المجموعة إذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الأرواح ما جعلها الله عليها من السعادة والشقاوة والأخلاق في مبدأ الخلق. يقول: «إن الأجساد التي فيها الأرواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا

= الحديث رقم (١٥٩ ـ ٢٦٣٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٩٩ الحديث رقم ٤٨٣٤، وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٥.

رواه البخاري.

٥٠٠٤ ـ (٢) ورواه مسلم عن أبي هريرة.

٥٠٠٥ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحبَّ أحداً دعا جبريلَ فقال: إني أحب فلاناً فأحبَّهُ، قال: فيحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في السماء

ترى الخير يحب الأخيار ويميل إليهم والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم، اهـ، وفيه الإشارة إلى المناسبة بين الحديث وعنوان الباب لا سيما وهو صدر الخطاب، وفي شرح السنة فيه دليل على «أن الأرواح ليست بأعراض، وعلى أنها كانت موجودة قبل الأجساد في الخلقة». **(رواه البخاري)** أي عن عائشة.

٥٠٠٤ ـ **(ورواه مسلم عن أبي هريرة)**. وفي الجامع الصغير: رواه البخاري عن عائشة، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن مسعود، ورجاله رجال الصحيح وزاد فيه تلتقي فتشأم كما تشأم الخيل. قال البيهقي: سألت الحاكم عن معناه فقال: «المؤمن والكافر لا يسكن قلبه إلا إلى شكله»، ورواه مسلم عن أبي هريرة أيضاً بلفظ «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف، وما تناكر منها في الله اختلف»(١).

٥٠٠٥ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا أحب عبداً»)** أي إذا أراد إظهار محبته لعبد من عباده وهي إما من صفات الذات، فمعناها إرادة الخير أو من صفات الأفعال، فهي بمعنى إكرامه له وإحسانه به وإنعامه عليه **(«دعا جبريل»)** يدل على جلالته من حيث خصه من بين أفراد الملائكة فيكون أفضل من إسرافيل وميكائيل وسائر حملة العرش والملائكة المقربين، ويحتمل أن يكون وجه تخصيصه لكونه سفيراً بين الله ورسله المبعوثين إلى المخلوقين **(«فقال:»)** أي الله **(«إني أحب فلاناً»)**، وفي عدم ذكر سبب لمحبته من أوصاف عبده إشارة إلى أن أفعاله تعالى مبرأة عن الأغراض والعلل، بل يترتب على محبته تعالى محبة العبد إياه بسلوك سبيله واتباع رسله، ودوام اشتغاله بذكره، ودعائه وثنائه، والشوق إلى رضائه ولقائه، **(«فأحبه»)** أي أنت أيضاً زيادة لإكرام العبد وإلا فكفى بالله محباً ومحبوباً وطالباً ومطلوباً وحامداً ومحموداً **(«قال:»)** أي رسول الله ﷺ **(«فيحبه جبريل»)** أي ضرورة عدم عصيانه أمر ربه فيحبه لحبه، وهذا من المحبة في الله أي لا يحبه لغرض سوى مرضاة مولاه، ومحبة جبريل دعاؤه واستغفاره له والميل إلى الاجتماع به ونحو ذلك **(«ثم ينادي»)** أي جبريل بأمر الملك الجليل **(«في السماء»)** أي في أهل السماء كما في قرينته الآتية، والمعنى بحيث يصل بسماع

الحديث رقم ٥٠٠٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣١ الحديث رقم (١٥٩ ـ ٢٦٣٨).

(١) الجامع الصغير ١/ ١٨٣ الحديث رقم ٣٠٥٠.

الحديث رقم ٥٠٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٠٣ الحديث رقم ٣٢٠٩، ومسلم في ٤/ ٢٠٣٠ الحديث رقم (١٥٧ ـ ٢٦٣٧)، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٣ الحديث رقم ١٥ من باب ما جاء في المتحابين، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٧.

فيقولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحبُّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ يوضعُ له القَبُولُ في الأرض. وإذا أبغضَ عبداً دعا جبريلَ فيقولُ: إني أبغضُ فلاناً فأبغضْه. قال: فيبغضُه جبريلُ، ثمَّ يُنادي في أهلِ السماءِ: إِنَّ اللَّهَ يبغضُ فلاناً فأبغضوه. قال: فيبغضونه. يوضعُ له البغضاءُ في الأرض». رواه مسلم.

كلامه إلى أهلها كلهم (**«فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء»**) أي جميعهم (**«ثم يوضع له القبول»**)، وهو من آثار المحبة، ثم هذا الوضع ابتداء من جبريل أو غيره (**«في الأرض»**) أي في قلوب أهلها من أهل المحبة، فلا يرد أن كثيراً من الأولياء ليس لهم قبول عند أهل الدنيا لأن العبرة بخواص الأنام لا بالعوام كالأنعام، (**«وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فابغضه قال: فيبغضه جبريل»**). قال النووي: محبة الله العبد هي إرادة الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته، وبغضه إرادة عقوبته وشقاوته ونحو ذلك، وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم له، وثانيهما أن محبتهم على ظاهرها المعروفة من المخلوقين، وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه قلت: هذا هو الأظهر لأنه متى صح حمل اللفظ على معناه الحقيقي فلا وجه للعدول عنه إلى المجاز مع أن المعنى الأوّل متفرع على الثاني قال: وسبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله محبوباً له قلت: كونه مطيعاً إما سابقاً أو لاحقاً كما حقق في مرتبتي السالك والمجذوب، والمريد والمراد. قال: ومعنى يوضع له القبول في الأرض الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه. وقد جاء في رواية «فتوضع له المحبة». قال الطيبي: والكلام في المحبة وبيان اشتقاقها مضى مستوفى في أسماء الله الحسنى قلت: وبقي كثير محله كتاب الأحياء (**«ثم ينادي»**) أي جبريل (**«في أهل السماء إن الله»**) بالكسر على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين على أن في النداء معنى القول. ذكره ابن الملك، ويحتمل أن يكون بالفتح كما في بعض النسخ على إضمار الباء كما ذكره المفسرون في قوله تعالى: ﴿**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله**﴾ [آل عمران ـ ٣١] فإن جمهور القراء فيه على الفتح وقد يفرق بينهما بأن إن إذا كان مكسورة تكون من جملة المنادي بخلاف ما إذا كانت مفتوحة، وحاصله أنه سبحانه (**«يبغض فلاناً فابغضوه»**) وفيه إشعار بأن الملأ الأعلى ليس لهم شعور بمحبوبه تعالى ومبغوضه إلا بإعلامه إياه، ثم مثل هذا المحبوب والمبغوض لا ينقلب حكمه لئلا يلزم خلف في أخباره تعالى (**«قال: فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض»**. **رواه مسلم**). وفي الدر المنثور عند قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً**﴾ [مريم ـ ٩٦] أخرج الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: سيجعل لهم الرحمن وداً ما هو؟ قال: المحبة في صدور المؤمنين والملائكة المقربين، يا علي إن الله أعطى المقت والمحبة والحلاوة والمهابة في صدور الصالحين»، وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن وداً قال: يحبهم ويحببهم، وأخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: «إذا

٥٠٠٦ ـ (٤) وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يقولُ يومَ القيامةِ: أينَ المتحابُّونَ بجلالي؟ اليومَ أُظلُّهم في ظِلي يومَ لا ظلَّ إلاَّ ظِلي». رواه مسلم.

٥٠٠٧ ـ (٥) وعنه، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ رجلاً زارَ أخاً

أحب الله عبداً نادى جبريل عليه السلام إني قد أحببت فلاناً فأحبه، فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قول الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ [مريم ـ ٩٦] وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل أني قد أبغضت فلاناً فينادي في أهل السماء، ثم ينزل له البغضاء[(١)] في الأرض» اهـ. فحديث المشكاة متفق عليه في المعنى.

٥٠٠٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة:)** أي على رؤوس الأشهاد تعظيماً لبعض العباد من العباد **(«أين المتحابون بجلالي»)** أي بسبب عظمتي ولأجل تعظيمي، أو الذين يكون التحابب بينهم لأجل رضا جنابي وجزاء ثوابي، قال الطيبي: الباء فيه بمعنى في وفيه ما فيه، قال: وخص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة والسطوة أي المنزهون عن شائبة الهوى والنفس والشيطان في المحبة فلا يتحابون إلا لأجلي ولوجهي قلت: ويمكن أن يكون من باب الاكتفاء والتقدير بجلالي وجمالي أي المتحابون لي أي في حالتي القبض والبسط والخوف والرجاء والمحنة والمنحة، فيفيد دوام تحابيهم **(«اليوم»)**. قال شارح: ظرف متعلق بأين. قلت: الأظهر أنه ظرف لقوله: **(«أظلهم في ظلي»)** أي أدخلهم في ظل حمايتي أو أريحهم من حرارة الموقف راحة من استظل، أو أظلهم في ظل عرشي وهو الأظهر فتدبر. ويؤيده ما رواه الطبراني في الكبير عن أيوب «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت تحت العرش» وقوله: **(«يوم لا ظل إلا ظلي»)** بدل من اليوم المتقدم كما قاله الطيبي أو منصوب بتقدير أعني وهو الأظهر. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي: الظاهر أنه في ظل الله عن الحر ووهج الموقف، وقال عيسى بن دينار: هو كناية عن كونه في كنفه وستره، ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض، ويحتمل أن يكون عبارة عن الراحة والتنعم. يقال: هو في عيش ظليل أي طيب. ذكره الطيبي، وأوسط الأقوال إذ لا يصح إسناد الظل حقيقة إلى الله تعالى فيتعين تأويله بارتكاب المجاز أو بحذف المضاف وما أبعد الاحتمال الأخير إذ يصير التقدير أنعمهم في نعمتي، ولكن التقليد متغلب على الأمي وحسب الشيء يصم ويعمي. **(رواه مسلم)**، وكذا أحمد.

٥٠٠٧ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(عن النبي ﷺ: «إن رجلاً زار أخاً له»)** أي أراد زيارة

---

(١) في المخطوطة «البغض».

الحديث رقم ٥٠٠٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٨ الحديث رقم (٣٧ ـ ٢٥٦٦)، والترمذي في السنن ٤/ ٥١٦ الحديث رقم ٢٣٩٠، والدارمي في ٢/ ٤٠٣ الحديث رقم ٢٧٥٧، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٢ الحديث رقم ١٣ من باب جاء في المتحابين في الله، وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٨.

الحديث رقم ٥٠٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٨ الحديث رقم (٣٨ ـ ٢٥٦٧).

له في قريةٍ أخرى، فأرصدَ اللَّهُ له على مَدْرجتِهِ ملَكاً قال: أينَ تُريدُ؟ قال: أُريدُ أخاً لي في هذِه القريةِ. هلْ لكَ عليه من نعمةٍ تَرُبُّها؟ قال: لا، غيرَ أني أحببْتُه في اللَّهِ.

أخيه المسلم أو متؤاخيه في الله وهو أعم من أن يكون أخاه حقيقة أو مجازاً («**في قرية أخرى**») أي غير مكان الزائر («**فأرصد الله له على مدرجته**») أي أعد وهيأ أو أقعد في طريقه («**ملكاً**»)، وفي النهاية أي وكله بحفظ مدرجته. يقال: رصدته إذا قعدت له على طريقه تترقبه اهـ فقوله تعالى: ﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾ [الفجر ـ ١٤] فيه تجريد، والمعنى أنه مراقب للعباد. قال: المدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق سمي بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون اهـ، والأظهر أن المدرجة من الطريق مكان مرتفع يمشي فيه درجة درجة في الطلوع والنزول، ومنه مدرجة منى التي هي وصلة إلى منى يعرفها من ذهب في طريق المعرفة إلى عرفات، الهنا من هنا («**قال:** ») استئناف جواب لمن قال وما بعد ذلك قال: أي الملك للزائر («**أين تريد**»). الظاهر أن هذا من باب تجاهل العارف مع ما فيه من التورية حيث إن مقصوده الأصلي من تريد، ولما كان من القواعد المقررة أن من أحب شيئاً أكثر ذكره، والإناء يترشح بما فيه («**قال:** ») أي الزائر (**أريد أخاً**) أي زيارة أخ («**لي**») أي مختصاً لي («**في هذه القربة**»)، ولعل تعيينها علم بالإشارة، وأطنب في الكلام ليتضمن المرام على نوع من أسلوب الحكيم فكأنه قال له: لا تسأل عن المحل واكتف بالسؤال عن الحال، فإن هذا طريق أرباب الحال بلا محال. قال الطيبي: فإن قلت: كيف طابق هذا سؤاله بقوله: أين تريد قلت: من حيث إن السؤال متضمن لقوله: أين تتوجه، ومن تقصد ولما كان قصده الأولى الزيارة ذكره وترك ما لا يهمه، قلت: هذا إنما يتم لو لم يقل: في هذه القرية، ونظيره قوله: ﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى**﴾ [طه ـ ٨٤] لما كان الغرض من السؤال في استعجاله إنكار تركه القوم وراءه وتقدمه عليهم قدمه في الجواب وأخر ما وقع السؤال عنه. قلت: في كونه نظيراً له نظر، بل مثال له بحسب المعنى، وتوضيحه ما ذكره البيضاوي من أن قوله تعالى: ﴿**وما أعجلك عن قومك يا موسى**﴾ سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارها من حيث إنها نقيصة في نفسها انضم إليها إغفال القوم وإبهام التعظيم عليهم، فلذلك أجاب موسى عن الأمرين وقدم جواب الإنكار لأنه أهم. قال: هم أولاء على أثري أي ما تقدم عنهم إلا بخطا يسيرة لا يعتد بها إعادة وليس بيني وبينهم إلا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضاً، وعجلت إليك رب لترضى، فإن المسارعة إلى امتثال أمرك والوفاء بوعدك يوجب مرضاتك اهـ. («**قال:** ») أي الملك للزائر («**هل لك عليه**») أي على المزور («**من نعمة تربُّها**») بضم الراء والموحدة المشددة أي تقوم بإصلاحها وإتمامها أي هل هو مملوكك أو ولدك أو غيرهما ممن هو في نفقتك وشفقتك لتحسن إليه، من رب فلان الضيعة أي أصلحها وأتمها، وفي بعض النسخ «هل له عليك من نعمة تربها؟ أي تقوم بشكرها، ثم قيل: نعمة مبتدأ ومن زائدة ولك خبره وعليه متعلق بحال محذوف أي هل لك نعمة داعية على زيارته تربها أي تحفظها أو تستزيدها بالقيام على شكرها، وقال الطيبي: أي هل أوجبت عليه شيئاً من النعم الدنيوية تذهب إليها فتربها أي تملكها منه وتستوفيها («**قال: لا، غير أني أحببته في الله**») أي

قال: فإني رسولُ الله إليكَ بأنَّ اللّهَ قدْ أحبَّكَ كما أحببتَه فيه». رواه مسلم.

٥٠٠٨ ـ (٦) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيفَ تقولُ في رجلٍ أحبَّ قوماً ولم يَلحقْ بهم؟ فقال: «المرءُ معَ مَنْ أحبَّ». متفق عليه.

٥٠٠٩ ـ (٧) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! متى السَّاعةُ؟

ليس لي داعية إلى زيارته إلا محبتي إياه في طلب مرضاة الله (**«قال:»**) أي الملك (**«فإني رسول الله ﷺ إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه»**)، ولعل وجه التشبيه أنه كما أحبه من غير سبب دنيوي كذلك الحق أحبه من غير باعث آخر من عمل أخروي، ويمكن أن تكون الكاف للتعليل كقوله تعالى: ﴿**واذكروا كما هداكم**﴾ [البقرة ـ ١٩٨] قال النووي: فيه فضل المحبة في الله وأنها سبب لحب الله وفضيلة زيارة الصالحين، وأن الإنسان قد يرى الملائكة، قلت: رؤية غير الأنبياء والرسل من المؤمنين للملائكة على صور البشر أمر واضح ثبت في صدر الكتاب في حديث جبريل وغيره، وإنما يقال هنا: فيه دليل على إرسال الله الملائكة إلى الأولياء ومخاطبته إياهم بتبليغ المرام زيادة على مرتبة الإلهام؛ والظاهر أن هذا من خصائص الأمم السابقة تحقيقاً الختم النبوّة والله سبحانه أعلم. (**رواه مسلم**).

٥٠٠٨ ـ (**وعن ابن مسعود قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً»**) أي من العلماء أو الصلحاء (**«ولم يلحق بهم»**) أي بالصحبة أو العلم أو العمل أو بمجموعهما أي لم يصاحبهم ولم يعامل معاملتهم وقيل: أي لم يرهم (**«فقال المرء: مع من أحب»**) أي يحشر مع محبوبه ويكون رفيقاً لمطلوبه قال تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾ [النساء ـ ٦٩] الآية. وظاهر الحديث العموم الشامل للصالح والطالح، ويؤيده حديث «المرء على دين خليله» كما سيأتي، ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد. (**متفق عليه**). وفي الجامع الصغير «المرء مع من أحب»[١] رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس، والشيخان أيضاً عن ابن مسعود، وفي رواية للترمذي عن أنس «المرء مع من أحب وله ما اكتسب»[٢].

٥٠٠٩ ـ (**وعن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة:**) أي وقت قيام القيامة ولما

الحديث رقم ٥٠٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٥٧ الحديث رقم ٦١٦٩ ومسلم في ٤/ ٢٠٣٤ الحديث رقم (١٦٥ ـ ٢٦٤٠)، وأبو داود في السنن ٥/ ٣٤٤ الحديث رقم ٥١٢٦، والترمذي في السنن ٤/ ٥١٤ الحديث رقم ٢٣٨٧، والدارمي في ٢/ ٤١٤ الحديث رقم ٢٧٨٧، وأحمد في المسند ١/ ٣٩٢.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٠ الحديث رقم ٩١٩٠. (٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٠ الحديث رقم ٩١٩١.

الحديث رقم ٥٠٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٥٣ الحديث رقم ٦١٦٧، ومسلم في ٤/ ٢٠٣٢، الحديث رقم (١٦١ ـ ٢٦٣٩)، والدارمي في السنن ٢/ ٤١٤ الحديث رقم ٢٧٨٧، وأحمد في المسند ٣/ ١٦٨.

قال: «وَيلكَ! وما أعدَدْتَ لها؟». قال: ما أعدَدتُ لها إلاّ أني أُحبُّ اللّهَ ورسولَه. قال: «أنتَ معَ مَنْ أحبَبتَ». قال أنسٌ: فما رأيتُ المسلمينَ فرِحوا بشيءٍ بعدَ الإِسلامِ فرحَهم بها.

كان السؤال محتملاً لأن يكون تعنتاً وإنكاراً لها وأن يكون تصديقاً بها وإشفاقاً منها واشتياقها للقاء بها («قال:») امتحاناً له (**«ويلك وما أعددت لها»**) وإلا لو تحقق عنده ﷺ إيمانه بها وإيقانه لها لقال له: ويحك بدل ويلك (**«قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله»**) ولم يذكر غيره من العبادات القلبية والبدنية والمالية لأنها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها ولأن المحبة هي أعلى منازل السائرين وأغلى مقامات الطائرين، فإنها باعثة لمحبة الله أو نتيجة لها قال تعالى: **﴿يحبهم ويحبونه﴾** [المائدة ـ ٥٤] وقال: **﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**، فكان من المعلوم الواضح عندهم أن المحبة المجردة من غير المتابعة ليس لها كثير فائدة ولا كبير عائدة (**«قال: أنت مع من أحببت»**) أي ملحق بمن غلب محبته على محبة غيره من النفس والأهل. والمال ومدخل في زمرته ومن علامة المحبة الصادقة أن يختار أمر المحبوب ونهيه على مراد غيره، ولذا قالت رابعة العدوية:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقال الطيبي: سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم لأنه سأل عن وقت الساعة فقيل له: فيم أنت من ذكراها، وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها وتعتني بما ينفعك عند إرسالها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة، فأجاب بقوله: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله اهـ. وبعده من المبني والمعنى لا يخفى (**قال أنس: «فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام»**) أي بعد فرحهم به أو دخولهم فيه (**«فرحهم»**) بفتحات أي كفرحهم (**«بها»**) أي بتلك الكلمة، وهي «أنت مع من أحببت». قال الخطابي: ألحقه عليه السلام بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة اهـ، ولا يخلو عن إيهام وإبهام، والتحقيق أنهم حسبوا أن لا تحصل المعية بمجرد المحبة مع وجود المتابعة، بل تتوقف على كثرة العبادات وزيادة الرياضات والمجاهدات، ويدل عليه ما أورده عماد الدين ابن كثير في تفسيره بإسناده إلى عائشة قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وأني لأكون في البيت فاذكرك فما أصبر حتى آتيك فانظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلت الجنة خشيت أن لا أراك» فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزلت: **﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾** [النساء ـ ٦٩] فتبين بهذا أن المراد بالمعية هنا معية خاصة، وهي أن تحصل فيها الملاقاة بين المحب والمحبوب أنهما يكونان في درجة واحدة لأنه بديهي البطلان. وقد روي مالك عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراؤون في الجنة كما تراؤون أو ترون الكوكب الدري الغارب في

متفق عليه.

٥٠١٠ - (٨) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله [٣٧٥ - أ -] ﷺ: «مثلُ الجليسِ الصالحِ والسَّوءِ، كحامل المسكِ ونافخ الكيرِ؛ فحاملُ المسكِ إمَّا أن يُحذيكَ وإمَّا أن تبتاعَ منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحاً طيِّبةً؛ ونافخُ الكيرِ إمَّا أن يُحرِقَ ثيابَكَ، وإمَّا أنْ تجدَ منه ريحاً خبيثةً».

الأفق الطالع في تفاضل الدرجات، قالوا: يا رسول الله أولئك النبيون قال: بلى والذي نفسي بيده أقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»، يعني وأنهم عملوا بمقتضى إيمانهم وتصديقهم ما يدل على إيقانهم وتحقيقهم، ثم جاء في حديث بيان كيفية الملاقاة المذكورة وهو ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير، حدثنا المثنى، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قوله تعالى: ﴿**ومن يطع الله ورسوله**﴾ [النساء - ١٣] الآية. قال: إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: قد علمنا أن النبي ﷺ له فضل على من آمن به في درجات الجنات وعلى من اتبعه وصدقه، وكيف لهم إذا اجتمعوا في الجنة أن يرى بعضهم بعضاً فأنزل الله في ذلك يعني هذه الآية فقال: يعني رسول الله ﷺ: «إن الأعلين ينحدرون إلى من هو أسفل منهم، فيجتمعون في رياضها فيذكرون ما أنعم الله عليهم، ويثنون عليه، وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون وما يدعون به، فهم في روضة يحبرون ويتنعمون»، ثم الظاهر أن هذه المعية والمواجهة والمجالسة تختلف باختلاف حسن المعاملة والله أعلم. (**متفق عليه**).

٥٠١٠ - (**وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس»**) أي المجالس (**«الصالح والسوء»**) بفتح السين ويضم أي والجليس الصالح (**«كحامل المسك»**) ناظر إلى الأوّل (**«ونافخ الكير»**) بكسر الكاف زق ينفخ فيه الحدّاد، وأما المبنى من الطين فكور كذا في القاموس (**«فحامل المسك أما أن يحذيك»**) من الأحذاء أي يعطيك مجاناً (**«وإما أن تبتاع منه»**) أي تشتري (**«وإما أن تجد منه رائحة طيبة»**)، وهذا بيان أقل المنفعة (**«ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك»**) من الاحراق أي يكون سبباً للإحراق أو التقدير يحرق بناره ثيابك، ولعله وقع اختصاراً حيث لم يقل: إما أن يحرق أعضاءك أو ثيابك (**«وأما أن تجد منه ريحاً خبيثة»**) أي دخانه وهذا أقل المضرة، والمعنى فعليك بمحبة الأوّل ومصاحبته وإياك، ومودة الثاني ومرافقته، قيل: فيه إرشاد إلى الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى الاجتناب عن صحبة الأشرار والفساق فإنها تضر ديناً ودنيا، قيل: «مصاحبة الأخيار تورث الخير ومصاحبة الأشرار تورث الشر كالريح إذا هبت على الطيب عبقت طيباً، وإن مرت على النتن حملت نتناً وقيل: إذا جالست الحمقى علق بك من حماقتهم ما لا يعلق بك من العقل إذا

الحديث رقم ٥٠١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٦٦٠ الحديث رقم ٥٥٣٤، ومسلم في ٤/ ٢٠٢٦ الحديث رقم (١٤٦ - ٢١٢٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٦٦ الحديث رقم ٤٨٢٩، وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٨.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٠١١ ـ (٩) عن معاذِ بن جبلٍ، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللّهُ تعالى: وجَبَتْ محبَّتي للمتحابّينَ فيَّ، والمتجالسينَ فيَّ، والمتزاورينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيّ». رواه مالك. وفي رواية الترمذيِّ، قال: «يقولُ اللّهُ تعالى: المتحابُّونَ في جلالي

جالست العقلاء لأن الفساد أسرع إلى الناس وأشد اقتحاماً في الطبائع». والحاصل أن الصحبة تؤثر، ولذا قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة ـ ١٨٩] وقال بعض العارفين: «كونوا مع الله، فإن لم تقدروا أن تكونوا مع الله فكونوا من يكون مع الله». وتفصيل هذه المسألة وتفصيل الخلطة والعزلة في الأحياء بطريق الاستقصاء. **(متفق عليه)**. وفي الجامع الصغير «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبر الحداد لا يعديك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة»[١]. رواه البخاري عن أبي موسى «مثل الجليس الصالح مثل العطار إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه»[٢]. رواه أبو داود والحاكم عن أنس «مثل المؤمن كمثل العطار إن جالسته نفعك وإن ماشيته نفعك وإن شاركته نفعك»[٣]. رواه الطبراني عن ابن عمر والله أعلم.

(الفصل الثاني)

٥٠١١ ـ **(عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبت)** أي ثبتت أو تقدمت **(«محبتي للمتحابين في»)** بتشديد التحتية أي لأجلي **(«والمتجالسين في»)** أي في حبي أو سبيلي **(«والمتزاورين في»)** بأن يزور بعضهم بعضاً لعيادة ونحوها **(«والمتباذلين»)** أي بأن يبذل بعضهم لبعض المال **(«فيّ»)** أي في رضائي. **(رواه مالك»)**. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن معاذ[٤]، **(وفي رواية الترمذي)** بالإضافة **(«قال: يقول الله تعالى: المتحابون في جلالي»)** أي لأجل إجلالي وتعظيمي أو هو من

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٧ الحديث رقم ٨١٣٠.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٧ الحديث رقم ٨١٣١.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٨ الحديث رقم ٨١٤٤.

الحديث رقم ٥٠١١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥١٥ الحديث رقم ٢٣٩٠، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٣ الحديث رقم ١٦ وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٧.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥ الحديث رقم ٦٠٣٨.

لهم منابرُ من نورٍ يغبِطهم النبيُّونَ والشهداءُ».

باب الاكتفاء كما سبق («لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء») بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر وهي تمني نعمة على أن لا تتحوّل عن صاحبها بخلاف الحسد، فإنه تمنى زوالها عن صاحبها، فالغبطة في الحقيقة عبارة عن حسن الحال كذا قيل، وفي القاموس الغبطة حسن الحال والمسرة فمعناها الحقيقي مطابق للمعنى اللغوي، فمعنى الحديث يستحسن أحوالهم الأنبياء والشهداء وبهذا يزول الإشكال الذي تحير فيه العلماء. وفي الجامع الصغير «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش»[(١)]. رواه الطبراني عن أبي أيوب. وقال القاضي كل ما يتحلى به الإنسان أو يتعاطاه من علم وعمل فإن له عند الله منزلة لا يشاركه فيه صاحبه ممن لم يتصف بذلك، وإن كان له من نوع آخر ما هو أرفع قدراً وأعز ذخراً فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك مضموماً إلى ماله من المراتب الرفيعة والمنازل الشريفة، وذلك معنى قوله: ﴿يغبطهم النبيون والشهداء﴾ فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق وإعلاء الدين وإرشاد العامة والخاصة إلى غير ذلك من كليات أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات، والقيام بحقوقها والشهداء وإن نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الأكبر، فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله ودوا لو كانوا ضامين خصالهم، فيكونون جامعين بين الحسنتين فائزين بالمرتبتين، هذا والظاهر أنه لم يقصد في ذلك إلى إثبات الغبطة لهم على حال هؤلاء بل بيان فضلهم وعلوّ شأنهم وارتفاع مكانهم وتقريرها على آكد وجه وأبلغه، والمعنى أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ مع جلالة قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبطوهم، وقال الطيبي: يمكن أن تحمل الغبطة هنا على استحسان الأمر المرضي المحمود فعله لأنه لا يغبط إلا في الأمر المحبوب المرضي، كأن الأنبياء والشهداء يحمدون إليهم فعلهم ويرضون عنهم فيما اتجروا من المحبة في الله، ويعضده ما رويناه في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله ﷺ بتبوك قال: فتبرز رسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر للوضوء وحملت معه أداوة ثم أقبلنا حتى نجد الناس قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة الأخيرة، فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله ﷺ يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح، فلما قضى رسول الله ﷺ أقبل عليهم ثم قال: «أحسنتم» أو قال: أصبتم يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها[(٢)]، فقوله: يغبطهم الخ كلام الراوي تفسيراً وبياناً لقوله ﷺ: «أحسنتم أو أصبتم» قال: وأيضاً لا يبعد أن هذه الحالة في المحشر قبل دخول الناس في الجنة أو النار لقوله يعني في الحديث الآتي «لا يخافون إذا خاف الناس»، والتعريف للاستغراق فيحصل لهؤلاء الأمن والفراغ في بعض الأوقات ما لا يحصل لغيرهم لاشتغالهم بحال أنفسهم أو حال أمتهم فيغبطونهم لذلك

---

(١) الجامع الصغير ٥٤٩/٢ الحديث رقم ٩١٦٧.

(٢) مسلم في صحيحه ٣١٧/١ الحديث رقم (١٠٥ ـ ٢٧٤).

٥٠١٢ ـ (١٠) وعن عُمَرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عبادِ الله لأُناساً ما هُم بأنبياءَ ولا شهداءَ يغبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامةِ بمكانهم من اللَّهِ». قالوا: يا رسولَ الله! تخبرُنا مَن هُم؟ قال: «هُم قومٌ تحابُّوا بروحِ الله،

اهـ. وقوله: فيحصل لهؤلاء الأمن ما لا يحصل لغيرهم غير صحيح لقوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن**﴾ [الأنعام ـ ٨٢] وأيضاً تصوّر أمن المتحابين وخوف الأنبياء على أنفسهم خطأ فاحش لأنه يلزم منه تفضيل الأولياء على الأنبياء كما يشعر به ظاهر الحديث، والعلماء عاملون في تأويله بوجه يزيل الإشكال والله أعلم بالحال. وكذا قول بعض الشراح: «يغبطهم وقت الحساب قبل دخولهم الجنة يعني هم على المنابر والخلق في الحساب» اهـ، وهو بظاهره عدول عن صوب الصواب.

٥٠١٢ ـ **(وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله»)** أي الكاملين في الإيمان العاملين بالإحسان **(«لأناساً»)** أي جماعة عظيمة من الأولياء **(«ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء»)** أي ممن فاتهم التزاور، وإلا فالتحابب والتجالس لله بين كل نبي وأمته حاصل بلا شبهة اللهم إلا أن يراد بالتحابب ونحوه وجود الفعل بين المتماثلين **(«والشهداء»)** أي ممن فاتهم المجالسة ونحوها **(«يوم القيامة بمكانهم»)** أي بمنزلة الأولياء المتحابين ومكانتهم ومرتبتهم الزائدة على غيرهم **(«من الله»)** أي من قربه سبحانه **(«قالوا: يا رسول الله تخبرنا»)** بهمزة مقدرة وهو أقرب إلى الأدب أو خبر معناه الأمر بمعنى الالتماس أي أخبرنا **(«من هم قال: هم قوم تحابوا»)** اقتصر عليه لأن ما سبق من التجالس والتزاور والتبادل فرع التحابب، والمعنى تحابب بعضهم بعضاً **(«بروح الله»)** بضم الراء وهو ما يحيا به الخلق ويكون حياة لهم، وفي بعض النسخ بفتحها، ففي النهاية الروح بفتح الراء نسيم الريح، فالمعنى أنه بإذن الله أو بنفحة من نفحاته، ومنه ما روي «أني لأجد نفسي الرحمن من قبل اليمن»، وأن لله في أيام دهركم نفحات إلا فتعرضوا لها، ففيه إيماء إلى أن هذه النعمة لم تحصل لكل أحد، ولا توجد في كل وقت لأنها تتوقف على جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين، فالتحابب سبب التجاذب، وأما رواية الضم، فقال القاضي: الروح بضم الراء قيل: أراد به هنا القرآن لقوله تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾ [الشورى ـ ٥٢] سمي بذلك لأنه يحيا به القلب كما يحيا بالروح البدن، والمعنى أنهم يتحابون بداعية الإسلام، ومتابعة القرآن وما حثهم عليه من موالاة المسلمين ومصادقتهم اهـ. وخلاصته أن السبب الداعي إلى تحاببهم هو الوحي المنزل الهادي إلى سواء السبيل لا شيء آخر من الأغراض، وقيل: المراد من الروح المحبة، فإنه يقال: أنت روحي أي محبوبي كالروح أي تحابوا بما ألقى الله في قلوبهم من المحبة الخالصة لله عزَّ وجلّ، وأما قول الطيبي ومنه قوله تعالى: ﴿**فأرسلنا إليها روحنا**﴾ [مريم ـ ١٧] فبعيد جداً، إذا المراد به جبريل باتفاق المفسرين وسمي روحاً لأن الدين يحيا به ووحيه

الحديث رقم ٥٠١٢: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٧٩٩ الحديث رقم ٣٥٢٧، وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٣.

على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطَونَها، فوَالله إنَّ وُجوهَهم لنورٌ، وإنَّهم لعلى نورٍ، لا يخافونَ إذا خافَ النَّاس، ولا يحزنونَ إذا حزنَ النَّاسُ» وقرأ هذه الآية: **﴿إلاَّ إنَّ أولياء اللَّهِ لا خوفٌ عليهم ولا هُم يحزنونَ﴾**. رواه أبو داود.

٥٠١٣ ـ (١١) ورواه في «شرح السنة» عن أبي مالك بلفظ «المصابيح» مع زوائد وكذا في «شعب الإيمان».

(**«على غير أرحام»**) أي حال كون تحاببهم على غير أرحام (**«بينهم»**) أي بغير سبب نسب صوري بل لأجل قرب معنوي (**«ولا أموال»**) أي ولا اشتراك أموال (**«يتعاطونها»**) أي بالمعاملة أو المجاملة، ولما كانت الأغراض الفاسدة في المحبة منحصرة في أنها إما أن تكون للقرابة على ما هو مركوز في الطبائع أو للمال من حيث إنه مطمح الأطماع اقتصر عليهما، والمقصود تحسين النية وتزيين الطوية (**«فوالله أن وجوههم لنور»**) أي منورة أو ذات نوراً وهي نفس النور مبالغة كرجل عدل (**«وأنهم لعلى نور»**) أي على منابر من نور كما جاء في حديث آخر قال القاضي: وهو تمثيل لمنزلتهم ومحلهم مثلها بما هو أعلى ما يجلس عليه في المجالس والمحافل على أعز الأوضاع وأشرفها من جنس ما هو أبهى وأحسن ما يشاهد ليدل على أن رتبتهم في الغاية القصوى من العلاء والشرف والبهاء اهـ. وعبر عنها بالنور مبالغة «فهم نور على نور في غاية من الظهور ولهم سرور على سرور» (**«لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»**) بكسر الزاي (**«وقرأ»**) أي النبي ﷺ استشهاداً للفقرة الأخيرة من الحديث أو قرأ الصحابي اعتضاداً (**هذه الآية «إلا»**) للتنبيه (**﴿إن أولياء الله﴾**) أي المتقون الأعم من المتحابين (**﴿لا خوف عليهم﴾**) أي يوم القيامة من لحوق عقاب (**﴿ولا هم يحزنون﴾**) من فوت ثواب. (**رواه أبو داود**) أي عن عمر بلفظ المشكاة.

٥٠١٣ ـ (**ورواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي بإسناده (**عن أبي مالك**). قال المؤلف في فصل الصحابة: هو كعب بن عاصم الأشعري، كذا قاله البخاري في التاريخ وغيره، روى عنه جماعة مات في خلافة عمر ـ (**بلفظ المصابيح مع زوائد**) أي مع كلمات زائدة أو مع زوائد فوائد على حديث أبي داود ـ (**وكذا**) أي مثل حديث المصابيح (**في شعب الإيمان**) أي للبيهقي ولفظ المصابيح هكذا عن أبي مالك الأشعري أنه قال: كنت عند النبي ﷺ إذ قال: «إن لله عزّ وجلّ عباد ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة» فقال أعرابي: حدثنا من هم؟ فقال: «هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نوراً

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٢.

الحديث رقم ٥٠١٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٥٣ الحديث رقم ٣٤٦٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٨٦ الحديث رقم ٨٩٩٨.

٥٠١٤ ـ (١٢) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ لأبي ذرٍّ: «يا أبا ذرّ! أيُّ عُرى الإيمانِ أوثقُ؟» قال: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «الموالاةُ في اللَّهِ، والحبُّ في اللَّه، والبُغضُ في الله». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٠١٥ ـ (١٣) وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا عادَ المسلمُ أخاهُ أوْ زارَه

ويجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن». قال ابن مالك في شرحه: هذا عبارة عن قرب المنزلة من الله عزَّ وجلّ، وقال شارح آخر قوله: قدم الرحمن أي قدام عرش الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون. قال ابن الملك: الفرق بين الفزع والخوف أن الفزع أشد أنواع الخوف وقيل: الفزع خوف مع جبن، والخوف غم يلحق الإنسان بسبب أمر مكروه سيقع اهـ، والأظهر في الفرق أن المراد بالفزع هنا الاستغاثة على ما في القاموس، وهي تنشأ من خوف العقوبة، وقد تكون من طمع تعلية الدرجة والله أعلم. هذا وكان حق المؤلف أن يصدر الحديث بقوله عن ابن مالك، ويأتي بالحديث على ما في المصابيح بمقتضى أصله فيقول: رواه البيهقي في الشعب، وكذا رواه في شرح السنة، ثم يقول: ورواه أبو داود ونحوه مع تغيير يسير، لكن من رواية عمر لأن التصنيف معهما أمكن حقه أن لا يغير.

٥٠١٤ ـ (**وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر أي عرى الإيمان»**) بضم عين وفتح راء جمع عروة، وهي في الأصل ما يتعلق به من طرف الدلو والكوز ونحوهما فاستعير لما يتمسك به في أمر الدين يتعلق به من شعب الإيمان وقوله: (**«أوثق»**) أي أحكم (**«قال: الله ورسوله أعلم»**)، ولعل الحكمة في السؤال بأن يقع الجواب في حال التوجه إليه وإقبال الفكر عليه فهو بمنزلة التأكيد لديه (**«قال: المولاة في الله»**) أي المعاونة والمحابة من الطرفين (**«والحب في الله»**) أي لأجله ولو من طرف واحد كحبنا لبعض أولياء الله ممن لم يرنا ولا نراه (**«والبغض في الله»**) أي في سبيله قال تعالى: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ [المجادلة ـ ٢٢] الآية. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**)، ورواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عزَّ وجلّ». وروى أبو داود والضياء عن أبي أمامة مرفوعاً «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»(١)، وفي رواية فقد استكمل إيمانه.

٥٠١٥ ـ (**وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إذا عاد المسلم أخاه**) أي مريضاً (**أو زاره**)

الحديث رقم ٥٠١٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٧٠ الحديث رقم ٩٥١٤.

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٦٠ الحديث رقم ٤٦٨١.

الحديث رقم ٥٠١٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ٢٠٠٨، وابن ماجه في ١/ ٤٦٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٤.

قال اللَّهُ تعالى: طبتَ وطاب مَمشاكَ، وتبوَّأتَ منَ الجنَّةِ منزِلاً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٠١٦ ـ (١٤) وعن المقدامِ بن معد يكرب، عن النبيِّ ﷺ، قال [٣٧٥ ـ ب ـ]: «إِذا أحبَّ الرجلُ أخاهُ فليُخبرهُ أنَّه يحبُّه». رواه أبو داود، والترمذي.

أي صحيحاً. فأو للتنويع، ويحتمل أن تكون للشك بناء على تغليب أحدهما أو نظر الأصل المعنى اللغوي لأن العيادة والزيارة متقاربان في المعنى إلا أن العيادة تستعمل غالباً في المرض، والزيارة في الصحة، والأظهر أن الزيارة أعم في العيادة كما أن كلاً منهما أخص من العبادة **(قال الله تعالى)** أي بلا واسطة أو على ألسنة بعض الملائكة **(«طبت»)** بكسر الطاء أي صرت طيب العيش في الآخرة أو حصل لك طيب عيش فيها وهو إخبار، ويحتمل الدعاء **(«وطاب ممشاك»)** أي صار مشيك سبب طيب عيشك فيها، كذا ذكره بعض الشراح ولا بعد في تعميم طيب العيش ليشمل طيب الحياة في الدنيا بالقناعة والرضاء وبركة الرزق وسعة القلب وحسن الخلق وتوفيق العلم والعمل، ويمكن أن يكون الطيب كناية عن قبول نيته وشكر سعيه **(«وتبوأت من الجنة منزلاً»)** أي هيأت منها بهذه العيادة منزلة عظيمة ومرتبة جسيمة، فإن إدخال السرور في قلب المؤمن أفضل من عبادة الثقلين لا سيما والعيادة فرض كفاية، وفيها موعظة وعبرة وتذكرة وتنبيه على استغنام الصحة والحياة، ورفع الهموم الزائدة نسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة، **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٠١٦ ـ **(وعن المقدام بن معدي كرب)** مر ذكره **(عن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»)** أي ليحبه أيضاً أو ليدعوه لمحبة الله له كما سيأتي فيكونا من المتحابين. قال الخطابي: معناه الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له قبل نصحه ولم يرد عليه قوله في عيب أن أخبره به نفسه. **(رواه أبو داود والترمذي)** وقال: حسن صحيح. قال ميرك: ورواه النسائي في اليوم والليلة اهـ. وفي الجامع الصغير «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه». رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود الترمذي والحاكم وابن حبان عن المقدام وابن حبان أيضاً عن أنس[(١)]، وفي رواية لأحمد والضياء عن أبي ذر بلفظ «إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله»[(٢)]. ورواه البيهقي وأبو نعيم في الحلية، إذا أحببت رجلاً فلا تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحداً فعسى أن توافي له عدوّاً فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه»[(٣)].

الحديث رقم ٥٠١٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٣ الحديث رقم ٥١٢٤، والترمذي في ٤/ ٥١٧ الحديث رقم ٢٣٩٢، وأحمد في المسند ٤/ ١٣٠.

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٨ الحديث رقم ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق الحديث رقم ٣٥٨. (٣) المصدر السابق الحديث رقم ٣٦١.

٥٠١٧ ـ (١٥) وعن أنسٍ، قال: مرَّ رجلٌ بالنبيِّ ﷺ وعندَه ناسٌ. فقال رجلٌ ممَّنْ عنده: إني لأحبُّ هذا لله. فقال النبيُّ ﷺ: «أَعْلَمتَه؟». قال لا. قال: «قُم إليه فأعلِمْه». فقام إليه فأعلمَه فقال: أحبَّكَ الذي أحببتَني له. قال: ثمَّ رجعَ فسألَه النبيُّ ﷺ، فأخبرَه بما قال. فقال النبيُّ ﷺ: «أنتَ معَ من أحببتَ، ولك ما احتسبتَ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». وفي رواية الترمذي: «المرءُ معَ من أحبَّ ولَه ما اكتسبَ».

٥٠١٨ ـ (١٦) وعن أبي سعيد، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك

٥٠١٧ ـ (**وعن أنس قال: مر رجل بالنبي ﷺ وعنده ناس**) جملة حالية (**«فقال رجل ممن عنده: إني لأحب هذا لله فقال النبي ﷺ: أعلمته»**) بهمزة مقدرة محققة أو مسهلة، ويجوز أن يقرأ بهمزة ممدودة على أن الثانية منقلبة (**«قال: لا، قال: قم إليه»**) أي مبادرة (**«فاعلمه فقام إليه فأعلمه فقال:»**) أي الرجل الأول (**«أحبك»**) أي الله، كما في نسخة (**«الذي أحببتني له، قال:»**) أي الراوي (**«ثم رجع»**) أي الرجل الثاني (**«فسأله النبي ﷺ»**) أي عما جرى بينهما أو عما أجاب له (**«فأخبره بما قال: فقال النبي ﷺ: أنت مع من أحببت»**) أي دنيا وأخرى (**«ولك ما احتسبت»**) أي أجر ما احتسبت والاحتساب طلب الثواب، وأصل الاحتساب بالشيء الاعتداد به، ولعله مأخوذ من الحساب أو الحسب، واحتسب بالعمل إذا قصد به مرضاة ربه. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان. وفي رواية الترمذي «المرء مع من أحب وله ما اكتسب»**). قال التوربشتي: وكلا اللفظين قريب من الآخر في المعنى المراد منه. قال الطيبي: وذلك لأن معنى ما اكتسب كسب كسباً يعتد به ولا يرد عليه مسبب الرياء والسمعة، وهذا هو معنى الاحتساب لأن الافتعال للاعتمال. في النهاية الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدد، وإنما قيل لمن ينوي، بعمله وجه الله احتسبه لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في مباشرة الفعل كأنه معتد به، والحسبة اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد. هذا وفي حصن الجزري: «وإذا قال له: إني أحبك»، وفي رواية «في الله، قال: أحبك الذي أحببتني له». رواه النسائي وأبو داود ابن ماجه وابن السني في عمل اليوم والليلة.

٥٠١٨ ـ (**وعن أبي سعيد**) أي الخدري (**أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب»**) أي لا تقصد في المصاحبة (**«إلا مؤمناً»**) أي كاملاً بل مكملاً، أو المراد منه النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين لأن مصاحبتهم مضرة في الدين، فالمراد بالمؤمن جنس المؤمنين (**«ولا يأكل طعامك**

الحديث رقم ٥٠١٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٣٤ الحديث رقم ٥١٢٥، والترمذي في ٤/ ٥١٤ الحديث رقم ٢٣٨٦، وأحمد في المسند ٣/ ١٥٠.
وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٨٩ الحديث رقم ٩٠١١.

الحديث رقم ٥٠١٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٦٧ الحديث رقم ٤٨٣٢ والترمذي في ٤/ ٥١٩ الحديث رقم ٢٣٩٥، والدارمي في ٢/ ١٤٠ الحديث رقم ٢٠٥٧، وأحمد في المسند ٣/ ٣٨.

إِلا تقيٌّ». رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي.

٥٠١٩ - (١٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخالل».

إلا تقي») أي مؤمن أو متورع يصرف قوّة الطعام إلى عبادة الله الملك العلام وأنهى، وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند إلى صاحب الطعام فهو من قبيل لا أرينك ههنا، فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقياً، وفي رواية بزيادة «ولا تأكل طعام تقي فإن طعامه غالباً يكون حلالاً مؤثراً في تحصيل العبادة»، وقال الخطابي: هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة وذلك أنه تعالى قال: **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾** [الإنسان - ٨] ومعلوم أن إسراءهم كانوا كفاراً غير مؤمنين وإنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعم توقع الإلفة والمودة في القلوب. قال الطيبي: فإن قلت: المؤمن يجوز أن يراد به العام، وأن يراد به الخاص الذي يقابله الفاسق كقوله تعالى: **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾** [السجدة - ١٨] فيكون المعنى لا تصاحب إلا صالحاً قلت: المراد بالفاسق الكافر باتفاق المفسرين، ويدل عليه ما بعده من قوله تعالى: **﴿لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾** [السجدة، ١٨ - ٢٠] قال البيضاوي: هذا عبارة عن خلودهم، وفي تفسير السيد معين الدين الصفوي نزلت في علي رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان بينهما تنازع فقال لعلي أنك صبي وأنا والله أبسط لساناً واحد سناناً وأشجع منك جناناً، فقال له علي: اسكت، فإنك فاسق». هكذا قاله عطاء بن يسار والسدي وغيرهما، فالفاسق ههنا معناه الخارج عن الإيمان الثابت على الكفر فلا يشكل بأن الوليد أسلم آخر عمره، قال الطيبي: ولا يأكل نهي لغير التقي أن يأكل طعامه، والمراد نهيه عن أن يتعرض لما لا يأكل التقي طعامه من كسب الحرام وتعاطي ما ينفر عنه التقي، فالمعنى لا تصاحب إلا مطيعاً ولا تخالل الأتقياء» اهـ. وهو في غاية من البهاء غير أنه لا يستقيم به وجه الحصر، فالصواب ما قدمناه والله أعلم. **(رواه الترمذي وأبو داود)** والدارمي وكذا أحمد وابن حبان والحاكم عنه[1].

٥٠١٩ - **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله»)** أي غالباً، والخلة الحقيقية لا تتصوّر إلا في الموافقة الدينية، أو الخلة الظاهرة قد تقضي إلى حصول ما غلب على خليله من الخصلة الدينية ويؤيده قوله: **(«فلينظر أحدكم من يخالل»)** قال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن حبان في ٢/ ٣١٤ الحديث رقم ٥٥٤، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٨.

الحديث رقم ٥٠١٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٦٨ الحديث رقم ٤٨٣٣، والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٣. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٥٥ الحديث رقم ٩٤٣٦.

رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال النووي: إسناده صحيح.

٥٠٢٠ ـ (١٨) وعن يزيد بن نَعامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وممَّن هو؟ فإنه أوصلُ للمودَّة». رواه الترمذي.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة ـ ١١٩] وقال الغزالي: مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري. هذا وفي النهاية الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول، والخلة بالضم الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه اهـ واختلف في أن المحبة أولى أو[(١)] الخلة أعلى، والظاهر الأول وبسطه يطول فيتعين العدول (**رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال النووي**): وفي نسخة بزيادة ألف؛ (**إسناده صحيح**). قال الطيبي: ذكره في رياض الصالحين وغرض المؤلف من إيراده والإطناب فيه دفع الطعن في هذا الحديث ورفع توهم من توهم أنه موضوع قال السيوطي: هذا الحديث أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على المصابيح وقال: إنه موضوع، وقال الحافظ ابن حجر يعني العسقلاني في رده عليه قد حسنه الترمذي وصححه الحاكم[(٢)].

٥٠٢٠ ـ (**وعن يزيد بن نعامة**) بفتح النون والعين المهملة ضبي، روى عنه سعيد بن سلمان وكان قد شهد حنيناً مشركاً ثم أسلم بعد ذلك. قال الترمذي: لا يعرف له سماع من النبي ﷺ ذكره المؤلف في فصل الصحابة، وسيأتي في آخر الحديث أن صحبته مختلف فيها (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجل الرجل»**) بمد الهمزة من المؤاخاة أي [إذا] اتخذه أخاً في الله (**«فليسائله»**) من باب المفاعلة، وفي نسخة فصبحة فليسأل (**عن اسمه واسم أبيه وممن هو**) أي ويسأله من أي قبيلة وقوم هو (**«فإنه»**) أي السؤال عما ذكر (**«أوصل»**) أي أكثر وصلة (**«للمودة»**) أي للمحبة في الأخوة، وفي شرح للمصابيح أوصل أي للمودة (**رواه الترمذي**). وكذا ابن سعد والبخاري في تاريخه عنه، وقال الترمذي: غريب لا نعرف ليزيد سماعاً عن النبي ﷺ اهـ، ورجال إسناده موثقون، ويزيد بن نعامة بفتح النون أبو مردود الضبي، ذكره ابن عبد البر في الصحابة، وحكي عن البخاري أنه قال: إن له صحبة، وقال ابن عبد البر: شهد حنيناً مشركاً ثم أسلم بعد اهـ، والجمهور على أنه تابعي ثقة، قال ابن أبي حاتم لا صحبة له وسئل أبي عنه فقال: صالح الحديث، وقال في تهذيب الكمال الصواب أنه يرسل وهو صدوق روى عن أنس، وروى عنه أبو خلدة وسلام بن مسكين نقله ميرك عن التصحيح

---

(١) في المخطوطة «و».

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٧١/٤.

الحديث رقم ٥٠٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥١٧/٤ الحديث رقم ٢٣٩٢.

الفصل الثالث

٥٠٢١ ـ (١٩) عن أبي ذر، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ قال: «أتدرون أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟» قال قائل؛ الصَّلاةُ والزكاةُ. وقال قائل؛ الجهادُ. قال النبي ﷺ: «إن أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى الحبُّ في الله والبغض في الله».

وخلاصة الخلاف أن الصحبة السابقة على الإسلام هل هي معتدة أم لا، والصحيح الثاني مع اتفاقهم على جواز تحمل الحديث في حال الكفر وتأديته حال الإسلام، فإن صحت له الصحبة والسماع فيها ونعمت، وأن ثبتت الصحبة ولم يصح سماعه، فالحديث من مراسيل الصحابة وهو حجة عند الكل وإلا فالحديث من مراسيل التابعي، وهو غير مضر لأنه حجة عند الجمهور وعليه مذهبنا المنصور. هذا وقد اعتضد الحديث برواية ابن عمر على ما أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ولفظه «إذا أحببت رجلاً فاسأله عن اسمه واسم أبيه فإن كان غائباً حفظته وإن كان مريضاً عدته وإن مات شهدته»(١)، وهذا الحديث كالتفسير للسابق والله أعلم بالحقائق.

(الفصل الثالث)

٥٠٢١ ـ **(عن أبي ذر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ)** أي من الحجرة الشريفة **(قال:)** استئناف بيان جواباً لسؤال مقدر **(«أتدرون أي الأعمال»)** أي أي نوع من أنواعها **(«أحب إلى الله»)** أي أفضل، وأما ما قيل: من أن الأحبية لا تستلزم الأفضلية، ففي هذا المقام غير مستقيمة نعم يتصوّر بالنسبة إلى المخلوق لأن ولده أحب إليه، وليس يلزم منه أنه أفضل، وكذلك علي رضي الله عنه أحب إلى السيد السني مع أنه ليس أفضل من الشيخين، وكذا قد تكون مطالعة علم أو مباشرة عمل أحب عند أحد مع أنه ليس بأفضل عنده أيضاً **(«قال: قائل الصلاة والزكاة»)**. الظاهر أن الواو بمعنى أو، والتقدير وقال قائل: الزكاة **(قال)** وفي نسخة وقال **(قائل: الجهاد، قال النبي ﷺ: «إن أحب الأعمال إلى الله الحب في الله والبغض في الله»)** ويؤيده غبطة الأنبياء والشهداء، ولعل وجه كونه أفضل من أركان الإسلام وعموده أن هذا أمر زائد بعد حصول الفرائض نعم يلزم منه أن يكون أفضل من نوافل العبادات وهو كذلك، ولا محذور فيه، وحاصله أن بعد ارتكاب المأمورات الشرعية، واجتناب المحظورات المنهية، «الحب في الله والبغض لله أفضل العبادات وأكمل الطاعات فعليكم بهما». ومن الواضح المعلوم أنه ليس المراد أنهما أفضل من نحو الصلاة والزكاة بمعنى أنهما يختاران عليهما أو

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩٢ الحديث رقم ٩٠٢٣.

الحديث رقم ٥٠٢١: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٤٦ وأخرج أبو داود الفصل الأخير في السنن ٥/ ٦ الحديث رقم ٤٥٩٩.

رواه أحمد، وروى أبو داود الفصل الأخير.

٥٠٢٢ - (٢٠) وعن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحبُّ عبدٌ عبد الله إلا أَكرم ربَّه عزَّ وجلّ». رواه أحمد.

٥٠٢٣ - (٢١) وعن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: [٣٧٦ - أ -] «خياركم الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله» رواه ابن ماجه.

ثوابهما أكثر من ثوابهما مطلقاً، ويؤيده ما رواه الطبراني عن ابن عباس «أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور في قلب المؤمن». ورواه أيضاً عن الحكيم بن عمير بلفظ «أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع أو دفع عنه مغرماً أو كشف عنه كرباً اهـ». والكل من باب الحب في الله ولا شك أن العبادة المتعدية أفضل من النوافل القاصرة. وقال الطيبي: فإن قلت: «كيف يكون الحب في الله أحب إلى الله من الصلاة والزكاة والجهاد قلت: من أحب في الله يحب أنبياءه وأولياءه ومن شرط محبتهم أن يقفو أثرهم، وكذلك من أبغض في الله أبغض أعداءه وبذل جهده في المجاهدة معهم بالسنان واللسان» اهـ. وهو جواب غير شاف كما لا يخفى ولا مناسبة بينهما في المبنى والمعنى. **(رواه)** أي مجموع الحديث **(أحمد، وروي أبو داود الفصل الأخير)** أي قوله أحب الأعمال الخ، وفي الجامع الصغير رواه أحمد عن أبي ذر بلفظ «أحب الأعمال الحب في الله والبغض في الله»(١).

٥٠٢٢ - **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي **(قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحب عبد عبد الله»)** أي لابتغاء مرضاته **(إلا أكرم ربه)** أي عظمه **(«عز»)** أي بهاؤه **(«وجل»)** أي ثناؤه أو ذاته وصفاته أو عزيز وجليل بغير إعزاز وإجلال وإكرام من مخلوق، كما قال في آية العلم **﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾** [الإسراء - ١١١] **(رواه أحمد)**.

٥٠٢٣ - **(وعن أسماء بنت يزيد)** أي ابن السكن **(أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم»)** جمع خير بمعنى أخبر أي أفاضلكم **«(قالوا: بلى يا رسول الله قال: خياركم الذين إذا رؤوا)»** بصيغة المفعول، وكذا قوله: **(ذكر الله. رواه أحمد)** وسبق الحديث مستوفي بطريق مبانيه وبيان معانيه في أواخر الفصل الثالث من باب حفظ اللسان، وفي الجامع الصغير بلفظ «ألا أنبئكم بخيارك، خياركم الذين إذا رؤوا ذكر الله». رواه أحمد وابن ماجه عنها(٢).

---

(١) الجامع الصغير ١/١٩ الحديث رقم ٢٠٢.

الحديث رقم ٥٠٢٢: أحمد في المسند ٥/٢٥٩.

الحديث رقم ٥٠٢٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٣٧٩ الحديث رقم ٤١١٩.

(٢) الجامع الصغير ١/١٧٢ الحديث رقم ٢٨٨٥.

٥٠٢٤ ـ (٢٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو إنَّ عبدينِ تحابَّا لله عزَّ وجلّ، واحدٌ في المشرق وآخرُ في المغرب؛ لجمع الله بينهما يوم القيامة. يقول: هذا الذي كنت تحبُّه فيَّ».

٥٠٢٥ ـ (٢٣) وعن أبي رَزِينٍ، أنه قال له رسولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّك على ملاك هذا الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ عليك بمجالس أهل الذكر،

٥٠٢٤ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن عبدين تحابا في الله»**) أي تحاببا لله (**«عز»**) أي عدله (**«وجل»**) أي فضله (**«واحد»**) بكسر الحاء ويجوز فتحها، وفي نسخة واحدهما (**«في المشرق وآخر في المغرب»**) أي مثلاً (**«لجمع الله بينهما يوم القيامة»**) أي لشفاعة أحدهما للآخر أو في الجنة على سبيل المصاحبة والمزاورة والمجاورة (**«يقول:»**) أي سيقول أو يقال: ليس عند الله صباح ولا مساء، والأظهر أنه حال من الفاعل، وهو يحتمل أن يقول على لسان ملك أو بغير واسطة لكل واحد منهما (**«هذا الذي كنت تحبه فيّ»**) أي لأجلي.

٥٠٢٥ ـ (**وعن أبي رَزِين**) بفتح الراء وكسر الزاي قال المؤلف: هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي صحابي مشهور. روى عنه ابن عاصم وابن عمر وغيرهما (**أنه قال له رسول الله ﷺ: ألا**) (للتنبيه أو الهمزة للاستفهام الإنكاري ولا للنفي، ونفي النفي إثبات إلا أنه ما أتى ببلي في جوابه وهو غير لازم، وعلى كل ففي الكلام تنبيه على التنبه، فالمعنى تنبه لقولي: (**«ألا أدلك على ملاك هذا الأمر»**) الملاك بكسر الميم ما يتقوم به الشيء، والمشار إليه ما في الذهن وهو مبهم بينه وصفه بقوله: (**«الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة، عليك بمجالس أهل الذكر»**) أي ألزمها جميعها لأنها رياض الجنة على ما رواه الترمذي من حديث أنس مرفوعاً «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة قال: «الذكر»[1]، والمعنى إذا مررتم بجماعة يذكرون الله تعالى فاذكروا الله أنتم أيضاً موافقة لهم فإنهم في رياض الجنة، وفي رواية له من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت: وما رياض الجنة؟ قال: المساجد، قلت: وما الرتع يا رسول الله؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[2]. قال بعض شراح الحديث، الحديث مطلق في المكان والذكر، فيحمل المطلق على المقيد. ذكره ميرك، والصحيح أن المساجد والأذكار المذكورة ذكرها على سبيل المثال، نعم المساجد خير المجالس، فيحمل على أنه خصها لكونها أفضل، والأذكار هن الباقيات الصالحات، وهن من القرآن، ولذا نص عليها وإلا فمجالس الذكر تشمل مجالس العلماء ومحافل الوعاظ والأولياء ممن يكون مجالسهم مشحونة بذكر الله، وما يتعلق به من

الحديث رقم ٥٠٢٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩٢ الحديث رقم ٩٠٢٢.

الحديث رقم ٥٠٢٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩٢ الحديث رقم ٩٠٢٤.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٩٨ الحديث رقم ٣٥١٠.

(٢) الترمذي في السنن ٥/ ٤٩٧ الحديث رقم ٣٥٠٩.

وإذا خلوتَ فحرِّكْ لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحِبَّ في الله وأَبغِضْ في الله، يا أبا رزين! هل شعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه، شيَّعه سبعون ألف ملك، كلهم يصلون عليه ويقولون: ربَّنا إنَّه وصل فيك، فَصِلْهُ؟ فإن استطعت أن تُعمِلَ جسدك في ذلك

معرفة العقائد الحقية والشرائع الدينية من العبادات البدنية والمالية، وما يتعلق بالحلال والحرام والترغيب والترهيب وأمثال ذلك، والله أعلم. («**وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله**»)، ومجمله أنه لا تغفل عن ذكر الله لا في الملأ ولا في الخلاء، فقد روى البزار بإسناد صحيح من حديث ابن عباس مرفوعاً قال: قال الله تبارك وتعالى: «يا ابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً، وإذا ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير من الذي ذكرتني فيهم»(١)، وفي حديث رواه الجماعة ألا أبا داود يقول الله: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»(٢) فقوله في نفسه ظاهر أن المراد به الذكر القلبي لمقابلته بالذكر النفسي الذي هو من جملة الكلام النفسي، ففيه إشارة إلى بيان الأفضل من نوعي الذكر الخفي، وقوله: فحرك لسانك محمول على المبتدىء حيث احتاج إلى أنه يذكر الله بجنانه باستعانة لسانه كما حقق في بحث النية أو إشارة إلى أن الجمع بينهما أكمل وإن كان أحدهما أفضل لما روى أبو يعلى عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفاً، إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال لهم: انظروا أهل بقي له من شيء؛ فيقولون: ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله: إن لك عندي حسناً لا تعلمه وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي» اهـ؛ وفي قوله: «لا تعلمه» إشارة خفية إلى ما قالت الصوفية: من فناء الذاكر في الذكر، وبقائه بالمذكور، كما في قوله تعالى: ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ [الكهف ـ ٢٤] أي نسيت نفسك أو ذكرها أيضاً، بل الشعور عنها والشعور عن عدم الشعور، هو المقام المعبر عنه بفناء الفناء رزقنا الله البقاء واللقاء («**وأحب في الله**») أي من [لا] يعينك على ذكر الله («**وأبغض في الله**») أي من يشغلك عن الله («**يا أبا رزين**») تكرار النداء المستطاب لزيادة الاقتراب ورفع الحجاب («**هل شعرت**») بفتح العين، ويجوز ضمه، ففي القاموس شعر به كنصر وكرم علمه به وفطن، والمعنى هل علمت («**أن الرجل إذا خرج من بيته زائراً أخاه**») أي حال كونه مريداً زيارة أخيه في الله («**شيعه سبعون ألف ملك كلهم يصلون عليه**») أي يدعون له ويستغفرون له أو يثنون عليه («**ويقولون: ربنا أنه وصل**») أي أخاه («**فيك**») أي لأجلك («**فصله**») أي يوصلك المعبر عن قربك جزاء وفاقاً أوصله بصلة من عندك («**فإن استطعت**») أي دائماً («**أن تعمل جسدك**») من الأعمال أي أن قدرت أن تبذل جهدك وتستفرغ طاقتك («**في ذلك**») أي في مجموع ما ذكر أو في الحب في الله والبغض فيه أو في

---

(١) كشف الأستار ٤/ ٦ الحديث رقم ٣٠٦٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٣٨٤ الحديث رقم ٧٤٠٥، ومسلم في ٤/ ٢٠٦٧ الحديث رقم (٢٠ ـ ٢٦٧٥).

فافعل».

٥٠٢٦ ـ (٢٤) وعن أبي هريرة، قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «إِن في الجنة لعُمُداً من ياقوتٍ عليها غُرفٌ من زبرجد، لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدريُّ». فقالوا: يا رسول الله! من يسكنها؟ قال: «المتحابُّون في الله، والمتجالسون في الله، والمتلاقون في الله» روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان».

(١٧) باب

ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

زيارة الأخ لله (**«فافعل»**) أي ولا تمل في حصول العمل رجاء لوصول الأمل.

٥٠٢٦ ـ (**وعن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله ﷺ**) أي وحدي ليترتب فائدة على ذكر الجملة الكونية (**فقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لعمداً»**) بضمتين جمع عمود بمعنى الأسطوانة، وفي نسخة بفتحهما، وقرىء بالوجهين في عمد ممددة، وفي القاموس العمود معروف والجمع أعمدة وعمد وعمد (**«من ياقوت، عليها»**) أي على العمد (**غرف**) بضم ففتح جمع غرفة (**«من زبرجد»**) بفتحتين فسكون ففتح (**«لها»**) أي للغرف (**«أبواب مفتحة»**) إشارة إلى كمال الأمن أو إيماء إلى انتظار مقدم صاحبها (**«تضيء»**) أي الأبواب أو الغرف بما فيها، وأضاء لازم ومتعد (**«كما يضيء الكوكب الدري»**) بضم الدال وبكسر وتشديد الراء والتحتية، وفي القاموس يثلث قال البيضاوي: في قوله تعالى: ﴿**كأنها كوكب دري**﴾ [النور ـ ٣٥] أي مضيء متلألىء كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب إلى الدر، أو فعيل كمريق أي العصفر من الدرء، فإنه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه إلا أنه قلب همزته ياء، ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل، وقراءة أبي عمرو الكسائي دري كشريب أي كثير الشرب، وقد قرىء به مقلوباً أي بكسر الدال وقلب همزته ياء لكنه شاذ قرأ به الزهري (**فقالوا: يا رسول الله من يسكنها»**) أي هذه الغرف (**«قال: المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون»**) أي المتزاورون أو المتصافحون (**«في الله». روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان**)، وروى الحديث الأخير ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان.

باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

الهجر ضد الوصل، والتهاجر أخص من التقاطع، والاتباع بمعنى التتبع والتجسس، والعورة ما في المرء عيب وخلل.

الحديث رقم ٥٠٢٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٨٧ الحديث رقم ٩٠٠٢.

الفصل الأول

٥٠٢٧ ـ (١) عن أبي أيُوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل للرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ،

(الفصل الأوّل)

٥٠٢٧ ـ **(عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لرجل أن يهجر»)** بضم الجيم **(«أخاه»)** أي المسلم، وهو أعم من أخوّة القرابة والصحابة. قال الطيبي: وتخصيصه بالذكر إشعار بالعلية، والمراد به أخوّة الإسلام، ويفهم منه أنه إن خالف هذه الشريطة وقطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاثة اهـ. وفيه أنه [حينئذ] يجب هجرانه وقوله: **(«فوق ثلاث ليال»)** أي بأيامها، وإنما جاز الهجر في ثلاث وما دونه لما جبل عليه الآدمي من الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع فيها ويزول[1] ذلك العرض ذكره السيوطي وقال: أكمل الدين من أئمتنا في الحديث دلالة على حرمة هجران الأخ المسلم فوق ثلاثة أيام، وأما جواز هجرانه في ثلاثة أيام فمفهوم منه لا منطوق، فمن قال بحجية المفهوم كالشافعية جاز له أن يقول بإباحته ومن لا فلا اهـ. وفيه أن الأصل في الأشياء الإباحة، والشارع إنما حرم المهاجرة المقيدة لا المطلقة مع أن في إطلاقها حرجاً عظيماً حيث يلزم منه أن مطلق الغضب المؤدي إلى مطلق الهجران يكون حراماً. قال الخطابي: رخص للمسلم أن يغضب على أخيه ثلاث ليال. لقلته، ولا يجوز فوقها إلا إذا كان الهجران في حق من حقوق الله تعالى، فيجوز فوق ذلك. وفي حاشية السيوطي على الموطأ قال ابن عبد البر: هذا مخصوص بحديث كعب بن مالك ورفيقيه حيث أمر ﷺ أصحابه بهجرهم يعني زيادة على ثلاث إلى أن بلغ خمسين يوماً، قال: وأجمع العلماء على أن من خاف من مكالمة أحد وصلته ما يفسد عليه دينه أو يدخل مضرة في دنياه يجوز له مجانبته وبعده، «ورب صرم جميل خير من مخالطة تؤذيه». وفي النهاية يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب ومواجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع واجبة

الحديث رقم ٥٠٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٩٢ الحديث رقم ٦٠٧٧، ومسلم في ٤/ ١٩٨٤ الحديث رقم (٢٥ ـ ٢٥٦٠)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢١٤ الحديث رقم ٤٩١١، والترمذي في ٤/ ٢٨٨ الحديث رقم ١٩٣٢، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٦ الحديث رقم ١٣ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ١/ ١٧٦.

(١) في المخطوطة «زوال».

يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». متفق عليه.

٥٠٢٨ ـ (٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث،

على مر الأوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق، فإنه ﷺ لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يوماً، وقد هجر نساءه شهراً، وهجرت عائشة ابن الزبير مدة، وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وماتوا متهاجرين، ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر قلت: الأظهر أن يحمل نحو هذا الحديث على المتؤاخيين أو المتساويين بخلاف الوالد مع الولد والأستاذ مع تلميذه، وعليه يحمل ما وقع من السلف والخلف لبعض الخلف، ويمكن أن يقال: الهجرة المحرمة إنما تكون مع العداوة والشحناء كما يدل عليه الحديث الذي يليه، فغيرها إما مباح أو خلاف الأولى (**«يلتقيان»**) أي يتلاقيان، وهو مع ما عطف عليه من قوله: (**«فيعرض هذا»**) أي وجهه عنه (**ويعرض هذا**) استئناف لبيان كيفية الهجران أو حال من فاعل يهجر ومفعوله فيفيد أنه إذا لم يحصل التلاقي والإعراض فلا بأس بالهجران المطلق، وهل يعتبر التثليث أم لا محل بحث أو توقف (**«وخيرهما»**) عطف على لا يحل، وقال الطيبي: عطف على يلتقيان من حيث المعنى لما يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير اهـ؛ وتكلفه بل تعسفه لا يخفى، والمعنى أفضلهما في طريق الأخلاف وحسن المعاشرة (**«الذي يبدأ بالسلام»**) أي ثم الذي يرده، وفيه إيماء إلى أن من لم يرده ليس فيه خير أصلاً، فيجوز هجرانه بل يجب، لأنه بترك رد السلام صار فاسقاً، وإنما يكون البادىء خيرهما لدلالة فعله على أنه أقرب إلى التواضع، وأنسب إلى الصفاء وحسن الخلق، وللإشعار بأنه معترف بالتقصير، وللإيماء إلى حسن العهد وحفظ المودة القديمة أو كأنه بادىء في المحبة والصحبة والله أعلم. قال الأكمل: وفيه حث على إزالة الهجران وأنه يزول بمجرد السلام اهـ. وفيه إيماء بأنه لا ينبغي لمسلم أن يبدأ بالكلام قبل السلام كما ورد فيما سبق. (**متفق عليه**).

٥٠٢٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والظن»**) أي احذروا اتباع الظن في أمر الدين الذي مبناه على اليقين. قال تعالى: ﴿**يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ [يونس ـ ٣٦] قال القاضي: التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع أو التحدث به عند الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه اهـ، أو اجتنبوا الظن في التحديث والأخبار، ويؤيده قوله: (**«فإن الظن»**) في موضع الظاهر زيادة تمكين في ذهن السامع حثاً على الاجتناب (**«أكذب. الحديث»**). ويقويه حديث «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع»[(١)]، وقيل: أي

الحديث رقم ٥٠٢٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٨٤ الحديث رقم ٦٠٦٦، ومسلم في ٤/ ١٩٨٥ الحديث رقم (٢٨ ـ ٢٥٦٣)، وأبو داود في السنن ٥/ ٢١٣ الحديث رقم ٤٩١٠ في الحديث ٤٩١٧، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٧ الحديث رقم ١٤ من كتاب حسن الخلق وأحمد في المسند ٣/ ١١٠.

(١) مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ١٠ الحديث رقم (٥ ـ ٥).

ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا،

أكذب حديث النفس لأنه يكون بإلقاء الشيطان أو «اتقوا سوء الظن بالمسلمين». قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾** [الحجرات - ١٢] وهو ما يستقر عليه صاحبه دون ما يخطر بقلبه أن بعض الظن وهو أن يظن ويتكلم إثم فلا تجسسوا وهو الملائم لقوله (**«ولا تحسسوا ولا تجسسوا»**) بحاء مهملة في الأوّل، وبالجيم في الثاني، فقال ابن الملك: أي لا تطلبوا التطلع على خير أحد ولا على شره وكلاهما منهي عنه لأنه لو اطلعت على خير أَحَدٍ رُبَّما يحصل لك حَسَدٌ بأن لا يكون ذلك الخير فيك، ولو اطلعت على شره تعيبه، وتفضحه. وقد ورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وفي شرح مسلم للنووي قال بعض العلماء: التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل: بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور، وقيل: هما بمعنى، وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة والأحوال قلت: وهذا أقرب الأقوال لكن الأنسب أن يقيد بالأخبار التي تفضي إلى سوء الظن كما تفيده الآية الشريفة، وقد قرىء فيها بالحرفين، لكن الحاء شاذ قال البيضاوي: أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس، وقرىء بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجوّاس اهـ. وقيل: بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور بتلطف، ومنه الجاسوس، وبالحاء تطلب الشيء بالحاسة كاستراق السمع وإبصار الشيء خفية. وقيل: الأوّل التفحص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو غيره، والثاني بنفسه. وقيل: الأوّل مخصوص بالشر والثاني [أعم] (**«ولا تناجشوا»**) من النجش بالجيم والمعجمة. قيل: المراد [به] طلب الترفع والعلو على الناس وهو المناسب لسابقه ولاحقه؛ وقيل: أن يغري بعض بعضاً على الشر والخصومة وهو من نتائج التجسس؛ وقيل: هو الزيادة في الثمن بغير رغبة في السلعة بل ليخدع[1] المشتري بالترغيب من النجش رفع الثمن، وهذا المعنى هو المشهور عند الفقهاء؛ وقيل: النجش بمعنى التنفير أي لا ينفر بعضكم بعضاً بأن يسمعه كلاماً أو يعمل شيئاً يكون سبب نفرته (**«ولا تحاسدوا»**) أي لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض سواء أرادها لنفسه أو لا. قال تعالى: **﴿ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾** [النساء - ٣٢] إلى أن قال: **﴿واسألوا الله من فضله﴾** [النساء - ٣٢] أي مثل تلك النعمة أو أمثل منها، وهذا الحسد المحمود المسمى بالغبطة كما تقدم في حديث لا حسد إلا في اثنتين. الحديث (**«ولا تباغضوا»**) أي لا تختلفوا في الأهواء والمذاهب لأن البدعة في الدين والضلال عن الطريق المستقيم يوجب البغض، كذا قيل؛ والأظهر أن النهي عن التباغض تأكيد للأمر بالتحابب مطلقاً إلا ما يختل به الدين، فإنه لا يجوز حينئذ التحابب، ويجوز التباغض لأن غرض الشارع اجتماع كلمة الأمة لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾** ولا شك أن التحابب سبب الاجتماع، والتباغض موجب الافتراق. فالمعنى لا يبغض بعضكم بعضاً، وقال بعض المحققين: أي لا تشتغلوا بأسباب العداوة [إذ العداوة]

---

(١) في المخطوطة «لينخدع».

ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إِخواناً». وفي رواية: «ولا تنافسوا». متفق عليه.

٥٠٢٩ ـ (٣) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ [٣٧٦ ـ ب ـ]: «تفتحُ

والمحبة مما لا اختيار فيه، فإن البغض من نفار النفس عما ما يرغب [عنه]، وأوّله الكراهة، وأوسطه النفرة، وآخره العداوة، كما أن الحب من انجذاب النفس إلى ما يرغب فيه ومبدؤه الميل، ثم الإرادة، ثم المودة وهما من عزائز الطبع والله أعلم. وقيل: لا توقعوا بين المسلمين فيكون نهياً عن النميمة، لما فيه من تأسيس الفساد، وهذا إذا لم يكن لمصلحة، فإذا دعت كما لو أخبر أن إنساناً يريد الفتك به أو بأهله أو بماله فلا منع، بل قد يكون واجباً (**«ولا تدابروا»**) بحذف إحدى التاءين فيه وفيما قبله من الأفعال الخمسة، ويجوز تشديد التاء وصلاً كما قرأ به البزي، راوي ابن كثير في نحو لا تيمموا أي لا تقاطعوا ولا تولوا ظهوركم عن إخوانكم ولا تعرضوا عنه مأخوذ من الدبر، لأن كلاً من المتقاطعين يولي دبره صاحبه؛ وقيل: معناه لا تغتابوا (**«وكونوا عباد الله إخوانا»**) خبر آخر أو بدل أو هو الخبر، وعباد الله منصوب على الاختصاص بالنداء. قال الطيبي: وهذا الوجه أوقع؛ قلت: بل وقوعه خبراً واقعاً تحت الأمر أوجه لكون هذا الوجه مشعراً بالعلية من حيث العبودية، ويؤيده أن في رواية ضبط عباداً بالنصب، ولله باللام الأجلية، والمعنى أنتم مستوون في كونكم عبيد الله وملتكم واحدة، والتحاسد والتباغض والتقاطع منافية لحالكم، فالواجب أن تعاملوا معاملة الأخوة، والمعاشرة في المودّة، والمعاونة على البر، والنصيحة بكل حسنة. قيل: الأخ النسبي يجمع على الأخوة، قال تعالى: ﴿**فإن كان له إخوة**﴾ [النساء ـ ١١] والمجازي على الإخوان، قال تعالى: ﴿**إخواناً على سرر متقابلين**﴾ [الحجر ـ ٤٧] فقوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ [الحجرات ـ ١٠] للمبالغة، والمفهوم من القاموس عدم الفرق بينهما والله أعلم. وفي رواية «ولا تنافسوا» ظاهره أن محله بعد الكل، ويحتمل أن يكون بدلاً عن إحدى صيغ النهي، ويمكن أن يكون بعد لا تحاسدوا وهو الأظهر، ولذا قال الشراح: التنافس والتحاسد في المعنى واحد وإن اختلفا في الأصل، قلت: لكن التنافس يفيد المبالغة التي قد تفضي إلى المنازعة، فالمعنى «لا تحاسدوا ولا تنازعوا في الأمور الخسيسة الدينية والدنيوية، بل ينبغي أن يكون تنافسكم في الأشياء النفيسة المرضية الأخروية، كما قال تعالى: ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾ [المطففين ـ ٢٦] وما أنفس نفس الشاطبي حيث ذكر مضمون هذا الكلام النفيس بقوله:

«عليك بها ما عشت فيها منافساً ... وبع نفسك الدنيا بأنفاسها العلى»

(**متفق عليه**). وزاد في الجامع الصغير قوله: «ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك، وقال: رواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عنه[1].

٥٠٢٩ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ**: **«يفتح»**) بالتذكير ويؤنث

(١) الجامع الصغير ١/ ١٧٣ الحديث رقم ٢٩٠١.

الحديث رقم ٥٠٢٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧ الحديث رقم (٣٥ ـ ٢٥٦٥)، وأبو داود في =

أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِّ عبد لا يشرك بالله شيئاً إِلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناءُ فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا». رواه مسلم.

٥٠٣٠ ـ (٤) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعْرض

مخففاً مجهولاً («**أبواب الجنة**») أي أبواب طبقاتها أو غرفها ودرجاتها («**يوم الاثنين ويوم الخميس**») أي لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على المغفرة، وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: معنى وإن فتح أبواب الجنة كثرة الصفح والغفران، ورفع المنازل، وإعطاء الثواب الجزيل، ويحتمل أن يكون على ظاهره وإن فتح أبوابها علامة لذلك («**فيغفر**») أي فيهما كما في رواية الجامع الصغير («**لكل عبد لا يشرك بالله**») صفة عبد («**شيئاً**») أي من الإشراك أو من الأشياء أو شيئاً من شرك جلي أو خفي، وفي رواية لكل عبد مؤمن، ولعل المراد به مؤمن كامل («**إلا رجل**») بالرفع في جميع نسخ المشكاة أيَ إلا ذنب رجل، فالمضاف مقدر، وإلا فالظاهر النصب؛ كذا قاله السيد جمال[1] الدين، وفيه أن تقدير المضاف لا يجوز كونه رفعاً، نعم لو روي بالجر لكان له وجه بأن حذف المضاف المنصوب وأبقى المضاف إليه مجروراً على حال أصله. قال الطيبي: والظاهر فيه النصب لأنه[2] استثناء من كلام موجب، ويمكن أن يقال: إن الكلام محمول على المعنى أي لا يبقى ذنب أحد إلا ذنب رجل، ونحوه قوله تعالى: ﴿**فشربوا منه إلا قليل**﴾ [البقرة ـ ٢٤٩] أي فلم يطيعوه إلا قليل منهم اهـ؛ وقراءة الرفع شاذة والمتواترة بالنصب. وقيل: وجه رفعه أنه صفة لكل عبد فإن محله الرفع وإلا بمعنى غير أي غير رجل («**كانت**»)، وفي نسخة كان («**بينه**») أي بين الرجل («**وبين أخيه المسلم شحناء**») فعلاء من الشحن أي عداوة تملأ القلب («**فيقال: انظروا**») بقطع الهمزة وكسر الظاء أي امهلوا («**هذين**») أي الرجلين، وأخروا مغفرتهما من ذنوبهما مطلقاً زجراً لهما أو من ذنب الهجران فقط وهو الأظهر («**حتى يصطلحا**») أي يتصالحا ويزول عنهما الشحناء، فلا يفيد التصالح للسمعة والرياء، والظاهر أن مغفرة كل واحد متوقفة على صفائه وزوال عداوته سواء صفا صاحبه أم لا، والله أعلم. قال الطيبي: وأتى باسم الإشارة بدل الضمير لمزيد التمييز والتعيين [(**رواه مسلم**)، وكذا البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي عنه.

٥٠٣٠ ـ (**وعنه**) أي] عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض»**) بالتذكير ويؤنث

= السنن ٥/ ٢١٦ الحديث رقم ٤٩١٦، والترمذي في ٤/ ٣٢٧ الحديث رقم ٢٠٢٣ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٨ الحديث رقم ١٧ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٨.

(١) في المخطوطة «حلال». (٢) في المخطوطة «أي أنه».

الحديث رقم ٥٠٣٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧ الحديث رقم (٣٦ ـ ٢٥٦٥)، وأبو داود في السنن ٢/ ٨١٤ الحديث رقم ٢٤٣٦، والترمذي في السنن ٣/ ١٢٢ الحديث رقم ٧٤٧، والنسائي في ٤/ ٢٠٢ الحديث رقم ٢٣٥٩، والدارمي في ٢/ ٣٢ الحديث رقم ١٧٥٠ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٩ الحديث رقم ١٨ من كتاب من حسن الخلق، وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٨.

أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكلِّ عبد مؤمن إلا عبداً بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: اتركوا هذين حتى يفيئا». رواه مسلم.

٥٠٣١ ـ (٥) وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذابُ الذي يُصلح بين الناس ويقول خيراً وينمي خيراً».

(«أعمال الناس»)، يحتمل اختصاصه بالمؤمنين، فإنهم الناس («في كل جمعة») بضمتين ويسكن الثاني أي أسبوع («مرتين») أي عرضتين («يوم الاثنين ويوم الخميس») نصب على الظرفية، والأظهر أنهما بدل من مرتين لئلا يتوهم أن العرض مرتين في كل من اليومين. قال القاضي: أراد بالجمعة الأسبوع، وعبر عن الشيء بآخره وما يتم به ويوجد عنده، والمعروض عليه هو الله تعالى أو مَلك وكله الله على جميع صحف الأعمال وضبطها، والأوّل هو الصحيح لما سيأتي به التصريح («إلا عبداً»). قال التوربشتي: وجدناه في كتاب المصابيح إلا عبد على الرفع، وهو في كتاب مسلم بالنصب وهو الأوجه، فإنه استثناء من كلم موجب وبه وردت الرواية الصحيحة («بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتركوا هذين») أو أوقفوا أمر مغفرتهما («حتى يفيئا») مضارع مثنى من فاء إذا رجع أي حتى يرجعا من العداوة إلى المحبة. (رواه مسلم)، ورواه الطبراني عن أسامة بن زيد بلفظ «تعرض الأعمال على الله يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله إلا ما كان من متشاحنين أو قاطع رحم». وفي رواية الحكيم عن والد عبد العزيز ولفظه «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً، فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم»، وبهذه الأحاديث يظهر وجه حكمة النهي عن المهاجرة فوق ثلاث كيلا يقع محروماً عن المغفرة في يومي عرض الأعمال والله أعلم بالأحوال.

٥٠٣١ ـ (وعن أم كلثوم) بضم الكاف ويفتح، ففي المغني بضم كاف وسكون لام وضم مثلثة، وفي القاموس الكلثوم كزنبور الكثير لحم الخدين، وأطلق الزنبور في بابه، فمقتضاه الفتح. قال: وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ ولذا ميزها[1] المؤلف بقوله مبدلاً: («بنت عقبة ابن أبي معيط») بالتصغير أسلمت بمكة وهاجرت ماشية وبايعت، وسبق بقية ترجمتها («قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب») أي ذو الكذب («الذي»)، وفي رواية الجامع بالذي («يصلح بين الناس») أي بكذبه ويقول خيراً أي لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المفتضية إلى الخير، والتقدير كلام خير أو قول خير أي حسناً أو يقول كلام خير الذي ربما سمعه منه ويدع شره عنه («وينمي خيراً») بفتح الياء وكسر الميم أي ويبلغه لهما ما لم يسمعه منهما من الخير بأن يقول: «فلان يسلم عليك ويحبك وما يقول فيك إلا خيراً، ونحو ذلك»،

الحديث رقم ٥٠٣١: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/٢٩٩ الحديث رقم ٢٦٩٢، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠١١ الحديث رقم (١٠١ ـ ٢٦٠٥)، وأحمد في المسند ٦/٤٠٣.

(١) في المخطوطة «أبرزها».

متفق عليه. وزاد مسلم قالت: ولم أسمعْه - تعني النبي ﷺ - يرخص في شيء ممَّا يقول النَّاسُ كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب،

وظاهر الحديث. وقال القاضي: أي يبلغ خير ما سمعه ويدع شره قلت: فلا يظهر وجه نفي الكذب عنه مع أن الكلام في معنى استثناء الكذب، وسيأتي صريح الاستثناء قال: يقال: نميت الحديث مخففاً في الإصلاح، ونميته مثقلاً في الإفساد، وكان الأوّل من النماء لأنه رفع لما يبلغه، والثاني من النميمة قلت: مراده أن أصل الثاني نممته بالميمين وإبدال الثانية كما في تقضي البازي، ولكنه خلاف الظاهر ففي القاموس ذكرهما في مادة واحد. فقال: إنما ينمو زاد كنمى ينمي وأنمى ونمى، والحديث ارتفع ونميته ونميته رفعته، وأنماه أذاعه على وجه النميمة اهـ؛ ومفهومه أن المخفف والمثقل منهما لا فرق بينهما، وإنما الإنماء يستعمل في الإفساد؛ وعبر عنه بالنميمة لا مشتق منها وعلى كل تقدير فينمي المخفف في الحديث متعين لمعنى الإصلاح، فقوله: خير الإفادة التأكيد أو على قاعدة التجريد أو على أنه بالمعنى الأعم، فيحتاج إلى التقييد وهو الأظهر، فتدبر. ثم قال: وإنما نفى عن المصلح كونه كذاباً باعتبار قصده دون قوله، قلت: (**متفق عليه**)؛ وفي الجامع [الصغير] بلفظ فينمي خيراً رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عنها، والطبراني عن شداد بن أوس[1]، وفي رواية لأبي داود عنها بلفظ «لم يكذب من ينم بين اثنين ليصلح»[2]، (**وزاد مسلم**) أي على البخاري في المرخص للكذب حيث («**قالت:**») أي الراوية («**ولم أسمعه**») لعل الواو عاطفة على كلام سبق لها غير حديث البخاري وإلا فيلزم التكرار كما لا يخفى، وضمير المفعول راجع إليه ﷺ، ولذا قال الراوي عنها: («**تعني**») أي تريد بضمير اسمعه («**النبي ﷺ يرخص في شيء**»). قال ميرك: هذه الزيادة في البخاري أيضاً، لكن قال ابن شهاب: ولم يرخص في شيء («**مما يقول الناس: كذب**») بالرفع، وفي نسخة بالنصب، وفي أخرى بالجر وهو بفتح الكاف وكسر الذال، ويجوز الكسر والسكون. قال الطيبي: كذب مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف مقول للقول، ومما يقول بيان لقوله في شيء أي في شيء من أقوال الناس هو كذب، أقول: الأظهر أنه مبتدأ خبره محذوف ومن تبعيضية، والمعنى لم أسمعه يرخص في شيء من جملة ما يقول الناس فيه أي في حقه كذب («**إلا في ثلاث**») أي كذبات استثناء من شيء بإعادة العامل. قال: وإن روي منصوباً كان مفعولاً مطلقاً أي قولاً كذباً، أقول: ويمكن أن يكون حالاً من مفعول، يقول: المقدر العائد إلى الموصول. قال: وإن روي مجروراً كان صفة أخرى لشيء، أقول: الأظهر أنه بدل من شيء أو من الموصول («**الحرب**») بالجر بدل من ثلاث، وسبق تحقيقه. وفي نسخة بالرفع على تقدير أحدها أو أوّلها أو منها، ويجوز نصبه بأعني، والرواية في جامع الأصول. وفي أكثر نسخ المصابيح هي الأولى فهي الأولى. قيل: الكذب في الحرب كأن يقول في جيش المسلمين

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٧٥٨١.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٨ الحديث رقم ٤٩٢٠، وفي المخطوطة ذكر من «ينمي» وفي الحديث عند أبي داود من «نمى».

والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

٥٠٣٢ ـ (٦) وذكر حديث جابر: «إِن الشيطان قد أيس» في «باب الوسوسة».

الفصل الثاني

٥٠٣٣ ـ (٧) عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ الكذبُ إلا في ثلاث: كذب الرجلِ

كثرة وجاءهم مدد كثير، أو يقول: انظر إلى خلفك فإن فلاناً قد أتاك من ورائك ليضربك. ذكره ابن الملك («والإصلاح بين الناس») أي ثانيتها وثالثتها مجموع قوله: («وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها») أي فيما يتعلق بأمر المعاشرة وحصول الإلفة بينهما قالوا: والأخيرة عاطفة على ما قبلها وما قبلها مع ما عطف عليه عطف على السابق؛ قال ابن الملك: كأن يقول: لا أحد أحب إليّ منك، ومثله حديث المرأة زوجها وهما في قوّة حديث الزوجين ليكون الثالث. قال الخطابي: هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصديق طالباً للسلامة ودفعاً للضرر، وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الإفساد لما يؤمل فيه الكثير من الإصلاح، فالكذب في الإصلاح بين اثنين هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيراً ويبلغه جميلاً وإن لم يكن سمعه منه يريد بذلك الإصلاح والكذب في الحرب أن يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يقوي به أصحابه ويكيد به عدوه؛ وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الحرب خدعة، وأما كذب الرجل زوجته هو أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه يستديم بذلك صحبتها، ويصلح به خلقها». قال سفيان بن عيينة: لو أن رجلاً اعتذر إلى رجل بحرف الكلام ولحنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذباً، وقوله: وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها في معنى حديث أحد الزوجين الآخر ليستقيم مع إلا في ثلاث.

٥٠٣٢ ـ (**«وذكر حديث جابر: «إن الشيطان قد أيس»**) أي من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم (**«في باب الوسوسة»**) أي لكونه أنسب به في حاصل المعنى لا سيما صدر الحديث وإن كان التحريش مفسراً بالمعاصي التي من جملتها ما عنون بها هذا الباب والله أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

٥٠٣٣ ـ (**عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل الكذب إلا في ثلاث»**) أي ثلاث كذبات (**«كذب الرجل»**) بالجر على البدلية، ويجوز وجهان آخران باعتبار

الحديث رقم ٥٠٣٢: مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٦ الحديث رقم (٦٥ ـ ٢٨١٢).

الحديث رقم ٥٠٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٩٢ الحديث رقم ١٩٣٩، وأحمد في المسند ٦/ ٤٦١.

امرأته ليُرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس». رواه أحمد، والترمذي.

٥٠٣٤ ـ (٨) وعن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة؛ فإذا لقيه سلَّم عليه ثلاث مرَّات كل ذلك لا يردُّ عليه فقد باء بإثمه». رواه أبو داود.

٥٠٣٥ ـ (٩) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار». رواه أحمد، وأبو داود.

قواعد العربية (**«امرأته»**) أي لها (**«ليرضيها»**) أي في المباشرة أو المعاشرة، وحذف قرينته للاكتفاء أو للمقايسة أو وقع اختصاراً من الراوي (**«والكذب في الحرب»**) أي مع الكفرة (**«والكذب ليصلح بين الناس»**) أي فيما بينهم من المخاصمة المالية وغيرها. **(رواه أحمد والترمذي)**.

٥٠٣٤ ـ **(وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يكون»)** أي لا ينبغي ولا يصح أو لا يوجد مبالغة في النفي لتأكيد النهي أو لا يكون حلالاً (**«لمسلم أن أيهجر مسلماً فوق ثلاثة»**) أي ثلاثة أيام، (**«فإذا لقيه»**) أي المسلم المسلم بعد ثلاثة (**«سلم عليه»**) حال من فاعل لقيه أو بدل من لقيه، ويؤيد الأوّل قوله في حديث أبي خراش «فلقيه فليسلم عليه» (**«ثلاث مرات»**) أي إن لم يرد عليه في الأولى والثانية أو ثلاث دفعات من الملاقاة وهو الأظهر (**«كل ذلك»**) بالرفع مبتدأ خبره (**«لا يرد عليه»**)، والجملة صفة ثلاث مرات والعائد محذوف أي لا يرد فيها أي في المرات، وفي نسخة بالنصب على أنه ظرف لا يرد (**«فقد باء بإثمه»**). قال الطيبي: هو جواب إذا أي إذا سلم عليه ثلاث مرات غير مردود فيها جوابه فقد رجع بإثمه، والضمير فيه يحتمل أن يكون للثاني أي لمن لم يرد، فالمعنى أن المسلم خرج من اثم الهجران وبقي الإثم على الذي لم يرد السلام أي فهو قد باء بإثم هجرانه، ويحتمل أن يكون للمسلم، والمعنى أنه ضم إثم هجران المسلم إلى اثم هجرانه وباء بهما لأن التهاجر يعد منه وبسببه. **(رواه أبو داود)**.

٥٠٣٥ ـ **(وعن أبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»)** أي ثلاث ليال، ففيه تفنن، ويتحصل من مجموعهما أن المراد ثلاثة أيام ولياليها كما في قضية زكريا عليه الصلاة والسلام (**«فمن هجر فوق ثلاث»**) ظاهره ولو ساعة، ويحتمل أن يكون المراد بما فوق الثلاث الأربع لأنه به يتم زيادة عدد المعدود فتأمل. (**«فمات»**) أي على تلك الحالة من غير توبة (**«دخل النار»**). قال التوربشتي: أي استوجب دخول النار، فالواقع في الإثم كالواقع في العقوبة إن شاء عذبه وإنَ شاء غفر له. **(رواه أحمد وأبو داود)**، وكذا النسائي بإسناد على شرط الشيخين. ذكره ميرك.

الحديث رقم ٥٠٣٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٥ الحديث رقم ٤٩١٣.

الحديث رقم ٥٠٣٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٥ الحديث رقم ٤٩١٥، وأحمد في المسند ٤/ ٢٠٠.

٥٠٣٦ ـ (١٠) وعن أبي خراش السُّلَميِّ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن هَجَر أخاه سنةً [٣٧٧ ـ أ ـ] فهو كسَفْك دمِه». رواه أبو داود.

٥٠٣٧ ـ (١١) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلُّ لمؤمنٍ أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرَّت به ثلاثُ فَلْيلقَهُ فليسلم عليه، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا في الأجر،

٥٠٣٦ ـ **(وعن أبي خراش)** بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الراء وبالشين المعجمة واسمه حدرد بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين وفتح الراء صحابي أسلمي ذكره المؤلف فقوله: **(السلمي)** بضم ففتح من خطأ الكتاب(١)، وقد قال ميرك: صوابه الأسلمي، قال المنذري: أبو خراش حدرد بن أبي حدرد الأسلمي، قال العسقلاني في الكنى: أبو خراش الأسلمي اسمه حدرد بن أبي حدرد وقد تقدم، وقال في الأسماء حدرد بن حدرد الأسلمي صحابي له حديث واحد **(سمع رسول الله ﷺ يقول: «من هجر أخاه سنة فهو)** أي هجره سنة **(«كسفك دمه»)** السفك الإراقة والصب يعني مهاجرة الأخ المسلم سنة توجب العقوبة، كما أن سفك دمه يوجبها، فهي شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها إلا أنها في العقوبة لأن القتل كبيرة عظيمة لا يكون بعد الشرك أعظم منه، فشبه الهجران به تأكيداً في المنع عنه، وفي المشابهة تكفي المساواة في بعض الصفات. كذا ذكره بعض شراح الحديث. قال الطيبي: التشبيه إنما يصار إليه للمبالغة كما يقال: زيد كالأسد. إلحاقاً له بالأسد في الجراءة وأنه نظيره فيها، ولم يقصد به أنه دونه كذلك [ههنا] لأن قوله ﷺ: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث» دل على أن التهاجر فوق الثلاث حرام، وراكبه راكب الإثم، فإذا امتد إلى مدة يهجر فيها الغائب والمسافر عن أهله غالباً بلغ التهاجر والتقاطع إلى الغاية، فيبلغ إثمه أيضاً إلى الغاية، وهذا معنى تخصيص ذكر السنة والله أعلم اهـ، ويمكن أن يكون تخصيص السنة بالذكر لاشتمالها على الفصول الأربعة، فإذا لم يعتدل مزاجه بمرور السنة عليه فلا يرجى رجوعه، ونظيره مسألة العنين المنقولة في الفروع المعلومة بما قلنا في الأصول. **(رواه أبو داود)**. قال ميرك [وسكت عليه]: ورواه الحاكم(٢) وقال: صحيح، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي أيضاً. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والبخاري في تاريخه، وأبو داود الحاكم(٣).

٥٠٣٧ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر»)** أي

---

(١) في المخطوطة «خطاب الكتابة». (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٦٣.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٥٤٥ الحديث رقم ٩٠٦٩.

الحديث رقم ٥٠٣٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٥ الحديث رقم ٤٩١٥. وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٠.

الحديث رقم ٥٠٣٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٤ الحديث رقم ٤٩١٢، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٦ الحديث رقم ١٣ من كتاب حسن الخلق.

وإن لم يَرُدَّ عليه فقد باء بالإثم وخرج المُسلِّمُ من الهجرة». رواه أبو داود.

٥٠٣٨ ـ (١٢) وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجةِ الصِّيامِ والصدقةِ والصلاةِ؟» قال: قلنا: بلى. قال: «إصلاح ذاتِ البينِ، وفسادُ ذات

في أجر السلام أو في أجر ترك الهجر أو فيهما (**«وإن لم يرد عليه»**) أي السلام (**«فقد باء بالإثم»**) أي رجع بإثم الهجران. كذا قاله شارح، والأظهر أنه بإثم الهجر وبإثم ترك السلام، فاللام للجنس أو عوض عن المضاف إليه أي بإثم الأمرين، ولا يبعد أن يقال: باء بإثم ترك السلام زيادة على إثم الهجران المستمر الذي يقارب سفك الدم، (**«وخرج المسلم»**) بتشديد اللام المكسورة (**«من الهجرة»**) أي من إثم الهجران. (**رواه أبو داود**)، أي من طريق هلال بن أبي هلال مولى بني كعب عن أبي هريرة. قال أحمد في هلال: لا أعرفه. وقال أبو حاتم: ليس بالمشهور، ووثقه بعضهم، ذكره ميرك.

٥٠٣٨ ـ (**وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل»**) أي بعمل أفضل درجة وأكثر مثوبة (**«من درجة الصيام»**) أي نفلاً بقرينة قوله: (**«والصدقة»**)، فإنها للمندوبة غالباً (**«والصلاة»**)، لعل تأخيرها للترقي، وظاهر الواو أنه للجمع، فالمعنى أنه أفضل من فعل مجموعها، ويحتمل أن يكون بمعنى أو، فالمعنى أنه أفضل من كل منها، والأوّل أبلغ في مقام الترغيب كما لا يخفى. قال الأشرف: المراد بهذه المذكورات النوافل دون الفرائض، قلت والله أعلم بالمراد: إذ قد يتصوّر أن يكون الإصلاح في فساد يتضرع عليه سفك الدماء ونهب الأموال وهتك الحرم أفضل من فرائض هذه العبادات القاصرة مع إمكان قضائها على فرض تركها، فهي من حقوق الله التي هي أهون عنده سبحانه من حقوق العباد، فإذا كان كذلك فيصح أن يقال: هذا الجنس من العمل أفضل من هذا الجنس لكون بعض أفراده أفضل «كالبشر خير من الملك والرجل خير من المرأة» (**«قال:»**) أي أبو الدرداء[1] (**«قلنا: بلى»**) أي أخبرنا، وفي نسخة زيادة يا رسول الله (**«قال: إصلاح ذات البين»**) أي هو هذا. قيل: يريد بذات البين الخصلة التي تكون بين القوم من قرابة ومودّة ونحوهما وقيل: المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل بينهما بين أي فرقة، والبين من الأضداد الوصل والفرق، وقال الطيبي: إصلاح ذات البين أي أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال ألفة ومحبة واتفاق كقوله تعالى: ﴿**والله عليم بذات الصدور**﴾ [آل عمران ـ ١٥٤] وهي مضمراتها، ولما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: «ذات البين» كقولهم: «اسقني ذا إناءك»[2] يريدون ما في الإناء من الشراب. كذا في الكشاف في قوله تعالى: ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾ [الأنفال ـ ١] اهـ، ولما

الحديث رقم ٥٠٣٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢١٨ الحديث رقم ٤٩١٩، والترمذي في ٤/ ٥٧٢ الحديث رقم ٢٥٠٩، ومالك في ٢/ ٩٠٢ الحديث رقم ٧ من كتاب حسن الخلق وأحمد في المسند ٦/ ٤٤٤.

(١) في المخطوطة «أبو داود». (٢) كشف الأستار ٢/ ٤٤١ الحديث رقم ٢٠٥٩.

البين هي الحالقة». رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث صحيح.

٥٠٣٩ ـ (١٣) وعن الزُّبيرِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إِليكم داءُ الأمم قبلَكم الحسَدُ، والبغضاءُ هي الحالقةُ، لا أقولُ: تحلقُ الشَّعرَ،

كان الكلام السابق في قوّة صلاح ذات البين هي الخصلة الصادقة قال: (**«وفساد ذات البين هي الحالقة»**) أي الماحية والمزيلة للمثوبات والخيرات، والمعنى يمنعه شؤم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات، وقيل: المهلكة من حلق بعضهم بعضاً أي قتل مأخوذ من حلق الشعر، وفي النهاية هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل الموسى الشعر. وقيل: هي قطيعة الرحم والتظالم وقال الطيبي: فيه حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب عن الإفساد فيها لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله [الصائم] القائم المشتغل بخويصة نفسه، فعلى هذا ينبغي أن يحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج إليه أمر الدين. (**رواه أبو داود والترمذي**)؛ وكذا الإمام أحمد (**وقال:**) أي الترمذي (**هذا حديث صحيح**). قال: ويروى عن النبي ﷺ قال: «هي الحالقة» لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» اهـ. وفي الباب أحاديث كثيرة منها ما نقله ميرك عن المنذري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما عمل شيء أفضل من الصلاة وإصلاح ذات البين». رواه الأصبهاني. وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين». رواه الطبراني والبزار وفي سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وحديثه [هذا] حسن لحديث أبي داود والترمذي عن أبي الدرداء وعن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها قلت: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال: تصلح بين الناس، فإنها صدقة يحب الله موضعها». رواه الأصبهاني، وفي رواية له والطبراني أيضاً «ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله تصلح بين الناس إذا تغاضبوا وتفاسدوا». وفي رواية للطبراني والبزار «ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله قال: من أصلح بين الناس أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه». رواه الأصبهاني، وهو حديث غريب جداً.

٥٠٣٩ ـ (**وعن الزبير**) أي ابن العوّام أحد العشرة المبشرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «دب»**) بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة أي نقل وسرى ومشى بخفية (**«إليكم داء الأمم قبلكم الحسد»**) [أي في الباطن (**«والبغضاء»**) أي العداوة في الظاهر، ورفعهما على أنهما بيان للداء أو بدل، وسميا داء لأنهما داء القلب (**«هي»**) أي البغضاء، وهو أقرب مبنى ومعنى أو كل واحدة منهما (**«الحالقة»**) أي القاطعة للمحبة والإلفة والصلة والجمعية، والخصلة الأولى هي المؤدية إلى الثانية، ولذا قدمت (**«لا أقول: تحلق الشعر»**) أي تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل

الحديث رقم ٥٠٣٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٣ الحديث رقم ٢٥١٠، وأحمد في المسند ١/ ١٦٧.

ولكنْ تحلقَ الدينَ» رواه أحمد، والترمذي.

٥٠٤٠ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إِيَّاكم والحسد؛ فإنَّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ»

(«**ولكن تحلق الدين**») وضرره عظيم في الدنيا والآخرة. قال الطيبي: أي البغضاء تذهب بالدين كالموسى تذهب بالشعر، وضمير المؤنث راجع إلى البغضاء كقوله تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها**﴾ [التوبة ـ ٣٤] وقوله تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وأنها لكبيرة**﴾ [البقرة ـ ٤٥] أي في بعض أقوال المفسرين في كل منهما. قال: ولأن البغضاء أكثر تأثيراً في ثلمة الدين وإن كانت نتيجة الحسد أي في بعض أفرادها. (**رواه أحمد والترمذي**). وقال المنذري: رواه أحمد والبزار بإسناد صحيح جيد، والبيهقي وغيرهما نقله ميرك. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي والضياء عن الزبير بن العوّام ولفظه: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه وتحاببتم، افشوا السلام بينكم»(١).

٥٠٤٠ ـ (**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إياكم والحسد»**)] أي في مال أو جاه دنيوي فإنه مذموم بخلاف الغبطة في الأمر الأخروي («**فإن الحسد**») أي باعتبار ما ينتج في حق المحسود من ارتكاب السيئات («**يأكل الحسنات**») أي يفني ويذهب طاعات الحاسد («**كما تأكل النار الحطب**») لأن الحسد يفضي بصاحبه إلى اغتياب المحسود ونحوه، فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة على نعمة، والحاسد حسرة على حسرة، فهو كما قال تعالى: ﴿**خسر الدنيا والآخرة**﴾ [الحج ـ ١١] قال القاضي: تمسك به من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي كالمعتزلة وأجيب عنه بأن المعنى أن الحسد يذهب حسنات الحاسد ويتلفه عليه بأن يحمله على أن يفعل بالمحسود من إتلاف مال وهتك عرض وقصد نفس ما يقتضي صرف تلك الحسنات بأسرها في عرضه. كما روي في صحاح باب الظلم عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقيام، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار لإحباط الطاعات بالمعاصي وإلا لم يكن يبقى لهذا الآتي المتعاطي لتلك الكبائر حسنة يقضي بها حتى خصمه»(٢)، اهـ. كلامه. وهذا أحد الوجهين مما ذكره التوربشتي، والوجه الآخر له إن يقال: إن التضعيف في الحسنات يوجد على حسب استعداد العبد وصلاحه [في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٤ الحديث رقم ٤١٧٠.
الحديث رقم ٥٠٤٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٠٨ الحديث رقم ٤٩٠٣.
(٢) وهو الحديث رقم (٥١٢٧).

رواه أبو داود.

٥٠٤١ ـ (١٥) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إِياكم وسوءَ ذاتِ البَينِ؛ فإِنَّها الحالقةُ». رواه الترمذي.

دينه]، فمهما كان مرتكباً للخطايا نقص من ثواب عمله فيما يتعلق بالتضعيف ما يوازي انحطاطه في المرتبة بما اجترحه من الخطايا مثل أن يقدر أن ذا رهق عمل حسنة فأثيب عليها عشراً ولو لم يكن رهقه لأثيب أضعاف ذلك؛ فهذا الذي نقص من التضعيف بسبب ما ارتكبه من الذنب هو المراد من الإحباط. وقال الطيبي ما خلاصته: «إن الحسنات لا تقبل بواسطة الحسد لأنها تحبط به»، قلت: المعنيان متقاربان مع أن الأحاديث الواردة في نفي القبول محمولة على نفي الكمال، وكذا قوله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة ـ ٢٧] عند أهل السنة. فقوله: إن تلك الحسنات الصادرة عنده مردوده عليه وليست بثابتة في ديوان أعماله الصالحة حتى تحبط كمن صلى في دار مغصوبة. أنت تعلم أن العبادة الصحيحة في الشريعة لا يصح أن يقال فيها: إنها ليست ثابتة في ديوان الأعمال، بل أظن أنه خلاف الإجماع. هذا وظاهر التشبيه أنه يذهب بالشيء الموجود لا المعدوم [ولا] المفقود، وقد ورد عن معاوية بن حيدة مرفوعاً على ما رواه الديلمي في الفردوس «الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل»، فهذا الحديث صريح في المعنى الذي قلنا من أنه يفسد ويبطل كمال الإيمان وسائر الحسنات لا أنه يذهبها بالمرة ويفنيها، فتأويل الحديث يتم بتقدير المضاف، وكذا يوافقه التشبيه من حيث إن النار تأخذ نور الحطب وتخلي أصله الذي هو الرماد، فلا يعارض الحديث حينئذ قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود ـ ١١٤] وقد سنح بالبال والله أعلم بالحال أنه يحتمل أن يكون معنى الحديث «إن الحسد يأكل حسنات المحسود إلى صاحب الحسد»، بمعنى أنها لا تؤثر فيه ولا تغيره ولا يوجد لها قدر عنده كما تأكل النار الحطب، ففيه تنبيه نبيه على أن الإحسان إلى الحاسد غير نافع، وأن التقرب التردد إليه ضائع، وأن الحسد أقوى من كل عداوة لقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت ـ ٣٤] وأنشد:

كل العداوة قد يرجى إزالتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

(رواه أبو داود)، أي من طريق إبراهيم بن أسيد عن جده عن أبي هريرة، وجد إبراهيم لم يسم، وذكر البخاري إبراهيم هذا في التاريخ الكبير وذكر له هذا الحديث وقال: لا يصح. كذا ذكره الشيخ الجزري، وقال ميرك: لكن له شاهد من حديث أنس مرفوعاً «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». رواه ابن ماجه[١] والبيهقي.

٥٠٤١ ـ **(وعنه عن النبي ﷺ إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة رواه الترمذي)**[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٨ الحديث رقم ٤٢١٠.

الحديث رقم ٥٠٤١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٢ الحديث رقم ٢٥٠٨.

(٢) هذا الحديث ناقص من المخطوطة والمطبوعة إلا أنه مثبت في «مشكاة المصابيح» ٣/ ١٤٠١ الحديث =

٥٠٤٢ ـ (١٦) وعن أبي صِرمةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ: «مَنْ ضارَّ ضارَّ اللَّهُ به ومَن شاقَّ شاقَّ اللَّهُ عليه». رواه ابنُ ماجه، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥٠٤٣ ـ (١٧) وعن أبي بكرِ الصديقِ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ:

٥٠٤٢ ـ (**وعن أبي صرمة**) بكسر الصاد وسكون الراء المهملتين قال المؤلف: هو مالك ابن قيس المازني شهد [بدراً و]ما بعدها من المشاهد (**أن النبي ﷺ قال**: «**من ضار**») أي مؤمناً كما في الرواية الآتية بأن أوصل الضرر إليه ابتداء («**ضار الله به**») أي جازاه بعمله وعامله معاملته، ففيه نوع من المشاكلة والمقابلة («**ومن شاق**») أي خالفه وعاداه («**شاق الله عليه**») أي عاقبه، قال تعالى: ﴿**ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب**﴾ [الحشر ـ ٤] وفي وضع المؤمن موضع ذاته اغتناه بعلو درجاته كما قال عزَّ وجلّ في آية أخرى ﴿**ومن يشاقق الله ورسوله**﴾ [الأنفال ـ ١٣] وفي أخرى ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم**﴾ [النساء ـ ١١٥] والمشاقة بين المتنازعين أن أحدهما يأخذ بشق دون شق الآخر أو يبعد عنه في شق أو يريد كل منهما مشقة الآخر، فهو إما مأخوذ من الشق بالكسر، وهو المشقة ومنه قوله تعالى: ﴿**إلا بشق الأنفس**﴾ [النحل ـ ٧] أو من الشق بمعنى نصف الشيء، ومنه ما ورد «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[(١)]، فكأن المتنازعين بعد أن كانا مجتمعين صارا نصفين، أو من الشق بالفتح الفصل في الشيء وهو الفرق. قيل: إن الضرر والمشقة متقاربان لكن الضرر يستعمل في إتلاف المال، والمشقة في إيصال الأذية إلى البدن كتكليف عمل شاق اهـ. والأظهر أن الضرر يشمل البدني والمالي والدنيوي والأخروي، وأما المشاقة فهي المخالفة التي تؤدي إلى المنازعة والمحاربة وأمثال ذلك. هذا وفي جامع الأصول المضارة المضرة، والمشقة النزاع، فمن أضر غيره تعدياً أو شاقه ظلماً بغير حق فإن الله يجازيه على فعله بمثله اهـ. وحاصله أن معناهما واحد، والثاني تأكيد، وما قدمناه أولى لأنه يفيد التأسيس والتقييد، وأما قول الطيبي: ويجوز أن يحمل على المشقة أيضاً بأن كلف صاحبه فوق طاقته فيقع في التعب والمشقة فداخل أيضاً في المضرة. (**رواه ابن ماجه والترمذي وقال: وهذا حديث غريب**). وفي التصحيح رواه ابن ماجه والترمذي وأبو داود والنسائي أيضاً. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ذكره ميرك. وفي الجامع الصغير بلفظ: «من ضار ضر الله به ومن شاق شق الله عليه»[(٢)]. رواه أحمد والأربعة عن أبي صرمة.

٥٠٤٣ ـ (**وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ**:

= رقم ٥٠٤١، وفي هامش مرقاة المفاتيح ٤/ ٧٢٣، وفي «مصابيح السنة» ٣/ ٣٨٧ الحديث رقم ٣٩١٩.

الحديث رقم ٥٠٤٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩ الحديث رقم ٣٦٣٥، والترمذي في السنن ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ١٩٤٠، وابن ماجه في ٢/ ٧٨٥ الحديث رقم ٢٣٤٢، وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٣.

(١) متفق عليه. (٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٣٣ الحديث رقم ٨٨٢٤.

الحديث رقم ٥٠٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٩٣ الحديث رقم ١٩٤١.

«ملعونٌ منْ ضارَّ مؤمناً أو مكرَ بهِ». رواه الترمذيُّ وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٠٤٤ ـ **(١٨)** وعن ابنِ عمَرَ، قال: صعِدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يا معشرَ منْ أسلَمَ بلسانِه ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبِه! لا تُؤْذوا المسلمين ولا تُعيِّروهُم، ولا تتَّبعوا عَوراتهم؛ فإنَّه مَن يتَّبعْ عَورةَ أخيهِ المسلمِ يتَّبعِ اللّٰهُ عَورتَه، ومَنْ يتَّبعِ اللّٰهُ عورتَه يَفضحْه ولو في جَوفِ رَحْله».

(«ملعون») أي مبعود، عن الخير **(«من ضار مؤمناً»)** أي ضرراً ظاهراً أو مكر به أي بإيصال الضرر إليه خفية. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**. قال صاحب التصحيح: وفي سنده أبو سلمة الكندي لا يعرف عن فرقد السنجي، وثقه ابن معين وضعفه غيره، ذكره ميرك.

٥٠٤٤ ـ **(وعن ابن عمر قال: «صعد»)** بكسر العين أي طلع **(«رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع»)** أي عال **(«فقال:»)** بيان لقوله فنادى **(«يا معشر من أسلم بلسانه»)** يشترك فيه المؤمن والمنافق **(«ولم يفض»)** من الإفضاء أي لم يصل الإيمان أي أصله وكماله **(«إلى قلبه»)**، فيشمل الفاسق، وهو الأظهر لما سيأتي من قوله: «تتبع عورة أخيه»، «ولا أخوّة بين المنافق والمسلم»، فما اختاره الطيبي من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق، والحكم بالأعم هو الوجه الإثم والله أعلم. **(«ولا تؤذوا المسلمين»)** أي الكاملين في الإسلام، وهم الذين أسلموا بلسانهم وآمنوا بقلوبهم **(«ولا تعيروهم»)** من التعيير، وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد سواء علم توبتهم منه أم لا، وأما التعيير في حال المباشرة أو بعيده قبل ظهور التوبة، فواجب لمن قدر عليه، وربما يجب الحسد أو التعزير، فهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **(«ولا تتبعوا»)** من باب الافتعال أي لا تجسسوا **(«عوراتهم»)** فيما تجهلونها ولا تكشفوها فيما تعرفونها[1] **(«فإنه»)** أي الشأن **(«من يتبع»)** بتشديد التاء مجزوماً وقيل: مرفوعاً، وفي بعض النسخ المقروء على المشايخ ضبط بصيغة الماضي المعلوم من باب التفعل [هنا وفيما بعد من الموضعين أي من يطلب **(«عورة أخيه»)** أي ظهور عيب أخيه **(«المسلم»)** أي الكامل بخلاف الفاسق، فإنه يجب الحذر والتحذير عنه] **(«يتبع الله، عورته»)**. ذكره على سبيل المشاكلة أي يكشف عيوبه، ومن أقبحها تتبع عورة الأخ المسلم وهذا في الآخرة **(«ومن تتبع الله عورته يفضحه»)** من فضح كمنع أي يكشف مساويه **(«ولو في جوف رحله»)** أي ولو كان في وسط منزله مخفياً من الناس. قال تعالى: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾** [النور ـ ١٩] قال الغزالي: التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم، والقلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق، فيؤدي إلى هتك الستر وحد الاستتار أن يغلق باب داره ويستتر

الحديث رقم ٥٠٤٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٤ الحديث رقم ٤٨٨٠، والترمذي في السنن ٤/ ٣٣١ الحديث رقم ٢٠٣٢، وأحمد في المسند ٤/ ٤٢١.

(١) في المخطوطة «تعرفوها».

رواه الترمذي.

٥٠٤٥ ـ (١٩) وعن سعيدِ بن زيدٍ، عن النبيِّ ﷺ، [٣٧٧ ـ ب ـ] قال: «إِنَّ من أربى الرِّبا الاستطالةُ في عرضِ المسلمِ

بحيطانه، فلا يجوز استراق السمع على داره ليسمع صوت الأوتار ولا الدخول عليه لرؤية المعصية إلا أن يظهر بحيث يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والسكارى بالكلمات المألوفة بينهم، وكذلك إذا ستروا أواني الخمر وظروفها وآلات الملاهي في الكم وتحت الذيل، فإذا رأى ذلك لم يجز أن يكشف عنه وكذلك لا يجوز أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره، وأنشد في معناه شعر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

وفي قوله: «ولم يفض الإيمان إلى قلبه» إشارة إلى أنه ما لم يصل الإيمان إلى القلب لم يحصل له المعرفة بالله ولم يؤد حقوقه، فإذا علاج جميع أمراض القلب المعرفة بالله تعالى لتؤدي إلى أداء حقوق الله وحقوق المسلمين، فلا يؤذي ولا يضر ولا يعير ولا يتجسس أحوالهم. اهـ، كلام الإمام وحصل تمام المرام. **(رواه الترمذي)**، وقال: حسن غريب، نقله ميرك.

٥٠٤٥ ـ **(وعن سعيد بن زيد)**، قال المؤلف: عدوي أحد العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديماً، وكانت فاطمة أخت عمر تحته وبسببها كان إسلام عمر، مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع. روى عنه جماعة. **(عن النبي ﷺ [قال]: «إن من أربى الربا»)** أي من أكثر أنواعها وبالاً وأزيد آثام أفرادها مآلا **(«الاستطالة»)** أي إطالة اللسان **(«في عرض المسلم»)**، وأصل التطاول استحقار الناس والترفع عليهم، وأصل الربا الزيادة والكثرة لغة، وأما شرعاً فهو معروف بأنواعه المحرمة في كتب الفقه وإنما يكون هذا أشدها تحريماً لأن العرض عند أرباب الكمال أعز على النفس من المال. وأنشد:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لأبارك الله بعد العرض في المال

وإنما عبر عنه بلفظ الربا لأن المتعدي يضع عرضه ثم يستزيد عليه، فكأنه قال: أزيد الزيادات التي تتجاوز عن الحد الاستطالة في عرض المسلم الذي هو أقوى من ماله. وقال الطيبي: أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة وجعل الربا نوعين، متعارف وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون، وغير متعارف وهو استطالة الرجل اللسان في عرض أخيه، ثم فضل أحد النوعين على الآخر وقال القاضي: الاستطالة في عرض المسلم أن يتناول

الحديث رقم ٥٠٤٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٣ الحديث رقم ٤٨٧٦، وأحمد في المسند ١/ ١٩٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٣٩٥ الحديث رقم ٥٥٢١ أخرجه عن أبي هريرة وعن أنس.

بغيرِ حقٍّ». رواه أبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٠٤٦ ـ (٢٠) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما عرجَ بي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشونَ وجوهَهم وصدورهم، فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لُحومَ الناسِ ويقَعونَ في أعراضهم». رواه أبو داود.

٥٠٤٧ ـ (٢١) وعن المستوردِ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن أكلَ برجُلٍ مسلمٍ أُكْلةً؛ فإنَّ اللّهَ يُطعِمُه مثلَها منْ جهنَّمَ،

منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له أو أكثر مما رخصوا له، فيه، ولذلك مثله بالربا وعده من عداده، ثم فضله على سائر أفراده لأنه أكثر مضرة وأشد فساداً، فإن العرض شرعاً وعقلاً أعز على النفس من المال وأعظم منه خطراً، ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال اهـ ويعني به أن هتك بعض الأعراض يوجب الرجم، ونهب المال فقط لم يوجب القتل. قال التوربشتي: وقوله: (**«بغير حق»**)، فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال وذلك مثل قوله ﷺ ليّ «الواجد يحل عرضه، فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه: إنه ظالم وأنه متعد» ونحو ذلك، ومثله الكلام في جرح الشاهد ونحو ذلك أي من ذكر مساوىء الخاطب والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير. (**رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان**)، وكذا الإمام أحمد في مسنده.

٥٠٤٦ ـ (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي»**) أي أسري بي (**«مررت بأقوام لهم أظفار من نحاس يخمشون»**) بكسر الميم أي يخدشون (**«وجوههم وصدورهم»**)، ففي المصباح خمشت المرأة كضرب وجهها بظفر جرحت ظاهر البشرة (**«فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس»**) أي يغتابون المسلمين (**«ويقعون في أعراضهم»**). قال الطيبي: لما كان خمْش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين إشعاراً بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة. (**رواه أبو داود**)، وهو حديث حسن سكت عليه هو والمنذري، وقد روي عن سعيد بن جبير مرسلاً. ذكره ميرك، وفي الجامع الصغير رواه أحمد وأبو داود والضياء عن أنس.

٥٠٤٧ ـ (**وعن المستورد**) أي ابن شداد يقال: إنه كان غلاماً يوم قبض النبي ﷺ ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة، (**عن النبي ﷺ قال: «من أكل برجل مسلم»**) أي بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه في عرضه أو بتعرضه له بالأذية عند من يعاديه (**«أكلة»**) بالضم أي لقمة، وفي نسخة بالفتح أي مرة من الأكل (**«فإن الله [تعالى] يطعمه مثلها»**) أي قليلاً أو كثيراً (**«من جهنم»**)

الحديث رقم ٥٠٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٤ الحديث رقم ٤٨٧٨، وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٤.

الحديث رقم ٥٠٤٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٥ الحديث رقم ٤٨٨١، وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٩.

ومَن كَسا ثوباً برجُلٍ مسلم؛ فإنَّ اللَّهَ يكسوه مثلَه من جهنمَ، ومنْ قامَ برجلٍ مقامَ سُمعَةٍ ورِياءٍ؛ فإنَّ اللَّهَ يقومُ له مقامَ سمعَةٍ ورياءٍ يومَ القيامةِ». رواه أبو داود.

٥٠٤٨ ـ **(٢٢)** وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حسنُ الظنِّ من حسْنِ

أي من نارها أو من عذابها (**«ومن كسا»**) بصيغة الفاعل أي ألبس شخصاً (**«ثوباً برجل مسلم»**) أي بسبب إهانته، وفي نسخة بصيغة المفعول وهو المناسب للقرينة السابقة، وقيل: معنى الأوّل كسا نفسه ثوباً، ومعنى الثاني، اكتسى ثوباً فصار مآلهما واحد، أو في النهاية معناه الرجل يكون صديقاً ثم يذهب إلى عدوّه فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة فلا يبارك الله له فيها. قال الطيبي: فعلى هذا، فالباء في برجل للسببية، والجائزة عامة في المطعوم والملبوس، وعليه كلام أكثر الشارحين (**«فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل»**) الباء للتعدية، والمراد بالرجل نفسه أو غيره (**«مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم»**) أي منتصراً ومنتقماً (**«له»**) أي لأجل إفضاح القائم به (**«مقام سمعة ورياء يوم القيامة»**)، وهو كناية عن إفضاحه إياه الناشىء عن مقت الله. وقد جاء في رواية الطبراني عن عبد الله الخزاعي مرفوعاً «من قام مقام رياء وسمعة فإنه في مقت الله حتى يجلس». قال التوربشتي: أي من قام ينسبه إلى ذلك ويشهره به فيما بين الناس فضحه الله وشهره بذلك على رؤوس الإشهاد يوم القيامة وعذبه عذاب المرائين. وقال المظهر: الباء في برجل يحتمل أن تكون للتعدية وللسببية، فإن كانت للتعدية يكون معناه «من أقام رجلاً مقام سمعة ورياء» يعني من أظهر رجلاً بالصلاح والتقوى ليعتقد الناس فيه اعتقاداً حسناً ويعزونه ويخدمونه ويجعله حبالاً ومصيدة كما يرى في زماننا لينال بسببه المال والجاه، فإن الله تعالى يقوم له مقام سمعة ورياء بأن يأمر ملائكته بأن يفعلوا معه مثل فعله، ويظهروا أنه كذاب، وإن كانت للسببية فمعناه إن من قام وأظهر من نفسه الصلاح والتقوى لأجل أن يعتقد فيه رجل عظيم القدر كثير المال ليحصل له مال وجاه كما يقول الناس في العرف: هذا زاهد الأمير، قال الطيبي: ومعنى الكناية عن التهديد في قوله: «فإن الله يقوم له» كما في قوله تعالى: **﴿سنفرغ إليكم أيها الثقلان﴾** [الرحمن ـ ٣١]. الكشاف: سنفرغ مستعار من قول الرجل لمن يهدده سأفرغ لك أي سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد التوفر على الكتابة فيه والانتقام منه، وقال الأشرف: معنى السببية لا يستقيم في قوله: «ومن كسا ثوباً برجل مسلم»، فالباء فيه صلة قلت: وهذا لا يستقيم أيضاً إذ يصير التقدير «ومن كسا ثوباً رجلاً مسلماً وهو فاسد»، المعنى، فالوجه ما قدمناه كما لا يخفى، ثم رأيت الطيبي قال: ولعله أراد أن كسا متعد إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد، فيجب أن يكون برجل ثاني مفعوليه، وفيه نظر لما يؤدي إلى فساد المعنى كما لا يخفى، فالواجب أن يقدر «من كسا نفسه ثوباً برجل» (**رواه أبو داود**).

٥٠٤٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «حسن الظن»**) أي بالله (**«من حسن**

الحديث رقم ٥٠٤٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦٦ الحديث رقم ٤٩٩٣، وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٧.

العِبادةِ». رواه أحمد، وأبو داود.

٥٠٤٩ ـ (٢٣) وعن عائشةَ، قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفيَّةَ وعند زينبَ فضلَ ظهرٍ، فقال رسولُ الله ﷺ لزينبَ: «أعطِيها بعيراً». فقالتْ: أنا أُعطي تلك

العبادة») أي الله، والمعنى أن حسن الظن به تعالى من جملة العبادات الحسنة، فلا ينبغي أن تظن ما يظنه العامة من أن حسن الظن هو أن تترك العمل وتعتمد على الله وتقول: إنه كريم غفور رحيم، ويمكن أن يكون المعنى بعض حسن العبادة حسن الظن، وقدم الخبر اهتماماً، فإن السالك إذا حسن الظن بالله على سبيل الرجاء حسن العبادة في الخلا والملا، فيستحسن مأموله ويرجى قبوله. قال الله تعالى: **﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾** [البقرة ـ ٢١٨] وأما من يترك العبادة ويدعي حسن الظن بالمعبود فهو مغرور ومخدوع ومردو، ومثلهما الغزالي بمن زرع ومن لم يزرع راجيين للحصاد، ولا شك أن الثاني ظاهر الفساد والله رؤوف بالعباد. قال المظهر: يعني اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة. قال الطيبي: فعلى هذا من للتبعيض أي من جملة عبادة الله، والإخلاص فيها حسن المعاشرة مع عباده، ويجوز أن تكون للابتداء أي حسن الظن بعباد الله [تعالى]، ناشيء من حسن عبادة الله وينصره قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، اهـ، فإن قلت: قد ورد احترسوا من الناس بسوء الظن على ما رواه ابن عدي والطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً قلت: التقدير من بعضهم، ولذا قال تعالى: **﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾** [الحجرات ـ ١٢] أو يقال: يحترس منهم بسوء الظن في الباطن على ما أشار إليه ﷺ [بقوله]: أخبره نقله على ما رواه جماعة عن أبي الدرداء، ودل عليه ما ورد في حديث [ثابت من] أن الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة أو يعاملهم في الظاهر بحسن الظن بناء على الأمر المبهم والله أعلم. **(رواه أحمد وأبو داود)**، وكذا الحاكم في مستدركه[1].

٥٠٤٩ ـ **(وعن عائشة قالت: «اعتل»)** بتشديد اللام أي مرض (**«بعير لصفية»**)، المراد بها هنا بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل سبط هارون، كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي، فاصطفاها رسول الله ﷺ، فأسلمت وأعتقها وتزوّجها، وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع، وروى عنها أنس وابن عمر وغيرهما. (**«وعند زينب فضل ظهر»**) أي مركب فاضل عن حاجتها، وهي أم المؤمنين أيضاً بنت حجش، وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، فطلقها ثم تزوّجها النبي ﷺ سنة خمس، مناقبها جمة، روت عنها عائشة وأم حبيبة وغيرهما. **(فقال رسول الله ﷺ لزينب: «أعطيها»)** أي صفية (**«بعيراً، فقالت: أنا أعطي»**) بتقدير الاستفهام الإنكاري، ولعل حذف المفعول لإفادة العموم، مبالغة في النفي أي أنا ما أعطي شيئاً (**«تلك**

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٢٥٦.

الحديث رقم ٥٠٤٩: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٨ الحديث رقم ٤٦٠٢، وأحمد في المسند ٦/٢٦١.

اليهوديَّةَ؟! فغضبَ رسولُ الله ﷺ، فهجرها ذا الحجةِ والمحرمَ وبعضَ صفر. رواه أبو داود.

وذُكر حديثُ معاذ بن أنسٍ: «مَنْ حَمى مؤمناً» في «باب الشفقة والرحمة».

الفصل الثالث

٥٠٥٠ ـ (٢٤) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأى عيسى ابنُ مريمَ رجلاً يسرقُ، فقال له عيسى: سرقتَ؟ قال: كلا، والذي لا إلهَ إلا هوَ. فقال عيسى: آمنتُ باللَّهِ وكذَّبتُ نفسي». رواه مسلم.

٥٠٥١ ـ (٢٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كفراً،

«اليهودية») أي باعتبار ما كانت، وإنما حملها على هذا القول الغيرة المنضمة إلى كونها من أكابر قريش، لكنها خالفت من حيث المخالفة وسوء المخالفة (**«فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم»**) بالنصب (**«وبعض صفر»**)، قال ابن الملك: فيه جواز الهجران فوق ثلاث لفعل القبيح يعني على قصد الزجر والتأديب لا على إرادة العداوة والبغضاء والشحناء، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث كما سبق. (**رواه أبو داود**). قال صاحب التصحيح: رجاله رجال مسلم إلا سمية البصرية الراوية عن عائشة فلم يخرج لها مسلم اهـ. وقال المنذري: سمية لم تثبت، وقال العسقلاني: مقبولة من الثالثة، نقله ميرك، (**وذكر حديث معاذ بن أنس: «من حمى مؤمناً»**) أي من منافق. الحديث بطوله (**في باب الشفقة والرحمة**).

(الفصل الثالث)

٥٠٥٠ ـ (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق فقال له عيسى: سرقت»**) أي أسرقت، والظاهر أتسرق، ولعل العدول عنه إيماء إلى تحققه (**«قال: كلا»**) أي حاشا (**«والذي لا إله إلا هو»**)، ويمكن أن يكون في الكلام تورية أي ارتدع عن هذا الظن أو عن هذا السؤال «والذي لا إله إلا هو» (**«فقال عيسى: آمنت بالله»**) أي بوحدانيته المفهومة من الجملة المقسمية، أو التقدير صدقت قسمك بالله (**«وكذبت نفسي»**) أي فيما قلت بناء على الظاهر لاحتمال أن ذلك الأخذ بخفية لا يكون سرقة لفقدان أحد الشروط المعتبرة في حدها الشرعية. وقال الطيبي: أي صدقتك في حلفك بقولك: «والذي لا إله إلا هو»، «وبرأتك ورجعت عما ظننت بك وكذبت نفسي». قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ [الحجرات ـ ١٢] اهـ، وفيه ما لا يخفى. (**رواه مسلم**).

٥٠٥١ ـ (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «كاد الفقر أن يكون كفراً»**) أي كاد أن

الحديث رقم ٥٠٥٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٣٨ الحديث رقم (١٤٩ ـ ٢٣٦٨)، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

الحديث رقم ٥٠٥١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٦٧ الحديث رقم ٦٦١٢.

وكادَ الحسدُ أنْ يغلبَ القدَرَ».

يكون الفقر القلبي سبباً للكفر، إما بالاعتراض على الله [تعالى] وإما بعدم الرضا بقضاء الله تعالى، أو بالشكوى إلى ما سواه، أو بالميل إلى الكفر لما رأى أن غالب الكفار أغنياء متنعمون وأكثر المسلمين فقراء ممتحنون بمقتضى ما ورد عنه ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، وقد قال [تعالى] تسلية للعباد **﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله وما عند الله خير للأبرار﴾** [آل عمران ـ ١٩٦] وقال البيضاوي: وسبب نزول هذه الآية «إن بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون: «إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد»، وفي معالم التنزيل بإسناده المتصل إلى البخاري والمنتهى إلى ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «جئت فإذا رسول الله في مشربة أي غرفة، وأنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، وإن عند رجليه قرظاً مصبوباً، وهو ما يدبغ به وعند رأسه أهب معلقة، فرأيت أثر الحصير في جنبه فبكيت فقال: ما يبكيك فقلت: يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله فقال: «أما ترضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة»[(١)]. قال الطيبي: أي الفقر يحمل الإنسان على ركوب كل صعب وذلول فيما لا ينبغي طالباً إزالته عنه بالقتل والنهب في السرقة وغير ذلك، وربما يؤديه إلى الاعتراض على الله، والتصرف في ملكه كما فعل ابن الراوندي في قوله:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وكم جاهل جاهل تلقاه مرزوقاً
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقاً

(وكاد الحسد أن يقلب القدر»). سبق معناه اهـ. ومجمل المعنى أنه لو فرض شيء يسبق القدر ويغلبه لكان الحسد في زعم الحاسد أن يقلب القدر، وفي الجامع الصغير بلفظ: «وكاد الحسد أن يكون سبق القدر» على ما رواه أبو نعيم في الحلية[(٢)]؛ والمناسبة بين القرينتين أن الحسد غالباً ينشأ من الفقر وقد يكون من أنواع الكفر، فإنه يريد زوال نعمة الله عن عبده، فهو معارضة بالقضاء أو منازعة بالقدر في حق نفسه وفي حق غيره، فالحسد أقرب إلى الكفر من الفقر المجردة، فالترتيب الذكرى للترقي أو لكون الأول سبباً لحصول الثاني مع أن الحسد مرض مزمن لا يرجى برؤه، والفقر قد يبدل بالغنى أو بالصبر والرضا، وهو الذي عليه أكثر الأنبياء أو غالب الأولياء حتى اجتمعت الصوفية على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر، وعليه أيضاً أكثر العلماء والله أعلم. وأما حديث: «الفقر فخري وبه افتخر» فباطل موضوع، كما قاله الحافظ العسقلاني وغيره.

---

(١) البخاري في ٨/ ٦٥٧ الحديث رقم ٤٩١٣.

(٢) أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٠٩.

٥٠٥٢ ـ (٢٦) وعن جابرٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن اعتذَرَ إلى أخيهِ فلمْ يعذُرْه، أو لـم يقبلْ عذرَه؛ كانَ عليه مثلُ خطيئةِ صاحب مَكْسٍ». رواهُما البيهقيُّ في «شعب الإيمان» [٣٧٨ ـ أ ـ]، وقال: المَكَّاسُ: العشَّارُ.

٥٠٥٢ ـ (وعن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «من اعتذر إلى أخيه») أي المسلم («فلم يعذره») بفتح الياء ويضم وكسر الذال («أو لم يقبل عذره») شك من الراوي، وهو تفسير لما قبله («كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس») بفتح الميم أي صاحب عشر، ولما كان الغالب عليه الظلم وعدم العمل بالعلم أطلق ذمه، أو المراد بالمكس أخذ مال الناس بالظلم، ثم رأيت القاموس فقال: المكس النقص والظلم. (رواه البيهقي في شعب الإيمان). وفي الجامع رواه ابن ماجه والضياء عن جودان ولفظه: «من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس»[(١)]. (قال:) أي البيهقي في تفسير حديثه: («المكاس العشار») وفي بعض الأصول الماكس العشار، ولعل المناسبة التشبيهية إن صاحب المكس أيضاً لم يقبل اعتذار التاجر في قوله: «إن ماله مال أمانة أو أخذ منه في بندر آخر أو أنه مديون»، ونحو ذلك، وكون المشبه به أقوى هو أنه مع هذا يظلم عليه بأخذ ماله مع التعدي إلى الزائد؛ ونقل ميرك عن المنذري إن حديث جابر رواه الطبراني أيضاً في الأوسط، وروي عن عائشة مرفوعاً «من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد عليّ الحوض». رواه الطبراني في الأوسط، وروي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده، ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره». رواه الطبراني وغيره، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم، وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم، ومن أتاه أخوه متنصلاً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد عليّ الحوض». رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. والتنصل الاعتذار.

الحديث رقم ٥٠٥٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٢١ الحديث رقم ٨٣٣٨.

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٢٥ الحديث رقم ٣٧١٨.

(١٨) باب الحذر والتأني في الأمور

الفصل الأول

٥٠٥٣ - (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُلدَغُ المؤمنُ من جُحْرٍ واحدٍ مرَّتينِ».

باب الحذر والتأني في الأمور

الحذر الاحتراس من الضرر، والتأني ضد العجلة من تأنى في الأمر إذا توقف فيه.

(الفصل الأول)

٥٠٥٣ - (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن»**) برفع الغين على النفي، ويروى بكسر الغين على النهي، والمراد بالمؤمن الكامل في عقله (**«من حجر»**) بضم جيم وسكون حاء أي ثقب وخرق (**«واحد مرتين»**) أي كرتين أو مرة بعد أخرى. قال الخطابي: هذا يروى على وجهين أحدهما على الخبر، وهو أن المؤمن الممدوح هو المتيقظ الحازم الذي لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن هو به، وقد قيل: إنه الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا، وثانيهما على النهي أي لا يخدعن المؤمن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه، وهذا يصلح أن يكون في أمر الدنيا والآخرة. قال التوربشتي: وأرى أن الحديث لم يبلغ الخطابي على ما كان عليه، وهو مشهور عند أهل السير، وذلك أن النبي ﷺ: «منّ على بعض أهل مكة، وهو أبو غرة الشاعر الجمحي، وشرط عليه أن لا يحرض عليه، فلما بلغ ما منّه عاد إلى ما كان عليه، فأسر تارة أخرى، فأمر بضرب عنقه، فكلمه بعض الناس في المنّ عليه فقال: «لا يلدغ المؤمن». الحديث. وروى النووي عن القاضي عياض هذه القصة وقال: سبب هذا الحديث معروف، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا غرة الشاعر يوم بدر فمَنّ عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه فأطلقه، فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسر يوم أحد فسأله المنّ فقال النبي ﷺ: «لا يلدغ المؤمن» الحديث. وهذا السبب يضعف الوجه الثاني. ذكره الطيبي ولم يظهر لي وجه ضعفه على أنه قد يقال: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وإلا لكان المؤمن مختصاً به عليه السلام لكونه أخبر عن

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٥٤.

الحديث رقم ٥٠٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٢٩ الحديث رقم ٦١٣٣، ومسلم في ٤/ ٢٢٩٥ الحديث رقم (٦٣ - ٢٩٩٨)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٨٥ الحديث رقم ٤٨٦٢، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠١ الحديث رقم ٤١٨٩، وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٩.

متفق عليه.

٥٠٥٤ ـ (٢) وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأشجّ عبدِ القيسِ: «إنَّ فيكَ لخصلتَينِ يُحبُّهما اللَّهُ: الحلمُ والأناةُ». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٠٥٥ ـ (٣) عن سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الأناةُ منَ اللَّهِ

نفسه، وقد أطنب الطيبي في نصرة الخطابي إلى أن قال: فظهر أن القول بالنهي أولى والمقام له أدعى اهـ، وبعده لا يخفى. (**متفق عليه**). ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عنه وأحمد أيضاً وابن ماجه عن ابن عمر.

٥٠٥٤ ـ (**وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ**)، وفي نسخة أن النبي (ﷺ **قال: «لأشج عبد القيس»**)، بالإضافة، وهو كان رئيس عبد القيس، وهي قبيلة، وفي نسخة بالفتح على أنه غير منصرف، وأن عبد القيس بدل منه أو عطف بيان له على حذف مضاف أي رئيس عبد القيس واسمه المنذر بن عائذ، ولم يذكره المؤلف. (**«إن فيك الخصلتين يحبهما الله»**) أي فيك وفي غيرك (**«الحلم»**) وهو بكسر الحاء تأخير مكافأة الظالم في الأصل، ثم يستعمل في العفو عن الذنب. قيل: والمراد به هنا عدم استعجاله وتراخيه حتى ينظر في مصالحه، قلت: فيبقى مكرراً مع قوله: (**«والأناة»**) بفتح الهمزة على وزن نواة، وهي اسم من التأني فقيل: معناه الوقار والتثبت، وقيل: الثبات في الطاعات، وقيل: المراد جودة نظره في العواقب، وضبطا في أصل السيد بالرفع فيهما وجوز نصبهما، لكن الأظهر هو النصب على البدلية من الخصلتين كما حقق في قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ وفي حديث «بني الإسلام على خمس»[(١)]. هذا وفي شرح السنة روي عن المنذر الأشج أنه قال: «يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: الله جبلك عليهما قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله» اهـ وإنما عطف رسوله عليه لأن محبته ﷺ تابعة لمحبته تعالى لا تنفك عنها. (**رواه مسلم**) وكذا الترمذي.

(الفصل الثاني)

٥٠٥٥ ـ (**عن سهل بن سعد الساعدي**) صحابيان (**أن النبي ﷺ قال: «الأناة من الله»**) أي

الحديث رقم ٥٠٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤٩ الحديث رقم (٢٥ ـ ١٧)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٢ الحديث رقم ٢٠١١، وابن ماجه ٢/ ٤٠١ الحديث رقم ٤١٨٧، وأحمد في المسند ٣/ ٢٣.

(١) متفق عليه.

الحديث رقم ٥٠٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٢ الحديث رقم ٢٠١٢.

والعَجَلةُ منَ الشيطان». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ. وقد تكلمَ بعضُ أهل الحديث في عبدِ المهيمن بن عبَّاسٍ الرَّاوي من قِبَلِ حفظِه.

٥٠٥٦ ـ (٤) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا حليمَ إلا ذو عثرةٍ، ولا حكيمَ إلا ذو تجربة». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب.

٥٠٥٧ ـ (٥) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوْصِني. فقال: «خُذِ الأمرَ بالتَّدبيرِ،

من إلهامه («والعجلة») أي في أمور الدنيا («من الشيطان») أي وسوسته، قيل: ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته، قال تعالى: **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات﴾** [الأنبياء ـ ٩] قلت: بون بين المسارعة والمبادرة إلى الطاعات وبين العجلة في نفس العبادات، فالأول محمود والثاني مذموم. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**). قال ميرك: وفي بعض النسخ: حسن غريب. (**وقد تكلم بعض أهل الحديث**) أي من العارفين بأحوال رجال الإسناد (**في عبد المهيمن بن عباس الراوي**) بسكون الياء أي أحد رواة هذا الحديث (**«من قبل حفظه»**) أي وقع طعن البعض فيه من جهة حفظة، فإنه عدل ثقة فأمره سهل، وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس مرفوعاً ولفظه: «التأني من الله والعجلة من الشيطان»(١).

٥٠٥٦ ـ (**وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حليم إلا ذو عثرة»**) بفتح العين وسكون المثلثة أي صاحب زلة قدم أو لغزة قلم في تقريره أو تحريره. قال الشارح: أي «لا حليم كاملاً إلا من وقع في زلة وحصل منه الخطأ والتخجل». فعفى عنه فعرف به رتبة العفو فبحلم عند عثرة غيره لأنه عند ذلك يصير ثابت القدم، (**«ولا حكيم إلا ذو تجربة»**) أي صاحب امتحان في نفسه وفي غيره، قال الشارح: أي لا حكيم كاملاً إلا من جرب الأمور وعلم المصالح والمفاسد فإنه لا يفعل فعلاً إلا عن حكمة إذ الحكمة أحكام الشيء وإصلاحه عن الخلل اهـ، وهو موافق لما في النهاية وشرح المظهر، لكن ينبغي أن يقال: لا حليم ولا حكيم من المخلوقين إلا كذا ليصح الحصر، وقد عرفت وصفه تعالى بهما في الأسماء الحسنى ويمكن أن يقال: المعنى لا حليم إلا وقد يعثر، كما قيل: «نعوذ بالله من غضب الحليم»، ولا حكيم من الحكماء الطيبة إلا صاحب التجربة في الأمور الدائبة والذاتية والله أعلم. (**رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب**) وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه(٢).

٥٠٥٧ ـ (**وعن أنس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «أوصني»**) أي بشيء يزيل تحيري في أمري (**«فقال: خذ الأمر»**) أي الذي تريد أن تفعله (**«بالتدبير»**) من باب التفعيل أي بالتفكر في دبره

---

(١) البيهقي في الشعب ٤/ ٨٩ الحديث رقم ٤٣٦٧.

الحديث رقم ٥٠٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٣٢ الحديث رقم ٢٠٣٣، وأحمد في المسند ٣/ ٦٩.

(٢) أخرجه ابن حبان في ١/ ٤٢١ الحديث رقم ١٩٣، والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٩٣.

الحديث رقم ٥٠٥٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ١٧٥ الحديث رقم ٣٦٠٠.

فإنْ رأيتَ في عاقبتِه خيراً فأمضِه، وإنْ خِفتَ غَيّاً فأمسِك» رواه في «شرح السنة».

٥٠٥٨ ـ (٦) وعن مصعب بن سعدٍ، عن أبيهِ، قال الأعمشُ: لا أعلمُه إلا النبيَّ ﷺ قال: «التُّؤَدَةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلاَّ في عملِ الآخرةِ».

والتأمل في مصالحه ومفاسده والنظر في عاقبة أمره (**«فإن رأيت في عاقبته خيراً»**) أي نفعاً دنيوياً أو أخروياً (**«فامضه»**) بقطع الهمزة أي فافعله (**«وإن خفت»**) أي رأيت بقرينة القرينة، ففيه تفنن، وما أحسن موقعه في الشر المعبر عنه بقوله: (**«غياً»**) أي ضلالة، وإنما ترك مراعاة المقابلة ليفيد زيادة إفادة المشاكلة، فكأنه قال: في الأول خير وهداية، وفي الثاني شر وضلالة، وهذا بعض الصنيع من صنائع البديع ثم قوله: رأيت بمعنى عملت أو ظننت، والثاني أظهر لأن مبنى الأمور الشرعية غالبها، والمطالب العرفية كلها إنما هو على الظن لا سيما بالنسبة إلى المخاطب، فإن أرباب اليقين في كل قضية لا يوجد إلا من الأنبياء، وكمل العارفين مع أن حكم العلم يعلم بالأولى كما لا يخفى، وقال الطيبي: الخوف هنا بمعنى الظن كما في قوله تعالى: ﴿**إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله**﴾ [البقرة ـ ٢٢٩]، ويجوز أن يكون بمعنى العلم واليقين لأن من خاف من شيء احترز عنه وتحرى حقيقته اهـ. وفيه بحث ليحقق حقيقته، قال: وهذا أنسب بالمقام لأنه وقع في مقابلة رأيت وهو بمعنى العلم وهما نتيجة التفكر والتدبير قلت: بل هما المتفرعان عليهما المنتجان للفعل المعبر عنه بالإمضاء، والترك المعبر عنه بقوله: (**«فامسك»**) أي كف عنه واتركه. (**رواه في شرح السنة**)، وذكر السيوطي المرفوع في الجامع الصغير وقال: رواه عبد الرزاق في الجامع وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان[1].

٥٠٥٨ ـ (**وعن مصعب**) بصيغة المفعول أبو زارة (**بن سعد**) أي ابن أبي وقاص (**عن أبيه**) أي سعد، وهو أحد العشرة المبشرة، وأما مصعب فسمع أباه وعلياً وابن عمر، وروى عنه سماك بن حرب وغيره (**قال الأعمش:**) أي أحد الرواة، وهو تابعي جليل، قال المؤلف: اسمه سليمان بن مهران الكاهلي الأسدي مولى بني كاهل بطن من بني أسد خزيمة ولد سنة ستين بأرض الري، فجيء به حميلاً إلى الكوفة، فاشتراه رجل من بني كاهل فأعتقه، وهو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة، وعليه مدار أكثر الكوفيين، روى عنه خلق كثير مات سنة ثمان وأربعين ومائة (**«لا أعلمه»**) أي قول سعد هذا (**«إلا عن النبي ﷺ»**) أي نقلاً ورواية عنه، أو لا أعلم الحديث إلا مرفوعاً إليه عليه السلام (**«قال التؤدة»**) بضم التاء وفتح الهمزة أي التأني (**«في كل شيء»**) أي من الأعمال (**«خير»**) أي مستحسن (**«إلا في عمل الآخرة»**) أي لأن في تأخير الخيرات آفات، وروي أن أكثر صياح أهل النار من تسويف العمل. قال الطيبي: وذلك لأن الأمور الدنيوية لا يعلم عواقبها في ابتدائها أنها محمودة العواقب حتى

---

(١) الجامع الصغير ٢/٢٣٦ الحديث رقم ٣٨٨٥.

الحديث رقم ٥٠٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/١٧٥ الحديث رقم ٤٨١٠.

رواه أبو داود.

٥٠٥٩ ـ (٧) وعن عبدِ الله بن سَرْجِس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «السَّمْتُ الحسَنُ والتُّؤَدَةُ والاقتصادُ جزءٌ من أربعٍ وعشرينَ جزءاً

يتعجل فيها، أو مذمومة فيتأخر عنها بخلاف الأمور الأخروية لقوله تعالى: ﴿**فاستبقوا الخيرات وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾ [آل عمران ـ ١٣٣] قال الغزالي: في قوله تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ [البقرة ـ ٢٦٨] ينبغي للمؤمن إذا تحركت له داعية البذل أن لا يتوقف لأن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه، كأن أبو الحسن الفرشخي في الخلاء فدعا تلميذاً له فقال: «انزع عني القميص وادفعه إلى فلان فقال: هلا صبرت حتى تخرج قال: خطر لي بذله ولا آمن على نفسي أن تتغير». (**رواه أبو داود**)، وكذا الحاكم في مستدركه، والبيهقي في شعب الإيمان عن سعد مرفوعاً[١].

٥٠٥٩ ـ (**وعن عبد الله بن سرجس**) كنرجس بكسر الجيم وفتح السين، وفي نسخة بفتح الجيم وكسر السين وسبق تحقيقه (**أن النبي ﷺ قال: «السمت الحسن»**) أي السيرة المرضية والطريقة المستحسنة. قال شارح: السمت الطريق، ويستعار لهيئة أهل الخير، وفي الفائق السمت أخذ المنهج ولزوم المحجة (**«والتؤدة»**) أي التأني في جميع الأمور (**«والاقتصاد»**) أي التوسط في الأحوال والتحرز عن طرفي الإفراط والتفريط. قال التوربشتي: الاقتصاد على ضربين أحدهما ما كان متوسطاً بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود وهذا الضرب أريد بقوله تعالى: ﴿**ومنهم مقتصد**﴾ [فاطر ـ ٣٢] والثاني محمود على الإطلاق وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل والشجاعة، فإنها بين التهوّر والجبن، وهذا الذي في الحديث هو الاقتصاد المحمود على الإطلاق قلت: ومن هذا القبيل الاقتصاد في الاعتقاد، فإنه بين التعطيل والتشبيه وبين الجبر والقدر والاقتصاد في المعيشة ومنه قوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ [الفرقان ـ ٦٧] منه حديث: «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة»، وحديث: «ما عال من اقتصد»[٢] وكذا حكم الاقتصاد في سائر الأفعال، ومنه قوله تعالى: ﴿**واقصد في مشيك واغضض من صوتك**﴾ [لقمان ـ ١٩] وقوله عزَّ وجلّ: ﴿**كلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ [الأعراف ـ ٣١] وقال بعض العارفين: «اطلب العلم بحيث لم يمنعك عن العمل واعمل بحيث لم يشغلك عن العلم». (**«جزء»**) أي كلها أو كل منها (**«من أربع وعشرين جزءاً»**)، ويؤيد الأخير ما رواه الضياء عن أنس مرفوعاً: «السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءاً من النبوّة» مع

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٦٤،.

الحديث رقم ٥٠٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٢ الحديث رقم ٢٠١٠، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٥٤ الحديث رقم ١٧ من كتاب الشعر.

(٢) شعب الإيمان ٥/ ٢٥٥ الحديث رقم ٦٥٦٩.

من النُّبوةِ». رواه الترمذي.

٥٠٦٠ ـ (٨) وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «إنَّ الهَدْيَ الصالح والسَّمتَ الصالحَ والاقتصادَ جزءٌ منْ خمسٍ وعشرينَ جزءاً منَ النبوَّةِ». رواه أبو داود.

٥٠٦١ ـ (٩) وعن جابرِ بن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، قال: «حدَّثَ الرجلُ

زيادة إفادة أن المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد، وينصره الحديث الآتي حيث قال: جزء من خمس وعشرين على أنه يمكن الاختلاف بحسب اختلاف الكمية والكيفية الحاصلة في المتصف به، وأما ما قال شارح من أن التفاوت بين العددين من خمس وأربع يحتمل أن يكون من غلط الرواة، فهو احتمال غلط منه، وسببه الغفلة عما ذكرناه نقلاً وعقلاً والله أعلم. قال القاضي: كان الصواب أن يقول: أربعة على التذكير، فلعله أنث على تأويل الخصلة أو القطعة أو لإجراء الجزء مجرى الكل في التذكير والتأنيث، قلت: التأويلات كلها مستحسنة، وأما قوله: وكان الصواب فخطأ ظاهر لا يخفى («من النبوّة») أي من أجزائها. قال الخطابي: الهدى والسمت حالة الرجل ومذهبه، والاقتصاد سلوك القصد في الأمور والدخول فيها برفق على سبيل تمكن الدوام عليها، يريد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها وليس معناه أن النبوّة تتجزأ ولا أن من جمع هذه الخصال كان نبياً فإن النبوّة غير مكتسبة، وإنما هي كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالته، ويحتمل أن يكون معناه أن هذه الخلال مما جاءت به النبوّة ودعا إليها الأنبياء، وقيل: معناه أن من جمع هذه الخصال[1] لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوى الذي ألبس أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، فكأنها جزء من النبوّة. قال التوربشتي: والطريق إلى معرفة ذلك العدد ووجهه بالاختصاص من قبل الرأي والاستنباط مسدود، فإنه من علوم النبوّة، وقد سبق القول في هذا المعنى في كتاب الرؤيا. **(رواه الترمذي)**.

٥٠٦٠ ـ **(وعن ابن عباس أن نبي الله ﷺ قال: «إن الهدى»)** بفتح فسكون **(«الصالح»)** أي السيرة الحسنة **(«والسمت الصالح»)** أي الطريقة المستحسنة من زي الصالحين، وحاصل الفرق بينهما أن الهدى متعلق بالأحوال الباطنة والسمت بالأخلاق الظاهرة فهما في الطريقة بمنزلة الإيمان والإسلام في الشريعة، والجمع بينهما نور على نور وبه تتم الحقيقة **(«والاقتصاد»)** أي التوسط في أمر المعيشة والمعاد **(«جزء من خمس»)**. وفي رواية الجامع خمسة بالتاء وهو الظاهر **(«وعشرين جزءاً من النبوّة». رواه أبو داود)**، وكذا الحاكم.

٥٠٦١ ـ **(وعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا حدث الرجل»)** أي عندك أو عند

---

(١) في المخطوطة «الخلال».

الحديث رقم ٥٠٦٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٣٦ الحديث رقم ٤٧٧٦، وأحمد في المسند ١/ ٢٩٦.

الحديث رقم ٥٠٦١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٨٨ الحديث رقم ٤٨٦٨، والترمذي في السنن ٤/ ٣٠١ الحديث رقم ١٩٥٩، وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٩.

الحديثَ ثم التفتَ؛ فهي أمانةٌ». رواه الترمذي وأبو داود.

٥٠٦٢ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي الهيثم بن التَّيِّهان: «هلْ لكَ خادمٌ؟» [٣٧٨ ـ ب ـ] فقال: لا. قال: «فإذا أتانا سَبيٌ فأتِنا» فأُتِيَ النبيُّ ﷺ برأسَين، فأتاهُ أبو الهيثم، فقال النبيُّ ﷺ: «اخترْ منهما». فقال: يا نبيَّ الله اخترْ لي منها فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المستشارَ مُؤتمَنٌ. خُذْ هذا فإني رأيتُه يُصلي واستَوْصِ به معروفاً». رواه الترمذي.

أحد، وهو الأظهر («**الحديث**») أي الذي يريد إخفاءه («**ثم التفت**») أي غاب عنك أو عنه بمفارقة المجلس («**فهي**») أي ذلك الحديث، وأنث باعتبار خبره، وهو قوله: («**أمانة**»)، وقيل: لأن الحديث بمعنى الحكاية، والمعنى أن حكمة حكم الأمانة فلا يجوز إضاعتها بإشاعتها، وقد فسر المظهر قوله: «التفت» بغاب، وحينئذ ثم على بابه من التراخي المستفاد منه حكم التعقيب بالأولى؛ وقال الطيبي: والظاهر أن التفت هنا عبارة عن التفات خاطره إلى ما تكلم، فالتفت يميناً وشمالاً احتياطاً، ثم هنا للتراخي في الرتبة ويدل على هذا ترتب الفاء، وأن الثاني مسبب عن الأول، قلت: هذا تكلف ظاهر مستغنى عنه، فإن الحكم عام غير مخصوص بما يفهم منه، والفاء لازمة للجزاء فليس فيها دلالة على ما ادعاه أصلاً، وحاصله إجمالاً معنى الحديث الآتي المجالس بالأمانة ويستثنى منها ما سيأتي والله أعلم. (**رواه الترمذي وأبو داود**). وكذا أحمد والضياء عن جابر وأبو يعلى في مسنده عن أنس.

٥٠٦٢ ـ (**وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لأبي الهيثم بن التيهان**) بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر المثناة التحتية المشددة وبالنون، ذكره في جامع الأصول، وقد تقدم ترجمته في باب الضيافة، وهذا الحديث ذيل لذلك الحديث وقد بيناه هناك («**هل لك خادم**») أي عبد («**قال: لا. قال: فإذا أتانا سبي**») أي أسارى («**فأتنا فأتي**») أي جيء («**النبي ﷺ برأسين**») أي من العبيد («**فأتاه أبو الهيثم فقال النبي ﷺ اختر منهما**») أي واحداً منهما أو بعضهما («**فقال: يا نبي الله اختر لي**») أي أنت أولى بالاختيار فإنك المصطفى المختار وعلى اختيارك المدار («**فقال النبي ﷺ:**») توطئة وتمهيد («**إن المستشار**») من استشاره طلب رأيه فيما فيه المصلحة («**مؤتمن**») اسم مفعول من الأمن أو الأمانة، ومعناه أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته («**خذ هذا**») أي مشاراً إلى أحدهما («**فإني رأيته يصلي**»)، فيه أنه يستدل على خيرية الرجل بما يظهر عليه من آثار الصلاح لا سيما الصلاة، فإنها تنهي عن الفحشاء والمنكر («**واستوص به معروفاً**») أي استيصاء معروف، قيل: معناه لا تأمره إلا بالمعروف والنصح له، وقيل: وص في حقه بمعروف. كذا ذكره زين العرب. وقال الطيبي: أي اقبل وصيتي في حقه وأحسن ملكته بالمعروف. (**رواه الترمذي**) أي في جامعه،

الحديث رقم ٥٠٦٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٤٥ الحديث رقم ٥١٢٨ مختصراً، وأخرجه الترمذي في ٤/ ٥٠٤ الحديث رقم ٢٣٦٩، وابن ماجه في ٢/ ١٢٣٣ الحديث رقم ٣٧٤٥ وأحمد في المسند ٤/ ١٧٢.

٥٠٦٣ - (١١) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المجالسُ بالأمانةِ إلا ثلاثةَ مجالسَ: سفكُ دمٍ حرامٍ، أو فرج حرام، أوِ اقتِطاع مالٍ بغيرِ حقٍّ». رواه أبو داود.

وذُكِرَ حديثُ أبي سعيدٍ: «إنَّ أعظمَ الأمانةِ» في باب «المباشرةِ» في «الفصل الأول».

الفصل الثالث

٥٠٦٤ - (١٢) عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لمَّا خلقَ اللَّهُ العقلَ قالَ له: قُمْ،

وكذا في الشمائل مطولاً كما أوردناه في باب الضيافة، وفيه أنه أعتق العبد لأجل وصيته عليه السلام. وأما حديث «المستشار مؤتمن»، فقد رواه الأربعة عن أبي هريرة والترمذي عن أم سلمة وابن ماجه عن ابن مسعود، وفي رواية الطبراني في الكبير عن سمرة بلفظ «المستشار مؤتمن إن شاء أشار وإن شاء لم يشر»، وفي رواية له في الأوسط عن علي بلفظ: «المستشار مؤتمن فإذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه».

٥٠٦٣ - **(وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس»)** أي إحدى الثلاثة من المجالس، والمعنى ينبغي للمؤمن إذا رأى أهل مجلس على منكر أن لا يشيع ما رأى منهم إلا ثلاثة مجالس (**«سفك دم»**) بالرفع بتقدير هي مجلس إراقة دم (**«حرام»**) بالجر صفة دم أي دم حرام سفكه أو دم محترم في الشرع (**«أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق»**) قيد للأخير فقط، ولعل العدول عن حرام هنا لأجل مفهومه من الحلال، فإن اقتطاع مال الناس ظلماً حرام سواء يكون المال حلالاً أو حراماً، فالجار متعلق بالاقتطاع كما لا يخفى. قال المظهر: كما إذا سمع من قال في مجلس أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة أو أخذ مال فلان، فإنه لا يجوز ستر ذلك حتى يكونوا على حذر منه. **(رواه أبو داود)**. وأما صدر الحديث وهو قوله: «المجالس بالأمانة»، فقد رواه الخطيب عن علي رضي الله عنه، **(ذكر حديث أبي سعيد: «إن أعظم الأمانة»)** أي «عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها». رواه مسلم **(في باب المباشرة في الفصل الأوّل)**. قال الطيبي: تنبيه على أن هذا الحديث جاء مكرراً في المصابيح وعلى أن إيراده في الصحاح أولى منه في الحسان، أقول: الظاهر أن المؤلف حوّل الحديث من هنا إلى ذلك الباب لأنه أنسب به، فهو اعتراض واعتذار لئلا يتوهم إسقاطه والله أعلم.

(الفصل الثالث)

٥٠٦٤ - **(عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله العقل قال له: قم،**

الحديث رقم ٥٠٦٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٨٩ الحديث رقم ٤٨٦٩، والترمذي في ٤/ ٣٠١ الحديث رقم ١٩٥٩، وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٢.

الحديث رقم ٥٠٦٤: أخرجه البيهقي في الشعب ٤/ ١٥٤ الحديث رقم ٤٦٣٣.

فقامَ، ثمَّ قال له: أدبِرْ، فأدبرَ، ثمَّ قال له: أقبِلْ، فأقبلَ، ثمَّ قال له: أقعُدْ، فقعدَ، ثمَّ قال له: ما خلقتُ خلقاً هوَ خيرٌ منكَ ولا أفضلُ منكَ ولا أحسنُ منكَ، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أُعرف، وبك أعاتب، وبك الثَّواب، وعليكَ العقابُ».

فقام، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: اقعد فقعد») ظاهر الحديث أنه خلق مجسداً مجسماً كما يخلق الموت على صورة كبش يذبح بين الجنة والنار، أو المراد بالقيام والقعود والإقبال والإدبار أمور معنوية حاصلة منه ناشئة عنه باعتبار اختلاف أرباب العقول، ولعل القيام كناية عن الظهور والقعود عن خفائه، والإقبال عن توجهه إلى شيء، والإدبار عن إعراضه عنه بحسب ما تعلق به المشيئة والإرادة الأزلية. قال الطيبي: المجموع كناية عن أن العقل هو محل التكليف، وإليه ينتهي الأوامر والنواهي، وبه يتم غرض خلق المكلفين من العبادة التي ما خلقت السموات والأرض إلا لأجلها، ويدل عليه ما بعده، قلت: الصواب وضع الحكمة موضع الغرض لأن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض، (**ثم قال له: ما خلقت خلقاً هو خير منك»**) أي في حد ذاته، فإنه جوهر شريف يحتاج إليه الوضيع والشريف، ومن جملة الدلالة على كماله أن كل أحد يغضب من نسبة فقده أو نقصانه إليه (**«ولا أفضل منك»**) لحصول الفضائل والفواضل وزيادة العبادات والدرجات به (**«ولا أحسن منك»**) أي في حسن المعاشرة وتحسين المعاملة (**«بك»**) أي بسببك أو بقدرك (**«آخذ»**) أي العبادات من عبادي (**«وبك أعطي»**) أي الثواب والدرجات (**«وبك أعرف»**) بصيغة المجهول أي ذاتاً وصفة وحكماً (**«وبك أعاتب»**) أي على من أعاتب، فإن المجنون ونحوه لا عتب عليه (**«وبك الثواب»**) أي وصوله حال الإقبال، (**«وعليك العقاب»**) أي حصوله وقت الإدبار، واعلم أن شرف العقل إنما هو لكونه سبباً للعلم المنتج للعمل المؤدي إلى السعادة الأبدية، وسمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي كما يسمى نهية لأنه ينهى عن الفحشاء والمنكر، وقال الراغب: العقل يقال: للقوّة المتهيئة لقبول العلم، ويقال: للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقل. ولهذا قيل:

فإن العقل عقلان ... فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع ... إذ لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

وإلى الأوّل أشار بقوله عليه السلام: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل» وإلى الثاني أشار بقوله ﷺ: «ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردي»(١)، وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: **﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾** [العنكبوت ـ ٤٣] قلت: الظاهر أنه كما لا ينفع مسموع بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا مسموع. ألا ترى أن الحكماء مع زعمهم أنهم أكبر العقلاء ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير متابعتهم للأنبياء، وأقوالهم المسموعة. وقال تعالى: **﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾**

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٦١ الحديث رقم ٤٦٦٠.

وقد تكلم فيه بعض العلماءِ.

٥٠٦٥ ـ (١٣) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليكونُ منْ أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة». حتى ذكر سهامَ الخير كلها: وما يُجزي يوم القيامة إلا بقدرِ عقله».

[الجاثية ـ ٢٣] ونظيره المشاهد لكل أحد، الأصم الخلقي فإنه ينتفع بعقله المطبوع وليس له حظ من العقل المسموع، ثم هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان، كما أجمله المؤلف في آخر الفصل وقال هنا («**وقد تكلم فيه**») أي في ضعف هذا الحديث أو وقد طعن في ثبوته («**بعض العلماء**»)، ففيه تنبيه نبيه على اختلاف العلماء في حقه، لكن قال السخاوي في المقاصد: أنه كذب موضوع اتفاقاً[1] ثم رأيت في مختصر الشيخ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي أنه قال: «أوّل ما خلق الله العقل»، الخ ضعيف «وما خلق الله خلقاً أكرم من العقل». للحكيم ضعيف، وفي شرح الطيبي قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية: الحديث الذي ذكروه كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم السبتي وأبو الحسن الدارقطني وابن الجوزي وغيرهم اهـ. ووجه ذكر هذا الحديث في باب الحذر والتأني في الأمور ظاهر من نتائج العقل والله أعلم.

٥٠٦٥ ـ (**وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليكون من أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة حتى ذكر سهام الخير**») أي أبوابه وأنواعه («**كلها**») أي جميعها («**وما يجزي**») بصيغة المجهول أي ما يثاب («**يوم القيامة إلا بقدر عقله**») أي بمقدار استعماله في هذه العبادات، ويحتمل أن يكون المراد بالعقل هنا المستفاد بالعقل فيفيد أن زيادة المثوبان والدرجات في العبادات باختلاف مراتب علوم أصحابها وعقول أربابها. قال الطيبي: إشارة إلى أن العقل المسموع لا ينفع كل النفع إلا بالعقل المطبوع لأنه هو المميز الذي يضع كل شيء في موضعه وبه تتفاوت صلاة عن صلاة وصدقة عن صدقة وصوم عن صوم، لأنه ربما يركع ركعة في مقام تفضل ألف ركعة في غيره، وكذلك الصدقة وغير ذلك من أعمال البرور بما يعمل ويظن به خيراً فيرجع عليه وبالاً. قلت: لا خفاء أن العقل المطبوع ليس له التمييز في الأمر المشروع، ولهذا لا يعتبر التحسين والتقبيح العقليان، فالمدار هنا على العقل المسموع لكن بمساعدة العقل المطبوع بأن يصلي على ما ينبغي من المعلوم في الشريعة، وفي مقام يليق به من المسموع في الطريقة، وكذا سائر العبادات والله أعلم بالنيات. فمدار كمال الصلاة مثلاً بعد مراعاة الشروط والأركان وواجباتها وسننها وآدابها المسموعة المعروفة على حضور القلب مع الله وقطع النظر عما سواه. فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان عن عمار بن ياسر مرفوعاً أن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها وربعها ثلثها

---

(١) المقاصد الحسنة ص١٣٤.

الحديث رقم ٤٠٦٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٥٥ الحديث رقم ٤٦٣٧.

٥٠٦٦ ـ (١٤) وعن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! لا عقلَ كالتدبير، ولا ورع كالكفِّ، ولا حسَب كحسن الخلق».

٥٠٦٧ ـ (١٥) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقتصاد في النَّفقة نصفُ المعيشة، والتودُّد إِلى الناس نصفُ العقل،

نصفها»[1]

٥٠٦٦ ـ **(وعن أبي ذر قال: قال لي:)** أي مخاطباً **(رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير»)**. قال الطيبي: أراد بالتدبير العقل المطبوع لما سبق من أن العقل المسموع لا يعتد به ولا يحتسب لصاحبه إلا بالعقل المطبوع، قلت: وقد تقدم أن العقل المطبوع لا نفع له بدون العقل المسموع بل ربما ينفع المسموع بدون المطبوع كمن آمن بمجرد التقليد، فالمعنى لا عقل كعقل التدبير أي كالعقل الذي يصحبه التدبير وهو الذي ينظر في دبر الأمر وعاقبته، ويميز ما يحمد ويذم في الآخرة، ولا شك أن مداره على العقل المسموع **(«ولا ورع كالكف»)** أي ولا تورع عن المحرمات والشبهات مثل الكف عن المعاملات وترك المباحات إلا الضروريات **(«ولا حسب»)** أي لا مكرمة ولا شرف **(«كحسن الخلق»)** أي كمداراة الخلق مع مراعاة الحق. هذا وفي النهاية الورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج فيه ثم استعير للكف عن المباح والحلال، قلت: فالمراد بالورع في الحديث معناه الأصلي، وبالكف معناه العرفي على ما قررناه، ولما غفل الطيبي عما حررناه قال بعد كلام صاحب النهاية: فإن قلت: فعلى هذا الورع هو الكف فكيف قيل: ولا ورع كالكف قلت: الكف إذا أطلق فهم منه كف الأذى أو كف اللسان كما قال ﷺ: «كف هذا وأخذ بلسانه» كما قيل: ولا ورع كالصمت أو الكف عن أذى المسلمين ولا حسب كحسن الخلق أي لا مكارم مكتسبة كحسن الخلق مع الخلق، فالأوّل عام والثاني خاص. قلت: الصواب أن الأول خاص والثاني عام، لأن حسن الخلق شامل لجميع أنواع المستحسنات، ولذا ورد «الخلق الحسن أحسن الحسن». وقال تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** [القلم ـ ٤] فكل الصيد في جوف الفرا والله أعلم.

٥٠٦٧ ـ **(وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقتصاد في النفقة»)** أي في صرفها أو في الإنفاق **(«نصف المعيشة»)** وهو مقتبس من قوله تعالى: **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾** [الفرقان ـ ٦٧] **(«والتودد إلى الناس»)** أي التحبب إلى المؤمنين الصالحين **(«نصف العقل»)** أي استعمال نصفه أو سبب تحصيل نصفه، فإنه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٥/ ٢١٠ الحديث رقم ١٨٨٩، وأبو داود في السنن ١/ ٥٠٣ الحديث رقم ٧٩٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣١٩.

الحديث رقم ٥٠٦٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٠ الحديث رقم ٤٢١٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٧ الحديث رقم ٥٦٤٧.

الحديث رقم ٥٠٦٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٢٥٤ الحديث رقم ٦٥٦٨.

وحسنُ السؤال نصفُ العلم» روى البيهقيُّ الأحاديث الأربعة في «شعب الإيمان».

بالاستصحاب يحصل للعقل الاكتساب، فكان عقل المنفرد نصف العقل، فيكمل بعقل صاحبه، ولذا قيل: «علمان خير من علم واحد»، وكان بعض العارفين يقول لبعض تلاميذه: «أنا وأنت إنسان كامل لأنك حافظ القرآن وأنا مفسره»، ولعل هذا معنى ما رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان عن سهل بن سعد مرفوعاً «المرء كثير بأخيه»، ولا شك أن مصاحبة أرباب الكمال تورث كمال العقل في جميع الأحوال («**وحسن السؤال نصف العلم**»)، فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هو بشأنه أعني، وهذا يحتاج إلى فضل تميز بين مسؤول ومسؤول، فإذا ظفر بمبتغاه وفاز به كمل علمه، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: «لا أدري نصف العلم» اهـ. والأظهر أن يقال: يفهم من حسن سؤال الطالب أن له مشاركة في العلم وأنه يريد أن يضيف إليه بقية العلم، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: لا أدري نصف العلم بخلاف من يسأل من غير تأمل وحسن مقال، فإنه يكون نصاً على نقصان عقله وكمال جهله. حكي أن تلميذاً كان لأبي يوسف ساكتاً في المجلس فقال له: إذا أشكل عليك شيء فسل ولا تستح، فإن الحياء يمنع العلم، وكان الإمام يتكلم في تعريف الصوم أنه من الصبح إلى الغروب فقال: فإذا لم تغرب فإلى متى؟ فقال له: اسكت فإن سكوتك خير من كلامك. وما أحسن ما قال بعض أرباب الحال: «إن الجاهل إذا تكلم فهو كالحمار، وإذا سكت فهو كالجدار». هذا والصحيح في معنى قوله: «لا أدري نصف العلم» بيان أن العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم فإنه لا بد له من الجهل ببعضه، ففي ذلك جوابه لا أدري، وروى أنه ﷺ قال: «لا أدري أعزير نبي أم لا» وفي القرآن: ﴿**لا أدري ما يفعل بي ولا بكم**﴾ [الأحقاف ـ ٩] ﴿**وقل الروح مع أمر ربي**﴾ [الإسراء ـ ٨٥] ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾ [الإسراء ـ ٨٥] وقد حكي أن علياً كرم الله وجهه سئل عن شيء وهو على المنبر فقال: لا أدري، فقيل له: فإذا كنت لا تدري فلم صعدت المنبر؟ قال: إنما طلعت بقدر علمي، ولو صعدت بقدر جهلي لو صلت: السماء». وفي قول الملائكة ﴿**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**﴾ [البقرة ـ ٣٢] تنبيه على ذلك والله أعلم. (**روى البيهقي الأحاديث الأربعة في شعب الإيمان**). قلت: والحديث الأخير رواه الطبراني في مكارم الأخلاق عن ابن عمر أيضاً، وروى الخطيب عن أنس مرفوعاً «الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين» وروى أحمد عن ابن مسعود مرفوعاً «ما عال من اقتصد».

(١٩) باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الفصل الأول

٥٠٦٨ ـ (١) عن عائشة [رضي الله عنها] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الله تعالى رفيق يُحبُّ الرِّفقَ، ويعطي على الرفق

باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الرفق بالكسر ضد العنف وهو المداراة مع الرفقاء ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، وأما الحياء فقال الحكماء: هو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يلام به. وقال الجنيد: حالة تتولد من رؤية الآلاء والتقصير في شكل النعماء. وقال ذو النون: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك. وقال الدقاق: هو ترك الدعوى بين يدي المولى، وأما حسن الخلق فقالوا: هو الانصاف في المعاملة وبذل الإحسان والعدل في الأحكام. والأظهر أنه هو الاتباع بما أتى به محمد ﷺ من أحكام الشريعة وآداب الطريقة وأحوال الحقيقة، ولذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ الوارد في حقه ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾ [القلم ـ ٤] فقالت: كان خلقه القرآن[١] تعني أن كل ما فيه من خصله محمودة كان يتصف بها، وكل فعلة مذمومة فيه يجتنب عنها، ثم الاتباع بقدر المحبة وتوفيق المتابعة بأخذ كل سهمه ونصيبه، وقد أشار إلى ذلك الشاطبي [رحمه الله] في وصفه للقراء:

أولو البر والإحسان والصبر والتقى حلاهم بها جاء القرآن مفصلاً

(الفصل الأوّل)

٥٠٦٨ ـ (**عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله رفيق»**) أي لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فيسامحهم ولا يكلف فوق وسعهم، أو يحب أن يرفق العباد بعضهم بعضاً كما بينه بقوله (**«يحب الرفق»**) أي يرضى [به] ويثني عليه (**«ويعطي على الرفق»**) أي

---

(١) مسلم في صحيحه ١/ ٥١٢ الحديث رقم (١٣٩ ـ ٧٤٦).

الحديث رقم ٥٠٦٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠١ الحديث رقم (٧٧ ـ ٢٥٩٣)، والرواية الثانية في ٤/ ٢٠٠٤ الحديث رقم (٧٨ ـ ٢٥٩٤)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٥ الحديث رقم ٤٨٠٧ و٤٨٠٨، والترمذي في ٥/ ٥٨ الحديث رقم ٢٧٠١، وابن ماجه في ٢/ ١٢١٦ الحديث رقم ٣٦٨٨، والدارمي في ٢/ ٤١٦ الحديث رقم ٢٧٩٣، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٧٩ الحديث رقم ٣٨ من كتاب الاستئذان، وأحمد في المسند ٦/ ١٧١.

ما لا يعطي على العُنْف، وما لا يعطي على ما سواه رواه مسلم.

المثوبات والمآرب أو من الأغراض والمطالب (**«ما لا يعطي على العنف»**) بالضم، وفي القاموس هي مثلثة العين ضد الرفق (**«وما لا يعطي على ما سواه»**) أي سوى الرفق وهو العنف، ففي الكلام زيادة مبالغة وتأكيد للحكم، والأظهر أن التقدير ما سوى الرفق من الخصال الحسنة. قال القاضي: والظاهر أنه لا يجوز إطلاق الرفيق على الله تعالى اسماً لأنه لم يتواتر، ولم يستعمل أيضاً على قصد الاسمية وإنما أخبر به عن تمهيداً للحكم الذي بعده فكأنه قال: هو الذي يرفق عباده في أمورهم فيعطيهم بالرفق ما لا يعطيهم على ما سواه، وإنما ذكر قوله: وما لا يعطي على ما سواء بعد قوله: ما لا يعطي على العنف ليدل على أن الرفق أنجح الأسباب كلها وأنفعها بأسرها. قال الطيبي: وفي معناه قول الشاعر:

يا طالب الرزق الهنيّ بقوّة ... هيهات أنت بباطل مشغوف

أكل العقاب بقوّة جيف الفلا ... ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

المعنى ينبغي للمرء أن لا يحرص في رزقه بل يكل أمره إلى الله تعالى الذي تولى القسمة في خلقه، فالنسر يأكل الجيفة بعنفه، والنحل يرعى العسل برفقه. قال التوربشتي: فإن قيل: فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «أنت رفيق والله الطبيب»[(١)]، قلنا: الطبيب الحاذق بالشيء الموصوف، ولم يرد بهذا القول نفي هذا الاسم عمن[(٢)] يتعاطى ذلك وإنما حوّل المعنى من الطبيعة إلى الشريعة وبين لهم أن الذي يرجون من الطبيب فالله فاعله والمنان به على عباده، وهذا كقوله: فإن الله هو الدهر وليس الطبيب بموجود في أسماء الله سبحانه ولا الرفيق، فلا يجوز أن يقال في الدعاء: يا طبيب ولا يا رفيق اهـ. وفيه إيماء إلى أنه يجوز أن يقال: هو الطبيب وهو. رفيق على منوال ما ورد. وأما قوله ﷺ في آخر كلامه عند خروجه من الدنيا: الرفيق الأعلى فيحتمل أن يراد به الله، وأن يراد به الملأ الأعلى، فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال، وفي شرح مسلم للنووي قال المازري: لا يوصف الله سبحانه وتعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه، وأما لم يرد به أذن في إطلاقه ولا ورد منع ففيه خلاف. منهم من قال: يبقى على ما كان قبل ورود الشرع، فلا يوصف به ولا يمنع منه، ومنهم من منعه؛ وبين الأصوليين خلاف في تسمية الله تعالى بما ثبت بخبر الآحاد فقال بعضهم: يجوز لأن الخبر الواحد عنه يقتضي العمل به، وبعضهم لا يجوز ذلك لأنه من باب العمليات فلا يثبت بالأقيسة وإن كانت يعمل بها في المسائل الفقهية العملية. قال النووي: والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقاً وغيره مما يثبت بخبر الواحد. (**رواه مسلم**). وفي الجامع الصغير «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف». رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في جامعه عن عبد الله بن مغفل وابن ماجه وابن حبان عن أبي هريرة وأحمد في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان عن علي والطبراني عن أبي أمامة والبزار

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ١٦٣/٤. (٢) في المخطوطة «لمن».

[٣٧٩ ـ أ ـ] وفي رواية له: قال لعائشة: «عليك بالرفق، وإيَّاكِ والعُنْفَ والفحش إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلاّ زانه، ولا يُنزَع من شيءٍ إلا شانه».

٥٠٦٩ ـ (٢) وعن جرير، عن النبي ﷺ قال: «من يُحْرَمِ الرفقَ يُحرمِ الخير» رواه مسلم.

٥٠٧٠ ـ (٣) وعن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على رجلٍ من الأنصار وهو يَعِظ أخاه في الحياء،

عن أنس فكاد الحديث أن يكون متواتراً عند بعضهم(١). (وفي رواية له) [أي] لمسلم («قال لعائشة: عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش») أي المتولد منه («إن الرفق») استئناف بيان («لا يكون») أي لا يوجد («في شيء») أي من الذوات والأعراض («إلا زانه») أي زينه وكمله («ولا ينزع») بصيغة المجهول أي لا يفقد ولا يعدم («من شيء إلا شانه») أي عيبه ونقصه قال الطيبي: قوله: يكون يحتمل أن تكون تامة وفي شيء متعلق بها، وأن تكون ناقصة وفي [شيء] خبر كان، فالاستثناء مفرغ من أعم عام وصف الشيء أي لا يكون الرفق مستقراً في شيء يتصف بوصف من الأوصاف إلا بصفة الزينة، وفي الجامع الصغير «عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش». رواه البخاري في الأدب المفرد عن عائشة(٢). وروى مسلم عن عائشة «عليك بالرفق إن الرفق لا يكون في شيء». الحديث والله أعلم.

٥٠٦٩ ـ (وعن جرير عن النبي ﷺ قال: «من يحرم») بصيغة المجهول مجزوماً وقيل مرفوعاً («الرفق») بالنصب على أنه مفعول ثان أي من يصير محروماً منه («يحرم الخير») أي كله كما في الجامع الصغير ففيه فضل الرفق. والحث على التخلق به وذم العنف، وإن الرفق سبب كل خير. (رواه مسلم)، وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه.

٥٠٧٠ ـ (وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه) أي ينصحه (في الحياء) بأن لا يكثر منه، فإن الحياء يمنع الرزق ويمنع العلم على ما روى. قال الطيبي: أي ينذره. قال الراغب: الوعظ زجر مقترن بتخويفه؛ وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب اهـ. كلامه. والوعظ هنا بمعنى العتاب لما جاء في شرح السنة، مر رسول

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٩ الحديث رقم ١٧٤٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٤٠ الحديث رقم ٥٥٠٤.

الحديث رقم ٥٠٦٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٣ الحديث رقم (٧٤ ـ ٢٥٩٢)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٥٧ الحديث رقم ٤٨٠٩، وابن ماجه في ٢/ ١٢١٦ الحديث رقم ٣٦٨٧، وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٢.

الحديث رقم ٥٠٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٧٤ الحديث رقم ٢٤، ومسلم في ١/ ٦٣ الحديث رقم (٥٩/ ٣٦) وأبو داود في السنن ٥/ ١٤٧ الحديث رقم ٢٧٩٥، والترمذي في ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٧ والنسائي في ٨/ ١٢١ الحديث رقم ٥٠٣٣، وابن ماجه في ١/ ٢٢ الحديث رقم ٥٨ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٥ الحديث رقم ١٠ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ٢/ ١٤٧.

فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ فإنَّ الحياء من الإيمان» متفق عليه.

٥٠٧١ ـ (٤) وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلاَّ بخيرٍ». وفي روايةٍ: «الحياءُ خيرٌ كلُّهِ». متفق عليه.

الله ﷺ برجل وهو يعاتب أخاه في الحياء ويقول: إنه ليستحي [يعني] كأنه يقول: قد أضربك **(فقال رسول الله ﷺ: «دعه»)** أي اتركه **(«على حاله»)** من كثرة الحياء **(«فإن الحياء من الإيمان»)** أي بعضه أو من شعبه قال النووي: يعظه في الحياء أي ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك أي دعْه على فعل الحياء وكف عن نهيه، ووقعت لفظة دعه في البخاري ولم تقع في مسلم. **(متفق عليه)**. قلت: أما قوله: الحياء من الإيمان، فقد رواه الترمذي أيضاً عن ابن عمر وكذا الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي بكرة الثقفي والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين وابن عساكر عن أبي هريرة.

٥٠٧١ ـ **(وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»)** أي لا يغري الإنسان إلا بخير، والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم. ذكره الطيبي. وقال النووي قد يشكل[1] على بعض الناس هذا الحديث من حيث إن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق من يجله ويعظمه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة. والجواب ما أجاب عنه جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح إن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وجور وتسميته حياء بحسب اللغة، وإنما حقيقة الحياء في اصطلاح أهل الشرع خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، يدل عليه ما روى الإمام أبو القاسم القشيري عن السيد الجليل أبي القاسم الجنيد قال: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء. قال القاضي عياض وغيره: إنما جعل الحياء من الإيمان لأنه قد يكون تخلقاً واكتساباً كسائر أعمال البر وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، وهذا المعنى يقوله ﷺ: «الحياء من الإيمان». قال الطيبي: ويمكن أن يحمل التعريف فيه على العهد ويكون إشارة إلى ما ورد في قوله ﷺ: «الاستحياء من الله أن يحفظ الرأس وما وعى والبطن ما حوى» الحديث اهـ. وهو معنى حسن وقيد مستحسن يزول به الإشكال السابق، وبيانه أن الحياء من الله هو الذي خير كله، وهو الذي لا يأتي إلا بخير، وهو الذي لا ينفك عن الإيمان، وأما الحياء من الخلق، فالغالب فيه أيضاً أن يكون محموداً، فالحصر ادعائي أو كله محمود إلا إذا عارضه ترك

الحديث رقم ٥٠٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ١٥٢١ الحديث رقم ٦١١٧ ومسلم في صحيحه ١/ ٦٤ الحديث رقم (٦٠ ـ ٣٧)، وأحمد في المسند ٤/ ٤٢٧.

(١) في المخطوط «أشكل».

٥٠٧٢ ـ (٥) وعن ابن مسعود قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مما أدركَ الناس مِنْ كلامِ النبوةِ الأولى: إِذا لم تَسْتَحى فأَصنعْ ما شئتَ».

الحياء من الله، فيترك جانبه من أداء الحقوق ويراعي جانب المخلوق، فحينئذ يستحق ذلك الحياء أن لا يسمى حياء، فالحياء كله خير والله أعلم. **(وفي رواية)** أي لهما على ما هو ظاهر، لكن في الجامع أسندها إلى مسلم وأبي داود **(«الحياء خير كله»)** قيل: عام أريد به الخاص أي الحياء عن فعل ما لا يرضاه الله سبحانه. **(متفق عليه)**. وفي رواية الطبراني عن قرة الحياء هو الدين كله.

٥٠٧٢ ـ **(وعن أبي مسعود)** هو عقبة بن عمر الأنصاري شهد العقبة، روى عنه ابنه بشير وخلق سواه. قال ميرك: وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس»)** بالرفع نص الكازروني على أنه الرواية، وفي بعض النسخ بالنصب أي مما وصل إليهم وظفروا به ولحقوه **(من كلام النبوّة)**، من تبعيضية، والمعنى أن من جملة أخبار أصحاب النبوّة **(الأولى)** أي السابقة من الأنبياء والمرسلين أضافه إليهم إعلاماً بأنه من نتائج الوحي **(«إذا لم تستحى»)** بسكون الحاء وكسر الياء وحذف الثانية للجزم **(«فاصنع ما شئت»)** أي الرادع عما لا ينبغي هو الحياء، فإذا لم يكن صدر كل ما لا ينبغي، فالأمر بمعنى الخبر أو الأمر للتهديد وأنشد:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحى فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... وفي الدنيا إذا ذهب الحياء

قال الطيبي: من في مما ابتدائية، وهو خبر إن واسمه قوله: «إذا لم تستحى» على تأويل أن هذا القول حاصل مما أدرك الناس، والراجع إلى ما محذوف، والناس فاعل أدرك. وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال: المعنى أن مما بقي بين الناس وأدركوه من كلام الأنبياء، ويجوز أن يكون فاعل أدرك الضمير الراجع إلى ما، والناس مفعوله، وعليه كلام القاضي أي مما بلغ الناس من كلام الأنبياء المتقدمين «إن الحياء هو المانع من اقتراف القبائح والاشتغال بمنهيات الشرع ومستحبات العقل». وقوله: «إذا لم تستحى»، الجملة الشرطية اسم إن على الحكاية قال الخطابي: قوله: من كلام النبوّة الأولى معناه اتفاق كلام الأنبياء عليهم السلام على استحسان الحياء، فما من نبي إلا وقد ندب إليه وبعث عليه، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعه، ولم يبدل فيما بدل منها وذلك أنه أمر قد علم صوابه وبأن فضله واتفقت العقول على حسنه، وما كان هذا صفة له لم يجر عليه النسخ والتبديل، وقيد النبوّة بالأولى للإرشاد إلى اتفاق كلمة الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم؛ وفي شرح السنة قوله: «فاصنع ما شئت» فيه أقاويل أحدها أن معناه الخبر وإن كان لفظه لفظ الأمر كأنه يقول: «إذا لم يمنعك الحياء فعلت

الحديث رقم ٥٠٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٢٣ الحديث رقم ٦١٢٠، وأبو داود في السنن ٥/ ١٤٨ الحديث رقم ٤٧٩٧، وابن ماجه في ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٣، وأحمد في المسند ٤/ ١٢١.

رواه البخاري.

٥٠٧٣ ـ (٦) وعن النَّوّاس بن سمعان، قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن البر والإِثم فقال:

ما شئت مما تدعوك إليه نفسك من القبيح»، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيد، وثانيها أن معناه الوعيد كقوله تعالى: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ [فصلت ـ ٤٠] أي اصنع ما شئت فإن الله يجازيك، وإليه ذهب أبو العباس، وثالثها معناه «ينبغي أن تنظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان ذلك مما لا يستحي منه فافعله وإن كان مما يستحيي منه فدعه»، وإليه ذهب أبو إسحاق المروزي، وروى هذا الحديث جرير عن منصور بإسناده، ثم قال جرير: معناه أن يريد الرجل أن يعمل الخير فيدعه حياء من الناس كأنه يخاف مذهب الرياء يقول: فلا يمنعك الحياء من مضي ما أردت. قال أبو عبيد: وهو شبيه بالحديث الآخر «إذا جاءك الشيطان وأنت تصلي فقال: إنك مراء، فزدها طولاً». قلت: ويؤيده كلام الفضيل بن عياض «ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص أن يخلصك الله منهما». واختار النووي إن صيغة الأمر للإباحة أي إذا أردت أن تفعل شيئاً فإن كان بحيث لا يستحيي من الله ومن الناس في فعله فافعله وإلا فلا؛ وزبدة كلامه إنك إذا لم تستحى من صنع أمر فذلك دليل على جواز ارتكابه، ثم قال: وعلى هذا مدار الإسلام وتوجيهه إن أفعال الإنسان إما أن يستحيي منها أم لا، فالأول يشمل الحرام والمكروه وتركهما هو المشروع، والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح، وفعلها مشروع في الأولين جائز في الثالث، فعلى هذا يتضمن الحديث الأحكام الخمسة. وقال بعض العارفين التحقيق إن الحياء ينشأ عن علم القلب بأن الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره وباطنه من مخالفة أحكامه، ويستقبح ما صدر من هفواته، ويتحمل أنواع البلاء في نظره نشيطاً، ولا يشتكي إلى غيره، فإذا ترقى عن ذلك وتحقق أن الله [تعالى جل جلاله ولا إله غيره] أقرب الأشياء إليه بلا ريب استحيا من قربه فوق ما يستحي من رؤيته، فيدعوه ذلك إلى محبته والخلوة معه مستوحشاً من الأغيار مستلذاً بروح أنس الملك الغفار حتى تطلع عليه طوالع أنوار التوحيد وتلمع في سره بوارق أسرار التفريد، فيستحي من شهود مشهوده فانياً عن الخلق باقياً مع الحق. قال العارف السهروردي: الحياء إطراق الروح إجلالاً لعظم الجلال، ومن هذا القبيل حياء إسرافيل كما ورد أنه يستتر بجناحه حياء من الله عزَّ وجلّ، وحياء عثمان رضي الله عنه كما قال: «إني لاغتسل في البيت المظلم فأنطوي حياء من الله عزَّ وجلّ». قلت: روى ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً «الحياء من الإيمان وأحيى أمتي عثمان». **(رواه البخاري)**، وكذا رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي مسعود وأحمد أيضاً عن حذيفة.

٥٠٧٣ ـ **(وعن النوّاس)** بتشديد الواو **(ابن سمعان)** بكسر السين ويفتح كان من أصحاب الصفة **(«قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر»)** أي الطاعة **(«والإثم»)** أي المعصية **(«فقال: البر»)**

الحديث رقم ٥٠٧٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٠ الحديث رقم (١٤ ـ ٢٥٥٣)، والترمذي في ٤/ ٥١٥ الحديث رقم ٢٣٨٩، والدارمي في ٢/ ٤١٥ الحديث رقم ٢٧٩٩، وأحمد في المسند ٤/ ١٨٤.

«البِرُّ حُسْنُ الخلقِ، والإِثْمُ ما حاكَ في صدرِك وكرهتَ أن يطَّلع عليهِ الناسُ». رواه مسلم.

أي أعظم خصاله أو البر كله مجملاً («حسن الخلق») أي مع الخلق بأمر الحق أو مداراة الخلق ومراعاة الحق قيل: فسر البر في الحديث بمعان شتى ففسره في موضع بما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، وفسره في موضع بالإيمان، وفي موضع بما يقربك إلى الله وهنا بحسن الخلق، وفسر حسن الخلق باحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الوجه وطيب الكلام وكلها متقاربة في المعنى. ذكره الطيبي وقال الترمذي: «البر هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق». وقال بعض المحققين. تلخيص الكلام في هذا المقام أن يقال: «البر اسم جامع لأنواع الطاعات والأعمال المقربات». ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما أمكن، وقد قيل: إن البر من خواص الأنبياء عليهم السلام أي كمال البر إذ لا يستبعد أن يوجد في الأمة من يوصف به، وقد أشار إليهما من أوتي جوامع الكلم ﷺ بقوله: حسن الخلق لأنه عبارة عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بأن يعرف أنهم اسراء الأقدار وإن كل مالهم من الخلق والخلق والرزق والأجل بمقدار، فيحسن إليهم حسب الاقتدار فيأمنون منه ويحبونه بالاختيار قلت: وقد أشار الشاطبي إلى هذا المعنى بقوله:

يعد جميع الناس مولى لأنهم ... على ما قضاء الله يجرون أفعلا

هذا مع الخلق، وأما مع الخالق فبأن يشتغل بجميع الفرائض والنوافل ويأتي بأنواع الفضائل عالماً بأن كل ما أتى منه ناقص يحتاج إلى العذر، وكل ما صدر من الحق كامل يوجب الشكر. قلت: وإليه الإيماء في قول الشاطبي:

يرى نفسه بالذم أولى لأنها ... على المجد لم تلعق من الصبر وإلا لا

ثم يتخلق بأخلاق الله بدوام الأعراض عما سواه والإقبال عليه ودوام ذكره حتى يكتحل القلب بنور ذكر الذات، فصار بحراً مواجاً من نسمات القرب، وجرى في جداول[1] أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات، وحينئذ يحصل نهاية التحقيق بعناية التوفيق («والإثم ما حاك») أي تردد وتحرك وأثر في صدرك، ورواية الأربعين في نفسك بأن لم تنشرح له وحل في القلب منه الشك والخوف من كونه ذنباً وأقلقه ولم يطمئن إليه. قال التوربشتي: يريد أن الإثم ما كان في القلب منه شيء فلا ينشرح له الصدر، والأقرب أن ذلك أمر يتهيأ لمن شرح الله صدره للإسلام دون عموم المؤمنين. وقال شارح: يعني الإثم ما أثر قبحه في قلبك أو تردد في قلبك ولم ترد أن تظهره لكونه قبيحاً وهو المعنى بقوله: («وكرهت أن يطلع عليه الناس») أي أعيانهم وأماثلهم إذ الجنس ينصرف إلى الكامل، وذلك لأن النفس بطبعها تحب إطلاع الناس على خيرها، فإذا كرهت الإطلاع على بعض أفعالها فهو غير ما تقرب به إلى الله أو غير ما أذن الشرع فيه [وعلم أنه لا خير فيه] ولا بر فهو إذاً إثم وشر. («رواه مسلم»). وفي الجامع الصغير «البر حسن الخلق» الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي عن النواس[2]،

---

(١) في المخطوط «جدال».

(٢) الجامع الصغير ١/١٩٢ الحديث رقم ٣١٩٧.

٥٠٧٤ ـ (٧) وعن عبد الله بن عمرو، قال: رسول الله ﷺ: «إنَ مِن أحبِّكم إليّ أحسنَكم أخلاقاً».

ورواه أحمد عن أبي ثعلبة ولفظه: «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن له القلب. وإن أفتاك المفتون»(١). هذا وفي الأربعين للإمام النووي عن وابصة بن معبد الأسدي قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال: جئت تسأل عن البر فقلت: نعم فقال: استفت قلبك البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك(٢). حديث حسن رويناه في مسندي الإمامين أحمد بن حنبل والدارمي بإسناد حسن. قال الطيبي: في شرح حديث المشكاة مراعاة المطابقة تقتضي أن نفس حسن الخلق بما يقابل ما حاك في الصدر وهو ما اطمأنت إليه النفس والقلب كما في حديث وابصة، فوضع موضعه حسن الخلق ليؤذن أن حسن الخلق هو ما اطمأنت إليه النفس الشريفة الطاهرة من أوضار الذنوب الباطنة والظاهرة، وتبديل مساوي الأخلاق من الصدق في المقال، واللطف في الأحوال والأفعال أحسن معاملته مع الرحمن ومعاشرته مع الأخوان وصلة الرحم [والسخاء] والشجاعة أقول: الأحسن في تحسين المقابلة بين القرينتين الحسنتين أن يقال: المراد بحسن الخلق مستحسن الطبع الجبلي الجبلي الفطري العاري عن التعلقات التقليدية والتقييدات العرفية، فإن الإنسان إذا خلى وطبعه الأصلي اختار الأحسن من العقائد والأخلاق والأفعال وسائر الأحوال كما حقق في حديث كل مولود يولد على الفطرة، وحاصل الجواب على طريق الاستيعاب أن الأمر لا يخلو إما أن يجزم العقل باستحسانه أو باستقباحه أو يتردد فيما بينهما، فالأوّل هو البر وما عداه هو الإثم وهذا تمهيد قاعدة كلية تحتها مسائل جزئية فيما لم يعرف من الشرع حسنه وقبحه على طريق اليقين في العلميات، وعلى سبيل الظن أيضاً في العمليات والله أعلم.

٥٠٧٤ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحبكم إلي»**) أي أكثركم محبة لي أو أعظمكم محبوبية عندي (**«أحسنكم أخلاقاً»**) أي شمائل مرضية مراعي فيها حقوق الربوبية والعبودية، وقد رواه الحكيم عن العلاء بن كثير مرسلاً «أن محاسن الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً حسناً»، وفي رواية الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة إن هذه الأخلاق من الله، فمن أراد الله به خيراً منحه خلقاً حسناً؛ ومن أراد الله به سوءاً منحه سيأئم الظاهر أن من زائدة على مذهب من يجوز زيادتها في الكلام المثبت أو المراد أحسنكم أخلاقاً مع الخلق، ويؤيده ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة «إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»(٣)، ويؤيد الأوّل ما في الجامع الصغير

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٩٤. (٢) وهو الحديث رقم ٢٧.

الحديث رقم ٥٠٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٢ الحديث رقم ٣٧٥٩، والترمذي في ٤/ ٣٢٥ الحديث رقم ٢٠١٨، وأحمد في المسند ٢/ ١٨٩.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٠ الحديث رقم ٢٦١٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٣.

رواه البخاري.

٥٠٧٥ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ خيارِكم أحسنَكم أخلاقاً». متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٠٧٦ ـ (٩) عن عائشة [رضي الله عنها] قالت: قال النبي ﷺ: «مَنْ أُعطِي حَظَّهُ من الرفق أُعطي حظَّه من خيرِ الدنيا والآخرةِ، ومنْ حُرِم حظَّه من الرفق حُرِم حظَّهُ منْ خير الدنيا والآخرة». رواه في «شرح السّنة».

٥٠٧٧ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياءُ من الإيمانِ، والإيمان في الجنة.

على ما رواه أحمد والشيخان والترمذي عن ابن عمر بلفظ «خياركم أحسنكم أخلاقاً». (**رواه البخاري**).

٥٠٧٥ ـ (**وعنه**) أي عن ابن عمرو (**قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من خياركم أحسنكم»**)، وفي نسخة صحيحة أحسنكم (**أخلاقاً. متفق عليه**).

(الفصل الثاني)

٥٠٧٦ ـ (**عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «من أعطي»**) بصيغة المجهول (**«حظه»**) أي نصيبه (**«من الرفق»**) أي اللطف (**«أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم»**) على بناء المفعول (**«حظه»**) بالنصب أي نصيبه (**«من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة»**) وهذا تصريح بما علم ضمناً للمبالغة والتأكيد في الحكم. (**رواه في شرح السنة**)، ورواه أحمد والترمذي عن أبي الدرداء لكن لفظه من الخير بدل من خير الدنيا والآخرة[1]. والحديثان متفقان في المعنى لأن المراد بالخير جنسه الشامل لنوعيه.

٥٠٧٧ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان والإيمان»**) أي أهله (**«في الجنة»**). **قال الطيبي**: جعل أهل الإيمان عين الإيمان دلالة على أنهم تمحضوا منه

الحديث رقم ٥٠٧٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٥٦٦ الحديث رقم ٣٥٥٩، ومسلم في ٤/١٨١٠ الحديث رقم (٦٨ ـ ٢٣٢١) والترمذي في السنن ٤/٣٠٨ الحديث رقم ١٩٧٥، وأحمد في المسند ٢/١٩٣.

الحديث رقم ٥٠٧٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٧٤ الحديث رقم ٣٤٩١، وأحمد في المسند ٦/١٥٩.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/٣٢٣ الحديث رقم ٢٠١٣.

الحديث رقم ٥٠٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٣٢١ الحديث رقم ٢٠٠٩، وأحمد في المسند ٢/٥٠١.

والبَذاء مِنَ الجفاء، والجفاء في النار». رواه أحمد، والترمذي.

٥٠٧٨ ـ (١١) وعن رجلٍ من مزينةَ، قال: قالوا: يا رسول الله! ما خيرُ ما أُعطي الإنسانُ؟ قال: «الخلق الحَسَنُ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

٥٠٧٩ ـ (١٢) وفي «شرح السنة» عن أُسامة بن شريك.

وتمكنوا من بعض شعبه الذي هو أعلى فرع منه كما جعل الإيمان مقراً ومبوّأ لأهله في قوله تعالى: **﴿والذين تبوّؤا الدار والإيمان﴾** لتمكنهم من الإيمان واستقامتهم عليه (**«والبذاء»**) بفتح الباء خلاف الحياء الناشىء منه الفحش في القول والسوء في الخلق (**«من الجفاء»**)، وهو خلاف البر الصادر منه الوفاء (**«والجفاء»**) أي أهله التاركون للوفاء الثابتون على[١] غلاظة الطبع وقساوة القلب (**«في النار»**) أما مدة أو أبداً لأنه في مقابل الإيمان الكامل أو مطلقه، فصاحبه أما من أهل الكفران أو الكفر. (**رواه أحمد والترمذي**). وكذا الحاكم[٢] والبيهقي عنه والبخاري في الأدب وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي بكرة الثقفي والطبراني[٣]، والبيهقي عن عمران بن حصين، وفي رواية لأحمد والترمذي والحاكم عن أبي أمامة «الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»[٤].

٥٠٧٨ ـ (**وعن رجل من مزينة**) بالتصغير قبيلة معروفة وجهالة الصحابي لا تضر لأنهم كلهم عدول ومرسلهم عند الكل مقبول (**«قال: قالوا:**) أي بعض الأصحاب (**يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان»**) بالرفع أي أعطيه الإنسان، فالمفعول الثاني محذوف من الصلة، وفي نسخة بالنصب، فنائب الفاعل ضمير راجع إلى ما (**«قال: الخلق الحسن»**) أي هو هذا (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**).

٥٠٧٩ ـ (**وفي شرح السنة عن أسامة بن شريك**). قال ميرك: وظاهره أن البيهقي لم يرو الحديث عن أسامة لكن قال الشيخ الجزري: رواه البيهقي في الشعب من حديث أسامة قلت: وفي الجامع «خير ما أعطى الناس خلق حسن». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أسامة بن شريك[٥]، وروى ابن أبي شيبة عن رجل من جهينة ولفظه: «خير ما أعطي الرجل المؤمن خلق حسن وشر ما أعطي الرجل قلب سوء في صورة حسنة»[٦]، وقد روى البيهقي عن

---

(١) في المخطوطة «عليه».
(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٢.
(٣) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٣ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٤.
(٤) الحاكم في المستدرك ١/ ٩، وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٩، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٩ الحديث رقم ٢٠٢٧.

الحديث رقم ٥٠٧٨: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٣٥ الحديث رقم ٧٩٩٢.

الحديث رقم ٥٠٧٩: أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨.

(٥) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٨ الحديث رقم ٤٠٧٨.
(٦) الجامع الصغير المصدر السابق الحديث رقم ٤٠٧٩.

٥٠٨٠ ـ (١٣) وعن حارثةَ بن وهبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ الجوَّاظ ولا الجَعْظرِيُّ» قال: والجواظُ: الغليظُ الفظُّ رواه أبو داود في «سننه». والبيهقي في «شعب الإيمان» وصاحب «جامع الأصول» فيه عن حارثة وكذا في «شرح السنة» عنه، ولفظه: «لا يدخل الجنَّة الجوَّاظُ الجعظريُّ يقال: الجعظريُّ: الفظ الغليظ.

الحسن مرسلاً «ثلاث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه، ورع يحجزه عن محارم الله عزَّ وجلّ، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس». وقد ذكر السيوطي عن الحسن، عن أبي الحسن، عن جد الحسن: «إن أحسن الحسن الخلق الحسن»(١).

٥٠٨٠ ـ **(وعن حارثة بن وهب)** قال المؤلف في فصل الصحابة: خزاعي أخو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب لأمه، روى عنه أبو إسحاق السبيعي **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة الجواظ»)** بفتح جيم وتشديد واو وظاء معجمة **(«ولا الجعظري»)** بفتح جيم وسكون عين مهملة وفتح ظاء معجمة فراء فتحتية مشددة **(«قال:»)** أي الراوي **(«الجوّاظ الغليظ الفظ»)** بتشديد الظاء أي سيىء الخلق، قال تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩] فاللائق أن يفسر الجعظري بغليظ القلب، وكأن غلظ القلب إيماء إلى سوء باطنه من الأحوال، والفظ إشارة إلى قبح ظاهره من الأفعال، وقدم الجواظ ما لظهوره وأما لأن مداراً لحكم عليه، وإنما أتى بلا المزيدة إشارة إلى «أن الموصوف بكل من الخصلتين لا يدخل الجنة مطلقاً إن كان من المنافقين أو لا يدخلها مع الفائزين إن كان من المؤمنين». **(رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان)**. قال الطيبي: قوله: الجواظ الغليظ الفظ كذا في سنن أبي داود والبيهقي، وفي النهاية وشرح التوربشتي وكلام القاضي الجواظ: المختال، وقيل: الجموع المنوع، وقيل: هو السمين، وقيل: الصياح المهذار والجعظري: الفظ الغليظ، وقيل: القصير المنتفخ بما ليس عنده، وقيل: «العظيم الجسم الأكول والمانع لمن شأنه هذا أن يدخل الجنة حيث يدخلها الآخرون عجبهم وسوء خلقهم وشرههم على الطعام وإفراطهم في الكلام». اهـ. والأظهر ما قدمناه من أن المراد غليظ القلب سيىء الخلق، وسببه ما روى الخطيب عن عائشة مرفوعاً «إن لكل شيء توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا وقع في شر منه». **(وصاحب جامع الأصول)** أي ورواه أيضاً **(فيه)** أي في الجامع **(عن حارثة، وكذا في شرح السنة عنه)** أي روى عن حارثة **(ولفظه)** أي ولفظ ما في شرح السنة أو لفظ صاحب شرح أو لفظ حارثة في الشرح **(قال: «لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري»)** أي من غير عاطفة وزيادة لا ولعله عد الموصوفان واحد الكمال الاتحاد بين الوصفين، أو المراد الجامع بينهما فهو الفرد الكامل في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٣ الحديث رقم ٢١٨٣.

الحديث رقم ٥٠٨٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٥١ الحديث رقم ٤٨٠١، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ١٦٩ الحديث رقم ٣٥٩٣، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٨٥ الحديث رقم ٨١٧٣.

وفي نسخ «المصابيح» عن عكرمة بن وهب ولفظه قال: والجوَّاظ: جَمَعَ ومَنَعَ. والجعظريُّ: الغليظ الفَظُّ.

٥٠٨١ ـ (١٤) وعن أبي الدرداءِ، عن النبي ﷺ قال: «إن أثقلَ شيءٍ يوضَعُ في ميزانِ المؤمن يومَ القيامة خُلُقٌ حسنٌ، وإنَّ اللَّهَ يُبغضُ الفاحِشَ البذيءَ». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

القبح، **(وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب)** أي في بعضها، وإلا ففي أكثرها عن حارثة ابن وهب، **(ولفظه)** أي لفظ المصابيح، وفيه تجوز **(والجوّاظ الذي جمع)** أي مالاً مما لا يجوز **(ومنع)** أي منعه من الصرف فيما يجب عليه **(والجعظري الغليظ الفظ)**. قال الطيبي: أشار المؤلف بهذا أن راوي الحديث في الأصول المذكورة هو حارثة بن وهب وهو صحابي، وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب وقد قال الشيخ التوربشتي: لم يذكره أحد في الصحابة، فالحديث مرسل حينئذ أي إن صح كونه تابعياً وكذا قوله الذي جمع ومنع ليس في الأصول، وقد أثبت في حواشي المصابيح، فالحق بالمتن. وكذا قوله: «الغليظ الفظ» في المصابيح تفسير للجعظري، وفي الأصول تفسير للجواظ تم كلامه. وفي الجامع برواية الطبراني عن أبي الدرداء «ألا أخبرك بأهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لأبره».

٥٠٨١ ـ **(وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «إن أثقل شيء يوضع»)** أي ثوابه وصحيفته أو عينه المجسد **(«في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن»)** فإنه تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه **(«وإن الله يبغض الفاحش»)** أي لفحشه أي والفحش أيضاً **(«البذيء»)** فعيل من البذاء، وهو ضد الحي ذكره شارح وهو المناسب للمقام، وفي الغريبين رجل بذيء أي فاحش سيىء الخلق اهـ. ومن المقرر أن كل ما يكون مبغوضاً لله ليس له وزن وقدر كما أن كل ما يكون محبوباً له يكون عنده عظيماً قال تعالى في حق الكفار: **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾** [الكهف ـ ١٠٥] وفي الحديث المشهور «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»(١). وبهذا تمت المقابلة بين القرينتين. هذا وقال الطيبي: أوقع قوله: وإن الله يبغض الفاحش البذيء مقابلاً لقوله: إن أثقل شيء يوضع في الميزان دلالة على أن أخف ما يوضع في الميزان هو سوء الخلق وإن حسن الخلقَ أحب الأشياء عند الله والخلق السيىء أبغضها، وإن الفحش والبذاءة أسوأ شيء في مساوىء الأخلاق. **(رواه)** أي الحديث بكماله **(الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٧٠ الحديث رقم ٢٨٥٣.

الحديث رقم ٥٠٨١: أخرجه أبو داود والفصل الأول في السنن ٥/ ١٤٩ الحديث رقم ٤٧٩٩، والترمذي في السنن بأكمله ٤/ ٣١٨ الحديث رقم ٢٠٠٢، وأحمد في المسند ٦/ ٤٤٢.

(٢) متفق عليه.

وروى أبو داود الفصلَ الأول.

٥٠٨٢ ـ (١٥) وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ المؤمن ليدرك بحُسْن خُلقه درجة قائمِ اللَّيل وصائم النهار». رواه أبو داود.

٥٠٨٣ ـ (١٦) وعن أبي ذرّ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق اللَّهَ حيثُما كنت،

وروى أبو داود الفصل الأوّل) أي القرينة الأولى دون الثانية، وقد روى أحمد عن أسامة بن زيد «إن الله يبغض الفاحش المتفحش»، وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه «إن الله يبغض المعبس في وجوه إخوانه».

٥٠٨٢ ـ **(وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن»)** أي الكامل، وهو العالم العامل (**«ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل»**) أي في الطاعة (**«وصائم النهار»**). قال: الحسن: «حسن الخلق بسط الوجه بذل الندى وكف الأذى»، وقال الواسطي: «هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى» وقال أيضاً: «هو إرضاء الخلق في السراء والضراء»، وقال سهل: «أدنى حسن الخلق الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه». **(رواه أبو داود)**. وفي الجامع بلفظ «درجة القائم الصائم». رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه [عنها].

٥٠٨٣ ـ **(وعن أبي ذر)** أي الغفاري رابع الإسلام أو خامسه، زاد النووي في أربعينه ومعاذ بن جبل (**قال: قال رسول الله ﷺ:**) أي مختصاً لي بخطابه وهو لا ينافي في التعدد لاحتمال اختلاف المجلس مع أنه غير مذكور في الأربعين (**«اتق الله»**) أي بالإتيان بجميع الواجبات والانتهاء عن سائر المنكرات، فإن التقوى أساس الدين وبه يرتقي إلى مراتب اليقين، ثم التحقيق «إن التقوى أدناها التبرىء عن الشرك بالله وأعلاها الإعراض عما سواه، وما بينهما مراتب بعضهما فوق بعض من ترك المحظور ثم المكروه ثم المباح مما لا يعني»، ولله در من قال من أهل الحال:

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بعز الغنى ... فالعز كل العز للمتقي

(**«حيثما كنت»**) أي في الخلاء والملأ وفي النعماء والبلاء فإن الله عالم بسر أمرك كما أنه مطلع على ظواهرك، فعليك برعاية دقائق الأدب في حفظ أوامره ومراضيه، والاحتراز عن

الحديث رقم ٥٠٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤٩ الحديث رقم ٤٧٩٨، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٤ الحديث رقم ٦ من كتاب حسن الخلق، وأحمد في المسند ٦/ ٩٠.

الحديث رقم ٥٠٨٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٢ الحديث رقم ١٩٨٧، والدارمي في ٢/ ٤١٥. الحديث رقم ٢٧٩١ وأحمد في المسند ٥/ ١٥٣.

وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». رواه أحمد، والترمذي والدارمي.

مساخطه ومساويه، وعن داود الطائي أنه سمع صوتاً من قبر ألم أزك ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا، فأجيب بلى يا عبد الله، ولكن إذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه (**«وأتبع»**) أمر من باب الأفعال وهو متعد إلى مفعولين (**«السيئة الحسنة»**) أي التوبة والطاعة [مطلقاً] أو بأن تباشر حسنات تضاد آثارها تلك السيئات. قال الطيبي: فسماع الملاهي يكفر بسماع القرآن وبمجالس الذكر والوعظ عن المناهي وشرب الخمر يكفر بالتصدق بكل شراب حلال، وعلى هذا ففسر، لأن المرض يعالج بضده والمتضادات هي المناسبات، فلذلك ينبغي أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها، فالبياض يزال بالسواد لا بغيره وحب الدنيا لأن أثر السرور بها في القلب، فلا جرم كفارته كل أذى يصيب المسلم من الهم والغم اهـ. ولا خفاء أنه لا يظهر حسن المقابلة بين حب الدنيا وما ذكره من المشاكلة لأن الهم والغم ليسا من الأمور الاختيارية المراد بها في الحديث على ما هو ظاهر من قوله: «اتبع»، فالصواب أن مقابلة حب الدنيا بضدها وهو بغضها بأن يتصدق ولو ببعضها على أن هذه المناسبات غير لازمة في محو السيئات لقوله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ [هود - ١١٤] وقد وردت الآية فيمن قبل امرأة ثم صلى معه ﷺ والله أعلم (**«تمحها»**) أي تدفع الحسنة السيئة وترفعها، والإسناد مجازي، والمراد يمحو الله بها آثارها من القلب أو من ديوان الحفظة هذا إذا كانت بينه وبين الله تعالى، فإن تعلقت بالعبد فتدفع الحسنة إلى خصمه عوضاً عن المظلمة أو يرضيه الله من فضله. حكي عن بعضهم أنه رئي في المنام فقيل له: «ما فعل الله بك قال: غفر لي وأحسن إلي إلا أنه حاسبني حتى طالبني بيوم كنت صائماً. فلما كان وقت الإفطار أخذت حنطة من حانوت صديق لي فكسرتها فذكرت أنها ليست لي فألقيتها على حنطته، فأخذ من حسناتي مقدار أرش كسرها». قال البيضاوي: صغائر الذنوب تقع مكفرة بالحسنات وكذا ما خفي من الكبائر لعموم قوله تعالى: ﴿**نكفر عنكم سيئاتكم**﴾ [النساء - ٣١] والحديث إما ما ظهر منها وتحقق عند الحاكم فلا يسقط حدها ولا بالتوبة، ولما وصاه بما يتعلق بحقوق الله تعالى وإصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد فقال (**«وخالق الناس»**) أمر من المخالقة مأخوذ من الخلق مع الخلق أي خالطهم وعاملهم (**«بخلق حسن»**)، وهو بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الأذى، (**رواه أحمد والترمذي والدارمي**). وفي الأربعين رواه [أحمد] والترمذي وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ حسن صحيح[(١)] اهـ كلامه. وفي الجامع [الصغير] رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي ذر وأحمد والترمذي والبيهقي عن معاذ وابن عساكر عن أنس[(٢)].

---

(١) وهو الحديث رقم ١٨.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٤ الحديث رقم ١١٥.

٥٠٨٤ - (١٧) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبِرَكم بمن يَحْرُمُ عَلَى النار وبمن تحرمُ النارُ عليه؟ على كلّ هينٍ لينٍ قريبٍ سهلٍ». رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

٥٠٨٥ - ((١٨) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «المؤمنُ غِرٌ كريمٌ

٥٠٨٤ - (وعن عبد الله بن مسعود قال: **ألا أخبركم بمن يحرم**) بضم الراء (**«على النار»**) أي بمنع عنها (**«وبمن تحرم النار عليه»**) زيادة تأكيد، وإلا فالمعنيان متلازمان، ولما كان مآلهما واحداً اكتفى بالجواب عن الأول لأنه المعول، والثاني مؤكد محملٍ مجمل، فقال: قبل قولهم: بلى (**«على كل هين لين»**) بتشديد التحتية فيهما أي تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب، قيل: هما يطلقان على الإنسان بالتثقيل والتخفيف وعلى غيره بالتشديد، وعن ابن الأعرابي بالتخفيف للمدح وبالتشديد للذم. ذكره ابن الملك. ثم قوله: هين فعيل من الهون وهو السكون والوقار والسهولة فعينه واو فأبدلت وأدغمت، وأما اللين فيأتي (**«قريب»**) أي من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم بقدر الطاعة (**«سهل»**) أي في قضاء حوائجهم أو معناه أنه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشراء على ما ورد في فضل المؤمن الكامل. هذا وقال الطيبي: قوله: على كل هين لين هذا جواب عن السؤالين والجواب الظاهر عنهما كل هين لين، ثم في الدرجة الثانية أن يقال عن الأوّل: يحرم على النار كل هين لين، وعلى الثاني تحرم النار على كل هين لين، فأتى بجواب موجز يدل عليهما بالتفصيل، ولو أتى به كما يقتضيه الظاهر وهو قوله: كل هين لين لم يدل على التفصيل اهـ، وهو غريب منه. فإن دلالة ما يقتضيه الظاهر على التفصيل أظهر من دلالة الجواب الموجز عنده عليه كما يظهر بأدنى تأمل، فإن تقديره حينئذ [هو] كل هين لين ويكون مرجع الضمير ما ذكر من الوصفين وهو «من يحرم على النار ومن تحرم عليه النار» بل لو حققت النظر ودققت التأمل لوجدت أن جوابه الموجز على زعمه لا دلالة له على التفصيل أصلاً، بل دلالته إجمالية كما قدمناه، وقد يقال: إنه من باب الاكتفاء كقوله تعالى: ﴿**سرابيل تقيكم الحر**﴾ [النحل - ٨١] أي والبرد، فكذلك هنا يقدر وعلى كل هين لين مع احتمال أن القرينة الثانية زائدة من بعض الرواة لأجل المبالغة، ويؤيده ما في الجامع بلفظ: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً على كل هين لين قريب سهل» والله أعلم. (**رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب**). وفي الجامع رواه أبو يعلى في مسنده عن جابر والترمذي والطبراني عن ابن مسعود.

٥٠٨٥ - (**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: «المؤمن»**) أي البار (**«غر»**) بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء (**«كريم»**) أي موصوف بالوصفين أي له الاغترار لكرمه، وله المسامحة

الحديث رقم ٥٠٨٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٤ الحديث رقم ٢٤٨٨. وأحمد في المسند ١/ ٤١٥.
الحديث رقم ٥٠٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤٤ الحديث رقم ٤٧٩٠، والترمذي في ٤/ ٣٠٣ الحديث رقم ١٩٦٤، وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٤.

والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

٥٠٨٦ ـ (١٩) وعن مكحولٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنونَ هيِّنونَ ليِّنونَ كالجملِ الآنفِ [٣٨٠ ـ أ ـ]

في حظوظ الدنيا لا لجهلة، (**«والفاجر خب»**) بفتح خاء معجمة وتكسر وتشديد موحدة أي خداع (**«لئيم»**) أي بخيل لجوج سيىء الخلق، وفي كل منهما الوصف الثاني سبب للأوّل، وهو نتيجة الثاني فتأمل، فكلاهما من باب التذييل والتكميل، وفي النهاية أي ليس بذي مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخب يريد «أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وليس ذلك فيه جهلاً، ولكنه كرم وحسن خلق، والفاجر من عادته البحث لا على أنه عقل منه بل خبث ولؤم». اهـ. قال الفرزدق:

إن الـكـريـم إذا خـادعـتـه انـخـدعـا

وقيل: هم الذين لم يجربوا الأمور فهو قليلو الشر منقادون، فإن من آثر الخمول وإصلاح نفسه والمتزوّد لمعاده ونبذ أمور الدنيا فليس غراً فيما قصده ولا مذموماً بنوع من الذم. قال الطيبي: والأوّل هو الوجه لما سبق في قوله ﷺ: «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين»، ولأن المؤمن قد ينخدع في مقام اللين والتعطف مع الأغيار. روي أن ابن عمر رضي الله عنهما كلما صلى عبد له أعتقه، فقيل له، فقال: «من خادعنا بالله ننخدع»، قلت: ومن ذلك انخداع آدم وحوّاء بكلام إبليس حيث قاسمهما **﴿إني لكما لمن الناصحين﴾** [الأعراف ـ ٢١] قال: ولفظ الحديث أيضاً يساعده لأنه ﷺ لما وصفه بالغرور أي بوصف غير كامل كمله بقوله: «كريم» لئلا يتوهم فيه ذلك نقصاً، والخب بالفتح الخداع وهو الحريز الذي يسعى بين الناس بالفساد. يقال: رجل خب، وقد تسكر خاؤه، وأما المصدر فبالكسر لا غير اهـ. فالكسر يحتمل وجهين فتأمل. (**رواه أحمد والترمذي وأبو داود**)، وكذا الحاكم[1]، ورواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ: «المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق».

٥٠٨٦ ـ (**وعن مكحول**) تابعي جليل (**قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنون هينون لينون»**) بالتشديد ويخففان، ففي النهاية هما تخفيف الهين واللين اهـ، وكأنه اعتمد على كلام ابن الأعرابي وقد سبق أنه ضعيف خلاف الأصل، فلا يثبت إلا بثبت، فالجزم به غير تثبت، وفي الفائق والمحذوفة من ياءي هين ولين الأولى، وقيل: الثانية، قلت: الثانية أولى من الأولى للاحتياج عندها للتخفيف ولئلا يحتاج إلى تخفيف آخر فتدبر. (**«كالجمل الأنف»**) بفتح الهمزة ويمد وكسر النون، ففي القاموس أنف البعير كفرح اشتكى أنفه من البرة فهو أنف ككتف وصاحب، والأوّل أصح وأفصح، وقال شارح: المد فيه خط، وهو يحتمل أنه أراد رواية أو

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٤٤.

الحديث رقم ٥٠٨٦: أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/ ١٨٠.

إنْ قيدَ أنقادَ، وإنْ أُنيخَ على صخرةٍ استَناخَ». رواه الترمذي مرسلاً.

٥٠٨٧ ـ (٢٠) وعن ابنِ عمَرَ، عن النبي ﷺ قال: «المسلمُ الذي يُخالطُ النَّاسَ ويصبِرُ على أذاهُم أفضلُ منَ الذي لا يُخالطُهُم ولا يصبرُ على أذاهُم».

دراية، وفي النهاية الأنف بمعنى المأنوف وهو الذي عقر الخشاش أنفه فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذي به، وقيل: الأنف الذلول، يقال: أنف البعير فهو أنف إذا اشتكى أنفه من الخشاش، وكان الأصل أن يقال: مأنوف لأنه مفعول به كما يقال مصدور ومبطون للذي يشتكي صدره وبطنه، وإنما جاء هذا شاذاً، ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه الجوهري الخشاش بالكسر خشب يدخل في أنف البعير ثم الكاف مرفوعة المحل على أنها خبر ثالث، والمعنى أن كل واحد منهم كالجمل الأنف، ويجوز أن ينتصب محلها على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره لينون ليناً مثل الجمل الأنف. ذكره الطيبي، والثاني أظهر والأوّل أدق، وبالاعتماد أحق، ولا يحتاج إلى تقدير كل واحد بل المعنى «أن المؤمنون كلهم من كمال انقيادهم واجتماعهم في سبيل رضاء مولاهم مثل الجمل الواحد المأنوف»، فالجمل صحيح مع إفادة المبالغة كما ورد «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله»[1] على ما رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير، أو المراد بالجمل الجنس فيستفاد منه معنى الجمعية فلا إشكال (**«إن قيد»**) مجهول قاده وجره وقوله: (**«انقاد»**) ومطاوع له أي طاوعه وانسحب معه (**«وإن أنيخ»**) مجهول أناخ البعير إذا بركه، ومنه حديث مني مناخ من سبق (**«على صخرة»**) أي فرضاً أو مثلاً (**«استناخ»**). في شرح السنة معنى الحديث أن المؤمن شديد الانقياد للشارع في أوامره ونواهيه، وفي قوله: إن أنيخ [على صخرة] استناخ إيذان بكثرة تحمل المشاق لأن الإناخة على الصخرة شاقة. (**رواه الترمذي مرسلاً**). وفي الجامع رواه ابن المبارك عن مكحول مرسلاً والبيهقي عن ابن عمر أي متصلاً مرفوعاً[2].

٥٠٨٧ ـ (**وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»**)، فيه فضيلة الخلطة على العزلة، وذلك مما يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة وأهلهما مع الشروط المعتبرة في آداب الصحبة. ففي الأحياء اختلفوا في المخالطة والعزلة وتفضيل أحدهما على الآخر، فقال أكثر التابعين: باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والأحوال للتألف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاوناً على البر والتقوى؛ روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: «عليكم بالإخوان فإنهم عدة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٠ الحديث رقم (٦٧ ـ ٢٥٨٦)، وأحمد في المسند ٤/ ٢٧١.

(٢) لم أقف عليه عند الترمذي كما لم يعزه في الجامع الصغير ٢/ ٥٤٩ الحديث رقم ٩١٦٣ وأخرجه البيهقي في الشعب ٦/ ٢٧٢ الحديث رقم ٨١٢٨.

الحديث رقم ٥٠٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٢ الحديث رقم ٢٥٠٧، وابن ماجه في ٢/ ١٣٣٨ الحديث رقم ٤٠٣٢، وأحمد في المسند ٢/ ٤٣.

رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه.

٥٠٨٨ ـ (٢١) وعن سهلِ بن معاذٍ، عن أبيهِ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن كظَمَ غيظاً وهوَ يقدِرُ على أن يُنفِّذَه دعاهُ اللَّهُ على رؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ

لكم في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار، فما لنا من شافعين ولا صديق حميم»، وهذا الحديث أوّل شيء على استحباب المخالطة ومال أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة، وعليه الفضيل وأحمد بن حنبل وغيرهم. قال عمر رضي الله عنه. «خذوا بحظكم من العزلة»، وقال فضيل: «كفى بالله محباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً». وأوصى داود الطائي. أبا الربيع فقال: «صم من الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد». وقال وهب بن الورد: «بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس». ودخل على حاتم الأصم بعض الأمراء فقال: «ألك حاجة» قال: نعم. قال: ما هي؟ قال: أن لا تراني». وقال ابن عباس: «أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك [أن] لا ترى ولا ترى». وقيل: «آداب العزلة أربعة أن ينوي بها كف شره أوّلاً، ثم السلامة من الشر ثانياً، ثم الخلاص من الإخلال بالحقوق، ثالثاً ثم التجرد بكنه الهمة للعبادة رابعاً» اهـ. والمختار هو التوسط بين العزلة عن أكثر الناس وعوامهم، والخلطة بالصالحين منهم وخواصهم، والاجتماع مع عامتهم في نحو جمعتهم وجماعتهم بعد حصول العلم المحتاج إلى العمل ووصول الزهد الموجب لقطع الطمع عن الخلق؛ ولذا قال بعض العارفين: «العزلة بغير عين العلم زلة»: وبغير زاي الزهد علة، وهذا طريق الكمل من الصوفية كالنقشبندية والشاذلية والبكرية فهم كائنون بائنون قريبون غريبون فرشيون عرشيون. كما قيل: «كن وسطاً وامش جانباً». **(رواه الترمذي وابن ماجه)**. وفي الجامع بلفظ «المؤمن الذي يخالطه الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر.

٥٠٨٨ ـ **(وعن سهل بن معاذ)** أي ابن أنس كما في المعالم **(عن أبيه)**، المتبادران المراد بمعاذ هو ابن جبل لأنه المشهور بين الصحابة إلا أنه في هذا المقام معاذ بن أنس بقرينة قوله: سهل بن معاذ، فإنه ولد معاذ بن أنس، فقد قال المؤلف في أسماء رجاله: هو معاذ بن أنس الجهني معدود في أهل مصر وحديثه عندهم، روى عنه ابنه سهل **(أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظاً»)** أي اجترع غضباً كامناً فيه **(«وهو يقدر على أن ينفذه»)** بتشديد الفاء أي يمضيه، وفي رواية على إنفاذه، فيجوز تخفيف الفاء، والجملة حالية وجواب الشرط **(«دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»)** أي شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به ويقال في حقه: هذا الذي

---

(١) الجامع الصغير في ٢/ ٥٤٩ الحديث رقم ٩١٥٤.

الحديث رقم ٥٠٨٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٣٧ الحديث رقم ٤٧٧٧، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٦ الحديث رقم ٢٠٢١، وابن ماجه ٢/ ١٤٠٠ الحديث رقم ٤١٨٦ وأحمد في المسند ٣/ ٤٤٠.

حتى يُخيِّرَه في أيِّ الحُورِ شاءَ». رواه الترمذيُّ، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب.

٥٠٨٩ ـ (٢٢) وفي رواية لأبي داود، عن سُوَيدِ بن وهبٍ، عن رجلٍ من أبناءِ أصحاب النبيِّ ﷺ، عن أبيه، قال: «ملأ اللَّهُ قلبَه أمْناً وإيماناً».

وذُكرَ حديثُ سوَيدٍ: «مَن تركَ لُبسَ ثوبِ جمالٍ» في «كتاب اللباس».

صدرت منه هذه الخصلة العظيمة (**«حتى يخيره»**) أي يجعله مخيراً (**«في أي الحور شاء»**) أي في أخذ أيهن شاء، وهو كناية عن إدخاله الجنة المنيعة وإيصاله الدرجة الرفيعة. وفي النهاية كظم الغيظ تجرعه، واحتمال سببه والصبر عليه. قال الطيبي: وإنما حمد الكظم لأنه قهر للنفس الإمارة بالسوء ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس**﴾ [آل عمران ـ ١٣٤]، ومن نهي النفس عن هواه فإن الجنة ما واه والحور العين جزاه، قلت: وهذا الثناء الجميل والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ، فكيف إذا انضم العفو إليه أو زاد بالإحسان عليه. قال النووي: «الإحسان أن تحسن إلى المسيء، فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة»، وفي البيضاوي عن النبي ﷺ: «إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصمه الله وقد كانوا كثيراً من الأمم التي مضت» اهـ. وهو قد ذكره التغلبي عن مقاتل بن حبان قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «إن هؤلاء الخ» ولعله مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأوّلين وقليل من الآخرين**﴾ [الواقعة ـ ١٠ ـ ١٤] (**رواه الترمذي وأبو داود وقال الترمذي: هذا حديث غريب**)، وكذا رواه أحمد في مسنده.

٥٠٨٩ ـ (**وفي رواية لأبي داود عن سويد بن وهب**) ذكره المؤلف في التابعين وقال: هو شيخ لابن عجلان (**«عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه»**) أي الصحابي، ويحتمل أن يكون الابن أيضاً صحابياً وأن يكون تابعياً (**قال:**) أي بدل الجزاء السابق مع محافظة الإبقاء على شرطه إلا قول: أن ينفذه، فإن أصول هذا الحديث اتفقت على تبديله على إنفاذه (**«ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً»**). وفي الجامع رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة (**وذكر حديث سويد**) أي ابن وهب بإسناده المذكور (**«ومن ترك لبس ثوب جمال»**) أي وهو يقدر عليه كساه الله حلة الكرامة (**«في كتاب اللباس»**)، وهو محتمل أن يكون عن تكرير أسقطه وأن يكون حوّله من هنا إلى ذلك الباب لمناسبته إلى ذلك الكتاب والله أعلم بالصواب.

الحديث رقم ٥٠٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦١ الحديث رقم ٢٤٨١.

الفصل الثالث

٥٠٩٠ ـ (٢٣) عن زيدِ بن طلحةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ دِينٍ خُلُقاً وخُلقُ الإِسلامِ الحَياءُ». رواه مالك مرسلاً.

٥٠٩١ ـ (٢٤) و٥٠٩٢ ـ (٢٥) ورواه ابنُ ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أنسٍ، وابنِ عبّاسٍ.

(الفصل الثالث)

٥٠٩٠ ـ **(عن زيد بن طلحة)** تابعي روى عنه سلمة بن صفوان الزرقي أخرج حديثه مالك في الحياء ذكره المؤلف **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل دين خلقاً»)** أي مختصاً به أو غالباً فيه، **(«وخلق الإسلام الحياء»)** أي فيما شرع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع فيه كتعلم العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالحق والقيام به وأداء الشهادات على وجهها. كذا ذكره السيوطي، وفيه أن ارتكاب المذكورات لا يخلو عن الحياء، عن الحق وعدم الالتفات إلى الخلق على ما سبق تحقيقه وحقق طريقه، فالحكم على عمومه من استعمال الحياء من الله في جميع الأحكام بأن يستحيي من فعل الآثام، ومن ترك شعبة من شعب الإسلام بل ولا عبرة بالحياء من الأنام لا فعلاً ولا تركاً عند علماء الأعلام «وفي النهاية الخلق الدين والطبع والسجية قلت: المراد هنا السجية أي بمعنى الخصلة أي لكل دين سجية شرعت فيه، وحض أهل ذلك الدين عليها قال الطيبي: والمعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء، والغالب على أهل ديننا الحياء لأنه متمم لمكارم الأخلاق، وإنما بعث ﷺ لإتمامها وقال يوماً لأصحابه: «استحيوا من الله تعالى حق الحياء»[1]. الحديث قلت: الظاهر أن المعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء فإنه مختصة بالغلبة لنا مع اشتراكنا لجميع الملل في سائر السجيات لقوله عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، بل الأظهر أن الأخلاق كلها كانت ناقصة فيمن قبلنا، وإنما كملت في ديننا ببركة نبينا ﷺ، ولذا قال تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [آل عمران ـ ١١٠] الآية. **(رواه مالك)** أي عن زيد بن طلحة **(مرسلاً)** لأنه تابعي.

٥٠٩١ ـ ٥٠٩٢ ـ **(ورواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس وابن عباس)** أي

الحديث رقم ٥٠٩٠: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٥ الحديث رقم ٩، من كتاب حسن الخلق.

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٠ الحديث رقم ٢٤٥٨.

الحديث رقم ٥٠٩١ و٥٠٩٢: أخرجه ابن ماجه في ٢/ ١٣٩٩ الحديث رقم ٤١٨١، وعن ابن عباس الحديث رقم ٤١٨٢ والبيهقي في الشعب ٦/ ١٣٦ الحديث رقم ٧٧١٦.

٥٠٩٣ ـ (٢٦) وعن ابنِ عمَرَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الحَياءَ والإِيمانَ قرناء جميعاً، فإِذا رُفعَ أحدُهما رُفعَ الآخرُ».

٥٠٩٤ ـ (٢٧) وفي رواية ابنِ عبَّاسٍ: «فإِذا سُلبَ أحدُهما تبعَه الآخر» رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٠٩٥ ـ (٢٨) وعن مُعاذٍ، قال: كانَ آخرُ ما وصَّاني به رسولُ الله ﷺ: وضعتُ رِجلي في الغَرْزِ أن قال: «يا معاذ! أحسِنْ خُلُقكَ للنَّاس».

مرفوعاً لا موقوفاً كما يتوهم من الإطلاق، ثم ظاهره أن كلاً منهما يروي عن كليهما، ويحتمل أن يكون على طريق اللف والنشر والله أعلم، ثم رأيت في الجامع الصغير أسند الحديث إلى ابن ماجه بروايته عنهما فدل على أن البيهقي كذلك.

٥٠٩٣ ـ **(وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الحياء والإيمان»)** أي الكامل **(«قرناء»)** جمع قرين. قال الطيبي: فيه دليل لمن يقول: أقل الجمع اثنان اهـ. وفي نسخة قرناً بالماضي المثنى المجهول أي جعلاً مقرونين **(«جميعاً»)** أي مجتمعين وهو تأكيد في المعنى، **(فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)**.

٥٠٩٤ ـ **(وفي رواية ابن عباس فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر، رواه البيهقي في شعب الإيمان)**، ووافقه الحاكم وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر[(١)] ووافقه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس لكن لفظه: «الحياء والإيمان في قرن، فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر». وفي رواية له أيضاً عن أبي موسى بلفظ «الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعاً».

٥٠٩٥ ـ **(وعن معاذ)** أي ابن جبل **(قال: كان آخر ما وصاني به رسول الله ﷺ»)** أي حالة توجهي إلى اليمن بأمره **(«حين وضعت رجلي في الغرز»)** بغين معجمة مفتوحة فسكون راء فزاي أي في موضع ركاب من رحل البعير كالركاب للسرج، قاله الباجي. وفي النهاية الفرز ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب، وقيل: هو الكور مطلقاً كالركاب للسرج، **(«إن قال: يا معاذ أحسن خلقك للناس»)**. قال الطيبي: إن قال: خبر كان وحين وضعت ظرف، قاله: حين بعثه إلى اليمن للقضاء أوصاه ليجامل الناس بحسن الخلق. قال السيوطي، تحسين خلقه أن يظهر لمن يجالسه أو ورد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير، والمراد بالناس من يستحق ذلك فأما أهل الكفر والإصرار على الكبائر والتمادي على الظلم فلم يؤمر بتحسين الخلق لهم، بل يؤمر بأن يغلظ عليهم قلت: قد يقال:

الحديث رقم ٥٠٩٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٤٠ الحديث رقم ٧٧٢٧.

الحديث رقم ٥٠٩٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٤٠ الحديث رقم ٧٧٢٦.

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٢٢، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٩٧.

الحديث رقم ٥٠٩٥: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٢ الحديث رقم ١ من كتاب حسن الخلق.

رواه مالك.

٥٠٩٦ ـ (٢٩) وعن مالكٍ، بلَغه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعثتُ لأتَمِّمَ حُسنَ الأخلاقِ». رواه في «الموطأ».

٥٠٩٧ ـ (٣٠) ورواه أحمد عن أبي هريرةَ.

إن الرفق من جملة حسن الخلق، فيمكن أن يعم جميع الخلق، قال الله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾ [النحل ـ ١٢٥] الآية. **(رواه مالك)**.

٥٠٩٦ ـ **(وعن مالك بلغه)** بتخفيف اللام وضمير المفعول إليه والفاعل قوله: **(«إن رسول الله ﷺ)**، وهو يحتمل أن يكون متصلاً عند مالك، لكنه لم يذكر التابعي ولا الصحابي، وأن يكون منقطعاً بأن ترك فيه روايات، وهذا هو الظاهر وإلا لذكر الصحابي فكان مرفوعاً أو ذكر التابعي فكان مرسلاً. وقال الطيبي: هذا يحتمل أن يكون متصلاً، وراوي مالك لم يذكر الاتصال وأن يكون مرسلاً وإن لم يذكر مالك التابعي ولا الصحابي وقيل: إنه منقطع، قلت: هذا كله احتمالات عقلية وكونه متقطعاً هو الموافق للقواعد الحديثية إذ لا يقال في غيره: إنه بلغه بل التحقيق أنه من قبيل المعلق، وفيه بحث طويل بينته في شرح النخبة في أصول الحديث **(قال: بعثت)** بصيغة المفعول أي أرسلت إلى الخلق **(«لأتمم حسن الأخلاق»)** بضم حاء وسكون سين أي الأخلاق الحسنة والأفعال المستحسنة، وفي نسخة بفتحتين أي لأن أجعل حسنها أحسنها. قال البيضاوي: «وكانت العرب أحسن أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها، فبعث ﷺ ليتمم محاسن الأخلاق». ذكره السيوطي، والتحقيق ما قدمناه فيما سبق، وقال الطيبي: قوله: «لأتمم» الخ يحتمل أن يراد به أنه كملها بعد النقصان وأنه جمعها بعد التفرقة، وعليه قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام ـ ٩٠] قال الإمام فخر الدين: الآية دالة على فضله صلوات الله وسلامه عليه لأنه تعالى أمره بالاقتداء بهداهم، ولا بد له من امتثاله لذلك الأمر، فوجب أن يجتمع فيه جميع خصائلهم وأخلاقهم المتفرقة، وإلى معنى الأوّل أشار ﷺ بقوله: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه وترك موضع لبنة منه» إلى أن قال: «فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة حتى تم بي البنيان» اهـ. ولا منع من الجمع بين القولين لأنه ﷺ كان في مرتبة جمع الجمع الله يجمع بيننا في المسير وإليه المصير. **(رواه)** أي مالك **(في الموطأ)** وتقدم ما فيه من المناقشة أو يصير التقدير رواه مالك عن مالك فكان حق المؤلف أن يقول: كذا في الموطأ.

٥٠٩٧ ـ **(رواه أحمد عن أبي هريرة)** أي مرفوعاً. وفي الجامع «إنما بعثت لأتمم صالح

الحديث رقم ٥٠٩٦: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٤ الحديث رقم ٢ من كتاب حسن الخلق.

الحديث رقم ٥٠٩٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٨١.

٥٠٩٨ - (٣١) وعن جعفر بن محمَّدٍ، عن أبيهِ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ نظرَ في المرآةِ قال: «الحمدُ للَّهِ الذي حسَّنَ خَلقي وخُلقي، وزانَ [٣٨٠ - ب] مني ما شانَ من غيري» رواه البيهقي في «شعب الإيمان مرسلاً».

٥٠٩٩ - (٣٢) وعن عائشةَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللهم كما حسَّنتَ

الأخلاق». رواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم والبيهقي في شعبه عن أبي هريرة[١].

٥٠٩٨ - (وعن جعفر) أي الصادق («ابن محمد») أي الباقر («عن أبيه») تابعي أدرك جابراً وبلغه السلام من النبي ﷺ («قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر») أي إلى وجهه الشريف («في المرآة») بكسر الميم («قال: الحمد لله الذي حسن») بتشديد السين أي أحسن («خلقي وخلقي») بفتح الأول وضم الثاني، وقدم الأوّل لظهوره أولا ونظراً إلى الترقي («وزان») أي زين («مني») أي من خلقي وخلقي («ما شان») أي عابه وقبحه («من غيري») سواء في خلقه أو خلقه وفيه دلالة صريحة على أن صورته وسيرته على أتم الحسن بالنسبة إلى غيره. قال الطيبي: فيه معنى قوله: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»، فجعل النقصان شيناً. كما قال أبو الطيبي: ولم أر في عيوب الناس عيباً، كنقص القادرين على التمام، وعلى نحو هذا الحمد حمد داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ [النحل - ١٥] وفيه استحباب النظر في المرآة والحمد على حسن الخلقة والخلق لأنهما نعمتان موهوبتان من الله تعالى يجب الشكر عليهما اهـ بقي أن معرفة حسن الظاهر من المرآة ظاهرة باعتبار المظاهر، فما معنى ذكر الخلق والسيرة، فإنه أمر باطن ويمكن أن يقال: إن الظاهر عنوان الباطن أو أنه من باب الشيء بالشيء يذكر، فإن قلت: فهل لغيره أن يقتدي به ويقول هذا الحمد، أو هذا مختص به ﷺ ويكون لغيره أن يدعو بما سيأتي في الحديث الذي يليه قلت: ويجوز لكل مؤمن أن يقول: ذلك القول لأن الإنسان من حيث هو خلق على أحسن تقويم، وصاحب الإيمان لا شك أنه على خلق مستقيم ودين قويم وفوق كل ذي علم عليم. (رواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلاً)، وكذا رواه البزار عن أنس مرفوعاً ولفظه «الحمد لله الذي سوى خلقي وأحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري»[٢]. وفي رواية للطبراني وابن السني عن أنس أيضاً «الحمد لله الذي سوّى خلقي فعدله، وصوّر صورة وجهي فأحسنها، وجعلني من المسلمين».

٥٠٩٩ - (وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول:) أي مطلقاً أو عند نظره إلى المرآة على ما صرح به الجزري في الحصن، وهو اللائق للحديث السابق («اللهم كما حسنت

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣.

الحديث رقم ٥٠٩٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١١١ الحديث رقم ٤٤٥٩.

(٢) كشف الأستار ٤/ ٣٢ الحديث رقم ٣١٢٤.

الحديث رقم ٥٠٩٩: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٦٨.

خَلقي فأحسِنْ خُلقي». رواه أحمد.

٥١٠٠ ـ (٣٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ألاَ أُنبِّئكم بخيارِكم؟» قالوا: بلَى قال: «خِيارُكم أطولُكم أعماراً، وأحسنُكم أخلاقاً» رواه أحمد.

٥١٠١ ـ (٣٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أكملُ المؤمنين إِيماناً أحسنُهم خُلقاً». رواه أبو داود، والدارمي.

خلقي فأحسن خلقي»)، يحتمل أن يريد به طلب الكمال وإتمام النعمة عليه بإكمال دينه قال تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾** [المائدة ـ ٣] وفيه إشارة إلى قول عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»، وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان قلت: طلب الثبات على ما كان بالنسبة إليه ﷺ كتحصيل الحاصل الذي لا يرضى به الكامل، فالتحقيق أنه لطلب المزيد كما يفيده قوله تعالى: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** [طه ـ ١١٤] وقد صرح بعض العارفين بأن الترقيات الباطنية لا تتناهى حتى في الجنة لأنها حاصلة من التجليات الإلهية وهي لا تحصى. ولعل في قوله سبحانه: **﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾** [يونس ـ ٢٦] وزيادة إيماء إلى هذه الإفادة. **(رواه أحمد)** وكذا رواه الدارمي عن عائشة وابن حبان عن ابن مسعود ولفظهما «اللهم أنت حسنت خلقي فحسن خلقي». ورواه البزار عن عائشة وأبي هريرة أيضاً بلفظ «اللهم كما حسنت خلقي فأحسن خلقي وحرم وجهي على النار»[١].

٥١٠٠ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخياركم قالوا: بلى. قال: خياركم أطولكم أعماراً»)** أي في الكمية أو الكيفية **(«وأحسنكم أخلاقاً»)** أي الهية وإنسانية أو عبر عن الأعمال بالأخلاق لأنها منبعها ومعدنها ولأن مدارها في الحسن والقبح عليها لقوله عليه السلام على ما رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعاً: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»[٢]. قال الطيبي: فيه إشارة إلى ما قال ﷺ في جواب من سَأَلَهُ أي الناس خير قال: «من طال عمره وحسن عمله»، فقوله: وأحسنكم أخلاقاً كقوله: وحسن عمله، في إرادة الجمع بين طول العمر وحسن الخلق. **(رواه أحمد)**.

٥١٠١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً. رواه أبو داود والدارمي)**، وكذا أحمد وابن حبان والحاكم[٣]، وزاد الترمذي

---

(١) أخرجه ابن حبان في ٣/ ٢٣٩ الحديث رقم ٩٥٩.

الحديث رقم ٥١٠٠: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٦٨.

(٢) أبو نعيم في الحلية ٦/ ١١١.

الحديث رقم ٥١٠١: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٦٠ الحديث رقم ٤٦٨٢، والدارمي في ٢/ ٤١٥ الحديث رقم ٢٧٩٢، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٠.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٢٢٧ الحديث رقم ٤٧٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٣ والترمذي في السنن الحديث رقم ١١٦٢.

٥١٠٢ ـ (٣٥) وعنه، أنَّ رجلاً شتمَ أبا بكرٍ، والنبيُّ ﷺ جالسٌ يتعجَّب ويتبسَّمُ، فلمَّا أكثرَ ردَّ عليه بعضَ قولِه، فغضبَ النبيُّ ﷺ، وقامَ، فلحقَه أبو بكرٍ، وقال: يا رسولَ الله! كانَ يشتمُني وأنت جالسٌ، فلمَّا ردَدْتُ عليه بعضَ قولِهِ غضبتَ وقمتَ. قال: «كانَ معكَ ملَكٌ يردُّ عليه، فلمَّا رددتَ عليهِ وقعَ الشَّيطانُ». ثمَّ قال: «يا أبا بكرٍ! ثلاثٌ كلُّهنَّ حقٌّ: ما منْ عبدٍ ظُلَم بمظلَمةٍ

وابن حبان في رواية «وخياركم لنسائهم».

٥١٠٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**«إن رجلاً شتم أبا بكر والنبي ﷺ جالس»**) جملة حالية (**«يتعجب»**) أي من شتم الرجل وقلة حيائه أو من صبر أبي بكر وكثرة وفائه (**«ويتبسم»**) لما يرى من الفرق بين الشخصين، وما يترتب على فعلهما من العقوبة الكاملة والرحمة النازلة، ولما ظهر له من مظاهر الجلال والجمال على ما هو مشهود أهل الكمال (**«فلما أكثر»**) أي الرجل في مقاله (**«رد»**) أي أجاب (**«أبو بكر عليه»**) أي على الرجل (**«بعض قوله:»**) عملاً بالرخصة المجوّزة للعوام وتركاً للعزيمة المناسبة لمرتبة الخواص قال تعالى: ﴿**والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾ [الشورى ـ ٣٩] وقال عز وجل: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**﴾ [النحل ـ ١٢٦] وهو رضي الله عنه وإن كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين الصبر عن بعضه لكن لما كان المطلوب منه الكمال المناسب لمرتبته من الصديقية ما استحسنه ﷺ، وهذا معنى قوله: (**«فغضب النبي ﷺ»**) أي تغير منه تغير القضبان (**«وقام»**) أي من ذلك المجلس وخلاهما عملاً بقوله تعالى: ﴿**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه**﴾ [القصص ـ ٥٥] (**«فلحقه أبو بكر»**) أي معتذراً ومستفهماً (**«وقال: يا رسول الله كان»**) أي الرجل (**«يشتمني»**) بضم التاء ويكسر، (**«وأنت جالس، فلما رددت عليه بعض قوله»**) أي من الشتم بعينه أو بما يناسبه (**«غضبت قمت»**) يعني فما الحكمة في ذلك (**«قال: كان معك ملك يرد عليه»**) أي بدلك ويدلك على الصبر (**«فلما رددت عليه»**) أي بذاتك ودخل فيه حظاً لنفس (**«وقع الشيطان»**) أي وطلع الملك «والشيطان إنما يأمر بالفحشاء والمنكر، فخفت عليك أن تتعدى على خصمك وترجع ظالماً بعد أن كنت مظلوماً». وقد روي «كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم». وفي رواية «كن خيراً بني آدم». قال تعالى حكاية عن هابيل جواباً لقابيل ﴿**لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**﴾ [المائدة ـ ٢٨] مع أنه يجوز له قتله دفعاً عن نفسه، وكان أقوى منه لكن اختار الطريق الأكمل ليكون من الفريق الكمل (**«ثم قال: يا أبا بكر ثلاث»**) أي خصال (**«كلهن حق»**) أي ثابت وصدق (**«ما من عبد ظلم»**) بصيغة المجهول (**«بمظلمة»**) بكسر اللام على المشهور وقيل: بفتحها أيضاً وأنكره بعض، وحكى الفراء الضم أيضاً، وفي المغرب: المظلمة الظلم واسم المأخوذ، وفي القاموس الظلم وضع الشيء في غير موضعه

الحديث رقم ٥١٠٢: أخرجه أحمد في المسند ٢/٤٣٦.

فبُغضي عنها للَّهِ عزَّ وجلّ إلا أعز الله بها نصرَه، وما فتحَ رجلٌ بابَ عطيَّةٍ يريدُ بها صلةً إلا زادَ اللَّهُ بها كثرة، وما فتحَ رجلٌ بابَ مسألة يريدُ بها كثرةً إلا زادَ اللَّهُ بها قلَّةً». رواه أحمد.

٥١٠٣ ـ (٣٦) وعن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُريدُ اللَّهُ بأهلِ بيتٍ رِفقاً إلاَّ نَفَعَهمْ، ولا يَحْرِمَهم إيَّاه إلاَّ ضَرَّهمْ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

والمظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل («**فيغضي**») من الاغضاء بالغين والضاد المعجمتين وهو أدناء الجفون بمعنى الإغماض، والمراد منه هنا الأعراض، وفي نسخة فيعفى بالعين المهملة من الإعفاء وهو لغة في العفو والمعنى فيسامح («**عنها**») أي عن تلك المظلمة ويترك جوابها أو المطالبة بها في الدنيا أو مطلقاً («**لله عزَّ وجلّ**») أي لا لفخر ولا سمعة ورياء («**ألا أعز الله بها**») أي بمقابلة تلك المظلمة والإهانة أو بسبب تلك الخصلة المعانة («**نصره**») أي إعانته في الدنيا والآخرة («**وما فتح رجل باب عطية**») أي صدقة («**يريد بها صلة**») أي صلة للرحم والقرابة أو وصلة للقربة، وفي رواية باب عطية بصدقة أو صلة («**إلا زاد الله بها كثرة**») أي بركة صورية ومعنوية («**وما فتح رجل باب مسألة**») أي سؤال من مخلوق («**يريد بها كثرة**») أي لأدفع حاجة ضرورية تلجئه («**إلا زاد الله بها قلة**») أي حسية أو حقيقية. وفي رواية إلا زاده الله تعالى في الموضعين. (**رواه أحمد**)، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف ولفظه «ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله بها عزاً فاعفوا يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر». ورواه أحمد والترمذي عن أبي كبشة الأنماري ولفظه: «ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزَّ وجلّ عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا الأربعة، نفر عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغيره علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء»(١).

٥١٠٣ ـ (**وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يريد الله بأهل بيت رفقاً إلا نفعهم»**) أي الله به («**ولا يحرمهم**») بفتح أوّله، وقيل: بضمه أي ولا يمنع أهل بيت («**إياه**») أي الرفق («**إلا ضرهم**») أي أضرهم الله به. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**).

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٧ الحديث رقم ٢٣٢٥، وأحمد في المسند ٤/ ٢٣١.

الحديث رقم ٥١٠٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣٣٧ الحديث رقم ٨٤١٨.

(٢٠) باب الغضب والكبر

الفصل الأول

٥١٠٤ ـ (١) عن أبي هريرةَ، أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوْصِني.

باب الغضب والكبر

قال بعض المحققين: الغضب فوران دم القلب أو عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات وللانتقام بعد وقوعها، فإطلاقه على الله كما في حديث رواه الترمذي وغيره «من لم يسأل الله يغضب عليه»[1] مجاز أي يفعل به ما يفعل الملك إذا غضب على من تحت يده من الانتقام وإنزال العقوبة، وأما الكبر فقال الراغب: هو الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجاب نفسه بأن يرى نفسه أكبر من غيره وأعظمه الامتناع عن قبول الحق عن الله تعالى والإذعان للعبادة والاستكبار على وجهين، أحدهما أن يتحرى الإنسان أن يصير كبيراً وذلك متى كان على ما يحب فهو المحمود، والثاني أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم كقوله: **﴿أبى واستكبر﴾** [البقرة ـ ٣٤] والمتكبر أيضاً على وجهين إما محمود وهو أن تكون أفعاله الحسنة كثيرة زائدة في الحقيقة على محاسن غيره وعلى هذا وصفه الله تعالى بالمتكبر في قوله تعالى: **﴿العزيز الجبار المتكبر﴾** [الحشر ـ ٢٣] أو مذموم وذلك إذا كان متكلفاً متشبعاً لذلك، وهذا وصف عامة الناس نحو قوله تعالى: **﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾** [الزمر ـ ٧٢] وقال الغزالي: الكبر ينقسم إلى ظاهر وباطن، فإذا ظهر على الجوارح يقال: تكبر وإذا لم يظهر يقال: في نفسه كبر، فالأصل هو الخلق في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ليرى نفسه فوقه في صفات الكمال، ومتكبراً به، وبه يفصل الكبر عن العجب، فإن العجب لا يستدعي غير المعجب به بل لو لم يخلق إلا وحده تصوّر أن يكون معجباً ولا يتصوّر أن يكون متكبراً.

(الفصل الأوّل)

٥١٠٤ ـ (**عن أبي هريرة: «أن رجلاً»**) هو ابن عمر، أو حارثة بن قدامة، أو سفيان بن عبد الله (**«قال للنبي ﷺ: أوصني»**) أي أرشدني بخصوصي إلى عموم ما ينفعني ديناً ودنيا،

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٢٦ الحديث رقم ٣٣٧٣.

الحديث رقم ٥١٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥١٩ الحديث رقم ٦١١٦، والترمذي في السنن ٤/ ٣٢٦ الحديث رقم ٢٠٢٠، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٥ الحديث رقم ١١ من باب الغضب وأحمد في المسند ٢/ ١٧٥.

قال تغضبْ». فردَّ ذلكَ مراراً قال: «لا تغضبْ». رواه البخاري.

٥١٠٥ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ الشديدُ

ويقربني إلى الله زلفى (**«قال: لا تغضب فردد»**) أي الرجل السؤال، وهو المشار إليه بذلك على ما في بعض النسخ (**«مراراً»**) أي ثلاثاً أو مرة بعد أخرى رجاء أن يضم معه إيصاء آخر (**«قال: لا تغضب»**)، قال بعض المحققين: الغضب من نزغات الشيطان يخرج به الإنسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة حتى يتكلم بالباطل، ويفعل المذموم شرعاً وعرفاً، وينوي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح التي كلها من أثر سوء الخلق، بل قد يكفر؛ ولهذا قال: لا تغضب وأصر عليه مع إلحاح السائل مريداً للزيادة أو التبديل فكأنه قال له: «حسن خلقك»، وهو من جوامع الكلم[1]، فالحديث من بدائع الكلم، ثم علاجه معجون مركب من العلم والعمل بأن يرى الكل من الله، ويذكر نفسه إن غضب الله أعظم وفضله أكثر، وكم خالف أمره ولم يغضب عليه، ويتعوّذ ويتوضأ ويشغل نفسه بشيء. قال التوربشتي: قد كان ﷺ مكاشفاً بأوضاع الخلق عارفاً بأدوائهم يضع الهنا موضع النقب[2]، يأمرهم بما هو أولى بهم فلما استوصاه الرجل وقد رآه مملوءاً بالقوّة الغضبية لم ير له خيراً من أن يتجنب عن دواعي الغضب ويزحزح نفسه عنه. وقال القاضي: لعله ﷺ لما رأى أن جميع المفاسد التي تعرض للإنسان وتعتريه إنما تعرض له من فرط شهوته واستيلاء غضبه، والشهوة مكثورة [بالنسبة] إلى ما يقتضيه الغضب غير ملتفت إليها، فلما سأله الرجل أن يشير إليه ما يتوسل به إلى التجنب عن القبائح والتحرز عن مظانها نهاه عن الغضب الداعي إلى ما هو أعظم ضرراً وأكثر وزراً، فإن ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسبباته لا محالة، قلت: هو كلام حسن وبيان مستحسن، إلا أن التحقيق أن مدار الغضب على شهوة النفس، فإن الإنسان لا يغضب غضباً مذموماً إلا بتوهم فوت شهوة له أو بعد تحقق فوتها، ولهذا ترى كل من كان شهوته أكثر كالملوك والأمراء يكون غضبه أكبر ويجب عنه الحذر، ويؤيده الحديث الذي يليه. (**رواه البخاري**)، وكذا أحمد والترمذي عن أبي هريرة وأحمد والحاكم عن حارثة بن قدامة[3]، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن رجل ولفظه: «لا تغضب فإن الغضب مفسدة». وفي رواية لابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي الدرداء: «لا تغضب ولك الجنة».

٥١٠٥ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد»**) أي القوي

---

(١) في المخطوطة «الحكم». (٢) في المخطوطة «المنام موضع التعب».

(٣) أحمد في المسند ٥/ ٣٤ والحاكم في المستدرك ٣/ ٦١٥ وهو عن جارية بن قدامة وليس «حارثة بن قدامة».

الحديث رقم ٥١٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥١٨ الحديث رقم ٦١١٤، ومسلم في ٤/ ٢٠١٤ الحديث رقم (١٠٧ ـ ٢٦٠٩)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٣٨ الحديث رقم ٤٧٧٩، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٦ الحديث رقم ١٢ من كتاب البر والصلة، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٦.

بالصُّرَعةِ الشديدُ الذي يملِكُ نفسَه عندَ [٣٨١ ـ أ ـ] الغضبِ». متفق عليه.

٥١٠٦ ـ (٣) وعن حارثةَ بن وهبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخبركم بأهلِ الجنَّةِ؟ كلُّ ضعيفٍ متضعِّفٍ لو أقسَمَ على اللَّهِ لأبرَّه. ألا أُخبرُكم بأهل

كامل القوّة («**بالصرعة**») بضم ففتح كهمزة من يكثر الصرع، وهو إسقاط المصارع له لأنه قوّة بدنية صورية نفسية فانية («**إنما الشديد**») أي الكامل («**الذي يملك نفسه عند الغضب**»)، فإنه قوّة دينية معنوية إلهية باقية، فحوّل النبي ﷺ معنى هذا الاسم من القوّة الظاهرة إلى الباطنة ومن أمر الدنيا إلى الدين. وفي النهاية الصرعة بضم الصاد وفتح الراء المبالغ في الصراع الذي لا يغلب فنقله إلى الذي يملك نفسه عند الغضب، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه، ولذلك قال: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»، وهذا من الألفاظ التي نقلها عن وضعها اللغوي بضرب من التوسع والمجاز، وهو من فصيح الكلام، لأنه لما لكان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته، كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه. (**متفق عليه**). ورواه الإمام أحمد في مسنده.

٥١٠٦ ـ (**وعن حارثة بن وهب**) ذكره المؤلف في الصحابة (**قال: قال رسول الله ﷺ**: «**ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف**») بالرفع على تقدير هو؛ وفي نسخة بالجر على البدلية. قال شارح: معناه أنه لا يسقط الناس، والأظهر أن معناه أنه ليس بمتكبر جبار ويدل عليه قرينته الآتية، فالحكم كلي لا غالبي على ما سيجيء، وقوله: («**متضعف**») بفتح العين ويكسر من باب التأكيد كجنود مجندة والقناطير المقنطرة وظل ظليل، وفائدة التاء الموضوع للطلب أن الضعف الحاصل فيه كأنه مطلوب منه التذلل والتواضع مع إخوانه وإن كان قوياً مترجلاً مع أعدائه، قال تعالى: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [الفتح ـ ٢٩] ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾ [المائدة ـ ٥٤] ففيه إشارة إلى أن [كل] من كثر تواضعه مع المؤمنين يكون أعلى مراتب المقربين كما أن من يكون أكثر تكبراً وتجبراً يكون في أسفل السافلين، وقال النووي: ضبطوه بفتح العين وكسرها، والمشهور الفتح، ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجرؤون عليه لضعف حاله في الدنيا. يقال: تضعفه واستضعفه، وإما على الكسر فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء، كما أن معظم أهل النار القسم الأخير («**لو أقسم على الله**») أي في فعل أو ترك («**لأبره**») أي لأمضاه على الصدق وجعله باراً غير حانث في طلبه من الحق. وقال الطيبي: أي لو حلف يميناً طمعاً في كرم الله بإبراره لأبره («**ألا أخبركم بأهل**

الحديث رقم ٥١٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٦٣ الحديث رقم ٤٩١٨، ومسلم في ٤/ ٢١٩٠ الحديث رقم (٤٦/ ٢٨٥٣)، والرواية الثانية في (٢٧ ـ ٢٨٥٣)، والترمذي في السنن ٤/ ٦١٨ الحديث رقم ٢٦٠٥، وابن ماجه في ٢/ ١٣٧٨ الحديث رقم ٤١١٦، وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٦.

النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوَّاظٍ مستكبرٍ». متفق عليه. وفي رواية لمسلمٍ: «كلُّ جواظ زنيمٍ متكبِّرٍ».

٥١٠٧ ـ (٤) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ النار أحدٌ في قلبِه مثقالُ حبَّةٍ منْ خردل منْ إيمان. ولا يدخلُ الجنة أحدٌ في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من كِبرٍ».

النار كل عتل») بضمتين فتشديد أي جاف شديد الخصومة بالباطل. وقيل: الجافي الفظ الغليظ **(«جوّاظ»)** بتشديد الواو أي جموع منوع أو مختال، وقيل: السمين من التنعم، وقيل: الفاجر بالجيم، وقيل: بالخاء **(«مستكبر»)** أي متكبر عن الحق أو على أهله. **(متفق عليه)**. ورواه ابن ماجه عن معاذ ولفظه «ألا أخبركم عن ملوك الجنة» رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، ورواه الطبراني عن أبي الدرداء بلفظ: «ألا أخبركم بأهل النار، كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع منوع، ألا أخبركم بأهل الجنة، كل مسكين لو أقسم على الله لأبره». **(وفي رواية لمسلم «كل جواظ زنيم متكبر»)**، والزنيم: الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس منهم تشبيهاً له بالزنمة، وهي شيء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقاً بها. ذكره الطيبي، وهو المناسب للآية الواردة في حق الوليد ابن المغيرة وأضرابه، وأما الحديث فينبغي أن يفسر بالمعنى الأعم، وهو اللئيم المعروف بلؤمه أو شره على ما في القاموس، ويمكن أن يكون الزنيم كناية عن هذا الوصف، فإنه لازمه غالباً، وقد ورد في حديث رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة «ولد الزنا شر الثلاثة»، وفي رواية «إذا عمل بعمل أبويه»، وأما حديث «ولد الزنا لا يدخل الجنة فلا أصل له أصلاً» والله أعلم.

٥١٠٧ ـ **(وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار»)** أي دخول خلود **(«أحد في قلبه مثقال حبة»)** أي مقدار وزن حبة **(«من خردل»)**، قيل: إنه الحبة السوداء وهو تمثيل للقلة كما جاء مثقال ذرة **(«من إيمان»)** أي من ثمرته وهي أخلاقه المتعلقة بالباطن أو الظاهر الصادر من نور الإيمان وظهور الإيقان، فإن حقيقة الإيمان، وهو التصديق، ليس قابلاً للزيادة والنقصان. فقول الطيبي فيه إشعار بأن الإيمان قابل للزيادة، والنقصان صدر من غير شعور بحقيقة الإيقان والاتقان، فإن الإيمان لا يتجزأ إلا باعتبار تعدد المؤمن به، ولا شك أن الإيمان ببعض ما يجب الإيمان به كلاً إيمان نعم، له شعب كثيرة خارجة عن حقيقته وماهيته كالصلاة والزكاة وسائر أحكام الإسلام الظاهرة، وكالتواضع والترحم وسائر الأخلاق الباطنة الباهرة، ومنه الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة»، ويدل على ما ذكرناه قوله: «والحياء شعبة من الإيمان»، فإن الإجماع على أنه غير داخل في مفهوم الإيمان ويدل عليه مقابلته بقوله: **(«ولا يدخل الجنة»)** أي مع السابقين **(«أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»)**،

الحديث رقم ٥١٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ الحديث رقم (١٤٨ ـ ٩١)، وأبو داود في السنن ٤/ ٣٥١ الحديث رقم ٤٠٩١، والترمذي في ٤/ ٣١٧ الحديث رقم ١٩٩٨، وابن ماجه في ٢/ ١٣٩٧ الحديث رقم ٤١٧٣، وأحمد في المسند ١/ ٤١٢.

رواه مسلم.

٥١٠٨ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ مَن كان في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبْرٍ». فقال رجلٌ: إنَّ الرجلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حسناً ونعلُه حسَناً. قال: «إنَّ اللَّهَ تعالى جميلٌ يحبُّ الجمالَ.

فإنه «لا نزاع أن الكبر المجرد ليس بكفر، كما أن الكبر عن قبول الحق كفر إجماعاً. نعم، الكفر قابل للزيادة والنقصان على ما لا يخفى، ولذا قال تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾** [البقرة ـ ٢٥٧] أي من أنواع ظلمات الكفر والكفران إلى النور أي نور التوحيد، والإيمان، فمعنى الحديث، أنه لا يدخل الجنة مع الكبر، بل يصفى منه ومن كل خصلة مذمومة إما بالتعذيب أو بعفو الله ثم يدخل الجنة». قال الخطابي: للحديث تأويلان أحدهما أن يراد بالكبر الكفر والشرك، ألا ترى أنه قد قابله في نقيضه بالإيمان، وثانيهما أن الله تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة نزع من قلبه ما كان في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر وعلى في قلبه، وقوله: لا يدخل النار يعني دخول تأبيد وتخليد اهـ. وأراد في المعنى الثاني بالكبر التكبر على الناس. قال الطيبي: الوجه الأوّل من باب المقابلة المعنوية وهو من أنفسها، فإنه أشار بالإيمان إلى أن الكبر من صفات الكافرين، فيجب أن يجتنب عنه، وبالكبر تلميح إلى أن التواضع من سمات المؤمنين، فينبغي أن يرغب فيه، وهو الوجه، لأن القصد الأولى في سياق الكلام، وإيراده إلى معنى الوصفين للترغيب في أحدهما، والتنفير عن الآخر لا إلى حكم الموصوفين وإن لزمه تبعاً اهـ وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق. **(رواه مسلم)**.

٥١٠٨ ـ **(أي عن ابن مسعود (قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل:)** هو معاذ بن جبل أو عبد الله بن عمرو بن العاص أو ربيعة بن عامر أقوال (**«أن الرجل»**) أي جنسه، والمراد به الشخص (**«يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً»**) أي من غير أن يراعي نظر الخلق وما يترتب عليه من الكبر والخيلاء والسمعة والرياء، وعلامة صدقه أن يحب ذلك أيضاً في الخلاء ثم النعل ما وقيت به القدم، وهي مؤنثة سماعية. ذكرها ابن الحاجب في رسالته فيما يجب تأنيثه، وفي المشارق ونعله حسنة، فالتذكير هنا باعتبار معناها، وهو ما وقيت به القدم. كذا ذكره بعضهم، ويمكن أن يقال: التقدير: ونعله ذات حسن أو عدل عن فعلاء إلى فعل للمشاكلة مع قابلية اللفظ أن يقرأ كذلك، ولعل سبب السؤال ما ذكره الطيبي أنه لما رأى الرجل العادة في المتكبرين ليس الثياب الفاخرة ونحو ذلك سأل ما سأل (**«قال:»**) أي مجيباً له (**«إن الله جميل»**) أي في ذاته وصفاته وفعاله، وكل جمال صوري أو جميل معنوي فهو أثر جماله، فلا جمال ولا جلال ولا كمال إلا له سبحانه (**«يحب الجمال»**) أي ظهوره في مخلوقاته، ولذلك أظهرهم وجعلهم مظاهره، ويؤيده حديث «إن الله

الحديث رقم ٥١٠٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٩٣ الحديث رقم (١٤٧ ـ ٩١)، وأبو داود في السنن ٤/ ٣٥١ الحديث رقم ٤٠٩١، والترمذي في ٤/ ٣١٧ الحديث رقم ١٩٩٩ وأحمد في المسند ١/ ٣٩٩.

الكِبْرُ بطرُ وغمط الحقّ الناس». رواه مسلم.

٥١٠٩ ـ (٦) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يكلمُهم اللَّهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكّيهم». وفي رواية: «ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملِكٌ كذّابٌ، وعائلٌ مستكبِرٌ».

يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» («الكبر بطر الحق») بفتح الموحدة والمهملة أي الكبر المذموم بطلان جمال الحق («وغمط الناس») أي استحقار الخلق، وأصل البطر شدة الفرح والنشاط، والمراد هنا قيل: سوء احتمال الغنى، وقيل: الطغيان عند النعمة، والمعنيان متقاربان. وفي النهاية بطر الحق هو أن يجعل ما يجعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً، وقيل: هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً، وقيل: هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. قال التوربشتي: وتفسيره على الباطل أشبه لما ورد في غير هذه الرواية إنما ذلك من سفه الحق وغمص الناس أي رأى الحق سفهاً. (رواه مسلم). وكذا الترمذي عن ابن مسعود والطبراني عن أبي أمامة، والحاكم عن ابن عمرو[1]، وابن عساكر عن جابر وعن ابن عمر، ورواه البيهقي عن أبي سعيد بزيادة «ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس». ورواه ابن عدي بزيادة «سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة».

٥١٠٩ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة»**) أي أشخاص (**«لا يكلمهم الله»**) أي كلام رضا أو مطلقاً (**«يوم القيامة»**) أي وقت ظهور عدله وفضله وغضبه ورضاه (**«ولا يزكيهم»**) أي لا يثني عليهم بخلاف سائر المؤمنين أو لا يطهرهم من دنس الذنوب بالعفو عنهم. (**وفي رواية**) بدلاً عما قبله أو زيادة عليه وهو الظاهر (**«ولا ينظر إليهم»**) أي نظر لطف وعناية ورحمة ورعاية (**«ولهم عذاب أليم»**)، يحتمل أن يكون من تتمة الرواية وأن يكون عوداً إلى أصل الحديث وهو المعتمد كقوله: (**«شيخ زان»**) لأن الزنا إذا كان قبيحاً من الشاب كونه معذوراً طبعاً، فمن الشيخ المنطفىء شهوته المنتفي غلمته يكون أقبح وفي نظر العقل أسمج (**«وملك كذاب»**) أي كثير كذب أو ذو كذب بناء على أن الصيغة للمبالغة أو النسبة، والثاني أبلغ (**«وعائل مستكبر»**) أي فقير متكبر لأن كبره مع انعدام سببه فيه من الجاه والمال يدل على كونه بالطبع ذميماً في الشرع. وقيل: المراد بالعائل ذو العيال، فتكبره عن أخذ الصدقة قدر ما يسد خلته وخلة عياله لم يكن إلا لاستيلاء هذه الرذيلة عليه بحيث يلحقه وعياله الضرر الشديد من تكبره. قال الطيبي: يعني الزنا قبيح، ومن الشيخ أقبح، والكذب سمج، ومن الملك أسمج، والتكبر مذموم ومن الفقير أذم اهـ. ويمكن أن يقال: المراد بالشيخ المحصن سواء

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٤١٦.

الحديث رقم ٥١٠٩: أخرجه مسلم في ١/ ١٠٢ الحديث رقم (١٧٢ ـ ١٠٧)، وأبو داود في السنن ٣/ ٧٤٩ الحديث رقم ٣٤٧٥ والترمذي في ٤/ ١٢٨ الحديث رقم ١٥٩٥، والنسائي في ٧/ ٢٤٥ الحديث رقم ٤٤٥٨، وابن ماجه في ٢/ ٧٤٤ الحديث رقم ٢٢٠٧، وأحمد في المسند ٢/ ٤٨٠.

رواه مسلم.

٥١١٠ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقولُ اللَّهُ تعالى: الكِبرياءُ ردائي، والعظمةُ إِزاري؛ فمن نازعَني واحداً منهما أدخلتُه النَّارَ».

يكون شاباً أو لا، ولكون الزنا أقبح منه شرعاً وعرفاً وجب فيه الرجم كما في الآية المنسوخة «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم»، والمراد بالملك الغني، فإن الفقير قد يكذب لغرض فاسد من منفعة دنيوية ضرورية، والغني لا يحتاج إليه مطلقاً، فالكذب منه أقبح، والمراد بالفقير الذي يتكبر على الفقراء لأن التكبر على المتكبرين من الأغنياء صدقة والأظهر أن المراد به الفقير المتكبر عن الكسب والكد لنفسه وعياله مع القدرة عليه كما هو مشاهد في أهل زماننا، ولا شك أن هذا التكبر المتضمن للرعونة والرياء والسمعة مع إضرار النفس وارتكاب السؤال وأخذ المال من غير وجه حلال أقبح من تكبر الأغنياء لا سيما إذا كان يتكلف ويتزيا بزي الأكابر كبعض الفقهاء القائلين: «بأن الحلال ما حل بنا وأن الحرام ما حرمنا»، فإن العلل المركبة داء عضال يعجز عنه الحكماء وإن بلغوا مبلغ الكمال. (**رواه مسلم**)، وفي الجامع بلفظ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر».

٥١١٠ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «الكبرياء**») أي الذاتي (**«ردائي»**) أي بمنزلته عندكم (**«والعظمة»**) أي الصفاتي (**«إزاري»**) أي في مرتبته لديكم، فإن رتبة الصفة دون رتبة الذات ولذا خص التكبير بكونه تحريمة للصلاة في القيام لله تعالى والتعظيم بالركوع المندوب فيه «سبحان ربي العظيم»، ومنه التعظيم لأمر الله، وحقيقته ترك الاشتغال بما سواه، فالتركيب نوع من التشبيه البليغ، والمعنى أنهما مختصان بي اختصاصاً ظاهراً كنسبة الثوبين إليكم حيث لا يمكن المنازعة في واحد منهما لأحد عليكم. فإذا عرفتم ذلك وعلمتم ما هنالك (**«فمن نازعني واحد منهما»**) أي من الوصفين بأن تكبر باعتبار ذاته، أو تعظم من حيثية صفاته وأراد نوعاً من المشاركة معي في نعوت ذاتي وصفاتي (**«أدخلته النار»**) أي نار العذاب وعقاب الحجاب، فإنه جزاء الكافرين وبئس مثوى المتكبرين. (**وفي رواية «قذفته»**) أي رميته من غير مبالاة به (**«في النار»**). هذا مجمل المرام في هذا المقام، وأما تفصيله، ففي النهاية الكبرياء والعظمة الملك؛ وقيل: هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى، وهو من الكبر بالكسر، وهو العظمة. ويقال: كبر بالضم يكبر أي عظم، فهو كبير اهـ. وقيل: إن الكبرياء والكبر والعظمة ألفاظ مترادفة متحدة المعنى. ولم يتعرض معظمهم للفرق، ولا بد من الفرق، إذ الأصل عدم الترادف ولما يقتضيه المقام من الفرق في مرتبة الجمع، قال الإمام فخر الدين الرازي: جعل الكبرياء قائماً. مقام الرداء،

الحديث رقم ٥١١٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٣ الحديث رقم (١٣٦ ـ ٢٦٢٠)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٧ الحديث رقم ٤١٧٤، وأحمد في المسند ٢/ ٤١٤.

وفي رواية: «قذفتُه في النَّارِ». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥١١١ ـ (٨) عن سلَمةَ بن الأكوَعِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يزالُ الرجلُ يذهبُ بنفسه حتى يكتب في الجبارين، فيصيبُهُ ما أصابه». رواه الترمذي.

والعظمة قائمة مقام الإزار، ومعلوم أن الرداء أرفع درجة من الإزار فوجب أن يكون صفة الكبرياء أرفع حالاً من صفة العظمة، ثم قال: يشبه أن يكون متكبراً في ذاته سواء استكبره غيره أم لا، وسواء عرف هذه الصفة أحد أم لا، وأما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره، وإذا كان كذلك كانت الصفة الأولى ذاتية، والثانية إضافية، والذاتي أعلى من الإضافي اهـ. وأطنب الطيبي في توجيه قول الفخر وتوضيحه، ثم قال: وقد عرفت ما قيل: إن الكبر هو الإعراض عن الحق وتحقير الناس، فالتواضع هو الإذعان للحق وتوقير الناس، وهو المعني بقوله: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله. فالمعنى «من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى في الدنيا بالذل والهوان وفي الآخرة بقذفه في أقصى دركات النيران، ومن تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته في الدنيا والآخرة». **(رواه مسلم)**، وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة، وابن ماجه أيضاً عن ابن عباس[1]، ورواه الحاكم عن أبي هريرة مختصراً بلفظ: «الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته»، ورواه سمويه عن أبي سعيد وأبي هريرة بلفظ: «الكبرياء ردائي والعز إزاري، من نازعني في شيء منهما عذبته».

(الفصل الثاني)

٥١١١ ـ **(عن سلمة بن الأكوع)** صحابي مشهور **(قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه»)**، قال المظهر وغيره الباء للتعدية أي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر، أو للمصاحبة أي يرافق نفسه في ذهابها إلى الكبر ويعززها ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة؛ وفي أساس البلاغة يقال: ذهب به مر به مع نفسه قلت: ومن قبيل الأول قوله تعالى: **﴿ذهب الله بنورهم﴾** [البقرة ـ ١٧] أي أذهب نورهم. وخلاصة المعنى أنه لا يزال يذهبها عن درجتها ومرتبتها إلى مرتبة أعلى وهكذا **(«حتى يكتب»)** أي اسمه أو يثبت رسمه **(«في الجبارين»)** أي في ديوان الظالمين والمتكبرين أو معهم في أسفل السافلين **(«فيصيبه»)** بالنصب، وقيل: بالرفع أي فينال الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى **(«ما أصابهم»)** أي الجبارين كفرعون وهامان وقارون. **(رواه الترمذي)**.

---

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٧ ـ ٤١٧٥.

الحديث رقم ٥١١١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣١٨ الحديث رقم ٢٠٠٠.

٥١١٢ ـ (٩) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر المتكبِّرون أمثالَ الذَّرِ يومَ القيامةِ، في صورِ الرجال يغشاهم الذلُّ من كل مكان،

٥١١٢ ـ (وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: «يحشر المتكبرون أمثال الذر») أي في الصغر والحقارة («يوم القيامة في صور الرجال») أي من جهة وجوههم، أو من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة («يغشاهم») أي يأتيهم («الذل من كل مكان») أي من كل جانب، والمعنى أنهم يكونون في غاية من المذلة والنقيصة يطؤهم أهل المحشر بأرجلهم من هوانهم على الله كما سيأتي في رواية الجامع. هذا وفي النهاية: الذر النمل الأحمر الصغير وأحدها ذرة وقيل: الذرة يراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة قلت: نعم، قد يراد بها، بل الظاهر أنه المراد في قوله: ﴿ومن يعمل مثقال ذرة﴾ [الزلزلة ـ ٨] كما أنه المراد جزماً في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ [النساء ـ ٤٠] وأما إرادة هذا المعنى في هذا المقام فغير صحيح لقوله: في صور الرجال، وما فيه من المقال، قال التوربشتي: يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة أي أذلاء مهانين يطؤهم الناس بأرجلهم، وإنما منعنا عن القول بظاهره ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ: «إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الإجزاء، حتى أنهم يحشرون غرلاً يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة»، وإلى هذا المعنى أشار بقوله: «يغشاهم الذل من كل مكان». قال الأشرف: إنما قال في صور الرجال بعد قوله: «أمثال الذر» قطعاً منه حمل قوله: «أمثال الذر على الحقيقة ودفعاً لوهم من يتوهم أن المتكبر لا يحشر في صورة الإنسان، وتحقيقاً لإعادة الأجساد المعدومة على ما كانت عليه من الأجزاء». وقال المظهر: يعني صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر. قال الطيبي: لفظ الحديث يساعد هذا المعنى لأن قوله: «أمثال الذر» تشبيه لهم بالذر، ولا بد من بيان وجه الشبه لأنه يحتمل أن يكون وجه الشبه الصغر، في الجنة، وأن يكون الحقارة والصغار، فقوله: «في صور الرجال» بيان للوجه ودفع وهم من يتوهم خلافه، وأما قوله: «إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء»، فليس فيه أن لا تعاد تلك الأجزاء الأصلية في مثل الذر لأنه تعالى قادر عليه، وفيه الخلاف المشهور بين الأصوليين، وعلى هذا الحقارة ملزوم هذا التركيب، فلا ينافي إرادة الجثة مع الحقارة اهـ، وفيه أنه لا كلام في قدرته تعالى على كل شيء، وإنما الكلام في أنه هل تعلق القدرة به أم لا؟ وإذا صح في الخير «إن الخلق كلهم يحشرون غرلاً»، فلا شك أنه لا بد من تحقق إعادة جميع الأجزاء الأصلية من المتصلة والمنفصلة كالأظفار المقلوعة والشعور المحلوقة، وأمثال ذلك تصديقاً لكلام الشارع وتحقيقاً لما أخبره به وحصول هذا كله في ذرة من المجالات العقلية، ونفيه يعتبر في القواعد النقلية منها قوله تعالى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف ـ ٤٠] فإن المراد به أن دخول الكفار الجنة من المحال الذي لا يقع أبداً كوجود الجمل في سم الخياط، إذا عرفت هذا علمت أن الشيخ التوربشتي عدل عن الحقيقة إلى المجاز للضرورة الملجئة له

الحديث رقم ٥١١٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٥ الحديث رقم ٢/ ١٧٩، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٩.

يُساقونَ إِلى سجنٍ في جهنَّم يسمَّى: بَوْلَسَ، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عُصارة أهل النار

إليه لكن يأباه ما في سياق الحديث على ما حققه بقية الشراح، فالتحقيق أن الله يعيدهم عند إخراجهم من قبورهم على أكمل صورهم وجمع أجزائهم المعدومة تحقيقاً لوصف الإعادة على وجه الكمال، ثم يجعلهم في موقف الجزاء على الصورة المذكورة إهانة وتذليلاً لهم جزاء وفاقاً أو يتصاغرون من الهيبة الإلهية عند مجيئهم إلى موضع الحساب وظهور أثر العقوبة السلطانية التي لو وضعت على الجبال لصارت هباء منثوراً، وقد ثبت تبديل صور أهل جهنم على أشكال مختلفة وصور متباينة كصور الكلاب والخنازير والحمير بحسب ما يليق بصفاتهم وحالاتهم، وقد تكبر جثتهم حتى يكون ضرس الكافر كجبل أحد على ما ورد في الحديث، وكذا تغيير صور أهل الجنة من السواد إلى البياض ومن القصر إلى الطول المعتدل ومن الكبر إلى السن المتوسط، وجعلهم جرداً مرداً مكحلين وأمثال ذلك، وبه يزول الإشكال، والله أعلم بحقيقة الحال. ويدل على ما قررنا أن تبديلهم إنما هو في آخر أمرهم قوله بطريق الاستئناف البياني أو على الحال التباني («**يساقون**») بضم القاف أي يسحبون ويجرون («**إلى سجن**») أي مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه عن غيره («**يسمى**») أي ذلك السجن («**بولس**») بفتح موحدة وسكون واو وفتح لام وسين مهملة، وفي بعض النسخ بضم أوله، ففي القاموس بولس بضم الباء وفتح اللام سجن جهنم، وقال المنذري: هو بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام، ذكره ميرك وقال شارح: بفتح الموحدة وفتح اللام وكسرها فوعل من الإبلاس بمعنى اليأس سمي به ليأس داخله من الخلاص. وفي النهاية هكذا جاء في الحديث مسمى، ذكره الطيبي من غير تعرض لضبطه، فالاعتماد على ما ذكره المنذري؛ وصاحب القاموس أولى من كلام غيرهما لجلالتهما في علم الحديث والله أعلم. («**تعلوهم**») أي تحيط بهم وتغشاهم كالماء يعلو الغريق («**نار الأنيار**») أي نار النيران. قال شارح: أنيار جمع نار كأنياب جمع ناب، وفيه أن الناب يأتي والنار واوي، ولذا لم يذكر أنيار في القاموس لكونه شاذاً، والقياس الأنوار؛ إلا أنه قيل: الأنيار لئلا يشتبه بجمع النور. قال القاضي: وإضافة النار إليها للمبالغة كأن هذه النار لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها أقول: أو لأنها أصل نيران العالم لقوله تعالى: ﴿**الذي يصلى النار الكبرى**﴾ [الأعلى - ١٢] ولقوله ﷺ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم»[(١)] على ما ذكره البيضاوي. وفي النهاية قوله: «نار الأنيار» ولم أجده مشروحاً ولكن هكذا يروى، فإن صحت الرواية فيحتمل أن يكون معناه «نار النيران» فجمع النار على أنيار وأصلها أنوار لأنها من الواو، وكما جاء في ريح وعيد أرياح وأعياد وهما من الواو. ذكره الطيبي ولم يبين وجههما، وتوجيهه ما قدمناه من مخافة الالتباس، فإن الأعواد بمعنى الأخشاب، والأرواح جمع الروح («**يسقون**») بصيغة المجهول، وفيه إشارة إلى الإكراه، وإيماء إلى زيادة الإحراق المؤثر إلى بطونهم أيضاً («**من عصارة أهل النار**») أي صديدهم المنتن

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٢ الحديث رقم ٢٥٩٠.

طينة الخَبَالِ». رواه الترمذي.

٥١١٣ ـ (١٠) وعن عطية بن عروة السعديّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الغضبَ [٣٨١ ـ ب ـ] من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النَّار، وإنما يُطفأ النارُ بالماءِ، فإذا غضب أحدكم فلْيتوضأ».

المحمى غاية الحرارة المعبر عنه بحميم («طينة الخبال») تفسير لما قبله، وهو بفتح الخاء بمعنى الفساد. قال شارح: هو اسم عصارة أهل النار، وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم، (رواه الترمذي) وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يجاء بالجبارين والمتكبرين رجال في صور الذر يطؤهم النار من هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس، ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار، قيل: يا رسول الله وما نار الأنيار؟ قال: عصارة أهل النار». ذكره السيوطي في البدور السافرة في أحوال الآخرة.

٥١١٣ ـ (وعن عطية بن عروة) السعدي منسوب إلى سعد ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان») أي من أثر وسوسته («وإن الشيطان خلق من النار»)، قال تعالى: ﴿والجان خلقنا من قبل من نار السموم﴾ [الحجر ـ ٢٧] وقال: ﴿خلقتني من نار﴾ [الأعراف ـ ١٢] وهذا دليل على أنه من الجن لأن الملائكة خلقوا من النور، ومعنى خلقه منها أن عنصره الناري غالب على سائر أجزائه بخلاف الإنسان («وإنما يطفأ») بصيغة المجهول مهموزاً أي يدفع («النار») أي الحسية («بالماء») أي الحقيقي («فإذا غضب أحدكم») أي واشتعلت نار غضبه من جوفه، ويريد إحراق المغضوب عليه بنوع من عذابه («فليتوضأ»)، فإن الوضوء مركب معجون من الماء الحسي والمظهر المعنوي المؤثر في الظاهر والباطن، وهذا من طب الأنبياء الذي غفلوا عنه الحكماء؛ وأغرب الطيبي حيث أخرج الحديث عن حقيقته الأصلية من غير باعث من الأمور النقلية والعقلية فقال: أراد أن يقول: «إذا غضب أحدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن الغضب من الشيطان»، فصوّر حالة الغضب ومنشأه، ثم الإرشاد إلى تسكينه، فأخرج الكلام هذا المخرج ليكون أجمع وأنفع وللموانع أزجر، وهذا التصوير لا يمنع من إجرائه على الحقيقة لأنه من باب الكناية اهـ. والصواب أن الاستعاذة علاج آخر مستقل كما ورد به الأثر على ما ذكره الجزري في الحصن حيث قال: «ومن غضب» فقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»، ونسبه إلى البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي عن سليمان بن صرد، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾ [الأعراف ـ ٢٠٠]، ورواه ابن عدي في الكامل عن أبي هريرة بلفظ: «إذا غضب الرجل فقال: «أعوذ بالله سكن غضبه». وجملة الأمر أن هذا علاج قولي سهل التناول، والحصول والوضوء معالجة فعلية صعب الوصول، لا سيما والوضوء مقدمة للصلاة، فهو بمنزلة المعجون المسهل المخرج للمواد الفاسدة من أصلها، وأما مجرد

الحديث رقم ٥١١٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/١٤١ الحديث رقم ٤٧٨٤، وأحمد في المسند ٤/٢٢٦.

رواه أبو داود.

٥١١٤ ـ (١١) وعن أبي ذر [رضي الله عنه] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِذا غضب أحدُكم وهو قائمٌ فليجلس، فإِن ذهب عنهُ الغضب وإِلا فليضطجعْ». رواه أحمد، والترمذي.

٥١١٥ ـ (١٢) وعن أسماء بنت عميس،

الاستعاذة فهو بمنزلة الاستفراغ لتخلية المعدة من آثار التخمة؛ وحاصله أن الحكيم الكامل يدرج في المعالجة ويعلم مزاج كل صاحب علة بما يوافقه ويناسبه من خواص الأشياء المفردة والمركبة وأنواع الغضب، كالأمراض المختلفة، فعلى العليل أن يسلم تسليماً ويجعل نفسه بين يدي الطبيب الحبيب الكامل كالميت بين يدي الغاسل، وخلاصة الكلام أنه: «إذا أحس بالغضب فليتعوّذ بالله أوّلاً، ثم إذا رأى أنه ما يزول به يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين لله تعالى فإنه دواء صبر كريه على الطبع الشيطاني والمزاج النفساني، بل هو كعروق السوس يخرج كل مرض مدسوس. قال تعالى: **﴿استعينوا بالصبر والصلاة وأنها الكبيرة إلا على الخاشعين﴾** [البقرة ـ ٤٥] **(رواه أبو داود)** وكذا أحمد.

٥١١٤ ـ **(وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم»)** أي ظهر أثر غضبه على أحد **(«وهو قائم. فليجلس»)** لأن المعالجة بالأضداد، والقوّة الغضبية الناشئة من الوسوسة الشيطانية تقتضي الخفة والتعلية التي من خواص النار، والقيام لأجل الانتقام، فمخالفته بالجلوس المشير إلى القعود عن الفتنة نافعة جداً **(«فإن ذهب عند الغضب»)** أي أثر حرارته وقوّة مرارته بالجلوس فيها ونعمت **(«وإلا»)** أي وإن لم يذهب به **(«فليضطجع»)** مبالغة في المعالجة المذكورة ما فيه من الإشارة إلى رجوع الإنسان إلى مأخذه من التربة المناسبة للتواضع في مقابلة عمل الشيطان بمقتضى جبليته من الشعلة النارية المقتضية للتكبر، وكل شيء يرجع إلى أصله. هذا وفي شرح السنة: «إنما أمره بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه في حال غضبه ما يندم عليه، فإن المضطجع أبعد من الحركة والبطش من القاعد، والقاعد من القائم». وقال الطيبي: لعله أراد به التواضع والخفض، لأن الغضب منشؤه التكبر والترفع قلت: لا منع من الجمع، فإن كلامه ﷺ منبع الحكم والله أعلم. ثم يحتمل أن يكون هذا الصنيع منه قبل الوضوء، وهو الظاهر، وأن يكون بعده إن لم يذهب الغضب والله أعلم بالسرائر. **(رواه أحمد والترمذي)**؛ وكذا أبو داود وابن حبان في صحيحه[١].

٥١١٥ ـ **(وعن أسماء بنت عميس)** بالسين المهملة مصغراً، وقد تقدمت ترجمتها

الحديث رقم ٥١١٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٤١ الحديث رقم ٤٧٨٢، وأحمد في المسند ٤/ ١٥٢.

(١) هذا الحديث غير موجود عند الترمذي، ولعل هذا وهم من المؤلف رحمه الله تعالى، وأخرجه ابن حبان في ١٢/ ٥٠١ الحديث رقم ٥٦٨٨.

الحديث رقم ٥١١٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٥ الحديث رقم ٢٤٤٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٧٨ الحديث رقم ٨١٨١.

قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «بئس العبد عبدٌ تخيَّل واختال، ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبدٌ تجبَّر واعتدى، ونسي الجبَّارَ الأعلى، بئس العبد عبدٌ سهى ولهى ونسي المقابرَ والبلى، بئس العبد عبدٌ عَتَى وطغَى، ونسي المبتدأ والمُنتهى، بئس العبدُ عبدٌ يختل الدنيا بالدين

(«قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس العبد»)، لم يقل: بئس الرجل أو المرء تنبيهاً على أن الأوصاف الآتية ليست من مقتضيات العبدية ولا من نعوت العبودية («عبد تخيل») أي تكبر وتجبر («واختال») أي تمايل وتبختر من الخيلاء، وهو الكبر والعجب بالجاه والمال والجمال والعلوم والأعمال والأحوال، وتوهم الكمال حيث يخيل له أنه وصل إلى الكمال. قال التوربشتي: أي تخيل له أنه خير من غيره، واختال أي تكبر («ونسي الكبير المتعال») بحذف الياء مراعاة للفاصلة، وهو لغة في المنقوص المعرف، وعليه قراءة الجمهور في قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [الرعد ـ ٩٠] وأثبته ابن كثير في الحالين، ومعنى الكبير على الشأن جلي البرهان، والمتعالي أي عن الأشباه والأضداد والأنداد أي نسي أن الكبرياء والتعالي ليس إلا لله تعالى، أو نسي محاسبته ومعاتبته ومعاقبته في العقبى حيث لم يراع مراقبته في الدنيا بالتقوى («بئس العبد عبد تجبر») أي قهر على المظلومين («واعتدى») أي تجاوز على المساكين أو تجاوز قدره، وما راعى حكم ربه وأمره («ونسي الجبار الأعلى») أي القهار الذي فوق عباده الغالب على أمره («بئس العبد عبد سهى ولهى»)[1] حقهما أن يكتبا بالألف لأنهما واويان مأخوذان من السهو واللهو، وفي كثير من النسخ بالياء. فلعله للمشاكلة اللفظية في الفواصل السجعية، ومعنى سها أي صار غافلاً عن الحق والطاعة، وإلا فسائر الأنبياء وعامة الصلحاء قد سهوا، ومنه قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون ـ ٤ ـ ٥] قال بعض العارفين: «الحمد لله لم يقل في صلاتهم، وإلا كان الويل كل الويل على الكل في اليوم والليل»، ولها أي اشتغل باللهو واللعب، ومنه قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر ـ ١] وخلاصتهما أنه سها عن أمور الدين الرضية ولها بأمر الدنيا الدنية («ونسي المقابر») أي أهلها بالتذكر والعبرة بهم أو بذكرهم على سبيل الرحمة عليهم وزيارتهم، وذكر المقابر كناية عن الموت أي نسي الموت بعدم الاستعداد له وكفى بالموت واعظاً، أو نسي مرجع الأحياء من أماكن الأموات وما يحصل لهم فيها من الوحشة والظلمة والغربة والضيق وغيرها مما يعسر ضبطها وحصرها («والبلى») بكسر الموحدة. وهو تفتت الأعضاء وتشتت الأجزاء إلى أن تصير رميمها ورفاتاً، («بئس العبد عبد عتا») من العتو أي أفسد («وطغى») من الطغيان أي تجاوز عن الحد، وقيل: معناهما واحد وأتى بهما تأكيداً، أو الثاني تفسيراً، وأتى به للفاصلة («ونسي المبتدأ والمنتهى») بصيغة المفعول. قال الأشرف: أي نسي ابتداء خلقه، وهو كونه نطفة، وانتهاء حاله الذي يؤول إليه، وهو صيرورته تراباً أي من كان

(١) في المخطوطة «سها» و«لها» وهو الصواب.

بئس العبد عبدٌ يختل الدين بالشبهات، بئس العبدُ عبدٌ طمع يقودهُ، بئس العبد عبدٌ هَوىً يُضلُّه، بئس العبد عبدٌ رغب يذلُّه».

ذلك ابتداءه ويكون انتهاؤه هذا جدير بأن يطيع الله تعالى فيما بينهما. وقيل: المراد بهما الله أي نسي الذي صدر ابتداء وجوده منه ولا بد من انتهاء رجوعه إليه، فترك مراعاة أمره أوّلاً ومحافظة نهيه آخراً («بئس العبد عبد يختل») بكسر التاء أي يطلب («الدنيا بالدين») أي بعمل الآخرة من ختله إذا خدعه كذا في النهاية، والمعنى يخدع أهل الدنيا بعمل الصلحاء ليعتقد وافيه، وينال منهم مالاً أو جاهاً، من ختل الذئب الصيد خدعه وخفي له. قال القاضي: ختل الصائد إذا مشى للصيد قليلاً قليلاً لئلا يحس به شبه فعل من يرى ورعاً وديناً ليتوسل به إلى المطالب الدينوية بختل الذئب الصائد («بئس العبد عبد يختل الدين») أي يفسده («بالشبهات») بضمتين وبفتح الثانية («بئس العبد عبد طمع») أي له طمع أو ذو طمع، أو وصف بالمصدر مبالغة ولو قرىء بإضافة العبد لاستقام من غير تكلف وقوله: («يقوده») أي يسحبه الطمع عن وجهة المولى إلى جهة السوي، ومن الغرائب ما حكي عن السيد الشاذلي قدس سره أنه سئل عن علم الكيمياء فقال: «هو كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الحق، أن يعطيك غير ما قسم لك». ومن هذا القبيل حديث: «القناعة مال لا ينفد» على ما رواه القضاعي عن أنس («بئس العبد عبد هوى يضله»). قال الأشرف: كأنه من كثرة الطمع والهوى اللازمين للعبد وشدة اتصالهما به أطلق نفس الطمع والهوى عليه، وإن كانا قائمين به، وتقديره ذو طمع يقوده وذو هوى يضله، ويمكن أن يجعل قوله: طمع فاعل يقوده، وهوى فاعل يضله مقدمين على فعلهما على مذهب الكوفيين. وقال الشاعر:

صددت فأطولت الصدود وقلما ... وصال على طول الصدود يدوم

أي قلما يدوم وصال على الصدود. وقال الطيبي: الوجه الثاني أقرب من الأوّل لما يلزم منه وصف الوصف لأن قوله: يقوده على هذا صفة طمع، وهو صفة عبد، والأشبه أن يكون طمع مبتدأ ويقوده خبره أي طمع عظيم يقوده نحو شر أهر ذا ناب، والجملة صفة عبد، قلت: هذا مراعاة للمبنى وغفلة عن المعنى، فإن الذم مترتب على مطلق الطمع الذي يقوده إلى الهوى، وكذا حكم الهوى على ما لا يخفى («بئس العبد عبد رغب») بضم الراء وفتحها وبفتحات، ففي القاموس رغب فيه كسمع رغباً ويضم ورغبة أراده، وإليه رغبة محركة، وفي المشارق الرغب بسكون الغين وفتحها، وبضم الراء وفتحها، وفي نسخة بالإضافة، واقتصر عليها القاضي كما سيأتي وهو يؤيد جواز كونها فيما قبلها من الوصفين أيضاً. وقال ابن الملك: هو بضم الراء وسكون الغين المعجمة الشره والحرص على الدنيا، وقيل: الرغب سعة الأمر وطلب الكثير، ويروى بفتح الراء بمعنى الرغبة في الدنيا وقوله: («يذله») أي يجعله ذليلاً، قال الإمام التوربشتي: الرواية عندي بفتح الغين أي مذلة الرغبة في الدنيا، ومن الناس من يقوم الرغب بضم الراء وهو الشره. يقال: الرغب شؤم، ولعل الأصل فيه السعة، يقال: جوف رغيب أي واسع، فكنى به على الحرص والشره. كذا ذكره شارح، وفي القاموس الرغب بضم وبضمتين كثرة الأكل وشدة النهم، وفعله ككرم فهو رغيب ككريم. قال القاضي:

رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان». وقالا: ليس إِسناده بالقوي، وقال الترمذيُّ أيضاً: هذا حديث غريب.

الفصل الثالث

٥١١٦ ـ (١٣)عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تجرَّعَ عبدٌ أفضل عند الله عزَّ وجلّ من جرعَةِ غيظٍ يكظمها ابتغاءَ وجهِ الله تعالى». رواه أحمد.

٥١١٧ ـ (١٤) وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾

وإضافة العبد للإهانة كقولهم: عبد البطن، لأن مجامع همته واجتهاده صورة عليه عائدة إليه اهـ. ولا يخفى أن تكرار جملة الذم في صدر الجمل المذكورة والنعوت المسطورة للإشعار بأن كل واحدة من الصفات مستقلة في استحقاق ذم فاعلها، وأن مراعاة السجع من غير تكلف الطبع غير مكروهة في الشرع. **(رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان وقالا:)** أي كلاهما **(ليس إسناده بالقوي)**، قال التوربشتي: رواه الترمذي بإسناد له عن هاشم بن سعيد الكوفي، وقد ذكره ابن عدي في كتابه وقال: عامة ما يرويه لا يتابع عليه، قلت: قد وجد لهذا الحديث متابع، فإنه رواه الطبراني والبيهقي عن نعيم بن هماز، ورواه الحاكم أيضاً في مستدركه عن أسماء بنت عميس، ولا شك أن كثرة الطرق تقوّي الضعيف وتجعله حسناً لغيره وبه يتم المقصود والله أعلم. **(وقال الترمذي أيضاً:)** أي مع قوله: إنه ليس بقوي **(هذا حديث غريب)**، وأنت تعرف أن الغرابة لا تنافي الصحة والحسن غايته. إن الحديث ضعيف، وهو يعمل به في فضائل الأعمال اتفاقاً، ففي المواعظ ينبغي أن يكون بالأولى.

(الفصل الثالث)

٥١١٦ ـ **(عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تجرع عبد أفضل»)** أي تجرعاً أفضل **(«عند الله من جرعة غيظ يكظمها»)** بكسر الظاء أي يبلعها ويمنعها من إظهارها مع كثرتها، وملء باطنه منها من كظم القربة ملأها وشد فمها على ما في أساس البلاغة، وفي رواية الجامع كظمها بصيغة الماضي **(«ابتغاء وجه الله تعالى»)** أي طلبا مرضاته لا لغرض آخر ولا لعجز عن إمضائها. **(رواه أحمد)**، وكذا الطبراني.

٥١١٧ ـ **(وعن ابن عباس في قوله تعالى: «﴿ادفع﴾»)**أي السيئة لدلالة ما قبله عليه وهو قوله سبحانه: **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع﴾** [فصلت ـ ٣٤] **(«﴿بالتي﴾»)** أي بالخصلة **(«﴿هي أحسن﴾»)**[(١)]، فيه مبالغة عظيمة حيث عدل عن الحسنة إلى الأحسن مع الرخصة المفهومة من قوله عزَّ وجلّ: **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾** [الشورى ـ ٤٠] أو المراد أنها أحسن

الحديث رقم ٥١١٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠١ الحديث رقم ٤١٨٩، وأحمد في المسند ٢/ ١٢٨.

الحديث رقم ٥١١٧: البخاري تعليق من حديث طويل ٨/ ٥٥٥ سورة السجدة.

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

قال الصبرُ عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصَمهم الله وخضع لهم عدُوهُم كأنَّه وليُّ حميم قريب. رواه البخاري تعليقاً.

من مجازاة السيئة بالسيئة، فإنها حسن، وإنما سميت سيئة في الآية للمشاكلة أو بالنسبة والإضافة إلى الأحسن والله أعلم. وما بعدها ﴿**فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ [فصلت، ٣٤ ـ ٣٥] ﴿**وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم**﴾ [الأعراف ـ ٢٠٠] ففي الآية إشارة إلى أن العمل بها أكمل الأخلاق الإنسانية التي يعجز عنها أكثر الأفراد البشرية (**«قال:»**) أي ابن عباس بياناً للخصلة (**«الصبر عند الغضب»**)، قيل: المراد به غضب الغير، فإنه سيئة منه، فيقابله بالصبر الذي هو أحسن من مجازاته بالغضب، ويمكن أن يكون المعنى أنه يصير عند أثر [ظهور] الغضب، فإن كظم الغيظ أحسن من إمضائه (**«والعفو»**) أي عن المسيء (**«عند الإساءة»**) أي وقت تحققها، والواو بمعنى أو فإن كلاً منهما من أفراد الخصلة التي هي أحسن، وكأنه رضي الله عنه مثل بأقل المطلوب من السالك، وإلا فالسادة الصوفية على المجازاة بأحسن ما يتصوّر له من أنواع الإحسان إليه من التواضع وتقبيل اليد والرجل وأمثال ذلك، وبإعطاء البر المالي من قليل أو كثير، وأقل المراتب أن يحلله ويدعو له بالتوبة والهداية، وزاد بعضهم الوعد له بالشفاعة يوم القيامة، وهذه كلها خوارق عادات تطوي بساط كرامات ربما يكون تحتها غرور في بدايات أو نهايات، ولذا قالوا: «الاستقامة خير من ألف كرامة»، وقد ورد: «شيبتني سورة هود، فقيل: لما فيها من آية ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾ [هود ـ ١١٢]، وقيل: لما فيها من وقائع الأمم» والله أعلم. (**«فإذا فعلوا»**) أي ما ذكر من المثالين وأمثالهما (**«عصمهم الله»**) أي حفظهم من الزيغ والتعدي على أحبابهم (**«وخضع لهم عدوّهم»**) أي حياء منهم ورجعوا عن إساءتهم إليهم والغضب عليهم (**«كأنه»**) أي العدوّ، ويستوي فيه المفرد والجمع، (**«ولي»**) أي ناصرهم (**«حميم»**) صديق يهتم لأمرهم وحاجتهم ويحمم بحرارتهم وحرقتهم (**«قريب»**) أي ذو قرابة منهم. والحاصل أن هذه الخصلة التي هي أحسن تقلب العداوة محبة، وترفع الأخلاق الذميمة من الحقد والحسد والغيبة ونحوها. قال الطيبي: هذا التفسير على أن تكون لا في قوله تعالى: ﴿**ولا السيئة**﴾ [فصلت ـ ٣٤] مزيدة، والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة، فعلى هذا يراد بالتي هي أحسن التي هي حسنة، فوضع الأحسن ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة، وإذا لم تجعل «لا مزيدة يكون المعنى والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها فإذا اعترضتك حسنات فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك ومثله: «رجل أساء إليك إساءة فالحسنة أن تعفو عنه، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك» مثل: «أن يذمك فتمدحه، فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك». (**رواه البخاري تعليقاً**) أي بلا إسناد، وتقدم أن ما علقه بصيغة المجهول ضعيف وما رواه بصيغة المعلوم صحيح والله أعلم.

٥١١٨ ـ (١٥) وعن بَهْزِ بنِ حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِن الغضبَ لَيُفْسِدُ الإيمانَ كما يُفسدُ الصبرُ العسلَ».

٥١١٩ ـ (١٦) وعن عمر، قال وهو على المنبر: يا أيُّها النَّاسُ! تواضَعُوا فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضَع للَّهِ رَفَعهُ اللَّهُ، فهو في نفسه صغيرٌ، وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبَّر وضعه الله، فهو في أعينِ الناس صغير، وفي نفسه كبير، حتى [٣٨٢ ـ أ ـ] لهوَ أهونُ عليهم من كلبٍ أو خنزيرٍ».

٥١١٨ ـ **(وعن بهز)** بفتح موحدة وسكون هاء فزاي تابعي **(ابن حكيم عن أبيه)** تابعي حسن الحديث، **(عن جده)** أي معاوية بن حيدة القشيري ولم يذكره المؤلف **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب ليفسد الإيمان»)** أي كماله أو نوره وبهاءه، وقد يجر إلى بطلانه نعوذ بالله من ذلك، ولما كان بعض أفراده كذلك صح التشبيه بقوله: **(«كما يفسد الصبر العسل»)**، وهو بفتح الصاد وكسر الباء ويسكن على ما في نسخة، لكن قال صاحب القاموس: الصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر اهـ، وأما كسر الصاد وسكون الباء على ما اشتهر على الألسنة فلعله مأخوذ من قوله: ككتف، فإن الكتف فيه لغتان والله أعلم.

٥١١٩ ـ **(وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال وهو)** أي عمر **(على المنبر:)** فيه إشارة إلى حفظ القضية وإيماء إلى أنه كالمسألة الإجماعية لكونه في محضر من الصحابة **(«يا أيها الناس»)**، ولعل العدول عن المؤمنين إليه لإفادة العموم ونفي توهم الخصوص **(«تواضعوا»)** أي ليتواضع بعضكم لبعض ويترك التكبر على إخوانه المؤمنين لقوله تعالى: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾ [المائدة ـ ٥٤] والتعبير بالأذلة للإشعار بكمال التواضع على سبيل المبالغة **(«فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تواضع لله رفعه الله»)**. هذه الجملة فقط رواها أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة **(«فهو»)** الفاء تفريعية أي فالمتواضع المرفوع نتيجته أو علامته أنه **(«في نفسه صغير»)** أو جزائية، وتقديره: وإذا رفعه الله فهو في نفسه صغير حقير خال عن العجب والكبر **(«وفي أعين الناس عظيم»)** أي عظيم القدر جليل الشأن لرفعه تعالى إياه بهذه الخصلة الحميدة، وقد جاء في بعض الدعوات المأثورة «اللهم اجعلني في نفسي صغيراً وفي أعين الناس كبيراً **(«ومن تكبر وضعه الله، فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير» حتى)** متعلق بقوله: صغير، أو بحاصل المجموع، ثم الظاهر أن «حتى» هذه ابتدائية، ففي المغني إن «حتى» قد تكون حرف ابتداء أي حرفاً يبتدأ بعده الجمل أي تستأنف فيدخل على الجملة الاسمية كقول جرير:

فما زالت القتلى تمج دماءها ... بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

الحديث رقم ٥١١٨: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١١، الحديث رقم ٨٢٩٤.

الحديث رقم ٥١١٩: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٧٦ الحديث رقم ٨١٤٠.

٥١٢٠ ـ (١٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال موسى بن عمران عليه السلام: يا ربِّ! من أعزُّ عبادِك عندكْ؟ قال: من إِذا قَدَر غَفَر».

٥١٢١ ـ (١٨) وعن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «منْ خَزَنَ لسانَهُ سَتَر الله عورَته،

ويؤيد هذا المعنى دخولاً لام الابتدائية في قوله: («لهو») أي المتكبر الموضوع («أهون عليهم») أي أذل وأحقر على الناس («من كلب أو خنزير») والتنويع إما باختلاف حال المتكبر أو باعتبار أحوال الناس. قال الطيبي: الفاء في قوله: «فهو» جزائية لشرط محذوف يعني من تواضع لله هضم حقه من نفسه فجعل نفسه دون منزلته، وهو المراد بقوله: «في نفسه صغير، ثم إن الله يرفعه من تلك المنزلة التي هي حقه إلى ما هي أرفع منها، ويعظمه عند الناس، ويعكسه في القرينة الأخرى»، وفي شرح السنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل إذا تواضع رفع الله حكمته»، قال: «انتفش نفسك، فهو في نفسه صغير وفي أعين الناس كبير، وإذا بطر وعدا طوره وهضه الله إلى الأرض». وقال: «اخسأ أخساك الله فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس صغير حتى يكون أهون على الله من الخنزير».

٥١٢٠ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: قال موسى بن عمران**:) عليه السلام («**يا رب من أعز عبادك عندك قال: من إذا قدر غفر**»)، والمراد أن الأعز في المرتبة الجمعية الربوبية العندية هو الذي اختار كونه أذل في طريق العبودية العبدية، فإن العبد والعبادة مأخوذان من طريق معبد أي مذلل، وقد قالوا: «العبادة هي أقصى غاية الخضوع والتذلل»، ولذلك لا تستعمل إلا لله تعالى مع أن الغفران مع القدرة إنما هو من باب التخلق بأخلاق الله تعالى سبحانه، وأشار إلى هذا المعنى في قوله: ﴿**إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً**﴾ [النساء ـ ١٤٩] وفيه تنبيه له عليه السلام على العفو لما كان الغالب عليه الحدة الجلالية ليصحل له الاعتدال كما يقتضيه الكمال، بل ينبغي غلبة نعت الجمال كما أشار إليه الحديث القدسي: «غلبت رحمتي غضبي»، ولكون الرحمة غالبة على نبينا ﷺ وصف «بكونه رحمة للعالمين، وأمته أمة مرحومة، فإن الراحمين يرحمهم الرحمن» على ما سبق فيه البيان، وفي الجامع الصغير «من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة». رواه الطبراني عن أبي أمامة.

٥١٢١ ـ (**وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من خزن**») بفتح زاي أي حفظ («**لسانه**»). قال امرؤ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شيء سواه بخزان

قال الطيبي: أي من ستر عيوب الناس وكتمها («**ستر الله عورته**») أي عيبه عن الناس أو

الحديث رقم ٥١٢٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١٩ الحديث رقم ٨٣٢٧.

الحديث رقم ٥١٢١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٣١٥ الحديث رقم ٨٣١١.

ومن كَفَّ غضبَهُ كَفَّ الله عنه عذابَهُ يومَ القيامةِ، ومن اعتذَر إلى الله قَبِلَ اللَّهُ عذره».

٥١٢٢ ـ (١٩) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ مُنجياتٌ، وثلاثٌ مُهلكاتٌ؛ فأمّا المنجياتُ: فتقوى الله في السرِّ والعلانيةِ، والقولُ بالحقِّ في الرضى والسخط، والقصدُ في الغنى والفقر. وأمَّا المُهلكات: فهوىً مُتَبَّعٌ، وشحٌّ مطاعٌ، واعجابُ المرء بنفسه، وهي أشدُّهن». روى البيهقي الأحاديث الخمسة في «شعب الإيمان».

عن الحفظة، ولا منع من الجمع («ومن كف») أي منع («غضبه») أي عن الناس («كف الله عنه عذابه») أي الذي أثر غضبه («يوم القيامة») جزاء وفاقاً، وفي الجامع برواية ابن أبي الدنيا عن ابن عمر. «من كف غضبه ستر الله عورته» أي بأن لم يعذبه، فتوافق الحديثان («ومن اعتذر») فيما وقع له من التقصير («إلى الله») أي بالرجوع إليه وإظهار العجز لديه («قبل الله عذره»)، ظاهر نظائره أن يقال: «من قبل عذر أخيه قبل الله عذره»، ولعله من تصرفات الرواة أو لحكمة اقتضت ذلك والله أعلم بما هنالك.

٥١٢٢ ـ (**وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال**: «**ثلاث**») أي من الخصال («**منجيات**») أي أسباب نجاة وخلاص («**وثلاث مهلكات، فأما المنجيات فتقوى الله**») أي خوفه («**في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط**») أي لا يبدل القول الحق لأجل محبته ورضاه عن أحد أو سخطه وغضبه على أحد («**والقصد**») أي التوسط في التفقه («**في الغنى والفقر**») أي في الحالين بالاجتناب عن طرفي الإفراط والتفريط («**وأما المهلكات فهوى**») أي للنفس («**متبع**») احتراز عن متروك، فإن مخالفة النفس من أكبر المنجيات كما أن متابعتها من أكبر المهلكات («**وشح**») أي بخل («**مطاع**») أي مطاوع له معمول بمقتضاه، فقيل: الشح منع الواجب، وقيل: أكل مال الغير، وقيل: العمل بمعاصي الله، وقيل: الشح مما في يد غيرك، والبخل مما في يدك. والأظهر أن الشح هو البخل المقرون بالحرص («**وإعجاب المرء بنفسه**») أي باستحسان أعمالها وأحوالها أو مالها وجمالها وسائر ما يتوهم أنه من كمالها («**وهي**») أي الخصلة الأخيرة («**أشدهن**») أي أعظمهن وزراً وأكثرهن ضرراً لأنه يتصوّر أن يتوب من متابعة الهوى ومن رذيلة البخل، والمعجب مغرور ومزين فهو محبوب لا يرجى زواله كالمبتدع، فإنه قل أن يتوب من بدعته. وقال الطيبي: لأن المعجب بنفسه متبع هواه، ومن هوى النفس الشح المطاع، قال تعالى: ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [الحشر ـ ٩] حيث أضاف الشح إلى النفس. (**روى البيهقي الأحاديث الخمسة في شعب الإيمان**).

الحديث رقم ٥١٢٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٤٥٢ الحديث رقم ٧٢٥٢.

(٢١) باب الظلم

الفصل الأول

٥١٢٣ ـ (١) عن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الظلم ظُلماتٌ يوم القيامة» متفق عليه.

باب الظلم

قال الراغب: الظلم عند أهل اللغة وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكان.. وقال القطب الرباني الشيخ عبد الكبير اليماني: إن الله سبحانه وتعالى خلق قلب عبده لذكره وفكره فمن وضع فيه غيره فهو ظالم لنفسه. وقال العارف ابن الفارض موميا إلى الاشتغال بالوحدة والنبوّة أو الذكر والصلاة أو الكتاب والسنة:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(الفصل الأوّل)

٥١٢٣ ـ **(عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: الظلم)** أي جنسه الشامل للمتعدي، والقاصر الصادر من الكافر والفاجر (**«ظلمات»**) أي أسباب ظلمة لمرتكبه أو موجبات شدة لصاحبه يوم القيامة، ومفهومه أن العدل بأنواعه أنوار (**«يوم القيامة»**) «لأن الدنيا مزرعة الآخرة»، وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي: هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا، كما أن المؤمن يسعى بنور هو مسبب عن إيمانه في الدنيا، قال تعالى: **﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم﴾** [الحديد ـ ١٢]، ويحتمل أن يراد بالظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى: **﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾** [الأنعام ـ ٦٣] أي شدائدهما، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات. قال الطيبي: قوله: على ظاهره يوهم أن قوله: ظلمات هنا ليس مجازاً بل حقيقة، لكنه مجاز لأنه حمل المسبب على السبب، فالمراد ظلمات حقيقية مسببة عن الظلم قلت: إنما أراد القاضي بالحقيقة المقابلة للمجاز المفسر بالشدة نظراً إلى جوهر المعنى مع قطع النظر عن حمل اللفظ بالأعراب والمبنى، ثم قال: والفرق بين الشدائد والأنكال إن الشدائد كائنة في العرصات قبل دخول النار، والأنكال بعد الدخول قلت: فالمراد بيوم القيامة الدار الآخرة. **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٥١٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٠٠ الحديث رقم ٢٤٤٧، ومسلم في ٤/١٩٩٦ الحديث رقم (٥٧ ـ ٢٥٧٩)، والترمذي في السنن ٤/ ٣٣٠ الحديث رقم ٢٠٣٠، والدارمي في ٢/ ٣١٣ الحديث رقم ٢٥١٦، وأحمد في المسند ٢/ ١٣٧.

٥١٢٤ ـ (٢) وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلِتْهُ» ثم قرأ ﴿وكذلك أخذُ ربِّك إذا أخذَ القرى وهي ظالمةٌ﴾ متفق عليه.

٥١٢٥ ـ (٣) وعن ابن عمر، أنَّ النبي ﷺ لمَّا مرَّ بالحِجْرِ قال: «لا تدْخلوا مساكنَ الذينَ ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكينَ، أن يصيبكم ما أصابهم» ثم قنع رأسه وأسرع السَّير حتى اجتاز الوادي.

٥١٢٤ ـ (**وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم»**) من الإملاء أي يمهله ويؤخره ويطوّل عمره حتى يكثر منه الظلم (**«حتى إذا أخذه لم يفلته»**) من الإفلات، وهو الخروج من ضيق مع فرار. ذكره شارح، والمعنى لم يتركه بل أخذه أخذاً شديداً. ذكره ابن الملك. قيل: أفلت الشيء وتفلت وانفلت بمعنى وأفلته غيره. ففي النهاية أي لم ينفلت منه، ويجوز أن يكون المعنى لم يفلته منه أحد أي لم يخلصه قلت: هذا المعنى هو الظاهر على ما يدل عليه الضمير، والقول الأول إما حاصل المعنى أو يقال بالحذف والإيصال، وفيه تسلية للمظلوم في الحال، ووعيد للظالم لئلا يغتر بالإمهال كما قال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ [هود ـ ١٠٢] (**«ثم قرأ»**) أي النبي ﷺ اعتضاداً أو أبو موسى استشهاداً (**«وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى»**) أي أهلها (**«﴿وهي ظالمة﴾»**)[(١)]. الآية) أي أن أخذه أليم شديد كما في نسخة بدل الآية. (**متفق عليه**). وفي الجامع إلى قوله: ثم قرأ رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه.

٥١٢٥ ـ (**وعن ابن عمر أن النبي ﷺ: «لما مر»**) أي أراد المرور (**«بالحجر»**) بكسر الحاء أي ديار ثمود وقوم صالح (**«قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم»**) أي بالكفر (**«إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم»**) أي لئلا يصيبكم أو مخافة أن يصيبكم (**«ما أصابهم»**) أي نوع من العذاب أي مثل ما أصابهم من العقاب إذ لا يخلو أحد منكم من الذنوب إذا شدد عليه الحساب، ويمكن أن يكون المراد أن يصيب منافقيكم عين ما أصابهم فعمم الحكم بالتخويف تستراً عليهم. (**«ثم قنع رأسه»**) بتشديد النون مبالغة من الإقناع أي أطرق رأسه ولم يلتفت يميناً وشمالاً كالخائف لئلا يقع نظره على مساكنهم أو جعل قناعة على رأسه شبه الطيلسان (**«وأسرع السير حتى اجتاز الوادي»**) أي تجاوزه أي قطع عرضه وخرج عن حده، وإنما فعل ذلك تعليماً للأمة ليقتدوا به، وجمع بين القول والفعل تأكيداً في القضية، أو لأنه ﷺ كان في غاية من الخشية لأنها إنما تكون على قدر المعرفة قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾

الحديث رقم ٥١٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٣٥٤ الحديث رقم ٤٦٨٦، ومسلم في ٤/ ١٩٩٧ الحديث رقم (٦١ ـ ٢٥٨٣)، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٢ الحديث رقم ٤٠١٨.

(١) سورة هود، الآية: ١٠٣.

الحديث رقم ٥١٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٢٥ الحديث رقم ٤٤١٩، ومسلم في ٤/ ٢٢٨٦ الحديث رقم (٣٩ ـ ٢٩٨٠)، وأحمد في المسند ٢/ ٦٦.

متفق عليه.

٥١٢٦ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيءٌ فليتحلله منه بعد اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم،

[فاطر ـ ٢٨] وقد قال: «أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له»، هذا مجمل معنى الحديث، وأما تفصيله فقال التوربشتي: الحجر منازل ثمود، وذلك في سيره إلى تبوك خشي على أصحابه أن يجتازوا على تلك الديار ساهين غير متعظين بما أصاب أهل تلك الديار، وقد أمرهم الله تعالى بالانتباه والاعتبار في مثل تلك المواطن. قال القاضي: ولذلك استثنى عن النهي وأن يصيبكم نصب على المفعول له أي مخافة أن يصيبكم. قال الطيبي: والمعنى لا تدخلوا مساكنهم في حال من الأحوال لا حال كونكم باكين. قال الخطابي: معناه الداخل في دار قوم أهلكوا بخسف أو عذاب إذا لم يكن باكياً إما شفقة عليهم وإما خوفاً من حلول مثلها به كان قاسي القلب قليل الخشوع، فلا يأمن إذا كان هكذا أن يصيبه ما أصابهم اهـ. وما أصاب في قوله: «إما شفقة عليهم» لقوله تعالى: ﴿ولا تحزن عليهم﴾ [الحجر ـ ٨٨] وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ [المائدة ـ ٢٦] قال التوربشتي: وفي الحديث: «إنه نهاهم أن يشربوا ماءها وكانوا قد خمروا به عجينهم فأمرهم أن يعلفوها دوابهم[1]، ولم يرخص لهم في الأكل منها.» وفي شرح السنة فيه دليل على أن منازل هؤلاء لا تتخذ مسكناً ووطن، لأنه ﷺ: «قد نهى عن دخولها إلا مع البكاء»، فالمتوطن يكون دهره باكياً قلت: ويلائمه ظاهر قوله تعالى تقريعاً وتوبيخاً: ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ [إبراهيم ـ ٤٥] وتبين لكم كيف فعلنا بهم. وفيه تنبيه نبيه على أن الأماكن لها تأثير من عند الله تعالى بالنسبة إلى سكانها محنة ومنحة كما في الأزمنة من موسم الطاعات وساعات الإجابة، ومنه ما روي «إن لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها»، وقد تقدم «إن أحب البلاد إلى الله المساجد وأبغضها إليه الأسواق»، ونظير ذلك تأثير صحبة الأخيار والأشرار على ما ورد به الأخبار وآثار الأبرار. **(متفق عليه)**.

٥١٢٦ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمة»)** بكسر اللام ويفتح اسم ما أخذه الظالم أو تعرض له (**«لأخيه»**) أي في الدين (**«من عرضه»**) بيان للمظلمة، وهو بكسر العين جانبه الذي يصونه من نفسه ونسبه وحسبه ويتحامى أن ينتقص (**«أو شيء»**) أي أمر آخر كأخذ ماله أو المنع من الانتفاع به أو هو تعميم بعد تخصيص (**«فليتحلله»**) أي فليطلب الظالم حل ما ذكر (**«منه»**) أي من المظلوم. في النهاية يقال: تحللته واستحللته إذا سألته أن يجعلك في حل (**«اليوم»**) أي في أيام الدنيا لمقابلته بقوله: (**«قبل أن لا يكون»**) أي لا يوجد (**«دينار ولا درهم»**) وهو تعبير عن يوم القيامة، وفي التعبير به تنبيه على أنه يجب عليه أن

---

(١) في المخطوطة «وراهم».

الحديث رقم ٥١٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٠١ الحديث رقم ٢٤٤٩، وأحمد في المسند ٢/ ٢٠٦.

إن عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فحمل عليه». رواه البخاري.

٥١٢٧ ـ (٥) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع. فقال: «إنَّ المفلسَ منْ أُمتي

يتحلل منه ولو ببذل الدينار والدرهم في بذل مظلمته لأن أخذ الدينار والدرهم اليوم على التحلل أهون من أخذ الحسنات أو وضع السيئات على تقدير عدم التحلل كما أشار إليه بقوله: («إن كان له عمل صالح») أي بأن يكون مؤمناً ظالماً غير معفو عن مظلومه («أخذ») بصيغة المجهول أي عمله الصالح («منه») أي من صاحبه الظالم على غيره («بقدر مظلمته»)، ومعرفة مقدار الطاعة والمعصية كمية وكيفية مفوّض علمها إلى الله سبحانه. هذا، وقال الطيبي: قوله: إن كان استئناف كأنه لما قيل: «فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم يؤخذ منه بدل مظلمته» توجه لسائل أن يسأل، فما يؤخذ منه بدل مظلمته بعد أن كان الخ اهـ. («وإن لم يكن») أي لم توجد («له حسنات») أي باقية أو مطلقة («أخذ من سيئات صاحبه») أي المظلوم («فحمل عليه») بصيغة المجهول مخففاً أي فوضع على الظالم. قال ابن الملك: يحتمل أن يكون المأخوذ نفس الأعمال بأن تتجسم فتصير كالجواهر وأن يكون ما أعدلهما من النعم والنقم إطلاقاً فالسبب على المسبب، وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام ـ ١٦٤] لأن الظالم في الحقيقة مجزى بوزر ظلمه، وإنما أخذ من سيئات المظلوم تخفيفاً له وتحقيقاً للعدل. (رواه البخاري).

٥١٢٧ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون») أي أتعلمون («ما المفلس؟»)، كذا في صحيح مسلم وجامع الترمذي وكتاب الحميدي وجامع الأصول وشرح السنة، فعلى هذا السؤال عن وصف المفلس لا عن حقيقته ومن ثم أجاب ﷺ بوصفه في قوله: شتم وأكل وقذف، وفي مشارق الأنوار وفي بعض نسخ المصابيح من الفلس، وهذا سؤال إرشاد لا استعلام، ولذلك قال: إن المفلس كذا وكذا قلت: الظاهر أن المراد بقوله: «ما المفلس»، من المفلس بدليل ما بعده في جواب الصحابة وفي كلامه ﷺ أيضاً من التعبير بمن («قالوا:») أي بعض أصحابه («المفلس فينا») أي فيما بيننا («من لا درهم») أي من نقد («له») أي ملكاً («ولا متاع») أي مما يحصل به النقد ويتمتع به من الأقمشة والعقار والجواهر والمواشي والعبيد وأمثال ذلك. والحاصل أنهم أجابوا بما عندهم من العلم بحسب عرف أهل الدنيا كما يدل عليه قولهم: «فينا»، وغفلوا عن أمر الآخرة، وكان حقهم أن يقولوا: «الله ورسوله أعلم» لأن المعنى الذي ذكروه كان واضحاً عنده ﷺ، فلما أجابوا بما أجابوه («فقال: إن المفلس») أي الحقيقي أو المفلس في الآخرة («من أمتي») أي أمة الإجابة، ولو كان غنياً في

الحديث رقم ٥١٢٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٧ الحديث رقم (٥٩ ـ ٢٥٨١)، والترمذي في ٤/ ٥٢٩ الحديث رقم ٢٤١٨، وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٣.

من يأتي يوم القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأتي قد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النّار». رواه مسلم.

الدنيا بالدرهم والمتاع («من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة»)، أي مقبولات، والباء للتعدية أي مصحوباً بها («أو يأتي») أي ويحضر أيضاً حال كونه («قد شتم هذا») أي وقع له شتم لأحد («وقذف هذا») أي بالزنا ونحوه («وأكل مال هذا») أي بالباطل («وسفك») أي أراق («دم هذا») أي بغير حق («وضرب هذا») أي من غير استحقاق أو زيادة على ما يستحقه، والمعنى من جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات، ولا يبعد أن تكون الواو بمعنى أو، ولكن لفظ المفلس يلائم كثرة المعاصي الموجبة لإفلاسه والله أعلم. («فيعطي») بصيغة المجهول («هذا») أي المظلوم («من حسناته») أي بعض حسنات الظالم («وهذا») أي ويعطي المظلوم الآخر («من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى») بصيغة المفعول أي يؤدي («ما عليه») أي من الحقوق («أخذ من خطاياهم») أي من سيئات أصحاب الحقوق («فطرحت عليه») أي وضعت على الظالم («ثم طرح») أي ألقي ورمي («في النار»)، وفيه إشعار بأنه لا عفو ولا شفاعة في حقوق العباد إلا إن شاء الله يرضي خصمه بما أراد. قال النووي: يعني حقيقة المفلس. هذا الذي ذكرت، وأما من ليس له مال ومن قل ماله، فالناس يسمونه مفلساً، وليس هذا حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما انقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته بخلاف ذلك المفلس، فإنه يهلك الهلاك التام. قال المازري: زعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض بقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام ـ ١٦٤] وهو باطل، وجهالة بينة لأنه إنما عوقب بفعله ووزره، فتوجهت عليه حقوق لغرمائه فدفعت إليه من حسناته، فلما فرغت حسناته أخذ من سيئات خصومه فوضعت عليه، فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه قلت: وهذا من ضرورة قضية العدل الثابت له تعالى بالنقل والعقل، فإن الظالم إذا أكثر من الحسنات وثقلت موازينه منها وغلبت على سيئاته، فإن أدخل الجنة يبقى حق المظلوم ضائعاً، وأن أدخل النار ينافي قوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ [الأعراف ـ ٨] وسيأتي أن حقوق العباد مما لا يترك الله تعالى فلا بد من أحد الأمرين، إما أخذ الحسنات وإما وضع السيئات حتى يتحقق خفة ميزان عمله، فيدخل النار فيعذب بقدر استحقاقه ثم يخرج ويدخل الجنة بسبب الحسنات الباقية إن كانت هناك، وإلا ببركة الإيمان، ﴿فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً﴾، وهذا من البراهين الواضحة المؤيدة بالشواهد والأدلة اللائحة. (رواه مسلم).

٥١٢٨ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَتُؤَدُّنَ الحقوق إِلى أهلها يومَ القيامةِ، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

٥١٢٨ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: «لتؤدن) بفتح الدال المشددة، وفي بعض النسخ، بضمها فقوله: («الحقوق») بالرفع على الأوّل وبالنصب على الثاني («إلى أهلها يوم القيامة»)، وجزم شارح. وقال: هو بفتح الدال على بناء المجهول، والحقوق أقيم مقام فاعله. وقال ابن الملك: اللام فيه جواب قسم مقدر، والدال فيه مضمومة، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به، والحقوق مفعوله، وقيل: الدال فيه مفتوحة على بناء المجهول، والحقوق نائب الفاعل لكن هذا غير مستقيم لأنه لو كان كذلك لظهر الياء وقال: لتؤدين اهـ. وأراد أنه حينئذ صيغة الواحدة فيكون حكمه حكم اخشين واغزون وارمين برد اللامات وفتحها على طبق التثنية كما تقول: اخشيا وارميا واغزوا على ما حقق في محله. قال التوربشتي: هو على بناء المجهول، والحقوق مرفوع، هذه هي الرواية المعتد بها، ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوق، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به، والصحيح ما قدمناه اهـ. والظاهر أنه أراد صحة الرواية، وإلا فقد تقدم صحة الدراية باعتبار الصيغة التصريفية، ويؤيد كلام الشيخ ضبط الكلمة بفتح الدال في أصل السيد وسائر الأصول المعتمدة والنسخ المصححة، ولعل وجهه أنه عومل معاملة الفعل الصحيح حيث يقال في المفرد المجهول: «ليضربن» بفتح الموحدة، وقد غفل الطيبي عن هذا المبنى وذهب إلى رعاية المعنى حيث قال: إن كان الرد لأجل الرواية فلا مقال، وإن كان بحسب الدراية فإن باب التغليب واسع، فيكون قد غلب العقلاء على غيرهم وجعل قوله: («حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء») غاية بحسب التغليب كما في قوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه﴾ [الشورى ـ ١١] فالضمير في يذرؤكم راجع إلى الأناسي والأنعام على التغليب اهـ، والمعنى يكثركم من الذرء، وهو البث، وقوله: فيه أي في هذا التدبير، وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد، فإنه كان كالمنبع للبث والتكثير. ذكره البيضاوي وجعل في للظرفية المعنوية، وشبه التدبير بالمنبع، وفي الاتقان أن في بمعنى الباء أي بسببه، وهو ظاهر جداً، وهذا إذا أريد بالجلحاء والقرناء الشاتان المعروفتان، وأما إذا أريد بالجلحاء الفقير أو المظلوم، وبالقرناء الغني أو الظالم على ما قيل، فلا يحتاج إلى ارتكاب التغليب والأمر قريب، ثم الجلحاء بجيم فلام فحاء مهملة، قال النووي: الجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها، والقرناء ضدها؛ وهذا تصريح. بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها كما يعاد أهل التكليف من الآدميين والأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال تعالى جل جلاله ولا إله غيره ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ [التكوير ـ ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره مشرع، ولا عقل وجب حمله على

الحديث رقم ٥١٢٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٧ الحديث رقم (٦٠/ ٢٥٨٢)، والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٠ الحديث رقم ٢٤٢٠، وأحمد في المسند ٢/ ٤١١.

رواه مسلم.

وذُكِرَ حديثُ جابرٍ: «اتَّقوا الظلم». في «باب الإِنفاق».

الفصل الثاني

٥١٢٩ ـ (٧) عن حُذَيفةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إِمَّعَةً،

ظاهره قالوا: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب، وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس من قصاص التكليف، بل هو قصاص مقابلة اهـ. وفي كونه قصاص مقابلة نظر لا يخفى من أن قصاص المقابلة نحن مكلفون به أيضاً، قال ابن الملك: أي لو نطح شاة قرناء شاة جلحاء في الدنيا فإذا كان يوم القيامة يؤخذ القرن من القرناء ويعطي الجلحاء حتى تقتص لنفسها من الشاة القرناء، فإن قيل: الشاة غير مكلفة فكيف يقتص منها قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل، والغرض منه إعلام العباد بأن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم اهـ، وهو وجه حسن وتوجيه مستحسن إلا أن التعبير عن الحكمة بالغرض وقع في غير موضعه، وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف. **(رواه مسلم)**. وفي الجامع بزيادة «تنطحها» رواه أحمد ومسلم والبخاري في الأدب والترمذي **(وذكر حديث جابر: «اتقوا الظلم»)**، تمامه، «فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم». **(في باب الإنفاق)** أي من كتاب الزكاة، وهذا من المؤلف إن كان عن تكرار أسقطه فهو اعتذار حسن، وأما إن كان من باب تحويل الحديث إلى باب أنسب منه فهو اعتراض لكن في غير المحل، فتأمل.

(الفصل الثاني)

٥١٢٩ ـ **(عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة»)** بكسر الهمزة وتشديد الميم والهاء للمبالغة، وهمزته أصلية، ولا يستعمل ذلك في النساء، فلا يقال: «امرأة إمعة»، كذا في النهاية وقال صاحب الفائق: هو الذي يتابع كل ناعق ويقول لكل أحد: «أنا معك» لأنه لا رأي له يرجع إليه، ووزنه فعلة كديمة، ولا يجوز الحكم عليه بزيادة الهمزة لأنه ليس في الصفات أفعلة، وهي في الأسماء أيضاً قليلة، ومعناه المقلد الذي يجعل دينه تابعاً لدين غيره بلا روية ولا تحصيل برهان اهـ، كلامه. وفيه إشعاراً بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق فضلاً عن الاعتقادات والعبادات، الأظهر أن الكلمة غير موضوعة لصفة أو اسم، بل

الحديث رقم ٥١٢٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٠ الحديث رقم ٢٠٠٧.

تقولون: إِن أحسن الناس أحسنًا، وإِن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إِن أحسنَ النَّاسُ أن تُحسنوا، وإِن أساؤوا فلا تظلموا». رواه الترمذي.

٥١٣٠ ـ (٨) وعن معاوية، أنَّه كتبَ إِلى عائشة [رضي الله عنها] أن اكتبي إِليَّ كتاباً توصيني فيه ولا تكْثري. فكتَبَتْ: سلامٌ عليكَ؛

موضوعة مركبة من الكلمتين المعبر عنهما «بأنا معك»، ونظيرها البسملة والحيعلة» ونحوهما. وفي القاموس الأمع كهلع وهلعة ويفتحان الرجل يتابع كل واحد على رأيه لا يثبت على شيء، ومتبع الناس إلى الطعام من غير أن يدعى، والمحقب الناس دينه والمتردد في غير صنعة، ومن يقول: «أنا مع الناس» ولا يقال: «امرأة إمعة»، أو قد يقال: وتأمع واستأمع صار إمعة. وقال شارح: الأمع والأمعة عند أهل اللغة الرجل الذي يكون لضعف رأيه مع كل أحد، والمراد هنا من يكون مع ما يوافق هواه ويلائم أرب نفسه وما يتمناه؛ وقيل: المراد هنا الذي يقول: «أنا أكون مع الناس كما يكونون معي إن خيراً فخير وإن شراً فشر» قلت: وهذا المعنى هو المتعين كما يدل عليه قوله: (**«يقولون:»**) الظاهر أن الأمعة يستوي فيه المفرد وغيره، أو المعنى أن الموصوفين بهذا الوصف يقولون (**«إن أحسن الناس»**) أي إلينا أو إلى غيرنا (**«أحسنا»**) أي جزاء أو تبعاً لهم (**«وإن ظلموا»**) أي ظلمونا أو ظلموا غيرنا فكذلك (**«نحن ظلمنا»**) على وفق أعمالهم. قال الطيبي: قوله: يقولون الخ بيان وتفسير للأمعة لأن معنى قوله: «إن أحسن الناس وإن ظلموا أنا مقلد الناس في إحسانهم وظلمهم ومقتفي أثرهم»، (**«ولكن وطنوا أنفسكم»**) أمر من التوطين، وهو العزم والجزم على الفعل أي عزموا أنفسكم على (**«أن أحسن الناس أن تحسنوا»**) أي فعليكم أن تحسنوا (**«وإن أساؤوا فلا تظلموا»**)، قال في أساس البلاغة: أوطن الأرض ووطنها واستوطنها، ومن المجاز وطنت نفسي على كذا فتوطنت. قال:

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

ومعنى الحديث، «أوجبوا على أنفسكم الإحسان بأن تجعلوها وطناً للإحسان». قال الطيبي: فعلى هذا «أن تحسنوا» متعلق بقوله: «وطنوا»، وجواب الشرط محذوف يدل عليه «أن تحسنوا»، والتقدير: «وطنوا أنفسكم على الإحسان إن أحسن الناس فأحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا»، لأن عدم الظلم إحسان. (**رواه الترمذي**).

٥١٣٠ ـ (**وعن معاوية**) أي ابن أبي سفيان صحابيان مشهوران (**«أنه كتب إلى عائشة»**) أي أم المؤمنين (**«أن اكتبي»**) أن مصدرية أو مفسرة لما في الكتابة من معنى القول (**«إلى»**) أي مرسلاً أو موصولاً حال أو متعلق بقوله: (**«كتاباً توصيني فيه»**) أي في ذلك الكتاب من كل باب (**«ولا تكثري»**) أي بالإطناب، بل أوجزي بكلام جامع يكون فصل الخطاب لأنها من أهل بيت من أوتي جوامع الحكم وبدائع الكلم (**«فكتبت: سلام عليك»**)، واقتصرت على غنيمة السلامة

الحديث رقم ٥١٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٧ الحديث رقم ٢٤١٤.

أما بعد: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من التمَس رضى الله بسخط الناس كفاهُ اللّهُ مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكلهُ الله إلى الناس» والسلام عليك. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٥١٣١ ـ (٩) عن ابن مسعود، قال لما نزلت: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾. شقّ ذلك على أصحاب رسولِ الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله: أيُّنا لم يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذاك؛ إنما هو الشركُ،

خوف السآمة («أما بعد») أي بعد السلام، أو ما بعد ما سبق من الكلام («فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من التمس رضا الله بسخط الناس») أي من طلب رضاه في شيء يسخط الناس عليه بسببه («كفاه الله مؤنة الناس») أي مؤنة شرهم من الظلم عليه والإساءة إليه («ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله») بتخفيف الكاف أي خلاه وترك نصره ودفعه (إلى الناس) وهذا وصية جامعة لجميع الناس قال المظهر يعني إذا عرض له أمر في فعله رضا الله وغضب الناس أو عكسه فإن فعل الأوّل رضي الله عنه ودفع عنه شر الناس وإن فعل الثاني وكله إلى الناس يعني سلط الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموا عليه ولم يدفع عنه شرهم في النهاية وكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه (والسلام عليك) فالأوّل بمنزلة سلام الملاقاة والثاني في مركبة الموادعة أو كأنها قالت السلام عليك أوّلاً وآخراً أو في الدنيا والآخرة وفي تكرار السلام إشارة خفية إلى تأكيد طلب السلامة وترك ما يؤدي إلى الملامة (رواه الترمذي).

(الفصل الثالث)

٥١٣١ ـ (عن ابن مسعود قال لما نزلت) بالتأنيث لكون ما بعده من فاعله آية والتقدير لما نزلت آية: (﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾) بكسر الموحدة أي لم يخلطوا (﴿إيمانهم بظلم﴾[1]) تمامه (﴿أولئك لهم الأمن﴾) أي في الآخرة ﴿وهم مهتدون﴾ [الأنعام ـ ٨٢] أي في الدنيا (شق ذلك) أي صعب ذلك الكلام أو الحكم (على أصحاب رسول الله ﷺ) أي ظناً منهم أن المراد بالظلم مطلق المعاصي كما يتبادر إلى الفهم لا سيما من التنكير الذي يفيد العموم (وقالوا يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه) أي ظلماً قاصراً أو متعدياً مع أن الثاني أيضاً يرجع إلى ظلم النفس لقوله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (فقال رسول الله ﷺ ليس ذاك) أي ليس معناه كما فهمتم (إنما هو) أي الظلم (الشرك) ففي التنكير إشارة إلى أن المراد

الحديث رقم ٥١٣١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٩٤ الحديث رقم ٤٦٢٩، وأخرجه مسلم في ١/ ١١٤ الحديث رقم (١٩٧ ـ ١٢٤).

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

ألم تسمعوا قولَ لقمان لابنه: ﴿يا لقمان لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾؟. وفي روايةٍ: «ليس هو كما تظنُّونَ، إنما هو كما قال لقمان لابنه». متفق عليه.

٥١٣٢ ـ (١٠) وعن أبي أُمامةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنْ شرِّ الناسِ منزلة عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ، عبدٌ أذهبَ آخرتَه بدُنيا غيره». رواه ابن ماجه.

أي نوع من الكفر أو أريد به التعظيم أي بظلم عظيم كما يدل عليه قوله: **(ألم تسمعوا قول لقمان لابنه)** أي وهو مؤمن (﴿**يا بني**﴾) بفتح الياء وكسرها (﴿**لا تشرك بالله**﴾) أي لا تخلط الإشراك بالإيمان بالله وسائر ما يجب الإيمان به (﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾)(١) استئناف تعليل أي فإنه يبطل الإيمان ويستأصله ولا يجتمع معه أصلاً فضلاً عن غيره من الأعمال قال تعالى: ﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله**﴾ بخلاف سائر المعاصي فإنه لا ينافي الإيمان على مذهب الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة وسائر المبتدعة فالصحابة رضي الله تعالى عنهم فهموا خلط المعصية بالإيمان لأن الشرك لا يتصوّر خلطه به فأجاب بأن خلطه ممكن بأن يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره فيكون إيماناً لغوياً لا شرعياً إلا فالإيمان بالله إنما يكون معتبراً إذا اشتمل على إثبات صفات الكمال له وتنزيهه عن نعوت النقص وإلا فيلزم أن يكون جميع الكفار مؤمنين بالله حقيقة قال تعالى ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ ولكن الله تعالى لم يرض بالإشراك الصوري أيضاً كما ورد في الحديث القدسي أنا أغنى الشركاء عن الشرك وإذا تأملت ظهر لك أنه لا يتصوّر وجود الشرك الحقيقي بالله سبحانه إذ الممكن بجنب واجب الوجود كالمعدوم **(وفي رواية ليس هو)** أي الأمر أو الظلم أو الحكم **(كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه)** أي الخ قال الطيبي فهم من معنى اللبس أن المراد من الظلم المعصية لأن لفظ اللبس يأبى أن يراد به الشرك فالمعنى لم يلخطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم كذا في الكشاف وقول رسول الله ﷺ ليس ذلك معناه ليس كما تعتقدون أن اللبس يقتضي الخلط ولا يتصوّر خلط الشرك بالإيمان بل هو واقع لمن يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ قال: الحسن هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان به وقيل النفاق ليس الإيمان الظاهر بالكفر الباطن وفي الآية لشاهد على أن المراد بالظلم فيها الشرك ومن أراد زيادة اطلاع عليه فلينظر في فتوح الغيب **(متفق عليه)**.

٥١٣٢ ـ **(وعن أبي أمامة)** أي الباهلي **(أن رسول الله ﷺ قال: من شر الناس)** وفي الجامع بزيادة أن للتأكيد **(منزلة)** أي عند الله كما في نسخة **(يوم القيامة)** قيد به لظهور الأمر فيه **(عبد أذهب آخرته)** أي ضيعها **(بدنيا غيره رواه ابن ماجه)** وكذا الطبراني.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

الحديث رقم ٥١٣٢: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٢ الحديث رقم ٣٩٦٦.

٥١٣٣ ـ (١١) وعن عائشة، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «الدَّواوينُ ثلاثة ديوانٌ لا يغفرُهُ اللَّهُ: الإشراكُ بالله. يقولُ الله عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يغفرُ أَنْ يشرك به﴾، وديوانٌ لا يتركه اللَّهُ: ظلمُ العباد فيما بينهم حتى يقتصَّ بعضُهم من بعض وديوان لا يعبأ الله به ظلم العباد فيما بينَهم وبينَ اللَّه، فذاكَ إلى الله: إنْ شاءَ عذَّبه وإن شاءَ تجاوزَ عنه».

٥١٣٤ ـ (١٢) وعن عليّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِياك ودعوةَ المظلوم، فإنما يسألُ اللَّهَ تعالى حقَّه، وإنَّ اللَّهَ لا يمنعُ ذا حقٍّ حقَّه».

٥١٣٣ ـ **(وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: الدواوين)** أي صحائف الأعمال **(ثلاثة:)** أي ثلاثة أنواع من الدواوين وفي المغرب الديوان الجريدة من دون الكتب إذا جمعها لأنها قطع من القراطيس مجموعة **(ديوان لا يغفر الله)** أي لا يغفره ولا يعفو عنه البتة **(الإشراك بالله)** والمراد منه الكفر بأنواعه **(يقول الله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾)**[١] أي بلا توبة أو لا يغفر الإشراك به يوم القيامة **(وديوان لا يتركه الله)** أي بلا محاسبة ولا مطالبة لا محالة **(ظلم العباد فيما بينهم حتى يقص)** متعلق بلا بتركه وفي نسخة صحيحة حتى يقتص[٢] **(بعضهم من بعض)** أي بتفضل الله على بعضهم بإرضاء خصومهم فإنه بمنزلة الاقتصاص قائم مقام الدية في الدنيا **(وديوان لا يعبأ الله)** بفتح الموحدة وضم الهمزة أي لا يبالي **(به)** ولا يرى موزناً من العبء وهو الثقل **(ظلم العبادة فيما بينهم وبين الله)** وهذا يتعلق به حق الله أيضاً لأنه لا يوجد حق عبد إلا ويتعلق به حق الله أيضاً فحقوق العباد مركبة من الجهتين والجهة المتعلقة بالعبد مقدمة على الأخرى لفقر العبد واستغنائه سبحانه **(فذاك)** بالألف دون اللام في الأصول المعتمدة والمراد به الإشارة إلى القريب من حق العبد **(إلى الله)** أي مفوّض إلى مشيئته **(إن شاء عذبه)** أي بقدر ذنبه أو بأقل منه **(وإن شاء تجاوز عنه)** أي غفره مجاناً وبتقدير أنا هذا يندفع ما يرد فيه من الإشكال حيث ظاهر الحديث من التقسيم قد ينافيه آية **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء ـ ٤٨] قال الطيبي وإنما قال في القرينة الأولى لا يغفر ليدل على أن الشرك لا يغفر أصلاً في الثانية لا يترك فيؤذن بأن حق الغير لا يهمل قطعاً أما بأن يقتص من خصمه أو يرضيه الله تعالى وفي الثالثة لا يعبأ ليشعر بأن حق الله تعالى على المساهلة فيترك حقه كرماً ولطفاً.

٥١٣٤ ـ **(وعن علي** [رضي الله عنه] **قال: قال رسول الله ﷺ: «إياك ودعوة المظلوم»)** أي ولو ذمياً **(فإنما يسأل الله حقه)** أي سؤال محاسبة ومطالبة **(وإن الله لا يمنع ذا حق حقه)** أي بل يعطي كل ذي حق حقه فإن قوله: «حق وعده صدق وفعله عدل ثم بعده فضل».

الحديث رقم ٥١٣٣: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٢ الحديث رقم ٧٤٧٣.

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) وهي نسخة المتن.

الحديث رقم ٥١٣٤: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٩ الحديث رقم ٧٤٦٤.

٥١٣٥ ـ (١٣) وعن أوْسِ بن شَرحبيل، أنَّه سمعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَن مشى معَ ظالمٍ ليُقوِّيه وهو يعلمُ أنه ظالمٌ، فقدْ خرجَ منَ الإسلامِ».

٥١٣٦ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، أنَّه سمعَ رجلاً يقولُ: إنَّ الظالمَ لا يضرُّ إلا نفسَه. فقال أبو هريرةَ: بَلى واللهِ، حتى الحبارى لتَموتُ في وكْرِها هُزلاً لظلمِ الظالمِ. روى البيهقيُّ الأحاديثَ الأربعةِ في «شعبِ الإيمان».

٥١٣٥ ـ **(وعن أوس بن شرحبيل)** بضم معجمة وفتح راء وسكون مهملة أو كسر موحدة وترك صرف كذا في المغني ولم يذكره المؤلف **(أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من مشى مع ظالم ليقويه»)** وفي الجامع ليعينه **(«وهو يعلم أنه ظالم»)** أي فيه **(«فقد خرج من الإسلام»)** أي من كمال الإيمان أو من حقيقة الإسلام المقتضي أن يسلم المسلمون من لسانه ويده.

٥١٣٦ ـ **(وعن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه)** وهذا الكلام حق لقوله تعالى: ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ وقوله: ﴿**من عمل صالحاً فلنفسه**﴾ ومن أساء فعليها وكان أبا هريرة فهم أنه أراد بهذا أنه لا يسري أثر ظلمه إلا إلى نفسه كما يدل عليه الحصر **(فقال بلى)** أي بلى قد يضر غيره أيضاً وليس ينحصر أثر ضرره على نفسه **(والله حتى)** أي حتى يتعدى إلى غيره من الإنسان والحيوان المستأنس وغيره حتى **(الحبارى)** بضم الحاء طير مشهور **(لتموت في وكرها)** أي بيتها وعشها **(هزلاً)** بضم هاء وسكون زاي نقيض السمن **(لظلم الظالم)** أي لأجل ظلمه ولكن الله يعفو عن كثير ويمهل عن بعض ولا يهمل حق المظلوم وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة**﴾ [النحل ـ ٦١] الآية وفي النهاية يعني أن الله تعالى يحبس الفطر عن الحبارى بشؤم ذنوب الظالم وإنما خصها بالذكر لأنها أبعد الطير نجعة أي طبعاً للكلأ الناشىء من الغيث فربما تذبح بالبصرة ويوجد في حوصلتها الحبة الخضراء وبين البصرة ومنبتها مسيرة أيام قال الطيبي: قوله بلى الحجاب لما نفى قبله وههنا وقعت جواباً للسيئات فالوجه أن يقال أن مفهوم قوله لا يضر إلا نفسه لا يضر غيره فقال بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى **(روى البيهقي الأحاديث الأربعة في شعب الإيمان)** أما الحديث الأخير فهو موقوف على أبي هريرة وأما الأوّل فقد رواه أحمد والحاكم في مستدركه(١) أيضاً على ما في الجامع ولفظه الدواوين ثلاثة فديوان لا يغفر الله منه شيئاً وديوان لا يعبأ الله به شيئاً وديوان لا يترك الله منه شيئاً أما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها فإن الله يغفر ذلك إن شاء ويتجاوز وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظالم العباد بينهم القصاص لا محالة. وأما الحديث الثاني: فقد أخرجه سمويه عن أنس ولفظه إياك

الحديث رقم ٥١٣٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٢ الحديث رقم ٧٦٧٥.

الحديث رقم ٥١٣٦: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٥٤ الحديث رقم ٧٦٧٩.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٥.

. . . .

المظلوم وإن كانت من كافر فإنه ليس لها حجاب دون الله عزَّ وجلّ رواه أحمد وأبو ليلى في مسنديهما والضياء عن أنس اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس ما دون دعائه حجاب ورواه الحاكم عن ابن عمر ولفظه «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»(١) ورواه الطبراني والضياء عن خزيمة بن ثابت ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام ثم يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين وأما الثالث فقد أخرجه الطبراني والضياء عن أوس بن شرحبيل أيضاً.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٩.

(٢٢) باب الأمر بالمعروف

الفصل الأول

٥١٣٧ ـ (١) عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ رأى منكم مُنكراً

(باب الأمر بالمعروف)

في النهاية: المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعات الله تعالى والتقرب إليه والإِحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه. والمعروف النصفة[1] وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه. اهـ. وكان حق المؤلف أن يقول: والنهي عن المنكر، ولعله تركه لأن الأمر بالمعروف يعم النهي عن المنكر أو [هو] من باب الاكتفاء بذكر أحد الضدين عن الآخر كقوله تعالى: ﴿**سرابيل تقيكم الحر**﴾ [النحل. ٨١]، أي والبرد.

(الفصل الأوّل)

٥١٣٧ ـ (**عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: من رأى**) أي علم (**منكم منكراً**) أي في غيره من المؤمنين. والخطاب للصحابة أصالة ولغيرهم من الأمة تبعاً. وفي الإِتيان بمن التبعيضية إشعار بأنه من فروض الكفاية وإيماء إلى أنه لا يباشره إلا من يعرف مراتب الإِحسان وتفاوت المنكرات، ويميز بين المتفق عليه والمختلف فيه منها. وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [آل عمران: ١٠٤] ﴿**ويسارعون في الخيرات**﴾ [آل عمران: ١١٤]. وخلاصة الكلام: من أبصر

---

(١) في المخطوطة «الصفة».

الحديث رقم ٥١٣٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٩ حديث رقم (٧٨ ـ ٤٩). وأبو داود في السنن ٤/ ٥١١ حديث رقم ٤٣٤٠. والترمذي في السنن ٤/ ٤٠٨ حديث رقم ٢١٧٢. والنسائي في السنن ٨/ ١١١ حديث رقم ٥٠٠٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢٠.

فلْيُغيّره بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلسانِه، فإنْ لم يستطعْ فبقلبِه، وذلكَ أضعفُ الإيمانِ».

ما أنكره الشرع. ﴿فليغيره بيده﴾ أي بأن يمنعه بالفعل بأن يكسر الآلات ويريق الخمر ويرد المغصوب إلى مالكه. **(فإن لم يستطع)** أي التغيير باليد وإزالته بالفعل لكون فاعله أقوى منه. **(فبلسانه)** أي فليغيره بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة. **(فإن لم يستطع)** أي التغيير باللسان أيضاً **(فبقلبه)** بأن لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييراً معنوياً، إذ ليس في وسعه إلا هذا القدر من التغيير. وقيل: التقدير: فلينكره بقلبه لأن التغيير لا يتصوّر بالقلب فيكون التركيب من باب: علفتها تبناً وماء بارداً. ومنه قوله تعالى: ﴿والذين تبوّؤوا الدار والإيمان﴾ [الحشر: ٩]. **(وذلك)** أي الإنكار بالقلب وهو الكراهية **(أضعف الإيمان)** أي شعبه أو خصال أهله. والمعنى أنه أقلها ثمرة، فمن غير المراتب مع القدرة كان عاصياً ومن تركها بلا قدرة أو يرى المفسدة أكثر ويكون منكراً بقلبه فهو من المؤمنين. وقيل: معناه وذلك أضعف زمن الإيمان. إذ لو كان إيمان أهل زمانه قوياً لقدر على الإنكار القولي أو الفعلي ولما احتاج إلى الاقتصار على الإنكار القلبي، أو ذلك الشخص المنكر بالقلب فقط أضعف أهل الإيمان فإنه لو كان قوياً صلباً في الدين لما اكتفى به، ويؤيده الحديث المشهور: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر[(١)]. وقد قال تعالى: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة: ٥٤]. هذا وقد قال بعض علمائنا: الأمر الأوّل للأمراء والثاني للعلماء والثالث لعامة المؤمنين. وقيل: المعنى إنكار المعصية بالقلب أضعف مراتب الإيمان لأنه إذا رأى منكراً معلوماً من الدين بالضرورة فلم ينكره ولم يكرهه ورضي به واستحسنه كان كافراً. ولعل الإطلاق الدال على العموم لإفادة التهديد والوعيد الشديد. قال ابن الملك رحمه الله: فإن قلت: هذا الحديث يدل على أن الإيمان يزيد وينقص كما ذهب إليه الشافعي رحمه الله فما تأويله عند الحنفية. قلنا: معناه أضعف ثمرات الإيمان، والإنكار بالقلب منها. فإن قلت: لو كان كذلك لزم أن لا يخرج من الإيمان لانتفائه، وليس كذلك لما جاء في بعض الروايات: وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. قلت: أراد به أن الثمرات القوية والضعيفة إذا انتفت كان الإيمان كالمعدوم. اهـ. وفيه أنه حينئذ يرجع الحديث دليلاً للخصم. فالصواب أن يقال التقدير: وليس وراء ذلك من كمال الإيمان أو من الإيمان الكامل حبة خردل. لا يقال هذا أيضاً يدل على تحقق الكمال والنقصان بالنسبة إلى الإيمان. فإنا نقول الخلاف إنما هو في حقيق الإيمان وهو التصديق القلبي هل هو قابل للزيادة والنقصان أم لا. بل المحققون من الشافعية أيضاً على أن النزاع لفظي، فإن نفس الإيمان وجوهره لا يتجزأ وإنما كماله أن ينضم إليه وجود الأعمال الصالحة، لأن الله تعالى حيث مدح المؤمنين الكاملين عطف الأعمال على الإيمان وقال: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [البروج: ١١]. ومن المعلوم أن الأصل في العطف التغاير. وأما كون الأعمال جزء الإيمان حقيقة فإنما هو مذهب الخوارج والمعتزلة. وأما

---

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٩ حديث رقم ٤٠١١.

. . . .

الآيات والأحاديث الدالة على الزيادة والنقصان فإمّا محمولة على ما ذكرنا وإمّا بالنظر إلى تعدد المؤمن به، وهذا بحث طويل الذيل محله كتب العقائد ومباحث الكلام والله تعالى أعلم بحقيقة المرام(١). ثم اعلم أنه إذا كان المنكر حراماً وجب الزجر عنه وإذا كان مكروهاً

---

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في مسألة ازدياد الإيمان ونقصانه.
ذهب الإمام أحمد إلى أن الإيمان يزيد وينقص بالطاعة والمعصية. فقد روى ابن الجوزي بسنده عن سليمان بن الأشعث قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والبر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص من الإيمان».
وقد روى أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي فيما أملاه من عقيدة الإمام أحمد «وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يذهب إلى أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان واعتقاد بالقلب، يزيد بالطاعة، وينقص المعصية. ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل، وبالتوفيق يقع، وأن الإيمان مسميات كثيرة من أفعال وأقوال. وذكر الحديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة...» واستدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقول الله سبحانه وتعالى **﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾** [سورة المدثر . آية رقم ٣١] وغيرها من الآيات. [من كتاب العقيدة للإمام أحمد بن حنبل في رواية أبي بكر الخلال ص ٤٩ . ٥٠].
وروى الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه المعتقد قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في الإيمان. فعن الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل يزد وينقص». واستُدل بذلك:
قال الله تعالى **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً﴾** [الأنفال الآيات ٢ و٤] فأخبر الله تعالى بزيادة إيمانهم بتلاوة آياته عليه. وفي كل ذلك دلالة على أن هذه الأعمال وما فيه بها عليه من جوامع الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص. وذهب أكثر أهل الحديث إلى أن اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها. والأحاديث في ذلك كثيرة. منها: «الطهور وشطر الإيمان» و «الإيمان بضع وستون أو سبعون شعبة».
ما أخرجه البخاري ومسلم «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».
ما أخبر أبو داود قال الرسول ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».
حديث رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه من الإيمان ما يزن بره».
وروي عن سفيان الثوري قوله: «خالفنا المرجئة في ثلاث: نحن نقول الإيمان قول وعمل، وهم يقولون قول بلا عمل. ونحن نقول: الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص. ونحن نقول أهل القبلة عندنا مؤمنون أما عند الله فالله أعلم، وهم يقولون: نحن عند الله مؤمنون».
والأحاديث في تسمية شرائع الإسلام إيماناً وأن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد، إذا كان الإسلام حقيقة ولم يكن بمعنى الإستسلام وأن الإيمان يزيد وينقص. كثيرة. غير التي ذكرت هنا.
قال البيهقي رحمة الله: «وقد روينا في ذلك عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم عن عبد الله بن رواحة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعثمان بن حنيف وعمير بن حبيبة وجندب وعقبة بن عامر رضي الله عنهم.

. . . .

ندب. والأمر بالمعروف أيضاً تبع لما يؤمر به، فإن وجب فواجب وإن ندب فمندوب. ولم يتعرض له في الحديث لأن النهي عن المنكر شامل له، إذ النهي عن الشيء أمر بضده، وضد المنهي إما واجب أو مندوب أو مباح والكل معروف. وشرطهما أن لا يؤدي إلى الفتنة كما علم من الحديث وأن يظن قبوله، فإن ظن أنه لا يقبل فيستحسن إظهاراً لشعار الإسلام. ولفظ من لعمومه شمل كل أحد رجلاً أو امرأة، عبداً أو فاسقاً أو صبياً مميزاً إذا كان وإن كان يستقبح ذلك من الفاسق. قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾ [البقرة: ٤٤]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**لم تقولون ما لا تفعلون**﴾ [الصف: ٢]. وأُنشِدَ:

وغير تقيّ يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوي الناس وهو مريض

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: قوله: فليغيره بيده، هو أمر إيجاب وقد تطابق على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهي أيضاً من النصيحة التي هي الدين. ولم يخالف في ذلك إلا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم. قال إمام الحرمين أبو المعالي: لا نكترث بخلافهم ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة، فمن وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه، وما عليه أن يقبل منه. وهو فرض كفاية ومن تمكن منه وتركه بلا عذر أثم، وقد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو[1] أو

= وعن التابعين وأتباعهم عن جماعة يكثر تعدادهم. وهو قول [زيادة الإيمان ونقصانه] فقهاء الأمصار رحمهم الله [تعالى]: مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد الثوري وسفيان بن عيينة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي... وغيرهم من أهل الحديث...» [كتاب الاعتقاد ١٤١ . ١٤٥].

ومن الفقهاء الذين قالوا بعدم زيادة الإيمان ونقصانه الإمام أبو حنيفة رحمه الله: فقد قال في كتابه «الفقه الأكبر»:

.. وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق.

وذكر الملا علي القاري في شرحه للفقه الأكبر قول الإمام الرازي: «إن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان». والمراد بزيادة الإيمان ونقصانه القوة والضعف. فإن التصديق بطلوع الشمس أقوى من التصديق بحدوث العالم. وإن كانا متساويين في أصل تصديق المؤمن به. وقال: «ونحن نعلم قطعاً أن إيمان آحاد الأمة ليس كإيمان النبي ﷺ. ولا كإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه باعتبار هذا التحقيق. وهذا معنى ما ورد: «لو وزن إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإيمان جميع المؤمنين لرجح إيمانه». يعني لرجحان ابقاته ووقار جنانه وثبات اتقانه وتحقيق عرفانه لا من جهة ثمرات الإيمان من زيادات الإحسان لتفاوت أفراد الإنسان من أهل الإيمان في كثرة الطاعات. وقلة العصيان وعكسه في مرتبة النقصان مع بقاء أصل وصف الإيمان في حق كل منهما بنعت الإيقان فالخلاف لفظي بين أرباب العرفان». [مشرح الفقه الأكبر ١٢٦ . ١٢٧] والله تعالى أعلم.

(١) في المخطوطة «إذ».

رواه مسلم.

٥١٣٨ . (٢) وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثلُ المداهنِ في حدودِ الله والواقعِ فيها، مثلُ قومٍ اسْتَهموا سفينةً،

لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر. قالوا: ولا يسقط عن المكلف لظنه أن لا يفيد، بل يجب عليه فعله. فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وما على الرسول إلا البلاغ المبين. ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه، بل يجب عليه مطلقاً لأن الواجب عليه شيئان أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر. قالوا: ولا يختص ذلك بأصحاب الولايات بل هو ثابت على آحاد المسلمين، فإن السلف الصالح كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل به. ثم إنه إنما يأمر وينهي من كان عالماً بما يأمر به وينهي عنه وذلك يختلف باختلاف الشيء. فإن كان من الواجبات الظاهرة أو المحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزكاة والزنا والخمر ونحوهما فكل المسلمين عالم بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه لأن إنكاره على ذلك للعلماء. ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه الأئمة، وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب. وينبغي للآمر والناهي أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. قال القاضي عياض رحمه الله: إن هذا الباب باب عظيم في الدين به قوام الأمر وملاكه، فإذا فسد عم العقاب الصالح والظالم، قال تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ [الأنفال: ٢٥]. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد والأربعة.

٥١٣٨ . **(وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المداهن)** أي المداهن المتساهل **(في حدود الله)** أي ترك القيام لإقامتها أو بالنهي عن ارتكاب المعاصي التي توجب الحدود. ولعل التخصيص للاعتناء بها، أو لأن ضررها قد يتعدى إلى غير فاعلها. ويمكن أن يراد بالحدود مطلق المعاصي، فذكر الحدود لتغليب الأقوى أو لأن حد كل معصية معروف مقرر. **(والواقع فيها)** أي ومثل الفاعل للمناهي. وفي التعبير بالواقع فيها إشارة إلى أنه بسبب المعصية، كأنه طارح من علو منزلته في هويّ بئر عميق ومكان سحيق. **(مثل قوم)** بالرفع، أي كمثل جمع مجتمع من الصالحين وغيرهم **(استهموا سفينة)** أي اقتسموا محالها ومنازلها بالقرعة. وهذا قيد اتفاقي، وإنما يتصوّر في جمع خاص ملكوها بالشركة المتساوية، وإلا فقد يكون الاقتسام بحسب أمر صاحب السفينة على مقتضى الإجارة وغيرها. وقال بعضهم: فيه

الحديث رقم ٥١٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٩٢. حديث رقم ٢٦٨٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٠٨ حديث رقم ٢١٧٣. وأحمد في المسند ٤/ ٢٧٣.

فصارَ بعضُهم في أسفلها، وصارَ بعضُهم في أعْلاها، فكانَ الذي في أسفلِها يمرُّ بالماءِ على الذينَ في أعلاها، فتأذَّوا به، فأخذَ فأساً، فجعل ينقرُ أسفلَ السفينة، فأتوهُ فقالوا: ما لكَ؟ قال: تأذَّيتُم بي ولا بُدَّ لي منَ الماءِ. فإنْ أخذوا على يديه أنجَوهُ ونَجَّوا أنفسَهم، وإنْ تركوه أهلَكُوه وأهلكوا أنفسَهم».

ندب القرعة إذا تشاجروا، أي تنازعوا على الجلوس في الأعلى والأسفل وذلك إذا نزلوا فيها جملة. أما إذا نزلوا متفرقين فمن سبق منهم إلى مكان فهو أحق به من غيره. قلت: وهذا لا يصح إلا إذا كانت السفينة موقوفة على الفقراء أو على الحجاج والغزاة، بخلاف ما إذا كانت مملوكة لأحد أو لجماعة على سبيل الاشتراك. **(فصار بعضهم في أسفلها)** أي من المنازل **(وصار بعضهم في أعلاها)** أي في المجلس **(فكان الذي)** أي ولو كان واحداً **(في أسفلها)** أي البعض الذي مستقر في أسفلها، فأفرد الموصول نظراً إلى لفظة البعض وإيماء إلى أنه ولو كان واحداً فالأمر كذلك، وإشعاراً بأن الصلحاء في الأمة كثيرون وأن الطلحاء قليلون مغلوبون مقهورون. أو إيماء إلى أن الصالح وإن كان واحداً فهو كثير كبير عال بعلو الدين، والفسقة وإن كانوا جماعة فهم في مرتبة القلة ومنزلة الذلة ومقام أسفل السافلين. **(يمر بالماء)** أي بسببه **(على الذين في أعلاها فتأذوا به)** أي فتأذى من بالأعلى بمروره عليهم. وحاصله أنه يجيء من أسفلها إلى أعلاها ليأخذ الماء ويذهب إلى موضعه، ففي ذهابه وإيابه وإمراره بالماء عليهم تأذوا به بحيث ظهر له أو أظهروا له بالقول الغليظ أو الفعل الشنيع، لا سيما إذا كان الماء كناية عن البول والغائط وإمراره لطرحه في البحر، فإنه حينئذ يوجد التأذي أكثر ووجه المضايقة والمخالفة أظهر، خصوصاً إذا كان أهل السفل فقراء على ما هو الغالب على مقتضى طالعهم ونازلهم في الحظ عن منازلهم. ثم الأظهر أنه صور محل الأوّلين أعلى لخلوهم بأنفسهم عن المعاصي وجعل مقابلهم أسفل لارتكابه المنهي. **(فأخذ فأساً)** بسكون الهمزة ويبدل ألفاً **(فجعل)** أي شرع **(ينقر)** بضم القاف أي يدق ويخرق ويقطع **(أسفل السفينة)** أي من ألواحها **(فأتوه)** أي فجاءه أهل العوالي **(فقالوا: ما لك)** أي أي شيء باعث لك على ذلك **(قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء)** أي من استعماله أو طرحه **(فإن أخذوا على يديه)** أي منعوه، يقال: أخذت على يد فلان إذا منعته عما يريد أن يفعله كأنك أمسكت يده، كذا في النهاية. **(أنجوه)** أي خلصوه **(ونجوا)** بالتشديد، أي وخلصوا **(أنفسهم)** أيضاً فخلصوا من الهلاك جميعاً. وفي الجمع بين اللغتين تفنن في العبارتين **(وإن تركوه)** أي على فعله **(أهلكوه وأهلكوا أنفسهم)** والمعنى أنه كذلك إن منع الناس الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب الله تعالى، وإن تركوه على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب وهلكوا بشؤمه وهذا معنى قوله تعالى: **﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾** [الأنفال: ٢٥]. أي بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم. والفرق بين المداهنة المنهية والمداراة المأمورة، أن المداهنة في الشريعة أن يرى منكراً ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو جانب غيره لخوف أو طمع أو لاستحياء منه أو قلة مبالاة في الدين، والمداراة موافقته بترك حظ نفسه وحق يتعلق بماله وعرضه فيسكت عنه دفعاً للشر ووقوع الضرر. ومنه قول الشاعر:

رواه البخاري.

٥١٣٩ . (٣) وعن أُسامةَ بن زيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجاءُ بالرجل يومَ القيامةِ، فيُلقى في النارِ، فتندَلقُ أقتابُه في النار. فيطحنُ فيها كطحنِ الحمارِ برحاه، فيجتمعُ أهل النارِ عليه فيقولونَ: أيْ فلانُ! ما شأنُكَ؟ أليسَ كنتَ تأمرُ بالمعروف وتنهانا عن المنكرِ؟ قال: كنتُ آمرُكم بالمعروف ولا آتِيهِ، وأنهاكم عن المنكرِ وآتِيهِ». متفق عليه.

---

* فدارهم ما دمت في دارهم *

وحاصل المعنى تحمل الأذى من الخلق رضاً بما قضى له الحق. ومجمله أن المداهنة إنما تكون في الباطل مع الأعداء، والمداراة في أمر حق مع الأحباء. قال الأشرف: شبه النبي ﷺ المداهن في حدود الله بالذي في أعلى السفينة وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في أسفلها، وشبه انهماكهم في تلك الحدود وعدم تركه إياها بنقره أسفل السفينة. وعبر عن نهي الناهي الواقع في تلك الحدود بالأخذ على يديه وبمنعه إياه عن النقر، وعبر عن فائدة ذلك المنع بنجاة الناهي والمنهي، وعبر عن عدم نهي النهاة بالترك، وعبر عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله بإهلاكهم إياه وأنفسهم. وكأن السفينة عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين؛ وإنما جمع فرقة النهاة إرشاداً إلى أن المسلمين لا بد وأن يتعاونوا على أمثال هذا النهي، أو إلى أن من يصدر عنه هذا النهي فهو كالجمع قال تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة**﴾ [النحل: ١٢٠]. وأفرد الواقع في حدود الله لأدائه إلى ضد الكمال. (**رواه البخاري**).

٥١٣٩ . (**وعن أسامة بن زيد**) صحابيان جليلان (**قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء**) أي يؤتى (**بالرجل**) أي المقصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق**) أي تخرج سريعاً (**أقتابه**) أي أمعاؤه (**فيطحن**) بصيغة الفاعل على الصحيح أي يدور (**فيها**) أي في أقتابه وأقصابه (**كطحن الحمار برحاه**) أي كدورانه حول رحاه. قال الطيبي رحمه الله: قوله: فيطحن فيها هو على بناء الفاعل، والضمير للرجل وفي فيها للأمعاء. وفي بعض نسخ المصابيح هو على بناء المفعول، وهو خطأ لما ورد في رواية أخرى: «فيدور كما يدور الحمار برحاه»[١]. قال المظهر: أي يدور ويتردد في أقتابه، يعني يدور حول أقتابه ويضربها برجله. ويمكن أن يكون المعنى: فيدور في النار وما حولها كما يدور الحمار برحاه أي في رحاه. (**فيجتمع أهل النار عليه**) أي من الفسقة (**فيقولون: أي فلان**) كناية عن اسمه ووصفه بالعلم أو المشيخة (**ما شأنك**) أي حالك الغريب ومآلك العجيب (**أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال: كنت آمركم**) بصيغة المتكلم (**بالمعروف ولا آتيه**) أي لا أفعله (**وأنهاكم عن المنكر وآتيه. متفق عليه**).

الحديث رقم ٥١٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣١. حديث رقم ٣٢٦٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٠ حديث رقم (٥١ . ٢٩٨٩) وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٥.

(١) وهي رواية مسلم.

الفصل الثاني

٥١٤٠ . (٤) عن حُذيفةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيدِه لتأمرُنَّ بالمعروف ولتَنهَوُنَّ عن المنكرِ أو ليُوشكَنَّ اللّهُ أن يبعث عليكم عذاباً منْ عندِه ثمَّ لتَدْعُنَّه ولا يُستجابُ لكم». رواه الترمذي.

٥١٤١ . (٥) وعن العُرسِ بن عمِيرَةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا عُمِلتِ الخطيئةُ في الأرضِ مَن شهِدَها فكرهَها كانَ كمن غابَ عنها، ومَن غابَ عنها فرضِيَها كان كمنْ شهدَها». رواه أبو داود.

(الفصل الثاني)

٥١٤٠ . **(عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن)** أي ليسرعن **(الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعنه)** أي لتسألنه **(ولا يستجاب لكم)** والمعنى والله إن أحد الأمرين واقع إمَّا الأمر والنهي منكم وإمَّا إنزال العذاب من ربكم، ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعه عنكم **(رواه الترمذي)** ورواه البزار والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ولفظه: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

٥١٤١ . **(وعن العرس)** بضم العين المهملة وسكون الراء وسين مهملة. **(ابن عميرة)** بفتح عين وكسر ميم وبراء، ولا يعرف في الرجال عميرة بالضم بل كله بالفتح كذا في المغني. وقال المؤلف في فصل الصحابة: هو كندي روى عنه عدي بن عدي ابن أخيه وغيره. **(عن النبي ﷺ قال: إذا عملت الخطيئة)** بصيغة المجهول، أي إذا فعلت السيئة. **(في الأرض)** أي على وجه الأرض جميعاً **(من شهدها)** جواب الشرط والفاء محذوفة كما في قوله تعالى: **﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾** [الأنعام . ١٢١]. ذكره الطيبي رحمه الله. وإنما حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي. ذكره القاضي رحمه الله. والمعنى من حضرها. **(فكرهها)** أي فأنكرها ولو بقلبه **(كان كمن غاب عنها)** أي ولم يعلم بها **(ومن غاب عنها)** أي وعلم بها **(فرضيها)** أي فرضي بها واستحسنها **(كان كمن شهدها)** أي ولم ينكرها **(رواه أبو داود)**، ولفظ الجامع مسنداً إليه: إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها الحديث.

الحديث رقم ٥١٤٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٠٦ حديث رقم ٢١٦٩. وابن ماجه ٢/ ١٣٢٧ حديث رقم ٤٠٠٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٨.

الحديث رقم ٥١٤١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٠٥ حديث رقم ٤٣٤٥.

٥١٤٢ - (٦) وعن أبي بكرِ الصديق رضي اللَّهُ عنه، قال: يا أيُّها الناسُ! إنكم تقرؤون هذهِ الآية: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضُرُّكم من ضلَّ إذا آهتديتم﴾. فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الناسَ إذا رأوْا منكراً فلم يُغَيّروه يوشِكُ أن يعمَّهم الله بعقابه».

٥١٤٢ - (وعن أبي بكر الصديق) رضي الله عنه (قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[1] أي الزموا حفظ أنفسكم عن المعاصي فإذا حفظتم أنفسكم لم يضركم إذا عجزتم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضِلال من ضل بارتكاب المناهي إذا اهتديتم إلى اجتنابها (فإني) قال الطيبي: الفاء فصيحة تدل على محذوف، كأنه قال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتجرون على عمومها وتمتنعون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس كذلك فإني (سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا منكراً فلم يغيروه) أي مع القدرة على إنكاره (يوشك أن يعمهم الله بعقابه) قال الطيبي رحمه الله: وإنما قلت ليس كذلك لأن الآية نزلت في أقوام أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فأبوا القبول كل الإِباء، فذهبت أنفس المؤمنين حسرة عليهم فقيل لهم: عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى، لا يضركم الضلال في دينكم إذا كنتم مهتدين. ويشهد لذلك ما قبل هذه الآية: وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول. وهذا تخصيص بحسب الأشخاص. وأما بحسب الزمان فيدل عليه الحديث الآتي لأبي ثعلبة، فإن العام قد يخص مرة أخرى. اهـ. ولا يخفى أنه غير صحيح المبنى وصريح المعنى من وجهين. أما أوّلاً فقوله: نزلت الآية في قوم أمروا بالمعروف فأبوا كل الإِباء، فلا يعرف له أصل أصلاً، بل ولا يتصوّر له وجود أبداً، لأن من المعلوم أنه لا يؤمر بالمعروف إلا المؤمنون ولا يمكن أنهم يأبون كل الإِباء، ولم يثبت أن قوماً ارتدوا بسبب هذا الأمر حتى يصح قوله: فذهبت أنفس المؤمنين حسرة عليهم الخ. وأما ثانياً فقوله: ويشهد لذلك ما قبل هذه الآية لا تعلق له بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقاً، بل المطلوب منهم أن يؤمنوا بما أنزل الله إلى الرسول ويتركوا تقليد آبائهم في ضلالتهم وإبائهم فأصروا على بطلانهم وقالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا. فقال تعالى: ﴿أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ [المائدة. ١٠٤]. نعم ورد ما يناسب بين اقتران الآيتين على ما أخرجه ابن أبي حاتم أنه إنما أنزلت هذه الآية لأن الرجل كان يسلم ويكفر أبوه ويسلم الرجل ويكفر أخوه، فلما دخل قلوبهم حلاوة الإِيمان دعوا آباءهم وإخوانهم فقالوا: ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ [المائدة. ١٠٤]. فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ [المائدة. ١٠٥] الآية. وهذا معنى قول البيضاوي: والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم. وفي تفسير

الحديث رقم ٥١٤٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥٠٩ حديث رقم ٤٣٣٨. والترمذي في السنن ٤/ ٤٠٦ حديث رقم ٢١٦٨. وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٧ حديث رقم ٤٠٠٥. وأحمد في المسند ١/ ٢.

(١) سورة المائدة. آية رقم ١٠٥.

رواه ابن ماجه، والترمذي وصححه. وفي رواية أبي داود: «إِذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقابٍ». وفي أخرى له: «ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدِرونَ على أن يُغَيّروا ثم لا يُغَيّرون إِلا يوشك أن يعمهم الله بعقابٍ». وفي أُخرى له: «ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممَّن يعمله».

المعين الصفوي: في هذه الآية رخصة في ترك الحسبة[1] إذا علم عدم قبولها أو فيها مفسدة أو إضرار له، منها اتفقت عليه كلمة السلف على ذلك والأحاديث تدل عليه. أو معنى إذا اهتديتم، إذا ائتمرتم بالمعروف وأمرتم به وانتهيتم عن المنكر ونهيتم عنه؛ كذا رواه ابن جرير عن سعيد بن المسيب. وروي عن غير واحد من السلف. فإن الاهتداء لا يحصل إلا بإتيان ما يجب عليه ومنه الأمر بالمعروف، أو المراد المنع عن إهلاك النفس أسفاً على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله تعالى: ﴿**فلا تذهب نفسك عليهم حسرات**﴾ [فاطر . ٨]. وقال النووي: وأما قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ الآية[2]. فليست مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ [الأنعام . ١٦٤، الإِسراء . ١٥، فاطر . ١٨، الزمر . ٧]. فإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف إذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه أدى ما عليه. (**رواه ابن ماجه والترمذي وصححه**).

(**وفي رواية أبي داود: إذا رأوا**) أي الناس (**الظالم**) أي الفاسق (**فلم يأخذوا على يديه**) أي لم يمنعوه عن ظلمه (**أوشك أن يعمهم الله بعقاب**) أي بنوع من العذاب فإنه أشد الحجاب (**وفي أخرى له:**) أي لأبي داود (**ما من قوم يعمل فيهم**) بصيغة المجهول والجار والمجرور وهو النائب، أو التقدير يعمل أحد فيما بينهم. (**بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب**).

(**وفي أخرى له: ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أكثر ممن يعمله**) هم صفة قوم، أي إذا كان الذين لا يعملون المعاصي أكثر من الذين يعملونها فلم يمنعوهم عنها عمهم العذاب. قال الطيبي رحمه الله: يزاد بعده ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب. وهم صفة قوم. وإلا يوشك خبر ما. قلت: هذه التقادير مستفادة مما قبله، وإنما أراد المصنف اختلاف الرواية في صدر الحديث. وقال البغوي رحمه الله: وفي رواية: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعن الله خياركم فلا يستجاب لهم. قال أبو عبيد: خاف الصديق أن يتأول الناس الآية غير تأولها فيدعوهم إلى ترك الأمر بالمعروف، فأعلمهم أنها ليست كذلك وأن الذي أذن في الإِمساك عن تغييره من المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون [من أجل] أنهم يتدينون[3] به وقد

---

(١) في المخطوطة «المسنة».

(٢) أي قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم**﴾.

(٣) في المخطوطة «يتزينون».

٥١٤٣ - (٧) وعن جَرِير بن عبد الله، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يُعملُ فيهم بالمعاصي، يَقدرونَ على أن يُغَيّروا عليه ولا يغيّرون، إلا أصابَهم اللّهُ منه بعقابٍ قبلَ أن يموتوا». رواه أبو داود، وابن ماجه.

صولحوا عليه. فأما الفسوق والعصيان والريب من أهل الإسلام فلا يدخل فيه. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: الآية في اليهود والنصارى، يعني: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من أهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم. وعن ابن مسعود قال في هذه الآية: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم، فإن رد عليكم فعليكم أنفسكم. ثم قال: إن القرآن نزل منه، أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه أي وقع تأويلهن على عهد رسول الله ﷺ، ومنه أي وقع تأويلهن بعد رسول الله ﷺ بيسير، ومنه أي ويقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه أي يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض فامروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية. اهـ. وهو مطابق لما في حديث أبي ثعلبة الآتي.

٥١٤٣ - **(وعن جرير بن عبد الله)** أي البجلي **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من رجل يكون في قوم يعمل)** بفتح الياء صفة ثانية لرجل أو حال منه وسوّغه وصفه، أي يفعل **(فيهم بالمعاصي)** أي بهذا الجنس من العمل **(يقدرون)** أي القوم **(على أن يغيروا عليه)** أي على الرجل باليد أو اللسان. فإنه لا مانع من إنكار الجنان. **(ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه)** أي من عنده تعالى **(بعقاب قبل أن يموتوا)** قال الطيبي رحمه الله: الضمير المجرور إما عائد إلى الرجل أو إلى عدم التغيير، وتكون من ابتدائية. أي بسبب شؤمه وأن يعود إلى الله تعالى، أي عذاباً من عنده وهذا أبلغ كقوله تعالى: **﴿إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمٰن﴾** [مريم . ٤٥]. **(رواه أبو داود وابن ماجه)** وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد عن جرير البجلي ولفظه: سمعت النبي ﷺ يقول: ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصي هم أمنع منه وأعز ثم لا يغيرون عليه إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب[١]. قال الطيبي رحمه الله: وهذا الحديث مخالف للحديث الذي في المصابيح بحسب اللفظ وكان موضعه الفصل الثالث، إلا أنه ذكره هنا تنبيهاً على أن المؤلف ما وجد في الأصول كما في المصابيح. قلت: هذا التنبيه موجه نبيه متضمن للاعتراض الفعلي. وأما كون موضعه الفصل الثالث فليس في موضعه.

الحديث رقم ٥١٤٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٠ حديث رقم ٤٣٣٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٨ حديث رقم ٤٠٠٩. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٤.

(١) عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٤٨ حديث رقم ٢٠٧٢٣.

٥١٤٤ ـ (٨) وعن أبي ثعلبةَ في قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتدَيتُم﴾. فقال: أَما والله لقدْ سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمِروا بالمعروفِ، وتَناهَوا عن المنكر، حتى إذا رأيتَ شُحّاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، ودنياً مُؤثَرةً، وإِعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه،

٥١٤٤ ـ **(وعن أبي ثعلبة)** أي ابن جرهم بن ثابت الخشني بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان وأرسله إلى قومه فأسلموا. ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وخمسين. **(في قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم﴾)** قال البيضاوي رحمه الله: أي احفظوها والزموا إصلاحها. والجار مع المجرور جعل اسماً لألزموا ولذلك نصب أنفسكم. وقرىء بالرفع على الابتداء. **(﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾)**[1] أي لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين. ومن الاهتداء أن ينكر المنكر حسب طاقته على ما سبق من الحديث. ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنف، ويؤيده أن قرىء: لا يضركم، بالجزم على الجواب أي للأمر أو على النهي لكنه ضمت الراء اتباعاً لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة. ويؤيده قراءة من قرأ: لا يضركم، بالفتح، ولا يضركم بكسر الضاد وضمها، أي مع سكون الراء من ضاره يضيره ويضوره. قال الطيبي رحمه الله: يقول الراوي: سئل أبو ثعلبة في شأن قوله تعالى: **﴿عليكم أنفسكم﴾ (فقال:)** أي أبو ثعلبة **(إما)** بتخفيف الميم للتنبيه **(والله لقد سألت عنها)** أي عن الآية **(رسول الله ﷺ فقال: بل ائتمروا)** أي امتثلوا **(بالمعروف)** أي ومنه الأمر به **(وتناهوا)** أي انتهوا واجتنبوا **(المنكر)** ومنه الامتناع عن نهيه. أو الائتمار بمعنى التآمر كالاختصام بمعنى التخاصم. ويؤيده التناهي. والمعنى: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف وتنه طائفة منكم طائفة عن المنكر. وقال الطيبي رحمه الله: قوله: بل ائتمروا، إضراب عن مقدر أي سألت عنها رسول الله ﷺ وقلت: أما نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء على ظاهر الآية. فقال عليه الصلاة والسلام: لا تتركوا بل ائتمروا بالمعروف الخ. اهـ. والمعنى: كونوا قائمين بهما على وجه كمالهما. **(حتى إذا رأيت)** أي أيها المخاطب، خطاباً عاماً ونكتة الأفراد انفراد المستقيم واجتماع العامة على العدول عن الطريق القويم. والمعنى: إذا عملت الغالب على الناس. **(شحاً مطاعاً)** أو إذا عرفت شحاً، أي بخلاً مطاعاً بأن أطاعته نفسك وطاوعه غيرك. **(وهوى متبعاً)** بصيغة المفعول أي وهوى للنفس متبوعاً وطريق الهدى مدفوعاً. وحاصله أن كلاً يتبع هواه وما تأمره نفسه الأمارة وما تتمناه. **(ودنيا)** بالقصر وفي نسخة بالتنوين، وهي عبارة عن المال والجاه في الدار الدنيا **(مؤثرة)** أي مختارة على أمور الدين ودرجات الآخرة **(وإعجاب كل ذي رأي برأيه)** أي من غير نظر إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة والقياس على أقوى الأدلة وترك الاقتداء بنحو الأئمة الأربعة، والإِعجاب بكسر الهمزة، وهو وجدان الشيء حسناً ورؤيته مستحسناً بحيث يصير صاحبه به

الحديث رقم ٥١٤٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٢ حديث رقم ٤٣٤١. والترمذي في السنن ٥/ ٢٤٠ حديث رقم ٣٠٥٨. وابن ماجه ٢/ ١٣٣١ حديث رقم ٤٠١٥.

(١) سورة المائدة. آية رقم ١٠٥.

ورأيتَ أمراً لا بدَّ لك منه؛ فعليك نفسَكَ، ودعْ أمرَ العوامِّ، فإنَّ وراءكم أيامَ الصَّبرِ، فمن صبرَ فيهنَّ قَبضَ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ أجرُ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثلَ عملِه». قالوا: يا رسولَ الله! أجرُ خمسينَ منهم؟ قال: «أجرُ خمسينَ منكم». رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

معجباً، وعن قبول كلام الغير مجتنباً وإن كان قبيحاً في نفس الأمر. **(ورأيت أمراً لا بد لك منه)** بضم الموحدة وتشديد المهملة في جميع النسخ المصححة والأصول المعتمدة. وقال الطيبي رحمه الله: يحتمل أن يكون بالباء الموحدة بمعنى لا فراق لك منه. والمعنى: رأيت أمراً يميل إليه هواك ونفسك من الصفات الذميمة حتى إذا قمت بين الناس لا محالة أن تقع فيها **(فعليك نفسك)** واعتزل عن الناس حذراً من الوقوع. وأن يكون بالياء المثناة كما في بعض نسخ المصابيح. والمعنى: فإن رأيت أمراً لا طاقة لك من دفعه فعليك نفسك. اهـ. ونفسك منصوب، وقيل مرفوع. أي فالواجب أو فيجب عليكم حفظها من المعاصي، لكن يؤيد الأول وهو أن يكون للإغراء بمعنى الزم خاصة نفسك قوله: **(ودع أمر العوام)** أي واترك أمر عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص. وحاصله أنه إذا رأيت بعض الناس يعملون المعاصي ولا بد لك من السكوت لعجزك فاحفظ نفسك عن المعاصي واترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واشتغل بنفسك ودع أمر الناس إلى الله، فإنه تعالى: **﴿لا يكلف نفساً إلا وسعها﴾**. **(فإن وراءكم)** أي قدامكم من [الأزمان الآتية، أو خلفكم من الأمور الهاوية][1]. **(أيام الصبر)** أي أياماً لا طريق لكم فيها إلا الصبر أو أياماً يحمد فيها الصبر، وهو الحبس على خلاف النفس من اختيار العزلة وترك الخلطة والجلوة. **(فمن صبر فيهن)** أي في تلك الأيام **(قبض على الجمر)** يعني يلحقه المشقة بالصبر كمشقة الصابر على قبض الجمر بيده. وقد أشار إليه الشاطبي بقوله:

وهذا زمان الصبر من لك بالتي * كقبض على جمر فتنجو من البلاء

(للعامل فيهن) أي الكامل ولو لم يكن مكملاً لغيره **(أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله)** أي في غير زمانه **(قالوا: يا رسول الله أجر خمسين)** بتقدير الاستفهام **(منهم)** فيه تأويلان: أحدهما أن يكون أجر كل واحد منهم على تقدير أنه غير مبتلى ولم يضاعف أجره. وثانيهما أن يراد أجر خمسين منهم أجمعين لم يبتلوا ببلائه. **(قال: أجر خمسين منكم. رواه الترمذي وابن ماجه)** وقد صححه الترمذي ورواه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه. والبيهقي [في الشعب] عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية، قال: أي آية، قلت: قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾** [المائدة. ١٠٥]. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً. سألت عنها رسول الله ﷺ الحديث إلى أن قال: فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. وقد ذكر البغوي في تفسيره بإسناده إلى ابن المبارك عن عتبة بن أبي حكيم كما

---

(١) في المخطوطة بدل ما بين المعكوفتين «الزمان».

٥١٤٥ - (٩) وعن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ خطيباً بعد العصرِ، فلم يدعْ شيئاً يكونُ إلى قيامِ السَّاعةِ إلاَّ ذكرَه، حفِظه مَن حفِظه، ونسيَه مَن نسيَه، وكانَ فيما قال: «إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُستخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيفَ تعملونَ، ألاَ فاتقوا الدنيا واتقوا النساءَ» وذكرَ: «إنَّ لكلِّ غادِرٍ لواءً يومَ القيامة بقدرِ غَدرتِه في الدنيا،

في أصل المشكاة إلى قوله: مثل عمله، ثم قال: وزاد في غيره قال: يا رسول الله [أجر خمسين منهم]. قال: أجر خمسين منكم.

٥١٤٥ - **(وعن أبي سعيد الخدري قال: قام فينا)** أي فيما بيننا أو في حقنا أو لأجلنا **(رسول الله ﷺ خطيباً)** أي واعظاً لقوله: **(بعد العصر فلم يدع)** أي لم يترك **(شيئاً)** أي مما يتعلق بأمر الدين مما لا بد منه **(يكون)** أي يقع ذلك الشيء **(إلى قيام الساعة)** أي ساعة القيامة **(إلا ذكره)** أي عينه وبينه **(حفظه من حفظه)** أي ممن وفقه الله وحفظه **(ونسيه من نسيه)** أي ممن أنساه الله وترك نصره **(وكان فيما قال:)** أي من خطبته وموعظته **(إن الدنيا)** وفي الجامع: أما بعد فإن الدنيا **(حُلوة)** بضم أوّله أي لذيذة حسنة **(خضرة)** بفتح فكسر أي ناعمة طرية. وفي الجامع تقديم خضرة. وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً، أو لشبهها بالخضراوات في ظهور كمالها وسرعة زوالها. وفيه بيان أنها غدارة مكارة سجارة تفتن الناس بلونها وطعمها. وتوضيحه أن الدنيا طيبة مليحة في عيون أربابها وقلوب أصحابها لا يشبعون من جمع المال ولا من سعة الجاه وكثرة الإقبال وطول الآمال. وفيه إيذان بشدة انجذاب النفوس إليها لأن كلاً من هذين الوصفين تميل إليه النفوس الناقصة، فإن[1] اجتمعا كانت إليها أميل وعليها أقبل. **(وإن الله مستخلفكم فيها)** أي جاعلكم خلفاء في الدنيا. ومعناه أن أموالكم ليست في الحقيقة لكم وإنما هي لله جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء، أو جاعلكم خلفاء فيمن كان قبلكم وأعطى ما كان في أيديهم إياكم. **(فناظر كيف تعملون)** أي تعتبرون بحالهم وتتفكرون في مآلهم وتتصرفون في دنياكم وتراعون في دينكم لعقباكم. وحاصله أنه يتعلق به العلم التنجيزي على طبق العلم الأزلي التقديري. **(ألا)** للتنبيه **(فاتقوا الدنيا)** أي احذروا زيادتها على قدر الحاجة المعينة للدين النافعة في الأخرى. **(واتقوا النساء)** أي مكرهن وغدرهن وحبهن البالغ الباعث على جمع المال المانع من تحصيل العلم والعمل من أسباب الكمال. وفي الجامع زيادة: فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء. **(وذكر)** أي النبي ﷺ في جملة ما ذكر **(أن)** بفتح الهمزة وتكسر **(لكل غادر)** من الغدر، وهو ترك الوفاء. **(لواء)** بكسر اللام، أي علما إعلاماً بسوء حاله وقبح مآله. **(يوم القيامة)** أي يوم الفضيحة **(بقدر غدرته)** مصدر بمعنى الغدر. ولعل وجه الإتيان بصيغة المرة أن يجازى بغدره في العقبى ولو كان مرة. **(في الدنيا)** ولا شك أن الغدر فيها له مراتب مختلفة، فلهذا قال:

الحديث رقم ٥١٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤١٩ حديث رقم ٢١٩١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٥ حديث رقم ٤٠٠٠. وأحمد في المسند ٣/ ٦١.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ٣٢٩ حديث رقم ٤٠١١.

ولا غدْرَ أكبرُ من غدْرِ أميرِ العامَّةِ، يُغرَزُ لواؤه عندَ آستِه». قال: «ولا يمنعنَّ أحداً منكم هيبةُ الناسِ أنْ يقولَ بحقٍ إذا علمَه» وفي رواية: «إن رأى مُنكراً أنْ يُغيِّرَه» فبكى أبو سعيدٍ وقال: قدْ رأيناهُ فمنعتْنا هيبةُ النَّاسِ أنْ نتكلمَ فيهِ. ثمَّ قال: «ألاَ إنَّ بني آدمَ

(ولا غدر أكبر من غدر أمير العامة) قال التوربشتي رحمه الله: أراد به المتغلب الذي يستولي على أمور المسلمين وبلادهم بتأمير العامة ومعاضدتهم إياه من غير مؤامرة من الخاصة وأهل العقد من أولي العلم، ومن ينضم إليهم من ذوي السابقة ووجوه الناس. وقوله: **(يغرز لواؤه عند استه)** من شأن الأمراء أن يكون لواؤهم خلفهم ليعرفوا به. فيوم القيامة يكون لكل من دعا إلى حق أو باطل لواء يعرف به. وذكر عند استه استهانة وتنبيهاً على أنه يلصق به ويدنى منه دنوّاً لا يكون معه اشتباه. اهـ. فقوله: يغرز، بصيغة المجهول، أي ينصب لواؤه عند استه تحقيراً له. وهو بهمزة الوصل، مكسورة العجز أو حلقة الدبر. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(ولا يمنعن)** بالتذكير ويؤنث **(أحداً منكم هيبة الناس)** أي عظمتهم وشوكتهم ومخالفتهم ومهابتهم **(أن يقول بحق)** أي من أن يتكلم به أو يأمر به **(إذا علمه)** وفي النهاية: يجعل العربي القول عبارة عن جميع الأفعال ويطلقه على غير الكلام فيقول: قال بيده، أي أخذ، وقال برجله أي مشى **(وفي رواية:)** أي بدلاً من قوله: أن يقول بحق **(إن رأى منكراً)** بأن الشرطية **(أن يغيره)** مفعول لا يمنعن، أي من تغيير المنكر **(فبكى أبو سعيد وقال: قد رأيناه)** أي المنكر **(فمنعتنا هيبة الناس أن نتكلم فيه)** أي عملاً بما في بعض الأحاديث من رخصة السكوت عند المخافة على نفسه أو عرضه أو ماله عند العجز وضعف زمن الإيمان. وأما العزيمة فأن لا يبالي بشيء مما ذكر، ولذا ورد: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». على ما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد وجماعة عن أبي أمامة وغيره. وقد قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ [البقرة . ٢٠٧]. أي يبيعها ببذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل طلباً لرضاه لا لغرض سواه. فإن[١] أكابر الصحابة في الصدر الأول عجزوا مع كمال قوّتهم في الدين واليقين والمعرفة ولم يقدروا على إظهار الحق لأهل البطلان كيزيد والحجاج وأمثالهما من الظلمة والفسقة، فكيف حالنا اليوم والحال أن بعد الألف أيام تقهقر الإسلام وتسلط السلاطين على جميع الأنام من غير تحققهم بشروط الإمامة والخلافة وقلة العلماء العاملين وكثرة الفضلاء الجاهلين والقضاة الظالمين والمشايخ المرائين فإنا لله وإنا إليه راجعون. فهذا لا شك أنه زمان الصبر المقرون بالشكر المنضم إلى الرضا بالقضاء المتعين فيه السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت إلى أن يموت. **(ثم قال:)** أي النبي ﷺ **(ألا)** للتنبيه **(إن بني آدم)** خصوا بالذكر لأن الملائكة خُلِقُوا للخير فقط، والشياطين خلِقوا للشر فقط. فالأوّلون مظاهر الجمال والآخرون مظاهر الجلال وبنو آدم خلقوا على وصف[٢] الكمالِ. ولعل هذا معنى قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»[٣]، أي على صفة الكمال الجامعة

---

(١) في المخطوطة «كان». (٢) في المخطوطة «وجه».

(٣) من حديث متفق عليه. راجع الحديث رقم (٤٦٢٨).

خُلقوا على طبَقاتٍ شَتَّى، فمنهم مَن يولَدُ مؤمناً، ويحيى مؤمناً، ويموت مؤمناً؛ ومنهم مَن يولدُ كافِراً، ويحيى كافِراً، ويموتُ كافراً؛ ومنهم مَن يولدُ مؤمناً، ويحيى مؤمناً، ويموتُ كافراً؛ ومنهم مَن يولدُ كافِراً، ويحيى كافراً، ويموتُ مؤمناً» قال: وذكر الغضبَ «فمنهم مَن يكون سريعَ الغضبِ

لنعوت الجلال والجمال. ولما خلق فيهم هذه القابلية الكاملة قدروا على حمل الأمانة الشاملة التي عرضت على السمٰوات والأرض والجبال، أي على أهلها من العلويات والسفليات، فأبين أن يحملنها أي امتنعن لعدم استعدادهن وأشفقن منها لعدم استطاعتهن، وحملها الإنسان. [فالإنسان] معجون مركب من النعوت الملكية الموجبة لعناية الجمال الرباني، والصفات الشيطانية المقتضية لغضب الجلال الصمداني. فإن مال السالك إلى الملك صار خيراً منه، وإن مال إلى الشيطان صار شراً منه. وهم مع هذا الوصف الإجمالي والنعت الإكمالي كما قال ﷺ **(خلقوا)** أي جبلوا على ما خلق الله فيهم من اختيار الخير والشر **(على طبقات شتى)** أي مراتب مختلفة باعتبار اختلاف أحوال الإيمان والكفر وأوقاتهما. **(فمنهم من يولد مؤمناً)** أي من أبويه المؤمنين أو في بلاد المؤمنين. فإنه حين يولد قبل التمييز لا ينسب إليه الإيمان إلا باعتبار ما علم الله فيه من الأزل أو باعتبار ما يؤول إليه أمره في الاستقبال. **(ويحيا)** أي يعيش في جميع عمره من حين تمييزه إلى انتهاء عمره **(مؤمناً)** أي كاملاً أو ناقصاً **(ويموت مؤمناً)** أي كذلك جعلنا الله منهم **(ومنهم من يولد كافراً)** أي بخلاف ما سبق. وهو لا ينافي [ما ورد: «كل مولود يولد على الفطرة»[١]. فإن المراد بها قابلية قبول الهداية لولا مانع من بواعث الضلالة، كما يشهد له] قوله: فأبواه يهودانه الحديث. **(ويحيا كافراً ويموت كافراً)** نعوذ بالله من ذلك **(ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً)** [نسأل الله العافية من خاتمة الهاوية **(ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً)**] فالعبرة بالخواتيم اللاحقة المطابقة للكتابة السابقة من السعادة الكاملة والشقاوة الشاملة. وكأن التقسيم[٢] غالبي، وإلا فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً. ولعل عدم ذكرهما لأن المقصود منه أن العبرة بالخاتمة وقد علمت مما ذكر إجمالاً. **(قال:)** أي أبو سعيد **(وذكر)** أي النبي ﷺ **(الغضب)** وهو فرد من أنواع الأخلاق إشارة إلى أنها أيضاً كالإيمان مجبولة مجعولة في أفراد الإنسان وأن أصحابه على طبقات شتى. ويقاس عليه سائر الشمائل المرضية[٣] والأخلاق الدنية **(فمنهم)** أي من بني آدم مع أنهم كلهم من نسل نبي الله وصفيه. ولكنه لما كانت طينته معجونة بوصف: خلقته[٤] بيدي. اقتضت هذه القضية المختلفة التي وقعت له أولاً من الصعود والهبوط والاجتباء آخراً أن يكون على طبقها طبقات أولاده من الإيمان والكفر على ما سبق ومن الأخلاق الناشئة عنهما بقوله: فمنهم: **(من يكون سريع الغضب)** أي بمقتضى

---

(١) البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٥.

(٢) في المخطوطة «القلم».

(٣) في المخطوطة «الرضية».

(٤) في المخطوطة «خلقته».

سريعَ الفيْءِ فإحداهُما بالأخرى؛ ومنهم مَن يكونُ بطيءَ الغضب بطيءَ الفيءِ فإحداهُما بالأخرى، وخيارُكم مَن يكونُ بطيءَ الغضبِ سريعَ الفيءِ، وشرارُكم مَن يكونُ سريعَ الغضبِ بطيءَ الفيءِ». قال: «اتقوا الغضبَ؛ فإنَّه جمرةٌ على قلبِ ابن آدم، ألاَ ترَونَ إلى انتِفاخِ أوْداجِهِ؟ وحُمرةِ عينَيه؟ فمنْ أحسَّ بشيءٍ منْ ذلكَ فليَضْطجعْ ولْيتلَبَّدْ بالأرض» قال: وذكرَ الدَّينَ فقال: «منكم مَن يكونُ حسَن القضاءِ،

الخلق النفساني (**سريع الفيء**) أي الرجوع من الغضب (**فإحداهما بالأخرى**) أي إحدى الخصلتين مقابلة بالأخرى، ولا يستحق المدح والذم فأعلهما لاستواء الحالتين فيه [بمقتضى العقل]، فلا يقال في حقه أنه خير الناس ولا شرهم. (**ومنهم من يكون بطيء الغضب**) فعيل من الإبطاء مهموز، وقد يدل ويدغم. وهو ضد السريع (**بطيء الفيء فإحداهما بالأخرى**) كما سبق بيانه في الأولى (**وخياركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء وشراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء**) والتقسيم [بمقتضى] العقل رباعي لا خامس له. وفيه إشارة إلى أن الإنسان خلق فيه جميع الأخلاق المرضية والدنية وأن كماله أن تغلب له الصفات الحميدة على الذميمة، لا أنها تكون معدومة فيه بالكلية. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. حيث لم يقل: والعادمين. إذ أصل الخلق لا يتغير ولا يتبدل ولذا ورد: ولو سمعتم أن جبلاً زال عن مكانه فصدقوه وإن سمعتم أن رجلاً تغير عن خلقه أي الأصلي فلا تصدقوه. ومما يدل على جواز تبديل الأخلاق في الجملة دعاؤه ﷺ: «اللهم اهدني لصالح [الأخلاق] لا يهدي لصالحها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»(١). (**قال:**) أي النبي عليه الصلاة والسلام في إعادة قال إشارة إلى أنه لم يحفظ الحديث بكماله لطوله. (**اتقوا الغضب**) أي ما يؤدي إليه من السبب أو بالتعوذ منه إلى الرب (**فإنه جمرة**) أي حرارة غريزية وحدة جبلية مشعلة جمرة نار مكمونة في كانون النفس (**على قلب ابن آدم**) أي متعالية عليه عند غلبته بحيث لا تخلي للقلب والعقل معها مجال تصرف وتعقل (**ألا ترون**) أي ألا تنظرون (**إلى انتفاخ أوداجه**) أي عروق حلق الغضبان (**وحمرة عينيه**) كما يوجد مثل هذا عند حرارة الطبيعة في أثر الحمى، فإن الظاهر عنوان الباطن، وكل إناء يترشح بما فيه. (**فمن أحس بشيء من ذلك**) أي أدرك ظهور أثر منه، أو من علم في باطنه شيئاً منه. (**فليضطجع**) أي تواضعاً لله وإظهاراً لعجزة عنه (**وليتلبد بالأرض**) أي ليلتصق ويلتزق بها حال اضطجاعه، أو يزيد عليه بالتمرغ في ترابها حتى يسكن غضبه. وإنما أمر به لما فيه من الضعة عن الاستعلاء وتذكار أن من كان أصله من التراب لا يستحق أن يتكبر ويتجبر على الأصحاب، وأن الأنانية الناشئة عن غلبة العنصر النارية من صفة الشيطان وما يترتب عليها من الإفساد، وأن الإنسان خلق من تراب يقتضي التواضع والتحمل وسائر ما يقتضي صلاح العباد والمعاد (**قال:**) أي أبو سعيد (**وذكر**) أي النبي ﷺ (**الدين**) أي أنواع قضائه (**فقال: منكم من يكون حسن القضاء**) أي

---

(١) البزار.

وإذا كانَ له أفحشَ في الطلبِ، فإحداهُما بالأخرى؛ ومنهم مَن يكونُ سَيِّىءَ القضاءِ، وإنْ كانَ له أجملَ في الطلبِ، فإحداهُما بالأخرى. وخِيارُكم مَن إذا كانَ عليه الدَّينُ أحسَنَ القضاءَ، وإن كانَ له أجملَ في الطلبِ؛ وشرارُكم مَن إذا كان عليهِ الدَّينُ أساءَ القضاء وإنْ كانَ له أفحشَ في الطلبِ». حتى إذا كانتِ الشَّمسُ على رؤوسِ النَّخلِ وأطرافِ الحيطانِ فقال: «أما إنَّه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلاَّ كما بقيَ من يومِكم هذا فيما مضى منه». رواه الترمذي.

٥١٤٦. (١٠) وعن أبي البختري، عن رجلٍ منْ أصحاب رسولِ الله ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لنْ يَهلكَ النَّاسُ

مستحسن الأداء إذا كان عليه الدين **(وإذا كان)** أي الدين **(له)** أي على أحد **(أفحش في الطلب)** بأن لم يراع الأدب وآذى في تقاضيه وعسر على صاحبه في الطالب **(فإحداهما بالأخرى)** أي فالخصلتان متعارضتان متساقطتان متساويتان **(ومنهم من يكون سيىء القضاء وإن كان له)** أي الدين **(أجمل)** أي أسهل وأيسر **(في الطلب)** أي في طلب دينه **(فإحداهما بالأخرى)** إذ لا خير في اجتماعها **(وخياركم من إذا كان عليه الدين أحسن القضاء وإن كان له)** أي الدين **(أجمل في الطلب، وشراركم من إذا كان عليه الدين أساء القضاء وإن كان له)** أي الدين **(أفحش في الطلب)** فالتقسيم عقلي رباعي **(حتى إذا كانت الشمس)** قال الطيبي رحمه الله: غاية قوله: قام فينا خطيباً، أي قام فلم يدع شيئاً إلا ذكره حتى إذا كانت الشمس، أي وقعت **(على رؤوس النخيل وأطراف الحيطان)** جمع حائط بمعنى الجدار. ثم قوله: إذاً، للمستقبل وكانت ماضٍ. وفائدته استحضار الحال الماضية في مشاهدة السامع كقوله تعالى: ﴿**وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض**﴾ [آل عمران: ١٥٦]. الكشاف هو على حكاية الحال الماضية كقوله: حين يضربون في الأرض. **(فقال: أما)** للتنبيه **(إنه)** أي الشأن **(لم يبق من الدنيا فيما مضى منها)** أي في جملة ما مضى منها. وفي حديث: ما سبق منها. **(إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه)** يعني نسبة ما بقي من أيام الدنيا إلى جملة ما مضى، كنسبة ما بقي من يومكم هذا إلى ما مضى منه. وقوله: إلا كما بقي، مستثنى من فاعل لم يبق، أي لم يبق شيء من الدنيا إلا مثل ما بقي من يومكم هذا. **(رواه الترمذي)** وفي الجامع رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد، لكن مع نوع تغيير وزيادة يسير(١).

٥١٤٦ ـ **(وعن أبي البختري)** بفتح موحدة وسكون معجمة فمثناة فوقية مفتوحة فراء فتحتية مشددة. اسمه سعيد بن فيروز(٢)، ذكره المؤلف في التابعين وقال: حديثه في رؤية الهلال. **(عن رجل من أصحاب النبي ﷺ)** وكلهم عدول فلا تضر جهالته ولا توهم إرساله **(قال: قال رسول الله ﷺ: لن يهلك)** بفتح ثم كسر، أي لن يفسد ولن يتلف. **(الناس)** أي

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠١ حديث رقم ١٦١٠.

الحديث رقم ٥١٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٥ حديث رقم ٤٣٤٧. وأحمد في المسند ٤/ ٢١٠.

(٢) في الخطوطة «فيرد».

حتى يُعذِروا من أنفسِهم» رواه أبو داود.

٥١٤٧ ـ (١١) وعن عديِّ بنِ عديِّ الكنديِّ، قال: حدَّثنا مولىً لنا أنَّه سمعَ جدِّي [رضي الله عنه]، يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللَّهَ تعالى لا يعذِّبُ العامَّةَ بعملِ الخاصَّةِ حتى يروا المنكرَ بينَ ظَهرانَيهم وهُم قادرونَ على أنْ ينكِروه فلا ينكِروا؛ فإذا فعَلوا ذلكَ عذَّبَ اللَّهُ العامَّةَ والخاصَّةَ». رواه في «شرح السنَّة».

دينهم وكمالهم. أو معناه: لن يعذبوا في الدنيا **(حتى يعذروا)** بضم الياء وكسر الذال ويفتح. وفي نسخة بالفتح والكسر **(من أنفسهم)** قال القاضي رحمه الله: قيل: إنه من أعذر فلان إذا كثر ذنبه، فكأنه سلب عذره بكثرة اقتراف الذنوب، أو من أعذر غيره إذا جعله معذوراً، فكأنهم أعذروا من يعاقبهم بكثرة ذنوبهم. أو من أعذر، أي صار ذا عذر. والمعنى: حتى يذنبون فيعذرون أنفسهم بتأويلات زائغة وأعذار فاسدة من قبلها. ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً. قال الطيبي رحمه الله: الوجه الثالث أنسب بباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأن الناهي ينكر عليه ذنبه وهو يتبرأ من الذنب ويعذر لنفسه ولإقدامه عليه. وقال ابن الملك رحمه الله: هو من أعذر الرجل إذا صار ذا ذنب كثير، أي حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبوا العقوبة ويقيموا لمن عاقبهم العذر في ذلك. ومن للتبيين، أي تكثر ذنوب أنفسهم لا ذنوب غيرهم. ويروى ببناء المجهول من أعذره إذا سلب عذره، أي حتى يجعلهم الله بحيث لا يقدرون على العذر بأن يبعث إليهم الرسل حتى يبينوا لهم الرشاد من الضلال والحلال من الحرام والحق من الباطل. ويروى بفتح الياء، أي حتى يعذروا أنفسهم بتأويلات زائغة وأعذار باطلة. **(رواه أبو داود)** وكذا الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن.

٥١٤٧ ـ **(وعن عدي بن عدي الكندي)** بكسر الكاف، تابعي. روى عن أبيه وعن جابر ابن حيوة، وعنه عيسى بن عاصم وغيره. ذكره المؤلف ولم يذكر أباه. **(قال: حدثنا مولى)** أي معتوق **(لنا أنه سمع جدي)** وهو عميرة الكندي الحضرمي، بفتح العين وكسر الميم. سكن الكوفة ثم انتقل إلى الجزيرة وسكنها ومات بها. روى عنه قيس بن أبي حاتم وغيره **(يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى لا يعذب العامة)** أي الأكثر من الناس **(بعمل الخاصة)** أي بعصيان الأقل منهم **(حتى يروا)** أي الأكثرون **(المنكر بين ظهرانيهم)** أي فيما بينهم ظاهراً فاشياً **(وهم قادرون على أن ينكروه)** جملة حالية معترضة احترازاً عن حال عجز الأكثر أيضاً كما في زماننا. **(فلا ينكروا)** عطف على قوله: يروا المنكر **(فإذا فعلوا ذلك)** أي ما ذكر من سكوتهم عن المنكر مع قدرة الأكثر **(عذب الله العامة والخاصة)** كما قال تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾ [الأنفال. ٢٥]. **(رواه في شرح السنة)**.

الحديث رقم ٥١٤٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٤٦. حديث رقم ٤١٥٥. ومسالك في الموطأ ٢/ ٩٩١ حديث رقم ٢٣. من باب ما جاء في عذاب العامة بعمل الخاصة. وأحمد في المسند ٤/ ١٩٢.

٥١٤٨ ـ (١٢) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيلَ في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضربَ اللَّهُ قلوبَ بعضهم ببعض، فلعنهم على لسانِ داود وعيسى ابن مريمَ ذلكَ بما عصَوْا وكانوا يعتَدونَ». قال: فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكانَ متكئاً فقال: «لا والذي نفْسي بيده حتى تأطِرُوهم أطْراً».

٥١٤٨ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي**) أي من الزنا وصيد يوم السبت وغيرهما (**نهتهم علماؤهم**) أي أوّلاً (**فلم ينتهوا**) أي فلم يقبلوا النهي ولم يتركوا المنهي (**فجالسوهم**) أي العلماء (**في مجالسهم**) أي مجالس بني إسرائيل العصاة ومساكنهم (**وآكلوهم**) بمد الهمزة، من المؤاكلة مفاعلة للمشاركة في الأكل. وكذا قوله: (**وشاربوهم فضرب الله**) أي خلط (**قلوب بعضهم ببعض**) يقال: ضرب اللبن بعضه ببعض أي خلطه، ذكره الراغب. وقال ابن الملك رحمه الله: الباء للسببية، أي سود الله قلب من لم يعص بشؤم من عصى فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير، أو الرحمة بسبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضاً. اهـ. وقوله: قلب من لم يعص، ليس على إطلاقه لأن مؤاكلتهم ومشاربتهم من غير إكراه وإلجاء بعد عدم انتهائهم عن معاصيهم معصية ظاهرة لأن مقتضى البغض في الله أن يبعدوا عنهم ويهاجروهم ويقاطعوهم ولا يواصلوهم. ولذا قال: (**فلعنهم**) أي العاصين والساكتين المصاحبين، ففيه تغليب كما في قوله تعالى: ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل**﴾. (**على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك**) أي لعنهم (**بما عصوا**) أي بسبب عصيانهم مباشرة ومعاشرة (**وكانوا يعتدون**) أي يتجاوزون عن الحد بأن جر المعاصي إلى الكفر بالاستحلال ونحوه، وبالرضا للمعاصي واستحسانهم من أهلها. (**قال**) أي ابن مسعود (**فجلس رسول الله ﷺ**) أي من كمال إعراضه وقوّة اعتراضه. (**وكان متكئاً**) أي على أحد شقيه أو مستنداً إلى ظهره قبل ذلك، فجلس مستوياً للاهتمام بإتمام الكلام. (**فقال: لا**) [أي لا تعذرون أو لا تنجون من العذاب أنتم أيها الأمة خلف أهل تلك الأمة] (**والذي نفسي بيده حتى تأطروهم**) بهمزة ساكنة ويبدل بكسر الطاء (**أطراً**) بفتح الهمزة مفعول مطلق للتأكيد، أي حتى تمنعوا أمثالهم من أهل المعصية، وإن لم ينتهوا عن أفعالهم فتمتنعوا أنتم عن مواصلتهم ومكالمتهم ومؤاكلتهم ومجالستهم. وقال شارح: الأطر الامالة والتحريف من جانب إلى جانب، أي حتى تمنعوا الظلمة والفسقة عن الظلم والفسق وتميلوهم عن الباطل إلى الحق وفي الفائق حتى متعلقة بلا، كأن قائلاً قال له عند ذكره مظالم بني إسرائيل: هل يعذر في تخلية الظالمين وشأنهم فقال: لا حتى تأطروهم وتأخذوا على أيديهم. والمعنى: لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الإذعان للحق وإعطاء النصفة للمظلوم، واليمين معترضة بين لا

الحديث رقم ٥١٤٨: أخرجه أبو داود في ٤/ ٥١٩ حديث رقم ٤٣٣٧. والترمذي في السنن ٥/ ٢٣٥ حديث رقم ٣٠٤٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٧ حديث رقم ٤٠٠٦. وأحمد في المسند ١/ ٣٩١.

رواه الترمذي، وأبو داود وفي روايته قال: «كلاً والله لتأمرُنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخذُنَّ علي يديِ الظالمِ، ولتأطرُنَّه على الحقِّ أطراً، ولتُقصرنَّه على الحقِّ قصراً، أو ليضربَنَّ اللَّهُ بقُلوبِ بعضكم على بعضٍ ثمَّ ليلعنَنَّكم كما لعنهم».

٥١٤٩ . (١٣) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُ ليلةَ أُسريَ بي رجالاً تُقرضُ شفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ، قلتُ: مَنْ هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ خُطباءُ أُمتكَ يأمرونَ النَّاسَ بالبِرِّ وينسَونَ أنفسَهم».

وحتى. وليست هذه بتلك التي يجيء بها المقسم تأكيد القسمة. (**رواه الترمذي وأبو داود. وفي روايته**) الضمير لأبي داود. وفي نسخة وفي رواية، أي لأبي داود على ما هو الظاهر، ويحتمل للترمذي أولهما أو لغيرهما. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**كلا**) أي حقاً أو ارتدعوا عن حسبان ما لا ينبغي من جواز السكوت عن المنكر. (**والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر**) أي بطريق فرض الكفاية ومراتب الاحتساب على الغاية والنهاية (**ولتأخذن على يدي الظالم**) بالتثنية مبالغة. وفي نسخة بالافراد إما على إرادة الجنس أو على قصد الاكتفاء بالواحدة. (**ولتأطرنه**) أي لتمنعن الظالم باللسان عند العجز عن أخذ اليد باليد. (**على الحق**) أي على إجباره على الحق وإنكاره على الباطل (**أطرا**) أي منعا ظاهراً ليس فيه لومة لائم (**ولتقصرنه**) بضم الصاد، أي ولتحبسنه (**على الحق**) أي على قبوله (**قصراً**) أي بالهجرة عنه إذا عجزتم عما سبق حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، فإنه حبس معنوي أقوى من سجن صوري[(١)]. (**أو ليضربن الله**) أي ليخلطن (**بقلوب بعضكم بعضاً**) الباء زائدة لتأكيد التعدية لما سبق أنه متعد بنفسه (**ثم ليلعننكم**) أي الله (**كما لعنهم**) أي بني إسرائيل على كفرهم ومعاصيهم. والمعنى أن أحد الأمرين واقع قطعاً.

٥١٤٩ ـ (**وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي**) بالإضافة إلى الفعل المجهول، وفي نسخة بالتنوين نصباً على الظرفية، أي أبصرت ليلة أسري بي فيها (**رجالاً تقرض**) بصيغة المفعول أي تقطع (**شفاههم**) بكسر الفاء جمع شفة بالفتح ويكسر ولامها هاء كما يدل عليه جمعها[(٢)]. (**بمقاريض**) جمع مقراض بكسر الميم آلة القطع المعروفة (**من نار**) أي مخلوقة منها (**قلت: من هؤلاء**) أي هؤلاء الرجال بهذا الحال (**يا جبريل. قال: هؤلاء خطباء من أمتك**) من بيانية. وفي نسخة: خطباء أمتك، أي علماؤهم ووعاظهم ومشايخهم. (**يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم**) محط الإنكار الجملة الثانية. وإنما ذكر الجملة الأولى تقبيحاً لسوء أفعالهم وأقوالهم وتوبيخاً على علومهم المقرونة بترك أعمالهم، كما قال تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ [البقرة . ٤٤]. أي

---

(١) في المخطوطة «صفدي».

الحديث رقم ٥١٤٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٥٣ حديث رقم ٤١٥٩. والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٣ حديث رقم ١٧٧٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٠.

(٢) في المخطوطة «جميعاً».

رواه في «شرح السنة»، والبيهقي في «شعب الإيمان» وفي روايته قال: «خُطباء من أُمتكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ، ويقرؤونَ كتابَ اللّهِ ولا يعملونَ».

٥١٥٠ . (١٤) وعن عمَّارِ بن ياسرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُنزلتِ المائدةُ منَ السَّماءِ خُبزاً ولحماً، وأُمِروا أن لا يخونوا ولا يدَّخروا لغدٍ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا لغَدٍ، فمُسِخوا قَردةً

سوء صنيعكم. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ [الصف . ٣]. وكما قال ﷺ: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات[١]. وكما ورد في الحديث المشهور: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»[٢] **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة والبيهقي)** عطف على الفاعل المقدر **(في شعب الإيمان. وفي روايته)** أي رواية البيهقي **(قال: خطباء من أمتك)** بمن البيانية **(الذين يقولون ما لا يفعلون)** بدل من قوله خطباء، ويجوز أن يكون صفة له لأنه لا توقيت فيه على عكس قوله:

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

ويجوز أن يكون منصوباً على الذم وهو الأوجه، يتفطن لذلك من رزق الذهن السليم والطبع المستقيم ذكره الطيبي رحمه الله. وفيه أن أهل العربية أطبقوا في مثل هذا التركيب على أن البدل أوجه الوجوه المحتملة، كما حقق في الاستعاذة والبسملة، ذكره الطيبي رحمه الله. وفي قوله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ [الفاتحة . ٢، غافر . ٦٥]. وقوله سبحانه: ﴿**فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون**﴾ [البقرة . ٢، ٣]. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون**﴾ [البقرة . ٢٦، ٢٧]. وفي قوله ﷺ: بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله[٣]. **(ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون)** وفيه اقتباس من الآيتين الشريفتين اللتين ذكرناهما أوّلاً.

٥١٥٠ ـ **(وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: أنزلت المائدة من السماء)** قال الراغب: المائدة الطبق الذي عليه الطعام، ويقال لكل منهما مائدة، أي على الحقيقة المشتركة، أو على أحدهما مجازاً باعتبار المجاورة، أو بذكر المحل وإرادة الحال. وقوله: **(خبزاً ولحماً)** تمييز بخورافر دخلا. **(وأمروا أن لا يخونوا)** أي بقصد أكل الأحسن أو الأكثر من غيرهم **(ولا يدّخروا)** بتشديد الدال المهملة المبدلة من الذال المعجمة من باب الافتعال من الذخيرة، وهو التخبية. **(لغد)** أي ليوم عقب يوم نزول المائدة أو لوقت مستقبل بعده **(فخانوا وادخروا ورفعوا لغدٍ)** تفسير لما قبله **(فمسخوا)** أي فغير الله صورهم الإنسانية بعد تغيير سيرتهم الإنسية. **(قردة**

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٤ حديث رقم ١٧٧٨.

(٣) راجع الحديث رقم (٤).

الحديث رقم ٥١٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٤٢ حديث رقم ٣٠٦١.

وخَنازيرَ». رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٥١٥١ ـ (١٥) عن عُمَرَ بن الخطابِ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ تصيبُ أُمَّتي في آخرِ الزمانِ من سلطانهم شدائدُ، لا ينجو منه إلاّ رجلٌ عرفَ دِينَ الله، فجاهدَ عليه بلسانه ويدِه وقلبِه، فذلكَ الذي سبقتْ له السَّوابقُ؛

وخنازير) منصوبان على أنهما مفعول ثان على ما يستفاد من القاموس حيث قال: مسخه كمنعه حول صورته إلى أخرى أقبح، ومسخه الله قرداً فهو مسخ ومسيخ. وقال الطيبي رحمه الله: حالان مقدرتان كقوله تعالى: ﴿**وتنحتون من الجبال بيوتاً**﴾ [الشعراء ـ ١٤٩]. اهـ. والظاهر أن شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير. **(رواه الترمذي)**.

(الفصل الثالث)

٥١٥١ ـ **(عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنه)** أي الشأن **(تصيب أمتي في آخر الزمان من سلطانهم)** يحتمل الجنس والشخص كيزيد والحجاج وأمثالهما. **(شدائد)** أي محن دنيوية أو دينية أو مركبة منهما **(لا ينجو)** استئناف بيان أو حال أي لا يخلص **(منه)** أي من السلطان وشدائده الناشئة من ظلمه فهما في حكم واحد، فيجوز أن يعبر عنه بضمير مفرد. **(إلا رجل عرف دين الله)** قال الطيبي رحمه الله: الضمير في منه يجوز أن يعود إلى السطان أو يحمل على أنه واقع موقع اسم الإشارة، أو يعود إلى شدائد باعتبار المذكور أو المنكر وهو الشدائد. وقوله: لا ينجو، على الأول استئناف، وعلى الثاني صفة قوله: شدائد. اهـ. والحاصل أنه لا يتخلص في زمان ذلك السلطان المشابه بالشيطان إلا من جمع بين العلم والعمل والكمال والتكميل فعرف دين الله أوّلاً بتفصيله من الأصول والفروع، وعمل لنفسه على ما يقتضيه الأمر المشروع **(فجاهد عليه)** أي على تحصيل إعلاء دين الله **(بلسانه)** أي بطريق النصيحة والبيان **(ويده)** أي إن كان له قدرة وقوّة **(وقلبه)** أي بإنكاره عند العجز عملاً بقوله تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ [النحل . ١٢٥]. وقياماً بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**﴾ [آل عمران . ١٠٤]. وهذا معنى قوله: **(فذلك الذي سبقت له السوابق)** أي السعادات السابقة حيث جمع بين الأحوال الثلاث اللاحقة، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**والسابقون السابقون**﴾ [الواقعة . ١٠]. أي الجامعون بين مراتب الكمال والتكميل ودرجات العلم والعمل والتعليم. أولئك المقربون. ففي

الحديث رقم ٥١٥١: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩٥ حديث رقم ٧٥٨٧.

ورجلٌ عرفَ دينَ اللّهِ، فصدَّقَ به، ورجلٌ عرفَ دينَ اللّهِ فسكتَ عليه، فإِنْ رأى مَن يعملُ الخيرَ أَحبَّه عليه، وإِنْ رأى من يعملُ بباطلٍ أبغضَه عليه، فذلكَ ينجو على إِبطانِهِ كله».

٥١٥٢ ـ (١٦) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أَوْحى اللّهُ عزَّ وجلَّ إِلى جبريلَ عليه السلام: أن اَقلبْ مدينةَ كذا وكذا بأهلها قال: يا ربِّ! إِنَّ فيهم عبدكَ فلاناً لم يعصِكَ طرفةَ عينٍ». قال: «فقال: اقلِبْها عليه وعليهم، فإِنَّ وجهَه لم يتمعَّرْ

كلام عيسى عليه الصلاة والسلام: من عمل وعلم وعلم يدعى في الملكوت عظيماً. **(ورجل عرف دين الله فصدق به)** أي فتكلم بلسانه ما يجب تصديقه من الأمر بالحق والنهي عن الباطل، واكتفى به عن الإنكار باليد لعجزه أو ضعف قلبه وقوّة خصمه **(ورجل عرف دين الله فسكت عليه)** أي تاركاً للأمر والنهي لغيره مكتفياً بإنكار قلبه لضعف إيمانه أو ضعف أهل زمانه، ويدل على تحقق إنكار قلبه قوله: **(فإن رأى من يعمل الخير)** أي بعمل حق **(أحبه)** أي بقلبه **(عليه)** أي على ذلك العمل أو لأجله **(وإن رأى من يعمل بباطل)** أي من يعمل الشر **(أبغضه عليه)** أي وترك مصاحبته ومجالسته ولو كان من كان **(فذلك ينجو على إبطانه)** أي إبطان ما ذكر في قلبه من محبة الخير وبغض الباطل. **(كله)** تأكيد مفيد لأن يكون جامعاً للأمرين لا مقتصراً على أحدهما فتأمل هذا. وقد قال الطيبي رحمه الله: السوابق جمع سابقة وهي الخصلة المفضلة، إما السعادة وإما البشرى بالثواب من عند الله، وأما التوفيق للطاعة كقوله تعالى: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى**﴾ [الأنبياء . ١٠١]. وقوله: عرف دين الله فجاهد عليه إلى آخر الحديث. هو من باب التقسيم الحاصر لأن الناهي عن المنكر إما سابق أو مقتصد أو دونهما. فالفآت في قوله: فجاهد فصدق فسكت مسببات عن العرفان، فمعنى الأول: من عرف دين الله تعالى حق معرفته وتصلب في دينه فبذل جهده في المجاهدة بلسانه ويده وقلبه. ومعنى الثالث: من عرف دين الله أدنى معرفة وسكت فلم يجهد فيه إلا على قدر إيمانه وذلك بالكراهة بالقلب، وهو المراد من قوله في الحديث الآخر: وذلك أضعف الإيمان. فيبقى قوله: فصدق به في درجة المقتصد فينبغي أن يفسر بما هو دون الأولى. وفوق الثالثة: وهو أن يجاهد بلسانه وقلبه، والتصديق يستعمل حقيقة في اللسان مجازاً في العمل، فتصديقه هنا معبر به عن دفع المنكر بلسانه وقلبه.

٥١٥٢ ـ (وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل عليه الصلاة والسلام أن اقلب) بهمزة وصل ولام مكسورة **(مدينة كذا وكذا بأهلها)** أي مصحوبة معهم. قال الطيبي رحمه الله: إن مفسرة لما في أوحى من معنى القول. اهـ. ويجوز أن تكون مصدرية والباء مقدرة. **(فقال: يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين)** فيه دلالة على حفظ الأولياء **(قال:)** أي النبي ﷺ، أو قال جبريل عليه الصلاة والسلام. **(فقال:)** أي الله تعالى **(اقلبها عليه وعليهم)** في تقديمه عليهم إيذان بوعيد شديد **(فإن وجهه لم يتمعر)** أي لم

الحديث رقم ٥١٥٢: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٩٧/٦ حديث رقم ٧٥٩٥.

فيَّ ساعةً قطُّ».

٥١٥٣ ـ (١٧) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يسألُ العبدَ يومَ القيامةِ، فيقول: ما لَكَ إذا رأيتَ المنكرَ فلم تنكرْه»؟ قال رسولُ الله ﷺ: «فيُلقَّى حجَّتَه، فيقول: يا ربِّ! خِفتُ النَّاسَ ورجَوتُكَ». روى البيهقي الأحاديثَ الثلاثةَ في «شعب الإيمان».

٥١٥٤ ـ (١٨) وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفْسُ محمَّدٍ بيدِه إنَّ المعروفَ والمنكرَ خليقتانِ، تُنصبانِ للنَّاسِ يومَ القيامةِ، فأمَّا المعروفُ فيبشِّرُ أصحابَه ويوعِدهم الخيرَ، وأمَّا المنكرُ فيقول: إليكم إليكم؛

يتغير (فيّ) بكسر الفاء وتشديد الياء، أي في حقي ولأجلي. والحاصل أنه لم يظهر أثر غضب إنكار القلب على مرتكب المنكر. (ساعة) أي واحدة (قط) أي أبداً. وفيه توسعة للإشعار بأنه لو غضب عليه مرة لله لسومح في بقية أوقات عمره.

٥١٥٣ ـ (**وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزَّ وجلَّ يسأل العبد يوم القيامة فيقول: ما لك إذا رأيت المنكر فلم تنكره**) أي بلسانك أو يدك (**قال رسول الله ﷺ: فيلقى**) بتشديد القاف المفتوحة (**حجته**) بالنصب، أي بينته عليها ويلقى بها إذا كان الله يريد إنجاءه. (**فيقول: يا رب خفت الناس ورجوتك**) فيه اعتراف بالذنب وإظهار للعجز واعتماد على كرم الرب. قال البيهقي: يحتمل أن يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم وهو لا يستطيع دفعها عن نفسه ذكره الطيبي رحمه الله. وفيه أن مثل هذا معذور في الشرع فلا يعاتب عليه فيحاج إلى تلقي الحجة، بل إنما هو فيمن قصر في الجملة فيلهمه الله العذرة. (**روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان**).

٥١٥٤ ـ (**وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده إن المعروف والمنكر خليقتان**) أي مخلوقتان ذكره الطيبي رحمه الله: والظاهر أن المعنى سيخلقان خلقاً آخر كسائر المعاني من الأعمال والموت ونحو ذلك فيجسدان ويجسمان لقوله: (**تنصبان**) بصيغة التأنيث على بناء المجهول، وفي نسخة بالتذكير وهو الأظهر، لأن التاء في الخليقة ليست للتأنيث بل للمبالغة. والمعنى: أنهما نوعان من المخلوقات يظهران. (**للناس يوم القيامة فأما المعروف فيبشر أصحابه**) أي أهل المعروف بالفعل أو الأمر (**ويوعدهم الخير**) أي ويوعدهم ابتغاء الجميل والجزاء الجزيل وبالمواصلة بينه وبينهم. (**وأما المنكر فيقول:**) أي لأصحاب المنكر بلسان القال، أو ببيان الحال (**إليكم إليكم**) أي ابعدوا عني وتنحوا من قربي.

الحديث رقم ٥١٥٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٢. حديث رقم ٤٠١٧. والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٩١ حديث رقم ٧٥٧٥.

الحديث رقم ٥١٥٤: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٩١. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٥١٧ حديث رقم ١١١٨.

وما يستطيعونَ له إِلاَّ لزوماً». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإِيمان».

(وما يستطيعون له إلا لزوماً) أي لصوقاً وقرباً من نتيجة المنكر وما يترتب عليه من عتابه. والحاصل أن العمل الصالح يظهر في أحسن صورة وأطيب ريح في القبر وكذا يوم القيامة، والعمل الطالح بخلاف ذلك ويؤيده ما ورد في حديث قدسي: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]. وتحقيق المرام في هذا المقام أن أفعال العباد وإن كانت غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها إلا أنه تعالى أجرى عادته بربطهما ربط المسببات بالأسباب. وأنشد بعض أرباب الألباب:

أخاف وأرجو عفوه وعقابه وأعلم حقاً أنه حكم عدل

فإن يك عفواً فهو منه تفضل وإن يك تعذيباً فإني له أهل

والتدقيق والله ولي التوفيق أن السبب الفاعلي للخير والشر ليس إلا الله وحده بمقتضى فضله وعدله، وبموجب جماله وجلاله. وأما السبب القابلي فهو وإن كان أيضاً منه في الحقيقة إلا أن قابلية الخير من الاستعداد الأصلي الذي من الفيض الأقدس الذي لا دخل للاختيار فيه، وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والأفعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح، حتى احتاج إلى الصقل بالرزايا والبلايا ونحوهما ولذا قال تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسب أيديكم ويعفو عن كثير**﴾ [الشورى ـ ٣٠]. وههنا يتموج أمواج بحر القضاء والقدر لتقسم العباد فيما يفعلون، وسفينة النجاة قوله تعالى: ﴿**لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء ـ ٢٣]. **(رواه أحمد والبيهقي في شعب الإِيمان)**.

---

(١) مسلم في صحيحه ٤٠/ ١٩٩٤ حديث رقم ٢٥٧٧.

كتاب الرقاق

الفصل الأول

٥١٥٥ ـ (١) عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتانِ مَغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاس: الصّحةُ والفَرَاغُ».

(كتاب الرقاق)

الرقاق بالكسر جمع رقيق وهو الذي له رقة أي لطافة، قاله شارح. والظاهر ما قاله السيوطي من أن المراد بها الكلمات التي ترق بها القلوب إذا سمعت وترغب عن الدنيا بسببها وتزهد فيها. سميت هذه الأحاديث بذلك لأنها تحدث رقة ورحمة.

(الفصل الأول)

٥١٥٥ ـ **(عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: نعمتان)** مبتدأ **(مغبون فيهما كثير من الناس)** صفة له أو خبره **(الصحة والفراغ)** أي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ الخاطر بحصول الأمن ووصول كفاية الأمنية. والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم. قال تعالى: ﴿**ذلك يوم التغابن**﴾ [التغابن ـــ ٩]. وقال ﷺ: ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها. وفي حاشية السيوطي رحمه الله، قال العلماء: معناه أن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفياً صحيح البدن، فقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً وقد يكون صحيحاً ولا يكون مستغنياً فلا يكون متفرغاً للعلم والعمل لشغله بالكسب، فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو المغبون أي الخاسر في التجارة. مأخوذ من الغبن في البيع. اهـ. ويمكن أن يكون الغبن كناية عن فساد حاله وضياع ماله. كما قال بعضهم: إن الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء، أي مفسدة. وقال العارف بالله ابن الفارض:

الحديث رقم ٥١٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٢٩. حديث رقم ٦٤١٢. والترمذي في السنن ٤/ ٤٧٧ حديث رقم ٢٣٠٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٦ حديث رقم ٤١٧٠ والدارمي في السنن ٢/ ٣٨٥ حديث رقم ٢٧٠٧. وأحمد في المسند ١/ ٣٤٤.

رواه البخاري.

٥١٥٦ ـ (٢) وعن المستورِد بن شدَّادٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «واللَّهِ ما الدُّنيا في الآخرة إلاَّ مثلُ ما يجعلُ أحدُكم إصبعَه في اليمِّ؛ فلْينظُرْ بِمَ يرجع». رواه مسلم.

٥١٥٧ ـ (٣) وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بجَدْيٍ أسكّ

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

(رواه البخاري) وفي الجامع الصغير رواه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجه عنه[1].

٥١٥٦ ـ (وعن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والله) قسم للمبالغة في تحقق الحكم (ما الدنيا) ما نافية، أي ما مثل الدنيا من نعيمها وزمانها (في الآخرة) أي في جنبها ومقابلة نعيمها وأيامها (إلاّ مثل) بكسر الميم ورفع اللام. وفي نسخة بنصبها. وما في قوله: (ما يجعل أحدكم) مصدرية، أي مثل جعل أحدكم (أصبعه) وفي الجامع بزيادة هذه. والظاهر أن المراد بها أصغر الأصابع. (في اليم) أي مغموساً في البحر المفسر بالماء الكثير (فلينظر) أي فليتأمل أحدكم (بم يرجع) أي بأي شيء يرجع أصبع أحدكم من ذلك الماء. واعلم أن قوله: يرجع، ضبط بالتذكير في أكثر الأصول. وفي بعض النسخ بالتأنيث وهو الأظهر، لأن ضميره يرجع إلى الأصبع وهو مؤنث، وقد يذكر على ما في القاموس. والمعنى: فليتفكر بأي مقدار من البلة الملتصقة من اليم يرجع أصبعه إلى صاحبه، اللهم إلا أن يقال المعنى بم يرجع الحال وينتقل المآل. وحاصله أن منح الدنيا ومحنها في كسب الجاه والمال من الأمور الفانية السريعة الزوال، فلا ينبغي لأحد أن يفرح ويغتر بسعتها ولا يجزع ويشكو من ضيقها بل يقول في الحالتين: لا عيش إلا عيش الآخرة، فإنه قاله ﷺ مرة في يوم الأحزاب وأخرى في حجة الوداع وجمعية الأصحاب. ثم يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن الدنيا ساعة فيصرفها في الطاعة. قال الطيبي رحمه الله: وضع موضع قوله: فلا يرجع بشيء، كأنه ﷺ يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر، هل يرجع بشيء أم لا. وهذا تمثيل على سبيل التقريب، وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي. (رواه مسلم) وكذا أحمد وابن ماجه.

٥١٥٧ ـ (وعن جابر أن رسول الله ﷺ مر بجدي) أي ولد معز (أسك) بتشديد الكاف،

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٥ حديث رقم ٩٢٨٠. وفيه عن البخاري وليس البخاري في تاريخه.

الحديث رقم ٥١٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٣ حديث رقم (٥٥ . ٢٨٥٨). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٦ حديث رقم ٢٣٢٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٨. وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٩.

الحديث رقم ٥١٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٢ حديث رقم (٢ ـ ٢٩٥٧). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٢٣٢١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١١.

ميِّتٍ. قال: «أيُّكم يُحبُّ أنَّ هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحبُّ أنَّه لنا بشيءٍ. قال: «فوَاللَّه لَلدُّنيا أهوَنُ على اللَّهِ من هذا عليكم». رواه مسلم.

٥١٥٨ ـ (٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الكافرِ».

أي صغير الأذن أو عديمها أو مقطوعها. (**ميت قال: أيكم يحب أنَّ هذا له بدرهم**) أي مثلاً (**فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء**) أي بشيء مّا مما يطلق عليه اسم الشيء من تراب وغيره. والمراد أنا لا نحبه بلا شيء أيضاً. (**قال: فوالله للدنيا**) أي لجميع أنواع لذاتها (**أهون**) أي أسهل وأحقر وأذل (**على الله**) أي عنده تعالى (**من هذا**) أي من هوان هذا الجدي (**عليكم**) ويؤيده ما سيأتي: إن الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء. والمقصود منه التزهيد في الدنيا والترغيب في العقبى، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلاً. كما أن ترك الدنيا رأس كل عبادة. والسبب في ذلك أن محب الدنيا ولو اشتغل بأمور الدين تكون أعماله مدخولة بأغراض فاسدة، وتارك الدنيا ولو اشتغل بأمر دنيوي يكون له مطمح أخروي ولذا قال بعض العارفين من أرباب اليقين: من أحب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين، ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين. (**رواه مسلم**).

٥١٥٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**) أي كالسجن للمؤمن في جنب ما أعد له في الآخرة من الثواب والنعيم المقيم، وكالجنة للكافر في جنب ما أعد له في الآخرة من العقوبة والعذاب الأليم. وقيل: إن المؤمن عرض نفسه عن الملاذ وأخذها بالشدائد فكأنه في السجن، والكافر فرّجها بالشهوات فهي له كالجنة، كذا ذكر في الفائق. ويؤيد القول الأخير ما قاله فضيل بن عياض: من ترك لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن، فأما الذي لا يترك لذاتها وتمتعاتها فأي سجن عليه. وأقول: الظاهر أن مراتب السجن ومنازله[١] مختلفة باختلاف أحوال أهله مع أنه لا يخلو أحد من ضيق التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات الفعلية واجتناب الأمور المنهية، وكذا من مشقات الأحوال الكونية من البرد والحر في الصيف والشتاء والبلاء والغلاء وموت الأحباء وغلبة الأعداء وأمثال ذلك من ابتداء خلق النطفة وأطوارها في مشيمة البطن إلى الظهور في المهد والبطون في اللحد وما بينهما من أنواع الكد والكبد. ولذا قال تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في كبد**﴾ [البلد ـ ٤]. أي لا يزال في تعب عظيم مبدؤه[٢] ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت وما بعده إلى أن يكون

الحديث رقم ٥١٥٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٢ حديث رقم (١ . ٢٩٥٦). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨٦ حديث رقم ٢٣٢٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٨. حديث رقم ٤١١٣ وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٣.

(١) في المخطوطة «مغازلها».

(٢) في المخطوطة «مدة».

رواه مسلم.

٥١٥٩ ـ (٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا يظلِم مؤمناً حسنةً،

ما بعد هذا السجن إما إلباس الخلع السلطانية والقرار في المناصب العلية، وإما تسليط الزبانية بموجب الغضب الإلهي عليه، ونقله من السجن السهل الفاني إلى الحبس الصعب الباقي نعوذ بالله من ذلك. ولما مات داود الطائي سمع هاتفاً يهتف: أطلق داود من السجن. قال أبو حفص السهروردي: إن السجن والخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على[1] الساعات ومرور الأوقات، لأن النفس كلما ظهرت بصفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد. وهل السجن إلا تضييق وحجز من الخروج والولوج، فكلما هم القلب بالتبرز عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تسبباً إلى الآجلة وتنزهاً في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي، حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب، فيدلي بحسب النفس الأمارة إليه، فكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه، وهذا من أعظم السجون وأضيقها. فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه. ولهذا المعنى أخبر الله تعالى عن جماعة [من الصحابة] حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ في بعض الغزوات، قال تعالى: ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت**﴾ [التوبة ـ ١١٨] الآية. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني والحاكم[2] عن سلمان، والبزار عن ابن عمرو رواه أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية، والحاكم عن ابن عمرو بن العاص ولفظه: الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة[3]. والسنة بفتح أوله القحط والجدب. وأخرج ابن المبارك عن ابن عمر قال: إن الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها. وأخرجه ابن أبي شيبة عنه نحوه. وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره. يا أبا ذر الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره[4]. وروى ابن لال عن عائشة: الدنيا لا تصفو لمؤمن، كيف وهي سجنه وبلاؤه[5].

٥١٥٩ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة)** قال شارح:

---

(١) في المخطوطة «من». (٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٠٤.

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٥ وأحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٣.

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٨٥.

الحديث رقم ٥١٥٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦٢. حديث رقم (٥٦ ـ ٢٨٠٨). وأحمد في المسند ٣/ ١٢٣.

يُعْطَى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَمُ بحسناتٍ ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكنْ له حسنةٌ يُجزى بها». رواه مسلم.

أي لا يضيع أجر حسنة المؤمن. ولا يخفى أنه حاصل المعنى. وأما بحسب التركيب والمعنى، فالظلم يتعدى إلى مفعولين. قال تعالى: ﴿**إن الله لا يظلم الناس شيئاً**﴾ [يونس - ٤٤]. وفي القاموس: ظلمه حقه، أي منعه إياه. فالحديث تفسير لما في القرآن وتبيين لما فيه من نوعي جنس الإنسان، وبيان أن الله يجازي عبادة المؤمن والكافر على النقير والقطمير والقليل والكثير من الخير والشر، إما في الدنيا وإما في العقبى كما قال: ﴿**فمن يعمل مثال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ [الزلزلة - ٧]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ [النساء - ٤٠]. ولذا قال عمر رضي الله عنه: لو كانت لي حسنة واحدة لكفتني. بناء على المضاعفة المذكورة والمثوبة العظيمة المسطورة. (**يعطى**) استئناف بيان بصيغة المجهول، أي يعطى المؤمن كل خير (**بها**) أي بسبب تلك الحسنة (**في الدنيا**) من رفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك من النعماء. وفي نسخة بصيغة الفاعل، أي يعطي الله إياه بتلك الحسنة أجراً في الدنيا. (**ويجزى بها في الآخرة**) على بناء المفعول أو الفاعل طبق ما قبله. (**وأما الكافر فيطعم**) بصيغة المجهول لا غير، أي يعطى. وفي العدول إشارة إلى أن مطمح نظر الكافر في العطاء إنما هو بطنه، والمعنى أنه يجزى. (**بحسنات ما عمل بها لله**) أي من إطعام فقير وإحسان ليتيم وإغاثة ملهوف ونحوها من طاعات لا يشترط في صحتها الإسلام. (**في الدنيا**) ظرف ليطعم (**حتى إذا أفضى**) أي وصل (**إلى الآخرة لم تكن**) بالتأنيث وتذكر، أي لم يبق ولم يوجد له[1]. (**حسنة يجزى بها**) فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وفي شرح السنة قوله: لا يظلم، لا ينقص وهو معدى إلى مفعولين، أحدهما مؤمناً والآخر حسنة. ومعناه: أن المؤمن إذا اكتسب حسنة يكافئه الله تعالى [بأن يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا، وبأن يجزى ويثاب في الآخرة. والكافر إذا اكتسب حسنة في الدنيا بأن يفك أسيراً أو ينقذ غريقاً يكافئه الله تعالى] في الدنيا ولا يجزى بها في الآخرة. اهـ. وحاصلة أن الله يقابل عبده المؤمن بالفضل والكافر بالعدل، ولا يسأل عما يفعل. ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**﴾ [الشورى - ٢٠]. (**رواه مسلم**) وفي الجامع رواه أحمد ومسلم عن أنس بلفظ: إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً[2]. اهـ. ومقتضى المقابلة ما ورد في حديث آخر: إن المؤمن يجزى بسيئاته في الدنيا من أنواع المحنة والمشقة والبلايا والرزايا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له سيئة يعاقب عليها. ويؤيده ما روى أحمد وابن حبان أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**من يعمل سوءاً يجز به**﴾ [النساء - ١٢٣]. قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: فمن ينجو

---

(١) في المخطوطة «ولم تبق ولم توجد».
(٢) الجامع الصغير ١/ ١١٣ حديث رقم ١٨٢٣.

٥١٦٠ ـ (٦) وعن أبي هُريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُجبتِ النارُ بالشهوات، وحجبتِ الجنَّةُ بالمكاره». متفق عليه. إلاَّ أنَّ عند مسلم: «حُفَّت» بدل: «حجبت».

٥١٦١ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعسَ

من هذا يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: غفر الله لك يا أبا بكر ألست تحزن ألست تنصب ألست تمرض ألست تصبك اللاواء. قال: بلى يا رسول الله. قال: هو مما تجزون به[١]. وقد صح على ما رواه الترمذي وابن جرير: المصائب والأمراض في الدنيا جزاء[٢]. وروى الحاكم في مستدركه عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً: من يعمل سوءاً يجز به في الدنيا.

٥١٦٠ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: حجبت النار)** أي أحيطت **(بالشهوات)** كالخمر والزنا **(وحجبت الجنة بالمكاره)** كالصلاة والزكاة **(متفق عليه. إلا عند مسلم: حفت، بدل حجبت)**. يعني لفظ حجبت للبخاري ولفظ حفت لمسلم، فالحديث متفق عليه عن أبي هريرة معنى. وقد وافق مسلماً أحمد والترمذي عن أنس، لكن حديثهم فيه تقديم وتأخير مخالف للبخاري في ترتيبه على ما ذكره في الجامع بلفظ: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. والله [تعالى] أعلم. قال النووي رحمه الله: معناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره ولا يوصل إلى النار إلا بارتكاب الشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما. فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجب النار بارتكاب الشهوات. وأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة على الطاعات والصبر عن الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذا. اهـ. ويناسب هذا الحديث ما ذكره السيوطي في الجامع الكبير أنه ﷺ قال: إن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات. أي لا تحصل درجاتها إلا بالتحمل على مكروهاتها والله [تعالى] أعلم.

٥١٦١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: تعس)** بكسر العين ويفتح،

---

(١) أحمد في المسند ١/ ١١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٥١ حديث رقم ٩٢١٧ وقال رواه سعيد بن منصور وأبو نعيم في الحلية.

الحديث رقم ٥١٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٢٠. حديث رقم ٦٤٨٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٤ حديث رقم ١/ ٢٨٢٢. والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٨ حديث رقم ٢٥٥٩. والنسائي في السنن ٧/ ٣ حديث رقم ٣٧٦٣. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٣. وأحمد في المسند ٢/ ٣٨٠.

الحديث رقم ٥١٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨١. حديث رقم ٢٨٨٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٦ حديث رقم ٤١٣٥.

عبدُ الدينارِ وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الخميصةِ، إِن أُعطي رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، تَعِسَ وانتكسَ،

أي خاب وخسر. (عبد الدينار) أي الذي اختاره على رضا معبوده الجبار بأن يأخذه من غير حله وأن لا يصرفه في محله. وكذا قوله: (وعبد الدرهم) وهذان مثالان وخصا بالذكر لأنهما النقدان الحاصل بهما جميع مقاصد النفس والشيطان. (وعبد الخميصة) وهي ثوب خز أو صوف معلم. وخصت بالذكر لأن الغالب في لبسها الخيلاء والرعونة والرياء والسمعة ومن كمال ميل النفس إليها وعدم الطاقة على مفارقتها، فكأنه عبد لها. وقيل: هي كساء أسود مربع له علمان. أراد به محب كثرة الثياب النفيسة والحريص على التجمل فوق الطاقة. وحاصله ذم التقيد بالزينة الظاهرة مما يتعلق بالثياب الجميلة لا سيما إذا كانت محرمة أو مكروهة. وعدم التعلق بتخلية الباطن عن الأوصاف الدنية وتحليتها بالنعوت الرضية. فإن من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن رق ثوبه رق دينه. ثم تطويل الأكمام وجر الأذيال حرام على وجه التكبر والخيلاء، ومكروه إذا كان بخلافه. وأما إذا كان اللبس على الوجه المباح في الشريعة فيختلف باختلاف النية في اختيار التكلف والتقشف(١)، فقد قال تعالى: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾** [الأعراف ـ ٣٢] الآية. واختلف السادة الصوفية في أيهما أفضل، ومختار الشاذلية والنقشبندية والبكرية التلبس بلباس الأغنياء كما عليه بعض السلف من الأولياء، كما رُوِي أن فرقد السنجي دخل على(٢) الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن: ما لك تنظر إلى ثيابي. [ثيابي] ثياب أهل الجنة وثيابك ثياب أهل النار، بلغني أن أكثر أهل النار أصحاب الأكسية. ثم قال الحسن: جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم، والذي يحلف به لأحدهم بكسائه أعظم كبراً من صاحب المطرف بمطرفه. ثم الجملة أنها خبر أو دعاء على من استعبده حب الدنيا واسترقه الهوى وأعرض عن عبودية المولى. ولذا قال بعض العارفين:

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقلتاي طلعة حر

ولم يقل صاحبها إيذاناً بأن [المذموم] من يكون أسيراً لجمع المال بحيث لا يؤدي حق الملك المتعال. (إن أعطي) أي هذا التعيس (رضي وإن لم يعط سخط) بكسر الخاء أي غضب. والجملة بيان لشدة حرصه وانقلاب حاله كما أخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله: **﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾** [التوبة ـ ٥٨] الآية. وكما قال عزَّ وجلَّ: **﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾** [الحج ـ ١١] (تعس) كرر للتأكيد وليعطف عليه التشديد

(١) في المخطوطة «التعسف». (٢) في المخطوطة «عليه».

وإذا شيكَ فلا انتُقِشَ. طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعثَ رأسُه، مغبرةً قدماه، إِن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإِن كان في السَّاقة

[قوله]: (وانتكس) أي [صار] ذليلاً (وإذا شيك) بكسر أوله، أي دخل[١] شوك في عضوه (فلا انتقش) بصيغة المجهول. وفي نسخة على بناء المعلوم أي فلا يقدر على إخراجه أو لا يجد من يخرجه. والمعنى أنه إذا وقع في البلاء لا يرحم عليه ولا يقدر على دفعه بنفسه أيضاً. هذا وفي النهاية تعس إذا عثر وانكب على وجهه، وقد تفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك. وانتكس أي انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة لأن من انتكس في أمره فقد خاب وخسر، وإذا شيك أي [إذا] شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش. والخميصة ثوب خز أو صوف معلم. وقيل: لا تسمى خميصة إلا إذا كانت سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديماً. قال الطيبي رحمه الله: قيل: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا خلاص له عن أسره. ولم يقل: مالك الدينار ولا جامع الدينار، لأن المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة. وقوله: إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، يؤذن إلى شدة حرصه في جمع الدنيا وطمعه فيما في أيدي الناس. وفي قوله: تعس وانتكس صيغة الترديد مع الترقي. أعاد تعس الذي هو الانكباب على الوجه ليضم معه الانتكاس الذي هو الانقلاب على الرأس ليترقى في الدعاء عليه من الأهون إلى الأغلظ. ثم ترقى منه إلى قوله: وإذا شيك فلا انتقش، على معنى أنه إذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه، فإن من وقع في البلاء إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه وتسلى بعض التسلي، وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء وشماتتهم. وإنما خص انتقاش الشوك بالذكر لأن الانتقاش أسهل ما يتصور من المعاونة لمن[٢] أصابه مكروه، فإذا نفى ذلك الأهون فيكون ما فوق ذلك منفياً بالطريق الأولى. (طوبى) أي حالة طيبة، أو شجرة في الجنة. (لعبد) أي خالص لله تعالى. (آخذ) بصيغة الفاعل، أي ماسك. (بعنان فرسه) بكسر العين، أي بلجامه. (في سبيل الله) أي طريق الجهاد (أشعث) بالنصب على أنه صفة عبد أو حال منه. وقوله: (رأسه) مرفوع على الفاعلية لأشعث وهو مغبر الرأس. وفي نسخة برفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة عبد. وقوله: (مغبرة) بالنصب. وفي نسخة بالرفع وفي أخرى بالجر على أنها صفة عبد. وقوله: (قدماه) فاعلها، وقال الطيبي رحمه الله: أشعث ومغبرة حالان من الضمير في آخذ لاعتماده على الموصوف، ويجوز أن يكونا حالين من العبد لأنه موصوف. (إن كان) أي ذلك العبد (في الحراسة) بكسر الحاء أي حماية الجيش ومحافظتهم عن أن يتهجم عليهم عدوّهم (كان) أي كاملاً (في الحراسة) غير مقصر فيها بالنوم والغفلة ونحوهما. والحراسة وإن كانت في اللغة أعم لكنها في العرف مختصة بمقدمة العسكر، ولذا قال: (وإن كان في الساقة) أي في مؤخرة الجيش منها الحراسة

---

(١) في المخطوطة «أدخل».

(٢) في المخطوطة «بأن».

كان في السَّاقة، إن استأذنَ لم يُؤذنْ [له]، وإن شُفِّعَ لم يُشَفَّع». رواه البخاري.

٥١٦٢ ـ (٨) وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مما أخافُ عليكم من بعدي ما يفتحُ عليكم من زهْرةِ الدنيا وزينتها». فقال رجلٌ: يا رسول الله! أوَ يأتي الخيرُ بالشَّرِّ؟

أيضاً. (كان) أي كاملاً (في الساقة) في تلك الحالة أيضاً بأن لا يخاف من الانقطاع ولا يهتم إلى السبق، بل يلازم ما هو لأجله. وقد تقرر في علم المعاني أن الشرط والجزاء إذا اتحدا يراد بالجزاء الكمال. فالمعنى إن كان في الحراسة أو الساقة يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها على وجه الكمال. قال التوربشتي رحمه الله: أراد بالحراسة حراسته من العدو أن يهجم عليهم وذلك أن يكون في مقدمة الجيش، والساقة مؤخرة الجيش. فالمعنى ائتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه بحال، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة وأكثر آفة، الأوّل عند دخولهم دار الحرب والآخر عند خروجهم. (إن استأذن) أي طلب الإذن في دخول محفل. وفي نسخة إذا استأذن. (لم يؤذن [له]) أي لعدم ماله وجاهه (وإن شفع) أي لأحد (لم يشفع) بتشديد الفاء المفتوحة، أي لم تقبل شفاعته. وتوضيحه ما قيل إن فيه إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث يفنى بكليته في نفسه لا يبتغي مالاً ولا جاهاً عند الناس، بل يكون عند الله وجيهاً، ولم يقبل الناس شفاعته وعند الله يكون شفيعاً مشفعاً. (رواه البخاري) وروى الترمذي صدر الحديث بلفظ: لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم. مختصراً[١].

٥١٦٢ ـ (وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إن مما أخاف عليكم) أي من جملة ما أخشى عليكم أيها الصحابة أو أيها الأمة (من بعدي) أي بعد وفاتي وفقد حياتي (ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا) بفتح الزاي وسكون الهاء، ويفتح. ففي القاموس: الزهرة ويحرك النبات أو نوره أو الأصفر منه، والمراد حسنها وبهجتها، فقوله: (وزينتها) عطف تفسير. وإنما عبر بالزهرة إشارة إلى حدوثها خضرة وحلوة وسرعة فنائها. والمعنى أني أخاف عليكم أن كثرة أموالكم عند فتح بلادكم تمنعكم من الأعمال الصالحة وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث فيكم الأخلاق الدنية من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه، وما يتعلق بهما من لوازم الأمور الدنيوية والإعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الأحوال الأخروية. (فقال رجل: يا رسول الله، أو يأتي الخير بالشر) بفتح الواو، والاستفهام للاسترشاد. والمعنى: أيفتح علينا ويأتي الخير من الغنائم والمال والحلال وتوسيع الرزق مصحوباً بالشر المترتب[٢] عليه ترك الخير من الطاعة والعبادة مما يخاف علينا. وقيل: الباء صلة يأتي وهي للتعدية، أي هل يستجلب الخير الشر. وتوضيحه أن حصول الغنيمة لنا خير، وهل يكون ذلك الخير سبباً للشر.

---

(١) الترمذي في السنن الحديث رقم ٢٣٧٥.

الحديث رقم ٥١٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٣٢٧. حديث رقم ١٤٦٥. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٨ حديث رقم (١٢٣/ ١٠٥٢). والترمذي في السنن ٤/ ٥٥٣ حديث رقم ٢٤٦٣.

(٢) في المخطوطة «مرتب».

فسكت، حتى ظنّنا أنه يُنْزَلُ عليه قال: فمسح عنه الرُّحَضاء وقال: «أين السائلُ؟». وكأنه حمده فقال: «إِنه لا يأتي الخيرُ بالشَّر وإِنَّ مما ينبتُ الربيعُ ما يقتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ، إِلا آكِلَةَ الخَضِرِ أكلت حتى امتدت خاصرتاها، استقبلت عينَ الشمس فثلَطَت وبالت ثم عادت فأكلت.

(فسكت) أي متأملاً أو مستغرقاً أو منتظراً للوحي [سكوتاً ممتداً **(حتى ظننا أنه ينزل)** بصيغة المجهول، أي نزل الوحي. **(عليه)** أي بواسطة جبريل. وإلا ﴿**فهو ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾ إما وحياً جلياً أو خفياً، **(قال:)** أي الراوي **(فمسح عنه)** [أي] عن وجهه الشريف **(الرحضاء)** بضم الراء وفتح الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبالمد، عرق الحمى على ما في المقدمة. والمراد هنا[1] عرق يظهر عليه ﷺ عند نزول الوحي عليه، فالتركيب من باب التشبيه البليغ. والمعنى: أنه مسح عنه عرقاً كعرق أثر الحمى ترحض الجسد، أي تغسله من كثرته. **(وقال: أين السائل وكأنه)** أي النبي ﷺ. **(حمده)** أي حمد السائل واستحسنه في سؤاله لكونه سؤال استرشاد لنفع[2] العباد والعُبَّاد. **(فقال: إنه)** أي الشأن **(لا يأتي الخير بالشر)** أي حقيقة لتنافيهما، لكن قد يكون الخير سبباً للشر، فضرب لذلك مثلاً بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال: **(وإن مما ينبت الربيع)** أي بقدرته تعالى وإرادته وخلق أسبابه وآلته. **(ما يقتل)** أي نباتاً أو شيئاً يهلك الدواب **(حبطاً)** بفتحتين أي انتفاخ بطن من الامتلاء وهو تمييز. والمراد أنه قد يقتل حقيقة. **(أو يلم)** بضم ياء وتشديد ميم، أي يكاد أن يقتل ويقرب أن يهلك، فأو للتنويع. والمعنى أن الربيع ينبت خيار العشب فتستكثر منه الماشية لاستطابتها إياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال، فتنفتق أمعاؤها من ذلك فتموت أو تقرب الموت. ومن المعلوم أن الربيع ينبت أضراب العشب فهي كلها خير في نفسها، وإنما يأتي الشر من قبل إفراط الأكل، فكذلك المفرط في جمع المال من غير حله أو من الحلال المشغل عن حاله، يكثر في التنعيم بماله من غير تأمل في مآله فيقسو قلبه من كثرة الأكل فيورث الأخلاق الدنية فيتكبر ويتجبر ويحقر الناس ويمنع ذا الحق الحق منها، فحيث آل مآل المال لهلاكه في الدنيا ولعذابه في العقبى يصير سبباً للوبال وشدة النكال وسوء الحال. **(إلا آكلة الخضر)** بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وهو الطري الغض من النبات. وفي نسخة بضم ففتح على أنه جمع خضرة، وروي بزيادة الهاء. والمعنى يقتل أو يلم كل آكلة إلا آكلة الخضر على الوجه المذكور والبيان المسطور بقوله: **(أكلت)** أي الماشية الآكلة المفرطة في أكلها. **(حتى امتدت)** أي امتلأت وشبعت **(خاصرتاها)** أي جنباها. وعبر عن الشبع بامتدادهما لأنهما يمتدان عند امتلاء البطن. **(استقبلت عين الشمس)** أي ذاتها وقرصها. والمعنى: إنها بركت مستقبلة إليها تستمري بذلك ما أكلت. وقال شارح: أي تركت الأكل ولم تأكل ما فوق طاقة كرشها حتى تقتلها كثرة الأكل، وتوجهت إلى مسقط ضوئها واستراحت فيه. **(فثلطت)** أي ألقت روثها رقيقاً سهلاً **(وبالت)** أي فزال عنها الحبط **(ثم عادت فأكلت)** أي ثم إذا حصل لها

(١) في المخطوطة «منها».
(٢) في المخطوطة «يمنع».

. . . .

خفة واحتاجت إلى الأكل عادت فأكلت. كذلك من أخرج ما في المال من الحقوق وعالج نفسه بالاحتماء عن مساوي الأغنياء وعرف الداء والدواء بتتبع كلام الحكماء من الأنبياء والأولياء، فيكون المال حينئذ خيراً له لأنه معونة له في تحصيل الخير ودفع الشر. لكن لما كان الخطر فيه كثيراً بحيث يضر السالكين بحسب الأغلب، اختار الله لأكثر الأنبياء والأولياء طريق الفقر والفاقة. وذهب الصوفية أجمعهم والعلماء أكثرهم إلى أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر والله سبحانه [وتعالى] أعلم، هذا مجمل الكلام في مرام المقام. وأما تفصيله لغة وحلاً من جهة المبنى والمعنى ففي النهاية: الحبط بالتحريك الهلاك. يقال: حبطت الدابة تحبط حبطاً بالتحريك إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت. وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منه الماشية ويلم، أي يقرب ويدنو من الهلاك. والخضر بكسر الضاد نوع من البقول ليس من أحرارها وجيدها وإنما ترعاها المواشي إذا لم تجد غيرها فلا تكثر من أكلها ولا تستمرئها. قال القاضي: أكله نصب على أنه مفعول يقتل والاستثناء مفرغ. والأصل أن مما ينبت الربيع ما يقتل أكله إلا أكل الخضر على هذا الوجه، وإنما صح الاستثناء المفرغ من المثبت لقصد التعميم فيه ونظيره: قرأت إلا يوم كذا. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]، وعليه ظاهر كلام المظهر: والأظهر أن الاستثناء منقطع لوقوعه في الكلام المثبت، وهو غير جائز عند الكشاف في أكثر النسخ إلا بالتأويل فيه، لأن ما يقتل حبطاً بعض[1] ما ينبت الربيع لدلالة من التبعيضية عليه والتقسيم في قوله: إلا آكلة الخضر، لأن الخضر غير ما يقتل حبطاً، يشهد له ما في شرح السنة. قال الأزهري: فيه مثلان، ضرب أحدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها، وضرب الآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها. وأما قوله: وإن مما[2] ينبت الربيع ما يقتل حبطاً. فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حق، وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر[3] منها الماشية حتى تنتفخ بطونها لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنفتق أمعاؤها فتهلك، كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويمنع ذا الحق حقه يهلك في الآخرة بدخول النار. وأما مثل المقتصد فقوله ﷺ: إلا آكلة الخضر. وذلك أن الخضر ليست من أحرار البقول التي ينبتها الربيع فتستكثر[4] منها الماشية ولكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيئاً فشيئاً من غير استكثار. فضرب مثلاً لمن يقتصد في أخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على أخذها فهو ينجو من وبالها. قال الأشرف في قوله: حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس. أن المقتصد المحمود العاقبة وإن جاوز حد الاقتصاد في بعض الأحيان وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الإنسان، وهو المعني بقوله: أكلت حتى امتدت خاصرتاها. لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم ولا يلْبث عليه، بل يلتجىء إلى الدلائل النيرة والبراهين الواضحة الدافعة

---

(١) في المخطوطة زيادة «الربيع».
(٢) في المخطوطة «بما».
(٣) في المخطوطة «فتكثر».
(٤) في المخطوطة «فتكثر».

وإن هذا المالَ خَضِرةٌ حُلوةٌ، فمن أخذه بحقّه، ووضعه في حقّه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبَعُ، ويكون شهيداً عليه يومَ القيامة»

للحرص المهلك القامعة له، وهو المدلول عليه بقوله: استقبلت عين الشمس وثلطت وبالت. فحذف ما حذف في المرة الثانية لدلالة ما قبلها عليه. وفيه إرشاد إلى أن المحمود العاقبة وإن تكرر منه الخروج عن حد الاقتصاد والقرب من حد الإسراف مرة بعد أولى وثانية بعد أخرى لغلبة الشهوة عليه وقوتها فيه، لكنه يمكن أن يبعد بمشيئة الله تعالى عن الحد المذموم الذي هو الإسراف ويقرب من الاقتصاد الذي هو الحد المحمود. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى هذا الاستثناء متصل، لكن يجب التأويل في المستثنى منه. والمعنى أن من جملة ما ينبت الربيع شيئاً يقتل آكله إلا الخضر منه إذا اقتصد فيه آكله وتحرى دفع[1] ما يؤديه إلى الهلاك. **(وإن هذا المال)** أي المحسوس في البال **(خضرة)** بفتح فكسر **(حلوة)** بضم الحاء أي حسنة المنظر لزيادة المذاق. والتأنيث باعتبار أن هذا المال عبارة عن الدنيا وزينتها، إذ التقدير أن زهرة هذا المال خضرة حلوة. قال التوربشتي رحمه الله: كذلك نرويه من كتاب البخاري على التأنيث. وقد روي أيضاً: خضر حلو. والوجه فيه أن يقال: إنما أنث على معنى تأنيث المشبه به أي أن هذا المال شيء كالخضرة. وقيل: معناه كالبقلة الخضرة أو يكون على معنى فائدة المال، أي إن الحياة أو المعيشة خضرة. قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يعبر عن المال بالدنيا لأنه أعظم زينتي الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾ [الكهف ـ ٤٦]. فيوافق حديث أبي سعيد الخدري: الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم. على ما مر في الباب السابق. اهـ. والمعنى أن هذا المال[2] جنسه أو نوع مشبه بالمرعى المشتهاة للأنعام[3]. **(فمن أخذه بحقه)** أي بقدر احتياجه من طريق حله أي في محله الواجب أو ندبه **(فنعم المعونة)** أي ما يعان به على [الـ] طاعة ويدفع به ضرورات المؤنة. إذ المراد بالمعونة الوصف مبالغة، أي فنعم المعين على الدين. **(هو)** أي المال. ونظيره ما ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح. **(ومن أخذه بغير حقه)** أي من غير احتياج إليه وجمعه من حرام ولم يصرفه في مرضاة ربه **(كان كالذي يأكل ولا يشبع)** فيقع في الداء العضال والورطة المهلكة لغلبة الحرص، كالذي به جوع البقر وكالمريض الذي به الاستسقاء حيث ما يروى: وكل ما يشرب يزيد عطشاً وانتفاخاً. **(ويكون)** أي المال **(شهيداً عليه يوم القيامة)** أي حجة عليه يوم يشهد على حرصه وإسرافه وإنه أنفقه فيما لا يرضاه الله [تعالى] ولم يؤد حقه من مال الله لعباد الله. قال الغزالي [رحمه الله]: مثال المال مثال الحية التي فيها ترياق ناقع وسم نافع، فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن شرها وطريق استخراج ترياقها كانت نعمة، وإن أصابها السوادي الغبي

---

(١) في المخطوطة «رفع».

(٢) في المخطوطة زيادة بعد كلمة المال: «جنسه أو نوع خاص منه من مال بيت المال ونحوه ناعم مستحسن لوناً وطعماً. مشتهى الأنفس أكثر الأنام».

(٣) في المخطوطة «المشتهية الأنعام».

متفق عليه.

٥١٦٣ ـ (٩) وعن عمرو بن عوفٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فوالله لا الفقرَ أخشى** عليكم، ولكن أَخْشَى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أَهْلَكَتْهُمْ». متفق عليه.

فهي عليه بلاء مهلك. وتوضيحه ما قاله الخواجة عبيد الله النقشبندي [رحمه الله]: أن الدنيا كالحية فكل من يعرف رقيتها يجوز له أخذها وإلا فلا. فقيل: وما رقيتها. فقال: أن يعرف من أين يأخذها وفي أين يصرفها. **(متفق عليه)**.

٥١٦٣ ـ **(وعن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ: فوالله لا الفقر)** بالنصب مفعول مقدم للاهتمام على عامله. وهو قوله: **(أخشى عليكم)** والمعنى: ما أخشى عليكم الفقر لأن الغالب عليه السلامة وأنه أنفع لكم، ولذا قيل: إن من العصمة أن لا تقدر وإن كان كاد الفقر أن يكون كفراً. **(ولكن أخشى عليكم أن تبسط)** أي توسع **(عليكم الدنيا)** أي فتعملوا معاملة الأغنياء الأغبياء فتهلكوا بأنواع البلاء **(كما بسطت على من كان قبلكم)** أي فهلكوا بسبب عدم ترحمهم على الفقراء لأجل كمال الميل إلى المال **(فتنافسوها)** بحذف إحدى التاءين عطف على تبسط من نافست في الشيء، أي رغبت فيه. وبحقيقة أن المنافسة والتنافس ميل النفس إلى الشيء النفيس، ولذا قال تعالى: ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾. والمعنى: فتختاروها أنتم وترغبوا فيها غاية الرغبة **(كما تنافسوها)** بصيغة الماضي، أي كما رغب فيها من قبلكم **(وتلهككم)** أي الدنيا **(كما أهلكتهم)** قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما الفائدة في تقديم المفعول في القرينة الأولى دون الثانية، قلت: فائدته الاهتمام بشأن الفقر لأن الأب المشفق إذا احتضر إنما يكون اهتمامه بشأنه الولد وضياعه وإعدامه المال، كأنه ﷺ يقول: حالي معكم خلاف حال الوالد، فإني لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد ولكن خوفي من الغنى الذي هو مطلوب الوالد للولد. ثم التعريف في الفقر إما أن يكون للعهد فهو الفقر الذي كانت الصحابة عليه من الإعدام والقلة، والبسط [هو ما بسط] الله عليهم من فتح البلاد. وإما للجنس وهو الفقر الذي يعرفه كل أحد كما هو، والبسط الذي يعرفه كل أحد؛ ونظيره ما فسر به قوله تعالى: ﴿**فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً**﴾ [الشرح ـ ٥ ـ ٦]. اهـ. والظاهر أن المراد بالفقر ما لم يكن عنده جميع ما يحتاج إليه من ضروريات الدين والبدن، وبالغنى الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة للطغيان وشغل الإنسان عن عبادة الرحمٰن. فالمعنى كما قال الطيبي [رحمه الله]: ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها وتحرصون على إمساكها فتطغون بها فتهلكون بها. قال تعالى: ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى**﴾. ويحتمل أن يكون هلاكهم من أجل أن

الحديث رقم ٥١٦٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣١٩. حديث رقم ٤٠١٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم ٦/ ٢٩٦١. والترمذي في السنن ٢٤٦٢. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٣٤ حديث رقم ٣٩٩٧.

٥١٦٤ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ اجعل رزق آلِ محمدٍ قوتاً» وفي روايةٍ: «كفافاً».

المال مرغوب فيه فيطمع الناس ويتوقعون منه فمنعه منهم فتقع العداوة بينهم فيفضي ذلك إلى الهلاك. اهـ. وهذا الاحتمال بعيد عن أن يكون مراد الحديث بل محال [بلا مجال]. **(متفق عليه)** وروى الطبراني في الصغير عن أنس مرفوعاً قال: من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه تعالى، ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغنى لينال مما في يديه أسخط الله تعالى، ومن أعطى القرآن فدخل النار فأبعده الله تعالى. ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء إلا أنه قال في آخره: ومن قعد أو جلس إلى غنى فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار.

٥١٦٤ ـ **(وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: اللهم اجعل رزق آل محمد)** أي ذريته وأهل بيته أو أتباع محمد وأحبابه على وجه الكمال **(قوتاً)** أي ما يكسب قوّة[1] على الطاعة ويسد رمقاً في المعيشة. **(وفي رواية: كفافاً)** بفتح الكاف، وهو من القوت ما يكف الرجل من الجوع أو عن السؤال. والظاهر أن هذه الرواية تفسير للأولى وبيان أن الاكتفاء بأدنى المعيشة هو الطريق الأولى. وقد استجاب الله دعاءه في حق من شاءه ممن أراد اصطفاءه واجتباءه. ويؤيد القول الثاني وهو أن يكون المراد بالآل خواص أمته من أرباب الكمال ما ورد في دعائه عليه الصلاة والسلامُ على ما رواه ابن ماجه عن عمرو بن غيلان الثقفي، والطبراني عن معاذ بن جبل: اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك وعجل له القضاء. ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره[2]. ولعل السبب في ذلك ما ورد عنه ﷺ: قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وفي رواية قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. ونعم ما قال بعض أرباب الحال:

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

هذا وفي النهاية: الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه. قال الطيبي رحمه الله: هذه الرواية مفسرة للرواية الأولى لأن القوت ما يسد به الرمق. وقيل: سمي قوتاً لحصول القوّة منه، سلك ﷺ طريق الاقتصاد المحمود. فإن كثرة المال تلهي وقلته تنسي فما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى. وفي دعاء النبي ﷺ إرشاد لأمته كل الإِرشاد إلى أن الزيادة

الحديث رقم ٥١٦٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٨١. حديث رقم ٦٤٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨١ حديث رقم (١٨ ـ ١٠٥٥). والترمذي في السنن ٤/ ٥٠١ حديث رقم ٢٣٦١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٧. حديث رقم ٤١٣٩. وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٦.

(١) في المخطوطة «يكتسب قوتاً».

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٥ حديث رقم ٤١٣٣.

متفق عليه.

٥١٦٥ ـ (١١) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً، وقنَّعه الله بما آتاه». رواه مسلم.

٥١٦٦ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالي مالي.

على الكفاف لا ينبغي أن يتعب الرجل في طلبه لأنه لا خير فيه. وحكم الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فمنهم من يعتاد قلة الأكل حتى أنه يأكل في كل أسبوع مرة فكفافه وقوته تلك المرة في أسبوع، ومنهم من يعتاد الأكل في كل يوم مرة أو مرتين فكفافه ذلك أيضاً لأنه إن تركه أضره ذلك ولم يقو على الطاعة. ومنهم من يكون كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله، ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج إلى طلب الزيادة وكثرة الاشغال. فإذا قدر[١] الكفاية[٢] غير مقدر ومقداره غير معين، إلا أن المحمود ما به من القوّة على الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة. (متفق عليه) وفي الجامع: اللهم ارزق آل محمد في الدنيا قوتاً. رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة[٣].

٥١٦٥ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قال رسول الله ﷺ: قد أفلح) أي فاز وظفر بالمقصود (من أسلم) أي انقاد لربه المعبود (ورزق) أي من الحلال (كفافاً) أي ما كفاه في أمر دنياه وكفه عما سواه. (وقنعه الله) أي جعله قانعاً (بما آتاه) أي بما أعطاه إياه، بل جعله شاكراً لما[٤] أعطاه راضياً بكل ما قدره وقضاه. (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه. وفي رواية لأحمد عن أبي ذر مرفوعاً: قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه [سليماً] ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة [وأذنه مستمعة] وعينه ناظرة. وجاء في رواية مختصراً: قد أفلح من رزق لباً. رواه البيهقي عن قرة بن هبيرة[٥]. وقد قال تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ [المؤمنون ـ ١ ـ ٢] الآيات. والله [تعالى] أعلم بحقيقة النيات.

٥١٦٦ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يقول العبد:) أي مع أن العبد وما في يده لمولاه ولا ينبغي له أن ينسب إلى نفسه شيئاً، كما قالته الصوفية الصفية. (مالي مالي.)

---

(١) في المخطوطة «فإذن». (٢) في المخطوطة «الكناف».

(٣) الجامع الصغير ١/ ٨٩ حديث رقم ١٤٤٩ وفيه: «اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً».

الحديث رقم ٥١٦٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٧٣٠ حديث رقم (١٢٥ . ١٠٥٤) والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٧ حديث رقم ٢٣٤٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٦ حديث رقم ٤١٣٨ وأحمد في المسند ٢/ ١٦٨.

(٤) في المخطوطة «ما». (٥) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٤٦٥٥.

الحديث رقم ٥١٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم (٤ . ٢٩٥٩). والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٢٣٤٢. والنسائي في السنن ٦/ ٢٣٨ حديث رقم ٣٦١٣ وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٨.

وإنَّ ما له من ماله ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى. وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركهُ للناس». رواه مسلم.

٥١٦٧ ـ (١٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبعُ الميّتَ ثلاثةٌ: فيرجع اثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله ومالهُ وعملُه، فيرجعُ أهلُه ومالهُ، ويبقى عمله». متفق عليه.

٥١٦٨ ـ (١٤) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم مالُ وارثِهِ أحبُّ إليه

أي مالي كذا مالي كذا. والمعنى يعده افتخاراً أو يذكره احتقاراً، أو لم يعرف المقصود من المال ولا ما يترتب عليه في المآل من الوبال. **(وإن ما له من ماله ثلاث)** ما الأولى موصولة وله صلته، ومن ماله متعلق بالصلة وثلاث خبر. وإنما أنثه على تأويل المنافع ذكره الطيبي [رحمه الله]. والمعنى أن الذي يحصل له من ماله ثلاث منافع في الجملة، لكن منفعة واحدة منها حقيقة باقية والباقي منها صورية فانية. **(ما أكل)** أي ما استعمل من جنس المأكولات والمشروبات، بغية تغليب أو اكتفاء. **(فأفنى)** أي فأعدمها **(أو لبس)** أي من الثياب **(فأبلى)** أي فأخلقها **(أو أعطى)** أي لله تعالى **(فاقتنى)** أي جعله قنية وذخير للعقبى **(وما سوى ذلك)** أي وما عدا ما ذكر من سائر أنواع المال من المواشي والعقار والخدم والنقود والجواهر ونحو ذلك **(فهو)** أي العبد **(ذاهب)** أي عنه **(وتاركه للناس)** أي من الورثة أو غيرهم بلا فائدة راجعة إليه، مع أن مطالبة المحاسبة والمعاقبة عليه **(رواه مسلم)**.

٥١٦٧ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يتبع الميت)** أي إلى قبره **(ثلاثة)** أي من أنواع الأشياء **(فيرجع اثنان)** أي إلى مكانهما ويتركانه وحده **(ويبقى معه واحد)** أي لا ينفك عنه **(يتبعه أهله)** أي أولاده وأقاربه وأهل صحبته ومعرفته **(وماله)** كالعبيد والإماء والدابة والخيمة ونحوها. قال المظهر: أراد بعض ماله وهو مماليكه. وقال الطيبي [رحمه الله]: اتباع الأهل على الحقيقة واتباع المال على الاتساع، فإن المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز والتكفين ومؤونة الغسل والحمل والدفن، فإذا دفن انقطع تعلقه بالكلية. **(وعمله)** أي من الصلاح وغيره **(فيرجع أهله وماله)** أي كما تشاهد حاله ومآله(١) **(ويبقى)** أي معه **(عمله)** أي ما يترتب عليه من ثواب وعقاب. ولذا قيل: القبر صندوق العمل. وفي الحديث: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران. **(متفق عليه)**.

٥١٦٨ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أيكم مال وارثه أحب إليه**

الحديث رقم ٥١٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٦٢. حديث رقم ٦٥١٤. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم ٥/ ٢٩٦٠. والنسائي في السنن ٦/ ٥٣ حديث ١٩٣٧ والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٩ حديث رقم ٢٣٧٩. وأحمد في المسند ٣/ ١١٠.

(١) في المخطوطة «قاله وماله».

الحديث رقم ٥١٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٦٠. حديث رقم ٦٤٤٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٢.

من ماله؟» قالوا: يا رسول الله! ما منَّا أحدٌ إلا مالهُ أحبُّ إليه من مال وارثه. قال: «فإنِ مالَه ما قدَّم، ومالَ وارثِه ما أخَّر». رواه البخاري.

٥١٦٩ ـ (١٥) وعن مُطرِّف، عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ قال: «يقول ابنُ آدم: مالي مالي». قال: «وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت؟». رواه مسلم.

٥١٧٠ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ

من ماله) أي من مال نفسه **(قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. قال: فإن ماله)** أي حقيقة **(ما قدم)** أي ما قدمه على موته بإرساله إلى الدار الآخرة فإنه النافع الباقي له فيها. قال تعالى: **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾** [البقرة ـ ١١٠]. **(ومال وارثه ما أخر)** أي ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدره الله عليهم من الخير والشر. قال تعالى: **﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾** [الانفطار ـ ٥]. **(رواه البخاري)**.

٥١٦٩ ـ **(وعن مطرف)** بضم الميم وكسر الراء المشددة **(عن أبيه)** أي عبد الله بن الشخير، بكسر فتشديد ومر ذكره. **(قال: أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر﴾)**(١) أي أشغلكم [طلب] كثرة المال **(قال: يقول ابن آدم)** أي لكونه ظلوماً جهولاً في حمل الأمانة المانعة عن الخيانة: **(مالي مالي)** أي يغتر بنسبة المال تارة ويفتخر به أخرى. **(قال:)** أعيد للتأكيد ودفعاً لتوهم أن يكون من قول الراوي. **(وهل لك)** أي وهل يحصل لك من المال وينفعك في المآل **(يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت)** أي فأمضيته من الإفناء والإبلاء وأبقيته لنفسك يوم الجزاء. قال تعالى: **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** [النحل ـ ٩٦]. وقال عزَّ وجلَّ: **﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾** [البقرة ـ ٢٤٥]. **(رواه مسلم)**.

٥١٧٠ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الغنى)** أي المعتبر عند أرباب الحقيقة غنى صادراً **(عن كثرة العرض)** وهو غنى اليد من الأمور العارضة والأحوال الحادثة. وهو بفتح العين والراء، متاع الدنيا وحطامها على ما في النهاية. وقال شارح: العرض بالتحريك يتناول النقود وغيرها من الأموال، وبالسكون لا يتناول النقود. وقال الطيبي [رحمه الله]: وعن هذه مثلها في قوله تعالى: **﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾** [البقرة ـ ٣٦]. الكشاف: أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنه. **(ولكن)** بتشديد

الحديث رقم ٥١٦٩: مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٣ حديث رقم (٣ ـ ٢٩٥٨). وأحمد في المسند ٤/ ٢٤.

(١) سورة التكاثر آية رقم ١.

الحديث رقم ٥١٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٣١/ ٢٧١. حديث رقم ٦٤٤٦. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٦ حديث رقم (١٢٠ ـ ١٠٥١) والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٦ حديث رقم ٣٣٧٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٨٦ حديث رقم ٤١٣٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦١.

الغنى غنى النفس» متفق عليه.

الفصل الثاني

٥١٧١ - (١٧) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذُ عني هؤلاءِ الكلمات

النون ويجوز تخفيفه (**الغنى**) أي الغنى الحقيقي (**غنى النفس**) أي عن المخلوق لاستغناء القلب بإغناء الرب. والمعنى: إن الغنى الحقيقي هو قناعة النفس بما أعطاه المولى والتجنب عن الحرص في طلب الدنيا. فمن كان قلبه حريصاً على جمع المال فهو فقير في حقيقة الحال ونتيجة المآل، وإن كان له كثير من الأموال لأنه محتاج إلى طلب الزيادة بموجب طول الآمال. ومن كان له قلب قانع بالقوت وراض بعطية مالك الملك والملكوت فهو غني بقلبه مستغن عن الغير بربه سواء يكون في يده مال أو لا، إذ لا يطلب الزيادة على القوت ولا يتعب نفسه في طلب الدنيا إلى أن يموت، بل يستعين بالقليل من الدنيا لتحصيل الثواب الجميل في العقبى والثناء الجزيل من المولى، رزقنا الله المقام الأعلى. وفي الحديث: القناعة كنز لا يفنى، وفي رواية: لا ينفد[1]. وما أحسن من قال من أرباب الحال:

عزيز النفس من لزم القناعة ولم يكشف لمخلوق قناعه

قال الأشرف: المراد بغنى النفس القناعة. ويمكن أن يراد به ما يسد الحاجة. قال الشاعر:

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العملية والعلمية. وأنشد أبو الطيب معناه:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

يعني ينبغي أن ينفق ساعاته وأوقاته في الغنى الحقيقي، وهو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا في المال لأنه فقر بعد فقر. اهـ. وقد قال بعض أرباب الكمال:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال

فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم يبقى لا يزال

ومن المعلوم أن المال إرث فرعون وقارون وسائر الكفار والفجار، وأن العلم إرث الأنبياء والأولياء والعلماء الأبرار. (**متفق عليه**) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

(الفصل الثاني)

٥١٧١ - (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من يأخذ عني هؤلاء الكلمات**) أي

---

(١) القضاعي كذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٨٥ حديث رقم ٦١٩٣.

الحديث رقم ٥١٧١: أخرجه الترمذي ٤/ ٤٧٨ حديث رقم ٢٣٠٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٠ حديث رقم ٤٢١٧. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٠.

فيعمل بهنَّ أو يُعلِمُ من يعمل بهنَّ؟» قلت: أنا يا رسول الله! فأخذ بيدي فعَدَّ خمساً، فقال: «اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارْض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكنْ مؤمناً، وأحِبَّ للناسِ ما تُحبُّ لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإنَّ كثرة

الأحكام الآتية للسامع المصوّرة في ذهن المتكلم. ومن للاستفهام. (**فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن**) أو بمعنى الواو كما في قوله تعالى: ﴿**عذراً أو نذراً**﴾ [المرسلات ـ ٦]. ذكره الطيبي [رحمه الله] وتبعه غيره. والظاهر أن أو في الآية للتنويع كما أشار إليه البيضاوي بقوله: عذراً للمحققين أو نذر للمبطلين. ويمكن أن تكون أو في الحديث بمعنى بل، إشارة إلى الترقي من مرتبة الكمال إلى منصة التكميل على أن كونها للتنويع له وجه وجيه وتنبيه نبيه على أن العاجز عن فعله قد يكون باعثاً لغيره على مثله كقوله: فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. (**قلت: أنا**) أي آخذها عنك (**يا رسول الله**) وهذه مبايعة خاصة ومعاهدة خالصة [و] نظيره ما عاهد بعض أصحابه بأنه لا يسأل مخلوقاً، أو كان إذا وقع سوطه من يده وهو راكب نزل وأخذه من غير أن يستعين بأحد من أصحابه. (**فأخذ بيدي**) أي تحقيقاً للقضية وتقريباً للخصوصية (**فعد خمساً**) أي من الخصائل أو من الأصابع على ما هو المتعارف، واحدة بعد واحدة. (**فقال: اتق المحارم**) وهي شاملة لجميع المحرمات من فعل المنهيات وترك المأمورات (**تكن أعبد الناس**) إذ لا عبادة أفضل من الخروج عن عهدة الفرائض. وعوام الناس يتركونها ويعتنون بكثرة النوافل فيضيعون الأصول ويقومون بالفضائل. فربما يكون على شخص قضاء صلوات ويغفل عن أدائها ويطلب علماً أو يجتهد عملاً في طواف وعبادات نفل، أو يكون على أحد من الزكاة أو حقوق الناس فيطعم الفقراء أو يبني المساجد والمدارس ونحوها. ولعل التعبير بالإتقاء اعتناء لجانب الاحتماء على قاعدة الحكماء في معالجة الداء بالدواء. (**وارض بما قسم الله لك**) أي سواء يقع لك بواسطة مخلوق أو بغيرها (**تكن أغنى الناس**) سأل شخص السيد أبا الحسن الشاذلي [رحمة الله] عن الكيمياء فقال: هي كلمتان، اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الله أن يعطيك غير ما قسم لك. وقال السيد عبد القادر الجبلي [عليه رحمة الباري]: اعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب وما ليس يقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد، فاصبر والزم الحال وأرض به ليرضى عنك ذو الجلال. (**وأحسن إلى جارك**) أي ولو أساء إليك (**تكن مؤمناً**) أي كاملاً أو معطياً له الأمن لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه»[١]. أي شروره وغوائله (**وأحب للناس**) أي عموماً (**ما تحب لنفسك**) أي مثل ما تحبه لك خاصة حتى تحب الإيمان للكافر والتوبة للفاجر ونحو ذلك. (**تكن مسلماً**) أي كاملاً. وهذا الحديث أعم من حديث: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. وقد استشهد الطيبي [رحمه الله] به. فالأظهر فيما اعتضده حديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢]. (**ولا تكثر الضحك**) أي تكن طيب القلب وحياً بذكر الرب (**فإن كثرة**

---

(١) البخاري في صحيحه ١٠/٤٤٣ حديث رقم ٦٠١٦.
(٢) مسلم في صحيحه ١/٦٧ حديث رقم ٤٥.

الضحك تميت القلب». رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥١٧٢ ـ (١٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الله تعالى يقول: ابنَ آدم! تَفَرَّغْ لعبادتي أَملأْ صدرك غِنًى وأسدَّ فقرك، وإِن لا تفعلْ ملأتُ يدك شغلاً ولم أَسُدَّ فقرك». رواه أحمد، وابن ماجه.

الضحك) أي المورثة للغفلة عن الاستعداد للموت وما بعده من الزاد للمعاد **(تميت القلب)** أي إن كان حياً ويزيد اسوداداً إن كان ميتاً **(رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب)**. وفي التصحيح للجزري رواه الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة، والحسن لم يسمع من أبي هريرة. قال: وروى أبو عبيدة الباجي عن الحسن هذا الحديث قوله: ولم يذكر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي: الحسن لم يسمع من أبي هريرة. [و] رواه البزار والبيهقي بنحوه في كتاب الزهد له عن مكحول عن واثلة، لكن بقية إسناده فيه ضعف ذكره ميرك. وفيه أن حديث الحسن اعتضد بحديث مكحول فترقى عن درجة الضعف، مع أنه معتبر في فضائل الأعمال إجماعاً.

٥١٧٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول: ابن آدم)** خص بالنداء لأنه عمدة العابدين، وأضيف إلى آدم إشعاراً بأنه يتبعه في مرتبة التائبين. **(تفرغ لعبادتي)** أي بالغ في فراغ قلبك لعبادة ربك. **(املأ صدرك غنى)** أي أحسن قلبك علوماً ومعارف تورث الغنى عن غير المولى. **(وأسد فقرك)** أي وأسد باب حاجتك إلى الناس. وهو بفتح الدال المشددة في النسخ المصححة لعطفه على المجزوم من جواب الأمر. وفي نسخة بضمها لمتابعة عينها. وقد جوّز في لم بمد الحركات الثلاث مع الإِدغام. **(وإن لا تفعل)** أي ما أمرتك من الإعراض عن الدنيا والإِقبال على عبادة المولى النافعة في الدنيا والأخرى **(ملأت يدك)** أي جوارحك كما يدل عليه رواية يديك[١]. وفي الجامع يديك بصيغة التثنية. وإنما خصت اليد لمزاولة أكثر الأفعال بها. **(شغلاً)** بضم فسكون، ويجوز ضمهما وفتحهما. وفتح فسكون على ما في القاموس، أي اشتغالاً من غير منفعة. **(ولم أسد فقرك)** أي لا من شغلك[٢] ولا من غيره. وحاصله أنك تتعب نفسك بكثرة التردد في طلب المال ولا تنال إلا ما قدرت لك من المال في الأزل، وتحرم عن غنى القلب لترك عبادة الرب. **(رواه أحمد وابن ماجه)** وكذا الترمذي والحاكم على ما ذكر في الجامع[٣]. وفي التصحيح رواه الترمذي وابن ماجه من طريق أبي خالد الوالبي واسمه هريرة[٤]، ويقال: هرم عن أبي هريرة. قال ابن عدي في حديث

الحديث رقم ٥١٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٤ حديث رقم ٢٤٦٦ حديث رقم ٢/ ٣٥٦ وابن ماجه ٢/ ١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٧.

(١) في المخطوطة «بذلك».
(٢) في المخطوطة «بشغلك».
(٣) الجامع الصغير ١/ ١١٨ حديث رقم ١٩٢٥.
(٤) في المخطوطة «هرز».

٥١٧٣ - (١٩) وعن جابرٍ، قال: ذُكر رجلٌ عند رسول الله ﷺ بعبادةٍ واجتهادٍ، وذُكِرَ آخَرُ بِرِعَةٍ فقال النبي ﷺ: «لا تعدِلْ بالرِّعة». يعني الورع. رواه الترمذيُّ.

أبي خالد لين. وقال الحافظ المنذري في الترغيب: رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن. وابن حبان في صحيحه باختصار إلا أنه قال: يديك شغلاً. والحاكم وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في كتاب الزهد. قال ميرك: وله شاهد من حديث معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: يقول ربكم: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ قلبك غنى واملأ يديك رزقاً. يا ابن آدم لا تباعد عني املأ قلبك فقراً وأملأ بدنك شغلاً[١]. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وروى ابن عساكر والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً: خير سليمان بين المال والملك والعلم فاختار العلم فأعطي الملك والمال لاختياره العلم[٢]. وروى البيهقي عن عمران بن حصين مرفوعاً: من انقطع إلى الله عزَّ وجلَّ كفاه كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب. ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله تعالى إليها. وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة، والبيهقي عن علي مرفوعاً: آلى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب[٣].

٥١٧٣ - **(وعن جابر قال: ذكر رجل عند رسول الله ﷺ بعبادة واجتهاد)** أي في طاعة مع قلة ورع عن معصية. والتنوين فيهما للتعظيم أو للتنكير **(وذكر)** أي عنده **(آخر برعة)** بكسر الراء على وزن عدة أي بورع عن حرام مع قلة عبادة. والمعنى أنه طلب منه ﷺ بيان الأفضل منهما. **(فقال النبي ﷺ: لا تعدل)** بصيغة الفاعل مجزوماً، وقيل بصيغة المفعول مرفوعاً. أي لا تزن ولا تقابل العبادة. **(بالرعة يعني الورع)** تفسيره من الراوي. والمراد بالورع التقوى عن المحرمات، فإنه قد يفضي إلى امتثال الواجبات من العبادات. قال المظهر: لا تعدل يجوز أن يكون نهي المخاطب المذكر[٤] مجزوم اللام، يعني لا تقابل شيئاً بالرعة وهي بكسر الراء وتخفيف العين الورع، فإن الورع أفضل من كل خصلة. ويجوز أن يكون خبراً منفياً بضم التاء وفتح الدال، أي لا تقابل خصلة بالورع فإنه أفضل الخصال. قال الراغب: الورع في عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا، وذلك ثلاثة أضرب: واجب، وهو الإحجام عن المحارم وذلك للناس كافة. وندب، وهو الوقوف عند الشبهات وذلك للأوسط. وفضيلة، وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار[٥] على أقل الضرورات، وذلك للنبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. **(رواه الترمذي)**. قال الطيبي رحمه الله: وقد ألحق في بعض

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٦.

(٢) مسند الفردوس ٢/ ١٩٢ حديث رقم ٢٩٥٧.

(٣) مسند الفردوس ١/ ٤٢١ حديث رقم ١٧١٤.

الحديث رقم ٥١٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٧ حديث رقم ٢٥١٩.

(٤) في المخطوطة الجملة بهذا اللفظ: «نهي عن المخاطب المذكور».

(٥) في المخطوطة «الاقتصاد».

٥١٧٤ ـ (٢٠) وعن عمرو بن ميمون الأَوْدي، قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: «اغتَنِمْ خمساً قبل خمس: شبابَك قبل هَرَمِك، وصحَّتك قبل سَقَمِك، وغِناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شغلِك، وحياتَك قبل موتِك». رواه الترمذي مرسلاً.

٥١٧٥ ـ (٢١) وعن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «ما ينتظرُ أحدُكم

نسخ المصابيح بعد قوله: لا تعدل بالرعة، قوله: شيئاً. وليس في جامع الترمذي وأكثر نسخ المصابيح منه أثر. قلت: وفي الجامع ضبط لا يعدل بصيغة المذكر المجهول، على أن الجار والمجرور نائب الفاعل وهو ظاهر جداً حيث لا يحتاج إلى تقدير شيء مطلقاً.

٥١٧٤ ـ (**وعن عمرو بن ميمون الأودي**) بفتح فسكون فمهملة، نسبة إلى أود بن صعب ذكره السيوطي [رحمه الله]. وقال المؤلف: أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه. وهو معدود في كبار التابعين من أهل الكوفة. روي عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود: (**قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:**) حال (**اغتنم**) من الاغتنام، وهو أخذ الغنيمة. (**خمساً**) أي من الأحوال الموجودة في الحال. (**قبل خمس**) أي من العوارض المتوقعة في الاستقبال. (**شبابك**) أي زمان قوّتك على العبادة (**قبل هرمك**) بفتحتين أي قبل كبرك وضعفك عن الطاعة (**وصحتك**) أي ولو في هرمك (**قبل سقمك**) بفتحتين وبضم فسكون، أي مرضك. (**وغناك**) أي قدرتك على العبادات المالية والخيرات والمبرات الأخروية في مطلق الأحوال ومن أعم الأموال. (**قبل فقرك**) أي فقدك إياه بالحياة أو الممات، فإن المال في صدد الزوال. (**وفراغك قبل شغلك**) سبق بيان مبناه ومعناه (**وحياتك**) ولو في الكبر المقرون بالمرض والفقر الممكن فيه الإتيان بذكر الله (**قبل موتك**) أي وقت إتيان أجلك وانقطاع عملك. (**رواه الترمذي مرسلاً**) قال الجزري [رحمه الله] في التصحيح: حديث عمرو بن ميمون رواه النسائي هكذا مرسلاً، وعمرو بن ميمون تابعي كبير من المخضرمين أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه. قال ميرك: وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس. الحديث بهذا اللفظ أخرجه الحاكم[1] وقال: صحيح على شرطهما. قلت: وفي الجامع بلفظ: اغتنم خمساً قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك. رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعاً. وورواه أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا[2].

٥١٧٥ ـ (**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ما ينتظر أحدكم**) خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم، أي متى تعبدون ربكم فإنكم إن لم تعبدوه مع قلة الشواغل

الحديث رقم ٥١٧٤: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٢٤ حديث رقم ٤٠٢١.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٣٠٦ . (٢) الجامع الصغير ١/ ٧٧ حديث رقم ١٢١٠.

الحديث رقم ٥١٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٧٨ حديث رقم ٢٣٠٦.

إلا غنًى مُطْغياً، أو فَقراً مُنسِياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنِداً، أو موتاً مُجْهِزاً، أو الدجالَ، فالدجالَ شرُّ غائبٍ ينتظر، أو السَّاعةَ، والساعةُ أدهى وأمرُّ»

وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعفت القوى، لعل أحدكم ما ينتظر. **(إلا غنى مطغياً)** أي جاعلك طاغياً عاصياً مجاوزاً للحد **(أو فقراً منسياً)** من باب الافعال. ويجوز أن يكون من باب التفعيل، ولكن الأول أولى لمشاكلة الأولى، أي جاعلاً صاحبه مدهوشاً ينسيه الطاعة من الجوع والعري والتردد في طلب القوت. **(أو مرضاً مفسداً)** أي للبدن لشدته أو للدين لأجل الكسل الحاصل به **(أو هرماً مفنداً)** بالتخفيف، أي مبلغاً صاحبه إلى الفند وهو ضعف الرأي. يقال: أفنده إذا جعل رأيه ضعيفاً. وقال شارح يقال: فند الرجل إذا كثر كلامه من الخرف، وأفنده الكبر يعني الذي لا يدري ما يقول من غاية كبره. اهـ. والأظهر أن التفنيد للنسبة إلى الخرف ومنه قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه الصلاة والسلام: **﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾** [يوسف ـ ٩٤]. قال البيضاوي [رحمه الله]: أي تنسبوني إلى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم. وفي القاموس: الفند بالتحريك الخرف وإنكار العقل لهرم أو مرض، والخطأ في القول والرأي والكذب كالإِفناد. وفنده تفنيداً كذبه وعجزه وخطأ رأيه كأفنده ولا تقل عجوز مفندة لأنها لم تكن ذات رأي أبداً. اهـ. وكذا قال البيضاوي [رحمه الله] معللاً: يكون نقصان عقلها ذاتي. أقول: ولا شك أن نقصان عقلها إضافي، ومع هذا لا ينافي صحة إطلاقه عليها لنقصان عرضي. [هذا] وفي النهاية: الفند في الأصل الكذب، وأفند تكلم بالفند. وفي الفائق قالوا للشيخ إذا هرم: قد أفند لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة، فشبه بالكاذب في تحريفه والهرم المفند من أخوات قولهم نهاره صائم جعل الفند للهرم وهو للهرم. ويقال أيضاً: أفنده الهرم. وفي كتاب العين: شيخ مفند، يعني منسوب إلى الفند، ولا يقال: امرأة مفندة لأنها لا تكون في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبريتها. قال التوربشتي [رحمه الله]: قوله: مفند، الرواية فيه بالتخفيف ومن شدده[1] فليس بمصيب. **(أو موتاً مجهزاً)** بالتخفيف، أي قاتلاً بغتة من غير أن يقدر على توبة ووصية. ففي النهاية: المجهز هو السريع. يقال: أجهز على الجريح إذا أسرع قتله. قال القاضي [رحمه الله]: الموت المجهز المسرع، يريد به الفجاءة ونحوها مما لم يكن بسبب مرض أو كبر سن، كقتل وغرق وهدم. **(أو الدجال فالدجال)** وفي نسخة والدجال **(شر غائب ينتظر)** أي أسوأه **(أو الساعة)** أي القيامة **(والساعة أدهى)** أي أشد الدواهي وأفظعها وأصعبها **(وأمر)** أي أكثر مرارة من جميع ما يكابده الإِنسان في الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها ولم يعد لها قبل حلولها. قال الطيبي [رحمه الله : الفاء في قوله: فالدجال، تفسيرية لأنه فسر ما أبهم مما سبق، والواو في والساعة نائبة مناب الفاء الملابسة للعطف. قلت: الظاهر أن الواو للحال والله [تعالى] أعلمُ وحاصل مجمل الحديث أنه استبطاء لمن تفرغ لأمر وهو لا يغتنم

---

(١) في المخطوطة «شده».

رواه الترمذي، والنسائي.

٥١٧٦ ـ (٢٢) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا إنَّ الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرُ الله وما والاه، وعالم أو متعلم».

الفرصة فيه، فالمعنى أن الرجل في الدنيا ينتظر إحدى الحالات المذكورة[١]، فالسعيد من انتهز الفرصة واغتنم المكنة واشتغل بأداء مفترضه ومسنونه قبل حلول رمسه. وهذه موعظة بليغة وتذكرة بالغة. **(رواه الترمذي والنسائي)**.

٥١٧٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(أن رسول الله ﷺ قال: ألا)** للتنبيه **(إن الدنيا ملعونة)** أي مبعودة من الله لكونها مبعدة[٢] عن الله **(ملعون ما فيها)** أي مما يشغل عن الله **(إلا ذكر الله)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب وهو استثناء منقطع. **(وما والاه)** أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب. أو معناه ما والى ذكر الله، أي قاربه من ذكر خير أو تابعه من اتباع أمره ونهيه، لأن ذكره يوجب ذلك. قال المظهر: أي ما يحبه الله في الدنيا. والموالاة المحبة بين اثنين، وقد تكون من واحد وهو المراد هنا. يعني: ملعون ما في الدنيا إلا ذكر الله وما أحبه الله مما يجري في الدنيا، وما سواه ملعون. وقال الأشرف: هو من الموالاة وهي المتابعة. ويجوز أن يراد بما يوالي ذكر الله تعالى طاعته واتباع أمره واجتناب نهيه. **(وعالم أو متعلم)** أو بمعنى الواو أو للتنويع، فيكون الواوان بمعنى أو. قال الأشرف: قوله: وعالم أو متعلم في أكثر النسخ مرفوع، واللغة العربية تقتضي أن يكون عطفاً على ذكر الله فإنه منصوب مستثنى من الموجب. قال الطيبي [رحمه الله]: هو في جامع الترمذي هكذا، وما والاه وعالم أو متعلم بالرفع، وكذا في جامع الأصول إلا أن بدل أو فيه الواو. وفي سنن ابن ماجه: أو عالماً أو متعلماً، بالنصب مع أو مكرراً. والنصب في القرائن الثلاث هو الظاهر، والرفع فيها على التأويل، كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمد ما فيها إلا ذكر الله وعالم ومتعلم. قال في مختصر الإحياء: الدنيا أدنى المنزلتين، ولذلك سميت دنيا وهي معبرة إلى الآخرة، والمهد هو الميل الأول واللحد هو الميل الثاني[٣] وبينهما مسافة هي القنطرة، وهي عبارة عن أعيان موجودة للإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل. ويعني بالأعيان: الأرض وما عليها من النبات والحيوان والمعادن، ويعني بالحظ: حيها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالرياء والحقد وغيرهما. ونعني بقولنا: له في إصلاحها شغل أنه يصلحها بحظ له أو لغيره دنيوي أو أخروي فيندرج فيه الحرف والصناعات. وإذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك ما لك فيه لذة في العاجل وهي مذمومة فليست وسائل العبادات من الدنيا كأكل الخبز مثلاً للتقوى عليها. وإليه الإشارة بقوله: الدنيا مزرعة

---

(١) في المخطوطة «المشهورة».

الحديث رقم ٥١٧٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٢٣٢٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١٢.

(٢) في المخطوطة «مبعودة».

(٣) في المخطوطة أبدل كلمتي «الميل» «اليوم».

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥١٧٧ ـ (٢٣) وعن سهل بن سعد، قال: قال

الآخرة. وبقوله ﷺ: الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما كان لله منها. وقال ابن عباس [رضي الله تعالى عنهما]: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء، جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر. فالمؤمن يتزوّد والمنافق يتزين والكافر يتمتع. قال الطيبي [رحمه الله]: وكان من حق الظاهر أن يكتفي بقوله: وما والاه لاحتوائه على جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات الشرع. ثم بينه في المرتبة الثانية بقوله: والعلم. تخصيصاً بعد التعميم دلالة على فضله، فعدل إلى قوله: وعالم ومتعلم. تفخيماً لشأنهما صريحاً بخلاف ذلك التركيب، فإن دلالته عليه بالالتزام، وليؤذن أن جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج ولينبه على أن المعني بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل، فيخرج منها الجهلاء والعالم الذي لم يعمل بعلمه ومن تعلم علم الفضول وما لا يتعلق بالدين. وفي الحديث: [إن] ذكر الله رأس كل عبادة و [رأس كل سعادة]. بل هو كالحياة للأبدان والروح للإنسان، وهل للإنسان عن الحياة غنى وهل له عن الروح معدل، وإن شئت قلت به بقاء الدنيا وقيام السموات والأرض. روينا عن مسلم: قال ﷺ: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله[(١)]. فالحديث إذاً من بدائع الحكم وجوامع الكلم التي خص بها هذا النبي المكرم ﷺ، لأنه دل بالمنطوق على جميع الأخلاق[(٢)] الحميدة وبالمفهوم على رذائلها. **(رواه الترمذي)** أي وقال: حسن. **(وابن ماجه)** وكذا البيهقي، وفي الجامع نسب إليهما بدون لفظ: إلا، وبالنصب ولفظ: أو، في قوله: عالماً أو متعلماً[(٣)]. وهذا في باب الهمزة. وأما في باب الدال فقال: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عزَّ وجلَّ. رواه أبو نعيم في الحلية والضياء عن جابر[(٤)]، وأيضاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً[(٥)]. رواه ابن ماجه عن أبي هريرة، والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد. وأيضاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله. رواه البزار عن أبي مسعود[(٦)]. وأيضاً: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله عزَّ وجلَّ. رواه الطبراني عن أبي الدرداء[(٧)].

٥١٧٧ ـ **(وعن سهل بن سعد)** أي الساعدي الأنصاري صحابيان جليلان. **(قال: قال**

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥١٦). (٢) في المخطوطة «انحلال».
(٣) الجامع الصغير ١/ ١٢١ حديث رقم ١٩٦٧.
(٤) الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٩٠.
(٥) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١٢.
(٦) الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٨٢.
(٧) الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٤٢٨٣.

الحديث رقم ٥١٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٢٣٢٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٧ حديث رقم ٤١١٠.

رسولُ اللّهِ ﷺ: «لو كانتِ الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥١٧٨ ـ (٢٤) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتَّخذوا الضيعةَ فترغبوا في الدنيا». رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإِيمان».

رسول الله ﷺ: **لو كانت الدنيا تعدل** بفتح التاء وكسر الدال، أي تزن وتساوي. **(عند الله جناح بعوضة)** أي ريشة ناموسة، وهو مثل للقلة والحقارة. والمعنى أنه لو كان لها أدنى قدر. **(ما سقى كافراً منها)** أي من مياه الدنيا **(شربة ماء)** أي يمنع[1] الكافر منها أدنى تمتع. فإن الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئاً مما له قدر عند المعطي، فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه كما أشار إليه حديث[2]: إن الله يحمي عبده المؤمن عن الدنيا كما يحمي أحدكم المريض عن الماء. وحديث: ما زويت الدنيا عن أحد إلا كانت خيرة له[3]. ومن كلام الصوفية أن من العصمة أن لا يقدر: وفي دعائه ﷺ الجامع المانع القائم في مقام الرضا القانع بما جرى عليه من القضاء: اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوّة لي فيما تحب، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب[4]. ومن دناءتها لديه أن يكثرها على الكفار والفجار، بل قال تعالى: ﴿**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفاً من فضة**﴾ [الزخرف ـ ٣٣] الآية. وقال ﷺ لعمر: أما ترضى أن يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال تعالى: ﴿**وما عند الله خير للأبرار**﴾ [آل عمران ـ ١٩٨]. ﴿**ورزق ربك خير وأبقى**﴾ [طه ـ ١٣١]. **(رواه أحمد والترمذي وابن ماجه)** وكذا الضياء. وقال الترمذي: حديث صحيح.

٥١٧٨ ـ **(وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تتخذوا الضيعة)** وهي البستان والقرية والمزرعة. وفي النهاية: الضيعة في الأصل المرة من الضياع، وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالضيعة والتجارة والزراعة وغير ذلك. **(فترغبوا في الدنيا)** أي فتميلوا إليها عن الأخرى. والمراد النهي عن الاشتغال بها وبأمثالها مما يكون مانعاً عن القيام بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي إلى أمور العقبى. وقال الطيبي [رحمه الله]: المعنى: لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله، قال تعالى: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ [النور ـ ٣٧] الآية. **(رواه الترمذي والبيهقي في شعب الإِيمان)** وكذا أحمد والحاكم[5].

---

(١) في المخطوطة «يتمتع».
(٢) أحمد في المسند. والحاكم في المستدرك.
(٣) مسند الفردوس ٤/٦٨ حديث رقم ٣٧٩٦.
(٤) الدارقطني.

الحديث رقم ٥١٧٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٨٨ حديث رقم ٢٣٢٨. وأحمد في المسند ١/٣٧٧. والبيهقي في شعب الإِيمان ٧/٣٠٤ حديث رقم ١٠٣٩١.

(٥) الحاكم في المستدرك ٤/٣٢٢.

٥١٧٩ ـ (٢٥) وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه، فآثِرُوا ما يبقى على ما يفنى». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإِيمان».

٥١٨٠ ـ (٢٦) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «لُعِنَ عبدُ الدينار، ولُعِنَ عبدُ الدرهم». رواه الترمذي.

٥١٧٩ ـ (**وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: من أحب دنياه**) أي حباً يغلب على حب مولاه (**أضر بآخرته**) الباء للتعدية وكذا في القرينة الآتية، أي نقص درجته في الآخرة لأنه يشغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلا يكون له فراغ لأمر الأخرى ولطاعة المولى. (**ومن أحب آخرته أضر بدنياه**) أي لعدم توجه فكره وخاطره لأمرها لاشتغاله بأمر الآخرة ومهمها. (**فآثروا**) تفريع على ما قبله، أو جواب شرط مقدر. فكأنه قال: إذا عرفتم أنهما ضدان لا يجتمعان. ولذا قال ﷺ: أجوعكم في الدنيا أشبعكم في العقبى ورب كاسية في الدنيا عارية في الأخرى. وقال تعالى في حق الساعة: ﴿**خافضة رافعة**﴾ [الواقعة ـ ٣] فآثروا بالمد، أي فاختاروا. (**ما يبقى على ما يفنى**) فإن العاقل يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والأمر بالعكس. ولذا قال الغزالي [رحمه الله]: أقل العلم بل أقل الإِيمان بل أقل العقل أن يعرف صاحبه أن الدنيا فانية وأن الأخرى باقية. ونتيجة هذا العلم أن يعرض عن الفاني ويقبل على الباقي. وعلامة الإِقبال على العقبى والإِعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد وظهور المعاد. قال الطيبي [رحمه الله]: أي هما ككفتي ميزان فإذا رجحت إحدى الكفتين خفت الأخرى وبالعكس، وذلك أن محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها والانهماك [فيها] وذلك للاشتغال عن الآخرة فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها، وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب[١] في حفظ الأموال وكسبها في البلاد. (**رواه أحمد**) ورواته ثقات (**والبيهقي في شعب الإِيمان**) وكذا الحاكم في مستدركه[٢]. وروى الخطيب في الجامع عن أنس مرفوعاً: خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلاً على الناس[٣].

٥١٨٠ ـ (**وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لعن عبد الدينار ولعن عبد الدرهم**) كذا بالعطف في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة. ووقع في الجامع بغير الواو العاطفة والله [تعالى] أعلم ونظيره من حديث. تعس عبد الدينار. قد تقدم. (**رواه الترمذي**).

الحديث رقم ٥١٧٩: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤١٢. والبيهقي في شعب الإِيمان ٧/ ٢٨٨ حديث رقم ١٠٣٣٧.

(١) في المخطوطة «المصائب». (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٨.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٥٠ حديث رقم ٤١١٢.

الحديث رقم ٥١٨٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠٧ حديث رقم ٢٣٧٥.

٥١٨١ ـ (٢٧) وعن كعب بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرصِ المرء على المال والشرف لدينه»

٥١٨١ ـ (وعن كعب بن مالك) أنصاري خزرجي شهد العقبة الثانية. (عن أبيه) هكذا في النسخ الحاضرة جميعاً وهو سهو قلم وخطأ [قدم]، ولذا قال ميرك: صوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، أو عن كعب بن مالك بدون [عن][1] أبيه. وقال السيد جمال الدين: هكذا وقع في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها وكذلك وجدناه في غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو. والظاهر أنه كان واقعاً من كتاب المصابيح ووقع من صاحب المشكاة تقليداً. وصوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه كما في أصل الترمذي. والابن المذكور هو عبد الله كما هو مصرح في جامع الأصول. (قال: قال رسول الله ﷺ: ما) نافية (ذئبان) بهمزة ساكنة ويبدل (جائعان) أتى به للمبالغة (أرسلا) أي خليا وتركا (في غنم) أي في قطيعة غنم (بأفسد) الباء زائدة، أي أكثر إفساداً. (لها) أي تلك [الغنم]. والتأنيث باعتبار الجنس أو القطعة. (من حرص المرء) المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيئين ظاهراً وباطناً وهما قوله: (على المال) أي الكثير (والشرف) أي الجاه الوسيع. وقوله: (لدينه) متعلق بأفسد. والمعنى أن حرص المرء عليهما[2] أكثر فساداً لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين للغنم. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: ما بمعنى ليس، وذئبان اسمها وجائعان صفة له، وأرسلا في غنم الجملة في محل الرفع على أنها صفة بعد صفة. وقوله: بأفسد خبر لما والباء زائدة وهو أفعل تفضيل، أي بأشد إفساداً، والضمير في لها للغنم. واعتبر فيها الجنسية فلذا أنث. وقوله: من حرص المرء، هو المفضل عليه لاسم التفضيل. وقوله: على المال [والشرف] يتعلق بالحرص، والمراد [به] الجاه. وقوله: لدينه، اللام فيه بيان كما في قوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة ـ ٢٣٣]. كأنه قيل: بأفسد لأي شيء، قيل: لدينه. ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم، بأشد افساداً لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها. أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر[3] إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفاً، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى. وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه فكفى به إفساداً أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال، وهو الشرك الخفي فيخوض في المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد. اهـ. وقد قالت السادة الصوفية [رحمهم الله]: إن آخر ما يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه، فإن الجاه وإن كان في الأمور العلمية والعملية والمشيخة والحالات الكشفية فمن حيث النظر إلى المخلوق والغفلة عن الغيرة الربوبية أو الرؤية

الحديث رقم ٥١٨١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠٨ حديث رقم ٢٣٧٦. وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٠.

(١) كذا في المخطوطة والصواب مما ذكره ميرك راجع المرقاة.

(٢) في المخطوطة «عليها». (٣) في المخطوطة «يجبر».

رواه الترمذي، والدارمي.

٥١٨٢ ـ (٢٨) وعن خباب، عن رسول الله ﷺ قال: «ما أنفقَ مؤمنٌ من نفقةٍ إلا أُجر فيها، إِلا نفقتَه في هذا التراب». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥١٨٣ ـ (٢٩) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة كلُّها في سبيل الله إلا البناء فلاَ خير فيه».

الإثنينية بعد ظهور أنوار الأحدية يحجب السالك عن الخلوة في الجلوة بوصف البقاء بالله والفناء عما سواه. هذا وقد روى صاحب الكشاف في ربيع الأبرار عن ابن مسعود رضي الله عنه: يكون الرجل مرائياً في حياته وبعد موته[1]. قيل: كيف ذاك. قال: يحب أن يكثر الناس في جنازته. **(رواه الترمذي والدارمي)** لعل لفظ الحديث للترمذي، وإلا فحق الترتيب أن يقدم الدارمي. فإنه روى عنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم. هذا وفي الجامع رواه أحمد والترمذي عن كعب بن مالك من غير ذكر عن أبيه.

٥١٨٢ ـ **(وعن خباب)** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى، وهو ابن الأرت بفتحتين وتشديد الفوقية، يكنى أبا عبد الله التميمي لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهو ممن عذب في الله على إسلامه فصبر. نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة، روى عنه جماعة. **(عن رسول الله ﷺ قال: ما أنفق مؤمن من نفقة إلا أجر)** بصيغة المجهول، أي أثيب. **(فيها)** أي في تلك النفقة، أو إنفاقها. **(إلا نفقته)** بالنصب على الاستثناء من الموجب لأن النفي عاد إلى الإيجاب بالاستثناء الأوّل فتأمل. **(في هذا التراب)** أي البناء فوق الحاجة وهذا للتحقير. وقيل: التراب كناية عن البدن وما يحصل له من اللذة الزائدة على قدر الضرورة الدينية والدنيوية. قال الطيبي [رحمه الله]: نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب، إذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفي فيكون موجباً. **(رواه الترمذي وابن ماجه)**.

٥١٨٣ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: النفقة كلها في سبيل الله)** أي ثابت في طريق رضاه **(إلا البناء)** اللام للعهد، أي إلا البناء الزائد[2] على مقدار الحاجة. **(فلا خير فيه)** لوقوع الإسراف وإن الله لا يحب المسرفين. وأما النفقة فلا يتصوّر فيها السرف لأنها من باب الإِطعام والإِنعام وكل منها خير، سواء وقع لمستحق أو غيره من الأنام. والفاء في قوله: فلا

---

(١) في المخطوطة «حياة وبعد موت».

الحديث رقم ٥١٨٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٢ حديث رقم ٢٤٨٣ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٣ وأحمد في المسند ٥/ ١١٠.

الحديث رقم ٥١٨٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦١ حديث رقم ٢٤٨٢.

(٢) في المخطوطة «الزائدة».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥١٨٤ ـ (٣٠) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ يوماً ونحنُ معه، فرأى قُبَّةً مُشرَفَةً، فقال: «ما هذه؟» قال أصحابُه: هذه لفلانٍ، رجلٍ منَ الأنصارِ، فسكتَ وحملَها في نفسِه، حتى [إذا][1] جاءَ صاحبُها، فسلَّمَ عليه في النَّاس، فأعرضَ عنه، صنعَ ذلكَ مراراً حتى عرفَ الرجلُ الغضبَ فيه والإِعراضَ، فشكا ذلكَ إلى أصحابه وقال: والله إني لأنكرُ رسول

خير فيه. تفريعية وهي ثابته في جميع النسخ الحاضرة. وكأنه وقع في أصل الطيبي [رحمه الله] بالواو حيث قال في شرحه: قوله: ولا خير فيه. حال مؤكدة من الجملة. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥١٨٤ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(أن رسول الله ﷺ خرج يوماً)** أي وقتاً **(ونحن معه)** جملة حالية **(فرأى قبة مشرفة)** أي بناءً عالياً **(فقال: ما هذا)** استفهام إنكار، أي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها. **(قال أصحابه: هذه لفلان رجل)** بالجر، وفي نسخة بالرفع. **(من الأنصار. فسكت وحملها)** أي أضمر تلك الفعلة في نفسه غضباً على فاعلها في فعلها. ففي أساس البلاغة: حملت الحقد عليه إذا أضمرته. قال الشاعر:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم ... وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

(حتى لما جاء صاحبها فسلم) أي صاحبها **(عليه)** أي على النبي عليه الصلاة والسلام. **(في الناس)** أي في محضر منهم أو فيما بينهم **(فأعرض عنه)** أي فلم يرد عليه السلام، أو رد وأعرض عن الالتفات كما هو دأبه من الملاطفة لديه ﷺ، تأديباً له وتنبيهاً لغيره. **(صنع ذلك مراراً)** لا يبعد أن يكون جواب لما. ويحتمل أن يكون مدخول حتى. ولما الحينية ظرف معترض بين العامل والمعمول [مسامحة. وكان الطيبي رحمه الله جعل قوله: صنع. استئناف بيان حيث قال: قوله: فأعرض. يجوز أن يكون جواب لما مع الفاء، وهو قليل: ويجوز]أن يقدر جواب لما، أي كرهه فأعرض عنه. وقوله: **(حتى عرف الرجل الغضب فيه)** أي عرف أن الغضب كان لأجله. **(والإعراض عنه)** أي بسببه **(فشكا ذلك)** أي ما رآه من أثر الغضب والإعراض. **(إلى أصحابه)** أي أصحابه الخلص، أو [إلى]أصحاب نبيه ﷺ. **(وقال:)** تفسير لما قبله. **(والله [إني] لأنكر رسول الله ﷺ.)** أي أرى منه ما لم أعهده من الغضب والكراهة ولا أعرف له سبباً. وفي نسخة إلى رسول الله، ولا يظهر لها وجه. **(قالوا: خرج فرأى قبتك. فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سوّاها بالأرض)** اختياراً لرضا الله تعالى[2] على نفسه وما تهواه. **(فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها)** أي القبة **(قال:)** استئناف بيان **(ما فعلت القبة)**

الحديث رقم ٥١٨٤: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٤٠٣ حديث رقم ٥٢٣٧. وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٠.

(١) في المخطوطة «لما» وفي الحديث عند أبي داود «إذا».

(٢) في المخطوطة رسول الله ﷺ.

الله ﷺ. قالوا: خرجَ فرأى قُبّتكَ. فرجعَ الرجلُ إلى قُبّتِه فهدَمها حتى سوَّاها بالأرضِ. فخرجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، فلم يرَها، قال: «ما فعلتِ القُبةُ؟» قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضك، فأخبرناه، فهدمَهاً. فقال: «أَما إنَّ كلَّ بناءٍ وبالٌ عَلى صاحبِه إلاَّ ما لا، إلاَّ ما لا» يعني ما لا بدَّ منه. رواه أبو داود.

٥١٨٥ ـ (٣١) وعن أبي هاشم بن عُتبَةَ قال: عهدَ إليَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إنما يكفِيكَ منْ جمع المالِ خادِمٌ ومركبٌ في سبيل الله». رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

بصيغة الفاعل، وفي نسخة على بناء المجهول. **(قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك)** أي سببه **(فأخبرناه)** أي بأنه لأجل بنائك القبة **(فهدمها. فقال: أما)** بتخفيف الميم للتنبيه **(إن كل بناء)** بكسر الموحدة، وهو إما مصدر أو أريد به المبنى[١]. **(وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا)**. كرره للتأكيد **(يعني إلا ما لا بد منه)** أي [لا]فراق [عنه]. قيل: معنى الحديث أن كل بناء بناه صاحبه فهو وبال، أي عذاب في الآخرة. والوبال في الأصل الثقل والمكروه. أراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة، لا أبنية الخير من المساجد والمدارس والرباطات فإنها من الآخرة. وكذا ما لا بد منه للرجل من القوت والملبس والمسكن. **(رواه أبو داود)** روى البيهقي عن أنس مرفوعاً: كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا مسجداً[٢]. وروى الطبراني عن واثلة مرفوعاً: كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا، وأشار بكفه، وكل علم وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما عمل به.

٥١٨٥ ـ **(وعن أبي هاشم بن عتبة)** بضم عين فسكون فوقية فموحدة بعدها هاء. قال المؤلف: هو شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشي، وهو خال معاوية بن أبي سفيان. أسلم يوم الفتح وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلاً صالحاً رضي الله تعالى عنه. روى عنه أبو هريرة وغيره. **(قال: عهد إليّ رسول الله ﷺ)** أي أوصاني **(قال:)** بدل من عهد، أو تفسير وبيان للعهد. واختار الطيبي [رحمه الله]الأوّل حيث قال: بدل منه بدل الفعل من الفعل، كما في قوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا

أبدل تلمم بنا من قوله: تأتنا. **(إنما يكفيك من جمع المال)** أي للوسيلة بحسن المآل **(خادم)** أي في السفر لضرورة الحاجة إليه. **(ومركب)** أي مركوب يسار عليه **(في سبيل الله)** أي في الجهاد أو الحج أو طالب العلم. والمقصود منه القناعة والاكتفاء بقدر الكفاية مما يصح أن يكون زاداً للآخرة، كما رواه الطبراني والبيهقي عن خباب: إنما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب[٣]. **(رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه)** وفي الجامع من قوله: إنما

---

(١) في المخطوطة «البناء». (٢) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٧٠٤.

الحديث رقم ٥١٨٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٨٨. حديث رقم ٢٣٢٧. وابن ماجه في السنن ٢/١٤٣٢. حديث رقم ٤١٠٣. وأحمد في المسند ٥/٢٩٠.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/٢٦١٦. والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٠٤٠٠.

وفي بعض نسخ «المصابيح» عن أبي هاشمِ بن عُتبدٍ، بالدالِ بدل التاءِ، وهو تصحيفٌ.

٥١٨٦ ـ (٣٢) وعن عثمانَ [بنِ عفان] رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ لابن آدمَ حقٌّ في سوى هذه الخصالِ: بيتٍ يسكنُه، وثوبٍ يُواري به عورتَه، وجلفِ الخبزِ والماءِ».

يكفيك الخ. نسبة إلى الثلاثة الأخيرة عن أبي هاشم بن عتبة. وللحديث تتمة قصة تأتي في الفصل الثالث. **(وفي بعض نسخ المصابيح عن أبي هاشم بن عتبد)** بضم فسكون فوقية ففتح موحدة **(بالدال)** أي المهملة. **(بدل التاء)** أي الفوقية الواقعة في آخر لفظ عتبة. **(وهو تصحيف)** إذ لم يوجد في الأسماء مع مخالفته لما سبق من الضبط الواقع في الأصول، وهنا تحريف في بعض النسخ وبعض الحواشي أيضاً فاحذر فإن الصواب ما تحرر.

٥١٨٦ ـ **(وعن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ليس لابن آدم حق)** أي حاجة **(في سوى هذه الخصال)** قال الطيبي [رحمه الله]: موصوف سوى محذوف، أي شيء سوى هذه. اهـ. وفي نسخة موافقة لما في الجامع، فيما سوى هذه الخصال. والمراد بها ضروريات بدنه المعين على دينه. **(بيت)** بالجر وروي بالرفع، وكذا فيما بعده من الخصال المبينة. **(يسكنه)** أي دفعاً للحر والبرد **(وثوب يواري)** أي يستر **(به عورته)** أي عن أعين الناس أو حال الصلاة لكونه شرطاً فيها. **(وجلف الخبز)** بكسر جيم وسكون لام ويفتح. ففي القاموس: الجلف بالكسر الغليظ اليابس من الخبز غير المأدوم، أو حرف الخبز والظرف والوعاء. وقال شارح: الجلف ظرفهما من جراب وركوة وأراد المظروف. والأظهر أنه أراد الظرف والمظروف واكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لتلازمهما في الحاجة. **(والماء)** بالجر عطفاً على الجلف أو الخبز. وهو الظاهر المفهوم من كلام الشراح. وفي بعض النسخ بالرفع بناء على أنه إحدى الخصال. قال شارح: أراد بالحق ما وجب له من الله من غير تبعة في الآخرة وسؤال عنه، وإذا اكتفى بذلك من الحلال لم يسأل عنه لأنه من الحقوق التي لا بد للنفس منها، وأما ما سواه من الحظوظ يسأل عنه ويطالب بشكره. وقال القاضي [رحمه الله]: أراد بالحق ما يستحقه الإنسان لافتقاره إليه وتوقف تعيشه عليه وما هو المقصود الحقيقي من المال. وقيل: أراد به ما لم يكن له تبعة حساب إذا كان مكتسباً من وجه حلال. وفي النهاية: الجلف الخبز وحده لا أدم معه. وقيل: هو الخبز الغليظ اليابس. قال: ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهي الكسرة من الخبز. وفي الغريبين قال شمر عن ابن الأعرابي: الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق. قال القاضي [رحمه الله]: ذكره الظرف وأراد به المظروف، أي كسرة خبز وشربة ماء. اهـ. والمقصود غاية القناعة ونهاية الكفاية كما نقل عن ابن أدهم:

وما هي إلا جوعة قد سددتها ... وكل طعام بين جنبيّ واحد

الحديث رقم ٥١٨٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٢٣٤١. وأحمد في المسند ١/ ٦٢.

رواه الترمذي.

٥١٨٧ ـ (٣٣) وعن سهل بن سعدٍ، قال: جاءَ رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله! دُلّني على عمَلٍ إذا أنا عملته أحبَّني اللّهُ وأحبَّني الناسُ. قال: «ازْهَد في الدنيا يُحبَّكَ اللّهُ، وازْهدْ فيما عندَ الناسِ يُحبكَ الناسُ»

وللشافعي رحمه الله تعالى:

أيا نفس يكفيك طول الحياة إذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بفوذنج يابس وما روى ولبس خلق
وخفش تكفك جدرانه فماذا العنا وماذا القلق

(رواه الترمذي) وكذا الحاكم في مستدركه[(١)].

٥١٨٧ ـ (وعن سهل بن سعد قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله دلني على عمل) أي جامع نافع [في]باب المحبة (إذا أنا) للتأكيد (عملته أحبني الله وأحبني الناس) بفتح ياء المتكلم، ويسكن. (قال: ازهد في الدنيا) أي بترك حبها والإعراض عن زوائدها والإقبال على الآخرة وعوائدها (يحبك الله) أي لعدم محبتك عدوّ الله تعالى. وهو بفتح الموحدة المشددة للجزم على جواب الأمر. وقيل: مرفوع على الاستئناف. (وازهد فيما عند الناس) أي من المال والجاه (يحبك الناس) لتركك محبوبهم وعدم المزاحمة على مطلوبهم. وأنشد بعضهم:

وما الزهد إلا في انقطاع الخلائق وما الحق إلا في وجود الحقائق
وما الحب إلا حب من كان قلبه عن الخلق مشغولاً برب الخلائق

وقيل: الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة خوفاً من النار أو طمعاً في الجنة أو ترفعاً عن الالتفات إلى ما سوى الحق. ولا يكون ذلك إلا بعد شرح الصدر بنور اليقين. ولا يتصوّر الزهد ممن ليس له مال ولا جاه. وقيل لابن المبارك [رحمه الله]: يا زاهد. قال: الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا ففيم زهدت. قلت: هذا بيان كمال الزهد، وإلا فأصل الزهد هو عدم الميل إلى الشيء وهو في الحقيقة لا يحصل إلا بجذبة إلهية تصرف السالك عن الأمور الفانية وتشغله بالأحوال الباقية. وغايته أن النفس مدعية للزهد ولا يظهر صدقها من كذبها إلا عند القدرة على الدنيا ووجودها، وأما عند فقدها فالأمر دائر بين أحد الاحتمالين والله [تعالى]أعلم. وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق، وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر عورته ومسكن يصونه عن الحر والبرد وأثاث يحتاج إليه كما سبق في الحديث المتقدم. وفي المنازل ما حاصله أن الزهد إسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلفة وهو على ثلاث مراتب: الزهد في الشبهة[(٢)] بالحذر عن

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٢.

الحديث رقم ٥١٨٧: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٧٧٣ حديث رقم ٤١٠٢.

(٢) في المخطوطة «الزهد لشبهة».

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥١٨٨ ـ (٣٤) وعن ابن مسعودٍ، أنَّ رسول الله ﷺ نامَ على حصيرٍ، فقامَ وقد

معتبة الحق عليه، ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ إلى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة، ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت فيه بالنسبة إلى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عند اكتساب أجر بتركها ناظراً بعين الحقيقة إلى وحدانية الفاعل الحق، فيشاهد تصرف الله في العطاء والمنع والأخذ والترك. قال الطيبي [رحمه الله]: وفيه دليل على أن الزهد أعلى المقامات وأفضلها لأنه جعله سبباً لمحبة الله تعالى، وأن محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه. **(رواه الترمذي وابن ماجه)** قال ميرك: أظن أن ذكر الترمذي وقع سهواً من نساخ الكتاب أو من صاحبه. فإن الحافظ المنذري والإمام النووي والشيخ الجزري [رحمهم الله تعالى]قالوا كلهم: رواه ابن ماجه فقط، فتأمل. قلت: ذكر النووي في أربعينه أنه حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره. اهـ. لكن الترمذي غير مذكور في الأصول ويؤيده أنه ذكر في الجامع من قوله: ازهد في الدنيا الخ. وقال: رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد نعم في حديث رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر مرفوعاً: الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله [تعالى]وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك[١]. وفي حديث رواه أحمد في الزهد والبيهقي عن طاوس مرسلاً: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن. ورواه القضاعي عن ابن عمرو مرفوعاً ولفظه: يكثر بدل: يطيل ورواه الطبراني في الأوسط، وابن عدي والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً والبيهقي عن عمر موقوفاً بلفظ: تتعب القلب والبدن[٢]. وروى البيهقي عن الضحاك مرسلاً: أزهد الناس من لم ينسى القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه في الموتى[٣]. وعن ابن عمر مرفوعاً: صلاح أول هذه الأمة بالزهادة واليقين، وهلاك آخرها بالبخل والأمل[٤]. رواه الطبراني.

٥١٨٨ ـ (وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ نام على حصير فقام) أي عن ا لنوم **(وقد**

---

(١) الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٤٠. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير الأحاديث الثلاثة ٢/ ٢٨١ حديث رقم ٤٥٩٤ و٤٥٩٥ و٤٥٩٦. والحايتان عن طاوس وعمر أخرجهما البيهقي في شعب الإيمان ١٠٥٣٦ و١٠٦٠٩.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣١٥ حديث رقم ٥١١٢ وروى البيهقي في شعب الإيمان نحوه الحديث رقم ١٠٨٤٥.

الحديث رقم ٥١٨٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠٨ حديث رقم ٢٣٧٧. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٦ حديث رقم ٤١٠٩ وأحمد في المسند ١/ ٣٩١.

أثَّرَ في جسدِه، فقال ابنُ مسعود: يا رسولَ الله! لو أمرتَنا أن نبسُطَ لكَ ونعملَ. فقال: «ما لي وللدنيا؟ وما أنا والدنيا إلاّ كراكبٍ استظلَّ تحتَ شجرةٍ، ثمَّ راحَ وتركها». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥١٨٩ ـ (٣٥) وعن أبي أُمامةَ، عن النبيّ ﷺ، قال: «أغبَطُ أوليائي عندي لمؤمنٌ خفيفُ الحاذ، ذو حظّ منَ الصَّلاةِ،

أثر) أي أثر الحصير **(في جسده)** أي غاية التأثير **(فقال ابن مسعود: لو أمرتنا أن نبسط)** بضم السين، يحتمل أن تكون لو للتمني وأن تكون للشرطية. والتقدير لو أذنت لنا أن نبسط لك فراشاً ليناً. **(ونعمل)** أي لك ثوباً حسناً، أي لكان أحسن من اضطجاعك[1] على هذا الحصير الخشن **(فقال: ما لي وللدنيا وما أنا والدنيا)** ما نافية، أي ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب إليها وأنبسط عليها وأجمع ما فيها ولذتها، أو استفهامية، أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل إلى الدنيا أو ميلها إليَّ، فإني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ونعمل، متعلقه محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق وهو وجود[2] التنعم في التلذذ بالأعراض الدنيوية أعم من أن يكون بساطاً، ومن ثم طابقه قوله: ما لي وللدنيا، وقوله: وما أنا والدنيا، أي ليس حالي مع الدنيا. **(إلا كراكب)** أي إلا كحال راكب **(استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)** وهو من التشبيه التمثيلي وهو التشبيه بسرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب. واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى مع، وإن كان للعطف فالتقدير: ما لي مع الدنيا وما للدنيا معي. **(رواه أحمد والترمذي وابن ماجه)** وكذا الحاكم[3] والضياء.

٥١٨٩ ـ **(وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: أغبط أوليائي)** أفعل تفضيل بُنِيَ للمفعول لأن المغبوط به حال، أي أحسنهم حالاً وأفضلهم مآلاً. **(عندي)** أي في ديني ومذهبي **(لمؤمن)** اللام زائدة [في]خبر المبتدأ للتأكيد، أو هي للابتداء أو المبتدأ محذوف، أي لهو مؤمن **(خفيف الحاذ)** بتخفيف الذال المعجمة، أي خفيف الحال الذي يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال فيتمكن من السير في طريق الخالق بين الخلائق ولا يمنعه شيء من العلائق والعوائق. ومجمل المعنى: أحق أحبائي وأنصاري عندي بأن يغبط ويتمنى حاله مؤمن بهذه الصفة. **(ذو حظ من الصلاة)** أي ومع هذا هو صاحب لذات وراحة من المناجاة مع الله والمراقبة واستغراق في المشاهدة، ومنه قوله ﷺ: قرة عيني في الصلاة[4]. وارحنا بها يا

---

(١) في المخطوطة «اضجاعك». (٢) في المخطوطة «وجوه».
(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٠.
الحديث رقم ٥١٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٨ حديث رقم ٢٣٤٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٢.
(٤) النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٣٩.

أحسنَ عبادةَ ربّه، وأطاعَه في السرِّ، وكانَ غامضاً في النّاسِ، لا يشارُ إليه بالأصابعِ، وكانَ رزقُه كفافاً، فصبرَ على ذلكَ» ثم نَقَدَ بيدِه فقال: «عُجِّلت منيَّتُه، قلَّتْ بواكيهِ، قلَّ تُراثُه».

بلال[1]. أي بوجودها وحصولها. وما أقرب الراحة من قرة العين وما أبعدها مما قيل: معناه أذن بالصلاة لنستريح بأدائها من شغل القلب بها. وقوله: (**أحسن عبادة ربه**) تعميم بعد تخصيص ذكره الطيبي [رحمه الله]. أو الأوّل إشارة إلى الكمية والثاني عبارة عن الكيفية. (**وأطاعه في السر**) أي كما أطاعه في العلانية، فهو من باب الاكتفاء والتخصيص لما فيه من الاعتناء. وجعله الطيبي عطف تفسير على أحسن، وتفسيرنا أحسن ويمكن أن يكون المعنى: وأطاعه في عبادته بالإخفاء، ولا يظهر طاعته في الملأ الأعلى على عادة الملامتية من الصوفية. ويناسبه قوله: (**وكان غامضاً**) أي خاملاً خافياً غير مشهور (**في الناس**) أي فيما بينهم. وفيه إشارة إلى أنه لا يخرج عنهم، فإن الخروج عنهم يوجب الشهرة بينهم. وفيه إيماء إلى أن المراد بالناس عمومهم فلا يضره معرفة خصوصهم من الأولياء والصلحاء ممن يصاحبهم، كما يدل عليه قوله: (**لا يشار إليه بالأصابع**) أي علماً وعملاً وهو بيان وتقرير لمعنى[2] الغموض. (**وكان رزقه كفافاً**) أي قدر كفايته بحيث يكفه ويمنعه عن الإجناح إلى الكافة. (**فصبر على ذلك**) أي على الرزق الكفاف، أو على الخمول والغموض أو على ما ذكر دلالة على أن ملاك الأمر الصبر وبه يتقوّى على الطاعة. قال تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [البقرة ـ ٤٥]. وقال: ﴿**أولئك يجزون الغرفة بما صبروا**﴾ [الفرقان ـ ٧٥]. وقال: ﴿**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا**﴾ [السجدة ـ ٢٤]. (**ثم نقد**) بالنون والقاف والدال المهملة المفتوحات (**بيده**) أي نقد النبي ﷺ بيده بأن ضرب إحدى أنملتيه على الأخرى حتى سمع منه صوت. وفي النهاية[3]: هو من نقدت الشيء بأصبعي أنقده واحداً بعد واحد نقد الدراهم، ونقد الطائر الحب إذا لقطه واحداً بعد واحد وهو مثل النقر، ويروى بالراء. اهـ. وهو كذا في نسخة، أي صوّت بأصبعه. وفي رواية وهي الظاهر من جهة المعنى جداً: ثم نفض يده. (**فقال: عجلت**) بصيغة المجهول من باب التفعيل (**منيته**) أي موته (**قلت بواكيه**) جمع باكية وهي المرأة التي تبكي على الميت. (**قل: تراثه**) أي ميراثه وماله المؤخر عنه مما يورث عنه. حمل على سبيل التعداد. قال التوربشتي [رحمه الله]: أريد بالنقد هنا ضرب الأنملة على الأنملة، وضربها كالمتقلل للشيء. أي لم يلبث قليلاً حتى قبضه الله تعالى. يقال: مدة عمره وعدد بواكيه ومبلغ تراثه. وقيل: الضرب[4] على هذه الهيئة يفعله المتعجب من الشيء، أو من رأى ما يعجبه حسنه وربما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالاة بشيء أو يفعل طرباً وفرحاً بالشيء. اهـ. والمعنى: من كان هذه صفته فهو يتعجب من حسن حاله وجمال مآله. وقيل: قوله: عجلت منيته أنه يسلم روحه سريعاً لقلة تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه إلى المولى

---

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٦٢ حديث رقم ٤٩٨٥ و٤٩٨٦.
(٢) في المخطوطة «بمعنى». (٣) في المخطوطة «وهو في النهاية».
(٤) في المخطوطة «الأرض».

رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥١٩٠ ـ (٣٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عرضَ عَليَّ ربِّي

لحديث: الموت تحفة المؤمن[1]. قال الأشرف [رحمه الله]: ويمكن أنه أراد به أنه قليل مؤن الممات، كما كان قليل مؤن الحياة. (**رواه أحمد والترمذي وابن ماجه**) وفي الجامع رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي أمامة ولفظه: أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافاً فصبر عليه حتى يلقى الله، وأحسن عبادة ربه وكان غامضاً في الناس، عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه. وروى الديلمي في مسنده عن حذيفة: خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد[2]. قال شيخ مشايخنا السخاوي في المقاصد الحسنة في الأحاديث المشهورة على الألسنة علته داود[3]، ولذا قال الخليل: ضعفه الحفاظ [فيه]وخطؤه. اهـ. فإن صح فهو محمول على جواز الترهب أيام الفتن. وفي معناه أحاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود مرفوعاً: سيأتي على الناس زمان تحل فيه العزبة ولا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق ومن حجر إلى حجر كالطائر بفراخه وكالثعلب بأشباله وأقام الصلاة وآتى الزكاة واعتزل الناس إلا من خير الحديث. ومنها ما رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي عن ابن حذيفة بن اليمان عن أبيه حذيفة مرفوعاً: خير نسائكم بعد ستين ومائة العـاقر وخير أولادكم بعد أربع وخمسين البنات[4]. وفي الترمذي من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً: إن أغبط أوليائي إلى أن قال فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال: عجلت منيته الحديث. وقال عقبة: على ضعيف. وقد أخرجه أحمد والبيهقي في الزهد والحاكم في الأطعمة من مستدركه، وقال: هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه[5]. اهـ. ولم ينفرد به علي بن يزيد، فقد أخرجه ابن ماجه في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله عن إبراهيم بن قرة عن أيوب بن سليمان عن أبي أمامة ولفظه: أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ. وذكر نحوه[6]. ومن شواهده ما للخطيب وغيره من حديث ابن مسعود رفعه: إذا أحب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد. وللديلمي من حديث عبد الله بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله ـ الخوارزمي عن داود بن غفال عن أنس رفعه: يأتي على الناس زمان لأن يربي أحدكم جرو كلب خير له من أن يربي ولداً من صلبه[7].

٥١٩٠ ـ (**وعنه**) أي عن أبي أمامة (**قال: قال رسول الله ﷺ: عرض عليَّ ربي**) أي إلى

---

(١) الدارقطني.
(٢) مسند الفردوس ٢/ ١٧٠ حديث رقم ٢٨٥٢.
(٣) في المخطوطة «علة رواته».
(٤) لم أجده في مسند الفردوس والله تعالى أعلم.
(٥) الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦ حديث رقم ٢٣٤٧. والحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٣.
(٦) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٨ حديث رقم ٤١١٧.
(٧) مسند الفردوس ٥/ ٤٤٢ حديث رقم ٨٦٨٤.

الحديث رقم ٥١٩٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦. حديث رقم ٢٣٤٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٤.

ليجعلَ لي بطحاءَ مكةَ ذهباً، فقلتُ: لا يا ربِّ! ولكنْ أشبَعُ يوماً، وأجوعُ يوماً، فإذا جعتُ تضرَّعتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شبِعتُ حمدْتُكَ وشكرتُكَ». رواه أحمدُ، والترمذي.

٥١٩١ - (٣٧) وعن عبيدِ الله بنِ مِحْصَنٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أصبحَ منكم آمناً

عرضاً حسياً أو معنوياً وهو الأظهر. والمعنى: شاورني وخيرني بين الوسع في الدنيا واختيار البلغة لزاد العقبى من غير حساب ولا عتاب. **(ليجعل لي)** أي ملكاً لي أو مخصوصاً لأمتي على تقدير إقبالي عليها والتفاتي إليها ويصير لأجلي **(بطحاء مكة)** أي أرضها ورمالها **(ذهباً)** أي بدل حجرها ومدرها. وأصل البطحاء مسيل الماء. وأراد هنا عرصة مكة وصحاريها فإضافته بيانية. قال الطيبي: قوله: بطحاء مكة تنازع فيه عرض وليجعل، أي عرض عليّ بطحاء مكة ليجعلها لي ذهباً. **(فقلت: لا)** أي لا أريد ولا أختار **(يا رب ولكن أشبع يوماً)** أي أختار أو أريد أن أشبع وقتاً، أي فأشكر. **(وأجوع يوماً)** أي فأصبر كما فصله وبينه بقوله: **(فإذا جعت تضرعت إليك)** أي بعرض الافتقار عليك **(وذكرتك)** أي بسببه فإن الفقر يورث الذكر، كما أن الغنى يورث الكفر. **(وإذا شبعت حمدتك)** أي بما ألهمتني من ثنائك **(وشكرتك)** على إشباعك وسائر نعمائك. قال الطيبي [رحمه الله]: جمع في القرينتين بين الصبر والشكر وهما صفتا المؤمن الكامل. قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور**﴾ [إبراهيم - ٥، لقمان - ٣١، سبأ - ١٩، الشورى - ٣٣]. الكشاف، صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص، فجعلهما كناية عنه. أقول: وتحقيقه على طريقة الصوفية السادة الصفية أن الصفتين المذكورتين والخصلتين المسطورتين ناشئتان من تربية الله للسالك بين صفتي الجلال والجمال، إذ بهما تتم مرتبة الكمال وهو الرضا عن المولى بكل حال، بخلاف حال المتحرفين وأفعال المتحيرين المذنبين حيث قال تعالى: ﴿**فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون**﴾ [التوبة - ٥٨]. وقال: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين**﴾ [الحج - ١١]. **(رواه أحمد والترمذي)**.

٥١٩١ - **(وعن عبيد الله بن محصن)** بكسر الميم وفتح الصاد. قال المؤلف في فصل الصحابة: أنصاري خطمي يعد في أهل المدينة وحديثه فيهم. روى عنه ابنه سلمة. قال ابن عبد البر: ومن الناس من يرسل حديثه. اهـ. وهو يحتمل كونه صحابياً لكن ليس له سماع منه ﷺ، فحديثه من مراسيل الصحابة وهو حجة اتفاقاً. ويحتمل كونه تابعياً فمرسله معتبر عند الجمهور خلافاً للشافعية والله تعالى أعلم. والأول أظهر لإطلاقهم حديثه. **(قال: قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم)** أي أيها المؤمنون **(آمناً)** أي غير خائف من عدوّ أو من أسباب عذابه

الحديث رقم ٥١٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٩٦ حديث رقم ٢٣٤٦. وابن ماجه في السنن ٢/١٣٨٧. حديث رقم ٤١٤١.

في سِربِه، مُعافًى في جسدِه، عندَه قوتُ يومِه؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥١٩٢ ـ (٣٨) وعن مقدامِ بن معدي كرب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مَلأ آدميٌّ وعاءً شراً منْ بطنٍ، بحسبِ ابن آدَم أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه، فإنْ كانَ لا محالَةَ فثُلُثٌ طعامٌ، وثُلثٌ شرابٌ، وثُلثٌ لنفسه».

تعالى بالتوبة عن المعاصي والعصمة عن المناهي. ولذا قيل: ليس العيد لمن لبس الجديد، إنما العيد لمن أمن الوعيد. **(في سربه)** المشهور كسر السين أي في نفسه. وقيل: السرب الجماعة. فالمعنى في أهله وعياله. وقيل بفتح السين. أي في مسلكه وطريقه. وقيل بفتحتين أي في بيته كذا ذكره شارح. وقال التوربشتي [رحمه الله]: أبى بعضهم إلا السرب بفتح السين والراء، أي في بيته ولم يذكر فيه رواية. ولو سلم له قوله أن يطلق السرب على كل بيت، كان قوله هذا حرياً بأن يكون أقوى الأقاويل، إلا أن السرب يقال للبيت الذي هو في الأرض. وفي القاموس: السرب الطريق، وبالكسر الطريق والبال والقلب والنفس، وبالتحريك جحر الوحش والحفير تحت الأرض. اهـ. فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الأمن ولو من بيت تحت الأرض ضيق كجحر لوحش، أو التشبيه به في خفائه وعدم ضيائه. **(معافى)** اسم مفعول من باب المفاعلة، أي صحيحاً سالماً من العيوب. **(في جسده)** أي بدنه ظاهراً وباطناً **(عنده قوت يومه)** أي كفاية قوته من وجه الحلال **(فكأنما حيزت)** بصيغة المجهول من الحيازة، وهي الجمع والضم. **(له)** والضمير عائد لمن رابط للجملة، أي جمعت له. **(الدنيا)** أي بحذافيرها كما في نسخة مصححه، أي بتمامها. والحذافير الجواب. وقيل الأعالي، وأحدها حذفار، أو حذفور. والمعنى فكأنما أعطى الدنيا بأسرها. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**. وفي الجامع رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه من غير ذكر حذافيرها.

٥١٩٢ ـ **(وعن المقدام بن معدي كرب[1] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ آدمي وعاء)** أي ظرفاً **(شراً من بطن)** صفة وعاء **(بحسب ابن آدم)** مبتدأ والباء زائدة. وقوله: **(أكلات)** بضمتين خبره، نحو قوله: بحسبك درهم. والأكلة بالضم اللقمة، وفي رواية: لقيمات، بالتصغير للإشارة إلى التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير. **(يقمن صلبه)** أي ظهره لإقامة الطاعة وقيام المعيشة. وإسناد الإقامة إلى الأكلات مجازية سببية. **(فإن كان لا محالة)** بفتح الميم ويضم، أي لا بد من الزيادة. **(فثلث)** بضمهما ويسكن للام. **(طعام)** مبتدأ وخبر، أي ثلث منه للطعام. وكذا قوله: **(وثلث شراب)** وللام مقدرة فيهما بقرينة قوله: **(وثلث لنفسه)** بحركتين. والمعنى: فإن كان لا يكتفي بأدنى قوت البتة ولا بُدَّ، أن يملأ بطنه فليجعل ثلث

الحديث رقم ٥١٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٢/ ٥٠٩ حديث رقم ٢٣٨٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١١١ حديث رقم ٣٣٤٩. وأحمد في المسند ٤/ ١٣٢.

(١) في المخطوطة «معد يكرب».

. . . .

بطنه للطعام وثلثه للشراب وليترك ثلثه خالياً بخروج النفس. ولا ينبغي أن يكون كطائفة القلندرية حيث يقولون بملء البطن من الطعام والماء يحصل مكانة ولو في المسام والنفس إن اشتهى خرج وإلا فلا بعد تمام المرام، فأولئك كالأنعام بل هم أضل. قال تعالى: ﴿**ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**﴾ [الحجر ـ ٣]. وسبق أن المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء[١]. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي الحق الواجب أن لا يتجاوز[٢] عما يقام به صلبه ليتقوّى به على طاعة الله تعالى، فإن أراد البتة التجاوز فلا يتجاوز عن القسم المذكور. جعل البطن أوّلاً وعاء كالأوعية التي تتخذ ظروفاً لحوائج البيت توهيناً لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها استعملت فيما هي له. والبطن خلق لأنه يتقوّم به الصلب بالطعام، وامتلاؤه يفضي إلى الفساد في الدين والدنيا فيكون شراً منها. قال الشيخ أبو حامد: في الجوع عشر فوائد: الأولى صفاء القلب وإيقاد القريحة ونفاد البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه الشبكة حتى يحتوي على معادن الفكر، فيثقل القلب بسببه عن الجريان. وثانيتها رقة القلب وصفاؤه الذي به هيىء لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر. وثالثتها الانكسار والذل وزوال البطر والأشر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان. ولا تنكسر النفس لشيء ولا تذل كما تذل بالجوع فعنده تستكن لربها وتقف على عجزها. ورابعتها أنه لا ينسى بلاء الله وعذابه وأهل البلاء، فإن الشبعان ينسى الجائعين والجوع. وخامستها وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، وتقليلها يضعف كل شهوة، وقوة. والسعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه. وسادستها دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه، وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر. والنوم موت فتكثيره[٣] تنقيص من العمر. وسابعتها تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام أو طبخه ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلاء ثم يكثر تردده إلى بيت الماء. ولو صرف هذه الأوقات في الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه. قال السري: رأيت مع علي الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت: ما دعاك إلى هذا فقال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة. وثامنتها من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق. ثم المرض يمنع عن العبادات ويشوّش القلب ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج إلى مؤن، وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك. وتاسعتها خفة المؤونة فإن من تعوّد قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير. وعاشرتها أن

---

(١) وهو حديث متفق عليه.

(٢) في المخطوطة «يجاوز».

(٣) في المخطوطة «فكثرته».

رواه الترمذي، وابنُ ماجه.

٥١٩٣ ـ (٣٩) وعن ابن عمَرَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلاً يتجشَّأُ، فقال: «أقصِرْ منْ جُشائكَ، فإِنَّ أطولَ الناسِ جوعاً يومَ القيامةِ أطولُهم شِبَعاً في الدنيا». رواه في «شرح السنة». وروى الترمذي نحوَه.

يتمكن من الإِيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على المساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته فما يأكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فجزاؤه فضل الله تعالى. **(رواه الترمذي وابن ماجه)** وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم(١) بلفظ: فثلث لطعامه وثلث لشرابه.

٥١٩٣ ـ **(وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يتجشأ)** بتشديد الشين المعجمة بعدها همزة، أي يخرج الجشاء من صدره وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع. وقيل: عند امتلاء المعدة. وقيل: الرجل وهب بن عبد الله وهو معدود في صغار الصحابة. وكان في زمانه عليه الصلاة والسلام لم يبلغ الحلم. رُوِيَ أنه لم يملأ بطنه بعد ذلك. قال التوربشتي: الرجل هو وهب أبو جحيفة السوائي، روى عنه أنه قال: أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ **(فقال: أقصر)** بفتح الهمزة وكسر الصاد، أي امتنع **(من جشا[ئك])** بضم الجيم ممدوداً، وكان أصل الطيبي [رحمه الله]: أقصر عنا فقال: معناه أكفف عنا، والنهي عن الجشاء هو النهي عن الشبع لأنه السبب الجالب له. اهـ. وقيل: التجشؤ التكلف. **(فإن أطول الناس)** أي أكثرهم [في الزمان] **(جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً)** بكسر ففتح **(في الدنيا. رواه في شرح السنة)** قال ميرك: هو وهب بن عبد الله أبو جحيفة روى عنه أنه قال: أكلت ثريدة بلحم وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ فقال: يا هذا كف من جشائك فإن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أكثرهم جوعاً يوم القيامة. رواه الحاكم وقال: صحيح الإِسناد [قال المنذري: بل هو واه جداً فيه وهد بن عوف وعمرو بن موسى، لكن رواه البزار بإسنادين رواة]وأحدهما ثقات. ورواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي وزاد: قال الراوي: فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا. كان إذا تعشى لا يتغدى وإذا تغدى لا يتعشى. وفي رواية لابن أبي الدنيا قال أبو جحيفة: فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة. اهـ. **(وروى الترمذي نحوه)** قال ميرك: ولفظه عن ابن عمر قال: تجشأ رجل عند رسول الله ﷺ فقال له: كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة. رواه ابن ماجه والبيهقي كلهم من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر وقال الترمذي: حديث حسن كذا في الترغيب للمنذري. وقال الشيخ الجزري: في سند هذا الحديث عبد العزيز بن عبد الله عن يحيى البكاء وهما ضعيفان، لكن للحديث شاهد من حديث أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٦ حديث رقم ٨١١٧. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٣١.

الحديث رقم ٥١٩٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٥٠ حديث رقم ٤٠٤٩. والترمذي في السنن ٤/ ٥٦٠ حديث رقم ٢٤٧٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١١١ حديث رقم ٣٣٥٠.

٥١٩٤ ـ (٤٠) وعن كَعْبِ بن عِياضٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ لكلِّ أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أُمتي المالُ». رواه الترمذي.

٥١٩٥ ـ (٤١) وعن أنسٍ، عن النبيّ ﷺ، قال: «يُجاءُ بابن آدمَ يومَ القيامةِ كأنه بذَجٌ، فيوقفُ بينَ يديِ الله، فيقولُ له: أعطيتُكَ وخوَّلتُكَ وأنعمْتُ عليكَ، فما صنعتَ؟ فيقولُ: يا ربِّ! جمَّعتُه وثمَّرتُه وتركتُه أكثرَ ما كانَ، فارجِعني آتِكَ به كلّه. فيقولُ له: أرِني ما قدَّمتَ. فيقول: ربِّ! جمَّعتُه وثمَّرته وتركتُه أكثرَ ما كانَ، فارجعْني آتكَ به كله. فإذا عبدٌ لم يُقدِّمْ خيراً

٥١٩٤ ـ **(وعن كعب بن عياض)** أي الأشعري معدود في الشاميين. روى عنه جابر بن عبد الله وجبير بن نفير. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لكل أمة فتنة)** وهي ما توقع أحداً في الضلالة والمعصية **(وفتنة أمتي)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب. **(المال)** لأنه جامع لحصول المنال ومانع عن كمال المآل **(رواه الترمذي)** [وكذا الحاكم في مستدركه][(١)].

٥١٩٥ ـ **(وعن أنس عن النبي ﷺ قال: يجاء)** أي يؤتى **(بابن آدم يوم القيامة كأنه)** أي من كمال ضعفه **(بذج)** بفتح موحدة وذال معجمة فجيم. ولدا الضأن معرب برة[(٢)]. أراد بذلك هوانه وعجزه، وفي بعض الطرق كأنه بذج من الذل. وفي شرح السنة شبَّه ابن آدم بالبذج لصغاره وصغره، أي يكون حقيراً ذليلاً. **(فيوقف)** أي فيحبس **(قائماً بين يدي الله تعالى)** أي عند حكمه وأمره سبحانه **(فيقول له:)** أي بلسان ملك أو بلا واسطة ببيان القال أو الحال **(أعطيتك)** أي الحياة والحواس والصحة والعافية ونحوها **(وخوّلتك)** أي جعلتك ذا خول من الخدم والحشم والمال والجاه وأمثالها. وقيل معناه جعلتك مالكاً لبعض وملكاً لبعض. **(وأنعمت عليك)** أي بإنزال الكتاب وبإرسال الرسل وغير ذلك **(فما صنعت)** أي فيما ذكر **(فيقول: رب جمعته)** أي المال **(وثمرته)** بتشديد الميم، أي أنميته وكثرته **(وتركته)** أي في الدنيا عند موتي **(أكثر ما كان)** أي في أيام حياتي **(فارجعني)** بهمزة وصل أي ردني إلى الدنيا **(آتك به كله)** أي بإنفاقه في سبيلك، كما أخبر عن الكفار أنهم يقولون في الآخرة: ﴿**رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت**﴾ [المؤمنون ـ ٩٩ ــ ١٠٠]. **(فيقول له:)** أي الرب **(أرني ما قدمت)** أي لأجل الآخرة من الخير **(فيقول:)** أي ثانياً كما قال أوّلاً **(رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كا فارجعني آتك به كله فإذا عبد)** الفاء فصيحة تدل على المقدر، وإذا للمفاجأة وعبد خبر مبتدأ محذوف. أي قال رسول الله ﷺ: فإذا هو عبد. **(لم يقدم خيراً)** أي فيما أعطي ولم

الحديث رقم ٥١٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٢ حديث رقم ٣٣٣٦. وأحمد في المسند ٤/ ١٦٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٨.

الحديث رقم ٥١٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٤ حديث رقم ٢٤٢٧. والدارقطني ١/ ٥١ حديث رقم ٢ من باب النية.

(٢) في المخطوطة «بن».

فيُمضى به إلى النارِ». رواه الترمذي وضعَّفه.

٥١٩٦ ـ (٤٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوّلَ ما يسألُ العبدُ يومَ القيامةِ منَ النَّعيم أن يُقالَ له: ألم نُصحَّ جسمَكَ؟ ونُروِّكَ منَ الماءِ الباردِ؟».

يمتثل ما أمر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ [الحشر ـ ١٨]. ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [البقرة ـ ١١٠]. (فيمضى) بصيغة المجهول، أي فيذهب. (به إلى النار) قال الطيبي [رحمه الله]: فظهر مما حُكِيَ عن هذا الرجل أنه كان كعبد أعطاه سيده رأس مال ليتجر[١] به ويربح فلم يمتثل أمر سيده فأتلف رأس ماله بأن وضعه في غير موضعه وأتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه، فإذا هو عبد خائب خاسر. قال تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ [البقرة ـ ١٦]. فما أحسن موقع العبد وذكره في هذا المقام. قال الشيخ أبو حامد [رحمه الله]: اعلم أن كل خير ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة، ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الأخروية وتسمية ما عداها غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا يعبر عليها إلى الآخرة، فإن ذلك غلط محض. وكل سبب يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية (رواه الترمذي وضعفه) بتشديد العين، أي نسب إسناده إلى الضعف وإن كان صحيحاً.

٥١٩٦ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن أوّل ما يسأل العبد) أي عنه (يوم القيامة) ما موصولة[٢]، أي أوّل شيء يحاسب به في الآخرة. (من النعيم) بيان لما (أن يقال له:) خبر إن. وكان الطيبي [رحمه الله] جعل من النعيم متعلقاً بيسأل حيث قال: ما فيه مصدرية، وأن يقال خبر إن، أي أوّل سؤال العبد هو أن يقال له. (ألم نصح) أي بعظمتنا (جسمك) من الإصحاح وهو إعطاء الصحة (ونروّك) بتشديد الواو وفي نسخة من الإرواء (من الماء البارد) فالماء البارد نعمة عظيمة ومصحة جسيمة عند الذوق السليم وعدم البدن السقيم ولذا بالغ ﷺ في مدحه حيث قال في دعائه: «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد»[٣]. ومن غرائب حال الماء أنه لا قيمة له من الرخاء ولا في الغلاء إذ حال كثرة وجوده لا يشترى ووقت فقده لا يباع ومن عجائب ما حكي فيه أن ملكاً وقع في برية وعطش عطشاً شديداً كاد أن يهلك فظهر له عارض وملك فقال ما تعطيني إن سقيتك! فقال نصف ملكي فسقاه، فحبس له البول حتى اشتد عليه الأمر فظهر له ثانياً فقال ما تنعم علي أن أعالجك منه؟ قال أعطيك النصف الآخر من الملك فعالجه ثم قال له: خذ ملكك واعرف قيمته

---

(١) في المخطوطة «يتجر».

الحديث رقم ٥١٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤١٨ حديث رقم ٣٣٥٨.

(٢) في المخطوطة «موصوف». (٣) الترمذي في السنن ٥/٤٨٨ حديث رقم ٣٤٩٠.

رواه الترمذي.

٥١٩٧ ـ (٤٣) وعن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تزولُ قدما ابن آدمَ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمرِه فيما أفناهُ، وعن شبابِه فيما أبلاهُ، وعن مالِه من أينَ اكتسبَه، وفيما أنفقَه، وماذا عمِلَ فيما علِمَ؟». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

ولا يغرك زهرته. وفي الجمع بين نعمة الصحة وتروية الماء إشارة إلى ذلك والله أعلم. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن حبان والحاكم ولفظهما: أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسمك وأروك من الماء البارد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ذكره ميرك(١).

٥١٩٧ ـ **(وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس)** أي خمسة أحوال تذكر وتؤنث. وقال الطيبي [رحمه الله]: أنثه بتأويل الخصال **(عن عمره)** بضمتين ويسكن الميم، أي عن مدة أجله. **(فيما أفناه)** أي صرفه **(وعن شبابه)** أي قوّته في وسط عمره **(فيما أبلاه)** أي ضيعه. وفيه تخصيص بعد تعميم وإشارة إلى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: هذا داخل في الخصلة الأولى فما وجهه. قلت: المراد سؤاله عن قوّته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة. **(وعن ماله مما اكتسبه)** أي أمن حلال أو حرام **(وفيما أنفقه)** أي في طاعة أو معصية **(وماذا عمل فيما علم)** ولعل العدول عن الأسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب. وأما ما ذكره الطيبي [رحمه الله] من أنه إنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل: وعن علمه ماذا عمل به. لأنها أهم شيء وأولاه فغير ظاهر. نعم يمكن أن يكون نكتة لختم الخصال بها ترقياً. ثم قال: وفيه إيذان بإن العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل. اهـ. وهو غير صحيح بإطلاقه وإنما يصلح هذا في العلم بالفروع الدنيوية، وأما العلم بذات الله [تعالى] وصفاته ومعرفة كتابه وآياته ونحو ذلك من الأصول الدينية فأشرف العلوم وأفضلها وألطفها وأكملها. ولذا قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس سره لأبي علي بن سينا سامحه الله تعالى: ما تعلم علماً ينتقل معك بانتقالك. وفيه إشارة إلى ما ورد من أن أهل الجنة فيها يحتلسون إلى العلماء أيضاً. هذا وفي حديث رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء [رضي الله عنه]. كيف أنت يا عويمر إذا قيل لك يوم القيامة أعلمت أم جهلت. فإن قلت علمت قيل لك فماذا عملت فيما علمت وإن قلت جهلت قبل لك فما كان عذرك فيما جهلت ألا تعلمت(٢). ومع هذا روي: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات. وفي حديث صحيح: أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه(٣). **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وتمامه لا

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٢٦٢.

الحديث رقم ٥١٩٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٩. حديث رقم ٢٤١٦.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٠١ حديث رقم ٦٤٤١.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٧٧٨.

الفصل الثالث

٥١٩٨ ـ (٤٤) عن أَبي ذَرٍّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له: «إنَّكَ لستَ بخيرٍ منْ أحمرَ ولا أسوَدَ إلاَّ أنْ تفضلَه بتقوى». رواه أحمد.

نعرفه من حديث ابن مسعود إلا من حديث حسين بن قيس وهو ضعيف في الحديث، ذكره ميرك.

(الفصل الثالث)

٥١٩٨ ـ (**عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال له: إنك لست بخير**) أي بأفضل (**من أحمر**) أي جسماً (**ولا أسود**) أي لوناً. والمراد أن الفضيلة ليست بلون دون لون، وإنما خصهما بالذكر مثلاً لكونهما أكثر وجوداً. والأظهر أن المراد بهما لون السيد والعبد كما هو الغالب. وأغرب الطيبي [رحمه الله]حيث جزم وقال: المراد بالأحمر العجم وبالأسود العرب. (**إلا أن تفضله**) بضم الضاد، أي تزيد أنت أحدهما. (**بتقوى**) بالقصر، وفي نسخة بالتنوين. وقد قال تعالى: ﴿**أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله**﴾ [التوبة ـ ١٠٩]. ففي قراءة شاذة بالتنوين. والمعنى أن الفضيلة ليست بالصورة الظاهرة ولا بالنسبة الباهرة، بل بالتقوى كما قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى**﴾ [الحجرات ـ ١٣]. إلى أن قال: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣]. قال الطيبي [رحمه الله]: والضمير في تفضله عائد إلى كل واحد منهما أو لهما بتأويل الإنسان، والاستثناء مفرغ والتقدير لست بأفضل منهما بشيء من الأشياء إلا بالتقوّى. وقوله: أن تفضله، تكرير تأكيد. اهـ. فتأمل فيه. فإن جعل الضمير إلى كل واحد منهما مع دلالتهما على العموم من الجنس الذي وقع المخاطب فرداً منه غير صحيح، وكذا تأويلهما بالإنسان المراد به الجنس فتدبر. ثم الظاهر أن الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي لست بأفضل عند الله من أحد النوعين في حال من الأحوال إلا حال زيادتك عليه بتقوى معتبرة في الشرع، وهي لها مراتب أدناها التقوى عن الشرك الجلي، وأوسطها عن المعاصي والمناهي والملاهي وعن الشرك الخفي وهو الرياء والسمعة في الطاعة، وأعلاها أن يكون دائم الحضور مع الله غائباً عن حضور ما سواه. وإليه الإشارة فيما رُوِيَ عنه ﷺ: ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. ذكره الغزالي [رحمه الله]. وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وهو عند الحكيم الترمذي في النوادر من قول بكر بن عبد الله المزني (**رواه أحمد**) وفي الجامع انظر فإنك لست بخير الحديث[1].

الحديث رقم ٥١٩٨: أخرجه أحمد في المسند ١٥٨/٥.

(١) الجامع الصغير ١٦٣/١ حديث رقم ٢٧٤٠.

٥١٩٩ ـ (٤٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما زهِدَ عبدٌ في الدنيا إلاَّ أنبتَ اللّهُ الحكمةَ في قلبِه، وأنطقَ بها لسانَه، وبصَّرَه عيبَ الدنيا وداءَها ودواءَها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلامِ» رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٠٠ ـ (٤٦) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قد أفلحَ مَن أخْلَصَ اللّهُ قلبَه للإِيمان، وجعلَ قلبَه سليماً، ولسانَه صادقاً، ونفسَه مطمئنَّةً، وخَليقتَه مستقيمةً، وجعلَ أُذنَه مستمعةً، وعينَه ناظرةً،

٥١٩٩ ـ **(وعنه)** أي عن أبي ذر **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما زهد)** بكسر الهاء **(عبد في الدنيا)** أي زيادتها على قدر الحاجة من مال أو جاه **(إلا أنبت الله الحكمة)** أي أنبت المعرفة المتقنة **(في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره)** بتشديد الصاد من البصيرة، أي جعله معايناً. **(عيب الدنيا)** أي معايبها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها وغير ذلك من أتعاب[1] البدن وإكثار الحزن وإشغال القلب عن ذكر الرب. قال الطيبي [رحمه الله]: هو إشارة إلى الدرجة الثانية، يعني لما زهد في الدنيا لما حصل له من علم اليقين بعيوب الدنيا أورثه الله تعالى به بصيرة حتى حصل له بها حق اليقين. **(وداءها)** أي علة محبتها وسبب طلبتها **(ودواءها)** أي معالجتها بمعجون العلم والعمل، والاحتمال عنها بالصبر والقناعة والرضا بما قسم له منها. **(وأخرجه)** أي الله تعالى **(منها)** أي من الدنيا وآفاتها وبلياتها **(سالماً)** أي بالإِعراض عنها والإِقبال على العقبى **(إلى دار السلام)** وفيه إشارة إلى أن من لم يزهد فيها ولم يطلع على عيبها ودائها ودوائها لم يدخل الجنة أصلاً، أو لم يدخل بسلام بل بعد سابقة عذاب أو لاحقة حجاب والله [تعالى]أعلم. **(رواه البيهقي في شعب الإِيمان)** وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]: ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة في الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه[2].

٥٢٠٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي ذر أيضاً **(أن رسول الله ﷺ قال: قد أفلح من أخلص الله قلبه للإيمان)** أي جعل قلبه خالصاً للإيمان بحيث لا يسعه غيره وما يتبعه **(وجعل قلبه سليماً)** أي عن الحسد والحقد والبغض وسائر الأخلاق الذميمة والأحوال الرديئة من حب الدنيا والغفلة عن المولى والذهول عن العقبى. قال تعالى: **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** [الشعراء ـ ٨٨ ــ ٨٩]، **(ولسانه صادقاً)** أي في قوله ووعده وعهده. **(ونفسه مطمئنة)** أي بذكر ربه وحبه **(وخليقته)** أي جبلته التي خلق عليها من أصلها مع قطع النظر عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة. **(مستقيمة)** أي غير مائلة إلى طرفي الإِفراط والتفريط. **(وجعل أذنه)** بضمتين ويسكن الثانية **(مستمعة)** أي للحق واعية للعلم **(وعينه ناظرة)** أي إلى دلائل الصنع من

الحديث رقم ٥١٩٩: أخرجه البيهقي في شعب الإِيمان ٧/ ٣٤٦ حديث رقم ١٠٥٣٢.

(١) في المخطوطة «ألقاب». (٢) حلية الأولياء ٨/ ١٧٧.

الحديث رقم ٥٢٠٠: أخرجه البيهقي في شعب الإِيمان ١/ ١٣٢. حديث رقم ١٠٨ وأحمد في المسند ٥/ ١٤٧.

فأما الأذنُ فقمْعٌ، وأمَّا العينُ فمقرَّةٌ لِما يُوعي القلب، وقد أفلحَ من جُعلَ قلبُه واعِياً» رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٠١ ـ (٤٧) وعن عُقبةَ بن عامرٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا رأيتَ اللّهَ عزَّ وجلَّ

الآفاق والأنفس (**فأما**) بالفاء العاطفة، ولعل المعطوف عليه مقدر. والمعنى أما ما سبق من القلب واللسان وغيرهما فأمره ظاهر في كونه شرط للإفلاح، وأما (**الأذن فقمع**) بفتح فسكون وبكسر القاف مع سكون الميم وفتحها. ففي القاموس: القمع بالفتح والكسر وكعنب، ما يوضع في فم الإِناء فيصب فيه الدهن وغيره. وفي النهاية: القمع كضلع، إناء يترك في رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والدهان. قال الطيبي [رحمه الله]: شبه أسماع الذين يستمعون القول ويعونه بقلوبهم بالأقماع (**وأما العين فمقرة**) بضم الميم وكسر القاف وتشديد الراء، كذا في أصل الأصيل. وفي أكثر النسخ بفتحات وهو الأظهر أي محل قرار. (**لما يوعي**) أي يحفظ (**القلب**) بالرفع، وفي بعض النسخ بالنصب وهو يؤيد ما في الأصيل ويناسب الإِيعاء. قال الطيبي: قوله: فمقرة وارد على سبيل الاستعارة لأنها تثبت في القلب وتقر فيه ما أدركته بحاستها، وكان القلب لها وعاء وهي تقر فيه ما رأته. قال في أساس البلاغة: ومن المجاز قر الكلام في أذنه وضع فاه على أذنه فأسمعه، وهو من قر الماء في الإِناء إذا صبه فيه. والقلب مرفوع على أنه فاعل يوعي ويحتمل النصب، أي يقر في القلب أي يحفظه. وإنما خص السمع والبصر لأن الآيات الدالة على وحدانية الله إما سمعية فالأذن هي التي تجعل القلب وعاء لها، أو نظرية[١] فالعين هي التي تقرها في القلب وتجعله وعاء لها. ومن ثم جعل قوله: (**وقد أفلح من جعل قلبه واعياً**) أي حافظاً، كالفذلكة للقرينتين. قلت: وبه يتم آلات العلم وأسبابه، ولذا قال تعالى: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ [الإِسراء ـ ٣٦]. وفي تقديم السمع إشعار بأن العمدة هي العلوم الشرعية التي تعرف من الأدلة السمعية المورثة لعلم اليقين، ثم يرتقي إلى مرتبة النظر ورتبة الفكر إلى أن يصير علمه عين اليقين وينتهي إلى القلب الذي هو عرش الرب، وبه يصل إلى كمال حق اليقين رزقنا الله [تعالى] جميع مراتب اليقين في درجات الدين المعبر عنها بقوله سبحانه: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [الحجر ـ ٩٩]. ووجه الغاية أنه لا يتصوّر بعد تحقق اليقين[٢] ترك العبادة في الدين، بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدي الغاسل كما قيل: موتوا قبل أن تموتوا، ولذا أجمع المفسرون على أن المراد باليقين في الآية هو الموت. وما أحسن هذا الموت الذي هو عين الحياة أذاقنا الله منه بعض الذوق الممزوج بحلاوة الشوق. (**رواه أحمد والبيهقي في شعب الإِيمان**).

٥٢٠١ ـ (**وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: إذا رأيت الله عزَّ وجلَّ**

---

(١) في المخطوطة «فطرية». (٢) في المخطوطة «التعيين».

الحديث رقم ٥٢٠١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٤٥.

يُعطي العبدَ من الدنيا، على معاصِيه، ما يُحبُّ؛ فإنما هو استِدراجٌ». ثمَّ تَلا رسول الله ﷺ: ﴿فلما نسوا ما ذكِروا بهِ فتحنَا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرِحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مُبلِسُون﴾. رواه أحمد.

٥٢٠٢ ـ (٤٨) وعن أبي أمامة، أنَّ رجلاً من أهل الصفة توفي وتَرَكَ ديناراً،

يعطي العبد من الدنيا على معاصيه) أي مع وجود فعله إياها (**ما يحب**) أي من أسبابها (**فإنما هو**) أي ذلك الإعطاء (**استدراج**) أي مكر منه سبحانه، قال تعالى: ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾ [الأعراف ـ ١٨٢]. قال الطيبي [رحمه الله]: الاستدراج هو الأخذ في الشيء والذهاب فيه درجة فدرجة كالمراقي والمنازل في ارتقائه ونزوله. ومعنى استدراج الله استدراجهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم، وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي، فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم، ظانين أن متواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد. (**ثم تلا رسول الله ﷺ**:) أي استشهاداً أو اعتضاداً (**فلما نسوا**) أي عهده سبحانه أو تركوا أمره ونهيه، وهو المعني بقوله: (**ما ذكروا به**) أي وعظوا (**فتحنا**) بالتخفيف ويشدد (**عليهم أبواب كل شيء**) أي من أسباب النعم التي في الحقيقة من موجبات النقم (**حتى إذا فرحوا بما أوتوا**) أي أعطوا من المال والجاه وصحة البدن وطول العمر (**أخذناهم بغتة**) أي فجأة بالموت أو العذاب فإنه أشد في تلك الحالة (**فإذا هم مبلسون**) [الأنعام ـ ٤٤] أي واجمون ساكتون محسرون متحيرون آيسون (**رواه أحمد**) وفي الجامع عنه بلفظ: إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج. رواه الطبراني وأحمد والبيهقي(١).

٥٢٠٢ ـ (**وعن أبي أمامة أن رجلاً من أهل الصفة**) في النهاية: [هم]فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه، وكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي وصف الرجل بهذا النعت إشعار بأن الحكم الذي يليه معلل به، يعني انتماءه إلى الفقراء الذين زهدوا في الدنيا مع وجود الدينارين أو الدينار دعوى كاذبة يستحق به العقاب، وإلا فقد كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف وطلحة بن عبيد الله [رضي الله تعالى عنهم أجمعين] يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عليهم أحد ممن أعرض عن الفتنة، لأن الإعراض اختيار للأفضل وإلا دخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء فيها مباح مرخص لا يذم صاحبه ولكل شيء حد. والحاصل أن رجلاً منهم (**توفي**) بصيغة المجهول وجوّز المعلوم، أي قبض ومات. (**وترك ديناراً**) أي وجد عنده أو عند

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٤٤ حديث رقم ٦٢٩.

الحديث رقم ٥٢٠٢: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٥٨. والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٦٤. حديث رقم ٦٩٦٤.

فقال رسول الله ﷺ: «كيَّةٌ» قال: ثم توفي آخر فتركَ دينارينِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «كيَّتَانِ». رواه أحمد، والبيهقيُّ في «شعب الإِيمان».

٥٢٠٣ ـ (٤٩) وعن معاوية: أنهُ دَخلَ على خالِه أبي هاشم بن عتبة يعوده، فبكى أبو هاشم، فقال ما يبكيك يا خال؟ أَوَجَعٌ يُشْئِزُكَ أم حرصٌ على

غيره (فقال رسول الله ﷺ: كية] أي هوكية للمبالغة أو سبب كية أو آلة وهو الأظهر لقوله تعالى: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ﴾ [التوبة ـ ٣٥]الآية. (قال:) أي الراوي (ثم توفي آخر) أي من أهل الصفة (فترك دينارين فقال رسول الله ﷺ: كيتان) وتوضيح المرام في هذا المقام أنهما لما كانا مع الفقراء الذين كان الناس يتصدّقون عليهم بناء على نهاية حاجتهم وغاية فاقتهم فهم بمنزلة السائلين أما قالاً وأما حالاً، ولا يحل لأحد يسأل وعنده قوت يوم، فوقع [أي السؤال] لكليهما مع وجود الدينار لهما حراماً. وكذا كل من أظهر نفسه بصورة الفقراء من لبس الخلق أو زي الشحاذين وعنده شيء من النقود أو ما يقوم مقامها، وأخذ مما في أيدي الناس وأكل فهو حرام عليه. وكذا من أظهر نفسه عالماً أو صالحاً أو شريفاً ولم يكن في نفس الأمر مطابقاً وأعطى [لأجل] علمه أو صلاحه أو شرفه فيكون حراماً عليه. وقد حكي أن الشيخ أبا إسحاق الكازروني [رحمه الله] رأى جمعاً من الفقراء يأكلون من الطعام الموضوع للمستحقين من تكية فقال: يا أكلة الحرام. فامتنعوا من الأكل. فقال: كل من لم يكن معه شيء من الدنيا يأكل وإلا فلا. فأكل بعضهم وامتنع بعضهم، فقال: سبحانه [جلَّ شأنه]طعام واحد حرام لقوم وحلال لآخرين فليحذر أهل الحرمين الشريفين أعزهما الله تعالى في الدارين من أن يأكل أحد منهم. والحال أنه غنى شرعي من الأوقاف الموضوعة للفقراء، وكذلك [كل] من سكن الخلاوي الموقوفة للمساكين. فقد صرح ابن الهمام [رحمه الله]بأن الغني يحرم عليه أن يسكن في خلاوي الأربطة. ولا يغتر أحد بما اشتهر من أن أوقاف الحرمين عام للفقير والغني، فإنه على تقدير صحته لا يصح الوقف عندنا على الأغنياء إذا كانوا غير محصورين. وبهذا يظهر أن إمامنا الأعظم ومقتدانا الأقوم لو كان في هذا الزمان وشاهد سكان هذا المكان لقال بحرمة لمجاورة خلافاً لما قال في الصدر الأوّل من كراهتها لعدم من يقوم بحق عظمتها وحرمتها إلا نادراً، والنادر لا حكم له. (رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان).

٥٢٠٣ ـ (وعن معاوية) أي ابن أبي سفيان، وهو خال المؤمنين. (أنه دخل على خاله) أي النسبي (أبي هاشم بن عتبة) ومر ترجمته (يعوده) حال أو استئناف بيان، أي يزوره لمرضه. (فبكى أبو هاشم فقال: ما يبكيك) أي أي شيء يجعلك باكياً (يا خال) بكسر اللام، وفي نسخة بضمها على حد يا غلام. (أوجع يشئزك) بضم الياء وكسر الهمزة، أي يقلقك ويتعبك، فيبكيك. ففي القاموس: شئز شأزاً غلظ واشتد ويقال: قلق وأشأزه أقلقه. (أم حرص على

الحديث رقم ٥٢٠٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٨ حديث رقم ٢٣٢٧. والنسائي في السنن ٨/ ٢١٨ حديث رقم ٥٣٧٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٤ حديث رقم ٤١٠٣. وأحمد في المسند ٥/ ٢٩٠.

الدنيا؟ قال: كلا؛ ولكنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً لم آخذْ به. قال: وما ذلك؟ قال سمعته يقول: «إنما يكفيكَ من جمعِ المال خادمٌ ومركبٌ في سبيل الله». وإني أراني قد جمعتُ. رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

٥٢٠٤ ـ (٥٠) وعن أم الدرداء، قالتْ: قلت لأبي الدرداءِ: ما لك لا تطلبُ كما يطلبُ فلانٌ؟ فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن أَمامكم عقبةً كَؤُوداً لا يجوزُها المُثقَلون». فأحِب أن أتخفف لتلك العقبة.

٥٢٠٥ ـ (٥١) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل من أحدٍ يمشي على الماءِ

(الدنيا) أي يقلقك فيبكيك. وفيه تنبيه على أن الأمر لا يخلو إما من اشتداد مرض صوري أو عرض معنوي يكون كل منهما باعثاً على نكد ظاهري وباطني. **(قال: كلا)** أي ارتدع عن حسبانك، كلا ومعناه ليس الباعث أحدهما. **(ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً لم آخذ به)** والمراد بالعهد أما وصية عامة أو مبايعة خاصة **(قال: وما ذلك)** أي العهد، وفي نسخة وما ذاك. **(قال: سمعته يقول: إنما يكفيك من جمع المال)** أي الذي يحصل المنال[1] في المآل **(خادم ومركب في سبيل الله وإني أراني)** بضم الهمزة أي أظن. وفي نسخة بفتحها، أي أبصر أو أعلم. **(قد جمعت)** أي زيادة على ما عهدت. وأغرب الطيبي [رحمه الله]حيث قال: حذف متعلقه ليدل على الكثرة من أنواع المال والله [تعالى]أعلم بالحال. **(رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه)**.

٥٢٠٤ ـ **(وعن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء: ما لك لا تطلب)** أي مالاً أو منصباً **(كما يطلب فلان)** أي وهو من نظرائك **(فقال: إني)** بكسر الهمزة ويجوز فتحها بتقدير لأني. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أمامكم)** بفتح الهمزة، أي قدامكم وهو ظرف وقع خبراً مقدماً، والاسم قوله: **(عقبة)** بفتحات، أي مرقي صعباً من الجبال على ما في القاموس. **(كؤوداً)** بفتح فضم همزة فواو فدال، أي شاقة فاصلة بينكم وبين دخول الجنة. قال الطيبي [رحمه الله]: والمراد بها الموت والقبر والحشر وأهوالها وشدائدها، شبهها بصعود العقبة ومكابدة ما يلحق الرجل من قطعها. **(لا يجوزها)** أي لا يتجاوز تلك العقبة على طريق السهولة. **(المثقلون)** من باب الإفعال، أي الحاملون ثقل المال ومؤونة الجاه وسعة الحال. ولذا قيل: فاز المخفون وهلك المثقلون. **(فأحب أن أتخفف)** [أي بترك الطلب]والصبر[2] على قلة المؤونة **(لتلك العقبة)** لئلا يحصل لي التعب فيها.

٥٢٠٥ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: هل من أحد يمشي على الماء**

---

(١) في المخطوطة «منال».

الحديث رقم ٥٢٠٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٠٩ حديث رقم ١٠٤٠٨.

(٢) في المخطوطة «اصبر».

الحديث رقم ٥٢٠٥: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٢٣ حديث رقم ١٠٤٥٧.

إلاَّ ابتلّت قدماه؟». قالوا: لا، يا رسول الله! قال: «كذلك صاحبُ الدنيا لا يسلمُ من الذنوب». رواهما البيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٠٦ ـ (٥٢) وعن جُبير بن نُفير [رضي الله عنه] مرسلاً، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أُوحي إليَّ أنْ أجمعَ المال وأكونَ من التاجرين، ولكن أوحي إليَّ أن ﴿**فسبّح بحمدِ ربّك وكنْ من السّاجدين. واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين**﴾». رواه في «شرح السنة» وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي مسلم.

إلا ابتلت قدماه) أي هل يمشي على الماء في حال من الأحوال إلا في حال الابتلال. وحاصل معناه: هل يتحقق المشي على الماء بلا ابتلال. (**قالوا: لا يا رسول الله. قال: كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب**) أي من المعاصي اللازمة لصاحب حب الدنيا. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه تخويف شديد للمتقين وحث أكيد على الزهد [في الدنيا]وإيثار الآخرة على الأولى، وكفى بها تبعة أن يدخل الفقراء في الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام عافانا الله منها بكرمه وفضله. (**رواهما**) أي الحديثين (**البيهقي في شعب الإِيمان**) وكذا الحاكم روى الحديث الأوّل[(١)]. وقال ميرك نقلاً عن المنذري: حديث أم الدرداء رواه الطبراني بإسناد صحيح، ورواه البزار عن أبي الدرداء رفعه: إن بين أيديكم عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كل مخف. وإسناده حسن.

٥٢٠٦ ـ (**وعن جبير بن نفير**) بالتصغير فيهما. قال المؤلف: تابعي خضرمي أدرك الجاهلية والإسلام وهو من ثقات الشاميين وحديثه فيهم. روى عن أبي الدرداء وأبي ذر، وعنه جماعة. (**مرسلاً**) أي بحذف الصحابي (**قال: قال رسول الله ﷺ: ما أوحي إلي**) أي لم يوح إلى (**أن أجمع المال**) أن مصدرية والباء مقدرة. وقوله: (**وأكون**) عطف عليه (**من التاجرين**) أي المتوغلين في التجارة (**ولكن أوحي إليَّ**) أي قيل لي بالوحي (**أن ﴿فسبح﴾**) أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول، أي سبح. (**﴿بحمد ربك﴾**) أي مقروناً به. والمعنى نزه الله تعالى عما لا يليق بذاته وصفاته منتهياً إلى ثناء ربك بإثبات صفات الجلال والجمال له. (**﴿وكن من الساجدين﴾**) أي المصلين بذكر أحد الأركان وإرادة تمام الصلاة، فهو من قبيل مجاز إطلاق الجزء وإرادة الكل. ووجه تخصيص السجدة ما ورد في حديث مسلم: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. (**﴿واعبد ربك﴾**) تعميم بعد تخصيص، سواء كان المراد به الأمر بالعبادة أو بالعبودية. (**﴿حتى يأتيك اليقين﴾**)[(٢)] أي الموت بإجماع المفسرين. وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿**ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [الحجر آيات ٩٧، ٩٨، ٩٩]. (**رواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي عن جبير بن نفير (**وأبو نعيم**) بالتصغير (**في الحلية عن أبي مسلم**) قال المؤلف: هو أبو

---

(١) أخرج حديث ابن ماجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٤.

الحديث رقم ٥٢٠٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٣٧. حديث رقم ٤٠٣٦.

(٢) سورة الحجر الآيتان رقم ٩٨ و٩٩.

٥٢٠٧ ـ (٥٣) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ طلبَ الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسَعْياً على أهله، وتعطُّفاً على جاره؛ لَقِيَ اللَّهَ تعالى يومَ القيامةِ ووجهُهُ مثلُ القمرِ ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً، مكاثراً، مفاخراً، مرائياً؛ لَقي الله تعالى وهوَ عليهِ غَضْبان». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». وأبو نُعَيْم في «الحلية».

٥٢٠٨ ـ (٥٤) وعن سهل بن سعد، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ هذَا الخيرَ خزائن، لتلك الخزائنُ مفاتيح،

مسلم الخولاني الزاهد، لقي أبا بكر وعمر ومعاذاً [رضي الله عنهم]. روى عنه جبير بن نفير وعروة وأبو قلابة. ومناقبه كثيرة. مات سنة اثنتين وستين انتهى، فيحتمل أن الحديث مروي من طريق جبير عن أبي مسلم أو من طريق غيره والله [تعالى] أعلم.

٥٢٠٧ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من طلب الدنيا حلالاً**) أي من طريق حلال (**استعفافاً**) أي لأجل طلب العفة (**عن المسألة**) ففي النهاية: الاستعفاف طلب العفاف. والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس. (**وسعياً على أهله**) أي لأجل عياله ممن يجب عليه مؤونة حاله (**وتعطفاً على جاره**) إحساناً عليه بما يكون زائداً لديه (**لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه**) أي والحال أن وجهه من جهة كمال النور وغاية السرور. (**مثل القمر ليلة البدر**) قيد به لأنه وقت كماله. وفيه إشارة خفية إلى أن هذا النور له ببركة المصطفى المنزل عليه: ﴿**طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾ [طه ـ ١ ـ ٢]. فإن طه أربعة عشر بحساب أبجد الذي يعرفه الأب والجد، وهذا يوم لا ينفع ذا الجد منك الجد (**ومن طلب الدنيا حلالاً**) أي فضلاً عن أن يطلب حراماً (**مكاثراً**) أي حال كونه طالباً كثرة المال لا حسن الحال ولا صرفه في تحسين المآل. (**مفاخراً**) أي على الفقراء كما هو دأب الأغبياء من الأغنياء. (**مرائياً**) أي إن فرض عنه صدور خير أو عطاء. (**لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**) ولعله ﷺ لم يذكر من طلب الحرام أما اكتفاء بما يفهم من فحوى الكلام، وأما إيماء إلى أنه ليس من صنيع أهل الإسلام، أو إشعار بأن الحرام أكله وقربه حرام ولو لم يكن هناك طلب ومرام. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي الحديث معنى قوله تعالى: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾ [آل عمران ـ ١٠٦]. وهما عبارتان عن رضا الله [تعالى] وسخطه، فقوله: ووجهه مثل القمر. مبالغة في حصول الرضا بدلالة قوله في مقابلته: وهو عليه غضبان. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية**).

٥٢٠٨ ـ (**وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الخير**) أي هذا الجنس من الخير المدسوس المعلوم كالمحسوس (**خزائن**) أي أنواع كثيرة مخزونة مكنونة مركوزة موضوعة فيما بين عباده. (**لتلك الخزائن**) خبر مقدم على مبتدئه وهو قوله: (**مفاتيح**) أي على أيدي

الحديث رقم ٥٢٠٧: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٨ حديث رقم ١٠٣٧٥. وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢١٥.

الحديث رقم ٥٢٠٨: أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٨٧ حديث رقم ٢٣٨.

فطوبى لعبدٍ جعله الله مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشرّ؛ وويلٌ لعبدٍ جعلَه الله مفتاحاً للشرِّ، مغلاقاً للخَيْر». رواه ابن ماجه.

٥٢٠٩ - (٥٥) وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لَمْ يُبَارِكْ للعبد

الذين هم بمنزلة وكلائه. ثم الظاهر أن ذكر[1] الخير بدون ذكر الشر من باب الاكتفاء، أو إشارة إلى أن الشر ما خلق لذاته. ولذا ورد في قوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ [آل عمران - ٢٦]. مع أن الأمر كله لله. وفي الحديث الشريف: الخير كله بيديك والشر ليس إليك[2]. أدباً. فقيل: المعنى أنه لا ينسب إليك، والأظهر أن الشر إنما يحصل بترك الخير فيكون بينهما نسبة التضاد كالنور والظلمة والوجود والعدم. ومما يدل على أن لله خزائن للشر أيضاً قوله: (**فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير**) أي علماً أو عملاً أو حالاً أو مآلاً (**مغلاقاً للشر. وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر**) أي للكفر والعصيان والبطر والطغيان والبخل وسوء العشرة مع الإخوان. (**مغلاقاً للخير**) قال الراغب: الخير ما يرغب فيه الكلّ كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشيء النافع، والشر ضده. والخير والشر قد يتحدان وهو أن يكون خير الواحد شر الآخر، كالمال الذي يكون رياء كان خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: ﴿**إن ترك خيراً**﴾ [البقرة - ١٨٠]. أي مالاً. وقال في موضع آخر: ﴿**أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات**﴾ [المؤمنون - ٥٦]. وكذا العلم بالنسبة إلى بعضهم حجاب وسبب العذاب، وبالنسبة إلى بعض آخر اقتراب إلى رب الأرباب. وقس على هذا العبادة فإن منها ما يورث العجب والغرور ومنها ما يورث النور والسرور والحبور كالسيف والخيل ونحوهما قد يجعل آلة للجهاد مع الكفار ويتوصل بها إلى القرار في دار الأبرار، وقد يتوصل بها إلى قتل الأنبياء والأولياء وينتهي بها إلى الدرك الأسلف من النار. وهذا معنى ما سيأتي من قوله ﷺ: إلا وأن الخير كله بحذافيره في الجنة إلا وأن الشر كله بحذافيره في النار. يعني بحسب ما قسم لأهلها قسمة أزلية أبدية مبنية على جعل بعضهم مرائي الجمال، وبعضهم مظاهر الجلال كما قال: ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾ [الشورى - ٧]. وقد قال: [الله تعالى في الحديث القدسي] خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي. مشيراً إلى قوله سبحانه: ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ [الأنبياء - ٢٣]. فبحر القضاء والقدر عريض عميق لا يغوص فيه إلا من له تحقيق بتوفيق، يتحير فيه أرباب السواحل ويمضي منه أصحاب سفن الشرائع الكوامل. (**رواه ابن ماجه**) وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة مرفوعاً: أن هذه الأخلاق من الله فمن أراد الله تعالى به خيراً منحه خلقاً حسناً، ومن أراد به سوءاً منحه سيئاً[3].

٥٢٠٩ - (وعن علي رضي الله [تعالى]عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا لم يبارك للعبد

(١) في المخطوطة «ذلك» (٢) من حديث أخرجه مسلم ١/ ٥٣٤ حديث رقم ٧٧١.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٥١ حديث رقم ٢٥١٦.

الحديث رقم ٥٢٠٩: أخرجه البيهقي في شعب الإِيمان ٧/ ٣٩٤ حديث رقم ١٠٧١٩.

في ماله جعله في الماءِ والطينِ».

٥٢١٠ ـ (٥٦) وعن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اتّقوا الحرامَ في البنيانِ، فإِنهُ أساسُ الخراب». رواهما البيهقيُّ في «شعب الإِيمان».

٥٢١١ ـ (٥٧) وعن عائشة [رضي الله عنها]، عن رسول الله ﷺ قال: «الدُّنيا دَارُ مَنْ لا دَارَ لهُ، ومالُ منْ لا مالَ له، ولها يجمعُ منْ لا عقلَ له».

في ماله) أي بأن لا يصرفه في رضا مولاه وعمارة عقباه وحسن مآله. **(جعله)** أي أنفق ماله وضيعه **(في الماء والطين)** أي المعبر بهما عن عمارة الدنيا بسبب إعراضه عن أعراض الدين.

٥٢١٠ ـ **(وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: اتقوا الحرام)** أي احذروا إنفاقه. وفي الجامع: اتقوا الحجر الحرام **(في البنيان)** أي في صرف عمارة الدنيا الفانية **(فإنه أساس الخراب)** أي في الأيام الآتية كما ورد: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[(١)]. والتقييد بالحرام ليس له مفهوم معتبر، بل فيه إشارة إلى أن المال الحلال لم ينفق صرفه في غير حسن المآل. فقد قال الإمام الغزالي: لو أكل الناس أربعين يوماً من الحلال لخربت الدنيا ولم يبق لها نظام في الحال. ولذا قيل: لولا الحمقى لخربت الدنيا. وقال بعضهم: الغفلة رحمة، ولذا قال تعالى: **﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾** [الأنبياء ـ ١]. قيل: التقدير أسباب خراب الدين، أو أساس خراب البنيان. فعلى الأول يدل على جواز إنفاق الحلال في البنيان، وعلى الثاني لا، وهذا أنسب بالباب والله [تعالى]أعلم بالصواب. **(رواهما)** أي الحديثين **(البيهقي في شعب الإيمان)** وروى الطبراني الحديث الأول عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظه: للرجل بدل للعبد.

٥٢١١ ـ **(وعن عائشة عن رسول الله ﷺ قال: الدنيا دار من لا دار له)** قال الطيبي [رحمه الله]: لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هنيء ودار الدنيا خالية عنها لا يستحق لذلك أن تسمى داراً، فمن داره الدنيا فلا دار له. قال تعالى: **﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾** [العنكبوت ـ ٦٤]. وقال ﷺ: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»[(٢)]. **(ومال من لا مال له)** فإن المقصود من المال هو الانفاق في المبرات والصرف في وجوه الخيرات، فمن أتلفه في تحصيل الشهوات واستيفاء اللذات فحقيق بأن يقال: لا مال له. قال تعالى: **﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾** [آل عمران ـ ١٨٥]. ولذا قدم الظرف على عامله في قوله: **(ولها)** أي للدنيا **(يجمع)** أي المال **(من لا عقل له)** أي عقلاً كاملاً أو عقل الدين

الحديث رقم ٥٢١٠: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٩٤ حديث رقم ١٠٧٢٢.

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٧/٣٩٦ حديث رقم ١٠٧٣٠ ولفظة «للتراب».

الحديث رقم ٥٢١١: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧١. والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٧٥ حديث رقم ١٠٦٣٨.

(٢) متفق عليه. البخاري في صحيحه ١١/ ٢٢٩ حديث رقم ٦٤١٢ ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٣١ حديث رقم ١٨٠٤.

رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢١٢ ـ (٥٨) وعن حُذيفَةَ [رضي الله عنه]، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «الخمرُ جماعُ الإثم، والنساء حبائلُ الشيطان، وحب الدنيا رأس كل خطيئة». قال: وسمعته يقول: «أخّروا النساء حيث أخّرهنّ الله».

دلالة على أن جمع الدار الآخرة للتزود هو المحمود. قال تعالى: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ [البقرة ـ ١٩٧]. قلت: ومجمل المعنى أن الدنيا لا تستحق أن تعد داراً إلا لمن لا دار له ولا مالاً إلا لمن لا مال له. والمقصود استحقارها وانحطاطها عن أن تعد داراً أو مالاً لمن كانت الآخرة له قرار ومآلاً. قال الراغب: كل اسم نوع يستعمل على وجهين: أحدهما دلالة على المسمى وفصلاً بينه وبين غيره، والثاني لوجود المعنى المختص به، وذلك هو الذي يمدح به. فكل شيء لم يوجد كاملاً لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقاً، بل قد ينفي عنه كقولهم: فلان ليس بإنسان، أي لا يوجد فيه المعنى الذي خلق لأجله. (**رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان**) ورواه البيهقي أيضاً في الشعب عن ابن مسعود موقوفاً.

٥٢١٢ ـ (**وعن حذيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته:**) أي موعظته (**الخمر جماع الإثم**) بكسر الجيم أي مجمعه ومطيته. و [قيل]: أصل الجماع [ما يجمع] عدداً. ويرادفه حديث ابن عباس على ما رواه الطبراني مرفوعاً: الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته[١]. وفي رواية البيهقي عن ابن عمر بلفظ: الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته[٢]. قيل: دعي رجل إلى سجدة لصنم فأبى ثم إلى قتل النفس فأبى ثم إلى الزنا فأبى ثم إلى شرب الخمر[٣] فلما شرب فعل جميع ما طلب منه. (**والنساء**) أي جنسهن (**حبائل الشيطان**) والمراد به الجنس أو رئيسهم. ويؤيد الأول ما في نسخة بلفظ الشياطين، أي مصائدهم. واحدها حباله بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء. كان قيل: ما أيس الشيطان من بني آدم إلا أتى من قبل النساء. (**وحب الدنيا رأس كل خطيئة**) أي ملاكها. ومفهومه أن ترك الدنيا رأس كل عبادة. وقد قيل: من أحب الدنيا لا يهديه جميع المرشدين، ومن تركها لا يغويه جميع المفسدين. قال الطيبي [رحمه الله]: والكلمات الثلاث كلها من الجوامع لأن كل واحدة منها على الانفراد أصل في المغرم والمأثم. (**قال:**) أي حذيفة (**وسمعته**) أي النبي ﷺ (**يقول: أخروا النساء حيث أخرهن الله**) قال الطيبي [رحمه الله]: حيث للتعليل، أي أخرهن الله تعالى في الذكر

الحديث رقم ٥٢١٢: رواه رزين. وروى عبد الرزاق في المصنف عن ابن مسعود قوله «أخروهن حيث أخرهن الله» ٣/١٤٩ حديث رقم ٥١١٥.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٢٥٢ حديث رقم ٤١٤١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٤١٤٢ وقال في الجامع أنه للطبراني في الكبير.

(٣) في المخطوطة «دعني إلى شرب خمر فأبى».

رواه رزين.

٥٢١٣ ـ (٥٩) وروى البيهقي منه في «شعب الإيمان» عن الحسن، مرسلاً: «حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ».

٥٢١٤ ـ (٦٠) وعن جابر [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أخوفَ ما أتخوَّفُ على أُمتي الهَوى وطولُ الأمل؛ فأما الهوى فيصدُّ عن الحقِّ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرةَ،

وفي الحكم وفي المرتبة فلا تقدموهن ذكراً وحكماً ومرتبة. قلت: وأصحابنا استدلوا به على بطلان محاذاة المرأة بشروطها المعتبرة على ما هو مقرر عندهم ومحقق عند المحقق ابن الهمام [رحمه الله]. (رواه) أي الحديث بكماله (رزين) وفي التمييز لابن الربيع حديث: أخروهن من حيث أخرهن الله. يعني النساء. قال شيخنا في مصنف عبد الرزاق [رحمه الله]: ذكر أحاديث بمعناه من طريق الطبراني ثم قال: ولا نطيل بها. وأشار شيخنا لبعضها في مختصر تخريج الهداية انتهى. فالحديث مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الإصطلاحي، فإنه يطلق على القريب من المتواتر القطعي. ولذا قال ابن الهمام عند قول صاحب الهداية: ولنا الحديث المشهور لا يثبت رفعه فضلاً عن شهرته، والصحيح أنه موقوف على ابن مسعود لكنه في حكم المرفوع.

٥٢١٣ ـ **(وروى البيهقي عنه)** أي من الحديث الطويل المتشعب على جمل من الكلام **(في شعب الإيمان)** أي بإسناد حسن **(عن الحسن مرسلاً: حب الدنيا رأس كل خطيئة)** قلت: وهو عند أبي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى ابن مريم عليه [الصلاة]والسلام وعند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان له من قول مالك بن دينار، وكذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه [الصلاة]والسلام. قال السيوطي [رحمه الله]: وقد عد الحديث في الموضوعات. وتعقبه شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]بأن ابن المديني اثنى على مراسيل الحسن والإسناد حسن إليه، وقد رواه الديلمي من حديث علي بن أبي طالب في مسنده ولم يذكر له إسناداً[(١)]، وهو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي التابعي بلفظ: حب الدنيا رأس الخطايا.

٥٢١٤ ـ **(وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى)** أي هوى النفس ومشتهياتها **(وطول الأمل)** أي بتسويف العمل وتأخيره إلى آخر حياتها. **(فأما الهوى)** أي المخالف للهدي الموافق للباطل **(فيصد)** أي يمنع صاحبه **(عن الحق)** أي عن قبوله وانقياده **(وأما طول الأمل فينسي)** من الإنساء، ويجوز بالتشديد. **(الآخرة)** لأن ذكرها يقطع

الحديث رقم ٥٢١٣: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٨٨ حديث رقم ١٠٥٠١.

(١) لم أجده في «الفردوس».

الحديث رقم ٥٢١٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٧٠ حديث رقم ١٠٦١٦.

وهذه الدنيا مُرْتحلة ذاهبة، وهذه الآخرة مرتحلة قادمة، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بنون، فإِن استطعتم أن لا تكونوا من بَنِي الدُّنيا فافعلوا، فإِنكم اليوم في دار العملِ ولا حساب، وأنتم غداً في دارِ الآخرة ولا عمل».

الأمل ويوجب العمل. **(وهذه الدنيا)** أي المعلومة هنا والمفهومة حساً. **(مرتحلة)** أي ساعة فساعة **(ذاهبة)** أي رائحة من حيث لا يدري صاحبها كما لا يشعر بسير السفينة راكبها. ولذا قيل: [كل]نفس خطوة[1] إلى أجل راعيها. **(وهذه الآخرة مرتحلة قادمة)** أي آتية. شبههما بالمطيتين المختلفتين في طريقهما، وفيه إشعار بأن كل ما هو آت قريب وإيماء إلى أن كل ساعة يحتمل أنها [تكون]النفس الأخير[2] المقتضي أن يصرفها في طاعة. **(ولكل واحدة منهما بنون)** أي ملازمون ومحبون وراكبون وراغبون، والجمع بينهما من الأضداد المعلومة كما حققه العلماء العاملون. **(فإن استطعتم أن لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا)** وفيه اهتمام تام بترك الدنيا ومبالغة بليغة في ملازمة أمر الآخرة حيث لم يقل: فإن استطعتم أن تكونوا من أبناء الآخرة فافعلوا. ولعل العدول لما يلزم من ترك حب الدنيا حصول الآخرة، ولا يلزم من وصول الآخرة ترك حظ الدنيا لقوله تعالى: **﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾** [الشورى ـ ٢٠]. ولقوله سبحانه: **﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ﴾** [الإسراء ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١]. **(فإنكم اليوم في دار العمل)** أي في دار يطلب منكم عمل الآخرة، فإن الدنيا دار تكليف فاغتنموا العمل قبل حلول الأجل بترك الأمل لأن الدنيا ساعة فينبغي أن تصرف في طاعة. **(ولا حساب)** أي اليوم بحسب الظاهر بالنسبة إلى الفاجر. وإلا فروي خطاباً للأبرار: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. ويدل عليه قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾** [الحشر: ١٨]. **(وأنتم غداً في دار الآخرة)** أي وفي الحساب المترتب عليه الثواب والعقاب[3] **(ولا عمل)** أي يومئذ لانقطاعه بالأجل. قال السيوطي [رحمه الله]: قوله: ولا حساب. بالفتح بغير التنوين ويجوز الرفع بالتنوين، وكذا قوله: ولا عمل. قال الطيبي [رحمه الله]: أشار بهذه الدنيا إلى تحقير شأنها ووشك زوالها. وفي قوله: الآخرة. أشار إلى تعظيم أمرها وقرب نزولها. وقوله: فإن استطعتم، يعني بينت لكم حال الدنيا من غرورها وفنائها وحال الآخرة من نعيمها وبقائها وجعلت زمام[4] الاختيار في أيديكم فاختاروا أياً مّا شئتم. وكان من حق الظاهر أن يقال: فإنكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب فوضع دار العمل موضعها المؤذن بأن الدنيا ما خلقت

---

(١) في المخطوطة «خطرة».
(٢) في المخطوطة «نفس الآخر».
(٣) في المخطوطة «العقاب والثواب».
(٤) في المخطوطة «أيام».

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢١٥ ـ (٦١) وعن علي رضي الله عنه قال: ارتحلتِ الدنيا مُدبرة، وارتحلتِ الآخرة مقبلةً، ولكلِّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا منْ أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حسابَ، وغداً حساب ولا عمل. رواه البخاري في ترجمة باب.

٥٢١٦ ـ (٦٢) وعن عمرو [رضي الله عنه] أن النبي ﷺ خطبَ يوماً فقال في خطبته: «ألا إنَّ الدنيا عرض حاضرٌ، يأكل منه البرّ والفاجر، ألا وإنَّ الآخرة أجلٌ صادق،

إلا للعمل والتزود منها للدار الآخرة، ولم يعكس [ليشعر بأن][1] الدار هي دار الآخرة. (رواه البيهقي في شعب الإيمان) قال الطيبي [رحمه الله]: وهذا الحديث رواه جابر مرفوعاً. وفي رواية البخاري عن علي رضي الله [تعالى] عنه كما سيأتي موقوفاً. وهذا الحديث يدل على أن حديث علي كرم الله وجهه أيضاً مرفوع. قلت: وفيه بحث لأنه إنما يقال في الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه أنه في حكم المرفوع، ولا شك أن هذا الموقوف ليس من ذلك القبيل المعروف فيحتمل أن يكون مرفوعاً مسموعاً، ويحتمل أن يكون وقع منه رضي الله [تعالى]عنه توارداً مطابقاً مطبوعاً.

٥٢١٥ ـ **(وعن علي رضي الله عنه)** أي موقوفاً **(قال: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة)** أي ظهر إدبار الدنيا وفناؤها وإقبال الآخرة وبقاؤها. **(ولكل واحدة منهما بنون)** أي بهما متعلقون **(فكونوا من أبناء الآخرة)** أي بالتوجه إليها **(ولا تكونوا من أبناء الدنيا)** أي بالاعراض عنها وعدم الاقبال عليها **(فإن اليوم عمل)** أي وقت عمل **(ولا حساب)** [أي زمان لا محاسبة على الاكتساب. وقد يقال: جعل اليوم نفس العمل والمحاسبة مبالغة. كذا قوله: **(وغداً)** أي يوم القيامة **(حساب]ولا عمل)** وتقدم ما في الحساب والعمل من اختلاف الإعراب. **(رواه البخاري في ترجمة باب)** أي من غير ذكر إسناد في كتاب.

٥٢١٦ ـ **(وعن عمرو)** بالواو **(أن النبي ﷺ خطب يوماً فقال في خطبته: ألا)** للتنبيه **(إن الدنيا عرض)** بفتحتين، أي مال حادث وحال عارض. **(حاضر)** أي عاجل محسوس **(يأكل منه)** أي من العرض. وفي نسخة: منها، أي من الدنيا. **(البر والفاجر)** أي المؤمن والكافر فإنه تعالى قال: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾** [الأنعام ـ ٣٨]. وقال: **﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾** [الإسراء ـ ١٧]. أي ممنوعاً. هذا وقال الراغب: العرض ما لا يكون له ثبات، ومنه استعار المتكلمون قولهم: العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والطعم. وقيل: للدنيا عرض حاضر تنبيهاً على أن لا ثبات لها. **(إلا وأن الآخرة)** قال الطيبي [رحمه الله]: حرف التنبيه هنا مقحم وما بعده معطوف على قوله: إن الدنيا، قوبلت القرينة السابقة بقوله: ألا وإن الآخرة. **(أجل)** أي مؤجل **(صادق)** أي وقوعها

---

(١) في المخطوطة بدل المعكوفتين «ثم بأن».

الحديث رقم ٥٢١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٥. في باب رقم ٤ باب في الأمل وطوله.

الحديث رقم ٥٢١٦: لم أقف عليه في مسند الإمام الشافعي.

ويقضي فيها مَلِك قادر، ألا وإن الخيرَ كله بحذافيره في الجنة، ألا وإنَّ الشرّ كله بحذافيره في النار، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حَذر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم، ﴿فمنْ يعملْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يرَهُ ومن يعملْ مثقال ذرّةٍ شرّاً يره﴾». رواه الشافعي.

٥٢١٧ ـ (٦٣) وعن شداد [رضي الله عنه] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يا أيُّها الناس! إن الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرّ والفاجر، وإن الآخرة وعدٌ صادق، يحكم فيها ملك عادل قادر،

(ويقضي) أي يحكم **(فيها ملك قادر)** أي مميز بين البر والفاجر والمؤمن والكافر بالثواب والعقاب. قال الطيبي [رحمه الله]: الأجل الوقت المضروب الموعود وصفه بالصدق دلالة على تحققه وثباته وبقائه. وقال الراغب: يستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق. يقال: صدقني فعله وكتابه. وفي المثل: صدقني من بكره وصدق في القتال إذا وفى حقه وفعل على ما يحب وكما يحب. **(ألا وإن الخير)** أي أصحابه **(كله)** أي جميع أصنافه **(بحذافيره)** أي بجوانبه وأطرافه **(في الجنة، ألا وإن الشركاء بحذافيره في النار)** الظاهر أن [كلاً من]المعطوف والمعطوف عليه أتى بحرف التنبيه إشارة إلى استقلال كل من الجملتين خلافاً لما سبق عن الطيبي [رحمه الله]، فتدبر. **(ألا فاعملوا)** أي الخير **(وأنتم من الله على حذر)** أي على خوف من وقوع شر **(واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم)** قال الطيبي [رحمه الله]: أي الأعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم: عرضت الناقة على الحوض[1]. انتهى. وإلا ظهر أن معناه: مقابلون بأفعالكم مجزيون على أعمالكم، كعرض العسكر على الأمير. ومنه قوله تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ [الحاقة ـ ١٨]. على أنها تحتمل أن تكون على العلة كما قال تعالى: ﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ [البقرة ـ ١٨٥]. أو التركيب من قبيل علفت ماء وتبناً، والتقدير: معرضون على مجازون[2] على أعمالكم، إن كان خيراً فخير أو كان شراً فشر. **(﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾)** أي جزاءه في إحدى الدارين. **(﴿ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾)** قال السيوطي [رحمه الله]: الذرة النمل الأحمر الصغير، وسئل ثعلب عنها فقال: إن مائة نملة وزن حبة. وقيل: الذرة ليس لها وزن؛ ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في الكوة النافذة. **(رواه الشافعي)**.

٥٢١٧ ـ **(وعن شداد)** بتشديد الدال الأولى، أي ابن أوس. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها)** أي من الدنيا ويتمتع بها **(البر والفاجر)** أي المؤمن والكافر **(وإن الآخرة وعد)** أي موعود **(صادق)** أي واقع غير كاذب. في مختصر الطيبي [رحمه الله]وصف الوعد بالصدق على الإسناد المجازي، أي صادق وعده أي في وعده. **(يحكم فيها)** أي يقضي في الآخرة **(ملك)** أي سلطان **(عادل)** أي غير ظالم **(قادر)** أي غير

---

(١) في المخطوطة «القلب» (٢) في المخطوطة «يجاوزون».

الحديث رقم ٥٢١٧: أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٦٤.

يُحق فيها الحقَّ، ويُبطل الباطلَ، كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها».

٥٢١٨ ـ (٦٤) وعن أبي الدرداءِ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طلعت الشمسُ إلا وبجنبتيها مَلَكان يناديان، يسمعان الخلائق غَير الثقلين: يا أيُّها الناس! هلموا إلى ربِكم، ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى»

عاجز (**يحق فيها الحق**) أي يثبت ويعين (**ويبطل**) أي يزهق (**الباطل**) والمعنى يميز بين أهليهما ويفصل بينهما بالثواب والعقاب. (**كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها**) فكأن الدنيا الباطلة مقرها النار وبئس القرار، والآخرة الحقة محلها الجنة فنعم الدار.

٥٢١٨ ـ (**وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: ما طلعت الشمس إلا وبجنبتيها**) بفتح الجيم والنون ويسكن. وفتح الموحدة وسكون التحتية تثنية الجنبة وهي الناحية، ففي المقدمة: إنها بالتحريك، وفي القاموس: الجنب والجانب والجنبة محركة شق الانسان وغيره، وجانبتا الأنف وجنبتاه ويحرك جنباه. قال الطيبي [رحمه الله]: الواو للحال والاستثناء مفرغ من أعم عام الأحوال. وقوله: (**ملكان**) يجوز أن يكون فاعل الجار والمجرور على رأي أو مبتدأ، والجار والمجرور خبره، انتهى. وقوله: (**يناديان**) حال أو استئناف أو صفة لقوله: ملكان. وقوله: (**يسمعان الخلائق غير الثقلين**) بدل مما قبله أو حال من ضميره أو بيان بعد بيان. والظاهر حمل الإسماع للخليقة على الحقيقة. ثم لعل السر لعدم إسماع الثقلين أن لا يرتفع التكليف بمعاينة الغيب كما حقق في قوله ﷺ: لولا أن تدافعوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر(١). فإن قلت: فما فائدة النداء لغيرهما مع أنهما هما المحتاجان للتنبيه عن غفلة الإنباء. قلت: فائدته أن يخبر الصادق المصدق بقوله ناقلاً عما سمع بنفسه أو بما أخبر به الحق المطلق. (**يا أيها الناس هلموا**) أي تعالوا. (**إلى ربكم**) أي أمره وحكمه أو انقطعوا إليه من غيره كما قال تعالى: ﴿**ففروا إلى الله**﴾ [الذاريات ـ ٥٠]. ﴿**وتبتل إليه تبتيلاً**﴾. (**ما قل**) أي من المال، وما موصولة. (**وكفى**) أي في أمر الدنيا وزاد العقبى. (**خير مما كثر**) أي من المال (**وألهى**) أي شغل عن المولى وحسن الحال وتحسين المآل. وقال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون الاسماع على الحقيقة، وأن يكون على التنبيه عن الغفلة مجازاً، فمعنى: يسمعان الخلائق غير الثقلين أنهما يقصدان بالأسماع الثقلين فيسمعان غيرهما. ثم خص من الثقلين الإنسان بقوله: يا أيها الناس. تنبيهاً على تماديهم في الغفلة وانهماكهم في الحرص وجمع حطام الدنيا حتى ألهاهم ذلك عن الإقبال إلى ذكر الله تعالى وعبادته فقيل لهم: إلى كم هذه الغفلة والإعراض عن ذكر الله، هلموا إلى طاعة ربكم ما قل من المال ويكفيكم، ولا

الحديث رقم ٥٢١٨: أحمد في المسند ٥/١٩٧ وأبو نعيم في الحلية ١/٢٢٦.

(١) مسلم في صحيحه ٤/٢٢٠٠ حديث رقم ٢٨٦٨.

رواهما أبو نعيم في «الحلية».

٥٢١٩ ـ (٦٥) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] يبلغ به، قال: «إِذا مات الميّت قالت الملائكة: ما قدّم؟ وقال بنو آدم: ما خَلَّفَ؟». رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٢٠ ـ (٦٦) وعن مالك [رضي الله عنه]: أن لقمان قال لابنه: «يا بُني! إِن الناسَ قد تطاولَ عليهم ما يوعدون، وهم إِلى الآخرة سِرَاعاً يذهبون،

يلهيكم خير مما كثر وألهى؛ سمع هذا النداء من ألقى السمع وهو شهيد. أولئك هم الذين أشار الله بذكرهم ورفع من منزلهم في قوله: ﴿**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ [النور ـ ٣٧] الآية. ومعنى اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما يراد منها. وإن من شيء إلا يسبح بحمده. انتهى. ولا يخفى أن صحة كلامه يحتاج إلى أن يقال التقدير غير عامة الثقلين والله [تعالى]أعلم. (**رواهما**) أي الحديثين (**أبو نعيم في الحلية**) وقد روى ابن حبان الأول في صحيحه.

٥٢١٩ ـ (**وعن أبي هريرة يبلغ**) بفتح الياء (**به**) والباء للتعدية. والمعنى: يرفع مرويه إلى النبي ﷺ. (**قال: إذا مات الميت**) قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب المجاز باعتبار ما يؤول، فإن الميت لا يموت بل الحي هو الذي يموت. قلت: إلا الحي الذي لا يموت. وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض وتضل الضالة. فسمى المشارف للمرض والضلال مريضاً وضالة، وعلى هذا يسمى المشارف للموت ميتاً. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ [الزمر ـ ٣٠]. ومآل القولين واحد، وإنما الخلاف باعتبار النظر في أول أمره أو آخر حاله كنظر الصوفية في أمر السابقة واللاحقة، والأولى هي الأولى. (**قالت:**) وفي رواية الجامع: تقول. (**الملائكة: ما قدم**) بتشديد الدال، أي من الأعمال. (**وقال بنو آدم:**) وفي رواية الجامع: ويقول الناس. (**ما خلف**) بتشديد اللام، أي أخر من الأموال. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: وفائدته اهتمام شأن الملائكة بالأعمال، أي ما قدم من عمل حتى يثاب به أو يعاقب عليه واهتمام الوراث بماله ليرثوه. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**).

٥٢٢٠ ـ (**وعن مالك**) أي ابن أنس (**أن لقمان قال لابنه: يا بني**) بتشديد الياء المفتوحة، وتكسر على صيغة التصغير للشفقة. (**إن الناس**) أي من عهد آدم إلى يومنا هذا (**قد تطاول**) أي بعد (**عليهم ما يوعدون**) أي من البعث والحساب وما بعدهما من الثواب والعقاب. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي طال عليهم مدة ما وعدوا به. (**وهم إلى الآخرة سراعاً**) أي مسرعين، حال من المبتدأ أو من ضمير الخبر وهو قوله: (**يذهبون**) قدم اهتماماً. والجملة حال من ضمير ما يوعدون. والمعنى: تطاول على الناس بعد الوعد وقرب العهد. والحال أنهم كل ساعة، بل كل نفس يذهبون إلى ما يوعدون كالقافلة السيارة، لكنهم لا يحسون كالسكان في الفلك

الحديث رقم ٥٢١٩: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٢٨. حديث رقم ١٠٤٧٥.

الحديث رقم ٥٢٢٠: رواه رزين.

وإنّك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلتَ الآخرة، وإن داراً تسيرُ إليها أقربُ إليك من دارِ تخرج منها». رواه رزين.

٥٢٢١ ـ (٦٧) وعن عبد الله بن عمرو [رضي الله عنهما] قال: قيلَ لرسول الله ﷺ: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: «كل مَخْمُومِ القلب، صَدوق اللّسان». قالوا: صدوقُ اللِسان نعرفه، فما مخمومُ القلب؟ قال: «هو النقي، التقي، لا إثم عليه، ولا بغي، ولا غلَّ، ولا حسد». رواه ابن ماجه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

المشحون. ثم بين هذا المعنى بقوله: **(وإنك)** أي أيها الولد. وأريد به خطاب العامة الشامل لنفسه وغيره. **(قد استدبرت)** أي أنت **(الدنيا)** أي ساعة فساعة **(مذ كنت)** أي وجدت وولدت **(واستقبلت الآخرة)** أي نفساً فنفساً من غير اختيار لك في هذا المسير من البدء والمصير، ثم أوضح له القصة بطريق الحكمة حيث بين الدارين المعنويتين بالدارين المحسوستين فقال: **(وإن داراً تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها)** والمقصود من هذه الموعظة دفع الغفلة عن أمر الآخرة. **(رواه رزين)**.

٥٢٢١ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل. قال: كل مخموم القلب)** بالخاء المعجمة أي سليم القلب لقوله تعالى: ﴿**إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾. من خممت البيت إذا كنسته على ما في القاموس وغيره. فالمعنى: أن يكون قلبه مكنوساً من غبار الأغيار ومنظفاً من أخلاق الأقذار. **(صدوق اللسان)** بالجر، أي كل مبالغ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقة بين تحسين لسانه[1] وبيانه فيخرج عن كونه منافقاً أو مرائياً مخالفاً. **(قالوا: صدوق اللسان)** بالجر على الحكاية ويجوز رفعه على إعراب الابتدائية، والخبر قوله: **(نعرفه، فما مخموم القلب. قال: هو النقي)** أي نقي القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى. **(التقي)** أي المجتنب عن خطور السوي **(لا إثم عليه)** فإنه محفوظ وبالغفران محفوظ وبعين العناية ملحوظ. ومن المعلوم أن لا لنفي الجنس. فقوله: **(ولا بغي)** أي لا ظلم له **(ولا غل)** أي لا حقد **(ولا حسد)** أي لا تمني زوال نعمة الغير من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتتميم لئلا يتوهم اختصاص الإثم بحق الله، فصرح بأنه لا مطالبة عليه لا من الخلق ولا من جهة الخالق[2] والله [تعالى]أعلم بالحقائق. قال الطيبي [رحمه الله]: الجواب ينظر إلى قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾ [الحجرات ـ ٣]. أي أخلصها للتقوى من قولهم: امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص ابريزة من خبثه ونقاه. وعن عمر رضي الله تعالى عنه: أذهب الشهوات عنها. **(رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان)**.

الحديث رقم ٥٢٢١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٤٠٩ حديث رقم ٤٢١٥.

(١) في المخطوطة «جنانه».

(٢) في المخطوطة جاءت العبارة على الشكل التالي: «لا من جهة الخالق ولا من جهة المخلوق».

٥٢٢٢ ـ (٦٨) وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إِذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك [من] الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفَّة في طُعْمةٍ». رواه أحمد، والبيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٢٣ ـ (٦٩) وعن مالك [رضي الله عنه] قال: بلغني أنه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما نرى؟ يعني الفضل. قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لا يعنيني. رواه في «الموطأ».

٥٢٢٤ ـ (٧٠) وعن أبي هريرة [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «تجيء

٥٢٢٢ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عمرو **(أن رسول الله ﷺ قال: أربع)** أي من الخصال **(إذا كن فيك)** أي وجدن في وجودك ظاهراً وباطناً **(فلا عليك)** أي لا بأس **(ما فاتك الدنيا)** وفي الجامع: ما فاتك من الدنيا. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن تكون ما مصدرية والوقت مقدر، أي لا بأس عليه وقت فوت الدنيا إن حصلت لك هذه الخصال وأن تكون نافية، أي لا بأس عليك لأنه لم تفتك الدنيا إن حصلت لك هذه الخصال انتهى. والأول أظهر كما لا يخفى. **(حفظ أمانة)** يشمل أمانة الأموال والأعمال **(وصدق حديث)** يعم الأقوال **(وحسن خليقة)** أي خلق. والتعبير بها إشارة إلى الحسن الجبلي لا التكلفي والتصنعي في الأحوال. **(وعفة في طعمة)** بضم الطاء مع تنوين التاء، أي احتراز من الحرام واحتفاظ على الحلال. **(رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان)** ولفظ الجامع: صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة مطعم. رواه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمر بلا واو، والطبراني عن ابن عمرو بالواو، وابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس[(١)].

٥٢٢٣ ـ **(وعن مالك)** أي الإمام **(قال: بلغني أنه قيل للقمان الحكيم ما بلغ بك ما نرى، يعني الفضل)** يحتمل أن يكون من كلام مالك أو غيره تفسيراً، والمعنى: يريد لقمان بما الموصولة في قوله ما نرى الفضل، وأما ما الأولى[(٢)] فهي استفهامية. والمعنى: أي شيء أوصلك هذه المرتبة التي نراها فيك من الفضيلة الزائدة على غيرك. **(قال: صدق الحديث)** أي ملازمة صدق الحديث قولاً ونقلاً **(وأداء الأمانة)** أي مالاً وفعلاً **(وترك ما لا يعنيني)** أي ما لا ينفعني حالاً ومآلاً **(رواه)** أي مالك **(في الموطأ)** أي عن مالك، وقد تقدم بحث ذلك.

٥٢٢٤ ـ **(وعن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]قال: قال رسول الله ﷺ: تجيء)**

الحديث رقم ٥٢٢٢: أحمد في المسند ٢/ ١٧٧. ورواه البيهقي في شعب الإِيمان ٤/ ٣٢١ حديث رقم ٥٢٥٨.

(١) الجامع الصغير ١/ ٦٢ حديث رقم ٩١٢.

الحديث رقم ٥٢٢٣: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ حديث رقم ١٧ من كتاب الأحكام.

(٢) في المخطوطة «الأولية».

الحديث رقم ٥٢٢٤: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ حديث رقم ١٧ من كتاب الكلام. وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٢.

الأعمال، فتجيء الصلاة فتقول: يا ربّ! أنا الصلاة. فيقول: إنك على خير. فتجيء الصدقة، فتقول: يا ربّ! أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيامُ، فيقول: يا ربِّ! أنا الصيام. فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال على ذلك. يقول الله تعالى: إنك على خير. ثم يجيء الإسلام فيقول: يا ربّ! أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى: إنكَ على خيرٍ، بكَ اليوم آخُذُ، وبكَ أُعطي. قال الله تعالى في كتابه: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾».

بالتأنيث ويجوز تذكيرها، أي تأتي. (**الأعمال**) أي مجسمة لتحتج لصاحبها وتشفع لمراعيها أو تخاصم لمخالفيها وتاركيها (**فتجيء الصلاة فتقول**) أي بلسان القال، ويمكن أن يكون بلسان الحال وأن المراد بالمجيء ظهور أثر الأعمال ونتيجة الأفعال في المآل. (**فتقول: يا رب أنا الصلاة**) أي المبدوءة في كتابك عن جميع الأعمال حيث قلت: ﴿**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ [المعارج ـ ٢٣]. والمختومة[1] منها بقولك: ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون**﴾ [المعارج ـ ٣٤ ـ ٣٥]. وقيل: التقدير أنا المعروفة المشهورة بالفضل والمزية كما يقال: أنا العالم، ومنه قول القائل:

أنـا أبـو الـنـجـم وشـعـري شـعـري

وقال الطيبي [رحمه الله]: أي إن لي مرتبة الشفاعة لأني عماد الدين. (**فيقول:**) أي الرب (**إنك على خير**) وهذا رد لها على ألطف وجه، أي أنت ثابتة مستقرة على خير كقوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى**﴾ ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية في الاحتجاج وعلى هذا المنوال سائر الأعمال من الصدقة والصيام وبقية الأفعال. (**فتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام**) ولعل وجه تأخيره عن الصدق في العقبى تأخير وجوبه عنها في الدنيا. (**فيقول: يا رب أنا الصيام فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال**) أي سائرها من الحج والجهاد وطلب العلم ونحوها (**على ذلك**) أي على هذا المنوال متفقة على هذا المقال (**يقول**) استئناف أو حال. وكان مقتضى الظاهر فيقول: (**الله تعالى:**) وفي نسخة صحيحة: عزَّ وجلَّ. (**إنك**) أي أيها العمل (**على خير. ثم يجيء الإسلام**) أي الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالإيمان، وعلى ترادفهما أصحاب الإيقان وأرباب الإتقان. (**فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام**) أي وبيننا مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية والوسمية كما حقق في حديث: الرحم شجنة من الرحمٰن. فإن المقتضى بذلك أن القائم بي يدخل دارك دار السلام. (**فيقول الله تعالى: إنك على خير**) أي خير عظيم لاشتمالك على دين وسيم (**بك اليوم آخذ**) بصيغة المتكلم، أي آخذ بك من اؤاخذه بالعقوبة. (**وبك أعطي**) أي من أسامحه بالمثوبة، فإنك أنت الأصل المدار عليك أمر الطاعة والمعصية. (**قال الله تعالى في كتابه: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**)[2]. وفيه

---

(١) في المخطوطة «أعمار».

(٢) سورة آل عمران ـ آية رقم ٨٥.

٥٢٢٥ - (٧١) وعن عائشة [رضي الله عنها] قالت: كان لنا سِترٌ فيه تماثيلُ طيرٍ، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! حوِّليه؛ فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا».

٥٢٢٦ - (٧٢) وعن أبي أيّوب الأنصاري [رضي الله عنه] قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: عظني وأوجز. فقال: «إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاةَ مودِّعٍ، ولا تكلَّمْ بكلام تَعذِرُ منه غداً، وأجمع الإياس مما في أيدي الناس».

إشارة لطيفة متضمنة لبشارة شريفة، وهي أن من مات على الإسلام ليس من الخاسرين أبداً، بل من المفلحين الناجين مآلاً ومنالاً، وأن أمر الطاعة والعبادة مع قوة الإسلام يرجى فيهما المسامحة. نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من درك الهاوية.

٥٢٢٥ - **(وعن عائشة رضي الله [تعالى]عنها قالت: كان لنا سِتر)** بكسر السين، أي شيء يستر به الجدار وباب الدار. **(فيه تماثيل طير)** أي تصاوير طيور أو طير. **(فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة حوليه)** أي غيريه بتبديله أو تنقيله. **(فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا)** وفي هذا التعليل دليل على أن الصور كانت صغيرة جداً، أو قبل العلم بتحريم التصوير وامتناع دخول ملائكة الرحمة في مكانه، مع الإيماء إلى أن رؤيته أسباب يتنعم بها الأغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء. وقد قال تعالى: **﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾** [طه - ١٣١].

٥٢٢٦ - **(وعن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عظني وأوجز)** أي اختصر وعلى المهم اقتصر **(فقال: إذا قمت)** أي شرعت **(في صلاتك فصلِّ صلاة مودع)** بكسر الدال المشددة، أي مودع لما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه، أو المعنى صل صلاة من يودع الصلاة ومنه حجة الوداع، أي اجعل صلاتك آخر الصلوات فرضاً فحسن خاتمة عملك واقصر طول أملك لاحتمال قرب أجلك. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي فأقبل على الله بشراشرك [و]ودع غيرك لمناجاة ربك. **(ولا تكلم)** بحذف إحدى التائين. وفي نسخة بإثباتهما، أي لا تتحدث **(بكلام تعذر)** [بفتح]التاء وكسر الذال، أي تحتاج أن تعتذر. **(منه)** أي من أجل ذلك الكلام **(غداً)** أي يوم القيامة، وهو المعنى بقوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(١)]. **(وأجمع الإياس)** بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز عكسه ومنه قوله تعالى: **(فأجمعوا كيدكم)** [طه - ٦٤]. فقد قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم، من جمع يجمع، والباقون بقطعها والكسر من أجمع بمعنى عزم على الأمر، أو هما لغتان بمعنى الجمع. فالمعنى: اعزم على قطع اليأس، أو أجمع خاطرك على قصد اليأس وترك الطمع. **(مما في أيدي الناس)** أي قناعة بالكفاية المقدرة بالقسمة المحررة المقررة في قوله تعالى: **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم**

الحديث رقم ٥٢٢٥: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٤١.

الحديث رقم ٥٢٢٦: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٦ حديث رقم ٤١٧١. وأحمد في المسند ٥/ ٤١٢.

(١) أخرجه الترمذي في السنن حديث رقم ٢٣١٧.

٥٢٢٧ ـ (٧٣) وعن معاذ بن جبل [رضي الله عنه] قال: لما بعثَه رسولُ الله ﷺ إلى اليمنِ، خرجَ معه رسولُ الله ﷺ يُوصيهِ، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ الله ﷺ يمشي تحت راحلتِه، فلما فرغ قال: «يا معاذ! إِنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلَّكَ أن تمرَّ بمسجدي هذا وقبري».

في الحياة الدنيا ﴾ [الزخرف ـ ٣٢]إلى أن قال: ﴿**وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ [الزخرف ـ ٣٥]. وفي الحديث إشارة إلى أن الاستئناس بالناس من علامة الافلاس، وأن الغنى القلبي هو الاياس(١) مما في أيدي الناس. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي أجمع رأيك على اليأس من الناس وصمم عليه، وهو من قوله تعالى: ﴿**فاجمعوا كيدكم** ﴾ [طه ـ ٦٤]. قال: والظاهر أن الاياس وقع موقع اليأس سهواً من الكاتب(٢)، لأن الإياس مصدر أسه إذا أعطاه، وليس مصدر أيس مقلوب يئس، لأن مصدر المقلوب يوافق الفعل الأصلي لا المقلوب. ويمكن أن يقال: إنه من آيس نفسه مما في أيدي الناس إيناساً فخفف الهمزة، أي بالنقل والحذف انتهى. [وفي القاموس]: أيس منه كسمع إياساً قنط فبطل. تخطئة الرواة الحفاظ المعتمدين على ذوات الصدور لا على ما في السطور، خصوصاً وقد جاء هذا الحديث من طرق متعددة مصححة على ما ذكره ميرك نقلاً عن المنذري بعد قول المؤلف. **(رواه أحمد)** أي عن أبي أيوب. ولهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني. قال: عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه. [رواه الحاكم والبيهقي في الزهد. وقال الحاكم واللفظ له: صحيح الإسناد](٣). ورواه الطبراني من حديث ابن عمر نحوه. اهـ. ومن المحال اتفاق الحفاظ والأصحاب على سهو وقع من أحد الكتاب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٢٢٧ ـ **(وعن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله ﷺ)** أي لما أراد إرساله قاضياً أو عاملاً **(إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه)** بالتخفيف ويشدد **(ومعاذاً راكب)** أي بأمره **(ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته)** أي تواضعاً لله وتلطفاً للمؤمنين، ومنه يؤخذ استحباب متابعة الأصحاب. **(فلما فرغ)** أي من الوصية **(قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري)** أي مع قبري على أن الواو بمعنى مع، ذكره الطيبي [رحمه الله]. والظاهر أنه عطف على مسجدي والتقدير: أن تمر بمسجدي هذا وبقبري أيضاً وأبهمه لعدم ظهوره حينئذ على ما لا يخفى. ثم اعلم إن عسى معناه الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**

---

(١) في المخطوطة «غنى القلب هو البأس». (٢) في المخطوطة «الكتابة».

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٦.

الحديث رقم ٥٢٢٧: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٥.

فبكى معاذٌ جَشَعاً لفراقِ رسولِ اللّهِ ﷺ ثم التفت فأقبل بوجهه نحوَ المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتَّقون، من كانوا وحيثُ كانوا»

وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ﴾ [البقرة ـ ٢١٦]. وأما لعل فمعناه التوقع وهو ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه، نحو: لعل الحبيب واصل ولعل الرقيب حاصل. ويختص بالممكن بخلاف ليت فإنه يستعمل في المحال نحو: ليت الشباب يعود. فاستعمال عسى ولعل في الحديث بالمعنيين الأخيرين على ما هو الظاهر المتبادر. ثم في المغني يقترن[1] خبر لعل بأن كثيراً حملا على عسى كقوله:

لعلك يوماً أن تلم ملمة ... عليك من اللائي يدعنك أجدعا

وقال الطيبي [رحمه الله]: استعمال لعل على الحقيقة لكونه ﷺ راغباً للقاء الله تعالى. وأدخل أن في الخبر تشبيهاً للعل بعسى تلويحاً إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ [الإسراء ـ ٧٩]. (**فبكى معاذ جشعاً**) بفتح الجيم والشين المعجمة، أي جزعاً وفزعاً. ففي النهاية: الجشع الجزع لفراق الألف. فقوله: (**لفراق رسول الله ﷺ**) للتأكيد أو للتجريد (**ثم التفت**) أي رسول الله ﷺ عن معاذ (**فأقبل بوجهه نحو المدينة**) تفسير للالتفات. ولعل وجه الالتفات بإدارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يرى بكاءه ويصيره سبباً لبكائه عليه [الصلاة]والسلام ويشتد الحزن في ذلك المقام مع الإيماء بأنه لا بد من المفارقة في الدنيا والمواجهة في العقبى، فسلاه فعلاً ووصاه قولاً حيث بين فيه أنك تفارقني وتفارق المدينة وترى المدينة ولا تراني. وأشار إلى أن مجمع الأنبياء والأتقياء في دار البقاء. (**فقال: إن أولى الناس بي**) أي بشفاعتي أو أقرب الناس إلى منزلتي (**المتقون من كانوا**) جمع باعتبار معنى من. والمعنى: كائناً من كان عربياً أو عجمياً أبيض أو أسود شريفاً أو وضيعاً. (**وحيث كانوا**) أي سواء كانوا بمكة والمدينة أو باليمن والكوفة والبصرة، فسره فانظر إلى رتبة أويس القرني باليمن على كمال التقوى وحالة جماعة من أكابر الحرمين الشريفين من حرمان المنزلة الزلفى، بل من إيصال ضررهم إليه ﷺ حتى من بعض ذوي القربى. وحاصله أنه لا يضرك بعدك الصوري عني مع وجود قربك المعنوي لي فإن العبرة بالتقوى كما يستفاد من إطلاق قوله تعالى: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ [الحجرات ـ ١٣]. من غير اختصاص بمكان أو زمان أو نوع إنسان. ففيه تحريض على مراعاة التقوى المناسبة للوصية عند المفارقة الصغرى والكبرى. وقد قال تعالى: ﴿**ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله**﴾ [النساء ـ ١٣١]. مع ما فيه من التسلية لبقية الأمّة الذين لم يدركوا زمن الحضرة ومكان الخدمة، هذا الذي سنح لي في هذا المقام من حل الكلام على ظهور المرام. وقال الطيبي [رحمه الله]: لعل الالتفات كان تسلية لمعاذ بعد ما نعى نفسه إليه. يعني: إذا رجعت إلى المدينة بعدي فاقتد بأولى الناس بي وهم المتقون، وكنى به عن أبي بكر الصديق. ونحوه حديث جبير بن مطعم أن امرأة أتت

---

(١) في المخطوطة «قبري».

روى الأحاديث الأربعة أحمد.

٥٢٢٨ ـ (٧٤) وعن ابن مسعود [رضي الله عنه] قال: تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدرهُ للإسلام﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن النورَ إذا دخل الصدر انفسح». فقيل: يا رسول الله! هل لتلك من عَلَمٍ يعرف به؟ قال: «نعم، التجافي

النبي ﷺ فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك. كأنها تريد الموت. قلت: والذي ظن أنه المراد خلاف الأدب على ما هو المتبادر، بل الظاهر أنها تريد عدم وجوده في المدينة أو البيت. قال: فإن لم تجديني فأتي أبا بكر[١]. قال: وفيه دليل على أنه رضي الله تعالى عنه خليفة رسول الله ﷺ بعده وقائم مقامه. قلت: لما لم يكن صريحاً في المدعي لاحتمال أن القضية تتعلق بأبي بكر رضي الله [تعالى]عنه، صرح العلماء بأنه لا نص في أمر الخلافة لا على الصديق ولا على المرتضى. (**روى الأحاديث الأربعة أحمد**) أي في مسنده، وأقل مراتب أسانيده أنه حسن.

٥٢٢٨ ـ (**وعن ابن مسعود قال: تلا**) أي قرأ (**رسول الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾**) أي هديه الخاص الموصل إلى مقام الاختصاص (**﴿يشرح صدره﴾**) أي يوسع قلبه (**﴿للإسلام﴾**)[٢] أي لشرائعه على سبيل الإخلاص. قال الطيبي [رحمه الله]: أي يلطف به ويقذف النور فيه حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه. قلت: هذا معنى صحيح في نفس الأمر، لكنه غير ملائم لما سيجيء في تفسير شرح الصدر. (**فقال رسول الله ﷺ: إن النور**) أي نور الهداية (**إذا دخل الصدر انفسح**) أي انشرح وتوسع بحيث يسعه قبول جميع شرائع الإسلام، ويحلو في مذاقه مرارة ما قدره وقضاه من الأحكام. وهذا القلب في الحقيقة عرش الرب الذي عبر عنه بالحديث القدسي: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». لأن السفليات والعلويات ليس لهنّ قابلية إدراك الكليات والجزئيات المتعلقة بالذات والصفات. ولهذا قال تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال**﴾ [الأحزاب ـ ٧٢] الآيات. وهذا فيمن شرح الله صدره وأراد هدايته بخلاف غيره ممن يرد الله غوايته كما أخبر عنه بقوله: ﴿**ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء**﴾ [الأنعام ـ ١٢٥]. (**فقيل: يا رسول الله [هل]لتلك**) أي الخصلة كذا قيل. والصواب: هل لتلك الحالة المعبر عنها بالانفساح. (**من علم**) أي علامة وأمارة. ومن زائدة للمبالغة (**تعرف**) أي تلك الحالة. وفي نسخة بالتذكير نظراً إلى معناها، وهو الانفساخ. (**به**) أي بذلك العلم حتى نقيس حالنا عليه ونرجع عند اختلاف الآراء إليه. (**قال: نعم**) أي فيه علم بل علامات وهي (**التجافي**) أي المبالغة والتكلف في البعد على طريق الزهد لتحصيل

---

(١) راجع الحديث رقم (٦٠٢٢).

الحديث رقم ٥٢٢٨: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٥٢ حديث رقم ١٠٥٥٢.

(٢) سورة الأنعام. آية رقم ١٢٥.

من دار الغرور، والإِنابة إِلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله».

٥٢٢٩ و ٥٢٣٠ ـ (٧٥ و٧٦) وعن أبي هريرة وأبي خَلاَّدٍ [رضي الله عنهما]: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِذا رأيتم العبد يُعْطى زهداً في الدنيا، وقلةَ منطق؛ فاقتربوا منه فإِنَّه يُلقَّى الحكمة».

السعد. **(من دار الغرور)** أي الدنيا الغرارة السحارة الغدارة المكارة كما قال تعالى: **﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾** [لقمان ـ ٣٣، فاطر ـ ٥]. فإنها دار العناء والشقاء وإن كان صورتها أنها النعماء، كسراب بقيعة يحسبه الظمآن أنه الماء حتى اتبعهم فيها الملوك والأمراء والأغنياء الأغبياء. **(والإنابة)** أي الرجوع والميل التام **(إلى دار الخلود)** أي دار البقاء واللقاء **(والاستعداد للموت)** أي بالتوبة والمبادرة إلى العبادة وصرف الطاقة في الطاعة. **(قبل نزوله)** أي قبل حلول الموت أو ظهور مقدماته من المرض والهرم حيث لم يقدر حينئذ على تحصيل علم أو عمل ولا ينفعه الندم. وكان هذا فذلكة لما قبله وهو العمدة لكونه علماً له، وما قبله إنما هو باعث بطرفيه هنالك على أقدام السالك على ذلك.

٥٢٢٩ و٥٢٣٠ ـ **(وعن أبي هريرة وأبي خلاد)** بتشديد اللام. قال المؤلف: أبو خلاد رجل من الصحابة. وقال ابن عبد البر: لم أقف له على اسم ولا نسبة، حديثه عند يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد قال: إذا رأيتم المؤمن قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة. وفي رواية مثله، ولكن بين أبي فروة وأبي خلاد أبو مريم وهذا أصح انتهى. ففيه إشارة إلى الخلاف في أن هذا الحديث منقطع أو متصل، وأنه أراد برواية مثله ما ذكره المصنف بقوله: **(أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم العبد يعطى زهداً)** أي قلة رغبة **(في الدنيا وقلة منطق)** أي في اللغو والهوى **(فاقتربوا منه)** أي اطلبوا القرب منه والتمسوا في مجالسته القربى إلى المولى **(فإنه يلقى)** بتشديد القاف المفتوحة، وفي نسخة بتخفيفها، أي يلقن ويؤتى **(الحكمة)** أي الموعظة المطابقة للكتاب والسنة لقوله تعالى: **﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب﴾** [البقرة ـ ٢٦٩]. والحكمة في الحقيقة إتقان العلم والعمل على سبيل الشريعة والطريقة، وصاحبها بحكم حديث: «من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[١]. هو العالم العامل المخلص الكامل يكون مرشداً مكملاً، فيجب على كل أحد أن يطلب مجالسته ويحصل محادثته. قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾** [التوبة ـ ١١٩]. أي قالاً وحالاً. وقال بعض العارفين: اصحبوا مع الله فإن لم تطيقوا فأصحبوا مع من يصحب مع الله. وعلامة صحة أحواله بعد تصحيح أقواله وأفعاله ما تقدم في الحديث السابق

الحديث رقم ٥٢٢٩ ـ ٥٢٣٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠١. والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٢٥٤ حديث رقم ٤٩٨٥.

(١) أبو نعيم في الحلية.

رواهما البيهقي في «شعب الإيمان».

(١) باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ

من علامة انشراح الصدر بحيث تؤثر صحبته في جميع الأمور ويزهد أصحابه في الدنيا وتوابعها من تحصيل المال والجاه زيادة على قدر الحاجة الموصلة إلى دار العقبى، بل يجعلهم فارغين عن أمور الكونين على ما أشار إليه خلع النعلين غائبين عن السوي حاضرين في حضرة المولى ذاهلين عن مراقبة الفناء واصلين إلى مشاهدة البقاء حاصلين في الجنة العاجلة على لذة اللقاء. فهذا العارف حينئذ خليفة الأنبياء وقائم مقام الأولياء الأصفياء رزقنا الله رؤيته وخدمته وصحبته.

(رواهما) أي الحديثين **(البيهقي في شعب الإيمان)** والحديث الأول منهما أخرجه ابن المبارك في الزهد والفريابي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني رجل من بني هاشم، وليس هو محمد بن علي: قال: سئل النبي ﷺ أي المؤمنين أكيس. قال: أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم لما بعده استعداداً. قال: وسئل النبي ﷺ عن هذه الآية: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾** [الأنعام - ١٢٥]. قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله. قال: نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح له. قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها. قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت. وفي رواية: قبل نزول الموت. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾**. يقول: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، **﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾** يقول شاكاً: **﴿كأنما يصعد في السماء﴾**. يقول: كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه. وللحديث في الدر المنثور طرق كثيرة والله [تعالى]أعلم.

(باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ)

المراد بالفضل هنا زيادة الأجر والثواب لا فضيلة المال وزيادة تحسين الثياب. وقوله: وما كان من عيش النبي، أي معيشته. وفي نسخة: من عيش رسول الله ﷺ على فضل الفقراء على ما لا يخفى. ونكته الجمع بينهما أنه ﷺ كان عيشه عيش الفقراء كأكثر الأنبياء والأولياء، وكفى به فضلاً للفقراء على الأغنياء وإن خفي هذا الأمر على بعض الأغنياء ممن ادعى أنه من العلماء.

الفصل الأول

٥٢٣١ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعثَ مَدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه». رواه مسلم.

(الفصل الأوّل)

٥٢٣١ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: رب أشعث)** أي رب رجل أشعث، أي متفرق شعر رأسه. **(مدفوع)** بالجر **(بالأبواب)** أي ممنوع منها باليد أو اللسان. والمعنى أنه لا يدخله أحد في بيته لو فرض وقوفه على بابه من غاية حقارته في نظر الناس، وذلك لما أراد الله ستر حاله عن الخلق لئلا يحصل له بالغير شيء من الاستئناس فيحفظه من الوقوف على أبواب الظلمة وأكله الحرام، كما يحمي أحدنا المريض عن استعمال [الطعام]فلا يحضر إلا باب مولاه ولا يسأل عما سواه من كمال غناه. وليس المراد منه أنه يأتي [أبواب]أرباب الدنيا فيطردونه عنها ويدفعونه عن دخوله منها، فإن الأولياء محفوظون عن هذه المذلة وإن كان قد يقع لبعضهم من اختيار أرباب الملامة أو ممن صدر عنه الذلة. ولعل في بعض النسخ مرفوع بالراء حتى قال القاضي البيضاوي [رحمه الله]: الأشعث هو المغبر الرأس المتفرق الشعر. وأصل التركيب هو التفرق والانتشار. والصواب مدفوع بالدال، أي يدفع عن الدخول على الأعيان والحضور في المحافل فلا يترك أن يلج الباب فضلاً أن يحضر معهم ويجلس فيما بينهم. **(لو أقسم على الله)** أي على فعله سبحانه بأن حلف أن الله يفعل كذا أو لا يفعله **(لأبره)** أي لصدقه وصدق يمينه وأبره فيها بأن يأتي بما يوافقه، كما وقع لأنس بن النضر في قوله: والله لا تكسر ثنيتها بعد قوله ﷺ: كتاب الله القصاص فرضوا أهلها بالدية بعد ما أبوا عليها. وقال القاضي: أي لو سأل [الله]شيئاً وأقسم عليه أن يفعله لم يخيب دعوته، فشبه إجابة المنشد والمقسم على غيره بوفاء الحالف على يمينه وبره فيها. وقال شارح: قيل: معناه لو أقسم على الله بأن يقول: اللهم إني أقسم عليك بجلالك أن تفعل كذا. ولا يستقيم هذا المعنى في هذا الموضع لأنه قال: لأبره، أي صدقه ولا مدخل للصدق والكذب في مثل هذا اليمين فيدخلها الأبرار. قلت: اللهم إلا أن يقال المعنى صدق رجاءه ووافق دعاءه. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد. وفي رواية الحاكم وأبي نعيم في الحلية عنه بلفظ: رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره[١].

الحديث رقم ٥٢٣١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٢٤ حديث رقم (١٣٨ ـ ٢٦٢٢).

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٣٢٨.

٥٢٣٢ ـ (٢) وعن مصعب بن سعدٍ، قال: رأى سعدٌ أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!». رواه البخاري.

٥٢٣٣ ـ (٣) وعن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «قمتُ على باب الجنة، فكان عامةُ من دخلها المساكينَ، وأصحابُ الجدِّ محبوسون، غير أنَّ أصحابَ النار قد أمر بهم إلى النار،

٥٢٣٢ ـ **(وعن مصعب بن سعد)** أي ابن أبي وقاص القرشي سمع أباه وعلي بن أبي طالب وابن عمر. روى عنه سماك بن حرب وغيره. **(قال: رأى سعد)** أي ظن أو توهم **(أن له فضلاً)** أي زيادة فضيلة أو مثوبة من جهة الشجاعة أو السخاوة ونحوهما **(على من دونه)** أي من الفقراء والضعفاء **(فقال رسول الله ﷺ:)** أي جواباً له وإسماعاً لغيره **(هل تنصرون)** أي على أعدائكم **(وترزقون)** أي الأموال من الغنيمة وغيرها **(إلا بضعفائكم)** أي إلا ببركة وجود ضعفائكم ووجود فقرائكم، فهم بمنزلة الأقطاب والأوتاد لثبات العباد والبلاد. وحاصله أنه إنما جعل النصر على الأعداء وقدر توسيع الرزق على الأغنياء ببركة الفقراء، فأكرموهم ولا تتكبروا عليهم فإنهم أهل سلوك المحبة على أضيق المحجة وملوك الجنة في أعلى مراتب المعزة. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله أن له فضلاً، أي شجاعة وكرماً وسخاوة، فأجابه ﷺ بأن تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين وتلك السخاوة أيضاً ببركتهم، وأبرزه في صورة الاستفهام ليدل على مزيد التعزيز والتوبيخ. **(رواه البخاري)** ورواه أبو نعيم في الحلية عنه بلفظ: هل تنصرون إلا بضعفائكم بدعوتهم وإخلاصهم.

٥٢٣٣ ـ **(وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: قمت على باب الجنة)** أي ليلة المعراج أو في المنام أو حالة كشف المقام، أو بطريق دلالة المرام. **(فكان عامة من دخلها)** أي أكثرها وهي مرفوعة. وقيل: منصوبة فيعكس **(المساكين)** أي الفقراء والضعفاء **(وأصحاب الجد)** وفي الجامع: وإذا أصحاب الجد. بفتح الجيم، أي أرباب الغنى من المؤمنين الأغنياء والأمراء. **(محبوسون)** أي موقوفون يوم القيامة في الصحراء. وخلاصته أن أصحاب الحظ الفاني من أرباب الأموال والمناصب محبوسون في العرصات لطول حسابهم في المتاعب بسبب كثرة أموالهم وتوسيع جاههم وتلذذهم بهما في الدنيا وتمتعهم على وفق شهوات النفس والهوى، فإن حلال الدنيا له حساب ولحرامها عقاب والفقراء من هذا برآء، [فلا]يحاسبون [ولا يحبسون]بل قبل الأغنياء بأربعين خريفاً في الجنة يدخلون مكافأة لهم في العقبى لما فاتهم من الدنيا. **(غير أن أصحاب النار)** أي الكفار **(قد أمر بهم إلى النار)** [قال الطيبي رحمه الله]: أي يساق الكفار إلى النار ويوقف المؤمنون في العرصات للحساب. والفقراء هم السابقون [إلى

الحديث رقم ٥٢٣٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٨. حديث رقم ٢٨٩٦. وأحمد في المسند ١/ ١٧٣.

الحديث رقم ٥٢٣٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٩٦ حديث رقم (٩٣ . ٢٧٣٦) وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٥.

وقمت على باب النار فإذا عامةُ من دخلها النساءُ». متفق عليه.

٥٢٣٤ ـ (٤) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلعتُ في الجنَّة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء. وأطلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء». متفق عليه.

٥٢٣٥ ـ (٥) وعن عبد الله بن عمرو [رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فقراءَ المجاهرينَ

الجنة لفقرهم أي من غير وقوف في العرصات]. وفي الجامع: إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار. [وخلاصته أن غير بمعنى لكن، والمعنى أن أصحاب الجنة]جعلوا قسمين محبوسين ومدخلين، ولكن أصحاب النار جعلوا قسماً واحداً أمر بإدخالهم النار. **(وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها)** أي أكثر من دخلها مع الكفار **(النساء)** لكثرة ميلهن إلى الدنيا ولمنعهن الرجال عن طريق العقبى **(متفق عليه)** ورواه أحمد والنسائي عنه.

٥٢٣٤ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: اطلعت في الجنة)** أي أشرفت عليها لقوله تعالى: ﴿**لو اطلعت عليهم**﴾ [الكهف ـ ١٨]. ففي بمعنى على كقوله تعالى: ﴿**لأصلبنكم في جذوع النخل**﴾ [طه ـ ٧١]. وحاصلة: نظرت إليها أو أوقعت الإطلاع فيها. **(فرأيت)** أي علمت **(أكثر أهلها الفقراء)** وقال الطيبي [رحمه الله تعالى]: ضمن اطلعت بمعنى تأملت، ورأيت بمعنى علمت، ولذا عداه إلى مفعولين. ولو كان الإطلاع بمعناه الحقيقي لكفاه مفعول واحد انتهى. وفيه أنه لم يتعد هنا إلى مفعولين كما لا يخفى. **(واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء. متفق عليه)** . هذا الحديث رواه البخاري من حديث عمران بن حصين، ومن حديث أبي هريرة أيضاً. ورواه مسلم من حديث ابن عباس، ورواه الترمذي من حديث عمران وابن عباس، كذا قال الشيخ الجزري. وعلى هذا فقول المؤلف في آخر حديث ابن عباس متفق عليه لا يخلو عن تأمل، ذكره ميرك. وفيه أن مبناه على المسامحة حيث وقع الاتفاق على لفظ الحديث وإن اختلفا في المروي عنه من الصحابة، نعم كان حقه أن يقول: رواه مسلم ورواه البخاري عن عمران بن حصين، كما قال في الجامع بعد إيراد الحديث بعينه. رواه أحمد ومسلم والترمذي عن ابن عباس، والبخاري والترمذي عن ابن عباس، والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين.

٥٢٣٥ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن فقراء المهاجرين**

الحديث رقم ٥٢٣٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٩١ حديث رقم (٩٤ ـ ٢٧٣٧). والترمذي في السنن ٤/ ٦١٧ حديث رقم ٢٦٠٢. وأحمد في المسند ١/ ٢٣٤.

الحديث رقم ٥٢٣٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٥ حديث رقم (٣٧. ٢٩٧٩) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٣. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٤ وأحمد في المسند ٢/ ١٦٩.

يسبقونَ الأغنياء يومَ القيامةِ إلى الجنة بأربعين خريفاً». رواه مسلم.

٥٢٣٦ ـ (٦) وعن سهل بن سعد، قال: مرّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حريٌّ إن خطب إن يُنكحَ، وإن شَفَعَ أن يُشفَّعَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ فقال له رسول الله ﷺ:

يسبقون الأغنياء) أي من المهاجرين فغيرهم بالأولى، ولذا أطلق الأغنياء. وعلى هذا [يقاس] فقراء كل طائفة من أهل زمان ومكان على أغنيائهم. **(يوم القيامة)** أي لمحاسبة الأغنياء ولخلاص الفقراء عن العناء، فإن المفلس في أمان الله دنيا وأخرى. **(إلى الجنة)** متعلق بيسبقون، أي يسابقون ويبادرون إليها. **(بأربعين خريفاً)** قال الطيبي [رحمه الله]نقلاً عن النهاية: الخريف الزمان المعروف بين الصيف والشتاء، ويريد به أربعين سنة لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة انتهى. فالمعنى بمقدار أربعين سنة من أعوام الدنيا أو الأخرى، مع احتمال أن يراد بها الكثرة ويختلف باختلاف أحوال الفقراء والأغنياء في الكمية والكيفية المعتبرة. وخلاصته أن الفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعم في الدنيا كما قال تعالى: ﴿**كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**﴾ [الحاقة ـ ٢٤]. أي الماضية، أو الخالية عن المأكل والمشرب صياماً أو وقت المجاعة. وقد ورد على ما سبق: إن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً في الدنيا. ويؤيد ما ذكرناه من تفاوت المراتب أنه جاء في رواية ابن ماجه عن أبي سعيد بلفظ: أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة [سنة][1]. **(رواه مسلم)**.

٥٢٣٦ ـ **(وعن سهل بن سعد قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده)** الظاهر أنه كان من الأغنياء فيكون في سؤاله وجوابه له تنبيه نبيه على فضل الفقراء. **(جالس:)** بالجر صفة رجل. وفي نسخة بالرفع على أنه فاعل الظرف أو خبر بعد خبر، أو خبر لمبتدأ محذوف هو هو. **(ما رأيك في هذا)** أي ما ظنك في حق هذا الرجل المار تظنه خيراً أم شراً، ذكره ابن الملك. **(فقال)** أي الذي عنده **(رجل)** أي هو، أو هذا يعني المار (من **أشراف الناس**:) أي كبرائهم وعظمائهم **(هذا)** أي هذا الرجل بعينه أو هذا الشخص بجنبه، أي مثل هذا الرجل. **(والله حري)** على وزن فعيل وهو خبر هذا والقسم معترض بينهما، أي جدير وحقيق. **(إن خطب [الناس])** أي طلب أن يتزوج امرأة **(أن ينكح)** [بصيغة المجهول أي بأن يزوجه إياها أهلها **(وإن شفع)** أي لأحد عند الحكام أو الرؤساء في جلب العطاء أو دفع البلاء **(أن يشفع)**] بصيغة المفعول مشدداً، أي تقبل شفاعته. **(قال:)** أي الراوي **(فسكت رسول الله ﷺ.)** أي عن الجواب ولم يذكر ما تقتضيه المحاورة من الخطاب **(ثم مر رجل)** أي آخر **(فقال له:)** أي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٣.

الحديث رقم ٥٢٣٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٧٣. حديث رقم ٦٤٤٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٩ حديث رقم ٤١٢٠.

«ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله! هذا رجلٌ من فقراءِ المسلمين، هذا حريٌّ إِن خَطب أن لا ينكح، وإِن شفع أن لا يُشفَع، وإِن قال أن لا يسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرضِ مثل هذا».

للرجل الذي عنده (ما رأيك في هذا. فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري) ترك القسم لاحتمال التخلف، وأما تأكيد الحكم به سابقاً، فللمبالغة في تحقق الظن فيه. والمعنى: هذا لائق. (إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال) أي بكلام، ولو كان صدقاً أو حقاً. (أن لا يسمع) بصيغة المجهول ونائب الفاعل قوله: (لقوله:) والمعنى أن أحداً لا يسمع لكلامه ولا يلتفت إليه من غاية فقره وقلة نظام أمره. * ففي غرائب ما يحكى أن رجلاً غريباً فقيراً رافق شخصاً ملك بعيراً وحمله حملاً ثقيلاً فقال: ما حملك هذا وما حملك على هذا. قال: عدل منه حب الطعام وعدل آخر مليء من البطحاء ليعتدل النظام. قال الفقيرُ له: لو تركت البطحاء وقسمت الحب في العدلين متناصفين لخف حملك وركبت جملك. فقال: بارك الله فيك لما صدر من فيك فأطاعه فيما بينه وركب على وجه عينه فسأله: هل أنت بهذا العقل كنت في بلادك سلطاناً. فقال: لا، فقال: فوزيراً فأميراً فتاجراً فرئيساً فصاحب إبل وصاحب خيل أو غنم أو زراعة ونحو ذلك. فيقول: لا. فقال: أكنت في بلدك فقيراً على هذا الحال وحقيراً على هذا المنوال، فقال: نعم. فقال: أنت شؤم ووجهك شؤم وكلامك شؤم ومن يسمعك أيضاً شؤم. ونزل عن بعيره وأمر على تغييره من سوء تدبيره. ومثل هذا مشاهد في العَالم كثيراً، مثلاً إذا كان العالم فقيراً والشيخ إذا كان حقيراً حيث لا يلتفت أحد [إلى كلامه]ولا يعظم على قدر مقامه بخلاف العالم والشيخ إذا كان مشهوراً وعلم جاهه بين العوام منشوراً فإنه[1] يقبل قوله ويتبع فعله، ولو كان في نفس الأمر ناقصاً في علمه أو عمله والله ولي دينه وناصر نبيه، ومن هذا القبيل قول أهل الجاهلية في حقه ﷺ لما كان تاركاً للمال والجاه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف ـ ٣١]. وأرادوا بالقريتين مكة والطائف، كان كل أهل قرية[2] قالوا هذه المقالة فلف النشر اعتماداً على معرفة تلك الحالة، فقال تعالى رداً عليهم: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ [الزخرف ـ ٣٢]الآيات. (فقال رسول الله ﷺ: هذا) أي هذا الرجل وحده وكذا أمثاله (خير من ملء الأرض مثل هذا) [أي مثل] الرجل الأوّل. ووجهه والله تعالى أعلم أن الفقير لصفاء قلبه أقرب إلى قبول أمر ربه والوصول إلى مرتبة حبه، بخلاف الأغنياء الأغبياء فإن لهم الطغيان والاستغناء والتكبر والخيلاء. وقد قال الله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ [الأعراف ـ ١٤٦]. وهذا أمر مشاهد مرئي في تلامذة العلماء ومريدي الصلحاء والتابعين أولاً للأنبياء، بل السابقين إلى العبادات من الصلوات وغيرها حتى الحج الذي لم يجب إلا على الأغنياء. فالفائزون به لا سيما على وجه الإخلاص المبرأ عن الأغراض الفاسدة والمكاسب

---

(١) في المخطوطة «شأنه». (٢) في المخطوطة «قومه».

متفق عليه.

٥٢٣٧ ـ (٧) وعن عائشةَ، قالتْ: ما شَبِعَ آل محمّد من خبز الشعير يومينِ متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ.

الكاسدة إنما هم الفقراء. هذا وقال شارح: مثل، منصوب على التمييز من ملء الأرض. ويؤيده قول الطيبي [رحمه الله]: وقع ملء الأرض مفضلاً عليه باعتبار مميزة وهو قوله: مثل هذا، لأن البيان والمبين شيء واحد انتهى. ويمكن أن يكون نصبه بنزع الخافض، ويؤيده أنه وقع في بعض النسخ بالجر، أي من مثل هذا الرجل الأوّل. لكن النسخ المصححة من نسخة [السيد]وغيرها على الأوّل فهو المعول. ولا يغرك قول ابن حجر: مثل هذا، بكسر اللام ويجوز فتحها. ثم المراد من الرجل الأوّل المعبر عنه بأنه من أشراف الناس واحد من أغنياء المؤمنين، وإنما عبر عن الخاص بلفظ العام للمبالغة في تحصيل المرام. فإن الغني بغير الخواص والعوام. ولا يتوهم أن المراد بالرجل الأوّل أحد من الكفار لعدم انتظام الكلام حينئذ في قوله عليه الصلاة والسلام: هذا خير، بمعنى أفضل منه. إذ لا مفاضلة بين الكفار وأهل الإِسلام لأنه لا خير في كفار الأنام حتى قال بعض العلماء الأعلام: إن من قال النصراني خير من اليهودي يخشى عليه [الكفر]إذا ثبت الخير فيمن لا خير فيهم، وإنما لم يجزم بكفره لأنه قد يقصد بالخير أنه أقرب إلى الحق، ولذا قال تعالى: ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى**﴾ [المائدة ـ ٨٢]. كما أنه قد يقصد بالخير مجرد زيادة الحسن، ومنه قوله تعالى: ﴿**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً**﴾ [الفرقان ـ ٢٤]. لكن إيراد الحديث في هذا الباب يدل على أن ما ذكرناه هو الصواب، وهو لا ينافي ما ذكره الغزالي: أن عذاب الكافر الفقير الدنيء أخف من الكافر الغني. فإذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فما ظنك بنفعه للأبرار في دار القرار. **(متفق عليه)**.

٥٢٣٧ ـ **(وعن عائشة قالت: ما شبع آل محمد)** أي أهل بيته من حرمه وخدمه **(من خبز الشعير)** فمن البر بالأولى. **(يومين متتابعين)** أي بل إن حصل الشبع يوماً وقع الجوع يوماً بناء على ما اختاره ﷺ حين عرض عليه خزائن الأرض وأن يجعل جبال مكة ذهباً، فاختار الفقر قائلاً: أجوع يوماً فأصبر وأشبع يوماً فأشكر. لأن الإِيمان نصفان، نصفه شكر ونصفه صبر. كما قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور**﴾ [إبراهيم ـ ٥، لقمان ـ ٣١، سبأ ـ ١٩، الشورى ـ ٣٣]. أي لكل مؤمن كامل بالوصفين عالم وعامل **(حتى)** أي استمر عدم الشبع على الوجه المذكور حتى **(قبض رسول الله ﷺ)** أي ودرعه مرهونة عند يهودي في جملة صاع من الشعير. وفيه رد على من قال: صار ﷺ في آخر عمره غنياً. نعم وقع مال كثير في

الحديث رقم ٥٢٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٥٤٩. حديث رقم ٥٤١٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٢ حديث رقم (٢٢ . ٢٩٧٠). وأخرجه النسائي في السنن ٧/٢٣٦ حديث رقم ٤٤٣٢ وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١١١٠ حديث رقم ٣٣٤٣.

متفق عليه.

٥٢٣٨ ـ (٨) وعن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أنَّه مرَّ بقومٍ بين أيديهم شاةٌ مصلية، فدعوه، فأبى أن يأكلَ، وقال: خرج النبيُّ ﷺ من الدنيا ولم يشبَعْ من خبز الشعير. رواه البخاري.

٥٢٣٩ ـ (٩) وعن أنس، أنه مشى إلى النبيِّ ﷺ بخبز شعير وإِهالة سنخة، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهوديّ،

يده لكنه ما أمسكه بل صرفه في مرضاة ربه وكان دائماً غني القلب بغنى الرب. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في شمائله عنها. وروي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، أي جائعاً هو وأهله لا يجدون عشاء. وكان أكثر خبزهم خبز الشعير[١]. وبهذا الحديث يتبين أن أحداً في زماننا من الفقراء ما يعيش عيشه ﷺ، وهو أفضل الأنبياء. ففي فعله ﷺ تسلية عظيمة للفقراء، كما أن في قوله[٢] توصية جسيمة للأغنياء فهو رحمة للعالمين وإمام للعالمين العاملين.

٥٢٣٨ ـ **(وعن سعيد)** وفي نسخة أبي سعيد وهو خطأ مخالف للأصول المعتمدة. والنسخ المصححة على ما صرح به بعضهم. وقال: هو سعيد بن أبي سعيد المقبري، واسم أبي سعيد كيسان وكان يسكن عند مقبرة فنسب إليها انتهى. ولم يذكرهما المؤلف في أسمائه. [ثم قوله]: **(المقبري)** بفتح ميم وسكون قاف وضم موحدة، وبفتح وبكسر نسبة إلى موضع القبور. والمراد أبو سعيد وابنه سعيد كذا في أنساب المغني. **(عن أبي هريرة أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية)** اسم مفعول من صلى على وزن مرمية، أي مشوية. **(فدعوه)** أي أبا هريرة إلى أكلها **(فأبى أن يأكل)** أي فامتنع من أكله إياها. **(وقال:)** أي معتذراً **(خرج النبي ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. رواه البخاري)**.

٥٢٣٩ ـ **(وعن أنس أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير)** أي مصحوباً به **(وإهالة)** [بكسر الهمزة، كل]دهن يؤتدم به. **(سنخة)** فتح سين مهملة وكسر نون وفتح خاء معجمة بعدها هاء، أي متغيرة الريح لطول المكث. في النهاية [قيل]: الإِهالة ما أذيب من الألية والشحم، وقيل الدسم الجامد[٣] والسنخة المتغيرة الريح. **(ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهودي**

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠١ حديث رقم ٢٣٦٠. وكذلك أحمد وابن ماجه.

(٢) في المخطوطة «حوله».

الحديث رقم ٥٢٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٥٤٩. حديث رقم ٥٤١٤.

الحديث رقم ٥٢٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٠٢. حديث رقم ٢٠٦٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٩ حديث رقم ٤١٤٧. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٣.

(٣) في المخطوطة «الجلدة».

وأخذ منه شعيراً لأهله، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آلِ محمَّدٍ صاعُ بُرّ ولا صاعُ حَبّ، وإِن عنده لتسعَ نسوةٍ». رواه البخاري.

٥٢٤٠ ـ (١٠) وعن عمر رضي الله عنه، قال: دخلتُ على رسولِ اللّهِ ﷺ فإذا هو

وأخذ منه شعيراً) أي مقداراً معيناً من الشعير **(لأهله)** أي لأهل بيته. ولعل وجه الأخذ منه لتكون الحجة بالغة عليه أو ستراً لحاله عن المساكين، أو لئلا يثقل عليهم فيعطوه استحياء، أو لم يأخذوا منه وقت العطاء رياء. والأظهر أنه مبالغة في تنزهه ﷺ عن طلب الأجر من الأمة ولو صورة حيث قال تعالى: **﴿قل لا أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على الله﴾** [الشورى ـ ٢٣]. ونظيره ما وقع لإمامنا الأعظم [رحمه الله]حيث لم يقف في ظل جدار من كان يطالبه بدين معللاً بحديث: «كل قرض جر منفعة فهو رياء»[١]. وقد روي أن الإِمام حمزة أحد الأئمة القراء السبعة الذي قال الشاطبي [رحمه الله]في حقه من المنقبة:

وحمزة ما أزكاه من متورع   إماماً صبوراً للقرآن مرتلا

كان لا يأخذ أجراً على الإِقراء لأنه تمذهب بحديث التغليظ في أخذ الأجرة عليه، أو من كمال تورعه حتى عرض تلميذه عليه ماء في يوم حر فأبى. وقيل إنه وقع في بئر فكل من جاء ليستخرجه منها سأله هل قرأت عليّ فيقول بلى فيمتنع أن يستعين به إلى الخروج من الخلا إلى الملا، وأهل الكوفة كانوا كلهم تلاميذه فعجزوا حتى رأوا أعرابياً فأتاه فأخرجه منها بعد أن بين له أنه قط ما قرأ عليه ولا سمع ممن[٢] يقرأ لديه. **(ولقد سمعته)** قال الطيبي: ضميراً المفعول في سمعته عائد إلى أنس والفاعل هو راوي أنس انتهى. وتبعه ابن الملك وغيره من الشراح، أي قال راوي الحديث عن أنس: سمعت أنساً. **(يقول: ما أمسى)** أي للذخيرة **(عند آل محمد صاع بر)** أي للقوت **(ولا صاع حب)** تعميم بعد تخصيص. والمعنى أنه لم يدخر في الليل للغد. **(وإن عنده لتسع نسوة)** بكسر الهمزة والجملة حالية. وفي بعض الروايات وإن عنده يومئذ لتسع نسوة، وهذه الجملة من كلام الراوي قطعاً لقوله: عنده. والتأويل بالالتفات مما لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. وإنما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم: الحق أن الضمير[٣] المفعول راجع إلى النبي ﷺ، والفاعل هو أنس كما صرح به الشيخ ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]. ويدل عليه رواية أحمد قال: ولقد سمعت رسول الله ﷺ الخ. ويؤيده قوله: ما أمسى عند آل محمد. إذ لو كان من كلام الراوي ناسب أن يقول: عند آل النبي ﷺ. والله [تعالى]أعلم. **(رواه البخاري)**.

٥٢٤٠ ـ (وعن عمر رضي الله [تعالى]عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فإذا هو

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٩٤ حديث رقم ٦٣٣٦. وقال رواه الحارث عن علي.

(٢) في المخطوطة «ما».

(٣) في المخطوطة «ضمير».

الحديث رقم ٥٢٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٥٧ حديث رقم ٤٩١٣. ومسلم في صحيحه =

مضطجعٌ على رِمالِ حصيرٍ، ليس بينه وبينه فراش، قد أثَّر الرِّمالُ بجنبه، متَّكئاً على وسادةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُها لِيفٌ. قلتُ: يا رسول الله: ادعُ اللَّهَ فلْيوسعْ على أمَّتك، فإن فارسَ والرّومَ قدِ وُسعَ عليهم وهم لا يعبدونَ الله. فقال: «أو في هذا أنتَ يا ابن الخطاب؟

مضطجع على رمال حصير) بالإضافة، أي على رمال من حصير. قال شارح: الرمال بكسر الراء وضمها جمع رميل بمعنى مرمول، أي منسوج ويستعمل في الواحد، وهذا من إضافة الجنس إلى النوع كخاتم فضة. والمراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهى. وقيل: الرمال ما ينسج عوداً عوداً. والظاهر أن ضم الراء أشهر ولذا صاحب القاموس عليه اقتصر وقال: رمال الحصير كغراب مرموله. وفي النهاية: الرمال ما رمل أي نسج. قال الزمخشري: ونظيره الحطام والزكام لما يحطم ويزكم. وقال غيره: الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله تعالى بمعنى مخلوقه. والمراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير ذكره الطيبي [رحمه الله]. لكن كون المراد برمال الحصير شريط السرير بعيد عند الفقير، بل الظاهر أنه مضطجع على منسوج من حصير. **(ليس بينه)** أي بين النبي ﷺ **(وبينه)** أي بين الحصير **(فراش)** أي لا من القطن ولا من الحرير. **(قد أثر الرمال بجنبه)** أي من بدنه لا سيما عند كشفه من ثوبه **(متكئاً)** أي حال كونه معتمداً **(على وسادة)** أي مخدة **(من أدم)** بفتحتين، أي جلد **(حشوها)** أي محشو الوسادة **(ليف)** في القاموس: ليف النخل بالكسر معلوم. **(قلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع)** بكسر السين المشددة وسكون العين. **(على أمتك)** أي فإنهم لا يطيقون متابعتك في تحمل محنتك، فربما يتنفرون عن الميل إلى ملتك. **(فإن فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله)** وكأن ابن الخطاب الناطق بالصواب الموافق رأيه للكتاب أخذ هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفاً من فضة**﴾ [الزخرف - ٣٣]الآية. ومفهومها أنه ما وسع عليهم توسيعاً كلياً ولا ضيق على المؤمنين تضييقاً كلياً وإن كان ذلك مقتضى ظاهر العدل من تقسيم الدارين بين الفريقين كما أخبر به ﷺ في حديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(١). فالحكمة البالغة هي المانعة من ميل المؤمنين إلى طريق الكافرين وهي الحالة الوسطى بالنسبة إلى عموم الخلق، وإن كانت المرتبة العليا بالإضافة إلى الخواص من الأنبياء والأولياء كمال الزهد في الدنيا والقناعة بأقل ما يتصور من متاعها، ليكون تمتعهم تاماً في العقبى. **(فقال:)** أي النبي ﷺ **(أو في هذا أنت)** بفتح الواو بعد استفهام إنكاري والمعطوف عليه مقدر، أي أتقول هذا الكلام وأنت إلى الآن في هذا المقام ولم يحصل لك الترقي إلى فهم المرام. وقيل: قدم الاستفهام لصدارته، والواو لمجرد الربط بين الكلام السابق واللاحق. **(يا ابن الخطاب)** قيل: في خطابه يابن الخطاب دون عمر إيذان بأن الالتذاذ بطيبات الدنيا من خصال ذوي الجهل

= ٢/ ١١٠٥ حديث رقم (٣٠ ـ ١٤٧٩). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٠ حديث رقم ٤١٥٣ وأحمد في المسند ٣/ ١٤٠.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٢ حديث رقم ٢٩٥٦.

أُولئكَ قومٌ عُجّلتْ لهم طيّباتهم في الحياة الدنيا». وفي رواية: «أمّا ترضى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة؟!». متفق عليه.

٥٢٤١ ـ (١١) وعن أبي هريرة، قال: لقد رأيتُ سبعين من أصحاب الصُّفة، ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا في أعناقهم،

والعمى وكأنه يقول: يا ابن ذلك المقيد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم [دار]العقبى. (**أولئك**) أي فارس والروم وسائر الكفار. (**عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا**) أي كما أخبر الله في كتابه أنه ينكر عليهم يوم القيامة بخطابه حيث قال: ﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون**﴾ [الأحقاف ـ ٢٠]. هذا وقد قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فليوسع، الظاهر نصبه ليكون جواب الأمر، أي ادع الله فيوسع واللام للتأكيد والرواية الجزم على أنه أمر للغائب، كأنه التمس من رسول الله ﷺ الدعاء لأمته بالتوسعة وطلب من الله الإجابة. وكان من حق الظاهر أن يقال: ادع الله ليوسع عليك فعدل إلى الدعاء للأمة إجلالاً لمحله ﷺ وإبعادا لمنزلة[1] من رسخ للنبوة أن يطلب من الله تعالى هذا الدنيء الخسيس لنفسه النفيس، ومع ذلك أنكر عليه هذا الإنكار البليغ. وقوله: أو في هذا، مدخول الهمزة محذوف، أي أتطلب هذا وفي هذا أنت وكيف يليق بمثلك أن يطلب من الله التوسعة في الدنيا. (**وفي رواية: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا**) أي موسعة خاصة (**ولنا الآخرة**) أي مرضعة خالصة (**متفق عليه**). وروى ابن ماجه الرواية الأخيرة.

٥٢٤١ ـ (**وعن أبي هريرة قال: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة**) وفي نسخة: من أهل الصفة. وهم كانوا أربعمائة من المهاجرين تهيؤوا لتعلم القرآن والخروج في السرايا لقتال أهل الطغيان، وكان أبو هريرة ناظرهم ونقيبهم ومتفقد حالهم ورقيبهم. وكانوا يأوون في صفة آخر مسجده ﷺ. وقد نزل في حقهم: ﴿**للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً**﴾ [البقرة ـ ٢٧٣]. أي أصلاً، بل كانوا متوكلين ومتقنعين بالتقاط[2] النواة ونحوها من جهة الزاد للمعاش والمعاد. وأما من جهة الكسوة فكما بينه أبو هريرة بقوله: (**ما منهم رجل عليه رداء**) ففي النهاية: هو الثوب أو البرد الذي يضعه الإنسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه. قال السيد جمال الدين [رحمه الله]: قوله: فوق ثيابه، خلاف ما عليه أئمة اللغة، وإنما الرداء هو الذي يستر أعالي البدن فقط. قلت: ويؤيده قوله: (**إما إزار وإما كساء**) أي إزار واحد يستر عورته، وإما كساء واحد يشتمل به كما بينه بقوله: (**قد ربطوا**) أي طرفه (**في أعناقهم**) وحاصل المعنى

---

(١) في المخطوطة «المنزلته».

الحديث رقم ٥٢٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٣٦ حديث رقم ٤٤٢.

(٢) في المخطوطة «بالقاط».

فمنها ما يبلغُ نصفَ الساقين، ومنها ما يبلغُ الكعبين فيجمعه بيده كراهيةَ أن تُرى عورته». رواه البخاري.

٥٢٤٢ ـ (١٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضّل عليه في المال والخَلْق؛ فلينظر إلى من هو أسفل مِنه».

أنه لم يكن له ثوب يتردى به، بل كان له إما إزار فحسب أو كساء فحسب. وفي العدول عن ضمير المفرد إلى الجمع في قوله: قد ربطوا في أعناقهم، حيث لم يقل: قد ربطه في عنقه، إشعار بأن حال جميعهم كان على هذا المنوال كما يفيده تنكير رجل واستغراق النفي مع زيادة المبالغة بزيادة من في قوله: منهم. ثم تأنيث الضمير في قوله: (**فمنها ما يبلغ [نصف]الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين**) مع أنه راجع إلى الكساء والإِزار باعتبار الجمعية في الأكسية والإِزار، أو الأكسية وحدها لقربها ولمقايسة غيرها عليها. ولها نظائر من قوله تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ [البقرة ـ ٤٥]. ومن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**﴾ [التوبة ـ ٣٤]. فإن المفرد يدل[(١)] على الجمع، لا سيما والمراد به الجنس الذي قد يعبر عنه بالتأنيث لدلالته على جمعية الجماعة كما قد يفرد باعتبار لفظه، وهو المعني بقوله: (**فيجمعه**) أي يجمع الرجل ذلك الثوب من الكساء أو الإِزار (**بيده**) لئلا يفترق أحد طرفيه من الآخر (**كراهة أن ترى عورته**) أي في نظر غيره أو حال صلاته. هذا وقد قال الطيبي [رحمه الله]: التأنيث باعتبار الجمعية في الأكسية والإِزار وتعدد المكتسين، والإِفراد في بيده باعتبار الرجل المذكور. (**رواه البخاري**).

٥٢٤٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه**) بصيغة المجهول من التفضيل، أي زيد عليه. (**في المال والخلق**) أي في الصورة أو في الخدم والحشم. وحاصله أنه إذا رأى أحدكم من هو أكثر منه حشمة ومالاً ولباساً وجمالاً ولم يعرف أن [له]في الآخرة به وبالاً. (**فلينظر إلى من هو أسفل منه**) بفتح اللام ويضم، أي من هو دونه في الدنيا وأقل رتبة منه مالاً ومنالاً وله في الآخرة الدرجة العليا مآلاً. وفي الحديث دلالة على أن [حال]أكثر الخلق هو الاعتدال ولو بحسب الإِضافة والانتقال. فالسالك بالنظر إلى حال طرفيه يحصل له حسن الحال، وإيماء إلى أن المفضل على الخلق كلهم من جميع الوجوه مثلاً أو فرضاً لا ينظر إلى من تحته لئلا يحصل له العجب والغرور والافتخار والتكبر والخيلاء، بل يجب عليه أن يقوم بحق شكره على النعماء. وأما من لم يكن تحته أحد في الفقر فينبغي أن يشكر ربه حيث لم يبتله بالدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة

---

(١) في المخطوطة «يدخل».

الحديث رقم ٥٢٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٢٢ حديث رقم ٦٤٩٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٥ حديث رقم (٨ ـ ٢٩٦٣). والترمذي في السنن ٤/ ٥٧٤ حديث رقم ٢٥١٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٨٧ حديث رقم ٤١٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم، قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم».

الفصل الثاني

٥٢٤٣ ـ (١٣) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ الفقراء الجنة قبلَ الأغنياء بخمسمائة عام نصف

شركائها. ولذا كان الشبلي [رحمه الله تعالى]إذا رأى أحداً من أرباب الدنيا قال: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والعقبى. ويناسبه ما حُكِيَ أن شخصاً من الفقراء قام في مجلس واعظ من الأولياء وشكا أنه لم يأكل كذا مدة في الخلا والملا فقال الشيخ: كذبت يا عدو الله فإنه لا يعطي الجوع الشديد إلا لأصفيائه وخاصة أنبيائه وخلاصة أوليائه، ولو كنت منهم لما أظهرت هذه الشكاية ولسترت عن الخلق هذه الغاية. ومجمل الحال وخلاصة المقال أن المؤمن إذا سلم دينه من الخلل والزوال فلا يبالي بنقصان الجاه والمال وسائر المشقات الكائنة في الحال والاستقبال، كما روي أن صاحباً للغزالي ضرب وحبس فشكا إليه فقال: اشكر فإن البلاء قد يكون أعظم من هذا، ثم طرح في بئر من السجن فشكا إليه ورد بما سبق عليه. ثم أتي بيهودي يسهل كل ساعة ووضع معه مسلسلاً بسلسلته يحتاج كل نفس إلى مرافقته ومصاحبته مع ضيق المكان وظلمة الزمان والعفونة في كل آن فشكا إلى الإمام من ضيق الصدر فأمره بالشكر والصبر فأجاب جزعاً: أي بلاء أشد من هذا العذاب. فقال الإمام في الجواب: هو أن يوضع في رقبتك طوق الكفر والحجاب ويسلك بك عن صوب الصواب. ﴿**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**﴾. **(متفق عليه)** ورواه أحمد. **(وفي رواية لمسلم)** وقد أخرجها أحمد والترمذي وابن ماجه عنه أيضاً مرفوعاً **(قال: انظروا إلى من هو أسفل منكم)** أي دونكم رتبة **(ولا تنظروا إلى من هو فوقكم)** أي مرتبة **(فهو)** أي النظر المذكور إثباتاً ونفياً **(أجدر)** أي أحق وأولى **(أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)** أي بعدم الازدراء والاحتقار لما قسم الله عليكم في هذه الدار، فإنه يظهر لكم بذلك النظر أن لله تعالى عليكم نعماً كثيرة بالنسبة إلى من دونكم أو نعماً كثيرة حيث اختار لكم الفقر والبلاء وجعلكم من أهل الولاء وشبهكم بالأنبياء والأولياء وخلصكم عن ظلم الأمراء وظلمة الأغنياء الأغبياء.

(الفصل الثاني)

٥٢٤٣ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الفقراء)** أي الصابرون، وقيل: ولو كانوا شاكين[1]. **(الجنة قبل الأغنياء)** أي الشاكرين **(بخمسمائة عام)** أي سنة **(نصف**

الحديث رقم ٥٢٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٩٩ حديث رقم ٢٣٥٤. وابن ماجه ٢/ ١٣٨٠ حديث رقم ٤١٢٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٣.

(١) في المخطوطة «شاكرين».

يومٍ». رواه الترمذي.

٥٢٤٤ ـ (١٤) وعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «اللّهم أحيني مسكيناً،

يوم) بالجر على أنه صفة فارقة أو بدل أو عطف بيان عن خمسمائة عام، فإن اليوم الأخروي مقدار طوله ألف سنة من سني الدنيا لقوله تعالى: **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** [الحج ـ ٤٧]. فنصفه خمسمائة. وأما قوله تعالى: **﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾** [المعارج ـ ٤]. فمخصوص من عموم ما سبق أو محمول على تطويل ذلك اليوم على الكفار كما يطوى حتى يصير كساعة بالنسبة إلى الأبرار، كما يدل عليه قوله تعالى: **﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾** [المدثر ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠]. قال الأشرف: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله: بأربعين خريفاً. قلت: يمكن أن يكون المراد من الأغنياء في الحديث الأول أغنياء المهاجرين أي يسبق فقراء المهاجرين إلى الجنة بأربعين خريفاً، ومن الأغنياء في الحديث الثاني الأغنياء الذين ليسوا من المهاجرين فلا تناقض بين الحديثين انتهى. وفيه أن هذا إنما يتم إذا أريد بالفقراء الخاص وبالأغنياء العام فلا يفهم حكم الفقراء من غير المهاجرين. فالأولى حمل الحديث على معنى يفهم الحكم [عموماً]وهو بأن يقال: المراد بكل من العددين إنما هو التكثير لا التحديد، فتارة عبر به وأخرى بغيره تفنناً ومآلهما واحد، أو أخبر أولاً بأربعين كما أوحيَ إليه ثم أخبر ثانياً بخمسمائة عام زيادة من فضله على الفقراء ببركته ﷺ، أو التقدير بأربعين خريفاً إشارة إلى أقل المراتب وبخمسمائة عام إلى أكثرها. ويدل عليه ما رواه الطبراني عن مسلمة بن مخلد ولفظه: [سبق]المهاجرون الناس بأربعين خريفاً إلى الجنة ثم يكون الزمرة الثانية مائة خريف. انتهى. فالمعنى أن يكون الزمرة الثالثة مائتين وهلم جرا وكأنهم محصورون في خمس زمر والله [تعالى] أعلم. أو الاختلاف باختلاف مراتب أشخاص الفقراء في حال صبرهم ورضاهم وشكرهم وهو الأظهر المطابق لما في جامع الأصول حيث قال: وجه الجمع بينهما أن الأربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني، وأراد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب، فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد، وهذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة. ولا تظنن أن هذا التقدير وأمثاله يجري على لسان النبي ﷺ جزافاً ولا باتفاق بل أسر أدركه ونسبة أحاط بها علمه[1]، فإنه ﷺ **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾** [النجم ـ ٣ ـ ٤]. **(رواه الترمذي)** وقال: حسن صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه. قال المنذري: ورجاله محتج بهم في الصحيح، ورواه ابن ماجه بزيادة من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر.

٥٢٤٤ ـ **(وعن أنس أن النبي ﷺ قال: اللهم أحيني مسكيناً)** ولم يقل فقيراً لئلا يتوهم

---

(١) في المخطوطة «عليه».

الحديث رقم ٥٢٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٩ حديث رقم ٢٣٥٢.

وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين». فقالتْ عائشةُ: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنَّهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة! لا تَرُدِّي المسكين ولو بشق تمرة؛ يا عائشة! أَحبي المساكين وقربيهم، فإِنَّ الله يقرِّبُكِ يومَ القيامةِ». رواه الترمذي والبيهقي في «شعب الإيمان».

كونه محتاجاً حقيراً فينافيه دعاؤه: «اللهم اجعلني في نفسي صغيراً وفي أعين الناس كبيراً»[1]. وأما المسكين فهو من مادة[2] المسكنة وهو التواضع على وجه المبالغة ولو أفضى إلى المذلة أو من السكون والسكينة وهو الوقار والاطمئنان والقرار تحت أحكام الأقدار رضاً بقضاء الجبار. وقال بعضهم: أي اجعلني متواضعاً لا جباراً متكبراً. وفيه تعليم الأمة ليعرفوا فضل الفقراء فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتهم. وفيه تسلية للمساكين وتنبيه على علو درجاتهم. ويجوز أن يراد بهذا أن يجعل قوته كفافاً ولا يشغله بالمال، فإن كثرة المال في حق المقربين مؤونة من الوبال في خشية المآل وخشونة الحال. **(وأمتني)** وفي رواية الحاكم: وتوفني **(مسكيناً)** دل على أنه ﷺ كان على وصف المسكنة إلى آخر العمر. **(واحشرني في زمرة المساكين)** أي فريقهم وجماعتهم. وفيه مبالغة لا تخفى لأنه لو قال: واحشرهم في زمرتي لكان لهم فضل كثير وعلو كبير. ونظيره ما قال ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم[3]. حيث لم يقل: كفضلي على أعلاكم. هذا وقد مر بعض سلاطين الإسلام على طائفة من الفقراء والصلحاء الكرام فلم يلتفتوا إليه ولم يقبلوا عليه فقال: من أنتم. فقالوا: نحن قوم ومحبتنا ترك الدنيا وعداوتنا ترك العقبى فجاوزهم وتجاوز عنهم. وقال: نحن لم نقدر على محبتكم ولا طاقة لنا على عداوتكم. **(فقالت عائشة رضي الله عنها]: لم يا رسول الله)** أي لأي شيء دعوت هذا الدعاء واخترت الحياة والممات والبعثة مع المساكين والفقراء دون أكابر الأغنياء. **(قال: إنهم)** استئناف في معنى التعليل، أي لأنهم مع قطع النظر عن بقية فضائلهم وحسن أخلاقهم وشمائلهم. **(يدخلون الجنة قبل أغنيائهم)** أي زماناً ومكاناً ومكانة. **(بأربعين خريفاً)** والاكتفاء به لأنه أقل موعود في مدة المسابقة كمضاعفة الحسنة بالعشرة في الطاعة. **(يا عائشة لا تردي المسكين)** أي لا ترديه خائباً بل سامحيه جائياً وآيباً وأحسني إليه قليلاً أو كثيراً[4]. **(ولو بشق تمرة)** أي بنصفها أو ببعضها، أو رديه رداً جميلاً تستحقي به جزاء جزيلاً. ولذا لما وقف مسكين عندها وأعطته حبة عنب بقيت في يدها وعاتب المسكين [عليها]ولم يدر ما ألقي من الفهم إليها. قالت: قال تعالى: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾** [الزلزلة ـ ٧]. والحبة مشتملة على مقدار كذا من الذرة. **(يا عائشة أحبي المساكين)** أي بقلبك **(وقربيهم)** أي إلى مجلسك حال تحديثك. **(فإن الله يقربك يوم القيامة)** أي بتقريبهم تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى. **(رواه)** أي الحديث بكماله **(الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان)** أي عن أنس.

---

(١) البزار كذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٩١ حديث رقم ٦٤٧٩.

(٢) في المخطوطة «عادة». (٣) الترمذي في السنن ٥/ ٤٨ حديث رقم ٢٦٨٥.

(٤) في المخطوطة كثيراً أو قليلاً.

٥٢٤٥ ـ (١٥) وروى ابن ماجه عن أبي سعيدٍ إلى قوله «في زمرة المساكين».

٥٢٤٦ ـ (١٦) وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «ابغوني في ضعفائكم، فإنما تُرْزقون ـ أو

٥٢٤٥ ـ (وروى) وفي نسخة: ورواه. (ابن ماجه عن أبي سعيد إلى قوله: في زمرة المساكين) قال ميرك نقلاً عن المنذري: ورواه الحاكم أي عن أبي سعيد وزاد: وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة. وقال: صحيح الإسناد(١). ورواه أبو الشيخ والبيهقي عن عطاء بن أبي رباح، سمع أبا سعيد يقول: أيها الناس لا يحملنكم العسر على طلب الرزق من غير حله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمرة المساكين، فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة. قال أبو الشيخ: زاد فيه غير أبي زرعة عن سليمان بن عبد الرحمٰن: ولا تحشرني في زمرة الأغنياء. قلت: إن لم يكن دليل آخر غير هذا الحديث الشريف لكفي حجة واضحة وبينة لائحة على أن الفقير الصابر خير من الغني الشاكر. وأما حديث: الفقر فخري وبه أفتخر. فباطل لا أصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلاني وغيره. وأما حديث: كاد الفقر أن يكون كفراً(٢). فهو ضعيف جداً، وعلى تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبي المؤدي إلى الجزع والفزع بحيث يفضي إلى عدم الرضا بالقضاء والاعتراض على تقسيم رب الأرض والسماء ولذا قال ﷺ: ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس(٣). وقد رُوِيَ: الفقر [أ]زين على المؤمن من العذار الحسن على خد العروس. رواه الطبراني عن شداد بن أوس(٤). ورُوِيَ: الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة. رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس(٥). ورُوِيَ: الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد إخوانه المسلمين. رواه ابن عساكر عن عمر(٦).

٥٢٤٦ ـ (وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: ابغوني) بهمزة قطع مفتوحة. وفي بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة أي اطلبوا رضائي. (في ضعفائكم) أي فقرائكم بالإحسان إليهم والمظلومين ولو [من أغنيائكم]بالمساعدة لديهم. (فإنما ترزقون) أي رزقاً حسياً أو معنوياً (أو

الحديث رقم ٥٢٤٥: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٦.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٢.
(٢) أبو نعيم في الحلية.
(٣) البخاري في صحيحه ١١/ ٢٧١ حديث رقم ٦٤٤٦. ومسلم ٢/ ٧٢٦. حديث رقم ١٠٥١.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٧٠ حديث رقم ٥٩٨٦. وذكر فيه على «خد الفرس» وأما في المخطوطة فذكر على «حد العرش».
(٥) مسند الفردوس ٣/ ١٥٤ حديث رقم ٤٤١٨.
(٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٧٠ حديث رقم ٥٩٨٧.

الحديث رقم ٥٢٤٦: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٧٣ حديث رقم ٢٥٩٤. والترمذي في السنن ٤/ ١٧٩ حديث رقم ١٧٠٢. والنسائي في السنن ٦/ ٤٥ حديث رقم ٣١٧٩. وأحمد في المسند ٥/ ١٩٨.

تنصرون ـ بضعفائكم». رواه أبو داود.

٥٢٤٧ ـ (١٧) وعن أُمية بن خالد بن عبد الله بن أَسيد، عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. رواه في «شرح السنة».

تنصرون) أي على الأعداء الظاهرة والباطنة، وأو للتنويع. ويؤيده رواية الواو. ويحتمل أن تكون أو للشك من الراوي. **(بضعفائكم)** أي ببركة وجودهم وإحسانهم، إذ منهم الأقطاب والأوتاد وبهم نظام البلاد والعباد. قال ابن الملك: يعني اطلبوا إلي حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم فإني معهم بالصورة في بعض الأوقات وبالقلب في جميعها لا أعلم من شرفهم وعظيم منزلتهم عند الله، فمن أكرمهم فقد أكرمني ومن آذاهم فقد آذاني. انتهى. ويؤيده الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب»[١]. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ابغوني. بهمزة القطع والوصل يقال: بغى يبغي بغاء إذا طلب. وهذا نهي عن مخالطة الأغنياء وتعليم منه. انتهى. ويؤيده حديث: اتقوا مجالسة الموتى. قيل: ومن الموتى. قال: الأغنياء. وفي مختصر النهاية: ابغني[٢]، كذا بهمزة الوصل، أي اطلبه لي[٣]، وبهمزة القطع أعني على الطلب. وفي القاموس: بغيته طلبته وأبغاه الشيء طلبه له كبغاه إياه كرماه أو أعانه على طلبه. **(رواه أبو داود)** وكذا الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح. نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع بلفظ: ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم[٤]. رواه أحمد والثلاثة [والحاكم]وابن حبان عنه.

٥٢٤٧ ـ **(وعن أمية)** بالتصغير **(ابن خالد بن عبد الله بن أسيد)** بفتح فكسر، لم يذكره المؤلف في أسمائه. ونقل ميرك عن التصحيح أنه قال: ابن عبد البر أمية بن خالد، روى عن النبي ﷺ وذكر هذا الحديث وقال: ولا يصح عندي صحبته، والحديث مرسل. قلت: مرسل التابعي حجة عند الجمهور، فكيف مرسل من اختلف في صحة صحبته. **(عن النبي ﷺ أنه كان يستفتح)** أي يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله تعالى. **(بصعاليك المهاجرين)** أي بفقرائهم وببركة دعائهم. وفي النهاية: أي يستنصر بهم. ومنه قوله [تعالى]: **﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾** [الأنفال ـ ١٩]. وقال ابن الملك: بأن يقول: اللهم انصرنا على الأعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين. وفيه تعظيم الفقراء والرغبة إلى دعائهم والتبرك بوجوههم. أقول: ولعل وجه التقييد بالمهاجرين لأنهم فقراء غرباء مظلومون مجتهدون مجاهدون، فيرجى تأثير دعائهم أكثر من عوام المؤمنين وأغنيائهم. والصعاليك جمع صعلوك كعصفور الفقير على ما في القاموس. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** بإسناده وحيث أطلقه وما بين إرساله دل على أنه قال بصحبة الراوي واتصال سنده مع أنه معتضد في المعنى بما سبق من حديث: إنما

---

(١) البخاري في صحيحه ١١/ ٣٤٠ حديث رقم ٦٥٠٢. ولفظه.. «فقد آذنته بالحرب».

(٢) في المخطوطة «اجفي». (٣) في المخطوطة «ولي».

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٠ حديث رقم ٥٨. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٠٦.

الحديث رقم ٥٢٤٧: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٦٤ حديث رقم ٤٠٦٢.

٥٢٤٨ ـ (١٨) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تغبطنَّ فاجراً بنعمة، فإنك لا تدري ما هو لاقٍ بعد موته، إنَّ له عند الله قاتلاً لا يموت». يعني النار. رواه في «شرح السنة».

٥٢٤٩ ـ (١٩) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وسنَتُهُ، وإذا فارق الدنيا فارق السجنَ والسنةَ».

تنصرون بضعفائكم. ثم رأيت في الجامع أنه رواه ابن أبي شيبة والطبراني عن أمية بن عبد الله ولفظه: كان ﷺ يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين(١).

٥٢٤٨ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تغبطن)** بكسر الموحدة وتشديد النون المؤكدة. **(فاجراً)** أي كافراً، أو فاسقاً. **(بنعمة)** أي بنعمة هو فيها من طول عمر أو كثرة أولاد أو سعة مال وجاه بأن تطلب زوالها عنه، أو تريد مثلها لنفسك. **(فإنك لا تدري ما هو لاق)** أي ملاق في مقابلة تلك النعمة من النقمة والمحنة. **(بعد موته)** أي في القبر أو الحشر **(إن له)** أي للفاجر **(عند الله قاتلاً)** أي مهلكاً له أو معذباً عذاباً شديداً من شأنه أن يقتل. **(لا يموت)** أي لا يفنى ولا ينعدم ذلك القاتل، بل موجود دائماً ولا ينقطع [أبداً]. **(يعني النار)** قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: هذا تفسير عبد الله ابن مريم راوي أبي هريرة كذا في شرح السنة انتهى. وقال الجزري قيل: قوله: قائلاً بهمزة مكسورة من القيلولة، أي مقيلاً باقياً، يعني تحشر معه النار وتقبل حيث قال وتبيت حيث بات. وقيل هو بالتاء المثناة من فوق، أي من تقتله أي النار. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي بإسناده. وفي الجامع رواه البيهقي في الشعب عنه ولفظه: لا تغبطن فاجراً بنعمة أن له عند الله قاتلاً لا يموت(٢).

٥٢٤٩ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: الدنيا سجن المؤمن)** أي حبسه وعذابه بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من نعيمه وثوابه. **(وسنته)** بفتحتين، أي قحطه وشدة معيشته. ولذا روي: لا يخلو المؤمن من قلة أو علة أو ذلة وقد يجتمع للمؤمن الكامل جميع ذلك. قال الطيبي [رحمه الله]: السنة من الأسماء الغالبة للقحط. وقال ابن عطاء: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار، أي بل استغرب خلاف ذلك إن وقع شيء هنالك. **(وإذا فارق الدنيا)** أي المؤمن. **(فارق السجن والسنة)** ولعل الجمع بينهما لدفع ما يتوهم أن السجن قد يكون فيه السعة كما قد يقع نادراً، فدفع هذا الوهم بقوله: والسنة، فيكون زيادته من باب التذييل والتكميل. وأطلق فيما سبق من الحديث الصحيح اعتماداً على غالب

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٤ حديث رقم ٧٠٤٧.

الحديث رقم ٥٢٤٨: أخرجه البغوي في شرح السنة ٤/ ٢٩٤ حديث رقم ٤١٠٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٢ حديث رقم ٩٨٣٤. والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٤٥٤٢.

الحديث رقم ٥٢٤٩: أحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

رواه في «شرح السنة».

٥٢٥٠ ـ (٢٠) وعن قتادة بن النعمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ اللَّهُ عبداً حماه الدنيا، كما يظلُّ أحدكم يحمي سقيمَه الماءَ». رواه أحمد، والترمذي.

الأحوال مع أنه لا يخلو من نوع ضيق مكان وبطء رزق وتشتت البال ولو قام بخدمته الرجال (رواه في شرح السنة) وقد أخرجه ابن المبارك والطبراني عنه. قال ميرك: رواه الحاكم في صحيح[(١)]، لكن في سنده عبد الله بن أيوب المغافري انتهى. وقد سبق طرف هذا الحديث وبعض معانيه في أول الباب والله [تعالى]أعلم بالصواب. قال الإمام الحافظ أبو القاسم الوراق: إن قيل: كيف يكون معنى الحديث وقد نرى مؤمناً في عيش رغد وكافراً في ضنك وقصر يد. قلنا: الجواب من وجهين، أحدهما أن الدنيا كالجنة للكافر ذي جنب ما أعد الله له من العذاب في الآخرة وإنها كالسجن للمؤمن بالإضافة إلى ما وعده الله له من الثواب في الآخرة ونعيمها، فالكافر يحب المقام فيها ويكره مفارقتها، والمؤمن يتشوق الخروج منها ويطلب الخلاص من آفاتها كالمسجون الذي يريد أن يخلى سبيله. الثاني أن يكون هذا صفة المؤمن المستكمل الإيمان الذي قد غرق نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها فصارت عليه بمنزلة السجن في الضيق والشدة، وأما الكافر فقد أهمل نفسه وأمرحها في طلب اللذات وتناول الشهوات فصارت الدنيا كالجنة له في السعة والنعمة.

٥٢٥٠ ـ (وعن قتادة بن النعمان) بضم أوله. قال المؤلف: أنصاري عقبي بدري شهد المشاهد كلها، وروى عنه أخوه من أمه أبو سعيد الخدري وعمر ابنه وغيرهما. مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون سنة، وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة. (إن رسول الله ﷺ قال: إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا) أي حفظه من مال الدنيا ومنصبه وما يضر بدينه ونقصه في العقبى. قال الأشرف: أي منعه عنها ووقاه من أن يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بداء محبتها. (كما يظل) بفتح الظاء من ظل زيد صائماً أي صار. والمعنى: كما يكون. (أحدكم يحمي سقيمه) أي مريضه لا سيما إذا كان معه مرض الاستسقاء أو ضعف المعدة ونحوهما مما يضره الماء فيمنعه (الماء) أي لئلا يزيد مرضه بشربه ولا ينظر إلى رأي العليل من طلب الماء وحبه، مع أن الماء أرخص شيء غالباً فلا يتصور فيه البخل، خصوصاً بالنسبة إلى المريض الذي يحن عليه كل أحد. والحاصل أن الحكمة تقتضي أن المحبوب عند أهله وآله يكون ممنوعاً من كل شيء يضره في حاله. (رواه أحمد والترمذي) ولفظ الجامع: إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا كما يحمي أحدكم سقيمه الماء. رواه الترمذي والحاكم والبيهقي في الشعب[(٢)]. وفي رواية للبيهقي عن حذيفة بلفظ: إن الله يحمي عبده المؤمن كما يحمي الراعي

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٥.

الحديث رقم ٥٢٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٣٤ حديث رقم ٢٠٣٦. وأحمد في المسند ٥/ ٤٢٧.

(٢) الجامع الصغير ١/ ٢٨ حديث رقم ٣٥٥ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٠٧.

٥٢٥١ ـ (٢١) وعن محمود بن لَبيد، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: اثنتان يكرهما ابن آدم: يكره الموتَ، والموتُ خيرٌ للمؤمنِ منَ الفتنةِ، ويكره قِلةَ المال، وقلةُ المال أقلُّ للحساب». رواه أحمد.

الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة(١). وهذا المعنى مقتبس من التنزيل وهو قوله: ﴿**وأنت أرحم الراحمين**﴾ [الأعراف ـ ١٥١، الأنبياء ـ ٨٣].

٥٢٥١ ـ (**وعن محمود بن لبيد**) بفتح فكسر. قال المؤلف: أنصاري أشهلي ولد على عهد رسول الله ﷺ وحدث عنه أحاديث. قال البخاري: له صحبة. وقال أبو حاتم: لا يعرف له صحبة. وذكره مسلم في التابعين في الطبقة الثانية منهم. قال ابن عبد البر: والصواب قول البخاري فأثبت له صحبة، وكان محمود أحد العلماء. روي عن ابن عباس وعتبان بن مالك مات سنة ست وتسعين. (**أن النبي ﷺ قال: اثنتان**) أي خصلتان (**يكرههما**) أي بالطبع (**ابن آدم**) أي وهما خير له بالشرع كما بينه بقوله: (**يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة**) قال ابن الملك: الفتنة التي الموت خير منها هي الوقوع في الشرك أو فتنة يسخطها الإنسان ويجري على لسانه ما لا يليق وفي اعتقاده ما لا يجوز. وقال الراغب: الفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة. قال الطيبي [رحمه الله]: وقد تكون الفتنة في الدين مثل الارتداد وإكراه الغير على المعاصي، وإليه أشار بقوله ﷺ: «إذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون»(٢). قلت: وقد أخرج أبي نعيم في الحلية عن أبي عبد الله الصنابحي قال: الدنيا تدعو إلى فتنة والشيطان يدعو إلى خطيئة ولقاء الله خير من الإقامة معهما(٣). (**ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب**) أي وأبعد من العذاب. (**رواه أحمد**) وكذا سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن زرعة بن عبد الله مرسلاً أن النبي ﷺ قال: يحب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل لحسابه(٤). هذا وأخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: تحفة المؤمن الموت(٥). [وأخرج]المروزي في الجنائز وابن أبي شيبة في المصنف والطبراني عن ابن مسعود قال: ذهب صفو الدنيا فلم يبق منها إلا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم. وأخرج المروزي وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال: حبذا المكروهان الفقر والموت(٦). وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٤٥١.

الحديث رقم ٥٢٥١: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٢٧.

(٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٣٤٢ حديث رقم ٣٢٣٣.

(٣) لم أجده في الحلية. (٤) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٥٧٠.

(٥) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٩. والبيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٩٨٨٤.

(٦) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٩٩٧٥.

٥٢٥٢ ـ (٢٢) وعن عبد الله بن مغفَّل، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: «إني أُحبُّك. قال: «انظر ما تقول». فقال: والله إني لأحبُّك، ثلاث مرَّات. قال: «إن كنتَ صادقاً فأعدَّ للفقرِ تجْفافاً، للفقرُ أسرعُ إلى من يحبُّني من السيل إلى منتهاه». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ.

ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله تعالى. وأخرج ابن أبي الدنيا عن جعفر الأحمر قال: من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة. قلت: وكذا من لم يكن له خير في الحياة فلا خير له في الممات. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، فإن كان باراً فقد قال الله تعالى: ﴿**وما عند الله خير للأبرار**﴾ [آل عمران ـ ١٩٨]. وإن كان فاجراً فقد قال تعالى: ﴿**ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين**﴾ [آل عمران ـ ١٧٨].

٥٢٥٢ ـ (**وعن عبد الله بن مغفل قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحبك**) أي حباً بليغاً، وإلا فكل مؤمن يحبه. (**قال: انظر ما تقول**) أي تفكر فيما تقول فإنك تدعي أمراً عظيماً وتقصد خطباً جسيماً. (**فقال: والله إني لأحبك ثلاث مرات**) ظرف لقال (**قال: إن كنت صادقاً**) أي في دعوى محبتي وعلى تحمل محنتي. ولفظ الجامع: إن كنت تحبني (**فأعدّ**) أي فهيىء (**للفقر**) أي بالصبر عليه بل بالشكر والميل إليه. (**تجفافاً**) بكسر الفوقية وسكون الجيم أي درعاً وجنة. ففي المغرب: هو شيء يلبس على الخيل عند الحرب كأنه درع، تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة انتهى. فتاؤه زائدة على ما صرح به في النهاية. وفي القاموس: التجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب. فمعنى الحديث: إن كنت صادقاً في الدعوى ومحقاً في المعنى فهيىء آلة تنفعك حال البلوى فإن البلاء والولاء متلازمان في الخلا والملا. ومجمله أنه تهيأ للصبر خصوصاً على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة. وكنى بالتجفاف عن الصبر لأنه يستر الفقر كما يستر التجفاف(١) البدن عن الضر. (**للفقر**) بلام مفتوحة وهي لام الابتداء (**أسرع إلى من يحبني من السيل**) أي الماء الكثير (**إلى منتهاه**) والمعنى أنه لا بد من وصول الفقر بسرعة إليه ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه، فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل [خصوصاً]سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم، ويكون لأتباعه نصيب على قدر ولائهم، والمرء مع من أحب مشاركة فيما يكره(٢) وأحب. وفيه أن الفقر أشد البلايا لاشتماله على جميع المحن والرزايا، لكنه مع مرارته في الدنيا يورث حلاوة في العقبى بمزيد العطايا. (**رواه الترمذي**) وكذا أحمد (**وقال:**) أي الترمذي (**هذا حديث حسن غريب**).

الحديث رقم ٥٢٥٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٩٨ حديث رقم ٢٣٥٠.

(١) في المخطوطة «الجفاف». (٢) في المخطوطة «مرة».

٥٢٥٣ ـ (٢٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخِفتُ في الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذى أحدٌ، ولقد أَتَتْ عليَّ ثلاثون من بين ليلةٍ ويوم، وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبدٍ، إلا شيء يواريه إبطُ بلالٍ». رواه الترمذي قال: ومعنى هذا الحديث: حينَ خَرَجَ النبيُّ ﷺ هارباً من مكةَ

٥٢٥٣ ـ (وعن أنس [رضي الله تعالى عنه]قال: قال رسول الله ﷺ: لقد أخفت) مجهول ماض من الإخافة، أي خوفت. (في الله) أي في إظهار دينه (وما يخاف) بضم أوله، أي مثل ما أخفت. (أحد) أي غيري (ولقد أوذيت) أي بالفعل بعد التخويف بالقول (في الله) أي في سبيله وطريق رضاه (وما يؤذي أحد) أي خوّفت وحدي وأوذيت بانفرادي. وفائدة التقييد بالجملة الحالية في الجملتين أن أمرهما صعب في تينك الحالتين، فإن البلية إذا عمت طابت. وخلاصة المعنى أنه حكاية حال لا شكاية بال، بل تحدث بالنعمة وتوفيق بالصبر على المحنة إلى أن تنتهي إلى المنحة على ما تقتضيه المحبة وتسلية للأمة لإزالة ما قد يصيبهم من الغمة. [أي كنت] وحيداً في ابتداء إظهاري للدين فخوفني في ذلك وآذاني الكفار الملاعين ولم يكن معي أحد حينئذ يوافقني في تحمل الأذى، إلا مساعدة المولى ومعاونة الرفيق الأعلى. ثم بين أنه كان مع ذلك كله [في]قلة الزاد وعدم الاستعداد بقوله: (ولقد أتت) أي مضت (على ثلاثون من بين ليلة ويوم) أي من بين أوقات وهي الليلة واليوم. وقال الطيبي: تأكيد للشمول، أي ثلاثون يوماً وليلة متواترات لا ينقص منها شيء من الزمان. (وما لي) أي والحال أنه ليس لي (ولبلال طعام يأكله ذو كبد) بفتح فكسر. وفي القاموس بالفتح والكسر وككتف معلوم أي حيوان. قال الطيبي: أي ما معنا طعام سواء كان مما يأكل الدواب أو الإنسان. (إلا شيء) أي قليل (يواريه) أي يستره ويغطيه (إبط بلال) بكسر الهمزة وسكون الموحدة وتكسر. ففي الصحاح: الإِبط بسكون الباء ما تحت الجناح. وفي القاموس: الإِبط ما تحت المنكب وتكسر الباء وقد يؤنث، والمعنى أن بلالاً كان رفيقي في ذلك الوقت وما كان لنا من الطعام إلا شيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت إبطه، ولم يكن لنا ظرف [نضع]الطعام فيه. (رواه الترمذي) وفي الجامع بتقديم: لقد أوذيت. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عنه. (وقال:) أي الترمذي. وفي نسخة: قال. (ومعنى هذا الحديث حين خرج النبي ﷺ هارباً من مكة) أي فاراً من الخلق إلى الله كما قال تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات ـ ٥٠]. رُوِيَ أنه ﷺ خرج من مكة هارباً إلى عبد ياليل بالطائف ليحميه من كفار مكة حتى يؤدي رسالة ربه، فسلط عليه صبيانه فرموه بالأحجار حتى أدموا كعبه ﷺ، كذا ذكره بعضهم. وفي المواهب اللدنية [أن]خروجه عليه الصلاة والسلام إلى الطائف كان بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوّال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب، وكان معه زيد بن حارثة. فأقام به شهراً

الحديث رقم ٥٢٥٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٦ حديث رقم ٢٤٧٢. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٤ حديث رقم ١٥١. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٠.

ومعه بلال، إنما كان مع بلال من الطعام ما يحملُ تحتَ إِبطه.

٥٢٥٤ ـ (٢٤) وعن أبي طلحة، قال: شكونا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ الجوعَ، فرفعنا عن بطونِنا عن حَجرٍ حَجَرٍ،

يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه. قال موسى ابن عقبة: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاء بالدماء، زاد غيره: وكان إذا أزلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجاً. وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد. قال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب. فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبرائيل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، [إن شئت] أن أطبق عليهم الأخشبين. وفي القاموس: هما جبلا مكة أبو قبيس والأحمر أو جبلا مني. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً. وعبد ياليل بتحتانية بعدها ألف فلام مكسورة فتحتانية ساكنة، فلام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام. وكان عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف، وقرن الثعالب هو ميقات أهل نجد ويقال له: قرن المنازل. وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه فأتى تحت ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني، أي يلقاني بغلظة ووجه كريه على ما في النهاية، أم إلى صديق قريب كلفته أمري إن لم تكن غضباناً علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. ثم قوله: **(ومعه بلال)** لا ينافي كون زيد بن حارثة معه أيضاً مع احتمال تعدد خروجه عليه [الصلاة]والسلام، لكن أفاد بقوله: معه بلال. إنه لم يكن هذا الخروج في الهجرة من مكة إلى المدينة لأنه لم يكن معه بلال حينئذ. **(إنما كان مع بلال من الطعام ما يحمل تحت إبطه)** وهو كناية عن كمال قلته وخفة مؤونته.

٥٢٥٤ ـ **(وعن أبي طلحة قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ)** وفي نسخة: إلى النبي ﷺ. **(الجوع فرفعنا عن بطوننا)** أي فكشفنا ثيابنا عنها كشفاً صادراً **(عن حجر حجر)** أي لكل منا

الحديث رقم ٥٢٥٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠٦ حديث رقم ٢٣٧١.

فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين. رواه الترمذيُّ وقال: هذا حديث غريب.

٥٢٥٥ ـ (٢٥) وعن أبي هريرة، أنه أصابهم

حجر [واحد، ورفع عنه. فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلك]. **(فرفع رسول الله ﷺ [عن بطنه]عن حجرين)** قال الطيبي [رحمه الله]: عن الأولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف، والثانية صفة مصدر محذوف، أي كشفنا عن بطوننا كشفاً صادراً عن حجر. ويجوز أن يحمل التنكير في حجر على النوع، أي عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلاً. وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه أن يشد على بطنه حجراً ليتقوم به صلبه انتهى. وتوضيحه أن تعلق حرفي جر بمعنى لعامل في مرتبة واحدة غير جائز، وأما تعلق الثاني بعد تقييد الأول فجائز كما تقرر في محله. فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لا غبار عليه. وأما تجويز البدل على أنه بدل اشتمال بإعادة الجار، مع أن بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير المبدل فمبني على أن يراد بالحجر النوع، والتقدير عن حجر مشدود عليها. وكلام الطيبي [رحمه الله]يوهم أن القول بالبدل كلامه، وقد نقل ميرك عن زين العرب أنه قال: بدل اشتمال كما تقول: زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق. ثم قيل: فائدة شد الحجر على البطن أن لا يدخل النفخ في الأمعاء الخالية، وأن نفس شد الأمعاء إعانة على شد الصلب. وقيل: إنما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن وينزل المعي فيشق التحرك، فإذا ربط حجراً على بطنه يشتد بطنه وظهره فيسهل عليه الحركة، وإذا اشتد الجوع يربط حجرين. فكان رسول الله ﷺ أكثرهم جوعاً وأكثرهم رياضة فربط على بطنه حجرين. قال صاحب المظهر: وهذا عادة أصحاب الرياضة. وقال ابن حجر [رحمه الله]: هذا عادة العرب أو أهل المدينة. وقال صاحب الأزهار في ربط الحجر على البطن أقوال أحدها: إن ذلك أحجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا إذا جاع أحدهم يربط على بطنه حجراً من ذلك، وكأن الله تعالى خلق فيه برودة تسكن الجوع والحرارة. وقال بعضهم: يقال لمن يؤمر بالصبر: اربط على قلبك حجراً، فكأنه ﷺ أمر بالصبر وأمر أمته بالصبر قالاً وحالاً والله [تعالى]أعلم. **(رواه الترمذي)** أي في جامعه **(وقال: هذا حديث غريب)** وهو ما يتفرد بروايته عدل ضابط من رجال النقل، فإن كان المنفرد برواية متنه فهو غريب متناً أو بروايته عن غير المعروف عند من كان يعرف الحديث عن صحابي، فيرويه عدل وحده عن صحابي آخر فهو غريب إسناداً. وهذا هو الذي يقول فيه الترمذي: غريب من هذا الوجه. وقد صرح في الشمائل بقوله: هذا حديث غريب من حديث أبي طلحة لا نعرفه إلا من هذا الوجه انتهى. فغرابته ناشئة عن طريق أبي طلحة لا من سائر الطرق مع أنه قال ميرك: رواته ثقات.

٥٢٥٥ ـ **(وعن أبي هريرة أنه أصابهم)** أي الصحابة. والظاهر أنهم أصحاب الصفة.

الحديث رقم ٥٢٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٧ حديث رقم ٢٤٧٤. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٢ حديث رقم ٤١٥٧.

جوعٌ فأعطاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ تمرَةً تمرةً. رواه الترمذيُّ.

٥٢٥٦ ـ (٢٦) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال: «خصلتانِ من كانتا فيه كَتَبَه اللَّهُ صابراً شاكراً: من نظر في دينه إِلى من هو فوقه، فاقتدى به، ونظر في دنياه إِلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضلَّهُ الله عليه؛ كتبه الله شاكراً صابراً. وَمَنْ نَظَرَ في دينه إِلى من هو دونه، ونَظَرَ في دنياه إِلى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فأسِفَ على ما فاته منه؛

(جوع) أي شديد. والظاهر أنه في سفر بعيد. **(فأعطاهم رسول الله ﷺ تمرة تمرة)** أي مقداراً قليلاً من التمر بحيث عند توزيعه عليهم وتقسيمه إليهم وصل لكل واحد منهم تمرة واحدة إذ كانوا أربعمائة بل أكثر، وربما وقعت البركة في تلك التمرة حتى كانت ثمرتها رفع المحنة وحبتها أنتجت المحبة التي فوق كل منجة. **(رواه الترمذي)**.

٥٢٥٦ ـ **(وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه)** أي ابن عمرو على ما صرح به في الجامع، **(عن رسول الله ﷺ قال: خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابراً شاكراً)** أي مؤمناً كاملاً لقوله تعالى: **﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾** [إبراهيم ـ ٥، لقمان ـ ٣١، سبأ ـ ١٩، الشورى ـ ٣٣]. وفي الحديث: الإِيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر[١]. فالصبر عن السيئات والشكر على الطاعات. وزاد في الجامع: ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً[٢]. **(من نظر في دينه)** أي خصلة من نظر في أمر دينه من الأعمال الصالحة **(إلى من هو فوقه)** أي إلى من هو أكثر منه علماً وعبادة وقناعة ورياضة أحياء وأمواتاً. **(فاقتدى به)** أي في الصبر على مشاق الطاعات وعن ارتكاب السيئات، أو تأسف على ما فاته من الكمالات. ويمكن أن يكون قوله: من نظر، استئنافاً مبيناً للصابر والشاكر المتضمن للخصلتين المبهمتين إحداهما هذه، والثانية مبينة بقوله: **(ونظر في دنياه إلى من هو دونه)** أي إلى من هو أفقر منه وأقل منه مالاً وجاهاً. **(فحمد الله على ما فضله الله عليه)** أي فشكره على ما زاده عليه من فضله. وفي رواية الجامع: فحمد الله على ما فضله به. **(كتبه الله شاكراً)** أي للخصلة الثانية **(صابراً)** أي للخصلة السابقة. ففيه لف ونشر مشوش اعتماداً على فهم ذوي العقول بالنسبة إلى الفذلكة وإن كان مرتباً باعتبار المقدمة. ولما كان المفهوم قد يعتبر وقد لا يعتبر ومع اعتباره المنطوق أقوى أيضاً صرح بما علم ضمناً حيث قال: **(ومن نظر في دينه إلى من هو دونه)** أي في الأعمال الصالحة وأنتجه الغرور والعجب والخيلاء **(ونظر في دنياه إلى من هو فوقه)** أي من أصحاب المال والجاه وأورثه الحرص والأمل والرياء **(فأسف)** بكسر السين، أي حزن. **(على ما فاته منه)** أي من المال وغيره بعدم وجوده أو بحصول فقده. وقد قال تعالى: **﴿لكيلا تأسوا**

الحديث رقم ٥٢٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٤ حديث رقم ٢٥١٢ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٧ حديث رقم ٤١٤٢.

(١) البيهقي في شعب الإِيمان ٧/ ١٢٣ حديث رقم ٩٧١٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٣٨ حديث رقم ٣٩١٨.

لم يكتبه اللَّهُ شاكراً ولا صابراً». رواه الترمذي.

وذكر حديث أبي سعيد: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين» في بابٍ بعد فضائل القرآن.

الفصل الثالث

٥٢٥٧ ـ (٢٧) عن أبي عبد الرحمٰن الحُبُلِيِّ، قال سمعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو، وسأله رجلٌ قال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنُه؟ قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياءِ. قال: فإن لي خادماً، قال: فأنت من الملوك.

على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) [الحديد ـ ٢٣]وَرُوِيَ عنه ﷺ: من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة[١]. **(لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً)** لعدم صدور واحد منه بل قام بضديهما من الكفران والجزع والفزع باللسان والجنان. **(رواه الترمذي: وذكر حديث أبي سعيد:)** أي في ضمن حديث طويل صدره يناسب باب القراءة **(ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين)** أي بالفوز التام يوم القيامة: تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة رواه أبو داود. **(في باب)** أي بغير عنوان **(بعد فضائل القرآن)** أي بعد كتاب فضائل القرآن.

(الفصل الثالث)

٥٢٥٧ ـ **(عن أبي عبد الرحمٰن الحبلي)** بحاء مهملة وموحدة وضمها. قال المؤلف: اسمه عبد الله بن يزيد المصري تابعي. **(قال: سمعت عبد الله بن عمرو)** بالواو. قال الطيبي: لا بد من محذوف، أي سمعته يقول قولاً يفسره ما بعده. أقول: ويمكن أن يقدر مضاف ويقال: سمعت قول عبد الله بن عمرو. **(وسأله)** أي وقد سأله **(رجل قال:)** أي الرجل استئناف مبين. **(ألسنا)** أي نحن وأمثالنا **(من فقراء المهاجرين)** أي من خواصهم الذين يسبقون أغنياءهم. **(فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها)** أي تضمها وتسكن إليها وتقبل عليها **(قال: نعم. قال: ألك مسكن)** بفتح الكاف وتكسر، أي مكان. **(تسكنه. قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء)** أي أغنياء المهاجرين، فإن فقراءهم ما كان لهم امرأة ولا مسكن، أو إن كان لأحدهم أحدهما ما كان له الآخر منهما. **(قال: فإن لي خادماً)** أي عبداً أو جارية، أو أجيراً[٢] زيادة على ما سبق. **(قال: فأنت من الملوك)** أي ولا يصح أن يقال لك الصعلوك، فلست من

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥١٣ حديث رقم ٨٤٣٢ وقال أخرجه الرازي في شيخته.

الحديث رقم ٥٢٥٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٥ حديث رقم (٣٧ ـ ٢٩٧٩).

(٢) في المخطوطة «أخيران ولي».

قالَ عبد الرحمٰن: وجاءَ ثلاثةُ نَفَرٍ إلى عبدِ اللّهِ بنِ عمرٍو وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد! إنّا واللهِ ما نقدرُ على شيءٍ، لا نفقةٍ ولا دابة ولا متاع. فقال لهم: ما شئتم إن شئتم رجعتم إلينا، فأعطيناكم ما يسَّر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمرَكم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياءَ يومَ القيامةِ إلى الجنةِ بأربعين خريفاً». قالوا: فإنّا نصبرُ لا نسألُ شيئاً. رواه مسلم.

٥٢٥٨ - (٢٨) وعن عبدِ الله بنِ عمْرٍو، قال: بينما أنا قاعدٌ في المسجدِ وحلقةٌ من فقراءِ المهاجرينَ قُعودٌ

صعاليك المهاجرين. ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى: ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ [المائدة - ٢٠]. على ما رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وجعلكم ملوكاً﴾. قال: الزوجة والخادم. وزاد ابن جرير عنه: وكان الرجل من بني إسرائيل إذا كانت له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكاً. **(قال عبد الرحمٰن:)** هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة. وصوابه أبو عبد الرحمٰن لما سبق. قال السيد جمال الدين المحدث: هكذا في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها وهو غلط ظاهر، والصواب أبو عبد الرحمٰن وهو راوي الحديث كما في مسلم. **(وجاء ثلاثة نفر)** بالإضافة كقوله تعالى: ﴿تسعة رهط﴾. والجملة عطف على قوله: وسأله رجل. أي والحال أنه أتى ثلاثة نفر فقراء. **(إلى عبد الله بن عمرو وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد والله لا نقدر على شيء لا نفقة)** تعميم مبين **(ولا دابة)** أي لنجاهد عليها أو نحج بها **(ولا متاع)** أي زائد يباع ويصرف ثمنه في النفقة والدابة. **(فقال لهم: ما شئتم)** ما استفهامية، أي أي شيء شئتم. ويمكن أن تكون موصولة مبتدأ والخبر محذوف، أي ما أردتم من الأمور المعروضة عليكم فعلناه. **(إن شئتم)** أي أن نعطيكم شيئاً من عندنا. **(رجعتم إلينا)** فإنه لا يحضرنا الآن شيء. **(فأعطيناكم)** أي بعد هذا **(ما يسر الله لكم)** أي ما سهله على أيدينا **(وإن شئتم)** أي أن نرفع أمركم إلى الخليفة، أو من يقوم مقامه. **(ذكرنا أمركم للسلطان)** أي للمتسلط على خزانة بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم البال. **(وإن شئتم صبرتم)** أي على هذه الحال فإنه مقام أرباب الكمال وأصحاب حسن المآل وطيب المنال. **(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء)** أي أغنياءهم فضلاً عن غيرهم **(يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً)**. أي سنة **(قالوا: فإنا نصبر لا نسأل شيئاً)** أي حال كوننا لا نطلب شيئاً من أحد بعد ذلك. **(رواه مسلم)**.

٥٢٥٨ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: بينا)** وفي نسخة: بينما. **(أنا قاعد في المسجد)** أي مسجد المدينة **(وحلقة)** بفتح فسكون ويفتح، أي وجماعة متحلقة وقلوبهم به متعلقة. **(من فقراء المهاجرين قعود)** أي قاعدون أو ذوو قعود. ففي القاموس: حلقة الباب والقوم، وقد يفتح لامها ويكسر، أو ليس في الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق، أو لغة

الحديث رقم ٥٢٥٨: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٤.

إذ دخلَ النبيُّ ﷺ، فقعدَ إليهم، فقُمتُ إليهم، فقال النبيُّ ﷺ: «لِيُبَشَّرْ فقراءُ المهاجرينَ بما يسرُّ وجوهَهم، فإنهم يدخلونَ الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بأربعينَ عاماً» قال: فلقدْ رأيتُ ألوانَهم أسْفَرت. قال عبدُ الله بنُ عمْرٍو: حتى تمنَّيتُ أن أكونَ معهم أو منهم. رواه الدارمي.

٥٢٥٩ ـ (٢٩) وعن أبي ذرّ، قال: أمرَني خليلي بسبعٍ: أمرني بحبِّ المساكينِ والدنوِّ منهُم، وأمرني أن أنظرَ إلى منْ هوَ دُوني ولا أنظرَ إلى مَن هوَ فَوقي، وأمرني أن أصلَ الرَّحمَ وإن أدبرتْ، وأمرني أنْ لا أسألَ أحداً شيئاً،

ضعيفة والجمع حلق محركة أو كبدر. **(إذ دخل النبي ﷺ فقعد إليهم)** أي فجلس متوجهاً إلى الفقراء لقوله تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** [الكهف ـ ٢٨]الآية. **(فقمت إليهم)** أي مائلاً إليهم ميلاً للمتابعة ونيلاً للقربة لديهم، ولأطلع على كلام من طلع عليهم. **(فقال النبي ﷺ ليبشر)** أمر مجهول من التبشير[(١)]، ويجوز من البشارة أريد به الخبر أو الدعاء. **(فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم)** [بالنصب]، أي بشيء يفرح قلوبهم ويظهر أثر السرور على ظاهر أشرف بشرتهم وألطف جلدتهم. وفي نسخة: برفع وجوههم، فيكون التقدير بما يسر به وجوههم. **(فإنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين عاماً. قال:)** أي ابن عمرو **(فلقد)** اللام جواب القسم، أي فوالله لقد: **(رأيت ألوانهم أسفرت)** أي أضاءت، من الإسفار وهو إشراق اللون. قال الله تعالى: **﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾** [عبس ـ ٣٨]. **﴿والصبح إذا أسفر﴾** [المدثر ـ ٣٤]. وفي الحديث: أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر. **(قال عبد الله بن عمرو: حتى تمنيت)** متعلقة بأسفرت، أي أشرقت إشراقاً كاملاً تاماً حتى وددت **(أن أكون معهم)** أي في الدنيا دائماً موصوفاً بحالهم أو منهم أي في العقبى محشوراً في زمرتهم وحسن مآلهم. فأو للتنويع أو للشك. والمعنى: أحببت أن أكون من جملة فقراء المهاجرين. **(رواه الدارمي)** ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد ولفظه: ليبشر فقراء المهاجرين بالفوز يوم القيامة قبل الأغنياء بمقدار خمسمائة عام، هؤلاء في الجنة ينعمون وهؤلاء يحاسبون.

٥٢٥٩ ـ **(وعن أبي ذر قال: أمرني خليلي)** أي حبيبي ورسولي **(بسبع.)** أي بسبع خصال **(أمرني بحب المساكين والدنو منهم)** أي والقرب من حالهم أو التقرب من مآلهم. **(وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني)** أي في الأمور الدنيوية **(ولا أنظر إلى من هو فوقي)** أي في المال والجاه والمناصب الدنية **(وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت)** أي ولت بأن غابت أو بعدت. والمراد أهلها. ويؤيده حديث: «صلوا أرحامكم ولو بالسلام» وقال الطيبي [رحمه الله]: أي وإن قطعت على ما ورد صل من قطعك. وأسند الإدبار إلى الرحم مجازاً لأنه لصاحبها. **(وأمرني أن لا أسأل)** أي لا أطلب **(أحداً شيئاً)** ومن دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن

---

(١) في المخطوطة «البشرى».

الحديث رقم ٥٢٥٩: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٥٩.

وأمرني أن أقول بالحقّ وإنْ كانَ مُرّاً، وأمرني أنْ لا أخافَ في اللَّهِ لوْمَةَ لائمٍ، وأمرني أنْ أُكثرَ منْ قولِ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله؛ فإنهنَّ من كنزٍ تحتَ العرشِ.

سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك. ويمكن أن يكون أحداً على عمومه بناء على ما قاله بعض أرباب الكمال إلهي: كفى علمك بالحال عن المقال وكرمك عن السؤال، وهو المقام الجليل المأخوذ من حال الخليل حيث قال له جبريل: آلك حاجة. قال: أما إليك فلا. قال: فسل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. وهو معنى قوله تعالى حكاية عن [قول] أصحاب الجميل: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران ـ ١٧٣]. وفي الحكم لابن عطاء الله: ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي أن يرفعها إلى خليقته[(١)]. **(وأمرني أن أقول بالحق)** أي أتكلم به **(وإن كان مراً)** أي على السامع، أو صعباً عليّ. **(وأمرني أن لا أخاف)** أي ظاهراً أو باطناً **(في الله)** أي في حقه أو في سبيله ولأجله **(لومة لائم)** ملامة أحد من خلقه **(وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلا بالله)** أي للاستعانة على الطاعة وإصابة المصيبة والإستعانة على دفع المعصية، خصوصاً العجب والغرور والمخيلة. **(فإنهن)** أي هذه الكلمات **(من كنز تحت العرش)** أي من جملة كنز معنوي موضوع تحت عرش الرحمٰن لا يصل إليه أحد إلا بحول الله وقوّته، أو كنز من كنوز الجنة لأن العرش سقفها. وأبعد من قال: فإنهن أي الخصال السبع من كنز تحت العرش إذ لا طائل تحته، بل ورد من طرق كثيرة أخرجه الستة عن أبي موسى الأشعري، وأحمد والبزار عن أبي هريرة، والطبراني عن معاذ، والنسائي عن أبي هريرة وأبي ذر أيضاً مرفوعاً: قل: لا حول ولا قوّة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة[(٢)]. واختلف العلماء في معناه. فقيل: سمى هذه الكلمة كنزاً لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته من أعين الناس، أو أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة. وقال النووي: المعنى أن قولها يحصل ثواباً نفيساً يدخر لصاحبه في الجنة انتهى. ويحتمل أن يقال: إنها كنز من كنوز الجنة العاجلة فمن قام بها وأدرك معناها واستمر على مبناها فإنه ظفر بكنز عظيم مشتمل على كنوز لا يعرف كنهها ومنتهاها. فقد روى البزار عن ابن مسعود قال: كنت عن النبي ﷺ فقلتها فقال: تدري ما تفسيرها. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوّة على طاعة الله إلا بعون الله. قال النووي [رحمه الله]: هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك شيئاً وليس له حيلة في دفع شر، ولا قوّة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى انتهى. فيكون صاحبها في ملك جسيم وكنز عظيم حال كونه حاضراً بقلبه مشاهداً فعل ربه بالنسبة إلى جميع خلقه، فصح ما قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦]. جنة في الدنيا وجنة في

(١) الحكم العطائية ص ١٣١ الحكمة رقم ١٩١.

(٢) البخاري في صحيحه ١١/ ٢١٣ حديث رقم ٦٤٠٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٧٦ حديث رقم ٢٧٠٤. وأبو داود في السنن ٢/ ١٨٢ حديث رقم ١٥٢٦. والترمذي في السنن ٥/ ٤٧٥ حديث رقم ٣٤٦١. وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٨.

رواه أحمد.

٥٢٦٠ ـ (٣٠) وعن عائشةَ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُعجبُه من الدُّنيا ثلاثةٌ: الطعامُ، والنساءُ، والطيبُ، فأصابَ آثنينِ، ولم يُصِبْ واحداً، أصابَ النساءَ والطيبَ، ولم يُصبِ الطعامَ. رواه أحمد.

٥٢٦١ ـ (٣١) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُبِّبَ إِليَّ الطيبُ والنساءُ، وجُعلتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاةِ».

العقبى. وقال بعض الصوفية في معنى قول رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. أرادت أن الاعتذار من الذنب مشتمل على ذنوب كثيرة تستحق أن تكون كبيرة من دعوى الوجود الأصلي ودعوى الفعل الحقيقي ودعوى الاقتدار الاستقلالي، وقد قال ﷺ إيماء إلى نفي ما سوى الله: لا حول ولا قوّة إلا بالله. **(رواه أحمد)**.

٥٢٦٠ ـ **(وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه من الدنيا ثلاثة)** أي ثلاثة أشياء كما في رواية. **(الطعام)** أي حفظاً لبدنه وتقوية على دينه **(والنساء)** أي صوناً لنفسه النفيسة عن الخواطر الخسيسة **(والطيب)** أي لتقوية الدماغ الذي هو محل العقل عند بعض الحكماء **(فأصاب اثنين)** أي شيئين بوصف الكثرة **(ولم يصب واحداً. أصاب النساء)** أي حتى بلغ تسعاً، والطيب أي من الخارج مع أن عرقه كان من أفضل أنواع الطيب. **(ولم يصب الطعام)** أي إلا بوصف القلة، فإطلاق النفي للمبالغة لما سبق من أنه ﷺ لم يشبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض. وأغرب الطيبي [رحمه الله]في قوله: أي لم يكثر من إصابته إكثارهما، حيث إنه يوهم أنه وقع له إكثار من الطعام أقل من إكثار النساء والطيب. **(رواه أحمد)** قال السيوطي [رحمه الله]في تخريج أحاديث الشفاء: إسناده صحيح إلا أن فيه رجلاً لم يسم.

٥٢٦١ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: حبب إليّ)** أي من دنياكم كما في رواية **(الطيب والنساء وجعلت قرّة عيني في الصلاة)** كذا في نسخ المشكاة بلفظ: جعلت. وكأنه غير موجود في أصل الطيبي [رحمه الله]. كما ورد في رواية. أو غفل عنه حيث قال: قوله: قرة عيني في الصلاة. جملة اسمية عطفت على جملة فعلية لدلالته على الثبات والدوام في الثانية والتجدد في الأولى. قلت: وفيه بحث، إذ القول بالتجدد إنما هو في الفعل المضارع، وأما الماضي فهو للثبات حتى إذا عبر عن المضارع بالماضي يعلل بأنه لتحققه كأنه قد وقع. قال: وجيء بالفعل المجهول دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه وأنه مجبور على الحب رحمة للعباد، بخلاف الصلاة فإنها محبوبة لذاتها. ومنه قوله ﷺ: «أرحنا يا بلال»[1]، أي

الحديث رقم ٥٢٦٠: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٧٢.

الحديث رقم ٥٢٦١: أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٣٩. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٨.

(١) أبو داود في السنن ٥/ ٢١٢ حديث رقم ٤٩٨٥.

رواه أحمد، والنسائي. وزادَ ابنُ الجَوزيِّ بعد قولِه: «حُبِّبَ إليَّ» «منَ الدنيا».

٥٢٦٢ ـ (٣٢) وعن معاذِ بن جبلٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما بَعثَ بهِ إلى اليمنِ، قال: «إياكَ والتَّنعُّمَ؛ فإنَّ عبادَ الله ليسوا بالمتنعِّمينَ».

اشغلنا عما سواها بها فإنه تعب وكدح وإنما الاستراوح في الصلاة فأرحنا بندائك بها. (رواه أحمد والنسائي) وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب كذا في الجامع[1]. وذكر ابن الربيع في مختصر المقاصد للسخاوي أن الطبراني رواه في الكبير والنسائي في سننه بهذا اللفظ، والحاكم في مستدركه بدون لفظ: جعلت. وقال: إنه صحيح على شرط مسلم. وأما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوي: لم أقف عليه إلا في موضعين من الإحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش، وبذلك صرح الزركشي فقال: إنه لم يرد فيه لفظ: ثلاث. قال: وزيادته محيلة للمعنى، فإن الصلاة ليست من الدنيا. (وزاد ابن الجوزي بعد قوله: حبب إلي من الدنيا) أي قوله: من الدنيا. منصوباً على أنه مفعول زاد: وقد ذكر الحافظ السيوطي في الفتاوى الحديثية مسألة قوله ﷺ: حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة. لم بدأ النساء وأخر الصلاة، الجواب: لما كان المقصود من سياق الحديث ما أصاب النبي ﷺ من متاع الدنيا بدأ به كما قال في الحديث: ما أصابنا من دنياكم هذه إلا النساء[2]. ولما كان الذي حبب إليه من متاع الدنيا هو أفضلها وهو النساء بدليل قوله في الحديث الآخر: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»[3]. ناسب أن يضم إليه بيان أفضل الأمور الدينية وذلك الصلاة، فإنها أفضل العبادات بعد الإيمان. فكان الحديث على أسلوب البلاغة من جمعه بين أفضل أمور الدنيا وأفضل أمور الدين، وفي ذلك ضم الشيء إلى نظيره. وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به في أمر الدنيا على مجرد التحبيب. وقال في أمر الدين: جعلت قرة عيني. فإن قرة العين من التعظيم في المحبة ما لا يخفى انتهى. ولعل السكوت عن الطيب لأنه تابع للنساء وجوداً وعدماً على ما في الروايتين. ثم الصلاة عند الجمهور محمولة على العبادة المعروفة. وقيل: المراد بالصلاة في هذا الحديث الصلاة عليه ﷺ وشرفه لديه.

٥٢٦٢ ـ (**وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ لما بعث به**) أي أرسله (**إلى اليمن**) أي قاضياً ووالياً (**قال: إياك والتنعم**) وهو المبالغة في تحصيل قضاء الشهوات على وجه التكلف في البغية بتكثير النعمة والحرص على النهمة (**فإن عباد الله**) أي المخلصين (**ليسوا بالمتنعمين**) بل التنعم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالى: ﴿**ذرهم يأكلوا**

---

(١) الجامع الصغير ١/٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٩. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٦٠.

(٢) الطبراني في الكبير. كذا في الجامع الصغير ٢/٤٧٨ حديث رقم ٧٨٢١.

(٣) مسلم في صحيحه ٢/١٠٩٠ حديث رقم ١٤٦٧.

الحديث رقم ٥٢٦٢: أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٤٣.

رواه أحمد.

٥٢٦٣ ـ (٣٣) وعن عليّ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن رضيَ منَ اللَّهِ باليَسيرِ منَ الرِّزقِ رضيَ اللَّهُ منه بالقليلِ من العملِ».

٥٢٦٤ ـ (٣٤) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن جاعَ أو احتاجَ، فكتمَه[1] الناسَ؛ كانَ حقّاً على اللَّهِ عزَّ وجلَّ أنْ يَرْزُقَهُ رِزقَ سنةٍ من حلالٍ».

ويتمتعوا ويلههم الأول فسوف يعلمون ﴾ [الحجر ـ ٣]. وقال: ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ [محمد ـ ١٢]. وقال: ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ﴾ [الواقعة ـ ٤٥]. (رواه أحمد) وكذا البيهقي في شعب الإيمان.

٥٢٦٣ ـ **(وعن علي كرم الله وجهه قال: قال رسول الله ﷺ: من رضي من الله باليسير من الرزق)** أي من قنع منه بقليل من العطاء **(رضي الله منه)** وفي نسخة: عنه. **(بالقليل)** وفي نسخة: باليسير. **(من العمل)** أي من الطاعة. وفي حديث رواه ابن عساكر عن عائشة: من رضي عن الله رضي الله عنه[1]. فإن قلت: هذا الحديث يدل على أن رضا العبد مقدم، وفي قوله سبحانه: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة ـ ١١٩، التوبة ـ ١٠٠، المجادلة ـ ٢٢، البينة ـ ٨]. إيماء إلى أن رضا العبد متأخر. قلت: التحقيق أن رضا العبد محفوف برضاءين من الله، رضا أزلي تعلق به العلم الأولي، ورضا أبدي تعلق بعمل العبد يترتب عليه الجزاء الأخروي. وفي الحقيقة رضا العبد إنما هو أثر رضا الله عنه أولاً، وأما رضا الله آخراً فإنما هو غاية الرضا الذاتي من النعت الصفاتي وهو الإحسان والإنعام. وكذلك القول في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة ـ ٥٤]. وقوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران ـ ٣١].

٥٢٦٤ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: من جاع)** أي في نفسه بالفعل **(أو احتاج)** أي إلى ما يدفع الجوع أو غيره، فأو للتنويع. **(فكتمه[2] الناس)** قيل: أي من الناس. ففيه إشارة إلى أن الرواية بتخفيف التاء وأنه متعد إلى واحد، فنصب الناس على نزع الخافض. ويحتمل أن تكون الرواية بتشديدها وأنه حينئذ متعد إلى اثنين على ما في القاموس: كتمه كتماً وكتماناً وكتمه إياه. **(كان حقاً على الله عزّ وجلّ)** أي وعداً ثابتاً عليه أو أمراً لازماً لديه[3]. **(أن يرزقه رزق سنة من حلال)** والمراد بالجوع جوع يتصور معه الصبر ويجوز فيه الكتمان، وإلا فقد صرح العلماء بأن الشخص إذا مات جوعاً ولم يسأل أو لم يأكل ولو من الميتة يموت

الحديث رقم ٥٢٦٣: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٣٩ حديث رقم ٤٥٨٥.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٢٧ حديث رقم ٨٧٠٦.

الحديث رقم ٥٢٦٤: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢١٥ حديث رقم ١٠٠٥٤.

(٢) في المخطوطة «فكتم». (٣) في المخطوطة «إليه».

رواهما البيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٦٥ ـ (٣٥) وعن عِمْرانَ بنِ حُصينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ يُحبُّ عبدَه المؤمنَ الفقيرَ المتعفِّفَ أبا العيالِ». رواه ابن ماجه.

٥٢٦٦ ـ (٣٦) وعن زيدِ بنِ أسلَمَ، قال: استسقى يوماً عمَرُ، فجيءَ بماءٍ قد شيبَ بعسلٍ، فقال: إنَّه لطيِّبٌ؛ لكني أسمعُ اللّهَ عزَّ وجلَّ نعى على قومٍ شهواتِهم فقال: ﴿**أذهبتُم طيّباتِكم في حياتِكم الدنيا واستمتعتُمْ بها**﴾ فأخافُ أن تكونَ حسناتُنا عُجّلَتْ لنا، فلم يشربْه. رواه رزين.

عاصياً. (**رواهما**) أي الحديثين (**البيهقي في شعب الإِيمان**).

٥٢٦٥ ـ (**وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب عبده المؤمن من الفقير المتعفف أبا العيال**) المعنى أنه مع كونه صاحب العيال وفقير الحال وكسير البال تعفف عن السؤال، فهو المؤمن على وجه الكمال فلذا أحبه ذو الجلال والجمال. (**رواه ابن ماجه**).

٥٢٦٦ ـ (**وعن زيد بن أسلم**) قال المؤلف: يكنى أبا أسامة مولى عمر بن الخطاب مدني من أكابر التابعين سمع جماعة من الصحابة، وروى عنه الثوري وأيوب السختياني ومالك وابن عيينة. مات سنة ست وثلاثين ومائة. (**قال: استسقى**) أي طلب الماء (**يوماً عمر فجيء بماء قد شيب**) بكسر أوله، أي خلط. (**بعسل فقال: إنه**) أي ماء العسل (**الطيب**) أي طبعاً وشرعاً ورفعاً ونفعاً (**لكنني أسمع الله عزّ وجلّ**) قال الطيبي [رحمه الله]: مستدرك عن مقدر، يعني إنه لطيب أشتهيه لكني أعرض عنه لأني سمعت الله عزّ وجلّ (**نعى**) أي عاب (**على قوم شهواتهم**) أي استيفاءها (**فقال: ﴿أذهبتم﴾**) بهمزة إنكار مقدرة وهي في قراءة موجودة أذهبتم (**﴿طيباتكم﴾**) أي أخذتم لذاتكم (**﴿في حياتكم الدنيا﴾**) أي في مدة الحياة الدنيوية الدنية. (**﴿واستمتعتم بها﴾**)[1] أي متابعة للشهوات النفسية وما تركتم شيئاً ذخيرة للدار الأخروية. (**فأخاف أن تكون حسناتنا**) أي مثوباتها (**عجلت لنا**) قال الطيبي [رحمه الله]: أي ثواب حسناتنا التي نعملها نستوفيها في الدنيا قبل الآخرة. قال تعالى: ﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً**﴾ [الإسراء ـ ١٨]. قلت: الآيتان وإن كانتا نزلتا[2] في الكفار، لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (**فلم يشربه**) أي لم يشرب عمر ذلك الماء تورعاً ومخالفة للنفس والهوى. (**رواه رزين**).

الحديث رقم ٥٢٦٥: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٨٠ حديث رقم ٤١٢١.

الحديث رقم ٥٢٦٦: رواه رزين.

(١) سورة الأحقاف. آية رقم ٢٠. (٢) في المخطوطة «أنزلت».

٥٢٦٧ ـ (٣٧) وعن ابنِ عمَرَ، قال: ما شبِعنا من تمرٍ حتى فتَحْنا خَيبرَ. رواه البخاريُّ.

(٢) باب الأمل والحرص

٥٢٦٧ ـ (وعن ابن عمر قال: ما شبعنا) أي أهل بيت عمر، أو نحن معشر الصحابة معه ﷺ وهو الأظهر. (حتى فتحنا خيبر. رواه البخاري).

(باب الأمل والحرص)

الجوهري: الأمل الرجاء. وقال الراغب: الحرص فرط الشره في الإرادة. قال تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾ [النحل ـ ٣٧]. أي [إن]تفرط إرادتك في هدايتهم. وفي القاموس: أسوأ الحرص أن تأخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك انتهى. والمراد بالأمل هنا طول الأمل في أمر الدنيا غافلاً عن الاستعداد للموت وزاد العقبى كما قال سبحانه: ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل﴾ [الحجر ـ ٣]. وأما طول الأمل في تحصيل العلم والعمل فمحمود بالإجماع كما قال ﷺ: طوبى لمن طال عمره[١]. وقال: لو عشت إلى قابل لأصومن التاسع[٢]. وكذلك الحرص في أمر جمع المال وكثرة الجاه والإقبال مذموم وإلا فالحرص على القتال وعلى تحصيل العلوم وتكثير الأعمال فمستحسن بلا نزاع. ثم تحقيق الأمل على ما حققه المحققون من أهل اليقين ما ذكره الغزالي في منهاج العابدين [رحمه الله]أنه قال: أكثر علمائنا أنه إرادة الحياة للوقت المتراخي بالحكم، وقصر الأمل ترك الحكم فيه بأن يقيده بالإسناد لمشيئة الله تعالى وعلمه في الذكر، أو بشرط الصلاح في الإرادة. فإذن إن ذكرت حياتك بأن أعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فأنت آمل وذلك منك معصية. إذ هو حكم على الغيب. وإن قيدته بالمشيئة والعلم من الله [تعالى]فقد خرجت عن حكم الآمل فتأمل. وإنما جمع بينهما في العنوان لتلازمهما في الإمكان، وقدم الأمل لأنه الباعث على تأخير العمل، والحرص على الزلل.

الحديث رقم ٥٢٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٢٤٣.

(١) الطبراني في الكبير ذكره السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) مسلم في صحيحه ٢/٧٩٨ حديث ١١٣٤.

الفصل الأول

٥٢٦٨ ـ (١) عن عبدِ الله، قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطّاً مربَّعاً، وخطَّ خطاً في الوسَطِ خارجاً منه، وخطَّ خُططاً صِغاراً إلى هذا الذي في الوسطِ من جانبِه الذي في الوسِط، فقال: «هذا الإِنسانُ، وهذا أجلهُ مُحيطٌ به، وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخطوطُ الصغارُ الأعراضُ، فإِنْ أخطأه هذا نهسَه

(الفصل الأوّل)

٥٢٦٨ ـ **(عن عبد الله)** أي ابن مسعود **(قال: خط النبي ﷺ خطاً مربعاً)** الظاهر أنه كان بيده المباركة على الأرض. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالخط الرسم والشكل **(وخط)** أي خطاً كما في نسخة مصححة. والمعنى: وخط. **(خطاً)** آخر **(في الوسط)** أي وسط التربيع **(خارجاً منه)** أي حال كون الخط خارجاً من أحد طرفي المربع **(وخط خططاً)** بضم الخاء المعجمة والطاء الأولى للأكثر، وجوز فتح الطاء، أي خطوطاً. **(صغاراً)** جمع صغيرة **(إلى هذا)** أي متوجهة ومائلة ومنتهية إلى هذا الخط. **(الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط)** أي من جانبيه اللذين في الوسط. فالمراد بالمفرد الجنس. **(فقال: هذا [الإِنسان])** أي الخط الوسط كذا قاله شارح. والظاهر أن المراد بهذا مركز الدائرة المربعة وإن كان ليس له صورة مستقلة في الخط الظاهري، أو المراد بهذا مجموع التصوير المعلوم خطاً المفهوم ذهناً. فإِن الإِنسان مع ما فيه من الأمل العوارض المنتهية إلى الأجل المشار إليه بهذا، فالتقدير أن الخط المصور مجموعة هو الإِنسان. **(وهذا)** أي الخط المربع **(أجله)** أي مدة أجله ومدة عمره **(محيط به)** أي من كل جوانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه **(وهذا الذي هو خارج)** أي من المربع **(أمله)** أي مرجوه ومأموله الذي يظن أنه يدركه قبل حلول أجله، وهذا خطأ منه لأن أمله طويل لا يفرغ منه[1]، وأجله أقرب إليه منه. **(وهذه الخطط)** أي الخطوط **(الصغار الأعراض)** أي الآفات والعاهات والبليات من المرض والجوع والعطش وغيرها مما يعرض للإِنسان، وهو جمع عرض بالتحريك. **(فإِن أخطأه هذا)** أي أحد الاعراض **(نهسه)** بسين مهملة

الحديث رقم ٥٢٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٥ حديث رقم ٦٤١٧. والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٨ حديث رقم ٢٤٥٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣١. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٣ حديث رقم ٢٧٢٩. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٥.

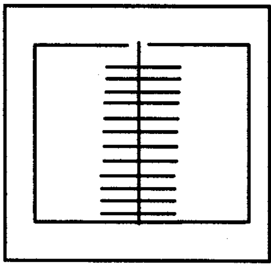
(١) في المخطوطة «عنه».

هذا، وإن أخطأه هذا نهسَه هذا». رواه البخاري.

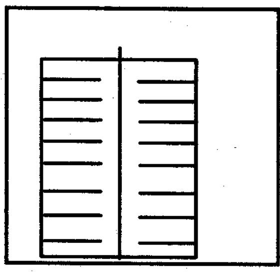
٥٢٦٩ ـ (٢) وعن أنس، قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطوطاً فقال: «هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هوَ كذلكَ إذ جاءَهُ الخطُّ الأقربُ».

وقيل بمعجمة، أي أصابه وعضه. (هذا) أي عرض آخر. وعبر عن الإصابة بالنهش وهو لدغ ذات السم، مبالغة في المضرة. (وإن أخطأه هذا) أي عرض آخر (نهسه هذا) أي عرض آخر وهلم جراً إلى انقضاء الأجل وعدم انتهاء الأمل. وصورة الخط هذه عند بعضهم:

قال الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: هذه الصفة هي المعتدة. وسياق الحديث يتنزل عليه، فالإشارة بقوله: هذا الإنسان إلى النقطة الداخلة، وبقوله: وهذا أجله محيط به إلى المربع، وبقوله: وهذا الذي هو خارج أمله إلى الخط المستطيل المنفرد، وبقوله: وهذه إلى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال، لا أن المراد انحصارها في عدد معين. ويؤيده قوله في حديث أنس بعده: إذ جاءه الأقرب إلى الخط المحيط به. ولا شك أن الذي يحيط به أقرب إليه من الخارج عنه



انتهى. والأولى أن يجعل عدد الخطوط سبعاً لإتيان هذا العدد كثيراً على لسان الشارع ولأنه عشر العدد الذي يعبر به عن الكثرة، مع الإيماء إلى الأعضاء السبعة للإنسان والأطوار السبعة في مراتب الإيقان ومرور الأيام السبعة على دوران الأفلاك السبعة المحيطة بالأراضي السبعة، ثم اعلم أن ما أشار الشيخ به إلى النقطة الداخلة فغير مستفاد من التصوير النبوي ولذا ما صوره غير واحد من الشراح كالطيبي [رحمه الله]. ثم رأيت صورة أخرى غير الصورة المسطورة المشهور وهي هذه:



فهذه الهيئة هي المطابقة لما قاله بعض الشراح والأظهر في التصوير فتدبر. (رواه البخاري).

٥٢٦٩ ـ (وعن أنس قال: خط النبي ﷺ خطوطاً) أي مختلفة على الهيئة المصورة السابقة (فقال: هذا) أي أحد الخطوط وهو الخط الخارج من دائرة التربيع (الأمل) أي أمل الإنسان (وهذا) أي الخط المربع المحيط به (أجله. فبينما هو كذلك) أي بين أوقات هو أي أمره دائر، كما صور في الدائرة بين طلبه الأمل وطلب الأجل إياه. (إذ جاءه الخط الأقرب) وهو الأجل المحيط به من كل جانب وأخطأه الخط الأبعد الخارج من دائرة الإحاطة وهو خطه من قصور الأمل. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فبينما هو كذلك، أي هو طالب لأمله البعيد فتدركه الآفات

الحديث رقم ٥٢٦٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٦ حديث رقم ٦٤١٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٤ حديث رقم ٤٢٣١.

رواه البخاري.

٥٢٧٠ ـ (٣) وعنه، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَهْرِمُ ابنُ آدمَ ويشِبُّ منه اثنانِ: الحرصُ على المالِ، والحرصُ على العمر». متفق عليه.

٥٢٧١ ـ (٤) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يزالُ قلبُ الكبيرِ شابّاً في اثنينِ: في حبِّ الدنيا وطولِ الأملِ». متفق عليه.

التي هي أقرب إليه فتؤديه إلى الأجل المحيط به. وهذا التأويل محمول على معنى الحديث السابق. ويجوز أن يحمل على حديث أبي سعيد في الفصل الثاني أن النبي ﷺ غرز عموداً بين يديه، الحديث. قلت: حمل هذا الحديث مع التصريح بقوله: خط خطوطاً، على الغرز خطأ ظاهر، لأن الظاهر المتبادر أن يكون الخط خطاً ظاهراً. **(رواه البخاري)**.

٥٢٧٠ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: قال رسول الله ﷺ: يهرم)** بفتح الراء أي يشيب كما في رواية، والمعنى: يضعف. **(ابن آدم ويشب)** بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة، أي ينمو ويقوى. **(منه)** أي من أخلاقه **(اثنان)** ففي التاج للبيهقي وكذا في القاموس: إن الهرم كبر السن من باب علم وشب شباباً من باب ضرب. **(الحرص على المال)** أي على جمعه ومنعه **(والحرص على العمر)** أي بتطويل أمله وتسويف عمله وتبعيد أجله. قال النووي [رحمه الله]: قوله: يشب استعارة. ومعناه: أن قلب الشيخ كامل الحب يحتكم احتكاماً مثل احتكام قوّة الشاب في شبابه. قال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله: يهرم، أي بمعنى يشيب. **(متفق عليه)** قال ميرك: هذا لفظ مسلم. ولفظ البخاري: يكبر ابن آدم، والباقي مثله. ورواه الترمذي وابن ماجه انتهى. فقوله: متفق عليه، معناه أنهما اتفقا على روايتهما في المعنى دون اللفظ في جميع المبنى، وهذا مبني على ما ذكره وإلا فلفظ الجامع أيضاً: يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والأمل[1]. رواه أحمد والشيخان والنسائي عن أنس. فالظاهر أن لفظ: يكبر. رواية للبخاري، وأن في الصحيحين روايات متعددة كما يدل عليه كلام السخاوي في المقاصد حديث: يهرم ابن آدم ويبقى فيه اثنان الحرص والأمل. متفق عليه. وفي لفظ: يشيب ابن آدم ويشيب فيه.

٥٢٧١ ـ **(وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: لا يزال قلب الكبير شاباً)** أي قوياً نشطاناً **(في اثنين)** أي في أمرين **(في حب الدنيا)** ويلزم منه كراهة الأجل **(وطول الأمل)** وهو يقتضي تأخير العمل. **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٥٢٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٩ حديث رقم ٦٤٢١. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٤ حديث رقم (١١٥ ـ ١٠٤٧). والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٣٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٤.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٥.

الحديث رقم ٥٢٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٩ حديث رقم ٦٤٢٠. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٤ حديث رقم (١١٤ ـ ١٠٤٦). والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٣٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٣.

٥٢٧٢ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعذَرَ اللّهُ إلى امرىءٍ أخَّرَ أجلَه حتى بلَّغَه ستينَ سنةً». رواه البخاري.

٥٢٧٣ ـ (٦) وعن ابنِ عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لو كانَ لابنِ آدمَ وادِيانِ

٥٢٧٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: أعذر الله)** قيل الهمزة للسلب، أي أزال الله العذر منهياً. **(إلى امرىء أخر أجله)** أي منتهاه. وفي رواية: عمره. **(حتى بلغه)** بتشديد اللام أي أوصله، وفي رواية: حتى بلغ **(ستين سنة)** أي ولم يتب عن ذنوبه ولم يقم بإصلاح عيوبه ولم يغلب خيره شره فيكون ممن لم يبق الله له عذراً في ترك الطاعة وفيما ضيع عمره. وحاصله من بلغ ستين سنة، وقيل أربعين ولم يغلب خيره شره فالموت خير له. قال التوربشتي [رحمه الله]: المعنى أنه أفضى بعذره إليه فلم يبق له عذر. يقال: أعذر الرجل إلى فلان أي بلغ به أقصى العذر، ومنه قولهم: أعذر من أنذر، أي أتى بالعذر أو أظهره. وهذا مجاز من القول، فإن العذر لا يتوجه على الله وإنما يتوجه له على العبيد. وحقيقة المعنى فيه أن الله تعالى لم يترك له سبباً في الاعتذار يتمسك به انتهى. فالمعنى أنه أزال أعذاره بالكلية، فكأنه أقام عذره فيما يفعل به بين العقوبة والبلية. وفي مختصر النهاية. أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتبر. **(رواه البخاري)** وكذا أحمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي عنه[(١)]. وأخرج عبد بن حميد والطبراني والروياني والرامهرمزي في الأمثال، والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إذا بلغ العبد ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر[(٢)]، وقد قال تعالى: **﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾** [فاطر ـ ٣٧]. وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال في تفسيره ستين سنة، وأخرج ابن جرير عن علي في الآية قال: العمر الذي أعذرهم الله منه ستون سنة. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال: أربعين سنة. وأما قوله تعالى: **﴿وجاءكم النذير﴾** [فاطر ـ ٣٧]. فأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال: الشيب. وكذا أخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس أنه الشيب.

٥٢٧٣ ـ **(وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لو كان لابن آدم)** أي فرضاً وتقديراً **(واديان**

الحديث رقم ٥٢٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٨ حديث رقم ٦٤١٩.

(١) أحمد في المسند بنحوه ٢/ ٣٢٠ وكذلك الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٨.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٧.

الحديث رقم ٥٢٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥٣ حديث رقم ٦٤٣٦. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٥ حديث رقم (١١٨ . ١٠٤٩). أخرجه الترمذي ٥/ ٦٦٨ حديث رقم ٣٨٩٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٤. والدارمي في السنن ٢/ ٤١٠ حديث رقم ٢٧٧٨. وأحمد في المسند ٣/ ١٢٢.

منْ مالٍ لابتغى ثالثاً،

من مال) وفي رواية: من ذهب. (لأبتغى) أي لطلب (ثالثاً) أي وادياً آخر أعظم منهما ذخراً، وهلم جرا كما يشير إليه بقوله: (ولا يملأ جوف ابن آدم) أي بطنه أو وسط عينه (إلا التراب) أي تراب القبر. ففيه تنبيه نبيه على أن البخل المورث للحرص مركوز في جبلة الإنسان كما أخبر الله عنه سبحانه في القرآن حيث قال: أبلغ من هذا الحديث والمقال: ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً﴾ [الإسراء - ١٠٠]. فهذا يدل على أن حرص ابن آدم وخوفه من الفقر الباعث له على البخل حتى على نفسه، أقوى من الطير الذي يموت عطشاً على ساحل البحر خوفاً من نفاده، ومن الدودة التي قوتها التراب وتموت جوعاً خشية من فراغة، لأن ما ذكر من الماء والتراب في جنب خزائن رحمة رب الأرباب كقطرة من السحاب. (ويتوب الله) أي يرجع بالرحمة (على من تاب) أي رجع إليه بطلب العصمة، أو يتفضل الله بتوفيق التوبة وتحقيق استعادة العقبى على من تاب، أي من محبة الدنيا والغفلة عن حضرة المولى. قال النووي [رحمه الله]: معناه أنه لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره. وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرص على الدنيا، ويؤيده قوله ويتوب الله على من تاب وهو متعلق بما قبله. ومعناه: أن الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات. قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يقال معناه: إن بني آدم كلهم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه وأن لا يشبع منه إلا من عصمه الله تعالى ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم، فوضع ويتوب الله على من تاب موضعه إشعاراً بأن هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب، وأن إزالتها ممكنة ولكن بتوفيق الله وتسديده. ونحوه قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر - ٩]. أضاف الشح إلى النفس دلالة على أنها غريزة فيها، وبين إزالته بقوله: يوق. ورتب عليه قوله: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر - ٩]. وههنا نكتة دقيقة، فإنه ذكر ابن آدم تلويحاً لي أنه مخلوق من التراب ومن طبيعته القبض واليبس، فيمكن إزالته بأن يمطر الله عليه السحائب من غمائم توفيقه فيثمر حينئذ الخصال الزكية والشمائل الرضية كما قال تعالى جلَّ جلاله: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾ [الأعراف - ٥٨]. فمن لم يتداركه التوفيق وتركه وحرصه لم يزدد إلا حرصاً وتهالكاً على جمع المال. وموقع قوله: ولا يملأ جوف ابن آدم. موقع ركوز الجبلة ونيط به حكم أشمل وأعم كأنه قيل: ولا يشبع من خلق من التراب إلا بالتراب، وموقع ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني: إن ذلك لعسير صعب ولكن يسير على من يسره الله تعالى عليه، فحقيق أن لا يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى والقدر. روينا عن الترمذي عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه: ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ [البينة - ١]، وقرأ فيها: إن الدين عند الله الحنيفية المسلمية لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيراً فلن يكفر، وقرأ عليه: لو أن لابن آدم وادياً من مال لأبتغى إليه

ولاَ يَملأُ جَوفَ ابن آدمَ إلاَّ الترابُ، ويتوبُ اللّهُ على مَن تابَ». متفق عليه.

٥٢٧٤ ـ (٧) وعن ابنِ عمَرَ، قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ ببعضِ جسدي فقال: «كُنْ في الدُّنيا كأنَّكَ غريبٌ

ثانياً ولو أن له ثانياً لأبتغى إليه ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب[١]. انتهى. (رواه البخاري) قال ميرك ناقلاً عن التصحيح: حديث: لو كان لابن آدم واديان إلى آخره. رواه البخاري بهذا اللفظ من حديث ابن عباس، وبمعناه من حديث أنس[٢] ومسلم بهذا اللفظ، وبمعناه من حديث ابن عباس[٣]. رواه الترمذي أيضاً وقد ثبت في الحديث أن هذا كان قرآناً فنسخ خطه، رواه أحمد وغيره. وفي رواية لابن عباس وأنس: فلا ندري أشيء أنزل أم شيء كان يقول[٤]. ولأنس عن أبي قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزل: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [التكاثر ـ ١]. أخرجه البخاري[٥]. انتهى. وفي الجامع: لو كان لابن آدم واد من مال لأبتغى إليه ثانياً ولو كان له واديان لأبتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أنس، وأحمد والشيخان عن ابن عباس، والبخاري عن ابن الزبير، والنسائي عن أبي هريرة، وأحمد عن أبي واقد، والبخاري في تاريخه، والبزار عن بريدة. ورواه أحمد وابن حبان عن جابر ولفظه: لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب[٦].

٥٢٧٤ ـ **(وعن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي)** أي بمنكبي كما في رواية، ونكتة الأخذ تقريبه إليه وتوجهه عليه ليتمكن في ذهنه ما يلقى لديه. وفيه إيماء إلى أن هذه الحالة الرضية لا توجد إلا بالجذبة الإلهية. **(فقال: كن)** أي عش وحيداً وعن الخلق بعيداً. **(في الدنيا كأنك غريب)** أي فيما بينهم لعدم مؤانستك بهم وقلة مجالستك معهم. قال النووي [رحمه الله]: أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطناً ولا تتعلق منها إلا بما يتعلق الغريب في غير وطنه. انتهى. وذلك لأن الدنيا دار مرور وجسر عبور، فينبغي للمؤمن أن يشتغل بالعبادة والطاعة وأن ينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئاً لأسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال، مشتاقاً إلى الوطن الحقيقي قانعاً في سفره ببلغة [وسترة]، مستقبلاً للبليات

---

(١) الترمذي في السنن ٥/ ٦٦٨ حديث رقم ٣٨٩٨.
(٢) البخاري في الصحيح حديث رقم ٦٤٣٩.
(٣) مسلم في صحيحه حديث رقم ١٠٤٩.
(٤) مسلم في صحيحه ٢/ ٧٢٥ حديث رقم (١١٦ ـ ١٠٤٨).
(٥) البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥٣ حديث رقم ٦٤٤٠.
(٦) الجامع الصغير ٢/ ٤٥٨ حديث رقم ٧٤٧٦ و٧٤٧٧.

الحديث رقم ٥٢٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٣٣ حديث رقم ٦٤١٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٢٣٣٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٨ حديث رقم ٤١١٤. وأحمد في المسند ٢/ ٢٤.

أو عابرُ سبيلٍ، وعُدَّ نفسَكَ في أهلِ القُبورِ». رواه البخاري.

الفصل الثاني

٥٢٧٥ ـ (٨) عن عبدِ الله بنِ عمْرٍو، قال: مرَّ بنا رسولُ الله ﷺ وأنا وأُمي نُطيِّنُ

الكثيرة في سفره غير مشتغل بما لا يعنيه من الأمل الطويل والحرص الكثير. **(أو عابر سبيل)** أي مسافر بطريق، واو للتنويع أو بمعنى بل للترقي. والمعنى: بل كن كأنك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق، وهذا أبلغ من الغربة لأنه قد يسكن الغريب في غير وطنه ويقيم في منزل مدة زمنه، فللّه در طائفة رفضوا الدنيا وتوجهوا إلى العقبى شوقاً إلى لقاء المولى واعتزلوا بالكلية عن الناس، فإن الاستئناس بالناس علامة الإفلاس. وتجردوا عما عليهم من الأثقال والألباس بل صاروا حفاة عراة حاسري الرأس وهم العقلاء الأكياس الخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس القياس شعر:

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما عرفوا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

(وعد نفسك) بضم العين وفتح الدال المشددة، أي اجعلها معدودة. **(في أهل القبور)** أو عدها كائنة أو ساكنة فيهم. وفي بعض النسخ المصححة: من أهل القبور. أي من جملتهم وواحدة من جماعتهم. ففيه إشارة إلى ما قيل: موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. **(رواه البخاري)** قال ميرك: فيه نظر، لأن الذي أورده هو لفظ الترمذي، ولفظ البخاري عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. وليس في البخاري: وعد نفسك في أهل القبور. بل هو في الترمذي والبيهقي والله [تعالى]أعلم [وأحكم]. أقول: وفي الجامع: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل. رواه البخاري عن ابن عمر. زاد أحمد والترمذي وابن ماجه: وعد نفسك من أهل القبور[1]. وزاد النووي في أربعينه: وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك وخذ من حياتك لموتك[2]. وزاد الإمام الغزالي في الأربعين قوله: فإنك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً. وجعل صدر الحديث مرفوعاً بأن قال: قال ﷺ لعبد الله بن عمر إذا أصبحت، إلى آخره، والله [تعالى]أعلم.

(الفصل الثاني)

٥٢٧٥ ـ **(عن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: مر بنا رسول الله ﷺ وأنا وأمي نطين)**

---

(١) الجامع الصغير ٢/٣٩٩ حديث رقم ٦٤٢١. (٢) الأربعين النووية حديث رقم ٤٠.

الحديث رقم ٥٢٧٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/٤٠١ حديث رقم ٥٢٣٦. والترمذي في السنن ٤/٤٩١ حديث رقم ٢٣٣٥ وابن ماجه في السنن ٢/١٣٩٣ حديث رقم ٤١٦٠. وأحمد في المسند ٢/١٦١.

شيئاً، فقال: «ما هذا يا عبدَ الله؟» قلت: شيءٌ نصْلحُه. قال: «الأمرُ أسرعُ من ذلك». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٢٧٦ ـ (٩) وعن ابن عبَّاسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُهريقُ الماءَ فيتيمَّمُ بالترابِ، فأقولُ: يا رسولَ الله! إنَّ الماءَ منكَ قريبٌ، يقولُ: «ما يُدريني لعلي لا أبلغُه». رواه في «شرح السنة»، وابن الجوزي في كتاب «الوفاء».

بتشديد الياء المكسورة، أي نصلح بالطين. (شيئاً) أي مكاناً أو جزءاً (من البيت فقال: ما هذا) أي استعمال الطين (يا عبد الله) أي لا عبد الهوى (قلت: شيء) أي من البيت (نصلحه) أي خوفاً من فساده أو زيادة على استحكامه واستبداده (قال: الأمر أسرع من ذلك) أي الأمر الذي ينبغي لنا أن نعمره وعلى تعمير بناء القدماء نعتبره أعجل مما ذكرته من أن تصلحه وتعمره: والظاهر أن عمارته لم تكن ضرورية بل كانت ناشئة عن أمل في تقويته أو صادرة عن ميل إلى زينته. قال الطيبي [رحمه الله]: أي كوننا في الدنيا كعابر سبيل أو راكب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من اشتغالك بالبناء. وقال شارح: أي الأجل أقرب من تخرب هذا البيت، أي تصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل أن تموت وربما تموت قبل أن ينهدم، فإصلاح عملك أولى من إصلاح بيتك. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب) قال ميرك نقلاً عن المنذري: حديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح. وابن ماجه وابن حبان في صحيحه. وقال السيد جمال الدين رحمه الله: هذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده في جامع الترمذي، ولكن أخرج عبد الله بن عمر وقال: مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصاً لنا قال: ما هذا. فقلنا: قد وهى فنحن نصلح. فقال: ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك. وقال: هذا حديث صحيح حسن.

٥٢٧٦ ـ (وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يهريق الماء) بضم الياء وفتح الهاء ويسكن، أي يصب والماء كناية عن البول. فالمعنى أنه كان يبول أحياناً (فيتيمم بالتراب) أي أو ما يقوم مقامه لما ثبت أنه اكتفى بوضع يده على الجدار حال التيمم من غير وجود الغبار (فأقول: يا رسول الله إن الماء منك قريب). أي فالتيمم حينئذ غريب (يقول:) استئناف (ما يدريني) ما للاستفهام (لعلي) للإشفاق، أي أخاف. (لا أبلغه) أي لا أصل الماء لمسارعة أجلي مبادراً، فأحب أن أكون حينئذ ظاهراً باطناً وظاهراً. وما أبعد قول الأشرف وما أقربه إلى الوجه الأضعف حمل الحديث على معنى غير مناسب باباً ومبنى حيث قال: أي يستعمل الماء قبل الوقت فإذا لم يبق تيمم، والله [تعالى]أعلم. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة وابن الجوزي في كتاب الوفا) اسم كتاب له أظنه في شرف المصطفى عليه [الصلاة]والسلام[1].

الحديث رقم ٥٢٧٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٣٢ حديث رقم ٤٠٣١ وأحمد في المسند ١/ ٢٨٨.

(١) اسم الكتاب «الوفا في فضائل المصطفى ﷺ».

٥٢٧٧ ـ (١٠) وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «هذا ابنُ آدمَ وهذا أجلُه» ووضعَ يدَه عندَ قفاهُ، ثمَّ بسطَ، فقال: «وثَمَّ أملُه». رواه الترمذي.

٥٢٧٨ ـ (١١) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ غرزَ عوداً بينَ يديهِ، وآخرَ إلى جنبه، وآخرَ أبعدَ [منه]. فقال: «أتدرون ما هذا؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «هذا الإنسانُ وهذا الأجلُ»

٥٢٧٧ ـ (وعن أنس أن النبي ﷺ قال: هذا ابن آدم) الظاهر أن هذا إشارة حسية إلى صورة معنوية، وكذا قوله: (وهذا أجله) وتوضيحه أنه أشار بيده إلى قدامه في مساحة الأرض أو في مسافة الهواء بالطول أو العرض. وقال: هذا ابن آدم. ثم أخرها وأوقفها قريباً مما قبله وقال: هذا أجله. (ووضع يده) أي عند تلفظه بقوله: هذا ابن آدم وهذا أجله. (عند قفاه) أي في عقب المكان الذي أشار به إلى الأجل (ثم بسط) أي نشر يده على هيئة فتح ليشير بكفه وأصابعه، أو معنى بسط وسع في المسافة من المحل الذي أشار به إلى الأجل. (فقال: وثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم، أي هنالك. وأشار إلى بعد مكان ذلك (أمله) أي مأموله وهو مبتدأ خبره ظرف، قدم عليه للاختصاص والاهتمام. وخلاصة العبارات والاعتبارات أن هذه الإشارات المؤيدة بالبشارات المؤكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية المطابقة لما سبق من التصورات الصورية، إنما هو للإشارة المعنوية المنبهة من نوم الغفلة المبينة أن أجل ابن آدم أقرب إليه من أمله، وأن أمله أطول من أجله كما قال لله در قوله:

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

هذا ما سنح [لي]في هذا المقام من توضيح المرام. وقال الطيبي [رحمه الله]ممتازاً عن سائر الشراح الفخام قوله: ووضع يده، الواو للحال. وفي قوله: وهذا أجله، للجمع مطلقاً. فالمشار إليه أيضاً مركب فوضع اليد على قفاه، معناه أن هذا الإنسان الذي يتبعه أجله هو المشار إليه، وبسط اليد عبارة عن مدها إلى قدام انتهى الكلام. (رواه الترمذي).

٥٢٧٨ ـ (وعن أبي سعيد الخدري أن النبي) وفي نسخة صحيحة: أن رسول الله (ﷺ غرز) أي أدخل في الأرض (عوداً) أي خشباً طويلاً (بين يديه وآخر إلى جنبه) أي وغرز عوداً آخر إلى جنب العود الأول (وآخر أبعد) أي من الثاني أو منهما (فقال: أتدرون ما هذا) أي مجموع ما فعلت. والمعنى: أتعلمون ما المراد بهذا الغرز، والتقرير: وما الغرض من هذا التصوير. (قالوا: الله ورسوله أعلم) أي بما في الضمير (قال: هذا الإنسان) أي العود الأول مثاله. (وهذا الأجل) أي وهذا العود الثاني المتصل إلى جنبه أجله، أي انتهاء عمره وانقطاع

الحديث رقم ٥٢٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩١ حديث رقم ٢٣٣٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٤ حديث رقم ٤٢٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٧.

الحديث رقم ٥٢٧٨: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٨٦ حديث رقم ٤٠٩٣. وابن ماجه ٢/ ١٤١٤ حديث رقم ٤٢٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٨.

أُراه قال: «وهذا الأملُ، فيتعاطى الأملَ فلحقَه الأجلُ دونَ الأملِ». رواه في «شرح السنة».

٥٢٧٩ ـ (١٢) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «عُمْرُ أُمتي منْ ستينَ سنةً إِلى سبعينَ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٢٨٠ ـ (١٣) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعمارُ أُمَّتي ما بينَ الستينَ إِلى السَّبعينَ، وأقلُّهم مَن يجوزُ ذلكَ».

عمله. **(أراه)** بضم الهمزة، أي قال الراوي: أظنه. **(قال: وهذا الأمل)** أي هذا العود الأبعد هو طول أمله ومآل آماله. **(فيتعاطى)** أي يتناول الإِنسان **(الأمل)** بأن يباشره ويستعمله ويشتغل بما يأمله ويريد أن يحصله. **(فلحقه الأجل)** أي فيلحقه الموت قبل أن يصله. وعبر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقق حال وقوعه. **(دون الأمل)** أي قبل أن يتم أمله ويكمل عمله. قال الطيبي [رحمه الله]: دون الأمل حال من الضمير المنصوب، أي لحقه وهو متجاوز عما قصد من الأمل. قال أمية:

يا نفس ما لك دون الله من واقي

(رواه) أي البغوي **(في شرح السنة)**.

٥٢٧٩ ـ **(وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: عمر أمتي)** أي غالباً **(من ستين سنة إلى سبعين)** قيل: معناه آخر عمر أمتي ابتداؤه إذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة، وقل من يجوز سبعين. وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال، فإن منهم من لم يبلغ ستين ومنهم من يجوز سبعين، ذكره الطيبي [رحمه الله]. وفيه أن اعتبار الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح جداً، وأما كون الغالب في آخر عمر الأمة بلوغ ستين في غاية من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر في المشاهدة. فالظاهر أن المراد به أن عمر الأمة من سن المحمود الوسط المعتدل الذي مات فيه غالب الأمة ما بين العددين، منهم سيد الأنبياء وأكابر الخلفاء كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلماء والأولياء مما يصعب فيه الاستقصاء ويعسر الاستحصاء. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٢٨٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين)** أي نهاية أكثر أعمار أمتي غالباً ما بينهما **(وأقلهم من يجوز ذلك)** أي السبعين فيصل إلى المائة وما فوقها. وأكثر ما اطلعنا على طول العمر في هذه الأمة من المعمرين في الصحابة والأئمة سن[1] أنس بن مالك، فإنه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين، وأسماء

الحديث رقم ٥٢٧٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٩ حديث رقم ٢٣٣١.

الحديث رقم ٥٢٨٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥١٧ حديث رقم ٣٥٥٠. وابن ماجه ٢/ ١٤١٥ حديث رقم ٤٢٣٦.

(١) كذا في المخطوطة. ولعل الصواب أن يقال مثل.

رواه الترمذي، وابن ماجه.

وذُكر حديثُ عبدِ الله بنِ الشِخيرِ في «باب عيادة المريض».

الفصل الثالث

٥٢٨١ ـ (١٤) عن عمْرِو بنِ شُعيبِ، عن أبيهِ، عن جدّه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أوّلُ صلاح هذه الأمَّةِ اليقينُ والزُّهدُ، وأوّلُ فسادِها البخلُ والأملُ».

بنت أبي بكر ماتت ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر في عقلها شيء وأزيد منهما عمراً حسان بن ثابت مات وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الإسلام، وأكثر منه عمرا سلمان الفارسي فقيل: عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل: ثلثمائة وخمسين سنة والأول أصح والله [تعالى]أعلم. ثم من تاريخ موته يفهم أنه عاش في الإسلام قليلاً، لأنه ذكر المؤلف أنه مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وقد أدركنا سيدنا السيد زكريا وسمعنا منه أن عمره مائة وعشرون سنة رحمه الله [تعالى]. (**رواه الترمذي وابن ماجه**) وكذا أبو يعلى في مسنده عن أنس قال ابن الربيع، وصححه ابن حبان والحاكم وقال: إنه صحيح على شرط مسلم[(١)]. وقال الترمذي: حسن غريب. وفي لفظ لأحمد والترمذي مرفوعاً: معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين انتهى. لكن في الجامع أسنده إلى الحكيم الترمذي والله [تعالى] أعلم[(٢)]. (**وذكر حديث عبد الله بن الشخير**) بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين وضبط فيما سبق بدون لام التعريف. (**في باب عيادة المريض**) أي في أواخر الفصل الثاني وهو قال: قال رسول الله ﷺ: مثل ابن آدم أي صور وإلى جنبه تسع وتسعون منية، أي مهلكة. إن أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت. انتهى. ولا شك أن مناسبته هنا أظهر من هناك، فإن جملوه إليه فالحجة عليه وإن أسقط عن تكرار فقد يسلم لديه.

(الفصل الثالث)

٥٢٨١ ـ (**عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: أول صلاح هذه الأمة اليقين**) أي في أمر العقبى (**والزهد**) أي في شأن الدنيا (**وأول فسادها البخل**) بضم فسكون وبفتحتين وهو الأنسب هنا لمشاكلة قوله: (**والأمل**) فالأمل إنما هو الغفلة عن سرعة القيامة الصغرى والكبرى، والبخل إنما ينشأ من حب الدنيا. ويقرب من هذا الحديث معنى قول الحسن البصري: صلاح الدين الورع وفساده الطمع. قال الطيبي [رحمه الله]: معناه أن اليقين

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٧.
(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٠ حديث رقم ٨١٨٧.
الحديث رقم ٥٢٨١: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٢٧ حديث رقم ١٠٨٤٤.

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٢٨٢ ـ (١٥) وعن سفيانَ الثوريّ، قال: ليسَ الزهدُ في الدنيا بلُبسِ الغليظِ والخشِن، وأكلِ الجَشِبِ؛ إنما الزهدُ في الدنيا قِصَرُ الأمل.

بأن الله هو الرزاق المتكفل للأرزاق، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، فمن تيقن هذا زهد في الدنيا فلم يأمل ولم يبخل لأن البخيل إنما يمسك المال لطول الأمل وعدم اليقين. رُوِيَ عن الأصمعي أنه قال: تلوت على أعرابي: ﴿**والذاريات**﴾. فلما بلغت قوله: ﴿**وفي السماء رزقكم وما توعدون**﴾ [الذاريات ـ ٢٢]. قال: حسبك. وقام إلى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى. فلقيته في الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً. قال: وهل غير هذا. فقرأت: ﴿**فورب السماء والأرض أنه لحق**﴾ [الذاريات ـ ٢٣]. فصاح وقال: يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل، حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى ألجأه إلى اليمين قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه. (**رواه البيهقي في شعب الإيمان**).

٥٢٨٢ ـ (**وعن سفيان الثوري**) أي الكوفي إمام المسلمين وحجة الله على خلقه أجمعين، جمع زمنه بين الفقه والاجتهاد فيه. والحديث والزهد والعبادة والورع والعفة وإليه المنتهى في علم الحديث وغيره من العلوم، أجمع الناس على دينه وزهده وورعه وثقته، ولم يختلفوا في ذلك. وهو أحد الأئمة المجتهدين وأحد أقطاب الإسلام وأركان الدين. ولد في أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين، سمع خلقاً كثيراً وروي عن معمر والأوزاعي وابن جريج ومالك وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير سواهم، مات سنة إحدى وستين ومائة ذكره المؤلف. (**قال: ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ**) أي في الغزل (**والخشن**) بفتح فكسر، أي في النسج. (**وأكل الجشب**) بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة، أي ولا يأكل الغليظ الجشب من الطعام. وقيل: غير المأدوم (**إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل**) بكسر قاف ففتح صاد. وفي نسخة بضم فسكون، أي اقتصار الأمل والاستعداد للأجل بالمسارعة إلى التوبة والعلم والعمل. وحاصلة أن الزهد الحقيقي هو ما يكون في الحال القلبي من عزوب النفس عن الدنيا وميلها إلى العقبى، وليس المدار على الانتفاع القالبي فإنه يستوي الأمران فيه باعتبار الحقيقة، وإن كان التقشف في اللبس والتقلل في كمية الأكل وكيفيته له تأثير بليغ في استقامة العبد على الطريقة. والحاصل أن حب الدنيا في القلب هو المهلك للهالك لا وجودها على قالب السالك. وشبه القلب بالسفينة حيث إن الماء المشبه بالدنيا في قوله تعالى: ﴿**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء**﴾ [يونس ـ ٢٤]. إن دخل داخل السفينة أغرقها مع أهلها، وإن كان خارجها وحولها سيرها وأوصلها إلى محلها. ولذا قال ﷺ: نعم المال الصالح للرجل الصالح. وقد اختار جماعة من الصوفية وأكابر الملامية لبس العوام وبعضهم لبس أكابر الفخام تستراً

الحديث رقم ٥٢٨٢: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/٢٨٦.

رواه في «شرح السنة».

٥٢٨٣ ـ (١٦) وعن زيدِ بن الحسينِ، قال: سمعتُ مالكاً وسُئل أيُّ شيءٍ الزهدُ في الدنيا؟ قال: طيبُ الكَسبِ وقِصَرُ الأمل. رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

لأحوالهم ومنازلهم الكرام ويتعدى عما ينادي لبس المرقع من الشكاية من الحق إلى الخلق وإلى السؤال بلسان الحال، ومن الطمع في غير المطمع ومن المظنة في موقع الرياء والسمعة. وقد أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: ليس البر في حسن اللباس والزي ولكن البر السكينة والوقار[١]. هذا والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق والمدار على الإخلاص والخلاص عن العلائق والعوائق. **(رواه في شرح السنة)**.

٥٢٨٣ ـ **(وعن زيد بن الحسين)** لم يذكره المؤلف في أسمائه لكونه من رواة مالك، وهو وشيخه ليسا من الصحابة والتابعين. **(قال: سمعت مالكاً وسئل)** أي والحال أنه سئل **(أي شيء الزهد في الدنيا قال: طيب الكسب)**. أي المكسوب من المأكول والمشروب بأن يكون حلالاً طيباً يورث علماً نافعاً وعملاً صالحاً لأنه قال تعالى للرسل: **﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً﴾** [المؤمنون ـ ٥١]. وقال: **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾** [البقرة ـ ١٧٢]. **(وقصر الأمل)** أي بكثرة العمل مخافة إتيان الأجل المزهد في الدنيا المرغب في العقبى. قال الطيبي رحمه الله: فإن قلت: أي مدخل لطيب الكسب في الزهد. قلت: هذا رد على من زعم أن الزهد في مجرد ترك الدنيا ولبس الخشن وأكل الجشب، أي ليس حقيقة الزهد ما زعمته بل حقيقته أن تأكل الحلال وتلبس الحلال وتقنع بالكفاف وتقصر الأمل. ونحوه قوله ﷺ: الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا بأن لا تكون بما في يديك أوثق بما في أيدي الناس[٢]. انتهى. وتمامه على ما في الجامع برواية الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر: وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك[٣]. وسيأتي هذا الحديث في أصل الكتاب من أواخر الباب. ونظيره أنه قيل للإمام محمد صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى: لم لم تصنف في التصوف فقال: صنفته وألفته. فقيل: ما هو. فقال: كتاب البيع فمن لم يعرف صحته وفساده يأكل حراماً ومن أكل حراماً لا يصلح حاله أبداً. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

---

(١) لم أجده في مسند الفردوس.

الحديث رقم ٥٢٨٣: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤٠٦٢ حديث رقم ١٠٧٧٩.

(٢) الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٤٠. وفيه «أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله...».

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٨١ حديث رقم ٤٥٩٣.

(٣) باب استحباب المال والعمر للطاعة

الفصل الأول

٥٢٨٤ ـ (١) عن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تعالى يُحبُّ العبدَ التَّقيَّ الغنيَّ الخفيَّ».

(باب استحباب المال والعمر للطاعة)

أي جواز طلب المال وطول العمر لصرفهما في الطاعة والعبادة.

(الفصل الأوّل)

٥٢٨٤ ـ **(عن سعد)** أي ابن أبي وقاص **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يحب العبد التقي)** أي من يتقي المناهي أو من لا يصرف ماله في الملاهي. وقيل: هو الذي يتقي المحرمات والشبهات ويتورع عن المشتهيات والمباحات. **(الغني)** قال النووي [رحمه الله]: المراد بالغنى غنى النفس وهذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: الغنى غنى النفس[1]. وأشار القاضي [رحمه الله]إلى أن المراد به غنى المال. قلت: وهذا هو المناسب لعنوان الباب وهو لا ينافي غنى النفس، فإنه الأصل في الغنى والفرد الأكمل في المعنى. ويترتب عليه غنى اليد الموجب لتحصيل الخيرات والمبرات في الدنيا ووصول الدرجات العاليات في العقبى. والحاصل أن المراد به الغنى الشاكر، وقد يستدل به على أنه أفضل من الفقير الصابر. لكن المعتمد خلافه لما سبق بيانه وتحقق برهانه. **(الخفي)** بالخاء المعجمة، أي الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل بأمور نفسه، أو الخفي الخير بأن يعمله ويصرف ماله في مرضاة ربه حيث لا يطلع عليه غيره، الشامل للفقير أيضاً كما ورد: «حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وهو الأظهر. ورُوِيَ بالمهملة، أي المشفق. وقال النووي [رحمه الله]: معناه الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء، والصحيح الأوّل، وفيه حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط، ومن قال بتفضيل الاختلاط تأول هذا بالاعتزال في وقت الفتنة. أقول: أو

الحديث رقم ٥٢٨٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٧٧ حديث رقم (١١ ـ ٢٩٦٥). وأحمد في المسند ١/١٧٧.

(١) البخاري في صحيحه ١/٧٧ حديث رقم ٦٤٤٦. ومسلم ٢/٧٢٦ حديث رقم ١٠٥١.

رواه مسلم.

وذُكر حديثُ ابن عمَر: «لا حسدَ إلا في اثنينِ» في «باب فضائل القرآن».

الفصل الثاني

٥٢٨٥ ـ (٢) عن أبي بكرةَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه، وحسُنَ عملُه». قال: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه وساءَ عملُه».

يحمل على اختلاط أرباب البطالة. وقال ابن الملك: أراد به الخفي عن أعين الناس في نوافله لئلا يدخله الرياء. وقيل: هو من لا يتكبر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال، بل يجعل نفسه منكسرة من التواضع. وقيل: أراد به قليل التردد والخروج إلى نحو الأسواق. **(رواه مسلم)** أي من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص ذكره الجزري. وقال في الجامع رواه أحمد ومسلم عن سعد بن أبي وقاص[1]. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي بعض نسخ المصابيح: الحق بعد قوله: التقي النقي، بالنون ولم يوجد في صحيح مسلم وشراحه ولا في الحميدي وجامع الأصول. **(وذكر حديث ابن عمر: لا حسد إلا في اثنين)** أي رجل آتاه الله القرآن ورجل آتاه الله مالاً. **(في باب فضائل القرآن)** [صوابه في كتاب فضائل القرآن]. ثم لما كان الحديث مشتملاً على المعنيين المناسبين للبابين باعتبار الرجلين، والأول منهما متعلق بفضل القرآن خص به أولاً مقرراً، وصار الثاني مستدركاً [مكرراً].

(الفصل الثاني)

٥٢٨٥ ـ **(عن أبي بكرة)** بالتاء **(أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس)** أي أي أصنافهم **(خير)** أي أخير **(قال: من طال عمره)** بضمتين على ما هو الأفصح الوارد في كلامه سبحانه، وبضم فسكون على ما هو المشهور على السنة العامة تخفيفاً، وفتح العين وسكون الميم لغة فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾ [الحجر ـ ٧٢]. وفي القاموس: العمر بالفتح وبالضم، وبضمتين الحياة. **(وحسن عمله. قال: فأي الناس شر)** أي أشر **(قال: من طال عمره وساء عمله)** قال الطيبي [رحمه الله]: وقد سبق أن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر فينبغي أن يتجر فيما يربح فيه، وكلما كان رأس ماله كثيراً كان الربح أكثر، فمن مضى لطيبه فاز وأفلح ومن أضاع رأس

---

(١) راجع الحديث رقم (٧٠١).

(٢) الجامع الصغير ١/١١٦ حديث رقم ١٨٦٩.

الحديث رقم ٥٢٨٥: أخرجه الدارمي في السنن ٢/٣٩٨ حديث رقم ٢٧٤٢. والترمذي في السنن ٤/٤٨٩ حديث رقم ٢٣٣١. وأحمد في المسند ٥/٤٠.

رواه أحمد، والترمذي، والدارمي.

٥٢٨٦ ـ (٣) وعن عُبيدِ بن خالدٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ آخى بين رجُلينِ، فقُتل أحدُهُما في سبيل الله ثمَّ ماتَ الآخرُ بعدَه بجمعةٍ أو نحوِها، فصلَّوْا عليه، فقال النبيُّ ﷺ: «ما قلتم؟» قالوا: دعَونا اللّهَ أنْ يغفرَ له ويرحَمه، ويُلحقَه بصاحبِه. فقال النبيُّ ﷺ: «فأينَ صلاتُه بعدَ صلاتِه، وعملُه بعدَ عملِه؟» أو قال: «صيامُه بعدَ صيامِه؛ لَمَا بينهما

ماله لم يربح وخسر خسراناً مبيناً انتهى. وبقي صنفان مستويان ليس فيهما زيادة من الخير والشر وهما من قصر عمره وحسن عمله، أو ساء عمله. **(رواه أحمد والترمذي)** وفي نسخة [وقال: حسن صحيح. **(والدارمي)** وكذا رواه الطبراني بإسناد صحيح والحاكم والبيهقي عنه. وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعاً: طوبى لمن]طال عمره وحسن عمله. وروى الحاكم عن جابر مرفوعاً: خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً(١).

٥٢٨٦ ـ **(وعن عبيد)** بالتصغير **(بن خالد)** قال المؤلف في فضل الصحابة: سلمي بهزي مهاجري سكن الكوفة، روى عنه جماعة من الكوفيين. **(أن النبي ﷺ آخى)** أي عقد عقد الأخوة وبيعة الصحبة والمحبة **(بين رجلين)** أي من أصحابه **(فقتل أحدهما)** أي استشهد **(في سبيل الله)** أي في الجهاد **(ثم مات الآخر)** أي على فراشه **(بعده)** وفي نسخة: بعد بضم الدال مبنياً. والمعنى: بعد قتل أخيه. **(بجمعة)** أي بأسبوع **(أو نحوها)** أي قريباً منها تخميناً أقل أو أكثر، وإنما أتى به احتياطاً. **(فصلوا)** أي المسلمون **(عليه)** أي على الآخر **(فقال النبي ﷺ: ما قلتم)** [أي]في حقه من الكلام، وما للاستفهام. **(قالوا: دعونا الله أن يغفر له)** أي ذنوبه **(ويرحمه)** أي يتفضل عليه ويثيبه **(ويلحقه)** من الإلحاق أي يوصله **(بصاحبه)** أي في علو درجته لكي يكونا في منزلة واحدة من الجنة في العقبى كما كانا في مرتبة واحدة من المحبة في الدنيا. **(فقال النبي ﷺ: فأين)** جواب شرط مقدر، أي إذا كنتم تدعون الله بأن يلحقه بصاحبه زعماً منكم أن مرتبته دون مرتبة أخيه، فأين **(صلاته)** أي الزائدة للميت **(بعد صلاته)** أي الواقعة للشهيد **(وعمله بعد عمله)** تعميم بعد تخصيص، أو التقدير وسائر عمله أي عمل الميت بعد انقطاع عمل الشهيد. **(أو قال:)** شك من الراوي **(صيامه بعد صيامه)** ولعله كان في رمضان، أو المتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيراً. **(لما بينهما)** قال ابن الملك: اللام فيه توطئة للقسم أو للابتداء. قلت: الثاني هو الصحيح لأن شرط الموطئة أن تكون مقرونة بأن الشرطية نحو قوله تعالى: ﴿لئن أشركت﴾ [الزمر ـ ٦٥]. الآية. نعم يمكن أن تكون اللام في جواب القسم المقدر، أي والله لما بينهما والمعنى للتفاوت الذي بين الأخوين في القرب عند الله تعالى.

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٣٣٩.

الحديث رقم ٥٢٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٣٥ حديث رقم ٢٥٢٤. والنسائي في السنن ٤/ ٧٤ حديث رقم ١٩٨٥ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٩٤ حديث رقم ٣٩٢٥. وأحمد في المسند ٣/ ٥٠٠.

أبعدُ ممَّا بينَ السَّماءِ والأرضِ» رواه أبو داود، والنسائي.

٥٢٨٧ ـ (٤) وعن أبي كبشةَ الأنماريّ، أنّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ أُقسمُ عليهنَّ، وأُحدِّثُكم حديثاً فاحفظوهُ؛ فأمَّا الذي أُقسم عليهنَّ فإنَّه ما نقصَ مالُ عبدٍ من صَدقةٍ،

(أبعد مما بين السماء والأرض) يعني مرتبة الميت أعلى فإلحاق الشهيد به أولى، وذلك لأنه أيضاً كان مرابطاً في سبيل الله فله المشاركة في الشهادة حكماً وطريقة وله الزيادة في الطاعة والعبادة شريعة وحقيقة، وإلا فمن المعلوم أن لا عمل أزيد ثواباً على الشهادة جهاداً في سبيل الله وإظهاراً لدينه، لا سيما في مبادىء الدعوة مع قلة أعوانه من أهل الملة. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف تفضل هذه الزيادة في العمل بلا شهادة على عمله معها. قلت: قد عرف ﷺ إن عمل هذا بلا شهادة ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد إخلاصه وخشوعه، ثم زاد عليه بما عمل بعده. وكم من شهيد لا يدرك شيئاً والصديق في العمل انتهى. فتأمل، فإنه ليس في الحديث لشعار بقلة إخلاص الشهيد فهذا الظن بالصحابة ليس بالسديد، مع أنه لو كان هذا علة التفضيل لبينه ﷺ في وجه التعليل ولا كلام في الصديق إنه ممن تفضل عليه سبحانه بزيادة التوفيق مع أنه رضي الله تعالى عنه شهيد حكماً وقد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين على الشهداء في مواضع من كتابه والله أعلم. (رواه أبو داود والنسائي) رجال هذا الحديث رجال الصحيح، إلا عبد الله بن ربيعة السلمي عن عبيد بن خالد. قال النسائي: إنه صحابي، وعلى تقدير أن لا يكون صحابياً فهو تابعي ولم يذكره أحد بضعف. وأما عبيد بن خالد وهو أبو عبد الله السلمي البهزي فله صحبة ونزيل الكوفة. روى عنه عبد الله بن ربيعة وتميم بن سلمة وسعيد بن عبيدة نقله ميرك عن التصحيح. وفي التقريب عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي ذكر في الصحابة، ونفاها أبو حاتم ووثقه ابن حبان انتهى. وسيأتي زيادة كلام في هذا المرام.

٥٢٨٧ ـ (وعن أبي كبشة الأنماري) قال المؤلف: هو عمرو بن سعيد نزل بالشام روى عنه سالم بن أبي الجعد ونعيم بن زياد. (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ثلاث) أي من الخصال (أقسم) أي أحلف (عليهم وأحدثكم) عطف على قوله: ثلاث، بحسب المعنى. فكأنه قال: أخبركم بثلاث أؤكدهن بالقسم عليهن وأحدثكم. (حديثاً) أي تحديثاً عظيماً أو بحديث (آخر فاحفظوه) أي الأخير أو المجموع. ومما يدل على ما اخترناه من التقدير المذكور والتحرير المسطور قوله: (فأما الذي أقسم عليهن) أي الذي أخبركم بثلاث وأحلف عليهن هو هذا الذي أبينه (فإنه) أي الشأن (ما نقص مال عبد) أي بركته (من صدقة) أي من أجل إعطاء صدقة لأنها مخلوفة معوضة كمية أو كيفية في الدار الدنيوية والأخروية. قال تعالى جلَّ جلاله: ﴿وما أنفقتم

الحديث رقم ٥٢٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٨٧ حديث رقم ٢٣٢٥. وأخرجه ابن ماجه ٢/١٤١٣ حديث رقم ٤٢٢٨ وأحمد في المسند ٤/٢٣١.

ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلِمةً صبرَ عليها إلاَّ زادَه اللَّهُ بها عزّاً، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألةٍ إلاَّ فتحَ اللهُ عليه بابَ فقرٍ وأمَّا الذي أُحدِّثُكم فاحفَظوه» فقال: «إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٌ رزقَه اللَّهُ مالاً وعلماً، فهوَ يتَّقي فيهِ ربَّه، ويَصِلُ رحِمَه، ويعملُ للَّهِ فيه بحقه،

من شيء فهو يخلفه﴾. (ولا ظلم عبد) بصيغة المجهول (مظلمة) بفتح الميم وكسر اللام اسم ما أخذه الظالم ظلماً كذا ذكره ابن الملك. وفي القاموس: المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل. والظاهر أنه هنا مصدر بمعنى المفعول، صفته قوله: (صبر) أي العبد (عليها) أي على تلك الظلمة ولو كان متضمنة لنوع من المذلة. (إلا زاده الله بها عزا) أي عنده تعالى، كما أنه يزيد للظالم عنده ذلاً بها أو يزيده الله بها عزاله في الدنيا معاقبة كما يحصل للظالم دل بها ولو بعد حين من المدة، بل ربما ينقلب الأمر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم جزاء وفاقاً. (ولا فتح عبد) أي على نفسه (باب مسألة) أي باب سؤال وطلب من الناس لا لحاجة وضرورة، بل لقصد غنى وزيادة. (إلا فتح الله عليه باب فقر) أي باب احتياج آخر وهلم جرا أو بأن سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد في أصحاب التهمة، ومثل حاله بالحمار الذي ليس له الذنب وهو دائر في الطلب، فدخل في بستان حريصاً عليه فقطع الحارس أذنيه. وشبه أيضاً بكلب في فمه عظم ومر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف ففتح الكلب فمه حرصاً على أخذ ما في قعر الماء فوقع ما في فمه من العظم في الماء، فالحرص شؤم والحريص محروم. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]في قوله: فأما الذي أقسم عليهن أفرده وذكره باعتبار كون المذكور موعود، أو جمع المرجع إلى الموصول باعتبار الخصال المذكورات، وبه فسر قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ﴾ [البقرة - ١٧]. في وجه، أي الجمع أو الفوج. وفي المصابيح: أما اللاتي أقسم عليهن. وهو ظاهر وليس المراد تحقيق الحلف، بل تأكيده تنويهاً، فإن المدعي يثبت بذكر القسم تارة وأخرى بلفظ القسم انتهى. والأظهر أن يقال: التقدير: فأما قولي الذي أقسم فيه على الخصال الثلاث وأوكده فإنه إلى آخره. (وأما الذي أحدثكم حديثاً فاحفظوه فقال: إنما الدنيا) هو تفسير وبيان بل قال: جملة معترضة للتأكيد والتقدير: فإنما الدنيا. ويؤيده أنه ليس في الجامع لفظ: فقال، بل فيه: إنما الدنيا. (لأربعة نفر) أي كل واحد عبارة عن جمع وصنف. (عبد) بالجر ويرفع (رزقه الله مالاً وعلماً) فيه إيماء إلى أن العلم رزق أيضاً وأن الله تعالى هو الذي يرزق العلم والمال وبتوفيقه وفتحه يفتح باب الكمال. وقد ورد في حديث: إن علماً لا يقال به ككنز لا ينفق منه. فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [البقرة - ٣]. ثم فيه اشعار بأن المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال. (فهو يتقي فيه) أي في المال (ربه) بأن لا يصرف ماله في معصية خالقه (ويصل رحمه) أي بالمواساة إلى أقاربه (ويعمل لله فيه) أي في العلم (بحقه) أي قياماً بحق العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده. ففيه لف ونشر مرتب، ويؤيده لفظ الجامع: ويعلم الله فيه حقاً. ويمكن رجوع كل من الضميرين إلى كل من المال والعلم. وأفرده باعتبار ما ذكر. وقال ابن الملك: أي بحق المال. والمعنى: يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة وإطعام الضيف ويجوز كون المضير لله أي بحق الله

فهذا بأفضل المنازِل. وعبدٌ رزقَه اللّهُ علماً ولمْ يرزُقْه مالاً، فهوَ صادِقُ النيّةِ، يقولُ: لو أنَّ لي مالاً لعمِلتُ بعملِ فلانٍ؛ فأجرُهما سواءٌ. وعبدٌ رزَقه اللّهُ مالاً ولم يرزُقْه علماً، فهوَ يتخبَّطُ في مالِه بغيرِ علمٍ، لا يتَّقي فيه ربَّه، ولا يصِلُ فيه رحِمَه، ولا يعملُ فيه بحقٍّ؛ فهذا بأخبثِ المنازلِ. وعبدٌ لم يرزُقْه اللّهُ مالاً ولا علماً، فهوَ يقولُ: لو أنَّ لي مالاً لعمِلتُ فيه بعملِ فلانٍ، فهوَ نيَّتُه ووِزرهُما سواءٌ». رواه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ صحيح.

الواجب في المال. (**فهذا**) أي العبد الموصوف بما ذكر (**بأفضل المنازل**) أي في أكمل مراتب الشمائل في الدنيا، أو في أعلى الدرجات في العقبى. (**وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية**) أي ظاهره مطابق لما في الطوية. (**يقول:**) أي بلسان المقال أو بلسان الحال[1] (**لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان**) أي من أهل الخير (**فاجرهما سواء**) [وهو استئناف بيان أو حال] وفي الجامع فهو بينة فاجرهما سواء (**وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط**) وفي الجامع يخبط بكسر الباء بدون فهو، فهو حال أو استئناف بيان. والمعنى: يقوم وهو يقعد بالجمع والمنع. (**في ماله**) أو يختلف في حاله باعتبار الإنفاق والإمساك في ماله. (**بغير علم**) أي بغير استعمال علم بأن يمسك تارة حرصاً وحباً للدنيا وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء. (**لا يتقي فيه ربه**) أي لعدم علمه في أخذه وصرفه. (**ولا يصل فيه رحمه**) أي لقلة رحمه وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله (**ولا يعمل فيه بحق**) أي بنوع من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده، ولفظ الجامع: ولا يعلم لله فيه حقاً (**فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان**) أي من أهل الشر (**فهو نيته**) أي فهو مغلوب نيته ومحكوم طويته، أو الحمل بطريق المبالغة. فكأنه عين نيته كرجل عدل. وفي نسخة: فهو بنيته، وكذا في الجامع، أي مجزى بها ومعاقب عليها. ولما كان الظاهر أن إثمه بمجرد نيته دون إثم العامل المشتمل عمله على النية والمباشرة، أكد الوعيد وشدد التهديد بقوله: (**ووزرهما سواء**) ولفظ الجامع: فوزرهما سواء. قال الطيبي [رحمه الله]: فهو نيته، مبتدأ أو خبر، أي فهو يسيء النية يدل عليه وقوعه في مقابلة قوله: فهو صادق النية، في القرينة الأولى. وقوله: لو أن لي مالاً إلى آخره، تفسير لقوله: صادق النية. وقوله: فهو يقول: لو أن لي مالاً إلى آخره، مقابل له، قوله: فاجرهما سواء، وقوله: ووزرهما سواء، متقابلان. قال ابن الملك: هذا الحديث لا ينافي خبر: إن الله تجاوز عن أمتي ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به لأنه عمل هنا بالقول اللساني، والمتجاوز عنه هو القول النفساني انتهى. والمعتمد ما قاله العلماء المحققون: إن هذا إذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه بفعلها، فإن عزم واستقر يكتب معصية وإن لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله [تعالى]أعلم. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح**). قال المنذري: حديث أبي كبشة رواه أحمد والترمذي واللفظ له وقال: حسن

---

(١) في المخطوطة عبارة «وهذا استئناف بيان أو حال».

٥٢٨٨ ـ (٥) وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى إذا أرادَ بعبدٍ خيراً استعملَه». فقيلَ: وكيفَ يستعملُه يا رسولَ الله؟ قال: «يُوفِّقهُ لعمل صالحٍ قبلَ الموتِ».

رواه الترمذي.

صحيح. وابن ماجه بمعناه ذكره ميرك. وفي الجامع وكذا رواه أحمد في مسنده[١]، وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمٰن بن عوف صدر الحديث فقط ولفظه: ثلاث أقسم عليهن، ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى [جلَّ جلاله] بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزاً، ولا فتح رجل باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر. فهذا يدل على أن الحديث الأول مركب من حديثين جمعهما الراوي وجعلهما حديثاً واحداً. وما يدل عليه أن لفظ الجامع عن الأنماري: ثلاث أقسم عليهن إلى قوله: باب فقر. ثم قال: وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، إنما الدنيا الخ. فالتفسيرات المحتاجة إلى التأويلات إنما هي من تصرفات بعض الرواة والله [تعالى]أعلم.

٥٢٨٨ ـ **(وعن أنس أن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً)** أي في عاقبته **(استعمله)** أي جعله عاملاً **(في الطاعة)** فإنه الفرد الأكمل عند إطلاق العمل **(فقيل: وكيف يستعمله يا رسول الله)** أي والحال أنه دائم الاستعمال **(قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت)** أي حتى يموت على التوبة والعبادة فيكون له حسن الخاتمة. وزاد في الجامع: ثم يقبضه عليه. **(رواه الترمذي)** أي وقال: صحيح الإسناد. نقله ميرك عن التصحيح. ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ذكره المنذري[٢]. وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم[٣]، ورواه الطبراني عن أبي أمامة ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته. قالوا: وما طهر العبد قال: عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه[٤]. ورواه أحمد والطبراني عن أبي عتبة ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً عسله، بفتح العين والسين المهملة. قالوا: وما عسله، بالضبط المذكور على الحكاية: قال: يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه[٥]. ورواه أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق، بفتح فكسر ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، قيل: وما استعمله. قال: يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله[٦]. هذا ورواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد مرفوعاً: إن الله إذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله، وإذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله[٧]، انتهى. وكان العمل في الموضعين مبني على نيته، أو محمول على أخذ عبادة ظالم المظلوم ووضع مظلمة من مظلوم على ظالم والله [تعالى] أعلم.

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٠٧ حديث رقم ٣٤٥٠.

الحديث رقم ٥٢٨٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٩٢ حديث رقم ٢١٤٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٠٦.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٨.

(٣) الجامع الصغير ١/ ٢٩ حديث رقم ٣٨٠.

(٤) الجامع الصغير ١/ ٢٩ حديث رقم ٣٨٢.

(٥) أحمد في المسند ٤/ ٢٠٠.

(٦) أحمد في المسند ٥/ ٢٢٤.

(٧) أحمد في المسند ٣/ ٣٨.

٥٢٨٩ - (٦) وعن شدَّادِ بن أَوْسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الكَيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعمِلَ لما بعدَ الموتِ. والعاجِزُ مَن أَتْبعَ نفسَه هَواها، وتمنَّى على اللّهِ». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٢٨٩ - (وعن شداد) بتشديد الدال الأولى (ابن أوس) بفتح فسكون، قال المؤلف: يكنى أبا يعلى الأنصاري. قال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: كان شداد ممن أوتي العلم والحلم. (قال: قال رسول الله ﷺ: الكيس) بفتح الكاف وتشديد الياء، أي العاقل الحازم المحتاط في الأمور. (من دان نفسه) أي جعلها دنية مطيعة لأمره تعالى منقادة لحكمه وقضائه وقدره. وفي النهاية: أي أذلها واستعبدها، وقيل: حاسبها. وذكر النووي أنه قال الترمذي وغيره من العلماء: معنى دان نفسه حاسبها انتهى. أي حاسب أعمالها وأحوالها وأقوالها في الدنيا، فإن كانت خيراً حمد الله تعالى، وإن كانت شراً تاب منها واستدرك ما فاتها قبل أن يحاسب في العقبى، كما رُوِيَ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. وقد قال تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ [الحشر - ١٨]. (وعمل) أي عملاً نافعاً (لما بعد الموت. والعاجز) أي عن استعمال العقل والاحتياط في الأمر. والحاصل أن الكيس هو المؤمن القوي، والعاجز هو المؤمن الضعيف وهو (من أتبع نفسه هواها) من الاتباع أي جعلها تابعة لهواها من تحصيل المشتهيات واستعمال اللذات والشبهات، بل من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات. (وتمنى على الله) قائلاً: ربي كريم رحيم. وقد قال تعالى جلَّ شأنه: ﴿ما غرك بربك الكريم﴾ [الانفطار - ٦]. وقال: ﴿نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ [الحجر - ٤٩ - ٥٠]. وقال: ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف - ٥٦]. وقال: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ [البقرة - ٢١٨]. وقد عبر عن الرجاء مع غير الطاعة بلفظ التمني إشارة إلى أن وقوعه قريب من المحال وإن كان يمكن صدوره من الملك المتعال على طريق الإفضال. قال الطيبي [رحمه الله]: والعاجز الذي غلبت عليه نفسه وعمل ما أمرته به نفسه فصار عاجزاً لنفسه فاتبع نفسه هواها وأعطاها ما اشتهته، قوبل الكيس بالعاجز. والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي، وللعاجز القادر ليؤذن بأن الكيس هو القادر والعاجز هو السفيه، وتمنى على الله أي يذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة. (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أحمد والحاكم(١).

الحديث رقم ٥٢٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٠ حديث رقم ٢٤٥٩. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٥٤ حديث رقم ٤٢٦٠ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٤.

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٧.

الفصل الثالث

٥٢٩٠ ـ (٧) عن رجلٍ منْ أصحابِ النبيِّ ﷺ، قال: كنَّا في مجلسٍ، فطلعَ علينا رسولُ الله ﷺ وعلى رأسِه أثرُ ماءٍ فقلنا: يا رسولَ الله! نراكَ طيّبَ النَّفسِ. قال: «أَجَلْ». قال: ثمَّ خاضَ القومُ في ذكرِ الغِنى، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا بأسَ بالغِنى لِمن اتّقى اللَّهَ عزَّ وجلَّ، والصحَّةُ لمنِ اتّقى خيرٌ منَ الغِنى، وطِيبُ النَّفسِ منَ النَّعيمِ». رواه أحمد.

٥٢٩١ ـ (٨) وعن سُفيان الثوريّ، قال: كانَ المالُ فيما مضى يُكرَه، فأما اليوم فهوَ تُرسُ المؤمنِ.

(الفصل الثالث)

٥٢٩٠ ـ **(عن رجل)** سيأتي اسمه من أصحاب النبي ﷺ **(قال: كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله ﷺ)** أي فظهر لنا كطلعة الشمس **(وعلى رأسه أثر ماء)** أي من الغسل **(فقلنا: يا رسول الله نراك طيب النفس)** أي ظاهر البشر والسرور ومنشرح الخاطر على ما يتلألأ منك من النور **(قال: أجل)** بفتحتين وسكون اللام المخففة، أي نعم. **(قال:)** أي الرجل الراوي **(ثم خاض القوم)** أي شرعوا وبالغوا **(في ذكر الغنى)** أي في سؤاله او ذم حاله وسوء مآله. **(فقال رسول الله ﷺ: لا بأس بالغنى لمن اتقى الله عزَّ وجلَّ)** أشار بقوله: لا بأس، أن الفقر أفضل لمن اتقى الله. **(والصحة)** أي صحة البدن ولو مع الفقر لمن اتقى. **(خير من الغنى)** أي مطلقاً، أو المعنى وصحة الحال لمن اتقى المال خير من الغنى الموجب للحساب والعقاب في المآل. **(وطيب النفس)** أي انشراح الصدر المقتضي للشكر والصبر المستوي عنده الغنى والفقر. **(من النعيم)** أي من جملة النعيم الذي يعبر عنه بجنة نعيم على ما قاله بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦]. جنة في الدنيا وجنة في العقبى. وقيل: من النعيم المسؤول عنه المذكور في قوله تعالى: ﴿**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾ [التكاثر ـ ٨]. وهو لا ينافي ما ذكرناه فإنه الفرد الأكمل من جنس النعيم الذي لا ينبغي أن يقال لغيره بالنسبة إليه إنه النعيم، فإن ما عداه قد يعد كونه من الماء الحميم أو من عذاب الجحيم. **(رواه أحمد)** وكذا ابن ماجه والحاكم عن يسار بن عبد على ما في الجامع[١]. فتبين إبهام الرجل مع أن جهالة الصحابي لا تضر، فإن الصحابة كلهم عدول.

٥٢٩١ ـ **(وعن سفيان الثوري قال: كان المال فيما مضى يكره)** أي عند أرباب الحال **(فأما اليوم)** أي في هذا الزمان **(فهو ترس المؤمن)** أي جنته من جنته وجنته[٢] بلاء منه.

الحديث رقم ٥٢٩٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٧٢٤ رقم ٢١٤١. وأحمد في المسند ٥/ ٣٧٢.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٦ حديث رقم ٩٧٠٩ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣.

الحديث رقم ٥٢٩١: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٢٩٠ حديث رقم ٤٠٩٨.

(٢) في المخطوطة بدل كلمتين «جنته».

وقال: لولا هذهِ الدَّنانيرُ لتمندَلَ بنا هؤلاءِ الملوكُ. وقال: مَن كانَ في يدِه منْ هذِه شيءٌ فليُصلحه، فإنَّه زمانٌ إنِ احتاجَ كانَ أوَّلَ مَن يبذلُ دينَه وقال: الحَلالُ لا يَحتملُ السَّرَفَ. رواه في «شرح السنة».

٥٢٩٢ ـ (٩) وعنِ ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُنادي مُنادٍ يومَ القيامةِ:

وحاصله أن المال الحلال يقي صاحب الحال من الوقوع في الشبهة والحرام ويمنعه من ملازمة الظلمة ومصاحبتهم في الظلام، أو يتستر به المؤمن عن الرياء والسمعة والشهرة عند العوام. **(وقال: لولا هذه الدنانير)** أي وجودها عندنا وظهور استغنائنا بها عند الخلق **(لتمندل بنا هؤلاء الملوك)** أي لجعلونا مناديل أوساخهم وهي كناية عن الابتذال والمذلة للظلمة، أو عن موافقتهم في تصويرات إساءة حيل المسألة. قيل: هو مأخوذ من الندل وهو الوسخ. قيل لبعضهم: إن المال يدنيك من الدنيا، فقال: لئن أدناني من الدنيا لقد صانني عنها. وقيل: لأن أترك مالاً يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس. يعني: احتياجي إلى الله خير من احتياجي إلى ما سواه. وقد أخرج الطبراني في الأوسط عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً به: يأتي على الناس زمان من لم يكن معه أصفر ولا أبيض لم يتهن بالعيش. وهو عند الإمام أحمد بلفظ: يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدرهم والدينار. هذا وقد قيل: الدراهم للجراحات مراهم. **(وقال:)** أي الثوري **(من كان في يده من هذه)** أي الدنانير والأموال **(شيء)** أي قليل على قدر الكفاية **(فليصلحه)** أي ليصرفه على وجه القناعة أو لا يتلفه بل يستزده بنوع من التجارة **(فإنه)** أي زماننا **(زمان)** أي عجيب من وصفه **(إن احتاج)** أي الشخص فيه **(كان أول من يبذل دينه)** أي لتحصيل دنياه، وأول منصوب وقيل مرفوع. قال الطيبي [رحمه الله]: أي كان ذلك الشخص أول شخص يبذل دينه فيما يحتاج إليه هو، ولو حمل من على ما كما نقل المالكي عن قطرب لكان أبين. ويؤيده رواية الكشاف: كان أوّل ما يأكل دينه. فما موصوفة وأول اسم كان ودينه خبره. قلت: ويمكن عكسه، بل هو الأظهر فتدبر. **(وقال:)** أي الثوري **(الحلال)** أي لأنه قليل الوجود في المال **(لا يحتمل السرف)** أي صرفه بالإكثار. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل معنيين، أحدهما أن الحلال لا يكون كثيراً فلا يحتمل الإسراف، وثانيهما أن الحلال لا ينبغي أن يسرف فيه ثم يحتاج إلى الغير انتهى. وفي كل منهما نظر إذ معنى الإسراف هو التجاوز عن الحد بأن يصرفه في غير محله زيادة على قدره، وهو يحتمل في القليل والكثير ويشمل المال الحلال والحرام. فالأوجه أن يقال: إن الحلال من خاصيته أنه لا يقع في الإسراف كصرفه في الماء والطين بلا ضرورة، وكزيادة إعطاء الأطعمة على طريق الرياء والسمعة. ولذا قيل: لا سرف في خير ولا خير في سرف. وفيه تنبيه أنه ينبغي للطالب أن يجتهد في تحصيل الحلال ولو كان القليل من المال وأن يقنع به ولا يصرفه على طريق الإسراف لئلا يحوج نفسه إلى الأكابر والأشراف. **(رواه في شرح السنة)**.

٥٢٩٢ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ينادي مناد يوم القيامة**

الحديث رقم ٥٢٩٢: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٦٤ حديث رقم ١٠٢٥٤.

أينَ أبناءُ الستينَ؟ وهوَ العمرُ الذي قال اللّهُ تعالى: ﴿أَوَ لم نُعمّرْكم ما يتذكَّرُ فيه مَن تذكَّرَ وجاءكُم النَّذيرُ﴾. رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٢٩٣ - (١٠) وعن عبدِ الله بنِ شدَّادٍ، قال: إنَّ نفراً منْ بَني عُذْرَةَ ثلاثةً أتوا النبيَّ ﷺ، فأسلموا، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يكفينيهم؟» قال طلحةُ: أنا. فكانوا عندَه، فبعثَ النبيُّ ﷺ بَعْثاً، فخرج فيهِ أحدُهم، فاستشهدَ، ثمَّ بعثَ بَعْثاً فخرجَ فيه الآخر، فاستشهد، ثم ماتَ الثالثُ على فراشه؛ قال: قال طلحة: فرأيت هؤلاءِ الثلاثةَ في الجنة، ورأيتُ الميت على فراشه أمامهم والذي استشهد آخراً يليه، وأوَّلَهم يليه، فدخلني من ذلك،

(أين أبناء الستين) أي أصحابها ممن وصل عمره إليها **(وهو العمر الذي قال الله تعالى:)** أي في حقه **(﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾)** قال الطيبي [رحمه الله]: ما موصوفة، أي عمرناكم عمراً يتعظ فيه العاقل الذي من شأنه أن يتعظ. **(﴿وجاءكم النذير﴾)** [(١)] أي المنذر أو الانذار وهو الشيب، أو القرآن أو الرسول أو الموت أو جنس المنذر فيشمل الكل، والجملة حالية. **(رواه البيهقي في شعب الإِيمان)** وقد سبق ما يتعلق به رواية ودراية.

٥٢٩٣ - **(وعن عبد الله بن شداد)** تابعي جليل كما سيجيء بيانه ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(قال: إن نفراً من بني عذرة)** بضم فسكون، قبيلة مشهورة. **(ثلاثة)** بالنصب بدلاً، أو بياناً من نفراً. **(أتوا النبي ﷺ)** أي جاؤوه[(٢)] **(فأسلموا)** أي وأرادوا الإِقامة بنية المجاهدة وهم من أهل الفقر والفاقة. **(قال رسول الله ﷺ:)** استئناف بيان **(من يكفينيهم)** أي مؤونتهم من طعامهم وشرابهم ونحو ذلك. قال الطيبي [رحمه الله]: هم ثاني مفعوليّ يكفي على تقدير مضاف. **(قال طلحة: أنا)** أي أكفيكهم[(٣)] **(فكانوا)** أي الثلاثة أو النفر **(عنده)** أي عند أبي طلحة **(فبعث النبي ﷺ بعثاً)** أي أرسل سرية، فالبعث بمعنى المبعوث. **(فخرج فيه)** أي في ذلك البعث **(أحدهم فاستشهد)** بصيغة المجهول أي صار شهيداً **(ثم بعث بعثاً فخرج فيه الآخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه)** أي مرابطاً ناوياً للجهاد **(قال:)** أي ابن شداد **(قال طلحة: فرأيت)** أي في المنام أو في كشف المقام **(هؤلاء الثلاثة في الجنة ورأيت الميت على فراشه)** أي الكائن عليه **(أمامهم)** بفتح الهمزة أي قدامهم. قال الطيبي [رحمه الله]: الظاهر أن يقال: أمامهما، إلا أن يقال: المراد المقدم من بينهم، أو يذهب إلى أن أقل الجمع اثنان. **(والذي)** عطف على الميت. وفي نسخة: فالذي **(استشهد آخراً يليه)** أي يقرب الميت **(وأولهم)** بالنصب. وقيل برفعه. **(يليه)** أي يلي المستشهد آخراً **(فدخلني)** أي شيء أو إشكال **(من ذلك)**

---

(١) سورة فاطر. آية رقم ٣٧.
(٢) في المخطوطة جاؤوا.
الحديث رقم ٥٢٩٣: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٦٣.
(٣) في المخطوطة «أكفيهم».

فذكرت للنبيِّ ﷺ ذلك، فقال: «وما أنكرتَ من ذلك؟! ليسَ أحدٌ أفضلَ عند الله من مؤمنٍ يعمَّر في الإِسلام، لتسبيحه وتكبيره وتهليله».

٥٢٩٤ ـ (١١) وعن محمد بن أبي عميرةَ ـ وكان من أصحابِ رسول الله ﷺ ـ قال: إنَّ عبداً لو خرَّ على وجهه من يوم وُلد إلى أن يموتَ هرماً في طاعة الله لحقَّرهُ

أي مما رأيته من التقديم والتأخير على خلاف ما كان يخطر في الضمير، والفاعل محذوف على مذهب ابن مالك. (**فذكرت للنبي ﷺ ذلك**) الفاء فصيحة، أي فجئت رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك مستغرباً ومستنكراً. (**فقال: ومّا أنكرت**) أي وأي شيء أنكرته (**من ذلك**) والمعنى لا تنكر شيئاً منه فإنه (**ليس أحد أفضل عند الله**) فالاستئناف مبين متضمن للعلة، أي ليس أحد أكثر ثواباً عنده سبحانه. (**من مؤمن يعمر**) بتشديد الميم المفتوحة، أي يطول عمره. (**في الإِسلام لتسبيحه**) أي لأجل تسبيحه (**وتكبيره وتهليله**) أي ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية. ولفظ الجامع رواية عن أحمد: لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله. قال ميرك: حديث عبد الله ابن شداد رواه أحمد وأبو يعلى ورواتهما رواة الصحيح، وفي أوله عند أحمد إرسال، لكن وصله أبو يعلى بذكر طلحة فيه كذا قاله المنذري في الترغيب، وكأنه يشير إلى أن عبد الله بن شداد ليست له صحبة وإن ولد على عهد النبي ﷺ، كما ذكره العجلي أنه من كبار التابعين الثقات، وكان معدوداً في الفقهاء ولم يصرح في هذا الحديث عند أحمد بالسماع بل قال: إن نفراً الخ. وصرح أبو يعلى بأنه رواه عن طلحة. ومما ناسب حديث عبد الله بن شداد هذا وحديث عبيد بن خالد الذي سبق في الفصل الثاني، ما رواه أحمد بإسناد حسن عن أبي هريرة قال: كان رجلان من بني قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف [ركعة]وكذا وكذا ركعة صلاة سنة. ورواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي، كلهم عن طلحة بنحوه: أطول منه. وزاد ابن ماجه في آخره: فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض(١).

٥٢٩٤ ـ (**وعن محمد بن أبي عميرة**) بفتح العين وكسر الميم. قال المؤلف: مزني يعد في الشاميين روى عنه جبير بن نفير. (**وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قال: إن عبد لو خر**) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء، أي سقط. (**على وجهه من يوم ولد**) بفتح الميم على البناء، وقيل بجرها منوناً. (**إلى أن يموت هرماً**) بفتحتين، أي ذا هرم. وفي نسخة بكسر الراء، أي شيخاً كبيراً. (**في طاعة الله لحقره**) بتشديد القاف، أي بعده قليلاً لما يرى من ثواب العمل.

---

(١) الحديث الذي في الفصل الثاني (٥٢٨٦) رواه عبيد بن خالد وليس أبو هريرة وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٣.

الحديث رقم ٥٢٩٤: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٨٥.

في ذلكَ اليوم، ولَوَدَّ أنه رُدَّ إلى الدُّنيا كيما يزداد من الأجر والثَّواب. رواهما أحمد.

(٤) باب التوكل والصبر

(في ذلك اليوم ولودّ) أي لأحب وتمنى (أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد) أي ليزيد (من الأجر والثواب) أي من أجر العمل بمقتضى الوعد والعدل وزيادة المثوبة على طريق الفضل. (رواهما) أي الحديثين (أحمد) أي في مسنده. لكن الثاني رواه موقوفاً والأوّل رواه مرسلاً كما تقدم والله [تعالى]أعلم. وروى أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني عن عتبة بن عبد [الله][١] مرفوعاً: لو أن رجلاً يخر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله لحقره يوم القيامة[٢].

(باب التوكل والصبر)

قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق - ٣]. ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران - ١٥٩]. وقال: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل - ١٢٧]. ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة - ١٥٣، الأنفال - ٤٦]. جمع بينهما لتلازمهما ودم انفكاكهما. وقدم التوكل لأنه منتج الصبر وبه يحلو المرء وينكشف الضر، فإن النصر مع الصبر ومن توكل على الله كفاه. وقال بعضهم: التوكل على أحد هو أن يتخذه[٣] بمنزلة الوكيل القائم بأمره المتكفل بإصلاح حاله على قدره. وقال ابن الملك: المراد بالتوكل هو أن يتيقن أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله عليه من النفع والضر انتهى. والصبر على مراتب من حبس النفس عن المناهي وعن المشتهيات والملاهي وعلى تحمل المشقات في أداء العبادات، وعلى تجرع المرارات عند حصول المصيبات ووصول البليات. هذا وفي النهاية يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي ألجأت إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلاناً إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزاً عن القيام بأمر نفسه. والوكيل هو القيم الكفيل بأرزاق العباد. وحقيقته أنه مستقل بأمر الموكول إليه. وقال الراغب: الصبر الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة حبستها بلا علف، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه. فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة[٤] سمي صبراً لا غير، ويضاده الجزع. وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر، وإن كان

---

(١) كذلك في المسند لم يذكر أنه عبد الله بل قال عن عتبة بن عبد.

(٢) أحمد في المسند ٤/ ١٨٥.

(٣) في المخطوطة «فيجده».

(٤) في المخطوطة «المعصية».

الفصل الأول

٥٢٩٥ ـ (١) عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ الجنةَ منْ أُمَّتي سبعونَ ألفاً بغير حسابٍ، هُم الذينَ لا يسْتَرْقُونَ ولا يَتطيَّرونَ، وعلى ربِّهم يتوَكَّلونَ».

في إمساك الكلام سمي كتماناً وضده الإفشاء. وزاد في عين العلم وفي فضول العيش زهد وضده الحرص، وفي اليسير من الدنيا قناعة وضده الشره انتهى. والتوكل بلسان العارفين على ما قال السري السقطي: هو الانخلاع من الحول والقوّة بلا نزاع. وقال ابن مسروق: التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام. وقال الجنيدي [رحمه الله]: التوكل أن يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما [لم]يزل. ثم قيل: الصبر على ثلاثة أنواع: صبر العوام وهو حبس النفس على ما يكره، وصبر الخواص وهو تجرع المرارة من غير تعبس، وصبر خواص الخواص وهو التلذذ بالبلاء وبه يصل إلى مرتبة الشكر وغاية الرضا بالقضاء؛ وقد ورد: أعبد الله على الرضا فإن لم تستطع فالصبر على ما تكره خير كثير. وقال تعالى: **﴿فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثير﴾**. اهـ.

(الفصل الأوّل)

٥٢٩٥ ـ **(عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب)** أي مستقلاً من غير ملاحظة أتباعهم، فلا ينافي ما ورد من أن مع كل واحد منهم سبعون ألفاً. هم **(الذين لا يسترقون)** أي لا يطلبون الرقية مطلقاً، أو بغير الكلمات القرآنية والأسماء الصمدانية **(ولا يتطيرون)** أي ولا يتشاءمون بنحو الطير ولا يأخذون من الحيوانات والكلمات المسموعات علامة الشر والخير، [بل]يقولون كما ورد: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم ولا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت. **(وعلى ربهم يتوكلون)** أي في جميع ما يفعلون ويتركون. قال الطيبي [رحمه الله]: الجمع بين جملتي لا يسترقون ولا يتطيرون من الثنائي الذي يراد به الاستيعاب لقولهم: لا ينفع زيد ولا عمرو على معنى: لا ينفع إنسان، ما قال صاحب النهاية هذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا وعوائقها الذين لا يلتفتون إلى شيء من علائقها، وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم، وأما العوام فرخص لهم في التداوي والمعالجات، ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج

الحديث رقم **٥٢٩٥**: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٠٥. حديث رقم ٦٤٧٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٨ حديث رقم (٣٧٢ . ٢١٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٤٣٧ وابن ماجه ٢/ ١٤٣١ حديث رقم ٤٢٨٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٢ حديث رقم ٢٨٠٧. وأحمد في المسند ٤/ ٤٤١.

متفق عليه.

٥٢٩٦ - (٢) وعنه، قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: «عُرضتْ عليَّ الأممُ فَجَعلَ يَمرُّ النبيُّ ومعه الرَّجلُ، والنبي ومعه الرَّجلانِ، والنبيُّ ومعه الرهط، والنبي وليسَ معه أحدٌ، فرأيتُ سواداً كثيراً سَدَّ الأفقَ،

من الله سبحانه بالدعاء كان من جملة الخواص والأولياء، ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء. ألا ترى أن الصديق لما تصدق بجميع ماله لم ينكر عليه ﷺ علماً منه بيقينه وصبره، ولما أتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال: لا أملك غيره. فضربه بحيث لو أصابه عقره وقال فيه ما [قال]. قلت: الظاهر أن سبب غضبه ﷺ لم يكن إتيانه بجميع ماله بل إفشاء سره وإظهار حاله بقوله: لا أملك غيره. مع الإيماء إلى توهم السمعة والرياء والله [تعالى] أعلم. وفي شرح مسلم للنووي [رحمه الله تعالى]. قال المازري: احتج بعضهم به على أن التداوي مكروه، ومعظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بالأحاديث الواردة في منافع الأودية وبأنه ﷺ تداوي، وبأخبار عائشة رضي الله تعالى عنها عن كثرة تداويه وبما علم من الاستشفاء برقياه، فإذا ثبت هذا حمل الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى. قلت: لا يصح حمل الحديث المذكور على القول المسطور، فإنه صريح في أنهم من كمل الأولياء وخلص الأصفياء. فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من أن الأولى في حق أهل الهداية إنما هو عدم تعاطي الأسباب غير العادية، وإن كان جاز هذا للعوام وباب البداية، ويحمل فعله ﷺ في المعالجة بالأدوية على اختيار الرخصة رعاية لعامة الأمة، أو على مرتبة جمع الجمع المشهور عند الصوفية من أن مشاهدة الأسباب وملاحظة صنائع رب الأرباب هو الأكمل والأفضل عند الكمل فتدبر وتأمل. ولعل الحديث مقتبس من أحد معنيين في قوله تعالى: ﴿**إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾ [الزمر - ١٠] والله تعالى أعلم بالصواب (**متفق عليه**).

٥٢٩٦ - (**وعنه**) أي عن ابن عباس (**قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال: عرضت علي**) أي أظهرت لدي (**الأمم**) أي مع أنبيائهم (**فجعل يمر النبي ﷺ**) التعريف فيه للجنس وهو ما يعرفه كل أحد أنه ما هو، فهو بمنزلة النكرات ذكره الطيبي [رحمه الله] فالمعنى: أنه يمر نبي منهم عند العرض علي (**ومعه الرجل**) أي الواحد من أتباعه ليس له تابع غيره. (**والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط**). أي الجماعة والمراد الرجال (**وليس معه أحد**) أي لا من الرجال ولا من النساء. والمراد من النبي هنا الرسول [عليه الصلاة والسلام] المأمور بالتبليغ، وقيد الرجولية واقعية غالبية أو قضية مثالية. والمراد الواحدة، والتثنية والجمعية. (**فرأيت**) أي من أمامي (**سواداً كثيراً**) أي جمعاً عظيماً وفوجاً جسيماً (**سد الأفق**) أي ستر طرف السماء بكثرته

الحديث رقم ٥٢٩٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٥. حديث رقم ٦٥٤١. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٩ حديث رقم (٣٧٤. ٢٢٠) والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٤ حديث رقم ٢٤٤٦.

فرجوتُ أن يكونَ أمتي. فقيل: هذا موسى في قومه، ثم قيل لي: اُنْظر، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق، فقيل لي: اُنظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً سدَّ الأفق. فقيل: هؤلاءِ أُمَّتك، ومعَ هؤلاءِ سبعونَ ألفاً قدَّامَهُمْ يدخلونَ الجنةَ بغير حسابٍ، هم الذين لا يتطيَّرون، ولا يسْتَرقُون، ولا يكتوون، وعلى ربِّهم يتوكلون» فقام عكاشةُ بنِ مِحْصن فقال: ادعُ اللَّهَ أن يجعلني منهم. قال: «اللَّهم اجعله منهم». ثم قام رجلٌ آخر فقال: اُدع اللَّهَ أن يجعلني منهم. فقال: «سبقك بها عكاشةُ».

(**فرجوت أن يكون**) أي السواد الكثير (**أمتي. فقيل: هذا موسى في قومه**) أي ممن آمن به ولم يتغير عن دينه (**ثم قيل لي: انظر**) فكأنه ﷺ أطرق حينئذ وأعرض عن موضع العرض حياء فقيل له: انظر ترى رجالاً. (**فرأيت**) أي من قدامي (**سواداً كثيراً سد الأفق**) أي فقنعت بذلك وشكرت لما هنالك. (**فقيل لي:**) أي بل لك الزيادة على ما ذكرت من الاستفادة (**انظر هكذا وهكذا**) أي اليمين والشمال (**فرأيت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل:**) أي لي (**هؤلاء**) أي مجموع ما بين يديك وطرفيك (**أمتك ومع هؤلاء**) أي من جملتهم أو زيادة عليهم (**سبعون ألفاً قدامهم**) وفيه منقبة عظيمة لهم كما في قوله: (**يدخلون الجنة بغير حساب**) قال النووي [رحمه الله]: يحتمل هذا أن يكون معناه: وسبعون ألفاً من أمتك غير هؤلاء، وأن يكون معناه في جملتهم سبعون ألفاً. ويؤيد هذا رواية البخاري: هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً. (**هم**) استئناف بيان، أي السبعون هم. (**الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون**) أي إلا عند الضرورة لما وقع الكي من بعض الصحابة، منهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة، أو مطلقاً استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء مع علمهم بأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله، ولا تأثير يحسب الحقيقة لما سواه، فهم في مرتبة الشهود خارجون عن دائرة الوجود فانون عن حظوظ أنفسهم باقون بحق الله في حراسة أنفاسهم كما قال: (**وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة**) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف على ما في القاموس والمغني. (**ابن محصن**) بكسر ميم وفتح صاد. قال المؤلف: أسدي شهد بدراً وما بعدها وانكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عرجوناً، أي وعوداً فصار في يده سيفاً. وكان من فضلاء الصحابة مات في خلافة الصديق وله خمس وأربعون سنة. روى عنه أبو هريرة وابن عباس وأخته أم قيس. (**فقال: ادع الله أن يجعلني منهم**) ما أحسن هذا السؤال المشير إلى أنه من أصحاب الكمال، بل من أرباب الوصال حيث علم أنه لم يصل إلى هذا المقال والحال إلا بوسيلة دعائه ﷺ من ذي الجلال والجمال. (**قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم**) والظاهر أن الأوّل كان ناوياً قاصداً[١] للقيام بأفعالهم، بل متصفاً بأحوالهم، وإن الثاني طلبه على وجه التمني من غير التعني وطريق التقليد في التحلي من غير قصد التجلي. (**قال: سبقك بها**) أي بهذه الدعوة أو هذه المسألة (**عكاشة**) وقد استجيب له. والمعبر فيها هي الأولية كما ورد: إن الصبر عند

---

(١) في المخطوطة «قصداً».

متفق عليه.

٥٢٩٧ ـ (٣) وعن صهيبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمرِ المؤمنِ! إنَّ أَمْرَهُ كُلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابتْه سرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابتْه ضرَّاءُ صَبَر فكان خيراً له»

الصدمة الأولى. ولعل وجه الامتناع من الدعاء أن لا ينفتح هذا الباب المتفرع عليه الاكتفاء. قال ابن الملك: لأنه لم يؤذن له في ذلك المجلس بالدعاء إلا لواحد. وفيه حث على المسارعة إلى الخيرات وطلب دعاء الصالحين لأن في التأخير آفات. وقيل: كان الرجل منافقاً فأجابه ﷺ بكلام محتمل ولم يصرح بأنك لست منهم لحسن خلقه انتهى. وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحي ولم يحصل ذلك للآخر. وقال القاضي عياض: قيل: إن الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة. وفي شرح الطيبي [رحمه الله]: قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادي أنه قال في كتابه في الأسماء المبهمة أنه يقال: إن هذا الرجل هو سعد بن عبادة، فإن صح هذا بطل قول من زعم أنه منافق. **(متفق عليه)**.

٥٢٩٧ ـ **(وعن صهيب)** بالتصغير. قال المؤلف: هو ابن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى أبا يحيى، كانت منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشأ بالروم، فابتاعته منهم كلب. ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام معه إلى أن هلك. وأسلم قديماً بمكة وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة، ثم هاجر إلى المدينة وفيه نزل: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله**﴾ [البقرة ـ ٢٠٧]. روى عنه جماعة، مات سنة ثمانين وهو ابن تسعين [سنة]ودفن بالبقيع. **(قال: قال رسول الله ﷺ: عجباً)** أي عجبت عجباً **(لأمر المؤمن)** أي لشأنه وماله في كل حاله. **(إن أمره كله)** بالنصب ويجوز رفعه كما قرىء بالوجهين في قوله تعالى: ﴿**قل إن الأمر كله لله**﴾ [آل عمران ـ ١٥٤]. أي جميع أموره. **(له خير)** أي خير له في المآل وإن كان بعضه شراً صورياً في الحال. وقدم الظرف اهتماماً. **(وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)** قال الطيبي [رحمه الله]: مظهر وقع موقع المضمر ليشعر بالعلية انتهى. وفيه أن الإظهار والإضمار مستويان في الإشعار بالعلية. ولعل النكتة هي إظهار الإشعار على وجه التصريح فإنه آكد من طريق التلويح، ثم بينه على وجه التوضيح بقوله: **(إن أصابته سراء)** أي نعماء وسعة عيش ورخاء وتوفيق طاعة من أداء وقضاء. **(شكر فكان)** أي شكره **(خيراً له، وإن أصابته ضراء)** أي فقر ومرض ومحنة وبلية **(صبر فكان)** أي صبره **(خيراً له)** وبهذا تبين قول بعض العارفين أنه لا يقال على الإطلاق: إن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر. بل حالة

الحديث رقم ٥٢٩٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٩٥ حديث رقم (٦٤ . ٢٩٩٩) وأخرجه الدارمي ٢/ ٤٠٩ حديث رقم ٢٧٧٧. وأحمد في المسند ١/ ١٧٧.

رواه مسلم.

٥٢٩٨ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إِلى اللّهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ، وفي كلّ خيرٌ،

التفويض والتسليم أولى والقيام بمقتضى الوقت أعلى بحسب اختلاف الأحوال وتفاوت الرجال، قال تعالى: [جلَّ جلاله]: ﴿**والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ [البقرة ـ ٢١٦]. وقال تعالى: ﴿**إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً**﴾ [الإِسراء ـ ٣٠]. وفي الحديث القدسي: إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فلو أغنيته لفسد حاله، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى فلو أفقرته لضاع حاله. ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه: الفقر والغنى مطيتان لا أبالي أيتهما أركب. وعلى هذا الاختلاف الواقع بين القوم في طلب طول العمر لطاعة الله، أو طلب الموت لخوف الفتنة أو للاشتياق إلى لقاء الله [تعالى]، ثم المعتمد التفويض والتسليم كما أشار إليه ﷺ في دعائه: اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي[1]، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر. ثم وجه حصر الخير في كل حال للمؤمن الكامل، لأن غيره إن أصابته سراء شبع وبطر وإن أصابته ضراء جزع وكفر، بخلاف حال المؤمن فإنه كما قال بعض أرباب الكمال:

إذا كان شكر نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتسع العمر

إذا مس بالنعماء عم سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبه الأجر

(**رواه مسلم**) وكذا الإِمام أحمد. وروى أحمد وابن حبان عن أنس مرفوعاً: عجبت للمؤمن أن الله تعالى لم يقض له قضاء إلا كان خيراً له[2]. وروى الطيالسي والبيهقي في شعب الإِيمان عن سعد مرفوعاً: عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر وإذا أصابه خير حمد الله وشكر إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه[3].

٥٢٩٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن القوي**) أي القادر على تكثير الطاعة (**خير وأحب إلى الله**) عطف تفسير (**من المؤمن الضعيف**) أي العاجز عنه (**وفي كل خير**) أي أصل الخير موجود في كل منهما. قيل: المراد بالمؤمن القوي الصابر على مخالطة الناس وتحمل أذيتهم وتعليمهم الخير وإرشادهم إلى الهدى، ويؤيده ما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر

(١) البخاري في صحيحه الحديث ٥٦٧١ ومسلم في الحديث ٢٦٨٠.

(٢) أحمد في المسند ٣/١١٧. (٣) البيهقي في شعب الإِيمان الحديث رقم ٩٩٥٠.

الحديث رقم ٥٢٩٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٢ حديث رقم (٣٤ ـ ٢٦٦٤). وابن ماجه ٢/ ١٣٩٥ حديث رقم (٣٤ ـ ٢٦٦٤). وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٧٠.

احرِص على ما ينفعك، واستعِن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ، فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قدَّر اللّهُ، وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان».

مرفوعاً: المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[1]. وقيل: أراد بالمؤمن القوي الذي قوي في إيمانه وصلب في إيقانه بحيث لا يرى الأسباب ووثق بمسبب الأسباب، والمؤمن الضعيف بخلافه وهو في أدنى مراتب الإِيمان. وقال النووي [رحمه الله]: القوّة هنا يراد بها عزيمة النفس في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا أكثر إقداماً على الغزو والجهاد وأسرع خروجاً وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك. وقوله: في كل خير. معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإِيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات. **(احرص)** بكسر الراء ومنه قوله تعالى: ﴿**إن تحرص على هداهم**﴾ [النحل ـ ٣٧]. وفي نسخة بفتحها. ففي القاموس: حرص كضرب وسمع. والمعنى: كن حريصاً. **(على ما ينفعك)** أي من أمور الدين **(واستعن بالله)** أي على فعلك فإنه لا حول ولا قوّة إلا بالله. **(ولا تعجز)** بكسر الجيم ومنه قوله تعالى جلَّ جلاله: ﴿**أعجزت**﴾ [المائدة ـ ٣١]. وفي نسخة بالفتح. ففي القاموس: عجز كضرب وسمع، أي ولا تعجز عن الحرص والاستعانة، فإن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطيك قوة على طاعته إذا استقمت على استعانته. وقيل: معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت ولا تتركه مقتصراً على الاستعانة به، فإن كمال الإِيمان أن يجمع بينهما. قال الطيبي [رحمه الله]: يمكن أن يذهب إلى اللف والنشر فيكون قوله: احرص على ما ينفعك ولا تترك الجهد، بيان للقوي، ولا تعجز بيان للضعيف. **(وإن أصابك شيء)** أي من أمر دينك أو دنياك **(فلا تقل لو أني فعلت)** أي كذا وكذا **(كان)** أي لصار **(كذا وكذا)** فإن هذا القول غير سديد ومع هذا غير مفيد فإنه قال تعالى جلَّ شأنه: ﴿**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا**﴾ [التوبة ـ ٥١]. وقال ﷺ: ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك[2]. وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم**﴾ [الحديد ـ ٢٣]. **(ولكن قل:)** أي بلسان القال أو لسان الحال **(قدر الله)** بتشديد الدال، أي قل: قدر الله. ويجوز تخفيفها، أي قل: قدر الله كذا وكذا، أي وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره. **(وما شاء)** أي الله فعله **(فعل)** فإنه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه **(فإن لو)** أي كلمة الشرط، أو أن. **(تفتح عمل الشيطان)** قال الشاطبي رحمه الله: ولم ولو وليت تورث القلب انقلا. قال بعض شراح المصابيح: أي أن قول لو واعتقاد معناها يفضي بالعبد إلى التكذيب بالقدر أو عدم الرضا بصنع الله، لأن القدر إذا ظهر بما يكره العبد قال: لو فعلت كذا لم يكن كذا. وقد قدر في علم الله أنه لا يفعل إلا الذي فعل ولا يكون إلا الذي كان وقد أشار ﷺ بقوله قبل ذلك: ولكن قدر الله

---

(١) أحمد في المسند ٢/ ٤٣.

(٢) هذه من رواية لحديث ابن عباس رضي الله عنه. أخرجها عبد بن حميد. راجع الأذكار ص ٦٣٣. حديث رقم ١٠٩٠.

رواه مسلم.

وما شاء فعل. ولم يرد كراهة التلفظ بلو في جميع الأحوال وسائر الصور، وإنما عنى الإتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة القدر والتأسف[1] على ما فاته من أمور الدنيا، وإلا فقد ورد في القرآن مثل: ﴿لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ [آل عمران ـ ١٥٤]. وفي الحديث: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت»[2]. لأنه لم يرد به منازعة القدر. وقال القاضي [رحمه الله]: قوله: فإن لو تفتح، أي لو كان الأمر لي وكنت مستبداً بالفعل والترك كان كذا وكذا. وفيه تأسف على الفائت ومنازعة للقدر وإيهام بأن ما كان يفعله باستبداده ومقتضى رأيه خير مما ساقه القدر إليه من حيث أن لو تدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيما مضى، ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان. وقوله ﷺ في حديث فسخ الحج إلى العمرة: «ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت». ليس من هذا القبيل وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل بأعمال العمرة. وفي شرح مسلم للنووي [رحمه الله]: وقال القاضي عياض [رحمه الله]: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقداً ذلك حتماً. وأما قول أبي بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم رفع رأس لرآنا. فهذا لا حجة فيه لأنه إنما أخبر عن مستقبل، وكذا قوله ﷺ: «لو كنت راجماً بغير بينة لرجمت هذا»[3]. وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، وأما الماضي فليس في قدرته. وأما معنى قوله: فإن لو تفتح عمل الشيطان. أنه يلقى في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان. قال الشيخ [رحمه الله تعالى]: وقد جاء استعمال لو في الماضي كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي». فالظاهر إنما ورد فيما لا فائدة فيه فيكون نهى تنزيه لا تحريم، وأما من قاله متأسفاً على ما فات من طاعة الله تعالى أو هو معتذر من ذلك فلا بأس به وعليه يحمل أكثر استعمال لو الموجودة في الأحاديث. أقول: بل التأسف على فوت طاعة الله مما يثاب فينبغي أن يعد من باب الاستحباب. فقد روى الرازي في مشيخته عن أبي عمرو: من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة، ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة. ذكره السيوطي في الجامع[4]. (رواه مسلم) ولفظ الجزري في الحصن ومن وقع له ما لا يختاره فلا يقل: لو أني فعلت كذا وكذا، أي لكان كذا وكذا، ولو للتمني ولكن ليقل: بقدر الله وما شاء فعل رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن السني لكن لفظ النسائي وابن السني قدر الله موضع بقدر الله. وقد ضبط بصيغة الفعل مخففاً ومشدداً وبصيغة المصدر بالرفع مضافاً، وأيضاً لفظهما صنع بدل فعل، والله [تعالى]أعلم. وروى أبو داود والنسائي وابن السني عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً: من غلبه أمر فليقل: حسبي الله ونعم الوكيل[5].

---

(١) في المخطوطة «التألف» .
(٢) من حديث أخرجه مسلم ٢/ ٨٨٦ حديث رقم ١٢١٨.
(٣) لم أجده في مسند الفردوس .
(٤) الجامع الصغير ٢/ ٥١٣ حديث رقم ٨٤٣٢.
(٥) أبو داود في سننه ٤/ ٤٤ حديث رقم ٣٦٢٧.

الفصل الثاني

٥٢٩٩ ـ (٥) عن عمر بنِ الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلونَ على اللّهِ حقَّ توكلهِ لَرزقَكم كما يَرْزُقُ الطَّيرَ، تغدو خماصاً وتروحُ بِطَاناً».

(الفصل الثاني)

٥٢٩٩ ـ **(عن عمر ب الخطاب رضي الله [تعالى]عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو إنكم تتوكلون)** وفي رواية الجامع بحذف إحدى التائين، أي تعتمدون. **(على الله حق توكله)** أي بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل في الوجود موجود إلاّ الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وفقر وغنى ومرض وصحة وموت وحياة وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود من الله تعالى، ثم يستعمل في الطلب على الوجه الجميل. ويشهد لذلك تشبيهه بالطير فإنها تغدو خماصاً ثم تسرح في طلب القوت فتروح بطاناً. **(لرزقكم)** أي ولو تركتم الأسباب فإنه يرزق البطال والعمال، وقد يرزق الضعيف بحيث يتعجب القوي. **(كما يرزق الطير)** بصيغة الفاعل **(تغدو)** أي تذهب أول النهار **(خماصاً)** بكسر الخاء المعجمة جمع خميص، أي جياعاً. **(وتروح)** أي ترجع آخر النهار **(بطاناً)** بكسر الموحدة جميع بطين وهو عظيم البطن، والمراد شباعاً. وفي قوله: تغدو إيماء إلى أن السعي بالإجمال لا ينافي الاعتماد على الملك المتعال كما قال تعالى [جلَّ جلاله]: ﴿**وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم**﴾ [العنكبوت ـ ٦٠]. فالحديث للتنبيه على أن الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى، لا للمنع عن الكسب فإن التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح مع أنه قد يرزق أيضاً من غير حركة، بل بتحريك غيره إليه يصل رزق الله ببركته، كما يستفاد العموم من قوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ [هود ـ ٦]. وقد حُكِيَ أن فرخ الغراب عند خروجه من بيضته يكون أبيض فيكرهه الغراب فيتركه ويذهب ويبقى الفرخ ضائعاً فيرسل الله تعالى إليه الذباب والنمل فيلتقطهما إلى أن يكبر قليلاً يسود فيرجع إليه الغراب فيراه أسود فيضمه إلى نفسه فيتعهده، فهذا يصل إليه رزقه بلا سعي. والحكايات في ذلك كثيرة والروايات به شهيرة. ومن غرائب ما حُكِيَ أنه سبحانه وتعالى قال لعزرائيل: هل رحمت على أحد عند نزع الأرواح: فقال: نعم يا رب حين غرق أهل سفينة وبقي بعض أهله على الألواح وكانت

الحديث رقم ٥٢٩٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٥ حديث رقم ٢٣٤٤. وابن ماجه ٢/ ١٣٩٤ حديث رقم ٤١٦٤. وأحمد في المسند ١/ ٣٠.

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٣٠٠ ـ (٦) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّها النَّاس! ليس من شيءٍ يقرِّبكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلاَّ قَدْ أمرتُكُمْ به، وليس شيءٌ يُقرِّبكم من النارِ ويباعدُكم من الجنةِ إلاَّ قدْ نهيتكمْ عنه، وإن الرُّوحَ الأمينَ ـ وفي روايةٍ: وإن روح القدس ـ

امرأة بولدها ترضعه فوق لوح فأمرت بقبض روحها فرحمت حينئذ على ولدها. قال تعالى: فألقيته على جزيرة وأرسلت إليه أسداً ترضعه إلى أن كبر قليلاً ثم قيضت له بعضاً من الجن ليعلمه لسان الإنس إلى أن نشأ نشأة كاملة ودخل في العمارة وحصل له الامارة ووصل إلى مرتبة السلطنة وأحاط بجميع المملكة، فادعى الألوهية ونسي العبودية وحقوق الربوبية واسمه شداد والله رؤوف بالعباد. فالرحيم الذي يرزق أعداءه كيف ينسى أحباءه. قال الشيخ أبو حامد [رحمه الله تعالى]: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم، وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين، بل نكشف عن الحق فيه فنقول: إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده. وقال الإمام أبو القاسم القشيري: اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما يحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره. **(رواه الترمذي وابن ماجه)** وكذا أحمد والحاكم[1].

٥٣٠٠ ـ **(وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: أيها الناس ليس من شيء)** من زائدة مبالغة، أي ليس شيء ما من الأشياء. **(يقربكم)** بتشديد الراء أي يجعلكم قريباً **(إلى الجنة ويباعدكم)** أي ومن شيء يبعدكم **(من النار)** أي على وجه النسبية فالنسبة في الفعلين مجازية. **(إلا قد أمرتكم به)** أي بما ذكر أو بكل منهما **(وليس شيء)** ليس من هنا في الأصول **(يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه)** وفيه دليل صريح على أن جميع العلوم من الأمور النافعة والأمور الدافعة يستفاد من الكتاب والسنة أن الاشتغال بغيرهما تضييع العمر من غير المنفعة. **(وأن الروح الأمين)** وفي نسخة: وأن روح الأمين. أي جبريل [عليه السلام] كما قال تعالى: نزل به الروح الأمين. **(وفي رواية: وأن روح القدس)** بضمتين وتسكن الدال كقوله تعالى: ﴿**وأيدناه بروح القدس**﴾ [البقرة ـ ٨٧]. أي الروح المقدسة من الأخلاق المدنسة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو كمال يقال[2]: حاتم الجود[3] ورجل صدق، فهو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة في الاختصاص. ففي الصفة: القدس منسوب إليها وفي الإضافة

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٨.

الحديث رقم ٥٣٠٠: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٩٩. حديث رقم ١٠٣٧٦. والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٣٠٣ حديث ٤١١١.

(٢) في المخطوطة «يقول». (٣) في المخطوطة «الوجود».

نَفَثَ في رُوعي أن نفساً لن تموتَ حتى تستكملَ رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يُدرَك ما عندَ اللَّهِ إلاَّ بطَاعتِهِ». رواه في «شرح السنة» والبيهقي في «شعب الإيمان» إلا أنه لم يذكُرْ: «وإنَّ روح القدس».

بالعكس نحو: مال زيد. (**نفث في روعي**) بضم الراء، أي أوحى إلي وألقى من النغث بالفم وهو شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل، لأن التفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق والروع الجلد والنفس كذا في النهاية. والمعنى: أنه أوحى إلي وحياً خفياً (**أن نفساً**) بفتح الهمزة ويجوز الكسر لأن الإيحاء في معنى القول. والمعنى: أن نفساً ذات نفس، وهي حي مخلوق. (**لن تموت حتى تستكمل رزقها**) أي المقدر لها كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم**﴾. (**ألا**) للتنبيه أي تنبهوا (**فاتقوا الله**) فإنكم مأمورون بالتقوى وبالسعي إلى الدرجات العلى (**وأجملوا**) [أي] من الإجمال، أي وأحسنوا. (**في الطلب**) أي في تحصيل الرزق ولا تبالغوا في طلبه فإنكم غير مكلفين بطلب الرزق قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾ [الذاريات ـ ٥٨]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**﴾ [طه ـ ١٣٢]. فالأمر للإباحة، أو المعنى: اطلبوا من الحلال فالأمر للوجوب. ويؤيده قوله: (**ولا يحملنكم**) بكسر الميم أي لا يبعثكم (**استبطاء الرزق**) أي تأخيره ومكثه عليكم. (**إن تطلبوه**) أي على أن تبتغوه (**بمعاصي الله**) أي بسبب ارتكابها بطريق من طرق الحرام كسرقة وغصب وخيانة وإظهار وسيادة وعبادة وديانة وأخذ من بيت المال على وجه زيادة نحو ذلك. (**فإنه**) أي الشأن (**لا يدرك ما عند الله**) أي من الرزق الحلال أو من الجنة وحسن المآل (**إلا بطاعته**) أي لا بتحصيل المال من طريق الوبال. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فأجملوا أي اكتسبوا المال بوجه جميل وهو أن لا تطلبه إلا بالوجه الشرعي. والاستبطاء بمعنى الإبطاء والسين فيه للمبالغة، كما أن استعف بمعنى عف في قوله تعالى: ﴿**ومن كان غنياً فليستعفف**﴾ [النساء ـ ٦]. وفيه أن الرزق مقدر مقسم لا بد من وصوله إلى العبد، لكن العبد إذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال وإذا طاب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله: ما عند الله. إشارة إلى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام. وقوله: إن تطلبوه بمعاصي الله [تعالى]. إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بمعصية الله ذم وسمي حراماً. وقوله: إلا بطاعته. إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالاً. وفي هذا دليل بين لأهل السنة على أن الحلال والحرام يسمى رزقاً وكله من عند الله خلافاً للمعتزلة. (**رواه**) أي البغوي (**في شرح السنة والبيهقي في شعب الإيمان إلا أنه**) أي البيهقي (**لم يذكر: وأن روح القدس**) فرواية روح القدس من روايات البغوي أو غيره. قال ميرك: ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم وصححه عنه. وعن جابر [رضي الله تعالى عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي في رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب [خذوا ما حل ودعوا ما

٥٣٠١ ـ (٧) وعن أبي ذرّ، عن النبي ﷺ قال: «الزَّهادةُ في الدُّنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثقَ بما في يدي الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إِذا أنت أُصبتَ بها أرغبَ فيها لو أنها أُبقيَتْ لك»

حرم. رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم[1] وقال: صحيح على شرط مسلم. قلت: روى أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة مرفوعاً: إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فأجملوا في الطلب]ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته.

٥٣٠١ **(وعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: الزهادة)** بفتح الزاي، أي ترك الرغبة **(في الدنيا)**. **(ليست بتحريم الحلال)** كما يفعله بعض الجهال زعماً منهم إن هذا من الكمال فيمتنع من أكل اللحم أو الحلواء والفواكه ولبس الثوب الجديد ومن التزوج ونحو ذلك وقد قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** [المائدة ـ ٨٧]. وقد ثبت أنه ﷺ فعل هذه الأفعال ولا أكمل من حاله الكمال. **(ولا إضاعة المال)** أي بتضييعه وصرفه في غير محله بأن يرميه في بحر أو يعطيه للناس من غير تمييز بين غني وفقير. وحاصله أنه لا عبرة بالزهادة الظاهرة وخلو اليد عن الأموال الطاهرة ثم توجه القلب إلى الخلق عند الاحتياج إلى المعيشة الحاضرة، بل المدار على الزهد القلبي بالانجذاب الربي ولذا استدرك ما سبقه من المقال حيث قال: **(ولكن الزهادة)** بتشديد النون ويخفف، أي ولكن الزهادة المعتبرة الكاملة. **(في الدنيا)** أي في شأنها **(أن لا تكون بما في يديك)** أي من الأموال أو من الصنائع والأعمال **(أوثق)** أي أرجى منك **(بما في يدي الله)** بصيغة التثنية أي بخزائنه الظاهرة والباطنة، وفيه نوع من المشاكلة. والمعنى: ليكن اعتمادك بوعد الله لك من إيصال الرزق إليك ومن إنعامه عليك من حيث لا تحتسب ومن وجه لا تكتسب أقوى وأشد مما في يديك من الجاه والمال والعقار وأنواع الصنائع من الاستعمال، ولو علم الكيميا وعلم السيميا. فإن ما في يديك يمكن تلفه وفناؤه بخلاف ما في خزائنه فإنه محقق بقاؤه كما قال تعالى: **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** [النحل ـ ٩٦]. **(وأن تكون)** عطف على أن لا تكون. والزهادة فيها أيضاً أن لا تلتفت إلى التنعم فيها والتلذذ بوجود نعمها، بل وأن تغتنم حصول المحنة ووصول البلية فيها لئلا يميل قلبك إليها ولا تستأنس نفسك بما عليها فتكون حينئذ. **(في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها)** بصيغة المجهول **(أرغب فيها)** أي في حصول المصيبة **(لو أنها)** أي لو فرض أن تلك المصيبة **(أبقيت لك)** أي منعت لأجلك وأخرت عنك. فوضع أبقيت موضع لم تصب، وجواب لو ما دل عليه ما قبلها. وخلاصته أن تكون رغبتك في وجود المصيبة لأجل ثوابها أكثر من رغبتك في عدمها فهذان الأمران شاهدان عدلان على

---

(١) ابن ماجه في سننه ٢/ ٧٢٥ حديث رقم ٢١٤٤. والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٥.

الحديث رقم ٥٣٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٢٣٤٠. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٣ حديث رقم ٤١٠٠.

رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث غريبٌ، وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث.

٥٣٠٢ - (٨) وعن ابن عباس، قال: كنتُ خلفَ رسول الله ﷺ يوماً فقالَ: «يا غلام!

زهدك في الدنيا وميلك في العقبى. وقال الطيبي: لو أنها أبقيت لك، حال من فاعل أرغب وجواب لو محذوف وإذا ظرف. والمعنى: أن تكون في حال المصيبة وقت إصابتها أرغب من نفسك في المصيبة حال كونك غير مصاب بها لأنك تثاب بوصولها إليك ويفوتك الثواب إذا لم تصل إليك. **(رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث)** قلت: وغايته أنه حديث ضعيف مبني لكنه حديث شريف معنى، ومثله يعتبر في فضائل الأعمال في جميع الأقوال، ومن جملتها الزهادة في الدنيا والرغبة في العقبى.

٥٣٠٢ - **(وعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً)** أي[1] رديفه، وفيه إشعار بكمال حفظه وإحسانه واستحضار لفظه واتقانه، فهذا الحديث من جملة أحاديثه التي سمعها من رسول الله ﷺ، وإلا فأكثر مروياته بالواسطة لكنها معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة، وما ذاك إلا لأجل صغره في زمانه ﷺ. قال المؤلف: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة، [وقيل عشر]. لكن صار حبر هذه الأمة وعالمها لأنه قد دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، ورأى جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في آخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن إحدى وسبعين سنة، وروي عن خلق كثير من الصحابة والتابعين. قيل: المعنى أمشي خلفه، لا أنه راكب رديفه وهو مردود لما في وسيط الواحدي عن ابن عباس أنه أهدى كسرى إلى النبي ﷺ بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه وسار بي ميلاً ثم التفت. **(فقال: يا غلام)** بالرفع كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المتعددة، والظاهر كسر الميم بناء على أن أصله يا غلامي بفتح الياء وسكونها ثم بعد حذفها تخفيفاً اكتفى بكسرة ما قبلها، لكن قد يضم وذلك في الاسم الغالب عليه الإضافة إلى الياء للعلم بالمراد، ومنه القراءة الشاذة: ﴿رب احكم﴾ [الأنبياء - ١١٢] بضم الباء على أنه يحتمل وقوع ضمها لمشاكلة ضم الكاف كما حقق في: ﴿وأن أحكم﴾ [المائدة - ٤٩]. حيث قرىء بالوجهين من السبعة. ثم في يا غلام لغة أخرى وهي قلب الياء ألفاً وقد جاء شاذاً يا غلام بالفتح اكتفاء بالفتحة عن الألف، ثم الأظهر أنه ﷺ وقف عليه بالسكون ولم يظهر عليه إعراباً على ما هو المتعارف في مثله. هذا والمراد بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك. ففي القاموس: الغلام الطارد الشارب والكهل ضد، أو من حين

---

(١) في المخطوطة «في».

الحديث رقم ٥٣٠٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٥ حديث رقم ٢٥١٦. وأحمد في المسند ١/ ٢٩٣.

احفظ الله يحفظْكَ، احفظ الله تجدهُ تُجاهَكَ، وإِذا سألت فاسأل الله، وإِذا استعنت فاستعن

يولد إلى حين يشب. والمقصود من النداء استحضاره لديه وتوجهه إلى ما يلقى إليه. وزاد في الأربعين: إني أعلمك كلمات، أي فصولاً ولا مفيدة في دفع البلاء وجلب المنافع والآلاء. **(احفظ الله)** أي أمره ونهيه **(يحفظك)** أي يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات، وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات جزاء وفاقاً، فإن من كان لله كان الله له. **(احفظ الله)**، أي حقه من دوام ذكره وتمام فكره وقيام شكره. **(تجده تجاهك)** بضم التاء أي أمامك. والمعنى: أنك تجده حينئذ كأنه حاضر تلقاءك وقدامك وتشاهده في مقام إحسانك وإيقانك وكمال إيمانك كأنك تراه بحيث تفني بالكلية عن نظرك ما سواء، فالأوّل حال المراقبة والثاني مقام المشاهدة. وقيل: المعنى إذا حفظت طاعة الله وجدته يحفظك وينصرك في مهماتك أينما توجهت ويسهل لك الأمور التي قصدت. وقيل: المعنى تجد عنايته ورأفته قريباً منك يراعيك في جميع الحالات وينقذك من جميع المضرات ويسعدك بأنواع التحف والكرامات، فهو تلميح إلى قوله تعالى: ﴿**ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ [ق ـ ١٦]. وقد أشار بعض العارفين إلى أنه لا ذرة من ذرات العالم إلا ونور الأنوار محيط بها قاهر عليها قريب من وجوده إليها إلا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الإِيجاد فقط، بل بمعنى آخر لا يجوز كشفه رمزت إليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب:

إذا ما تلاشيت في نوره يقول لي ادع فإني قريب

قال الطيبي [رحمه الله]: أي راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك أي مقابلك وحذاءك، والتاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة، أي احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة. **(وإذا سألت)** أي أردت السؤال **(فاسأل الله)** بإثبات الهمز ويجوز نقله، أي فاسأل الله وحده فإن خزائن العطايا عنده ومفاتيح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فإنها تصل إلى العبد أو تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة، لأنه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر، فينبغي أن لا يرجى إلا رحمته ولا يخشى إلا نقمته ويلتجأ في عظائم[(١)] المهام إليه ويعتمد في جمهور الأمور عليه ولا يسأل غيره، لأن غيره غير قادر على العطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع فإنهم: لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً. ولا يترك السؤال بلسان الحال أو ببيان المقال في جميع الأحوال. ففي الحديث: «من لم يسأل الله يغضب عليه». إذ السؤال إظهار شعائر الانكسار والإِقرار بسمت العجز والافتقار والإِفلاس عن ذروة القوّة والطاقة إلى حضيض الاستكانة والفاقة، ونعم ما قيل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسئل يغضب

(وإذا استعنت) أي أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة. **(فاستعن**

---

(١) في المخطوطة «عظام».

بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللَّهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف»

بالله) فإنه المستعان وعليه التكلان في كل زمان ومكان. **(واعلم)** زيادة حث على التوجه إليه والتقرب بالاستفادة لديه. **(أن الأمة)** أي جميع الخلق من الخاصة والعامة والأنبياء والأولياء وسائر الأمة. **(لو اجتمعت)** أي اتفقت فرضاً وتقديراً. **(على أن ينفعوك بشيء)** أي في أمر دينك أو دنياك **(لم ينفعوك)** أي لم يقدروا أن ينفعوك **(إلا بشيء قد كتبه الله لك)** أي قدره وأثبته في الذكر وفرغ منه وقد أذنهم في ذلك **(ولو اجتمعوا)** وقع في الأربعين هنا بلفظ: وإن اجتمعوا. فقال بعض الشراح من المحققين: إن لفظة لو فيما سبق بمعنى أن إذ المعنى على الاستقبال لقوله تعالى: ﴿**لو تركوا من خلفهم**﴾ [النساء ـ ٩]. فنكتة العدول هو أن اجتماعهم على الإمداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الإيذاء فإنه ممكن ولذا قيل:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله يظلم

انتهى كلامه. وهو غفلة منه عن الحكم المقرر في الاعتقاد أن اجتماعهم على إيصال النفع والضر بدون المشيئة من المحال. فإن ثبتت الرواية بالاختلاف فهو من باب التفنن، واختيار لو في القرينة الأولى أولى لأنها أدل على الفرضية المحالية، ووقوع أن في الثانية على أصلها مع استفادة الحكم من المعطوف عليها. **(على أن يضروك بشيء)** أي من سلب نفع أو جلب ضر **(لم يضروك)** أي لم يقدروا أن يضروك **(إلا بشيء قد كتبه الله عليك)** وخلاصة المعنى أنك وحد الله في المطلب والمهرب فهو الضار النافع والمعطي المانع. وفي بعض الكتب الإلهية: وعزتي وجلالي لأقطعن من يؤمل غيري وألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولأجنبنه من قربي ولأبعدنه من وصلي ولأجعلنه متفكراً حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني. هذا وأورد اللام في جانب النفع لأنه للملك. وحقيقته الاختصاص النافع. وقوله: ﴿**وإن أسأتم فلها**﴾ [الإسراء ـ ٧]. مجاز في صورة الضر على ما هو المشهور عند الجمهور. **(رفعت الأقلام)** أي من كتابة الأحكام. **(وجفت الصحف)** أي نشفت ما دون فيها من أقضية المخلوقين إلى يوم الدين فلا يوضع عليها بعد بتدوين شيء وتغيير أمر. وخلاصته أنه كتب في اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيئاً آخر، فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيهاً بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته. وقد سبق في أول الكتاب حديث: «إن أوّل ما خلق الله القلم فقال: اكتب. قال: [و]ما أكتب. قال: اكتب القدر. فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد»[1]. وحديث: جف القلم على علم الله[2]، أي ما علمه وحكم به في الأزل لا يتغير ولا يتبدل، وجفاف القلم

---

(١) الترمذي الحكيم.
(٢) البخاري تعليقاً في صحيحه ١١/ ٤٩١ باب جف القلم على علم الله.

رواه أحمد، والترمذي.

عبارة عنه والله [تعالى]أعلم. لا يقال هذا ينافي قوله تعالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ [الرعد ـ ٣٩]. لأنا نقول المحو والإثبات أيضاً مما جفت الصحف لأن القضاء قسمان مبرم ومعلق وهذا بالنسبة إلى اللوح المحفوظ، وأما بالإضافة إلى علم الله فلا تبديل ولا تغيير. ولهذا قال: ﴿**وعنده أم الكتاب**﴾ [الرعد ـ ٣٩]. وقيل: عند الله كتابان اللوح وهو الذي لا يتغير والذي يكتبه الملك على الخلق وهو محل المحو والإثبات. فهذا القدر من الحديث (**رواه [أحمد]والترمذي**) وقال: هذا حديث حسن صحيح. كما قاله النووي: ثم قال: وفي رواية غير الترمذي: احفظ الله تجده أمامك. تعرف إلى الله، بتشديد الراء، أي تحبب إليه بحفظ أحكامه. ذكره النووي [رحمه الله]لأن المعرفة سبب المحبة، يعرفك في الشدة بتخفيف الراء، أي يجازك فيها. واعلم أن ما أخطأك، أي جاوز عنك من النعمة والرخاء والشدة والبلاء، وأصل الخطأ العدول عن الجهة، لم يكن ليصيبك، أي محال أن يصيبك. وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفي على الخبر وتسليط النفي على الكينونية وسرايته في الخبر. وما أصابك لم يكن ليخطئك. فيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوّة عنه، إذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر ويسر وخير وشر ونفع وضر وأجل ورزق إلا ويتعلق بقدره وقضائه قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام جرى قلم القضاء بما يكون، فسيان التحرك والسكون فيجب الشكر في حال السراء والصبر في حال الضراء قائلاً كما قال تعالى: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ [النساء ـ ٧٨]. واعلم أن النصر أي على الأعداء مع الصبر أي على المحن والبلاء، وإن الفرج وهو الخروج من الغم مع الكرب أي الغم الذي يأخذ بنفس النفس ولذا ورد:

* اشـــتـدي أزمـــة تـنـفـرجـي(١) *

﴿**وإن مع العسر يسرا**﴾ [الشرح ـ ٩]. قال شارح: وقد وقعت الآية في القرآن مكررة ليعلم أنه لا يوجد عسر إلا معه يسران، وهذا مبني على القاعدة المشهورة إن النكرة المعادة غير الأولى، والمعرفة المعادة عين الأولى لكنها غالبية لأن قوله تعالى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك**﴾ [آل عمران ـ ٢٦]. لا شك فيه أن اللام الأولى للاستغراق والثانية للجنس الذي يحصل بوجود فرد منه، ثم قيل: مع بمعنى بعد، وهذا بعيد عن حقيقة المعنى وإرادة المبالغة في المبنى حيث قصد معاقبة أحدهما للآخر واتصاله به حتى جعله كالمقارن لزيادة في التسلية والتنفيس على أن المحن لا تخلو عن المنح، بل إنها عينها. ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ [فصلت ـ ٣٥]. ﴿**وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ [فصلت ـ ٣٥]. هذا وقد قال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الجيلاني قدس سره في فتوحات الغيب: ينبغي لكل مؤمن أن يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والآخرة ويجد العزة فيها برحمة الله [تعالى]. رواه

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٦٩ حديث رقم ١٠٤٧ وقال رواه القضاعي والديلمي.

٥٣٠٣ ـ (٩) وعن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادةِ ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوةِ ابْنِ آدمَ تركه استخارةَ الله، ومن شقاوة ابنِ آدم سخطه بما قضى الله له».

أحمد والترمذي. قال الطيبي [رحمه الله]: وزاد بعد قوله: تجاهك. في رواية رزين: تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة. وفي آخره: فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فإن لم تستطيع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً ولن يغلب عسر يسرين. والحديث بطوله قد جاء مثله أو نحوه في مسند أحمد بن حنبل [رحمه الله]. في النهاية: معنى: تعرف إلى الله، أي اجعل تعرفك بطاعته والعمل فيما أولاك من نعمته فإنه يجازيك عند الشدة والحاجة إليه في الدنيا والآخرة. وأراد بقوله: لن يغلب عسر يسرين. إن التعريف في العسر الثاني في قوله تعالى للعهد، والتنكير في يسراً للنوع، فيكون العسر واحداً واليسر اثنين. فالعسر ما كانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها واليسر في الدنيا الفتح والنصرة على الأعداء، وفي العقبى الفوز بالحسنى ولقاء الأحباء.

٥٣٠٣ ـ **(وعن سعد)** أي ابن أبي وقاص **(قال: قال رسول الله ﷺ: من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له)** أي ومن سعادة ابن آدم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به وقدره وقضاه كما يدل عليه مقابلته بقول: **(ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله)** أي طلب الخيرة منه فإنه يختار له ما هو خير له. ولذا قال بعض العارفين: اترك الاختيار وإن كنت لا بد أن تختار فاختر أن لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار. وقد قال تعالى: **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** [الأحزاب ـ ٣٦]. **(ومن شقاوة ابن آدم سخطه)** أي غضبه وعدم رضاه **(بما قضى الله [له])** فالرضا بالقضاء باب الله الأعظم، وهو من بين منازل السائرين موسوم بالمقام الأفخم. ثم تقديم الاستخارة لأنه سبب للرضا ولأنها توجد قبل تحقق القضاء. قال الطيبي رحمه الله: أي الرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادته، وإنما جعله علامة سعادة العبد لأمرين: أحدهما ليتفرغ للعبادة لأنه إذا لم يرض بالقضاء يكون مهموماً أبداً مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول: لم كان كذا ولم لا يكون كذا والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه. وسخط العبد أن يذكر غير ما قضى الله له وقال إنه أصلح وأولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه. فإن قلت: ما موقع قوله: ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله بين المتقابلين. قلت: موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة ويفوّض أمره بالكلية انتهى. وفيه أن الاستخارة والتفويض مآلهما واحد وكذا اكتفى بالاستخارة في القرينتين في رواية على ما يأتي. ثم لا شك أن التسليم المطلق أولى من الاستخارة لأنها نوع طلب وإرادة وضيق منازعة في أمر قد تحقق. هنا وحقيقة الاستخارة وهي أن يطلب الخير من الله في جميع أمره، بل وأن يعتقد أن الإنسان لا يعلم خيره من شره كما

الحديث رقم ٥٣٠٣: أخرجه الترمذي في السنن ٣٩٦/٤ حديث رقم ٢١٥١. وأحمد في المسند ١٦٨/١.

رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

الفصل الثالث

٥٣٠٤ ـ (١٠) عن جابرٍ، أنه غزا معَ النبي ﷺ قِبَل نَجْدٍ،

قال تعالى: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾ [البقرة ـ ٢١٦]. ثم يترقى بأن يرى أن لا يقع في الكون غير الخير ولذلك ورد: الخير بيديك والشر ليس إليك[١]. ثم المستحب دعاء الاستخارة بعد تحقق المشاورة في الأمر المهم من الأمور الدينية والدنيوية وأقله أن يقول: «اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني إلى اختياري». والأكمل أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمناه في كتاب الصلاة. (**رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب**) تمامه ولا نعرفه إلا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي عند أهل الحديث. ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه: من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته تركه استخارة الله. رواه الحاكم[٢] والترمذي. قال ميرك: كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص وقال الترمذي: غريب ولفظه: من سعادة ابن آدم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله تعالى له. وفي الجامع أسند الحديث إلى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه: من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله[٣]. فهذا وما قبله مما يدل على أن لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل والله سبحانه [وتعالى]أعلم. وروى الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً: ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد[٤]. وقال بعض الحكماء: من أعطى أربعاً لم يمنع أربعاً. من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخير ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب.

(الفصل الثالث)

٥٣٠٤ ـ (**عن جابر أنه غزا مع النبي**) وفي نسخة: رسول الله. (**ﷺ قبل نجد**) بكسر

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٤ حديث رقم ٧٧١.

(٢) الحاكم في مستدركه ١/ ٥١٨.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٥٠٤ حديث رقم ٨٢٥٢.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٨٢ حديث رقم ٧٨٩٥.

الحديث رقم ٥٣٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٦. حديث رقم ٢٩١٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم (١٤ ـ ٨٤٣) وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٥.

فلما قفلَ رسول اللّهِ ﷺ قَفَل معه، فأدركَتْهُم القائلةُ في وادٍ كثيرِ العضاهِ، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرّقَ الناس يستظلُّونَ بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحتَ سمُرَةٍ فعلّق بها سيفه ونِمْنَا نومة، فإذا رسولُ اللّهِ ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابيٌّ فقال: «إن هذا اخترطَ عَلَيَّ سيفي وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو في يده صَلتاً. قال: من يمنعك مني؟ فَقُلْتُ: الله، ثلاثاً» ولم يُعاقِبْه، وجلس. متفق عليه.

٥٣٠٥ ـ (١١) وفي رواية أبي بكر الإِسماعيلي في «صحيحه» قال: من يمنعك مني؟

القاف وفتح الباء أي جهته وجانبه. وفي النهاية: النجد ما ارتفع من الأرض وهو اسم خاص لما دون الحجاز. (**فلما قفل رسول الله ﷺ**) أي رجع، وسمى القافلة قافلة ولو كانت ذاهبة تفاؤلاً بمآلها. (**قفل معه**) أي قفل جابر مع النبي ﷺ (**فأدركتهم**) أي الصحابة أو الغزاة (**القائلة**) أي الظهيرة أو وقت القيلولة. (**في واد كثير العضاه**) بكسر العين وهو الشجر الذي له شوك. (**فنزل رسول الله ﷺ**) أي فأراد النزول أو أمر بالنزول (**وتفرق الناس يستظلون بالشجر**) أي بجنسه من أنواع الأشجار (**فنزل رسول الله ﷺ تحت سمرة**) بفتح سين فضم ميم، شجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاه. (**فعلق بها**) أي بغصن من أغصانها (**سيفه ونمنا**) بكسر أوّله. (**نومة**) أي خفيفة (**فإذا رسول الله ﷺ يدعونا**) أي ينادينا ويطلبنا (**وإذا**) وفي نسخة: فإذا. (**عنده أعرابي**) أي بدوي كافر (**فقال:**) أي النبي ﷺ (**إن هذا**) أي الأعرابي (**اخترط**) أي سل (**عليّ سيفي**) أي المعلق (**وأنا نائم**) حال (**فاستيقظت وهو**) أي والحال أن سيفي (**في يده صلتاً**) بفتح الصاد ويضم أي مسلولاً مجرداً عن الغمد. قال الجوهري: وهو بفتح الصاد وضمها. وفي القاموس: الصلت السيف الصقيل الماضي، ويضم وفي النهاية: وسيف مجرد. (**قال:**) أي الأعرابي (**من يمنعك مني**) أي من أذيتي، فالفعل على حقيقته والمضاف مقدر. قال الطيبي [رحمه الله]: أي من يحميك مني. قال في أساس البلاغة: ومن المجاز فلان يمنع الجار، [أي]يحميه من أن يضام. (**فقلت: الله**) أي الله يمنعين على الحقيقة، أو نظر إلى العصمة الموعودة بقوله سبحانه: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة ـ ٦٧]. (**ثلاثاً**) أي ثلاث مرات. وفيه إيماء إلى أنه يستحب تثليث لفظ الجلالة حالة الاستغاثة والاستعانة. (**ولم يعاقبه**) أي الأعرابي (**وجلس**) أي النبي ﷺ بعد ما كان قائماً أو مضطجعاً. ثم يحتمل أن تكون القضية وقعت قبل المناداة فأخبرهم بما وقع من خرق العادة، ويمكن أن تكون بعدها فناداهم ليريهم المعجزة، والأوّل أظهر والله أعلم. (**متفق عليه**).

٥٣٠٥ ـ (وفي رواية أبي بكر الإِسماعيلي في صحيحه فقال: من يمنعك مني

الحديث رقم ٥٣٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٩٧. حديث رقم ٢٩١٣. وأخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٧ حديث رقم (١٤ ـ ٨٤٣). وأحمد في المسند ٣/ ٣٩٠.

قال: «الله» فسقَط السيفُ من يدِهِ، فأخذ رسول الله ﷺ السيفَ فقال: «من يمنعُكَ مني؟» قال: كنْ خيرَ آخذٍ. فقال: «تشهد أنْ لا إله إلاَّ الله، وأني رسولُ اللَّهِ؟» قال: لا، ولكني أعاهِدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخَلَّى سبيلَه، فأتى أصحابَه، فقال: جئتكم من عندِ خيرِ الناسِ. هكذا في «كتاب الحميدي» و «الرياض».

٥٣٠٦ ـ (١٢) وعن أبي ذر، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إني لأعلم آيةً لو أخَذ النَّاسُ بها لكفتهم: ﴿ومن يتَّقِ اللَّهَ يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه من حيثُ لا يحتسبُ﴾ رواه أحمد، وابن ماجه، والدارمي.

فقال: الله [تعالى]، **فسقط السيف من يده. فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال: من يمنعك مني فقال: كن خير آخذٍ**). أي متناول للسيف، وهو كناية للعفو مع القدرة. وقال الطيبي [رحمه الله تعالى]: أي بالجنايات يريد العفو انتهى. فالأخذ بمعنى المؤاخذة. (**فقال: تشهد**) أي أتشهد (**أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. قال: لا**) أي لا أشهد (**ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك**) أي بانفرادي (**ولا أكون**) أي ولا أن أكون (**رفيقاً مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله**) أي فتركه حتى مضى إلى طريقه (**فأتى**) أي الأعرابي (**أصحابه**) أي قومه (**فقال: جئتكم من عند خير الناس**) أي كرماً وحلماً (**هكذا**) أي هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة (**في كتاب الحميدي وفي الرياض**) أي وكذا في كتاب رياض الصالحين للنووي[1].

٥٣٠٦ ـ (**وعن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: إني لأعلم آية لو أخذ الناس**) أي عملوا (**بها**) أي بانفرادها (**لكفتهم: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾**) أي من البلايا (**﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**)[2] أي من العطايا. وما بعده: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾** [الطلاق ـ ٣]. قال الطيبي [رحمه الله]: يريد الآية بتمامها، فقوله: **﴿ومن يتق الله﴾** إلى قوله: **﴿من حيث لا يحتسب﴾**. إشارة إلى أنه تعالى يكفيه جميع ما يخشى ويكره من أمور الدنيا والآخرة. وقوله: **﴿ومن يتوكل﴾**. الخ إشارة إلى أن الله تعالى يكفيه جميع ما يطلبه ويبتغيه من أمور الدنيا والآخرة، وبالغ أمره أي نافذ أمره. وفيه بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره وتوفيقه لم يبق إلا التسليم للقدر والقضاء والتوكل، وأنشد:

إذا المرء أمسى حليف التقي ... فلم يخش من طارق حله
ألم تسمع الله سبحانه ... ومن يتق الله يجعل له مخرجاً

(**رواه أحمد وابن ماجه والدارمي**).

---

(١) رياض الصالحين ص ٥١ الحديث رقم ٥ من باب اليقين والتوكل.

الحديث رقم ٥٣٠٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١١ حديث رقم ٤٢٢٠. والدارمي في السنن ٢/ ٣٠٩٢ حديث رقم ٢٧٢٥. وأحمد في المسند ١/ ٢٤٨.

(٢) سورة الطلاق. آيتان رقم ٢ و٣.

٥٣٠٧ ـ (١٣) وعن ابن مسعود، قال: أقرأني رسول الله ﷺ: ﴿إِني أنا الرزاق ذو القوّة المتين﴾. رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٥٣٠٨ ـ (١٤) وعن أنسٍ، قال: كان أَخَوانِ على عهد نبي الله ﷺ، فكان أحدهُما يأتي النبيَّ ﷺ، والآخرُ يحْتَرِفُ، فشكا المحترفُ أخاه النبيَّ ﷺ، فقال: «لعلك ترزق به» رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح غريب.

٥٣٠٧ ـ (وعن ابن مسعود قال: أقرأني رسول الله ﷺ) أي حملني على أن أقرأ ذكره الطيبي. والأظهر أن معناه علمني. (إني أنا الرزاق) أي قراءته هكذا قال الطيبي [رحمه الله]هي قراءة شاذة منسوبة إلى رسول الله ﷺ. والمشهور ﴿إن الله هو الرزاق﴾ [الذاريات ـ ٥٨]. انتهى. والمراد أنها كانت قراءة قطعية متواترة معنوية، وكان علمها رسول الله ﷺ ابن مسعود لكنها نسخت أو شذت طرقها بعد ابن مسعود. (ذو القوّة المتين) أي الشديد القوّة. والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء. وقوله: ذو القوة. خبر بعد خبر، وفيه من المبالغات تصدير الجملة بأن وتوسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص وتعريف الخبر بلام الجنس، ثم أردفه بقوله: ذو القوة. وتتميمه بالمتانة فوجب أن لا يتوكل إلا عليه ولا يفوض الأمور إلا إليه، ذكره الطيبي [رحمه الله]. (رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح).

٥٣٠٨ ـ (وعن أنس قال: كان اخوان) أي اثنان من الإخوان (على عهد النبي ﷺ) أي في زمنه (فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ) أي لطلب العلم والمعرفة (والآخر يحترف) أي يكتسب أسباب المعيشة فكأنهما كانا يأكلان [معاً](فشكا المحترف) أي في عدم مساعدة أخيه إياه في حرفته أو في كسب آخر لمعيشته. (أخاه النبي) بنزع الخافض أي إلى النبي ﷺ فقال: (لعلك ترزق به) بصيغة المجهول أي أرجو أو أخاف أنك مرزوق ببركته، لا أنه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك. وفي الحديث دليل على جواز أن يترك الإِنسان شغل الدنيا وأن يقبل على العلم والعمل والتجرد لزاد العقبى. قال الطيبي [رحمه الله]: ومعنى لعل في قوله: لعلك. يجوز أن يرجع إلى رسول الله ﷺ فيفيد القطع والتوبيخ كما ورد: «فهل ترزقون إلا بضعفائكم»[١]. وأن يرجع للمخاطب ليبعثه[٢] على التفكر والتأمل فينتصف من نفسه. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح غريب) . وورواه الحاكم أيضاً[٣].

الحديث رقم ٥٣٠٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٧٦. حديث رقم ٢٩٤٠.

الحديث رقم ٥٣٠٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٦. حديث رقم ٢٣٤٥.

(١) البخاري وراجع الحديث رقم (٥٢٣٢).

(٢) في المخطوطة «ليعبه».

(٣) الحاكم في مستدركه ١/ ٩٤.

٥٣٠٩ ـ (١٥) وعن عمرو بنِ العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قَلْبَ ابنِ آدمَ بكل وادٍ شعبة، فمن أَتْبعَ قلبه الشُّعَبَ كلَّها لم يبال الله بأيِّ وادٍ أهلكه، ومن توكل على الله كفاه الشُّعَبَ». رواه ابن ماجه.

٥٣١٠ ـ (١٦) وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «قال ربُّكم عزَّ وجلَّ: لوْ أنَّ عبيدي أطاعوني لأسقَيْتُهم المطرَ بالليلِ، وأطلعْتُ عليهمُ الشَّمسَ بالنَّهارِ، ولمْ أُسمِعْهم صوتَ الرَّعدِ». رواه أحمد.

٥٣١١ ـ (١٧) وعنه، قال: دخلَ رجلٌ على أهلِه، فلمَّا رأى ما بهم منَ الحاجةِ خرجَ إلى البريَّةِ،

٥٣٠٩ ـ **(وعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: إن قلب ابن آدم بكل واد شعبة)** أي لقلبه قطعة. والمعنى بعض توجه منه لأن القلب واحد وأودية الهموم متعددة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه. ففي النهاية: الشعبة الطائفة من كل شيء والقطعة منه. قال الطيبي [رحمه الله]: ولا بد فيه من تقدير، أي في كل واد له شعبة. **(فمن أتبع قلبه الشعب كلها)** من الإتباع أي من جعل قلبه تابعاً لشعب الهموم في أدوية الغموم. **(لم يبال الله بأي واد أهلكه. ومن توكل على الله كفاه الشعب)** أي كفاه الله مؤمن حاجاته المتشعبة المختلفة. وفي معناه ما رُوِيَ عن النبي ﷺ من جعل الهموم هماً واحداً هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة. **(رواه ابن ماجه)**.

٥٣١٠ ـ **(وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: قال ربكم عزَّ وجلَّ: لو أن عبيدي أطاعوني)** أي في أمري ونهيي **(لأسقيتهم)** أي لأنزلت عليهم **(المطر بالليل)** أي وهم نائمون مستريحون **(وأطلعت)** من باب الإفعال أي أظهرت وأبرزت **(عليهم الشمس بالنهار)** أي وهم بمكاسبهم وأمورهم مشتغلون **(ولم أسمعهم)** وفي رواية الجامع: ولما أسمعتهم. **(صوت الرعد)** أي لا ليلاً ولا نهاراً كيلا يخافون ولا ينفجعوا فلا يتضررون. قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب التتميم، فإن السحاب مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف لقوله تعالى: ﴿**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً**﴾ [الرعد ـ ١٢]. فنفاه ليكون رحمة محضة **(رواه أحمد)** وكذا الحاكم(١).

٥٣١١ ـ **(وعنه(٢) قال: دخل رجل على أهله)** أي أهل بيته وأصحاب نفقته **(فلما رأى ما بهم من الحاجة)** أي من الجوع والفاقة **(خرج إلى البرية)** أي إلى قطعة من الأرض منسوبة إلى

الحديث رقم ٥٣٠٩: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٩٥ حديث رقم ٤١٦٦.

الحديث رقم ٥٣١٠: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٩.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٩.

الحديث رقم ٥٣١١: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥١٣.

(٢) في المخطوطة «وعن أبي هريرة».

فلمَّا رأتِ امرأتُه قامتْ إلى الرَّحى، فوضعتها، وإلى التنُورِ، فسجَرَتْه، ثمَّ قالتِ: اللهُمَّ ارزُقنا، فنظرتْ فإذا الجَفنةُ قدِ امتلأتْ. قال: وذهبتْ إلى التَّنور، فوجدَتْهُ مُمتلئاً. قال: فرجعَ الزَّوجُ، قال: أصَبتم بعدي شيئاً؟ قالتْ امرأتُه: نعمْ، من ربِّنا، وقامَ إلى الرَّحى فذُكرَ ذلك للنبي ﷺ، فقال: «أمَا إنَّه لو لمْ يرفعْها لم تزلْ تدورُ إلى يوم القيامةِ». رواه أحمد.

٥٣١٢ ـ (١٨) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرِّزقَ ليطلبُ العبدَ كما يطلبُه أجلُه». رواه أبو نعيم في «الحلية».

البر للتضرع إلى خالق البرية (**فلما رأت امرأته**) أي خلو يد الرجل وإدباره عن الأهل من الحياء والخجل (**قامت إلى الرحى فوضعتها**) أي الطبقة العليا على السفلى. والمعنى: فهيأتها ونظفتها (**وإلى التنور فسجرته**) بتخفيف الجيم وتشدد أي أوقدته (**ثم قالت:**) فيه إشارة إلى أن العبد يسعى في طلب الحلال ما أمكنه الوقت ويقتضيه الحال. ثم يستعين في تحصيل أمره إلى الملك المتعال بالدعاء بنحو: (**اللهم ارزقنا**) أي من عندك فإنك خير الرازقين، وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع إلا في خيرك. (**فنظرت**) أي إلى الرحى (**فإذا الجفنة**) وهي القصعة على ما في القاموس، أو القصعة الكبيرة على ما في خلاصة اللغة، والمراد هنا ما يوضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق. (**قد امتلأت**) أي من الدقيق (**قال:**) أي الراوي (**وذهبت**) وفي نسخة صحيحة: فذهبت (**إلى التنور**) أي لتخبز فيه من الدقيق بعد عجنه (**فوجدته ممتلئاً**) أي من الخبز الملتصق به (**قال:**) أي الراوي (**فرجع الزوج**) أي راجياً لما قام بأمر الله داعياً (**قال:**) أي الزوج، وهو استئناف بيان. (**أصبتم**) أي أكلتم أو حصلتم (**بعدي شيئاً**) أي من الأشياء أو من الإصابة (**قالت امرأته: نعم**) أي أصبنا (**من ربنا**) أي من عند ربنا أو من رزقه وما أخطأنا. وأغرب الطيبي [رحمه الله]في قوله: اللهم ارزقنا. حيث قال: دعت أن تصيب زوجها بما تطحنه وتعجنه وتخبزه فهيأت الأسباب لذلك انتهى. (**وقام**) أي فتعجب الزوج وقام (**إلى الرحى**) أي ورفعها ليرى أثرها (**فذكر**) بصيغة المجهول. وفي نسخة صحيحة: فذكر. أي هو بنفسه (**ذلك**) أي ما ذكر من القضية بتمامها (**للنبي ﷺ فقال: أما**) بالتخفيف للتنبيه (**إنه**) أي الشأن (**لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة. رواه أحمد**).

٥٣١٢ ـ (**وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله**) أقول: بل حصول الرزق أسبق وأسرع من وصول أجله لأن الأجل لا يأتي إلا بعد فراغ الرزق. قال الله تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم**﴾ [الروم ـ ٤٠]. (**رواه أبو نعيم في الحلية**) قال ميرك نقلاً عن المنذري: رواه ابن ماجه في صحيحه والبزار، ورواه الطبراني بإسناد جيد، إلا أنه قال: إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله. قلت: وكذا رواه ابن عدي في الكامل، وهو يؤيد ما قررته وفيما سبق من المعنى حررته. وروى أبو

الحديث رقم ٥٣١٢: أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/٨٦.

٥٣١٣ ـ (١٩) وعن ابنِ مسعودٍ، قال: كأني أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ يحكي نبياً منَ الأنبياءِ، ضربَه قومُه فأدْمَوْه وهوَ يمسحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقولُ: اللهُمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمونَ. متفق عليه.

(٥) باب الرياء والسمعة

نعيم في الحلية عن جابر مرفوعاً: لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت(١).

٥٣١٣ ـ (**وعن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ**) أي في استحضار القضية واستحفاظ القصة (**يحكي نبياً**) أي حال كونه يحكي حال نبي (**من الأنبياء ضربه قومه**) أي قد ضربه قومه، فهو حال بتقدير قد وجوز بدونه أيضاً. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: نبياً، منصوب على شريطة التفسير بقرينة قوله: ضربه قومه، وهو حكاية لفظ الرسول ﷺ. ويجوز أن تقدر مضافاً، أي يحكي حال نبي من الأنبياء وهو معنى ما تلفظ به وحينئذ ضربه يجوز أن يكون صفة للنبي وأن يكون استئنافاً، كان سائلاً سأل ما حكاه فقيل: ضربه قومه. (**فأدموه**) أي جعلوه صاحب دم خارج من رأسه (**وهو يمسح الدم عن وجهه**) أي خوفاً من الوقوع في فمه أو عينه (**ويقول:**) أي من كمال صبره (**اللهم اغفر لقومي**) أي فعلهم هذا، بمعنى: لا تعذبهم به في الدنيا ولا تستأصلهم. وإلا فمن المعلوم أن مغفرة الكفار بمعنى العفو عن شركهم وكفرهم غير جائز بالإِجماع. ويمكن أن تكون المغفرة كناية عن التوبة الموجبة للمغفرة. وإليه الإشارة بقوله: (**فإنهم لا يعلمون**) وهذا من كمال حلمه وحسن خلقه حيث أذنب القوم وهو يعتذر عنهم عند ربهم إنهم ما فعلوا ما فعلوا إلا لجهلهم بالله ورسوله. ففيه إشعار بأن الذنب مع الجهل أهون في الجملة بالنسبة إلى الذنب مع العلم ولذا ورد: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع [مرات] (**متفق عليه**).

(باب الرياء والسمعة)

في المغرب يقال: فعل ذلك سمعة، أي ليريه الناس من غير أن يكون قصد به التحقيق وسمع بكذا شهرة تسميعاً انتهى. والتحقيق أن الرياء مأخوذ من الرؤية فهو ما يفعل ليراه الناس ولا يكتفي فيه برؤية الله سبحانه وتعالى، والسمعة بالضم مأخوذة من السمع فهو ما يفعل أو يقال ليسمعه الناس ولا يكتفي فيه بسمعه تعالى. ثم يستعمل كل منهما موضع الآخر، وقد يجمع بينهما تأكيداً أو لإرادة أصل المعنيين تفصيلاً. وضدهما الإِخلاص في العمل لله على

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٦.

الحديث رقم ٥٣١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥١٤. حديث رقم ٣٤٧٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٣٥ حديث رقم ٤٠٢٥. وأحمد في المسند ١/ ٤٤١.

الفصل الأول

٥٣١٤ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى صوَرِكم، و [لا] أموالِكم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم». رواه مسلم.

٥٣١٥ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال اللَّهُ تعالى: أنا أغنى الشُّركاءِ عنِ الشّركِ، مَن عمِلَ عمَلاً أشركَ فيه معي

قصد الخلاص. ثم الرواية الصحيحة في الرياء الهمز وعليه السبعة، ويجوز إبداله ياء وبه قرأ بعض القراء، وهو المشهور على ألسنة العامة.

(الفصل الأول)

٥٣١٤ ـ (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا ينظر**) أي نظر اعتبار (**إلى صوركم**) إذ لا اعتبار بحسنها وقبحها (**وأموالكم**) إذ لا اعتبار بكثرتها وقلتها (**ولكن**) وزاد في الجامع: ولكن إنما (**ينظر إلى قلوبكم**) أي إلى ما فيها من اليقين والصدق والاخلاص وقصد الرياء والسمعة وسائر الأخلاق الرضية والأحوال الردية (**وأعمالكم**) أي من صلاحها وفسادها فيجازيكم على وفقها. هذا وفي النهاية: معنى النظر ههنا الاجتباء والرحمة والعطف، لأن النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل النفس إلى الصور المعجمة والأمور الفانية والله يتقدس عن شبه المخلوقين، فجعل نظره إلى ما هو البر واللب وهو القلب والعمل، والنظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني ذكره الطيبي [رحمه الله]. ولا يخفى بعد المراد من النظر هنا ما ذكره من الرحمة والعطف لا سيما في جانب النفي فتدبر، خصوصاً فيما ذكره من تنصيل النظر فإن نفيه في حقه تعالى لا يتصور والله [تعالى]أعلم. (**رواه مسلم**) وكذا ابن ماجه.

٥٣١٥ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء**) أي أنا أغنى من يزعم أنهم شركاء على فرض أن لهم غنى. (**عن الشرك**) أي عما يشركون به مما بيني وبين غيري في قصد العمل. والمعنى: ما أقبل إلا ما كان خالصاً لوجهي وابتغاء لمرضاتي. فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول، ويؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله: (**من عمل عملاً أشرك فيه**) أي في قصد ذلك العمل (**معي**)

الحديث رقم ٥٣١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٨٧. حديث رقم (٣٤ . ٢٥٦٤). وابن ماجه ٢/ ١٣٨٨ حديث رقم ٤١٤٣. وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٥.

الحديث رقم ٥٣١٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٩ حديث رقم (٤٦ . ٢٩٨٥). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٥ حديث رقم ٤٢٠٢ وأحمد في المسند ٢/ ٣٠١.

غيري، تركتُه وشركه» وفي رواية: «فأنا منه بريءٌ، هوَ للذي عمِله».

أي مع ابتغاء وجهي (غيري) أي من المخلوقين فلا يضره قصد الجنة وتوابعها مثلاً فإنها من جملة مرضاته سبحانه، وإن كان المقام الأكمل أن لا يعبده لطمع جنة أو خوف نار، فإنه عد كفراً عند بعض العارفين. لكن التحقيق فيه أنه لو كان بحيث لو لم تخلق جنة ولا نار لما عبده سبحانه لكان كافراً فإنه يستحق العبادة لذاته، ولذا مدح صهيب بما رُوِيَ في حقه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ما عصاه[1]. وقوله: (تركته وشركه) خبر من والواو بمعنى مع، أو المعنى تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول. (وفي رواية: فأنا منه بريء) قيل من ذلك العمل. والأظهر من عامل ذلك العمل لئلا يكون تكراراً في قوله. (هو) أي ذلك العمل (للذي عمله) أي لأجله ممن قصده بذلك العمل رياء وسمعة، وهو تأكيد لما قبله. وقال شارح: أي هو لفاعله، يعني: تركت ذلك العمل وفاعله لا أقبله ولا أجازي فاعله بذلك العمل لأنه لم يعمله لي انتهى. وفيه أنه يلزم منه أن يكون عمله حينئذ مباحاً مع أن العمل على وجه الإشراك حرام إجماعاً فيعاقب فاعله بذلك العمل فتأمل. ولنذكر بقية كلام الشراح، فقال ابن الملك [رحمه الله]: أعني أفعل التفضيل من غني به عنه غنية، أي استغنى به عنه وإضافته إما للزيادة المطلقة، أي أنا غني من بين الشركاء، وإما للزيادة على ما أضيف إليه، أي أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك لكون استغنائه من جميع الجهات وفي جميع الأوقات، وفيما ذكره من الوجه الثاني ما لا يخفى. وقال الطيبي [رحمه الله]: اسم التفضيل هنا لمجرد الزيادة والإضافة فيه للبيان، أو على زعم القوم. وفيه أن وجه الإضافة للبيان يحتاج إلى مزيد البيان وكأنه أراد أن معناه: أنا غني مما بينهم دونهم. ثم قال: والضمير المنصوب في تركته يجوز أن يرجع إلى العمل. والمراد من الشرك الشريك، قال النووي [رحمه الله تعالى]: معناه أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئاً لي ولغيري لم أقبله بل أتركه مع ذلك الغير. ويدل عليه الحديث الأول من الفصل الثاني. ويجوز أن يرجع إلى العامل. والمراد بالشرك الشركة وقوله وهو يعود إلى العمل على الوجه الأول وإلى العامل على الوجه الثاني أي العامل لما عمل به من الشرك يعني يختص به ولا يتجاوز عنه وكذا الضمير في منه. أقول: ويمكن أن يقال معناه: أنا أغنى كل ممن يطلق عليه اسم الشريك كقوله تعالى: ﴿أحسن الخالقين﴾ [الصافات ـ ١٢٥]. فإن كثيراً من الشركاء في الدنيا من الأغنياء إذا وقع لهم سهم مع الفقراء فإنهم يسامحونهم به ويعطونهم إياه أو يهبونه لواحد منهم من أفقرهم، فإذا كان هذا وصف بعض الشركاء من الضعفاء فكيف بالذي لا شريك له وله وصف العظمة والكبرياء. هذا وقال الإمام حجة الإسلام: درجات الرياء أربعة أقسام الأولى: وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلاً كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو

(١) ذكر الدكتور نور الدين عتر في كتابه منهاج النقد في علوم الحديث نقلاً عن المقاصد الحسنة وكشف الخفاء أن هذا الحديث لا سند له [منهاج النقد ص ٤١١].

رواه مسلم.

٥٣١٦ - (٣) وعن جُندبٍ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَن سمَّعَ سمَّعَ اللَّهُ به، ومَن يُرائي يُرائي اللَّهُ به».

انفرد لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء فهو الممقوت عند الله تعالى. والثانية أن يكون له قصد الثواب أيضاً ولكن قصداً ضعيفاً بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فقصد الثواب فيه لا ينفي عنه المقت. والثالثة أن يكون قصد الثواب والرياء متساويين بحيث لو كان واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة، وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم رأساً برأس. والرابعة أن يكون إطلاع الناس مرجحاً مقوياً لنشاطه ولو لم يكن لم يترك العبادة، ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم. فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب. وأما قوله ﷺ: أنا أغنى الشركاء[1]. فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح **(رواه مسلم)** وكذا ابن ماجه الرواية الأولى.

٥٣١٦ - **(وعن جندب)** مر ذكره **(قال: قال النبي)** وفي نسخة: رسول الله. **(ﷺ: من سمع)** بتشديد الميم، أي من عمل عملاً للسمعة بأن نوه بعمله وشهره ليسمع الناس به ويمتدحوه. **(سمع الله به)** بتشديد الميم أيضاً، أي شهره الله بين أهل العرصات وفضحه على رؤوس الإِشهاد. وأما ما نقله الطيبي [رحمه الله]عن النووي [رحمه الله]بأن معناه: من أظهر عمله للناس رياء، فهو غير ملائم لمقام التفصيل والتمييز بين المعنيين من السمعة والرياء حيث قال: **(ومن يرائي يرائي الله به)** بإثبات الياء في الفعلين على أن من موصولة مبتدأ. والمعنى: من يعمل عملاً ليراه الناس في الدنيا يجازيه الله تعالى به بأن يظهر رياءه على الخلق. وخلاصة القرينتين وزبدة الجملتين أن المعنى يسمع الله الخلق بكونه مسمعاً ويظهر لهم بكونه مرائياً. وفي شرح مسلم معنى: من يرائي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك يرائي الله به، أي يظهر سريرته على رؤوس الخلائق. وفيه أن قيده بقوله: وليس هو كذلك. ظاهره أنه ليس كذلك بل هو على إطلاقه سواء يكون كذلك أو لا يكون كذلك. ثم قال: وقيل معناه: من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه. وقيل: أسمعه المكروه. وقيل: أراه الله ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه وقيل معناه: من أراد أن

---

(١) الأولى أن يقال قول الله تعالى في الحديث القدسي.

الحديث رقم ٥٣١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٣٥. حديث رقم ٦٤٩٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٩ حديث رقم (٤٨ - ٢٩٨٧). والترمذي في السنن ٤/ ٥١٠ حديث رقم ٢٣٨١ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٧ حديث رقم ٤٢٠٧. وأحمد في المسند ٣/ ٤٠.

متفق عليه.

٥٣١٧ ـ (٤) وعن أبي ذرّ، قال: قيل لرسولِ الله ﷺ: أرأيتَ الرَّجلَ يعملُ العملَ منَ الخيرِ ويحمَدُه النّاسُ عليه. وفي رواية: يُحبُّه النّاسُ عليه. قال: «تلكَ عاجلُ بشرى المؤمنِ». رواه مسلم

الفصل الثاني

٥٣١٨ ـ (٥) عن أبي سعدِ بن أبي فَضالةَ،

يعلمه الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه. قال الشيخ أبو حامد: الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة من السماع. وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائهم الخصال المحمودة، فحد الرياء هو إراء العبادة بطاعة الله تعالى، فالمرائي هو العابد والمراء له هو الناس والمراءى به هو الخصال الحميدة، والرياء هو قصد إظهار ذلك. **(متفق عليه)** ورواه أحمد ومسلم وابن عباس ولفظ: من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به.

٥٣١٧ ـ **(وعن أبي ذر قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت)** أي أخبرني كما قاله شارح. فقوله **(الرجل يعمل العمل)** مبتدأ وخبر في محل النصب وقال الطيبي [رحمه الله]أي أخبرنا بحاله فالرجل منصوب بنزع الخافض. والمراد بالعمل جنسه. وقوله: **(من الخير)** بيان له، ومن المعلوم أن لا خير في العمل للرياء فيكون عمله خالصاً. **(ويحمده الناس عليه)** أي يثنونه على ذلك العمل أو على ذلك الخير. **(وفي رواية: ويحبه الناس)** أي يعظمونه **(عليه)** أي على ذلك الخير، أو لأجل ذلك العمل. **(قال: تلك)** أي المحمدة أو المحبة أو الخصلة أو المثوبة **(عاجل بشرى المؤمن)** أي معجل بشارته، وأما مؤجلها فباق إلى يوم آخرته. وظاهره أنه يستوي فيه أنه يعجبه حمدهم ومحبتهم أولاً، والثاني أولى والأول أظهر. وسيجيء التصريح به في حديث أبي هريرة من الفصل الآتي. قال المظهر: أي أخبرنا بحال من يعمل عملاً صالحاً لله تعالى لا للناس ويمدحونه هل يبطل ثوابه فقال ﷺ: تلك عاجل بشرى المؤمن، يعني هو في عمله ذلك ليس مرائياً فيعطيه الله تعالى به ثوابين في الدنيا وهو حمد الناس له وفي الآخرة ما أعدله. **(رواه مسلم)**.

(الفصل الثاني)

٥٣١٨ ـ **(عن أبي سعيد بن أبي فضالة)** بفتح الفاء. قال الطيبي [رحمه الله]: أبو سعد

الحديث رقم ٥٣١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٣٤ حديث رقم (١٦٦ . ٢٦٤٢). وابن ماجه ٢/ ١٤١٢ حديث رقم ٤٢٢٥. وأحمد في المسند ٥/ ١٥٦.

الحديث رقم ٥٣١٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٤ حديث رقم ٣١٥٤. وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٦.

عن رسول اللَّهِ ﷺ، قال: «إذا جمعَ اللَّهُ الناسَ يومَ القيامةِ ليوم لا ريبَ فيه نادى مُنادٍ: من كانَ أشركَ في عملٍ عملَه للَّهِ أحداً، فلْيَطلبْ ثوابَه منْ عندِ غيرِ اللَّهِ؛ فإنَّ اللَّهَ أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ». رواه أحمد.

٥٣١٩ ـ (٦) وعن عبدِ الله بن عمْرٍو، أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «من سَمَّعَ الناسَ بعملِه سمَّع اللَّهُ به أَسَامِعَ خلقِه

بسكون العين كذا في مسند أحمد وفي الاستيعاب وجامع الأصول. وفي نسخ المصابيح: أبو سعيد بياء بعد العين انتهى. قال الجزري: هو تصحيف. وقال المؤلف: اسمه كنيته وهو حارثي أنصاري يعد في أهل المدينة. (**عن رسول الله ﷺ قال: إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم**) أي لحسابه وجزائه (**لا ريب فيه**) أي في وقوع ذلك اليوم أو في حصول ذلك الجمع. قال الطيبي [رحمه الله]: اللام متعلق بجمع. ومعناه: جمع الله الخلق ليوم لا بد من حصوله ولا يشك في وقوعه لتجزى كل نفس بما كسبت. وقوله: يوم القيامة، توطئة له ويجوز أن يكون ظرفاً لجمع، كما جاء في الاستيعاب: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه. الحديث. فعلى هذا قوله: ليوم، مظهر وقع مقام المضمر أي جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه. (**نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً**) منصوب على أنه مفعول أشرك، أي أحداً غير الله ولذا قال: (**فليطلب ثوابه من عند غير الله**) ولعل وجه العدول عن قوله من عنده أو من عند ذلك الأحد ما يحصل به من إبهام الإيهام ويخل به مقام المرام. (**فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك**) فهذا الحديث يؤيد ما قررناه آخراً في معنى الحديث الأول فتأمل (**رواه أحمد**) وكذا الترمذي وابن ماجه ورجاله رجال مسلم إلا زياد بن مينا وقد وثقوه. ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ذكره ميرك.

٥٣١٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من سمع الناس**) بتشديد الميم أي راءاهم بعمله، أي المطلوب منه أن يخفيه عن نظر الخلق فأظهره لهم فكأنه ناداهم. (**سمع الله**) بتشديد الميم أيضاً أي أسمع (**به**) أي بعمله الريائي والسمعي (**أسامع خلقه**) أي آذانهم ومحل سماعهم. والمعنى: جعله مسموعاً لهم ومشهوراً فيما بينهم في العقبى، أو أظهر لهم سريرته وملأ أسماعهم مما ينطوي عليه من خبث سرائره جزاء لفعله. ويمكن أن يكون الضمير في قوله: به، راجعاً إلى الموصول. ففي شرح السنة. يقال: سمعت بالرجل تسميعاً إذا أشهرته. وقوله: أسامع خلقه، هي جمع أسمع. يقال: سمع وأسمع وأسامع جمع الجمع. يريد أن الله يسمع أسماع خلقه به يوم القيامة. وحاصله أن أسامع بالنصب مفعول سمع، أي بلغ الله مسامع خلقه أنه مراء مزور وأشهره بذلك فيما بين الناس. فأسامع جمع أسمع وهو جمع سمع بمعنى الأذن، وروي سامع خلقه مرفوعاً على أنه صفة لله. فالمعنى: سمع الله الذي هو سامع خلقه يعني فضحه الله. قال صاحب الفائق في هذه الرواية: ولو روي

الحديث رقم ٥٣١٩: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٣١ حديث رقم ٦٨٢١. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

وحَقَّرهُ وصَغَّرَه». رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٣٢٠ ـ (٧) وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كانتْ نيَّتُهُ طلبَ الآخرةِ جَعَلَ اللَّهُ غناه في قلبه، وجَمَعَ له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومنْ كانت نيَّتُه طلبَ الدنيا جعَلَ اللَّهُ الفقرَ بينَ عينَيهِ، وشتّتَ عليه أمره، ولا يأتيه منها إلاّ ما كُتِبَ له». رواه الترمذي.

٥٣٢١ ـ (٨) ورواه أحمد، والدارمي عن أبان،

بالنصب لكان المعنى: سمع الله به من كان له سمع من خلقه. **(وحقره وصغره)** بالتشديد فيهما أي جعله حقيراً ذليلاً من الصغار وهو الذل، ولا يبعد أن يجعله كالذر صغيراً كما ورد في حق المتكبرين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. **(رواه البيهقي)** وفي نسخة صحيحة رواه أحمد والبيهقي[1]. **(في شعب الإيمان)** قال ميرك: حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني بأسانيد أحدها صحيح، والبيهقي كذا قاله المنذري.

٥٣٢٠ ـ **(وعن أنس أن النبي ﷺ قال: من كانت نيته)** أي قصده الأصلي في الأمر العلمي والعملي **(طلب الآخرة)** أي مرضاة مولاه **(جعل الله غناه في قلبه)** أي جعله قانعاً بالكفاف والكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة **(وجمع له شمله)** أي أموره المتفرقة بأن جعله مجموع الخاطر بتهيئته أسبابه من حيث لا يشعر به **(وأتته الدنيا)** أي ما قدر وقسم له منها **(وهي راغمة)** أي ذليلة حقيرة تابعة له لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير بل تأتيه هينة لينة على رغم أنفها وأنف أربابها، ولذا قيل: العلم يغطي ولو يبطي. **(ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر)** أي جنس الاحتياج إلى الخلق كالأمر المحسوس منصوباً **(بين عينيه وشتت)** بتشديد التاء الأولى أي فرق **(عليه أمره ولا يأتيه منها)** أي من الدنيا **(إلا ما كتب له)** أي وهو راغم فلا يأتيه ما يطلب من الزيادة على رغم أنفه وأنف أصحابه. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: يقال: جمع الله شمله أي ما تشتت من أمره، وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره فهو من الأضداد والحديث من باب التقابل والمطابقة. فقوله: جعل الله غناه في قلبه مقابل لقوله: جعل الله الفقر بين عينيه. وقوله: جمع له شمله مقابل لقوله: وشتت عليه أمره. وقوله: وأتته الدنيا وهي راغمة مقابل لقوله: ولا يأتيه منها إلا ما كتب له. فيكون معنى الأوّل وأتاه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة، ومعنى الثاني وأتاه ما كتب له من الدنيا وهو راغم. **(رواه الترمذي)** أي عن أنس.

٥٣٢١ ـ **(ورواه أحمد والدارمي عن أبان)** بفتح همزة وتخفيف موحدة يصرف ولا

---

(١) وكذلك نسخة المتن.

الحديث رقم ٥٣٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٤ حديث رقم ٢٤٦٥. وابن ماجه ٢/ ١٣٧٥ حديث رقم ٤١٠٥. وأحمد في المسند ٥/ ١٨٣.

الحديث رقم ٥٣٢١: أحمد في المسند ٥/ ١٨٣.

عن زيد بن ثابت.

٥٣٢٢ - (٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قلتُ: يا رسول الله! بينا أنا في بيتي في مصلاي، إِذ دخل عليَّ رجلٌ، فأعجبني الحال التي رآني عليها، فقال رسول الله ﷺ: «رحمك اللَّهُ يا أبا هريرة! لكَ أجرانِ: أجرُ السِّرِّ وأجرُ العلانية». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

يصرف. وهو ابن عثمان بن عفان تابعي سمع أباه وكثيراً من الصحابة. **(عن زيد بن ثابت)** قال ميرك: وورواه البزار والطبراني معناه وابن حبان في صحيحه.

٥٣٢٢ - **(وعن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي إذ دخل عليَّ رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها. فقال رسول الله ﷺ: رحمك الله يا أبا هريرة)** قال الطيبي [رحمه الله]: صدر الحديث أخبار فيه معنى الاستخبار، يعني: هل تحكم على هذا أنه رياء أم لا. وكذلك طابقه قوله ﷺ: رحمك الله يا أبا هريرة. **(لك أجران أجر السر)** أي لإخلاصك **(وأجر العلانية)** أي للاقتداء بك أو لفرحك بالطاعة وظهورها منك. قيل: معناه فأعجبه رجاء أن يعمل من رآه بمثل عمله فيكون له مثل أجره، وهذا معنى قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها»(١). ذكره في شرح السنة. والأظهر أن إعجابه بحسب أصل الطبع المطابق للشرع من أنه يعجبه أنه رآه أحد على حالة حسنة ويكره أن يراه على حالة قبيحة مع قطع النظر عن أن يكون ذلك العمل مطمحاً للرياء ومطمعاً للسمعة، فيكون من قبيل قوله ﷺ على ما رواه الطبراني عن أبي موسى: «من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن»(٢). وقد قال تعالى: **﴿قل بفضل الله وبرحمه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾** [يونس - ٥٨]. فالمؤمن يفرح بتوفيق الأعمال كما أن غيره يفرح بتكثير الأموال والله [تعالى] أعلم بالأحوال **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)** أي إسناداً. وقال ميرك نقلاً عن الجزري: رواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا السياق من طريق سعد بن بشر عن الأعمش عن أبي هريرة ثم قال: قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب. وظاهر هذا الكلام يدل على أن الترمذي رواه هكذا والذي في الترمذي بغير هذا اللفظ فقال: حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو سنان الشيباني عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه ذلك. فقال رسول الله ﷺ: له أجران أجر السر وأجر العلانية. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وقد روى الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً. انتهى كلام الترمذي والله [تعالى] أعلم.

الحديث رقم ٥٣٢٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥١٢ حديث رقم ٢٣٨٤. وابن ماجه ٢/ ١٤١٢ حديث رقم ٤٢٢٦.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٩ حديث رقم ١٠١٧. وكذلك الترمذي والنسائي والدارمي وابن ماجه.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٢٩ حديث رقم ٨٧٥١.

٥٣٢٣ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرج في آخر الزمان رجالٌ يختلونَ الدنيا بالدينِ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوبُ الذئاب، يقول الله: «أبي يغترُّون أم عليَّ يجترؤون؟ فبي حلفتُ لأبعثنّ على أولئك منهم فتنةً تدع الحليمَ فيهم حيران».

٥٣٢٣ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج في آخر الزمان) أي يظهر (رجال يختلون) بسكون الخاء وكسر التاء، أي يطلبون. (الدنيا بالدين) أي بعمل أهل الآخرة أو يستبدلونها به ويختارونها عنه. والأظهر أن معناه يخدعون أهل الدنيا بعمل الدين من ختله إذا خدعه. والمعنى: يختلون في طلبها بملابسة الأمور الدينية والتدرع بلباسها على وجه الرياء والسمعة وسائر الأحوال الدنية، كما يدل عليه قوله: (يلبسون للناس) أي لا لله (جلود الضأن) بسكون الهمزة ويبدل. والمراد به عينه أو ما عليه من الصوف وهو الأظهر. فالمعنى أنهم يلبسون الأصواف ليظنهم الناس زهاداً وعباداً تاركين الدنيا راغبين في العقبى. (من اللين) أي من أجل إظهار التلين والتلطف والتمسكن والتقشف مع الناس وأرادوا به في حقيقة الأمر التملق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا مريدين لهم ومعتقدين لأحوالهم. (ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب) بهمز ويبدل، أي أمر من مرارتها من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة البغض والعداوة لأهل التقوى وغلبة الصفات البهيمية والشهوات الحيوانية والإرادات النفسانية، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ [البقرة ـ ٢٠٤]. أي على الطعام وعلى تحصيل المال الحرام. (يقول الله: أبي) أي بإمهالي (يغترون) أي لم يدروا أني أمهل ولا أهمل. والمراد بالاغترار هنا عدم الخوف من الله تعالى وترك التوبة من فعلهم القبيح، أي أفلا يخافون من سخطي وعقابي. (أم عليّ) أي على مخالفتي (يجترؤون) أي بمكرهم الناس في إظهار الأعمال الصالحة، افتعال من الجراءة. ولذا قيل: الاجتراء الانبساط والتشجع. قال الطيبي [رحمه الله]: أم منقطعة أنكر أولاً اغترارهم بالله وبإهماله إياهم حتى اغتروا، ثم أضرب عن ذلك وأنكر عليهم ما هو أضم[1] منهم وهو اجتراؤهم على الله. (فبي) أي فبذاتي وصفاتي (حلفت لأبعثن) من البعث أي لأسلطن أو لأقضين (على أولئك) أي الموصوفين بما ذكر (منهم) أي مما بينهم بتسليط بعضهم على بعض (فتنة تدع الحليم) أي تترك العالم الحازم فضلاً عن غيره. وفي بعض نسخ المصابيح: الحكيم بالكاف بدل الحليم باللام، والمؤدى واحد. (فيهم) أي فيما بينهم (حيران) أي حال كونه متحيراً في الفتنة لا يقدر على دفعها ولا على الخلاص منها بالإقامة فيها ولا بالفرار منها. قال الأشرف: من في منهم يجوز أن يكون للتبيين بمعنى الذين، والإشارة إلى الرجال وتقديره: على أولئك الذين يختلون الدنيا بالدين وأن يجعل متعلقاً بالفتنة، أي لأبعثن

الحديث رقم ٥٣٢٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٢ حديث رقم ٢٤٠٤.

(١) أضم: أظلم.

رواه الترمذي.

٥٣٢٤ ـ (١١) وعن ابن عمرَ، عن النبي ﷺ قال: «إن اللّهَ تبارك وتعالى، قال: لقد خلقتُ خلقاً ألسنتهُم أحلى من السكر، وقلوبهم أمرُّ من الصَّبر، فبي حلفتُ لأتيحنَّهم فتنة تدع الحليم فيهم حيرانَ، فبي يغترّون أم عليَّ يجترؤونَ؟». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٣٢٥ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ شيءٍ شِرَّةً، ولكلِّ شِرَّةٍ فترةً، فإنْ صاحبُها سدَّد وقاربَ فارجوه، وإن أُشيرَ إليه بالأصابع فلا تعدّوه».

على الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم (**رواه الترمذي**).

٥٣٢٤ ـ (**وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن الله تبارك**) أي تكاثر خيره وبره (**وتعالى**) أي تعاظم أن يدرك كنهه (**قال: لقد خلقت خلقاً**) أي جمعاً من المخلوقين (**ألسنتهم أحلى من السكر**) أي لما يظهر عليهم من أثر الوعظ والذكر وأثر الصبر والشكر (**وقلوبهم أمر من الصبر**) ضبط في أكثر النسخ بكسر الباء وفي بعضها بسكونها. وفي القاموس: الصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر، عصارة شجر مر، والمشهور على ألسنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء. ولعله مأخوذ من لغات الكتف فيكون من باب النقل تخفيفاً. (**فبي حلفت لأتيحنهم**) من الإتاحة بمعنى التقدير. يقال: أتاح الله لفلان كذا أي قدره له وأنزله به. فالفعل من باب الحذف والإيصال. فالمعنى: لأتيحن لهم. (**فتنة تدع الحليم فيهم حيران فبي يغترون**) بتقدير الاستفهام (**أم عليّ يجترؤون. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**).

٥٣٢٥ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال النبي**) وفي نسخة: رسول الله. (**ﷺ: إن لكل شيء شرة**) بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء: الحرص على الشيء والنشاط فيه والرغبة. (**ولكل شرة فترة**) بفتح الفاء وسكون التاء، أي وهناً وضعفاً. وفي نسخة برفعها. والمعنى: إن العابد يبالغ في العبادة في أوّل أمره وكل مبالغ يفتر ويسكن حدته ومبالغته في أمره ولو بعد حين. (**فإن صاحبها**) فاعل فعل دل عليه قوله: (**سدد**) أي قصد السداد والاستقامة أو اقتصد في أمر [على مداومته، لكن لا تقطعه]الطاعة والعبادة. (**وقارب**) أي دنا من التوسيط واحترز من الإفراط والتفريط (**فارجوه**) أي أن يكون من الفائزين، فإن من سلك الطريق المتوسط يقدر على مداومته لكن لا تقطعوا له، فإن الله هو الذي يتولى السرائر. (**وإن أشير إليه بالأصابع**) أي وإن اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهوراً بالزهد والعبادة وصار مشهوراً ومشاراً إليه فيها. (**فلا تعدوه**) أي شيئاً ولا تعتقدوه صالحاً لكونه من المرائين حيث جعل أوقات فترته عبادة وهو لا

الحديث رقم ٥٣٢٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٢ حديث رقم ٢٤٠٤.

الحديث رقم ٥٣٢٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٤٨ حديث رقم ٢٤٥٣. وابن ماجه ٢/ ١٤٠٥ حديث رقم ٤٢٠١. وأحمد في المسند ٢/ ١٥٨.

رواه الترمذي.

٥٣٢٦ ـ (١٣) وعن أنسٍ، عن النبي ﷺ قال: «بحسب أمرىءٍ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دينٍ أو دنيا إلاَّ من عصمه الله».

يتصوّر إلا فيما يتعلق به رياء وسمعة، وأيضاً إذا أقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد في العبادة وحصل له عجب وغرور فصار من الهالكين إلا أن يتداركه الله بفضله وجعله من المخلصين. وتوضيحه أن الإنسان يشتغل بالأشياء على حرص شديد ومبالغة عظيمة في أوّل الأمر ثم إن تلك الشرة يتبعها فترة فإن كان مقتصداً محترزاً عن جانبي الإفراط والتفريط وسالكاً الطريق المستقيم فارجو كونه من الفائزين الكاملين، وإن سلك طريق الإفراط حتى يشار إليه بالأصابع فلا تلتفتوا إليه ولا تعولوا عليه فإنه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بأنه من الخاسرين ولا تعدوه منهم، لكن لا ترجوه كما رجوتم المقتصد إذ قد يعصم الله في صورة الإفراط والشهرة كما أنه قد يعفو عن صاحب التفريط وراعي التقصير في العبادة. قال الطيبي [رحمه الله]: ويؤيد هذا التأويل الحديث الذي يليه والاستثناء فيه فترك ما للقسم الثالث لظهوره **(رواه الترمذي)** ورواه البيهقي عن ابن عمر مرفوعاً ولفظه: إن كل شيء شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك.

٥٣٢٦ ـ **(وعن أنس عن النبي ﷺ قال: بحسب امرىء)** الباء زائدة أي يكفيه **(من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا)** فإن من اشتهر بخصلة قلما سلم من الآفات الخفية كالكبر والعجب والرياء والسمعة وغير ذلك من الأخلاق الدنية **(إلا من عصمه الله)** أي حفظه الله في مقام تقواه. ولذا اختار طائفة من الصوفية طريق الملامية في كتمان العبادات الدينية إظهاراً للشهوات النفسانية الدنية. قيل للحسن البصري: إن الناس قد أشاروا إليك بالأصابع. فقال: لا يريد النبي ﷺ ذلك وإنما عنى به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه. انتهى. ووجهه أن الإشارة إنما تكون في البدعة والغرابة، لكن قد توجد في الكثرة المجاوزة عن حد العادة فيحصل به الإشارة والشرة فتارة تفضي بصاحبها إلى الرياء والسمعة والطمع من الناس في المنزلة، وتارة يعصمه الله من نظر ما سواه فلا يلتفت إلى غيره ويعرف أن الغير لا يقدر على دفع الشر ولا جلب الخير ولا اعتبار بالخلق مدحاً وذماً لا في العبارة ولا في الإشارة، فإنه ما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى فهذه حالة فيها إشارة إلى كمال البشارة لكنه مزلة الأقدام للرجال ومزلقة أفهام الجبال كما ورد: لا يؤمن أحدكم حتى يكون الخلق عنده كالأباعر. وتوضيحه ما ذكره الطيبي [رحمه الله]بأحسن عبارة وأزين إشارة حيث قال: وبين الحال. يعني: حب الرئاسة والجاه في قلوب الناس هو من أخر غوائل النفس ومواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة من الزهاد، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات

الحديث رقم ٥٣٢٦: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٦٧ حديث رقم ٦٩٧٨.

رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

الفصل الثالث

٥٣٢٧ ـ (١٤) عن أبي تميمة، قال: شهدت صفوانَ وأصحابَه وجندبٌ يوصيهم، فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً؟ قال: سمعتُ رسول الله

عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلائق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس(١) ولم تقنع بحمد الله وحده، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وعباداته، وإنما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها إلا العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عبادة المقربين. فهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها إلا الصديقون من المخلصين ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة وهو أعظم شبكة للشياطين فإذا المحمود هو المخمول إلا من شهرة الله عالى بنشر دينه من غير تكلف منه كالأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والسلف الصالحين والحمد لله رب العالمين. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)** أي عن أنس وعن أبي هريرة أيضاً على ما في الجامع.

(الفصل الثالث)

٥٣٢٧ ـ **(عن أبي تميمة)** قال المؤلف: هو طريف بن مجالد الجهمي البصري كان أصله من عرب اليمن فباعه عمه وهو تابعي. روى عنه نفر من الصحابة وعنه قتادة وغيره، مات سنة خمس وتسعين. **(قال: شهدت صفوان وأصحابه)** الظاهر أن المراد به صفوان بن سليم الزهري مولى حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف، تابعي جليل القدر من أهل المدينة مشهور. روي عن أنس بن مالك ونفر من التابعين كان من خيار عباد الله الصالحين. يقال إنه لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، ويقال إن جبهته ثقبت من كثرة السجود وكان لا يقبل جوائز السلطان ومناقبه كثيرة. روى عنه ابن عيينة ذكره المؤلف. ثم الظاهر أن المراد بأصحابه أتباعه في العلم والعمل **(وجندب)** أي حضرتهم. والحال أن جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي وهو من أكابر الصحابة. **(يوصيهم)** بالتخفيف ويشدد. والمعنى يعظهم في الاستقامة على المجاهدة أو بزيادة العبادة أو بالاقتصاد في الطاعة أو بالاحتراز عن الرياء والسمعة وعن الإشارة والشهرة، والأظهر الأخيران كما يدل عليه السؤال والجواب. **(فقالوا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً)** أي من الأحاديث فحدثنا به وأفدنا من كلامه فإنه أقوى تأثيراً وألطف تعبيراً. **(قال: سمعت رسول الله**

---

(١) في المخطوطة «الله» [سبحانه وتعالى].

الحديث رقم ٥٣٢٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ١٢٨. حديث رقم ٧١٥٢.

ﷺ يقول: «من سمَّع سمَّع الله به يومَ القيامة، ومن شاقَّ شقَّ اللّٰهُ عليه يوم القيامة» قالوا: أوْصِنا. فقال: إنَّ أوّلَ ما يُنتِنُ من الإنسان بطنُه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل، ومن استطاعَ أن لا يحول بينَه وبينَ الجنة ملءُ كفّ من دمٍ أهراقه فَلْيَفْعل. رواه البخاري.

٥٣٢٨ ـ (١٥) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنّه خَرَجَ يوماً إلى مسجد رسول

ﷺ يقول: من سمع سمع الله به يوم القيامة) سبق مبناه ومعناه (ومن شاق) صيغة المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة. فالمعنى: إن من شق على نفسه بأن يكلفها فوق طاقتها أو شق على غيره بأن حمله فوق استطاعته، ومنه قوله ﷺ: لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة[1]. قال الطيبي [رحمه الله]: أطلق ليشمل فتأمل. (شق الله) وفي نسخة صحيحه: شاق الله. (عليه يوم القيامة. قالوا) أي الصحابة للنبي ﷺ بدلالة المقام على ذكرهم وهو الظاهر. أو صفوان وأصحابه لجندب على ما هو المتبادر من قاعدة رجوع الضمير (أوصنا. فقال: إن أوّل ما ينتن) بضم أوّله أي ما يفسد (من الإنسان بطنه) أي في الدنيا فإنه محل النتن أو في القبر بالتفقع (فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً) أي حلالاً (فليفعل) أي ما استطاع، أو معناه فليأكل فإن من عرف أن مال المأكول ما ذكر من الأحوال فلا ينبغي له أن يجتهد في لذات النفس من طرق الوبال بل عليه أن يكتفي بالحلال ولو بقليل من المال وقد أنشد ابن أدهم:

وما هي إلا جوعة قد سددتها ... وكل طعام بين جنبي واحد

وتكلف الطيبي [رحمه الله]حيث قال: نتن البطن كناية عن مسه النار وإنما يفتقر إلى هذا التأويل ليطابق قوله: فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً، أي حلالاً ونظيره قوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ [النساء ـ ١٠]. ولا دلالة على أن أوّل ما يمس النار منه هو البطن. (ومن استطاع أن لا يحول) أي من قدر على أن لا يمنع (بينه وبين الجنة) أي دخولها أوّلاً مع الفائزين (ملء كف من دم أهراقه) بفتح الهاء ويسكن أي صبه (فليفعل) أي ما استطاع مما ذكر وقاله بقوله: ملء كف، إشارة إلى أن القليل يحول فكيف بالكثير. وقيل: إشعار إلى تسفيه القائل بأن فوت الجنة على نفسه بهذا الشيء الحقير المسترذل. (رواه البخاري) وذكره السيوطي في باب نتن الميت وبلاء جسده إلا الأنبياء ومن ألحق بهم من كتاب شرح الصدور في أحوال القبور. وأخرج البخاري من حديث جندب البجلي: أول ما ينتن من الإنسان بطنه. انتهى. والظاهر من عبارته أن الحديث بكماله مرفوع والله [تعالى]أعلم.

٥٣٢٨ ـ (وعن عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه أنه خرج يوماً إلى مسجد رسول

---

(١) الترمذي في السنن ١/ ٣٤ حديث رقم ٢٢.

الحديث رقم ٥٣٢٨: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٢٠ حديث رقم ٣٩٨٩. والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٢٨ حديث رقم ٦٨١٢. وهو عن معاذ.

الله ﷺ فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني شيءٌ سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ يسير الرياء شرك، ومن عادى لله وليّاً فقد بارز الله بالمحاربة، إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابُوا لم يُتفقَّدوا، وإن حضروا لم يُدْعَوْا ولم يُقرَّبوا، قلوبهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كل غَبْراءَ مظلمة». رواه ابن ماجه،

الله ﷺ **فوجد معاذ بن جبل قاعداً عند قبر النبي ﷺ يبكي فقال:**) أي عمر رضي الله [تعالى] عنه (**ما يبكيك**) أي أي شيء يجعلك باكياً أشوقاً إلى اللقاء أم وقوعاً من الله ببعض البلاء أو غير ذلك من أسباب البكاء. (**قال: يبكيني شيء سمعته من رسول الله ﷺ**) جواب سؤال مقدر (**يقول: إن يسير الرياء**) أي قليله (**شرك**) أي عظيم أو نوع من الشرك يعني وهو في غاية من الخفاء لأنه أدق من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وقلما يسلم منه الأقوياء فكيف الضعفاء فهو من جملة أسباب البكاء، وسبب آخر أذى الأولياء وغالبهم أخفياء كما في الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري». والإنسان لا يخلو عن بذاذة اللسان مع الإخوان مما يجر إلى العصيان وكأنه أراد هذا المعنى بقوله: (**ومن عادى**) أي آذى وأغضب بالفعل أو القول (**لله ولياً**) أي واحداً من أوليائه تعالى (**فقد بارز الله**) أي أظهر له نفسه (**بالمحاربة**) وفي التعبير عن المخالفة بالمحاربة إشارة إلى أنها جراءة عظيمة وجناية جسيمة. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لله لا يجوز أن يكون متعلقاً بعادي فهو إما متعلق بقوله ولياً، أو صفة له قدم فصار حالاً منه. (**إن الله يحب الأبرار**) أي الذين يعملون عمل البر وهو الطاعة للحق والإحسان للخلق. ولذا قال بعض العارفين: مدار الدين على التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله (**الأتقياء**) أي عن الشرك الجلي والخفي وعن المناهي والملاهي (**الأخفياء**) أي عن نظر الخلق من عامتهم وعن مخالطتهم ومعاشرتهم (**الذين إذا غابوا**) . أي من غاية الخمول (**لم يتفقدوا**) بصيغة المجهول. ففي القاموس: تفقده طلبه عند غيبته، ومنه قوله تعالى: ﴿**وتفقد الطير**﴾ [النمل - ٢٠]. (**وإن حضروا**) أي فيما بينهم (**لم يدعوا**) بصيغة المفعول أي لم يطلبوا إلى الدعوة وغيرها (**ولم يقربوا**) بالمجهول أيضاً، أي ولم يقربهم العامة ولم يعرفوا قدر قربهم ومقدار منزلتهم. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: إن الله. استئناف مبين لحقيقة الولي وذكر لهم أحوالاً ثلاثاً: إذا كانوا سفراً لم يتفقدوا وإذا كانوا حاضرين لم يدعوا إلى مأدبة، وإن حضروها لم يقربوا وتركوا في صف النعال. وهذا تفصيل ما وردت: «رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره»[(١)]. (**قلوبهم مصابيح الهدى**) أي هم أدلة الهداية وهداة العناية فيستحقون الرعاية بل ينبغي أن يطلب منهم الحماية. (**يخرجون من كل غبراء مظلمة**) أي من عهدة كل مسألة مشكلة أو بلية معضلة. وقال الطيبي [رحمه الله]: كناية عن حقارة مساكنهم وإنها مظلمة مغبرة لفقدان أداة ما يتنور ويتنظف به. (**رواه ابن ماجه**) أي في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٢٣١).

والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٢٩ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا صلّى في العلانية فأحسنَ، وصلى في السر فأحسن؛ قال الله تعالى: هذا عبدي حقّاً».

سننه (**والبيهقي في شعب الإيمان**) وقد جاء في صدر حديث من أحاديث الأربعين مما رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[1]. قال شارح له: أي أعلمته بمحاربته ومعاداته معي أو بأني سأحاربه وأقهره وأنتصر منه وأنتقم له. وفي رواية: وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث للجرو، أي لولده. وفي أخرى: إنه ينتقم بعدوه. ثم الولي بحسب التركيب يدل على القرب فكأنه قريب منه سبحانه لاستغراقه في نور معرفته وجماله وجلاله وكمال مشاهدته. واختلفوا في تعريفه فقال المتكلمون: الولي من كان آتياً بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالأعمال الشرعية، أي كذلك ويؤيده ما قاله بعض الكبراء أنه: إن كان العلماء ليسوا بأولياء فليس لله ولي. وقال الغزالي [رحمه الله تعالى]: الولي من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر بإصلاح الناس. وفي كل منهما نظر، إذ أكثر الأولياء لا سيما من السلف الصالحين لم يظهر عليهم كرامة وكشف حالة، بخلاف بعض الخلف المتأخرين. فقيل: لقوّة قلوب الأولين وضعف دين الآخرين ولأن الأولياء وهم العلماء العاملون لا شك أنهم كاملون في أنفسهم مكملون لغيرهم، فهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله والواعظون عن الاشتغال بما سواه كما أشار إليه الحديث بقوله: مصابيح الهدى. فطوبى لمن بهم اقتدى وبنورهم استضاء واهتدى. فالأقرب في معناه ما ذكره القشيري [رحمه الله]، من أن الولي إما فعيل بمعنى المفعول وهو من يتولى الله حفظه وحراسته على التوالي، أو بمعنى الفاعل أي من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها من [غير]تخلل معصية، وكلا الوصفين شرط في الولاية انتهى كلامه. وفيه إشعار بأن أو للتنويع وإيماء في الأول إلى المجذوب السالك المعبر عنه بالمراد، وفي الثاني إلى السالك المجذوب المعبر عنه بالمريد وقد أشار إليهما سبحانه في قوله: ﴿**الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾ [الشورى ـ ١٣]. وتحقيقه أن يقال: الولي هو من يتولى الله بذاته أمره فلا تصرف له أصلاً إذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف، فهو الفاني بيد الباقي كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه ويمحو عينه وأثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه ويوصله إلى لقائه.

٥٣٢٩ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن**) أي في أداء صلاته بالقيام بشرائطه وواجباته وسننه ومستحباته وكذا في سائر طاعاته وعباداته (**وصلى في السر**) أي في الخلوة عن الخلق (**فأحسن**) أي عمله اكتفاء بنظر الحق (**قال الله تعالى: هذا**) أي العبد (**عبدي**) أي المخلص لي (**حقاً**) أي صدقاً خالياً عن أن يكون عمله

---

(١) الأربعين النووية حديث رقم ٣٨.

الحديث رقم ٥٣٢٩: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٥ حديث رقم ٤٢٠٠.

رواه ابن ماجه.

٥٣٣٠ ـ (١٧) وعن معاذ بن جبل، أنَّ النبي ﷺ قال: «يكونُ في آخر الزمان أقوامٌ، إخوان العلانية، أعداءُ السريرة». فقيل: يا رسول الله! وكيف يكونُ ذلك؟ قال: «ذلك برغبة بعضهم إِلى بعض، ورهبة بعضهم من بعض».

٥٣٣١ ـ (١٨) وعن شدّادِ بن أوس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلَّى يُرائي فقد أَشركَ، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدَّق يرائي فقد أشرك». رواهما أحمد.

في العلانية نفاقاً. ولعل هذا هو السر في حثه ﷺ أن تصلي[1] السنن والنوافل في البيت **(رواه ابن ماجه)**.

٥٣٣٠ ـ **(وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: يكون)** أن يوجد ويحدث **(في آخر الزمان أقوام)** أي جماعات[2] كثيرة أو مختلفة مؤتلفة **(إخوان العلانية أعداء السريرة)** أي أحباء في الظواهر وأعداء في السرائر ذكرهما من غير عطف على سبيل التعداد، أو من قبيل الخبر بعد الخبر. قال الطيبي [رحمه الله]: في مقدرة فيها وفي قرينتها الجوهري: السر ما يكتم والسريرة مثله. **(فقيل: يا رسول الله وكيف يكون ذلك)** أي ما ذكر وما يكون سببه **(قال: ذلك برغبة بعضهم إلى بعض)** أي بسبب طمع طائفة منهم إلى أخرى **(ورهبة بعضهم)** أي خوفهم **(من بعض)** والحاصل أنهم ليسوا من أهل الحب في الله والبغض لله، بل أمورهم متعلقة بالأغراض الفاسدة والمقاصد الكاسدة، فتارة يرغبون في قوم لأغراض فيظهرون لهم الصداقة وتارة يكرهون قوماً لعلل فيظهرون لهم العداوة. وخلاصته أنه لا عبرة بمحبة الخلق وعداوتهم فإنهما مبنيتان على غرضهم وشهوتهم.

٥٣٣١ ـ **(وعن شداد بن أوس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من صلى يرائي)** أي مرائياً **(فقد أشرك)** أي شركاً خفياً كما سيجيء مصرحاً فيما يليه من حديثه **(ومن صام يرائي فقد أشرك)** فيه إشعار بأن الرياء له مدخل في الصيام أيضاً خلافاً لمن نفاه وعلله بأن مدار الصوم على النية ولا يدخل فيها الرياء ولا عبرة بعدم أكله وشربه مع عدم صحة الطوية، فإنا نقول: الرياء [المحصن]لا يتصور في الصوم. لكن الرياء قد يوجد على وجه الاشتراك بأن يريد به وجه الله ويريد به أيضاً التشهير أو غرضاً سواه سواء يكون المقصدان متساويين أو متقابلين على ما تقدم تفصيل المرام في كلام حجة الإسلام. **(ومن تصدق يرائي فقد أشرك. رواهما)** أي الحديثين **(أحمد)**.

---

(١) في المخطوطة «ليصلي».

الحديث رقم ٥٣٣٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٣٥.

(٢) في المخطوطة «جماعة».

الحديث رقم ٥٣٣١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٦.

٥٣٣٢ ـ (١٩) وعنه، أنه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: شيء سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول، فذكرته، فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَتخوَّفُ على أمتي الشرك والشهوةَ الخفية» قال: قلت: يا رسول الله! أَتُشرك أُمَّتُك من بعدك؟ قال: «نعم؛ أمَا إِنهم لا يعبدون شمساً، ولا قمراً، ولا حجراً، ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم. والشهوة الخفيّة أن يصبح أحدهم صائماً، فتَعْرِض له شهوة من شهواته

٥٣٣٢ ـ (وعنه) أي عن شداد (**أنه بكى فقيل له: ما يبكيك. قال: شيء**) أي يبكيني شيء (**سمعت**) أي سمعته (**من رسول الله ﷺ**) فيه استعمال من على أصله (**يقول:**) أي حال كونه قائلاً وفيه نوع من التأكيد (**فذكرته**) أي المسموع أو المقول (**فأبكاني**) أي فصار ذلك سبباً لحزني وبكائي، وفيه نوع من الإجمال ولذا استأنف بيانه فقال: (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: أتخوف**) قال الراغب: الخوف توقع أمر مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، والتخوف ظهور الخوف من الإِنسان انتهى. والظاهر أن التاء للمبالغة، والمعنى: أخاف خوفاً كثيراً. (**على أمتي الشرك**) أي الخفي، ويدل على صحة تقديرنا ما جاء في رواية: أخوف ما أخاف على أمتي الإِشراك بالله (**والشهوة الخفية**) أي التي لا يدركها إلا أصحاب الرياضات الرضية والمجاهدات القدسية والمخالفات النفسية (**قال: قلت: يا رسول الله أتشرك**) بالتذكير وتؤنث (**أمتك من بعدك. قال: نعم، أما**) بالتخفيف للتنبيه على أنه لا يريد به الشرك الجلي (**إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً**) أي ولا صنماً ونحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص. (**ولكن يراؤون بأعمالهم**) وقد قال تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ [الكهف ـ ١١٠]. (**والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً**) أي ناوياً للصوم (**فتعرض**) بكسر الراء مرفوعاً ومنصوباً، أي فتظهر. (**له شهوة من شهواته**) أي كالأكل والجماع وغيرهما ذكره الطيبي [رحمه الله]: والأظهر أن المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة عزيزة الوجود من بين مشتهاته بحيث لا توجد في جميع أوقاته فيميل إليها بالطبع ولا يلاحظ مخالفته للشرع، حيث قال تعالى: ﴿**ولا تبطلوا أعمالكم**﴾ [محمد ـ ٣٣]. والنفل يلزم بالشروع فيجب إتمامه (**فيترك صومه**) أي وهو حرام عليه من غير [ضرورة]داعية إليه. قال الطيبي [رحمه الله]: يعني إذا كان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالى فتعرض له شهوة من شهوات نفسه يرجح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه، فيؤديه ذلك إلى الهلاك والردى. قال تعالى: ﴿**فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ [النازعات ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤١]. اهـ. وفيه أن المراد بالهوى في الآية الشهوة الجلية وهي المحرمات والأمور المنهية. ثم قال: وسمي خفياً لخفاء هلاكه أو مشاكلة لقوله: الشرك. لأن المراد منه الشرك

الحديث رقم ٥٣٣٢: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٦ حديث رقم ٤٢٠٥ وأحمد في المسند ٤/ ١٢٦ والبيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٣٣ حديث رقم ٦٨٣٠.

فيترك صومه». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

٥٣٣٣ ـ (٢٠) وعن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ ونحنُ نتذاكرُ المسيحَ الدَّجالَ، فقال: «ألا أُخبرُكم بما هو أخوَفُ عليكم عندي من المسيحِ الدَّجالِ؟» فقُلنا: بَلى يا رسول الله! قال: «الشِّرْكُ الخفيُّ أنْ يقومَ الرجلُ فيصلي، فيزيد صلاتَه لما يَرى من نظرِ رجلٍ». رواه ابن ماجه.

٥٣٣٤ ـ (٢١) وعن محمودِ بنِ لبيدٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم الشركُ الأصغرُ» قالوا: يا رسولَ الله! وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «الرِّياءُ».

الخفي بدلالة ما ذكر في الحديث الآتي انتهى. وفيه أنه لا يظهر وجه المشاكلة لا في الاطلاق ولا في التقييد بحسب المقابلة **(رواه أحمد)** أي في مسنده **(والبيهقي في شعب الإيمان)** قال ميرك: ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد. وفي الجامع: الشهوة الخفية والرياء شرك[1]. رواه الطبراني عن شداد، ورواه ابن ماجه عنه ولفظه: إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراك بالله أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية.

٥٣٣٣ ـ **(وعن أبي سعيد)** أي الخدري كما في نسخة **(قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال: ألا أخبركم)** قال الطيبي [رحمه الله]: ألا ليست للتنبيه، بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام يعني بقرينة بلى[2] في جوابهم. والمعنى: ألا أعلمكم. **(بما هو أخوف عليكم)** أي لعمومه وخفائه **(عندي)** أي في شريعتي وطريقتي **(من المسيح الدجال)** أي لخصوص وقته ولظهور مقته فيجب عليكم رعاية محافظته **(فقلنا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي أن يقوم)** بدل مما قبله، أو التقدير هو أن يقوم. **(الرجل فيصلي)** بالرفع والنصب، وكذا قوله: **(فيزيد)** أي في الكمية أو الكيفية **(صلاته)** أي في جميع أركانها أو بعضها **(لما يرى من نظر رجل)** أي مخلوق مثله **(إليه)** ولم يكتف بإطلاعه سبحانه عليه **(رواه ابن ماجه)**.

٥٣٣٤ ـ **(وعن محمود بن لبيد)** أنصاري أشهلي ولد على عهد رسول الله ﷺ وحدث عنه أحاديث. قال البخاري: له صحبة. وقال أبو حاتم: لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين وقال ابن عبد البر: الصحيح قول البخاري **(إن النبي ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر)** فيه دلالة على أن التعبير بالشرك الأصغر وقع في هذا الحديث أولاً **(قال: الرياء)** أي جنس الرياء والسمعة من الظهور والخفاء.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٥ حديث رقم ٤٩٦٠.

الحديث رقم ٥٣٣٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٦ حديث رقم ٤٢٠٤.

(٢) في المخطوطة «لها».

الحديث رقم ٥٣٣٤: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٣٣ حديث رقم ٦٨٣١.

رواه أحمد. وزادَ البيهقي في «شعب الإيمان»: «يقولُ اللَّهُ لهم يومَ يُجازي العبادَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذينَ كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هلْ تجدون عندهم جزاءً وخيراً؟».

٥٣٣٥ - (٢٢) وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّ رجلاً عمِلَ عملاً في صخرةٍ لا بابَ لها ولا كوَّة؛ خرَجَ عملُه إلى النَّاسِ كائناً ما كانَ».

٥٣٣٦ - (٢٣) وعن عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانتْ له سريرةٌ صالحةٌ أو سيِّئةٌ؛ أظهرَ اللَّهُ منها رِداءً يُعرفُ به».

٥٣٣٧ - (٢٤) وعن عمَرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «إنما

(**رواه أحمد. وزاد البيهقي في شعب الإيمان يقول الله لهم**) أي للمرائين (**يوم يجازي العباد**) على بناء الفاعل ونصب العباد، وفي نسخة على بناء المفعول ورفع العباد. (**بأعمالهم:**) أي إن خيراً فخير وإن شراً فشر (**اذهبوا**) أي أيها المراؤون (**إلى الذين كنتم تراؤون**) أي في حسن العبادة، أو أصلها نظرهم تراعون. (**فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وخيراً**) الواو بمعنى أو كما في نسخة، أو عطف تفسير والله [تعالى]أعلم. قال الحافظ المنذري: حديث محمود بن لبيد هذا رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره.

٥٣٣٥ - (**وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رجلاً عمل عملاً في صخرة**) أي في داخل حجر صلب فرضاً أو في جوف كهف جبل. (**لا باب لها ولا كوّة**) بفتح الكاف وتضم وتشديد الواو، أي طاقة. وقيل: هي بالفتح إذا كانت غير نافذة وبالضم إذا كانت نافذة، فالأولى أولى لأنها في باب المبالغة أعلى. (**خرج عمله إلى الناس**) أي ظهر عليهم (**كائناً**) أي ذلك العمل (**ما كان**) أي من الأعمال، ونصب كائناً على الحال أي حال كون ذلك العمل أي شيء كان خيراً أو شراً من الأقوال والأفعال. وفي نسخة: من كان. فالتقدير كائناً ذلك العامل أو صاحب العمل من كان، أي سواء أراد ظهوره أو لم يرده لقوله تعالى: ﴿**والله مخرج ما كنتم تكتمون**﴾ [البقرة - ٧٢].

٥٣٣٦ - (**وعن عثمان بن عفان**) بلا صرف ويصرف (**رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ**: من كانت) بالتأنيث، وفي نسخة: من كان (**له سريرة**) أي طوية (**صالحة أو سيئة أظهر الله منهما**) أي من تلك السريرة (**رداء**) أي علامة من هيئة وصورة (**يعرف به**) أي يمتاز به عن غيره كما يعرف بالرداء كون الرجل من الأعيان أو غيره من الأعوان.

٥٣٣٧ - (**وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: إنما**

الحديث رقم ٥٣٣٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٥٩ حديث رقم ٦٩٤٠.
الحديث رقم ٥٣٣٦: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/ ٣٥٩ حديث رقم ٦٩٤٢.
الحديث رقم ٥٣٣٧: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٢٨٤ حديث رقم ١٧٧٧.

أخافُ على هذهِ الأمةِ كلَّ مُنافقٍ يتكلمُ بالحكمةِ ويعملُ بالجورِ» روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان».

٥٣٣٨ ـ (٢٥) وعن المهاجرِ بنِ حبيبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال اللّهُ تعالى: إني لستُ كلَّ كلامِ الحكيم أتقبَّلُ، ولكني أتقبَّلُ همَّه وهَواه، فإنْ كانَ همُّه وهواهُ في طاعتي جعلتُ صمتَه حمْداً لي ووقاراً وإنْ لمْ يتكلَّمْ». رواه الدارمي.

(٦) باب البكاء والخوف

أخاف على هذه الأمة) أي أمة الإجابة **(كل منافق)** بالنصب. والمعنى: ما أخاف عليهم إلا شر كل منافق، أي مراء أو فاسق. **(يتكلم بالحكمة)** أي بالشريعة والموعظة الحسنة **(ويعمل بالجور)** أي بالظلم والسيئة ويعدل عن جادة الاستقامة. وقد أبعد الطيبي [رحمه الله]حيث جوز أن يكون كل منافق مجروراً بدلاً من هذه الأمة، فإنه يقتضي أن يكون التقدير: ما أخاف إلا على كل منافق، ولا يخفى فساده اللاحق سواء جعل بدل الكل أو البعض، فإن المبدل حينئذ يكون في قوّة المطروح ويقع الاهتمام بشأن البدل فتأمل. ثم لا يفيده[1] استدراكه بقوله: أي أخاف عليهم من النفاق، فإن هذا المعنى صحيح في نفس الأمر بالوفاق، **(روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في شعب الإيمان)**.

٥٣٣٨ ـ **(وعن المهاجر بن حبيب)** لم يذكره المؤلف في أسمائه **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: إني لست كل كلام الحكيم)** أي جميع قول العالم، وهو مفعول مقدم لخبر ليس [وهو قوله]: **(أتقبل)** لأني لا أنظر إلى الأقوال وحركة اللسان، بل أنظر إلى الأحوال وبركة الجنان، وهذا معنى قوله: **(ولكني أتقبل همه)** أي نيته ولو كانت في أوائل مراتب الخواطر **(وهواه)** أي قصده المقرر في الأواخر لأن نية المؤمن خير من عمله حتى له الأجر على طول أمله ولو بعد حلول أجله **(فإن كان همه وهواه في طاعتي)** أي في موافقتي **(جعلت صمته)** أي سكوته **(حمداً لي)** أي بمنزلة الثناء اللساني على **(ووقاراً)** أي سكينة وطمأنينة ورزانة في الحكم ومتانة في العلم **(وإن لم يتكلم)** أي بالحمد ونحوه ومفهومه، فإن كان همه وهواه في معصيتي أي مخالفتي جعلت كلامه وزراً وإن تكلم بالحمد وأظهر علماً وذكراً. **(رواه الدارمي)** في مسنده.

(باب البكاء والخوف)

جمع بينهما تنبياً لتلازمهما غالباً، وقدم البكاء ولو سببه الخوف لظهوره أولاً، أو أريد بالخوف التعميم فذكره بعد البكاء كالتتميم. ثم البكاء بالقصر خروج الدمع مع الحزن. وبالمد

---

(١) في المخطوطة يبعده.

الحديث رقم ٥٣٣٨: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٩١ حديث رقم ٢٥٢.

الفصل الأول

٥٣٣٩ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال أبو القاسم ﷺ: «والذي نفسي بيدِه لو تعلمونَ ما أعلمُ لبكيتم كثيراً ولضحِكتم قليلاً». رواه البخاري.

خروجه مع رفع الصوت كذا قيل والمد أشهر. والظاهر أن المراد به ههنا المعنى الأعم، فحمله على التجريد في أحد معينيه هو الأتم.

(الفصل الأول)

٥٣٣٩ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم[1] ﷺ: والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم)** أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة وكشف السرائر وخبث النيات **(لبكيتم)** جواب القسم السادس جواب لو **(كثيراً)** أي بكاء كثيراً أو زماناً كثيراً، أي من خشية الله ترجيحاً للخوف على الرجاء وخوفاً من سوء الخاتمة. **(ولضحكتم قليلاً)** وكأن الحديث مقتبس من قوله تعالى: **﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾** [التوبة ـ ٨٢]. قال الغزالي: [رحمه الله]: هذا الحديث من الأسرار التي أودعها قلب محمد الأمين الصادق ولا يجوز إفشاء السر فإن صدور الأحرار قبور الأسرار. بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا، فإن البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله، والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك، فبيان الحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل. **(رواه البخاري)** أي من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث أنس. وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك. وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس، والحاكم[2] عن أبي هريرة، ورواه الضياء عن أبي ذر وزاد: ولما ساغ لكم الطعام والشراب. ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء ولفظه: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون[3]. وسيأتي هذا الحديث في الفصل الثاني مطولاً. وروي أن المنادي ينادي من السماء: ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا. وعن الصديق الأكبر أنه قال: وددت

الحديث رقم ٥٣٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣١٩. حديث رقم ٦٤٨٥. ومسلم في صحيحه ٢/ ٦١٨ حديث رقم (١ . ٩٠١). والترمذي في السنن ٤/ ٤٨١ حديث رقم ٢٣١٣. وابن ماجه ٢/ ١٤٠٢ حديث رقم ٤١٩١. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٦ حديث رقم ٢٧٣٥. ومالك في الموطأ ١/ ١٨٦ حديث رقم ١ من كتاب الصلاة وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٧.

(١) في المخطوطة «رسول الله» [ﷺ]. (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٩.

(٣) الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٠.

٥٣٤٠ ـ (٢) وعن أُمِّ العلاءِ الأنصاريَّةِ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «واللَّهِ لا أدري، واللَّهِ لا أدري، وأنا رسولُ الله، ما يُفعلُ بي ولا بكم». رواه البخاري.

أني أكون خضراً تأكلني الدواب مخافة العذاب. وعن عمر الفاروق أنه سمع إنساناً يقرأ: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا**﴾ [الإنسان ـ ١]. فقال: ليتها تمت. بل ورد عنه ﷺ في رواية أنه قال: ليت رب محمد لم يخلق محمداً. وعن الفضيل أنه قال: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة، إنما أغبط من لا يخلق.

٥٣٤٠ ـ (**وعن أم العلاء الأنصارية**) هي من المبايعات، روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت وهي أمه، وكان رسول الله ﷺ يعودها في مرضها. (**قالت: قال رسول الله ﷺ: والله لا أدري**) وفي نسخة (**والله لا أدري**) مكرراً (**وأنا رسول الله**) ﷺ جملة خالية (**ما يفعل بي ولا بكم**) مفعول لا أدري ودخول لا لمزيد التأكيد ليفيد اشتمال النفي على كل واحد من القبيلتين على حدة. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه وجوه أحدها: إن هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفي هنيئاً لك الجنة زجراً لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب، ونظيره قوله لعائشة [رضي الله عنها]وعن أبيها حين يسمعها تقول: طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة. قلت: لا يخفى أن هذا سبب ورود الحديث وزمان صدوره ولا مدخل له في إزالة إشكال معناه. وثانيها: أن يكون هذا منسوخاً بقوله تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح ـ ٢]. كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وما أدري ما يفعل بي ولا بك**﴾ [الأحقاف ـ ٩]. قلت: وفيه أن النسخ على تقدير صحة تأخير الناسخ إنما يكون في الأحكام لا في الأخبار كما هو مقرر في الاعتبار. وثالثها: أن يكون نفياً للدراية المفصلة دون المجملة. قلت: هذا هو الصحيح. ورابعها: أن يكون مخصوصاً بالأمور الدنيوية من غير نظر إلى سبب ورود الحديث. قلت: وهذا مندرج فيما قبله، والحكم بطريق الأعم هو الوجه الأتم. والمراد من الأمور الدنيوية بالنسبة إليه ﷺ هي الجوع والعطش والشبع والري والمرض والصحة والفقر والغنى وكذا حال الأمة. وقيل المعنى: وأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي وأترمون بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم. والحاصل أنه يريد نفي علم الغيب عن نفسه وأنه ليس بمطلع على المكنون. قال التوربشتي: لا يجوز حمل هذا الحديث وما ورد في معناه على أن النبي ﷺ كان متردداً في عاقبة أمره غير متيقن بماله عند الله من الحسنى لما ورد عنه ﷺ من الأحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك، وأنى يحمل على ذلك وهو المخبر عن الله تعالى أنه يبلغه المقام المحمود وأنه أكرم الخلائق على الله تعالى وأنه أول شافع وأول مشفع إلى غير ذلك. (**رواه البخاري**).

الحديث رقم ٥٣٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ٤١٠. حديث رقم ٧٠١٨.

٥٣٤١ ـ (٣) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عُرضتْ عليَّ النَّارُ، فرأيتُ فيها امرأةً منْ بني إسرائيلَ تُعذَّبُ في هرَّةٍ لها، ربطَتها فلم تُطْعِمْها ولم تدَعْها تأكُلُ منْ خَشاشِ الأرضِ حتى ماتتْ جوعاً، ورأيتُ عمْرَو بنَ عامرٍ الخزاعيَّ يَجرُّ قُصْبَه في النارِ، وكانَ أوَّلَ مَن سيَّبَ السَّوائبَ». رواه مسلم.

٥٣٤١ ـ **(وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: عرضت علي النار)** أي أظهرت لي [وأهلها]**(فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل)** أي من مؤمنيهم **(تعذب في هرة)** أي في شأن هرة ولأجلها. وفي نسخة صحيحة: في هرة لها. **(ربطتها)** استئناف بيان **(فلم تطعمها)** أي كفايتها **(ولم تدعها)** أي ولم تتركها **(تأكل)** بالرفع والجملة حال، أي تصيد وتأكل **(من خشاش الأرض)** بفتح الخاء المعجمة وتكسر وتضم. ففي القاموس: الخشاش مثلث حشرات الأرض. وقال ابن الملك: هو بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها والفتح أظهر. وفي النهاية: ورُوِيَ بالحاء المهملة، وهو يابس النبات. وهو وهم. **(حتى ماتت)** أي الهرة **(جوعاً ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي)** بضم الخاء المعجمة نسبة إلى بني خزاعة قبيلة مشهورة. قال التوربشتي: هو أول من سن عبادة الأصنام بمكة وحمل أهلها بالتقرب إليها بتسييب السوائب، وهو أن يترك الدابة فتسيب حيث شاءت فلا ترد عن حوض ولا علف ولا يتعرض لها بركوب ولا حمل، وكانوا يسيبون العبيد أيضاً بأن يعتقوهم ولا يكون الولاء للمعتق ولا على المعتق حجر في ماله فيضعه حيث شاء، وقد قال له إنه سائبة. **(يجر)** أي يجذب **(قصبه)** بضم قاف فسكون صاد مهملة، أي أمعاءه. **(في النار)** وقيل: لعل النبي ﷺ كوشف من سائر ما كان يعاقب به في النار بجر قصبه في النار لأنه استخرج من باطنه بدعة جر بها الجريرة إلى قومه الجريمة. **(وكان أول من سيب السوائب)** أي وضع تحريم السوائب جمع سائبة، وهي ناقة يسيبها الرجل عند برئه من المرض أو قدومه من السفر فيقول: ناقتي سائبة. فلا تمنع من المرعى ولا ترد عن حوض ولا عن علف ولا يحمل عليها ولا يركب عليها ولا تحلب، وكان ذلك تقرباً منهم إلى أصنامهم [وقيل]: هي ناقة ولدت عشر إناث على التوالي ذكره ابن الملك. **(رواه مسلم)** أي من حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر واتفق هو والبخاري على إخراج حديث الهرة عن ابن عمر، وعن أبي هريرة أيضاً وليس فيه ذكر عمرو بن عامر. لكن رؤيا حديث عمرو من حديث أبي هريرة كذا نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب وبحر البحائر، يعني إذا نتجت الناقة خمسة أبطن بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب.

الحديث رقم ٥٣٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥١٥. حديث رقم ٣٤٨٢. ومسلم في صحيحه ٢/ ٦٢٢ حديث رقم (٩ ـ ٩٠٤). والنسائي ٣/ ١٣٧ حديث رقم ١٤٨٢. وأحمد في المسند ٣/ ٣٣٥.

٥٣٤٢ ـ (٤) وعن زينبَ بنتِ جحشٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ عليها يوماً فزعاً يقولُ: «لا إلهَ إلاّ اللّهُ، وَيلٌ للعربِ منْ شرّ قدِ اقتربَ، فُتحَ اليومَ منْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذِه» وحلَّقَ بأصبعَيهِ: الإبهامِ والتي تَليها. قالتْ زينبُ: فقلتُ: يا رسولَ الله! أفنَهلِكُ وفينا الصالحونَ؟ قال: «نعمْ، إذا كثُرَ الخَبثُ». متفق عليه.

٥٣٤٢ ـ **(وعن زينب بنت جحش)** [مر ذكرها وهي] إحدى أمهات المؤمنين. **(أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً)** بفتح فكسر أي خائفاً **(يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب)** ففي القاموس: الويل حلول الشر وهو تفجيع انتهى. وخص بذلك العرب لأنهم كانوا معظم من أسلم حينئذ **(من شر)** أي خروج جيش يقاتل العرب **(قد اقترب)** أي قرب ذلك الشر في غاية القرب بيانه قوله: **(فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج)** بالألف ويهمز فيهما بلا انصراف. والمراد بالردم السد والاسم والمصدر فيه سواء، وهو السد الذي بناه ذو القرنين. **(مثل هذه)** بالرفع على أنه نائب الفاعل لقوله: فتح. والإشارة إلى الحلقة المبينة بقوله: **(وحلق)** بتشديد اللام، أي جعل حلقة **(بإصبعيه)** أي بضمهما **(الإبهام والتي تليها)** بالنصب على أنه مفعول حلق، أو على تفسير الأصبعين بتقدير أعني ويجوز جرهما على البدلية. والمراد أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبة إلى اليوم وقد انفتحت فيه إذ انفتاحها من علامات قرب الساعة، فإذا اتسعت خرجوا وذلك بعد خروج الدجال كما سيأتي قريباً. ويأجوج ومأجوج جنسان من بني آدم وطائفتان كافرتان من الترك. **(قالت زينب: فقلت: يا رسول الله أفنهلك)** بصيغة المجهول من الاهلاك، وفي نسخة صحيحة بفتح النون وكسر اللام **(وفينا الصالحون)** أي أنعذب فنهلك نحن معشر الأمة، والحال أن بعضنا مؤمنون وفينا الطيبون الطاهرون. ويمكن أن يكون هذا من باب الاكتفاء على تقدير الاستغناء، أي وفينا الصالحون ومنا القاسطون. **(قال: نعم)** أي يهلك الطيب أيضاً **(إذا كثر الخبث)** بفتحتين، أي الفسق والفجور والشرك والكفور. وقيل: معناه الزنا. والمقصود أن النار وقعت في موضع واشتدت أكلت الرطب واليابس وغلبت على الطاهر والنجس ولا تفرق بين المؤمن والمنافق والمخالف والموافق. وسيأتي أن الله إذا أنزل بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم. وفي نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون، أي الفواحش والفسوق أو معناهما واحد. **(متفق عليه)** وروى أبو داود والحاكم عن أبي هريرة: ويل للعرب من شر قد اقترب قد أفلح من كف يده[1].

الحديث رقم ٥٣٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨١. حديث رقم ٣٣٤٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٨ حديث رقم (٢/ ٢٨٨). والترمذي في السنن ٤/ ٤١٦ حديث رقم ٢١٨٧. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٣. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩١ حديث رقم ٢٢ من كتاب الكلام. وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٠.

(١) أبو داود في سننه ٤/ ٢٤٩ حديث رقم ٤٢٤٩. والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٣٩.

٥٣٤٣ ـ (٥) وعن أبي عامرٍ، أو أبي مالكٍ الأشعريِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ليكونَنَّ من أُمتي أقوامٌ يستحلُّونَ الخزَّ والحريرَ والخمرَ والمعازفَ، ولينزلَنَّ أقوامٌ إلى جَنبِ عَلَمٍ يروحُ عليهم بسارِحةٍ لهم،

٥٣٤٣ ـ **(وعن أبي عامر)** هو عم أبي موسى الأشعري واسمه عبيد بن وهب. **(وأبي مالك الأشعري)** ويقال له الأشجعي واسمه مختلف فيه، وقد أخرج حديثه البخاري بالشك. فقال: عن أبي مالك الأشعري، أو أبي عامر. **(قال:)** أي أحدهما **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليكونن من أمتي)** كذا هو في نسخ البخاري، أي من جملتهم ووقع في المصابيح: في أمتي. **(أقوام)** أي جماعات **(يستحلون الخز)** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي، نوع من الحرير رديه. **(والحرير والخمر)** تخصيص بعد تعميم أو المراد بالنهي عن الخز هو الركوب عليه وفرشه للوطء لأنه من الإسراف وهو مكروه وإلا فلا، ونهيه عن لبسه فإنه ثوب ينسج[1] من صوف وإبريسم، نعم إذا كان لحمته حريراً وسداه غيره فممنوع لبسه إلا في الحرب بخلاف العكس فإنه قطني مشروع لبسه. **(والمعازف)** بفتح الميم أي آلات اللهو يضرب بها كالطنبور والعود والمزمار ونحوها. والمعنى: يعدون هذه المحرمات حلالات بإيرادات شبهات وأدلة واهيات، منها ما ذكره بعض علمائنا من أن الحرير إنما يحرم إذا كان ملتصقاً بالجسد وأما إذا لبس من فوق الثياب فلا بأس به فهذا تقييد من غير دليل نقلي ولا عقلي، ولإطلاق كلام الشارع ﷺ بقوله: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[2]. وكثير من الأمراء والعوام إذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون: لو كان حراماً لما لبسه القضاة وعلماء الأعلام فيقعون في استحلال الحرام. وكذلك لبعض العلماء تعلقات بالمعازف يطول بيانها فأعرضت عن تفصيل شأنها فإنه يحتاج إلى مصنف مستقل في تبيانها. وهذا الحديث مؤيد بقوله تعالى: **﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾** [لقمان ـ ٦]. وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن أنس مرفوعاً: ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف. أي إذا فعلوا هذه الأشياء مستحلين لها. **(ولينزلن أقوام)** أي منهم على ما هو الظاهر من استحقاقهم العذاب **(إلى جنب علم)** أي جبل **(يروح)** أي يسير **(عليهم بسارحة لهم)** أي ماشية لهم والباء زائدة في الفاعل. وقيل: الصواب يروح عليهم رجل بسارحة ذكره الطيبي [رحمه الله]. والأظهر أن الفعل نزل منزلة اللازم والتقدير يقع السير عليهم بسير ماشية. وفيه إشارة لطيفة إلى أنهم في سيرهم تابعون لحيواناتهم على مقتضى الطباع الحيوانية والشهوات النفسانية وتاركون متابعة العلماء بالآيات القرآنية والأحاديث النورانية، ولذا وقعوا فيما وقعوا أولاً وجوزوا على ما فعلوه آخراً.

الحديث رقم ٥٣٤٣: أخرجه البخاري في ١٠/ ٥١. حديث رقم ٥٥٩٠. وأبو داود في السنن ٤/ ٣١٩ حديث رقم ٤٠٣٩.

(١) في المخطوطة «و».

(٢) البخاري في صحيحه ١٠/ ٢٨٤ حديث رقم ٥٨٣٢. ومسلم ٣/ ١٦٤١ حديث رقم (١١ . ٢٠٦٩).

يأتيهم رجلٌ لحاجة فيقولونَ: ارجعْ إلينا غداً، فيُبَيِّتُهم اللَّهُ، ويضعُ العلمَ، ويمسخُ آخرينَ قردةً وخنَازيرَ إلى يومِ القيامةِ». رواه البخاريُّ. وفي بعض نسخ «المصابيح»: «الحِرَ» بالحاءِ والراءِ المهملتينِ، وهو تصحيفٌ، وإنما هوَ بالخاءِ والزاي المعجمتين، نصَّ عليه الحميديُّ وابن الأثير في هذا الحديث. وفي كتاب «الحميدي» عن البخاريِّ، وكذا في «شرحه» للخطابي: «تروحُ عليهم سارحَةٌ لهم يأتيهم لحاجةٍ».

وقيل: الأظهر أن الفاعل ضمير مفهوم من السياق، أي يأتيهم راعيهم كل حين بسارحة أي ماشية لهم تسرح بالغدوة ينتفعون بألبانها وأوبارها. **(يأتيهم رجل لحاجة)** أي ضرورية، وإلا فهم مبعدون من أن يأتيهم الناس أو من أن يحصل لهم بأحد من المؤمنين شيء من الاستئناس. **(فيقولون:)** أي تعللاً أو بخلاً وتذللاً **(ارجع إلينا غداً)** أي لنقضي حاجتك أو لنؤدي طلبتك من غير أن يقولوا: إن شاء الله **(فيبيتهم)** بالتشديد أي يعذبهم **(الله)** بالليل فإنه أدهى بالويل **(ويضع)** أي يوقع الله ويسقط **(العلم)** أي الجبل على بعضهم كما يدل عليه قوله: **(ويمسخ آخرين قردة وخنازير)** أي ويحول صور بعضهم إلى صور القردة والخنازير، فيكون نصبها بنزع الخافض وإيصال الفعل إليهما. ففي القاموس: مسخه كمنعه حول صورته إلى أخرى. ولعل المراد أن شبابهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير لكثرة ذنوب الكبار وتخفيف أمر الصغار، فإن القرد يبقى فيه نوع من المعرفة وصنف من المشابهة بالجنس الإنساني. وقوله: **(إلى يوم القيامة)** إشارة إلى أن مسخهم امتد إلى الموت وإن من مات فقد قامت قيامته، ويمكن أن يكون حشرهم على تلك الصور أيضاً. **(رواه البخاري)** وكذا أبو داود. وروى الطبراني عن أبي أمامة: ليبيتن أقوام من أمتي على أكل ولهو ولعب ثم ليصبحن قردة وخنازير(١). **(وفي بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء)** أي المكسورة **(والراء)** أي المخففة **(المهملتين وهو تصحيف، وإنما هو بالخاء)** أي المفتوحة **(والزاي)** أي المشددة **(المعجمتين نص عليه الحميدي)** أي الجامع بين الصحيحين **(وابن الأثير)** أي صاحب جامع الأصول **(في هذا الحديث وفي كتاب الحميدي عن البخاري)** أي رواية عنه أيضاً **(وكذا في شرحه)** أي شرح البخاري **(للخطابي: تروح)** قيل بالتأنيث ويجوز تذكيره، بل هو الأظهر فتدبر. **(عليهم سارحة لهم)** أي بغير الباء الجارة **(يأتيهم لحاجة)** أي بحذف الفاعل والتقدير: يأتيهم الآتي أو المحتاج أو الرجل على ما يفهم من السياق. وللإسماعيلي: يأتيهم طالب حاجة على ما ذكره العسقلاني والله [تعالى]أعلم. ثم للشراح هنا مباحث شريفة وأجوبة لطيفة، منها قول الشيخ التوربشتي [رحمه الله]: الحر بتخفيف الراء الفرج وقد صحف هذا اللفظ في كتاب المصابيح، وكذلك صحفه بعض الرواة من أصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء والزاي المنقوطتين، والخز لم يحرم حتى يستحل. ولقد وجدت من الناس من اعتنى بخط من كان يعرف بعلم الحديث وحفظه فقد كان قيده بالخاء والزاي المنقوطتين حتى ثبت له أنه صحف، أو اتبع رواية بعض من لم يعلم ومنها قوله أيضاً في قوله:

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٦٢ حديث رقم ٧٥٤٢٠.

....

تروح عليهم بسارحته. سقط منه فاعل تروح فالتبس المعنى على من لم يعلم به. وإنما الصواب يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذا رواه مسلم في كتابه. وإنما السهو من المؤلف لأنا وجدنا النسخ سائرها على ذلك ومنها قوله: ويضع العلم سقط كلمة وهي عليهم انتهى. ويؤيده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح المصابيح من أن الحر بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مخففة وأصله الحرج. فحذفت الحاء الأخيرة وجمعه أحراج والحر الفرج. يعني: قد يكون جماعة في آخر الزمان يزنون ويعتقدون أنه إذا رضي الزوج والمرأة حل منها جميع أنواع الاستمتاعات ويقولون: المرأة مثل البستان، فكما أن لصاحب البستان أن يبيح ثمرة بستانه لمن شاء فكذلك للزوج أن يبيح زوجته لمن شاء. والذين لهم هذا الاعتقاد هم الحرفيون والملاحدة. وأما لبس الحرير فهو حرام على الرجال ومن اعتقد حله فهو كافر. وفي هذا الحديث اختلف نسخ المصابيح في موضعين: أحدهما في الحر فإنه في بعض النسخ بالخاء والزاي المعجمتين، والصواب ما قلنا فإنه ذكر في سنن أبي داود بالحاء والراء المهملتين. والموضع الثاني قوله: يروح عليهم رجل بسارحته لهم. ففي بعض النسخ هكذا وفي بعضها يروح عليهم من غير لفظ رجل. والرجل مذكور في سنن أبي داود، وأفاد هذا الحديث أنه يكون في آخر الزمان نزول الفتن ومسخ الصور فليجتنب المؤمن العاصي كيلا يقع في العذاب ومسخ الصور. قال الطيبي [رحمه الله]بعد نقله كلام الشارح الأول: أما قوله: أولاً فقد صحف إلى آخره، فجوابه ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في هذا الحديث بعد ما روى: يستحلون الخز بالخاء والزاي المعجمتين. قلت: معارضة الخصم لا تصلح أن تكون جواباً. قال: والذي ذكره أبو إسحاق الحربي في باب الحاء والراء ليس من هذا في شيء، إنما هو حديث آخر عن أبي ثعلبة عن النبي ﷺ قال: أول دينكم نبوة ورحمة ثم ملك ورحمة وخيرة ثم ملك عض يستحل فيه الحر والحرير. يريد استحلال الحرام من الفروج، وهذا لا يتفق مع الذي أخرجه البخاري وكذلك أخرجه أبو داود في السنن في كتاب اللباس في باب الخز ولباسه. وإنما ذكرنا ذلك لأن من الناس من يتوهم في ذلك شيئاً فبيناه. وحديث أبي ثعلبة ليس من شرط الصحيح، ثم كلامه أي كلام أبي إسحاق وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية في باب الحاء والراء المهملتين. قلت: كونه حديثاً آخر مسلم لكنه مؤيد للمنازع فيه بل نص في المعنى، المراد ولا يضره أنه ليس على شرط الشيخين إذا ثبت صحته، والأصل توافق الأحاديث لأن بعضها يفسر بعضاً لا سيما والخز بالزاي ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله من الكفريات. ثم رأيت في الجامع الصغير أن ابن عساكر روى عن علي مرفوعاً: أوشك أمتي أن تستحل فروج النساء والحرير[1]. وأما قوله ثانياً: والخز لم يحرم حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الأثير في النهاية في حديث علي أنه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه. والخز المعروف في الزمن الأول ثياب تنسج من صوف وإبريسم وهي مباحة وقد لبسها

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٥ حديث رقم ٢٧٨٥.

....

الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لأجل التشبه بالعجم وزي المترفين، وإن أريد بالخز النوع الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام لأن جميعه معمول من الإبريسم وعليه يحمل الحديث الآخر. معنى هذا الحديث: يستحلون الخز والحرير. ثم كلامه أي كلام ابن الأثير. وفيه أن كون الركوب على الخز وفراشه مكروهاً مع أن الحرير كذلك لا يقتضي أن استباحته كفر يوجب العذاب، لا سيما والخز لغة واصطلاحاً في زمنه ﷺ كان من جملة المباحات، فكيف يصح أن يحمل عليه. وأما على ما تعورف عند بعض الناس من حمل الخز على الإبريسم فيبعد كلامه ﷺ أن يفسر به، لا سيما مع وقوع تكراره مع صريح لفظ الحرير والأصل التغاير بين المتعاطفين. قال الطيبي [رحمه الله: فإن]قلت: [كيف]يعطف الحرير على الخز والأول مكروه والثاني حرام على المعنى الأول وعلى الثاني يلزم عطف الشيء على نفسه، أو كيف يحرم وإنه لم يكن مصطلحاً حينئذ. والجواب عن الأول أنه ﷺ ذهب إلى التغليب لإرادة التغليظ. قلت: التغليب تغلب وعن ظاهره تقلب. قال: والجواب عن الثاني أنه عطف بيان وعن الثالث بأنه إخبار عن الغيب فكان معجزة. قلت: عطف البيان مسلم لو كان الخز في زمنه يطلق على الحرير، وأما جعله معجزة بأنه يطلق بعده على الحرير ففي غاية من البعد. قال: وأما قوله ثالثاً سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى، فجوابه أنه ما التبس منه بل رواه البخاري كما في المصابيح، ولكن الحميدي والخطابي وصاحب جامع الأصول ذكروا: تروح عليهم سارحة[1] بالتاء المقيدة بنقطتين من فوق ويرفع سارحة على الفاعلية، فوجب أن يقال إن الباء زائدة على أن الباء تزاد في الفاعل كما استدل بقول امرىء القيس:

ألا هل أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن نملك بيقرا

قلت: لا شك في وقوع الالتباس على تلك النسخة، وزيادة الباء في الفاعل من مختصات كفى والبيت ليس نصاً في المعنى بل الأظهر فيه حذف الفاعل على ما جوّزه بعضهم. قال: وأما نسبته إلى مسلم وأنه رواه في كتابه كذا فهو سهو منه لأني ما وجدت الحديث في كتاب مسلم، فكيف وقد أورده الحميدي في أفراد البخاري فحسب، وصاحب جامع الأصول رواه عن البخاري وأبي داود. قلت: من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي، والشيخ ثقة محقق لا سيما وهو في صدد الاحتجاج. قال: وأما قوله رابعاً وقد سقط منه كلمة عليهم فإني ما وجدت في الأصول هذه الكلمة ثابتة. قلت: فثبت المدعي بالأقوى مع أنه أثبت وجوده في بعض النسخ وأسنده إلى مسلم وإسناده مسلم ثم قال: فإن قلت: كيف يكون نزول بعضهم إلى جنب علم ورواح سارحتهم عليهم ودفعهم[2] ذا الحاجة بالمطل والتسويف سبباً لهذا العذاب الأليم والنكال الهائل العظيم. قلت: إنهم لما بالغوا في

(١) في المخطوطة «بارحة».

(٢) في المخطوطة «رفع».

٥٣٤٤ ـ (٦) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أنزلَ اللّهُ بقومٍ عذاباً أصابَ العذابُ من كانَ فيهم، ثمَّ بعِثوا على أعمالهم». متفق عليه.

الشح والمنع بولغ في العذاب، وبيان ذلك أن في إيثار ذكر العلم على الجبل إيذاناً بأن المكان مخصب ممرع ومقصد لذوي الحاجات، فيلزم منه أن يكونوا ذوي ثروة وموئلاً للملهوفين، فلما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان في قوله: تروح عليهم سارحتهم. وتعديته بعلى المنبهة للاستعلاء على أن ثروتهم حينئذ أوفر وأظهر، وأن احتياج الواردين إليهم أشد وأكثر لأنهم أحوج ما يكونون حينئذ. وفي قولهم: ارجع إلينا غداً، إدماج لمعنى الكذب وخلف الموعد واستهزاء بالطالب فإذاً يستأهلون. قلت: هذا كله لم يفد استحقاق العذاب الشديد من المسخ المقرر فإنه لا يوجد في غير أهل الكفر. فالصواب ما قررناه وفيما سبق قدرناه وحررناه. قال: وإنما قلنا إن العلم يدل على الشهرة والمقصد لقول الخنساء في مدح أخيها:

* كـأنـه عـلـم فـي رأسـه نـار *

نبهت به على أن أخاها مشهور معروف وملجأ للملهوفين ومأمن للمضطرين، فإن رواح السارحة دل على وفور الثروة وظهورها كقوله تعالى: ﴿**ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**﴾ [النحل ـ ٦]. قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قدمت الإِراحة على التسريح. قلت: لأن الجمال في الإِراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أدبرت إلى الحظائر. قال الخطابي: فيه بيان أن المسخ قد يكون في هذه الأمة وكذلك الخسف كما كانا في سائر الأمم خلاف قول من زعم أن ذلك لا يكون إنما مسخها بقلوبها. أقول: فما جاء في الأحاديث من نفيها فهو إما محمول على أول زمان الأمة فهو عام خص منه آخر الزمان بهذا الحديث، وإما محمول على مسخ جميع الأمة وخسفهم والمثبت منهما ما وقع لبعضهم والله [تعالى]أعلم.

٥٣٤٤ ـ **(وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم)** أي جميعهم الصالحين والطالحين **(ثم بعثوا)** أي يوم القيامة **(على أعمالهم)** أي بعث الصالح على عمله وكذا الطالح. قال المظهر: يعني إذا أذنب بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان في القوم سواء فيه المذنب وغيره بشرهم، ولكنهم مجزيون يوم القيامة على حسب أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. **(متفق عليه)** أي من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب [رضي الله عنهما]عن أبيه ذكره ميرك. فكان حق المؤلف أن يسند الحديث إلى عمر رضي الله [تعالى]عنه.

الحديث رقم ٥٣٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/١٣. حديث رقم ٧١٠٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٦ حديث رقم (٨٤ ـ ٢٨٧٩) وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٠.

٥٣٤٥ ـ (٧) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٣٤٦ ـ (٨) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما رأيتُ مثلَ النارِ نامَ هاربها، ولا مثلَ الجنةِ نامَ طالبُها». رواه الترمذي.

٥٣٤٧ ـ (٩) وعن أبي ذرّ، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «إني أرى ما لا ترونَ، وأسمَعُ ما لا تسمعونَ، أطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أنْ تئطَّ، والذي نفْسي بيدِه ما فيها

٥٣٤٥ ـ (**وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث**) أي يحشر يوم القيامة (**كل عبد على ما مات عليه**) أي من العمل خيراً كان أو شراً فيجازى به. (**رواه مسلم**) وكذا ابن ماجه. وفي رواية أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً: يبعث الناس على نياتهم[١].

(الفصل الثاني)

٥٣٤٦ ـ (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما رأيت**) فيه معنى التعجب أي ما علمت (**مثل النار**) أي شدة وهولاً (**نام هاربها**) مفعول ثان ويمكن أن يكون رأيت بمعنى أبصرت فتكون الجملة صفة أو حالاً، أي صار غافلاً عنها وينبغي للهارب من عذاب النار أن يفر من عمل الفجار. (**ولا مثل الجنة**) أي من نعمة ونزلاً (**نام طالبها**) وينبغي له أن يجد كل الجد في امتثال الأوامر ليدرك الحد. (**رواه الترمذي**) ورواه الطبراني في الأوسط عن أنس.

٥٣٤٧ ـ (**وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ:**[٢] **إني أرى ما لا ترون**) أي أبصر ما لا تبصرون بقرينة قوله: (**وأسمع ما لا تسمعون**) ثم بين سماعه لقربه ولكونه نتيجة لكثرة ما رآه بقوله: (**أطت السماء**) بتشديد الطاء من الأطيط وهو صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها على ما في النهاية، أي صوّتت. (**وحق**) بصيغة المجهول، أي ويستحق وينبغي (**لها أن تئط**) أي تصوت. ثم بين سببه وهو ما رآه من الكثرة بقوله: (**والذي نفسي بيده ما فيها**) أي

الحديث رقم ٥٣٤٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٦ حديث رقم (٨٣ . ٢٨٧٨). وأحمد في المسند ٣/ ٣٣١.

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٩٢.

الحديث رقم ٥٣٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٦ حديث رقم ٢٦٠١.

الحديث رقم ٥٣٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٢. حديث رقم ٢٣١٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٢ حديث رقم ٤١٩٠. وأحمد في المسند ٥/ ١٧٣.

(٢) في المخطوطة «النبي» [ﷺ].

موضِعُ أربعةِ أصابعَ إلاَّ وملَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدٌ للّهِ، واللّهِ لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذتم بالنساءِ على الفُرشاتِ، ولَخرجتم إلى الصُّعُداتِ تجأرونَ إلى اللّهِ». قال أبو ذرّ: يا ليتني كنتُ شجرةً تُعضَدُ. رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

ليس في السماء جنسها (**موضع أربعة أصابع**) بالرفع على أنه فاعل للظرف المعتمد على حرف النفي والمذكور بعد إلا في قوله: (**إلا وملك**) حال منه أي وفيه ملك (**واضع جبهته لله ساجداً**) أي منقاداً ليشمل ما قيل إن بعضهم قيام وبعضهم ركوع وبعضهم سجود كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**وما منا إلا له مقام معلوم**﴾ [الصافات ـ ١٦٤]. أو خصه باعتبار الغالب منهم أو هذا مختص بإحدى السموات والله [تعالى]أعلم. ثم اعلم أن أربعة بغير هاء في جامع الترمذي وابن ماجه، ومع الهاء في شرح السنة وبعض نسخ المصابيح. وسببه أن الأصبع يذكر ويؤنث. قال الطيبي [رحمه الله]: أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثمة أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. قلت: ما المحوج عن عدول كلامه ﷺ من الحقيقة إلى المجاز مع إمكانه عقلاً ونقلاً حيث صرح بقوله: وأسمع ما لا تسمعون. مع أنه يحتمل أن يكون أطيط السماء صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد لقوله سبحانه: ﴿**وإن من شيء إلا يسبح بحمده**﴾ [الإسراء ـ ٤٤]. لا سيما وهي معبد المسبحين والعابدين ومنزل الراكعين والساجدين. (**والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرشات**) بضم الفاء والراء جمع فرش، فهو جمع الجمع للمبالغة. (**ولخرجتم**) أي من منازلكم العاليات. (**إلى الصعدات**) بضمتين، أي إلى الصحارى واختيار الجمع للمبالغة. والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق وطرقات. والصعيد هو الطريق وفي الأصل التراب، أي لخرجتم إلى الطرقات البراري والصحارى وممر الناس، كما يفعل المحزون لبث الشكوى والهم المكنون. والأظهر أن الصعيد هو وجه الأرض، وقيل: التراب ولا معنى له ههنا. قال التوربشتي: المعنى لخرجتم من منازلكم إلى الجبانة متضرعين إلى الله تعالى. ومن حال المحزون أن يضيق به المنزل فيطلب الفضاء الخالي لشكوى بثه. (**تجأرون إلى الله**) أي تتضرعون إليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء. (**قال أبو ذر: يا ليتني كنت شجرة تعضد**) بصيغة المجهول، أي تقطع وتستأصل وهذا نشأ من كمال خوفه من عذاب ربه. (**رواه أحمد والترمذي وابن ماجه**). قال التوربشتي [رحمه الله]: قوله: يا ليتني هو من قول أبي ذر ولكن ليس في كتاب أحمد ممن نقل هو عن كتابه. قال أبو ذر: بل أدرج في الحديث، ومنهم من قال قيل هو من قول أبي ذر وقد علموا أنه بكلام أبي ذر أشبه والنبي ﷺ أعلم بالله من أن يتمنى عليه حالاً هي أوضع مما هو فيه، ثم إنها مما لا تكون. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: في جامع الترمذي وجامع الأصول هكذا: تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد. وفي رواية: أن أبا ذر قال: لوددت أني شجرة تعضد. ويروى عن أبي ذر موقوفاً وفي سنن ابن ماجه كما في المتن ونسخ المصابيح قال أبو ذر: يا ليتني. إلى آخره وللبحث فيه مجال.

٥٣٤٨ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن خافَ أدلَجَ، ومَنْ أدلجَ بلغَ المنزلَ. ألاَ إنَّ سِلعةَ اللَّهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ الجنَّةُ». رواه الترمذي.

٥٣٤٩ ـ (١١) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يقولُ اللَّهُ جلَّ ذكرُه: «أخرِجوا منَ النّارِ مَن ذكرني يوماً أو خافَني في مقامٍ».

٥٣٤٨ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: من خاف)** أي البيات والإغارة من العدو وقت السحر. **(أدلج)** أي سار أوّل الليل ومن خاف فوت المطلوب سهر في طلب المحبوب. **(ومن أدلج)** أي بالسهر **(بلغ المنزل)** أي وصل إلى المطلب. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا مثل ضربه النبي ﷺ لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق بأعوانه ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل إلا بأدنى سعي. فقال: **(ألا)** بالتخفيف للتنبيه **(أي سلعة الله)** أي متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى وزيادة **(غالية)** بالغين المعجمة، أي رفيعة القدر. **(ألا إن سلعة الله)** أي الغالية **(الجنة)** أي العالية، والمعنى ثمنها الأعمال الباقية المشار إليها بقوله سبحانه: **﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾** [الكهف ـ ٤٦]. والمومىء إليها بقوله عزَّ وعلا: **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن له الجنة﴾** [التوبة ـ ١١١]. **(رواه الترمذي)** وكذا الحاكم[(١)].

٥٣٤٩ ـ **(وعن أنس عن النبي ﷺ قال: يقول الله جلَّ ذكره:)** أي عظم ذكره وفخم ذاكره، وما أحسن رفع[(٢)] ذكره في هذا المقام من حيث إنه توطئة لذكره في الأيام وخوفه في كل مقام. **(أخرجوا من النار من ذكرني)** أي بشرط كونه مؤمناً مخلصاً. **(يوماً)** أي وقتاً وزماناً **(أو خافني في مقام)** أي في مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى: **﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾** [النازعات ـ ٤٠ ـ ٤١]. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد الذكر بالإخلاص وهو توحيد الله عن إخلاص القلب وصدق النية، وإلا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة»[(٣)]. والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي وتقيدها بالطاعات، وإلا

الحديث رقم ٥٣٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٤٦ حديث رقم ٢٤٥٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٣٠٨.

الحديث رقم ٥٣٤٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٦١٣ حديث رقم ٢٥٩٤.

(٢) في المخطوطة «توقع».

(٣) أخرج أصحاب السنن وكتب الحديث. أحاديث كثيرة في ضرورة الإخلاص. منها ما أخرجه البخاري [١/١٩٣ حديث رقم ٩٩] وما أخرجه أحمد في المسند [٢/٢٠٧]. وكذلك الترمذي في السنن [٥/٥٣٦ حديث رقم ٣٥٩٠] وأخرجه أحمد في المسند «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان» =

رواه الترمذي، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور».

٥٣٥٠ ـ (١٢) وعن عائشةَ، قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عنْ هذه الآية: ﴿**والذينَ يُؤتونَ ما آتوا وقُلوبُهم وَجِلَةٌ**﴾ أَهمُ الذينَ يشربونَ الخمرَ ويسرِقونَ؟ قال: «لا، يا بنتَ الصدِّيقِ! ولكنهم الذين يصومونَ ويصلونَ ويتصدَّقونَ،

فهو حديث نفس وحركة لا يستحق أن يسمى خوفاً وذلك عند مشاهدة سبب هائل، وإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الفضلة. قال الفضيل: إذا قيل لك: هل تخاف الله فاسكت. فإنك إذا قلت: لا، كفرت وإذا قلت: نعم، كذبت أشار به إلى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي. **(رواه الترمذي)** أي في سننه **(والبيهقي في كتاب البعث والنشور)**.

٥٣٥٠ ـ **(وعن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: والذين يؤتون ما آتوا)** أي يعطون ما أعطوه من الزكاة والصدقات. وقرىء يأتون ما أتوا بالقصر، أي يفعلون ما فعلوه من الطاعات. **(وقلوبهم وجلة)**[1] أي خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذون به. وتمامه: ﴿**أنهم إلى ربهم راجعون**﴾. أي لأن مرجعهم إليه. ﴿**أولئك الذين يسارعون في الخيرات**﴾. أي يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها. ﴿**وهم لها سابقون**﴾ [المؤمنون ـ ٦١]. أي لأجلها فاعلون السبق، أو سابقون الناس إلى الطاعات[2] أو الثواب أو الجنة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو هكذا في نسخ المصابيح وهي القراءة المشهورة، ومعناه يعطون ما أعطوا. وسؤال عائشة رضي الله تعالى عنها: **(أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون)** لا يطابقها وقراءة رسول الله ﷺ **يأتون ما أتوا** بغير مد، أي يفعلون ما فعلوا وسؤالها مطابق لهذه القراءة وهكذا هو في تفسير الزجاج والكشاف. قلت: مؤدي القراءتين واحد لأن المراد بالقراءة الشاذة المنسوبة إليه ﷺ قبل قطع طرق التواتر يفعلون ما فعلوه من الطاعة، لا ما ظنت عائشة رضي الله عنها أن المراد به ما فعلوه من المعصية ولا المعنى الأعم من الخير والشر لعدم مطابقته لقوله سبحانه: ﴿**أولئك يسارعون في الخيرات**﴾ [المؤمنون ـ ٦١]. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(لا)** أي ليسوا هم، أو ليس المراد من الآية أمثالهم. **(يا بنت الصديق)** وفي نسخة يا ابنة الصديق. وفي هذا النداء منقبة عظيمة لها ولأبيها على وجه التحقيق فكأنه قال: ليس كذلك وأنت الصادقة على ما هو المتعارف من حسن الآداب بين الأحباب. **(ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون)** فهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا**﴾. على القراءتين غايته

= [١٤٧/٥] وأخرج النسائي في السنن «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً» [٦/ ٢٥ حديث رقم ٣١٤٠]. وحديث من قال «لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة». أخرجه البزار.

الحديث رقم ٥٣٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٠٦ حديث رقم ٣١٧٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٤ حديث رقم ٤١٩٨. وأحمد في المسند ٦/ ١٥٩.

(١) سورة المؤمنون. آية رقم ٦٠. (٢) في المخطوطة «طاعة».

وهُم يخافونَ أن لا يُقبلَ منهم، أولئكَ الذين يسارِعونَ في الخيراتِ». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٣٥١ ـ (١٣) وعن أُبيٍّ بن كعبٍ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا ذهبَ ثُلثا الليلِ قامَ فقال: «يا أيُّها الناسُ! اذكروا اللَّهَ، اذكروا اللَّهَ، جاءَتِ الرَّاجفةُ، تتبعُها الرادِفةُ، جاءَ الموتُ بما فيهِ، جاءَ الموتُ بما فيه».

أن في كل نوع منهما تغليب، فالمشهورة ظاهرها متعلق بالعبادة المالية كما أن الشاذة تتعلق بالطاعة البدنية على أن المشهورة، يمكن أن يقال في تفسيرها: يعطون من أنفسهم ما أعطوا من الطاعات فيشمل النوعين من العبادة. **(وهم يخافون أن لا يقبل منهم)** أي لا أنهم يخافون مما فعلوا بدليل قوله تعالى: **(أولئك الذين يسارعون في الخيرات)** فإنه لا يصح أن يحمل على شربة الخمر وسرقة المال وسائر السيئات **(رواه الترمذي وابن ماجه)**.

٥٣٥١ ـ **﴿وعن أبي بن كعب قال: كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس)** أراد به النائمين من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد، وفي هذا مأخذ للمذكرين من المؤذنين وأنه ينبغي لهم أن لا يقوموا قبل مضي الثلثين من الليل. وفيه إشارة إلى استحباب القيام في الثلث الأخير من الليل استحباباً مؤكداً. **(اذكروا الله)** أي بوحدانية ذاته وسائر صفاته **(اذكروا الله)** أي عقابه وثوابه لتكونوا بين الخوف والرجاء وممن قال تعالى فيهم: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾** [السجدة ـ ١٦]. وفي نسخة: اذكروا الله ثلاث مرات، أي آلاءه ونعماءه وسراءه وضراءه، **(جاءت الراجفة)** فيه إشارة إلى قوله تعالى: **(يوم ترجف الراجفة ﴾** [النازعات ـ ٦]. وعبر بصيغة الماضي لتحقق وقوعها فكأنها جاءت. والمراد أنه قارب وقوعها فاستعدوا لتهويل أمرها. والراجفة هي الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ من الأرض والجبال لقوله تعالى: **﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾** [المزمل ـ ١٤]. أو مجاز عن الواقعة التي ترجف الأجرام عندها، وهذا المعنى أنسب بالحديث في هذا المقام وهي النفخة الأولى. **(تتبعها الرادفة)** أي التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر أو النفخة الثانية وهي التي يحيي فيها الخلق. والجملة في موقع الحال أو استئناف بيان لما يقع بعد الرجفة. قال الطيبي [رحمه الله]: راد بالراجفة النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمحص، وأراد بالرادفة النفخة الثانية ردفت النفخة الأولى. أنذرهم ﷺ باقتراب الساعة لئلا يغفلوا عن استعدادها **(جاء الموت بما فيه)** أي مع ما فيه من الشدائد الكائنة في حالة النزع والقبر وما بعده. وفيه إشارة إلى أن من مات فقد قامت قيامته فهي القيامة الصغرى الدالة على القيامة الكبرى. **(جاء الموت بما فيه)** لعل الأول بيان ما وقع وتحقق لمن قبلنا موعظة لنا فقد ورد: كفى بالموت واعظاً. والثاني إشارة إلى قرب مجيئه بالموجودين وهذا

الحديث رقم ٥٣٥١: أخرجه الترمذي في السنن ٥٤٩/٤ حديث رقم ٢٤٥٧. وأحمد في المسند ١٣٦/٥.

رواه الترمذي.

٥٣٥٢ ـ (١٤) وعن أبي سعيدٍ، قال: خرجَ النبيُّ ﷺ لصلاة فرأى النَّاسَ كأنَّهم يكتَشرون قال: «أَما إِنَّكم لَو أَكْثرتُم ذكر هاذِمِ اللَّذات لشغلكم عمَّا أرى، الموتُ، فأكثروا ذكر هاذِمِ اللَّذاتِ، الموتِ، فإنَّهُ لم يأتِ على القبر يومٌ إلا تكلَّم فيقول: أنا بيتُ الغربة، وأنا بيتُ الوحدة،

التأسيس السديد المؤسس على التأبيد أولى من حمل التكرار على التأكيد **(رواه الترمذي)** قال المنذري: رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه[(١)]. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

٥٣٥٢ ـ **(وعن أبي سعيد قال: خرج النبي ﷺ لصلاة)** أي لأداء صلاة. والظاهر المتبادر من مقتضى المقام أنها صلاة جنازة لما ثبت أنه ﷺ إذا رأى جنازة رؤيت عليه كآبة أي حزن شديد وأقل الكلام. **(فرأى الناس كأنهم يكتشرون)** أي يضحكون من الكشر وهو ظهور الأسنان للضحك، ولعل التاء للمبالغة. ففي القاموس: كشر عن أسنانه أبدى يكون في الضحك وغيره انتهى. فيؤخذ منه أنهم جمعوا بين الضحك البالغ والكلام الكثير. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي يضحكون، والمشهور في اللغة الكسر. **(قال: أما)** بالتخفيف لينبه على نوم الغفلة الباعث على الضحك والمكالمة. **(إنكم لو أكثرتم ذكر هادم[(٢)] اللذات)** بالدال المهملة في أصل السيد وأكثر النسخ المعتمدة، وفي بعضها بالذال المعجمة واقتصر عليه السيوطي [رحمه الله]في حاشية الترمذي. وفي القاموس: هذم بالمعجمة قطع وأكل بسرعة، وبالمهملة نقض البناء. والمعنى: لو أكثرتم من ذكر قاطع اللذات. **(لشغلكم عما أرى)** أي من الضحك وكلام أهل الغفلة **(الموت)** بالجر تفسير لهادم اللذات أو بدل منه كما يأتي فيما بعده، وبالنصب بإضمار أعني وبالرفع بتقدير هو الموت. **(فأكثروا ذكر هاذم[(٣)] اللذات)** أي الموجودة المعمولة للأغنياء والمفقودة المسؤولة للفقراء، فهو موعظة بليغة للطائفتين. ومن الغريب أن ذكر الموت يحيي القلب والنوم أخو الموت. وكان شيخنا العارف بالله تعالى [رحمه الله]الولي مولانا نور الدين علي المتقي يعمل كيساً مكتوباً عليه لفظ الموت يعلق في رقبة المريد ليستفيد منه أنه قريب غير بعيد، فيقصر أمله ويكثر عمله. وكان بعض الصالحين من السلاطين أمر واحداً من أمرائه أن يقف دائماً من ورائه يقول: الموت الموت. ليكون دواء لدائه. ثم إنه ﷺ بين للصحابة وجه حكمة الأمر بإكثار ذكر الموت وأسبابه بقوله: **(فإنه)** أي الشأن **(لم يأت على القبر يوم)** أي وقت وزمان **(إلا تكلم)** أي بلسان القال أو بيان الحال. وفي رواية زيادة: فيه، أي في ذلك اليوم **(فيقول: أنا بيت الغربة)** أي فكن في الدنيا كأنك غريب **(وأنا بيت الوحدة)** أي فلا ينفع

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢١.

الحديث رقم ٥٣٥٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥١ حديث رقم ٢٤٦٠. والنسائي في السنن ٤/ ٤ حديث رقم ١٨٢٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٢٢ حديث رقم ٤٢٥٨.

(٢) كذا في المخطوطة. والصواب «هاذم» كذا الرواية المشهورة.

وأنا بيتُ التراب، وأنا بيتُ الدُودِ، وإذا دُفن العبدُ المؤمنُ قال له القبر: مَرحباً وأهلاً، أمَا إن كنت لأحبّ من يمشي على ظهري إليَّ. فإذ وُلِّيتُكَ اليوم وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك». قال: «فيتَّسعُ له مَدَّ بَصرِه، ويُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّة، وإذا دفن العبدُ الفاجرُ أو الكافرُ قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أمَا إن

إلا التوحيد وشهود الواحد القهار. **(وأنا بيت التراب)** أي أصل كل حي مخلوق فمن مرجعه للتراب ينبغي أن يكون مسكيناً ذا متربة لئلا تفوته جنسية المناسبة. **(وأنا بيت الدود)** أي فلا ينبغي أن تكون همتكم ونهمتكم في استعمال اللذات من المأكول والمشروب، لأن مآل أمرها إلى الفناء ولا ينفع في ذلك المكان إلا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل. قيل: يتولد الدود من العفونة وتأكل الأعضاء ثم يأكل بعضها بعضاً إلى أن تبقى دودة واحدة فتموت جوعاً، واستثني الأنبياء والأولياء والعلماء من ذلك فقد قال ﷺ: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء(١). وقال تعالى في حق الشهداء: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾ [آل عمران ـ ١٦٩]. والعلماء العاملون المعبر عنه بالأولياء مدادهم أفضل من دماء الشهداء. **(وإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر:)** أو ما يقوم مقامه **(مرحباً)** أي أتيت مكاناً واسعاً لرقدتك **(وأهلاً)** أي وحضرت أهلاً لمحبتك **(أما)** بتخفيف الميم للتنبيه **(إن كنت)** أي أنه كنت فإن مخففة من المثقلة واللام فارقة بينها وبين أن النافية في قوله: **(لا حب)** وهو أفعل تفضيل بني للمفعول أي لأفضل **(من يمشي على ظهري إليّ)** متعلق بأحب **(فإذ)** بسكون الذال. وأبعد الطيبي حيث قال: وفي إذ معنى التعليل، إذ الصحيح أنه هنا ظرف محض والعلة والسبب كونه مؤمناً، أي فحين. **(وليتك)** من التولية مجهولاً، أو من الولاية معلوماً، أي صرت قادراً حاكماً عليك. **(اليوم)** أي هذا الوقت وهو ما بعد الموت والدفن **(وصرت إليّ)** أي مقهوراً ومجبوراً **(فسترى)** أي ستبصر أو تعلم **(صنيعي بك)** من الإحسان إليك بالتوسيع عليك **(قال:)** أي النبي ﷺ وإنما أعاده لطول الكلام ولئلا يتوهم أن ما بعده من كلام الراوي تفسير للمرام. **(فيتسع)** أي فيصير القبر وسيعاً. وفي رواية: فيوسع **(له)** أي للمؤمن **(مد بصره)** أي من كل جانب حقيقة أو كشفاً أو مجازاً عن عدم التضييق حساً ومعنى، وفيه كناية عن تنويره أيضاً. **(ويفتح له باب إلى الجنة)** أي ويعرض له مقعده منها يأتيه من روحها ونسيمها ويشم من طيبها وتقر عينه بما يرى فيها من حورها وقصورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها. **(وإذا دفن العبد الفاجر)** أي الفاسق والمراد به الفرد الأكمل وهو الفاسق بقرينة مقابلته لقوله: العبد المؤمن. سابقاً ولما سيأتي من قول القبر له بكونه أبغض من يمشي على ظهره، ومنه قوله تعالى: ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً**﴾ [السجدة ـ ١٨] الآية. **(أو الكافر)** شك من الراوي لا للتنويع وقد جرت عادة الكتاب والسنة على بيان حكم الفريقين في الدارين والسكوت عن حال المؤمن الفاسق ستراً عليه، أو ليكون بين الرجاء والخوف لا لإثبات المنزلة بين المنزلتين كما توهمت المعتزلة. **(قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً أما إن**

---

(١) اللالكائي في السنة ذكره في كنز العمال ١١/ ٣٢٤ حديث رقم ٣١٦٣٧.

كنت لأَبْغضَ مَنْ يمشي على ظهري إليَّ، فإذ وُلّيتكَ اليومَ وصرتَ إليَّ فسترى صنيعي بك» قال: «فيلتئم عليه حتَّى يختلِفَ أضلاعُهُ». قال: وقال رسول الله ﷺ بأصابعه، فأدخل بعضها في جوف بعضٍ. قال: «ويُقيَّضُ له سبعون تِنّيناً لَو أنَّ واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبَتَتْ شيئاً ما بقيت الدنيا، فيَنْهَسْنَهُ ويخدِشْنَهُ حتى يُفْضى به إلى الحساب». قال: وقال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضةٌ من رياض الجنّة، أو حُفرَةٌ منْ حُفَرِ النارِ». رواه الترمذي.

كنت لأبغض من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك. **قال:**) أي النبي ﷺ (**فيلتئم**) أي ينضم القبر (**عليه حتى تختلف أضلاعه**) أي يدخل بعضها في بعض. وفي رواية: حتى تلتقي وتختلف أضلاعه (**قال:**) أي الراوي (**وقال**) أي أشار (**رسول الله ﷺ بأصابعه**) أي من اليدين الكريمتين (**فأدخل بعضها**) وهو أصابع اليد اليمنى (**في جوف بعض**) وفيه إشارة إلى أن تضييق القبر واختلاف الأضلاع حقيقي لا أنه مجاز عن ضيق الحال وأن الاختلاف مبالغة في أنه على وجه الكمال كما توهمه بعض أرباب النقصان، حتى جعلوا عذاب القبر روحانياً لا جسمانياً. والصواب أن عذاب الآخرة ونعيمها متعلقان بهما. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**ويقيض**) بتشديد الياء المفتوحة، أي يسلط ويوكل (**له**) أي بخصوصه وإلا فهو عليه (**سبعون تنيناً**) بكسر التاء وتشديد النون الأولى مكسورة، أي حية عظيمة يقال له أزرد بالفارسي وبالعربي أفعى. وعدد السبعين يحتمل التحديد والتكثير. ويؤيد الثاني ما ذكره في الإخياء عن أبي هريرة مرفوعاً: هل تدرون في ماذا أنزلت. ﴿**فإن له معيشة ضنكاً**﴾ [طه - ١٢٤]. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً. هل تدرون ما التنين قال: تسعة وتسعون حية لكل واحدة تسعة وتسعون رأساً يخدشنه ويلحسنه وينفخن في جسمه إلى يوم القيامة انتهى. (**لو أن واحداً منها نفخ**) بالخاء المعجمة أي تنفس (**في الأرض ما أنبتت**) أي الأرض (**شيئاً**) أي من الإنبات أو النباتات (**ما بقيت الدنيا**) أي مدة بقائها (**فينهسنه**) بفتح الهاء وسكون السين المهملة، أي يلدغنه. وفي القاموس: نهس اللحم كمنع وفرح أخذه بمقدم أسنانه ونتفه. (**ويخدشنه**) بكسر الدال أي يجرحنه (**حتى يفضي**) بضم فسكون فاء ففتح ضاد معجمة، أي يوصل. (**به**) أي بالكافر (**إلى الحساب**) أي وثم إلى العقاب. وفيه دليل على أن الكافر يحاسب خلافاً لما توهم بعضهم أن الكافر يدخل النار بغير حساب، اللهم إلا أن يقال المراد بالحساب الجزاء وإن ظواهر الآيات من قوله: ﴿**ومن خفت موازينه**﴾ [المؤمنون - ١٠٣، الأعراف - ٩]. فصريح في حسابهم. نعم يمكن أن يكون بعضهم من العصاة العتاة يدخلون النار من غير حساب ولا كتاب كما يدخل بعض المؤمنين المبالغين في الصبر والتوكل على ما سبق بغير حساب والله [تعالى]أعلم بالصواب. (**قال:**) أي الراوي (**وقال رسول الله ﷺ:**) أي في هذا المحل أو في وقت آخر فتأمل. (**إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**) بصيغة الإفراد المناسبة للفظة الجنة. وفي نسخة: النيران. لمناسبة جمع الحفر ولأن المراد بالجنة الجنان. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: من حفر النار. كذا في جامع الترمذي وجامع الأصول وأكثر نسخ المصابيح، وفي بعضها النيران بالجمع. (**رواه الترمذي**) قال السيوطي [رحمه الله]: وحسنه. وأخرج الطبراني في الأوسط عن

٥٣٥٣ ـ (١٥) وعن أبي جحيفة، قال: قالوا: يا رسول الله! قَد شِبتَ. قال: «شيبتني سورة هودٍ وأخواتُها». رواه الترمذي.

أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس إلى قبر فقال: ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق: يا ابن آدم كيف نسيتني ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه. ثم قال رسول الله ﷺ: القبر روضة. وفي نسخة: إما روضة من رياض الجنة أو حفر من حفر النار. قال سفيان الثوري: من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة. ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

٥٣٥٣ ـ (**وعن أبي جحيفة**) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وبالفاء. ذكر أن النبي ﷺ توفي ولم يبلغ الحلم ولكنه سمع منه وروي عنه. مات بالكوفة روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين. (**قال: قالوا**) أي بعض الصحابة (**قد شبت**) أي ظهر عليك آثار الضعف. قيل: أوان الكبر. وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الأبيض عليه لما روى الترمذي عن أنس قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاً. (**قال: شيبتني هود**) بغير انصراف وفي نسخة بالصرف. قيل: إن جعل هود اسم السورة لم يصرف وإلا صرف[1]، فالمضاف مقدر حينئذ. أقول: لأنه إذا لم يصرف كان كجور وإذا صرف كان التقدير سورة هود. ويؤيده ما في نسخة صحيحة: سورة هود. (**وأخواتها**) أي وأشباهها من السور التي فيها ذكر القيامة والعذاب. قال التوربشتي [رحمة الله تعالى]: يريد أن اهتمامي بما فيها من أهوال القيامة والحوادث النازلة بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوان المشيب خوفاً على أمتي. وذكر في شرح السنة عن بعضهم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: رُوِيَ عنك أنك قلت: شيبتني هود. فقال: نعم. فقلت: بأية آية. قال: قوله: ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾ [هود ـ ١١٢]. قال الإمام فخر الدين [رحمه الله]: الملك المعين وذلك أن الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل إلى طرفي الافراط والتفريط في الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة عسر جداً. قلت: لا شك أن الاستقامة خير من ألف كرامة لكونها أصعب من جسر القيامة، مع أنها أدق من الشعر وأمر من الصبر وأحد من السيف وأحر من الصيف. لكن حمل الحديث على الآية غير ظاهر لقوله: وأخواتها المفسرة بالسور الآتية التي ليس فيها ذكر الاستقامة. فأما أن يقال المقصود من ذكر القيامة وأهوالها والنار وأهوالها إنما هو تحصيل الاستقامة للتخليص عن الندامة والملامة، فكأنها مذكورة في جميعها. أو يقال الجواب للنائم كان على طبق ما يناسبه من المقام الذي هو فيه والتحريض على ما هو المطلوب منه، فيكون من باب أسلوب الحكيم والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (**رواه الترمذي**) أي عن أبي جحيفة. ورواه الطبراني عن عقبة بن عامر وعن أبي جحيفة أيضاً وزاد ابن مردويه عن أبي بكر: قبل المشيب.

الحديث رقم ٥٣٥٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٧٥ حديث رقم ٣٢٩٧.

(١) في المخطوطة «الأطراف».

٥٣٥٤ ـ (١٦) وعن ابنِ عبَّاسٍ. قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! قد شِبْتَ. قال: «شيبتني (هود) و (الواقعة) و (المرسلات) و (عمَّ يتساءلون) و (إذا الشمسُ كوِّرت)». رواه الترمذي.

وذكر حديث أبي هريرةَ: «لا يلج النار» في «كتاب الجهاد».

الفصل الثالث

٥٣٥٥ ـ (١٧) عن أنسٍ، قال: إنَّكُمْ لتعملون أعمالاً هي أدقُّ في أعينِكم من الشعر، كنَّا نعدُّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، يعني المهلكات. رواه البخاري.

٥٣٥٤ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت. قال: شيبتني هود والواقعة والمرسلات)** بالرفع ويجوز كسرها على الحكاية. **(وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)** يعني وأمثالها مما فيه ذكر القيامة وأهوالها. **(رواه الترمذي)** وكذا الحاكم[1] ورواه أيضاً عن أبي بكر، ورواه ابن مردويه عن سعد. ورواه سعيد بن منصور في سننه عن أنس، وابن مردويه عن عمران بلفظ: شيبتني هود وأخواتها من المفصل. وفي رواية لابن مردويه عن أنس: شيبتني سورة هود وأخواتها الواقعة والقارعة والحاقة وإذا الشمس كورت وسأل سائل. **(وذكر حديث أبي هريرة: لا يلج النار)** أي لا يدخلها من بكى من خشية الله الحديث بطوله. **(في كتاب الجهاد)** أي فأسقط للتكرار.

(الفصل الثالث)

٥٣٥٥ ـ **(عن أنس قال: إنكم لتعملون أعمالاً)** أي عظيمة في نفس الأمر وتستصغرونها وتعدونها من الكرامات، وهذا معنى قوله: **(هي أدق في أعينكم من الشعر)** قال الطيبي [رحمه الله]: عبارة عن تدقيق النظر في العمل وإمعانه فيه. والمعنى: إنكم تعملون أعمالاً وتحسبون أنكم تحسنون صنعاً وليس كذلك في الحقيقة. **(كنا نعدها)** أي تلك الأعمال **(على عهد رسول الله ﷺ)** أي في زمانه **(من الموبقات)** بكسر الموحدة يعني المهلكات، تفسير من أحد الرواة، أي يريد أنس بالموبقات المهلكات ومنه قوله تعالى: ﴿**وجعلنا بينهم موبقاً**﴾ [الكهف ـ ٥٢]. بفتح الميم أي مهلكاً. **(رواه البخاري)**.

الحديث رقم ٥٣٥٤: أخرجه الترمذي ٥/ ٣٧٥ حديث رقم ٣٢٩٧.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٤٣.

الحديث رقم ٥٣٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٢٩. حديث رقم ٦٤٩٢. والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٧ حديث رقم ٢٧٦٨. وأحمد في المسند ٦/ ٧٠.

٥٣٥٦ ـ (١٨) وعن عائشة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إِيَّاكِ ومحقراتِ الذنوب، فإنَّ لها مِنَ اللَّهِ طالباً». رواه ابن ماجه، والدارمي، والبيهقي في «شعب الإِيمان».

٥٣٥٧ ـ (١٩) وعن أبي بردة بن أبي موسى، قال: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيكَ؟ قال: قلت: لا. قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى!

٥٣٥٦ ـ **(وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب)** أي صغائرها، وخص بها فإنه ربما يسامح صاحبها فيها بعدم تداركها بالتوبة وبعدم الالتفات بها في الخشية غفلة عنه أنه لا صغيرة مع الإِصرار، وإن كل صغيرة بالنسبة إلى عظمة الله وكبريائه كبيرة والقليلة منها كثيرة، ولذا قد يعفو الله عن الكبيرة ويعاقب على الصغيرة كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ [النساء ـ ٤٨]. وأما قوله تعالى: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**﴾ [النساء ـ ٣١]. الصغيرة بسبب العبادات المكفرة، لكن بشرط اجتنابكم الكبائر لا بمجرد اجتناب الكبائر على ما ذهب إليه المعتزلة والله [تعالى] أعلم. **(فإن لها)** أي للمحقرات من الذنوب **(من الله)** أي من عنده سبحانه **(طالباً)** أي نوعاً من العذاب يعقبه، فكأنه يطلبه طلباً لا مرد له. فالتنوين للتعظيم، أي طالباً عظيماً فلا ينبغي أن يغفل عنه بل ينبغي أن يخشى منه. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: من الله طالباً، هو من باب التجريد كقول القائل:

* وفي الرحمٰن للضعفاء كاف *

وأقول: الظاهر في قول القائل أن معناه: وفي رحمة الرحمٰن للضعفاء كفاية؛ فإن اسم الفاعل قد يأتي بمعنى المصدر كما هو مذكور في مقامه المقرر. **(رواه ابن ماجه)** أي في سننه **(والدارمي)** أي في مسنده **(والبيهقي في شعب الإيمان)** ورواه أحمد والطبراني والبيهقي والضياء عن سهل بن سعد مرفوعاً ولفظه: إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه. رواه أحمد والطبراني أيضاً عن ابن مسعود نحوه.

٥٣٥٧ ـ **(وعن أبي بردة بن أبي موسى)** قال المؤلف: هو عامر بن عبد الله بن قيس الأشعري أحد التابعين المشهورين المكثرين، مع أباه وعلياً وغيرهما. كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج. **(قال: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك)** أي في أمر غلبة الخوف المعنون به الباب. **(قال:)** أي أبو بردة أو التقدير: قال الراوي ناقلاً عن أبي بردة. **(قلت: لا.)** أي لا أدري **(قال: فإن أبي قال لأبيك: يا أبا موسى)** ناداه بكنيته إشعاراً

الحديث رقم ٥٣٥٦: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤١٧ حديث رقم ٤٢٤٣. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٢ حديث رقم ٢٧٢٦. وأحمد في المسند ١/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٥٣٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٥٤. حديث رقم ٣٩١٥.

هل يسُرُّكَ أنَّ إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه بَرَد لنا؟ وأن كلَّ عملٍ عملناهُ بعدهُ نجونا منه كفافاً، رأساً برأس؟ فقال أبوك لأبي: لا والله، قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلّينا وصمنا وعملنا خيراً كثيراً. وأسلم على أيدينا بشرٌ كثير وإنا لنرجو ذلك. قال أبي: ولكني أنا، والذي نفسُ عمَرَ بيده لوددتُ أن ذلك بَرَد لنا، وأنَّ كل شيءٍ عملناه بعده نَجَوْنَا منه كفافاً رأساً برأس.

بعظمته وتقريباً لحضرته. **(هل يسرك)** أي يوقعك في السرور **(إن إسلامنا مع رسول الله ﷺ)** أي منهما مع بعثته **(وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا)** كالصلاة والصوم والزكاة والحج وأمثالها. **(كله)** أي جميعه بجميع أفراده وأصنافه **(معه)** أي في زمنه **(برد)** أي ثبت ودام **(لنا)** ففي النهاية في الحديث: الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة. أي لا تعب فيه ولا مشقة وكل محبوب عندهم بارد. وقيل: معناه الغنيمة الثابتة المستقرة من قولهم: برد لنا على فلان حق، أي ثبت. انتهى كلامه. وهو خبر قوله: إن إسلامنا. والجملة فاعل هل يسرك ذكره الطيبي [رحمه الله]: **(وأن كل عمل)** عطف على أن إسلامنا **(عملناه بعده)** أي بعد موت رسول الله ﷺ. **(نجونا منه)** أي من ذلك العمل كله. **(كفافاً)** بفتح الكاف، أي سواء. **(رأساً برأس)** بدل أو بيان ونصبه على الحال من فاعل نجونا، أي متساويين لا يكون لنا ولا علينا بأن لا يوجب ثواباً ولا عقاباً. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: كفافاً، نصب على الحال من الضمير المجرور، ورأى نجونا منه في حالة كونه لا يفضل علينا شيء منه أو من الفاعل، أي مكفوفاً عنا شره. **(فقال أبوك لأبي: لا والله)** أي لا يسرنا وبين سببه بقوله: **([قد]جاهدنا)** أي الكفار **(بعد رسول الله ﷺ وصلينا)** أي الصلوات[1] **(وصمنا)** أي سنوات **(وعملنا خيراً كثيراً)** أي من الصدقات أو نوافل العبادات. **(وأسلم على أيدينا)** أي بسببنا **(بشر كثير)** أي من فتح البلاد. **(وإنا لنرجو ذاك)** وفي نسخة: ذلك، أي ثواب ما ذكر زيادة على ما سبق لنا من الإسلام والهجرة وسائر الأعمال. **(قال أبي:)** يعني عمر **(لكني أنا)** زيد للتأكيد **(والذي نفس عمر بيده لوددت أن ذلك)** أي ما سبق لنا من العمل معه ﷺ **(برد لنا)** أي تم ولم يبطل ولم ينقص ببركة وجوده وفضل وجوده ﷺ. **(وإن كل شيء عملناه)** بإثبات الضمير هنا **(بعده)** أي بعد مماته وفقد حياته وبعد بركاته **(نجونا منه كفافاً رأساً برأس)** وذلك والله [تعالى]أعلم أن التابع أسير المتبوع في الصحة والفساد اعتقاداً وإخلاصاً وعلماً وعملاً، أما ترى[2] صحة بناء صلاة المقتدي على صلاة الإمام المقتدي وكذا فسادها ولا شك في وصول الكمال وحصول صحة الأعمال في حال ملازمته ﷺ، وأما بعده فما وقع من الطاعات لا يخلو من تغيير النيات وفساد الحالات ومراعات المراءات، كما أخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله: فما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا. يعني بالمظلمة الناشئة عن غيبة نور شمس وجوده وقمر جوده. فالغنيمة الباردة أن يكون في مرتبة السريات بين الطاعات والسيئات وهذا بالنسبة إلى إجلاء الصحابة وعظماء الخلافة،

---

(١) في المخطوطة «صلاة». (٢) في المخطوطة «ما يرى».

فقلتُ: إن أباك واللّهِ كان خيراً من أبي. رواه البخاري.

٥٣٥٨ ـ (٢٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرني ربي بتسع: خشيةِ اللّهِ في السرّ والعلانية وكلمةِ العدلِ في الغضب والرضى، والقصدِ في الفقرِ والغنى، وأن أَصِلَ من قطعني، وأعطي من حرمني، وأَعْفُوَ عمَّن ظلمني،

وأما من بعدهم فطاعاتهم المشحونة بالغرور والعجب والرياء أسباب للمعاصي ووسائل لعقوبات العاصي غالباً إلا أن يتفضل الله برحمته وعين عنايته بأن يلحق المسيئين بالمحسنين. بل قال بعض العارفين: معصية أورثت ذلاً واستصغاراً خير من طاعة أورثت عجباً واستكباراً. (**فقلت: إن أباك**) أي عمر (**والله كان خيراً من أبي**) أي أبي موسى في كل شيء، فهذا كذلك لأن كلام السادات سادات الكلام، وكيف وهو الناطق بالصواب والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل من كل باب والموافق رأيه نزول الكتاب وقد طابق قوله حديثه ﷺ: أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [فاطر ـ ٢٨]. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لوددت، خبر لكني مع اللام وهو ضعيف. ويجوز أن يكون لوددت جواب القسم والجملة القسمية خبر لكني على التأويل. قلت: بل الحديث حجة للكوفيين. ففي المغني ولا يدخل اللام في خبر لكن خلافاً للكوفيين احتجوا بقوله:

* ولـكـنـنـي مـن حـبـهـا لـعـمـيـد *

وخرج على زيادة اللام أو على أن الأصل لكن [إنني ثم]حذفت الهمزة تخفيفاً ونون لكن للساكنين. قلت: هذه كلها تكلفات بعيدة وتعسفات مزيدة ما أنزل الله بها من سلطان ولا دليل ولا برهان. فالصواب أنها للتأكيد كما جوز في بعض أخوات لكن على القياس السديد، لا سيما وقد ورد على لسان الأوحدي من فصحاء العرب بإسناد هو أصح الأسانيد. (**رواه البخاري**) ثم من أعجب الغرائب وأغرب العجائب أنه لو حكى من طريق الأصمعي ونحوه أن أعرابياً ممن يبول على عقبيه تكلم بمثله نثراً أو نظماً أخذ النحاة به وجعلوه أصلاً ممهداً وأساساً مؤيداً. فصدق من قال: إن أدلة الصرفيين والنحويين كنارات بيت العنكبوت فتارة تطرد وتارة تفوت.

٥٣٥٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أمرني ربي بتسع**) أي خصال (**خشية الله**) بالجر ويجوز اخشاه أي خوفه المقرون بالعظمة. (**في السر والعلانية**) أي في القلب والقالب أو في الخلا والملا (**وكلمة العدل في الغضب والرضا**) بالقصر، أي في الحالين. (**والقصد**) أي الاقتصاد في المعيشة أو التوسط بين الصبر والشكر غير خارج عنهما بالجزع والطغيان. (**في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني**) أي من ذوي الأرحام أو غيرهم، وهذا غاية الحلم ونهاية التواضع. (**وأعطي من حرمني**) وهذا لكمال الكرم والجود (**وأعفو عمن ظلمني**) أي مع قدرتي على الانتقام وهذا نتيجة الصبر وقضية الشكر ورعاية الإحسان والرحمة على أفراد

الحديث رقم ٥٣٥٨: رواه رزين.

وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونَظَري عبرةً، وآمر بالعرفِ» وقيل: «بالمعروف». رواه رزين.

٥٣٥٩ - (٢١) وعن عبدِ اللّٰهِ بن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من عبدٍ مؤمنٍ يخرجُ من عينيه دموعٌ وإن كانَ مثلَ رأس الذباب من خشية الله، ثُمَّ يصيبُ شيئاً من حُرِّ وجهه إلاَّ حرَّمه الله على النار» رواه ابن ماجه.

الإنسان (**وأن يكون صمتي فكراً**) أي في أسمائك وصفاتك ومصنوعاتك ومعاني آياتك. (**ونطقي ذكراً**) أي بتسبيحك وتحميدك وتقديسك وتمجيدك وتكبيرك وتوحيدك وتلاوة كتابك وموعظة عبادك. (**ونظري عبرة**) [أي]في الآفاق والأنفس وملكوت السمٰوات والأرض (**وآمر بالعرف. وقيل: بالمعروف**) أي بدلاً عن العرف بالضم والسكون ولم يقل: وأنهي عن المنكر، اكتفاء أو العرف يشمل المعروف في الشرع ارتكاباً واجتناباً. قال الطيبي [رحمه الله]: ذكر تسعاً وأتى بعشرة، فالوجه أن يحمل العاشر وهو الأمر بالمعروف على أنه مجمل عقب التفصيل لأن المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات، كأنه قيل: أمرني ربي بأن اتصف بهذه الصفات وآمر غيري بالإتصاف بها. فالواوات كلها عطفت المفرد على المفرد. وفي قوله: وآمر بالمعروف، عطفت المجموع من حيث المعنى على المجموع بحسب اللفظ، ونحوه في التفرقة بين الواوين قوله تعالى: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور**﴾ [فاطر - ١٩ -، ٢٠ -، ٢١]. (**رواه رزين**).

٥٣٥٩ - (**وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه**) أي أو من أحدهما (**دموع**) أي دمعات أقلها ثلاث (**وإن كان**) أي الخارج أو كل دمع (**مثل رأس الذباب**) أي كمية أو كيفية (**من خشية الله ثم يصيب**) بالرفع وقيل بالنصب، أي يصل الدمع. (**شيئاً من حر وجهه**) بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين أي خالصة. ففي القاموس: حر الوجه ما أقبل عليك وبدا لك منه. (**إلا حرمه الله على الله**) وضمير لمفعول راجع إلى العبد المؤمن الموصوف ويمكن أن يرجع إلى حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته والله [تعالى]أعلم. (**رواه ابن ماجه**) وفي الجامع بلفظ: ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبداً. رواه ابن ماجه عن ابن مسعود(١).

الحديث رقم ٥٣٥٩: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٠٤ حديث رقم ٤١٩٧.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٣ حديث رقم ٨٠٧٥.

(٧) باب تغير الناس

الفصل الأول

٥٣٦٠ ـ (١) عن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنما النَّاسُ كالإِبل المائة، لا تكاد تجدُ فيها راحلة».

(باب تغير الناس)

أي بتغير الزمان على ما هو المتبادر الموافق لمضمون أكثر أحاديث الباب. أو المراد بالتغير اختلاف حالاتهم ومراتبهم في منازلاتهم الشاملة لتغير أزمنتهم، وعليه ظاهر الحديث الأوّل من الفصل الأوّل فتأمل.

(الفصل الأوّل)

٥٣٦٠ ـ (**عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الناس**) أي في اختلاف حالاتهم وتغير صفاتهم. (**كالإبل المائة**) قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: اللام فيهما للجنس. قال التوربشتي [رحمه الله تعالى]: الرواية فيه على الثبت كإبل مائة بغير ألف ولام فيهما. (**لا تكاد**) أي لا تقرب أيها المخاطب خطاباً عاماً (**تجد فيها**) أي في مائة من الإبل (**راحلة**) أي ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب. فكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة، فيعاون صاحبه ويلين له جانبه. وهذا زبدة كلام الشارح الأول ومن تابعه من شراح المصابيح. وقال الخطابي: معناه أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع منهم على وضيع كابل المائة لا يكون فيها راحلة. قال الطيبي [رحمه الله]: على القول الأول لا تجد فيها راحلة صفة لا، بل والتشبيه مركب تمثيلي. وعلى الثاني هو وجه الشبه وبيان لمناسبة الناس للإبل. قلت: ولا يخفى ظهور المعنى الأول فتدبر وتأمل. وخلاصته أن المرضى المنتخب من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي لا توجد في الإبل الكثيرة القوية على الأحمال والأسفار، فذكر المائة [للتكثير]لا للتحديد. فإن وجود العالم العامل المخلص من قبيل الكيمياء أو من باب تسمية العنقاء، ولذا قال بعض العرفاء:

أتمنى على الزمان محالاً ... أن ترى مقلتاي طلعة حر

الحديث رقم ٥٣٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٣٣. حديث رقم ٦٤٩٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٣ حديث رقم (٢٣٢ ـ ٢٥٤٧). والترمذي في السنن ٥/ ١٤١ حديث رقم ٣٨٧٢. وابن ماجه ٢/ ١٣٢١ حديث رقم ٣٩٩٠. وأحمد في المسند ٢/ ٧٠.

متفق عليه.

٥٣٦١ ـ (٢) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ قبلكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبّ تَبعتُموهمْ».

وقال الآخر:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... فهو المراد وأين ذاك الواحد

وكان يقول بعض أرباب الحال: هذا زمان قحط الرجال، ورُوِيَ أن سهلاً التستري خرج من مسجد ورأى خلقاً كثيراً في داخله وخارجه فقال: أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون [منهم]قليل. وقد نبه سبحانه على هذا المعنى في آيات منها قوله تعالى: ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾ [سبأ ـ ١٣]. ومنها: ﴿**إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**﴾ [ص ـ ٢٤]. ومنها قوله [تعالى]في وصف السابقين المقربين: ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾ [الواقعة ـ ١٣ ـ ١٤]. (**متفق عليه**) ورواه الترمذي، وهذا لفظ البخاري نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع بلفظ: إنما الناس كإبل مائة. بالتنكير، رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه.

٥٣٦١ ـ (**وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: لتتبعن**) بتشديد التاء الثانية وضم العين، أي لتوافقن بالتبعية. (**سنن من قبلكم**) بضم السين جمع سنة، وهي لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة. والمراد هنا طريقة أهل الأهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغير دينهم وتحريف كتابهم، كما أتى على بني إسرائيل: حذو النعل بالنعل. وفي بعض النسخ بفتح السين. ففي المقدمة: أي طريقهم. (**شبراً بشبر**) حال مثل يداً بيد وكذا قوله: (**ذراعاً بذراع**) أي ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء، (**حتى لو دخلوا**) أي من قبلكم من بني إسرائيل (**حجر ضب**) وهو من أضيق أنواع الحجر وأخبثها (**تبعتموهم**) ولعل الحكمة في ذلك أنه ﷺ لما بعث لإتمام مكارم الأخلاق في آخر الأمم فيقتضي أن يكون أهل الكمال منهم، موصوفين بجميع الخصال الحميدة في الأديان المتقدمة، ومن لوازم ذلك أن يكون أهل النقصان منهم في كمال مرتبة القصور منعوتين بجميع الخلال الذميمة الكائنة في الأمم السابقة. ونظيره أن بعض المشايخ ذكر أنه ارتاض بجميع ما سمع من رياضات أرباب الولايات فأعطى له جميع أصناف الكرامات وخوارق العادات، ويناسبه ما ذكره بعض المحققين من أن التوقف لا يوجد في حق الإنسان فإن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان. وأيضاً نوع بني آدم معجون مركب من الطبع الملكي الروحاني العلواني ومن الطبع الحيواني النفساني السفلاني فإن كان يميل إلى العلو فيصير إلى المرتبة الأولى من الملأ الأعلى وإن كان يميل إلى أسفل فيسير في طريقته من مراتب البهائم أدنى، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾

الحديث رقم ٥٣٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٥. حديث رقم ٣٤٥٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٤ حديث رقم (٦/ ٢٦٦٩). وأحمد في المسند ٢/ ٥١١.

قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». متفق عليه.

٥٣٦٢ ـ (٣) وعن مرداس الأسلمي، قال: قال النبي ﷺ: «يذهب الصالحون، الأول فالأول، وتبقى حُفالة كحفالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالةً». رواه البخاري.

[الأعراف ـ ١٧٩]. وهنا ينفتح باب القضاء والإخلاص إلى القضاء إلا بقوله: ﴿**لا يسأل عما يفعل**﴾ [الأنبياء ـ ٢٣]. فتأمل. (**قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى**) بالنصب، أي أتعني بمن نتبعهم أو بمن قبلنا سنة اليهود والنصارى (**قال:**) أي النبي ﷺ (**فمن**) أي إن لم أردهم فمن سواهم والمعنى أنهم الغالبون المشهورون من أهل الكتاب وغيرهم مندرسون، فإذا أطلق من قبلكم فهم المراد وكأن غيرهم غير موجودين في الاعتبار عند الإطلاق. وقال شارح: فمن استفهام، أي فمن يكون غيرهم يعني المتبوعين لكم هم لا غيرهم. وقال ابن الملك: روى اليهود بالجر، أي هل نتبع سنن اليهود، وبالرفع على أنه خبر المبتدأ على تقدير حرف الاستفهام يعني من قبلنا هم اليهود انتهى. وقيل: التقدير أي المتبوعون هم اليهود والنصارى أم غيرهم. (**متفق عليه**) ورواه الحاكم عن ابن عباس ولفظه: لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه[1].

٥٣٦٢ ـ (**وعن مرداس**) بكسر الميم (**الأسلمي**) كان من أصحاب الشجرة يعد في الكوفيين روى عنه قيس بن أبي حازم حديثاً واحداً ليس له غيره. (**قال: قال النبي**) وفي نسخة صحيحة: رسول الله (ﷺ: **يذهب**) أي يموت (**الصالحون الأوّل فالأوّل**) بالرفع بدل من الصالحون وبالنصب حال أي واحداً بعد واحد أو قرناً بعد قرن (**وتبقى حفالة**) بضم الحاء المهملة، حثالة. بالثاء المثلثة بدل الفاء. ومعناهما الرديء من الشيء، والتنكير في حفالة للتحقير (**كحفالة الشعير**) أي نخالته (**أو التمر**) أي دقله. قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء للتعقيب ولا بد من التقدير أي الأوّل منهم فالأوّل من الباقين منهم، وهكذا حتى ينتهي إلى الحفالة مثل الأفضل فالأفضل. قال القاضي: الحفالة رذالة الشيء وكذا الحثالة والفاء والثاء يعاقبان كثيراً. (**لا يباليهم الله**) أي لا يرفع لهم قدراً ولا يقيم لهم وزناً (**بالة**) أي مبالاة فيكون محذوف الميم والألف لكونها من الزوائد كما قيل في لبيك، فإنه مأخوذ من ألب بالمكان أقام به وأصل بالة بالية مثل عافاة الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفاً. يقال: ما باليته وما باليت به ومنه، أي لم أكترث به. وقيل: بالة بمعنى حالة، أي لا يبالي الله حالة من أحواله ومنه البال بمعنى الحال. (**رواه البخاري**) وكذا الإمام أحمد.

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٥.

الحديث رقم ٥٣٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥١. حديث رقم ٦٤٣٤.

الفصل الثاني

٥٣٦٣ ـ (٤) عن ابنِ عمرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مشت أُمَّتِي المُطَيطِياء وخَدَمَتْهُمْ أبناءُ الملوك أبناء فارس والروم، سلَّط الله شرارَها على خيارِها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

٥٣٦٤ ـ (٥) وعن حُذَيفةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقتلوا إِمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرَث دنياكم شرارُكم». رواه الترمذي.

٥٣٦٥ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكونَ

(الفصل الثاني)

٥٣٦٣ ـ **(عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا مشت أمتي المطيطيا)** بضم الميم وفتح المهملة الأولى وكسر الثانية ممدودة وتقصر بمعنى التمطي وهو المشي فيه التبختر ومد اليدين. ويروى بغير الياء الأخيرة وهو لفظ الجامع، ونصبه على أنه مفعول مطلق أي مشي تبختر. وقيل: إنه حال، أي إذا صاروا في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين. **(وخدمتهم)** وفي الجامع: خدمها، وهو الأنسب بالسابق واللاحق. والمعنى: قام بخدمتهم وإنقاد في حضرتهم. **(أبناء الملوك أبناء فارس والروم)** بدل مما قبله وبيان له **(سلط الله شرارها)** ولفظ الجامع: سلط شرارها. أي ظلمة الأمة[1]. **(على خيارها)** أي مظلومهم. قال الشراح: وهذا الحديث من دلائل نبوته ﷺ لأنه أخبر عن المغيب ووافق الواقع خبره، فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا أموالهم وتجملاتهم وسبوا أولادهم فاستخدموهم سلط الله قتلة عثمان رضي الله عنه عليه حتى قتلوه، ثم سلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا وهكذا. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن حبان، ذكره ميرك. **(وقال:)** أي الترمذي **(هذا حديث غريب)**.

٥٣٦٤ ـ **(وعن حذيفة أن النبي ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم)** أي الخليفة أو السلطان **(وتجتلدوا)** أي تتضاربوا **(بأسيافكم ويرث دنياكم شراركم)** بأن يصير الملك والمال والمناصب في أيدي الظلمة وغير أرباب الاستحقاق **(رواه الترمذي)**.

٥٣٦٥ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يكون**

الحديث رقم ٥٣٦٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٦ حديث رقم ٢٢٦١.

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٩ حديث رقم ٨٦٧.

الحديث رقم ٥٣٦٤: أخرجه الترمذي ٤/ ٤٠٧ حديث رقم ٢١٧٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٢ حديث رقم ٤٠٤٣ وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٩.

الحديث رقم ٥٣٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٧ حديث رقم ٢٢٠٩. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٩.

أسعد الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لُكع». رواه الترمذي، والبيهقي في «دلائل النبوة».

أسعد الناس) بنصب أسعد ويرفع، أي أكثرهم مالاً وأطيبهم عيشاً وأرفعهم منصباً وأنفذهم حكماً. **(بالدنيا)** أي بأمورها أو فيها **(لكع بن لكع)** بضم اللام وفتح الكاف غير مصروف، أي لئيم بن لئيم، أي رديء النسب دنيء الحسب. وقيل: أراد به من لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق، وحذف ألف ابن لإجراء اللفظين مجرى علمين لشخصين خسيسين لئيمين. قال ابن الملك [رحمه الله]: في بعض النسخ بنصب أسعد على أنه خبر يكون وفي بعضها برفعه على أن الضمير في يكون للشأن والجملة بعده تفسير للضمير المذكور انتهى. ولا يجوز أن يكون أسعد اسماً ولكع بنصب على الخبرية لفساد المعنى كما لا يخفى، فلا يغرك ما في بعض النسخ من نصب لكع فإنه مخالف للرواية والدراية. وقد اقتصر شارح على نصب أسعد وقال: لكع بالرفع اسم يكون وهو الأحمق. وقيل: العبد وهو معدول عن اللكع. يقال: لكع الوسخ عليه لكعاً فهو لكع إذا ألصق به، وللرجل اللئيم كما عدلت لكاع المرأة اللئيمة، ثم استعمل للأحمق والعبد لما فيه من الذلة وللجحش لما فيه من الخفة، وللصبي لما فيه من الضعف. ويقال للذليل الذي تكون نفسه كالعبيد. وأريد به ههنا الذي لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق انتهى. وبهذا ظهر معنى قوله ﷺ في حق الحسن بن علي رضي الله [تعالى]عنهما: أثم لكع. وحاصله أنه يطلق على الصغير قدراً وجثة بحسب ما يقتضيه المقام من المعنى المناسب للمرام، ولذا قيل: يقال للصبي لكع مصروفاً ذهاباً إلى صغر جثته. ويطلق على العبد واللئيم والأحمق لصغر قدرهم، فإذا عرفت هذا فيصلح أن يراد بلكع كل من هذه المعاني من الصغير والحقير والعبد والأحمق واللئيم. ثم قال بعضهم هو ليس بمعدول وإنما هو مثل صرد ونغر فحقه أن ينون لأنه ليس بمعدول. وفي القاموس: اللكع كصرد اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا لغيره والمهر والصغير والوسخ. ويقال في النداء: يا لكع ولا يصرف في المعرفة لأنه معدول عن اللكع انتهى. وهذا يؤيد أن يكون لكع هنا مصروفاً. وقال الطيبي [رحمه الله]: وهو غير منصرف للعدل والصفة. **(رواه الترمذي)** أي في سننه **(والبيهقي في دلائل النبوّة)** وكذا أحمد والضياء. وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد»[(١)]. وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة: لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعاً[(٢)]. وروى أحمد ومسلم عن ابن مسعود: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس[(٣)]. وروى أبو يعلى الموصلي والحاكم عن أبي سعيد: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت»[(٤)]. وروى السجزي عن ابن عمر: لا تقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن[(٥)]. وروى الطبراني عن ابن عمرو: لا تقوم الساعة حتى يخرج

(١) أبو داود في السنن ١/ ٣١١ حديث رقم ٤٤٩. وابن ماجه حديث رقم ٧٣٩. والنسائي حديث رقم ٦٨٩.
(٢) حلية الأولياء ٣/ ١١٩.
(٣) راجع الحديث رقم (٩٨٥٤).
(٤) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٣.
(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير «بلفظ» «الركن والقرآن» ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٤.

٥٣٦٦ ـ (٧) وعن محمد بن كعب القرظي، قال: حدَّثني مَنْ سمعَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: إنَّا لجلوسٌ معَ رسولِ الله ﷺ في المسجدِ، فاطلع علينا مُصعَب ابن عمير، ما عليهِ إلا بُردَةٌ له مرقوعةٌ بفروٍ، فلما رآه رسولُ اللّهِ ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو فيه اليوم،

سبعون كذاباً[(١)]. وروى أحمد ومسلم والترمذي عن أنس: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله[(٢)]. وسيأتي في أوّل باب الملاحم من حديث أبي هريرة المشتمل على ثلاث عشرة علامة لقيام الساعة مستوفي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

٥٣٦٦ ـ **(وعن محمد بن كعب القرظي)** بضم قاف وفتح راء فظاء معجمة نسبة إلى بني قريظة طائفة من يهود المدينة، شرفها الله. ذكره المصنف في التابعين وقال: سمع نفراً من الصحابة ومنهم محمد بن المنكدر وغيره. وكان أبوه ممن لم يثبت يوم قريظة فترك. **(قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب رضي الله [تعالى]عنه)** لم يسم هذا السامع لكن تابعي تغفر جهالته مع احتمال كونه صحابياً آخر فتدبر. **(قال:)** أي علي رضي الله عنه **(إنا لجلوس)** أي لجالسون **(مع رسول الله ﷺ في المسجد)** أي مسجد المدينة أو مسجد قباء **(فاطلع)** بتشديد الطاء أي فظهر **(علينا مصعب بن عمير)** بضم الميم وفتح العين، وعمير مصغراً. **(ما عليه)** أي ليس على بدنه **(إلا بردة له)** أي كساء مخلوط السواد والبياض **(مرفوعة بفرو)** أي مرقعة بجلد. قال ميرك: هو قرشي هاجر إلى النبي ﷺ وترك النعمة والأموال بمكة وهو من كبار أصحاب الصفة الساكنين في مسجد قباء. وقال المؤلف: هو عبدري كان من أجلة الصحابة وفضلائهم هاجر إلى أرض الحبشة في أوّل من هاجر إليها ثم شهد بدراً وكان رسول الله ﷺ بعث مصعباً بعد العقبة الثانية إلى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، وهو أوّل من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة. وكان في الجاهلية من أنعم الناس عيشاً وألينهم لباساً فلما أسلم زهد في الدنيا. وقيل: إنه بعثه النبي ﷺ بعد أن بايع العقبة الأولى فكان يأتي الأنصار في دورهم ويدعوهم إلى الإسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الإسلام فيهم، فكتب إلى النبي ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له ثم قدم على النبي ﷺ مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلاً وفيه نزل: ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ [الأحزاب ـ ٢٣]. وكان إسلامه بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم. **(فلما رآه)** أي أبصر مصعباً بتلك الحال الصعباء **(رسول الله ﷺ بكى للذي)** أي للأمر الذي **(كان فيه)** أي قبل ذلك اليوم **(من النعمة والذي هو فيه)** أي وللأمر الذي هو فيه من المحنة والمشقة **(اليوم)** أي في الوقت الحاضر والظاهر المتبادر أن بكاءه ﷺ إنما كان رحمة له وشفقة عليه لما رآه من فقره وفاقته لا سيما وقد كان عزيزاً في

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٥.

(٢) راجع الحديث رقم (٥٥١٦).

الحديث رقم ٥٣٦٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٥٨ حديث رقم ٢٤٧٦.

ثم قال رسول الله ﷺ: «كيفَ بِكمْ إذا غدا أحدُكم في حُلَّةٍ، وراحَ في حلَّة؟ ووُضعِتْ بين يديه صحفة ورفعت أخرى، وسترتم بيوتكم كما تُسْتَرُ الكعبة؟». فقالوا: يا رسول الله! نحن يومئذ خيرٌ منا اليومَ، نتفرغ للعبادة، ونُكفَى المؤونة. قال: «لا، أنتم اليومَ خيرٌ منكم يومئذٍ» رواه الترمذي.

قومه ومنغمساً في نعمته. لكن ينافيه بعض المنافاة ما وقع له ﷺ مع عمر حيث بكى عمر رضي الله [تعالى]عنه لما رأى النبي ﷺ مضطجعاً على حصير سرير ليس بينه وبينه شيء وقد أثر الحصير على بدنه الشريف، وتذكر عمر تنعم كسرى وقيصر فقال له: أأنت في هذا المقام يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة(١). فالأولى أن يحمل البكاء على الفرح في أنه وجد في أمته من اختار الزهد في الدنيا والإقبال على العقبى أو على الحزن في فقد ما عنده من بعض المساعدة لبعض الكسوة أو المعاونة في بعض المعيشة والله [تعالى]أعلم. ويؤيد تأويلنا نقل الراوي. (**ثم قال رسول الله ﷺ: كيف**) أي الحال (**بكم إذا غدا**) أي ذهب أول النهار و(**أحدكم في حلة**) بضم فتشديد، أي في ثوب أو في إزار ورداء. (**وراح**) أي ذهب آخر النهار (**في حلة**) أي أخرى من الأولى. قال ابن الملك: أي كيف يكون حالكم إذا كثرت أموالكم بحيث يلبس كل منكم أول النهار حلة وآخره أخرى من غاية التنعم. (**ووضعت بين يديه صحفة**) أي قصعة من مطعوم (**ورفعت أخرى**) أي من نوع آخر كما هو شأن المترفين من طائفة الأروام، وهو كناية عن كثرة أصناف الأطعمة الموضوعة على الأطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الأعجام. (**وسترتم بيوتكم**) بضم الموحدة وكسرها أي جدرانها. والمعنى زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعم. (**كما تستر الكعبة**) وفيه إشارة إلى أن سترها من خصوصياتها لامتيازها (**فقالوا: يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم**) وبينوا سبب الخيرية بقولهم مستأنفاً فيه معنى التعليل. (**نتفرغ**) أي عن العلائق والعوائق (**للعبادة**) أي بأنفسنا (**ونكفى**) بصيغة المجهول المتكلم (**المؤونة**) أي بخدمنا. والواو لمطلق الجمع. فالمعنى ندفع عنا تحصيل القوت لحصوله بأسباب مهيأة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية والعمل بالخيرات البدنية والمبرات المالية. (**قال:**) وفي نسخة: فقال. (**لا**) أي ليس الأمر كما ظننتم (**أنتم اليوم خير منكم يومئذ**) لأن الفقير الذي له كفاف خير من الغني لأن الغني يشتغل بدنياه ولا يتفرغ للعبادة مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال. فالحديث صريح في تفضيل [الفقير] الصابر على الغني الشاكر، فإن الغني بالنسبة إلى الصحابة وهم أقوياء إذا كان كذلك فما بال غيرهم من الضعفاء. ويؤيده ما رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر مرفوعاً: «ما زويت الدنيا عن أحد إلا كانت خيرة له»(٢). أقول: قوله: عن أحد، على عمومه فإن الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغني في النار فإذا نفع الفقر الكافر في تلك الدار فكيف لا ينفع المؤمن الصابر في دار القرار. (**رواه الترمذي**).

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٢٤٠).

(٢) مسند الفردوس ٤/٦٨ حديث رقم ٦٢١٣.

٥٣٦٧ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمانٌ، الصَّابرُ فيهم على دينه كالقابض على الجمر» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ إِسناداً.

٥٣٦٨ ـ (٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ «إِذا كان

٥٣٦٧ ـ (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان الصابر فيهم**) أي في أهل ذلك الزمان (**على دينه**) أي على حفظ أمر دينه بترك دنياه (**كالقابض**) أي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة (**على الجمر**) جمع الجمرة وهي شعلة من نار. قال الطيبي [رحمه الله]: الجملة صفة زمان والراجع محذوف، أي الصابر فيه. وفيه أن الرابط مذكور فيه بقوله: فيهم، كما أشرنا إليه سابقاً. قال: والمعنى كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإِيمان انتهى. والظاهر أن معنى الحديث كما لا يمكن القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم وتعب جسيم. ومن المعلوم أن المشبه به يكون أقوى فالمراد به المبالغة فلا ينافيه أن ما أحد يصبر على قبض الجمر. ولذا قال [تعالى]: ﴿**فما أصبرهم على النار**﴾ [البقرة ـ ١٧٥]. مع أنه قد يقبض على الجمر أيضاً عند الإِكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس أو إحراق أو إغراق ونحوها، ولذا قال تعالى: ﴿**قل نار جهنم أشد حراً**﴾ [التوبة ـ ٨١]. وقد أشار الشاطبي [رحمه الله]في زمانه إلى هذا المعنى بقوله:

وهـذا زمـان الـصـبـر مـن لـك بـالـتـي   كـقـبـض عـلـى جـمـر فـتـنـجـو مـن الـبـلا

قال الجعبري أي هذا الزمان زمان الصبر لأنه قد أنكر المعروف وعرف المنكر وفسدت النيات وظهرت الخيانات وأوذي المحق وأكرم المبطل، فمن يسمح لك بالحالة التي لزومها في الشدة كالقابض على جمر النار. فقد روى أبو ثعلبة الخشني عنه عليه [الصلاة]والسلام أنه قال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل برأيه فعليك خاصة نفسك ودع العوام فإن وراءكم أياماً، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم[(١)]. انتهى. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب إسناداً**) قال ميرك نقلاً عن التصحيح: هذا الحديث وقع له ثلاثياً وفي سنده عمر بن شاكر شيخ الترمذي وحده وقد ذكره ابن حبان في الثقات انتهى. وروى ابن عساكر عن أنس أيضاً: «يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته»[(٢)].

٥٣٦٨ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان**) ولفظ الجامع: إذا كانت

الحديث رقم ٥٣٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٦ حديث رقم ٢٢٦٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣٩٠.

(١) راجع الحديث رقم (٥١٤٤).

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٩ حديث رقم (٩٩٨٩).

الحديث رقم ٥٣٦٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٩ حديث رقم ٢٢٦٦.

أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم؛ فظهر الأرض خيرٌ لكم من بطنها. وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأمورُكم إلى نسائكم؛ فبطن الأرضِ خيرٌ لكم من ظهرها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٣٦٩ ـ (١٠) وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تَداعَى عليكم كما تَداعى الأكلةُ إلى قصعتها». فقال قائل: ومن قلةٍ نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاءِ السَّيل،

(أمراؤكم خياركم) أي أتقياءكم **(وأغنياؤكم سمحاءكم)** أي أسخياءكم، واحده سمح فكأنه جمع سميح بمعنى سمح. **(وأموركم شورى بينكم)** مصدر بمعنى التشاور، أي ذوات شورى على تقدير مضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي متشاور فيها ومنه قوله تعالى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾ [الشورى ـ ٣٨]. وقد قال سبحانه [عزّ وجلّ] النبيه ﷺ: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. والمعنى: ما دمتم متشاورين في أموركم. **(فظهر الأرض خير لكم من بطنها)** أي لأجل أنكم عاملون بما في الكتاب والسنة، وطوبى لمن طال عمره وحسن عمله. **(وإذا كان أمراؤكم شراركم)** أي بالفسق والظلم **(وأغنياؤكم بخلاءكم)** أي بقلة الرحمة والشفقة **(وأموركم إلى نسائكم)** أي مفوض إلى رأيهن والحال أنهن من ناقصات العقل والدين وقد ورد: شاوروهن وخالفوهن. وفي معناهن كل من يكون في مرتبة حالهن من الرجال ممن يغلب عليه حب الجاه والمال ولم يعلم ما يتعلق بضرر الدين ووبال المال. **(فبطن الأرض خير لكم من ظهرها)** أي فإن من لم يغلب خيره شره فالموت خير له. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٣٦٩ ـ **(وعن ثوبان)** وهو مولى للنبي ﷺ **(قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك الأمم)** أي يقرب فرق الكفر والضلالة **(إن تداعى)** حذف إحدى التاءين أي تتداعى **(عليكم)** بأن يدعو بعضهم بعضاً لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال **(كما تداعى)** أي تتداعى **(الأكلة)** بالمد وهي الرواية على نعت الفئة والجماعة أو نحو ذلك كذا روي لنا عن كتاب أبي داود. وهذا الحديث من أفراده ذكره الطيبي [رحمه الله]. ولو روي الأكلة بفتحتين على أنه جمع آكل اسم فاعل لكان له وجه وجيه. والمعنى: كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضاً. **(إلى قصعتها)** أي التي يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفواً صفواً كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم. **(فقال قائل: ومن قلة)** خبر مبتدأ محذوف. وقوله: **(نحن يومئذ)** مبتدأ وخبر صفة لها، أي أذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ. **(قال: بل أنتم يومئذ كثير)** أي عدداً وقليل مدداً وهذا معنى الاستدراك بقوله: **(ولكنكم غثاء)** بالضم ممدوداً. قال الطيبي [رحمه الله]: **(كغثاء السيل)** قال الطيبي بالتشديد أيضاً ما يحمله السيل من زبد ووسخ، شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة

الحديث رقم ٥٣٦٩: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٤٢٩٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

ولينزعنَّ الله من صدورِ عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ في قلوبكم الوَهن». قال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟ قال: «حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموت». رواه أبو داود، والبيهقي في «دلائل النبوة».

الفصل الثالث

٥٣٧٠ ـ (١١) عن ابن عباس، قال: «ما ظهر الغلولُ في قوم إِلا ألقَى اللَّهُ في قلوبهم الرُّعبَ، ولا فشا الزنا في قومٍ إلا كثر فيهم الموت، ولا نقَصَ قومٌ المكيالَ والميزانَ إِلا قُطع عنهم الرزق، ولا حكم قومٌ بغير حقّ إِلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إِلا سُلِّطَ

أحلامهم. وخلاصته: ولكنكم تكونون متفرقين ضعيفي الحال خفيفي البال مشتتي الآمال، ثم ذكر سببه بعطف البيان فقال: **(ولينزعن)** أي ليخرجن **(الله من صدور عدوّكم المهابة)** أي الخوف والرعب **(منكم)** أي من جهتكم **(وليقذفن)** بفتح الياء، أي وليرمين أي الله. **(في قلوبكم الوهن)** أي الضعف وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت حيث قال: **(قال قائل: يا رسول الله وما الوهن)** أي ما سببه وما موجبه، قال الطيبي [رحمه الله]: سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن. **(قال: حب الدنيا وكراهية الموت)** وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدوّ المبين. ونسأل الله العافية فقد ابتلينا بذلك فكأنما نحن المعنيّون بما ذكر هنالك. **(رواه أبو داود)** أي في سننه **(والبيهقي في دلائل النبوّة)**.

(الفصل الثالث)

٥٣٧٠ ـ **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه أي موقوفاً **(قال: ما ظهر الغلول)** بالضم، أي خيانة المغنم. **(في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب)** بسكون العين وضمها، أي خوف العدو. **(ولا فشا الزنا)** أي انتشر **(في قوم إلا كثر فيهم الموت)** أي بالرياء أو الطاعون أو موت القلب أو موت العلماء. **(ولا نقص قوم المكيال والميزان)** أي وما في معناهما كالذراع والعدد من طريق الغش والخديعة. **(إلا قطع عنهم الرزق)** أي الحلال أو بركة الرزق الذي في أيديهم. **(ولا حكم قوم)** أي من الحكام **(بغير حق)** أي بغير استحقاق أو بغير علم في أحكامهم الفاسدة بل بآرائهم الكاسدة **(إلا فشا فيهم الدم)** أي القتل والمراد ما يتجر إليه **(ولا ختر)** بفتح الخاء المعجمة والفوقية ومنه قوله تعالى: ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار**﴾ [لقمان ـ ٣٢]. أي غدر **(قوم بالعهد)** أي بنقضه خديعة رجاء الغلبة **(إلا سلط)** بصيغة المجهول، أي بتسليط الله.

الحديث رقم ٥٣٧٠: أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٤١٠٠ حديث رقم ٢٦ من كتاب الجهاد.

عليهم العدوُّ». رواه مالك.

(٨) باب الإِنذار والتحذير

الفصل الأول

٥٣٧١ ـ (١) عن عياض بن حمار المجاشعي، أنَّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إِنَّ ربي أمرني أن أُعلِمكم ما جَهلتُم ممّا علَّمني يومي هذا: كلُّ مال نحلته عبداً حلالٌ، وإِني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم،

(عليهم العدوّ. رواه مالك) أي في باب ما جاء في الغلول من الموطأ.

(باب)

كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة من غير ترجمة وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو الباء ساكن على الوقف. وقال ابن الملك: باب في ذكر الإِنذار والتحذير، أي التخويف والتذكير.

(الفصل الأول)

٥٣٧١ ـ **(عن عياض بن حمار المجاشعي)** بضم الميم. قال المؤلف: وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً. روى عنه جماعة وهو تميمي يعد في البصريين. **(أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته:)** أي المعروفة، أو في موعظته. **(ألا)** بالتخفيف للتنبيه **(إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني)** يحتمل أن يكون من بيان ما أو تبعيضية على أنه منقطع عما قبله خبر لما بعده مستأنف، أي من جملة ما علمني. **(يومي هذا:)** أي بما أوحى الله إلي في هذا اليوم بخصوصه. **(كل مال نحلته)** أي أعطيته **(عبداً)** أي من عبادي وملكته إياه فلا يدخل الحرام. **(حلال)** أي فلا يستطيع أحد أن يحرمه من تلقاء نفسه ويمنعه من التصرف فيه تصرف الملاك في أملاكهم، وهذا من مقول الله كما يدل عليه قوله: **(وإني خلقت عبادي حنفاء)** أي مستعدين لقبول الحق ومائلين إليه عن الباطل **(كلهم)** أي جميعهم لقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»[(١)]. وهي التوحيد المطلق وما به يتعلق لقوله تعالى: **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾** [الروم ـ ٣٠]. أي لا تبدلوا مخلوقاته باليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها **﴿ذلك الدين القيم﴾** [التوبة ـ٣٦، يوسف ـ ٤٠، الروم ـ ٣٠]. أي

الحديث رقم ٥٣٧١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٧ حديث رقم ٦٣/ ٢٨٦٥. وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٦.

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٤٨ حديث رقم (٢٥ ـ ٢٦٥٨).

وإنهم أتتهم الشياطينُ، فاجتالتهم عن دينِهم، وحرّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرَتْهُمْ أن يشركوا بي ما لم أُنزلْ به سلطاناً، وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرض فمقتهم، عربهم

المستقيم فلا تعدلوا عن الجادة إلى الطريق الزايغة كما قال تعالى: ﴿**وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام - ١٥٣]. أي عن الطريق الحقيقي الواصل إليه المقبول لديه لمن أراد المنة عليه ومنه قوله تعالى: ﴿**وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين**﴾ [النحل - ٩]. ثم بين سبب ضلالة الخلق وغوايتهم عن الحق بقوله: (**وأنهم**) أي عبادي الحنفاء (**أتتهم الشياطين**) أي جاؤوهم بالوسوسة (**فاجتالتهم**) أي صرفتهم وساقتهم مائلين (**عن دينهم**) من اجتاله أي ساقه وذهب به. وقيل: الافتعال هنا للحمل على الفعل كاختطب زيد عمراً أي حمله على الخطبة. حملتهم الشياطين على جولانهم وميلانهم عن دينهم. (**وحرمت**) أي الشياطين ([**عليهم**]**ما أحللت لهم**) أي من البحيرة والسائبة وغيرهما. وتوضيحه ما حققه القاضي حيث قال قوله: كل مال نحلته. حكاية ما علمه الله تعالى وأوحى إليه في يومه هذا. والمعنى: ما أعطيت عبداً من مال فهو حلال له ليس لأحد أن يحرم عليه وليس لقائل أن يقول هذا يقتضي أن لا يكون الحرام رزقاً لأن كل رزق ساقه الله تعالى إلى عبد نحله وأعطاه، وكل ما نحله وأعطاه فهو حلال فيكون كل رزق رزقه الله إياه فهو حلال، وذلك يستلزم أن يكون كل ما ليس بحلال ليس برزق لأنا نقول الرزق أعم من الإعطاء فإنه يتضمن التمليك. ولذا قال الفقهاء: لو قال الأمر أنه إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق فأعطته ألفاً بانت ودخل الألف في ملكه ولا كذلك الرزق. (**وأمرتهم**) أي الشياطين لهم (**أن يشركوا بي ما**) أي إشراكاً أو شيئاً ما (**لم أنزل به**) أي بوجود (**سلطاناً**) أي حجة وبرهاناً سميت به لتسلطه على القلوب عند هجوم الخواطر عليها بالقهر والغلبة. والمعنى: ما ليس على إشراكه دليل عقلي ولا نقلي، إذ لو كان أحدهما لبينه سبحانه وتعالى بل الأمر بخلافه حيث قال: ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه**﴾ [الإسراء - ٢٣]. والقرآن مشحون بالأدلة على بطلان الإشراك بالله [تعالى]. قال القاضي: هو مفعول يشركوا يريد به الأصنام وسائر ما عبد من دون الله، أي أمرتهم بالإشراك بالله بعبادة ما لم يأمر الله بعبادته ولم ينصب دليلاً على استحقاقه للعبادة. وقال الطيبي [رحمه الله]: ما لم أنزل به سلطاناً، أي لا إنزال سلطان ولا شريك على أسلوب قوله:

* على لاحب لا يهتدي بمناره *

أي لا منار ولا اهتداء به وقوله:

* ولا يرى الضب بها ينجحر *

أي لا ضب ولا انحجار نفياً للأصل والفرع أي القيد والمقيد. وقيل: هذا على سبيل التهكم، إذ لا يجوز على الله أن ينزل برهاناً أن يشرك به غيره. (**وإن الله نظر إلى أهل الأرض**) أي رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة. (**فمقتهم**) أي أبغضهم (**عربهم**

وعجمهم إِلا بقايا من أهل الكتابِ، وقال: إِنما بعثتُك لأبتليَكَ وأبتلي بكَ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان،

وعجمهم) بدل من الضمير. والمراد بالعجم غير العرب. والمعنى: أبغضهم بسوء صنيعهم وخبث عقيدتهم واتفاقهم قبل بعثة محمد ﷺ على الشرك وانغماسهم في الكفر قوم موسى [عليه السلام]كفروا بعيسى وعبدوا عزيراً وذهبوا إلى أنه ابن الله، وقوم عيسى ذهبوا إلى التثليث أو إلى إلى أنه ابن الله وغير ذلك. **(إلا بقايا من أهل الكتاب)** أي من اليهود والنصارى تبرؤوا عن الشرك كذا قاله بعضهم. والأظهر أن المراد بهم جماعة من قوم عيسى بقوا متابعته عليه السلام إلى أن آمنوا بنبينا ﷺ. **(وقال:)** أي الله تعالى **(إنما بعثتك)** أي أرسلتك يا محمد **(لأبتليك)** أي لأمتحنك كيف تصبر على إيذاء قومك إياك **(وأبتلي بك)** أي قومك هل يؤمنون بك أم يكفرون **(وأنزلت عليك كتاباً)** أي عظيماً وهو القرآن **(لا يغسله الماء)** أي لم نكتف بإيداعه الكتب فيغسله الماء، بل جعلناه قرآناً محفوظاً في صدور المؤمنين. قال تعالى: ﴿**بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم**﴾ [العنكبوت ـ ٤٩]. وقال سبحانه: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر ـ ٩]. أو المراد بالغسل النسخ، والماء مثل أي لا ينزل بعده كتاب ينسخه ولا نزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى: ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ [فصلت ـ ٤٢]. قال الطيبي [رحمه الله]: أي كتاباً محفوظاً في القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس، أو كتاباً مستمراً متداولاً بين الناس ما دامت السموات والأرض لا ينسخ ولا ينسى بالكلية. وعبر عن إبطال حكمه وترك قراءته والإعراض عنه بغسل أوراقه بالماء على سبيل الاستعارة أو كتاباً واضحاً آياته بيناً معجزاته لا يبطله جور جائر ولا يدحضه شبهة مناظر، فمثل الإِبطال معنى بالإِبطال صورة. وقيل: كنى به عن غزارة معناه وكثرة جدواه من قولهم: مال فلان لا يفنيه الماء أو النار. وقوله: **(تقرؤه)** أي أنت **(نائماً ويقظان)** بسكون القاف. والمعنى: يصير لك ملكة بحيث يحضر في ذهنك وتلتفت إليه نفسك في أغلب الأحوال فلا تغفل عنه نائماً ويقظان، وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به هو يفعله بالماء كذا ذكره الطيبي [رحمه الله]. وخلاصته أنه في قلبك وأنت نائم. وأقول: لا احتياج إلى التأويل بالنسبة إلى قلبه الجليل لأنه تنام عيناه[1] ولا ينام قلبه وقد شوهد كثير من الناس صغيراً وكبيراً أنهم يقرؤون وهم نائمون. وأغرب من هذا ما حكى بعض المريدين أنه وشيخه كانا يتدارسان وقت السحر في تلاوة القرآن عشراً عشراً، فلما توفي الشيخ رحمه الله [تعالى] أتاه المريد وقت السحر على عادته عند قبره وأراد أن يقرأ ورده. فلما تم العشر سمع من القبر صوت شيخه أنه قرأ عشراً وسكت وهكذا كان الأمر مستمر إلى أنه حكى المريد القضية لبعض أصحابه، فوقع تحت حجابه. ونظيره سماع سعيد بن المسيب صوت الأذان من الضريح الأنور أيام فتنة يزيد في المدينة المعظمة[2] حيث لم يبق في المسجد أحد إلا سعيد وكانوا يقولون إنه شيخ مجنون. **(وأن الله أمرني أن أحرق)** أي أهلك **(قريشاً)** أي كفارهم **(فقلت: رب)** أي يا

---

(١) في المخطوطة «عينه».
(٢) في المخطوطة «العظيمة».

وإنَّ الله أمرني أن أحرقَ قريشاً، فقلت: [يا] ربِّ! إذاً يثلغوا رأسي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرجْهم كما أخرجوكَ واغْزُهُمْ نُغزِكَ، وأنفِقْ فسننفقُ عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله، وقاتِل بمَنْ أطاعكَ من عصاكَ». رواه مسلم.

٥٣٧٢ ـ (٢) وعن ابن عباس، قال: لما نزلت **﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾**، صعدَ النبيُّ ﷺ الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر! يا بني عدي!» لبطون قريش

رب **(إذاً)** بالتنوين **(يثلغوا)** بفتح اللام أي يشدخوا ويكسروا **(رأسي فيدعوه)** بفتح الدال أي رأسي **(خبزة)** أي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل الكروي مصحفاً مثل خبزة **(قال:)** أي الله لنبيه ﷺ **(استخرجهم)** أي قريشاً، والمراد كفارهم. **(كما أخرجوك)** أي كإخراجهم إياك جزاء وفاقاً وإن كان بين الإخراجين بون بين. فإن إخراجهم إياه بالباطل وإخراجه إياهم بالحق. **(واغزهم)** أي وجاهدهم. فالواو: والمطلق الجمع فإن القتال مقدم على الإخراج **(نغزك)** بضم النون من أغزيته إذا جهزته للغزو وهيأت له أسبابه. **(وأنفق)** أي ما في جهدك في سبيل الله **(سننفق عليك)** أي نخلف عليك بدله في الدنيا والأخرى. قال تعالى: **﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾** [سبأ ـ ٣٩]. وفيه وعد وتسلية **(وابعث)** أي ارسل أنت **(جيشاً)** أي كبيراً وصغيراً **(نبعث خمسة)** أي مقدار خمسة **(مثله)** بالنصب. والمعنى: نبعث من الملائكة خمسة أمثال تعينهم كما فعل ببدر. قال تعالى: **﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾** [آل عمران ـ ١٢٥]. وكان المشركون يومئذ ألفاً والمسلمون ثلثمائة. **(وقاتل بمن أطاعك)** أي بمعونته أو معه **(من عصاك)** أي بعدم[١] الإيمان بك **(رواه مسلم)**.

٥٣٧٢ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما نزلت: ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾[٢] صعد)** بكسر العين وهو جواب لما. وفي بعض النسخ: فصعد بالفاء فلا وجه له، أي طلع. **(النبي ﷺ الصفا)** وهو جبل معروف بمكة من شعائر الله **(فجعل)** أي فشرع **(النبي ﷺ ينادي)** أي قبائل العرب **(يا بني فهر)** بكسر الفاء وسكون الهاء قبيلة من قريش على ما في القاموس. **(يا بني عدي)** وهم قبيلة [من قريش]أيضاً على ما في القاموس. فقوله: **(لبطون قريش)** فيه إشكال إذ البطن دون القبيلة أو دون الفخذ وفوق العمارة، والقبيلة واحد قبائل الرأس لقطع الشعوب بعضها إلى بعض ومنه قبائل العرب واحدهم قبيلة، وهم بنو أب واحد كذا في القاموس. والحاصل أن القبيلة بمنزلة الجنس والبطن بمنزلة النوع والفخذ بمنزلة

---

(١) في المخطوطة «بعد».

الحديث رقم ٥٣٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٧٧٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٣ حديث رقم (٣٥٥ ـ ٢٠٨). والترمذي في السنن ٥/ ٤٢٠ حديث رقم ٣٣٦٣. والدارمي ٢/ ٣٩٥. حديث رقم ٢٧٣٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٠٧.

(٢) سورة الشعراء. آية رقم ٢١٤.

حتى اجتمعُوا فقال: «أرأيتُكم لو أخبَرتكم أنَّ خيلاً بالوادي تريدُ أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقِي؟» قالوا: نعم؛ ما جرَّبنا عليكَ إلا صدقاً. قال: «فإني نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ». فقال أبو لهب: تَبًّا لك سائرَ اليومِ،

الفصل، وقد يستعار[1] بعضها لبعض والله [تعالى]أعلم. وقال الطيبي [رحمه الله]: اللام فيه بيان كقوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة - ٢٣٣]. كأنه قيل لمن قيل لبطون قريش. **(حتى اجتمعوا)** أي من كل قبيلة وبطن جمع. **(فقال: أرأيتكم)** بفتح التاء ويجوز تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإبدالها وحذفها. والمعنى: أخبروني. وتحقيقه ما ذكره الطيبي [رحمه الله]، من أن الضمير المتصل المرفوع من الخطاب العام، والضمير الثاني لا محل له وهو كالبيان للأول، لأن الأول بمنزلة الجنس الشائع في المخاطبين فيستوي فيه التذكير والتأنيث والإفراد والجمع. فإذا أريد بيانه بأحد هذه الأنواع بين به فأتى في الحديث بعلامة الجمع بياناً للمراد انتهى. فكأنه قال: أرأيتم فإن رأيتم فأعلموني. **(لو أخبرتكم أن خيلاً)** أي جيشاً **(بالوادي)** أي نزل به. قال شارح: وهو موضع معروف بقرب مكة، وكأنه أريد به الوادي المشهور بوادي فاطمة بين مكة والمدينة شرفها الله. **(تريد)** أي الخيل **(أن تغير عليكم)** من الإغارة وهي النهب والبيوتة بالغفلة، يعني أصحابها على أحد المجازين في قوله تعالى: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف - ٨٢]. **(أكنتم مصدقي)** أي مصدقين لي في قولي. **(قالوا: نعم)** أي كنا نصدقك، وسببه أنا في جميع عمرنا. **(ما جربنا عليك إلا صدقاً)** قال الطيبي [رحمه الله]: ضمن جرب معنى الإلقاء وعداه بعلي، أي ما ألقينا عليك قولاً مجربين لك فيه هل تكذب فيه أم لا ما سمعنا منك إلا صدقاً. **(قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)** أي قبل نزول عذاب عظيم وعقاب أليم. والمعنى أنكم إن لم تؤمنوا بي ينزل عليكم عذاب قريب. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: بين يدي، ظرف لغو نذير وهو بمعنى قدام لأن كل من يكون قدام أحد يكون بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله. وفيه تمثيل مثل إنذاره القوم بعذاب الله تعالى النازل على القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم. **(فقال أبو لهب:)** مشهور بكنيته، واسمع عبد العزى وهو ابن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ. **(تباً لك)** أي خسراناً وهلاكاً ونصبه بعامل مضمر قاله القاضي، فهو إما نصب على الصدر والمعنى: تب تباً أو بإضمار فعل أي ألزمك الله هلاكاً وخسراناً وألزم تباً لك. **(سائر اليوم)** أي في باقي الأوقات أو في جميع الأيام. قال التوربشتي [رحمه الله]: من ذهب في سائر إلى البقية فإنه غير مصيب لأن الحرف من السير لا من السور، وفي أمثالهم في اليأس من الحاجة أسائر اليوم وقد زال الظهر. قال الطيبي [رحمه الله]: وفيه نظر لأنه قال صاحب النهاية السائر مهموز الباقي والناس يستعملونه في معنى الجميع وليس بصحيح، وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث وكلها بمعنى باقي الشيء. ويدل على تصحيح ما في النهاية ما في أساس البلاغة فإنه أورده في باب السين مع الهمزة قائلاً: سار الشارب في الإناء

(١) في المخطوطة «يستفاد».

ألهذا جمعتنا؟! فنزلت ﴿تبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتب﴾. متفق عليه. وفي رواية: نادى: «يا بني عبد مناف! إنما مثلي ومثلكم كمثلِ رجلٍ رأى العدوَّ فانطلق يَربأُ أهله، فخشي أن يسبقوه، فجعل يهتف: يا صباحاه!».

سوراً وسورة، أي بقية. وفي المثل: أسائر اليوم وقد زال الظهر انتهى كلامه. فعلى هذا المراد بسائر اليوم بقية الأيام المستقبلة. وفي القاموس: السؤر البقية والفضلة وأسار أبقاه كسأر كمنع والفاعل فيها سائر والقياس مسئر، ويجوز والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات، أو قد يستعمل له. ومنه قول الأحوص:

فجلتها لنا لبابة لما   وفد القوم سائر الحراس

وضاف أعرابي قوماً فأمروا الجارية بتطييبه فقال: بطني عطري وسائري ذري وأغير على قوم فاستصرخوا بني عمهم فأبطأوا عنهم حتى أسروا وذهب بهم ثم جاؤوا يسألون عنهم فقال لهم المسؤول: أسائر القوم وقد زال الظهر. أي تطمعون فيما بعد وقد تبين لكم اليأس لأن من كانت حاجته اليوم بأسره وزال الظهر وجب أن ييأس منها بالغروب. (**ألهذا**) أي لهذا الاستخبار والإخبار (**جمعتنا**) أي بالمناداة (**فنزلت**: ﴿**تبت**﴾) أي هلكت وخسرت (﴿**يدا أبي لهب**﴾) بفتح الهاء ويسكن، أي نفسه كقوله تعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم**﴾ [البقرة ـ ١٩٥]. أي بأنفسكم والباء زائدة. وقيل: المراد بهما دنياه وأخراه. وقيل: إنما خصتا لأنه لما قال: ألهذا دعوتنا. أخذ حجراً ليرميه به فنزلت. وإنما كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته أو لأن اسمه عبد العزى فاستكره ذكره، أو لأنه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله وإن كان كنى لكمال جماله. وقرىء: أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب على لغة من تصر على الواو في الأسماء الستة، كما قصر بعضهم على الألف فيها كقوله: إن أباها وأبا أباها (﴿**وتب**﴾)[١] أخبار بعد خبر للتأكيد والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه، أو الأول دعاء والثاني إخبار (**متفق عليه**).

(**وفي رواية:**) قال ميرك: هذه الرواية من أفراد مسلم. (**نادى: يا بني عبد مناف**) هو أخو هاشم وعبد شمس والمطلب، ومناف صنم كذا في القاموس. (**إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو**) أي بعينه (**فانطلق**) أي ذهب مسرعاً (**يربأ**) بفتح الموحدة وبالهمز، أي يحفظ من العدو. (**أهله**) أي قومه ويرقبهم بقتالهم على موضع عال (**فخشي**) أي الرجل (**أن يسبقوه**) أي يسبق العدو إلى أهله ويصلوا إلى القوم قبل أن يصل إليهم بنفسه (**فجعل**) أي فشرع (**يهتف**) بكسر التاء أي يصيح وينادي من أعلى جبل. وربما يجعل ثوبه على يده أو على خشب يرفعه لزيادة الإعلام. ومنه النذير العريان أو هو كناية عن خلوه من العرض أو ايماء إلى أنه أخذ وسلب عنه ثوبه وهرب منهم، فحينئذ كل أحد يصدقه في قوله. (**يا صباحاه**) بسكون الهاء ولما كانت الغارة غالباً تكون في الصباح خصت[٢] به ولو كان في المساء أيضاً والله [تعالى] أعلم.

---

(١) سورة المسد ـ آية رقم ١.   (٢) في المخطوطة «خص».

٥٣٧٣ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا النبي ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فعَمَّ وخَصَّ، فقال: «يا بني كعب بنِ لؤيٍّ! أنقذُوا أنفُسَكم من النَّار. يا بني مرَّةَ بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمسٍ! أنقذُوا أنفُسَكم من النار. يا بني عبد مناف! أنقِذُوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة! أنقذي نفسَك من النار؛ فإِني لا أملكُ لكم من الله شيئاً، غيرَ أنَّ لكم رَحِمًا سَأبُلُّها ببلالها».

فهي كلمة تقال لإنذار أمر مخوف. والمعنى: يا قوم احذروا الإغارة بالذهاب قبل مجيء العدو، فكأنه ﷺ قال: احذروا عقاب الله بالإيمان قبل نزوله.

٥٣٧٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ دعا النبي ﷺ قريشاً) أي قبائله (فاجتمعوا فعم) أي النبي ﷺ في النداء بما ذكره (وخص) ثم بين الراوي كيفية العموم والخصوص بقوله: (فقال:) أي النبي ﷺ (يا بني كعب بن لؤي) بضم لام وفتح همز وقد يبدل واواً فتحتية مشددة وهو ابن غالب بن فهر (أنقذوا) بفتح همزة وكسر قاف أي خلصوا (أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب) بضم ميم وتشديد راء، أي أبو قبيلة من قريش على ما في القاموس. (انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار) ختم بها لأنها خلاصة قومها ثم عم في تبرىء إنقاذه إياهم من النار بغير الإِيمان والعمل الصالح بقوله: (فإني لا أملك لكم) أي لجميعكم عامكم وخاصكم (من الله) أي من عذابه (شيئاً) أي من الملك والقدرة والدفع والمنفعة. والمعنى: إني لا أقدر أن أدفع عنكم من عذاب الله شيئاً إن أراد الله أن يعذبكم. وهو مقتبس من قوله سبحانه: ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾ [الفتح ـ ١١]. بل قال [الله]تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله﴾ [الأعراف ـ ١٨٨]. وهذا التوحيد على وفق التفريد وهو ﷺ وإن كان قد ينفع المؤمنين بالشفاعة حيث يشفع ويشفع، لكن أطلقه ترهيباً لهم على الاتكال عليه وترغيباً لهم على الاجتهاد في أمر زاد المعاد والله رؤوف بالعباد. وهذا معنى قوله: (غير أن لكم رحماً) أي قرابة (سأبلها) بضم موحدة وتشديد لام أي ساصلها (ببلالها) بكسر الموحدة ويفتح أي بصلتها وبالإِحسان إليها. ومجمله أني سأصل تلك القرابة بالشيء الذي يتوصل به إلى الأقارب من الإِحسان ودفع الظلم والضر عنهم وغير ذلك. ففي النهاية: البلال جمع بلل والعرب يطلقون النداوة على الصلة كما يطلق اليبس على القطيعة، لأنهم لما رأوا أن بعض الأشياء يتصل

الحديث رقم ٥٣٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣٨٢. حديث رقم ٢٧٥٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٢ حديث رقم (٣٤٨ـ ٢٠٤). والترمذي في السنن ٥/ ٣١٦ حديث رقم ٣١٨٥. والنسائي ٦/ ٢٤٩ حديث رقم ٣٦٤٤. وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٣.

رواه مسلم.

وفي المتفق عليه قال: «يا معشر قريش! اشتروا أنفسَكم، لا أُغني عنكم من الله شيئاً. ويا بني عبد مناف! لا أُغني عنكم من الله شيئاً. يا عباسُ بنَ عبدِ المطلب! لا أُغني عنك من الله شيئاً. ويا صفيَّةُ عمَّةَ رسول الله! لا أغني عنكِ من الله شيئاً. ويا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ! سليني ما شئت من مالي، لا أُغني عنك من الله شيئاً».

الفصل الثاني

٥٣٧٤ ـ (٤) عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمَّتي

بالنداوة ويجعل بينها التجافي والتفرق باليبس استعاروا البلل لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطيعة. والمعنى: أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيئاً[١]. (رواه مسلم).

(وفي رواية المتفق عليه:) هذا موجود في بعض النسخ المصححة (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم) أي أعتقوها وخلصوها من النار بالإيمان وترك الكفران وبالطاعة لما جئت به والانقياد لما منعت منه (لا أغني عنكم من الله شيئاً) أي لا أبعد منكم ولا أدفع عنكم شيئاً من عذاب الله (يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب) بالنصب فيهما، وفي نسخة برفع عباس. (لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفية) بالواو العاطفة بخلاف ما قبله من ألفاظ النداء فإنها كانت على سبيل التعداد. وصفية مرفوعة. وقوله: (عمة رسول الله) منصوبة (لا أغني عنك من الله شيئاً) وكذا قوله: (ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي) كذا في نسخ من موصولة. قال التوربشتي [رحمه الله تعالى]: أرى أنه ليس من المال المعروف في شيء وإنما عبر به عما يملكه من الأمر وينفذ تصرفه فيه ولم يثبت عندنا أنه كان ذا مال لا سيما بمكة. ويحتمل أن الكلمتين أعني من وما وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة فكتبهما[٢] منفصلتين انتهى. وفيه أنه يرده قوله تعالى: ﴿ووجدك عائلاً فأغنى﴾ [الضحى ـ ٨]. أي بمال خديجة رضي الله عنها على ما قاله المفسرون، وأيضاً لم يلزم من عدم وجود المال الحاضر للجواد أن لا يدخل في يده شيء من المال في الاستقبال فيحمل الوعد المذكور على تلك الحال. ومهما أمكن الجمع لتصحيح الدراية تعين عدم التخطئة في الرواية والله سبحانه [وتعالى]أعلم. [(لا أغني عنك من الله شيئاً)].

(الفصل الثاني)

٥٣٧٤ ـ (عن أبي موسى) أي الأشعري رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: أمتي

---

(١) في المخطوطة «من شيء». (٢) في المخطوطة «فكتبها».

الحديث رقم ٥٣٧٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٦٨ حديث رقم ٤٢٧٨. وابن ماجه ٢/١٤٣٤ حديث رقم ٢٤٩٢ وأحمد في المسند ٤/٤١٠.

هذه أُمّةٌ مرحومةٌ، ليس عليها عذابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا: الفتَنُ والزلازلُ والقتل». رواه أبو داود.

هذه) أي أمة الإجابة الموجودة ذهناً المعهودة معنى كأنها المذكورة حساً. **(أمة مرحومة)** أي رحمة زائدة على سائر الأمم لكون نبيهم رحمة للعالمين، بل مسمى بنبي الرحمة وهم خير أمة. **(ليس عليها عذاب)** أي شديد **(في الآخرة)** بل غالب عذابهم أنهم مجزيون بأعمالهم في الدنيا بالمحن والأمراض وأنواع البلايا كما حقق في قوله تعالى: **﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾** [النساء ـ ١٢٣]. على ما تقدم والله [تعالى]أعلم. ويؤيده قوله: **(عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل)** أي بغير حق وقيل: الحديث خاص بجماعة لم تأت كبيرة، ويمكن أن تكون الإشارة إلى جماعة خاصة من الأمة وهم المشاهدون من الصحابة، أو المشيئة مقدرة لقوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء ـ ٤٨]. وقال المظهر: هذا حديث مشكل لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته ﷺ سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره، فقد وردت الأحاديث بتعذيب مرتكب الكبيرة اللهم إلا أن يؤوّل بأن المراد بالأمة هنا من اقتدى به ﷺ كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه. وقال الطيبي [رحمه الله]: الحديث وارد في مدح أمته ﷺ واختصاصهم من بين سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم، وأنهم إن أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها إن الله يكفر بها في الآخرة ذنباً من ذنوبهم. وليست هذه الخاصية لسائر الأمم ويؤيده ذكر هذه وتعقيبها بقوله: مرحومة. فإنه يدل على مزية تميزهم بعناية الله [تعالى]ورحمته والذهاب إلى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام، وهذه الرحمة هي المشار إليها بقوله: **﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾** [الأعراف ـ ١٥٦]. إلى قوله: **﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾** [الأعراف ـ ١٥٧]. انتهى. ولا يخفى عليك أن هذا كله مما لا يدفع الإشكال فإنه لا شك عند أرباب الحال أن رحمة هذه الأمة إنما هي على وجه الكمال. وإنما الكلام في أن [هذا] الحديث بظاهره يدل على أن أحداً منهم لا يعذب في الآخرة وقد تواترت الأحاديث في أن جماعة من هذه الأمة من أهل الكبائر يعذبون في النار ثم يخرجون إما بالشفاعة وإما بعفو الملك الغفار، وهذا منطوق الحديث ومعناه المأخوذ من ألفاظه ومبناه وليس بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتى يصح قوله أن هذا المفهوم مهجور، بل المراد بمفهومه في كلام المظهر المعلوم في العبارة. ثم قول الطيبي [رحمه الله]: وليست هذه الخاصية وهي كفارة الذنوب بالبلية لسائر الأمم يحتاج إلى دليل مثبت ولا عبرة بما فهم من المفهوم من قوله: عذابها في الدنيا الفتن، إلى آخره. فإنه قابل للتقييد بكون وقوع عذابها [بها]غالباً **(رواه أبو داود)** وكذا الحاكم في مستدركه وصححه وأقره الذهبي ذكره ميرك[١]. وفي الجامع بلفظ: أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا. رواه أبو داود والطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي موسى[٢]. ورواه الحاكم في الكنى عن أنس:

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٢٤٤.
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٠٢ حديث رقم ١٦٢٢.

٥٣٧٥ ـ (٥)، ٥٣٧٦ ـ (٦) وعن أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ هذا الأمرَ بَدَأَ نبوَّةً ورحمةً، ثمَّ يكونُ خلافةً ورحمةً، ثمَّ ملكاً عَضُوضاً، ثمَّ كائنٌ جبريةً وعُتوًّا وفساداً في الأرضِ،

أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها[1]. أي يتوب الله عليها ولا يتركها مصرة على الذنوب. ففيه دليل على أن المراد به خواص هذه الأمة والله [تعالى]أعلم.

٥٣٧٥ و٥٣٧٦ ـ **(وعن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: إن هذا الأمر)** أي ما بعث به من إصلاح الناس ديناً ودنيا وهو الإِسلام وما يتعلق به من الأحكام **(بدا)** بالألف أي ظهر وفي نسخة بالهمزة، أي ابتدأ أول أمر الدين إلى آخر زمانه ﷺ زمان نزول الوحي والرحمة. **(نبوة ورحمة)** نصبهما على التمييز أو الحال، أي ذا نبوة ورحمة كاملة من نبي الرحمة على الأمة المرحومة **(ثم يكون)** أي أمر الدين **(خلافةً)** أي نيابة عن حضرة النبوة **(ورحمة)** أي شفقة على الأمة بطريق كمال الولاية على وجه التبعية إلى ثلاثين سنة فانقضت بستة أشهر أيام الحسن، فليس لمعاوية نصيب في الخلافة خلافاً لمن خالفه. **(ثم ملكاً عضوضاً)** بفتح العين فعول للمبالغة من العض بالسن، أي يصيب الرعية فيه ظلم يعضون فيه عضاً. وروي بضم العين جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرير، أي يكون ملوك يظلمون الناس ويؤذونهم بغير حق وهذا مبني على الغالب إذ النادر لا حكم له فلا يشكل بأن عمر بن عبد العزيز كان عادلاً حتى سمي عمر الثاني وقضاياه مشهورة ومناقبه مسطورة. **(ثم كائن)** أي ذلك الأمر، أو ثم هذا الأمر كائن. **(جبرية)** بفتح الجيم والموحدة على النصب، أي قهراً وغلبة. **(وعتواً)** بضمتين فتشديد أي تكبراً **(وفساداً في الأرض)** أي في الحرث والأنعام وغير ذلك من منكرات العظام. ولعل وجه العدول في الكلام هو الاستمرار والدوام كما هو مشاهد في هذه الأيام حيث استقرت الخلافة في أيدي الظلمة بطريق التسلط والغلبة من غير مراعاة شروط الإِمامة، أولاً. ثم في زيادة الظلم والتعدي على الرعايا والتحكم عليهم بأنواع البلايا وأصناف الرزايا ثانياً. ثم في إعطاء المناصب لغير أربابها المستحق لها وعدم الالتفات إلى العلماء العاملين والأولياء الصالحين ثالثاً. ثم غالب سلاطين زماننا تركوا القتال مع المشركين وتوجهوا إلى مقاتلة المسلمين لأخذ البلاد وإعطاء الفساد، ولذا قال بعض علمائنا: من قال سلطان زماننا عادل فهو كافر. وما أقبح ما صدر من بعض خوانين الأزبك في زماننا أنه أمر بالقتل العام في بلد عظيم من بلدان أهل الإِسلام المشتمل على المشايخ الكرام والسادات العظام وعلماء الإِسلام والنساء والضعفاء والأطفال وسائر المرضى والعميان والأهل والعيال ألوف مؤلفة وصنوف مؤتلفة. والحال أن أهل البلد المذكور على الملة الحنيفية ومذهب الحنفية من جملة أهل السنة والجماعة، ومدعي السلطنة يزعم أنه على تعظيم العلم والشريعة وقد

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٢ حديث رقم ١٦٢٣.

الحديث رقم ٥٣٧٥ و٥٣٧٦: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ١٥٥ حديث رقم ٢١٠١. والبيهقي في شعب الإِيمان ٥/ ١٦ حديث رقم ٥٦١٦.

يَسْتَحِلُّونَ الحريرَ والفروجَ والخمورَ، يُرزقون على ذلك ويُنْصَرُونَ، حتى يَلْقَوا الله» رواه البيهقي في «شعب الإيمان»:

٥٣٧٧ ـ (٧) وعن عائشة، قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أولَ ما يُكْفَأُ ـ قال زيد بن يحيى الراوي: يعني الإسلام ـ كما يُكْفَأ الإناءُ» يعني الخمر. قيل: فكيفَ يا رسولَ اللّهِ! وقد بيَّنَ الله فيها ما بين؟ قال: «يسمُّونَها بغيرِ اسمِها فيستحلونها».

صرح علماؤنا بأن المسلمين لو فتحوا قلعة من أهل الكفر ويوجد فيهم ألوف من أهل الحرب لكن فيهم ذمي واحد مجهول العين فيما بينهم لا يحل قتل العام في ذلك المقام، فلا حول ولا قوّة إلا بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً. هذا وقد ظهر الفساد في البر والبحر حتى في الحرمين الشريفين مما لم يمكن ذكره ومما لم يتصور فكره، والله ولي دينه وناصر نبيه، وكل عام بل كل يوم بل كل ساعة شر مما قبله إلى أن تقوم الساعة، ولم يكن في الأرض من يقول: الله الله. ويؤيده قوله: **(يستحلون الحرير والفروج والخمور)** أي بأنواعها كما سبق **(يرزقون)** وفي نسخة: ويرزقون. أي والحال أنهم يرزقون **(على ذلك)** أي ما ذكر من الاستحلال وسائر قبائح الأفعال. **(وينصرون)** أي على مقاصدهم من الأعمال لحكمة عجزت عن إدراكها أرباب الكمال. **(حتى يلقوا الله)** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾ [إبراهيم ـ ٤٢]. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)** قلت: وكان الأولى أن يذكره في كتابه دلائل النبوّة.

٥٣٧٧ ـ **(وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أوّل ما يكفأ)** بصيغة المجهول مهموزاً من كفأت الإناء، أي قلبته وأملته وكببته لإفراغ ما فيه. قيل: إنه ﷺ كان يتحدث في الخمر فقال في أثناء حديثه: إن أوّل إلى آخره، فالخبر محذوف أي الخمر لكنه غير ملائم لما بعده من نقل المؤلف. **(قال زيد بن يحيى الراوي)** أي أحد رواة هذا الحديث **(يعني الإسلام)** فإن الظاهر أن مراده تقدير الخبر وأن معناه أوّل ما يتغير الإسلام وهو الانقياد الظاهر المتعلق بارتكاب الطاعات واجتناب المحرمات. ويؤيده قوله: **(كما يكفأ الإناء)** أي ما فيه ولهذا قال الراوي: **(يعني)** أي يريد النبي ﷺ بقوله الإناء **(الخمر)** إما على مجاز الحذف أي مظروف الإناء وإما على ذكر المحل وإرادة الحال كما حقق في قوله تعالى: ﴿**واسأل القرية**﴾ [يوسف ـ ٨٢]. لكن يشكل بقوله: **(قيل: فكيف يا رسول الله)** أي يشربون الخمر. ويمكن دفعه بأن يقال المعنى: فكيف الحال في انقلاب أحكام الإسلام وتبيان الحلال والحرام **(وقد بين الله فيها)** أي في الخمر مثلاً **(ما بين)** أي من تحريمها **(قال: يسمونها بغير اسمها)** أي يسمونها باسم النبيذ والمثلث **(فيستحلونها)** أي حقيقة فيصيرون كفرة أو فيظهرون أنهم يشربون شيئاً حلالاً فيكونون فسقة مكرة. ولذا قال بعض الشراح: يعني أنهم يستترون بما أبيح لهم من

الحديث رقم ٥٣٧٧: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ١٥٥ حديث رقم ٢١٠٠.

رواه الدارمي.

الفصل الثالث

٥٣٧٨ ـ (٨) عن النعمان بن بشير، عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوَّةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكونُ خلافةً على

الأنبذة فيتوصلون بذلك إلى استحلال ما حرم عليهم منها. هذا ما ظهر لي في هذا المقام من حل المرام. وقال الطيبي [رحمه الله]: خبر إن محذوف وهو الخمر، والكاف في كما يكفاء صفة مصدر محذوف. يعني: أول ما يكفأ من الإسلام إكفاء مثل إكفاء ما في الإناء انتهى. وأفاد أن التقدير من الاسلام وأن من تبعيضية ساقطة من الكلام أي من أحكامه. وقال القاضي: يكفا بقلب ويمال. ويقال: كفأت القدر إذ قلبتها لينصب عنها ما فيها، والمراد به الشرب ههنا فإن الشارب يكفأ القدح عند الشرب. وقول الراوي: يعني الإسلام، يريد به في الإسلام وسقط عنه. والمعنى أن أوّل ما يشرب من المحرمات ويجترأ على شربه في الإسلام كما يشرب الماء ويجترأ عليه هو الخمر، ويؤولون في تحليلها بأن يسموها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث انتهى. فيفيد أن النبيذ والمثلث حلالان وأن حقيقة الشيء لا يتغير اسم شيء عليه كما يسمى الزنجي بالكافور فلا يصح استدلال من توهم حرمة القهوة المحدثة بأنها من أسماء الخمر ولا بأنها تشرب على هيئة أهل الشرب لأنا نقول لا خصوصية حينئذ بالقهوة فإن اللبن والماء وماء الورد كذلك على أن الشرب المتعارف في الحرمين الشريفين وغيرهما ليس على منوال شرب الفسقة، فإنه يتناول الزبادي المتعددة وشرب جماعة في حالة متحدة وبهذا تزول المشابهة وترتفع الشبهة. ومما يدل على إباحتها ما نص الله في كلامه بقوله: ﴿**هو والذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً**﴾ [البقرة ـ ٢٩]. وإن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يصرف عنها دليل من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، أو القياس على وجه الصحة. **(رواه الدارمي)** وروى أحمد والضياء عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه.

(الفصل الثالث)

٥٣٧٨ ـ **(عن النعمان بن بشير)** له ولأبويه صحبة **(عن حذيفة)** أي صاحب أسرار النبوة المحمدية **(قال: قال رسول الله ﷺ: تكون النبوّة)** بالرفع على أن تكون تامة، أي توجد وتقع. **(فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة)** بالرفع. وفي بعض النسخ المصححة بالنصب على أن تكون ناقصة وهو الملائم لما سيأتي من قوله: ثم تكون ملكاً. والمعنى ثم تنقلب النبوة خلافة أو تكون الحكومة أو الإمارة خلافة أي بنيابة حقيقية. **(على**

الحديث رقم ٥٣٧٨: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٧٣.

منهاج النبوَّةِ ما شاءَ الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكون ملكاً عَاضًاً فتكون ما شاءَ الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكونُ ملكاً جبريةً، فيكون ما شاءَ الله أن يكون، ثمَّ يرفعها الله تعالى، ثمَّ تكونُ خلافةً على منهاج نبوَّة» ثم سكت، قال حبيب: فلما قامَ عمر ابن عبد العزيز كتبتُ إليه بهذا الحديث أُذَكِّرهُ إيَّاه وقلت: أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملكِ العاضِّ والجبريةِ، فسُرَّ به وأعجبه، يعني عمر بن عبد العزيز. رواه أحمد والبيهقي في «دلائل النبوة».

منهاج نبوّة) أي طريقتها الصورية والمعنوية **(ما شاء الله أن تكون)** أي الخلافة وهي ثلاثون [سنة] على ما ورد. **(ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكاً عاضاً)** أي يعض بعض أهله بعضاً كعض الكلاب. **(فيكون)** أي الملك، أي الأمر على هذا المنوال **(ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى)** أي تلك الحالة **(ثم تكون)** أي الحكومة **(ملكاً جبرية)** أي جبروتية وسلطنة عظموتية **(فيكون)** أي الأمر على ذلك **(ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى)** أي الجبرية **(ثم تكون)** أي تنقلب وتصير **(خلافة)** وفي نسخة بالرفع، أي تقع وتحدث خلافة كاملة. **(على منهاج نبوة)** أي من كمال عدالة. والمراد بها زمن عيسى عليه [الصلاة]والسلام والمهدي رحمه الله. **(ثم سكت)** أي النبي ﷺ عن الكلام **(قال: حبيب:)** قال المؤلف: هو حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير وكاتبه، روى عنه وعن محمد بن المنتشر وغيره. **(فلما قام عمر بن عبد العزيز)** أي بأمر الخلافة **(كتبت إليه هذا الحديث أذكره إياه)** بتشديد الكاف من التذكير بمعنى الموعظة. **(وقلت: أرجو أن تكون)** أي أنت أو الخليفة **(أمير المؤمنين)** وفي نسخة بالغيبة، أي يكون الموعود أمير المؤمنين. وقال الطيبي [رحمه الله]: أمير المؤمنين خبر يكون، وقوله: **(بعد الملك العاض والجبرية)** ظرف للخبر على تأويل الحاكم العادل نحو قوله تعالى: ﴿**وهو الله في السموات**﴾ [الأنعام - ٣]. أي معبود فيها. **قلت**: وفي بعض النسخ بالتذكير في يكون وبالرفع في أمير المؤمنين، فيكون قوله بعد الملك ظرفاً واقعاً خبراً ليكون. **(فسر)** بضم السين وتشديد الراء أي فرح **(به)** أي بهذا الحديث رجاء أن يكون في حقه. **(وأعجبه)** عطف تفسيري **(يعني)** أي يريد القائل بالضميرين. **(عمر بن عبد العزيز. رواه أحمد)** أي في مسنده **(والبيهقي في دلائل النبوة)** وفي الجامع: يكون أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضاً. رواه الطبراني عن معاوية، وروى ابن عساكر عن علي رضي الله [تعالى] عنه مرفوعاً: يكون لأصحابي زلة يغفرها الله تعالى لسابقتهم معي.

تم الجزء التاسع، ويليه الجزء العاشر

وأوله: «كتاب الفتن»

الفهرس

كتاب الرقاق

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص "مرقاة المفاتيح" وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب "الإكمال في أسماء الرجال" وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق

الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:

وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء العاشر

يحتوي على الكتب التالية

الفتن - أحوال القيامة وبدء الخلق - الفضائل والشمائل

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الفتن

الفصل الأول

٥٣٧٩ ـ (١) عن حذيفة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثَ به، حفِظَهُ من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته،

(كتاب الفتن)

الفتن جمع الفتنة وهي الامتحان والاختبار بالبلية.

(الفصل الأول)

٥٣٧٩ ـ (**عن حذيفة قال: قام**) أي خطيباً أو واعظاً (**فينا**) أي فيما بيننا أو لأجل أن يعظنا ويخبرنا بما سيظهر من الفتن لنكون على حذر منها في كل الزمن. (**رسول الله ﷺ مقاماً**) أما مصدر ميمي أو اسم مكان. وقيل اسم زمان والجملة المنفية وهي قوله: (**ما ترك شيئاً**) الخ صفة، وقوله: (**يكون**) بمعنى يوجد صفة شيئاً. وقوله: (**في مقامه**) متعلق بترك ووضع مقامه موضع ضمير الموصوف. وقوله: (**ذلك**) صفة مقامه إشارة إلى زمانه ﷺ. وقوله: (**إلى قيام الساعة**) غاية ليكون. والمعنى: قام مقاماً ما ترك شيئاً يحدث فيه وينبغي أن يخبر بما يظهر من الفتن من ذلك الوقت إلى قيام الساعة. (**إلا حدث به**) أي بذلك الشيء الكائن (**حفظه من حفظه**) أي المحدث به (**ونسيه من نسيه قد علمه**) أي هذا القيام أو هذا الكلام بطريق الإجمال (**أصحابي هؤلاء**) أي الموجودون من جملة الصحابة، لكن بعضهم لا يعلمونه مفصلاً لما وقع لهم بعض النسيان الذي هو من خواص الإنسان وأنا الآخر ممن نسي بعضه، وهذا معنى قوله: (**وإنه**) أي الشأن. وأبعد من قال إن الضمير لقوله: شيئاً. (**ليكون منه الشيء قد نسيته**) صفة لشيء واللام فيه زائدة واللام في ليكون مفتوحة على أنه جواب لقسم مقدر. والمعنى ليقع

الحديث رقم ٥٣٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٩٤. حديث رقم ٦٦٠٤. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٧. حديث رقم (٢٣ . ٢٨٩١). وأخرجه أبو داود ٤/ ٤٤١ حديث رقم ٤٢٤٠. والترمذي في السنن ٤/ ٤١٠ حديث رقم ٢١٩١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٦ حديث رقم ٤٠٥٣. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٥.

فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجلِ إذا غاب عنه، ثمَّ إذا رآه عرفه. متفق عليه.

٥٣٨٠ ـ (٢) وعنه، قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «تُعْرضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبِ أُشربها

شيء مما ذكره النبي ﷺ وقد نسيته. (فأراه فأذكره) أي فإذا عاينته تذكرت ما نسيته، والعدول من المضي إلى المضارع لاستحضار حكاية الحال. ثم شبه الموصوف بالمعاين فقال: (كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه) أي ثم ينساه (ثم إذا رآه عرفه. متفق عليه).

٥٣٨٠ ـ (وعنه) أي عن حذيفة (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض) بصيغة المجهول، أي توضع وتبسط. (الفتن) أي البلايا والمحن. وقيل العقائد الفاسدة والأهواء الكاسدة. (على القلوب) وقيل تعرض عليه، أي يظهر لها ويعرف ما يقبل منها وما يأباه وينفر منها من عرض العود على الإناء إذا وضعه عليه بعرضه. وقيل: هو من عرض الجند بين يدي السلطان لإظهارهم واختبار أحوالهم. (كالحصير) أي كما يبسط الحصير (عوداً عوداً) بضم عين ودال مهملة ونصبهما على الحال، أي ينسج الحصير حال كونه على هذا المنوال. وقال التوربشتي [رحمه الله]: قد رُوِيَ بالرفع وكذا نرويه عن كتاب مسلم وعلى هذا الوجه أورده صاحب المصابيح. والتقدير هو عود عود، ورواه آخرون بالنصب انتهى. فهو خبر مبتدأ مقدر، والتقدير ينسج عود عود فهو مفعول ما لم يسم فاعله. وفي نسخة: عوذاً عوذاً بفتح العين والذال المعجمة، أي نعوذ بالله من ذلك عوذاً بعد عوذ. قال النووي [رحمه الله]: هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه أظهرها وأشهرها ضم العين والدال المهملة، والثاني فتح العين والدال المهملة أيضاً، والثالث فتح العين والذال المعجمة. ومعنى تعرض، أي تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما تلصق الحصير بجنب النائم وتؤثر فيه بشدة التصاقها. ومعنى عوداً عوداً أي يعاد ويكرر شيئاً بعد شيء. قال ابن السراج [رحمه الله]: ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منهما كما يقال: غفراً غفراً، أي نسألك أن تعيذ[نا]من ذلك وأن تغفر لنا. وقال الخطابي: معناه تظهر على القلوب، أي تظهر لها فتنة بعد أخرى كما ينسج الحصير عوداً عوداً وشطية بعد أخرى. قال القاضي عياض: وعلى هذا تتوجه رواية العين وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد انتهى. فإذا كان الأمر كذلك (فأي قلب أشربها) بصيغة المفعول. يقال: أشرب في قلبه حبه، أي خالطه. فالمعنى خالط الفتن واختلط بها ودخلت فيه دخولاً تاماً ولزمها لزوماً كاملاً وحلت منه محل

الحديث رقم ٥٣٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٢٨ حديث رقم (٢٣١ . ١٤٤) وأحمد في المسند ٥/ ٤٠٥.

نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَتْ فيهِ نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصَّفا، فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسودُ مِرْبَاداً كالكوز، مجْخِيّاً لا يَعْرِفُ معروفاً ولا يُنكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه»

الشراب في نفوذ المسام وتنفيذ المرام. ومنه قول تعالى: ﴿**وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**﴾ [البقرة - ٩٣]أي حب العجل والإشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين شرب الآخر وكسي لوناً آخر. فالمعنى جعل متأثراً بالفتن بحيث يتداخل فيه حبها كما يتداخل الصبغ الثوب. (**نكتت**) بصيغة المجهول، أي نقطت وأثرت. (**فيه**) أي في قلبه (**نكتة سوداء**) وأصل النكت ضرب الأرض بقضيب فيؤثر فيها. (**وأي قلب أنكرها**) أي رد الفتن وامتنع من قبولها (**نكتت فيه نكتة بيضاء**) أي إن لم تكن فيه ابتداء وإلا فمعنى نكتت أثبتت[1] فيه ودامت واستمرت. (**حتى**) غاية للأمرين (**تصير**) بالفوقية وفي نسخة بالتحتية، أي تصير قلوب أهل ذلك الزمان أو يصير الإنسان باعتبار قلبه أو يصير قلبه. (**على قلبين**) أي نوعين أو صفتين (**أبيض**) بالرفع أي أحدهما أبيض (**مثل الصفا**) بالقصر، أي مثل الحجر المرمر الأملس من غاية البياض والصفا. وفي نسخة بفتحهما على أن الأوّل بدل البعض من قلبين والثاني على الحال منه، أي مماثلاً ومشابهاً للصفا في النور والبهاء. (**فلا تضره فتنة**) وظلمة وبلية (**ما دامت السموات والأرض**) لأنها قلوب صافية قد أنكرت تلك الفتن في ذلك الزمن فحفظها عنها بعد تلك الساعة إلى يوم القيامة. (**والآخر**) بالرفع وكذا قوله: (**اسود مرباداً**) بكسر الميم وبالدال المشددة من ارباد كاحمار، أي صار كلون الرماد من الربدة لون بين السواد والغبرة وهو حال أو منصوب على الذم (**كالكوز**) أي يشبه الآخر الكوز حال كونه (**مجخيّاً**) بضم ميم وسكون جيم وخاء مكسورة مشددة وقد تخفف وياء آخر الحروف. وفي النهاية ورُوِيَ بتقديم الخاء على الجيم، أي مائلاً منكوساً مشبهاً من هو خال من العلوم والمعارف بكوز مائل لا يثبت فيه شيء ولا يستقر، وهذا معنى قوله: (**لا يعرف**) أي هذا القلب (**معروفاً ولا ينكر منكراً**) والمعنى لا يبقى فيه عرفان ما هو معروف ولا إنكار ما هو منكر. (**إلا ما أشرب**) أي القلب (**من هواه**) أي فيتبعه طبعاً من غير ملاحظة كونه معروفاً أو منكراً شرعاً. هذا مجمل الكلام وتفصيله ما ذكره الشراح الكرام في هذا المقام، قال القاضي [رحمه الله]: أي حتى يصير جنس الإنس على قسمين قسم ذو قلب أبيض كالصفا وذو قلب أسود مربداً. قال المظهر: الضمير في يصير للقلوب أي تصير القلوب على نوعين أحدهما أبيض وثانيهما أسود. قال التوربشتي [رحمه الله]: الصفا الحجارة الصافية الملساء، وأريد به هنا النوع الذي صفا بياضه وعليه نبه بقوله: أبيض. وإنما ضرب المثل به لأن الأحجار إذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان ولم يدخلها لون آخر لا سيما النوع الذي ضرب به المثل فإنه أبداً على البياض الخالص الذي لا يشوبه كدرة. وإنما وصف القلب بالربدة لأنه أنكر ما يوجد من السواد بخلاف ما يشوبه صفاء وتعلوه طراوة من النوع الخالص. وفي شرح مسلم قال القاضي عياض [رحمه الله تعالى]: ليس

---

(١) في المخطوطة «أثيت».

رواه مسلم.

٥٣٨١ ـ (٣) وعنه، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ حديثينِ، رأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخر: حدَّثنا: «إنَّ الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة».

تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكنه صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وإن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء. وأما قوله: مرباداً فكذا هو في روايتنا وأصول بلادنا وهو منصوب على الحال. وذكر القاضي عياض [رحمه الله]خلافاً في ضبطه فإن منهم من ضبطه كما ذكرناه ومنهم من روى مربئد بهمزة مكسورة بعد الباء، وأصله أن لا يهمز ويكون مربداً مثل مسود ومحمر لأنه من أربد إلا على لغة من قال احمأر بهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين. فيقال أربأد فهو مربئد والدال مشددة على القولين. قال المظهر: قوله: إلا ما أشرب. يعني لا يعرف القلب إلا ما قيل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية. وقال الطيبي [رحمه الله]: ولعله أراد من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح، أي ليس فيه خير البتة إلا هذا وهذا ليس بخير فيلزم منه أن لا يكون فيه خير. **(رواه مسلم)**.

٥٣٨١ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة **(قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين)** أي في أمر الأمانة الحادثة في زمن الفتنة وبهذا يظهر وجه مناسبة ذكرهما في الباب. قال النووي [رحمه الله]: الأول حدثنا أن الأمانة نزلت إلى آخره، والثاني حدثنا عن رفعها. **(رأيت أحدهما)** وهو نزول الأمانة **(وأنا أنتظر الآخر)** وهو رفع الأمانة **(حدثنا)** وهو الحديث الأول **(إن الأمانة)** وهي الإيمان، ومنه قوله تعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة﴾** [الأحزاب ـ ٧٢]. وعبر عنه بها لأنها مدار أمر الديانة. **(نزلت في جذر قلوب الرجال)** بفتح الجيم ويكسر، أي أصل قلوبهم. قال شارح: جذر كل شيء أصله، أي أن الأمانة أول ما نزلت في قلوب رجال الله واستولت عليها فكانت هي الباعثة على الأخذ بالكتاب والسنة، وهذا هو المعنى بقوله: **(ثم علموا)** أي بنور الإيمان **(من القرآن)** أي مما يتلقون عنه ﷺ واجباً كان أو نفلاً حراماً أو مباحاً مأخوذاً من الكتاب أو الحديث. وقوله: **(ثم من السنة)** وفي نسخة صحيحة: ثم علموا من السنة. فيه إشارة إلى تأخير رتبة المأخوذ من الحديث بالنسبة إلى نص كلام القديم. قال النووي [رحمه الله]: الظاهر أن المراد بالأمانة التكليف الذي كلف الله تعالى بها عباده والعهد الذي أخذه عليهم. قال صاحب التقرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: **﴿إنا عرضنا الأمانة﴾**. وهي عين الإيمان انتهى. والظاهر أن المراد بالعهد في كلام النووي العهد الميثاقي

الحديث رقم ٥٣٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٣٣. حديث رقم ٦٤٩٧. ومسلم في صحيحه ١/ ١٢٦ حديث رقم (٢٣٠ ـ ١٤٣). والترمذي في السنن ٤/ ٤١١ حديث رقم ٢١٧٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٦ حديث رقم ٤٠٥٣. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٣.

وحدثنا عن رفعها قال: «ينامُ الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فَيظلُّ أثرها مثل أثر الوكْت، ثم ينامُ النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المَجْل كجمرٍ دَحْرَجْتَهُ على رجلِك، فَنفِطَ، فتراه منتبراً وليس فيه شيء»

وهو الإيمان الفطري، فذكر قول صاحب التقرير لبيان مزيد تحرير التقرير لا لأنه مخالف للظاهر على ما هو المتبادر، فإنه غير موافق لصدر الحديث السابق، وكذا ما يأتيه من ختم الحديث بقوله اللاحق حيث قال: وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، على أن الإيمان هو منع الأمانة. وأما قوله ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له[١]. فالمراد به نفي الكمال والله [تعالى] أعلم بالحال. **(وحدثنا)** وهو الحديث الثاني **(عن رفعها)** أي ارتفاع ثمرة الإيمان وانتقاصه فإنه سيكون بعد عصره في عصر الصحابة. **(قال: ينام الرجل النومة)** وهي [إما]على حقيقتها فما بعده أمر اضطراري، وأما النومة كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب السيئة الباعثة على نقص الأمانة ونقص الإيمان. **(فتقبض الأمانة)** أي بعضها كما يدل عليه ما بعده. والمعنى يقبض بعض ثمرة الإيمان. **(من قلبه فيظل)** بفتحات فتشديد لام، أي فيصير. **(أثرها)** أي أثر الأمانة وهو[٢] ثمرة الإيمان. **(مثل أثر الوكت)** بفتح الواو وإسكان الكاف وبالفوقية وهو الأثر اليسير كالنقطة في الشيء. **(ثم ينام النومة)** أي الأخرى **(فتقبض)** أي الأمانة أي بعض ما بقي منها. **(فيبقى)** معروفاً، وقيل مجهولاً **(أثرها مثل أثر المجل)** بفتح الميم وسكون الجيم وتفتح، وهو أثر العمل في اليد. **(كجمر)** أي تأثيراً كتأثير[٣] جمر. وقال شارح: أبدل من مثل أثر المجل أي يكون أثرها في القلب كأثر جمر، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هو يعني أثر المجل كجمر. **(دحرجته)** أي قلبته ودورته **(على رجلك فنفط)** بكسر الفاء ذكر الضمير فيه، وكذا قوله: **(فتراه منتبراً)** بكسر الموحدة أي منتفخاً مع أن الرجل مؤنث سماعي على إرادة الموضع المدحرج عليه الجمر، ومنه قول عمر رضي الله [تعالى]عنه: إياكم والتخلل بالقصب فإن الفم ينتبر منه، أي يرم وينتفط. قيل: المعنى يخيل إليك أن الرجل ذو أمانة وهو في ذلك بمثابة نقطة تراها منتفطة مرتفعة كبيرة لا طائل تحتها. وفي الفائق الفرق بين الوكت والمجل، أن الوكت النقطة في الشيء من غير لونه، والمجل غلظ الجلد من العمل لا غير. ويدل عليه قوله: فتراه منتبراً. **(وليس فيه شيء)** أي صالح بل ماء فاسد. وفي شرح مسلم قال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلب شيئاً فشيئاً فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها. ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى النفط. وإنما ذكر نفط ولم يقل نفطت اعتباراً بالعضو انتهى. وقال شارح من علمائنا: يريد أن الأمانة ترفع عن القلوب عقوبة لأصحابها على

(١) أحمد في المسند ٣/ ٢١٠.

(٢) في المخطوطة «وهي».

(٣) في المخطوطة «كأثر».

ويصبحُ الناسُ يتبايعونَ ولا يكاد أحدٌ يؤدِّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبِهِ مثقالُ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ من إيمان». متفق عليه.

٥٣٨٢ ـ (٤) وعنه، قال: كانَ الناسُ

ما اجترحوا من الذنوب حتى إذا استيقظوا من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه ويبقى فيه أثر تارة مثل الوكت وتارة مثل المجل، وهو انتفاط اليد من العمل والمجل وإن كان مصدراً، إلا أن المراد به ههنا نفس النفطة وهذا أقل من المرة الأولى لأنه شبهها بالمجوف بخلاف المرة الأولى أراد به خلو القلب عن الأمانة مع بقاء أثرها من طريق الحساب. **(ويصبح الناس)** أي يدخلون في الصباح أو يصيرون **(يتبايعون)** أي يجري بينهم التبايع ويقع عندهم التعاهد **(ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة)** بل يظهر من كل أحد منهم الخيانة في المبايعة والمواعدة والمعاهدة[1]. ومن المعلوم أن حفظ الأمانة أثر كمال الإيمان فإذا نقص الأمانة نقص الإيمان وبطل الإيقان وزال الإحسان. **(فيقال:)** أي من غاية قلة الأمانة في الناس. **(إن في بني فلان رجلاً أميناً)** أي كامل الإيمان وكامل الأمانة **(ويقال)** أي في ذلك الزمان **(للرجل:)** أي من أرباب الدنيا ممن له عقل في تحصيل المال والجاه وطبع في الشعر والنثر وفصاحة وبلاغة وصباحة وقوة بدنية وشجاعة وشوكة. **(ما أعقله وما أظرفه وما أجلده)** تعجباً من كماله واستغراباً من مقاله واستبعاداً من جماله. وحاصله أنهم يمدحونه بكثرة العقل والظرافة والجلادة ويتعجبون منه ولا يمدحون أحداً بكثرة العلم النافع وصلاح العمل الصالح. **(وما في قلبه)** حال من الرجل والحال أنه ليس في قلبه. **(مثقال حبة)** أي مقدار شيء قليل **(من خردل)** من بيانية لحبة أي هي خردل. **(من إيمان)** أي كائناً منه. وهو يحتمل أن يكون المراد منه نفي أصل الإيمان أو كماله والله [تعالى] أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: لعله إنما حملهم على تفسير الأمانة في قوله: إن الأمانة نزلت بالإيمان لقوله آخراً: وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فهلا حملوها على حقيقتها لقوله: ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيكون وضع الإيمان آخراً موضعها تفخيماً لشأنها وحثاً على أدائها. قال ﷺ: لا دين لمن لا أمانة[2] له. قلت: إنما حملهم عليه ما ذكر آخراً وما صدر أولاً من قوله: نزلت في جذر قلوب الرجال، فإن نزول الأمانة بمعنى الإيمان هو المناسب لأصل قلوب المؤمنين، ثم يعلمون إيقانه واتقانهم بتتبع الكتاب والسنة. وأما الأمانة فهي جزئية من كلية ما يتعلق بالإيمان والقرآن والله سبحانه [وتعالى]أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٣٨٢ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه **(قال: كان الناس)** أي أكثرهم

---

(١) في المخطوطة زيادة كلمة «والمعابرة».

الحديث رقم ٥٣٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٥. حديث رقم ٣٦٠٦. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٧٥ حديث رقم (٥١ ـ ١٨٤٧). وابن ماجه ٢/ ١٣١٧ حديث رقم ٣٩٧٩.

يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قال: قلتُ: يا رسول الله! إنا كنَّا في جاهليّةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍ؟ قال: «نعم». قلتُ: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخنٌ». قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَستنُّون بغير سنتي، ويهدون بغير هَدْيي، تعرفُ منهم وتُنكر».

(يسألون رسول الله ﷺ عن الخير) أي عن الطاعة ليمتثلوها أو عن السعة والرخاء ليفرحوا به ويستعينوا بالدنيا على الأخرى **(وكنت أسأله عن الشر)** أي عن المعصية أو الفتنة المترتبة على التوسعة. **(مخافة أن يدركني)** أي خشية أن يلحقني الشر نفسه أو بسببه. وهذا الطريق هو مختار الحكماء وكثير من الفضلاء أن رعاية الاحتماء أولى في دفع الداء من استعمال الدواء، وأن التخلية مقدمة على التحلية. وفي كلمة التوحيد إشارة إلى ذلك حيث نفي السوي ثم أثبت المولى، بل مدار جل معرفة الله [سبحانه]على النعوت التنزيهية كقوله تعالى [جلَّ جلاله]: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى ـ ١١]. دون الصفات الثبوتية لظهور وجودها في خالق الأشياء بالضرورة العقلية. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: المراد بالشر الفتنة ووهن عرى الإسلام واستيلاء الضلالة وفشو البدعة، والخير عكسه يدل عليه ما نقله الراوي عنه. **(قال: قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية)** أي أيام غلب فيها الجهل بالتوحيد والنبوة وما يتبعهما من سائر أحكام الشريعة. فقوله: **(وشر)** عطف تفسيري أو المعني به الكفر فهو تخصيص بعد تعميم. **(فجاءنا الله بهذا الخير)** أي الخير العظيم وهو الإسلام ببركة بعثتك. ومفهومه أنه ذهب بالشر عنا بهدم قواعد الكفر والضلال ولعله حذف وجعل من باب الاكتفاء لا سيما وهما ضدان لا يجتمعان. **(فهل بعد هذا الخير)** أي الثابت **(من شر)** أي من حدوث بعض شر **(قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير. قال: نعم وفيه دخن)** بفتحتين، أي كدورة إلى سواد. والمراد أن لا يكون خيراً صفواً بحتاً بل يكون مشوباً بكدورة وظلمة. **(قلت: وما دخنه. قال: قوم يستنون)** بتشديد النون الأولى، أي يقتدون. **(بغير سنتي ويهدون)** أي يدلون الناس **(بغير هديي)** أي بغير طريقتي ويتخذون سيرة غير سيرتي. **(تعرف منهم وتنكر)** قال المظهر: أي ترى فيهم ما تعرفه أنه من ديني وترى أيضاً ما تنكر أنه ديني. قال الأشرف: يعرف منهم المنكر بأن يصدر المنكر عنهم، وتنكر هو خبر بمعنى الأمر، أي أنكر عليهم صدور المنكر عنهم. قال الطيبي [رحمه الله]: الوجه الأول راجع إلى معنى قوله: نعم. وفيه دخن، أي تعرف فيهم الخير فتقبل والشر فتنكر فهو من المقابلة المعنوية، والوجه الثاني راجع إلى معنى قوله: يستنون بغير سنتي. فالوجه أن يكون المعطوف والمعطوف عليه كلاهما في معنى الأمر، أي اعرف منهم ذلك وأنكر والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام. أقول: وفيه نظر لا يخفى، إذ ليس كل أحد له قابلية معرفة المعروف وإنكار المنكر فالخطاب خاص لحذيفة وأمثاله من أهل العلم والديانة. قيل: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت عند قتل عثمان رضي الله [تعالى] عنه وما بعده، وبالخبر الثاني ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز [رضي الله عنه]وبالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل ومنهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور، [أو]ومنهم من يعمل بالمعروف تارة ويعمل بالمنكر أخرى بحسب ما

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم؛ دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفُوه فيها». قلت: يا رسول الله! صِفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إِن أدركني ذلك؟ قال: «تلزمُ جماعةَ المسلمين وإِمامهم». قلت: فإِنْ لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إِمام؟ قال: «فاعتزلْ تلك الفِرقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ

يقع لهم من تتبع الهوى وتحصيل غرضهم من أمور الدنيا، لا أنهم يريدون تحري الأحرى ورعاية الدار الأخرى كما عليه بعض أمراء زماننا. وقيل: المراد من الشر الأول فتنة عثمان [رضي الله عنه]وما بعده، وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن مع معاوية والإجماع عليه، وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج.
(قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر. قال: نعم دعاة) جمع داع **(على أبواب جهنم)** قال الأشرف: أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس ومن الخير إلى الشر ومن السنة إلى البدعة ومن الزهد إلى الرغبة. جعل النبي ﷺ دعوة الدعاء وإجابة المدعوين سبباً لإدخالهم إياهم في جهنم ودخولهم فيها، وجعل كل نوع من أنواع التلبيس بمنزل باب من أبواب جهنم. **(من أجابهم)** أي الدعاة **(إليها)** أي إلى جهنم يعني إلى الضلالة المؤدية إليها **(قذفوه فيها)** أي رموه وصاروا سبباً لقذفه في جهنم. قيل: المراد بالدعاة من قام في طلب الملك من الخوارج والروافض وغيرهما ممن لم يوجد فيهم شروط الإمارة والإمامة والولاية، وجعلوا دعاة على أبواب جهنم باعتبار المآل نحو قوله تعالى: **﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾** [النساء ـ ١٠]. وقيل: هو كقوله تعالى: **﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾** [الانفطار ـ ١٤]. فكأنهم[1] كائنون على أبواب جهنم داعين الناس إلى الدخول في ضيافتهم، أو لأن المباشر بسبب شيء فكأنه واقع به داخل فيه. **(قلت: يا رسول الله صفهم لنا)** أي أنهم منا أو من غيرنا **(قال: هم من جلدتنا)** أي من أنفسنا وعشيرتنا كذا في النهاية. وقيل: معناه من أهل ملتنا ذكره الأشرف وهو الألطف. وقيل: من أبناء جنسنا وفيه أن الجلدة أخص من الجلد وجلد الشيء ظاهره، وهو في الأصل غشاء البدن. **(ويتكلمون بألسنتنا)** أي بالعربية أو بالمواعظ والحكم أو بما قال الله وقال رسوله وما في قلوبهم شيء من الخير. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. **(قلت: فما تأمرني)** أي أن أفعل به فيهم **(إن أدركني ذلك)** أي ذلك الزمان **(قال: تلزم جماعة المسلمين)** أي طريقتهم وحضور جمعتهم وجماعتهم **(وإمامهم)** أي ورعاية إمامهم ومتابعتهم ومساعدتهم.
(قلت: فإن لم تكن لهم جماعة) أي متفقة **(ولا إمام)** أي أمير يجتمعون عليه وهو يحتمل فقدهما أو فقد أحدهما: **(قال: فاعتزل تلك الفرق كلها)** أي الفرق الضالة الواقعة على خلاف الجادة من طريق أهل السنة والجماعة. **(ولو أن تعض بأصل شجرة)** أي ولو كان الاعتزال بالعض. وأن مصدرية وتعض منصوب في النسخ المصححة والأصول المعتمدة. وقيل إن

---

(١) في المخطوطة «فهم».

حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك». متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم: قال: «يكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسنتي، وسيقومُ فيهم رجالٌ، قلوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثمان إنس». قال حذيفة: قلت: كيفَ أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: تَسْمَعُ وتطيعُ الأمير، وإن ضُرِب ظهرك وأخِذَ مالك فاسمع وأطع».

مخففه من المثقلة. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي تمسك بما يصبرك وتقوى به على اعتزالك ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكاً. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا شرط يعقب به الكلام تتميماً ومبالغة أي اعتزل الناس اعتزالاً لا غاية بعده ولو قنعت فيه بعض أصل الشجر افعل فإنه خير لك. **(حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)** أي على ما ذكرت من الاعتزال أو العض أو الخير. **(متفق عليه. وفي رواية لمسلم)** قال ميرك: أخرج مسلم هذه الرواية عقب الحديث المتقدم من حديث أبي سلام عن حذيفة، وذكر الدارقطني أن أبا سلام لم يسمع من حذيفة ولذا قال فيه: قال حذيفة: فيكون الحديث منقطعاً. وقال بعض الحفاظ إنما لم يخرج البخاري لأبي سلام شيئاً في صحيحه لأن رواياته مرسلة. اهـ. وأبو سلام اسمه ممطر الأسود الحبشي. وقال النووي [رحمه الله]: ما قاله الدارقطني صحيح ولكن المتن صح بالطريق الأوّل وإنما أتى مسلم بها متابعة، فإن المرسل إذا أتى من طريق آخر تبين به صحة المرسل وجاز به الاحتجاج ويصير في المسألة حديثان صحيحان والله [تعالى]أعلم. أقول: هذا الإشكال إنما هو على قول الشافعي ومن تبعه من أن المرسل ليس بحجة، وأما على قول الجمهور بأنه حجة ومعهم أبو حنيفة [رحمه الله]عنه فلا شبهة فيه. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(يكون بعدي أئمة)** بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإبدالها جمع إمام على أن أصله أئمة على وزن أفعلة، أي جماعة يطلق عليهم الأئمة. **(لا يهتدون بهداي)** أي من حيث العلم **(ولا يستنون بسنتي)** أي من حيث العمل. والمعنى أنهم لا يأخذون بالكتاب والسنة. **(وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين)** أي كقلوبهم في الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس والآراء الكاسدة والأهواء الفاسدة. **(في جثمان أنس)** بضم الجيم، أي في جسده. والمراد به جنس الإنس فيطابق الجمع السابق. **(قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك)** أي ذلك الوقت أو ما ذكر من أهل الزمان. **(قال: تسمع)** أي ما يأمرك الأمير، خبر بمعنى الأمر وكذا قوله: **(وتطيع)** فيما لا معصية فيه **(الأمير)** مفعول تنازع فيه الفعلان. **(وإن ضرب ظهرك)** بصيغة المجهول، أي ولو ضربت. **(وأخذ مالك)** وفي نسخة بصيغة المعلوم فيهما ففيهما ضمير للأمير والإسناد حقيقي أو مجازي، وتخصيص الظهر لبيان الواقع غالباً. وقوله: **(فاسمع وأطع)** جزاء الشرط أتى لمزيد تقرير واهتمام تحرير بشأنه، وإلا فما قبل الشرط أغنى عنه. قال ابن الملك: إلا إذا[1] أمرك بإثم فلا تطعه لكن لا تقاتل بل فر منه.

---

(١) في المخطوطة «إن».

٥٣٨٣ ـ (٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فِتناً كقطع الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويُمْسي كافِراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا». رواه مسلم.

٥٣٨٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا)** أي سابقوا وسارعوا **(بالأعمال)** أي بالاشتغال بالأعمال الصالحة **(فتناً)** أي وقوع فتن **(كقطع الليل المظلم)** بكسرالقاف وفتح الطاء جمع قطعة. والمعنى كقطع من الليل المظلم لفرط سوادها وظلمتها وعدم تبين الصلاح والفساد فيها. وفيه إيماء إلى أن أهل هذه الفتن ما قال تعالى في حقهم: **﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلما﴾** [يونس ـ ٢٧]. وقد قرأ ابن كثير والكسائي في الآية بسكون الطاء على أن المراد به جزء من الليل أو من سواده، ويرادفه قطعة، وحاصل المعنى تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين فإنكم لا تطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها. والمراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث إنه بشيع فظيع ولا يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها، فالمبادرة المسارعة بإدراك الشيء قبل فواته أو يدفعه قبل وقوعه. **(يصبح الرجل مؤمناً)** أي موصوفاً بأصل الإيمان أو بكماله. **(ويمسي كافراً)** أي حقيقة، أو كافراً للنعمة أو مشابهاً للكفرة أو عاملاً عمل الكافر. **(ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً)** وقيل: المعنى يصبح محرماً ما حرمه الله ويمسي مستحلاً إياه وبالعكس. وحاصلة التذبذب في أمر الدين والتتبع لأمر الدنيا كما بينه بقوله: **(يبيع)** أي الرجل أو أحدهم كما في الجامع **(دينه)** أي بتركه **(بعرض)** بفتحتين، أي بأخذ متاع دنيء وثمن رديء. **(من الدنيا)** زاد في الجامع: قليل بالجر على أنه صفة عرض. وقد روى ابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم[(١)]. فقوله: يصبح، استئناف لبيان بعض الفتن في ذلك الزمن. وقال الطيبي [رحمه الله]: استئناف بيان الحال المشبه وهو قوله: فتناً. وقوله: يبيع الخ. بيان للبيان. قال المظهر: فيه وجوه أحدها أن يكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب فيستحلون الدم والمال، وثانيها أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق، ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوها، وثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها والله [تعالى] أعلم. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد والترمذي. وروى البيهقي عن أبي أمامة مرفوعاً: بادروا بالأعمال [هرماً فاغضاً وموتاً خالساً ومرضاً حابساً

الحديث رقم ٥٣٨٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١١٠ حديث رقم (١٨٦ . ١١٨). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٥٧ حديث رقم ٤٢٥٩. والترمذي في السنن ٤/ ٤٢٢ حديث رقم ٢١٩٥. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٥. حديث رقم ٣٩٥٤. وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٤.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٤.

٥٣٨٤ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فِتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ

وتسويفاً مسيئاً[١]. وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً]: بادروا بالأعمال سبعاً، ما تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسدا أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال، فإنه شر منتظر أو الساعة، والساعة أدهى وأمر[٢]. وروى الطبراني عن عابس الغفاري مرفوعاً: بادروا بالأعمال ستاً، أمارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافاً بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقهاً[٣].

٥٣٨٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن)** أي عظيمة أو كثيرة متعاقبة متوالية أو متراخية **(القاعد فيها)** أي في تلك الفتن **(خير من القائم)** لأنه يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه القاعد، فيكون أقرب من عذاب تلك الفتنة بمشاهدته ما لا يشاهده القاعد. ويمكن أن يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحرك لما يقع من الفتنة في زمانه، والمراد بالقائم ما يكون فيه نوع باعث وداعية لكنه متردد في إثارة الفتنة. **(والقائم فيها)** أي من بعيد متشرف عليها، أو القائم بمكانه في تلك الحالة. **(خير من الماشي)** أي من الذاهب على رجله إليها. **(والماشي [فيها])** أي إليها أو فيما بينها **(خير من الساعي)** أي من المسرع إليها ماشياً أو راكباً **(من تشرف لها)** بتشديد الراء، أي من نظر إليها **(تستشرفه)** بالجزم ويرفع، أي تطلبه وتجذبه إليها. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها والتشرف التطلع واستعير هنا للإصابة بشرها، أو أريد به أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها. وقيل: إنه من استشرفت الشيء أي علوته، يريد من انتصب لها انتصبت له وصرعته. وقيل: هو من المخاطرة والإشفاء على الهلاك، [أي]من خاطر بنفسه فيها أهلكته. قال الطيبي [رحمه الله]: ولعل الوجه الثالث أولى لما يظهر منه معنى اللام في لها وعليه كلام الفائق وهو قوله: أي من غالبها غلبته. قلت: ولعل الوجه الأوّل أولى لما فيه من رعاية المعنى المفهوم منه المبالغة المفيدة للاحتراس واختيار الأخرى النافع في الدنيا والأخرى. قال شارح: تشرف واستشرف، أي صعد شرفاً أي مرتفعاً لينظر إلى شيء، هذا هو الأصل. ثم استعملا في النظر إلى أي شيء في أي مكان كان يعني من قرب من تلك الفتن ونظر إليها نظرت إليه الفتن. **(وتجره إلى نفسها)** فالخلاص في التباعد منها والهلاك في مقاربتها. **(فمن وجد ملجأً)** أي

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٥٧٤.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/٥١٦ ولفظه «بادروا ستاً».

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/١٨٧ حديث رقم ٣١٢٠.

الحديث رقم ٥٣٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٦١٢. ٧٠ حديث رقم ٣٦٠١. ومسلم في صحيحه ٤/٢٢١٢ حديث رقم (١٠ . ٢٨٨٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٢١ حديث رقم ٢١٩٤ وأحمد في المسند ٢/٢٨٢.

أو معاذاً فليَعُذْ بِهِ». متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم، قال: «تكون فتنةٌ، النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظانُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعي، فمن وجد ملجأً أو معاذاً فَلْيَسْتَعِذْ بِهِ».

٥٣٨٥ ـ (٧) وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنّها ستكون فتنٌ، أَلا ثم تكون فِتنٌ، ألا ثمّ تكونُ فتنةٌ، القاعدُ خير من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، أَلا فإذا وقعت فمن كان له إِبل فليَلحق بإِبله، ومن كان له غَنمٌ فَلْيَلْحَقْ بغنمه، ومن كانت له أرضٌ

مناصاً ومفراً ومهرباً (أو معاذاً) بفتح الميم، أي موضعاً أو شخصاً ملاذاً يتخلص بالذهاب إليه وبالعياذ به من الفتن. (فليعذ) بضم العين، أي فليستعذ (به) أي بالمعاذ أو بما ذكر من الملجأ والمعاذ، أي فليذهب إليهما. (متفق عليه) ورواه أحمد (وفي رواية لمسلم [رحمه الله]قال: تكون فتنة) أي عظيمة (النائم فيها خير من اليقظان) بسكون القاف، أي المنتبه لعدم شعور النائم عنها. وفي معناه الغافل ولو كان يقظان. فالمراد باليقظان هو العالم بالفتنة سواء كان[1] مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً. (واليقظان) أي مضطجعاً، أو جالساً (خير من القائم) أي لتطلعه وإشرافه، أو لأن فيه نوع حركة. (والقائم فيها) أي لتوقفه في مكانه (خير من الساعي) أي مشياً أو ركوباً إليها (فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليستعذ به) وفي الجامع روى الحاكم عن خالد بن عرفطة: ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل[2].

٥٣٨٥ ـ (وعن أبي بكرة) أي الثقفي (قال: قال رسول الله ﷺ: إنها) أي القصة (ستكون) أي ستوجد وتحدث وتقع (فتن، ألا) للتنبيه (ثم تكون فتنة) أي عظيمة، وفي بعض النسخ المصححة: ألا ثم تكون فتن. بصيغة الجمع ثم بعده: ألا ثم تكون فتنة. بصيغة الوحدة. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه ثلاث مبالغات، أقحم حرف التنبيه بين [المعطوف][و]المعطوف عليه لمزيد التنبه لها وعطف بثم لتراخي مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيهاً على عظمها، وهو لها على أنه من عطف الخاص على العام لاختصاصها بما يفارقها من سائر أشكالها وأنها كالداهية الدهياء نسأل الله العافية منها بفضله وعميم طوله. (القاعد فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي إليها) أي يجعلها غاية سعيه ومنتهى غرضه لا يرى مطلباً غيرها، ولام الغرض وإلى الغاية متقاربان معنى فحينئذ يستقيم التدرج والترقي من الماشي فيها إلى الساعي إليها. (ألا) للتنبيه زيادة للتأكيد. (فإذا وقعت) أي الفتن أو تلك الفتنة (فمن كان له إبل) أي في البرية (فليلحق بإبله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض) أي عقار أو مزرعة بعيدة عن

---

(١) في المخطوطة «يكون».

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٨ حديث رقم ٤٦٧٩. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٨١.

الحديث رقم ٥٣٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٢ حديث رقم (١٢ . ٢٨٨٦). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٨ حديث رقم ٣٩٥٨. وأحمد في المسند ٥/ ٤٨.

فَلْيَلْحَقْ بِأرضه». فقال رجلٌ: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمِد إلى سيفه فيدق على حدِّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلّغت؟» ثلاثاً، فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أُكرِهت حتى يُنطَلَقَ بي إلى أحد الصَّفين، فضربني رجلٌ بسيفه أو يجيء سهمٌ فيقتلني؟ قال: «يَبُوءُ بإثمه وإثمك، ويكونُ من أصحاب النار»

الخلق (فليلحق بأرضه) فإن الاعتزال والاشتغال بخويصة الحال حينئذ واجب لوقوع عموم الفتنة العمياء بين الرجال كما قال الشاعر:

إن السـلامـة مـن لـيـلـى وجـارتـهـا أن لا تـمـر عـلـى حـال بـواديـهـا

(فقال رجل: يا رسول الله أرأيت) أي أخبرني **(من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض)** أي فأين يذهب أو كيف يفعل **(قال: يعمد)** بكسر الميم، أي يقصد. **(إلى سيفه)** أي إن كان له **(فيدق على حده)** أي فيضرب على جانب سيفه الحاد **(بحجر)** والمعنى فليكسر سلاحه كيلا يذهب به إلى الحرب، لأن تلك الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضورها. **(ثم لينج)** بكسر اللام ويسكن وبفتح الياء وسكون النون وضم الجيم، أي ليفر ويسرع هرباً حتى لا تصيبه الفتن. **(إن استطاع النجاء)** بفتح النون والمد، أي الإسراع. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ليعمد الخ، عبارة عن تجرده تجرداً تاماً كأنه قيل: من لم يكن له ما يشتغل به من مهامه فلينج برأسه. اهـ. والظاهر أنه حمل قوله: فلينج. على أنه أمر من النجاة وليس كذلك كما يدل عليه قوله: إن استطاع النجاء، حيث لم يقل: إن استطاع النجاة، اللهم إلا أن يراد به حاصل المعنى مع قطع النظر عن المادة والمبنى والله [تعالى]أعلم. **(اللهم)** أي قال ﷺ بعد ذكر هذه الفتن والتحذير عن الوقوع في محن ذلك الزمن اللهم، أي يا الله. **(هل بلغت)** أي قد بلغت إلى عبادك ما أمرتني به أن أبلغه إياهم. **(ثلاثاً)** مصدر للفعل المقدر أي قاله ثلاث مرات. **(فقال رجل: يا رسول الله أرأيت)** أي أخبرني **(إن أكرهت)** أي أخذت بالكره وأجبرت **(حتى ينطلق)** بصيغة المجهول، أي يذهب. **(بي إلى أحد الصفين)** [أي صفي المتخاصمين]**(فضربني رجل بسيفه، أو)** للتنويع **(يجيء سهم)** بصيغة المضارع عطفاً على الماضي **(فيقتلني)** الظاهر أنه تفريع على الأخير والإسناد مجازي، ويحتمل أن يشتمل أيضاً على الأول فتأمل. والمعنى فما حكم القاتل والمقتول **(قال: يبوء)** أي يرجع القاتل، وقيل: المكره. **(بإثمه)** أي بعقوبة ما فعله من قبل عموماً **(وإثمك)** أي وبعقوبة قتلك إياه خصوصاً. أو المراد بإثمه قصده القتل وبإثمك لو مددت يدك إليه. أو المراد بإثمك سيئاتك التي فعلتها بأن توضع في رقبة القاتل بعد فقد حسناته على ما ورد. **(ويكون)** أي هو **(من أصحاب النار)** قال تعالى: ﴿**وذلك جزاء الظالمين**﴾ [المائدة - ٢٩، الحشر - ١٧]. وإنما لم يقل: وأنت من أصحاب الجنة، وإن كان هذا هو المفهوم منه وترك للاكتفاء احتياطاً لتبادر الفهم إلى الخطاب المعين، لا المفروض المقدر المراد به الخطاب العام على طريق الإبهام، ثم الحكم مقتبس من قوله تعالى: ﴿**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق**﴾ [المائدة - ٢٧]. الخ. وقد قال ﷺ: كن خير ابني آدم. وفي رواية: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. قال الطيبي [رحمه الله]: يبوء الخ. فيه وجهان

رواه مسلم.

٥٣٨٦ ـ (٨) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكونَ خيرَ مالِ المسلمِ غنمٌ يتبع بها شعَفَ الجبال ومواقع القطر، يَفِرُّ بدينِه من الفِتَنِ». رواه البخاري.

٥٣٨٧ ـ (٩) وعن أسامة بن زيد، قال: أشرف النبيُّ ﷺ على أُطُم من آطام المدينةِ، فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «فإني لأرى الفتنَ تقعُ خِلال بيوتكم كوقع المطَر».

أحدهما: أراد بمثل إثمك على الإتساع أي يرجع بإثمه ومثل إثمك المقدر لو قتلته، وثانيهما أراد بمثل قتلك على حذف المضاف وإثمه السابق على القتل. **(رواه مسلم)**.

٥٣٨٦ ـ **(وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك)** أي يقرب **(أن يكون خير مال المسلم)** بالنصب **(غنم)** أي قطعة من الغنم. [قال الطيبي رحمه الله: غنم]نكرة موصوفة وهو اسم يكون والخبر قوله: خير مال، معروف فلا يجوز. اللهم إلا أن يراد بالمسلم الجنس فلا يعتبر فيه حينئذ. وفائدة التقديم أن المطلوب حينئذ الاعتزال وتحري الخير بأي وجه كان. اهـ. وقيل: يجوز رفع خير وغنم على الابتداء والخبر وفي يكون ضمير الشأن، كذا في المفاتيح. **(يتبع)** بتشديد التاء وفي بعض النسخ بسكونها وفتح الموحدة، أي يتتبع. **(بها)** أي مع الغنم أو بسببها **(شعف الجبال)** بفتح الشين والعين أي رؤوس الجبال أو أعاليها، وأحدها شعفة. **(ومواقع القطر)** بفتح فسكون، أي مواضع المطر وآثاره من النبات وأوراق الشجر يريد بها المرعى من الصحراء والجبال، فهو تعميم بعد تخصيص. وفي تقديم شعف الجبال إشعار بالمبالغة في فضيلة الاعتزال عن الخلق في تلك الحال. **(يفر بدينه)** أي بسبب حفظه من الفتن أي المحن الدينية، أو يهرب. **(من الفتن)** الدنيوية مصحوباً بدينه ليتخلص بإقامته هناك عنها **(رواه البخاري)**.

٥٣٨٧ ـ **(وعن أسامة بن زيد)** صحابيان رضي الله عنهما **(قال: أشرف النبي ﷺ)** أي اطلع **(على أطم)** بضمتين، أي شاهق جبل أو حصن أو بناء مرتفع. **(من آطام المدينة)** بمد أوله، جمع الأطم. **(فقال: هل ترون ما أرى)** أي من الأشياء الظاهرة منه المرتفعة عنه **(قالوا: لا. قال: فإني لأرى الفتن تقع)** أي منه **(خلال بيوتكم)** أي وسطها **(كوقع المطر)** والمعنى أن الله تعالى أرى نبيه ﷺ حين رأى ذلك الأطم أو حين صعده اقتراب الفتن ليخبر بها أمته فيكونوا

الحديث رقم ٥٣٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٦٩. حديث رقم ١٩. وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦١ حديث رقم ٤٢٦٧. والنسائي ٨/ ١٢٣ حديث رقم ٥٠٣٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٧ حديث رقم ٣٩٨٠. وأحمد في المسند ٢/ ٦.

الحديث رقم ٥٣٨٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٤. حديث رقم ١٨٧٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١١ حديث رقم (٩ . ٢٨٨٥). وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٠.

متفق عليه.

٥٣٨٨ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هَلكةُ أمتي على يَدَي غِلْمةٍ مِنْ قُرَيشٍ» رواه البخاري.

٥٣٨٩ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتقاربُ الزمانُ، ويُقبضُ العلم، وتَظهَرُ الفِتنُ،

على حذر ويعرفوا أنها من قدر ويعدوا معرفتها من معجزاته ﷺ. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: تقع، يحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً، والأقرب إلى الذوق أن يكون حالاً والرؤية بمعنى النظر، أي كشف لي فأبصرها عياناً. **(متفق عليه)** وفي الجامع برواية أحمد والشيخين عن أسامة بلفظ: هل ترى ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر[(١)].

٥٣٨٨ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هلكة أمتي)** بفتح الهاء واللام أي هلاكهم. والمراد بالأمة [هنا]الصحابة لأنهم خيار الأمة وأكابر الأئمة. **(على يدي)** تثنية مضافة إلى **(غلمة [من قريش])** بكسر الغين جمع غلام، أي على أيدي الشبان الذين ما وصلوا إلى مرتبة كمال العقل والأحداث السن الذين لا مبالاة لهم بأصحاب الوقار وأرباب النهي. والظاهر أن المراد ما وقع بين عثمان رضي الله [تعالى]عنه وقتلته وبين علي والحسين رضي الله تعالى عنهما ومن قاتلهم. وقال المظهر: لعله أراد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما. **(رواه البخاري)** ولفظ الجامع: هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش. رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة[(٢)].

٥٣٨٩ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يتقارب الزمان)** أي زمان الدنيا وزمان الآخرة فيكون المراد اقتراب الساعة. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد به اقتراب الساعة. ويحتمل أنه أراد بذلك تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض في الشر، أو تقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوله آخره. وقيل بقصر أعمار أهله. اهـ. ويحتمل أن يكون كناية عن قلة بركة الزمان من كثرة العصيان. وقال القاضي: يحتمل أن يكون المراد به أن يتسارع الدول إلى الانقضاء والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم ويتدانى إبانهم. **(ويقبض العلم)** أي في ذلك الزمان يقبض العلماء الأعيان **(وتظهر الفتن)** أي ويترتب عليها المحن **(ويلقى الشح)** في قلوب أهله أي على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه والصانع

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٦٩ ولفظه ٥٩٨٩ ولفظه «هل ترون».

الحديث رقم ٥٣٨٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٢. حديث رقم ٣٦٠٥. وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٨.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٦٩ حديث رقم ٩٥٩٣.

الحديث رقم ٥٣٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨٢. حديث رقم ٨٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٧ حديث رقم (١١ . ١٥٧) وأبو داود في السنن ٤/ ٤٥٤ حديث رقم ٤٢٥٥. وابن ماجه ٢/ ١٣٤٥ حديث رقم ٤٠٥٢. وأحمد في المسند ١/ ٤٠٢.

ويُلْقَى الشحُّ، ويَكْثُر الهَرْج» قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتلُ». متفق عليه.

٥٣٩٠ ـ (١٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهبُ الدنيا حتى يأتي على الناس يومٌ لا يدري القاتلُ فيم قَتَل؟ ولا المقتولُ فيم قُتِل؟» فقيل: كيف يكونُ ذلك؟ قال: «الهَرْجُ، القاتِلُ والمقتول في النار». رواه مسلم.

٥٣٩١ ـ (١٣) وعن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرةٍ إليّ».

بصنعته والغني بماله. وليس المراد وجود أصل الشح لأنه موجود في جبلة الإنسان إلا من حفظه الله ولذا قال تعالى: **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** [الحشر ـ ٩، التغابن ـ ١٦]. **(ويكثر الهرج)** بفتح الهاء وسكون الراء وبالجيم **(قالوا: وما الهرج. قال: القتل)** في القاموس: هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. اهـ. فعلم أن المراد بالهرج قتل خاص وهو الممزوج بالفتنة والاختلاط، فاللام فيه للعهد. **(متفق عليه)**.

٥٣٩٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا)** أي جميعها **(حتى يأتي على الناس يوم)** أي يوم عظيم فيه شر جسيم **(لا يدري القاتل فيم قتل)** أي المقتول هل يجوز قتله أم لا **(ولا المقتول)** أي نفسه أو أهله **(فيم قتل)** هل بسبب شرعي أو بغيره كما كثر النوعان في زماننا **(فقيل: كيف يكون ذلك)** أي ما سبب وقوع القتل بحيث لا يعرف القاتل ولا المقتول بسببه **(قال: الهرج)** أي الفتنة والاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول. والمعنى: سببه ثوران الهرج بالكثرة وهيجانه بالشدة. **(القاتل والمقتول في النار)** أما القاتل فلقتله مسلماً وأما المقتول فلأنه[1] كان حريصاً على قتل مسلم أيضاً ولم يجد الفرصة. قال النووي [رحمه الله]: أما القاتل فظاهر وأما المقتول فإنه أراد قتل صاحبه، وفيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثماً وإن لم يفعلها ولم يتكلم بها **(رواه مسلم)**.

٥٣٩١ ـ **(وعن معقل بن يسار)** هو ممن بايع تحت الشجرة، مزني سكن البصرة وإليها ينسب. مات زمن ابن زياد، وقيل زمن معاوية. **(قال: قال رسول الله ﷺ: العبادة)** أي ثوابها مع الاستقامة والاستدامة عليها **(في الهرج)** أي زمن الفتنة ووقت المحاربة بين المسلمين **(كهجرة إليّ)** أي قبل فتح مكة، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. ونظيره ما ورد ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد

الحديث رقم ٥٣٩٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ حديث رقم (٥٦ ـ ٢٩٠٨).

(١) في المخطوطة «فإنه».

الحديث رقم ٥٣٩١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٨ حديث رقم (١٣٠ ـ ٢٩٤٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٤ حديث رقم ٢٢٠١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٩ حديث رقم ٣٩٨٥. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥.

رواه مسلم.

٥٣٩٢ - (١٤) وعن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنسَ بن مالكٍ فشكونا إليهِ ما نلقى من الحجّاجِ. فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده أشرُّ منه حتى تَلْقَوْا ربّكم». سمعتهُ من نبيّكم ﷺ.

ونظيره ما ورد ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين. (**رواه مسلم**) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه.

٥٣٩٢ - (**وعن الزبير بن عدي**) قال المؤلف: همداني بسكون الميم كوفي كان قاضي الري وهو تابعي، سمع أنس بن مالك روى عنه الثوري وغيره. (**قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج**) بفتح الحاء أي من ظلمه وهو حجاج بن يوسف، روى أنه قتل مائة وعشرين ألفاً سوى ما قتل في حروبه. (**فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده أشر منه**) أي غالباً ومن وجه دون وجه (**حتى تلقوا ربكم**) قال القاضي [رحمه الله]: أخير وأشر أصلان متروكان لا يكاد يستعملان إلا نادراً، وإنما المتعارف في التفضيل خير وشر. وفي القاموس: هو شر منه وأشر منه قليلة أو رديئة، وفيه أيضاً هو أخير منك كخير. اهـ. وفيه تنبيه أن استعمال أخير خير من استعمال أشر ولعل السبب فيه أن خير يستعمل للتفضيل وغيره فيكون أخير نصاً في المقصود بخلاف شر، وإنما يبالغ فيه بإتيان الهمز والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (**سمعته**) أي قوله: اصبروا الخ، والأظهر لما سيأتي أنه لا يأتي عليكم الخ. (**من نبيكم ﷺ**) قيل: هذا الإطلاق يشكل بزمن عمر بن عبد العزيز فإنه بعد الحجاج بيسير وبزمن المهدي وعيسى عليه [الصلاة]والسلام. وأجيب بأنه محمول على الأكثر الأغلب وأن المراد بالأزمنة الفاضلة في السوء من زمن الحجاج إلى زمن الدجال، وأما زمان عيسى عليه [الصلاة]والسلام فله حكم مستأنف. وأقول: الأظهر أن يقال إن زمن عيسى عليه [الصلاة] والسلام مستثنى شرعاً من الكلام وأما بقية الأزمنة فيمكن أن تكون الأشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية وباعتبار دون آخر وفي موضع دون موضع وفي أمر دون أمر من علم وعمل وحال واستقامة وغيرها مما يطول تفصيلها، وهذا من مقتضيات البعد البعدية عن زمان الحضرة النبوية، فإنها بمنزلة المشعل المنوّر للعالم فكلما أبعد عن قربه وقع في زيادة ظلام وحجبة، وقد أدركت الصحابة رضى الله [تعالى]عنهم أجمعين مع كمال صفاء باطنهم التغير من أنفسهم بعد دفنه ﷺ، وحُكِيَ عن بعض المشايخ الكبار أني كنت في جامع شيراز مشغولاً بوردي في ليل إذ هجم علَيَّ الخاطر وأراد بالخروج من غير ظهور داع وباعث له، فخرجت فإذا امرأة ملتصقة بجدار فخطر لي أنها تريد بيتها وتخاف في طريقها من أهل الفساد، فذكرت لها ذلك فأشارت إلي بأن نعم. فتقدمت عليها وقلت لها: قال موسى عليه [الصلاة] والسلام لابنة شعيب إن أخطأت الطريق القويم ارمي حجراً يدلني على الطريق المستقيم

الحديث رقم ٥٣٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ١٩. حديث رقم ٧٠٦٨. وأحمد في المسند ٣/ ١٧٩.

رواه البخاري.

الفصل الثاني

٥٣٩٣ ـ (١٥) عن حذيفةَ، قال: واللَّهِ ما أدري أنسيَ أصحابي أمْ تناسَوا؟ واللَّهِ ما تركَ رسولُ الله ﷺ منْ قائدِ فتنةٍ

فأوصلتها إلى بيتها ورجعت إلى حزبي ولم يخطر لي حينئذ شيء من الخطرات النفسانية. ثم بعد مدة من الأزمنة المتأخرة عن تلك الحالة الروحانية هجس في النفس وتوسوس في الخاطر من الأمور الشيطانية فتأملت أنه هل باعث هذا تغير في مأكلي أو مشربي أو ملبسي أو في مقصدي لعبادتي وطاعتي، أو حدوث حادث في صحبة أحبتي أو خلطة ظالم وأمثال ذلك فما رأيت سبباً لظهور هذه الظلمة إلا البعد عن [نور]زمان الحضرة الموجب لحصول [مثل] هذه الخطرة. **(رواه البخاري)** وفي الجامع عن أنس مرفوعاً بلفظ: لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. رواه أحمد والبخاري والنسائي(١). وأخرج الطبراني عن أنس مرفوعاً: ما من عام إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم(٢). وفي الكبير للطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً: ما من عام إلا ينقص الخير فيه ويزيد الشر(٣). قال الزركشي [رحمه الله]: وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما من عام إلا ويحدث الناس بدعة ويميتون سنة حتى تمات السنن وتحيا البدع. فهذا الحديث صريح في أن المراد بالشر موت السنن وإحياء البدع، ولا شك في تحقق هذين الأمرين في كل زمن من الملوين. ويؤيده ما في البخاري عن أنس مرفوعاً: لا يأتي على الناس زمان إلا الذي بعده شر منه(٤). وأما ما اشتهر على ألسنة العامة من حديث: كل عام ترذلون. فهو من كلام الحسن البصري [رحمه الله]في رسالته على ما ذكره الزركشي وغيره والله [تعالى] أعلم.

(الفصل الثاني)

٥٣٩٣ ـ **(عن حذيفة قال: والله ما أدري أنسي أصحابي)** أي من الصحابة(٥) **(أم تناسوا)** أي أظهروا النسيان **(والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة)** أي داعي ضلالة وباعث بدعة، ومن زائدة لتأكيد الاستغراق في النفي. **(إلى أن تنقضي الدنيا)** أي إلى انقضائها وانتهائها **(يبلغ)**

---

(١) الجامع الصغير ٢/٥٨٦ حديث رقم ٩٩٣٧.
(٢) الترمذي في السنن ٤/٤٢٦ حديث رقم ٢٢٠٦ وليس للطبراني. كذا في الجامع الصغير.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٨٩٢ حديث رقم ٨٠٥٩.
(٤) البخاري تعليقاً ١٣/١٩ الباب ٦ من كتاب «الفتن».
الحديث رقم ٥٣٩٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٤٣ حديث رقم ٤٢٤٣.
(٥) في المخطوطة «صحابته».

إلى أنْ تنقضيَ الدُّنيا يبلغُ مَن معه ثلاثمائةٍ فصاعداً إلاَّ قدْ سمَّاهُ لنا باسمِه واسمِ أبيه واسمِ قبيلتِه. رواه أبو داود.

٥٣٩٤ ـ (١٦) وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما أخافُ على أُمتي الأئمَّةَ المُضلينَ، وإذا وُضِعَ السَّيفُ في أُمَّتي لم يرفعْ عنهم إلى يومِ القيامةِ». رواه أبو داود، والترمذيُّ.

٥٣٩٥ ـ (١٧) وعن سفينةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «الخلافةُ ثلاثونَ سنةً، ثمَّ تكونُ مُلكاً».

صفة للقائد، أي يصل (من معه) أي مقدار اتباعه (**ثلاثمائة فصاعداً**) أي فزائداً عليه (**إلا قد سماه**) أي ذكر ذلك القائد (**لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته**) والمعنى ما جعله متصفاً بوصف إلا بوصف تسميته الخ. يعني وصفاً واضحاً مفصلاً لا مبهماً مجملاً، فالاستثناء متصل. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: إلى أن تنقضي متعلق بمحذوف، أي ما ترك رسول الله ﷺ ذكر قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا مهملاً، لكن قد سماه، فالاستثناء منقطع. قال المظهر: أراد بقائد الفتنة من يحدث بسببه بدعة أو ضلالة أو محاربة كعالم مبتدع يأمر الناس بالبدعة، أو أمير جائر يحارب المسلمين. (**رواه أبو داود**).

٥٣٩٤ ـ (**وعن ثوبان**) هو مولى النبي ﷺ (**قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**) الأئمة جمع إمام وهو مقتدي القوم ورئيسهم ومن يدعوهم إلى قول أو فعل أو اعتقاد. (**وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة**) أي فإن لم يكن في بلد يكون في بلد آخر (**رواه أبو داود والترمذي**).

٥٣٩٥ ـ (**وعن سفينة**) هو أيضاً مولى رسول الله ﷺ، ويقال إن سفينة لقب له واسمه مختلف فيه وإن النبي ﷺ كان في سفر وهو معه فأعيا رجل فألقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيئاً كثيراً، فقال له النبي ﷺ: أنت سفينة. روى عنه بنوه عبد الرحمٰن ومحمد وزياد[(١)] وكثير. (**قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الخلافة**) أي الحقة أو المرضية لله ورسوله أو الكاملة أو المتصلة (**ثلاثون سنة ثم تكون**) أي تنقلب الخلافة وترجع (**ملكاً**) بضم الميم، أي سلطنة وغلبة على أهل الحق. قال في شرح العقائد: وهذا مشكل لأن أهل الحل والعقد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز. ولعل المراد أن الخلافة الكاملة

الحديث رقم ٥٣٩٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٥١ حديث رقم ٤٢٥٢. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٩. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

الحديث رقم ٥٣٩٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٦ حديث رقم ٤٦٤٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٦ حديث رقم ٢٢٢٦. وأحمد في المسند ٥/ ٢٢٠.

(١) في المخطوطة «دينار».

ثمَّ يقولُ سفينةُ: أمسِكْ: خلافة أبي بكرٍ سنتينَ، وخِلافة عمَر عشرةً، وعثمان اثنتيْ عشرةً، وعلي ستّةً. رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون وقد لا تكون. اهـ. واعلم أن المروانية أوّلهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد، ثم خرجت منهم الخلافة إلى بني العباس. هذا وفي شرح السنة: يعني أن الخلافة حق الخلافة إنما هي للذين صدقوا هذا الاسم بأعمالهم وتمسكوا بسنة رسول الله ﷺ من بعده فإذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وإن كان أساميهم خلفاء، ولا بأس أن يسمى القائم بأمور المسلمين أمير المؤمنين وإن كان مخالفاً لبعض سير أئمة العدل القائمة بأمر المؤمنين، ويسمى خليفة لأنه خلف الماضي قبله وقام مقامه، ولا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما [الصلاة]والسلام. قلت: إني ولا شك أن نبينا ﷺ خليفته في خليقته، بل ويدل إطلاقها على غيره ﷺ أيضاً ما سيأتي من قوله ﷺ: «فإن كان لله في الأرض خليفة». الحديث قال: وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله. فقال: ويحك لقد تناولت متناولاً، إن أمي سمتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين فلو دعوتني بذلك كفاك. أي في رعاية الأدب وقصد التعظيم فهذا منه تواضع مع الخلق وتمسكن مع الخالق فليس فيه دلالة على أن مثله لا يقال له خليفة الله والله [تعالى]أعلم. **(ثم يقول سفينة:)** أي لراويه، أو المراد به خطاب العام **(أمسك)** أي عد مدة الخلافة. قال الطيبي [رحمه الله]: لعل الوجه أن يقال: أمسك، أي اضبط الحساب عاقداً أصابعك حتى يكون أمسك محمولاً على أصله. اهـ. وخلاصة المعنى أحسب وأحفظ. **(خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة)** أي أعوام **(وعثمان)** أي خلافته **(اثنتي عشرة سنة)** وفي نسخة: اثني عشر، أي عاماً. **(وعلي)** أي وخلافة علي **(ستة)** أي ستة أعوام فعلى خاتم الخلفاء كالنبي خاتم الأنبياء والمهدي خاتم الأولياء. **(رواه أحمد والترمذي وأبو داود)** وكذا النسائي ذكره السيد جمال الدين. وفي الجامع الصغير: الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة(١). وروى البخاري في تاريخه والحاكم عن أبي هريرة: الخلافة بالمدينة والملك بالشام(٢). ففيه تنبيه على أن الخلافة الحقيقة ما توجد في مكان صاحب النبوّة على اتفاق جمهور الصحابة من أهل الحل والعقد وأنه لا عبرة في الحقيقة بأهل الحل والعقد في غير ذلك المكان ومن أمثال غير ذلك الزمان، وإنما ينعقد بطريق التسلط التي تسمى ملكاً للضرورة الداعية إلى نظام حال العامة ولئلا يؤدي إلى الفتنة الطامة والله [تعالى] أعلم.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٢ حديث رقم ٤١٤٧.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ٧٢.

٥٣٩٦ ـ (١٨) وعن حذيفةَ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أيكونُ بعد هذا الخيرِ شرٌّ، كما كانَ قبلَه شرٌّ؟ قال: «نعَمْ» قلتُ: فما العصمةُ؟ قال: «السَّيفُ» قلتُ: وهلْ بعدَ السَّيفِ بقيَّةٌ؟ قال: «نعمْ، تكونُ إِمارةٌ على أقذاء، وهدْنةٌ على دَخَنٍ». قلتُ: ثم ماذا؟ قال: «ثمَّ ينشأ دعاةُ الضَّلالِ، فإنْ

٥٣٩٦ ـ (وعن حذيفة قال: قلت: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير) أي الإِسلام والنظام التام المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة ـ ٣]. والمعنى: أيوجد ويحدث بعد وجود هذا الخير (شر كما كان قبله) أي قبل الخير من الإِسلام وهو زمن الجاهلية (شر. قال: نعم) أي لأن ما وراء كل كمال زوال إلا كمال ذي الجلال والإِكرام (قلت: فما العصمة) أي فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة عن الوقوع في ذلك الشر. (قال: السيف) أي تحصل العصمة باستعمال السيف أو طريقها أن تضربهم بالسيف. قال قتادة: المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه كذا ذكره الشراح. ويمكن أن يشمل ما وقع من معاوية مع علي رضي الله عنهما فإن الحق كان مع علي وأن العصمة كانت بالمقاتلة مع معاوية كما يدل عليه حديث عمار: تقتلك الفئة الباغية. وقد قال تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات ـ ٩]. (قلت: وهل بعد السيف بقية) أي من الشر أو من الخير. قال شارح: أي هل يبقى[1] الإِسلام بعد محاربتنا إياهم. (قال: نعم تكون إمارة) بكسر الهمزة، أي ولاية وسلطنة. (على أقذاء) في النهاية، الأقذاء جمع قذى والقذى جمع قذاة، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك. أراد أن اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين ونحوها. قال القاضي [رحمه الله]: أي إمارة مشوبة بشيء من البدع وارتكاب المناهي. (وهدنة) بضم الهاء، أي صلح. (على دخن) بفتحتين، أي مع خداع ونفاق وخيانة وفي الفائق هدن أي سكن ضربه مثلاً لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر. اهـ. ويمكن أن يكون المعنى: ثم يكون اجتماع الناس على من جعل أميراً بكراهية نفس لا بطيب قلب. يقال: فعلت كذا وفي العين قذى، أي فعلته على كراهة وإغماض عين كما أن العين التي يقع فيها القذى ظاهرها صحيح وباطنها ضريح. وأصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب إلى السواد فيكون فيه إشعار إلى أنه صلاح مشوب بالفساد، فيكون إشارة إلى صلح الحسن مع معاوية وتفويض الملك إليه واستقرار أمر الإِمارة عليه، وبه يظهر أن معاوية بصلح الحسن لم يصر خليفة خلافاً لمن توهم[2] خلاف ذلك والله [تعالى]أعلم. (قلت: ثم ماذا) أي ماذا يكون (قال: ثم تنشأ) أي تظهر (دعاة الضلال) أي جماعة يدعون الناس إلى البدع أو المعاصي (فإن

الحديث رقم ٥٣٩٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٤٤ حديث رقم ٤٢٤٤. أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣١٧ حديث رقم ٣٩٨١. وأحمد في المسند ٥/ ٤٠٣.

(١) في المخطوطة «بقي». (٢) في المخطوطة «وهم».

كانَ للَّهِ في الأرض خليفةٌ جَلَدَ ظهركَ، وأخذ مالَك، فأطعه، وإلاَّ فمتْ وأنتَ عاضٌ على جَذْلِ شجرةٍ». قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ يخرُجُ الدَّجالُ بعدَ ذلكَ، معَه نهرٌ ونارٌ، فمنْ وقعَ في نارِه؛ وَجبَ أجرُه، وحُطَّ وِزرُه. ومَن وقعَ في نهرِه، وجبَ وِزرُه، وحُطَّ أجرُه». قال: قلتُ: ثمَّ ماذا؟ قال: «ثمَّ يُنْتَجُ المهرُ فلا يُركبُ حتى تقومَ الساعةُ».

كان لله في الأرض خليفة) أي موجوداً فيها ولو من صفته أنه **(جلد ظهرك)** أي ضربك بالباطل **(وأخذ مالك)** أي بالغصب أو مالك من المنصب النصيب بالتعدي **(فأطعه)** أي ولا تخالفه لئلا تثور فتنة **(وإلا)** أي وإن لم يكن لله في الأرض خليفة **(فمت)** أمر من مات يموت إشارة إلى ما قيل: موتوا قبل أن تموتوا. وكأنه عبر عن الخمول والعزلة بالموت فإن غالب لذة الحياة تكون بالشهرة والخلطة والجلوة. **(وأنت عاض)** بتشديد الضاد، والجملة حالية أي حال كونك آخذاً بقوّة وماسكاً بشدة. **(على جذل شجرة)** بكسر الجيم ويفتح، أي أصلها. قال القاضي: أي فعليك بالعزلة والصبر على غصص الزمان والتحمل لمشاقه وشدائده، وعض جذل الشجرة وهو أصلها كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم: فلان يعض بالحجارة لشدة الألم. ويحتمل أن يكون المراد منه أن ينقطع عن الناس ويتبوّأ أجمة ويلزمها إلى أن يموت، أو ينقلب الأمر من قولهم: عض الرجل بصاحبه إذا لزمه ولصق به. ومنه: عضوا عليها بالنواجذ. وقيل: هذه الجملة قسيمة قوله: فأطعه. ومعناه إن لم تطعه أدتك المخالفة إلى ما لا تستطيع أن تصبر عليه. ويدل على المعنى الأوّل قوله في الرواية الأخرى: فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم. قال الطيبي [رحمه الله]: على الوجه الأوّل لفظة خبر ومعناه الأمر وهو قسيم لقوله: فإن كان لله في الأرض خليفة، وعلى الثاني هو مسبب من قوله: فأطعه. هذا وفي نسخة قمت بصيغة الخطاب من القيام بدل فمت. قال السيد جمال الدين [رحمه الله]: قم خبر بمعنى الأمر. **(قلت: ثم ماذا)** أي من الفتن **(قال: ثم يخرج الدجال)** أي زمن المهدي **(بعد ذلك)** أي بعد ما ذكر من وقوع أنواع الشرور والفتن **(ومعه نهر)** بسكون الهاء وفتحها أي نهر ماء **(ونار)** أي خندق نار. قيل: إنهما على وجه التخيل من طريق السحر والسيمياء. وقيل: ماؤه في الحقيقة نار وناره ماء. **(فمن وقع في ناره)** أي من خالفه حتى يلقيه في ناره، وأضاف النار إليه إيماء إلى أنه ليس بنار حقيقة بل سحر **(وجب أجره)** أي ثبت وتحقق أجر الواقع **(وحط)** أي ورفع وسومح **(وزره)** أي إثمه السابق **(ومن وقع في نهره)** أي حيث وافقه في أمره **(وجب وزره)** أي اللاحق **(وحط أجره)** أي بطل عمله السابق **(قلت: ثم ماذا. قال: ثم ينتج)** بصيغة المجهول، أي ثم يولد. **(المهر)** بضم ميم وسكون هاء، أي ولد الفرس. قال التوربشتي [رحمه الله]: ينتج من النتج لا من النتاج وهو الولادة ولا من الإنتاج. يقال: نتجت الفرس أو الناقة على بناء ما لم يسم فاعله نتاجاً ونتجها أهلها نتجاً، والإنتاج اقتراب ولادها. وقيل: استبانة حملها. **(فلا يركب)** بكسر الكاف من قولهم: أركب المهر، إذا حان وقت ركوبه. وفي نسخة بفتح الكاف، أي فلا يركب المهر لأجل الفتن أو لقرب الزمن. **(حتى تقوم الساعة)** قيل: المراد به زمن عيسى عليه [الصلاة]والسلام فلا يركب المهر لعدم احتياج الناس فيه إلى محاربة بعضهم

وفي رواية: قال: «هُدنةٌ على دَخَنٍ، وجماعةٌ على أقذاء». قلتُ: يا رسول الله! الهدنةُ على الدَّخَنِ ما هيَ؟ قال: «لا ترجع قلوبُ أقوامٍ على الذي كانت عليه». قلتُ: بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «فتنةٌ عمياءُ صمَّاءُ، عليها دُعاةٌ على أبوابِ النارِ، فإنْ مُتَّ يا حذيفةُ وأنتَ عاضٌّ على جَذْلٍ خيرٌ لكَ منْ أنْ تتَّبعَ أحداً منهم». رواه أبو داود.

٥٣٩٧ ـ (١٩) وعن أبي ذر، قال: كنت رديفاً خلف رسول الله ﷺ يوماً، على حمار،

بعضاً، أو المراد أن بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم الساعة أي يكون حينئذ قيام الساعة قريباً قدر زمان إنتاج المهر وارتكابه، وهذا هو الظاهر والله [تعالى]أعلم بالسرائر. **(وفي رواية)** أي بدل تكون إمارة على أقذاء الخ. **(قال: هدنة على دخن)** أي صلح مع كدورة وصفاء مع ظلمة **(وجماعة على أقذاء)** أي واجتماع على أهواء مختلفة أو عيوب مؤتلفة **(قلت: يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي. قال: لا ترجع قلوب أقوام)** برفع قلوب وهو الأصح وبنصبه بناء على أن رجع لازم، أو متعد أي لا تصير قلوب جماعات أو لا ترد الهدنة قلوبهم. **(على الذي)** أي على الوجه الذي، أو على الصفاء الذي **(كانت)** أي تلك القلوب **(عليه)** أي لا تكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك **(قلت: بعد هذا)** أي يقع بعد هذا **(الخير شر. قال: فتنة)** أي نعم يقع شر هو فتنة عظيمة وبلية جسيمة. **(عمياء)** أي يعمى فيها الإنسان عن أن يرى الحق. **(صماء)** أي يصم أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق، أو النصيحة. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لا يرى منها مخرجاً ولا يوجد دونها مستغاثاً، أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة فيعمون فيها ويصمون عن تأمل قول الحق واستماع النصح. أقول: ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها وعن شدة أمرها وصلابة أهلها وعدم التفات بعضهم إلى بعض في المشاهدة والمكالمة وأمثالها. **(عليها)** أي على تلك الفتنة **(دعاة)** أي جماعة قائمة بأمرها وداعية للناس إلى قبولها. **(على أبواب النار)** حال، أي فكأنهم كائنون على شفا جرف من النار يدعون الخلق إليها حتى يتفقوا على الدخول فيها. **(فإن مت)** بضم الميم وكسرها **(يا حذيفة وأنت عاض على جذل)** أي والحال أنك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال والقناعة بأكل قشر الأشجار والمنام فوق الأحجار. **(خير لك من أن تتبع)** بتشديد التاء الثانية وكسر الموحدة ويجوز تخفيفها وفتح الباء **(أحداً منهم)** أي من أهل الفتنة أو من دعاتهم **(رواه أبو داود)** والنسائي ذكره ميرك.

٥٣٩٧ ـ **(وعن أبي ذر قال: كنت رديفاً)** أي راكباً **(خلف رسول الله ﷺ)** قال الطيبي [رحمه الله]: ظرف وقع صفة مؤكدة لرديفاً. **(يوماً على حمار)** فيه دلالة على كمال

الحديث رقم **٥٣٩٧** أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٥٨ حديث رقم ٤٢٦١. وابن ماجه ٢/١٣٠٨ حديث رقم ٣٩٥٨ وأحمد في المسند ٥/١٤٩.

فلما جاوزنا بيوت المدينة، قال: «كيف بك يا أبا ذر إذا كانَ بالمدينةِ جوعٌ تقوم عن فراشِك ولا تبلغ مسجدك حتى يُجهدك الجوع؟» قال: قلت: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «تعفَّفْ يا أبا ذر!». قال: «كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موتٌ يبلغُ البيتُ العبدَ حتى إنه يباع القبر بالعبد؟». قال: قلتُ: اللَّهُ ورسولهُ أعلم. قال: «تصبر يا أبا ذرّ!».

تواضعه ﷺ وحسن معاشرته مع أصحابه وكمال قرب أبي ذر له حينئذ، ولذا ذكره مع الإيماء إلى كمال حفظه القضية واستحضاره إياها. (**فلما جاوزنا بيوت المدينة قال: كيف بك**) قال الطيبي [رحمه الله]: مبتدأ وخبر والباء زائدة في المبتدأ، أي كيف أنت أي حالك. (**يا أبا ذر إذا كان**) أي وقع (**بالمدينة جوع**) أي خاص لك أو قحط عام (**تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك**) أي الذي قصدته أن تصلي فيه (**حتى يجهدك الجوع**) بضم الياء وكسر الهاء، وفي نسخة بفتحهما. أي يوصل إليك المشقة ويعجزك عن المشي من البيت إلى المسجد. (**قال: قلت: الله ورسوله أعلم**) أي بحالي وحال غيري في تلك الحال وسائر الأحوال. (**قال: تعفف**) بصيغة الأمر، أي التزم العفة. (**يا أبا ذر**) وهي الصلاح والورع والتصبر على أذى الجوع والتقوى والكف عن الحرام والشبهة، وعن السؤال من المخلوق والطمع فيه والمذلة عنده[1]. (**قال: كيف بك يا أبا ذر**) في ندائه مكرراً تنبيه له على أخذ الحديث مقرراً. (**إذا كانت بالمدينة موت**) أي بسبب القحط أو وباء من عفونة هواء أو غيرها. (**يبلغ البيت**) أي يصل موضع قبر الميت. (**العبد**) أي قيمته أو نفسه (**حتى إنه**) بكسر الهمز ويفتح أي الشأن، (**يباع القبر بالعبد**) هذا توضيح لما قبله من إيهام البيت. ففي النهاية: المراد بالبيت ههنا القبر، وأراد أن موضع القبور يضيق فيبتاعون كل قبر بعبد. قال التوربشتي [رحمه الله]: وفيه نظر لأن الموت وإن استمر[2] بالأحياء وفشا فيهم كل الفشوّ لم ينته بهم إلى ذلك وقد وسع الله عليهم الأمكنة. اهـ كلامه. وأجيب بأن المراد بموضع القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بأنهم لا يتجاوزون عنها. وفي شرح السنة قيل: معناه أن الناس يشتغلون عن دفن الموتى بما هم فيه حتى لا يوجد من يحفر قبر الميت فيدفنه إلا أن يعطي عبداً أو قيمة عبد. وقيل: معناه أنه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس إلا عبد يقوم بمصالح ضعفه أهل ذلك البيت. قال المظهر: يعني يكون البيت رخيصاً فيباع بيت بعبد. قال الطيبي [رحمه الله]: على الوجهين الأخيرين لا يحسن موقع حتى حسنها على الوجهين الأوّلين. قلت: بل لا يصح حينئذ وقوع حتى، ولعلها غير موجودة في المصابيح. قال الخطابي: قد يحتج بهذا الحديث من يذهب إلى وجوب قطع النباش، وذلك أن النبي ﷺ سمى القبر بيتاً فدل على أنه حرز كالبيوت. قلت: لا سيما وقد ثبت أنه ﷺ قطع النباش، لكن حمله أصحابنا على أنه للسياسة والله [سبحانه وتعالى]أعلم. (**قال: قلت: الله ورسوله أعلم**) كما تقدم (**قال: تصبر يا أبا ذر**) بتشديد الموحدة المفتوحة، أمر من باب التفعل. وفي نسخة تصبر مضارع صبر على أنه خبر بمعنى الأمر، أي اصبر بالبلاء ولا

---

(١) في المخطوطة «فيه».

(٢) في المخطوطة «اشتهر».

قال: «كيف بك يا أبا ذرّ إِذا كان بالمدينة قَتْلٌ تَغْمرُ الدماء أحجار الزيت؟» قال: قلت: اللَّهُ ورسوله أعلم. قال: «تأتي من أنت منه». قال: قلت: وأَلْبَسُ السلاح؟ قال: «شاركتَ القومَ إِذاً». قلتُ: فكيف أصنع يا رسول الله؟ قال: «إِن خشيتَ أن يَبْهرَك شعاعُ السيفِ فَأَلْقِ ناحيةَ ثوبِك على وجهك ليبوءَ بإِثمك وإِثمه». رواه أبو داود.

تجزع في الضراء ولا تنس بقية النعماء والسراء وارض بما يجري من القضاء تصب الأجر من خالق الأرض والسماء. (**قال: كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل**) أي سريع عظيم (**تغمر**) بسكون الغين المعجمة وضم الميم، أي تستر وتعلو (**الدماء**) أي كثرة دماء القتلى (**أحجار الزيت**) قيل: هي محلة بالمدينة، وقيل موضع بها. قال التوربشتي [رحمه الله]: هي من الحرة التي كانت بها الوقعة زمن يزيد والأمير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المزي المستبيح بحرم رسول الله ﷺ، وكان نزوله بعسكره في الحرة الغربية من المدينة فاستباح حرمتها وقتل رجالها وعاث فيها ثلاثة أيام، وقيل خمسة. فلا جرم أنه انماع كما ينماع الملح في الماء ولم يلبث إن أدركه الموت وهو بين الحرمين، وخسر هنالك المبطلون. (**قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: تأتي من أنت منه**) خبر معناه أمر، أي ائت من يوافقك في دينك وسيرتك. وقال القاضي: أي ارجع إلى من أنت جئت منه وخرجت من عنده يعني أهلك وعشيرتك. قال الطيبي [رحمه الله]: لا يطابق على هذا سؤاله. (**قال: قلت: والبس السلاح**) والظاهر أن يقال: ارجع إلى إمامك ومن بايعته، فحينئذ يتوجه أن يقول: وألبس السلاح وأقاتل معه. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**شاركت القوم**) أي في الإثم (**إذا**) أي إذا لبست السلاح. المعنى لا تلبس السلاح وكن مع الإمام وأرباب الصلاح ولا تقاتل حتى يحصل لك الفلاح، هذا حاصل كلام الطيبي [رحمه الله]. لكن فيه أن إمامه إذا قاتل كيف يجوز له أن يمتنع من المقاتلة معه. وقال ابن الملك [رحمه الله]: قوله: شاركت، لتأكيد الزجر عن إراقة الدماء وإلا فالدفع واجب. اهـ. وذكره الطيبي [رحمه الله]: وقرره. والصواب أن الدفع جائز إذا كان الخصم مسلماً إن لم يترتب عليه فساد، بخلاف ما إذا كان العدوّ كافراً فإنه يحب الدفع مهما أمكن. (**قلت: فكيف أصنع يا رسول الله. قال: إن خشيت أن يبهرك**) بفتح الهاء، أي يغلبك. (**شعاع السيف**) بفتح أوله أي بريقه ولمعانه. وهو كناية عن أعمال السيف (**فالق**) أمر من الإلقاء، أي اطرح. (**ناحية ثوبك**) أي طرفه (**على وجهك**) أي لئلا ترى ولا تفزع ولا تجزع. والمعنى: لا تحاربهم وإن حاربوك، بل استسلم نفسك للقتل لأن أولئك من أهل الإسلام ويجوز معهم عدم المحاربة والاستسلام كما أشار إليه بقوله: (**ليبوء**) أي ليرجع القاتل (**بإثمك**) أي بإثم قتلك (**وإثمه**) أي وبسائر إثمه (**رواه أبو داود**) وكذا ابن ماجه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين، نقله ميرك عن التصحيح[1].

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٤.

٥٣٩٨ ـ (٢٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كيف بكَ إذا أُبقيتَ في حُثالةٍ من الناسِ مَرِجت عهودهم وأماناتهم؟ واختلفوا فكانوا هكذا؟» وشبَّك بين أصابعه. قال: فبم تأمرني؟ قال: «عليك بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصةِ نفسك، وإياك وعوامَّهم». وفي روايةٍ: «الزَم بيتكَ، واملك عليك

٥٣٩٨ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** صحابيان جليلان **(ابن العاص)** بغير ياء هو الصحيح **(أن النبي ﷺ قال: كيف بك)** سبق إعرابه وفي رواية: كيف أنت، أي كيف حالك. **(إذا أبقيت)** مجهول من الإبقاء، أي إذا أبقاك الله بمعنى عمرك. وفي نسخة بصيغة المعلوم من البقاء، أي إذا بقيت. **(في حثالة)** بضم الحاء وبالثاء المثلثة، وهي ما سقط من قشر الشعير والأرز والتمر [و]الرديء من كل شيء، أي في قوم أردياء. **(من الناس مرجت)** استئناف بيان وهو بفتح الميم وكسر الراء، أي فسدت. **(عهودهم وأماناتهم)** وفي نسخة: أمانتهم، بصيغة الإفراد على إرادة الجنس أو باعتبار كل فرد، والجمع إنما هو للمقابلة والتوزيع مع إمكان حقيقة الجمع فيهما فتأمل. والمعنى: لا يكون أمرهم مستقيماً، بل يكون [كل واحد]في كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود ويخونون الأمانات. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي اختلطت وفسدت فقلقت فيهم أسباب الديانات. **(واختلفوا فكانوا هكذا. وشبك بين أصابعه)** أي يموج بعضهم في بعض ويلتبس أمر دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر. هذا وفي نسخة مرجت بفتح الراء وهو متعد ومنه قوله تعالى: **﴿مرج البحرين﴾** [الرحمٰن ـ ١٩]. ففيه ضمير إلى الحثالة. فالمعنى: أفسدت تلك الجماعة القمامة عهودهم وأماناتهم واختلفوا في أمور دياناتهم فكانوا كما أخبر النبي ﷺ عنهم في الاشتباك مشبهين بالأصابع المشبكة. فما كتبه ميرك على هامش الكتاب من قوله: مرجت، بصيغة المجهول ورمز عليه ظاهر إشارة إلى أنه هو الظاهر، وعلله[(١)] بأن المرج متعد والمعنى على اللزوم فهو غير ظاهر على ما يظهر من القاموس وغيره. ففي القاموس: المرج الخلط والمرج محركة الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب، وإنما يسكن مع الهرج [يعني] للازدواج مرج [كفرح]وأمر مريج مختلط وأمرج العهد لم يف به. اهـ. وفي مختصر النهاية: مرج الدين فسد وقلقت أسبابه. ومرجت عهودهم أي اختلطت. **(قال: فبم تأمرني. قال: عليك بما تعرف)** أي الزم وافعل ما تعرف كونه حقاً **(ودع ما تنكر)** أي واترك ما تنكر أنه حق **(وعليك بخاصة نفسك وإياك وعوامهم)** أي عامتهم. والمعنى: الزم أمر نفسك واحفظ دينك واترك الناس ولا تتبعهم. وهذا رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كثر الأشرار وضعف الأخيار. **(وفي رواية: الزم بيتك واملك)** أمر من الإملاك بمعنى الشد والإحكام أي أمسك **(عليك**

الحديث رقم ٥٣٩٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥١. حديث رقم ٦٤٣٤. وأبو داود في السنن ٤/ ٥١٣ حديث رقم ٤٣٤٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٧ حديث رقم ٣٩٥٧. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٠ حديث رقم ٢٧١٩. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

(١) في المخطوطة «وعليه».

لسانك؛ وخذ ما تعرف، ودَعْ ما تنكر، وعليك بأمرِ خاصةِ نفسِك، ودَع أمر العامَّة». رواه الترمذي، وصححه.

٥٣٩٩ ـ (٢١) وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إنَّ بينَ يَدَي الساعةِ فِتَناً كقِطَعِ الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسّروا فيها قِسِيَّكم، وقطِّعوا فيها أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِل على أحدٍ منكم فليكن كخير ابْني آدم». رواه أبو داود. وفي رواية له: ذكر إلى قوله «خيرٌ من الساعي». ثم

لسانك) ولا تتكلم في أحوال الناس كيلا[1] يؤذوك **(وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة. رواه الترمذي وصححه)** قال ميرك: والرواية الثانية رواها أبو داود والنسائي أيضاً.

٥٣٩٩ ـ **(وعن أبي موسى)** أي الأشعري **(عن النبي ﷺ أنه قال: إن بين يدي الساعة)** أي قدامها من أشراطها **(فتناً)** أي فتناً عظاماً ومحناً جساماً **(كقطع الليل المظلم)** بكسر القاف وفتح الطاء ويسكن، أي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها وظلمتها وعدم تبين أمرها. قال الطيبي [رحمه الله]: يريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها. **(يصبح الرجل فيها)** أي في تلك الفتن **(مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً)** والظاهر أن المراد بالإصباح والإمساء تقلب الناس فيها وقتاً دون وقت لا بخصوص الزمانين، فكأنه كناية عن تردد أحوالهم وتذبذب أقوالهم وتنوّع أفعالهم من عهد ونقض وأمانة وخيانة ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وإيمان وكفر. **(القاعد فيها خير من القائم والماشي فيها خير من الساعي)** أي كلما بعد الشخص عنها وعن أهلها خير له من قربها واختلاط أهلها لما سيؤول أمرها إلى محاربة أهلها، فإذا رأيتم الأمر كذلك **(فكسروا فيها قسيكم)** بكسرتين وتشديد التحتية جمع القوس، وفي العدول عن الكسر إلى التكسير مبالغة لأن باب التفعيل للتكثير، وكذا قوله: **(وقطعوا)** أمر من التقطيع **(فيها أوتاركم)** وفيه زيادة من المبالغة إذ لا منفعة لوجود الأوتار مع كسر القسي. أو المراد به أنه لا ينتفع بها الغير ولا يستعملها في الشر دون الخير. **(واضربوا سيوفكم بالحجارة)** أي حتى تنكسر أو حتى تذهب حدتها، وعلى هذا القياس الأرماح وسائر السلاح. **(فإن دخل)** بصيغة المفعول ونائب الفاعل في قوله: **(على أحد)** ومن في قوله **(منكم)** بيانية **(فليكن)** أي ذلك الأحد **(كخير ابني آدم)** أي فليستسلم حتى يكون قتيلاً كهابيل ولا يكون قاتلاً كقابيل **(رواه أبو داود)**.

(وفي رواية له) أي لأبي داود عنه **(ذكر)** أي الحديث **(إلى قوله: خير من الساعي ثم**

---

(١) في المخطوطة «لئلا».

الحديث رقم ٥٣٩٩: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٥٧ حديث رقم ٤٢٥٩. والترمذي في السنن ٤/ ٤٢٤ حديث رقم ٢٢٠٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٠ حديث رقم ٣٩٦١. وأحمد في المسند ٤/ ٤١٦.

قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم». وفي رواية الترمذي: أنَّ رسول الله ﷺ قال في الفتنة: «كسّروا فيها قِسِيَّكم، وقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم». وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.

٥٤٠٠ ـ (٢٢) وعن أُمِّ مالك البَهْزية، قالت: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقرَّبها. قلت: يا رسولَ اللّهِ! مَنْ خيرُ الناس فيها؟ قال: «رجلٌ في ماشيته يؤدِّي حقها، ويعبدُ ربَّهُ، ورَجُل آخذٌ برأسِ فرسه يخيف العدوَّ ويخوفونه». رواه الترمذيُّ.

قالوا:) أي بعض الصحابة (فما تأمرنا) أي أن نفعل حينئذ (قال: كونوا أحلاس بيوتكم) أحلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها. وقيل: الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب والبرذعة شبهها به للزومها ودوامها. والمعنى: الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم كيلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم يفوتكم. (وفي رواية الترمذي أن رسول الله ﷺ قال في الفتنة:) أي في أيامها وزمنها، وهو ظرف لقوله: (كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم) أي كونوا ملازميها لئلا تقعوا في الفتنة والمحاربين فيها. (وكونوا كابن آدم) المطلق ينصرف إلى الكامل. وفيه إشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة، وهو أن هابيل المقتول المظلوم هو ابن آدم لا قابيل القاتل الظالم كما قال تعالى في حق ولد نوح [عليه الصلاة والسلام]: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾ [هود ـ ٤٦]. (وقال:) أي الترمذي ([هذا]حديث صحيح غريب).

٥٤٠٠ ـ (وعن أم مالك البهزية) بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالزاي وياء النسبة. قال المؤلف: لها صحبة ورواية[١] وهي حجازية روى عنها طاوس ومكحول. (قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها) بتشديد الراء، أي فعدها قريبة الوقوع. قال الأشرف: معناه وصفها للصحابة وصفاً بليغاً. فإن من وصف عند أحد وصفاً بليغاً فكأنه قرب ذلك الشيء إليه. (قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها. قال: رجل في ماشية) أي من الغنم ونحوها (يؤدي حقها) أي من الزكاة وغيرها (ويعبد ربه) لقوله تعالى [جل جلاله ولا إله غيره]: ﴿ففروا إلى الله ﴾ [الذاريات ـ ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلا ﴾ [المزمل ـ ٨]. وقوله: ﴿وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ [هود ـ ١٢٣]. (ورجل آخذ) بصيغة اسم الفاعل، أي ماسك[٢]. (برأس فرسه يخيف العدوّ) من الإخافة بمعنى التخويف، أي يخوّف الكفار. (ويخوّفونه) فيه تفنن. قال المظهر: يعني رجل هرب من الفتن وقتال المسلمين وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه. يعني: فيبقى سالماً من الفتنة وغانماً للأجر والمثوبة. (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٥٤٠٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤١٠ حديث رقم ٢١٧٧. وأحمد في المسند ٦/ ٤١٩.

(١) في المخطوطة «دراية». (٢) في المخطوطة «ممسك».

٥٤٠١ ـ (٢٣) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنة تستنظف العربَ، قتلاها في النار، اللّسان فيها أشدُّ من وَقْعِ السَّيف».

٥٤٠١ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنة)** أي عظيمة وبلية جسيمة. **(تستنظف العرب)** أي تستوعبهم هلاكاً من استنظفت الشيء أخذته كله، كذا في النهاية وبعض الشروح. وقيل: أي تطهرهم من الأرذال وأهل الفتن. **(قتلاها)** جميع قتيل بمعنى مقتول مبتدأ خبره قوله: **(في النار)** أي سيكونون في النار أو هم حينئذ في النار لأنهم يباشرون ما يوجب دخولهم(١) فيها كقوله تعالى: **﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾** [الانفطار ـ ١٣ ـ ١٤]. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بقتلاها من قتل في تلك الفتنة وإنما هم من أهل النار لأنهم ما قصدوا بتلك المقاتلة والخروج إليها إعلاء دين أو دفع ظالم أو إعانة محق، وإنما كان قصدهم التباغي والتشاجر طمعاً في المال والملك. **(اللسان)** أي وقعه وطعنه على تقدير مضاف، ويدل عليه رواية: وإشراف اللسان، أي إطلاقه وإطالته. **(فيها أشد من وقع السيف)** وقال الطيبي [رحمه الله]: القول والتكلم فيها إطلاقاً للمحل وإرادة الحال. اهـ. والحاصل أنه لا بد من ارتكاب أحد المجازين المذكورين في قوله تعالى: **﴿واسأل القرية﴾** [يوسف ـ ٨٢]. قال المظهر: يحتمل هذا احتمالين أحدهما أن من ذكر أهل تلك الحرب بسوء يكون كمن حاربهم لأنهم مسلمون وغيبة المسلمين إثم. قلت: وفيه أنه ورد: اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس. ولا غيبة لفاسق. ونحو ذلك فلا يصح هذا على إطلاقه ولذا استدرك كلامه بقوله: ولعل المراد بهذه الفتنة الحرب التي وقعت بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبين معاوية رضي الله عنه، ولا شك أن من ذكر أحداً من هذين الصدرين وأصحابهما يكون مبتدعاً لأن أكثرهم كانوا أصحاب رسول الله ﷺ. اهـ. وقد قال ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»(٢). أي عن الطعن فيهم فإن رضا الله تعالى في مواضع من القرآن تعلق بهم، فلا بد أن يكون مآلهم إلى التقوى ورضا المولى وجنة المأوى وأيضاً لهم حقوق ثابتة في ذمة الأمة فلا ينبغي لهم أن يذكروهم إلا بالثناء الجميل والدعاء الجزيل، وهذا مما لا ينافي أن يذكر أحد مجملاً أو معيناً بأن المحاربين مع علي ما كانوا من المخالفين، أو بأن معاوية وحزبه كانوا باغين على ما دل عليه حديث عمار: «تقتلك الفئة الباغية»(٣). لأن المقصود منه بيان الحكم المميز بين الحق والباطل والفاصل بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطىء مع توقير الصحابة وتعظيمهم جميعاً في القلب [لرضا الرب]. ولذا لما سئل بعض الأكابر عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية قال لغبار أنف فرس معاوية حين غزا في ركاب

الحديث رقم ٥٤٠١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦١ حديث رقم ٤٤٦٥ والترمذي في السنن ٤/ ٤١١ حديث رقم ٢١٧٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٢ حديث رقم ٣٩٦٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢١٢.

(١) في المخطوطة «دخولها».

(٢) الطبراني في الكبير ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٤٣ حديث رقم ٦١٥.

(٣) أبو نعيم في الحلية.

....

رسول الله ﷺ أفضل من كذا وكذا من عمر بن عبد العزيز، إذ من القواعد المقررة أن العلماء والأولياء من الأمة لم يبلغ أحد منهم مبلغ الصحابة الكبراء. وقد أشار إلى هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾** [الحديد ـ ١٠]. وكذا قوله تعالى: **﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار﴾** [التوبة ـ ١٠٠]. وقوله: **﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾** [الواقعة ـ ١٠ و١١]. قال المظهر: والثاني أن المراد به أن من مد لسانه فيه بشتم أو غيبة يقصدونه بالقتل والضرب ويفعلون به ما يفعلون بمن حاربهم. اهـ. وحاصله أن الطعن في إحدى الطائفتين ومدح الأخرى حينئذ مما يثير الفتنة فالواجب كف اللسان، وهذا المعنى في غاية من الظهور فتأمل. لكن الطيبي رجح المعنى الأوّل حيث قال: ويؤيد قوله: ولعل المراد بهذه الفتنة الخ ما روينا عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وإنما أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف. قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ. قال: فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا توجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار. قال: فقلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول. قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه. متفق عليه[١]. قلت: محمل هذا الحديث إذا كان القتال بين المسلمين على جهة العصبية والحمية الجاهلية كما يقع كثيراً فيما بين أهل حارة وحارة وقرية وقرية وطائفة وطائفة من غير أن يكون هناك باعث شرعي لأحدهما. ولا يصح حمل الحديث على إطلاقه الشامل لقضية صفين ونحوها لئلا ينافي قوله تعالى جلّ شأنه: **﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾** [الحجرات ـ ٩]. ولأن الإجماع على أن قتلى طائفة علي ليسوا في النار فكلام أبي بكرة أما محمول على أنه كان متردداً متحيراً في أمر علي ومعاوية ولم يكن يعرف الحق من الباطل ولم يميز أحدهما من الآخر، وإما فهم من كلام الأحنف أنه يريد حماية العصبية لا إعلاء الكلمة الدينية على ما يشير إليه قوله: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ، ولم يقل: أريد معاونة الإمام الحق والخليفة المطلق. وبهذا يتبين أن حمل هذه الفتنة على قضية علي لا يجوز ويؤول بما قال الطيبي [رحمه الله]. وأما قوله: قتلاها في النار، فللزجر والتوبيخ والتغليظ عليهم. وأما كف الألسنة عن الطعن فيهم فإن كلاً منهم مجتهد وإن كان علي رضي الله عنه مصيباً فلا يجوز الطعن فيهما، والأسلم للمؤمنين أن لا يخوضوا في أمرهما. قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث ألسنتنا بها. قال النووي [رحمه الله]: كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه كان بالاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة. وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولو تيقنوا الصواب لم يتأخروا عن مساعدته. قلت: وسبب هذا التحير لم يكن في أن علياً

---

(١) البخاري في صحيحه ١٣/٣١ حديث رقم ٧٠٨٣. ومسلم في صحيحه ٤/٢٢١٣ حديث رقم ٢٨٨٨.

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٤٠٢ ـ (٢٤) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ستكونُ فتنةٌ صمَّاءُ بكماء عمياءُ، من أشرف لها استشرفت له، وإِشراف اللسان فيها كوقوع السيفِ». رواه أبو داود.

أحق بالخلافة أم معاوية لأنهم أجمعوا على ولاية علي واجتمع أهل الحل والعقد على خلافته، وإنما وقع النزاع بين معاوية وعلي في قتلة عثمان حيث تعلل معاوية بأني لم أسلم لك الأمر حتى تقتل أهل الفساد والشرور ممن حاصر الخليفة وأعان على قتله، فإن هذا ثلمة في الدين وخلل في أئمة المسلمين. واقتضى رأي علي وهو الصواب أن قتل فئة الفتنة يجر إلى إثارة الفتنة التي هي تكون أقوى من الأولى مع أن هجوم العوام وعدم تعيين أحد منهم بمباشرة قتل الإِمام ليس بموجب لإمام آخر أن يقتلهم قتلاً عاماً ولا من يتهم بقتله من غير حجة أو بينة شرعية، لا سيما وقد رجعوا إلى الحق ودخلوا في بيعة الخليفة. ومن المعلوم أن أهل البغي إذا رجعوا عن بغيهم أو شردوا عن قتالهم فليس لأحد أن يتعرض لهم. هذا ولما كان ﷺ ذكر الفتن وحذر عن الدخول فيها ورغب عن البعد عنها ورهب عن القرب إليها وأطلقها نظراً إلى فساد غالبها ولم يبين هذه الفتنة بخصوصها مفصلة وإن وقعت مجملة، تحير فيها بعض الصحابة وظنوا أن الأسلم فيها بالخصوص أيضاً، ما ذكره ﷺ فيها بالعموم. لكن لما تبين لهم في الآخر حقي علي كرم الله وجهه وخطأ معاوية ندموا على ما فعلوا من العزلة وتحسروا على ما فاتهم من مثوبة الجلوة ولله حكمة في ذلك كله لله الأمر من قبل ومن بعد. فلا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم والله [تعالى] أعلم. **(رواه الترمذي وابن ماجه)** قال ميرك: رواه أبو داود أيضاً كلهم مرفوعاً. وقال البخاري: الأصح وقفه على عبد الله بن عمرو بن العاص. أقول: لكن هذا الموقوف في حكم المرفوع لأن قوله: قتلاها في النار. لا يتصور أن يصدر من رأي أحد.

٥٤٠٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ستكون فتنة صماء عمياء بكماء)** أي باعتبار أصحابه حيث لا يجدون لها مستغاثاً ولا يرون منها مخرجاً وخلاصاً. والمعنى: لا يميزون فيها بين الحق والباطل ولا يسمعون النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل من تكلم فيها بحق أوذي ووقع في الفتن والمحن. **(من أشرف لها)** أي من اطلع عليها وقرب منها **(استشرفت له)** أي اطلعت تلك الفتنة عليه وجذبته إليها. **(وإشراف اللسان)** أي إطلاقه وإطالته **(فيها كوقوع السيف)** أي في تأثيره، بل أبلغ لما قيل:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

ولهذا قال في الرواية السابقة: أشد من وقع السيف. **(رواه أبو داود)**.

الحديث رقم ٥٤٠٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٤٢٦٤. وأحمد في المسند ٥/ ٤٠٦.

٥٤٠٣ ـ (٢٥) وعن عبد الله بن عمر، قال: كنا قعوداً عند النبي ﷺ فَذَكَر الفِتَنَ، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي هرب وحرب، ثم فتنةُ السرَّاء دخنها من تحت قدميْ رجلٍ من أهل بيتي، يزعم أنَّه مني وليس مني، إِنما أوليائي المتقون، ثم يصطلحُ الناسُ على رجلٍ كَورِكٍ على ضِلَعٍ،

٥٤٠٣ ـ **(عن عبد الله بن عمر قال: كنا قعوداً)** أي قاعدين **(عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن)** أي الواقعة في آخر الزمان **(فأكثر)** أي البيان **(في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس)** سبق معناه اللغوي **(فقال قائل: وما فتنة الأحلاس قال: هي هرب)** بفتحتين، أي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة. **(وحرب)** بفتحتين، أي أخذ مال وأهل بغير استحقاق. **(ثم فتنة السراء)** بالرفع عطف على هرب بحسب المعنى، فكأنه قال: وفتنة الأحلاس حرب وهرب وفتنة السراء. وفي نسخة بالنصب عطفاً على فتنة الأحلاس، والمراد بالسراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلى السراء لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم أو لأنها تسر العدوّ. وقال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون سبب وقوع الناس في تلك الفتنة وابتلائهم بها أثر النعمة فأضيفت إلى السراء. يعني: يكون التركيب من قبيل إضافة الشيء إلى سببه، ويحتمل أن يكون صفة للفتنة فأضيفت إليها إضافة مسجد الجامع. ويراد منها سعتها لكثرة الشرور والمفاسد. ومن ذلك قولهم: قفاه سراء إذا كانت وسيعة. يعني: يكون التقدير فتنة الحادثة السراء أي الواسعة التي تعم الكافة من الخاصة والعامة. وقوله: **(دخنها)** بفتحتين، أي إثارتها وهيجانها وشبهها بالدخان الذي يرتفع كما شبه الحرب بالنار. وإنما قال: **(من تحت قدمي رجل من أهل بيتي)** تنبيهاً على أنه هو الذي يسعى في إثارتها، أو إلى أنه يملك أمرها. **(يزعم أنه مني)** أي في الفعل وإن كان مني في النسب. والحاصل أن تلك الفتنة بسببه وأنه باعث على إقامتها. **(وليس مني)** أي من أخلائي أو من أهلي في الفعل لأنه لو كان من أهلي لم يهيج الفتنة ونظيره قوله تعالى: ﴿**إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ [هود ـ ٤٦]. أو ليس من أوليائي في الحقيقة ويؤيده قوله: **(إنما أوليائي المتقون)** وهذا أبلغ من حديث: «آل محمد كل تقي»[(١)]. **(ثم يصطلح الناس على رجل)** أي يجتمعون على بيعة رجل **(كورك)** بفتح وكسر **(على ضلع)** بكسر ففتح ويسكن واحد الضلوع أو الأضلاع وتسكين اللام فيه جائز على ما في الصحاح[(٢)]، وهذا مثل. والمراد أنه لا يكون على ثبات لأن الورك لثقله لا يثبت على الضلع لدقته. والمعنى أنه يكون غير أهل للولاية لقلة علمه وخفة رأيه وحلمه. وفي النهاية: أي يصطلحون على رجل لا نظام له ولا استقامة لأمره لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما

الحديث رقم ٥٤٠٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٤٢٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ١٣٣.

(١) الطبراني في الأوسط ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٨ حديث رقم ١٥.

(٢) في المخطوطة «الصلاح» والصواب «الصحاح» والمقصود به «مختار الصحاح».

ثمَّ فتنة الدُّهَيماء لا تدَعُ أحداً من هذه الأمةِ إلا لطَمتْهُ لطمةً، فإذا قيل: انقضت، تمادت، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصيرَ الناسُ إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط نفاقٍ لا إيمانَ فيه. فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده».

وبعده. وفي شرح السنة: معناه أن الأمر لا يثبت ولا يستقيم له وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله. وحاصله أنه لا يستعد ولا يستبد لذلك فلا يقع[1] عنه الأمر موقعه، كما أن الورك على ضلع يقع غير موقعه. قال: وإنما يقال في باب الملائمة والموافقة إذا وصفوا به هو ككف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به. **(ثم فتنة الدهيماء)** بالرفع وينصب على ما سبق وهي بضم ففتح. والدهماء السوداء والتصغير للذم، أي الفتنة العظماء والطامة العمياء. وفي النهاية: هي تصغير الدهماء، يريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم. وقيل المراد بالدهيماء الداهية ومن أسماء الداهية الدهيم، زعموا أن الدهيم اسم ناقة غزا عليها سبعة إخوة متعاقبين فقتلوا عن آخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلاً في كل داهية. **(لا تدع)** أي لا تترك تلك الفتنة **(أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة)** أي أصابته بمحنة ومسته ببلية. وأصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف. والمراد أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها. قال الطيبي [رحمه الله]: هو استعارة مكنية، شبه الفتنة بإنسان ثم خيل لإصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به وجعلها قرينة لها. **(فإذا قيل: انقضت)** أي فمهما توهموا أن تلك الفتنة انتهت **(تمادت)** بتخفيف الدال، أي بلغت المدى أي الغاية من التمادي. وفي نسخة بتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد، أي استطالت واستمرت واستقرت. **(يصبح الرجل فيها مؤمناً)** أي لتحريمه دم أخيه وعرضه وماله **(ويمسي كافراً)** أي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك **(حتى يصير الناس إلى فسطاطين)** بضم الفاء وتكسر، أي فرقتين. وقيل: مدينتين. وأصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحل وإرادة الحال. **(فسطاط إيمان)** بالجر على أنه بدل. وفي نسخة بالرفع وإعرابه مشهور، أي إيمان خالص. **(لا نفاق فيه)** أي لا في أصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله. **(وفسطاط نفاق لا إيمان فيه)** أي أصلاً أو كمالاً لما فيه من أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك. **(فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال)** أي ظهوره **(من يومه أو من غده)** وهذا يؤيد أن المراد بالفسطاطين المدينتين. فإن المهدي يكون في بيت المقدس فيحاصره الدجال فينزل عيسى عليه [الصلاة]والسلام فيذوب الملعون كالملح ينماع في الماء فيطعنه بحربة له فيقتله فيحصل الفرج العام والفرج التام كما قال سيد الأنام:

* اشـــتـــدي أزمـــة تـــنـــفـــرجـــي[2] *

---

(١) في المخطوطة «يصح».

(٢) القضاعي والديلمي في مسند الفردوس ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٦٩ حديث رقم ١٠٤٧.

رواه أبو داود.

٥٤٠٤ ـ (٢٦) وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، أفلحَ منْ كَفَّ يدَه». رواه أبو داود.

وقد قال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ [الشرح ـ ٦ ـ ٧]. ولن يغلب عسر يسرين. وهما هنا الاقتران بين القمرين وضياء أنوارهما في أمر الكونين. قال الطيبي [رحمه الله]: الفسطاط بالضم والكسر المدينة التي فيها يجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط. وإضافة الفسطاط إلى الإيمان إما بجعل المؤمنين نفس الإيمان مبالغة وإما بجعل الفسطاط مستعاراً للكتف والوقاية على المصرحة، أي هم في كتف الإيمان ووقايته. **(رواه أبو داود)** أي وسكت عليه، وأقره المنذري ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي نقله ميرك عن تصحيح الجزري[(١)].

٥٤٠٤ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ويل للعرب)** الويل حلول الشر وهو تفجيع، أو ويل كلمة عذاب أو واد في جهنم وخص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم. **(من شر)** أي عظيم **(قد اقترب)** أي ظهوره. والأظهر أن المراد به ما أشار إليه ﷺ في الحديث المتفق عليه بقوله: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الحديث. كما تقدم والله [تعالى]أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين من وقعة عثمان رضي الله عنه، أو ما وقع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه. أقول: أو أراد به قضية يزيد مع الحسين رضي الله عنه وهو في المعنى أقرب، لأن شره ظاهر عند كل أحد من العجم والعرب. وقال ابن الملك [رحمه الله]: قوله: من شر، أي من خروج جيش يقاتل العرب. وقيل: أرد به الفتن الواقعة في العرب، أولها قتل عثمان واستمرت إلى الآن. أقول: ولم يعرف ما يقع في مستقبل الزمان والله المستعان وعليه التكلان. **(أفلح)** أي نجا وظفر على المدعي وانتصر على الأعداء. **(من كف يده)** أي عن الأذى أو ترك القتال إذا لم يتميز الحق من الباطل. أقول: ولعل وجه عدول الشراح عن المعنى الذي قدمته إلى ما ذكروه أن قوله: أفلح من كف يده، يدل على خلاف ذلك فإن وقت خروجهم ليس لأحد طاقة المقاتلة معهم. فمورد هذا الحديث غير الأول فتدبر وتأمل، اللهم إلا أن يقال إن هذا جملة مستقلة والمعنى: أفلح من كف يده عمن قال لا إله إلا الله، إلا بإذن شرعي حكم به وقضاه. **(رواه أبو داود)** أي بإسناد رجاله رجال الصحيح. والحديث متفق عليه من حديث طويل خلا قوله: قد أفلح من كف يده. نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع بلفظ المشكاة رواه أبو

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٤٦٦.

الحديث رقم ٥٤٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/١١. حديث رقم ٧٠٥٩. ومسلم في صحيحه ٤/٢٢٠٧ حديث رقم (١ ـ ٢٨٨٠) وأبو داود في السنن ٤/٤٤٩ حديث رقم ٤٢٤٩ والترمذي في السنن ٤/٤١٦ حديث رقم ٢١٨٧. وابن ماجه ٢/١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٣. وأحمد في المسند ٢/٤٤١.

٥٤٠٥ ـ **(٢٧)** وعن المقداد بن الأسود، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ السعيد لمن جُنّبَ الفتَن، إن السعيد لمن جُنّب الفتن، إن السعيد لمن جُنّبَ الفتن؛ ولمن ابتليَ فصبر فوَاهاً». رواه أبو داود.

داود والحاكم[(١)]، وفيه أيضاً حديث: ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن حبان عن أبي سعيد[(٢)]. وفيه أيضاً: ويل لأمتي من علماء السوء. رواه الحاكم في تاريخه عن أنس[(٣)].

٥٤٠٥ ـ **(وعن المقداد بن الأسود)** قال المؤلف: هو ابن عمرو الكندي، وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه كان في حجره. وقيل: بل كان عبداً فتبناه وكان سادساً في الإسلام. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن السعيد لمن)** باللام المفتوحة للتأكيد في خبر إن، أي للذي **(جنب)** بضم الجيم وتشديد النون المكسورة، أي بعد. **(الفتن)** منصوب على أنه مفعول ثان. ومنه ما ورد من الدعاء: اللهم جنبنا الشيطان. وقيل: إنه منصوب بنزع الخافض. أي بعد عنها. **(إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن)** كررها ثلاثاً للمبالغة في التأكيد. ويمكن أن يكون التكرار باعتبار أول الفتن وآخرها. **(ولمن ابتلي)** اللام للابتداء، أي لمن امتحن بتلك الفتن. **(فصبر)** أي على أذاهم ولم يحاربهم في ذلك الزمن. **(فواهاً)** [بالتنوين]اسم صوت وضع موضع المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبي [رحمه الله]: وقال ابن الملك: معناه التلهف وقد يوضع موضع الإعجاب بالشيء والاستطابة له، أي ما أحسن وما أطيب صبر من صبر. وقيل: معناه فطوبى له. وفي النهاية. قيل: معنى هذه التلهف وقد يوضع موضع الإعجاب بالشيء، يقال: وأهاً له. وقد يرد بمعنى التوجع. وقيل: يقال في التوجع آهاً له. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون فواهاً خبراً لمن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، فعلى هذا فيه معنى التعجب، أي من ابتلى فصبر فطوبى له، وأن لا يكون خبراً على أن اللام مفتوحة ويكون قوله: ولمن ابتلي، عطفاً على قوله: لمن جنب الفتن، فعلى هذا واهاً للتحسر، أي فواهاً على من باشرها وسعى فيها. اهـ. ويؤيده ما في الجامع بلفظ: «إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر»[(٤)]. وقيل: اللام مكسورة ويكون فواهاً بمعنى التعجب، أي ولمن ابتلي فصبر يجب أن يتعجب من حاله. هذا وفي القاموس: واهاً ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء وكلمة تلهف، أي من تلف شيء. **(رواه أبو داود)**.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٣ حديث رقم ٩٦٤٧.

(٢) ٢/ ٥٧٣ حديث رقم ٩٦٥٨. ولم يذكر النسائي. والحديث أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٣١٦٤) وأحمد في المسند (٣/ ٧٥).

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٣ حديث رقم ٩٦٥٤.

الحديث رقم ٥٤٠٥: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٤٢٦٣.

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٢٣ حديث رقم ٢٠٠٩ والحديث أخرجه أبو داود ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٤٢٦٣.

٥٤٠٦ ـ (٢٨) وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضِع السيف في أُمَّتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقومُ الساعة حتى تلحق قبائلُ من أُمَّتي بالمشركين، وحتى تَعْبُدَ قبائلُ من أُمتي الأوثان، وإِنَّه سيكون في أُمَّتي كذَّابون ثلاثون، كلُّهم يزعم أنَّه نبيُّ الله، وأنا خاتم النبيين، لا نبيَّ بعدي، ولا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي على الحق ظاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». رواه أبو داود والترمذي.

٥٤٠٧ ـ (٢٩) وعن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال: «تدور رحى الإِسلام لخمس وثلاثين

٥٤٠٦ ـ **(وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا وضع السيف في أمتي)** أي من بعضهم لبعض **(لم يرفع عنها إلى يوم القيامة)** وقد ابتدىء في زمن معاوية وهلم جراً لا يخلو عنه طائفة من الأمة فصدق في أخباره إمام الأئمة. ثم الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ [الأنعام ـ ٦٥]. وتحقيقه في الأحاديث المنثورة في تفسير الدر المنثور. **(ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين)** منها ما وقع بعد وفاته ﷺ في خلافة الصديق رضي الله عنه. **(وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)** أي الأصنام حقيقة. ولعله يكون فيما سيأتي، أو معنى ومنه: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم»[(١)]. **(وإنه)** أي الشأن **(سيكون في أمتي كذابون)** أي في دعوتهم النبوّة **(ثلاثون)** أي هم أو عددهم ثلاثون **(كلهم يزعم)** أفرد للفظ كل **(أنه نبي الله وأنا خاتم النبيين)** بكسر التاء وفتحها والجملة حالية. وقوله: **(لا نبي بعدي)** تفسير لما قبله **(ولا تزال طائفة من أمتي على الحق)** خبر لقوله: لا تزال، أي ثابتين على الحق علماً وعملاً. **(ظاهرين)** أى غالبين على أهلِ الباطل ولو حجة. قال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون حالاً من ضمير الفاعل في ثابتين. أي ثابتين على الحق في حالة كونهم غالبين على العدوّ. **(لا يضرهم من خالفهم)** أي لثباتهم على دينهم **(حتى يأتي أمر الله)** متعلق بقوله: لا تزال. **(رواه أبو داود والترمذي)** وكذا ابن ماجه، ذكره السيد جمال الدين [رحمه الله]. وفي الجامع: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون. رواه الشيخان عن المغيرة[(٢)].

٥٤٠٧ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: تدور رحى الإِسلام)** أي تستقر وتستمر دائرة رحى الإِسلام ويستقيم دورانها على وجه النظام، أو يبتدىء دوران دائرة الحرب وتزلزله وحركاته وسكناته في الإِسلام. **(لخمس وثلاثين)** أي لوقت خمس وثلاثين من

الحديث رقم ٥٤٠٦: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٥١ حديث رقم ٤٢٥٢. وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٤ حديث رقم ٢٢٠٢. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

(١) البخاري في صحيحه وراجع الحديث (٥١٦١).

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٩ حديث رقم ٩٧٧٣.

الحديث رقم ٥٤٠٧: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٥٣ حديث رقم ٤٢٥٤. وأحمد في المسند ١/ ٣٩٠.

أو ستٍّ وثلاثين أو سبعٍ وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيلُ من هلك، وإنْ يَقُمْ لهم دينُهم يقم لهم سبعين عاماً».

ابتداء ظهور دولة الإسلام وهي زمن هجرة خير الأنام وبانتهاء المدة تنقضي خلافة الخلفاء الثلاثة بلا خلاف بين الخاص والعام، إذ بعدها مقتل عثمان رضي الله عنه **(أو ست وثلاثين)** وفيه قضية الجمل **(أو سبع وثلاثين)** وفيه وقعة صفين، وأو فيها للتنويع أو بمعنى بل. فإن الأمر فيهما أهون مما بعدهما لا سيما أمر الإسلام ونظام الأحكام وظهور الصحابة والعلماء الأعلام. ولهذا قال: **(فإن يهلكوا)** أي إن اختلفوا بعد ذلك واستهانوا في أمر الدين واقترفوا المعاصي **(فسبيل من هلك)** أي فسبيلهم سبيل من هلك من الأمم الماضية الذين زاغوا عن الحق في اختلافهم وزيغهم عن الحق ووهنهم في الدين. وسمى أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدّي إليه هلاكاً هذا مجمل الكلام. وأما تفصيل المرام فقال الخطابي: دوران الرحى، كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحا الدوّارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس. قال الشاعر:

* فدارت رحانا واستدارت رحاهم *

قلت: هو معنى ما قال غيره:

فيوماً علينا ويوماً لنا فيوماً نساء ويوماً نسر

وقال تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ [آل عمران ـ ١٤٠]. ثم الرحا وإن كان فيها ما ذكر من تلف الأرواح وهلاك الأنفس لكن فيها أيضاً قوة الأشباح وقوة الأرواح. قال التوربشتي [رحمه الله]: إنهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى، ويقولون: دارت رحا الحرب، أي استتب أمرها ولم تجدهم استعملوا دوران الرحا في أمر الحرب من غير جريان ذكرها، أو الإشارة إليها. وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وإنما قال: رحى الإسلام، فالأشبه أنه أراد بذلك أن الإسلام يستتب أمره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث. ويصح أن يستعار دوران الرحى في الأمر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له، فإن الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة. ويقال: فلان صاحب دارتهم إذا كان أمرهم يدور عليه، ورحى الغيث معظمه. ويؤيد ما ذهبنا إليه ما رواه الحربي في بعض طرقه: تزول رحى الإسلام مكان تدور، ثم قال: كأن تزول أقرب، لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها. وأشار بالسنين الثلاث إلى الفتن الثلاث، مقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس وثلاثين وحرب الجمل وكانت سنة ست وحرب صفين وكانت سنة سبع فإنها كانت متتابعة في تلك الأعوام الثلاثة. **(وإن يقم لهم دينهم)** أي وإن صفت تلك المدد ولم يتفق لهم اختلاف وخور في الدين وضعف في التقوى. **(يقم لهم سبعين عاماً)** تتمادى بهم قوّة الدين واستقامة أمره سبعين سنة. وقد وقع المحذور في الموعد الأول ولم يزل ذلك كذلك إلى الآن. قال الخطابي: أراد بالدين الملك. قال: ويشبه أن يكون أراد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس، وكان ما بين استقرار الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر

قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: «مما مضى». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٤٠٨ ـ (٣٠) عن أبي واقدٍ الليثي: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا خرجَ إلى غزوة حُنين

بني أمية ودخل الوهن فيه نحواً من سبعين سنة. قال التوربشتي: يرحم الله أبا سليمان فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه لعلم أن النبي ﷺ لم يرد بذلك ملك بني أمية دون غيرهم من الأمة، بل أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمساً وثلاثين [أو ستاً وثلاثين] أو سبعاً وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف، فتفرق كلمتهم فإن هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين هذا مقتضى اللفظ ولو اقتضى اللفظ أيضاً غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول، فإن الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا، هذا وهي قول ابن مسعود. **(قلت:)** أي يا رسول الله **(أو مما بقي أو مما مضى)** يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها. **(قال: مما مضى)** يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أوّل دولة الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين. وفي جامع الأصول قيل: إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى أن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة، ووجهه أن يكون قد قاله، وقد بقيت من عمره ﷺ خمس سنين أو ست فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ، وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، وإن كان سنة ست وثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين. **(رواه أبو داود)**.

(الفصل الثالث)

٥٤٠٨ ـ **(عن أبي واقد الليثي)** قال المؤلف: هو الحارث بن عوف قديم الإسلام عداده في أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها ودفن بفج. **(أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين)** أي بعد فتح مكة ومعه بعض من دخل في الإسلام حديثاً ولم يتعلم من أدلة الأحكام آية

الحديث رقم ٥٤٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه. حديث رقم ٧٣١٩. وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤١٢ حديث رقم ٢١٨٠. وابن ماجه ٢/ ١٣٢٢ حديث رقم ٣٩٩٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٠.

مرَّ بشجرةٍ للمشركين كانوا يُعلّقونَ عليها أَسلحَتَهُم، يقال لها: ذاتُ أنواط. فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهُم ذاتُ أنواط فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ﴾ والذي نفسي بيده لتركبُنَّ سُنَنَ من كان قبلكم». رواه الترمذي.

٥٤٠٩ - **(٣١)** وعن ابن المسيب، قال: وقعتِ الفتنةُ الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم يبقَ من أصحابِ بدرٍ أحدٌ، ثم وقعتِ الفتنةُ الثانيةُ - يعني الحرة - فلم يبقَ من أصحاب الحديبيةِ أحدٌ، ثمَّ وقعتِ الفتنةُ الثالثةُ

ولا حديثاً. **(مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم)** أي ويعكفون حولها يقال لها ذات أنواط جمع نوط، وهو مصدر ناطة أي علقة. **(فقالوا:)** أي بعضهم ممن لم يكمل له مرتبة التوحيد ولم يطلع على حقيقة التفريد. **(يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)**. أي شجرة نحن أيضاً نعلق عليها أسلحتنا. وكأنهم أرادوا به الضدية والمخالفة العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية. **(فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله)** تنزيهاً وتعجباً **(هذا)** أي هذا القول منكم **(كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾)**[1] لكن لا يخفى ما بينهما من التفاوت المستفاد من التشبيه حيث يكون المشبه به أقوى. **(والذي نفسي بيده لتركبن)** بضم الموحدة، أي لتذهبن أنتم أيها الأمة. **(سنن من كان قبلكم)** بضم السين أي طرقهم ومناهجهم وسبل أفعالهم. وفي نسخة بفتحها أي على منوالهم وطبق حالهم وشبه قالهم. **(رواه الترمذي)** ورواه أيضاً عن ابن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. ورواه الحاكم عن ابن عباس: لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه[2].

٥٤٠٩ - **(وعن ابن المسيب)** بفتح التحتية المشددة وقد تكسر، تابعي جليل. **(قال: وقعت الفتنة الأولى يعني)** هذا كلام الراوي عن ابن المسيب وتفسير لكلامه، أي يريد بالفتنة الأولى. **(مقتل عثمان فلم يبق من أصحاب بدر أحد)** هذا كلام ابن المسيب، أي أنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة. والحاصل أنهم ما ابتلوا بالفتنة مرتين لما صانهم الله ببركة غزوة بدر. **(ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة)** في النهاية: هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت الوقعة المشهورة في الإسلام أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمر عليهم مسلم بن عقبة المزي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين. **(فلم يبق من أصحاب الحديبية)** بالتخفيف ويشدد، أي من أهل بيعة الرضوان. **(أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة)**

---

(١) الأعراف. آية رقم ١٣٨.
(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٥.

الحديث رقم ٥٤٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٢٣. حديث رقم ٤٠٢٤.

فلم ترتفع وبالناسِ طبَاخٌ. رواه البخاري.

(١) باب الملاحم

الفصل الأول

٥٤١٠ ـ (١) عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ

لعلها فتنة ابن الزبير وما حصل له ولأهل مكة من الحجاج **(فلم ترتفع)** وفي نسخة: ولم ترتفع. **(وبالناس طباخ)** أي أحد وهو بفتح الطاء وتخفيف الباء الموحدة وبالخاء المعجمة على ما صرح به صاحب المشارق والمفهوم من النهاية، فلا وجه لما ضبط في بعض النسخ من كسر الطاء. نعم في القاموس الطباخ كسحاب ويضم القوّة والإحكام والسمن. قال الطيبي [رحمه الله]: أصل الطباخ القوّة والسمن ثم استعمل في غيره، فقيل: فلان لا طباخ له أي لا عقل له ولا خير عنده. أراد أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحداً. فالمراد بالناس الصحابة فأل للعهد، [أو المراد بهم الكاملون في مرتبة الإِنس ورتبة الإِنس]**(رواه البخاري)**.

(باب الملاحم)

بفتح الميم وكسر الحاء جمع الملحمة وهي المقتلة، أو هي الواقعة العظيمة، وفي النهاية: هي الحرب وموضع القتال، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدي. وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها. اهـ. ومن أسمائه ﷺ: نبي الملحمة، وفيه إشارة إلى أنه معدن الجلال كما أنه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة والجمع بينهما هو الكمال، وإنما أطلق سبحانه في حقه قوله: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]. بناء على غلبة رحمته تخلقاً بأخلاق الله وصفته كما ورد في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»[١]. ولذا ينادي: بيا أرحم الراحمين، بل الملحمة في الحقيقة عين المرحمة كما أن المحن من عنده سبحانه هي المنح والمنن والبلاء عين الولاء: ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ [الأعراف ـ ١٤١].

(الفصل الأوّل)

٥٤١٠ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة)** بتأنيث

---

(١) متفق عليه وراجع الحديث رقم (٥٧٠٠).

الحديث رقم ٥٤١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٨١/١٣. حديث رقم ٧١٢١. وأخرجه مسلم ١٣٧/١ حديث رقم (٢٤٨ . ١٥٧). وأخرجه أحمد في المسند ٣١٣/٢.

حتى تقتتِلَ فئتانِ عظيمتان، تكون بينهما مقتلةٌ عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يُبْعَثَ دجالونَ كذّابون، قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يزعم أنّه رسولُ الله، وحتى يُقبض العلم، وتَكْثُرَ الزلازل، ويتقارب الزمان، ويظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثُرَ فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبلُ صدقته،

الفعل ويذكر وكذا قوله: **(حتى تقتتل فئتان عظيمتان)** أي كثيرتان أو كمية أو كيفية لما كان في كل منهما جماعة من الصحابة. ويمكن حمله على التغليب، إذ الجماعة العظيمة في الحقيقة إنما كانت جماعة علي كرم الله وجهه. قال الأكمل: وهذا من المعجزات لأنه وقع بعده في الصدر الأول **(تكون بينهما مقتلة عظيمة)** أي حرب عظيم وقتال قوي **(دعواهما واحدة)** أي كل واحدة من الفئتين تدعي الإسلام. قال ابن الملك: المراد علي ومعاوية ومن معهما، ويؤخذ من قوله: دعواهما واحدة. الرد على الخوارج في تكفيرهم كلتا الطائفتين. اهـ. وفي كون الحديث رداً عليهم مجرد دعوى لا يخفى، فإنه لا يلزم من تحقق الدعوى [وصول]المدعي وحصول المعنى، مع أن الدعوى قد تصرف إلى دعوى الخلافة ونحوها. **(وحتى يبعث)** أي يرسل من عالم الغيب إلى صحن الوجود ويظهر **(دجالون)** أي مبالغون في فساد العباد والبلاد **(كذابون)** أي على الله ورسوله. في شرح السنة: كل كذاب دجال، يقال: دجل فلان الحق بباطله غطاه، ومنه أخذ الدجال ودجله سحره وكذبه. وقيل: سمي الدجال دجلاً لتمويهه على الناس وتلبيسه. يقال: دجل، إذا موّه ولبس. **(قريب من ثلاثين)** وهذا لا ينافي حرمه فيما سبق بقوله: ثلاثون، فإنه إما متأخر وإما المراد منه التقريب، وكذا لا ينافي في ما رواه الطبراني عن ابن عمر: «ولا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذاباً»[(١)]. فإن المراد منه التكثير، أو الثلاثون مقيدون بدعوى النبوّة والباقون بغيرها على احتمال أن السبعين غير الثلاثين، فتكمل المائة والله [تعالى]أعلم. **(كلهم يزعم أنه رسول الله)** وفي نسخة: نبي الله. **(وحتى يقبض)** أي يؤخذ ويرفع **(العلم)** أي النافع المتعلق بالكتاب والسنة بقبض العلماء من أهل السنة والجماعة، فيكثر أهل الجهل والبدعة. **(وتكثر الزلازل)** أي الحسية وهي تحريك الأرض، أو المعنوية وهي أنواع البلية فإن موت العلماء فوت العالم. **(ويتقارب الزمان)** قال الخطابي: أراد به زمان المهدي لوقوع الأمن في الأرض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فتستقصر مدته لأنهم يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت. ويستطيلون أيام الشدة وإن قصرت. **(ويظهر الفتن)** أي ويترتب عليها المحن **(ويكثر الهرج)** قيل: المراد بكثرته شموله ودوامه. **(وهو)** أي الهرج **(القتل)** يحتمل أن يكون مرفوعاً، والأظهر أنه تفسير من أحد الرواة فهو جملة معترضة. **(وحتى يكثر فيكم المال فيفيض)** بالنصب ويرفع من فاض الماء إذا انصب عند امتلائه، والضمير إلى المال فهو مبالغة لحصول المنال في المآل. **(حتى يهم)** بضم الياء وكسر الهاء وتشديد الميم، من أهمه أحزنه وأقلقه. وقوله: **(رب المال)** منصوب على أنه مفعول، والفاعل قوله: **(من يقبل صدقته)** على تقدير مضاف، أي حتى يوقع في الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٥.

وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين **﴿لا ينفع نفساً إيمانُها**

لم يجد من يقبله، والتمليك شرط لحصول الزكاة كما أن القبض شرط لحصول الصدقة. وفي بعض النسخ بضم الياء وفتح الهاء على أن همه[1] لغة[2] بمعنى أحزنه، فرب المال منصوب على حاله وفي بعضها برفعه على أنه فاعل ومن مفعوله، أي يقصده رب المال عكس المتعارف في بقية الأزمنة والأحوال من هم به إذا قصده فيكون من باب الحذف والإيصال. والمعنى الأوّل هو المعوّل فتأمل. قال النووي [رحمه الله]: في شرح مسلم ضبطوه بوجهين وأشهرهما ضم أوله وكسر الهاء. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي جامع الأصول مقيد بضم الياء ورب المال مفعوله والموصول مع صلته فاعله. وقوله: **(وحتى يعرضه)** بكسر الراء عطف على مقدر، والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه. اهـ. بكسر الراء عطف على مقدر، والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه. اهـ. أي حتى يعرض المال الذي أراد أن يتصدق به على من يظن أنه يقبله. **(فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به)** بفتح الهمزة والراء، أي لا حاجة لي إليه، إما لغنى قلبه أو لغنى يده. والأظهر أنه لهما جميعاً فكأن الخير وسع الجميع بما فيه وقنع كل أحد بما يكفيه فلا يريد ما يطغيه أو ما لا يعنيه، وإلا فمن المعلوم أنه: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولن يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[3]. على ما ورد في الحديث بل في القرآن المنسوخ التلاوة فكأن أهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا إلى مقام الرضا بالقضاء والقناعة بالكفاية والاستغناء بما قسمه الله على الناس، فإن الاستئناس بالناس من علامة الافلاس. **(وحتى يتطاول الناس في البنيان)** أي حتى يتزايدوا في طوله وعرضه أو يفتخروا في تزيينه وتحسينه، وهذا غير مقيد بزمان المهدي بل المراد به أما بعده وأما قبله. فإن الآن قد كثر البنيان وافتخر به أهل الزمان وتطاول به اللسان في كل مكان وهدموا العمارة الموضوعة للخيرات وجعلوها دوراً وبساتين ومواضع التنزهات ومحال التلهيات. **(وحتى يمر الرجل)** أي من كثرة همومه وغمومه في أمر دينه أو دينه أو كثرة بلائه وقلة دوائه. **(بقبر الرجل)** أي من أقاربه أو أجانبه **(فيقول:)** بالنصب ويرفع **(يا ليتني مكانه)** نقل بالمعنى، إذ لفظه: مكانك، أي ليتني كنت ميتاً حتى لا أرى الفتنة ولا أشاهد المحنة. **(وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون)** تأكيد للناس أو لضميره، أي كلهم لما رأوه من الآية الملجئة والعلامة العيانية[4]. وكان المطلوب منهم الإيمان في الحالة الغيبة كما أشار إليه سبحانه: الذين يؤمنون بالغيب. ولذا قال: **(فذلك)** أي الوقت (**﴿حين لا ينفع نفساً إيمانها﴾**) وكذا ما يترتب على إيمانها من عمل

---

(١) في المخطوطة «يهمه». (٢) زيادة «بفتح الباء وكسر الهاء» كذا في المخطوطة.
(٣) متفق عليه. راجع الحديث رقم (٥٢٧٣). (٤) في المخطوطة بصيغة الجمع.

لم تكنْ آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾، ولتَقومَنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهُما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبنِ لقحته فلا يطعمه، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رَفعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يطعمها».

خيرها، أي الحادثين في ذلك الوقت كما بينه بقوله: (**﴿لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾**)(١). فأو للتنويع، إذ قد يوجد إيمان مجرد عن العمل وقد يقترن العمل بالإيقان، لكن لما كان وقوعهما في حال البأس ووقت اليأس لا يكونان نافعين. قال تعالى: **﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾** [غافر ـ ٨٥]. وقيل: التقدير لا ينفع إيمانها ولا كسبها إن لم تكن آمنت من قبل أو لم تكن كسبت، فالكلام من اللف التقديري والنشر الظاهري. هذا وقيل جملة لم تكن آمنت صفة نفس، والأولى أن تحمل على الاستئناف لئلا يقع الفصل بين الصفة والموصوف، وقوله: من قبل، أي قبل إتيان بعض آيات الرب على ما في القرآن مبهماً ومجملاً ومن قبل طلوع الشمس من مغربها على ما في الحديث مفسراً ومبيناً. ثم قيل: أو كسبت، عطف على آمنت. والمراد بالخير التوبة أو الاخلاص فتنوينه للتعظيم، أي لا ينفع تلك النفس إيمانها وقبول توبتها، فيفيد أن أو للتنويع فكأنه قال: لا ينفعها توبة عن الشرك ولا توبة عن المعاصي، وبهذا يندفع استدلال المعتزلة بالآية على أن العمل المعبر عنه بالخير جزاء للإيمان مع أن الظاهر من قوله تعالى: **﴿في إيمانها خيراً﴾**. يدفع ذلك. ثم قيل عدم قبول الإيمان والتوبة في ذلك الوقت مخصوص بمن شاهد طلوعها حتى أن من ولد بعده أو لم يشاهده يقبل كلاهما منه. والصحيح أنه غير مخصوص للخبر الصحيح: إن التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق. (**ولتقومن الساعة**) أي النفخة الأولى وهي مقدمة الساعة فأطلقت عليها (**وقد نشر الرجلان**) الجملة حالية أي والحال أنهما فتحا وفرقاً (**ثوبهما بينهما**) الإضافة لأحدهما على أنه صاحبه وللآخر على أنه طالبه (**فلا يتبايعانه**) أي لا يكملان البيع والشراء (**ولا يطويانه**) أي ولا يجمعان الثوب فيفترقان، بل تقع الساعة عليهما وهما مشغولان بالبيع والشراء كما قال تعالى: **﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون﴾**. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. وحاصله أن قيام الساعة يكون بغتة لقوم وهم في أشغالهم كما قال تعالى: **﴿لا تأتيكم إلا بغتة ﴾** [الأعراف ـ ١٨٧]. (**ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته**) بكسر اللام وسكون القاف، أي ناقة ذات لبن. (**فلا يطعمه**) أي فلا يمكن الرجل أن يشرب اللبن الذي حلبه وهو في يده. (**ولتقومن الساعة وهو يليط**) بفتح أوّله، أي يطين ويصلح، (**حوضه**) أي ليسقي إبله أو غنمه منه (**فلا يسقي**) أي إبله، وهو بفتح الياء ويجوز ضمها. (**فيه**) أي في ذلك الحوض أو من مائه. والمعنى أن الساعة تأخذ الناس بغتة تأتيهم وهم في أشغالهم فلا تمهلهم أن يتموها. (**ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته**) بضم الهمزة أي لقمته (**إلى فيه فلا يطعمها**) أي فلا يبلعها ولا يأكلها،

(١) سورة الأنعام. آية رقم ١٦٨.

متفق عليه.

٥٤١١ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قوماً نِعالهم الشعر، وحتى تقاتِلوا التركَ صغارَ الأعين، حمر الوجوه، ذُلفَ الأنوفِ، كأنَّ وجوهَهُم المجَانُّ المُطْرَقة».

وهذا أبلغ مما قبله من الصور (**متفق عليه**).

٥٤١١ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر**) بفتحتين وسكون العين، أي من جلود مشعرة غير مدبوغة. (**وحتى تقاتلوا الترك**) قال السدي: من الترك شرذمة يأجوج ومأجوج، عن قتادة أنهم كانوا ثنتين وعشرين [قبيلة]بني ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك، سموا بذلك لأنهم تركوا خارجين. (**صغار الأعين**) بالنصب، وهو من أمارات الحرص على أمتعة الدنيا صغيرها وحقيرها والبخل على نقيرها وقطميرها (**خمر الوجوه**) أي من شدة حرارة باطنهم وغليان الغضب في أجوافهم (**ذلف الأنوف**) بضم الذال المعجمة أي صغيرها، فيكون كناية عن عدم شمومهم الحق أو عريضها فيدخل فيها الحق والباطل من غير تمييز لهم بينهما. والأظهر أن معناه فطس الأنوف كما في الرواية الآتية جمع أفطس من الفطس بالتحريك، وهو تطامن قصبة الأنف وانخفاضها وانتشارها فيرجع إلى معنى عريضها. وقال القاضي: ذلف جمع أذلف وهو الذي يكون أنفه صغيراً ويكون في طرفه غلظ. (**كأن**) بتشديد النون (**وجوههم المجان**) بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس. (**المطرقة**) بضم الميم وفتح الراء المخففة المجلدة طبقاً فوق طبق. وقيل هي التي ألبست طراقاً أي جلداً يغشاها، وقيل هي اسم مفعول من الأطراق وهو جعل الطراق بكسر الطاء أي الجلد على وجه الترس. اهـ. شبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها. وفيه إشارة إلى أنهم لكبر وجوههم وإدارتها وكثرة لحمها ويبوستها أبوا الوجوه الطامعة في المال والأهل ليس فيها لينة الإنسانية ولا ملاءمة الإحسانية، بل كأنهم نوع آخر من جنس الناس ينبغي أن يقال إنهم نسناس، ويكفي في ذمهم أنهم فضلة يأجوج ومأجوج ومن إخوانهم وأنموذج وعينة من أعيانهم فلا شك أنهم يكونون في غاية من الفساد ونهاية من الضرر للعباد والبلاد[(١)]. ولا أرانا الله وجوههم إلى يوم الميعاد. قال القاضي [رحمه الله]: وقد ورد ذلك في الحديث الذي بعده صفة لخوز وكرمان ولو لم يكن ذلك من بعض الرواة، فلعل المراد

الحديث رقم ٥٤١١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠٤. حديث رقم ٢٩٢٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٣ حديث رقم (١١ ـ ٢٩١٢). أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٦ حديث رقم ٤٣٠٤. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٠ حديث رقم ٢٢١٥. والنسائي ٦/ ٢٤ حديث رقم ٣١٧٧. وابن ماجه ٢/ ١٣٧١ حديث رقم ٤٠٩٦. وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٩.

(١) في المخطوطة «البلاد والعباد».

متفق عليه.

٥٤١٢ ـ (٣) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجانُّ المُطرقة، نعالهم الشعر». رواه البخاري.

٥٤١٣ ـ (٤) وفي رواية له عن عمرو بن تغلب

بهما صفتان من الترك كان أحد أصول أحدهما من خوز وأحد أصول الآخر من كرمان فسماهم الرسول ﷺ باسمه وإن لم يشتهر عندنا، كما نسبهم إلى قنطوراء وهي أمة كانت لإبراهيم عليه [الصلاة]والسلام. ولعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والترك. اهـ. والأقرب أنه إشارة إلى قضية جنكيز(١) وما وقع له من الفساد وخصوصاً في بغداد والله رؤوف بالعباد (**متفق عليه**).

٥٤١٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً**) بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبالزاي في القاموس الخوز بالضم. جيل من الناس واسم لجميع بلاد خوزستان. (**وكرمان**) بكسر الكاف وتفتح وكذا ضبط في النسخ المصححة، لكن في القاموس كرمان وقد يكسر أو لحن، إقليم بين فارس وسجستان. وقال التوربشتي [رحمه الله]: الخوز جيل من الناس وإنما جاء في الحديث منوناً بسكون وسطه هكذا. وقد ذكر ابن الأثير بالخاء المعجمة المضمومة وبالزاي مع الإضافة. يقال: خوز كرمان من غير واو العطف، قال: وروي خوز وكرمان. قال: والخوز جيل معروف وكرمان صقع معروف في العجم. ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوّبه الدارقطني [رحمه الله]: وقيل: إنه إذا أضيف به فبالراء وإذا عطف فبالزاي نقله الجزري. (**من الأعاجم**) بيان لهما. قال شارح: المراد صنفان من الترك سماهما باسم أبويهما ولا نحمله على أهل خوزستان وكرمان لأنهم لم يوجدوا على النعت المذكور في الحديث، بل وجد عليه الترك. (**حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر. رواه البخاري**).

٥٤١٣ ـ (**وفي رواية له**) أي للبخاري (**عن [عمرو بن]تغلب**): بالتاء فوقها نقطتان وبالغين المعجمة وهو غير منصرف. قال المؤلف في فصل الصحابة: هو العبدي بن عبد

---

(١) هو جنكيز خان ويعرف بـ «تيموجين». ودخل هولاكو بغداد عام (٦٥٦). واعمل السيف بها. وهولاكو هو حفيد جنكيز خان. فتح سورية وإيران. وقضى على الخلافة العباسية في بغداد. [راجع تاريخ الخلفاء ص ٤٣٠ . ٤٣٨].

الحديث رقم ٥٤١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٠٤. حديث رقم ٣٥٩٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٢ حديث رقم ٤٠٩٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٩.

الحديث رقم ٥٤١٣: البخاري في صحيحه ٦/ ١٠٣ حديث رقم ٢٩٢٧.

«عراض الوجوه».

٥٤١٤ ـ **(٥)** وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يُقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهوديٌّ خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». رواه مسلم.

٥٤١٥ ـ **(٦)** وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ رجلٌ من قحطانَ يسوقُ الناسَ بعصاه». متفق عليه.

القيس، روى عنه الحسن البصري وغيره. **(عراض الوجوه)** بالنصب على الحكاية وبالرفع على الإعراب لكونه مبتدأ لخبر مقدم.

٥٤١٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه نظراً إلى أن مرجع الضمير إلى المضمون السابق. وفي نسخة صحيحة: وعن أبي هريرة بالإظهار لئلا يتوهم عود الاضمار إلى الصحابي اللاحق، فإنه لقربه ربما يظن أنه الأحق بمرجع اللاحق. **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم)** أي غالبهم أو فيغلبهم **(المسلمون حتى يختبىء)** أي يختفي **(اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر:)** أي كلاهما أو أحدهما **(يا مسلم يا عبد الله)** جمعاً بين الوصفين لزيادة التعظيم **(هذا)** أي تنبه ذا **(يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد)** استثناء من الشجر وهو نوع شجر ذو شوك يقال له العوسج، كذا ذكره شارح. وفي النهاية: هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك ومنه قيل لبقيع[1] أهل المدينة بقيع الغرقد لأنه كان فيه غرقد وقطع. **(فإنه من شجر اليهود)** أضيف إليهم بأدنى ملابسة. قيل: هذا يكون بعد خروج الدجال حين يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود. **(رواه مسلم)**.

٥٤١٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة: **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان)** بفتح القاف وسكون الحاء، وهو أبو اليمن. وقيل قبيلة منهم. **(يسوق الناس)** أي لأجل حكمه **(بعصاه)** هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي غنمه بعصاه. قيل: لعل الرجل القحطاني هو الذي يقال له جهجاه على ما سيأتي. **(رواه البخاري)**.

الحديث رقم ٥٤١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠٣ حديث رقم ٢٩٢٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٩. حديث رقم (٨٢ . ٢٩٢٢) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٧.

(١) في المخطوطة «المقبرة».

الحديث رقم ٥٤١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦٥/ ٥٤٥. حديث رقم ٣٥١٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٢ حديث رقم (٦ . ٢٩١٠) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٧.

٥٤١٦ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاهُ». وفي رواية: «حتى يملك رجلٌ من الموالي يقال له: الجَهجاه». رواه مسلم.

٥٤١٧ ـ (٨) وعن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتفتحنَّ عصابةٌ من المسلمين كنز آلِ كسرى الذي في الأبيض». رواه مسلم.

٥٤١٨ ـ (٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك كسرى

٥٤١٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الأيام والليالي)** أي لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة **(حتى يملك رجل يقال له الجهجاه)** قال النووي [رحمه الله]: بفتح الجيم وسكون الهاء. وفي بعض النسخ الجهجها بهاءين، وفي بعضها الجهجا بحذف الهاء التي بعد الألف، والأوّل هو المشهور. **(متفق عليه)**.

(وفي رواية: حتى يملك رجل من الموالي) بفتح الميم جمع المولى أي المماليك. والمعنى: حتى يصير حاكماً على الناس **(يقال له الجهجاه)** قال الجزري: لم أجد هذه الرواية في واحد من الصحيحين نقله ميرك، فيكون من غير الصحيحين للاستشهاد والاعتضاد فلا يرد على المؤلف إيرادها في الفصل الأول لأن اختصاصه بحديث الشيخين إنما هو في الأصول.

٥٤١٧ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لتفتحن)** بفتح الحاء، وفي نسخة صحيحة: لتفتتحن. قال التوربشتي [رحمه الله]: وجدناه في أكثر نسخ المصابيح بتاءين بعد الفاء، ونحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة وهو أمثل معنى لأن الافتتاح أكثر ما يستعمل بمعنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح في تحقيق الأمر، ووقوعه، والحديث إنما ورد في معنى الأخبار عن الكوائن. والمعنى: لتأخذن. **(عصابة)** بكسر العين أي جماعة من المسلمين **(كنز آل كسرى)** بكسر الكاف ويفتح، والآل مقحم أو المراد به أهله وأتباعه. **(الذي في الأبيض)** قال القاضي [رحمه الله]: الأبيض قصر حصين كان بالمدائن وكانت الفرس تسميه سفيد كرشك والآن بني مكانه مسجد المدائن، وقد أخرج كنزه في أيام عمر رضي الله [تعالى] عنه. وقيل: الحصن الذي بهمدان بناه دارين دار يقال له شهرستان. **(رواه مسلم)**.

٥٤١٨ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هلك كسرى)** جملة خبرية أي

الحديث رقم ٥٤١٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٢ حديث رقم (٦١ . ٢٩١١) والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٩.

الحديث رقم ٥٤١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٧ حديث رقم (٧٨ . ٢٩١٩) وأحمد في المسند ٥/ ١٠٠.

الحديث رقم ٥٤١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٥٧. حديث رقم ٣٠٢٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٧ حديث رقم (٧٦ . ٢٩١٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣١ حديث رقم ٢٢١٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣.

فلا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكَنَّ ثم لا يكون قيصرُ بعده، ولتقسمنَّ كنوزُهما في سبيل الله» وسمى «الحرب خدْعة». متفق عليه.

سيهلك ملكه وإنما عبر عنه بالمضي لتحقق وقوعه وقربه أو دعاء وتفاؤل. **(فلا يكون كسرى)** وفي نسخة بالتنوين حيث أريد به التنكير. **(بعده)** أي بعد كسرى الموجود في زمنه ﷺ. والمعنى: لا يملك مُلْك كسرى كافر بل يملكه المسلمون بعده إلى يوم القيامة **(وقيصر)** وهو ملك الروم مبتدأ وخبره ليهلكن والتغاير بينهما للتفنن أو عطف على كسرى. وأتى بقوله: **(ليهلكن)** للتأكيد مع زيادة المبالغة المستفادة من لام القسم ونون التأكيد **(ثم لا يكون قيصر)** بالوجهين أي قيصر آخر **(بعده)** أي بعد الأول. قال الطيبي [رحمه الله]: هلاك كسرى وقيصر كانا متوقعين فأخبر عن هلاك كسرى بالماضي دلالة على أنه كالواقع بناء على إخبار الصادق، وأتى في الإخبار عن قيصر بلام القسم في المضارع وبني الكلام على المبتدأ والخبر إشعاراً لاهتمامه بالاعتناء بشأنه وأنه أطلب منه، وذلك أن الروم كانوا سكان الشام وكان ﷺ في فتحه أشد رغبة، ومن ثم غزا ﷺ تبوك وهو من الشام. أقول: لما كان هلاك كسرى قبل قيصر بحسب وقائع الحال فناسب أن يعبر عن الأول بالماضي وعن الثاني بالاستقبال. **(ولتقسمن)** بصيغة المجهول مخففاً **(كنوزهما)** أي كنز كل منهما **(في سبيل الله. وسمى)** عطف على قال رسول الله ﷺ، أي قال الراوي وسمى النبي ﷺ **(الحرب خدعة)** بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضم الخاء مع فتح الدال على ما سبق مبناه وتحقق معناه. ومجمله ما في القاموس الحرب خدعة مثلثة وكهمزة، ورُوِيَ بهن جميعاً، أي ينقضي بخدعة هذا. والراوي جمع بين حديثين والظاهر أنهما وقعا في وقتين فلا يحتاج إلى طلب المناسبة بين إيرادهما معاً على أن في ذكره إشارة إلى أن هلاكهما وأخذ كنوزهما إنما يكون بالحرب، وربما يكون محتاجاً إلى خدعة فنية أصحابه إلى جوازها حتى لا يتوهموا أن الخدعة من باب الغدر والخيانة والله [تعالى]أعلم. وقال الطيبي [رحمه الله]: **فإن قلت**: ما وجه المناسبة بين قوله وسمى الحرب خدعة وبين الكلام السابق. قلت: هو وارد على سبيل الاستطراد لأن أصل الكلام كان في ذكر الفتح وكان حديثاً مشتملاً على الحرب فأورده في الذكر كما أورد قوله تعالى: **﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً﴾**. بعد قوله: **﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات﴾** [فاطر ـ ١٢]. إذ المراد منهما المؤمن والكافر. قلت: فقوله: من كل تأكلون. إشارة إلى تكميل التشبيه وتتميم وتذييل وهو إفادة أنه ينتفع بهما ونظام العالم بوجودهما، بل هما الدالان على مظهر الجمال والجلال وهما صفتا الكمال وعليهما مدار الكونين ومآل الفريقين كما دل عليهما مثال البحرين حيث قال: **﴿هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾** [الفرقان ـ ٥٣]. فكل في بابه في غاية من الكمال، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وهو على كل شيء قدير. **(متفق عليه)**.

٥٤١٩ ـ (١٠) وعن نافع بن عتبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثمَّ فارس فيفتحها الله، ثمَّ تغزونَ الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله». رواه مسلم.

٥٤٢٠ ـ (١١) وعن عوف بن مالك، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبَّةٍ من أدَمٍ فقال: «اعدد ستاً بينَ يدَي الساعة: موتي، ثمَّ فتح بيت المقدس، ثمَّ موتان يأخذ فيكمْ كقُعاص الغنم

٥٤١٩ ـ **(وعن نافع بن عتبة)** أي ابن أبي وقاص الزهري القرشي يعرف بالمرقال بكسر الميم وسكون الراء وبالقاف، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص صحابي من مسلمة الفتح من المؤلفة. روى عنه ابنُ عمر وجابر بن سمرة نقله ميرك عن التصحيح. **(قال: قال رسول الله ﷺ: تغزون)** أي بعدي **(جزيرة العرب)** وقد سبق تفسيرها وتحريرها وتقريرها. ومجمله على ما حُكِيَ عن مالك مكة والمدينة واليمامة واليمن. فالمعنى بقية الجزيرة أو جميعها بحيث لا يترك كافر فيها. **(فيفتحها الله)** أي عليكم **(ثم فارس)** أي ثم تغزونها **(فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها ثم تغزون الدجال)** الخطاب فيه للصحابة، والمراد الأمة: **(فيفتحه الله)** أي يجعله مقهوراً مغلوباً ويقع هلاكه على أيدي بني إسرائيل لمعاونة الأمة وأنزل لمساعدة الملة **(رواه مسلم)** أي في الفتن من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ولفظه: حفظت من رسول الله ﷺ أربع كلمات عدهن في يدي قال: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله الخ. والعجب أن الحاكم أخرجه في مستدركه على الصحيح وقال: على شرط مسلم. وأقره الذهبي نقله ميرك عن التصحيح. وفيه أن الظاهر هو أن الحاكم رواه بإسناد آخر رجاله رجال مسلم فيكون مستدركاً ولا يكون مستدركاً.

٥٤٢٠ ـ **(وعن عوف بن مالك رضي الله عنه)** أي الأشجعي صحابي مشهور **(قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة)** أي خيمة **(من أدم)** بفتحتين أي من جلد **(فقال: اعدد)** أي احسب وعد **(ستاً)** أي من العلامات الواقعة **(بين يدي الساعة)** أي قدامها **(موتي)** أي فوتي بانتقالي من دار الدنيا إلى الأخرى لأنه أول زوال الكمال بحجاب الجمال. **(ثم فتح بيت المقدس)** بفتح ميم وسكون قاف وكسر دال. وفي نسخة بضم ففتح فتشديد. **(ثم موتان)** بضم الميم، أي وباء **(يأخذ فيكم)** أي يتصرف في أبدانكم **(كقعاص الغنم)** بضم القاف داء يأخذ الغنم فلا يلبثها أن تموت. قال التوربشتي [رحمه الله]: أراد بالموتان الوباء وهو في الأصل موت يقع في الماشية [والميم منه مضمومة واستعماله في الإِنسان تنبيه على وقوعه فيهم وقوعه

الحديث رقم ٥٤١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ حديث رقم (٣٨ . ٢٩٠٠). وابن ماجه ٢/ ١٣٧٠ حديث رقم ٤٠٩١. وأحمد في المسند ٤/ ٣٣٨.

الحديث رقم ٥٤٢٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧٧. حديث رقم ٣١٧٦. ومسلم في صحيحه ١/ ٣٦٠ حديث رقم (٢٤٩ . ٥٠٣) وابن ماجه ٢/ ١٣٤١ حديث رقم ٤٠٤٢ وأحمد في المسند ٦/ ٢٤.

ثم استفاضةُ المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلُّ ساخطاً، ثمَّ فتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثمَّ هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غايةً، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً». رواه البخاري.

٥٤٢١ ـ (١٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تنزل الرومُ بالأعماق أو بدابق

في الماشية]. فإنها تسلب سلباً سريعاً وكان ذلك في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه وهو أول طاعوْن وقع في الإسلام، مات منه سبعون ألفاً في ثلاثة أيام. وعمواس قرية من قرى بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين. **(ثم استفاضة المال)** أي كثرته في شرح السنة وأصله التفرق والانتشار. يقال: استفاض الحديث إذا انتشر. وفي النهاية: هو من فاض الماء والدمع وغيرهما إذا كثر. **(حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل)** بالرفع وجوز النصب، أي فيصير. **(ساخطاً)** أي غضبان لعده المائة قليلاً. وهذه الكثرة ظهرت في خلافة عثمان رضي الله [تعالى]عنه عند الفتوح، وأما اليوم فبعض أهل زماننا يعدون الألف قليلاً ويحقرونه **(ثم فتنة)** أي بلية عظيمة. قيل: هي مقتل عثمان وما بعده من الفتن المترتبة عليها. **(لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته)** قيل: المراد من بيوت أمته. وإنما خص العرب لشرفها وقربها منه، ففيه نوع تغليب أو إيماء إلى ما قيل: إن من أسلم فهو عربي. **(ثم هدنة)** أي مصالحة **(تكون بينكم وبين بني الأصفر)** أي الأروام سموا بذلك لأن أباهم الأول وهو الروم بن عيصو بن يعقوب بن إسحاق، كان أصفر في بياض. وقيل: سموا باسم رجل أسود ملك الروم فنكح من نسائها فولد له أولاد في غاية الحسن فنسب الروم إليه. **(فيغدرون)** أي ينقضون عهد الهدنة **(فيأتونكم تحت ثمانين غاية)** أي راية وهي العلم. قال الطيبي [رحمه الله]: ومن رواه بالباء الموحدة أراد بها الأجمة، فشبه كثرة رماح العسكر بها، **(تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)** أي ألف فارس. قال الأكمل: جملته سبعمائة ألف وستون ألفاً. **(رواه البخاري)** وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وهذا أيضاً من الوهم فإن الحديث في صحيح البخاري في كتاب الجهاد في باب ما يجوز من الغدر، نقله ميرك عن التصحيح. وقدمت ما يدفع عنه والله [تعالى]أعلم بالصحيح.

٥٤٢١ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق)** بفتح الهمزة. قال التوربشتي [رحمه الله]: العمق ما بعد من أطراف المفاوز، وليس الأعماق ههنا بجمع وإنما هو اسم موضع بعينه من أطراف المدينة. **(أو بدابق)** بفتح الموحدة وقد تكسر ولا يصرف وقد يصرف. قال التوربشتي [رحمه الله]: هو بفتح الباء دار نخلة موضع سوق بالمدينة. وفي المفاتيح: هما موضعان، أو شك من الراوي. وقال الجزري: دابق بكسر الموحدة وهو الصواب وإن كان عياض في المشارق ذكر فيه الفتح ولم يذكر غيره.

الحديث رقم ٥٤٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢١ حديث رقم (٣٤ . ٢٨٩٧).

فيخرجُ إليهم جيشٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خَلُّوا بيننَا وبينَ الذين سَبَوْا منَّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيَنهزمُ ثُلثٌ لا يتوبُ اللَّهُ عليهم أبداً، ويقتلُ ثُلثُهم أفضلَ الشهداء عند الله، ويفتتح الثلثُ لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية،

وهو موضع معروف من عمل حلب ومرج دابق مشهور. قال صاحب الصحاح: إلا غلب التذكير والصرف لأنه في الأصل اسم قال، وقد يؤنث ولا يصرف. اهـ. والذي يؤنثه ولا يصرفه يريد به البقعة. قلت: وفي القاموس دابق كصاحب موضع بحلب، لكن المضبوط في النسخ بغير صرف. (**فيخرج**) بالنصب ويرفع (**إليهم جيش من المدينة**) قال ابن الملك: قيل: المراد بها حلب، والأعماق ودابق موضعان بقربه. وقيل: المراد بها دمشق. وقال في الأزهار: وأما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبي ﷺ فضعيف، لأن المراد بالجيش الخارج إلى الروم جيش المهدي بدليل آخر الحديث ولأن المدينة المنوّرة تكون خراباً في ذلك الوقت. (**من خيار أهل الأرض**) بيان للجيش (**يومئذ**) احتراز من زمنه ﷺ. (**فإذا تصافوا**) بتشديد الفاء المضمومة (**قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا**) على بناء الفاعل (**نقاتلهم**) يريدون ذلك مخاتلة المؤمنين ومخادعة بعضهم عن بعض ويبغون به تفريق كلمتهم، والمرادون بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم كذا ذكره التوربشتي [رحمه الله]: وهو الموافق للنسخ والأصول. قال ابن الملك: وروي بسبوا ببناء المجهول. قال القاضي: ببناء المعلوم هو الصواب. وقال النووي [رحمه الله]: كلاهما صواب لأن عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر كانوا مسبيين، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار. قال التوربشتي: والأظهر هذا القول منهم يكون بعد الملحمة الكبرى التي تدور رحاها بين الفئتين بعد المصالحة والمناجزة لقتال عدو يتوجه إلى المسلمين، وبعد غزوة الروم لهم وذلك قبل فتح قسطنطينية، فيطأ الروم أرض العرب حتى ينزل بالأعماق، أو بدابق فيسأل المسلمين أن يخلوا بينهم وبين من سبى ذريتهم فيردون الجواب على ما ذكر في الحديث. (**فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم**) أي المسلمون الكفرة (**فينهزم ثلث**) أي من المسلمين (**لا يتوب الله عليهم أبداً**) كناية عن موتهم على الكفرة وتعذيبهم على التأبيد (**ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء**) بالرفع على تقدير مبتدأ هو هم. وفي نسخة بالنصب على أنه حال (**ويفتتح الثلث**) أي الباقي من المسلمين (**لا يفتنون**) أي لا يبتلون ببلية أو لا يمتحنون بمقاتلة، أو لا يعذبون. (**أبداً**) ففيه إشارة إلى حسن خاتمتهم. (**فيفتتحون**) الفاء تعقيبية أو تفريعية. قال ابن الملك: وفي نسخة فيفتحون بتاء واحدة وهو الأصوب، لأن الافتتاح أكثر ما يستعمل في معنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح. قلت: سبق مثل هذا في كلام التوربشتي، لكن الظاهر أن فيه إيماء إلى أن الفتح كان بمعالجة تامة. وفي القاموس: فتح كمنع ضد أغلق كفتح وافتتح والفتح النصر وافتتاح دار الحرب والاستفتاح الاستنصار والافتتاح. والمعنى: فيأخذون من أيدي الكفار. (**قسطنطينية**) وهي بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون. قال النووي [رحمه الله]: هكذا ضبطناه ههنا وهو المشهور. ونقل القاضي [رحمه الله] في المشارق عن المتقنين

فبينا هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إِذْ صاح فيهم الشيطان: إِنَّ المسيحَ قد خَلَفَكُم في أَهْليكُم فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشامَ خرجَ، فبينا هم يُعدُّونَ للقتالِ يسوُّون الصفوف، إِذْ أُقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابنُ مريم، فأمَّهُم، فإذا رآه عدوُّ الله ذابَ كما يذوب الملح في الماءِ فلو تركه لانْذابَ حتَى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حَرْبته».

زيادة ياء مشددة بعد النون. قلت: ونسخ المشكاة متفقة على ما قاله عياض. [وفي] بعض النسخ زيادة ياء مخففة بدل ياء مشددة. فقد قال الجزري: ثم نون ثم ياء مخففة، وحكى بعضهم تشديدها وقال آخرون بحذفها. ونقله عياض عن الأكثرين، ثم هي مدينة مشهورة أعظم مدائن الروم. قال الترمذي: والقسطنطنية قد فتحت في زمن بعض أصحاب النبي ﷺ، وتفتح عند خروج الدجال. قال الحجازي في حاشية الشفاء: قسطنطينة وقسطنطينية، ويروى بلام التعريف دار ملك الروم وفيها ست لغات: فتح الطاء الأولى وضمها مع تخفيف الياء الأخيرة وتشديدها، مع حذفها وفتح النون وهذه بضم الطاء أكثر استعمالاً والقاف مضموم بكل حال. **(فبينا هم)** أي المسلمون **(يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون)** أراد الشجر المعروف، والجملة حال دال على كمال الأمن. **(إذ صاح فيهم الشيطان)** أي نادى بصوت رفيع **(إن المسيح)** بكسر الهمزة لما في النداء من معنى القول، ويجوز فتحها أي أعلمهم. والمراد بالمسيح ههنا الدجال. **(قد خلفكم)** بتخفيف اللام، أي قام مقامكم. **(في أهليكم)** أي في ذراريكم كما في رواية **(فيخرجون)** أي جيش المدينة من قسطنطينية **(وذلك)** أي القول من الشيطان **(باطل)** أي كذب وزور **(فإذا جاؤوا)** أي المسلمون **(الشام)** الظاهر أن المراد به القدس منه لما في بعض الروايات تصريح بذلك. **(خرج فبينا هم يعدون)** بضم فكسر، أي يستعدون ويتهيؤون. **(للقتال)** فقوله: **(يسوّون الصفوف)** بدل منه **(إذ أقيمت الصلاة)** وفي نسخة صحيحة إذا بالألف، أي وقت إقامة المؤذن للصلاة. **(فينزل عيسى ابن مريم)** أي من السماء على منارة مسجد دمشق فيأتي القدس. **(فأمهم)** عدل إلى الماضي تحقيقاً[1] للوقوع وإشعاراً بجواز عطف الماضي على المضارع وعكسه، أي أم عيسى المسلمين في الصلاة ومن جملتهم المهدي. وفي رواية: قدم المهدي، معللاً بأن الصلاة إنما أقيمت لك وإشعاراً بالمتابعة وأنه غير متبوع استقلالاً، بل هو مقرر ومؤيد ثم بعد ذلك يؤم بهم على الدوام. فقوله: فأمهم، فيه تغليب أو تركب مجاز أي أمر إمامهم بالإمامة ويكون الدجال حينئذ محاصراً للمسلمين. **(فإذا رآه)** أي رأى عيسى **(عدوّ الله)** بالرفع أي الدجال **(ذاب)** أي شرع في الذوبان **(كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه)** أي لو ترك عيسى [عليه الصلاة والسلام] الدجال ولم يقتله، **(لأنذاب حتى يهلك)** أي بنفسه بالكلية **(ولكن يقتله الله بيده)** أي بيد عيسى [عليه الصلاة والسلام] **(فيريهم)** أي عيسى [عليه الصلاة والسلام] أو الله تعالى المسلمين أو الكافرين أو جميعهم. **(دمه)** أي دم الدجال **(في حربته)** أي في حربة عيسى

(١) في المخطوطة «تحقق».

رواه مسلم.

٥٤٢٢ ـ (١٣) وعن عبد الله بن مسعود، قال: إنَّ الساعةَ لا تقومُ حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفرحَ بغنيمةٍ. ثم قال: عدوٌّ يجمعون لأهلِ الشام ويجمع لهم أهلُ الإِسلام، يعني الروم، فيتشرَّطُ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجعُ إلا غالبةً،

[عليه الصلاة والسلام] وهو رمح صغير. وقد روى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعاً: يقتل ابن مريم الدجال باب له[1]. والمشهور أنه من أبواب مسجد القدس. وفي النهاية: هو موضع بالشام، وقيل بفلسطين ذكره السيوطي [رحمه الله] في شرحه للترمذي. ولعل الدجال يهرب من بيت المقدس بعدما كان محاصراً فيلحقه عيسى [عليه الصلاة والسلام] في أحد الأماكن فيقتله والله [تعالى] أعلم. (**رواه مسلم**) أي بهذا السياق. وروى البخاري عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه [الصلاة] والسلام، كذا ذكره ميرك عن التصحيح.

٥٤٢٢ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود قال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث**) أي من كثرة المقتولين، وقيل من كثرة المال والأول أصح كذا في الأزهار. وقيل: حتى يوجد وقت لا يقسم فيه ميراث لعدم من يعلم الفرائض. وأقول: لعل المعنى أنه يرفع الشرع فلا يقسم ميراث أصلاً أو لا يقسم على وفق الشرع كما هو مشاهد في زماننا. ويحتمل أن يكون معناه أنه من قلة المال وكثرة الفقراء لا يقسم ميراث بين الورثة، إما لعدم وجود شيء أو لكثرة الديون المستغرقة، أو لأن أصحاب الأموال تكون ظلمة فيرجع مالهم إلى بيت المال فلا يبقى لأولادهم نصيب في المال ولا لهم خلاق في المآل والله [تعالى] أعلم بالحال. ويؤيده قوله: (**ولا يفرح**) بصيغة المجهول، أي ولا يفرح أحد. (**بغنيمة**) إما لعدم العطاء أو ظلم الظلمة وإما للغش والخيانة فلا يتهنأ بها أهل الديانة. ومن القواعد المقررة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا يضره ما ذكره الراوي. (**ثم قال:**) أي ابن مسعود (**عدو**) أي من الروم أو عدو كثير وهو مبتدأ خبره، (**يجمعون**) أي الجيش والسلاح (**لأهل الشام**) أي لمقاتلة أهل الشام (**ويجمع لهم**) أي لقتال العدو (**أهل الإسلام يعني**) أي قال الراوي يريد ابن مسعود بالعدو (**الروم فيتشرّط المسلمون**) من باب التفعل استعمل تشرط مكان اشترط. يقال: اشترط فلان بنفسه لأمر كذا، أي قدمها وأعلمها وأعدها، وأشرط نفسه للشيء أعلمه. ويروى فيشترط المسلمون، أي يهيؤون ويعدون. (**شرطة**) بضم الشين وسكون الراء طائفة من الجيش تتقدم للقتال وتشهد الواقعة، سموا بذلك لأنهم كالعلامة للجيش. وقوله: (**للموت**) أي للحرب وفيه نوع تجريد. ففي القاموس: الشرطة واحد الشرط كصرد وهم كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت وطائفة من أعوان الولاة. اهـ. والمراد هنا المعنى الأول. وقيل: سموا بها لأنهم يشترطون أن يتقدموا ويعدوا أنفسهم للهلكة. ويؤيده قوله: (**لا ترجع**) أي تلك الشرطة (**إلا غالبة**) فالجملة

---

(١) الترمذي في السنن ٤/٤٤٧ حديث رقم ٢٢٤٤.

الحديث رقم ٥٤٢٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٢٣ حديث رقم (٣٧. ٢٨٩٩).

فيقتتلون، حتى يحجزَ بينَهُم الليلُ، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاّ غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة

صفة شرطة كاشفة مبينة موضحة. والمعنى: أن المسلمين يبعثون مقدمتهم على أن لا ينهزموا بل يتوقفوا ويثبتوا إلى أن يقتلوا أو يغلبوا. **(فيقتتلون)** أي المسلمون والكفار **(حتى يحجز)** بضم جيم ويكسر، أي يمنع. **(بينهم الليل)** أي دخوله وظلامه فيتركون القتال **(فيفيء)** مضارع من الفيء بمعنى الزوال، أي يرجع **(هؤلاء)** أي المسلمون **(وهؤلاء)** أي الكافرون **(كل)** أي من الفريقين **(غير غالب)** أي وغير مغلوب **(وتفنى)** أي تهلك وتقتل **(الشرطة)** أي جنسها من الجانبين. والحاصل أنه يرجع معظم الجيش وصاحب الرايات من الطرفين ولم يكن لأحدهما غلبة على الآخر وتفنى شرطة الطرفين، وإلا لكانت الغلبة لمن تفنى شرطهم، وقد قال كل غير غالب. هذا وفي بعض النسخ المصححة شرطة بفتح الشين، فقال السيد جمال الدين: اعلم أن لفظ الشرطة يحتمل وجهين، إن كان الشين فيها[1] مفتوحة فمعناه يشترطون معهم شرطة واحدة ومعنى فيئهما زوالهما بسبب دخول الليل، وإن كانت مضمومة فالمراد منها طائفة هي خيار الجيش ففيه إشكال من حيث إن الشرطة إذا فاءت غير غالبة لم تفن، إذ لو فنيت غير غالبة فكيف قال: فيفي هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ويمكن أن يقال كان مع الشرطة جمع آخر من الجيش وهم الراجعون غير غالبين لا الشرطة، أو كان سائر المسلمين في كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم، فالراجع سائرهم دونها. اهـ. والمعتمد ما قدمناه، ثم يؤيد ما قررناه ما ذكره الطيبي [رحمه الله] حيث قال في الفائق: يقال: شرط نفسه لكذا إذا أعلمها له وأعدها، فحذف المفعول والشرط نخبة الجيش وصاحب رايتهم لا النفر الذين تقدموا وهم الشرطة. وقوله: فيتشرط فإنه في الحديث كذلك استعمل تشرط مكان اشترط. يقال: اشترط فلان بنفسه لأمر كذا، أي قدمها وأعدها وأعلمها. ولو وجدت الرواية بفتح الشين من الشرط لكان معناها أوضح وأقوم مع قوله: وتفنى الشرطة، أي يشترطون فيما بينهم شرطاً أن لا يرجعوا إلا غالبة، يعني يومهم ذلك فإذا حجر بينهم الليل ارتفع الشرط الذي شرطوه. وإنما أدخل فيه التاء لتدل على التوحيد، أي يشترطون شرطة واحدة لا مثنوية فيها ولا نعرف ذلك من طريق الرواية. فقال الطيبي [رحمه الله] : إذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب إليها والانحراف عن التحريف من ضم الشين إلى فتحها والتزام التكلف في تأويل التاء والعدول عن الحقيقة في نفي الشرطة إلى ذلك المجاز البعيد، وأي مانع من أن يفرض أن الفئة العظيمة من المسلمين أفرزوا من بينهم طائفة تتقدم الجيش للمقاتلة واشترطوا عليها أن لا ترجع إلا غالبة فلذلك بذلوا جهدهم وصدقوا فيما عاهدوا وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، وهو المراد من قولهم: وتفنى الشرطة. قال الجوهري: قد شرط عليه كذا واشترط عليه وشرط. وقوله: فيفيء هؤلاء وهؤلاء، المراد منهما الفئتان العظيمتان لا الشرطة. **(ثم يتشرط المسلمون شرطة)** أي

---

(١) في المخطوطة «منها».

للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ، كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نَهَد إليهم بقيةُ أهلِ الإسلام فيجعلُ الله الدَّبْرَةَ عليهم، فيقتلون مقتلة لم يُر مثلها، حتى إن الطائر ليمرُّ بجنباتهم فلا يخلِّفهم حتى يخرّ ميّتاً، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح

ثالثة **(للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة)** أي ثالثة **(للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا)** أي يدخلوا في المساء بأن يدخل الليل، ففي العبارة تفنن. **(فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة. فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم)** أي نهض وقام وقصد [إلى] قتالهم **(بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة)** بفتح المهملة والموحدة اسم من الإدبار، ورُوِيَ الدابر وهي بمعنى الأولى أي الهزيمة. **(عليهم)** أي على الكفار. وقال شارح: أي على الروم. **(فيقتتلون)** من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود في أكثر النسخ المعتمدة. وفي نسخة: فيقتلون بصيغة المجهول من الثلاثي، وهذا مبني لما توهم من أنه متعلق بقوله: فيجعل الله، والحال أن الأمر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع ما تقدم والله [تعالى] أعلم. وقوله: **(مقتلة)** مفعول مطلق من غير بابه، أو بحذف زوائده، ونظيره قوله تعالى: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾** [نوح ـ ١٧] . والمعنى مقاتلة عظيمة. **(لم ير)** أي لم يبصر أو لم يعرف **(مثلها حتى أن الطائر)** بكسر الهمزة وتفتح **(ليمر)** أي ليريد المرور **(بجنباتهم)** بجيم فنون مفتوحين [فموحدة] أي بنواحيهم **(فلا)** وفي نسخة صحيحة: فما **(يخلفهم)** بكسر اللام المشددة من خلفت فلاناً ورائي إذا جعلته متأخراً عنك. والمعنى فلا يجاوزهم. **(حتى يخر)** بكسر معجمة وتشديد راء، أي حتى يسقط الطائر **(ميتاً)** بتشديد التحتية ويخفف. قال المظهر: يعني يطير الطائر على أولئك الموتى فما وصل إلى آخرهم حتى يخر ويسقط ميتاً من نتنهم أو من طول مسافة مسقط الموتى. وقال الطيبي [رحمه الله تعالى] : والمعنى الثاني ينظر إلى قول البحتري في وصف بركة:

لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها

(فيتعاد) بصيغة المعلوم، وقيل بالمجهول من باب التفاعل والمعنى يعد. **(بنو الأب)** أي جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب **(كانوا مائة فلا يجدونه)** الضمير المنصوب لمائة بتأويل المعدود أو العدد، أي فلا يجدون عددهم أو لبني الأب لأنه ليس بجمع حقيقة لفظاً، بل معنى، كذا قيل: والحاصل أن بني الأب بمعنى القوم والقوم مفرد اللفظ جمع المعنى فروعي كل منهما حيث قال: فلا يجدونه. **(بقي منهم إلا الرجل الواحد)** وخلاصة المعنى أنهم يشرعون في عد أنفسهم فيشرع كل جماعة في عد أقاربهم فلا يجدون من مائة إلا واحداً، وزبدته أنه لم يبق من مائة إلا واحد. **(فبأي غنيمة يفرح)** الفاء تفريعية أو فصيحة. قال الطيبي [رحمه الله] : هو جزاء شرط محذوف أبهم أولاً في قوله: أن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. حيث أطلقه، ثم بينه بقوله:

أو أيّ ميراث يقسم؟ فبينا هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجّال قد خلفهم في ذراريّهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون فيبعثون عشر فوارِس طليعة». قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس، أو من خير فوارس، على ظهر الأرض يومئذ». رواه مسلم.

٥٤٢٣ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبي ﷺ قال: «هل سمعتم بمدينةٍ، جانبٌ منها في البرّ، وجانبٌ منها في البحر؟» قالوا: نَعَمْ يا رسول الله!

عد[1] الخ. بأن ذلك مقيد بهذه الصفة فحينئذ يصح أن يقال: فإذا كان كذلك فبأي غنيمة يفرح **(أو أي ميراث)** الظاهر أنه بالرفع، أي فأي ميراث. **(يقسم)** وأو للتنويع، وفي النسخ بالجر. فالمعنى: فبأي ميراث تقع القسمة وتأخير الميراث مع تقدمه سابقاً نظيره قوله تعالى: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم**﴾ [آل عمران ـ ١٠٦] الآية. **(فبينا هم كذلك إذ سمعوا)** أي المسلمون **(ببأس)** بموحدة وهمزة ساكنة ويبدل، أي بحرب شديد. **(هو أكبر)** أي أعظم **(من ذلك)** أي مما سبق. والمراد بالبأس أهله بارتكاب أحد المجازين المشهورين. **(فجاءهم)** أي المسلمين **(الصريخ)** فعيل من الصراخ وهو الصوت، أي صوت المستصرخ وهو المستغيث. **(إن الدجال)** بفتح أن ويكسر **(قد خلفهم)** بتخفيف اللام، أي قعد مكانهم. **(في ذراريهم)** بتشديد الياء، أي أولادهم وفي رواية: في أهليهم **(فيرفضون)** بضم الفاء، أي فيتركون ويلقون **(ما في أيديهم)** أي من الغنيمة وسائر الأموال فزعاً على الأهل والعيال **(ويقبلون)** من الإقبال، أي ويتوجهون إلى الدجال. **(فيبعثون)** أي يرسلون **(عشر فوارس)** جمع فارس أي راكب فرس **(طليعة)** وهو من يبعث ليطلع على حال العدوّ كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة يستوي فيه الواحد والجمع، وإنما قال: عشر، نظر إلى أن الفوارس طلائع. **(قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم)** أي العشرة **(وأسماء آبائهم وألوان خيولهم)** فيه مع كونه من المعجزات دلالة على أن علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات من الكائنات وغيرها **(هم خير فوارس أو من خير فوارس)** ظاهره أنه شك من الراوي **(على ظهر الأرض)** احتراز من الملائكة **(يومئذ)** أي حينئذ وهو احتراز من العشرة المبشرة وأمثالهم **(رواه مسلم)**.

٥٤٢٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر. قالوا: نعم يا رسول الله)** قال شارح: هذه المدينة في الروم. وقيل: الظاهر أنها قسطنطينية، ففي القاموس: قسطنطينية دار ملك الروم وفتحها من أشراط الساعة وتسمى بالرومية بورنطيا، وارتفاع سوره أحد وعشرون ذراعاً وكنيستها مستطيلة وبجانبها عمود عال في دور أربعة أبواع تقريباً وفي رأسه فرس من نحاس وعليه فارس وفي إحدى يديه

---

(١) في المخطوط «عدو».

الحديث رقم ٥٤٢٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٨ حديث رقم ٧٨. ٢٩٢٠.

قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها. قالَ ثورُ بنُ يزيد الراوي: لا أعلمه إلا قال ـ: «الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرجُ لهم فيدخلونها فيغنمون، فبينا هُمْ يقتسمون المغانم إذ جاءَهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كلَّ شيءٍ ويرجعون». رواه مسلم.

كرة من ذهب. وقد فتح أصابع يده الأخرى مشيراً بها. وهو صورة قسطنيطين بانيها. اهـ. ويحتمل أنها مدينة غيرها، بل هو الظاهر لأن قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير، وهذه المدينة تفتح بمجرد التهليل والتكبير. **(قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق)** قال المظهر: من أكراد الشام هم من بني إسحاق النبي عليه [الصلاة] والسلام وهم مسلمون. اهـ. وهو يحتمل أن يكون معهم غيرهم من بني إسماعيل وهم العرب أو غيرهم من المسلمين، واقتصر على ذكرهم تغليباً لهم على من سواهم. ويحتمل أن يكون الأمر مختصاً بهم. **(فإذا جاؤوها)** أي المدينة **(نزلوا)** أي حواليها محاصرين أهلها **(فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم)** تخصيص بعد تعميم لتأكيد إفادة عموم النفي **(قالوا:)** استئناف أو حال **(لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط)** بصيغة المضارع **(أحد جانبيها)** أي أحد طرفي سور المدينة **(قال ثور بن يزيد: الراوي)** قال المؤلف في فصل التابعين: هو كلاعي شامي حمصي سمع خالد بن معدان روى عنه الثوري ويحيى بن سعيد، له ذكر في باب الملاحم. **(لا أعلمه)** أي لا أظن أبا هريرة **(إلا قال الذي في البحر)** أحد جانبيها الذي في البحر. والمعنى: لكني لا أجزمه؛ ويمكن أن يكون هذا منه رداً على من نازعه ممن سمع الحديث عن أبي هريرة بغير هذا القيد، وبهذا يندفع ما قال الطيبي [رحمه الله تعالى] . هذا إشارة إلى أن ما وقع في نسخ المصابيح من قوله: الذي في البحر، مدرج من قول الراوي. **(ثم يقولون)** أي المسلمون **(الثانية)**. أي الكرة الثانية **(لا إله إلا الله والله أكبر فسقط)** بصيغة الماضي تفنناً وتحققاً **(جانبها الآخر)** أي الذي في البر **(ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج)** بتشديد الراء المفتوحة، أي فيفتح. **(لهم)** والظرف نائب الفاعل **(فيدخلونها فيغنمون)** أي ما فيها **(فبينا هم يقتسمون المغانم)** أي يريدون الاقتسام ويشرعون فيه **(إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شي)** أي من الغنائم وغيرها من الأنفال **(ويرجعون)** أي سريعاً لمقابلة الدجال ومساعدة الأهل والعيال. **(رواه مسلم)**.

الفصل الثاني

٥٤٢٤ ـ (١٥) عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمران بيت المقدسِ خرابُ يثرب، وخرابُ يثرب خروج الملحمة، وخروجُ الملحمة فتح قسطنطينيَّةَ، وفتحُ قسطنطينيَّةَ خروج الدجال».

(الفصل الثاني)

٥٤٢٤ ـ **(عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عمران بيت المقدس)** بالتخفيف وتشدد، وعمرانه بضم العين وسكون الميم أي عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال. **(خراب يثرب)** أي وقت خراب المدينة. قيل: لأن عمرانه باستيلاء الكفار. وفي الأزهار قال بعض الشارحين: المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فإنه يخرب في آخر الزمان ثم يعمره الكفار. والأصح أن المراد بالعمران، الكمال في العمارة أي عمران بيت المقدس كاملاً مجاوزاً عن الحد وقت خراب يثرب، فإن بيت المقدس لا يخرب. قال ابن الملك: وأما الآن فقد عمره السلطان الملك الناصر واستخرج فيه العيون وأجرى فيه المياه جزاه الله خيراً. قلت: وزاد بنو عثمان حفظهم الله من آفات الدوران في عمارته وأرزاقه وتكياته لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة المعطرة. **(وخراب يثرب خروج الملحمة)** أي ظهور الحرب العظيم. قال ابن الملك: قيل: بين أهل الشام والروم. والظاهر أنه يكون بين تاتار والشام. قلت: الأظهر هو الأول لما في الحديث السابق ولما سيأتي في الحديث اللاحق ولقوله: **(وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية)** وفي نسخة بالتعريف **(خروج الدجال)** قال الأشرف: لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها أمارة مستعقبة بخراب يثرب، وهو أمارة مستعقبة بخروج الملحمة وهو أمارة مستعقبة بفتح قسطنطينية وهو أمارة مستعقبة بخروج الدجال جعل النبي ﷺ كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه. اهـ. وخلاصته أن كل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده وإن وقع هناك مهلة. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: قال هنا فتح القسطنطينية خروج الدجال، وفي الحديث السابق إذا صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فكيف الجمع بينهما. قلت: إنه ﷺ جعل الفتح علامة لخروج الدجال لا إنها مستعقبة له من غير تراخ، وصراخ الشيطان كان للإيذان بأنه واقع ليشتغلوا عن القسم وكان باطلاً يدل عليه الحديث الآتي: الملحمة العظمى فتح القسطنطينية

الحديث رقم ٥٤٢٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٢ حديث رقم ٤٢٩٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٠ حديث رقم ٤٠٩٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٢.

رواه أبو داود.

٥٤٢٥ ـ (١٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهرٍ». رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٤٢٦ ـ (١٧) وعن عبد الله بن بُسر، أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وفتح المدينة ستُّ سنين، ويخرج الدجال في السابعة».

وخروج الدجال في سبعة أشهر. والتعريف في الصارخ في هذا الحديث للعهد والمعهود الشيطان. أقول: والذي يظهر أن القضية متعددة وأن المسلمين كانوا متفرقة وأن المدينة غير القسطنطينية، إذ قصة [القسطنطينية] كانت بالمقاتلة وفتح المدينة إنما هو بالتهليل والتكبير من غير المحاربة، فحينئذ يحمل صريخ الشيطان بالنسبة إلى غزاة قسطنطينية وصريخ المسلمين إلى أصحاب [فتح] المدينة، وأن كلاً من الفريقين تركوا الغنائم وتوجهوا إلى قتال الدجال والله [تعالى] أعلم بالحال. **(رواه أبو داود)** أي وسكت عليه كما ذكره ميرك، وورواه أحمد عن معاذ أيضاً.

٥٤٢٥ ـ **(وعنه)** أي عن معاذ **(قال: قال رسول الله ﷺ: الملحمة العظمى)** وفي الجامع: الملحمة الكبرى. قيل: هي التي يتعاد فيها بنو الأب ولا يجدون من مائة إلا واحداً كما مر. لكن الأظهر أن المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة أسماء الله الحسنى، ولذا صح عطف قوله: **(وفتح القسطنطينية)** وهي بلام التعريف هنا إذا الأصل في العطف التغاير مع انضمامه إلى التبادر **(وخروج الدجال في سبعة أشهر)** أي باعتبار توجه المسلمين إلى البلدتين وظهور الدجال، وأما باعتبار فتحهما فهو متعاقب لهما من غير تراخ بينهما. **(رواه الترمذي وأبو داود)** وكذا ابن ماجه، ذكره السيد جمال الدين [رحمه الله]. وفي الجامع رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم(١).

٥٤٢٦ ـ **(وعن عبد الله بن بسر)** بضم موحدة وسكون مهملة **(أن رسول الله ﷺ قال: بين الملحمة وفتح المدينة)** أراد بأحدهما المدينة السابقة وبالأخرى القسطنطينية وهذا نص في المغايرة بينهما. وقوله: **(ست سنين)** مشكل مخالف لما تقدم، ويمكن أن يقال اللام في الملحمة غير القسطنطينية من سائر الملاحم فاللام للعهد بالنظر إلى ملحمة سابقة، ويدل عليه أنها ما وصفت بالعظمى ونحو. **(ويخرج الدجال في السابعة)** أي في السنة السابعة في آخر

الحديث رقم ٥٤٢٥: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٤٢٩٥. والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٢٢٣٨ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٠. حديث رقم ٤٠٩٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٤.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٢ حديث رقم ٩٢٣٤. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٦.

الحديث رقم ٥٤٢٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٤٢٩٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٠ حديث رقم ٤٠٩٣ وأحمد في المسند ٤/ ١٨٩.

رواه أبو داود، وقال: هذا أصح.

٥٤٢٧ ـ (١٨) وعن ابن عمر، قال: يوشِكُ المسلمون أن يُحاصَروا إلى المدينة، حتى يكونَ أبعد مسالِحِهم سَلاح وسلاح: قريب من خيبر. رواه أبو داود.

٥٤٢٨ ـ (١٩) وعن ذي مِخبَرٍ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الرّوم صلحاً آمناً،

السادسة التي فيها فتح المدينة وأوّل السابعة التي رجع المسلمون عنها إلى الدجال. وأما ما قيل من أنه لا يبعد من أن يشتبه سبع سنين بسبعة أشهر ففي غاية من البعد. **(رواه أبو داود)** وكذا ابن ماجه **(وقال: هذا أصح)** أي من الحديث السابق، ففيه دلالة على أن التعارض ثابت والجمع ممتنع والأصح هو المرجح. وحاصله أن بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال سبع سنين أصح من سبعة أشهر.

٥٤٢٧ ـ **(وعن ابن عمر قال: يوشك المسلمون أن يحاصروا)** على بناء المجهول، أي يحبسوا ويضطروا ويلتجؤوا. **(إلى المدينة)** أي مدينة النبي ﷺ لمحاصرة العدوّ إياهم، أو يفر المسلمون من الكفار ويجتمعون بين المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر، أو بعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حواليها احتراساً عليها. وهذا المعنى أظهر بقوله: **(حتى يكون أبعد مسالحهم)** بفتح الميم **(سلاح)** بفتح السين وقد ضبط برفعه مضموماً على أنه اسم مؤخر والخبر قوله: أبعد. وفي نسخة برفعه منوناً وفي أخرى بكسر الحاء. ففي القاموس: سلاح كسحاب وقطام موضع أسفل خيبر. وقال ابن الملك: سلاح هو منون في نسخة ومبني على الكسر في أخرى. وقيل: مبني على الكسر في الحجاز غير منصرف في بني تميم. ثم في النهاية: المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدوّ، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر، والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة. فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. **(وسلاح قريب)** أي موضع قريب **(من خيبر)** وهذا تفسير من الراوي. والمعنى: أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر، وهذا يدل على كمال التضييق عليهم وإحاطة الكفار حواليهم. **(رواه أبو داود)**.

٥٤٢٨ ـ **(وعن ذي مخبر)** بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة ابن أخي النجاشي خادم النبي ﷺ، روى عنه خيبر بن نفير وغيره يعد في الشاميين ذكره المؤلف. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستصالحون الروم)** الخطاب للمسلمين **(صلحاً)** مفعول مطلق من غير بابه أو بحذف الزوائد **(آمناً)** بالمد صفة صلحاً أي صلحاً ذا أمن، أو على أن الإسناد

الحديث رقم ٥٤٢٧: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٤٩ حديث رقم ٤٢٩٩. وأحمد في المسند ٢/٤٠٢.

الحديث رقم ٥٤٢٨: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨١ حديث رقم ٤٢٩٢ وابن ماجه ٢/١٣٦٩ حديث رقم ٤٠٨٩ وأحمد في المسند ٤/٩١.

فتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائكم، فتُنْصَرون وتغنمون [وتسلمون، ثم ترجعون]، حتى تنزلوا بمرْجٍ ذي تُلول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصَّليبَ، فيقول: غَلَبَ الصليبُ فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة» وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة». رواه أبو داود.

٥٤٢٩ ـ (٢٠) وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرجُ كنزَ الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة».

مجازي (**فتغزون أنتم**) أي فتقاتلون أيها المسلمون (**وهم**) أي الروم المصالحون معكم (**عدوّاً من ورائكم**) أي من خلفكم (**فتنصرون**) بصيغة المفعول، أي فينصركم الله عليهم. (**وتغنمون**) أي الأموال (**وتسلمون**) أي من القتل والجرح في القتال (**ثم ترجعون**) أي عن عدوّكم (**حتى تنزلوا**) أي أنتم وأهل الروم (**بمرج**) بفتح فسكون أي روضة. وفي النهاية: أرض واسعة ذات نبات كثيرة. (**ذي تلول**) بضم التاء جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع (**فيرفع رجل من أهل النصرانية**) وهم الأروام حينئذ (**الصليب**) وهو خشبة مربعة يدعون أن عيسى عليه [الصلاة و] السلام صلب على خشبة كانت على تلك الصورة. (**فيقول**) أي الرجل منهم (**غلب الصليب**) أي غلبنا ببركة الصليب (**فيغضب رجل من المسلمين**) حيث نسب الغلبة لغير الحبيب (**فيدقه**) أي فيكسر المسلم الصليب (**فعند ذلك تغدر الروم**) بكسر الدال أي تنقض العهد (**وتجمع**) أي رجالهم ويجتمعون (**للملحمة**) أي للقتال أو للمقتلة (**وزاد بعضهم**) أي الرواة (**فيثور**) أي يعدو ويقوم (**المسلمون إلى أسلحتهم**) أي مسرعين وناهضين إليها (**فيقتتلون**) أي معهم (**فيكرم الله تلك العصابة**) أي الجماعة من المسلمين (**بالشهادة**) وجعلهم الله شهداء ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون فرحين**﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. (**رواه أبو داود**) وكذا ابن ماجه وسكت عليه أبو داود ورواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح، ذكره ميرك(١).

٥٤٢٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما**) بالواو (**عن النبي ﷺ قال: اتركوا الحبشة**) في القاموس: الحبش والحبشة محركتين جنس من السودان. (**ما تركوكم**) أي ما دام أنهم تركوكم (**فإنه لا يستخرج كنز الكعبة**) أي كنزاً مدفوناً تحت الكعبة. وقيل مخلوقاً فيها، وقيل المراد ما يجمعه أهل السدانة من هدايا الكعبة، كذا في الأزهار. (**إلا ذو السويقتين**) أي صاحب دقيق الساقين (**من الحبشة**) أي هو منهم ويكون أميرهم، أو المراد به جنس الحبش لكون هذا الوصف غالباً فيهم. قال النووي: هما تصغير ساقي الإنسان لدقتها وهي صفة سوق السودان غالباً، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿**حرماً آمناً**﴾ [القصص ـ ٥٧] . لأن معناه آمناً إلى قرب القيامة وخراب الدنيا. وقيل: يخص منه قصة ذي السويقتين. وقال القاضي عياض

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢١.

الحديث رقم ٥٤٢٩: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٤٣٠٩٠ والنسائي في السنن ٦/ ٤٤ رقم ٣١٧٧. وأحمد في المسند ٥/ ٣٧١.

رواه أبو داود.

٥٤٣٠ ـ (٢١) وعن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ قال: «دَعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما

[رحمه الله] : القول الأوّل أظهر. أقول: الأظهر أنه تعالى جعله حرماً آمناً باعتبار غالب الأحوال كما يدل عليه قضية ابن الزبير وقصة القرامطة ونحوهما، المراد بجعله حرماً آمناً أنه حكم بأنهم يؤمنون الناس ولا يتعرضون لأحد فيه كما أجاب بهذا بعض أهل التوفيق لما قال رئيس أهل الزندقة من القرامطة بعد ما فعلوا من الفساد من قبل العباد وخراب البلاد. فأين كلام الله: ﴿**ومن دخله كان آمناً**﴾ [آل عمران ـ ٩٧] . فقال: إنما معناه فآمنوا من دخله ولا تتعرضوا في مدخله بنهبه أو قتله[١]. **(رواه أبو داود)** وكذا الحاكم في مستدركه[٢].

٥٤٣٠ ـ **(وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دعوا الحبشة)** أي اتركوهم **(ما ودعوكم)** بتخفيف الدال أي ما تركوكم. قال التوربشتي: فلما يستعملون الماضي منه إلا ما رُوِيَ في بعض الأشعار كقول القائل:

* غـالـه فـي الـحـب حـتـى ودعـه *

ويحتمل أن يكون الحديث: ما وادعوكم، أي ما سالموكم فسقط الألف من قلم بعض الرواة. قال الطيبي [رحمه الله] : لا افتقار إلى هذا الطعن مع وروده في التنزيل الكشاف في قوله تعالى: ﴿**ما ودعك ربك**﴾ [الضحى ـ ٣] . وقرىء بالتخفيف يعني ما تركك. قال: وثم ودعنا إلى عمر وعامر ولأن لفظ الازدواج ورد العجز على الصدر يجوز لذلك، وقد جاء في كلامهم: إني لآتيه بالغدايا والعشايا، وقوله: ارجعن مأزورات غير مأجورات. قال المظهر: كلام النبي ﷺ متبوع لا تابع، بل فصحاء العرب عن آخرهم بالإضافة إليه بأقل، وأيضاً[٣] فلغات العرب مختلفة منهم من انقرض لغته وأتى ﷺ بها. قال شمر: زعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدره وماضيه والنبي ﷺ أفصح. أقول: فأحياهما باستعمال الماضي في هذا الحديث، وبالمصدر في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وابن عمر مرفوعاً: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»[٤]. هذا وهو من باب الشاذ الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسجد ونظائره. **(واتركوا الترك**

---

(١) سنتكلم إن شاء الله تعالى عن الفرق التي ورد ذكرها في هذا الكتاب في جزء خاص.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٣.

الحديث رقم ٥٤٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٤٣٠٢. والنسائي في السنن ٦/ ٤٤ حديث رقم ٣١٧٧.

(٣) في المخطوطة «وأقل».

(٤) مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩١ حديث رقم ٨٦٥. وأحمد في المسند عن ابن عباس ١/ ٢٥٤ وعن ابن عمر ١/ ٢٥٤ وعن أبي هريرة ٢/ ٨٤.

تركوكم». رواه أبو داود، والنسائي.

٥٤٣١ ـ (٢٢) وعن بُريدةَ، عن النبي ﷺ في حديث: «يقاتلكم قومٌ صغار الأعين» يعني الترك. قال: «تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى فينجو

ما تركوكم) قال الخطابي: اعلم أن الجمع بين قوله تعالى: **﴿قاتلوا المشركين كافة﴾** [التوبة ـ ٣٦] . وبين هذا الحديث، أن الآية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصاً لعموم الآية كما خص ذلك في حق المجوس فإنهم كفرة ومع ذلك أخذ منهم الجزية لقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»(١). قال الطيبي [رحمه الله] : ويحتمل أن تكون الآية ناسخة للحديث لضعف الإسلام. وأما تخصيص الحبشة والترك بالترك والودع، فلأن بلاد الحبشة وغيره بين المسلمين وبينهم مهامه وقفار فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب وعظمة المشقة. وأما الترك فبأسهم شديد وبلادهم باردة والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد، فلهذين السرين خصصهم. وأما إذا دخلوا بلاد المسلمين قهراً والعياذ بالله فلا يجوز لأحد ترك القتال، لأن الجهاد في هذه الحالة فرض عين وفي الحالة الأولى فرض كفاية. قلت: وقد أشار ﷺ إلى هذا المعنى حيث قال: ما تركوكم. وحاصل الكلام أن الأمر في الحديث للرخصة والإباحة لا للوجوب ابتداء أيضاً فإن المسلمين قد حاربوا الترك والحبشة بادين، وإلى الآن لا يخلو زمان عن ذلك وقد أعز الله الإسلام وأهله فيما هنالك. **(رواه أبو داود والنسائي)** وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً ولفظه: اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خوّلهم الله بنو قنطوراء. ففي النهاية: هي جارية إبراهيم الخليل ولدت له أولاداً منهم الترك والصين. اهـ. وسيأتي زيادة تحقيق لهذا في حديث أبي بكرة.

٥٤٣١ ـ **(وعن بريدة عن النبي ﷺ في حديث: يقاتلكم)** ظاهره أن يكون بالإضافة لكنه في جميع النسخ بالتنوين وفك الإضافة، فالوجه أن قوله: يقاتلكم، خبر مبتدأ محذوف أي هو يقاتلكم الخ. والجملة صفة حديث، والمعنى في حديث هو أن ذلك الحديث يقاتلكم. **(قوم صغار الأعين يعني الترك)** تفسير من الراوي وهو الصحابي أو التابعي **(قال:)** أي النبي ﷺ أو قال ابن مسعود مرفوعاً **(تسوقونهم)** من السوق أي يصيرون مغلوبين مقهورين منهزمين بحيث أنكم تسوقونهم. **(ثلاث مرات)** أي من السوق **(حتى تلحقوهم)** أي توصلوهم آخراً. **(بجزيرة العرب)** قيل هي اسم لبلاد العرب سميت بذلك لإحاطة البحار والأنهار، بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات. وقال مالك: هي الحجاز واليمامة واليمن وما لم يبلغه ملك فارس والروم ذكره الطيبي [رحمه الله] وتبعه ابن الملك. **(فأما في السياقة الأولى فينجو)** أي يخلص

---

(١) مالك في الموطأ ١/٢٧٨ حديث رقم ٤٢ من كتاب الزكاة.

الحديث رقم ٥٤٣١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨٧ حديث رقم ٤٣٠٥. وأحمد في المسند ٥/٣٤٨.

من هرب منهم، وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فَيُصْطَلَمُونَ» أو كما قال. رواه أبو داود.

٥٤٣٢ ـ (٢٣) وعن أبي بكرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ أناسٌ من أمتي بغائط، يسمونه البصرةَ، عند نهرٍ يقال له: دجلةُ، يكون عليه جِسْرٌ، يكثر أهلها، ويكون من أمصار المسلمين، وإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قَنْطُوراءَ

(من هرب منهم) أي من الترك **(وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض)** أما بنفسه أو بأخذه وإهلاكه، وهو الظاهر. **(وأما في الثالثة فيصطلمون)** بصيغة المجهول، أي يحصدون بالسيف ويستأصلون من الصلم وهو القطع المستأصل. **(أو كما قال)** أي قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه، وهذا من غاية ورع الراوي حيث لم يرض أن يكون النقل بالمعنى. **(رواه أبو داود)**.

٥٤٣٢ ـ **(وعن أبي بكرة)** بالتاء **(أن رسول الله ﷺ قال: ينزل أناس)** بضم الهمزة لغة في ناس **(من أمتي بغائط)** أي بغائر من الأرض ذكره شارح، وفي الفائق: أي بواد مطمئن **(يسمونه البصرة)** بفتح الموحدة وفي نسخة بكسرها. وفي القاموس: البصرة بلدة معروفة ويحرك ويكسر الصاد، أو هو معرب بسرة أي كثير الطرق. **(عند نهر)** بفتح الهاء ويسكن **(يقال له دجلة)** بكسر الدال ويفتح، نهر بغداد. **(يكون عليه جسر)** أي قنطرة ومعبر **(يكثر أهلها)** أي أهل البصرة. وفي حاشية الشفاء للحلبي: البصرة مثلث الباء، والفتح أفصح. بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر رضي الله [تعالى] عنه، ولم يعبد الصنم قط على ظهرها والنسبة إليها بالكسر والفتح. قال المغني: والكسر في النسبة أفصح من الفتح. قلت: ولعله لمجاورة كسر الراء. هذا وقد قال الأشرف: أراد ﷺ بهذه المدينة مدينة السلام بغداد فإن دجلة هي الشط وجسرها في وسطها، لا في وسط البصرة وإنما عرفها النبي ﷺ ببصرة لأن في بغداد موضعاً خارجياً منه قريباً من بابه يدعى باب البصرة، فسمى النبي ﷺ بغداد باسم بعضها أو على حذف المضاف كقوله تعالى: **(واسئل القرية)** [يوسف ـ ٨٢]. وبغداد ما كانت مبنية في عهد النبي ﷺ على هذه الهيئة ولا كان مصراً من الأمصار في عهده ﷺ، ولذا قال ﷺ: **(ويكون من أمصار المسلمين)** بلفظ الاستقبال، بل كان في عهده ﷺ قرى متفرقة بعد ما خربت مدائن كسرى، منسوبة إلى البصرة محسوبة من أعمالها. هذا وإن أحداً لم يسمع في زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل القتال والحرب. ومعنى الحديث: إن بعضاً من أمتي ينزلون عند دجلة ويتوطنون ثمة ويصير ذلك الموضع مصراً من أمصار المسلمين، وهو بغداد. **(وإذا كان)** اسمه مضمراً، **(في آخر الزمان جاء بنو قنطورا)** بفتح القاف وسكون النون مقصوراً وقد يمد، أي يجيئون ليقاتلوا أهل بغداد. وقال بلفظ جاء دون يجيء إيذاناً بوقوعه فكأنه قد وقع. وبنو قنطورا اسم أبي الترك، وقيل اسم جارية كانت للخليل عليه [الصلاة] والسلام. ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك

الحديث رقم ٥٤٣٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٧ حديث رقم ٤٣٠٦ وأحمد في المسند ٥/ ٤٥.

عِراضُ الوجوه، صغارُ الأعين، حتى ينزلوا على شطِّ النهر، فيتفرَّق أهلها ثلاث فِرَق، فرقةٌ يأخذون في أذناب البقر في البريَّة وهلكوا، وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم وهلكوا،

وفيه نظر، فإن الترك من أولاد يافث بن نوح، وهو قبل الخليل بكير كذا ذكره بعضهم. ويمكن دفعه بأن الجارية كانت من أولاد يافث، أو المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل لكونها من بنات أولاده وقد تزوّجها واحد من أولاد يافث، فأتت بأبي هذا الجيل فيرتفع الإشكال بهذا القال والقيل ويصح انتسابهم إلى يافث والخليل. **(عراض الوجوه)** بدل أو عطف بيان، وكذا قوله: **(صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق)** بكسر ففتح جمع فرقة **(فرقة)** بالرفع ويجوز نصبها **(يأخذون في أذناب البقر)** من أخذ في الشيء شرع فيه. وقوله: **(في البرية)** تتميم وتذييل لأن أخذ أذناب البقر لا يكون غالباً إلا في البرية الخارجة عن المدينة التي يعبر عنها بالبحرية، ومنه قوله تعالى: ﴿**ظهر الفساد في البر والبحر**﴾ [الروم ـ ٤١] . أو المراد بقوله: في البرية، اختيار العزلة وإيثار الصحراء والخلاء على البلد واجتماع الملأ. فعلى الأول صفة أو حال وعلى الثاني بدل كل أو بعض، ويمكن أن تكون في تعليلية. وقوله: **(وهلكوا)** فذلكة ونتيجة لأفعالهم. والمعنى: أن فرقة يعرضون عن المقاتلة هرباً منها وطلباً لخلاص أنفسهم ومواشيهم ويحملون على البقر فيهيمون في البوادي ويهلكون فيها، أو يعرضون عن المقاتلة ويشتغلون بالزراعة ويتبعون البقر للحراثة إلى البلاد الشاسعة فيهلكون. قال الطيبي [رحمه الله] : قوله: يأخذون في أذناب البقر على معنى يوقعون الأخذ في الأذناب كقوله:

* يجرح في عراقيبها نصلي *

وكأنهم يبالغون في الاشتغال ولا يعبؤون بأمر آخر، أو يوغلون في السير خلفها إلى البلاد الشاسعة فيهلكون فيها. **(وفرقة يأخذون)** أي يطلبون أو يقبلون الأمان من بني قنطوراء **(لأنفسهم وهلكوا)** أي بأيديهم. ولعل المراد بهذه الفرقة المستعصم بالله(١) ومن معه من المسلمين طلبوا الأمان لأنفسهم ولأهل بغداد وهلكوا بأيديهم عن آخرهم. وقال شارح: أراد النبي ﷺ بالبصرة بغداد لأن بغداد كانت قرية في عهد النبي ﷺ من قرى البصرة إطلاقاً لاسم الجزء على الكل، فالواقعة وقعت كما ذكره النبي ﷺ وإن أراد البصرة المعهودة فلعله يقع بعد

---

(١) المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العباسيين كان كريماً سليم الباطن حسن الديانة. لم يكن متيقظاً حازماً. خلياً من الرأي والتدبير غدر به وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي. فأشار عليه بقطع أكثر الجند وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل به المقصود. ففعل ذلك ثم إنه أي الوزير كاتب التتار وأَطْمَعَهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك. وقصدوا بغداد بقيادة هولاكو ودارت بينهم وبين جيش الخليفة معركة انكسر فيها جيش الخليفة. وكاد الوزير للخليفة بذريعة فأوهمه بحسن صلح التتار فطلب من الفقهاء والأعيان الخروج لحضور العقد فما كان إلا أن أعمل السيف فيهم حتى قتل جميع الفقهاء والعلماء والحجاب والأعيان. ثم مد الجسر ودخل التتار بغداد. وأعملوا فيها السيف نحو أربعين يوماً حتى بلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة. وقتل الخليفة رفساً. قال الذهبي وما أظنه دفن. [راجع تاريخ الخلفاء ص ٤٢٧ . ٤٣٤].

وفرقة يجعلون ذراريّهم خَلْفَ ظُهورهم ويُقاتلونهم وهم الشهداء». رواه أبو داود.

٥٤٣٣ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أنس! إنَّ الناس يمصِّرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له: البصرة؛ فإن أنتَ مررتَ بها أو دخلتها، فإياك وسِباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وبابَ أُمرائها، وعليكَ بضواحيها، فإنَّه يكونُ بها خَسْفٌ وقذفٌ ورجْفٌ وقومٌ يبيتون ويصبحونَ قردةً وخنازير»

ذلك إذ لم يسمع أن الكفار نزلوا بها قط للقتال. **(وفرقة يجعلون ذراريهم)** أي أولادهم الصغار ونساءهم **(خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء)** أي الكاملون. والمعنى أن فرقة ثالثة هم الغازية المجاهدة في سبيل الله قاتلوا الترك قبل ظهورهم على أهل الإسلام فاستشهد معظمهم ونجت منهم شرذمة قليلون، كذا ذكره الأشرف. وقال غيره: وهذا من معجزاته ﷺ فإنه وقع كما أخبر وكانت هذه الواقعة في صفر سنة ست وخمسين وستمائة. **(رواه أبو داود)**.

٥٤٣٣ ـ **(وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: يا أنس إن الناس يمصرون)** بتشديد الصاد **(أمصاراً)** بفتح الهمزة جمع مصر، أي يتخذون بلاداً. والتمصير اتخاذ المصر على ما ذكره الطيبي [رحمه الله]. فالتقدير: يتخذون أمصاراً، ففيه تجريد. وقال شارح: أي يضعون أساس مصر وبناءه. **(ون مصراً منها)** أي من الأمصار **(ويقال له البصرة. فإن أنت مررت بها أو دخلتها)** أو للتنويع لا للشك **(فإياك وسباخها)** أي فاحذر سباخها، وهو بكسر السين جمع سبخة بفتح فكسر، أي أرض ذات ملح. وقال الطيبي [رحمه الله]: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تثبت إلا بعض الشجر. **(وكلاءها)** بفتح الكاف وتشديد اللام ممدوداً موضع بالبصرة وقال شارح: هو شط النهر وهو موضع حبس السفينة. وقيل: هو موضع الرعي، ويؤيده ما في بعض النسخ بالتخفيف والقصر، وقد اقتصر عليه نسخة السيد جمال الدين [رحمه الله]. هذا وقوم يجعلون كلاء البصرة اسم من كل على فعلاء ولا يصرفونه. والمعنى: أنه موضع تكل فيه الريح عن عملها في غير هذا الموضع، فكان الحذر عنها لعفونة هواه. **(ونخيلها)** إما لشبهة فيها أو لخوف غرة بها. **(وسوقها)** إما لحصول الغفلة فيها أو لكثرة اللغو بها أو فساد العقود ونحوها. **(وباب أمرائها)** أي لكثرة الظلم الواقع بها **(وعليك بضواحيها)** جمع الضاحية [وهي الناحية] البارزة للشمس وقيل: المراد بها جبالها وهذا أمر بالعزلة، فالمعنى: الزم نواحيها. **(فإنه يكون بها)** قيل الضمير للسباخ، والصواب للمواضع المذكورة. **(خسف)** أي ذهاب في الأرض وغيبوبة فيها **(وقذف)** أي ريح شديدة باردة، أو قذف الأرض الموتى بعد دفنها أو رمي أهلها بالحجارة بأن تمطر عليهم. **(ورجف)** أي زلزلة شديدة **(وقوم يبيتون)** أي أهل ذلك المصر قوم يبيتون، بحذف المبتدأ، أو فيها قوم بحذف الخبر كذا قاله الشارح. والظاهر أن قوم عطف على خسف، أي يكون بها قوم يمسون طيبين. **(ويصبحون قردة)** أي شبابهم. **(وخنازير)** أي شيوخهم. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد به المسخ وعبر عنه بما هو أشنع. اهـ. وقيل:

الحديث رقم ٥٤٣٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨٨ حديث رقم ٤٣٠٧.

رواه [أبو داود].

٥٤٣٤ - (٢٥) وعن صالح بن درهم، يقول: انطلقنا حاجّين، فإذا رجلٌ فقال لنا: إِلى جنبكم قريةٌ يقال لها: الأُبُلَّة؟ قلنا: نعم. قال: من يضمنُ لي منكم أن يصليَ لي في مسجد العَشَّار ركعتين أو أربعاً، ويقول: هذه لأبي هريرة؟ سمعتُ خليلي

في هذا إشارة إلى أن بها قدرية لأن الخسف والمسخ إنما يكون في هذه الأمة للمكذبين بالقدر. **(رواه...)** هنا بياض في الأصل. وقال الجزري: رواه أبو داود من طريق لم يجزم بها الراوي، بل قال: لا أعلمه إلا عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك.

٥٤٣٤ - **(وعن صالح بن درهم)** بكسر الدال وفتح الهاء. وفي القاموس: درهم كمنبر وزبرج معلوم. قال المؤلف: بأهلي روى عن أبي هريرة وسمرة وعنه شعبة والقطان ثقة. **(يقول: انطلقنا حاجين)** أي ذهبنا مريدين الحج **(فإذا رجل)** المراد به أبو هريرة، وهو مبتدأ خبره محذوف. وقوله: **(فقال)** عطف عليه، أي فإذا رجل واقف فقال **(لنا: إلى جنبكم قرية)** بحذف الاستفهام **(يقال لها الأُبُلَّة)** بضم الهمزة والباء وتشديد اللام، البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحري كذا في النهاية، وهي أحد المنتزهات الأربع وهي أقدم من البصرة. قال الأصمعي: هي اسم نبطي ذكره ميرك عن التصحيح. وقال شارح: هي من جنان الدنيا وهي أربع: أبلة البصرة وغوطة دمشق وسفد سمرقند وشعب بوان. ثم قيل: بوان هو كرمان وقيل نوبندجان في الفارس[1]. **(قلنا: نعم. قال: من يضمن)** استفهام للالتباس والسؤال. والمعنى: من يتقبل ويتكفل **(لي)** أي لأجلي **(منكم أن يصلي لي)** أي بنيتي **(في مسجد العشار)** بفتح العين المهملة وتشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه ذكره ميرك. **(ركعتين أو أربعاً)** أي أربع ركعات، وأو للتنويع أو بمعنى بل **(ويقول:)** أي عند النية أو بعد فراغ الصلاة **(هذه)** أي الصلاة أو ثوابها **(لأبي هريرة)** قيل: فإن قيل الصلاة عبادة بدنية ولا تقبل النيابة، فما معنى قول أبي هريرة. قلنا: يحتمل أن يكون هذا مذهب أبي هريرة قاس الصلاة على الحج، وإن كان في الحج شائبة مالية. ويحتمل أن يكون معناه ثواب هذه الصلاة لأبي هريرة فإن ذلك جوّزه بعضهم كذا ذكره الطيبي [رحمه الله]. وقال علماؤنا: الأصل في الحج عن الغير أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره من الأموات والأحياء حجاً أو صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها، كتلاوة القرآن والأذكار فإذا فعل شيئاً من هذا وجعل ثوابه لغيره جاز ويصل إليه عند أهل السنة والجماعة. **(سمعت خليلي)** قال التوربشتي [رحمه الله]: قد سبق منه هذا القول في عدة أحاديث وكأنه قول لم يصدر عن رواية، بل كان الباعث عليه ما عرف من قلبه من صدق المحبة، ولو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زائغاً عن نهج الأدب، وقد قال ﷺ: «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[2]. وقال ﷺ: «إني

الحديث رقم ٥٤٣٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٩ حديث رقم ٤٣٠٨.

(١) في المخطوطة «القاموس». (٢) متفق عليه وراجع الحديث رقم (٦٠١٩).

أبا القاسم ﷺ يقول: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يبعث من مسجد العشَّار يوم القيامة شهداء لا يقوم معَ شهداءِ بدرَ غيرهم». رواه أبو داود وقال: هذا المسجدُ مما يلي النهر.

أبرأ إلى كل خليل من خلته»[1]. فليس لأحد أن يدعي خلته مع براءته عن خلة كل خليل قال الطيبي [رحمه الله]: لو تأمل حق التأمل ما ذهب إلى ما ذهب إليه، لأن المحب من فرط المحبة وصدق الوداد يرفع الاحتشام من البين لا سيما إذا امتد زمان المفارقة، على أنه نسب الخلة إلى جانبه لا إلى رسول الله ﷺ لأنه رضي الله عنه مذ أسلم ما فارق حضرة الرسالة مع شدة احتياجه وفاقته والناس مشتغلون بتجارتهم وزروعهم. أقول: قوله: لأن صدق الوداد يرفع الاحتشام من البين الخ، كلام مدخول وتعليل معلول إذ مثل هذا لا يقال إلا في المتساويين من المتصاحبين ولا يقاس الملوك بالحدادين، فأين منصب صاحب النبوّة والرسالة عن مرتبة أبي هريرة في الحضرة أو الغيبة حتى يعبر عنه ﷺ بأنه خليله بأي معنى يكون سواء من إضافة الوصف إلى فاعله أو مفعوله. ومن المعلوم أن مثل هذا لو صدر عن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه] لأنكر عليه لأنه بظاهره مصادم لقوله ﷺ: «لو كنت متخذاً». الحديث. هذا وقد قيل في سبب تسمية إبراهيم بالخليل أنه بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله: لو كان إبراهيم يطلب الميزة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف. فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس. فلما أخبروا إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها، فأخرجت أحسن حواري واحتبزت واستنبه فاشتم رائحة الخبز فقال: من أين لكم هذه. فقالت امرأته: من خليلك المصري. فقال: بل من عند خليلي الله. فسماه الله خليلاً هكذا ذكره في الكشاف. قال النووي [رحمه الله]: أصل الخلة الاختصاص والاستقصاء. وقيل: أصلها الانقطاع إلى من خاللت مأخوذ من الخلة وهي الحاجة، فسمي إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام بذلك لأنه قصر حاجته إلى الله سبحانه وتعالى [جلا جلاله ولا إله غيره]. وقيل: الخلة صفاء المودة التي توجب تخلل الأسرار. وقيل: معناها المحبة والالطاف، هذا كلام القاضي [رحمه الله]. وقال ابن الأنباري: الخليل معناه المحب الكامل المحبة، والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة الذي ليس في حبه نقص ولا خلل. قال الواحدي: هذا القول هو الاختيار لأن الله تعالى خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله، ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي حاجة. اهـ. وبه تبين أن الخلة بالمعاني التي ذكروها لا تصدق على أبي هريرة، فكيف يسوغ له أن يخص نفسه من بين الأصحاب ويقول: سمعت خليلي. **(أبا القاسم ﷺ)** بدل أو عطف بيان **(يقول:)** فاعل سمعت **(إن الله عزَّ وجلَّ يبعث)** أي يحشر **(من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم)** أي من القبور أو في المرتبة **(مع شهداء بدر غيرهم)** ولم يعرف أنهم من شهداء هذه الأمة أو من الأمم السابقة. **(رواه أبو داود وقال:)** أي أبو داود **(هذا المسجد مما يلي النهر)** أي نهر الفرات.

---

(١) الترمذي في السنن ٥/٥٦٦ حديث رقم ٣٦٥٥.

وسنذكر حديث أبي الدرداءِ: «إن فسطاط المسلمين» في باب: «ذكر اليمين والشام»، إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

٥٤٣٥ ـ (٢٦) عن شقيق، عن حذيفة، قال: كنا عند عُمرَ فقال: أيُّكم يحفظُ حديثَ رسولِ الله ﷺ في الفتنةِ؟ فقلت: أنا أحفظُ كما قال، قال: هاتِ، إنَّكَ لجريءٌ، وكيف قال؟ قلتُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «فتنةُ الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره

قال المؤلف: **(وسنذكر حديث أبي الدرداء أن فسطاط المسلمين)** تمامه يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب المدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام. **(في باب ذكر اليمن والشام إن شاء الله تعالى)** [جلَّ شأنه].

(الفصل الثالث)

٥٤٣٥ ـ **(عن شقيق)** وهو ابن أبي سلمة أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره ولم يسمع منه، وروى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود. وكان خصيصاً به من أكابر الصحابة وهو كثير الحديث ثقة حجة مات زمن الحجاج. **(عن حذيفة)** أي ابن اليمان. قال المؤلف: هو صاحب سر رسول الله ﷺ، وقد روى عنه عمر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين. مات بالمدائن بعد قتل عثمان بأربعين ليلة وقبره بها **(قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة فقلت: أنا أحفظ كما قال)** صفة مصدر محذوف، أي أنا أحفظ مقوله ﷺ حفظاً مماثلاً لما قال، ذكره الطيبي [رحمه الله]. فأحفظ متكلم لا تفضيل كما يتوهم. **(قال: هات)** بكسر التاء، أي أعطني على ما في القاموس. **(إنك لجريء)** فعيل من الجراءة وهي الإقدام على الشيء. ومعناه: أنك غير هائب قد تجاسرت على ما لا أعرفه ولا يعرفه أصحابك وادعيت أنك عرفت صريح القول، ومن ثم قال: هات. **(وكيف قال)** أي النبي ﷺ ولم قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: هو عطف على هات، أي هات ما قال وبين كيفيته. اهـ. وقد يقال إن الظاهر بالنظر إلى حال حذيفة وما كان معلوماً عندهم من أنه صاحب سر رسول الله ﷺ فيما يقع من الفتن، أن يكون المعنى إنك لجراءتك وكثرة مساءلتك أخذت عن النبي ﷺ ما لم نأخذه منه فهات وبين. **(قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله)** أي عياله من امرأته وجاريته أو أقاربه. **(وماله ونفسه وولده وجاره)** أي وأمثال ذلك. والمعنى: أن الرجل يبتلى ويمتحن في هذه الأشياء ويسأل عن حقوقها وقد يحصل له ذنوب

الحديث رقم ٥٤٣٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢١٨ حديث رقم (٢٦ ـ ١٤٤). والبخاري في صحيحه ١٣/ حديث رقم ٧٠٩٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٥٤ حديث رقم ٢٢٥٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٥. وأحمد في المسند ٥/٣٨٦.

يكفِّرها الصيامُ والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فقال عُمر: ليس هذا أُريدُ، إنما أريدُ التي تموج كموجِ البحرِ. قال: قلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنينَ؟ إنَّ بينَك وبينَها باباً مُغْلَقاً. قال: فيكسرُ الباب أو يفتحُ؟ قال: قلتُ: لا؛ بل يُكْسَرُ. قال: ذاك

من تقصيره فيها، فينبغي أن يكفرها بالحسنات لقوله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ [هود ـ ١١٤] . وإليه أشار بقوله: (**يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال عمر: ليس هذا أريد**) قال الطيبي [رحمه الله]: وذلك أن عمر رضي الله [تعالى]عنه لما سأل أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة واحتمل أن يراد بالفتنة الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى: ﴿**ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾ [البقرة ـ ١٥٥]. وأن يراد بها وقعة القتال، وكان سؤاله عن الثاني قال: ليس هذا أريد. (**إنما أريد التي تموج كموج البحر**) أي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه. وكني بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة. وإنما أنت عمر رضي الله [تعالى]عنه المشار إليه بعد ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار إليه وأنها الداهية الدهياء. (**قال: قلت: ما لك ولها**) استفهام إنكار، أي أي شيء لك من الحاجة إلى تلك الفتنة وإلى سؤالها وما يترتب عليها من المحنة، وأي شيء لها من الوصول إليك والحصول لديك فإنه ليس لك ولها اقتران واجتماع في زمان. (**يا أمير المؤمنين**) يحتمل تعلقه بما قبله وما بعده (**أن بينك وبينها باباً مغلقاً**) استئناف تعليل (**قال: فيكسر الباب**) أي من شدته وصعوبته والاستفهام مقدر، ولذا قابله بقوله: (**أو يفتح**) أي من خفته وسهولته (**قال: قلت: لا**) أي لا يفتح فانصب النفي على الفعل القريب. لكن لما كان موهماً أن يتعلق بالفعلين جميعاً استدركه وقال: (**بل يكسر**) وفائدته التأكيد والتأبيد. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت كان يكفي في الجواب أن يقول يكسر فلم أتي بلا وبل. قلت: للتنبيه على أن هذا ليس من مقام الترديد في الكسر لظهوره فلا يسأل بأم المعادلة كما سبق مراراً. اهـ. ولا يخفى ما فيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة الفصحاء وعمدة البلغاء، وكذا من دعوى الظهور الذي لا يتوهمه أحد من الأغبياء مع أن أم ليس موجوداً في العبارة، بل الترديد إنما وقع بلفظ أو وفرق بينهما عند أرباب الإِشارة. بل الظاهر أنما هو الاعتراض على حذيفة في جوابه لما تقرر في محله من أن جواب أم المتصلة بالتعيين دون نعم أو لا لأنهما لا يفيدان التعيين بخلاف أو مع الهمزة كما إذا قلنا: جاءك زيد أو عمرو، فإنه يصبح جوابه بلا ونعم لأن المقصود بالسؤال أحدهما لا على التعيين أجاءك أولاً. ولا شك هذا المعنى غير مراد هنا في جوابه، بل المراد التعيين وهو المقصود[١] في الحكم بالكسر غايته أنه نفي مقابلة وهو الفتح أولاً، ثم أثبت الكسر لزيادة إفادة الحصر كما حقق في كلمة التوحيد، فإنه لو قيل: الله موجود أو ثابت أو محقق، لم يفد نفي ما سواه فلذا عدل عنه إلى قوله: لا إله إلا الله. (**قال:**) أي عمر [رضي الله عنه](**ذاك**) كذا بلا لام في النسخ المصححة، أي ذاك

---

(١) في المخطوطة «القصد».

أحرى أن لا يُغْلَقَ أبداً. قال: فقلنا لحذيفةَ: هل كان عمر يعلم مَنِ البابُ؟ قال: نعم كما يعلمُ أن دون غَدٍ ليلةً، إني حدثتُه حديثاً ليس بالأغاليط، قال: فَهِبنا أن نسأل حذيفةَ مَنِ البابُ؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله فقال: عمر. متفقٌ عليه.

الباب الذي من وصفه أن يكسر ولا يفتح **(أحرى)** أي حري وحقيق **(أن لا يغلق أبداً)** لأن الفتح قد يرجى إغلاقه بخلاف الكسر فإنه يبعد من الرجاء ذكره الطيبي. ومما يقوّي هذا المعنى ما رواه الترمذي عن ثوبان: إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. **(قال:)** أي الراوي وهو شقيق **(فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب)** كان الظاهر أن يقال: ما الباب، فكأنهم تفرسوا أن المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقي كذا حققه الطيبي [رحمه الله]. وفي الكسر شهادة على شهادة عمر رضي الله عنه، فكأن ابن الخطاب كان باب الصواب ومفتاحاً لعز الإسلام ومأمناً من الفتن بين الأنام، فرضي الله [تعالى]عنه وأدخله دار السلام. **(قال:)** أي حذيفة **(نعم)** أي كان يعلم من الباب **(كما يعلم)** أي كعلمه **(أن دون غد)** أي قدامه **(ليلة)** والمعنى: أن الغد لا يتصوّر إلا متأخراً عن حصول الليلة، وكأنه جعل زمن الأمن في قوّة اليوم الحاضر ووقت الفتن بمنزلة الغد الحاضر والحاجز بينهما في مرتبة ليل ساتر، وما أحسن تعبير[(١)] حذيفة رضي الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد الواقع بعد تحقق الظلمة المعبر عنها بالليلة لخفاء أمر الفتنة وشدة بلائها، فإن الليل أدهى للويل. وحاصله أن علمه بأنه هو الباب أمر ظاهر لا يشك فيه أحد من أولي الألباب. **(إني حدثته)** استئناف فيه معنى التعليل أي ذكرت **(له حديثاً)** أي ظاهراً **(ليس بالأغاليط)** وهي جمع الأغلوطة وهي المسألة التي يغلط بها. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد أن ما ذكرت له لم يكن مبهماً محتملاً كالأغاليط، بل صرحته تصريحاً. وفيه أنه قد آثر حذيفة الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سأل عنه وإنما كني عنه كناية، أي لا يخرج من الفتن شيء في حياتك وكأنه مثل الفتن بدار[(٢)] مقابل لدار الأمن وحياته بباب مغلق، وموته بفتح ذلك الباب. ثم إنه كني بالكسر عن القتل وبالفتح عن الموت. وحاصله أنه لم يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل الرمز والتلويح، لكن عمر ممن لا تخفى عليه الإشارة فضلاً عن العبارة، بل هو أيضاً من أصحاب الأسرار وأرباب الأنوار. وإنما أراد بالسؤال تحقيق الحال وأنه هل بقي أحد من الصحابة ممن يكون هذا العلم منه على الباب، ولذا جزم حذيفة بقوله: نعم والله [تعالى]أعلم. ثم قول الطيبي [رحمه الله]: ولعله لهذا السر قال له عمر: إنك لجريء. وفيه نظر ظاهر لأن إظهار الحق المسموع من سيد الخلق لا يستبعد حتى يسمى جراءة على الرد، فالصواب ما تقدم والله [تعالى] أعلم. **(قال:)** أي شقيق **(فهبنا)** بكسر الهاء من الهيبة، أي فخشينا **(أن نسأل حذيفة من الباب)** أي في ذلك المجلس **(فقلنا لمسروق:)** وهو تابعي جليل **(سله)** أي سل حذيفة **(فسأله فقال:)** أي حذيفة **(عمر)** أي هو الباب بمعنى السد للفتنة عن الأصحاب والأحباب، أو لأنه باب النطق بالصواب. **(متفق عليه)** وفي الجامع: فتنة الرجل في أهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها

---

(١) في المخطوطة «ترتيب». (٢) في المخطوطة «بباب».

٥٤٣٦ ـ (٢٧) وعن أنسٍ، قال: فَتْحُ القسطنطينة مع قيام الساعة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريبٌ.

(٢) باب أشراط الساعة

الفصل الأول

٥٤٣٧ ـ (١) عن أنسٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ منْ أشراطِ

الصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن حذيفة[١].

٥٤٣٦ ـ (وعن أنس قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة) أي مع قرب قيامها، وقد سبق تحقيق المباني وما يتعلق به من المعاني. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب) أي إسناداً أو متناً والله [تعالى]أعلم [وأحكم].

(باب أشراط الساعة)

أي علامات القيامة. ففي النهاية: الأشراط العلامات واحدتها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، هكذا قال أبو عبيدة. وحكى الخطابي عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير وقال: أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة. اهـ. وكأنه أخذه مما ذكره صاحب القاموس أن الشرط محركة العلامة وأوّل الشيء ورذال المال وصغارها، وهو لا ينافي أن يكون الشرط له معنيان كل واحد منهما يصلح للمقام فلا وجه للإنكار[٢] مع أن قوله: ما ينكره الناس، ليس على إطلاقه. إذ قد يوجد في الناس من لا ينكر صغار أمور الساعة لما حصل له من علم اليقين من صاحب السيادة والسعادة أوّلاً، وزيادة عين اليقين في مقام المشاهدة آخراً.

(الفصل الأوّل)

٥٤٣٧ ـ **(عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط**

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٦٠ حديث رقم ٥٨٣٩.

الحديث رقم ٥٤٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٢٢٣٩. وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٢.

(٢) في المخطوطة للكفار.

الحديث رقم ٥٤٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٧٨. حديث رقم ٨٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٦ حديث رقم ٩/ ٢٦٧١ وأبو داود في السنن ١/ ٣٩٠ حديث رقم ٦٠. والترمذي في السنن ٤/ ٤٢٦ حديث رقم ٢٢٠٥. والنسائي ٧/ ٢٤٤ حديث رقم ٤٤٥٦ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٧ حديث رقم ٤٠٤٥. والدارمي ١/ ١٣٤ حديث رقم ٤٧٦. وأحمد في المسند ٣/ ١٧٦.

السَّاعةِ أنْ يُرفعَ العلمُ، ويكثرَ الجهل، ويكثرَ الزِّنا، ويكثُرَ شُربُ الخمرِ، ويقِلَّ الرِّجالُ، وتكثُرَ النساءُ، حتى يكونَ لخمسينَ امرأةً القيِّمُ الواحدُ». وفي رواية: «يقلَّ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ». متفق عليه.

٥٤٣٨ ـ (٢) وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ بينَ يدَيِ الساعةِ كذَّابينَ،

الساعة أن يرفع العلم) أي يرتفع إما بقبض العلماء وإما بخفضهم عند الأمراء **(ويكثر الجهل)** أي بغلبة السفهاء **(ويكثر الزنا)** أي لأجل قلة الحياء **(ويكثر شرب الخمر)** بضم الشين وفتحها، وقرىء بهما في المتواتر عند قوله تعالى: ﴿**فشاربون شرب الهيم**﴾ [الواقعة ـ ٥٥]. ويجوز كسرها. ففي القاموس: شرب كسمع شرباً ويثلث. ثم كثرة شرب الخمر مورثة لكثير من الفساد في البلاد والعباد فيحصل الاعتداء. **(ويقل الرجال)** أي وجودهم المطلوب منهم نظام العالم **(ويكثر النساء)** أي ممن لا يتعلق بظهورهن الأمر الأهم، بل وجودهن مما يكثر الغم والهم ويقتضي تحصيل الدينار والدرهم. **(حتى يكون لخمسين امرأة القيم)** بكسر التحتية المشددة، أي القائم **(الواحد)** أي المنفرد لمصالحهن. وليس المراد أنهن زوجات له، بل أعم منها ومن الأمهات والجدات والأخوات والعمات والخالات. **(وفي رواية: يقل العلم ويظهر الجهل)** والظاهر أنهما بدلان من يرفع ويكثر، فالتقدير: أن يقل العلم ويظهر الجهل. ولعل هذه الرواية مبنية على أوّل الأمر فإن مآل آخره إلى رفع العلم بالكلية كما جاء في حديث رواه السجزي عن ابن عمر مرفوعاً: لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن(١). وفي حديث أحمد ومسلم والترمذي عن أنس: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله(٢). **(متفق عليه)** ورواه الترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين [رحمه الله]. وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس بلفظ: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد(٣). وفي رواية لأحمد والشيخين عن ابن مسعود وأبي موسى مرفوعاً: إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والمرج وهو القتل(٤).

٥٤٣٨ ـ **(وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذابين)** قال المظهر: أراد منه كثرة الجهل وقلة العلم والإتيان بالموضوعات من الأحاديث وما يفترونه على رسول الله ﷺ. ويحتمل أن يراد به ادعاء النبوّة كما كان في زمانه

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٤.

(٢) راجع الحديث رقم (٥٥١٦). (٣) الجامع الصغير ٢/ ١٤٩ حديث رقم ٢٤٧٤.

(٤) البخاري في صحيحه ١٣/ ٦٣ حديث رقم ٧٠٦٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٥٦. حديث رقم ٢٦٧٢.

الحديث رقم ٥٤٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥٤ حديث رقم ١٠/ ١٨٢٢. وابن ماجه في سننه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٨٦.

فاحذَروهُم». رواه مسلم.

٥٤٣٩ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: بينما كانَ النبيُّ ﷺ يُحدِّثُ إذ جاءَ أعرابيٌّ فقال: متى السَّاعةُ؟ قال: «إذا ضُيّعتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ». قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظرِ الساعةَ».

وبعد زمانه، وأن يراد بهم جماعة يدعون أهواء فاسدة ويسندون اعتقادهم الباطل إليه ﷺ كأهل البدع كلهم. **(فاحذروهم رواه مسلم)**. قال ابن الملك في شرح المشارق قوله: فاحذروهم. غير مذكور في صحيح مسلم، لكن جاء في بعض روايات غيره. وقيل: إنه قول جابر. اهـ. وفي الجامع كلفظ المشكاة بكماله وقال: رواه أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة[1].

٥٤٣٩ ـ **(وعن أبي هريرة)** رضي الله تعالى عنه **(قال: بينما النبي ﷺ لم يحدث)** أي يتكلم في أمر مع أصحابه **(إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة قال: إذا ضيعت)** بصيغة المفعول من التضييع، وفي نسخة من الإضاعة **(الأمانة)** أي حين جعلت الأمانة ضائعة بالخيانة أو وضعت عند غير أرباب الديانة. **(فانتظر الساعة)** أي فإنه من أشراط القيامة **(قال: كيف إضاعتها)** هذا يؤيد النسخة، أي كيف تضييع الأمانة والأمة قائمون بأمرها والعامة معتنون بقدرها. **(قال: إذا وسد)** بضم الواو وتشديد السين، وقد تخفف على ما في المقدمة أي أسند وفوّض **(الأمر)** أي أمر السلطنة أو الإمارة أو القضاء أو الحكومة. **(إلى غير أهله)** أي ممن لم يوجد فيه شرائط الاستحقاق كالنساء والصبيان والجهلة والفسقة والبخيل والجبان، ومن لم يكن قرشياً ولو كان من نسل سلاطين[2] الزمان هذا في الخليفة، وقس على هذا سائر أولي الأمر والشأن وأرباب المناصب من التدريس والفتوى والإمامة والخطابة وأمثال ذلك مما يفتخر به الأقران. قال التوربشتي [رحمه الله]: معناه أن يلي الأمر من ليس له بأهل فيلقى له وسادة الملك. وأراد بالأمر الخلافة وما ينضم إليها من قضاء وإمارة ونحوها. والتوسيد أخذ من الوساد يقال: وسدته الشيء بالتخفيف فتوسده إذا جعله تحت رأسه. ولفظة إلى فيها إشكال إذ كان من حقه أن يقال: وسد الأمر لغير أهله. فلعله أتى بها ليدل على إسناد الأمر إليه. اهـ. وفي القاموس: إن إلى تأتي مرادفة للأمر نحو قوله تعالى: ﴿**والأمر إليك**﴾ [النمل ـ ٣٣]. اهـ. ويريد أن المعنى والأمر لك، لكن الأظهر أن يقال: الأمر راجع إليك. والأحسن في الحديث أن يضمن معنى التفويض والإسناد كما أشرنا إليه أوّلاً. **(فانتظر الساعة)** للدلالة على قرب قيامها. وإنما دل ذلك على دنوّ الساعة لإفضائه إلى اختلال الأمر وعدم تمام النظام ووهن أمور الدين وضعف أحكام الإسلام. وقال الطيبي [رحمه الله]: لأن تغير الولاة وفسادهم مستلزم لتغير الرعية. وقد قيل: الناس على دين ملوكهم. قال القاضي [رحمه الله]: أخرج

---

(١) الجامع الصغير ١/١٣٧ حديث رقم ٢٢٥٦.

الحديث رقم ٥٢٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه. حديث رقم ٥٩.

(٢) في المخطوطة «سلطان».

رواه البخاري.

٥٤٤٠ ـ (٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكثُرَ المالُ ويفيضَ، حتى يُخرجَ الرجلُ زكاةَ مالِه فلا يجدُ أحداً يقبلُها منه، وحتى تعودَ أرضُ العربِ مروجاً وأنهاراً». رواه مسلم. وفي رواية له: قال: «تبلغَ المساكنُ إِهابَ أو يِهاب».

الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد ولأن السؤال الأوّل لما لم يكن مما يمكن أن يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه، فإن تأقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل عدل عن الجواب إلى ذكر ما يدل على المسؤول عنه دلالة من أماراتها، وسلك في الجواب الثاني مسلك الأوّل لينتسق الكلام. قال الطيبي [رحمه الله]: كان من حق الظاهر أن يكتفي عن جواب السؤال الأوّل بقوله: إذا ضيعت الأمانة، وأن يؤتى في السؤال الثاني بمتى ليطابق الجواب، فزاد في الأوّل فانتظر الساعة لينبه على أن قوله: إذا ضيعت الأمانة، ليس إبان الساعة من أماراتها فلا تكون إذاً شرطية، وتأويل السؤال الثاني متى تضيع الأمانة وكيف حصول التضييع. فقال: إذا وسد الأمر، فأطنب في الأوّل لإفادة معنى زائد واختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه تفنناً. اهـ. وفيه أنه يوهم أن قوله: فانتظر الساعة، غير موجود في الجواب الثاني والحال أن الأمر بخلافه، بل هو موجود في الجوابين ولعله سقط من أصل الطيبي [رحمه الله] والله [تعالى]أعلم. **(رواه البخاري)** ولفظ الجامع: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. رواه البخاري عن أبي هريرة(١).

٥٤٤٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال)** أي ابتلاء في الحال والمآل **(ويفيض)** بفتح الياء فيه وفيما قبله وهو عطف تفسير. أي يسيل من كثرته من كل جانب كالسيل ليميل الخلق إليه كل الميل. **(حتى يخرج)** بضم الياء أي يفرز **(الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه)** أي لكثرة المال ولقلة الميل إليه بتشوّش الحال. **(وحتى تعود أرض العرب)** أي تصير أو ترجع **(مروجاً)** بالضم أي رياضاً كما كانت بنباتاتها وأشجارها وأثمارها. **(وأنهاراً)** أي مياهاً كثيرة جارية في أنهارها. وفي النهاية: المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب، أي تخلي تسرح مختلطة كيف شاءت. اهـ. وفيه إشارة إلى ما قيل من أن الدنيا جنة الحمقى في أنهم يأكلون كما تأكل الأنعام غافلين عن العقبى. **(رواه مسلم)**.

(وفي رواية له) أي لمسلم **(قال: تبلغ المساكن)** أي تصل نهاية مساكن المدينة **(إهاب)** بكسر الهمزة وفتح الموحدة **(أو يهاب)** بكسر الياء التحتية وهو الأنسب للازدواج المعتبر عند الفصحاء والبلغاء. وفي نسخة صحيحة بفتحها وهما موضعان قرب المدينة، فأو للتنويع وعدم

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٦٠ حديث رقم ٨٨٧.

الحديث رقم ٥٤٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٨١. حديث رقم ٧١٢٠. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠١ حديث ٢٠/ ١٥٧.

٥٤٤١ ـ (٥) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يكونُ في آخرِ الزمانِ خليفةٌ يقسِمُ المالَ ولا يعدُّه». وفي رواية: قال: «يكونُ في آخرِ أُمتي خليفة يحثي المالَ حثْياً، ولا يعدُّه عدّاً». رواه مسلم.

٥٤٤٢ ـ (٦) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يوشِكُ الفراتُ أنْ

صرفهما باعتبار البقعة. والمراد كثرة عمارة المدينة وما حولها. وقال شارح: أو نهاب بالنون المكسورة وروي بالياء المكسورة. قال النووي [رحمه الله]: أما إهاب فبكسر الهمزة، وأما يهاب فبياء مثناة تحتية مفتوحة ومكسورة، ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق إلا الكسر. وحكى القاضي [رحمه الله]عن بعضهم نهاب بالنون والمشهور الأوّل. وقد ذكر في الكتاب أنه موضع بقرب المدينة على أميال منها. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد أن المدينة يكثر سوادها حتى يتصل مساكن أهلها بإهاب، أو يهاب شك الراوي في اسم الموضع أو كان يدعي بكلا الاسمين فذكر، أو للتخيير بينهما. وفي التصحيح على ما نقله ميرك أن قوله: إهاب. بكسر الهمزة ولم يصرفه على قصد البقعة ويهاب بياء آخر الحروف مكسورة كذا قيده عياض في المشارق، وقيده غيره بالفتح. وقيل: فيه نهاب بالنون وكأنه تصحيف والشك فيه من الراوي. وفي القاموس: الإهاب ككتاب الجلد وكسحاب موضع قرب المدينة، ولم يذكر فيه يهاب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٤٤١ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يكون)** أي يوجد **(في آخر الزمان خليفة)** أي سلطان بحق **(يقسم المال)** أي على المستحقين بالعدل ولا يخزنه كسلاطين زماننا **(ولا يعده)** بفتح الياء وضم العين والدال المشددة، أي ويعطي كثيراً من غير عدٍ وإحصاء بل يكون إحسانه جزفاً. قال ابن الملك [رحمه الله] : ويحتمل كونه من الإعداد وهو جعل الشيء عدة وذخيرة، أي لا يدخر لعدوّ ولا يكون له خزانة كفعل الأنبياء عليهم [الصلاة و] السلام، وقد سبقه شارح حيث قال: إما بفتح الياء وضم العين، أي لا يحصيه. أو بعد بضم الياء وكسر العين، أي لا يدخره. وهو كذا في بعض النسخ، لكن يضعف هذا الاحتمال مبني ومعنى قوله: **(وفي رواية قال: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال)** بفتح الياء وكسر المثلثة، أي يعطيه بالكفين **(حثياً)** مفعول مطلق أتى به للمبالغة أي حثياً بليغاً. ثم أكد ذلك بقوله: **(ولا يعده عداً)** مصدر بين أن فعله ثلاثي لا رباعي. قال النووي [رحمه الله تعالى] : والحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه. وقال ابن الملك: السر فيه أن ذلك الخليفة يظهر له كنوز الأرض أو يعلم الكيمياء أو يكون من كرامته أن ينقلب الحجر ذهباً. كما رُوِيَ عن بعض الأولياء. **(رواه مسلم)**.

٥٤٤٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك الفرات أن**

الحديث رقم ٥٤٤١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٥ حديث رقم (٦٩ . ٢٩١٤).

الحديث رقم ٥٤٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٨. حديث رقم ٧١١٩. ومسلم في صحيحه =

يحسرَ عنْ كنز منْ ذهبٍ، فمن حضرَ فلا يأخُذْ منه شيئاً». متفق عليه.

٥٤٤٣ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَحسِرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ، يقتتلُ النَّاسُ عليه، فيقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعونَ، ويقولُ كلُّ رجلٍ منهم: لعلي أكونُ أنا الذي أنجُو». رواه مسلم.

يحسر) بضم السين وكسرها، أي يكشف. **(عن كنز)** ففي النهاية: يقال: حسرت العمامة عن رأسي وحسرت الثوب عن بدني، أي كشفتهما. وقال شارح: أي يظهر ويكشف نفسه عن كنزه. فيه إشارة إلى أن حسر متعد. وقال الخلخالي أحد شراح المصابيح: أي سيظهر فرات عن نفسه كنزاً، ففيه إيماء إلى أنه وقع القلب في الكلام فهو من باب عرضت الناقة على الحوض. وفي القاموس: حسره يحسرُه ويحسِره كشفه وحسر الشيء حسوراً انكشف فالفعل متعد ولازم وعلى تقدير اللزوم لا يحتاج إلى تكلف، فالأولى حمله عليه. فالمعنى: يقرب الفرات أن ينكشف عن كنز، أي انكشافاً صادراً عن كنز عظيم. **(من ذهب)** أي كثير **(فمن حضر)** أي فالغائب بالأولى **(فلا يأخذ)** بصيغة النهي. **(منه شيئاً)** أي لما يترتب على الأخذ منه ما سيأتي من المقاتلة الكثيرة والمنازعة الكبيرة. ويحتمل أن يكون فلا يأخذ نفياً. ويؤيده ما سيأتي من قوله: فلا يأخذون منه شيئاً. **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والترمذي.

٥٤٤٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب)** الظاهر أن القضية متحدة والرواية متعددة. فالمعنى: عن كنز عظيم مقدار جبل من ذهب. ويحتمل أن يكون هذا غير الأوّل ويكون الجبل معدناً من ذهب. **(يقتتل الناس عليه)** أي على تحصيله وأخذه **(فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)** أي من الناس المتقاتلين **(ويقول كل رجل منهم:)** أي من الناس أو من التسعة والتسعين. **(لعلي أكون أنا الذي أنجو)** قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب قوله:

أنـا الـذي سـمـتـنـي أمـي حـيـدره

أي أنا الذي ينجو فنظر إلى المبتدأ فحمل الخبر عليه لا على الموصول. اهـ. أي يرجو كل واحد منهم أن يكون هو الناجي فيقتل الباقي في الحال رجاء أن ينجو في المآل فيأخذ المال، وهذا من سوء الآمال وتضييع الأعمال. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه كناية لأن الأصل أن يقال: أنا الذي أفوز به، فعدل إلي أنجو لأنه إذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه. **(رواه مسلم)**.

= ٤/ ٢٢١٩ حديث رقم (٣٠ . ٢٨٩٤). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٤٣١٣. والترمذي في السنن ٤/ ٦٠٢ حديث رقم ٢٥٦٩. وابن ماجه ٢/ ١٣٤٣ حديث رقم ٤٠٤٦.

الحديث رقم ٥٤٤٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٩ حديث رقم (٢٩ . ٢٨٩٤). أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٤٠.

٥٤٤٤ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبِدِها أمثالَ الأسطوانةِ منَ الذَّهبِ والفضَّةِ، فيجيءُ القاتلُ، فيقولُ: في هذا قَتلتُ. ويجيءُ القاطعُ فيقولُ: في هذا قطعتُ رَحِمي. ويجيءُ السَّارقُ فيقول: في هذا قُطِعت يدِي، ثم يدَعونَه، فلا يأخذونَ منه شيئاً». رواه مسلم.

٥٤٤٥ ـ (٩) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفْسي بيدِه، لا تذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبرِ فيتمرَّغ عليه،

٥٤٤٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: تقيء الأرض)** مضارع من القيء، أي تلقي الأرض **(أفلاذ كبدها)** بفتح الهمز جمع الفلذة وهي القطعة المقطوعة طولاً. وسمي ما في الأرض كبداً تشبيهاً بالكبد التي في بطن البعير لأنها أحب ما هو مخبأ فيها. كما أن الكبد أطيب ما في بطن الجزور وأحبه إلى العرب. وإنما قلنا في بطن البعير لأن ابن الأعرابي قال: الفلذ لا يكون إلا للبعير. فالمعنى: تظهر كنوزها وتخرجها من بطونها إلى ظهورها، **(أمثال الأسطوان)** بضم الهمزة والطاء. وفي نسخة صحيحة الأسطوانة فهي واحدة والأوّل جنس وهو الأنسب بجمع الأمثال. وقوله: **(من الذهب والفضة)** لبيان مجمل الحال. قال القاضي [رحمه الله] : معناه أن الأرض تلقي من بطنها ما فيه من الكنوز. وقيل: ما رسخ فيها من العروق المعدنية ويدل عليه قوله: أمثال الأسطوانة. وشبهها بأفلاذ الكباد هيئة وشكلاً، فإنها قطع الكبد المقطوعة طولاً. أقول: ولعل الحديث فيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها﴾** [الزلزلة ـ ١ و٢]. **(فيجيء القاتل)** أي قاتل النفس **(فيقول: في هذا)** أي في طلب هذا الغرض ولأجل تحصيل هذا المقصود **(قتلت)** أي من قتلت من الأنفس **(ويجيء القاطع)** أي قاطع الرحم **(فيقول: في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي)** بصيغة المجهول، ولو رُوِيَ[1] معلوماً لكان له وجه، أي تسبب لقطع يدي **(ثم يدعونه)** بفتح الدال، أي يتركون ما قاءه الأرض من الكنز أو المعدن **(فلا يأخذون منه شيئاً. رواه مسلم)** وكذا الترمذي.

٥٤٤٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: [والذي نفسي بيده] لا تذهب الدنيا)** أي لا تفرغ ولا تنقضي **(حتى يمر الرجل على القبر)** المراد بهما الجنس، فهما في قوّة النكرة. ويمكن أن يراد بهما الاستغراق فكل فرد في هذا الاستحقاق. **(فيتمرغ)** أي يتقلب الرجل **(عليه)** أي فوق القبر. وقال ابن الملك: أي يتمسك على رأس القبر

الحديث رقم ٥٤٤٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٧٠١ حديث رقم (٦٢ . ١٠١٣) والترمذي السنن ٤/ ٤٢٧ حديث رقم ٢٢٠٨.

(١) في المخطوطة «كان».

الحديث رقم ٥٤٤٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ حديث رقم (٥٤ . ١٥٧) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٠. حديث رقم ٤٠٣٧.

ويقولُ: يا ليتني كنتُ مكانَ صاحبِ هذا القبر، وليسَ به الدِّينُ إلاَّ البلاء». رواه مسلم.

٥٤٤٦ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى تخرجَ نارٌ منْ أرضِ الحجازِ تضيءُ أعناقَ الإِبلِ ببُصْرى».

ويتقلب في التراب. (**ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر**) أي ميتاً (**وليس به الدين**) بكسر الدال (**إلا البلاء**) أي الحامل له على التمني ليس الدين بل البلاء وكثرة المحن والفتن وسائر الضراء. قال المظهر: الدين هنا العادة وليس في موضع الحال من الضمير في يتمرغ. يعني: يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت في حال ليس التمرغ من عادته، وإنما حمل عليه البلاء. وقال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يحمل الدين على حقيقته، أي ليس ذلك التمرغ والتمني لأمر أصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا فيفيد البلاء المطلق بالدنيا بواسطة القرينة السابقة. (**رواه مسلم**) أي بهذا اللفظ، واتفقا على: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه[(١)]. كذا ذكره ميرك عن التصحيح. قلت: وهذا اللفظ في الجامع أسند إلى أحمد والشيخين[(٢)]، وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه[(٣)]. وخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه[(٤)]. وأخرج أيضاً عن أبي ذر قال: ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة فيهم فيقول الرجل: يا ليت أني مكانه[(٥)]. وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: مرض أبو هريرة فأتيت أعوده فقلت: اللهم اشف أبا هريرة. فقال: اللهم لا ترجعها. وقال: يوشك يا أبا سلمة أن يأتي علي الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ويوشك يا أبا سلمة إن بقيت إلى قريب أن يأتي الرجل القبر فيقول: يا ليتني مكانك.

٥٤٤٦ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز**) أي مكة والمدينة وما حولهما (**تضيء**) بضم أوّله أي تنوّر (**أعناق الإبل**) جمع العنق بضمتين وهو العضو المعروف وقيل بفتحتين وهو الجماعة (**ببصرى**) بضم موحدة وهي مدينة حوران بالشام. وقيل: مدينة قيسارية البصرة. قال النووي [رحمه الله]: هكذا الرواية بنصب أعناق وهو مفعول تضيء. يقال: أضاءت النار وأضاءت غيرها. وبصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث

---

(١) البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٤ حديث رقم ٧١٦٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٤. حديث رقم (٥٣ . ١٥٧).

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٢٥٢. (٣) لم أقف عليه في الحلية والله تعالى أعلم.

(٤) لم أقف عليه في الحلية والله تعالى أعلم. (٥) لم أقف عليه في الحلية. والله تعالى أعلم.

الحديث رقم ٥٤٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٨. حديث رقم ٧١١٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧ حديث رقم (٤٢ . ٢٩٠٢).

متفق عليه.

٥٤٤٧ ـ (١١) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أولُ أشراطِ السَّاعةِ نارٌ تحشُرُ النَّاسَ منَ المشرقِ إلى المغرب». رواه البخاري.

مراحل. وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة ست وخمسين وستمائة وكانت ناراً عظيمة خرجت من جنب المدينة شرفها الله تعالى الشرقي وراء الحرة وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة. قال التوربشتي [رحمه الله]: رأى هذه النار أهل المدينة ومن حولهم رؤية لا مرية فيها ولا خفاء، فإنها لبثت نحواً من خمسين يوماً تتقدر وترمي بالأحجار المجمرة بالنار من بطن الأرض إلى ما حولها مشاكلة للوصف الذي ذكره الله تعالى في كتابه عن نار جهنم **﴿ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر﴾** [المرسلات ـ ٣٢، ٣٣] . وقد سال من ينبوع النار في تلك الصحارى مد عظيم شبيه بالصفر المذاب فيجمد الشيء بعد الشيء فيوجد شبيهاً بخبث الحديد. قال القاضي [رحمه الله] : فإن قلت: كيف يصح أن يحمل هذا عليها وقد رُوِيَ في الحديث الذي يليه أنه ﷺ أنه قال: أول أشراط الساعة نار تحشر الناس. وهي لم تحدث بعد. قلت: لعله لم يرد بذلك أوّل الأشراط مطلقاً بل الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على أنها تقوم عما قريب، فإن من الأشراط بعثة النبي ﷺ ولم تتقدمها تلك النار أو أراد بالنار نار الحرب والفتن كفتنة التتر[١]، فإنها سارت من المشرق إلى المغرب. **(متفق عليه)** قال ميرك نقلاً عن التصحيح: والعجب من الحاكم أنه أخرجه في مستدركه على الصحيحين وأسنده من طريق رشد بن سعد عن عقبة عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة وساقه بلفظه فاستدركه عليهما وهو فيهما. وأعجب من هذا روايته له من طريق رشد بن سعد وهو ضعيف باتفاق الحفاظ[٢]. اهـ. وقد سبق جوابه بأنه أتى بإسناد غير إسناد الصحيحين فيكون مستدركاً لا مستدركاً، ويدل عليه أنه روي من طريق رشد ولعله قوي عنده أوله متابع أو مشاهد ينجبر به مع أنه قل راو أجمعوا على ضعفه والله [تعالى] أعلم.

٥٤٤٧ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أوّل أشراط الساعة)** سبق الكلام عليه **(نار)** أي شعلة ساطعة أو فتنة طالعة **(تحشر الناس)** أي تجمعهم **(من المشرق إلى المغرب. رواه البخاري)** ورواه الطيالسي عنه بلفظ: أوّل شيء يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب[٣]. كذا في الجامع وبه يزول الإشكال السابق.

---

(١) في المخطوطة «الترك».

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/٤٤٣.

الحديث رقم ٥٤٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٧٨ تعليقاً في الباب ٢٤ باب خروج النار. وأحمد في المسند ٣/١٠٨.

(٣) الجامع الصغير ١/١٦٧ حديث رقم ٢٨١٦.

الفصل الثاني

٥٤٤٨ ـ (١٢) عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يتقاربَ الزَّمانُ، فتكونُ السَّنةُ كالشهرِ، والشَّهرُ كالجمعةِ، وتكونُ الجمعةُ كاليومِ، ويكونُ اليومُ كالساعةِ، وتكونُ السَّاعةُ كالضَّرمةِ بالنَّارِ».

(الفصل الثاني)

٥٤٤٨ ـ **(عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان)** أي زمان الدنيا والآخرة، أو يتقارب أهل بعضهم من بعض في الشر، أو يتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوّله آخره، أو تقصر الأيام والليالي وهو المناسب هنا لقوله: **(فتكون)** بالرفع وينصب وهو بالتأنيث ويجوز تذكيره [ليلاً]، ثم عطف الشهر عليه والمعنى فتصير. **(السنة كالشهر)** قال التوربشتي [رحمه الله]: يحمل ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته في كل مكان، أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام لا يذرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم. فإن قيل: العرب تستعمل قصر الأيام والليالي في المسرات وطولها في المكاره، قلنا: المعنى الذين يذهبون إليه في القصر والطول مفارق للمعنى الذي يذهب إليه، فإن ذلك راجع إلى تمني الإطالة للرخاء أو إلى تمني القصر للشدة. والذي يذهب إليه راجع إلى زوال الإحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة ما هم فيه وذلك أيضاً صحيح. **(والشهر)** أي ويكون الشهر **(كالجمعة)** بضم الميم ويسكن، والمراد بها الأسبوع. **(وتكون)** بالتأنيث رفعاً وينصب، أي وتصير **(الجمعة كاليوم)** أي كالنهار **(ويكون اليوم كالساعة)** أي العرفية النجومية وهي جزء من أجزاء القسمة الاثنتي عشرية في اعتدال الأزمنة الصيفية والشتائية **(وتكون الساعة كالضرمة بالنار)** بفتح الضاد وسكون الراء ويفتح، أي مثلها في سرعة ابتدائها وانقضائها. قال القاضي [رحمه الله]: أي كزمان إيقاد الضرمة وهي ما يوقد به النار أوّلاً كالقصب والكبريت. وفي القاموس: الضرمة محركة السعفة أو الشيحة في طرفها نار، وفي الأزهار: الضرمة بفتح المعجمة وسكون الراء غصن النخل، والشيحة نبت في طرفها نار فإنها إذا اشتعلت تحرق سريعاً. اهـ. فالمراد بها الساعة اللغوية وهي أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان من اللمحة واللحظة والطرفة. قال الخطابي: ويكون ذلك في زمن المهدي أو عيسى عليه [الصلاة] والسلام أو كليهما. قلت: والأخير هو الأظهر لظهور هذا الأمر في خروج الدجال وهو في زمانهما. قال: فإن قيل: إذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة

الحديث رقم ٥٤٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٢٣٣٢.

رواه الترمذي.

٥٤٤٩ ـ (١٣) وعن عبدِ الله بنِ حوالةَ، قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ لنغنمَ على أقدامِنا، فرجعنا فلم نغنمْ شيئاً، وعرفَ الجُهدَ في وجوهِنا، فقامَ فينا فقال: «اللهُمَّ لا تكلْهُم إليَّ فأضعفَ عنهم،

والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة فما وجه التقارب. ومعناه قلنا: المراد بذلك أن السنة ذات شهور وجمع وأيام وساعات، فإن كل سنة اثنا عشر شهراً وثمان وأربعون جمعة وثلثمائة وستون يوماً وأربعة آلاف وثلثمائة وعشرون ساعة، وإذا عادت السنة إلى الشهر عادت جمعتها إلى جمعة شهر تلك السنّة وهي أربع وأيامها إلى أيام شهر بتلك السنة وهي ثلاثون يوماً، وساعاتها إلى ساعات شهر بتلك السنة وهي ثلثمائة وستون ساعة(١). ونسبة كل منها إلى السنة كجزء من اثني عشر جزءاً بلا زيادة ونقص، نعم يزيد وينقص من أمد الضرمة بالنار فإنها غير مقدرة شرعاً ولا عرفاً ولا يتبين للناظر في رأي العين فلذا قال: يتقارب الزمان، ولم يقل: يتساوى الزمان. اهـ. وسيأتي لهذا الحديث زيادة تحقيق وبيان وما يتعلق به من أداء الصلاة في كل زمان في حديث النوّاس من الباب الآتي. **(رواه الترمذي)**.

٥٤٤٩ ـ **(وعن عبد الله بن حوالة)** بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو. قال المؤلف في فصل الصحابة: أزدي نزل الشام روى عنه جبير بن نفير وغيره. **(قال: بعثنا رسول الله ﷺ)** أي أرسلنا **(لنغنم)** أي لنأخذ الغنيمة **(على أقدامنا)** أي ماشين عليها وهو حال من الضمير في بعثنا، أي بعثنا رجالاً غير ركاب. **(فرجعنا)** أي سالمين مأمونين **(فلم نغنم شيئاً)** أي فصرنا مغمومين محزونين. **(وعرف الجهد)** بالفتح وفي نسخة صحيحة بالضم، ففي القاموس: الجهد الطاقة ويضم والمشقة. وقال ابن الملك: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة. قلت: الظاهر أنهما لغتان لكل منهما، والمراد به هنا المشقة. وقد صرح شارح بالفتح واقتصر عليه السيد في أصله، أي وعرف مشقة ألم فقد الغنيمة. **(في وجوهنا)** أي فيما ظهر عليها من آثار الكآبة والحزن والخجلة والحياء. **(فقام)** أي خطيباً **(فينا)** أي لأجلنا أو فيما بيننا **(فقال: اللهم لا تكلهم)** من الوكول، أي لا تترك أمورهم. **(إليّ)** أي إلى أمري **(فأضعف عنهم)** بالنصب جواباً للنهي، والسبب في ذلك أن الإنسان خلق ضعيفاً وأن المخلوق من حيث هو عاجز عن نفسه فكيف عن غيره. ولذا ورد في الدعاء النبوي: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك(٢). وقال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله﴾** [يونس ـ ٤٩]. وهذا هو التوحيد المبين بقوله: لا حول ولا قوّة ألا بالله. وقد ورد في حديث رواه ابن عدي

---

(١) في المخطوطة «يوماً».

الحديث رقم ٥٤٤٩: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٤١. حديث رقم ٢٥٣٥.

(٢) أخرج شطر الأول البزار وتكلمته في المسند عند الإمام أحمد ٥/ ١٩١.

ولا تكِلْهم إلى أنفسِهم فيعجزوا عنها، ولا تكلْهُم إلى النَّاسِ فيستأثِروا عليهم» ثمَّ وضعَ يدَه على رأسي، ثمَّ قال: «يا ابنَ حَوالةَ! إذا رأيتَ الخلافة قد نزلت الأرضَ المقدَّسةَ، فقد دَنَتِ الزَّلازِلُ والبلابلُ والأمورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يومئذٍ أقربُ من النّاسِ منْ يدِي هذه إلى رأسِكَ». رواه أبو داود وإسناده حسن ورواه الحاكم في صحيحه الشيخ الجزري.

في الكامل أن إلياس والخضر عليهما [الصلاة] والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. ثم لما كان له القرب الإلهي قدم دفع وكولهم إليه أوّلاً، ثم قال: **(ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها)** بكسر الجيم وتفتح. ففي القاموس: عجز من باب ضرب وسمع. ثم في تأخير أنفسهم عن نفسه إلا نفس إيماء إلى قوله تعالى: **﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾** [الأحزاب - ٦] . **(ولا تكلهم إلى الناس)** أي إلى الخلق. وإنما خص الناس لقرب الاستئناس **(فيستأثروا عليهم)** عدل عن قوله: فيعجزوا، لظهوره إلى قوله: فيستأثروا. إشعاراً بأنهم ما يكتفون بإظهار العجز، بل يتبادرون إلى أن يختاروا الجيد لأنفسهم والرديء لغيرهم. ففيه تعليم للأمة في شهود صنع الله والغيبة عما سواه حتى يكلوا أمورهم إليه ويعتمدوا في جميع حوائجهم عليه لأن من توكل على الله كفاه أمور دينه ودنياه، كما قال: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾** [الطلاق - ٣]. قال الطيبي [رحمه الله]: المعنى لا تفوّض أمورهم إلي فأضعف عن كفاية مؤنتهم وسد خلتهم، ولا تفوضهم إلى أنفسهم فيعجزوا عن أنفسهم لكثرة شهواتها وشرورها، ولا تفوضهم إلى الناس فيختاروا أنفسهم على هؤلاء فيضيعوا، بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد. **(ثم وضع يده على رأسي)** أي لحكمة ستأتي مع ما فيه من البركة، وهو يحتمل الاستمرار على ذلك المرام حتى فرغ من الكلام، ويحتمل أنه وضعها ثم رفعها. **(ثم قال: يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة)** أي خلافة النبوّة **(قد نزلت الأرض المقدسة)** أي من المدينة إلى أرض الشام كما وقعت في أمارة بني أمية **(فقد دنت)** أي قربت **(الزلازل)** أي وقوعها وهي مقدمات زلزلة الساعة التي هي شيء عظيم. وقد أخبر سبحانه أيضاً بقوله: **﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾** [الزلزلة - ١]. والزلزلة هي الحركة والزلزال مصدر. **(والبلابل)** جمع بلبلة. ففي النهاية: هي الهموم والأحزان، وبلبلة الصدر وسواسه. **(والأمور العظام)** أي من أشراط الساعة **(والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه)** أي الموضوعة على رأسك. **(إلى رأسك. رواه...)** كذا هنا بياض بالأصل وألحق في الحاشية أبو داود وإسناده حسن، ورواه الحاكم في صحيحه جزري وألحق في نسخة رواه أبو داود والحاكم[1].

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٥.

٥٤٥٠ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا اتخذَ الفيْءُ دِوَلاً، والأمانةُ مغنَماً، والزَّكاةُ مَغرَماً، وتُعلّمَ لغيرِ الدِّينِ، وأطاعَ الرجلُ امرأتَه، وعقَّ أُمَّه، وأدنى صديقَه، وأقْصى أباهُ، وظهرتِ الأصواتُ في المساجدِ،

٥٤٥٠ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اتخذ) بصيغة المجهول أي إذا أخذ (الفيء) أي الغنيمة (دولاً) بكسر الدال وفتح الواو ويضم أوّله جمع دولة بالضم والفتح، أي غلبة المداولة والمناولة. ففي القاموس: الدولة انقلاب الزمان والعقبة في المال، ويضم أو الضم فيه والفتح في الحرب أو هما سواء، أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا الجمع دول مثلثة. وفي شرح ابن الملك قال الأزهري: الدولة بالضم اسم لما يتناول من المال، يعني الفيء. وبالفتح الانتقال من حال البؤس والضر إلى حال السرور. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي إذا كان الأغنياء وأصحاب المناصب يستأثرون بحقوق الفقراء، أو يكون المراد منه أن أموال الفيء تؤخذ غلبة وأثرة صنيع أهل الجاهلية وذوي العدوان. (والأمانة مغنماً) أي بأن يذهب الناس بودائع بعضهم وأماناتهم فيتخذونها كالمغانم يغنمونها. (والزكاة مغرماً) أي بأن يشق عليهم أداؤها حتى تعد غرامة. (وتعلم) بصيغة المجهول من باب التفعل (لغير الدين) قال الطيبي [رحمه الله]: هو بالألف واللام كذا في جامع الترمذي وجامع الأصول. وفي نسخة المصابيح بغير اللام والأولى أولى، أي رواية ودراية أي يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال لا للدين ونشر الأحكام بين المسلمين لإظهار دين الله. (وأطاع الرجل امرأته) أي فيما تأمره وتنهاه مخالف لأمر الله وهداه. (وعق أمه) أي خالفها فيما تأمره وتنهاه. وفي القرينتين إشعار بانقلاب الدهر لانعكاس الأمر، كما في قوله: (وأدنى صديقة وأقصى أباه) حيث قرب صديقه الأجنبي إليه وبعد أقرب الأقربين منه مع أنه أشفق الأشفقين عليه. هذا وقال ابن الملك: خص عقوق الأم بالذكر وإن كان عقوق كل من الأبوين معدوداً من الكبائر لتأكد حقها، أو لكون قوله: وأقصى أباه، بمنزلة: وعق أباه. فيكون عقوقهما مذكوراً. أقول: ففيه تفنن وتسجيع مع زيادة المبالغة في قوله: أقصى على قوله: عق. على أنه يفهم عقوق الأب من عقوق الأم بالأولى. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: وأدنى صديقه وأقصى أباه. كلاهما قرينة لقوله: وأطاع الرجل امرأته وعق أمه. لكن المذموم في الأولى الجمع بينهما لأن إدناء الصديق محمود بخلاف الثانية، فإن الافراد والجمع بينهما مذمومان. أقول: فيه نظر لأن إطاعة المرأة والأم في المباح مندوبتان. وفي المعصية منهيتان. فالغرابة بينهما إنما هي في انعكاس القضية وانقلاب البلية وكذا في القرينتين الأوليين، إذ يتصوّر إدناء الصديق الصالح وإبعاد الأب الصالح. ويؤيد ما حررناه قوله: فرجح جانب الزوجة لأنها محل الشهوة على جانب الأم فإنها مرضاة الرب. وخص الأم بالذكر لزيادة حقها وتأكد مشقتها في تربيته فعقوقها أقبح من عقوق الأب. وأدنى صديقه أي قربه إلى نفسه للمؤانسة والمجالسة، وأقصى أباه أبعده ولم يستصحبه ولم يستأنس به. (وظهرت الأصوات) أي رفعها (في المساجد) وهذا مما كثر في هذا الزمان. وقد نص

الحديث رقم ٥٤٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٢٨ حديث رقم ٢٢١١.

وسادَ القبيلةَ فاسقُهم، وكانَ زعيمُ القومِ أرذَلَهم، وأُكرِمَ الرَّجلُ مخافةَ شرِّه، وظهرت القَيْناتُ والمَعازِفُ، وشُربتِ الخمورُ، ولعنَ آخرُ هذه الأمَّةِ أوَّلَها؛

بعض علمائنا بأن رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر حرام. **(وساد القبيلة)** وفي معناه البلد والمحلة **(فاسقهم)** وظالمهم بالأولى وقد كثر هذا أيضاً. والظاهر أن الكثرة هي العلامة وإلا فلم يكن يخلو زمان عن مثل هذه الأشياء وقد قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها**﴾ [الأنعام ـ ١٢٣]. **(وكان زعيم القوم)** أي المتكفل بأمرهم **(أرذلهم)** أي أبخلهم أو أكثرهم رذالة في النسب والحسب. قال السيوطي: زعيم القوم رئيسهم. وفي القاموس: الزعيم الكفيل، وسيد القوم رئيسهم والمتكلم عنهم. ثم اعلم أن النسخ جميعها على رفع زعيم ونصب أرذلهم. وكان الظاهر أن يعكس، اللهم إلا أن يراد بالزعيم الكريم وبالأرذل الأحمق والأخمل وفي المال والجاه أقل. **(وأكرم الرجل)** أي عظم **(مخافة شره)** أي لا لسبب غيره من نحو رجاء خيره. **(وظهرت القينات)** بفتح القاف وسكون التحتية، أي الإماء المغنيات. **(والمعازف)** بفتح الميم وكسر الزاي، أي وظهرت آلات اللهو. **(وشربت)** بصيغة المجهول **(الخمور)** أي أنواع الخمر والمراد أنها تشرب شرباً ظاهراً. **(ولعن آخر هذه الأمة أولها)** فيه إشارة إلى أن هذه العلامة من خصوصيات هذه الأمة وأنها لم تقع في الأمم السابقة، وهي المناسبة أن تكون من أشراط الساعة. ويؤيده أنه لو قيل لليهود والنصارى من أفضل أهل ملتكم قالوا: أصحاب موسى وعيسى عليهما [الصلاة]والسلام. قال الطيبي [رحمه الله]: أي وطعن الخلف في السلف وذكروهم بالسوء ولم يقتدوا بهم في الأعمال الصالحة فكأنه لعنهم. أقول: إذا كانت الحقيقة متحققة فما المحوج إلى العدول عنها إلى المعنى المجازي، وقد كثرت كثرة لا تخفى في العالم مع أن الله تعالى قال في حق الأولين: ﴿**والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ [التوبة ـ ١٠٠]. وقال: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾ [الفتح ـ ١٨]. والكتاب والسنة مشحونان بمناقبهم وفضائلهم وهم الذين نصروا نبيهم في اجتهاده وجاهدوا في الله حق جهاده فتحوا[1] بلاد الإسلام وحفظوا الأحكام وسائر العلوم من سيد الآنام وانتفعوا بهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام، وقد علمنا الله في كتابه أن نقول في حقهم: ﴿**ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ [الحشر ـ ١٠]. وقد ظهرت طائفة لاعنة ملعونة إما كافرة أو مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن والطعن[2] في حقهم بل نسبوهم إلى الكفر بمجرد أوهامهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة من أن أبا بكر وعمر وعثمان [رضي الله تعالى عنهم]أخذوا الخلافة وهي حق علي بغير حق. والحال أن هذا باطل بالإجماع سلفاً وخلفاً ولا اعتبار بإنكار المنكرين، وأي دليل لهم من الكتاب والسنة يكون نصاً على خلافة علي. ثم من خالفه من بعض الصحابة في أيام خلافته أيضاً بناء على اختلاف اجتهاد فليس يستحق اللعن غايته أنه كان مخطئاً. ولو فرضنا أنه كان مسيئاً فلعله مات تائباً أو باقياً تحت المشيئة مع غالب رجاء المغفرة والشفاعة

(١) في المخطوطة «حفظوا».
(٢) في المخطوطة «الطرد».

فارتقِبوا عندَ ذلكَ ريحاً حمراءَ وزلزلةً وخسْفاً ومسْخاً، وقذْفاً، وآياتٍ تتابَعُ كنِظامٍ قُطِعَ سِلكُه فتتابعَ». رواه الترمذي.

٥٤٥١ ـ (١٥) وعن عَليٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا فعلتْ أُمَّتي خمسَ عشرةَ خِصْلةً حلَّ بها البَلاءُ» وعدَّ هذه الخصالَ ولم يذكر «تُعلمَ لغيرِ الدِّينِ» قال:

ببركة الخدمة المتقدمة. وقد روى ابن عساكر عن علي كرم الله [تعالى]وجهه مرفوعاً: يكون لأصحابي زلة يغفرها الله لهم لسابقتهم معي. فنحن مع كثرة ذنوبنا من الصغائر والكبائر إذا كنا راجين رحمة ربنا وشفاعة نبينا ﷺ، فكيف بأكابر هذه الأمة وبأنصار هذه الملة. ومن العجيب أن طائفة الرافضة المرفوضة الباغضة المبغوضة أفسق الخلق وأظلمهم وأحمق العالمين وأجهلهم، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. هذا وقد قال ﷺ: لا تذكروا موتاكم إلا بخير[١]. وقال: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا[٢]. وقد أخرج ابن عساكر عن جابر مرفوعاً: حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما كفر، وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر، وحب العرب من الإيمان وبغضهم كفر، ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة[٣]. **(فارتقبوا)** جواب إذا، والمعنى: فانتظروا. **(عند ذلك)** أي عند وجود ما ذكر **(ريحاً حمراء)** أي شديدة في الهواء **(وزلزلة)** أي حركة عظيمة للأرض **(وخسفاً)** أي ذهاباً في الأرض وغيبوبة فيها **(ومسخاً)** بتغيير الصور على طبق اختلاف تغير السير **(وقذفاً)** أي رمي حجارة من السماء **(وآيات)** أي علامات أخر لدنوّ القيامة وقرب الساعة **(تتابع)** بحذف إحدى التاءين، أي يتبع بعضها بعضاً. **(كنظام)** بكسر النون، أي عقد من نحو جوهر وخرز. **(وقطع سلكه)** بكسر السين أي انقطع خيطه. **(فتتابع)** أي ما فيه من الخرز وهو فعل ماض بخلاف الماضي فإنه حال أو استقبال. **(رواه الترمذي)** أي وقال: غريب. وروى أحمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: الآيات خرزات منظومات في سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضاً[٤].

٥٤٥١ ـ **(وعن علي رضي الله [تعالى]عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا فعلت أمتي خمس عشرة)** بسكون الشين المعجمة ويكسر **(خصلة)** أي فعلة ذميمة **(حل بها البلاء)** أي نزل **(وعد)** أي وأحصى النبي ﷺ **(هذه الخصال)** أي الخمس عشرة **(ولم يذكر)** أي علي رضي الله عنه **(تعلم لغير الدين)** قال الطيب [رحمه الله]: هذا كلام صاحب المصابيح، وذلك أن الترمذي ذكر الحديثين على الولاء وعد في كل واحد منهما الأعداد الخمسة عشر. **(قال:)** أي

---

(١) النسائي.

(٢) الطبراني في الكبير. ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٤٣ حديث رقم ٦١٥.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٨.

(٤) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٤ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٩.

الحديث رقم ٥٤٥١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٨ حديث رقم ٢٢١٠.

«وبَرَّ صديقَه، وجَفا أباهُ» وقال: «وشُربَ الخمرُ، ولُبسَ الحريرُ». رواه الترمذي.

٥٤٥٢ ـ (١٦) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهبُ الدنيا حتى يملِكَ العربَ رجلٌ منْ أهلِ بيتي، يُواطِئُ اسمُه اسمي». رواه الترمذي، وأبو داود.

وفي رواية له: قال: «لوْ لم يبقَ منَ الدُّنيا إلاَّ يومٌ لطوَّل اللَّهُ ذلك اليومَ حتى

علي **(وبر صديقه)** أي بدل أدنى **(وجفا أباه)** بدل أقصى فهو اختلاف عبارة، وكذا قوله: **(وقال:)** أي علي **(وشرب الخمر)** أي بدل شربت الخمور بتغيير الفعل والفاعل **(وليس)** بصيغة المجهول **(الحرير)** قال صاحب المختصر: هذا يدل من اللعن وهو غير صحيح لأن اللعن مذكور في حديث علي [رضي الله عنه]، فالصواب أنه بدل من تعلم لغير الدين. فتطابق العددان في الروايتين، فصح قول الطيبي أنه عد في كل واحد منهما الأعداد الخمسة عشر، وبطل قول صاحب المختصر أن المجموع خمسة عشر. وأما المذكور في الحديث السابق فستة عشر. اهـ. وها أنا أذكر لك مفصلاً ما ذكره المؤلف مجملاً بل مختصراً مخلاً مهملاً بقوله: **(رواه الترمذي)** ففي الجامع: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء. إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أوّلها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً[1]. رواه الترمذي عن علي [رضي الله عنه]، فأو هنا للتنويع والواو هناك للجمع وبه يحصل الجمع.

٥٤٥٢ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا)** أي لا تفنى ولا تنقضي **(حتى يملك العرب)** أي ومن تبعهم من أهل الإسلام فإن من أسلم فهو عربي. **(رجل من أهل بيتي يواطىء)** أي يوافق **(اسمه اسمي)** أي ويطابق رسمه رسمي فإنه محمد المهدي وبهديه ﷺ [للناس]يهدي. وقال الطيبي [رحمه الله]: لم يذكر العجم وهم مرادون أيضاً لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يداً واحدة قهروا سائر الأمم. ويؤيد حديث أم سلمة بعيد هذا. اهـ. ويمكن أن يقال ذكر العرب لغلبتهم في زمنه أو لكونهم أشرف. أو هو من باب الاكتفاء. ومراده العرب والعجم كقوله تعالى: **﴿سرابيل تقيكم﴾** [النحل ـ ٨١]. أي والبرد، والأظهر أنه اقتصر على ذكر العرب لأنهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم بمعنى ضد العرب، فإنه قد يقع منهم خلاف في إطاعته والله [تعالى]أعلم. **(رواه الترمذي وأبو داود)**.

(وفي رواية له) أي لأبي داود **(قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى**

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٣ حديث رقم ٧٧٤.

الحديث رقم ٥٤٥٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٣ حديث رقم ٤٢٨٢. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٨ حديث رقم ٢٢٣٠. وابن ماجه ٢/ ٩٢١ حديث رقم ٢٧٧٩. وأحمد في المسند ١/ ٧٧٦.

يبعثَ الله فيهِ رجلاً مني ـ أو من أهل بَيتي ـ يواطىء اسمه اَسمي واسمُ أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

يبعث الله) أي يظهر (**فيه**) أي في ذلك اليوم (**رجلاً**) أي كاملاً (**مني**) أي من نسبي (**أو من أهل بيتي**) شك من الراوي. ولفظ الجامع: حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي. واختلف في أنه من بني الحسن أو من بني الحسين، ويمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسنين. والأظهر أنه من جهة الأب حسني ومن جانب الأم حسيني قياساً على ما وقع في ولدي إبراهيم وهما إسماعيل وإسحاق عليهم [الصلاة]والسلام، حيث كان أنبياء بني إسرائيل كلهم من بني إسحاق، وإنما نبىء من ذرية إسماعيل نبينا ﷺ وقام مقام الكل ونعم العوض وصار خاتم الأنبياء. فكذلك لما ظهرت أكثر الأئمة وأكابر الأمة من أولاد الحسين فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء، على أنه قد قيل: لما نزل الحسن رضي الله [تعالى]عنه عن الخلافة الصورية ورد في منقبته في الأحاديث النبوية [أعطي له][لواء]ولاية المرتبة القطبية، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوّة العيسوية واتفاقهما على إعلاء كلمة الملة النبوية على صاحبها ألوف السلام وألوف التحية. وسيأتي في حديث أبي إسحاق عن علي كرم الله تعالى وجهه ما هو صريح في هذا المعنى والله [تعالى]أعلم. (**يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي**) فيكون محمد بن عبد الله. فيه رد على الشيعة حيث يقولون المهدي الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري (**يملأ الأرض**) استئناف مبين لحسبه كما أن ما قبله [معين]النسبه، أي يملأ وجه الأرض جميعاً أو أرض العرب وما يتبعها والمراد أهلها. (**قسطاً**) بكسر أوّله، وتفسيره قوله: (**وعدلاً**) أتى بهما تأكيد وكذا الجمع في قوله: (**كما ملئت**) أي الأرض قبل ظهوره (**ظلماً وجوراً**) على أنه يمكن أن يغاير بينهما بأن يجعل الظلم هنا قاصراً لازماً والجور تعدياً متعدياً. وكذلك يحتمل أن يراد بالقسط إعطاء كل ذي حق حقه وبالعدل النصفة والحكم بميزان الشريعة وانتصار المظلوم وانتقامه من الظالم فيكون جامعاً لما قال تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ [النحل ـ ٩٠]. وقائماً بما قاله العلماء من أن الدين هو التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وموصوفاً بوصف الكمال وهو إجراء كل من تجلى الجمال وتجلى الجلال في محله اللائق بكل حال من الأحوال. هذا ورواه أحمد وأبو داود عن علي رضي الله [تعالى]عنه مرفوعاً: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً. ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبال الديلم والقسطنطينية. وفي القاموس: الديلم جيل معروف. ورواه الروياني عن حذيفة مرفوعاً: المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري.

٥٤٥٣ ـ (١٧) وعن أمّ سلمة، قالتْ: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «المهديّ من عترتي من أولادِ فاطمة». رواه أبو داود.

٥٤٥٤ ـ (١٨) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «المهديُّ مني، أجْلى الجبهة، أَقْنى

٥٤٥٣ ـ **(وعن أم سلمة)** رضي الله عنها وهي من أمهات المؤمنين **(قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من عترتي)** قال بعض الشراح: العترة ولد الرجل من صلبه وقد تكون العترة الأقرباء أيضاً وهي العمومة. قلت: المعنيان لا يلائمان بيانه بقوله: **(من أولاد فاطمة)** [رضي الله تعالى عنها]. وفي النهاية: عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب، وقيل قريش كلهم. والمشهور المعروف أنهم الذين حرمت عليهم الزكاة. أقول: المعنى الأوّل هو المناسب للمرام وهو لا ينافي أن يطلق على غيره بحسب ما يقتضيه المقام. وقيل عترته أهل بيته لخبر ورد. وقيل أزواجه وذريته، وقيل أهله وعشيرته الأقربون، وقيل نسله ورهطه الأدنون وعليه اقتصر الجوهري. قلت: وهو الذي ينبغي هنا أن عليه يقتصر ويختصر. **(رواه أبو داود)** وكذا ابن ماجه، ورواه الحاكم وصححه[(١)]. وأما ما رواه الدارقطني في الأفراد عن عثمان رضي الله [تعالى] عنه: «المهدي من ولد العباس عمي»[(٢)]. فمع ضعف إسناده محمول على المهدي الذي وجد من الخلفاء العباسية، أو يكون للمهدي الموعود أيضاً نسبة نسبية إلى العباسية فقد رواه أحمد وابن ماجه عن علي مرفوعاً: «المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة»[(٣)]. أي يصلح أمره، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها.

٥٤٥٤ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي مني)** أي من نسلي وذريتي أو من عشيرتي وأهل بيتي **(أجلى الجبهة)** قال شارح: أي واسعها. وفي النهاية: خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته، كذا ذكره الطيبي [رحمه الله تعالى] مختصراً. وفي النهاية: النزعتان من جانبي الرأس مما لا شعر عليه، والجلا مقصوراً انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس، أو هو دون الصلع والنعت أجلي وجلواء وجبهة جلواء واسعة. فهذا يؤيد قول الشارح السابق وهو الموافق للمقام والمطابق. **(أقنى**

الحديث رقم ٥٤٥٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٤. حديث رقم ٤٢٨٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٨ حديث رقم ٤٠٨٦.

(١) لم أجده في فهارس المستدرك والله تعالى أعلم. لكن ذكره في الجامع أن راويه الحاكم. وأبو داود. وابن ماجه. ٢/ ٥٥٢ حديث رقم ٩٢٤١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٥٢ حديث رقم ٩٢٤٢.

(٣) أحمد في المسند ١/ ٨٤ وابن ماجه في السنن الحديث رقم ٤٠٨٥.

الحديث رقم ٥٤٥٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٤ حديث رقم ٤٢٨٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٧.

الأنف يملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يَملكُ سبعَ سنين». رواه أبو داود.

٥٤٥٥ ـ (١٩) وعنه، عن النبي ﷺ في قصَّة المهديِّ قال: «فيجيء إِليهِ الرجلُ فيقول: يا مهدي! أعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله». رواه الترمذي.

٥٤٥٦ ـ (٢٠) وعن أمّ سلمةَ، عن النبي ﷺ، قال: «يكونُ اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رجلٌ من أهلِ المدينة هارباً إِلى مكةَ، فيأتيه الناسُ من أهل مكة، فيخرجوه وهو كاره،

(الأنف) أي مرتفعه كذا قال شارح. وفي النهاية: القنا في الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه. يقال: رجل أقنى وامرأة قنواء انتهى. ففي الكلام تجريد. والأرنبة طرف الأنف على ما في القاموس، والحدب الارتفاع وهو ضد الانخفاض. والمراد أنه لم يكن أفطس فإنه مكروه الهيئة. **(يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين)** وأما ما سيأتي من قول راو: أو ثمان سنين أو تسع سنين فهو شك منه، فيحتمل أن هذه الرواية مجزومة بالسبع ويؤيده ما سيأتي من رواية أبي داود أيضاً عن أم سلمة. ويحتمل أن تكون مشكوكة وطرح الشك ولم يذكره واكتفى باليقين والله [تعالى]أعلم. **(رواه أبو داود)** وصححه ابن العربي ورواه الحاكم في مستدركه.

٥٤٥٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ في قصة المهدي قال: فيجيء [إليه]الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني)** التكرير للتأكيد. ويمكن أن يقول: أعطني مرة بعد أخرى لما تعود من كرمه وإحسانه. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فيجيء له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)** لما رأى من حرصه على المال ومطالبته منه في كل الأحوال. فأغناه عن السؤال وخلص نفسه عن الملال. **(رواه الترمذي)**.

٥٤٥٦ ـ **(وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: يكون)** أي يقع **(اختلاف)** أي فيما بين أهل الحل والعقد **(عند موت خليفة)** أي حكمية وهي الحكومة السلطانية بالغلبة التسليطية. **(فيخرج رجل من أهل المدينة)** أي كراهية لأخذ منصب الأمارة أو خوفاً من الفتنة الواقعة فيها وهي المدينة المعطرة أو المدينة التي فيها الخليفة **(هارباً إلى مكة)** لأنها مأمن كل من التجأ إليها ومعبد كل من سكن فيها. قال الطيبي [رحمه الله]: وهو المهدي بدليل إيراد هذا الحديث أبو داود في باب المهدي. **(فيأتيه ناس من أهل مكة)** أي بعد ظهور أمره ومعرفة نور قدره. **(فيخرجونه)** أي من بيته **(وهو كاره)** إما بنية الإمارة وإما خشية الفتنة، والجملة حالية

الحديث رقم ٥٤٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣٩ حديث رقم ٢٢٣٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٦٧ حديث رقم ٤٠٨٣. وأحمد في المسند ٣/ ٢١.

الحديث رقم ٥٤٥٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٥ حديث رقم ٤٢٨٦. وأحمد في المسند ٦/ ٣١٦.

فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعثُ إليه بعثٌ من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكّة والمدينة، فإذا رأى الناسُ ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق،

معترضة. **(فيبايعونه بين الركن)** أي الركن الأسعد وهو الحجر الأسود **(والمقام)** أي مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويقع ما بين زمزم أيضاً [شرفها الله]وهذا المثلث هو المسمى بالحطيم من الزمن القديم، وسمي به لأن من حلف فيه وحنث أو خالف العهد ونقض حطم أي كسر رقبته وقطع حجته وهلك دولته. **(ويبعث إليه)** بصيغة المجهول. أي يرسل إلى حربه وقتاله مع أنه من أولاد سيد الأنام وأقام في بلد الله الحرام **(بعث من الشام)** أي جيش من أهل الشام والملام **(فيخسف بهم)** أي كرامة للإمام **(بالبيداء)** بفتح الموحدة وسكون التحتية **(بين مكة والمدينة)** ولعل تقديم مكة لفضيلتها وتقدمها. قال التوربشتي [رحمه الله]: هي أرض ملساء بين الحرمين. وفي الحديث: «يخسف بالبيداء بين المسجدين». وليست بالبيداء التي أمام ذي الحليفة وهي شرف من الأرض. قلت: ولا بدع أن تكون هي إياها مع أنها المتبادر منها. ولعل الشيخ ظفر بنقل صريح أو بنى على أن طريق أهل الشام من قديم الأيام ليس على المدينة، ولهذا جعل ميقاتهم الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم المشهورة ومالوا إلى دخول المدينة المطهرة لمصالح دينية ومنافع دنيوية، وأما إذا كان غرضهم محاربة المهدي فمن المعلوم أنهم [ما]يطولون على أنفسهم المسافة، بل يريدون المسابقة والمسارعة إلى المحاربة والمسايفة. **(فإذا رأى الناس ذلك)** أي ما ذكر من خرق العادة وما جعل للمهدي من العلامة **(أتاه أبدال الشام)** ونعم البدل من الكرام عن اللئام. وفي النهاية: أبدال الشام هم الأولياء والعباد الواحد بدل كجمل أو بدل كحمل، سموا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بدل بآخر. قال الجوهري: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر. قال ابن دريد: واحده بديل. قلت: ويؤيده أنه يقال لهم بدلاء أيضاً فيكون نظير شريف وأشراف وشرفاء، ثم قيل إنهم سموا إبدالاً لأنهم قد يرتحلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم الأول شبحاً آخر شبيهاً بشبحهم الأصلي بدلاً عنه. وفي القاموس: الأبدال قوم بهم يقيم الله عزَّ وجلَّ الأرض وهم سبعون أربعون بالشام وثلاثون في غيرها انتهى. والظاهر أن المراد بالشام جهته وما يليه من روائه لا بخصوص دمشق الشام والله [تعالى]أعلم بالمرام. ثم يحتمل أنهم سموا أبدالاً لأنهم أبدلوا الأخلاق الدنية بالشمائل الرضية أو لأنهم ممن بدل الله سيئاتهم حسنات. وقال القطب الحقاني الشيخ عبد القادر الجيلاني: إنما سموا أبدالاً لأنهم فنوا عن إراداتهم فبدلت بإرادة الحق عزَّ وجلَّ، فيريدون بإرادة الحق أبداً إلى الوفاة فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإراداتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة فيدركهم الله تعالى برحمته باليقظة والتذكرة فيرجعون عن ذلك ويستغفرون ربهم عزَّ وجلَّ. أقول: ولعل العارف ابن الفارض أشار إلى هذا المعنى في قوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهواً حكمت بردتي

فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقد علم كل أناس مشربهم من ماء معين والله المعين. **(وعصائب أهل العراق)** أي خيارهم من قولهم عصبة القوم خيارهم. ولعله من قوله

فيبايعونه، ثم ينشأ رجلٌ من قريش، أخواله كلبٌ، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، ويعمل في الناس بسنَّة نبيّهم، ويلقي الإِسلام بجرانه في الأرض، فيلبث سبع سنين، ثمَّ يتوفى، ويصلي عليه المسلمون». رواه أبو داود.

تعالى: ﴿ونحن عصبة﴾ [يوسف ـ ٨]. أو طوائفهم فإن العصابة تأتي بمعنى الجماعة بتعصب بعضهم لبعض وشد بعضهم ظهر بعض وتعضده. وفي النهاية: العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظها. ومنه حديث علي رضي الله [تعالى]عنه: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق. أراد أن التجمع للحروب يكون بالعراق. وقيل: أراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب لأنه قرنهم بالأبدال والنجباء. ذكر أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بإسناده عن ابن عمر رضي الله [تعالى]عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله عزَّ وجلَّ من الخمسمائة مكانه وأدخل في الأربعين، وكأنهم قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم. قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله عزَّ وجلَّ[(١)]. وبإسناده أيضاً عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ في الخلق سبعة. وساق الحديث إلى قوله: فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء. قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت. قال: لأنهم يسألون الله عزَّ وجلَّ إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء[(٢)]. انتهى. والمعنى أن الأبدال والعصائب يأتون المهدي. **(فيبايعونه ثم ينشأ)** أي يظهر **(رجل من قريش)** هذا هو القوي الذي يخالف المهدي. **(أخواله كلب)** وهم قليلة فتكون أمه كلبية. وفيه إشارة حقية وبشارة جلية وتفاؤل بغلبة ذرية خير البرية. قال التوربشتي رحمه الله: يريد أم القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في أمره ويستعين عليه بأخواله من بني كلب. **(فيبعث)** أي الكلبي **(إليهم)** أي إلى المبايعين للمهدي **(بعثاً)** أي جيشاً **(فيظهرون عليهم)** أي فيغلب المبايعون على البعث الذي بعثه الكلبي **(وذلك)** أي البعث **(بعث كلب)** أي جيش كلب باعثه هو نفس الكلبي. **(ويعمل)** أي المهدي في الناس **(بسنة نبيهم)** أي شريعته **(ويلقي)** بضم أوله، أي يرمي ويرخي. **(الإِسلام)** أي المشبه بالبعير المنقاد للأنام **(بجرانه)** بكسر الجيم فراء ونون وهو مقدم عنقه أي بكماله. ففيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كإطلاق الرقبة على المملوك. وفي النهاية: الجران باطن العنق. ومنه الحديث «أن ناقته ﷺ وضعت جرانها». وحديث عائشة رضي الله [تعالى] عنها. حتى ضرب الحق بجرانة، أي قرَّ الإِسلام واستقر قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض. قيل: ضرب الجران مثل للإسلام إذا استقر قراره فلم يكن فتنة وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل. **(فيلبث)** بفتح الياء والموحدة، أي المهدي بعد ظهوره. **(سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون. رواه أبو داود)** قال الحافظ السيوطي

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٨.

....

[رحمه الله] في تعليقه على أبي داود: لم يرد في الكتب الستة ذكر الأبدال إلا في هذا الحديث عند أبي داود، وقد أخرجه الحاكم وصححه. وقال الشيخ زكريا [رحمه الله] في رسالته المشتملة على تعريف غالب ألفاظ الصوفية القطب ويقال له الغوث هو الواحد الذي هو محل نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، أي نظراً خاصاً يترتب عليه إفاضة الفيض واستفاضته فهو الواسطة في ذلك بين الله [تعالى] وبين عباده فيقسم الفيض المعنوي على أهل بلاده بحسب تقديره ومراده. ثم قال: الأوتاد أربعة منازلهم على منازل الأركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مقام كل منهم مقام تلك الجهة. قلت: فهم الأقطاب في الأقطار يأخذون الفيض من قطب الأقطاب المسمى بالغوث الأعظم فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الأعظم، فإذا مات القطب الأفخم أبدل من هذه الأربعة أحد بدله غالباً. ثم قال: الأبدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر وهم سبعة. قلت: الأبدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعاً. وقد سبق للبدل معنى آخر فالأولى حمله عليه، ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم ولحصول كثرة البدل فيهم لغلبتهم فإنهم أربعون على ما في الحديث السابق، أو سبعون على ما ذكره صاحب القاموس. فقوله: وهم سبعة وهم. ثم قال النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثمائة. أقول: لعله أخذ هذا المعنى من النقب بمعنى الثقب. والأظهر أن النقباء جمع نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم على ما في القاموس، ومنه قوله تعالى: ﴿وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ [المائدة ـ ١٢] . أي شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها، أو كفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به وعاهدوا عليه على ما في البيضاوي. والظاهر أنهم خمسمائة على ما سبق في الحديث. ثم قال النجباء: هم المشتغلون بحمل أثقال الخلق وهم أربعون. أقول: كأنه أخذ هذا المعنى من اللغة. ففي القاموس: ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجائب، والأنسب ما ذكر فيه أيضاً من أن النجيب الكريم والجمع نجباء والمنتجب المختار ونجائب القرآن أفضله. هذا وقد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعاً: إن للّه تعالى ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم عليه [الصلاة و] السلام، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه [الصلاة و] السلام وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه [الصلاة و] السلام، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه [الصلاة و] السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه [الصلاة و] السلام، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه [الصلاة و] السلام، كلما مات الواجد أبدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة، وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وكلما مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، بهم يدفع الله تعالى الهم عن هذه الأمة. انتهى. وأرجو من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده أنه إذا وقع محلولاً من هذه المناصب العلية [أن]يجعلني منصوباً على طريق البدلية ولو من مرتبة العامة إلي أدني مرتبة الخاصة، ويتم علي هذه النعمة مع الزيادة إلي حسن الخاتمة. ثم

....

في الحديث دلالة على ما ذكرنا من الاحتمال أن الأبدال لا تكون من خواص الأبدال، بل تعم الرجال من أرباب الأحوال. وفيه تنبيه نبيه على أنه لم يذكر أن أحداً يكون على قلب النبي ﷺ، إذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والأمر أشرف وألطف من قلبه الأكرم ﷺ. وفيه أيضاً ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر، وكذا تفضيل إسرافيل وميكائيل على جبرائيل والجمهور على خلاف ذلك والله [تعالى] أعلم. هذا وقال العارف الصمداني الشيخ علاء الدولة السمناني في العروة الوثقى: أن الأبدال من بدلاء السبعة، كما أخبر عنه النبي ﷺ فقال: هو من السبعة وسيدهم. أقول: لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم. قال: وكان القطب في زمان النبي ﷺ عم أويس القرني عصام، فحري أن يقول: إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن. وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي ﷺ مظهراً خاصاً للتجلي الإلهي المخصوص باسم الذات وهو الله. قلت: هذا يفيد مؤيداً لما سبق من أن أحداً لم يشاركه ﷺ في مقامه الأعظم، لكن في كون القطبية لعصام وهو غير معروف في أنه من الصحابة أو التابعين بخلاف أويس، فإنه مشهور وقد ورد في حقه أنه سيد التابعين إشكالاً عظيماً، فإنه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الأربعة وسائر فضلاء الصحابة الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء بالإجماع. وأيضاً فقد قال اليافعي رحمه الله: وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه لكني أقول: الظاهر أن هذا غالبي لثبوت القطبية للسيد عبد القادر [رحمه الله] بلا نزاع، ثم اعلم أن كثيراً من الناس ادعوا أنه المهدي فمنهم من أراد المعنى اللغوي فلا إشكال ومنهم من ادعى باطلاً وزوراً واجتمع عليه جمع من الأوباش، وأراد الفساد في البلاد فقتل واستراح منه العباد. ومنهم من رأى واقعة الحال فحملها شيخه على الآفاق، وكان حقه أن يحملها على الأنفس لئلا يحصل الاختلال وهو رئيس النور بخشية أحد مشايخ الكبروية. وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية ولهم رياضات عملية وكشوفات سفلية وجهالات ظاهرية من جملتها أنهم يعتقدون أن المهدي الموعود هو شيخهم الذي ظهر ومات ودفن في بعض بلاد خراسان وليس يظهر غيره مهدي في الوجود. ومن ضلالتهم أنهم يعتقدون أن من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر. وقد جمع شيخنا العارف بالله الولي الشيخ علي المتقي [رحمه الله] رسالة جامعة في علامات المهدي منتخبة من رسائل السيوطي [رحمه الله] واستفتى من علماء عصره الموجودين في مكة من المذاهب الأربعة وقد أفتوا بوجوب قتلهم على من يقدر من ولاة الأمر عليهم، وكذا معتقد الطائفة الشيعية من الإمامية أن المهدي الموعود هو محمد بن حسن العسكري وأنه لم يمت، بل هو مختف عن أعين الناس من العوام والأعيان وأنه إمام الزمان وأنه سيظهر في وقته ويحكم في دولته وهو مردود عند أهل السنة والجماعة والأدلة مستوفاة في الكتب الكلامية. وقد صرح في العروة الوثقى بأن محمد بن الحسن العسكري إذا اختفى دخل في دائرة الأبدال أولاً وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأبدال ثم دخل في دائرة الأبطال، يعني دائرة الأربعين وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأبطال ثم دخل في

٥٤٥٧ ـ (٢١) وعن أبي سعيد، قال: ذكرَ رسول الله ﷺ: «بلاءً يصيبُ هذه الأمةَ، حتى لا يجدَ الرجلُ ملجأً يلجأ إليه منَ الظلم، فيبعثُ اللَّهُ رجلاً من عترتي وأهلِ بيتي، فيملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض، لا تدع السماءُ من قطرها شيئاً إلا صبَّته مدراراً،

دائرة السياح وهم السبعة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد السياح ثم دخل في دائرة الأوتاد وهم الخمسة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأوتاد ثم دخل في دائرة الأفذاذ وهم الثلاثة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأفذاذ، ثم جلس على الأريكة القطبية بعد أن توفى الله علي بن الحسن البغدادي القطب إليه وأنه دفن في بغداد في الشونيز بروح وريحان وبقي في المرتبة القطبية تسع عشرة سنة، ثم توفاه الله إليه بروح وريحان انتهى. وقد نقل مولانا عبد الرحمٰن الجامي قدس الله سره السامي هذا عنه في بعض كتبه واعتمد عليه في اعتقاده. لكن لا يخفى أن الشيخ علاء الدولة ظهر بعد محمد بن الحسن العسكري بزمان كثير ولم يسند هذا القول إلى من كان في ذلك الوقت. والظاهر أنه يدعي هذا من طريق الكشف وكذا لا يمكن من غيره أيضاً إلا كذلك. ولا يخفى أن مبنى الاعتقاد لا يكون إلا على الأدلة اليقينية. ومثل هذا المعنى الذي أساسه على ذلك المبنى لا يصلح أن يكون من الأدلة الظنية ولذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العملِ في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الأمور الكشفية أو من الحالات المنامية ولو كانت منسوبة إلى الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية. لكن الأحاديث الواردة في أحوال المهدي مما جمعه السيوطي [رحمه الله] وغيره ترد على الشيعة في اعتقاداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، بل جعلوا تمام إيمانهم وبناء إسلامهم وأركان أحكامهم بأن محمد بن الحسن العسكري هو الحي القائم المنتظر وهو المهدي الموعود على لسان صاحب المقام المحمود والحوض المورود.

٥٤٥٧ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله بلاء)** أي عظيماً **(يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ)** أي ملاذاً **(يلجأ إليه)** أي يعوذ ويلوذ به **(من الظلم)** أي بلاء ناشئاً من الظلم العام **(فيبعث الله رجلاً)** أي كاملاً عادلاً عالماً عاملاً وهو المهدي **(من عترتي)** أي أقاربي **(وأهل بيتي)** أي من أخصهم **(فيملأ)** أي الله **(به)** أي بسبب وجود ذلك الرجل **(الأرض)** أي جميعها. وفي نسخة ضعيفة تملأ بالتأنيث مجهولاً، فالأرض مرفوع. **(قسطاً وعدلاً)** تمييز من النسبة **(كما ملئت)** أي بغيره **(ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء)** أي جنسه من الملائكة وأرواح الأنبياء عليهم [الصلاة]والسلام **(وساكن الأرض)** أي من المؤمنين أو حتى الدواب في البر والحيتان في البحر كما سبق في فضل العلماء. والجملة استئناف بيان كقوله: **(لا تدع السماء)** أي لا تترك في زمانه **(من قطرها شيئاً)** أي من أقطار أمطارها **(إلا صبته)** أي كبته **(مدراراً)** في الفائق: المدرار الكثير الدر ومفعال مما يستوي فيه

الحديث رقم ٥٤٥٧: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٧. والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦٥.

ولا تدع الأرضُ من نباتها شيئاً إلاّ أخرجته حتى يتمنى الأحياءُ الأموات، يعيشُ في ذلك سبعَ سنين أو ثمانَ سنين أو تسع سنين». رواه الحاكم.

٥٤٥٨ ـ **(٢٢)** وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ رجلٌ من وراء النهرِ يقال له: الحارث، حرَّاث، على مقدمته رجل يقال له: منصور، يُوَطِّن أو يمكن لآل محمّد كما مكّنَتْ قريشٌ لرسول الله ﷺ،

المذكر والمؤنث كقولهم: امرأة معطار ومطفال، وهو منصوب على الحال من السماء أي من فاعل صبته. **(ولا تدع الأرض من نباتها)** أي من أنواع نباتاتها وأصنافها **(شيئاً إلا أخرجته)** أي أنبتته وأظهرته **(حتى يتمنى الأحياء)** بفتح الهمزة جمع الحي مرفوع. وأخطأ من كسر الهمزة ونصبه. **(الأموات)** بالنصب ومن عكس الترتيب لم يصب. قال التوربشتي [رحمه الله]: الأحياء رفع بالفاعلية وفي الكلام حذف، أي يتمنون حياة الأموات أو كونهم أحياء. وإنما يتمنون ليروا ما هم فيه من الخير والأمن ويشاركوهم فيه. ومن زعم فيه الإحياء بالنصب من باب الإفعال وفاعل التمني الأموات فقد أحال. **(يعيش)** أي المهدي **(في ذلك)** أي فيما ذكر من العدل وأنواع الخير **(سبع سنين)** وهو مجزوم به في أكثر الروايات **(أو ثمان سنين)** شك من الراوي. وكذا قوله: **(أو تسع سنين. رواه)** ترك هنا بياضاً في الأصل. وألحق به رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح. لكن نقل الجزري أن الذهبي قال: إسناده مظلم.

٥٤٥٨ ـ **(وعن علي رضي الله [تعالى]عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل)** أي صالح **(من وراء النهر)** أي مما وراءه من البلدان كبخارى وسمرقند ونحوهما **(يقال له: الحارث)** اسم له. وقوله: **(حراث)** بتشديد الراء صفة له، أي زراع **(على مقدمته)** أي مقدمة جيشه **(رجل يقال له: منصور)** اسم له أو صفة. وقيل: المراد به أبو منصور الماتريدي وهو إمام جليل مشهور وعليه مدار أصول الحنفية في العقائد الحنيفية. لكن إيراد الحديث في هذا الباب غير ملائم له، ومع لا يمنع من الاحتمال والله [تعالى]أعلم بالحال مع أن عنوان الباب أشراط الساعة وهو أعم من المهدي وغيره. ونقل عن خواجه عبيد الله السمرقندي النقشبندي [رحمه الله]أنه قال: المنصور هو الخضر، ومثل هذا لم يصدر عنه إلا بنقل. قال: أو كشف حال. **(يوطن)** أي يقرر ويثبت الأمر. وأصل التوطين جعل الوطن لأحد. **(أو يمكن)** شك من الراوي ومنه قوله تعالى: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض**﴾ [الحج ـ ٤١]. أو هي بمعنى الواو، أي يهيىء الأسباب بأمواله وخزائنه وسلاحه ويمكن أمر الخلافة ويقويها ويساعدها بعسكره. **(لآل محمد)** أي لذريته وأهل بيته عموماً وللمهدي خصوصاً أو الآل مقحم. والمعنى لمحمد المهدي **(كما مكنت قريش)** أي كتمكينهم **(لرسول الله ﷺ)** والمراد من آمن منهم ودخل في التمكين أبو طالب أيضاً وإن لم يؤمن عند أهل السنة. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: يمكن لآل محمد، أي في الأرض كقوله تعالى: ﴿**مكناهم في**

الحديث رقم ٥٤٥٨: أخرجه أبو داود في المسند ٤/ ٤٧٧ حديث رقم ٤٢٩٠.

وجب على كل مؤمن نصره ـ أو قال: إجابته ـ». رواه أبو داود.

٥٤٥٩ ـ (٢٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تُكلِمَ السباعُ الإنس، وحتى تكلم الرجلَ عذبة سوطه، وشِراك نعله، ويُخبرُه فخذُه بما أحدَثَ أهلهُ بعده». رواه الترمذي.

الأرض ما لم نمكن لكم ﴾ [الأنعام ـ ٦]. أي جعل له في الأرض مكاناً وأما مكانته في الأرض فأثبته فيها ومعناه جعلهم في الأرض ذوي بسطة في الأموال ونصرة على الأعداء. وأراد بقوله: كما مكنت لرسول الله ﷺ قريش آخر أمرها. فإن قريشاً وإن أخرجوا النبي ﷺ أولاً من مكة لكن بقاياهم وأولادهم أسلموا ومكنوا محمد ﷺ وأصحابه في حياته وبعد مماته انتهى. ولا يخفى أن المراد بالتمكين في الآية غير التمكين في الحديث، مع أن المراد من تمكين المشبه تمكينه في أوّل أمره فلا يحسن حمل المشبه به على آخر أمره. ثم قوله: أخرجوا ليس على ظاهره الموهم لإهانته ﷺ ولذا قيل بكفر من أطلق هذا القول. وتأويله أنهم تسببوا لخروجه بالهجرة إلى مكان أنصاره من المدينة المعطرة. فقوله تعالى: ﴿**وكأين من قرية هي أشد قوّة من قريتك التي أخرجتك** ﴾ [محمد ـ ١٣]. على حذف المضاف وإجراء أحكامه على المضاف إليه والإخراج باعتبار السبب على ما صرح به البيضاوي [رحمه الله]وغيره. **(وجب على كل مؤمن نصره)** أي نصر الحارث وهو الظاهر أو نصر المنصور وهو الأبلغ أو نصر من ذكر منهما، أو نصر المهدي بقرينة المقام إذ وجود نصرهما على أهل بلادهما ومن يمران به لكونهما من أنصار المهدي. **(أو قال: إجابته)** شك من الراوي. والمعنى قبول دعوته والقيام بنصرته **(رواه أبو داود)** أي في باب المهدي بناء على المعنى المتبادر أو لما قام عنده من الدليل الظاهر. قال السيد: وفيه انقطاع.

٥٤٥٩ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع)** أي سباع الوحش كالأسد أو سباع الطير كالبازي، ولا منع من الجمع. **(الإنس)** أي جنس الإنسان من المؤمن والكافر **(وحتى تكلم الرجل)** في تقديم المفعول هنا تفنن في العبارة وبيان جواز في الاستعمال مع أنه يجب تأخير الفاعل في مثل هذا الحال. **(عذبة سوطه)** بفتح العين المهملة والذال المعجمة أي طرفه على ما في القاموس وغيره. وقال شارح: أي رأس سوطه وهي قد تكون في طرفه يساق به الفرس من عذب الماء إذا طاب وساغ في الحلق إذ بها يطيب سير الفرس ويستريح راكبه. وقيل: من العذاب إذ بها يجلد الفرس ويعذب فيرتاض ويهذب به أهله بعده. **(وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده: رواه الترمذي)** وكذا الحاكم وصححه[١].

الحديث رقم ٥٤٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤١٣ حديث رقم ٢١٨١. وأحمد في المسند ٣/ ٨٤.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٦٧.

الفصل الثالث

٥٤٦٠ ـ (٢٤) عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات بعد المائتين». رواه ابن ماجه.

٥٤٦١ ـ (٢٥) وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا رأيتم الزاياتِ السُودَ قدْ جاءتْ من قِبَلِ خُراسان فأتوها فإِنَّ فيها خليفةَ الله المهدي».

(الفصل الثالث)

٥٤٦٠ ـ **(عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: الآيات)** أي آيات الساعة وعلامات القيامة تظهر باعتبار ابتدائها ظهوراً كاملاً **(بعد المائتين)** أي من الهجرة أو من دولة الإِسلام أو من وفاة النبي ﷺ. ويحتمل أن يكون اللام في المائتين للعهد، أي بعد المائتين بعد الألف وهو وقت ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه [الصلاة]والسلام وتتابع الآيات من طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وظهور يأجوج ومأجوج وأمثالها. قال الطيبي: الآيات بعد المائتين مبتدأ وخبر أي تتابع الآيات، وظهور أشراط الساعة على التتابع والتوالي بعد المائتين ويؤيده قوله في الحديث السابق: «وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع». والظاهر اعتبار المائتين بعد الإخبار انتهى. ولا يخفى عدم ظهوره على ذوي النهي. **(رواه ابن ماجه)** وكذا الحاكم في مستدركه[1].

٥٤٦١ ـ **(وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم)** المقصود منه الخطاب العام، أي إذا أبصرتم. **(الرايات)** أي الأعلام **(السود)** ويحتمل أن يكون السواد كناية عن كثرة عساكر المسلمين من قبل خراسان. الظاهر أنهم عسكر الحرث والمنصور. **(فأتوها)** أي فاتوا الرايات واستقبلوا أهلها واقبلوا أمر أميرها. **(فإن فيها خليفة الله المهدي)** أي نصرته وأجابته فلا ينافي أن ابتداء ظهور المهدي إنما يكون في الحرمين الشريفين. ثم دل ظاهره على جواز أن يقال: فلان خليفة الله إذا كان على طريق الحق وسبيل العدل، وقد سبق منعه. لكن قد يؤول بأن المراد منه أنه منصوب من الله خليفة لأنبيائه فيصح أن يكون المنصوب هو

الحديث رقم ٥٤٦٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/١٣٤٨. حديث رقم ٤٠٥٧.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٤٢٨.

الحديث رقم ٥٤٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٢٢٦٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٧ حديث رقم ٤٠٨٤. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٥١٦.

رواه أحمد، والبيهقي في «دلائل النبوّة».

٥٤٦٢ ـ (٢٦) وعن أبي إِسحاق، قال: قال عليّ ونظر إِلى ابنه الحسن قال: إِنَّ ابني هذا سيِّدٌ كما سماه رسول الله ﷺ، وسيخرج من صُلبه رجلٌ يسمى باسم نبيّكم، يُشبهه في الخُلق، ولا يشبهه في الخَلق، ـ ثم ذكر قصةً ـ يملأُ الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصة.

المنسوب. ونظيره قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء ـ ٨٠]. **(رواه أحمد)** أي في مسنده **(والبيهقي في دلائل النبوّة)** وكذا الحاكم في مستدركه[١]

٥٤٦٢ ـ **(وعن أبي إسحاق)** الظاهر أن المراد به أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي. قال المؤلف: رأى علياً وابن عباس وغيرهما من الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن أرقم، وروى عنه الأعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية. ولد لسنتين من خلافة عثمان ومات سنة تسع وعشرين ومائة. **(قال: قال علي [رضي الله تعالى عنه])** أي موقوفاً **(ونظر إلى ابنه الحسن قال:)** الجملة حال معترضة بين القول ومقوله، وأتى بقوله: قال، أما تأكيد للمبالغة أو لتوهم الاطالة. **(أن ابني هذا)** إشارة إلى تخصيص الحسن لئلا يتوهم أن المراد هو الحسين أو الجنس. **(سيد كما سماه رسول الله ﷺ)** أي بقوله على ما سيأتي في المناقب: أن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. **(وسيخرج من صلبه)** أي من ذريته **(رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق)** بضم الخاء واللام وتسكن **(ولا يشبهه في الخلق)** أي في جميعه إذ سبق بعض نعته الموافق لخلقه ﷺ. **(ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً)** بالإضافة ودونها. فهذا الحديث دليل صريح على ما قدمناه من أن المهدي من أولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الأم إلى الحسين جمعاً بين الأدلة، وبه يبطل قول الشيعة أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر فإنه حسيني بالاتفاق. لا يقال لعل علياً [رضي الله تعالى عنه]أراد به غير المهدي، فإنا نقول يبطله قصة: يملأ الأرض عدلاً، إذ لا يعرف في السادات الحسينية ولا الحسنية من ملأ الأرض عدلاً إلا ما ثبت في حق المهدي الموعود. **(رواه أبو داود ولم يذكر القصة)** هذا أعني ولم يذكر القصة كلام جامع الأصول نقله عنه صاحب المشكاة، وهذا معنى كلام الطيبي [رحمه الله]قوله: لم يذكر القصة التعريف فيه للعهد. وهذا كلام جامع الأصول وليس في سنن أبي داود. ثم اعلم أن حديث: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم». ضعيف باتفاق المحدثين كما صرح به الجزري على أنه من باب: لا فتى إلا علي. قال الطيبي[٢] [رحمه الله]: الأحاديث عنه ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم لها دونه. قال: ويحتمل معناه لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى عليه السلام انتهى. وأخرج

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٢.

الحديث رقم ٥٤٦٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٧ حديث رقم ٤٢٩٠.

(٢) في المخطوطة «القرطبي».

٥٤٦٣ ـ (٢٧) وعن جابر بن عبدِ الله، قال: فقد الجراد في سنة من سني عمر التي توفي فيها فاهتم بذلك همّاً شديداً، فبعث إِلى اليمن راكباً، وراكباً إِلى العراق، وراكباً إِلى الشام، يسأل عن الجراد، هل أري منه شيئاً، فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة فنثرها بين يديه، فلما رآها عمر كبَّر، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِن الله عزَّ وَجلَّ خَلَقَ ألف أمةٍ، ستُّمائةٍ منها في البحر، وأربعُمائةٍ في البر، فإِن أوَّل هلاك هذه الأمة الجراد، فإِذا هلك الجراد تتابعت الأمم كنظام السلك». رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال: إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأوّل ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه[1]. كذا في العرف الوردي في أخبار المهدي للجلال السيوطي [رحمه الله].

٥٤٦٣ ـ **(وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: فقد الجراد)** أي عدم **(في سنة)** أي عام **(من سني عمر)** أي من أيام خلافته **(التي توفي فيها)** صفة لسنة **(فاهتم)** أي اغتم عمر **(بذلك)** أي بفقده **(هماً شديداً)** أي خوفاً من هلاك سائر الأمم لما سيأتي **(فبعث إلى اليمن راكباً وراكباً إلى العراق)** وهو المشرق ففنن في العبارة **(وراكباً إلى الشام)** ولعل عدم بعثه إلى الغرب لبعده أو لفصله بالبحر أو لقلة وجوده غالباً في ذلك القطر. **(يسأل)** أي عمر أو كل من الركبان يتفحص **(عن الجراد)** وقوله: **(هل أري)** روي معلوماً ومجهولاً أي بعث قائلاً: هل أري **(منه)** أي من الجراد **(شيئاً)** أي من أثره أو خبره وهو تمن. **(فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة)** بفتح القاف والضاد المعجمة أي بمقبوضة من الجراد **(فنثرها بين يديه فلما رآها عمر كبر)** أي فرحاً لما سيأتي **(وقال)** أي عمر رضي الله عنه **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عزَّ وجلَّ خلق ألف أمة)** المراد كل جنس من أجناس الدواب كما في قوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾ [الأنعام ـ ٣٨]. **(ستمائة)** بالرفع **(منها)** أي من الألف **(في البحر وأربعمائة في البر)** وفي نسخة بالنصب في ستمائة وأربعمائة على البدلية من ألف أمة. **(فإن أول هلاك هذه الأمة)** إشارة إلى قوله: ألف أمة، فالمراد بها الجنس. **(الجراد)** وفي رواية: إن أول هذه الأمة. بدون لفظ هلاك. فيقدر هلاكاً. أو المراد أن أول هذه الأمة خلقاً الجراد، ويمكن أن يكون المراد بهذه الأمة أمته ﷺ. **(فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم)** أي في الهلاك **(كنظام السلك)** أي كتتابع خرز منظوم الخيط في النثر إذا انقطع السلك أو كتتابع وجود الخرز في حال نظام السلك، لأن المقصود من التشبيه هو التوالي وهو حاصل في الصورتين. لكن الأول أبلغ وأكمل في ملاحظة وجه الشبه في الهلال **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

---

(١) الدارقطني في سننه ٢/ ٦٥ حديث رقم ١٠ من باب صفة صلاة الخسوف.

الحديث رقم ٥٤٦٣: رواه البيهقي في شعب الإِيمان ٧/ ٢٣٤ حديث رقم ١٠١٣٢.

(٣) باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

الفصل الأول

٥٤٦٤ ـ (١) عن حذيفةَ بن أسيد الغفاري، قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: «ما تذكرون؟». قالوا: نذكر الساعة. قال: «إِنها لن تقومَ حتى تَرَوا قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر

(باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال)

وفي نسخة: باب علامات. وقوله: بين يدي الساعة أي قدامها. وأصله أن يستعمل في مكان يقابل صدر الشخص مما بين يديه ثم نقل إلى الزمان. ثم قوله: وذكر الدجال، من باب التخصيص بعد التعميم. وهو من دجل إذا ساح في الأرض، ويقال: دجل فلان الحق إذا أعطاه. وفي النهاية: أصل الدجل الخلط، يقال: دجل إذا لبس وموه، والدجال فعال من أبنية المبالغة أي يكثر منه الكذب والتلبيس. وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الإِلهية.

(الفصل الأول)

٥٤٦٤ ـ **(وعن حذيفة بن أسيد)** بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ذكره ابن الملك، ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(الغفاري)** بكسر الغين المعجمة نسبة إلى قبيلة منهم أبو ذر. **(قال: اطلع)** بتشديد الطاء أي أشرف. **(النبي ﷺ علينا)** أي وشرفنا بطلعة وجهه المشتمل على الخدين الغالب نورهما على طلوع القمرين حيث يستفاد منه ضياء الدارين. **(ونحن نتذاكر)** أي فيما بيننا **(فقال: ما تذكرون)** أي بعضكم مع بعض **(قالوا:)** وفي نسخة: قلنا. **(نذكر الساعة)** أي أمر القيامة واحتمال قيامها في كل ساعة **(قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات)** أي علامات **(فذكر)** أي النبي ﷺ بياناً للعشر. **(الدخان)** قال الطيبي رحمه الله: هو الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ [الدخان ـ ١٠] . وذلك كان في عهد رسول الله ﷺ انتهى. ويؤيده ما قال ابن مسعود، وهو عبارة عما أصاب قريشاً من القحط حتى يرى الهواء لهم كالدخان. لكن قال حذيفة هو على حقيقته لأنه ﷺ سئل عنه فقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، والمؤمن يصير كالزكام والكافر كالسكران. فقوله: يصير كالزكام أي كصاحب[١] . أو مصدر بمعنى المفعول أي كالمزكوم، أو هو من باب المبالغة

الحديث رقم ٥٤٦٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ حديث (رقم ٣٩ . ٢٩٠١). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩١ حديث رقم ٤٣١١. والترمذي في السنن ٤/ ٤١٤ حديث رقم ٢١٨٣.

(١) في المخطوطة «كصاحبه».

الدّخان، والدجّال، والدَّابة، وطلوعَ الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوفٍ: خسفٍ بالمشرق، وخسفٍ بالمغرب، وخسفٍ بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرِهم».

كرجل عدل. **(والدجال والدابة)** وهي المذكورة في قوله تعالى: **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾** [النمل - ٨٢] . **(وطلوع الشمس من مغربها)** قيل: للدابة ثلاث خرجات، أيام المهدي ثم أيام عيسى ثم بعد طلوع الشمس من مغربها، ذكره ابن الملك. **(ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام)** أي المنضم إلى ظهور المهدي الأعظم، فهو من باب الاكتفاء. وقد روى الطبراني عن أوس بن أوس مرفوعاً: ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[١]. وروى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعاً: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد[٢]. في النهاية: هو موضع بالشام، وقيل بفلسطين كذا في شرح الترمذي للسيوطي. وفي القاموس: لد بالضم قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال عند بابها. هذا وقد قيل: إن أول الآيات الدخان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها فإن الكفار يسلمون في زمن عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة، ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الإيمان مقبولاً من الكفار، فالواو لمطلق الجمع فلا يردان نزوله قبل طلوعها ولا ما سيأتي أن طلوع الشمس أول الآيات. **(ويأجوج ومأجوج)** بألف فيهما ويهمز، أي خروجهما. **(وثلاثة خسوف)** قال ابن الملك: قد وجد الخسف في مواضع، لكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائد على ما وجد كأن يكون أعظم مكاناً وقدراً. **(خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب)** بالرفع في الثلاثة على تقدير أحدها أو منها، ولو روي بالجر لكان له وجه من البدلية. **(وآخر ذلك)** أي ما ذكر من الآيات **(نار تخرج من اليمن)** وفي رواية: تخرج من أرض الحجاز[٣]. قال القاضي عياض: لعلها ناران تجتمعان تحشران الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز ذكره القرطبي رحمه الله. ثم الجمع بينه وبين ما في البخاري من أن أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق إلى المغرب[٤]. بأن آخريتها باعتبار ما ذكر من الآيات وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى مع كل آية منها أشياء من أمور الدنيا كذا ذكره بعض المحققين من العلماء الموفقين. **(تطرد)** أي تسوق تلك النار **(الناس إلى محشرهم)** بفتح الشين ويكسر، أي إلى مجمعهم[٥]

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٣.

(٢) الترمذي في السنن ٤/ ٢٤٧ حديث رقم ٢٢٤٤.

(٣) جاء في البخاري ١٣/ ٧٨ حديث رقم ٧١١٨.

(٤) رواه البخاري تعليقاً في كتابه ١٣/ ٧٨ باب رقم ٢٤. خروج النار. من كتاب الفتن.

(٥) في المخطوطة «جمعهم».

وفي روايةٍ: «نارٌ تخرجُ من قعرِ عدن تسوقُ الناس إلى المحشر». وفي روايةٍ في العاشرة «وريحٌ تُلقي الناسَ في البحرِ». رواه مسلم.

٥٤٦٥ ـ (٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستّاً. الدخانَ، والدجالَ، ودابةَ الأرض، وطلوعَ الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخُوَيِّصة أحدِكم».

وموقفهم. قيل: المراد من المحشر أرض الشام إذ صح في الخبر أن الحشر يكون في أرض الشام، لكن الظاهر أن المراد أن يكون مبتدؤه منها أو تجعل واسعة تسع خلق العالم فيها. **(وفي رواية:)** أي لمسلم أو غيره **(نار تخرج من قعر عدن)** أي أقصى أرضها وهو غير منصرف، وقيل منصرف باعتبار البقعة والموضع. ففي المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن. وفي القاموس: عدن محركة جزيرة باليمن. **(تسوق)** أي تطرد النار **(الناس إلى المحشر. وفي رواية في العاشرة:)** أي في بيانها وبدلاً عما ذكر فيها من النار **(وريح تلقي الناس في البحر)** ولعل الجمع بينهما أن المراد بالناس الكفار وأن نارهم تكون منضمة إلى ريح شديدة الجري سريعة التأثير في إلقائها إياهم في البحر وهو موضع حشر الكفار أو مستقر الفجار كما ورد أن البحر يصير ناراً. ومنه قوله تعالى: ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾ [التكوير ـ ٦] . بخلاف نار المؤمنين فإنها لمجرد التخويف بمنزلة السوط مهابة لتحصيل السوق إلى المحشر والموقف الأعظم والله تعالى أعلم. **(رواه مسلم)** وكذا أبو داود والترمذي والنسائي.

٥٤٦٥ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا)** أي أسرعوا وسابقوا **(بالأعمال)** أي الصالحة النافعة في الآخرة **(ستاً)** أي ست آيات أي علامات لوجود الساعة إذ يعسر العمل ويصعب فيما بعدها، أو لم يقبل ولم يعتبر بعد تحققها. **(الدخان والدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة)** أي الفتنة التي تعم الناس، أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم دون الخواص من تأمير الأمة. **(وخويصة أحدكم)** بضم وفتح وسكون وتشديد وهو تصغير خاصة، أي الوقعة التي تخص أحدكم. قيل: يريد الموت، وقيل: هي ما يختص به الإنسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث من البعث والحساب وغير ذلك. ويؤيده ما قررناه بحسب ما حررناه ما قاله الشارح بعين ما ذكرناه، أي قبل ظهور الآيات الست المذكورة في الحديث لأن ظهورها يوجب عدم قبول إيمان اليأس لكونها ملجئة إلى الإيمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء على عمله، فإذا انقطع الثواب انقطع التكليف. وقال القاضي: أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات فإنها إذا نزلت دهشتهم وشغلتهم عن الأعمال، أو سد عليهم باب التوبة وقبول الأعمال. وفي الفائق: معنى مبادرة الست بالأعمال الانكماش في

الحديث رقم ٥٤٦٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٦٧ حديث رقم (١٢٩ . ٢٩٤٧) وابن ماجه في السنن ٢/١٣٤٨ حديث رقم ٤٠٥٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٤.

رواه مسلم.

٥٤٦٦ ـ (٣) وعن عبدِ الله بنِ عمرٍو، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ أول الآيات خروجاً طلوع الشمسِ من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً». رواه مسلم.

٥٤٦٧ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ إِذا خرجن

الأعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها. وتأنيث الست لأنها دواه[1] ومصائب. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد في مسنده.

٥٤٦٦ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أوّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها)** قال الطيبي رحمه الله: فإن قيل طلوع الشمس من مغربها ليس أول الآيات لأن الدخان والدجال قبله، قلنا: الآيات أما أمارات لقرب قيام الساعة وإما أمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها، ومن الأول الدخان وخروج الدجال ونحوهما ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها والرجفة وخروج النار وطردها الناس إلى المحشر. وإنما سمي أوّلاً لأنه مبتدأ القسم الثاني ويؤيده حديث أبي هريرة بعده: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. **(وخروج الدابة)** هي بالرفع عطف على طلوع الشمس وهو خبر أول، فيلزم أن يكون الأول متعدداً. ولهذا قال ابن الملك: ولعل الواو بمعنى أو، ويؤيده ما في رواية: أو خروج الدابة **(على الناس ضحى)** بالتنوين، أي وقت ارتفاع النهار. ثم الظاهر أن نسبة الأولية الحقيقية إليهما مبهمة وأنها بالنسبة إلى أحدهما مجازية، ولذا قال: **(وأيهما)** ولفظ الجامع: فأيتهما، بالفاء والتأنيث. **(ما كانت)** ما زائدة، أي وأي الآيتين المذكورتين وقعت **(قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها)** بفتحتين وبكسر فسكون أي تحصل عقبها **(قريباً)** أي حصولاً أو وقوعها قريباً. وقد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب بينهما. وقال ابن الملك: إن قيل كل منهما ليس بأول الآيات لأن بعض الآيات وقع قبلهما، قلنا: الآيات إما أمارات دالة على قربها، فأولها بعثة نبينا ﷺ أو أمارات متوالية دالة على وقوعها قريباً وهي المرادة هنا. وأما حديث: أن أوّلها خروج الدجال. فلا صحة له، كذا في جامع الأصول. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه.

٥٤٦٧ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث)** أي آيات **(إذا خرجن)** فيه

---

(١) في المخطوطة «داره».

الحديث رقم ٥٤٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦ حديث رقم (١١٨ . ٢٩٤١). وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٤٣١٠ وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٣.

الحديث رقم ٥٤٦٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٨ حديث رقم (٢٤٩ . ١٥٨) وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٢ حديث رقم ٤٣١٢.

﴿لا ينفعُ نفساً إِيمانُها لم تكنْ آمنت من قبلُ أو كسبت في إِيمانها خيراً﴾: طلوعُ الشمسِ من مغربها، والدجالُ، ودابةُ الأرضِ». رواه مسلم.

٥٤٦٨ ـ (٥) وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب هذه؟». قلتُ: اللَّهُ ورسولهُ أعلم. قال: «فإِنها تذهبُ حتى تسجدَ تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، ولا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيثُ جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: **﴿والشمسُ تجري لمستقرّ لها﴾** قال: «مستقرها تحت العرش». متفق عليه.

تغليب، أو معناه ظهرت. والمراد هذه الثلاث بأسرها. (**﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾**[١]. **طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض**) وقدم الطلوع وإن كان متأخراً في الوقوع لأن مدار عدم قبول التوبة عليه وإن ضم خروج غيره إليه. (**رواه مسلم**) وكذا الترمذي.

٥٤٦٨ ـ (**وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب هذه**) أي الشمس، والإشارة للتعظيم. (**قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش**) قال بعض المحققين: لا يخالف هذا قوله تعالى: **﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾** [الكهف ـ ٨٦]. فإن المراد بها نهاية مدرك البصر، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب. وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع وذلك يوم في السنة إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا. قال الخطابي: يحتمل أن يراد بذلك أنها تستقر تحته استقراراً علمنا لا يحيط به. (**فتستأذن**) بالرفع في أصل السيد وبعض النسخ المصححة، وكذا قوله: (**فيؤذن لها ويوشك أن تسجد ولا يقبل**) بالتذكير، أي السجود والظرف هو نائب الفاعل ويؤنث أي السجدة. (**منها**) أي من الشمس وهو مرفوع، وقيل منصوب وكذا قوله: (**وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾**[٢]. قال: (**مستقرها تحت العرش**) وقوله: لمستقر لها. قال الخطابي عن بعض أهل التفسير: معناه أن الشمس تجري لأجل قدر لها، يعني إلى انقطاع مدة بقاء العالم. وقال بعضهم: مستقرها غاية ما تنتهي إليه في صعودها وارتفاعها، لأطول يوم من الصيف ثم تأخذ في النزول في أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة. وأما قوله: مستقرها تحت العرش، فلا ينكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه لأن علمنا لا يحيط به ذكره الطيبي. (**متفق عليه**) رواه الترمذي والنسائي.

---

(١) سورة الأنعام. آية رقم ١٥٨.

الحديث رقم ٥٤٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٩٧. حديث رقم ٣١٩٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٨ حديث رقم (٢٥٠ ـ ١٥٩). والترمذي في السنن ٤/ ٤١٦ حديث رقم (١٥٦).

(٢) سورة يس. آية رقم ٣٨.

٥٤٦٩ ـ (٦) وعن عمران بن حصين، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما بينَ خَلْقِ آدم إلى قيامِ الساعةِ أمرٌ أكبرَ من الدجال». رواه مسلم.

٥٤٧٠ ـ (٧) وعن عبدِ اللَّهِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يخفى عليكم، إن اللَّهَ تعالى ليسَ بأعْوَر وإن المسيحَ الدجال أَعورُ عين اليمنى، كأنَّ عينَه عِنَبةٌ طافيةٌ».

٥٤٦٩ ـ **(وعن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر)** ما نافية[1]. والمعنى: ليس فيما بينهما فتنة. **(أكبر)** أي أعظم **(من الدجال)** لعظم فتنته وبليته ولشدة تلبيسه ومحنته. **(رواه مسلم)** وفي الجامع رواه أحمد ومسلم عن هشام ابن عامر[2] فلينظر في الأصول ليتحقق النقول.

٥٤٧٠ ـ **(وعن عبد الله)** أي ابن مسعود **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يخفى عليكم)** أي بالنظر إلى نعوته الثبوتية وصفاته السلبية وتنزهه عن العيوب والنقائص وسائر الحدوثات الزمانية والمكانية، فالجملة توطئة لقوله: **(إن الله ليس بأعور)** ومفهومه لا يعتبر فإن المراد به نفي النقص والعيب لا إثبات الجارحة بصفة الكمال. قال الطيبي رحمه الله: هو للتنزيه كما وصف سبحانه في قوله: **﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾** [النحل ـ ٥٧]. **(وإن المسيح)** بحاء مهملة هو الصواب المعروف وهو فعيل بمعنى فاعل لأنه يمسح الأرض جميعها بسرعة، أو بمعنى مفعول فإنه ممسوح إحدى العينين. قال السيوطي رحمه الله نقلاً عن أبي بكر بن العربي: إن من شدد سينه أو أعجم حاءه فقد حرف انتهى. وهو لقب مشترك بينه وبين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، لكنه يطلق عليه بمعنى الماسح لحصول البرء ببركة مسحه، وبمعنى الممسوح لنزوله نظيفاً من بطن أمه. وفي القاموس: المسيح عيسى عليه [الصلاة]والسلام لبركته، وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لمشارق الأنوار وغيره. والدجال لشؤمه أو هو كسكين، والممسوح بالشؤم والكثير السياحة كالمسيح كسكين، والممسوح الوجه والكذاب. **(الدجال)** تقدم معناه **(أعور عين اليمنى)** من باب إضافة الموصوف إلى الصفة ومن لم يجوزه كالطيبي، قال: أي عين الجثة أو الجهة اليمنى. **(كأن)** بتشديد النون **(عينه)** أي العوراء أو الأخرى **(عنبة)** أي شبيهة بها فهو تشبيه بليغ. **(طافية)** بالياء ويهمز أي مرتفعة. قال ميرك: روي بهمز وتركه وكلاهما صحيح. قال الطيبي رحمه الله: وهي الناتئة عن [حد]أخواتها من الطفو وهو أن يعلو الشيء على الماء انتهى. ومنه الطافي من السمك، ولا

الحديث رقم ٥٤٦٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٧ حديث رقم (١٢٦ . ٢٩٤٦).

(١) في المخطوطة «فأنا».

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٠ حديث رقم ٧٨٦١.

الحديث رقم ٥٤٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٩٠. حديث رقم ٧١٢٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٧ حديث رقم (١٠ . ١٦٩). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٤٣١٦ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٣ حديث رقم ٤٠٧١. وأحمد في المسند ٢/ ٣٣.

متفق عليه.

٥٤٧١ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما منْ نبيّ إلا قد أنذرَ أمتَه الأعورَ الكذَّاب،

تنافي بين هذه الرواية وبين ما روي أنها ليست بناتئة ولا حجراء، أي لا طافية مرتفعة ولا غائرة منحجرة لإمكان اجتماع الوصفين باختلاف المعنيين. وقال ابن الملك في شرح المشارق: طافية بالهمز أي ذهب ضوؤها. وروي بغير الهمز أي ناتئة بارزة. قال التوربشتي رحمه الله: في الأحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها، ونحن نسأل الله التوفيق في التوفيق بينها وسنبين كلاً منها على حدته في الحديث الذي ذكر فيه أو تعلق به. ففي هذا الحديث أنها طافية وفي آخر أنه جاحظ العين كأنها كوكب، وفي آخر أنها ليست بناتئة ولا حجراء. والسبيل في التوفيق بينها أن نقول: إنما اختلف الوصفان بحسب اختلاف المعنيين ويؤيد ذلك ما في حديث ابن عمر هذا أنه أعور عين اليمنى، وفي حديث حذيفة أنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، وفي حديثه أيضاً أنه أعور عين اليسرى. ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة أن يقدر فيها أن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء، إذ الأصل في العور العيب وذكر نحوه الشيخ محيي الدين كذا في شرح الطيبي رحمه الله. (متفق عليه).

٥٤٧١ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب)** أي خوفهم به. ولا يشكل هذا بما ثبت أنه يقتله عيسى ابن مريم بعد أن ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية لأن تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حين أنذروا قومهم، وأيضاً يحمل على هذا ما في بعض طرقه: أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه. على ما سيأتي فإن ذلك كان قبل أن يتبين له وقت خروجه وعلاماته، ثم تبين له وقت خروجه فأخبر به على أنه يحتمل أن الإبهام إنما وقع بسبب أن العلامات قد يكون وجودها معلقاً بشرط، فإذا فقد يتصور خروجه بعدم ظهورها. ونظيره خوف الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين مع تحقق عصمتهم وثبوت أمنهم من العذاب المهين، وكذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة على لسان سيد المرسلين، أو لأنه لا يجب على الله تعالى شيء وأفعاله لا تعلل والأسباب لا يتعين وجودها ولا تأثير لها أيضاً بعد حصولها. ولعل هذا هو الوجه في السر إليهم حتى ظهر على لسان صاحب الدين الأقوم والله سبحانه وتعالى أعلم. أو يقال إن المراد بالدجال كل من يدعي الألوهية من الرجال كفرعون وشداد ونمروذ وسائر الأبطال، ولا يخلو كل منهم من نقصان العور سواء مما بطن فيه أو ظهر عند أهل النظر، لكن إذا جاء القدر عمي البصر وبطل الحذر

الحديث رقم ٥٤٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤١٥. حديث رقم ٧٤٣١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٨ حديث رقم (١٠١ ـ ٢٩٣٣). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٤٣١٦. والترمذي في السنن ٤/٤٤٧ حديث رقم ٢٢٤٥.

أَلا إِنَّه أعورُ، وإِنَّ ربَّكم ليسَ بأعوَرَ، مكتوبٌ بينَ عينيه: ك ف ر». متفق عليه.

٥٤٧٢ ـ (٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُحدِّثُكم حديثاً عنِ

ويكون الدجال الموعود أشر وفتنة[١] وبلية على العامة أظهر وكبرياء ربنا وعظمته أكبر من أن يعرف كنهه أو يقدر، ومظاهر تجلياته الجمالية والجلالية أكثر من أن تحصى وتحصر. وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي:

لا تنكر الباطل في طوره * فإنه بعض ظهوراته

فينبغي للسالك أن يقول دائماً بعد امتثال الأوامر واجتناب النواهي: إلهي أرنا الأشياء كما هي وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه وارتكابه. **(ألا)** للتنبيه **(إنه)** أي الدجال **(أعور)** أي وهو الغالب أن يكون طالباً للشر **(وإن ربكم ليس بأعور)** أي تنزه أن يكون ناقصاً ومعيباً في ذاته وصفاته. وهذا الكلام منه عليه الصلاة والسلام من باب التنزل إلى عقل العوام وفهومهم كما ورد: كلم الناس على قدر عقولهم. ونظيره ما في التنزيل: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**﴾ [الأعراف ـ ١٩٤ ـ ١٩٥]. والمعنى أن الأصنام مع كمال عجزهن ونقصان آلاتهن بالنسبة إلى العابدين كيف يصلحن أن يكن في مرتبة المعبودين، وليس القصد أنهن لو فرض أن تكون هذه الأعضاء ثابتة لهن لكان يجوز أن يعبدن. وقد روي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لأمه: من ربي. فقال: من ربك. قالت: أبوك. قال: من ربه. قالت: نمروذ. قال: من ربه. قالت: هو الرب الأكبر لأن جنده أكثر. فقال لأمه: إن كان الأمر كذلك فلأي شيء صورته قبيحة وصورة غلمانه مليحة. وخلاصة الكلام أنه عليه [الصلاة]والسلام جعل ذلك العيب الأكبر والنقصان الأظهر علامة كذبه وكفره لئلا يبقى للناس عذر في قبول تلبيسه ومكره، مع أن الدلائل العقلية والبراهين النقلية تشهد على أن الجسم لا يكون إلهاً وأن الحادث المعيوب لا يصح أن يكون معبوداً. **(مكتوب بين عينيه ك ف ر)** فيه إشارة إلى أنه داع إلى الكفر لا إلى الرشد فيجب اجتنابه. وهذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الأمة حيث ظهر رقم الكفر بين عينيه. قال الطيبي رحمه الله: ولعل المراد بالتنصيص أن لا يتوهم فيه السماحة من حيث المعنى. قال النووي [رحمه الله]: هو بيان علامة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل أحد ولم يقتصر على لحوقه جسماً أو غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العقول لا يهتدي إليها **(متفق عليه)**.

٥٤٧٢ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ألا)** للتنبيه **(أحدثكم حديثاً عن**

---

(١) كذا في المخطوطة.

الحديث رقم ٥٤٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٧٠. حديث رقم ٣٣٣٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٠ حديث رقم (١٠٩ ـ ٢٩٣٦).

الدجالِ ما حدَّثَ به نبيٌّ قومَه؟: إِنَّه أعوَرُ؛ وإِنَّه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول: إِنها الجنة، هي النار،

الدجال ما حدث) أي حديثاً لم يحدث **(به نبي قومه)** ويمكن أن تكون الهمزة للاستفهام ولا للنفي وبلى مقدرة محذوفة، أو بادر جوابهم بقوله: **(إنه أعور)** أي مصور بصورة كريهة ظاهرة ومزور بسيرة مموهة باهرة على طريقة الطائفة الساحرة، وهذا معنى قوله: **(وإنه)** أي الشأن **(يجيء معه بمثل الجنة)** وفي رواية: بمثال الجنة. **(والنار)** فالباء للتعدية. والمعنى: إنه يأتي بصورتهما معه في نظر الناس مما يقلب الله تعالى حقيقتهما في حق المؤمنين، والباء زائدة. أي يسير معه مثلهما ويصحب له شكلهما. ويؤيده ما في رواية: يجيء معه تمثال، بكسر المثناة الفوقية بدل الجار أي صورتهما. **(فالتي)** أي فالصورة التي **(يقول إنها الجنة)** أي ويظهر بادي الرأي أنها النعمة **(هي النار)** أي ذات النقمة. والظاهر أن هذا من باب الاكتفاء. ويدل عليه الحديث الذي يليه فالتقدير: والتي يقول إنها النار هي الجنة، ونظيره الدنيا في نظر العارفين من أن نقمتها نعمة ونعمتها نقمة ومحنها منحة ومنحها محنة وحسنها وقبحها مختلفة، كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين. **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** [الإسراء - ٨٢]. قال شارح: يعني من دخل جنته استحق النار لأنه صدقه، فأطلق اسم السبب على المسبب. أقول: وكذا من لم يطعه ورماه في النار استحق دخول الجنة لأنه كذبه. لكن الأظهر أنهما ينقلبان وينعكسان بالفعل عليهما كما ورد في أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ومنه قوله تعالى: **﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾** [الأنبياء - ٦٩]. وكذا الدنيا المكدرة المسماة بالسجن تصير جنة للعارفين الواقفين في مقام الرضا كما قيل في قوله تعالى: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** [الرحمٰن - ٤٦]. جنة في الدنيا وجنة في العقبى، وكذا زهرة الدنيا بالنسبة إلى أربابها لعدم حضورهم مع ربها كالسم في الدسم والهم في الدرهم والنار في الدينار، وربما لا يحسون بها كالمجنون والمجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمصروع ولذا قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار * أفرس تحتك أم حمار

وقضية ولد السلطان حال كونه سكران وعناقه للميتة العجوز المعطرة مشهورة بين أهل العرفان. قال النووي [رحمه الله]: هذه الأحاديث حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عبادة وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه واتباع كنوز الأرض له وأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويقتله عيسى ابن مريم [ويثبت]الله الذين آمنوا. وقصته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض ولا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء عليهم [الصلاة و]السلام من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. وأما أهل التوفيق فلا

وإني أنذركم كما أنذر بهِ نوحٌ قومه». متفق عليه.

٥٤٧٣ ـ (١٠) وعن حذيفةَ، عن النبي ﷺ قال: «إن الدجالَ يخرجُ وإن معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناسُ ناراً فماء بارد عذبٌ، فمن أدركَ ذلكَ منكم فليقعْ في الذي يراه ناراً؛ فإنه ماءٌ عذبٌ طيّب». متفق عليه. وزاد مسلم: «وإن الدجالَ

يغترون ولا ينخدعون بما فيه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. **(وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه)** فإن قيل: لم خص نوحاً عليه [الصلاة]والسلام بالذكر. قلت: فإن نوحاً عليه الصلاة والسلام تقدم المشاهير من الأنبياء كما خصه بالتقديم في قوله تعالى: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾** [الشورى ـ ١٣]. ذكره الطيبي [رحمه الله]: وفيه أنه إنما يتم هذا إن صح أن من سبقه من الأنبياء أنذر قومه وإلا فيترك على حقيقة أوليته، ويدل عليه حديث: إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه. وأما تقديمه في الآية فلكونه مقدماً[1] على سائر أولي العزم من الرسل بحسب الوجود، ولذا قدم نبينا ﷺ في آية أخرى على أولي العزم لكون تقدمه وجوداً ورتبة وهي قوله سبحانه جلَّ جلاله: **﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾** [الأحزاب ـ ٧]. وحاصله أن الخمسة هم أولو العزم من الرسل، واجتمع ذكرهم في الآيتين المذكورتين والله [تعالى]أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٤٧٣ ـ **(وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الدجال يخرج وإن معه ماء)** أي وما يتولد منه من أسباب النعم بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما تقدم يرغب إليه من أطاعه. **(وناراً)** أي ما يكون ظاهره سبباً للعذاب والمشقة والألم يخوف به من عصاه. **(فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب)** أي حلو[2] يكسر العطش. والمعنى أن الله تعالى يجعل ناره ماء بارداً عذباً على من كذبه وألقاه فيها غيظاً كما جعل نار نمروذ برداً وسلاماً على إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام، ويجعل ماءه الذي أعطاه من صدقه ناراً محرقة دائمة. ومجمله أن ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخيل منه وشعبذة كما يفعله السحرة والمشعبذون، مع احتمال أن الله تعالى يقلب ناره وماءه الحقيقيان فإنه على كل شيء قدير. **(فمن أدرك ذلك)** أي الدجال أو ما ذكر من تلبيسه **(منكم فليقع في الذي يراه ناراً)** أي فليختر تكذيبه ولا يبالي بإيقاعه فيما يراه ناراً. **(فإنه ماء عذب طيب)** أي في الحقيقة أو بالقلب أو بحسب المآل والله [تعالى]أعلم بالحال. والكلام من باب الاكتفاء، فالتقدير: ولا يصدقه مغتراً بما يراه معه ماء فإنه نار وعذاب وحجاب. **(متفق عليه. وزاد مسلم: وإن الدجال**

---

(١) في المخطوطة «مقدم».

الحديث رقم ٥٤٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٤. حديث رقم ٣٤٥٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٩ حديث رقم (١٠٥ . ٢٩٣٤).

(٢) في المخطوطة «حلو».

ممسوحُ العينِ، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتبٌ وغيرُ كاتب».

٥٤٧٤ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجالُ أعورُ العينِ اليُسْرى، جُفالُ الشعرِ، معه جنَّتُه ونارُه، فنارُه جنَّة، وجنتُه نارٌ». رواه مسلم.

٥٤٧٥ ـ (١٢) وعن النوَّاس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجالَ فقال: «إن يخرجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُه

ممسوح العين) أي موضع إحدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له أثر العين. قال القاضي [رحمه الله]: أي ممسوح إحدى عينيه للحديث السابق ونظائره. **(عليها)** أي على العين الأخرى بحيث لا تواري الحدقة بأسرها لتعميها **(ظفرة)** بفتحتين، أي لحمة غليظة أو جلدة. أو على العين الممسوحة ظفرة. **(مكتوب بين عينيه كافر)** كما سبق **(يقرؤه كل مؤمن كاتب)** بالجر بدلاً من مؤمن. وفي نسخة بالرفع بدل بعض من كل. **(وغير كاتب)** وفي رواية لمسلم عن أنس مرفوعاً: الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم.

٥٤٧٤ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة **(قال: قال رسول الله ﷺ: الدجال أعور العين اليسرى)** قد سبق أنه أعور العين اليمنى وأنه ممسوح إحدى عينيه، فالجمع أن يقال: إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء، إذ العور في الأصل هو العيب. وقيل: إن الأعور إنما يكون بالنسبة إلى أشخاص متفرقة فقوم يرونه أعور اليسرى وقوم يرونه أعور اليمنى ليدل على بطلان أمره لأنه إذا كان لا يرى خلقته كما هي دل على أنه ساحر كذاب. قال شارح: ويحتمل أن يكون أحدهما من سهو الراوي. وفي الجامع روى البخاري في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعاً: الدجال عينه خضراء(١). [فهو]كالحرباء والغول متلون بألوان شتى. **(جفال الشعر)** بضم الجيم، أي كثير الشعر المجتمعة كذا في الفائق مكسر. **(معه جنته وناره فناره جنة وجنته نار. رواه مسلم)** وكذا أحمد وابن ماجه.

٥٤٧٥ ـ **(وعن النواس)** بتشديد الواو **(ابن سمعان)** بكسر السين ويفتح. **(قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال)** أي خروجه وسائر أموره وابتلاء الناس به **(فقال: إن يخرج وأنا فيكم)** أي موجود فيما بينكم فرضاً وتقديراً. **(فأنا حجيجه)** فعيل بمعنى الفاعل من الحجة وهي

الحديث رقم ٥٤٧٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٩. حديث رقم (١٠٤ . ٢٩٣٤). وابن ماجه في السنن ٢/١٣٥٣ حديث رقم ٤٠٧١. وأحمد في المسند ٣/١١٥.

(١) الجامع الصغير ٢/٢٥٨ حديث رقم ٤٢٥٠.

الحديث رقم ٥٤٧٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٠ حديث رقم (١١٠ . ٢٩٣٧). وأبو داود في السنن ٤/٤٩٦ حديث رقم ٤٣٢١. والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٢٢٤٠. وابن ماجه في السنن ٢/١٣٥٦ حديث رقم ٤٠٧٥.

دونكم، وإن يخرجْ ولست فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسه، واللّهُ خليفتي على كل مسلم، إنَّهُ شابٌ قَطَط،

البرهان، أي غالب عليه بالحجة. (دونكم) أي قدامكم ودافعه عنكم وأنا إمامكم وأمامكم. وفيه إرشاد إلى أنه ﷺ كان في المحاجة معه غير محتاج إلى معاونة معاون من أمته في غلبته عليه بالحجة كذا ذكره الطيبي رحمه الله. والأظهر أنه ﷺ يدفعه بنور النبوّة ويدفع خارق عادته الباطل بمعجزاته المقرونة بالحق من غير دليل وبرهان لأن بطلانه أظهر من الشمس عند أرباب العرفان، وأيضاً هو من المصممين على الباطل من دعوته ولم يلتفت إلى المجادلة وإثبات الأدلة، وإلا فيحمد الله سبحانه من يوجد في الأمة من يحقق الملة بالحجة، لا سيما خاتمة الأولياء وهو المهدي وزبدة الأنبياء وهو عيسى عليه [الصلاة]والسلام. وحاصله أنه لا ينفع معه الكلام فدفعه إما بإعدامه مع وجود سيد الأنام أو بذوبانه وقتله على يد عيسى عليه [الصلاة و] السلام، هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله سبحانه وتعالى أعلم بالمرام. قال التوربشتي رحمه الله: فإن قيل: أو ليس قد ثبت في أحاديث الدجال أنه يخرج بعد خروج المهدي وأن عيسى عليه [الصلاة] والسلام يقتله إلى غير ذلك من الوقائع الدالة على أنه لا يخرج ونبي الله بين أظهرهم، بل لا تراه القرون الأولى من هذه الأمة فما وجه قوله: إن يخرج وأنا فيكم. قلت: إنما سلك هذا المسلك من التورية لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنه والملجأ إلى الله تعالى من شره لينالوا بذلك من الله ويتحققوا[١] بالشح على دينهم. وقال المظهر: يحتمل أن يريد تحقق خروجه، والمعنى: لا تشكوا في خروجه فإنه سيخرج لا محالة، وأن يريد به عدم علمه بوقت خروجه كما أنه كان لا يدري متى الساعة. قال الطيبي [رحمه الله] : والوجه الثاني من الوجهين هو الصواب لأنه يمكن أن يكون قوله هذا قبل علمه ﷺ بذلك. أقول: كان حقه أن يقول هو الظاهر ليطابق تعليله بقوله لأنه يمكن، إذ مع الإمكان لا يقال في حق أحدهما هو الصواب لاحتمال الخطأ في كل واحد منهما والله [تعالى] أعلم بالصواب. وخلاصة المعنى: إني إن كنت فيكم فأكفيكم شره وقت خروجه. **(وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه)** بالرفع أي فكل امرىء يحاجه ويحاوره ويغالبه لنفسه كذا قاله الطيبي [رحمه الله]: أي ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجة كما قاله ابن الملك، لكن هذا على تقدير أنه يسمع الحجة وإلا فالمعنى: إن كل أحد يدفع عن نفسه شره بتكذيبه واختيار صورة تعذيبه. **(والله خليفتي على كل مسلم)** يعني والله سبحانه وتعالى ولي كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع شره. وهذا دليل على أن المؤمن الموقن لا يزال منصوراً وإن لم يكن معه نبي ولا إمام، ففيه رد على الإمامية من الشيعة. **(إنه)** أي الدجال وهو استئناف بيان لبعض أحواله وتبيان لبعض ما يفيد في دفع شر أفعاله **(شاب)** فيه إشعار بأنه غير ابن الصياد وإيماء إلى أنه محروم من بياض الوقار وثابت على اشتداد السواد في الظاهر الذي هو عنوان الباطن من سواد الفؤاد. **(قطط)** بفتح القاف والطاء[٢]، أي شديد جعودة الشعر. وفيه إيماء إلى استحباب

(١) كذا في المخطوطة. (٢) في المخطوطة «يكسر قال النووي هو بفتح القاف والطاء».

عينه طافية، كأني أُشبِّهُه بعَبْد العزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فلْيقرأ عليه فواتح سورة الكهف». وفي روايةٍ «فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف، فإنها جوارُكم من فتنته،

تسريح الشعر دفعاً للمشابهة بالهيئة البشيعة[١]. **(عينه طافية)** بالياء ويهمز، أي مرتفعة. **(كأني أشبهه)** بتشديد الموحدة، أي أمثله. **(بعبد العزى)** بضم العين وتشديد الزاي. **(ابن قطن)** بفتحتين وهو يهودي قاله شارح. وقال الطيبي [رحمه الله]: قيل: إنه كان يهودياً. ولعل الظاهر أنه مشرك لأن العزى اسم صنم، ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي: هو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية. ثم قال الطيبي [رحمه الله]: لم يقل كأنه عبد العزى لأنه لم يكن ﷺ جازماً في تشبيهه به. قلت: لا شك في تشبيهه به إلا أنه لما كان معرفة المشبه في عالم الكشف أو المنام عبر عنه بكأني كما هو المعتبر في تعبير حكاية الرؤيا والله [تعالى]أعلم. ويمكن أن يقال: لما لم يوجد في الكون أقبح صورة منه فلا يتم التشبيه من جميع الوجوه، بل ولا من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم وعبر عنه بما عبر عنه. ثم في صيغة الحال إشعار باستحضار صورة المآل. **(فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف)** أي أوائلها[٢] إلى ﴿كذباً ﴾ [الكهف ـ ٥]. لدلالة تلك الآيات على معرفة ذات الله وصفاته. [لكن لفظه: من أدرك الدجال فليقرأ عليه خواتمها، فإنها جوار له من فتنته]. وثبوت كتابه وآيات بيناته وصدق رسوله وإتيانه بمعجزاته ما يصير خوارق عادات الدجال هباء منثوراً، وإن تابعه يدعو هلاكاً وثبوراً. قال الطيبي [رحمه الله]: المعنى أن قراءته أمان له من فتنته كما أمن تلك الفتية من فتنة دقيانوس الجبار. **(وفي رواية:)** أي لمسلم أيضاً **(فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنة)** أي بلية **(الدجال)** والجوار بكسر الجيم، وفي آخره راء على ما في نسخة السيد والشيخ الجزري وكثير من النسخ المصححة. وفي بعضها بفتح الجيم وزاي في آخره، وهو الصك الذي يأخذه المسافر من السلطان أو نوابه لئلا يتعرض لهم المترصدة في الطريق. واقتصر عليه شارح المصابيح، وذكره ابن الملك ثم قال: وفي بعض النسخ بكسر الجيم وبالراء، فمعناه حافظكم. انتهى. وفي بعض شروح البردة، الجوار بالكسر والضم، والكسر أفصح هو الأمان. هذا والمتبادر من كلام المؤلف أنها رواية لمسلم. لكن صرح الجزري في حصنه بأنها رواية أبي داود عن النواس لكن لفظه: من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها فإنها جوار له من فتنته. ثم اعلم أنه جاء في الحصن روايات متعددة في هذا المعنى حيث قال: من قرأها، أي الكهف، كما أنزلت كانت له نوراً من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه[٣]. رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري واللفظ للنسائي وقال: رفعه خطأ. والصواب أنه موقوف. وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد أيضاً واختلف في رفعه ووقفه أيضاً ولفظ[ـه]: من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آيات من آخرها

---

(١) في المخطوطة «البشعة». (٢) في المخطوطة «أولها».

(٣) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٦٤.

إِنه خارج خَلَّةً بين الشامِ والعراقِ، فعاث

ثم خرج الدجال لم يضره. وروى مسلم وأبو داود عن [أبي الدرداء مرفوعاً: من حفظ عشر آيات من أولها عصم من الدجال. وفي رواية أبي داود]والنسائي عنه: من فتنة الدجال. وفي رواية لمسلم وأبي داود عنه: من حفظ عشر آيات[١]. والنسائي عنه: من قرأ العشر الأواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال[٢]. وفي رواية للترمذي عنه: من قرأ ثلاث آيات من أوّل الكهف عصم من فتنة الدجال[٣]. وفي رواية لمسلم والأربعة عن النواس بن سمعان: من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها[٤]. الحديث. قيل: وجه الجمع بين الثلاث وبين قوله ﷺ: من حفظ عشر آيات. أن حديث العشر متأخر ومن عمل بالعشرة فقد عمل بالثلاث. وقيل: حديث الثلاث متأخر ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر وهذا أقرب إلى أحكام النسخ. أقول: بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ مع أن النسخ إنما يكون في الإنشاء لا في الإخبار، فالأظهر أن أقل ما يحفظ به من شره قراءة الثلاث وحفظها أولى وهو لا ينافي الزيادة كما لا يخفى. وقيل: حديث العشر في الحفظ وحديث الثلاث في القراءة، فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفي وعصم من فتنة الدجال. وقيل: من حفظ العشر عصم من أن لقيه[٥]، ومن قرأ الثلاث عصم من فتنته إن لم يلقه. وقيل: المراد من الحفظ القراءة عن ظهر القلب ومن العصمة الحفظ من آفات الدجال، والله [تعالى]أعلم بالأحوال. **(إنه)** أي الدجال **(خارج خلة)** بفتح معجمة وتشديد لام، أي طريقاً واقعاً. **(بين الشام والعراق)** وأصله الطريق في الرمل. وقال شارح: أي [من]سبيل بينهما ففيه إشارة إلى أنها منصوبة بنزع الخافض، ويؤيده ما في النهاية أي في طريق بينهما. قال النووي [رحمه الله]: هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح الخاء [المعجمة]وتنوين التاء. وقال القاضي [رحمه الله]: المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني غير منونة. ومعناه سمت ذلك وقبالته. قلت: المناسب أن يكون هي الحلة قرية بناحية دجلة من بغداد أهلها شر من في البلاد من العباد. قال: ورواه بعضهم حله بضم اللام وبهاء الضمير أي نزوله وحلوله. قال: وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضاً ببلادنا. وقوله: **(فعاث)** هو بعين مهملة وثاء مثلثة ماض من العيث وهو أشد الفساد والإسراع فيه. وحكى القاضي [رحمه الله]أنه رواه بعضهم فعاث على صيغة اسم الفاعل. قال الأشرف: قيل: الصواب فيه فعاث بصيغة اسم الفاعل لكونه عطفاً على اسم فاعل قبله وهو خارج. قلت: أكثر النسخ ومنها أصل السيد على أنه فعل ماض من العيث، وفي بعضها عاث كقاض من العثي بمعنى العيث وهو الأصح[٦] الموافق لما في التنزيل من قوله: **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين**

---

(١) مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٥ حديث رقم ٨٠٩. وأبو داود ٤/ ٤٩٧ حديث رقم ٤٣٢٣.

(٢) النسائي في الكبرى ورواه أيضاً أحمد في المسند ٦/ ٤٤٦.

(٣) الترمذي في سننه ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٨٨٦.

(٤) وهو حديث الباب.

(٥) هكذا في الأصل ولعل الصواب يلقاه.

(٦) في المخطوطة «أفصح».

يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد اللّهِ فاثبتوا». قلنا: يا رسول الله! وما لَبثُه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجُمُعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: «لا، اقْدُروا له قَدَرَه».

﴾ [البقرة ـ ٦٠] . ولكن القول بأنه الصواب خطأ، إذ هما لغتان بمعنى الإفساد على ما هو مقرر في كتب اللغة. فالحاصل أن الدجال أفسد أو مفسد. **(يميناً وعاث شمالاً)** وهما ظرفا عاث. والمعنى: يبعث سراياه يميناً وشمالاً ولا يكتفي بالإفساد فيما يطؤه من البلاد ويتوجه له من الأغوار والأنجاد فلا يأمن من شره مؤمن ولا يخلو من فتنته موطن ولا مأمن. **(يا عباد الله)** أي أيها المؤمنون الموجودون في ذلك الزمان، أو أنتم أيها المخاطبون على فرض أنكم تدركون ذلك الأوان. **(فأثبتوا)** أي على دينكم وإن عاقبكم. قال الطيبي [رحمه الله] : هذا من الخطاب العام أراد به من يدرك الدجال من أمته، ثم قيل: هذا القول منه استمالة لقلوب أمته وتثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال وتوطينهم على ما هم فيه من الإِيمان بالله تعالى واعتقاده وتصديق ما جاء به الرسول ﷺ. **(قلنا: يا رسول الله وما لبثه)** بفتح لام وسكون موحدة، أي ما قدر مكثه وتوقفه. **(في الأرض. قال: أربعون يوماً)** سيأتي حديث: يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر إلى آخره. لكنه نقل البغوي في شرح السنة ولا يصلح أن يكون معارضاً لرواية مسلم هذه، وعلى تقدير صحته لعل المراد بأحد المكثين مكث خاص على وصف معين مبين عند العالم به. **(يوم)** أي من تلك الأربعين **(كسنة)** أي مقدار عام في طول الزمان أو في كثرة الغموم والأحزان. **(ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم)** قال ابن الملك [رحمه الله] : قيل: المراد منه أن اليوم الأول لكثرة غموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين يرى لهم كسنة، وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف أمره فيرى كشهر والثالث يرى كجمعة لأن الحق في كل وقت يزيد قدراً والباطل ينقص حتى ينمحق أثراً، أو لأن الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم إلى أن تضمحل شدتها. ولكن هذا القول مردود لأنه غير مناسب لما ذكر الراوي. **(قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة)** أي مثلاً **(أيكفينا فيه صلاة يوم. قال: لا اقدروا له قدره)** بل هذا جار على حقيقته ولا امتناع فيه لأن الله تعالى قادر على أن يزيد كل جزء من أجزاء اليوم الأول حتى يصير مقدار سنة خارقاً للعادة كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى. وفيه أن هذا [القول] الذي قرره على المنوال الذي حرره لا يفيد إلا بسط الزمان كما وقع له ﷺ في قصة الإِسراء مع زيادة على المكان. لكن لا يخفى أن سبب وجوب كل صلاة إنما هو وقته المقدر من طلوع صبح وزوال شمس وغروبها وغيبوبة شفقها، وهذا لا يتصور إلا بتحقق تعدد الأيام والليالي على وجه الحقيقة وهو مفقود. فالتحقيق ما قاله الشيخ التوربشتي رحمه الله [تعالى] : وهو أنه يشكل من هذا الفصل قوله ﷺ: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، مع قوله: وسائر أيامه كأيامكم. ولا سبيل إلى تأويل امتداد تلك الأيام على أنها وصفت بالطول والامتداد لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأساء والضراء لأنهم قالوا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال: لا. الحديث. فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق قد تبين لنا بأخبار الصادق المصدوق صلوات الله [تعالى]

قلنا: يا رسولَ اللَّهِ! وما إِسراعُه في الأرضِ؟ قال: «كالغيثِ استدْبرَتْه الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم فيؤمنون به، فيأمر السماءَ فتمطر،

وسلامه عليه أن الدجال يبعث معه من المشبهات ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم، فمن ذلك تسخير الشياطين له ومجيئه بجنة ونار وإحياء الميت على حسب ما يدعيه وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب وتارة بالأزمة والجدب، ثم لا خفاء بأنه أسحر الناس فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا أن نقول إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة إسفار بلا ظلام وصباح بلا مساء، يحسبون أن الليل لا يمد عليهم رواقه وأن الشمس لا تطوي عنهم ضياءها فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم دواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادمة تلك الأحوال ويقدروا لكل صلاة قدرها إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة. هذا الذي اهتدينا إليه من التأويل والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل. وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قالوا: هذا على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله: وسائر أيامه كأيامكم. وأما قوله ﷺ: اقدروا له قدره. فقال القاضي [رحمه الله]وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا اقتصرنا على الصلاة عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعناه: إذا بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر في كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر فإذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وكذا حتى ينقضي ذلك اليوم. وقد وقع فيه صلاة السنة[1] فرائض مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فيقاس على اليوم الأول في أنه يقدر له كاليوم الأول على ما ذكرناه انتهى. وحاصله أن الأوقات للصلوات أسباب وتقديم المسببات على الأسباب غير جائز إلا بشرع مخصوص كما يقدم العصر على وقته بعرفان. فمعنى اقدروا أي قدروا وخمنوا له أي لأداء الصلوات الخمس قدره أي قدر يوم كذا. قيل: والأظهر ما قاله شارح، أي قدر والوقت صلاة يوم في يوم كسنة مثلاً قدره، أي قدره الذي كان له في سائر الأيام كمحبوس اشتبه عليه الوقت. **(قلنا: يا رسول الله وما إسراعه)** أي ما قدر اسراعه أو كيفية اعجاله **(في الأرض)** أي في سيرها ووطئ ساحتها. قال الطيبي [رحمه الله]: لعلهم علموا أن له اسراعاً في الأرض فسألوا عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه فسألوا عن كميته بقولهم: ما لبثه، أي ما مدة لبثه. **(قال: كالغيث)** المراد به هنا الغيم اطلاقاً للسبب على المسبب، أي يسرع في الأرض اسراع الغيم. **(استدبرته الريح)** قال ابن الملك: الجملة حال أو صفة للغيث وأل فيه للعهد الذهني. والمعنى: أن هذا مثال [لا يدرك]كيفيته ولا يمكن تقدير كميته. **(فيأتي)** أي فيمر الدجال **(على القوم)** أي على جنس من الناس **(فيدعوهم)** أي إلى باطله **(فيؤمنون به فيأمر السماء)** أي السحاب **(فتمطر)**

(١) في المخطوطة «صلوات ست».

والأرض فتنبت، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرىً، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصِر، ثم يأتي القوم فيدعُوهم، فيردّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخَرِبة فيقول لها: أَخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحل،

من الأمطار حتى تجري الأنهار (**والأرض**) أي ويأمرها (**فتنبت**) من الانبات حتى تظهر الأزهار استدراجاً من الواحد القهار (**فتروح عليهم سارحتهم**) أي فترجع بعد زوال الشمس إليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة إلى مراعيها (**أطول ما كانت**) أي السارحة من الإبل، ونصب أطول على الحالية. وقوله: (**ذرى**) بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الراء منوناً جمع ذروة مثلثة وهي أعلى السنام، وذروة كل شيء أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن. (**وأسبغه**) أي وأتم ما كانت (**ضروعاً**) بضم أوله جمع ضرع وهو الثدي، كناية عن كثرة اللبن. (**وأمده**) أي وأمد ما كانت، وهو اسم تفضيل من المد. (**خواصر**) جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل. (**ثم يأتي القوم**) أي قوماً آخرين وفي العدول عن قوله على بناء على ما سبق، اشعار بأن اتيانه على الأولين ضرر في الحقيقة دون الآخرين. (**فيدعوهم**) أي بدعوى ألوهيته (**فيردون عليه قوله**) أي لا يقبلونه أو يبطلونه بالحجة. (**فينصرف عنهم**) فيه إشارة إلى أنه ليس له قدرة الاجبار. قال تعالى [جلَّ جلاله]: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**﴾ [الحجر ـ ٤٢]. والمعنى: فيصرفه الله عنهم. (**فيصبحون ممحلين**) بضم الميم وبالحاء، أي داخلين في المحل. قال التوربشتي [رحمه الله]: أمحل القوم أصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلا. (**ليس بأيديهم شيء من أموالهم**) والحاصل أن المؤمنين صاروا به مبتلين بأنواع من البلاء والمحن والضراء ولكنهم صابرون وراضون وشاكرون لما أعطاهم الله من صفات الأولياء ببركة سيد الأنبياء وسيد الأصفياء. (**ويمر على الخربة**) بكسر الراء، أي يمر الدجال بالأرض الخربة أو بالبقاع الخربة. (**فيقول لها: اخرجي كنوزك**) أي مدفونك أو معادنك. (**فتتبعه**) الفاء فصيحة، أي فتخرج فتعقب الدجال. (**كنوزها كيعاسب النحل**) أي كما يتبع النحل اليعسوب. [قال النووي [رحمه الله]: ليعاسيب ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي رحمه الله: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كني عن الجماعة باليعسوب] وهو أميرها [لأنه متى طار تبعته جماعته]، منه قيل للسيد يعسوب. وروى الديلمي عن علي [رضي الله تعالى عنه] مرفوعاً: علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين[١]. ففي الكلام نوع قلب، إذ حق الكلام كنحل اليعاسيب. ولعل النكتة في جمع اليعاسيب هو الإيماء إلى كثرة الكنوز التابعة وأنه قدر كأنه جمع باعتبار جوانبه وأطرافه، والمراد جمع من أمرائه ووكلائه][٢]. وقال الأشرف: قوله: كاليعاسيب، كناية عن سرعة أتباعه، أي تتبعه الكنوز بالسرعة. وقال الطيبي [رحمه الله]: إذا

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٣٤٦/٢ حديث رقم ٥٦٠٠ ونسبه إلى ابن عدي.

(٢) هذه العبارة التي بين معكوفتين ليست كذلك في المخطوطة.

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلَتين رميةَ الغَرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إِذْ بعثَ اللّٰهُ المسيحَ ابنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقيّ دمشق بين مهروذتين،

كان قوله كاليعاسيب حالاً من الدجال، فالخربة صفة البقاع، وإذا كان حالاً من الكنوز فيجوز أن يكون الموصوف جمعاً أو مفرداً. **(ثم يدعو رجلاً)** أي يطلبه حال كونه **(ممتلئاً)** أي تاماً كاملاً قوياً **(شباباً)** تمييز عن النسبة. قال الطيبي [رحمه الله]: والممتلىء شباباً هو الذي يكون في غاية الشباب. **(فيضربه بالسيف)** أي غضباً عليه لإبائه قبول دعوته الألوهية، أو إظهاراً للقدرة وتوطئة لخرق العادة. **(فيقطعه جزلتين)** بفتح الجيم وتكسر، أي قطعتين تتباعدان. **(رمية الغرض)** أي قدر حذف الهدف فهي منصوبة بمقدر. وفائدة التقييد به أن يظهر عند الناس أنه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة. قال النووي [رحمه الله]: هو بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها. ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض هذا هو الظاهر المشهور. وحكى القاضي هذا ثم قال: وعندي أن فيه تقديماً وتأخيراً وتقديره: فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين، والصحيح الأوّل: قال التوربشتي [رحمه الله]: أراد برمية الغرض إما سرعة نفوذ السيف وإما إصابة المحز. قال الطيبي رحمه الله: ويؤيده تأويل النووي قوله في الحديث الذي يليه: ثم يمشي الدجال بين القطعتين. **(ثم يدعوه فيقبل)** أي الرجل الشاب على الدجال. **(ويتهلل)** أي يتلألأ ويضيء **(وجهه يضحك)** حال من فاعل يقبل، أي يقبل ضاحكاً بشاشاً فيقول: هذا كيف يصلح إلهاً. **(فبينما)** بالميم على الصحيح **(هو)** أي الرجل **(كذلك)** أي على تلك الحال وذلك المنوال **(إذ بعث الله المسيح ابن مريم)** [عليهما الصلاة والسلام]فسبحان من يدفع المسيح بالمسيح. قال تعالى جلّ شأنه: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾ [الأنبياء ـ ١٨]. **(فينزل)** أي عيسى [عليه الصلاة والسلام]**(عند المنارة البيضاء شرقي)** بالنصب على الظرفية مضافاً إلى قوله: **(دمشق)** بكسر الدال وفتح الميم وتكسر وهو المشهور الآن بالشام فإنه تحت ملكه. وفي الجامع روى الطبراني عن أوس بن أوس: ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق(١). ذكر السيوطي في تعليقه على ابن ماجه أنه قال الحافظ ابن كثير في رواية: أن عيسى عليه [الصلاة] والسلام ينزل ببيت المقدس. وفي رواية: بالأردن. وفي رواية: بمعسكر المسلمين. قلت: حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه(٢) وهو عندي أرجح ولا ينافي سائر الروايات لأن بيت المقدس شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأردن اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل فيه وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة فلا بد أن تحدث قبل نزوله والله [تعالى]أعلم. وقوله: **(بين مهرودتين)** بالدال المهملة ويعجم، أي حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران. قال النووي رحمه الله: روي

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٣.

(٢) ضمن الحديث ٤٠٧٧.

واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسَه قطَر، وإذا رفعه تحدَّر منه مثل جُمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافرٍ يجدُ مِنْ ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيثُ ينتهي طرفه، فيطلبه

بالدال المهملة، والذال المعجمة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة. ومعناه: لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران انتهى. وقال ابن الأنباري: يروى بدال مهملة ومعجمة، أي بين مخصرتين على ما جاء في الحديث ولا نسمعه إلا فيه وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع إلا في الحديث. والمخصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة كذا في النهاية. **(واضعاً كفيه على أجنحة ملكين)** حال لبيان كيفية انزاله كما أن ما قبله حال البيان كيفية لبسه وجماله. ثم بين له حالة أخرى بقوله: **(إذا طأطأ)** بهمزتين، أي حفص **(رأسه قطر)** أي عرق **(وإذا رفعه)** أي رأسه **(تحدر)** بتشديد الدال، أي نزل **(منه)** أي من شعره قطرات نورانية **(مثل الجمان)** بضم الجيم وتخفيف الميم وتشدد، حب يتخذ من الفضة. **(كاللؤلؤ)** أي في الصفاء والبياض. ففي النهاية: الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم يتخذ من الفضة على هيئة اللآلىء الكبار. قال الطيبي رحمه الله: شبهه بالجمان في الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ في الصفاء والحسن، فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن. وفي القاموس: الجمان كغراب اللؤلؤ أو هنوات أشكال اللؤلؤ. وقال شارح: الجمان بتشديد الميم. وقال ابن الملك: بالتشديد اللؤلؤ الصغار وبتخفيفها حب يتخذ من الفضة. وقيل: المراد بالجمان في صفة عيسى عليه [الصلاة]والسلام هو الحب المتخذ من الفضة. قلت: بل هو المتعين بقوله: كاللؤلؤ. **(فلا يحل)** بكسر الحاء، أي لا يمكن ولا يقع. **(لكافر أن يجد من ريح نفسه)** بفتح الفاء **(إلا مات)** كذا ذكره النووي. وقال القاضي: معناه عندي حق واجب، قال: ورواه بعضهم بضم الحاء وهو وهم وغلط. قال الطيبي [رحمه الله]: معناه لا يحصل ولا يحق أن يجد من ريح نفسه وله حال من الأحوال إلا حال الموت. فقوله: يجد مع ما في سياقه فاعل يحل على تقديران. **(ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه)** بسكون الراء، أي لحظه ولمحه. ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة إراءة دمه في الحربة ليزداد كونه ساحراً في قلوب المؤمنين. ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى أولاً حين نزوله ثم تكون زائلة حين يرى الدجال، إذ دوام الكرامة ليس بلازم وقيل: نفس الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر لا النفس المعتاد، فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد. وقيل: المفهوم منه أن من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت، ولا يفهم منه أن يكون ذلك أوّل وصول نفسه، فيجوز أن يحصل ذلك بهم بعد أن يريهم عيسى عليه [الصلاة] والسلام دم الدجال في حربته للحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي رحمه الله تعالى. ثم من الغريب أن نفس عيسى عليه [الصلاة] والسلام تعلق به الاحياء لبعض والإماتة لبعض. **(فيطلبه)** أي [يطلب] عيسى عليه [الصلاة] والسلام الدجال **(حتى يدركه بباب لد)** بضم لام وتشديد دال مصروف اسم جبل بالشام، وقيل قرية من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي. وزاد غيره سمي به لكثرة شجره. وقال السيوطي رحمه الله في شرح الترمذي: هو على ما في النهاية

حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتُله، ثم يأتي عيسى [إلى] قومٍ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدانِ لأحدٍ بقتالهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطور، ويبعث اللّهُ يأجوج ومأجوج ﴿**وهم من كل حدبٍ ينسِلون**﴾، فيمُر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرُهم فيقول: لقد كانَ بهذه مرّة ماءٌ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا منْ في الأرض، هلمَّ

موضع بالشام، وقيل بفلسطين. **(فيقتله)** في الجامع رواه الترمذي وكذا أحمد. وعن مجمع بن جارية: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد **(ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه)** أي حفظهم من شر الدجال **(فيمسح عن وجوههم)** أي يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغز ومبالغة في إكرامهم، أو المعنى يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال. **(ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة)** قال النووي [رحمه الله]: وهذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركاً، أو أنه إشارة إلى كشف ما يكون فيه من الشدة والخوف. **(فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني)** بفتح الهمزة ويكسر **(قد أخرجت عباد لي)** أي أظهرت جماعة منقادة لقضائي وقدري **(لا يدان)** أي لا قدرة ولا طاقة **(لأحد بقتالهم)** وإنما عبر عن الطاقة باليد لأن المباشرة والمدافعة إنما تكون باليد وثنى مبالغة كان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه، ويمكن أن يكون في التثنية إيماء إلى العجز عنهما جميعاً. **(فحرز عبادي)** أي من التحرير مأخوذ من الحرز، أي احفظهم وضمهم. **(إلى الطور)** واجعله لهم حرزاً **(ويبعث الله يأجوج ومأجوج)** بالألف ويبدل فيهما **(وهم)** أي جميع القبيلتين لقوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا**﴾ [الحج ـ ١٩]. **(﴿من كل حدب﴾)** بفتحتين أي مكان مرتفع من الأرض **(﴿ينسلون﴾)** بفتح الياء وكسر السين، أي يسرعون. **(فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية)** بالإضافة، وبحيرة تصغير بحرة وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال. وطَبرية بفتحتين اسم موضع. وقال شارح: هي قصبة الأردن بالشام. **(فيشربون ما فيها)** أي من الماء **(ويمر آخرهم فيقول:)** أي آخرهم أو قائل منهم **(لقد كان بهذه)** أي البحيرة أو البقعة **(مرة)** أي وقتاً **(ماءً)** أي ماء كثير **(ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر)** بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء الشجر المتلف، وفسر في الحديث بقوله: **(وهو جبل بيت المقدس)** لكثرة شجره أو هو كل ما سترك[1] من شجر أو بناء أو غيره كذا في النهاية. **(فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض)** أي من ظهر على وجهها لما سيأتي من استثناء عيسى عليه [الصلاة]والسلام وأصحابه حيث كانوا محصورين محصونين. **(هلم)** أي تعال والخطاب لأميرهم وكبيرهم، أو عام غير مخصوص بأحدهم. وفي النهاية: فيه لغتان فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، وبنو تميم تثنى وتجمع وتؤنث تقول: هلم وهلمي

---

(١) في المخطوطة «يترك».

فلنقتل من في السماء فيرمون بنشَّابهم إلى السماء، فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبةً دماً، ويُحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموتِ نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زَهمُهم ونَتْنُهُمْ،

وهلماً وهلموا. (**فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم**) بضم فتشديده مفرده نشابة والباء زائدة أي سهامهم (**إلى السماء**) أي إلى جهتها (**فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة**) أي مصبوغة (**دماً**) تمييز وهذا مكر واستدراج منه سبحانه مع احتمال اصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء، فيكون فيه إشارة إلى احاطة فسادهم بالسلفيات والعلويات (**ويحصر**) بصيغة المفعول، أي يحبس في جبل الطور. (**نبي الله**) أي عيسى عليه [الصلاة]والسلام (**وأصحابه**) أي من مؤمني هذه الأمة (**حتى يكون**) أي يصير من شدة المحاضرة والمضايقة (**رأس الثور**) أي البقر مع كمال رخصه في تلك الديار (**لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم**) قال التوربشتي رحمه الله: أي تبلغ بهم الفاقة إلى هذا الحد. وإنما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة. (**فيرغب**) أي إلى الله أو يدعو (**نبي الله**) فيه تنبيه [نبيه على]أنه مع متابعته لشريعة [محمد ﷺ]باق على نبوته (**عيسى وأصحابه**) قال القاضي: أي يرغبون إلى الله تعالى في إهلاكهم وانجائهم عن مكابدة قبلائهم ويتضرعون إليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال: (**فيرسل الله عليهم**) أي على يأجوج ومأجوج (**النغف**) بفتح النون والغين المعجمة، دود يكون في أنوف الابل والغنم (**في رقابهم فيصبحون فرسي**) كهلكي وزنا، ومعنى وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس الذئب الشاة إذا كسرها وقتلها، ومنه فريسة الأسد. (**كموت نفس واحدة**) لكمال القدرة وتعلق المشيئة، قال تعالى: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾ [لقمان ـ ٢٨]. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد أن القهر الإلهي الغالب على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى. وقد نبه بالكلمتين أعني النغف وفرسي على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد أن طارت نفرة البغي في رؤوسهم فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء. (**ثم يهبط**) أي ينزل من الطور (**نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض**) أي في وجهها جميعاً وهذا هو وجه العدول عن الضمير إلى الظاهرة، فاللام في الأولى للعهد وفي الثانية للاستغراق بدليل الاستثناء. وبه يتبين أن القاعدة المعروفة أن المعرفة إذا أعيدت تكون عيناً للأولى مبنية على غالب العادة أو حيث لا قرينة صارفة. (**موضع شبر إلا ملأه زهمهم**) بفتح الزاي والهاء وقد تضم الزاي. وقال شارح: هو بالضم، وروي بالتحريك وتفسيره قوله: (**ونتنهم**) بسكون التاء. قال التوربشتي [رحمه الله]: الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة أي دسمة وعليه أكثر الروايات فيما أعلم. وفيه من طريق المعنى وهن، وضم الزاي مع فتح الهاء أصح معنى وهو جمع زهمة يعني بضم الزاي وسكون الهاء وهي الريح المنتنة. وقال شارح: هو أصح رواية ودراية ويوافقهما ما في القاموس حيث قال: الزهومة والزهمة بضمها ريح لحم سمين منتن، والزهم بالضم الريح

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسلُ الله طيراً كأعناقِ البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله». وفي روايةٍ «تطرحهم بالنهبل، ويستوقد المسلمون من قسيّهم ونُشَّابِهم وجِعابهم سبع سنين، ثم يرسل الله مَطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسُل الأرضَ حتى يتركَهَا كالزَّلَفَةَ،

المنتنة وبالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة أي دسمة انتهى. وقد يقال أطلق المصدر وأريد به الوصف مبالغة كرجل عدل. **(فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله)** في ضم أصحابه إليه إشارة إلى أن الهيئة الاجتماعية في الهمة الأطماعية لها تأثير بليغ في الاجابة الدعائية[١]، وفي ذكرهم إيماء إلى أنهم هم الباعث على الدعاء والتضرع إلى رب السماء. **(فيرسل الله طيراً كأعناق البخت)** بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الإبل، أي طيراً أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت والطير جمع طائر وقد يقع على الواحد ولذا قال: **(فتحملهم)** أي تلك الطير **(فتطرحهم)** أي فترميهم **(حيث شاء الله)** أي من البحار أو مما وراء معمورة الديار أو خلف جبال قاف ونحوها أو إلى عالم الاعدام والافناء. **(وفي رواية: تطرحهم بالنَهْبَل)** بفتح النون وسكون الهاء وفتح الموحدة موضع، وقيل مكان ببيت المقدس، وفيه أنه كيف يسعهم. ولعل المراد به موضع بعضهم أو على طريق خرق العادة يسعهم. وقيل هو حيث تطلع الشمس، وفي القاموس: نهبل أسن. وروى الترمذي في حديث الدجال: فتطرحهم بالنهبل. وهو تصحيف، والصواب بالميم انتهى[٢]. ولم يذكر المهبل لا لفظاً ولا معنى. **(ويستوقد المسلمون من قسيهم)** بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس والضمير ليأجوج ومأجوج **(ونشابهم)** أي سهامهم **(وجعابهم)** بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح وهي طرف النشاب **(سبع سنين ثم يرسل الله مطراً)** أي عظيماً **(لا يكن)** بفتح الياء وضم الكاف وتشديد النون من كنت الشيء، أي سترته وصنته عن الشمس وهي من أكنت الشيء بهذا المعنى والمفعول محذوف والجملة صفة مطراً، أي لا يستر ولا يصون شيئاً. **(منه)** أي من ذلك المطر **(بيت مدر)** بفتحتين أي تراب وحجر **(ولا وبر)** أي صوف أو شعر. والمراد تعميم بيوت أهل البدو والحضر. قال النووي رحمه الله: أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر وهو الطين الصلب. وقال القاضي رحمه الله: أي لا يحول بينه وبين مكان ماء حائل بل يعم الأماكن كلها **(فيغسل)** أي المطر **(الأرض)** أي وجهها كلها **(حتى يتركها كالزلفة)** بفتح الزاي واللام ويسكن وبالفاء، وقيل بالقاف وهي المرآة بكسر الميم. وقيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض بحيث يرى الرائي وجهه فيه. قال النووي رحمه الله: روي بفتح الزاي واللام وبالفاء وبالقاف، وروي بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء. وقال القاضي رحمه الله: روي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة. قلت: الأصح وهو الذي عليه الأكثر بفتحتين

---

(١) في المخطوطة «إجابة الرعاية».

(٢) رواه الترمذي في السنن بلفظ «بالمهبل» راجع تخريج الحديث.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتكِ ورُدِي بركتك، فيومَئِذٍ تأكل العصابةُ من الرُمانة ويستظلون بقْحِفِها ويبارك في الرِسْل، حتى إن اللِقحةَ من الإِبِل لَتكفي الفِئامَ من الناس، واللِقحة من البقرِ لتكفي القبيلةَ من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخْذَ من الناس، فبينا هم كذلك إذ بعثَ اللّهُ ريحاً طيبةً فتأخذُهم تحت آباطهم، فتقبض رُوحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ،

والفاء واقتصر عليه القاموس في المعاني الآتية كلها [والله تعالى أعلم. قال:]واختلفوا في معناها فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها. وقيل: معناه كمصانع الماء، أي الماء يستنقع فيها حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيدة: معناه الإجانة الخضراء. وقيل كالصحفة، وقيل كالروضة. **(ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي)** أي إلى أهلك **(بركتك)** أي من سائر نعمك **(فيومئذ تأكل العصابة)** بكسر العين، أي الجماعة. **(من الرمانة)** أي ويشبعون منها **(ويستظلون بقحفها)** بكسر القاف أي بقشرها. قال النووي رحمه الله: هو مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمي وهو الذي فوق الدماغ. وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. وقال شارح: أراد نصف قشرها الأعلى وهو في الأصل العظم المستدير فوق الدماغ، وهو أيضاً إناء من خشب على مثاله كأنه نصف صاع واستعير هنا لما يلي رأسها من القشرة. **(ويبارك)** بصيغة المجهول، أي يوضع البركة والكثرة. **(في الرسل)** بكسر الراء وسكون السين. أي اللبن **(حتى أن اللقحة)** بكسر اللام ويفتح أي الناقة الحلوبة. قال النووي [رحمه الله]: اللقحة بكسر اللام وفتحها [لغتان]مشهورتان والكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة. وقال في المختصر: من النوق وغيرها. فقوله **(من الإبل)** بيانية **(لتكفي)** أي اللقحة والمراد لبنها **(الفئام)** بهمز على زنة رجال والعامة تبدل الهمز ياء أي الجماعة **(من الناس)** ولا واحد له من لفظه والمراد به هنا أكثر القبيلة كما أن القبيلة أكثر من الفخذ على ما سيأتي. وقال النووي [رحمه الله]: الفئام بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة، هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف في اللغة. ورواية الحديث بكسر الفاء وبالهمز. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء. وقال في المشارق: وحكاه الخليل بفتح الفاء، قال: وذكره صاحب العين غير مهمز وأدخله في حرف الياء. وحكى الخطابي أن بعضهم ذكرهم بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش. **(واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس)** قال القاضي عياض [رحمه الله]: الفخذ هنا بسكون الخاء المعجمة لا غير، جماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة. وأما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء وسكونها. **(فبينا)** بلا ميم **(هم)** مبتدأ خبره **(كذلك)** وناعوض عن المضاف إليه والعامل فيه قوله: **(إذا بعث الله)** وإذ للمفاجأة، أي بين أوقات يتنعمون في طيب عيش وسعة أرسل عليهم فجأة. **(ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم)** بهمزة ممدودة جمع إبط **(فتقبض)** أي تلك الريح **(روح كل مؤمن)** أسند الفعل إلى الريح مجازاً **(أو كل مسلم)** قال النووي [رحمه الله]: هكذا هو في جميع النسخ بالواو. يعني: كان الظاهر أن يكون بأو بالشك فإنه لا فرق بين المؤمن والمسلم عند أرباب الحق من أهل السنة والجماعة،

ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُرِ، فعليهم تقومُ الساعة» رواه مسلم إلا الرواية الثانية وهي قوله: «تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين». رواها الترمذيُّ.

٥٤٧٦ ـ (١٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ الدجالُ، فيتوجَّه قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين، فيلقاه المَسالِحُ مسالِحُ الدجال. فيقولون له: أين

فالمقصود المبالغة في التعميم والتغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل: ﴿**تلك آيات الكتاب وقرآن مبين**﴾ [الحجر ـ ١]. وقوله سبحانه: (**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات** ﴾ [الأحزاب ـ ٣٥]. أو بناء على الفرق اللغوي بينهما من أن المراد بالمؤمن المصدق وبالمسلم المنقاد، لكن لما كان أحدهما لا ينفع بدون الآخر جعل الموصوف بهما واحداً وأطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوي، أو لكون أحدهما غالباً عليه في نفس الأمر والله [تعالى]أعلم، قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالتكرار هنا الاستيعاب أي تقبض روح خيار الناس كلهم. (**ويبقى شرار الناس**) بكسر أوله جمع شر (**يتهارجون**) أي يختلطون (**فيها**) أي في تلك الأزمنة أو في الأرض (**تهارج الحمر**) أي كاختلاطها ويتسافدون. وقيل: يتخاصمون. فإن الأصل في الهرج القتل وسرعة عدو الفرس، وهرج في حديثه أي خلط. قال النووي [رحمه الله]: أي يجامع الرجل النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك. والهرج بإسكان الراء الجماع، ويقال: هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها. (**فعليهم تقوم الساعة**) أي لا على غيرهم. وسيأتي حديث: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس. وفي رواية: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله. (**رواه**) أي الحديث بكماله (**مسلم إلا الرواية الثانية وهي**) أي الرواية، وفي نسخة: وهو. وتذكيره لتذكير خبره وهو (**قوله: تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين رواها**) أي تلك الرواية (**الترمذي**).

٥٤٧٦ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيتوجه قبله**) بكسر قاف وفتح موحدة، أي إلى جانبه (**رجل**) أي عظيم (**من المؤمنين**) قال أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم: يقال: إن هذا الرجل الخضر عليه [الصلاة]والسلام وكذا قال معمر وهذا يقتضي أن يكون الخضر حياً. وقد اختلف العلماء في ذلك، فالجمهور من الفقهاء والمحدثين وغيرهم وبعض الصوفية على أنه مات. وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقهاء وغيرهم إلى أنه حي. قال النووي [رحمه الله]: وهو الصحيح ذكره الشيخ الجزري. (**فيلقاه المسالح**) بفتح الميم وكسر اللام جمع المسلحة وهم القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور. (**مسالح الدجال**) مرفوع على الإبدال. وفي إشارة إلى أن اللام عوض عن المضاف إليه أو اللام للعهد. قال القاضي [رحمه الله]: ولعل المراد به ههنا مقدمة جيشه وأصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر، فإنه يعد فيه الأسلحة ثم للجند المترصدين ثم لمقدمة الجيش فإنهم من الجيش كأصحاب الثغور ممن وراءهم من المسلمين. (**فيقولون له: أين**

الحديث رقم ٥٤٧٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٦. حديث رقم (١١٣ . ٢٩٣٨).

تعمِد؟ فيقول: أَعمد إِلى هذا الذي خرجَ، قال: فيقولونَ له: أَوَ ما تؤمنُ بربّنا؟ فيقول: ما بربّنا خفاءٌ. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعضٍ: أليس قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحداً دونه». [قال]: «فينطلقون به إِلى الدجال، فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيُّها الناس! هذا الدجالُ الذي ذكرَ رسولُ اللّهِ ﷺ». قال: «فيأمر الدجال به فَيُشَبَّحُ. فيقول: خذوه وشُجُّوه، فيُوسَعُ ظهرهُ وبَطْنُهُ ضرباً». قال: «فيقول: أَوَ ما تؤمنُ بي؟» قال: «فيقول: أنتَ المسيحُ الكذَّابُ». قال: «فيؤمر به فَيُؤشَرُ بالمنشارِ

تعمد) بكسر الميم، أي تقصد. **(فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج)** أي خرج عن الحق أو على الخلق أو ظهر بالباطل، والإشارة للتحقير. **(فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا)** يعنون به الدجال حيث وجدوا عنده الجاه والمال. **(فيقول:)** أي الرجل **(ما بربنا)** أي بربي وربكم، ففيه تغليب أو ما بربنا معشر المؤمنين **(خفاء)** وما نافية، أي ليس يخفى علينا صفات ربنا عن غيره لنعدل عنه إليه أو لنترك الاعتماد عليه:

ففي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد

وأما ما عداه فآثار الحدوث عليه لائحة وأنواع النقصان فيه واضحة، ومن أظهر الأدلة القطعية أن المخلوقية تنافي الربوبية والعبودية تناقض الألوهية ما للتراب ورب الأرباب، كيف والعيوب الظاهرة فيه تشهد لمن له أدنى عقل كما لا يخفى. وفيه إيماء إلى ما سبق من قوله ﷺ: إن الله لا يخفي عليكم إن الله ليس بأعور. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا تكذيب لهم وبيان لتمويههم وتلبيسهم إذ ما يؤمن بربنا كما قال ﷺ: إن الله لا يخفي عليكم إن الله ليس بأعور(١). **(فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا)** أي من قتلكم **(أحداً دونه)** أي دون علمه وأمره وإذنه. **(فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن)** أي أبصر الدجال الرجل الموقن وقد عرف علاماته **(قال:)** تذكيراً للأمة وتوهيناً للغمة. **(هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ)** أي في أحاديثه أنه سيخرج في آخر الزمان **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فيأمر الدجال به)** أي يضربه **(فيشبح)** بتشديد الموحدة المفتوحة، أي يمد للضرب. **(فيقول:)** أي الدجال تأكيداً وتغليظاً وتشديداً. **(خذوه)** أي امسكوه أخذاً شديداً **(وشجوه)** بضم الشين المعجمة وتشديد الجيم، أي اكسروا رأسه. وفي نسخة: فشبحوه بفتح الشين وكسر الموحدة فحاء مهملة، أي مدوه على بطنه أو على قفاء. يقال: تشبح الحرباء على العود، أي امتد وتشبيح الشيء جعله عريضاً. **(فيوسع)** بسكون الواو وفتح السين **(ظهره وبطنه ضرباً)** أي يكثر الضرب على ظهره وبطنه. **(قال: فيقول:)** أي الدجال **(أما تؤمن بي)** وفي نسخة؛ أو ما تؤمن بي. أي أتنكرني وألوهيتي وما تؤمن بي وربوبيتي. **(قال: فيقول:)** أي المؤمن **(أنت المسيح الكذاب)** أي الذي يقتلك المسيح الصديق **(قال: فيؤمر به فيؤشر)** بضم فسكون همز ويبدل واواً ففتح شين، أي فيقطع **(بالمشار)** بكسر الميم وسكون الهمز ويبدل ياء وبالنون في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٤٧٠).

من مَفرِقه حتى يُفَرِّقَ بين رِجْليه». قال: «ثم يمشي الدجال بين القطعتينِ، ثم يقولُ له: قمْ، فيستوي قائماً، ثم يقول له: أتؤمنُ بي؟ فيقول: ما ازددتُ إلا بصيرةً». قال: «ثم يقولُ: يا أيُّها الناس! إنه لا

بعض النسخ، وهو آلة النشر والقطع. **(من مفرقه)** بفتح الميم وكسر الراء ويفتح، أي مبتدأ من فرق رأسه. **(حتى يفرق)** بصيغة المجهول مخففاً ويشدد، أي حتى يفصل بدنه قطعتين واقعتين. **(بين رجليه)** أي في طرفي قدميه. قال النووي [رحمه الله]: قوله: يشبح بشين معجمة ثم باء موحدة وحاء مهملة وكذا شبحوه، أي مدوه على بطنه. وجاء أيضاً شجوه بجيم مشددة من الشج وهو الجرح في الرأس. ثم قال: وهذه الرواية أصح عندنا. وقوله: فيؤشر الرواية فيه بالهمزة، والمئشار بهمز بعد الميم وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل في الأوّل واواً وفي الثاني ياء. ويجوز المنشار بالنون وعلى هذا يقال: نشرت الخشبة ومفرقه بكسر الراء وسطه، يعني وسط فرقه أو وسط رأسه انتهى. قال الجزري [رحمه الله]: روي هذا الحديث على ثلاثة أوجه، يشبح بمعجمة فموحدة فمهملة وشجوه بالجيم من الشج وهو الجرح في الرأس والوجه، وثانيهما يشبح كالأول وشبحوه بالباء والحاء، وثالثها فيشج وشجوه كلاهما بالجيم وهو الذي ذكره المؤلف. والوجه الثاني هو الذي ذكره الحميدي وصححه القاضي عياض والأصح عند جماعة من أصحابنا الأول والله [تعالى]أعلم. وقال شارح: يقال: وشرت الخشب بالميشار إذا نشرته بالمنشار، وفي الحديث بالياء لا غير يدل عليه فيؤشر. قلت: فيه بحث، إذ قوله: فيؤشر، يحتمل أن يكون بالهمز وأن يكون بواو مبدلة أو أصلية، وكذا في الميشار يصح همزه وإبداله من همز أو من واو. وهذا لا ينافي أن يكون بالهمز وأن يكون المنشار بالنون بناء على التفنن في العبارة، مع أنه هو المشهور باعتبار اللغة على لسان العامة. وفي القاموس: أشر الخشب بالميشار شقه ونشر الخشب نحته ووشر الخشب بالميشار غير مهموز لغة في أشرها بالمئشار إذا نشرها انتهى. وبه يعلم أن الأصل هو الهمز، والواو لغة في الشق والنون خاص بمعنى النحت. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(ثم يمشي الدجال بين القطعتين)** أي الشقتين من الرجل تخييلاً لتحقيق القتل **(ثم يقول له: قم. فيستوي قائماً. ثم يقول له: أتؤمن بي. فيقول: ما ازددت)** بفتح الدال. وقال شارح: بكسر الدال الأولى على بناء المجهول. أقول: صحته موقوفة على إتيانه متعدياً إلى مفعولين. وظاهر ما في القاموس أنه لازم حيث قال: زاده الله خيراً، فزاد وازداد حيث أشار إلى أن زاد لازم متعد وإن ازداد قاصر فقط حيث جعله مطاوعاً. نعم قوله تعالى: ﴿**ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم**﴾ [الفتح ـ ٤]. صريح في أنه متعد إلى مفعول واحد، وأما زاد فيجيء لازماً ومتعدياً إلى مفعول وإلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿**فزادهم إيماناً**﴾ [آل عمران ـ ١٧٣]. وقيل: نصب إيماناً على التمييز، وحاصل المعنى ما زدت. **(فيك)** أي في معرفتك بفعلك هذا من القتل والإحياء **(إلا بصيرة)** أي زيادة علم ويقين بأنك كاذب مموه. **(قال: ثم يقول:)** المؤمن **(أيها الناس إنه)** أي الشأن أو الدجال[1] **(لا**

---

(١) في المخطوطة «الحال».

يَفعَلُ بعدي بأحدٍ من الناسِ». قال: «فيأخذه الدجال ليذبحَه، فيُجعَلُ ما بينَ رقبته إلى تَرقوته نُحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً». قال: «فيأخذه بيديه ورجليه، فيقذفُ بِهِ، فيحسبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة» فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عند ربّ العالمين». رواه مسلم.

٥٤٧٧ ـ (١٤) وعن أمّ شريكٍ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ:

يفعل) مفعوله محذوف، أي لا يفعل ما فعل بي من القتل والإحياء في الظاهر. **(بعدي)** أي بعد فعله بي **(بأحد من الناس)** وفي هذا اخبار عن سلب القدرة الاستدراجية عنه وتسلية للناس في الخوف منه. **(قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل)** بضم أوله. وفي نسخة بفتحه، أي فيجعل الله. **(ما بين رقبته إلى ترقوته)** بفتح التاء وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو، العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. **(نحاساً)** أي كالنحاس لا يعمل فيه السيف. وفي شرح السنة قال معمر: بلغني أنه يجعل [على]حلقه صفحة نحاس. **(فلا يستطيع)** أي الدجال **(إليه)** أي إلى وصول قتله ولا يقدر على حصول مضرته. **(سبيلاً)** تمييز، أي طريقاً من التعرض. قال: فيأخذ) أي الدجال **(بيديه ورجليه فيقذف به)** أي يرمي بالمؤمن ويطرحه. **(في الهواء فيحسب الناس)** بكسر السين وفتحها، أي فيظنون. **(إنما قذفه إلى النار)** في تأويل المصدر أي قذفه إليها. والأظهر ما اختاره الزمخشري من أن أنما بالفتح يفيد الحصر أيضاً كما اجتمعا في قوله تعالى: ﴿**قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد**﴾ [الأنبياء ـ ١٠٨]. ويؤيده قوله: **(وإنما ألقي)** بصيغة المجهول، أي أوقع. **(في الجنة)** واللام للعهد، أي في بستان من بساتين الدنيا. ويمكن أنه يرميه في النار التي معه ويجعلها الله عليه جنة كما سبق برداً وسلاماً على إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام، وتصير تلك النار روضة وجنة. وعلى كل تقدير فلم يحصل له موت على يده سوى ما تقدم. وأما قول الراوي: **(فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين)** فالمراد بها قتله الأول فتأمل فإنه موضع الزلل والخطل والوجل كما وقع فيه الطيبي [رحمه الله] بقوله: فيحسب الناس أن الدجال قذفه فيما يزعم أنه ناره وإنما ألقي في الجنة وهي دار البقاء، يدل عليه قوله: هذا أعظم الناس شهادة. ونحوه قوله تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين**﴾ [آل عمران ـ ١٦٩]. أي يسرحون في ثمار الجنة. أقول: فهذا مناقض لقوله: إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس اللهم إلا أن يقال المراد بقوله: لا يفعل بعدي، أي بعد قتلي ثانياً بأحد من الناس أي غيري، ولا يخفى بعده والله [تعالى] أعلم وسيأتي في حديث أبي سعيد ما يفيد تأييد ما اخترناه. **(رواه مسلم)**.

٥٤٧٧ ـ **(وعن أم شريك)** بفتح فكسر، أي الأنصارية أو القرشية. **(قالت: قال رسول**

الحديث رقم ٥٤٧٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٦ حديث رقم (١٢٥ . ٢٩٤٥) والترمذي في السنن ٥/ ٦٨١. حديث رقم ٦/ ٤٦٢.

«لَيِفِرنَّ الناس من الدجالِ حتى يلحقوا بالجبال». قالتْ أم شريك: قلتُ: يا رسول الله! فأين العربُ يومئذٍ؟ قال: «هم قليل». رواه مسلم.

٥٤٧٨ ـ (١٥) وعن أنسٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدجالَ من يهود أصفَهانَ سبعونَ ألفاً، عليهم الطيالسة». رواه مسلم.

٥٤٧٩ ـ (١٦) وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الدجالُ

الله ﷺ: **ليفرن)** أي ليهربن **(الناس)** أي المؤمنون **(من الدجال حتى يلحقوا بالجبال. قالت أم شريك: قلت: يا رسول فأين العرب يومئذ)** قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء فيه جزاء شرط محذوف، أي إذا كان هذا حال الناس فأين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الإِسلام المانعون عن أهله صولة أعداء الله. فكني عنهم بها. **([يومئذ]. قال: هم)** أي العرب **(قليل)** أي حينئذ فلا يقدرون عليه. **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي ذكره السيد. ولفظ الجامع: ليفرن الناس من الدجال في الجبال. رواه أحمد ومسلم والترمذي(١).

٥٤٧٨ ـ **(وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال: يتبع)** بفتح فسكون ففتح. وقال شارح: من الأتباع بتشديد التاء، أي يطيع. **(الدجال من يهود أصفهان)** بفتح الهمزة ويكسر وفتح الفاء، بلد معروف من بلاد الأرفاض. قال النووي [رحمه الله]: يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالباء والفاء انتهى. ونسخ المشكاة كلها بالفاء، وفي المشارق بفتح الهمزة. وقيدها أبو عبيد العكبري بكسر أوّله، وأهل خراسان يقولونها بالفاء مكان الباء. وفي القاموس: الصواب أنها أعجمية وقد يكسر همزها وقد يبدل باؤها فاء. وفي المغني بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة في أهل الشرق وباء موحدة في الغرب انتهى. وبه يعلم أن أصفهان اثنان فيطابق ما نقله ابن الملك من أنه قيل: المراد منه أصفهان خراسان لا أصفهان الغرب. لكن في قوله: أصفهان خراسان، مسامحة لأن أصفهان إنما هو في العراق ولكن لما كان خراسان في جهة الشرق أيضاً وكان أشهر من العراق أضيف إليه بأدنى ملابسة **(سبعون ألفاً)** وفي رواية: تسعون. والصحيح المشهور هو الأول ذكره ابن الملك. **(عليهم الطيالسة)** بفتح الطاء وكسر اللام جمع طيلسان وهو ثوب معروف. وفي القاموس: الطيلس والطيلسان مثلثة اللام عن عياض وغيره معرب، أصله تالسان جمعه الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة. واستدل بهذا الحديث على ذم لبسه. ورواه السيوطي في رسالة سمّاها طي اللسان عن الطيلسان. **(رواه مسلم)**.

٥٤٧٩ ـ **(وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الدجال)** أي يظهر في الدنيا أو

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٧٢ حديث رقم ٧٧١٤.

الحديث رقم ٥٤٧٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٦ حديث رقم (١٢٤ . ٢٩٢٤) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٩ حديث رقم ٤٠٧٧.

الحديث رقم ٥٤٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ١٠١. حديث رقم ٧١٣٢. والترمذي ٤/ ٤٤٦ حديث رقم ٢٢٤٢. وأحمد في المسند ٥/ ٣٢.

وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخلَ نِقاب المدينة، فَينزلُ بعضَ السِبَاخ التي تلي المدينة، فيخرجُ إليه رجل وهو خير الناس، أو من خيار الناس، فيقول: أشهدُ أنَّك الدجالُ الذي حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَه، فيقولُ الدجالُ: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه، هل تشكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: واللَّهِ ما كنتُ فيكَ أشدَّ بصيرةً مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتلَه، فلا يُسلَّطُ عليه».

يتوجه إلى صوب المدينة المعطرة المصونة. **(وهو محرم)** جملة حالية، أي ممنوع **(عليه أن يدخل نقاب المدينة)** بكسر النون كما نص عليه النووي [رحمه الله]. وهو جمع نقب بفتح النون وهو الطريق بين الجبلين والأنقاب جمع قلة، كذا في النهاية. **(فينزل)** أي الدجال **(بعض السباخ)**بكسر السين أي في بعض الأراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت. **(التي تلي المدينة)** أي تقربها. وسيأتي أنه ينزل دبر أحد **(فيخرج إليه رجل)** أي عظيم **(وهو خير الناس)** أي حينئذ **(أو من خيار الناس)** على الإطلاق. ويحتمل أن يكون الترديد منه ﷺ وأو للتخيير، ويمكن أن يكون من الراوي فأو للشك. وتقدم أنه الخضر عليه [الصلاة]والسلام بناء على القول الأصح. **(فيقول:)** أي بعد رؤيته **(أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه)** أي وصفه وحاله. ولما كان الظاهر أن يقال: حديثك. قال الطيبي [رحمه الله]: هو جار على قوله الدجال لأن المظهر غائب لا على ضمير المخاطب. وعكسه قوله:

* أنا الذي سمتني أمي حيدرة *

(فيقول الدجال:) أي لمن حوله **(أرأيتم)** أي أخبروني **(إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر)** أي أمري. وقيل: أي في أني إله. **(فيقولون: لا)** أي لا نشك. وهو محتمل أن يتوجه النفي إلى إثبات الأمر أو نفيه. قال النووي [رحمه الله]: أما قول الدجال: إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون: لا. فقد يشكل لأن ما أظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك. ويجاب بأنهم لعلهم قالوه خوفاً منه لا تصديقاً. ويحتمل أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك فإن من شك في كفره وكذبه كفر وخادعوه بهذه التورية خوفاً منه. ويحتمل أن الذين قالوا لا نشك، هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته. **(فيقتله)** أي الرجل على ما سبق **(ثم يحييه)** أي ويسأله كما تقدم **(فيقول:)** أي المقتول **(والله ما كنت)** أي في سابق الأيام **(فيك)** أي في بطلانك **(أشد بصيرة)** أي يقيناً **(مني)** متعلق بأشد **(اليوم)** بالنصب ظرف لأشد **(فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط)** بفتح اللام المشددة أي فلا يقدر **(عليه)** أي على قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما تقدم والله [تعالى] أعلم. ثم في عجز الدجال آخراً دليل صريح في أن قدرته أولاً كانت حادثة عارضة مستعارة للاستدراج به والابتلاء لغيره فسلبت عنه. كما ستنزع عنه روحه، فيبقى جيفة ملقاة بالأرض يأكل منها الكلاب. وما أحسن من قال من أرباب الألباب بالتراب ورب الأرباب. قال الكلاباذي: في الحديث دليل على أن الدجال لا يقدر على ما يريد وإنما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه ومحل قدرته أن يفعله أختبار للخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ويضل الله

متفق عليه.

٥٤٨٠ ـ (١٧) وعن أبي هريرةَ، عن رسولُ الله ﷺ قال: «يأتي المسيحُ من قِبَلِ المشرقِ هِمَّتُهُ المدينة، حتى ينزلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثم تَصرِفُ الملائكةُ وجهه قِبَلَ الشامِ، وهنالك يهلِكُ». متفق عليه.

٥٤٨١ ـ (١٨) وعن أبي بكرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يدخلُ المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجَّالِ، لها يومئذٍ سبعةُ أبواب، على كلِّ باب ملكان». رواه البخاري.

من يشاء ويهدي من يشاء. (**متفق عليه**).

٥٤٨٠ ـ (**وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: يأتي المسيح**) أي الدجال (**من قبل المشرق**) بكسر القاف وفتح الموحدة، أي من جهته. (**همته**) أي قصده ونيته (**المدينة**) أي السكينة (**حتى ينزل دبر أحد**) بضم الدال والموحدة أي خلف أحد، وهو جبل معروف قرب المدينة. (**ثم**) أي بعد ما تقع قصة الرجل السابق (**تصرف الملائكة**) أي ترد (**وجهه**) أي توجهه وقصده (**قبل الشام**) أي إلى حيث جاء منه. وفيه دليل بطلانه وأمارة عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى ولم يقدر أن يدخل داراً فيه مدفن سيد الورى. وظاهره أنه لا يدخل حرم مكة بالأولى والأخرى. (**وهنالك**) أي في الشام (**يهلك**) أي يقتله عيسى عليه [الصلاة]والسلام (**متفق عليه**).

٥٤٨١ ـ (**وعن أبي بكرة رضي الله عنه**) بالباء (**عن النبي ﷺ قال: لا يدخل المدينة**) أي ومن بها (**رعب المسيح الدجال**) بضم راء فسكون عين وبضمتين، أي خوفه. (**لها**) أي للمدينة (**يومئذ سبعة أبواب**) أي طرق، أو المراد بها أبواب القلعة حينئذ. (**على كل باب ملكان**) أي يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان. (**رواه البخاري**) قال السيوطي [رحمه الله]: ما اشتهر على الألسنة أن جبريل عليه [الصلاة]والسلام لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ فهو شيء لا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني أن جبريل يحضر موت كل مؤمن يكون على طهارة، وأخرج أبو نعيم في الفتن قال ﷺ: يمر الدجال بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فقال: من أنت. قال: أنا جبريل بعثني لأمنع حرم رسوله. انتهى. ولا مفهوم له كما لا يخفى، فإنه يحتمل أن يكون من باب الاكتفاء أو فوض إلى جبريل منع حرم رسوله. وأما حرمه فهو له ولي وكفيل كما يشير إليه سورة الفيل. وسيأتي فيما روى لتميم الداري عن الدجال أنه قال: فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما. وقد قرره النبي ﷺ. وقد روى أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً: الدجال لا يولد ولا يدخل المدينة ولا مكة[(١)].

الحديث رقم ٥٤٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٥ حديث رقم (٤٨٦ . ١٣٨٠) والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٦ حديث رقم ٢٢٤٣.

الحديث رقم ٥٤٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٥. حديث رقم ١٨٧٩.

(١) أحمد في المسند ٣/ ٤٣.

٥٤٨٢ - (١٩) وعن فاطمة بنت قيس قالتْ: سمعتُ منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة؛ فخرجت إلى المسجد فصلّيت مع رسول الله ﷺ، فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك؛ فقال: «ليلزمْ كلُّ إنسان مصلاَّه». ثم قال: «هل تدرون لِمَ جمعتكم؟». قالوا: اللَّهُ ورسولهُ أعلم. قال: «إني واللَّهِ ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأنَّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء [فبايع] وأسلم، وحدّثني حديثاً وافقَ الذي

٥٤٨٢ - (**وعن فاطمة بنت قيس**) أي القرشية أخت الضحاك كانت من المهاجرات الأول، روى عنها نفر كانت ذات جمال وعقل وكمال وزوجها النبي ﷺ من أسامة بن زيد مولاه رضي الله [تعالى]عنه. (**قالت: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي:**) تحقيق إعرابه كما في القرآن: ﴿**سمعنا منادياً ينادي للإيمان**﴾ [آل عمران - ١٩٣]. (**الصلاة**) بنصبها ويرفع وكذا قوله: (**جامعة**) قال النووي [رحمه الله]: هو بنصب الصلاة وجامعة الأوّل على الإغراء والثاني على الحال. وقال التوربشتي [رحمه الله]: وجه الرواية بالرفع أن يقدر هذه أي هذه الصلاة جامعة، ويجوز أن ينصب جامعة على الحال. ولما كان هذا القول للدعاء إليها والحث عليها كان النصب أجود وأشبه بالمعنى المراد منه انتهى. فالتركيب ثلاثي كما لا يخفى. وقال شارح: هذه الجملة مفعول ينادي لأنه في معنى القول، وهي في إعرابه على أربعه أوجه كما مر أي في صلاة العيد. وتوضيحه ما ذكره ابن الملك هنا حيث قال برفعهما مبتدأ وخبر ونصبهما على تقدير احضروا، الصلاة حال كونها جامعة برفع الأول على تقدير هذه الصلاة ونصب الثاني على الحالية وبالعكس على تقدير احضروا الصلاة وهي جامعة وهو ضعيف لإضمار حرف العطف، وعلى جميع التقادير محل الجملة نصب لأنه مفعول ينادي حكاية لكونه في معنى القول. (**فخرجت إلى المسجد**) ولعل خروجها قبل النهي، أو كان في الليل أو لهن رخصة في حضور الصلاة الجامعة قياساً على صلاة العيد. (**فصليت مع رسول الله ﷺ**) أي صلاة نافلة أو إحدى الصلوات الخمس (**فلما قضى صلاته**) أي أداها وفرغ عنها (**جلس على المنبر وهو يضحك**) أي يتبسم ضاحكاً على عادته الشريفة (**فقال: ليلزم**) بفتح الزاي أو ليلتزم (**كل إنسان مصلاة**) أي موضع صلاته فلا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر (**ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم**) أي بنداء الصلاة جامعة (**قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة**) أي لأمر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة (**ولا رهبة**) أي ولا لخوف من عدو (**ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري**) وهو منسوب إلى جد له اسمه الدار. وفي نسخة صحيحة: تميم الداري. والأوّل هو الصحيح. قال الطيبي [رحمه الله]: كذا هو في جامع الأصول وأكثر نسخ المصابيح، وتميم الداري من غير تنوين في كتاب الحميدي وفي بعض نسخ المصابيح وفي مسلم لأن تميم الداري. (**كان رجلاً نصرانياً فجاء وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي**) أي طابق الحديث الذي

الحديث رقم ٥٤٨٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦١ حديث رقم (١١٩ . ٢٩٤٢). وأبو داود في السنن ٤/ ٥٠٠ حديث رقم ٤٣٢٦. والترمذي ٤/ ٤٥٢ حديث رقم ٢٢٥٣.

كنت أُحدِّثُكم به عن المسيح الدجال، حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخْمٍ وجُذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، فأرفؤوا إلى جزيرةٍ حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابةٌ أهلبُ، كثير الشعر، لا يدرون ما قبُلُه من دُبُرِهِ من كثرةِ الشعرِ،

(**كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال**) فهذا كما في حديث رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. وفيه إشعار أن كثرة الرواة لها دخل في قوة الاسناد ولهذا قال على سبيل الاستشهاد وطريق الاعتضاد. (**حدثني**) فهو من قبيل رواية الأكابر عن الأصاغر، وفيه إيماء إلى الرد على الجاهل المكابر حتى يتكبر عن أخذ العلم من أهل الخمول والأصاغر وقد قال تعالى: ﴿**سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق**﴾ [الأعراف ـ ١٤]. وقال ﷺ: كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها[1]. ومن كلام علي رضي الله عنه: انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال. والمعنى: أن تميماً حكى لي. (**أنه ركب في سفينة بحرية**) أي لا برية احترازاً عن الإبل فإنها تسمى سفينة البر. وقيل: أي مركباً كبيراً بحرياً لا زورقاً صغيراً نهرياً. (**مع ثلاثين رجلاً من لخم**) بفتح لام وسكون خاء معجمة مصروف وقد لا يصرف، قبيلة معروفة. وكذا قوله: (**وجذام**) بضم الجيم (**فلعب**) أي دار (**بهم الموج شهراً**) أي مقدار شهر (**في البحر**) واللعب في الأصل ما لا فائدة فيه من فعل أو قول فاستعير لصد الأمواج السفن عن صوب المقصد وتحويلها يميناً وشمالاً. (**فأرفؤوا**) بهمزتين، أي قربوا السفينة. (**إلى جزيرة حين تغرب الشمس**) في شرح التوربشتي قال الأصمعي: أرفأت السفينة أرفئها إرفاء. وبعضهم يقول أرفيها بالياء على الإبدال وهذا مرفأ السفن، أي الموضع الذي تشد إليه وتوقف عنده. (**فجلسوا**) أي بعد ما تحولوا من المركب الكبير (**في أقرب السفينة**) بفتح الهمزة وضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحه أشهر وأكثر، وحكي ضمها وهو جمع على غير قياس والقياس قوارب. قال النووي [رحمه الله]: أقرب السفينة هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها، وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم. وفي النهاية: أما أقرب فلعله جمع قارب فليس بمعروف في جمع فاعل أفعل. وقد أشار الحميدي في غريبه إلى انكار ذلك. وقال الخطابي أنه جمع على غير قياس. (**فدخلوا في الجزيرة**) اللام للعهد، أي في الجزيرة التي هناك. (**فلقيتهم**) أي فرأتهم (**دابة أهلب**) الهلب الشعر. وقيل ما غلظ من الشعر، وقيل ما كثر من شعر الذنب. وإنما ذكر لأن الدابة يطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض**﴾ [الأنعام ـ ٣٨]. كذا قالوا. والأظهر أنه بتأويل الحيوان ولذا قال: (**كثير الشعر**) وهو تفسير لما قبله وعطف بيان. ثم بينه زيادة تبيان حيث قال استئنافاً: (**لا يدرون**) أي لا يعرف الناس الحاضرون (**ما قبله من دبره**) بضمتين فيهما. قال الطيبي [رحمه الله]: ما استفهامية ويدرون بمعنى يعلمون لمجيء الاستفهام تعليقاً، ولا بد من تقدير مضاف بعد حرف الاستفهام. أي ما نسبة قبله من دبره. (**من كثرة الشعر**) أي

---

(١) الترمذي في السنن ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٦٨٧. وكذلك ابن ماجه.

قالوا: ويلَكِ ما أنت؟ قالتْ: أنا الجسَّاسةُ [قالوا: وما الجسَّاسةُ؟ قالت: أيها القوم] انطلقوا إلى هذا الرجل في الديرِ، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سَمَّتْ لنا رجلاً فرِقنا منها أن تكونَ شيطانةً. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدّير، فإذا فيه أعظمُ إنسان ما رأيناه قطُّ خَلقاً، وأشَدُّهُ وَثَاقاً،

من أجلها وبسببها (**قالوا: ويلك ما أنت**) خاطبوها مخاطبة المتعجب المتفجع (**قالت: أنا الجساسة**) قال النووي [رحمه الله]: هي بفتح الجيم فتشديد المهملة الأولى. قيل: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن. (**انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير**) بفتح الدال وسكون التحتية، أي دير النصارى. ففي المغرب: الدير صومعة الراهب. والمراد هنا القصر كما سيأتي، والجار والمجرور حال والعامل فيه اسم الإشارة أو حرف التنبيه. (**فإنه**) أي الرجل الذي في الدير (**إلى خبركم**) متعلق بقوله: (**بالأشواق**) بفتح الهمزة جمع شوق، أي كثير الشوق وعظيم الاشتياق والباء للإلصاق. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي شديد نزاع النفس إلى ما عندكم من الخبر حتى كانت الأشواق ملصقة به، أو كأنه مهتم بها. (**قال:**) أي تميم (**لما سمت**) أي ذكرت ووصفت (**لنا رجلاً فرقنا**) بكسر الراء. أي خفنا (**منها**) أي من الدابة (**أن تكون شيطانة**) أي كراهة أن تكون شيطانة وأن يكون الرجل شيطاناً متعلقاً بها. وقال الطيبي [رحمه الله]: أن تكون شيطانة بدل من الضمير المجرور. (**قال:**) أي تميم (**فانطلقنا سراعاً**) أي حال كوننا مسرعين (**حتى دخلنا الدير**) قال شارح: دير النصارى وأصله الواو انتهى. والمعنى: أن أصله دار بالألف المبدلة من الواو مأخوذاً من الدور لكونه مدوراً، أو يدار فيها أو مدار المعيشة والمبيت إليه ثم أبدلت الألف ياء للفرق. ومراده بقوله: دير النصارى، أنه مثله أو في الأصل يطلق عليه، وقد يطلق على بيت الخمر. (**فإذا فيه أعظم إنسان**) أي أكبره جثة أو أهيبه هيئة. (**رأيناه**) صفة إنسان احتراز عمن لم يروه. ولما كان هذا الكلام في معنى ما رأينا مثله صح قوله: (**قط**) الذي يختص بنفي الماضي وهو بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة في أفصح اللغات وقد تكسر، وقد يتبع[1] قافه[2] طاءه في الضم وقد تخفف طاؤه مع ضمها وإسكانها على ما في المغني. ووقع في نسخة: ما رأيناه قط. وقوله: (**خلقاً**) تمييز أعظم (**وأشده**) أي أقوى انسان (**وثاقاً**) بفتح الواو ويكسر، أي قيداً من السلاسل والأغلال على ما سيأتي. هذا وذكر الأشرف أن ضمير المفعول راجع إلى الأعظم، أي ما رأيناه قط أعظم إنسان خلقاً وخلقاً، نصب على التمييز من أعظم إنسان. وقال الطيبي [رحمه الله]: ويحتمل أن يقدر مضاف، أي ما رأينا مثل ذلك الأعظم، وأشد مرفوع عطف على الأعظم. هذا وإن لفظة: ما، ليست في صحيح مسلم ولا في كتاب الحميدي ولا في جامع الأصول ولا في أكثر نسخ المصابيح. ولعل من زادها نظر إلى لفظة قط حيث يكون في الماضي المنفي، فالوجه أن يكون مراده كما جاء في قول القائل:

(١) في المخطوطة «يشبع».
(٢) في المخطوطة «طاؤه».

مجموعةٌ يده إِلى عُنُقِهِ، ما بين ركبتيه إِلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلَك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نَحن أُناس من العربِ، ركبنا في سفينةٍ بحرية، فلعِبَ بنا البحر شهراً، فدخلنا الجزيرة، فلقيتْنا دابةٌ أهلب، فقالت: أنا الجسَّاسة، اعمِدُوا إِلى هذا في الدَّيْر، فأقبلنا إِليك سراعاً [وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة] فقال: أخبروني عن نخل بَيْسان [قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبرُ؟ قال: أسألكم عن نخلها] هل تثمرُ؟ قلنا: نعمْ قال: أَما إِنها توشِكُ أن لا تثمرَ. قال: أخبروني عن بُحيرة الطبريَّةِ [قلنا: عن أيّ شأنِها تستخبر؟ قال:] هل فيها ماءٌ؟ قلنا: هِي كثيرةُ الماءِ. قال: [أما] إِنَّ ماءَها يوشِكُ أن يذهبَ.

---

* لله يبقي على الأيام ذو حيد *

(**مجموعة**) بالنصب وفي نسخة بالرفع، أي مضمومة. (**يده إلى عنقه**) وقوله: (**ما بين ركبتيه إلى كعبيه**) لما كان ظاهره أن يؤتى بالواو في أوله ليكون المعنى ومجموعة ساقاه عليه ويكون قوله بالحديد قيداً لهما. (**قال الطيبي [رحمه الله]: ما موصولة مرفوعة المحل المعني** (**بالحديد**) وحذف مجموعة في الثاني لدلالة الأولى عليه (**قلنا: ويلك ما أنت**) استغربوه فأوردوا مكان من، ويمكن أن يكون السؤال عن وصفه وحاله إذ قد علموا أنه رجل. وقد يجيء ما بمعنى من كما حقق في قوله تعالى: ﴿**والسماء وما بناها**﴾ [الشمس ـ ٥]. أو روعي مشاكلة ما قبلها. وقال الطيبي [رحمه الله]: كأنهم لما رأوا خلقاً عجيباً خارجاً عما عهدوه خفي عليهم حاله فقالوا: ما أنت، مكان: من أنت. (**قال: قدرتم**) أي تمكنتم (**على خبري**) أي فإني لا أخفيه عنكم فأحدث لكم عن حالي (**فأخبروني**) أي عن حالكم وما أسأله عنكم أولاً، وهذا معنى قوله: (**ما أنتم**) حيث لم يقل من أنتم، ويمكن أن يكون طباقاً لقولهم وجزاء لفعلهم. قال الطيبي [رحمه الله]: ومثل ما قالوا له: ما أنت، قال لهم: ما أنتم، لأنه ما عهد أن انساناً يطرق ذلك المكان. وقال ابن الملك: أي من أنتم، أو ما حالكم. (**قالوا:**) فيه التفات من التكلم إلى الغيبة ذكره ابن الملك [رحمه الله]. ويمكن أن يكون التقدير قال بعضنا، ففيه تغليب للغائبين على الحاضرين. (**نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهراً فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت: أنا الجساسة اعمدوا**) بكسر الميم، أي اقصدوا (**إلى هذا**) أي الرجل (**في الدير**) أي القصر الكبير (**فأقبلنا إليك سراعاً. فقال: أخبروني عن نخل بيسان**) بفتح موحدة وسكون تحتية وهي قرية بالشام ذكره الطيبي [رحمه الله]. قريبة من الأردن ذكره ابن الملك [رحمه الله]. وفي القاموس: قرية بالشام وقرية بمرو وموضع باليمامة، وفي نسخة بنون بدل الموحدة، لكن ما وجدت له أصلاً في اللغة يناسب المقام. وإنما ذكره في القاموس وقال: نيسان سابع الأشهر الرومية. (**هل تثمر**) أي تلك النخل (**قلنا: نعم. قال: أما**) بالتخفيف للتنبيه (**إنها توشك**) أي تقرب (**أن لا تثمر. قال:**) أي الرجل (**أخبروني عن بحيرة الطبرية**) بفتحتين والبحيرة تصغير البحر. وفي القاموس: الطبرية محركة قصبة بالأردن والنسبة إليها طبراني. (**هل فيها ماء. قلنا: هي كثيرة الماء. قال: إن ماءها يوشك أن يذهب**) أي يفنى

قال: أخبروني عن عين زُغَرَ [قالوا: وعن أيِّ شأنِها تستخبرُ؟ قال:] هل في العينِ ماءٌ؟ وهل يزرعُ أهلُها بماءِ العينِ؟ قلنا [له]: نعم، هي كثيرةُ الماءِ وأهلُها يزرعونَ منْ مائِها. قال: أخبروني عن نبيِّ الأمّيّينَ ما فعلَ؟ قُلنا: قد خرجَ من مكةَ ونزلَ يثرِبَ. قال: أقاتلَه العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيفَ صنعَ بهمِ؟ فأخبرناه أنَّه قد ظهرَ على مَن يَليهِ من العربِ، وأطاعوهُ. قال: [لهم: قد كانَ ذلكَ؟ قلنا: نعم]. قال: أما إنَّ ذلك خيرٌ لهم أن يُطيعوه وإِني مُخبرُكم عني: إِني أنا المسيحُ الدجال، وإِني

(قال: **أخبروني عن عين زغر**) بزاي فغين معجمتين فراء كزفر بلدة بالشام قليلة النبات قيل: عدم صرفة للتعريف والتأنيث لأنه في الأصل اسم امرأة، ثم نقل يعني ليس تأنيثه باعتبار البلدة والبقعة فإنه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان. وقد قال شارح: هو موضع بالشام. وقال النووي [رحمه الله]: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام. (**هل في العين**) أي في عينه أو تلك العين فاللام للعوض عن المضاف إليه أو للعهد. (**ماء**) أي كثير لقوله: (**وهل يزرع أهلها**) أي أهل تلك العين أو البلدة وهي الأظهر لقوله: (**بماء العين. قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها**) الظاهر أن جوابه على طبق ما سبق، وهو أما إنها يوشك أن لا يبقى فيها ماء يزرع به أهلها. وفي الأسئلة المذكورة وأجوبتها المسطورة إشارة إلى أنها علامات لخروجه وأمارات لذهاب بركتها بشآمة ظهوره ووصوله، ولما كانت هذه الأسئلة توطئة لما بعدها. (**قال:**) أي الدجال معرضاً عن الجواب الثاني وبادر إلى السؤال المقصود وهو ظهور محمد المحمود. (**أخبروني عن نبي الأميين**) أي العرب (**ما فعل**) بفتحتين، أي ما صنع بعدما بعث. قال ابن الملك في شرح المشارق: أراد الدجال بالأميين العرب لأنهم لا يكتبون ولا يقرؤون غالباً، وإنما أضاف نبينا محمداً ﷺ إليهم طعناً عليه بأنه مبعوث إليهم خاصة كما زعم بعض اليهود، أو بأنه غير مبعوث إلى ذوي الفطنة والكياسة والعقل والرياسة. (**قلنا: قد خرج من مكة ونزل بيثرب**) أي هاجر منها إلى المدينة. (**قال: أقاتله العرب. قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم. فأخبرناه أنه قد ظهر**) أي غلب وظفر (**على من يليه**) أي يقربه (**من العرب وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم**) قال الطيبي [رحمه الله]: المشار إليه ما يفهم من قوله: وأطاعوه، وقوله: (**أن يطيعوه**) جاء لمزيد البيان. ويجوز أن يكون المشار إليه رسول الله ﷺ وخيراً ما خبر مسند إلى أن يطيعوه، وعلى هذا لا يكون بمعنى التفضيل، أو يكون أن يطيعوه مبتدأ وخير خبره مقدماً عليه والجملة خبر إن. قال التوربشتي [رحمه الله]: فإن قيل: يشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من البعد من الله بمكان لم ير له فيه مساهم، فما وجه قوله هذا. قلنا: يحتمل أنه أراد به الخير في الدنيا، أي طاعتهم له خير لهم فإنهم إن خالفوه اجتاحهم واستأصلهم. ويحتمل أنه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه وتفوه بما ذكر عنه، كالمغلوب عليه والمأخوذ عليه فلا يستطيع أن يتكلم بغيره تأييداً لنبيه ﷺ:

* والفضل ما شهدت به الأعداء *

(**وإني مخبركم عني إني**) بكسر الهمزة وفتحه (**أنا المسيح**) أي الدجال (**وإني**) بالوجهين

يوشكُ أن يؤذنَ لي في الخروجِ فأخرُجَ، فأسيرَ في الأرض، فلا أدعَ قريةً إلاَّ هبطتُها في أربعينَ ليلةً، غيرَ مكةَ وطيبةَ، وهما مُحرَّمتانِ عَلَيَّ كلتاهُما، كلما أردتُ أن أدخُلَ [واحدةً أو] واحداً منهُما استقبلَني ملَكٌ بيدِهِ السيفُ صَلتاً يصدُّني عنها، وإنَّ على كلِّ نَقْبٍ منها ملائكةً يحرسونَها». قال رسولُ الله ﷺ ـ وطعنَ بمخْصَرتِه في المنبرِ ـ: «هذه طيبةُ، هذه طيبةُ، هذه طيبةُ» يعني المدينةَ «ألاَ هلْ كنتُ حدَّثتُكم؟» فقال الناسُ: نعم، [فإنه أعجبَني حديثُ تميمٍ أنه وافقَ الذي كنتُ أُحدِّثُكم عنه وعن المدينةِ ومكةَ]. ألا إنه في بحر الشَّأمِ أو بحرِ اليمنِ،

(**يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع**) بالنصب في الثلاثة وجوز رفعها، أي فلا أترك. (**قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة**) ظرف لأسير وعدم الترك إشعاراً بقوة سياحته التي هي أحد وجوه تسميته بالمسيح، على أن فعيل بمعنى الفاعل لكون سياحته مروراً كالمسح. (**غير مكة**) استثناء من القرية التي وقعت نكرة في سياق النفي المنصب عليه الاستثناء المفيد للاستغراق. (**وطيبة**) عطف على مكة، وهي بفتح الطاء وسكون تحتية فموحدة من أسماء المدينة كطابة. (**هما**) أي مكة وطيبة (**محرمتان عليّ**) أي ممنوعتان على دخولهما. (**كلتاهما**) تأكيد لهما. ثم بين سبب المنع بقوله: (**كلما أردت أن أدخل واحداً**) أي حرماً واحداً (**منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً**) بفتح الصاد ويضم، أي مجرداً عن الغمد. قال شارح: هو بالفتح والضم مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول حال عن الملك أو السيف، أي مصلتاً أو مصلتاً من قولهم: أصلت سيفه، أي جرده من غلافه. وقوله: (**يصدني عنها**) أي يمنعني عن كل واحدة منهما استئناف بيان أو حال، والضمير للملك أو السيف مجازاً، أو لله تعالى حقيقة وهو المذكور في اللسان والمحظور في الجنان فصح أن يكون مرجعاً للضمير على وجه البيان كما حقق في قوله تعالى: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [الإخلاص ـ ١]. (**وإن على كل نقب**) بفتح نون وسكون قاف، أي طريق أو باب. (**منها**) أي من كل واحدة (**ملائكة يحرسونها**) أي يحفظونها عن الآفات والبليات من غير ذلك الملك. والظاهر أنه جبريل عليه [الصلاة] والسلام لما تقدم والله [تعالى] أعلم. (**قال رسول الله ﷺ: وطعن**) أي وقد طعن، أي ضرب (**بمخصرته**) بكسر الميم وفتح الصاد، أي بعصاه. (**في المنبر**) أي عليه. ففي بمعنى على كقوله تعالى: ﴿**ووصلبنكم في جذوع النخل**﴾ [طه ـ ٧١]. أو في الطعن تضمن الإيقاع كقوله: يجرح في عراقيبها نصلي. وفي الفائق هي قضيب يشير به الخطيب أو الملك إذا خاطب. وقال التوربشتي [رحمه الله]: المخصرة كالسوط وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها فهو مخصرة. وقال شارح: المخصرة ما يمسكه الإنسان بيده من قضيب أو عصا ونحوهما فيضع تحت خاصرته ويتكىء عليها. وقيل: هي كالسوط. (**هذه طيبة**) الجملة مقول لقال وما بينهما حال معترضة بين الفاعل والمفعول. (**هذه طيبة هذه طيبة**) كررها ثلاثاً للتأكيد (**يعني المدينة**) أي يريد النبي ﷺ بقوله: هذه، الموضوعة للإشارة المحسوسة المدينة المحروسة. قال التوربشتي [رحمه الله]: لما وافق هذا القول ما كان حدثهم به أعجبه ذلك وسرّ به. (**فقال: ألا**) أي تنبهوا (**هل كنت حدثتكم**) أي بمثل هذا الحديث ومطابق لهذا الخبر (**فقال الناس: نعم، ألا**) للتنبية (**إنه**) أي الدجال (**في بحر الشام أو بحر اليمن**) قيل: لما حدثهم بقول تميم الداري

لا بل منْ قِبَل المشرقِ ما هو، [منْ قِبَل المشرق ما هو، منْ قبَلِ المشرقِ ما هوَ]». وأومأَ بيده إِلى المشرق. رواه مسلم.

٥٤٨٣ ـ (٢٠) وعن عبد الله بن عُمر، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «رأيتُني الليلةَ عندَ الكعبةِ، فرأيتُ رجلاً آدَم كأحسن ما أنتَ راءٍ من أُدْمِ الرجال، له لِمَّةٌ كأحسنِ ما أنتَ راءٍ من اللِّمم قد رجَّلَها، فهي تقطر ماءً، متكئاً على عواتق رجلين، يطوف

لم ير أن يبين لهم موطنه ومجلسه كل التبيين لما رأى في الالتباس من المصلحة فرد الأمر فيه إلى التردد بين كونه في بحر الشام أو بحر اليمن. ولم تكن العرب يومئذ تسافر إلا في هذين البحرين. ويحتمل أنه أراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي وببحر اليمن ما يلي الجانب اليماني. والبحر واحد وهو الممتد على أحد جوانب جزيرة العرب، ثم أضرب عن القولين مع حصول اليقين في أحدهما فقال: **(لا بل من قبل المشرق ما هو)** أي هو، وما زائدة أو موصولة بمعنى الذي، أي الجانب الذي هو فيه. قال القاضي [رحمه الله]: لفظة ما هنا زائدة للكلام وليست بنافية، والمراد إثبات أنه في جهة المشرق. قال التوربشتي [رحمه الله]: ويحتمل أن يكون خبراً أي الذي هو فيه، أو الذي هو يخرج منه. **(وأومأ)** بهمزتين أي أشار **(بيده إلى المشرق)** قال الأشرف: يمكن أنه ﷺ كان شاكاً في موضعه وكان في ظنه أنه لا يخلو عن هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن تيقن له من جهة الوحي أو غلب على ظنه أنه من قبل المشرق، فنفى الأولين وأضرب عنهما وحقق الثالث. **(رواه مسلم)**.

٥٤٨٣ ـ **(وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: رأيتني)** من الرؤيا كذا ذكره شارح. ويحتمل أن يكون بطريق المكاشفة مع أن رؤيا الأنبياء حق كمكاشفاتهم. **(الليلة)** أي البارحة إن وقع القول في النهار **(عند الكعبة)** ظرف للرؤية أو حال من المفعول. والمعنى: رأيت نفسي عند الكعبة. **(فرأيت رجلاً آدم)** بالمد، أي أسمر. **(كأحسن ما أنت راء)** أي في الأوصاف **(من أدم الرجال)** بضم همز وسكون دال مهملة جمع آدم كحمر جمع أحمر على ما في النهاية. فما وقع في بعض النسخ من الضم فهو من سهو القلم. **(له لمة)** بكسر اللام وتشديد الميم ما جاوز شحمة الأذن من الشعر. **(كأحسن ما أنت راء من اللمم)** بكسر ففتح جمع لمة **(قد رجلها)** بتشديد الجيم، أي سرحها ومشطها، **(فهي)** أي اللمة **(تقطر ماء)** يحتمل أن يراد بالماء الذي سرح به إذ لا يسرح الشعر وهو يابس، وأن يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة. **(متكئاً)** صفة أخرى لرجلاً أو حال منه لوصفه بآدم أي معتمداً **(على عواتق رجلين)** جمع عاتق وهو موضع الرداء من الكتف. وقال السيوطي [رحمه الله]: ما بين المنكب والعنق. ثم التركيب من قبيل قوله تعالى: **﴿فقد صغت قلوبكما﴾**. وحديث أنصاف ساقيه. **(يطوف**

الحديث رقم ٥٤٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٧٧. حديث رقم ٣٤٤٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٤ حديث رقم (٢٧٣ ـ ١٦٩) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٠ حديث رقم ٢ من كتاب صفة النبي ﷺ وأحمد في المسند ٢/ ١٥٤.

بالبيت، فسألتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم» قال: «ثم إذا أنا برجلٍ جعدٍ قطَطٍ، أعورِ العينِ اليمنى، كأنَّ عينه عنبةٌ طافية، كأشبه من رأيتُ من الناس بابن قَطَن واضعاً يديه على منكبي رجلين، يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدجّال».

بالبيت) استئناف بيان أو حال **(فسألت:)** أي الطائفين أو الملائكة الحافين **(من هذا)** وفيه إيماء إلى أن المكاشفة قد تكون في بعض الأشياء مع وجود بعض الاخفاء. **(فقالوا: هذا المسيح ابن مريم. قال:)** أي النبي ﷺ **(ثم إذاً أنا برجل جعد)** بفتح جيم فسكون عين وهو من الشعر خلاف السبط، أو القصير منه كذا في القاموس. **(قطط)** بفتح الطاء الأولى ويكسر. في القاموس: القط القصير الجعد من الرأس كالقطط محركة. **(أعور العين اليمنى)** بالجر في أعور مضافاً **(كان عينه عنبة طافية)** بكسر الفاء بعدها ياء، وفي نسخة بالهمزة. قال السيوطي [رحمه الله]: روي بالهمز بمعنى ذاهب ضوءها وبدونه، وصححه الأكثر بمعنى ناتئة بارزة كنتؤ حبة العنب. قال القاضي عياض [رحمه الله]: كلا عينيه معيبة عوراء فاليمنى مطموسة وهي الطافئة بالهمز واليسرى ناتئة جاحظة كأنها كوكب وهي الطافية بلا همز. **(كأشبه من رأيت)** قال الجزري: ضبطناه بالتكلم والخطاب وهو أوضح. قلت: أكثر النسخ على التكلم وهو الأظهر في مقام التشبيه من الخطاب العام، ثم الكاف مزيدة للمبالغة في التشبيه. والمعنى هو أشبه من أبصرته من الناس. **(بابن قطن)** بفتحتين واحد من اليهود والجار متعلق بأشبه، وفي الرواية الآتية: أقرب الناس به شبهاً ابن قطن. ولعل وجه الشبه باعتبار بعض الوجوه الآتية. **(واضعاً)** أو باعتبار أن عينه عنبة طافية. **(يديه)** حال من الدجال **(على منكبي رجلين)** الظاهر أن المراد بهما من يعاونه على باطله من أمرائه، كما أن المراد بالرجلين الأولين من يساعدان المسيح على حقه ولعلهما الخضر والمهدي من أصحابه. **(يطوف بالبيت)** فيه إشعار بأن أحداً لا يستغني عن هذا الجناب ولا يفتح لهم غرض إلا من هذا الباب. وفي قوله تعالى: **﴿مثابة للناس﴾** [البقرة ـ ١٢٥] . إيماء إلى ذلك ولذا وجد الكفار في الجاهلية وزمن البعثة ما كانوا يتركون الطواف، والآن أيضاً يتمنى اليهود والنصارى أن يتشرفوا برؤية هذا البيت والطواف حوله. وقال التوربشتي [رحمه الله] : طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر مؤول بأن رؤيا النبي ﷺ من مكاشفاته، كوشف بأن عيسى عليه [الصلاة] والسلام في صورته الحسنة التي ينزل عليها يطوف حول الدين لإقامة أوده واصلاح فساده وأن الدجال في صورته الكريهة التي ستظهر بدول حول الدين يبقى العوج والفساد. **(فسألت من هذا فقالوا: هذا المسيح الدجال)** قال التوربشتي [رحمه الله] : وجه تسميته بالمسيح في أحب الوجوه إلينا أن الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة، كما أن الشر مسح عن مسيح الهداية. وقيل: سمي عيسى به لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة الابر. أو قيل: لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له. وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. وقيل: لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها. وقيل: المسيح الصديق، وسمي الدجال به لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها، والأعور يسمى مسيحاً انتهى. ولأنه يمسح في أيام معدودة

متفق عليه. وفي رواية: قال في الدجال: «رجل أحمر جسيمٌ، جعدُ الرأس، أعورُ عينِ اليمنى، أقربُ الناس به شَبَهاً ابنُ قطَنٍ».

وذكر حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» في «باب الملاحم».

وسنذكر حديث ابن عمر: قام رسول الله ﷺ في الناس في «باب قصة ابن صياد» إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

٥٤٨٤ ـ (٢١) عن فاطمة بنتِ قيسٍ في حديث تميم الداريِّ قالت: قال: «فإذا أنا بامرأةٍ

جميع مساحة الأرض إلا مكة والمدينة فهو فعيل بمعنى فاعل ووصف بالمسح الدجال لأن المسيح وصف غلب على عيسى عليه [الصلاة] والسلام فوصف بالدجال ليتميز المحق من المبطل. **(متفق عليه)** قيل: رواه مسلم في باب الإسراء. **(وفي رواية قال)** أي النبي ﷺ **(في الدجال:)** أي في حقه وشأنه **(رجل)** أي هو رجل **(أحمر)** أي لوناً **(جسيم)** أي بدناً **(جعد الرأس)** أي شعراً **(أعور عين اليمنى أقرب الناس به شبهاً ابن قطن. وذكر حديث أبي هريرة:)** لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. في باب الملاحم وسنذكر حديث **(ابن عمر: قام رسول الله ﷺ)** أي فأثنى على الله بما هو أهله **(ثم ذكر الدجال الخ في باب قصة ابن صياد إن شاء الله تعالى.)** متعلق بقوله سنذكر، وكان المؤلف رأى أن ذكره في ذلك الباب أقرب إلى الصواب [والله تعالى أعلم] .

(الفصل الثاني)

٥٤٨٤ ـ **(عن فاطمة بنت قيس في حديث تميم الداري)** أي على ما سبق بطوله **(قال:)** أي تميم. وفي نسخة: قالت، أي ناقلة عنه. **(فإذا أنا بامرأة)** قال في الحديث السابق: فلقيتهم دابة أهلب. وههنا: فإذا أنا بامرأة. قيل: يحتمل أن للدجال جساستين إحداهما دابة والثانية امرأة، ويحتمل أن الجساسة كانت شيطانة تمثلت تارة في صورة دابة وأخرى في صورة امرأة، وللشيطان التشكل بكل شكل أراد. ويحتمل أن تسمى المرأة دابة مجازاً، قال تعالى: ﴿**إن شر الدواب عند الله الصم البكم**﴾ [الأنفال ـ ٢٢] . قلت: الأظهر في الاستشهاد قوله سبحانه: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ [هود ـ ٦] . إذ الدابة في هذه الآية تعم المخلوقين المرزوقين بخلاف الآية السابقة، فإن الظاهر أن المراد من الدواب بها الحيوانات

الحديث رقم ٥٤٨٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٥٩٩ حديث رقم ٤٣٢٥.

تجرُّ شعرها قال: ما أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسة، اذهبْ إلى ذلك القصر، فأتيتُه، فإذا رجلٌ يجرُّ شعره، مسلسلٌ في الأغلال، ينزو فيما بين السماء والأرض. فقلت: من أنت؟ قال: أنا الدجال». رواه أبو داود.

٥٤٨٥ ـ (٢٢) وعن عبادة بن الصامت، عن رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «إني حدثتكم عن الدجَّال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا. إنَّ المسيحَ الدجَّال قصيرٌ، أفحج، جَعْدٌ، أعورُ، مطموسُ العين، ليست بناتئة ولا جَحْراء فإنْ أُلبِس عليكم فاعلموا أن ربَّكم ليس بأعور» رواه أبو داود.

فيكون في المعنى كقوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان ـ ٤٤]. **(تجر شعرها)** صفة لامرأة وهو كناية عن طول شعرها، والشعر يحرك ويسكن. **(قال:)** أي تميم **(ما أنت. قالت: أنا الجساسة اذهب إلى ذلك القصر.)** أي المعبر عنه فيما سبق بالدير **(فأتيته فإذا رجل يجر شعره مسلسل)** صفة ثانية، أي مقيد بالسلاسل. **(في الأغلال)** أي معها **(ينزو)** بسكون النون وضم الزاي، أي يثب وثوباً. **(فيما بين السماء والأرض)** وأبعد من قال إنه متعلق بمسلسل. **(فقلت: من أنت. قال: أنا الدجال. رواه أبو داود)**.

٥٤٨٥ ـ **(وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا)** أي لا تفهموا ما حدثتكم في شأن الدجال أو تنسوه لكثرة ما قلت في حقه. قال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية حدثتكم، أي حدثتكم أحاديث شتى حتى خشيت أن يلتبس عليكم الأمر فلا تعقلوا فاعقلوه. وقوله: **(إن المسيح الدجال)** أي بكسر إن استئناف وقع تأكيداً لما عسى أن يلتبس عليهم انتهى. وقيل: خشيت بمعنى رجوت. وكلمة لا زائدة. ثم قوله: **(قصير)** وهو غير ملائم لما سبق من كونه أعظم إنسان. ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيراً بطيناً عظيم الخلقة وهو المناسب لكونه كثير الفتنة، أو العظمة مصروفة إلى الهيبة. قيل: يحتمل أن الله تعالى يغيره عند الخروج. **(أفحج)** بتقديم الحاء على الجيم، أي الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه وينفحج ساقاه أي ينفرج وهو خلاف الأروح كذا قاله شارح. وفي النهاية: الفحج تباعد ما بين الفخذين. **(جعد)** أي شعره **(أعور)** أي إحدى عينيه **(مطموس العين)** أي ممسوحها بالنظر إلى الأخرى **(ليست)** أي عينه **(بناتئة)** أي مرتفعة فاعلة من النتوء **(ولا جحراء)** بفتح جيم وسكون حاء، أي ولا غائرة. والجملة المنفية مؤكدة لإثبات العين الممسوحة وهي لا تنافي أن الأخرى ناتئة بارزة كنتوء حبة العنب على ما تقدم والله [تعالى] أعلم. **(فإن ألبس عليكم)** بصيغة المجهول، أي إن اشتبه عليكم أمر الدجال بنسيان ما بينت لكم من الحال، أو أن لبس عليكم أمره بما يدعيه من الألوهية بالأمور الخارقة عن العادة. **(فاعلموا أن ربكم ليس بأعور)** أي أقل ما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية هو التنزيه عن الحدوث والعيوب لا سيما النقائص الظاهرة المرئية. **(رواه أبو داود)** وكذا النسائي.

الحديث رقم ٥٤٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٥ حديث رقم ٤٣٢٠. وأحمد في المسند ٥/ ٣٢٤.

٥٤٨٦ ـ (٢٣) وعن أبي عبيدةَ بنِ الجرَّاح، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنه لم يكن نبيٌّ بعدَ نوحٍ إلا قد أنذرَ الدجالَ قومَه، وإني أُنذركموه» فوصَفَه لنا قال: «لعلَّه سيدركه بعض من رآني أو سمع كلامي». قالوا: يا رسولَ الله! فكيف قلوبنا يومئذ؟ قال: «مثلها» يعني اليوم «أو خيرٌ». رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٤٨٧ ـ (٢٤) وعن عمرو بن حُريثٍ، عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجَّال يخرج من أرضٍ بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام

٥٤٨٦ ـ **(وعن أبي عبيدة بن الجراح قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه)** أي الشأن **(لم يكن نبي بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه)** أي خوفهم به، وقدم المفعول الثاني للاهتمام بذكره. وقد تقدم أن نوحاً عليه [الصلاة] والسلام أنذر قومه فبعد نوح ليس للاحتراز. **(وإني أنذركموه)**. أي الدجال ببيان وصفه خوفاً عليكم من تلبيسه ومكره. **(فوصفه لنا)** أي ببعض أوصافه **(قال:)** أي النبي ﷺ **(لعله سيدركه بعض من رآني)** أي على تقدير خروجه سريعاً. وقيل: دل على بقاء الخضر. **(أو سمع كلامي)** ليس أو للشك من الراوي بل للتنويع، لأنه لا يلزم من الرؤية السماع وهو لمنع الخلو لإمكان الجمع. وقيل: المعنى أو سمع حديثي بأن وصل إليه ولو بعد حين. **(قالوا: يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ)** فيه إشارة إلى أن سحره لا يؤثر في قلوب المؤمنين وإن كان يخيل في أعينهم ما ليس من اليقين. **(قال: مثلها)** أي مثل قلوبكم الآن، وهو معنى قول الراوي. **(يعني)** أي يريد بالإطلاق تقييد الكلام بقوله: **(اليوم أو خير)** شك من الراوي ويحتمل التنويع بحسب الأشخاص. **(رواه الترمذي)** قيل: وحسنه. **(وأبو داود)**.

٥٤٨٧ ـ **(وعن عمرو بن حريث)** تصغير حرث بمعنى زرع. قال المؤلف: قرشي مخزومي رأى النبي ﷺ ومسح رأسه ودعا له بالبركة. **(عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما)** بصيغة التثنية لأن الحديث من باب رواية الصحابي الصغير عن الكبير **(قال:)** أي الصديق **(حدثنا رسول الله ﷺ قال:)** استئناف مؤكد لحدثنا أو بدل على مذهب الشاطبي ومن تبعه من أن الإبدال يجري في الأفعال وهو أصح الأقوال، أو التقدير حدثنا أشياء من جملتها. **(قال: الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان)** بضم أوله وفي القاموس أنه بلاد يعني معروفة بين بلاد ما وراء النهر وبلدان العراق ومعظمها الآن بلدة هراة المسماة بخراسان كتسمية دمشق بالشام. **(يتبعه)** بسكون التاء وفتح الباء، وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء. أي يلحقه ويطيعه، **(أقوام)** أي جماعات أي عظيمة وغريبة من جنس الإنسان ولكنهم يشبهون الجان.

الحديث رقم ٥٤٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٧ حديث رقم ٤٧٥٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٠ حديث رقم ٢٢٣٤. وأحمد في المسند ٢/ ١٧٨.

الحديث رقم ٥٤٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٤١ حديث رقم ٢٢٣٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٣ حديث رقم ٢٢٣٧. وأحمد في المسند ١/ ٤.

كأنَّ وجوههم المجانّ المطرقة». رواه الترمذي.

٥٤٨٨ ـ (٢٥) وعن عِمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجَّال فلْينأ منه، فواللَّهِ إن الرجلَ ليأتيهِ وهو يحسب أنه مؤمنٌ، فيتبعه مما يُبعثُ به من الشبهات» رواه أبو داود.

٥٤٨٩ ـ (٢٦) وعن أسماء بنت يزيد بن السَّكن، قالت: قال النبي ﷺ: «يمكثُ الدَّجالُ في الأرضِ أربعينَ سنةً، السنةُ كالشَّهرِ، والشهر

(كأن وجوههم المجان) بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم، وهو الترس. وقوله: **(المطرقة)** بضم الميم وسكون الطاء على ما في أصل السيد وأكثر النسخ. وقال السيوطي: روي بتشديد الراء وتخفيفها فهي مفعولة من أطرقه أو طرقه، أي جعل الطراق على وجه الترس. والطراق بكسر الطاء الجلد الذي يقطع على مقدار الترس. والطراق بكسر الطاء الجلد الذي يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره. والمعنى: أن وجوههم عريضة وجناتهم مرتفعة كالمجنة، وهذا الوصف إنما يوجد في طائفة الترك والأزبك ما وراء النهر. ولعلهم يأتون إلى الدجال في خراسان كما يشير إليه قوله: يتبعه. أو يكونون حينئذ موجودين في خراسان حماه الله من آفات الزمان. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن ماجه والحاكم[١].

٥٤٨٨ ـ **(وعن عمران بن حصين)** أسلم قديماً وكان من فضلاء الصحابة **(قال: قال رسول الله ﷺ: من سمع بالدجال)** أي بخروجه وظهوره **(فلينأ)** بفتح الياء وسكون النون وفتح الهمزة، أمر غائب من نأى ينأى حذف الألف للجزم، أي فليبعد. **(منه)** أي من الدجال لأن البعد عن قربه سعد قال تعالى: **﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾** [هود ـ ١١٣] . والركون أدنى الميل **(فوالله إن الرجل ليأتيه وهو)** أي الرجل **(يحسب)** بكسر السين وفتحها أي يظن **(أنه)** أي الرجل بنفسه **(مؤمن فيتبعه)** بالتخفيف ويشدد، أي فيطيع الدجال. **(مما يبعث به)** بضم أوّله ويفتح، أي من أجل ما يثيره ويباشره. **(من الشبهات)** أي المشكلات كالسحر وإحياء الموتى وغير ذلك فيصير تابعه كافراً وهو لا يدري. **(رواه أبو داود)**.

٥٤٨٩ ـ **(وعن أسماء بنت يزيد بن السكن)** بفتحتين أنصارية من ذوات العقل والدين **(قالت: قال النبي ﷺ: يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة)** وتقدم أن لبثه في الأرض أربعون يوماً. ولعل وجه الجمع بينهما اختلاف الكمية والكيفية كما يشير إليه قوله: **(السنة كالشهر)** فإنه محمول على سرعة الانقضاء كما أن ما سبق من قوله: يوم كسنة، محمول على أن الشدة في غاية من الاستقصاء على أنه يمكن اختلافه باختلاف الأحوال والرجال. **(والشهر)**

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٢٨.

الحديث رقم ٥٤٨٨: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٥ حديث رقم ٤٣١٩. وأحمد في المسند ٤/ ٤٣١.

الحديث رقم ٥٤٨٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٦٢ حديث رقم ٤٢٦٤. وأحمد في المسند ٦/ ٤٥٤.

كالجمعةِ، والجمعةُ كاليومِ، واليومُ كاضطرامِ السَّعَفةِ في النارِ». رواه في «شرح السنة».

٥٤٩٠ - (٢٧) وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يتَّبعُ الدَّجالَ من أُمَّتي سبعونَ ألفاً عليهم السِّيجانُ». رواه في «شرح السنَّة».

٥٤٩١ - (٢٨) وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ، قالتْ: كانَ رسول الله ﷺ في بيتي، فذكرَ الدجَّالَ، فقال: «إنَّ بين يدَيه ثلاثَ سنينَ: سَنةٌ تُمسكُ السماءُ فيها ثُلُثَ قَطرِها، والأرضُ ثُلُثَ نباتِها. والثانيةُ تمسكُ السماءُ ثُلثي قطرِها، والأرضُ ثُلُثي نباتِها. والثالثةُ تمسكُ السماءُ قطرَها كلَّه، والأرضُ نباتَها كلَّه. فلا يبقى

أي من السنة **(كالجمعة)** أي كالأسبوع **(والجمعة)** يعني الأسبوع من الشهر **(كاليوم)** أي كالنهار **(واليوم كاضطرام السعفة في النار)** بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل، أي كسرعة التهاب النار بورق النخل، والاضطرام الالتهاب والاشتعال. فالمعنى: إن اليوم كالساعة. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي بإسناده.

٥٤٩٠ - **(وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يتبع الدجال من أمتي)** أي أمة الإجابة أو الدعوة وهو الأظهر لما سبق أنهم من يهود أصفهان. **(سبعون ألفاً عليهم السيجان)** بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج، وهو الطيلسان الأخضر. وقيل: المنقوش ينسج كذلك. قال ابن الملك: أي إذا كان أصحاب الثروة سعبن ألفاً فما ظنك بالفقراء. قلت: الفقراء لكونهم مفلسين هم في أمان الله إلا إذا كانوا طامعين في المال والجاه فهم في المعنى من أصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة، سواء يكون متبوعهم على الحق أو الباطل كما شوهد في الأزمنة السابقة من أيام يزيد والحجاج وابن زياد، وهكذا يزيد الفساد كل سنة بل كل يوم في البلاد فيتبع العلماء العباد والمشايخ الزهاد على ما يشاهد بشر العباد للأغراض الفاسدة والمناصب الكاسدة، ونسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة. **(رواه في شرح السنة)** قيل: في سنده أبو هارون وهو متروك.

٥٤٩١ - **(وعن أسماء بنت يزيد)** أي ابن السكن **(قالت: كان النبي ﷺ في بيتي فقال: إن بين يديه)** أي قدام الدجال وقبيل زمان خروجه **(ثلاث سنين)** أي مختلفة في ذهاب البركة **(سنة)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب. **(تمسك السماء)** أي تمنع بإمساك الله **(فيها)** أي في تلك السنة **(ثلث قطرها)** بفتح القاف أي مطرها المعتاد في البلاد **(والأرض)** أي وتمسك الأرض **(ثلث نباتها)** أي ولو كانت تسقى من غير المطر. **(والثانية)** أي السنة الثانية وهي بالرفع ويجوز نصبها إما على البدلية وإما على الظرفية. **(تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله.)** يعني فيقع القحط فيما بين أهل الأرض كله ويكون الخزائن والكنوز تتبعه وأنواع النعم من الخبز والثمار والأنهار معه. **(فلا يبقى)** بالتذكير

الحديث رقم ٥٤٩٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٦٢ حديث رقم ٤٢٦٥.

الحديث رقم ٥٤٩١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٩ حديث رقم ٤٠٧٧. وأحمد في المسند ٦/ ٤٥٥.

ذاتُ ظِلفٍ ولا ذاتُ ضرسٍ منَ البهائمِ إلا هَلَكَ، وإنَّ من أشدِّ فتنتِه أنّه يأتي الأعرابيَّ فيقول: أرأيتَ إنْ أحييتُ لكَ إبلكَ! ألستَ تعلمُ أني ربُّكَ؟ فيقول: بَلى، فيمثِّلُ له الشيطانِ نحوَ إبلِه كأحسنِ ما يكونُ ضُروعاً، وأعظمِه أسنمةً». قال: «ويأتي الرجلَ قدْ ماتَ أخوهُ، وماتَ أبوهُ، فيقولُ: أرأيتَ إنْ أحييتُ لكَ أباكَ وأخاكَ ألستَ تعلمُ أني ربُّكَ؟ فيقول: بَلى، فيُمثِّلُ له الشياطين نحوَ أبيهِ ونحوَ أخيهِ». قالتْ: ثمَّ خَرجَ رسولُ الله ﷺ لحاجتِه، ثمَّ رجعَ والقومُ في اهتمامٍ وغمٍّ ممَّا حدَّثَهم. قالت: فأخذَ بلحمتَي البابِ

ويؤنث **(ذات ظلف)** بكسر الظاء المعجمة، هي البقرة والشاة والظبي. **(ولا ذات ضرس)** وهي السباع من البهائم **(إلا هلك)** أي لا يبقى في حال من الأحوال إلا في حال الهلاك **(وإن من أشد فتنته)** أي أعظم بليته **(أنه يأتي)** أي الدجال **(الأعرابي)** أي البدوي ومن في معناه من جنس الغبي. **(فيقول:)** أي الدجال **(أرأيت)** أي أخبرني **(إن أحييت لك إبلك)** أي التي ماتت من القحط **(ألست تعلم أني ربك. فيقول: بلى فيمثل)** بكسر المثلثة المشددة ويفتح، أي يصور له. **(نحو إبله)** أي مثال إبله من الشياطين كما يدل عليه نسخة: فيمثل له الشياطين نحو إبله. **(كأحسن ما يكون)** أي كأحسن أكوانه **(ضروعاً)** أي من اللبن، ونصبه على التمييز. **(وأعظمه)** أي وأعظم ما يكون من جهة السمن. **(أسنمة)** بكسر النون جمع السنام. **(قال:)** أي النبي ﷺ، وإنما ذكره تأكيداً أو اعادة لطول الفصل تأييداً. **(ويأتي الرجل)** عطف على قوله: ويأتي الأعرابي. فيكون من جملة أشد الفتنة **(قد مات أخوه)** أي مثلاً **(ومات أبوه)** الظاهر أن الواو بمعنى أو ولذا أعاد الفعل **(فيقول: أرأيت)** أي أخبرني، والخطاب لمن مات أبوه أو لكل ممن مات أبوه وأمه. **(إن أحييت لك أباك وأخاك)** جميعاً أو أخاك **(ألست تعلم أني ربك فيقول: بلى. فيمثل له الشياطين)** مفعول أوّل **(نحو أبيه ونحو أخيه)** مفعول ثان. وفي نسخة يمثل بصيغة المجهول ورفع الشياطين. وقيل نصب الشياطين بنزع الخافض، أي من الشياطين فعلى هذا ينصب نحو ويرفع باختلاف العاملين. **(قالت:)** أي أسماء [رضي الله تعالى عنها] **(ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغم)** أي شديد وزيد للتأكيد **(مما حدثهم)** أي من أجل تحديثه إياهم به **(قالت: فأخذ بلحمتي الباب)** بفتح اللام وسكون الحاء كذا في جميع نسخ المشكاة أن ناحيته ذكره ابن الملك في شرح المصابيح. وقال شارح له: هو بلجفتي الباب بالجيم والفاء. قال التوربشتي [رحمه الله] : الصواب: فأخذ بلجفتي الباب. أريد بهما العضادتان وقد فسر بجانبيه ومنه ألجاف البئر أي جوانبها. وفي كتاب المصابيح: بلجمتي الباب، وليس بشيء ولم يعرف ذلك من كتب أصحاب الحديث إلا على ما ذكرنا. قلت: ويؤيده ما في القاموس من أن اللجف حفر في جانب البئر ولجيفتا الباب جانباه، لكن بعد اتفاق النسخ لا بد من التوجيه[١]. ففي القاموس: اللحمة القطعة من اللحم فيجرد ويقال: المراد بهما قطعتا الباب فإنهما تلتحمان وتنفصلان وتلتئمان[٢] وهو أولى من تخطئة رواة

---

(١) في المخطوطة «الوجه». (٢) في المخطوطة «بالياء».

فقال: «مَهْيَم أسماءُ؟» قلتُ: يا رسولَ الله! لقد خلعتَ أفئدَتنا بذكرِ الدَّجالِ. قال: «إِنْ يخرجْ وأنا حيٌّ، فأنا حجيجُهُ، وإلا فإنَّ ربي خليفَتي على كلِّ مؤمنٍ» فقلتُ: يا رسولَ الله! واللّهِ إنا لنعجنُ عجينَنا فما نخبزه حتى نجوعَ، فكيف بالمؤمنينَ يومئذ؟ قال: «يُجزِئُهم ما يُجْزِىءُ أهلَ السماءِ من التسبيحِ والتقديسِ». رواه أحمد.

الفصل الثالث

٥٤٩٢ ـ (٢٩) عن المغيرةِ بن شعبةَ، قال: ما سأل أحدٌ رسولَ الله ﷺ عن الدجالِ

الكتاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. **(فقال:)** أي النبي ﷺ **(مهيم)** بفتح فسكون ثم فتح فسكون. في القاموس: مهيم كلمة استفهام، أي ما حالك وما شأنك أو ما وراءك أو أحدث لك شيء. وقال القاضي [رحمه الله]: مهيم كلمة يمانية ومعناه ما الحال والخبر. وقوله: **(أسماء)** منادى حذف منه حرف النداء **(قلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا)** أي أقلقت أو قلعت قلوبنا **(بذكر الدجال)** أي وما معه من الفتنة وشدة الحال **(قال: إن يخرج وأنا حي)** أي فرضاً وتقديراً **(فأنا حجيجه)** أي دافعه عنكم بالحجة أو الهمة **(وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن)** وهو لا ينافي ما سبق من قوله: فامرؤ حجيج نفسه. فإن المقصود أنه يجب على شخص أنه يدفعه عن نفسه بالحجة اليقينية فإذا كان صاحب النبوة موجوداً فلا يحتاج إلى غيره لأنه مؤيد من عند الله تعالى، وإلا فالله ولي دينه وناصر نبيه وحافظ أوليائه ممن آمن به. **(فقلت: يا رسول الله إنا لنعجن)** بكسر الجيم **(عجيننا فما نخبزه)** بكسر الموحدة ويضم أي فما يتم خبزه **(حتى نجوع)** أي من قلة صبرنا عن الأكل **(فكيف بالمؤمنين)** الباء زائدة، أي كيف حالهم. **(يومئذ)** أي وقت القحط وانحصار وجود الخبز عند الدجال وأتباعه **(قال: يجزئهم ما يجزىء)** بضم أوله مهموزاً أي يكفيهم ما يكفي **(أهل السماء)** أي الملائكة **(من التسبيح والتقديس)** قال المظهر: يعني من ابتلى بزمانه في ذلك اليوم لا يحتاج إلى الأكل والشرب كما لا يحتاج الملأ الأعلى. وأبعد الطيبي [رحمه الله] حيث قال: معناه: إنا نعجن العجين لنخبزه فلا نقدر على خبزه لما فينا من خوف الدجال حين خلعت أفئدتنا بذكره، فكيف حال من ابتلي بزمانه. فمعنى قوله يجزئهم: إنه تعالى يسليهم ببركة التسبيح والتقديس. هذا وفي الحديث: كلمة سبحان الله وبحمده عبادة الخلق وبها يقطع أرزاقهم. رواه البزار عن ابن عمر. ومعنى الإقطاع تسويغ الإمام من مال الله شيئاً لمن يراه أهلاً لذلك، ثم استعمل في كل ما يعين للشخص. **(رواه)** هنا بياض في الأصل وألحق به أحمد وأبو داود والطيالسي. وقيل: رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها وانفرد به عنها.

(الفصل الثالث)

٥٤٩٢ ـ **(عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال**

الحديث رقم ٥٤٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٨٩. حديث رقم ٧١٢٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٨ حديث رقم (١١٥ ـ ٢٩٣٩) وأحمد في المسند ٥/ ٤٣٤.

أكثرَ ممَّا سألتُه، وإنه قال لي: «ما يضرُّكَ؟» قلتُ: إنَّهم يقولون: إنَّ معه جبلَ خبز ونهرَ ماءٍ. قال: هوَ أهونُ على الله منْ ذلك». متفق عليه.

٥٤٩٣ ـ (٣٠) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يخرجُ الدَّجال على حمارٍ أقمرَ، ما بينَ أُذنَيه سبعونَ باعاً». رواه البيهقي في «كتاب البعث والنشور».

بأكثر مما سألته) أي عنه (وإنه) بكسر الهمزة والواو للحال أو لعطف الجملة الثانية على المنفية والتقدير. وقال إنه. والواو لمطلق الجمع والضمير للشأن أوله ﷺ. (قال لي: ما يضرك) قال الطيبي [رحمه الله]: الجملة حال والمعنى: كنت مولعاً بالسؤال عن الدجال، مع أنه ﷺ قال: ما يضرك. فإن الله تعالى كافيك شره. أقول: والظاهر أن الجملة إخبارية تقريرية، ويمكن أن تكون خبرية لفظاً وفي المعنى دعائية. وإنما أتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده في الاستقبال والله [تعالى]أعلم بالحال. (قلت: إنهم) أي الناس أو أهل الكتاب أو اليهود (يقولون إن معه جبل خبز) بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة فزاي، أي معه من الخبز قدر الجبل. وفي نسخة: حبل خبز. وهي كذا في المصابيح وكأنه تصحيف (ونهر ماء) بفتح الهاء وهو أفصح وتسكن وهو أشهر. وفيه إشارة إلى أن في زمانه قحط الماء أيضاً ابتلاء للعباد وزوالاً للبركة في البلاد لعموم الفساد، وهذا سؤال مستقل لا تعلق له بما قبله. وأبعد الطيبي [رحمه الله]في قوله: قلت إلى آخره، استئناف جواب عن سؤال مقدر، أي سألته يوماً فقال لي: ما يضرك، أي ما يضلك. قلت: كيف ما يضلني وإنهم يقولون إن معه جبل خبز. (قال: هو أهون على الله من ذلك) أي الدجال هو أحقر عند الله [تعالى] أن يحقق له ذلك، وإنما هو تخييل وتمويه للابتلاء فيثبت المؤمن ويزل الكافر. أو المراد أنه أهون من أن يجعل شيئاً من ذلك آية على صدقه ولا سيما قد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرؤها من لا يقرأ. وفي شرح مسلم قال القاضي [رحمه الله]: معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلق الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوبهم، بل إنما جعله الله ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك. (متفق عليه).

٥٤٩٣ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يخرج الدجال على حمار أقمر) أي شديد البياض على ما في النهاية. وفيه إيماء إلى أن حماره أحسن من وجهه. (ما بين أذنيه) صفة ثانية لحمار (سبعون باعاً) وهو طول ذراعي الإنسان وما بينهما. (رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور).

الحديث رقم ٥٤٩٣: لم يخرج أحاديث الرجال في كتاب البعث والنشور للبيهقي. الصادر عن مركز الخدمات والأبحاث الثقافية. بيروت. بتحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر. فقد ذكر المحقق في مقدمته: «أنه وقع لي أني رأيت في كتاب شرح مسلم للنووي ١٨/ ٤٧ ـ ٤٨ عبارة يعزوها للبيهقي في كتابه البعث ولم أجدها في النسخة التي اعتمدت عليها»... ثم ساق العبارة. والنقص الواقع في هذه النسخة هي أحاديث الرجال وقصة ابن الصياد. والله تعالى أعلم.

(٤) باب قصة ابن صياد

الفصل الأول

٥٤٩٤ ـ (١) عن عبدِ الله بنِ عُمرَ: أنَّ عُمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه انطلقَ مع رسول اللَّهِ ﷺ، في رهط من أصحابه قِبَل ابن الصياد،

(باب قصة ابن صياد)

كذا في نسخة السيد وأكثر النسخ المعتمدة، وفي بعض النسخ ابن الصياد معرفاً في القاموس ابن صائد أو صياد الذي كان يظن إنه الدجال. وقال الأكمل: ابن صائد اسمه عبد الله، وقيل صياف ويقال ابن صائد وهو يهودي من يهود المدينة. وقيل: هو دخيل فيهم وكان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة ويكذب مراراً ثم أسلم لما كبر وظهرت منه علامات من الحج والجهاد مع المسلمين، ثم ظهرت منه أحوال وسمعت منه أقوال تشعر بأنه الدجال وقيل: إنه تاب ومات بالمدينة. وقيل: بل فقد يوم الحرة. وقال ابن الملك [رحمه الله]: اختلفوا في حال ابن الصياد فقيل هو الدجال، وما يقال إنه مات بالمدينة لم يثبت إذ قد روي أنه فقد يوم الحرة وأما أنه لم يولد للدجال وأنه لا يدخل البلدين وأنه يكون كافراً فذلك في زمان خروجه. وقيل: ليس هو الدجال ونقل أن جابراً حلف بالله أن ابن الصياد هو الدجال وأنه سمع عمر بن الخطاب يحلف ذلك عند النبي ﷺ ولم ينكره. والظاهر من قصة تميم الداري [رضي الله تعالى عنه] أنه ليس هو الدجال، نعم كان أمر ابن الصياد ابتلاء من الله تعالى لعباده فوقى الله تعالى المسلمين من شره. أقول: ولا يناقضه قصة تميم الداري إذ يمكن أن يكون له أبدان مختلفة، فظاهره في عالم الحس والخيال دائر مع اختلاف الأحوال وباطنه في عالم المثال مقيد بالسلاسل والأغلال. ولعل المانع من ظهور كماله في الفتنة وجود سلاسل النبوّة وأغلال الرسالة والله سبحانه [وتعالى]أعلم.

(الفصل الأوّل)

٥٤٩٤ ـ **(عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه)** أفرد الضمير لكونه هو الأصل المروي عنه وذكر ابنه تبعاً له، وفي نسخة عنهما وهو موهم أن يدخل فيه الخطاب وهو عدول عن الصواب. **(انطلق مع رسول الله ﷺ)** أي ذهب عمر معه **(في رهط)** وهو ما دون العشرة من الرجال، والمعنى في جملة جمع. **(من أصحابه قبل ابن صياد)** بكسر

الحديث رقم ٥٤٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٧١. حديث رقم ٣٠٥٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٤ حديث رقم (٩٥ . ٢٩٣٠). أخرجه أبو داود في ٤/ ٥٠٣ حديث رقم ٤٣٢٩ وأخرجه الترمذي ٤/ ٤٥٠ حديث رقم ٢٢٤٩. وأحمد في المسند ٢/ ١٤٨.

حتى وجدوهُ يلعبُ مع الصّبيانِ في أُطُمِ بني مَغالة، وقد قاربَ ابنُ صيَّادٍ يومئذ الحُلُمَ، فلم يشعرْ حتى ضربَ رسولُ اللّهِ ﷺ ظهرَه بيدِه، ثمَّ قال: «أتشهدُ أني رسولُ الله؟» فنظر إليه، فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ الأميّينَ. ثمَّ قال ابن صياد: أتشهدُ أني رسول الله؟ فرصَّه النبيُّ ﷺ ثمَّ قال: «آمنت بالله وبرسلِه»

قاف وفتح موحدة، أي جانبه. **(حتى وجدوه)** قيل: حتى هنا حرف ابتداء يستأنف بعده الكلام ويفيد انتهاء الغاية. وقوله: **(يلعب مع الصبيان)** حال من مفعول وجدوه **(في أطم بني مغالة)** بفتح الميم ويضم والغين المعجمة، ونقل بالضم والمهملة وهو قبيلة. والأطم بضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح، الجمع آطام وأطوم كذا في القاموس. وقال النووي [رحمه الله تعالى]: المشهور مغالة بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة. **(وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم)** بضمتين ويسكن اللام، أي البلوغ بالاحتلام وغيره. **(فلم يشعر)** بضم العين. وفيه إشعار بأنهم جاؤه[1] على غفلة منه، أي لم يتفطن بمأتانا. **(حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره)** أي ظهر ابن صياد **(بيده)** أي الكريمة **(ثم قال:)** أي النبي ﷺ **(أتشهد أني رسول الله فنظر إليه)** أي إلى النبي ﷺ نظر غضب أو غفلة ولذا لم يترتب عليه نظره له كما قال تعالى: **﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾** [الأعراف - ١٩٨]. **(فقال: أشهد أنك رسول الأميين)** قال القاضي [رحمه الله]: يريد بهم العرب لأن أكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون، وما ذكره وإن كان حقاً من قبل المنطوق لكنه يشعر بباطل من حيث المفهوم وهو أنه مخصوص بالعرب غير مبعوث إلى العجم كما زعمه بعض اليهود، وهو إن قصد به ذلك فهو من جملة ما يلقي إليه الكاذب الذي يأتيه وهو شيطانه انتهى. ويمكن أن يكون مسموعه من اليهود لأنه منهم، أو هذا منه على طريقة الحكماء في زعمهم أنهم يستغنون عن الأنبياء. **(ثم قال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله.)** يحتمل أنه أراد به الرسالة النبوية كما يدل عليه المقابلة الكلامية، ويحتمل أنه أراد الرسالة اللغوية فإنه أرسل من عنده تعالى للفتنة والبلية. **(فرصه النبي ﷺ)** بتشديد الصاد المهملة، أي ضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض ومنه قوله تعالى: **﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾** [الصف - ٤]. ذكره الخطابي. وقال النووي [رحمه الله]: في أكثر نسخ بلادنا فرفضه بالفاء والضاد المعجمة، والمعنى تركه وقطع سؤاله وجوابه وجداله من هذا الباب. وقال شارح: قوله: فرضه، أي كسره. وقيل: صوابه بالمهملة والمراد منه العصر والتضييق. **(ثم قال:)** أي النبي ﷺ **(آمنت بالله وبرسله)** قال الطيبي [رحمه الله]: هو عطف على فرصه وثم للتراخي في الرتبة والكلام خارج على ارخاء العنان، أي آمنت بالله ورسله فتفكر هل أنت منهم انتهى. وفيه إيهام تجويز التردد في كونه من الرسل أم لا ولا يخفى فساده. فالصواب أنه عمل بالمفهوم كما فعله الدجال، فالمعنى: إني آمنت برسله وأنت لست منهم فلو كنت منهم لآمنت بك، وهذا أيضاً على الفرض والتقدير أو قبل أن يعلم أنه خاتم

---

(١) في المخطوطة «جاؤوا».

ثُمَّ قال لابن صيَّاد: «ماذا ترى؟» قال: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ. قال رسولُ الله ﷺ: «خُلِّط عليك الأمرُ». قال رسولُ الله ﷺ: «إني خبَّأتُ لكَ خَبيئاً» وخبأ لَه: ﴿يومَ تأتي السَّماءُ بدُخانٍ مُبينٍ﴾. فقال: هوَ الدُّخُّ. فقال: «اخسأ فلن تعدُوَ

النبيين، وإلا فبعد العلم بالخاتمة فلا يجوز أيضاً الفرض والتقدير به. وقد صرح بعض علمائنا بأنه لو ادعى أحد النبوة فطلب منه شخص المعجزة كفر. وإنما لم يقتله ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة لأنه صبي، وقد نهي عن قتل الصبيان. أو أن اليهود كانوا يومئذ مستمسكين بالذمة مصالحين أن يتركوا على أمرهم وهو منهم أو من حلفائهم، فلم تكن ذمة ابن الصياد لتنقض بقوله الذي قال كذا قاله بعض علمائنا من الشراح. وقال ابن الملك: وهذا يدل على أن عهد الوالد يجزىء عن ولده الصغير. وقيل: إنه ما ادعى النبوة صريحاً لأن قوله: أتشهد، استفهام لا تصريح فيه. وفيه تأييد لما قدمته من احتمال المعنى اللغوي في الرسالة. **(ثم قال لابن صياد: ماذا ترى)** إذ زائدة **وما** استفهامية، أي ما تبصر وتكاشف من الأمر الغيبي. **(قال: يأتيني صادق)** أي خبر صادق تارة **(وكاذب)** أي أحرى أو ملك صادق وشيطان كاذب. وقيل: حاصل السؤال أن الذي يأتيك ما يقول لك، ومجمل الجواب أنه يحدثني بشيء قد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً. **(قال رسول الله ﷺ: خلط)** بصيغة المجهول مشدداً للمبالغة والتكثير ويجوز تخفيفه، أي شبه عليك الأمر أي الكذب بالصدق. قال النووي [رحمه الله]: أي ما يأتيك به شيطانك مخلط. قال الخطابي: معناه أنه كان له تارات يصيب في بعضها ويخطىء في بعضها فلذلك التبس عليه الأمر. **(قال رسول الله ﷺ: إني خبأت)** أي أضمرت **(لك)** أي في نفسي **(خبيئاً)** أي اسماً مضمراً لتخبرني به. قال ابن الملك: وإنما امتحنه ﷺ بذلك ليظهر إبطال حاله للصحابة وأنه كاهن يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه. **(وخباله: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾)**[(1)]. الجملة حال بتقدير قد أو بدونه. **(فقال: هو الدخ)** بضم فتشديد، وقيل بالفتح وحكي الكسر أيضاً. ففي النهاية: الدخ بضم الدال وفتحها الدخان لأنه أراد بذلك: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان ـ ١٠]. وقيل: إن عيسى يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل أن يكون أراده تعريضاً لقتله. وفي القاموس: الدخ ويضم الدخان. أقول: ولو روي بضم الدال وتخفيف الخاء لكان له وجه في أنه رمز وإشارة إلى الدخان وتصريح بنقصان إدراكه كما هو دأب الكهان. وقال النووي [رحمه الله]: وهو بضم الدال وتشديد الخاء المعجمة وهي لغة في الدخان. ومعنى خبأت أضمرت لك اسم الدخان. والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾**. قال القاضي عياض [رحمه الله]: وأصح الأقوال أنه لم يأت من الآية التي أضمرها النبي ﷺ إلا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب. ويدل عليه ما ذكره الدارمي عنه. **(فقال: اخسأ)** بفتح السين وسكون الهمزة، كلمة زجر واستهانة، أي امكث صاغراً أو أبعد حقيراً واسكت مزجوراً من الخسوء وهو زجر الكلب. **(فلن تعدو)** بضم الدال،

---

(١) سورة الدخان. آية رقم ١٠.

قدرَكَ». قال عمرُ: يا رسولَ الله! أتأذنُ لي فيه أن أضربَ عنُقه؟ قال رسولُ الله ﷺ: «إِنْ يكن هوَ لا تُسلَّط عليه، وإِنْ لم يكنْ هو فلا خير لك في قتلِه». قال ابنُ عمرَ: انطلقَ بعد ذلك رسولُ الله ﷺ وأُبيُّ بن كعبٍ الأنصاريُّ يَؤُمَّانِ النخلَ التي فيها ابنُ صيادٍ، فطفقَ رسولُ الله ﷺ يتقي بجذوعِ النخلِ وهوَ يختِلُ أنْ يسمعَ من ابن صيادٍ شيئاً قبل أنْ يراهُ، وابنُ صيادٍ مضطجع على فراشِه في قطيفةٍ، له فيها زمزمةٌ،

أي فلن تجاوز. (قدرك) أي القدر الذي يدركه الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء ذكره النووي. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي لا تتجاوز عن إظهار الخبيئات على هذا الوجه كما هو دأب الكهنة إلى دعوى النبوّة فتقول: أتشهد أني رسول الله. أقول: وحاصل الجملة وزبدة المسألة أنك وإن أخبرت عن الخبيء فلن تستطيع أن تجاوز عن الحد الذي حد لك، يريد أن الكهانة لا ترفع بصاحبها عن القدر الذي عليه هو وإن أصاب في كهانته. (قال عمر:) فيه التفات أو تجريد، ويمكن أن يكون ابن عمر مصاحباً لهم ويدل عليه ما بعده فقال: قال عمر: (يا رسول الله أتأذن لي فيه) أي في حقه (أضرب) وفي نسخة: فلأضرب، وفي أخرى: أن أضرب. (عنقه. قال رسول الله ﷺ إن يكن هو) أي الدجال (لا تسلط) بصيغة المجهول مجزوماً، وفي نسخة بالرفع، أي لا تقدر. (عليه) أي على هلاكه لأن المقدر أن قاتله عيسى عليه [الصلاة]والسلام فيما سيأتي من الأيام. (وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله) أي لما قدمناه من كونه صغيراً أو ذمياً أو كون كلامه محتملاً. أقوال وأوسطها أعدلها قال ابن الملك [رحمه الله تعالى]: ولما كان فيه قرائن دالة على كونه الدجال ذكر النبي ﷺ الحديث بصورة الشك والله [تعالى]أعلم. قال القاضي: قوله: إن يكن، هو الضمير للدجال ويدل عليه ما روي أنه ﷺ قال: «إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإلا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد». وهو خبر كان واسمه مستكن فيه. وكان حقه أن يكنه فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المتصل عكس قولهم لولاه. ويحتمل أن يكون تأكيداً للمستكن والخبر محذوفاً على تقدير إن يكن هو هذا قال الطيبي [رحمه الله]. ويجوز أن يقدر إن يكن هو الدجال وهو ضمير فصل، أو هو مبتدأ والدجال خبره والجملة خبر كان انتهى. وعلى الأخير يكون في يكن ضمير الشأن كما لا يخفى. (قال ابن عمر: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري) بالرفع للعطف ويجوز النصب للمعية (يؤمان النخل) من أمه يؤمه إذا قصده، أي يقصدان النخيل. (التي فيها) أي فيما بينها أو في بستانها (ابن صياد فطفق) بكسر الفاء، أي شرع (رسول الله ﷺ يتقي) أي يستر نفسه (بجذوع النخل) أي ويتخبأ عن ابن صياد ليأخذه على غرة وغفلة فإن تلك الحالة أدل على بطلان الرهبان. (وهو) أي النبي ﷺ (يختل) بسكون الخاء المعجمة وكسر الفوقية، من الختل وهو طلب الشيء بحيلة، والمفعول محذوف، أي يخدع ابن صياد. (أن يسمع) أي ليسمع (من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه) أي يعلم هو وأصحابه حاله في أنه كاهن أم ساحر ونحوهما. قال النووي [رحمه الله]: وفيه جواز كشف أحوال ما يخاف مفسدته وكشف الأمور المبهمة بنفسه. (وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة) أي دثار مخمل، وقيل لحاف صغير. (له فيها زمزمة) قال

فرأت أمُّ ابن صيادٍ النبيَّ ﷺ وهو يتَّقي بجذوعِ النخلِ. فقالت: أيْ صافُ ـ وهو اسمُه ـ هذا محمَّدٌ. فتناهى ابنُ صيادٍ. قال رسول الله ﷺ: «لو تركته بَيَّنَ». قال عبدُ الله بنُ عمرَ: قامَ رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فأثنى على الله بما هوَ أهلُه، ثمَّ ذكر الدَّجالَ فقال: «إِني أُنذركموهُ، وما من نبيّ إلاَّ وقد أنذرَ قومَه، لقدْ أنذرَ نوحٌ قومَه، ولكني سأقولُ لكم فيهِ قولاً لم يقلْه نبيٌّ لقومه، تعلمونَ أنَّه أعوَرُ، وأنَّ اللَّهَ ليسَ بأعورٍ».

النووي [رحمه الله]: هو في معظم نسخ مسلم بزاءين معجمتين وفي بعضها براءين مهملتين، ووقع في البخاري بالوجهين وهو صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم. قال شارح: هي صوت لا يفهم منه شيء وهو في الأصل صوت الرعد. **(فرأت أم ابن صياد النبي ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل فقالت: أي)** للنداء **(صاف)** بالضم، وفي نسخة بالكسر على أن أصله صافي فحذف الياء واكتفى بالكسرة، ويؤيد الأول ظاهر قوله: **(وهو اسمه)** ويمكن أن يكون الاسم بمعنى الوصف فإنه قد يستعمل بالمعنى الأعم من نحو اللقب والعلم. **(هذا)** أي وراءك **(محمد)** أو جاءك فتنبه له **(فتناهى ابن صياد)** أي انتهى عما كان فيه من الزمزمة وسكت. **(قال رسول الله ﷺ: لو تركته)** أي أمه **(بين)** أي أظهر ما في نفسه كذا في شرح السنة. وقال النووي [رحمه الله]: أي بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شأنه. **(قال عبد الله بن عمر:)** الظاهر أن ما سيأتي حديث آخر ذكره استطراداً ولذا لم يأت بعاطفة. وقال: **(قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه)** أي بعد نوح **(لقد أنذر نوح قومه)** أي قبل الأنبياء **(ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون)** خبر بمعنى الأمر، أي اعلموا. **(أنه أعور وأن الله)** بالفتح للعطف وبالكسر على أن الجملة حالية **(ليس بأعور)**. أي بالأمر البديهي في التنزيه الإلهي. قال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن أحداً من الأنبياء لم يكاشف أو لم يخبر بأنه أعور، ويحتمل أنه أخبر ولم يقدر له أن يخبر عنه كرامة لنبينا ﷺ حتى يكون هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بأمره جهال العوام فضلاً عن ذوي الألباب والأفهام. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: قصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال أم غيره، ولا شك أنه دجال من الدجاجلة. قالوا: وظاهر الأحاديث أنه ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان لابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله [تعالى]عنه: لا يولد للدجال وقد ولد له وأن لا يدخل مكة والمدينة. وابن صياد قد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة فيه لأنه ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض. قال الخطابي: واختلف السلف في أمره بعد كبره، فروي عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى يراه الناس وقيل لهم اشهدوا. قال: وكان ابن عمر وجابر يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه. فقيل لجابر: إنه أسلم فقال: وإن أسلم، فقيل: إنه دخل مكة وكان بالمدينة، فقال: وإن دخل. وروى أبو داود بإسناد

متفق عليه.

٥٤٩٥ ـ (٢) وعن أبي سعيد الخدري، قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ يعني ابن صيَّاد ـ في بعضِ طرق المدينة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أتشهد أني رسولُ الله؟». فقال هو:

صحيح عن جابر قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة[١]. وهذا يبطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلي عليه. وقد روى مسلم في هذه الأحاديث أن جابراً حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو الدجال وأنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه يحلف ذلك عند النبي ﷺ ولم ينكره[٢]. قال البيهقي في كتاب البعث والنشور: اختلفوا في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً هل هو الدجال أم لا، فمن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة ويجوز أن يتوافق صفة ابن صياد وصفة الدجال كما ثبت في الصحيح: إن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس هو. هو قال: وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها. قال: وليس في حديث تميم هذا كلام البيهقي فقد اختار أنه غيره. وقدمنا أنه صح عن ابن عمر وجابر أنه الدجال. فإن قيل: لم لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوّة. فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره أحدهما: أنه كان غير بالغ. واختار القاضي عياض [رحمه الله]هذا الجواب. والثاني: أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم، وجزم الخطابي بالجواب الثاني، قال: لأن النبي ﷺ بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب الصلح على أن يتركوا على حالهم، وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فيهم. قال الخطابي: وأما امتحان النبي ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب، فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر إبطال حاله للصحابة فإنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة فامتحنه ثم قال: فلن تعدو قدرك. أي لا تتجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة، بخلاف الأنبياء عليهم [الصلاة]والسلام فإنه يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي، فيكون واضحاً جلياً كاملاً وبخلاف ما يلهم الله الأولياء من الكرامات والله [تعالى]أعلم. **(متفق عليه)** ورواه أبو داود والترمذي.

٥٤٩٥ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر يعني)** أي يريد أبو سعيد بالضمير البارز **(ابن صياد)** والمعنى لقوه **(في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله. فقال هو:)** أي ابن صياد وهو تأكيد للضمير المستكن في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥٠٢).

(٢) راجع الحديث رقم(٥٥٠٠).

الحديث رقم ٥٤٩٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤١. حديث رقم (٨٧ ـ ٢٩٢٥) والترمذي ٤/ ٤٤٨ حديث رقم ٢٢٤٧.

أتشهد أني رسولُ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «آمنتُ باللّهِ وملائكته وكتبه ورسله، ماذا ترى؟». قال: أرى عرشاً على الماءِ. فقال رسول الله ﷺ: «ترى عرش إبليسَ على البحر، وما ترى؟» قال: أرى صادقَيْنِ وكاذباً، أو كاذبيْنِ وصادقاً. فقال رسول الله ﷺ: «لُبّس عليه، فدعوه». رواه مسلم.

٥٤٩٦ ـ (٣) وعنه، أنَّ ابنَ صيَّادٍ سألَ النبيَّ ﷺ عن تُربة الجنة. فقال: «دَرمكةُ بيضاءُ، مسك خالصٌ». رواه مسلم.

٥٤٩٧ ـ (٤) وعن نافع، قال: لقي ابنُ عمرَ ابنَ صيادٍ في بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السِكة. فدخل ابنُ عمر على حفصةَ وقد بلغها، فقالتْ له:

[فقال:](**أتشهد أني رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله وملائكته ورسله**) تقدم ما يتعلق به (**ماذا ترى. قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر**) أقول: قد جرى لبعض المكاشفين من هذه الأمة وقد قدمنا بيانه. (**وما ترى**) أي غير هذا (**قال: أرى صادقين وكاذباً أو كاذبين وصادقاً**) أي يأتيني شخصان يخبراني بما هو صدق وشخص يخبرني بما هو كذب والشك من ابن الصياد في عدد الصادق والكاذب يدل على افترائه، إذ المؤيد من عند الله لا يكون كذلك. (**فقال رسول الله ﷺ:**) أي لأصحابه (**لبس**) بضم لام وكسر موحدة مخففة ولو شدد لأفاد التأكيد والتكثير أي خلط. (**عليه الأمر**) في كهانته (**فدعوه**) أي فاتركوه فإنه لا يحدث بشيء يصلح أن يعول عليه (**رواه مسلم**).

٥٤٩٦ ـ (**وعنه**) أي عن أبي سعيد (**أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة**) أي ما ترابها (**فقال: درمكة**) في القاموس: الدرمك كجعفر، دقيق الحواري والتراب الناعم. (**بيضاء**) صفة مؤكدة (**مسك خالص**) خبر ثان. وفي النهاية: الدرمكة الدقيق الحواري، شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها وبالمسك لطيبها انتهى. ويقال: دقيق حواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء، هو ما حور أي بيض من الطعام. (**رواه مسلم**).

٥٤٩٧ ـ (**وعن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صياد**) أي رآه (**في بعض طرق المدينة فقال**) أي ابن عمر له (**قولاً أغضبه**) أي القول مجازاً أو ابن عمر (**فانتفخ**) أي صار ذا نفخ من الغضب (**حتى ملأ**) أي جسده المنتفخ (**السكة**) بكسر فتشديد، أي الطريق. (**فدخل ابن عمر على حفصة**) وهي أخته أم المؤمنين (**وقد بلغها**) أي وقد وصل إليها ما جرى بينهما (**فقالت له:**) أي

الحديث رقم ٥٤٩٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٣ حديث رقم (٩٣ . ٢٩٢٨) وأحمد في المسند ٣/٤.

الحديث رقم ٥٤٩٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٦. حديث رقم (٩٨ ـ ٢٩٣٢). وأحمد في المسند ٦/٢٨٣.

رحمك الله ما أردت من ابن صيَّاد؟ أمَا علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يخرجُ من غضبةٍ يغضبها». رواه مسلم.

٥٤٩٨ ـ (٥) وعن أبي سعيد الخدري، قال: صحبْتُ ابنَ صيَّادٍ إلى مكةَ، فقال لي: ما لقيتُ من الناس؟! يزعمون أني الدجال، ألستَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّه لا يولد له»؟. وقد وُلِدَ لي، أليس قد قال: «هو كافر»؟ وأنا مسلم، أو ليس قد قال: «لا يدخل المدينة ولا مكة»؟ وقد أقبلتُ من المدينةِ وأنا أريدُ مكة. ثم قال لي في آخر قوله: أمَا والله إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو، وأعرف أباه وأمَّه قال: فلبَّسني،

لأخيها (رحمك الله) جملة دعائية دالة على جواز مثلها للأحياء وإن كان العرف الآن على خلاف ذلك. (ما أردت) ما استفهام مفعول أردت، أي أي شيء قصدت. (من ابن صياد) أي حيث أغضبته في الكلام (أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج) أي الدجال حين يخرج (من غضبة) بسكون الضاد المعجمة، أي من مرة واحدة من الغضب. (يغضبها) الجملة في موضع الجر والضمير في موضع النصب، أي أنه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبه فيدعي النبوّة فلا تغضبه يا عبد الله ولا تتكلم معه كيلا يخرج فتظهر الفتن ذكره الطيبي [رحمه الله]وقال المظهر: يعني إنما يخرج الدجال حين يغضب. (رواه مسلم).

٥٤٩٨ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: صحبت ابن صياد إلى مكة) أي متوجهين إليها (فقال لي: ما لقيت) ما استفهام تعجيب، أي شيئاً عظيماً لقيت. (من الناس) أي من كلامهم، ثم بينه بقوله: (يزعمون أني الدجال) أي ولست إياه. وقال بعضهم: قوله: يزعمون، استئناف كأنه لما قال: ما لقيت، أي أي شيء لقيت من الناس. قيل له: ماذا تشكو منهم. فقال: يزعمون، أو حال من فاعل لقيت، أي أي شيء لقيت من الناس وإنهم يزعمون كذا، أي يترددون في أمري ويشكون فيه أنت تعلم أن الأمر على خلاف ذلك. (ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يولد له وقد ولد لي، أليس قد قال: هو كافر، وأنا مسلم. أو ليس قد قال: لا يدخل المدينة ولا مكة. وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة.) وقد سبق تأويلات الجمل المذكورة. (ثم قال لي في آخر قوله: أما والله إني لأعلم) أي لأعرف (مولده) أي زمان ولادة الدجال (ومكانه) أي حينئذ (وأين هو) أي الآن (وأعرف أباه وأمه) فيه أنه يحتمل أن يكون كاذباً وصادقاً فيه. (قال:) أي أبو سعيد (فلبسني) بتخفيف الموحدة المفتوحة. قال النووي [رحمه الله]: هو بالتخفيف، أي جعلني ألتبس على أمره وأشك فيه يعني حيث قال أوّلاً: اعلم أنا مسلم، ثم ادعى الغيب بقوله: إني لأعلم، ومن ادعى علم الغيب فقد كفر فالتبس عليّ إسلامه وكفره. وقال ابن الملك: فلبسني من التلبيس، أي التخليط حيث لم يبين مولده وموضعه بل

الحديث رقم ٥٤٩٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٢ حديث رقم (٨٩ ـ ٢٩٢٧) وأحمد في المسند ٣/ ٢٦.

قال: قلت له: تباً لك سائرَ اليوم. قالَ: وقيل له: أيسرُّكَ أنك ذاكَ الرجل؟ قال: فقال: لو عُرض عَليَّ ما كرهتُ. رواه مسلم.

٥٤٩٩ ـ (٦) وعن ابن عمر [رضي الله عنهما]، قال: لقيتُه وقد نَفَرت عينه فقلت: متى فعلت عينك ما أَرى؟ قال: لا أدري. قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إنْ شاءَ الله خلقها في عصاك.

تركه ملتبساً فلبس علي، أو معناه أوقعني في الشك بقوله: ولد لي وبدخوله المدينة ومكة، وكان يظن أنه الدجال. **(قال:)** أي أبو سعيد **(قلت له:)** أي لابن صياد **(تباً)** بتشديد الموحدة، أي هلاكاً وخسراناً. **(لك سائر اليوم)** أي جميع اليوم أو باقيه، أي ما تقدم من اليوم قد خسرت فيه فكذا في باقيه. **(قال:)** أي أبو سعيد **(وقيل له:)** أي لابن صياد **(أيسرك)** أي أيوقعك في السرور ويفرحك ويعجبك **(أنك ذلك الرجل)** أي أن تكون الدجال **(قال:)** أي أبو سعيد **(فقال:)** أي ابن صياد **(لو عرض علي)** بصيغة المجهول، أي لو عرض علي ما جبل في الدجال من الإغواء والخديعة والتلبيس على **(ما كرهت)** أي بل قبلت، والحاصل رضاه بكونه الدجال وهذا دليل واضع على كفره كذا ذكره المظهر وغيره من الشراح. **(رواه مسلم)**.

٥٤٩٩ ـ **(وعن ابن عمر قال: لقيته)** أي ابن صياد **(وقد نفرت)** بفتح الفاء، أي ورمت **(عينه)** كأن الجلد ينفر من اللحم الحادث بينهما. قال شارح: وروي بالقاف على بناء المجهول أي استخرجت. قال النووي: هو بفتح النون والقاف، أي ورمت ونتأت. وذكر القاضي عياض [رحمه الله]وجوهاً أخر، والظاهر أنها تصحيف. **(قلت: متى فعلت عينك)** أسند الفعل إلى العين مجازاً والمراد غيره، والمعنى: متى فعل الله بعينك. **(ما أرى)** أي الذي أراه فيها من الورم، وكأنه لبس على ابن صياد يختبره أو يوافقه أو يخالفه. **(قال: لا أدري. قلت: لا تدري)** بتقدير الاستفهام الإنكاري **(وهي في رأسك)** جملة حالية، وهذا استبعاد بحسب العادة وإلا فمن الإمكان، بل من أبدع ما كان أنه يحدث في عينه شيء ولا يدري فإنه إذا جاء القدر عمي البصر، لا سيما وكل أحد أعمي في عيب نفسه بصير بعيوب غيره يرى القذى[1] في عين الناس ولا يرى الجذع[2] في باصرته. **(قال: إن شاء الله خلقها)** أي هذه العلة، أو هذه العين المعيبة. **(في عصاك)** أي بحيث لا تدري بها وهي أقرب شيء إليك. قال القاضي [رحمه الله]: قول ابن صياد: إن شاء الله خلقها في عصاك، في جواب قوله: لا تدري، وهي في رأسك. إشارة إلى أنه يمكن أن تكون العين بحال لا يكون له شعور بحالها، فلم يجوز أن يكون الإنسان مستغرقاً في أفكاره بحيث يشغله عن الإحساس بها والتذكر لأحوالها. قلت: ونظيره قطع عضو مأكولة من بعض العارفين حالة كونه من المصلين مستغرقاً في بلوغ مدارج مشاهدة المقربين، وطلوع معراج مناجاة رب العالمين. وكما يشاهد من آحاد الناس أنه لا يحس بألم الجوع فرحاً أو حزناً

---

(١) في المخطوطة «الجذع». (٢) في المخطوطة «القذى».

الحديث رقم ٥٤٩٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٦ حديث رقم (٩٩ ـ ٢٩٣٢).

قال: فَنَخَر كأشدِّ نخيرِ حمارٍ سمعتُ. رواه مسلم.

٥٥٠٠ ـ (٧) وعن محمد بن المنكدر، قال: رأيتُ جابر بن عبدِ اللَّهِ يحلفُ باللَّهِ أنَّ ابنَ الصيَّاد الدجالُ. قلتُ: تحلف بالله؟ قال: إِني سمعتُ عمر يَحْلِفُ على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبيُّ ﷺ. متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٠١ ـ (٨) عن نافعٍ، قال: كان ٱبنُ عُمر يقول: واللَّهِ ما أَشكُ أنَّ المسيحَ

وغير ذلك. **(قال:)** أي ابن عمر **(فنخر)** أي ابن صياد وهو بفتح النون والخاء المعجمة، أي صوت صوتاً منكراً. **(كأشد نخير حمار)** قال شارح: هو صوت الأنف، يعني مد النفس في الخيشوم. **(سمعت)** بالضم، أي سمعت منه صوتاً منكراً، فإن أنكر الأصوات لصوت الحمير. قال الطيبي [رحمه الله]: كأشد نخير صفة مصدر محذوف، أي نخر نخرة إلى آخره. **(رواه مسلم)**.

٥٥٠٠ ـ **(وعن محمد بن المنكدر)** تابعي كبير روى عنه الثوري ومالك وغيرهما وهو ممن جمع بين العلم والزهد والعبادة. **(قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد)** بكسر الهمز وتعريف الصياد في الأصول **(الدجال)** أي هو الدجال **(قلت: تحلف بالله)** أي أتحلف مع أنه أمر مظنون غير مجزوم به. **(قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك)** أي على أن ابن الصياد الدجال **(عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ)** أي ولو لم يكن مقطوعاً لأنكره، أي ولم يجز اليمين على ما يغلب به الظن لما سكت عنه. قيل: لعل عمر أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوّة أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم، لا أنه المسيح الدجال لأن النبي ﷺ تردد حيث قال: إن يكن هو وإن لم يكن هو. ولكن فيه أن الظاهر المتبادر من إطلاق الدجال هو الفرد الأكمل، فالوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن والله [تعالى]أعلم. ثم رأيت شارحاً قال: فلم ينكره، لأن النبي ﷺ عرف أنه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله: يخرج في أمتي دجالون كذابون قريباً من ثلاثين. وابن صياد لم يكن خارجاً من جملتهم لأنه ادعى النبوّة بمحضر من النبي ﷺ، فلم يكن حلف عمر رضي الله [تعالى]عنه مخالفاً للحقيقة، أو يريد أن فيه صفة الدجال والله [تعالى]أعلم بالحال **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٥٥٠١ ـ **(عن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك)** أي لا أتردد **(أن المسيح**

الحديث رقم ٥٥٠٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٣٢٣. حديث رقم ٧٣٥٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٣ حديث رقم (٩٤ . ٢٩٢٩) وأبو داود في السنن ٤/٥٠٦ حديث رقم ٤٣٣١.

الحديث رقم ٥٥٠١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٥٠٦ حديث رقم ٤٣٣٠.

الدجالَ ابنُ صيَّادٍ. رواه أبو داود، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور».

٥٥٠٢ ـ (٩) وعن جابرٍ [رضي الله عنه] قال: قد فقدنا ابنَ صيَّادٍ يوم الحرة. رواه أبو داود.

٥٥٠٣ ـ (١٠) وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكثُ أَبوا الدجالِ ثلاثينَ عاماً، لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلامٌ أعورُ أضرَسُ، وأقلُّهُ منفعةً، تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبهُ». ثم نعت لنا رسول اللّهِ ﷺ أبويهِ فقال: «أبوه طُوال ضرِب اللحم كأن أنفه منقار،

الدجال ابن صياد) أي هو هو، وفي نسخة باللام. **(رواه أبو داود)** أي في سننه بسند صحيح **(والبيهقي في كتاب البعث والنشور)**.

٥٥٠٢ ـ **(وعن جابر قال: قد فقدنا ابن صياد)** وفي نسخة قد فقد بصيغة المجهول وضم ابن صياد. **(يوم الحرة)** هو يوم غلبة يزيد بن معاوية على أهل المدينة ومحاربته إياهم. قيل: هذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة وليس بمخالف ذكره الطيبي [رحمه الله]. وهو مخالف إذ يلزم من فقده المحتمل موته بها وبغيرها وكذا بقاؤه في الدنيا إلى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة. **(رواه أبو داود)** أي بسند صحيح.

٥٥٠٣ ـ **(وعن أبي بكرة)** بالتاء **(قال: قال رسول الله ﷺ: يمكث أبو الدجال)** أي والداه **(ثلاثين عاماً)** ولعل المراد به أحد الدجالين، فلا ينافيه ما سبق ولا ما يأتي من الكلام. **(لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضرس.)** أي عظيم الضرس وهو السن. والمراد به الناب لما سيأتي **(وأقله)** أي وأقل غلام **(منفعة)** والمعنى لا غلام أقل منه نفعاً. قال الجزري: قوله: أضرس. كذا في نسخ المصابيح، أي عظيم الضرس، أو الذي يولد وضرسه معه. ولا شك عندي أنه تصحيف أضر شيء وكذا هو في كتاب الترمذي الذي أخذه المؤلف منه، وبهذا يصح عطف: وأقله منفعة عليه، من غير تعسف ولا تكلف تقدير ويكون الضمير عائد إلى شيء، أي أقل شيء منفعة. قلت: ويؤيده أنه أورد الحافظ ابن حجر في شرح البخاري حديث أبي بكرة ناقلاً عن أبي داود: وفيه غلام أعور أضر شيء وأقله نفعاً. **(تنام عيناه ولا ينام قلبه)** قال القاضي [رحمه الله]: أي لا تنقطع أفكاره الفاسدة عنه عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقي الشيطان إليه، كما لم يكن ينام قلب النبي ﷺ من أفكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحي والإلهام. **(ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال:)** أي النبي ﷺ **(أبوه طوال)** بضم الطاء وتخفيف الواو مبالغة طويل والمشدد أكثر مبالغة، لكن الأول هو الرواية. **(ضرب اللحم)** أي خفيفه. وفي النهاية: هو الخفيف اللحم المستدق. وفي صفة موسى عليه [الصلاة]والسلام أنه ضرب من الرجال. **(كأن)** بتشديد النون **(أنفه منقار)** بكسر الميم، أي في أنفه طول بحيث

الحديث رقم ٥٥٠٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٥٠٦ حديث رقم ٤٣٣٢.

الحديث رقم ٥٥٠٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٤٩ حديث رقم ٢٢٤٨. وأحمد في المسند ٥/ ٤٠.

وأمُّه امرأةٍ فِرضاخية طويلة اليدين». فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولودٍ في اليهود بالمدينة، فذهبتُ أنا والزبيرُ بنُ العوام، حتى دخلنا على أبويهِ، فإذا نعتُ رسولِ الله ﷺ فيهما، فقلنا: هلْ لكما ولدٌ؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يُولدُ لنا ولد، ثُمَّ وُلِد لا غلام أعورُ أضرس، وأقلُّه منفعةً، تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه. قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو منجدل في الشمسِ في قطيفةٍ، وله هَمْهمَةٌ، فكشفَ عن رأسِه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعتَ ما قُلْنَا؟ قال: نعم، تنامُ عيناي ولا ينامُ قلبي. رواه الترمذي.

٥٥٠٤ ـ (١١) وعن جابرٍ، أنَّ امرأةً من اليهودِ بالمدينةِ وَلَدتْ غُلاماً ممسوحةً عينُه طالعةً نابُهُ،

يشبه منقار طائر. **(وأمه امرأة فرضاخية)** بكسر الفاء وتشديد التحتية، أي ضخمة عظيمة ذكره القاضي. وفي الفائق هي صفة بالضخم، وقيل بالطول والياء مزيدة فيه للمبالغة كأحمري. وفي القاموس: رجل فرضاخ ضخم عريض أو طويل، وهي بهاء وامرأة فرضاخة أو فرضاخية عظيمة الثديين. وفي النهاية: فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين. **(طويلة اليدين)** أي بالإضافة إلى عادة نسائها، أو بالنسبة إلى سائر أعضائها. **(فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام)** بالرفع أو النصب **(حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله)** أي وصفه (ﷺ **فيهما. فقلنا: هل لكما ولد)** بالرفع، أي ولد ولد **(فقالا: مكثنا)** بفتح الكاف وضمها، أي لبثنا **(ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس)** فيه ما تقدم. **(وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه)** ولعله كان يظهر بعض آثار قلبه على صفحة قالبه، أو هو أخبرهما عن بعض مدركات قلبه حال نومه. **(قال:)** أي أبو بكرة **(فخرجنا من عندهما فإذا هو)** أي الغلام **(منجدل)** بكسر الدال، أي ملقى على وجه الأرض. قال الطيبي رحمه الله: أي ملقى على الجدالة وهي الأرض، ومنه الحديث: «أنا خاتم الأنبياء في أم الكتاب وآدم لمنجدل في طينته»[١]. قلت: ففيه تجريد أو تأكيد. والمعنى أنه ساقط أو واقع. **(في الشمس في قطيفة)** أي دثار مخمل على ما في القاموس. **(وله همهمة)** أي زمزمة وقال شارح: أي كلام غير مفهوم منه شيء وهي في الأصل ترديد الصوت في الصدر، أي كما هو مشاهد في الفرس[٢] عند جريانه. وفي النهاية: وأصل الهمهمة صوت البقر. **(فكشف)** أي ابن صياد **(عن رأسه)** أي غطاءه **(فقال: ما قلتما)** فكأنه وقع كلام بينهما فيه [أو في]غيره **(قلنا: وهل سمعت ما قلنا. قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي. رواه الترمذي)** وكذا أبو داود.

٥٥٠٤ ـ **(وعن جابر أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاماً ممسوحة عينه)** أي اليمنى وقيل اليسرى **(طالعة نابه)** هكذا هو في شرح السنة. والظاهر طالعاً نابه إلا أن يراد به الجنس

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٢٦.
(٢) في المخطوطة «القاموس».

الحديث رقم ٥٥٠٤: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٧٨ حديث رقم ٤٢٧٤. وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٨.

فأشفقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يكونَ الدجالَ، فوجدَه تحت قطيفةٍ يُهَمْهم. فآذنته أُمُّه فقالت: يا عبدَ اللَّهِ! هذا أبو القاسم فَخَرَجَ مِنَ القطيفةِ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما لها قاتلها الله؟ لو تركتْه لبيَّن». فذكر مثل معنى حديثِ ابنِ عمر، فقال عمر بن الخطاب: ائذنْ لي يا رسول الله فأَقْتُله، فقال رسول الله ﷺ: «إن يكن هو فَلَسْت صاحبَه إنما صاحبُه عيسى ابنُ مريم، وإلاّ يكن هو فليس لكَ أن تَقْتُلَ رجلاً من أهل العهد». فلم يزلْ رسول الله ﷺ مشفقاً أنه هو الدجال. رواه في «شرح السنة».

وهذا الباب خال عن الفصل الثالث

والتعدد فيه على التحمل ذكره الطيبي [رحمه الله]: فالمعنى: طالعة أنيابه. وفي القاموس: الناب السن خلف الرباعية مؤنث، فالتعدد باعتبار الطرفين والجمع باعتبار أن الأقل يكون لاثنين. وهذا الحديث يقوي رواية أضرس فيما تقدم والله [تعالى]أعلم. **(فأشفق)** أي خاف **(رسول الله ﷺ)** أي على أمته **(أن يكون)** أي هو **(الدجال فوجد جده تحت قطيفة يهمهم)** أي يتكلم بكلام غير مفهوم **(فآذنته)** بالمد، أي أعلمته. **(أمه)** أي بمأتى النبي ﷺ إياه **(فقالت: يا عبد الله)** يحتمل العلمية والوصفية **(هذا أبو القاسم)** أي حاضراً و حضر فتنبه له وتهيأ لكلامه. **(فخرج من القطيفة فقال رسول الله ﷺ: ما لها)** ما للاستفهام مبتدأ، ولها خبره، أي أي شيء لها. **(قاتلها الله)** دعاء عليها زجراً لها **(لو تركته لبين)** أي لأظهر ما في ضميره **(فذكر)** أي جابر **(مثل معنى حديث ابن عمر)** أي الحديث الأوّل من باب قصة ابن صياد **(فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي)** أمر من الإذن، أي أعطني الإجازة يا رسول الله. **(فأقتله)** بالنصب على جواب الأمر **(فقال رسول الله ﷺ: إن يكن هو)** أي ابن الصياد الدجال **(فلست صاحبه)** أي صاحب قتله ومباشرة هلاكه **(إنما صاحبه عيسى ابن مريم وإن لم يكن)** استعمال لا أولى هنا من قولهم في مثل هذا المقام وإن لم يكن **(فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد)** أي من الذمة والجزية **(فلم يزل رسول الله ﷺ مشفقاً)** أي خائفاً على أمته **(أنه)** أي ابن الصياد **(هو الدجال. رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** بإسناده. قال بعض المحققين: الوجه في الأحاديث الواردة في ابن صياد مع ما فيها من الاختلاف والتضاد أن يقال إنه ﷺ حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال، فلما أخبر ﷺ بما أخبر به من شأن قصته في حديث تميم الداري ووافق ذلك ما عنده تبين له ﷺ أن ابن الصياد ليس بالذي ظنه. ويؤيده ما ذكره أبو سعيد حين صحبه إلى مكة. وأما توافق النعوت في أبوي الدجال وأبوي ابن صياد فليس مما يقطع به قولاً، فإن اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد الموصوفين، وكذا حلف عمر وابنه مع عدم إنكاره ﷺ من أنه الدجال فإن كل ذلك قبل تبين الحال وقد كان للدجال في بعض علاماته[1] ما أورث ذلك فيه ﷺ إشفاقاً منه.

(١) في المخطوطة «علامة».

(٥) باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الأول

٥٥٠٥ ـ (١) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم، حكَماً عَدْلاً، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكونَ السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

(باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام)

(الفصل الأول)

٥٥٠٥ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً)** بفتحتين أي حاكماً **(عدلاً)** أي عادلاً **(فيكسر)** بالرفع وقيل بالنصب والفاء فيه تفصيلية لقوله: حكماً عدلاً، أو تفريعية أي يهدم ويقطع. **(الصليب)** قال في شرح السنة وغيره، أي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية. وقال ابن الملك: الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة، وقد يكون فيه صورة المسيح. **(ويقتل الخنزير)** أي يحرم اقتناءه وأكله ويبيح قتله. في شرح السنة: وفيه بيان أن أعيانها نجسة لأن عيسى عليه [الصلاة]والسلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام والشيء الظاهر المنتفع به لا يباح إتلافه انتهى. وفيه أنه قد يباح لمصلحة دينية أو دنيوية مع أن في كون الخنزير نجس العين بجميع أجزائه خلافاً للعلماء. **(ويضع الجزية)** أي عن أهل الكتاب ويحملهم على الإسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق. وقيل: يضع الجزية عنهم لأنه لا يوجد محتاج يقبل الجزية منهم لكثرة المال وقلة أهل الحرص والآمال، ويؤيده قوله: **(ويفيض)** بفتح أوّله من فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال كالوادي على ما في القاموس، أي يكثر. **(المال حتى لا يقبله أحد)** أي من الرجال **(حتى تكون السجدة)** أي الواحدة لما فيها من لذة العبادة. والمراد بالسجدة نفسها أو الصلاة بكمالها لتضمنها لها. **(خيراً من الدنيا وما فيها)** قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: حتى الأولى متعلقة بقوله: ويفيض المال، والثانية غاية لمفهوم قوله: فيكسر الصليب الخ. أقول: والأظهر أن الثانية بدل من الأولى أو غاية لما قبلها قائمة مقام العلة لها. قال التوربشتي [رحمه الله]: لم تزل السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك، وإنما أراد بذلك أن الناس يرغبون

الحديث رقم ٥٥٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٠. حديث رقم ٣٤٤٨. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥ حديث رقم (٢٤٢ ـ ١٥٥). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣٩. حديث رقم ٢٢٣٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٣ حديث رقم ٤٠٧٨.

«ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم ﴿وإِنْ من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية. متفق عليه.

٥٥٠٦ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسُول الله ﷺ: «واللّهِ لينزلَنَّ ابنُ مريم حكماً عادلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصليبَ وليَقتُلَنَّ الخنزير، وليضَعَنَّ الجزيةَ، وليَتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناء

في أمر الله ويزهدون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها. **(ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية)**[1]. بالنصب ويجوز رفعها وخفضها وقدمنا وجهها. قال الطيبي [رحمه الله]: استدل بالآية على نزول عيسى عليه [الصلاة]والسلام في آخر الزمان مصداقاً للحديث. وتحريره أن الضميرين في به وقبل موته لعيسى، والمعنى: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، فتكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام انتهى. وقيل: المعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ عند المعاينة قبل خروج الروح وهو لا ينفع، فضمير به راجع إلى نبينا ﷺ وضمير موته للكتابي. وقيل: كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ولا ينفع. وقيل: ضمير به لله سبحانه، أي كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع، والأولى مذهب أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]في الآية. **(متفق عليه)**.

٥٥٠٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً)** وفي نسخة: عدلاً. وهو أبلغ. **(فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية)** أي ليحكم بما ذكر **(وليتركن القلاص)** بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول، وهو الملائم لقوله: **(فلا يسعى عليها)** أي لا يعمل على القلاص وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية. والمعنى: إنه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها، أو معناه لا يأمر أحداً بأن يسعى على أخذها وتحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها. ففي النهاية: أي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع. وقيل: لا يكون معها راع يسعى. ففي الصحاح: كل من ولي أمر قوم فهو ساع عليهم. وقال المظهر: يعني ليتركن عيسى عليه [الصلاة]والسلام إبل الصدقة ولا يأمر أحداً أن يسعى عليها ويأخذها لأنه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها، والمراد بالسعي العمل. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الأرض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج إليه لاستغنائهم. **(ولتذهبن)** أي ولتزولن **(الشحناء)** بفتح أوله أي العداوة التي تشحن القلب وتملؤه من الغضب.

---

(١) سورة النساء ـ آية رقم ١٥٩.

الحديث رقم ٥٥٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩١. حديث رقم ٣٤٤٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٤٣/ ١٥٢ وأحمد في المسند ٢/ ٤٩٤.

والتباغُضُ والتحاسدُ، وليَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ». رواه مسلم. وفي رواية لهما قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟».

٥٥٠٧ ـ (٣) وعن جابرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين

(والتباغض) أي الذي هو سبب العداوة **(والتحاسد)** أي الذي هو باعث التباغض، وكلها نتيجة حب الدنيا فتزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب. وقال الأشرف: إنما تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ لأن جميع الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة وهي الإسلام، وأعلى أسباب التباغض وأكثرها هو اختلاف الأديان. قلت: اليوم كثير من البلدان متفقون على ملة الإسلام وفيهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة، بل المقاتلة والمحاربة بين الحكام وليس السبب الباعث عليها إلا حب الجاه بين الأنام والميل إلى المال الحرام. **(وليدعون)** ضبط في نسخة بضم الواو ونسب إلى النووي رحمه الله تعالى ولا وجه له. فالصواب ما في الأصول المعتمدة من أنه بفتح الواو وتشديد النون، وفاعله ضمير عيسى عليه الصلاة والسلام. والمعنى: ليدعون الناس. **(إلى المال)** أي أخذه وقبوله **(فلا يقبله أحد)** أي استغناء بعطاء الأحد **(رواه مسلم)**. **(وفي رواية لهما)** أي لمسلم والبخاري بقرينة ذكر مسلم، فإن الغالب أن يكون قريناً له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغائب. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(كيف أنتم)** أي حالكم ومآلكم **(إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)** أي من أهل دينكم، وقيل من قريش وهو المهدي. والحاصل أن إمامكم واحد منكم دون عيسى فإنه بمنزلة الخليفة، وقيل فيه دليل على أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام لا يكون من أمة محمد [عليه الصلاة والسلام]بل مقرراً لملته ومعيناً لأمته عليهما السلام. وفي شرح السنة قال معمر: وإنكم وإمامكم منكم. وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهاب: فإمامكم منكم. قال ابن أبي ذئب في معناه: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم. قال الطيبي [رحمه الله]: فالضمير في أمكم لعيسى ومنكم حال، أي يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم. ويحتمل أن يكون معنى إمامكم منكم كيف حالكم وأنتم مكرمون عند الله تعالى، والحال أن عيسى ينزل فيكم وإمامكم منكم عيسى يقتدي بإمائكم تكرمة لدينكم، ويشهد له الحديث الآتي. اهـ. وسيأتي بقية الكلام عليه فيه وهو قوله:

٥٥٠٧ ـ **(وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق)** أما مقاتلة حسية أو معنوية على ظهور الحق، أو حال كونهم على الحق. **(ظاهرين)** أي غالبين،

الحديث رقم ٥٥٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٣٧ حديث رقم (٢٤٧ ـ ١٥٦). وأخرجه أبو داود في السنن ٣/ ١١ حديث رقم ٢٤٨٤. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٤ وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٩.

إِلى يوم القيامة». قال: «فينزل عيسى ابنُ مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراءُ، تكرمةَ الله هذه الأمة». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني.

الفصل الثالث

٥٥٠٨ ـ (٤) عن عبدِ الله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ

أي على أعدائهم. قال تعالى: ﴿إلا أن حزب الله هم الغالبون﴾. **(إلى يوم القيامة)** أي إلى قرب قيام الساعة **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم:)** أي المهدي **(تعال)** بفتح اللام، أي أحضر وتقدم. **(صل)** بدل أو استئناف بيان، والمعنى أم. **(لنا)** أي في صلاتنا فإن الأولى بالإمامة هو الأفضل وأنت النبي [ﷺ] لرسول الكمل. وفي رواية: تعال فصل لنا. **(فيقول: لا)** أي لا أصير إماماً لكم لئلا يتوهم بإمامتي لكم نسخ دينكم. وقيل: تعلل بأن هذه الصلاة أقيمت لإمامكم فهو أولى بها، لكن يؤيد الأول إطلاق قوله: **(إن بعضكم على بعض أمراء)** أي دينية أو دنيوية وأن على الإعانة المعية. **(تكرمة الله هذه الأمة)** أي إكراماً منه سبحانه لهذه الجماعة المكرمة. قال القاضي [رحمه الله]: تكرمة الله نصب على المفعول لأجله والعامل محذوف. والمعنى: شرع الله أن يكون إمام المسلمين منهم وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيماً لشأنهم، أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله. قال التفتازاني في شرح العقائد: الأصح أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل وإمامته أولى. قال ابن أبي شريف: هذا يوافق ما في مسلم من قوله: وإمامكم منكم. لكنه فيه ما يخالفه وهو حديث جابر. ويمكن الجمع بينهما بأن يكون صلى بهم أول نزوله تنبيهاً على أنه نزل مقتدى به في الحكم على شريعتهم، ثم دعي إلى الصلاة فأشار بأن يؤمهم المهدي إظهاراً لاكرام الله به هذه الأمة. قلت: ويمكن الجمع بالعكس أيضاً وربما يدعي أنه الأولى على أن قوله: إمامكم منكم، ظاهر في أن المهدي هو الإمام والله تعالى أعلم بالمرام. قال: وأما كونه أفضل فلا يلزم منه بطلان الاقتداء بغيره، وأما الأولوية بالأفضلية فيعارضها اظهار تكرمة الله تعالى هذه الأمة بدوام شريعته كما نطق به الحديث. **(رواه مسلم. وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)** يعني عن الأحاديث الموصوفة بالحسان على اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني على مصطلح صاحب المشكاة.

(الفصل الثالث)

أي الموضوع في الأحاديث الزائدة لصاحب المشكاة على المصابيح المناسبة للباب.

٥٥٠٨ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل عيسى ابن مريم**

الحديث رقم ٥٥٠٨: رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء.

إِلى الأرض، فيتزوَّجُ، ويولدُ له، ويمكثُ خمساً وأربعينَ سنةً، ثمَّ يموتُ، فيُدْفَنُ معي في قبري، فأقومُ أنا وعيسى ابنُ مريمَ في قبرٍ واحدٍ بينَ أبي بكرٍ وعمرَ». رواه ابنُ الجوزي في «كتاب الوفاء».

(٦) باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته

إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة) وهذا بظاهره يخالف قول من قال إن عيسى رفع به إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون، ويمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين فيكون مجموع العدد أربعين. لكن حديث مكثه سبعاً رواه مسلم فيتعين الجمع بما ذكر، أو ترجيح ما في الصحيح. ولعل عدد الخمس ساقط من الاعتبار لإلغاء الكسر. **(ثم يموت فيدفن معي)** أي مصاحباً لي **(في قبري)** أي في مقبرتي، وعبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكأنهما في قبر واحد. **(فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد)** أي من مقبرة واحدة. ففي القاموس: إن في تأتي بمعنى من وكذا في المغني. **(بين أبي بكر وعمر)** [رضي الله عنهما)، أي حال كوننا قائمين واقفين بين أبي بكر وعمر فأحدهما عن يمينهما إيماء إلى تيمنه بالإِيمان وأن الإِيمان يمان، والظاهر أنه أبو بكر، والآخر عن يسارهما ليسر الإِسلام وعزه به وهو عمر. وسيأتي في فضائل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام برواية الترمذي عنه قال: مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى ابن مريم يدفن معه. قال أبو داود: وقد بقي في البيت موضع قبر[١]. أقول: والظاهر اللائق بمقام عيسى عليه [الصلاة]والسلام أن يكون بين النبي ﷺ وبين أبي بكر رضي الله [تعالى]عنه. لكن سيأتي في كلام الجزري أنه يدفن بعد عمر، ولعله نظر إلى تأخر الدفن باعتبار تأخر زمن الموت أو تكرمة لهذه الأمة وتعظيماً للصحابيين الكريمين أن يكونا بين النبيين العظيمين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. **(رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء)**.

(باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته)

وفي نسخة: القيامة. وأطلق الساعة عليها لأنها تكون بغتة وفجأة، فوقوعها في أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان وإن كانت بالنسبة إلى انتهائها مديدة. وقيل: أطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجي بالكافور تسمية بالضد. **(وأن من مات فقد قامت قيامته)** عطف على قرب الساعة لا على الساعة لفساد المعنى. قال التوربشتي [رحمه الله]: الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة، وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله على أقسام ثلاثة: الكبرى وهي بعث الناس للجزاء، والقيامة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت، والقيامة الصغرى وهي موت الإِنسان. والمراد هنا هذه أي الأخيرة. والظاهر أن المراد بالساعة هي الكبرى سواء أريد بها

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٧٧٢) والقائل أبو مودود وليس أبو داود.

الفصل الأول

٥٥٠٩ ـ (١) عن شعبةَ، عن قتادة، عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بُعثتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين».

النفخة الأولى لقوله ﷺ: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس(١). أو الثانية وهي الطامة الكبرى المعروفة في الكتاب والسنة. ومن أحاديث الباب قوله عليه [الصلاة]والسلام: «بعثت أنا والساعة كهاتين يحتملهما»(٢). نعم(٣) حديث عائشة الآتي يدل على القيامة الوسطى، وأما في كتاب الله فما أظن أن الساعة وردت بهذا المعنى ولا ما يدل على القيامة الصغرى إلا ما رواه الديلمي عن أنس مرفوعاً بلفظ: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته»(٤). وهو المعنون في الباب مع عدم إيراد حديث يلائمه، وهذا كما ترى لم يرد بلفظ الساعة وأريد بها القيامة الصغرى، بل ولا ورد بمعنى القيامة الوسطى إلا بالإضافة فالأولى أن يقال: إن الساعة منقسمة إلى ثلاثة: كبرى وهي الطامة الجامعة، ووسطى وهي النفخة للإماتة العامة، وصغرى وهي إماتة الجماعة. والقيامة تطلق على الثلاثة وعلى من مات وحده أيضاً والله سبحانه [وتعالى]أعلم.

(الفصل الأول)

٥٥٠٩ ـ **(عن شعبة)** أحد رواة الحديث **(عن قتادة)** تابعي جليل **(عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت أنا والساعة)** بالرفع في بعض وفي بعض النسخ بالنصب. قال النووي [رحمه الله]: وروي بنصب الساعة ورفعها. قال شارح من علمائنا: الساعة مرفوعة رواية ويجوز النصب على أن الواو بمعنى مع. **(كهاتين)** قال القاضي [رحمه الله]: معناه أن نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى انتهى. وهو المعنى بما قيل كفضل الوسطى على السبابة في السبق، ويدل عليه ما سيأتي من حديث ابن شداد. والأظهر أن يقال: كفصل إحداهما عن الأخرى بالصاد المهملة لما بينهما من قليل الانفصال، ويؤيده ما في النهاية. ويحتمل وجهاً آخر أن يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة لا تفترق إحداهما عن الأخرى كما أن السبابة لا تفترق عن الوسطى ولم يوجد بينهما ما ليس منهما. وقال شارح آخر: يريد أن دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه دين آخر ولا يفرق بينهما دعوة أخرى، كما لا يفصل شيء بين السبابة والوسطى. قال الطيبي [رحمه الله]: ويؤيد الوجه الأول الحديث الآتي للمستورد بن شداد. قلت: فيه نظر لأن في كل حديث روعي معنى لم يراع في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥١٧).
(٢) وهو الحديث رقم (٥٥٠٩).
(٣) في المخطوطة «قم».
(٤) وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٦٧.

الحديث رقم ٥٥٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٤٧. حديث رقم ٦٥٠٤. ومسلم في صحيحه ٢/ ٢٢٦٨ حديث رقم (١٣٣ ـ ٢٩٥١). وابن ماجه ٢/ ١٣٤١ حديث رقم ٤٠٤٠ والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٤ حديث رقم ٢٧٥٩. وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٩.

قال شعبةُ: وسمعتُ قتادةَ يقولُ في قَصصِه: كفضلِ إحداهُما على الأخرى، فلا أدري أذكرَهُ عن أنسٍ أو قاله قتادةُ؟. متفق عليه.

٥٥١٠ ـ (٢) وعن جابرٍ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ قبل أنْ يموتَ بشهرٍ: «تسألونيّ عن الساعةِ؟ وإنما علمُها عندَ الله، وأُقسم بالله ما على الأرضِ من نفسٍ منفوسةٍ يأتي عليها مائةُ سنةٍ وهي حيَّة يومئذٍ».

الآخر، إذ التأسيس أولى من التأكيد على أنه لا مانع من أن يلاحظ في هذا الحديث كلا المعنيين، إذ لا تدافع فيما بينهما في رأي العينين. نعم يفهم من المعنى الأول إغراق في التشبيه القربي ما لا يفهم من الثاني ولذا اختاره بعضهم. ويؤيده موافقته لتفسير الراوي. **(قال شعبة: وسمعت قتادة يقول في قصصه:)** بفتح القاف مصدر قص يقص بمعنى يعظ أو يحكي القصة، أو يحدث ويروي ومنه قوله تعالى: ﴿**نحن نقص عليك أحسن القصص**﴾ [يوسف ـ ٣]. وفي نسخة بكسر القاف وهي جمع قصة. والمعنى في قصص قتادة، أي تحديثه أو تفسير حديثه. **(كفضل إحداهما)** أي إحدى الإصبعين **(على الأخرى)** قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: كفضل إحداهما، بدل من قوله كهاتين موضح له رهو يؤيد الوجه الأوّل، والرفع على العطف. والمعنى: بعثت أنا والساعة بعثاً متفاضلاً مثل فضل إحداهما. ومعنى النصب لا يستقيم على هذا، يعني لا بد على قصد المعية لكن يمكن ادعاؤها على طريق المبالغة كما عبر عنه في الحديث الآتي بقوله: بعثت في نفس الساعة بفتحتين أي في قربها. **(فلا أدري أذكره)** أي قتادة **(عن أنس)** أي مرفوعاً أو موقوفاً **(أو قاله قتادة)** أي من عند نفسه وتلقاء رأيه وهو الأظهر حتى يثبت الآخر **(متفق عليه)** ورواه أحمد والترمذي عن أنس، وكذا روى أحمد والشيخان عن سهل ابن سعد.

٥٥١٠ ـ **(وعن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: تسألوني)** بتشديد النون وتخفيفه على صيغة الخطاب للأصحاب، وهمزة الإنكار مقدرة أي أتسألوني. **(عن الساعة)** أي القيامة وهي النفخة الأولى أو الثانية **(وإنما علمها عند الله)** أي لا يعلمها إلا هو. وقال الطيبي [رحمه الله]: حال مقررة لجهة الإشكال أنكر عليهم سؤالهم وأكده بقوله: وإنما علمها عند الله. وقوله: **(وأقسم بالله)** مقرر له يعني: تسألونني عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله، وما أعلمه هو القيامة الصغرى. انتهى. وهو يؤيد تقسيمنا المتقدم في الساعة. **(ما على الأرض)** ما نافية ومن في قوله: **(من نفس)** زائدة للاستغراق. وقوله: **(منفوسة)** صفة نفس وكذا ما يأتي. والمعنى: ما من نفس مولودة اليوم. **(يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ)** يقال: نفست المرأة غلاماً بالكسر ونفست على البناء للمفعول إذا ولدت نفساً فهي نافس ونفساء والولد منفوس. قال الشاعر:

الحديث رقم ٥٥١٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٦ حديث رقم (٢١٨ . ٢٥٣٨) وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٢.

رواه مسلم.

٥٥١١ ـ (٣) وعن أبي سعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يأتي مائةُ سنة وعلى الأرضِ نفسٌ منفوسةٌ اليوم». رواه مسلم.

٥٥١٢ ـ (٤) وعن عائشةَ، قالت: كانَ رجالٌ من الأعراب يأتونَ النبيَّ ﷺ فيسألونه عن الساعةِ، فكان ينظرُ إلى أصغرِهم فيقول: «إنْ يعشْ هذا لا يدركه الهرمُ حتى تقومَ عليكم ساعتُكم».

---

* كما سقط المنفوس بين القوابل *

قال الأشرف: معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم مائة سنة، أراد به موت الصحابة رضي الله عنهم. وقال ﷺ هذا على الغالب وإلا فقد عاش بعض الصحابة أكثر من مائة سنة انتهى. ومنهم أنس بن مالك وسلمان وغيرهما. والأظهر أن المعنى لا تعيش نفس مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الآتي فلا حاجة إلى اعتبار الغالب، فلعل المولودين في ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود الحديث. ومما يؤيد هذا المعنى استدلال المحققين من المحدثين وغيرهم من المتكلمين على بطلان دعوى بابارتن الهندي وغيره ممن ادعى الصحبة وزعم أنه من المعمرين إلى المائتين والزيادة، بقي أن الحديث بظاهره يدل على عدم حياة الخضر وإلياس. وقد قال البغوي [رحمه الله]في معالم التنزيل: أربعة من الأنبياء في الحياة اثنان في الأرض الخضر وإلياس واثنان في السماء عيسى وإدريس [عليهم الصلاة والسلام]، فالحديث مخصوص بغيرهم. أو المراد ما من نفس منفوسة من أمتي والنبي [عليه الصلاة والسلام]لا يكون من أمته نبي آخر. وقيل: قيد الأرض يخرج الخضر وإلياس فإنهما كانا على البحر حينئذ والله تعالى أعلم. **(رواه مسلم)**.

٥٥١١ ـ **(وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة)** والجملة حالية **(اليوم)** هو ظرف منفوسة ذكره الطيبي [رحمه الله]. قال ابن الملك: إشارة إلى زمنه ﷺ. **(رواه مسلم)**.

٥٥١٢ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رجال من الأعراب)** أي أهل البدو **(يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة)** الظاهر أن سؤالهم عن الساعة الكبرى، فالجواب الآتي على أسلوب الحكيم. **(فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يدركه)** بالرفع وقيل بالجزم، أي لا يلحقه. **(الهرم)** بفتحتين وهو الكبر. **(حتى تقوم عليكم ساعتكم)** أي قيامتكم

الحديث رقم ٥٥١١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٦٦ حديث رقم (٢١٩ . ٢٥٣٩) والترمذي في السنن ٤/ ٤٥٠ حديث رقم ٢٢٥٠. وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٩.

الحديث رقم ٥٥١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٦١. حديث رقم ٦٥١١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٩ حديث رقم (١٣٦ . ٢٩٥٢) وأحمد في المسند ٣/ ١٩٢.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥١٣ ـ (٥) وعن المستوردِ بن شدَّادٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «بُعِثْتُ في نَفَسِ الساعةِ، فسبقتُها كما سبقَتْ هذِه هذِه» وأشارَ بأصبعيهِ السبَّابةِ والوسطى. رواه الترمذي.

٥٥١٤ ـ (٦) وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إني لأرجو أنْ لا تعجزَ أُمتي عندَ ربِّها أن يؤَخرَهم نصفَ يومٍ».

وهي الساعة الصغرى عندي والوسطى عند بعض الشراح. والمراد موت جميعهم وهو الظاهر، أو أكثرهم وهو الغالب. قال القاضي [رحمه الله]: أراد بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم ولذلك أضاف إليهم. وقال بعضهم: أراد موت كل واحد منهم **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٥٥١٣ ـ **(عن المستورد بن شداد)** يقال إنه كان غلاماً يوم قبض النبي ﷺ ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة. **(عن النبي ﷺ قال: بعثت في نفس الساعة)** بفتح النون والفاء لا غير، أراد به قربها أي حين تنفست وتنفسها ظهور اشراطها ومنه قوله تعالى: **﴿والصبح إذا تنفس﴾** [التكوير ـ ١٨]. أي ظهر آثار طلوعه، وبعثة النبي ﷺ من أوّل أشراطها هذا معنى كلام التوربشتي [رحمه الله]. والأظهر أن معناه بعثت أنا والساعة في نفس واحد من كمال الاتصال وعدم الاعتبار بقليل من الانفصال ويؤيده قوله: **(فسبقتها)** أي الساعة في الوجود. **(كما سبقت هذه)** أي السبابة **(هذه)** أي الوسطى أي وجوداً أو حساباً باعتبار الابتداء من جانب الابهام وعدل عن الابهام لطول الفصل بينه وبين المسبحة، ثم بين الاشارتين الراوي بقوله: **(وأشار)** أي النبي ﷺ **(بإصبعه السبابة)** أي المسبحة **(والوسطى)** على طريق اللف والنشر المرتب. **(رواه الترمذي)** وروى البيهقي عن سهل بن سعد مرفوعاً: مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم أنا ذاك أنا ذاك[1].

٥٥١٤ ـ **(وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: إني لأرجو أن لا تعجز أمتي)** بكسر الجيم ويجوز ضمها وهو مفعول أرجو، أي أرجو عدم عجز أمتي. **(عند ربها)** من كمال قربها. **(أن يؤخرهم نصف يوم)** يوم بدل من أن لا تعجز واختاره ابن الملك، أو متعلق به بحذف عن كما اقتصر عليه الطيبي. ثم قال: وعدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة

الحديث رقم ٥٥١٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٩ حديث رقم ٢٢١٣.

(١) البيهقي في شعب الإيمان الحديث رقم ١٠٢٣٧.

الحديث رقم ٥٥١٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٧ حديث رقم ٤٣٥٠. وأحمد في المسند ١/ ١٧٠.

قيل لسعْدٍ: وكم نصف يومٍ؟ قال: خمسمائةِ سنة. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٥١٥ ـ (٧) عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثَلُ هذه الدُّنيا مثَلُ ثوبٍ شُقَّ من أوَّله إلى آخرِه، فبقيَ متعلّقاً بخيطٍ في آخرِه، فيوشِكُ ذلك الخيطُ أن ينقطع».

والمكانة عند الله تعالى، مثال ذلك قول المقرب عند السلطان: إني لا أعجز أن يوليني الملك كذا، وكذا يعني به أن لي عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما أرجوه عنده. فالمعنى: إني أرجو أن يكون لأمتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمسمائة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة. **(قيل لسعد: وكم نصف يوم قال: خمسمائة سنة)** إنما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة، نظراً إلى قوله تعالى: **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** [الحج ـ ٤٧]. وقوله تعالى: **﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة﴾** [السجدة ـ ٥]. وإنما عبر رسول الله ﷺ عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلاً لبغيتهم ورفعاً لمنزلتهم، أي لا يناقشهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم، ونزل الحديث على أمر القيامة وحمل اليوم على يوم المحشر. فهب أنه غفل عما حققناه ونبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث، وأنه في أي باب من أبواب الكتاب فإنه مكتوب في باب قرب الساعة فأين هو منه ذكره الطيبي رحمه الله. ولعله ﷺ أراد بالخمسمائة أن يكون بعد الألف السابع فإن اليوم نحن في سابع سنة من الألف الثامن. وفيه إشارة إلى أنه لا يتعدى عن الخمسمائة فيوافق حديث عمر: الدنيا سبعة آلاف سنة. فالكسر الزائد يلغى. ونهايته إلى النصف وأما ما بعده فيعد ألفاً ثامناً بإلغاء الكسر الناقص. وقيل: أراد بقاء دينه ونظام ملته في الدنيا مدة خمسمائة سنة. فقوله: أن يؤخرهم، أي عن أن يؤخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب والشدائد الناشئة من الكروب والله [تعالى]أعلم. **(رواه أبو داود)**.

(الفصل الثالث)

٥٥١٥ ـ **(عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل هذه الدنيا)** أي وقلة بقائها **(مثل ثوب شق)** بضم أوله، أي قطع. **(من أوّله إلى آخره)** أي إلى قريب منه أو هو من قبيل أن الغاية فيه لا تكون داخلة تحت المغيا كقوله تعالى: **﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾** [البقرة ـ ١٧٨]. **(فبقي متعلقاً بخيط في آخره)** الضميران للثوب **(فيوشك ذلك الخيط)** وهو عبارة عن زمان قليل يكون فيه الدين المحمدي. **(أن ينقطع)** أي فتنقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها وتذهب وتأتي

الحديث رقم ٥٥١٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٦٠ حديث رقم ١٠٢٣٨.

رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

(٧) باب لا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس

الفصل الأول

٥٥١٦ ـ (١) عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى لا يقالَ في الأرضِ: اللَّهُ اللَّهُ». وفي رواية: قال: «لا

الأخرى فتبقى على أبد الآباد فيسعد أهلها أو يشقى. (رواه البيهقي في شعب الإِيمان).

(باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)

روي بتنوين باب وبالإضافة إلى الجملة، واقتصر على الأول أصل السيد، والطيبي على الثاني حيث قال: هذه الجملة محكية مضاف إليها ترجمة الباب وهو من باب تسمية الشيء بالحمل على سبيل الحكاية كما سموا بتأبط شراً وبرق نحره وشاب قرناها، وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر.

(الفصل الأول)

٥٥١٦ ـ **(عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله)** بالرفع فيهما وكرر للتأكيد. وقيل: تكريره عبارة عن تكثير ذكره وقيل معناه الله حسبي أو هو المعبود، فالأول مبتدأ والثاني خبر، وفي نسخة بنصبهما. قال شارح: قوله: الله الله، بالرفع مبتدأ وخبر أي الله هو المستحق للعبادة لا غير، وإن رويا بالنصب فعلى التحذير أي اتقوا الله واعبدوه، فعلى هذا معناه: لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض مسلم لم يحذر الناس من الله. وقيل: أي لا يذكر الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس، ومن هذا يعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد الصالحين وعموم المؤمنين وهو المراد بما قاله الطيبي [رحمه الله]معنى حتى لا يقال: حتى لا يذكر اسم الله ولا يعبد، وإليه ينظر قوله تعالى: **﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾** [آل عمران ـ ١٩١]. يعني: ما خلقته خلقاً باطلاً بغير حكمة، بل خلقته لأذكر وأعبد فإذا لم يذكر ولم يعبد فبالحري أن يخرب وتقوم الساعة. وقال المظهر: هذا دليل على أن بركة العلماء والصلحاء تصل إلى من في العالم من الجن والإِنس وغيرهما من الحيوانات والجمادات والنباتات. **(وفي رواية: لا**

الحديث رقم ٥٥١٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٣١ حديث رقم (٢٣٤ ـ ١٤٨). والترمذي ٤/٤٢٦ حديث رقم ٢٢٠٧. وأحمد في المسند ٣/١٠٧.

تقومُ الساعةُ على أحدٍ يقولُ: اللَّهُ اللَّهُ». رواه مسلم.

٥٥١٧ ـ (٢) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ إلا على شرارِ الخلقِ». رواه مسلم.

٥٥١٨ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تضطربَ أَلْياتُ نساءِ دَوْس حولَ ذي الخَلَصةِ». وذو الخَلَصة: طاغيَةُ دوسٍ التي كانوا يعبُدونَ في الجاهلية.

تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) بالوجهين فيهما **(رواه مسلم)** وكذا أحمد والترمذي.

٥٥١٧ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق)** بكسر الشين جمع الشر. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قيل: ما وجه التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قلنا: السابق مستغرق للأزمنة عام فيها، والثاني مخصص. **(رواه مسلم)** وروى أبو يعلى في مسنده والحاكم في مستدركه عن أبي سعيد مرفوعاً: لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت[1]. وروى السجزي عن ابن عمر رفعه: لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن[2].

٥٥١٨ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تضطرب)** أي تتحرك **(أليات نساء دوس)** بفتح فسكون قبيلة من اليمن والأليات بفتحتين جمع آلية بفتح فسكون وهي في الأصل اللحمة التي تكون في أصل العضو. وقيل: هي اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ وهي لحم المقعد. والمعنى: حتى يرتدوا فتطوف نساؤهم **(حول ذي الخلصة)** بفتح الخاء المعجمة واللام **(وذو الخلصة طاغية دوس)** أي صنمهم. وقال شارح: أي أصنامهم. **(التي كانوا)** أي دوس **(يعبدون)** أي يعبدونها **(في الجاهلية)** أي قبل الملة الحنيفية. والظاهر أن هذا تفسير من أبي هريرة أو غيره من الرواة. وفي النهاية: هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم. وقيل: ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن فأنفذ إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله فخربها. وقيل: ذو الخلصة اسم الصنم نفسه، وفيه نظر لأن ذو لا يضاف إلاّ إلى اسم الجنس. والمعنى: أنهم يرتدون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٣.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٤.

الحديث رقم ٥٥١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٨ حديث رقم (١٣١ . ٢٩٤٩) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٠ حديث رقم ٤٠٣٩. وأحمد في المسند ٤٠٣٩.

الحديث رقم ٥٥١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٦. حديث رقم ٧١١٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٠ حديث رقم (٥١ . ٢٩٠٦) وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٢.

متفق عليه.

٥٥١٩ ـ (٤) وعن عائشةَ، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى يُعبدَ اللاَّتُ والعُزَّى». فقلتُ: يا رسولَ الله! إنْ كنتُ لأظنُّ حينَ أنزلَ اللّهُ: **﴿هوَ الذي أرسلَ رسوله بالهُدى ودِينِ الحقّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلّه ولو كرِهَ المشركونَ﴾** أنَّ ذلكَ تامّاً؛ قال: «إنَّه سيكونُ منْ ذلكَ، ما شاءَ اللّهُ، ثمَّ يبعثُ اللّهُ ريحاً طيّبةً، فتُوفي كلَّ مَن كانَ في قلبِه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمان، فيبقى مَن لا خيرَ فيهِ، فيرجعونَ إلى دِين

فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن مضطربة ألياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية. **(متفق عليه)**.

٥٥١٩ ـ **(وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يذهب الليل والنهار)** أي لا تقوم الساعة **(حتى يعبد)** بالتذكير وجوز تأنيثه **(اللات)** صنم لثقيف **(والعزى)** بضم عين فتشديد زاي صنم لغطفان. **(فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن)** إن هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة. قال المظهر: تقديره إنه كنت لأظن، يعني أن الشأن كنت لأحسب. **(حين أنزل الله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾)** أي بالتوحيد **(﴿ودين الحق﴾)** أي وبالشريعة الثابتة، ولما كان مؤداهما واحداً أفرد الضمير في قوله: **(﴿ليظهره﴾)** أي ليعليه ويغلبه **(﴿على الدين كله﴾)** أي على الأديان جميعها باطلها بردها وحقها بنسخها **(﴿ولو كره المشركون﴾)**[(١)] أي ما عليه الموحدون المخلصون **(أن ذلك)** بفتح الهمزة مفعول لأظن، وحين أنزل الله ظرف له، أي كنت أظن حين إنزال تلك الآية أن ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون. **(تاماً)** أي عاماً كاملاً شاملاً للأزمنة كلها، فنصبه بالكون المقدر. وفي نسخة صحيحة تام بالرفع، والمعنى: أن ما ذكر من عبادة الأصنام قد تم واختتم وغدا ولا يكون بعد ذلك أبداً. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(إنه)** أي الشأن **(سيكون من ذلك)** أي بعض ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر. وأغرب شارح حيث قال: من ذلك أي من عبادة الأصنام. **(ما شاء الله)** أي مدة مشيئته، وبين ذلك بقوله: **(ثم يبعث الله ريحاً طيبة)** أي يشم منها رائحة الوصال **(فتوفي)** بصيغة المجهول، أي فقبض. **(كل من كان في قلبه)** وفي نسخة بصيغة الفاعل على أنه حذف منه إحدى التاءين، أي تتوفى على إسناد التوفي إلى الريح مجازاً فيكون كل منصوباً على المفعولية. والمعنى: تميت كل من كان في قلبه. **(مثقال حبة)** أي مقدار خردل. فقوله: **(من خردل)** بيان لحبة. وقوله: **(من إيمان)** بيان لمثقال. والمراد منه أن يكون في قلبه من العقائد الدينية أقل ما يجب عليه من التصديق القلبي واليقين بالأمور الإجمالية. فليس فيه دلالة على تصور الزيادة والنقصان في نفس الإيمان وحقيقة الإيقان كما لا يخفى على أهل العرفان. **(فيبقى من لا خير فيه)** أي لا إسلام ولا إيمان ولا قرآن ولا حج ولا سائر الأركان ولا علماء الأعيان. **(فيرجعون إلى دين**

الحديث رقم ٥٥١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ حديث رقم ٥٢ . ٢٩٠٧.

(١) سورة التوبة . آية رقم ٣٣.

آبائهم». رواه مسلم.

٥٥٢٠ ـ (٥) وعن عبدِ الله بنِ عَمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ الدَّجالُ فيمكثُ أربعينَ» لا أدري أربعينَ يوماً أو شهراً أو عاماً «فيبعثُ اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ، فيطلبُه فيهلِكُه، ثمَّ يمكثُ في الناسِ سبع سنينَ، ليسَ بينَ اثنينِ عداوةٌ، ثمَّ يرسلُ اللَّهُ ريحاً باردةً من قِبلِ الشامِ، فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ خيرٍ أو إيمانٍ إلاَّ قبضتْه، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كبدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى

آبائهم) أي الأولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين. فروعي لفظ من في ضمير فيه، ومعناه في قوله: فيرجعون. كما في قوله تعالى: **﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾** [البقرة ـ ٨]. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: تاماً هو بالرفع في الحميدي على أنه خبر أن، وفي صحيح مسلم وشرح النسائي بالنصب. فعلى هذا هو إما حال والعامل اسم الإشارة والخبر محذوف، أو خبر لكان المقدر، أي ظننت من مفهوم الآية أن ملة الإسلام ظاهرة على الأديان كلها غالبة عليها غير مغلوبة، فكيف يعبد اللات والعزى. وجوابه ﷺ بقوله: فتوفي كل من كان في قلبه. نظير قوله: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً. الحديث. **(رواه مسلم)**.

٥٥٢٠ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيمكث أربعين)** وأبهمه ﷺ لحكمة في ترك التمييز أو نسيه الراوي، ولذا قال: **(لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً)** قال التوربشتي [رحمه الله]: لا أدري إلى قوله: فيبعث الله، من قول الصحابي، أي لم يزدني النبي ﷺ على أربعين شيئاً يبين. المراد منها فلا أدري أياً أراد بهذه الثلاثة. **(فيبعث الله عيسى ابن مريم)** أي فينزل من السماء **(كأنه)** أي في الصورة **(عروة بن مسعود)** أي الثقفي شهد صلح الحديبية كافراً وقدم على النبي ﷺ سنة تسع بعد عوده من الطائف وأسلم ثم عاد إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فقتلوه. وقيل: هو أخو عبد الله بن مسعود، وليس بشيء. **(فيطلبه)** أي عيسى الدجال **(فيهلكه)** أي بحربة **(ثم يمكث في الناس سبع سنين)** تقدم ما ورد خلافه **(ليس بين اثنين عداوة)** يحتمل أن يكون قيداً للعدد فلا ينافيه ما سبق من الزيادة، ويؤيده التراخي المفهوم من قوله: **(ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام)** بكسر ففتح، أي جانبه. **(فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان)** الظاهر أن أو للشك، ويحتمل أن يكون للتخيير في التعبير. **(إلا قبضته)** إلا أخذت روحه تلك الريح **(حتى لو أن أحدكم دخل)** أي فرضاً وتقديراً على طريق المبالغة **(في كبد جبل)** أي وسطه وجوفه، ومنه كبد السماء وسطها. **(لدخلته)** أي كبد الجبل **(عليه)** أي على أحدكم **(حتى تقبضه.**

الحديث رقم ٥٥٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٨ حديث رقم (١١٦ ـ ٢٩٤٠).

تقبضه» قال: «فيبقى شرارُ الناس في خِفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرفونَ معروفاً، ولا ينكرونَ منكراً، فيَتَمَثَّلُ لهمُ الشيطان، فيقول: ألا تستجيبونَ؟ فيقولونَ: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادةِ الأوثان، وهم في ذلكَ دارٌّ رزقُهم، حسَنٌ عيشُهم، ثمَّ ينفخُ في الصورِ، فلا يسمعُه أحدٌ إلاّ أصغى لِيتاً، ورفعَ لِيتاً» قال: «وأولُ من يسمعُه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبلِه، فيصعَقُ ويصعقُ النَّاسُ، ثمَّ يُرسلُ اللَّهُ مطراً كأنَّه الطلُّ، فينبُتُ منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنفخُ فيهِ أخرى فإذا هُم قِيامٌ ينظرونَ، ثمَّ يقالُ: يا أيُّها الناسُ! هَلُمَّ

قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير) بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بأدنى توهم، شبه حال الأشرار في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم واختلال رأيهم وميلهم إلى الفجور والفساد بحال الطير. **(وأحلام السباع)** أي وفي عقولها الناقصة، جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر. ففيه إيماء إلى أنهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب والوحشة والإتلاف والإهلال وقلة الرحمة. **(لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً)** بل يعكسون فيما يفعلون **(فيتمثل لهم الشيطان)** أي يتصوّر لهم بصورة إنسان فكأن التشكل أقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة، ولذا قدم الله سبحانه شياطين الإنس في قوله: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن**﴾ [الأنعام ـ ١١٢]. **(فيقول: ألا تستحيون)** أي من الله في ترك عبادته والتوسل إلى مقام قربته **(فيقولون: فماذا تأمرنا)** أي به نمتثله، فما موصولة أو استفهامية. فالمعنى: فأي شيء تأمرنا لنطيعك فيه. **(فيأمرهم بعبادة الأوثان)** أي توسلاً إلى رضا الرحمٰن كما قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمر ـ ٣]. ﴿**ويقولون هؤلاء شفعاؤها عند الله**﴾ [يونس ـ ١٨]. ﴿**زين لهم سوء أعمالهم**﴾ [التوبة ـ ٣٧]. **(وهم في ذلك)** أي والحال أنهم فيما ذكر من الأوصاف الردية والعبادات الوثنية **(دار)** بتشديد الراء، أي كثير. **(رزقهم حسن عيشهم)** فالأول إشارة إلى الكمية والثاني إلى الكيفية، أو الأول إيماء إلى كثرة الأمطار وما يترتب عليه من الأنهار وأثمار الأشجار والثاني من جهة الأمن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه. **(ثم ينفخ في الصور)** بصيغة المجهول والنافخ هو إسرافيل عليه [الصلاة]والسلام. **(فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا)** بكسر اللام. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي آمال صفحة عنقه خوفاً ودهشة. **(ورفع ليتا)** والمراد منه هنا أن السامع يصعق فيصغى ليتا ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا وكذلك شأن من يصيبه صيحة فيشق قلبه، فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين فأسند الاصغاء إليه اسناد الفعل الاختياري. **(قال: وأول من يسمعه رجل يلوط)** أي يطين ويصلح **(حوض إبله فيصعق)** أي يموت هو أولاً **(ويصعق الناس)** أي معه **(ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل)** بفتح الطاء وتشديد اللام، أي المطر الضعيف الصغير القطر. **(فينبت منه)** أي من أجله وسببه **(أجساد الناس)** أي النخرة في قبورهم **(ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)** وبين النفختين أربعون عاماً على ما سيأتي. **(ثم يقال: يا أيها الناس هلم)** في القاموس: هلم. يقال: مركبة من هاء التنبيه ومن لم، أي ضم نفسك إلينا، يستوي فيه الواحد والجمع

إلى ربكم، وقفوهُم إِنَّهم مسؤولونَ. فيقالُ: أخرِجوا بعثَ النارِ. فيقال: من كم؟ كم؟ فيقال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ» قال: «فذلك يومٌ يجعلُ الولدانَ شِيباً، وذلك يومَ يُكشفُ عن ساقٍ». رواه مسلم.

وذُكر حديث معاوية: «لا تنقطعُ الهِجرة»

والتذكير والتأنيث عند الحجازيين. فالمعنى: تعالوا أو ارجعوا أو أسرعوا إلى ربكم. **(قفوهم)** وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة. قال الطيبي: عطف على قوله: يقال، على سبيل التقدير. أي يقال للناس: هلم، ويقال: للملائكة قفوهم. وفي بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستئناف انتهى. وهو أمر مخاطب والخطاب للملائكة والضمير للناس. يقال: وقفت الدابة ووقفتها يتعدى ولا يتعدى. والمعنى: احبسوهم **(إنهم مسؤولون)** استئاف تعليل. **(فيقال: اخرجوا)** أمر للملائكة، أي ميزوا مما بين الخلائق **(بعث النار)** أي مبعوثها بمعنى من يبعث إليها. **(فيقال: من كم كم)** أي سأل المخاطبون من كمية العدد المبعوث إلى النار، فيقولون: كم عدداً نخرجه من كم عدد. ذكره الطيبي [رحمه الله]. فكم الأولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدأ وهما مفعولاً نخرج الذي للمتكلم. **(فيقال: من كل ألف تسعمائة)** بالنصب، أي اخرجوا النار من كل ألف تسعمائة. **(وتسعة وتسعين)** قيل: هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم، ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة ذكره ابن الملك [رحمه الله]. ويجوز أن يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة. لكن الظاهر أن المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في العقاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. **(فذلك)** أي الوقت **(يوم)** أو فذاك الحكم وقت **(يجعل)** أي يصير **(فيه الولدان)** أي الصبيان جمع وليد **(شيباً)** بكسر أوله جمع أشيب كأبيض وبيض. والمعنى: أنه يصير الأطفال شيباً في الحال فالمعنى: لو أن وليداً شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا. ويوم مرفوع منون في أكثر النسخ، وفي نسخة بالفتح مضافاً. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون اليوم مرفوعاً ويجعل الولدان صفة له، فيكون الاسناد مجازياً، وأن يكون مضافاً مفتوحاً فيكون الاسناد حينئذ حقيقياً، والأول أبلغ وأوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى: **﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾**. **(وذلك)** أي أيضاً **(يوم يكشف)** في كثير من النسخ برفع يوم منوناً وفي بعضها بالفتح مضافاً وهو أوفق لما في القرآن: يوم يكشف. **(عن ساق)** أي شدة عظيمة، يقال: كشفت الحرب عن الساق إذا اشتد فيها، وكان أصله أن الولد يموت في بطن الناقة فيدخل المدمر يده في رحمها فيأخذ ساقه، فجعل لكل أمر عظيم وخطب جسيم. قال الخطابي: هذا مما هاب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب، أما من تأوله فقال ذلك يوم يكشف عن شدة عظيمة وبلية فظيعة وهو اقبال الآخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها. ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه، وهذا جائز في اللغة وإن لم يكن للأمر ساق. **(رواه مسلم وذكر حديث معاوية: لا تنقطع الهجرة)** أي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى

في «باب التَّوبة».

تطلع الشمس من مغربها. وقد ثبت: لا هجرة بعد الفتح. فالمراد بالهجرة التي هي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية إلى الطاعة أو من ديار البدعة إلى ديار السنة أو من بلاد الشر إلى بلاد الخير. **(في باب التوبة)** وفيه اعترض فعلي منضم إلى بيان قولي، وهو أن الحديث أنسب بذلك الباب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

[كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق]

(١) باب النفخ في الصور

الفصل الأول

٥٥٢١ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ النَّفختينِ أربعونَ». قالوا: يا أبا هريرةَ! أربعونَ يوماً؟ قال: أبيتُ. قالوا: أربعونَ شهراً، قال: أبيتُ. قالوا: أربعونَ سنةً؟ قال: أبيتُ «ثمَّ يُنزلُ اللَّهُ منَ

(باب نفخ الصور)(*)

بضم أوله وهو قرن ينفخ فيه والمراد به النفخة الثانية. ففي النهاية: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه [الصلاة] والسلام عند بعث الموتى إلى المحشر.

(الفصل الأول)

٥٥٢١ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين)** أي نفخة الصعق وهي الإماتة، ونفخة النشور وهي الإحياء. **(أربعون)** أبهم في الحديث وبين في غيره أنه أربعون عاماً، ولعل اختيار الإبهام لما فيه من الإيهام. **(قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً)** باستفهام مقدر **(قال: أبيت)** أي امتنعت عن الجواب لأني لا أدري ما هو الصواب، أو عن السؤال من صاحب المقال فلا أدري ما الحال. **(قالوا: أربعون شهراً. قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة. قال: أبيت)** قال القاضي [رحمه الله] : أي لا أدري أن الأربعين الفاصل بين النفختين أي شيء أياماً أو شهوراً أو أعواماً، وأمتنع عن الكذب على الرسول ﷺ والإخبار عما لا أعلم. ((**قال:**) كذا في نسخة والظاهر أن ضميره إليه ﷺ، ويحتمل أن يكون إلى أبي هريرة فيكون موقوفاً، أو التقدير راوياً عنه وناقلاً منه. وليس في الجامع لفظ قال فيه ولا فيما بعده. **(ثم ينزل الله من**

الحديث رقم ٥٥٢١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٨٩. حديث رقم ٤٩٣٥ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٠ حديث رقم (١٤١ . ٢٩٥٥) وأبو داود في السنن ٥/ ١٠٨ حديث رقم ٤٧٤٣. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

السَّماءِ ماءً فينبتونَ كما ينبتُ البقلُ» قال: «وليسَ منَ الإنسانِ شيءٌ لا يَبْلى إلاَّ عظماً واحداً، وهوَ عَجْبُ الذَّنب، ومنه يُركَّبُ الخلقُ يومَ القيامةِ». متفق عليه. وفي رواية لمسلم، قال: «كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُه الترابُ إلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خُلِقَ، وفيهِ

السماء ماء) أي مطراً كالطل على ما سبق **(فينبتون)** أي فينبت أجساد الخلق منه **(كما ينبت البقل)** أي من المطر. والظاهر أن هذا قبل النفخة الثانية كما فهم من الرواية الماضية، فتعبيره بثم هنا للتراخي الرتبي، أي بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فإنه أمر محقق. **(قال: وليس من الإنسان شيء)** أي جزء من أجزائه **(لا يبلى)** أي لا يخلق ولا يرم ممن يبلى جسده فإن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل من أجساد الأنبياء وكذا من في معناهم من الشهداء والأولياء، بل قيل ومنهم المؤذنون المحتسبون فإنهم في قبورهم أحياء أو كالأحياء. **(إلا عظماً واحداً)** ولفظ الجامع: إلاّ عظم واحد. بالرفع على البدلية من شيء وهو واضح. وقيل منصوب لأنه استثناء من موجب لأن قوله: ليس شيء من الإنسان لا يبلى إلا عظماً، نفي النفي ونفي النفي إثبات فيكون تقديره: كل شيء منه يبلى إلا عظماً فإنه لا يبلى. ويحتمل أن يكون منصوباً على أنه خبر ليس لأن اسمه موصوف كقولك: ليس زيد إلا قائماً. فمن الإنسان حال من شيء. **(وهو عجب الذنب)** بفتح العين المهملة وسكون الجيم، وحكى اللحياني تثليث العين مع الباء والميم، ففيه ست لغات. وهو العظم بين الأليتين الذي في أسفل الصلب. قال بعض علمائنا من الشراح: المراد طول بقائه تحت التراب لا أنه لا يفنى أصلاً فإنه خلاف المحسوس، وجاء في حديث آخر: إنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى. ومعنى الحديثين واحد. وقال بعضهم: الحكمة فيه أنه قاعدة بدن الإنسان وأسه الذي يبنى عليه، فبالحري أن يكون أصلب من الجميع كقاعدة الجدار، وأسه واذا كان أصلب كان أطول بقاء. أقول التحقيق والله ولي التدقيق: إن عجب الذنب يبلى آخراً كما شهد به حديث لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث وهو الحديث المتفق عليه، ولا عبرة بالمحسوس كما حقق في باب عذاب القبر على أن الجزء القليل منه المخلوط بالتراب غير قابل لأن يتميز بالحس كما لا يخفى على أرباب الحس. **(ومنه يركب)** بتشديد الكاف المفتوحة **(الخلق)** أي سائر الأعضاء المخلوقات من الحيوانات **(يوم القيامة)** أي كما خلق أولاً في الإيجاد كذلك خلق أولاً في الإعادة، أو أبقي حتى يركب عليه الخلق ثانياً. قال تعالى: **﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾** [الأنبياء ـ ١٠٤]. وقال سبحانه: **﴿كما بدأكم تعودون﴾** [الأعراف ـ ٢٩]. **(متفق عليه)** ورواه النسائي. **(وفي رواية لمسلم)** وكذا للبخاري ذكره السيد. وفي الجامع رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة[١] **(قال:)** أي النبي ﷺ **(كل ابن آدم)** بالرفع وفي نسخة بالنصب، أي كل أعضاء بدن الإنسان وكذا سائر الحيوان. **(يأكله التراب إلا عجب الذنب)** أي فإنه لا يأكله كله أو بعضه **(منه)** أي من عجب الذنب **(خلق)** بصيغة المجهول، أي ابتدىء منه خلق الإنسان أولاً. **(وفيه)** وفي نسخة: منه. وهو رواية الجامع

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٠ حديث رقم ٧٨٥٩.

يُركَّبُ».

٥٥٢٢ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقبِضُ اللَّهُ الأرضَ يومَ القيامةِ، ويطوي السَّماءَ بيَمينه، ثمَّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ مُلوكُ الأرضِ؟». متفق عليه.

٥٥٢٣ ـ (٣) وعن عبدِ الله بنِ عُمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يطوي اللَّهُ

وسبق أن في تأتي مرادفة لمن. (يركب) أي ثانياً. قال النووي [رحمه الله]: هذا مخصوص فيخص منه الأنبياء فإن الله حرم على الأرض أجسادهم وهو كما صرح به في الحديث.

٥٥٢٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء)** ولعل المراد بهما إبدالهما كما قال تعالى: **﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾** [إبراهيم ـ ٤٨]. **(بيمينه)** أي بقوته أو قدرته أو بيمينه الصادر عنه أنه يفعله، أو بقبض الملائكة وطيهم الكائنين بيمين عرشه. قال القاضي: عبر به عن إفناء الله تعالى هذه المظلة وهذه المقلة ورفعهما من البين وإخراجهما من أن يكونا مأوى ومنزلاً لبني آدم بقدرته الباهرة التي تهون عليها الأفعال العظام التي يتضاءل دونها القوي والقدر، ويتحير فيها الافهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل. وأضاف في الحديث الذي يليه طي السموات وقبضها إلى اليمين وطي الأرض إلى الشمال تنبيهاً وتخييلاً لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل. وقال بعضهم: اعلم أن الله تعالى منزه عن الحدوث وصفة الأجسام وكل ما ورد في القرآن والأحاديث في صفاته مما ينبىء عن الجهة والفوقية والاستقرار والإتيان والنزول فلا نخوض في تأويله، بل نؤمن بما هو مدلول تلك الألفاظ على المعنى الذي أراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية. **(ثم يقول: أنا الملك)** أي لا ملك إلا لي، وأنا ملك الملوك والأملاك. وفيه تنبيه على أن الملك أبلغ من المالك مع أن المفسرين اختلفوا في قوله تعالى: **﴿ملك يوم الدين﴾** و**﴿مالك يوم الدين﴾** [الفاتحة ـ ٤]. إن أي القراءتين أبلغ كما أشار إليه الشاطبي بقوله:

* ومالك يوم الدين راويه ناصر *

ومجمل الكلام في البيضاوي مذكور والتفصيل في غيره مسطور. **(أين ملوك الأرض)** أي الذين كانوا يزعمون أن الملك لهم استقلالاً أو دواماً لا يرون به زوالاً، أو الذين كانوا يدعون الألوهية في الجهة السفلية. وقيد بها لأن الملأ الأعلى هم معصومون عن أفعال أهل السفلى. **(متفق عليه)** ورواه النسائي وابن ماجه.

٥٥٢٣ ـ **(وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يطوي الله**

الحديث رقم ٥٥٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٥٥١. حديث رقم ٤٨١٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٨ حديث رقم (٢٣ ـ ٢٧٨٧) والدارمي في السنن ٢/ ٤١٨ حديث رقم ٢٧٩٩.

الحديث رقم ٥٥٢٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٨. حديث رقم (٢٤ ـ ٢٧٨٨) وأبو داود في السنن ٥/ ١٠ حديث رقم ٤٧٣٢. وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ١٩ حديث رقم ١٩٨.

السماواتِ يومَ القيامةِ، ثمَّ يأخذُهنَّ بيدِه اليُمنى، ثمَّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبَّارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ ثمَّ يطْوي الأرَضينَ بشِمالِه ـ وفي روايةٍ: يأخذهنَّ بيدِه الأخرى ـ ثمَّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبَّارونَ؟ أينَ المتكبّرونَ؟». رواه مسلم.

٥٥٢٤ ـ (٤) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: جاءَ حَبْرٌ منَ اليهودِ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا محمَّدُ إنَّ اللّهَ يُمسكُ السَّماواتِ يومَ القيامةِ على أصبعٍ، والأرَضينَ على أصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على أصبعٍ، والماءَ والثَّرى على أصبعٍ، وسائرَ الخَلقِ على أصبعٍ،

السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: **(أنا الملك أين الجبارون)** أي الظلمة القهارون **(أين المتكبرون)** أي بمالهم وجاههم وخيلهم وحشمهم. لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة. حفاة عراة غرلاً. **(ثم يطوي الأرضين)** بفتح الراء وتسكن **(بشماله. وفي رواية: يأخذهن)** أي بدل يطوي، فالتقدير: ثم يأخذهن. **(بيده الأخرى)** وهذه الرواية أوفق بحديث: وكلتا يديه يمين. وضميرهن إلى الأرضين بقرينة ذكر السموات. ويحتمل أن المصنف نقل بالمعنى وأن لفظ الرواية: ثم يأخذ الأرضين بيده الأخرى. **(ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون)** فينظر في الأصول لطلب الأخرى. قال أصحاب التأويل: المراد باليد اليمنى والشمال المقدرة، والمراد من الطي التسخير التام والقهر الكامل وهو كذلك الآن أيضاً، ولكن في القيامة يكون أظهر ونسب طي السموات إلى اليمين وطي الأرضين إلى الشمال تنبيهاً لما بينهما من المقبوضين من التفاوت بعد أن نزه ذاته سبحانه من نسبة الشمال إليه بقوله: «وكلتا يديه يمين»(١). لأن الشمال ناقص في القوّة عادة والله منزه عن النقصان وعن سائر صفات الحدثان **(رواه مسلم)**.

٥٥٢٤ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر)** بفتح الحاء ويكسر مفرد الأحبار، أي عالم. **(من اليهود)** أي من جملتهم أو من أحبارهم **(إلى النبي ﷺ فقال: إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع)** بكسر الهمزة وفتح الموحدة. وفي القاموس بتثليث الهمزة والباء، ففيه تسع لغات. **(والأرضين على أصبع والجبال والشجر)** أي جنسه **(على أصبع والماء والثرى)** أي التراب الندي يعني الماء وما تحته من الثرى **(على أصبع وسائر الخلق)** أي باقيه **(على أصبع)** وهذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من أن طي العلوي بيمينه والسفلي بالأخرى، وأيضاً ظاهر تقسيم الأشياء على الأصابع موهم لإرادة تحقق الجارحة المشتملة على الأصابع الخمسة كما هو مذهب المجسمة من اليهود وسائر أهل البدع، ولكنه لما قرره ﷺ حيث لم ينكره لزم إما(٢) التأويل وهو مذهب الخلف وهو أعلم، أو التسليم والتفويض مع

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥٨ حديث رقم ١٨٢٧.

الحديث رقم ٥٥٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٥٥١. حديث رقم ٤٨١١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٧ حديث رقم (١٩ ـ ٢٧٨٦) والترمذي ٥/ ٣٤٥ حديث رقم ٣٢٣٨.

(٢) في المخطوطة «أن».

ثمَّ يهُزُّهنَّ فيقولُ: أنا الملكُ، أنا اللّهُ. فضحكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّباً ممَّا قال الحَبرُ تصديقاً له. ثمَّ قرأ: ﴿وما قدَروا اللّهَ حقَّ قدْرِه والأرضُ جميعاً قبضتُه يومَ القيامة والسَّماواتُ مطوِيَّاتٌ بيَمينِه سُبحانه وتعالى عمَّا يشركونَ﴾. متفق عليه.

٥٥٢٥ ـ (٥) وعن عائشةَ، قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قولِه:

الاتفاق على التنزيه وهو مذهب السلف وهو أسلم والله [تعالى] أعلم. فقال شارح: والمعنى يهون على الله إمساكها وحفظها كما يقال في العرف: فلان يحمل بأصبعه لقوته. وقال التوربشتي: السبيل في هذا الحديث أن يحمل على نوع من المجاز أو ضرب من التمثيل، والمراد منه تصوير عظمته والتوفيق على جلالة شأنه وأنه سبحانه يتصرف في المخلوقات تصرف قوي قادر على أدنى مقدور. تقول العرب في سهولة المطلب وقرب التناول ووفور القدرة وسعة الاستطاعة هو مني على حبل الذراع وإني أعالج ذلك ببعض كفي، واستقله بفرد أصبع ونحو ذلك من الألفاظ استهانة بالشيء واستظهاراً في القدرة عليه. والمتورع عن الخوض في تأويل أمثال هذا الحديث في فسحة من دينه إذ لم ينزلها في ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس **(ثم يهزهن)** الضمير للأصابع، والمعنى يحركهن. **(فيقول: أنا الملك)** أي القادر القوي القاهر **(أنا الله)** أي المعبود بالحق المستحق للمعبودية والعبادة في الباطن والظاهر. **(فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له)** علة العلة. قال صاحب الكشاف: إنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة. ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأهون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديماً. **(ثم قرأ:)** أي النبي ﷺ اعتضاداً، ويحتمل أن يكون القارىء هو ابن مسعود استشهاداً. **(﴿وما قدروا الله حق قدره﴾)** أي ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق تعظيمه. **(﴿والأرض﴾)** الواو للحال أي والحال أن جنس الأرض وهو الأرضين السبع **(﴿جميعاً قبضته﴾)** أي مقبوضته وفي ملكه وتصرفه **(﴿يوم القيامة﴾)** يتصرف فيه كيف يشاء بلا مزاحم مع سهولة. والمعنى أنهن بعظمتهن بالنسبة إلى قدرته ليست إلا قبضة واحدة. **(﴿والسموات مطويات بيمينه﴾)** أي مجموعات بقدرته أو مغيبات بقسمه لأنه تعالى أقسم بعزته وجلاله أنه يفنيهما. **(﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾)**[1] بنسبة الولد والشريك إليه **(متفق عليه)** ورواه الترمذي والنسائي.

٥٥٢٥ ـ **(وعن عائشة)** رضي الله [تعالى] عنها **(قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله:)**

---

(١) سورة الزمر. آية رقم ٦٧.

الحديث رقم ٥٥٢٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٠ حديث رقم (٢٩ . ٢٧٩١). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٠ حديث رقم ٤٢٧٩. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٣ حديث رقم ٢٨٠٩. وأحمد في المسند ٦/ ٣٥.

﴿يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّماواتُ﴾، فأينَ يكونُ الناسُ يومئذٍ؟ قال: «على الصراطِ». رواه مسلم.

٥٥٢٦ ـ (٦) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمسُ والقمرُ مكوّران يوم القيامة». رواه البخاري.

أي سبحانه وتعالى (﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾) أي يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة (﴿والسموات﴾)[1] أي كذلك. قال صاحب الكواشي: إنها تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ الحساب وسيأتي في أول باب الحشر ما يؤيد هذا المعنى. وروي عن الضحاك أنه يبدلها أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف، وكذا عن علي كرم الله وجهه [ورضي الله تعالى عنه]. وفي شرح السنة: التبديل تغيير الشيء عن حاله، والإبدال جعل الشيء مكان آخر. وقال الطيبي [رحمه الله]: قد يكون التبديل في الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنانير، وفي الأوصاف كقولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسوّيتها خاتماً. واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل: تبدل أوصافهما فتسير على الأرض جبالها وتفجر بحارها وتجعل مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وتبدل السموات بانتشار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها. وقيل: يخلق بدلها أرض وسموات أخر. وعن ابن مسعود وأنس: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة[2]. والظاهر من التبديل تغيير الذات كما يدل عليه السؤال والجواب حيث قالت: (**فأين يكون الناس يومئذ. قال: على الصراط**) المعهود عند الناس أو جنس الصراط والله [تعالى] أعلم (**رواه مسلم**).

٥٥٢٦ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الشمس والقمر مكوران**) بتشديد الواو المفتوحة وتذكيره لتغليب القمر لأنه المذكر، أو باعتبار الكوكبين النيرين. وقوله: (**يوم القيامة**) ظرف له والتكوير معناه اللف ومنه تكوير العمامة. وقال تعالى: ﴿**يكور الليل على النهار**﴾ [الزمر ـ ٥]. وهو معنى الجمع في قوله تعالى: ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ [القيامة ـ ٩]. قال التوربشتي: يحتمل أنه من التكوير الذي هو بمعنى اللف والجمع، أي يلف صورهما لنا فيذهب انبساطهما في الآفاق. ويحتمل أن يراد به رفعهما لأن الثوب إذا طوي رفع، ويحتمل أن يكون من قولهم طعنة مكورة من كوره إذا ألقاه، أي ملقيان من فلكهما. وهذا التفسير أشبه بنسق الحديث لما في بعض طرقه: مكوران في النار. فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار، لا سيما عباد الأنوار ولا يعذبان في النار فإنهما بمعزل عن التكليف، بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها. (**رواه البخاري**) وروى ابن مردويه عن أنس: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار إن شاء أخرجهما وإن شاء تركهما: والعقير الزمن.

---

(١) سورة إبراهيم. آية رقم ٤٨.

(٢) لم أقف عليه في كتب السنن والله تعالى أعلم.

الحديث رقم ٥٥٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٩٧. حديث رقم ٣٢٠٠.

الفصل الثاني

٥٥٢٧ ـ (٧) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحبُ الصور قد التقمه وأصغى سمعه، وحنى جبهته يَنْتظِرُ متى يؤمرُ بالنفخِ؟». فقالوا: يا رسول اللَّهِ! وما تأمرنا؟ قال: «قولوا: حسبُنا اللَّهُ ونِعمَ الوكيل». رواه الترمذي.

٥٥٢٨ ـ (٨) وعن عبدِ اللَّهِ بن عَمْرِو، عن النبي ﷺ قال: «الصورُ قرنٌ ينفخُ فيه». رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي.

(الفصل الثاني)

٥٥٢٧ ـ (**عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنعم**) أي أفرح وأتنعم من نعم عيشة كفرح اتسع ولأن كذا في المصباح. وفي النهاية: هو من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه. (**وصاحب الصور قد التقمه**) أي وضع طرف الصور في فمه (**وأصغى سمعه**) أي أمال أذنه (**وحنى جبهته**) أي أمالها وهو كناية عن المبالغة في التوجه لإصغاء السمع وإلقاء الأذن (**ينتظر متى يؤمر بالنفخ**) والظاهر أن كلاً من الالتقام والإصغاء وما بعده على الحقيقة وأنه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به. وقال القاضي [رحمه الله]: معناه: كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور. فكني عن ذلك بأن صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه وهو مترصد مترقب لأن يؤمر فينفخ فيه. (**فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا**) أي أن نقول الآن أو حينئذ أو مطلقاً عند الشدائد (**قالوا: قولوا: حسبنا الله**) مبتدأ وخبر أي كافينا الله (**ونعم الوكيل**) فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف. أي نعم الموكول إليه الله. (**رواه الترمذي**) وكذا الحاكم، وصححه عنه. وعن ابن عباس. قال ميرك: عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿**إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم**﴾ [آل عمران ـ ١٧٣]. الآية. رواه البخاري والنسائي.

٥٥٢٨ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**عن النبي ﷺ قال: الصور قرن**) قيل: دائرة رأسه كعرض السموات والأرض. (**ينفخ فيه**) بصيغة المجهول، أي ينفخ فيه إسرافيل النفختين. (**رواه الترمذي وأبو داود والدارمي**) وكذا أحمد والنسائي والحاكم.

الحديث رقم ٥٥٢٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٦ حديث رقم ٢٤٣١. وأحمد في المسند ٣/ ٧٣.

الحديث رقم ٥٥٢٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠٧ حديث رقم ٤٧٤٢. والترمذي في السنن ٥٣٦ حديث رقم ٢٤٣٠. والدارمي في السنن ٢/ ٤١٨ حديث رقم ٢٧٩٨. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

الفصل الثالث

٥٥٢٩ ـ (٩) عن ابن عبَّاس، قال في قوله تعالى **﴿فإذا نُقر في النَّاقور﴾**: الصّور قال: و **﴿الراجفة﴾**: النفخة الأولى، و **﴿الرادفة﴾**: الثانية. رواه البخاري في ترجمة بابٍ.

٥٥٣٠ ـ (١٠) وعن أبي سعيد، قال: ذكرَ رسولُ الله ﷺ صاحبَ الصُّور، وقال: «عن يمينه جبريل، وعن يساره ميكائيل».

٥٥٣١ ـ (١١) وعن أبي رَزِين العقيلي، قال: قلتُ: يا رسول الله! كيف يُعيدُ الله الخلقَ؟ وما آية ذلك في خلقهِ؟ قال: «أمَا مررتَ بوادي قومكَ جَدْباً

(الفصل الثالث)

٥٥٢٩ ـ **(عن ابن عباس قال: في قوله تعالى: ﴿فإذا نقر﴾)** أي نفخ **(﴿في الناقور﴾: الصور)** بالجر على التفسير. وفي نسخة بالرفع على تقدير هو الصور. **(قال:)** أي ابن عباس أيضاً **(﴿والراجفة﴾)** أي في قوله تعالى: **﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾** [النازعات ـ ٦ و ٧]. **(النفخة الأولى)** لأنها ترجف الأرض والجبال عندها أي تضطرب وتتحرك وتتزلزل لها. **(﴿والرادفة﴾ الثانية)** أي لأنها تقع عقيبها. وقال الطيبي: الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها. والرادفة الواقعة التي تردف الأولى وهي النفخة الثانية. **(رواه البخاري في ترجمة باب)** بفتح التاء والجيم، أي في عنوانه تعليقاً لكن وصله في موضع آخر منه.

٥٥٣٠ ـ **(وعن أبي سعيد قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور)** أي إسرافيل **(وقال: عن يمينه جبريل)** بكسر الجيم وتفتح فكسر راء فسكون ياء وبفتحهما وبهمزة بعدها تحتية وتحذف أربع لغات كلهن متواترات. **(وعن يساره ميكائيل)** بهمزة وتحتية وتحذف وبوزن مفعال ثلاث قراءات. لكن في شرح الشاطبية للجعبري قال أبو عبيدة: هما ممدودان في الحديث انتهى. وهو يحتمل أن مراده المدة الطبيعية أو حرف المد. ويحتمل أنه أراد جبرائيل بالألف الممدودة على الشذوذ واختير لمشاكلة ميكائيل والله [تعالى] أعلم.

٥٥٣١ ـ **(وعن أبي رزين)** بفتح الراء وكسر الزاي **(العقيلي)** مصغراً ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(قال: قلت: يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك)** أي علامته **(في خلقه)**) أي مخلوقاته الموجودين **(قال: أما مررت بوادي قومك جدباً)** بفتح الجيم وسكون

الحديث رقم ٥٥٢٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٦٧. تعليقاً في الباب ٤٣ باب نفخ الصور.
الحديث رقم ٥٥٣٠: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠ وأبو داود ٤/ ٢٩٣ حديث رقم ٣٩٩٩.
الحديث رقم ٥٥٣١: رواه رزين. وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١١.

ثم مررتَ به يهتزّ خضرا؟». قلت: نعم، قال: «فتلك آيةُ اللَّهِ في خلقه، ﴿كذلك يحيي اللَّهُ الموتى﴾». رواهما رزين.

(٢) باب الحشر

الفصل الأول

٥٥٣٢ ـ (١) عن سهل بن سعد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُحشرُ النَّاسُ يومَ

الدال كذا في النهاية والقاموس. وفي المقدمة بفتح أوله وكسر ثانيه وقد تسكن ضد الخصب. (**ثم مررت به يهتز**) بتشديد الزاي يتحرك (**خضراً**) بفتح فكسر. قال الطيبي [رحمه الله]: يهتز جملة حالية وخضراً نصب على التمييز استعار الاهتزاز لأشجار الوادي تصويراً لحسنها. ويقال: اهتز فلان فرحاً، أي خف له وكل من خف لأمر وارتاح له فقد اهتز له. (**قلت: نعم. قال: فتلك آية الله**) أي علامة قدرته (**في خلقه**) أي وفي إعادته والعود أحمد. قال تعالى: ﴿**وهو الذي يبدؤوا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**﴾ [الروم ـ ٢٧]. (﴿**كذلك يحيي الله الموتى**﴾)[1] الظاهر أن هذا استشهاد بالآية أو اقتباس منها. قال الطيبي [رحمه الله]: أي ليس فرق بين إنشاء خلق وإعادته، والتشبيه في قوله تعالى: ﴿**كذلك يحيي الله الموتى**﴾. بيان للتسوية نحو قوله تعالى: ﴿**قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم**﴾ [يس ـ ٧٩]. أي بكل من الإنشاء والاعادة عليم. ونظر هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى: ﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير**﴾ [الروم ـ ٥٠]. يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء. (**رواهما**) أي الحديثين (**رزين**) قال المؤلف [رحمه الله]: هو أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح، مات بعد العشرين والخمسمائة.

(باب الحشر)

في المغرب الحشر الجمع قلت: وهو ضد النشر.

(الفصل الأوّل)

٥٥٣٢ ـ (**عن سهل بن سعد**) سبق ذكره (**قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم**

---

(١) سورة البقرة. آية رقم ٧٣.

الحديث رقم ٥٥٣٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٢ حديث رقم ٩٥٢١. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٠ حديث رقم (٢٨ . ٢٧٩٠).

القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراء، كَقُرْصَةِ النَقيِّ ليس فيها عَلَم لأحدٍ». متفقٌ عليه.

٥٥٣٣ ـ (٢) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبزةً واحدةً، يتكفَّؤها الجبَّار بيده كما يتكفَّأ أحَدُكُم خُبْزَتَه في السفر نُزُلاً لأهلِ الجنةِ».

القيامة على أرض بيضاء عفراء) أي غير شديدة البياض، والعفرة لون الأرض. وقيل: المعنى لا يخلص بياضها بل يضرب إلى الحمرة. **(كقرصة النقي)** بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الدقيق المنخول المنظف الذي يتخذ منه الحواري، والقرصة بالضم الرغيف والتاء للوحدة والتشبيه بها في اللون والشكل دون القدر. **(ليس فيها علم)** بفتحتين أي علامة **(لأحد)** يريد به الأبنية. ومعناه أنها تكون قاعاً لا بناء فيها ذكره [القاضي رحمه الله. وقال الطيبي رحمه الله:][1] لعل الظاهر أن ذلك تعريض بأرض الدنيا وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها أعلم عليها على نحو قوله تعالى: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ [غافر ـ ١٦]. **(متفق عليه)**.

٥٥٣٣ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة)** أي كخبزة واحدة فهو تشبيه بليغ، أو التقدير تصير خبزة واحدة وهو الظاهر على ما سيأتي. **(يتكفؤها)** بالهمزة بعد تشديد الفاء. قال التوربشتي [رحمه الله]: هذه رواية كتاب البخاري، ورواية كتاب مسلم: يكفؤها، بسكون الكاف والهمز من كفأت الإناء أي قلبته وهو الصواب، والمعنى: يقلبها. **(الجبار)** أي الواحد القهار **(بيده)** أي من يد إلى يد وكلتا يديه يمين. ولعل المراد بهما القدرة والإرادة فإنه سبحانه منزه عن الجارحة. **(كما يتكفأ أحدكم خبزته)** أي عجينته فهي تسمية بالمآل كقوله تعالى: ﴿**إني أراني أعصر خمراً**﴾ [يوسف ـ ٣٦]. **(في السفر)** بفتحتين، وقيل بضم أوّله جمع سفرة، فالأول ظرف الزمان والثاني مكان البيان. والمعنى: كما يفعل بالعجينة إذا أريد به ترقيقها واستواؤها حتى تلقى على الملة في السفر استعجالاً. **(نزلاً)** بضمتين ويسكن الثاني ذكره ابن الملك. أي إضافة. **(لأهل الجنة)** وهو ما يستعجل للضيف من الطعام. قال النووي [رحمه الله]: يتكفؤها بالهمز، أي يقلبها ويميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها ليست مبسوطة كالرقاقة ونحوها. وفي نسخة مسلم: ويكفؤها، بالهمز. والخبزة هي الظلمة[2] التي توضع في الملة. والمعنى: أن الله تعالى يجعل الأرض كالطلمة والرغيف العظيم يكون ذلك طعاماً نزلاً لأهل الجنة والله على كل شيء قدير. قال التوربشتي [رحمه الله]: أرى الحديث مشكلاً جداً غير مستنكر شيئاً من صنع الله

---

(١) ما بين المعكوفتين جاء في المخطوطة على الشكل التالي: «ذكره الطيبي رحمه الله وقال القاضي رحمه الله».

الحديث رقم ٥٥٣٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٢. حديث رقم ٦٥٢٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥١ حديث رقم (٣٠. ٢٧٩٢).

(٢) في المخطوطة «الظلة».

فأتى رجلٌ من اليهود، فقال: باركَ الرحمٰنُ عليكَ يا أبا القاسم! ألا أُخبرُك بِنُزُلِ أهل الجنةِ يومَ القيامةِ؟ قال: «بلى». قال: تكونُ الأرضُ خُبْزَةً واحِدةً كما قال النبي ﷺ. فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بَدَتْ نواجِذُه، ثم قال: أَلاَ أُخبرك بإدامهم؟ بالام والنون. قالوا: وما هذا؟

[تعالى]وعجائب فطرته، بل لعدم التوفيق الذي يكون موجباً للعلم في قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى طبع المطعوم والمأكول مع ما ورد في الآثار المنقولة، أن هذه الأرض برها وبحرها تمتلىء ناراً في النشأة الثانية وتنضم إلى جهنم. فنرى الوجه فيه أن نقول معنى قوله: خبزة واحدة، أي كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا هو مثل ما في حديث سهل بن سعد كقرصة النقي، وإنما ضرب المثل بقرصة النقي لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا. وفي هذا الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الأرض هيئة وشكلاً ومساحة، فاشتمل الحديث على معنيين أحدهما بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ، والآخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلاً لأهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابداعاً واختراعاً من القادر الحكيم الذي لا يعجزه أمر ولا يعوزه شيء. اهـ. وأطنب الطيبي [رحمه الله]هنا بما لا طائل تحته فأعرضت عن ذكره. وقيل: الحديث مشكل لا من جهة إنكار قدرته، بل من جهة عدم التوفيق بينه وبين حديث: إن هذه الأرض تصير يوم القيامة ناراً. وأجيب بأنه شبه أرض الحشر بالخبزة في الاستواء والبياض كما في حديث سهل، وشبه أرض الجنة كما في حديث أبي سعيد في كونها نزلاً لأهلها تكرمة لهم بعجالة الراكب زاداً يقنع به في سفره. لكن آخر هذا الحديث يشعر بأن كون الأرض خبزة على التجوّز. والأولى الحمل على الحقيقة مهما أمكن وقدرته تعالى صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة أبلغ بأن يقلب الله تعالى بقدرته الكاملة طبع الأرض حتى يأكلوا منها تحت أقدامهم ما شاء الله بغير كلفة ولا علاج، وبهذا يتبين ضعف ما قاله القاضي من أنه لم يرد بذلك أن جرم الأرض ينقلب خبزة في الشكل والطبع وإنما أراد به أنها تكون حينئذ بالنسبة إلى ما أعد الله. **(لأهل الجنة)** كقرصة نقي يستعجل المضيف بها نزلاً للضيف. ثم تعريف الأرض في الحديث كتعريفها في قوله تعالى: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ [الأنبياء - ١٠٥]. قال ابن عباس: هي أرض الجنة. هذا ومما يؤيد الحمل على الحقيقة قول الراوي: **(فأتى رجل من اليهود)** أي من أحبارهم **(فقال: بارك الرحمٰن عليك)** دعا له بنزول كثرة الرحمة عليه أو إخبار عنه[١]. **(يا أبا القاسم)** كناه تعظيماً **(ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة. فقال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة. كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا)** أي نظر التفات وتعجب وتنبيه **(ثم ضحك)** أي فرحاً للمطابقة والموافقة **(حتى بدت نواجذه)** أي ظهرت آخر أضراسه وهو كناية عن المبالغة **(ثم قال:)** أي اليهودي كما في نسخة **(ألا أخبرك بإدامهم)** أي بما يأتدم أهل الجنة الخبزة به **(بالام)** أي هو بالام وهو على وزن فاعال أي ثور **(والنون)** أي السمك **(قالوا:)** أي الصحابة **(وما هذا)** أي ما معنى الذي ذكرته **(قال:**

---

(١) في المخطوطة «عليه».

قال: ثورٌ ونونٌ، يأكل من زائدةِ كبدهما سبعونَ ألفاً. متفق عليه.

٥٥٣٤ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ النَّاسُ على ثلاث طرائق: راغبينِ، راهبينِ، واثنانِ على بعيرٍ، وثلاثةٌ على بعيرٍ، وأربعةٌ على بعيرٍ، وعشرةٌ على بعيرٍ،

ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً) قال النووي [رحمه الله]: أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء، وأما بالام فبباء موحدة مفتوحة وتخفيف لام وميم [منوّنة]مرفوعة، وفي معناه أقوال. والصحيح منها ما اختاره المحققون [من]أنها لفظة عبرانية معناها بالعربية الثور وفسر اليهودي به، ولو كانت عربية لعرفها الصحابة ولم يحتاجوا إلى سؤاله عنها. وأما قوله: يأكل منها سبعون ألفاً. فقال القاضي عياض [رحمه الله]: إنهم السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب فخصوا بأطيب النزل. ويحتمل أنه عبر به عن العدد الكثير ولم يرد الحصر في ذلك القدر وهذا معروف في كلام العرب والله [تعالى]أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٥٣٤ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس)** أي بعد البعث **(على ثلاث طرائق)** أي فرق وأصناف الركبان على طريقة واحدة من تلك الثلاث والبقية تتناول الطريقتين الأخيرتين وهما المشاة والذين على وجوههم كما سيأتي في الفصل الثاني. **(راغبين)** أي في الجنة لما فيها من لقاء ربهم، وهو بدل عن ثلاث وهو [و]أحد الفرق وهم: الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. **(راهبين)** أي من النار وهم الذين يخافون ولكن ينجون منها وهم الفرقة الثانية، ففيه تنبيه نبيه على أن طاعة الله تعالى على الرجاء أولى من عبادته على الخوف، ولذا سمي الأوّلون الطيارين والآخرون السيارين وتحقيقه في كتب التصوّف ويعرفه أهل التعرف. وجملة الكلام أن المراد بالراغبين من غلب عليهم الرجاء وبالراهبين من غلب عليهم الخوف قال تعالى: ﴿**يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**﴾ [السجدة ـ ١٦]. وإنما قدم الخوف في الآية لأنه أنسب بعموم العامة لا سيما في البداية. **(واثنان على بعير)** أي اعتقاباً أو اجتماعاً وهو الأظهر. **(وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير)** فعلى مقدار مراتبهم يستريحون على مراكبهم والباقون يمشون على أقدامهم على قدر أقدامهم. قال ابن الملك: قوله: واثنان على بعير، الواو فيه للحال وصفة المبتدأ محذوف أي اثنان منهم وكذا الحكم فيما بعده. وهذه الأعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل، فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأشد سرعة وأكثر سباقاً. فإن قلت: كون الاثنين وإخواته على البعير بطريق الاجتماع أم الاعتقاب. قلنا: قال شارح السنة بطريق الاعتقاب لكن الأولى أن يحمل على الاجتماع إذ في الاعتقاب لا يكون الاثنان والثلاثة على بعير حقيقة، وإنما اقتصر على ذكر العشر إشارة إلى أنه غاية عدد الراكبين على ذلك البعير المحتمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث

الحديث رقم ٥٥٣٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٧. حديث رقم ٦٥٢٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٣ حديث رقم (٥٩ . ٢٨٦١). وأخرجه النسائي ٤/ ١١٥ حديث رقم ٢٠٨٥.

وتحشرُ بقيتهم النارُ. تقيلُ معهم حيث قالوا، وتبيتُ معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أَصْبَحُوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

قوي ما لا يقوى من البعران، وإنما لم يذكر الخمسة والستة وغيرهما إلى العشرة للإيجاز. **(ويحشر بقيتهم)** أي تجمعهم **(النار تقيل)** بفتح أوّله من القيلولة وفاعله النار، والمراد أنها تكون: **(معهم)** في النهار **(حيث قالوا)** أي كانوا أو استراحوا **(وتبيت)** أي النار **(معهم حيث باتوا)** أي كانوا في الليل **(وتصبح معهم حيث أصبحوا)** أي دخلوا في الصباح **(وتمسي معهم حيث أمسوا)** والمقصود أن النار تلزمهم بحيث لا تفارقهم أبداً هذا مجمل الكلام في تحصيل المرام. وأما تفصيله فقال الخطابي: الحشر المذكور في هذا الحديث إنما يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام. فأما الحشر بعد البعث من القبور فإنه على خلاف هذه الصورة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها، وإنما هو على ما ورد في الحديث: «إنم يبعثون حفاة عراة»[(١)]. وفسر ثلاثة على بعير وأربعة على بعير على أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم ويمشي بعضهم. قال التوربشتي [رحمه الله]: قول: من يحمل الحشر على الحشر الذي هو بعد البعث من القبور أشد وأقوى وأشبه بسياق الحديث من وجوه أحدها: أن الحشر على الإطلاق في متعارف الشرع لا يراد منه إلا الحشر الذي بعد قيام الساعة إلا أن يخص بنوع من الدليل ولم نجد ههنا. والآخر أن التقسيم الذي ذكر في هذا الحديث لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام لأن المهاجر إليها لا بد وأن يكون راغباً راهباً أو راغباً أو راهباً، فأما أن لا يكون راغباً وراهباً وتكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها فلا. والثالث أن حشر النار بقيد الطائفتين على ما ذكره في هذا الحديث إلى أرض الشام والتزامها لهم حتى لا تفارقهم في مقيل ولا مبيت ولا صباح ولا مساء قول لم يرد به التوقيف ولم يكن لنا أن نقول بتسليط النار على أولي الشقاوة في هذه الدار من غير توقيف. والرابع وهو أقوى الدلائل وأوثقها ما روي عن أبي هريرة وهو في الحسان من هذا الباب: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف»[(٢)]. الحديث. وأما ما ذكر من بعث الناس حفاة عراة فلا تضاد بين القضيتين لأن إحداهما حالة البعث من النشر وأخرى حالة السوق إلى المحشر. ونرى التقسيم الذي جاء به الحديث التقسيم الذي جاء به التنزيل، قال الله تعالى: **﴿إذا رجت الأرض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾** [الواقعة ـ ٤ و٥ و٦ و٧]. الآيات. فقوله: راغبين راهبين، يريد به عوام المؤمنين وهم ذوو الهنات الذين يترددون بين الخوف والرجاء بعد زوال التكليف، فتارة يرجون رحمة الله لإيمانهم وتارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيئات وهم أصحاب الميمنة في كتاب الله على ما في الحديث الذي رواه أيضاً أبو هريرة وهو في الحسان من هذا الباب. وقوله: واثنان على بعير فالمراد منه أولو السابقة من أفاضل المؤمنين وهم السابقون. وقوله: ويحشر بقيتهم النار، يريد أصحاب المشأمة فهذه ثلاث طرائق. فإن قيل: فلم لم يذكر من السابقين من يتفرد بفرد مركب لا يشاركه فيه أحد. قلنا: لأنه عرف أن ذلك مجعول لمن فوقهم

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥٣٦).
(٢) وهو الحديث (٥٥٤٦).

متفق عليه.

٥٥٣٥ ـ (٤) وعن ابن عبَّاس، عن النبي ﷺ قال: «إِنكم محشورون حُفاةً عُراةً غُرلاً». ثم قرأ: **﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنا كنَّا فاعلين﴾** «وأول من يكسى يومَ القيامةِ إبراهيمُ»،

في المرتبة من أنبياء الله ليقع الامتياز بين النبيين والصديقين في المراكب كما وقع في المراتب. اهـ. وعارضه الطيبي [رحمه الله]بما لا طائل تحته فحذفنا بحثه. **(متفق عليه)**.

٥٥٣٥ ـ **(وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنكم محشورون)** أي ستبعثون **(حفاة)** بضم الحاء جمع حاف وهو الذي لا نعل له **(عراة)** بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له. **(غرلاً)** بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع الأغرل، وهو الأقلف أي غير مختونين. قال العلماء في قوله: غرلاً، إشارة إلى أن البعث [يكون]بعد رد تمام الأجزاء والأعضاء الزائلة في الدنيا إلى البدن. وفيه تأكيد لذلك، فإن القلفة كانت واجبة الإزالة في الدنيا فغيرها من الأشعار والأظفار والأسنان ونحوها أولى وذلك لغاية تعلق علم الله تعالى بالكليات والجزئيات ونهاية قدرته بالأشياء الممكنات. **(ثم قرأ:)** أي استشهاداً واعتضاداً. وقوله تعالى: **(﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده﴾)** الكاف متعلق بمحذوف دل عليه نعيده، أي نعيد الخلق إعادة مثل الأوّل. والمعنى: بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذا نعيدهم يوم القيامة. **(﴿وعداً علينا﴾)** أي لازماً ما لا يجوز الخلف فيه **(﴿إنا كنا فاعلين﴾)**[1] أي ما وعدناه وأخبرنا به لا محالة. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: سياق الآية في إثبات الحشر والنشر لأن المعنى نوجدكم من العدم كما أوجدناكم أوّلاً عن العدم، فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور. قلت: دل سياق الآية وعبارتها على إثبات الحشر وإشارتها على المعنى المراد من الحديث، فهو من باب الإدماج. قلت: الظاهر أن الآية بعبارتها تدل على المعنيين وإن كان سياق الآية مختصاً لأحدهما، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ثم في قوله: نوجدكم من العدم مسامحة والله [تعالى]أعلم. **(وأوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم)** [عليه الصلاة والسلام]. قيل: لأنه أوّل من كسا الفقراء، وقيل لأنه أوّل من عري في ذات الله حين ألقي في النار، لا لأنه أفضل من نبينا أو لكونه أباه فقدمه لعزة الأبوّة على أنه قيل إن نبينا يخرج في الناس من قبره في ثيابه التي دفن فيها، وعندي والله [تعالى]أعلم أن الأنبياء بل الأولياء يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن يلبسون أكفانهم بحيث لا تكشف[2] عوراتهم على أحد ولا على أنفسهم وهو المناسب لقوله ﷺ: أخرج من قبري وأبو بكر عن يميني وعمر عن يساري وآتي

الحديث رقم ٥٥٣٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨٦. حديث رقم ٣٣٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٤. حديث رقم (٥٨ . ٢٨٦٠) والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٢ حديث رقم ٢٤٢٣. وأخرجه النسائي ٤/ ١١٩ حديث رقم ٢٠٨٧. وأحمد في المسند ١/ ٢٢٠.

(١) سورة الأنبياء. آية رقم ١٠٤. (٢) في المخطوطة «فيكشف».

وإن ناساً من أصحابي يُؤخذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول: أَصَيْحابي أُصَيْحابي!! فيقول: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذْ فارقتهم. فأقول كما قال العبدُ الصَّالح: ﴿**وكُنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم**﴾ إلى قوله: ﴿**العزيزُ الحكِيم**﴾».

البقيع. الحديث. ثم يركبون النوق ونحوها ويحضرون المحشر فيكون هذا الإلباس محمولاً على الخلع الإلهية والحلل الجنتية[١] على الطائفة الاصطفائية. وأولية إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام يحتمل أن تكون حقيقية أو إضافية والله سبحانه [وتعالى]أعلم. ثم رأيت في الجامع الصغير حديث: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري[٢]. رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة[٣]. وقال التوربشتي [رحمه الله]: نرى أن التقديم بهذه الفضيلة إنما وقع لإبراهيم عليه [الصلاة]والسلام لأنه أوّل من عري في ذات الله حين أرادوا إلقاءه في النار، فإن قيل: أو ليس نبينا ﷺ هو المحكوم له بالفضل على سائر الأنبياء وتأخره في ذلك موهم أن الفضل للسابق. قلنا: إذا استأثر الله سبحانه عبداً بفضيلة على آخر واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بعشر أمثالها أو أفضل كانت السابقة له ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله، ولا خفاء بأن الشفاعة حيث لا يؤذن لأحد في الكلام لم تبق سابقة لأولي السابقة ولا فضيلة لذوي الفضائل إلا أتت عليها، وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها. (**وأن ناساً من أصحابي**) أي جماعة منهم والتنكير للتقليل (**يؤخذ بهم ذات الشمال**) أي إلى النار مع أصحاب المشأمة (**فأقول: أصيحابي**) بالتصغير للتقليل، أي هؤلاء أصحابي. (**أصيحابي**) كرره تأكيداً، ويمكن أن يكون إشارة إلى جماعتين (**فيقول:**) أي قائل أو مجيب (**إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم**) قال القاضي [رحمه الله]: يريد بهم من ارتد من الأعراب الذين أسلموا في أيامه كأصحاب مسيلمة والأسود واضرابهم، فإن أصحابه وإن شاع عرفاً فيمن يلازمه من المهاجرين والأنصار شاع استعماله لغة في كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة. قلت: الأوّل اصطلاح أصول الفقه والثاني مصطلح أهل الحديث. وقيل: أراد بالارتداد إساءة السيرة والرجوع عما[٤] كانوا عليه من الإخلاص وصدق النية والإعراض عن الدنيا. أقول: هذا بالإشارات الصوفية أنسب وأقرب، وإلا فعبارة الارتداد غير مستقيمة على هذا المعنى أصلاً ولا موافقة لقوله عليه [الصلاة] والسلام. (**فأقول كما قال العبد الصالح:**) وهو عيسى عليه [الصلاة] والسلام (﴿**وكنت عليهم**﴾) أي على أمتي (﴿**شهيداً**﴾) أي مطلعاً رقيباً حافظاً (﴿**ما دمت فيهم**﴾) أي موجوداً فيما بينهم (**إلى قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾**)[٥]. وهو قوله: ﴿**فلما توفيتني كنت أنت**

---

(١) في المخطوطة «الجنبية».
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٦٩٠.
(٣) الترمذي في السنن ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.
(٤) في المخطوطة «كما».
(٥) المائدة. الآيتان ١١٧ و١١٨.

متفق عليه.

٥٥٣٦ ـ (٥) وعن عائشةَ، قالتْ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً». قلتُ: يا رسول الله! الرجالُ والنساء جميعاً ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ؟ فقال: «يا عائشةُ! الأمرُ أشدُّ من أن ينظرَ بعضُهم إلى بعض». متفق عليه.

الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة ـ ١١٧ ـ ١١٨]. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي.

٥٥٣٦ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت: يا رسول الله الرجال)** بتقدير الاستفهام، ويمكن أن يقرأ بالمدّ والتسهيل أيضاً على ما تقرر في قوله تعالى: **﴿قل آلله أذن لكم ﴾** [يونس ـ ٥٩]. **(والنساء)** عطف على الرجال وهما مبتدأ وقوله: **(جميعاً)** أي مجتمعين، حال منهما على ما جوّزه البعض فالخبر قوله: **(ينظر بعضهم إلى بعض)** وهو محط الاستفهام التعجبي. قال الطيبي [رحمه الله]: الرجال والنساء مبتدأ وجميعاً حال سد مسد الخبر، أي مختلطون جميعاً. ويجوز أن يكون الخبر ينظر بعضهم إلى بعض وهو العامل في الحال قدم اهتماماً كما في قوله تعالى: **﴿والأرض جميعاً قبضته ﴾** [الزمر ـ ٦٧]. وفيه معنى الاستفهام، ولذلك أجاب. **(فقال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)** أي أمر القيامة أصعب من أن يقدر أحد على النظر إلى غيره عمداً أو سهواً لقوله تعالى: **﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾** [عبس ـ ٣٧]. **(متفق عليه)** وأخرج عبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: يحشرون حفاة عراة غرلاً. فقالت زوجته: أينظر بعضنا إلى عورة بعض. فقال: يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه[1]. وأخرج الطبراني عن سهل بن سعد نحوه. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: كيف يحشر الناس. قال: حفاة عراة. قالت: واسوأتاه. قال: إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا. قالت: وأي آية هي. قال: **﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾**. وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة نحوه[2]. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة. قلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض. فقال: شغل الناس. قلت: ما شغلهم. قال: نشر

الحديث رقم ٥٥٣٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٧. حديث رقم ٦٥٢٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٤ حديث رقم (٥٦ . ٢٨٥٩). وأخرجه النسائي في السنن ٤/ ١١٤ حديث رقم ٢٠٨٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٢٩ حديث رقم ٤٢٧٦.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥١.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٥.

٥٥٣٧ ـ (٦) وعن أنسٍ، أن رجلاً قال: يا نبي الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أَلَيْسَ الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمْشِيَهُ على وجهه يوم القيامةِ؟». متفق عليه.

٥٥٣٨ ـ (٧) وعن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «يَلْقَى إبراهيمُ أَباه آزر يومَ القيامةِ وعلى وجهِ آزر قَترَةٌ وغَبرَةٌ فيقول له إبراهيم: ألم أقل لكَ: لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليومَ لا أعصيكَ. فيقول إبراهيم: يا رب! إنك وعدتني أنْ لا تُخزِيَني يومَ يبعثونَ، فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرَّمْتُ الجنةَ على

الصحائف، فمنها مثاقيل الذرة ومثاقيل الخردل.

٥٥٣٧ ـ **(وعن أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة)** ولكون[1] الاستفهام مقدراً **(قال: أليس)** أي الشأن **(الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا)** مبتدأ خبره قوله: **(قادر على أن يمشيه)** بالتخفيف ويجوز تشديده. **(على وجهه يوم القيامة، متفق عليه)** وسيأتي حديث الترمذي في الفصل الثاني وحديث أبي ذر في الثالث. وفي الدر المنثور أخرج أحمد والشيخان والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس قال: قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم. قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم[2]. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: **﴿الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم﴾** [الفرقان ـ ٣٤]. فقالوا: يا نبي الله كيف يحشرون على وجوههم. قال: أرأيت الذي أمشاهم على أقدامهم أليس قادراً على أن يمشيهم على وجوههم.

٥٥٣٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يلقى)** أي يرى **(إبراهيم أباه آزر)** بدل أو بيان **(يوم القيامة على وجه آزر)** وضع الظاهر موضع الضمير لئلا يتوهم رجعه إلى إبراهيم في ابتداء الحال. **(قترة)** بفتحتين، أي سواد من الكآبة والحزن. **(وغبرة)** بفتحتين غبار معه سواد، فذكرهما مبالغة، والجملة حالية. **(فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني. فيقول له أبوه: فاليوم)** ظرف مقدم **(لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني)** أي لا تفضحني **(يوم يبعثون)** أي الخلائق **(فأي خزي)** في النهاية: هو الهلاك والوقوع في بلية. **(أخزى من أبي)** أي من خزي أبي **(الأبعد)** يريد البعد في المرتبة والالتحاق بأهل النار، أو الهالك من البعد بمعنى الهلاك، أو الأبعد من رحمة الله تعالى فإن الفاسق بعيد والكافر أبعد، ورحمة الله قريب من المحسنين وإلى الأنبياء والأولياء أقرب. قال الطيبي [رحمه

الحديث رقم ٥٥٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٤٩٢. حديث رقم ٤٧٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦١ حديث رقم (٥٤ ـ ٢٨٠٦).

(١) في المخطوطة «ولكن».
(٢) هذا اللفظ غير موجود في الصحيحين.

الحديث رقم ٥٥٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨٧. حديث رقم ٣٣٥٠.

الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحتَ رجليكَ؟ فينظر فإذا هو بذيخٍ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فَيُلْقى في النار». رواه البخاري.

٥٥٣٩ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَعْرَقَ الناسُ يومَ القيامةِ حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعينَ ذراعاً ويُلجمهم حتى يبلغَ آذانهم». متفق عليه.

الله]: هو من أفعل الذي قطع عن متعلقه للمبالغة. (**فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجليك**). وفي نسخة: انظر ما تحت رجليك. وما استفهامية أو موصولة. قال ابن الملك: ما استفهام خبره تحت، ويجوز كونه بمعنى الذي، أي انظر إلى الذي تحت رجليك. (**فينظر فإذا هو**) أي آزر (**بذيخ**) بكسر الذال المعجمة فتحتية ساكنة فحاء معجمة، وهو ذكر الضبع الكثير الشعر. وفي نسخة بموحدة ساكنة وحاء مهملة، وهو ما يذبح. (**متلطخ**) إما برجيعه أو بدمه، أو بالطين. (**فيؤخذ بقوائمه**) جمع قائمة وهو ما يقوم به الدواب بمثابة الأرجل للإنسان كذا ذكره شارح. ففيه تغليب إذ المراد أنه يؤخذ بيديه ورجليه. (**فيلقى**) أي فيطرح (**في النار**) أي في مقام الكفار فغير صورته ليكون تسلية لإبراهيم حتى لا يخزيه لو رآه قد ألقي في النار على صورته، فيكون خزياً وفضيحة على رؤوس الخلائق فغيره سترة لحاله في تقبيح مآله. قيل: هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أن عدوّ للّه تبرأ منه**﴾ [التوبة ـ ١١٤]. وأجيب بأنه اختلف في الوقت الذي تبرأ إبراهيم فيه من أبيه، فقيل: كان ذلك في الدنيا لما مات آزر مشركاً. وقيل: إنما تبرأ منه يوم القيامة لما أيس منه حين مسخ. ويمكن الجمع بين القولين بأنه تبرأ منه لما مات مشركاً فترك الاستغفار له، لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة فسأل منه فلما رآه مسخ أيس منه وتبرأ تبرءاً أبدياً. وقيل: إن إبراهيم لم يتيقن بموته على الكفر لجواز أن يكون آمن في نفسه ولم يطلع إبراهيم ويكون وقت تبرئه منه بعد الحال التي وقعت في هذا الحديث. (**رواه البخاري**).

٥٥٣٩ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: يعرق**) بفتح الراء (**الناس**) أي جميعاً والجن بالأولى فتركه من باب الاكتفاء، والظاهر استثناء الأنبياء والأولياء. (**يوم القيامة**) أي في ابتداء أمره (**حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً**) قيل: سبب هذا العرق تراكم الأهوال وحصول الحياء والخجالة والندامة والملامة وتزاحم حر الشمس والنار كما جاء في رواية: إن جهنم تدير أهل المحشر فلا يكون إلى الجنة طريق إلا الصراط. (**ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**) أي يصل العرق إليها وهي بالمد جمع أذن. قال شارح: أي إلى أفواههم، وسيأتي أن الناس مختلفون في أحوالهم على مراتب أعمالهم. (**متفق عليه**). وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً: إن الرجل ليلجمه

الحديث رقم ٥٥٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٩٢. حديث رقم ٦٥٣٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٦. حديث رقم (٦١ ـ ٢٨٦٣). وأحمد في المسند ٢/ ٤١٨.

٥٥٤٠ ـ (٩) وعن المقدادِ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ، فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكونُ إلى كعبيهِ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكونُ إلى حقويه، ومنهم من يُلجمهم العرق إلجاماً». وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. رواه مسلم.

٥٥٤١ ـ (١٠) وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «يقول اللّهُ تعالى: يا آدم! فيقول: لبَّيْك وسعديك، والخير كله في يديك. قال:

العرق يوم القيامة فيقول: رب أرحني ولو إلى النار[١].

٥٥٤٠ ـ **(وعن المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تدنو الشمس)** أي تقرب **(يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم)** أي الشمس والمراد جرمها **(كمقدار ميل)** تقديره حتى يكون مقدار قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل، نظيره قوله تعالى: ﴿**فكان قاب قوسين**﴾ [النجم ـ ٩]. أي كان قرب رسول الله من جبريل أو من مكان القرب مثل مقدار قوسين. وفي شرح السنة قال سليم: لا أدري أي الميلين، يعني مسافة الأرض أو الميل الذي يكحل به العين. **(فيكون الناس على قدر أعمالهم)** أي السيئة **(في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه)** أي تقريباً فيقبل النقصان والزيادة **(ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه)** الحقو الخصر ومشد الإزار. **(ومنهم من يلجمهم العرق إلجاماً. وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه)** أي فمه. قال ابن الملك: إن قلت: إذا كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل إلى كعب الآخر. قلنا: يجوز أن يخلق الله تعالى ارتفاعاً في الأرض تحت أقدام البعض، أو يقال: يمسك الله تعالى عرق كل انسان بحسب عمله فلا يصل إلى غيره منه شيء كما أمسك جرية البحر لموسى عليه [الصلاة]والسلام. قلت: المعتمد هو القول الأخير فإن أمر الآخرة كله على وفق خرق العادة، ألا ترى أن شخصين في قبر واحد يعذب أحدهما وينعم الآخر ولا يدري أحدهما عن غيره. ونظيره في الدنيا نائمان مختلفان في رؤياهما فيحزن أحدهما ويفرح الآخر. بل شخصان قاعدان في مكان واحد أحدهما في عليين والآخر في أسفل سافلين، أو أحدهما في صحة والآخر في وجع أو بلية. **(رواه مسلم)**.

٥٥٤١ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى)** أي يوم القيامة كما في رواية البغوي **(يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير كله في يديك. قال:**

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٢٢ حديث رقم ١٩٩٠.

الحديث رقم ٥٥٤٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٦. حديث رقم (٦٢ ـ ٢٨٦٤). والترمذي في السنن ٤/ ٥٣١ حديث رقم ٢٤٢١. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٤.

الحديث رقم ٥٥٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨٢. حديث رقم ٣٣٤٨. ومسلم في صحيحه ١/ ٢٠١ حديث رقم (٣٧٩ ـ ٢٢٢). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٠٢ حديث رقم ٣١٦٨.

أَخرِجْ بَعْثَ النَّار. قال: وما بَعثُ النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ، فعنده يشيب الصغير، ﴿**وتضع كلُّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّهِ شديدٌ**﴾». قالوا: يا رسولَ اللّهِ؟ وأيُّنا ذلكَ الواحدُ؟ قال: «أبشِروا

أخرج) بفتح الهمزة وكسر الراء، أي أظهر وميز[(١)] من بين أولادك. **(بعث النار)** أي جمعاً يستحقون البعث إليها **(قال: وما بعث النار)** قيل: عطف على مقدر، أي سمعت وأطعت وما بعث النار، أي وما مقدار [مبعوث]النار، وقيل: ما بمعنى كم العددية. والأظهر أن الواو استئنافية تفيد الربط بين سابقها ولاحقها. **(قال:)** أي الله تعالى **(من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين)** قيل: يخالفه ما في حديث أبي هريرة: من كل مائة تسعة وتسعين. وأجاب الكرماني بأن مفهوم العدد مما لا اعتبار له والمقصود منه تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، ويمكن حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة. ويقرب من ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة: ويحتمل أن يكون الأوّل يتعلق بالخلق أجمعين والثاني بخصوص هذه الأمة وأن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخل النار من العصاة، فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافراً ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً وهذا هو الأظهر والله [تعالى]أعلم. **(فعنده)** أي عند هذا الحكم **(يشيب الصغير)** أي من الحزن الكثير والهم الكبير. وفي رواية البغوي: فحينئذ يشيب المولود. وظهور الشيب إما على الحقيقة أو على الفرض والتقدير وهذا هو الأظهر الملائم لقوله: **(﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى﴾)** أي من الخوف **(﴿وما هم بسكارى﴾)** [أي] من الخمر **(﴿ولكن عذاب الله شديد﴾)** ثم اعلم أن هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم**﴾. أي احذروا بطاعته عقابه حتى ترجوا ثوابه. ﴿**إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾. والزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا فيها فقال علقمة والشعبي هي من أشراط الساعة قبل قيامها، وقال الحسن والسدي هي تكون يوم القيامة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها ﴿**يوم ترونها**﴾. أي الساعة أو الزلزلة ﴿**تذهل كل مرضعة**﴾ أي تشغل. ﴿**عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها**﴾ [الحج ـ ٢]. أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم. قال الحسن: تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها من غير تمام. وهذا بظاهره يؤيد قول من قال: إن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حبل. ومن قال: تكون في القيامة. قال: هذا على وجه التعظيم للأمر لا على حقيقته كقولهم: أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، يريد به شدته. **(قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد)** ولما استعظموا ذلك الأمر واستشعروا الخوف منه **(قال:)** أي في جوابهم تسلية لفؤادهم **(أبشروا)** قال الطيبي [رحمه الله]: لا يخلو هذا الاستفهام من أن يكون مجرى على حقيقته أو يكون استعظاماً لذلك الحكم واستشعار خوف منه، فالأوّل يستدعي أن يجاب بأن ذلك الواحد فلان أو متصف بالصفة الفلانية، والثاني يستدعي أن يجاب بما يزيل ذلك الخوف رفقاً للناس. والثاني هو المراد لقوله:

(١) في المخطوطة «ميزه».

فإنَّ منكم رجلاً، ومنْ يأجوجَ ومأجوجَ ألف».

ثمَّ قال: «والذي نفسي بيدِه أرجو أنْ تكونوا رُبعَ أهلِ الجنَّةِ» فكبَّرنا. فقال: «أرجو أنْ تكونوا ثُلثَ أهل الجنةِ» فكبَّرنا فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنّة». فكبَّرنا. قال: «ما أنتم في الناسِ إلاَّ كالشَّعرةِ السَّوداءِ في جلدِ ثورٍ أبيضَ، أو كشعرة بَيضاءَ في جلدِ ثورٍ أسوَد». متفق عليه.

أبشروا، وكأنه قال: وأينا من أمة محمد ذلك الناجي المفلح من بين سائر بني آدم. فقال: أبشروا. (**فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج**) بالألف ويهمز فيهما. (**ألف**) بالرفع في الأصول المصححة فالجملة حالية وقدم الجار لكون المبتدأ نكرة. وفي نسخة السيد عفيف الدين ألفاً بالنصب وهو الظاهر فإنه من باب العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور مقدم. والمعنى: سيوجد بعدد كل رجل منكم ألف من يأجوج ومأجوج فحينئذ يكثر أهل الجنة. وفيه إشعار بأن أهل النار أكثر من أهل الجنة. ولعل أهلها يكثرون بوجود الملائكة المقربين والحور العين فصح معنى الحديث القدسي: «غلبت رحمتي غضبي»[1]. زاد البغوي قال: فقال الناس: الله أكبر. (**ثم قال: والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا**) أي أنتم أيها الصحابة أو أيها الأمة وهو الأظهر (**ربع أهل الجنة. فكبرنا**) التكبير للعجب والفرح التام والاستبشار والاستعظام (**فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبرنا**) ولعله ﷺ درج الأمر لئلا تنقطع قلوبهم بالفرح الكثير دفعة، أو بالنظر إلى دخولهم في دفعات أو أوحي إليه وحياً بعد وحي فأخبر بما بشر. (**فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبرنا**) قال الطيبي [رحمه الله]: في الحديث تنبيه على أن يأجوج ومأجوج داخلون في هذا الوعيد ودل بقوله: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. أن غير يأجوج ومأجوج من الأمم السالفة الفائتة للحصر أيضاً داخلون في الوعيد، فإذا وزع نصف أمة محمد ﷺ مع مثله من الأمم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من الألف، يدل عليه رواية الراوي: (**قال:**) أي النبي ﷺ. وفي نسخة صحيحة: فقال. (**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**) الظاهر أن أو للتخيير في التعبير وتحتمل الشك. قال الطيبي [رحمه الله]: وقولهم: الله أكبر مراراً ثلاثاً متعجبين استبشار منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى، فيكون في هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام إشارة إلى فوزهم بالبغية بعد اليأس منها. اهـ. ولعل ورود هذا الحديث قبل علمه ﷺ بأن أمته ثلثا أهل الجنة. إذ قد ورد أن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون صفاً أمته ﷺ وأربعون سائر الأمم[2]. ويمكن أن يكونوا نصفاً بالنسبة إلى الداخلين أوّلاً. والأظهر أن هذا الحديث وقع مختصراً على ما سيأتي الحديث بطوله. (**متفق عليه**) ورواه النسائي. وفي المعالم روي عن عمران بن الحصين وأبي سعيد الخدري [رضي الله عنهما] أن

---

(١) البخاري في صحيحه ١٣/ ٥٥٢ حديث رقم ٧٥٥٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٨ حديث رقم ٢٧٥١.

(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٨٢ والترمذي في السنن الحديث رقم ٢٥٤٦. وكذلك أحمد وابن ماجه.

٥٥٤٢ ـ (١١) وعنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكشفُ ربُنا عن ساقِه، فيسجدُ له كلُّ

هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة. فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدراً والناس بين باك أو جالس حزين متفكرين. فقال رسول الله ﷺ: أتدرون أي يوم ذلك. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله عزَّ وجلَّ: يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك. قال: فيقول آدم: من كل كم كم. فيقول الله عزَّ وجلَّ: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة. قال: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا: فمن ينجو إذاً يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي. وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب. فقال عمر [رضي الله تعالى عنه]: سبعون ألفاً. قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً. فقام عكاشة بن محيصن فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم. فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة.

٥٥٤٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه)** قال التوربشتي [رحمه الله]: مذهب أهل السلامة من السلف التورع من التعرض للقول في مثل هذا الحديث وهو الأمثل والأحوط. وقد تأوّله جمع من العلماء بأن الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب واستعماله فيها شائع ومنه قول الشاعر:

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادي الطير عن أرزاقها

* في سنة قد كشفت عن ساقها *

ومنه قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ [القلم ـ ٤٢]. أي عن شدة وتنكير الساق في الآية من دلائل هذا التأويل، ووجه تعريف الساق في الحديث دون الآية أن يقال: أضافها إلى الله تعالى تنبيهاً على أنها الشدة التي لا يجليها لوقتها إلا هو، أو على أنها هي التي ذكرها في كتابه. اهـ. وعند الحاكم عن ابن عباس في الآية: هو يوم كرب وشدة. وقال الخطابي: المعنى يكشف عن قدرته التي تكشف عن الشدة والكرب. وقيل: الأصل فيه أن يموت الولد في بطن الناقة فيدخل الرجل يده في رحمها فيأخذ بساقه ليخرجه، فهذا هو الكشف عن

الحديث رقم ٥٥٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٦٣. حديث رقم ٤٩١٩ ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٨ حديث رقم (٣٠٢ـ ١٨٣).

مؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى من كانَ يسجدُ في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهبُ ليسجدَ فيعودُ ظهرُه طبقاً واحداً». متفق عليه.

٥٥٤٣ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليأتي الرجلُ العظيم السَّمينُ يومَ القيامةِ لا يزِنُ عندَ الله جَناحَ بعوضة». وقال: «اقرؤوا **﴿فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وَزْناً﴾**».

الساق، ثم استعمل في كل أمر فظيع. أقول: ويمكن أن يكون استعارة. وحاصله أن الله تعالى يأخذهم بالشدائد كمن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله في أمر خطير. **(فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة)** أي من كمال الشدة يقعون في السجدة طالبين رفعها بتلك القربة. وأخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي موسى مرفوعاً في قوله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** قال: عن نور عظيم فيخرون له سجداً. فهذا يشعر بأنه تعالى يتجلى للناس تجلياً صورياً وبهذا ينحل الإشكال في كثير من أحاديث الصفات على ما قرره بعض مشايخنا والله [تعالى]أعلم. ثم المراد بالمؤمن والمؤمنة الخلص منهما ولذا قال: **(ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة)** أي نفاقاً وشهرة **(فيذهب)** أي يقصد ويشرع **(ليسجد فيعود)** أي يصير **(ظهره طبقاً واحداً)** أي عظماً بلا مفصل بحيث لا ينثني عند الرفع والخفض فلا يقدر والطبق فقار الظهر واحده طبقة، يعني صار فقاره واحداً فلا يقدر على الانحناء. والمعنى: إنه تعالى يكشف يوم القيامة عن شدة ترتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز أهل الإخلاص والإيقان بالسجود عن أهل الريب والنفاق في اليوم الموعود وكما قال تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾** [القلم ـ ٤٢ و٤٣]. **(متفق عليه)** وأخرج الإسماعيلي الحديث بلفظ: يكشف عن ساق. قال: وهذا أصح لموافقة لفظ القرآن والله سبحانه [وتعالى] أعلم.

٥٥٤٣ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليأتي الرجل العظيم)** أي جاهاً ومالاً أو لحماً وشحماً فيكون قوله: **(السمين)** عطف بيان له **(يوم القيامة لا يزن)** أي لا يعدل ولا يسوي **(عند الله جناح بعوضة)** أي لا يكون له عند الله قدر ومنزلة. تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن، أي قدر لخسته ومنه حديث: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقي كافراً منها شربة ماء. **(وقال:)** أي النبي ﷺ، أو أبو هريرة **(اقرؤوا)** أي استشهاداً واعتضاداً **(﴿فلا نقيم لهم﴾)** أي للكفار **(﴿يوم القيامة وزناً﴾)**[(١)] قيل: مقداراً وحساباً واعتباراً. وقيل ميزاناً فالتقدير آلة الوزن إذ الكفار الخلص يدخلون النار بغير حساب، وإنما الميزان للمؤمنين الكاملين والمرائين والمنافقين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: **فإن قلت:**

الحديث رقم ٥٥٤٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٤٢٦. حديث رقم ٤٧٢٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٧ حديث رقم (١٨ . ٢٧٨٥).

(١) سورة الكهف . آية رقم ١٠٥.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٤٤ ـ (١٣) عن أبي هريرةَ، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذِه الآية: **﴿يومئذٍ تُحدثُ أخبارَها﴾** قال: «أتدْرونَ ما أخبارُها؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنَّ أخبارَها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ وأمَةٍ بما عَمِلَ على ظهرِها، أن تقول: عمِلَ عَليَّ كذا وكذا، يومَ كذا وكذا». قال: «فهذِه أخبارُها». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية، فإن المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقداره لقوله العظيم السمين وفي الآية، إما وزن الأعمال لقوله تعالى: **﴿فحبطت أعمالهم﴾** [الكهف ـ ١٠٥]. وإما مقدارهم. والمعنى: نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار. قلت: الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكفاية وذكر الجثة والعظم لا ينافي ارادة مقداره وتفخيمه قال تعالى: **﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾** [المنافقون ـ ٤] **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٥٥٤٤ ـ **(عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث﴾)** أي الأرض **(﴿أخبارها﴾**[1]. **قال: أتدرون ما أخبارها)** بفتح الهمزة جمع خبر، وفي نسخة بكسرها على أنه مصدر أي تحديثها. **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها)** بالوجهين **(أن تشهد على كل عبد أو أمة)** أي ذكر وأنثى **(بما عمل)** بفتح أوّله، أي فعل كل واحد. **(على ظهرها)** وفي نسخة بالضم على أن نائب الفاعل قوله: على ظهرها. **(أن تقول)** بدل بعض من أن تشهد أو بيان ويؤيده ما في رواية الجامع تقول بدون أن، أو خبر مبتدأ محذوف أي هي. يعني: شهادتها أن تقول. **(عمل)** أي فلان **(عليّ)** أي على ظهري **(كذا وكذا)** أي من الطاعة أو المعصية **(يوم كذا وكذا)** أي من شهر كذا وعام كذا **(قال: فهذه)** أي الشهادات أو المذكورات **(أخبارها. رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب)**. وكذا رواه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان[2].

الحديث رقم ٥٥٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٥ حديث رقم ٢٤٢٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤.

(١) سورة الزلزال. آية رقم ٤.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٢ والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس حديث رقم ٧٢٩٦.

٥٥٤٥ ـ (١٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من أحد يموتُ إلا ندِمَ». قالوا: وما ندامتُه يا رسولَ الله؟ قال: «إنْ كان مُحسناً ندمَ أن لا يكونَ ازدادَ، وإنْ كانَ مُسيئاً ندمَ أن لا يكونَ نزع». رواه الترمذيُّ.

٥٥٤٦ ـ (١٥) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشرُ الناسُ يومَ القيامةِ ثلاثة أصنافٍ: صنفاً مشاةً، وصنفاً رُكباناً، وصنفاً على وُجوهِهم» قيل: يا رسولَ الله! وكيف يمشونَ على وجوهِهم؟ قال: «إنَّ الذي أمشاهُم على أقدامِهم قادِرٌ على أنْ يُمشِيَهم على وجوهِهم، أما إنَّهم يتَّقونَ بوُجوهِهم كلَّ حدَبٍ وشوكٍ».

٥٥٤٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد يموت إلا ندم)** أي فاغتنموا الحياة قبل الموت واستبقوا الخيرات قبل الفوت. **(قالوا: وما ندامته)** أي ما وجه تأسف كل أحد وملامته يا رسول الله **(قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد)** أي خيراً أو براً **(وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع)** أي كف نفسه عن الإساءة **(رواه الترمذي)**.

٥٥٤٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف)** وفي نسخة على ثلاثة أصناف، ويؤيد الأوّل قوله: **(صنفاً مشاة)** بضم الميم جمع ماش وهم المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم بسيئها. **(وصنفاً ركباناً)** أي على النوق وهو بضم الراء جمع راكب وهم السابقون الكاملون الإيمان. وإنما بدأ بالمشاة جبراً لخاطرهم كما قيل في قوله تعالى: **﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾** [فاطر ـ ٣٢]. وفي قوله سبحانه: **﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾** [الشورى ـ ٤٩]. أو لأنهم المحتاجون إلى المغفرة أوّلاً أو لإرادة الترقي وهو ظاهر. وقال التوربشتي [رحمه الله]: فإن قيل: لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل أولي السابقة. قلنا: لأنهم هم الأكثرون من أهل الإيمان. **(وصنفاً على وجوههم)** أي يمشون عليها وهم الكفار **(قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم)** أي يمشون عليها وهم الكفار **(قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم)** أي والعادة أن يمشى على الأرجل **(قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم)** يعني وقد أخبر في كتابه بقوله: **﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾** [الفرقان ـ ٣٤]. وأخباره حق ووعده صدق وهو على كل شيء قدير فلا ينبغي أن يستبعد مثل ذلك. **(أما)** بالتخفيف للتنبيه **(إنهم)** أي الكفار **(يتقون)** أي يحترزون ويدفعون **(بوجوههم كل حدب)** أي مكان مرتفع **(وشوك)** أي ونحوه من أنواع ما يتأذى به. والمعنى أن وجوههم واقية لأبدانهم من جميع الأذى لأجل أن غلت أيديهم وأرجلهم، والأمر في الدنيا على عكس ذلك وإنما كان كذلك لأن الوجه الذي هو أعز الأعضاء لم يضعه ساجداً على التراب وعدل عنه تكبراً فجعل أمره على العكس. قال القاضي [رحمه الله]: قوله: يتقون بوجوههم، يريد به بيان هو أنهم واضطرارهم إلى حد جعلوا وجوههم مكان الأيدي والأرجل

الحديث رقم ٥٥٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٢ حديث رقم ٢٤٠٣. والنسائي في السنن ٤/ ٢ حديث رقم ١٨١٨. والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٣ حديث رقم ٢٧٥٨. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٣.

الحديث رقم ٥٥٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٨٥ حديث رقم ٣١٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٤.

رواه الترمذي.

٥٥٤٧ ـ (١٦) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامةِ كأنَّه رأيُ عينٍ فليَقرأ: ﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إذا السَّماءُ انفطرَتْ﴾ و ﴿إذا السَّماءُ انشقَّتْ﴾». رواه أحمد، والترمذيُّ.

الفصل الثالث

٥٥٤٨ ـ (١٧) عن أبي ذرّ، قال: إنَّ الصادقَ المصْدوقَ ﷺ حدَّثني: «إنَّ النَّاسَ يُحشرونَ

في التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي إلى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصوّرها. ومما يناسب المقام ما يحكى أنه رؤي بعض الأغنياء أنه يسعى بين الصفا والمروة على بغلة بطريق الخيلاء، ثم رؤي في بعض البادية والصحراء أنه يمشي فقيل له في ذلك فقال: لما ركبنا في محل المشي عاقبنا الله بأن نمشي في محل الركوب. هذا وقد قال تعالى: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ [الزمر ـ ٢٤]. وفسروا بأنه يلقى الكافر مقلوباً في النار فلا يقدر أن يدفع عن نفسه النار إلا بوجهه. **(رواه الترمذي)** وكذا أبو داود وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في البعث وحسنه الترمذي رحمهم الله.

٥٥٤٧ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من سره)** أي أعجبه **(أن ينظر إلى يوم القيامة)** أي أحواله وأن يطلع في أهواله **(كأنه رأي عين)** أي فيترقى من علم اليقين إلى عين اليقين **(فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾)** أي لفت وألقيت في النار. وقال القاضي رحمه الله: أي لفت بمعنى رفعت، أو لف ضوؤها أو ألقيت عن فلكها. في الدر عن ابن عباس: أي أظلمت، وعن أبي صالح نكست. **(و﴿إذا السماء انفطرت﴾)** أي انشقت **(و﴿إذا السماء انشقت﴾)** أي انصدعت، والمراد هذه السور فإنها مشتملة على ذكر أحوال يوم القيامة وأهواله. **(رواه أحمد والترمذي)** وكذا ابن المنذر والطبراني وحسنه الترمذي والحاكم[1] وصححه وابن مردويه.

(الفصل الثالث)

٥٥٤٨ ـ **(عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون**

الحديث رقم ٥٥٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤٠٣ حديث رقم ٣٣٣٣. وأحمد في المسند ٢/١٠٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/٥٧٦.

الحديث رقم ٥٥٤٨: أخرجه النسائي في السنن ٤/١١٦ حديث رقم ٢٠٨٦.

ثلاثةَ أفواجٍ: فوجاً راكبينَ طاعمينَ كاسِينَ، وفوجاً تسحبُهم الملائكةُ على وُجوهِهم وتحشرُهم النارَ، وفوجاً يمشونَ ويسعونَ ويُلقي اللّهُ الآفةَ على الظهرِ، فلا يبقى، حتى إِنَّ الرجلَ لتكونُ له الحديقةُ يعطِيها بذات القَتبِ لا يقدر عليها». رواه النسائي.

ثلاثة أفواج) قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالحشر هنا ما في قوله ﷺ: أوّل أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[1]. وقوله: ستخرج نار من نحو حضرموت تحشر الناس. قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا. قال: عليكم بالشام[2]. **(فوجاً)** وهم السابقون من المؤمنين الكاملين. **(راكبين طاعمين كاسين)** قال الطيبي [رحمه الله]: هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم ما يبلغهم إلى القصد من الزاد والراحلة. **(وفوجاً)** وهم الكفار **(يسحبهم)** بفتح الحاء، أي يجرهم. **(الملائكة على وجوههم)** وهو إما على حقيقته وإما كناية عن كمال هوانهم وذلهم، والأوّل أظهر لدلالة السباق واللحاق. **(وتحشر النار)** بنصب النار في أصل السيد وأكثر النسخ، وفي نسخة برفعها. وفي نسخة صحيحة: وتحشرهم النار. بالضمير مع نصب النار على نزع الخافض أي إليها، ومع رفعها على الفاعلية. قال الطيبي [رحمه الله]: أي تحشر الملائكة لهم النار وتلزمهم إياها حتى لا تفارقهم أين باتوا وأين قالوا وأصبحوا، ويصح أن ترفع النار أي وتحشرهم النار. **(وفوجاً)** وهم المؤمنون المذنبون **(يمشون ويسعون)** أي ويسرعون لا أنهم يمشون بسكينة وراحة. **(ويلقي الله الآفة على الظهر)** أي على المركوب تسمية بما هو المقصود منه وتعبيراً عن الكل بالجزء. **(فلا يبقى)** أي ظهر وفي نسخة بالتأنيث أي دابة. وفي نسخة بضم أوّله، أي فلا تبقي الآفة دابة. **(حتى أن الرجل لتكون له الحديقة)** أي البستان **(يعطيها بذات القتب)** أي بعوضها وبدلها وهو بفتح القاف والتاء للجمل كالأكاف لغيره. **(لا يقدر)** أي أحد **(عليها)** أي على ذات القتب لعزة وجودها. وهذا صريح في أن المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر القيامة. قال الطيبي [رحمه الله]: فبقي أن يقال لم ذكر المؤلف هذا الحديث في باب الحشر، وهذا محل ذكره باب أشراط الساعة. قلنا: تأسياً بمحيي السنة. والعجب أن محيي السنة حمل الحديث على ما ذهب إليه الخطابي حيث قال: وهذا الحشر قبل قيام الساعة وإنما يكون ذلك إلى الشام أحياء، فأما الحشر بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها، وإنما هو كما أخبر أنهم يبعثون حفاة عراة وأورده في هذا الباب. اهـ. وتقدم الجواب على وجه الصواب في كلام التوربشتي [رحمه الله]في حديث أبي هريرة أوّل الباب. والحاصل أن ركوب بعض الخواص من الأنبياء والأولياء ثابت في الحشر بعد البعث أيضاً وأن حديث: يبعثون حفاة عراة. بناء على أكثر الخلق أو نظراً إلى ابتداء الأمر والله [تعالى]أعلم. **(رواه النسائي)** وفي الدر المنثور أخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي ذر أنه تلا هذه الآية: **﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾** [الاسراء ـ ٩٧]. فقال: حدثني الصادق

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٤٤٧).

(٢) أحمد في المسند ٢/ ٦٩. والترمذي في السنن الحديث رقم ٢٢١٧.

(٣) باب الحساب والقصاص والميزان

الفصل الأول

٥٥٤٩ ـ (١) عن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ أحدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامةِ إلا هلَكَ». قلتُ: أوَ ليسَ يقولُ اللَّهُ: ﴿فسوْفَ يُحاسبُ حساباً يسيراً﴾ فقال: «إنما ذلكِ العرضُ؛ ولكنْ مَن نُوقشَ في الحساب يهلكْ».

المصدوق أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم[١]. اهـ. فهذا الحديث صريح بأن الحشر حشر يوم القيامة لتصريحه في الآية والحديث بيوم القيامة، ويؤيده سحب الملائكة إياهم على وجوههم فالوجه الوجيه ما اختاره شيخنا التوربشتي [رحمه الله]، لا ما أخطأ الخطابي حيث لم يدركه هذا المدرك وإنما جاء الآفة من قول أبي ذر في هذا الحديث على رواية أصل الكتاب زيادة على ما في رواية الجامع: ويلقي الله الآفة. ويمكن دفعه بأن يقال هذا حديث آخر أدرجه معه وأدمجه فيه بأدنى مناسبة، فينبغي أن يحمل على المسامحة والله [تعالى]أعلم.

(باب الحساب والقصاص والميزان)

الحساب بمعنى المحاسبة والقصاص على ما في النهاية اسم من قصة الحاكم، يقصه إذا مكنه من أخذ القصاص وهو أن يفعل به مثل ما فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح.

(الفصل الأوّل)

٥٥٤٩ ـ (**عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**) أي على تقدير المناقشة، والمراد بالهلاك العذاب. (**قلت: أو ليس يقول الله:**) أي في حق أهل النجاة (**﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾**)[٢] وتمامه: **﴿وينقلب إلى أهله مسرورا﴾** [الانشقاق ـ ٩]. (**فقال: إنما ذلك العرض**) بكسر الكاف وجوز الفتح على خطاب العام أو تعظيماً لها. والمعنى: إنما ذلك الحساب اليسير في قوله تعالى عرض عمله لا الحساب على وجه المناقشة. (**ولكن من نوقش في الحساب يهلك**) بالرفع وفي نسخة بالجزم، أي يعذب. قال صاحب الفائق: يقال: ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلاً ولا كثيراً.

---

(١) أحمد في المسند ٥/ ١٦٤ والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٤.

الحديث رقم ٥٥٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٠. حديث رقم ٦٥٣٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٤ حديث رقم (٧٩ . ٢٨٧٦). والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٣ حديث رقم ٢٤٢٦. وأحمد في المسند ٦/ ٢٠٦.

(٢) سورة الانشقاق. آية رقم ٨.

متفق عليه.

٥٥٥٠ ـ (٢) وعن عديٍّ بن حاتم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه ربُّه، ليسَ بينَه وبينَه ترجمانٌ ولا حجابٌ يحجبُه، فينظرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ من عملِه، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ،

وحاصله أن المراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والاستيفاء بالمطالبة وترك المسامحة في الجليل والحقير والقليل والكثير. ووجه المعارضة أن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب، ولفظ الآية دال على أن بعضهم لا يعذب. وطريق الجمع أن المراد بالحساب في الآية إنما هو العرض وهو إبراز الأعمال وإظهارها فيقر صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنها لإظهار الفضل، كما أن المناقشة لبيان ظهور العدل. **(متفق عليه)** ورواه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه. وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وابن عدي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته: تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك[(١)]. وفي الجامع الصغير: من نوقش [في الحساب عذب. رواه الشيخان عن عائشة مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن الزبير ولفظه: من نوقش المحاسبة هلك][(٢)].

٥٥٥٠ ـ **(وعن عدي بن حاتم)** بكسر التاء **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد)** من مزيدة لاستغراق النفي والخطاب للمؤمنين **(إلا سيكلمه ربه)** أي بلا واسطة والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال. **(ليس بينه وبينه)** أي بين الرب والعبد **(ترجمان)** بفتح الفوقية وسكون الراء وضم الجيم، ويجوز ضمه اتباعاً على ما في نسخة، وكزعفران على ما في القاموس أي مفسر للكلام بلغة عن لغة. يقال: ترجمت عنه، والفعل يدل على أصالة التاء. وفي التهذيب التاء أصلية وليست بزائدة والكلمة رباعية. **(ولا حجاب)** أي حاجز وساتر ومانع بينه وبينه. **(يحجبه)** أي يحجب ذلك العبد من ربه **(فينظر)** أي ذلك العبد **(أيمن منه)** أي من ذلك الموقف. وقال شارح: ضمير منه راجع إلى العبد. قلت: والمآل واحد، والمعنى ينظر في الجانب الذي على يمينه. **(فلا يرى إلا ما قدم من عمله)** أي عمله الصالح مصوّراً أو جزاءه مقدراً **(وينظر أشأم منه)** أي في الجانب الذي في شماله **(فلا يرى إلا ما قدم)** أي من عمله السيىء. والحاصل أن

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٨.

(٢) الحديث الأول ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٤٥ حديث رقم ٩٠٦٨. وقد أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه ١٠/ ١٩٧ حديث رقم ١٠٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٤ حديث رقم ٢٨٧٦. والثاني ذكره في نفس المصدر حديث رقم ٩٠٦٧.

الحديث رقم ٥٥٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٠. حديث رقم ٦٥٣٩. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٣ حديث رقم (٦٧ . ١٠١٦) والترمذي في السنن ٤/ ٥٢٨ حديث رقم ٢٤١٥. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٦ حديث رقم ١٨٥. وأحمد في المسند ٤/ ٣٧٧.

وينظرُ بينَ يديه فلا يرى إِلا النارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النارَ ولو بشقِ تمرة». متفق عليه.

٥٥٥١ ـ (٣) وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللّهَ يُدني المؤمن فيضعُ عليه كنَفَه ويستُره، فيقولُ: أتعرِفُ ذنبَ كذا؟ أتعرِفُ ذنبَ كذا؟

النصب في أيمن وأشأم على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال. فقيل: نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه[١] أمر أن يلتفت يميناً وشمالاً لطلب الغوث. وقال الحافظ العسقلاني: ويحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقاً يذهب فيها لتحصل له[٢] النجاة من النار، فلا يرى إلا ما يفضي إلى النار. **(وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه)** أي في محاذاته وعليها الصراط **(فاتقوا النار)** أي إذا عرفتم ذلك فاحذروا منها ولا تظلموا أحداً **(ولو بشق تمرة)** أو فتصدقوا ولو بشق تمرة، أي ولو بمقدار نصفها أو ببعضها، والمعنى: ولو بشيء يسير منها أو من غيرها فإنه حجاب وحاجز بينكم وبين النار، فإن الصدقة جنة ووسيلة إلى الجنة[٣]. **(متفق عليه)** وفي الجامع: اتقوا النار ولو بشق تمرة، رواه الشيخان والنسائي عن عدي بن حاتم، وأحمد عن عائشة والبزار والطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس والبزار أيضاً عن النعمان بن بشير، وعن أبي هريرة والطبراني في الكبير عن ابن عباس وعن أبي أمامة. ورواه أحمد والشيخان عن عدي مرفوعاً: اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة[٤].

٥٥٥١ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما [قال:]قال رسول الله ﷺ: إن الله يدني المؤمن)** بضم الياء، أي يقربه قرب كرامة لا قرب مسافة فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك، والمؤمن في المعنى كالنكرة إذ لا عهد في الخارج ولا بعد أن يراد به الجنس. **(فيضع عليه كنفه)** بفتحتين، أي يحفظه مستعار منْ كنف الطائر وهو جناحه لأنه يحيط به نفسه ويصون به بيضته. **(ويستره)** أي عن أهل الموقف كيلا يفتضح. وقيل: أي يظهر عنايته عليه ويصونه عن الخزي بين أهل الموقف **(كما يضع أحدكم كنف ثوبه)** أي طرفه **(على رجل)** إذا أراد صيانته وقصد حمايته، وهذا تمثيل. قيل: هذا في عبد لم يغتب ولم يعب ولم يفضح أحداً ولم يشمت بفضيحة مسلم، بل ستر على عباد الله الصالحين ولم يدع أحداً يهتك عرض أحد حي على ملأ من الناس فستره الله وجعله تحت كنف حمايته جزاء وفاقاً من جنس عمله. **(فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا)** في التكرير إشارة إلى التكثير وإيماء إلى أنه عالم بما في الضمير.

---

(١) في المخطوطة «وهمه».

(٢) في المخطوطة «ليحصل». (٣) في المخطوطة «جنته».

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٦ حديث رقم ١٤٣ وحديث رقم ١٤٤.

الحديث رقم ٥٥٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٩٦. حديث رقم ٢٤٤١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٢٠ حديث رقم (٥٢ . ٢٧٦٨). وأحمد في المسند ٢/ ١٠٥.

فيقولُ: نعمْ أيْ ربِّ! حتى قرَّره بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه قد هَلَك. قال: سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليومَ، فيُعطى كتابَ حسناتِه. وأمَّا الكفَّارُ والمنافقونَ فيُنادى بِهم على رؤوسِ الخلائقِ: ﴿هَؤُلاءِ الذينَ كذبوا على ربِّهم ألاَ لعنةُ اللَّهِ على الظالمينَ ﴾». متفق عليه.

٥٥٥٢ - (٤) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ دفعَ اللَّهُ إِلى كلِّ مسلمٍ يهودياً أو نصرانياً، فيقولُ: هذا فكاكُكَ منَ النارِ». رواه مسلم.

(**فيقول: نعم أي رب، حتى قرره بذنوبه**) أي جعله مقراً بها بأن أظهرها له وألجأه إلى الإقرار بها. (**ورأى في نفسه**) أي ظن المؤمن في باطنه (**أنه قد هلك**) أي مع الهالكين وليس له طريق مع الناجين. وقال شارح: أي علم [الله]في ذاته أنه هلك أي المؤمن. ويجوز كون ضمير رأي للمؤمن والواو للحال. (**قال:**) أي الله تعالى (**سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته**). أي بيمينه (**وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم**) بصيغة المجهول (**على رؤوس الخلائق. ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾**) أي بإثبات الشريك ونحوه. (**﴿ألا لعنة الله على الظالمين ﴾**)[1] أي المشركين والمنافقين (**متفق عليه**).

٥٥٥٢ - (**وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة**) بالرفع، أي وقع وحصل. وفي نسخة بالنصب، أي إذا كان الزمان يوم القيامة. (**دفع الله إلى كل مسلم**) أي موصوف بالإسلام مذكراً كان أو مؤنثاً (**يهودياً أو نصرانياً**) أي واحداً من أهل الكتاب، فأو للتنويع. (**فيقول:**) أي الله [تعالى](**هذا**) أي الكتابي (**فكاكك**) بفتح الفاء ويكسر أي خلاصك. (**من النار**) قال التوربشتي [رحمه الله]: فكاك الرهن ما يفك به ويخلص والكسر لغة فيه. قال القاضي [رحمه الله]: لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة ومقعد من النار فمن آمن حق الإيمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة ومن لم يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين في مقاعدهم من النار والنائب منابهم فيها. وأيضاً لما سبق القسم الإلهي بملء جهنم كان ملؤها من الكفار خلاصاً للمؤمنين ونجاة لهم من النار فهم في ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك. ولعل تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين ومقابلتهما إياهم في تصديق الرسول المقتضي لنجاتهم. اهـ. وقيل: عبر عن ذلك بالفكاك تارة وبالفداء أخرى على وجه المجاز والاتساع، إذ لم يرد به تعذيب الكتابي بذنب المسلم لقوله تعالى: ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ [فاطر - ١٨]. (**رواه مسلم**) وفي الجامع رواه مسلم عن أبي موسى بلفظ: إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار. فيقال له: هذا فداؤك من النار. ورواه الطبراني في الكبير، والحاكم في الكنى عن أبي موسى

---

(١) سورة هود - آية رقم ١٨.

الحديث رقم ٥٥٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٩ حديث رقم (٤٩ - ٢٧٦٧) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٢ حديث رقم ٤٢٨٥.

٥٥٥٣ ـ (٥) وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ، فيُقال له: هل بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعمْ، يا ربِّ! فتُسألُ أُمتُه: هل بلَّغَكم؟ فيقولونَ: ما جاءَنا منْ نذيرٍ. فيُقال: مَن شهودُكَ؟ فيقولُ: محمَّدٌ وأُمتُه». فقال رسولُ الله ﷺ: «فيُجاءُ بكم فتشهدونَ أنَّه قد بلَّغَ» ثمَّ قرأَ رسولُ الله ﷺ: **﴿وكذلكَ جعلناكم أُمةً وَسَطاً لتكونوا شهداءَ على النَّاسِ ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً﴾**».

ولفظه: إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار(١).

٥٥٥٣ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء)** أي يؤتى **(بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت. فيقول: نعم يا رب)** وهذا لا ينافي قوله تعالى: **﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾** [المائدة ـ ١٠٩]. لأن الإجابة غير التبليغ وهي تحتاج إلى تفصيل لا يحيط بكنهه إلا علمه سبحانه، بخلاف نفس التبليغ لأنه من العلوم الضرورية البديهية. **(فتسأل أمته:)** أي أمة الدعوة **(هل بلغكم)** أي نوح رسالتها **(فيقولون: ما جاءنا من نذير)** أي منذر لا هو ولا غيره مبالغة في الإنكار توهماً أنه ينفعهم الكذب في ذلك اليوم عن الخلاص من النار، ونظيره قول جماعة من الكفار: **﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾** [الأنعام ـ ٢٣]. **(فيقال:)** أي لنوح **(من شهودك)** وإنما طلب الله من نوح شهداء على تبليغه الرسالة أمته وهو أعلم به إقامة للحاجة وإنافة لمنزلة أكابر هذه الأمة. **(فيقول: محمد وأمته)** والمعنى: أن أمته شهداء وهو مزك لهم. وقدم في الذكر للتعظيم ولا يبعد أنه ﷺ يشهد لنوح عليه [الصلاة]والسلام أيضاً لأنه محل النصرة وقد قال تعالى: **﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين﴾** إلى قوله: **﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾** [آل عمران ـ ٨١]. **(فقال رسول الله ﷺ: فيجاء بكم)** وفيه تنبيه نبيه أنه ﷺ حاضر ناظر في ذلك العرض الأكبر فيؤتى بالرسل وأولهم نوح ويؤتى بشهوده وهم هذه الأمة. **(فتشهدون)** أي أنتم **(أنه)** أي أن نوحاً **(قد بلغ)** أي [قومه]رسالة ربه ونبيكم مزك لكم، أو أنتم ونبيكم معكم تشهدون ففيه تغليب. **(ثم قرأ رسول الله ﷺ:)** استشهاداً بالآية الدالة على العموم في مادة الخصوص **(﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾)** قيل: أي عدولاً وخياراً لأنهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في حق أنبيائهم بالتكذيب والقتل والصلب. وقد صح عنه ﷺ تفسير الوسط بالعدل. ففي النهاية يقال: هو من وسط قومه، أي خيارهم. **(﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾)** أي على من قبلكم من الكفار. **(﴿ويكون الرسول﴾)** أي رسولكم واللام للعوض أو اللام للعهد، والمراد به محمد ﷺ. **(﴿عليكم شهيداً﴾)**(٢) أي مطلعاً ورقيباً عليكم وناظراً لأفعالكم ومزكياً لأقوالكم.

---

(١) الجامع الصغير الحديث رقم ٨٢٠ والحديث رقم ٨٢١.

الحديث رقم ٥٥٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٧١. حديث رقم ٣٣٣٩.

(٢) البقرة. آية رقم ١٤٣.

رواه البخاري.

٥٥٥٤ ـ (٦) وعن أنسٍ، قال: كنَّا عندَ رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرونَ ممَّا أضحكُ؟». قال: قلنا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «من مُخاطبةِ العبدِ ربَّه، يقول: يا ربِّ! أَلَم تُجِرْني منَ الظُّلمِ؟» قال: «يقول: بَلى». قال: «فيقول: فإني لا أُجيزُ على نفسي إلاَّ شاهداً مني».

قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف قال محمد وأمته وقد قال تعالى: **﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾**. مقدماً صلة الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم المضرة. قلت: الكلام وارد في مدح الأمة فالغرض هنا أنه يزكيهم فضمن شهد معنى رقب لأن العدول تحتاج[1] إلى رقيب يحفظ أحوالهم ليطلع عليها ظاهراً وباطناً فيزكيهم. ولما كانوا هم العدول من بين سائر الأمم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيداً أي رقيباً مزكياً. وهذا لا يدل على أنه لا يشهد على سائر الأمم مع أن مزكي الشاهد أيضاً شاهد. أقول: الأظهر أن معنى الآية هو أن الأمة يشهدون على الأمم السابقة وأنه ﷺ يشهد على هذه الأمة وأن الأنبياء بأجمعهم يشهدون على الكل والله سبحانه [وتعالى]أعلم. ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن أبي سعيد في قوله: **﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾**. بأن الرسل قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيداً بما علمتم. **(رواه البخاري)** وكذا الترمذي والنسائي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعي قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا فيقولون: لا. فيقال له: هل بلغت. فيقول: نعم. فيقال: من يشهد لك. فيقول: محمد وأمته. فيدعي محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه فيقولون: نعم. فيقال: وما علمكم. فيقولون: جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾** الآية[2]. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي ﷺ قال: أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ودانه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه.

٥٥٥٤ ـ (وعن أنس قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مما أضحك) فيه إيماء إلى أنه لا ينبغي الضحك إلا لأمر غريب وحكم عجيب. **(قال:)** أي جابر **(قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني)** من الاجارة، أي ألم تجعلني في اجارة منك بقولك: وما ربك بظلام للعبيد. **(من الظلم)** والمعنى: ألم تؤمني من

---

(١) في المخطوطة «يحتاج».

(٢) أحمد في المسند ٣/ ٥٨. وابن ماجه في السنن الحديث رقم ٤٢٨٤.

الحديث رقم ٥٥٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٠ حديث رقم (١٧ ـ ٢٩٦٩).

قال: «فيقول: كفى بنفسِكَ اليومَ عليكَ شهيداً وبالكِرامِ الكاتبينَ شهوداً». قال: «فيُختمُ على فِيه، فيقال لأركانِه: انطقي». قال: «فتنطقُ بأعمالِه ثمَّ يُخلَّى بينَه وبينَ الكلامِ». قال: «فيقول: بُعداً لكُنَّ وسُحقاً، فعنكنَّ كنتُ أُناضلُ». رواه مسلم.

أن تظلم علي. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(يقول:)** أي الله تعالى في جواب العبد **(بلى. قال: فيقول: فإني)** أي فإذا أجرتني من الظلم فإني **(لا أجيز)** بالزاي المعجمة، أي لا أجوز ولا أقبل. **(على نفسي إلا شاهداً مني)** أي من جنسي لأن الملائكة شهدوا علينا بالفساد قبل الايجاد. **(قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً)** نصبه على الحال وعليك معموله تقدم عليه للاهتمام والاختصاص والباء زائدة في فاعل كفى واليوم ظرف له، أو لشهيد. **(وبالكرام)** أي وكفى بالعدول المكرمين. **(الكاتبين)** أي لصحف الأعمال **(شهوداً)** قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: دل أداة الحصر على أن لا يشهد [عليه] غيره فكيف أجاب بقوله: كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين. قلت: بذل مطلوبه وزاد عليه تأكيداً وتقريراً **(قال: فيختم)** بصيغة المجهول **(على فيه)** أي فمه ومنه قوله تعالى: **﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾** [يس ـ ٦٥]. وفي آية أخرى: **﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾** [النور ـ ٢٤]. وفي رواية أخرى: **﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾** [فصلت ـ ٢٠]. وهذا معنى قوله: **(فيقال لأركانه:)** أي لأعضائه وأجزائه **(انطقي. قال: فتنطق)** أي الأركان **(بأعماله)** أي بأفعاله التي باشرها بها وارتكبها بسببها. **(ثم يخلى)** أي يترك **(بينه وبين الكلام)** أي يرفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام العادي فشهادة ألسنتهم في الآية يراد بها نوع آخر من الكلام على خرق العادة والله [تعالى]أعلم به. **(قال: فيقول:)** أي العبد **(بعداً لكن وسحقاً)** بضم فسكون ويضم، أي هلاكاً. وهما مصدران ناصبهما مقدر والخطاب للأركان، أي أبعدن وأسحقن. **(فعنكن)** أي عن قبلكن ومن وجهتكن ولأجل خلاصكن. **(كنت أناضل)** أي أجادل وأخاصم وأدافع على ما في النهاية. وقال شارح: أي أخاصم لخلاصكن وأنتن تلقين أنفسكن فيها، والمناضلة المراماة بالسهام. والمراد هنا المحاجة بالكلام. يقال: تناضل فلان عن فلان إذا تكلم عنه بعذر ودفع. قلت: وجوابهن محذوف دل عليه قوله تعالى: **﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم الذي بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾** [فصلت ـ ٢١ و٢٢]. **(رواه مسلم)** وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك. فيقول: كذبوا. فيقال: أهلك وعشيرتك. فيقول: كذبوا. فيقال: احلفوا. فيحلفون، ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ثم يدخلهم النار.

٥٥٥٥ ـ (٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قالوا: يا رسولَ الله! هلْ نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ قال: «هلْ تضارُّونَ في رؤيةِ الشَّمس في الظهيرةِ ليستْ في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ ليسَ في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فوالذي نَفْسي بيدِه لا تضارُّونَ في رؤيةِ ربِّكم إلاَّ كما تضارُّونَ في رؤيةِ أحدهما».

٥٥٥٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا:)** أي بعض الصحابة **(يا رسول الله هل نرى ربنا)** الاستفهام للاستخبار والاستعلام **(يوم القيامة)** قيد به للإجماع على أنه تعالى لا يرى في الدنيا لأن الذات الباقية لا ترى بالعين الفانية. **(قال: هل تضارون)** بضم التاء وتفتح وتشديد الراء على أنه من باب المفاعلة أو التفاعل من الضرر، والاستفهام للتقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار. والمعنى: هل يحصل لكم تزاحم وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض. **(في رؤية الشمس)** أي لأجل رؤيتها أو عندها **(في الظهيرة)** وهي نصف النهار وهو وقت ارتفاعها وظهورها وانتشار ضوئها في العالم كله. **(ليست)** أي الشمس **(في سحابة)** أي غيم **(تحجبها عنكم. قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما)**. قال النووي [رحمه الله]: روي تضارون بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما. وفي الرواية الأخرى: هل تضامون، بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضمها. وفي رواية البخاري: لا تضارون أو لا تضامون على الشك. قال القاضي البيضاوي [رحمه الله: وفي]تضارون المشدد من الضرر والمخفف من الضير، أي تكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مراء ولا مرية، فيخالف فيها بعضكم بعضاً ويكذبه كما لا يشك في رؤية أحدهما يعني الشمس والقمر ولا ينازع فيها. فالتشبيه إنما وقع في الرؤية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها لا في سائر كيفياتها ولا في المرئي، فإنه سبحانه منزه عن الجسمية وعما يؤدي إليها. وفي تضامون بالتشديد من الضم، أي لا ينضم بعضكم إلى بعض في طلب رؤيته لإشكاله وخفائه كما يفعلون في الهلال، أو لا يضمكم شيء دون رؤيته فيحول بينكم وبينها. وبالتخفيف من الضيم، أي لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعض دون بعض بل يستوون فيها. وأصله تضيمون فنقلت فتحة الياء إلى الضاد فصارت ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها وكذلك تضارون بالتخفيف. وأما المشدد فيحتمل أن يكون مبنياً للفاعل على معنى: لا تضارون، أي تتنازعون في رؤيته. سذا وقال الطيبي. قوله: إلا كما تضارون، كان الظاهر أن يقال: لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤية أحدهما، ولكنه أخرج مخرج قوله:

الحديث رقم ٥٥٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٩٢. حديث رقم ٨٠٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٩ حديث رقم (١٦ . ٢٩٦٨). وأبو داود في السنن ٦/ ٩٨ حديث رقم ٤٧٣٠ والترمذي في السنن ٤/ ٥٩١ حديث رقم ٢٥٤٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٣ حديث رقم ١٧٧. والدارمي في السنن ٢/ ٤١٩ حديث رقم ٤٨٠١. وأحمد في المسند ٣/ ١٦.

قال: «فيلقى العبدَ فيقول: أي فُلْ: أَلَم أُكرِمْكَ وأُسوِّدْكَ وأُزوِّجْكَ وأُسخِرْ لكَ الخيلَ والإبلَ، وأَذَرْكَ ترأَسُ وتَربعُ؟ فيقول: بَلى». قال: «فيقول: أفظننتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني قد أنساك كما نسيتني. ثمَّ يلقى الثاني، فذكر مثلَه، ثمَّ يلقى الثالثَ، فيقول له مثلَ ذلكَ، فيقول: يا ربِّ! آمنتُ بكَ وبكتابكَ وبرسُلكَ، وصلَّيتُ وصمتُ، وتصدَّقتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاعَ، فيقول: ههنا إذاً.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من فراع الكتائب

أي لا تشكون فيه إلا كما تشكون في رؤية القمرين، وليس في رؤيتهما شك فلا تشكون فيها البتة. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فيلقى)** أي الرب **(العبد)** أي عبداً من عباده **(فيقول: أي فل)** بضم الفاء وسكون اللام وتفتح وتضم أي فلان. ففي النهاية معناه يا فلان، وليس ترخيماً له لأنه لا يقال إلا بسكون اللام ولو كان ترخيماً لفتحوها أو ضموها. قلت: وقيل: فلا كما يقال: سعي في سعيد. قال سيبويه: ليست ترخيماً وإنما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جاء في غير النداء، قال:

* في لجة أمسك فلان عن فل *

بكسر اللام للقافية، وإنما قيل: ليس مرخماً لأن شرط مثله أن يبقى بعد حذف النون والألف ثلاثة أحرف كمروان. وقال قوم أنه ترخيم فلان فحذفت النون للترخيم والألف لسكونها ويفتح اللام ويضم على مذهبي الترخيم. **(ألم أكرمك)** أي ألم أفضلك على سائر الحيوانات **(وأسودك)** أي ألم أجعلك سيداً في قومك **(وأزوّجك)** أي ألم أعطك زوجاً من جنسك ومكنتك منها وجعلت بينك وبينها مودة ورحمة ومؤانسة وألفة. **(وأسخر لك الخيل والإبل)** أي ألم أذللها لك. وخصتا بالذكر لأنهما أصعب الحيوانات. **(وأذرك)** أي ألم أذرك. والمعنى: ألم أدعك ولم أمكنك على قومك. **(ترأس)** أي تكون رئيساً على قومك، والجملة حال. **(وتربع)** أي تأخذ رباعهم وهو ربع الغنيمة. وكان ملوك الجاهلية يأخذونه لأنفسهم. **(فيقول: بلى)** أي في كل أو في الكل **(قال: فيقول:)** أي الرب **(أفظننت)** أي أفعلمت **(أنك ملاقي)** بضم الميم وتشديد الياء المحذوفة العائدة بحذف التنوين، والثانية ياء المتكلم المضاف إليه. **(فيقول: لا. فيقول: فإني قد أنساك)** أي اليوم أتركك من رحمتي **(كما نسيتني)** أي في الدنيا من طاعتي. قال الطيبي [رحمه الله]: هو مسبب عن قوله: أفظننت أنك ملاقي، يعني سودتك وزوجتك وفعلت بك من الاكرام حتى تشكرني وتلقاني لأزيد في الأنعام وأجازيك عليه، فلما نسيتني في الشكر نسيناك وتركنا جزائك وعليه قوله تعالى: **﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** [طه - ١٢٦]. ونسبة النسيان إلى الله تعالى إما مشاكلة أو مجاز عن الترك. **(ثم يلقى)** أي الرب **(الثاني)** أي من العبيد **(فذكر مثله)** أي قال الراوي: ذكر ﷺ في الثاني مثل ما ذكر في الأوّل من سؤال الله تعالى له وجوابه. **(ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني)** أي يمدح الثالث على نفسه **(بخير ما استطاع. فيقول:)** أي الرب **(ههنا إذا)** بالتنوين. قال الطيبي [رحمه الله]: إذاً جواب وجزاء، والتقدير إذا أثنيت على نفسك بما أثنيت إذا فأثبت هنا كي نريك أعمالك

ثمَّ يقال: الآنَ نبعثُ شاهداً عليكَ، ويتفكَّرُ في نفسِه: مَن ذا الذي يشهدُ عليَّ؟ فيُختم على فيهِ، ويُقال لفخذِه: انطقي، فتنطقُ فخِذُه ولحمُه وعظامُه بعملِه، وذلكَ ليُعذِرَ منْ نفسِه، وذلكَ المنافقُ، وذلكَ الذي يسخطُ اللَّهُ عليه». رواه مسلم.

وذُكر حديث أبي هريرةَ: «يدخلُ منْ أُمتي الجنَّةَ» في «باب التوكُّل» برواية ابن عبّاسٍ.

الفصل الثاني

٥٥٥٦ ـ (٨) عن أبي أُمامةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «وعدَني ربِّي أن يُدخلَ الجنَّةَ من أُمتي سبعينَ ألفاً

بإقامة الشاهد عليها. وقال شارح: أي يقول: إذا تجزى بأعمالك ههنا. وقال ابن الملك: أي أقر الثالث بطنه لقاء الله تعالى وعد أعماله الصالحة فيقول ههنا إذا، أي قف في هذا الموضع إذا ذكرت أعمالك حتى تتحقق خلاف ما زعمت. (**ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر**) أي العبد الثالث (**في نفسه من ذا الذي يشهد علي**) حال تقديره يتفكر في نفسه قائلاً: من ذا الذي يشهد علي. (**فيختم على فيه**) أي فمه (**فيقال:**) وفي نسخة: ويقال (**لفخذه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه**) أي المتعلقة بفخذه (**بعمله وذلك**) أي انطاق أعضائه أو بعث الشاهد عليه. وقال الطيبي [رحمه الله]: أشار إلى المذكور من السؤال والجواب وختم الفم ونطق الفخذ وغيره (**ليعذر من نفسه**) قال التوربشتي [رحمه الله]: ليعذر على بناء الفاعل من الأعذار. والمعنى: ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به. وقيل: ليصير ذا عذر في تعذيب من قبل نفس العبد. (**وذلك**) أي العبد الثالث (**المنافق وذلك الذي سخط**) بكسر الخاء أي غضب (**الله عليه. رواه مسلم. وذكر حديث أبي هريرة: يدخل من أمتي الجنة**) صوابه على ما سبق: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. (**في باب التوكل برواية ابن عباس**) فكأن البغوي [رحمه الله]ذكر الحديث مكرراً بإسنادين أحدهما هنا عن أبي هريرة والآخر هناك عن ابن عباس، فحذف صاحب المشكاة ما هنا وأشار إلى أنه ذكر سابقاً برواية ابن عباس تنبيهاً على ذلك فاندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله: حديث أبي هريرة، وقوله: برواية ابن عباس.

(الفصل الثاني)

٥٥٥٦ ـ (**عن أبي أمامة**) أي الباهلي (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعدني ربي أن يدخل الجنة**) من الادخال لقوله: (**سبعين ألفاً**) والمراد به إما هذا العدد أو الكثرة. قال

الحديث رقم ٥٥٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٤٣٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٣ حديث رقم ٤٢٨٥. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٢ حديث رقم ٢٨٠٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٨.

لا حسابَ عليهم، ولا عذابَ، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً، وثلاث حثَياتٍ منْ حثَياتِ ربِّي» رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥٥٥٧ ـ (٩) وعن الحسنِ، عنِ أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرضُ الناس يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرضاتٍ: فأما عَرْضَتان فجدالٌ ومعاذيرٌ، وأما العرضةُ الثالثةُ فعند ذلك تطيرُ الصحفُ

الأزهري: سبعين في قوله تعالى: ﴿أن تستغفر لهم سبعين مرة﴾. جمع السبع الذي يستعمل للكثرة، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر لهم. **(لا حساب عليهم)** أي لا مناقشة لهم في المحاسبة **(ولا عذاب)** أي بالأولى أو لا عذاب مما يترتب على الحساب **(مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات)** بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية. **(من حثيات ربي)** قال شارح: الحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم تستعار لما يعطى من غير تقدير. واضافة الحثيات إلى ربه تعالى للمبالغة في الكثرة. قال صاحب النهاية: الحثيات كناية عن المبالغة والكثرة وإلا فلا كف ثمة ولا حثى جلَّ الله عن ذلك. ثم قوله: وثلاث، مرفوع عطف على سبعون وهو أقرب. وقيل منصوب عطفاً على سبعين، أي وأن يدخل ثلاث قبضات من قبضاته أي عدداً غير معلوم. والمعنى: يكون مع هذا العدد المعلوم عدد كثير غير معلوم، أو المراد منهما جميعاً المبالغة في الكثرة. قال الأشرف: يحتمل النصب عطفاً على قوله: سبعين ألفاً. والرفع عطفاً على قوله: سبعون ألفاً. والرفع أظهر في المبالغة، إذ التقدير مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات بخلاف النصب. قال التوربشتي رحمه الله] الحثية ما يحثيه الإنسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلك ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة وقد جيء به ههنا على وجه التمثيل وأريد بها الدفعات، أي يعطي بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى على العادين حصره وتعداده فإن عطاءه الذي لا يضبطه الحساب أو في وأربي من النوع الذي يتداخله الحساب. قلت: ويمكن حمله على التجلي الصوري والله أعلم بالصواب. **(رواه أحمد والترمذي وابن ماجه)**.

٥٥٥٧ ـ **(وعن الحسن)** أي البصري **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يعرض الناس)** أي على الله **(يوم القيامة ثلاث عرضات)** بفتحتين. قيل: أي ثلاث مرات. فأما المرة الأولى فيدفعون عن أنفسهم ويقولون: لم يبلغنا الأنبياء ويحاجون الله تعالى، وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بأن يقول كل فعلته سهواً وخطأ أو جهلاً أو رجاء ونحو ذلك، وهذا معنى قوله: **(فأما عرضتان فجدال ومعاذير)** جمع معذرة ولا يتم قضيتهم في المرتين بالكلية **(وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف)** كذا هو في سنن الترمذي وجامع الأصول، وفي نسخ المصابيح: تطاير أي تتطاير الصحف وهو بضمتين جمع الصحيفة وهو

الحديث رقم ٥٥٥٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٣ حديث رقم ٢٤٢٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٠ حديث رقم ٤٢٧٧. وأحمد في المسند ٤/ ٤١٤.

في الأيدي، فآخذٌ بيمينِهِ وآخذٌ بشمالِه». رواه أحمد، والترمذي وقال: لا يصحُّ هذا الحديثُ من قِبَلِ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

٥٥٥٨ - (١٠) وقد رواه بعضهم عنِ الحسن عن أبي موسى.

٥٥٥٩ - (١١) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اللَّهَ سيخلِّصُ رجلاً من أُمّتي على رؤوس الخلائق يومَ القيامةِ، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلاً، كلُّ سِجِلٍ مثلُ مدِّ البصرِ، ثم يقول: أَتُنكِرُ من هذا شيئاً؟ أَظَلَمَكَ كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا ربِّ! فيقول: أفلكَ عُذْرٌ؟ قال: لا، يا رب! فيقول: بلى؛ إن لكَ عندنا

المكتوب. وقال شارح للمصابيح: تطاير الصحف، أي تفرقها إلى كل جانب. فروايته بالمصدر، وأما على رواية غيره فبالمضارع، أي يسرع وقوعها. **(في الأيدي)** أي أيدي المكلفين جميعاً. **(فآخذ بيمينه وآخذ بشماله)** الفاء تفصيلية، أي فمنهم آخذ بيمينه وهو من أهل السعادة ومنهم آخذ بشماله وهو من أهل الشقاوة، فحينئذ تتم قضيتهم على وفق البداية ويتميز أهل الضلالة من أهل الهداية. **(رواه أحمد والترمذي وقال:)** أي الترمذي **(لا يصح هذا الحديث من قبل)** بكسر ففتح، أي من جهة **(أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة)** أي فإسناده منقطع غير متصل. لكن قال الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح أن البخاري أخرج في صحيحه الحسن عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث وبينها قال: وأما مسلم فلم يخرج للحسن عن أبي هريرة شيئاً نقله ميرك. أقول: ولا يلزم من عدم إخراج مسلم حديثه عنه أنه لا يصح إسناده، إذ شرط البخاري وهو تحقق اللقى ولو مرة أقوى من شرط مسلم وهو مجرد وجود المعاصرة.

٥٥٥٨ - **(وقد رواه)** أي هذا الحديث **(بعضهم)** أي بعض المخرجين **(عن الحسن عن أبي موسى)** يعني فالحديث متصل من طريقه واعتضد بإسناده، فإن المؤلف ذكر في أسماء رجاله أن الحسن روى عن الصحابة كأبي موسى وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم.

٥٥٥٩ - **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله سيخلص)** بتشديد اللام أي يختار **(رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر)** بضم الشين المعجمة أي فيفتح **(عليه تسعة وتسعين سجلاً)** بكسرتين فتشديد، أي كتاباً كبيراً. **(كل سجل مثل مد البصر)** أي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان **(ثم يقول:)** أي الرب **(أتنكر من هذا)** أي المكتوب **(شيئاً)** أي مما لا تفعله **(أظلمك كتبتي)** بفتحات جمع كاتب، والمراد الكرام الكاتبون. **(الحافظون)** أي لأعمال بني آدم **(فيقول: لا يا رب)** جواب لهما جميعاً أو لكل منهما **(فيقول: أفلك عذر)** أي فيما فعلته من كونه سهواً أو خطأً أو جهلاً ونحو ذلك **(قال: لا يا رب. فيقول: بلى)** أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك **(إن لك عندنا**

الحديث رقم ٥٥٥٨: أحمد في المسند ٤/ ٤١٤.

الحديث رقم ٥٥٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٥ حديث رقم ٢٦٣٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٣٧ حديث رقم ٤٣٠٠ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٣.

حسنةً، وإنه لا ظلم عليكَ اليوم، فتخرجُ بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنكَ. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلمُ، قال: فتوضعُ السجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتْ السجلات وثقلتِ البطاقة، فلا يَثْقُلُ مع اسمِ اللَّهِ شيءٌ».

حسنة) أي واحدة عظيمة مقبولة تمحو جميع ما عندك. قال تعالى: ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ [النساء ـ ٤٠]. وإذا قال الله [جلّ جلاله ولا إله غيره]الشيء عظيم فهو عظيم. وقد قال عمر رضي الله [تعالى]عنه: لئن كانت لي حسنة عند الله كفتني. **(وإنه)** أي الشأن **(لا ظلم عليك اليوم)** لعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم**﴾ [غافر ـ ١٧]. أي بنقصان أجر لك ولا بزيادة عقاب عليك بل لا حكم إلا لله، وهو إما بالعدل وإما بالفضل. **(فتخرج)** بصيغة المجهول، أي فتظهر **(بطاقة)** بكسر الباء أي رقعة صغيرة ثبت فيها مقدار ما به ويجعل في الثوب إن كان عيناً فوزنه أو عدده، وإن كان متاعاً فثمنه أو قيمته. وقيل: سميت بذلك لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب فتكون التاء حينئذ زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر، ويروى بالنون وهو غريب. **(فيها)** أي مكتوب في البطاقة **(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)** يحتمل أن الكلمة هي أوّل ما نطق بها. واختلف العلماء في أن الإقرار شرط الإيمان أو شطره، ويحتمل أن تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة وهو الأظهر في مادة الخصوص من عموم الأمة. **(فيقول: احضر وزنك)** أي الوزن الذي لك أو وزن عملك أو وقت وزنك أو آلة وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل. **(فيقول: يا رب ما هذه البطاقة)** أي الواحدة **(مع هذه السجلات)** أي الكثيرة وما قدرها بجنبها ومقابلتها **(فيقول: إنك لا تظلم)** أي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن. قيل: وجه مطابقة هذا جواباً لقوله: ما هذه البطاقة أن اسم الإشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك السجلات فرد بقوله: إنك لا تظلم بحقيرة، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمة عنده سبحانه إذ لا يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت. **(قال: فتوضع السجلات في كفة)** بكسر فتشديد أي فردة من زوجي الميزان. ففي القاموس: الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح. **(والبطاقة)** أي وتوضع **(في كفة)** أي في أخرى **(فطاشت السجلات)** أي خفت **(وثقلت البطاقة)** أي رجحت والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه. ففي الدر أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة أنه تلا هذه الآية يعني: ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ [النساء ـ ٤٠]. فقال: لأن تفضل حسناتي على سيئاتي مثقال ذرة أحب إليّ من الدنيا وما فيها. ثم هذا الحديث يحتمل أن تكون البطاقة وحدها غلبت السجلات وهو الظاهر المتبادر، ويحتمل أن تكون مع سائر أعماله الصالحة ولكن الغلبة ما حصلت إلا ببركة هذه البطاقة. **(فلا يثقل)** بالرفع وفي بعض النسخ بالجزم. لا يظهر وجهه بحسب المعنى: أي فلا يرجح ولا يغلب. **(مع اسم الله شيء)** والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي. قال تعالى: ﴿**إن**

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٥٦٠ ـ (١٢) وعن عائشةَ، أنَّها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيكِ؟». قالتْ: ذكرتُ النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يومَ القيامةِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يعلم: أيخِفُّ ميزانُه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾، حتى يعلم: أين يقع كتابُه، أفي يمينه أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟

الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود ـ ١١٤]. ﴿**ولذكر الله أكبر**﴾ [العنكبوت ـ ٤٥]. فإن قيل: الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام. أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال ويختلف باختلاف الأحوال، أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها، ولذا ورد: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[1] **(رواه الترمذي وابن ماجه)**.

٥٥٦٠ ـ **(وعن عائشة)** رضي الله تعالى عنها **(إنها ذكرت)** أي في نفسها **(النار)** أي نار جهنم **(فبكت)** أي خوفاً منها **(فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك)** أي ما سبب بكائك **(قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً)** أي بالخصوص. وأما الشفاعة العظمى فهي عامة للخلائق كلها. **(عند الميزان)** قال أهل الحق: الميزان حق. قال تعالى: ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة**﴾ [الأنبياء ـ ٤٧]. يوضع ميزان يوم القيامة يوزن به الصحائف التي يكون مكتوباً فيها أعمال العباد وله كفتان إحداهما للحسنات والأخرى للسيئات. وعن الحسن له كفتان ولسان ذكره الطيبي [رحمه الله]. **(حتى يعلم)** أي كل أحد **(أيخف ميزانه أم يثقل)** ظاهره أنه يعم كل أحد ولا يستثنى منه نبي ولا مرسل **(وعند الكتاب)** أي نطايره أو عند عطائه **(حين يقال:)** أي يقول من يعطى بيمينه **(﴿هاؤم﴾)** أي خذوا **(﴿اقرؤوا كتابيه﴾)**[2] تنازع فيه الفعلان والهاء للسكت لبيان ياء الإضافة. **(حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله من وراء ظهره)** كذا في سنن أبي داود وبعض نسخ المصابيح وفي أكثرها، أو من وراء ظهره. وفي جامع الأصول أم بدل أو والأوّل أولى وأوفق للجمع بين معنى الآيتين: ﴿**فأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه**﴾ [الحاقة ـ ٢٥]. ﴿**وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً**﴾ [الانشقاق ـ ١٠]. الكشاف قيل: يغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي [رحمه

---

(١) مر في كتاب الرقاق.

الحديث رقم ٥٥٦٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٦ حديث رقم ٤٧٥٥. وأحمد في المسند ٦/ ١١٠. وأحمد في المسند ٦/ ١١٠.

(٢) سورة الحاقة ـ آية رقم ١٩.

وعند الصّراط: إِذا وضعَ بينَ ظهري جهنم». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٥٦١ ـ (١٣) عن عائشةَ، قالتْ: جاءَ رجلٌ فقعدَ بين يديْ رسولِ اللّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إِنَّ لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني وأشتمهم وأضربهم؛ فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِذا كان يومُ القيامة يُحْسَبُ ما خانوكَ وعصوْكَ وكذبوكَ، وعقابُك إِياهم؛ فإِن كان عقابُك إِياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإِن كانَ

الله]. (**وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم**) أي وسطها وفوقها. والمعنى: حتى يعلم أنه نجا بالمرور منها والورود عنها أو وقع وسقط وزل فيها. قال تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً**﴾ [مريم ـ ٧١ و٧٢]. قال النووي [رحمه الله]: مذهب أهل الحق أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب أعمالهم ومنازلهم والآخرون يسقطون فيها عافانا الله الكريم. والمتكلمون من أصحابنا والسلف يقولون إنه أدق من الشعر وأحد من السيف وهكذا جاء في رواية أبي سعيد. (**رواه أبو داود**) قال السيد جمال الدين [رحمه الله]: أي عن الحسن البصري [رحمه الله]عن عائشة [رضي الله عنها]وهو منقطع.

(الفصل الثالث)

٥٥٦١ ـ (**عن عائشة قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله ﷺ**) أي قدامه (**فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين**) بكسر الكاف، أي مماليك وهو يحتمل الذكور والإناث ففيه تغليب (**يكذبونني**) أي يكذبون في أخبارهم لي (**ويخونونني**) أي في مالي (**ويعصونني**) أي في أمري ونهيي (**وأشتمهم**) بكسر التاء ويضم. ففي المصباح شتم من باب ضرب. وفي القاموس من باب نصر أيضاً، أي أسبهم. (**وأضربهم**) أي ضرب تأديب (**فكيف أنا منهم**) أي كيف يكون حالي من أجلهم وبسببهم عند الله تعالى. (**فقال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك**) أي مقدارها (**وعقابك**) عطف على ما خانوك، أي ويحسب أيضاً قدر شتمك وضربك إياهم (**فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم**) أي عرفاً وعادة (**كان**) أي أمرك (**كفافاً**) بفتح الكاف. ففي القاموس: كفاف الشيء كسحاب مثله، ومن الرزق ما كف عن الناس وأغنى. وفي النهاية: الكفاف الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه[1] وهذا هو الأنسب بالمقام، ولذا قال بياناً له: (**لا لك ولا عليك**) أي ليس لك فيه ثواب ولا عليك فيه عقاب، بل فعله مباح ليس عليك جناح. (**فإن**) وفي نسخة: وإن. (**كان**

الحديث رقم ٥٥٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٠٠ حديث رقم ٣١٦٥. وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٠.

(١) في المخطوطة «الديه».

عقابُك إياهم دون ذنبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك الفضل، فتنحّى الرجلُ وجَعَلَ يهتفُ ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «أمَا تقرأ قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامةِ فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾». فقال الرجلُ: يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاءِ شيئاً خيراً من مفارقتهم، أُشهِدكَ أنهم كلُّهم أحرارٌ. رواه الترمذي.

٥٥٦٢ ـ (١٤) وعنها، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهمَّ حاسِبْني حساباً يسيراً» قلت: يا نبيَّ الله! ما الحسابُ اليسيرُ؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه،

عقابك إياهم دون ذنبهم) أي أقل منه (**كان فضلاً لك**) أي عليهم فإن قصدت الثواب تجز به وإلا فلا. (**وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم**) بالجمع هنا وبالإفراد فيما سبق المراد منه الجنس تفنن في الكلام، أي أكثر منها. (**اقتص**) بصيغة المجهول، أي أخذ بمثله. (**لهم**) أي لأجلهم (**منك الفضل**) أي الزيادة (**فتنحى الرجل**) أي بعد عن المجلس (**وجعل يهتف**) بكسر التاء أي شرع يصيح ويبكي (**فقال له رسول الله ﷺ: أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾**) أي ذوات القسط وهو العدل (**﴿ليوم القيامة﴾**) أي في ذلك اليوم فاللام للتوقيت. (**﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾**) أي قليلاً من الظلم (**﴿وإن كان﴾**) وأي العمل والظلم (**﴿مثقال حبة﴾**) أي مقدارها وهو بالنصب عند الجمهور على إن كان ناقصة ورفع مثقال على كان التامة. (**﴿من خردل أتينا بها﴾**) أي أحضرناها والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة. (**﴿وكفى بنا حاسبين﴾**)(١) إذ لا مزيد على علمنا ووعدنا. (**فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء**) أي المملوكين. قال الطيبي [رحمه الله]: الجار والمجرور هو المفعول الثاني. (**شيئاً**) أي مخلصاً (**خيراً من مفارقتهم**) أي من مفارقتي إياهم لأن المحافظة على مراعاة المحاسبة والمطالبة عسر جداً (**أشهدك أنهم كلهم**) بالنصب على التأكيد، ويجوز رفعه على الابتداء والخبر قوله: (**أحرار**) ونظيره قوله تعالى: **﴿قل إن الأمر كله لله﴾** [آل عمران ـ ١٥٤]. حيث قرىء بالوجهين في السبعة. (**رواه الترمذي**).

٥٥٦٢ ـ (**وعنها**) أي عن عائشة رضي الله عنها (**قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته:**) أي من الفرائض أو النوافل أو في بعض أجزائها من أوّل القيام أو الركوع أو القومة أو السجود أو القعدة. (**اللهم حاسبني حساباً يسيراً**) وهذا إما تعليم للأمة وتنبيه لهم عن نوم الغفلة وإما تلذذ بما يقع له من هذه النعمة وأما خشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة وذهوله عن مرتبة النبوّة ومنزلة العصمة. (**قلت: يا نبي الله ما الحساب اليسير. قال: أن ينظر**) أي العبد (**في كتابه فيتجاوز**) بالرفع وينصب أي (**الله عنه**) وفي نسخة بصيغة المجهول

---

(١) سورة الأنبياء. آية رقم ٤٧.

الحديث رقم ٥٥٦٢: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٨.

إنه من نوقش الحسابَ يومئذٍ يا عائشة! هلك». رواه أحمد.

٥٥٦٣ ـ (١٥) وعن أبي سعيد الخدري، أنه أتى رسولَ الله ﷺ فقال: أخبرني من يقوى على القيام يوم القيامة الذي قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**يوم يقوم النَّاس لربِّ العالمين**﴾؟ فقال: «يخفَّف على المؤمن حتى يكون عليه كالصلاة المكتوبة».

٥٥٦٤ ـ (١٦) وعنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن ﴿**يوم كان مقداره خمسينَ ألف سنةٍ**﴾ ما طول هذا اليوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده إِنه ليخفف على المؤمن

فيهما (**فإنه**) أي الشأن (**من نوقش الحساب**) بالنصب على نزع الخافض أي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة (**يومئذ يا عائشة هلك**) أي عذب. ففي الصحاح: المناقشة الاستقصاء، وفي الحديث: من نوقش في الحساب عذب. وقد تقدم بعض طرقه. (**رواه أحمد**) قال السيد وابن ماجه: وأصله في صحيح البخاري. قلت: وفي الدر أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه.

٥٥٦٣ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني من يقوى**) أي يقدر (**على القيام**) أي على الوقوف للحساب بين يدي الله سبحانه و[تعالى](**يوم القيامة الذي قال الله عزَّ وجلَّ:**) أي في حقه، فالموصول صفة ليوم القيامة. (﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾)[1] قال الطيبي [رحمه الله]: بدل من قوله: ليوم عظيم، أي يوم يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته ويظهر سطوات قهره على الجبارين. وروي أن ابن عمر قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله: ﴿**يوم يقوم الناس لرب العالمين**﴾. بكى نحيباً ولم يقدر على قراءة ما بعده. (**فقال: يخفف**) أي يوم القيامة (**على المؤمن**) أي الكامل أو المصلي (**حتى يكون**) أي طوله (**عليه كالصلاة المكتوبة**) أي كمقدار أدائها أو قدر وقتها. والظاهر أنه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**﴾ [المعارج ـ ٤]. ﴿**فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً**﴾ [المعارج ـ ٧]. وبقوله: (**فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**﴾ [المدثر ـ ٨]. فمفهومه أنه على المؤمنين يصير يسيراً أما في الكمية وأما في الكيفية، وأما فيهما جميعاً حتى بالنسبة إلى بعضهم يكون هو كساعة وهم من جعلوا الدنيا ساعة وكسبوا فيها طاعة.

٥٥٦٤ ـ (**وعنه**) أي عن أبي سعيد رضي الله عنه (**قال: سئل رسول الله ﷺ عن ﴿يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ما طول هذا اليوم**) أي ما حال الناس في طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه مع طوله (**فقال: والذي نفسي بيده إنه**) أي الشأن (**ليخفف على المؤمن**)

الحديث رقم ٥٥٦٣: رواه البيهقي في البعث والنشور. راجع الملاحظة في الحديث رقم ٥٤٩٣.

(١) المطففين. آية رقم ٦.

الحديث رقم ٥٥٦٤: رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٢٤ فيمن فصل. وأحمد في المسند ٣/ ٧٥.

حتى يكونَ أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا». رواهما البيهقي في كتاب «البعث والنشور».

٥٥٦٥ ـ (١٧) وعن أسماء بنت يزيد، عن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر الناس في صعيدٍ واحدٍ يوم القيامة، فينادي منادٍ فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنَّة بغير حساب، ثمَّ يؤمر بسائر الناس إلى الحساب». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

(٤) باب الحوض والشفاعة

أي الكامل **(حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة)** أي من أدائها أو قيامها **(يصليها في الدنيا. رواهما)** أي الحديثين **(البيهقي في كتاب البعث والنشور)**.

٥٥٦٥ ـ **(وعن أسماء بنت يزيد)** أي ابن السكن بفتحتين **(عن رسول الله ﷺ قال: يحشر الناس في صعيد)** أي مكان **(واحد يوم القيامة فنادى)** وفي نسخة: فينادي. **(مناد فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم)** أي تتنحى وتتباعد **(عن المضاجع)** وفي الإسناد مجاز ومبالغة لا تخفى إشارة إلى قوله تعالى: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم﴾**. أي داعين ربهم عابدين له **﴿خوفاً وطمعاً﴾**، أي من سخطه وفي رحمته أو من ناره وفي جنته. **﴿ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾** [السجدة ـ ١٦ ـ ١٧]. واختلف في المراد بهم، فقيل هم المجتهدون وقيل هم الأوابون. ويحتمل أن يراد بهم من يصلي العشاء والصبح [في جماعة]**(فيقومون)** أي فيظهرون القيام ويتميزون عن سائر الأنام. **(وهم قليل)** أي من أهل الإسلام قال تعالى: **﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾** [الذاريات ـ ١٧]. وقال عزَّ وجلَّ: **﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾** [ص ـ ٢٤]. **﴿وقليل من عبادي الشكور﴾** [سبأ ـ ١٣]. **(فيدخلون الجنة)** يحتمل صيغتي الفاعل والمفعول **(بغير حساب)** لأنهم صبروا على مرارة الطاعة وترك لذة الراحة وقد قال سبحانه: **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**. **(ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب)** أي المحاسبة والمناقشة والعذاب. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

(باب الحوض والشفاعة)

قال القرطبي: له ﷺ حوضان أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثراً. والكوثر في كلامهم الخير الكثير. ثم الصحيح أن الحوض قبل الميزان، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان، وكذا حياض

الحديث رقم ٥٥٦٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان.

الفصل الأول

٥٥٦٦ ـ (١) عن أَنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسيرُ في الجنَّةِ إِذا أنا بنهر حافتاه قِبَاب الدرّ المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكَ ربُّك، فإِذا طينهُ مسكٌ أذفَرُ». رواه البخاري.

٥٥٦٧ ـ (٢) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤهُ أبيضُ من اللبن،

الأنبياء في الموقف. قلت: وفي الجامع: «أن لك نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثروا رده وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده»[١]. رواه الترمذي عن سمرة. وقال الراغب: الشفع ضم الشيء إلى مثله ومنه الشفاعة وهو الانضمام إلى آخر ناصراً له وساتراً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى منه، والشفاعة في القيامة.

(الفصل الأوّل)

٥٥٦٦ ـ **(عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا أسير في الجنة إذا)** بالألف **(أنا بنهر)** بفتح الهاء ويسكن، أي جدول. **(حافتاه)** بفتح الفاء، أي جانباه وطرفاه. **(قباب الدر)** بكسر القاف جمع قبة بالضم، أي خيم اللؤلؤ. **(المجوّف)** الذي له جوف وفي وسطه خلاء يسكن فيه **(قلت: ما هذا يا جبريل)** أي النهر المذكور على الوصف المسطور **(قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك)** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر ـ ١]. وهو فوعل من الكثرة، والمراد منه الخير الكثير الذي أعطاه ربه من القرآن أو النبوّة أو كثرة الأمة أو سائر المراتب العلية، ومنها المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود ولا منافاة، بل الكل داخل في الكوثر وإن كان اشتهاره في معنى الحوض أكثر. **(فإذا طينه مسك أذفر)** أي شديد الرائحة. قال الطيبي [رحمه الله]: أي طيب الريح، والذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به. **(رواه البخاري)**.

٥٥٦٧ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي)** أي مقداره **(مسيرة شهر وزواياه)** جمع زاوية وهي الجانب والناحية، أي أطراف حوضي. **(سواء)** أي مربع مستو لا يزيد طوله على عرضه، وقيل عمقه أيضاً. **(ماؤه)** استئناف بيان **(أبيض من اللبن)** قال النووي [رحمه الله]: النحويون يقولون لا يبنى فعل التعجب وأفعل

---

(١) راجع الحديث رقم ٥٥٩٥.

الحديث رقم ٥٥٦٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٤. حديث رقم ٦٥٨١ وأحمد في المسند ٣/ ١٦٤.

الحديث رقم ٥٥٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٣. حديث رقم ٦٥٧٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٣ حديث رقم (٢٧ . ٢٢٩٢) وأحمد في المسند ٣/ ٣٨٤.

وريحه أطيب من المسكِ، وكيزانه كنجوم السَّماءِ، من يشرب منها فلا يظمأ أبداً». متفق عليه.

٥٥٦٨ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ حوضي أبعدُ من أيْلةَ من عدن؛ لهو أشدُّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيتُه أكثرُ من عددِ النجوم، وإني لأصُدُّ الناسَ عنه كما يصدُّ الرجل إِبلَ النّاس عن حوضه». قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا

التفضيل من الألوان والعيوب، بل يتوصل إليه بنحو أشد وأبلغ فلا يقال: ما أبيض زيداً ولا زيد أبيض من عمرو. وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على مانعوه وهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال. **(وريحه أطيب من المسك. وكيزانه)** جمع كوز **(كنجوم السماء)** أي في الكثرة والنورانية **(من يشرب)** بالرفع وفي نسخة بالجزم. قال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون مرفوعاً على أن من موصولة، ومجزوماً على أنها شرطية. وقوله: **(منها)** أي من كيزانه، وفي رواية منه، أي من الحوض أو من مائة. **(فلا يظمأ)** برفع الهمز وقيل بالجزم، أي فلا يعطش. **(أبداً)** فيكون شربه في الجنة تلذاذ كأكله تنعماً لقوله تعالى: **﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحي﴾** [طه ـ ١١٨ ـ ١١٩]. **(متفق عليه)**.

٥٥٦٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن حوضي)** أي بعد ما بين طرفي حوضي **(أبعد من أيلة)** بفتح فسكون تحتية، أي أزيد من بعد أيلة وهي بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلي بحر اليمن. **(من عدن)** بفتحتين يصرف ولا يصرف وهو آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند. قال الطيبي [رحمه الله]: من الأولى متعلقة بأبعد والثانية متعلقة ببعد مقدر، ثم التوفيق بين هذا الحديث وبين الخبر الآتي: ما بين عدن وعمان، وهو بفتح المهملة وتشديد الميم اسم بلد بالشام وما بين صنعاء والمدينة ونحو ذلك، بأن ذلك الإخبار على طريق التقريب لا على سبيل التحديد والتفاوت بين اختلاف أحوال السامعين في الاحاطة به علماً، قال القاضي [رحمه الله]: اختلاف الأحاديث في مقدار الحوض لأنه ﷺ قدره على سبيل التمثيل والتخمين لكل أحد على حسب ما رواه وعرفه. **(لهو)** بضم الهاء ويسكن واللام للابتداء، أي لحوضي. **(أشد بياضاً من الثلج)** ولعله ﷺ رأى الثلج في أرض الشام **(وأحلى)** أي ألذ **(من العسل باللبن)** أي المخلوط به **(ولآنيته)** جمع إناء، أي ولظروفه من كيزانه وغيرها. **(أكثر من عدد النجوم. وإني لأصد)** أي أدفع وأمنع **(الناس)** أي المنافقين والمرتدين **(عنه)** أي الحوض **(كما يصد الرجل)** أي الراعي **(إبل الناس)** أي الأجانب **(عن حوضه)** أي صيانة عن المشاركة والمخالطة. **(قالوا:)** أي بعض الصحابة **(أتعرفنا)** أي تميزنا من

الحديث رقم ٥٥٦٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٢١٧ حديث رقم (٣٦. ٢٤٧). والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٤ حديث رقم ٣٤٤٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣١ حديث رقم ٤٢٨٢. وأحمد في المسند ٤/ ٤٢٤.

يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيماء ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليّ غرّاً محجَّلين من أثر الوضوء». رواه مسلم.

٥٥٦٩ ـ (٤) وفي روايةٍ له عن أَنس، قال: «تُرى فيه أباريقُ الذهب والفضة كعدد نجوم السَّماء».

٥٥٧٠ ـ (٥) وفي أخرى له عن ثوبان، قال: سُئل عن شرابه. فقال: «أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يغتُّ، فيه ميزابان

غيرنا (**يومئذ. قال: نعم لكم سيما**) بالقصر وقد يمد وهو العلامة، قال تعالى: **﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾** [الفتح ـ ٢٩]. (**ليست**) أي تلك السيما (**لأحد من الأمم**) إذ المقصود التمييز بمنزلة العلم (**تردون**) بكسر الراء من الورود، أي تمرون (**علي غراً**) جمع الأغر، وهو من في جبهته بياض. (**محجلين**) بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل وهو الذي في يديه ورجليه بياض. (**من أثر الوضوء**) بضم الواو أي استعماله وفي نسخة بالفتح أي ماء الوضوء ونصبهما على الحال. والظاهر أن المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه الأمة وإن كان الخلاف موجوداً في كون الوضوء هل كان لسائر الأنبياء وأممهم أو لا، وإنما كان لهذه الأمة. وقال بعضهم: وكان أيضاً للأنبياء عليهم [الصلاة]والسلام دون أممهم، وفي هذا فضيلة[1] عظمى ومرتبة كبرى للأمة المرحومة. (**رواه مسلم**) أي عن أبي هريرة.

٥٥٦٩ ـ (**وفي رواية**) له أي لمسلم (**عن أنس قال: ترى**) بصيغة المجهول (**فيه**) أي في حوضي (**أباريق الذهب والفضة**) لعل اختلاف الوصفين باختلاف مراتب الشاربين من الأولياء والصالحين (**كعدد نجوم السماء**). أي من كثرتها.

٥٥٧٠ ـ (**وفي أخرى له**) أي وفي رواية أخرى لمسلم (**عن ثوبان قال: سئل**) أي النبي ﷺ على ما هو الظاهر من السياق (**عن شرابه**) أي صفة مشروبه (**فقال: أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت**) بضم الغين المعجمة وتكسر وبتشديد الفوقية، أي يصب ويسيل. (**فيه**) أي في الحوض (**ميزابان**) قال القاضي [رحمه الله]: أي يدفق دفقاً متتابعاً دائماً بقوة فكأنه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه. وأصل الغت الضغط، والميزاب بكسر الميم. وقال الحافظ أبو موسى بفتحها أيضاً من وزب الماء، أي سال. فأصل ميزاب موزاب قلبت الواو ياء

---

(١) في المخطوطة «ميزة».

الحديث رقم ٥٥٦٩: أخرجه البخاري في ١١/٤٦٣. حديث رقم ٦٥٨٠. ومسلم في صحيحه ٤/١٨٠١ حديث رقم (٤٣ . ٢٣٠٣). والترمذي في السنن ٤/٥٤٢ حديث رقم ٢٤٤٢. وابن ماجه في السنن ٢/١٤٣٩ حديث رقم ٤٣٠٥.

الحديث رقم ٥٥٧٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٧٩٩ حديث رقم (٣٧ . ٢٣٠١). وابن ماجه في السنن ٢/١٤٣٨ حديث رقم ٤٣٠٣.

يَمُدَّانه من الجنَّة: أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق».

٥٥٧١ ـ (٦) وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فرَطُكم على الحوض، من مرَّ عَلَيَّ شرب، ومن شرب لم يظمَأ أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني، ثمَّ يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي». متفق عليه.

لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يظهر وجه فتح الميم. ففي القاموس: أزب الماء كضرب جري ومنه الميزاب، أو هو فارسي معرب أي بل الماء فعلى هذا يجوز أن يهمز الميزاب وأن يبدل همزه ياء. وقال أيضاً: وزب الماء سال ومنه الميزاب، أو هو فارسي معرب ومعناه بل الماء فعربوه باليهمز ولهذا جمعوه مآزيب. **(يمدانه)** بضم الميم وفي نسخة بضم الياء وكسر الميم،أي يزيدان الحوض في مائه **(من الجنة)** أي من أنهارها أو من الحوض الذي له في الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر **(أحدهما من ذهب والآخر من ورق)** بكسر الراء ويسكن، أي من فضة. والقصد بهما الزينة باختلاف لون الأصفر والأبيض لا لكون الذهب عزيز الوجود هناك قياساً على ما في الدنيا. ويمكن أن يكون ميزاب الذهب من نهر العسل وميزاب الفضة من نهر اللبن أو أحدهما من الماء والآخر من العسل، أو اللبن يخلط به في الحوض والله [تعالى]أعلم.

٥٥٧١ ـ **(وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إني فرطكم)** بفتحتين أي سابقكم ومقدمكم **(على الحوض)** قال النووي [رحمه الله]: الفرط بفتح الفاء والراء وهو الفارط الذي يتقدم الوارد يصلح لهم الحياض والدلاء والأرشية وغيرها من أمور الاستقاء. فمعناه أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيىء لكم. **(من مر عليّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً)** قال القاضي عياض [رحمه الله]: ظاهر هذا الحديث يدل على أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار. **(ليردن)** من الورود، أي ليمرن. **(على أقوام)** أي جماعات **(أعرفهم ويعرفونني)** قيل: لعل هؤلاء هم الذين ذكرهم حيث قال: أصحابي. **(ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني)** أي من أمتي أو من أصحابي **(فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)** أي من الارتداد، فإن سائر المعاصي لا تمنع المؤمن من ورود الحوض والشرب من مائه، ويدل عليه أيضاً قوله: **(فأقول: سحقاً)** بضم فسكون ويضمان **(سحقاً)** كرر للتأكيد أي بعداً وهلاكاً، ونصبهما على المصدر والجملة دعاء بالعذاب. **(لمن غير)** أي دينه **(بعدي)** أي بعد موتي أو بعد قبول ديني والدخول في أمتي **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٥٥٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٤. حديث رقم ٦٥٨٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٣ حديث رقم (٢٦ ـ ٢٩٠). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٩ حديث رقم ٤٣٠٤ وأحمد في المسند ١/ ٢٥٧.

٥٥٧٢ ـ (٧) وعن أَنس، أنَّ النبي ﷺ، قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يُهمُّوا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا! فيأتونَ آدمَ، فيقولون: أنتَ آدم أبو النَّاس، خلقكَ الله بيده، وأسكنكَ جنَّته، وأسجَدَ لك ملائكتَه، وعلمكَ أسماءَ كلِّ شيءٍ، اشفعْ لنا عند ربِّك حتى يُرَيحنَا من مكاننا هذا. فيقول: لستُ هناكم. ـ

٥٥٧٢ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يحبس)** أي يوقف **(المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا)** بصيغة المفعول أي يحزنوا **(بذلك)** أي بسبب ذلك الحبس، وفي نسخة بفتح الياء وضم الهاء على بناء الفاعل وليس بشيء. قال التوربشتي [رحمه الله]: هو على بناء المجهول، أي يحزنوا لما امتحنوا به من الحبس، من قولهم: أهمني الأمر إذا أقلقك وأحزنك. **(فيقولون: لو استشفعنا)** أي ليت طلبنا أحداً ليشفع لنا. **(إلى ربنا فيريحنا)** أي يعطينا الراحة ويخلصنا **(من مكاننا)** قال الطيبي [رحمه الله]: لو هي المتضمنة للتمني والطلب. وقوله: فيريحنا من مكاننا من الإراحة ونصبه بأن المقدرة بعد الفاء الواقعة جواباً للو. والمعنى: لو استشفعنا أحداً إلى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه من الكرب والحبس. قال في أساس البلاغة: شفعت له إلى فلان وأنا شافعه وشفيعه واستشفعني إليه فشفعت له واستشفع بي. قال الأعمش:

مضى زمن والناس يستشفعونني * فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

(فيأتون آدم) الظاهر أن المراد بهم رؤساء أهل المحشر لا جميع أهل الموقف. **(فيقولون:)** أي بعضهم **(أنت آدم)** هو من باب قوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري *

وهو مبهم فيه معنى الكمال لا يعلم ما يراد منه، ففسر بما بعده من قوله: **(أبو الناس خلقك الله بيده)** أي بلا واسطة أو بقدرته الكاملة أو ارادته الشاملة. **(وأسكنك جنته)** فيه إيماء إلى حصول المآل ووصول المنال وما تميل إليه النفس من حسن المآل. **(واسجد لك ملائكته)** أي سجود تحية، وفيه إشارة إلى كمال الجاه والعظمة. **(وعلمك أسماء كل شيء)** فيه إشعار باعطاء الفضيلة العظمى والمرتبة الكبرى. قال الطيبي [رحمه الله]: وضع كل شيء موضع أشياء أي المسميات لقوله تعالى: ﴿**وعلم آدم الأسماء كلها**﴾ [البقرة ـ ٣١]. أي أسماء المسميات إردة للتفصي، أي واحداً فواحداً حتى يستغرق المسميات كلها. **(اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا)** أي هذا المكان العظيم والموقف الأليم. **(فيقول: لست هناكم)** قيل:

الحديث رقم ٥٥٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٧. حديث رقم ٦٥٦٥. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٠ حديث رقم (٣٢٢ ـ ١٩٣). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٧ حديث ٢٤٣٤. وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٤٤٢ حديث رقم ٤٣١٢. والدارمي في السنن ١/ ٤١ حديث رقم ٥٢ وأحمد في المسند ٣/ ١٤٤.

ويذكر خطيئته التي أصاب: أكلَهُ منَ الشجرة وقد نُهي عنها ـ ولكن ائتوا نوحاً أوّل نبيّ بعثَهُ الله إِلى أهل الأرض؛

هنا إذا الحق بكاف الخطاب يكون للبعد من المكان المشار إليه. فالمعنى: أنا بعيد من مقام الشفاعة. قال القاضي البيضاوي: أي يقول آدم عليه [الصلاة]والسلام لهم: لست في المكان والمنزل الذي تحسبونني فيه، يريد به مقام الشفاعة. وقال القاضي عياض [رحمه الله]: هو كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة، قاله تواضعاً واكباراً لما يسألونه. قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري. قال العسقلاني [رحمه الله]: وقد وقع في رواية فيقول: لست لها. وكذا في بقية المواضع. وفي رواية: ليست لصاحبك ذاك. وهو يؤيد الاشارة المذكورة. **(ويذكر خطيئته التي أصاب)** أي اعتذاراً عن التقاعد والتأني عن الشفاعة، والراجع إلى الموصول محذوف أي التي أصابها. وقوله: **(أكله من الشجرة)** بالنصب بدل من خطيئته، أي يذكر أكله من الشجرة ذكره البيضاوي. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون بياناً للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿**فسواهن سبع سموات**﴾ [البقرة ـ ٢٩]. **(وقد نهى)** أي آدم [عليه الصلاة والسلام]**(عنها)** أي عن الشجرة أو عن الخطيئة، والجملة حال من المفعول. **(ولكن ائتوا نوحاً [أول]نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)** استشكلت هذه الأولية بأن آدم [عليه السلام]نبي مرسل وكذا شيث وإرديس وغيرهم. وأجيب بأن الأولية مقيدة بقوله: أهل الأرض. ويشكل هذا ذلك بحديث جابر في البخاري في التيمم «وكان النبي يبعث خاصة إلى قوم خاصة»(١) ويجاب بأن العموم لم يكن في أصل بعثة نوح، وإنما اتفق باعتبار حصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهى. وفيه نظر ظاهر لا يخفى. وقيل: إن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً ويرد عليه حديث أبي ذر عند ابن حبان فإنه كالصريح بإنزال الصحف على شيث وهو علامة الإرسال انتهى. وفيه بحث إذ لا يلزم من إنزال الصحف أن يكون المنزل عليه رسولاً لاحتمال أن يكون في الصحف ما يعمل به بخاصة نفسه. ويحتمل أن لا يكون فيه أمر ونهي بل مواعظ ونصائح تختص به. فالأظهر أن يقال: الثلاثة كانوا مرسلين إلى المؤمنين والكافرين، وأما نوح [عليه السلام]فإنما أرسل إلى أهل الأرض وكلهم كانوا كفاراً. هذا وقد قيل هو نبي مبعوث أي مرسل ومن قبله كانوا أنبياء غير مرسلين كآدم وإدريس [عليهم الصلاة والسلام]فإنه جد نوح على ما ذكره المؤرخون. قال القاضي عياض: قيل: إن إدريس هو إلياس وهو نبي من بني إسرائيل فيكون متأخراً عن نوح فيصح أن نوحاً أول نبي مبعوث مع كون إدريس نبياً مرسلاً، وأما آدم وشيث فهما وإن كانا رسولين إلا أن آدم أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفاراً، بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله وشيئاً كان خلفاً له فيهم بعده بخلاف نوح فإنه مرسل إلى كفار أهل الأرض، وهذا أقرب من القول بأن آدم وإدريس لم يكونا رسولين. وقد يقال: إنه أول نبي بعثه الله بعد آدم على أن شيئاً كان خليفة له، فأوليته إضافية، أو أوّل نبي بعثه الله من أولي العزم فالأولية حقيقية وهذا أوفق الأقوال وبه يزول الاشكال والله

(١) البخاري في صحيحه ١/ ٤٣٥ حديث رقم ٣٣٥.

فيأتون نوحاً، فيقول: لستُ هناكم ـ ويذكرُ خطيئتَه التي أصاب: سؤالَه ربَّه بغير علم ـ

[تعالى]أعلم بالحال. وفي شرح مسلم قال المازري: قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح، فإن قام دليل على أنه أرسل أيضاً لم يصح أنه قبل نوح لاخبار النبي ﷺ عن آدم عليه [الصلاة]والسلام أن نوحاً أوّل رسول بعث [بعده]. وإن لم يقم دليل جاز ما قالوه، وصح أن يحمل أن إدريس كان نبياً مرسلاً. قال القاضي عياض: وقد قيل إن إدريس هو إلياس وأنه كان نبياً في بني إسرائيل كما جاء في بعض الأخبار، فإن كان هكذا سقط الاعتراض وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما. وإن كانا رسولين فإن آدم إنما أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفاراً وكذلك شيث خلفه أو بعده بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض. قال القاضي [رحمه الله]: وقد رأيت أبا الحسن ذهب إلى أن آدم ليس برسول الله ليسلم من هذا الاعتراض. وحديث أبي ذر نص دال على أن آدم وإدريس رسولان والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (**فيأتون نوحاً فيقول:**) إني على ما في نسخة (**لست هناكم**) قال شارح: أي لست في مكان الشفاعة. وأشار بقوله: هناكم، إلى البعد من ذلك المكان. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض: إنما يقولونه تواضعاً واكباراً لما يسألونه، وقد يكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه. ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معيناً ويكون احالة كل واحد منهم على الآخر لأن تندرج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد ﷺ، ومبادرة النبي ﷺ لذلك واجابته لرغبتهم لتحققه أن هذه الكرامة والمقام له خاصة. قال الشيخ محيي الدين [رحمه الله]: والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله [تعالى وسلامه]عليهم في الابتداء ولم يلهموا سؤال نبينا ﷺ اظهار الفضيلة نبينا ﷺ، فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب[1]. وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة المقربين، فإن هذا الأمر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الاقدام عليه غيره صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. (**ويذكر**) أي نوح [عليه السلام](**خطيئته التي أصاب يعني سؤاله ربه بغير علم**) أي قوله: **إن ابني من أهلي**. إلى آخره وكان سؤاله انجاء ابنه وكان غير عالم بأنه لا يجوز هذا السؤال ولذا قال تعالى: **﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾** [هود ـ ٤٦]. إلى آخره. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: سؤاله ربه بغير علم موقع سؤاله هنا موقع أكله في القرينة السابقة، وقوله: بغير علم، حال من الضمير المضاف إليه في سؤاله، أي صادراً عنه بغير علم وربه مفعول سؤاله. والمراد بالسؤال قوله: **﴿إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾** [هود ـ ٤٥]. طلب أن ينجيه من الغرق. والمراد من قوله: بغير علم، إنه سأل ما لا يجوز سؤاله وكان يجب عليه أن لا يسأل كما قال تعالى: **﴿فلا تسألن ما ليس لك به**

(١) في المخطوطة «العزة».

ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرَّحمٰن. قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لستُ هناكم - ويذكر ثلاث كذبات كذبهنَّ - ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه اللّٰهُ التوراة، وكلَّمه وقرَّبه نجياً. قال: فيأتون موسى فيقول إني لستُ هناكم - ويذكر خطيئته التي أصاب قَتْلَهُ النفسَ - ولكن ائتوا عيسى عبدَ اللّٰهِ ورسولَه، وروحَ الله وكلمَته». قال: «فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمَّداً عبداً غفر اللّٰهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر». قال: «فيأتوني فأستأذن على ربِّي في داره، فيؤذن لي عليه،

علم ﴾. وذلك أنه قال: ﴿**إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق** ﴾. أي وعدتني أن تنجي أهلي من الغرق وأن ابني من أهلي فنجه. قيل له ما شعرت من المراد بالأهل وهو من آمن وعمل صالحاً وأن ابنك عمل غير صالح. (**ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمٰن. قال: فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن**) بالتخفيف، أي قالهن كذباً. قال البيضاوي [رحمه الله]: إحدى الكذبات المنسوبات إلى إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام قوله: ﴿**إني سقيم** ﴾ [الصافات - ٨٩]. وثانيتها قوله: ﴿**بل فعله كبيرهم هذا** ﴾ [الأنبياء - ٦٣]. وثالثتها قوله لسارة: هي أختي. والحق أنها معاريض، ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها أكاذيب واستنقص من نفسه لها، فإن من كان أعرف بالله وأقرب منه منزلة كان أعظم خطراً وأشد خشية وعلى هذا القياس سائر ما أضيف إلى الأنبياء من الخطايا. قال ابن الملك: الكامل قد يؤاخذ بما هو عبادة في حق غيره كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. (**ولكن: ائتوا موسى عبداً آتاه [الله]**) استئناف تعليل وبيان. والمعنى: أعطاه الله. (**التوراة**) وهي أوّل الكتب الأربعة المنزلة (**وكلمه**) أي بلا واسطة (**وقربه نجياً**) أي مناجياً له، أو مناجي بناء على أنه حال من الفاعل أو المفعول. (**قال: فيأتون موسى. فيقول: إني لست هناكم. ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس**) أي نفس القبطي. وفي نسخة: قتل النفس. بغير ضمير. (**ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله**) أضافه إليه تشريفاً ولأنه كان يحيي الموتى. (**وكلمته**) أي خلق بأمركن أو كلمته في دعوته كانت مستجابة. (**قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم**) إنما قال كذا مع أن خطيئته غير مذكورة لعله لاستحيائه من افتراء النصارى في حقه بأنه ابن الله ونحو ذلك كذا ذكره ابن الملك في شرح المشارق. (**ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**) أي فلم يكن له مانع من مقام الشفاعة العظمى. قال النووي: هذا مما اختلفوا في معناه. قال القاضي: قيل: المتقدم ما كان قبل النبوّة والمتأخر عصمته بعدها. وقيل: المراد به ما وقع منه ﷺ عن سهو وتأويل، حكاه الطبري واختاره القشيري [رحمه الله]. وقيل: ما تقدم لأبيه آدم [عليه السلام]وما تأخر من ذنوب أمته. وقيل: المراد أنه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو كان. وقيل: هو تنزيه له من الذنوب. (**قال: فيأتوني**) بتشديد النون وتخفف كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]﴿**تحاجوني في الله وقد هدان** ﴾ [الأنعام - ٨٠]. (**فاستأذن على ربي**) أي فاطلب الاذن منه للأدب مع الرب. (**في داره**) أي دار ثوابه وهو الجنة. وقيل: غير ذلك تحت عرشه. قال الطيبي [رحمه الله]: أي فاستأذن في الدخول على دار ربي. (**فيؤذن لي عليه**) أي في الدخول على الرب

فإذا رأيتُهُ وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمَّد! وقل تُسمَع، واشفَعْ تُشفَعْ، وسَلْ تُعطَه». قال: «فأرفع رأسي، فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميد يُعَلِّمُنيه، ثم أشفع فيحدُّ لي حداً، فأخرج، فأُخرجهم من النَّار وأُدخلهم الجنَّة، ثمَّ أعود الثانية فأستأذنُ على ربِّي في داره. فيُؤذنُ لي عليه، فإذا رأيتُهُ وقعت ساجداً. فيدعُني ما شاءَ اللَّهُ أن يدعَني، ثمَّ يقولُ: ارفعْ محمَّد! وقل تُسمَعْ، واشفعْ تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعطه». قال: «فأرفع رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلمنيه، ثمَّ أشفع فيحدُّ

سبحانه. قال التوربشتي [رحمه الله تعالى]: إضافة دار الثواب إلى الله تعالى هنا كاضافته في قوله تعالى: ﴿**لهم دار السلام عند ربهم**﴾ [الأنعام ـ ١٢٧]. على أن السلام من أسماء الله تعالى على أحد الوجهين واضافتها إلى الله تعالى للشرف والكرامة. والمراد بالاستئذان عليه أن يدخل مكاناً لا يقف فيه داع إلا استجيب ولا يقوم به سائل إلا أجيب ولم يكن بين الواقف وبين ربه حجاب. والحكمة في نقله النبي ﷺ عن موقفه ذلك إلى دار السلام لعرض الحاجة هي أن موقف العرض والحساب موقف السياسة، ولما كان من حق الشفيع أن يقوم مقام كرامته فتقع الشفاعة موقعها أرشد ﷺ إلى النقلة عن موقف الخوف في القيامة إلى موقف الشفاعة والكرامة. وذلك أيضاً مثل الذي يتحرى الدعاء في موقف الخدمة ليكون أحق بالإجابة. قال القاضي عياض [رحمه الله تعالى]: معناه: فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذي أخره الله تعالى له فأعلمه أنه يبعثه فيه. **(فإذا رأيته)** أي بارتفاع الحجاب عني. وفي المشارق: فإذا أنا رأيته بزيادة أنا. قال ابن الملك: أي أني رأيتني وهذا التفات من التكلم إلى الغيبة. **(وقعت ساجداً)** أي خوفاً منه واجلالاً، أو تواضعاً له واذلالاً أو انبساطاً واذلالاً. **(فيدعني)** أي يتركني **(ما شاء الله أن يدعني)** أي في السجود. ففي مسند أحمد أنه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا، كذا ذكره السيوطي [رحمه الله]في حاشية مسلم. **(فيقول: ارفع)** أي رأسك من السجود **(محمد)** أي يا محمد فإنك صاحب المقام المحمود **(وقل)** أي ما شئت **(تسمع)** بصيغة المجهول، أي يقبل قولك، أو قل ما ألهمك من الثناء لتسمع أي تجاب. **(واشفع)** أي فيمن شئت **(تشفع)** بفتح الفاء المشددة، أي تقبل شفاعتك. **(وسل)** أي ما تريد من المزيد **(تعطه)** بهاء السكت وفي نسخة بالضمير، أي تعط ما تسأل. فالضمير راجع إلى المصدر المفهوم من الفعل وهو بمعنى المفعول. **(قال: فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه)** بتشديد اللام، أي يلهمنيه حينئذ ولا أدري ما هو الآن. **(ثم أشفع)** قال القاضي: وجاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتدأ النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والاذن له في الشفاعة بقوله: أمتي أمتي(١). **(فيحد)** بضم الياء وفتح الحاء، وفي نسخة بالعكس أي فيعين(٢). **(لي حداً)** وهو إما مصدر أو اسم، أي مقداراً معيناً في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٧٣ حديث رقم ٧٥١٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٢ حديث رقم (٣٢٦ ـ ١٩٣). عن أنس وعن أبي هريرة حديث رقم ١٩٤.

(٢) في المخطوطة «يقول».

لي حداً، فأخرجُ، فأخرجُهم من النّار وأُدخلهم الجنّة، ثم أعودُ الثالثة، فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتهُ وقعتُ ساجداً، فيدعُني ما شاء الله أن يدعني، ثمَّ يقول: ارفعْ محمَّدُ! وقُلْ تُسْمَعْ، واشفع تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَه» قال: «فأرفعُ

باب الشفاعة. [قال التوربشتي رحمه الله: يريد أنه يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعة]حداً أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول: شفعتك فيمن أخل بالجماعات، ثم يقول: شفعتك فيمن أخل بالجمعات، ثم يقول: شفعتك فيمن أخل بالصلوات، ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على ما فيه من الشناعة. **(فأخرج)** أي من دار ربي **(فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة)** قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: دل أوّل الكلام [على]أن المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهموا وحزنوا لذلك فطلبوا أن يخلصهم من ذلك الكرب، ودل قوله: فأخرجهم من النار على أنهم من الداخلين فيها فما وجهه. قلت: فيه وجهان أحدهما: لعل المؤمنين صاروا فرقتين فرقة سار بهم إلى النار من غير توقف وفرقة حبسوا في المحشر واستشفعوا به ﷺ فخلصهم مما هم فيه وأدخلهم الجنة، ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمراً بعد زمر كما دل عليه قوله: فيحد لي حداً الخ. فاختصر الكلام وهو من حلية التنزيل. وقد ذكرنا قانوناً في فتوح الغيب في سورة هود يرجع إليه مثل هذا الاختصار. قلت: مراده إنه ذكر الفرقة الثانية واقتصر على خلاصها لأنه يفهم منها خلاص الفرقة الأولى بالأولى، وقد يقال إنه من باب الاكتفاء. وثانيهما: أن يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا به من الشدة ودنو الشمس إلى رؤوسهم وحرها والجامهم العرق، وبالخروج الخلاص منها. قلت: وهذا القول وإن كان مجازاً لكنه إلى حقيقة الأمر أقرب وإلى أصل القضية أنسب، فإن المراد بهذه الشفاعة الكبرى وهي المعبر عنها بالمقام المحمود واللواء الممدود على ما قاله ﷺ: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة. ومحط هذه الشفاعة هي الخلاص من الحبس والقيام والأمر بالمحاسبة للأنام وأماله ﷺ وكذا لغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء والصالحين والفقراء بعد ذلك شفاعات متعددة في ادخال بعض المؤمنين الجنة بلا حساب وادخال بعضهم الجنة ولو استحقوا دخول النار، واخراج بعضهم من النار وفي تخفيف عذاب بعضهم وفي ترقي درجات بعضهم في الجنة وأمثالها. ولكن فيه أنه لو أريد هذا المعنى لما كررت هذه القضية مرات على ما لا يخفى، اللهم إلا أن يقال: ينقسم أهل الموقف من المؤمنين العصاة على أقسام ثلاثة. وقال ابن الملك: تكون الشفاعة أقساماً أوّلها للإراحة من الموقف، وثانيها لإدخالهم الجنة بغير حساب، وثالثها عند المرور على الصراط، ورابعها للإخراج من النار. فذكر في الحديث القسمين وطوى الآخرين من البين والله [تعالى]أعلم. **(ثم أعود)** أي أرجع إلى دار ربي **(الثانية)** أي المرة الثانية **(فأستأذن على ربي في داره)** أي في دخولها **(فيؤذن لي عليه)** أي بالدخول عليه **(فإذا رأيته)** أي ذلك المكان أو رأيت ربي مع تنزيهه عن المكان وعن سائر صفات الحدثان **(وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني)** أي في مقام الفناء **(ثم يقول:)** رداً إلى حال البقاء **(ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه. قال: فارفع**

رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يعلّمنيه، ثمَّ أشفع؛ فيحدُّ لي حدّاً، فأخرجُ، فأُخرجهم من النَّار وأُدخلهم الجنَّة، حتى ما يبقى في النَّار إلاَّ منْ قد حبسه القرآنُ» أي وجب عليه الخلود، ثمَّ تلا هذه الآية ﴿عسى أن يبعثَك ربُّكَ مقاماً محموداً﴾ قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيُّكم». متفق عليه.

٥٥٧٣ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يوم القيامة ماجَ النَّاس بعضهم في بعض، فيأتونَ آدم فيقولون: اشفع إلى ربِّك: فيقول: لست لها،

رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه. قال: فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار). أي من هذه الأمة **(إلا من قد حبسه القرآن)** أي منعه من خروج النار بأن أخبر أنه مخلد في دار الفجار، وهذا معنى قول الراوي للحديث عن أنس وهو قتادة من أجلاء التابعين. **(أي وجب عليه الخلود)** أي دل القرآن على خلوده وهم الكفار. ومعنى وجب أي ثبت وتحقق، أو وجب بمقتضى اخباره تعالى فإنه لا يجوز فيه التخلف أبداً. **(ثم تلا [هذه الآية])** أي النبي ﷺ أو أنس أو قتادة تذكراً أو استشهاداً أو اعتضاداً. **(﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**[1]. **قال:)** أي أنس وهو أنسب أو قتادة وهو أقرب. ويحتمل أن فاعله النبي ﷺ على بعد **(وهذا المقام)** مبتدأ وخبر موصوف بقوله: **(المحمود الذي وعده)** أي الله سبحانه **(نبيكم)** وفي نسخة: وعد نبيكم، بصيغة المجهول وهذا على أن فاعل قال غيره ﷺ ظاهر لا اشكال، وأما على القول بأن القائل هو ﷺ فتوجيهه أنه وضع المظهر موضع المضمر وكان الأصل أن يقول: وعدنيه. وقال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون فاعل. قال الراوي: وأن يكون النبي ﷺ على سبيل التجريد تعظيماً لشأنه والله سبحانه [وتعالى]أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٥٧٣ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ماج)** أي اختلط واضطرب **([الناس] بعضهم في بعض)** أي داخلين فيهم، أي مقبلين ومدبرين متحيرين فيما بينهم. **(فيأتون آدم)** [عليه السلام] **(فيقولون: اشفع)** أي لنا **(إلى ربك)** ليأمر بالحساب ثم يجازي بالثواب أو العقاب **(فيقول: لست لها)** أي لست كائناً للشفاعة ولا مختصاً بها. قال الطيبي [رحمه الله]: اللام فيه مثلها في قوله تعالى: **﴿امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾**

---

(١) الإسراء. آية رقم ٧٩.

الحديث رقم ٥٥٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٧٣. حديث رقم ٧٥١٠ ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٢ حديث رقم (٣٢٦. ١٩٣).

ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمٰن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمَّدٍ، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربِّي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمّد! ارفعْ رأسك، وقل: تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربِّ! أُمّتي أُمّتي. فيقال: انطلق، فأخرجْ من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان،

[الحجر ـ ٣٥]. الكشاف: اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قوله: أنت لهذا الأمر، أي كائنَ له ومختص به. قال:

* أنت لها أحمد من بين البشر *

وفي[1] قوله: أنا لها، وقوله: ليس ذلك لك. **(ولكن عليكم بإبراهيم)** أي الزموه، فالباء زائدة أو المعنى: تشفعوا وتوسلوا به. **(فإنه خليل الرحمٰن، فيأتون إبراهيم فيقول:)** أي بعد قولهم: اشفع إلى ربك. فاختصر للعلم به، أو قبل أن يذكروا هذا الأمر بناء على كشف القضية عنه[2]. **(لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله)** أي ويناسبه الكلام في مرام هذا المقام **(فيأتون موسى [عليه السلام]فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته)** [أي]فإن روحه مستطابة وكلمته مستجابة. **(فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد)** [عليه السلام]أي فإنه خاتم النبيين وسيد المرسلين **(فيأتوني)** بتشديد النون ويخفف **(فأقول: أنا لها. فأستأذن على ربي)** أي على كلامه أو على دخول داره **(فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها)** أي حينئذ **(لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد)** وهي جمع حمد على غير قياس كمحاسن جمع حسن أو جمع محمدة. **(وأخر)** بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء، أي أسقط. **(له)** أي لله تعالى أو لشكره **(ساجداً)** حال **(فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول)** أي بعد رفع الرأس أو في حال السجود **(يا رب أمتي أمتي)** أي ارحمهم واغفر لهم يوم القيامة وتفضل عليهم بالكرامة، وكرره للتأكيد. أو أريد بهم السابقون واللاحقون. **(فيقال: انطلق)** أي اذهب **(فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة)** أي وزنها. قال النووي [رحمه الله]: والله [تعالى]أعلم بقدرها. **(من إيمان)** ثم المثقال ما يوزن من الثقل بفتحتين وهو اسم لكل سنج[3]. واختلف العلماء في تأويله حسب اختلافهم في أصل الإيمان. والتأويل المستقيم هو أن يراد بالأمر المقدر بالشعير والذرة والحبة والخردلة غير الشيء الذي هو حقيقة الإيمان من الخيرات وهو ما يوجد في القلوب من ثمرات الإيمان ولمحات الايقان

---

(١) في المخطوطة «وعلى».
(٢) في المخطوطة «عنك».
(٣) سنج: بالسين والصاد. وقال في لسان العرب بالسين أفصح. وقال ابن السكيت وذكره صاحب مختار الصحاح. بأنه لا يقال «سنجه» بالسين. والصنج أو السنج هو الميزان.

فأنطلِقُ فأفعل، ثمَّ أعودُ فأحمده بتلك المحامد، ثمَّ أخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمَّدُ! ارفعْ رأسكَ، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربِّ! أمّتي أمَّتي. فيقال: انطلقْ فأخرجْ من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة أو خردلةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمَّدُ! ارفعْ رأسك، وقُلْ تُسمَعْ، وسَلْ تُعطهْ، واشفعْ تشفَّعْ. فأقول: يا ربِّ! أمتي أمتي. فيقال: انطلقْ فأخرجْ من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبَّةٍ خردلةٍ من إيمان، فأخرجه من النار. فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعةَ فأحمده بتلك المحامد، ثمَّ أَخرُّ له ساجداً فيقال: يا محمَّدُ! ارفعْ رأسَكَ، وقل تسمع، وسل تعطهْ، واشفع تشفع فأقول: يا رب! ائذن لي فيمن قال: لا إله إلاّ الله. قال:

ولمعان العرفان، لأن حقيقة الإيمان الذي هو التصديق الخاص القلبي وكذا الاقرار المقرر اللساني لا يدخلها التجزىء والتبعيض ولا الزيادة ولا النقصان على ما عليه المحققون. وحملوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري. **(فانطلق)** أي فاذهب **(فافعل)** أي ما أذن لي بالاخراج ممن عين وبين لي. **(ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة)** وهي أقل الأشياء الموزونة. وقيل: هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس كرؤوس الأبر. وقيل: النملة الصغيرة. **(أو خردلة من إيمان)** يحتمل أن يكون أو للتخيير أو للتنويع أو الشك. **(فانطلق فافعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردلة من إيمان)** وكرر أدنى ثلاثاً للمبالغة في القلة. **(فأخرجه من النار. فانطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله)** أي ولو في عمره مرة بعد إقراره السابق فإنه من جملة عمله اللاحق وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولاطلاق حديث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة[١]. فإنه يشمل دخوله أوّلاً وآخراً. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا يؤذن بأن ما قدر قبل ذلك بمثال شعيرة ثم بمثقال حبة أو خردل، غير الإيمان الذي يعبر به عن التصديق وهو ما يوجد في القلوب من ثمرة الإيمان، وهو على وجهين: أن يراد بالثمرة ازدياد اليقين وطمأنينة النفس لأن ظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقوته. وأن يراد بها العمل وأن الإيمان يزيد وينقص بالعمل. وينصر هذا الوجه حديث أبي سعيد بعد هذا يعني قوله: ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من نار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط. **(قال:)** أي الله تعالى

---

(١) أخرجه البزار كما قال السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٣٦ حديث رقم ٨٨٩٦. والأحاديث في معناه كثيرة في كتب السنة.

ليس ذلك لك، ولكن وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال: لا إِله إِلا الله». متفق عليه.

٥٥٧٤ ـ (٩) عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال: لا إِله إِلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

(ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) قال القاضي(١) [رحمه الله]: أي ليس هذا لك وإنما أفعل ذلك تعظيماً لأسمى راجلاً لا لتوحيدي. وهو مخصص بعموم قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي». الحديث على ما سيأتي. ويحتمل أن يجري على عمومه ويحمل على حال ومقام آخر. قال الطيبي [رحمه الله]: إذا فسرنا ما يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة وذكرنا أن ما يختص به رسول الله ﷺ هو الإيمان مع الثمرة [من]ازدياد اليقين أو العمل فلا اختلاف. وقال شارح من علمائنا المحققين: المعنى: ليس اخراج من قال لا إله إلا الله من النار [لك]، أي إليك يعني مفوضاً إليك وإن كان لك فيهم مكان شفاعة، أو لسنا نفعل ذلك لأجلك بل لأنا أحقاء بأنا نفعله كرماً وتفضلاً. ثم إنه بين بهذا الحديث أن الأمر في اخراج من لم يعمل خيراً قط من النار خارج عن حد الشفاعة، بل هو منسوب إلى محض الكرم موكول إليه. والتوفيق بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة: أسعد الناس الخ. أما على الأوّل فظاهر لأنه أخرجهم الله بشفاعته ﷺ، وأما على المعنى الثاني فهو أن المراد بمن قال لا إله إلا الله في الحديث الأوّل هم الأمم الذين آمنوا بأنبيائهم لكنهم استوجبوا النار. وفي الثاني هم من أمته ﷺ ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. **(متفق عليه)**.

٥٥٧٤ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)** أي لا يشوبه شك وشرك ولا يخالطه نفاق وسمعة ورياء. **(أو نفسه)** شك من الراوي. وقيل: أسعد هنا بمعنى أصل الفعل. وقيل: بل على بابه وإن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فإنه ﷺ يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار وقال الكرماني: المراد هو أسعد ممن لم يكن في هذه المرتبة من الإخلاص البالغ غايته. والدليل على التأكيد ذكر القلب، إذ الإخلاص محله القلب ففائدته التأكيد كما في قوله تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة ـ ٢٨٣]. وقال القاضي [رحمه الله]: أسعد هنا بمعنى السعيد إذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من أهل التوحيد. أو المراد بمن قال: من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فإن احتياجه إلى الشفاعة أكثر وانتفاعه بها أوفر. قال الطيبي [رحمه الله]: قد سبق أن حلول شفاعته إنما هو في حق من أثمر إيمانه إما مزيد طمأنينة أو عمل. وتختلف

---

(١) في المخطوطة «الطيبي».

الحديث رقم ٥٥٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٩٣ حديث رقم ٩٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٣.

رواه البخاري.

٥٥٧٥ ـ (١٠) وعنه، قال: أتيَ النبي ﷺ بلحم فَرُفِعَ إِليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيّد الناس يومَ القيامةِ، يومَ يقوم الناس لرب العالمين، وتدنو الشمس فيبلغُ الناس

مراتب اليقين والعمل، فيكون التفضيل بحسب المراتب ولذلك أكد خالصاً بقوله: من قلبه. أي خالصاً كائناً من قلبه. وقد علم أن الاخلاص معدنه ومكانه القلب، فذكر القلب هنا تأكيد وتقرير كما في قوله تعالى: ﴿**فإنه آثم قلبه**﴾ [البقرة ـ ٢٨٣]. الكشاف: فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: فإنه آثم. وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده. قلت: كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان آثماً مفترياً بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك. تقول: إذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي. (**رواه البخاري**) وفي رواية الجامع: خالصاً مخلصاً من قلبه[1]. ولم يذكر أو من نفسه.

٥٥٧٥ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: أتي النبي ﷺ**) أي جيء (**بلحم فرفع إليه الذراع وكانت**) أي الذراع (**تعجبه فنهس**) بالمهملة وقيل بالمعجمة، أي فأخذ بمقدم أسنانه. (**منها**) أي من الذراع يعني مما عليها (**نهسة**) قال القاضي عياض [رحمه الله]: أكثر الرواة رووه بالسين المهملة. ورواه ابن هامان بالمعجمة. والنهس بالمهملة الأخذ بأطراف الأسنان، وبالمعجمة الأخذ بالأضراس. (**ثم قال: أنا سيد الناس**) أي جميعهم من الأنبياء وغيرهم (**يوم القيامة**) أي حيث يحتاجون إلى شفاعتي ذلك اليوم لكرامتي عند الله تعالى، فإذا اضطروا أتوا إلي طالبين لشفاعتي لهم. ويؤيده حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أول شافع وأوّل مشفع ولا فخر». على ما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد[2]. (**يوم يقوم الناس لرب العالمين**) قال الطيبي [رحمه الله]: بدل من قوله: يوم القيامة. وقال ابن الملك: يحتمل أن يكون جواب سائل قال ما يوم القيامة. قلت: ويمكن أن يكون منصوباً بأعني مقدراً أو مرفوعاً بتقدير مبتدأ محذوف هو هو وفتح يوم على الحكاية. (**وتدنو الشمس**) أي تقرب من رؤوس الناس (**فيبلغ الناس**) بالنصب أي فيلحقهم وفي نسخة بالرفع، أي

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٦٨ حديث رقم ١٠٢١.

الحديث رقم ٥٥٧٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٣٩٥. حديث رقم ٤٧١٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٤ حديث رقم (٣٢٧. ١٩٤). والترمذي في السنن ٤/ ٢٤٤ حديث رقم ١٨٣٧. وابن ماجه ٢/ ١٠٩٩ حديث رقم ٣٣٠٧. وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٥.

(٢) أحمد في المسند ٣/ ٢ وابن ماجه في السنن الحديث رقم ٤٣٠٨. والترمذي في السنن حديث رقم ٣٦١٥.

من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقول الناس: أَلا تنظرون من يشفعُ لكم إِلى ربّكم؟ فيأتون آدم». وذكر حديث الشفاعة وقال: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقعُ ساجداً لربي، ثم يفتح الله عَليَّ من محامده وحسن الثناءِ عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم قال: يا محمَّد! ارفعْ رأسكَ، وسَلْ تُعطَه، واشفعْ تُشَفَّعْ، فأرفع رأسي فأقول: أُمَّتي يا رب! أُمَّتي يا رب! أُمَّتي يا رب! فيقال: يا محمَّدُ! أَدْخلْ من أُمَّتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنةِ، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذي نفسي بيده إِنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنَّة كما بين مكّة وهَجَر». متفق عليه.

فيصلون. **(من الغم)** أي من أجله وسببه **(والكرب)** وهو الهم الشديد الحاصل من القيام ودنو الشمس المترتب عليه الحر التام الموجب للعرق على وجه الإلجام. **(ما لا يطيقون)** أي ما لا يقدرون على الصبر عليه فيجزعون ويفزعون. **(فيقول الناس:)** أي بعضهم لبعض **(ألا تنظرون)** أي ألا تتأملون وألا تتفكرون أو ألا تبصرون **(من يشفع لكم إلى ربكم)** أي ليريحكم من هذا الهم والغم **(فيأتون آدم [عليه السلام]وذكر)** أي أبو هريرة أو النبي ﷺ **(حديث الشفاعة)** أي بطوله كما سبق **(وقال: فأنطلق)** أي فاذهب **(فآتي)** بالمد، أي فأجيء. **(تحت العرش)** قيل: وجه الجمع بينه وبين حديث أنس [رضي الله تعالى عنه]: على ربي في داره، أن يقال داره الجنة والجنة تحت العرش. وقيل: حديث أنس في الجنة وحديث أبي هريرة في الموقف. **(فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه)** جملة مستأنفة **(واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب)** ثلاث مرات للتأكيد والمبالغة، أو إشارة إلى طبقات العصاة. **(فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم)** أي من لا حساب عليهم **(شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب)** أي ليسوا ممنوعين من سائر الأبواب، بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب. **(ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين)** بكسر الميم أي البابين المضروبين[1] على مدخل واحد. **(من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر)** بفتحتين مصروفاً وقد لا يصرف. ففي الصحاح: هجر اسم بلد مذكر[2] مصروف. وقال شارح: هي قرية من قرى البحرين، وقيل من قرى المدينة والأول هو المعول. قال المظهر: المصارعان البابان[3] المغلقان على منفذ واحد، والمصراع مفعال من الصرع وهو الإلقاء وإنما سمي الباب المغلق مصراعاً لأنه كثير الإلقاء والدفع. **(متفق عليه)**.

---

(١) في المخطوطة «المكبرين».

(٢) في المخطوطة «مذكور».

(٣) في المخطوطة «الباب».

٥٥٧٦ ـ (١١) وعن حذيفةَ في حديث الشفاعة، عن رسول الله ﷺ قال: «وترسَلُ الأمانة والرحم، فتقومان جَنَبَتي الصراط يميناً وشمالاً». رواه مسلم.

٥٥٧٧ ـ (١٢) وعن عبدِ اللّه بنِ عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿ربِّ إنهنَّ أضللن كثيراً من الناس فم تبعني فإنه مني﴾ وقال عيسى: ﴿إِن تعذِّبهم فإنهم عبادك﴾

٥٥٧٦ ـ (**وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله ﷺ قال: وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط**) بفتحات أي بجانبيه (**يميناً وشمالاً**) قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد بجنبتي الصراط ناحيتيه اليمنى واليسرى. والمعنى: إن الأمانة والرحم لعظمة شأنهما وفخامة أمرهما مما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هنالك للأمين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق الذي راعاهما ويشهدان على المبطل الذي أضاعهما ليتميز كل منهما. وقيل: ترسل من الملائكة من يحاج لهما وعنهما. وفي الحديث حث على رعاية حقهما والاهتمام بأمرهما. وقال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن تحمل الأمانة على الأمانة العظمى وهي ما في قوله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال**﴾ [الأحزاب ـ ٧٢]. وصلة الرحم صلتهما الكبرى وهي ما في قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾. إلى قوله تعالى: ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام**﴾ [النساء ـ ١]. فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وكأنهما اكتنفا جنبي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم وقطري الإيمان والدين القويم. (**رواه مسلم**).

٥٥٧٧ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم:**) [عليه السلام]أي في سورته أو حاكياً في حقه (﴿**رب إنهن**﴾) أي الأصنام (﴿**أضللن كثيراً من الناس**﴾) أي صرن سبب ضلال كثير منهم (﴿**فمن تبعني**﴾) أي في التوحيد والإخلاص والتوكل (﴿**فإنه مني**﴾) أي من أتباعي وأشياعي وتمامه: (﴿**ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾)[١] أي تغفر ما دون الشرك لمن تشاء وترحمه بالتفضل على من تشاء، أو تغفر للعاصي المشرك بأن توفقه للإيمان والطاعة في الدنيا وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبى. (**وقال عيسى [عليه السلام]:**) قال النووي [رحمه الله]: هو مصدر يقال: قال قولاً وقالاً وقيلاً، وقد أضاف إلى عيسى عطفاً على مفعول تلا، أي تلا قول الله وقول عيسى. (﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك**﴾) وآخره (﴿**وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾)[٢] أي لا يغلبك شيء فإنك القوي القادر وتحكم بما تشاء فأنت الحاكم الذي لا معقب لحكمه، أو الحكيم الذي يضع

الحديث رقم ٥٥٧٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٤ حديث رقم (٣٢٩ . ١٩٥).

الحديث رقم ٥٥٧٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٩١ حديث رقم (٣٤٦ . ٢٠٢).

(١) سورة إبراهيم. آية رقم ٣٦.

(٢) سورة المائدة. آية رقم ١١٨. وتكملة الآيتان ليست موجودة في متن المشكاة.

فرفع يديه، فقال: «اللهم أمَّتي أمَّتي»، وبكى. فقال الله تعالى: «يا جبريل! اذهب إلى محمَّد، وربُّك أعلم، فسله ما يبكيه؟». فأتاه جبريلُ فسأله فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال: فقال الله لجبريل: «اذهبْ إلى محمَّد، فقل: إنا سنرضيكَ في أمَّتك ولا نسوءك».

الأشياء في موضعها ويتقن الأفعال ويحسنها. (**فرفع**) أي النبي ﷺ (**يديه**) أي كريمتيه (**فقال: اللهم أمتي أمتي**) أي اللهم اغفر لأمتي اللهم ارحم أمتي. ولعل هذا وجه التكرار أو أريد به التأكيد أو قصد به الأولون والآخرون. (**وبكى**) لأنه تذكر النبي ﷺ الشفاعة الصادرة عن الخليل وروح الله فرق لأمته. (**فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم**) جملة معترضة حالية دفعاً لما يوهمه قوله: (**فاسأله**) بالهمز والنقل (**ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال**) أي بشيء قاله النبي ﷺ من سبب البكاء وهو الخوف لأجل أمته[1]. (**فقال الله لجبريل: اذهب إلى محمد فقل إنا**) أي بعظمتنا (**سنرضيك**) أي سنجعلك راضياً (**في أمتك**) أي في حقهم (**ولا نسوءك**) أي ولا نحزنك في حق الجميع بل ننجيهم ولأجل رضاك نرضيهم. وهو في المعنى تأكيد إذ ربما يتوهم من سنرضيك نرضيك في حق البعض ولذا قال بعضهم: ما يرضى محمد وأحد من أمته في النار. قال الطيبي [رحمه الله]: لعله عليه [الصلاة] والسلام أتى بذكر الشفاعة التي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية لأن المعنى أن الأصنام أضللن كثيراً من الناس فمن تاب من عبادتها وبعني في التوحيد فإنه متصل بي فاقبل شفاعتي فيهم، فلا بد من تقدير تاب لأنه مصحح الشفاعة في حق المشركين. قلت: إنما يحتاج تقدير تاب في الشرطية الثانية وهي قوله: ومن عصاني. قال: وعن روح الله كذلك لأن الضمير في تغفر لهم راجع إلى من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فيكون التقدير: أن تغفر لهم بعد ما تابوا عن ذلك فإنك غفور رحيم. قلت: لا يلائمه ما قبله وهو قوله: ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك**﴾. مع أن هذا الكلام يصدر عنه يوم القيامة، ولا يمكن تقدير التوبة هناك. ثم الجزاء في الآية إنما هو قوله: ﴿**فإنك أنت العزيز الحكيم**﴾. في كلام عيسى [عليه الصلاة والسلام]، وأما قوله: ﴿**فإنك غفور رحيم**﴾. جزاء للشرطية الواقعة في كلام إبراهيم: ﴿**ومن عصاني فإنك غفور رحيم**﴾. ثم قال: وعقبه بقوله: اللهم أمتي أمتي. ليبين لهم الفرق بين الشفاعتين ويبين ما بين المنزلتين. وفيه أن هذا البيان يحتاج إلى البرهان والتبيان فإن العرض بطريق الكناية أبلغ من التصريح بالدعاء كما هو مقرر عند أرباب الفناء والبقاء، وكذلك طريق التفويض والتسليم والرضا بالقضاء، ولا يظهر بيان للمدعي ولا تبيان للمعنى في قوله. وتحريره أن قوله: أمتي أمتي. متعلق بمحذوف، إما أن يقدر شفعني في أمتي وأرضني فيها، أو أمتي ارحمهم وأرضني بالشفاعة فيهم. والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام. قلت: يحتاج أيضاً هذا الكلام إلى توضيح المرام. قال: وهذا يدل على الجزم والقطع. قلت: الدعاء لا يكون بطريق القطع إذ لا حكم على الله سبحانه، فمآل الطريقين في الدعاء واحد وليس لهذا المقصد جاحد. قال: والتكرير لمزيد التقرير. قلت: قد تقدم وجوه أخر، والأظهر أنه من مستحبات

---

(١) في المخطوطة «لأمته».

رواه مسلم.

٥٥٧٨ ـ (١٣) وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربَّنا يوم القيامةِ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم، هل تُضَارّون

الدعاء فإن الإلحاح من العبد في المسألة لا ينافي الرضا بالقضاء. قال: ومن ثم أجيب في الحديث بقوله: إنا سنرضيك. حيث أتى بإن وضمير التعظيم وسين التأكيد ثم أتبعه بقوله: لا نسوءك. تقريراً بعد تقرير على الطرد والعكس. وفي التنزيل: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾** [الضحى ـ ٥]. زيد لام الابتداء على حرف الاستقبال، ولفظة ربك، وجمع بين حرفي التأكيد والتأخير فيكون المعنى: ولأنت سوف يعطيك ربك وإن تأخر العطاء وقوله: وربك أعلم. من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي أن يتوهم فهو كقوله: والله يعلم أنك لرسوله. في قوله تعالى: **﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾** [المنافقون ـ ١]. قال النووي [رحمه الله]: هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه في أمرهم، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة المرحومة بما وعده الله تعالى بقوله: سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، ومنها بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى. والحكمة في إرسال جبريل عليه [الصلاة]والسلام لسؤاله ﷺ إظهاراً لشرفه وأنه بالمحل الأعلى فيرضى ويكرم. **(رواه مسلم)** وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد.

٥٥٧٨ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ: نعم)** أي ترون ربنا، ذكر السيوطي [رحمه الله]في بعض تعاليقه(١) أن رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد من الرجال والنساء، حتى قيل للكافرين والمنافقين أيضاً ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة. وأقول: وفيه بحث لقوله تعالى: **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** [المطففين ـ ١٥]. ولقوله ﷺ على ما سيأتي: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله أتاهم رب العالمين، ولأن لذة النظر ولو مرة تنسي كل محنة وشدة بل يرتفع به كل حسرة، إذ من المعلوم أن النظر لا يوجد دائماً لأهل الجنة أيضاً. قال: وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة على أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة. وفي نساء هذه الأمة ثلاث مذاهب: لا يرين ويرين ويرين في مثل أيام الأعياد دون غيرها، وفي الملائكة قولان: لا يرون ربهم ويرونه، وفي الجن أيضاً خلاف. **(هل تضارون)** بضم التاء وفتحها مع تشديد الراء وتخفيفها. قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي: ففيه أربعة أوجه، لكن فيه نظر لأن ضم التاء مع التشديد ظاهر لأنه من باب المفاعلة مع احتمال بنائه للفاعل [أو]المفعول، وكذلك

الحديث رقم ٥٥٧٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٤ حديث رقم (٢٩٩ . ١٨٢).

(١) في المخطوطة «تأليفه».

في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤيةِ القمر ليلة البدر صحْواً ليس فيها سحاب؟». قالوا: لا، يا رسول الله! قال: «ما تضارّون في رؤية اللّهِ يومَ القيامةِ إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما. إذا كانَ يومُ القيامةِ أَذَّن مؤذِّنٌ لِيتَّبعْ كلُّ أمَّةٍ ما كانت تعبد فلا يبقىٰ أحدٌ كانَ يعبدُ غيرَ اللّهِ من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبدُ اللّهَ من بَرّ وفاجر، أتاهم رب العالمين قال: فماذا تنظرون؟

فتح التاء مع التشديد فإنه من باب التفاعل على حذف إحدى التائين وهو يتعين أن يكون بصيغة الفاعل. وأما ضم التاء مع تخفيف الراء فمبني على أنه للمجهول من ضاره يضيره أو يضوره على ما في القاموس بمعنى ضره. وأما فتح التاء مع الراء المخففة فلا وجه له بحسب القواعد العربية. والمعنى: هل تتدافعون وتتزاحمون ليحصل لكم ضرر. **(في رؤية الشمس بالظهيرة)** أي وقت انتصاف النهار **(صحواً)** أي حين لا سحاب ولا غبار من أصحت السماء إذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح. وفي القاموس: الصحو ذهاب الغيم. فقوله: **(ليس معها سحاب)** تأكيد، والمراد بالسحاب الحجاب أعم من أن يكون من جانب الرائي أو من جانب[1] المرئي، ثم أكد ثالثاً وأظهر مثالاً آخر بقوله: **(وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها)** أي في السماء بقرينة المقام وإن لم يجر لها ذكر أو في جهة رؤية القمر من السماء. **(سحاب)** أي مانع وحجاب **(قالوا: لا يا رسول الله. قال: ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة)** أريد به الموقف وما بعده من دخول الجنة **(إلا كما تضارون في رؤية أحدهما)** وفيه مبالغة وتعليق بالمحال، أي لو كان في رؤية أحدهما مضارة لكان في رؤيته مضارة. والتشبيه إنما هو لمجرد الظهور، وتحقق الرؤية مع التنزه عن صفات الحدوث من نحو المقابلة والجهة. ولعل ذكر الشمس والقمر للإشعار بأن رؤية الله حاصلة للمؤمنين في الليل والنهار على غاية من الظهور ونهاية من الأنوار، وإيماء إلى تفاوت التجلي الرباني بالنسبة إلى الأبرار. **(إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن)** أي نادى مناد **(ليتبع)** بتشديد التاء المفتوحة وكسر الموحدة، وفي نسخة بالسكون والفتح أي ليعقب. **(كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام)** بيان غير الله **(والأنصاب)** جمع نصب بفتح النون وضمها وسكون الصاد ويضمان وهي حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى ويذبحون عليها تقرباً إلى آلهتهم، وكل ما نصب واعتقد تعظيمة من الحجر والشجر فهو النصب. **(إلا يتساقطون في النار)** لأن الأنصاب والأصنام ملقاة فيها **(حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله)** أي وحده **(من بر)** أي مطيع صالح **(وعاص)** أي فاجر فاسق **(أتاهم رب العالمين)** أي أتاهم أمره كما أشار إليه بقوله: **(قال:)** أي الرب **(فماذا تنظرون)** أي تنتظرون. ويجوز أن يعبر بالإتيان عن التجليات الإلهية والتعريفات الربانية، بل قيل هو القول الحق وهو بالاعتبار أولى وأحق. وقيل: الإتيان هنا عبارة عن رؤيتهم إياه لأن من غاب عن غيره لا يمكن رؤيته إلا بعد الإتيان فعبر بالإتيان عن الرؤية مجازاً. وقيل: الإتيان

(١) في المخطوطة «جهة».

يَتَّبِعُ كل أمَّة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربَّنا فارَقْنا النَّاس في الدنيا أَفقر ما كنَّا إِليهم ولَم نُصاحبهم».

فعل من أفعال الله سبحانه سماه إتياناً وقيل: المراد إتيان بعض الملائكة، قال القاضي عياض [رحمه الله]: وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث أو يكون معناه: يأتيهم الله في صورة الملائكة مخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم، فإذا قال لهم الملك: أو هذه الصورة: أنا ربكم ورأوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه. وقيل: الرؤية حقيقة غير أنا لا نكيف ذلك. وقيل: كنه معرفتها إلى علم الله تعالى. وقال التوربشتي [رحمه الله]: إتيان الله في الكتاب مفسر بإتيان أمره وإتيان بأسه ولفظ التنزيل محتمل لكلا القولين. فأما هذا الحديث فإنه يؤول على إتيان أمره وهو قوله: فماذا تنظرون. ومن السلف من تنزه عن تأويله خشية الخطأ مع تمسكه بالعروة الوثقى وهي تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما تتحدث به النفوس من أوصاف الخَلق. قال الشيخ الإمام أبو الفتوح العجلي في كتاب الأقاويل المشهورة: قال البيهقي: قد تكلم الشيخ أبو سليمان الخطابي رحمه الله في تفسير هذا الحديث وتأويله بما فيه الكفاية، قال: إن هذا موضع يحتاج الكلام فيه إلى تأويل وتخريج وليس ذلك من أجل أنا ننكر رؤية الله سبحانه وتعالى: بل نثبتها ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر المجيء والإتيان، غير أنا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالاً كمجيء الأشخاص وإتيانها فإن ذلك من نعوت الحادث[1] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ويجب أن يعلم أن الرؤية التي هي ثواب الأولياء وكرامة لهم في الجنة غير هذه الرؤية المذكورة في مقامهم، واحتج بحديث صهيب في الرؤية يعني كما سيجيء في باب رؤية الله تعالى، وإنما تعرضهم لهذه الرؤية امتحان من الله تعالى لهم فيقع بها التمييز بين من عبد الله تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين مبعوده، وليس ننكر أن يكون الامتحان إذ ذاك بعد قائماً وحكمه على الخلق جارياً حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب أو العقاب ثم ينقطع إذا حقت الحقائق واستقرت أمور العباد قرارها، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾ [القلم ـ ٤٢]. وجاء في الحديث: أن المؤمنين يسجدون ويصير ظهور المنافقين طبقاً واحداً قال: ويخرج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليتيقنوه[2] فيكون معرفتهم له في الآخرة عياناً كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علماً واستدلالاً ويكون طريق الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه. ثم قوله: فماذا تنظرون، أي قلنا لكم ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فبعضكم اتبع ما عبده فلم أنتم أيضاً لا تتبعونه وهذا معنى قوله: (**يتبع كل أمة ما كانت تعبد**) فإن لفظه خبر ومعناه أمر (**قالوا: يا ربنا فارقنا الناس**) أي الذين عبدوا غير الله فضلاً عن أن نعبد ما سواه في الدنيا. والمعنى: ما اتبعناهم ما دمنا في الدنيا. (**أفقر ما كنا إليهم**) بالنصب على الظرفية، أي في أفقر أكواننا إلى الناس. (**ولم نصاحبهم**) أي في أفعالهم

---

(١) في المخطوطة «الحدث».
(٢) في المخطوطة «لينعتوه».

٥٥٧٩ ـ (١٤) وفي رواية أبي هريرةَ «فيقولون: هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاءَ ربُّنا عرفناه».

وفي رواية أبي سعيد: «فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقٍ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاءِ نفسِه إلا أذِنَ اللّٰهُ له بالسجودِ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل اللّٰهُ ظهره طبقةً واحدةً، كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه،

بل قاتلناهم وحاربناهم وعاديناهم وقاطعناهم لمرضاتك ورجاء لتجلياتك. وحاصله: إنا ما اتبعناهم حينئذ والأمر غيب عنا ونحن محتاجون إليهم فكيف نتبعهم الآن وقت العيان، إنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم. قال الطيبي [رحمه الله]: أفقر حال من ضمير فارقنا وما مصدرية والوقت مقدر. قال النووي [رحمه الله]: معناه أنهم تضرعوا إلى الله تعالى ولجأوا إليه وتوسلوا بهذا القول المشعر بالإخلاص إلى الخلاص يعني: ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك من الأقرباء وممن يحتاج إليهم في المعاش والمصالح الدنيوية، وهكذا كان دأب الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين في جميع الأزمان فإنهم كانوا يقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم إليه وآثروا رضا الله تعالى على ذلك.

٥٥٧٩ ـ **(وفي رواية أبي هريرة فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا)** أي يتجلى علينا بوجه نعرفه **(فإذا جاء ربنا)** أي على ما عرفناه من أنه منزه عن الصورة والكمية والكيفية والجهة وأمثالها **(عرفناه)** أي حق المعرفة. قيل: يشبه والله [تعالى]أعلم أن يكون إنما منعهم عن تحقق الرؤية في الكرة الأولى حتى قالوا: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المنافقين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما ميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه: أنت ربنا. وهذا معنى قوله. **(وفي رواية أبي سعيد فيقول: هل بينكم وبينه)** أي بين ربكم **(آية)** أي علامة **(تعرفونه)** أي بتلك الآية وهي المعرفة والمحبة التي هي نتيجة التوحيد وثمرة الإيمان والتصديق **(فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق)** بصيغة المجهول، وقيل على بناء الفاعل. قيل: معنى كشف الساق زوال الخوف والهول. **(فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه)** أي من نحوها وجهتها مخلصاً لا لجهة اتقاء الخلق وتعلق الرجاء بهم. **(إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء)** أي احتراساً من السيف أو خوفاً من الناس **(ورياء)** أي مراياة ومسامعة للخلق **(إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة)** وفي شرح مسلم للنووي [رحمه الله]قوله: طبقة واحدة، أي صفحة أي صار فقار ظهره واحدة كالصفحة. **(كلما أراد أن يسجد خر)** أي سقط **(على قفاه)** قال الشيخ [رحمه الله]: والذي يوضح ما ذكره الإمام أبو سليمان أن الدنيا وإن كانت دار ابتلاء فقد يتحقق الجزاء في بعض الأحوال كما قال تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ [الشورى ـ ٣٠]. فكذا الآخرة وإن كانت دار جزاء فقد يقع

الحديث رقم ٥٥٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٢٠. حديث رقم ٧٤٣٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٧ حديث رقم (٣٠٢ ـ ١٨٣). وأحمد في المسند ٢/ ٥٣٤.

ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلّم سلّم، فيمرُّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّمٌ، ومخدوّش مرسَلٌ، ومكدوس في نار جهنم،

بها الابتلاء، أي بالتجلي والسجود ونحوهما بدليل أن القبر هو أوّل منزل من منازل الآخرة يجري فيه الابتلاء. ثم قال: ولئن كان معنى الخبر هذا فذاك وإلا فمعناه ما أراد ﷺ مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة ومشابهة. وقال النووي [رحمه الله]: هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده وقد استدل بهذا وبقوله تعالى: ﴿**يدعون إلى السجود فلا يستطيعون**﴾ [القلم - ٤٢]. على [جواز] تكليف ما لا يطاق. أقول: الأظهر ما قال العسقلاني من أن التحقيق هو أن التكليف خاص بالدنيا وأمّا ما يقع في القبر وفي الموقف فإنما هو من آثار ذلك. قال النووي [رحمه الله]: وقد يتوهم من هذا الحديث أن المنافقين يرون الله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيهم المؤمنون والمنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحن بالسجود، فمن سجد كان مخلصاً ومن لم يقدر عليه كان منافقاً وهذا لا يدل على أن المنافقين يرون الله تعالى. (**ثم يضرب**) أي يجعل ويمد (**الجسر**) بكسر الجيم ويفتح. ففي القاموس: الجسر الذي يعبر عليه ويكسر. والمعنى موضع الصراط كما في رواية. (**على جهنم**) أي متنها أو وسطها (**وتحل الشفاعة**) بكسر الحاء ويضم أي تقع ويؤذن فيها (**فيقولون:**) أي الأنبياء والرسل بدليل حديث أبي هريرة بعد هذا (**اللهم سلم سلم**) تكراره مرتين المراد به الكثرة أو باعتبار كل واحد من أهل الشفاعة أو للإلحاح في الدعاء كما هو من آدابه، وهو أمر مخاطب أي يقول كل نبي: أمتي اللهم سلم أمتي من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين من آفاته آمنين من مخافاته. (**فيمر المؤمنون كطرف العين**) وفي المصابيح: كطرفة العين. قال شارح له: التاء للوحدة. يقال: طرف طرفاً إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. (**وكالبرق وكالريح وكالطير**) أي بحسب مقاماتهم وعلى قدر حالاتهم من أنواع الجذبة وقوّة الطيران وسرعة الجريان المعبر عنه بقوله: (**وكأجاويد الخيل**) هي جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الفارس السابق الجيد كذا في النهاية: فجواد نعت من جاد إذا أسرع في السير وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. وقوله: (**والركاب**) بكسر الراء عطف على الخيل، والمراد بها الإبل ولا واحد له من لفظه. (**فناج**) الفاء للتفريع أو التفصيل، وقد قسم المارة على الصراط بطريق الإجمال على ثلاث فرق بحسب مراتبهم في العقيدة والعمل والمعرفة. والمعنى: فمنهم ناج. (**مسلم**) بتشديد اللام المفتوحة، أي ينجو من العذاب ولا يناله مكروه من ذلك الباب. (**ومخدوش**) أي ومنهم مجروح (**مرسل**) أي مخلص. قال شارح: أي الذي يخدش بالكلوب فيرسل إلى النار من عصاة أهل الإيمان. وقوله: مرسل، أي مطلق من القيد والغل بعد أن عذبوا مدة. (**ومكدوس**) بالسين المهملة، أي ومنهم مدفوع. (**في نار جهنم**) يقال: كدس، إذا دفع من ورائه فسقط. وهم الذين لا منجى ولا ملجأ لهم المقضيون بالخلود عليهم كذا قاله شارح وهو غير صحيح لقوله [عليه الصلاة والسلام]: فيمر المؤمنون. اللهم إلا أن يقال قوله: فناج، عطف على قوله: فيمر. لا أنه تفريع له، والضمير في منهم المقدر راجع إلى جميع المارة على الجسر. وروي بالشين المعجمة من كدشه إذا

حتى إذا خَلَص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مُناشدةً في الحق ـ قد تبين لكم ـ من المؤمنين لله يومَ القيامةِ لإِخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنا! كانوا يصومون معنا، ويصلُّون، ويحجُّون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فَتُحرَّمُ صورُهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربَّنا! ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به،

ساقه سوقاً شديداً وخدشه وجرحه [و] طرده. وروي مكدوش أي ملقى في نار جهنم. قال النووي [رحمه الله]: مكدوس بالسين المهملة هكذا هو في الأصول وكذا نقله القاضي عياض عن أكثر الرواة. قال: ورواه العذري بالشين المعجمة، ومعناه بالمعجمة السوق الشديد، وبالمهملة كون الأشياء بعضها راكبة على بعض، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً. وفي النهاية: مكدوس في النار، أي جمعت يداه ورجلاه وألقي فيها. قال الطيبي [رحمه الله]: قسم المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق: قسم مسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم. وخدش الجلد قشره بعود. **(حتى إذا خلص)** بفتح اللام، أي نجا. **(المؤمنون من النار)** أي من وقوعهم فيها، فحتى غاية لمرور البعض على الصراط وسقوط البعض في النار. وقال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية قوله: مكدوس في نار جهنم، أي يبقى المكدوس في النار حتى يخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه أو بشفاعة أحد، أو بفضله سبحانه وضع المؤمنون موضع الراجع إلى المكدوس أشعار بالعلية وأن صفة الإِيمان منافية للخلود في النار. **(فوالذي نفسي بيده)** جواب إذا **(ما من أحد منكم)** خطاب للمؤمنين، وقوله: **(بأشد)** خبر ما وقوله: **(مناشدة)** منصوب على التمييز. أي أشد مطالبة ومناظرة. وقوله: **(في الحق)** ظرف للمناشدة. **(وقد تبين لكم)** صفة للحق لأنه في المعنى نكرة، أي في حق [قد] تبين [و] ظهر لكم على خصمكم أو حال أما من الضمير في أشد وإما من الحق. وقال شارح: حال من الحق والتقدير: ما من أحد منكم بأشد مناشدة في حال أن تبين لكم [الأمر] الحق. وقوله: **(من المؤمنين)** متعلق بأشد، أي بأشد مناشدة منكم فوضع المظهر موضع المضمر، وقوله: **(لله)** متعلق بمناشدة، وقوله: **(يوم القيامة)** ظرف أشد، أي يناشدون الله. **(لإخوانهم)** أي لأجل إخوانهم **(الذين في النار)** بالشفاعة من الجبار الغفار. قال النووي [رحمه الله]: معناه: ما منكم من أحد يناشد الله في الدنيا في استيفاء حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه والمعتدي عليه بأشد منكم مناشدة لله تعالى في الشفاعة لإخوانكم يوم القيامة. وقال شارح من علمائنا: معناه: ما من أحد منكم أكثر اجتهاداً ومبالغة في طلب الحق حين ظهر لكم الأمر الحق من المؤمنين في طلب خلاص إخوانهم العصاة في النار من النار يوم القيامة، ثم بين مناشدتهم بقوله: **(يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا)** أي موافقين لنا **(ويصلون)** أي صلاتنا **(ويحجون)** أي على طريقتنا **(فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم)** أي بهذه الأوصاف **(فتحرم)** بفتح الراء المشددة، أي فتمنع **(صورهم)** أي تغيرها **(على النار)** أي بأن تأكلها أو تسودها بحيث لا تعرف وجوههم فيعرفهم المؤمنون الشافعون بسيماهم. **(فيخرجون خلقاً كثيراً)** أي منها **(ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به)** أي بإخراجه من أرباب

فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفِ دينار من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجونَ خلْقاً كثيراً. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرَّة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربَّنا لم نذر فيها خيراً. فيقول اللّهُ: شَفَعتِ الملائكةُ، وشَفَعَ النبيُّونَ، وشَفَعَ المؤمنونَ، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمينَ، فيقبضُ قبضةً من النارِ فيُخرجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حُمَماً فيُلقيهم في نهرٍ في أفواهِ الجنةِ

الصيام والصلاة والحج (**فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار**) أي مقداره (**من خير فأخرجوه**) في شرح السنة قال القاضي عياض [رحمه الله]: قيل: معنى الخير هنا اليقين. قال: والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وإنما يكون هذا التجزؤ بشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من الشفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة. (**فيخرجوا خلقاً كثيراً. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً... ثم يقولون: ربنا لم نذر**) أي لم نترك (**فيها**) أي في جهنم (**خيراً**) أي أهل خير. قال الطيبي [رحمه الله]: أي من كان فيه شيء من ثمرات الإيمان من ازدياد اليقين أو العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات كما يوضع العدل موضعه مبالغة، أي فيقال رجل عدل وأريد به المعنى المصدري مبالغة على أن المعنى كأنه هو، بل هو هو مع أنه قد يقال: إن العدل مصدر بمعنى العادل، أو على تقدير مضاف أي صاحب عدل نحو قوله: ﴿**واسئل القرية**﴾ [يوسف ـ ٨٢] . والله [تعالى] أعلم. (**فيقول الله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق**) أي أحد ممن يرحم على أحد (**إلا أرحم الراحمين**) أي الذي رحمته وسعت كل شيء وإن رحمة كل أحد في جنب أثر رحمته كلا شيء. (**فيقبض قبضة**) أي ما يسع الكف (**من النار**) أي من أهلها (**فيخرج**) أي الله (**منها**) أي من النار أو من جهة تلك القبضة (**قوماً لم يعملوا خيراً قط**) أي ليس لهم خير زائد على مجرد الإيمان. قال النووي: هم الذي معهم مجرد الإيمان ولم يؤذن فيهم بالشفاعة، وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان. [وفيه دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب بالرحمة وصحبته نية وعلى زيادة الإيمان] ونقصانه وهو مذهب أهل السنة. قلت: المحققون منهم على أن التصديق الذي هو الإيمان على التحقيق لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما التفاوت في أنواره وثمراته ونتائجه من حقائق الإيقان ودقائق العرفان ومراتب الإحسان ومنازل العرفان والله [تعالى] أعلم. (**قد عادوا**) الجملة صفة أو حال والمعنى صاروا (**حمماً**) بضم ففتح جمع حممة وهي الفحم. (**فيلقيهم**) أي يأمر الله بإلقائهم أو يلقيهم بلا واسطة (**في نهر**) بفتح الهاء ويسكن، أي جدول ماء كائن. (**في أفواه الجنة**) أي في أوائلها وهو جمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها كذا ذكره الطيبي [رحمه الله] . ويمكن أن يكون الأفواه كناية عن أبواب الجنة وهو الملائم لدخولهم إياها

يُقال له: نهرُ الحياةِ، فيخرجونَ كما تخرجُ الحِبَّةُ في حميلِ السَّيل، فيخرجونَ كاللؤلؤِ، في رقابهمُ الخواتمُ، فيقول أهلُ الجنةِ: هؤلاءِ عُتقاءُ الرحمٰنِ، أدخلَهمُ الجنةَ بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموهُ، فيُقالُ لهم: لكم ما رأيتم ومثلُه معه». متفق عليه.

٥٥٨٠ ـ (١٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النارِ النارَ يقولُ اللَّهُ تعالى: مَن كانَ في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوهُ،

على أحسن الهيئة. **(يقال له)** أي لذلك النهر **(نهر الحياة. فيخرجون)** أي من النهر **(كما تخرج الحبة)** بكسر الحاء فتشديد الموحدة **(في حميل السيل)** بفتح الحاء وكسر الميم أي محمولة. ففي شرح السنة: الحبة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول التي تنتشر إذا هاجت ثم إذا مطرت من قابل نبتت، [و] قال الكسائي: هي حب الرياحين فأما الحنطة ونحوها فهي الحب لا غير والحبة من الحب فبالفتح وحميل السيل هو ما يحمله السيل من غثاء أو طين فإذا اتفق فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة وهي أسرع نابتة نباتاً. قال النووي [رحمه الله]: وإنما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها انتهى. فالتشبيه في سرعة الظهور. وقال شارح: الحبة بالكسر بذور الصحراء مما ليس بقوت. وقال العسقلاني: الحبة بالكسر بذر الصحراء والجمع حبب، وأما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس والجمع حبوب. **(فيخرجون كاللؤلؤ)**. أي في البياض والصفاء **(في رقابهم الخواتيم)** جمع الخاتم والجمع لمقابلة الجمع بالجمع، والمراد هنا علامة تظهر في رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح كذا قاله شارح. وقال صاحب التحرير: المراد بالخواتيم هنا أشياء من ذهب أو غيره تعلق في أعناقهم يعرفون بها. **(فيقول أهل الجنة:)** أي حين رأوهم وظهر لهم تلك العلامة **(هؤلاء عتقاء الرحمٰن أدخلهم)** أي الله كما في نسخة **(الجنة بغير عمل)** أي عملوه على ما في نسخة صحيحة **(ولا خير)** أي من عمل باطن **(قدموه فيقال لهم: لكم)** الخطاب للعتقاء أي لكم **(ما رأيتم)** أي مقدار مد بصركم من الجنة **(ومثله معه)** أو لكم ما رأيتم مما جاء في نظركم ومثله معه من الحور العين والقصور. وقال الطيبي [رحمه الله تعالى]: فيه حذف، أي فينظرون في الجنة إلى أشياء ينتهي مد بصرهم إليها فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه. أقول: وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ [الرحمن ـ ٤٦] . أي جنة ظاهرة وجنة باطنة، أو جنة من جهة العدل وجنة من طريق الفضل. **(متفق عليه)**.

٥٥٨٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى:)** أي للأنبياء أو لغيرهم من الشفعاء أو للملائكة وهو الأظهر لما سيأتي مصرحاً في رواية أبي هريرة. **(من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجوه)** أي من النار. قيل: بهذا الحديث يظهر أن من أخرجهم الرحمٰن بقبضة كانوا

الحديث رقم ٥٥٨٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٦. حديث رقم ٦٥٦٠ ومسلم في صحيحه ١/ ١٧٢ حديث رقم (٣٠٤ . ١٨٤).

فيخرجونَ قدِ امتحشوا، وعادوا حمماً، فيُلقون في نهرِ الحياةِ، فينبتونَ كما تنبُتُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيلِ، ألم ترَوْا أنَّها تخرُجُ صفراءَ مُلتَوِيةً». متفق عليه.

٥٥٨١ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، أن الناس قالوا: يا رسولَ الله! هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فذكر معنى حديثِ أبي سعيدٍ غيرَ كشفِ السَّاقِ، وقال: «يُضربُ الصِّراطُ بينَ ظَهرانَيْ جهنمَ، فأكونُ أوَّلَ من يَجوزُ من الرُّسلِ بأمَّته، ولا يتكلَّمُ يومئذٍ إلا الرسلُ، وكلامُ الرُّسلِ يومئذٍ: اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ».

مؤمنين بلا خير وعمل زائد على الإيمان دون الكفار كما يوهمه ظاهر العبارة هناك فإنه مخالف للإجماع. (**فيخرجون**) بصيغة المجهول (**قد امتحشوا**) على بناء الفاعل أي احترقوا والجملة حالية، وقيل بالمفعول فكأنه جعل متعدياً بمعنى المحش [على حذف الزوائد] وهو إحراق النار الجلد. وفي النهاية: المحش إحراق الجلد وظهور العظم. وفي القاموس: امتحش احترق. وقال العسقلاني: امتحشوا احترقوا وزنا. معنى، وعند بعضهم بضم المثناة وكسر الحاء ولا يعرف في اللغة امتحشه متعدياً[(١)] وإنما سمع لازماً مطاوع محشه. وقال النووي [رحمه الله]: هو بفتح التاء والحاء المهملة والشين المعجمة هكذا هو في الروايات وبه ضبط الخطابي والهروي ونقله القاضي عياض [رحمه الله] عن شيوخه ومعناه احترقوا. قال القاضي: ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء[(٢)]. (**وعادوا حمماً فيلقون في نهر الحياة فينبتون**) أي تعود أبدانهم إليهم (**كما تنبت الحبة في حميل السيل. ألم تروا**) أي ألم تبصروا أو ألم تعلموا (**أنها**) أي الحبة (**تخرج**) أي أوّلاً (**صفراء**) أي خضراء (**ملتوية**) أي ملفوفة مجتمعة[(٣)]، وقيل منحنية. (**متفق عليه**).

٥٥٨١ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر**) أي أبو هريرة (**معنى حديث أبي سعيد**) أي الذي مر قبيل ذلك (**غير كشف الساق وقال:**) أي النبي ﷺ، أو أبو هريرة مرفوعاً. (**يضرب الصراط**) أي يمد (**بين ظهراني جهنم**) أي بين طرفيها فيوافق رواية على متنها وظهرها وفوقها. (**فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته**) الباء للتعدية أي من يجاوزهم عنها. (**ولا يتكلم يومئذ**) أي في ذلك المقام (**إلا الرسل**) قال ابن الملك: أراد بقوله: يومئذ، وقت جواز الصراط وإنما فسرناه بهذا لأن ثمة مواطن لا يتكلم فيها الناس. قلت: لقوله: ﴿**هذا يوم لا ينطقون**﴾ [المرسلات ـ ٣٥]. ولكن هناك مواقف يتكلم فيها عموم الناس أيضاً، فالحصر يفيد التقييد بحينئذ. (**وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم.**)

---

(١) في المخطوطة «ومتعدياً». (٢) في المخطوطة زيادة كلمة: «وقد».

(٣) وقع تقديم وتأخير في المخطوطة.

الحديث رقم ٥٥٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٤٤. حديث رقم ٦٥٧٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٣ حديث رقم (٢٩٩ . ١٨٢). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٠ حديث رقم ٤٢٨٠. وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٣.

وفي جهنَمَ كلاليب مثلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، لا يعلمُ قدْرَ عظَمِها إلا اللَّهُ، تخطفُ النَّاسَ بأعمالِهم، فمنهم من يُوبَقُ بعملِه، ومنهم مَن يُخردَلُ ثُمَّ ينجو، حتى إذا فرغَ اللَّهُ مِنَ القضاءِ بينَ عبادِه وأرادَ أن يخرجَ مِنَ النَّارِ من أرادَ أن يُخرجَه ممَّن كانَ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهَ، أمرَ الملائكة أنْ يُخرِجوا مَن كان يعبدُ اللَّهَ، فيُخرجونَهم ويعرفونهم بآثارِ السُّجودِ، وحرَّم اللَّهُ تعالى على النارِ أن تأكلَ أثر السجودِ، فكلُّ ابنِ آدمَ تأكلُه النَّارُ إلا أثرَ السجودِ،

كرر للتأكيد **(وفي جهنم)** أي في أطرافها **(كلاليب)** بلا صرف لكونه على صيغة منتهى الجموع جمع كلاب بالضم أو كلوب بالفتح وبتشديد اللام فيهما، وهي حديدة معوجة الرأس يخطف بها أو يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور، أو عود في رأسه اعوجاج يجر بها الجمر. **(مثل شوك السعدان)** بفتح فسكون وهو نبت له شوك عظيم. ويقال لشوكه(١) حسك السعدان ويشبه حلمة الثدي. **(لا يعلم قدر عظمها)** بكسر ففتح، أي عظمة تلك الكلاليب. **(إلا الله. تخطف)** أي تأخذ الكلاليب بسرعة، والطاء مفتوحة، وروي بكسرها والأولى هي الأولى لموافقة القرآن الذي هو اللغة الفصحى. وقال النووي [رحمه الله]: يروى بفتح الطاء وكسرها، أي تخطف. **(الناس بأعمالهم)** أي بسبب أعمالهم القبيحة أو بحسب أعمالهم السيئة. **(فمنهم)** أي من الناس أو من العصاة أو من المخطوفين **(من يوبق)** أي يهلك ويحبس **(بعمله)** أي القبيح من وبق أي هلك وأوبقه غيره. ففي النهاية: وبق يبق ويوبق فهو وبق إذا هلك وأوبقه غيره فهو موبق أي مهلك. **(ومنهم من يخردل)** بالدال المهملة على صيغة المجهول، أي يصرع أو يقطع قطعاً كالخردلة. ففي النهاية: المخردل المقطع تقطعه(٢) كلاليب الصراط حتى يهوي في النار. يقال: خردلت اللحم بالدال والذال، أي فصلت أعضاءه وقطعتها. قال ابن الملك [رحمه الله]: وقيل: يقطع الكلاليب لحمه على الصراط ويخرج أعضاؤه. **(ثم ينجو)** أي من الوقوع في النار، فالكافر يوبق والفاسق يخردل ثم يتخلص. **(حتى إذا فرغ الله من القضاء)** أي من الحكم بين عباده بما يستحق كل من جزاء(٣) عمله **(وأراد أن يخرج من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله)** أي يوحده أو يعرفه بالوحدانية أو يعبده على نعت التوحيد. **(فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود)** قال تعالى: **﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾** [الفتح ـ ٢٩]. **(وحرم الله على النار)** أي منعها **(أن تأكل أثر السجود)** أي من وجوههم أو جباههم. قال النووي [رحمه الله]: ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان. وقال القاضي عياض [رحمه الله]: المراد بأثر السجود الجبهة خاصة والمختار الأوّل. قلت: ويؤيد الثاني ما سبق من القرآن وما في رواية مسلم إلاّ دارة الوجه وهو المتبادر مما تقدم فتحرم صورهم على النار فهو المعول. **(فكل ابن آدم)** أي آثار أفعاله من أعضائه **(تأكله النار إلا أثر السجود)** وهذا تأكيد

---

(١) في المخطوطة «الشوك».
(٢) في المخطوطة «لقطعاه».
(٣) في المخطوطة «أجزاء».

فيخرجونَ من النارِ قدِ امْتحشوا، فيصبُّ عليهم ماء الحياةِ، فينبُتونَ كما تنبتُ الحِبَّةُ في حمِيلِ السَّيل، ويبقى رجلٌ بينَ الجنَّةِ والنارِ، وهو آخرُ أهلِ النارِ دُخولاً الجنةَ، مُقبلٌ بوجهِهِ قِبَلَ النارِ، فيقول: يا ربِّ! اصرِفْ وجْهي عن النار، قد قَشَبني ريحُها، وأحرقَني ذكاؤها. فيقولُ: هل عسَيتَ إن أفعلْ ذلك أنْ تسأل غيرَ ذلكَ؟ فيقول: لا وعزَّتكَ، فيُعطي اللّهَ ما شاءَ اللّهُ منْ عهدٍ وميثاقٍ، فيَصرفُ اللّهُ وجهَه عن النارِ، فإذا أقبلَ به على الجنةِ ورأى بهجتَها، سكتَ

لما قبله (**فيخرجون من النار قد امتحشوا**) أي احترقوا وقد سبق (**فيصب عليهم ماء الحياة**) وقد مر أنهم يلقون في نهر الحياة، ولعل الاختلاف باختلاف الأشخاص. (**فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل**) أي محموله (**ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً**) تمييز (**الجنة**) بالنصب على أنه مفعول الدخول. (**مقبل**) خبر آخر[1] أو خبر مبتدأ آخر هو مقدر، أي متوجه. (**بوجهه قبل النار**) بكسر القاف وفتح الباء، أي إلى جهتها. (**فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار**) أي رده عنها (**وقد قشبني**) بفتح القاف والشين المعجمة والموحدة، أي آذاني وأهلكني. (**ريحها**) وقيل: سمني وأهلكني من القشيب وهو السم المهلك. وفي المقدمة: أي ملأ خياشيمي، والقشب السم ويطلق على الإصابة بكل مكروه. وقال الداودي: معناه: غير جلدي وصورتي. (**وأحرقني ذكاؤها**) بفتح المعجمة والمد وفي نسخة صحيحة ذكاها بالقصر. قال النووي [رحمه الله]: هو بالمد وفتح الذال المعجمة كذا وقع في جميع روايات الحديث، أي لهبها واشتعالها وشدة وهجها. والأشهر في اللغة مقصورة. وقيل: إن القصر والمد لغتان. (**فيقول:**) أي الرب (**هل عسيت**) أي يتوقع منك (**إن أفعل ذلك**) أي بك، والإشارة إلى صرف الوجه والجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى وخبرها وهو قوله: (**أن تسأل غير ذلك**) والمعنى هل يتوقع منك بعد حصول ذلك سؤال غيره. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف يصح هذا من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون. قلت: معناه أنكم يا بني آدم لما عهد منكم من رخاوة الوعد ونقض العهد أحقاء بأن يقال لكم يا هؤلاء ما ترون[2] هل يتوقع منكم ذلك أم لا. وحاصله أن معنى عسى راجع إلى المخاطب لا إلى الله تعالى وهو من باب إرخاء العنان وبعث المخاطب على التفكر في أمره وشأنه لينصف من نفسه ويذعن للحق. (**فيقول: لا**) أي لا أسألك غير ذلك (**وعزتك**) لا أسأل غير ذلك (**فيعطي**) أي الرجل (**الله ما شاء الله**) مفعول ثان ليعطي، أي ما قدره وقضاه أو ما أراده من عهد وميثاق أي قسم يوثق العهد به ويؤكد. (**فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل**) بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المفعول به أي بوجهه. (**على الجنة رأى بهجتها**) أي حسنها (**وكثرة خيرها سكت**) كذا في الأصول بلا عاطف في الفعلين هنا. والظاهر أن يكون أحدهما جواب إذا والآخر عطف على الشرط والجزاء. ولعل توجيهه أن قوله: رأى بهجتها. جملة حالية على مذهب من يجوزه،

---

(١) في المخطوطة عبارة «عطف على آخر». (٢) في المخطوطة «تدرون».

ما شاءَ اللَّهُ أن يسكتَ، ثمَّ قال: يا ربِّ! قدِّمني عند بابِ الجنةِ، فيقول اللَّهُ تباركَ وتعالى: أليسَ قد أعطيتَ العهودَ والميثاقَ أن لا تسأل غير الذي كنتَ سألتَ. فيقول: يا ربِّ! لا أكونُ أشقى خلقكَ. فيقول: فما عسيت إن أُعطِيتَ ذلكَ أن تسألَ غيرَه. فيقول: لا وعزَّتِكَ لا أسألُكَ غيرَ ذلكَ، فيُعطي ربَّه ما شاءَ من عهد وميثاقٍ، فيُقدمُه إلى بابِ الجنةِ، فإذا بلغَ بابَها فرأى زهرتَها وما فيها من النَّضرةِ والسرور، فسكتَ ما شاءَ اللَّهُ أن يسكتَ، فيقول: يا ربِّ! أَدخلني الجنَّةَ فيقول اللَّهُ تباركَ وتعالى: ويلكَ يا ابنَ آدمَ! ما أغدرَكَ! أليسَ قد أعطيتَ

ولفظ المشارق: فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت. **(ما شاء الله أن يسكت)** أي سكوته **(ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة)** أي إلى بابها كما سيأتي ويمكن أن يكون الظرف حالاً مقدرة **(فيقول الله تبارك وتعالى: أليس)** أي الشأن **(قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك)** أي لا تجعلني أشقاهم. والمراد بالشقاوة هنا الحرمان، أي لا أكون محروماً. **(فيقول:)** أي الرب **(فما عسيت)** ما استفهامية، أي فهل عسيت. **(إن أعطيت ذلك)** بصيغة المجهول **(أن تسأل غيره)** أي غير ذلك **(فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك)** تأكيد وبيان لقوله: لا. قبل ذلك. وفي نسخة صحيحة: لا أسأل غير ذلك. **(فيعطي)** أي الرجل **(ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه)** أي الله **(إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها)** بفتح الزاي، أي طيب عيش من فيها والزهرة البياض وزهرة الدنيا نضارتها. **(وما فيها من النضرة)** أي الحسن والرونق **(والسرور)** أي الفرح بما فيها من الدور والقصور وكثرة الحور والتنعم بالحبور. **(فسكت ما شاء الله أن يسكت)** بالفاء هنا على ما في جميع نسخ المشكاة، قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فسكت. كذا في صحيح البخاري وأكثر نسخ المصابيح، فعلى هذا جواب إذا محذوف، والمعنى: إذا رأى ما رأى تحير فسكت، ونظيره قوله تعالى: **﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها﴾** [الزمر - ٧٣]. انتهى. وقيل: الواو زائدة وتسمى واو الثمانية نحو قوله تعالى: **﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾** [الكهف - ٢٢]. وقال أبو البقاء [رحمه الله]: الواو زائدة عند قوم لأن الكلام جواب حتى إذا وليست زائدة عند المحققين والجواب محذوف تقديره: اطمأنوا، أو نحو ذلك، **(فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى: ويلك يا ابن آدم)** قال شارح: ويلك منصوب على المصدر لا غير إن أضيف وإن لم يضف يرفع على الابتداء وينصب بإضمار الفعل مثل: ويل لزيد وويلا لزيد، أي أهلك الله إهلاكاً أو هلكت هلاكاً. **(ما أغدرك)** بالغين المعجمة والدال المهملة وما فيه للتعجب، أي يستحق أن يتعجب منك بكثرة غدرك في عهودك بأن لا تسأل غيره[1]. ويجوز أن يكون ما للاستفهام والهمزة للصيرورة، أي أيّ شيء صيرك غادرا في عهودك. وفي نسخة بالعين المهملة والذال المعجمة، أي أي شيء جعلك في هذا السؤال معذوراً. **(أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت)**. بصيغة

---

(١) في المخطوطة «ميرك».

العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذي أُعطِيتَ. فيقول: يا ربِّ! لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزالُ يدعو حتى يضحكَ اللَّهُ منه، فإذا ضحكَ أذنَ له في دخول الجنةِ. فيقولُ: تمنَّ، فيتمنَّى حتى إذا انقطعتْ أُمنِيَّتُه قال اللَّهُ تعالى: تمَنَّ مِنْ كذا وكذا، أقبلَ يذكِّره ربُّه، حتى إذا انتهتْ به الأماني قال اللَّهُ: لكَ ذلكَ ومثلُه معَه».

وفي رواية أبي سعيدٍ: «قال اللَّهُ: لكَ ذلكَ وعشرةُ أمثالِه». متفق عليه.

٥٥٨٢ ـ (١٧) وعن ابن مسعودٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «آخرُ من يدخلُ الجنةَ رجلٌ، يمشي مرةً

المجهول (**فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك**) قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف طابق هذا الجواب قوله: أليس قد أعطيت العهود والميثاق. قلت: كأنه قال: يا رب بلى أعطيت العهود والميثاق ولكن تأملت في كرمك وعفوك ورحمتك وقولك ﴿**لا تيأسوا من روح الله أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ [يوسف ـ ٨٧]، فوقفت على أني لست من الكفار الذين أيسوا من رحمتك وطمعت في كرمك وسعة رحمتك فسألت ذلك. فكأنه تعالى رضي عنه بهذا القول فضحك انتهى. وهذا معنى قوله: (**فلا يزال يدعو حتى يضحك الله**) أي يرضى (**منه**) أي من أجله وسبب كلامه ودعائه (**فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول: تمن**) أمر مخاطب (**فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته**) بضم همز وتشديد تحتية، أي مطلوبة ومتمناه. (**قال الله تعالى: تمن من كذا وكذا**) قال المظهر: من فيه للبيان يعني: تمن من كل جنس ما تشتهي منه. قال الطيبي [رحمه الله]: ونحوه: ﴿**يغفر لكم من ذنوبكم**﴾ [الأحقاف ـ ٣١]. ويحتمل أن تكون[1] من زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش. وقوله: (**أقبل يذكره ربه**) بدل من الجملة السابقة على سبيل البيان وربه يتنازع فيه العاملان انتهى. وأقبل بمعنى شرع ويذكره بتشديد الكاف، أي يلهمه ويلقنه ربه بما ينبغي أن يسأله فيتمنى. (**حتى إذا انتهت به الأماني**) أي انقطعت ولم تبق له أمنية (**قال الله: لك ذلك**) أي مسؤولك ومأمولك (**ومثله معه**) أي تفضلا عليك. (**وفي رواية أبي سعيد قال: الله: لك ذلك**) أي ما تمنيت (**وعشرة أمثاله**) أي في الكيفية وإن كان مثله في الكمية، وبهذا يرتفع التدافع ويندفع التمانع والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (**متفق عليه**).

٥٥٨٢ ـ (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة**) قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء يجوز أن تكون تفصيلية أبهم أولاد دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخولها ثانياً وأن تكون لتعقيب الأخبار وأن تقدم ما بعدها على ما قبلها في

---

(١) في المخطوطة «يكون».

الحديث رقم ٥٥٨٢: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٩٤. حديث رقم (٣١٠ . ١٨٧) والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٩ حديث رقم ٢٧٧٧. وأحمد في المسند ١/ ٤١١.

ويكبو مرةً وتسفعُه النارُ مرةً، فإذا جاوزَها التفتَ إليها فقال: تبارك الذي نجّاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأوّلين والآخرين، فتُرفع له شجرةٌ فيقول: أي ربِّ! أدنني من هذه الشجرة فلأستظِل بظلّها وأشرب من مائها، فيقول الله: يا ابن آدم! لعلي إن أَعطيتُكَها سألتني غيرَها؟ فيقول: لا يا ربِّ! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربُّه يعذره لأنَّه يرَى ما لا صبر له عليه، فيُدْنيه منها، فيستظل بظلّها، ويشرب من مائها، ثمَّ ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي ربِّ أدنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها، وأستظل

الوجود فوقعت موقع ثم في المعنى كأنه قيل: أخبركم عقيب هذا القول حاله فهو يمشي قبل دخوله في الجنة مرة. **(ويكبو)** بضم الموحدة أي يقف. وقيل: يسقط لوجهه. **(مرة)** أي أخرى **(وتسعفه النار)** بفتح الفاء أي تحرقه **(مرة)** أو تجعل عليه علامة من سواد الوجه وزرقة العين يقال: سفع من النار، أي علامة منها وسفعت الشيء إذا جعلت عليه علامة. قال ابن الملك: أي تلفحه لفحاً يسيراً فيتغير لون بشرته. وقيل: أي تعلمه علامة أي أثراً منها. وفي القاموس: لفحت النار بحرها أحرقت وسفع الشيء كمنعه أعلمه ووسمه والسموم وجهه لفحه لفحاً يسيراً. **(فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك)** أي تعظم وتعالى أو تكاثر خير[ه] **(الذي نجاني منك)** هذا فرح بما أعطاه من النجاة. وقوله: **(لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين)** جواب قسم محذوف، أقسم من الفرح أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين. ولعل وجهه أنه ما رأى أحداً مشاركاً له في خروجه من النار ولم يدر أن الأبرار في نعيم دار القرار. **(فترفع له شجرة)** أي عندها عين ماء لما سيأتي. **(فيقول: أي رب)** وأي في الأصل لنداء القريب وبابه. ويا للبعيد فتارة ينظر إلى قرب الرب من العبد كما قال سبحانه [وتعالى]: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** [ق - ١٦] . وتارة يراعي بعد العبد من الرب كما قيل: يا للتراب ورب الأرباب. **(أدنني)** أمر من الإدناء، أي قربني. **(من هذه الشجرة فلأستظل)** بكسر اللام الأولى ونصب الفعل. قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء سببية واللام مزيدة أو بالعكس، يعني والفاء مزيدة واللام للعلة، ففيه مسامحة لا تخفى، ثم في الكلام تجريد، والمعنى: لأنتفع. **(بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها)** أي مسألتك أو أمنيتك **(سألتني غيرها)** هو جواب الشرط وهو دال على خبر لعل. **(فيقول: لا يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره)** بفتح الياء ويضم، أي يجعله معذوراً. وفي النهاية: وقد يكون أعذر بمعنى جعله موضع العذر. وفي المشارق: عذرته وأعذرته أي قبلت عذره، وفي المصباح: عذرته فيما صنع عذراً من باب ضرب، رفعت عنه اللوم فهو معذور، وأعذرته بالألف لغة واعتذر أي طلب قبول معذرته، واعتذر عن فعله أظهر عذره. **(لأنه)** أي العبد **(يرى ما لا صبر له عليه)** كذا في الأصول في المرتين الأوليين وكذا في الثالثة في بعض الأصول، وفي أكثرها عليها بتأويل ما بنعمة وعلى بمعنى عن كذا في شرح مسلم للنووي، وقرره السيوطي في حاشية على مسلم. **(فيدنيه منها)** أي فيقربه من الشجرة **(فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة)** أي أخرى هي **(أحسن من الأولى)** لأنه أراد له الترقي من الأدنى إلى الأعلى **(فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها وأستظل**

بظلّها لا أسألكَ غيرها. فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهِدْني أن لا تسألني غيرها؟! فيقول: لعلي إن أدنيتُك منها تسألني غيرَها؟ فيُعَاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيهِ منها فيستظلُّ بظلّها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرةٌ عند بابِ الجنةِ هي أحسنُ من الأوليَين، فيقول: أي ربِّ! أدْنِني من هذهِ فلأستظلَّ بظلّها وأشربْ من مائها، لا أسألكَ غيرَها. فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهِدْني أن لا تسألني غَيرَها؟! قال: بلى يا ربِّ! هذه لا أسألكَ غيرَها، وربه يعذِره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدْنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصواتَ أهل الجنّة، فيقولُ: أي ربِّ! أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم! ما يصريني منك؟

بظلها) الواو لمطلق الجمع لأن الظاهر أن الاستراحة بظلها قبل الشرب من مائها. **(لا أسألك غيرها)** قال الطيبي [رحمه الله]: هو حال تنازع فيه أستظل وأشرب **(فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. فيقول:)** أي الرب **(لعلي إن أدنيتك منها تسألني)** بالرفع، أي تطلب مني. **(غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة)** أي ثالثة **(عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين. فيقول: أي رب أدنني من هذه فلأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. قال: بلى يا رب هذه)** منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده أي هذه أسألك **(لا أسألك غيرها)** حال أو استئناف **(وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه)** وفي بعض النسخ: عليها، وقد سبق الكلام عليهما. **(فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة)** أي في مصاحبتهم مع أزواجهم ومجاورتهم مع أصحابهم فأراد الاستئناس بهم أو في غنائهم فأراد التقرب ليتلذذ بأنغامهم. **(فيقول: يا رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك)** بفتح الياء وسكون الصاد المهملة. قال صاحب النهاية: وفي رواية: ما يصريك مني، أي ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي. يقال: صريت الشيء إذا قطعته وصريت الماء جمعته وحبسته انتهى. والمعنى: قد كررت سؤالك مع معاهدتك أن لا تسأل فماذا يقطع سؤالك عني ويرضيك. قال التوربشتي: صري عنه شره أي دفع، وصريته منعته وصريت ما بينهم صرياً أي فصلت. يقال: اختصمنا إلى الحاكم فصرى ما بيننا، أي قطع ما بيننا وفصل. وحسن أن يقال: ما يفصل بيني وبينك، أي ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك. والمعنى: إني أجبتك إلى مسألتك كرة بعد أخرى وأخذت ميثاقك أن لا تعود ولا تسأل غيره وأنت لا تفي بذلك، فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية. ويكون على وجه المجاز والاتساع، والمبتغى منه التوفيق على فضل الله ورحمته وكرمه وبره بعباده حتى أنه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سائله على الاستزادة. قال: وفي كتاب المصابيح: ما يصريني منك. وهو غلط والصواب: ما يصريك مني. كذا رواه المتقنون من أهل الرواية. قال المظهر: يمكن أن يحمل على القلب فأصله ما يصريك مني وقلب للعلم به والقلب في كلامهم شائع ذائع في استعمالهم. قال الطيبي [رحمه الله]: الرواية صحيحة والمعنى صحيح على سبيل

أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. قال: أي ربِّ! أتستهزىء مني وأنت ربّ العالمين؟» فضحك ابنُ مسعودٍ، فقال: ألا تسألونيّ ممَّ أضحك؟ فقالوا: ممَّ تضحكُ؟ فقال: هكذا ضحكَ رسولُ الله ﷺ. فقالوا: ممَّ تضحكُ يا رسول الله؟ قال: «من ضحك ربّ العالمين حين قال: أتستهزىء مني وأنت ربُّ العالمين؟

الكناية. قال النووي: ما يصريني منك بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة كذا في صحيح مسلم. وروي في غير مسلم: ما يصريك مني. قال إبراهيم الحربي [رحمه الله]: هو الصواب وأنكر الرواية التي في صحيح مسلم [رحمه الله] وغيره، وليس كما قال بل كلاهما صحيح وإن السائل متى انقطع عن المسؤول انقطع المسؤول عنه. والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك. **(أيرضيك أن أعطيك الدنيا)** [أي قدرها] **(ومثلها معها. قال: أي رب أتستهزىء مني)** أي أتحلني محل المستهزأ به **(وأنت رب العالمين)** والجملة حالية، والاستهزاء بالشيء إذا أسند إلى الله تعالى يراد إنزال الهوان عليه وإحلاله إياه محل المستهزأ به كذا ذكره شارح. وقال في شرح مسلم للنووي: هذا وارد من السؤال على سبيل الفرح والاستبشار. قال القاضي عياض: هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما نال من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشة وفرحاً. وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخاوق ونحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح: «أنت عبدي وأنا ربك» انتهى. وتوضيحه ما ذكره ابن الملك أن قيل كيف صدر منه هذا القول بعد كشف الغطاء واستواء العالم والجاهل في معرفة الله [تعالى] فيما يجوز على الله وما لا يجوز. قلنا: مثابة هذا العالم مثابة العالم العارف الذي يستولي عليه الفرح بما آتاه الله فيزل لسانه من شدة الفرح، كما أخطأ في القول من ضلت راحلته بأرض فلاة عليها طعامه وشرابه فأيس منها ثم بعدما وجدها وأخذ بخطامها قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك[(١)]. **(فضحك ابن مسعود فقال: ألا)** بالتخفيف **(تسألوني)** بتشديد النون وتخفف[(٢)]. **(مم أضحك)** أي من أي شيء أضحك **(فقالوا: مم تضحك. فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله. قال: من ضحك رب العالمين حين قال له: أتستهزىء مني وأنت رب العالمين)** قال التوربشتي [رحمه الله]: الضحك من الله ومن رسوله ﷺ وإن كانا متفقين في اللفظ فإنهما متباينان في المعنى، وذلك أن الضحك من الله سبحانه يحمل على كمال الرضا عن[(٣)] العبد وإرادة الخير ممن يشاء من عباده أن يرحمه. وقال القاضي [رحمه الله]: وإنما ضحك رسول الله ﷺ استعجاباً وسروراً بما رأى من كمال رحمة الله ولطفه على عبده المذنب وكمال الرضا عنه. وأما ضحك ابن مسعود فكان اقتداء بسنة رسول الله ﷺ لقوله: هكذا ضحك رسول الله ﷺ. قلت: الظاهر أنه لاحظ المعنى الموجب للضحك لا أنه مجرد تقليد وحكاية لفعله ﷺ فإنه ليس أمراً اختيارياً ولا يصدر من غير باعث

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٤ حديث رقم ٢٧٤٧.

(٢) في المخطوطة «يخفف». (٣) في المخطوطة «من».

فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قدير». رواه مسلم.

٥٥٨٣ ـ (١٨) وفي رواية له عن أبي سعيدٍ نحوه، إلا أنه لم يذكر «فيقولُ: يا ابن آدم! ما يصريني منك؟» إلى آخر الحديث وزاد فيه: «ويذكّره الله: سل كذا وكذا، حتى إذا انقطعتْ به الأماني قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله. قال: ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك. قال: فيقول: ما أُعطي أحدٌ مثلَ ما أُعطيت».

٥٥٨٤ ـ (١٩) وعن أَنسٍ، أن النبيَّ ﷺ، قال: «ليصيبنَّ أقواماً سَفْعٌ من النَّار بذنوبٍ أصابوها عقوبةً، ثم يدخلهم الله الجنَّةَ بفضله ورحمته،

من قول عجيب أو فعل غريب. (**فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قادر**) وفي نسخة: قدير. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: مم استدركه. قلت: عن مقدر فإنه تعالى لما قال له: أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. فاستبعده العبد لما رأى أنه ليس أهلاً لذلك وقال: أتستهزىء بي. قال سبحانه وتعالى: نعم كنت لست أهلاً له لكني أجعلك أهلاً لها وأعطيك ما استبعدته لأني على ما أشاء قدير. (**رواه مسلم**) أي عن ابن مسعود.

٥٥٨٣ ـ (**وفي رواية له**) أي لمسلم (**عن أبي سعيد نحوه**) أي نحو المروي عن ابن مسعود (**إلا أنه**) أي أبا سعيد (**لم يذكر فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك إلى آخر الحديث. وزاد**) أي نقص من الحديث ما سبق وزاد (**فيه ويذكره الله**) بالتشديد، أي يعلمه (**سل كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرة أمثاله. قال:**) أي النبي ﷺ (**ثم يدخل**) أي العبد (**بيته**) أي قصره (**فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين**) قال النووي: زوجتاه بالتاء تثنية زوجة هكذا ثبت في الرواية والأصول وهي لغة صحيحة معروفة. (**فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك**) أي خلقك لنا وخلقنا لك، ووضع إحياء موضع خلق إشعاراً بالخلود وأنه تعالى جمع بينهما في هذه الدار التي لا موت فيها وأنها دائمة السرور والحياة. قال تعالى: ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**﴾ [العنكبوت ـ ٦٤]. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**فيقول:**) أي العبد (**ما أعطي أحد مثل ما أعطيت**) أي لعدم اطلاعه على إعطاء غيره والله [تعالى] أعلم.

٥٥٨٤ ـ (**وعن أنس أن النبي ﷺ قال: ليصيبن**) أي والله ليدركن وليمسن. (**أقواماً سفع من النار**) بفتح فسكون، أي سواد من لفح النار أو علامة منها كذا في المقدمة. وقيل إحراق قليل منها (**بذنوب**) أي بسببها. وقوله: (**أصابوها**) صفة ذنوب. وقوله: (**عقوبة**) مفعول له (**ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته**) كذا في أصل السيد وبعض النسخ، وفي بعضها: بفضل

الحديث رقم ٥٥٨٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٥ حديث رقم (٣١١ . ١٨٨).

الحديث رقم ٥٥٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٦. حديث رقم ٦٥٥٩. وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٣ حديث رقم ٤٣١٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٣.

فيقال لهم: الجهنّميُّون». رواه البخاري.

٥٥٨٥ ـ (٢٠) وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخرُجُ أقوامٌ من النارِ بشفاعةِ محمَّد فيدخلون الجنَّةَ ويُسمَّون الجهنَّميّين». رواه البخاري. وفي رواية: «يخرج قوم من أُمَّتي من النَّار بشفاعتي، يسمَّون الجهنَّميّين».

٥٥٨٦ ـ (٢١) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النَّار خروجاً منها، وآخرَ أهلِ الجنَّةِ دخولاً، رجلٌ يخرج من النار حَبْواً. فيقول الله: اذهبْ فادخُلِ الجنةَ، فيأتيها، فيُخَيَّل إليه أنَّها ملأى فيقول: يا ربِّ! وَجدتُها ملأى. فيقول الله: اذهبْ فادخلِ الجنةَ، فإنَّ لكَ مثلَ الدنيا

رحمته. (**فيقال لهم الجهنميون**) قال الطيبي [رحمه الله]: ليست التسمية بها تنقيصاً لهم بل استذكاراً ليزدادوا فرحاً إلى فرح وابتهاجاً إلى ابتهاج وليكون[1] ذلك علماً لكونهم عتقاء الله تعالى. (**رواه البخاري**) وكذا أبو داود والترمذي.

٥٥٨٥ ـ (**وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج قوم**) وفي نسخة أقوام (**من النار بشفاعة محمد**) وفي نسخة (**ﷺ فيدخلون الجنة**) بصيغة المفعول وقيل بالفاعل (**ويسمون الجهنميين**) وفي المصابيح: الجهنميون. قال شارح له: الرواية بالواو وحقه الياء لأنه مفعول يسمون، ويحتمل أن يكون الجهنميون بالواو علماً لهم فلم يغير. (**رواه البخاري**) وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه. ([**وفي رواية: يخرج قوم من أمتي من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين**]).

٥٥٨٦ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً**) أي فيها، والظاهر أنهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح ولا يبعد أن يكون احترازاً مما عسى أن يتوهم من حبس أحد في الموقف من أهل الجنة حينئذ والله [تعالى] أعلم. (**رجل يخرج من النار حبواً**) حال أو مصدر من حبا الصبي إذا مشى على أربع أو دب على أسته أي زحفاً، كما في رواية. (**فيقول الله:**) أي له (**اذهب فأدخل الجنة فيأتيها**) أي فيجيء قريباً منها أو فيدخلها (**فيخيل إليه**) أي من تصويره تعالى (**أنها**) أي الجنة (**ملأى**) تأنيث [ملآن] (**فيقول: أي رب وجدتها ملأى**) يعني وليس لي مكان فيها (**فيقول: اذهب فادخل الجنة**) المراد بها جنسها أو جنة بخصوصها (**فإن لك مثل الدنيا**) أي في سعتها

---

(١) في المخطوطة «سيكون».

الحديث رقم ٥٥٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٤١٨. حديث رقم ٦٥٦٦ والترمذي ٤/٦١٦ حديث رقم ٢٦٠٠. وابن ماجه في السنن ٢/١٤٤٣. حديث رقم ٤٣١٥.

الحديث رقم ٥٥٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٤١٨. حديث رقم ٦٥٧١. ومسلم في صحيحه ١/١٧٣ حديث رقم (٣٠٨ ـ ١٨٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/٦١٤ حديث رقم ٤/٦١٤ حديث رقم ٢٥٩٥.

وعشرة أمثالها. فيقول: أتسخرُ مني ـ أو تضحك مني ـ وأنت الملكُ؟» ولقد رأيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ ضَحِكَ حتى بدَتْ نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهلِ الجنّةِ منزلة. متفق عليه.

٥٥٨٧ ـ (٢٢) وعن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهلِ الجنَّةِ دُخولاً الجنةَ، وآخر أهلِ النار خُروجاً منها، رجلٌ يُؤتى به يوم القيامة، فيقال: إعرضوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفقٌ من كبارِ ذنوبه أن تعرض عليه. فيقال له: فإنَّ لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً. فيقول: ربِّ قد عملتُ أشياء لا أراها ههنا» وقد رأيت

وقيمتها **(وعشرة أمثالها)** أي زيادة عليها في الكمية والكيفية. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** [الأنعام ـ ١٦٠] . فالمؤمن حيث ترك الدنيا وهي صارت كالحبس في حقه جوزي بمثلها عدلاً وبأضعافها فضلاً. **(فيقول: أتسخر)** بفتح الخاء، أي أتستهزىء. **(مني أو تضحك مني)** شك من الراوي **(وأنت الملك)** أي والحال أنك الملك القدوس الجليل. **(فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت)** أي ظهرت **(نواجذه)** أي أواخر أضراسه. **(وكان يقال:)** الظاهر أن هذا كلام عمران أو من بعده من الرواة. فالمعنى: وكان يقول الصحابة أو السلف. **(ذلك أدنى أهل الجنة [منزلة] متفق عليه)**.

٥٥٨٧ ـ **(وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة)** أي فيها **(وآخر أهل النار خروجاً منها. رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: إعرضوا)** بكسر الهمزة والراء، أي أظهروا. **(عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها)** أي بمحوها أو بإخفائها **(فتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عملت يوم كذا وكذا)** أي في الوقت الفلاني **(كذا وكذا)** أي من عمل السيئات **(وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا)** أي من ترك الطاعات **(فيقول: نعم)** أي في كل منهما أو بعدهما جميعاً **(لا يستطيع أن ينكر)** أي شيئاً منهما استئناف أو حال **(وهو)** أي الرجل **(مشفق)** أي خائف **(من كبار ذنوبه أن تعرض)** أي تلك الكبار **(عليه)** لأن العذاب المترتب عليها أكبر وأكثر **(فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة)** وهو إما لكونه تائباً إلى الله [تعالى] . وقد قال تعالى: **﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾** [الفرقان ـ ٧٠] . لكن يشكل بأنه كيف يكون آخر أهل النار خروجاً. ويمكن أن يقال: فعل بعد التوبة ذنوباً استحق بها العقاب، وإما وقع التبديل له من باب الفضل من رب الأرباب، والثاني أظهر ويؤيده أنه حينئذ يطمع في كرم الله سبحانه. **(فيقول: رب قد عملت أشياء)** أي من الكبائر **(لا أراها ههنا)** أي في الصحائف أو في مقام التبديل **(ولقد رأيت**

الحديث رقم ٥٥٨٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٧ حديث رقم (٣١٤. ١٩٠) والترمذي ٤/ ٦١٤ حديث رقم ٢٥٩٦.

رسول الله ﷺ ضحك حتى بدَت نواجِذُه. رواه مسلم.

٥٥٨٨ - (٢٣) وعن أنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: يخرجُ منَ النارِ أربعةٌ، فيُعرضونَ على اللَّهِ، ثمَّ يُؤمرُ بهم إلى النارِ، فيلتفتُ أحدُهم فيقول: أيْ ربِّ! لقد كنتُ أرجو إذ أخرجتَني منها أن لا تُعيدني فيها» قال: «فيُنجيهِ اللَّهُ منها». رواه مسلم.

٥٥٨٩ - (٢٤) وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخلَصُ المؤمنونَ من النارِ، فيُحبسونَ على قنطرة بينَ الجنة والنار، فيقتصُّ لبعضهم من بعضٍ مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنةِ،

رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. رواه مسلم).

٥٥٨٨ - **(وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: يخرج من النار أربعة)** قال ابن الملك [رحمه الله]: هم الآخرون [خروجاً] منها. **(فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب لقد كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها. قال: فينجيه)** بالتخفيف ويشدد، أي فيخلصه **(الله منها. رواه مسلم)** قال الطيبي [رحمه الله]: ولعل هذا الخروج والله [تعالى] أعلم بعد الورود المعنى بقوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ [مريم - ٧١]. وقيل: معنى الورود الدخول فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون[1] وتنهار بغيرهم، وإليه الإشارة بقوله في الحديث الذي يليه وهو قوله:

٥٥٨٩ - **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا)** فذكر من الأربعة واحداً وحكم عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتماداً على المذكور لأن العلة متحدة في الإخراج من النار والنجاة منها، ولأن الكافر لا خروج له البتة فيدخل مرة أخرى ولهذا قال: **(حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة)** قال: ونحوه في الأسلوب وهو أن يراد أشياء ويذكر بعضها ويترك بعضها قوله تعالى: ﴿**فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً**﴾. جمع الآيات وفصلها بآيتين إحداهما[2] قوله: ﴿**مقام إبراهيم**﴾. وثانيتهما: ﴿**ومن دخله كان آمناً**﴾ [آل عمران - ٩٧]. الكشاف ذكر هاتان الآيتان وطوى عن ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات، ونحوه في طي الذكر قول جرير:

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

الحديث رقم ٥٥٨٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٠ حديث رقم (٣٢١/ ١٩٢). وأحمد في المسند ٣/ ٢٨٥.

(١) في المخطوطة «المؤمن».

الحديث رقم ٥٥٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٩٥. حديث رقم ٦٥٣٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٣.

(٢) في المخطوطة «إحديهما».

فوالذي نفسُ محمَّد بيدِه لأحدُهم أهْدى بمنزلة في الجنةِ منه بمنزلِهِ كان له في الدنيا». رواه البخاري.

٥٥٩٠ ـ (٢٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ أحدٌ الجنةَ إِلا أُرِي مقعدَه منَ النارِ لو أساءَ ليزدادَ شكراً، ولا يدخل النارَ أحدٌ إِلا أُري مقعدَه منَ الجنةِ لو أحسنَ ليكونَ عليه حسرةً». رواه البخاري.

هذا وضبط قوله: يخلص المؤمنون، بصيغة المجهول مخففاً من الإخلاص وفي نسخة بالتشديد من التخليص وفي أخرى بفتح الياء وضم اللام من الخلاص. ففي النهاية: خلص سلم ونجا. ثم المراد بالقنطرة الصراط الممدود، والمظالم جمع مظلمة بكسر اللام وهي ما تطلبه عند الظالم مما أخذه منك. وقوله: ونقوا، من التنقية عطف تفسير لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب. **(فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم)** أي من أهل الجنة **(أهدى بمنزلة)** أي إليه. فإن الباء تأتي بمعنى إلى على ما في القاموس كقوله تعالى: ﴿**وقد أحسن بي**﴾ [يوسف ـ ١٠٠] . أي إلي. فالمعنى أعرف وأكثر هداية إلى[1] منزله. **(في الجنة منه بمنزلة كان له في الدنيا)** وقال الطيبي [رحمه الله]: هدى لا يعدى بالباء بل باللام وإلى، فالوجه أن يضمن معنى اللصوق أي ألصق بمنزله هادياً إليه. وفي معناه قوله تعالى: ﴿**يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار**﴾ [يونس ـ ٩] . أي يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة، فجعل تجري من تحتهم الأنهار بياناً له وتفسيراً لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها. **(رواه البخاري)**.

٥٥٩٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل أحد الجنة إلا أري)** بصيغة المجهول من الإراءة، وقوله: **(مقعده)** بالنصب مفعول ثان له وقوله: **(من النار)** بيان للمقعد **(لو أساء)** أي لو أساء العمل وعصى ربه فرضاً وتقديراً لكان ذلك مقعده. **(ليزداد شكراً)** علة لأري، ويحتمل أن يكون الإراءة في القبر على ما يشهد له بعض الأحاديث ويحتمل أن يكون يوم القيامة على ما هو الظاهر المتبادر من هذا الحديث والله [تعالى] أعلم. **(ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن)** أي العمل والجواب مقدر على ما سبق أو لو في الموضعين للتمني. **(ليكون)** أي الإراءة لكونه مصدراً ذكر فعله. **(عليه حسرة)** بالنصب على الخبرية وفي نسخة بالرفع على إن كان تامة، أي ليقع عليه حسرة وندامة وملامة يوم القيامة. **(رواه البخاري)**.

---

(١) في المخطوطة «آي».

الحديث رقم ٥٥٩٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٤١٨/١١. حديث رقم ٦٥٦٩. وأحمد في المسند ٢/ ٥٤١.

٥٥٩١ - (٢٦) وعن ابن عمَرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صارَ أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِ إلى النار، جيءَ بالموتِ حتى يُجعلَ بين الجنةِ والنارِ، ثمَّ يذبحُ، ثمَّ يُنادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنةِ! لا موتَ. ويا أهلَ النارِ! لا موتَ. فيزدادُ أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحِهم، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزناً إلى حُزنهم». متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٩٢ - (٢٧) عن ثوبانَ، عن النبي ﷺ، قال: «حوْضي من عدَنَ

٥٥٩١ - **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت)** أي أحضر به. ورد في رواية [أنه] يؤتى به على صورة كبش أملح ليتيقنوا غاية اليقين والعرفان. **(حتى يجعل)** أي واقفاً **(بين الجنة والنار ثم يذبح)** قال العسقلاني [رحمه الله]: والحكمة فيه الإشارة إلى أنه حصل لهم الفداء كما فدي ولد إبراهيم بالكبش، وفي الأملح إشارة إلى صفتي أهل الجنة والنار لأن الأملح ما فيه بياض وسواد. **(ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت)** أي أبداً بل خلود بلا موت كما في رواية. **(ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم)** بضم الحاء وسكون الزاي ويجوز فتحهما وبهما قرىء في السبعة. قال التوربشتي [رحمه الله]: المراد منه أنه يمثل لهم على المثال الذي ذكره في غير هذه الرواية: يؤتى بكبش له. عين الحديث وذلك ليشاهدوه بأعينهم فضلاً أن يدركوه ببصائرهم، والمعاني إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام واستعلت عن معارج النفوس لكبر شأنها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى تتصور في القلوب وتستقر[(١)] في النفوس. ثم إن المعاني في الدار الآخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه الدار الفانية، وأما إذا أحببنا أن نؤثر الإقدام في سبيل لا معلم بها لأحد من الأنام فاكتفينا بالمرور عن الإلمام. **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٥٥٩٢ - **(عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: حوضي من عدن)** بفتحتين وهو يصرف ولا

الحديث رقم ٥٥٩١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٨ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٩. حديث رقم (٤٣ . ٢٨٥٠). والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٦ حديث رقم ٢٥٥٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٧ حديث رقم ٤٣٢٧. وأحمد في المسند ٢/ ١١٨.

(١) في المخطوطة «سينقر».

الحديث رقم ٥٥٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٣ حديث رقم ٢٤٤٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٨ حديث رقم ٤٣٠٣. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٥.

إِلى عمَّان البلقاء، ماؤهُ أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحْلى منَ العسلِ، وأكوابُه عدد نجوم السماءِ، مَن شرب منه شربةً لم يَظمأ بعدَها أبداً، أولُ الناسِ وُروداً فقراءُ المهاجرينَ

يصرف آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند. **(إلى عمان البلقاء)** بضم العين المهملة وتشديد الميم [مضافاً إلى البلقاء بفتح موحدة وسكون لام] . وقاف ممدودة. قال الطيبي [رحمه الله]: عمان مدينة بالشام، وفي شرح السنة: موضع بالشام، وبضم العين وتخفيف الميم موضع بالبحرين. قلت: لكن الأصول المعتمدة والنسخ المصححة اجتمعت على الضبط الأوّل فهو المعول، ثم الأظهر أن البلقاء مدينة بالشام وعمان موضع بها وإنما أضيف لقربه إليها على ما أشار إليه العسقلاني [رحمه الله] . والمعنى: مقدار سعة حوضي في العقبى كما بين الموضعين في الدنيا. ثم اعلم أن اختلاف الأحاديث في تقدير الحوض كحديث أنس: ما بين أيلة وصنعاء[(١)]. وحديث ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]: كما بين جرباء وأذرح[(٢)]. وحديث ابن عمرو: مسيرة شهرين[(٣)]. وحديث حارثة بن وهب: كما بين صنعاء والمدينة[(٤)]. ونحو ذلك، مبني على أن المقصود تصوير كثرة طوله وعرضه لا تعيين قدره بعينه وحصره، فورد الحديث في كل مقام بما يوافق إدراك السامع في المرام ولا يبعد أن يختلف باختلاف مذهب الناظرين ومشرب الواردين وسعة صدورهم وحذاقة بصرهم كاختلاف وسعة القبر ومنازل الجنة بالنسبة إلى السالكين والله [تعالى] أعلم. **(ماؤه أشد بياضاً من اللبن)** فيه إيماء إلى أن البياض هو اللون المحبوب خلافاً لما اختاره بعض من اللون الأصفر لمقتضى طبعه المقلوب، وأغرب منهم أنهم يميلون إلى تغيير شفة نسائهم المحمرة إلى لون السواد مع أنه مما[(٥)] يغم الفؤاد ويورث الشواد والكباد **(وأحلى من العسل)** أي ألذ منه مع ما فيه من الشفاء للعباد. وفيه إشعار إلى مذمة شربة الخمر لما فيها من الحرارة مع قطع النظر عما يترتب على شربها من الفساد. **(وأكوابه)** جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له على ما في الشروح، أو لا خرطوم له على ما في القاموس. **(عدد نجوم السماء)** بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي عدد أكوابه عدد نجوم السماء. وفي بعض النسخ بالنصب على نزع الخافض وهو الأظهر، أي بعدد نجوم السماء. **(من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً)** فيه إيماء إلى تفاوت مراتب الشاربين واختلاف رفع ظماء الواردين. **(أول الناس وروداً)** أي عليه **(فقراء المهاجرين)** أي لتعطشهم الظاهري والمعنوي، وقد قال ﷺ: «أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة». وعلى قياسه أضمأكم. وقال تعالى: **﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾** [الحاقة ـ ٢٤] . والمراد من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وهو ﷺ سيدهم، وفي معناهم كل من هاجر من وطنه

(١) البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٣ حديث رقم ٦٥٨٠.
(٢) راجع الحديث رقم (٥٦٠٧).
(٣) راجع الحديث رقم (٥٥٦٧). وهو بلفظ «شهر».
(٤) البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٥ حديث رقم ٦٥٩١.
(٥) في المخطوطة «إنما».

الشُّعثُ رؤوساً، الدُّنسُ ثياباً، الذين لا ينكحونَ المتنعماتِ، ولا يفتحُ لهم السُّدَدُ». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريب.

٥٥٩٣ ـ (٢٨) وعن زيدِ بن أرقمَ، قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلاً، فقال: «ما أنتم جزءٌ من مائةِ ألفِ جزءٍ ممنْ يرِدُ عليَّ الحَوضَ». قيل: كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائةَ أو ثمانمائةَ. رواه أبو داود.

الأصلي لله سبحانه واختار الفقر على الغنى والخمول على الشهرة وزهد في تحصيل المال والجاه واشتغل بالعلم والعمل في رضا مولاه. **(الشعث)** بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة جمع أشعث بالمثلثة، أي المتفرق الشعر. **(رؤوساً)** تمييز. والرأس قد يتناول الوجه فتدخل اللحية في شعر الرأس من هذا الوجه. **(الدنس)** بضم الدال [المهملة] والنون وقد يسكن جمع الدنس، وهو الوسخ. **(ثياباً، الذين لا ينكحون)** بصيغة المجهول أي لا يزوجون لو خطبوا **(المتنعمات)** أي بكسر العين وفي نسخة بفتح الياء وكسر الكاف، أي الذين لا يتزوجون المتنعمات لتركهم الشهوات وزهدهم في اللذات. **(ولا يفتح لهم السدد)** بضم السين وفتح الدال الأولى المهملتين جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك لأن المدخل يسد به. والمعنى: لو وقفوا على باب أرباب الدنيا فرضاً وتقديراً لا يفتح لهم ولا يؤبه بهم، أو هو كناية عن عدم الالتفات إليهم في الضيافة وأنواع الدعوة حيث لم يدعوهم إلى مقامهم ولم يتباركوا بأقدامهم. **(رواه أحمد والترمذي وابن ماجه)** وكذا الحاكم[1] **(وقال الترمذي: هذا حديث غريب)**.

٥٥٩٣ ـ **(وعن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ)** أي في سفر **(فنزلنا منزلاً فقال: ما أنتم)** أي أيها الصحابة الحاضرون **(جزء)** بالرفع في أصل السيد وكثير من النسخ وفي نسخة بالنصب **(من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض)** قال ابن الملك [رحمه الله]: يجوز نصب جزء على لغة أهل الحجاز بإعمال ما وإجرائه مجرى ليس ويجوز رفعه على لغة بني تميم يريد به كثرة من آمن به وصدقه من الإنس والجن. **(قيل: كم كنتم يومئذ)** كم الاستفهامية محلها نصب على أنه خبر كان، أي كم رجلاً أو عدداً كنتم حين إذ كنتم معه في السفر **(قال:)** أي زيد بن أرقم **(سبعمائة)** بالنصب، أي كنا. وفي نسخة بالرفع، أي كان عددنا سبعمائة. **(أو ثمانمائة)** يحتمل الشك من الراوي عن زيد ويحتمل أن يكون بمعنى بل ويحتمل التردد من زيد كما هو مقرر في باب التخمين. والمراد أن العدد ما بينهما لا ينقص عن الأول ولا يزيد على الثاني [والله تعالى أعلم]. **(رواه أبو داود)**.

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٤.

الحديث رقم ٥٥٩٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٠ حديث رقم ٤٧٤٦. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٩.

٥٥٩٤ - (٢٩) وعن سمرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن لكلّ نبيٍ حوضاً، وإنهم ليتباهَوْن أيُّهم أكثر واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردةً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٥٩٥ - (٣٠) وعن أنسٍ، قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفعَ ليَ يومَ القيامةِ فقال: «أنا فاعلٌ». قلت: يا رسول الله! فأين أطلبكَ؟

٥٥٩٤ - **(وعن سمرة)** أي ابن جندب **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي حوضاً)** أي يشرب أمته من حوضه **(وإنهم)** أي الأنبياء **(ليتباهون)** بفتح الهاء أي يتفاخرون **(أيهم أكثر واردة)** أي ناظرين أيهم أكثر أمة واردة ذكره الطيبي [رحمه الله]: وقيل: أيهم موصولة صدر صلتها محذوف أو مبتدأ وخبر كما تقول: يتباهى العلماء أيهم أكثر علماً أي قائلين. **(وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة)** ولعل هذا الرجاء قبل أن يعلم أن أمته ثمانون صفاً وباقي الأمم أربعون في الجنة على ما سبق. ثم الحوض على حقيقته المتبادر منه على ما في المعتمد في المعتقد. وأغرب الطيبي [رحمه الله] حيث قال: يجوز أن يحمل على ظاهره فيدل على أن لكل نبي حوضاً، وأن يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى ونحوه [قوله]: «ومنبري على حوضي»(١). في وجه وإليه يلمح قوله ﷺ: ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة. قلت: هذا المعنى لا ينافي الحوض الحسي الذي هو* مبني على مراتب الواردة بقدر أخذ الفيض من العلم والهدى الذي حصل لهم من جهة أنبيائهم، بل أقول لا بد في التفاوت بين ماء كل حوض في الصفاء والرواء واللذة والكثرة بحسب اختيارهم مذهبهم فهو على منوال. **﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم﴾** [البقرة - ٦٠]. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٥٩٥ - **(وعن أنس رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة)** أي الشفاعة الخاصة من بين هذه الأمة دون الشفاعة العامة **(فقال: أنا فاعل. قلت: يا رسول الله فأين أطلبك)** قال الطيبي [رحمه الله]: أي في أي موطن من المواطن التي أحتاج إلى شفاعتك أطلبك لتخلصني من تلك الورطة، فأجاب على الصراط وعند الميزان والحوض، أي أفقر الأوقات إلى شفاعتي هذه المواطن. فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة في الفصل الثاني من باب الحساب: «فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة. فقال ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً(٢). قلت: جوابه لعائشة بذلك لئلا تتكل على كونها(٣) حرم رسول

الحديث رقم ٥٥٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٢ حديث رقم ٢٤٤٣.

(١) متفق عليه. (٢) الحديث رقم (٥٥٦٠).

(٣) في المخطوطة «فيتكل على عون».

الحديث رقم ٥٥٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٧ حديث رقم ٢٤٣٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٧٨.

قال: «اطلبني أوَّل ما تطلبُني على الصراط». قلتُ: فإن لم أَلْقَكَ على الصّراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان». قلت: فإن لم أَلقكَ عند الميزان؟ قال: «فاطلبُني عند الحوض، فإني لا أُخطىءُ هذه الثلاثَ المواطن». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٥٩٦ ـ (٣١) وعن ابنِ مسعود، عن النبي ﷺ قال: قيل له: ما المقامُ المحمودُ؟ قال: «ذلك يومٌ ينزلُ اللّهُ تعالى على كرسيّه

الله ﷺ، وجوابه لأنس كيلا ييأس. أقول: فيه أنه خادم رسول الله ﷺ فهو محل الاتكال أيضاً مع أن اليأس غير ملائم لها أيضاً، فالأوجه أن يقال: إن الحديث الأول محمول على الغائبين فلا أحد يذكر أحداً من أهله الغيب، والحديث الثاني محمول على من حضره من أمته فيؤوّل بأن بين عدم التذكر وبين وجود الشفاعة عند التحضر كما يدل عليه قوله: فأين أطلبك. **(قال: اطلبني أول ما تطلبني)** أي في أول طلبك إياي **(على الصراط)** فما مصدرية وأول نصب على الظرفية. قال الطيبي [رحمه الله]: نصبه على المصدر[ية] **(قلت: فإن لم ألقك على الصراط. قال: فاطلبني عند الميزان)** فيه إيذان بأن الميزان بعد الصراط **(قلت: فإن لم ألقك عند الميزان قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء)** بضم همز وكسر الطاء بعدها همز، أي لا أتجاوز. **(هذه الثلاث)** أي البقاع، وفي نسخة هذه الثلاثة بالتاء أي المواطن. والمعنى: لا أتجاوزهن ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن فلا بد أن تلقاني في موضع [منهن]. وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط لما سيأتي في حديث الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن كادوا يردون ويذهب بهم إلى النار. ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد إليها. ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرون فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من الصراط كذا حققه الشيخ ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٥٩٦ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قيل له: ما المقام المحمود)** أي الذي وعدته في قوله تعالى: **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾** [الإسراء ـ ٧٩]. **(قال: ذلك يوم)** بالرفع والتنوين على الرواية الصحيحة على ما صرح به جمع من علمائنا، ويجوز فتحه وهو خبر ذلك على التقديرين. أما على الثاني فظاهر وأما على الأول فتقديره: ذلك اليوم الذي أبلغ فيه المقام المحمود. **(ينزل الله تعالى على كرسيه)** يمكن أن يكون كناية عن حكمه بالعدل في يوم الفصل قيل: إظهار الفضل المتوقف على شفاعته ﷺ إشعاراً لمزيد فضله على خلقه، فكما أنه لولاه أولاً لما خلق الأفلاك ولا وجد الأملاك فكذا لولاه آخر الوقع الأنام في الهلاك فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو مظهر الكل المعبر عنه بأنه مظهر الجامع المسمى بالله. وقيل: هذا على طريقة الاستعارة التمثيلية كما أشار إليه القاضي بقوله: مثل التجلي لعبادة بنعت العظمة والكبرياء والإقبال عليهم للعدل والقضاء وإدناء المقربين منهم

الحديث رقم ٥٥٩٦: أخرجه الدارمي في السنن ٢/٤١٩ حديث رقم ٢٨٠٠.

فَيَئِطُّ كما يئطُّ الرحلُ الجديد من تضايقه به وهو كسعةِ ما بينَ السماءِ والأرضِ، ويُجاءُ بكم حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، فيكون أول مَنْ يُكسى إِبراهيم؛ يقول الله تعالى: أُكسوا خليلي، فيؤتى بَرِيْطَتَيْنِ بيضاوين من رياط الجنَّة، ثم أُكْسَى على أَثره، ثم أقومُ عن يمينِ الله مقاماً يغبطني الأولون والآخرون».

على حسب مراتبهم وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم بنزول السلطان من غرف القصر إلى صدر الدار وجلوسه على كرسي الملك للحكومة والفصل وإقامة خواصه وأهل كرامته حواليه قداماً ووراء ويميناً وشمالاً على تفاوت مراتبهم لديه، وقيل: معنى نزول الله تعالى على كرسيه ظهور مملكته وحكمه محسوساً. وقيل: معناه التجلي له بنعت العظمة والإقبال بوصف الكبرياء في اليوم الموعود حتى يتضايق من احتمال ما قد غشيه من ذلك، وهذا لم يبعد عن الحق لما في كشف الحجاب من معنى النزول عن معارج الجلال إلى مدارج الجمال. **(فيئط)** بكسر الهمزة وتشديد الطاء، أي يصوت الكرسي. **(كما يئط الرحل)** أي الأكاف **(الجديد براكبه)** أي بسبب ركوب راكبه إذا كان عظيماً. قال الطيبي [رحمه الله]: وهو مبالغة وتصوير لعظمة التجلي على طريق الترشيح **(من تضايقه به)** متعلق بقوله: فيئط. أي من عدم اتساع الكرسي بالله تعالى كذا قاله شارح. وقيل: أي من تضايق الكرسي بملائكة الله وهذا تمثيل عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه. **(وهو كسعة ما بين السماء والأرض)** بفتح سين سعة ويكسر. وفي نسخة: يسعه ما بين السماء والأرض. ففي القاموس: وسعة الشيء بالكسر يسعه كيضعه سعة كدعة ودية. وفي المغرب يقال: وسع الشيء المكان، ومعناه: وسعه المكان وذلك إذا لم يضق عنه. والجملة حال والضمير راجع إلى الكرسي، أي والحال أن الكرسي يسع ما بين السماء والأرض اشارة إلى قوله تعالى: **﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾** [البقرة - ٢٥٥] . لكن جاء في الحديث: إن الأرض بجنب السماء كحلقة في فلاة. وكذا[1] كل سماء بالنسبة إلى ما في فوقها والسموات السبع والأرضين عند الكرسي كحلقة في فلاة، وكذا هو في جنب العرش. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: وهو يسعه حال أو معترضة جيء بها دفعاً لتوهم من يتوهم أن أطيط الكرسي للضيق بسبب تشبيهه بالرحل في الأطيط. **(ويجاء بكم حفاة عراة غرلاً)** أي تحضرون في هذه الحالات **(فيكون أول من يكسى إبراهيم)** برفعه ونصب أوّل وفي نسخة بعكسه. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى الأول فيه تقديم وتأخير كقوله تعالى: **﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾** [القصص - ٢٦] . **(يقول الله تعالى:)** استئناف بيان **(أكسوا)** بضم الهمزة والسين أمر للملائكة، أي ألبسوا **(خليلي. فيؤتى بريطتين بيضاوين من رباط الجنة)** بكسر الراء جمع ريطة بفتحها وهي الملاءة الرقيقة اللينة من الكتان التي لا تكون لفقتين بل تكون قطعة واحدة يؤتى بها من الشام. **(ثم أكسى)** بصيغة المفعول، أي ألبس أنا. **(على أثره)** بفتحتين وبكسر فسكون أي عقب إبراهيم وبعده. **(ثم أقوم عن يمين الله)** أي قيام كرامة **(مقاماً يغبطني)** بكسر الموحدة أي يتمناه **(الأولون والآخرون)** فإن قيل: كيف وجه المطابقة بين السؤال والجواب أجيب بأن

---

(١) في المخطوطة «هذا».

رواه الدارمي.

٥٥٩٧ ـ (٣٢) وعن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «شعارُ المؤمنين يومَ القيامةِ على

الدال على الجواب هو قوله: ثم أقوم عن يمين الله، لكنه ﷺ ذكر أولاً الوقت الذي يكون فيه المقام المحمود ووصفه بما يكون فيه من الأهوال ليكون أعظم في النفوس وقعاً[(١)]، ثم أشار إلى الجواب بقوله: ثم أقوم عن يمين الله. وحاصل الجواب أن المقام المحمود هو المقام الذي أقوم فيه عن يمين الله يوم القيامة. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي الحديث دلالة ظاهرة على فضل نبينا ﷺ على ما سوى الله تعالى من الموجودات وحيازته قصب السبق من بين السابق واللاحق من الملائكة والثقلين، وكفى بالشاهد شهيداً على أن الملك الأعظم إذا ضرب سرادق الجلال لقضاء شؤون العباد وجمع أساطين دولته وأشراف مملكته وجلس على سرير ملكه لا يخفى أن [من] يكون عن[(٢)] يمينه هو [أولي] أولي القرب. وأما كسوة إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام قبلة ﷺ فلا يدل على تفضيله عليه، بل على فضله وأنه إنما قدم كسوته [على كسوة] مثل من يغبطه الأولون والآخرون إظهاراً لفضله وكرامته ومكانته، ونحوه قوله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتاً**﴾ [النحل ـ ١٢٠] . إلى قوله: ﴿**ثم أوحينا إليك**﴾ [النحل ـ ١٢٣] الآية. الكشاف: في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله ﷺ وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة أتباع رسول الله ﷺ ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله تعالى عليه بها. اهـ. وقيل: لا يلزم منه الفضيلة المطلقة. ويمكن أن يقال: لا يدخل النبي ﷺ في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل تحت خطابه. قلت: هذا غفلة من القائل عن تصريح قوله: ثم أكسى على أثره. قيل: ويمكن أن يقال بأن نبينا ﷺ إنما جيء به كاسياً وإنما كسي ثانياً للكرامة بخلاف غيره فإنه كسي للعري. أقول: وهذا مستبعد جداً، بل الظاهر أنهم يبعثون عراة ثم يخلق لهم أكفانهم فيلبسونها ثم يخلع الله تعالى على من يشاء من عباده. ولما كان الخليل أفضل الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام ابتدىء به ولما كان نبينا ﷺ خاتم النبيين ختم به وأقيم عن يمين الرحمٰن، مع أنه قد يكون الأمر ترقياً على أن إبراهيم كان جده عليه السلام ومتبوعه في بعض المقام مع مراعاة كونه أول من عري في ذات الله حين أرادوا إلقاءه في النار. فبما ذكرنا امتاز الخليل عن سائر الأنبياء بإعطاء الخلعة على طريقة الابتداء وتبين مقام نبينا ﷺ في الانتهاء والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (**رواه الدارمي**).

٥٥٩٧ ـ (**وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: شعار المؤمنين**) بكسر الشين المعجمة أي علامتهم التي يتعارفون بها مقتدياً كل أمة برسولهم قولهم (**يوم القيامة على**

---

(١) في المخطوطة «موقعاً». (٢) في المخطوطة «على».

الحديث رقم ٥٥٩٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٣٦ حديث رقم ٤٢٣٢.

الصراط: ربِّ! سلِّم سلِّم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

٥٥٩٨ ـ (٣٣) وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

الصراط: رب سلم سلم) والتكرار للإلحاح، أو المراد به التكثير. ويمكن أن يكون شعار المؤمنين قول الأنبياء في حقهم هذا الدعاء ويؤيده ما رواه الطبراني عن ابن عمر [رضي الله عنهما]: وشعار أمتي إذا حملوا على الصراط يا لا إله إلا أنت[١]. ويمكن الجمع بأن هذا من خصوصيات هذه الأمة والأول لسائر الأمم. والأظهر أن قوله: رب سلم سلم. إنما هو من شعار المؤمنين الكاملين من العلماء العاملين والشهداء الصالحين ممن لهم مقام الشفاعة تبعاً للأنبياء والمرسلين. **(رواه الترمذي)** وكذا الحاكم[٢] **(وقال:)** أي الترمذي **(هذا حديث غريب)** وروى ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً: شعار المؤمنين [يوم يبعثون من قبورهم لا إله إلا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون[٣]. وروى الشيرازي عنها أيضاً: شعار المؤمنين] يوم القيامة في ظلم القيامة لا إله إلا أنت[٤].

٥٥٩٨ ـ **(وعن أنس أن النبي ﷺ قال: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)** أي شفاعتي في العفو عن الكبائر من أمتي خاصة دون غيرهم من الأمم. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي شفاعتي التي تنجي الهالكين مختصة بأهل الكبائر. وفي شرح مسلم للنووي: قال القاضي عياض [رحمه الله]: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى: **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضي له قولاً﴾** [طه ـ ١٠٩]. وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر لصحة الشفاعة في الآخرة، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا لمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار بقوله تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾** [المدثر ـ ٤٨]. وبقوله سبحانه: **(ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾** [غافر ـ ١٨]. وأجيب بأن الآيتين في الكفار، والمراد بالظلم الشرك. وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار. قلت: ومنه هذا الحديث حيث لا معنى لزيادة الدرجات في الجنة لأصحاب الكبائر الذين هم على زعمهم من أهل الخلود في النار. قال: والشفاعة خمسة أقسام: أولها مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٨٨٥.
(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٥.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٨٨٦.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٨٨٧.

الحديث رقم ٥٥٩٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠٦ حديث رقم ٤٧٣٩. والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٩ حديث رقم ٢٤٣٥. وأحمد في المسند ٣/ ٢١٣.

رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٥٩٩ ـ (٣٤) ورواه ابن ماجه عن جابر.

٥٦٠٠ ـ (٣٥) وعن عوفِ بن مالكٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: أتاني آتٍ من عندِ ربِّي، فخيَّرني بين أنْ يَدْخلَ نصفُ أُمتي الجنةَ وبينَ الشفاعةِ،

من هول الموقف وتعجيل الحساب. الثانية في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت في نبينا ﷺ. الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى. الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله. الخامسة الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا ينكرها أيضاً. **(رواه الترمذي وأبو داود)** أي عن أنس.

٥٥٩٩ ـ **(ورواه ابن ماجه عن جابر)** وفي الجامع رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أنس، ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر، ورواه الطبراني عن ابن عباس، والخطيب عن ابن عمر وعن كعب بن عجرة [رضي الله تعالى عنهم][(١)]. وفي رواية للخطيب عن أبي الدرداء: شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء[(٢)] وفي رواية له عن علي: شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي[(٣)]. وروى أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمٰن بن عوف: شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي[(٤)]. وروى ابن منيع عن زيد بن أرقم وبضعة عشر من الصحابة ولفظه: شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها[(٥)].

٥٦٠٠ ـ **(وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني آت)** أي ملك عظيم **(من عند ربي فخيرني)** أي ربي أو الملك. **(بين أن يدخل)** بفتح الياء وضم الخاء على ما في الأصول المعتمدة، وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول، وفي أخرى بضم أوّله وكسر الخاء على أن الفاعل هو الله أو الملك مجازاً فقوله: **(نصف أمتي)** مرفوع على الأوّلين ومنصوب على الثالثة وقوله: **(الجنة)** بالنصب على أنه مفعول ثان بكل من الروايات **(وبين الشفاعة**

الحديث رقم ٥٥٩٩: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٤١ حديث رقم ٤٣١٠.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٢.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٣.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٤.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٥.

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٦.

الحديث رقم ٥٦٠٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤١ حديث رقم ٢٤٤١. وابن ماجه ٢/ ١٤٤١ حديث رقم ٤٣١١. وأحمد في المسند ٦/ ٢٣.

فاخترتُ الشفاعةَ، وهي لمن ماتَ لا يشركُ باللّهِ شيئاً». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٦٠١ ـ (٣٦) وعن عبدِ الله بن أبي الجَدعاءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يدخلُ الجنَّةَ بشفاعةِ رجلٍ من أُمَّتي أكثرُ منْ بَني تميمٍ». رواه الترمذيُّ، والدارمي، وابن ماجه.

٥٦٠٢ ـ (٣٧) وعن أبي سعيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ منْ أُمتي مَن يشفعُ للفِئامِ، ومنهم مَن يشفعُ للقبيلةِ، ومنهم من يشفعُ للعُصبة، ومنهم من يشفعُ للرَّجلِ حتى

فاخترت الشفاعة) أي لأمة الإجابة لاحتياج أكثرهم إليها **(وهي)** أي الشفاعة **(لمن مات لا يشرك بالله شيئاً)** واعلم أنه نقل عن نسخة السيد جمال الدين المحدث أن تدخل بالتاء المثناة من فوق على بناء الفاعل من الثلاثي المجرد ونصف بالرفع فيحتاج إلى تكلف بل إلى تعسف وهو أن يقال اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وضبط بالحمرة أيضاً تدخل من باب الإفعال على البناء للفاعل مخاطباً ويرده قوله: نصف أمتي. والقول بالالتفات في مثل هذا مما لا يلتفت إليه. **(رواه الترمذي وابن ماجه)** وكذا ابن حبان عن عوف، وورواه أحمد عن أبي موسى.

٥٦٠١ ـ **(وعن عبد الله بن أبي الجدعاء)** بفتح الجيم وسكون الدال المهملة كذا في جامع الأصول وهكذا ضبط في النسخ المعتمدة وأيضاً نسب إلى العسقلاني، لكنه في نسخة السيد بالذال المعجمة ويؤيده ما في التقريب من أنه بجيم مفتوحة فذال معجمة ساكنة كناني صحابي له حديثان تفرد بالرواية عنه عبد الله بن شقيق. [وقال المؤلف: تميمي يذكر في الوحدان، روى عنه عبد الله بن شقيق] وعداده في البصريين. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة بشفاعة رجل)** أي جليل **(من أمتي أكثر من بني تميم)** وهي قبيلة كبيرة فقيل: الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله [تعالى] عنه، وقيل أوس القرني وقيل غيره. قال زين العرب [رحمه الله]: وهذا أقرب. **(رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه)**.

٥٦٠٢ ـ **(وعن أبي سعيد)** أي الخدري [رضي الله عنه] **(أن رسول الله ﷺ قال: إن من أمتي)** أي بعض أفرادهم من العلماء والشهداء والصلحاء **(من يشفع للفئام)** بكسر الفاء بعده همز وقد يبدل. قال الجوهري: هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه، والعامة تقول: فيام بلا همز. أقول: الأظهر أن يقال ههنا معناه القبائل كما قيل هو في المعنى جمع فئة لقوله: **(ومنهم من يشفع للقبيلة)** وهي قوم كثير جدهم واحد **(ومنهم من يشفع للعصبة)** بضم فسكون وهو ما بين العشرة إلى الأربعين من الرجال لا واحد لها من لفظها، والأظهر أن المراد بها جمع ولو اثنان لقوله: **(ومنهم من يشفع للرجل)** ويمكن أن يقال طوى ما بين العصبة والرجل لما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلي كما يدل على المرأة بالقياس الخفي. **(حتى**

الحديث رقم ٥٦٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٤٣٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٣ حديث رقم ٤٣١٦. والدارمي ٢/ ٤٢٣ حديث رقم ٢٨٠٨. وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

الحديث رقم ٥٦٠٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤١ حديث رقم ٢٤٤٠. وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٠.

يدخلوا الجنة». رواه الترمذي.

٥٦٠٣ ـ (٣٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ وعَدَني أن يدخل الجنةَ من أُمتي أربعمائةِ ألفٍ بلا حسابٍ». فقال أبو بكر: زِدْنَا يا رسولَ الله! قال: وهكذا، فحثا بكفيه وجمعهما، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله! قال: وهكذا فقال عمر: دَعْنا يا أبا بكر! فقال أبو بكر: وما عليك أن يُدْخِلنَا اللَّهُ كلَّنا الجنةَ؟ فقال عمر: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ إن شاء أن يُدْخِلَ خَلْقَه الجنَّةَ بكفٍّ واحدٍ فعل؛

يدخلوا) أي الأمة كلهم **(الجنة)** قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون غاية يشفع والضمير لجميع الأمة، أي ينتهي شفاعتهم إلى أن يدخلوا جميعهم الجنة، ويجوز أن يكون بمعنى كي فالمعنى أن الشفاعة لدخول الجنة. **(رواه الترمذي)** أي وحسنه على ما نقله عند السيد.

٥٦٠٣ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزَّ وجلَّ وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف بلا حساب)** أي ولا كتاب ولا سابقة عذاب **(فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله)** أي زدنا في الإخبار عما وعدك ربك إدخال أمتك الجنة بشفاعتك، يدل على هذا التأويل حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعدني ربي أن يدخل الجنة [من] أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي[(١)]. كذا ذكره الطيبي [رحمه الله تعالى] وهو مستحسن جداً، إلا أن قيد قوله: بشفاعتك، لا دلالة للكلام عليه. والظاهر أن هؤلاء يدخلون الجنة من غير شفاعة مخصوصة وإن كانوا داخلين في الشفاعة العامة. هذا وفي قوله: زدنا، دليل على أن له ﷺ مدخلاً ومجالاً في الأمور الأخروية وفي التصرفات الربوبية بحسب ما أولاه مولاه من الرتبة الجلية والمزية العلية. **(قال:)** أي أنس **(وهكذا)** أي وفعل هكذا، وتفسيره **(فحثى بكفيه وجمعهما فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله قال: وهكذا)** أي فحثى بكفيه وجمعهما. والظاهر أن هذا حكاية لفعله سبحانه ولذا قال الشراح: إنما ضرب المثل بالحثيات لأن من شأن المعطي الكريم إذا استزيد أن يحثي بكفيه من غير حساب، وربما ناوله ملء كف. فالحثي كناية عن المبالغة في الكثرة وإلا فلا كف ولا حثي. **(فقال عمر: دعنا يا أبا بكر)** أي اتركنا على ما بين لنا الحال بطريق الإجمال لنكون بين الخوف والرجاء على وجه الاعتدال. **(فقال أبو بكر: وما عليك)** أي بأس وضرر **(أن يدخلنا الله كلنا)** أي جميعنا وهو تأكيد للضمير في يدخلنا. **(الجنة. فقال عمر: إن الله عزَّ وجلَّ)** أي بل أقول زيادة على ما تقول على ما هو المعتقد بالمنقول والمعقول، وهو أن الله **(عزَّ وجلَّ إن شاء أن يدخل خلقه الجنة)** أي جميع مخلوقاته من الإنس والجن مؤمنهم وكافرهم ومطيعهم وفاجرهم. **(بكف واحد)** أي بمرتبة واحدة. **(فعل)** كما قال سبحانه: **﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾** [النحل: ٩]. **﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾** [البقرة ـ ٢٥٣]. قيل: أراد

الحديث رقم ٥٦٠٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ١٦٣ حديث رقم ٢٣٣٥. وأحمد في السنن ٣/ ١٦٥.

(١) الحديث رقم (٥٥٥٦).

فقال النبي ﷺ: «صدق عمر» رواه في «شرح السنّة».

٥٦٠٤ ـ (٣٩) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ أهلُ النَّار، فيمرُّ بهم الرجلُ من أهل الجنَّة، فيقول الرجل منهم: يا فلان! أمَا تعرفني؟ أنا الذي سَقَيْتُكَ شَرْبةً. وقال بعضهم: أنا الذي وَهبْتُ لكَ وَضوءاً، فيشفع له فيدخله الجنةَ». رواه ابن ماجه.

٥٦٠٥ ـ (٤٠) وعن أبي هريرةَ، أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممَّن دخلَ النَّارَ

بكف واحد عطاءه وفضله، أي لو أراد أن يدخل [الخلق] كله بفضل رحمته فعل فإنها أوسع من ذلك. هذا والكف على ما في القاموس اليد أو إلى الكوع وجعلها صاحب المغرب من المؤنثات السماعية، وعدها ابن الحاجب أيضاً في رسالته مما يجب تأنيثه. فقوله: بكف واحد مؤوّل بعطاء واحد أو بمقبوض واحد. **(فقال النبي ﷺ: صدق عمر)** قال التوربشتي [رحمه الله]: وإنما لم يجب رسول الله ﷺ أبا بكر بمثل كلام عمر رضي الله [تعالى] عنهما لأنه وجد للبشارات مدخلاً عظيماً في توجه النفوس القدسية، فإن الله ينجي خلقه من عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج والقبيل بعد القبيل، ثم يخلص من قصرت عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته وهم الذين سلم لهم الإيمان ولم يعملوا خيراً قط على ما سبق في الحديث. قال بعض العارفين: ما ذهب إليه أبو بكر هو من باب التضرع والمسكنة وما ذهب إليه عمر من باب التفويض والتسليم. أقول: التسليم أسلم والله [تعالى] أعلم. **(رواه)** أي صاحب المصابيح **(في شرح السنة)** أي بإسناده ورواه أحمد في مسنده على ما ذكره السيد.

٥٦٠٤ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يصف)** بضم وفتح وتشديد، أي يجعل صفاً وفي نسخة بفتح فضم، أي يصير صفاً. **(أهل النار)** أي من عصاة المؤمنين والفجار في طريق أهل الجنة من العلماء[1] الأخيار والصلحاء الأبرار على هيئة المساكين السائلين في طريق الأغنياء في هذه الدار. **(فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم:)** أي من أهل النار **(يا فلان)** كناية عن اسمه **(أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة)** أي من ماء أو لبن أو نحوهما **(وقال بعضهم: أنا الذي وهبت لك وضوءاً)** بفتح الواو أي ماء وضوء. وعلى هذا القياس من لقمة وخرقة أو نوع إعانة أو جنس عطية كلية أو جزئية ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، فإن الغريق يتعلق بكل حشيش. **(فيشفع له)** أي ذلك الصالح **(فيدخله الجنة)** أي يصير سبباً لدخوله إياها، أو المعنى فيدخله معه الجنة والله [تعالى] أعلم. قال المظهر: فيه تحريض على الإحسان إلى المسلمين لا سيما مع الصلحاء والمجالسة معهم ومحبتهم فإن محبتهم زين في الدنيا ونور في العقبى. **(رواه ابن ماجه)**.

٥٦٠٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن رجلين ممن دخل النار**

الحديث رقم ٥٦٠٤: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢١٥ حديث رقم ٣٦٨٥.

(١) في المخطوطة من دون «ال التعريف».

الحديث رقم ٥٦٠٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٥ حديث رقم ٢٥٩٩.

اشتدَّ صياحهما، فقال الربُّ تعالى: أخرجوهما. فقال لهما: لأيِّ شيءٍ اشتدَّ صِياحُكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: فإنَّ رحمتي لكما أن تنطلقا فتُلْقيا أنفسكما حيثُ كنتما من النار، فيُلْقي أحدُهما نفسه، فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً، ويقومُ الآخر، فلا يُلقي نفسه، فيقول له الرب تعالى: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: ربِّ! إني لأرجو أن لا تعيدَني فيها بعدَ ما أخرجتَني منها. فيقول له الرب تعالى: لك رجاؤك. فيدخلان جميعاً الجنَّة برحمة الله». رواه الترمذي.

٥٦٠٦ ـ (٤١) وعن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النارَ،

اشتد صياحهما) [أي بكاؤهما] وتضرعهما واستغاثتهما **(فقال الرب تعالى:)** أي للزبانية **(أخرجوهما. فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما)** أي بعد ما كنتما ساكتين خامدين **(قالا: فعلنا ذلك)** أي اشتداد الصياح **(لترحمنا)** أي فإنك تحب من يتضرع إليك **(قال: فإن رحمتي لكما أن تنطلقا)** أي تذهبا **(فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار)** فيه إيماء إلى أن مجرد التضرع الظاهري لا يفيد الرحمة بدون الانقياد الباطني ولذا قال تعالى: ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾ [الأعراف ـ ٥٦] . قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: أن تنطلقا فتلقيا، خبر إن. فإن قلت: كيف يجوز حمل الانطلاق إلى النار وإلقاء النفس فيها على الرحمة. قلت: هذا من حمل السبب على المسبب، وتحقيقه أنهما[1] لما فرطا في جنب الله وقصرا في العاجلة في امتثال أمره أمرا هنالك بالامتثال في إلقاء أنفسهما في النار إيذاناً بأن الرحمة إنما هي [مترتبة] على امتثال أمر الله عزَّ وجلَّ. **(فيلقي أحدهما نفسه)** أي في النار **(فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً)** أي كما جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم **(ويقوم الآخر)** أي يقف **(فلا يلقي نفسه فيقول له الرب تعالى: ما منعك أن تلقي نفسك)** أي من إلقائها في النار **(كما ألقى صاحبك)** أي كإلقائه فيها **(فيقول: رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني منها)** فالأول امتثل بالخوف والعمل والثاني عمل بالعلم والأمل. **(فيقول له الرب تعالى: لك رجاؤك)** أي مقتضاه ونتيجته كما أن لصاحبك خوفه وعمله بموجبه. **(فيدخلان)** بصيغة المفعول أي فيدخلها الله **(جميعاً الجنة برحمة الله)** أي المترتبة على العمل والمعرفة **(رواه الترمذي)**.

٥٦٠٦ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يرد الناس النار)** يرد على وزن يعد مضارع من الورود بمعنى الحضور يقال: وردت ماء كذا، أي حضرته وإنما سمّاه وروداً لأن المارة على الصراط يشاهدون النار ويحضرونها، وعلى هذا يؤوّل قوله تعالى: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ [مريم ـ ٧١] . وفيه إيماء إلى أنهم حينئذ في العطش الشديد وإنما

---

(١) في المخطوطة «أنه».

الحديث رقم ٥٦٠٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٧. حديث رقم ٣١٥٩. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٤. حديث رقم ٢٨١٠. وأحمد في المسند ١/ ٤٣٣.

ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالرِّيح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشدِّ الرجلِ، ثم كمشيه». رواه الترمذيُّ، والدارميُّ.

الفصل الثالث

٥٦٠٧ ـ (٤٢) عن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أمامكم حوضي، ما بين جنبيه كما بين جَرْباءَ

مروا[1] على الصراط للوصول إلى الحوض المورود. قال التوربشتي [رحمه الله]: الورود لغة قصد الماء ثم يستعمل في غيره، والمراد منه ههنا الجواز على جسر جهنم. **(ثم يصدرون منها)** بضم الدال أي ينصرفون عنها فإن الصدر إذا عدي بمن اقتضى الانصراف وهذا على الاتساع، ومعناه النجاة إذ ليس هناك انصراف وإنما هو المرور عليها، فوضع الصدر موضع النجاة للمناسبة التي بين الصدور والورود. قال الطيبي [رحمه الله]: ثم في ثم يصدرون مثلها في قوله تعالى: ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا**﴾ [مريم ـ ٧٢] . في أنها للتراخي في الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت[2] بين ورود الناس وبين نجاة المتقين منها[3]، فكذلك بين رسول الله ﷺ التفاوت بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها على أن المراد بالصدور الانصراف انتهى. والحاصل أن الخلق بعد شروعهم في الورود يتخلصون من خوف النار ومشاهدة رؤيتها وملاصقة لهبها ودخانها وتعلُّق أشواكها وأمثالها على مراتب شتى في سرعة المجاوز وإبطائها. **(بأعمالهم)** أي بحسب مراتب أعمالهم الصالحة **(فأوّلهم)** أي أسبقهم **(كلمح البرق)** أي الخاطف **(ثم كالريح)** أي العاصف **(ثم كحضر الفرس)** أي جريه وهو بضم الحاء وسكون الضاد العدو الشديد. **(ثم كالراكب في رحله)** أي على راحلته وعداه بفي لتمكنه من السير كذا قاله الطيبي [رحمه الله] . وقيل: أراد الراكب في منزله ومأواه فإنه يكون حينئذ السير والسرعة أشد. **(ثم كشد الرجل)** أي عدوه وجريه **(ثم كمشيه)** أي كمشي الرجل على هينته **(رواه الترمذي والدارمي)** .

(الفصل الثالث)

٥٦٠٧ ـ **(عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن أمامكم)** بفتح الهمزة، أي قدامكم يوم القيامة. **(حوضي)** أي بعد الصراط **(ما بين جنبيه)** أي طرفيه **(كما بين جرباء)**

---

(١) في المخطوطة «فإنما سروركم». (٢) في المخطوطة «الثقات».

(٣) في المخطوطة «فيها».

الحديث رقم ٥٦٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٣. حديث رقم ٦٥٧٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٧ حديث رقم ٣٤/ ٢٢٩٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٨ حديث رقم ٤٣٠٣٠ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٠.

وأَذْرُحَ». قال بعض الرواة: هما قريتان بالشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال. وفي روايةٍ: «فيه أباريقُ كنجوم السماءِ، من وردِه فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً». متفق عليه.

٥٦٠٨ ـ (٤٣) ٥٦٠٩ ـ (٤٤) وعن حذيفةَ وأبي هريرةَ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمعُ اللَّهُ تباركَ وتعالى الناس فيقومُ المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنةُ، فيأتون آدمَ فيقولونَ: يا أبانا استفتحْ لنا الجنَّة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنةِ إلا خطيئة أبيكم؟ لستُ بصاحب ذلك،

بفتح جيم وسكون راء موحدة ممدودة **(وأذرح)** بفتح همز وسكون ذال معجمة وضم راء وبحاء مهملة غير منصرفين **(قال بعض الرواة:)** أي رواة هذا الحديث **(هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال)** قال صاحب القاموس: الجرباء قرية بجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام، وإنما الوهم من رواة الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح[1]. **(وفي رواية: فيه)** أي موضوع في أطرافه أو على جوانبه[2] **(أباريق كنجوم السماء)** أي في الكثرة وصفاء الضياء **(من ورده فشرب منه)** أي شربة **(لم يظمأ بعدها)** أي بعد تلك الشربة أو بعد الشرب وهو مصدر يذكر ويؤنث. **(أبداً)** أي دائماً سرمداً فيكون شربه الأشربة في الجنة بعدها بناء على التلذذ والتفكه والتكيف بها. **(متفق عليه)** ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عنه بلفظ: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب ريحاً من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن[3].

٥٦٠٨ و٥٦٠٩ ـ **(وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا:)** أي كلاهما **(قال رسول الله ﷺ: يجمع الله تبارك وتعالى الناس)** المراد بهم الخلق وخصوا بالذكر للتشريف فإنهم عمدة أرباب التكليف. **(فيقوم المؤمنون)** أي الخواص من عموم الناس **(حتى تزلف)** بضم التاء وسكون الزاي وفتح اللام وبالفاء أي تقرب. **(لهم الجنة)** ومنه قوله تعالى: **﴿وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت﴾** [التكوير ـ ١٣ ـ ١٤] . **(فيأتون)** أي المؤمنون **(آدم)** والمراد منهم بعضهم الخواص من كل أمة. **(فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة)** أي اطلب فتح بابها. **(حتى ندخلها. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم)** أي وصاحب الخطيئة لا يصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه إلى الضراعة، وهذا معنى قوله: **(لست بصاحب ذلك)** أي ذلك

---

(١) «جرباء وأذرح» هما قريتان شرق الأردن تقعان شمال غربي مدينة معان.

(٢) في المخطوطة «أجناب».

(٣) أحمد في المسند ٢/ ٦٧. وابن ماجه في السنن حديث رقم ٤٣٣٤ والترمذي في السنن حديث رقم ٣٣٦١.

الحديث رقم ٥٦٠٨ و٥٦٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٧ حديث رقم ٦٥٦٥. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٦ حديث رقم (٣٢٩ . ١٩٥). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٢ حديث رقم (٤٣١٢).

اذهبوا إِلى ابني إبراهيم خليل الله» قال: «فيقول إِبراهيم: لستُ بصاحبِ ذلك، إِنما كنتُ خليلاً من رواء وراء، اعمِدوا إِلى موسى الذي كلَّمه الله تكليماً، فيأتونَ موسى عليه السلام، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إِلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحبِ ذلك، فيأتونَ محمَّداً ﷺ، فيقوم فيؤذَنُ له، وتُرسل الأمانةُ والرحم، فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمرُّ أوَّلكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنتَ وأمي، أيُّ

المقام الذي أردتموه من الشفاعة الكبرى والمرتبة العظمى المسماة بالمقام المحمود المخصوص لصاحب اللواء الممدود. **(اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله)** أي فإنه من أفضل الرسل وجد خاتم الأنبياء فتقربوا إليه اعرضوا أمركم عليه. **(قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك)** أي المقام الموعود والمرام المشهود **(إنما كنت خليلاً من وراء وراء)** بالفتح فيهما على ما في الأوصول المعتمدة والنسخ المقروءة المصححة. قال النووي [رحمه الله]: المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ويجوز في العربية بناؤهما[1] على الضم. قال أبو البقاء: الصواب الضم فيهما لأن تقديره من وراء ذلك. قال: وإن صح الفتح قبل. وقال الشيخ أبو عبد الله: الفتح أصح وتكون الكاملة مركبة كشذر مذر وشغر بغر فبناؤهما على الفتح، وإن ورد منصوباً منوناً جاز ذلك. **(اعمدوا)** بكسر الميم، أي اقصدوا. **(إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً)** أي بلا واسطة كتاب ومن غير وراء حجاب. قال صاحب التحرير[2]. وهذا وارد[3] على سبيل التواضع، أي لست بصدد تلك الدرجة الرفيعة. ومعناه أن المكارم التي أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه [الصلاة] والسلام ولكن ائتوا موسى عليه [الصلاة] والسلام فإنه حصل له الكلام بغير واسطة. قال: وإنما كرر لأن نبينا ﷺ حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الرؤية أيضاً فكأنه قال: أنا وراء [موسى] الذي هو وراء محمد ﷺ. **(فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه)** بالجر على البدلية ويجوز رفعهما ونصبهما على المدح. **(فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك)** وحينئذ ينحصر الأمر في نبينا خاتم الرسل ومقدم الكل. **(فيأتون محمداً ﷺ)** فيه وضع الظاهر موضع ضمير المتكلم على سبيل الالتفات أو على طريق التجريد. **(فيقوم)** أي عن يمين عرش الرحمٰن ويستأذن بالشفاعة في نوع الإنسان لإزالة كرب الموقف وعموم الأحزان. **(فيؤذن له)** [أي] فيسجد على ما سبق **(وترسل الأمانة والرحم)** أي مصورتين كما تقدم **(فتقومان)** بالتأنيث على تغليب الأمانة المتقدمة وبالتذكير على تغليب الرحم المذكر، أي فيقفان أو فيحضران. **(جنبتي الصراط)** بالفتحات أي طرفيه **(يميناً وشمالاً)** كالبيان لما قبله ونصبهما على البدلية أو الظرفية. **(فيمر أولكم)** التفات من الغيبة العامة إلى الخطاب للخاصة **(كالبرق)** أي في سرعة السير **(قال:)** أي أبو هريرة **(قلت: بأبي أنت وأمي)** الباء للتعدية، أي أفديك بهما. **(أي**

---

(١) في المخطوطة «بناؤ هو».
(٢) في المخطوطة «التجريد».
(٣) في المخطوطة «ورد».

شيء كمرِّ البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرقِ كَيفَ يَمرُّ ويرجع في طرفة عين. ثم كمرِّ الريح، ثم كمرِّ الطير، وشدِّ الرِّجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيّكم قائم على الصّراط يقول: يا ربِّ! سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمالُ العباد، حتى يجيءَ الرجلُ فلا يستطيعُ السَّيرَ إلاَّ زَحْفاً». وقال: «وفي حافتي الصّراط كلاليبُ مُعَلَّقةٌ مأمورة، تأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناج، ومكرْدَسٌ في النار».

شيء) استفهام **(كمر البرق)** أي أي شيء شبيه به. والمعنى: في أي شيء تشبهه بالبرق. **(قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر)** أي سريعاً **(ويرجع في طرفه عين)** ذكره على سبيل الاستطراد أو على طريق التتميم للمعنى المراد فيكون الجواب بأنه يشبهه في سرعة السير كذا حرره الشراح. وعندي أن التشبيه مركب من سرعة المرور ومن ضياء الظهور ليكون[١] نوراً على نور وليكون إشارة إلى البدن والروح وإلى الظاهر والباطن وإلى الكمية والكيفية، وأيضاً المرور مذكور في كلام السائل ولا بد في الجواب من أمر زائد والله [تعالى] أعلم. ثم الظاهر أن المراد بهم الأنبياء ويحتمل أن يراد بهم الأصفياء من هذه الأمة وهم أرباب الجذبات الآلهية. **(ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال)** أي جريهم، والرجال أما جميع رجل أو جمع راجل. قال الطيبي رحمه الله: قوله: أي شيء كمر البرق، أي ما الذي يشبهه من المارين بمر البرق. وقوله: ألم تروا إلى البرق. بيان لما شبهوا به بالبرق وهو سرعة اللمعان، يعني سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق، كأنه أي السائل استبعد أن يكون في الإنسان ما يشبه البرق في السرعة فسأل عن أمر آخر هو المشبه، فأجاب بأن ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر أن يمنحهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة، ألا ترى كيف أسند الجريان إلى الأعمال بقول: **(تجري بهم أعمالهم)** أي تجري وهي ملتبسة بهم لقوله تعالى: **﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال﴾** [هود ـ ٤٢] . ويجوز أن يكون الباء للتعدية، أي تجعلهم جارين. **(ونبيكم قائم على الصراط. يقول: يا رب سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد)** متعلق بتجري والجملة قبله معترضة بيانية أو حالية. والمعنى: تجري بهم أعمالهم حتى تعجز أعمالهم عن الجريان بهم. **(حتى يجيء الرجل)** بدل من قوله: حتى تعجز، وتوضيح له. **(فلا يستطيع)** أي الرجل لضعف عمله وتقاعده عن السبق في الدنيا **(السير)** أي المرور **(على الصراط إلا زحفاً)** أي حبواً كما تقدم والله [تعالى] أعلم. **(قال:)** أي النبي ﷺ أو أبو هريرة مرفوعاً. **(وفي حافتي الصراط)** بتخفيف الفاء أي جانبيه **(كلاليب)** جمع كلاب **(معلقة مأمورة تأخذ)** أي هي **(من أمرت به)** ولو روي بالباء وفتح الهمز وسكون الخاء على المصدر لكان له وجه وجيه. **(فمخدوش)** أي فمنهم مجروح **(ناج)** أي من الوقوع في النار. **(ومكردس في النار)** بفتح الدال المهملة وبالسين المهملة، وقيل المعجمة وهو الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي في موضع كذا في النهاية في السين المهملة. ثم قال: والمكردش بمعناه

---

(١) في المخطوطة «ليجمع».

والذي نَفْسُ أبي هريرةَ بيده إِن قَعرَ جهنم لسبعين خريفاً. رواه مسلم.

٥٦١٠ ـ (٤٥) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ من النار قومٌ بالشفاعة، كأنهم الثعارير». قلنا: ما الثعارير؟ قال: «إِنَّه الضَّغابيس». متفق عليه.

٥٦١١ ـ (٤٦) وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

وفي [نسخة] مكدوس بالمهملة، أي مدفوع في النار ذكره في النهاية، ثم قال: ويروى بالمعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح أيضاً. وفي القاموس: كدسه أي صرعه وبالمعجمة دفعه دفعاً عنيفاً. **(والذي نفس أبي هريرة بيده)** هذا يؤيد أن مرجع ضمير قال إليه ثم هذا القسم أما موقوف عليه أو مرفوع إليه ﷺ. **(أن قعر جهنم لسبعين خريفاً)** قال الدماميني: أي أن مسافة السير إليه لسبعين خريفاً. وقال صاحب المغني: وجهه أن القعر مصدر قعرت البئر إذا بلغت قعرها وسبعين ظرفه، أي أن بلوغ قعرها يكون في سبعين عاماً، وفي نسخة بالواو. قال النووي [رحمه الله]: في بعض الأصول سبعون بالواو وهو ظاهر وفيه حذف، أي مسافة قهر جهنم مسيرة سبعين خريفاً. وفي معظم الأصول والروايات سبعين بالياء وهو صحيح أيضاً على تقدير مسيرة سبعين فحذف المضاف وترك المضاف إليه على إعرابه، أو يكون التقدير أن بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفاً وسبعين خريفاً ظرف لمحذوف. **(رواه مسلم)**.

٥٦١٠ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير)** بالمثلثة والعين المهملة والراءين جمع ثعرور كعصافير وعصفور. **(قلنا: ما الثعارير. قال: إنه)** على ما في نسخة صحيحة. وفي نسخة: قال **(الضغابيس)** بضاد وغين معجمتين وموحدة وتحتية وسين مهملة جمع ضغبوس. في النهاية: الثعارير هي القثاء الصغار شبهوا بها لأن القثاء ينمو[1] سريعاً. وقيل: هي رؤوس الطراثيث تكون بيضاً شبهوا ببياضها، واحدها طرثوث وهو نبت يؤكل والضغابيس صغار القثاء **(متفق عليه)**.

٥٦١١ ـ **(وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه)** بلا صرف ويصرف **(قال: قال رسول الله ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثة)** أي ثلاثة أصناف من الأصفياء **(الأنبياء ثم العلماء)** أي العاملون **(ثم الشهداء)** أي المخلصون، وفي العطف بثم دلالة صريحة على تفضيل العلماء على الشهداء كما يدل عليه ما رواه الشيرازي عن أنس وابن عبد البر عن أبي الدرداء، وابن الجوزي في

الحديث رقم ٥٦١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٤١٦/١١. حديث رقم ٦٥٥٨ وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٦.

(١) في المخطوطة «ينمي».

الحديث رقم ٥٦١١: أخرجه ابن ماجه في السنن ١٤٤٣/٢ حديث رقم ٤٣١٣.

رواه ابن ماجه.

(٥) باب صفة الجنة وأهلها

الفصل الأول

٥٦١٢ - (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت،

العلل عن النعمان بن بشير مرفوعاً: يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء(١). وفيه مبالغة لا تخفى على الفضلاء فإن مدادهم أقل أمدادهم ودم الشهداء أفضل أسعادهم(٢). **(رواه ابن ماجه)** وروى أبو داود عن أبي الدرداء مرفوعاً: يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته(٣).

(باب صفة الجنة وأهلها)

الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه، والتركيب دائر على معنى الستر في الجنة والجنة والجنون ونحوها، فكأن الجنة لتكاثفها وتظللها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنة إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها. وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان أو لكونها مستورة عن أعين الناس ليكون الإِيمان بالغيب لا بالعيان، أو لأن الله تعالى أخفى من قرة الأعين لأهلها الأعيان والله سبحانه [وتعالى] أعلم.

(الفصل الأول)

٥٦١٢ - **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: أعددت)** أي هيأت **(لعبادي الصالحين)** بفتح ياء المتكلم ويسكن **(ما لا عين رأت)** قال الطيبي [رحمه الله]: ما هنا إما موصولة أو موصوفة، وعين وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق. والمعنى:

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٦.

(٢) في المخطوطة «أبعادهم».

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٣٤ حديث رقم ٢٥٢٢.

الحديث رقم ٥٦١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٨. حديث رقم ٣٢٤٤. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٤ حديث رقم (٢ . ٢٨٢٤). والترمذي في السنن ٥/ ٣٢٣ حديث رقم ٣١٩٧. وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٤٧ حديث رقم ٤٣٢٨. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٢ حديث رقم ٢٨٢٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣.

ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر. واقرؤوا إن شئتم: ﴿**فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرّة أعين**﴾.

ما رأت العيون كلهن ولا عين واحدة منهن، والأسلوب من باب قوله تعالى: ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ [غافر ـ ١٨] . فيحتمل نفي الرؤية والعين معاً، أو نفي الرؤية فحسب أي لا رؤية ولا عين أو لا رؤية، وعلى الأول الغرض منه العين وإنما ضمت إليه الرؤية ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه. (**ولا أذن**) بضمتين ويسكن الذال (**سمعت ولا خطر**) أي وقع (**على قلب بشر**) قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب قوله تعالى: ﴿**يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم**﴾ [غافر ـ ٥٢] . أي لا قلب ولا خطور أو لا خطوراً، فعلى الأول لهم قلب مخطر فجعل انتفاء الصفة دليلاً على انتفاء الذات، أي إذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الإخطار فلا قلب كقوله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾ [ق ـ ٣٧] . فإن قلت: لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين. قلت: لأنهم هم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون لشأنه ويخطرون ببالهم بخلاف الملائكة. والحديث كالتفصيل للآية فإنها نفت العلم. والحديث نفي طريق حصوله. (**واقرؤوا**) ظاهره أنه مرفوع ويؤيده العاطف. والأظهر أنه موقوف لقوله: (**إن شئتم**) أي أردتم الاستشهاد والاعتضاد (﴿**فلا تعلم**﴾) في محل النصب على أنه مفعول اقرؤوا، أو التقدير آية: فلا تعلم. (﴿**نفس**﴾) أي متنفس من الملائكة وغيرهم (﴿**ما أخفي لهم**﴾) قرأ الجمهور أخفي بتحريك الياء على البناء للمفعول وقرأ حمزة بسكونها على أنه مضارع مسند للمتكلم ويؤيده قراءة ابن مسعود نخفي بنون العظمة، وقرىء أخفى بفتح أوّله والفاء على البناء للفاعل والفاعل هو الله تعالى. (﴿**من قرة أعين**﴾)[١] الكشاف: لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب أدخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه النعمة ولا مطمح وراءها. وفي شرح السنة يقال: أقر الله عينك [ومعناه] برد الله دمعتها لأن دمعة الفرح باردة حكاه الأصمعي. وقال غيره: معناه: بلغك الله أمنيتك حتى ترضى به نفسك وتقر عينك فلا تستشرف إلى غيره. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى هذا [الأول] من القرة [بمعنى] البرد والثاني من القرار، وفي قوله: أعددت، دليل على أن الجنة مخلوقة ويعضده سكنى آدم وحواء الجنة ولمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنجم والثرياء والكتاب ونحوها، وذلك أن الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف أغصان أشجارها، ثم غلبت على دار الثواب. وإنما قلنا اللاحقة للأعلام لكونها غير لازمة للام. وتحقيق القول إنها منقولة شرعية على سبيل التغليب، وإنما تغلب إذا كانت موجودة معهودة. وكذلك اسم النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة وإن اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك، ولولا ذلك لما كان يغني عن طلب القصور والحور والولدان بالجنة ولا عن طلب الوقاية من الزمهرير

---

(١) سورة السجدة ـ آية رقم ١٧.

متفق عليه.

٥٦١٣ ـ (٢) وعن، قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها».

والمهل والضريع عن مطلق النار. (متفق عليه) وكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة من غير قوله: اقرؤوا إن شئتم. إلى آخره. على ما في الجامع فهو يؤيد كونه موقوفاً[(١)]. وروى الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعاً ولفظه: إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد[(٢)]. ورواه الطبراني في الأوسط [والبزار] عن أبي سعيد ولفظه: في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[(٣)]. وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً قال: لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون[(٤)]. هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]: سبب هذا الحديث أن موسى عليه [الصلاة] والسلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة فقال: غرزت كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت. إلى آخره، أخرجه مسلم والترمذي انتهى[(٥)]. ولا يخفى أن الضمير في ما أخفى لهم لقوم خاص: **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما زرقناهم ينفقون﴾** [السجدة ـ ١٦]. والمراد المتهجدون والأوابون، ولما أخفوا أعمالهم عن أعين العباد جوزوا بإخفاء الله تعالى لهم ما أراد لهم من الإعداد جزاء وفاقاً على حسب ما وفقوا من الأمداد والأسعاد.

٥٦١٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: موضع سوط في الجنة)** أريد به قدر قليل منها أو مقدار موضعه فيها. **(خير)** أي كمية وكيفية **(من الدنيا وما فيها)** لأن الجنة مع نعيمها باقية والدنيا مع ما فيها فانية. قال ابن الملك: سوى كلام الله تعالى وصفاته وجميع أنبيائه انتهى. وغرابة استثنائه مما لا يخفى ثم قال: وما هو باق لا يوازنه[(٦)] ما هو في معرض الزوال. قلت: فلفظ: خير، لمجرد الزيادة. وقال التوربشتي [رحمه الله]: إنما خص السوط بالذكر لأن من شأن الراكب إذا أراد النزول في منزل أن يلقي سوطه قبل أن ينزل

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٣ حديث رقم ٥٩٢٠.
(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤٠ حديث رقم ٢٣١٩.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٦٦ حديث رقم ٥٩٢٠.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٢ حديث رقم ٧٣٧٣.
(٥) مسلم في صحيحه ١/ ١٧٦ حديث رقم ١٨٩. والترمذي في السنن ٥/ ٣٢٤ حديث رقم ٣١٩٨. ولفظ الحديث «أي أهل الجنة أدنى منزلة». وليس أعظم كما في المرقاة.
الحديث رقم ٥٦١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٥. حديث رقم ٢٧٩٦. والترمذي في السنن ٥/ ٢١٦ حديث رقم ٣٠٦٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٨ حديث رقم ٤٣٣٠. والدارمي ٢/ ٤٢٨ حديث رقم ٢٨٢٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.
(٦) في المخطوطة «يوازنه».

متفق عليه.

٥٦١٤ ـ (٣) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «غَدْوة في سبيلِ اللّهِ أو رَوْحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأةً من نساءِ أهل الجنة اطلعت إِلى الأرض لأضَاءَتْ ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها». رواه البخاري.

معلماً بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه إليه أحد. (**متفق عليه**) وفي الجامع رواه البخاري والترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد، والترمذي عن أبي هريرة[١]، فقول المؤلف: متفق عليه، محل توقف من وجهين. وفي الجامع: لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض. رواه أحمد عن أبي هريرة[٢].

٥٦١٤ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: غدوة**) أي مرة من ذهاب أول النهار (**في سبيل الله أو روحه**) أي مرة من رواح آخر النهار وأول الليل وأو ليس للشك بل للتنويع، أي كل واحدة منهما في سبيل مرضاته من غزو أو حج أو هجرة أو طلب علم. (**خير من الدنيا وما فيها**) أي جزاء وثواباً ومآلاً ومآباً. (**ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت**) بتشديد الطاء أي أشرفت وطالعت (**إلى الأرض لأضاءت ما بينهما**) أي ما بين المشرق والمغرب أو ما بين السماء والأرض أو ما بين الجنة والأرض وهو الأظهر لتحقق ذكرهما في العبارة صريحاً. (**ولملأت ما بينهما ريحاً**) أي طيباً (**ولنصيفها**) كلام مستأنف، أي ولخمارها. (**على رأسها**) قيد به تحقيراً له بالنسبة إلى خمار البدن جميعه. (**خير من الدنيا وما فيها**) أي فكيف الجنة نفسها وما بها من نعيمها (**رواه البخاري**) وفي الجامع: غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها. رواه أحمد والشيخان وابن ماجه عن أنس، والبخاري والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة والترمذي عن ابن عباس[٣]. ورواه أحمد ومسلم والنسائي عن أبي أيوب مرفوعاً ولفظه مرفوعاً: غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت الشمس وغربت[٤]. وروى الطبراني والضياء عن سعيد بن عامر مرفوعاً: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت إلى الأرض لملأت الأرض من ريح المسك ولأذهبت ضوء الشمس والقمر[٥]. وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أنس بلفظ: لغدوة

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٤٧ حديث رقم ٩١٢٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٤٨ حديث رقم ٧٣٠٣. والحديث أخرجه المسند ٢/ ٣١٥.

الحديث رقم ٥٦١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٨. حديث رقم ٦٥٦٨. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٩٩ حديث رقم (١١٢ . ١٨٨٠). والنسائي في السنن ٦/ ١٥ حديث رقم ٣١١٨. والدارمي ٢/ ٤٣٥ حديث رقم ٢٨٣٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢٦٤.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٣٥٥ حديث رقم ٥٧٥٨.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٣٥٥ حديث رقم ٥٧٥٩.

(٥) ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٤ حديث رقم ٧٤٠٦.

٥٦١٥ ـ (٤) وعن أبي هريرةَ: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها، ولَقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ ممَّا طلَعتْ عليه الشمسُ أو تغرب». متفق عليه.

في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها[١]. والقد بكسر القاف وتشديد الدال وتر القوس وقيل السوط.

٥٦١٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة شجرة)** قال ابن الجوزي [رحمه الله]: يقال: إنها طوبى. قال العسقلاني: وشاهد ذلك عند أحمد والطبراني وابن حبان[٢] **(يسير الراكب في ظلها)** أي في ناحيتها، وإلا فالظل في عرف أهل الدنيا ما يقي من حر الشمس وأذاها وقد قال تعالى: **﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾** [الإنسان ـ ١٣]. وقد يقال: المراد بالظل هنا ما يقابل شعاع الشمس ومنه ما بين ظهور[٣] الصبح إلى طلوع الشمس ولذا قال تعالى: **﴿وظل ممدود﴾** [الواقعة ـ ٣٠]. ويمكن أن يكون للشجرة من النور الباهر ما يكون لما تحته كالحجاب الساتر **(مائة عام لا يقطعها)** أي لا ينتهي الراكب إلى انقطاع ظلها **(ولقاب قوس أحدكم)** في الفائق: القاب والقيب كالقاد والقيد بمعنى القدر وإنه علامة يعرف بها المسافة بين الشيئين من قولهم: قوبوا في هذه الأرض، إذا أثروا فيها بموطئهم ومحلهم. وقال التوربشتي: الراجل يبادر إلى تعيين المكان بوضع قوسه كما أن الراكب يبادر إليه برمي سوطه انتهى. والأظهر في المعنى لقدر موضع قوس أحدكم في الجنة أو لمقداره وقيمته لو فرض أنه قوم فيها. **(خير مما طلعت عليه الشمس)** أي شمس الدنيا **(أو تغرب)** وفي نسخة: أو غربت، وأو إما للشك وإما للتخير وإما بمعنى الواو فإن المراد بها ما بين الخافقين وهو المعبر به[٤] عن الدنيا وما فيها. **(متفق عليه)** وفي الجامع: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها. رواه أحمد والبخاري والترمذي عن أنس، والشيخان عن سهل بن سعد وأحمد والشيخان والترمذي عن أبي سعيد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة[٥].

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٤٧ حديث رقم ٧٢٨٦. والترمذي في السنن ٤/ ١٥٦ حديث رقم ١٦٥١.

الحديث رقم ٥٦١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٥٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٥ حديث رقم (٦ ـ ٢٨٢٦). والترمذي في السنن ٥/ ٣٧٣ حديث رقم ٣٢٩٢ والدارمي ٢/ ٤٣٦ حديث رقم ٢٨٣٩. وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٧.

(٢) ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٣٢٨ عدة أحاديث في هذا المعنى منها حديث: «طوبي شجرة في الجنة مسيرة مائة عام...» أحمد وابن حبان.

(٣) في المخطوطة «طلوع».

(٤) في المخطوطة «عنه».

(٥) الجامع الصغير ١/ ١٤٠ حديث رقم ٢٣١٨.

٥٦١٦ ـ (٥) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للمؤمنِ في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجَوَّفةٍ، عرضُها ـ وفي رواية: طولُها ـ ستُّون ميلاً، في كلِّ زاويةٍ منها أهلٌ، ما يرونَ الآخرينَ، يطوفُ عليهم المؤمنُ، وجنَّتانِ من فضةٍ، آنيتُهما وما فيهما؛ [و] جنَّتان من ذهبٍ، آنيتُهما وما فيهما؛

٥٦١٦ ـ **(وعن أبي موسى)** أي الأشعري رضي الله [تعالى] عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن للمؤمن في الجنة لخيمة)** أي عظيمة **(من لؤلؤة)** بهمزتين وتبدلان، وقد تبدل الأولى دون الثانية أي درة **(واحدة مجوفة عرضها)** فالطول أولى. **(وفي رواية: طولها)** أي وعلى قياسه عرضها ويتحصل بالروايتين أن طولها وعرضها كل واحد منهما. **(ستون ميلاً وفي كل زاوية)** أي من الزوايا الأربعة **(منها)** أي من تلك الخيمة **(أهل)** أي للمؤمن من زوج وغيره **(ما يرون)** أي ذلك الأهل، وجمع باعتبار معناه **(الآخرين)** أي الجمع الآخرين من الأهل[١] الكائنين في زاوية أخرى **(يطوف عليهم)** أي يدور على جميعهم **(المؤمنون)** بصيغة الجمع في أصل السيد وكثير من نسخ المشكاة، وفي بعضها بصيغة الإفراد. قال الطيبي [رحمه الله]: كذا في البخاري وشرح السنة ونسخ المصابيح، وفي مسلم والحميدي وجامع الأصول: المؤمن فعلى هذا جمع لإرادة الجنس انتهى. وقال شارح: وتبعه ابن الملك أن المعنى يجامع المؤمن الأهل وإن الطواف هنا كناية عن المجامعة. **(وجنتان)** مبتدأ خبره محذوف، أي وللمؤمن جنتان. وأغرب من قال إنه عطف على أهل لكونه بعيداً عن المعنى وإن كان قريباً في اللفظ. ثم قال شارح: أي درجتان أو قصران. **(من فضة آنيتهما وما فيهما)** أي من القصور والأثاث كالسرر وكقضبان الأشجار وأمثال ذلك. قيل: قوله: من فضة، خبر آنيتهما والجملة صفة جنتان، أو من فضة صفة قوله: جنتان، وخبر آنيتهما [محذوف]، أي آنيتهما وما فيهما كذلك، أو آنيتهما فاعل الظرف أي تفضض آنيتهما وكذا من جهة المبنى، والمعنى قوله: **(وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما)** ثم ظاهره أن الجنتين من فضة لا غير وبالعكس فالجمع بينه وبين حديث وصفه[٢] بناء الجنة من أن لبنة من ذهب ولبنة من فضة، أن الأول صفة ما في الجنة من آنية وغيرها، والثاني صفة حوائط الجنة[٣]، أو المراد به التبعيض لا التلميع، أو يقال: الجنتان من ذهب للكمل من أهل مقام الخوف الموجب للقيام[٤] بالطاعة على الوجه الأكمل كما قال تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦] . والجنتان من فضة لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام أرباب الكمال كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿**ومن دونهما جنتان**﴾ [الرحمٰن ـ ٦٢] [٥].

الحديث رقم ٥٦١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٨. حديث رقم ٣٢٤٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٢ حديث رقم (٢٣ ـ ٢٨٣٨). والترمذي في السنن ٤/ ٥٨١ حديث رقم ٢٥٢٨. والدارمي ٢/ ٤٢٩ حديث رقم ٢٨٢٢. وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٠.

(١) في المخطوطة «أهل».
(٢) في المخطوطة «وصف».
(٣) في المخطوطة «الجنان».
(٤) في المخطوطة «للمقام».
(٥) في المخطوطة ذكر الآية الكريمة ﴿**ولمن خلق مقام ربه جنتان**﴾ [الرحمٰن. ٤٦].

وما بينَ القومِ وبينَ أنْ ينظروا إِلى ربِّهم إِلاَّ رداءُ الكبرياءِ على وجههِ في جنة عدْنٍ». متفق عليه.

والحاصل أن المراد بالأولين هم السابقون وبالآخرين هم اللاحقون، وأما الجنة الملمعة فأصحابها المخلطون والله سبحانه [وتعالى] أعلم. هذا وقال البيقهي [رحمه الله]: دل الكتاب والسنة على أن الجنان أربع وذلك لأن الله تعالى قال في سورة الرحمٰن: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦] . ووصفهما ثم قال: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٦٢] . ووصفهما. وروينا عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: جنتان آنيتهما وما فيهما من ذهب وجنتان آنيتهما وما فيهما من فضة. قلت: ويؤيد ما قدمناه ما في رواية: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين. ولا يبعد أن يكون المراد بالجنتين نوعين من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من فضة وقد يكون لأرباب الكمال جنتان من ذهب وجنتان من فضة على يمين قصورهم وشمالها طلباً للزينة لا لفقدان[1] الذهب أو كثرة القيمة، على أنه قد يراد بالتثنية التكثير ويقويه أن أبواب الجنة وطبقاتها ثمانية فقد قال في المنجاة[2]: هي ثمان جنة عدن وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار ودار المقامة. **(وما بين القوم)** أي وليس مانع من الموانع بين أهل الجنة **(وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء)** أي صفة العظمة **(على وجهه)** أي ثابتاً على ذاته فهو حال من الرداء **(في جنة عدن)** أي كائن في جنة إقامة وخلود وهو بدل من قوله: في الجنة. كذا قيل، وهو يوهم الاختصاص مع أن وصف الإقامة والخلود لا ينفك عن جنس الجنة فلا عبرة بالمفهوم الموهوم. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: على وجهه. حال من رداء الكبرياء، والعامل معنى ليس وقوله: في الجنة، متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد بالمفهوم انتفاء هذا الحصر في غير الجنة. قلت: هذا مسلم لكن لفظ الحديث: في جنة عدن، وقال الشيخ التوربشتي [رحمه الله تعالى]: أي ما بين العبد المؤمن إذا تبوّأ مقعده من الجنة مع ارتفاع حجب الكدورة الجسمية واضمحلال الموانع الحسية هناك وبين نظره إلى ربه إلا ما يصده من هيبة الجلال وسبحات الجمال ولا يرتفع ذلك منهم إلا برأفة ورحمة منه تفضلاً على عباده، وأنشد في المعنى:

اشتاقه فإذا بدا * أطرقت من إجلاله
لا خيفة بل هيبة * وصيانة لجماله
وأصد عنه تجلداً * وأروم طيف خياله

(متفق عليه) وفي الجامع: إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً. رواه مسلم [رحمه الله] عن أبي موسى، ورواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي موسى [رحمهم الله] بلفظ: في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف

---

(١) في المخطوطة «فقدان».
(٢) المنجاة على المرقاة في الفروع.

٥٦١٧ ـ (٦) وعن عُبادةَ بن الصامتِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «في الجنَّةِ مائةُ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتَينِ كما بينَ السماء والأرض، والفردوسُ أعْلاها درجةً، منها تفجَّرُ أنهارُ الجنةِ الأربعةِ، ومن فوقِها يكونُ العرشُ، فإذا سألتمُ اللّهَ فاسألوهُ الفردوسَ»

عليهم المؤمن[١]. وروى أحمد والطبراني عن أبي موسى مرفوعاً: جنان الفردوس أربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدر بعد ذلك أنهاراً[٢].

٥٦١٧ ـ **(وعن عباد بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: في الجنة مائة درجة)** يمكن أن يراد به الكثرة لما ورد من رواية البيهقي عن عائشة [رضي الله تعالى عنها] مرفوعاً: عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة[٣]. ويمكن أن يقال: في الجنة مائة درجة لكل واحد من أهلها فيكون بيان أقل ما يكون فيها من أنواع السعة وأصناف النعمة. **(ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)** ويمكن تقييد وصف المائة بما ذكر وغيرها يكون على خلافها من كونه أقل أو أكثر. وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مرفوعاً: إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم. **(والفردوس)** أي الجنة المسماة بالفردوس المذكور في القرآن في قوله تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون﴾**. إلى قوله: **﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾** [المؤمنون ـ ١٠ و١١] . **(أعلاها)** أي على سائر الجنان **(درجة)** أو أعلى هذه المائة باعتبار كل فرد أو باعتبار المجموع. وفي النهاية: الفردوس في اللغة البستان الذي فيه الكروم والأشجار ومنه جنة الفردوس. قلت: لا بد له من وصف زائد يختص به ويمتاز به عن غيره كما يشير إليه[٤]. بقوله: **(منها)** وفي رواية الجامع: ومنها، أي من جنة الفردوس. **(تفجر [أنهار الجنة]**) بصيغة المجهول، أي تشقق وتجري أنهار الجنة. **(الأربعة)** بالرفع صفة لأنهار وهي أنها الماء واللبن والخمر والعسل المذكورة في القرآن: **﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾** [محمد ـ ١٥] . **(ومن فوقها يكون عرش الرحمٰن)** فهذا يدل على أن الفردوس فوق جميع الجنان ولذا قال ﷺ تعليماً للأمة وتعظيماً للهمة: **(فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس)** أي فإنه سر الجنة على ما رواه الطبراني عن العرياض وهو بضم العين وتشديد الراء، أي وسطها وخيرها. وروى الطبراني عن سمرة مرفوعاً: الفردوس ربوة الجنة أعلاها وأوسطها

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٦٦ حديث رقم ٥٩١٨.

(٢) الجامع الصغير ١/ ٢١٩ حديث رقم ٣٦٠٠ وأحمد في المسند ٤/ ٤١٦.

الحديث رقم ٥٦١٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٣ حديث رقم ٢٥٣١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٨ حديث رقم ٤٣٣١. وللبخاري نحوه ٦/ ١١. حديث رقم ٢٧٩٠.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان كما ذكره السيوطي.

(٤) في المخطوطة «كما شر إلى بعضه».

رواه الترمذيُّ. ولم أجدْه في «الصَّحيحينِ» ولا في «كتاب الحميدي».

٥٦١٨ - (٧) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ لسُوقاً يأتونَها كلَّ جُمعةٍ،

ومنها تفجر الأنهار الأربعة[١]. وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعاً: إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش[٢]. (رواه الترمذي) وفي الجامع رواه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي والحاكم في مستدركه. قال المؤلف: (ولم أجده) أي هذا الحديث (في الصحيحين) أي في متنيهما (ولا في كتاب الحميدي) أي الجامع بينهما، ولعله سكت عن جامع الأصول لمانع عن تتبعه. وحاصل كلامه الاعتراض على صاحب المصابيح حيث أورد الحديث في الصحاح، والحال أنه لم يوجد إلا في الحسان. قال ميرك: كذا قاله المصنف ووافقه الشيخ الجزري [رحمه الله] في تصحيح المصابيح. وأقول: قد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن أبي هريرة مثل عبادة والتفاوت بينهما أي بين حديث أبي هريرة وحديث عبادة يسير[٣]، فكان على صاحب المشكاة والشيخ أيضاً أن يقولا: ورواه البخاري من حديث أبي هريرة مع تفاوت يسير انتهى. وقال الحافظ ابن حجر [رحمه الله] في تخريج أحاديث المشكاة: وعجيب من ادخال البغوي له في أحاديث الصحيحين تم كلامه. قيل: ونسبه صاحب المشارق أيضاً إلى البخاري، وقد قيل إنه موجود في البخاري في موضعين: الأوّل في كتاب الجهاد والثاني في باب: وكان عرشه على الماء. وكذا في مسلم في باب فضل الجهاد في سبيل الله، فمن حفظ حجة على من لم يحفظ.

٥٦١٨ - **(وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لسوقاً)** أي مجمعاً فيه الصور المشتهاة **(يأتونها)** أي يحضر أهل الجنة تلك السوق **(كل جمعة)** بضمتين ويسكن الثاني. قال النووي [رحمه الله]: السوق مجمع لأهل الجنة يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة أي أسبوع، وليس هناك أسبوع حقيقة لفقد الشمس والليل والنهار. قلت: وإنما يعرف وقت الليل والنهار بإرخاء أستار الأنوار ورفعها على ما ورد في بعض الأخبار فبهذا يعرف يوم الجمعة وأيام الأعياد وما يترتب عليهما من الزيارة والرؤية وسائر الأمداد والأسعاد. ففي الجامع: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة، وذلك أنهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم: تمنوا على ما شئتم. فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى. فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا. فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا.

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٧٠ حديث رقم ٥٩٨١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٦ حديث رقم ٢٢٣٦.

(٣) البخاري في صحيحه ٦/ ١١ حديث رقم ٢٧٩٠.

الحديث رقم ٥٦١٨ أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٨ حديث رقم (١٣ - ٢٨٣٣) أحمد في المسند ٣/ ٢٨٤.

فتهب ريحُ الشمالِ، فتحْثو في وُجوهِهم وثيابِهم، فيزدادونَ حُسنا وجمالاً، فيرجعونَ إلى أهليهم وقدِ ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلوهُم: واللّهِ لقدِ ازدَدتم بعدَنا حسناً وجمالاً. فيقولونَ: وأنتم واللّهِ لقدِ ازددتم بعدَنا حُسناً وجمالاً». رواه مسلم.

٥٦١٩ ـ (٨) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ، ثمَّ الذينَ يلونَهم كأشدّ كوكبٍ دُريّ في السماء إضاءةً،

رواه ابن عساكر عن جابر[(١)]. هذا وتسمية يوم الجمعة بيوم المزيد في الجنة يدل على تمييزه عن سائر الأيام والله [تعالى] أعلم بالمرام. **(فتهب)** بضم الهاء وتشديد الموحدة، أي فتأتي. **(ريح الشمال)** بفتح أوّله من غير همز وخصت بالذكر لأنها من ريح المطر عند العرب. **(فتحثو)** أي تنثر تلك الريح، والمفعول محذوف، أي المسك وأنواع الطيب. **(في وجوههم)** أي أبدانهم، وخصت الوجوه لشرفها، أو المراد بها ذواتها[(٢)]. **(وثيابهم فيزدادون)** أي في ثيابهم **(حسناً وجمالاً)** جمع بينهما للتأكيد، أو المراد بأحدهما الزينة وبالآخر حسن الصورة. **(فيرجعون)** أي من السوق **(إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً)** قيل: يكون زيادة حسنهم بقدر حسناتهم. **(فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم)** أي أنتم أيضاً، وفيه تغليب لكون الأهل أعم من النساء والولدان، أو أريد به التعظيم والتكريم، أو روعي المشاكلة والمقابلة. **(بعدنا)** أي بعد مفارقتكم عنا. **(حسناً وجمالاً. فيقولون: [وأنتم] والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً)** وهو إما لإصابتهم من تلك الريح أو بسبب انعكاس جمالهم أو لأجل تأثير حالهم وترقي مآلهم **(رواه مسلم)**.

٥٦١٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة)** بضم الزاي أي أول جماعة وهم الأنبياء والأولياء كذا قاله شارح. والظاهر[(٣)] أن المراد بهم الأنبياء خاصة. **(يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر)** ولعل دخولها على صورة الشمس مختص بنبينا ﷺ. **(ثم الذين يلونهم)** أي يقربون تلك الزمرة في قرب المرتبة من الأولياء والعلماء والشهداء والصلحاء. **(كأشد)** أي كل واحد منهم كأشد **(كوكب دري في السماء)** وهو بضم الدال وتشديد الراء [والياء] أي شديد الإنارة منسوب إلى الدر، وتقدمت لغات أخر مع بيان مبانيها ومعانيها. ثم قوله: **(إضاءة)** تمييز يبين وجه الشبه. قال الطيبي [رحمه الله]: أفرد

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٢٣٥.

(٢) في المخطوطة مكان هذه العبارة: «وأحدهما المترتب على الآخر حسن التصوير إحداهن أي والسوق وذواتهم».

الحديث رقم ٥٦١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٨. حديث رقم ٣٢٤٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩ حديث رقم (١٥ ـ ٢٨٣٤) والترمذي في السنن ٤/ ٥٧٨ حديث رقم ٢٥٢٢. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٠ حديث رقم ٢٨٢٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٦.

(٣) في المخطوطة «والأظهر».

قلوبُهم على قلب رجلٍ واحدٍ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، لكلِّ امرئٍ منهم زوجتان من الحورِ العِين، يُرى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراءِ العظمِ واللحمِ من الحسنِ، يسبِّحونَ اللَّهَ بكرةً وعشيّاً، لا يسقمونَ، ولا يبولونَ، ولا يتغوَّطونَ ولا يتفلونَ، ولا يمتخطونَ، آنيتُهم الذهبُ والفضةُ، وأمشاطُهم الذهبُ، ووَقودُ مجامرِهم الألُوَّةُ،

المضاف إليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب، يعني إذا تقصيت كوكباً كوكباً رأيتهم [كأشد] إضاءة. (**قلوبهم**) أي قلوب أهل الجنة حينئذ أو قلوب الزمرة الأخيرة فالأولى بالأولى (**على قلب رجل واحد**) أي في الاتفاق والمحبة. فقوله: (**لا اختلاف بينهم ولا تباغض**) تفسير لقوله: قلوبهم. الخ وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين**﴾ [الحجر - ٤٧]. (**لكل امرىء منهم زوجتان**) أي عظيمتان (**من الحور**) بضم الحاء أي النساء البيض الأبدان من الحور وهو البياض الخالص، ومنه الحواري والحواريون. (**العين**) بكسر العين أي [حسان الأعيان]. (**يرى**) [بصيغة المجهول] أي يبصر (**مخ سوقهن**) جمع الساق أي مخ عظامهن[1]. (**من وراء العظم واللحم**) الواو لمطلق الجمع أو الترتيب للترقي (**من الحسن**) أي من أجل لطافة خلقتهن. قال الطيبي [رحمه الله]: هو تتميم صوناً من توهم ما يتصور من تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع والحسن هو الصفاء ورقة البشرة ونعومة الأعضاء، هذا ولعل الزوجتين المذكورتين لعموم أفراد المؤمنين من أهل الجنة، وأما أهل الخصوص فيزاد لهم على حسب مقاماتهم. وقال الطيبي [رحمه الله]: الظاهر أن التثنية للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى: ﴿**ثم ارجع البصر كرتين**﴾ [الملك - ٤]. لأنه قد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين. (**يسبحون الله**) أي أهل الجنة ينزهونه تعالى عن صفات النقصان ويثبتون له نعوت الكمال، فإن النفي والاثبات متلازمان كما حقق [في] كلمة التوحيد من [أن] الجمع بينهما للتوكيد وإلى ذلك أشار في قوله سبحانه: ﴿**دعواهم فيها سبحانك اللهم**﴾ [يونس - ١٠]. (**بكرة وعشيا**) أي دائماً على أنه أراد بهما ليلاً ونهاراً بإطلاق الجزء وارادة الكل مجازاً. وقال الطيبي [رحمه الله]: يراد بهما الديمومة كما تقول[2] العرب: أنا عند فلان صباحاً ومساء، لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة. (**لا يسقمون**) بفتح القاف ويضم. ففي القاموس: سقم كفرح وكرم، والمعنى: لا يمرضون ولا يضعفون ولا يشيبون. (**ولا يبولون**) أي من قبل (**ولا يتغوطون**) أي من دبر (**ولا ينفلون**) بضم الفاء وتكسر، أي لا يبزقون. (**ولا يمتخطون**) أي ليس في فمهم وأنفهم من المياه الزائدة والمواد الفاسدة ليحتاجوا إلى إخراجها، لأن الجنة مساكن طيبة للطيبين فلا يلائمها الأدناس والأنجاس. (**آنيتهم**) جمع آناء أي ظروفهم. (**الذهب والفضة**) أي ملمعة على ارادة الزينة أو ظروف بعضهم الذهب وظروف بعضهم الفضة، فالواو بمعنى أو للتنويع. (**وأمشاطهم**) جمع مشط (**الذهب ووقود مجامرهم**) بفتح الواو، أي ما يوقد به مباخرهم (**الألوة**) بفتح الهمزة ويضم وبضم اللام وتشديد الواو، قال النووي [رحمه الله]: هو العود الهندي. وقال شارح: المجمر بالفتح ما

---

(١) في المخطوطة «عظامها». (٢) في المخطوطة «يقال».

ورَشحهُمُ المسكُ، على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، على صورةِ أبيهِم آدَمَ، ستونَ ذراعاً في السماءِ». متفق عليه.

يوضع فيه الجمر ويحترق فيه العود، وبالكسر الآلة. وقال بعضهم: إنه لا نار في الجنة، وأجيب بأنه يفوح بغير نار. أقول: وقد يكون بالنور وهو في غاية من الظهور. وفي النهاية: المجامر جمع مجمر بالكسر وهي التي توضع فيه النار للبخور، وبالضم هو الذي يتبخر به وأعد له الجمر. قال الطيبي [رحمه الله]: والمراد في الحديث هو الأوّل، وفائدة الإضافة أن الألوة هو الوقود نفسه بخلاف المتعارف فإن وقودهم غير الألوة انتهى. وهذا كله من اللذات المتوالية والشهوات المتعالية، وإلا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ ولا عفونة لأبدانهم وثيابهم، بل ريحهم أطيب من المسك فلا [حاجة] لهم إلى التمشط والتبخر لزيادة الزينة والتلذُّذ بأنواع النعمة الحسية كما قال: **(ورشحهم)** أي عرقهم رائحة **(المسك)** [والمعنى رائحة عرقهم رائحة المسك] ، فهو تشبيه بليغ. **(على خلق رجل واحد)** بضم الخاء واللام وتسكن. والمعنى: أنهم على قلب واحد كما سبق، وبفتح الأوّل. والمعنى أنهم أتراب في سن واحد وهو ثلاثون أو ثلاث وثلاثون سنة على ما سيأتي في الحديث، وهو الملائم المناسب لقوله: **(على صورة أبيهم آدم)** أي في القامة، وبينه بقوله: **(ستون ذراعاً في السماء)** أي طولاً فكني عنه به قاله الطيبي [رحمه الله] . وقيل: العرض سبعة [والله تعالى] أعلم. قال النووي [رحمه الله]: روي بضم الخاء واللام وبفتح الخاء وإسكان اللام وكلاهما صحيح، ورجح الضم بقوله في الحديث الآخر: لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد. وقد يرجح الفتح بقوله: لا يمتخطون ولا يتفلون. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى هذا لا يكون قوله: على صورة أبيهم آدم، بدلاً من قوله: على خلق رجل واحد، بل يكون خبر مبتدأ محذوف. فإذا قيل: الموصوفون بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد حسن الأبدال انتهى. وإنما الاختلاف في المراد بلفظ الحديث، وإلا فلا خلاف أن أهل الجنة كلهم كاملون في الخلق والخلق جميعاً بل الخلق بالضم هو الخليق بالاعتبار، فإنه موجب بحسن الخلق بالفتح ولذا قيل: الظاهر عنوان الباطن. وقد ورد أنه سبحانه ما خلق نبياً إلا حسن الصورة وحسن الصوت ولكن قوله تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** [القلم ـ ٤] . بيان أن يكون له ﷺ شأن عظيم في خلق تصويره الجسيم، فإن المؤمن مرآة المؤمن فبمقدار صفاء المرآة وصقالتها وتخليتها وتجليتها تنعكس وتتجلى فيها صورة المحبوب المطلوب. **(متفق عليه)** وفي الجامع: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها. رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد(١).

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٧ حديث رقم ٢٨١٣.

٥٦٢٠ ـ (٩) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنَّةِ يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلونَ ولا يبولون، ولا يتغَوطون، ولا يمتخطون». قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: «جُشَاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ، يُلْهمُونَ التسبيحَ والتحميدَ كما تلهمون النَفَس». رواه مسلم.

٥٦٢٠ ـ (وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون) أي فيها (ولا يتفلون) أي لا يبصقون (ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون) من باب الافتعال وفيما سبق من باب التفعل. (قالوا:) أي بعض الصحابة (فما بال الطعام) أي ما شأن فضلته (قال: جشاء) بضم الجيم وهو تنفس المعدة من الامتلاء. وقال شارح: أي صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع. أقول: التقدير هو جشاء. (ورشح) أي عرق (كرشح المسك) أي يصير فضل الطعام جشاء، أي نظيره وإلا فجشاء الجنة لا يكون مكروهاً بخلاف جشاء الدنيا ولهذا قال ﷺ: «أقصر عنا جشاءك»[1]. ويصير رشحاً وهو إما باعتبار اختلاف الأشخاص أو الأوقات، أو بعض الطعام يكون جشاء وبعضه [يكون] رشحاً والأظهر أن الأكل ينقلب جشاء والشرب يعود رشحاً، والطعام قد يطلق عليهما نظراً إلى معنى الطعم. ففي القاموس: طعم الشيء حلاوته ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب. أقول: وبه يتم التنزيه في قوله: ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾ [الأنعام ـ ١٤]، هذا وفي رواية الجامع: ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح المسك. وأما قول الطيبي [رحمه الله]: أي يندفع الطعام بالجشاء والرشح فهو حاصل المعنى لأجل المبنى كما لا يخفى. ثم بين [بعض] أحوال أخر لأهل الجنة على سبيل الاستئناف والبيان حيث قال: (يلهمون) أي أهل الجنة (التسبيح والتحميد) أي ونحوهما من الأذكار (كما تلهمون) أي أنتم في هذه الدار (النفس) بفتحتين أي التنفس. والمعنى: لا يتعبون من التسبيح والتهليل كما لا تتعبون أنتم[2]. وفي الجامع بصيغة الغيبة، أي كما يلهمون من النفس ولا يشغلهم شيء من ذلك كما لا يمنعهم من النفس كالملائكة، أو يريد أنها تصير صفة لازمة لا ينفكون عنها كالنفس اللازم للحيوان. والحاصل أنه لا يخرج منهم نفس إلا مقروناً بذكره وشكره سبحانه ولذا قال العارفون: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦]. جنة عاجلة في الدنيا وجنة آجلة في العقبى، فالأولى وسيلة للأخرى والأخرى نتيجة للأولى وقد أشير إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ [الانفطار ـ ١٣]. [فإنه لا نعيم] أعلى من دوام ذكر الكريم. ﴿وأن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار ـ ١٤]. فإن الحجاب أشد أنواع العذاب. قال الطيبي [رحمه الله]: الإلهام القاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله وجهة الملأ الأعلى، فقوله: تلهمون وارد على سبيل المشاكلة لأن المراد به التنفس. (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي.

الحديث رقم ٥٦٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٠ حديث رقم (١٨ . ٢٨٣٥). والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٨. وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٩.

(١) هو مقدمة الحديث رقم (٥١٩٣). (٢) في المخطوطة «زياهم أوهم من النفس».

٥٦٢١ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَدْخُلِ الجنَّة يَنعَمْ ولا يبْأسْ، ولا تَبْلى ثيابُه، ولا يفْنى شبابُه». رواه مسلم.

٥٦٢٢ ـ (١١) ٥٦٢٣ ـ (١٢) وعن أبي سعيدٍ، وأبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أنْ تصِحُّوا فلا تسقَموا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تحيَوا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تشِبُّوا فلا تَهْرَموا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تنعَموا فلا تبْأسوا أبداً». رواه مسلم.

٥٦٢١ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من يدخل الجنة ينعم**) بفتح العين أي يتنعم. (**ولا يبأس**) بسكون الموحدة، فالهمزة المفتوحة أي لا يفقر ولا يهتم. قال الطيبي [رحمه الله]: هو تأكيد لقوله: ينعم. والأصل أن لا يجاء بالواو لكن أراد به التقرير على الطرد والعكس كقوله تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم ـ ٦] . قلت: وفي رواية الجامع: لا يبأس، بلا عطف. (**ولا يبلى**) بفتح اللام مع التذكير والتأنيث، أي لا يخلق ثيابه. (**ولا يفنى**) أي لا يذهب (**شبابه**) قال القاضي [رحمه الله]: معناه أن الجنة دار الثبات والقرار وأن التغير لا يتطرق إليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغيير فإنها ليست دار الأضداد ومحل الكون والفساد. (**رواه مسلم**).

٥٦٢٢ ـ ٥٦٢٣ ـ (**وعن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ينادي مناد**) أي في الجنة، وقيل: إذا رأوها[1] من بعيد. (**إن لكم**) بكسر الهمزة أي قائلاً إن لكم (**أن تصحوا**) بكسر الصاد وتشديد الحاء، أي تكونوا صحيحي البدن دائماً. (**فلا تسقموا**) أي فلا تمرضوا (**أبداً وإن لكم أن تحيوا**) بفتح الياء، أي تكونوا أحياء. (**فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا**). بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة، أي تدوموا شباباً. (**فلا تهرموا**) بفتح الراء، أي لا تشيبوا. (**أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً**) قال الطيبي [رحمه الله]: هذا النداء والبشارة ألذ وأشهى ما فيه من السرور، وفي عكسه أنشد المتنبي:

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه ارتحالا

(**رواه مسلم**).

الحديث رقم ٥٦٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨١. حديث رقم (٢١ ـ ٢٨٣٦). والترمذي في السنن ٤/ ٥٨٠ حديث رقم ٢٥٢٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٨ حديث رقم ٢٨١٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧.

الحديث رقم ٥٦٢٢ و٥٦٢٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨١ حديث رقم (٢٢ ـ ٢٨٣٧). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٣٩. حديث رقم ٣٢٤٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٤. وأحمد في المسند ٣/ ٩٥.

(١) في المخطوطة «أرادها».

٥٦٢٤ ـ (١٣) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أهلَ الجنةِ يتراَءَونَ أهلَ الغرفِ من فوقِهِم كما تتراَءَونَ الكوكبَ الدرِّيَّ الغابرَ في الأفقِ، منَ المشرقِ أو المغربِ،

٥٦٢٤ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة يتراءون)** أي ينظرون أو يرى بعضهم بعضاً **(أهل الغرف)** بضم ففتح جمع غرفة وهي بيت يبنى فوق الدار. والمراد هنا القصور العالية في الجنة. **(من فوقهم)** وفي هذا تصريح بأن قوله تعالى: **﴿في جنة عالية﴾** [الحاقة ـ ٢٢] . يراد بها العلو الحسي أيضاً. **(كما تتراءون)** أي أنتم في الدنيا **(الكوكب الدري)** أي لصفاء لونه ونوره وعلو ظهوره **(الغابر)** بالغين المعجمة [ثم بالموحدة] من الغبور، أي الباقي. **(في الأفق)** بضمتين جمع الآفاق، أي في أطراف السماء. وفي نسخة بالهمزة بدلها من الغبور، أي الذاهب في الأفق البعيد الغور فيه. **(من المشرق)** أي من جانبه **(أو المغرب)** أي من طرفه. والظاهر أن أو للتخيير في التشبيه كقوله تعالى: **﴿أو كصيب من السماء﴾** [البقرة ـ ١٩] . ونحو: **﴿أو كظلمات في بحر لجيء﴾** [النور ـ ٤٠] . وليست للشك. قال التوربشتي [رحمه الله]: قد اختلف في الغابر فمنهم من رواه بالهمزة بعد الألف من الغور يريدون انحطاطه في الجانب الغربي، ومنهم من رواه بالباء من الغبور والمراد منه الباقي في الأفق بعد انتشار ضوء الفجر، فإنما يستبين في ذلك الوقت الكوكب المضيء، ولا شك أن الرواية الأولى نشأت من التصحيف انتهى. ولم يذكر وجه التصحيف فيه. وقال شارح: وروي الغاير من الغور وهو الانحطاط وهو تصحيف لأنه لا يناسب قوله: من المشرق، إذ غور الكوكب في الجانب الشرقي مما لا يتصور ثم قال: قوله: من المشرق والمغرب، كذا في المصابيح أي بالواو، والصواب من المشرق إلى المغرب كما في كتاب مسلم. قال المؤلف: وكذا بأو في شرح السنة وجامع الأصول ورياض الصالحين. قيل: وإنما ذكر المشرق والمغرب [معاً] دون السماء لأن المقصود البعد والإنارة معاً. وقال النووي: معنى الغاير الذاهب الماضي، أي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون. وروي في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء وروي العازب بالعين المهملة والزاي، ومعناه البعيد في الأفق فكلها راجعة إلى معنى واحد. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الأفق. قلت: للإيذان بأنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي من باب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع البعد، فلو قيل: الغائر لم يصح لأن الإشراق يفوت عند الغروب اللهم إلا أن يقدر المستشرف على الغروب لقوله تعالى: **﴿فإذا بلغن أجلهن﴾** [البقرة ـ ٢٣٤] . أي شارفن بلوغ أجلهن، لكن لا يصح هذا المعنى في الجانب الشرقي. نعم

الحديث رقم ٥٦٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٢٠. حديث رقم ٣٢٥٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٧ حديث رقم (١١ . ٢٨٣١). والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٥ حديث رقم ٢٥٥٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٢٨٣٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٥.

لتفاضُلِ ما بينَهم» قالوا: يا رسولَ اللَّهِ! تلكَ منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم. قال: «بَلى والذي نفْسي بيدِه، رجَالٌ آمنوا باللَّهِ وصدَّقوا المرسلينَ». متفق عليه.

يجوز على التقدير كقولهم: متقلداً سيفاً ورمحاً وعلفته تبناً وماء بارداً، أي طالعاً في الأفق من المشرق وغائراً في المغرب. **(لتفاضل ما بينهم)** علة للترائي. والمعنى إنما ذلك لتزايد مراتب ما بين سائر أهل الجنة العالية وما بين أرباب أهل الغرف العالية. قيل: الجنة طبقات أعلاها للسابقين وأوسطها للمقتصدين وأسافلها للمخلطين. **(قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى)** أي يبلغها غيرهم من الأولياء ويشاركها معهم بعض الأصفياء **(والذي نفسي بيده رجال)** أي وهم رجال أو يبلغها رجال أي كاملون في الرجولية لقوله تعالى: **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾** [النور ـ ٣٧] الآية. **(آمنوا بالله)** أي حق الإيمان وغاية[1] الإيقان ونهاية الإحسان. **(وصدقوا المرسلين)** في إجابة ما أمروا به ونهوا عنه وقاموا بوصف الصابرين والشاكرين وترفعوا إلى مقام الراضين، قال تعالى: **﴿وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾** [الفرقان ـ ٦٣] . إلى أن قال: **﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾** [الفرقان ـ ٧٥] الآية. وفي جمع المرسلين إشعار بأن هذه المرتبة العلية عامة للسابقين على حسب تفاوتهم في الرتب السنية وليست خاصة لهذه الأمة مع أن تصديق المرسلين على وجه التحقيق إنما هو لهذه الجماعة. نعم قد يراد به مقابلة الجمع للجمع فالمراد رسوله خاصة بالأصالة وسائر الرسل بالتبعية، فإنه يلزم من التصديق بواحد التصديق بالكل وكذا في جانب التكذيب ومنه قوله تعالى: **﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾**. **(متفق عليه)** وكذا رواه أحمد وابن حبان والدارمي عن أبي سعيد، وكذا الترمذي عن أبي هريرة، ورواه أحمد والشيخان وابن حبان عن سهل بن سعد ولفظه: أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء. ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد، والطبراني عن جابر بن سمرة، وابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنهم] بلفظ: أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما. وفي بعض طرق الحديث قيل: وما معنى أنعما. قال: أهل لذلك هما. وروى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: أن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[2]. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخوان والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً: إن في الجنة لعمداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد ولها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون في الله[3]. وروى أحمد وابن

---

(١) في المخطوطة «شهادة».

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٢٣٢.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤٠ حديث رقم ٢٣١٣. والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٩٠٠٢.

٥٦٢٥ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخلُ الجنَّةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطيرِ». رواه مسلم.

٥٦٢٦ ـ (١٥) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّٰهَ تعالى يقولُ لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنةِ! فيقولونَ: لبَّيكَ ربَّنا وسعدَيْكَ، والخيرُ كلُّه في يديكَ. فيقولُ: هلْ رضيتم؟ فيقولونَ: وما لَنا لا نرضى يا ربُّ وقد أعطَيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقكَ؟ فيقول: ألا أُعطِيكم أفضلَ من ذلكَ؟ فيقولون: يا ربُّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلكَ؟ فيقول: أُحِلُّ

حبان والبيهقي عن مالك الأشعري، والترمذي عن علي [رضي الله عنه] مرفوعاً: إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام[1].

٥٦٢٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم**) أي قلوبهم (**مثل أفئدة الطير**) أي في الرقة واللينة والرحمة والصفاء والخلو عن الحسد والحقد والغل والبغضاء، ومجمله لكونها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب. قال النووي [رحمه الله]: قيل: مثلها في رقتها كما ورد: «أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً»[2]. وقيل في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، قال تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [فاطر ـ ٢٨]. وقيل في التوكل كما ورد: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[3]. وقد قال تعالى: ﴿**وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم**﴾ [العنكبوت ـ ٦٠]. (**رواه مسلم**) وكذا أحمد في مسنده.

٥٦٢٦ ـ (**وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. يقولون: لبيك ربنا**) أي يا ربنا (**وسعديك والخير**) أي جنسه أو جميع أفراده (**في يديك**) أي منحصر في قبضة قدرتك وإرادتك (**فيقول: هل رضيتم**) أي عن ربكم (**فيقولون: وما لنا لا نرضى**) الاستفهام للتقرير، والمعنى أي شيء مانع لنا من أن لا نرضى عنك. (**يا رب**) أي يا ربي، والقياس يا ربنا فكأنه أفرد باعتبار كل قائل. (**وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك**) الجملة حالية (**فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك**) أي من عطائكم هذا (**فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك**) أي من عطائك هذا (**فيقول: أحل**) بضم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٤٣. والترمذي في السنن حديث رقم ٢٥٢٣.

الحديث رقم ٥٦٢٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٣. حديث رقم (٢٧ ـ ٢٨٤٠) وأحمد في المسند ٢/ ٣٣١.

(٢) راجع الحديث رقم (٦٢٦٧). (٣) راجع الحديث رقم (٥٢٩٩).

الحديث رقم ٥٦٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٦ حديث رقم ٩/ ٢٨٢٩. والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٥ حديث رقم ٢٥٥٥.

عليكم رِضواني فلا أسْخطُ عليكم بعدَه أبداً». متفق عليه.

٥٦٢٧ ـ (١٦) وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أدنى مقعَدِ أحدِكم من الجنةِ أن يقولَ له: تمَنَّ؛ فيتمنَّى، ويتمنَّى. فيقولُ له: هل تمنَّيتَ؟ فيقول: نعمْ. فيقول له: فإِنَّ لكَ ما تمنَّيتَ ومثلَه معَه». رواه مسلم.

الهمزة وكسر الحاء، أي أنزل (**عليكم رضواني**) بكسر الراء ويضم، أي دوام رضواني فإنه لا يلزم من كثرة العطاء، دوام الرضا ولذا قال: (**فلا أسخط**) بفتح الخاء المعجمة، أي لا أغضب. (**عليكم بعده أبداً**) ثم اللقاء يترتب على الرضا من الرب المتفرع على الرضا من العبد للقضاء ترتيب البقاء بعد تحقق الفناء، قال ابن الملك: في الحديث دلالة على أن رضوان الله تعالى على العبد فوق إدخاله إياه الجنة. وقال الطيبي [رحمه الله]: الحديث مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر**﴾ [التوبة ـ ٧٢] . الكشاف إنما كبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة لأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أضعاف الثواب[١]، لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما يتهنأ له برضاه كما ينتقص عليه بسخطه ولم يجد لها لذة وإن عظمت. قال الطيبي [رحمه الله]: وأكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى. قلت: ولعل الرضوان أكبر لاشتماله على تحصيل اللقاء وسائر أنواع النعماء. (**متفق عليه**) وكذا رواه أحمد والترمذي.

٥٦٢٧ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: إن أدنى مقعد أحدكم**) أي أقل مرتبة ملكه ومسيرة جنانه ومسافة قصوره (**من الجنة**) أي فيها (**أن يقول**) أي الله أو الملك (**له: تمن فيتمنى ويتمنى**) والظاهر أن المراد بالتكرير هو التكثير. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: أن يقول له، خبر إن والمعنى: إن أدنى منزلة أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها بحيث لا تبقى له أمنية، ونحوه قول الشاعر:

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

(**فيقول**) أي الرب (**له: هل تمنيت**) أي جميع أمانيك (**فيقول: نعم. فيقول له: فإن لك ما تمنيت**) أي وعداً وعدلاً (**ومثله معه**) أي زيادة وفضلاً، وفيه إيماء إلى أن من يكون منتهى ما تمناه رضا مولاه وما يترتب عليه من لقاه فلا يتصور له مزيد أن يعطاه. (**رواه مسلم**).

---

(١) في المخطوطة «وإكرامه أكبر أصناف الثواب».

الحديث رقم ٥٦٢٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٧ حديث رقم (٣٠١/ ١٨٢) وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

٥٦٢٨ ـ (١٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ «سِيحانُ وجِيحانُ والفراتُ والنيلُ، كلٌّ من أنهارِ الجنةِ».

٥٦٢٨ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: سيحان وجيحان) بفتح أولهما، نهران بالشام أولهما من السيح بالسين والحاء المهملتين وهو جري الماء على وجه الأرض، والنون فيه زائدة، وثانيهما من جحن الصبي بالجيم فالحاء إذا ساء غذاؤه، والنون فيه أصلية. (والفرات) نهر بالكوفة (والنيل) نهر مصر، وأما سيحون فنهر بالهند وجيحون نهر بلخ وينتهي إلى خوارزم كذا قاله شارح: وقيل: سيحان نهر بالشام، وقيل. بالهند. وجيحان نهر بلخ. وقال النووي [رحمه الله]: سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، والمذكور في الحديث في بلاد الأرمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان نهر اردنه وهما نهران عظيمان جداً هذا هو الصواب. وأما قول الجوهري: جيحان نهر بالشام فغلط. وقال صاحب نهاية الغريب: سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس، واتفقوا على أن جيحون بالواو نهر خراسان، وقيل: سيحون نهر بالهند. (كل) أي كل واحد منها (من أنهار الجنة) إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم ولتضمنها البركة الإلهية وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها، وذلك مثل قوله ﷺ في عجوة المدينة: إنها من ثمار الجنة. ويحتمل أنه سمى الأنهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الأسامي ليعلم أنها في الجنة بمثابة الأنهار الأربعة في الدنيا، أو لأنها مسميات بتلك الأسماء فوقع الاشتراك فيها كذا ذكر شارح من علمائنا. وقال القاضي [رحمه الله]: جعل الأنهار الأربعة لعذوبة مائها وكثره منافعها كأنها من أنهار الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنهار الأربعة التي هي أصول أنهار الجنة وسماها بأسامي الأنهار الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب على سبيل التشبيه والتمثيل، ليعلم أنها في الجنة بمثابتها وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والنعائم أنموذجات لما يكون في الآخرة. وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض [رحمه الله]: كون هذه الأنها من الجنة أن الإيمان لهم ببلادها وأن الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة. والأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة مخلوقة لأنها موجودة اليوم عند أهل السنة. وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء: أن الفرات والنيل يجريان من الجنة، وفي البخاري: من أصل سدرة المنتهى. وفي معالم التنزيل روى ابن عباس أن الله تعالى أنزل هذه الأنهار من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس وذلك قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ [المؤمنون ـ ١٨] . فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل يرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر الأسود ومقام إبراهيم

الحديث رقم ٥٦٢٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٣ حديث رقم (٢٦ . ٢٨٣٩) وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٠.

رواه مسلم.

٥٦٢٩ ـ (١٨) وعن عُتبةَ بنِ غزْوانَ، قال: ذُكرَ لنا أنَّ الحجرَ يُلقى من شفةِ جهنمَ فيهْوي فيها سبعينَ خريفاً لا يُدرِكُ لها قَعراً، واللّهِ لتُملأنَّ، ولقدْ ذُكرَ لنا أنَّ ما بينَ مصْراعَينِ من مصاريعِ الجنةِ مسيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتيَنَّ عليها يومٌ وهو كظيظٌ منَ الزِّحامِ». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٦٣٠ ـ (١٩) عن أبي هريرةَ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! مِمَّ خُلقَ الخلقُ؟ قال: «منَ الماءِ».

وتابوت موسى وهذه الأنهار فذلك قوله تعالى: ﴿وأنا على ذهاب به لقادرون﴾ [المؤمنون ـ ١٨] . (رواه مسلم).

٥٦٢٩ ـ **(وعن عتبة)** بضم عين مهملة فمثناة فوقية ساكنة فموحدة على ما في أسماء الرجال للمؤلف. **(ابن غزوان)** بفتح معجمة وسكون زاي، قيل هو سابع سبعة في الإسلام. **(قال: ذكر لنا)** هو في حكم المرفوع لأن الغالب في الصحابي الكبير أن لا يأخذ من غير النبي ﷺ أو من الصحابة، ومراسيل الصحابي حجة بالاتفاق. المعنى: بلغنا. **(أن الحجر يلقى)** أي يرمي **(من شفة جهنم)** بفتح أوله ويكسر، واحدة الشفاه، أي من طرفها. **(فيهوي)** أي فيسقط الحجر وينزل **(فيها)** أي في جهنم **(سبعين خريفاً)** أي سنة **(لا يدرك)** أي الحجر **(لها)** أي جهنم **(قعراً)** وهو أبلغ من أن يقال: لا يصل إلى قعرها. والمعنى أنها مع طولها وعرضها وعمقها **(والله لتملأن)** بصيغة المجهول، أي جهنم من الكفار. ثم قال عتبة بعد وصف جهنم انتقالاً إلى نعت الجنة: **(ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة)** أي ما بين طرفي باب من أبوابها **(مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو)** لعل كلاً من ضميري عليها وهو يرجع إلى ما، فالأول باعتبار المعنى لأن ما عبارة عن أماكن، والثاني باعتبار لفظه. فالمعنى: والحال أن ما بينهما **(كظيظ)** بالمعجمتين أي مملوء فعيل بمعنى مفعول، وقيل: أي ممتلىء **(من الزحام)** بكسر الزاي أي الكثرة **(رواه مسلم)**.

(الفصل الثاني)

٥٦٣٠ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق. قال: من الماء)** قيل: أي من النطفة. والظاهر أن يكون اقتباساً من قوله تعالى: **﴿وجعلنا من الماء**

الحديث رقم ٥٦٢٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٨ حديث رقم (١٤ ـ ٢٩٦٧) وأحمد في المسند ٢/ ٣٧١.

الحديث رقم ٥٦٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٠ حديث رقم ٢٥٢٦. والدارمي ٢/ ٤٢٩ حديث رقم ٢٨٢١ وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٥.

قُلنا: الجنةُ ما بناءُها؟ قال: «لَبِنةٌ من ذهبٍ ولبِنةٌ من فضةٍ، ومِلاطُها المسكُ الأذفرُ، وحصباءُها اللؤلؤُ والياقوتُ، وتربتُها الزَّعفرانُ، مَنْ يدخلُها ينعمُ ولا يبْأسُ، ويخلدُ ولا يموتُ، ولا تَبْلى ثيابُهم، ولا يفْنى شبابُهم». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي.

٥٦٣١ ـ (٢٠) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما في الجنةِ شجرةٌ إلا وساقُها من ذهبٍ». رواه الترمذي.

كل شيء حي ﴾ [الأنبياء ـ ٣٠] . أي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله سبحانه: ﴿**والله خلق كل دابة من ماء** ﴾ [النور ـ ٤٥] . وذلك لأن الماء أعظم مواده، أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه بعينه. وقرىء حياً على أنه صفة كل، أو مفعول ثان والظرف لغو، والشيء مخصوص بالحيوان. **(قلنا)** وفي نسخة ضعيفة: قلت. **(الجنة ما بناؤها)** أي هل من حجر أو مدر أو خشب أو شعر **(قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة)** أي بناؤها ملمع ومرصع منهما أو ذكر النوعين باعتبار الجنتين كما تقدم والله [تعالى] أعلم. **(وملاطها)** بكسر الميم أي ما بين اللبنتين موضع النورة **(المسك الأذفر)** أي الشديد الريح. في النهاية: الملاط الطين الذي يجعل بين ساقتي البناء يملط به الحائط أي يخلط **(وحصباؤها)** أي حصباؤها الصغار التي في الأنهار **(اللؤلؤ والياقوت)** أي مثلهما في اللون والصفاء **(وتربتها)** أي مكان ترابها **(الزعفران)** أي الناعم الأصفر الطيب الريح، فجمع بين ألوان الزينة وهي البياض والحمرة والصفرة ويتكمل بالأشجار الملونة بالخضرة، ولما كان السواد مما يغم الفؤاد خص بأهل العناد من العباد. **(من يدخلها ينعم ولا يبأس)** بفتح وسطهما. قال التوربشتي [رحمه الله]: قد وجدناه في المصابيح وفي بعض كتب الحديث ببؤس بالهمزة المضمومة لدلالة الواو على الضم، وبأس الأمر يبؤس إذا اشتد وباس يباس إذا افتقر، والغلط إنما وقع في رسم الخط، والصواب لا يبأس انتهى. وفي القاموس: البأس العذاب والشدة في الحرب، ومنه البأس وبؤس ككرم وبئس كسمع اشتدت حاجته، ومنه البأساء. **(ويخلد)** أي يدوم فيها فلا يتحول عنها. **(ولا يموت)** أي لا يفنى، بل دائماً يبقى. **(ولا تبلى)** بفتح أوله، أي لا تخلق ولا تتقطع. **(ثيابهم)** وكذا أثاثهم **(ولا يفنى شبابهم)** أي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان فإنهم خلقوا لنعيم الأبد في ذلك المكان. **(رواه أحمد والترمذي والدارمي)**.

٥٦٣١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب)** وأما أغصانها فمختلفة فتارة من ذهب وأخرى من فضة أو ياقوتة أو زمردة أو لؤلؤة أو مرصعة ملمعة مزينة بأنواع الأزهار وأصناف الأنوار ومن فوقها أجناس الأثمار ومن تحتها تجري الأنهار **(رواه الترمذي)** [رحمه الله] .

الحديث رقم ٥٦٣١: أخرجه الترمذي في السنن ٥٧٦/٤ حديث رقم ٢٥٢٥.

٥٦٣٢ - (٢١) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتَينِ مائةُ عامٍ». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

٥٦٣٣ - (٢٢) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، لو أنَّ العالمِينَ اجتمعوا في إحداهُنَّ لوَسعَتهم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٦٣٤ - (٢٣) وعنه، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى ﴿وفُرُشٍ مرفوعةٍ﴾ قال: «ارتفاعُها لكَما بينَ السماءِ والأرضِ، مسيرة خمسمائةِ سنة».

٥٦٣٢ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة مائة درجة)** قال ابنُ الملك: المراد بالمائة ههنا الكثرة وبالدرجة المرقاة. أقول: الأظهر أن المراد بالدرجات المراتب العالية، قال تعالى: ﴿**هم درجات عند الله**﴾ [آل عمران - ١٦٣] . أي ذوو درجات بحسب أعمالهم من الطاعات كما أن أهل النار أصحاب دركات متسافلة بقدر مراتبهم في شدة الكفر كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿**إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار**﴾ [النساء - ١٤٥] . ويؤيده الحديث الذي يليه، وظاهر قوله: **(ما بين كل درجتين مائة)** أي مقدار مسافة مائة سنة **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب)**.

٥٦٣٣ - **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين)** أي خلق الأولين والآخرين **(اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم)** أي لكفتهم **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)** وكذا رواه ابن حبان من وجه آخر وصححه.

٥٦٣٤ - **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ في قوله: وفرش مرفوعة. قال: ارتفاعها)** أي اعتلاء فرش الجنة أو ارتفاع الدرجة التي فرشت الفرش المرفوعة فيها **(لكما بين السماء والأرض)** خبر لارتفاعها كقوله: **(مسيرة خمسمائة سنة)** أو الثاني بدل أو بيان، ثم دخول اللام في خبر المبتدأ كما في قول الشاعر:

أم الحليس لعجوز شهربة * ترضى من اللحم بعظم الرقبة

والشهربة العجوز الكبيرة ومثله الشهبرة على ما في الصحاح والكاف في لكما اسم. قال الزجاج في قوله تعالى: ﴿**إن هذان لساحران**﴾ [طه - ٦٣] . قالت النحاة القدماء إن الضمير فيه مضمر، أي أنه هذان لساحران. قالوا: وأصل هذه اللام أن تقع[1] في المبتدأ ووقوعها[2] في الخبر جائز، هذا وفي الكشاف في قوله: فرش مرفوعة، أي نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة. قيل [هي] النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش ويدل عليه قوله: ﴿**إنا أنشأناهن**

الحديث رقم ٥٦٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٢ حديث رقم ٢٥٢٩.

الحديث رقم ٥٦٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٣ حديث رقم ٢٥٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢٩.

الحديث رقم ٥٦٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٦ حديث رقم ٢٥٤٠. وأحمد في المسند ٣/ ٧٥.

(١) في المخطوطة «يقع». (٢) في المخطوطة «وقويمه».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٦٣٥ ـ (٢٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ يومَ القيامةِ ضوءُ وجوهِهم على مثلِ ضوءِ القمرِ ليلةَ البدْرِ، والزُّمرةُ الثانيةُ على مثلِ أحسنِ كوكبٍ دُرّيّ في السماء، لكلِّ رجلٍ منهم زوجتانِ، على كلِّ زوجةٍ سبعونَ حُلةً، يُرى مُخُّ ساقِها منْ ورائِها». رواه الترمذي.

٥٦٣٦ ـ (٢٥) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يُعطى المؤمنُ في الجنةِ قوةَ كذا

إنشاء ﴾ [الواقعة ـ ٣٥]. وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انتهى. فهن مرفوعة على الفرش أو السرر، أو بالجمال على نساء أهل الدنيا على ما قيل فإن كل فاضل رفيع، لكن ثبت في الحديث أن المؤمنات أحسن من الحور لصلاتهن وصيامهن. قال التوربشتي [رحمه الله]: قول من قال المراد منه ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات وما بين كل درجتين من الدرجات كما بين السماء والأرض، هذا القول أوثق وأعرف الوجوه المذكورة [و] ذلك لما في الحديث: إن للجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض(١). انتهى. وعارضه الطيبي [رحمه الله] بما لا طائل تحته فأعرضت عن ذكره وتركت بحثه. **(رواه الترمذي)** أي موقوفاً **(وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٦٣٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة)** وهم الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام **(ضوء وجوههم)** أي نورها **(على مثل ضوء القمر ليلة البدر)** وهو وقت كمال إنارته **(والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء)** وهم الأولياء والصلحاء على اختلاف مراتبهم في الضياء. **(لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة)** بضم حاء وتشديد لام ولا تطلق غالباً إلا على ثوبين **(يرى)** أي يبصر **(مخ ساقها)** أي مخ عظام ساق كل زوجة **(من ورائها)** أي من فوق حللها السبعين لكمال لطافة أعضائها وثيابها، والتوفيق بينه وبين خبر: أدنى أهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم. بأن يقال: يكون لكل منهم زوجتان موصوفتان بأن يرى مخ ساقها من ورائها، وهذا لا ينافي أن يحصل لكل منهم كثير من الحور العين غير البالغة إلى هذه الغاية كذا قيل. والأظهر أن لكل زوجتان من نساء الدنيا وأن أدنى أهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة في الجملة، يعني ثنتين من نساء الدنيا وسعبين من الحور العين والله سبحانه [وتعالى] أعلم. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد في مسنده.

٥٦٣٦ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا**

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٦١٧).

الحديث رقم ٥٦٣٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٤ حديث رقم ٢٥٣٥. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٩ حديث رقم ٤٣٣٣ والدارمي ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٢٨٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٦.

الحديث رقم ٥٦٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٤ حديث رقم ٢٥٣٦.

وكذا من الجماع». قيل: يا رسول الله! أو يطيق ذلك؟ قال: «يُعطى قوةَ مائة». رواه الترمذي.

٥٦٣٧ ـ (٢٦) وعن سعد بنِ أبي وقّاص، عن النبي ﷺ قال: «لو أنَّ ما يُقِلُّ ظُفُرٌ مما في الجنَّة بدا لتزخرفتْ له ما بينَ خوافقِ السماوات والأرض، ولو أنَّ رجلاً من أهل الجنَّة اطّلعَ فبدا أساوره لطَمَس ضوؤه ضوءَ الشَّمس كما تطمسُ الشَّمس ضوءَ النجوم» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

وكذا من الجماع) وهو كناية عن جماع عدة من النساء كالعشرة مثلاً. **(قيل: يا رسول الله أو يطيق [ذلك])** بفتح الواو، أي أيعطي تلك القوّة ويستطيع ذلك المقدار، والإشارة إلى مضمون قوله: كذا وكذا من الجماع. **(قال: يعطي قوّة مائة)** أي مائة رجل كذا قيل أو مائة مرة من الجماع، والمعنى: فإذا كان كذلك فهو يطيق ذلك. **(رواه الترمذي)** وفي الجامع: يعطي المؤمن في الجنة قوّة مائة في النساء. رواه الترمذي وابن حبان عن أنس[١]، وفي الجامع: أن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوّة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر. رواه الطبراني عن زيد بن أرقم[٢] [رضي الله تعالى عنه] .

٥٦٣٧ ـ **(وعن سعد بن أبي وقاص)** [رضي الله عنه] **(عن النبي ﷺ أنه قال: لو أن ما يقل)** بضم الياء وكسر القاف وتشديد اللام، أي يحمله. **(ظفر)** بضمتين ويسكن الثاني. قال الطيبي [رحمه الله]: ما موصولة والعائد محذوف أي ما يقله. وقال القاضي [رحمه الله]: أي قدر ما يستقل بحمله ظفر ويحمل عليها. **(مما في الجنة)** أي من نعيمها **(بدا)** أي ظهر في الدنيا للناظرين **(لتزخرفت)** أي تزينت **(له)** أي لذلك المقدار وسببه من الاعتبار وظهور الأنوار. **(ما بين خوافق السموات والأرض)** أي أطرافها وقيل منتهاها، وقيل: الخافقان المشرق والمغرب كذا ذكره شارح. وقال القاضي [رحمه الله]: الخوافق جمع خافقة وهي الجانب وهي في الأصل الجانب التي تخرج منها الرياح من الخفقان، ويقال: الخافقان للمشرق والمغرب. قال الطيبي [رحمه الله]: وتأنيث الفعل لأن ما بين بمعنى الأماكن كما في قوله تعالى: **﴿أضاءت ما حوله﴾** [البقرة ـ ١٧] . وفي وجه **(ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع)** بتشديد الطاء، أي أشرف. **(على أهل الدنيا فبدا)** أي ظهر **(أساوره)** جمع أسورة جمع سوار، والمراد بعض أساوره: ففي تيسير الوصول فبدا سواره **(لطمس ضوؤه)** أي محا نوره **(ضوء الشمس كما تطمس الشمس)** وفي نسخة: كما يطمس ضوء الشمس. **(ضوء النجوم. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**. وقد سبق هذا المعنى في أحاديث بعضها في صحيح البخاري وبعضها في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠١٥.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٢٢ حديث رقم ١٩٨٨.

الحديث رقم ٥٦٣٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٥ حديث رقم ٢٥٣٨. وأحمد في المسند ١/ ١٦٩.

٥٦٣٨ - (٢٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الجنةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كحلي، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم». رواه الترمذي، والدارمي.

٥٦٣٩ - (٢٨) وعن معاذ بن جبل، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَدْخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْداً مُرْداً مكحَّلين أبناءَ ثلاثين - أو ثلاثٍ وثلاثين - سنة» رواه الترمذي.

٥٦٤٠ - (٢٩) وعن أسماء بنت أبي بكر، قالتْ: سمعتُ رسول الله ﷺ وذُكر له سدرة المنتهى قال: «يسيرُ الراكبُ في ظلِّ الفَنَنِ منها مائةَ سنةٍ، أو يستظل بظلها مائةُ راكبٍ -

---

الصحيحين. في الجامع: أن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنها كوكب دري. رواه أبو داود عن أبي سعيد [رحمهم الله] (١).

٥٦٣٨ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة جرد**) بضم جيم وسكون راء جمع أجرد وهو الذي لا شعر على جسده، وضده الأشعر. (**مرد**) جمع أمرد وهو غلام لا شعر على ذقنه وقد يراد به الحسن بناء على الغالب. (**كحلي**) بفتح الكاف فعلى بمعنى فعيل، أي مكحول وهو عين في أجفانها سواد خلقة، كذا قاله شارح. وفي النهاية: الكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة، والرجل أكحل وكحيل وكحلي جمع كحيل. (**لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم. رواه الترمذي والدارمي**).

٥٦٣٩ - (**وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين**) أي خلقة أو كمكحلين (**أبناء ثلاثين**) أي أتراباً (**أو ثلاث**) أي أو أبناء ثلاث (**وثلاثين سنة**) وأو لشك الراوي (**رواه الترمذي**) قيل: وحسنه.

٥٦٤٠ - (**وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر له**) أي والحال أنه ذكر لرسول الله ﷺ. (**سدرة المنتهى**) قيل: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر، والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها. وقيل: لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**يسير الراكب**) أي المجد (**في ظل الفنن**) محركة، أي الغصن وجمعه الأفنان ومنه قوله تعالى: ﴿**ذواتا أفنان**﴾ [الرحمٰن - ٤٨]. ويقال ذلك للنوع، وجمعه فنون كذا حققه الراغب. (**منها**) أي من السدرة (**مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب**)

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٢٨٧ حديث رقم ٣٩٨٧.

الحديث رقم ٥٦٣٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٦ حديث رقم ٢٥٣٩. والدارمي ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٥ وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٣.

الحديث رقم ٥٦٣٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٩ حديث رقم ٢٥٤٥. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٦. وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٣.

الحديث رقم ٥٦٤٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٧ حديث رقم ٢٥٤١.

شكُّ الرَّاوي - فيها فَراشُ الذهبِ، كأنَّ ثَمرَها القِلالُ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٦٤١ - (٣٠) وعن أنسٍ، قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاكَ نهرٌ أعطانيه الله - يعني في الجنة - أشدُّ بياضاً مِنَ اللّبنِ، وأحلى من العسلِ، فيه طيرٌ أعناقها كأعناق الجُزُرِ» قال عُمر: إنَّ هذه لناعِمَةٌ. قال رسول الله ﷺ: «أَكَلَتُها أَنعَمُ منها». رواه الترمذي.

والأوّل أبلغ، ويمكن أن يراد بها المبالغة في طولها وعرضها فأو للتخيير أو للتنويع باختلاف بعض الأماكن أو بالنسبة إلى نظر بعض الأشخاص، لكن قوله: **(شك الراوي)** يأبى عن ذلك إلا أنه لم يعرف من كلام من، والشك وقع ممن والله [تعالى] أعلم. **(فيها)** أي [في] سدرة المنتهى. والمعنى فيما بين أغصانها، أو عليها بمعنى فوقها مما يغشاها. **(فراش الذهب)** بفتح الفاء جمع فراشة وهي التي تطير وتتهافت في السراج. قيل: هذا تفسير قوله تعالى: **﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾** [النجم - ١٦] . ومنه أخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله: يغشاها فراش من ذهب. قال الإمام أبو الفتح العجلي في تفسيره: ولعله أراد الملائكة تتلألأ أجنحتها تتلألؤ أجنحة الفراش كأنها مذهبة. **(كأن ثمرها القلال)** بكسر القاف جمع القلة، أي قلال هجر في الكبر. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٦٤١ - **(وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر قال: ذاك نهر)** بفتح الهاء وتسكن، أي جدول ماء وفي طرفيه حوضان أحدهما في الجنة والآخر في الموقف. **(أعطانيه الله)** وإنما قال القائل **(يعني في الجنة)** لكون أكثره في الجنة أو مآل تمامه إليها **(أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل)** وفيه إيماء إلى أن ماءه جامع بين سوغ[1] اللبن ولذة العسل وإشارة إلى قوله تعالى: **﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾** [الزخرف - ٧١] . **(فيه)** أي في ذلك النهر، أو في أطرافه. **(طير)** أي جنس من الطيور طويل العنق وكبيره **(أعناقها كأعناق الجزر)** بضم الجيم والزاي جمع جزور. والمعنى: أنه أعد للنحر[2] ليأكل منه أصحاب شرب ذلك النهر فإنه بها يتم عيش الدهر. **(قال عمر [رضي الله عنه]: إن هذه)** أي الطير فإنه يذكر ويؤنث **(لناعمة)** أي لمتنعمة أو لنعمة طيبة. **(قال رسول الله ﷺ: أكلتها)** بفتحات جمع آكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب، وهذا هو الذي في أصل الجزري وسائر النسخ المصححة. والمعنى: من يأكلها. **(أنعم منها)** وفي نسخة صحيحة وهي أصل السيد: آكلتها بالمد، وبكسر الكاف على أن صيغة الواحد قد تستعمل للجماعة. وفي نسخة: آكلها بصيغة الفاعل المذكر[3]، وفي أخرى: آكلوها، بصيغة جمع المذكر[4]. **(رواه الترمذي)** ورواه الحاكم[5] عنه مرفوعاً: الكوثر

الحديث رقم ٥٦٤١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٧ حديث رقم ٢٥٤٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٥٠ حديث رقم ٤٣٣٤. وأحمد في المسند ٣/ ٢٢١.

(١) في المخطوطة «تدحي».
(٢) في المخطوطة «للخبر».
(٣)و(٤) في المخطوطة «المذكور».
(٥) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٧١.

٥٦٤٢ ـ (٣١) وعن بُريدةَ، أن رجلاً قال: يا رسول الله! هلْ في الجنَّة من خيل؟ قال: «إن اللَّهَ أدْخَلكَ الجنةَ فلا تشاء أن تُحمَل فيها على فرسٍ من ياقوتة حمراء يطيرُ بكَ في الجنة حيثُ شئتَ، إلاّ فعلتَ» وسألهُ رَجُلٌ فقال: يا رسولَ الله! هل في الجنةِ من إبلٍ؟ قال:

نهر أعطانيه الله في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر أكلتها أنعم منها.

٥٦٤٢ ـ (وعن بريدة) بالتصغير (أن رجلاً قال: **يا رسول الله هل في الجنة من خيل. قال: إن الله**) بكسر الهمزة وسكون النون، على أن إن شرطية ثم كسر للالتقاء. قال الطيبي [رحمه الله]: مرفوع بفعل يفسره ما بعده وهو. (**أدخلك الجنة**) ولا يجوز رفعه على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط. وقوله: (**فلا تشاء أن تحمل فيها**) جواب للشرط أي فلا تشاء الحمل في الجنة. (**على فرس من ياقوتة حمراء يطير**) بالتذكير ويؤنث. ففي القاموس: الفرس للذكر والأنثى، أي يسرع (**بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت**) بصيغة المخاطب المذكر المعلوم. والمعنى: أن تشاء تفعله. وفي نسخة على بناء المجهول، أي حملت عليها وركبت، وفي أخرى بتاء التأنيث الساكنة فالضمير للفرس أي حملتك. قال القاضي [رحمه الله]: تقدير الكلام إن أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل على فرس كذلك إلا حملت عليه. والمعنى: أنه ما من شيء تشتهيه الأنفس إلا وتجده في الجنة كيف شاءت حتى لو اشتهت أن تركب فرساً على هذه الصفة لوجدته وتمكنت منه. ويحتمل أن يكون المراد إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرساً من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة. والمعنى: فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود، ويدل على هذا المعنى ما جاء في الرواية الأخرى، وهو: إن أدخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه. ولعله ﷺ لما أراد أن يبين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما من التفاوت على التصوير والتمثيل، مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا أثبت الجواهر وأدومها وجوداً وأنصعها لوناً وأصفاها جوهراً، وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير وأكد ذلك في الرواية الأخرى بقوله: جناحان. وعلى هذا قياس ما ورد في صفة أبنية الجنة ورياضها وأنهارها إلى غير ذلك والعلم بحقائقها عند الله تعالى. قال الطيبي [رحمه الله]: الوجه الأول ذهب إليه الشيخ التوربشتي وتقدير قوله: إلا حملت، يقتضي أن يروى قوله: إلا فعلت، على بناء المفعول فإنه استثناء مفرغ، أي لا تكون بمطلوبك إلا مسعفاً، وإذا ترك على بناء الفاعل كان التقدير: فلا تكون بمطلوبك إلا فائزاً. والوجه الثاني من الوجهين السابقيَن قريب من أسلوب الحكيم، فإن الرجل سأل عن الفرس المتعارف في الدنيا فأجابه ﷺ بما في الجنة، أي أترك ما طلبته فإنك مستغن عنه بهذا المركب الموصوف. (**وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل [فإني أحب الإبل]. قال:**)

الحديث رقم ٥٦٤٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٨ حديث رقم ٢٥٤٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٢.

فلم يقلْ له ما قال لصاحبِه. فقال: «إنْ يدخلك اللّهُ الجنةَ يكنْ لَكَ فيها ما اشتهَتْ نفسُكَ ولذَّت عينك» رواه الترمذي.

٥٦٤٣ ـ (٣٢) وعن أبي أيوب، قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله! إني أُحبُّ الخيلَ، أفي الجنَّة خيلٌ؟ قال رسول الله ﷺ: «إن أُدخلتَ الجنَّة أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتةٍ له جناحانِ فَحُمِلتَ عليه ثم طارَ بِك حيث شئت». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ ليس إِسناده بالقويِّ، وأبو سَوْرة الراوي يضعَّف في الحديث، وسمعتُ محمَّد بن إِسماعيل يقول: أبو سوْرةَ هذا منكرُ الحديثِ يرْوي مناكير.

٥٦٤٤ ـ (٣٣) وعن بُريدةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أهلُ الجنَّةِ عشرونَ ومائةُ صفّ، ثمانونَ منها من هذه الأمةِ، وأربعون من سائر الأمم».

أي بريدة **(فلم يقل له ما قال لصاحبه)** أي مثل مقوله لصاحبه كما سبق، بل أجابه مختصراً. **(فقال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك)** أي وجدت عينك لذيذاً من لذذت بالكسر لذاذاً ولذاذة، أي وجدته لذيذاً قاله شارح: وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾ [الزخرف ـ ٧١] . **(رواه الترمذي)**.

٥٦٤٣ ـ **(وعن أبي أيوب قال: أتى النبي ﷺ)** أي جاءه **(أعرابي)** أي بدوي **(فقال: يا رسول الله إني أحب الخيل)** أي في الدنيا **(أفي الجنة خيل)** يعني أو ليس فيها أو لا تشتهي للاستغناء عنها. **(قال رسول الله ﷺ: إن أدخلت الجنة أتيت)** أي جئت **(بفرس من ياقوتة)** قيل: أراد الجنس المعهود مخلوقاً من أنفس الجواهر. وقيل: إن هناك مركباً من جنس آخر يغنيك من المعهود كما مر، والأخير هو الأظهر لما سيأتي. ولقوله: **(له جناحان فحملت عليه)** بصيغة المجهول، أي ركبت. **(ثم طار بك حيث شئت. رواه الترمذي وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، وأبو سورة)** بفتح السين المهملة **(الراوي)** أي راوي هذا الحديث **(يضعف)** أي ينسب إلى الضعف بأحد أسبابه **(في الحديث)** أي في علمه أو في إسناده **(وسمعت محمد بن إسماعيل)** أي البخاري **(يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير)** وروى الطبراني عن أبي أيوب مرفوعاً. إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب بيض كأنهن الياقوت، وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الإبل والطير.

٥٦٤٤ ـ **(وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة عشرون ومائة صف)** أي قدرها أو صوروا صفوفاً **(ثمانون)** أي صفاً **(منها)** أي من جملة العدد كائنون **(من هذه الأمة وأربعون)** أي صفاً **(من سائر الأمم)** والمقصود بيان تكثير هذه الأمة وأنهم ثلثان في القسمة. قال الطيبي

الحديث رقم ٥٦٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٨ حديث رقم ٢٥٤٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٧.

الحديث رقم ٥٦٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٩ حديث رقم ٢٥٤٦. وابن ماجه ٢/ ١٤٣٤ حديث رقم ٤٢٨٩. والدارمي ٢/ ٤٣٤ حديث رقم ٢٨٣٥. وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٥.

رواه الترمذي، والدارمي، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور».

٥٦٤٥ ـ (٣٤) وعن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بابُ أمتي الذين يَدْخلونَ منه الجنةَ عرضُه مسيرة الراكبِ المجوِّدِ ثلاثاً، ثم إِنهم ليُضْغَطُونَ عليه، حتى تكادَ مناكبُهم تزول». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ ضعيفٌ، وسألتُ محمد بن إسماعيل

[رحمه الله]: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وما ورد من قوله ﷺ: والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا فقال ﷺ: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبرنا، فقال ﷺ: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. قلت: يحتمل أن يكون الثمانون صفاً مساوياً في العدد للأربعين صفاً وأن يكونوا كما زاد على الربع والثلث يزيد على النصف كرامة له ﷺ. قلت: وهذا هو الأظهر، على أن النصف قد يطلق ولم يرد به التساوي في العدد والصف ولذا يوصف بالأقل والأكثر. **(رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في كتاب البعث والنشور)** وكذا رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم[1] عنه، والطبراني عن ابن عباس، وعن ابن مسعود عن أبي موسى.

٥٦٤٥ ـ **(وعن سالم)** تابعي جليل **(عن أبيه)** أي عبد الله بن عمر **(رضي الله [تعالى] عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: باب أمتي الذين)** كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة بصيغة الجمع[2] فيكون صفة للأمة، وفي نسخة بصيغة الإفراد على أنه صفة الباب وهو الظاهر إذ المعنى باب أمتي الذي **(يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود)** اسم فاعل من التجويد وهو التحسين. قال شارح: أي الراكب الذي يجود ركض الفرس من جودته، أي جعلته جيداً. وفي أساس البلاغة: يجود في صنعته يفوق فيها وأجاد الشيء وجوده أحسن فيما فعل وجود في عدوه عدا عدواً جواداً وفرس جواد من خيل جياد. قال الطيبي [رحمه الله]: والمجود يحتمل أن يكون صفة الراكب، والمعنى: الراكب الذي يجود ركض الفرس وأن يكون مضافاً إليه والإضافة لفظية، أي الفرس الذي يجود في عدوه. **(ثلاثاً)** ظرف مسيرة. والمعنى: ثلاث ليال أو سنين وهو الأظهر لأنه يفيد المبالغة أكثر، ثم المراد به الكثرة لئلا يخالف ما سبق من أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، على أنه يمكن أوحي إليه أولاً بالقليل ثم أعلم بالكثير، أو يحمل على اختلاف الأبواب باختلاف أصحابها والله [تعالى] أعلم. **(ثم إنهم)** أي أهل الجنة من أمتي عند دخولهم من أبوابها، فالمراد بالباب جنسه. **(ليضغطون)** بصيغة المجهول، أي ليعصرون ويضيقون. **(عليه)** أي على الباب **(حتى تكاد)** أي تقرب **(مناكبهم تزول)** أي تنقطع من شدة الزحام **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث ضعيف)** وفي المصابيح: ضعيف منكر. قال شارح له: أي هذا الحديث منكر لمخالفته للأحاديث الصحيحة التي وردت في هذا المعنى مما مر. **(وسألت محمد بن إسماعيل)** أي البخاري [رحمه الله]

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٨٢.

الحديث رقم ٥٦٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٠ حديث رقم ٢٥٤٨.

(٢) في المخطوطة «المجهول».

عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: خالد بن أبي بكر يروي المناكير.

٥٦٤٦ ـ (٣٥) وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنَّةِ لسوقاً ما فيها شِرىً ولا بيعٌ إلا الصُّور من الرجالِ والنساءِ، فإذا اشتهى الرجلُ صورةً دخلَ فيها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

(عن هذا الحديث فلم يعرفه) أي أصل الحديث والعالم بالحديث المحيط بطرق الأحاديث، إذا قال: أعرفه. دل على ضعفه. **(وقال:)** أي البخاري **(يخلد)** بضم اللام **(ابن أبي بكر)** وهو أحد رواة هذا الحديث **(يروي المناكير)** يعني فيكون حديثاً ضعيفاً وليس فيه أن حديثه هذا منكر. قال السيد جمال الدين: قوله: يخلد سهو من صاحب المشكاة، وصوابه خالد، إذ في الترمذي خالد بن أبي بكر [رحمه الله] وكذا في كتب أسماء الرجال.

٥٦٤٦ ـ **(وعن علي رضي الله [تعالى] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لسوقاً)** أي مجتمعاً والسوق مؤنث سماعي، ولذا قال: **(ما فيها)** أي ليس في تلك السوق **(شرى)** بالكسر والقصر، أي اشتراء **(ولا بيع)** والمعنى ليس فيها تجارة **(إلا الصور)** بالنصب وفي نسخة بالرفع، أي التماثيل المختلفة. **(من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها)** وكذا إذا اشتهت النساء صورة دخلن فيها. قال الطيبي [رحمه الله]: قد سبق في الفصل الأول في حديث أنس أن المراد بالسوق الجمع وهذا يؤيده يعني حيث قال: ما فيها شرى ولا بيع. قال: فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً بأن يجعل تبديل الهيئات من جنس البيع والشرى كقوله تعالى: ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾ [الشعراء ـ ٨٩] . يعني على وجه، وإلا فالمعتمد أن استثناءه منقطع ثم قيل: يحتمل الحديث معنيين أحدهما أن يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه، فإذا اشتهى وتمنى تلك الصورة المعروضة عليه صوره الله سبحانه وتعالى بشكل تلك الصورة بقدرته. وثانيهما أن المراد من الصورة الزينة التي يتزين الشخص بها في تلك السوق ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحلي والحلل والتاج. يقال: لفلان صورة حسنة، أي هيئة مليحة. يعني: فإذا رغب في شيء منها أعطيه ويكون المراد من الدخول فيها التزين بها، وعلى كلا المعنيين التغير في الصفة لا في الذات. قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يجمع بينهما ليوافق حديث أنس: فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً. الحديث. قلت: وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾ [الزخرف ـ ٧١] . ولعل التقييد بالمكان وهو السوق والزمان وهو يوم الجمعة، وبخصوص الصور لكونه يوم المزيد ويوم اللقاء ويوم الجمع ومشاهدة أهل البقاء وزيادة أهل الصفاء والله سبحانه [وتعالى] أعلم. وسيأتي في الحديث الذي يليه مزيد بيان لذلك. **(رواه الترمذي)** وقال: هذا حديث غريب.

الحديث رقم ٥٦٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٢ حديث رقم ٢٥٥٠ وأحمد في المسند ١/ ١٥٦.

٥٦٤٧ ـ (٣٦) وعن سعيد بن المسيب، أنه لقيَ أبا هريرةَ، فقال أبو هريرةَ: أسأل اللّهَ أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أَفيها سوقٌ؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهلَ الجنّةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذَنُ لهم في مقدارِ يومِ الجمعةِ من أيام الدنيا، فيزورونَ ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنَّة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زَبَرْجَد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم ـ وما فيهم دنيٌّ ـ على كثبان المسك والكافور، ما يرون

٥٦٤٧ ـ (**وعن سعيد بن المسيب**) تابعي جليل (**أنه لقي أبا هريرة**) أي في السوق على ما يدل عليه السياق (**فقال له أبو هريرة: اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة**) أي كما جمع بيننا في سوق المدينة (**فقال سعيد: أفيها**) أي أفي الجنة (**سوق**) يعني وهي موضوعة للحاجة إلى التجارة. (**قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ أن**) بالفتح في أصل السيد وغيره، وفي نسخة بالكسر على الحكاية، أي الخبر هو قوله: إن، أو التقدير قائلاً إن (**أهل الجنة إذا دخلوها**) أي الجنة (**نزلوا فيها**) أي في منازلها ودرجاتها (**بفضل أعمالهم**) أي بقدر زيادة طاعاتهم كمية وكيفية (**ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة**) أي قدر إتيانه، والمراد في مقدار الأسبوع (**من أيام الدنيا فيزورون ربهم**) أي فيه (**ويبرز**) من الإبراز، أي ويظهر ربهم. (**لهم عرشه**) أي نهاية لطفه وغاية رحمته كما أشير إليه بقوله: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ [طه ـ ٥] . وإلا فقد سبق أن العرش سقف الجنة وليلائم أيضاً على وجه التنزيه من الجهة قوله: (**ويتبدى**) بتشديد الدال أي يظهر ويتجلى ربهم. (**لهم في روضة**) أي عظيمة (**من رياض الجنة فتوضع لهم منابر**) أي كراسي مرتفعة (**من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد**) بفتح زاي وموحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة جوهر معروف. (**ومنابر من ذهب ومنابر من فضة**) أي بحسب مقادير أعمالهم ومراتب أحوالهم. (**ويجلس أدناهم**) أي أدونهم منزلة (**وما فيهم دنيء**) أي والحال أنه ليس في أهل الجنة دون وخسيس. قال الطيبي [رحمه الله]: هو تتميم صوناً لما يتوهم من قوله: أدناهم الدناءة، والمراد به الأدنى في المرتبة. والحاصل أنه يجلس أقل أهل الجنة اعتباراً. (**على كثبان المسك**) بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيب أي تل من الرمل المستطيل من كثبت الشيء إذا جمعته. (**والكافر**) بالجر عطف على المسك، ففي القاموس: هو نبت طيب نوره كنور الأقحوان أو الطلع أو وعائه وطيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقاً كثيراً وتألفه النمورة وخشبة أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر، وإنما بيض بالتصعيد مع الكرم، وعين في الجنة. (**ما يرون**) بصيغة المجهول من الاراءة والضمير إلى الجالسين على الكثبان، أي لا يظنون ولا يتوهمون.

الحديث رقم ٥٦٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩١ حديث رقم ٢٥٤٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٥٠ حديث رقم ٤٣٣١.

أن أصحاب الكراسي بأفضلَ منهم مجلساً». قال أبو هريرةَ: قلتُ: يا رسول الله! وهل نرى ربَّنا؟ قال: «نعم! هل تتمارون في رؤية الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدر؟» قلنا: لا. قال: «كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضَرُه الله محاضرةً حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان! أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكّره ببعض غَدراته في الدنيا. فيقول: يا ربِّ! أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه.

(أن أصحاب الكراسي) أي أرباب المنابر **(بأفضل منهم مجلساً)** حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل: ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن**﴾ [فاطر - ٣٤]. بل إنهم واقفون في مقام الرضا ومتلذذون بحال التسليم بما جرى القضاء **(قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا)** أي يتجلى الذات **(قال: نعم هل تتمارون)** بفتح الراء وفي نسخة بحذف إحدى التائين، أي هل تشكون. **(في رؤية الشمس)** أي في رؤيتكم الشمس **(والقمر)** أي وفي رؤية القمر **(ليلة البدر)** واحترز عن الهلال وعن القمر في غير ليالي البدر فإنه لم يكن حينئذ في نهاية النور **(قلنا: لا)** أي لا نشك في رؤية الشمس والقمر **(قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم)** والتشبيه إنما هو في كمال الظهور لا في غيره من خطرات تختلج في الصدور **(ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة)** بالضاد المعجمة من الحضور وقد صحف بالمهملة. قال التوربشتي [رحمه الله]: الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة، والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان ويبينه الحديث: «ما منكم من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»[(١)]. الحديث. والمعنى: خاطبه الله مخاطبة وحاوره محاورة **(حتى يقول للرجل منهم: يا فلان)** بالفتح وفي نسخة بالضم **(ابن فلان)** بنصب ابن وصرف فلان وهما كنايتان عن اسمه واسم أبيه. وروى أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعاً: إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم[(٢)]. **(أتذكر يوم قلت كذا وكذا)** أي مما لا يجوز في الشرع فكأنه يتوقف الرجل فيه ويتأمل فيما ارتكبه من معاصيه **(فيذكره)** بتشديد الكاف أي فيعلمه الله **(ببعض غدراته)** بفتح الغين المعجمة والدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفاء، والمراد معاصيه لأنه لم يف بتركها الذي عهد الله إليه في الدنيا. **(فيقول: يا رب أفلم تغفر لي)** أي أدخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر لي من المعصية **(فيقول: بلى)** أي غفرت لك **(فبسعة مغفرتي)** بفتح السين ويكسر **(بلغت)** أي وصلت **(منزلتك هذه)** قال الطيبي [رحمه الله]: عطف على مقدر، أي غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة. والتقديم دل على التخصيص، أي بلوغك تلك

---

(١) البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٠ حديث رقم ٦٥٣٩. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٣ حديث رقم (٦٧. ١٠١٦).

(٢) أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٦. حديث رقم ٤٩٤٨.

فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابةٌ من فوقهم، فأمطرتْ عليهم طِيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربُّنا: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتهم، فنأتي سوقاً قد حَفَّتْ به الملائكةُ، فيها ما لم تنظرِ العيونُ إلى مثلِهِ، ولم تسمعِ الآذانُ، ولم يخطرْ على القلوبِ، فيحملُ لنا ما اشتهينا، ليس يُباعُ فيها ولا يُشترى، وفي ذلكَ السوقِ يَلقى أهلُ الجنةِ بعضُهم بعضاً». قال: «فيُقبلُ الرجلُ ذو المنزلةِ المرتفعةِ، فيلقى مَن هو دونَه - وما فيهم دنيٌّ - فيروعُه ما يرى عليه من اللباسِ،

المنزلة كائن بسعة رحمتي لا بعملك. **(فبينا)** وفي نسخة: فبينما. **(هم)** أي أهل الجنة **(على ذلك)** أي على ما ذكر من المحاضرة والمجاورة **(غشيتهم)** أي غطتهم **(سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً)** أي عظيماً **(لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقاً قد حفت)** بتشديد الفاء، أي أحاطت **(به الملائكة فيها كذا)** في بعض الأصول المعتمدة موجود والمعنى عليه، أي في تلك السوق. **(ما لم تنظر العيون)** بضم العين ويكسر جمع العين إلى مثله، وهو في نسخ أكثر الشراح مفقود. فقال المظهر: ما موصولة والموصول مع صلته يحتمل أن يكون منصوباً بدلاً من الضمير المنصوب المقدر العائد إلى ما في قوله: ما أعددت. ويحتمل أن يكون في محل الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي المعد لكم. وقال شارح: أو هو مبتدأ خبره محذوف أي فيها أقول وهو أحق وأوفق. وقال الطيبي [رحمه الله]: الوجه أن يكون ما موصوفة بدلاً من سوقاً **(ولم تسمع لآذان)** بمد الهمزة جمع الأذن، أي وما لم تسمع بمثله. **(ولم يخطر)** بضم الطاء، أي وما لم يمر مثله. **(على القلوب)** وهذا هو معنى الحديث القدسي المشهور: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. على ما رواه أبو هريرة أيضاً كما سبق. **(فيحمل لنا)** أي إلى قصورنا **(ما اشتهينا)** أي في تلك السوق من أنواع المرزوق **(ليس يباع فيها ولا يشترى)** الجملة حال من ما في ما اشتهينا وهو المحمول[1]، والضمير في يباع عائد إليه. **(وفي ذلك السوق)** هو يذكر ويؤنث فانثه تارة وذكره أخرى والتأنيث أكثر وأشهر، أي وفي تلك السوق. **(يلقى)** أي يرى **(أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال:)** أي النبي ﷺ أو أبو هريرة مرفوعاً حقيقة أو موقوفاً في حكم المرفوع **(فيقبل)** من الإقبال، أي فيجيء ويتوجه **(الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه)** أي في الرتبة والمنزلة **(وما فيهم من دنيء)** زيد من للمبالغة في نفي الاستغراق وهو في نسخة صحيحة بدون من كما في صدر الحديث **(فيروعه)** بضم الراء، أي يعجب الرجل **(ما يرى)** أي يبصره **(عليه)** أي على من دونه **(من اللباس)** بيان ما كذا ذكره شارح. والظاهر عكس مرجع الضميرين. قال الطيبي [رحمه الله]: الضمير المجرور يحتمل أن يرجع إلى من فيكون الروع مجازاً عن الكراهة مما هو عليه من اللباس، وأن يرجع إلى الرجل ذي المنزلة. فالروع بمعنى الإعجاب، أي يعجبه حسنه

---

(١) في المخطوطة «المجهول».

فما ينقضي آخرُ حديثه حتى يتخيَّل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يحزنَ فيها، ثمَّ ننصرفُ إلى منازِلنا، فيتلقانا أزواجُنا، فيقُلنَ: مرحباً وأهلاً لقد جئتَ وإنَّ بكَ من الجمالِ أفضلَ ممَّا فارقتَنا عليه، فيقول: إنَّا جالسْنا اليومَ ربَّنا الجبَّارَ، ويحِقُّنا أن نتقلبَ بمثلِ ما انقلبْنا». رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذيُّ: هذا حديث غريب.

٥٦٤٨ ـ (٣٧) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أدنى أهل الجنَّةِ الذي له ثمانونَ ألفَ خادمٍ، واثنتانِ وسبعونَ زوجةً، وتُنصَبُ له قُبةٌ من لؤلؤٍ وزبرجد وياقوتٍ كما بينِ الجابيةِ إلى صنعاءَ».

فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه. ويدل عليه قوله: **(فما ينقضي آخر حديثه)** أي ما ألقي في روعه من الحديث وضمير المفعول فيه عائد إلى من. قال شارح: أي حديث من هو دونه مع الرجل الرفيع المنزلة. قلت: ويجوز قلب الكلام أيضاً **(حتى يتخيل عليه)** بصيغة الفاعل وفي نسخة بالبناء للمفعول، أي حتى يتصوّر له. **(أن عليه ما هو أحسن منه)** والمعنى يظهر عليه أن لباسه أحسن من لباس صاحبه **(وذلك)** أي سبب ما ذكر من التخيل **(لأنه)** أي الشأن **(لا ينبغي لأحد أن يحزن)** بفتح الزاي أي يغتم **(فيها)** أي في الجنة، فحزن هنا لازم من حزن بالكسر لا من باب تصرفاته متعد غير ملائم للمقام. **(ثم ننصرف)** أي نرجع ونعود **(إلى منازلنا فيتلقانا)** من التلقي، أي يستقبلنا. وفي نسخة: فيلقانا، من اللقي أي فيرانا. **(أزواجنا)** أي من نساء الدنيا ومن الحور العين **(فيقلن: مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار. ويحقنا)** بكسر الحاء وتشديد القاف وفي نسخة بضم الحاء. ففي المصابيح: حق الشيء كضرب ونصر إذا ثبت. وفي القاموس: حق الشيء وجب ووقع بلا شك وحقه أوجبه لازم ومتعدياً. فالمعنى: يوجبنا ويلزمنا. ويمكن أن يكون من باب الحذف والإيصال، أي يحق لنا ويليق بنا. **(أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)** أي من الانقلاب وهو الانصراف على وجه الكمال لأثر مجالسة ذي الجلال والجمال ومشاهدته المنزهة عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال. **(رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث غريب)**.

٥٦٤٨ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أدنى أهل الجنة)** أي أقلهم خدماً ونساء **(الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان)** أي من نساء الدنيا **(وسبعون زوجة)** أي من الحور العين. وفي نسخة اثنان بالتذكير ولعل وجهه أنه ذكر باعتبار معنى الزوجة من لفظ الحور أو الزوج. **(وتنصب)** بصيغة المجهول، أي ويضرب ويرفع له. **(قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت)** قال القاضي [رحمه الله]: يريد أن القبة معمولة منها أو مكللة بها **(كما بين الجابية)** وهي مدينة بالشام **(إلى صنعاء)** وهي بلدة باليمن. قال شارح: هي قصبة باليمين. وقيل هي

الحديث رقم ٥٦٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٩ حديث رقم ٢٥٦٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٥٢ حديث رقم ٤٣٣٨. والدارمي ٢/ ٤٣٤ حديث رقم ٢٨٣٤. وأحمد في المسند ٣/ ٧٦.

وبهذا الإِسنادِ، قال: «ومَن ماتَ من أهلِ الجنةِ من صغيرٍ أو كبيرٍ يُردونَ بَني ثلاثين في الجنةِ، لا يزيدونَ عليها أبداً، وكذلكِ أهلُ النارِ».

وبهذا الإِسناد، قال: «إِنَّ عليهمُ التيجانَ، أدنى لؤلؤةٍ منها لتُضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ».

وبهذا الإِسناد، قال: «المؤمنُ إِذا اشتهى الولدَ في الجنةِ كانَ حمله ووضعُه وسنُّه في ساعة كما يشتهي». وقال إِسحاقُ بن إِبراهيم في هذا الحديث: إِذا اشتهى المؤمنُ في الجنةِ الولدَ

أوّل بلدة بنيت بعد الطوفان. والمعنى: أن فسحة القبة وسعتها طولاً وعرضاً وبعد ما بين طرفيه كما بين الموضعين. قال السيوطي [رحمه الله] في الجامع الصغير: رواه أحمد والترمذي وابن حبان والضياء عنه[1]. **(وبهذا الإِسناد)** أي بالإِسناد الواصل إلى أبي سعيد أيضاً قال: أي النبي ﷺ أو أبو سعيد مرفوعاً. وفي المصابيح وبه قال، أي بالإِسناد المذكور. **(قال: ومن مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون)** أي يعودون وفيه تغليب لأنه لا رد في الصغير، أو المعنى يصيرون. **(بني ثلاثين في الجنة)** متعلق بقوله: يردون. **(لا يزيدون عليها أبداً)** أي زيادة مؤثرة في تغيير أبدانهم وأعضائهم وشعورهم وأشعارهم، وإلا فزمانهم في الجنة يتزايد أبد الآبدين. **(وكذلك أهل النار)** أي في العمر وعدم الزيادة ولعل اختيار هذا المقدار من أزمنة الأعمار للأبرار والكفار ليكون التنعم والعذاب على وجه الكمال في كل من دار البوار ودار القرار. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما رواه مسلم عن أبي هريرة في باب البكاء: «صغارهم دعاميص الجنة». أي داخلون على منازلهم لا يمنعون من موضع كما في الدنيا. قلت: في الجنة ظرف ليردون وهو لا يشعر [أنهم لم] يكونوا دعاميص قبل الرد. **(وبهذا الإِسناد قال: إن عليهم)** أي على رؤوس أهل الجنة **(التيجان)** بكسر المثناة الفوقية جمع تاج **(أدنى لؤلؤة منها لتضيء)** بالتأنيث في النسخ ولعل وجهه أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه. والمعنى: لتنور **(ما بين المشرق والمغرب)** فأضاء متعد، ويمكن أن يكون لازماً والتقدير: ليضيء به ما بينهما من الأماكن لو ظهرت على أهل الدنيا **(وبهذا الإِسناد قال: المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة)** أي فرضاً وتقديراً **(كان حمله)** أي [حمل] الولد **(ووضعه وسنه)** أي كمال سنه وهو الثلاثون سنة **(في ساعة)** لأن الانتظار أشد من الموت ولا موت في الجنة ولا حزن. **(كما يشتهي)** من أن يكون ذكراً أو أنثى ونحو ذلك **(وقال إِسحاق بن إبراهيم:)** رحمه الله، أي ابن حبيب البصري روى عن معمر بن سليمان وروى عنه أبو عبد الرحمٰن النسائي وغيره، مات سنة سبع وخمسين ومائتين. **(في هذا الحديث)** أي ذكر في بيان هذا الحديث **(إذا اشتهى)** أو في هذا الحديث دلالة على أنه إذا اشتهى **(المؤمن في الجنة الولد**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٢٦ حديث رقم ٣٢٤.

كان في ساعة ولكن لا يشتهي. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

روى ابنُ ماجه الرابعةَ، والدارميُّ الأخيرةَ.

٥٦٤٩ ـ (٣٨) وعن عليّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ لمجتمعاً للحورِ العينِ يرفعنَ بأصواتٍ لم تسمعِ الخلائقُ مثلَها، يقلنَ: نحنُ الخالداتُ فلا نبيدُ، ونحنُ النَاعماتُ فلا نبأسُ، ونحنُ الراضياتُ فلا نسخطُ، طوبى لمن كانَ لنا وكنَّا له». رواه الترمذي.

كان **[في ساعة]**) أي حصل الولد في ساعة **(ولكن لا يشتهي)** فقوله: ولكن، هو المقول حقيقة. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب. وروى ابن ماجه الرابعة)** أي الفقرة الرابعة من فقرات الحديث **(والدارمي الأخيرة)** وهي ما أورده إسحاق بن إبراهيم. وفي تيسير الوصول إلى جامع الأصول عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكون لأهل الجنة ولد. أخرجه الترمذي، وزاد في رواية عن الخدري: إن اشتهى الولد كان حمله و[وضعه] وسنه في ساعة واحدة. قال بعضهم: لكن لا يشتهي.

٥٦٤٩ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لمجتمعاً)** بفتح الميم الثانية أي موضعاً للاجتماع أو اجتماعاً **(للحور العين)** قال الراغب: الحور جمع أحور، وحوراء والحور. قيل: ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من العين، ويقال للبقر الوحشي أعين وعيناء لحسن عينها وجمعها عين، وبها شبه النساء قال تعالى: **﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾** [الواقعة ـ ٢٢ و٢٣] . وروى ابن ماجه [وابن] مردويه عن عائشة عنه ﷺ: الحور العين خلقهن من تسبيح الملائكة[1]. وروى ابن مردويه والخطيب عن أنس مرفوعاً: الحور العين خلقن من الزعفران[2]. إن قلت: ولا تنافي بين الحديثين لأن من تعليلية في الحديث الأول فتأمل. **(يرفعن بأصوات)** الباء الزائدة تأكيد للتعدية، أو أراد بالأصوات النغمات والمفعول محذوف، أي يرفعن أصواتهن بأنغام. **(لم تسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات)** أي الدائمات في الغنى والمغنى **(فلا نبيد)** من باد هلك وفني، أي فلا نفنى. **(ونحن الناعمات)** أي المتنعمات **(فلا نبأس)** أي فلا نصير فقيرات ومحتاجات إلى غير المولى **(ونحن الراضيات)** أي عن ربنا، أو عن أصحابنا. **(فلا نسخط)** في حال من الحالات **(طوبى)** أي الحالة الطيبة **(لمن كان لنا وكنا له)** أي في الجنات العاليات **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٥٦٤٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦٠٠ حديث رقم ٢٥٦٤. وأحمد في المسند ١/ ١٥٦.

(١) الجامع الصغير ١/ ٢١٤ حديث رقم ٣٨٥٥. ولم يروه ابن ماجه.

(٢) ذكره في الجامع الصغير ١/ ٢٣٤ حديث رقم ٣٨٥٤.

٥٦٥٠ ـ (٣٩) وعن حكيمِ بن معاويةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ بحرَ الماءِ، وبحرَ العسلِ، وبحرَ اللَّبنِ، وبحرَ الخمرِ، ثمَّ تشقَّقُ الأنهارُ بعدُ». رواه الترمذي.

٥٦٥١ ـ (٤٠) ورواه الدارميُّ عن معاوية.

الفصل الثالث

٥٦٥٢ ـ (٤١) عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الرجلَ في الجنَّةِ ليتكيءُ في الجنةِ سبعينَ مَسْنداً

٥٦٥٠ ـ **(وعن حكيم بن معاوية)** أي النميري قال البخاري: في صحبته نظر. وروى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم وقتادة [رضي الله عنهم] كذا ذكره المؤلف. **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد)** قال الطيبي [رحمه الله]: يريد بالبحر مثل دجلة والفرات ونحوهما، وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من أحدهما ثم منه تشقق جداول انتهى. والظاهر أن المراد بالبحار المذكورة هي أصول الأنهار المسطورة في القرآن كما قال تعالى: **﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾** [محمد ـ ١٥] . وقوله: ثم تشقق بحذف إحدى التاءين أي تفترق الأنهار إلى الجداول بعد تحقق الأنهار إلى بساتين الأبرار وتحت قصور الأخيار، على أنه قد يقال: المراد بالبحار هي الأنهار وإنما سميت أنهاراً لجريانها بخلاف بحار الدنيا، فإن الغالب منها أنها في محل القرار. **(رواه الترمذي)** أي عن حكيم بن معاوية.

٥٦٥١ ـ **(ورواه الدارمي عن معاوية)** الظاهر أنه معاوية بن أبي سفيان لأن معاوية أبا حكيم لم يعرف كونه من الصحابة، ثم رأيت السيوطي [رحمه الله] قال في الجامع الصغير: رواه أحمد والترمذي عن معاوية بن حميدة لكنه لم يذكره المؤلف في أسمائه[1].

(الفصل الثالث)

٥٦٥٢ ـ **(عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل في الجنة)** أي في دار الجزاء **(ليتكىء)** أي ليعتمد ويستند **(في الجنة)** أي في جنته الخاصة به **(سبعين مسنداً)** بفتح الميم ويضم والنون مفتوحة لا غير وهو تمييز لسبعين وهو منصوب بنزع الخافض، أي

الحديث رقم ٥٦٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦٠٣ حديث رقم ٢٥٧١. وأحمد في المسند ٥/ ٥.
الحديث رقم ٥٦٥١: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٥ حديث رقم ٢٨٣٦.
(١) الجامع الصغير ١/ ٤٠ حديث رقم ٢٣١٦.
الحديث رقم ٥٦٥٢: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٥.

قبلَ أن يتحوَّلَ، ثمَّ تأتيهِ امرأةٌ فتضربُ على منكبه، فينظرُ وجهَه في خدِّها أصفى من المرآةِ، وإنَّ أدنى لؤلؤة عليها تضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ، فتسلِّمُ عليه، فيردُّ السلامَ، ويسألُها: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنَّه ليكونُ عليها سبعونَ ثوباً، فينفذُها بصرهُ، حتى يُرى مخُّ ساقها من وراءِ ذلكَ، وإنَّ عليها من التيجانِ إنَّ أدنى لؤلؤة منها لَتُضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ». رواه أحمد.

٥٦٥٣ ـ (٤٢) وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يتحدَّثُ ـ وعنده رجلٌ من أهل البادية ـ: «إنَّ رجلاً

على سبعين مسنداً أو متكأ واحداً بعد واحد كل بلون وصنف من أنواع الزينة. **(قبل أن يتحول)** أي من شق إلى آخر وهو ظرف ليتكيء كما هو ظاهر. وأغرب الطيبي [رحمه الله] حيث قال: قوله: سبعين مسنداً. هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى: **﴿وفرش مرفوعة﴾** [الواقعة ـ ٣٤]. بأنها منضودة بعضها فوق بعض. وقوله: قبل أن يتحول. ظرف لقوله: يأتيه. ولا يخفى غرابة الأول في المعنى وغرابة الثاني في المبنى. **(ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه)** وفي نسخة: منكبيه. أي ضرب الغنج والدلال وتنبيه على مطالعة الجمال. **(فينظر)** أي فيطالع الرجل فيرى **(وجهه)** أي عكسه **(في خدها)** أي من كمال صفائها وضيائها حال كون خدها. **(أصفى من المرآة)** أي أنور من جنس المرأة المعهودة في الدنيا **(وإن أدنى لؤلؤة عليها)** أي على تلك المرأة **(تضيء ما بين المشرق والمغرب)** أي لو كان في الدنيا **(فتسلم)** أي المرأة **(عليه فيرد السلام)** أي عليها **(ويسألها من أنت فتقول: أنا من المزيد)** يراد به ما في قوله تعالى: **﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾** [ق ـ ٣٥]. ومن المزيد أفضلها ما قاله سبحانه: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** [يونس ـ ٢٦]. أي الجنة ورؤية الله تعالى، وإنما سميت زيادة لأن الحسنى هي الجنة [وهي] ما وعد الله تعالى بفضله جزاء لأعمال المكلفين والزيادة فضل على فضل. **(وإنه)** أي الشأن **(ليكون عليها)** أي على المرأة **(سبعون ثوباً)** أي بألوان مختلفة وأصناف مؤتلفة **(فينفذها)** بضم الفاء، أي يدرك لطافة بدن المرأة. **(بصره)** أي نظر الرجل **(حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك)** أي ما ذكره من أنواع الثياب ولم يمنع بصره شيء من الحجاب. **(وإن عليها من التيجان)** أي المرصعة ما يقال في حقها **(أن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب)** وقيل إن بالكسر مزيدة واللام داخل في خبر إن الأولى نحو قوله تعالى: **﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾** [التوبة ـ ٦٣]. انتهى. والظاهر أنها إذا كانت مزيدة تكون اللام داخلة في خبر المبتدأ والجملة خبر إن الأولى، ثم لا شك أن الثانية في الآية غير مزيدة بل لزيادة تأكيد ومبالغة في النسبة. **(رواه أحمد)**.

٥٦٥٣ ـ **(وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يتحدث وعنده رجل من أهل البادية: إن رجلاً)** بكسر الهمزة على الحكاية فهي من جملة ما يتحدث به، وفي بعض النسخ بفتحها على

الحديث رقم ٥٦٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٧. حديث رقم ٢٣٤٨. وأحمد في المسند ٢/ ٥١١.

من أهلِ الجنةِ استأذنَ ربَّه في الزرعِ. فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بَلى، ولكني أُحبُّ أن أزرعَ، فبذرَ، فبادرَ الطرفَ نباتُه واستواؤُه، واستحصادُه، فكانَ أمثالَ الجبالِ. فيقولُ اللَّهُ تعالى: دونكَ يا ابن آدمَ! فإنَّه لا يشبِعُك شيءٌ». فقال الأعرابيُّ: واللَّهِ لا تجدُه إلاَّ قُرشيّاً أو أنصارِيّاً، فإنهم أصحابُ زرعٍ؛ وأمَّا نحنُ فلسْنا بأصحابِ زرعٍ! فضحكَ رسولُ الله ﷺ. رواه البخاريُّ.

٥٦٥٤ ـ (٤٣) وعن جابرٍ، قال: سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ: أينامُ أهلُ الجنةِ؟ قال: «النومُ أخو الموتِ، ولا يموتُ أهلُ الجنةِ». رواهُ البيهقيُّ في «شعب الإِيمان».

أنه مفعول يتحدث والجملة بينهما حالية معترضة. وقال الطيبي [رحمه الله]: هو بكسر الهمزة مفعول يتحدث على حكاية ما يلفظ به رسول الله ﷺ. وحاصله أن رجلاً **(من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع)** أي بناء على ما تعوده به في الدنيا أو لتنزهه به في العقبى **(فقال:)** أي ربه. وفي نسخة: فيقال له **(ألست فيما شئت)** أي من الأكل والشرب وسائر أنواع التنعم **(قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع فبذر)** الفاء فصيح، أي فأذن له فيه فبذر، أي رمى البذر في أرض الجنة. **(فبادر الطرف)** بسكون الراء تحريك الجفون في النظر، أي فسابقه. **(نباته)** والمعنى فحصل نباته في الحال وكذا قوله: **(واستواؤه واستحصاده)** أي من غير مؤونة للحصاد من جانب العباد فكان أمثال الجبال **(فيقول الله تعالى:)** أي حينئذ **(دونك يا ابن آدم)** أي خذ ما تمنيته، قاله على سبيل التوبيخ تهجياً لما التمسه ومن ثم رتب عليه قوله: **(فإنه لا يشبعك شيء)** أي كثير حتى في الجنة، وقد يوجد في تعارف الناس مثل هذا التوبيخ من القواعد المقررة أن كل إناء يرشح بما فيه وأن الناس يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون، أظهر النبي ﷺ هذا المعنى في لباس هذا المبنى. **(فقال الأعرابي: والله لا تجده)** أي هذا الرجل **(إلا قرشياً)** أي من أهل مكة **(أو أنصارياً)** أي من أهل المدينة فأو للتنويع **(فإنهم)** أي مجموع القبيلتين **(أصحاب زرع)** أي في الجملة وإن كان الأنصار أكثر زرعاً **(فأما)** بالفاء، وفي نسخة صحيحة: وأما. **(نحن)** أي معاشر أهل البادية **(فلسنا بأصحاب زرع)** أي فلا نشتهي مثل ذلك **(فضحك رسول الله ﷺ)** أي من فطانة البدوي أو من مسألة الخبتي وجوابه البديعي **(رواه البخاري)**.

٥٦٥٤ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ أينام أهل الجنة قال النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة)** أي فلا ينامون وهذا جواب بالدليل البرهاني وهو أوقع في النفس وأظهر في اطمئنان الإيمان من الجواب الإجمالي بأن قال لا **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

الحديث رقم ٥٦٥٤: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٨٣ حديث رقم ٤٧٤٥.

(٦) باب رؤية الله تعالى

الفصل الأول

٥٦٥٥ ـ (١) عن جرير بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّكم سترونَ ربَّكم عِياناً».

(باب رؤية الله تعالى)

من باب إضافة المصدر إلى مفعوله.

(الفصل الأول)

٥٦٥٥ ـ **(عن جرير بن عبد الله)** أي البجلي **(قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم)** أي أيها المؤمنون **(سترون ربكم)** أي ستبصرونه. فقوله: **(عياناً)** بالكسر مصدر مؤكد، أو حال مؤكدة، إما من الفاعل أو المفعول، أي معاينين بكسر الياء أو معايناً بفتح الياء. والمعاينة رفع الحجاب بين الرائي والمرئي. ففي القاموس: لقيه عياناً، أي معاينة لم يشك في رؤيته إياه. وقال الطيبي [رحمه الله]: عياناً، أي جهاراً. ويجوز أن يكون من العين المحسوسة بالعين الظاهرة. وقال النووي [رحمه الله]: اعلم أن مذهب أهل السنة قاطبة أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة أي نقلاً، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين. وزعمت طوائف من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً؛ وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة، على اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابياً [رضي الله تعالى عنهم] ، عن رسول الله ﷺ. وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مسطورة في كتب المتكلمين وغيرهم على السنة. وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فممكنة. ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على أنها لا تقع في الدنيا. وحكى الإمام أبو القاسم القشيري [رحمه الله تعالى] في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك، أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري [رحمه الله] . أحدهما وقوعها، والثاني لا تقع. ثم مذهب أهل الحق، أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها الأشعة ولا مقابلة

الحديث رقم ٥٦٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣١/٤١٩ حديث رقم ٧٤٣٥ ومسلم ٤٣٩/١ حديث رقم (٢١١ . ٦٣٣) وأخرجه أبو داود ٩٧/٥ حديث رقم ٤٧٢٩. وأخرجه الترمذي ٥٩٢/٤ حديث 2551. وابن ماجه ٦٣/١ حديث رقم ١٧٧. والدارمي ٤١٩/٢ حديث رقم ٢٨٠١. وأحمد في المسند ١٦/٣.

وفي رواية: قال: كنَّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظَرَ إلى القمر ليلةَ البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها فافعلوا». ثمَّ قرأ: ﴿**وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع**

المرئي[1] ولا غير ذلك، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على وجه الاتفاق، لا على سبيل الاشتراط. وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية. ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة له تعالى عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة. قلت: وكما يرانا هو لا في جهة ولا مقابلة ولا غير ذلك. والحاصل أنه لا يقاس الغائب بالشاهد، لا سيما الخالق بالمخلوق. ولذا قيل: لا يقاس الملوك بالحدادين. **(وفي رواية)** أي عن جرير **(قال: كنا جلوساً)** أي جالسين **(عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر)** قال: الأكمل. أي البدر الكامل، وسمى ليلة أربعة عشر بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع. **(فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر)** أي المحسوس المشاهد المرئي. ثم استأنف وقال، أو ذكر على سبيل بيان الحال. **(لا تضامون)** بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم. قال الحافظ ابن حجر، وهو الأكثر: أي لا يظلم بعضكم ببعض بالتكذيب والإنكار. وفي نسخة بفتح التاء وتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم، وفي أخرى بالضم والتشديد من المضامة وهي المزاحمة، وهو حينئذ يحتمل كونه للفاعل والمفعول. وحاصل معنى الكل، لا تشكون. **(في رؤيته)** أي في رؤية القمر ليلة البدر. قال في جامع الأصول: قد يخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله: كما ترون. كاف التشبيه للمرئي، وإنما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي. ومعناه: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك. كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون. قال: ولا تضامون. روي بتخفيف الميم من الضيم الظلم. المعنى أنكم ترونه جميعكم، لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته. فيراه البعض دون البعض. وبتشديد الميم من الانضمام بمعنى الازدحام، أي لا يزدحم بعضكم بعضاً في رؤيته، ولا يضم بعضكم إلى بعض من ضيق. كما يجري عند رؤية الهلال مثلاً دون رؤية القمر، فإنه يراه كل منكم موسعاً عليه منفرداً به. **(فإن استطعتم أن لا تغلبوا)** بصيغة المجهول، أي لا تصيروا مغلوبين **(على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)** أي ما ذكر من الاستطاعة أو عدم المغلوبية. قال القاضي [رحمه الله]: ترتيب قوله إن استطعتم، على قوله سترون بالفاء، يدل على أن المواظب على إقامة الصلوات والمحافظ عليها، خليق بأن يرى ربه. وقوله: لا تغلبوا، معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتي الصبح والعصر. وإنما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس إلى الاستراحة والنوم، وفي العصر من قيام الأسواق واشتغال الناس بالمعاملات. فمن لم يلحقه فترة في الصلاتين مع مالهما من قوّة المانع، فبالحري أن لا تلحقه في غيرهما والله [تعالى] أعلم. **(ثم قرأ)** أي النبي ﷺ، استشهاداً أو جرير[2] اعتقاداً **(﴿وسبح﴾)** بالعطف على ما قبله وهو قوله سبحانه: **﴿فاصبر على ما يقولون وسبح﴾**. **(﴿بحمد ربك قبل طلوع**

---

(١) في المخطوطة «الرائي».
(٢) في المخطوطة «جريراً».

الشمسِ وقبل غروبها ﴾. متفق عليه.

٥٦٥٦ - (٢) وعن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنَّةَ يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلْنا الجنةَ وتُنْجِنا من النَّار؟» قال: «فيُرفعَ الحجاب، فينظرون إلى وجه الله، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا: ﴿للَّذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾. رواه مسلم.

الشمس وقبل غروبها)﴾[١]. أي وصل في هذين الوقتين. وعبر عن الكل بالجزء، وهو التسبيح المراد به الثناء في الافتتاح المقرون بحمد الرب المشتمل عليه سورة الفاتحة. ويدل على هذا المعنى ما بعده، وهو قوله: ﴿ومن آناء الليل ﴾. أي ساعاته، وهو العشاءان ﴿فسبح وأطراف النهار ﴾، أي طرفيه وهو وسطه يعني الظهر ﴿لعلك ترضى ﴾ [طه - ١٣٠] . بالفتح والضم. أي على رجاء أن تكون راضياً أو مرضياً، أو جمعاً مثبتاً، أو المراد بالتسبيح، تنزيه الرب عن الشريك ونحوه من صفات النقصان والزوال والحدوث والانتقال. والمراد بحمده، ثناء الكمال بنعت الجمال ووصف الجلال. (متفق عليه). وفي الجامع[٢] رواه أحمد والشيخان والأربعة عنه، لكن بغير قراءة الآية.

٥٦٥٦ - (وعن صهيب) مصغراً (عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون) أي أتريدون، (شيئاً أزيدكم) أي على عطاياكم (فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا) بتشديد الجيم ويخفف، أي [و] ألم تخلصنا. (من النار) أي من دخولها [وخلودها] . قال الطيبي [رحمه الله]: تقرير وتعجيب من أنه كيف يمكن الزيادة على ما أعطاهم الله تعالى من سعة فضله وكرمه. وقوله: (فيرفع الحجاب) بصيغة المجهول. ورفع الحجاب رفع للتعجب. كأنه قيل لهم هذا هو المزيد. والله سبحانه [وتعالى] منزه عن الحجاب، فإنه محبوب غير محجوب، إذ المحجوب مغلوب. فالمعنى: فيرفع الحجاب عن أعين[٣] الناظرين كما يدل عليه قوله: (فينظرون إلى وجه الله) أي ذاته المنزهة عن الصورة والجهة ونحو ذلك. (فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم. ثم تلا: ﴿للذين أحسنوا﴾) أي العمل في الدنيا بأن أجادوه مقروناً بالإخلاص. (﴿الحسنى﴾) أي المثوبة الحسنى، وهي الجنة. (﴿وزيادة﴾)[٤] أي النظر لوجهه الكريم، وتنكيرها للتعظيم. أي زيادة عظيمة لا يعرف قدرها ولا يكتنه كنهها. قال الطيبي [رحمه الله]: وإذا كان مفسر التنزيل من نزل عليه فمن تعداه فقد تعدى طوره، أقول: أراد به الزمخشري في عدوله عنه إلى التأويل، وكذا من تبعه كالبيضاوي حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجميل الثابت ممن نزل عليه التنزيل. (رواه مسلم).

---

(١) سورة طه - آية ١٣٠. (٢) الجامع الصغير ١/ ١٥٢ حديث ٢٥٣٧.

الحديث رقم ٥٦٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٣ حديث رقم (٢٩٧ . ١٨١). والترمذي ٤/ ٥٩٣ حديث رقم ٢٥٥٢. وأحمد في المسند ٦/ ١٥.

(٣) في المخطوطة «عين». (٤) سورة يونس - آية ٢٦.

الفصل الثاني

٥٦٥٧ ـ (٣) عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى أهل الجنَّةِ منزلةً لَمَن ينظر إِلى جِنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسُرره مسيرة ألفِ سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إِلى وجهه غدوةً وعشيَّة» ثم قرأ: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة

(الفصل الثاني)

٥٦٥٧ ـ (عن ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة) أي أقلهم مرتبة (لمن ينظر إلى جنانه) بكسر الجيم أي بساتينه (وأزواجه) أي نسائه وحوره (ونعيمه) أي ما يتنعم به (وخدمه) أي من الولدان (وسرره مسيرة ألف سنة) أي حال كون جنانه، وما عطف عليه كائنة في مسافة ألف سنة. والمعنى، أن ملكه مقدار تلك المسافة. قيل هو كناية عن كون الناظر يملك في الجنة ما يكون مقداره مسيرة ألف سنة، لأن الملكية في الجنة خلاف ما في الدنيا. وفي التركيب تقديم وتأخير، إذ جعل الاسم وهو قوله: لمن ينظر. خبراً، والخبر وهو أدنى منزلة اسماً، اعتناء بشأن المقدم لأن المطلوب بيان ثواب أهل الجنة وسعتها، وأن أدناهم منزلة من يكون ملكه كذا. ونحوه قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص ـ ٢٦] . خبراً (وأكرمهم) بالنصب عطفاً على أدنى، وفي نسخة بالرفع عطفاً على مجموع اسم إن وخبرها. أي وأكثرهم كرامة على الله وأعلاهم منزلة وأقربهم رتبة عنده سبحانه. (من ينظر إلى وجهه) أي ذاته (غدوة) بضم الغين (وعشية) أي صباحاً ومساءً. ولهذا وصى بالمحافظة على صلاتي طرفي النهار كما مر. أو المراد بهما أن يكون النظر دواماً، على أن الغدوة عبارة عن النهار والعشية عبارة عن الليل مجازاً بذكر الجزء وإرادة الكل، أو بذكر أوّل الشيء وإرادة تمامه. لكن الأول أظهر، لأنه لو كان النظر على وجه الدوام لما انتفعوا بسائر النعيم وقد خلقت لهم، ومما يؤيده أيضاً ما رواه الحاكم عن بريدة مرفوعاً: إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه[١] الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال، فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم وقرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد[٢]. (ثم قرأ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾) أي ناعمة

الحديث رقم ٥٦٥٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٦٤ والترمذي ٤/ ٥٩٣ حديث ٢٥٥٣.

(١) في المخطوطة «مجلس».

(٢) هذا الحديث غير موجود عند الحاكم بل هو للحكيم كما نسبه الإِمام السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث ٢٢٣٤.

إلى ربّها ناظرة ﴾. رواه أحمد، والترمذي.

٥٦٥٨ ـ (٤) وعن أبي رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله! كلُّنا يرى ربَّه مُخلِياً به يوم القيامة؟ قال: «بلى». قال: وما آيةُ ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزين! أليس كلُّكم يَرى القمرَ ليلةَ البدرِ مُخْلِياً به؟» قال: بلى. قال: «فإنما هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله، والله أجلُّ وأعظم».

غضة حسنة. والمراد بالوجوه، الذوات أو خصت لشرفها ولظهور أثر النعمة عليها. ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة ـ ٢٢ ـ ٢٣] قال الطيبي [رحمه الله]: قدم صلة ناظرة إما لرعاية الفاصلة وهي ناضرة باسرة فاقرة، وإما لأن الناظر يستغرق عند رفع الحجاب بحيث لا يلتفت إلى ما سواه. وكيف يستبعد هذا والعارفون في الدنيا بما استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا إلى الكون. ويعضده حديث جابر في آخر الفصل الثالث: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه. (**رواه أحمد والترمذي**) وكذا الطبراني. وروى هناد في الزهد عن عبيد بن عمير مرسلاً: إن أدنى أهل الجنة منزلاً لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها[(١)].

٥٦٥٨ ـ (**وعن أبي رزين العقيلي**) مصغراً (**قال: قلت: يا رسول الله أكلنا**) أي أجميعنا معاشر المؤمنين. (**يرى ربه**) أي يبصرونه، والإفراد في يرى باعتبار لفظ كل. (**مخلياً به**) بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة فلام مكسورة فتحتية مخففة، أي خالياً بربه بحيث لا يزاحمه شيء في الرؤية. (**يوم القيامة**) وقيل بفتح ميم وتشديد تحتية، وأصله مخلوي كذا ذكره الجزري [رحمه الله] . واقتصر ابن الملك على الثاني. والمعنى منفرداً به. ففي النهاية يقال: خلوت به ومعه وإليه، اختليت به إذا انفردت به، أي كلكم يراه منفرداً بنفسه. كقوله: لا تضارون في رؤيته. (**قال: بلى**) أي نعم، كلنا يرى ربه. (**قال:**) أي أبو رزين (**قلت:**) وهو موجود في أكثر النسخ المصححة، والمعنى عليه. (**وما آية ذلك**) أي [ما] علامة رؤية كلنا ربه بحيث لا يزاحمه شيء، والمعنى مثل لنا ذلك[(٢)]. (**في خلقه**) أي مخلوقاته نظيراً لذلك، فإن الله تعالى جعل في الدنيا أنموذجاً لجميع ما في العقبى. (**قال: يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به. قال: بلى**). أي قلت: بلى، (**قال: فإنما هو**) أي القمر (**خلق من خلق الله**) أي ويراه كلنا (**والله أجل**) أي أكمل مرتبة (**وأعظم**) أي أفضل منقبة [وأعلى قدرة] ، لأنه واجب الوجود فهو أولى في نظر العقل بالشهود. قال الطيبي [رحمه الله]: قاس القائل رؤية الله تعالى على ما في المتعارف، فإن الجم الغفير إذا رأوا شيئاً يتفاوتون في الرؤية، لا سيما شيئاً له نوع خفاء،

---

(١) ذكره في الجامع الصغير ١/ ١٣٣ حديث ٢١٩٥.

الحديث رقم ٥٦٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٩٩ حديث رقم ٤٧٣١ وابن ماجه ١/ ٦٤ حديث رقم ١٨٠ وأحمد في المسند ٤/ ١١.

(٢) في المخطوطة [illegible] بين «لنا ذلك» و «مثل».

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٦٥٩ ـ (٥) عن أبي ذرٍ، قال: سألت رسولَ الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنّى أراه».

فيضيم بعضهم بعضاً بالازدحام. فمن راء يرى رؤية كاملة وراء دونها. فالمراد بقوله: مخلياً، إثبات كمالها. ولذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا بالهلال. **(رواه أبو داود)**.

(الفصل الثالث)

٥٦٥٩ ـ **(عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك)** أي في ليلة المعراج **(قال: نور)** أي هو نور عظيم. والمراد، أنه نور الأنوار، ومنه قوله تعالى: **﴿الله نور السموات والأرض﴾** [النور ـ ٣٥] . أي منورهما ومظهر أنوار ما فيهما من الشمس والقمر والكواكب وأمثال ذلك. ومن أسمائه النور، وهو الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره على ما ذكره المحققون. **(أنّى)** بفتح الهمزة وتشديد النون على ما في أكثر النسخ، أي كيف. **(أراه)** أي أبصره، فإن كمال النور يمنع الإدراك. وفي بعض النسخ: نوراني بتشديد الياء للنسبة لزيادة الألف والنون للمبالغة كالرباني. وحينئذ قوله أراه، بمعنى أظنه من الرؤية بمعنى الرأي. فلو قرىء بضم الهمزة لكان أظهر في هذا المعنى، ويمكن أن يكون بمعنى أبصره، إيماء إلى أنه ما رآه في الدنيا وسيراه في الأخرى. أو مراده، أبصرته، والعدول إلى الاستقبال لحكاية الحال الماضية. فكأنه يستحضره ويتلذذ به. قال ابن الملك: اختلف في رؤيته في تلك الليلة، وفي الحديث دليل للفريقين على اختلاف الروايتين، لأنه روي بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، فيكون استفهاماً على [سبيل] الإنكار. وروي بكسر النون، فيكون دليلاً للمثبتين ويكون حكاية عن الماضي بالحال انتهى. وقال الإمام أحمد في قوله نوراني: أراه بتشديد النون، يعني على طريق الايجاب. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد ليس الاستفهام على معنى الإنكار المستفيد للنفي، بل للتقرير المستلزم للإيجاب، أي نور حيث أراه. قال النووي [رحمه الله]: وفي الرواية الأخرى رأيت نور، أنّى بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول. ومعناه حجابه نور فكيف أراه. قال الإمام المازري رحمه الله: معناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة، فإن كمال النور يمنع الإدراك. وروي نوراني منسوب إلى النور. وما جاء من تسمية الله تعالى بالنور في مثل قوله سبحانه: **﴿الله نور السموات والأرض﴾** [النور ـ ٣٥] . وفي الأحاديث معناه ذو نور أو منورهما. وقيل هادى أهلهما، وقيل منور

الحديث رقم ٥٦٥٩: أخرجه مسلم ١/ ١٥٨ حديث (٢٨٥ . ١٧٥) والترمذي ٥/ ٣٦٩ حديث ٣٢٨٢.

رواه مسلم.

٥٦٦٠ ـ (٦) وعن ابن عبَّاس: ﴿ما كذب الفؤادُ ما رأى﴾ . . . ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

قلوب عباده المؤمنين. قلت: ويؤيده قوله: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور ـ ٣٥]. (رواه مسلم).

٥٦٦٠ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما) أي في قوله تعالى: (﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[1] ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[2]. قال:) أي ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) قال صاحب المدارك[3]: أي ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه [الصلاة] والسلام، أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه، يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه، ولم يشك في أن ما رآه حق. وقيل: المرئي هو الله سبحانه، رآه بعين رأسه. وقيل: بقلبه. وفي شرح مسلم للنووي، قال ابن مسعود: رأى رسول الله ﷺ جبريل. وهذا الذي قال هو مذهبه في هذه الآية. وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه، ثم اختلفوا. فذهب جماعة إلى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده دون عينه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه. قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال المفسرون [رحمهم الله]: هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه عزَّ وجلَّ ليلة المعراج. قال ابن عباس وأبو ذر وإبراهيم التيمي: رآه بقلبه. وعلى هذا، رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين. قلت: وهذا قول حسن ووجه مستحسن يمكن به الجمع بين متفرقات الأقوال والله [تعالى] أعلم بالحال. ثم قال الواحدي: ومذهب جماعة من المفسرين أنه رأى بعينه، وهو قول أنس وعكرمة والربيع. قال المبرد: إن الفؤاد رأى شيئاً فصدق فيه. وما رأى في موضع النصب، أي ما كذب الفؤاد مرئيه. وقال القاضي عياض [رحمه الله]: اختلف السلف والخلف، هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء، فأنكرته عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود. وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين. وروى ابن عباس أنه رأى بعينه، ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن كان يحلف على ذلك، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل. وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه [رضي الله تعالى عنهم] أنه رآه. ووقف بعض مشايخنا وقال [ليس] عليه دليل واضح، ولكنه جائز، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة. واختلفوا أن نبينا ﷺ، هل كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا. فحكي عن الأشعري

الحديث رقم ٥٦٦٠: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٦١ حديث رقم (٢٩١ . ١٧٨) والترمذي ٥/٣٦٨ حديث رقم ٣٢٧٩.

(١) سورة النجم. آية رقم ١١. (٢) سورة النجم . آية رقم ١٣.

(٣) «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للإمام حافظ الدين عبد الله بن عمر النسفي ت ٧٠١.

رواه مسلم.

وفي رواية الترمذي قال: رأى محمد ربّه. قال عكرمة: قلتُ: أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾؟ قال: ويحك! ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره،

وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس. وكذلك اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ [النجم - ٨] . فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام. وعن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم [رضي الله تعالى عنهم] ، أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه [تعالى] ، أو من الله [تعالى] له عليه الصلاة والسلام، والدنو والتدلي على هذا متأوّل ليس على وجه. قال جعفر بن محمد وغيره: الدنو من الله لا حد له، ومن العباد بالحدود. فدنوه عليه الصلاة والسلام من ربه عزَّ وجلَّ قربه منه وظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه، واطلاعه على أسرار ملكوته وغيبه بما لم يطلع عليه سواه. والدنو من الله إظهار ذلك له وإيصال عظيم بره وفضله إليه؛ وقاب قوسين أو أدنى على هذا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من نبينا ﷺ. ومن الله إجابة الرغبة وإنابة الرتبة. ونحوه ﷺ حكاية عن ربه: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً»(١) . هذا آخر كلام القاضي عياض [رحمه الله] . وقد أوردت بعض الفوائد من هذه الرياض في رسالتي المدراج للمعراج. (رواه مسلم).

(وفي رواية الترمذي قال:) أي ابن عباس (رأى محمد ربه) أيَ بفؤاده لئلا يخالف رواية مسلم. وقيل: أي بعينه. وهو الظاهر من الإطلاق الملائم لما بعده من السؤال. وإلا فرؤية الفؤاد غير منكرة بالإجماع أهل الكمال، ولا يعتري عليها اعتراض نقلاً ولا عقلاً في كل حال. (قال عكرمة: قلت: أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار [وهو يدرك الأبصار]﴾(٢) قال:) أي ابن عباس (ويحك) كلمة تقال عند الشفقة وحال خوف المزلقة. (ذاك) أي الإدراك الكلي (إذا تجلى بنوره) أي الخالص (الذي هو نوره) أي الذاتي. وهذا الجواب بظاهره أنه أراد الرؤية بالفؤاد. وفهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بأن رؤيته بالعين إنما هي في الآخرة بالتجلي الخاص الكامل العام لكل مؤمن، لكن على قدر مراتبهم في المعرفة. وعدلاً كلاهما عن المعنى المشهور في الإدراك، وهو الإحاطة المنفية بالإجماع لقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه - ١١٠] . وقال الطيبي: قوله ذاك إذا تجلى بنوره. يعني دلت الآية على أنه تعالى لا يحيط به وبحقيقة ذاته حاسة الأبصار، وهذا إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وظهر بصفة الجلال. وأما إذا تجلى بما يسعه نطاق البشرية من صفات الجمال فلا استبعاد اذن انتهى. وقال صاحب الخلاصة: فهم عكرمة من قول ابن عباس: رآه بفؤاده أنه رآه بعينه لكن بمساعدة

---

(١) البخاري ١٣/ ٥١١ حديث رقم ٧٥٣٦. ومسلم ٤/ ٢٠٦١ حديث ٢٦٧٥.

(٢) سورة الأنعام. آية رقم ١٠٣.

. . . .

فؤاده، فلذلك تمسك بالآية. ولو كان المراد أنه كانت الرؤية بالفؤاد جلية كالرؤية البصرية، لم يتجه السؤال بالآية، إلا أن تحمل الآية على أن المراد نفي الإدراك الذي يكون كالإدراك البصري في الجلاء. وإنما خص ذكر البصر لأنه محل الإدراك بحسب العادة. والظاهر أن سؤال عكرمة كان على قول ابن عباس: رأى محمد ربه كما هو. رواية الترمذي لا على قوله: رآه بفؤاده. كما هو رواية مسلم. وحينئذ لا اشكال في الاستدلال بالآية الكريمة. ومعنى جواب ابن عباس، أنه إذا تجلى بنوره على ما هو عليه اضمحل الإدراك، وأما إذا كان تجلى على قدر ما يفي بإدراكه القوة البشرية فإنه يدرك على ذلك الوجه. ثم قوله: **(وقد رأى ربه مرتين)** يحتمل أنه رآه بفؤاده مرتين، وهو الظاهر الموافق لما في صحيح مسلم. أو مرة بفؤاده ومرة بعينه. إذ لم يقل أحد أنه رآه بعينه مرتين. والحاصل أنه ليس في كلام ابن عباس صريح دلالة على أن مراده رؤية ربه بعين البصر. وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية. فقال الحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة، لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى. منها حديث ابن عباس: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم [عليه الصلاة والسلام] والكلام لموسى [عليه الصلاة والسلام] والرؤية لمحمد عليه الصلاة والسلام[١]. قلت: ليس في كلامه نص، على أن المراد به الرؤية البصرية لاحتمال أن يكون رؤية البصيرة من خصائصه أيضاً. مع أن ظاهر هذا الكلام أن لا يكون لنبينا ﷺ وصف الخلة ونعت الكلام، مع أنهما ثابتان له عليه الصلاة والسلام على ما ذكره العلماء الأعلام. ثم قال: والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة. هل رأى محمد صلوات الله عليه وسلامه ربه فأخبره أنه رآه. قلت: يحتمل أن يكون سؤال ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]. وكذا سؤال عكرمة ناشئاً عن تفسير قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ [النجم ـ ١٣]. هل الضمير راجع إلى جبريل أو إلى الله سبحانه. فأخبره أنه رآه أي بفؤاده كما يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه. قال: ولا يقدح في هذا حديث عائشة [رضي الله عنها] لأنها لم تخبر أنها سمعت من النبي ﷺ يقول: لم أر ربي[٢]. قلت: وكذا ابن عباس، لم يخبر أنه سمع النبي ﷺ يقول: ما رأيت ربي مطلقاً. فضلاً عن أن يكون مقيداً بعين البصر قال: وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله**﴾ [الشورى ـ ٥١] الآية. ولقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ [الأنعام ـ ١٠٣]. قلت: هاتان الآيتان سندان لمنعها، على أن ابن عباس أيضاً متأول كما لا يخفى على متأمل. قال: وإذا صحت الروايات عن ابن عباس [رضي الله عنهما] في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع. ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد. قلت: الرؤية ببصر العين غير مصرحة عنه، وعلى تقدير [الآية] التسليم، فلا شك

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٩.

(٢) وهو الحديث رقم ٥٦٦١.

. . . .

أنه نشأ من باب اجتهاده وأخذه من إطلاق الآية. قال: وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس، عائشة ما عندنا بأعلم من ابن عباس. قلت: هذا مع ما فيه من المناقشة لا يفيد فائدة تامة، مع أنها ليست منفردة في هذا الباب، بل يوافقها ابن مسعود وغيره من الأصحاب. ثم على تقدير التعارض وتساقط التناقض، يثبت كلامها ويتحقق مرامها. قال: ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره، والمثبت مقدم على النافي. قلت: هذا إذا كان الإثبات مستنداً إلى حسن، وإلا فمن آداب البحث أن كلام المانع معتبر، لا سيما مع سند المنع، حتى يأتي الخصم ببرهان جلي. إذ الأصل هو العدم. فالوجود يحتاج إلى تحقق بدليل قطعي من النقل أو العقل، هذا آخر كلام صاحب التحرير وما يترتب عليه من التقرير. فقال الإمام النووي: الحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا ليس إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، وهذا مما لا(١) ينبغي أن يشك فيه. قلت: ولا ينبغي أن يجزم به أيضاً [لعدم] ثبوت السماع أصلاً، فضلاً عن أن لا يكون طريقه قطعاً وفصلاً، وإلا لما وقع فيه خلاف للأقل أو الأكثر فتأمل وتدبر. قال: ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث، ولو كان معها حديث لذكرته. قلت: وكذا ابن عباس لم يثبت الرؤية بحديث ولو كان معه حديث لذكره، وإنما أخذه من إطلاق الآية المتقدمة لو ثبت النقل صريحاً عنه من إثبات الرؤية بعين البصر. وقد علم أيضاً مما سبق أن عائشة مانعة للرؤية المذكورة وما ذكرته من الأدلة فإنما هي سند منعها للتقوية وليست مستدلة، حتى يقال في حقها ما قال، وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات. أما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ [الأنعام ـ ١٣٠] . فجوابه أن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط [به] ، فإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة. قلت: سبق سؤال عكرمة مطابقاً لما فهمت عائشة من الآية، وكذا تقرير ابن عباس هذا المعنى. وجوابه على غير هذا المبنى وإن كان هذا جواباً حسناً في نفس الأمر كما لا يخفى. قال: ولقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله**﴾ [الشورى ـ ٥١] الآية. فجوابه أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام. قلت: الظاهر أن هذا المعنى أخذ من سياق قوله تعالى: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [النجم ـ ٩ و١٠] . حيث استدل الخصم به على الجمع بين كمال القرب، والوحي الخاص المراد به الكلام من غير واسطة، فدفعته بقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً**﴾ أي [بالإلقاء بالقلب] ﴿**أو من وراء حجاب**﴾ [الشورى ـ ٥١] . أي أو تكليماً ظاهراً أيدركه سمع القلب، لكن من وراء الحجاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. وفي التفسير الكبير(٢) اعلم أن النصوص وردت أن محمداً ﷺ رأى ربه بفؤاده وجعل بصره في فؤاده، أو رآه ببصره وجعل فؤاده في بصره، وكيف لا ومذهب أهل

---

(١) في المخطوطة «كان».

(٢) «التفسير الكبير» ويعرف أيضاً بـ«مفاتيح الغيب» للإمام فخر الدين الرازي ت (٦٠٦).

وقد رأى ربَّه مرتَّين.

٥٦٦١ ـ (٧) وعن الشعبي، قال: لقيَ ابنُ عبَّاسٍ كعباً بعرفة، فسأله عن شيءٍ، فكبَّر حتى جاوبته الجبال.

السنة الرؤية بالإراءة لا بقدرة العبد، فإذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالإراءة، وإن حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك للعلوم في البصر، كما قدر أن يحصله بخلق مدرك للعلوم في القلب. والمسألة مختلف فيها بين الصحابة، واختلاف الوقوع مما ينبىء عن الاتفاق على الجواز انتهى. وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله ولي التوفيق. وقال صاحب التعرف[(١)] وأجمعوا على أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلب إلا من جهة الإيقان لأنه غاية الإكرام[(٢)] وأفضل النعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا في أفضل المكان. وأحرى أن الدنيا دار فناء ولا يجوز أن يرى الباقي في الدار الفانية، ولو رأوه في الدنيا لكان الإيمان به ضرورة. وبالجملة إن الله تعالى أخبر أنها تكون في الآخرة ولم يخبر أنها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء إلى ما أخبر الله تعالى به. واختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسراء[(٣)]، فقال الجمهور منهم أنه لم يره محمد ﷺ ببصره، واحتجوا بخبر عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: من زعم أن محمداً عليه الصلاة والسلام رأى ربه فقد كذب[(٤)]. منهم الجنيد والثوري وأبو سعيد الخراز. وقال بعضهم: رآه وأنه[(٥)] خص بين الخلائق[(٦)] بالرؤية، واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس. منهم أبو عبد الله القرشي وبعض المتأخرين. وقال بعضهم: رآه بقلبه ولم يره ببصره، واستدل بقوله تعالى: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ [النجم ـ ١١] . هذا وزعم بعض الناس أن قوماً من الصوفية ادعوا الرؤية لأنفسهم، فقد أطبق المشايخ على تضليل من قال ذلك وصنفوا في ذلك كتباً، منهم أبو سعيد الخراز له في إنكار ذلك كتاب ورسائل، وكذا للجنيد في تكذيب من ادعاه رسائل وكلام كثير. وأجمعوا على أن من ادعى ذلك لم يعرف الله سبحانه.

٥٦٦١ ـ (**وعن الشعبي**) بفتح فسكون تابعي جليل (**قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله**) أي كعباً (**عن شيء، فكبر**) أي كعب (**حتى جاوبته الجبال**) قال الطيبي [رحمه الله] : أي كبر تكبيرة مرتفعاً بها صوته حتى جاوبته الجبال صداً، كأنه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك. ولعل ذلك السؤال رؤية الله تعالى، كما سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها. فقف لذلك

---

(١) «التعرف لمذهب التصوف» للشيخ أبي بكر محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي ت (٣٨٠).

(٢) في المخطوطة «الكرامة». (٣) في المخطوطة «المسري».

(٤) وفي الحديث الصحيح «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» مسلم ١/ ١٥٩ حديث ١٧٧.

(٥) في المخطوطة «وإنها». (٦) في المخطوطة «الخلاف».

الحديث رقم ٥٦٦١: أخرجه البخاري ٨/ ٤٧٢ حديث رقم ٤٨٥٥ والترمذي ٥/ ٣١٧ حديث رقم ٣٢٧٨.

فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم. فقال كعب: إنَّ الله قسم رؤيته وكلامه بين محمَّدٍ وموسى، فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمَّد مرَّتين، قال مسروقٌ: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمَّدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيءٍ قَفَّ له شعري، قلت: رويداً، ثمَّ قرأتُ ﴿لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ فقالت: أين تذهب بك؟

شعرها. قلت: الظاهر كلام كعب الآتي من إثباته الرؤية في الجملة، يأبى عن هذا المعنى وأن يكون نحو ما صدر من عائشة [رضي الله تعالى عنها] في المبنى. فالوجه أن يحمل التكبير على تعظيم ذلك المقام والتشوق إلى ذلك المرام، لكنه لم يرد عليه جواب الكلام. (**فقال** [**ابن عباس**] : **أنا بنو هاشم**) أي فيجب تعظيمنا وتكليمنا وتفهيمنا (**فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى**) عليهما الصلاة والسلام. وقال الطيبي [رحمه الله] : وأما قوله: [إنا] بنو هاشم: فبعث له على التسكين من ذلك الغيظ والتفكر في الجواب. يعني نحن أهل علم ومعرفة فلا نسأل عما يستبعد هذا الاستبعاد، ولذلك فكر فأجاب بقوله: إن الله إلى آخره. أقول هذا لا يخلو عن بعد، إذ لا دلالة في الحديث على ثبوت غيظ له ولا على تحقق فكر فيه، مع أن تيقن هذه المسألة لا يتحقق بفكر ساعة، مع اعتقاده مدة مديدة على خلافها. (**فكلم**) أي الله [تعالى] (**موسى مرتين**) أي في [الميقاتين] (**ورآه محمد** ﷺ)، أي في المعراج (**مرتين**) كما يدل عليه قوله سبحانه: ولقد ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ [النجم ـ ١٣] . فهذا يدل على أن مذهب كعب على أن الضمير في رآه إلى الله تعالى لا إلى جبريل، بخلاف قول عائشة، لكن لا دلالة فيه على أنه برؤية البصيرة أو البصر. على أن قوله تعالى: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ [النجم ـ ١١] . يؤيد المعنى الأول، ولذا صح عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين على ما تقدم والله [تعالى] أعلم. (**قال مسروق: فدخلت على عائشة**) [رضي الله تعالى عنها] ، ظاهره أنه كان حاضراً في مجلس كعب وابن عباس [رضي الله تعالى عنهما] ، وسمع ما [جرى] بينهما. (**فقلت: هل رأى محمد ربه**) أي بالعين أو بالفؤاد (**فقالت:**) استعظاماً لهذا السؤال (**لقد تكلمت بشيء**) وفي نسخة: كلمت. لكنه ليس بشيء لأنه يحتاج إلى القول بزيادة الباء في بشيء. (**قف**) بفتح القاف وتشديد الفاء، أي قام من الفزع (**له**) أي لذلك الشيء [من الكلام] . (**شعري**) أي شعر بدني جميعاً، وهذا لما حصل عندها من عظمة الله وهيبته واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك. (**قلت: رويداً**) أي ارفقي وامهلي، والمقصود تسكينها والملاءمة في تليينها حتى يقدر على السؤال والجواب معها. (**ثم قرأت: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾**[1]) ظاهر هذه الآية لا يناسب مدعي مسروق، بل قال بعض المفسر[ين] أنها المعينة لما رأى فيما سبق من قوله: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾. فهو نقيض مطلوبه، ولذا قال الطيبي [رحمه الله]: أي قرأت الآيات التي خاتمتها هذه الآية كما تشهد له الرواية الأخرى، أعني قوله: قلت لعائشة: فأين قوله: ثم دنا. أقول مع بعده ليس في الرواية الأخرى لفظ رأى، فالأظهر أنه أراد بالكبرى الآية العظمى على عظمة شأنه تعالى، أو على تعظيم

---

(١) سورة النجم. آية رقم ١٨.

إنما هو جبريل. من أخبرك أن محمَّداً رأى ربَّه أو كتم شيئاً ممَّا أمر به، أو يعلم الخَمْسَ التي قال الله تعالى: ﴿إن الله عنده علم السَّاعة وينزل الغيث﴾ فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرَّتين: مرَّة عند سدرة المنتهى، ومرَّة في أجياد، له ستُّمائةِ جناحٍ، قد سدَّ الأفُقَ». رواه الترمذي.

ورواه الشيخان معَ زيادةٍ واختلافٍ، وفي روايتهما: قال: قلت لعائشة: فأين قولُه ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾؟ قالت: ذاك جبريل عليه السلام،

جنابه ﷺ، وقصد بها الرؤية البصرية أو الفؤادية **(فقالت: أين تذهب بك)** أي الآية يعني فهمها. قال الطيبي [رحمه الله]: أي أخطأت فيما فهمت من معنى الآية وذهبت إليه، فإسناد الإذهاب إلى الآية مجازاً انتهى، أي أين تذهب بك الآية الكبرى. **(إنما هو)** أي الآية الكبرى **(جبريل)** فذكر الضمير باعتبار الخبر، ومما يدل على أنه الآية الكبرى ما سيأتي عنها، أن له ستمائة جناح قد سد الأفق، ويؤيده أيضاً قولها: **(من أخبرك أن محمداً رأى ربه)** وظاهره أنها تنفي رؤيته تعالى مطلقاً غير مقيد بالفؤاد أو بالبصر **(أو كتم شيئاً مما أمر به)** أي بإظهاره كما يدل عليه قوله تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾** [المائدة ـ ٦٧] . وهو يعم الكتمان عن الجميع أو عن البعض، فيرد الاعتقاد الفاسد للشيعة في اختصاص أهل البيت ببعض الأحكام الشنيعة، وفيه إيماء إلى أنه لو تحقق له رؤية الله تعالى بنوع من الأنواع لبينه وأظهره للحاجة في تفسير الآية إليه. وقد قال تعالى: **﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾** [النحل ـ ٤٤] . **(أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث)**(١) أي إلى آخر مفاتيح الغيب. ولعلها أرادت بإيراد هذه الآية المبالغة في نفي الرؤية، وأنها بمنزلتها في الفرية. ولهذا قالت في جزاء الكل من الشرطيات. **(فقد أعظم الفرية)** بكسر الفاء أي الكذب الذي هو بلا مرية **(ولكنه رأى جبريل)** أي في صورته الأصلية. **(لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد)** بفتح همزة وسكون جيم، موضع معروف بأسفل مكة من شعابها. **(له ستمائة جناح قد سد الأفق. رواه الترمذي ورواه الشيخان مع زيادة واختلاف)** أقول فكان الأولى إيراد روايتهما، فهو تعريض من صاحب المشكاة للاعتراض على صاحب المصابيح. **(وفي روايتهما. قال:)** أي مسروق **(قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾)**(٢) يعني فإن الظاهر المتبادر أن ضمير دنا إلى الله، وضمير فتدلى إلى النبي ﷺ أو بالعكس كما سبق، وكذا ضمير فكان إلى أحدهما. وقد قال بعده: **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** [النجم ـ ١٠ و١١] . وبما قررنا يتم استشكال مسروق. **(قالت: ذاك)** أي مرجع الضمير في الكل **(جبريل عليه [الصلاة] والسلام)** أي لا الرب سبحانه في هذا المقام، ثم استأنف لبيان دفع ما عسى أن يقال إنه ﷺ كان يرى جبريل عليه [الصلاة] والسلام دائماً،

---

(١) سورة لقمان. آية رقم ٣٤. (٢) سورة النجم. آيات رقم ٨ و٩.

كان يأتيه في صُورةِ الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدَّ الأفق.

٥٦٦٢ ـ (٨) وعن ابن مسعود في قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ وفي قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وفي قوله: ﴿رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ قال فيها كلِها: رأى جبريل عليه السلام، له ستُّمائةِ جناحٍ. متفق عليه.

وفي رواية الترمذي قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾

فما وجه تخصيص ذكر رؤيته في هذا المقام فقالت: (**كان**) أي جبريل (**يأتيه في صورة الرجل**) أي متشكلاً بشكله وغالباً بصورة دحية (**وإنه أتاه هذه المرة**) أي في أجياد (**في صورته التي هي صورته**) أي الأصلية (**فسد الأفق**) أي على نحو ما رآه ليلة المعراج في صورته الأصلية على وجه التحقيق، هذا وكأن ابن عباس أخذ بقول كعب واختاره أنه رآه مرتين، على احتمال أن الرؤية بعين البصر أو البصيرة أو إحداهما [بهذه] والأخرى بأخرى. مع الاتفاق على أنه لم يره بعينه مرتين والله [تعالى] أعلم. وأما نفي عائشة فيحتمل أن يحمل على الإطلاق، أو يقيد بنفي البصر وجواز رؤيته بالفؤاد. والظاهر هو الأول فتدبر وتأمل. قال الحافظ ابن حجر [رحمه الله]: الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب لا مجرد العلم، لأنه ﷺ كان عالماً به تعالى على الدوام، وأن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين.

٥٦٦٢ ـ (**وعن ابن مسعود**[1] **في قوله تعالى: ﴿فكان﴾**) أي القرب المعنوي [من العبد والرب، أو الصوري، أو بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام. (**﴿قاب قوسين﴾**) أي قدرهما] وهو كناية عن كمال قربهما. (**﴿أو أدنى﴾**) أي بل أقرب وهو ما بين العينين. وقد قال [تعالى] في مقام المزيد لحال المريد: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** [ق ـ ١٦]. (**وفي قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**) أي ولم يذكر ما بينهما من قوله تعالى: **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** لعدم تعلقه بالمبنى، وإن اختلف في مرجع ضمير أوحى في المعنى. (**وفي قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾. قال:**) أي ابن مسعود (**فيها**) أي في هذه الآيات (**كلها رأى**) أي النبي ﷺ (**جبريل عليه [الصلاة] والسلام له ستمائة جناح**) يعني الضمائر كلها راجعة إلى جبريل. وهذا التأويل مطابق وموافق لما فهمت عائشة من الآيات كما سبق التنبيه عليه. وقد قال بعض علمائنا: إن ابن مسعود أعلم الصحابة بعد الخلفاء الأربعة (**متفق عليه**).

(**وفي رواية الترمذي قال:**) [أي] ابن مسعود في قوله تعالى: (**﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**

الحديث رقم ٥٦٦٢: أخرجه البخاري ٨/ ٤٧٦ حديث رقم ٤٨٥٦. وأخرجه مسلم ١/ ١٥٨ حديث رقم ٢٨١/ ١٧٤. والترمذي ٥/ ٣١٩ حديث ٣٢٨٣.

(١) في المخطوطة قال عن ابن عباس والصواب عن ابن مسعود كما في المشكاة.

قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلّة من رفرف، قد ملأ ما بين السماءِ والأرض.

وله، وللبخاري في قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ قال: رأى رفرفاً أخضر، سدَّ أفق السَّماء.

٥٦٦٣ ـ (٩) وسُئل مالك بن أَنسٍ عن قوله تعالى ﴿إلى ربّها ناظرة﴾ فقيل: قومٌ يقولون: إلى ثوابه. فقال مالك: كذَبوا، فأين هم عن قولِه تعالى: ﴿كلاّ إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبونَ﴾؟

قال) أعاده تأكيداً **(رأى النبي)** وفي نسخة صحيحة: رسول الله ﷺ **(جبريل في حلة من رفرف)** ففي النهاية أي بساط، وقيل فراش، ومنهم من يجعل الرفرف جمعاً واحده رفرفة، وجمع الرفرف رفارف. قلت: الأقرب أن يكون المراد منه ثياب خضر، ويؤيده ما سيأتي ويقويه قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ [الرحمٰن ـ ٧٦] . وقيل: يحتمل أن يكون المراد منه بسط أجنحته فصارت شبه الرفرف. قال السيوطي في مختصر النهاية: رفرف الطائر بجناحيه بسطهما ما عند السقوط على شيء تحوم عليه لتقع فوقه. وفي القاموس: رف الطائر بسط جناحيه كرفرف، والثلاثي مستعمل. والرف شبه الطاق، كالرفرف جمعه رفوف والثوب الناعم، والرفوف ثياب يتخذ منها المجالس وتبسط. والرقيق من ثياب الديباج [**(قد ملأ ما بين السماء والأرض]** **وله)** أي للترمذي **(وللبخاري)** أي أيضاً، وقدم الترمذي لتقدم مرجعه. **(في قوله:)** متعلق بقال الآتي، **(﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾. قال:)** أي ابن مسعود **(رأى رفرفاً)** أي إذا رفرف. **(أخضر سد أفق السماء)** وهو جبريل كما سبق عنه أيضاً، وهو المطابق لما قررنا. وفي تحرير الكلام لما قدرناه والله سبحانه [وتعالى] أعلم.

٥٦٦٣ـ **(وسئل مالك بن أنس)** وهو صاحب المذهب **(عن قوله تعالى: ﴿إلى ربها ناظرة﴾**[1]. **فقيل: قوم)** أي المعتزلة وأشباههم من أهل البدع[2] **(يقولون)** أي في معنى الآية **(إلى ثوابه)** أي ناظرة إلى ثواب ربها، كما قال بعضهم إلى مفرد الآلاء بمعنى النعماء، وأريد هنا الجنس أي منتظرة نعمة ربها. **(فقال مالك: كذبوا)** أي على الله تعالى في معنى قوله **(فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كلا﴾)** أي حقاً **(﴿إنهم﴾)** أي الكفار **(﴿عن ربهم﴾)** قدم عن متعلقه للاهتمام أو للتعظيم أو للاختصاص، أو لمراعاة الفاصلة. **(﴿يومئذ﴾)** أي يوم القيامة، أو وقت الجزاء. **(﴿لمحجوبون﴾)**[3] أي لا يرون الله سبحانه. والحجاب أشد العذاب، كما أن الرؤية زيادة على كل مثوبة حيث قال [تعالى]: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس ـ ٢٦] . والمعنى فأين ذلك القوم حيث وقعوا في بعد وغفلة عن مفهوم هذا القول، وهو أن المؤمنين غير محجوبين، بل يكونون إلى مقام النظر مطلوبين، ويصيرون من كمالهم من مرتبة الحب

الحديث رقم ٥٦٦٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/٢٣٩.

(١) سورة القيامة. آية رقم ٢٣. (٢) في المخطوطة «البدعة».

(٣) سورة المطففين. آية ١٥.

قال مالك: الناسُ ينظرونَ إلى اللَّهِ يومَ القيامةِ بأعيُنهم، وقال: لو لم يرَ المؤمنونَ ربَّهم يومَ القيامةِ لم يعيِّرِ اللَّهُ الكفَّارَ بالحِجابِ فقال: ﴿كلاَّ إنهم عنْ ربِّهم يومئذٍ لمحجوبونَ﴾. رواه في «شرح السنة».

٥٦٦٤ ـ (١٠) وعن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ: «بيْنا أهلُ الجنَّةِ في نعيمِهم، إذ سطَعَ نورٌ، فرفعوا رؤوسَهم، فإذا الربُّ قد أشرفَ عليهم من فوقِهم، فقال: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الجنَّةِ! قال: وذلكَ قولُه تعالى: ﴿سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ﴾. قال: فينظرَ إليهم وينظرونَ إليه، فلا يلتفتونَ إلى شيءٍ منَ النعيمِ ما داموا ينظرونَ إليهِ، حتى يحتجبَ عنهم

محبوبين. (قال مالك: الناس) أي المؤمنون، فإن في الحقيقة هم الناس وسائر الناس كالنسناس. (ينظرون إلى الله يوم القيامة بأعينهم) وقد سبق بيان ما يدل على ذلك. وقيل: الناس كلهم يرون الله ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة الحسرة عليهم، وقد مر الكلام عليه. وعلى كل فالرؤية للمؤمنين حاصلة بلا شبهة. (وقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾. رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده.

٥٦٦٤ ـ (وعن جابر عن النبي ﷺ: بينا) وفي نسخة بينما. (أهل الجنة في نعيمهم) أي واقعين في لذاتهم مشتغلين بشهواتهم (إذ سطع) أي سنح ولمع (لهم نور) أي عظيم (فرفعوا رؤوسهم. فإذا الرب قد أشرف) أي تجلى تجلي العظمة والكبرياء والبهاء والعلاء. (عليهم من فوقهم) أي مبتدئاً منه آخذاً من جميع جهاتهم (فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة) ولعل المراد بهم جماعة، قيل في حقهم إن أكثر أهل الجنة البله حيث قنعوا باللذات عن رؤية الذات، وعليون لأولي الألباب لاعتلاء همتهم [وارتفاع نهمتهم] عن النظر إلى غير رب الأرباب. ويؤيده ما رواه الدارقطني في الأفراد والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مرفوعاً: أهل شغل الله في الدنيا هم أهل شغل الله في الآخرة، وأهل شغل أنفسهم في الدنيا هم أهل شغل أنفسهم في الآخرة[1]، وفي التنزيل إشارة إلى ذلك في قوله: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨] . (قال:) أي النبي ﷺ (وذلك) أي سلام الرب يعني شاهده (قوله تعالى:) أو معنى قوله تعالى: (﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾)[2] أي لهم سلام عظيم، يقال لهم قولاً كائناً من جهة رب رحيم. (قال: فنظر) أي الرب إليهم (وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم) أي

الحديث رقم ٥٦٦٤: أخرجه ابن ماجه ١/ ٦٥ حديث رقم ١٨٤.

(١) الديلمي في مسند الفردوس ١/ ٤١٠ حديث رقم ١٦٦٠.

(٢) سورة يس. آية رقم ٥٨.

ويبقى نورُه [وبركته عليهم في ديارهم]». رواه ابن ماجه.

(٧) باب صفة النار وأهلها

الفصل الأول

٥٦٦٥ ـ (١) عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ناركم جزءٌ من سبعين جُزءاً مِنْ نارِ جَهَنم» قيل: يا رسولَ اللَّهِ! إِنْ كانتْ لكافية قال: «فُضِّلَتْ عليهنَّ بتسعة وستينَ جُزءاً كلهنَّ مثلُ حرِّها».

بإيقاع الحجاب عليهم بعد رفعه عنهم **(ويبقى نوره)** أي أثر نوره وثمرة ظهوره على ظاهرهم وباطنهم كما يشاهده أهل المشاهدة في حال البقاء بعد تحقق الفناء والله تعالى أعلم **(رواه ابن ماجه)**.

(باب صفة النار وأهلها)

(الفصل الأول)

٥٦٦٥ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ناركم)** وفي رواية الترمذي ناركم هذه **(جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم)** زاد الترمذي: لكل جزء منها حرها. **(قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية)** إن هي المخففة من المثقلة، واللام هي الفارقة، أي أن هذه النار التي نراها في الدنيا كانت كافية في العقبى لاحتراق الكفار وعقوبة الفجار، فهلا اكتفى بها ولأي شيء زيدت في حرها. **(قال: فضلت)** أي نار جهنم **(عليهن)** أي على أنيار الدنيا **(بتسعة وستين جزءاً. كلهن)** أي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءاً من نار جهنم **(مثل حرها)** أي مثل حرارة ناركم في الدنيا. وحاصل الجواب منع الكفاية، أي لا بد من التفضيل لحكمة كون عذاب الله أشد من عذاب الناس. ولذلك أوثر ذكر النار على سائر أصناف العذاب في كثير من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: **﴿فما أصبرهم على النار﴾** [البقرة ـ ١٧٥]. وقوله: **﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾** [البقرة ـ ٢٤]. وإنما [أظهر] الله هذا الجزء من النار في الدنيا أنموذجاً لما في تلك الدار. قال الإمام الغزالي [عليه رحمة الباري] في الإحياء: اعلم

الحديث رقم ٥٦٦٥: أخرجه البخاري ٦/ ٣٨٠ حديث رقم ٣٢٦٥. ومسلم ٤/ ٢١٨٤ حديث رقم (٣٠. ٢٨٤٣) والترمذي ٤/ ٦١١ حديث ٢٥٨٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٤ حديث ٤٣١٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٤ حديث رقم ١ من كتاب جهنم. والدارمي ٢/ ٤٣٨ حديث رقم ٢٨٤٧.

متفق عليه. واللفظ للبخاري. وفي رواية مسلم: «ناركم التي يوقد ابن آدم». وفيها: «عليها» و «كلها» بدل: «عليهن». و «كلهنَّ».

٥٦٦٦ ـ (٢) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ، مَعَ كلِ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجرُّونها». رواه مسلم.

٥٦٦٧ ـ (٣) وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلانِ وشراكانِ من نارٍ، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل،

أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه [النار]، عرف عذاب جهنم بها، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هرباً مما هم فيه. **(متفق عليه، واللفظ للبخاري)** أي ووافقه مسلم في المعنى. **(وفي رواية مسلم: ناركم التي يوقد ابن آدم)** من الإيقاد، ويجوز التشديد من التوقيد. **(وفيها)** أي في رواية مسلم **(عليها. وكلها بدل عليهن وكلهن)** بالنصب، أي عوضهما لفاً ونشراً مرتباً.

٥٦٦٦ ـ **(وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بجهنم)** الباء للتعدية، أي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه. ويدل عليه قوله تعالى فيه: **﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾** [الفجر ـ ٢٣] **(يومئذٍ)** أي يوم القيامة وقت الندامة والحسرة والملامة. **(لها سبعون ألف زمام)** بكسر الزاي وهو ما يشد به. **(مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها)** بتشديد الراء، أي يسحبونها، أي إلى أن تدار بأرض لا تبقى للجنة طريق إلا الصراط على ظهرها. وفائدة هذه الأزمة التي يجر بها بعد الإشارة إلى عظمتها، منعها من الخروج على المحشر إلا من شاء الله منهم. **(رواه مسلم)**.

٥٦٦٧ ـ **(وعن النعمان)** بضم النون **(ابن بشير)** صحابي أيضاً رضي الله عنهما **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهون أهل النار)** أي أيسرهم **(عذاباً من له نعلان)** أي من تحت قدمه **(وشراكان)** أي من فوقها **(من نار)** أي كائنة منها **(يغلي)** أي يفور **(منهما)** أي من النوعين وهما النعلان والشراكان **(دماغه كما يغلي المرجل)** بكسر الميم وفتح الجيم، أي قدر النحاس كذا قاله شارح: وقال العسقلاني: ويقال أيضاً لكل إناء يغلى فيه الماء من أي صنف كان. والحاصل أنه كما قال تعالى: **﴿[يغلي] في البطون كغلي الحميم﴾**

الحديث رقم ٥٦٦٦: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٨٤ حديث رقم (٢٩ . ٢٨٤٢). والترمذي ٤/ ٦٠٤ حديث رقم ٢٥٧٣.

الحديث رقم ٥٦٦٧: أخرجه البخاري ١١/ ٤٢٤ حديث رقم ٦٥٦١ و٦٥٦٢. وأخرجه مسلم ١/ ١٩٦ وأخرجه الترمذي ٤/٦١٨ حديث رقم ٢٦٠٤. والدارمي ٢/ ٤٣٩ حديث رقم ٢٨٤٨. وأحمد في المسند ٣/ ٧٨.

ما يُرى أنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً». متفق عليه.

٥٦٦٨ ـ (٤) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهونُ أهل النارِ عذاباً أبو طالب، وهو متنعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغه». رواه البخاري.

٥٦٦٩ ـ (٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهلِ النَّارِ يومَ القيامةِ، فيُصْبَغُ في النارِ صَبْغَةً، ثم يقال: يا ابنَ آدمَ! هل رأيتَ خيراً

[الدخان ـ ٤٥ ـ ٤٦] . وهذا بالنسبة إلى من لم يغمس في الجحيم. ولذا قال: **(ما يرى)** بصيغة المجهول، أي ما يظن من له نعلان وشراكان من نار. **(أن أحداً)** أي من أهل النار **(أشد منه عذاباً)** أي لانفراده وعدم اطلاعه على حال غيره **(وأنه)** بالكسر أي والحال أنه **(لأهونهم عذاباً)** ففيه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار **(متفق عليه.)** وفي الجامع: أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع في قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان بن بشير[1]. أقول ولعل هذا الحديث بالنسبة إلى أدنى العصاة من المؤمنين، وما في المتن بالنسبة إلى أدناهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذي يليه.

٥٦٦٨ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أهون أهل النار عذاباً)** أي من الكفار **(أبو طالب)** لقوله تعالى في حقه باتفاق المفسرين: **﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾** [القصص ـ ٥٦] . **(وهو متنعل)** من باب التفعل، وفي نسخة صحيحة من باب الانفعال، أي متلبس **(بنعلين)** أي من نار **(يغلي منهما)** وفي نسخة منها، أي من نعلهما أو من جهة نعله، وأريد بها الجنس. **(دماغه)** وإنما خفف عذابه لكونه حامياً له ﷺ عن تشديد عداوة الكفار، فلما خفف خفف جزاء وفاقاً. **(رواه البخاري)** وأسنده السيوطي في الجامع الصغير إلى أحمد ومسلم عنه والله [تعالى] أعلم[2].

٥٦٦٩ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بأنعم أهل الدنيا)** الباء للتعدية، أي يحضر أشدهم تنعماً وأكثرهما ظلماً لقوله: **(من أهل النار)** من بيانية في محل حال **(يوم القيامة)** ظرف يؤتى **(فيصبغ)** بصيغة المجهول أي يغمس **(في النار صبغة)** بفتح الصاد، أي غمسة إطلاقاً للملزوم على اللازم. فإن الصبغ إنما يكون بالغمس غالباً، وفي النهاية أي يغمس في النار غمسة كما يغمس الثوب في الصبغ. **(ثم يقال:)** أي له **(يا ابن آدم هل رأيت خيراً)** أي نعمة

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٥ حديث رقم ٢٧٧٢. والحديث أخرجه مسلم ١/ ١٩٦ حديث رقم (٣٦٣. ٢١٣) وفيه «أن أهون...».

الحديث رقم ٥٦٦٨: أخرجه مسلم ١/ ١٩٦ حديث رقم (٣٦٢. ٢١٢). وأحمد في المسند ١/ ٢٩٠.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٦٥ حديث ٢٧٧٣.

الحديث رقم ٥٦٦٩: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٢ حديث رقم (٥٥ . ٢٨٠٧). وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٣.

قطّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا ربِّ! ويؤتى بأشدِّ النَّاسِ بؤساً في الدُّنيا من أهل الجنَّة، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيتَ بؤساً قط؟ وهل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله، يا ربِّ! ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيت شدَّةً قطُّ». رواه مسلم.

٥٦٧٠ ـ (٦) وعنه، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهون أهله النارِ عذاباً يومَ القيامةِ: لو أنَّ لكَ ما في الأرض من شيءٍ أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنتِ في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيتَ إلا أن تُشركَ بي».

(قط هل مر بك نعيم قط) أي في زمان من الأزمنة. وفي الكلام مبالغة لا تخفى حيث أوقع الاستفهام على مجرد الرؤية والمرور دون الذوق والتمتع والسرور. **(فيقول: لا)** أي ما رأيت قط **(والله يا رب)** نفي مؤكد بالقسم والنداء في الجواب لما أنسته شدة العذاب ما مضى عليه من نعيم الدنيا، أو ما بعده من النعيم نظراً إلى مآله وسوء حاله، فأي نعيم آخره الجحيم وأي شدة مآلها الجنة. كما قال: **(ويؤتى بأشد الناس بؤساً)** بضم الموحدة أي شدة ومشقة ومحنة لما كان فيه من فاقة وحاجة وبلية. **(في الدنيا)** أي أولاً **(من أهل الجنة)** مآلاً **(فيصبغ صبغة في الجنة)** أي في أنهارها أو الكوثر منها **(فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط وهل مر بك شدة قط. فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط)** وكأنه أطنب في الجواب تلذذاً بالخطاب وقلب الكلام للفرح التام. **(رواه مسلم)**.

٥٦٧٠ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك)** أي لو فرض الآن أن تملك **(ما في الأرض من شيء)** من زائدة للاستغراق، أي جميع ما فيها، وطلب منك أن تفتدي به وتخلص نفسك من النار **(أكنت تفتدي به)** وهو من الافتداء بمعنى إعطاء الفدية للإنجاء. **(فيقول: نعم. فيقول:)** أي الله سبحانه **(أردت منك أهون من هذا)** أي طلبته، فوضع السبب موضع المسبب، ولأن مراد الله تعالى لا يتخلف كما اتفق عليه السلف والخلف بقولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وحاصله أني امرتك بأسهل من هذا. **(وأنت في صلب آدم)** أي تعلق بك الأمر والحال وأنت في صلب آدم، وفيه إيماء إلى قضية الميثاق المشتمل على قوله: ﴿**ألست بربكم قالوا بلى**﴾ [الأعراف ـ ١٧٢] . والمراد منه التوحيد والعبادة على وجه التفريد، وإليه أشار بقوله: **(أن لا تشرك بي شيئاً)** وهو بدل أو بيان لقوله: أهون. **(فأبيت)** أي كل شيء **(إلا أن تشرك بي)** أي فلا جرم، لا أقبل منك ولو افتديت بجميع ما في الأرض كما قال: ﴿**إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم**﴾ [المائدة ـ ٣٦] . وقال في موضع آخر: ﴿**ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة**﴾ [الزمر ـ ٤٧] . قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لو أن لك ما في

الحديث رقم ٥٦٧٠: أخرجه البخاري ٦/ ٣٦٣ حديث رقم ٣٣٣٤. وأخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٠ حديث (٥١ . ٢٨٠٥).

متفق عليه.

٥٦٧١ ـ (٧) وعن سمرة بن جندبٍ، أنَّ النبي ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إِلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إِلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إِلى حُجْزَتِهِ، ومنهم من تأخذهُ النارُ إِلى تَرْقُوَتِهِ». رواه مسلم.

الأرض جميعاً. أي لو ثبت لأن لو يقتضي الفعل الماضي، وإذا وقعت أن المفتوحة بعد لو كان حذف الفعل واجباً، لأن ما في أن من معنى التحقيق والثبات منزل منزلة ذلك الفعل المحذوف. وقوله: أردت منك، ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة. فإن المعنى أردت فيك التوحيد فخالفت مرادي وأتيت بالشرك. وقال المظهر: الإرادة هنا بمعنى الأمر، والفرق بين الأمر والإرادة أن ما يجري في العالم لا محالة كائن بإرادته ومشيئته، وأما الأمر فقد يكون مخالفاً لإرادته ومشيئته. قلت: توضيحه أن [الأمر] بالإيمان توجه على عامة المكلفين وتعلقت مشيئة الإيمان ببعضهم وإرادة الكفر ببعضهم. ولذا قال تعالى: **﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى)** [الأنعام ـ ٣٥]. وقال سبحانه: **(ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾** [البقرة ـ ٢٥٣]. وقال: **﴿ولو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ﴾** [الرعد ـ ٣١]. وقال: **﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة ﴾** [الأعراف ـ ٣٠]. قال الطيبي [رحمه الله]: الأظهر أن تحمل الإرادة هنا على أخذ الميثاق في قوله تعالى: **﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾** [الأعراف ـ ١٧٢] الآية. بقرينة قوله: وأنت في صلب آدم. فقوله: أبيت إلا أن تشرك بي. إشارة إلى قوله تعالى: **﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ﴾** [الأعراف ـ ١٧٣]. ويحمل الآباء هنا على نقض العهد. وقوله: لا تشرك استثناء مفرغ، وإنما حذف المستثنى منه مع أنه كلام موجب، لأن في الإباء معنى الامتناع. فيكون نفياً، أي ما اخترت إلاّ الشرك انتهى. وهو كلام حسن، إلا أن اطلاق الإرادة وإرادة أخذ الميثاق يحتاج إلى بيان يدفع به ما تقدم من الإيراد والله سبحانه [وتعالى] أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٦٧١ ـ **(وعن سمرة بن جندب)** مر ذكره مراراً **(أن النبي ﷺ قال: منهم)** أي من أهل النار **(من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته)** بضم حاء وسكون جيم فزاي، أي معقد إزاره ووسطه. **(ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته)** بفتح أوله وضم قافه أي إلى حلقه، ففي الصحاح لا يضم أوله. وفي النهاية هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين ووزنها فعلوه بالفتح. وفي الحديث بيان تفاوت العقوبات في الضعف والشدة، لا أن بعضاً من الشخص يعذب دون بعض. ويؤيده قوله في الحديث السابق: وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه. **(رواه مسلم.)** قال الطيبي [رحمه الله]: وأول الحديث في شرح السنة برواية أبي سعيد: إذا خلص المؤمنون من النار،

الحديث رقم ٥٦٧١: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٨٥ حديث رقم (٣٣. ٢٨٤٥). والنسائي ٨/ ١١٢ حديث رقم ٥٠١٠. وابن ماجه ١/ ٢٣ حديث رقم ٦٠ وأحمد في المسند ٥/ ١٠.

٥٦٧٢ ـ (٨) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ منكبي الكافرِ في النارِ مسيرةُ ثلاثة أيام للراكب المسرع». وفي روايةٍ: «ضِرْسُ الكافرِ مثل أحدٍ، وغِلَظُ جلده مسيرة ثلاث». رواه مسلم.

وذكر حديث أبي هريرةَ:

إلى قوله: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم.

٥٦٧٢ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع)** قال القاضي [رحمه الله]: يزاد في مقدار أعضاء الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار. قال القرطبي [رحمه الله]: هذا يكون للكفار، فإنه قد جاءت أحاديث تدل على أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال فيساقون إلى سجن في جهنم. قال ابن الملك [رحمه الله] في شرح المشارق، ونظر فيه الشيخ الشارح: يعني الأكمل بأن هذا الحديث يدل على عظم أجسامهم في النار، والذي ذكره في المحشر. أقول: الظاهر أن يراد بالمتكبرين عصاة المؤمنين، وكلام القرطبي محمول عليه ليلائم الحديث الآتي: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد». على أن الأظهر في الجمع أن يكونوا[1] أمثال الذر في موقف يداسون فيه، ثم تعظم أجسادهم ويدخلون النار ويكونون فيها. كذلك وقال ابن الملك [رحمه الله] قوله: في النار، غير مذكور في مسلم كذا قاله النووي [رحمه الله]. فالأوجه في منع قول القرطبي أن يقال ما ذكره، لا يدل على انعدام عظمتهم في المحشر لأن تشبيه المتكبرين بالذر إنما هو في الحقارة لا في الصورة، وإلا فلا يستقيم قوله في صورة الرجال انتهى. [وفيه] مباحث لا تخفى. **(وفي رواية: ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده)** بكسر الغين وفتح اللام أي عظمه **(مسيرة ثلاث)** أي ليال، قال الطيبي [رحمه الله]: هكذا هو في جامع الأصول وشرح السنة، أنثه باعتبار الليالي. قال النووي [رحمه الله]: هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وهو مقدور لله تعالى يجب الإيمان لإخبار الصادق به. **(رواه مسلم.)** وفي الجامع الصغير[2] أسند الرواية الأولى إلى الشيخين والثانية إلى مسلم والترمذي والله [تعالى] أعلم. وروى البزار عن ثوبان مرفوعاً: ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار[3]. وروى ابن ماجه عن أبي سعيد مرفوعاً: إن الكافر ليعظم حتى أن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه[4]، **(وذكر حديث أبي هريرة**

الحديث رقم ٥٦٧٢: أخرجه البخاري ١١/ ٤١٥ حديث رقم ٦٥٥١. ومسلم ٤/ ٢١٨٩ حديث رقم (٤٥. ٢٨٥٢) وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٨.

(١) في المخطوطة «يكون».

(٢) الرواية الأولى: الجامع الصغير ٢/ ٤٨١ حديث ٧٨٦٤ والرواية الثانية ٢/ ٣٢١ حديث ٥٢١٢.

(٣) ٤/ ١٨٣ حديث رقم ٣٤٩٦ (كشف الأستار عن زوائد البزار).

(٤) ابن ماجه ٢/ ١٤٤٥ حديث رقم ٤٣٢٢.

«اشتكت النار إلى ربِّها». في باب «تعجيل الصَّلوات».

الفصل الثاني

٥٦٧٣ - (٩) عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: أُوقد على النار ألفَ سنةٍ حتَّى احمرَّت، ثم أوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى ابيضَّت، ثم أوقد عليها ألفَ سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة». رواه الترمذي.

٥٦٧٤ - (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكافرِ يومَ القيامةِ مثل أُحدٍ، وفخذه مثل البيضاءِ، ومقعده من النَّار مسيرة ثلاث مثل الرَّبذة».

[رضي الله تعالى عنه:] اشتكت النار إلى ربها في [باب] تعجيل الصلوات) يعني فهو إما مكرر أسقطه من ههنا ونبه عليه، وإما اعتراض فعلى تنبيهاً على أن محله اللائق هو ذلك الباب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

٥٦٧٣ - **(عن أبي هريرة)** رضي تعالى عنه **(عن النبي ﷺ قال: أوقد)** بصيغة المفعول وقوله **(على النار)** نائب الفاعل. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا قريب من قوله تعالى: ﴿**يوم يحمى عليها في نار جهنم**﴾ [التوبة - ٣٥] . أي يوقد الوقود فوق النار، أي النار ذات طبقات توقد طبقة فوق أخرى ومستعلية عليها. **(ألف سنة حتى احمرت)** بتشديد الراء للمبالغة في الاحمرار. **(ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت. فهي سوداء مظلمة)** زاد في الجامع كما في الليل المظلم. والحديث دليل على أن النار مخلوقة كما ذهب إليه أهل السنة، خلافاً للمعتزلة وجماعة من أهل البدع. ويؤيدنا قوله تعالى: ﴿**أعدت للكافرين**﴾ [البقرة - ٢٤] . بصيغة الماضي. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن ماجه.

٥٦٧٤ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وفخذه)** بفتح فكسر، ففي القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ، ويكسر أي فخذ الكافر. **(مثل البيضاء)** في النهاية هو اسم جبل. وقال شارح: هو موضع في بلاد العرب، وقيل هو جبل. **(ومقعده)** أي موضع قعوده. **(من النار)** أي فيها كما في رواية **(مسيرة ثلاث مثل الربذة)** بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة، قرية معروفة قرب المدينة كذا في النهاية. وقيل بقرب مكة، وقيل قرية من قرى المدينة على ثلاث ليال.

الحديث رقم ٥٦٧٣: أخرجه الترمذي ٤/ ٦١٢ حديث رقم ٢٥٩٠. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٥ حديث رقم ٤٣٢٠.

الحديث رقم ٥٦٧٤: أخرجه الترمذي في ٤/ ٦٠٦ حديث رقم ٢٥٧٨.

رواه الترمذي.

٥٦٧٥ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن غلظ جلد الكافرِ اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضِرْسَه مثل أُحدٍ، وإن مَجْلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة». رواه الترمذي.

٥٦٧٦ ـ (١٢) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الكافرِ ليُسْحَب لسانُه الفرسَخ والفرسخين يتوطَّؤه الناس». رواه أحمد، والترمذي، وقال هذا حديث غريب.

٥٦٧٧ ـ (١٣) وعن أبي سعيد [الخدري]، عن رسول الله ﷺ قال: «الصَّعُودُ

وقال شارح: قريب من ذات عرق، يريد ما بين الربذة والمدينة انتهى. فقوله: مثل الربذة أي مثل بعد الربذة من المدينة، أو مثل مسافتها إليها. فإنه ﷺ، قال هذا الحديث وهو في المدينة. ويؤيده ما روي من أن مقعده في النار ما بيني وبين الربذة[(١)]. وقال ابن الملك [رحمه الله]: قرية من قرى المدينة بها قبر أبي ذر الغفاري. وقيل جبل بالشام (**رواه الترمذي.**) ورواه أحمد والحاكم عنه بلفظ: ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان، ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة.

٥٦٧٥ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً**) لفظ الجامع: اثنتان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار. وفي القاموس الذراع بالكسر من طَرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى والساعد، وقد تذكر فيهما وذرع الثوب قاسه بها. (**وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه**) أي موضع جلوسه (**من جهنم ما بين مكة والمدينة. رواه الترمذي**) وكذا الحاكم[(٢)].

٥٦٧٦ ـ (**وعن ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن الكافر ليسحب**) بفتح الحاء أي يجر (**لسانه**) ويجوز أن يكون على بناء المفعول، بل هو الأظهر في المعنى المراد، وكذا ضبط في الجامع ولفظه: ليسحب لسانه وراءه. (**الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس**) أي يطؤونه بأقدامهم ويمشون عليه. (**رواه أحمد والترمذي. وقال: هذا حديث غريب**).

٥٦٧٧ ـ (**وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: الصعود**) بفتح الصاد

---

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٢٨. والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٥. والبيضاء: قريات بالرملة في القطيف. والقطيف في شرق السعودية على الخليج. وورقان جبل جنوب المدينة. والربذة: تقع في الشرق إلى الجنوب من بلدة أعناكية. (المعالم الأثيرة).

الحديث رقم ٥٦٧٥: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٦ حديث رقم ٢٥٧٧.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٥ ولم يذكره بالكامل.

الحديث رقم ٥٦٧٦: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٦ حديث رقم ٢٥٨٠. وأحمد في المسند ٢/ ٩٢.

الحديث رقم ٥٦٧٧: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٥ حديث رقم ٢٥٧٦. وأحمد في المسند ٣/ ٧٥.

جبل من نارٍ يُتصعَّدُ فيه سبعين خريفاً، ويُهْوىَ به كذلك فيه أبداً». رواه الترمذي.

٥٦٧٨ ـ (١٤) وعنه، عن النبي ﷺ قال في قوله: ﴿كالمهل﴾ «أي كعَكر الزيت، فإذا قُرِّب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه». رواه الترمذي.

٥٦٧٩ ـ (١٥) وعن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الحميم

واللام للعهد، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعوداً﴾ [المدثر ـ ١٧] . أي سأغشيه عقبة صعبة المسلك. (جبل) ففي القاموس الصعود بالفتح، ضد الهبوط، وجبل في جهنم: والعقبة الشاقة. والمعنى أنه جبل عظيم. **(من نار يتصعد فيه)** بصيغة المجهول، أي يكلف الكافر ارتقاه. وفي نسخة بفتح أوله، أي يطلع في ذلك الجبل. **(سبعين خريفاً)** أي مدة سبعين عاماً **(ويهوي به)** بصيغة المفعول، أي يكاب ذلك الكافر بسقوطه فيه. وفي نسخة بفتح الياء وكسر الواو، أي ينزل بذلك الكافر، من هوى كرمي سقط، فالباء للتعدية. **(كذلك)** أي سبعين خريفاً. **(فيه)** أي في ذلك الجبل **(أبداً)** قيد للفعلين أي يكون دائماً في الصعود والسقوط؛ ومنه يتبين معنى لطيف فيما اشتهر عنه ﷺ أن السفر قطعة من سقر، مع ما فيه من الإيماء إلى اللطافة النقطية والمحاسبة الأبجدية. وبهذا يندفع ما نقل عن علي كرم الله وجهه، أنه لو لم يقل النبي ﷺ هكذا لعكست. وقلت: إن سقر قطعة من السفر، لكن لا يخفى أحسنية ما في كلامه ﷺ من عدم المغالبة الزائدة، ولما فيه من المطابقة للواقعة الجادة، مع الإشارة إلى تفسير الآية وما تضمنه مما ذكرناه من إفادة اللطافة والظرافة. هذا وقد ذكر صاحب خلاصة الطيبي [رحمه الله]، ظناً أن ضمير به راجع إلى الجبل وأن الباء بمعنى في أن تكريره على طريقة قولك: فيك زيد راغب فيك، يعني أن الإعادة للتأكيد والمبالغة. ولا شك أن ما قررناه أحسن في مقام الإفادة. **(رواه الترمذي)** ولفظ الجامع: ثم يهوي فيه، كذلك أبداً. رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عنه.

٥٦٧٨ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال في قوله: كالمهل)** أي في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾ [الكهف ـ ٢٩]. **(أي كعكر الزيت)** بفتح العين والكاف، أي درديه. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي الدرن منه والدنس. وأغرب شارح، وفسر المهل بالصديد مع ظهور النص السديد. **(فإذا قرب)** بضم فتشديد راء أي المهل. **(إلى وجهه)** أي وجه العاصي **(سقطت فروة وجهه)** أي جلدته وبشرته. **(فيه)** أي في المهل. وفي النهاية: فروة وجهه، أي جلدته. والأصل فيه فروة الرأس وهي جلدته بما[١] عليها من الشعر، فاستعارها من الرأس للوجه. **(رواه الترمذي)**.

٥٦٧٩ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الحميم)** أي في قوله

الحديث رقم ٥٦٧٨: أخرجه الترمذي ٤/٦٠٨ حديث رقم ٢٥٨٤. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٠. ٧١.

(١) في المخطوطة «لما».

الحديث رقم ٥٦٧٩: أخرجه الترمذي ٤/٦٠٧ حديث رقم ٢٥٨٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤.

لِيُصَبُّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصَّهْر ثم يُعاد كما كان». رواه الترمذي.

٥٦٨٠ ـ (١٦) وعن أبي أُمامة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيد يتجرَّعُه﴾ قال: «يقرّب إلى فيه فيكرهه، فإذا أُدني منه شوى وجهه، ووقعت فروَةُ رأسه، فإذا شربه قَطَّعَ أمعاءه، حتى يَخْرج من دبره. يقول الله تعالى: ﴿وسُقُوا ماءَ حميماً فقطَّع أمعاءهم﴾ ويقول: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل

تعالى: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ [الحج ـ ١٩] . المفسر بالماء البالغ نهاية الحر. (ليصب على رؤوسهم) أي يكب فوقها (فينفذ الحميم) بضم الفاء من النفوذ، وهو التأثير والدخول في الشيء. أي يدخل أثر حرارته من رأسه إلى باطنه. (حتى يخلص) بضم اللام أي يصل (إلى جوفه) أي إلى جوف رأسه، أو إلى بطنه وهو الظاهر المتبادر، [بل هو الصواب] لقوله: (فيسلت) بضم اللام من سلت القصعة، إذا مسحها من الطعام فيذهب. وأصل السلت القطع، فالمعنى فيمسح ويقطع الحميم. (ما في جوفه) أي من الأمعاء. وقال القاضي [رحمه الله]: أي يذهب ويمر (حتى يمرق) بضم الراء، أي يخرج. (من قدميه وهو الصهر) بفتح الصاد [بمعنى] الإذابة. والمعنى ما ذكر من النفوذ وغيره، وهو معنى الصهر المذكور في قوله تعالى: ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ [الحج ـ ٢٠] . ومع هذا الهم الوعيد الشديد بقوله سبحانه: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ [الحج ـ ٢١] . (ثم يعاد) أي ما في جوفه (كما كان) لقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء ـ ٥٦] . أي شدة العقاب. (رواه الترمذي).

٥٦٨٠ ـ (وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله) أي تعالى، كما في نسخة (﴿يسقى من ماء صديد﴾) قيل صديد الجرح، ماؤه الرقيق المختلط بالدم السائل منه. (﴿يتجرعه﴾) أي يشربه لا بمرة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته. ولذا قال تعالى: ﴿ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ [إبراهيم ـ ١٧]. (قال:) أي النبي ﷺ (يقرب) بفتح الراء المشددة، أي يؤتى بالصديد قريباً. (إلى فيه) أي إلى فم العاصي (فيكرهه) أي لعفونته وسخونته (فإذا أدني) بصيغة المجهول، أي زيد في قربه. (منه) أي من العاصي، أو من فمه. (شوى) أي أحرق (وجهه ووقعت) أي سقطت (فروة رأسه) أي جلدته. (فإذا شربه) أي ماء الصديد الحار الشديد (قطع أمعاءه) بتشديد الطاء للمبالغة والتكثير. (حتى تخرج) أي الأمعاء، وفي نسخة بالياء، أي الصديد (من دبره) بضمتين، وهو ضد القبل. (يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾، ويقول:) أي الله تعالى في موضع آخر. (و﴿إن يستغيثوا﴾) أي يطلبوا الغياث بالماء على عادتهم الاستغاثة في طلب الغيث، وهو المطر. (﴿يغاثوا﴾) أي يجابوا ويؤتوا (﴿بماء كالمهل﴾) أي كالصديد أو كعكر

الحديث رقم ٥٦٨٠: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨. حديث رقم ٢٥٨٤. وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٥.

يشوي الوجوه بئس الشراب﴾ رواه الترمذي.

٥٦٨١ ـ (١٧) وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لسُرادقِ النار أربعةُ جُدُرٍ، كِثَف كل جدار مسيرةُ أربعين سنة». رواه الترمذي.

٥٦٨٢ ـ (١٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غسّاقٍ

الزيت على ما صح عنه ﷺ. (**﴿يشوي الوجوه﴾**) أي ابتداء، ثم يسري إلى البطون وسائر الأعضاء انتهاء. (**﴿بئس الشراب﴾**) أي المهل أو الماء كالمهل فإنه مكروه ومكره. (**رواه الترمذي**).

٥٦٨١ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري**) [رضي الله تعالى عنه] (**عن النبي ﷺ: لسرادق النار**) بكسر اللام وضم السين وجر القاف، وفي نسخة بالفتح والرفع. قال الطيبي [رحمه الله]: روي بفتح اللام على أنه مبتدأ وكسرها على أنه خبر، وهذا أظهر. وفي النهاية: السرادق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء. أقول: وهو إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾** [الكهف ـ ٢٩] . وفي القاموس: السرادق الذي يمد فوق البيت، وجمعه سرادقات. وقال شارح: هو الذي [يمد] فوق صحن الدار. أقول الظاهر أن المراد به في الآية هو المعنى الأعم الشامل للمحيط بجميع جهاتهم. ولعل سرادقها من نار غليظة مركبة من دخان وغيره، ولذا قال لسرادقها. (**أربعة جدر**) بضمتين جمع جدار، وهو لا ينافي أن يمد من فوقهم. فإنه صح في الأخبار أنه يطبق عليهم بل على كل واحد منهم حتى يظن كل أنه لا يعذب في النار غيره، وهو أصعب. فإن البلية إذا عمت طابت، لا سيما إذا رأى أن عذابه أخف من بعض. (**كثف كل جدار**) بضم الكاف والمثلثة مرفوعاً في أصل السيد وكثير من النسخ. وفي بعضها بالكسر والفتح وعليه أكثر الشراح وهو الأظهر. فقال صاحب المفاتيح والخلخالي، بكسر الكاف وفتح المثلثة، أي الغلظ فالمعنى كثافة كل جدار وغلظه. (**مسيرة أربعين سنة**) وقال شارح: بالفتح والكسر الغلظ، وفي النهاية: الكثف جمع كثيف وهو الثخين الغليظ. لكن لا يخفى أن معنى الجمع غير ملائم لإضافته إلى كل جدار. نعم في نسخة ضبط بضمتين مجروراً على أنه صفة جدر وكل جدار بالرفع على الابتداء، وهو ظاهر لفظاً ومعنى، والله [تعالى] أعلم. (**رواه الترمذي**).

٥٦٨٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي سعيد رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن دلواً من غساق**) بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل ما يسيل من دموعهم، وقيل هو الزمهرير، كذا في النهاية. وقيل هو الصديد البارد المنتن، لا يقدر على شربه من برودته كما لا يقدر على شرب الحميم لحرارته. قلت: وهو الملائم للجمع بينهما في

الحديث رقم ٥٦٨١: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨ حديث رقم ٢٥٨٤. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٩.

الحديث رقم ٥٦٨٢: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨ حديث رقم ٢٥٨٤. وأحمد في المسند ٣/ ٢٨.

يُهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا». رواه الترمذي.

٥٦٨٣ ـ (١٩) وعن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ قطرةً من الزَّقُوم قَطرت في دارِ

قوله تعالى: ﴿فليذوقوه حميم وغساق﴾ [ص ـ ٥٧]. وكذا في قوله سبحانه: ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً﴾ [النبأ ـ ٢٥]. على النشر المشوش اعتماداً على فهم السامع: والحاصل أنه لو أن شيئاً قليلاً منه. **(يهراق)** بفتح الهاء ويسكن أن يصب. **(في الدنيا)** أي في أرضها **(لأنتن أهل الدنيا)**[(١)] أي لصاروا ذوي نتن منه، فأهل مرفوع على الفاعلية، وعليه الأصول المعتمدة. وكأنه وجد في بعض النسخ بالنصب على توهم أن أنتن متعد بزيادة الهمزة. فقال شارح: أنتن الشيء، أي تغير وصار ذا نتن. فنصب أهل ليس بصواب، إنما الصواب رفعه كذا قاله الإمام التوربشتي رحمه الله. وفي القاموس: النتن ضد الفوح. نتن ككرم وضرب نتانة، وأنتن فهو منتن بكسرتين وبضمتين، وكقنديل. أقول: ولعل وجه الكسرتين أنه كسر الميم تبعاً، كما في قوله: الحمد لله. قرىء في الشواذ بكسر الدال، وضمها تباعاً لما بعدها، وعد الكلمتين كلمة لامتزاجهما وعدم انفكاكهما غالباً. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه[(٢)].

٥٦٨٣ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتقوا الله﴾)** أولها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾. **(﴿حق تقاته﴾)** أي حق تقواه من القيام بالواجبات واجتناب السيئات وقد فسره ابن مسعود بقوله: هو أن يطاع فلا يعصي، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ورواه الحاكم عن رسول الله ﷺ، وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه، وصححه المحدثون. فهو أما تفسير لكمال التقوى فلا إشكال، أو لأصلها فيكون منسوخاً بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن ـ ١٦]. كما ذكره بعضهم. وقال بعض العارفين: هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازات عليها. **(﴿ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾)**[(٣)] أي موحدون منقادون تائبون جامعون بين الخوف والرجاء غالبون حسن الظن بالمولى [جلَّ وعلا] في الآخرة والأولى. وهو في الحقيقة أمر بدوام الإسلام، فإن النهي في هذا المقام توجه إلى القيد في الكلام. **(فقال رسول الله ﷺ: لو أن قطرة من الزقوم)** أي من ماء شجر يخرج في أصل الجحيم. قال شارح: الزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم والرائحة، يكره أهل النار على تناوله، فلو أن قطرة منه **(قطرت)** بالفتحات، أي نقطت ونزلت. **(في دار**

---

(١) في المخطوطة «أهلها».

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٢.

الحديث رقم ٥٦٨٣: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٩ حديث رقم ٢٥٨٥ وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٤٦ حديث رقم ٤٤٠٨ وأحمد في المسند ١/ ٣٠١.

(٣) سورة آل عمران. آية ١٠٢.

الدنيا لأفسدت على أهلِ الأرض معايشَهم فكيف بمن يكون طعامه؟!» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٥٦٨٤ - (٢٠) وعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النارُ فَتَقَلَّصُ شفتُه العُلْيا حتى تبلُغَ وسْط رأسه، وتسترخي شفته السّفلى حتى

الدنيا لأفسدت) أي لمرارتها وعفونتها وحرارتها **(على أهل الأرض معايشهم)** بالياء وقد يهمز، جمع معيشة. **(فكيف بمن يكون)** أي الزقوم **(طعامه)** ففي الصحاح: إن الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد والزقم أكله، فالمعنى[١] [أن هذا الزقوم] في العقبى بدل زقومهم في الدنيا. كما قال تعالى: ﴿**إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**﴾ [الدخان - ٤٣ - ٤٤] . قال [ابن عباس رضي الله تعالى عنه: لما نزل ﴿**إن شجرة الزقوم طعام الأثيم**﴾. قال أبو جهل: التمر بالزبد نتزقمه. فأنزل الله تعالى: ﴿**إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم**﴾[الصافات - ٦٤] الآيات. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: حق تقاته. أي واجب تقواه وما يحق[٢] منها، وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم، أي بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ [التغابن - ١٦] . وقوله: ﴿**ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [آل عمران - ١٠٢] . تأكيد لهذا المعنى، أي لا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، فمن واظب على هذه الحالة وداوم عليها مات مسلماً وسلم في الدنيا من الآفات وفي الآخرة من العقوبات، ومن تقاعد عنها وتقاعس وقع في العذاب في الآخرة. ومن ثم اتبعه ﷺ بقوله: لو أن قطرة من الزقوم. الحديث وهو فعول من الزقم، اللقم الشديد والشرب المفرط. **(رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن صحيح)** وكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان[٣].

٥٦٨٤ - **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:)** أي في قوله تعالى: **(﴿وهم فيها﴾)** أي الكفار في النار. **(﴿كالحون﴾)**[٤] أي عابسون حين تحترق وجوههم من النار، كذا ذكره الطيبي [رحمه الله] . وقال شارح: أي بادية أسنانهم، وهو المناسب لتفسيره ﷺ، كما بينه الراوي بقوله: **(قال:)** وأعاده للتأكيد **(تشويه)** بفتح أوله، أي تحرق الكافر. **(النار)** أي نار أهل البوار. **(فتقلص)** على صيغة المضارع بحذف إحدى التائين، أي تنقبض. **(شفته العليا)** بفتح الشين وتكسر. **(حتى تبلغ)** أي تصل شفته **(وسط رأسه)** بسكون السين وتفتح. **(وتسترخي)** بالتذكير والتأنيث أي تسترسل. **(شفته السفلى)** تأنيث الأسفل كالعليا تأنيث

---

(١) في المخطوطة «بمعنى».

(٢) في المخطوطة «نجس».

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ٢٧٨ حديث رقم ٧٤٢٧.

الحديث رقم ٥٦٨٤: أخرجه الترمذي ٤/ ٦١٠ حديث رقم ٢٥٨٧. وأحمد في المسند ٣/ ٨٨.

(٤) المؤمنون. آية ١٠٤.

تضرب سُرَّتَهُ». رواه الترمذي.

٥٦٨٥ ـ (٢١) وعن أنسٍ، عن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس! ابكوا فإن لم تستطيعوا فتباكوا، فإنَّ أهلَ النارِ يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم، كأنها جداولُ، حتى تنقطع الدموع، فتسيل الدماء، فتقرَّح العيون، فلو أنَّ سُفُناً أُزجِيَتْ فيها لجَرَتْ». رواه في «شرح السنة».

٥٦٨٦ ـ (٢٢) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُلقى على أهلِ النَّارِ الجوعُ، فيعدِلُ ما هُم فيه منَ العذابِ، فيستَغيثونَ، فيُغاثونَ بطعامٍ منْ ضَريعٍ،

الأعلى. **(حتى تضرب)** أي تقرب شفته. **(سرته. رواه الترمذي)**.

٥٦٨٥ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يا أيها الناس ابكوا)** بكسر همزة الوصل وضم الكاف، أمر من بكى يبكي. أي ابكوا خوفاً على ذنوبكم أو شوقاً إلى ربكم، كما أخبر الله سبحانه عن حالة أنبيائه وأصفيائه: **﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمٰن خروا سجداً وبكياً﴾** [مريم ـ ٥٨]. وقد سجد بعض السلف في هذه الآية، فقال: هذه السجدة فأين البكاء. **(فإن لم تستطيعوا)** أي لم تقدروا على البكاء الحقيقي فإنه ليس بالأمر الاختياري. **(فتباكوا)** بفتح الكاف. أمر من باب التفاعل، والمعنى تحملوا أنفسكم [بالتكلف] على البكاء، وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾** [التوبة ـ ٨٢]. **(فإن أهل النار)** أي من الكفار، ويحتمل أن يعم الفجار. **(يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم.)** أي عليها، والتعبير بفي أبلغ، ويؤيده قوله: **(كأنها)** أي دموعهم **(جداول)** جمع جدول، وهو النهر الصغير. **(حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء)** بنصب الفعل، ويرفع وكذا الوجهان في قوله: **(فتقرح)**، بتشديد الراء المفتوحة على أنه مضارع من باب التفعل. حذف إحدى التاءين منه، أي فتخرج **(منه)** أي من سيلان الدماء. **(العيون)** بضم العين وتكسر جمع العين. وفي نسخة فتقرح بسكون القاف وفتح الراء. فالعيون منصوب لأن قرح كمنع جرح على ما في القاموس، فالمعنى: فتخرج دموعهم أو دماؤهم عيونهم، فتزيد في سيلانها. **(فلو أن سفناً)** بضم السين والفاء جمع سفينة. **(أزجيت)** بصيغة المجهول من الإزجاء بالزاي والجيم أي أرسلت. **(فيها)** أي في الدموع أو الدماء. **(لجرت)** أي السفن **(بها. رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي بإسناده.

٥٦٨٦ ـ **(وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: يلقى)** أي يسلط **(على أهل النار الجوع)** أي الشديد **(فيعدل)** بفتح الياء وكسر الدال، أي فيساوي الجوع. **(ما هم فيه من العذاب)** المعنى أن ألم جوعهم مثل ألم سائر عذابهم. **(فيستغيثون)** أي بالطعام **(فيغاثون بطعام من ضريع)** وهو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه، ولو أكلت ماتت. والمراد هنا شوك

الحديث رقم ٥٦٨٥: أخرجه ابن ماجه ٢/١٤٤٦ حديث رقم ٤٣٢٤.

الحديث رقم ٥٦٨٦: أخرجه الترمذي ٤/٦٠٥ حديث رقم ٢٦٨.

لا يُسمِنُ ولا يُغني منْ جوعٍ، فيستَغيثونَ بالطعامِ، فيُغاثونَ بطعامٍ ذي غُصَّةٍ، فيذكرونَ أنهم كانوا يُجيزونَ الغُصصَ في الدنيا بالشَّرابِ، فيستغيثونَ بالشراب فيرفع إليهمُ الحميمُ بكلاليبِ الحديدِ، فإذا دنَت من وُجوهِهِم شوَت وُجوهَهم، فإذا دخلتْ بُطونَهم قطعتْ ما في بطونِهم، فيقولونَ: ادْعوا خَزَنَةَ جهنَم، فيقولونَ: أَلَمْ تَكُ تأتيكم رسُلُكم بالبَيِّناتِ؟ قالوا: بَلى. قالوا: فادْعوا، وما دُعاءُ الكافرينَ إلاَّ في ضَلالٍ» قال: «فيقولونَ: ادْعوا مالكاً،

من نار أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأحر من النار. **(لا يسمن)** أي لا يشبع الجائع ولا ينفعه، ولو أكل منه كثيراً. **(ولا يغني من جوع)** أي ولا يدفع ولو بالتسكين شيئاً من ألم الجوع. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾** [الغاشية ـ ٦] . [إلى آخره] . **(فيستغيثون بالطعام)** أي ثانياً لعدم نفع ما أغيثوا أولاً. **(فيغاثون بطعام ذي غصة)** أي مما ينشب في الحلق ولا يسوغ فيه من عظم وغيره لا يرتقي ولا ينزل. وفيه إشعار إلى قوله تعالى: **﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾** [المزمل ـ ١٢ ـ ١٣] . والمعنى أنهم يؤتون بطعام ذي غصة فيتناولونه فيغصون به. **(فيذكرون أنهم كانوا يجيزون)** من الإجازة بالزاي، أي يسيغون **(الغصص)** جمع الغصة بالضم، وهي ما اعترض في الحلق فأشرق على ما في القاموس. والمعنى أنهم كانوا يعالجونها. **(في الدنيا بالشراب فيستغيثون)** أي على مقتضى طباعهم. **(بالشراب)** أي لدفع ما حصل لهم من العذاب. **(فيرفع إليهم الحميم)** بالرفع أي يرفع أطراف إناء فيه الحميم، وهو الماء الحار الشديد. **(بكلاليب الحديد)** أي على أيدي الملائكة أو بيد القدرة من غير الواسطة. **(فإذا دنت)** أي قربت أواني الحميم **(من وجوههم شوت وجوههم)** أي أحرقتها **(فإذا دخلت)** أي أنواع ما فيها من الصديد والغساق وغيرهما **(بطونهم قطعت ما في بطونهم)** أي من الأمعاء قطعة قطعة **(فيقولون: ادعوا خزنة جهنم)** نصب على أنه مفعول ادعوا، وفي الكلام حذف أي يقول الكفار بعضهم لبعض: ادعوا خزنة جهنم فيدعونهم. ويقولون لهم: **﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾**. **(فيقولون:)** أي الخزنة **(ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا: بلى. قالوا:)** أي الخزنة تهكماً بهم **(فادعوا)** أي أنتم ما شئتم فأنا لا نشفع للكافر **(وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال)** أي في ضياع، لأنه لا ينفعهم حينئذ دعاء لا منهم ولا من غيرهم. وهذا لا يدل على أنه لا يستجاب لهم دعوة في الدنيا كما فهمه بعض العلماء، وقد استجيب دعاء الشيطان في الامهال والله [تعالى] أعلم بالحال. وقال الطيبي [رحمه الله]: الظاهر أن خزنة جهنم ليس بمفعول ادعوا، بل هو منادى ليطابق قوله تعالى: **﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾** [غافر ـ ٤٩] . وقوله: ألم تك تأتيكم. الزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع، وعطلوا الأسباب التي يستجيب لها الدعوات. قالوا: فادعوا أنتم فإنا لا نجترىء على الله ذلك. وليس قولهم: فادعوا، لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة، فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافرين. **(قال)** أي النبي ﷺ **(فيقولون:)** أي الكفار **(ادعوا مالكاً)** والمعنى أنهم لما أيسوا من دعاء خزنة جهنم لأجلهم وشفاعتهم لهم،

فيقولونَ: يا مالكُ! ليَقْضِ علَينا ربُّكَ» قال: «فيُجيبُهم إنَّكم ماكِثونَ». قال الأعمشُ: نُبِّئتُ أنَّ بينَ دُعائِهم وإجابَةِ مالك إياهُم ألفَ عام قال: «فيقولونَ: ادْعوا ربَّكم، فلا أحدٌ خيرٌ من ربِّكم، فيقولونَ: ربَّنا غلَبَتْ شِقْوَتُنا وكنَّا قوماً ضالِّينَ، ربَّنا أخرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنا ظالمونَ» قال: «فيُجيبُهم: اخْسَؤوا فيها ولا تُكلمونِ» قال: «فعندَ ذلكَ يئِسوا منْ كلِّ خيرٍ، وعندَ ذلكَ يأخُذونَ في الزَّفيرِ والحسرة والوَيْل». قال عبدُ الله بنُ عبد الرَّحمٰنِ: والنَّاسُ لا يرفعونَ هذا الحديثَ. رواه الترمذيُّ.

٥٦٨٧ ـ (٢٣) وعن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

أيقنوا أن لا خلاص لهم ولا مناص من عذاب الله. **(فيقولون: يا مالك ليقض)** أي سل ربك داعياً ليحكم بالموت **(علينا ربك)** لنستريح، أو من قضى عليه إذا أماته. فالمعنى ليميتنا ربك فنستريح. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فيجيبهم)** أي مالك جواباً من عند نفسه، أو من عند ربه تعالى بقوله: **(أنكم ماكثون)** أي مكثاً مخلداً **(قال الأعمش:)** وهو أحد الرواة من أجلاء التابعين. **(نبئت)** بتشديد الموحدة المكسورة، أي أخبرت من بعض الصحابة موقوفاً أو مرفوعاً. **(أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم)** أي بهذا الجواب **(ألف عام: قال: فيقولون:)** أي بعضهم لبعض **(ادعوا ربكم فلا أحد)** أي فليس أحد **(خير من ربكم)** أي في المرحمة والقدرة على المغفرة **(فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا)** بكسر فسكون وفي قراءة بفتحتين وألف بعدهما، وهما لغتان بمعنى ضد السعادة. والمعنى سبقت علينا هلكتنا المقدرة بسوء خاتمتنا. **(وكنا قوماً ضالين)** أي عن طريق التوحيد **(ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون)** وهذا كذب منهم، فإنه تعالى قال: ﴿**ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون**﴾ [الأنعام ـ ٢٨]. **(قال: فيجيبهم)** أي الله بواسطة أو بغيرها، [إجابة إعراض]. **(اخسؤوا فيها)** أي ذلوا وانزجروا كما ينزجر الكلاب إذا زجرت. والمعنى، ابعدوا أذلاء في النار. **(ولا تكلمون)** أي لا تكلموني في رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف عنكم **(قال: فعند ذلك يئسوا)** أي قنطوا **(من كل خير)** أي مما ينجيهم من العذاب، أو يخففه عنهم. **(وعند ذلك)** أي أيضاً **(يأخذون في الزفير)** أي في احتراق النفس للشدة. وقيل: الزفير أول صوت الحمار، كما أن الشهيق آخر صوته. قال تعالى: ﴿**لهم فيها زفير وشهيق**﴾ [هود ـ ١٠٦] **(والحسرة)** أي وفي الندامة. **(والويل)** أي وفي شدة الهلاك والعقوبة. وقيل: هو واد في جهنم. **(قال عبد الله بن عبد الرحمٰن:)** أحد المحدثين من أصحاب التخريج **(والناس لا يرفعون هذا الحديث.)** أي بل يجعلونه موقوفاً على أبي الدرداء، لكنه في حكم المرفوع. فإن أمثال ذلك ليس مما يمكن أن يقال من قبل الراوي. **(رواه الترمذي)** أي مرفوعاً كما يفهم من صدر الحديث.

٥٦٨٧ ـ **(وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:**

الحديث رقم ٥٦٨٧: أخرجه الدارمي في المسند ٢/ ٤٢٥ الحديث رقم ٢٨١٢. وأحمد في المسند ٢٦٨.

«أنذَرتُكمُ النارَ، أنذرتكمُ النَّارَ» فما زالَ يقولُها، حتى لو كانَ في مقامي هذا سمِعَه أهلُ السوقِ، وحتى سقطتْ خميصةٌ كانتْ عليهِ عندَ رِجلَيهِ. رواه الدارميُّ.

٥٦٨٨ـ(٢٤) وعن عبدِ الله بن عمْرِو بنِ العاصِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لوْ أنَّ رَصاصة

أنذرتكم النار) أي أخبرتكم بوجودها وأخبرتكم بشدتها وخوفتكم بأنواع عقوبتها. **(أنذرتكم النار)** أي أعلمتكم بما يتقي به عنها حتى قلت لكم: اتقوا النار ولو بشق تمرة. ثم يمكن أن يراد بهما الإنذار في زمان الحال، وعبر بالماضي لتحققه في السابق اللاحق للاستقبال، أو الأول إخبار والثاني إنشاء، أو جمع بينهما للتأكيد في أحد المعاني. وفي نسخة كرر ثلاثاً **(فما زال يقولها)** أي يكرر الكلمة المذكورة ويرفع بها صوته. **(حتى لو كان)** أي النبي ﷺ **(في مقامي هذا)** أي المقام الذي كان الراوي فيه عند روايته هذا الحديث. **(سمعه)** أي سمع صوته **(أهل السوق)** لأنه بالغ في رفع الصوت عملاً بقول نوح عليه [الصلاة] والسلام. **﴿ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً﴾** [نوح ـ ٨ ـ ٩]. **(وحتى سقطت خميصه)** وهي نوع ثوب. **(كانت عليه)** أي فوق كتفه بمنزلة ردائه **(عند رجليه)** أي من جذبته الإلهية وعدم شعوره من الهيبة الحسية. **(رواه الدارمي)**.

٥٦٨٨ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص)** بحذف الياء في أكثر النسخ المصححة، وفي نسخة بالياء. قال النووي [رحمه الله]: في مقدمة شرح مسلم: أما ابن العاص فأكثر ما يجيء في كتب الحديث والفقه ونحوهما بحذف الياء، وهي لغة. والفصيح الصحيح العاصي بإثبات الياء. وكذلك شداد بن الهادي وابن أبي الموالي. فالصحيح الفصيح في كل ذلك وما أشبهه إثبات الياء، ولا اعتداد بوجوده في كتب الحديث إذ أكثرها بحذفها أقول: تعبيره بالصحيح الفصيح غير صحيح، إذ جاء إثبات الياء وحذفها في الكلام الأفصح كتابة وقراءة. نعم حذفها رسماً أكثر من إثباتها قراءة، وإثباتها قراءة أشهر من حذفها في [نحو] قوله تعالى: **﴿المهتد والمتعال﴾، و﴿باق﴾ و﴿واق﴾**(١). **ثم عدم الاعتداد بكتب الحديث المطابق لرسم المصحف الشريف المنسوب إلى كتابة الصحابة رضوان الله [تعالى] عليهم أجمعين، مستبعد جداً خصوصاً من الإمام النووي [رحمه الله]، الذي هو من أتباع المحدثين ومن الفقهاء المتورعين. هذا والصحيح في العاص أنه معتل العين لا معتل اللام، على ما حققه صاحب القاموس بقوله: الأعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس [الأكبر]، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص فالعاص على هذا يخرج عما نحن فيه بالكلية، ولا يجوز إثبات الياء فيه بالمرة والله [تعالى] أعلم. (قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رصاصة)** بفتح الراء

الحديث رقم ٥٦٨٨: أخرجه الترمذي ٤/ ٦١١ حديث رقم ٢٥٨٨ وأحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

(١) وهذه الكلمات من قوله تعالى: المهتد: **﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾** الإسراء. آية ٩٧. المتعال: **﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾** الرعد. آية ٩. **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾** النحل. آية ٩٦. **﴿ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق﴾** الرعد. آية ٣٤.

مثلَ هذِه ـ وأشارَ إلى مثلِ الجُمجُمةِ ـ أُرسِلتْ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ، وهيَ مسيرةُ خمسمائةِ سنةٍ، لبلغتِ الأرضَ قبلَ الليلِ، ولوْ أنَّها أُرسلتْ منْ رأسِ السّلسلةِ، لسارتْ أربعينَ خريفاً الليلَ والنهارَ قبلَ أنْ تبلغَ أصلها أوْ قعرَها». رواه الترمذيُّ.

والصادين المهملتين أي قطعة من الرصاص. ففي القاموس الرصاص: كسحاب معروف. وفي نسخة السيد رضاضة براء واحدة ومعجمتين، وهي الحصا الصغار على ما في النهاية. وفي نسخ المصابيح رضراضة براءين ومعجمتين، وهي الحجارة المدقوقة على ما قاله شارح: وهو سهو من الكتاب، أو من صاحب الكتاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. قال التوربشتي [رحمه الله]: في سائر نسخ المصابيح رضراضة مكان رصاصة، وهو غلط لم يوجد في جامع الترمذي، ولعل الغلط وقع من غيره. **(مثل هذه)** إشارة إلى محسوسة معينة هناك، كما أشار إليه الراوي بقوله: **(وأشار إلى مثل الجمجمة)** بضم الجيمين في النسخ المصححة للمشكاة، وهي قدح صغير. وقال المظهر بالخاءين المعجمتين: وهي حبة صغيرة صفراء. وقيل [هي] بالجيمين وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ. وقيل: الأوّل أصح انتهى. والجملة خالية لبيان الحجم والتدوير المعين على سرعة الحركة. قال التوربشتي [رحمه الله]: بين مدى قعر جهنم بأبلغ [ما يمكن] من البيان، فإن الرصاص من الجواهر الرزينة، والجوهر كلما كان أتم رزانة كان أسرع هبوطاً إلى مستقره، لا سيما إذا انضم إلى رزانته كبر جرمه، ثم قدره على الشكل الدوري. فإنه أقوى انحداراً وأبلغ مروراً في الجواهر. فالمختار عنده أن المراد بالجمجمة جمجمة الرأس، على أن اللام للعهد أو بدل عن المضاف إليه، وهو المغني الظاهر المتبادر من الجمجمة. ثم قوله: **(أرسلت)** صفة لاسم أن، وما بينهما معترضة، أي أدليت. **(من السماء إلى الأرض وهي)** أي مسافة ما بينهما **(مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل. ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة)** أي المذكورة في قوله تعالى: **﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾** [الحاقة ـ ٣٢] . فالمراد من السبعين الكثرة، أو المراد بذرعها ذراع الجبار. وقال شارح: أي رأس سلسلة الصراط، وهو في غاية من البعد. **(لسارت)** أي لنزلت وصارت مدة ما سارت **(أربعين خريفاً)** أي سنة **(الليل والنهار)** أي منهما جميعاً، لا يختص سيرها بأحدهما. **(قبل أن تبلغ أصلها)** أي أصل السلسلة **(أو قعرها)** شك من الراوي. والمراد بقعرها نهايتها وهو معنى أصلها حقيقة أو مجازاً. فالترديد إنما هو في اللفظ المسموع. وأبعد الطيبي [رحمه الله] حيث قال: يراد به قعر جهنم، لأن السلسلة لا قعر لها. قلت: وجهنم في هذا المقام لا ذكر لها مع لزوم تفكيك الضمير فيها وإن كان قعرها عميقاً على ما رواه هنا. وعن أنس مرفوعاً: «لو أن حجراً مثل سبع خلفات ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها»[1] . والمراد بالخلفات، النوق الحوامل. فاختيار كبر جرم المرسل هنا مناسب لما قدمه التوربشتي [رحمه الله] . **(رواه الترمذي)**.

---

(١) نسبه السيوطي إلى هناد في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٤ حديث رقم ٧٤٠٩.

٥٦٨٩ - (٢٥) وعن أبي بُردةَ، عن أبيهِ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في جهنمَ لوادِياً يُقالُ له: هَبْهَبُ، يسكنُه كلُّ جبَّارٍ». رواه الدارمي.

الفصل الثالث

٥٦٩٠ - (٢٦) عن ابنِ عمَرَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يَعظُمُ أهلُ النَّارِ في النارِ حتى إنَّ بينَ شحمةِ أُذنِ أحدِهم إلى عاتقِه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ، وإنَّ غِلَظَ جلدِه سبعون ذِراعاً، وإنَّ ضِرْسَهُ مثلُ أُحُدٍ».

٥٦٨٩ - **(وعن أبي بردة)** بضم موحدة **(عن أبيه)** قال المؤلف هو أبو بردة بن عامر ابن عبد الله بن قيس أحد التابعين المشهورين المكثرين، سمع أباه وعلياً وغيرهما. وكان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج. **(أن النبي ﷺ قال: إن في جهنم لوادياً)** في القاموس هو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام. **(يقال له هبهب)** بضم الباء الثانية من غير تنوين، وفي نسخة الجزري وكثير من النسخ. ولعل عدم انصرافه باعتبار البقعة مع العلمية، وفي نسخة السيد بسكون الباءين. ولا يظهر له وجه، اللهم إلاّ أن يقال إنه تكرار. هب أمر من الهبة، فكأن الوادي أو من حضره يقول بلسان الحال أو المقال: هب هب، مخاطباً خطاب العام والله [تعالى] أعلم بالمرام. وفي النهاية الهبهب السريع، وهبهب السراب إذا برق. قال التوربشتي [رحمه الله]: سمي بذلك إما لسرعة وقوعه في المجرمين أو لشدة أجيج النار فيه، أو للمعانه عند الاضطرام والالتهاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. **(يسكنه)** فيه حذف وإيصال، أي يسكن فيه. **(كل جبار)** أي متكبر عنيد عن الحق بعيد، وعلى الخلق شديد. **(رواه الدارمي)** وروى ابن مردويه عن ابن عمر: والفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون، وإن جهنم لتعوذ بالله منه. ورواه ابن جرير عن أبي هريرة: الفلق جب في جهنم مغطى.

(الفصل الثالث)

٥٦٩٠ - **(عن ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما، عن النبي ﷺ قال: يعظم أهل النار في النار)** أي تكبر جثثهم **(حتى إن)** بكسر الهمز ويفتح **(بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)** أي ليزيد عذابهم كمية وكيفية **(وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً)** عطف على مدخول حتى، أو على الجملة السابقة. وكذا قوله: **(وإن ضرسه مثل أحد)**.

الحديث رقم ٥٦٨٩: أخرجه الدارمي ٢/ ٤٢٧ حديث رقم ٢٨١٦.

الحديث رقم ٥٦٩٠: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٦.

٥٦٩١ ـ (٢٧) وعن عبدِ الله بنِ الحارثِ بن جَزْءٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في النارِ حيَّاتٍ كأمْثالِ البُخْتِ تلسَعُ إحداهنَّ اللسعةَ فيجدُ حموتها أربعينَ خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة، تلسعُ إحداهنَّ اللسعةَ فيجد حموتَها أربعين خريفاً». رواهما أحمد.

٥٦٩٢ ـ (٢٨) وعن الحسنِ، قال: حدَّثنا أبو هريرةَ، عن رسول اللّهِ ﷺ، قال: «الشمسُ والقمرُ ثورانِ مكوَّرانِ في النارِ يومَ القيامةِ». فقال الحسنُ: وما ذنبُهما؟ فقال: أُحدِّثكَ عن رسولِ الله ﷺ!

٥٦٩١ ـ **(وعن عبد الله بن الحارث بن جزء)** بفتح الجيم وسكون الزاي فهمز. قال المؤلف رحمه الله: هو عبد الله بن جزء أبو الحرث السهمي سكن مصر وشهد بدراً. مات سنة خمس وثمانين بمصر انتهى. وفيه إشكال لا يخفى. **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن في النار حيات كأمثال البخت)** بضم موحدة فسكون معجمة ومفردة. بختي في القاموس بالضم، الإبل الخراسانية. **(تلسع إحداهن اللسعة)** أي اللدغة **(فيجد)** أي ملسوعها **(حموتها)** بفتح فسكون، أي أثر سمها وسورة ألمها. **(أربعين خريفاً. وإن في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة)** بالهمز أو الواو والكاف مفتوحة، من أكفت الحمار وأوكفة شددت عليه الأكاف. **(تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً. رواهما)** أي الحديثين **(أحمد)**.

٥٦٩٢ ـ **(وعن الحسن)** أي البصري **(قال: حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: الشمس والقمر ثوران)** بفتح المثلثة، أي كثورين. فهو تشبيه بليغ، كقولهم زيد أسد، **(مكوران)** بتشديد الواو المفتوحة، أي ملقيان من طعنه فكورة، أي ألقاه على ما ذكره الطيبي [رحمه الله]. والمعنى أنه يلقي ويطرح كل منهما عن فلكهما. **(في النار يوم القيامة)** لزيادة عذاب أهلها بحرهما، لما ورد عن ابن عمر على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس مرفوعاً: «الشمس والقمر وجوههما إلى العرش، وأقفاؤهما إلى الدنيا». ففيه تنبيه نبيه على أن وجوههما لو كانت إلى الدنيا لما أطاق حرهما أحد من أهل الدنيا. وقال ابن الملك: أي يلفان ويجمعان ويلقيان فيها. وكأنه أخذه من تكوير العمامة. ومنه قوله تعالى: ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ [الزمر ـ ٥] . قال في النهاية: ومنه حديث أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]: «يجاء بالشمس والقمر ثورين مكورين في النار». والرواية ثوران بالثاء المثلثة، كأنهما يمسخان. وقد روي بالنون وهو تصحيف انتهى. ومن الغريب أنه وقع في نسختي الشيخ الجزري والسيد بالنون، أصلاً وبالمثلثة في الهامش نسخة. ومما يؤيد الرواية بالثاء ما ذكره السيوطي [رحمه الله] في البدور عن أنس وعن كعب الأحبار أيضاً: ثوران عقيران. **(فقال الحسن: وما ذنبهما فقال:)** أي أبو هريرة **(أحدثك عن رسول الله ﷺ)** قال الطيبي [رحمه الله]:

الحديث رقم ٥٦٩١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩١.

فسكتَ الحسنُ. رواه البيهقيُّ في «كتاب البعث والنشور».

٥٦٩٣ ـ (٢٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ النَّارَ إلاَّ شقيٌّ». قيلَ: يا رسولَ الله! ومَنِ الشقيُّ؟ قال: «مَن لم يعملْ للَّهِ بطاعةٍ، ولم يتركْ له معصيةً».

أي تقابل النص الجلي بالقياس، ويجعل موجب دخول النار العمل، فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. أقول: الظاهر من سؤاله بيان الحكمة في إدخالهما النار مع انقيادهما وطاعتهما للملك الجبار، والنار إنما هي دار البوار للكفار والفجار. فمعنى قول أبي هريرة: أحدثكم عن رسول الله ﷺ ما سمعته، وليس لي مزيد علم على ذلك. **(فسكت الحسن)** فثبت أن سؤاله حسن، وكذا جوابه مستحسن، مع أنه لا يلزم من إدخالهما في النار تعذيبهما كخزنة جهنم. فقال بعض العلماء: إنما جعلا في النار لأنهما قد عبدا من دون الله تبكيتاً للكافرين. قال القرطبي [رحمه الله]: قد ورد عن ابن عباس تكذيب كعب الأحبار في قوله هذا حيث قال له: «هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام والله [تعالى] أكرم من أن يعذبهما وهما دائبان في طاعته. ثم حدث عن النبي ﷺ أنهما يعودان إلى ما خلقا منه، وهو نور العرش فيختلطان». وحاصله أنهما يصيران نورين، والنور لا يعذب بالنار. ولذا تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ لهبي. فيرجع الكلام إلى أن فائدة إدخالهما تعبير عبدتهما، فلا منافاة بين قول كعب وبين قول ابن عباس عند التأمل الشافي والله [تعالى] الكافي، مع أن الحديث المروي غير ثابت. قال السيوطي [رحمه الله] في البدور: هذا الحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن مقاتل، وابن حبان عن عكرمة عن ابن عباس، وأبو عصمة كذاب وضاع. **(رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور.)** وفي الجامع الصغير: الشمس والقمر مكوّران يوم القيامة. رواه البخاري عن أبي هريرة[١]. وروى ابن مردويه عن أنس مرفوعاً: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار، إن شاء أخرجهما وإن شاء تركهما[٢]. قيل: قوله عقيران، أي زمان يعني لا يجريان.

٥٦٩٣ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النار إلا شقي. قيل: يا رسول الله ومن الشقي. قال: من لم يعمل لله)** أي لأجل رضاه، أو لأمره. **(بطاعة)** أي بواجبة **(ولم يترك له)** أي للّه **(معصية)** وهو شامل للكافر والفاجر. فقوله تعالى: **﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾** [الليل ـ ١٥ ـ ١٦] . محمول على الصلي على وجه الخلود. وقال الطيبي [رحمه الله]: الباء زائدة فيهما وبناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل، وزيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة، وأن الله لا يضيع أجر من عمل له طاعة ما، أو ترك

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤ حديث رقم ٤٩٤٨ والحديث أخرجه البخاري ٦/ ٢٩٧ حديث رقم ٣٢٠٠.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤ حديث رقم ٤٩٤٩.

الحديث رقم ٥٦٩٣: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٣٦ حديث رقم ٤٢٩٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٩.

رواه ابنُ ماجه.

(٨) باب خلق الجنة والنار

الفصل الأول

٥٦٩٤ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تحاجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالت النارُ: أُوثِرْتُ بالمتكبِّرينَ والمتجبِّرينَ، وقالت الجنَّةُ: فما لي لا يدخلُني إلاَّ ضُعفاءُ الناسِ وسَقَطُهم

لأجله ولخوفه معصية ما نحو قوله [تعالى]: **﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾** [النازعات ـ ٤٠ ـ ٤١] . **(رواه ابن ماجه)**.

(باب خلق الجنة والنار)

أي في كونهما مخلوقتين على ما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وفي بيان أنهما لمن خلقتا وذكر بعض أوصافهما من خلقتهما.

(الفصل الأول)

٥٦٩٤ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تحاجت)** بتشديد الجيم، أي تخاصمت وتجادلت وتعارضت. **(الجنة والنار)** أي بلسان القال أو ببيان الحال. قال الطيبي [رحمه الله]: هذه المحاجة جارية على التحقيق، فإنه تعالى قادر على أن يجعل كل واحدة مميزة مخاطبة، أو على التمثيل. قلت: الأول هو المعول، لأن مذهب أهل السنة على ما في المعالم. إن لله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف عليها غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية. فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه انتهى. وأدلته كثيرة ليس هذا محل ذكرها والله [تعالى] أعلم. **(فقالت النار: أوثرت)** بصيغة المجهول من الإيثار، أي اخترت. **(بالمتكبرين)** أي عن الحق **(والمتجبرين)** أي على الخلق بالتسلط والقهر. فقيل: هما بمعنى جمع بينهما للتأكيد. وقيل: المتكبر المتعظم بما ليس فيه، والمتجبر الذي لا يوصل إليه. وقيل: الذي لا يكترث ولا يبالي بأمر الضعفاء والمساكين. **(وقالت الجنة: فما لي)** أي فأي شيء وقع لي. **(لا يدخلني إلا ضعفاء الناس)** أي في البدن والمار **(وسقطهم)** بفتحتين، أي أردؤهم وأكثرهم خمولاً، وأقلهم اعتباراً المحقرون فيما بينهم الساقطون عن

الحديث رقم ٥٦٩٤: أخرجه البخاري ٨/ ٥٩٥. حديث رقم ٤٨٥٠. ومسلم ٤/٢١٨٦ حديث رقم (٣٦ ـ ٢٨٤٦). وأخرجه الترمذي ٤/٥٩٨ حديث رقم ٢٥٦١. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

وغِرَّتُهم. قال اللّهُ تعالى للجنةِ: إِنما أنتِ رحمَتي أرحمُ بكِ مَن أشاءُ من عِبادي، وقال للنَّار: إِنما أنتِ عذابي أُعذِّبُ بكِ من أشاءُ منْ عبادي، ولكلّ واحدةٍ منكُما ملؤُها، فأما النَّارُ فلا تمتلىءُ حتى يضعَ اللّهُ رجلَه.

أعينهم. وهذا بالنسبة إلى ما عند أكثر الناس لأنهم كما قال تعالى: ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ [الأنعام ـ ٣٧] . وفي موضع: ولكن أكثرهم يجهلون. وأما بالنسبة إلى ما عند الله عظماء، وكذا عند من عرفهم من العلماء والصلحاء. فوصفهم بالسقط والضعف لهذا المعنى. أو المراد بالحصر الأغلب. (**وغرتهم**) بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء. وهي عدم التجربة أو وجود الغفلة بمعنى الذين لا تجربة لهم في الدنيا ولا اهتمام لهم بها، أو الذين هم غافلون عن أمور الدنيا شاغلون بمهم العقبى، على ما ورد في الخبر: «أكثر أهل الجنة البله»[(١)] . أي في أمور الدنيا، بخلاف الكفار فإنهم كما قال تعالى: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ [الروم ـ ٧] . هذا وقال الحافظ ان حجر العسقلاني: رواه الأكثر بغين معجمة مفتوحة فراء فثاء مثلثة، أي أهل الحاجة من الغوث وهو الجوع. وروي بكسر الغين المعجمة وتشديد [الراء] وبتاء مثناة فوقية، أي البله الغافلون. وهي ثابتة في أكثر نسخ مسلم. ورواه آخرون بعين مهملة فجيم فزاي مفتوحات وتاء مثناة، جمع عاجز. وروي بضم العين والجيم جمع عاجز أيضاً. (**قال الله للجنة:**) ابتدأ بها للحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»[(٢)] . وجبراً لها حيث انكسر بالهاء بما لها من الضعفاء، وغلبت في السؤال وضعفت في الجواب (**إنما أنت رحمتي**) أي مظهرها. في شرح السنة سمى الجنة رحمته لأن بها يظهر رحمة الله تعالى. كما قال: (**أرحم بك من أشاء من عبادي**) وإلا فرحمة الله من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً. ليست لله صفة حادثة ولا اسم حادث، فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جلّ جلاله وتقدست أسماؤه. وفي المعالم الرحمة. ارادة [الله] الخير لأهله. وقيل: ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير إلى من لا يستحق. فهو على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل. (**وقال**) أي الله (**للنار: إنما أنت عذابي**) أي سبب عقوبتي ومنشأ سخطي وغضبي. (**أعذب بك من أشاء من عبادي**) والحاصل أن الجنة والنار، والمؤمنون والكفار مظاهر للجمال والجلال على وصف الكمال، ولا يظهر لأحد وجه تخصيص. كل بكل في مقام الفصل، مع العلم بأن أحدهما من باب العدل والآخر من طريق الفضل، [و] لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. (**ولكل واحدة منكما ملؤها**) لأن كمالهما في ملء مآلهما. (**فأما النار فلا تمتلىء**) قال تعالى: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ [ق ـ ٣٠] . أي فتطلب الزياة ولا تمتلىء من أهلها المعد لها (**حتى يضع الله**) أي فيها أو عليها (**رجله**) وفي الرواية الآتية قدمه. فمذهب السلف التسليم والتفويض مع التنزيه. وأرباب التأويل من الخلف يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته، أو قوم قدمهم الله للنار من أهلها. وتقدم في سابق حكمه أنهم لاحقوها،

---

(١) وأخرجه ابن عدي ٣/ ١١٦٠.

(٢) متفق عليه: البخاري ١٣/ ٤٠٤ حديث ٧٤٢٢ ومسلم ٤/ ٢١٠٨ حديث رقم (١٥ . ٢٧٥١).

تقول: قطِ قطِ قطِ، فهُنالكَ تمتلىءُ ويُزْوى بعضُها إلى بعضٍ، فلا يظلمُ اللَّهُ منْ خلقِه أحداً، وأما الجنةُ فإنَّ اللَّهَ يُنشىءُ لها خَلقاً».

فتمتلىء منهم جهنم. والعرب تقول: كل شيء قدمته من خير أو شر فهو قدم، ومنه قوله تعالى: ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ [يونس ـ ٢]. أي ما قدموه من الأعمال الصالحة الدالة على صدقهم في تصديقهم. والمراد بالرجل الجماعة [من الجراد]. وهو وإن كان موضوعاً لجماعة كثيرة من الجراد، لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد، أو أخطأ الراوي في نقله الحديث بالمعنى وظن أن الرجل سد مسد القدم. هذا وقد قيل: وضع القدم على الشيء مثل للروع والقمع، فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفيها من طلب المزيد. ويدل على هذا المعنى قوله: فيضع الرب قدمه عليها، ولم يقل فيها. كذا قاله شارح المصابيح. لكن الرواية الآتية بلفظ فيها في المشكاة، نعم قد تأتي بمعنى على، على ما في التنزيل: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه ـ ٧١]. وقيل: أريد به تسكين فورتها، كما يقال للأمر يراد إبطاله، وضعته تحت قدمي. ذكره في النهاية. وفي شرح السنة: القدم والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والإصبع والعين والمجيء والإتيان والنزول؛ فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب. فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. انتهى. وهو الموافق لمذهب الإمام مالك [رحمه الله]. ولطريق إمامنا الأعظم على ما أشار إليه في الفقه الأكبر[1]، فالتسليم أسلم والله تعالى أعلم. **(تقول)** أي النار، والجملة استئناف بيان أو حال. وإلاّ فكان الظاهر أن يقال: فتقول: **(قط)** بفتح القاف وسكون الطاء، وفي نسخة بكسرها منونة، وفي أخرى من غير تنوين. **(قط قط)** ذكر ثلاث مرات على ما في النسخ المصححة. والمفهوم من قول شارح أنه مرتين حيث قال: بسكون الطاء أي كفى كفى. ويحتمل كسر الطاء، أي حسبي حسبي. قال النووي: فيه ثلاث لغات، بإسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة. وفي القاموس إذا كان قط بمعنى حسب فقط كمن، وقط منوناً مجروراً. فاقتصاره عليهما مشعر بأن الكسر مع غير التنوين ضعيف. **(فهنالك)** أي في ذلك الزمان **(تمتلىء)** أي النار بقدرة الله تعالى. **(ويزوي)** بصيغة المجهول، أي يضم ويجمع. **(بعضها إلى بعض)** أي من غاية الامتلاء **(فلا يظلم الله)** أي أبداً **(من خلقه أحداً)** أي لا ينشىء الله خلقاً للنار، فإنه ظلم بحسب الصورة، وإن لم يكن ظلماً حقيقة، فإنه تصرف في ملكه والله تعالى لا يفعل ما في صورة الظلم. **(وأما الجنة فإن الله [تعالى] ينشىء لها)** أي من عنده **(خلقاً)** أي جمعاً لم يعملوا عملاً، وهذا فضل من الله تعالى، كما أنه سبحانه لو أنشأ للنار خلقاً على ما

---

(١) راجع ص ٥٨ من كتاب شرح الفقه الأكبر.

متفق عليه.

٥٦٩٥ ـ (٢) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تزالُ جهنمُ يُلقى فيها وتقولُ: هلْ منْ مَزيدٍ؟ حتى يضعَ ربُّ العزَّةِ فيها قدَمَه فينزَوي بعضُها إلى بعضٍ، فتقول: قطِ قطِ، بعزَّتكَ وكرمكَ، ولا يزالُ في الجنَّةِ فضلٌ حتى يُنشىءَ اللّٰهُ لها خَلقاً فيُسكنَهم فضلَ الجنةِ». متفق عليه.

وذكرَ حديث أنسٍ: «حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ» في «كتاب الرّقاق».

الفصل الثاني

٥٦٩٦ ـ (٣) عن النبيِّ ﷺ، قال: «لما خلقَ اللّٰهُ الجنَّةَ قال

قيل، لكان عدلاً والله [تعالى] أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٦٩٥ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تزال جهنم يلقى)** أي يطرح **(فيها)** أي من الكفار والفجار **(وتقول: هل من مزيد.)** أي من زيادة **(حتى يضع رب العزة)** أي صاحب الغلبة والقوة والقدرة **(فيها قدمه)** وقد قدمنا ما يتعلق به. **(فينزوي)** أي ينضم ويجتمع. **(بعضها إلى بعض فتقول: قط قط)** أي مرتين، والمراد بهما الكثرة أو انحصار العدد. **(بعزتك وكرمك)** أي زيادة عطائك **(ولا يزال في الجنة فضل)** أي زيادة مساكن خالية عن السكان. **(حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم)** من الإسكان **(فضل الجنة)** أي في تلك الزيادة منها. قال النووي في قوله: وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً. هذا دليل لأهل السنة على أن الثواب ليس متوقفاً على الأعمال، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون الجنة بغير عمل. قال الطيبي [رحمه الله]: وللمعتزلة أن يقولوا إن نفي الظلم عمن لم يذنب دليل على أنه إن عذبهم كان ظلماً، وهو عين مذهبنا. والجواب أنا وإن قلنا وإن عذبهم لم يكن ظلماً، فإنه لم يتصرف في ملك غيره، لكنه تعالى لا يفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغة. فنفي الظلم إثبات للكرم **(متفق عليه وذكر حديث أنس: حفت الجنة بالمكاره)** تمامه: وحفت النار بالشهوات. **(في كتاب الرقاق)** أي لأن الحديث أنسب به من هذا الباب، والله [تعالى] أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

٥٦٩٦ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لما خلق الله الجنة قال**

الحديث رقم ٥٦٩٥: أخرجه البخاري ٨/ ٥٩٤. حديث رقم ٤٨٤٨. ومسلم ٤/ ٢١٨٧ حديث رقم (٣٧. ٢٨٤٨) وأخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٣.

الحديث رقم ٥٦٩٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠٨ حديث رقم ٤٧٤٤. وأخرجه الترمذي ٤/ ٥٩٨ حديث رقم ٢٥٦٠. وأخرجه النسائي حديث رقم ٦٧٦٣. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٢.

لِجبريلَ: اذهبْ فانظرْ إِليها، فذهبَ فنظرَ إِليها وإِلى ما أعدَّ اللَّهُ لأهلِها فيها، ثمَّ جاءَ فقال: «أيْ ربِّ! وعزَّتكَ لا يسمعُ بها أحدٌ إِلاَّ دخلَها، ثمَّ حفَّها بالمكارِهِ، ثمَّ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إِليها، فذهبَ فنظرَ إِليها، ثمَّ جاءَ فقال: أيْ ربِّ! وعزَّتكَ لقدْ خَشيتُ أن لا يدخُلها أحدٌ» قال: «فلمَّا خلقَ اللَّهُ النارَ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إِليها» قال: «فذهبَ فنظرَ إِليها، ثمَّ جاءَ فقال: أيْ ربِّ! وعزَّتكَ لا يسمعُ بها أحدٌ فيدخلُها، فحفَّها بالشهَواتِ، ثمَّ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إِليها، فذهبَ فنظرَ إِليها، فقال: أيْ ربِّ! وعزَّتكَ لقد خشِيتُ أنْ لا يبقى أحدٌ إِلاَّ دخلَها».

لجبريل: اذهب فانظر إليها.) أي نظر اعتبار **(فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها)** أي ما أعد الله [لعباده] الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **(ثم جاء)** أي رجع إلى موضعه، أو إلى حيث ما أمر به، أو إلى تحت العرش. **(فقال: أي رب)** أي يا رب **(وعزتك لا يسمع بها أحد)** أي ويحب دخولها

* فالأذن تعشق قبل العين أحياناً *

(إلا دخلها) أي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم إلا بشأنها لحضورها ولحسنها وبهجتها. **(ثم حفها)** أي أحاطها الله **(بالمكاره)** جمع مكره، وهي المشقة والشدة على غير قياس. والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية. وهذا يدل على أن المعاني لها صور حسية في تلك المباني. **(ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها)** أي ثانياً لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها **(قال:)** أي النبي ﷺ، وفي أكثر الأصول بدون قال. **(فذهب فنظر [إليها])**[1] أي ورأى ما عليها **(ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد)** أي لما رأى حولها من الموانع التي هي العلائق والعوائق للخلائق. قال الطيبي [رحمه الله]: أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات. **(قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. قال: فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها)** أي لا يسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها **(فحفها بالشهوات. ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. قال: فذهب)** وهو موجود هنا في أكثر النسخ المصححة. **(فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلاّ دخلها)** أي لميلان النفس إلى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن الطاعات والعبادات. فهذا الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. وفي معناه ما في الجامع الكبير للسيوطي: إن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات. ونعم ما قال بعض أرباب الحال:

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقد والإقدام قتال

---

(١) في المخطوطة «حواليها».

رواه الترمذيُّ، وأبو داود، والنسائي.

الفصل الثالث

٥٦٩٧ ـ (٤) عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ صلّى لنا يوماً الصلاةَ، ثمَّ رَقِيَ المنبرَ، فأشارَ بيدِه قِبَلَ قبلةِ المسجدِ، فقال: «قدْ أريتُ الآن مذْ صلَّيتُ لكم الصلاةَ الجنةَ والنارَ ممثَّلتينِ في قبلِ هذا الجدارِ، فلم أرَ كاليومِ في الخيرِ والشرِّ». رواه البخاريُّ.

(رواه الترمذي وأبو داود والنسائي).

(الفصل الثالث)

٥٦٩٧ ـ **(عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى)** أي إماماً أو جماعة **(لنا يوماً الصلاة)** اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى كالنكرة. **(ثم رقي)** بكسر القاف أي صعد **(المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي إلى جانبها وجهتها **(فقال: قد أريت)** بصيغة المجهول من الإراءة أي أبصرت **(الآن)** أي في هذا الزمن القريب من الماضي، والاستقبال المعبر عنه بالحال مع مراعاة التوسعة باعتبار المآل. ولذا قال: **(مذ صليت لكم الصلاة)** أي حين صليت، أو من ابتداء زمان ما صليت لكم الصلاة إلى أن رقيت المنبر. **(الجنة والنار ممثلتين)** بتشديد المثلثة، أي مصورتين صورة إجمالية أو تفصيلية. **(في قبل هذا الجدار)** بكسر القاف وفتح الباء، وفي نسخة بضمهما. أي في مقابلته. ففي القاموس: القبل بالضم بضمتين نقيض الدبر. ورأيته قبلاً محركة وبضمتين وكصرد وكعنب أي عياناً ومقابلة. قال الكرماني: فإن قلت الآن للحال وأريت للماضي فكيف يجتمعان. قلت: قد تقربه للحال، فإن قلت: فما قولك في صليت فإنه للمضي البتة. قلت: كل مخبر أو منشىء يقصد الزمان الحاضر لا اللحظة الحاضرة الغير المنقسمة المسماة بالحال انتهى. والمعنى أن الحال في كل مقام بحسب ما يناسبه المقام في تحصيل المرام. **(فلم أر كاليوم في الخير والشر)** أي لم أر مرئياً كمرئي اليوم في الخير، ولا مرئياً كمرئي اليوم في الشر. فإن الجنة جامعة للخيرات من الحور والقصور، والنار حائزة لأنواع الشرور من الويل والثبور، فلا نظير لهما في جمع الخير والشر. قال الطيبي [رحمه الله]: الكاف في موضع الحال، وذو الحال هو المفعول وهو الجنة والنار لشهادة السابق. والمعنى: لم أر الجنة والنار في الخير والشر يوماً من الايام مثل ما رأيت اليوم، أي رأيتهما رؤية جلية ظاهرة مثلتا في قبل هذا الجدار ظاهراً خيرها وشرها. **(رواه البخاري)**. ورواه مسلم عن أنس أيضاً: عرض عليّ الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط. فلم أر كاليوم في الخير والشر. ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[1].

الحديث رقم ٥٦٩٧: أخرجه البخاري ١/ ٥١٥ حديث رقم ٤١٩.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٢ حديث رقم ٢٣٥٩.

(٩) باب بدء الخلق وذكر الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

الفصل الأول

٥٦٩٨ ـ (١) عنِ عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ، قال: إِني كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءَهُ قومٌ منْ بَني تميمٍ، فقال: «اقبَلوا البُشرى يا بَني تميم!» قالوا: بشَّرتَنا فأعطِنا،

(باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)

البدء بفتح الموحدة فتسكين الدال فالهمزة بمعنى الابتداء، وينبغي أن لا يكتب بالواو حتى لا يشتبه ضبطه بضمتين فواو ساكنة فهمز، أو بواو مشددة بلا همز. فإن معناهما الظهور على ما حققته في رسالتي التي علقتها على أول كتاب البخاري مما يتعلق بباب، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ منتهياً إليّ، وقول الله تبارك وتعظم من إتيان الإعراب على وجه الخلو عن الإغراب. نعم لو رسم بالياء له وجه وجيه.

(الفصل الأول)

٥٦٩٨ ـ (**عن عمران بن حصين قال: إني كنت عند رسول الله ﷺ إذ جاءه قوم**) أي وقت مجيئهم (**من بني تميم**) قبيلة عظيمة مشهورة (**فقال: اقبلوا**) بفتح الموحدة أي تقبلوا مني (**البشرى**) بضم الموحدة، أي البشارة المطلقة أو المعهودة. (**يا بني تميم**) وهو لما لم يفهموا الإشارة بالبشارة [ولم] يعرفوا طريق استقبالها بالقبول المرتب عليه حصول كل وصول. (**قالوا: بشرتنا فأعطنا**) فحملوا البشارة على الإحسان العرفي، فطلبوا ما يترتب عليه من العطاء الحسي. وهذا بمقتضى ما غلب عليهم من [حب] الدنيا العاجلة وغفلتهم عن المراتب الآجلة. فكل إناء يترشح بما فيه وينبي عن ذلك البناء معانيه. وقد علم كل أناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون منهجهم ومذهبهمْ. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي اقبلوا مني ما يقتضي أن تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به، ولما لم يكن جل اهتمامهم إلا بشأن الدنيا والاستعطاء دون دينهم قالوا: بشرتنا للتفقه وإنما جئنا للاستعطاء فأعطنا. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: إذ لم يقبلها بنو تميم. وقال العسقلاني: بشرتنا، هو دال على إسلامهم، وإنما راموا العاجل وغفلوا عن الآجل. وسبب غضبه ﷺ ونفيه قبولهم البشرى، إشعاره بقلة علمهم وضعف قابليتهم لكونهم علقوا آمالهم بعاجل الدنيا الفانية، وقدموا ذلك على التفقه في الدين الموصل

الحديث رقم ٥٦٩٨: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٦. حديث رقم ٣١٩٠. وأخرجه الترمذي ٥/ ٦٨٨ حديث رقم ٣٩٥١ وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٢٦.

فدخلَ ناسٌ منْ أهلِ اليمنِ، فقال: «اقبلوا البُشرى يا أهلَ اليمنِ! إذ لم يقبلْها بنو تميمٍ». قالوا: قبِلنا، جئناكَ لنتفقَّهَ في الدينِ، ولنسألَكَ عن أولِ هذا الأمرِ ما كانَ؟ قال: «كانَ اللَّهُ ولم يكنْ شيءٌ قبلَه،

إلى ثواب الآخرة الباقية. وكان الواجب عليهم اهتمامهم بالسؤال عن حقائق كلمة التوحيد والمبدأ والمعاد والاعتناء بضبطها والسؤال عن واجباتها والموصلات إليها. (**فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين**) أي عملاً بقوله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [التوبة ـ ١٢٢]. ولما كان نيتهم الصالحة خالصة للتفقه في الدين لا للطمع في الدنيا، حصل لهم البشارة والقبول والعلم والعمل والوصول، وحرم الأولون عن البشارة بل وعن العطاء في الحقارة، ووقعوا في حضيض النذارة. فالهمة العالية هي الموصلة إلى المرتبة الغالية، كما قدمناه في الحكاية المروية عن الشيخ أبي العباس المرسي: أنه خرج من المدينة المطهرة على قصد زيارة تربة الأمين حمزة المنورة، وتبعه رجل ففتح لهما باب المقبرة على خرق العادة. ودخل الشيخ في محل الزيارة فرأى جماعة من رجال الغيب بريئة من النقصان والعيب. فعرف أنه ساعة الإجابة فطلب من الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة. ثم قال للرجل الذي تبعه ملتفتاً إليه، رحمة وشفقة عليه: يا أخي اطلب من الله تعالى ما تريد فإن الآن وقت الإجابة والمزيد. فسأل الله تعالى ديناراً ولم يذكر جنةً ولا ناراً فرجعا. ولما وصلا باب المدينة أعطى الرجل ديناراً أحد من أهل السكينة فدخلا كلاهما على القطب الولي السيد أبي الحسن الشاذلي، وقد كشف له القضية. فقال للرجل: أيا دني الهمة تدرك وقت الإجابة وتطلب قطعة دينار دنية فهلا طلبت كأبي العباس العفو والعافية ليكونا لأمر دينك ودنياك كافية ووافية: ثم ما أحسن طريق سؤالهم من الابتداء في أول حالهم الدال على كمال مآلهم حيث قالوا: (**ولنسألك**) أي وجئناك لنسألك (**عن أول هذا الأمر**) أي أمر الخلق ومبدأ العالم. (**ما كان**) أي أي شيء كان أول هذا. قال الطيبي [رحمه الله]: ما في ما كان استفهامية، أي أي شيء كان أول الأمر، وكرر السؤال لمزيد الاهتمام بالأمر. (**قال: كان الله**) أي في أزل الآزال كما هو كائن إلى أبد الآباد بلا وصف التغير والحدوث على ما هو نعت العباد، فإن ما ثبت قدمه استحال عدمه. (**ولم يكن شيء قبله**) أي لأنه خالق كل شيء وموجده فلا يتصور وجود موجود ممكن قبل الموجد الواجب الوجود. وحاصله أنه تعالى الأول الذي هو قبل كل شيء ولا شيء قبله، فكرر الجواب على طريق السؤال مطابقة في الاهتمام بالحال. وخلاصته أنه أول قديم بلا ابتداء، كما أنه آخر كريم بلا انتهاء. قال الطيبي [رحمه الله] قوله: ولم يكن شيء قبله، حال. وعلى مذهب الكوفي خبر. والمعنى يساعده، إذ التقدير كان الله في الأزل منفرداً موحداً، وهو مذهب الأخفش فإنه جوز دخول الواو في خبر كان وأخواتها نحو، كان زيد وأبوه قائم على جعل الجملة خبراً مع الواو وتشبيهاً للخبر بالحال. أقول ولما كان السؤال عن الأول فبين لهم الأولية الأزلية، ونفى لغيره القبلية، ولم يتعرض لمعنى المعية. ولهذا وقع في عبارة السادة الصوفية: كان الله ولم يكن معه شيء. ثم قالوا: والآن على ما عليه كان. لأن وجود الشيء الممكن في جنب وجود الواجب

وكانَ عرشُه على الماءِ، ثمَّ خلقَ السَماواتِ والأرضَ، وكتَبَ في الذكرِ كلَّ شيءٍ» ثمَّ أتاني رجلٌ فقال: يا عمرانُ! أدرِكْ ناقتَكَ فقدْ ذهبتْ، فانطلقتُ أطلبُها، وأيمُ اللّهِ لوَدِدْتُ أنَّها قدْ ذهبتْ ولم أقُم. رواه البخاري.

كلا شيء. ولذا قال بعضهم: ليس في الدار غيره ديار. وقال آخر: سوى الله والله ما في الوجود، أو لأن الأشياء إنما هي مظاهر صفاته ومرامي ذاته. فقد روي: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف. وفي قوله تعالى: ﴿ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات - ٥٦]. إشارة إلى ذلك على تفسير حبر الأمة، أي ليعرفون. قال التوربشتي [رحمه الله]: هذا فصل مستقل بنفسه لا امتزاج له بالفصل الثاني، وهو قوله: **(وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض)** لما بين الفصلين من المنافاة، فإنك إذا جعلت: وكان عرشه على الماء من تمام القول الأول فقد ناقضت الأول بالثاني، لأن القديم من لم يسبقه شيء ولم يعارضه في الأولية. وقد أشار بقوله: وكان عرشه على الماء إلى أنهما كانا مبدأ التكوين وأنهما كانا مخلوقين قبل السموات والأرض، ولم يكن تحت العرش قبل السموات والأرض إلا الماء. وكيفما كان فالله سبحانه خالق ذلك كله وممسكه بقوته وقدرته انتهى كلامه. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد الشيخ بما قاله إن المعطوف عليه مقيد بقوله: ولم يكن قبله شيء. ولو جعل المعطوف عليه غير مستقل لزم المحذور، فإذا جعل مستقلاً وعطف الثانية على الأولى فلا، فإذن لفظة كان في الموضعين بحسب حال مدخولهما. فالمراد بالأول الأزلية والقدم، وبالثاني الحدوث بعد العدم. والحاصل أن قوله: وكان عرشه على الماء، عطف على مجموع قوله: «كان الله ولم يكن قبله شيء». وأنه من باب الإخبار عن حصول الجملتين في الوجود وتفويض الترتيب إلى الذهن، فالواو بمنزلة ثم. قال العسقلاني: وليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ما تحت العرش كما شاء الله. وقال ابن الملك: وكان عرشه على الماء، والماء على متن الريح، والريح قائمة بقدرة الله تعالى. وقيل: خلق العرش والماء قبل السموات والأرض ثم خلقهما من الماء بأن تجلى على الماء فتموج واضطرب وحصل له زبد فاجتمع في محل الكعبة الشريفة، ولذا سميت مكة أم القرى، ثم دحيت الأرض من تحتها، ثم ألقى الجبال عليها لئلا تميد، وأول الجبال أبو قبيس على بعض الأقوال، وطلع دخان من تموج الماء إلى جانب السماء، فخلقت السموات منها. ومجملة في سورة حم فصلت وتفصيله في كتب المفسرين وسير المؤرخين والله سبحانه [وتعالى] أعلم بالأولين والآخرين. **(وكتب)** أي أثبت جميع ما هو كائن **(في الذكر كل شيء)** أي في اللوح المحفوظ. قال الراوي: **(ثم أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك)** أي الحقها **(فقد ذهبت)** أي منفلتة **(فانطلقت أطلبها)** حال أو استئناف تعليل. **(وأيم الله)** بفتح همز وصل أو قطع وتحتية ساكنة وميم مضمومة مضافة إلى الجلالة، وهي كلمة بنفسها وليست جمعاً. قال شارح: أيم الله اسم موضوع للقسم عند سيبويه وهمزته للوصل، ولم يجىء في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها. وتقديره أيم الله قسمي، وعند الكوفيين هو محذوف أيمن جمع يمين وهمزته للقطع. **(لوددت)** أي لتمنيت **(أنها)** أي الناقة. **(قد ذهبت)** أي فقدت **(ولم أقم)** أي في طلبها المانع من سماع بقية كلام رسول الله ﷺ مع أهل اليمن. **(رواه البخاري)**.

٥٦٩٩ ـ (٢) وعن عمَرَ رضي الله عنه، قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً، فأخبرَنا عن بدءِ الخَلقِ حتى دخلَ أهلُ الجنَّةَ منازلَهم، وأهلُ النارِ منازلَهم، حفظَ ذلكَ مَن حفظَه، ونسيَه مَنْ نسيَه. رواه البخاري.

٥٧٠٠ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللَّهَ تعالى كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سبقَتْ غضبي؛ فهوَ مكتوبٌ عنده فوقَ العرشِ».

٥٦٩٩ ـ **(وعن عمر)** رضي الله عنه **(قال: قام فينا)** أي خطيباً **(رسول الله ﷺ مقاماً)** أي قياماً عظيماً. **(فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم)** أي فبين المبدأ والمعاد. وتوضيحه أنه ﷺ بين أحوال الأمم كلهم إلى وقت دخول الجنة، وعين أحوال أمته مما يجري عليهم من الخير والشر إلى أن يدخل أهل الجنة منهم الجنة، وأهل النار النار. **(حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه)** قال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية أخبرنا، أي أخبرنا مبتدئاً من بدء الخلق حتى انتهى إلى دخول أهل الجنة الجنة، ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقيق المستفاد من قول الصادق الأمين. وقال العسقلاني: أي أخبرنا عن المبدأ شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار. ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات من المبدأ والمعاد والمعاش. وتيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم. **(رواه البخاري)**.

٥٧٠٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله كتب)** أي أثبت أو أمر أن يكتب الملائكة **(كتاباً)** أي مكتوباً وهو اللوح، أو كتب كتابة مستقلة. **(قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي)** بكسر الهمزة وفتحها **(سبقت غضبي)** أي غلبت، كما في رواية: والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب. والحاصل أن إرادة الخير والنعمة والمثوبة منه سبحانه لعباده، أكثر من إرادة الشر والنقمة والعقوبة، لأن الرحمة عامة والغضب خاص، كما حقق في قوله: الرحمٰن الرحيم. حيث قيل: رحمة الرحمٰن عامة للمؤمن والكافر، بل لجميع الموجودات. ولذا لا يطلق الرحمٰن على غيره سبحانه. فإذا عرفت هذا فالكسر على الحكاية، ويكون لفظة إن من جملة المكتوب، والفتح على أنها بدل من كتاباً، وعلى كل فالمكتوب إنما هو هذه الجملة. ويؤيده قوله: **(فهو مكتوب عنده فوق العرش)** والمعنى أنه مكتوم عن سائر الخلائق مرفوع عن حيز الإدراك. وقيل: معناه أنه مثبت في علمه

الحديث رقم ٥٦٩٩: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٦. حديث رقم ٣١٩٢. وأخرجه أبو داود ٤/ ٤٤١ حديث ٤٢٤٠ وأخرجه الترمذي ٤/ ٤١٩ حديث رقم ٢١٩١. وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٨٥.

الحديث رقم ٥٧٠٠: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٧. حديث رقم ٣١٩٤. ومسلم ٤/ ٢١٠٧ حديث رقم (١٤ . ٢٧٥١) وأخرجه الترمذي ٥/ ٥١٣ حديث رقم ٣٥٤٣. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٣٥ حديث ٤٢٩٥ وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٦٦.

. . . .

سبحانه. وأما اللوح المحفوظ فقد يطلع على بعض معلوماته من أراد الله من ملائكته وأنبيائه وخلص أوليائه من أرباب الكشوف، لا سيما إسرافيل [عليه السلام]، فإنه موكل عليه ويأخذ الأمور منه فيأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل [عليهم الصلاة والسلام]. كلا بما هو من جنس عمله على ما ورد في بعض الأخبار والآثار. وأما على قول من فسر الكتاب هنا باللوح المحفوظ أو القضاء الإجمالي والتفصيلي فيتعين الكسر على الاستئناف، اللهم إلا أن تجعل هذه الجملة المستفادة من الحكمة الإجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة ما فيه من أنواع الحظوظ. قال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ويكون معنى قوله: فهو مكتوب عنده. فعلم ذلك عنده. ويحتمل أن يراد منه القضاء الذي قضاه. وعلى الوجهين فإن قوله: فهو عنده فوق العرش. تنبيه على كينونته مكنوناً عن سائر الخلائق مرفوعاً عن حيز الإدراك، ولا تعلق لهذا القول بما يقع في النفوس من التصورات، تعالى عن صفات المحدثات. فإنه هو المباين عن جميع خلقه المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته. وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق ههنا أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق. وأن الغضب لا ينالهم إلاّ باستحقاق. ألا يرى أنها تشمل الإنسان جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً من غير أن يصدر منه طاعة استوجب بها ذلك، ولا يلحقه الغضب إلا بما يصدر عنه من المخالفات، ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك. ولذلك خلقهم. فللّه الحمد على ما ساق إلينا من النعم قبل استحقاقها. وقال النووي: غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى اثابة المطيع وعقاب العاصي. والمراد بالسبق هنا والغلبة في أخرى كثرة الرحمة وشمولها. كما يقال: غلب على فلان الكرم والشجاعة، إذا كثرا منه. أقول: ولو أبقيا على حقيقتهما من غير ارادة المجاز جاز أيضاً، لأن رحمته تعالى سابقة على غضبه باعتبار التعلق(١) بالنسبة إلى كل أحد من مخلوقاته. فإن أول الرحمة نعمة الإيجاد ثم نعمة الإمداد، فلا يخلو عن النعمتين أحد من العباد. وكذا منحه سبحانه بالنسبة إلى محنة غالبة كثيرة شاملة لعموم الخلائق سواء من أطاعه أو عصاه في البلاد. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن تكون مفتوحة بدلاً من كتاباً، ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب، وهو على وزان قوله تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ [الأنعام ـ ٥٤]. أي أوجب وعداً أن يرحمهم قطعاً بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب. فإن الله تعالى غفور كريم يتجاوز عنه بفضله وأنشد:

وإني إذا أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فالمراد بالسبق هنا القطع لوقوعها. قلت: لا بد وأن يخص بالمؤمنين ممن تعلق المشيئة بمغفرتهم وسبق الإرادة برحمتهم، وإلا فعذاب الكافر مقطوع الوقوع بل واجب الحصول لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ [النساء ـ ٤٨]. والتخلف في خبره غير جائز قطعاً. وقد

(١) وقع تبديل في الكلام في المخطوطة.

متفق عليه.

٥٧٠١ ـ (٤) وعن عائشةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «خُلقتِ الملائكة من نورٍ، وخُلقَ الجانُّ منْ مارجٍ منْ نارٍ، وخُلقَ آدمُ ممَّا وُصفَ لكم». رواه مسلم.

٥٧٠٢ ـ (٥) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لما صوَّرَ اللَّهُ آدمَ في الجنةِ تركه

حررت هذه المسألة في خصوص رسالة سميتها: بالقول السديد في خلف الوعيد. **(متفق عليه)**.

٥٧٠١ ـ **(وعن عائشة)** رضي الله [تعالى] عنها **(عن رسول الله ﷺ قال: خلقت الملائكة من نور وخلق الجان)** أي جنسهم. قال النووي [رحمه الله]: الجان الجن، وقال شارح: يعني أبا الجن وهو المناسب لمقابلته بآدم، ثم قيل: المراد به إبليس. **(من مارج)** أي لهب مختلط بسواد دخان النار. قال تعالى: ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾ [الرحمٰن ـ ١٥]. وقال: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ [الحجر ـ ٢٧]. **(وخلق آدم)** بصيغة المجهول كما قبله **(مما وصف لكم)** على بناء المفعول، [أي] مما بينه الله لكم في قوله: ﴿**خلقه من تراب**﴾ [آل عمران ـ ٥٩]. وقوله: ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار**﴾ [الرحمن ـ ١٤]. وقوله: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون**﴾ [الحجر ـ ٢٦]، وقوله: ﴿**إني خالق بشراً من طين**﴾ [ص ـ ٧١]، ولعل كثرة ما ورد في حقه مع اشتهارها أوجبت الإبهام في قوله: مما وصف لكم. **(رواه مسلم.)** وكذا أحمد. وروى الحكيم الترمذي وابن عدي في الكامل بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: «خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة»(١). والجابية على ما في القاموس. قرية بدمشق، وباب الجابية من أبوابها. وروى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: «خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم»(٢). وروى الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: «خلق الحور العين من الزعفران». وروى الحكيم [الترمذي] وابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي الدرداء رفعه: «خلق الله عزَّ وجلَّ الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب. وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف، صنف كالبهائم، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله». وفي قوله: وصنف عليهم الحساب والعقاب. إيماء إلى قول أبي حنيفة وتوقفه في حق الجن بالثواب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٧٠٢ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لما صور الله آدم في الجنة تركه**

الحديث رقم ٥٧٠١: أخرجه ٤/ ٢٢٩٤ حديث رقم (٦٠ ـ ٢٩٩٦) وأحمد في المسند ٦/ ١٦٨.

(١) ابن عدي ١/ ٢٧٨.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٤٠ حديث رقم ٣٩٣٧.

الحديث رقم ٥٧٠٢: أخرجه مسلم ٤/ ٢٠١٦ حديث رقم (١١١/ ٢٦١١). وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٩.

ما شاءَ أن يترُكه، فجعلَ إبليسُ يطيفُ بهِ ينظرُ ما هوَ، فلمَّا رآهُ أجوَفَ عرفَ أنه خلقَ خلقاً لا يتمالَكُ». رواه مسلم.

ما شاء الله أن يتركه) أي في الجنة. قال التوربشتي [رحمه الله]: أرى هذا الحديث مشكلاً جداً. فقد ثبت بالكتاب والسنة أن آدم خلق من أجزاء الأرض، وقد دل على أنه أدخل الجنة وهو بشر حي. ويؤيده المفهوم من نص الكتاب: ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾ [البقرة ـ ٣٥]. وقال شارح: قيل: يحتمل أن تكون الكلمتان، أعني في الجنة سهواً من بعض الرواة أخطأ سمعه فيهما. قال القاضي [رحمه الله]: الأخبار متظاهرة على أنه تعالى خلق آدم من تراب قبض من وجه الأرض وخمره حتى صار طيناً، ثم تركه حتى صار صلصالاً، وكان ملقى بين مكة والطائف ببطن نعمان وهو من أودية عرفات. ولكن ذلك لا ينافي تصويره في الجنة، لجواز أن تكون طينته لما خمرت في الأرض وتركت فيها حتى مضت عليها الأطوار واستعدت لقبول الصورة الإنسانية، حملت إلى الجنة وصورت ونفخ فيها الروح. وقوله تعالى: ﴿**يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**﴾. لا دلالة له أصلاً على أنه أدخل الجنة بعد ما نفخ [فيه] الروح، إذ المراد بالسكون الاستقرار والتمكن. والأمر به لا يجب أن يكون قبل الحصول في الجنة، كيف وقد تظاهرت الروايات على أن حوّاء خلقت من آدم في الجنة وهي أحد المأمورين، ولعل آدم عليه الصلاة والسلام لما كانت مادته التي هي البدن من العالم السفلي وصورته التي بها يتميز عن سائر الحيوانات ويضاهي بها الملائكة من العالم العلوي، أضاف الرسول ﷺ تكوّن مادته إلى الأرض لأنها نشأت منها. وأضاف حصول صورته إلى الجنة لأنها وقعت فيها. **(فجعل إبليس)** أي فشرع من كمال تلبيسه. **(يطيف به)** بضم حرف المضارعة. قال النووي [رحمه الله] تعالى: طاف بالشيء يطوف طوفاً وطوافاً وأطاف به يطيف إذا استدار حوله. **(ينظر ما هو)** استئناف بيان أو حال، أي يتفكر في عاقبة أمره ويتأمل ماذا يظهر منه. **(فلما رآه أجوف)** وهو من له جوف. **(عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك)** أي لا يتقوى بعضه ببعض، ولا قوة له ولا ثبات، بل يكون متزلزل الأمر متغير الحال متعرضاً للآفات والتمالك التماسك. وقيل: المعنى لا يقدر على ضبط نفسه من المنع عن الشهوات. وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه. وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب. وقال النووي [رحمه الله]: الأجوف في صفة الإنسان، مقابل للصمد في صفة الباري. قيل: السيد سمي بالصمد لأنه يصمد إليه في الحوائج ويقصد إليه في الرغائب، من صمدت الأمر إذا قصدته. وقيل: إنه المنزه عن أن يكون بصدد الحاجة، أو في معرض الآفة، مأخوذ من الصمد بمعنى المصمد وهو الذي لا جوف له. فالإنسان مفتقر إلى الغير بقضاء حوائجه وإلى الطعام والشراب ليملأ جوفه، فإذن لا تماسك له في شيء ظاهراً وباطناً. أقول: ولعل جنس الجن ليسوا على صفة الأجوفية ليتم الاستدلال بالهيئة المخصوصة الإنسانية. **(رواه مسلم)**.

٥٧٠٣ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اختتنَ إبراهيمُ النبيُّ وهو ابنُ ثمانينَ سنةً بالقَدُومِ». متفق عليه.

٥٧٠٤ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لمْ يكذِبْ إبراهيمُ إلاَّ ثلاثَ كَذبَاتٍ:

٥٧٠٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اختتن إبراهيم النبي)** أي نفسه عليه الصلاة والسلام بأمر الملك العلام حيث قال تعالى: **﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾** [البقرة ـ ١٢٤]. **(وهو)** أي والحال أنه. **(ابن ثمانين سنة)** وفي الموطأ: ابن مائة وعشرين سنة. قيل: والأول هو الصحيح، كذا ذكره الأكمل في شرح المشارق. **(بالقدوم)** بفتح القاف وضم الدال المخففة، وفي نسخة تشديدها. قال صاحب القاموس: القدوم آلة للنجر وموضع اختتن به إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد تشدد داله. وقال الطيبي [رحمه الله]: القدوم بالتخفيف آلة النجار معروفة وبالتشديد اسم موضع. وقيل: هو بالتخفيف أيضاً، هكذا في جامع الأصول، وفي كتاب الحميدي. قال البخاري [رحمه الله]: قال أبو الزناد وهو راوي الحديث: اختتن إبراهيم بالقدوم، مخففة. قال التوربشتي [رحمه الله]: ومن المحدثين من يشدد وهو خطأ. قال النووي [رحمه الله]: القدوم وقع في رواية البخاري الخلاف في التشديد والتخفيف، ويقال لآلة النجار قدوم بالتخفيف لا غير. وأما القدوم مكان بالشام ففيه التخفيف والتشديد، فمن رواه بالتشديد أراد القرية. ورواية التخفيف يحتمل القرية والآلة، والأكثرون على التخفيف. **(متفق عليه.)** ورواه أحمد.

٥٧٠٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات)** بفتح الذال وفي نسخة بكسرها قال ميرك نقلاً عن الشيخ: هو اسم لا صفة، لأنك تقول كذب كذبة، كما تقول ركع ركعة، ولو كان صفة لسكن في الجمع. وقال أبو البقاء: الجيد أن يقال بفتح الذال في الجمع. أقول: ولعل وجهه أن المصدر جاء بالفتح والكسر على ما يفهم من القاموس. لكن لما كان الفتح مخصوصاً بالمعنى الاسمي بخلاف الكسر، فإنه مشترك بين الاسم والمصدر كان الفتح أجود. هذا وقد أورد على الحصر ما رواه مسلم من ذكر قول إبراهيم في الكوكب هذا ربي، وأجيب بأنه في حالة الطفولية وهي ليست زمان التكليف. أو المقصود منه الاستفهام للتوبيخ والاحتجاج. قال المازري: أما الكذب على الأنبياء فيما هو طريق البلاغ عن الله عزَّ وجلَّ، فالأنبياء معصومون منه سواء قل أو كثر. فإن تجويزه منهم يرفع الوثوق بأقوالهم، لأن منصب النبوة يرتفع عنه. وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصغائر كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا، ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه

الحديث رقم ٥٧٠٣: أخرجه البخاري ٦/ ٣٣٨. حديث رقم ٣٣٥٦. ومسلم ٤/ ١٨٣٩ حديث رقم ١٥١/ ٢٣٧٠. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

الحديث رقم ٥٧٠٤: أخرجه البخاري ٦/ ٣٨٨. حديث رقم ٣٣٥٨. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٤٠ حديث رقم ١٥٤/ ٢٣٧١. وأخرجه الترمذي ٤/ ٥٣٧ حديث رقم ٢٤٣٤. وأحمد في المسند ١/ ٢٨١.

ثنتَينِ منهنَّ في ذاتِ اللّهِ قولُه ﴿إنِي سَقيمٌ﴾،

القولان المشهوران للسلف والخلف. قال عياض: الصحيح أن الكذب لا يقع منهم مطلقاً. وأما الكذبات المذكورات فإنما هي بالنسبة إلى فهم السامع لكونها في صورة الكذب، وأما في نفس الأمر فليست كذبات. قلت: ووافقه شارح من علمائنا حيث قال: إنما سماها كذبات، وإن كانت من جملة المعاريض لعلو شأنهم عن الكناية بالحق. فيقع ذلك موقع الكذب عن غيرهم، أو لأنها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات. وقال الأكمل في شرح المشارق: يحتمل أن يراد بها حقيقة الكذب لأن الاستثناء من النفي إثبات، فيحتاج إلى العذر بأن الكذب للإصلاح جائز، فما ظنك في دفع ظلم الظالمين. قال ابن الملك: كيف يحتمل ذلك ومع كلام إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام قرينة حالية ومقالية دالة، على أنه تجوز فيه. ولم يرد ظاهره ألا أن يرى أن من جملة كذباته قوله لسارة: إنك أختي في الإسلام. فقوله: في الإسلام، قرينة على أنه لم يرد به الأخت في النسب. وقوله: بل فعله كبيرهم. فإن استحالة صدور الفعل من الجماد قرينة على أنه مؤول أو معجوز فيه، فلا يكون كذباً. قلت: ولا سيما فيه قول بالوقف على: بل فعله. والابتداء بقوله: كبيرهم هذا. **(اثنتين منهن)** بدل من ثلاث كذبات. **(في ذات الله)** أي لأجل الله تعالى، أو في أمر الله، أو فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشريك. أو يراد به القرآن، أي في كلامه. وعبر به عنه لما لم ينفك عن المتكلم كما هو رأي الأشعري، كذا ذكره ابن الملك. وتوضيحه ما قال شارح: أي في أمر الله وما يختص به، إذ لم يكن لإبراهيم نفسه فيه أرب لأنه قصد بالأولى أن يتخلف عن القوم بهذا العذر، فيفعل بالأصنام ما فعل وبالثانية الزام الحجة عليهم بأنهم ضلال سفهاء في عبادة ما لا يضر ولا ينفع. وقيل: يحتمل حذف المضاف أي في كلام ذات الله، يعني أن ثنتين مذكورتان في كلام الله تعالى دون الثالثة، وهي قوله لسارة: هي أختي. قال النووي: وهذه أيضاً في ذات الله تعالى لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة لا يرضى بها الله تعالى. وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعاً له ودفعاً لحرمه هذا. وفي المغرب ذو بمعنى الصاحب، يقتضي شيئين موصوفاً ومضافاً إليه. وتقول للمؤنث: امرأة ذات مال. ثم اقتطعوها عن مقتضاها وأجروها مجرى الأسماء التامة المستقلة بأنفسها غير المقتضية لما سواها. فقالوا: ذات قديمة أو محدثة، ونسبوا إليها من غير تغيير علامة التأنيث. فقالوا: الصفات الذاتية، واستعملوها استعمال النفس، والشيء، عن أبي سعيد كل شيء ذات وكل ذات شيء. قال الطيبي رحمه الله: قوله: في ذات الله، أي في الدفع عن ذات الله ما لا يليق بجلاله. ويدل عليه ما جاء في حديث آخر «ما فيها كذبة، إلا ما حل عن دين الله»، أي خاصم وجادل وذب عن دين الله. وهو بمعنى التعريض لأنه نوع من الكناية. ونوع من التعريض يسمى الاستدراج وهو ارخاء العنان مع الخصم في المجارات ليعثر، حيث يريد تبكيته، فسلك إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام مع القوم [هذا] المنهج فحينئذ. **(قوله:)** بالرفع وفي نسخة بالجر **(إني سقيم)** وذلك عندما طلبوا منه عليه الصلاة والسلام أن يخرج معهم إلى عيدهم، فأراد أن يتخلف عنهم للأمر الذي هم به. فنظر نظرة في النجوم. فقال إني سقيم. وفيه إيهام منه أنه

وقولُه ﴿بلْ فعلَه كبيرُهم هذا﴾، وقال: بَينا هُوَ ذاتَ يومٍ وسارَةُ، إذ أتى على جبَّارٍ مِنَ الجبابرةِ، فقيلَ له: إنَّ ههُنا رجلاً معَه امرأةٌ من أحسنِ الناسِ، فأرسلَ إليهِ، فسألَه عنها: مَن هذه؟ قال: أُختي. فأتى سارَة، فقال لها: إنَّ هذا الجبَّارَ إنْ يعلمْ أنَّكِ امرأتي يغلِبْني عليكِ، فإنْ سألكِ فأخبِريهِ أنَّكِ أُختي، [فإنكِ أُختي] في الإِسلامِ، ليسَ على وَجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرُكِ،

استدل بإمارة علم النجوم على أنه سيسقم ليتركوه فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل. أو سقيم القلب لما فيه من الغيظ باتخاذكم النجوم آلهة أو بعبادتكم الأصنام. **(وقوله:)** بالوجهين، وهو حين كسر عليه الصلاة والسلام أصنامهم إلا كبيرها وعلق الفاس في عنقه. **(بل فعله كبيرهم هذا)** أي فاسألوهم إن كانوا ينطقون. يعني إن كان لهم نطق. ففيه تنبيه نبيه على أن الإِله الذي لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يرجي منه دفع الضرر عن غيره، وايماء إلى أن العاجز عن النطق لا يصلح للألوهية. فإن الإِله من هو منعوت بصفات الكمال من أسماء الجلال والجمال. **(وقال:)** أي النبي ﷺ في بيان الثالثة **(بينا هو)** أي إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام متوجه إلى الشام **(ذات يوم)** أي بعد هلاك نمروذ. **(وسارة)** عطف على هو وهي بنت عمه. **(إذ أتى)** أي مر إبراهيم **(على جبار من الجبابرة)** أي ظالم مسلط. قال الطيبي [رحمه الله]: أتى جواب بينا، أي بينا هما يسيران ذات يوم إذ أتيا على بلد جبار من الجبابرة فوشى بهما. **(فقيل له:)** أي للجبار **(إن ههنا)** أي في بدنا هذا **(رجلاً معه امرأة من أحسن الناس)** أي صورة **(فأرسل)** أي رسولاً **(إليه)** أي إلى إبراهيم يطلبه فذهب إليه **(فسأله عنها)** أي عن جهتها **(من هذه)** أي من تكون لك هذه المرأة التي معك. [قال الطيبي [رحمه الله]: من هذه بيان للسؤال، أي سأل الجبار بهذا اللفظ. **(قال: أختي)** أي في الإِسلام. وقيل كان كاذباً وكان جائزاً، بل واجباً في دفع الظالم على ما في شرح مسلم، لكن حمله على التعريض أولى. فإنه ﷺ قال، على ما رواه ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»[1]. مع أن نفس قوله: أختي، لا يخلو عن تعريض ما حيث لم يقل هذه أختي، أو هي أختي **(فأتى)** أي إبراهيم **(سارة فقال لها: إن هذا الجبار أن يعلم)** أن شرطية أي إن علم **(أنك امرأتي يغلبني عليك)** أي في أخذك بالظلم عني. **(فإن سألك)** أي عن نسبك ونسبتك على تقدير ارساله إليك ووصولك عنده. **(فأخبريه أنك أختي)** أي على طريق التعريض كما فعلته. **(فإنك أختي في الإِسلام)** أي حقيقة بلا مشاركة لأحد، غيرنا في هذا المقام كما بينه بقوله: **(ليس)** أي موجود **(على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك)** قال الطيبي [رحمه الله]: يريد به قوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ [الحجرات ـ ١٠]. بمعنى أن الإِيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاحق ما يفضل الأخوة في النسب السابق، وليس أحد أحق بهذا العقد مني ومنك الآن، لأنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك انتهى. واستشكل

---

(١) ابن عدي ٣/ ٩٦٣.

فأرسلَ إليها، فأتِيَ بها، قامَ إبراهيمُ يُصلي، فلمَّا دخلتْ عليه، ذهبَ يتناولها بيدِه. فأُخِذَ - ويُروى فغُطَّ - حتى ركَضَ برجلِه، فقال: ادْعي اللّهَ لي ولا أضرُّكِ، فدعتِ اللّهَ فأُطلِقَ، ثمَّ تناولها الثانية، فأُخذَ مثلها أو أشدّ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرُّك، فدعت الله فأطلق، فدَعا بعضَ حجَبتِه، فقال: إنَّكَ لم تأتِني بإنسانٍ، إنما أتيتَني بشيطانٍ،

بكون لوط عليه [الصلاة] والسلام يشاركهما في الإيمان كما قال تعالى: ﴿**فآمن له لوط**﴾ [العنكبوت - ٢٦]. ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض هي التي وقع فيها ما وقع له ولم يكن معه لوط إذ ذاك، ذكره العسقلاني [رحمه الله]. ثم قيل: كان من أمر ذلك الجبار الذي يتدين به في الأحكام السياسية أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، ويرى أنها إذا اختارت الزوج فليس لها أن تمتنع من السلطان، بل يكون هو أحق بها من زوجها. فإن اللائي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن إلا إذا رضين. ويحتمل أن يكون المراد أنه إن علم ذلك الزمني بالطلاق أو قصد قتلي حرصاً عليك. لأن دين الملك أن لا يحل له التزوّج والتمتع بقرابات الأنبياء. (**فأرسل**) أي الجبار (**إليها**) أي إلى سارة يطلبها (**فأتي بها**) أي جيء بها إلى الجبار (**قام إبراهيم**) استئناف بيان كان قائلاً قال: فماذا فعل بعد. فأجيب: قام إبراهيم. (**يصلي**) حال أو استئناف تعليل أي ليصلي عملاً بقوله تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾ [البقرة - ٤٥]. كما «كان ﷺ إذا حز به أمر صلى»، على ما رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة[1]. (**فلما دخلت**) بصيغة الفاعل، وفي نسخة: أدخلت. (**عليه**) أي على الجبار (**ذهب**) أي طفق (**يتناولها**) أي يأخذها أو يمسها (**بيده**) أي من غير سؤال وجواب، أو بعد سؤالها وسماع جوابها، لكن غلب عليه الميل إليها لكمال حسنها وجمالها. (**فأخذ**) بصيغة المجهول مخففاً، أي حبس نفسه وضغط. والمراد به الخنق ههنا، أي أخذ بمجاري نفسه حتى سمع له غطيط. وقال ابن الملك: فأخذ ببناء المجهول أي حبس عن امساكها، أو عوقب بذنبه أو أغمي عليه. وفي نسخة بتشديد الخاء. قال شارح: ويروى أخذ على بناء المجهول من التأخيذ، وهو استجلاب قلب شخص برقية أو غيرها كالسحر، بحيث يصل له خوف أو هيمان أو جنون على ما قاله العسقلاني. ويؤيد رواية التخفيف قول المؤلف. (**ويروى**) أي بدل فأخذ، أو زيادة عليه. (**فغط**) بضم غين معجمة وتشديد طاء مهملة أي خنق (**حتى ركض برجليه**) أيضرب برجليه الأرض من شدة الغط. وقال ابن الملك: أي حصر حصراً شديداً. وقيل: الغط هنا بمعنى الخنق، أي أخذ بمجامع مجاري نفسه حتى يسمع له غطط نخير، وهو صوت بالأنف، وقال العسقلاني: أي اختنق حتى صار كالمصروع. (**فقال: ادعي**) أي سلي (**الله لي**) أي لأجلي الخلاص (**ولا أضرك**) أي بالتعرض لك (**فدعت الله فأطلق**) أي من الأخذ (**ثم تناولها**) أي أراد تناولها (**الثانية**) أي المرة الثانية (**فأخذ مثلها**) أي مثل الأخذة الأولى (**أو أشد**) أي بل أشد منها (**فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته**) بفتحتين جمع حاجب كطلبة جمع طالب (**فقال: إنك لم تأتني بإنسان**) أي حتى أقدر عليها (**إنما أتيتني بشيطان**) أي حيث لم أقدر عليها بل

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ٧٨ حديث رقم ١٣١٩.

فأَخْدَمَها هاجرَ، فأتَتْه وهو قائمٌ يُصلي، فأوْمأ بيدِه مَهْيَمْ؟ قالت: ردَّ اللَّهُ كيدَ الكافِرِ في نحْرِه، وأخدَمَ هاجرَ». قال أبو هريرةَ: تلكَ أُمُّكم يا بَني ماءِ السَّماءِ!

تصرعني وتريد أن تهلكني. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون أمرهم. **(فأخدمها هاجر)** أي جعل الجبار هاجر خادمة لسارة لما رأى كرامتها وقربها عند الله، أو جبراً لما وقع من كسر خاطرها حيث تعرض لها. **(فأتته)** أي إبراهيم **(وهو قائم يصلي)** وهو إما لعدم اطلاعه على خلاصها استمر على حاله، أو انكشف له الأمر وزاد في العبادة ليكون عبداً شكوراً بعد ما كان عبداً صبوراً. ويؤيد الأول قوله: **(فأومأ)** بهمزتين أي أشار إبراهيم **(بيده)** أي إلى سارة وهو في الصلاة **(مهيم)** بفتح فسكون مرتين. أي ما شأنك وما حالك. وهي كلمة يمانية يستفهم بها، وههنا مفسرة للإيماء. أي أومأ بيده بما يفهم منه معناه وليست بترجمة لقوله، وإلا لكان من حقه أن يقول: فأومأ بيده، وقال: مهيم. **(قالت: رد الله كيد الكافر في نحره)** أي على صدره وهو من قوله تعالى: ﴿**ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله**﴾ [فاطر ـ ٤٣]. ومن قبيل الدعاء المأثور: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم(١). **(وأخدم هاجر)** أي أم إسماعيل [عليه الصلاة والسلام]. قيل: سميت هاجر لأنها هاجرت من الشام إلى مكة. وقيل: كان لا يولد له من سارة فوهبت هاجر له، وقالت: عسى الله أن يرزقك منها ولداً. وكان إبراهيم عليه السلام يومئذ ابن مائة سنة نقله ابن الملك. **(قال أبو هريرة: تلك)** أي هاجر **(أمكم)** أي جدتكم **(يا بني ماء السماء)** قال القاضي [رحمه الله]: قيل. أراد بهم العرب، سموا بذلك لأنهم يتبعون المطر ويتعيشون به، والعرب وإن لم يكونوا بأجمعهم من بطن هاجر، لكن غلب أولاد إسماعيل على غيرهم. وقيل: أراد بهم الأنصار لأنهم أولاد عامر بن حارثة الأزدي، جد نعمان بن المنذر، وهو كان ملقباً بماء السماء لأنه كان يستمطر به. ويحتمل أنه أراد بهم بني إسماعيل وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف أصولهم. قال ابن الملك: وقيل: أشار بهم لكونهم من ولدها جر لأن إسماعيل أنبع الله تبارك وتعالى له زمزم. وهي من ماء السماء والله سبحانه وتعالى أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: فإذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة عن ساحة، فما باله يشهد على نفسه بها في حديث الشفاعة في قوله: «وإني كنت كذبت ثلاث كذبات». فذكرها ثم قال: «نفسي نفسي نفسي». على أن تسميتها وإنها معاريض بالكذبات أخبار الشيء على خلاف ما هو به. قلت: نحن وإن أخرجناها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية وسميناها معاريض، فلا شك أن صورتها صورة التعويج عن المستقيم. فالحبيب قصد إلى براءة ساحة الخليل عما لا يليق به فسماها معاريض، والخليل لمح إلى مرتبة الشفاعة هنالك وأنها مختصة بالحبيب

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ١٨٧ حديث رقم ١٥٣٧.

متفق عليه.

٥٧٠٥ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحنُ أحقُّ بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿ربِّ أرني كيف تحيي الموتى﴾

فتجوز بالكذبات. (متفق عليه).

٥٧٠٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: **نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾**)[1] تمامه: قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال ابن الملك: أراد ﷺ أن ما صدر من إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام لم يكن شكاً، بل كان طلباً لمزيد العلم، وأنا أحق به لأني مأمور بذلك لقوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه ـ ١١٤]. وأطلق الشك بطريق المشاكلة. وقال الإمام المزي: معناه لو كان الشك متطرقاً إليه لكنت أحق به، وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أنه كذلك. وإنما رجح إبراهيم على نفسه تواضعاً أو لصدوره قبل أن يعلم أنه خير ولد آدم. وأما سؤال إبراهيم [عليه السلام] فللترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، أو لأنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك ليظهر دليله عياناً وتوضيحه ما قال الخطابي: مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس، وليس في قوله هذا اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما. يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتب في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك فيه ولا يرتاب به. وفيه الإعلام بأن المسألة من قبل إبراهيم لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الإحياء. والنفس تجد من الطمأنينه بعلم الكيفية ما لم تجده بعلم الأمنية. والعلم في الوجهين حاصل، والشك مرفوع. وقد قيل: إنه إنما طلب الإيمان حساً وعياناً لأنه فوق ما كان عليه من الاستدلال، والمستدل لا تزول عنه الوساوس والخواطر. فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الخبر كالمعاينة»[2] انتهى. وفيه أن عدم علم الأنبياء من باب الاستدلال غير ظاهر، بل علمهم من باب الكشف والمعرفة التامة والعلم اليقيني الذي لهم في السرائر، بحيث لا يتصور فيه تردد الخواطر وتوسوس الضمائر. نعم مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين، وإن هذا لهو حق اليقين والله الموفق والمعين. وفي بعض نسخ المصابيح: نحن أحق من إبراهيم. بدون قوله بالشك، فقال شارح له: أي نحن أحق منه بالسؤال الذي سأله يريد به تعظيم أمره وأن سؤاله هذا لم يكن لنقصان في عقيدته، بل لكمال فكرته وعلو همته الطالبة لحصول الاطمئنان بالوصول إلى درجة العيان. قال: وفي بعض الروايات: نحن أحق بالشك من إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]. ومعناه ما ذكرناه أي لم يكن صدور هذا السؤال منه شكاً

الحديث رقم ٥٧٠٥: أخرجه البخاري ٦/ ٤١٠. حديث رقم ٣٣٧٢. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٣٩ حديث رقم (١٥٢ ـ ١٥١) وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٣٥ حديث رقم ٤٠٢٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٦.

(١) سورة البقرة ـ آية ٢٦٠. (٢) أحمد في المسند ١/ ٢١٥.

ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثتُ في السجنِ طولَ ما لَبِث يوسفُ لأجَبْتُ الداعي».

من إبراهيم، واختلج في صدره، إذ لو كان الشك يعتريه لنحن أحق بالشك منه، ولكنا لا نشك. فكيف يجوز أن يشك هو فيه. أقول: المراد بقوله: نحن. ليس صيغة التعظيم ليحتاج إلى الاعتذار بأنه قال ذلك تواضعاً لإبراهيم، بل المعنى: أني مع أمتي لا نشك في قدرة الله تعالى على احياء الموتى، بل نحن معاشر الخلق من سائر الأمم غالباً نعتقد قدرته على الإحياء. وإبراهيم عليه [الصلاة] والسلام من أكمل الأنبياء في مرتبة التوحيد ومقام التفريد حتى أمرنا بمتابعته على طريقة القويم وسبيله المستقيم. فكيف يتصوّر منه الشك، إذ لو جاز عليه الشك وهو من المعصومين المتبوعين لجاز لنا بالأولى ونحن من اللاحقين التابعين. والحاصل أنه أراد بالدليل البرهاني نفي الشك عن الخليل الرحماني وإيصاله إياه إلى المقام الاطمئناني والحال العياني. **(ويرحم الله لوطاً)** قيل: تصدير الكلام بهذا الدعاء لئلا يتوهم اعتراء نقص عليه فيما سيأتي من الأنباء على طريقة قوله تعالى: **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾** [التوبة ـ ٤٣] حيث كان تمهيداً ومقدمة للخطاب المزعج. **(لقد كان يأوي إلى ركن شديد)** أي عشيرة قوية. قال ابن الملك: فيه إشارة إلى وقوع تقصير منه. وقال شارح تبعاً للقاضي: وكأنه استغرب منه وعده بادرة إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه، وهو عصمة الله وحفظه. وعندي أن أخذ هذا المعنى من هذا المبنى ليس من طريق الأدب في الإنباء عن الأنبياء، لأنه ﷺ إذا كان ينهى عن غيبة أفراد العامة حياً وميتاً، فكيف يتصوّر أن يذكر في حق نبي مرسل ما يكون موهماً لنقص مرتبته أو تنزل عن علو همته. فالمعنى والله تعالى أعلم، أنه كان بمقتضى الجبلة البشرية في بعض الأمور الضرورية يميل إلى الاستعانة بالعشيرة القوية، فيجوز لنا مثل ذلك المحال، فإنا مأمورون بمتابعة أرباب الكمال في التعلق بالأسباب مع الاعتماد على رب الأرباب والله تعالى أعلم بالصواب. ثم رأيت في الجامع الصغير ما يقوي المذكور من التقرير والتحرير، وهو ما رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه[1]. قلت: ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه [الصلاة] والسلام: **﴿ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾** [هود ـ ٩١]. وكذلك نبينا ﷺ كان معظماً ومحمياً ومكرماً لقربه من أبي طالب وغيره، وإليه الإيماء في قوله تعالى: **﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾** [الضحى ـ ٦]. **(ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف)** أي مقدار طول زمن لبثه وجاني داع بالطلب أو ساع إلى الخروج. **(لأجبت الداعي)** أي ولبادرت الخروج عملاً بالجواز، لكن يوسف عليه [الصلاة] والسلام [صبر لحكم تقضيه ذلك]، كما أخبر الله سبحانه عنه: **﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله﴾** [يوسف ـ ٥٠]. إلى آخره. وربما أوجبته عليه في مرام ذلك المقام من قصده البراءة مما اشتهر في حقه من الكلام على ألسنة العوام ليقابل صاحب الأمر على جهة التعظيم والإكرام، ألا ترى أن النبي ﷺ كان

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٠ حديث رقم ٤٤١٥ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٦١.

متفق عليه.

٥٧٠٦ ـ (٩) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ موسى كان رجلاً حييّاً سِتّيراً،

يكلم [بعض أمهات المؤمنين] في طريق فمر عليه صحابي فقال له عليه [الصلاة] والسلام: إن هذه فلانة من الأزواج الطاهرات. فقال: يا رسول الله أيظن فيك ظن السوء. فقال: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم[1]. قال التوربشتي [رحمه الله]: هو مبني على احماده صبر يوسف [عليه السلام] وتركه الاستعجال [بالخروج] عن السجن مع امتداد مدة الحبس عليه. قال: ثم إن في ضمن هذا الحديث تنبيهاً على أن الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام وإن كانوا من الله بمكان لا ينازلهم فيه أحد، فإنهم بشر يطرأ عليهم من الأحوال ما يطرأ على البشر، فلا تعدوا ذلك منقصة ولا تحسبوه سيئة. قلت: هذا يؤيد ما قررناه من قضية سيدنا لوط عليه [الصلاة] والسلام. وقال ابن الملك: اعلم أن هذا ليس اخباراً عن نبينا ﷺ بتضجره وقلة صبره، بل فيه دلالة على مدح يوسف [عليه السلام] وتركه الاستعجال بالخروج ليزول عن قلب الملك كان ما كان اتهم به من الفاحشة، ولا ينظر إليه بعين مشكوك انتهى. وهو بعينه كما ذكرناه على ما لا يخفى. وقيل: بل فيه إشارة إلى تقصير يوسف [عليه السلام] وذلك من جهة أنه لم يترك الوسائط ولم يفوض كل ما أتاه إليه تعالى. قلت: سبق أن مباشرة الأسباب لا تنافي تفويض الأمر إلى رب الأرباب، بل قال بعض العارفين: إن مرتبة جمع الجمع هي مباشرة السبب مع ملاحظة عمل الرب. وقيل: بل فيه إيماء إلى تقصيره من جهة أنه كان رسولاً، ولذا دعا أهل السجن بقوله: ﴿**أرباب متفرقون خير**﴾ [يوسف ـ ٣٩]. الخ. ولم يكن له طريق إلى دعوة الملك. فلما وجد إليه سبيلاً قدم براءة نفسه مما نسب إليه على حق الله، وهو دعوة الملك. قلت: وهذا ظاهر البطلان، إذ على تقدير تسليم كونه رسولاً عاماً أو خاصاً فتقديم ما يتوقف صحة الإرسال من البراءة عليه مما يجب المبادرة إليه لئلا يدور طعن طاعن حواليه. ومما يدل على صحة ما قررناه على حقيقة ما حررناه ما أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً: «رحم الله يوسف [عليه السلام] أن كان لذا أناة حليماً لو كنت أنا المحبوس، ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً». وفي رواية أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً: «رحم الله أخي يوسف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحبس» لأسرعت الاجابة حين قال: ﴿**ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة**﴾ [يوسف ـ ٥٠]. كذا في الجامع الصغير[2]. (**متفق عليه**).

٥٧٠٦ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن موسى كان رجلاً حيياً**) بكسر التحتية الأولى وبتشديد الثانية على أنه فعيل أي مستحيياً. (**ستيراً**) بفتح

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣٦ حديث رقم ٣٢٨١.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٢ حديث رقم ٤٤٣٧ وحديث رقم ٤٤٣٨.

الحديث رقم ٥٧٠٦: أخرجه البخاري ١/ ٣٨٥. حديث رقم ٢٧٨. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٤١ حديث رقم (١٥٦ . ٣٣٩). وأخرجه الترمذي ٥/ ٣٣٥ حديث رقم ٣٢٢١. وأحمد في المسند ٢/ ٥١٤.

لا يُرى من جلده شيء استحياءً، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما تَستَّر هذا التستّر إلا من عيبٍ بجلده: إما برص أو أُدرَة، وإن الله أراد أن يبرئه، فخلا يوماً وحده ليغتسل، فوضع ثوبه على حجرٍ، ففرَّ الحجر بثوبه، فجمح موسى في إثْره يقول: ثوبي يا حجرُ! ثوبي يا حجرُ! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عُرياناً أحسن ما خلق الله وقالوا واللَّهِ ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، وطفقَ بالحجر ضرباً، فوالله إن بالحجرِ لَندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً».

السين وتخفيف الفوقية المكسورة. قال شارح: أي مستوراً، والظاهر أنه مبالغة ساتر. ويدل عليه ما في نسخة من كسر السين والفوقية المشددة، وكأن الشارح جعل قوله: **(لا يرى من جلده شيء)** صفة كاشفة وليس بظاهر، بل هو استئناف بيان لما يلزم من كونه كثير التستر. وحاصله أنه كان من شأنه أن يستر جميع بدنه عند اغتساله. **(استحياءً)** أي من الناس **(فآذاه من آذاه)** بالمد فيها أي من أراد إيذاءه **(من بني إسرائيل فقالوا:)** جمع باعتبار معنى من كما أفرد أولاً بناء على لفظه، ونحوه كثير في التنزيل، أي فقال بعض المؤذين **(ما تستر)** أي موسى **(هذا التستر)** أي البليغ **(إلا من عيب بجلده إما برص أو أدرة)** بضم همزة وسكون دال مهملة، نفخة بالخصية على ما في النهاية. **(وإن الله أراد أن يبرئه)** بتشديد الراء، أي ينزهه عن نسبة ذلك العيب، ويثبت له الحياء من عالم الغيب. وقد أشار إليه سبحانه بقول: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾** [الأحزاب ـ ٦٩]. ثم اعلم أن قوله: وإن الله، هو هكذا في النسخ المصححة بالواو. وقال الطيبي [رحمه الله]: الفاء في قوله فإن الله للتعقيب وأصل الكلام فقالوا كيت وكيت فأراد الله أن يبرئه وأتى بإن المؤكدة تأكيداً اعتناء بشأنه. **(فخلا يوماً وحده)** أي انفرد عن الناس وقتاً ما حال كونه منفرداً. **(ليغتسل. فوضع ثوبه على حجر)** أي بجنب الماء **(ففر الحجر بثوبه)** الباء للتعدية، أي فأخذه فاراً عن موسى. **(فجمح موسى)** بجيم وميم وحاء مفتوحات أي ذهب وأسرع إسراعاً لا يرده شيء، ومنه قوله تعالى: **﴿وهم يجمحون﴾** [التوبة ـ ٥٧]. **(في أثره)** بفتحتين وقد يكسر الهمز وتسكن المثلثة، أي في عقب الحجر. **(يقول:)** أي بلسان القال أو ببيان الحال **(ثوبي)** أي أعطني ثوبي. **(يا حجر ثوبي)** أي مطلوبي ثوبي **(يا حجر)** والتكرير للتكثير **(حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل)** والظاهر أن فيهم المؤذين **(فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله)** قال الطيبي [رحمه الله]: عرياناً حال، وكذا قوله أحسن لأن الرؤية بمعنى النظر. **(وقالوا: والله ما بموسى من بأس)** أي ليس به عيب ما. **(وأخذ ثوبه وطفق)** أي شرع **(بالحجر ضرباً)** أي يضربه ضرباً، فالجار متعلق بالفعل المقدر كما في قوله سبحانه: **﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾** [ص ـ ٣٣]. **(فوالله إن في الحجر لندباً من أثر ضربه)** الندب بفتح النون والدال أي أثراً وعلامة باقية من أثر ضربه، وأصل الندب أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، فشبه به أثر الضرب بالحجر. وقوله: **(ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً)** متعلق بالضرب أو الندب، والشك من الراوي. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ثلاثاً أي ندبات ثلاثاً بياناً، وتفسيراً لاسم إن وضربه هذا من أثر غضبه على الحجر لأجل فراره وقلة أدبه. ولعله ذهل عن كونه مأموراً. وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

متفق عليه.

٥٧٠٧ - (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أيوبُ يغتسلُ عُرياناً، فخرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوبُ يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه: يا أيوبُ! ألمْ أكنْ أغنيتك عمَّا ترى؟ قال: بلى وعزَّتِك، ولكن لا غِنى بي عن بركتك».

وفيه مأخذ لعلماء الأنام على أن ضرر الخاص يتحمل لنفع العام والله [تعالى] أعلم بالمرام. ثم قيل: إن موسى أمر بحمل الحجر معه إلى أن كان في التيه، فضربه بعصاه مرة أو مرات فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً، قال النووي [رحمه الله]: فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه [الصلاة] والسلام إحداهما مشي الحجر بثوبه، والثانية حصول الندب في الحجر بضربه. وفيه حصول التمييز في الجماد وفيه جواز الغسل عرياناً في الخلوة وإن كان ستر العورة أفضل. وبهذا قال الشافعي ومالك وأحمد [رحمهم الله] وخالفهم ابن أبي ليلى. وقال: إن للماء ساكناً. قلت: إمامنا الأعظم [رحمه الله] مع الجمهور وظاهر مخالفة ابن أبي ليلى في دخول الماء. قال: وفيه ابتلاء الأنبياء والصالحين من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليه، وفيه أن الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام منزهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعايب اللهم إلاّ على سبيل الابتلاء. **(متفق عليه)**.

٥٧٠٧ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أيوب يغتسل عرياناً)** يحتمل أن يكون لابساً للإزار كما يدل عليه قوله الآتي: يحثي في ثوبه. ويحتمل أن يكون متجرداً عن الثياب كلها على طبق ما سبق لموسى عليهما [الصلاة] والسلام، وكان جائزاً عندهما. لكنه ﷺ أشار إلى أن التستر أولى حياء من المولى، بناء على أنه ﷺ بعث ليتم مكارم الأخلاق. **(فخر)** بالخاء المعجمة والراء المشددة، أي فسقط ونزل **(عليه)** أي فوقه على أطرافه **(جراد)** أي جنس جراد **(من ذهب فجعل أيوب يحثي)** أي يضعه **(في ثوبه)** كذا في النهاية. والأظهر أنه يأخذ بكفه أو كفيه ويضع في ثوبه المتصل به وهو الإزار اللابس له قبل الغسل أو بعده أو المنفصل الذي ما لبسه بعد. وفي المصابيح يحثي في ثوبه، قال شارح له: أي يجمعه في ذيله ويضم طرف الذيل إلى نفسه. **(فناداه ربه:)** أي نداء تلطف **(يا أيوب ألم أكن أغنيتك)** أي جعلتك ذا غنى **(عما ترى. قال: بلى وعزتك)** قال الطيبي [رحمه الله: هذا] ليس بعتاب منه تعالى في أن الإنسان وإن كان ثرياً لا يشبع بثراه، بل يريد المزيد عليه، بل من قبيل التلطف والامتحان بأنه هل يشكر على ما أنعم عليه فيزيد في الشكر، وإليه الإشارة بقوله: **(ولكن لا غنى)** بكسر ففتح مقصوراً، أي لا استغناء **(بي عن بركتك)** أي عن كثرة نعمتك وزيادة رحمتك. وفي رواية: من يشبع من رحمتك، أو من فضلك. وفيه جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه، ويصرفه فيما يحب ربه ويرضاه

الحديث رقم ٥٧٠٧: أخرجه البخاري ١/ ٣٨٧. حديث رقم ٢٧٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٢٨. حديث رقم ٤٢٧٤. وأحمد في المسند ٢/ ٢١٤.

رواه البخاريُّ.

٥٧٠٨ ـ (١١) وعنه، قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود. فقال المسلم: والذي اصطفى محمَّداً على العالمين. فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفَعَ المسلمُ يدَه عند ذلك فلطَم وجهَ اليهودي، فَذَهَبَ اليهوديُّ إلى النبي ﷺ، فأخبره بما كان من أمره وأمرِ المسلم، فدعا النبيُّ ﷺ المسلمَ فسأله عن ذلك، فأخبره، فقال النبي ﷺ: «لا تخيّروني على موسى، فإنَّ الناسَ يصعقون يومَ القيامةِ، فأصعق معهم فأكونُ أوّلَ من يفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانبِ العرشِ، فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قَبْلي،

ويتوجه الأمر إليه، وفيه تسمية المال من جهة الحلال بركة في المآل وحسن الخلال. قال الطيبي [رحمه الله]: ونحوه قوله ﷺ لعمر [رضي الله تعالى عنه] جواباً عن قوله: أعطه، أفقر إليه مني ما جاءك من هذا المال، وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك، **(رواه البخاري)**.

٥٧٠٨ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود)** بتشديد الموحدة افتعال من السب وهو الشتم، والمعنى سب كل واحد منهما الآخر. **(فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين)** أي جميعهم من خلق الأولين والآخرين، والمحلوف عليه مقدر. **(فقال: اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين)** أي عالمي زمانه، لكن لما كان ظاهر كلامه المعارضة وحاصل مرامه المشاركة في الاصطفاء على الخلق من بين الأنبياء، وهو خلاف ما عليه العلماء، ولذا أنكر عليه. **(فرفع المسلم يده عند ذلك)** أي القول الموهم لخلاف الأدب. **(فلطم وجه اليهودي)** أي ضربه بكفه كفاً له وتأديباً **(فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم. فدعا النبي ﷺ المسلم)** أي المدعى عليه **(فسأله عن ذلك)** أي الأمر **(فأخبره)** أي بمطابقة الخبر **(فقال النبي ﷺ: لا تخيروني)** بضم التاء وتشديد الياء من التخيير بمعنى الاصطفاء، والمعنى لا تجعلوني خيراً بمعنى لا تفضلوني. **(على موسى)** أي ونحوه من أصحاب النبوّة تفضيلاً يؤدي إلى إيهام المنقصة، أو إلى تسبب الخصومة. فإن أمر التفضيل ليس بقطعي على وجه التفصيل. **(فإن الناس)** أي جميعهم **(يصعقون)** بفتح العين **(يوم القيامة)** أي عند النفخة الأولى **(فأصعق معهم)** من صعق الرجل إذا أصابه فزع فأغمي عليه، وربما مات منه، ثم يستعمل في الموت كثيراً. لكن هذه الصعقة صعقة فزع قبل البعث لذكر الإفاقة بعده [بقوله]: **(فأكون أول من يفيق)** فإن الإفاقة إنما تستعمل في الغشي والبعث في الموت. **(فإذا موسى باطش)** قال شارح: أي قوي، والظاهر أن معناه آخذ. **(بجانب العرش فلا أدري كان)** أي أكان **(فيمن صعق فأفاق قبلي)** أي لفضيلة اختص بها.

الحديث رقم ٥٧٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٤١. حديث رقم ٣٤٠٨. ومسلم ٤/ ١٨٤٤ حديث رقم (١٦٠ . ٢٣٧٣) وأخرجه أبو داود ٥/ ٥٣ حديث رقم ٤٦٧١. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤.

أو كان فيمن استثنى الله؟». وفي روايةٍ: «فلا أدري أحوسب بصعقةِ يومَ الطورِ، أو بُعِثَ قبلي؟ ولا أقول: إن أحداً أفضلُ من يُونُس بنِ مَتَّى».

٥٧٠٩ ـ (١٢) وفي رواية أبي سعيدٍ قال: «لا تخيّروا بينَ الأنبياء».

(أو كان فيمن استثنى الله) أي في قوله تعالى: **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾** [الزمر ـ ٦٨]. والمعنى أو كان فيمن لم يصعق فله منقبة أيضاً من هذه الجهة. قال العسقلاني: يعني فإن أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة، وإن كان ممن استثناه الله تعالى فلم يصعق فهي أيضاً فضيلة، وإنما نهى النبي ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام من يقول ذلك من رأيه لا من يقوله بدليل، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يجر إلى الخصومة. أو المراد لا تفضلوني بجميع أنواع الفضائل. بحيث لا يبقى للمفضول فضيلة. أو أراد النهي عن التفضيل في نفس النبوة، فإنهم متساوون فيها وإنما التفاضل بخصائص وفضائل أخرى. قال تعالى: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** [البقرة ـ ٢٥٣]. **﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾** [الإسراء ـ ٥٥]. **(وفي رواية: فلا أدري أحوسب)** أي أجوزي **(بصعقة يوم الطور)** بإضافة المصدر إلى الظرف. وفي نسخة بالضمير أي بصعقه نفسه في ذلك اليوم، حيث قال تعالى: **﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً﴾** [الأعراف ـ ١٤٣]. ففي القاموس صعق كسمع صعقاً، ويحرك وصعقة وتصعاقاً فهو صعق، ككتف غشي عليه. **(أو بعث قبلي)** أي أفاق قبل إفاقتي بعد ما شاركني في صعقتي. فالبعث مجاز عن الإفاقة توفيقاً بين الروايتين. **(ولا أقول إن أحداً)** أي لا أنا ولا غيري من الأنبياء **(أفضل من يونس بن متى)** بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المقصورة. قيل: هي اسم أم يونس على ما في جامع الأصول. ثم قيل: إن أحداً استعمل في الإثبات لأن المعنى: لا أفضل أحداً على يونس.

٥٧٠٩ ـ **(وفي رواية أبي سعيد قال: لا تخيروا)** أي لا تفضلوا **(بين الأنبياء)** قال التوربشتي [رحمه الله]: قوله: لا تخيروني على موسى أي لا تفضلوني عليه، قول قاله على سبيل التواضع أولاً ثم ليردع الأمة عن التخيير بين أنبياء الله من تلقاء أنفسهم ثانياً، فإن ذلك يفضي بهم إلى العصبية فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصة يدعوهم إلى الإفراط والتفريط، فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه فيقعون في مهواة الغي. ولهذا قال: لا تخيروا بين الأنبياء، أي لا تقدموا على ذلك بأهوائكم وآرائكم، بل بما آتاكم الله من البيان. وعلى هذا النحو قوله ﷺ: «ولا أقول أن أحداً خير من يونس بن متى»[1]. أي لا أقول من تلقاء نفسي ولا أفضل أحداً عليه من حيث النبوّة والرسالة، فإن شأنهما لا يختلف باختلاف

الحديث رقم ٥٧٠٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٤٥ حديث رقم (١٦٣ . ٢٣٧٤). وأبو داود ٥/ ٥١ حديث رقم ٤٦٦٨.

(١) البخاري ٦/ ٤٥١ حديث ٣٤١٦ وكذلك مسلم والأحاديث في ذلك كثيرة.

متفق عليه.

وفي رواية أبي هريرةَ: «لا تُفَضّلوا بين أنبياء الله».

٥٧١٠ ـ (١٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إِني خيرٌ من يونس بنِ مَتَّى». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري قال: «من قال: أنا خيرٌ من يونس بنِ مَتَّى فَقَد كَذَب».

الأشخاص. بل نقول كل من أكرم بالنبوّة فإنهم سواء فيما جاؤوا به عن الله، وإن اختلفت مراتبهم، وكذلك من أكرم بالرسالة. وإليه الإشارة بقوله سبحانه: ﴿**لا نفرق أحد من رسله**﴾ [البقرة ـ ٢٨٥]. وإنما خص يونس [عليه السلام] بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه في كتابه من أمر يونس وتوليه عن قومه وضجرته عن تثبطهم في الإجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل. فقال عز من قائل: ﴿**ولا تكن كصاحب الحوت**﴾ [القلم ـ ٤٨]. وقال: ﴿**وهو مليم**﴾ [الصافات ـ ١٤٢]. فلم يأمن ﷺ أن يخامر بواطن الضعفاء من أمته ما يعود إلى نقيصة في حقه، فنبأهم أن ذلك ليس بقادح فيما آتاه الله من فضله، وأنه مع ما كان من شأنه كسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين. وهذا قول جامع في بيان ما ورد في هذا الباب، فافهم ترشد إلى الأقوم. وأما ما ذكره في هذا الحديث من الصعقة فهي قبل البعث عن نفخة الفزع. فأما في البعث فلا تقدم لأحد فيه على نبينا ﷺ. واختصاص موسى عليه [الصلاة] والسلام بهذه الفضيلة لا توجب له تقدماً على من تقدمه بسوابق جمة وفضائل كثيرة، والله المأمول أن يعرفنا حقوقهم ويحيينا على محبتهم ويميتنا على سنتهم ويحشرنا في زمرتهم. **(متفق عليه. وفي رواية**[1]: **لا تفضلوا)** بالضاد المعجمة المكسورة على ما في أكثر النسخ، أي لا توقعوا التفضيل. **(بين أنبياء الله)** أي وكذا بين رسله على وجه الازراء ببعض، فإن ذلك يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعض، وذلك كفر. وفي نسخة بالصاد، وهو ظاهر، أي لا تفرقوا بينهم لقوله تعالى: ﴿**لا نفرق بين أحد منهم**﴾ [البقرة ـ ١٣٦ ـ آل عمران ـ ٨٤].

٥٧١٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لعبد أن يقول: إني)** أي ويعني نفسه أو نفسي **(خير من يونس بن متى)** أي فضلاً عن غيري **(متفق عليه. وفي رواية للبخاري قال: من قال: أنا خير)** أي في النبوّة **(من يونس بن متى فقد كذب.)** لأن الأنبياء كلهم متساوون في مرتبة النبوّة، وإنما التفاضل باعتبار الدرجات. وخص يونس بالذكر لأن الله تعالى وصفه بأوصاف توهم انحطاط رتبته. حيث قال: ﴿**فظن أن لن نقدر**

---

(١) وهي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه.

الحديث رقم ٥٧١٠: أخرجه البخاري ٦/٣٩٨. حديث رقم ٣٣٦٥. ومسلم ٤/١٨٤٦ حديث رقم (١٦٦ ـ ٢٣٧٦) وأخرجه أبو داود في ٥/٥١ حديث رقم ٤٦٦٩. والدارمي في سننه ٢/٣٩٩ حديث رقم ٢٧٤٦.

٥٧١١ ـ (١٤) وعن أُبيِّ بنِ كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الغلامَ الذي قتله الخضرُ

عليه﴾ [الأنبياء ـ ٨٧]. ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ [الصافات ـ ١٤٠]. فلفظ أنا، واقع موقع هو، ويكون راجعاً إلى النبي ﷺ. ويحتمل أن يكون المراد به نفس القائل، فحينئذ كذب بمعنى كفر، كني به عن الكفر لأن هذا الكذب مساو للكفر. قال النووي [رحمه الله]: قيل: ضمير المتكلم يعود إلى رسول الله ﷺ. وقيل: يعود إلى كل قائل، أي لا يقوله بعض الجاهلين من المجتهدين في العبادة أو العلم أو غير ذلك من الفضائل. فإنه لو بلغ ما بلغ إلا أنه لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيده الرواية الأولى: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس ابن متى». أقول: في تأييدها نظر لتحقق الاحتمالين فيه أيضاً، بل المعنى الثاني أظهر منها حيث قال: ما ينبغي لعبد. بطريق العموم المشير إلى أنه حديث قدسي على ما ذكره السيوطي في الجامع من رواية مسلم عن أبي هريرة قال [الله] تعالى: لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى[(١)]. قال الخطابي: وإنما خص يونس بالذكر لأن الله تعالى لم يذكره في جملة أولي العزم من الرسل، وقال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ [القلم ـ ٤٨]. فقصر به عن مراتب أولي العزم والصبر من الرسل. يقول ﷺ: إذا لم آذن لكم أن تفضلوني على يونس بن متى فلا يجوز لكم أن تفضلوني على غيره من ذوي العزم من أجلة الأنبياء. صلوات الله [وسلامه] عليهم وهذا منه عليه [الصلاة] والسلام على سبيل التواضع والهضم من النفس، وليس ذلك بمخالف لقوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[(٢)]. لأنه لم يقل ذلك مفتخراً ولا متطاولاً به على الخلق، وإنما قال ذلك ذاكراً للنعمة ومصرفاً بالمنة. وأراد بالسيادة ما يكرم به في القيامة من الشفاعة والله تعالى أعلم.

٥٧١١ ـ **(وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الغلام الذي قتله الخَضِر)** بفتح فكسر، وفي نسخة بكسر فسكون. قال النووي [رحمه الله]: جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، لا سيما عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، وحضوره في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى. وصرح الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بذلك وشذ من أنكره من المحققين. قال الحميري المفسر، وأبو عمرو: هو نبي. واختلفوا في كونه مرسلاً. وقال القشيري: وكثيرون هو ولي. واحتج من قال بنبوّته بقوله: ﴿ما فعلته عن أمري﴾ [الكهف ـ ٨٢]. فدل على أنه أوحى إليه وبأنه أعلم من موسى عليه [الصلاة] والسلام. ويبعد أن يكون الولي أعلم من النبي. وأجاب الآخرون، بأنه يجوز أن يكون قد ألقي إليه بطريق الإلهام، كما ألقي إلى أم موسى في

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥ حديث ٦٠٣٠. والحديث أخرجه مسلم ٤/ ١٨٤٦ حديث رقم ٥٧٦١.

(٢) يأتي في الحديث ٥٧٦١.

الحديث رقم ٥٧١١: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٥٠ حديث رقم (١٧٢/ ٢٣٨٠). وأبو داود ٥/ ٨٠ حديث رقم ٤٧٠٥ والترمذي ٥/ ٢٩٢ حديث رقم ٣١٥٠.

طُبِعَ كافراً،

قوله تعالى: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه﴾ [طه ـ ٣٨ ـ ٣٩]. قلت: فيه أن الوحي إلى أم موسى فيما يتعلق بتدبير خلاص الطفل حالة الاضطرار في أمره، وأما حمل أمر الغلام على الإلهام إلى الولي غير صحيح، إذ لا يصح لأحد من الأولياء أن يقتل نفساً زكية بغير نفس، اعتماداً على الوحي الإلهامي بأنه طبع كافراً. وقد قال الثعلبي المفسر: الخضر نبي معمر محجوب عن أكثر الأبصار. قال: وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. قلت: وقد تقدم أنه يقتله الدجال. ثم ذكر أقوالاً من زمن إبراهيم الخليل عليه [الصلاة] والسلام أم بعده بقليل أو كثير. قلت: ويروى أنه من أولاد آدم، والله [تعالى] أعلم. وفي الجامع الصغير، روى الحرث عن أنس: الخضر في البحر وإلياس في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل[(١)]. وفي الفتاوى الحديثية رواه ابن عدي في الكامل: أن إلياس والخضر عليهما الصلاة والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. ثم قوله[(٢)]: (طبع كافراً) أي خلق الغلام على أنه يختار الكفر، فلا ينافي خبر:

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥١ حديث رقم ٤١٣٣.

(٢) ذكر في اسم الخضر عليه السلام أسماء كثيرة منها: قال وهب بن منبه هو بليا من أبناء سام بن نوح عليه السلام. وقيل اسمه إلياس. وقيل اليسع. وقيل عامر وقيل خضرون. وروى الدارقطني في الافراد عن ابن عباس أنه ابن آدم لصلبه. وذكر أنه ابن قابيل بن آدم عليه السلام. وقيل اسمه أرميا بن طيفاء. وعن ابن لهيعة كان ابن فرعون نفسه وقيل ابن بنت فرعون. وذكر السهيلي عن قوم أنه من الملائكة وليس من بني آدم. وقيل كان يلقب بأبي العباس واختلفوا فيه أهو حي أم مات. فذهب جمهور العلماء والعامة إلى بقائه حكاه ابن الصلاح وقال إنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. وقال النووي رحمه الله أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر اهـ. واستدل القائلون ببقائه بأحاديث عديدة وقال عنها ابن كثير لا يصح منها شيء ومنها حديث التعزية الذي أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وهو في المشكاة حديث رقم ٥٧٩٢.

وروى ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح: أنه رأى وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ثم رآه بعد أن صار شيخاً كبيراً على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أيضاً. قال: فالتفت لأكلمه فلم أره، فوقع في نفسي أنه الخضر. وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رياح بن عبيدة. قال: رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ معتمداً على يديه فلما انصرف قلت له من الرجل؟ قال: رأيت؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلاً صالحاً. ذاك أخي الخضر بشرني أني سأولي وأعدل. لا بأس برجاله. قال ابن حجر في فتح الباري ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وذهب آخرون إلى أنه ليس حياً واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ [الأنبياء ـ ٣٤]. وحديث ابن عباس: «ما بعث الله نبياً إلا =

ولو عاش لأرهَقَ أبويه طغياناً وكفراً».

«كل مولود يولد على الفطرة»(١). إذ المراد بالفطرة استعداد قبول الإسلام، وهو لا ينافي كونه شقياً في جبلته. وقد روى ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً: خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً(٢). وفي الحديث المشهور: أن بعد نفخ الروح في كل مولود يكتب شقي أو سعيد(٣). وعلى طبقه: ﴿**يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد**﴾ [هود ـ ١٠٥]. وقد قال تعالى: ﴿**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم**﴾ [محمد ـ ١٦]. قال القاضي عياض [رحمه الله]: في هذا حجة بينة لأهل السنة وصحة مذهبهم، في أن العبد لا قدرة له على الفعل إلا بارادة الله وتيسيره له، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن للعبد فعلاً من قبل نفسه وقدرة على الهدى والضلال، وفيه أن الذين قضى لهم بالنار طبع على قبولهم وختم عليها وجعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً أو حجاباً مستوراً، وجعل في آذانهم وقرار في قلوبهم مرضاً لتتم سابقته وتمضي كلمته، لأراد لحكمه ولا معقب لأمره وقضائه. وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن أطفال الكفار في النار. قلت: الأولى التفصيل بأن من طبع منهم كافراً يكون في النار، ومن ولد على الفطرة فهو في الجنة. وبه يحصل الجمع بين أقوال الأئمة. ويقارب القول بالتوقف الذي اختاره إمامنا الأعظم والله [تعالى] أعلم. ويدل عليه قوله: (**ولو عاش**) أي ذلك الغلام بأن أدرك الكبر (**لأرهق أبويه**) أي لكلفهما (**طغياناً وكفراً**) أي جعل سبباً لاضلالهما. فالحاصل أن علة قتله مركبة من كونه طبع كافراً، وأنه لو فرض أنه عاش لكان مضلاً فاجراً. قال النووي: لما كان أبواه مؤمنين يكون هو مؤمناً. قلت: فكيف يجوز قتل المؤمن. قال: فيجب تأويله بأن

= أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت بخبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه. وقد قال يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فلو كان الخضر موجوداً لم يصح النفي وقال ﷺ: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني ولا حضره بين يديه وأراه العجائب.

وقد جزم البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر العربي. أنه ليس موجود بعد انقضاء مائة سنة على وفاة الرسول ﷺ.

الحديث المشهور أن النبي ﷺ قال في آخر حياته لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد، وأجابوا عن لقائه مع عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أن ذلك كان قبل انقضاء المائة وللمثبتين روداً تراجع في أماكنها.

وقد اختلفوا فيه أيضاً أهو نبي أم رسول. فذهب قوم إلى أنه رسول وذهب آخرون إلى أنه نبي حكاه ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم وقالت طائفة ومنهم القشيري أنه ولي. ونقل الماوردي في تفسيره أنه ملكاً. والله تعالى أعلم بالصواب. [فتح الباري ٦/ ٤٣٤ ـ تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٠].

(١) متفق عليه وقد مر في المجلد الأول باب القدر.

(٢) ابن عدي ٦/ ٢٢٢١.

(٣) متفق عليه وقد مر في باب القدر.

متفق عليه.

٥٧١٢ ـ (١٥) وعن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «إنما سميَ الخِضرُ لأنه جلس على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتزُّ من خَلْفِه خَضْراءَ». رواه البخاري.

معناه والله [سبحانه] أعلم، أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً ولو عاش لأرهق أبويه. أي غشيهما طغياناً وكفراً. أي طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه. أو معناه حملهما أن يتبعاه فيطغيا. قال ابن الملك: فإن قلت خوف كفر أحد في المآل لا يبيح قتله في الحال، فكيف قتله الخضر من خوف كفره. قلت: يجوز أن يكون ذلك في شرعهم. قلت: تقرير الله تعالى وتقرير موسى صريح في ذلك، بل يدل على جواز مثل ذلك في شرعنا لو علم قطعاً أنه طبع كافراً كما قرره صاحب الشرع في هذا الحديث، فبطل كون الغلام مؤمناً حينئذ إذ لا يجوز قتل المؤمن من غير جنح اجماعاً في جميع الأديان. قال: أو نقول هذا علم لدني وله مشرب آخر غير المعهود في الظاهر، فلا نشتغل بكيفيته. قلت: لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة في أحكام الطريقة، ومن فرق بينهما ممن لم يصل إلى مرتبة الجمع نسب إلى الزندقة. ثم إن الأمر لا يخلو عن أحد شيئين، فإن الخضر أن كان من أهل النبوّة فلا بد أن يكون عمله على وفق الشريعة، وإن كان من أهل الولاية فليس له أن يعتمد على علمه اللدني والهامه الغيبي في مثل هذه القضية العظمى والبلية الكبرى. ثم في الحديث بيان الحكمة في قتل الخضر، وكأنه خرج موضع الاعتذار عنه تصريحاً، بخلاف ما في الآية من الإشارة إلى ذلك تلويحاً. **(متفق عليه)**.

٥٧١٢ ـ **(وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إنما سمي الخضر)** أي خضراً، وفي نسخة بنصبه. أي إنما سمي الرجل المشهور الخضر. **(لأنه جلس على فروة بيضاء)** في النهاية: الفروة الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات. قلت: ومعناهما واحد ومؤداهما متحد. واختار شارح القول الثاني فقال: المراد بالفروة الهشيم اليابس شبهه بالفرو. وقيل: الأرض اليابسة، وقيل: جلدة وجه الأرض. وقيل: قطعة نبات مجتمعة يابسة. قلت: هذا هو الأظهر. وقال الطيبي [رحمه الله]: ولعل الثاني من قولي صاحب النهاية أنسب لأن قوله: **(فإذا هي تهتز من خلفه خضراً)** إما تمييز، أو حال. فكأنه نظر الخضر عليه [الصلاة] والسلام إلى مجلسه ذاك، فإذا هي تتحرك من جهة الخضرة والنضارة انتهى. ولعله قال من خلفه، مع أن النمو والاهتزاز إنما كان في موضع الجلوس من تحته، للإشعار بأن الخضرة زادت عن المجلس إلى انتهاء الفروة البيضاء. ثم قال شارح: قوله خضراً بفتح فكسر مع التنوين، أي نباتاً أخضر ناعماً. وروي على زنة صفراء. قلت: وهو كذلك في أكثر النسخ المضبوطة المعتمدة، لكن لا يخفى أن النسخة الأولى لمناسبة وجه التسمية أولى للجمع بين المبنى والمعنى. **(رواه البخاري)**

الحديث رقم ٥٧١٢: أخرجه البخاري ٦/ ٤٣٣. حديث رقم ٣٤٠٢. والترمذي ٥/ ٢٩٣ حديث رقم ٣١٥١.

٥٧١٣ ـ (١٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى بنِ عمران، فقال له: أَجبْ ربّك». قال: «فلطم موسى عينَ مَلك الموتِ ففقأها». قال: «فرجَعَ الملك إلى الله، فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريدُ الموت، وقد فقأ عيني» قال: فَردَّ الله إليهِ عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياةَ تريد؟ فإن كنتَ تريد الحياةَ فَضَعْ يَدَكَ على متن ثورٍ، فما توارت يدك من شعرة

وأسنده السيوطي بهذا اللفظ بعينه في الجامع الصغير إلى أحمد والشيخين والترمذي عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عباس، والله [تعالى] أعلم(١).

٥٧١٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: جاء ملك الموت)** أي في صورة بشر. **(إلى موسى بن عمران فقال له:)** أي لموسى [عليه الصلاة والسلام] **(أجب ربك)** أي بقبول الموت. والمعنى إني جئتك لأقبض روحك. **(قال:)** أي [النبي ﷺ] (٢) **(فلطم موسى عين ملك الموت)** أي ضربها بباطن كفه **(ففقأها)** بفاء فقاف فهمزة مفتوحات، أي فشقها وقلعها وأعماها. قيل: الملائكة يتصورون بصورة الإنسان، وتلك الصورة بالنسبة إليهم كالملابس بالنسبة إلى الإنسان. واللطمة إنما أثرت في العين الصورية لا في العين الملكية، فإنها غير متأثرة باللطمة وغيرها. قال شارح: وإنما لطمها موسى لإقدامه على قبض روحه قبل التخيير، والأنبياء كانوا مخيرين عند الله آخر الأمر بين الحياة والوفاة، وسيأتي زيادة تحقيق لذلك. **(قال: فرجع الملك إلى الله. فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت فقد فقأ عيني. قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي)** قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: أي فرق بين قول الملك عبد لك على التنكير، وبين قول الله عبدي. قلت: دل قول الملك على نوع طعن فيه حيث نكره، وبينه بقوله: لا يريد الموت. وقوله سبحانه دل على تفخيم [شأنه] وتعظيم مكانه حيث أضافة إلى نفسه رداً عليه. **(فقل: الحياة)** بالنصب على أنه مفعول قوله. **(تريد)** على تقدير الاستفهام قبل الفعل أو المفعول. ويمكن أن يقرأ آلحياة بهمزة ممدودة كما في قوله تعالى: ﴿قل آلذكرين حرم أم الانثيين﴾ [الأنعام ـ ١٤٣]. فالتقدير آلحياة تريد أم الموت. ثم فصله بقوله: **(فإن كنت تريد الحياة)** أي الطويلة إذ المؤبدة غير متصورة في الدنيا لقوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [آل عمران ـ ١٨٥]. **(فضع يدك)** أي واحدة أو اثنتين. **(على متن ثور)** أي على ظهر بقرة. **(فما توارت)** وفي نسخة: فما وارت. **(يدك)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب. وقوله: **(من شعرة)** بيان لما، وفي نسخة من شعره

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٥٥ حديث رقم ٢٥٩٤.

الحديث رقم ٥٧١٣: أخرجه البخاري ٦/ ٤٤٠ حديث رقم ٣٤٠٧. ومسلم ٤/ ١٨٤٢ حديث رقم (١٥٧ ـ ١٥٨/ ٢٣٧٢) وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٤ حديث رقم ٣٦٤٩. والنسائي ٤/ ١١٨ حديث رقم ٢٠٧٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

(٢) في المخطوطة بدل ما بين المعكوفتين لفظ «عليه السلام».

فإِنك تعيش بها سنةً، قال: ثم مَهْ؟ قال: ثمَّ تموت. قال: فالآنَ من قريبٍ، ربِّ أَدْنني من الأرضِ المقدَّسةِ رميةً بحجر». قال رسول الله ﷺ: «والله لو أني عنده لأرَيْتُكم قَبْرهُ إِلى جنب الطريق عندَ الكثيب الأحمر». متفق عليه.

بالضمير، أي من شعر متن الثور. (فإنك تعيش بها) أي بكل شعرة متوارية. (سنة) واعلم أنه يقال: واراه الشيء أي ستره، وتوارى أي استتر. ومنه قوله تعالى: ﴿يتوارى من القوم﴾ [النحل - ٥٩]. فقال شارح: قوله: فما توارت غلط وقع من بعض الرواة في كتاب مسلم. وفي كتاب البخاري: فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. وقال القاضي: قوله: فما توارت يدك هكذا مذكور في صحيح مسلم. ولعل الظاهر فما وارت يدك بالرفع، وأخطأ بعض الرواة. ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه: «فله بما غطت يده بكل شعرة سنة»[1]. ويحتمل أن يكون يدك منصوباً بنزع الخافض، وفي توارت ضمير [رفع] فأنثه لكونه مفسراً بالشعرة. قال الطيبي: قوله: من شعرة بيان ما، والضمير فيه راجع إلى متن ثور، وما وارت يده قطعة منه فأنثه باعتبار القطعة، أي القطعة التي توارت بيدك أو تحت يدك انتهى. وقيل: التاء الأولى زائدة لأن معناه وارت، أي غطت. ذكره الأكمل. (قال:) أي موسى (ثم مه) بفتح الميم وسكون الهاء، وأصله ما حذفت ألفه ووقف عليه بالهاء للتعذر بين الحركة والسكون. قال النووي: هي هاء السكت وما استفهامية، أي ثم ماذا يكون أحياة أم موت. (قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب)أي فأختار الموت في هذه الحالة. (رب أدنني) أمر من الإدناء أي قربني (من الأرض المقدسة) ولعله أراد أفضل مواضعها، وهو المسمى ببيت المقدس الذي كان فيه قبلة الأنبياء. وإلا فالأرض المقدسة تطلق على جميع أراضي الشام. (رمية بحجر) أي كرمية حجر، والمراد السرعة ذكره شارح. والظاهر أن المراد أن يكون التقريب مقدار رمية واحدة بحجر، ولذا قال ابن الملك: أي بمقدار ذلك. أقول: ولعله كان في التيه، فأراد التقرب إلى بيت الرب ولو بمقدار قليل من موضع دعائه، أو من محل مطلوبه. قال النووي [رحمه الله]: وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها، وفضيلة ما فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم من الصالحين. قالوا: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس. قلت: وهذا بعيد جداً إذ لم يقع التفتن بقبر غيره من الأنبياء مع إمكان الفتنة في كل مكان، بل فيه إشارة إلى أن المقبرة ينبغي أن تكون قرب القرية لا داخلها. ولعل عمارة بيوت بيت المقدس كانت حينئذ قريبة إلى محل تربته عليه [الصلاة] والسلام. وعلى كل ففيه استحباب الموت والدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن أرباب الديانة. (قال رسول الله ﷺ: والله لو أني عنده) أي عند بيت المقدس، وأبعد شارح حيث قال: لو أني عند موسى. (لأريتكم قبره إلى جنب الطريق) أي طريق الجادة من بيت المقدس إلى حواليه. (عند الكثيب الأحمر) أي التل المستطيل المجتمع من الرمل (متفق عليه). قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، قالوا: كيف

---

(١) البخاري في صحيحه ٣/ ٢٠٦ حديث رقم ١٣٣٩.

. . . .

يجوز على موسى فقء عين ملك الموت. وأجابوا عن هذا بأجوبة أحدهما، أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه [الصلاة] والسلام قد أذن الله له في هذه اللطمة، وأن يكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما يريد. قلت: ولا يخفى أنه بعيد. والثاني أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة. يقال: فقأ فلان [عين فلان] إذا غلبه بالحجة، قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: فرد الله عليه عينه. فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيداً. والثالث: أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدفعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه وما قصدها بالفقء. وهذا جواب الإمام أبي بكر بن حزم وغيره من المتقدمين، واختاره القاضي عياض: قالوا: وأتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم له بخلاف المرة الأولى. قال ابن الملك في شرح المشارق: فإن قيل: كيف صدر من موسى هذا الفعل، أجيب بأنه متشابه يفوض علمه إلى الله تعالى، وبأن موسى لم يعرف أنه ملك الموت وظن أنه رجل قصد نفسه فدفعه عنها، فأدت مدافعته إلى فقء عينه. وهذا مختار المازري والقاضي عياض. وأنكر الشيخ الشارح يعني الأكمل بأن هذا غير صحيح، لأن الرجل الداخل لم يقصده بالمحاربة حتى يدفعه عنه، بل دعاه إلى الموت وبمجرد هذا القول لا يصدر عن مؤمن صالح مثل هذا الفعل، فما ظنك بموسى عليه [الصلاة] والسلام. وأقول: إن موسى عليه السلام كان في طبعه حدة حتى روي أنه عليه [الصلاة] والسلام «إذا غضب استعلت قلنسوته»، فإذا هجم عليه رجل فدعاه إلى الهلاك عرف أنه لا يكون إلا بالحرب فدفعه قبل قصده. وذا يحتمل أن يكون جائزاً في شرعه، أو لأن موسى عليه الصلاة [والسلام] زعم أنه كاذب حين ادعى قبض روحه لزعمه أن بشراً لا يقبض الروح، فغضب عليه فلطم وكان هذا الغضب لله. وفي الله فلم يكن مذموماً، ولهذا لم يعاتب الله موسى [عليه السلام] حين أخذ رأس هارون ولحيته وكان يجره، مع أن هارون أكبر منه سناً وأجل قدراً عند علماء الأمة. وقد قال ﷺ: «حق كبير الأخوة عليهم كحق الوالد على ولده»(١). قلت: هذا وجه حسن، إلا أن قوله لزعمه غير مستحسن. قال: وما اختاره الشيخ الشارح في الجواب أن موسى عليه [الصلاة] والسلام يحتمل أن يكون مأذوناً في حق اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، فلا يخفى بعده. وفي شرح السنة يجب على المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عرف البشر، فيقع في الارتياب لأنه أمر مصدره قدرة الله تعالى وحكمه، وهو مجادلة جرت بين ملك كريم ونبي كليم كل واحد منهما مخصوص بصفة يخرج بها عن حكم عوام البشر ومجاري عاداتهم، في المعنى الذي خص به، فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما. وقد اصطفى الله تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، فلما دنت وفاته وهو بشر يكره الموت طبعاً لطف الله تعالى به بأن لم يفاجئه بغتة ولم يأمر الملك الموكل به بأن يأخذه قهراً بل أرسله على سبيل الامتحان في صورة بشر. فلما رآه

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢١٠ حديث رقم ٧٩٢٩.

٥٧١٤ ـ (١٧) وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عُرِضَ عَلَيَّ الأنبياءُ فإذا موسى ضَرْبٌ منَ الرجالِ، كأنَّه منْ رجالِ شَنوءَةَ، ورأيتُ عيسى ابنَ مريم فإذا أقربُ مَن رأيتُ به شَبَهاً عروةُ بنُ مسعودٍ، ورأيت إبراهيمَ فإذا أقربُ مَنْ رأيتُ به شبَهاً صاحبُكم ـ يعني نفسَه ـ، ورأيتُ جبريلَ، فإذا أقربُ منْ رأيتُ به شبَهاً دِحيَةُ بنُ خليفةَ». رواه مسلم.

٥٧١٥ ـ (١٨) وعن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي

موسى [عليه الصلاة والسلام] استنكر شأنه [واستو] عر مكانه احتجر منه دفعاً عن نفسه بما كان من صكه إياه، فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية، وقد كان في طبع موسى عليه السلام حدة على ما قص الله علينا من أمره في كتابه من وكزه القبطي وإلقائه الألواح وأخذه برأس أخيه يجره إليه. هذا وقد جرت سنة الدين بدفع كل قاصد سوء. وقد ذكر الخطابي هذا المعنى في كتابه رداً على من طعن في هذا الحديث وأمثاله من أهل البدع الملحدين أبادهم الله تعالى.

٥٧١٤ ـ (**وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: عرض علي**) بصيغة المجهول أي أظهر لدي (**الأنبياء**) وهم أعم من الرسل، وهو إما في المسجد الأقصى في ليلة الإسراء أو في السموات العلى كما يدل عليه الحديث الذي يليه. والمعنى عرض أرواحهم متشكلين بصور كانوا عليها في الدنيا. كذا ذكره ابن الملك تبعاً لشارح من علمائنا وهو الظاهر. وقال القاضي: لعل أرواحهم مثلت له بهذه الصور، ولعل صورهم كانت كذلك، أو صور أبدانهم كوشفت له في نوم أو يقظة. (**فإذا موسى ضرب**) أي نوع (**من الرجال**) وقيل أي خفيف اللحم (**كأنه من رجال شنوءة**) بفتح الشين المعجمة وضم النون فواو ساكنة وهمزة وهاء، ويجوز إبدال الهمزة واو أو إدغامها. وقد قال ابن السكيت: أزد شنوة بالتشديد غير مهموز وهي قبيلة معروفة. والمعنى أنه يشبه واحداً من هذه القبيلة. قال شارح: والشنوءة التباعد من الأدناس على ما ذكره الجوهري، ومنهم أزد شنوءة وهم حي من اليمن ولعلهم لقبوا بذلك لطهارة نسبهم ونظافة حسبهم وحسن سيرتهم وأدبهم. (**ورأيت عيسى ابن مريم فإذا هو أقرب من رأيت به شبهاً**) بفتحتين أي نظيراً (**عروة بن مسعود**) قيل: هو أخو عبد الله بن مسعود وليس بصحيح. (**ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم يعني نفسه**) أي يريد ﷺ بقوله: صاحبكم. نفس ذاته لما ظهر له في مرآته ولما كان جبريل ملازماً للأنبياء لكونه من لوازم الإنباء ذكره في معرض الأنبياء. (**فقال: ورأيت جبريل فإذا أقرب من رأيت به شبهاً حية بن خليفة**) بكسر الدال وقد يفتح وهو من الصحابة، وكان من أجمل الناس صورة (**رواه مسلم**).

٥٧١٥ ـ (**وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي**) بالإضافة، وفي نسخة

الحديث رقم ٥٧١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٣ حديث رقم (٢٧١/ ١٦٧).

الحديث رقم ٥٧١٥: أخرجه البخاري ٦/ ٣١٤. حديث رقم ٣٢٣٩. ومسلم ١/ ١٥١ حديث رقم ٢٦٧/ ١٦٥ وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٤٥.

موسى، رجلاً آدمَ طُوالاً، جعداً كأنَّه من رجالِ شَنوءةَ، ورأيتُ عيسى رجلاً مربوعَ الخلقِ، إلى الحمرةِ والبياضِ، سبِطَ الرَّأسِ، ورأيتُ مالكاً خازنَ النارِ، والدَّجَّالَ في آياتٍ أراهنَّ اللَّهُ إياهُ، فلا تكنْ في مرْيَةٍ من لقائِه».

بالتنوين. أي أبصرت في ليلة أسري بي فيها. (**موسى رجلاً**) أي حال كونه على صورة رجل (**آدم**) أي أسمر شديد السمرة، على ما في النهاية. (**طوالا**) بضم الطاء وتخفيف الواو، أي طويلاً كعجاب مبالغة عجيب[1]. وأما بكسر الطاء فهو جمع طويل. (**جعداً**) هو ضد السبط، فمعناه غير مسترسل الشعر. ولعل انقباض شعره مما يشعر على حدة باطنة من غير شعوره. (**كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق**) أي متوسطاً لا طويلاً ولا قصيراً، ولا سميناً ولا هزيلاً. وفيه إيماء إلى اعتدال مزاجه أيضاً. وقوله: (**إلى الحمرة والبياض**) حال، أي مائلاً لونه إليهما، فلم يكن شديد الحمرة والبياض، بل كان بينهما من البياض المشوب بالحمرة كما كان نعت نبينا ﷺ على ما في الشمائل في الوصفين السابقين. (**سبط الرأس**) بكسر الباء وفتحها أيضاً وقد تسكن. ففي القاموس السبط ويحرك وككتف نقيض الجعد. والمعنى مسترسل شعر الرأس. فهذا يدل على أنه غلب عليه صفة الجمال، كما أنه غلب على موسى نعت الجلال. ونبينا ﷺ لما كان في مرتبة الكمال كان شعره أيضاً في السبوطة والجعودة في غاية من الاعتدال. (**ورأيت مالكاً خازن النار والدجال**) أي ورأيت الدجال (**في آيات**) أي مع علامات (**أراهن الله إياه**) أي النبي ﷺ. يعني رأى النبي ﷺ الدجال مع آيات أخر، أراهن الله النبي ﷺ وما حكاها. وقوله: في آيات أراهن الله إياه. من كلام الراوي أدرجه في الحديث دفعاً لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى أن يختلج في صدورهم. ولو كان من قول النبي ﷺ لقال: أراهن الله إياي. كذا ذكره شارح. والظاهر أن يكون الضمير راجعاً إلى الدجال؛ والمراد بالآيات خوارق العادات التي قدرها الله سبحانه استدراجاً للدجال وابتلاء للعباد على ما تقدم، والله تعالى أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: في آيات، أي رأيت المذكور في جملة آيات، ولعله أراد بها الآيات المذكورة في قوله تعالى: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ [النجم ـ ١٨]. فعلى هذا في الكلام التفات حيث وضع إياه موضع إياي، أو الراوي نقل معنى ما تلفظ به. والظاهر أن قوله: (**فلا تكن في مرية من لقائه**) متعلق بأول الكلام، وهو حديث موسى عليه السلام تلميحاً إلى ما في التنزيل من قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه**﴾ [السجدة ـ ٢٣]. الكشاف قيل: من لقائك موسى عليه [الصلاة] والسلام ليلة الإسراء، فيكون ذكر عيسى وما يتبعه من الآيات على سبيل التبعية والإدماج، أي لا تكن يا محمد في رؤية ما رأيت من الآيات في شك. فعلى هذا الخطاب في قوله [فلا تكن لرسول الله][2] ﷺ، والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوي إلا لفظ إياه. ويشهد له قول الشيخ محيي الدين [رحمه الله] في شرح هذا الحديث: كان قتادة

---

(١) في المخطوطة «طويل».

(٢) هذه العبارة مكانها في المخطوطة ليس هنا بل ما بين كلمتي التبعية والإدماج لكن الصواب ما ذكر والله تعالى أعلم.

متفق عليه.

٥٧١٦ ـ (١٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليلةَ أُسرِيَ بي لقيتُ موسى ـ فنعَتَه ـ فإذا رجلٌ مضطربٌ، رَجِلُ الشعرِ، كأنّه منْ رجالِ شَنوءَةَ. ولقيتُ عيسى رَبْعةً أحمرَ كأنّما خرجَ منْ ديماسَ ـ يعني الحمامَ ـ

يفسرها أن النبي ﷺ قد لقي موسى عليه [الصلاة] والسلام. ووافقه عليه جماعة، منهم مجاهد والكلبي والسدي. ومعناه فلا تكن في شك من لقائك موسى. والشارحون ذهبوا إلى أن قوله: في آيات أراهن الله. من كلام الراوي ألحقه بالحديث دفعاً لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى يختلج في صدورهم. وقال المظهر: الخطاب في فلا تكن، خطاب عام لمن سمع هذا الحديث إلى يوم القيامة، والضمير في لقائه عائد إلى الدجال. أي إذا كان خروجه موعوداً فلا تكن في شك من لقائه. وقال غيره: الضمير راجع إلى ما ذكر أي فلا تكن في شك من رؤية ما ذكر من الآيات إلى يوم القيامة. (**متفق عليه**). وذكر السيوطي الحديث في الجامع الصغير إلى قوله الدجال، وقال: رواه أحمد والشيخان[(١)].

٥٧١٦ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أسري بي**) ظرف مقدم لقوله: (**لقيت موسى فنعته**) أي فوصف موسى فقال في حقه (**فإذا**) أي هو (**رجل مضطرب**) قال القاضي وغيره من الشراح: يريد به أنه كان مستقيم القد حاداً فإن الحاد يكون قلقاً متحركاً كأن فيه اضطراباً. ولذلك يقال: رمح مضطرب إذا كان طويلاً مستقيماً. وقيل: معناه أنه كان مضطرباً من خشية الله تعالى، وهذه صفة النبيين والصديقين كما روي أنه عليه [الصلاة] والسلام كان يصلي ولقلبه أزيز كأزيز المرجل[(٢)]. (**رجل الشعر**) بكسر الجيم ويسكن ويفتح. ففي القاموس شعر رجل وككتف، وجبل بين السبوطة والجعودة. وفي النهاية، أي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما. قلت: الظاهر أن تكون جعودته غالبة على سبوطته لئلا ينافي ما سبق من كون موسى عليه [الصلاة] والسلام جعداً. (**كأنه من رجال شنوءة**) سبق بيانه (**ولقيت عيسى ربعة**) بتسكين الموحدة، ويجوز فتحه على ما ذكره العسقلاني، أي مربوع الخلق. وفي النهاية، أي لا طويل ولا قصير والتأنيث على تأويل النفس. (**أحمر**) أي شديد الحمرة (**كأنه خرج من ديماس**) بكسر الدال وتفتح على ما في القاموس الكن والسرب والحمام. قال الجوهري: فإن فتحت الدال جمعت على دياميس، مثل شيطان وشياطين. وإن كسرتها جمعت على دماميس كقيراط وقراريط. ثم لما كان الديماس له معان قال الراوي: (**يعني**) أي يريد النبي ﷺ به (**الحمام**) قال العسقلاني: هذا في تفسير عبد

---

(١) ٢/ ٣٦٨ حديث رقم ٤٣٨٠.

الحديث رقم ٥٧١٦: أخرجه البخاري ٦/ ٤٢٨. حديث رقم ٣٣٩٤. ومسلم ١/ ١٥٤ حديث رقم (٢٧٢/ ١٦٨) والترمذي ٥/ ٢٨٠ حديث رقم ٣١٣٠.

(٢) النسائي ٣/ ١٣ حديث رقم ١٢١٤.

ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبه وُلده به» قال: «فأتيتُ بإناءَينِ: أحدُهما لبنٌ والآخرُ فيه خمرٌ. فقيلَ لي: خُذْ أيَّهما شئتَ. فأخذتُ اللبنَ فشربتُه، فقيل لي: هُديتَ الفطرةَ، أما إنَّكَ لو أخذتَ الخمرَ غَوَتْ أُمتك». متفق عليه.

الرزاق، والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه، كأنه خرج من حمام وهو عرق. **(ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده)** أي أولاده من نسل ولده إسماعيل، أو مطلقاً. **(به)** أي بإبراهيم صورة، ومعنى. فالمشابهة الصورية عنوان للمناسبة المعنوية، مع أن الولد سر أبيه في مبانيه ومعانيه. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فأتيت بإناءين)** أي أحضرت بهما **(أحدهما لبن)** قال التوربشتي رحمه الله: العالم القدسي يصاغ فيه الصور من العالم الحسي ليدرك بها المعاني، فلما كان اللبن في عالم الحس من أول ما يحصل به التربية ويرشح به المولود صيغ عنه مثال للفطرة التي تتم بها القوة الروحانية، وتنشأ عنها الخاصية الإنسانية. وقال بعضهم: ولم يقل فيه لبن، كأنه جعله لبناً كله تغليباً للبن على الإناء لكثرته، وتكثيراً لما اختاره، ولما كان الخمر منهياً عنه قلله فقال: **(والآخر فيه خمر)** أي خمر قليل **(فقيل لي: خذ أيهما شئت)** أي أي الإناءين، أو أي المشروبين أردته واشتهيته. **(فأخذت اللبن فشربته)** أي لما يدل الأمر بالأخذ على جواز الشرب لأنه المقصود منه، وإنما عرض عليه كلاهما إظهاراً على الملائكة فضله باختياره الصواب. **(فقيل لي: هديت الفطرة)** بصيغة الخطاب مجهولاً، أي فقالت الملائكة: هداك الله إلى الفطرة. وهو يحتمل الإخبار والدعاء، والأوّل أظهر لما سيأتي في آخر الحديث. والمعنى: إنك هديت الفطرة الكاملة الشاملة لاتباعك العالمة العاملة. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بها الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها فإن منها الإعراض تما فيه غائلة وفساد كالخمر المخل بالعقل الداعي إلى الخير الوازع عن الشر المؤدي إلى صلاح الدارين وخير المنزلين، والميل إلى ما فيه نفع حال عن مضرة دنيوية ومعرة دينية كشرب اللبن، فإنه من أصلح الأغذية وأول ما حصل به التربية. وقال ابن الملك: وفي هذا القول له عند أخذ اللبن لطف ومناسبة، فإن اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود، صيغ منه في الغالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوّة الروحانية، بخلاف الخمر فإنها لكونها ذات مفسدة صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية. ولهذا قيل له: **(أما)** بالتخفيف للتنبيه **(إنك لو أخذت الخمر)** أي شربت أو ما شربت. والمعنى لو ملت إليها أدنى الميل **(غوت)** أي ضلت **(أمتك)** أي نوعاً من الغواية المترتبة على شربها، بناء على أنه لو شربها لأحل للأمة شربها فوقعوا في ضررها وشرها. ولما كان هو معصوماً ما لم يقل له: غويت، على ما تقتضيه المقابلة. وفيه إيماء إلى أن استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة أتباعهم لأنهم بمنزلة القلب للأعضاء **(متفق عليه)**.

٥٧١٧ ـ (٢٠) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: سِرْنا مع رسول الله ﷺ بينَ مكة والمدينة، فمررْنا بوادٍ، فقال: «أيُّ وادٍ هذا؟» فقالوا: وادي الأزرقِ. قال: «كأني أنظرُ إلى موسى» فذكر منْ لونِه وشعرِه شيئاً، «واضعاً إصبعَيه في أُذنَيهِ، له جُؤارٌ إلى الله بالتلبيةِ، ماراً بهذا الوادي». قال: ثمَّ سرنا حتى أتَينا على ثنيَّةٍ. فقال: «أيُّ ثنيَّةٍ هذِه؟» قالوا: هَرشي ـ أو لِفت ـ. فقال: «كأني أنظرُ إلى يونسَ على ناقةٍ حمراءَ، عليه جُبَّةُ صوفٍ، خِطامُ ناقتِه خُلبَةٌ، ماراً بهذا الوادي ملبياً».

٥٧١٧ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سرنا)** من السير أي سافرنا **(مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة)** يحتمل من مكة إلى المدينة وبالعكس **(فمررنا بواد فقال: أي واد هذا. فقالوا: وادي الأزرق)** وهو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته. وقيل: منسوب إلى رجل بعينه. **(فقال: كأني أنظر إلى موسى فذكر من لونه وشعره شيئاً)** أي بعضاً من أوصافهما، وهو أن لونه أسمر وشعره جعد على ما سبق **(واضعاً)** أي حال كون موسى واضعاً. **(إصبعيه في أذنيه)** بضم الذال ويسكن والتثنية فيهما على طريق اللف والنشر. **(له)** أي لموسى **(جؤار)** بضم جيم فهمز وقد يبدل، أي تضرع **(إلى الله بالتلبية)** ذكره شارح. وقال الطيبي [رحمه الله]: رفع صوت بها، ولا منع من الجمع. **(ماراً بهذا الوادي)** قال الطيبي [رحمه الله]: واضعاً وماراً حالان مترادفان أو متداخلان من موسى عليه [الصلاة] والسلام، وقد تخلل بينهما كلام الراوي. يعني الراوي عن حاله وهو النبي ﷺ. **(قال:)** أي ابن عباس **(ثم سرنا)** أي ذهبنا **(حتى أتينا على ثنية)** بفتح مثلثة وكسر نون وتشديد تحتية، أي عقبة وهي طريق عال في الجبل أو بين الجبلين. **(فقال: أي ثنية هذه. قالوا: هرشي)** بهاء فراء فشين معجمة فألف مقصورة، تكتب بالياء كسكرى، على طريق الشام والمدينة قرب الجحفة. **(أو لفت)** بكسر اللام وسكون الفاء على ما في أكثر النسخ. وقال الطيبي [رحمه الله]: يروى فيه كسر اللام وإسكان الفاء وفتحها معه وفتحهما. وقال شارح: هرشي ثنية بقرب الجحفة، يقال لها أيضاً: لفت. والشك للراوي. أقول: ويمكن أن يكون أو للتنويع، على أن بعضهم قال: هرشي، وبعضهم: لفت، ولا خلاف في الحقيقة. **(فقال: كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف)** أي للتواضع واختيار الزهد، وهذا مأخذ للصوفية ومن تبعهم من العلماء كالكسائي، ولعله لبسها على غير هيئة المعتاد، أو كان جائز في شرعه [للمحرم] لبس الجبة ونحوها مطلقاً، والله [تعالى] أعلم. **(خطام ناقته)** أي زمامها وزناً ومعنى، وهو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل على خطمه، أي مقدم أنفه وفمه. **(خلبة)** بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وبضمهما فموحدة فهاء، ليفة نخل. **(ماراً بهذا الوادي ملبياً)** حالان من يونس كما تقدم، وفيه إشعار بأن الحج من شعائر الله ومن شعائر أنبيائه أحياء وأمواتاً. فيفيد الترغيب في قصد الحج وما يتعلق به من التلبية الدالة على التوحيد، والهيئة الإحرامية المشعرة إلى التجريد والتفريد والله سبحانه [وتعالى] أعلم. قال النووي [رحمه الله]: فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات، والدار الآخرة ليست

الحديث رقم ٥٧١٧: أخرجه مسلم ١/ ١٥٢ حديث رقم (٢٦٩. ١٦٦). وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٥.

رواه مسلم.

٥٧١٨ ـ (٢١) وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «خُفِفَ على داودَ القرآنُ، فكانَ يأمرُ بدوابِّه فتسرجُ، فيقرأُ القرآنَ قبلَ أنْ تسرجَ دوابُّه،

بدار عمل. الجواب من وجوه أحدها، أنهم كالشهداء بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا[1]، لأنهم وإن كانوا قد توفوا [فهم] في هذه الدنيا التي هي دار العمل، حتى إذا فنيت مدتها وتعتقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل. وثانيهما أن التلبية دعاء من عمل الآخرة. قال تعالى: ﴿**دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين**﴾ [يونس ـ ١٠]. وثالثها: أن تكون هذه رؤية منام في غير ليلة الإسراء، كما قال في رواية ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما: بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة. وذكر الحديث في قصة عيسى[2]. قلت: ورؤيا الأنبياء حق وصدق. قال: ورابعها، أنه ﷺ أري حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم، كما قال ﷺ: كأني أنظر إلى موسى. قلت: الظاهر أن المراد بقوله هذا، استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للإشارة إلى غاية تحققها ونهاية صدقها. قال: وخامسها، أن يكون أخبر عما أوحي إليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم، وإن لم يرهم رؤية عين. قلت: يرده قوله: كأني أنظر إليهما. قال: وهذا آخر كلام القاضي عياض. وفي الحديث دليل على استحباب وضع الإصبع في الأذن عند رفع الصوت بالأذان ونحوه، وهذا الاستنباط والاستحباب يجيء على مذهب من يقول من أصحابنا أو غيرهم إن شرع من قبلنا شرع لنا. قلت: هذا الاستنباط إنما يتم لو قيل باستحباب وضع الإصبعين في الأذنين وقت التلبية، ولا أظن أن أحداً قال بهذا. وأما وضع الإصبع في الأذن حال الأذان فله دليل مستقل ذكر في بابه **(رواه مسلم)**.

٥٧١٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خفف)** أي سهل ويسر **(على داود القرآن)** أي قراءة الزبور وحفظه. **(فكان يأمر بدوابه)** أي لركوبه وركوب أصحابه. **(فتسرج)** أي الدواب، أو فيشرع في سرجها **(فيقرأ القرآن)** أي المقروء وهو الزبور **(قبل أن تسرج دوابه)** وفي النهاية الأصل في هذه اللفظة يعني القرآن الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها مع بعض. وهو مصدر كالغفران والكفران. وقد يطلق على القراءة نفسها. يقال: قرأ قراءة وقرآناً. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿**فإذا قرآناه فاتبع قرآنه**﴾ [القيامة ـ ١٨]. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد بالقرآن الزبور، وإنما قال له القرآن لأن قصد إعجازه من طريق القراءة. وقد دل الحديث

(١) في المخطوطة كلمة سياقها غير مناسب هنا وهي كلمة «فهم».
(٢) مسلم في صحيحه ١/١٥٦ حديث رقم ١٧١.

الحديث رقم ٥٧١٨: أخرجه البخاري ٦/٤٥٣. حديث رقم ٣٤١٧. وأحمد في المسند ٢/٢١٤.

ولا يأكلُ إلاَّ منْ عملِ يدَيهِ». رواه البخاري.

٥٧١٩ - (٢٢) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «كانتِ امرأتانِ معهُما ابناهُما، جاءَ الذئبُ فذهبَ بابنِ إحداهُما، فقالتْ صاحبتُها: إنما ذهبَ بابنِكِ. وقالتِ الأخرى: إنما ذهب بابنكِ، فتحاكمَتا إلى داود، فقَضى به للكُبرى، فخرجَتا على سليمانَ بنِ داودَ، فأخبرتاهُ،

على أن الله تعالى يطوي الزمان لمن يشاء من عباده، كما يطوي المكان لهم. وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الرباني. قلت: حاصله أنه من خرق العادة على اختلاف في أنه بسط للزمان أو طي للسان. والأول أظهر، وقد حصل لنبينا ﷺ في ليلة الإسراء هذا المعنى على الوجه الأكمل في المبنى من الجمع بين طي المكان وبسط الزمان بحسب السمع واللسان في قليل من الآن، ولأتباعه أيضاً وقع حظ من هذا الشأن على ما حكي أن علياً كرم الله [تعالى] وجهه كان يبتدىء القرآن من ابتداء قصد ركوبه مع تحقق المباني وتفهم المعاني، ويختمه حين وضع قدمه في ركابه الثاني. وقد نقل مولانا نور الدين عبد الرحمٰن الجامي قدس الله سره السامي في كتابه نفحات الأنس في حضرات القدس عن بعض المشايخ، أنه قرأ القرآن من حين استلم الحجر الأسود والركن الأسعد، إلى حين وصول محاذاة باب الكعبة الشريفة والقبلة المنيفة، وقد سمعه ابن الشيخ شهاب الدين السهروردي منه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً من أوله إلى آخره قدس الله أسرارهم ونفعنا ببركة أنوارهم. **(ولا يأكل)** أي كان لا يتعيش داود عليه [الصلاة] والسلام. **(إلا من عمل يديه)** كما قال تعالى: **﴿وألنا له الحديد أن اعمل سابغات﴾** [سبأ - ١٠ - ١١]. أي دروعاً واسعات، وفي إيراد يديه بصيغة التثنية إيماء إلى أن عمله كان محتاجاً إلى مباشرة العضوين، فيكون أجره مرتين. فرواية الجامع بيده على صيغة الإفراد، يراد بها الجنس. وقد روى أبو سعيد مرفوعاً على ما رواه ابن لال: أفضل الأعمال الكسب من الحلال[1]. **(رواه البخاري.)** وكذا أحمد.

٥٧١٩ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: كانت امرأتان معهما ابنان)** أي لكل واحدة منهما ابن **(جاء الذئب)** استئناف بيان **(فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها:)** أي رفيقة إحداهما التي ذهب بابنها **(إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك)** ولعل الولدين كانا شبيهين، أو كانت إحداهما كاذبة لكنها تريد أن تستأنس بالموجود بدلاً عن المفقود، أو لأغراض أخر فاسدة وأمكار كاسدة. **(فتحاكمتا)** أي فرفعتا الحكومة **(إلى داود فقضى به)** أي حكم بالولد **(للكبرى)** إما لكونه في يدها على مقتضى القاعدة الشرعية أن صاحبة اليد أولى، أو لأنه أشبه بها على اعتبار علم القيافة كما قال به الشافعي. **(فخرجتا على سليمان [بن داود]** أي] مارتين عليه **(فأخبرتاه)** أي بما سبق من حالهما وتحقق من مآلهما

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٧٩ حديث رقم ١٢٣٨.

الحديث رقم ٥٧١٩: أخرجه البخاري ٦/ ٤٥٨. حديث رقم ٣٤٢٧. ومسلم ٣/ ١٣٤٤ حديث رقم (٢٠/ ١٧٢٠). والنسائي ٨/ ٢٣٥ حديث رقم ٥٤٠٢. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

فقال: ائتوني بالسِّكينِ أشُقَّه بينكما. فقالت الصُّغرى: لا تفعلْ، يرحمُكَ اللَّهُ، هوَ ابنُها، فقضى به للصُّغرى». متفق عليه.

٥٧٢٠ ـ (٢٣) وعنه، قال رسولُ الله ﷺ: «قال سليمانُ: لأطوفَنَّ الليلةَ على تسعينَ

(فقال:) أي لخدمه **(ائتوني بالسكين أشقه)** بفتح القاف المشددة على جواب الأمر، وفي نسخة بالرفع. أي أنا أقطع الولد نصفين **(بينكما)** أي مقسومين. والمعنى أنه على فرض أنكما لم تظهرا لي الصدق في أمره. ولعل الأخرى أيضاً كانت في أول الأمر متعلقة بالولد متمسكة باليد ومع هذا لم يرد حقيقة التنصيف، وإنما صور لهما هذا التصوير توسلاً إلى ما أراد به من ظهور أمارة التأليف. **(فقالت الصغرى: لا تفعل)** أي الشق **(يرحمك الله)** أي كما أوقعني في الرحمة على ولدي **(هو ابنها)** أي رضيت بأنه يكون ابنها وهو حي، ولا أرضى بالشق المفضي إلى موته. **(فقضى به للصغرى)** أي لوجود قرينة الشفقة والرحمة فيها وتحقق القساوة واليبوسة والغفلة، بل دلالة العداوة في الأخرى. قال شارح: واعلم أن قضاءهما حق لكونهما مجتهدين، ومستند قضائهما في هذه القضية هي القرينة. لكن القرينة التي قضى بها سليمان أقوى من حيث الظاهر. وقيل: يحتمل أن قرائن الأحوال كانت في شرعهم بمثابة البينة، يعني ولو كانت إحداهما ذات اليد والله [تعالى] أعلم. وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قالوا: يحتمل أن داود عليه [الصلاة] والسلام قضى به للكبرى لشبه رآه فيهما، أو لكونه كان في يدها. وأما سليمان فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية، وإنما أراد اختبار شفقتهما ليتميز له الأمر لا القطع حقيقة. فلما تميز حكم للصغرى بإقرار الكبرى لا بمجرد الشفقة. قلت: الإقرار لا دلالة للعبارة عليه ولا طريق للإشارة إليه. قال: وقال العلماء: ومثله ما يفعله الحكام ليتوصلوا به إلى حقيقة الصواب. قلت: وقد حقق ابن القيم الجوزي هذا المبحث في كتاب الفراسة في السياسة. قال النووي [رحمه الله]: فإن قيل: كيف نقض سليمان حكم أبيه داود عليه [الصلاة] والسلام، فالجواب من وجوه، أحدها: أن داود لم يكن جزم بالحكم. وثانيها: أن يكون ذلك فتوى من داود لا حكماً. وثالثها: لعله كان في شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه. قلت: وفي كل منها نظر ظاهر. فالوجه أن القرينة الأقوى كانت عندهما بالاعتبار هو الأولى. وأما لو صح إقرار الكبرى بأنه للصغرى فلا إشكال بكل حال، لأن الاقرار بعد الحكم معتبر في شرعنا أيضاً، كما إذا اعترف المحكوم عليه بعد الحكم بأن الحق لخصمه والله [تعالى] أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٧٢٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: قال سليمان: لأطوفن)** الطواف هنا كناية عن الجماع. والمعنى: [والله] لأدورن. **(الليلة)** أي الآتية **(على تسعين**

الحديث رقم ٥٧٢٠: أخرجه البخاري ٦/ ٤٥٤. حديث رقم ٢٨١٩. ومسلم ٣/ ١٢٧٦ حديث رقم (٢٥/ ١٦٥٤). والترمذي ٤/ ٩٢ حديث رقم ١٥٣٢. والنسائي ٧/ ٢٥ حديث رقم ٣٨٣١.

امرأةً - وفي رواية: بمائةِ امرأةٍ - كلهنَّ تأتي بفارس يُجاهدُ في سبيل الله. فقال له الملكُ: قُلْ إن شاء اللَّهُ. فلم يقلْ ونسيَ، فطافَ عليهِنَّ، فلم تحملْ منهنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءتْ بشقِّ رجلٍ، وأيم الذي نفْسُ محمَّدٍ بيدِه، لو قال: إنْ شاء الله، لجاهدوا في سبيلِ الله فرساناً أجمعونَ». متفق عليه.

٥٧٢١ - (٢٤) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانَ زكريَّاءُ

امرأة. وفي رواية: **بمائة امرأة)** قال الحافظ العسقلاني: فيه روايات ستون وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، والجمع أن الستين كن حرائر وما زاد كن سرائر أو بالعكس. وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة وفوق التسعين فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة أتى بالجبر. **(كلهن)** أي كل واحدة. **(تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله)** وهذه نية حسنة إلا أنها غير مبنية على المشيئة. **(فقال له الملك:)** أي الموكل على يمينه أو جبريل أو غيرهما، أو المراد به إبهامه أو إلهامه. **(قل: إن شاء الله. فلم يقل)** أي اكتفاء بما في الجنان عن البيان باللسان **(ونسي)** كعلم، وروي بضم النون وتشديد السين وهو أحسن. أي حصل له النسيان بأن الجمع بين القلب واللسان أكمل عند أرباب الجمع وأصحاب العرفان، أو أراد أن يقول: ونسي. **(فطاف عليهن فلم تحمل منهن)** أي لم تحبل **(إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل)** أي بنصفه أو بعضه حيث عدل عن شق الصواب وصوب الكمال. **(وأيم الذي نفس محمد بيده)** تقدم الكلام على أيم لفظاً ومعنى. وقال التوربشتي [رحمه الله]: هنا الأصل في أيم الله أيمن الله، حذف منه النون وهو اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين. ولم تجيء في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها. وتقديره أيمن الله قسمي، وإذا حذف عنه النون. قيل: أيم الله وإيم الله بكسر الهمزة أيضاً. **(لو قال: إن شاء الله لجاهدوا)** أي لوجدوا وولدوا وكبروا وقاتلوا الكفار. **(في سبيل الله)** أي طريق رضاه **(فرساناً)** حال من ضمير جاهدوا **(أجمعون)** تأكيد للضمير. ومنهم من يرويه أجمعين على الحال. والرواية المعتد بها أجمعون بالرفع. قيل: والحديث يدل على أن من أراد أن يعمل عملاً يستحب أن يقول عقيب قوله: إني أعمل كذا إن شاء الله تعالى. تبركاً وتيمناً وتسهيلاً لذلك العمل. وقد قال تعالى: **﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾** [الكهف - ٢٣ - ٢٤]. **(متفق عليه.)** ولفظ الجامع: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان. والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله. لم يحنث وكان دركاً لحاجته. رواه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة(١).

٥٧٢١ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: كان زكريا)**

---

(١) الجامع الصغير ٢/٣٧٨. حديث رقم ٦٠٨٥.

الحديث رقم ٥٧٢١: أخرجه مسلم ٤/١٨٤٧ حديث (١٦٩/٢٣٧٩). وابن ماجه ٢/٧٢٧ حديث رقم ٢١٥٠. وأحمد في المسند ٢/٢٩٦.

نجّاراً». رواه مسلم.

٥٧٢٢ ـ (٢٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوْلى النّاسِ بعيسى ابنِ مريمَ في الأولى والآخرةِ، الأنبياءُ أُخوَةٌ من علاَّتٍ، وأُمَّهاتُهم شتَّى،

بالقصر ويروى مده (**نجاراً**) أي ينجر الخشبة وينحتها ويأكل من كسب يده. وفيه وفيما قبله من حديث داود عليه [الصلاة] والسلام، دلالة على أن الكسب من سنة الأنبياء، وهو لا ينافي التوكل بترك مراعاة الأسباب في الأشياء، كما فعله بعض الأنبياء وجماعة من أصفياء الأولياء، على خلاف في كون أيهما أفضل عند العلماء. وتحقيقه في كتاب الإحياء. (**رواه مسلم**) وكذا أحمد وابن ماجه.

٥٧٢٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس**) أي أقربهم (**بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة**) أي في الدنيا والعقبى. قال الحافظ ابن حجر: أي أقربهم إليه لأنه بشر بأن يأتي من بعده. ولا منافاة بينه وبين قوله تعالى: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي**﴾ [آل عمران ـ ٦٨]. لأنه هو أولى الناس بإبراهيم من جهة الاقتداء، وأولاهم بعيسى ابن مريم من جهة قرب العهد انتهى. لكن لا يخفى أن مجرد قرب العهد لا يلائمه قوله: ﴿**الأنبياء أخوة**﴾ فالأولى ما قال القاضي [رحمه الله]: من أن الموجب لكونه أولى الناس بعيسى عليه [الصلاة] والسلام أنه كان أقرب المرسلين إليه وأن دينه متصل بدينه، وأن عيسى كان مبشراً به ممهداً لقواعد دينه داعياً للخلق إلى تصديقه. ثم قال: وهذه الجملة استئناف، فيه دليل على الحكم السابق. كان سائلاً سأل عن المقتضي للأولوية فأجاب النبي ﷺ بذلك، وبين أن الأخوّة التي بين الأنبياء ليست بينهم وبين سائر الناس. جعل ذلك كالنسب الذي هو أقرب الأسباب، ثم بقرب زمانه من زمانه واتصال دعوته بدعوته، كما ستجيء الإِشارة إليه والدلالة عليه بقوله: وليس بيننا نبي. فقوله: (**من علات**) بفتح فتشديد، أي هم أخوة من أب واحد. فإن العلة الضرة، وبنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتى. فقوله: (**وأمهاتهم شتى**) أي متفرقة مختلفة، إما تأكيد أو تجريد. والمعنى: كما أن أولاد العلات أمهاتهم مختلفة، فكذلك الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم مختلفة. قال القاضي [رحمه الله] وغيره من الشراح: العلة الضرة مأخوذة من العلل، وهو الشربة الثانية بعد الأولى، وكأن الزوج عل منها بعدما كان ناهلاً من الأخرى، من النهل وهو الشرب الأول. وأولاد العلات أولاد الضرات من رجل واحد. والمعنى: إن حاصل أمر النبوّة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعاً لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق وإرشادهم إلى ما به. ينتظم معاشهم ويحسن معادهم، فهم متفقون في هذا الأصل وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدية والأوعية الحافظة له. فعبر النبي ﷺ عما هو الأصل المشترك بين جميع الأنبياء بالأب ونسبهم

الحديث رقم ٥٧٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤٧٧. حديث رقم ٣٤٤٢. ٣٤٤٣. ومسلم ٤/ ١٨٣٧ حديث رقم (١٤٥ . ٢٣٦٥).

ودينُهم واحدٌ، وليسَ بينَنا نبيٌّ». متفق عليه.

٥٧٢٣ ـ (٢٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ بني آدمَ يطعنُ الشيطانُ

إليه، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الفرض. يعني بحسب الأزمنة والمصالح المتعلقة بالأشخاص المختلفة طبعاً بالأمهات. وهو معنى قوله: وأمهاتهم شتى. فإنهم وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم، فالأصل الذي هو السبب في إخراجهم وإبرازهم كلا في عصره أمره واحد. ولذا قال: **(ودينهم واحد)** وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين لقبوله متمكنين من الوقوف عليه والتمسك به. فعلى هذا المراد بالأمهات، الأزمنة التي اشتملت عليهم وانكشفت عنهم. ولذا قال: **(وليس بيننا)** أي بيني وبين عيسى. **(نبي)** إما مطلقاً أو محمول على نبي ذي شرع، أو على أولي العزم من الرسل. قال ابن الملك [رحمه الله]: أي ليس بيني وبينه نبي، بل جئت بعده. كما قال: ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ [الصف ـ ٦]. قال: وبهذا بطل قول من قال: الحواريون كانوا أنبياء بعد عيسى عليه [الصلاة] والسلام انتهى. وكأنه حمل النفي على الاطلاق. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: الأنبياء إخوة من علات، كما مر استئناف على بيان الموجب لقوله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. فينبغي أن ينزل البيان على المبين، يعني الأنبياء كلهم متساوون فيما بعثوا لأجله من أصول التوحيد، وليس لأحد اختصاص منه. لكن أنا أخص الناس بعيسى لأنه كان مبشراً بي قبل بعثتي وممهداً لقواعد ملتي، ثم في آخر الزمان متابع شريعتي وناصر لديني فكانا واحد. والأولى والآخرة يحتمل أن يراد بهما الدنيا والآخرة، وأن يراد بهما الحالة الأولى وهي كونه مبشراً، والحالة الآخرة وهي كونه ناصراً مقوياً لدينه. فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث. وبين قوله تعالى: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي**﴾ [آل عمران ـ ٦٨]. أي إني أخصهم به وأقربهم فيه، قلت: الحديث وارد في كونه ﷺ متبوعاً والتنزيل في كونه تابعاً، له الفضل تابعاً ومتبوعاً. قال تعالى: ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ [النحل ـ ١٢٣]. وقد مر تفسيره والله [تعالى] أعلم. **(متفق عليه.)** ولفظ الجامع: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي. والأنبياء أولاد علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد. رواه أحمد والشيخان وأبو داود[(١)]. ولا يخفى حسن نظم هذه الرواية المطابق لمراعاة ترتيب الدراية.

٥٧٢٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: كل بني آدم)** فيه تغليب الذكور على الإناث أي كل أولاد آدم. **(يطعن الشيطان)** بفتح العين ويضم من طعنه بالرمح، كمنعه ونصره طعناً ضربه وزجره على ما في القاموس. والمراد هنا المس لما في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٢ حديث رقم ٢٧٠٦.

الحديث رقم ٥٧٢٣: أخرجه البخاري ٦/ ٣٢٧. حديث رقم ٣٢٨٦ ومسلم ٤/ ١٨٣٨ حديث رقم (١٤٧ . ٢٣٦٦).

في جَنبَيهِ بأصبعَيه حينَ يولدُ، غيرَ عيسى ابن مريمَ ذهبَ يطعنُ فطعنَ في الحجابِ». متفق عليه.

٥٧٢٤ ـ (٢٧) وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «كمُل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساءِ إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ آمرأة فرعون،

رواية، فالمعنى أنه يمسه ويصيبه. **(في جنبيه بإصبعيه)** أي السبابة والوسطى. وفي التثنية إشعار بكمال العداوة وإيماء إلى قصد إضلاله في أمر الدنيا والآخرة. **(حين يولد)** أي أول زمن ولادتهم، والإفراد باعتبار لفظ كل. **(غير عيسى ابن مريم)** أي لدعوة حنة جدته في حق أمه بقولها: ﴿**وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**﴾ [آل عمران ـ ٣٦]. **(ذهب)** أي أراد الشيطان وشرع وطفق. **(يطعن)** أي في جنبي عيسى **(فطعن في الحجاب)** أي فأوقع الطعن في المشيمة، وهي ما فيه الولد، فلم يتأثر من مسه عيسى. قال الطيبي [رحمه الله]: وهذا يدل على أن المس في قوله: «ما من مولوداً لا يمسه الشيطان». على الحقيقة كما مر في الوسوسة. قلت: وتمام الحديث: حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها(١) [عليهما الصلاة والسلام]. فكان الراوي اقتصر في هذا الحديث على ذكر عيسى عليه [الصلاة] والسلام لأنه المقصود الأصلي في المرام، أو خص بعيسى نظراً إلى بعض القيود في الكلام. **(متفق عليه.)** وأسنده السيوطي في الجامع إلى البخاري، وقال: لفظ مسلم: كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها(٢).

٥٧٢٤ ـ **(وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: كمل)** بضم الميم، وفي نسخة بفتحها ويجوز كسرها. ففي القاموس كمل كنصر وكرم وعلم. وقال ابن الملك في شرح المشارق: في كمل ثلاث لغات، لكن كسر الميم ضعيف. أقول: الصحيح الضم لموافقته المعنى اللازمي، أي صار كاملاً، أو بلغ مبلغ الكمال. **(من الرجال كثير)** أي كثيرون من أفراد هذا الجنس حتى صاروا رسلاً وأنبياء وخلفاء وعلماء وأولياء. **(ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون)** والتقدير: إلا قليل منهن. ولما كان ذلك القليل محصوراً فيهما باعتبار الأمم السابقة، نص عليهما بخلاف الكمل من الرجال. فإنه يبعد تعدادهم واستقصاؤهم بطريق الانحصار سواء أريد بالكمل الأنبياء أو الأولياء. قال الحافظ ابن حجر: استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان لأن أكمل الإنسان الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء. فلو كانتا غير نبيتين للزم أن لا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة غيرهما. وقال الكرماني: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما، لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه. فالمراد ببلوغهما

---

(١) متفق عليه وقد مر في باب الوسوسة.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٩٢ حديث رقم ٦٢٨٩ وحديث رقم ٦٢٩٠.

الحديث رقم ٥٧٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٤٦. حديث رقم ٣٤١١. ومسلم ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم (٧٠/ ٢٤٣١) وأخرجه الترمذي ٤/ ٢٤٢ حديث رقم ١٨٣٤. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٠٩١ حديث رقم ٣٢٨٠. وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٤.

وفَضْلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعام».

إليه في جميع الفضائل التي للنساء. قلت: لا يخفى أن هذا المقال لا يندفع به الإشكال، إلا أن يقال: لا يلزم من كمال المرأة أكمليتها حتى تلزم النبوة، بل يكفي لحصول الكمال وصولها للولاية. ففائدة ذكرهما بطريق الحصر اختصاصهما بكمال لم يشركهما فيه أحد من نساء زمانهما، أو من نساء الأمم المتقدمة، أو مطلقاً غير مقيد. وذلك لما نقل العلماء من الاجماع على عدم نبوة النساء ولما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً**﴾ [يوسف - ١٠٩]. لكن نقل عن الأشعري نبوة حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم وهذا إنما يصح بناء على الفرق بين النبي والرسول والله [تعالى] أعلم. وقال ابن الملك في شرح المشارق في الجواب عن الإيراد السابق: قلنا: الكمال في شيء يكون حصوله للكامل أولى من غيره، والنبوة ليست أولى بالنساء لأن مبناها على الظهور والدعوة، وحالهن الاستتار. فلا تكون النبوة في حقهن، كمالاً بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريبة من النبوة انتهى. ولا يخفى أنه إنما يتم على القول بترادف النبوة والرسالة، وإلا فعلى الفرق بينهما كما عليه الجمهور من أن الرسول مأمور بالتبليغ بخلاف النبي، فلا يلزم من النبوة عدم التستر مع أن الرسالة أيضاً لا تنافي الستارة كما لا يخفى والله [تعالى] أعلم. (**وفضل عائشة على النساء**) أي على جنسهن من نساء الدنيا جميعهن، أو على النساء المذكورات، أو على نساء الجنة، أو على نساء زمانها، أو على نساء هذه الأمة، أو على الأزواج. الطاهرات (**كفضل الثريد على سائر الطعام**) قال الطيبي [رحمه الله]: يعطف عائشة على آسية، لكن أبرزه في صورة جملة مستقلة تنبيهاً على اختصاصها بما امتازت بها عن سائرهن. نحوه في الأسلوب قوله ﷺ: «حبب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة»(١). قلت: وسيأتي ما يدل على خلاف ذلك، مع أن لفظ ثلاث غير ثابت في الحديث. قال التوربشتي [رحمه الله]: قيل: إنما مثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ولا يرون في الشبع أغنى غناء منه. وقيل: إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم. وروي: «سيد الطعام اللحم»(٢). فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة. والسر فيه، أن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ وسرعة المرور في المريء. فضرب به مثلاً ليؤذن بأنها أعطيت مع [حسن] الخلق والخلق وحلاوة النطق فصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل، والتحبب إلى البغل. فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها، وحسبك أنها عقلت عن النبي ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء، وروت ما لم يرو مثلها من الرجال. ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عندهم وألذها قول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

---

(١) أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٣٩.

(٢) أبو نعيم في الطب ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٩٢ حديث رقم ٤٧٥٧ ولفظه «سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم».

. . . .

وقد اختلفوا في التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة. قال الأكمل، روي عن أبي حنيفة، إن عائشة بعد خديجة أفضل نساء العالمين. أقول: فهذا يحتمل تساوي خديجة وعائشة، لكون الأولى من العرفاء السوابق، والثانية من الفضلاء اللواحق. وقال الحافظ ابن حجر: فاطمة أفضل من خديجة وعائشة بالإجماع، ثم خديجة ثم عائشة. وقال السيوطي [رحمه الله]: في النقاية: وشرحها ونعتقد أن أفضل النساء مريم وفاطمة. روى الترمذي وصححه: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد [عليه السلام] وآسية امرأة فرعون»[(١)]. وفي الصحيحين من حديث علي: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»[(٢)]. وفي الصحيح: «فاطمة سيدة نساء هذه الأمة»[(٣)]. وروى النسائي عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ قال: هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم علي ويبشرني أن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة، وأمهما سيدة نساء أهل الجنة»[(٤)]. وروى الحارث بن أبي أسامة مسنده بسند صحيح لكنه مرسل. مريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها. ورواه الترمذي موصولاً من حديث علي بلفظ: «خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة»[(٥)]. وفي الدر المنثور أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون». وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء العالمين بعد مريم ابنة عمران»[(٦)]. قال السيوطي: وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة. قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية وخديجة، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وفي لفظ: إلا ثلاث: مريم وآسية وخديجة. وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها لوقف. قلت: وصحح العماد بن كثير أن خديجة أفضل لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت: «قد رزقك الله خيراً منها. فقال: لا والله ما رزقني الله خيراً منها، آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس». وسئل ابن داود فقال: عائشة أقرأها السلام النبي ﷺ من جبريل، وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها. فهي أفضل على لسان محمد. فقيل له: فأي أفضل فاطمة أم أمها. قال: فاطمة بضعة النبي ﷺ فلا نعدل بها أحداً. وسئل السبكي فقال: الذي نختاره وندين الله به، أن فاطمة بنت محمد [عليه السلام] أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة. ثم استدل لذلك. وعن ابن العماد،

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٦٦٠ حديث رقم ٣٨٧٨ وقال صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٣ حديث رقم ٣٨١٥. ومسلم ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم ٢٤٣٠.

(٣) البخاري تعليقاً ٧/ ١٠٥. كتاب فضائل الصحابة.

(٤) أخرجه الترمذي ٥/ ٦١٩ حديث رقم ٣٧٨١ والنسائي في الكبرى.

(٥) لم أجده عند الترمذي والله تعالى أعلم.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٨٨ حديث رقم ٣٢٢٧٣.

متفق عليه.

وذكر حديث أنس: «يا خير البرية». وحديث أبي هريرةَ: «أي الناس أكرم». وحديث ابن عمر: «الكريم ابن الكريم». في «باب المفاخرة والعصبيَّة».

الفصل الثاني

٥٧٢٥ ـ (٢٨) عن أبي رزين. قال: قلت: يا رسول الله! أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماءٍ،

أن خديجة أفضل من فاطمة باعتبار الأمومة لا السيادة والله تعالى أعلم. **(متفق عليه.)** وفي رواية الجامع، تقديم آسية على مريم وزيادة: وإن فضل عائشة الخ. رواه أحمد. والشيخان والترمذي وابن ماجه. **(وذكر حديث أنس: يا خير البرية)** أي قال أعرابي للنبي ﷺ: يا خير البرية. فقال: ذاك إبراهيم **(وحديث أبي هريرة: أي الناس أكرم)** تمامه: فقال النبي ﷺ: «أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»؛ الحديث. قال شارح: أي إذا لم تسألوني عن هذا، فأكرم الناس في زمانه يوسف. قلت: أو في النسب والحسب كما يدل عليه تعداد آبائه وأجداده. **(وحديث ابن عمر: الكريم ابن الكريم)** تمامه: ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. **(في باب المفاخرة والعصبية)**.

(الفصل الثاني)

٥٧٢٥ ـ **(عن أبي رزين)** قال المؤلف: هو لقيط بن عامر بن صبرة، بفتح اللام وسكون القاف، وصبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة. عقيلي صحابي مشهور عداده في الطائف. روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيرهما. **(قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه)** لا شك أن المكان مع الزمان من جملة خلقه معدودان، فلولا التأويل بحسب الإمكان لأول السؤال، وآخره يتعارضان. وسيجيء بيان كشف المعنى من الشراح الأعيان. **(قال: كان في عماء)** بفتح العين ممدوداً، أي في غيب هوية الذات بلا ظهور مظاهر الصفات كما عبر عنه بقوله [تعالى]: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف». وفي قوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** [الذاريات ـ ٥٦]. إشارة إليه ودلالة عليه على تفسير حبر الأمة، أي ليعرفون. قال الشيخ علاء الدولة في كتابه العروة: فأثبت تجلي الذات أولاً بقوله: كنت كنزاً مخفياً. ثم تجليه بالصفة الأحدية بقوله: أحببت أن أعرف. ثانياً، ثم تجليه

الحديث رقم ٥٧٢٥: أخرجه الترمذي ٥/ ٢٦٩ حديث رقم ٣١٠٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٤ حديث رقم ١٨٢.

ما تحته هواءٌ، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء».

بالصفة الواحدية بقوله: فخلقت الخلق لأعرف. ثالثاً. وفي اصطلاحات الصوفية للكاشي: العماء هي الحضرة الأحدية عندنا لأنه لا يعرفها أحد غيره، فهو في حجاب الجلال. أقول: ولعله أراد بالأحدية أحدية الجمع فإنها بين غيب الغيوب وبين أحدية الصرفة، فإنها بين أحدية الجمع وبين الواحدية، وهذه البينونة بالنسبة إلى العلو والسفل. وهذا القول هو الصحيح، لأن العماء في اللغة غيم رقيق يحول بين السماء والأرض، وكذلك الأحدية الصرفة حائلة بين سماء الذات وأرض الكثرة الأسمائية. ثم قال: هي الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات، لأن العماء هو الغيم الرقيق، والغيم هو الحائل بين السماء والأرض؛ وهذه الحضرة الواحدية هي الحائلة بين سماء الأحدية الصرفة وبين أرض الكثرة الخلقية. وقد جعل العارف الجامي شرحاً على هذا الحديث الشريف، فإن كنت تريد التحقيق فعليك بذلك التصنيف؛ فقد علم كل أناس مشربهم، وتبع كل فريق مذهبهم. هذا وفي الفائق العماء هو السحاب الرقيق. وقيل: السحاب الكثيف المطبق. وقيل: شبه الدخان يركب رأس الجبال. وعن الجرمي: الضباب. وفي النهاية: العماء بالفتح والمد السحاب. وفي القاموس: هو السحاب المرتفع أو الكثيف أو المطر الرقيق أو الأسود أو الأبيض، أو هو الذي هراق ماؤه. ولا شك أن واحداً من هذه المعاني لا يناسب المقام التبياني، إلاّ أن يقال: إن السحاب كناية عن حجاب الجلال. وهو عبارة عن حجاب الذات الباعث على سر الصفات المتعلقة بالعلويات والسفليات. ولذا قال أبو عبيد: لا يدري أحد من العلماء كيف كان ذلك العماء. وفي رواية: عمى. بالقصر. وهو ذهاب البصر. فقيل: هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف ولا يدركه الفطن. قال الأزهري: نحن نؤمن به ولا تكيفه بصفة، أي نجري اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل مع التنزيه عما لا يجوز عليه من الحدوث والتبديل. **(ما تحته هواء وما فوقه هواء)** ما، نافية فيهما. وفيه إشارة إلى ما سبق في الحديث: كان الله ولم يكن معه شيء. قال القاضي: المراد بالعماء ما لا تقبله الأوهام ولا تدركه العقول والأفهام. عبر عن عدم المكان بما لا يدرك ولا يتوهم، وعن عدم ما يحويه ويحيط به بالهواء. فإنه يطلق ويراد به الخلاء الذي هو عبارة عن عدم الجسم ليكون أقرب إلى فهم السامع. ويدل عليه، أن السؤال عما خلق قبل أن يخلق خلقه. فلو كان العماء أمراً موجوداً لكان مخلوقاً، إذ ما من شيء سواه إلاّ وهو مخلوق خلقه وأبدعه. فلم يكن الجواب طبق السؤال والله [تعالى] أعلم بالحال. وقيل: في الكلام حذف مضاف كما في قوله تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله**﴾ [البقرة ـ ٢١٠]. ونحوه، فيكون التقدير. أين كان عرش ربنا. ويدل عليه قوله: وخلق عرشه على الماء، المطابق لقوله سبحانه: ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾ [هود ـ ٧]. لأنه لو لم يكن السؤال عن العرش لما كان حاجة للتعرض إليه. وقال الطيبي [رحمه الله]: لم يفتقر إلى التقدير ولا بد لقوله: في عماء، بالمد من التأويل حتى يوافق الرواية الأخرى، عمي مقصوراً، وما ورد في الصحاح عن عمران بن حصين: «كان الله ولم يكن

رواه الترمذي وقال: قال يزيد بن هارون: العماء: أي ليس معه شيء.

٥٧٢٦ ـ (٢٩) وعن العبَّاس بن عبد المطلب، زعم أنه كان جالساً في البطحاء في عصابة ورسول الله ﷺ جالسٌ فيهم، فمرت سحابة، فنظروا إليها، فقال رسول الله ﷺ: «ما تسمُّون هذه؟».

شيء قبله وكان عرشه على الماء»[1]. وذلك أن قوله: ما تحته هواء وما فوقه هواء. جاء تتميماً صوناً لما يفهم من قوله: في عماء، من المكان. فإن الغمام المتعارف محال أن يوجد بغير هواء، فهو نظير قوله: كلتا يديه يمين. على ما سبق. فالجواب من الأسلوب الحكيم سئل عن الإمكان، فأجاب عن الإمكان، يعني إن كان هذا مكاناً فهو في مكان، وهو ارشاد له في غاية من اللطف. **(رواه الترمذي. وقال: قال يزيد بن هارون)**. وهو أحد مشايخ شيوخ الترمذي من رواة هذا الحديث. **(العماء)** أي يعني معناه **(ليس معه شيء)** وفيه إيماء إلى كلام بعض العارفين في هذا الشأن: كان الله ولم يكن معه شيء والآن على ما هو عليه كان. وإشارة إلى قوله تعالى: **﴿كل من عليها فان﴾**.

٥٧٢٦ ـ **(وعن العباس بن عبد المطلب زعم)** أي نقل **(أنه)** أي العباس **(كان جالساً بالبطحاء)** أي في المحصب وهو موضع معروف بمكة فوق مقبرة المعلا، وقد تطلق على مكة. وأصل البطحاء على ما في القاموس: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. **(في عصابة)** بكسر أوّله، أي مع جماعة من كفار مكة. قال الطيبي [رحمه الله]: استعمال زعم ونسبته إلى [العباس][2] رمز إلى أنه لم يكن حينئذ مسلماً، ولا تلك العصابة كانوا مسلمين، يدل عليه قوله: في البطحاء. قلت: وكان وجه دلالته عليه أنه كان غالباً مجتمع الكفار ومجمع رأيهم في تلك الدار. ومن جملة ما اتفق مشايخ العرب عليه في ذلك المكان أنهم يهجرون بني هاشم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يجالسونهم حتى يتركوا نصرة محمد ﷺ وحمايته، كما هو في السير معروف. ولذا لما حج النبي ﷺ حجة الوداع نزل به عند نزوله من منى، إشارة إلى ما من الله عليه بالغلبة على أعداء الدين، وإيماء إلى إعلاء كلمة اليقين. هذا وحديث أبي هريرة في الفصل الثالث[3] مما يدل صريحاً أن تلك العصابة كانوا مسلمين. وأما زعم فكثيراً يستعمل بمعنى القول المحقق والله [تعالى] أعلم. **(ورسول الله ﷺ جالس فيهم)** أي حينئذ وهذا يحتمل أن يكون قبل القضية المذكورة، أو بعد القصة المسطورة بعد ما وقع فيما بينهم من الهدنة. **(فمرت سحابة فنظروا إليها. فقال رسول الله ﷺ: ما تسمون هذه)** ما استفهامية بمعنى التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار. والمقصود التثبيت ضد الانكار،

---

(١) راجع الحديث رقم ٥٦٩٨.

الحديث رقم ٥٧٢٦: أخرجه أبو داوذ في السنن ٥/ ٩٣ حديث رقم ٤٧٢٣. وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٩٥ حديث رقم ٣٣٢٠. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٩ حديث رقم ١٩٣. وأحمد في المسند ١/ ٢٠٦.

(٢) نسب في المخطوطة الحديث إلى «ابن عباس» والصواب نسبته إلى العباس.

(٣) يأتي في الحديث رقم ٥٧٣٥.

قالوا: السّحاب. قال: «والمزن؟» قالوا: والمزن. قال: «والعنان؟». قالوا: والعنان. قال: «هل تدرون ما بعد ما بين السَّماء والأرض؟». قالوا: لا ندري. قال: «إِن بعد ما بينهما إِما واحدةً وإِما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء التي فوقها كذلك». حتى عدَّ سبع سماوات. ثم «فوق السماءِ السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إِلى سماءٍ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعالٍ بين أظلافهن ووركهن مثل ما بين سماءٍ إِلى سماءٍ، ثم على ظهورهِن العرشُ، بين أسفله وأعلاه ما بين سماءٍ إِلى سماءٍ، ثم الله فوق ذلك».

أي أي شيء تسمون هذه، إشارة إلى السحابة. وهو مفعول ثان لتسمون والأوّل لفظة ما. **(قالوا: السحاب)** بالنصب أن نسميه السحاب، ويجوز رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هي السحاب. والمعنى أن هذه واحدة من جملة جنس السحاب. **(قال: والمزن)** أي وتسمونها أيضاً المزن **(قالوا: والمزن)** أي نسميها أيضاً، ففي النهاية: هو الغيم والسحاب واحدته مزنة. وقيل: هي السحابة البيضاء. زاد البيضاوي وماؤه أبيض ومنه قوله تعالى: **﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾** [الواقعة ـ ٦٩]. **(قال: والعنان. قالوا: والعنان)** كسحاب زنة، ومعنى من عنّ أي ظهر. وفي النهاية: الواحدة عنانة. وقيل: ما عن لك فيها، أي اعترض وبدا لك إذا رفعت رأسك. وحاصله أنه ﷺ لما لاطفهم في الكلام وبيّن لهم معرفته بلغاتهم المختلفة في مقام المرام تدريجاً بالانتقال من معلومهم إلى مجهولهم وترقياً من الخلق إلى الحق. **(قال: هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض)** أي ما مقدار بعد مسافة ما بينهما **(قالوا: لا ندري. قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة)** الشك من الراوي كذا قيل، وللتنويع لاختلاف أماكن الصاعد والهاوي. وبهذا يظهر صحة ما قال الطيبي [رحمه الله]: والمراد بالسبعون في الحديث التكثير لا التحديد، لما ورد: من أن ما بين السماء والأرض وبين سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، أي سنة. والتكثير هذا أبلغ والمقام له أدعى. **(والسماء)** بالرفع ويجوز النصب **(التي فوقها)** أي فوق سماء الدنيا. **(كذلك)** أي في البعد **(حتى عد سبع سموات)** أي على هذه الهيئات. **(ثم فوق السماء السابعة بحر)** أي عظيم **(بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك)** أي البحر **(ثمانية أوعال)** جمع وعل وهو العنز الوحشي. ويقال له: تيس شاة الجبل. **(بين أظلافهن)** جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة للبقر والشاة، والظبي بمنزلة الحافر للدابة، والخف للبعير. **(ووركهن)** بفتح فكسر، أي ما فوق أفخاذهن. **(مثل ما بين سماء إلى سماء)** قيل: المراد بهن ملائكة على أشكال أوعال، ويلائمه قوله: **(ثم على ظهورهن العرش)** أي محمول. كما قال تعالى: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾** [غافر ـ ٧]. **(بين أسفله)** أي العرش **(وأعلاه ما بين سماء إلى سماء)** أي من كثرة البعد، مع قطع النظر عن الحد وإلاّ فجميع المخلوقات بجنب العرش كحلقة في فلاة، على ما ورد به في حديث. **(ثم الله)** أي وسعة علمه أو اتساع قدرته في ملكه. **(فوق ذلك)** قال الطيبي [رحمه الله]: أراد ﷺ أن يشغلهم عن السفليات إلى العلويات والتفكر في ملكوت السموات والعرش، ثم يترقوا إلى معرفة خالقهم ورازقهم ويستنكفوا عن عبادة الأصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام. فأخذ في الترقي من السحاب ثم من السموات ثم من

رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٧٢٧ ـ (٣٠) وعن جبير بن مطعم، قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ، فقال: جُهِدَت الأنفس، وجاع العيال، ونُهِكَت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق اللَّهَ لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله». فما زال يسبّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك إِنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله

البحر ثم من الأوعال، ثم من العرش إلى ذي العرش، والفوقية بحسب العظمة لا المكان. فالمعنى أنه على الشأن عظم البرهان. وقال شارح: أي فوق العرش حكماً وعظمة واستيلاء. **(رواه الترمذي وأبو داود)**.

٥٧٢٧ ـ **(وعن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ)** أي جاءه **(أعرابي)** أي بدوي **(فقال: جهدت الأنفس)** بصيغة المجهول من الجهد بفتح الجيم، المشقة. وبضمها الطاقة. والمعنى: حملت فوق طاقتها. **(وجاع العيال)** عيال الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والأولاد والعبيد وغير ذلك. **(ونهكت)** بضم النون وكسر الهاء، أي نقضت. **(الأموال)** أي التي تنمو من الأمطار **(وهلكت الأنعام)** وهو جمع نعم محركة الإبل والبقر والغنم، كما أخبر الله عنها بقوله: ﴿**ثمانية أزواج**﴾ [الأنعام ـ ١٤٣]. **(فاستسق الله لنا)** أي فاطلب الله للسقي بالمطر من أجل معاشنا الذي هو زاد معادنا. **(فإنا نستشفع)** أي نطلب الشفاعة. **(بك)** أي بوجودك وحرمتك وبعظمتك. **(على الله ونستشفع بالله)** أي نستجير ونستغيث به. **(عليك)** في أن تشفع لنا عنده بأن يوفقك على مساعدتنا. لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهماً للتساوي في القدر أو التشارك في الأمر والحال أن الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقاً، وقال تعالى: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ [آل عمران ـ ١٢٨]. وقال: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ [البقرة ـ ٢٥٥]. وقال: ﴿**ولا يشفعون إلا لمن ارتضى**﴾ [الأنبياء ـ ٢٨]. أنكر النبي [ﷺ] واستعظم الأمر لديه وتعجب من هذه النسبة إليه. **(فقال النبي ﷺ: سبحان الله)** أي تنزيهاً عن المشاركة. **(سبحان الله)** كرره تأكيداً، أو ذكر الثاني تعجباً وتعجيباً. **(فما زال يسبح حتى عرف ذلك)** بصيغة المجهول، أي حتى تبيّن أثر ذلك التغير. **(في وجوه أصحابه)** لأنهم فهموا من تكرير تسبيحه، أنه ﷺ غضب من ذلك فخافوا من غضبه، فتغيرت وجوههم خوفاً من الله تعالى. فلما أثر فيهم الخوف رق لهم وقطع التسبيح والتفت إليهم. **(ثم قال: ويحك)** بمعنى ويلك، إلا أن الأول فيه معنى الشفقة عن المزلة والمزلقة. والثاني دعا عليه بالهلكة والعقوبة. والمعنى: اعلم أيها المتكلم الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه. **(أنه)** أي الشأن **(لا يستشفع)** بصيغة المجهول. **(بالله على أحد شأن الله)** استئناف تعليل، أي لأنه

الحديث رقم ٥٧٢٧: أخرجه أبو داود ٥/ ٩٤ حديث رقم ٤٧٢٦. والنسائي ٣/ ١٦ حديث رقم ١٥٢٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٦

أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبَّة عليه «وإنه ليئطُّ أطيط الرحل بالراكب». رواها أبو داود.

٥٧٢٨ - (٣١) وعن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «أُذن لي أن أحدِّث عن ملكٍ من ملائكة الله من حمَلة العرشِ، أن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه

شأنه العلي وبرهانه الجلي. (**أعظم من ذلك**) أي من أن يستشفع به على أحد. قال الطيبي: يقال: استشفعت بفلان على فلان ليشفع لي إليه فشفعه أجاب شفاعته. ولما قيل: إن الشفاعة هي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه إلى ذي سلطان عظيم منيع ﷺ أن يستشفع بالله على أحد. وقوله ذلك إشارة إلى أثر هيبة أو خوف استشعر من قوله: سبحان الله، تنزيهاً عما نسب إلى الله تعالى من الاستشفاع به على أحد وتكراره مراراً. (**ويحك**) كرره تأكيداً لزجره وتبييناً لأمره. (**أتدري ما الله**) أي عظمته التي تدل على عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته. (**إن عرشه على سموانه**) أي محيط بها من جميع جهاته (**لهكذا**) بفتح اللام الابتدائية، دخلت على خبر أن تأكيداً للحكم. (**وقال بأصابعه**) أي أشار بها وفعلاً بيان للمشار إليه قولاً: (**مثل القبة عليه**) حال من العرش، أي مماثلاً لها على ما في جوفها. قال الطيبي [رحمه الله]: هو حال من المشار به، وفي قال: معنى الإشارة، أي أشار بأصابعه إلى مشابهة الهيئة وهي الهيئة الحاصلة للأصابع الموضوع على الكف مثل حالة الإشارة. (**وإنه**) أي العرش مع ما وصف به من المجد والكرم والسعة والعظمة. (**ليئط**) بكسر الهمز وتشديد المهملة، أي ليتضايق ويعجز عن القيام. (**به**) أي بحق معرفته وعن سعة علمه وإحاطة عظمته حيث يئط لما يرتكبه، ويرتعد مما يركبه من أعباء جلاله وهيبته. (**أطيط الرحل بالراكب**) أي كعجز الرحل عن احتمال الراكب. في النهاية: أي أن العرش ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله. قال الخطابي: هذا الكلام إذا أجري على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله سبحانه وصفاته منفية، فعلم أنه ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى في النفوس وإفهام السائل من حيث يدركه فهمه، إذ كان أعرابياً جافياً لا علم له بمعاني ما دق من الكلام، وقرر بهذا التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله وجلاله في نفس السائل، وأن من يكون كذلك لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه. أقول: ويمكن أن معنى يئط يصوّت بالتسبيح والتنزيه من عظمة الله وآياته حيث تحير حملة العرش من معرفة ذاته وصفاته. كصوت الرجل الجديد بالراكب الثقيل الشديد والله [تعالى] أعلم بالقول السديد. (**رواه أبو داود**).

٥٧٢٨ - (**وعن جابر بن عبد الله عن رسول قال: أذن لي أن أحدث عن ملك**) أي عن وصف ملك عظيم (**من ملائكة الله**) أي المعظمين لقوله: (**من حملة العرش**) فإنهم أقوى من غيرهم لأن المطايا على قدر العطايا. (**أن**) بفتح الهمزة ويكسر (**ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه**)

الحديث رقم ٥٧٢٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٦ حديث رقم ٤٧٢٧.

مسيرةَ سبعمائة عام». رواه أبو داود.

٥٧٢٩ ـ **(٣٢)** وعن زرارة بن أوفى، أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل: «هل رأيت ربَّك؟ فانتفض جبريل وقال: يا محمَّد! إِن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو دنوت من بعضها لاحترقت». هكذا في «المصابيح».

٥٧٣٠ ـ **(٣٣)** ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس إِلا أنه لم يذكر: «فانتفض جبريل».

٥٧٣١ ـ **(٣٤)** وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِن الله خلق إِسرافيل،

ورواية الجامع بصيغة الإفراد فيهما. **(مسيرة سبعمائة عام)** يعني فقس الباقي على هذا النظام. **(رواه أبو داود.)** وكذا الضياء.

٥٧٢٩ ـ **(وعن زرارة بن أوفى)** بضم الزاي، قال المؤلف: له صحبة مات في زمن عثمان ابن عفان. **(أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: هل رأيت ربك. فانتفض جبريل)** أي ارتعد ارتعاداً شديداً من عظمة ذلك السؤال ومن هيبة ما سمع من المقال. قيل: فيه دليل على حقية رؤية الله تعالى في دار البقاء، فإنه لو كانت مستحيلة ما سأل النبي ﷺ. لكن اختلف في أن الملائكة يرون الله تعالى أم لا. ثم لما كان الرؤية غالباً تنبىء عن القربة فارتعد جبريل من الهيبة. **(وقال: يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور)** قال شارح: وهو عبارة عن كمال الله [تعالى] ونقصان جبريل، والحجاب من طرف جبريل. اهـ. والمعنى أن المحجوب مغلوب فهو صفة المخلوق والموصوف بنعت النقصان، وأما الخالق ذو الجلال المنعوت بوصف الكمال فلا يحجبه شيء ولو من أنوار الجمال. **(لو دنوت)** أي قربت قدر أنملة، كما في رواية. **(من بعضها)** أي من بعض جميع تلك الحجب النورانية على فرض المحال، وإلا فما منا إلا له مقام معلوم. **(لاحترقت)** أي من أثر ذلك النور الذي يغلب النار في الظهور، فإن النار تقول: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي. فكيف بنور ربي وهو حسبي. **(هكذا)** أي لفظ الحديث **(في المصابيح)** أي عن زرارة.

٥٧٣٠ ـ **(ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس، إلا أنه)** أي أنساً **(لم يذكر: فانتفض جبريل.)** وفي الجامع برواية الطبراني في الأوسط عن أنس: سألت جبريل: هل ترى ربك. قال: إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور لو رأيت أدناها لاحترقت(١).

٥٧٣١ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق إسرافيل**

الحديث رقم ٥٧٢٩: مصابيح السنة ٤/ ٣٠ حديث رقم ٤٤٥٧.

الحديث رقم ٥٧٣٠: أبو نعيم في الحلية.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٣ حديث رقم ٤٦١٠.

الحديث رقم ٥٧٣١: أخرجه البيهقي ضمن حديث طويل في شعب الإيمان ١/ ١٧٦ حديث رقم ١٥٧.

منذ يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع بصره، بينه وبين الربِّ تبارك وتعالى سبعون نوراً، ما منها من نورٍ يدنو منه إلاّ احترق». رواه الترمذي وصححه.

٥٧٣٢ ـ (٣٥) وعن جابرٍ، أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم وذرِّيته، قالت الملائكة: يا ربِّ! خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال الله تعالى: لا أجعلُ من خلقته بيديَّ ونفخت فيه من روحي كمن قُلْتُ له: كن

منذ يوم خلقه) بفتح الميم على الإضافة، وفي نسخة بالجر منوّناً. **(صافاً)** بتشديد الفاء أي حال كون إسرافيل واقفاً **(قدميه)** مفعول صافاً واعلم أن منذ بضم الميم ويكسر وهو مبني على الضم ويليه اسم مجرور، وحينئذ حرف جر بمعنى من في الماضي، وبمعنى في في الحاضر. وقال المظهر: منذ ههنا حرف جر وهو بمعنى في. وقال الطيبي [رحمه الله]: صافاً حال من إسرافيل لا من ضميره المنصوب، ومنذ يوم ظرف لصافاً وليس بمعنى في. وقال الدار حديثي اتفقوا أن مذ ومنذ إنما يدخلان اسما الزمان. ثم قالوا: إن أريد ابتداء الزمان الماضي الذي انتهاؤه أنت فيه، يكونان للابتداء نحو: ما رأيته مذ يومين، أو مذ سنة. كذا أي انتفى الرؤية من ابتداء يومين أنا في آخرهما، وليسا بمعنى في، وإن قال به بعض. لأن المفهوم منهما نفي الرؤية في أزمنة معينة، أنت في آخرها مقصوداً به ابتداؤها وانتهاؤها. اهـ. والمعنى: إن الله خلق إسرافيل صافاً قدميه من أوّل مدة خلقه. **(لا يرفع بصره)** أي إلى السماء فوقه أدباً، أو لا يرفع نظره عن اللوح المحفوظ خوفاً. **(بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون نوراً)** أي من أنوار الحجاب وأسرار الغياب وأستار النقاب حتى لا يعرفه غيره. قال تعالى: **﴿ولا يحيطون به علماً﴾** [طه ـ ١١٠]. **(ما منها)** أي ليس من السبعين من نور **(يدنو)** أي يقرب **(منه)** إسرافيل فرضاً **(إلا احترق)** أي من ذلك النور الذي فوق طاقة نظر إسرافيل. **(رواه الترمذي وصححه)**.

٥٧٣٢ ـ **(وعن جابر أن النبي ﷺ قال: لما خلق الله آدم وذريته)** أي يوم الميثاق أو بعده **(قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون)** بكسر الكاف أي يطؤون أو يتزوّجون **(ويركبون)** أي على الدواب في البر وعلى السفن في البحر. **(فاجعل لهم الدنيا)** أي بطريق الدوام والبقاء، أو اجعل لخم الدنيا فقط. **(ولنا الآخرة)** أي نعيمها لحرماننا عن الحظوظ المذكورة في الدنيا تعادلاً بيننا. **(قال الله تعالى: لا أجعل من خلقته بيدي)** بصيغة التثنية، وروي بالإفراد. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لا أجعل، يحتمل أن يكون نفياً لأجعل وأن تكون كلمة لا رداً لقولهم، ثم يبتدىء بالجملة الاستفهامية إنكاراً عليهم وهو أبلغ. يعني أكثر مبالغة أو بلاغة، فإنه يدل على النفي مكرراً وإن كان الأوّل هو الأظهر فتدبر. والمعنى: لا أجعل عاقبة من خلقته بغير واسطة على سبيل التدريج مركباً من معجون الكمال المشتمل على قابلية الهداية والضلال واستعداد مظهرية الجمال والجلال. **(ونفخت فيه من روحي)** أي بعد تربية كمال جسده وتصويره شكلاً كريماً تشريفاً له وتعظيماً. **(كمن قلت له: كن)** أي بالخلق

الحديث رقم ٥٧٣٢: رواه البيهقي في شعب الإيمان١/ ١٧٢ حديث رقم ١٧٢.

فكان». رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

الفصل الثالث

٥٧٣٣ ـ (٣٦) عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ أكرمُ على الله من بعض ملائكته». رواه ابن ماجه.

الآتي (فكان) أي من غير التواني. قال الطيبي [رحمه الله]: أي لا يستوي في الكرامة من خلقته بنفسي ولا وكلت خلقه إلى أحد ونفخت فيه من روحي وهو دم وأولاده، مع من يكون بمجرد الأمر بقول كن وهو الملك. وإضافة الروح إلى نفسه إضافة تشريف كقوله: بيت الله. وقال ابن الملك: أي لا يستوي البشر والملك في الكرامة والقربة، بل كرامة البشر أكثر ومنزلته أعلى. وهذا من جملة ما يستدل به أهل السنة في تفضيل البشر على الملك. أقول: ووجهه والله [تعالى] أعلم، إن الملك خلق معصوماً فصار عن الجحيم ممنوعاً وعن النعيم محروماً، والبشر خلق ممحوناً بالطاعة والمعصية ومبلواً بالعطية والبلية، فمن قام بحقهما استحق الثواب في الدارين، ومن أعرض عنهما استوجب العذاب في الكونين **(رواه البيهقي في شعب الإِيمان)**.

(الفصل الثالث)

٥٧٣٣ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن)** أي الكامل من الأنبياء أو الأولياء **(أكرم على الله من بعض ملائكته)** وهم خواصهم أو عوامهم من أهل الاصطفاء. وقال الطيبي [رحمه الله]: يراد بالمؤمن عوامهم وببعض الملائكة أيضاً عوامهم. قال محيي السنة [رحمه الله] في تفسير قوله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾ [الإِسراء ـ ٧٠]. الأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة. قال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ [البينة ـ ٧]. ويستدل به أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة. اهـ. ولا يخفى أن المراد بخواص المؤمنين الرسل والأنبياء، وبخواص الملائكة نحو جبريل وميكائيل وإسرافيل، وبعوام المؤمنين الكمل من الأولياء كالخلفاء وسائر العلماء، وبعوام الملائكة سائرهم. وهذا التفصيل أولى من إجمال بعضهم. وفي قوله: إن البشر أفضل من الملك. بمعنى: إن هذا الجنس لما وجد فيهم الكمل من الرسل أو الأكمل، أفضل من هذا الجنس لعدم وجودهم فيهم فتأمل. **(رواه ابن ماجه)** قلت: وحديث: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة» في ابن ماجه بسند عن ابن عمر: إن النبي ﷺ قال: ونظر إلى الكعبة، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك. وهو بعض حديث طويل[1].

الحديث رقم ٥٧٣٣: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٠١ حديث رقم ٣٩٤٧.

(١) أخرجه ابن ماجه ١٢٩٧ حديث رقم ٣٩٣٢.

٥٧٣٤ ـ (٣٧) وعنه، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدَّواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق وآخرِ ساعةٍ من النهارِ فيما بين العصر إلى الليل». رواه مسلم.

٥٧٣٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي)** إشارة إلى كمال قربه ودلالة على تمام حفظه. ولعل في أخذ يده إيماء إلى تعداد أعداد الخمسة مع قطع النظر عن خلق آدم [عليه الصلاة والسلام] بعد الجمعة، فإنه بمنزلة العلة الغائية والفذلكة الإيمانية. **(فقال: خلق الله التربة)** أي التراب، وهو الأرض. **(يوم السبت)** وكأن المراد به آخر يومه المسمى بعشية الأحد، فلها حكمة. فلا ينافي قوله تعالى: ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾ [ق ـ ٣٨]. **(وخلق فيها الجبال يوم الأحد)** وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها**﴾ [فصلت ـ ٩ و١٠]. **(وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه)** أي جنسه **(يوم الثلاثاء)** بالمد، قال عزَّ وجلَّ: ﴿**وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام**﴾ [فصلت ـ ١٠]. أي في بقية الأربعة. **(وخلق النور)** بالراء، وفي نسخة بالنون في آخره. قال: الأكمل هو بالراء كما لمسلم ولغيره بالنون. وهو الحوت، ويجوز خلقهما في الأربعاء، والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره. اهـ. والظاهر أن المراد بالنور هو نفسه وما فيه ظهوره، فيناسب قوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ [فصلت ـ ١٢]. **(يوم الأربعاء)** بفتح الهمزة وكسر الموحدة ممدوداً. وفي القاموس: مثلثة الباء ممدودة. واعلم أن لفظ النور كذا في النسخ المصححة والأصول المعتمدة. **(وبث فيها الدواب)** أي فرقها في الأرض بعد خلق أصولها. **(يوم الخميس)** وهو لا ينافي ما سبق من أن قضاء سبع سموات وخلقهن في يومين. **(وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق)** أي لكونه الفذلكة الإيمانية وبمنزلة العلة الغائية. **(وآخر ساعة من النهار)** أي وفي آخر ساعة من نهار الجمعة. ورواية الجامع: في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة. **(فيما بين العصر إلى الليل)** وهي الساعة المرجوّة للإجابة في يوم الجمعة عند جماعة من الأئمة. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد في مسنده مرفوعاً، لكن قال ابن كثير في تفسيره ما ملخصه: هو أن هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كعب، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً والله أعلم(١).

الحديث رقم ٥٧٣٤: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٤٩ حديث رقم (٢٧ . ٢٧٨٩).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٩٤.

٥٧٣٥ ـ (٣٨) وعنه، قال: بينما نبي الله ﷺ جالسٌ وأصحابه إِذ أتى عليهم سحابٌ، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرونَ ما هذا؟». قالوا: اللَّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «هذه العنان، هذه روايا الأرض، يسوقها الله إِلى قوم لا يشكرونه، ولا يدعونه». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوقكم؟» قالوا: اللَّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «فإِنها الرقيع، سقف محفوظ، وموج مكفوفٌ». ثم قال: «هل تدرونَ ما بينَكُم وبينَها؟» قالوا: اللَّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «بينكم وبينَها خمسُمائةِ عام». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوقَ ذلك؟». قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «سماءانِ بعدُ ما بينَهما خمسُمائةِ سنةٍ». ثم قال كذلك حتى عدَّ سبعَ سماواتٍ «ما بين كل سماءين ما بين السماءِ والأرض». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوق ذلك؟» قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «إِنَّ فوقَ ذلك

٥٧٣٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه)** أي معه جلوس **(إذ أتى)** أي مر **(عليهم سحاب)** وفي نسخة سحابة **(فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا)** أي السحاب **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذه)** أي السحابة، فالتعبير بالتأنيث للوحدة وبالتذكير للجنس من باب التفنن. **(العنان)** بفتح العين، من عين. أي ظهر كما سبق. **(هذه روايا الأرض)** قيل: التقدير بل هذه، وهو غير ظاهر. ففي النهاية: سمي السحاب روايا البلاد، والروايا من الإبل الحوامل للماء، واحدتها راوية. فشبهها به، وبه سميت المزادة راوية، وقيل بالعكس. **(يسوقها الله)** أي يجرها، أو يأمر بسوقها. **(إلى قوم لا يشكرونه)** أي بل يكفرونه حيث ينسبون المطر إلى اقتران النجوم وافتراقها وغروبها وطلوعها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا. **(ولا يدعونه)** أي لا يذكرون الله ولا يطلبون منه ولا يعبدونه، بل يعبدون الأصنام، وهو بعميم كرمه يرزقهم ويعافيهم كسائر الأنام وباقي الأنعام. **(ثم قال: هل تدرون ما فوقكم)** أي من السماء **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع)** وهو اسم لسماء الدنيا، وقيل: لكل سماء. والجمع أرقعة. **(سقف محفوظ وموج مكفوف)** أي ممنوع من الاسترسال. والمعنى: إن الله حفظها عن السقوط على الأرض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف. **(ثم قال: هل تدرون ما بينكم وبينها)** أي مقدار ما بين الأرض والسماء **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة عام)** أي مسيرتها ومسافتها **(ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك)** أي المحسوس أو المذكور من سماء الدنيا **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: سماءان)** أي سماء بعد سماء **(بعد ما بينهما خمسمائة سنة. ثم قال كذلك)** أي سماءان مرتين أخريين **(حتى عد سبع سموات)** أي أكمل عدد السبع منهن. **(ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض)** أي كما بينهما من خمسمائة عام، ففيه نوع تفنن في العبارة. **(ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك)** أي المذكور **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن فوق ذلك)** بالنصب على أنه ظرف

الحديث رقم ٥٧٣٥: أخرجه أبو داود ٥/ ٩٣ حديث رقم ٤٧٢٣. والترمذي ٥/ ٣٧٦ حديث رقم ٣٢٩٨. وابن ماجه ١/ ٦٩ حديث رقم ١٩٣. وأحمد في المسند ١/ ٢٠٦.

العرش، وبينه وبينَ السماء بعدُ ما بينَ السَّماءين». ثم قال: «هل تدرونَ ما الذي تحتكم؟». قالوا: الله ورسوله أعلمُ. قال: «إنها الأرض». ثم قال: «هل تدرونَ ما تحتَ ذلك؟». قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «إن تَحتَها أرضاً أخرى، بينَهما مسيرة خمسائة سنةٍ». حتى عدَّ سَبْعَ أرضين «بين كلِّ أرضيْن مسيرةُ خمسمائةِ سنة» ثم قال: «والذي نفسُ محمَّد بيدِه لو أنكم دلَّيتم بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله». ثم قرأ: ﴿هو الأوَّلُ والآخر والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾. رواه أحمد، والترمذي. وقال الترمذي: قراءة رسولِ الله ﷺ الآية تَدُلُّ على أنه أراد: لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه،

وقع خبراً مقدماً، لإن. وقوله: **(العرش)** بالنصب على أنه اسم له **(وبينه وبين السماء)** أي السابعة **(بعد ما بين السماءين)** أي من السموات السبع **(ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنها الأرض)** أي العليا **(ثم قال: هل تدرون ما تحت ذلك)** أي المشار إليه **(قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن تحتها أرض أخرى [بينهما مسيرة خمسمائة سنة)** أي وهكذا ذكر أرضاً بعد أخرى]. **(حتى عد سبع أرضين)** بفتح الراء وتسكن. **(بين كل أرضين)** بالتثنية أي بين كل أرضين منها **(مسيرة خمسمائة سنة. ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم)** بتشديد اللام المفتوحة من أدليت الدلو ودليتها إذا أرسلتها البئر، ومنه قوله تعالى: **﴿فأدلى دلوه﴾** [يوسف ـ ١٩]. على التجريد أو التأكيد. والمعنى: لو أرسلتم. **(بحبل إلى الأرض السفلى لهبط)** بفتح الموحدة أي لنزل. **(على الله)** أي على علمه وملكه كما صرح به الترمذي في كلامه الآتي. والمعنى: إنه تعالى محيط بعلمه وقدرته على سفليات ملكه كما في علويات ملكوته دفعاً لما عسى يختلج في وهم من لا فهم له أن له اختصاصاً بالعلو دون السفل. ولهذا قيل: كان معراج يونس عليه [الصلاة] والسلام في بطن الحوت، كما أن معراج نبينا ﷺ كان في ظهر السماء. فالقرب بالنسبة [إلى كل] في مد الاستواء كما أخبر عن قربه لكل من العبيد بقوله: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** [ق ـ ١٦]. وإنما يتفاوت القرب المعنوي بالتشريف اللدني، ومنه قرب الفرائض وقرب النوافل كما هو مقرر[(١)] في محله. **(ثم قرأ)** أي النبي ﷺ استشهاداً وأبو هريرة اعتضاداً (**﴿هو الأول﴾**) أي القديم الذي ليس له ابتداء (**﴿والآخر﴾**) أي الباقي الذي ليس له انتهاء (**﴿والظاهر﴾**) أي بالصفات (**﴿والباطن﴾**) أي بالذات (**﴿وهو بكل شيء﴾**) أي من العلويات والسفليات والجزئيات والكليات (**﴿عليم﴾**)[(٢)] أي بالغ في كمال العلم به محيط علمه بجوانبه. **(رواه أحمد والترمذي. وقال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ)** أي المذكورة **(تدل على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه.)** قال الطيبي [رحمه الله]: أما علمه تعالى فهو من قوله: **﴿وهو بكل شيء عليم﴾** وأما قدرته فمن قوله: **﴿هو الأوّل والآخر﴾**. أي هو الأوّل الذي يبدىء كل شيء ويخرجهم من العدم إلى الوجود، والآخر الذي يفني كل شيء **﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال**

---

(١) في المخطوطة «مختص».
(٢) سورة الحديد ـ آية رقم ٢.

وعلمُ اللَّهِ وقدرته وسلطانهُ في كلّ مكان، وهو على العرش، كما وصَف نفسه في كتابه.

٥٧٣٦ ـ (٣٩) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانَ طولُ آدم ستينَ ذراعاً في سبع أذرع عرضاً».

٥٧٣٧ ـ (٤٠) وعن أبي ذَرّ، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ! أي الأنبياء كان أوّل؟ قال: «آدمُ». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! ونبي كان؟

والإكرام﴾ [الرحمٰن ـ ٢٦ ـ ٢٧]. وأما سلطانه فمن قوله: **﴿والظاهر والباطن﴾**. قال الأزهري: يقال: ظهرت على فلان إذا غلبته. والمعنى: هو الغالب الذي يغلب ولا يغلب ويتصرف في المكوّنات على سبيل الغلبة والاستيلاء، أو ليس فوقه أحد يمنعه. والباطن هو الذي لا ملجأ ولا منجى دونه. ثم قال الترمذي: **(وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان)** أي يستوي فيه العلويات والسفليات وما بينهما، كما أن هذه الصفات موجودة في كل زمان، بل قبل أن يخلق الزمان والمكان. **(وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه)** قال الطيبي [رحمه الله]: الكاف في كما منصوب على المصدر أي هو مستو على العرش استواء مثل ما وصف نفسه به في كتابه، وهو مستأثر بعلمه باستوائه عليه. وفي قول الترمذي اشعاراً إلى أنه لا بد لقوله «لهبط على الله» من هذا التأويل المذكور، ولقوله: **﴿على العرش استوى﴾** [طه ـ ٥]. من تفويض علمه إليه تعالى والإمساك عن تأويله، كما سبق أن بعضاً من خلاف الظاهر يحتاج إلى التأويل ومنها ما لا يجوز الخوض فيه.

٥٧٣٦ ـ **(وعنه)** أن عن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: كان طول آدم [عليه الصلاة والسلام] ستين ذراعاً في سبع أذرع عرضاً)** قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يريد بقدر ذراع نفسه وأن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، والأول أظهر، لأن ذراع كل أحد بقدر مرفقه، فلو كان بالذراع المتعارف لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده والله أعلم. أقول: في القاموس: الذراع بالكسر من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى والساعد، وقد تذكر فيهما. جمعه أذرع أي بفتح الهمز وضم الراء. وقد تقدم في الحديث المتفق عليه: إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعاً. فالأولى أن يقال المراد بالذراع طولاً هو المتعارف المتبادر إلى الفهم الذي يحصل به العلم، والمراد به عرضاً ذراعه باعتبار يده وبه يحصل الجمع ويرتفع الدور الذي هو في مرتبة المنع.

٥٧٣٧ ـ **(وعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي الأنبياء)** أي أي فرد منهم **(كان أول)** بالنصب أي أسبق **(قال: آدم)** بالرفع على تقدير هو **(قلت: يا رسول الله ونبي كان)** قال الطيبي [رحمه الله]: لا بد فيه من تقدير همزة الاستفهام للتقرير لما قال أولاً: أي الأنبياء. وأجيب

الحديث رقم ٥٧٣٦: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٣٥.

الحديث رقم ٥٧٣٧: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٧٨.

قال: «نعم نبيٌّ مُكَلّمٌ». قلتُ: يا رسولَ اللّهِ كَمِ المرسلون؟ قال: «ثلاثمائةَ وبضعةَ عشر جماً غفيراً».

وفي رواية عن أبي أمامةَ، قال أبو ذرّ: قلتُ: يا رسولَ اللّهِ كم وفاءُ عِدَّةِ الأنبياءِ؟ قال: «مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً، الرُّسلُ منَ ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً».

٥٧٣٨ ـ (٤١) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنَعَ قومُه في العجل، فلم يُلق الألواحَ، فلما

بقوله: آدم، أي أو هو نبي كان. **(قال: نعم نبي)** ذكر نبي بعد قوله نعم لينيط به قوله: **(مكلم)** أي لم يكن نبياً فقط، بل كان نبياً مكلماً، أنزل عليه الصحف. **(قلت: يا رسول الله كم المرسلون)** الكشاف في قوله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾** [الحج ـ ٥٢]. هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي. والفرق بينهما: أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله. اهـ. والمشهور في الفرق بينهما أن الرسول من أمر بالتبليغ، والنبي أعم. والله [تعالى] أعلم. **(قال: ثلاثمائة وبضعة عشر)** أبهم العدد إشعاراً بعدم الجزم كيلا يزيد أو ينقص في الحد. **(جماً غفيراً)** أي جمعاً كثيراً. وفي النهاية: أي مجتمعين كثيرين. وأصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة، والغفير من الغفر وهو التغطية والستر. فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة. ولم تقل العرب الجماء إلا موصوفة، وهو منصوب على المصدر كطراً وقاطبة، فإنها أسماء وضعت موضع المصدر. **(وفي رواية عن أبي أمامة)** الظاهر أن المراد به ليس أبا أمامة الباهلي، فإنه صحابي جليل، بل هو أبو أمامة سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي، ولد على عهد النبي قبل وفاته بعامين ولم يسمع منه شيئاً لصغره. ولذلك قد ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة وأثبته ابن عبد البر في جملة الصحابة. ثم قال: وهو أحد الأجلة من العلماء من كبار التابعين بالمدينة، سمع أباه وأبا سعيد وغيرهما. روى عنه نفر، مات سنة مائة وله اثنان وتسعون سنة. كذا ذكره المؤلف **(قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله كم وفاء عد الأنبياء)** أي كم كمال عددهم **(قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً)** العدد في هذا الحديث وإن كان مجزوماً به، لكنه ليس بمقطوع. فيجب الإيمان بالأنبياء والرسل مجملاً من غير حصر في عدد، لئلا يخرج أحد منهم ولا يدخل أحد من غيرهم فيهم.

٥٧٣٨ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى)** استئناف فيه معنى التعليل، والمعنى لأنه سبحانه. **(أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح)** أي لعدم تأثير الخبر فيه تأثيراً زائداً باعثاً على الغضب الموجب للإلقاء. **(فلما**

الحديث رقم ٥٧٣٨: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧١.

عاين ما صنعوا، ألقى الألواحَ فانكسرت». روى الأحاديث الثلاثة أحمد.

عاين ما صنعوا ألقى الألواح) أي غضباً لله على قومه لمخالفة دينه **(فانكسرت)** أي الألواح من شدة إلقائه الدالة على كثرة غضبه، ثم في إلقائها إيماء بأنها إنما تنفع لأهل الإيمان. فإذا اختاروا الكفر والطغيان لم يبق فائدة في إبقائها. لكن الظاهر أن ما فات شيء مهم من كسرها. قال الطيبي: قوله: إن الله. الخ استشهاد وتقرير لمعنى قوله: ليس الخبر كالمعاينة، فإنه تعالى لما قال: ﴿**إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**﴾ [طه ـ ٨٥]. عند نزول ألواح التوراة عليه لم يلق الألواح: ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه**﴾ [الأعراف ـ ١٥٠]. **(روى الأحاديث الثلاثة أحمد)**، ووافقه الطبراني في الأوسط والحاكم في مستدركه[1] عن ابن عباس، وروى الطبراني صدر الحديث فقط وهو قوله: «ليس الخبر كالمعاينة». عن أنس وكذا الخطيب عن أبي هريرة.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٢١.

[كتاب الفضائل والشمائل]

(١) باب فضائل سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

الفصل الأول

٥٧٣٩ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ من خيرِ قرونِ بني آدمَ قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرنِ الذي كنتُ منه».

(باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه)

اعلم أن تفصيل فضائله وتحصيل شمائله ﷺ شرف وكرم مما لا يحد ولا يحصى، بل ولا يمكن أن يعد ويستقصى؛ وإنما ذكر مؤلف الكتاب في هذا الباب شمة من شمائله ولمة من فضائله تدل على بقية خصائله.

(الفصل الأوّل)

٥٧٣٩ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت)** أي ولدت **(من خير قرون بني آدم)** اعلم أن معنى الخيرية في هذا الحديث والاصطفائية في الذي يليه المذكورتين في حق القبائل ليس باعتبار الديانة، بل باعتبار الخصائل الحميدة والشمائل السعيدة. **(قرناً فقرناً)** قيل: إنه حال للتفضيل والفاء فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من القرن السابق إلى القرن اللاحق، ويدل عليه قوله: **(حتى كنت)** أي صرت **(من القرن الذي كنت منه)** أي وجدت، والقرن من الناس أهل زمان واحد. وقد قال ﷺ: خير القرون قرني. وفي شرح السنة: القرن كل طبقة مقترنين في وقت. قيل: سمي قرناً لأنه يقرن أمة بأمة وعالماً بعالم. وهو مصدر قرنت، أي وصلت وجعل اسماً للوقت، أو لأهله. وقيل: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون، وقيل: مائة. اهـ. والقول الأوّل هو المراد هنا. فالمعنى: بعثت من خير

الحديث رقم ٥٧٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٥٦٦. حديث رقم ٣٥٥٧. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٣.

رواه البخاريُّ.

٥٧٤٠ ـ (٢) وعن واثلة بن الأسقع، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». رواه مسلم.

طبقات بني آدم كائنين طبقة بعد طبقة حتى كنت من القرن الذي كنت فيه. ففيه تفضيله على غيره من بني آدم وعلى تفضيل أمته على سائر الأمم. قال الطيبي: قوله: حتى كنت، غاية قوله: بعثت. والمراد بالبعث تقلبه في أصلاب الآباء أباً فأباً، قرناً فقرناً، حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه. يعني: انتقلت أوّلاً من صلب ولد إسماعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بني هاشم. فالفاء في قوله: قرناً فقرناً، للترتيب على سبيل الترقي من الآباء الأبعد إلى الأقرب فالأقرب. كما في قولك خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن والأجمل. وفي معناه أنشد ابن الرومي:

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

وفي قولنا: حتى ظهر في القرن الذي وجد في نسخته، لما روى الإمام ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن كعب الأحبار قال: لما أراد الله عزَّ وجلَّ أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل عليه السلام فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله ﷺ، فعجنت بماء التسنيم فغمست في أنهار الجنة وطيفها في السموات، فعرفت الملائكة محمداً ﷺ قبل أن يعرف آدم. ثم كان نور محمد يرى في غرة جبهة آدم. وقيل له: يا آدم هذا سيد ولدك من المرسلين. فلما حملت حوّاء بشيث انتقل النور من آدم إلى حوّاء، وكانت تلد في كل بطن ولدين ولدين إلا شيئاً، فإنه ولدته وحده كرامة لمحمد ﷺ. ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولدته آمنة من عبد الله بن عبد المطلب. اهـ. وقد ذكرت مجملاً من أحوال ولادته ﷺ في رسالة سميتها: بالمورد في المولد. **(رواه البخاري)**.

٥٧٤٠ ـ **(وعن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفى كنانة)** بكسر الكاف ابن خزيمة أبو قبيلة، كذا في القاموس. **(من ولد إسماعيل)** بفتح الواو واللام، وبالضم والسكون أي من أولاده. **(واصطفى قريشاً من كنانة)** وهم أولاد نضر بن كنانة، كانوا تفرقوا في البلاد فجمعهم قصي بن كلاب في مكة فسموا قريشاً لأنه قرشهم أي جمعهم. ولكنانة ولد سوى النضر، وهم لا يسمون قريشاً لأنهم لم يقرشوا. **(واصطفى من قريش بني هاشم. واصطفاني من بني هاشم)** في شرح السنة: هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

الحديث رقم ٥٧٤٠: أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (١ ـ ٢٢٧٦). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٤ حديث رقم ٣٦٠٥. وأحمد في المسند ٤/ ١٠٧.

وفي رواية للترمذي: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى [من ولد إسماعيل] بني كنانة».

٥٧٤١ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ،

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان. اهـ. وقد ضبطت الأسماء المذكورة في رسالتي المسماة المسطورة. **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي، على ما في الجامع[1]. **(وفي رواية للترمذي:)** أي عن واثلة أيضاً **(إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة)** وتمام الحديث على ما في الجامع: واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[2].

٥٧٤١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)** في شرح مسلم للنووي، قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير. وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم. والتقييد بيوم القيامة مع أنه ﷺ في الدنيا والآخرة معناه، أنه يظهر يوم القيامة سودده بلا منازع ولا معاند، بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهو قريب من معنى قوله تعالى: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ [غافر ـ ١٦]. مع أن الملك له قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازاً فانقطع كل ذلك في الآخرة. وفي الحديث دليل على فضله ﷺ على كل الخلق، لأن مذهب أهل السنة أن الآدمي أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين بهذا الحديث وغيره. وأما الحديث الآخر: لا تفضلوني بين الأنبياء فجوابه من خمسة أوجه، أحدها أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، والثاني قاله أدباً وتواضعاً. والثالث أن المنهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول. والرابع إنما نهي عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة. والخامس أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوّة ولا تفاضل فيها، وإنما التفاضل في الخصائص وفضائل أخرى. ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾ [البقرة ـ ٢٥٣]. وقد قال أيضاً: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٥ حديث رقم ١٦٨٢.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٠٥ حديث رقم ١٦٨٣.

الحديث رقم ٥٧٤١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (٣ . ٢٢٧٨) وأبو داود ٥/ ٥٤ حديث رقم ٤٦٧٣. والترمذي ٥/ ٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٥. والدارمي ١/ ٤١ حديث رقم ٥٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢.

وأوَّلُ مَنْ ينشقُّ عنه القَبرُ، وأوَّلُ شافعٍ، وأوَّلُ مُشَفَّعٍ». رواه مسلم.

٥٧٤٢ ـ (٤) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أكثرُ الأنبياءِ تبعاً يومَ القيامةِ، وأنا أوَّلُ مَن يقْرَعُ بابَ الجنةِ». رواه مسلم.

٥٧٤٣ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتي بابَ الجنَّةِ

[الإسراء ـ ٥٥]. (وأوّل من ينشق عنه القبر) أي فهو أوّل من يبعث من قبره ويحضر في المحشر كما رواه الترمذي عن أنس: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر(١). وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة»(٢). وفي رواية للترمذي عن أبي هريرة: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»(٣). وأوّل شافع، أي في ذلك المحضر. وأوّل مشفع، بتشديد الفاء المفتوحة أي أوّل من تقبل شفاعته على الإطلاق في أنواع الشفاعات. وفيه دليل أيضاً على أنه ﷺ أفضل المخلوقات وأكمل الموجودات. (رواه مسلم.) وكذا أبو داود. وفي رواية أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر.

٥٧٤٢ ـ (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أكثر الأنبياء تبعاً**) بفتحتين جمع تابع، أي اتباعاً يوم القيامة لأن أمته ثلثا أهل الجنة على ما سبق في الحديث. وفيه إشعار بأن أكثرية الأتباع توجب أفضلية المتبوع، وكذلك الإمام عاصم من بين القراء. فأبو حنيفة رحمه الله له حظ عظيم ونصيب جسيم من ذلك، فإن غالب أهل الإسلام من أتباعه في فروع الأحكام. (**وأنا أوّل من يقرع**) بفتح الراء أي يدق ويستفتح. (**باب الجنة**) أي فيفتح له فيدخلها (**رواه مسلم.**) وروى ابن النجار عن أنس أيضاً: أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع.

٥٧٤٣ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آتي**) أي أجيء (**باب الجنة**

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٠.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٥ والترمذي ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١١.

الحديث رقم ٥٧٤٢: أخرجه مسلم ١/ ١٨٨ حديث رقم ٣٣١/ ١٩٦.

الحديث رقم ٥٧٤٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٨ حديث رقم (٣٣٣. ١٩٧). وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦.

يومَ القيامةِ، فأَسْتفتحُ، فيقولُ الخازنُ: مَن أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ فيقولُ: بكَ أُمرتُ أنْ لا أفتحَ لأحدٍ قبلَكَ». رواه مسلم.

٥٧٤٤ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُ شَفيعٍ في الجنَّةِ لم يصدَّقْ نبيٌّ من الأنبياءِ ما صُدِّقتُ، وإنَّ منَ الأنبياءِ نبيّاً ما صدَّقه من أُمَّته إلا رجلٌ واحدٌ». رواه مسلم.

٥٧٤٥ ـ (٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثَلي ومثَلُ الأنبياءِ كمثلِ قصرٍ أُحسِنَ بُنيانُه تُرِكَ منه موضعُ لبِنَةٍ، فطافَ به النظَّارُ، يتعجَّبونَ من حُسنِ بنيانِه، إلا موضعَ تلكَ اللبِنةِ،

يوم القيامة فأستفتح) أي أطلب فتحه **(فيقول الخازن: من أنت)** سمي الموكل بحفظ الجنة خازناً لأن الجنة خزانة الله تعالى أعدها الله للمؤمنين وهو حافظها. **(فأقول: محمد)** أي أنا محمد **(فيقول: بك)** أي بفتح الباب لك قبل غيرك من الأنبياء **(أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك)** قال الطيبي: بك متعلق بأمرت والباء للسببية قدمت للتخصيص. والمعنى بسببك أمرت أن لا أفتح لغيرك لا بشيء آخر. ويجوز أن يكون صلة للفعل وأن لا أفتح بدلاً من الضمير المجرور، أي أمرت أن لا أفتح لأحد غيرك. **(رواه مسلم)**.

٥٧٤٤ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل شفيع في الجنة)** قال المظهر: أي أنا أوّل شافع للعصاة من أمتي في دخول الجنة. وقيل: أي أنا أوّل شافع في الجنة لرفع درجات الناس فيها. **(لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت)** ما مصدرية، أي لم يصدق نبي تصديقاً مثل تصديق أمتي إياي، يعني به كثرة مصدقية، قال المظهر: وهذا كناية عن أنه ﷺ أكثر الأنبياء أمة. ويؤيده قوله: **(وإن من الأنبياء نبياً ما صدقه [من أمته] إلا رجل واحد رواه مسلم)**.

٥٧٤٥ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثلي)** أي صفتي العجيبة الشأن الغريبة البرهان. **(ومثل الأنبياء)** أي من الإخوان المشتركين في أساس البنيان من التوحيد وتحقيق الإيمان وتدقيق الإيقان مما يوجب مرتبة القرب والإحسان. **(كمثل قصر)** أي بناء مرتفع **(أحسن بنيانه)** أي زين بناء أركانه **(ترك منه)** أي من القصر **(موضع لبنة)** والجملة استئناف بيان، أو حال بتقدير قد أو بدونه. **(فطاف به النظار)** بضم النون وتشديد الظاء المعجمة، أي دار به الحاضرون وتفرج في جوانبه الناظرون. **(يتعجبون من حسن بنيانه)** أي يستحسنون أنواع أركانه **(إلا موضع تلك اللبنة)** فإنه خارج عن موضع الاستحسان داخل في

الحديث رقم ٥٧٤٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٨ حديث رقم (٣٣٢.١٩٦) وأحمد في المسند ٣/ ١٤٠.

الحديث رقم ٥٧٤٥: أخرجه البخاري ٦/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٥٣٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٠ حديث رقم (٢١ ـ ٢٢٨٦). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٧ حديث رقم ٣٦١٣. وأخرجه الدارمي ١/ ٣٧٤ حديث رقم ١٣٨٩. وأحمد في المسند ٥/ ١٤٥.

فكنتُ أنا سَدَدْتُ موضعَ اللبِنةِ، خُتم بيَ البُنيانُ وخُتمَ بي الرسلُ». وفي رواية: «فأنا اللَّبِنةُ، وأنا خاتَمُ النَّبِيِّينَ». متفق عليه.

٥٧٤٦ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من الأنبياءِ من نبي إلا قدْ أُعطي منَ الآياتِ ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ،

موضع الاستغراب في ذلك الشأن. **(فكنت)** أي فصرت **(أنا)** ضمير فصل للتأكيد وإفادة الحصر على وجه التأبيد. **(سددت موضع اللبنة)** أي لكوني خاتم النبيين **(ختم بي البنيان)** حال أو استئناف بيان. والمراد به بنيان الدين المشبه بذلك البنيان. **(وختم بي الرسل)** الظاهر أنهم هنا بمعنى الأنبياء إما على القول بالترادف، أو باعتبار التجريد، لأن الرسول نبي أمر بالتبليغ. ويدل عليه قوله: **(وفي رواية: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)** بكسر التاء ويفتح فيه إيماء إلى ما ورد عنه ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(١)]. قال الطيبي: هذا من التشبيه التمثيلي شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق، بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه. لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل، مع مشاركته إياهم في تأسيس[(٢)] القواعد ورفع البنيان. هذا على أن يكون الاستثناء منقطعاً. ويجوز أن يكون متصلاً من حيث المعنى، إذ حاصل المعنى تعجبهم المواضع إلا موضع تلك اللبنة، وليس ذلك المصلح إلا ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يعتنيه أهل العرفان. وقوله: أنا سددت موضع اللبنة. يحتمل أن يكون هو الساد بلبنة ذلك الموضع وأن يسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة. ويؤيد هذه الرواية الأخرى من قوله: فأنا اللبنة **(متفق عليه)**.

٥٧٤٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما من الأنبياء من نبي)** زيد من الثانية للمبالغة والأولى للتبعيض. والمعنى ليس نبي من الأنبياء. **(إلا قد)** وفي الجامع إلا وقد **(أعطي من الآيات)** أي المعجزات وخوارق العادات. ومن بيان لما في قوله: **(ما مثله آمن عليه البشر)** وهي موصولة ومثله مبتدأ وآمن خبره. وعليه يتعلق بآمن لتضمنه معنى الاطلاع كأنه قال: آمن للاطلاع عليه البشر، أو بحال محذوف. أي آمن البشر واقفاً أو مطلعاً عليه، والمفعول محذوف. والمعنى: أن كل نبي قد أعطي من المعجزات ما إذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد إلى تصديقه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة. هذا خلاصة كلام بعض الشراح من علمائنا. وقال الطيبي: من فيه بيانية، ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفي. وما في ما مثله موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لأعطي، ومثله مبتدأ وآمن خبره، والجملة صلة الموصول. والراجع إلى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال، أي مغلوباً عليه في

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة بلفظ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» ٢/ ٣٨١.

(٢) في المخطوطة «تأييد».

الحديث رقم ٥٧٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٣. حديث رقم ٤٩٨١. أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ حديث رقم (٢٣٩ . ١٥٢). وأحمد في المسند ٢/ ٣٤١.

وإنما كانَ الذي أُوتيتُ وحياً أوْحى اللّهُ إليّ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامةِ». متفق عليه.

٥٧٤٧ ـ (٩) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ،

التحدي والمباراة. والمراد بالآيات المعجزات. وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ [البقرة ـ ٢٣]. أي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم. يعني: ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوّته الشيء الذي من صفته، أنه إذا شوهد اضطر الشاهد إلى الإيمان به. وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعباناً في زمان موسى عليه السلام، وإخراج اليد البيضاء، لأن الغلبة في زمنه للسحر فأتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم إلى الإيمان. وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فأتاهم بما هو أعلى من الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وفي زمن رسولنا ﷺ البلاغة والفصاحة فجاء القرآن وأبطل الكل. اهـ. وفيه تأمل من جهة قوله: أبطل الكل. فالصواب أن يقال: فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة إلى انقراض الزمان، بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان، بل يسمع من كلام الرحمٰن. وهذا معنى قوله: (**وإنما كان الذي أوتيت**) وفي الجامع أوتيته، والموصول صفة لمحذوف. أي كان خرق العادة الذي أعطيته بالخصوص. (**وحياً**) أي كلاماً منزلاً علي، نزل به الروح الأمين. (**أوحى الله إلي**) أي لا غيره، فالمراد بالوحي هنا القرآن الذي هو في نفسه دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره. قال القاضي وغيره: أي معظم الذي أوتيت وأفيده إذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتيه [غيره]. والمراد بالوحي القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم. والمعنى وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء. ولذلك رتب عليه قوله: (**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**) وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله أعلم. (**متفق عليه**.) ورواه أحمد.

٥٧٤٧ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً**) أي من الخصائل والفضائل (**لم يعطهن أحد قبلي**) أي من الأنبياء، فمن المحال أن يعطى أحد بعده من الأولياء. (**نصرت**) أي نصرني ربي على أعدائي. (**بالرعب**) بضم فسكون وبضمتين، أي بخوف العدوّ مني. (**مسيرة شهر**) أي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام أو وراء. وفي

الحديث رقم ٥٧٤٧: أخرجه البخاري ١/ ٤٣٥. حديث رقم ٣٣٥. ومسلم ١/ ٣٧٠ حديث رقم (٣/ ٥٢١). والنسائي في السنن ١/ ٢٠٩ حديث رقم ٤٣٢.

وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركتْه الصَّلاةُ فليُصلِّ، وأُحلَّتْ لي المغانمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكانَ النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً». متفق عليه.

شرح الطيبي: الرعب الفزع والخوف، وقد أوقع الله تعالى في قلوب أعداء النبي ﷺ الخوف منه، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه. **(وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** في شرح السنة: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم. وأباح الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس. وقوله: طهوراً أراد به التيمم. اهـ. وفي الحمام والمقبرة تفصيل قدمناه. وقيل: معناه أنهم كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض. وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا فيما تيقنا نجاسته، ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله: **(فأيما رجل)** أي شخص **(من أمتي أدركته الصلاة)** أي وجبت عليه ودخل وقتها في أي موضع. **(فليصل)** أي في ذلك الموضع بشروطه المعتبرة في صحة الصلاة. **(وأحلت لي المغانم)** أي الغنائم، وهي الأموال المأخوذة من الكفار. **(ولم تحل)** وفي نسخة بصيغة المجهول، أي لم تبح الغنائم. **(لأحد قبلي)** أي من الأنبياء بل غنائمهم توضع فتأتي نار تحرقها، هكذا أطلقه بعض الشراح من علمائنا. وقال ابن الملك: أي من قبلنا من الأمم إذا غنموا الحيوانات يكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء، فخص نبينا ﷺ بأخذ الخمس والصفيّ، وإذا غنموا غيرها جمعوه، فتأتي نار فتحرقه. أقول: ولعل الحكمة في إحراق الغنيمة تحصيل تحسين النية وتزيين الطوية في مرتبة الإخلاص في الجهاد، والله أعلم بالعباد ورؤوف بالعباد. **(وأعطيت الشفاعة)** أل فيه للعهد، أي الشفاعة العامة للإراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأوّلون والآخرون. **(وكان النبي)** اللام فيه للاستغراق، أي وكان كل نبي من قبلي. **(يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس)** أي إلى أقوام مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب. **(عامة)** أي شاملة للعرب والعجم. قال الطيبي: التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع، لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، لأن الجنسية في المفرد قائمة في وحدانه، فلا يخرج منه شيء. وفي الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد أو اثنان على الخلاف، في أن أقل الجمع اثنان أو ثلاثة. اهـ. وقيل: اللام فيه للجنس عند النحويين، وللعهد عند الأصوليين. وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن، لا لتعيين الذات. وتلك الماهية هي النبوّة. **(متفق عليه.)** ورواه النسائي. وفي رواية أحمد عن علي كرم الله وجهه: أعطيت ما لم يعطه أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد، وجعل لي التراب طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم[١]. وروى الحرث وابن مردويه عن أنس ولفظه: أعطيت ثلاث خصال: أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام. وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٩٨.

٥٧٤٨ - (١٠) وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسول الله[١] ﷺ قال: «فُضّلتُ على الأنبياءِ بستّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِم، ونصرتُ بالرُّعبِ، وأُحلّتْ لي الغنائمُ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، وأُرسلتُ إلى الخلقِ كافةً، وخُتمَ بيَ النَّبيُّونَ».

كان قبلكم. إلا أن يكون الله أعطاها هارون. فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون.

٥٧٤٨ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست)** قال التوربشتي: وفي حديث جابر: بخمس، وليس هذا باختلاف تضاد وإنما هو اختلاف زمان، يكون فيه حديث الخمس متقدماً وذلك أنه أعطيها فحدث به، ثم زيد له السادسة فأخبر عن ست. قال ابن الملك: فإن قلت: هذا إنما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة. قلت: إن ثبت فلا كلام، وإلا فيحمل على أنه إخبار عن زيادتها في المستقبل، عبر عنه بالماضي تحقيقاً لوقوعه. اهـ. وقال صاحب الخلاصة: ويجوز أن يكون ذكر الخمس أو الست لمناسبة المقام، وحينئذ جاز أن يكون سبعاً، كما إذا ضمت الشفاعة إلى هذه الست. قلت: ويجوز أن تكون زائدة على السبع لما سيأتي ولما تقدم والله أعلم. **(أعطيت جوامع الكلم)** أي قوة إيجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فأبين بالكلمات اليسيرة المعاني الكثيرة، وقد جمعت أربعين حديثاً من الجوامع الواردة على الكلمتين اللتين هما أقل مما يتصوّر منه تركب الكلام، ويتأتى منه إسناد المرام نحو قوله عليه السلام: «العدة دين»[٢]، والمستشار مؤتمن[٣]، و«لا تغضب»[٤]». وأمثال ذلك. وقد روى أبو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه: أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً. وفي شرح السنة، قيل: جوامع الكلم هي القرآن، جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في ألفاظ يسيرة. وقيل: إيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعاً من الكلام. **(ونصرت بالرعب)** أطلقه هنا وقيد غايته فيما سبق، بمسيرة شهر. **(وأحلت لي)** أي لأجلي على أمتي. **(الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة)**. أي إلى الموجودات بأسرها عامة من الجن والانس والملك والحيوانات والجمادات، كما بينته في الصلوات العلية على الصلوات المحمدية. قال الطيبي: يجوز أن يكون كافة مصدراً، أي أرسلت رسالة عامة لهم محيط بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد، وأن يكون حالاً إما من الفاعل، والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية. والعلامة، وإما من المجرور، أي مجموعين. **(وختم بي النبيون)** أي وجودهم فلا يحدث بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى عليه السلام، وترويج دين نبينا ﷺ على أتم النظام وكفى به شهيداً شرفاً، وناهيك به فضلاً على

الحديث رقم ٥٧٤٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧١. حديث رقم (٥. ٥٢٣) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٢.

(١) في المخطوطة «النبي» ﷺ.

(٢) الطبراني في الأوسط ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٣٥٠ حديث رقم ٥٦٨٢.

(٣) الترمذي ٥/ ١١٥ حديث ٢٨٢٢.

(٤) أخرجه البخاري. وكذلك الترمذي حديث رقم ٢٠٢٠.

رواه مسلم.

٥٧٤٩ ـ (١١) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ بِجَوامِعِ الكَلِمِ، ونُصِرتُ بالرُّعبِ، وبَينا أنا نائمٌ رأيتُني أُوتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضعتْ في يدي». متفق عليه.

٥٧٥٠ ـ (١٢) وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللّهَ زَوَى لِيَ

سائر الأنام. قال الطيبي: أغلق باب الوحي وقطع طريق الرسالة وسد، وأخبر باستغناء الناس عن الرسل وإظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين. كما قال تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾** [المائدة ـ ٣]. وأمّا باب الإلهام فلا ينسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة، فلا ينقطع لدوام ضرورة حاجتها إلى تأكيد وتجريد وتذكير. وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا إلى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات. فالله تعالى أغلق باب الوحي بحكمته وفتح باب الإلهام برحمته لطفاً منه بعباده. **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي. وفي رواية الطبراني عن السائب بن يزيد: فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة وادخرت شفاعتي لأمتي ونصرت بالرعب شهراً أمامي وشهراً خلفي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وفي رواية البيهقي عن أبي أمامة: فضلت بأربع: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أتى الصلاة فلم يجد ما يصلي عليه وجه الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الناس كافة ونصرت بالرعب من مسيرة شهرين يسير بين يدي وأحلت لي الغنائم. وفي رواية الطبراني عن أبي الدرداء: فضلت بأربع: جعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل الصعيد لي وضوءاً وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم. فبعض الأحاديث وإن دل بمنطوقه، على أنه ﷺ مخصوص من عند الله تعالى بفضائل معدودة، لكن لا يدل مفهومه على حصر فضائله، فيها فإن فضائله غير منحصرة.

٥٧٤٩ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي)** في النهاية: أراد ما سهل الله تعالى له ولأمته من افتتاح البلاد المتعددات واستخراج الكنوز المتنوّعات. اهـ. أو المراد منه معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة وسائر الفلزات. **(متفق عليه)** ورواه النسائي.

٥٧٥٠ ـ **(وعن ثوبان)** وهو مولى النبي ﷺ **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله زوى لي**

الحديث رقم ٥٧٤٩: أخرجه البخاري ٦/ ١٢٨. حديث رقم ٢٩٧٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧١ حديث رقم (٦ ـ ٥٢٢). والنسائي في السنن ٦/ ٣ حديث رقم ٣٠٨٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤.

الحديث رقم ٥٧٥٠: أخرجه مسلم ٤/ ٢٢١٥. حديث رقم (١٩ ـ ٢٨٨٩). وأبو داود ٤/ ٤٥ حديث رقم ٤٢٥٢. والترمذي ٤/ ٤١٠ حديث رقم ٢١٧٦ وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزَينَ: الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألتُ ربِّي لأمَّتي أنْ لا يُهلكَها بسنةٍ عامَّةٍ، وأنْ لا يُسلطَ عليهم عدُوّاً من سِوَى أنفسهم فيستبيح بيضتَهم، وإنَّ ربِّي قال: يا محمَّدُ! إذا قضيتُ قضاءً فإنَّه لا يُردُّ، وإني أعطيتُكَ لأمَّتكَ أنْ لا أُهلكَهم بسنةٍ عامَّةٍ، وأنْ لا أُسلطَ عليهم عدُوّاً سِوى أنفسِهم فيستبيح بيضَتهم، ولو اجتَمعَ عليهم مَن بأقطارِها

الأرض) أي جمعها لأجلي. قال التوربشتي: زويت الشيء جمعته وقبضته يريد به تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها. وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظره، ولقد قال: **(فرأيت مشارقها ومغاربها)** أي جميعها **(وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها)** قال الخطابي: توهم بعض الناس أن من في منها للتبعيض وليس ذلك كما توهمه، بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة. ومعناه: أن الأرض زويت لي جملتها مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها، ثم هي تفتح لأمتي جزءاً فجزءاً حتى يصل ملك أمتي إلى كل أجزائها. أقول: ولعل وجه من قال بالتبعيض هو أن ملك هذه الأمة ما بلغ جميع الأرض، فالمراد بالأرض أرض الإسلام وإن ضمير منها راجع إليها على سبيل الاستخدام والله أعلم بالمرام. **(وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض)** بدلان مما قبلهما، أي كنز الذهب والفضة. قال التوربشتي: يريد بالأحمر والأبيض خزائن كسرى وقيصر، وذلك أن الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم. **(وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة)** أي بقحط شائع لجميع بلاد المسلمين. قال الطيبي: السنة القحط والجدب وهي من الأسماء الغالبة. **(وأن لا يسلط عليهم عدوّاً)** وهم الكفار. وقوله: **(من سوى أنفسهم)** صفة عدوّاً، أي كائناً من سوى أنفسهم. وإنما قيده بهذا القيد لما سأل أولاً ذلك فمنع على ما يأتي في الحديث الآتي **(فيستبيح)** أي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع والمفرد. **(بيضتهم)** قال ابن الملك: أي يجعلها مباحة. وقال شارح: أي يستأصل مجتمعهم. وقال الطيبي: أراد بالبيضة أي مجتمعهم موضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، وبيضة الدار وسطها ومعظمها. أراد عدوّاً يستأصلهم ويهلكهم جميعهم. وقيل: أراد إذا هلك أصل البيضة كان هلاك كلها فيه من طعم أو فرخ، وإذا لم يهلك أصل البيضة ربما سلم بعض فراخها. والنفي منصب على السبب والمسبب معاً، فيفهم منه أنه قد يسلط عليهم عدو لكن لا يستأصل شأفتهم. **(وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء)** أي حكمت حكماً مبرماً **(فإنه لا يرد)** أي بشيء بخلاف الحكم المعلق بشرط وجود شيء أو عدمه، كما حقق في باب الدعاء ورد البلاء. **(وإني أعطيتك)** أي عهدي وميثاقي. **(لأمتك)** أي لأجل أمة إجابتك **(أن لا أهلكهم بسنة عامة)** أي بحيث يعمهم القحط ويهلكهم بالكلية. قال الطيبي: اللام في لأمتك هي التي في قوله سابقاً: سألت ربي لأمتي، أي أعطيت سؤالك لدعائك لأمتك. والكاف هو المفعول الأوّل، وقوله: أن لا أهلكهم، المفعول الثاني كما هو في قوله: سألت ربي أن لا يهلكها، هو المفعول الثاني. **(وأن لا أسلط عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من)** أي الذين هم. **(بأقطارها)** أي بأطرافها جمع قطر، وهو الجانب والناحية.

حتى يكونَ بعضُهم يُهلكُ بعضاً، ويَسْبي بعضهم بعضاً». رواه مسلم.

٥٧٥١ ـ (١٣) وعن سعدٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بمسجدِ بَني معاويةَ، دخلَ فركعَ فيه ركعتَين وصلَّينا معه، ودَعا ربَّه طويلاً، ثمَّ انصرفَ فقال: «سألتُ ربِّي ثلاثاً، فأعطاني

والمعنى: فلا يستبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو اجتمع على محاربتهم من أطراف بيضتهم. وجواب لو ما يدل عليه قوله: وأن لا أسلط. **(حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي)** كيرمي بالرفع، عطف على يهلك، أي ويأسر. **(بعضهم)** بوضع الظاهر موضع المضمر. **(بعضاً)** أي بعضاً آخر. وفي نسخة بالنصب على أن يكون عطفاً على يكون. قال الطيبي: حتى بمعنى كي، أي لكي يكون بعض أمتك يهلك بعضاً. فقوله: إني إذا قضيت قضاء فلا يرد. توطئة لهذا المعنى. ويدل عليه حديث خباب بن الأرت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألته أن لا يهلك أمتي بسنة، فأعطاني وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»[1]. قال المظهر: اعلم أن الله تعالى في خلقه قضاءين، مبرماً ومعلقاً بفعل. كما قال: إن فعل الشيء الفلاني كان كذا وكذا، وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات. كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾ [الرعد ـ ٣٩]. وأما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه في الأزل من غير أن يعلقه بفعل. فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف على المقضى عليه ولا المقضى له لأنه من علمه بما كان وما يكون. وخلاف معلومه مستحيل قطعاً، وهذا من قبيل ما لا يتطرق إليه المحو والإثبات. قال تعالى: ﴿**لا معقب لحكمه**﴾ [الرعد ـ ٤١]. وقال النبي ﷺ: «لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه». فقوله ﷺ: إذا قضيت قضاء فلا يرد. من القبيل الثاني، ولذلك لم يجب إليه. وفيه أن الأنبياء مستجابوا لدعوة إلا في مثل هذا. **(رواه مسلم)**.

٥٧٥١ ـ **(وعن سعد)** أي ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة بالجنة. **(أن رسول الله ﷺ مر بمسجد من بني معاوية)** هم بطن من الأنصار، وقيل: كان المسجد في المدينة. **(دخل)** حال أو استئناف بيان. وفي رواية البغوي: فدخل أي دخل المسجد. **(فركع)** أي فصلى فيه **(ركعتين)** أي تحية أو فريضة. **(وصلينا معه)** أي موافقة أو متابعة **(ودعا)** أي فناجى، كما في رواية. **(ربه طويلاً)** أي زماناً كثيراً أو دعاء عريضاً بعد الصلاة. والظاهر أن أصحابه دعوا معه أو أمنوا. والأظهر أن طويلاً قيد للصلاة والدعاء، لما سيأتي في حديث خباب في أوّل الفصل الثاني. **(ثم انصرف)** أي من الدعاء **(فقال: سألت ربي ثلاثاً)** أي من المسؤولات، أو ثلاث مرات. **(فأعطاني**

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/ ٤٠٩ حديث رقم ٢١٧٥.

الحديث رقم ٥٧٥١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٦ حديث رقم (٢٠ ـ ٢١/ ٢٨٩٠). وأحمد في المسند ١/ ١٨٢.

ثنتَينِ، ومنعَني واحدةً، سألتُ ربِّي أنْ لا يُهلِكَ أُمَّتي بالسنةِ، فأعطانِيها، وسألتُهُ أنْ لا يُهلِكَ أُمَّتي بالغرَقِ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعلَ بأسَهم بينَهم فمنعنيها». رواه مسلم.

٥٧٥٢ ـ (١٤) وعن عطاءِ بن يسارٍ، قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرِو بن العاصِ قلتُ: أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التوراةِ، قال: أجلْ، واللّهِ إنَّه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفتِه في القرآنِ: ﴿يا أيها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبشِراً ونذيراً﴾ وحِرْزاً للأُمِّيِّينَ،

ثنتين ومنعني واحدة) فيه زيادة توضيح **(سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة)** أي بالقحط العام **(فأعطانيها)** أي المسألة **(وسألته أن لا يهلك)** أمتي **(بالغرق)** بفتحتين، وفي نسخة بسكون الراء أي بالغرق العام كقوم فرعون في اليم[1]، وقوم نوح بالطوفان. **(فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم)** أي حربهم الشديد **(بينهم فمنعنيها. رواه مسلم)**.

٥٧٥٢ ـ **(وعن عطاء بن يسار)** هو من أجلاء التابعين **(قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت:)** استئناف بيان **(أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ)** [أي عن نعته] **(في التوراة. قال: أجل)** بفتحتين وسكون اللام المخففة. قال الطيبي: هو حرف يصدق بها الخبر خاصة. يقال[2] لمن قال قام زيد أجل. وزعم بعض من جواز وقوعه بعد الاستفهام. وفي الحديث جاء جواباً للأمر على تأويل[3] قرأت[4] التوراة، هل وجدت صفة رسول الله ﷺ فيها، فأخبرني قال: أجل. أي نعم أخبرك **(والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن)** أي بالمعنى كقوله: **(﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾)** حال مقدرة من الكاف أو من الفاعل أو مقدراً أو مقدرين شهادتك على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم. ذكره الطيبي. أو شاهداً لأفعال أمتك يوم القيامة، أو لجميع الأنبياء في تبليغهم كما قال تعالى: **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾** [النساء ـ ٤١]. أو مزكياً لأمتك في شهادتهم على الأمم بتبليغ رسالة الأنبياء إليهم كما قال تعالى: **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾** [البقرة ـ ١٤٣]. وقد تقدم والله أعلم. أو معناه شاهداً لقدرتنا وإرادتنا في الخلق كما يشير إليه قوله: **(﴿ومبشراً﴾)** أي للمؤمنين بالمثوبة **(﴿ونذيراً﴾)** أي منذراً ومخوّفاً للكافرين بالعقوبة. **(وحرزاً)** بكسر الحاء وسكون الراء **(للأميين)** قال القاضي: أي حصناً وموئلاً للعرب يتحصنون به من غوائل الشيطان، أو عن سطوة العجم وتغلبهم. وإنما سموا أميين لأن أغلبهم لا يقرؤون ولا يكتبون. اهـ. أو لأنهم ينسبون إلى أم القرى وهي مكة،

---

(١) في المخطوطة «النيل».

الحديث رقم ٥٧٥٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٤٢. حديث رقم ٢١٢٥. وأحمد في المسند ٢/ ١٧٤.

(٢) في المخطوطة «تقول». (٣) في المخطوطة «تأول».

(٤) في المخطوطة «قراة».

أنتَ عبْدي ورسولي، سمَّيتُكَ المتوَكِّلَ، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفعُ بالسَّيئةِ السَّيئةَ؛ ولكنْ يَعفو ويغفرُ،

أو لكون نبيهم أمياً. ولعل هذا الوجه في هذا المقام أوجه ليشمل جميع الأمة ولا يبقى متمسك لليهود على ما زعموا، من أنه مبعوث إلى العرب خاصة. فإنه بذكره لا ينفي ما عداه لا سيما وقد قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾ [سبأ ـ ٢٨]. ولهذا قال ﷺ: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي». قال ابن الملك: ويجوز أن يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستئصال، أو الحفظ لهم من العذاب ما دام فيهم. قال تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ [الأنفال ـ ٣٣]. **(أنت عبدي)** أي الخاص كما وصفه بالقرآن في مواضع سبعة بإضافته إلى الله، أو ضميره إضافة تشريف. **(ورسولي)** أي الأخص كما قال في مواضع من القرآن: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى**﴾ [التوبة ـ ٣٣، الفتح ـ ٢٨، الصف ـ ٩]. فالإضافة للعهد، كما يقال: أكرم زيد عبده، إذا كان له عبيد متعددة. مع أنه إذا أطلق اسم الجنس فالمراد به الفرد الأكمل فتأمل. **(سميتك المتوكل)** أي خصصتك بهذا الوصف لكمال توكلك عليّ وتفويضك إليّ وتسليمك لدي، عملاً بما في القرآن: ﴿**وتوكل على الله**﴾ [النحل ـ ٨١، الأنفال ـ ٦١، الأحزاب ـ ٣، الأحزاب ـ ٤٨]. ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾ [الفرقان ـ ٥٨]. وكذا في قوله سبحانه: ﴿**لا نسألك رزقاً نحن نرزقك**﴾ [طه ـ ١٣١]. ﴿**ورزق ربك خير وأبقى**﴾ [طه ـ ١٣١]. ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [الطلاق ـ ٢ ـ ٣]. دلالة عليه وإشارة إليه. **(ليس بفظ)** التفات فيه تضمن للفنن. قال الطيبي: يحتمل أن يكون آية أخرى في التوراة لبيان صفته وأن يكون حالاً من المتوكل أو من الكاف في سميتك، فعلى هذا فيه التفات. اهـ. والمعنى ليس بسيىء الخلق أو القول. **(ولا غليظ)** أي ضخم كريه الخلق أو سيىء الفعل أو غليظ القلب وهو الأظهر لقوله تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظاً القلب**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. أي شديده وقاسيه فيناسب حينئذ أن يكون الفظ معناه بذاذة اللسان، ففيه إيماء إلى طهارة عضويه الكريمين من دنس الطبع ووسخ هوى النفس الذميمين. وقد قال الكلبي: فظاً في القول، غليظ القلب في الفعل. **(ولاسخاب)** بتشديد الخاء المعجمة أي صياح. **(في الأسواق)** قال الطيبي: أي هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس لسوء خلقه، ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدناءته، بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم. قلت: فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. أو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ [النور ـ ٣٧]. **(ولا يدفع بالسيئة السيئة)** لقوله تعالى: ﴿**وجزاء مسيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾ [الشورى ـ ٤٠]. ولقوله سبحانه: ﴿**دفع بالتي هي أحسن**﴾ [المؤمنون ـ ٩٦] الآية. واطلاق السيئة على جزائها إما للمشاكلة والمقاتلة، أو لكونه في صورة السيئة، أو بالإضافة إلى دفعها بالحسنة كأنها سيئة. ومنه قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين. **(ولكن يعفو)** أي عن المسيء **(ويغفر)** أي يستر أو يدعو له بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿**فاعف عنهم واصفح**﴾ [المائدة ـ ١٣]. وقوله: **(فاعف عنهم واستغفر لهم**﴾ [آل عمران ـ

ولنْ يقبضَه اللّهُ حتى يُقيمَ به المِلّةَ العَوْجاءَ بأنْ يقولوا: لا إِلهَ إلا اللّهُ، ويفتَح بها أعيُناً عُمْياً وآذاناً صمّاً وقُلوباً غُلفاً.

١٥٩]. وهذا أقرب مراتب معاملته مع المسيئين. وكان قد يقابلهم بالإِحسان إليهم لقوله تعالى: والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. **(ولن يقبضه)** بالياء التحتية في الأصول المعتمدة، وفي نسخة بالنون. ويؤيد الأوّل ما في نسخة صحيحه: ولن يقبضه الله. بزيادة لفظ الجلالة وكذا الحكم[1] في الأفعال الآتية. قال الطيبي: وكذا التقات في قوله: ولن يقبضه. بالياء المثناة من تحت على رواية المشكاة. ويعضده ما في شرح السنة: ولن يقبضه الله. **(حتى يقيم به)** أي بواسطته **(الملة العوجاء)** كما في التنزيل ذماً للكفار: ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً. وقال في مدح دين الإِسلام: ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ [التوبة ـ ٣٦]. ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى ـ ٥٢]. قال القاضي: يريد به ملة إبراهيم، فإنها قد اعوجت في أيام الفترة فزيدت ونقصت وغيرت وبدلت، وما زالت كذلك حتى قام الرسول ﷺ فأقامها. أقامها الله وأدامها. **(بأن يقولوا: لا إله إلا الله)** متعلق بقوله يقيم، وفيه إيماء إلى أن اقامة التوحيد في ادامة معنى هذه الكلمة من التفريد. وقال شارح للمصابيح: قال الله تعالى: ولن نقبضه. أي رسول الله ﷺ حتى نقيم به الملة العوجاء، أي حتى نجعلها مستقيمة. ويريد بها ما كانت العرب تتدين بها وتزعم أنها ملة إبراهيم، وإنما وصفها بالعوجاء وسماها ملة على الاتساع. كما يقال: الكفر ملة. **(ويفتح)** بالياء والنون على ما سبق وهو منصوب عطفاً على قوله: يقيم. وفي نسخة السيد، بالرفع على القطع أي وهو يفتح أو نحن. **(بها)** أي بواسطة هذه الكلمة. وفي نسخة: به، أي بهذا النبي أو بهذا القول. **(أعيناً)** بالنصب على ما في جميع نسخ المشكاة. **(عمياً)** بضم أوله جمع أعمى. قال الطيبي: هذا رواية البخاري والدارمي وكتاب الحميدي وجامع الأصول. وفي المصابيح يفتح بها أعين عمياء على بناء المفعول. والأول أصح رواية ودراية. أقول: ولعل وجه أصحية الدراية هو أن المعطوف عليه بصيغة الفاعل بلا خلاف على اختلاف أنه بالياء أو النون. ثم قوله: **(وآذاناً)** الخ على هذا المنوال وهو بمد الهمز جمع الأذن. **(صماً)** جمع أصم **(وقلوباً غلفاً)** بضم أوله وجمع أغلف وهو الذي لا يفهم كأن قلبه في غلاف، وإنما ذكر هذه الأعضاء لأنها آلات للعلوم والمعارف. قال تعالى في حق الكفار: ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ [البقرة ـ ٧]. وقال: ﴿**صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾ [البقرة ـ ١٧١]. ولعله لم يذكر اللسان في معرض هذا البيان لأنه ترجمان الجنان والإِناء يترشح بما فيه من الأعيان. قال الطيبي: فإن قلت: قوله: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يقتضي أن تكون المذكورات كلها مثبتة في القرآن. قلت: أجل، أما قوله: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك**﴾. ففي الأحزاب[2]. وقوله: حرزاً للأميين. ففي الجمعة: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ [الجمعة ـ ٢]. وقوله: سميتك المتوكل، إلى قوله:

---

(١) في المخطوطة «الحاكم».
(٢) سورة الأحزاب. آية رقم ٤٥.

رواه البخاري.

٥٧٥٣ ـ (١٥) وكذا الدارميُّ، عن عطاءٍ، عن ابنِ سلامٍ نحوَه.

ولكن يعفو ويغفر. في قوله تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب**﴾. إلى قوله: ﴿**إن الله يحب المتوكلين**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. وقوله: ولا سخاب في الأسواق، في قوله تعالى: ﴿**فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين**﴾ [الحجر ـ ٩٨]. أي دم على التسبيح والتحميد واجعل نفسك من الذين لهم مساهمة ونصيب وافر في السجود، فلا تخل بها ولا تشتغل بغيرها. ومن ثم قال ﷺ: «ما أوحي إلي أن أكون من التاجرين ولكن أوحي إليّ أن أكون من الساجدين»[(١)]. فقوله: ولا سخاب في الأسواق، من قبيل قوله تعالى: ﴿**ولا شفيع يطاع**﴾ [غافر ـ ١٨]. إذ هو يحتمل أن يراد به نفي سخاب وحده ونفيهما معاً وهو المراد هنا. قلت: ويحتمل أن يكون قوله في الأسواق قيداً معتبراً في النفي احترازاً من رفع صوته في القراءة والخطبة في المساجد. قال: وقوله: ولا يدفع بالسيئة السيئة. في قوله تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن**﴾ [فصلت ـ ٣٤]. وقوله: حتى يقيم به الملة العوجاء، في قوله تعالى: ﴿**قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد**﴾ [الأنبياء ـ ١٠٨]. أي ما يوحى إلي إلا أن أقيم التوحيد وأنفي الشرك. فإن قلت: كيف الجمع بين قوله: ويفتح بها أعيناً عمياً، وبين قوله تعالى: ﴿**وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم**﴾ [النمل ـ ٨١، الروم ـ ٥٣]. قلت: دل إيلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على أن الكلام في الفاعل، وذلك أنه تعالى نزله بحرصه على إيمان القوم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية. فقال له: أنت لست بمستقل فيه بل: ﴿**إنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى ـ ٥٢]. بإذن الله وتيسيره. اهـ. وحاصله أنه قد ينسب الهداية إليه ﷺ نظراً إلى كونه من أسباب الهداية، ومنه قوله سبحانه: ﴿**وإنك لتهدي**﴾ [الشورى ـ ٥٢]. وتنفي عنه أخرى نظراً إلى أن حقيقة الهداية راجعة إلى الله تعالى، ومنه قوله سبحانه: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾[(٢)]. فيكون من قبيل قوله تعالى: ﴿**وما رميت إذ رميت**﴾[(٣)]. أي ما رميت خلقاً. وحقيقة إذ رميت كسباً، وصورة: ﴿**ولكن الله رمى**﴾ [الأنفال ـ ١٧]. حيث جعلك قادراً على الرمي وفاعلاً له. والأظهر أن نفي الهداية عنه إنما هو بالنسبة إلى من لم يرد الله هدايته، واثباتها له فيمن أراده لهذا فلا منافاة. فهو ﷺ مظهر هدايته كما أن إبليس مظهر ضلالته. وإلا فهو سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء. من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده[(٤)] فلا مضل له. **(رواه البخاري)** أي عن عطاء بن يسار.

٥٧٥٣ ـ **(وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام)**. وهو صحابي مشهور **(نحوه)** أي نحو ما رواه البخاري في المعنى مع نوع مخالفة في اللفظ. وقال شارح للمصابيح: وفي سائر نسخ

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٣١ وفيه زيادات.
(٢) سورة القصص. آية رقم ٥٦.
(٣) سورة الأنفال. آية رقم ١٧.
(٤) في المخطوطة «يهدي».

الحديث رقم ٥٧٥٣: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٦ حديث رقم ٦.

وذكر حديث أبي هريرةَ: «نحنُ الآخرونَ» في «باب الجمعة».

الفصل الثاني

٥٧٥٤ ـ (١٦) عن خبَّابِ بنِ الأرتِّ، قال: صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةً، فأطالَها. قالوا: يا رسولَ الله! صلَّيتَ صلاةً لم تكن تُصليها، قال: «أَجَلْ، إِنها صلاةُ رغبةٍ ورهبةٍ، وإِني سألتُ اللَّهَ فيها ثلاثاً، فأعطاني اثنتَينِ ومنعَني واحدةً، سألتُه أن لا يهلكَ أُمَّتي بسنةٍ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يسلِّطَ عليهم عدُوّاً من غيرِهم

المصابيح رواه عطاء بن سلام، وهو غلط. والصواب رواه عطاء عن ابن سلام، يعني عبد الله ابن سلام. وعطاء هو عطاء بن يسار الراوي عن عبد الله بن عمرو. اهـ. وحاصله أن عطاء بن يسار يروي هذا الحديث من طريق ابن عمرو، كما رواه البخاري. ويرويه أيضاً من طريق ابن سلام كما رواه الدارمي. والمناسب للصحاح المعبر عنه بالفصل الأول هو رواية البخاري وتأييده برواية الدارمي للالتزام السابق، وبه يحصل نوع اعتراض لصاحب المشكاة على البغوي، مع قطع النظر عن تخطئة سائر نسخ المصابيح. **(وذكر حديث أبي هريرة: نحن الآخرون)** أي السابقون يوم القيامة، الحديث بطوله. **(في باب الجمعة)** لكونه أنسب بذلك الباب باعتبار أواخر الحديث وغالبه فهو من المؤلف اعتذار قولي، واعتراض فعلي.

(الفصل الثاني)

٥٧٥٤ ـ **(عن خباب)** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى **(ابن الأرت)** بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية، صحابي مشهور. **(قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة فأطالها)** أي فجعلها طويلة باعتبار أركانها أو بالدعاء فيها **(قالوا: يا رسول الله صليت صلاة)** أي عظيمة **(لم تكن تصليها)** أي عادة **(قال: أجل)** أي نعم **(إنها صلاة رغبة)** أي رجاء **(ورهبة)** أي خوف. قال شارح: أي صلاة فيها رجاء للثواب ورغبة إلى الله وخوف منه تعالى. قلت: الأظهر أن يقال: المراد به أن هذه صلاة جامعة بين قصد رجاء الثواب وخوف العقاب بخلاف سائر الصلوات، إذ قد يغلب فيها أحد الباعثين على أدائها. قالوا: وفي قوله تعالى: **﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾** [السجدة ـ ١٦]. بمعنى أو لمانعة الخلو. ثم لما كان سبب صلاته الدعاء لأمته، وهو كان بين رجاء الإجابة وخوف الرد طوّلها، ولذا قال: **(وإني سألت الله فيها ثلاثاً)** أي ثلاث مسائل **(فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة)** تصريح بما علم ضمناً **(سألته أن لا يهلك أمتي بسنة)** أي بقحط عام، وفي معناه الوباء. والمقصود أن لا يهلكوا بالاستئصال. **(فأعطانيها. وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم)** وهم الكفار، لأن العدوّ من أنفسهم أهون ولا

الحديث رقم ٥٧٥٤: أخرجه النسائي في السنن ٣/ ٢١٦ حديث رقم ١٦٣٨. وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٠٨ حديث رقم ٢١٧٥. وأحمد في المسند ٥/ ١٠٩.

فأعطانيها، وسألتُه أنْ لا يذيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ فمنعَنيها». رواه الترمذي، والنسائي.

٥٧٥٥ ـ (١٧) وعن أبي مالك الأشعريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أجاركم منْ ثلاثِ خلالٍ: أنْ لا يدعُوَ عليكم نبيُّكم فتهلكوا جميعاً، وأنْ لا يظهرَ أهلُ الباطلِ على أهلِ الحقِّ، وأن لا تجتمِعوا على ضلالة».

يحصل به الهلاك الكلي، ولا إعلاء كلمته السفلى. (**فأعطانيها. وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض**) أي حربهم وقتلهم وعذابهم (**فمنعنيها**) أي لما سبق من الحكمة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو من قوله تعالى: ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾. أي يجعل كل فرقة منكم متابعة لإمام وينشب القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم بأس بعض. المعنى يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى. اهـ. وفي المعالم ذكر بإسناده المتصل إلى البخاري مسنداً إلى جابر قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم**﴾. قال: أعوذ بوجهك. ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾. قال: أعوذ بوجهك. ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ [الأنعام ـ ٦٥]. قال رسول الله ﷺ: هذا أهون، أو هذا أيسر[١]. (**رواه الترمذي والنسائي**).

٥٧٥٥ ـ (**وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزَّ وجلَّ أجاركم**) أي حفظكم وأنقذكم (**من ثلاث خلال**) أي خصال (**أن لا يدعو عليكم نبيكم**) أي يكفر بعضكم قاله ابن الملك. والأظهر أنه لا يدعو عليكم دعاء الاستئصال بالإهلاك (**فتهلكوا جميعاً**) أي كما دعا نوح وموسى ذكره ابن الملك. لكن دعاء موسى كان خاصاً ببعض قومه وهو القبط دون السبط، كما لا يخفى. (**وأن لا يظهر**) أي لا يغلب (**أهل الباطل**) أي وإن كثر أنصاره (**على أهل الحق**) أي وإن قل أعوانه. ومنه قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[٢]. على ما رواه الحاكم عن عمر. وفي رواية ابن ماجه عن أبي هريرة: «لا يزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها»[٣]. ولعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾ [التوبة ـ ٣٢]. وفي المصابيح: على الحق. قال شارح له: أي بحيث يمحقه ويطفىء نوره. وإن كانت الرواية على أهل الحق فإنه أراد به الظهور حتى لا يبقى لهم فئة ولا جماعة. قال التوربشتي: يريد أن الباطل وإن كثرت أنصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفىء نوره. ولم يكن ذلك بحمد الله مع ما ابتلينا به من الأمر الفادح والمحنة العظمى بتسلط الأعداء علينا. ومع استمرار الباطل فالحق أبلج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها. (**وأن لا تجتمعوا على ضلالة**) أي وأن لا تتفقوا على شيء باطل. وهذا يدل

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ١٠٤.

الحديث رقم ٥٧٥٥: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٥٢ حديث رقم ٤٢٥٣.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٤٩. (٣) ابن ماجه ١/ ٥ حديث رقم ٧. ولفظه «لا تزال»...

رواه أبو داود.

٥٧٥٦ ـ (١٨) وعن عوفِ بن مالكٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لنْ يجمعَ اللَّهُ على هذِه الأمَّةِ سَيفَينِ: سَيفاً منها وسَيفاً منْ عدوِّها». رواه أبو داود.

٥٧٥٧ ـ (١٩) وعن العبَّاسِ، أنَّه جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فكأنَّه سمعَ شيئاً، فقامَ النبيُّ ﷺ على المنبرِ، فقال: «مَن أنا؟» فقالوا: أنتَ رسولُ الله.

على أن إجماع الأمة حجة، وأن ما هو حسن عند الناس فهو حسن عند الله، ويقويه قوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى وفصله جهنم وساءت مصيرا**﴾ [النساء ـ ١١٥]. فهذا مأخذ حسن لقولهم: الإجماع حجة. استنبطه الشافعي [رحمه الله] من الكتاب. قال الطيبي: وحرف النفي في القرائن زائد مثل قوله تعالى: ﴿**ما منعك ألا تسجد**﴾ [الأعراف ـ ١٢]. وفائدته تأكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه. وذلك أن الإجارة إنما تستقيم إذا كانت الخلال مثبتة أو منفية. **(رواه أبو داود)**.

٥٧٥٦ ـ **(وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين سيفاً منها وسيفاً من غيرها)** أي بل اختار الله الأيسر منهما وهو السيف منها دون السيف من غيرها على وجه الاستئصال، وإلا فقد يجتمعان في بعض الأحوال. ففيه إشارة إلى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه الأمة إلى يوم القيامة. لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعاً: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»(١). وقال القاضي: معناه أن سيوفهم وسيوف أعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤديان إلى استئصالهم، بل إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن أنفسهم ويكف عنهم بأسهم. وهو من قول الشيخ التوربشتي: وقال الطيبي: الظاهر أن يقال: إنه تعالى وعدني أن لا يجمع على أمتي محاربتين، محاربة بعضهم بعضاً ومحاربة الكفار معهم، بل تكون إحداهما فإذا كانت إحداهما لا يكون الأخرى لأنه موافق للأحاديث السابقة، لأنه ﷺ سأل ربه تعالى أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يستأصلهم، وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فأجاب الأوّل ومنع الثاني؛ ولم يجمع بين المنعين. **(رواه أبو داود)**.

٥٧٥٧ ـ **(وعن العباس أنه جاء)** أي غضبان **(إلى النبي ﷺ فكأنه سمع شيئاً)** أي من الطعن في نسبه أو حسبه **(فقام النبي ﷺ على المنبر)** أي ليكون بيان أمره أظهر على رؤوس المحضر **(فقال: من أنا)** استفهام تقرير على جهة التبكيت **(فقالوا: أنت رسول الله ﷺ)** فلما كان قصده ﷺ بيان نسبه وهم عدلوا عن ذلك المعنى، ولم يكن الكلام في ذلك المبنى؛

الحديث رقم ٥٧٥٦: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٤٣٠١. وأحمد في المسند ٥٧٥٦.

(١) مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٤ حديث رقم ١٩٢٢.

الحديث رقم ٥٧٥٧: أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٥ حديث رقم ٣٦٠٧ وأحمد في المسند.

فقال: «أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ، إنَّ اللَّهَ خلقَ الخلقَ فجعلَني في خيرِهم، ثمَّ جعلهم فرقتَيْن، فجعلني في خيرِهم فرقةً، ثمَّ جعلهم قبائلَ فجعلَني في خيرهم قبيلةً، ثمَّ جعلهم بيوتاً فجعلَني في خيرِهم بيتاً، فأنا خيرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً».

(قال: **أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب**) يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب. قال الطيبي: قوله: فكأنه سمع مسبب عن محذوف، أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعناً من الكفار في رسول الله ﷺ نحو قوله تعالى: ﴿**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ [الزخرف ـ ٣١]. كأنهم حقروا شأنه وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو عظيم من إحدى القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي مثلاً فأقرهم ﷺ على سبيل التبكيت، على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه. فإنه أولى بهذا الأمر من غيره لأن نسبه أعرف وأرومته أعلى وأشرف. ومن ثم لما قالوا: أنت رسول الله، ردهم بقوله: أنا محمد بن عبد الله. ويعضد هذا التأويل ما روى البخاري عن أبي سفيان أنه حين سأله هرقل عظيم الروم عن نسبه ﷺ فقال: هو فينا ذو نسب. فقال هرقل: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها(١). ألا ترى كيف جعل النسب ظرفاً لتبعث رأتي بفي، أي في النسب. اهـ. ثم استأنف في بيان ما رزقه الله من طهارة نسبه ونظافة حسبه عموماً وخصوصاً تحدثاً بنعمته وترغيباً لأمته في أمر متابعته. (**فقال: إن الله خلق الخلق**) أي الجن والإنس وأبعد الطيبي وأدخل الملك معهم لقوله: (**فجعلني في خيرهم**) وهو الإنس (**ثم جعلهم**) أي صير هذا الخير بمعنى الخيار أو الأخيار (**فرقتين**) أي عرباً وعجماً (**فجعلني في خيرهم فرقة**) وهم العرب (**ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة**) يعني قريشاً (**ثم جعلهم بيوتاً**) أي بطوناً (**فجعلني في خيرهم بيتاً**) يعني بطن بني هاشم (**فأنا خيرهم نفساً**) أي ذاتاً وحسناً. (**وخيرهم بيتاً**) أي بطناً ونسباً. وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ [التوبة ـ ١٢٨]. وقوله: ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم**﴾ [آل عمران ـ ١٦٤]. بفتح الفاء فيهما على قراءة شاذة صحيحة. قال الطيبي: قوله: ثم جعلهم قبائل. بعد قوله: ثم جعلهم فرقتين. إشارة إلى بيان الطبقات الست التي عليها العرب وهي، الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الأفخاذ والفخذ يجمع الفصائل. فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة. وسميت الشعوب لأن القبائل تتشعب منها. فقوله: خلق الخلق أي الملائكة والثقلين فجعلني في خيرهم، أي في العرب. وهلم جراً. فأنا بفضل الله ولطفه على ما في سابقة الأزل خير الخلق نفساً حيث خلقني إنساناً رسولاً خاتماً للرسل تمم دائرة الرسل بي وجعلني نقطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولي ويحتاجون إلي، وخيرهم بطناً حيث نقلني من طيب إلى طيب إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣١ حديث رقم ٧.

رواه الترمذي.

٥٧٥٨ ـ (٢٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قالوا: يا رسولَ الله! متى وجَبَتْ لكَ النبوَّةُ؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ». رواه الترمذي.

٥٧٥٩ ـ (٢١) وعن العِرْباض بن ساريةَ، عن رسولِ الله ﷺ، أنَّه قال: «إني عندَ اللَّه مكتوبٌ: خاتمُ النَّبيِّينَ،

نقلني من صلب عبد الله بالنكاح من أشرف القبائل والبطون فأنا أفضل خلق الله تعالى عليه وأكرمهم لديه. (رواه الترمذي) ولفظ الجامع: إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفرقتين، ثم خير القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً[(١)].

٥٧٥٨ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة**) أي ثبتت (**قال: وآدم**) أي وجبت لي النبوّة، والحال أن آدم (**بين الروح والجسد**) يعني وأنه مطروح على الأرض صورة بلا روح. والمعنى أنه قبل تعلق روحه بجسده. قال الطيبي: هو جواب لقولهم: متى وجبت، أي وجبت في هذه الحالة. فعامل الحال وصاحبها محذوفان. (**رواه الترمذي**) ورواه ابن سعد وأبو نعيم في الحلية عن ميسرة الفخر. وابن سعد عن ابن أبي الجدعاء، والطبراني في الكبير عن ابن عباس بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد. كذا في الجامع[(٢)]. وقال ابن ربيع: أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وصححه الحاكم[(٣)]. وروى أبو نعيم في الدلائل وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث[(٤)]. وأما ما يدور على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. فقال السخاوي: لم أقف عليه بهذا اللفظ، فضلاً عن زيادة: وكنت نبياً ولا ماء ولا طين. وقال الحافظ ابن حجر في بعض أجوبته: إن الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي. وقال الزركشي: لا أصل له بهذا اللفظ. ولكن في الترمذي: متى كنت نبياً قال: وآدم بين الروح والجسد. قال السيوطي: وزاد العوام: ولا آدم ولا ماء ولا طين. ولا أصل له أيضاً.

٥٧٥٩ ـ (**وعن العرباض بن سارية**) بكسر العين صحابي جليل (**عن رسول الله ﷺ أنه قال: إني**[(٥)] **عند الله مكتوب خاتم النبيين**) بفتح التاء وكسرها وهو مرفوع على أنه نائب

---

(١) الجامع الصغير ١/١٠٨ حديث رقم ١٧٣٥.

الحديث رقم ٥٧٥٨: أخرجه الترمذي ٥/٥٤٦ حديث رقم ٣٦٠٩.

(٢) الجامع الصغير ٢/٤٠٠ حديث رقم ٦٤٢٤.

(٣) الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٩.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن قتادة أخرجه ابن سعد. ٢/٤٠٠ حديث رقم ٦٤٢٣.

الحديث رقم ٥٧٥٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٠٧ حديث رقم ٣٦٢٦.

(٥) في المخطوطة «أنا».

وإنَّ آدمَ لمنجدِلٌ في طينتِه، وسأخبرُكم بأوَّلِ أمري، دعوَةُ إبراهيمَ، وبشارةُ عيسى، ورُؤيا أُمي التي رأَتْ حينَ وضعَتْني وقدْ خرجَ لها نورٌ أضاء لها منه قصور الشام». رواه في «شرح السنَّة».

٥٧٦٠ ـ (٢٢) ورواه أحمدُ، عن أبي أُمامةَ منْ قولِه: «سأخبرُكم» إلى آخره.

٥٧٦١ ـ (٢٣) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيّدُ وُلِد آدمَ يومَ

الفاعل. وقيل: منصوب على التمييز، أي مكتوب من هذه الحيثية. **(وإن آدم لمنجدل)** من الجدل وهو الالقاء على الأرض الصلبة، أي والحال إنه لساقط وملقى. **(في طينته)** أي خلقته، وهو خبر ثان لأن الجملة حال من ضمير مكتوب، أي كتبت خاتم الأنبياء في الحال التي آدم مطروح على الأرض حاصل في أثناء خلقته لما يفرغ من تصويره وتعلق الروح به، كذا ذكره الشراح. **(وسأخبركم بأوّل أمري)** قيل: أي بأول ما ظهر من نبوّتي ورفعتي في الدنيا على لسان أبي الملة إبراهيم عليه السلام. وقوله: **(دعوة إبراهيم)** بالرفع، أي هو دعوة إبراهيم حين بنى الكعبة، فقال: **﴿ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم﴾** [البقرة ـ ١٢٩]. فاستجاب الله دعاءه. وفي نسخة بالجر على البدلية مما قبله. وكذا قوله: **(وبشارة عيسى)** يعني قوله: **﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾** [الصف ـ ٦]. **(ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني)** قال الطيبي وقوله وغيره: يحتمل أن يراد منها الرؤية في المنام وفي اليقظة. فعلى الأول معنى وضعت أي شارفت وقربت من الوضع، وذلك لما روى ابن الجوزي في كتاب الوفاء أن أمه ﷺ رأت حين دنت ولادتها أتاها آت فقال: قولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، بعد أن رأت حين حملت به أن آتيا أتاها وقال: هل شعرت أنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها. وعلى الثاني يكون المرئي محذوفاً وهو ما دل عليه قوله: **(وقد خرج)** أي ظهر **(لها)** أي لأمي **(نور أضاء)** أي تبين لها **(منه)** أي من ذلك النور **(قصور الشام)** وذلك النور عبارة عن ظهور نبوته ما بين المشرق والمغرب، واضمحل بها ظلمة الكفر والضلالة. وفي نسخة بنصب قصور، وهو لا يخلو عن قصور لوجود منه، وإلا فأضاء جاء لازماً وقاصراً. **(رواه)** أي البغوي الحديث بكماله **(في شرح السنة)** أي بإسناده عن العرباض.

٥٧٦٠ ـ **(ورواه أحمد عن أبي أمامة من قوله: سأخبركم)** الخ قلت: وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن العرباض: إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وروى ابن عساكر عن عبادة بن الصامت ولفظه: أنا دعوة إبراهيم وكان آخر من بشر بن عيسى ابن مريم.

٥٧٦١ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا**

الحديث رقم ٥٧٦٠: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٧.

الحديث رقم ٥٧٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٠ حديث رقم ٤٣٠٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢.

القيامةِ ولا فخر، وبيَدي لواءُ الحمدِ

فخر) أي ولا أقوله تفاخراً، بل اعتداداً بفضله وتحدثاً بنعمته وتبليغاً لما أمرت به. وقيل: لا أفتخر بذلك، بل فخري بمن أعطاني هذه المرتبة. أقول: ويمكن أن يكون المعنى ولا فخر لي بهذه السيادة، بل أفتخر بالعبودية له والعبادة، فإنه يوجب الحسنى والزيادة. قال الطيبي: قوله: ولا فخر، حال مؤكدة، أي أقول هذا ولا فخر. قال التوربشتي: الفخر ادعاء العظمة والمباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه. قال النووي: فيه وجهان أحدهما قاله امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾ [الضحى ـ ١١]. وثانيهما أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه في توقيره ﷺ، كما أمرهم الله تعالى به. قال الراغب: فإن قلت: كيف استحسن مدح الإنسان نفسه وقد علم في الشاهد استقباحه، حتى قيل للحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً. قال: مدح الرجل نفسه. قلنا: قد يحسن ذلك عند تنبيه المخاطب على ما خفي عليه من حاله، كقول المعلم للمتعلم: اسمع مني فإنك لا تجد مثلي. وعلى ذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿**اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم**﴾ [يوسف ـ ٥٥]. وسئل بعض المحققين عن شيء لم يقبح إطلاقه في الله تعالى، مع ورود الشرع فأنشد:

ويقبح من سواك الشيء عندي * وتفعله فيحسن منك ذاكا

قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: قال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح. وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن [عن] العمل، فكذلك الممدوح. لأن المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب. وهو لذلك مهلك كالذبح. فإن سلم المدح عن هذه الآفات لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوباً إليه. ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة، وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً أو عجباً، بل يزيدهم جداً يبعثهم أن يزيدوا فيما يستوجبون الحمد من مكارم الأخلاق. قلت: ونظيره العالم أو الشيخ إذا أثنى عليه تلميذه أو مريده القابل العاقل بمحضر جماعة، فإنه لا شك أن يكون سبباً لزيادة رغبتهما في المجاهدة وتحصيل أعلى مراتب العلم والعبادة. نعم يقع نادراً ممن يكون فيه البلادة حيث يحصل له الفتور المؤدي إلى مقام القصور فيتوقف عن طلب الزيادة، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور والنقصان بعد الزيادة. وقد قيل: من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. ومن استوى يوماه فهو مغبون زمان. ففي الحديث: منهومان لا يشبعان. وقال تعالى: ﴿**وقل رب زدني علماً**﴾ [طه ـ ١١٤]. وفي النهاية: قاله ﷺ اخباراً عما أكرمه الله تعالى من الفضل والسؤدد وتحدثاً بنعمة الله تعالى عنده وإعلاماً منه ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله: **(ولا فخر)** أي أن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى، لم أنلها من قبل نفسي ولا نلتها بقوّتي، فليس لي أن أفتخر بها. **(وبيدي)** أي بتصرفي وعندي يوم القيامة في المقام المحمود. **(لواء الحمد)** اللواء بالكسر والمد العلم، وفي العرصات مقامات لأهل الخير والشر ينصب في كل مقام، لكل متبوع لواء يعرف به قدوة حق كان أو أسوة [باطل]، وأعلى تلك المقامات مقام الحمد. ففي النهاية. اللواء الراية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش. يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤوس الخلائق.

ولا فخر. وما مِن نبيٍّ يومئذٍ آدمُ فمن سواهُ إلا تحت لوائي، وأنا أوَّلُ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر». رواه الترمذي.

٥٧٦٢ ـ (٢٤) وعن ابن عبَّاس، قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسولِ اللَّهِ، فخرج، حتى إِذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، قال بعضهم: إِنَّ الله اتخذ إِبراهيم خليلاً، وقال آخر: موسى كلمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى

[فوضع اللواء موضع الشهرة. قال الطيبي: فعلى هذا لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤوس الخلائق]، ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد، وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال: لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد، ودونه ينتهي سائر المقامات. ولما كان نبينا سيد المرسلين أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة، أعطي لواء الحمد ليأوي إلى لوائه الأوّلون والآخرون. وإليه الإشارة بقوله ﷺ: آدم ومن دونه تحت لوائي. ولهذا المعنى افتتح كتابه بالحمد واشتق اسمه من الحمد، فقيل محمد وأحمد. وأقيم يوم القيامة المقام المحمود. ويفتح عليه في ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على أحد قبله ولا يفتح على أحد بعده، وأمدّ أمته ببركته من الفضل الذي آتاه، فنعت أمته في الكتب المنزلة قبله بهذا النعت فقال: أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء لله الحمد أوّلاً وآخراً ولا فخر. فإن مرتبة القرب المرتب عليه اللقاء الناشيء عن مقام الرضا والفناء بالبقاء أعلى من ذلك، لخلوص التوجه إلى المولى ونسيان ما سواه من الورى. **(وما من نبي يومئذ آدم)** بالرفع، وقيل بالخفض على أنه بيان أو بدل من محل من نبي، أو من لفظ نبي. وعطف عليه قوله: **(فمن سواه إلا تحت لوائي)** قال الطيبي: نبي نكرة وقعت في سياق النفي وأدخل عليه من الاستغراقية، فيفيد استغراق الجنس. وقوله: آدم فمن، إما بيان أو بدل من محله، ومن فيه موصولة، وسواه صلته. وصح لأنه ظرف وأوثر الفاء التفصيلية في[1]: فمن سواه، على الواو للترتيب، على منوال قولهم: الأمثل فالأمثل. **(وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر. رواه الترمذي)** وزاد في الجامع: وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[2].

٥٧٦٢ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم)** حال من الضمير في دنا، وقد مقدرة. وقوله: **(يتذاكرون)** حال من الضمير المنصوب في سمعهم، كذا ذكره الطيبي. والظاهر أن قوله سمعهم جواب إذا، وقوله: قال بعضهم، إما استئناف بيان للتذاكر أو حال بتقدير قد، أو بدونه. **(إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً. وقال آخر: موسى كلمة الله تكليماً. وقال آخر: فعيسى)** أي إذا كان الكلام في

---

(١) في المخطوطة «فهي».
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٦٩٣.

الحديث رقم ٥٧٦٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٦ والدارمي في السنن ١/ ٣٩ حديث رقم ٤٧.

كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «قد سمعتُ كلامكم وعجبكم، إِن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، أَلا وأنا حبيب الله ولا فخر،

التفاضل فعيسى. (**كلمة الله وروحه**) أي شرف بإضافتهما إليه. قال الطيبي: الفاء في قوله: فعيسى جواب شرط محذوف، أي إذا ذكرتم الخليل فاذكروا عيسى كقوله تعالى: ﴿**فلم تقتلوهم**﴾ [الأنفال: ١٧]. أي إذا افتخرتم بقتلهم فإنكم لم تقتلوهم. (**وقال آخر: آدم اصطفاه الله**) أي بتعليم الأسماء وبإسجاد ملائكة السماء. (**فخرج عليهم رسول الله ﷺ**) كرره لينيط به غير ما أناط به أولاً، أو يكون خرج أوّلاً من مكان وثانياً منه إلى آخر. (**وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم**) بفتحتين أي وفهمت تعجبكم، فهو من باب قلدت سيفاً ورمحاً. (**إن إبراهيم خليل الله**) بفتح الهمزة على أنه بدل مما قبله أو مفعول له، وفي نسخة بالكسر استئنافاً. (**وهو كذلك**) أي كون إبراهيم خليل الله حق وصدق. (**وموسى نجي الله**) فعيل من النجوى بمعنى الفاعل أو المفعول، أي كليم الله. (**وهو كذلك. وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك. وآدم اصطفاه الله وهو كذلك: ألا**) للتنبيه جيء به للتأكيد بين [المعطوف] والمعطوف عليه، حيث قال: (**وأنا حبيب الله**) أي محبه ومحبوبه (**ولا فخر**) قال الطيبي: قرر أوّلاً ما ذكروا من فضائلهم بقوله: وهو كذلك. ثم نبه على أنه أفضلهم وأكملهم وجامع لما كان متفرقاً فيهم، [فالحبيب خليل ومكلم ومشرف. اهـ]. واعلم أن الفرق بين الخليل والحبيب، أن الخليل من الخلة أي الحاجة، فإبراهيم عليه السلام كان افتقاره إلى الله تعالى فمن هذا الوجه اتخذه خليلاً. والحبيب فعيل بمعنى الفاعل والمفعول، فهو ﷺ محب ومحبوب والخليل محب لحاجته إلى من يحبه، والحبيب محب لا لغرض. وحاصله أن الخيل في منزلة المريد السالك الطالب، والحبيب في منزلة المراد المجذوب المطلوب. ﴿**الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾ [الشورى - ١٣]. ولذا قيل: الخليل يكون فعله برضا الله تعالى، والحبيب يكون فعل الله برضاه. قال تعالى: ﴿**فلنولينك قبلة ترضاها**﴾ [البقرة - ١٤٤]. ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ [الضحى - ٥]. وقيل: الخليل مغفرته في حد الطمع، كما قال إبراهيم: ﴿**والذي أطمع أن يغفر لي**﴾ [الشعراء - ٨٢]. والحبيب مغفرته في مرتبة اليقين، كما قال تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح - ٢]. والخليل قال: ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون**﴾[١]. والحبيب قال تعالى في حقه: ﴿**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه**﴾[٢]. والخليل قال: ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾ [الشعراء - ٨٤]. وقال للحبيب: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ [الشرح - ٤]. والخليل قال: ﴿**واجعلني من روثة جنة النعيم**﴾ [الشعراء - ٨٥]. والحبيب قال: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر - ١]. والأظهر في الاستدلال على أن مرتبة محبوبيته في درجة الكمال قول ذي الجلال والجمال: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله**

---

(١) سورة الشعراء. آية رقم ٨٧.

(٢) سورة التحريم. آية رقم ٨.

وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أوَّل شافعٍ وأوَّل مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوَّل من يحرك خلق الجنَّةِ فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولين والآخرين على الله ولا فخر» رواه الترمذي، والدارمي.

٥٧٦٣ ـ (٢٥) وعن عمرو بن قيس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون، ونحن

فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران ـ ٣١]. **(وأنا حامل لواء الحمد)** بالإضافة **(يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر. وأنا أول شافع وأول مشفع)** أي مقبول الشفاعة **(يوم القيامة ولا فخر. وأنا أول من يحرك حلق الجنة)** بفتح الحاء ويكسر جمع حلقة، وهي هنا حلقة باب الجنة. ففي القاموس: حلقة الباب والقوم، وقد يفتح لامها ويكسر، إذ[١] ليس في الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق أو لغة ضعيفة. والجمع حلق محركة وكبدر. **(فيفتح الله لي)** أي بابها **(فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين)** أي من[٢] المهاجرين والأنصار وغيرهم على مراتبهم في السبق، كما سبق: إنه يدخل فقراء أمتي قبل أغنيائهم بخمسمائة عام. وهذا دليل واضح على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر. قال الطيبي: هذا دليل على فضلهم وكرامتهم على الله تعالى، لأنهم استحقوا محبة الله تعالى بمتابعة حبيبه واتصافهم [بصفته] وليس الفقر عند الصوفية الفاقة والحاجة بل الفقر عندهم الحاجة إليه تعالى لا إلى غيره والاستغناء به لا عنه بغيره. قال الثوري: نعت الفقير: السكون عند العدم، والبذل عند الوجود. وقيل لسهل بن عبد الله: أليس النبي ﷺ استعاذ من الفقر، فقال: إنما استعاذ من فقر النفس، الذي مدح النبي ﷺ الغنى في ضده فقال: الغنى غنى النفس. فكذلك الفقر المذموم فقر النفس، وهو الذي استعاذ منه ﷺ. أقول: المذموم من الفقر والغنى هو الذي يشغل السالك عن المولى، غايته أن حالة الفقر أسلم من العوائق. ولذا اختاره سبحانه لأكثر أنبيائه وأوليائه من بين الخلائق، حتى قال حجة الإسلام: إن الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغني، فإذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فكيف لا ينفع المؤمن في دار القرار. ولذا قال ﷺ: «أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة ولا فخر». **(وأنا أكرم الأوّلين والآخرين على الله ولا فخر)** وهذا فذلكة الكل. **(رواه الترمذي والدارمي)**.

٥٧٦٣ ـ **(وعن عمرو بن قيس)** قال المؤلف: وقيل: هو عبد الله بن عمرو القرشي العامري الأعمى، وهو ابن أم مكتوم، واسم أم مكتوم عاتكة[٣] وهي خالة خديجة بنت خويلد. أسلم قديماً بمكة وكان من المهاجرين الأولين [مع] مصعب بن عمير[٤]؛ استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة مرات، آخرها حجة الوداع. مات بالمدينة، وقيل استشهد بالقادسية. **(أن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون)** يعني في المجيء إلى الدنيا **([ونحن]**

---

(١) في المخطوطة «أو». (٢) في المخطوطة «في».

الحديث رقم ٥٧٦٣: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٢ حديث رقم ٥٤. وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٣.

(٣) في المخطوطة «وهو ابن» وهذا خطأ واضح.

(٤) في المخطوطة «عمر».

السَّابقون يوم القيامة، وإني قائل قولاً غير فخرٍ: إبراهيمُ خليل الله، وموسى صفيُّ الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وإنَّ الله وعدني في أمتي، وأجارهم من ثلاث: لا يعمهم بسنةٍ، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالةٍ» رواه الدارمي.

٥٧٦٤ - (٢٦) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أنا قائدُ المرسلينَ ولا فخر، وأنا خاتمُ النَّبيينَ ولا فخر، وأنا أوَّلُ شافعٍ ومشفَّعٍ ولا فخر». رواه الدارميُّ.

٥٧٦٥ - (٢٧) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُ النَّاسِ خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفَدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصَتوا، وأنا مُستشفعهم

السابقون) أي في دخول الجنة وغير ذلك من الفضائل. **(يوم القيامة)** أي في دار العقبى **(وإني قائل قولاً غير فخر)** أي غير مفتخر فيه، بل المقصود منه بيان الواقع. **(إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله)** أي مختاره لكلامه **(وأنا حبيب الله)** أي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا. **(ومعي لواء الحمد)** أي الدال على كوني أحمد ومحمداً. **(يوم القيامة)** أي في المقام المحمود **(وإن الله وعدني)** أي خيراً كثيراً **(في أمتي)** أي في حقهم وشأنهم. **(وأجارهم)** أي أنقذهم وأعاذهم **(من ثلاث)** أي خصال **(لا يعمهم)** أي الله **(بسنة)** أي بقحط ووباء مستأصل لهم. **(ولا يستأصلهم)** أي ولا يأخذ أصلهم ولا يهلكهم بالكلية **(عدوّ)** أي لله، [أو] لهم من الكفار. **(ولا يجمعهم على ضلالة)** ولعله سبحانه لم يجمعهم على هداية لقوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾** [هود - ١١٨]. وكان هذا مأخذ من قال: اختلاف الأمة رحمة. **(رواه الدارمي)**.

٥٧٦٤ - **(وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: أنا قائد المرسلين)** أي مقدمهم في الآخرة **(ولا فخر. وأنا خاتم النبيين)** أي في الدنيا **(ولا فخر)** وعدل عن المرسلين إلى النبيين لأنهم أعم، فتكون نسبة الخاتمية أتم. **(وأنا أوّل شافع ومشفع)** أي وأول مشفع، كما في رواية. **(ولا فخر. رواه الدارمي)**.

٥٧٦٥ - **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا)** أي من قبورهم **(وأنا قائدهم)** أي متبوعهم **(إذا وفدوا)** أي إذا قدموا **(على الله)** والوفد، جماعة يأتون الملك لحاجة **(وأنا خطيبهم)** أي المتكلم عنهم **(إذا أنصتوا)** أي إذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين فأعتذر عنهم عند ربهم د فيكون لي قدرة على الكلام في ذلك المقام دون سائر الأنام. فأطلق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو أهله، ولم يؤذن لأحد حينئذ في التكلم غيري. فهو مخصوص من قوله سبحانه: **﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾** [المرسلات - ٣٥ - ٣٦]. أو محمول على أوّل الأمر، أو مختص بالكفار. **(وأنا مستشفعهم)** بفتح الفاء على بناء

الحديث رقم ٥٧٦٤: أخرجه الدارمي ١/ ٤٠ حديث رقم ٤٩.

الحديث رقم ٥٧٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث ٣٦١٠. والدارمي ١/ ٣٩ حديث رقم ٤٨.

إذا حُبسوا، وأنا مُبشِّرُهم إذا أيسوا الكرامةَ، والمفاتيحُ يومئذٍ بيدي، ولواءُ الحمدِ يومئذٍ بيَدي، وأنا أكرمُ وُلِد آدمَ على ربِّي، يطوفُ عليَّ ألفُ خادم كأنَّهنَّ بَيْضٌ مكنونٌ، أو لؤلؤٌ منثورٌ». رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريبٌ.

٥٧٦٦ ـ (٢٨) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «فأكْسى

المفعول، من قولهم: استشفعت زيداً إلى فلان، أي سألته أن يشفع إليه. فزيد مستشفع بالفتح وفلان مستشفع إليه. وفي بعض النسخ بكسر الفاء على بناء الفاعل، أي أسأل الله أن أكون شفيعاً لهم. **(إذا حبسوا)** أي في الموقف ولم يحاسبوا. **(وأنا مبشِّرهم)** أي المؤمنين بالرحمة والمغفرة والمغفرة. **(إذا أيسوا)** أي إذا غلب عليهم اليأس من روح الله لغلبة الخوف. ففي الكلام نوع من الاستخدام. **(الكرامة)** بالرفع على ما في النسخ المصححة، فهو مبتدأ. **(والمفاتيح)** عطف عليه، وقوله: **(يومئذ)** ظرف، والخبر **(بيدي)**. وهو بصيغة الإفراد، أي أمر الكرامة بأنواع الشفاعة ومفاتيح كل خير يوم القيامة بتصرفي. وفي نسخة بتشديد الياء على التثنية للمبالغة، أو للتوزيع والتنويع. وذلك لأنه يصل أنواع اللطف من الله تبارك وتعالى لأهل العرصات من الأنبياء وغيرهم، بواسطة شفاعته العامة في المقام المحمود تحت اللواء الممدود عند الحوض المورود. وفي نسخة بنصب الكرامة على أنه مفعول أيسوا، وبيدي خبر المفاتيح فقط. أي إذا قنطوا من حصول الكرامة ووقعوا في وصول [الندامة]. **(ولواء الحمد يومئذ بيدي)** بسكون الياء. **(وأنا أكرم ولد آدم على ربي)** وسبق أنه أكرم الأوّلين والآخرين على الله. **(يطوف علي)** أي يدور حولي **(ألف خادم كأنهم بيض مكنون)** أي مصون عن الغبار. قيل: شبههم ببيض النعام في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإنه أحسن ألوان الأبدان. قلت: هذا عند بعض أولاد العرب بخلاف طباع أهل الشام وحلب وطائفة الأعجام وجماعة الأروام. فإن الأحسن عندهم هو البياض المشوب بحمرة، على ما ورد في شمائله ﷺ وفي مدح الحور العين: **﴿كأنهن الياقوت والمرجان ﴾** [الرحمٰن ـ ٥٨]. حيث فسر المرجان باللؤلؤ. ويدل عليه قوله: **(أو لؤلؤ منثور)** على أن أو للتخيير في التشبيه. وإنما قيده بالمنثور لأنه أظهر في النظر من المنظوم، مع أن النثر يناسب تفرق الخدم. ويحتمل أن تكون أو للتنويع. وقال شارح: قوله: بيض مكنون، أي لؤلؤ مستور في صدفه لم تمسه الأيدي، أو لؤلؤ منثوراً، أو لشك الراوي. **(رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي: هذا حديث غريب)** ولفظ الترمذي على ما في الجامع: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا. لواء الحمد يومئذ بيدي. وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر(١).

٥٧٦٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: فأكسى)** صدر الحديث على

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٦٨٩.

الحديث رقم ٥٧٦٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١١.

حُلَّةً منْ حُللِ الجنَّةِ، ثمَّ أقومُ عنْ يمينِ العرشِ ليسَ أحدٌ منَ الخلائقِ يقومُ ذلكَ المقامَ غيري». رواه الترمذيُّ. وفي رواية «جامع الأصول» عنه: «أنا أوَّلُ منْ تنشقّ عنه الأرض فأُكسى».

٥٧٦٧ ـ (٢٩) وعنه، عن النبي ﷺ قال: «سلوا الله لي الوسيلةَ» قالوا: يا رسول الله! وما الوسيلةُ؟ قال: «أعلى درجةٍ في الجنَّة لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ وأرجو أن أكون أنا هو». رواه الترمذي.

٥٧٦٨ ـ (٣٠) وعن أبيِّ بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «إذا كانَ يوم القيامةِ كنتُ إمامَ

ما في الجامع وغيره: «وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى»(١). والمعنى: فأبعث فأكسى. **(حلة من حلل الجنة. ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري. رواه الترمذي. وفي رواية جامع الأصول:)** أي عن أبي هريرة **(أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى)** أي إلى آخر الحديث. فاختصاره من صاحب المصابيح مخل بالرواية والدراية.

٥٧٦٧ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: سلوا الله لي الوسيلة)** هي المذكورة في دعاء الأذان: آت محمداً الوسيلة. فيحتمل الإطلاق والتقييد بوقت المسألة. وفي النهاية: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به. قلت: ومنه قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾** [المائدة ـ ٣٥]. قال الطيبي: وإنما طلب عليه السلام من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقاراً إلى الله تعالى وهضماً لنفسه، أو لينتفع أمته ويثاب عليه، أو يكون إرشاداً لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له. **(قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة)** أي المطلوبة المسؤولة. قال الطيبي: عطف على مقدر، أي نفعل ذلك وما الوسيلة. اهـ. والأظهر أن يقال: أمرتنا بسؤال الوسيلة وما الوسيلة. مع أنه قد يقال لهذه الواو أنها للربط بين الكلام. **(قال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها)** أي لا يدرك تلك الدرجة العالية **(إلا رجل واحد)** أبهمه تواضعاً **(أرجو)** وفي نسخة: وأرجو. **(أن أكون أنا هو)** وضع الضمير المرفوع، أعني هو موضع المنصوب، أعني إياه. **(رواه الترمذي)** ولفظ الجامع: سلوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو(٢). ورواه ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط عن ابن عباس: سلوا الله لي الوسيلة فإنها لا يسألها عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة(٣).

٥٧٦٨ ـ **(وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٠ حديث رقم ٢٦٩٠.

الحديث رقم ٥٧٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩ حديث رقم ٥٧٠٣.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩ حديث رقم ٤٧٠٤.

الحديث رقم ٥٧٦٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٧ حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٥/ ١٣٧.

النبيّين، وخطيبَهم، وصاحبَ شفاعتهم غيرَ فخر». رواه الترمذي.

٥٧٦٩ ـ (٣١) وعن عبدِ الله بنِ مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ نبيّ ولاةً من النبيّين، وإنَ وَليِّي أبي وخليل ربِّي. ثم قرأ: ﴿**إن أولى الناسِ بإبراهيم لَلّذين اتَّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين**﴾.

(النبيين) بكسر الهمزة في نسخ المشكاة. وقال التوربشتي: إنه بكسرها والذي يفتحها وينصبها على الظرف لم يصب ذكره الطيبي. وقال شارح: فتحها ليس بصواب. وقال ابن الملك: الفتح غلط. أقول: إن كان بحسب الرواية فلا مجال، وإن كان من حيث الدراية فله وجه لا محالة. وهو أنه يريد به مقدمهم كما تقدم من قوله: وأنا قائدهم إذا وفدوا. بل لا يظهر لإمامتهم حينئذ، إلا هذ المعنى. **(وخطيبهم)** أي إذا أنصتوا كما سبق **(وصاحب شفاعتهم)** أي في المقام المحمود **(غير فخر)** أي غير مفتخر، أو من غير فخر. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه.

٥٧٦٩ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي ولاة)** بضم الواو جمع ولي **(من النبيين)** قال التوربشتي: أي أحباء وقرناء هم أولى به من غيرهم. **(وإن وليي أبي)** يعني به إبراهيم عليه السلام، وقد بينه بقوله: **(وخليل ربي)** خبر بعد خبر لأن. **(ثم قرأ:)** أي استشهاداً **(﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾)** أي في زمانه وما بعده. إذ كل من جاء من بعده من الأنبياء هو من أولاده وأتباعه في أصل التوحيد وتجريد التوكل وتفويض التفريد. **(﴿وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾)**(١) أي خصوصاً وعموماً. قال التوربشتي: وفي كتاب المصابيح: وإن وليي ربي. وهو غلط. ولعل الذي حرف هذا دخل عليه الداخل من قوله سبحانه: ﴿**إن وليي الله الذي نزل الكتاب**﴾ [الأعراف ـ ١٩٦]. والرواية على ما ذكرنا هو الصواب. قال المظهر: لو كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب أن يكون وليي أبي خليل ربي من غير واو العطف الموجب للمغايرة، وبإضافة الخليل إلى ربي ليكون عطف بيان لأبي. أقول: لو كان على خلاف قول الشيخ لكان حق العبارة إضافة الخليل إلى ضمير ربي. قال الطيبي: والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع الأصول وكذا في مسند الإمام أحمد بن حنبل. وأيضاً لو ذهب إلى أن خليل ربي عطف بيان بلا واو، لزم خمول كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبا النبي ووليه، فأتى به بياناً. وإذا جعل معطوفاً عليه لزم شهرته به، والعطف يكون لإثبات وصف آخر له عليه السلام على سبيل المدح. فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك. أقول: والأظهر أن يقال: إن العطف لتغاير الوصفين كما في قوله تعالى: ﴿**تلك آيات الكتاب وقرآن مبين**﴾ [الحجر ـ ١]. فإن قلت: لزم من قوله: لكل نبي ولاة. أن يكون لكل واحد منهم أولياء

الحديث رقم ٥٧٦٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٠٨ حديث رقم ٢٩٩٥. وأحمد في المسند ١/ ٤٠١.

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ٦٨.

رواه الترمذي.

٥٧٧٠ ـ (٣٢) وعن جابرٍ، أن النبي ﷺ قال: «إِن الله بعثني لِتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال». رواه في «شرح السنة».

متعددة. قلت: لا لأن النكرة إذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق، أي أن لكل نبي واحد واحد، واحداً واحداً. كقوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ [لقمان ـ ٢٧]. قلت: وفي تنظيره نظر ظاهر، إذ لا محذور في كون كل شجرة لها أقلام، بل هو الظاهر المطلوب في مقام المبالغة[1]، بأن يكون أغصان كل شجرة أقلاماً. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد، وهو كذا في الجامع الصغير بدون قوله: ثم قرأ الخ.

٥٧٧٠ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق)** جمع مكرمة، خصلة يستحق الشخص بها أن يكون كريماً. والمراد من الأخلاق الأحوال. ولذا قوبل بقوله: **(وكمال محاسن الأفعال)** للأمور الظاهرة من العبادات والأقوال. والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس. وحاصله أن شريعته أفضل الأفعال وطريقته أكمل الأحوال. قال ابن الملك: أي أرسلني إلى العالم ليتمم بوجودي مكارم أخلاق عباده وليكمل محاسن أفعالهم. قال: الطيبي: الإضافة فيهما من باب إضافة الصفة إلى الموصوف قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم قال تعالى: ﴿فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ [لقمان ـ ١٠]. ﴿ومقام كريم﴾ [الشعراء ـ ٥٨، الدخان ـ ٢٦]. ﴿إنه لقرآن كريم﴾ [الواقعة ـ ٧٧]. وإذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وأنعامه المتظاهرة، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه. ولا يقال: هو كريم، حتى يظهر ذلك منه. اهـ. وكلامه ينظر إلى أن العطف للتأكيد، وما قدمناه أولى لكونه من التأسيس والتقييد للتأبيد. قال الطيبي: ومعنى هذا الحديث وحديث أبي هريرة: مثلي ومثل الأنبياء، إلى قوله: أنا سددت موضع اللبنة. يلتقيان في معنى إتمام الناقص. اهـ. والذي تقدم في المعنى أتم والله أعلم. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة بإسناده)** ورواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد. والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[2]. وروى الحكيم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها: مكارم الأخلاق عشرة. تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في الأب، وتكون في العبد ولا تكون في سيده. يقسمها الله لمن أراد به السعادة: صدق الحديث وصدق البأس وإعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء[3]. والتذمم أن يرعى

---

(١) في المخطوطة «البلاغة».

الحديث رقم ٥٧٧٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٠٢ حديث رقم ٣٦٢٢.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان. والترمذي الحكيم. كذا في الجامع الصغير ٢/ ٥٠١ حديث ٨١٩٦.

٥٧٧١ ـ (٣٣) وعن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً محمدٌ رسولُ الله عبدي المختار، لا فظٌ ولا غليظٌ، ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسَّيئةِ السَّيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام، وأَمته الحمَّادون، يحمدون الله في السَّراءِ والضَّراءِ، يحمدون الله في كلِّ منزلةٍ، ويكبِّرونه على كل شرفٍ، رعاةٌ للشمس،

ذمامة أي حرمته. وقد روى البزار عن ابن عمر مرفوعاً: اللهم اهدني لصالح الأعمال والأخلاق لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلاّ أنت[1].

٥٧٧١ ـ **(وعن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً: محمد رسول الله)** الرفع على حكاية المكتوب **(عبدي)** أي الخاص **(المختار)** أي المصطفى على الخلق **(لافظ)** بالرفع على أن لا عاطفة، والمعنى أنه ليس قبيح الخلق **(ولا غليظ)** أي سيىء الخلق **(ولا سخاب)** أي صياح **(في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة)** أي بل يدفع السيئة بالحسنة. وهو معنى قوله: **(ولكن يعفو)** أي في الباطن **(ويغفر)** أي يستر في الظاهر. **(مولده بمكة وهجرته)** أي دارها يعني مهاجره **(بطيبة)** أي المدينة السكينة **(وملكه)** أي بعد انتهاء مدته وأيام خلافته **(بالشام)** كما كان لمعاوية ومن بعده لبني أمية على ذلك النظام. وقال المظهر: أراد بالملك هنا النبوة والدين. فإن ذلك يكون بالشام أغلب، وإلا فملكه جميع الآفاق لقوله: «وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[2]. وقيل معناه الغزو والجهاد ثمة، لأنه تصير بلاد الكفار، والجهاد ملكاً لأهل الإسلام. ولهذا لا ينقطع الجهاد في الشام أصلاً وأمر بالمسافرة إليها لإدراك فضيلة الجهاد والمرابطة في سبيل الله. قلت: هذا إنما كان في زمنه ﷺ. وأما اليوم فالغزو والجهاد في بلاد الروم، نعم هو في جهة الشام من الحرمين الشريفين، **(وأمته الحمادون)** أي المبالغون في الحمد المكثرون له كما بينه بقوله: **(يحمدون الله في السراء والضراء)** أي في حالتي السرور والضرر. والمراد الدوام لأن الإنسان لا يخلو منهما في الليالي والأيام. فكأنه قال: يحمدونه على حال. وهذا مرتبة بعض أرباب الكمال. وهو المعنى بقوله: **(يحمدون الله في كل منزلة)** أي مرتبة من مراتب الأحوال. وقيل: معناه في كل منزل، ولعل تأنيثه باعتبار البقعة والناحية. أي إذا نزلوا منزلاً شكروا الله تعالى عليه لأنه آواهم إلى المنزل والسكون فيه[3]. ويلائمه قوله: **(ويكبرونه على كل شرف)** بفتحتين، أي مكان مرتفع تعجباً لعظمة الله تعالى وقدرته لما يشرفون منها على عجائب خلقه، كما أنهم يسبحون في كل هبوط. **(رعاة)** بضم الراء جمع راع، أي أمته مراعون **(للشمس)** أي لطلوعها واستوائها وغروبها محافظة لأوقات الصلاة وأداء أوراد العبادات. وقد روى الحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً: «إن خيار عباد الله، الذين يراعون الشمس

---

(١) كشف الأستار ٤/ ٥٨ حديث رقم ٣١٩٢.

الحديث رقم ٥٧٧١: أخرجه الدارمي ١/ ١٧ حديث رقم ٨.

(٢) مر في الحديث رقم ٥٧٥٠. (٣) في المخطوطة «فيهم».

يصلُّون الصلاة إذا جاء وقتها، يتأزَّرون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مُناديهم يُنادي في جوِّ السَّماء، صفُّهم في القتال وصفُّهم في الصلاة سواءٌ، لهم بالليل دويٌّ كدويِّ النحلِ». هذا لفظ «المصابيح». وروى الدارمي مع تغيير يسير.

٥٧٧٢ ـ (٣٤) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ سلام، قال: مكتوبٌ في التوراة: صفةُ محمَّدٍ وعيسى ابن مريم يُدْفَنُ معه. قال أبو مَودود:

والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله»[١]. وقوله: (**يصلون الصلاة إذا جاء وقتها**) استئناف تعليل لما سبق، أي يراقبون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت الصلاة كيلا يفوت عنهم الصلاة في وقتها. ثم استأنف لبيان بقية أحوالهم بقوله: (**يتأزرون**)[٢] بتشديد الزاي، أي يشدون إزارهم (**على أنصافهم**) أي من السرة إلى الركبة. ويؤيده ما في [بعض] نسخ المصابيح: على أوساطهم. أو يشدون معقد السراويل. والمراد مبالغتهم في ستر عورتهم. ويجوز أن يكون على بمعنى إلى، أي أن أزرهم إلى أنصاف سوقهم. قال الطيبي: فيه إدماج بمعنى التجلد والتشمر للقيام إلى الصلاة، لأن من شد إزاره إلى ساقه تشمر لمزاولة ما اهتم بشأنه، أو يكون كناية عن التواضع كما أن جر الإزار كناية عن الكبر والخيلاء. (**ويتوضؤون**) أي ويصبون ماء الوضوء (**على أطرافهم**) أي على أماكن الوضوء ويسبغونها. (**مناديهم**) أي مؤذنهم ينادي (**في جوّ السماء**) أي في مكان مرتفع من منارة ونحوها. (**صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء**) أي في كونهم كأنهم بنيان مرصوص. قال الطيبي: شبه صفوفهم في الجماعات بسبب مجاهدتهم النفس الأمارة والشيطان بصف القتال، والمجاهدة مع أعداء الدين. وأخرجه مخرج التشابه في التشبيه، إيذاناً بأن كل واحد منهما يصح أن يكون مشبهاً ومشبهاً به. بل أخر ذكر صف الصلاة ليكون مشبهاً به لكونه أبلغ. (**لهم بالليل دوي**) بفتح الدال وتشديد الياء، أي صوت خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن. (**كدوي النحل هذا لفظ المصابيح وروى الدارمي مع تغيير يسير**). قلت: كان الأولى ايراد لفظ الدارمي فإنه من أجل المخرجين ونقله أكمل عند المحدثين.

٥٧٧٢ ـ (**وعن عبد الله بن سلام قال: مكتوب في التوراة:**) خبر قوله (**صفة محمد**) أي نعته وجملة قوله (**وعيسى ابن مريم يدفن معه**) عطف على المبتدأ، أي ومكتوب فيها أيضاً أن عيسى يدفن معه. قال الطيبي: هذا هو المكتوب في التوراة، أي مكتوب في التوراة صفة محمد كيت وكيت وعيسى ابن مريم يدفن معه، أو المكتوب صفة محمد كذا وعيسى ابن مريم يدفن معه. (**قال أبو مودود**) وهو أحد رواة الحديث مدني ذكره الطيبي. وقال المؤلف: هو عبد العزيز بن سليمان المدني، رأى أبا سعيد الخدري وسمع السائب بن بريد وعثمان بن ضحاك وعنه ابن مهدي والعقبي وكامل. وثقوه، توفي في إمارة المهدي. له ذكر في باب

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٥١.

(٢) في المخطوطة «يتأزرؤن».

الحديث رقم ٥٧٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٩ حديث رقم ٣٦١٧.

وقد بقي في البيت موضع قبره. رواه الترمذيُّ.

الفصل الثالث

٥٧٧٣ ـ **(٣٥)** عن ابن عبَّاس، قال: إنَّ الله تعالى فَضَّل محمَّداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السَّماء. فقالوا: يا أبا عبَّاس! بم فَضَّله الله على أهل السَّماء؟ قال: إنَّ الله تعالى قال لأهل السَّماءِ ﴿**ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين**﴾ وقال الله تعالى لمحمَّد ﷺ: ﴿**إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر**﴾

فضائل سيد المرسلين. **(وقد بقي في البيت)** أي في حجرة عائشة **(موضع قبر)** فقيل بينه ﷺ وبين الصديقين وهو الأقرب إلى الأدب. وقيل بعد عمر وهو الأظهر، فقد قال الشيخ الجزري: وكذا أخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة ورأى القبور الثلاثة على هذه الصفة، النبي ﷺ مقدم وأبو بكر متأخر عنه رأسه تجاه ظهر النبي ﷺ، ورأس عمر كذلك من أبي بكر تجاه رجلي النبي ﷺ. وبقي موضع قبر واحد إلى جنب عمر. وقد جاء أن عيسى عليه السلام بعد لبثه في الأرض، يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة. فيحمل إلى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة إلى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان مصحوبين. بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما إلى يوم القيام. **(رواه الترمذي)**.

(الفصل الثالث)

٥٧٧٣ ـ **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا: يا أبا عباس)** هو كنية ابن عباس **(بم فضله)** أي الله **(على أهل السماء)** كأنهم قدموا الأهم فالأهم، أو هو على منوال ﴿**يوم تبيض وجوه**﴾ [آل عمران ـ ١٠٦] الآية. **(قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾**(١)**. وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**(٢)). [قال الطيبي]: يفهم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة أهل السماء وفرض ما لا يتأتى منهم وجعله كالواقع، وترتب الوعيد الشديد عليه إظهاراً لكبريائه وجلاله، وأنهم بعداء من أن ينسبوا إلى ما يشاركونه. كقوله: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً**﴾ [الصافات ـ ١٥٨]. تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، ومن ملاطفته في الخطاب معه ﷺ، وأن ما صدر ويصدر منه مغفور. وجعل فتح مكة علة للمغفرة

الحديث رقم ٥٧٧٣: أخرجه الدارمي ١/٣٨ حديث رقم ٤٦.

(١) سورة الأنبياء. آية رقم ٢٩. (٢) سورة الفتح. الآيتان رقم ١ و٢.

قالوا: وما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضل الله من يشاء**﴾ الآية، وقال الله تعالى لمحمَّد ﷺ: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾ فأرسله إلى الجن والإنس.

والنصرة وإتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم، وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين. اهـ. وخلاصة كلامه: إنه تعالى غلظ في وعيد خطابهم ولاطف في خطاب وعده، لكن فيه نظر. فإنه سبحانه قد بالغ في مدحهم في مواضع كثيرة على ما يخفى، ومنه ما قبل هذه الآية: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**﴾ [الأنبياء - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨]. وغلظ في الوعيد لنبيه ﷺ على طريق الفرض والتقدير بالخطاب كقوله: ﴿**لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ [الزمر - ٦٥]. مع أن المراد بقوله: ومن يقل منهم. يحتمل أن يكون من الملائكة أو من الخلائق. قال القاضي: يريد به نفي البنوّة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية. اهـ. فالأولى أن يقال في وجه التفضيل: إن هذه الآية تدل على أنه مبعوث إلى الملائكة أيضاً، كما قال به بعض العلماء. (**قالوا: وما فضله**) أي زيادة فضله (**على الأنبياء قال: قال الله تعالى:** ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء**﴾ **الآية**)[١]. أي ويهدي من يشاء (**وقال الله تعالى لمحمد ﷺ:** ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس**﴾)[٢] قال الطيبي: وأما بيان فضله على الأنبياء فإن الآية دلت على أن كل نبي مرسل إلى قوم مخصوص، وهو ﷺ مرسل إلى كافة الناس. ولا ارتياب أن الرسل إنما بعثوا لإرشاد الخلق إلى الطريق المستقيم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام. فكل من كان منهم في هذا الأمر أكثر تأثيراً كان أفضل وأفضل. وكان له ﷺ فيه القدح المعلى وحاز قصب السبق، إذ لم يكن مختصاً بقوم دون قوم وزمان دون زمان بل دينه انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وتغلغل في كل مكان واستمر امتداده على وجه كل زمان، زاده الله شرفاً على شرف وعزاً على عز ذر شارق ولمح بارق. فله الفضل بحذافيره سابقاً ولاحقاً. (**فأرسله إلى الجن والإنس**) أي كما يستفاد من بقية الآيات القرآنية نحو قوله تعالى: ﴿**وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن**﴾ [الأحقاف - ٢٩]. ونحو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**يا معشر الجن والإنس**﴾ [الرحمٰن - ٣٣]. على ما في سورة الرحمٰن فذكر الناس من باب الاكتفاء تعظيماً أو تغليباً أو لأنه يعمهم. ففي القاموس الناس يكون من الإنس ومن الجن جمع إنس، أصله أناس جمع عزيز. أدخل عليه أل. وقيل: الفاء للتعقيب. وظاهر العبارة يقتضي أن تكون للنتيجة، وتوجيهه أن تعريف الناس لاستغراق الجنس وكافة، إما حال أو صفة مصدر محذوف، أي تكف أن يخرج فرد من أفراد هذا الجنس من الإرسال، والجن تبع للناس. فعلم التزاماً أن رسالته عمت الثقلين جميعاً.

---

(١) سورة إبراهيم - آية رقم ١٤.

(٢) سورة سبأ - آية رقم ٢٨.

٥٧٧٤ ـ (٣٦) وعن أبي ذرّ الغفاري، قال: قلت: يا رسول الله! كيف علمتَ أنّك نبي حتى استيقنت؟ فقال: «يا أبا ذر! أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاءِ مكة، فوقعَ أحدهما إلى الأرض، وكان الآخر بين السَّماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. قال فَزِنْهُ برجل، فوُزنت به فوزنته، ثم قال: زنه بعشرةٍ، فوزنتُ بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم فرجحتهم، كأني أنظر إليهم ينتثرون عليّ من خِفَّةِ الميزان. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها». رواهما الدارمي.

٥٧٧٥ ـ (٣٧) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «كتبَ عليَّ النحر

٥٧٧٤ ـ (وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه) منسوب إلى غفار بكسر أوله، قبيلة مشهورة (قال: قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حتى استيقنت) قال الطيبي: حتى غاية للعلم، أي كيف تدرجت في العلم حتى بلغ علمك غايته التي هي اليقين. (فقال: يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع) أي فنزل (أحدهما إلى الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض) أي واقفاً (فقال أحدهما لصاحبه:) الظاهر أنه النازل (أهو هو) وضع أحدهما موضع هذا (قال: نعم قال: فزنه برجل فوزنت به) بصيغة المجهول (فوزنته) على بناء الفاعل، أي غلبته في الوزن ورجحته. (ثم قال: زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم. ثم قال: زنه بمائة. فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال: زنه بألف فوزنت بهم فرجحتهم. كأني أنظر إليهم) أي إلى الألف الموزون (ينتثرون) أي يتساقطون (عليّ من خفة الميزان) أي من خفة تلك الكفة (قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته) أي بجميع الخلق من قومه (لرجحها) قال الطيبي: وفيه أن الأمة كما يفتقرون في معرفة كون النبي صادقاً إلى إظهاره خوارق العادات بعد التحري، كذلك النبي يفتقر في معرفته كونه نبياً إلى أمثال هذه الخوارق. قلت: وهذا أيضاً يصلح أن يكون جواباً عن الإشكال المذكور المشهور في سؤال إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة ـ ٢٦٠]. (رواهما) أي الحديثين (الدارمي).

٥٧٧٥ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: كتب) أي أوجب (عليّ النحر) أي الأضحية؛ وقال الطيبي: أي وجب، وعنى[1] به قوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر ـ ٢]. (ولم يكتب عليكم) قيل: النحر كان واجباً على رسول الله ﷺ وإن لم يكن غنياً لخبر: ثلاث كتبت علي ولم تكتب عليكم: الضحى والأضحى والوتر. ذكره ابن الملك في شرح المشارق في حديث: «نزلت عليّ آنفاً سورة، فقرأ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

الحديث رقم ٥٧٧٤: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢٠ حديث رقم ١٤.
الحديث رقم ٥٧٧٥: أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ٢٨٢ حديث رقم ٤٢ من باب الصيد.
(١) في المخطوطة «يعني».

ولم يكتب عليكم، وأمرتُ بصلاة الضحى ولم تؤمَروا بها». رواه الدارقطني.

(٢) باب أسماء النبي ﷺ وصفاته

﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر ـ ١ ـ ٢ ـ ٣][١].

(وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها) قال الطيبي: لم يوجد في الأحاديث وجوب الضحى عليه ﷺ سوى هذا الحديث. **(رواه الدارقطني)** قال ابن حجر في شرح الشمائل: رواية الدارقطني: أمرت الخ. ضعيفة، وأما ما قيل إنها من خصائصه، ففيه أن الذي من خصوصياته كما صرحوا به وجوب أصل صلاتها لا تكرارها كل يوم. قلت: وقد رواه أحمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس أيضاً. بلفظ: كتب عليّ الأضحى ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها[٢]. فأقل مرتبة هذا الحديث أن يكون حسناً. ولولا ثبوته لما عدت من خصائصه. ثم المتبادر من وجوبها عليه أن يكون في كل يوم، كما في بقية الواجبات الشرعية. نعم الأولى أن يقال: إنه لا يلزم من الأمر الوجوب لاحتمال أن يكون للاستحباب. ويدل عليه ما رواه الدارقطني عن أنس مرفوعاً: «أمرت بالوتر والأضحى، ولم يعزم علي»[٣]. ورواه أحمد عن ابن عباس: أمرت بالوتر وركعتي الضحى ولم يكتب[٤]. والجمع بين الأدلة أن أصلها واجب واستمرارها مستحب والله [تعالى] أعلم.

(باب أسماء النبي ﷺ وصفاته)

الظاهر أنه عطف تفسير، فإنه ﷺ ليس له اسم جامد. نعم له أسماء نقلت من الوصفية إلى العلمية كأحمد ومحمد وغيرهما. وله صفات باقية على أصلها مختصة به، أو اشترك فيها غيره. والأظهر أن المراد بالأسماء هو المعنى الأعم منهما، وبالصفات الشمائل التي يأتي بيانها. ثم من القواعد المقررة أن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى. ففي شرح مسلم للنووي، ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم، أن الله تعالى ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم أيضاً. ثم ذكر منها على التفصيل بضعاً وستين وقال ابن الجوزي في الوفاء: ذكر أبو الحسين بن الفارس اللغوي، أن لنبينا ﷺ اثنين وعشرين اسماً. وذكرها الطيبي مفصلاً. وقد أفرد السيوطي رسالة سماها البهجة السوية في الأسماء النبوية، وقد اشتملت على بضعة وخمسمائة من الصفات المصطفوية، ولخصتها بإخراج تسعة وتسعين اسماً من صفاته العليا على طبق عدد أسماء الله الحسنى. والآن اقتصر على ما يرد في الأحاديث الآتية مما للمقصود هي الشافية والكافية والوافية.

---

(١) أخرجه النسائي ٢/ ١٣٣ حديث رقم ٩٠٤.

(٢) أحمد في المسند ١/ ٣١٧.

(٣) الدارقطني ٢/ ٢١ حديث رقم ٢ من كتاب الوتر.

(٤) أحمد في المسند ١/ ٢٣٤.

الفصل الأول

٥٧٧٦ ـ (١) عن جبير بن مُطعِم، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إِنَّ لي أسماءَ: أنا محمَّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر،

(الفصل الأوّل)

٥٧٧٦ ـ **(عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن لي أسماء)** أي كثيرة عظيمة شهيرة **(أنا محمد)** فقيل هو اسم مفعول من التحميد، وهو المبالغة في الحمد. يقال: حمدت فلاناً أحمده إذا أثنيت عليه بجلائل خصاله. وأحمدته إذا وجدته محموداً، أو يقال: هذا الرجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد. قال الأعشى يمدح بعض الملوك:

* إلى الماجد الفرع الجواد المحمد *

أراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، وهذا البناء أبداً يدل على بلوغ النهاية، كما تقول في الحمد محمد، وفي الذم مذمم. وقيل: هذا البناء للتكثير نحو، فتحت الباب فهو مفتح إذا فعلت به ذلك مرة بعد أخرى. ومحمد اسم منقول على سبيل التفاؤل أنه سيكثر حمده. أقول: وقد كان في الظاهر ما أضمر في الباطن: وسيحمده الأوّلون والآخرون [...][1] في المقام المحمود تحت اللواء الممدود. **(وأنا أحمد)** أفعل تفضيل من الحمد قطع متعلقة للمبالغة، أي أحمد من كل حامد أو محمود بناء على أنه للفاعل أو المفعول. والأوّل أظهر لئلا يتكرر، ولأنه تعالى يلهمه المحامد يوم القيامة لم يلهمها أحداً من الأوّلين والآخرين، فهو جامع بين الحامدية والمحمودية، كما جمع له بين المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية. وقد أشرت إلى بعض النكات الصوفية مما هو من المشارب الصفية في رسالتي المسماة: بالصلوات العلوية على الصلوات المحمدية. هذا وقال ابن الجوزي في الوفاء: قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوّة نبينا ﷺ أنه لم يسم قبله أحد باسمه، صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل بيحيى إذ لم يجعل له من قبل سمياً. وذلك أنه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الأنبياء. فلو جعل الاسم مشتركاً فيه شاعت الدواعي ووقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه، سموا أولادهم بذلك. **(وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر)** لأنه

الحديث رقم ٥٧٧٦: أخرجه البخاري ٦/ ٥٥٤. حديث رقم ٣٥٣٢. ومسلم ٤/١٨٢٨ حديث رقم (١٢٤. ٢٣٥٤). والترمذي في السنن ٥/ ١٢٤ حديث رقم ٢٨٤٠. وأخرجه مالك ٢/ ١٠٠٤ حديث رقم ١ من كتاب أسماء النبي ﷺ أخرجه الدارمي ٢/ ٤٠٩ حديث رقم ٢٧٧٥. وأحمد في المسند ٤/٤٠٧.

(١) في المخطوطة كلمة زائدة وهي «على سبيل».

وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميَّ، وأنا العاقب» والعاقب: الذي ليس بعده نبيّ. متفق عليه.

٥٧٧٧ ـ (٢) وعن أبي موسى الأشعري، قال: كان رسول الله ﷺ يُسمّي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمَّد، وأحمد، والمقفيّ،

ﷺ بعث والدنيا مظلمة بغيابة الكفر، فأتى ﷺ بالنور الساطع حتى محا الكفر. قال النووي: ويحتمل أن يراد به الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ [التوبة ـ ٣٣]. وجاء في حديث آخر مفسراً بالذي محيت به سيئات من تبعه، كما قال تعالى: ﴿**قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾ [الأنفال ـ ٣٨]. (**وأنا الحاشر**) أي ذو الحشر (**الذي يحشر**) أي يجمع (**الناس على قدمي**) بفتح الميم وتشديد الياء، وفي نسخة بالكسر والتخفيف أي على أثري. قال النووي: ضبطوه بتحفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية. قال الطيبي: والظاهر على قدميه اعتباراً للموصول، إلا أنه اعتبر المعنى المدلول للفظة أنا. وفي شرح السنة: أي يحشر أوّل الناس لقوله: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض»[1]. وقال النووي: أي على أثري وزمان نبوّتي وليس بعدي نبي. قال الطيبي: هو من الإسناد المجازي لأنه سبب في حشر الناس لأن الناس لم يحشروا ما لم يحشر. (**وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي**) الظاهر أن هذا تفسير للصحابي أو من بعده. وفي شرح مسلم قال ابن الأعرابي: العاقب الذي يخلف في الخير من كان قبله. ومنه يقال: عقب الرجل لولده. (**متفق عليه**) ورواه مالك والترمذي والنسائي.

٥٧٧٧ ـ (**وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: أنا محمد وأنا أحمد والمقفي**) بكسر الفاء المشددة في جميع الأصول المصححة، أي المتبع من قفا أثره إذا تبعه. يعني أنه آخر الأنبياء الآتي على أثرهم لا نبي بعده. وقيل: المتبع لآثارهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام ـ ٩٠]. وفي معناه العاقب، وفي بعض نسخ الشمائل بفتح الفاء المشددة لأنه قفي به. قال الطيبي: قيل: هو على صيغة الفاعل، وهو المولى الذاهب. يقال: قفى عليه أي ذهب به، فكأن المعنى هو آخر الأنبياء، فإذا قفي فلا نبي بعده. فمعنى المقفي والعاقب واحد، لأنه تبع الأنبياء، أو هو المقفي لأنه المتبع للنبيين وكل شيء تبع شيئاً. فقد قفاه. يقال: هو يقفو أثر فلان أي يتبعه. قال تعالى: ﴿**ثم قفينا على آثارهم برسلنا**﴾ [الحديد ـ ٢٧]. هذا أحد الوجهين. والوجه الآخر أن يكون المقفي بفتح القاف، ويكون مأخوذاً من القفي والقفي الكريم والضيف والقفاوة البر واللطف. فكأنه سمي المقفي لكرمه وجوده وفضله. والوجه الأوّل أحسن وأوضح. أقول: والظاهر أن هذا الوجه الثاني لا وجه له، بل هو تصحيف لمخالفته أصول المشكاة والشمائل

---

(١) مر في الحديث ٥٧٦١.

الحديث رقم ٥٧٧٧: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٢٨ حديث رقم (١٢٦ . ٢٣٥٥). وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٥.

والحاشر، ونبيُّ التوبة، ونبي الرحمة». رواه مسلم.

٥٧٧٨ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألَا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمَّد». رواه البخاري.

٥٧٧٩ ـ (٤) وعن جابر بن سمرة، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ قد شمط مقدَّمُ رأسه ولحيته،

والشفاء. **(والحاشر ونبي التوبة)** لأنه تواب كثير الرجوع إلى الله تعالى لقوله ﷺ: «إني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة أو مائة مرة»(١). أو لأنه قبل من أمته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الأمم السالفة، قال تعالى: ﴿**ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً**﴾ [النساء ـ ٦٤]. ولما كان هذا المعنى مختصاً به سمي **(نبي التوبة. ونبي الرحمة)** قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]. وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»(٢). والرحمة العطف والرأفة والإشفاق، لأنه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم. ولذا كانت أمته أمة مرحومة لأن النبي ﷺ ما يرحم إلا من رحمة الله. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد على ما ذكره السيوطي عنهما لكن بلفظ المرحمة، ثم قال: وزاد الطبراني في الكبير: ونبي الملحمة(٣).

٥٧٧٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم)** أي ذمهم، والاستفهام للتقرير. ثم بين وجه الصرف مستأنفاً بقوله: **(يشتمون)** بكسر التاء، أي يسبون. **(مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد)** أي لا مذمم. والمعنى أن ما ذكروه أوصاف المذمم وأنا بحمد الله محمد. وقيل كانوا يسمونه بمذمم مكان محمد. قال التوربشتي: يريد بذلك تعريضهم إياه بمذمم مكان محمد. وكانت العوراء بنت حرب زوجة أبي لهب تقول:

مذمماً قلينا * ودينه أبينا * وأمره عصينا

(رواه البخاري).

٥٧٧٩ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ قد شمط)** بكسر الميم، أي شاب. **(مقدم رأسه ولحيته)** ففي المغرب: شمط بالكسر إذا ابيض شعر رأسه يخالط سواده،

---

(١) رواية المائة مرة أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٧٥ حديث رقم ٢٧٠٢.

(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٣٥. (٣) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٧٠١.

الحديث رقم ٥٧٧٨: أخرجه البخاري ٦/ ٥٥٤. حديث رقم ٣٥٣٣. والنسائي في السنن ٦/ ١٥٩ حديث رقم ٣٤٣٨. وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٤.

الحديث رقم ٥٧٧٩: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٢٣ حديث رقم (١٠٩ . ٢٣٤٤). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٦. وأحمد في المسند ٥/ ٩٠.

وكان إذا ادَّهن لم يتبيَّن، وإذا شَعِثَ رأسُه تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجلٌ: وجهه مثل السَّيف؟ قال: لا بل كان مثلَ الشمس والقمر، وكان مستديراً، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. رواه مسلم.

والوصف أشمط. وبالفارسية دوموي. فالمعنى ظهر الشيب في شعر رأسه ولحيته. **(وكان)** أي هو أو شيبه **(إذا ادّهن)** بتشديد الدال، أي استعمل الدهن. **(لم يتبين)** أي لم يظهر الشيب **(وإذا شعث.)** بكسر العين أي تفرق. **(رأسه)** أي شعره **(تبين)** أي ظهر بعض الشيب. قال الطيبي: دل هذا على أنه عند الادهان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه إلى بعض، وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تتبين، فإذا شعث رأسه تبين. أقول: والأظهر أن شعث الرأس كناية عن عدم الادهان. ويدل عليه ما رواه الترمذي عن جابر بن سمرة أيضاً: «سئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: كان إذا ادّهن رأسه لم ير منه شيب، فإن لم يدهن رؤي منه»[(١)]. وقد روى الترمذي عن ابن عمر قال: «إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء»[(٢)]. وعن أنس قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء[(٣)]. **(وكان كثير شعر اللحية)** أي كثيفها لا خفيفها، أو المراد أنه لم يكن كوسجاً. **(فقال رجل: وجهه مثل السيف)** يعني في البريق واللمعان لكن لما كان يوهم الطول أيضاً. **(قال:)** أي جابر **(لا بل كان)** أي وجهه **(مثل الشمس والقمر)** أي في قوّة الضياء وكثرة النور، ويمكن أن يكون الاستفهام مقدراً. فالتقدير أوجهه مثل السيف. فقال: لا الخ. ثم قال تتميماً للمبنى وتعميماً للمعنى. **(وكان)** أي وجهه **(مستديراً)** أي مائلاً إلى التدوير، إذ ورد في شمائله أنه لم يكن مكلثم الوجه. قال الطيبي: رده الراوي رداً بليغاً حيث شبهه بالسيف الصقيل. ولما لم يكن الوجه شاملاً للطرفين قاصراً عن تمام المراد من الاستدارة والاشراق الكامل والملاحة قال: لا بل كان مثل الشمس في نهاية الإشراق، والقمر في الحسن والملاحة. ولما لم يفهم منه الاستدارة عرفاً قال: وكان مستديراً بياناً للمراد فيهما. **(ورأيت الخاتم)** بفتح التاء ويكسر، أي خاتم النبوّة. **(عند كتفه مثل بيضة الحمامة.)** أي مدوّراً **(يشبه)** أي لونه **(جسده)** أي لون سائر أعضائه. والمعنى لم يخالف لونه لون بشرته، وفيه نفي البرص. **(رواه مسلم:)** وفي الجامع مكان خاتم النبوّة، في ظهره بضعة ناشزة. أي قطعة [لحم] مرتفعة عن الجسم رواه الترمذي في الشمائل عن أبي سعيد. وفي رواية للترمذي عن جابر بن سمرة: كان خاتمة غدة حمراء مثل بيضة الحمامة. وقد جمعت غالب طرق ألفاظ الحديث وبينت مبانيه وأوضحت معانيه في شرح الشمائل.

---

(١) أخرجه النسائي ٨/ ١٥٠ حديث رقم ٥١١٤ ولم أجده عند الترمذي والله أعلم.

(٢) ابن ماجه ٢/ ١١٩٩ حديث رقم ٣٦٣٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ١١٩٨ حديث رقم ٣٦٢٩ ولفظه «سبعة عشر» أو «عشرين».

٥٧٨٠ ـ (٥) وعن عبدِ الله بن سرجسٍ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وأكلتُ معَه خبزاً ولحماً ـ أو قال: ثريداً ـ ثمَّ دُرْتُ خَلفَه، فنظرتُ إلى خاتَمِ النبوَّةِ بينَ كتفَيه عندَ ناغضِ كتفِه اليُسرى، جُمعاً عليه خيلانٌ كأمثالِ الثَّآليلِ. رواه مسلم.

٥٧٨٠ ـ **(وعن عبد الله بن سرجس)** بالسينين المهملتين وبينهما جيم بوزن نرجس، كذا في أسماء الرجال للمؤلف. ونرجس على ما في القاموس بكسر النون وفتحها معروف ذكره في رج س. فالنون زائدة، فيفيد كونه غير منصرف على ما في بعض النسخ. والمعتمد ما في بعضها من فتح السين وسكون الراء وكسر الجيم مصروفاً، وهو المطابق لما في المغني. وفي نسخة بفتح الجيم وما رأيت له وجهاً. **(قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً، أو قال: ثريداً.)** شك في اللفظ واتحاد في المعنى، أو اختلاف في المراد. وقد جاء في رواية أبي داود والحاكم عن ابن عباس: إنه ﷺ كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز، والثريد من الحيس[1]. **(ثم درت خلفه: فنظرت إلى خاتم النبوّة بين كتفيه عندنا غض كتفه اليسرى)** بكسر المعجمة الأولى، أعلى الكتف. وقيل: عظم رقيق على طرفها كذا في النهاية. وتبعه ابن الملك، وقال شارح: الناغض الغضروف، وهو ما لان من العظم. وقيل: أصل العنق. وقيل: ما ارتفع من الكتف وهو أعلاه. ولا اختلاف بين هذا وبين ما هو المشهور من أنه بين كتفيه لأنه يحتمل أنه وجده كذلك. والقول المشهور لا يدل على كونه بينهما على السواء، بل يحتمل أن يكون بينهما على التفاوت من إحدى الجانبين، أو كان على السواء وخيل إليه أنه إلى اليسرى أقرب. وكذلك القول فيمن روي عنه أنه عند كتفه اليمنى. **(جمعاً)** بضم الجيم وسكون الميم. ففي النهاية الجمع هو أن تجمع الأصابع وتضمها. يقال: ضربه بجمع كفه بضم الجيم. اهـ. وأما ضم الميم فغلط من الراوي كذا ذكره بعضهم. وفي المصابيح جميعاً أي مجموعاً. قال الإمام التوربشتي: إني لا أحققه في رواية، والأشبه أنه غلط من الكاتب. وفي كتاب مسلم مثل الجمع بضم الجيم، وهو الكف حين تقبضها. ويؤيده ما ورد في صفة خاتم النبوّة كالكف. وفي كتاب مسلم من طريق أخرى جمعاً أي كجمع، فنصبه بنزع الخافض. قال ابن الملك: ويروى بفتح الجيم، فنصبه على أنه حال، أي نظرت إليه مجموعاً أي مجتمعاً. قال النووي: وظاهر قوله: جمعاً، يحتمل أن يكون المراد تشبيهه به في الهيئة وأن يكون في المقدار، والمراد به هنا الهيئة ليوافق قوله: مثل بيضة الحمام. **(عليه خيلان)** بكسر أوّله جمع خال وهي نقطة تضرب إلى السواد. وفي النهاية: وهو الشامة في الجسد. **(كأمثال الثآليل)** بفتح المثلثة وبمد الهمزة وكسر اللام الأولى جمع ثؤلول بضم الثاء وسكون الهمزة، خراج صلب يخرج على الجسد، له نتوّء واستدارة. وفي النهاية: وهو هذه الحبة التي تظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها. وبالفارسية زخ بفتح الزاي وسكون الخاء المعجمة. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٥٧٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٣ حديث رقم (١١٢ . ٢٣٤٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٢ حديث رقم ٣٦٤٣. وأحمد في المسند ٥/ ٨٢.

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ١٤٧ حديث رقم ٣٧٨٣ وقال ضعيف. والحاكم في المستدرك ٤/ ١١٦.

٥٧٨١ ـ (٦) وعن أُمِّ خالدِ بنتِ خالدِ بنِ سعيدٍ، قالت: أُتي النبيُّ ﷺ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ صغيرة، فقال: «ائتوني بأمِّ خالدٍ» فأُتيَ بها تُحمَلُ، فأخذَ الخميصةَ بيدِه، فألبسَها. قال: «أبلي وأخلقي، ثمَّ أبلي وأخلقي» وكانَ فيها علَمٌ أخضرُ أو أصفرُ. فقال: «يا أُمَّ خالد! هذا سَناه» وهي بالحبشيَّةِ: حسنَة. قالت: فذهبتُ ألعبُ بخاتمِ النبوَّةِ، فزَبرني أبي، فقال رسولُ الله ﷺ: «دعْها».

٥٧٨١ ـ **(وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد)** قيل: أسلم بعد أبي بكر، فهو ثالث أو رابع في الإسلام، قال المؤلف: هو ابن العاص، والأموية وهي مشهورة بكنيتها ولدت بأرض الحبشة وقدم بها إلى المدينة وهي صغيرة ثم تزوّجها الزبير بن العوّام. روى عنها نفر **(قالت: أتي النبي ﷺ)** أي جيء **(بثياب فيها خميصة)** أي في جملتها كساء أسود مربع له علمان، ذكره المظهر. فقوله: **(سوداء)** تأكيد أو تجريد **(صغيرة. فقال: ائتوني بأم خالد فأتي بها)** أي بأم خالد **(تحمل)** حال من الضمير في بها، أي محمولة لأنها طفلة. **(فأخذ الخميصة بيده فألبسها)** لا يخفى ما فيه، وفيما قبله من النقل بالمعنى، أو الالتفات في المبنى. **(قال:)** استئناف بيان **(أبلي)** أمر مخاطبة لها من الإبلاء، وهو جعل الثواب خلقاً. **(وأخلقي)** من الاخلاق بمعناه وجمع بينهما للتأكيد. والمراد بهما الدعاء. فقوله: **(ثم أبلي وأخلقي)** زيادة مبالغة في الدعاء لها بطول عمرها ثم اعلم أن أخلقي بالقاف في النسخ المصححة وروي بالفاء فهو تأسيس لا تأكيد لفظاً، وإن كان يؤول إليه معنى. [أي] واخلقي ثوباً بعد ثوب، فإن الإخلاف غالباً لا يكون إلا بعد الإخلاق. ويؤيده ما رواه أبو داود: أنه ﷺ إذا رأى على صاحبه ثوباً جديداً قال له: تبلي ويخلف الله[1]. وفي الحصن: أبل وأخلق ثم أبل وأخلق. فذكره بصيغة الإفراد ثلاث مرات. ولعله نقل بالمعنى أو وقع خطابه ﷺ لأحد من أصحابه من غيرها بهذا الدعاء ثلاث مرات والله أعلم. **(وكان فيها)** أي في الخميصة **(علم أخضر أو أصفر. فقال: يا أم خالد هذا)** أي العلم أو هذا الثوب **(سناه)** أي حسن وهو بفتح السين المهملة فنون فألف فهاء السكت، وفي نسخة بكسر السين وروي سنه بلا ألف ونون خفيفة. وروي بنون مشددة وهي بفتح أوّله عند الجميع، إلا الفارسي فإنه يكسرها. **(وهي)** أي كلمة سناه **(بالحبشية)** أي بلغة الحبشة. **(حسنة)** أنثها باعتبار تأنيث مبتدئة، وهو هي. وهو من كلام أم خالد أو تفسير من غيرها. **(قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوّة فزبرني أبي)** أي صاح عليّ وزجرني وهددني ونهاني عن ذلك. **(فقال رسول الله ﷺ: دعها)** أي لتتبرك بالخاتم أيضاً كما تبركت بإلباس الخلعة الشريفة. وهذا يدل على كمال حلمه وكرمه وحسن عشرته مع صحابته. وقد أشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي [قدس سره] في عوارفه، إلى أن استناد

الحديث رقم ٥٧٨١: أخرجه البخاري ٦/ ١٠٨٣ حديث رقم ٣٠٧١. وأبو داود ٤/ ٣١١ حديث رقم ٤٠٢٤.

(١) أبو داود ٤/ ٣١٠ حديث رقم ٤٠٢٢.

رواه البخاري.

٥٧٨٢ - (٧) وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ليْسَ بالطويلِ البائنِ، ولا بالقصيرِ، وليسَ بالأبيضِ الأمهَقِ، ولا بالآدمِ، وليس بالجعدِ القططِ، ولا بالسبطِ، بعثَه اللّهُ على رأس أربعينَ سنة فأقام بمكة عشر سنين،

المشايخ الصوفية في لبس الخرقة بهذا الحديث. أقول: ولعله أراد الباس خرقة التبرك دون إلباس خرقة الاجازة. **(رواه البخاري)** وكذا أبو داود.

٥٧٨٢ - **(وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن)** أي الباعد عن حد الاعتدال والمفرط طولاً، الذي بعد من قدر الرجال الطوال، أو الظاهر البين طوله، من بان إذا بعد أو ظهر. **(ولا بالقصير)** أي المتردد كما في رواية. والحاصل أنه كان معتدل القامة لكن إلى الطول أميل. فإن النفي نصب إلى قيد وصف البائن، فثبت أصل الطول ونوع منه، فهو بالنسبة إلى الطول البائن قصير. ولذا قيد نفي القصير بالمتردد. ويؤيده أنه جاء في رواية: أنه ربعة إلى الطول. وهذا إنما هو في حد ذاته، وإلا فما ماشاه(١) طويل إلا غلبه ﷺ في الطول. **(وليس بالأبيض الأمهق)** أي الذي بياضه خالص لا يشوبه حمرة ولا غيرها كلون الثلج والبرص واللبن. فالمراد أنه كان نير البياض. وقد جاء في رواية: أنه «كان بياضه مشوباً بالحمرة»(٢). وهو أحسن أنواع الألوان المستحسنة عند الطباع الموزونة، وهذا معنى قوله: **(ولا بالآدم)** أي الشديد السمرة **(وليس بالجعد القطط)** بفتحتين ويكسر الثانية، أي الشديد الجعودة كشعور الحبش. **(ولا بالسبط)** بكسر الموحدة وفتحها وسكونها، وهو من السبوطة ضد الجعودة وهو الشعر المنبسط المسترسل كما في غالب شعور الأعاجم. ففي القاموس: السبط، ويحرك وككتف نقيض الجعودة. فالمعنى أن شعره ﷺ كان وسطاً بينهما. **(بعثه الله على رأس أربعين سنة)** المشهور أنه ﷺ بعث بعد استكمال أربعين سنة. فالمراد بالرأس آخر السنة، كما في قول القراء والمفسرين من أن رؤوس الآي أواخرها، سواء أريد بلفظ الأربعين السنة التي تنضم إلى تسعة وثلاثين أو مجموع السنين من أوّل الولادة إلى استكمال أربعين سنة. هذا وقال صاحب جامع الأصول: إن الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة. **(فأقام بمكة عشر سنين)** أي على خلاف في ثلاث، وإلا فالصحيح أن عمره ﷺ ثلاث وستون، فمن قال ستين ألغى الكسر، ومن قال خمساً وستين أدخل سنة الولادة والوفاة، ثم العشر بسكون الشين. وأما ما ضبط في بعض النسخ المصححة بفتحها

الحديث رقم ٥٧٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٤. حديث رقم ٣٥٤٨. ٣٥٤٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٤ حديث رقم (١١٣ . ٢٣٤٧). والنسائي في السنن ٨/ ١٣٣ حديث رقم ٥٠٦١ وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٧ وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩١٩ حديث رقم ١ من كتاب صفة النبي وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٠.

(١) في المخطوطة «شأن». (٢) النسائي ٤/ ١٢٤ حديث رقم ٢٠٩٤.

وبالمدينة عشر سنين، وتوفَّاه الله على رأس ستين سنة وليسَ في رأسِه ولحيتِه عشرونَ شعرةً بيضاءَ.

وفي روايةٍ يصفُ النبيَّ ﷺ، قال: كانَ رَبْعةً من القومِ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، أزهرَ اللونِ. وقال: كانَ شعرُ رسولِ الله ﷺ إلى أنصافِ أذنيه.

وفي رواية: بينَ أُذنيهِ وعاتقِه. متفق عليه.

وفي روايةٍ للبخاري، قال: كانَ ضخمَ الرَّأسِ والقدَمينِ، لم أرَ بعدَه ولا قبلَه مثله، وكانَ سبطَ الكفَّينِ. وفي أخرى له، قال: كان شثْنَ القدمين والكفَّينِ.

أيضاً، فغير معروف. ﴿**وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة. وليس**) أي والحال أنه لا يوجد عند وفاته. (**في رأسه ولحيته عشرون شعرة**) بسكون العين ويفتح (**بيضاء**) يعني بل ما عددت فيها إلا أربع عشرة شعرة بيضاء، كما تقدم والله أعلم. (**وفي رواية يصف**) أي ينعت (**أنس النبي ﷺ قال: كان ربعة**) بسكون الموحدة، وقد تفتح. (**من القوم**) يقال: رجل ربعة ومربوع، إذا كان بين الطويل والقصير. فقوله: (**ليس بالطويل ولا بالقصير**) تفسير وبيان له. (**أزهر اللون**) خبر بعد خبر لكان أي نير اللون وحسنه وهو المتوسط بين الحمرة والبياض ذكره شارح. وقال الطيبي نقلاً عن القاضي: الأزهر الأبيض المستنير، والزهر والزهرة البياض النير، وهو أحسن الألوان. (**وقال:**) أي أنس (**كان شعر رسول الله ﷺ**) بفتح العين ويسكن (**إلى أنصاف آذنيه**) بضم الذال ويسكن (**وفي رواية بين أذنيه وعاتقه متفق عليه. وفي رواية للبخاري، قال: كان ضخم الرأس**) أي عظيمه وهو ممدوح عند العرب لدلالته على عظمة صاحبه وسعادته وإشارته إلى كمال رياسته وسيادته. (**والقدمين**) للإيماء إلى الشجاعة والثبات والقوّة في العبادات. (**لم أر بعده**) أي بعد شهوده (**ولا قبله**) أي قبل وجوده (**مثله**) أي مماثلاً ومساوياً له في جميع مراتب الكمال خلقاً وخلقاً في كل الأحوال. وهذا فذلكة شاهدة لعجزه عن مراتب وصفه ومناقب نعته. (**وكان سبط الكفين**) أي غليظهما. قال أبو عبيدة: يعني أنهما إلى الغلظ والقصر أميل. وقال غيره: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر. ويحتمل أن يكون كناية عن الجود، لأن العرب تقول للبخيل جعد الكف، وفي ضده سبط الكف. (**وفي أخرى له**) أي للبخاري (**قال: كان شثن القدمين والكفين**) بسكون المثلثة، أي غليظ الأطراف من شثن بالضم والكسر إذا غلظ. ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم وأدل على قوّتهم، ويذم في النساء لفوات المطلوب منهن وهو الرعانة. ثم المراد غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد لما صح عن أنس: ما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ[(١)].

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤ حديث رقم ٢٣٣٠. وللبخاري نحوه ٦/ ٥٦٦ حديث رقم ٣٥٦١.

٥٧٨٣ ـ (٨) وعن البراءِ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ مربوعاً، بعيدَ ما بينَ المنكبَيْنِ، له شعرٌ بلغَ شحمةَ أُذنيهِ، رأيتُه في حلَّةٍ حمراءَ، لم أرَ شيئاً قطُّ أحسنَ منه. متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم، قال: ما رأيتُ من ذي لمَّةٍ أحسنَ في حُلَّةٍ حمراء من رسولِ الله ﷺ، شعرُه يضربُ منكبَيهِ، بعيد ما بينَ المنكبَينِ، ليسَ بالطويلِ ولا بالقصيرِ.

٥٧٨٤ ـ (٩) وعن سِماكِ بن حربٍ، عن جابرِ بن سمرةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ضليعَ الفمِ،

٥٧٨٣ ـ **(وعن البراء، قال: كان رسول الله ﷺ مربوعاً)** أي قريباً منه، وإلا فهو أطول منه. **(بعيد ما بين المنكبين)** روي مكبراً ومصغراً وروي منصوباً على أنه خبر ثان لكان، ومرفوعاً على حذف المبتدأ. **(له شعر بلغ شحمة أذنيه)** أي وصلها. وفي رواية ابن ماجه والترمذي في الشمائل عن عائشة [رضي الله عنها]: كان شعره «دون الجمة وفوق الوفرة»[(١)]. والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين، والوفرة شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن. ولعل اختلاف الروايات باعتبار اختلاف الحالات. **(رأيته في حلة حمراء)** أي فيها خطوط حمر ذكره ابن الملك. وقال ابن الهمام: هي عبارة عن ثوبين من اليمن فيها خطوط خضر وحمر لا أنه أحمر بحت. وقال العسقلاني: هي ثياب ذات خطوط. قال ميرك: فلا دليل فيه لمن قال بجواز لبس الأحمر. أقول: ولو حمل على ظاهره فلا دلالة أيضاً، إذ يحتمل أنه من باب الاختصاص، أو قبل النهي، أو لبيان الجواز. فيفيد أن النهي عن الحمرة للكراهة، لا للحرمة. **(لم أر شيئاً قط أحسن منه)** وهو أيضاً يفيد نفي المساواة عرفاً. **(متفق عليه.)** ورواه أبو داود والترمذي والنسائي **(وفي رواية لمسلم)** وكذا للثلاثة **(قال: ما رأيت من ذي لمة)** بكسر اللام وتشديد الميم. في النهاية: اللمة من شعر الرأس دون الجمة، سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين فإذا زادت فهي الجمة. **(أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ. شعره يضرب)** أي يصل **(منكبيه بعيد ما بين المنكبين)** بالرفع **(ليس بالطويل ولا بالقصير.)** أي المعيوبين.

٥٧٨٤ ـ **(وعن سماك بن حرب)** بكسر السين تابعي مشهور كوفي. قال: أدركت ثمانين من أصحاب النبي ﷺ. **(عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم)** أي وسيعه،

الحديث رقم ٥٧٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٥. حديث رقم ٣٥٥١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٨ حديث رقم (٩١ ـ ٢٣٣٧). وأبو داود ٤/ ٣٣٧ حديث رقم ٤٠٧٢ والترمذي في السنن ٥/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٥. والنسائي في السنن ٨/ ١٨٣ حديث رقم ٥٢٣٢. وابن ماجه ٢/ ١١٩٠ حديث رقم ٣٥٩٩. والدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٧. وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٠.

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٠٧ حديث رقم ٤١٨٧. والترمذي في السنن ٤/ ٢٠٥ حديث رقم ١٧٥٥. وابن ماجه ٢/ ١٢٠٠ حديث رقم ٣٦٣٥.

الحديث رقم ٥٧٨٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٠ حديث رقم (٩٧ ـ ٢٣٣٩). والترمذي في السنن ٥/ ٥٦٣ حديث رقم ٣٦٤٧. وأحمد في المسند ٥/ ١٠٣.

أشكلَ العينَينِ، منهوشَ العقبَينِ. قيل لسِماك: ما ضليعُ الفمِ؟ قال: عظيمُ الفمِ. قيل: ما أشكلُ العَينينِ؟ قال: طويلُ شقِّ العَينِ. قيلَ: ما منهوشُ العقبَينِ؟ قال: قليلُ لحمِ العقِب. رواه مسلم.

٥٧٨٥ ـ (١٠) وعن أبي الطفيلِ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ كانَ أبيضَ مليحاً مُقَصَّداً. رواه مسلم.

٥٧٨٦ ـ (١١) وعن ثابتٍ،

وهو كناية عن غاية الفصاحة ونهاية البلاغة. وقال النووي: أي عظيمه. هكذا قاله الأكثرون. وهو الأظهر. قالوا: والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم. **(أشكل العينين)** الأشكل على ما في القاموس ما فيه حمرة وبياض مختلطة، أو ما فيه بياض [يضرب] إلى حمرة. **(منهوش العقبين)** بالشين المعجمة، أي مفرقهما على ما في القاموس في المهملة والمعجمة. **(قيل لسماك: ما ضليع الفم. قال: عظيم الفم)** في القاموس: رجل ضليع الفم أي عظيمة أو واسعة، أو عظيم الأسنان متراصفها. والعرب تحمد سعة الفم وتذم صغره. **(قيل: ما أشكل العينين[1]. قال: طويل شق العين)**[2] بفتح الشين. قال القاضي عياض: تفسير سماك أشكال العينين وهم منه وغلط ظاهر. وصوابه ما اتفق عليه العلماء ونقله أبو عبيدة وجميع أصحاب الغريب، وهو أن الشكلة حمرة في بياض العين، وهو محمود. **(قيل: ما منهوش العقبين. قال: قليل لحم العقب. رواه مسلم)** وكذا الترمذي.

٥٧٨٥ ـ **(وعن أبي الطفيل)** قال المؤلف: هو عامر بن واثلة الليثي الكناني، غلبت عليه كنيته. أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، ومات سنة مائة واثنتين بمكة. وهو آخر من مات من الصحابة في جميع الأرض، روى عنه جماعة. **(قال: رأيت رسول الله ﷺ، كان أبيض مليحاً)** احترازاً من كونه أمهق **(مقصداً)** بفتح الصاد المشددة، أي متوسطاً معتدلاً، وفي النهاية: هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم، كأن خلقه يجيء به القصد من الأمور والمعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط. **(رواه مسلم.)** وكذا الترمذي في الشمائل عنه. وفي رواية له فيها عن أبي هريرة: كان أبيض كأنما صيغ من فضة. وروى البيهقي، عن علي: أنه ﷺ كان أبيض مشرباً بحمرة. وعن أبي هريرة: إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة.

٥٧٨٦ ـ **(وعن ثابت)** قال المؤلف: هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد، تابعي من

---

(١) في المخطوطة «العين». (٢) في المخطوطة «العين».

الحديث رقم ٥٧٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٠ حديث رقم (٩٩ . ٢٣٤٠). وأبو داود في السنن ٥/ ١٨٦ حديث رقم ٤٨٦٤. وأحمد في المسند ٥/ ٤٥٤.

الحديث رقم ٥٧٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٥٨٩٥ ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢١. حديث رقم (١٠٤ . ٢٣٤١). وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٧.

قال: سُئِلَ أنسٌ عن خضابِ رسولِ الله ﷺ فقال: إنَّه لم يبلغْ ما يخضِبُ، لوْ شئتُ أنْ أعُدَّ شمطاتِه في لحيتِه ـ وفي رواية: لو شئتُ أن أعُدَّ شمطاتٍ كنَّ في رأسِه ـ فعلتُ. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم، قال: إنما كانَ البياضُ في عنفقتِه، وفي الصُّدغين وفي الرَّأسِ نَبْذٌ.

٥٧٨٧ ـ (١٢) وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أزهرَ اللونِ، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأ،

أعلام أهل البصرة وثقاتهم. اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك، وصحبه أربعين سنة. **(قال: سئل أنس عن خضاب رسول الله ﷺ)** بكسر الخاء، ما يختضب به من خضبه لونه، على ما في القاموس. **(فقال: إنه لم يبلغ ما يخضب)** بكسر الضاد. قال شارح: فاعل يبلغ، ضمير عائد إلى شعر النبي ﷺ، وما مصدرية. وفاعل يخضب: النبي ﷺ، أي لم يبلغ الخضاب. وقيل: ما موصولة وعائدها محذوف، أي يخضبه وهو مفعول يبلغ. أي لم يبلغ شعره حداً يخضبه. يعني كان بياضه قليلاً. قال الطيبي: أي كان قليل الشيب لا يظهر في بداء النظر فلم يفتقر كتمه بالخضاب. **(لو شئت أن أعد)** أي أحصي **(شمطاته)** بالحركات، أي شعراته البيض **(في لحيته)** جواب لو محذوف أي لأعدها أو لعددتها أو لفعلت. **(وفي رواية: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت)** وهو كناية عن قلة البياض فيها لأن المعدود من أوصاف القليل. ومنه قوله تعالى: ﴿**أياماً معدودات**﴾ [البقرة ـ ١٨٤]. ﴿**ودراهم معدودة**﴾ [يوسف ـ ٢٠]. **(متفق عليه)**. **(وفي رواية لمسلم، قال: إنما كان البياض)** أي صاحبه وهو الشعر الأبيض [أو البياض] كناية عن الشيب **(في عنفقته)** فتح العين وسكون النون ففاء ثم قاف، أي شعره النابت تحت شفته السفلى وفوق الذقن. **(وفي الصدغين)** بضم أوّله، أي الشعر المتدلي على ما بين العين والأذن. **(وفي الرأس نبذ)** بفتح النون وسكون الموحدة فذال معجمة، أي شيء يسير من شيب. وفي نسخة بنون مضمومة فموحدة مفتوحة، أي شعرات متفرقة. قال الطيبي: نبذ مبتدأ، وقوله: في عنفقته، خبره، والجملة خبر كان. قلت: ولا يبعد أن يكون الجملة معطوفة على جملة إنما كان والأظهر أن الجار معطوف على ما قبله من أمثاله، ونبذ خبر مبتدأ محذوف هو هو، وهو راجع إلى البياض.

٥٧٨٧ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون)** أي أبيض نيراً **(كان)** بتشديد النون **(عرقه اللؤلؤ)** أي في الهيئة والصفاء والضياء. **(إذا مشى تكفأ)** بتشديد الفاء فهمز. وفي نسخة صحيحة فألف. قال النووي: هو بالهمز، وقد يترك همزة. وزعم كثيرون أنه بلا همزة وليس كما قالوا. ونقل شارح عن التوربشتي: إن الرواية المعتد بها في تكفا بغير

الحديث رقم ٥٧٨٧: أخرجه البخاري ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٦١. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨١٥ حديث رقم (٨٢ ـ ٢٣٣٠). وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٥ حديث رقم ٦١ وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٢٨.

وما مَسَستُ ديباجةً ولا حريراً أليَنَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمَمتُ مسكاً ولا عنبرةً أطيبَ من رائحةِ النبيِّ ﷺ متفق عليه.

٥٧٨٨ ـ (١٣) وعن أُمِّ سُلَيم، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يأتيها، فيَقِيلُ عندَها،

همز. وذكر الهروي أن الأصل فيه الهمز ثم تركت. قال التوربشتي: قيل: أي تمايل إلى قدام كما تتكفأ السفينة في جريها، من قولهم أكفأته وكفأته إذا أملته. ويقال: كفأت الإناء فانكفأ وتكفأ. أو أراد به الترفع عن الأرض مرة واحدة كما يكون مشي الأقوياء وذوي الجلاد، بخلاف المتماوت الذي يجر رجله في الأرض. ويدل عليه قول الواصف: إذا مشى تقدم. وفي شرح مسلم قال: شمر معناه مال يميناً وشمالاً [كما] تكفأ السفينة. قال الأزهري: هذا خطأ لأن هذه صفة المختال. قال القاضي عياض: لا بعد فيما قاله: شمر إذا كان خلقة وجبلة، والمذموم منه ما كان مستعملاً مقصوداً. **(ما مسست)** بكسر السين الأولى ويفتح **(ديباجة)** بكسر الدال ويفتح، وهو نوع من الحرير. **(ولا حريراً)** أي مطلقاً **(ألين من كف رسول الله ﷺ. ولا شممت)** بكسر الميم ويفتح **(مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة النبي ﷺ.)** قال العسقلاني: مسست بكسر المهملة الأولى على الأفصح، وكذا شممت بكسر الميم الأولى، وفتحها لغة. ويقال في المضارع: أمسه وأشمه بالفتح فيهما على الأفصح، وبالضم على اللغة المذكورة. وفي القاموس: الشم حس الأنف شممته بالكسر أشمه وشممته أشمه بالضم شماً. **(متفق عليه.)** وفي الشمائل للترمذي: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً قط ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ: وفي نسخة: من عرف بالفاء.

٥٧٨٨ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(عن أم سليم:)** بالتصغير كذا في الأصول المعتمدة. وفي بعض النسخ وعن أم سليم بدون قوله: وعنه[1]. قال المؤلف: هي بنت ملحان بكسر الميم، وفي اسمها خلاف. تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك فولدت له أنساً. ثم قتل عنها مشركاً وأسلمت، فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته إلى الإسلام فأسلم. فقالت: إني أتزوجك ولا آخذ منك صداقاً لإسلامك، فتزوّجها أبو طلحة. روى عنها خلق كثير. **(أن النبي ﷺ كان يأتيها)** أي يجيء بيتها **(فيقيل)** بفتح الياء من القيلولة وهي الاستراحة عند الهجيرة، وقد تكون[2] مع النوم. **(عندها)** أي لأنها كانت أم خادمه وهو أنس. ولا دلالة فيه على الكشف أو الخلوة. قال النووي: أم حرام وأم سليم كانتا خالتين لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع وإما من النسب، فيحل له الخلوة بهما. فكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على غيرهما من النساء. وقيل: إنما كان يقيل عندها لأنها كانت من محارمه من جهة الرضاع، وإلا

الحديث رقم ٥٧٨٨: أخرجه البخاري ١١/ ٧٠. حديث رقم ٦٢٨١. ومسلم ٤/ ١٨١٥ حديث رقم (٨٣. ٢٣٣١) وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦.

(١) ومنها نسخة المتن. (٢) في المخطوطة «يكون».

فتبسطُ نِطْعاً فيقيلُ عليه، وكانَ كثيرَ العرقِ، فكانت تجمعُ عرقَه فتجعلُه في الطيبِ. فقال النبيُّ ﷺ: «يا أمَّ سُليم! ما هذا؟» قالت: عرقُكَ نجعلُه في طِيبنا وهو منْ أطْيبِ الطيب.

وفي رواية، قالت: يا رسولَ الله! نرجو بركتَه لصبياننا قال: «أصبتِ» متفق عليه.

٥٧٨٩ ـ (١٤) وعن جابرِ بن سَمُرةَ، قال: صلَّيتُ مع رسولِ الله ﷺ صلاةَ الأولى، ثمَّ خرجَ إلى أهلِه

لم يدخل النبي ﷺ قبل نزول الحجاب عليها وعلى أختها أم حرام، وقد دخل بعده عليهما دون غيرهما من نساء الأنصار. والنبي ﷺ لم يكن رضيعاً في المدينة، فتعين أن يكون ذلك من قبل أبيه عبد الله، فإنه ولد بالمدينة. وقال التوربشتي: قد وجدت في بعض كتب الحديث أنها كانت من ذوات محارم النبي ﷺ، لأنه ﷺ لم يكن ليقيل في بيت أجنبية، وإذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من رحم ووصلة، فلا بد أن يكون ذلك من جهة الرضاع. وإذا قد علمنا أن النبي ﷺ لم يحمل إلى المدينة رضيعاً، تعين ذلك أن يكون من قبل أبيه عبد الله. فإنه ولد بالمدينة، وكان عبد المطلب قد فارق أباه هاشماً وتزوّج بالمدينة في بني النجار، وأم حرام وأم سليم بنتا ملحان كانتا من بني النجار، فعرفنا من جميع ذلك أن الحرمة بينهم كانت حرمة رضاع، ولقد وجدنا الجم الغفير من علماء النقل أوردوا أحاديث أم حرام وأم سليم ولم يبين أحد منهم العلة، إما من الغفلة عنها وإما لعدم العلم بها. فأحببت أن أبين وجه ذلك كيلا يظن جاهل أنه كان في سعة من ذلك لمكان العصمة ولا يتذرع [به] مستبيح إلى الترخص بما لا رخصة فيه وأراني والله أعلم، أول من وفقت لذلك فواهاً لها من درة كنت مستخرجها والله [أحمد على هذه] الموهبة السنية. **(فتبسط)** أي تفرش أم سليم **(نطعاً)** بكسر النون وفتحها وسكون الطاء. وفي القاموس هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب، بساط من الأديم. **(فيقيل عليه وكان كثير العرق)** أي لأنه كان كثير الحياء. **(فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب)** أي في الطيب الذي معها **(فقال النبي ﷺ: [يا أم سليم] ما هذا)** أي الذي تفعلينه **(قالت: عرقك نجعله في طيبنا)** أي ليطيب طيبنا ببركته أو بزيادته **(وهو)** أي عرقك أو الطيب المخلوط به **(من أطيب الطيب. وفي رواية: قالت: يا رسول الله نرجو بركته)** أي كثرة خيره **(لصبياننا. قال: أصبت.)** أي فعلت الصواب. وفيه استحباب التبرك والتقرب بآثار الصالحين. قيل: لما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك الطيب. **(متفق عليه)**.

٥٧٨٩ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى)** من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، والمتبادر أنها الصبح. قال النووي وتبعه ابن الملك: هي صلاة الظهر. **(ثم خرج)** أي من المسجد **(إلى أهله)** أي متوجهاً إلى إحدى الحجرات الشريفة

الحديث رقم ٥٧٨٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤ حديث رقم (٨٠ . ٢٣٢٩).

وخرجتُ معه، فاستقبلَه ولدانٌ، فجعلَ يمسحُ خدَّيْ أحدِهم واحداً واحداً، وأمَّا أنا فمسحَ خدَّيَّ، فوجَدتُ لِيَدِه برداً وريحاً كأنما أخرجَها منْ جُؤنةِ عطارٍ. رواه مسلم.

وذكر حديث جابر: «سمُّوا باسمي» في «باب الأسامي».

وحديث السَّائبِ بن يزيد: نظرتُ إلى خاتمِ النبوَّةِ في «باب أحكام المياه».

الفصل الثاني

٥٧٩٠ ـ (١٥) عن عليِّ بن أبي طالبٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ليسَ بالطويلِ ولا بالقصيرِ، ضخمَ الرأسِ واللحيةِ، شَثْنَ الكفَّينِ والقدَمينِ، مشرباً حُمرة، ضخمَ الكراديسِ،

(وخرجت معه. فاستقبله ولدان) جمع وليد وهو الصبي **(فجعل)** أي شرع **(يمسح)** أي بيديه الكريمتين **(خدي أحدهم واحداً واحداً)** حال **(وأما أنا فمسح خدي)** بصيغة التثنية، وفي نسخة بالإفراد على إرادة الجنس. **(فوجدت ليده برداً)** أي راحة **(أو ريحاً)** أي رائحة طيبة. والظاهر أن أو بمعنى الواو، أو بمعنى بل. **(كأنما أخرجها)** أي إذا أخرج يده من الكم فكأنه أخرجها. **(من جؤنة عطار)** بضم الجيم وسكون الهمز ويبدل، أي سلته أو حقته وفي النهاية: هو بضم الجيم التي يعد فيها الطيب ويحرز. قال النووي: وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه [وسلامه]، وهو ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به. قالوا: وكانت هذه الريح الطيبة صفته وإن لم يمس طيباً، ومع هذا كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين. **(رواه مسلم. وذكر حديث جابر: سموا باسمي)** [تمامه] ولا تكنوا بكنيتي **(في باب الأسامي وحديث السائب بن يزيد: نظرت إلى خاتم النبوة)** تمامه: مثل زر الحجلة **(في باب أحكام المياه)**.

(الفصل الثاني)

٥٧٩٠ ـ **(عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير)** أي بل كان معتدل القامة **(ضخم الرأس)** أي عظيمه لدلالته على عظمة رياسته. **(واللحية)** أي كثيفها دون الكوسج. وقد روى الطبراني عن العداء بن خالد: أنه ﷺ كان حسن السبلة، أي اللحية. **(شثن الكفين والقدمين)** أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر، كذا في النهاية. **(مشرباً حمرة)** أي مخلوط لونه بالحمرة، وهو على صيغة المفعول مخففاً، ويجوز تشديده. ففي النهاية: الإشراب خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقي اللون الآخر. يقال بياض مشرب بحمرة[1] بالتخفيف، فإذا شدد كان للتكثير والمبالغة. **(ضخم الكراديس)** أي

الحديث رقم ٥٧٩٠: أخرجه الترمذي ٥/٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٧. وأخرجه أحمد في المسند ١/٩٦.

(١) في المخطوطة «حمرة».

طويلَ المَسْرُبَةِ، إذا مشى تكفَّأ تكفُّأ، كأنما ينحطُّ منْ صببٍ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ﷺ. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

٥٧٩١ ـ (١٦) وعنه، كانَ إذا وصفَ النبيَّ ﷺ قال: لم يكنْ بالطويلِ الممغَّطِ، ولا بالقصيرِ المتردِّدِ، وكانَ رَبعةً منَ القومِ، ولم يكنْ بالجَعد القططِ ولا بالسَّبطِ،

عظيم الأعضاء، وهو جمع الكردوس. وهو كل عظمين التقيا في مفصل نحو المنكبين(١) والركبتين والوركين. وقيل: رؤوس العظام. **(طويل المسربة)** بفتح الميم وسكون السين وضم الراء، الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة. **(إذا مشى تكفأ)** بتشديد الفاء بعده همز أو ألف، وهو أنسب بقوله: **(تكفيا)** بكسر الفاء المشددة بعدها تحتية، على أن أصله تكفؤاً بضم الفاء والهمز. فلما خفف ماضيه بالإبدال ألحق مصدره بالمعتل. وفي نسخة: تكفؤاً على الأصل. وقال شارح: تكفأ تكفؤاً بالهمز وهو الميل تارة إلى اليمين وأخرى إلى الشمال في المشي. وقيل: تكفأ أي اعتمد إلى القدام من قولهم: كفأت الإناء إذا قلبته. ويؤيده قوله: **(كأنما ينحط)** بتشديد الطاء أي يسقط **(من صبب)** أي منحدر من الأرض، فمن تعليلية. أو بمعنى في الظرفية. ولذا قيل: أي يسقط من موضع عال. والمعنى يمشي مشياً قوياً سريعاً. وفي شرح السنة: الصبب الحدور، وهو ما ينحدر من الأرض. يريد به أنه كان يمشي مشياً قوياً يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً، لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تنعماً. **(لم أر قبله)** أي قبل موته، لأن علياً لم يدرك زماناً قبل وجوده. **(ولا بعده)** أي بعد فوته. **(مثله)** ﷺ. وربما يكون هذا الكلام كناية عن عدم رؤية المماثل له مطلقاً، مع قطع النظر عن القبلية والبعدية. فهذه فذلكة مشتملة على إظهار العجز عن غاية وصفه ونهاية نعته. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح)**.

٥٧٩١ ـ **(وعنه)** أي عن علي **(كان إذا وصف النبي ﷺ)** أي من جهة خلقه **(قال: لم يكن بالطويل الممغط)** بضم الميم الأولى وتشديد الثانية المفتوحة وكسر الغين المعجمة، أي الممدود من المغط وهو المد، وهو من باب الانفعال على ما اختاره ابن الأثير في جامع الأصول. وخطأ المحدثين في جعله اسم فاعل من التمغيط، ووافقهم الجوهري وتبعه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح، كذا ذكره ميرك. وفي النهاية: هو بتشديد الميم الثانية، المتناهي في الطول. من أمغط النهار إذا امتد، ومغطت الحبل، وغيره إذا مددته. وأصله منغمط والنون للمطاوعة، فقلبت ميماً وأدغمت في الميم. ويقال بالعين المهملة [بمعناه] ، **(ولا بالقصير المتردد)** أي المتناهي في القصر كأنه تردد بعض خلقه على بعض وانضم بعضه إلى بعض وتداخلت أجزاؤه. **(وكان ربعة من القوم)** أي متوسطاً مما بين أفرادهم. فهو في المعنى تأكيد لما قبله. **(ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط)** تقدم بيان مبناه وتبين معناه وقوله:

---

(١) في المخطوطة «الكعبين».

الحديث رقم ٥٧٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٩ حديث رقم ٣٦٣٨.

كانَ جعداً رَجْلاً، ولم يكنْ بالمطهَّمِ ولا بالمكلثمِ، وكانَ في الوَجْهِ تدويرٌ، أبيضُ مشربٌ، أدعجُ العَينَين، أهدَبُ الأشفارِ، جليلُ المُشاشِ والكتد، أجرد، ذو مَسْرُبةٍ، شثْنُ الكفَّينِ والقدَمينِ، إذا مشى يتقلَّعُ كأنما يمشي في صبَبٍ، وإذا التفتَ التفتَ معاً، بينَ كتفَيهِ خاتم

(كان جعداً رجلاً) بكسر الجيم ويفتح ويسكن، أي لم يكن شديد الجعودة ولا السبوطة. **(ولم يكن بالمطهم)** بتشديد الهاء المفتوحة أي الفاحش السمين. وقيل: النحيف الجسم وهو من الأضداد. قيل: هو المنتفخ الوجه. **(ولا بالمكلثم)** بفتح المثلثة أي المدوّر، وجهه غاية التدوير، بل كان وجهه مائلاً إلى التدوير. ولذا قال: **(وكان في الوجه)** أي في وجهه **(تدوير)** أي نوع تدوير أو تدوير ما. والمعنى أنه كان بين الأسالة والاستدارة. **(أبيض)** أي هو أبيض اللون **(مشرب)** أي مخلوط بحمرة. **(أدعج العينين)** أي أسود العينين مع سعتهما ذكره شارح. وفي النهاية: الدعج والدعجة شدة السواد في العين وغيرها. يريد أن سواد عينيه كان شديداً، وكأن الدعج شدة سواد العين في بياضها. **(أهدب الأشفار)** بفتح الهمز جمع شفر بالضم، أي كثير أطراف الجفون كثير الهدب عليها. والأهدب الرجل الكثير. أشفار العين وأشفارها هي أطراف الجفون التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب. كذا حققه شارح. وفي النهاية: أي طويل شعر الأجفان. **(جليل المُشاش)** بضم الميم أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين. وقال الجوهري: هي رؤوس العظام التي يمكن مضغها. وقال شارح: أي عظيم رؤوس العظام والمناكب. **(والكتد)** أي وجليله، وهو بفتح الفوقية ويكسر، ما بين الكاهل والظهر ذكره شارح. وفي النهاية: هو مجتمع الكتفين وهو الكاهل. **(أجرد)** أي الذي ليس على بدنه شعر. ولم يكن ﷺ كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن[1] من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين. فإن ضد الأجرد هو الأشعر الذي على جميع بدنه شعر. وقد بين بقوله: **(ذو مسربة)** أنه لم يكن أجرد على الإطلاق. ومن أصحاب التجارب من الهند وغيرهم من لا يحمد الرجل إذا كان في سائر أعضائه أجرد، ولا سيما الصدر. **(شثن الكفين والقدمين)** أي غليظهما الدال على قوّة البطش والثبات المشيرين إلى صفة الشجاعة ونعت العبادة. **(إذا مشى يتقلع)** بتشديد اللام، أي يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً بقوّة متداركاً إحداهما بالأخرى كمشية[2] أهل الجلادة. لا كالذي يقارب الخطا احتشاماً واختيالاً. فإن ذلك من مشي النساء ويوصفن به. **(كأنما يمشي)** أي ينحط **(في صبب)** أي منحدر من الأرض. ففيه إيماء إلى قوّة المشي والميل إلى القدام. **(وإذا التفت)** أي أراد الالتفات إلى أحد جانبيه. **(التفت معها)** أي بكليته بمعنى أنه لا يسارق النظر. وقيل: أراد لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة، إذا نظر إلى الشيء. وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن كان يقبل جميعاً أو يدبر جميعاً. قال التوربشتي: يريد أنه كان إذا توجه إلى الشيء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضاً، كيلا يخالف بدنه قلبه. وقصده مقصده لما في ذلك من التلون وآثار الخفة. **(بين كتفيه خاتم**

---

(١) في المخطوطة «أمكن». (٢) في المخطوطة «مشية».

النبوَّةِ، وهو خاتمُ النبيّينَ، أجوَدُ الناسِ صدْراً، وأصدقُ الناسِ لهجةً، وألْيَنُهم عريكةً، وأكرمُهم عشيرةً، مَن رآهُ بديهةً هابَه، ومَن خالطَه معرفةً أحبَّه، يقول ناعتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ﷺ. رواه الترمذي.

٥٧٩٢ ـ (١٧) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ لم يسلُكْ طريقاً فيتبعُه أحدٌ إلاَّ عرفَ أنَّه قد سلَكه، منْ طِيبِ عَرفِه ـ أو قال: من ريحِ عرَقِه ـ. رواه الدارمي.

النبوّة) جملة من خبر ومبتدأ. **(وهو خاتم النبيين أجود الناس صدراً)** إما من الجودة بفتح الجيم بمعنى السعة والانفساخ، أي أوسعهم قلباً فلا يمل ولا ينزجر من أذى الأمة ومن جفاء الأعراب، وإما من الجود بالضم بمعنى الإعطاء ضد البخل، [أي لا يبخل] على أحد شيئاً من زخارف الدنيا ولا من العلوم والحقائق والمعارف التي في صدره. فالمعنى أنه أسخى الناس قلباً. **(وأصدق الناس لهجة)** بسكون الهاء ويفتح أي لساناً. ففي القاموس: اللهجة اللسان ويحرك، وكذا في الصحاح. وقال في الديوان: اللهجة بفتحتين اللسان وهي الفصحى. وبسكون الهاء لغة ضعيفة. وفي الفائق: روي في اللهجة فتح الهاء وسكونها، والفتح أفصح. وقال أبو حاتم عن الأصمعي: اللهجة بهاء ساكنة ولم يعرف اللهجة. **(وألينهم عريكة)** أي جانباً وطبيعة. ففي النهاية: يقال فلان لين العريكة، إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف، **(وأكرمهم عشيرة)** بفتح فكسر فتحتية، أي قبيلة. وفي نسخة صحيحة بكسر فسكون، أي معاشرة ومصاحبة. وقال الطيبي: قوله: عشرة هكذا هو في الترمذي والجامع، أي صحبة. وفي المصابيح: العشيرة، أي الصاحب. اهـ. وفيه نظر. إذ النسختان موجودتان في الشمائل وغيره على ما بيناه والله [تعالى] أعلم. **(من رآه بديهة)** أي أول مرة، أو فجأة وبغتة **(هابه)** أي خافه وقاراً وهيبة، من هاب الشيء إذا خافه ووقره وعظمه. **(ومن خالطه معرفة)** تمييز **(أحبه)** أي بحسن خلقه وشمائله. والمعنى أن من لقيه قبل الاختلاط به والمعرفة إليه هابه لوقاره وسكونه. فإذا جالسه وخالطه بأن له حسن خلقه فأحبه حباً بليغاً. **(يقول ناعته:)** أي واصفه عند العجز عن وصفه **(لم أر قبله)** أي قبل وجوده أو قبل موته. **(ولا بعده مثله ﷺ. رواه الترمذي.)** أي في جامعه وفي الشمائل.

٥٧٩٢ ـ **(وعن جابر رضي الله [تعالى] عنه: أي النبي ﷺ لم يسلك طريقاً)** أي زقاقاً **(فيتبعه)** أي فيعقبه **(أحد إلاّ عرف)** أي ذلك التابع **(أنه)** أي النبي ﷺ **(قد سلكه)** أي ذلك الطريق **(من طيب عرفه)** بفتح فسكون ففاء أي رائحته. يعني يتكيف هواء ذلك الطريق بكيفية الطيب منه، فيعرف منه أنه قد سلك هذا الطريق. **(أو قال:)** أي جابر **(من ريح عرقه)** بفتحتين فقاف، شك من الراوي والمآل واحد. إذ المقصود بيان طيب عرقه الخلقي لا طيب عرفه العرفي كما سبق، من أنه خصه الله بطيب العرق. وقال ابن الملك: هذا من خصائصه دون سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام **(رواه الدارمي)**.

الحديث رقم ٥٧٩٢: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٥ حديث رقم ٦٦.

٥٧٩٣ ـ (١٨) وعن أبي عبيدةَ بن محمَّدِ بن عمَّارِ بن ياسرٍ، قال: قلتُ للرُّبَيِّع بنتِ معوِّذِ ابن عفراءَ: صِفي لنا رسولَ اللّهِ ﷺ، قالت: يا بُنيَّ لو رأيتَه رأيتَ الشَّمسَ طالعةً. رواه الدارمي.

٥٧٩٤ ـ (١٩) وعن جابرِ بن سَمُرةَ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في ليلةٍ إِضْحِيانٍ، فجعلتُ أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى القمرِ، وعليهِ حُلَّةٌ حمراءُ، فإذا هوَ أحسنُ عندي منَ القمرِ. رواه الترمذي، والدارمي.

٥٧٩٥ ـ (٢٠) وعن أبي هريرةَ، قال: ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منْ رسولِ الله ﷺ،

٥٧٩٣ ـ **(وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر)** قال المؤلف عنسي بفتح العين والنون، تابعي روى عن جماعة وروى عنه عبد الرحمٰن بن إسحاق. **(قال: قلت للربيع)** بضم ففتح فتشديد **(بنت معوّذ ابن عفراء:)** بتشديد الواو المكسورة، صحابية جليلة. **(صفي)**) أمر مخاطبة من الوصف، أي انعتي. **(لنا رسول الله ﷺ قالت: يا بني)** بتشديد الياء المكسورة أو المفتوحة تصغير شفقة ومرحمة **(لو رأيته)** أي نور وجهه وطالعت فيه مطالعة ووافقك الطالع الميمون والبخت الهمايون. **(رأيت الشمس طالعة)** أي في وجهه، كما سيأتي مع وجهه. أو التقدير فكأنك رأيت الشمس طالعة وهو أظهر. **(رواه الدارمي)**.

٥٧٩٤ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: رأيت النبي ﷺ في ليلة)** أي عظيمة **(إضحيان)** بكسر الهمزة والحاء وتخفيف التحتية كما في الروايات. وهو منصرف وإن كان[1] ألفه ونونه زائدتين لوجود إضحيانة. وأصل الكلمة البروز والظهور. قال شارح: أي ليلة مضيئة لا غيم فيها. يقال: ليلة إضحيان وإضحيانة وضحياء وضحيانة من الضحو. وفي الفائق، أي مقمرة من أولها إلى آخرها، وأفعلان مما قل في كلامهم. **(فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ)** أي نظرة **(وإلى القمر)** أي أخرى لانظر الترجيح بينهما في الحسن الصوري. **(وعليه حلة حمراء)** جملة حالية معترضة **(فإذا هو أحسن عندي)** أي في نظري أو معتقدي. ولفظ الترمذي في الشمائل: فلهو عندي أحسن من القمر. أي لزيادة الحسن المعنوي فيه ﷺ، كما قال بعض أرباب العشق من أهل المجاز مخاطباً لمحبوبه: يشابهك القمر، لكن من أين له الكلام وسائر مراتب النظام. **(رواه الترمذي والدارمي)**.

٥٧٩٥ ـ **(وعن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ)** أي في الصورة

الحديث رقم ٥٧٩٣: أخرجه الدارمي ١/ ٤٤ حديث رقم ٦٠.

الحديث رقم ٥٧٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٠٩ حديث رقم ٢٨١١. والدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٧.

(١) في المخطوطة «جاز».

الحديث رقم ٥٧٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٣ حديث رقم ٣٦٤٨. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٠.

كأنَّ الشَّمسَ تجري في وجهِه وما رأيتُ أحداً أسرعَ في مشيِه منْ رسولِ الله ﷺ، كأنما الأرضُ تُطوى له، إنا لنُجهدُ أنفُسنا وإنَّه لغيرُ مكترثٍ. رواه الترمذي.

٥٧٩٦ ـ (٢١) وعن جابرِ بن سَمُرةَ، قال: كانَ في ساقَيْ رسولِ الله ﷺ حموشة، وكانَ لا يضحك إلاّ تبسُّماً، وكنت إذا نظرتُ إليه قلت: أكحلُ العينين، وليس بأكحل. رواه الترمذي.

مع قطع النظر عن السيرة. (**كأن**) بتشديد النون أي رأيته كأن (**الشمس تجري في وجهه**) قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه، وفيه معنى قول الشاعر:

يزيد[ك] وجهه حسناً * إذا ما زدته نظرا

وفيه أيضاً عكس التشبيه للمبالغة. (**وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ**) أي مع تحقق وقاره وسكونه ورعاية اقتصاده[1] ممتثلاً قوله تعالى: ﴿**واقصد في مشيك**﴾ [لقمان ـ ١٩]. (**كأنما الأرض تطوى له**) بصيغة المجهول أي تزوي وتجمع على طريق خرق العادة تهويناً عليه وتسهيلاً لأمره. (**وإنا**) استئناف بيان أي نحن (**لنجهد أنفسنا**) بضم النون وكسر الهاء. وفي نسخة بفتحهما من الإجهاد أو الجهد. وهما الحمل على الشيء فوق طاقته. قال التوربشتي: يجوز فيه فتح النون وضمها. يقال: جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها فوق طاقتها. فالمعنى إنا لنحمل على أنفسنا من الإسراع عقيبه فوق طاقتها. (**وإنه لغير مكترث**) بكسر الراء أي غير مبال بمشينا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة، فكأنه يمشي على هينة. يقال: مبال به أي متعب نفسه فيه. ويقال: اكترث بالأمر إذا بالى به، كذا ذكره شارح. وفي النهاية: أي غير مبال، ولا يستعمل إلا في النفي، وأما في الإثبات فشاذ. (**رواه الترمذي**).

٥٧٩٦ ـ (**وعن جابر بن سمرة قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة**) بضم الحاء المهملة والميم أي دقة ولطافة[2] مناسبة لسائر أعضائه. (**وكان لا يضحك**) أي في غالب أحواله (**إلا تبسماً**) وهو مقدمة الضحك، فيحتمل أن يجعل الاستثناء متصلاً أو منقطعاً. قال الطيبي: جعل التبسم من الضحك واستثناه[3] منه، فإن التبسم من الضحك[4] بمنزلة السنة من النوم. ومنه قوله تعالى: ﴿**فتبسم ضاحكاً من قولها**﴾ [النمل ـ ١٩]. أي شارعاً في الضحك. (**وكنت**) بصيغة المتكلم، ولو روي بالخطاب لكان له وجه. (**إذا نظرت إليه**) أي رأيته (**قلت:**) أي في ضميري. (**أكحل العينين**) أي هو مكحل العين (**وليس بأكحل**) بل كانت عينه كحلاء من غير اكتحال (**رواه الترمذي.**) وقوله: كان لا يضحك إلا تبسماً. رواه أحمد والحاكم أيضاً[5].

---

(١) في المخطوطة «اقتصاره».

الحديث رقم ٥٧٩٦: أخرجه الترمذي في السنن٥/ ٥٦٢ حديث رقم ٣٦٤٥. وأحمد في المسند ٥/ ٩٧.

(٢) في المخطوطة «لطافة». (٣) في المخطوطة «استنماء».

(٤) في المخطوطة زيادة كلمة «غير». (٥) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٦.

الفصل الثالث

٥٧٩٧ ـ (٢٢) عن ابن عبَّاس، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أفلج الثنيَّتين، إذا تكلَّم رُئي كالنُّور يخرجُ من بين ثناياه. رواه الدارمي.

٥٧٩٨ ـ (٢٣) وعن كعبِ بن مالك، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُه، حتى كأنَّ وجهَه قطعةُ قمر،

(الفصل الثالث)

٥٧٩٧ ـ **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين)** وفي نسخة من الشمائل: أفلج الثنايا. في النهاية: الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات، والفرق فرجة بين الثنيتين، اهـ كلامه. وفي الحديث استعمل فلج موضع فرق كذا ذكره الطيبي. والمفهوم من القاموس عدم الفرق حيث قال: الفلج بالتحريك تباعد ما بين القدمين وتباعد ما بين الأسنان، وهو أفلج الأسنان ولا بد من ذكر الأسنان يعني ليحصل الفرق. **(إذا تكلم)** روي مجهول **(رئي)** أي أبصر **(كالنور)** أي شيء مثل النور **(يخرج)** أي حال كونه يظهر **(من بين ثناياه)** وهو إما أن يراد به كلامه النوراني، أو أمر زائد يدركه الذوق الوجداني. ولا منع من الجمع لما رواه أحمد عن أبي الدرداء: من أنه ﷺ كان لا يحدث حديثاً إلا تبسم. ولعل العارف ابن الفارض أشار إليه في قوله:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

قال الطيبي: الضمير في يخرج يجوز أن يرجع إلى ما دل عليه تكلم وأن يرجع إلى النور، والكاف زائدة نحو قولك: مثلك يجود. فعلى الأول تشبيه وجه البيان والظهور كما سميت الحجة الظاهرة بالنور. وعلى الثاني لا تشبيه فيه فيكون من معجزاته ﷺ. **(رواه الدارمي)** وكذا الترمذي في الشمائل.

٥٧٩٨ ـ **(وعن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سر)** بضم السين وتشديد الراء، أي فرح وصار مسروراً **(استنار وجهه حتى كأن)** بتشديد النون **(وجهه قطعة قمر)** لعل

الحديث رقم ٥٧٩٧: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٨. والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٤٤.

الحديث رقم ٥٧٩٨: أخرجه البخاري ٧/ . حديث رقم ٤٤١٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٢٠ حديث رقم ٥٣/ ٢٧٦٩. وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٩.

وكنا نعرف ذلك. متفق عليه.

٥٧٩٩ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، أنَّ غلاماً يهودياً كانَ يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا يهودي! أنشدك بالله أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة نعتي وصفتي ومخرجي؟». قال: لا. قال الفَتى: بلى واللَّهِ يا رسول الله! إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أقيموا هذا من عند رأسه، وَلُوا أخاكم». رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

٥٨٠٠ ـ (٢٥) وعن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما أنا رحمة مُهْداةٌ».

الإضافة بيانية، أو بمعنى من نظراً إلى أصل القمر من الكبر لا بحسب بادىء الرأي في النظر. (وكنا نعرف ذلك) أي من عادته أو ذلك لا يختص بي، بل لا يخفى على أحد منا. قال الطيبي: حال مؤكدة أي كان ظاهراً جلياً[1] لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة. (متفق عليه).

٥٧٩٩ ـ (وعن أنس أن غلاماً) أي ولداً (يهودياً) أي واحداً من اليهود (كان يخدم) بضم الدال ويكسر (النبي ﷺ فمرض) أي الغلام (فأتاه النبي ﷺ يعوده) تواضعاً وجزاء ورجاء (فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة) أي بعضاً منها كما يقرأ سورة يس عندنا حالة النزع. (فقال له) أي لأبيه (رسول الله ﷺ: يا يهودي أنشدك) بضم الشين، أي أقسم عليك. (بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة) أي في بعض آياتها (نعتي) أي باعتبار ذاتي وخلقتي. (وصفتي) أي باعتبار أفعالي وأحوالي (ومخرجي) أي مكان خروجي، أو زمانه من ولادة أو بعثة أو هجرة. (قال: لا. قال الفتى:) أي الغلام (بلى والله يا رسول الله إنا نجد لك في التوراة نعتك ووصفك.) وفي نسخة صحيحه: وصفتك (ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. النبي ﷺ لأصحابه: أقيموا هذا) أي أباه (من عند رأسه. ولو أخاكم) الواو للعطف على أقيموا، ولو أمر مخاطب من ولي الأمر، يليه إذا تولاه. أي كونوا وإلى أمر أخيكم في الإسلام وتولوا أمر تجهيزه وتكفينه وسائر الأحكام. قال السيد جمال الدين المحدث: وبعض محدثي زماننا قرأ هذه الكلمة على أنها حرف شرط، وهو تصحيف وتحريف رواية ودراية. (رواه البيهقي في دلائل النبوّة).

٥٨٠٠ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: إنما أنا رحمة مهداة) بضم الميم، أي ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هديته أفلح وظفر. ومن لم يقبل خاب وخسر

---

(١) في المخطوطة «علينا».

الحديث رقم ٥٧٩٩: البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٢.

الحديث رقم ٥٨٠٠: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢١ حديث رقم ١٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٦٤ حديث رقم ١٤٤٦.

رواه الدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) باب في أخلاقه وشمائله ﷺ

الفصل الأول

٥٨٠١ ـ (١) عن أنسٍ، قال: خدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ، ولا: لم صنعتَ؟

كقوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء ـ ١٠٧]. **(رواه الدارمي والبيهقي في شعب الإيمان)** وكذا ابن سعد والحكيم عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم في مستدركه عنه عن أبي هريرة مرفوعاً.

(باب في أخلاقه وشمائله ﷺ)

في النهاية: الخلق بضم اللام وسكونها، الدين والطبع والسجية. وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها المختصة بها، بمنزلة الخلق كصورتها الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة. والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. والشمائل جمع شمال وهو الخلق انتهى. والشمال بالكسر بمعنى الطبع لا بمعنى اليسار، ومنه قوله تعالى: **﴿يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل﴾** [النحل ـ ٤٨]. ولا بالفتح والهمز لأنه بمعنى الريح وكل منهما غير مناسب للباب.

(الفصل الأوّل)

٥٨٠١ ـ **(عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين)** وفي رواية مسلم: تسع سنين. **(فما قال لي أف)** بضم الهمز وكسر الفاء المشددة. وفي نسخة بفتحها. وفي نسخة بتنوين المكسورة. وهي ثلاث قراءات متواترات. وقال النووي: في شرح مسلم فيه عشر لغات أف بضم الفاء وفتحها وكسرها بلا تنوين، وبالتنوين ثلاثة أخر. وأف بضم الهمزة وإسكان الفاء. وأف بكسر الهمزة وفتح الفاء. وأفي وأفه بضم همزتهما. قال شارح: وهي كلمة تبرم، أي ما قال لي ما فيه تبرم وملال. **(ولا لم صنعت)** أي لأي شيء صنعت هذا الفعل **(ولا ألا)**

الحديث رقم ٥٨٠١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٦. حديث رقم ٦٠٣٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٤ حديث رقم ٥١/ ٢٣٠٩. وأخرجه أبو داود ٥/ ١٣٣ حديث رقم ٤٧٧٤. والترمذي ٤/ ٣٢٣ حديث رقم ٢٠١٥. والدارمي في السنن ١/ ٤٥ حديث رقم ٨٢.

ولا: ألا صنعتَ؟ متفق عليه.

٥٨٠٢ ـ (٢) وعنه، قال: كان رسول ﷺ من أحسنِ الناس خُلُقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: واللّهِ لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السُّوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قَبَض بقفايَ من ورائي، قال: فنظرتُ إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس! ذهبتَ حيث أمرتك؟». قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله!.

بتشديد اللام أي هلا (صنعت) أي لم لا فعلت هذا الأمر. والمعنى لم يقل لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء لم أصنعه وكنت مأموراً به لم لا صنعته. وقال الطيبي: أف اسم فعل بمعنى أتضجر وأكره. وحرف التحضيض في الماضي أفاد التنديم، كما في المضارع يفيد التحريض. واعلم أن ترك اعتراض النبي ﷺ على أنس رضي الله عنه فيما خالف أمره، إنما يفرض فيما يتعلق بالخدمة والآداب، لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية. فإنه لا يجوز ترك الاعتراض فيه. وفيه أيضاً مدح أنس فإنه لم يرتكب أمراً يتوجه إليه من النبي ﷺ اعتراض ما. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في الشمائل وزاد قط بعد قوله: أف. ثم قال: وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته.

٥٨٠٢ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً)** بضمتين ويسكن اللام أي عشرة **(فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب)** أي بلساني، وكأنه أراد به الوقت الآتي. ويؤيده قوله: **(وفي نفسي)** أي وفي قلبي وجناني **(أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ)** أي لأجل أمره إياي به **(فخرجت)** أي على قصد الذهاب إليه **(حتى أمر)** بالنصب، وفي نسخة بالرفع. كقوله تعالى: **﴿حتى يقول الرسول﴾** [البقرة ـ ٢١٤]. قال الطيبي: هو حكاية الحال الماضية. ويجوز أن تكون حتى ناصبة بمعنى كي. قلت: لكن لا يلائمه المعنى، إذ المراد أني خرجت أذهب إلى أن مررت في طريقي. **(على صبيان[1] وهم يلعبون في السوق)** والظاهر أنه وقف عندهم إما للعب أو للتفرج ولذا قال: **(فإذا رسول الله ﷺ قد قبض)** أي أخذ **(بقفاي)** والقفا بالقصر مؤخر العنق فقوله: **(من ورائي)** إما للتأكيد، أو متعلق بقبض. **(قال:)** أي أنس **(فنظرت إليه وهو يضحك. وقال: يا أنيس)** تصغير أنس للشفقة والمرحمة **(ذهبت)** أي أذهبت حيث أمرتك **(قلت: نعم)** بناء على أنه شرع في الذهاب. فقوله: **(أنا أذهب)** أي الآن أكمل الذهاب **(يا رسول الله)** قال شارح: إنما قال نعم لأن المأمول كالموجود بناء على أنه جزم العزم على الذهاب، أو لأن ذهبت في السؤال في معنى أتذهب، لعلمه ﷺ بأنه ما ذهب أنس إلى تلك الحاجة. واقتصر الطيبي على الأول ثم قال: ويحمل قوله

الحديث رقم ٥٨٠٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٥ حديث رقم (٥٤ . ٢٣١٠). وأخرجه أبو داود في ٥/ ١٣٢ حديث رقم ٤٧٧٣.

(١) في المخطوطة «صبيانهم».

رواه مسلم.

٥٨٠٣ ـ (٣) وعنه، قال: كنت أمشي معَ رسولِ اللّهِ ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جَبْذَةً شديدةً، ورجع نبيُّ الله ﷺ في نحر الأعرابيِّ حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدَّة جَبْذته، ثم قال: يا محمَّد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمرَ له بعطاءٍ. متفق عليه.

لرسول الله ﷺ والله لا أذهب وأمثاله على أنه كان صبياً غير مكلف. قال الجزري: ولذا ما أدبه بل داعبه وأخذ بقفاه وهو يضحك رفقاً به. **(رواه مسلم)**.

٥٨٠٣ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد)** أي ثوب مخطط على ما في النهاية. **(نجراني)** بفتح نون وسكون جيم، منسوب إلى نجران بلد باليمن ذكره شارح. وفي النهاية: هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن. **(غليظ الحاشية)** أي الطرف **(فأدركه أعرابي)** أي لحقه **(من ورائه فجبذه)** أي فجذب الأعرابي النبي ﷺ بردائه. **(جبذة شديدة)** والجبذ لغة في الجذب. وقيل: هو مقلوب منه. **(ورجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي)** أي في صدره، ومقابله من شدة جذبه. قال الطيبي: أي استقبل ﷺ نحره استقبالاً تاماً، وهو معنى قوله: وإذا التفت التفت معاً. وهذا يدل على أنه لم يتغير ولم يتأثر من سوء أدبه. **(حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ)** وهو موضع الرداء من المنكب. **(قد أثرت بها)** أي في صفحته **(حاشية البرد من شدة جبذته)** قلت: وصدق الله في قوله: ﴿**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ [التوبة ـ ٩٧]. **(ثم قال: يا محمد)** والظاهر أنه كان من المؤلفة فلذلك فعل ما فعله، ثم خاطبه باسمه قائلاً على وجه العنف مقابلاً لبحر اللطف. **(مر لي)** أي مر وكلاءك بأن يعطوا لي أومر بالعطاء لأجلي. **(من مال الله الذي عندك)** أي من غير صنيع لك في إعطائك كما صرح في رواية حيث قال: لا من مالك ولا من مال أبيك قيل: المراد به مال الزكاة فإنه كان يصرف بعضه إلى المؤلفة. **(فالتفت إليه رسول الله ﷺ)** أي فنظر إليه تعجباً **(ثم ضحك)** أي تلطفاً **(ثم أمر له بعطاء)** وفيه استحباب احتمال الوالي من أذى قومه، وفيه دفع المال حفظاً على عرض الرجال. **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٥٨٠٣: أخرجه البخاري ٦/ ٢٥١. حديث رقم ٣١٤٩. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٣٠ حديث رقم (١٢٨ . ١٠٥٧). وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١١٧٧ حديث رقم ٣٥٥٣ وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٣.

٥٨٠٤ ـ (٤) وعنه، قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أحسنَ الناسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجعَ الناسِ، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ذات ليلةٍ، فانطلقَ الناسُ قِبَل الصَّوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقولُ: «لم تُراعوا، لم تُراعوا» وهو على فرسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ ما عليهِ سرْجٌ، وفي عَنُقه سَيفٌ. فقال: «لقد وجدتُه بحراً». متفق عليه.

٥٨٠٤ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس)** أي خلقاً وخلقاً وصورة وسيرة ونسباً وحسباً ومعاشرة ومصاحبة. **(وأجود الناس)** أي أكثرهم كرماً وسخاوة. **(وأشجع الناس)** أي قوّة وقلباً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلاّ نفسك وحرض المؤمنين**﴾ [النساء ـ ٨٤]. ولذا كان يركب البغل لأنه لا يتصور معه الكر. **(ولقد فزع)** بكسر الزاي أي خاف **(أهل المدينة)** وفي المصابيح: فزع الناس. في شرح السنة: أي استغاثوا. يقال: فزع منه بالكسر أي خاف وفزع إليه، أي استغاث كذا ذكره شارح له. **(ذات ليلة)** أي حيث سمعوا أصواتاً أنكروها **(فانطلق الناس قبل الصوت)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي إلى جانبه **(فاستقبلهم)** أي النبي ﷺ الناس راجعاً إليهم حال كونه. **(قد سبق الناس إلى الصوت)** أي إلى نحوه وتحقق عدم الفزع عنده. وأبعد الطيبي في قوله: الضمير في فاستقبلهم راجع إلى ما دل عليه الصوت الذي فزع منه أهل المدينة، يعني القوم. قال ميرك: والظاهر أن الضمير للناس والمراد أنه ﷺ سبق الناس إلى الصوت، فلما رجع استقبل الناس الذين خرجوا نحو الصوت. قلت: بل هذا هو المتعين لقوله: **(وهو يقول: لم تراعوا)** بضم التاء والعين مجهول من الروع بمعنى الفزع والخوف، أي لم تخافوا ولم تفزعوا. وأتى بصيغة الجحد مبالغة في النفي، وكأنه ما وقع الروع والفزع قط. **(لم تراعوا)** كرره تأكيداً، أو كل الخطاب قوم من عن يمينه ويساره، وفي شرح السنة: ويروى لن تراعوا والعرب تضع لم ولن موضع لا انتهى. فعلى هذا يكون خبراً في معنى النهي ذكره الطيبي. والظاهر أنه على الأول من غير تأويل يكون خبراً في معنى النهي. وأما على هذا فيكون نهياً على الحقيقة. قال التوربشتي: هو في أوثق الروايات: لن تراعوا، أي لا خوف ولا فزع فاسكنوا. يقال: ريع فلان إذا فزع. **(وهو)** أي النبي ﷺ **(على فرس لأبي طلحة عري)** بضم فسكون أي ليس عليه سرج، نقول: ما عليه سرج بيان وتأكيد أو احتراز من نحو جل أو لجام. **(وفي عنقه)** أي النبي ﷺ. **(سيف)** أي مقلد وفي نسخة بكسر السيف، أي في جيد الفرس حبل من ليف السعف. واقتصر عليه شارح وهو بعيد جداً في المعنى، وإن كان قريباً في المبنى. **(فقال: لقد وجدته)** أي الفرس. **(بحراً)** أي جواداً وسيع الجري، وكان يسمي ذلك الفرس المندوب بمعنى المطلوب وكان بطيئاً ضيق الجري، فانقلب حاله ببركة ركوبه ﷺ. ويشبه الفرس إذا كان جواداً بالبحر لاستراحة راكبه [به] كراكب الماء إذا كانت الريح طيبة. **(متفق عليه)** قال النووي: فيه بيان ما أكرمه الله تعالى به من جليل الصفات، وفيه معجزة انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان

الحديث رقم ٥٨٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٥. حديث رقم ٦٠٣٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٢ حديث رقم (٤٨ . ٢٣٠٧). وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٩.

٥٨٠٥ ـ (٥) وعن جابرٍ، قال: ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قطُّ فقال: لا. متفق عليه.

٥٨٠٦ ـ (٦) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ غنماً بينَ جبَلينِ، فأعطاهُ إيّاهُ، فأتى قومَه، فقال: أيْ قومِ! أسلِموا، فوَاللّهِ إنَّ محمَّداً ليُعطي عطاءً ما يخافُ الفقر.

بطيئاً. وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدوّ، ما لم يتحقق بالهلاك وجواز العارية وجواز الغزو على فرس المستعار، واستحباب تقلد السيف في العنق، وتبشير الناس بعد الخوف إذا ذهب.

٥٨٠٥ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل)** أي ما طلب **(رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا)** أي لا أعطيه، بل إما أعطى أو اعتذر. ودعا أو وعد له فيما تمنى عملاً بقوله تعالى: **﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾** [الإسراء ـ ٢٨]. فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس أنه ﷺ: كان رحيماً فكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده[1]. هذا، وكان يقول ﷺ: أنفق يا بلال. وقيل: بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. كما رواه البزار عن بلال[2]، وعن أبي هريرة والطبراني عن ابن مسعود. وما أبلغ قول الفرزدق في زين العابدين:

حمال أثقال أقوام إذا مدحوا * حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد لم ينطق بذاك فم

(متفق عليه) وفي الجامع: كان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت. رواه الحاكم عن أنس[3].

٥٨٠٦ ـ **(وعن أنس)** رضي الله عنه **(أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين)** أي قطعة غنم تملأ ما بينهما **(فأعطاه إياه)** أي مطلوبه على وجه تمناه **(فأتى قومه)** أي متعجباً من كرمه الدال على كمال توكله وزهده. **(فقال: أي قوم)** أي يا قوم **(أسلموا)** أي فإن الإسلام يهدي إلى مكارم الأخلاق. **(فوالله أن محمداً ليعطي عطاء)** أي عظيماً **(ما يخاف الفقر)** قال الطيبي: يجوز أن يكون حالاً من ضمير يعطي وأن يكون صفة العطاء، أي عطاء ما يخاف الفقر معه. فإن

الحديث رقم ٥٨٠٥: أخرجه البخاري ١٠/ ٤٥٥. حديث رقم ٦٠٣٤. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٠٥ حديث رقم (٥٦ . ٢٣١١). والدارمي ١/ ٤٧ حديث رقم ٧٠.

(١) كذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٢٤ حديث رقم ٦٨٣٧.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٦٤ حديث رقم ٢٧٤٦. وقد رواه أيضاً الطبراني في الكبير.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٤٢٦ حديث رقم ٦٨٩٣. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٣٠.

الحديث رقم ٥٨٠٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٦ حديث رقم (٥٨ . ٢٣١٢) وأحمد في المسند ٣/ ١٠٨.

رواه مسلم.

٥٨٠٧ ـ (٧) وعن جُبيرِ بنِ مُطعم، بينما هو يسيرُ معَ رسول الله ﷺ مُقْفلَه من حُنينٍ، فعلقتِ الأعرابُ يسألونَه حتى اضطرُّوه إلى سَمُرة، فخطفتْ رِداءَه فوقفَ النبيُّ ﷺ، فقال: «أعطوني ردائي، لو كانَ لي عددُ هذِه العِضاةِ نَعَمٌ لقسمتُه بينَكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً».

قلت: كيف دل هذا الوصف على وجوب الإسلام، قلت: مقام ادعاء النبوّة مع اعطاء الجزيل، يدل على وثوقه على من أرسله إلى دعوة الخلق. فإن من جبل الإنسان خوف الفقر. قال تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ [البقرة ـ ٢٦٨]. **(رواه مسلم)**.

٥٨٠٧ ـ **(وعن جبير بن مطعم بينما هو)** أي جبير **(يسير مع رسول الله ﷺ مقفله)** مصدر ميمي أو اسم زمان من قفل كنصر ورجع قفولاً رجع، أي عند رجوعه أو وقت رجوعه. **(من حنين)** بالتصغير موضع بين مكة والطائف. **(فعلقت)** بكسر اللام أي نشبت. **(الأعراب)** أو طفقت **(يسألونه)** أي يطلبونه من العطايا والمطايا **(وهو يعطيهم)** أو يعدهم ويمنيهم **(حتى اضطروه)** أي ألجؤوه **(إلى سمرة)** بفتح فضم، أي شجرة طلح. **(فخطفت)** بكسر الطاء، أي أخذت السمرة بسرعة. **(رداءه)** حيث تعلقت به. وقال شارح: أي سلبت انتهى. ولا يبعد أن يكون الضمير راجعاً إلى الأعراب كما يدل عليه قوله: **(فوقف النبي ﷺ فقال: أعطوني ردائي)** وأغرب الطيبي حيث قال: أي علق رداءه بها فاستعير لها الخطف. **(لو كان لي عدد هذه العضاة)** بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة وبالهاء في الآخر أم غيلان. وقيل: كل شجر يعظم وله شوك. واحده عضاهة، وعضة بحذف الهاء الأصلية، كما حذف من الشفة. وعدد نصب على المصدر، أي يعد عددها أو على نزع الخافض أي بعددها أو كعددها، والمراد به الكثرة. **(نعم)** بفتحتين. وفي القاموس: النعم وقد يُكسر عينه، الإبل والشاء أو خاص بالإبل، وجمعه أنعام. قلت: ويرد عليه قوله سبحانه: ﴿**من الأنعام ثمانية أزواج**﴾ [الزمر ـ ٦]. حيث يراد بها أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز من الذكور والإناث. **(لقسمته بينكم)** أي لزهدي في النعم وتركي للنعم وطلبي قرب المنعم. **(ثم لا تجدوني بخيلاً)** ثم هنا بمعنى الفاء، أو للتراخي في الزمان، أي بعد ما جربتموني في العطاء وعرفتم طبعي في الوعد بالوفاء واعتمادي على رب الأرض والسماء، فلا تجدوني بخيلاً. **(ولا كذوباً ولا جباناً)** وقال المظهر: أي إذا جربتموني في الوقائع لا تجدوني متصفاً بالأوصاف الرذيلة. وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالأوصاف الحميدة لمن لا يعرفه ليعتمد عليه. وقال الطيبي: ثم هنا للتراخي في الرتبة، يعني أنا في ذلك العطاء لست بمضطر إليه بل أعطيه مع أريحية نفس ووفور نشاط، ولا بكذوب أدفعكم عن نفسي ثم أمنعكم عنه، ولا

الحديث رقم ٥٨٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٥. حديث رقم ٢٨٢١. والنسائي في السنن ٦/ ٢٦٢ حديث رقم ٣٦٨٨. ومالك في الموطأ ٢/ ٤٥٧ حديث رقم ٢٢ من كتاب الجهاد. وأحمد في المسند ٤/ ٨٢.

رواه البخاري.

٥٨٠٨ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا صلّى الغَداةَ جاءَ خدمُ المدينةِ بآنيتِهِم فيها الماءُ، فما يأتونَ بإناءٍ إلا غمسَ يدَه فيها، فرُبما جاؤوهُ بالغَداةِ الباردةِ فيغمسُ يده فيها. رواه مسلم.

٥٨٠٩ ـ (٩) وعنه، قال: كانت أَمَةٌ منْ إماءِ أهلِ المدينةِ تأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيثُ شاءتْ. رواه البخاري.

٥٨١٠ ـ (١٠) وعنه، أنَّ امرأةً كانتْ في عقلِها شيءٌ،

بجبان أخاف أحداً. فهو كالتتميم للكلام السابق. **(رواه البخاري)**.

٥٨٠٨ ـ **(وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الغدوة)** أي الفجر **(جاء)** وفي الجامع: جاءه. **(خدم المدينة)** جمع خادم من غلام أو جارية. **(بآنيتهم)** جمع إناء **(فيها الماء)** أي فيطلبون البركة والنماء والعافية والشفاء. **(فما يأتون)** وفي الجامع: فما يؤتى. **(بإناء إلاّ غمس يده فيها)** أي تطييباً لخواطرهم وتحصيلاً لمقاصدهم. **(فما جاؤوه بالغدوة)** أي في الغدوة. **(الباردة فيغمس يده فيها)** قال الطيبي: فيه تكلف[1] المشاق لتطييب قلوب الناس لا سيما مع الخدم والضعفاء، وليتبركوا بإدخال يده الكريمة في أوانيهم، وبيان تواضعه ﷺ مع الضعفاء. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد. إلا أنه في الجامع[2] عنهما بدون قوله: فربما إلى آخره وروى ابن عساكر عن أنس: أنه ﷺ كان أرحم الناس بالصبيان والعيال[3]. وفي الجامع: كان مما يقول للخادم: [ألك] حاجة. رواه أحمد عن رجل[4].

٥٨٠٩ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: كانت أمة)** أي جارية **(من إماء أهل المدينة)** أي فرضاً وتقديراً **(تأخذ بيد رسول الله ﷺ)** قيل: المراد من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق. **(فتنطلق به حيث شاءت)** أي ولو خارج المدينة. وهذا يدل على غاية تواضعه مع الخلق ونهاية تسليمه مع الحق. **(رواه البخاري)**.

٥٨١٠ ـ **(وعنه:)** أي عن أنس **(أن امرأة كان في عقلها شيء)** أي من الخفة أو الجذبة

الحديث رقم ٥٨٠٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ حديث رقم (٧٤ . ٢٣٢٤). وأحمد في المسند ٣/ ١٣٧.

(١) في المخطوطة «تكليف». (٢) الجامع الصغير ٢/ ٤١٨ حديث رقم ٦٧٣٦.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٢٣ حديث رقم ٦٨٢٠.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٤٢٥ حديث رقم ٦٨٦٦ والحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٥٠٠.

الحديث رقم ٥٨٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٨٩. حديث رقم ٦٠٧٢.

الحديث رقم ٥٨١٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ حديث رقم (٧٦ . ٢٣٢٦). وأبو داود في السنن ٥/ ١٦١ حديث رقم ٤٨١٨. وأحمد في المسند ٣/ ١١٩.

فقالتْ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ لي إليكَ حاجةً، فقال: «يا أُمَّ فلان! انظري أيّ السكك شئتِ حتى أقضيَ لكِ حاجتَكِ» فخَلا معهَا في بعضِ الطرقِ، حتى فرغتْ منْ حاجتِها. رواه مسلم.

٥٨١١ ـ (١١) وعنه، قال: لم يكنْ رسولُ الله ﷺ فاحشاً ولا لعَّاناً ولا سبَّاباً، كانَ يقولُ عندَ المعْتَبةِ: «ما لَه تربَ جَبينُه؟!». رواه البخاري.

٥٨١٢ ـ (١٢) وعن أبي هريرةَ،

(فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة) أي خفية عن الناس **(فقال: يا أم فلان انظري)** أي تفكري أو أبصري **(أي السكك)** بكسر ففتح جمع السكة، وهي الزقاق. **(شئت)** أي أردت إحضاري فيه. **(حتى أقضي لك حاجتك)** أي كي أحصل لك مقصودك ومرادك **(فخلا)** أي مضى **(معها في بعض الطرق)** أي ووقف معها وسمع كلامها ورد جوابها. **(حتى فرغت من حاجتها)** وفيه تنبيه على أن الخلوة مع المرأة في زقاق ليس من باب الخلوة معها في بيت، على احتمال أن بعض الأصحاب كانوا واقفين بعيداً عنهما مراعاة لحسن الأدب. **(رواه مسلم)**.

٥٨١١ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً)** أي آتياً بالفحش من الفعل **(ولا لعاناً ولا سباباً)** المقصود منهما نفي اللعن والسب وكل ما يكون من قبيل الفحش القولي، لا نفي المبالغة فيهما. وكأنه نظر إلى أن المعتاد هو المبالغة فيهما فنفاهما على صيغ المبالغة. والمقصود نفيهما مطلقاً كما يدل عليه آخر كلامه. قال الطيبي: فإن قلت: بناء فعال للتكثير أو للمبالغة، ونفيه لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقاً. قلت: المفهوم ههنا غير معتبر لأنه وارد في مدحه ﷺ. فإن أريد التكثير فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين، أي ليس بلاعن واحد واحد منهم. وإن أريد المبالغة كان المعنى أن اللعن بلغ في العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعاناً بليغ اللعن، نحو قوله تعالى: **﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾** [آل عمران ـ ١٨٢]. قلت: الأظهر في معنى الآية والحديث أن يقال: فعال للنسبة كتمار ولبان، أي ليس الله بذي ظلم مطلقاً، ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن مستحقاً من الكفار أو الفجار لكونه نبي الرحمة، ولذا استأنف الراوي بقوله: **(كان يقول عند المعتبة)** بفتح التاء، وقيل بكسرها أيضاً بمعنى الملامة والعتاب، على ما في القاموس واختاره ابن الملك. وبمعنى الغضب كما في النهاية واختاره شارح. والمعنى غاية ما يقوله عند المعاتبة أو المخاصمة هذه الكلمة، معرضاً عنه غير مخاطب له. **(ما له ترب جبينه)** وهي أيضاً ذات وجهين إذ يحتمل أن يكون دعاء على المقول له بمعنى رغم أنفك وأن يكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهك. **(رواه البخاري)**.

٥٨١٢ ـ **(وعن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: قيل: يا رسول الله[(١)] ادع على**

الحديث رقم ٥٨١١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٢. حديث رقم ٦٠٣١. وأحمد في المسند ٣/ ١٥٨.
الحديث رقم ٥٨١٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٦ حديث رقم (٨٧ ـ ٢٥٩٩).
(١) في المخطوطة «لرسول الله».

قال: قيلَ: يا رسولَ الله! ادْعُ على المشركينَ. قال: «إِني لم أُبعث لعَّاناً؛ وإِنما بُعِثْتُ رحمةً». رواه مسلم.

٥٨١٣ ـ (١٣) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً مِنَ العذراءِ في خِدرِها، فإِذا رأى شيئاً يكرهُه عرفناه في وجهه. متفق عليه.

٥٨١٤ ـ (١٤) وعن عائشةَ رضي اللَّهُ عنها، قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مستجمِعاً قطُّ

المشركين. قال: إني لم أبعث لعاناً) أي ولو على جماعة مخصوصة من الكافرين لقوله تعالى: **﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾** [آل عمران ـ ١٢٨]. **(وإنما بعثت رحمة)** أي للناس عامة وللمؤمنين خاصة متخلقاً بوصفي الرحمٰن الرحيم، ولقوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء ـ ١٠٧]. قال ابن الملك: أما للمؤمنين فظاهر وأما للكافرين فلان العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه، كما قال تعالى: **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾** [الأنفال ـ ٣٣]. أقول بل عذاب الاستئصال مرتفع عنهم ببركة وجوده إلى يوم القيامة. وقال الطيبي: أي إنما بعثت لأقرب الناس إلى الله وإلى رحمته، وما بعثت لأبعدهم عنها. فاللعن مناف لحالي فكيف ألعن. **(رواه مسلم.)** وكذا البخاري في الأدب المفرد[(١)]. وروى الطبراني عن كريز بن شامة قوله: إني لم أبعث لعاناً. وروى البخاري في تاريخه عن أبي هريرة بلفظ: إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً[(٢)].

٥٨١٣ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء)** أي البكر **(في خدرها)** بكسر أوله أي في سترها. قال الطيبي: هو تتميم، فإن العذراء إذا كانت في خدرها أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه. **(فإذا رأى شيئاً يكرهه)** أي من جهة الطبع أو من طريق الشرع **(عرفناه في وجهه)** أي من أثر التغير فأزلناه. فإنه ما كان يعاين أحداً بخصوصه في أمر الكراهة دون الحرمة. قال النووي: معناه أنه ﷺ لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه، بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته. وفيه فضيلة الحياء وأنه محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والخور. **(متفق عليه)**.

٥٨١٤ ـ **(وعن عائشة قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً)** بكسر الميم الثانية **(قط**

---

(١) البخاري في الأدب المفرد ص ١١٩ حديث رقم ٣٢٢.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٥٥ حديث رقم ٢٥٨٥.

الحديث رقم ٥٨١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٦٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٩ حديث رقم (٦٧ ـ ٢٣٢٠). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٩ حديث رقم ٤١٨٠ وأحمد في المسند ٣/ ٧٩.

الحديث رقم ٥٨١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦١٦ حديث رقم (١٥ ـ ٨٩٩). والبخاري في صحيحه ١٠/ حديث رقم ٦٠٩٢. وأحمد في المسند ٦/ ٦٦.

ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، وإِنما كانَ يتبسَّمُ. رواه البخاري.

٥٨١٥ ـ (١٥) وعنها، قالتْ: إِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يكن يسرد الحديثَ كسَردكم، كان يُحدِّثُ حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه. متفق عليه.

٥٨١٦ ـ (١٦) وعن الأسود، قال: سألتُ عائشة: ما كانَ النبي ﷺ يصنَعُ في بيتِهِ؟

ضاحكاً) قال التوربشتي: يريد ضاحكاً كل الضحك. يقال: استجمع الفرس جرياً. قال الطيبي: فعلى هذا ضاحكاً وضع موضع ضحكاً على أنه منصوب على التميز. قال في المغرب: استجمع السيل اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره، وهو لازم. وقولهم: استجمع الفرس جرياً نصب على التمييز. وأما قول الفقهاء: مستجمعاً شرائط الجمعة، فليس بثبت انتهى. والمعنى: ما رأيته ضاحكاً كل الضحك بجميع الفم. **(حتى أرى منه لهواته)** بفتحتين جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على أقصى الفم من سقفه. **(وإنما كان)** أي غالباً **(يتبسم وربما يضحك)** لكن لا على سبيل المبالغة **(رواه البخاري.)** وكذا مسلم وأبو داود.

٥٨١٥ ـ **(وعنها)** أي عن عائشة **(قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد)** بضم الراء، أي لم يكن يتابع. **(الحديث)** أي الكلام **(كسردكم)** أي المتعارف بينكم من كمال اتصال ألفاظكم، بل كان كلامه فصلاً بيناً واضحاً لكونه مأموراً بالبلاغ المبين كما بينته بقولها: **(كان يحدث حديثاً لوعده العاد)** أي لو أراد عده مريد العد **(لأحصاه)** أي لعده واستقصاه. وفي وضع أحصاه موضع عده مبالغة لا تخفى. فإن أصل الاحصاء هو العد بالحصي. ولا شك في حصول المهلة عند عده من رفعه وحطه. قال الطيبي: يقال: فلان سرد الحديث إذا تابع الحديث بالحديث استعجالاً، وسرد الصوم تواليه. يعني: لم يكن حديث النبي متتابعاً بحيث يأتي بعضه إثر بعض فيلتبس على المستمع، بل كان يفصل كلامه، لو أراد المستمع عده أمكنة. فيتكلم بكلام واضح مفهوم في غاية الوضوح والبيان. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في الشمائل. ولفظ الجامع: كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه. رواه الشيخان وأبو داود[(١)]. وفي الجامع أيضاً: كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه. رواه الترمذي والحاكم عن أنس[(٢)].

٥٨١٦ ـ **(وعن الأسود)** قال المؤلف: هو ابن هلال المحاربي. روي عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعنه جماعة. **(قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته)** ما استفهامية

الحديث رقم ٥٨١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٧. حديث رقم ٣٥٦٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٠ حديث رقم (١٦٠ . ٣٤٩٣). وأبو داود ٤/ ٦٥ حديث رقم ٣٦٥٥ والترمذي في السنن ٥/ ٥٦٠ حديث رقم ٣٦٣٩. وأحمد في المسند ٦/ ١١٨.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٢ حديث رقم ٧٠٠٨.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٧١١٤ والحديث أخرجه الترمذي في السنن حديث رقم ٣٦٤٠.

الحديث رقم ٥٨١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١٦٢. حديث رقم ٦٧٦. والترمذي في السنن ٤/ ٥٦٤ حديث رقم ٢٤٨٩. وأحمد في المسند ٦/ ٤٩.

قالتْ: كانَ يكونُ في مَهْنَةِ أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. رواه البخاري.

٥٨١٧ - (١٧) وعن عائشة، قالتْ: ما خُيّر رَسولُ اللّهِ ﷺ بين أمرين قطُّ إلا أخذ أَيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان أبعدَ النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قطُّ، إلا أن يُنتهك حرمةُ الله فينتقم

(قالت: كان) أي من عادته **(يكون)** أي يستمر مشتغلاً **(في مهنة أهله)** بفتح الميم وتكسر وبسكون الهاء. أي مصالح عياله، والمهنة الخدمة والابتذال. ففيه مبالغة لقيامة مقام الرجال، ولهذا قال الراوي: **(تعني خدمة أهله)** أي أهل بيته، ممن يكون أهلاً لخدمته. قال صاحب النهاية: المهنة الخدمة، والرواية بفتح الميم وقد تكسر. قال الزمخشري: وهو عند الإثبات خطأ. قال الأصمعي: المهنة بفتح الميم، ولا يقال مهنة بالكسر. وكان القياس لو قيل: مثل جلسة وخدمة، إلا أنه جاء على فعلة واحدة. وفي القاموس: المهنة بالكسر والفتح والتحريك، وككلمة الحذق بالخدمة. والعمل. مهنة كمنعه ونصره، مهناً ومهنة، وبكسر خدمه. وقال العسقلاني: المهنة بفتح الميم وكسرها. وأنكر الأصمعي الكسر وفسّرها بخدمة أهله. وثبت أن التفسير من قول الراوي عن شعبة وأن جماعة رووه بدونه. لكن أخرج ابن سعد في رواية: بدونه. وفي رواية: في آخره. تعني بالمهنة خدمة أهله. **(فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)** أي وترك جميع عمله، وكأنه لم يعرف أحداً من أهله. **(رواه البخاري)** وكذا الترمذي.

٥٨١٧ - **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير)** أي ما جعل مخيراً **(رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ)** أي اختار، كما في رواية الترمذي. **(أيسرهما ما لم يكن)** أي الأمر الأيسر **(إثما)** أي ذا إثم. وفي رواية الترمذي: ما لم يكن مأثماً، أي إثماً أو موضع إثم، بناء على أنه مصدر ميمي أو اسم مكان؛ وإلى هنا انتهى رواية الترمذي. **(فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه)** أي وكان حينئذ يأخذ أرشدهما ولو أعسرهما وأشدهما. قال العسقلاني: أبهم فاعل خير ليكون أعم من أن يكون من قبل المخلوقين، أو من قبل الله تعالى. لكن التخيير بين ما فيه إثم وبين ما لا إثم فيه من قبل الله مشكل، لأن التخيير إنما يكون بين جائزين، إلا إذا حملنا على ما يفضي إلى الإثم، فذلك ممكن بأن يخير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة، وبين أن لا يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف. وإن كان السعة أسهل فالإثم على هذا أمر نسبي لا ما يراد به الخطيئة لثبوت العصمة. **(وما انتقم رسول الله ﷺ)** أي ما عاقب أحداً **(لنفسه)** أي لأجل حظها **(في شيء)** أي يتعلق بنفسه **(قط)** أي أبداً **(إلا أن ينتهك حرمة الله)** بصيغة المجهول أي يرتكب **(فينتقم)** بالرفع وفي نسخة بالنصب، أي فيعاقب.

الحديث رقم ٥٨١٧: أخرجه البخاري في السنن ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٣ حديث رقم (٧٧ . ٢٣٢٧). وأخرجه أبو داود ٥/ ١٤٢ حديث ٤٧٨٥. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٢ حديث رقم ٢ من باب حسن الخلق. وأحمد في المسند ٦/ ٣٢.

لله بها. متفق عليه.

٥٨١٨ ـ (١٨) وعنها، قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ لنفسه شيئاً قطُّ بيدِه، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يُجاهدَ في سبيل الله، وما نيل منه شيء قطُّ، فينتقم من صاحبه، إلاّ أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله. رواه مسلم.

(حينئذ لله) أي لغرض آخر **(بها)** أي بسبب تلك الحرمة. ثم انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل. يقال: فلان انتهك محارم الله أي فعل ما حرم الله فعله عليه. قال الطيبي: استثناء منقطع، أي ما عاقب أحد لخاصة نفسه بجناية جني عليه، بل بحق الله تعالى إذا فعل أحد شيئاً من المحرمات امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله**﴾ [النور ـ ٢]. قال العسقلاني: المعنى ما انتقم لحاجة نفسه، فلا يرد أمره ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله ابن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله. وقيل: ذلك في غير السب الذي يفضي إلى الكفر. وقيل: يختص ذلك بالمال، وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه. **(متفق عليه.)** ورواه أبو داود.

٥٨١٨ ـ **(وعنها)** أي عن عائشة رضي الله عنها **(قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً)** أي آدمياً لأنه ﷺ ربما ضرب مركوبه، **(قط بيده ولا امرأة ولا خادماً)** خصا بالذكر اهتماماً بشأنهما ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج إليه وضربهما وإن جاز بشرطه، فالأولى تركه، قالوا بخلاف الولد. فإن الأولى تأديبه ويوجه بأن ضربه لمصلحة تعود إليه فلم يندب العفو، بخلاف ضرب هذين فإنه لحظ النفس غالباً فندب العفو عنهما مخالفة لهواها وكظماً لغيظها. **(إلا أن يجاهد في سبيل الله)** فإنه ﷺ قتل أبي بن خلف بأحد. ثم ليس المراد به الغزو مع الكفار فقط، بل يدخل فيه الحدود والتعازير وغير ذلك. **(وما نيل)** بكسر النون مجهول نال. يقال: نال منه نيلاً إذا أصاب. وفي الحديث: إن رجلاً كان ينال من الصحابة أي يقع فيهم ويصيب منهم، فالمعنى ما أصيب منه. **(شيء قط فينتقم من صاحبه)** أي من صاحب ذلك الشيء. **(إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله. رواه مسلم)** وروى الترمذي الفصل الأول بلفظ: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا ضرب خادماً ولا امرأة. والفصل الثاني بلفظ: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء؛ فإذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً.

الحديث رقم ٥٨١٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤ حديث رقم (٧٩ . ٢٣٢٨). وأخرجه أبو داود. ٥/ ١٤٢ حديث رقم ٤٧٨٦. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٣٨ حديث رقم ١٩٨٤.

الفصل الثاني

٥٨١٩ ـ (١٩) عن أنسٍ، قال: خدمتُ رسولَ اللّهِ ﷺ وأنا ابن ثمانِ سنين، خدمته عشر سنين، فما لامني على شيءٍ قطُّ أُتيَ فيه على يديّ، فإن لامني لائم من أهله قال: «دعوه فإنه لو قضي شيءٌ كان». هذا لفظ «المصابيح» وروى البيهقي في «شعب الإِيمان» مع تغيير يسير.

٥٨٢٠ ـ (٢٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويصفح. رواه الترمذي.

(الفصل الثاني)

٥٨١٩ ـ (**عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين**) بحذف الياء من ثماني مضافاً، والجملة حال دال على أول الخدمة، ولذا أطلقه. ثم أعاده مقيداً بقوله: (**خدمته عشر سنين فما لامني على شيء قط أتي فيه**) بصيغة المجهول أي أهلك وأتلف من قولهم: أتى عليهم الدهر أي أهلكهم وأفناهم، وضمير فيه عائد إلى شي- والجار والمجرور أقيم مقام الفاعل، أي ما لامني على شيء أتلف. (**على يدي**) بصيغة التثنية. وفي نسخة بالإفراد. قال الطيبي: أتى صفة شيء وضمن فيه معنى عيب أو طعن وعلى يدي حال. (**فإن لا مني لائم من أهله. قال: دعوه**) أي اتركوه (**فإنه**) أي الشأن (**لو قضي شيء لكان**) أي لو قدر أمر لوقع. (**هذا لفظ المصابيح**) وكذا رواه ابن حبان في صحيحه. (**وروى البيهقي في شعب الإِيمان مع تغيير**) أي يسير يسامح في مثله.

٥٨٢٠ ـ (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً**) أي ذا فحش في أقواله وأفعاله (**ولا متفحشاً**) أي متكلفاً فيه ومتعمداً كذا في النهاية. قال القاضي: نفت عنه تولي الفحش والتفوه به طبعاً وتكلفاً. (**ولا سخاباً**) أي صياحاً (**في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة**) أي بل بالحسنة، لقوله: (**ولكن يعفو**) أي في الباطن (**ويصفح**) أي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله تعالى: ﴿**فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**﴾ [المائدة ـ ١٣]. (**رواه الترمذي**).

الحديث رقم ٥٨١٩: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٣١ والبيهقي في شعب الإِيمان ٦/ ٢٥٨ حديث رقم ٨٠٧٠.

الحديث رقم ٥٨٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٤ حديث رقم ٢٠١٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٨ حديث رقم ٤١٧٨. وأحمد في المسند ٦/ ١٧٤.

٥٨٢١ ـ (٢١) وعن أنسٍ، يحدِّث عن النبي ﷺ أنه كانَ يعودُ المريضَ، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، لقد رأيته يومَ خيبر على حمارٍ خِطَامُه ليفٌ. رواه ابن ماجه والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٨٢٢ ـ (٢٢) وعن عائشة، قالتْ: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، وقالت: كانَ بَشراً من البشر، يفلِّي ثوبه،

٥٨٢١ ـ **(وعن أنس)** رضي الله عنه **(يحدث عن النبي ﷺ أنه كان يعود المريض ويتبع)** بفتح الموحدة، وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء أي يعقب ويشيع **(الجنازة)** بفتح الجيم وكسرها **(ويجيب دعوة المملوك)** أي المأذون أو المعتوق أو إلى بيت مالكه. **(ويركب الحمار)** وهذا كله يدل على كمال التواضع للحق وحسن الخلق في معاشرة الخلق. **(لقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه)** بكسر أوله أي زمامه **(ليف)** قال ابن الملك: فيه دليل على أن ركوب الحمار سنة. قلت: فمن استنكف من ركوبه كبعض المتكبرين وجماعة من جهلة الهند فهو أخس من الحمار. **(رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان)** وفي الجامع: كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير. رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس[(١)]. وروى الحاكم في مستدركه عن أنس: كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار[(٢)]. وفي رواية: عرياً ليس عليه شيء[(٣)]. وروى ابن عساكر عن أبي أيوب: كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف، ويقول: من رغب عن سنتي فليس مني[(٤)].

٥٨٢٢ ـ **(وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يخصف)** بكسر الصاد أي يخرز ويرقع. وفي شرح السنة: أي يطبق طاقة على طاقة، وأصل الخصف الضم والجمع. ومنه قوله تعالى: **﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾** [الأعراف ـ ٢٢]. أي يطبقان ورقة ورقة على بدنهما. **(ويخيط)** بكسر الخاء **(ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته)** تعميم بعد تخصيص. وفي الجامع برواية أحمد عن عائشة: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[(٥)]. **(وقالت: كان بشراً من البشر يفلي ثوبه)** بكسر اللام أي ينظر في الثوب هل فيه

الحديث رقم ٥٨٢١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٨ حديث رقم ٤١٧٨. والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٨٩ حديث رقم ٨١٩٠.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٦٩٨٩.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ١١٩.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٧٠٣١.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٧٠٢٣.

الحديث رقم ٥٨٢٢: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٦٧.

(٥) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٧٠١٨. والحديث أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٢١.

ويحلب شاته، ويخدم نفسه. رواه الترمذي.

٥٨٢٣ ـ (٢٣) وعن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: دخل نفر على زيدِ بنِ ثابتٍ، فقالوا له: حدِّثنا أحاديثَ رسول الله ﷺ، قال: كنتُ جاره، فكانَ إذا نزل عليه الوحي بَعث إليَّ فكتبتُه له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا،

شيء من القمل. وهو لا ينافي ما روي من أن القمل لم يكن يؤذيه. وقال شارح: أي يلتقط القمل. **(ويحلب شاته)** بضم اللام **(ويخدم نفسه)** بضم الدال ويكسر، وهو تعميم وتتميم. قال الطيبي: قولها كان بشراً تمهيد لما بعده، لأنه لما رأت من اعتقاد الكفار أن النبي ﷺ لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس وجعلوه كالملوك، فإنهم يترفعون عن الأفعال العادية الدنية تكبراً كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: **﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾** [الفرقان ـ ٧]. فقالت: إنه ﷺ كان خلقاً من خلق الله تعالى وواحداً من أولاد آدم شرفه الله بالنبوّة وكرمه بالرسالة، وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الحق بالصدق، فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في أفعالهم تواضعاً وإرشاداً لهم إلى التواضع ورفع الترفع وتبليغ الرسالة من الحق إلى الخلق، كما أمر. قال تعالى: **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ﴾** [الكهف ـ ١١٠]. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن حبان وصححه. وفي الجامع: كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن سهل بن حنيف[١].

٥٨٢٣ ـ **(وعن خارجة بن زيد بن ثابت)** أي الأنصاري المدني. قال المؤلف: تابعي جليل القدر أدرك زمن عثمان وسمع أباه وغيره من الصحابة، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة. **(قال: دخل نفر)** أي جماعة من التابعين؛ وقيل: النفر عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة. **(على زيد بن ثابت)** وهو أبو خارجة صحابي جليل أفرض الصحابة وأجل كتبة الوحي ومن أعظم القراء، قرأ عليه ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين. **(فقالوا له: حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ)** وفي نسخة: عن رسول الله. وكأنهم أرادوا ما يدل على حسن الخلق وجميل المعاشرة مع الخلق. **(قال: كنت جاره)** فيه إيماء إلى قربه إليه حساً ومعنى وإشارة إلى أن له خبرة به أتم من غيره. **(فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي)** أي أرسل إلي أحداً يطلبني. **(فجئته فكتبته)** أي الوحي **(له)** أي لأجل أمره **(فكان)** أي من عادته في مجاملته ومراعاة مصاحبته **(إذا ذكرنا الدنيا)** أي ذماً أو مدحاً لكونها مزرعة الآخرة **(ذكرها معنا)** [أي على وجه الاعتبار وفيما يكون منها معيناً على زاد طريق دار القرار. **(وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا)**] زيادة على الخير ومعاونة على التقوى. **(وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا)** ويشير إلى فوائده وحكمه ولطائفه وآداب أكله.

---

(١) الجامع الصغير ٢/٤٢٨ حديث رقم ٦٩٢٧. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٦٦.

الحديث رقم ٥٨٢٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٤٥ حديث رقم ٣٦٧٩.

فكل هذا أُحدِّثكم عن رسول الله ﷺ. رواه الترمذي.

٥٨٢٤ ـ (٢٤) وعن أَنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ إِذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكونَ هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهَه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُرَ مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له. رواه الترمذيُّ.

٥٨٢٥ ـ (٢٥) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ لا يدَّخِر شيئاً لغدٍ. رواه الترمذي.

والحاصل أنه كان يلاطفهم في الكلام لئلا يحصل لهم التبرم والسآم، ويسوقهم فيما يشرعون فيه إلى ما شرع إليه من تبليغ المواعظ والأحكام. ولا ينافي هذا ما ورد من أنه ﷺ «كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه»، وأن مجلسه مجلس علم لأن ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية أو حكمية أو أدبية. وبتقدير خلوه عنها ففيه جواز تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات، ومثل هذا البيان واجب عليه ﷺ والله أعلم. **(فكل هذا)** بالرفع وينصب. أي جميع ما ذكر. **(أحدثكم)** فقيل الرواية بالرفع وفي خبره الرابطة محذوف، ويجوز النصب بتقدير أحدثكم إياه. **(عن رسول الله ﷺ)** والمقصود من هذه الجملة تأكيد صحة الحديث وإظهار الاهتمام به والله أعلم. **(رواه الترمذي)**.

٥٨٢٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع)** بكسر الزاي أي لم يخلص ولم يفك **(يده من يده حتى يكون)** أي الرجل **(هو الذي ينزع يده. ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه. ولم ير)** بصيغة المجهول أي لم يبصر **(النبي ﷺ مقدماً)** بكسر الدال المشددة **(ركبتيه بين يدي جليس)** أي مجالس **(له)** قيل: أي ما كان يجلس في مجلس تكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة في مجالسهم. وقيل: ما كان يرفع ركبتيه عند من يجالسه، بل كان يخفضهما تعظيماً لجليسه. وقالوا: أراد بالركبتين الرجلين وتقديمهما مدهما وبسطهما، كما يقال: قدم رجلاً وأخر أخرى. ومعناه: كان ﷺ لا يمد رجله عند جليسه تعظيماً له. قال الطيبي: فيه وفي قوله: كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه. تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه فلا يبدأ بالمفارقة عنه ولا يهينه بمد الرجلين إليه. **(رواه الترمذي)**.

٥٨٢٥ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(أن رسول الله ﷺ كان لا يدخر)** أي لا يبقي **(شيئاً لغد)** توكلاً على الله واعتماداً على خزائنه، وهذا بالنسبة إلى نفسه النفيسة خاصة، فأما لأجل أهله وعياله فربما كان يدخر لهم قوت سنتهم لضعف حالهم وعدم قوة احتمالهم وقلة كمالهم. **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٥٨٢٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٤ حديث رقم ٢٤٩٠. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٢٢٤ حديث رقم ٣٧١٦.

الحديث رقم ٥٨٢٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠١ حديث رقم ٢٣٦٢.

٥٨٢٦ ـ (٢٦) وعن جابرِ بن سمرة، قال: كان رسول الله ﷺ طويلَ الصَمْت. رواه في «شرح السنّة».

٥٨٢٧ ـ (٢٧) وعن جابرِ، قال: كانَ في كلام رسول الله ﷺ ترتيلٌ وترسيلٌ. رواه أبو داود.

٥٨٢٨ ـ (٢٨) وعن عائشة رضي الله عنها، قالتْ: ما كانَ رسولُ الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بينه

٥٨٢٦ ـ (**وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ طويل الصمت**) أي كثير السكوت، والمعنى أنه لا يتكلم إلا لحاجة. وقد قال ﷺ على ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فليقل خيراً أو ليسكت»[(١)]. وقد قال الصديق الأكبر: ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله. (**رواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي بإسناده ورواه أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة أيضاً ولفظه: كان طويل الصمت قليل الضحك. فكان حق صاحب المشكاة أن يسند إليه، فإن حديث مسند أحمد مما يعتمد عليه.

٥٨٢٧ ـ (**وعن جابر**) أي ابن عبد الله، ولذا لم يقل وعنه، لأنه غيره وهو المراد عند الإطلاق به. (**قال: كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل**) أي تبيين في قراءته لقوله تعالى: ﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ [المزمل ـ ٤]. (**وترسيل**) أي تمهيل في حديثه أي قياساً عليه أو مراعاة لقوله تعالى: ﴿**وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين**﴾ [النور ـ ٥٤]. وقال ابن الملك: هما بمعنى، وهو التبيين والإيضاح في الحروف انتهى. ولا يخفى أن التأسيس بالتقييد أولى من الحمل على التأكيد، وإن كان مآلهما واحداً، وأصل معنييهما متحداً. فإن المراد منهما أنه كان لا يعجل في إرسال الحروف، بل يلبث فيها ويبينها تبييناً لذاتها من مخارجها وصفاتها وتمييزاً لحركاتها وسكناتها. وخلاصة الكلام نفي العجلة وإثبات التؤدة. وفي النهاية: الترتيل في القراءة، التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات، تشبيهاً بالشعر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان، يقال: رتل القراءة وترتل فيها، والترسيل الترتيل. يقال: ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل، وهو والترتيل سواء. (**رواه أبو داود**).

٥٨٢٨ ـ (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يسرد**) أي في كلامه (**سردكم هذا**) أي كسردكم من العجلة والمتابعة (**ولكنه كان يتكلم بكلام بينه**) أي بين أجزائه

الحديث رقم ٥٨٢٦: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٨٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٤٥ حديث رقم ٦٠١٨ ومسلم ١/ ٦٨ حديث رقم (٧٥ . ٤٧) واللفظ له. واللفظ المتفق عليه «ليصمت».

الحديث رقم ٥٨٢٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧١ حديث رقم ٤٨٣٨.

الحديث رقم ٥٨٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٠ حديث رقم ٣٦٣٩. وأحمد في المسند ٦/ ٢٥٧.

فصلٌ، يحفَظه من جَلَسَ إِليه. رواه الترمذي.

٥٨٢٩ - (٢٩) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزْءٍ، قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي.

٥٨٣٠ - (٣٠) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ سلام. قال: كان رسول الله ﷺ إذا جَلَس يتحدثُ يُكثر أن يرفع طَرْفه إِلى السَّماءِ. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٨٣١ - (٣١) عن عمرو بن سعيد، عن أنس، قال: ما رأيت أحداً كان أرحَم بالعيال من رسول الله ﷺ،

(فصل) أي فرق أو فاصل يحفظه من جلس إليه **(رواه الترمذي)**.

٥٨٢٩ - **(وعن عبد الله بن الحارث بن جزء)** بفتح جيم وسكون زاي فهمز كذا ذكره المؤلف في أسمائه. وقيل: هو بكسر زاي وبياء. وقيل: جز بشدة زاي، كذا في المغني وهو أبو الحرث السهمي، شهد بدراً وسكن مصرومات بها. **(قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي)**.

٥٨٣٠ - **(وعن عبد الله بن سلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث يكثر)** من الإكثار أي يتحقق منه كثيراً **(أن يرفع طرفه)** بسكون الراء أي نظره **(إلى السماء)** أي كان ينظر إلى السماء حال التكلم ترقباً لجبريل وانتظاراً لوحي المولى وشوقاً إلى الرفيق الأعلى. **(رواه أبو داود)**.

(الفصل الثالث)

٥٨٣١ - **(عن عمرو بن سعيد عن أنس)** كذا في النسخ المعتبرة والأصول المشتهرة. ويؤيده ما في الكاشف[1]. وفي نسخة عن أنس عن عمرو بن سعيد. والظاهر أنه سهو قلم وزلة قدم وقلب كلام لما في أسماء الرجال للمؤلف، هو عمرو بن سعيد مولى ثقيف بصري، روى عن أنس وأبي العالية وغيرهما، وعنه ابن عون وجرير بن حازم وعدة. **(قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ)** قال النووي: هذا هو المشهور ويروى بالعباد.

الحديث رقم ٥٨٢٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦١ حديث رقم ٣٦٤١. وأحمد في المسند ٤/ ١٩٠.

الحديث رقم ٥٨٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧١ حديث رقم ٤٨٣٧.

الحديث رقم ٥٨٣١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٨ حديث رقم ٦٣/ ٢٣١٦. وأحمد في المسند ٣/ ١١٢.

(١) «الكاشف عن حقائق السنن» وهو شرح المشكاة للطيبي رحمه الله.

كان إِبراهيم ابنه مسترضعاً في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإِنَّه لَيُدَّخن، وكان ظئرُه قيناً، فيأخذه فَيُقَبِّلهُ ثم يرجع. قال عمرو: فلمَّا توفي إِبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إِن إِبراهيم ابني، وإِنه مات في الثدي، وإِن له لظئرين تُكملان رَضاعَةُ في الجنَّة» رواه مسلم.

قلت: ويلائم الأول استئنافه البياني بقوله: **(كان إبراهيم ابنه مسترضعاً)** بفتح الضاد، وقيل بكسرها. **(في عوالي المدينة)** أي القرى التي عند المدينة **(فكان)** أي النبي ﷺ **(ينطلق ونحن معه فيدخل البيت)** أي الذي فيه إبراهيم **(وإنه ليدخن)** بضم الياء وتشديد الدال وفتح الخاء. وفي نسخة بسكون الدال. وفي نسخة بفتح الياء وتشديد الدال وكسر الخاء، ثم بين سببه بقوله: **(وكان ظئره قيناً)** وهو أبو سمين القين، واسمه البراء بن أوس الأنصاري وهو معروف بكنيته. قال النووي: الظئر بكسر الظاء مهموزة المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك المرضع، والظئر يقع على الذكر والأنثى. والقين بالفتح الحداد. ثم الجملتان حاليتان معترضتان بين المعطوف عليه وهو قوله: **(فيدخل البيت)** والمعطوف وهو قوله: **(فيأخذه)** أي ابنه **(فيقبله ثم يرجع قال عمرو:)** أي ناقلاً عن أنس خلافاً لمن توهم أنه الراوي، فإنه من التابعين، على أنه يمكن أن يكون مقوله الآتي موقوفاً عليه ومنقطعاً عما قبله. **(فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: إن إبراهيم ابني)** محط فائدته التقرير لأن أمه جارية، وهي مارية القبطية، أهداها المقوقس القبطي صاحب مصر والإسكندرية وولدت إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان **(وإنه مات في الثدي)** وهو كناية عن الرضاع، أو المراد به اللبن وزوجته التي أرضعت إبراهيم أم بردة، كذا ذكره المؤلف بذكر المحل وإرادة الحال. وقال الطيبي: أي في سن رضاع الثدي أو في حال تغذيه بلبن الثدي. **(وإن له الظئرين)** أي المرضعتين بدل واحدة في الدنيا. **(تكملان)** من باب الإفعال، وفي نسخة: من باب التفعيل أي توفيان وتتمان. **(رضاعه)** بفتح الراء وتكسر أي مدة رضاعه وهي الحولان. فإنه توفي وله ستة عشر شهراً أو سبعة عشر. وقيل: وله سبعون يوماً فترضعانه بقية السنتين. **(في الجنة)** قال صاحب التحرير: وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم يكون عقيب موته فيدخل الجنة متصلاً بموته، فيتم فيها رضاعه كرامة له ولأبيه ﷺ. **(رواه مسلم)** وأما حديث: لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً. فأخرجه الماوردي(١) عن أنس وابن عساكر عن جابر وابن عباس وعن ابن أبي أوفى، ورواه ابن سعد عن مكحول مرسلاً: لو عاش إبراهيم ما رق له خال. وروى ابن سعد عن الزهري مرسلاً: لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي. كذا ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير(٢). وقال ابن الربيع في كتابه تمييز الطيب من الخبيث. أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس قال: لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وقال: إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً، ولو عاش أعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي. وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان

---

(١) في المخطوطة «البارودي». وفي الجامع الصغير «الباوردي» ٢/ ٤٥٧ حديث رقم ٧٤٥٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٥٧ الأحاديث رقم ٧٤٥٣ و٧٤٥٤ و٧٤٥٥.

٥٨٣٢ ـ (٣٢) وعن عليٍ رضي الله عنه، أَنَّ يهودياً يُقالُ له: فلانٌ، حَبْرٌ، كانَ له على رسولِ الله ﷺ دنانيرُ، فتقاضى النبيَّ ﷺ، فقال له: «يا يهوديُّ! ما عندي ما أُعطيكَ». قال: فإني لا أُفارِقُكَ يا محمَّدُ حتى تعطيني. فقال رسولُ الله ﷺ: «إذاً أجلسُ معَكَ» فجلسَ معَه، فصلَّى رسولُ الله ﷺ الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ والغَداةَ، وكانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتهدَّدونَه ويتوعَّدونه، ففطنَ رسولُ الله ﷺ ما الذي

الواسطي وهو ضعيف والله أعلم انتهى. وقال النووي في تهذيبه: وأما ما روي عن بعض المتقدمين حديث: لو عاش إبراهيم لكان نبياً. فباطل وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم. وقال ابن عبد البر في تمهيده: لا أدري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد إلا نبياً لكان كل أحد نبياً لأنه من ولد نوح انتهى. وهو تعليل عليل إذ ليس في الكلام ما يدل على أن ولد النبي نبي بطريق الكلية، ولا ضرر في تخصيص التقدير والفرضية مع أنه لا يستلزم وقوع المقدم في القضية الشرطية، فلا ينافي كونه ﷺ خاتم النبيين فيقرب من قوله ﷺ على ما رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «لو كان بعدي نبي لكان عمر ابن الخطاب»[1]. والله سبحانه أعلم بما كان وما يكون وبما لا يكون، وبأنه لو كان كيف يكون. هذا وقد قال شيخ مشايخنا العلامة الرباني الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة: وهذا عجيب من النووي مع وروده عن ثلاثة من الصحابة ولا يظن بالصحابي أن يهجم على مثل هذا بظنه. قلت: مع أنهم لم يقولوه موقوفاً، بل أسندوه مرفوعاً كما بينه[2] خاتمة الحفاظ السيوطي بأسانيده في رسالة على جدة، مع أن من القواعد المقررة في الأصول أن موقوف الصحابي، إذا لم يتصور أن يكون من رأي فهو في حكم المرفوع. فإنكار النووي كابن عبد البر لذلك، إما لعدم اطلاعهما، أو لعدم ظهور التأويل عندهما والله أعلم.

٥٨٣٢ ـ **(وعن علي رضي الله عنه: أن يهودياً كان يقال له فلان)** كناية عن اسمه **(حبر)** أي عالم من علماء اليهود **(كان له على رسول الله ﷺ دنانير)** أي معدودة معلومة **(فتقاضى النبي ﷺ)** أي فطالبه إياها **(فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك)** ما الأولى نافية، والثانية موصوفة، أي شيئاً أعطيك إياه عوضاً عن الدنانير. **(قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني)** أي كي تعطيني، أو إلا أن تعطيني. **(فقال رسول الله ﷺ: إذا)** بالتنوين **(اجلس معك)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب. **(فجلس معه. فصلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة والغدوة)** أي الفجر وهو يحتمل كونها في المسجد أو في أحد بيوت أهله، والأول أظهر [لقوله]: **(وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه)** أي بالضرب [مثلاً] **(ويتوعدونه)** أي بالاخراج أو القتل **(ففطن)** بكسر الطاء أي فعلم **(رسول الله ﷺ ما الذي يصنعون به)** أي من

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٥٤. والترمذي في السنن حديث رقم ٣٦٨٦ والحاكم في المستدرك ٣/ ٨٥.

(٢) في المخطوطة «بيّن».

الحديث رقم ٥٨٣٢: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٨٠.

يصنعونَ به، فقالوا: يا رسولَ الله! يهوديٌّ يحبسُكَ فقال رسولُ الله ﷺ: «منَعني ربِّي أن أظلمَ معاهدَاً وغيرَه» فلمَّا ترجَّلَ النهارُ قال اليهوديُّ: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللَّهُ، وأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله، وشطَرُ مالي في سبيلِ الله، أَمَا واللهِ ما فعلتُ بكَ الذي فعلتُ بكَ إلاَّ لأنظرَ إلى نعتكَ في التّوراةِ: محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، مولدهُ بمكة، ومهاجَرُه بطيبَةَ، ومُلكُه بالشام، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا مُتزَيّ بالفُحشِ، ولا قولِ الخنَا، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّكَ رسولُ الله، وهذا مالي فاحكم فيهِ بما أراكَ اللَّهُ، وكانَ اليهودي كثيرَ المالِ. رواه البيهقي في «دلائل النُّبوَّة».

التهديد والوعيد الشديد. وما موصوفة بالموصولة، وكأنه أنكر عليم، أو بالغضب نظر إليهم، أو لما فطن صنيعهم أرادوا الاعتذار. **(فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك)** قال الطيبي: همزة الانكار مقدرة والتنكير فيه للتحقير **(فقال رسول الله ﷺ: منعني ربي أن أظلم معاهداً)** بكسر الهاء وهو الذمي والمستأمن **(وغيره)** تعميم بعد تخصيص ووجه تقديم المعاهد لما يقتضيه المقام، أو لأن مخاصمته أقوى يوم القيامة لأنه لا يمكن ارضاؤه بأخذ حسنة مسلم له أو وضع سيئة له على مسلم كما في مظالم الدواب. ولعل الأصحاب رضي الله عنهم لم يكونوا قدرين على قضاء دينه أو ما يرضى بأدائهم مراعاة لأمر دينه وهو أظهر ولذا لم يكن يقرض إلا من غيرهم لحكمة. ولعلها تبرئة من نوع طمع، أو صنف نفع يؤدي إلى نقصان أجر. وقد قال تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً**﴾ [الأنعام ـ ٩٠]. وتطابقت سنة الرسل على قولهم: وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين. وليكون حجة على اليهود لكونه ﷺ منعوتاً في كتبهم بأنه يختار الفقر على الغنى وتبكيتاً عليهم في قوله عند نزول قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً**﴾ [البقرة ـ ٢٤٥]. على ما حكى الله عنهم في قوله سبحانه: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ [الأعراف ـ ١٨١]. ومن جملة الحكم ما ظهر في خصوص هذه القضية **(فلما ترجل النهار)** أي ارتفع الخفاء وتعين الظهور وتبدل الظلمة بالنور وتغير الشدة بالسرور. **(قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، وشطر مالي)** أي نصفه **(في سبيل الله)** أي في مرضاته شكراً لنعمة الإسلام وطلباً لمزيد الأنعام. **(إما)** بالتخفيف للتنبيه **(والله ما فعلت بك الذي فعلت بك)** أي من غلظ القول وخشونة الفعل **(إلا لأنظر إلى نعتك)** أي إلى موافقة وصفك **(في التوراة. محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجرته)** بفتح الجيم أي موضع هجرته **(بطيبة)** أي المدينة **(وملكه)** أي معظمه **(بالشام)** أي ونواحيه **(ليس بفظ)** أي سيىء اللسان **(ولا غليظ)** أي جافي الجنان **(ولا سخاب)** أي صياح **(في الأسواق)** أي على عادة أهل الزمان **(ولا متزي)** أي متصف **(بالفحش)** أي في الفعل لقوله: **(ولا قول الخنا)** بفتح أوّله متصوراً، أي الفحش والخشونة. **(أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وهذا مالي)** أي كله، فكأنه سماه أو أشار إلى مكانه. **(فاحكم فيه)** أي في جميعه أو شطره **(بما أراك الله)** أي أعلمك بأنه محله اللائق به **(وكان اليهودي كثير المال)** أي ومع هذا حسن له الحال والمنال وفي المآل **(رواه البيهقي في دلائل النبوّة)**.

٥٨٣٣ ـ (٣٣) وعن عبدِ الله بن أبي أوفى، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُكثرُ الذِّكرَ، ويُقِلُّ اللّغوَ، ويُطيلُ الصَّلاةَ، ويُقصّرُ الخطبةَ، ولا يأنفُ أنْ يمشيَ معَ الأرملةِ والمسكينِ فيقْضي لَه الحاجةَ. رواه النسائي، والدارمي.

٥٨٣٣ ـ **(وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر)** أي ذكر الله وما يتعلق به لما في مسند الفردوس عن عائشة: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره»[(١)]. **(ويقل اللغو)** أي غير الذكر المذكور من ذكر الدنيا وما يتعلق بها، فإنه ولو كان ما يخلو عن مصلحة وحكمة، لكنه بالإضافة إلى الذكر الحقيقي لغو. ولذا قال الغزالي: ضيعت قطعة من العمر العزيز في تأليف البسيط والوسيط والوجيز. فأطلق عليه اللغو نظراً إلى الصورة والمبنى مع قطع النظر عن المعنى. ومنه قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وإلا فقد قال تعالى في حق كمل المؤمنين: **﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾** [المؤمنون ـ ٣]. وقال عزَّ وجلَّ: **﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾** [القصص ـ ٥٥]. وأما ما قيل من أن المعنى لا يلغو أصلاً، فإن القلة قد تستعمل في النفي مطلقاً نحو: **﴿قليلاً ما تؤمنون﴾** [الحاقة ـ ٤١]. فيأباه حسن المقابلة بقوله: ويكثر. وأما قول بعضهم: ويجوز أن يراد باللغو الدعابة وأن ذلك كان منه قليلاً فمردود، إذ عد مزاحه ﷺ من اللغو هو اللغو. فإنه روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً[(٢)]. فللّه در مزاح هو الحق فكيف بجده الذي هو الصدق المطلق. وقد صرح العلماء بأن المزاح بشرطه من جملة المستحبات فكيف يعد من اللغويات، اللهم إلا أن يقال: ما قدمناه من الأمر النسبي واللغوي الإضافي. **(ويطيل الصلاة)** أي خصوصاً في الجمعة لقوله: **(ويقصر الخطبة)** من التقصير، وفي نسخة من القصر. ولعل وجهه أن الصلاة معراج المؤمن ومحل مناجاة المهيمن فيناسبها الإطالة بلا ملالة، والخطبة محل التوجه إلى الخلق ودعائهم إلى الحق وفيها زيادة مظنة الرياء والسمعة لطلاقة اللسان في الفصاحة والبلاغة. ولذا ورد: من فقه الرجل طول صلاته وقصر خطبته. **(ولا يأنف)** بفتح النون من الأنفة، وزاد في الجامع: **(ولا يستنكف)** أي لا يستكبر **(أن يمشي مع الأرملة)** في النهاية: الأرامل المساكين من رجال ونساء، وهو بالنساء أخص وأكثر. والواحد أرمل وأرملة. وفي القاموس: امرأة أرملة محتاجة أو مسكينة، والأرمل العزب وهي بهاء. إذ لا يقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى. ولا يخفى أن المعنى الأخير هو المراد هنا لقوله: والمسكين. اللهم إلا أن يقال عطف تفسيري كما يدل عليه قوله: **(فيقضي له الحاجة)** حيث أتى [بصيغة] الإفراد، أو المراد لكل منهما، أو لما ذكر. **(رواه النسائي والدارمي)** وفي الجامع بزيادة: والعبد، بعد قوله: والمسكين. وقال: رواه النسائي والحاكم عن ابن أبي أوفى والحاكم

الحديث رقم ٥٨٣٣: أخرجه النسائي في السنن ٣/ ١٠٨ حديث رقم ١٤١٤. والدارمي في السنن ١/ ٤٨ حديث رقم ٧٤.

(١) مسند الفردوس وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٠٧ حديث رقم ٨٣١٢.

(٢) الترمذي ٤/ ٣١٤ حديث رقم ١٩٩٠.

٥٨٣٤ ـ (٣٤) وعن عليّ رضي الله عنه، أنَّ أبا جهلٍ قال للنبيِّ ﷺ: إنَّا لا نُكذِّبكَ ولكنْ نكذِّبُ بما جئتَ به، فأنزلَ اللَّهُ تعالى فيهم: **﴿فإنهم لا يُكذِّبونكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدونَ﴾** رواه الترمذي.

٥٨٣٥ ـ (٣٥) وعن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ! لو شئتُ لسارت معي جبالُ الذَّهب، جاءَني ملكٌ وإنَّ حُجزتَهُ لتُساوي الكعبةَ، فقالَ: إنَّ ربَّكَ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ويقولُ:

عن أبي سعيد[١].

٥٨٣٤ ـ (**وعن علي رضي الله عنه: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنّا**) أي معشر قريش (**لا نكذبك**) بتشديد الذال ويجوز تخفيفها، أي لا ننسبك إلى الكذب فإنك عندنا مشهور بالصدق. (**ولكن نكذب بما جئت به**) أي نكذبك بسبب ما جئت به من القرآن أو التوحيد، والمعنى نكره. ومنه قوله تعالى: **﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾** [الأنعام ـ ٦٦]. ففي القاموس: كذب بالأمر تكذيباً أنكره، وفلاناً جعله كاذباً. قلت: فاستعمل المعنيان في الحديث. (**فأنزل الله تعالى فيهم**) أي في أبي جهل وأضرابه (**﴿فإنهم لا يكذبونك﴾**) أوله: **﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك﴾** [الأنعام ـ ٣٣]. والجمهور على التشديد، وقرأ ابن عامر بالتخفيف. (**﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾**) يقال: جحد حقه وبحقه، كمنعه أكره مع علمه كذا في القاموس. قال الطيبي: روي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس عندنا غيرنا. فقال له: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوّة فماذا يكون لسائر قريش. فقوله: ولكن نكذب بما جئت به. وضع موضع، ولكن نحسدك وضعاً للمسبب موضع السبب. (**رواه الترمذي**).

٥٨٣٥ ـ (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة لو شئت**) أي لو أردت مال الدنيا ومنالها (**لسارت معي جبال الذهب. جاءني**) استئناف بيان متضمن للتعليل أي نزل (**إليّ ملك**) أي عظيم طويل كما بين بقوله: (**وإن حجزته**) بضم الحاء وسكون الجيم فزاي، أي معقد إزاره. (**لتساوي الكعبة**) أي تعادل طولها، ولعل وجه ظهوره بهذه العظمة تعظيماً لهذا الأمر وتهييباً. (**فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام**) في النهاية: يقال اقرىء فلاناً السلام واقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده. وفي القاموس: قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه، أو لا يقال أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوباً. (**ويقول:**

---

(١) الجامع الصغير ٢/٤٣٨ حديث رقم ٧١٤٢. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦١٤.

الحديث رقم ٥٨٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٤٣ حديث رقم ٣٠٦٤.

الحديث رقم ٥٨٣٥: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٤٧ حديث رقم ٣٦٨٣.

إنْ شئتَ نبيّاً عبداً، وإنْ شئتَ نبيّاً ملِكاً، فنظرتُ إلى جبريلَ عليه السَّلامُ، فأشارَ إليَّ أنْ ضَعْ نفسَكَ».

٥٨٣٦ ـ (٣٦) وفي رواية ابن عبَّاسٍ: فالتفت رسولُ اللَّهِ ﷺ [إلى جبريلَ كالمستشيرِ له، فأشارَ جبريلُ بيدِه أنْ تواضعْ. فقلتُ: «نبيّاً عبداً».

قالتْ: فكانَ رسولُ الله ﷺ] بعدَ ذلكَ لا يأكلُ متكئاً،

إن شئت نبياً عبداً) أي إن أردت لَن تكون نبياً كعبد أي جامعاً بين وصف النبوة والعبودية فكن أو اختر أو فلك هذا. **(وإن شئت نبياً ملكاً)** أي فكذلك، وحاصله: أن الله خيرك فاختر ما شئت. وفيه إيماء إلى أن الملوكية وكمال العبودية لا يجتمعان. قال الطيبي: قوله: نبياً عبداً. خبر لكون محذوف بدليل الرواية الأخرى: إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً. وجزاء الشرط محذوف، أي إن شئت أن تكون نبياً عبداً فكن إياه. **(فنظرت إلى جبريل عليه السلام)** أي نظر مشاورة واختيار في موضع اختيار لقوله تعالى: **﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** [الإسراء ـ ٣٠]. ولأن بعض الأنبياء جمع لهم بينهما، وربما يظن أنه هو مرتبة الكمال كما ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح. ولكونه وسيلة إلى فتح البلاد وتوسيع العباد وأمثال ذلك. **(فأشار إليّ أن ضع نفسك)** أن مصدرية وضع أمر من وضع أو تفسيرية لما في أشار من معنى القول، والحاصل أنه أومأ إلي بأن حط نفسك عن طمع مرتبة الملوكية واختر أن تكون في مقام العبودية، فإنه في المآل أعلى وفي المنازل أغلى وفي ذوق الطالبين أحلى. فإن الملك لله الواحد القهار. وقد قال تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** [الذاريات ـ ٥٦]. أي لتظهر عبوديتهم لي وألوهيتي وربوبيتي لهم. كما روي في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف». وفي تقديم الشرطية الأولى إشعار بالمرتبة الأولى، وفيه دليل صريح على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر، خلافاً لمن خالفه كابن عطاء. ودعا عليه الجنيد بالبلاء المؤدي إلى الغطاء.

٥٨٣٦ ـ **(وفي رواية ابن عباس: فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده)** أي إلى الأرض **(أن تواضع)** أي اختر الفقر والعبودية المورثة للتواضع لله المنتجة لرفعة القدر عند الله، لا الملك والغنى الباعث على الطغيان والنسيان الموجب للتكبر والكفران، المقتضي لوضعه عن نظر الله. وهذا باعتبار غالب الأحوال ولذا اختار الله الفقر لأكثر الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء جعلنا الله منهم وحشرنا معهم. **(فقلت: نبياً عبداً)** أي أكون نبياً عبداً **(قالت: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً)** فسر الأكثرون الاتكاء بالميل إلى أحد الجانبين لأنه يضر بالآكل، فإنه يمنع مجرى الطعام. ونقل القاضي عياض في

الحديث رقم ٥٨٣٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ٢٤٨/١٣ حديث رقم ٣٦٨٤.

يقولُ: «آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ» رواه في «شرح السنة».

(٤) باب المبعث وبدء الوحي

الشفاء عن المحققين، أنهم فسروه بالتمكن للأكل في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء تحته، لأن هذه الهيئة تستدعي[١] كثرة الأكل. (**يقول:**) استئناف بيان لما قبله (**آكل كما يأكل العبد**) أي مما يتيسر له من أدنى المأكول. (**وأجلس كما يجلس العبد**) إما على الركبتين كهيئة الصلاة وهو أفضل الهيئات، أو برفع إحدى الركبتين حالة الأكل أو غيره، أو برفع الركبتين على صفة الاحتباء، وهو أكثر أنواع جلوسه ﷺ في غير الصلاة. (**رواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي بإسناده. وفي الشمائل للترمذي عن أبي جحيفة مرفوعاً: أما أنا فلا آكل متكئاً[٢]. وفي الجامع الصغير: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد. رواه ابن عدي في الكامل عن أنس[٣] وروى أحمد ومسلم وأبو داود عن كعب بن مالك أنه ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها[٤]. وروى ابن السني والطبراني عن ابن مسعود: أنه ﷺ كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يسمي عند كل نفس ويشكر في آخرهن. وفي الحلية لأبي نعيم عن أبي جعفر مرسلاً: أنه ﷺ كان إذا شرب الماء قال: الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا[٥]. وروى الطبراني عن ابن عباس: أنه ﷺ كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك إلى خبز الشعير[٦].

(باب المبعث وبدء الوحي)

هذا من باب ما قاله أرباب الهداية من أن النهاية هي الرجوع إلى البداية. فنقول: الباب أصله البواب، قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجمع على أبواب وقد قالوا أبوبة ذكره العيني. والمراد هنا نوع من الكلام المشتمل عليه جنس الكتاب المجموع لأفراد الأنواع كما بينته في تعليقي الأوّل باب كتاب البخاري في بيان الإعراب بدون الإغراب. ثم المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث من بعث إذا أرسل ذكره ابن الملك. فالمراد به أنه مصدر ميمي، والأظهر أن المقصود به معرفة زمان البعث ومكانه كما نبه عليه أوّل الحديث من الفصل الأوّل. ثم البدء

---

(١) في المخطوطة «تدعي».

(٢) وأبو داود ٢/ ١٤٠ حديث ١٤٠.

(٣) الجامع الصغير ١/ ١٥٥ حديث رقم .

(٤) مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٠٥ حديث رقم ٢٠٣٢. وأبو داود حديث رقم ٣٨٤٨.

(٥) أبو نعيم في الحلية ٨/ ١٣٧.

(٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٦٩٨٩.

الفصل الأول

٥٨٣٧ - (١) عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: بُعِثَ رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يوحى إِليهِ، ثمَّ أُمرَ بالهجرةِ، فهاجرَ عشر سنينَ، وماتَ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً.

بموحدة مفتوحة فدال ساكنة فهمز بمعنى الابتداء. قيل: ويروى بدو كظهور وزناً، ومعنى وهل الأحسن الأوّل لأنه يجمع المعنيين، أو الثاني لأنه أعم: رأيان. قلت: إنما محله قول البخاري: كيف كان بدء الوحي، فإنه يحتمل الاحتمالين كما أوضحناه في محله. وأما ما نحن فيه فلا يساعد الرسم. الثاني فإنه يكتب بالياء هنا بخلاف ما في الصحيح فإنه يكتب فيه بالواو فتأمل ولا تمل. ويؤيد ما قلنا أيضاً أنه قال العسقلاني في فتح الباري: قال عياض: روي البدء بالهمزة وسكون الدال من الابتداء، وبغير همز مع ضم الدال وتشديد الواو من الظهور[١]. قلت: ولم أره مضبوطاً في شيء من الروايات التي اتصلت بنا، إلا أنه وقع في بعضها كيف كان ابتداء الوحي. فهذا يرجح الأوّل وهو الذي سمعناه من أفواه المشايخ. وقد استعمل المصنف يعني البخاري هذه العبارة كثيراً، كبدء الحيض وبدء الأذان وبدء الخلق والوحي لغة الإعلام في خفاء. وقيل: أصله التفهيم ومنه قوله تعالى: ﴿**وأوحى ربك إلى النحل**﴾ [النحل - ٦٨]. وشرعاً هو الإعلام بالشرع. وقد يطلق ويراد به اسم المفعول أي الموحي وهو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه. وقال شارح: البعث مصدر بمعنى الإرسال والبدء الابتداء، والوحي هنا الرسالة. ولعل اختياره كغيره معنى المصدر في المبعث لاشتماله على الزمان والمكان أيضاً مع الدلالة على كيفية أصل الفعل والله أعلم.

(الفصل الأوّل)

٥٨٣٧ - **(عن ابن عباس قال: بعث)** بصيغة المجهول أي جعل مبعوثاً إلى الخلق بالرسالة **(رسول الله ﷺ لأربعين سنة)** أي وقت إتمام هذه المدة. قال الطيبي: اللام فيه بمعنى الوقت كما في قوله تعالى: ﴿**قدمت لحياتي**﴾ [الفجر - ٢٤]. **(فمكث)** بضم الكاف ويفتح أي فلبث. **(بمكة ثلاث عشرة سنة)** بسكون الشين المعجمة ويكسر **(يوحى إليه)** جملة حالية أو استئنافية، أي يوحى إليه في أثناء تلك السنين. **(ثم أمر بالهجرة)** أي إلى المدينة **(فهاجر)** أي إليها **(وأقام بها عشر سنين)** بالسكون لا غير **(ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة)** وهذا هو الصحيح. وقيل: ابن خمس وستين كما سيأتي عن ابن عباس أيضاً بإدخال سنتي الولادة والوفاة. وقيل: ابن

---

(١) فتح الباري ٩/١.

الحديث رقم ٥٨٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٦٢. حديث رقم ٣٨٥١. ومسلم ٤/١٨٢٦ حديث رقم (١١٧ - ٢٣٥١). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٥ حديث رقم ٣٦٥٢. وأحمد في المسند ٣٧١/١.

متفق عليه.

٥٨٣٨ ـ (٢) وعنه، قال: أقامَ رسولُ الله ﷺ بمكة خمس عشرةَ سنةً، يسمَعُ الصوتَ ويرى الضَّوءَ سبعَ سنينَ، ولا يرى شيئاً، وثمان سنين يُوحى إليهِ، وأقامَ بالمدينةِ عشراً، وتوفِّي وهوَ ابنُ خمسٍ وستينَ. متفق عليه.

٥٨٣٩ ـ (٣) وعن أنسٍ، قال: توفَّاه الله على رأسِ ستين سنةً. متفق عليه.

ستين كما سيأتي عن أنس بالغاء الكسر. **(متفق عليه)**.

٥٨٣٨ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة)** أي بإدخال سنتي الولادة والهجرة **(يسمع الصوت)** أي صوت جبريل **(ويرى الضوء)** أي النور في الليالي المظلمة ضياءً عظيماً **(سبع سنين)** قال الطيبي: يعني أنه ﷺ كان يرى من أمارات النبوّة سبع سنين ضياءً مجرداً وما رأى معه ملكاً. وهو معنى قوله: **(ولا يرى شيئاً)** أي سوى الضوء. قالوا: والحكمة في رؤية الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استئناسه أولاً بالضوء المجرد وذهاب روعه. إذ في رؤية الملك مظنة ذهول وذهاب عقل لغلبة دهشته فإنه أمر خطير. اهـ. ولقد أحسن ابن الملك في قوله: والسر فيه أن الملك لا يفارقه ضوء الملكية ونور الربوبية، فلو رآه ابتداء فلربما لم تطقه القوّة البشرية وعسى أن يحدث من ذلك غشي، فاستؤنس أولاً بالضوء ثم غشيه الملك. ويجوز أن يراد بالضوء انشراح صدره قبل نزول الوحي، فسمي الانشراح ضوءاً ولا يكمل انشراح صدره إلا بعد وصوله إلى أربعين ليستعد أن يكون واسطة بين الله وبين خلقه. **(وثمان سنين يوحى إليه)** أي في مكة **(وأقام بالمدينة عشراً وتوفي وهو ابن خمس وستين)** سبق الكلام عليه **(متفق عليه)** قال ميرك: قوله: متفق عليه لم يقع في موقعه، لأن البخاري لم يخرجه بل هو في صحيح مسلم فقط كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين. وأشار إليه شيخنا ابن حجر في شرح صحيح البخاري ومنشأ توهم صاحب المشكاة صنيع ابن الأثير في جامع الأصول. والحاصل أنه اغتر بظاهر كلامه من غير رجوع إلى المأخذ فلذا وقع فيما وقع والله أعلم.

٥٨٣٩ ـ **(وعن أنس قال: توفاه الله تعالى على رأس ستين سنة)** قال الطيبي: مجاز قوله: على رأس ستين سنة. أي آخره كمجاز قولهم رأس آية أي آخرها، سموا آخر الشيء رأساً لأنه مبدأ مثله من آية أخرى أو عقد آخر. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في الشمائل.

الحديث رقم ٥٨٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٧ حديث رقم (١٢٣ . ٢٣٥٣). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٤ حديث رقم ٣٦٥١. وأحمد في المسند ١/ ٢٦٦.

الحديث رقم ٥٨٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٣٥٦. حديث رقم ٥٩٠٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٤ حديث رقم (١١٣ . ٢٣٤٧). وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩١٩ حديث رقم ١ من كتاب صفة النبي.

٥٨٤٠ ـ (٤) وعنه، قال: قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وأبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وعُمَرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ. رواه مسلم.

قال محمَّدُ بنُ إِسماعيل البخاريُّ: ثلاثٍ وستينَ، أكثر.

٥٨٤٠ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: قبض النبي ﷺ)** أي توفي **(وهو ابن ثلاث)** أي والحال أنه صاحب ثلاث سنين **(وستين)** أي سنة كما في نسخة **(وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين)** أي بلا خلاف، وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر **(وعمر وهو ابن ثلاث وستين)** وقيل ابن تسع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين، وقيل ست وخمسين، وقيل إحدى وخمسين. قال المؤلف: طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد عاشر محرم سنة أربع وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون وهو أصح ما قيل في عمره. وكانت خلافته عشر سنين ونصفا. وأما عثمان فدفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة، وقيل ثمان وثمانون، وقيل غير ذلك. وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة. وأما علي فاستخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، ومات بعد ثلاث ليال من ضربه، ودفن سحراً وله من العمر ثلاث وستون سنة. وقيل خمس وستون، وقيل سبعون، وقيل ثمان وخمسون. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً. ولعل أنساً لم يذكر علياً مع أن الصحيح في عمره أنه ثلاث وستون، لأنه إذ ذاك في قيد الحياة أو لأنه ما تحرر عنده والله أعلم. **(رواه مسلم)** وروى الترمذي عن جرير عن معاوية أنه سمعه يخطب قال: مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر كذلك وأنا ابن ثلاث وستين[1]. أي وأنا متوقع أن أموت في هذا السن موافقة لهم. ففي جامع الأصول كان معاوية في زمان نقله هذا الحديث في هذا السن ولم يمت فيه، بل مات وله ثمان وسبعون سنة، وقيل ست وثمانون سنة. قال ميرك: تمنى لكن لم ينل مطلوبه بل مات وهو قريب من ثمانين. قلت: لكن حصل مرغوبه من ثواب التوافق الذي هو موجود مع زيادة عمره وأمله، فنية المؤمن خير من عمله. **(قال محمد بن إسماعيل البخاري: ثلاث)** بالجر على الحكاية والتقدير رواية ثلاث **(وستين أكثر)** أي رواية من غيرها. ورجح الإِمام أحمد أيضاً هذه الرواية. قال النووي: في شرح مسلم ذكر ثلاث روايات، إحداها أنه ﷺ توفي وهو ابن ستين سنة والثانية ابن خمس وستين والثالثة ثلاث وستين وهي أصحها وأشهرها رواه مسلم هنا من رواية أنس وعائشة وابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم. فرواية ستين مقتصرة على العقود ورواية الخمس منافية له. وأنكر عروة على ابن عباس قوله: وقال إنه لم يدرك أوّل النبوّة ولا كثرت صحبته بخلاف الباقين. ولد عام الفيل

الحديث رقم ٥٨٤٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٥ حديث رقم (١١٤ ـ ٢٣٤٨). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٥ حديث ٣٦٥٣.

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٥ حديث رقم ٣٦٥٣.

٥٨٤١ ـ (٥) وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالتْ: أوَّلُ ما بُدِىء به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقةُ في النومِ، فكانَ لا يرى رُؤيا إلا جاءتْ مثلَ فلَقِ الصبحِ،

على الصحيح المشهور. وادعى القاضي عياض الإجماع عليه واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأوّل. واختلفوا هل هو ثاني الشهر أم ثامنه أم عاشره. وتوفي يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الأوّل ضحى صلوات الله وسلامه عليه. اهـ. ولا يخفى أن هنا قولاً آخر أيضاً، وهو أن عمره ﷺ اثنان ونصف وستون[1] سنة. وأنه على ما روي عنه ﷺ من أن عمر كل نبي نصف عمر نبي كان قبله، عمر عيسى عليه السلام خمس وعشرون ومائة وقيل هذا الحديث لا يخلو عن ضعف. ويمكن أن يقال إلغاء النصف من الكسر غير بعيد عند أهل الحساب والله أعلم بالصواب.

٥٨٤١ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ)** قال النووي: هذا الحديث من مراسيل الصحابة فإن عائشة لم تدرك هذه القضية فتكون سمعتها من النبي أو من صحابي. ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء إلاّ ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني. قال الطيبي: والظاهر أنها سمعت من النبي ﷺ لقولها: قال: فأخذني فغطني. فيكون قولها أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ حكاية ما تلفظ به ﷺ كقوله تعالى: **﴿قل للذين كفروا ستغلبون﴾** [آل عمران ـ ١٢]. بالتاء والياء على تأويل أنه ﷺ يؤدي لفظ ما أوحي إليه أو معناه، فلا يكون الحديث حينئذ من المراسيل. قلت: هذا غريب من الطيبي لأنها لم تسند في صدر الحديث أنها سمعت منه ﷺ كان من المراسيل إما عنه أو عن صحابي ولا ينافيه قولها قال، فإنه إما نقل كلامه ﷺ أو نقل كلام الصحابي، والتقدير قال ناقلاً عنه عليه الصلاة والسلام والله أعلم بالمرام. ثم الظاهر من في قولها **(من الوحي)** تبعيضية لا بيانية كما قيل، أي أوّل ما ابتدىء به من أقسام الوحي **(الرؤيا الصادقة)** وقوله: **(في النوم)** إما تأكيد وإما في الرؤيا تجريد، إذ الرؤيا ما رأيت في منامك على ما في القاموس. ثم اعلم أن حقيقة الرؤيا الصادقة أن الله يخلق في قلب النائم أو في حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظة، [وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا غيره عنه فربما يقع ذلك في اليقظة] كما رآه في المنام. وربما يكون ما رآه علماً على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال أو كان قد خلقها فيقع ذلك كما جعل الله تعالى الغيم علامة للمطر، كذا حققه العلامة الكرماني. **(فكان لا يرى رؤيا)** وفي نسخة الرؤية **(إلا جاءت)** أي تلك الرؤيا بمعنى أثرها الدال على تحققها **(مثل فلق الصبح)** بفتح الفاء واللام أي ضوئه إذا انفلق كما في شرح السنة. والمعنى مشبهة بضيائه أو مجيئاً مثله. قال شارح: الفلق بالتحريك الصبح بعينه وحسن إضافته إلى الصبح وإن كانت لاختلاف اللفظين

---

(١) في المخطوطة «ستين».

الحديث رقم ٥٨٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٣. حديث رقم ٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩ حديث رقم (٢٥٢ . ١٦٠). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٥٦ حديث رقم ٣٦٣٢. وأحمد في المسند ٦/ ٢٣٢.

ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيهِ الخَلاءُ،

لكونه[١] من الألفاظ المشتركة، فإنه يطلق الفلق على الصبح وعلى المطمئن من الأرض. فشبهت ما جاءه في اليقظة موافقاً لما رآه في المنام بالفلق لإنارته وإضاءته وصحته. وقال القاضي: شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقاً لما رآه في المنام بالصبح في إنارته ووضوحه، والفلق الصبح. لكن [لما] كان مستعملاً في هذا المعنى وفي غيره كالفلق في قوله: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ [الفلق ـ ١]. وغير ذلك أضيف إليه للتخصيص. والبيان إضافة العام إلى الخاص كقولهم: عين الشيء ونفس الشيء. وقال الطيبي: للفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفاً لله تعالى في قوله سبحانه: ﴿**فالق الإصباح**﴾ [الأنعام ـ ٩٦]. وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه ينبىء عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تأثير الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها الآفاق، لأن الرؤيا الصالحة مبشرات تنبىء عن وفور أنوار عالم الغيب وآثار مطالع الهامات شبه به الرؤيا التي هي جزء يسير من أجزاء النبوّة، وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركي العقول على ثبوت النبوّة، لأن النبي إنما سمي نبياً لأنه ينبىء من عالم الغيب الذي لا تستقل العقول بإدراكه. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: إنما ابتدأ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوّة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدىء بتباشير الكرامة وصدق الرؤية استئناساً. قلت: وهو مقتضى الأمور التدريجية في الأمور الدينية [والدنيوية] ، وكأن الرؤيا شبهت بالفلق الذي هو الصبح وهو مقدمة طلوع الشمس المشبه به إتيان جبريل بالوحي المنزل الذي هو نور وكتاب مبين. ﴿**يهدي الله لنوره من يشاء**﴾ [النور ـ ٣٥]. ثم بون بيِّن بين النور الحسي الآفاقي والنور العلمي الخلاقي. (**ثم حبب إليه الخلاء**) بالمد أي الخلوة المناسبة لمرتبة التخلية عن الغير المقدمة على التحلية المترتبة عليها بثبوت نور وجوده وظهور كرمه وجوده. قال النووي: الخلوة شأن الصالحين وعباد الله العارفين. قال الخطابي: حبب إليه الخلوة لأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويخشع قلبه ويجمع همه، فالمخلص في الخلوة يفتح الله عليه ما يؤنسه في خلوته من تعويض الله تعالى إياه عما تركه لأجله واستنار قلبه بنور الغيب حين تذهب ظلمة النفس، واختيار الخلوة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل. اهـ. واختلف في أفضلية الخلوة والجلوة والخلطة والعزلة. والصحيح أن كل واحدة بشروطها المعتبرة في محلها هي الأفضل والأكمل للمصلحة المترتبة عليها الحكمة الإلهية واقتضاء صفة الربوبية. (**وكان يخلو بغار حراء**) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وهو مذكر مصروف على الصحيح. وقيل: مؤنث غير مصروف ذكره النووي. وقال القاضي الزاهد صاحب الثعلبي والخطابي وغيرهما: العوام يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع، يفتحون الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الألف وهي ممدودة، وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى. وقال شارح: هو بالكسر والمد، والقصر خطأ. يذكر ويؤنث فيصرف على الأول ولا يصرف على الثاني.

(١) في المخطوطة «يكون».

وكانَ يخلو بغارِ حِراءٍ، فيتحنَّثُ فيه ـ وهوَ التعبُّدُ الليالي ذواتِ العددِ ـ

أقول: ولعل وجه التذكير اعتبار الموضع، والتأنيث باعتبار البقعة. وقال العسقلاني: حراء هو بالمد وكسر أوله وهو الصحيح رواية، وحكي فيه غير ذلك جوازاً لا رواية. وعند الأصيلي بالفتح والقصر. **(فيتحنث فيه)** أي فيتعبد في ذلك الغار فراراً من الأغيار. وفي سيرة ابن هشام فيتحنف بالفاء، أي يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم. والفاء تبدل تاء في كثير من كلامهم ذكره السيوطي. **(وهو)** أي التحنث **(التعبد)** وكأن المتعبد يتحرز عن الحنث بمعنى الإثم ويجتنب عنه بعبادته، وهذا التفسير إما من قول عائشة رضي الله عنها أو من قول الزهري أدرجه في الحديث. والتحنث في اللغة القاء الحنث عن نفسه. وقيل لم يرد من باب التفعل في معنى إلقاء الشيء عن النفس إلا التحنث والتأثم والتحوب كذا ذكره شارح. وقال السيوطي: قوله: هو التعبد، مدرج في الخبر قطعاً. قال العسقلاني: وهو محتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه. قال: وجزم الطيبي بأنه من تفسير الزهري ولم يذكر دليله. اهـ. وقال التوربشتي: فسرت التحنث بقولها وهو التعبد، ويحتمل أن يكون التفسير من قول الزهري أدرجه في الحديث، وذلك من دأبه. قال النووي: وقوله: **(الليالي ذوات العدد)** متعلق بيتحنث لا بالتعبد. ومعناه يتحنث الليالي، ولو جعل متعلقاً بالتعبد فسد المعنى فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي، بل يطلق على القليل والكثير. وهذا التفسير اعترض بين كلام[1] عائشة رضي الله عنها، وإنما كلامها: فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد. وإنما أطلق الليالي وأريد بها الليالي مع أيامهن على سبيل التغليب لأنها أنسب للخلوة. وقيد بذوات العدد لإرادة التقليل كما في قوله تعالى: **﴿دراهم معدودة﴾** [يوسف ـ ٢٠]. اهـ. فالمراد بذات العدد القلة. وقيل: يحتمل الكثرة إذ الكثير يحتاج للعدد لا القليل. وقيل: إبهام العدد لاختلافه بالنسبة إلى المدة التي يتخلّلها مجيئه إلى أهله، وإلاّ فأصل الخلوة قد عرفت مدّتها وهي شهر في كل سنة، وذلك الشهر كان رمضان. أقول: ويمكن أن تكون المدة أربعين قياساً على ميقات موسى عليه السلام، ولما فيها من الخواص والأسرار التي تظهر آثارها وأنوارها على الصوفية الأبرار، مع ما فيها من مطابقة الأربعينيات في الأطوار. وقد قال ﷺ: من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. هذا وقال الحافظ العسقلاني: ولم يأت التصريح بصفة تعبده، لكن في رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق: فيطعم من يرد عليه من المشركين. وجاء عن بعض المشايخ أنه يتعبد بالتفكر، ذكره السيوطي في حاشية مسلم. وفي التحرير للإمام ابن الهمام: أن المختار أنه ﷺ قبل مبعثه متعبد. فقيل بشرع نوح، وقيل إبراهيم، وقيل موسى، وقيل عيسى. ونفاه المالكية والآمدي. وتوقف الغزالي أي في تعبده قبل البعثة بشرع من قبله. وفي شرح التحرير قال إمام الحرمين والمازري وغيرهما: لا يظهر لهذه المسألة ثمرة في الأصول ولا في الفروع، بل يجري مجرى التواريخ المنقولة ولا يترتب عليها حكم في الشريعة. اهـ. والظاهر أن المراد بالتعبد هنا التجرد للعبودية وهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتبتل إلى الحق بحسب ما يقتضيه

(١) في المخطوطة «كلامي».

قبل أنْ ينزعَ إلى أهلِهِ، ويتزوّدُ لذلكَ، ثمَّ يرجعُ إلى خديجةَ، فيتزوَّدُ لمثلها، حتى جاءَهُ الحقُّ وهو في غارِ حراءٍ، فجاءَه الملَكُ فقال: اقرَأْ. فقال: «ما أنا بقارىء». قال: «فأخَذَني فغطَّني حتى بلغَ مني الجُهد،

صفة الربوبية والخلوّ عن المطالب النفسية والمآرب الشهوية. وخلاصته الغيبة عما سواه والحضور مع الله المترجم عنه قول: لا إله إلا الله الوارد فيه: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[1]. المعني بقوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد - ١٩]. المعبر عنه عند الصوفية بالفناء والبقاء والانفصال والاتصال والبينونة والكينونة وهو نهاية مراتب العباد وغالب مطالب العباد. **(قبل أن ينزع إلى أهله)** يقال: نزع إلى أهله ينزع أي اشتاق ومال، ولذا قيل: ينزع كيرجع زنة ومعنى. قال شارح: والمعنى أنه كان لا يميل عن أهله بالكلية إلى خلوته، ويدل عليه قوله: **(ويتزوّد)** بالرفع، أي فيجيء أهله ويأخذ زاده. **(لذلك)** أي لتعبده الليالي ذوات العدد، أو لما ذكر من الليالي مشتغلاً برب العباد ومتهيئاً لأمر المعاد إلى فراغ الزاد. **(ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها)** أي لمثل تلك الليالي أو لنحو تلك العودة التي فيها الجودة. وفيه إيماء إلى أن أخذ الزاد لا ينافي التوكل والاعتماد. والحاصل أنه ﷺ استمر على تلك الحال من الذهاب للآمال والرجوع لنيل المنال وحسن المآل. **(حتى جاءه الحق)** أي أمر الحق وهو الوحي أو رسول الحق وهو جبريل عليه السلام ذكره التوربشتي. أو المعنى تبين له الحق وظهر له الجمال المطلق بلا مرآة ولا مراء. **(وهو في غار حراء فجاء الملك)** اللام للعهد وهو جبريل، وقيل إسرافيل. **(فقال: اقرأ)** أي مطلقاً وهو مقتضى الأمر الباهر أو كما أقرأ وهو الظاهر. **(فقال: ما أنا بقارىء)** أي لا أحسن القراءة ولم أتعلم القراءة كما هو المعتاد فيمن يقرأ. **(قال: فأخذني فغطني)** بتشديد الطاء أي عصرني. قيل: الغط في الأصل المقل في الماء والتغويض فيه على ما في النهاية وغيره، ولما كان الغط مما يأخذ بنفس المغطوط استعمل مكان الخنق. وفي بعض الروايات: فخنقني. أقول: الأظهر أن الغط هو العصر إما من جهة البطن أو الظهر، لكن شدته ربما يضيق النفس فيشابه حالة الخنق فعبر عنه بالخنق. وهذا المعنى أولى وأخلق. وفي شرح مسلم قالوا: والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله، وإنما كرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه. ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم ويأمره بإحضار قلبه، وقيل: إنما غط ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئاً. وحاصل المعنى عصرني عصراً شديداً. **(حتى بلغ مني الجهد)** بضم الجيم ويفتح بالرفع وينصب. قال النووي: الجهد يجوز فيه فتح الجيم وضمها وهو الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها. فعلى النصب بلغ جبريل في الجهد، وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته. وقد ذكر الوجهين، أعني نصب الدال وفتحها صاحب التحرير. اهـ. وقال شارح: هو بضم الجيم ورفع الدال، وهو بالضم الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة. وقيل: المبالغة والغاية. وقيل: هما لغتان في الوسع، وأما المشقة والغاية فبالفتح لا غير. وقال التوربشتي: لا أرى الذي يرويه بنصب الدال إلا قد

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٤٩ حديث رقم ٣٨٠٠.

ثمَّ أرسلني، فقال: اقرَأ فقلتُ: ما أنا بقارىء، فأخذَني فغطني الثانيةَ، حتى بلغَ مني الجهد، ثمَّ أرسلني، فقال: اقرَأ. فقلتُ: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطّني الثالثةَ، حتى بلغَ مني الجهد، ثمَّ أرسلني، فقال: ﴿اقرَأْ باسمِ ربِّكَ

وهم فيه، أو جوزه من طريق الاحتمال. فإنه إذا نصب الدال عاد المعنى إلى أنه غطه حتى استفرغ قوّته في ضغطه وجهد جهده بحيث لم يبق فيه مزيد، وهذا قول غير سديد. فإن البنية البشرية لا تستدعي استيفاء القوّة الملكية لا سيما في مبدأ الأمر. وقد دلّت القضية على أنه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب. قال الطيبي: لا شك أن جبريل في حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية التي تجلى بها عند سدرة المنتهى وعندما رآه مستوياً على الكرسي، فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التي تجلى له وغطه، وإذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد. أقول: يلزم من تشكل الملك بصورة الآدمي وتبدله عن أصل هيئة الملكي سلب القوّة عنه ونفي الغلبة منه، فإن الأمر المعنوي لا يتغير بتغير الهيكل الصوري. فكلام الشيخ في محله وصحة الرواية موقوفة على نقلها إلا بمجرد جوازها وذكرها وحملها. **(ثم)** أي بعدما بلغ بقربه مني الجهد **(أرسلني)** أي تركني في مقام البعد وكأنه نقل من مقام الجمع إلى حال التفرقة، ومن مرتبة الولاية إلى مرتبة النبوّة ترقياً إلى درجة جمع الجمع. **(فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء)** الظاهر من صنيع الشراح أن قوله: ما أنا بقارىء. في كل مرتبة على معنى واحد، ويمكن أن يقال: أن ما [في] الأولى نافية، [وفي] الثانية استفهامية، والباء زائدة، أو على لغة أهل مصر أي أي شيء أنا أقرؤه. **(فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء.)** أي الذي أنا بقارىء ما هو، على أن ما موصولة مبتدأ وخبره محذوف. والفرق بينه وبين ما قبله في المعنى المرام، أن الأوّل استفهام الإنكار، وهذا استفهام الإعلام. **(فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك﴾)** قال النووي: هذا دليل صريح في أن أوّل ما نزل من القرآن اقرأ وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف. وقيل: أوّله يا أيها المدثر، وليس بشيء. قلت: الظاهر أن اقرأ أوّله الحقيقي، ويا أيها المدثر أوّله الإضافي، وهو بعد فترة الوحي الإلهي. قال: واستدل بهذا الحديث من يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم ليست بقرآن في أوائل السور لكونها لم تذكر هنا. وجواب المثبتين لها أنها لم تنزل أوّلاً بل نزلت البسملة في وقت آخر، كما نزلت باقي السور في وقت آخر. قلت: فلا تكون البسملة جزءاً لجميع أوائل السور لعدم القائل بالفصل فثبت مدعي أهل الفضل، ولعل النووي لما أشعر ضعف الجواب أسنده إليهم تبرياً من قولهم والله أعلم بالصواب. قال الطيبي: اقرأ أمر بايجاد القراءة مطلقاً وهو لا يختص بمقروء دون مقروء، فقوله: باسم ربك. حال أي اقرأ مفتتحاً باسم ربك أي قل بسم الله الرحمٰن الرحيم ثم اقرأ، وهذا يدل على أن البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة فيكون مأموراً قراءتها في هذه السورة أيضاً. قلت: لا يخفى بعد ما ذكره على أولي النهي. أما قوله: أمر بايجاد القراءة، ففيه بحث. فإن الإيجاد والإمداد من أفعال رب العباد على ما هو مقرر في الاعتقاد، فالأمر إنما توجه بمباشرة القراءة لا بإيجادها. ثم قوله: وهو لا يختص بمقروء دون مقروء. ففيه أن لفظ

الذي خلقَ خلقَ الإنسانَ من علَقٍ اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي علَّمَ بالقلَمِ علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ﴾. فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ يرجُفُ فؤادُه، فدخلَ على خديجةَ، فقال: «زمّلوني زمّلوني» فزمَّلوه حتى ذهبَ عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجةَ وأخبرَها الخبرَ: «لقد خشيتُ على نفْسي»

اقرأ هنا أيضاً مقروء. فالظاهر أن الباء للاستعانة أو للإلصاق أو الملابسة كما حقق في البسملة أوّل الفاتحة، أي اقرأ مستعيناً باسم ربك أو ملصقاً به قراءتك أو حال كونك متلبساً به. وعلى التنزل فلا يلزم من الافتتاح باسم الرب أن يؤتى ببسم الله الرحمٰن الرحيم ثم يقرأ كما هو ظاهر، بل ظاهره خلاف المأمور. على أنه يلزم منه أن المقروء بعد قوله: **﴿اقرأ باسم ربك﴾**. والحال أن الأمر ليس كذلك، فإن مدعي الشافعية أن يثبتوا البسملة قبل قوله **﴿اقرأ باسم ربك﴾**. ثم قوله: وهذا يدل على أن البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة ممنوع [ومدفوع] لاتفاق العلماء على استحباب التعوّذ، أو وجوبه قبل القراءة وعلى جواز البسملة. كذلك، إلا في أول براية على الصواب وفي أثناء سورتها خلاف والمعتمد منعها. **(الذي خلق)** أي الأشياء ومن جملتها خلق القدرة على القراءة والقوّة على الطاعة. **(﴿خلق الإنسان من علق﴾)** تخصيص بعد تعميم إشعاراً بأن الإنسان خلاصة المخلوقات وزبدة الموجودات، وهو أولى مما اختاره الطيبي من أنه إبهام وتبيين. ولعل العدول عن قوله: **﴿خلق الإنسان من نطفة﴾** [النحل - ٤]. لمراعاة الفواصل وللإشارة إلى تنقله في أطوار الخلقة إلى مرتبة النبوّة بالوصول إلى الحق المطلق وإلى مقام الرسالة من دعاء الخلق إلى دعوة الحق. **(﴿اقرأ﴾)** تأكيد للتقرير وتكرير للتكثير. **(﴿وربك الأكرم﴾)** أي من كل كريم فإن كرم كل كريم من أثر كرمه، وذرة من شعاع ظهور شمس نعمه. وفيه إشارة إلى أن [و] صفة الأكرم اقتضى بلوغ وصول الأمي إلى حصول مقام الأعلم. وصيره واسطة ايصال فيض العلم إلى أفراد العالم. **(﴿الذي علم بالقلم﴾)** أي بواسطته كثيراً من العلوم المتعارف لأفراد بني آدم. **(﴿علم الإنسان﴾)** أي بطريق بيان اللسان وتبيان الجنان. **(﴿ما لم يعلم﴾)**(١) أي من الأشياء الحادثة في المكان والزمان. ويمكن أن يراد بالإنسان هو الكامل في هذا الشأن، واللام للمعهود في الأذهان. فيكون فيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** [النساء - ١١٣]. فصلوا عليه وسلموا تسليماً. **(فرجع بها)** أي رجع النبي ﷺ بالآيات، أي معها متوجهاً إلى مكة. **(يرجف)** بضم الجيم أي يضطرب **(فؤاده)** ويتحرك شديداً من الرعب الذي دخل في قلبه. **(فدخل على خديجة)** قال الطيبي: أي صار بسبب تلك الضغطة يضطرب فؤاده ورجع يجيء بمعنى قصد أيضاً. اهـ. وما قدمناه هو الظاهر كما لا يخفى. **(فقال: زملوني)** بتشديد الميم المكسورة، أي غطوني بالثياب ولفوني بها. **(زملوني)** كرره للتأكيد أو لزيادة التأييد. **(فزملوه حتى ذهب عنه الروع)** بفتح الراء أي الخوف والرعب الشديد. **(فقال لخديجة وأخبرها الخبر:)** أي خبر ما تقدم والجملة حالية معترضة بين القول ومقولة وهو: **(لقد خشيت)** أي، خفت **(على نفسي)** أي من

---

(١) سورة العلق. الآيات رقم ١ و٢ و٣ و٤ و٥.

فقالتْ خديجةُ: كلاً، واللّهِ لا يُخزيكَ اللّهُ أبداً، إِنَّكَ لتَصِلُ الرَّحمَ، وتصْدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتكسبُ المعْدومَ، وتقْرِي الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ.

الجنون أو الهلاك. وقال شارح: أدهشته هيبته البديهية يخشى على نفسه من تخبط الشيطان. وفي شرح مسلم للنووي، قال القاضي عياض: ليس هو بمعنى الشك فيما آتاه الله تعالى، لكنه ربما خشي أنه لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه، أو يكون هذا لأوّل التباشير في النوم أو اليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقيق رسالة ربه، فيكون قد خاف أن يكون من الشيطان. فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز الشك فيه وتسليط الشيطان عليه. قال الشيخ محيي الدين: وهذا الاحتمال ضعيف لأنه تصريح بأن هذا بعد غط الملك وإتيانه بـ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾. وقال السيوطي: قيل: خشي الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة. قال الإسماعيلي: وذلك قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله. وقيل الموت من شدة الرعب. وقيل المرض. وقيل العجز عن حمل أعباء النبوّة، وقيل عدم الصبر على أذى قومه. وقيل أن يقتلوه. وقيل أن يكذبوه. وقيل أن يعيروه. (**فقالت خديجة: كلا**) هي كلمة ردع أي لا تظن ذلك أو لا تخف، أو معناه حقاً فقولها (**والله**) للتأكيد وتأييد للتأبيد (**لا يخزيك الله أبداً**) قال النووي: هو بضم الياء وبالخاء المعجمة في رواية يونس وعقيل. وفي رواية معمر بالحاء المهملة والنون. ويجوز فتح الياء في أوّله وضمها وكلاهما صحيح. أقول: لا يخفى أن فتح الياء إنما يكون مع فتح الزاي. بخلاف ضم الياء، فإنه مع كسر الزاي كما قرىء بهما متواتراً في قوله تعالى: ﴿**ولا يحزنك قولهم**﴾ [يونس ـ ٦٥]. ونحوه. وأما الرواية الأولى فمن الإخزاء بمعنى الإفضاح والإهانة ومنه قوله تعالى: ﴿**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه**﴾ [التحريم ـ ٨]. (**إنك**) بالكسر استئناف فيه شائبة تعليل (**لتصل الرحم**) أي ولو قطعوك (**وتصدق الحديث**) بضم الدال أي تتكلم بصدق الكلام ولو كذبوك أو كذبوك (**وتحمل**) بكسر الميم (**الكل**) بفتح الكاف وتشديد اللام، وهو ما لا يستقل بأمره وقد يعبر به عن الثقيل ومنه قوله تعالى: ﴿**وهو كل على مولاه**﴾ [النحل ـ ٧٦]. والمعنى أنك تتحمل مؤونة الكل وتقبل محنة الكل وإن تركوك ولم يساعدوك. ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والأرامل والعيال من النساء والرجال. (**وتكسب المعدوم**) بفتح التاء هو الصحيح المشهور، وروي بضمها ذكره النووي. والمعنى تحصل المال للخير أو تعطي المحتاج فكأن الفقير معدوم في نفسه أو في نظر الغني، أو لأن الفقر يقتضي الفناء والإسكان، كما أن [الغني] يوجب الظهور والتحرك والطغيان. (**وتقري**) بفتح التاء وكسر الراء أي تطعم (**الضيف**) أي النازل بك (**وتعين على نوائب الحق**) أي الحوادث على الخلق بتقدير الحق أي يناب فيها. وقيل النوائب جمع النائبة وهي الحادثة، وإنما أضيفت إلى الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر قال لبيد:

نوائب من خير وشر كلاهما ❋ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

هذا مجمل المرام في هذا المقام، وأما تفصيل الكلام على ما بينه علماء الأعلام. فقد

ثُمَّ انطلَقتْ به خديجةُ إِلى ورَقَةَ بنِ نوْفلٍ، ابنِ عمِّ خديجةَ.

قال ثعلب والخطابي وغيرهما يقال: كسبت الرجل مالاً وأكسبته مالاً لغتان، أفصحهما كسبته بحذف الألف. فمعنى الضم تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعاً، فحذف الموصوف وأقيم الموصوف به مقامه. وقيل: المعنى تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق، أو تصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله، وكانت العرب تتمادح بكسب المال لا سيما قريش، وكان ﷺ مغبوطاً في تجارته[١]. قال النووي: وهذا القول ضعيف أو غلط ويمكن تصحيحه بأن يضم معه زيادة، فمعناه تكسب المال العظيم الذي يعجز غيرك عنه ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وغيرهما. وصاحب التحرير[٢] جعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المعدوم العاجز عن الكسب وسماه معدوماً لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف في معيشة الحياة. اهـ. وقيل: الصواب، وتكسب المعدوم أي تعطي العائل وتمنحه لأن المعدوم لا يدخل تحت الأفعال. قال التوربشتي: المعدوم هي اللفظة الصحيحة بين أهل الرواية وأجراها بعضهم على التوسع فرأى أنه نزل العائل منزلة المعدوم مبالغة في العجز، كقولك للبخيل والجبان ليس بشيء. قال: ويكسب من كسبت زيداً مالاً أو كسبت مالاً، ويجوز بضم التاء من أكسبت زيداً مالاً. قال الخطابي: والأفصح كسبته، فمعنى تكسب إن جعل متعدياً إلى واحد أنك تكسب ما لا يكون موجوداً ولا حاصلاً لنفسك وتقري به الضيف، فيكون المجوع سبباً لأن لا يخزيه الله. أو تكسب المعدوم وهو الفقير سمي معدوماً للمبالغة كأنه صار من غاية فقره معدوماً، والمتصدق عليه يكسبه ويجعله موجوداً وإن جعل متعدياً إلى اثنين، فالمحذوف إما المفعول الأول أي تكسب غيرك المعدوم أي يعطيه[٣] مالاً لا يكون موجوداً عنده وتوصله إليه، أو المفعول الثاني أي تكسب المعدوم أي الفقير مالاً أي تعطيه إياه، وإنما ذكرت لفظ الكسب إرادة أنك لن تزل تسعى في طلب عاجز تنعشه كما يسعى غيرك في طلب مال ينعشه. اهـ. وزبدته أنها أرادت أنك ممن لا يصيبه مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل. وفيه دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير [سبب] للسلامة من مصارع السوء، وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة تطرأ، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة. وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوّة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها، وفيه تنبيه على أن فقره ﷺ [كان] مرضياً اختيارياً لا مكروهاً اضطرارياً ومنشؤه كمال الكرم والسخاوة. وعلى أن هذه الصفات المذكورة والنعوت المسطورة كانت له جبلية خلقية قبل بعثته الباعثة لتتميم مكارم الأخلاق. **(ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة)** بفتحتين **(ابن نوفل)** أي ابن أسد القرشي **(ابن عم خديجة)** أي ابنة خويلد بن أسد، فهو ابن عمها حقيقة. واختلف في إسلامه ذكره صاحب

---

(١) في المخطوطة «اتجاره». (٢) في المخطوطة «التجريد».

(٣) في المخطوطة «تعطيه».

فقالتْ له: يا ابنَ عمّ! اسمَعْ من ابنِ أخيكَ. فقال له ورقةُ: يا ابنَ أخي! ماذا ترى؟ فأخبرَه رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى. فقال ورقةُ: هذا [هو] النّاموسُ الذي أنزلَ اللّهُ على موسى، يا ليتَني فيها جَذعاً،

القاموس. (فقالت له: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك) وهذا بطريق المجاز كقولهم: يا أخا العرب. وقال شارح: إنما قالت ذلك على سبيل التعظيم، لا على سبيل الحقيقة. (فقال له ورقة:) وقد كان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي ذكره المؤلف في فصل الصحابة. (يا ابن أخي ماذا ترى.) قيل: ذا زائدة وما استفهامية. وقيل: ذا موصولة، أي ما الذي تراه. (فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى) أي بخبره وأطلعه على ما ظهر عليه من الملك وأثره. (فقال ورقة: هذا) أي الملك الذي رأيته (هو الناموس الذي أنزل) أي أنزل الله (على موسى) قيل: ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره. وأهل الكتاب يسمون جبريل بالناموس. فقد قال أهل اللغة: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر. فقيل: سمي بذلك لأن الله تعالى خصصه بالوحي. (يا ليتني) أي كنت كما في نسخة (فيها) أي في أيام النبوّة أو مدة الدعوة أو[1] الأزمنة التي تظهر فيها (جذعاً) بفتح الجيم والذال المعجمة أي جلداً شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك بمنزلة الجذع من الخيل وهو ما دخلت في السنة الثالثة، فالجذع في الأصل للدواب، وهنا استعارة، ونصبه إما بإضمار كنت، أو بليت على تأويل تمنيت. والأصح أنه حال، أي ليتني حاصل فيها جذعاً كما هو مذهب البصريين في:

* يا ليت أيام الصبا رواجعا *

قال الخطابي والمازري[2] وغيرهما: نصب على أنه خبر كان المحذوفة تقديره: ليتني أكون فيها جذعاً. على مذهب الكوفيين. وقال القاضي: الظاهر عندي أنه منصوب على الحال وخبر ليت قوله فيها والعامل [متعلق] الظرف. هذا وفي قوله: يا ليتني. المنادى محذوف أي يا محمد. وقال ابن مالك: ظن أكثر الناس أن يا التي يليها ليت حرف نداء والمنادى محذوف وهو عندي ضعيف، لأن قائل ليتني قد يكون وحده فلا يكون معه منادى. كقول مريم: ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ [مريم ـ ٢٣]. قلت: يمكن أن يكون التقدير: يا رب، أو يا نفسي أو يا ولدي. أو أرادت به الخطاب العام المقصود في أوهام الأفهام. ثم قال: ولأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعى فيه حذفه مستعملاً فيه ثبوته كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء، فإنه يجوز حذفه لكثرة ثبوته ثمة. فمن ثبوته قبل الأمر: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾ [مريم ـ ١٢]. وقبل الدعاء: ﴿يا موسى ادع لنا ربك﴾ [الأعراف ـ ١٣٤]. ومن حذفه قبل الأمر: ألا يا اسجدوا. في قراءة الكسائي أي ألا يا هؤلاء. وقبل الدعاء قوله:

* ألا يا اسلمي يا دار مي على البلا *

(١) في المخطوطة «لأن».
(٢) في المخطوطة «الحازري».

يا ليتَني أكونُ حياً إِذ يُخرجُكَ قومُكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوَ مُخرِجيَّ هُم؟» قال: نعم؟ لم يأتِ رجلٌ بمثل ما جئتَ به إلا عُودِي، وإنْ يُدركني يومُكَ أنصُرْكَ نصراً مُؤَزَّراً. ثمَّ لم ينشَبْ ورقةُ أن توفِّيَ، وفترَ الوحيُ. متفق عليه.

أي ألا يا دار مي أسلمي فحسن حذف المنادى جعلها اعتماداً على ثبوته بخلاف ليت، فإن العرب لم تستعمله ثابتاً فادعاء حذفه باطل، فتعين كون يا هذه لمجرد التنبيه ألا في نحو:

* ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة *

قلت: لعل وجه حذف المنادى مع ليت كثرة استعماله، فتارة يكون مفرداً مذكراً، أو مؤنثاً، وتارة تثنية أو جمعاً كذلك، وتارة يكون محققاً، وأخرى يكون موهوماً. ولا شك أن كثرة الاستعمال موجبة للحذف والتخفيف، حتى ربما تجعل الحذف واجباً. فادعاء حذفه بهذا الاعتبار حق بل واجب لا باطل وذاهب. ثم رأيت في القاموس ذكر جواز الوجهين وقدم ما قدمناه حيث قال: وإذا ولي يا ما ليس بمنادى كالفعل في: ألا يا اسجدوا، والحرف في نحو: يا ليتني كنت معهم، ويا رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى. والجملة الإسمية نحو:

يا لعنة الله والأقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار

فهي للنداء والمنادى محذوف، أو لمجرد التنبيه لئلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة كلها. اهـ. وتبعه صاحب المغني وفيه بحث لا يخفى والله تعالى يعلم السر وأخفى. (**يا ليتني أكون حياً**) أي وإن لم أكن قوياً (**إذ يخرجك**) إذ هنا للاستقبال كإذا، والمعنى حين يتسبب لخروجك من بلدك (**قومك**) أي أقاربك من كفار قريش (**فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم**) بفتح الواو وتشديد الياء المفتوحة ويجوز كسرها كقوله: مصرخي. وهو خبر لقوله: هم. وأصله مخرجون، أضيف إلى ياء الاضافة بكسر الجيم للمناسبة. فإعرابه تقديري كمسلمي والجملة عطف على مقدر والاستفهام للاستعلام على وجه التعجب من هذا الاقدام، لتأكيد المرام. أي أيكون ما قلت وهم مخرجي. (**قال: نعم**) أي يخرجونك وسببه (**أنه لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به**) أي من الرسالة (**إلا عودي**) ماض مجهول من المعاداة والاستثناء مفرغ من أعم عام الأحوال. (**وإن يدركني يومك**) شرط جزاؤه (**أنصرك نصراً مؤزراً**) بتشديد الزاي المفتوحة. قال القاضي: يريد باليوم الزمان الذي أظهر فيه الدعوة أو عاداه قومه فيه وقصدوا ايذاءه وإخراجه. والمؤزر البالغ في القوة من الإزر وهو القوة. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿**أشدد به أزري**﴾ [طه ـ ٣١]. (**ثم لم ينشب [ورقة]**) بسكون النون وفتح الشين، أي لم يلبث ولم يبرح. وحقيقته أنه لم يتعلق بشيء أو لم يشتغل بغير ما هو عليه فكني به عن ذلك. وقوله: (**أن توفي**) نصب على التمييز أي من جهة الوفاء. أي لم يلبث[1] وفاته بأن جاء [ت] سريعاً. وقال الطيبي: بدل اشتمال من ورقة، أي لم يلبث وفاته. (**وفتر الوحي**) أي انقطع أياماً كما سيأتي في الحديث الآتي (**متفق عليه**).

---

(١) في المخطوطة «يلبث».

٥٨٤٢ ـ (٦) وزادَ البخاريُّ: حتى حزِنَ النبيُّ ﷺ ـ فيما بلغنَا ـ حُزناً غدا منه مراراً كي يتردَّى منْ رؤوسِ شواهقِ الجبلِ، فكلما أوْفى بذروةِ جبلٍ لكي يُلقيَ نفسَه منه، تبدَّى له جبريلُ، فقال: يا محمَّدُ! إنَّكَ رسولُ الله حقّاً. فيسكنُ لذلكَ جأشُه، وتقرُّ نفسُه.

٥٨٤٣ ـ (٧) وعن جابرٍ، أنَّه سمِعَ رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُ عن فترةِ الوحيِ، قال: «فبَينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماءِ، فرفعتُ بصري، فإذا الملَكُ الذي جاءَني بحراءِ قاعدٌ على كرسيّ بينَ السماءِ والأرضِ، فجُئِثْتُ منه رُعباً

٥٨٤٢ ـ **(وزاد البخاري)** أي على رواية مسلم قوله: **(حتى حزن النبي ﷺ)** بكسر الزاي من الحزن، والحزن خلاف السرور. يقال: حزن الرجل فهو حزن وحزين وأحزنه غيره وحزنه أيضاً، لكن بفتح الزاي في المتعدي. **(فيما بلغنا)** أي من الأحاديث الدالة على حزنه وهو معترض بين الفعل ومصدره المنصوب على أنه مفعول مطلق[1]، أعني: **(حزناً)** بضم فسكون ويجوز فتحهما، أي حزناً عظيماً من صفته أنه. **(غدا)** أي ذهب في الغدوة **(منه)** أي من أجل الحزن أو من جهة فتور الوحي. وقيل: معنى غداً جاوز فعلى هذا يكون بعين مهملة ذكره زين العرب. وقال العسقلاني: غداً بعين مهملة وهو الذهاب بسرعة ومنهم من أعجمها من الذهاب غدوة. اهـ. واقتصر شارح على العين المهملة فقال: أي مشى من العدو. **(مراراً)** أي مرة بعد أخرى **(كي يتردى)** أي يسقط **(من رؤوس شواهق الجبل)**[2] أي عواليه. وقيل: هو جمع شاهق وهو الجبل[3] المرتفع. **(فكلما أوفى)** [أي] وصل ولحق **(بذروة جبل)** بكسر الذال ويجوز تثليثه أي بأعلاه. **(لكي يلقي نفسه منه تبدى)** أي تبين وظهر **(له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً)** مصدر مؤكد للجملة السابقة، وهي قوله: إنك لرسول الله. نصب بمضمر، أي أحق هذا الكلام حقاً. **(فيسكن)** أي يطمئن **(لذلك جأشه)** أو فيزول لذلك اضطراب قلبه وقلقه وروعه وفزعه. **(وتقر)** بكسر القاف وتشديد الراء تسكن **(نفسه.)** أي من اضطرابها.

٥٨٤٣ ـ **(وعن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي)** أي انقطاعه أياماً ثم حصوله متتابعاً **(قال: فبينا)** وفي نسخة فبينما. **(أنا أمشي)** أي في أرض مكة بناء على إطلاقه أو فوق جبل حراء كما يدل عليه قوله الآتي **(حتى هويت. سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض. فجئثت)** بضم جيم وكسر همز وسكون مثلثة أي فزعت وخفت **(منه)** أي من الملك **(رعباً)** بضم فسكون وبضمتين إما

الحديث رقم ٥٨٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٣. حديث رقم ٣. وأحمد في المسند ٦/ ٢٣٣.

(١) في المخطوطة «مطلقاً». (٢) في المخطوطة «الحبال».

(٣) في المخطوطة «الجمع».

الحديث رقم ٥٨٤٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٧. الحديث رقم ٤. ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٣ حديث رقم (٢٥٥/ ١٦١). وأخرجه الترمذي في المسند ٥/ ٣٩٩. حديث رقم ٣٣٢٥. وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٥.

حتى هوَيتُ إلى الأرضِ، فجئتُ أهلي، فقلتُ: زمّلوني زملوني، فزملوني، فأنزل اللَّهُ تعالى: ﴿يا أيُها المدَّثِرُ قُمْ فأنذِرْ وربك فكبّر وثِيابكَ فطَهِرْ والرُجزَ فاهْجُرْ﴾، ثمّ حميَ الوحيُ وتتابعَ». متفق عليه.

٥٨٤٤ ـ (٨) وعن عائشة، أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ سألَ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟

حال، أي ممتلئاً رعباً، أو مرعوباً كل الرعب. والرعب يتعدى ولا يتعدى، أو مفعول مطلق، أو مفعول لأجله. فإن الفزع انقباض ونفار يعتري[1] الإنسان من الشيء المخيف، وهو قريب من الجزع. والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف كذا حققه التوربشتي وغيره من أتباعه. والأظهر عندي أنه تمييز مؤكد ونظيرة: ذرعها سبعون ذراعاً. **(حتى هويت)** بفتح الواو أي سقطت ونزلت **(إلى الأرض فجئت أهلي)** أي أهل بيتي **(فقلت: زملوني زملوني)** أي دثروني وثقلوني من الزاملة، وهو ثقل المتاع، والتكرير للتأكيد أو للتكثير. **(فزملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾)** بتشديد الدال والثاء، أي المتدثر بمعنى المتزمل المتثقل، ولهذا قيل: معناه يا أيها المتلبس بأعباء النبوّة والمتحمل بأثقال الرسالة. **(﴿قم﴾)** أي بأمرنا أو دم على القيام بالطاعة مطلقاً، أو على قيام الليل المستفاد من قوله تعالى: **﴿يا أيها المزمل قم الليل﴾** [المزمل ـ ١ ـ ٢]. ولذا قيل إنه أمر بالقيام للنبوّة وهذا أمر بالقيام للرسالة، كما يشير إليه قوله: **(﴿فأنذر﴾)** أي فأعلم الناس بالتخويف عن العذاب وبشر المؤمنين بأنواع الثواب، فهو من باب الاكتفاء أو الاقتصار على الإنذار بناء على غلبة الكفار وعموم الفجار. **(﴿وربك فكبر﴾)** أي فخص ربك بوصف الكبرياء والعظمة **(﴿وثيابك فطهر﴾)** أي من النجاسات، ويؤخذ منه طهارة الباطن عن القاذورات بالأولى. وقيل: معناه قصر ثيابك على ذكر المسبب وإرادة السبب مع ما فيه من الدلالة على التواضع الملائم للعبودية المناسب لما قبله من ظهور كبرياء الربوبية. **(﴿والرجز﴾)** بكسر الراء وضمها أي الشرك والعصيان. **(﴿فاهجر﴾)**[2] أي فاتركه. الظاهر أن هذا اقتصار من الراوي، وتمامه: **﴿ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾** [المزمل ـ ٦ و٧]. **(ثم حمي الوحي)** بكسر الميم أي اشتد حره **(وتتابع)** أي نزوله **(متفق عليه)**.

٥٨٤٤ ـ **(وعن عائشة: أن الحارث بن هشام)** هو مخزومي أخو أبي جهل، شقيقه أسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح الشام. قال العيني: وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل **(سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي)** ظاهره أن الحديث من مسند عائشة وعليه اعتمد أصحاب الأطراف، فكأنها حضرت القصة. ويحتمل أن

---

(١) في المخطوطة «يعترين».

(٢) المدثر. الآيات ١ و٢ و٣ و٤ و٥.

الحديث رقم ٥٨٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢. ومسلم في صحيحه ١٨١٦/٤ حديث رقم (٨٧ ـ ٢٣٣٣). والترمذي في السنن ٥٥٧/٥ حديث رقم ٣٦٣٤. والنسائي ١٤٦/٢ حديث رقم ٩٣٣. وأحمد في المسند ١٥٨/٦.

فقال رسولُ الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلةِ الجرسِ، وهوَ أشدُّه عَلَيَّ، فيفصِمُ عني وقدْ وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثَّلُ لِي المَلَكُ رجلاً فيُكلمُني، فأعي ما يقولُ».

يكون الحارث أخبرها بذلك بعد، فيكون مرسل صحابي وحكمه الوصل اتفاقاً. ويؤيده أن في مسند أحمد وغيره من طريق عامر بن صالح الزهري عن هشام عن أبيه عن عائشة عن الحارث ابن هشام قال: سألت. وعامر فيه ضعف لكن له متابع عند ابن منده. **(فقال رسول الله ﷺ: أحياناً)** أي [في] بعض الأحيان والأزمان. قيل: وهو وقت إتيان الوعيد. **(يأتيني)** أي الوحي **(مثل صلصلة الجرس)** أي إتياناً مثل صوته. قال الطيبي: يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً والأحسن أن يكون حالاً، أي يأتيني الوحي مشابهاً صوته[١] لصوت الجرس. والصلصلة صوت الحديد إذا حرك. **(وهو)** أي هذا النوع من الوحي **(أشده)** أصعبه **(علي)** وأتعبه إلي. قال العسقلاني: لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود على ما سيأتي. ولعل في قوله تعالى: ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ [المزمل ـ ٥]. إشارة إلى ذلك، قال الخطابي: يريد والله أعلم أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يقرع سمعه حتى يتفهم ويتثبت فيتلقفه حينئذٍ ويعيه. ولذا قال: وهو أشده علي. **(فيفصم [عني])**[٢] بفتح الياء وكسر الصاد، أي ينقطع عني. وفي نسخة بضم الياء وكسر الصاد من أفصم الحمى والمطر، أي أقلع على ما في القاموس. وفي نسخة أخرى بصيغة المجهول أي يقلع عني كرب الوحي. قال العسقلاني[٣]: قوله: فيفصم، أي الوحي أو الملك، فكأنه جوّز تقدير المضاف في الوحي السابق. أي كيف يأتيك صاحب الوحي وهو الملك. ثم قال: وهو بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الصاد المهملة كذا لأبي الوقت من فصم يفصم من باب ضرب يضرب. والمراد قطع الشدة، أي يقلع وينجلي ما يغشاني من الكرب والشدة. ويروى فيفصم بضم الياء وكسر الصاد من الفصم المطر إذا أقلع رباعي. قال في المفاتيح: وهي لغة قليلة. وفي رواية أخرى فيفصم بضم أوله وفتح ثالثه مبني للمفعول والفاء عاطفة والفصم القطع من غير بينونة. فكأنه قال: إن الملك يفارقني ليعود حالي. **(وقد وعيت عنه ما قال)** جملة حالية وهو بفتح العين، أي حفظت الذي ذكره، فما موصولة والعائد محذوف ثم الوعي هنا قبل الإفصام وفيما بعد حال الكلام. فلذلك ورد أولاً ماضياً وثانياً حالاً حيث قال: **(وأحياناً يتمثل)** أي يتصور ويتشكل **(لي الملك رجلاً)** أي مثل رجل **(فيكلمني فأعي ما يقول)** قال التوربشتي: هذا حديث يغالط فيه أبناء الضلالة ويتخذونه ذريعة إلى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق أبلج ونور يتوقد من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، لا يغلط فيه إلا من أعمى الله عيني قلبه. وجملة القول في هذا الباب أن نقول: كان النبي ﷺ معيناً بالبلاغ مهيمناً على الكتاب[٤] مكاشفاً بالعلوم الغيبية مخصوصاً بالمسامرات القلبية وكان يتوفر على

(١) كرر في المخطوطة كلمة «صوته» مرتين. (٢) في المخطوطة «مني».
(٣) في المخطوطة «القسطلاني».
(٤) هذه العبارة وردت في المخطوطة بهذا اللفظ: «معيناً بالبلغ مهيناً على الكتاب».

قالت عائشةُ: ولقدْ رأيتُه ينزلُ عليهِ الوحيُ في اليومِ الشَّديدِ البردِ، فيفصمُ عنه وإنَّ جبينَه ليتفصَّدُ عرَقاً. متفق عليه.

الأمة حصتهم بقدر الاستعداد، فإن أراد أن ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادة ليعرفوا مما شاهدوه [ما لم يشاهدوه]. فلما سأل الصحابي عن كيفية الوحي وكان ذلك من المسائل الغويصة والعلوم الغريبة التي لا يكشف نقاب التعري عن وجهها لكل طالب ومتطلب وعالم ومتعلم، ضرب لها في الشاهد مثلاً بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء، تنبيهاً[١] على أن إنباءها يرد على القلب في لبسة الجلال وأبهة الكبرياء، فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي في ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك. فإذا سري عنه وجد القول المنزل هنا ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع. وهذا معنى قوله: فيفصم عني وقد وعيت. ومعنى: يفصم يقلع عني كرب الوحي، شبهه بالحمى إذا فصمت عن المحموم. ويقال: أفصم المطر أي أقلع. وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً [لقوله] كأنها سلسلة على صفوان؛ فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير[٢]. هذا وقد سبق لنا من حديث عائشة أن الوحي كان يأتيه على صفتين. أولاهما أشد من من الأخرى، وذلك لأنه كان يرد فيها من الطباع البشرية إلى الأوضاع الملكية فيوحي إليه كما يوحى إلى الملائكة على ما ذكر في حديث أبي هريرة وهو حديث حسن صحيح. والأخرى يرد فيها الملك إلى شكل البشر وشاكلته فكانت هذه أيسر. وقال الطيبي: لا يبعد أن يكون هناك صوت على الحقيقة متضمن للمعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها إياه ولكن القلب للمناسبة يشرب معناه فإذا سكن الصوت أفاق النفس فحينئذ يتلقى النفس من القلب ما ألقي إليه فيعي على أن العلم بكيفية ذلك من الأسرار التي لا يدركها العقل. في شرح مسلم قال القاضي عياض: إن ما جاء مثل ذلك مجرى على ظاهره، وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلا الله سبحانه. ومن أطلعه الله على شيء من ذلك من ملائكته ورسله وما يتأوّل هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله. **(قالت عائشة:)** قال الكرماني: يحتمل أن يكون داخلاً تحت الإسناد المذكور سيما إذا جوزنا العطف بحذف حرف العطف وأن يكون غير داخل تحته، بل كان ثابتاً بإسناد آخر ذكره على سبيل التعليق تأييداً لأمر الشدة وتأكيداً له. قال العسقلاني: هو بالإسناد الذي قبله وإن كان بغير عطف **(ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن)** بكسر الهمز والواو للحال أي فيفصل الوحي عنه والحال إن **(جبينه)** أي مقدم وجهه **(ليتفصد)** أي ليتصبب **(عرقاً)** تمييز محول عن الفاعل. والمعنى ليسيل عرقه مثل سيلان الدم من العرق المفصود. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي.

---

(١) في المخطوطة «بينما».

(٢) البخاري في صحيحه ٨/ ٣٨٠ حديث رقم ٤٧٠١.

٥٨٤٥ ـ (٩) وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا أُنزلَ عليهِ الوحيُ كُرِبَ لذلكَ وتربَّدَ وجهُه. وفي روايةٍ: نكَّسَ رأسَه، ونكَّسَ أصحابُه رؤوسَهم، فلمَّا أُتْليَ عنه رفعَ رأسَه. رواه مسلم.

٥٨٤٥ ـ (**وعن عبادة بن الصامت قال: كان النبي ﷺ إذا نزل**) مجهول من الإنزال (**عليه الوحي**) أي حين أول[1] إنزاله عليه (**كرب**) بصيغة المجهول أي أصابه الكرب وحزن (**لذلك**) أي لشدة نزوله وصعوبة حصوله. قال شارح: الكرب والكربة الغم الذي يأخذه بالنفس. يقال: كربه الغم إذا اشتد عليه والمستكن في كرب إما للنبي ﷺ. والمعنى أنه كان لشدة اهتمامه بالوحي كمن أخذه غم، أي لسبب مبناه أو معناه. ولذا قيل له: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ [القيامة ـ ١٦] الآية. قال: أو لخوف[2]، ما عسى يتضمنه الوحي من التشديد والوعيد لذلك، أو المستكن الوحي بمعنى اشتد. فإن الأصل في الكرب الشدة. قلت: حينئذ لا يلائمه قوله لذلك. قال التوربشتي: يحتمل أنه كان يهتم بأمر الوحي أشد الاهتمام ويهاب مما يطالب به من حقوق العبودية والقيام بشكر المنعم ويخشى على عصاة الأمة أن ينالهم من الله خزي ونكال، فيأخذه الغم الذي يأخذ بالنفس حتى يعلم ما يوحى إليه. ويحتمل أن المراد منه كرب الوحي وشدته، فإن الأصل في الكرب الشدة وإنما قال الصحابي كرب لما وجد من شبه حاله بحال المكروب وقوله: (**وتربد وجهه**) أي تغير وأكثر ما يقال ذلك في التغير من الغضب. وتربد الرجل أي تعبس. (**وفي رواية: نكس رأسه**) أي أطرقه كالمتفكر (**ونكس أصحابه رؤوسهم**) أي اتباعاً له وتأدباً معه (**فلما أتلى عنه**)[3] بضم همزة فسكون فوقية وكسر لام ففتح تحتية، أي سري عنه وكشف كأنه ضمن الإتلاء وهو الإحالة معنى الكشف بقرينة عن وهذا هو المشهور في الأصول، ولم يوجد في نسخ المشكاة غيره. والمعنى: فلما ارتفع الوحي على الرواية الأولى، أو الكرب على الرواية الأخرى (**رفع رأسه**) أي وتبعه أصحابه. وقال الثوري: أتلى بهمز[ة] وتاء مثناة فوق ساكنة فلام فياء هكذا هو في معظم نسخ بلادنا. ومعناه ارتفع عنه الوحي، هكذا فسره صاحب [التحرير] وغيره. وفي بعض النسخ أجلي بالجيم، وفي رواية ابن ماهان[4] انجلي بالجيم ومعناها أزيل عنه وزال عنه. وقال الطيبي: ضمن أتلي معنى أقلع فعدي بعن[5] وينصره رواية شرح السنة: فلما أقلع عنه. وقال التوربشتي: قوله: فلما أتلي عليه، كذا هو في المصابيح. وأرى صوابه؛ فلما تلي عليه من التلاوة، وإن كان أتلي عليه محققاً فمعناه أحيل. يقال: أتليته أحيلته أي أحيل عليه البلاغ. وذلك أن الملك إذا قضى إليه ما نزل به فقد أحال عليه البلاغ (**رواه مسلم**).

الحديث رقم ٥٨٤٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٧ حديث رقم (٨٨. ٢٣٣٤).

(١) في المخطوطة «أنزل».
(٢) في المخطوطة «الخوف».
(٣) في المخطوطة «عليه».
(٤) في المخطوطة «هامان».
(٥) في المخطوطة «عين».

٥٨٤٦ ـ (١٠) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: لما نزلتْ ﴿وأَنْذِرْ عشيرتَكَ الأقربينَ﴾ خرجَ النبيُّ ﷺ حتى صعِدَ الصَّفا، فجعلَ يُنادي: «يا بني فِهرٍ! يا بني عديّ!» لبُطونِ قريشٍ حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطعْ أن يخرجَ أرسلَ رسولاً لينظرَ ما هوَ، فجاءَ أبو لهبٍ وقريشٌ فقال: «أرأيتُم إنْ أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرجُ منْ سَفحِ هذا الجبلِ ـ وفي رواية: أنَّ خيلاً تخرجُ بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم ـ أكنتُم مُصدِّقيَّ؟» قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليكَ إلا صِدْقاً. قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ». قال أبو لهبٍ: تبّاً لكَ، ألِهذا جمعتَنا؟! فنزلتْ: ﴿تبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتبَّ﴾. متفق عليه.

٥٨٤٦ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك﴾) أي قومك (﴿الأقربين﴾)[١]. خرج النبي) وفي نسخة: رسول الله. (ﷺ حتى صعد) بكسر العين أي طلع (الصفا فجعل ينادي) أي يقول بأعلى صوت (يا بني فهر) بكسر فسكون (يا بني عدي) أي وأمثال ذلك (لبطون قريش) وتقدم تحقيقه وتفصيله (حتى اجتمعوا) أي حضر جمع من كل قبيلة (فجعل الرجل) أي من مشايخهم وأكابرهم (إذا لم يستطع أن يخرج) أي لعذر به (أرسل رسولاً لينظر ما هو) أي من الخبر (فجاء أبو لهب وقريش) أي عامتهم (فقال:) أي النبي ﷺ (أرأيتم) أي أخبروني وصدقوني (إن أخبرتكم أن خيلاً) يعني فرساناً (تخرج) أي تظهر (من سفح هذا الجبل) أي ناحيته أو سفحه. ففي القاموس: أن السفح الجانب، ومن الخيل مضطجعة. والسفح عرض الجبل المضطجع، أو أصله أو أسفله. (وفي رواية: أن خيلاً تخرج بالوادي) اللام فيه للعهد الذهني. ولعل المراد به الوادي المشهور بوادي فاطمة في طريق مكة إلى المدينة. (تريد) أي الخيل والمراد أصحابها وركابها (أن تغير عليكم) أي تأتيكم بغتة للإغارة عليكم ليلاً أو صباحاً (أكنتم مصدقي. قالوا: نعم) أي نصدقك لأنك محمد الأمين (ما جربنا عليك إلا صدقاً) قال الطيبي: ضمن جرب معنى ألقي، أي ما ألقينا عليك شيئاً من الأخبار مجربين إياك إلا وجدناك فيه صادقاً (قال: فإني نذير لكم) أي منذر ومخوّف (بين يدي عذاب شديد) أي قدامه وهو إما في الدنيا أو في الآخرة[٢] (قال أبو لهب: تباً) بتشديد الموحدة، أي خسراناً وهلاكاً (لك ألهذا) أي لهذا الأمر الذي ذكرته (جمعتنا. فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾) بفتح الهاء ويسكن أي خسر وهلك هو واليد مقحمة، أو عبارة عن نفسه لأن أكثر مزاولتها ومعالجتها بهما. ونحوه قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ [الحج ـ ١٠]. فقوله: (﴿وتب﴾)[٣] تأكيداً، والأول في الدنيا والثاني في الآخرة. فالمعنى: خسر الدنيا والآخرة، أو الأوّل دعاء والثاني إخبار. (متفق عليه).

الحديث رقم ٥٨٤٦: أخرجه البخاري ٨/ ٥٠١. حديث رقم ٤٧٧٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٣ حديث رقم (٣٥٥ . ٢٠٨) والترمذي في السنن ٥/ ٤٢٠ حديث رقم ٣٣٦٣. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٥ حديث رقم ٢٧٣٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٠٧.

(١) سورة الشعراء. آية رقم ٢١٤.
(٢) في المخطوطة «الأخرى».
(٣) المسد. آية رقم ١.

٥٨٤٧ ـ (١١) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعود، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلّي عند الكعبة وجمعُ قريشٍ في مجالسهم، إذ قال قائل: أيُّكم يقومُ إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسَلاها ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مالَ بعضُهم على بعضٍ من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة، فأقبلتْ تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلتْ عليهم تسُبُّهم، فلمّا

٥٨٤٧ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة**) أي قريباً منها (**وجمع قريش في مجالسهم**) أي حال كون جمع من قريش في مجامعهم (**حول الكعبة إذ قال قائل:**) أي أبو جهل أو غيره (**أيكم يقوم**) أي يتوجه (**إلى جزور آل فلان**) أي بعيرهم (**فيعمد**) بكسر الميم أي فيقصد القائم (**إلى فرثها**) وهو السرجين ما دام في الكرش على ما في الصحاح، والضمير إلى الجزور. فإنه وإن [كان] يطلق[1] على الذكر والأنثى إلا أن اللفظة مؤنثة[2]. يقال: هذه الجزور، وإن أردت ذكراً. كذا في النهاية. (**ودمها وسلاها**) بفتح السين وتخفيف اللام وهو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. وقيل: هو في الماشية السلاء وفي الناس المشيمة. والأوّل أشبه لأن المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج، كذا في النهاية. (**فانبعث**) أي فقام وذهب إلى ما ذكر (**أشقاهم**) أي أشقى كفار قريش وهو أبو جهل. وقيل: عقبة بن أبي معيط، كذا ذكره شارح. وقال النووي: هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الأخرى. (**فلما سجد**) أي النبي ﷺ (**وضعه**) أي ما ذكر، والمعنى طرحه أحدهما. ولعله بهذا يحصل الجمع بين القولين [السابقتين] (**بين كتفيه. وثبت النبي ﷺ ساجداً**) أي حال كونه مستمراً على سجوده ومستقراً على شهوده راضياً بقضائه مسلماً لأمره وحسن بلائه. فهو في غاية [من] السرور ونهاية من الحضور الحاصل من قرب الرب، وهم لبعدهم عن الحق المطلق وتعلقهم بالخلق غفلوا عن ذلك وأهلكوا هنالك (**فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض**) أي واقعين وساقطين فوق بعضهم (**من الضحك**) أي من كثرته الناشئة عن إعجابهم بفعلهم وتعجبهم من فعله ﷺ (**فانطلق منطلق إلى فاطمة**) أي وأخبرها بما جرى (**فأقبلت تسعى**) أي حال كونها تسرع وهي صغيرة. فإنها ولدت وعمره ﷺ إحدى وأربعون سنة، على ما في المواهب. (**وثبت النبي ﷺ ساجداً**) هو تأكيد لما قبله وتمهيد لما بعده. وهو قوله: (**حتى ألقته**) أي طرحته عنه فاطمة وأبعدته منه (**وأقبلت**) أي توجهت عليهم (**تسبهم**) أي تشتمهم وتلعنهم وهم ساكتون عنها لصغرها. ولعل هذا هو السبب في أن غيرها ما أقدم على هذا الفعل لما كان عسى أن تثور الفتنة المؤدية إلى القتال بين القبائل. (**فلما**

الحديث رقم ٥٨٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٤٩. حديث رقم ٢٤٠. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٨ حديث رقم (١٠٧ ـ ١٧٩٤).

(١) في المخطوطة «أطلق». (٢) في المخطوطة اللفظ مؤنث.

قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش». ثلاثاً ـ وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً؛ وإذا سأل؛ سأل ثلاثاً ـ: «اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعُمارة بن الوليد». قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يومَ بدرٍ، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدرٍ،

قضى رسول الله ﷺ الصلاة) أي أداها وفرغ منها **(قال: اللهم عليك بقريش)** الباء زائدة وعليك اسم فعل. فالمعنى: خذهم أخذاً شديداً أخذ عزيز مقتدر. **(ثلاثاً)** أي كرره ثلاثاً **(وكان)** أي من عادته أنه **(إذا دعا)** أي الله **(دعا ثلاثاً وإذا سأل)** أي طلب من الله **(سأل ثلاثاً)** فقيل: هذا تأكيد لدعا. والأظهر أنه تخصيص له، هذا وفي شرح مسلم للنووي. فإن قيل: كيف استمر في الصلاة مع وجود النجاسة على ظهره. أجاب القاضي عياض بأن ليس هذا بنجس لأن الفرث ورطوبة البدن طاهران وإنما النجس الدم وهو مذهب مالك ومن وافقه من أن روث ما يؤكل لحمه طاهر. ومذهبنا ومذهب أبي حنيفة أنه نجس، وهذا الذي قاله القاضي ضعيف لأن هذا السلا يتضمن النجاسة من حيث إنه لا ينفك عن الدم في الغالب ولأنه ذبيحة عباد الأوثان. قلت: يعني على تقدير أن تكون مذبوحة وإلا فميتة نجسة اتفاقاً، وكأن النووي غفل عن التصريح في الحديث بذكر الدم حتى تعلق بأن السلا لا ينفك عن الدم غالباً، ثم قال: والجواب المرضي أنه ﷺ لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحاباً للطهارة. قلت: ورد بأنه لو كان كذلك لأخبره جبريل فإن الصلاة مع النجاسة لا تصح ولا بد من البيان في مثل ذلك. فالجواب الصواب ما في شرح السنة قيل: كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم الأشياء من الفرث والدم وذبيحة أهل الشرك، فلم تكن تبطل الصلاة بها كالخمر كانت تصيب ثيابهم قبل تحريمها. قال الطيبي: ولعل ثباته على ذلك كان مزيداً للشكوى وإظهاراً لما صنع أعداء الله برسول الله ﷺ ليأخذهم أخذاً وبيلاً، ولذا كرر الدعاء ثلاثاً. **(اللهم عليك بعمرو بن هشام)** أي خصوصاً وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهلي المعروف، كان يكنى أبا الحكم فكناه النبي ﷺ أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية. قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. **(وعتبة بن ربيعة)** جاهلي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر مشركاً **(وشيبة بن ربيعة)** أي ابن عبد شمس بن عبد مناف جاهلي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر مشركاً. **(والوليد ابن عتبة)** أي ابن ربيعة جاهلي قتل ببدر مشركاً. **(وأمية)** بضم الهمز وفتح ميم وتشديد تحتية **(ابن خلف)** بفتحتين قتل يوم بدر مشركاً. وأما أخوه أبي بن خلف فإنه قتل يوم أحد مشركاً قتله النبي ﷺ بيده، ذكره المؤلف في أسمائه. **(وعقبة)** بضم فسكون **(ابن أبي معيط)** بالتصغير **(وعمارة)** بضم فتخفيف **(ابن الوليد. قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم)** أي أبصرت المذكورين **(صرعى)** أي هلكى، وهو حال من المفعول أي مصروعين. **(مطروحين يوم بدر ثم سحبوا)** بصيغة المجهول أي جروا **(إلى القليب)** وهو البئر قبل أن تطوى **(قليب بدر)** بالجر على البدلية ويجوز رفعه ونصبه. ثم بدر اسم موضع معروف. وقيل: هو اسم رجل كان صاحب ذلك الموضع. قال العسقلاني: قد استشكل عد عمارة في المذكورين فإنه لم يقتل ببدر، بل ذكر أصحاب المغازي أنه مات بأرض الحبشة. والجواب أن كلام ابن مسعود محمول على الأكثر ويدل عليه عقبة بن

ثم قال رسول الله ﷺ: «وأُتبِعَ أصحاب القليب لعنةً». متفق عليه.

٥٨٤٨ ـ (١٢) وعن عائشةَ، أنها قالتْ: يا رسول الله؟ هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومُ أُحد؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومِكِ، فكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذْ عرضتُ نفسي على ابن عبد يا لِيل بن كُلال،

أبي معيط إنما قتل صبراً بعد أن رجعوا عن بدر وأمية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو، بل مقطعاً. **(ثم قال رسول الله ﷺ: واتبع)** بصيغة المجهول مخففاً **(أصحاب القليب لعنة)** أي أتبع عذابهم في الدنيا بعذاب الآخرة، مثل قوله تعالى: **﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾** [هود ـ ٦٠]. وفي نسخة بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب على الدعاء عليهم بإيصال اللعنة المتواصلة إليهم. قال العسقلاني: جملة وأتبع الخ، يحتمل أن تكون من تمام الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوّة، ويحتمل أن يكون قاله ﷺ بعد أن ألقوا في القليب **(متفق عليه)**.

٥٨٤٨ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل أتى عليك يوم)** أي هل مر عليك وقت وزمان **(كان)** أي صعوبته **(أشد من يوم أحد. فقال: لقد لقيت من قومك)** أي ما هو أشد من يوم أحد، أو لقيت من قومك ما لقيت فحذف المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذهب في الفهم. **(وكان أشد ما لقيت منهم)** بنصب أشد وفي نسخة برفعه. وأما قوله: **(يوم العقبة)** فبالنصب لا غير. والمراد بها ما يضاف إليها جمرة العقبة. قال شارح: أشد بالنصب خبر كان، وما لقيت منهم في محل الرفع اسمه، ويوم العقبة ظرف لقيت. والتقدير: وكان ما لقيته منهم يوم العقبة أشد مما لقيته منهم في سائر الأيام. ويجوز أن يكون يوم العقبة اسم كان. وخبره أشد مضافاً إلى ما الموصولة أو الموصوفة، المعبر بها عن الأيام تقديره: وكان يوم العقبة أشد الأيام التي لقيت منهم، أو أشد أيام لقيت منهم. ويجوز أن يكون على العكس. وقيل: ما لقيت منهم يوم العقبة. اسم كان، ويكون أشد خبره بتقدير المضاف إليه، أو بتقدير من. وقال الطيبي: أشد ما لقيت خبر كان واسمه عائد إلى مقدر وهو مفعول قوله: لقد لقيت، ويوم العقبة ظرف. فالمعنى: كان ما لقيت من قومك يوم العقبة أشد ما لقيت منهم. وأراد بالعقبة التي بمنى وكان رسول الله ﷺ يقف عند العقبة في الموسم ويعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام. اهـ. والمعنى أنهم ما أجابوا ذلك فاشتد عليه حينئذ. وهو معنى قوله: **(إذا عرضت نفسي)** وفي نسخة إذ، وهو الظاهر. قال الطيبي: وضع إذا التي هي للاستقبال موضع إذ يعني الموضوعة للماضي استحضاراً لتلك الحالة الفظيعة. والمعنى: حين عرضت نفسي بالأمان والإجارة من التعرض على جري العادة. **(على ابن عبد ياليل)** بكسر الدال واللام الأولى **(ابن كلال)** بضم الكاف. قال العسقلاني: اسمه

الحديث رقم ٥٨٤٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٢. حديث رقم ٣٢٣١. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٢٠ حديث رقم (١١١ ـ ١٧٩٥).

فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ ـ وأنا مهموم ـ على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك وما ردُّوا عليك، وقدْ بَعَثَ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتأمرَه بما شئت فيهم». قال: «فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ ثم قال: يا محمَّد! إنَّ اللّٰهَ قد سَمِعَ قولَ قومِكَ، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبين» فقال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله

كنيته، والذي في المغازي أن الذي كلّمه هو عبد ياليل نفسه. وعند أهل النسب أن كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمرو. ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف. وقيل: إنه قدم مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا. وذكره ابن عبد البر في الصحابة. لكن ذكر الواقدي ما يدل على أنه لم يسلم والله أعلم. (**فلم يجبني إلى ما أردت**) أي ما قصدت وطلبت منه حينئذ من العهد والأمان (**فانطلقت وأنا مهموم**) جملة حالية معترضة بين الفعل ومتعلقه، وهو قوله: (**على وجهي**) أي فذهبت مهموماً على جهتي. قال الطيبي: أي فانطلقت حيراناً هائماً لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك الغم وصعوبة ذلك الهم. (**فلم أستفق إلا بقرن الثعالب**) يقال: أفاق واستفاق من مرضه وسكره بمعنى، أي فلم أفق مما كنت فيه من الغم وشدة الهم حتى بلغت قرن الثعالب. والقرن جبل وقرن الثعالب جبل بعينه بين مكة والطائف. (**فرفعت رأسي**) أي إلى السماء لأنها قبلة الدعاء ومهبط الرجاء (**فإذا أنا بسحابة قد أظلتني**) أي بالزيادة على العادة (**فنظرت فإذا فيها**) أي في السحابة (**جبريل فناداني. فقال: إن الله [قد] سمع قول قومك**) أي قولك إياهم (**وما ردوا عليك**) أي من إبائهم ويحتمل أن يكون الثاني تأكيداً للأوّل وبياناً على أن الإضافة فيه من المصدر إلى فاعله. (**وقد بعث**) أي أرسل الله (**إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال:**) أي النبي ﷺ (**فناداني ملك الجبال**) أي بنحو: يا أيها النبي، أو يا محمد (**فسلم علي**) أي تسليم تعظيم وتكريم (**ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك**) أي بشأنك أو بما تريده (**إن شئت أن أطبق**) بضم الهمز وكسر الموحدة المخففة من أطبق إذا جعل الشيء فوق الشيء محيطاً بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق على موضع من الأرض. والمعنى: إذا أردت أن أقلب. (**عليهم الأخشبين**) وهما جبلان يضافان إلى مكة مرة وإلى منى أخرى وهما واحد ذكره شارح. وفي الفائق: الأخشبان الجبلان المطبقان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان، والأخشب كل جبل غليظ. وفي القاموس: قعيقعان كزعيفران جبل بمكة وجهه إلى أبي قبيس (**فقال رسول الله ﷺ: بل**) أي لا أريد ذلك وإن استحقوا لكفرهم[1] بل (**أرجو أن يخرج الله من أصلابهم**) أي من أنساب بعضهم (**من يعبد الله**

(١) في المخطوطة «الكفار هم».

وحده، لا يشرك به شيئاً». متفق عليه.

٥٨٤٩ ـ (١٣) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يومَ أُحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلُتُ الدَّمَ عنه ويقول: «كيف يفلح قومٌ شجُّوا رأس نبيِّهم وكسروا رباعيتَه؟». رواه مسلم.

٥٨٥٠ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غضبُ اللّهِ على قومٍ فعلوا بنبيّه». يُشير إلى رباعيته «اشتدَّ غضبُ اللّهِ على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله».

وحده) أي من يوحده منفرداً أو ليطيعه مخلصاً **(لا يشرك به شيئا)** أي من شرك جلي أو خفي **(متفق عليه)**.

٥٨٤٩ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته)** بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية، السن الذي بين الثنية والناب. وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الأيمن **(يوم أحد وشج)** بضم شين وتشديد جيم، أي جرح رأسه فقوله: **(في رأسه)** إما من باب التجريد أو نوع من التأكيد. قال الطيبي: وهو من قبيل قوله يجرح في عراقيبها نصلي بولغ في الشج، حيث أوقع الرأس ظرفاً للشج. يعني فكأنه قال: وأوقع الشج في رأسه تضميناً. **(فجعل يسلت)** بضم اللام أي يزيل **(الدم عنه. ويقول:)** أي استعظاماً واستعجاباً **(كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته)** عن الزهري: أنه ضرب وجه رسول الله ﷺ يوم أحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها، ذكره السيوطي في حاشية البخاري. ولعل وجهه حصول المشاركة له مع السبعين من الشهداء إلاّ أن الله عصمه لقوله: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة ـ ٦٧] وإنما حصل له بعض الأثر من الشج والكسر لتحقيق الثواب والأجر ولإظهار مقتضى الأوصاف البشرية من العجز والضعف والتأثير المناسبة للعبودية، وموجب نعت الكبرياء والعظمة والاستغناء والقوّة والقدرة الملائمة للربوبية. **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه.

٥٨٥٠ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته)** حال من رسول الله وعامله قال وقع مفسراً لمفعول فعلوا هذا. **(اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله)** لعل حذف العاطف بين الفصلين للإشارة إلى أنهما حديثان مستقلان جمع بينهما الراوي. ويؤيده تكرار اشتد غضب الله

الحديث رقم ٥٨٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ١٧٣. حديث رقم ٥٧٢٢. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٧ حديث رقم (١٠٤ ـ ١٧٩١). وأخرجه الترمذي ٥/ ٢١١ حديث رقم ٣٠٠٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١٤٧ حديث رقم ٣٤٦٤ وأحمد في المسند ٣/ ٢٨٨.

الحديث رقم ٥٨٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٧٢. حديث رقم ٤٠٧٣. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٧ حديث رقم (١٠٦ ـ ١٧٩٣). وأحمد في المسند ٢/ ٣١٧.

متفق عليه.

وهذا الباب خالٍ عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٥١ - (١٥) عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألتُ أبا سلمة بنَ عبد الرحمن عن أوّل ما نزل من القرآن؟ قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ قال أبو سلمة: سألتُ جابراً عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت لي. فقال لي جابر: لا أُحدثك إلا بما

أو للإشعار بأن كل واحد منهما يستحق ما ذكر دفعاً لتوهم الاشتراك ولم يأت بأو كيلا يظن الشك. قال الطيبي: يحتمل أن يراد به الجنس وأن يراد به نفسه وضعاً للظاهر موضع المضمر إشعاراً بأن من يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن إلا أشقى الناس، والذي قتله رسول الله ﷺ هو أبي بن خلف. قال النووي: وقوله في سبيل الله، احتراز عمن يقتله في حد أو قصاص، لأن من يقتله في سبيل الله كان قاصداً له ﷺ **(متفق عليه، وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)** تقدم توجيهه مراراً.

(الفصل الثالث)

٥٨٥١ - **(عن يحيى بن أبي كثير)** قال المؤلف: يكنى أبا النصر اليماني مولى لطيىء أصله بصري صار إلى اليمامة رأى أنس بن مالك وسمع عبد الله بن قتادة وغيره، روى عنه عكرمة والأوزاعي وغيرهما. **(قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمٰن)** قال المؤلف: روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول، ومن مشاهير التابعين وأعلامهم. ويقال إن اسمه كنيته، وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم وروى عنه الزهري ويحيى بن أبي كثير والشعبي وغيرهم **(عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾)** فيه اشتباه الحال على الراوي فإن نزول **﴿يا أيها المدثر﴾** كان بعد فترة الوحي كما علم مفصلاً في حديث عائشة فأوّليته إضافية كما قدمناه، أو أوّليته مخصوصة بالإنذار فيفيد أنه أوّل الوحي بالرسالة وأن ما قبله كان نسبته النبوّة والله أعلم. **(قلت: يقولون)** أي الجمهور أو بعض العلماء **(﴿اقرأ باسم ربك﴾)** أي هو أوّل ما نزل **(قال أبو سلمة: سألت جابراً عن ذلك)** أي مثل سؤالك **(وقلت له مثل الذي قلت لي)** أي في جوابه للسؤال مما يعود فيه من الإشكال **(فقال لي جابر: لا أحدثك إلاّ بما)** أي

الحديث رقم ٥٨٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٦٧٦. حديث رقم ٤٩٢٢. ومسلم في صحيحه ١/١٤٤ حديث رقم (٢٥٧ . ١٦١). وأحمد في المسند ٣/٣٠٦.

ما حدَّثنا رسولُ

الله ﷺ قال: «جاوَرْتُ بحراءٍ شهراً، فلمَّا قضيت جواري هبطتُ، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أَرَ شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أَرَ شيئاً، ونظرت عن خلفي فلم أَرَ شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثّروني، فدثّروني، وصبُّوا عليّ ماءً بارداً، فنزلت: ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر وربَّك فكبّر وثيابك فطهّر والرجز فاهجر**﴾ وذلك قبل أن تفرض الصلاة. متفق عليه.

بمثل (**ما حدثنا رسول الله ﷺ**) أي به من غير تغييره مما يدل على أنه أوّل ما نزل بتقديره (**قال: جاورت بحراء شهراً**) فيه إشعار بأن أيام الفترة كانت شهراً (**فلما قضيت جواري**) بكسر الجيم أي مجاورتي واعتكافي (**هبطت**) أي نزلت، وفيه ايماء إلى أنه ثاني الحال لأن نزول اقرأ كان في غار حراء كما سبق من المقال (**فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت عن خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً**) وقد سبق عن جابر أيضاً أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي. قال: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء الحديث. فهو صريح بأن مراده الأوّل الإضافي (**فأتيت خديجة. فقلت: دثروني فدثروني وصبوا عليّ ماءً بارداً**) لعل محل الصب الوجه لدفع الغشيان فلا ينافي ما قبله مما يدل على البرودة الناشئة من الخفقان (**فنزلت: ﴿يا أيا المدثر فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾**) قال الطيبي: قوله لا أحدثك الخ، إخبار عما سمع واعتقد من أن أوّل ما نزل من القرآن: ﴿**يا أيها المدثر**﴾ لكن لا يدل على المطلوب لأنه قال في آخره فقلت: دثروني، فنزلت: ﴿**يا أيها المدثر**﴾. وقد سبق في حديث عائشة أن أوّل ما نزل من القرآن ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾. اهـ. فالجمع بما قدمناه كما لا يخفى ولذا قال بعض المحققين: قول من قال إن أوّل ما نزل يا أيها المدثر ضعيف، والصواب أن أوّل ما نزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة. وأما يا أيها المدثر فكان نزولها بد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن جابر، ويدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها المدثر**﴾. وقال النووي: وقول من قال من المفسرين أن أوّل ما نزل الفاتحة فباطل وفيه بحث لأنه يمكن أن يقال مراده أوّل سورة نزلت بكمالها، وأوّل سورة بالمدينة على القول بأنها مدنية، أو أوّل سورة بعد اقرأ والمدثر. فيكون أوليتها أيضاً اضافية ويؤيده قوله: (**وذلك**) أي نزول المدثر (**قبل أن تفرض الصلاة**) أي مطلق الصلاة المتوقف صحتها أو كمالها على قراءة الفاتحة والله أعلم (**متفق عليه**).

(٥) باب علامات النبوة

الفصل الأول

٥٨٥٢ ـ (١) عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقَّ عن قلبه، فاستخرج منه عَلَقَةً فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ وأعاده في مكانه، وجاء

(باب علامات النبوّة)

(الفصل الأوّل)

٥٨٥٢ ـ (عن أنس رضي الله عنه: **أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان**) بكسر الغين أي الصبيان (**فأخذه فصرعه**) أي فطرحه وألقاه على قفاه (**فشق عن قلبه**) أي عن جانب قلبه وشقه (**فاستخرج**) وفي جامع الأصول: واستخرجه فاستخرج (**منه علقة**) بفتحتين أي دماً غليظاً وهو أم المفاسد والمعاصي في القلب. (**فقال: هذا حظ الشيطان منك**) أي نصيبه لو دام معك (**ثم غسله**) أي قلبه أو جوفه أو محل شقه (**في طست**) بفتح الطاء ويكسر وبسين مهملة وتاؤه بدل من السين الأخيرة. قال ابن الملك في شرح المشارق: الطست بفتح الطاء وفيها لغات طس وطس وطست وطست وطسة وطسة بالفتح والكسر في جميعها. وقوله: (**من ذهب**) لعله اختير لما فيه من معنى الذهاب ولا ينافيه حرمة استعماله في الشريعة المطهرة، إما لكون الملائكة غير مكلفين بأفعالنا، أو لوقوعه قبل تقرير الأحكام (**بماء زمزم**) استدل به على أنه أفضل مياه العالم حتى ماء الكوثر. لكن الماء الذي نبع من بين أصابعه ﷺ فلا شك أنه أفضل المياه على الإطلاق لكونه من أثر يده الشريفة، وماء زمزم من أثر قدم إسماعيل المنيفة، وبون بين بينهما ولأن الإِعجاز الكائن في يده ﷺ أبلغ. نعم قد يقال ماء فمه المبارك أكمل من الكل ولو مزج بماء غيره. ولعل العارف ابن الفارض أشار إليه بقوله:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(**ثم لأمه**) بلام فهمز أي أصلح موضع شقه (**وأعاده**) أي القلب المخرج على ما يدل عليه رواية الجامع السابقة (**في مكانه**) والواو لمطلق الجمع، فلا ينافيه أن الالتئام بعد الإِعادة. قال التوربشتي: يقول: لأمت الجرح والصدع إذا شددته فالتأم، يريد أنه سواه وأصلحه. (**وجاء**

الحديث رقم ٥٨٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٤٧ حديث رقم (٢١١ ـ ١٦٢) وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٤.

الغلمانُ يسعونَ إِلى أمه، يعني ظئره، فقالوا: إنَّ محمَّداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقعُ اللون قال أنس: فَكنتُ أرى أثر المخيطِ في صدره. رواه مسلم.

٥٨٥٣ ـ (٢) وعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن». رواه مسلم.

الغلمان) أي الذين كانوا يلعبون معه في الصحراء **(يسعون)** أي يسرعون **(إلى أمه)** أي الرضاعية **(يعني)** أي يريد أنس بأمه **(ظئره)** أي مرضعته حليمة **(فقالوا: إن محمداً قد قتل)** لأن تصوّر حياته بعد شق البطن ومعالجاته من خوارق العادة وعلامة النبوّة. **(فاستقبلوه)** أي توجه جمع من قومها إليه فرأوه **(وهو منتقع اللون)** بفتح القاف أي متغيره. ففي القاموس: انتقع لونه مجهولاً إذا تغير. وقال التوربشتي: يقال: انتقع لونه إذا تغير من حزن أو فزع، وكذلك امتقع بالميم. وهذا الحديث وأمثاله مما يجب فيه التسليم ولا يتعرض له بتأويل من طريق المجاز إذ لا ضرورة في ذلك، إذ هو خبر صادق مصدوق عن قدرة القادر. اهـ. وزبدة ما قيل فيه أنه صار بهذا مقدس القلب منوّره ليستعد لقبول الوحي ولا يتطرق إليه هواجس النفس ويقطع طمع الشيطان عن إغفاله، كما يشير إليه قوله: هذا حظ الشيطان منك. **(قال أنس: فكنت أرى أثر المخيط)** بكسر الميم أي الإبرة **(في صدره)** ولعل مراده بهذا أن أمر الشق كان حسياً لا معنوياً. واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصاً به أو وقع لغيره من الأنبياء أيضاً. وقد وقع الشق له ﷺ مراراً، فعند[1] حليمة وهو ابن عشر ثم عند مناجاة جبريل عليه السلام له بغار حراء، ثم في المعراج ليلة الإسراء. **(رواه مسلم)** وكذا النسائي.

٥٨٥٣ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ)** أي ويقول السلام عليك يا نبي الله، كما ورد في رواية. **(قبل أن أبعث)** قيل: إنه الحجر الأسود كذا في بعض حواشي الشفاء، ويمكن أن يكون الحجر المتكلم المعروف بزقاق الحجر بين المسجد وبين بيت خديجة رضي الله عنها. **(إني لأعرفه الآن)** تقرير لقوله: إني لأعرف، واستحضار له كأنه يسمع كلامه الآن. هذا خلاصة كلام الطيبي. ويمكن أن يكون التقدير: إني لأعرفه الآن بالوصف المذكور، فإنه ينبغي وجوده بالأولى من الحالة الأولى، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله»[2]. وفيه إيماء إلى أنه مبعوث إلى كافة الخلق كما بينته في شرح كلام شيخنا جمال الدين محمد البكري عند قوله: خليفتك على كافة خليقتك. **(رواه مسلم.)** وكذا الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه.

---

(١) في المخطوطة «عند».

الحديث رقم ٥٨٥٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (٢ . ٢٢٧٧). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٤. وأخرجه الدارمي ١/ ٢٤ حديث رقم ٢٠.

(٢) وأخرجه الدارمي والترمذي نحوه. الدارمي حديث رقم ٢١. والترمذي حديث رقم ٣٢٢٦.

٥٨٥٤ ـ (٣) وعن أنسٍ، قال: إن أهل مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُريَهم آية، فأراهم القمر شِقَّتين حتى رأوْا حراءَ بينهما. متفق عليه.

٥٨٥٥ ـ (٤) وعن ابن مسعود، قال: انشقَّ القمر على عهدِ رسولِ الله ﷺ فِرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدَدوا». متفق عليه.

٥٨٥٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: إن أهل مكة)** أي كفارهم **(سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم)** أي يظهر **(لهم آية)** أي علامة دالة على نبوّته ورسالته **(فأراهم القمر شقتين)** بكسر فتشديد أي قطعتين مفصولتين **(حتى رأوا حراء بينهما)** بأن كانت شقة فوق الجبل وشقة دونه كما سيأتي **(متفق عليه)**.

٥٨٥٥ ـ **(وعن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله)** أي في زمانه ﷺ **(فرقتين)** أي قطعتين متفارقتين **(فرقة فوق الجبل)** أي جبل حراء **(وفرقة دونه)** والمراد أنهما تباينتا، فإحداهما إلى جهة العلو والأخرى إلى السفل. **(فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا)** أي على نبوّتي أو معجزتي من الشهادة. وقيل: معناه احضروا وانظروا من الشهود. **(متفق عليه)** قال الزجاج: زعم قوم عدلوا عن القصد وما عليه أهل العلم، أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين [في] اللفظ بقوله تعالى: ﴿**وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾ [القمر ـ ٢]. فكيف يكون هذا يوم القيامة وقوله: سحر مستمر. أي مطرد يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات سابقة. وقال الإمام فخر الدين الرازي: إنما ذهب المنكر إلى ما ذهب لأن الانشقاق أمر هائل ولو وقع لعم وجه الأرض ويبلغ مبلغ التواتر. والجواب أن الموافق قد نقله ويبلغ مبلغ التواتر، وأما المخالف فربما ذهل أو حسب نحو الخسوف. والقرآن أولى دليل وأقوى شاهد وإمكانه لا شك فيه أي عقلاً، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه. وأما امتناع الخرق والالتئام فحديث اللئام. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: إنما هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم وقل من يتفكر في السماء وينظر إليها. وفي شرح السنة: هذا شيء طلبه قوم خاص على ما حكاه أنس فأراهم ذلك ليلاً وأكثر الناس نيام ومستكنون بالأبنية في البراري والصحراء، وقد يتفق أن يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير من الناس، أي مع أنه قد يمتد وإنما كان ذلك قدر اللحظة التي هي مدرك البصر. ولو

الحديث رقم ٥٨٥٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٣١. حديث رقم ٣٦٣٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٩ حديث رقم (٤٦ . ٢٨٠٢). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٤ وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٧.

الحديث رقم ٥٨٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٣١. حديث رقم ٣٦٣٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٨ حديث رقم (٤٤ . ٢٨٠٠). وأحمد في المسند ١/ ٣٧٧.

٥٨٥٦ ـ (٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال أبو جهل: هل يُعفِّر محمَّدٌ وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم فقال: واللات والعزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ـ زعم لِيَطأ على رقبته ـ فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه،

دامت هذه الآية حتى يشترك فيها العامة والخاصة ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الهلاك. فإن من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أن نبيهم كان إذا أتى بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا أهلكوا كما قال تعالى في المائدة: ﴿**إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين**﴾ [المائدة ـ ١١٥]. فلم يظهر الله هذه الآية للعامة لهذه الحكمة والله أعلم. قلت: وفي نفس القضية إشارة إلى ذلك حيث شقة منه فوق الجبل وأخرى دونه، ولا شك أنه يحجب عن بعض الناس ممن يسكن من وراء الجبل، فكيف بسائر أهل الحجاز وبقية [الناس] مع اختلاف المطالع. على أن إراءة المعجزة لقوم على ما اقترحوا كناقة صالح لا يستلزم ظهورها لغيرهم.

٥٨٥٦ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه**) بتشديد الفاء المكسورة من التعفير وهو التمريغ (**في التراب**) أي هل يصلي ويسجد على التراب (**بين أظهركم**) فيما بينكم، على أن الأظهر مقحمة للإشارة إلى وقوعه على وجه الظهور أو الاستناد إلى ظهر أحد وحمايته ورعايته. قال الطيبي: يريد به سجوده على التراب، وإنما أوثر التعفير على السجود تعنتاً وعناداً وإذلالاً وتحقيراً. (**فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن.**) أي لأدوسن (**على رقبته. فأتى رسول الله ﷺ**) أي فجاءه أبو جهل (**وهو يصلي**) حال من المفعول والحال من الفاعل قوله: (**زعم**) بفتح العين أي قصد أبو جهل (**ليطأ**) أي ليضع (**رجله على رقبته**) قال ابن الملك: وفي نسخة بفتح اللام على أنه لام تأكيد. قلت: فالفعل مرفوع حينئذ. وفي نسخة زعم بكسر العين. ففي القاموس: زعم كفرح طمع. قال الطيبي: زعم وقع حالاً من الفاعل بعد الحال من المفعول، وزعم بمعنى طمع وأراد. قال في أساس البلاغة: ومن المجاز زعم فلان في غير مزعم طمع في غير مطمع لأن الطامع زاعم ما لم يستيقن. (**فما فجئهم**) بكسر الجيم ويفتح. ففي القاموس: فجئه كسمع ومنع هجم عليه وأتاه بغتة أي فما أتى قومه فجاءة. (**منه**) أي من النبي ﷺ أو من إتيانه إليه (**إلا وهو**) أي والحال أنه أي أبو جهل (**ينكص**) بكسر الكاف ويضم أي يرجع (**على عقبيه**) أي قهقرى (**ويتقي بيديه**) أي يحذر بهما ويدفع شيئاً بسببهما. قال الطيبي: المستثنى فاعل فجيء. أي فما فجيء أصحاب أبي جهل من أمر أبي جهل إلا نكوص عقبيه وقد سد الحال هنا مسد الفاعل وفيه إرخاء عنان الكلام لا للفظ. قيل: كما سدت مسد الخبر في ضربي زيداً قائماً، ففي الكلام ميل إلى المعنى دون اللفظ. ويجوز أن يكون الضمير في فجيء راجعاً إلى أبي جهل وفي منه

الحديث رقم ٥٨٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٤ حديث رقم (٣٨ . ٢٧٩٧).

فقيل له ما لك؟ فقال: إن بيني وبينَه لخندقاً من نارٍ وهولاً، وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضْواً عُضْواً». رواه مسلم.

٥٨٥٧ ـ (٦) وعن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذا أتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقَة، ثم أتاه الآخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل. فقال: «يا عدي! هل رأيت الحِيرة؟ فإن طالت بك حياةٌ فلترينَّ الظعينة

إلى الأمر، أي فما فجيء أبو جهل أصحابه كائناً من الأمر على حال من الأحوال، إلاّ على هذه الحال هذا. وفي القاموس: نَكص على عصبيه نكوصاً رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير. ووهم الجوهري في إطلاقه أو في الشر نادر. قلت: الحديث يدل على استعماله في الشر وكذا آية: ﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾ [الأنفال ـ ٤٨]. ثم صنيع القاموس يشعر أنه بضم الكاف في المضارع. لكن اتفق القراء على كسره، حتى لم يوجد في الشواذ أيضاً. نعم قال الزجاج: يجوز ضم الكاف ذكره الكرماني في قوله تعالى: ﴿على أعقابكم تنكصون﴾ [المؤمنون ـ ٦٦]. (**فقيل له:**) أي لأبي جهل (**ما لك**) أي ما حصل لك من المنع وما وقع لك من الدفع (**فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً**) بفتح فسكون، أي خوفاف وأمراً شديداً. (**وأجنحة**) جمع جناح الطائر وهو الملائكة الذين يحفظونه. ويؤيده ما ذكره الراوي (**فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني**) أي قرب عندي (**لاختطفته الملائكة**) أي استلبته بسرعة (**عضواً عضواً**) والمعنى لأخذ كل ملك عضواً من أعضائه (**رواه مسلم**).

٥٨٥٧ ـ (**وعن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ**) أي حاضراً وقاعداً (**إذ أتاه رجل فشكا**) بالألف وفي نسخة بالياء على أنه لغة في الواو كما في القاموس. (**إليه الفاقة**) أي الفقر وشدة الحاجة (**ثم أتاه الآخر**) وفي نسخة آخر وهو الأظهر. (**فشكا إليه قطع السبيل**) أي بسبب قطاع الطريق أو لقلة الزاد وعدم علف الدواب وطمع أهل البادية وتعرضهم للقافلة. (**فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة**) بكسر الحاء وهو البلد القديم بظهر الكوفة ومحلة معروفة بنيسابور على ما في النهاية. والظاهر أن المراد بها الأوّل لأنه المعروف عند العرب ولذا اقتصر عليه شارح وإن كان الثاني أغرب أو أعذب. قيل: وأجاب عدي: ما رأيتها لكن أنبئت عنها. أقول: ويمكن أن يكون رأيت بمعنى علمت وأن لا يتوقف الكلام على جوابه، حيث قال: (**فإن طالت بك حياة فلترين**) بفتحات متواليات أي فلتبصرن. (**الظعينة**) أي المرأة المسافرة، وقيل لها ذلك لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل: الظعينة المرأة في الهودج. ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج. كذا في النهاية. وقال شارح: الظعينة المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظعينة. والمراد هنا المرأة سواء كانت في الهودج أو لا. أقول كونها في الهودج أبلغ في المعنى المراد على ما يدل

الحديث رقم ٥٨٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٠. حديث رقم ٣٥٩٥. وأحمد في المسند ٤/ ٢٥٧.

ترتحلُ من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخافُ أحداً إلا الله، ولئن طالت بك حياةٌ لتُفتحنَّ كنوزُ كسرى، ولئن طالت بك حياةٌ لترينَّ الرجلَ يخرج ملء كفه من ذهبٍ أو فضَّةٍ يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه، وليَلْقيَنَّ اللَّهَ أحدُكم يومَ يَلْقَاهُ وليس بينَه وبينَه تَرجمان يترجم له، فليقولنَّ: ألم أبعثْ إليك رسولاً فيبلّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأُفضّل عليك؟ فيقول: بلى؛ فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم،

عليه قوله: **(ترتحل من الحيرة)** أي وحدها **(حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله)** روي أنه قال عدي قلت في نفسي فأين رعاة طيىء. **(ولئن طالت بك حياة لتفتحن)** بصيغة المجهول من الفتح وفي نسخة من باب الافتعال. يقال: افتتحت واستفتحت طلبت الفتح، والمعنى لتؤخذن. **(كنوز كسرى)** أي على وجه الغنيمة. قال عدي: كسرى بن هرمز. قال ﷺ: كسرى ابن هرمز، وفي القاموس: كسرى بالفتح. ملك الفرس معرب خُسْرَوْ أي واسع الملك. **(ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه)** أي مثلاً **(من ذهب أو فضة)** أي من نوعي النقدين يعني تارة من هذا ومرة من هذا ويحتمل أن تكون[1] أو بمعنى الواو أو للشك. **(يطلب من يقبله)** أي واحداً منهما أو ما ذكر **(فلا يجد أحداً يقبله منه)** أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان أو لاستغناء قلوبهم والاكتفاء بما عندهم والقناعة بما في أيديهم. فقيل: إنما يكون ذلك بعد نزول عيسى عليه السلام، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز مما يصدق الحديث، وبذلك جزم البيهقي. قيل: ولا شك في رجحان هذا الاحتمال لقوله في الحديث: ولئن طالت بك حياة. قلت: لا شك في رجحان الأول لقول عدي الآتي: ولئن طالت بكم حياة لترون. والحاصل أن قضية الشرطية لا تستلزم الوقوع. **(وليلقين)** عطف على صدر الحديث وقوله: **(الله)** مفعول مقدم قدم للاهتمام وتعظيم المقام وفاعله **(أحدكم)** وظرفه قوله: **(يوم يلقاه)** وهو يحتمل إعرابين كما لا يخفى في الضميرين، وكذا الحال في قوله: **(وليس بينه وبينه ترجمان)** بفتح أوّله وضم الجيم ويضمان ويفتحان كما في نسختين، أي مترجم يترجم له. يعني بل يكون اللقى والكلام بلا واسطة. قال صاحب المشارق: هو بفتح التاء وضم الجيم وضبطه الأصيلي بضمهما. اهـ. وفي النهاية: الترجمان بالضم والفنح الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى والتاء والنون زائدتان. وفي القاموس: الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان وقد ترجمه، وعنه والفعل يدل على أصالة التاء. وفي المفاتيح: هو على وزن زعفران ويجوز بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما والله أعلم. **(فليقولن)** أي الله سبحانه **(ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك)** بالنصب مشدداً ويخفف **(فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل)** بالجزم من الإفضال، أي ألم أحسن إليك ولم أنعم عليك. والاستفهام للتقرير، يعني: أعطيتك المال وأنعمت عليك بالكمال ومكنتك من انفاقه والاستمتاع منه والصرف على أهل استحقاقه. **(فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنّم)** لتركه

---

(١) في المخطوطة «يكون».

وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، اتقوا النار ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيّبة» قال عديّ: فرأيت الظَّعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمُز، ولئن طالت بكم حياةٌ لتَروُنَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يخرج ملء كفّه». رواه البخاري.

٥٨٥٨ ـ (٧) وعن خبَّاب بن الأرتّ،

الطاعات (**وينظر عن يساره فلا يرى إلاّ جهنم**) لارتكابه السيئات. والظاهر أنهما كنايتان عن الإحاطة وأن الخلاص منها ليس إلاّ بالمرور عليها، كما قال تعالى: ﴿**وإن منكم إلاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا**﴾ [مريم ـ ٧١ و٧٢]. أي بالإيمان والإحسان، ولذا قال: (**اتقوا النار ولو بشق تمرة**) أي بنصفها أو ببعضها (**فمن لم يجد فبكلمة طيبة**) أي من الباقيات الصالحات وهي أنواع الأذكار والدعوات أو بكلمة طيبة للسائل بقرينة ما قبله وهو الوعد على قصد الوفاء، أو الدعاء مع حسن الرجاء. وهذا الذي سماه الله تعالى: قولاً معروفاً وقولاً ميسوراً. قال الطيبي: فإن قلت: ما وجه نظم هذا الحديث، قلت: لما اشتكى الرجل الفاقة والخوف وهو العسر. المعنى في قوله تعالى: ﴿**إن مع العسر يسراً**﴾ [الشرح ـ ٦]. وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد. أجاب عن السائل في ضمن بشارة لعدي وغيره من الصحابة باليسر والأمن، ثم بين أن هذا اليسر والغنى الدنيوي عسر في الآخرة وندامة الأمن وفقه الله تعالى بأن سلطه على إنفاقه فيصرفه في مصارف الخير. ونظيره حديث علي رضي الله عنه: «كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة إلى قوله: أنتم اليوم خير منكم يومئذ»[1]. وقد سبق في باب تغير الناس. (**قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله**) أي كما أخبر به رسول الله ﷺ (**وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز**) بضم الهاء والميم زاد في المصابيح الذي في الأبيض. قال شارح له: أراد القصر الأبيض الذي كان بالمدائن. يقال له بالفارسية: يغد كوشك. (**ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال**) أي مؤدي ما قال (**النبي**) وهو الرجل الذي يخرج ملء كفه الخ فقوله: (**أبو القاسم ﷺ**) بدل أو عطف بيان للنبي. وقوله: (**يخرج ملء كفه**) بدل أو بيان لقوله ما قال. والمعنى: يخرج الرجل كما في نسخة فهو نقل بالمعنى مختصر، أو الرجل يخرج على ما سبق في الأصل فهو نقل باللفظ مقتصراً. (**رواه البخاري**).

٥٨٥٨ ـ (**وعن خباب**) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى (**ابن الأرت**) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية. قال المؤلف: يكنى أبا عبد الله التميمي وإنما لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وهو ممن

---

(١) راجع المشكاة ٣/ ٤٧٤ حديث رقم ٥٣٦٦.

الحديث رقم ٥٨٥٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٩. حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٦/ ٣٩٥.

قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردةً في ظلِّ الكعبة وقد لقينا من المشركين شدَّةً، فقلنا: ألا تدعو اللهَ، فقعد وهو مُحمَّرٌ وجهه وقال: «كانَ الرجلُ فيمن كان قبلكم يُحْفَرُ له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بمنشار، فيوضع فوق رأسه فيشقُّ باثنين، فما يَصُدُّه ذلك عن دينه، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب. وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتِمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنّكم تستعجلون».

عذب في الله على إسلامه فصبر، نزل الكوفة ومات بها روى عنه جماعة. **(قال: شكونا)** أي الكفار **(إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة [في ظل الكعبة]**) أي كساء مخططاً والمعنى جاعل البردة وسادة له، من توسد الشيء جعله تحت رأسه. **(وقد)** وفي نسخة ولقد **(لقينا)** أي رأينا وحصل لنا **(من المشركين)** أي من كفار مكة **(شدة)** أي محنة شديدة **(فقلنا: ألا تدعو الله)** أي لنا على المشركين فإنهم يؤذوننا **(فقعد وهو محمر وجهه)** من أحمر بتشديد الراء إذا اشتدت حرارته. **(وقال: كان الرجل)** اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى نكرة **(فيمن قبلكم يحفر له)** بصيغة المجهول أي يجعل له حفرة **(في الأرض)** قيد واقعي اتفاقاً **(فيجعل فيه فيجاء بمنشار)** بالنون ويروى بالهمزة وإبدالها ياء، وهو آلة يشق بها الخشبة. **(فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين)** أي فيقطع نصفين **(فما يصده [ذلك]**) أي فلا يمنعه ذلك العذاب الشديد **(عن دينه ويمشط)** بصيغة المجهول مخففاً والمعنى يشوك **(بأمشاط الحديد)** بفتح الهمزة جمع المشط، وهو ما يتمشط به الشعر. **(ما دون لحمه)** أي ما تحت لحم ذلك الرجل أو غيره وهو الظاهر. **(من عظم وعصب)** بفتحتين قال الطيبي: من بيان لما، وفيه مبالغة بأن الأمشاط لحدتها وقوّتها كانت تنفذ من اللحم إلى العظم وما يلتصق به من العصب. **(وما يصده ذلك عن دينه)** جملة حالية **(والله ليتمن)** بفتح الياء وكسر التاء وتشديد الميم، أي ليكملن. **(هذا الأمر)** أي أمر الدين. وفي نسخة بصيغة المجهول، وفي أخرى بضم حرف المضارعة وكسر التاء، على أن الفاعل هو الله. وقوله: هذا الأمر، منصوب على المفعولية وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ [التوبة ـ ٣٣] ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾ [التوبة ـ ٣٢]. **(حتى يسير الراكب)** أي رجل أو امرأة وحده **(من صنعاء)** بلد باليمن **(إلى حضرموت)** موضع بأقصى اليمن وهو بفتح الميم غير منصرف للتركيب والعلمية. وقيل: اسم قبيلة، وقيل: موضع حضر فيه صالح عليه السلام فمات فيه، وحضر جرجيس فمات فيه ذكره شارح، وتبعه ابن الملك. وفي القاموس: حضرموت وبضم الميم بلد وقبيلة. ويقال: هذا حضرموت ويضاف، فيقال: حضرموت بضم الراء وإن شئت لا تنوّن الثاني. **(لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه)** وفي نسخة بالواو وهو يحتمل أن يكون بمعنى أو يكون، أو بمعنى الواو للجمع أو للشك. وعلى كل تقدير فلا يخفى ما فيه من المبالغة في حصول الأمن وزوال الخوف، فاندفع ما قيل من أن سياق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما هو في الجاهلية، لا الأمن من عدوان الذئب فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام. **(ولكنكم تستعجلون)** أي سيزول عذاب المشركين فاصبروا على أمر الدين كما صبر من سبقكم

رواه البخاري.

٥٨٥٩ ـ (٨) وعن أَنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يدخل على أم حَرَام بنت ملحان، وكانت تحت عُبادةَ بنِ الصامتِ، فدخل عليها يوماً فأطعمته؛ ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله! قال: «ناسٌ من أُمَّتي عرضُوا عليَّ غزاةً في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرَّة، أو مثل الملوك على الأسرَّة».

من المؤمنين على أشد من عذابكم لقوّة اليقين. (رواه البخاري) وكذا أبو داود والنسائي.

٥٨٥٩ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان)** بكسر الميم وهو ابن خالد وهي خالة أنس نسباً وهي وأمه أم سليم من خالات النبي ﷺ رضاعاً أو نسباً. قال النووي: اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ واختلفوا في كيفية ذلك. فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده عبد المطلب وكانت أمه من بني النجار. وقد سبق ذكر وجه الدخول عليها في حديث أختها أم سليم مع زيادة تحقيق فتذكر. **(وكانت تحت عبادة بن الصامت)** أي زوجته. قال المؤلف: أسلمت وبايعت وماتت غازية مع زوجها بأرض الروم وقبرها بقبرس. روى عنها ابن أختها أنس بن مالك وزوجها عبادة. قال ابن عبد البر: لا أقف لها على اسم صحيح غير كنيتها، وكان موتها في خلافة عثمان **(فدخل)** أي النبي ﷺ **(عليها يوماً فأطعمته ثم جلست تفلي)** بكسر اللام مخففة أي تفتش **(رأسه)** أي شعر رأسه **(فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ)** أي انتبه بعد نوم كثير **(وهو يضحك. قالت: فقلت: ما يضحكك)** بضم الياء وكسر الحاء أي أي شيء يبعثك على الضحك. **(يا رسول الله)** فإن مثلك لا يضحك بلا سبب من أمر عجب **(قال: ناس)** أي جمع **(من أمتي عرضوا على غزاة)** أي حال كونهم مجاهدين **(في سبيل الله)** أي مع الكفار **(يركبون ثبج هذا البحر)** بفتح مثلثة وموحدة فجيم أي وسطه ومعظمه **(ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة)** الظاهر أن أوشك من الراوي، وهو إما حال أو صفة مصدر محذوف، أي يركبون ملوكاً على الأسرة أو ركوباً مثل ركوب الملوك على الأسرة. قال الطيبي: شبه ثبج البحر بظهر الأرض والسفينة بالسرير وجعل الجلوس عليها مشابهاً لجلوس الملوك على أسرتهم إيذاناً بأنهم بذالون لأنفسهم ويرتكبون هذا الأمر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم من مناهم كالملوك على أسرتهم. وفي شرح مسلم قيل: هو صفة لهم في الآخرة إذا دخلوا الجنة. والأصح أنه صفة لهم في الدنيا، أي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم

الحديث رقم ٥٨٥٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠. حديث رقم ٢٧٨٨. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥١٨ حديث رقم (١٦٠ ـ ١٩١٢). والترمذي في السنن ٤/ ١٥٢ حديث رقم ١٦٤٥. والنسائي ٦/ ٤١ حديث رقم ٣١٧١. ومالك في الموطأ ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٣٩ من كتاب الجهاد. وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٠.

فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله! ما يضحكك؟ قال: «ناسٌ من أمتي عرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله». كما قال في الأولى. فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنتِ من الأوَّلين». فركبت أمُّ حَرام البحر في زمنِ معاوية، فصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت. متفق عليه.

٥٨٦٠ ـ (٩) وعن ابن عبَّاس، قال: إن ضِماداً قَدِمَ مكةَ وكانَ من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذا الريح، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت

واستقامة أمرهم وكثرة عددهم. اهـ. وفيه إشعار بأن الحال مقدرة على المعنيين بخلاف ما قرره الطيبي فإنها حينئذ محققة. (**فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فدعا لها**) فيه التفات أو تجريد أو نقل بالمعنى أو من كلام أنس. (**ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله ما يضحكك**) أي الآن (**قال: ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله كما قال**) أي النبي ﷺ (**في الأولى**) أي في المقالة الأولى، وهو من كلام الراوي اختصاراً. (**فقلت:**) أي ثانياً (**يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأوّلين**) فيه إيماء إلى أن مرتبة الأوّلين فوق مرتبة الآخرين. (**فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية**) أي في أيام ولاية معاوية فلا ينافي ما تقدم من أن موتها في خلافة عثمان. (**فصرعت عن دابتها**) بصيغة المجهول أي فسقطت عن ظهر مركبها. (**حين خرجت من البحر فهلكت**) أي ماتت، ونظيره قوله تعالى: ﴿**حتى إذا هلك**﴾ [غافر ـ ٣٣]. أي مات يوسف. (**متفق عليه.**) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي.

٥٨٦٠ ـ (**وعن ابن عباس قال: إن ضماداً**) بكسر الضاد ويضم وتخفيف الميم وبدال في آخره، ويروى ضمام بميم في آخره. (**قدم مكة**) بكسر الذال، أي نزل بها من سفر (**وكان من أزد شنوءة**) بفتح أوّله وضم نون فواو ساكنة فهمزة فهاء، قبيلة كبيرة من اليمن والأزد قبيلة منها. قال ابن الملك: هو بضم الضاد المعجمة وكسرها اسم رجل، كان صديقاً للنبي ﷺ قبل أن يبعث. وقال المؤلف: هو ضماد بن ثعلبة الأزدي كان يتطيب ويطلب العلم، أسلم في أوّل الإسلام. (**وكان يرقي**) بكسر القاف أي يعالج الداء بشيء يقرأ ثم ينفث. (**من هذا الريح**) قال الطيبي: الإشارة بهذا إلى جنس العلة له، وذكره باعتبار الجنون. قال التوربشتي: الإشارة بهذا إلى جنس العلة التي كانوا يرونها الريح وكأنهم كانوا يرون أن الخبل الذي يصيب الإنسان والأدواء التي كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفحات الجن فيسمونها الريح. اهـ. وقال أبو موسى: الريح هنا بمعنى الجن سموا بها لأنهم لا يرون كالريح. (**فسمع**) أي ضماد (**سفهاء [أهل] مكة**) أي جهالهم من الكفار (**يقولون أن محمداً مجنون فقال: لو أني رأيت**) أي أبصرت

الحديث رقم ٥٨٦٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩٣ حديث رقم (٤٦ . ٨٦٨). وأحمد في المسند ١/ ٣٠٢.

هذا الرجل لعلَّ اللَّهَ يشفيه على يدي. قال: فلقيه. فقال: يا محمد! إِني أرْقي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إِله إِلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد» فقال: أعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاءِ، فأعادهنَّ عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: لقد سمعت قول الكهنَة، وقول السحرة، وقول الشعراءِ، فما سمعتُ مثل كلماتك هؤلاءِ.

(**هذا الرجل**) أي بالوصف المذكور لداويته. فجوار لو مقدر والأظهر أن لو هذه للتمني كما يشير إليه قوله: (**لعل الله أن يشفيه على يدي**) أي بسببي (**قال:**) أي ابن عباس (**فلقيه**) أي محمداً فقال: (**يا محمد إني أرقي من هذا الريح فهل لك**) أي رغبة (**في أن أرقيك وأخلصك من الجنون. فقال ﷺ: إن الحمد لله**) أي ثابت له مختص به سواء حمد أو لم يحمد (**نحمده**) أي لوجوبه علينا ولعود نفعه إلينا (**ونستعينه**) أي في جميع أمورنا (**من يهده الله**) أي إلى طريق توحيده وشهود تفريده بمقتضى فضله (**فلا مضل له ومن يضلل**) أي ومن يضلله عن سواء السبيل بموجب عدله (**فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده**) أي منفرداً وهو تأكيد لما قبله كقوله: (**لا شريك له**) أو المراد بالأوّل توحيد الذات وبالثاني تفريد الصفات (**وأشهد أن محمداً عبده**) أي المختص المكرم (**ورسوله**) أي المخصوص المعظم ﷺ وشرف وكرم (**أما بعد**) أي وأراد أن يخطب له خطبة عظيمة وموعظة جسيمة تعجز عنه البلغاء ويتحير فيه الفصحاء ليعلم العقلاء أنهم بجنبه من المجانين والسفهاء (**فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء**) أي المتقدمة الدالة على جزالة الخاتمة (**فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات**) يحتمل أن يكون التثليث بالأولى كما كان له العادة، أو بغيرها كما يفيد حقيقة الإعادة مع زيادة المبالغة في مقام الإفادة وتمام الاستفادة (**فقال:**) أي ضماد (**لقد سمعت قول الكهنة**) بفتحتين جمع كاهن وهو المخبر عن الغيب بعبارات مسجعة وإشارات مبدعة (**وقول السحرة**) جمع ساحر وهو المخيل في العين والذهن من جهة قوله: أو من أجل فعله. (**وقول الشعراء**) جمع شاعر وهو المحلى باللسان في كل شأن حتى شان مازان وزان ماشان، يريد أنهم ينسبونك تارة إلى الكهانة ومرة إلى السحر وأخرى إلى الشعر، وقد سمعت مقالة أصحابها. (**فما سمعت**) أي منهم (**مثل كلماتك هؤلاء**) يعني فلو كنت منهم لأشبه كلامك كلامهم، فإذا كان كلامه أبلغ من كلام هؤلاء فلا يعده مجنوناً إلا السفهاء. ثم إنهم كانوا يرون الكهان والسحرة والشعراء أهل البلاغة والمتصرفين في القول على أي أسلوب شاؤوا. فأشار بقوله هذا إلى الإعجاز، أي جاوز كلامك حد البلاغة. وحاصله أنه ﷺ قابل كلام ضماد بما تقدم ليظهر له كمال عقله ويتبين جهل أعدائه. وقال الطيبي: طابق هذا القول منه ﷺ قول ضماد من أنه لما سمع من سفهاء أهل مكة أن محمداً مجنون اعتقد أنه كذلك، فقال: هل لك رغبة في الخلاص، كأنه ﷺ ما التفت إلى قوله ذلك وأرشده إلى الحق البحت والصدق المحض. أي إني لست بمجنون أتكلم كلام المجانين بل كلامي نحو هذا وأمثاله فتفكر فيه، هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات. ونحوه قوله تعالى: ﴿**ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين**﴾ [القلم ـ ٥١ و٥٢]. أي أنهم جننوه لأجل

ولقد بلغن قاموسَ البحرِ، هات يدك أُبايعك على الإِسلام، قال: فبايعه. رواه مسلم. وفي بعض نسخ «المصابيح»: بلغنا ناعوس البحر.

القرآن وما هو إلا ذكر وموعظة للعالمين، وكيف يجنن من جاء بمثله. قلت: بل المجنون من غفل عن ذكر الحق واشتغل بكلام الخلق، ولذا قال ﷺ: «اذكروا الله حتى يقولوا مجنون». ثم قال الطيبي: والعرب ربما استعملوا هؤلاء في غير العقلاء وقد شهد به التنزيل. قال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء ـ ٣٦]. وقال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

(ولقد بلغن) أي هؤلاء الكلمات الجامعات المحيطات بحروف كاللآلىء المنظومات التي يعجز الغوّاص عن إخراجها وإبرازها، لما من فيها من الدلالات البينة على إعجازها من كمال إيجازها. **(قاموس البحر)** [أي معظم بحر الكلام] ووسطه لجة المرام. والمعنى: بلغت غاية الفصاحة ونهاية البلاغة. قال صاحب القاموس: القمس الغوص والغمس، والقومس معظم ماء البحر كالقاموس. والقاموس البحر أو أبعد موضع فيه غوراً. **(هات)** بكسر التاء أي أعط **(يدك أبايعك)** بالجزم جواب الأمر **(على الإِسلام. قال:)** أي ابن عباس **(فبايعه)** أي النبي ﷺ **(رواه مسلم)**.

(وفي بعض نسخ المصابيح: بلغنا) أي بصيغة المتكلم مع الغير. **(ناعوس البحر)** بالنون والعين وهو تصحيف وتحريف حيث لم يذكر الناعوس في القاموس. قال التوربشتي: وفي كتاب المصابيح بلغنا وهو خطأ لا سبيل إلى تقويمه من طريق المعنى، والرواية لم ترد به. وناعوس البحر أيضاً خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من أهل الحديث. وقد وهموا فيه. والظاهر أنه سمع بعض الرواة أخطاء فيه فروي ملحوناً وهذا من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب. والصواب فيه قاموس البحر، وهو وسطه ومعظمه من القمس وهو الغوص، والقماس والغوّاص. وقال الطيبي: قوله: بلغنا خطأ إن أراد به من حيث الرواية فلا ننكره لأنا ما وجدناها في الأصول، وإن أراد بحسب المبنى فمعناها صحيحة، أي قد وصلنا إلى لجة البحر ومحل اللآلىء والدر، فيجب أن نقف عليه ونغوص فيه استخراجاً لفوائده والتقاطاً لفرائده. قلت: الشيخ نفى المعنى اللغوي الحقيقي، إذ ليس الكلام في المعنى المجازي الذي هو بإشارات الصوفية أشبه فتدبر وتنبه. قال: وأما قوله: ناعوس البحر، أيضاً خطأ فليس بصواب. أما رواية، فقد قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم: ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما بالنون والعين، وهذا هو الموجود في نسخ بلادنا. والثاني قاموس البحر بالقاف والميم، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم. قلت: هذا ما ينافي قول الشيخ، فإنه لم ينكر وجود النقل والرواية، بل يطعن فيه من حيث اللغة والدراية. قال: وقال القاضي عياض: روى بعضهم ناعوس بالنون والعين. وقال شيخنا أبو الحسين: ناعوس البحر بمعنى قاموسه. قلت: وهذا يفيد أن القاموس هو الأظهر والأكثر، وإنما جاء الناعوس في رواية، وهو لكونه لا يستقيم في المعنى، حمل على أنه بمعنى القاموس

وذكر حديثاً أبي هريرة وجابر بن سمرة «يهلك كسرى» والآخر «ليفتحنَّ عصابةٌ» في باب «الملاحم».

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٦١ ـ (١٠) عن ابن عبَّاس، قال: حدَّثني أبو سفيانَ بنُ حربٍ منْ فِيهِ إِلى فِيَّ،

وإن لم يسمع في كلام العرب. قال: وفي النهاية قال أبو موسى: ناعوس البحر كذا وقع في صحيح مسلم، وفي سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه ولجته ولعله لم يجود كيفيته فصحفه بعضهم، وليست هذه اللفظة أصلاً في مسند إسحاق بن راهويه الذي روى عنه مسلم هذا الحديث. غير أنه قرنه بأبي موسى وروايته فلعلها فيها. قال: وإنما أورد نحو هذه الألفاظ لأن الإنسان إذا طلبه ولم يجده في شيء من الكتب فتحير فإذا نظر في كتابنا عرف أصله ومعناه، قلت: وهذا كله يؤيد الشيخ فيما قرره ويؤكد ما حرره من جهة عدم صحة ما يتعلق به من الرواية. قال الطيبي: وأما دراية فقال القاضي ناصر الدين: ناعوس البحر معظمه وتحته الذي يغاص فيها لإخراج اللآلىء، من نعس إذا نام لأن الماء من كثرته لا تظهر حركته فكأنه نائم. قلت: ثبت العرش ثم انقش الفرش، فإن تحقيق الرواية مقدم على تدقيق الدراية، مع أن هذا ليس معناه اللغوي بل تكلف وتعسف في تصحيحه بالمعنى المجازي، فأنى يقاوم قول الشيخ، وهذا من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب. وأغرب الطيبي حيث قال: ومن الجائز أن يكون الناعوس حقيقة في القاموس وكانت لغة عربية خفي مكانها فلم تنقل نقلاً فاشياً. اهـ. ولا يخفى أنه إن فتحنا باب الإمكان انسد طريق التحقيق في كل مكان والله المستعان. **(وذكر حديثاً أبي هريرة وجابر بن سمرة)** بإضافة الحديثين إلى الراويتين لفاً ونشراً مرتباً، والتقدير أحدهما. **(يهلك كسرى)** أي الخ **(والآخر لتفتحن عصابة)** أي الحديث **(في باب الملاحم)** متعلق بذكر ووجهه مراراً قرر وكذا حرر توجيه قوله: **(وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)**.

(الفصل الثالث)

٥٨٦١ ـ **(عن ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان بن حرب)** بضم السين وجوّز تثليثه. واسمه صخر بمهملة فمعجمة. ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح، وشهد الطائف وحنيناً وفقئت عينه في الأولى والأخرى يوم اليرموك. توفي بالمدينة وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما. **(من فيه إلى فيّ)** من للابتداء، أي الحديث الذي أرويه انتقل من فمه إلى فمي ولم

الحديث رقم ٥٨٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٠. حديث رقم ٦. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٩٣ حديث رقم (٧٤ ـ ١٧٧٣).

قال: انطلقتُ في المدّةِ التي كانت بيني وبينَ رسولِ الله ﷺ قال: فبينا أنا بالشامِ إذ جيءَ بكتابٍ من النبيِّ ﷺ إلى هرقلَ. قال: وكانَ دحيَةُ الكلبيُّ جاء به فدفعَه إلى عظيم بُصرى، فدفعه عظيمُ بصرى إلى هرقل، فقال هرقلُ: هل هُنا أحدٌ من قومِ هذا الرَّجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم، فدُعيتُ في نفرٍ من قريشٍ، فدخلنا على هرقلَ، فأجلَسنا بينَ يدَيه، فقال: أيُّكم أقربُ نسباً من هذا الرَّجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قال أبو سفيانَ: فقلتُ: أنا، فأجلَسوني بينَ يدَيه، وأجلَسوا أصحابي خَلفي، ثمَّ دعا بتَرجُمانه فقال: قُل لهم: إني سائلٌ هذا

يكن بيننا واسطة، كذا ذكره الطيبي. والأظهر أن معناه لم يكن أحد حاضراً غيري معه، كما يدل عليه حدّثني وكذا قوله: فيّ فإنه لو كان أحد غيره لجاز أن يرويه فلا يكون التحديث منحصراً من فمه إلى فمه فقط. (قال:) أي أبو سفيان (**انطلقت**) أي سافرت (**في المدة**) أي في مدة الصلح. (**التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ**) يعني صلح الحديبية ذكره النووي. وكان سنة ست ومدتها عشر سنين، لكنهم نقضوا العهد بقتل بعض خزاعة من حلفائه ﷺ، فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة. (**قال:**) أي أبو سفيان (**فبينا أنا بالشام**) أي من أهل المقام (**إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل**) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، وهذا هو المشهور على ما في شرح مسلم. وفي نسخة بكسر الهاء والقاف وسكون الراء وهو غير منصرف للعجمة والعلمية. وهو ملك الروم ولقبه قيصر، وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث البيعة على ما في القاموس. (**قال:**) أي أبو سفيان (**وكان دحية الكلبي**) بكسر الدال ويفتح (**جاء به**) أي بالكتاب (**فدفعه إلى عظيم بصرى**) أي أميرها، وهي بضم الموحدة مقصورة. قرية بين المدينة ودمشق الشام. (**فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. فقال هرقل: هل هنا**) أي في أرض الشام (**أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي**) يعني لكي نسأل عن وصفه ليتبين لنا صدقه من كذبه. (**قالوا:**) أي بعض خدمه وحشمه (**نعم. فدعيت في نفر**) أي مع نفر من قريش وكانوا ثلاثين رجلاً. وقيل: المغيرة بن شعبة منهم، وفيه أنه سبق إسلامه لأنه أسلم عام الخندق، فيبعد أن يكون حاضراً وسكت مع كونه مسلماً. قلت: وقد يقال إنه لم يذكر فيه ما ينافي سكوته. (**فدخلنا على هرقل فأجلسنا**) بصيغة المفعول. وفي نسخة على بناء الفاعل. أي أمر هرقل بجلوسنا. (**بين يديه**) أي قدامه ليسمع كلامنا ونسمع كلامه. (**فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي**) قال العلماء: وإنما سأل قريب النسب لأنه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب في حقه. (**قال أبو سفيان: فقلت: أنا.**) أي أقرب نسباً منه. (**فأجلسوني بين يديه**) أي وحدي (**واجلسوا أصحابي خلفي**) وإنما أجلسهم خلفه ليكون أعون عليهم في تكذيبه إن كذب ولا يستحيوا منه؛ أو ليمكن لهم أن يشيروا إليه ويدلوا عليه بما هنالك، إما بإيماء يد أو بتحريك رأس ونحو ذلك. ولا يبعد أنه قصد في تقريبه تعظيمه لكونه أقرب في النسب على ما يقتضيه الأدب. (**ثم دعا بترجمانه**) بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما والفتح أفصح. وسبق أنه يجوز فتحهما وهو المعبر عن لغة بلغة أخرى ثم الباء زائدة. والتقدير دعا أحداً بإحضار ترجمانه. (**فحضر فقال: قل لهم**) أي لأصحاب أبي سفيان (**إني سائل هذا**) وفي نسخة

عنْ هذا الرجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ، فإن كذَبني فكذِّبوه. قال أبو سفيانَ: وآيمُ اللَّهِ لولا مخافةُ أن يُؤثَرَ عَلَيَّ الكذِبُ لكذبتُه، ثمَّ قال لتَرجمانِه: سَلْهُ كيف حسبُهُ فيكم؟ قال: قلتُ: هوَ فينا ذو حسَبٍ. قال: فهل كانَ منْ آبائه منْ ملِكٍ؟ قلتُ: لا. قال: فهل كنتم تتَّهمونَه بالكذِبِ قبلَ أن يقولَ ما قال؟ قلتُ: لا. قال: ومَن يتَّبعُه؟ أشرافُ الناسِ أمْ ضُعفاؤهُم؟

بالإضافة. والمعنى إني أريد أن أسأل أبا سفيان. **(عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي)** أي عن وصفه **(فإن كذبني)** بتخفيف الذال، أي فإن تكلم بالكذب لي **(فكذبوه)** بالتشديد، أي فانسبوه إلى الكذب ولا تسكتوا على الباطل وأعلموني بالحق. **(قال أبو سفيان: وأيم الله)** بهمزة وصل ويقطع وبضم ميم، وتحقيقه تقدم وهو قسم. **(لولا مخافة أن يؤثر)** بصيغة المجهول، أي يروي. **(علي الكذب)** بفتح فكسر. وفي نسخة بكسر فسكون. والمعنى: لولا خوف أن ينقلوا عني الكذب إلى قومي ويتحدثوا به. **(لكذبته)** أي لكذبت عليه لبغضي إياه. قال الطيبي: وإنما عداه بعلى لتضمن معنى المضرة أي كذب يكون على لا لي، وفي هذا بيان أن الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الإسلام. أقول: الظاهر أن معناه: لولا مخافة أن يكذبني هؤلاء الذين معي، لكذبته في تكذيبه في بعض كلامي لتحصيل مرامي. **(ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم)** الحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ذكره الجوهري. فهو أعم من النسب ولذا عدل عنه إليه. قيل: وفي البخاري كيف نسبه فيكم. وفي جامع الأصول: كيف حسبه. **(قال: قلت: هو فينا ذو حسب)** أي عظيم، فإن رسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأنا أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وليس في النفر يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري. **(قال: فهل كان من آبائه)** أي بعض أجداده وأسلافه. وفي نسخة: في آبائه، أي في جملتهم. **(من ملك)** أي من سلطان، وفي نسخة: من موصولة وملك بصيغة الماضي. أي من كان ملكاً. قال بعض المحققين: هو هكذا بحرف الجر، وملك صفة مشبهة، وهو رواية كريمة والأصيلي وأبي الوقت وابن عساكر. في نسخة، وأبو ذر عن الكشميهني: من ملك على أن من موصولة وملك فعل ماض. ولأبي ذر كما في الفتح: من آبائه ملك، بإسقاط من. والأوّل أشهر. **(قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه)** بتشديد التاء الثانية، أي تنسبونه إلى التهمة. **(بالكذب)** أي بإيقاعه **(قبل أن يقول ما قال)** أي من دعوى النبوّة **(قلت: لا. قال: ومن)** بالواو **(يتبعه)** بسكون التاء وفتح الباء. وفي نسخة: بتشديد الفوقية وكسر الموحدة. **(أشراف الناس)** أي أشرافهم. **(أم ضعفاؤهم)** قال الطيبي: وفي الحميدي وجامع الأصول: فهل يتبعه. وأم ههنا متصلة، وفي وقوعها قرينة لهل[1] إشكال، لأن هل تستدعي السؤال عن حصول الجملة، وأم المتصلة تستدعي حصولها لأن السؤال بها عن تعيين أحد المنتسبين مسنداً ومسنداً إليه. والظاهر ما في صحيح مسلم وشرحه والمشكاة:

(١) في المخطوطة «لها».

قال: قلتُ: بل ضعفاؤهُم. قال: أيزيدونَ أم ينقصونَ؟ قلتُ: لا، بل يزيدونَ. قال: هلْ يرتدُّ أحدٌ منهم عنْ دينِه بعدَ أن يدخلَ فيه سَخْطةً له؟ قال: قلتُ: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كانَ قتالُكم إياه؟ قال: قلت: يكونُ الحربُ بينَنا وبينَه سجالاً، يصيبُ منَّا ونصيبُ منه. قال: فهل يَغدِرُ؟ قلتُ: لا، ونحنُ منه في هذهِ المدَّةِ، لا ندْري ما هوَ صانعٌ فيها؟ قال: والله ما أمكنَني من كلمة أُدخلُ فيها شيئاً غيرَ هذهِ. قال: فهل قال هذا القولَ

فمن تبعه. فتكون همزة الاستفهام مقدرة في قوله: أشراف الناس. فسأل أوّلاً مجملاً ثم سأل ثانياً مفصلاً. (**قال: قلت: بل ضعفاؤهم**) المراد بالأشراف أهل النخوة والتكبر لا كل شريف، وإلا لورد مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ممن أسلم قبل سؤال هرقل كذا ذكره بعضهم. وتعقبه العيني بأن العمرين وحمزة كانوا من أهل النخوة. فقول أبي سفيان جرى على الغالب. (**قال: أيزيدون**) أي بزيادة أمثالهم (**أم ينقصون**) أي برجوع بعضهم إلى أدبارهم أو يموت بعضهم من غير جبرهم لكسرهم. (**قلت: لا**) أي لا ينقصون أبداً (**بل يزيدون**) أي دائماً (**قال: هل يرتد**) أي يرجع (**أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه**) أي بطيب نفسه (**سخطة**) بفتح السين ويضم وسكون الخاء المعجمة، أي كراهة وتعييباً. (**له**) أي لدينه، وهي مفعول له وخرج به من ارتد مكرهاً، أو لحظ نفساني. (**قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه. قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه. قال: قلت: تكون**) بالتأنيث ويذكر (**الحرب**) أي المحاربة (**بيننا وبينه سجالاً**) بكسر أوله أي مساجلة ومداولة (**يصيب منا ونصيب منه**) أي هو يقال هنا مرة لغلبته ونحن ننال منه أخرى لغلبتنا، فهو تفسير لقوله: سجالاً. وقد قال تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ [آل عمران ـ ١٤٠]. وقال الشاعر:

فيوماً علينا ويوماً لنا * ويوماً نسر ويوماً نساء

قال الطيبي: وأصله من السجل الذي هو الدلو لأن لكل واحد من الواردين دلواً مثل ما للآخر، أو لكل واحد منهم يوم في الاستقاء. ومعناه أن الحرب دول تارة له وتارة عليه. وقال غيره: السجال جمع سجل وهو الدلو الكبير، والحرب اسم جنس فصح الأخبار عنه بالجمع. وفيه تشبيه بليغ، أي الحرب نوب نوبة لنا ونوبة له. فقد وقعت المقاتلة بينه ﷺ وبينهم قبل هذه القصة في ثلاث مواطن، بدر واحد والخندق، فأصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكس في أحد وأصيب من الطائفتين ناس قليل في الخندق، فصدق أبو سفيان في كلامه سجالاً، على أنه لا يلزم منه التساوي. (**قال: فهل يغدر**) بكسر الدال من الغدر وهو نقض العهد وخلاف الوعد. (**قلت: لا**) أي ما وقع منه غدر فيما مضى (**ونحن منه**) أي على خطر (**في هذه المدة**) أي مدة الهدنة والصلح الذي جرى يوم الحديبية (**لا ندري ما هو**) أي النبي، أو الله [تعالى.] (**صانع فيها**) أي أيغدر في مدة هذا الصلح أم لا. (**قال:**) أي أبو سفيان (**والله ما أمكنني من كلمة**) أي ما قدرت على كلمة، والمراد بها جملة مفيدة. (**أدخل فيها**) أي في أثناء كلماتي (**شيئاً**) أي مما يطعن فيه في الجملة (**غير هذه**) أي غير هذه الجملة التي فيها يجوز احتمال الغدرة في مدة الهدنة (**قال: فهل قال هذا القول.**) أي من أمر النبوّة ودعوى الرسالة

أحدٌ قبلَه؟ قلتُ: لا. ثمَّ قال لتَرجمانِه: قل له: إِني سألتُك عَن حسبَه فيكم، فزعمتَ أنّه فيكم ذو حسبٍ، وكذلك الرسل تبعثُ في أحسابِ قومِها. وسألتُكَ هل كانَ في آبائه مِلكٌ؟ فزعمتَ أنْ لا، فقلتُ: لو كانَ من آبائه مَلكٌ قلتُ: رجلٌ يطلبُ مُلكَ آبائه. وسألتُكَ عن أتباعه أضعفاؤهُم أم أشرافهُم؟ فقلتَ: بل ضعفاؤهُم، وهُم أتباعُ الرُسلِ. وسألتُكَ: هل كنتم تتَّهمونَه بالكذِبِ قبلَ أنْ يقولَ ما قال؟ فزعمتَ أن لا، فعرفتُ أنَّه لم يكنْ ليدَعِ الكذِبَ على النَّاسِ ثمَّ يذهبَ فيكذب على اللَّهِ. وسألتُكَ: هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينِه بعدَ أن يدخلَ فيه سخطةً له؟ فزعمتَ أن لا، وكذلكَ الإِيمانُ إذا خالطَ بشاشتُه القلوبَ.

(أحد قبله) أي ممن سبقه من غير الأنبياء المعروفين كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى عليهم السلام (قلت: لا. ثم قال) أي بعد ما فرغ من الأسئلة الدالة على النبوّة والرسالة، وأراد أن يشرع في تبيين توجيهاتها من جهة المنقول والمعقول والعرف والعادة قال: (لترجمانه. قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت) أي فأجبت (أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها) أي توقع بعثتهم في أحساب أقوامهم. فتعديته بفي لتضمين معنى الإِيقاع. ويمكن أن يكون في بمعنى من على ما جوزه صاحب القاموس والمغني وهو ظاهر جداً، يعني عما تكلف له الطيبي لقوله: هو من باب التجريد، أي يبعث وهو ذو حسب وهو كقولك في البيضة عشرون رطلاً، وهي في نفسها هذا المقدار. قيل: والحكمة في ذلك أنه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له؛ ولا يخفى أن هذا القول إنما يستفاد من النقل ويساعده العقل. (وسألتك هل كان في آبائه ملك) أي في جملتهم أحد من الملوك. ولو روي بضم الميم لكان له وجه. (فزعمت أن لا. فقلت:) أي في نفسي بمقتضى رأيي (لو كان من آبائه ملك) أي لو كان ظهر منهم سلطان (قلت: رجل يطلب ملك آبائه) أي سلطنتهم، وهذا دليل عقلي لا يخالفه نقل. (وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم) أي أفقراء الناس وأهل خمولهم. (أم أشرافهم) أي أغنياؤهم وأهل خيولهم. (فقلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل) أي ابتداء كما هو المشاهد في أتباع العلماء والأولياء. قال النووي: وأما قوله: إن الضعفاء هم أتباع الرسل، فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفاء لا يأنفون، فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق. (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا. فعرفت أنه لم يكن ليدع) اللام لام الجحود، أي ليترك. (الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله) أي فإن من المعلوم عند كل أحد أن الكذب على الله أقبح وأشد. ولذا قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ [الأنعام ـ ٢١]. (وسألتك هل يرتد أحد عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له فزعمت أن لا. وكذلك) [بالواو]. والظاهر أن يقال: فكذلك أي لا يخرج ولا يرجع. (الإِيمان إذا خالط بشاشته) بفتح الموحدة أي أنسه وفرحه. (القلوب) أي فإن من دخل على بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل في الأباطيل، ذكره النووي. وقد عبر ﷺ عن البشاشة، تارة بالطعم وأخرى بالحلاوة. فإن من ذاق لذة شيء أحبه لا محالة ومن لم يذق لم يعرف ومن مشرب العارفين لم يغرف. ولذا قال بعض

وسألتُكَ هل يزيدونَ أم ينقصونَ؟ فزعمتَ أنهم يزيدونَ، وكذلكَ الإيمانُ حتى يتمَّ. وسألتُكَ هل قاتلتُموه؟ فزعمتَ أنّكم قاتلتُموه، فتكونُ الحربُ بينكم وبينَه سجالاً ينالُ منكم وتنالونَ منه، وكذلك الرسلُ تبتَلى، ثمَّ تكونُ لها العاقبة. وسألتُكَ هل يغدِر، فزعمتَ أنه لا يغدِر، وكذلك الرسل لا تغدِر، وسألتك هل قال هذا القولَ أحدٌ قبلَه؟ فزعمتَ أنْ لا، فقلتُ: لو كانَ قال هذا القولَ أحد قبله، قلت: رجلٌ ائتمَّ بقولٍ قيلَ قبلَه. قال: ثمَّ قال: بما

المشايخ: إنما رجع من رجع من الطريق، يعني فمن وصل مع الفريق إلى الرفيق في الأمن الداخل في البيت العتيق. وقد قال شيخ مشايخنا أبو الحسن البكري، قدس الله سره السري: الإيمان إذا دخل القلب أمن السلب. قلت: ولعل الإشارة إلى هذا المعنى والدلالة على هذا المبنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت**﴾. أي بما سوى الله. (**ويؤمن بالله**﴾. أي حق الإيمان وحق نية. ﴿**لقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾ [البقرة - ٢٥٦]. أي لا انقطاع ولا انفصال ولا اتحاد ولا اتصال. (**وسألتك هل يزيدون أم ينقصون**) ولعله ترك الواسطة وهي المساواة للإشارة إلى أن من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، لأن التوقف منفي في طور الإنسان. (**فزعمت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان**) أي يزيد بنفسه وأهله (**حتى يتم**) أي يكمل بالأمور المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها، ولذا نزل في آخر عمره ﷺ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾ [المائدة - ٣]. انجازاً لما وعده سبحانه بقوله: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾ [التوبة - ٣٢]. ونحن بحمد الله إلى الآن بعد مضي الألف من الزمان في زيادة الإيمان تحت أشعة أنواره وفي بركة لمعان أسراره المستفادة من أخباره والمستفاضة من آثاره. (**وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قاتلتموه، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه.**) أي يصيب منكم وتصيبون منه. (**وكذلك الرسل تبتلى**) وفيه ايماء إلى أن الدار دار ابتلاء. ولذا قال بعض العارفين: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار. وقد قال تعالى: ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ [الأعراف - ١٤١]. وفسر البلاء بالمحنة والمنحة، فهو من الأضداد الحاصل للعباد. والغالب أن البلاء لأهل الولاء، كما أشار إليه ﷺ بقوله: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء»[(١)]. (**ثم تكون لها**) أي للرسل وأتباعها (**العاقبة**) أي المحمودة، قال تعالى: ﴿**والعاقبة للتقوى**﴾ [طه - ١٣٢]. ﴿**والآخرة خير وأبقى**﴾ [الأعلى - ١٧]. قال النووي: يعني نبتليهم في ذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذل وسعهم في طاعة الله. (**وسألتك هل يغدر فزعمت أنه**) أي النبي أو الشأن. (**لا يغدر**) يعني والأصل بقاء الشيء على ما هو عليه كما هو مقرر في مسألة الاستصحاب، ولهذا أعرض عن الجملة المدخولة المعلولة. (**وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت أن لا. فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم**) أي هو رجل اقتدى (**بقول قيل قبله. قال:**) أي أبو سفيان (**ثم قال: بما**

---

(١) الطبراني بنحوه. ذكره السيوطي في الجامع الصغير. وأخرج البخاري أوله.

يأمُركم؟ قُلنا: يأمرُنا بالصَّلاةِ، والزَّكاةِ، والصِّلة، والعَفاف. قال: إنْ يكُ ما تقولُ حقّاً فإنَّه نبيٌّ، وقدْ كنتُ أعلمُ أنَّه خارجٌ، ولم أكنْ أظنُّه منكم، ولو أني أعلَمُ أني أخلُصُ إليهِ لأحببتُ لقاءَه، ولو كنت عندَه لغسلتُ عن قدَميهِ، وليبلُغنَّ ملكه ما تحتَ قدَميَّ.

يأمركم) بصيغة الجمع تغليباً أو التفاتاً، ولذا عدل عن قوله: قلت. إلى قوله: **(قلنا: يأمرنا بالصلاة والزكاة)** أي بالعبادة المالية والبدنية. **(والصلة)** أي صلة الرحم وكل ما أمر الله به أن يوصل. **(والعفاف)** بفتح العين أي الكف عن المحارم وكل ما يخالف المكارم. **(قال: إن يك ما تقول حقاً فإنه نبي)** في شرح مسلم قال العلماء: قول هرقل: إن يك ما تقول حقاً فإنه نبي أخذه من الكتب القديمة. ففي التوراة هذا ونحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات. وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة، وهكذا قاله المازري. وقال الشيخ أكمل الدين: ومع هذا لم يؤمن ولم ينتفع بتلك المعرفة، فإنه هو الذي جيش الجيوش على أصحاب رسول الله ﷺ وقاتلهم ولم يقصر في تجهيز الجيش عليهم من الروم وغيره كرة بعد كرة فيهزمهم الله ويهلكهم، ولم يرجع إليه منهم إلا أقلهم. واستمر على ذلك إلى أن مات وقد فتح أكثر بلاد الشام ثم ولي بعده ولده، وبهلاكه هلكت المملكة الرومية. قلت: يعني الرومية الجاهلية ثم انقلبت لهم المملكة الإسلامية بالغلبة والشوكة الإيمانية، حتى أقامهم الله لمقاتلة الطائفة النصرانية ولمقابلة الرافضة الكفرانية وقاموا بخدمة الحرمين الشريفين من عمارتهما وخيراتهما ومبراتهما في البلدين المنيفين، وإرسال أمراء الحاج من كل فج عميق لا من الطريق الواصل إلى البيت العتيق مع ما فيهم من تعظيم الشريعة وتكريم العلماء واحترام المشايخ والأولياء، فجزاهم الله أحسن الجزاء ونصرهم على جميع الأعداء إلى يوم النداء. هذا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. فما أعقله لو معقوله أكمله. لكن ما ساعده لعدم السعادة الأزلية ووجود الشقاوة الأبدية، والسبب في ذلك طمع الرياسة وظهور الكمال والميل إلى وصول المال وحصول المنال والغفلة عن المآل، وما يؤدي إلى النكال. ولذا قال: **(وقد كنت أعلم)** أي علماً يقيناً **(أنه)** أي النبي ﷺ **(خارج)** أي ظاهر في آخر الزمان. **(ولم أك أظنه منكم)** أي من نسل إسماعيل وهو أبو العرب، بل كنت أظنه أنه منا معشر بني إسحاق، فإن أكثر الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام منهم، وهذه حجة داحضة وبلية غامضة. فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً. وما يتبع أكثرهم إلا ظناً. والحق أن يتبع. **(ولو أني أعلم أني أخلص)** بضم اللام، أي أصل. **(إليه)** أي إلى خدمته ودولته وحضرة رؤيته **(لأحببت لقاءه)** أي دولة ملاقاته وسعادة متابعته. **(ولو كنت عنده)** أي ولو صرت في مقامه ووصلت إلى موضع قيامه **(لغسلت)** أي وجهي **(عن قدميه)** أي غسلاً صادراً عن ماء أقدامه لما أرى له من الثبات على الحق وإقدامه، أو التقدير غسلت الغبار والوسخ عن قدميه فضلاً عن تقبيل يديه. **(وليبلغن ملكه ما تحت قدمي)** بالتشديد للتثنية المنبئة عن المبالغة والتأكيد. قال النووي: ولا عذر له في هذا لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ، وإنما شح بالملك ورغب في الرياسة فآثرها على الإسلام وقد جاء ذلك مصرحاً به في صحيح البخاري، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة. وقال شيخ مشايخنا الحافظ جلال

ثمَّ دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه. متفق عليه.

وقد سبق تمامُ الحديثِ في «باب الكتاب إِلى الكفّار».

(٦) باب في المعراج

الدين السيوطي: اختلف في إيمانه والأرجح بقاؤه على الكفر. ففي مسند أحمد أنه كتب: من تبوك إلى النبي ﷺ إني مسلم، فقال النبي ﷺ: كذب بل هو على نصرانيته. قلت: ليس فيه نص على موته بالكفر وإنما رجح بناء على الأصل. **(ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه)** أي فعظمه وبالغ في محافظته فصار سبباً لبقاء الملك في ذريته، بخلاف كسرى حيث شقه ومزقه فمزق الله ملكه وفرق ولده وأخرج الله عنهم ملكه. قال سيف الدين: أرسلني ملك العرب إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها وعرض علي الإقامة فأبيت. فقال: لأتحفنك بتحفة سنية. فأخرج من صندوقه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتاباً قد زال أكثر حروفه فقال: هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه إلى الآن وقد أوصانا بأنه ما دام عندنا لا يزول الملك منا فنحن نحفظه ليدوم الملك لنا. ذكره أكمل الدين **(متفق عليه)**.

(وقد سبق تمام الحديث) وهو أنه كتب إليه **(في باب الكتابة إلى الكفار)**.

(باب في المعراج)

العروج هو الذهاب في صعود. قال تعالى: ﴿**تعرج الملائكة والروح**﴾ [المعارج ـ ٤]. والمعراج بالكسر شبه السلم، مفعال من العروج بمعنى الصعود فكأنه آلة له. وقيل: بل هو آلة، وفرق بينه وبين الإسراء كما بينته في رسالتي المسماة بالمدراج للمعراج، وإنما سميت ليلة المعراج لصعود النبي ﷺ فيها إلى السماء. وفي شرح السنة قال القاضي عياض: اختلف الناس في الإِسراء برسول الله ﷺ، فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام. والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسري بجسده، فمن طالعها وبحث عنها فلا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل. وقيل: ذلك قبل أن يوحى إليه، وهو غلط لم يوافق عليه. فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً. وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين. وقال ابن إسحاق: أسري به ﷺ وقد فشا الإِسلام بمكة. وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق. وقد أجمعوا على أن فرض الصلاة كان ليلة الإِسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه. وأما قوله في رواية شريك: وهو نائم، وفي الرواية الأخرى: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان. فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم، ولا حجة فيه. إذ قد يكون فيه ذلك حالة أول وصول الملك إليه. وليس في الحديث ما يدل على كونه نائماً في القصة كلها. وقال محيي السنة في المعالم: والأكثرون على ذلك. قلت: ومن القليل من قال بتعداد الإِسراء نوماً ويقظة، وبه

الفصل الأول

٥٨٦٢ ـ (١) عن قتادةَ، عن أنس بن مالكٍ، عن مالك

يجمع بين الأدلة المختلفة. قال الطيبي: وقد روينا عن البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [الإسراء ـ ٦٠]. قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري بي إلى بيت المقدس[١]. وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: شيء أريه النبي ﷺ في اليقظة رآه بعينه[٢]، ولأنه قد أنكرته قريش[٣] وارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه، وإنما ينكر إذا كانت في اليقظة، فإن الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك. على أن الحق أن المعراج مرتان مرة بالنوم وأخرى باليقظة. قال محيي السنة: رؤيا أراه الله قبل الوحي بدليل قول من قال: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه، كما أنه رأى فتح مكة في المنام سنة ست من الهجرة. ثم كان تحقيقه سنة ثمان. وعن بعض المحققين أن الأرواح مأخوذة من أنوار الكمال والجلال وهي بالنسبة إلى الأبدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة إلى هذا العالم، وكما أن كل جسم يصل إليه نور الشمس تتبدل ظلماته بالأضواء، فكذلك كل عضو[٤] وصل إليه[٥] نور الروح انقلب حاله من الموت إلى الحياة. وقالوا: الأرواح أربعة أقسام: الأول الأرواح المكدرة بالصفات البشرية، وهي أرواح العوام غلبته القوى الحيوانية لا تقبل العروج. والثاني الأرواح التي لها كمال القوّة النظرية باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء. والثالث الأرواح التي لها كمال القوّة المدبرة للبدن باكتساب الأخلاق الحميدة وهذه أرواح المرتاضين إذا كبروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة. والرابع الأرواح الحاصلة لها كمال القوتين، وهذه غاية الأرواح البشرية وهي للأنبياء والصديقين. فلما ازداد قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم عن الأرض، ولهذا لما كان الأنبياء عليهم السلام قويت فيهم هذه الأرواح عرج بهم إلى السماء، وأكملهم قوّة نبينا ﷺ فعرج به إلى قاب قوسين أو أدنى.

(الفصل الأوّل)

٥٨٦٢ ـ **(عن قتادة)** تابعي جليل **(عن أنس بن مالك)** أي خادم رسول الله ﷺ **(عن مالك**

---

(١) البخاري ٨/٣٩٨ حديث رقم ٤٧٥١. والترمذي حديث رقم ٣١٣٤.

(٢) أحمد في المسند ١/ ٣٧٠.

(٣) في المخطوطة ذكر «عائشة» وهو خطأ واضح.

(٤) في المخطوطة «من».

(٥) في المخطوطة «إلى».

الحديث رقم ٥٨٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٠١. حديث رقم ٣٨٨٧. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥١ حديث رقم (٢٦٥. ١٦٤) وأخرجه النسائي في السنن ١/ ٢١٧ حديث رقم ٤٤٨. وأحمد في المسند ٤/ ٢٠٧.

ابن صعصعةَ، أنَّ نبي الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسريَ به: «بينما أنا في الحَطِيم - ورُبما قال في الحِجر - مضطجعاً إذ أتاني آتٍ، فشقَّ ما بين هذِه إلى هذِه» يعني من ثُغْرةِ نحرِه إلى شِعرتِه «فاستخرجَ قلبي،

ابن صعصعة) أنصاري مزني مدني سكن البصرة، وهو قليل الحديث. **(أن نبي الله ﷺ حدثهم)** أي الصحابة ومنهم أنس **(عن ليلة أسري به)** بالإضافة وفي نسخة بالتنوين أي ليلة أسري به فيها. قال زين العرب في شرح المصابيح: إنها مضافة إلى الماضي. وفي نسخة روايتي مجرورة منونة. وقال الطيبي: يجوز بناء ليلة وإعرابها وأسري بصيغة المجهول إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً**﴾ [الإسراء - ١]. والإسراء من السري وهو السير في الليل. يقال: سرى وأسرى بمعنى. وقيل: أسري سار من أول الليل وسرى من آخره. قيل: وهو أقرب فالباء في به للتعدية وذكر الليل للتجريد أو للتأكيد، وفي الآية بالتنكير للتقليل والتعظيم. **(بينما أنا في الحطيم)** قال القاضي: قيل: هو الحجر سمي حجراً لأنه حجر عنه بحيطانه وحطيماً لأنه حطم جداره عن مساواة الكعبة، وعليه ظاهر قوله: بينما أنا في الحطيم. **(وربما قال: في الحجر)** فلعله ﷺ حكى لهم قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر أخرى. وقيل: الحطيم غير الحجر وهو ما بين المقام إلى الباب. وقيل: ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر. والراوي شك في أنه سمع في الحطيم أو في الحجر انتهى. وقال ابن حبيب: الحطيم ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث ينحطم الناس للدعاء. وقيل: كان أهل الجاهلية يتحالفون هنالك وينحطمون بالأيمان، كذا ذكره الشارح الأول والله أعلم. **(مضطجعاً)** قيد للروايتين وهو يحتمل النوم واليقظة. **(إذ أتاني آت)** أي جاءني ملك **(فشق)** أي قطع **(ما بين هذه إلى هذه يعني)** تفسير(١) من مالك على ما هو الظاهر، أي يريد النبي ﷺ بقوله: هذا. **(من ثغرة نحره)** بضم المثلثة وسكون العين المعجمة أي نقرة نحره التي بين الترقوتين. **(إلى شعرته)** بكسر الشين أي عانته. وقيل: منبت شعرها. كذا في النهاية. **(فاستخرج قلبي)** قال شارح: وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبا، إذ هو لإخراج مادة الهوى من قلبه، وهذا لإدخال كمال العلم والمعرفة في قلبه. قلت: وفيه إيماء إلى التخلية والتحلية ومقام الفناء والبقاء ونفي السوي وإثبات المولى كما تشير إليه الكلمة العليا. ثم اعلم أن هذا معجزة فإن من المحال العادي أن يعيش من ينشق بطنه ويستخرج قلبه، وكأن بعضهم حملوها على المعاني المجازية. ولذا قال التوربشتي: ما ذكر في الحديث من شق النحر واستخراج القلب وما يجري مجراه فإن السبيل في ذلك التسليم دون التعرض(٢) بصرفه من وجه إلى وجه بنقول(٣) متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول، هرباً مما يتوهم أنه محال ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز في خبر الصادق عن الأمر لعدم المحال به على القدرة. **(ثم أتيت بطست)** بفتح الطاء

(١) في المخطوطة «نفسه».

(٢) في المخطوطة «التفويض».

(٣) في المخطوطة عبارة: «إلى وجه سفر له».

ثمَّ أُتيتُ بطَسْت من ذهب مملوءٍ إيماناً، فغُسل قلبي، ثمَّ حُشي، ثمَّ أعيدَ» ـ وفي رواية: «ثمَّ غُسل البطنُ بماءِ زمزمَ، ثمَّ مُلىءَ إيماناً وحكمةً ـ ثمَّ أُتيت بدابَّة دونَ البغل وفوق الحمارِ، أبيض يُقال له: البَراق، يضع خَطوه عند أقصى طرفِه، فحُملتُ عليه، فانطلق بي

وتكسر وسينه مهملة في العربية، ومعجمة في العجمية. **(من ذهب)** لعل الاستعمال كان قبل التحريم أو القضية من خصوصياته عليه الصلاة والسلام. **(مملوء)** على وزن مفعول بالهمز ويشدد **(إيماناً)** تمييز قال القاضي: لعله من باب التمثيل إذ تمثل له المعاني كما تمثل له أرواح الأنبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها قبله. الطيبي: وفيه أن الأرواح أجساد لطيفة على الصحيح من الأقوال إلا أن يقال: المراد تمثل له الأرواح بأجسادهم الفانية، ولكن فيه أن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء. نعم لو قيل ببقاء أجسادهم المتعلقة بها أرواحهم في عالم الملك وبتمثلها في عالم الملكوت لكان توجيهاً وجيهاً وتنبيهاً نبيهاً، بل هو الظاهر ولا يبعد عن قدرة القاهر. وفي شرح مسلم معنى جعل الإيمان في الطست جعل شيء فيه يحصل به الإيمان فيكون مجازاً. وقد قال الشارح الأول: مانع من إرادة الحقيقة. أقول: والحاصل أن المعاني قد تتجسم كما حقق في وزن الأعمال وذبح كبش الموت ونحوهما. **(فغسل قلبي ثم حشي)** ماض مجهول من الحشو، أي مليء من حب ربي **(ثم أعيد)** أي القلب إلى موضعه الأول على الوجه الأكمل **(وفي رواية: ثم غسل البطن)** أي الجوف مطلقاً أو محل القلب فإنه بيت الرب. **(بماء زمزم ثم مليء إيماناً وحكمة)** أي ايقاناً واحساناً فهو تكميل وتذييل. **(ثم أتيت بدابة)** هي تطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ [هود ـ ٦]. والتاء فيها للوحدة، فالمعنى بمركوب متوسط. **(دون البغل)** أصغر منه **(وفوق الحمار)** أي أكبر منه **(أبيض)** بالنصب على الحال أو الصفة **(يقال له البراق)** بضم أوّله سمي به لبريق لونه أو لسرعة سيره كبرق السحاب، ولا منع من الجمع وإن كان يؤيد الثاني قوله: **(يضع خطوه عند أقصى طرفه)** بفتح فسكون في كل منهما، أي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره، قيل: الأصح أنه كان معداً لركوب الأنبياء. وقيل: لكل نبي براق على حدة وهو المناسب لمراتب الأصفياء. ففي شرح مسلم قالوا: هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. قال الزبيدي في مختصر العيني وصاحب التحرير: هي دابة كانت الأنبياء عليهم السلام يركبونها. وهذا الذي قالاه يحتاج إلى نقل صحيح. قال الطيبي: ولعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث آخر: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء. أي ربطت البراق بالحلقة التي ربط بها الأنبياء. قلت: وليس فيه دلالة على تقدير تسليم تقديره لأن المراد بالبراق الجنس في الثاني. قال: وأظهر منه حديث أنس في الفصل الثاني قول جبريل للبراق: فما ركبك أحد أكرم على الله منه. قلت: هو مع ظهوره لا يخفى ما فيه من الاحتمال المانع من صحة الاستدلال، إذ يحتمل أنه ركبه بعض الملائكة أو جبريل قبله عند نزوله إليه ﷺ، أو التقدير فما ركب مثلك أو جنسك أحد أكرم على الله منه. فلا معنى لتنفرك عنه. **(فحملت عليه)** بصيغة المجهول أي ركبت عليه بمعاونة الملك أو بإعانة الملك، وفيه إيماء إلى صعوبته كما سيأتي وجهه. **(فانطلق بي**

جبريلُ حتى أتى السّماءَ الدنيا، فاستفتحَ، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسلَ إليه؟

جبريل حتى أتى باب السماء الدنيا) ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء وتمسك به من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس. فأما المعراج فعلى غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق، بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به مصرحاً ذكره العسقلاني. أقول: الأظهر أن هذا اقتصار من الراوي وإجمال لما سبق أنه ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، نعم يمكن أن يكون سيره على البراق إلى بيت المقدس ثم إسراؤه إلى السماء بالمعراج الذي هو السلم والله أعلم. فكأن الراوي طوى الرواية فاختل به أمر الدراية. ثم قيل: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إظهار الحق للمعاندين، لأنه لو عرج به عن مكة إلى السماء أولاً لم يكن سبيل إلى إيضاح الحق للمعاندين كما وقع في الإخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق من العير، مع ما في ذلك من حيازة فضيلة الرحيل إليه لأنه محل هجرة غالب الأنبياء، ولما روي أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، فأسري إليه ليحصل العروج مستوياً من غير تعويج. ذكره السيوطي. (فاستفتح) أي طلب جبريل فتح باب السماء الدنيا (قيل: من هذا) أي المستفتح (قال: جبريل) بتقدير هو أو أنا. قال القاضي عياض: وفيه أن للسماء أبواباً حقيقة وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان وأنه ينبغي أن يقول أنا زيد مثلاً. يعني لا يكتفي بقوله أنا كما هو المتعارف، إذ قد ورد به النهي. (قيل: ومن معك) أي أنت نعرفك ومن معك حتى تستفتح (قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه) الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر، أي أطلب وأرسل إليه بالعروج أو بالوحي، والأول أشهر وأظهر وعليه الأكثر. قال النووي: وفي رواية أخرى: وقد بعث إليه، أي بعث إليه للإسراء وصعود السماء. وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى على الملائكة إلى هذه المدة وهذا هو الصحيح. وقال البيضاوي: أي أرسل إليه للعروج. وقيل: معناه أوحي إليه وبعث نبياً، والأول أظهر لأن أمر نبوّته كان مشهوراً في الملكوت لا يكاد يخفى على خزائن السموات وحراسها وأوفق للاستفتاح والاستئذان ولذلك تكرر معه. وتحت هذه الكلمات ونظائرها أسرار يتفطن لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته. قلت: ولعل مأخذها وقوفه على جميع الأبواب على دأب آداب أرباب الألباب، ثم السؤال من رواء الحجاب، وكذا الجواب بمرحباً مرحباً بذلك الجناب المشعر بالتنزل الرحماني والاستقبال الصمداني والإقبال الفرداني المشير إلى ما قال في الحديث القدسي المعبر عن الكلام النفسي: «من أتاني يمشي أتيته هرولة ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً»[1]. المومي إلى قوله سبحانه: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد ـ ٤]. المصرح بالمعية الخاصة في مقام مريد المزيد. ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق ـ ١٦]. ثم الوارد على لسانه بلسان الجمع. ﴿إن الله معنا﴾[2]. ثم عرض علو مقامه وحصول مرامه على

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ١٣٨.

قال: نعم قيل: مرحباً به، فنعمَ المجيءُ جاء، ففُتح فلمَّا خلصتُ، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوكَ آدم، فسلِمْ عليهِ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام، ثمَّ قال: مرحباً بالابنِ الصَّالحِ والنبيِّ الصالح؛ ثمَّ صعِد بي حتى أتى السَّماءَ الثانيةَ، فاستفتحَ قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسل إليهِ؟ قال: نعمْ. قيل: مرحباً به، فنعمَ المجيء جاءَ، ففُتح. فلمَّا خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهُما ابنا خالة قال: هذا يحيى وهذا عيسى فسلِّمْ عليهِما، فسلَّمتُ فردَّاً، ثمَّ قالا: مرحباً بالأخِ الصَّالحِ والنبيِّ الصالح. ثم صعِد بي إلى السماءِ الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال:

آبائه الكرام وإخوانه العظام في تلك المشاهد الفخام فيا لها من ساعة سعادة لا يتصوّر فوقها زيادة. وقيل: كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو للاستبشار بعروجه إليه إذا كان من البين عندهم أن أحداً من البشر لا يترقى إلى أسباب السموات من غير أن يأذن الله له ويأمر ملائكته بإصعاده، فإن جبريل لم يصعد بمن لم يرسل إليه ولا يستفتح له أبواب السماء. **(قال:)** أي جبريل **(نعم)** أي أرسل إليه بالتقريب لديه والإنعام عليه **(قيل: مرحباً به)** أي أتى الله بالنبي مرحباً، أي موضعاً واسعاً. فالباء للتعدية ومرحباً مفعول به. والمعنى جاء أهلاً وسهلاً لقوله: **(فنعم المجيء)** أي مجيئه **(جاء)** فعل ماض وقع استئناف بيان زماناً أو حالاً، والمجيء فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف. قال المظهر: فيه تقديم وتأخير وحذف المخصوص بالمدح، أي جاء فنعم المجيء مجيئه. وقيل: تقديره نعم المجيء الذي جاءه، فحذف الموصول واكتفى بالصلة. أو نعم المجيء مجيء جاء فحذف الموصوف واكتفى بالصفة. **(ففتح)** أي باب السماء **(فلما خلصت)** بفتح اللام أي وصلت إليها ودخلت فيها **(فإذا فيها آدم. فقال:)** أي جبريل **(هذا أبوك)** أي جدك آدم **(فسلم عليه)** قال التوربشتي: أمر بالتسليم على الأنبياء لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القائم وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وإن كان أفضل منهم، وكيف لا والحديث دل على أنه أعلى مرتبة وأقوى حالاً وأتم عروجاً. **(فسلمت عليه. فرد السلام)** أي رداً جميلاً وفيه دليل على أن الأنبياء أحياء حقيقة **(ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح)** قيل: وإنما اقتصر الأنبياء على هذا الوصف لأن الصلاح صفة تشمل جميع خصائل الخير وشمائل الكرم ولذا قيل: الصالح من يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده. ولذا ورد في الدعاء على ألسنة الأنبياء: **﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾** [يوسف ـ ١٠١]. ويمكن أن يكون المراد به الصالح لهذا المقام العالي والصعود المتعالي. **(ثم صعد بي)** بكسر العين، أي طلع بي جبريل والباء للتعدية أو المصاحبة. **(حتى أتى السماء الثانية)** وقد ورد أن بين «كل سماء وسماء مسافة خمسمائة عام»[1]. **(فاستفتح. قيل: من هذا. قال:**

---

(١) وهو قوله تعالى: **﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** [التوبة . آية رقم ٤٠].

(٢) راجع الحديث رقم (٥٧٣٥).

جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلمَّا خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ. ثم قال: مرحباً بالأخِ الصَّالح والنبي الصَّالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء،

جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء) في تكرار هذا السؤال والجواب في كل من الأبواب إشعار بأنه بسط له الزمان وطوى له المكان واتسع له اللسان وانتشر له الشأن في ذلك الآن بعون الرحمٰن. **(ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة.)** جملة معترضة محتملة أن تكون من أصل الحديث وأن تكون مدرجة من كلام الراوي. هذا وقال ابن الملك في شرح المشارق: المرئي كان أرواح الأنبياء متشكلة بصورهم التي كانوا عليها، إلاّ عيسى فإنه مرئي بشخصه. وسبقه التوربشتي حيث قال: ورؤية الأنبياء في السموات وفي بيت المقدس حيث أبهم يحمل على رؤية روحانيتهم الممثلة بصورهم التي كانوا عليها، غير عيسى فإن رؤيته محتملة للأمرين أو أحدهما. قلت: وقد قدمنا أن الأنبياء لا يموتون كسائر الأحياء بل ينتقلون من دار الفناء إلى دار البقاء، وقد ورد به الأحاديث والأنبياء وأنهم أحياء في قبورهم فإنهم أفضل من الشهداء وهم أحياء عند ربهم[1]. **(قال:)** أي جبريل **(هذا يحيى)** قدمه لسبقه في الوجود **(وهذا عيسى)** ختم به لأنه أتم في الشهود وخاتمة أرباب الفضل والجود. **(فسلم عليهما)** أي جملة، أو على حدة. **(فسلمت فردا)** أي السلام علي بأحسن رد **(ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح)** لقوله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ [الحجرات ـ ١٠]. ولما سبق في الحديث من أن الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد[2]. **(والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح)** فيه إشعار بأن كلاً من الأنبياء لم يحصل لهم الاستعلاء إلا بالاستئذان الملكي والفتح الإلهي وأن كلاً منهم كالملائكة لهم مقام معلوم وحال مفهوم ولا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم والله أعلم. **(فلما خلصت إذا بيوسف. قال: هذا يوسف فسلم عليه. فسلمت عليه فرد)** أي رداً حسناً **(ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى[3] أتى السماء الرابعة، فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء)** وهذا التكرير والبيان على وجه التكثير يعد من قبيل:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

---

(١) روى ابن عدي «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

(٢) راجع الحديث رقم (٥٧٢٢). (٣) في المخطوطة «ثم».

ففُتح، فلما خلصت فإذا إدريس، فقال: هذا إدريس، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالح والنبي الصالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلما خلصتُ، فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالح والنبي الصالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزت بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخلُ الجنةَ من أمته أكثرُ ممَّن يدخلها من أمتي.

(ففتح. فلما خلصت فإذا إدريس. فقال: هذا إدريس. فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح) قال عياض: هذا يخالف قول أهل التاريخ أن إدريس كان من آبائه ﷺ، ويحتمل أن يكون قول إدريس ذلك تلطفاً وتأدباً وهو أخ أيضاً وإن كان أباً، فإن الأنبياء إخوة كذا في شرح مسلم. **(ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قاف: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح)** فيه إشعار بأنه لم يفتح باب السماء إلا لمن يكون مسبوقاً بنعت العلاء ووصف الولاء، وأما الأعداء فلا تفتح لهم أبواب السماء حتى يلج الجمل في سم الخياط. **(فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون. فسلم عليه. فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح.)** فيه تنبيه نبيه على أن من منح له بفتح باب ما منع من باب آخر ولم يقع له حجاب بل يفتح له أبواب الرحمة ثم أبواب الجنة وما أحسن من قال من أرباب الحال:

على بابك الأعلى مددت يد الرجا * ومن جاء هذا الباب لا يختشي الردى

(فلما خلصت إذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلَّمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما جاوزت) أي موسى أو مقامي **(بكى)** أي موسى تأسفاً على أمته وشفقة على أهل ملته فإنهم قصروا في الطاعة ولم يتبعوه حق المتابعة مع طول مدته وامتداد أيام دعوته فلم ينتفعوا به انتفاع هذه الأمة بمحمد ﷺ مع قلة عمره وقصر زمانه، وبهذا يظهر وجه قوله: **(قيل له: ما يبكيك. قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)** فإنه لم يرد بذلك استقصار شأنه، فإن الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشاب وهذا زبدة كلام التوربشتي. وقد حمله بعضهم على الغبطة وفيه نظر ظاهر

ثم صعِد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح،

لأهل الفطنة، اللهم إلا أن يحمل على التمني فإنه قد يتصور في أمر المحال والله أعلم بالحال. وقال بعض العلماء: لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً، معاذ الله فإن الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله وهو في عالم الملكوت، بل كان آسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم الملزوم لنقص أجره، لأن[1] لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه. وأما قوله: غلام، فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه. وقال العسقلاني: ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا ﷺ من استمرار القوة في الكهولة إلى أن دخل في أول الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص. قلت: ويمكن أن يكون وجه تسميته غلاماً أنه حين مروره على الأنبياء كان في مدة عمره قليل بالنسبة إلى أعمارهم في الدنيا، ثم مرور الأزمنة عليهم في حال البرزخ، وقد يعتبر كونه غلاماً لما حصل له المرتبة العلية في قليل من مدة البعثة النبوية، فإن المعراج على ما سبق إنما كان بعد الوحي بزمان قليل. إذ أقصى ما قيل فيه أنه قبل الهجرة بسنة فيصدق عليه عمر الغلام بناء على أن قبله ليس من العمر التمام والله أعلم بحقيقة المرام. (**ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء**) في إطباق كلمتهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق إشعار بأن ألسنة الخلق أقلام الحق وليس هنا في الأصول لفظ ففتح، فكأنه سقط من لفظ الراوي أو اكتفاء بما سبق. ودلالة عليه بقوله: (**فلما خلصت فإذا إبراهيم. قال: هذا أبوك**) أي جدك الأقرب (**إبراهيم فسلم [عليه] فسلمت عليه فرد السلام**) وكأن نبينا عليه السلام كان في الاستغراق التام ومشاهدة المرام غافلاً عن الأنام كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ [النجم - ١٧]. حتى احتاج في كل من المقام إلى تعليم جبريل بالسلام (**ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح**) قال الحافظ السيوطي: استشكل رؤية الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم؛ وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تلك الليلة تشريفاً له. واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الأنبياء بالسماء التي لقيه. والأشهر أنه على حسب تفاوتهم في الدرجات، وعن هذا قال ابن أبي جمرة: اختصاص آدم بالأولى لأنه أول الأنبياء وأول الآباء، فكان في الأولى أولى، وعيسى بالثانية لأنه أقرب الأنبياء عهداً من نبينا ﷺ، ويليه يوسف لأن أمة محمد يدخلون الجنة

---

(١) في المخطوطة «كان».

ثم رُفعتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبِقُها مثل قِلال هجر، وإذا ورقُها مثل آذان الفِيَلة، قال: هذا سدرة المنتهى، فإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أمَّا الباطنان فنهران في الجنة،

على صورته، وإدريس في الرابعة لقوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ [مريم ـ ٥٧]. والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون في الخامسة لقربه من أخيه، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله تعالى، وإبراهيم فوقه لأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا. أقول: بقي الكلام على سائر الأنبياء عليهم السلام ولعلهم كانوا موجودين في السموات بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سماء إلا واحد من المشاهير الأعلام واكتفىٰ بذكرهم عن بقية الكرام. **(ثم رفعت إلى سدرة المنتهى)** وفي نسخة السيد وبعض النسخ: رفعت لي سدرة المنتهى. ويؤيده قول الآتي: ثم رفع لي البيت المعمور. وفي نسخة إليّ بتشديد الياء. قال الحافظ العسقلاني: الأكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده حرف الجر. وللكشميهني: رفعت لي. بفتح العين وسكون التاء أو رفعت السدرة لي باللام، أي من أجلي. ويجمع بين الروايتين بأن المراد رفعه إليها، أي ارتقي به وأظهرت له. والرفع إلى الشيء يطلق على التقرب منه. وقال التوربشتي: الرفع تقريبك الشيء. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة ـ ٣٤]. أي مقربة لهم، فكأنه أراد أن سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب إليه، وفي معناه رفع لي البيت المعمور ورفع لي بيت المقدس. قال النووي: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ. وحكي عن عبد الله بن مسعود أنها سميت بذلك لكونه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تبارك وتعالى. وقال السيوطي: وإضافتها إلى المنتهى لأنها مكان ينتهي دونه أعمال العباد وعلوم الخلائق، ولا تجاوز للملائكة والرسل منها إلا النبي ﷺ وهي في السماء السابعة وأصل ساقها في السادسة. **(فإذا نبقها)** بكسر الموحدة ويسكن أي ثمرها من كبره الدال على كبرها. **(مثل قلال هجر)** بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي إناء للعرب كالجرة الكبيرة، وهجر اسم بلد ينصرف ولا ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرتها كالمطعوم في ظرفه ضرب مثل ثمرتها بأكبر ما كانوا يتعارفونه بينهم من الظروف، كذا ذكره شارح. وفي القاموس: هجر محركة، بلد باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع، وقرية كانت قرب المدينة ينسب إليها القلال، وينسب إلى هجر اليمن. **(وإذا ورقها)** أي أوراقها في الكبر **(مثل آذان الفيلة)** بكسر الفاء وفتح التحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة [جمع الديك] والآذان بالمد جمع الأذن. **(قال:)** أي جبريل **(هذا)** أي هذا المقام أو هذا الشجر **(سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار)** أي ظاهرة. وقال شارح: إذا للمفاجأة أي فإذا أنا بأربعة أنهار. **(نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذان)** أي النوعان من الأربعة نحو قوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾ [الحج ـ ١٩]. **(يا جبريل. قال: أما الباطنان فنهران في الجنة)** قال ابن الملك: يقال لأحدهما الكوثر وللآخر نهر الرحمة، كما في خبر. وإنما قال باطنان لخفاء أمرهما فلا تهتدي العقول إلى وصفهما أو لأنهما مخفيان عن أعين الناظرين فلا يريان

وأمَّا الظاهران فالنيل والفرات، ثمَّ رُفِع لي البيتُ المعمورُ، ثمَّ أُتيتُ بإناءٍ منْ خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ وإناء من عسلٍ، فأخذت اللبنَ، فقال: هي الفطرةُ أنت عليها وأُمَّتُك، ثمَّ فُرضتْ عليَّ الصلاةُ خمسينِ صلاةً كلَّ يومٍ، فرجعتُ فمررتُ على موسى، فقال: بما أُمرتَ؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسينَ صلاة كلَّ يومٍ. قال: إِنَّ أُمتكَ لا تستطيعُ خمسينَ صلاة كلَّ يومٍ،

حتى يصبا في الجنة. (**وأما الظاهران فالنيل والفرات**) قال القاضي: الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها. وقال ابن الملك: يحتمل أن يكون المراد منهما ما عرفا بين الناس ويكون ماؤهما مما يخرج من أصل السدرة وإن لم يدرك كيفيته. وأن يكون من باب الاستعارة في الاسم بأن شبههما بنهري الجنة في الهضم والعذوبة، أو من باب توافق الأسماء بأن يكون اسما نهري الجنة موافقين لأسمى نهري الدنيا. وفي شرح مسلم قال مقاتل: الباطنان هما السلسبيل والكوثر، والظاهران النيل والفرات يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى، ثم يخرجان من الأرض ويسيران فيها. وهذا لا يمنعه شرع[1] ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه. (**ثم رفع لي**) أي قرب وأظهر لأجلي (**البيت المعمور**) وهو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة وحرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض. (**ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل. فأخذت اللبن**) قال ابن الملك: اعلم أن اللبن لما كان ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود صور به في العالم المقدس مثل الهداية والفطرة التي يتم به القوة الروحانية، وهي الاستعداد للسعادات الأبدية أولها انقياد الشرع وآخرها الوصول إلى الله تعالى. (**فقال: هي الفطرة**) أنث مرجع اللبن مع أنه مذكر مراعاة للخبر. (**أنت عليها وأمتك**) أي عليها أو كذلك (**ثم**) يعني بعد وصوله إلى مقام: ﴿**ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [النجم - ٨ - ٩ - ١٠]. (**فرضت علي الصلاة**) وفي الحديث الآتي: على أمتي. ولا منافاة (**خمسين صلاة**) بتقدير أعني، وقوله: (**كل يوم**) أي وليلة ظرف (**فرجعت فمررت على موسى**) أي بعد إبراهيم فقد روى الترمذي أنه ﷺ قال: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي. فقال: يا محمد اقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[2]. (**فقال:**) أي موسى (**بما أمرت من العبادة. قال: أمرت بخمسين صلاة**) أي أقلها ركعتان. قال ابن الملك: وقيل: كانت كل صلاة على ركعتين، ألا ترى أن من قال علي صلاة يلزمه ركعتان. (**كل يوم**) يحتمل اختصاصه بالنهار، والأظهر أن المراد كل يوم وليلة لما سيأتي من قوله: خمس صلوات في كل يوم وليلة. فيكون من باب الاكتفاء للظهور والاستغناء. (**قال: إن أمتك لا تستطيع**) قيد بالأمة لأن قوة الأنبياء وعصمتهم تمنعهم عن المخالفة وتعينهم على الموافقة في الطاعة، ولو على أقصى غاية المشقة والطاقة. والمعنى لا تقدر أمتك عادة أو سهولة لضعفهم أو كسلهم. (**خمسين صلاة**) أي أداءها (**كل يوم**) ثم بين

---

(١) في المخطوطة «شارع».
(٢) الترمذي في السنن ٥/ ٤٧٦ حديث رقم ٣٤٦٢.

وإني واللَّهِ قدْ جرَّبتُ الناسَ قبلكَ، وعالجتُ بَني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ، فارجعْ إلى ربّكَ فَسَلْهُ التخفيف لأمّتك، فرَجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فأمرت بعشر صلوات كلّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كلّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أُمرت؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسِ صلواتٍ كلَّ يومٍ. قال: إنَّ أُمتكَ لا تستطيعُ خمسَ صلواتٍ كلَّ يومٍ، وإني قدْ جرَّبت النَّاسَ قبلكَ، وعالجت بني إسرائيل أشدَّ المعالجةِ، فارجعْ إلى ربّك فسَلْهُ التَّخفيفَ لأمَّتكَ، قال: سألت ربِّي حتى استحيَيتُ؛

عدم استطاعتهم بقوله: **(وإني [والله] قد جربت الناس)** أي زاولت ومارست الأقوياء من الناس **(قبلك)** يعني ولقيت الشدة فيما أردت منهم **(وعالجت بني إسرائيل)** أي بالخصوص **(أشد المعالجة)** أي ولم يقدروا على مثل ذلك فكيف أمتك **(فارجع إلى ربك فاسأله)** أمر من سأل مهموزاً أو مبدلاً أو منقولاً نسختان مقبولتان وقراءتان صحيحتان، أي فاطلب. **(التخفيف لأمتك فرجعت)** أي إلى ربي **(فوضع عني عشراً)** وهو خمس الأصل وسيأتي أنه وضع عنه خمساً وكأنه كان أولاً ثم صار عشراً، أو عبر عن الخمس[1] بالعشر اقتصاراً واختصاراً. **(فرجعت إلى موسى فقال مثله)** أي مثل مقالته الأولى **(فرجعت)** أي ثانياً **(فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت)** أي ثالثاً **(فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت)** أي رابعاً **(فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت)** أي خامساً **(فأمرت بخمس صلوات كل يوم)** أي وليلة ولعل الاكتفاء فيه للتغليب حيث أكثر الصلوات فيه أو لأن الليل تابع لما قبله كما في ليلة عرفة وليالي أيام النحر. **(فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت. قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك)** أي أكثرهم **(لا تستطيع خمس صلوات)** أي مواظبتها ومداومتها ومحافظتها **(كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل [أشد المعالجة]**) أي ولم يستطيعوا ما دون ذلك **(فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك)** قال الخطابي: مراجعة الله في باب الصلاة إنما جازت من رسولنا محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام لأنهما عرفا أن الأمر الأول غير واجب قطعاً لما صدرت منهما المراجعة فصدور المراجعة دليل على أن ذلك غير واجب قطعاً لأن ما كان واجباً قطعاً لا يقبل التخفيف ذكره الطيبي، وتبعه ابن الملك. وأقول: وما لم يكن واجباً لا يحتاج إلى سؤال التخفيف قطعاً، فالصحيح ما قيل إنه تعالى في الأول فرض خمسين ثم رحم عباده ونسخها بخمس كآية الرضاع عند بعض وعدة المتوفى عنها زوجها على قول. وفيه دليل على أنه يجوز نسخ الشيء قبل وقوعه كما قال به الأكثرون وهو الصحيح. وقالت المعتزلة وبعض العلماء لا يجوز ذكره النووي. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(سألت ربي)** أي التخفيف **(حتى استحييت)** أي من كثرته، وفي

---

(١) في المخطوطة عبارة: «عشراً عن الخميس» والصواب ما ذكر.

ولكني أرضى وأُسلّم. قال: فلما جاوزتُ، نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخفَّفتُ عن عبادي». متفق عليه.

٥٨٦٣ ـ (٢) وعن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراق، وهو دابَّة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يقع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيتُ بيت المقدِس، فربطتُه بالحلْقةِ التي تربِط بها الأنبياءُ».

نسخة بياء واحدة فهما لغتان، أو الثانية تخفيف للأولى بالنقل والحذف. والمعنى: فلا أرجع لطلب التخفيف وإن كان الظن في الأمة أن لا يستطيعوا دوام المحافظة. **(ولكني أرضى)** أي بما قضى ربي وقسم **(وأسلم)** أي أمري وأمرهم إلى الله وأنقاد بما حكم. قال الطيبي: فإن قلت حق لكن أن يقع بين كلامين متغايرين معنى فما وجهه ههنا. قلت: تقدير الكلام هنا حتى استحييت فلا أرجع فإني إذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم، ولكني أرضى وأسلم انتهى. ولا يخفى أن المراجعة غير منافية للرضا والتسليم وإلا لما رضي بها موسى ونبينا عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم. وتوضيحه أن سؤال العافية ودفع البلاء وطلب الرزق ودعاء النصر على الأعداء وأمثال ذلك كما صدر من الأنبياء والأولياء لا ينافي الرضا بالقضاء أبداً ولا التسليم لما في الأزل أبداً. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فلما جاوزت)** أي موسى وتركت المراجعة **(نادى مناد)** أي حاكياً كلام ربي **(أمضيت فريضتي)** أي أحكمتها وأنفذتها أولاً **(وخففت عن عبادي)** أي ثانياً وسيأتي لهذا تتمة معرفتها مهمة **(متفق عليه.)** ورواه النسائي.

٥٨٦٣ ـ **(وعن ثابت البناني)** بضم الموحدة قبل النون الأولى، تابعي من أعلام أهل البصرة وثقاتهم، اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك وصحبه أربعين سنة وروى عنه نفر. **(عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل)** أي وسطاني لقوله: **(فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه)** أي نظره **(فركبته حتى أتيت بيت المقدس)** بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال، ويروى بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة. **(فربطته بالحلقة)** بسكون اللام ويفتح. قال النووي: هي بسكون اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكي فتحها. **(التي يربط)** بالتذكير ويجوز تأنيثه وهو بكسر الموحدة ويضم. ففي القاموس: ربطه يربطه ويربطه شدة. وفي الصحاح ربطت الشيء أربطه وأربطه أيضاً عن الأخفش انتهى. فعلم أن الضم لغة ضعيفة ولهذا أجمع القراء على الكسر في قوله تعالى: ﴿**وليربط على قلوبكم**﴾ [الأنفال ـ ١١]. ثم قوله: **(بها)** بضمير المؤنث في جميع نسخ المشكاة وهو ظاهر. وفي شرح مسلم الحلقة التي يربط به كذا هو في الأصول بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء، أي الذي يربط به. والمعنى بالشيء الذي يربط به. **(الأنبياء)** أي براقهم أو هذا البراق على خلاف تقدم، نعم لو كان المروي يربط الأنبياء بها لوقع

الحديث رقم ٥٨٦٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٤٥ حديث رقم (٢٥٩ . ١٦٢). وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٢.

قال: «ثُمَّ دخلتُ المسجد فصلَّيتُ فيه ركعتين، ثم خرجتُ فجاءني جبريل بإناء من خمر وإِناء من لبن، فاخترتُ اللَّبن، فقال جبريل: اخترت الفطرةَ، ثم عُرج بنا إلى السماءِ». وساق مثل معناه. قال: «فإذا أنا بآدمَ، فرحَّبَ بي ودعا لي بخيرٍ». وقال في السماءِ الثالثة: «فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أُعطيَ شطرَ الحسنِ،

الاتفاق على اتحاد البراق. (**قال: ثم دخلت المسجد**) أي [المسجد] الأقصى وهذا المقدار من الإسراء مما أجمع عليه العلماء، وإنما خلاف المعتزلة في الإسراء إلى السماء بناء على منع الخرق والالتئام تبعاً لكلام الحكماء اللئام. (**فصليت فيه ركعتين**) أي تحية المسجد، والظاهر أن هذه هي الصلاة التي اقتدى به الأنبياء وصار فيها إمام الأصفياء. (**ثم خرجت**) أي من المسجد (**فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن**) ولعل ترك العمل من اقتصار الراوي (**فاخترت اللبن**) أي لما سبق (**فقال جبريل: اخترت الفطرة**) أي التي فطر الناس عليها وهو الدين القيم، كما قال تعالى[1] وأشار إليه ﷺ بقوله: «كل مولود يولد على الفطرة»[2]. انتقالاً مما يفطر به المولود ويغذى من اللبن المعهود (**ثم عرج**) بفتح العين والراء على ما ذكره النووي وتبعه السيوطي. فالفاعل جبريل أو الرب الجليل لقوله: (**بنا**) أي بي وبجبريل ويمكن أن يكون قوله: بنا، بناء على التعظيم وفي نسخة بصيغة المجهول أي صعد بنا. (**إلى السماء وساق**) أي وذكر ثابت الحديث عن أنس. (**مثل معناه**) أي نحو معنى الحديث السابق برواية قتادة عن أنس. (**قال:**) أي النبي ﷺ أو ثابت أو أنس مرفوعاً (**فإذا أنا بآدم فرحب بي**) أي قال لي بعد رد سلامي: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. (**ودعا لي بخير**) يحتمل أن يكون بياناً لقوله: فنعم المجيء جاء. وأن يكون غيره غير مبين. (**وقال في السماء الثالثة: فإذا أنا بيوسف إذا هو**) بدل من الأول في معنى بدل الاشتمال. (**قد أعطي شطر الحسن**) قال المظهر: أي نصف الحسن. أقول: وهو يحتمل أن يكون المعنى نصف جنس الحسن مطلقاً أو نصف حسن جميع أهل زمانه. وقيل: بعضه لأن الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقاً. أقول: لكنه لا يلائمه مقام المدح وإن اقتصر عليه بعض الشراح، اللهم إلا أن يراد به بعض زائد على حسن غيره، وهو إما مطلق فيحمل على زيادة الحسن الصوري دون الملاحة المعنوية لئلا يشكل نبينا ﷺ، وإما مقيد بنسبة أهل زمانه وهو الأظهر. وكأن الطيبي [رحمه الله] أراد هذا المعنى لكنه أغرب في المبنى حيث عبر عنه بقوله: وقد يراد به الجهة أيضاً نحو قوله تعالى: ﴿**فول وجهك شطر المسجد الحرام**﴾ [البقرة ـ ١٤٤]. أي إلى جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال: على وجهه [مسحة ملك] ومسحة جمال، أي أثر ظاهر. ولا يقال ذلك إلا في المدح. اهـ. وغرابته مما لا تخفى على ذوي النهي هذا وقد قال بعض الحفاظ من المتأخرين

(١) وهو قوله تعالى: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [الروم. آية رقم ٣٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٥.

فرحّب بي ودعا لي بخير». ولم يذكر بكاء موسى وقال في السماءِ السابعة: «فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيتِ المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيَها من أمر الله ما غَشِي تغيرتْ، فما أحدٌ من خلق الله يستطيعُ أن ينعتها من حسنها، وأوحى إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلْتُ إلى موسى،

وهو من مشايخنا المعتبرين أنه ﷺ كان أحسن من يوسف عليه السلام إذ لم ينقل أن صورته كان يقع من ضوئها على الجدران ما يصير كالمرآة يحكي ما يقابله، وقد حكي ذلك عن صورة نبينا ﷺ لكن الله تعالى ستر عن أصحابه كثيراً من ذلك الجمال الباهر فإنه لو برز لهم لم يطيقوا النظر إليه كما قاله بعض المحققين. وأما جمال يوسف عليه السلام فلم يستر منه شيء. اهـ. وهو يؤيد ما قدمناه من أن زيادة الحسن الصوري ليوسف عليه [الصلاة] والسلام، كما أن زيادة الحسن المعنوي لنبينا ﷺ مع الاشتراك في أصل الحسن، على أنه قد يقال المعنى أنه أعطي شطر حسني. (**فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر**[1]) أي ثابت عن أنس في هذا الحديث (**بكاء موسى. وقال في السماء السابعة:**) أي زيادة على ما سبق (**فإذا أنا بإبراهيم مسنداً**) بكسر النون منصوباً على الحال في جميع نسخ المشكاة مطابقاً لما في صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة، وفي المصابيح مرفوع على حذف المبتدأ وقوله: (**ظهره**) منصوب على المفعولية لكلتا النسختين وقوله: (**إلى البيت المعمور**) متعلق بالمسند (**وإذا هو**) أي البيت المعمور (**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه**) أي إلى البيت المعمور. قال الطيبي: الضمير المجرور فيه عائد إلى البيت المعمور، أي يدخلون فيه ذاهبين غير عائدين إليه أبداً لكثرتهم. (**ثم ذهب بي**) بصيغة الفاعل وفي نسخة للمفعول، أي انطلق بي. (**إلى السدرة المنتهى**) هكذا وقع في الأصول السدرة بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى كذا في شرح مسلم. (**فإذا أورقها كآذان الفيلة وإذا أثمرها كالقلال فلما غشيها**) أي السدرة وهو بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية، أي جاءها ونزل عليها. (**من أمر الله**) بيانية مقدمة أو تعليلية معترضة (**ما غشي**) أي غشيها إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**فغشاها ما غشى**﴾ [النجم ـ ٥٤]. فقيل: أنوار أجنحة الملائكة. وقيل: فراش الذهب. قال القاضي: ولعله مثل ما يغشي الأنوار التي تنبعث منها ويتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لصفائها وإضاءتها في نفسها، أو ألوان لا يدري ما هي وهو الأظهر. (**تغيرت**) أي السدرة عن حالتها الأولى إلى مرتبتها الأعلى وهو جواب لما (**فما أحد من خلق الله**) أي من مخلوقاته وسكان أرضه وسمواته (**يستطيع أن ينعتها**) بفتح العين أي يصفها (**من حسنها**) تعليلية أي من كمال جمالها وعظمة جلالها. (**وأوحى إليّ ما أوحى**) في إبهام الموصولة أو الموصوفة إيماء إلى تعظيم الموحى وأنه من قبيل ما لا يحكى ولا يروى. (**ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم [وليلة] فنزلت إلى موسى**) أي منتهياً إليه

---

(١) في المخطوطة «لم يخير».

فقال: ما فَرَضَ ربُّك على أُمَّتك؟ قلت: خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ. قال: ارجعْ إلى ربّك فَسَلْهُ التخفيف، فإنَّ أُمَّتك لا تطيق ذلك، فإني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: «فرجعتُ إلى ربي، فقلت: يا ربِّ! خفّف على أُمَّتي، فحطَّ عني خمساً، فرجعتُ إلى موسى، فقلت: حطَّ عني خمساً. قال: إن أُمَّتك لا تطيق ذلك، فارجعْ إلى ربّك فَسَلْهُ التخفيف». قال: «فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، حتى قال: يا محمَّد! إنهن خمسُ صلوات كلَّ يومٍ وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتبْ له حسنةً،

(فقال: ما فرض ربك على أمتك، قلت: خمسين صلاة) وزيد في نسخة صحيحة: في كل يوم وليلة. (قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني بلوت) أي جربت (بني إسرائيل وخبرتهم) أي اختبرتهم وامتحنتهم (قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي) [أي عنهم] وعدل [إلى علي] لتضمين التهوين (فحط عني) أي فوضع عن جهتي ولأجلي عن أمتي (خمساً[1]) أي خمس صلوات. ولعل التقدير خمساً فخمساً فيوافق رواية عشراً، والأظهر [أن] رواية عشراً اقتصار من رواية خمساً. ويؤيده قوله: (فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك) أي المقدار الباقي أيضاً (فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف [قال:] فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى) قال النووي: معناه بين الموضع الذي ناجيته أوّلاً فناجيته ثانياً وبين موضع ملاقاة موسى أوّلاً (حتى قال:) أي سبحانه وتعالى (يا محمد إنهن خمس صلوات) أي محتمة (كل يوم وليلة) قال الطيبي: الضمير فيه مبهم يفسره الخبر كقوله:

* هي النفس ما حملتها تتحمل *

(لكل صلاة) أي حقيقة واختياراً (عشر) أي ثواب عشر صلوات أي حكماً واعتباراً (فذلك) أي فمجموع ما ذكر (خمسون صلاة) ثم استأنف ببيان قضية أخرى وعطية أخرى متضمنة لهذه الجزئية المندرجة في القاعدة الكلية حيث قال: (من هم بحسنة) أي عزم على فعلها (فلم يعملها) لمانع شرعي أو عذر عرفي (كتبت) بصيغة المجهول، أي كتب له هم الحسنة. والتأنيث من إضافته إلى الحسنة ومن قبيل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. (له) أي لعاملها (حسنة) بالنصب أي ثواب حسنة واحدة. قال الطيبي: كتبت مبني على المفعول والضمير فيه راجع إلى قوله: بحسنة. وحسنة وضعت موضع المصدر أي كتبت الحسنة كتابة واحدة وكذا عشراً وكذا شيئاً منصوبان على المصدر على ما في جامع الأصول وشرح السنة. وفي بعض نسخ المصابيح حسنة وعشر مرفوعان وهو غلط من الناسخ. أقول: لعله من جهة الرواية، وأما من طريق الدراية فله وجه في الجملة وهو أن يكون قوله: كتبت له

---

(١) في المخطوطة «بياض» والكلمة من نص الحديث.

فإن عملها كُتبتْ له عشراً، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها لم تكتبْ له شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة». قال: «فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرته فقال: ارجعْ إلى ربك فَسَلْهُ التخفيف» فقال رسول الله ﷺ: «فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحيَيْتُ منه». رواه مسلم.

٥٨٦٤ ـ (٣) وعن ابن شهاب، عن أنسٍ، قال: كانَ أبو ذرّ يحدِّث أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «فُرِجَ عني سقفُ بيتي،

جملة مستقلة مجملة. وقوله: حسنة بتقدير هي جملة مبينة مفصلة. **(فإن عملها)** أي بعد ما هم بها واهتم بشأنها **(كتبت)** أي تلك الحسنة المهمومة المعمولة **(له عشراً)** أي ثواب عشر حسنات لإنضمام قصد القلب إلى مباشرة عمل القالب كقوله تعالى: **﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾** [الأنعام ـ ١٦٠]. وهذا أقل التضاعف في غير الحرم المحترم **(ومن هم بسيئة)** أي ولم يصمم على فعلها **(فلم يعملها)** أي فتركها من غير باعث أو لسبب مباح بخلاف ما إذا تركها لله **(لم تكتب)** أي تلك السيئة الموصوفة **(له شيئاً)** أما لو تركها وقد عزم على عملها فإن تركها لله فلا شك أنها تكتب له حسنة. وإن تركها الغرض فاسد فتكتب له سيئة على ما بينه حجة الإسلام في الأحياء وصرح به كثير من العلماء. **(فإن عملها كتبت)** أي له كما في نسخة صحيحة **(سيئة واحدة)** لأن السيئة لا تتضاعف بحسب الكمية. كما قال تعالى: **﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾** [الأنعام ـ ١٦٠]. إشارة إلى أن هذا عدل كما أن التضاعف فضل **(قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته. فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي)** أي وراجعته في أمر أمتي **(حتى استحييت منه. رواه مسلم)**.

٥٨٦٤ ـ **(وعن ابن شهاب)** أي الزهري وهو أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الأعلام من التابعين بالمدينة المشار إليه في فنون علوم الشريعة سمع نفراً من الصحابة وروى عنه خلق كثير منهم قتادة ومالك بن أنس **(عن أنس قال: كان أبو ذر)** أي الغفاري من أعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين. أسلم قديماً بمكة ويقال كان خامساً في الإسلام وكان يتعبد قبل مبعث النبي ﷺ روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ذكره المؤلف. **(يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج)** بضم فاء وتخفيف راء وتشدد من الفرج والتفريج بمعنى الشق والكشف أي أزيل **(عني سقف بيتي)** قال الطيبي: فإن قيل قد روى أنس في حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ: بينما أنا في الحطيم أو في الحجر[1]. وفي هذا الحديث قال: فرج عني سقف بيتي. قلنا: كان لرسول الله ﷺ معراجان أحدهما حال اليقظة على ما رواه مالك والثاني في النوم، ولعله ﷺ أراد ببيتي بيت أم هانىء إذ روي أيضاً الإسراء منه فأضافه إلى نفسه

الحديث رقم ٥٨٦٤: أخرجه البخاري ١/ ٤٥٨. حديث رقم ٣٤٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٨ حديث رقم (٢٦٣ . ١٦٣). وأحمد في المسند ٥/ ١٢٢.

(١) راجع الحديث رقم (٥٨٦٢).

وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرجَ صدري، ثم غسله بماءِ زمزم، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي. فعرج بي إلى السماءِ، فلما جئتُ إلى السّماء الدُّنيا. قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: جبريل قال: هل معكَ أحد؟ قال: نعم معي محمَّد ﷺ. فقال: أُرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فُتح عَلَوْنَا السماءَ الدُّنيا، إذا رجلٌ قاعدٌ، على يمينه أَسْوِدَةٌ، وعلى يساره أَسْوِدَةٌ إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى فقال مرحباً بالنبي الصَّالح والابن الصَّالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، [و] هذه الأَسْوِدَةُ عن يمينه وعن شماله نَسَم بنيه، فأهلُ اليمين منهم أهلُ ٱلجنَّة، والأسْوِدَةُ التي عن شماله أهلُ النار، فإذا نظر عن

تارة لأنه ساكنة وإليها أخرى لأنها صاحبته. وقال بعض المحققين: الجمع بين الأقوال الواردة في هذه المواضع أنه ﷺ نام عند بيت أم هانيء وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيتها. وأضاف البيت إلى نفسه لكونه يسكنه فنزل فيه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد وكان مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه من الحطيم إلى باب المسجد فأركبه البراق. ثم قوله: **(وأنا بمكة)** جملة حالية للإشعار بأن القضية مكية لا مدنية. **(فنزل جبريل ففرج صدري)** أي شقه **(ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه)** أي صب ما في الطست **(في صدري ثم أطبقه)** أي غطى صدري ولأم شقه. **(ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئت)** أي وصلت **(إلى السماء الدنيا. قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا. قال: جبريل. قال: هل معك أحد. قال: نعم محمد. فقال: أرسل إليه. قال: نعم. فلما فتح)** وفي نسخة بصيغة المجهول **(علونا السماء الدنيا)** أي طلعناها **(إذا رجل قاعد على يمينه أسودة)** جمع سواد كأزمنة جمع زمان بمعنى الشخص لأنه يرى أنه أسود من بعيد، أي أشخاص من أولاده. **(وعلى يساره أسودة إذا)** وفي نسخة صحيحة فإذا **(نظر قبل يمينه)** بكسر القاف وفتح الموحدة جانب أيمنه. **(ضحك)** أي لما يرى مما يدل على سروره ويمنه. **(وإذا نظر قبل شماله بكى)** أي لما يشاهد مما يشعر بشروره وشؤمه **(فقال:)** أي بعد السلام ورده **(مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا قيل)** ظاهره أنه سأل النبي ﷺ بعد أن قال له آدم مرحباً. ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها إذ ليس في هذه أداة تمثيل. أقول: الأظهر أن المشار إليه بهذا في السؤال إنما هو الأسودة. وأعيد ذكر آدم في الجواب ليعطف عليه مقصود الخطاب، فصح كلام الراوي. **(قال:)** أي جبريل **(هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله)** وفي نسخة صحيحة: وعن شماله. **(نسم بنيه)** بفتح النون والسين جمع نسمة، وهي الروح أو النفس مأخوذ من النسم وهو النفس ومنه نسيم الصبا، أي أرواح أولاده السابقين، أو مع شمول اللاحقين. وذكر البنين للتغليب كما في قوله تعالى: **﴿يا بني آدم﴾** [الأعراف ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٣١ ـ ٣٥، يس ـ ٦٠]. **(فأهل اليمين)** أي الأسودة التي عن يمينه **(منهم)** أي من جملة جميع الأسودة **(أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار. فإذا نظر عن

يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، حتى عَرَجَ بي إلى السماءِ الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مِثْلَ ما قَالَ الأوَّلُ». قال أنس: فَذَكَرَ أنَّه وجَد في السماوات آدَمَ، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنَّه ذكر أنَّه وجد آدم في السماء الدُّنيا، وإبراهيم في السماءِ السادسة. قال ابن شهاب: فأخبرني ابنُ حزمٍ أن ابن عباس وأبا حبَّةَ الأنصاري كانا يقولان، قال النبي ﷺ: «ثم عُرج بي، حتى ظهرت

يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله) وفي نسخة صحيحة: وإذا نظر عن شماله. **(بكى)** قال القاضي: قد جاء أن أرواح الكفار محبوسة في سجين، وأرواح الأبرار منعمة في عليين، فكيف تكون مجتمعة في السماء. وأجيب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتاً فصادف وقت عرضها مرور النبي ﷺ، وبأن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما. ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد، وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله، وقد أعلم بما سيصيرون إليه. فقوله: نسم بنيه. عام مخصوص والله أعلم. **(حتى عرج بي)** ضبط للفاعل وقيل للمفعول، والمعنى عرج بي جبريل. **(إلى السماء الثانية)** وفي جامع الأصول: هكذا ثم عرج بي جبريل إلى السماء الثانية. **(فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول)** أي مثل مقول الخازن السابق **(قال أنس: فذكر)** أي النبي ﷺ، أو أبو ذر مرفوعاً وهو الأظهر. **(أنه)** أي النبي عليه الصلاة والسلام **(وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم)** الظاهر وجود هارون ويحيى ويوسف ويحتمل إسقاطهم من الرواية. **(ولم يثبت)** بكسر الموحدة من الإثبات، أي لم يبين أبو ذر أو النبي ﷺ **(كيف منازلهم. غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا)** هذا لا خلاف فيه **(وإبراهيم في السماء السادسة)** هذا موافق لرواية شريك عن أنس. والثابت في جميع الروايات غيرها وهو أنه في السابعة. فإن قلنا بتعدد المعراج فلا إشكال، وإلا فالأرجح رواية الجماعة لقوله فيها إنه رآه مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وهو في السابعة بلا خلاف، ولأنه قال هنا إنه لم يثبت كيف منازلهم. فرواية من أثبت أرجح. **(قال ابن شهاب:)** أي الزهري **(فأخبرني ابن حزم)** بفتح الحاء وسكون الزاي. قال المؤلف: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، روى عن أبي حبة وابن عباس وعنه الزهري ثم أبوه وجده أيضاً من الصحابة حيث قال المؤلف: أبوه أنصاري ولد في عهد رسول الله ﷺ سنة عشر بنجران وكان أبوه عامل النبي ﷺ على نجران وكان محمد فقيهاً. روى عن أبيه وعن عمرو بن العاص وعنه جماعة. قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك سنة ثلاث وستين. **(أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري)** بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة كذا في شرح السنة، وفي المصابيح بالياء. قال النووي: هو بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف. قيل حية بالياء المثناة تحت. وقيل بالنون. والأصح ما ذكرناه. وقد اختلف في اسمه فقيل: عامر، وقيل: مالك، وقيل: ثابت. وقال المؤلف: هو ثابت بن النعمان الأنصاري البدوي وفي كنيته واسمه خلاف كثير ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً فذكره بكنيته ولم يسمه، وحبة بتشديد الموحدة هو الأكثر، قتل يوم أحد. **(كانا يقولان: قال النبي ﷺ: عرج بي حتى ظهرت)** أي علوت

لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام» وقال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: «ففرض الله على أُمَّتي خمسين صلاة فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أُمَّتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجعْ إِلى ربّك، فإن أُمَّتكَ لا تطيق؛ فراجعت، فوضع شطرها، فرجعتُ إِلى موسى، فقلت: وضع شطرها، فقال: راجعْ ربَّك فإنَّ أُمَّتكَ لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت. فوضع شطرها د فرجعت إِليه، فقال: ارجع إِلى ربك فإِن أُمَّتك لا تطيق ذلك، فراجعت؛

(**لمستوى**) بفتح الواو منوناً وهو المستقر وموضع الاستعلاء، من استوى الشيء استعلاء. وثبوت الياء بعد الواو يدل على أنه صيغة اسم المفعول واللام فيه للعلة. أي علوت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته. ويحتمل أن يكون متعلقاً بالمصدر، أي ظهرت ظهور المستوى، ويحتمل أن يكون بمعنى إلى. قال تعالى: ﴿**أوحى لها**﴾ [الزلزلة ـ ٥]. أي إليها، وقيل: بمعنى علي. (**أسمع فيه**) أي في ذلك المكان أو في ذلك المقام. (**صريف الأقلام**) أي صوتها عند الكتابة. وقيل: هو ههنا عبارة عن الاطلاع على جريانها بالمقادير، والأصل فيه صوت البكرة عند الاستقاء. يقال: صرفت البكرة تصرف صريفاً. والمعنى: إني أقمت مقاماً بلغت فيه من رفعة المحل إلى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من أمر الله وتدبيره في خلقه، وهذا والله هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لأحد عليه كذا حققه بعض الشارحين من علمائنا. وقال النووي: المستوى بفتح الواو. وقال الخطابي: المراد به المصعد، وقيل: المكان المستوي. وصريف الأقلام بالصاد المهملة صوت ما يكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراد الله من أمره وتدبيره. قال القاضي عياض: هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإِيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات، لكن كيفية ذلك وصورته هنا لا يعلم إلا الله تعالى وما يتأوّل هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإِيمان إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله. (**وقال ابن حزم وأنس:**) عطف علي فأخبرني، فهو من مقول ابن شهاب الزهري. (**قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي**) وهو لا ينافي ما سبق من قوله: ففرض عليّ. (**خمسين صلاة فرجعت بذلك**) أي آخذاً به وقاصداً لعمله (**حتى مررت على موسى. فقال: ما فرض الله**) ما استفهامية وقوله: (**لك**) أي لأجلك (**على أمتك. قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك**) أي فسله التخفيف (**فإن أمتك لا تطيق**) أي هذا الحمل الثقيل (**فراجعني**) بمعنى رجعني أي ردني موسى، يعني صار سبباً لرجوعي إلى ربي. (**فوضع**) أي الله (**شطرها**) أي بعض الخمسين وهو الخمس الذي هو العشر أو العشر الذي هو الخمس على خلاف تقدم (**فرجعت إلى موسى فقلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك**) أي ارجع إليه للمراجعة (**فإن أمتك لا تطيق**) أي ذلك كما في نسخة (**فرجعت**) أي إلى مكاني الأوّل (**فراجعت**) أي فرادتت الكلام وطالبت المرام مبالغاً في ذلك المقام، فإن المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة. (**فوضع شطرها فرجعت إليه**) أي إلى موسى (**فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك.**) أي ما قدر هنالك (**فراجعته**) وفي

فقال: هي خَمْسٌ وهي خمسون، لا يبدَّل القول لديَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجعْ ربَّكَ. فقلت: اسْتَحْيَيْتُ من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهي بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؛ ثم أُدخِلتُ الجنّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك». متفق عليه.

٥٨٦٥ ـ (٤) وعن عبدِ الله، قال: لمَّا أُسريَ برسول الله ﷺ انتُهيَ به إلى سدرةِ المنتهى، وهي في السَّماءِ السادسةِ،

نسخة: فراجعت، أي ربي (فقال:) أي في الآخرة على ما في المصابيح، والمعنى. فقال للنبي ﷺ في آخر المراجعات. (هي) وفي نسخة: هن. (خمس) أي خمس صلوات في الأداء (وهي خمسون) أي صلاة في الثواب والجزاء (لا يبدل القول لدي) يحتمل أن يراد أني ساويت بين الخمس والخمسين في الثواب، وهذا القول غير مبدل، أو جعلت الخمسين خمساً ولا تبديل فيه. قال الطيبي: وقوله: استحييت من ربي. لا يناسب هذا المعنى. قلت: لا ينافيه بل يناسبه إذا حمل على ما قبل وجود العلم[1] بعدم التبديل. (فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي) أي حين قال لي: لا يبدل القول لدي. مع أنه لا مانع من تعدد المانع. (ثم انطلق بي حتى انتهى بي) بصيغة المجهول فيهما، والمعنى: ثم ذهب بي حتى وصل بي. (إلى سدرة المنتهى وغشيها) بالتخفيف أي والحال أنه غشيها (ألوان) أي من الأنوار أو أصناف من أجنحة الملائكة أو غيرها. (لا أدري) أي الآن أو في ذلك الزمان لتوجه نظره إلى المكمون دون المكان. (ما هي) أي حقيقة ما هي في ذلك المكان والزمان. (ثم أدخلت الجنة فإذا) [للمفاجأة] (فيها جنابذ اللؤلؤ) بفتح الجيم وكسر الموحدة والذال المعجمة، جمع جنبذة بضم الجيم والباء، وهي ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة. [و] قول العامة أن الجنبذة بفتح الباء معرب كنبذة. (وإذا ترابها المسك) وهو أطيب الطيب. وفي الخبر: «أنه يفوح ريخ الجنة مسيرة خمسمائة عام»[2]. (متفق عليه).

٥٨٦٥ ـ (وعن عبد الله) أي ابن مسعود رضي الله عنه (قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) قال شارح: وهم بعض الرواة في السادسة، والصواب في السابعة على ما هو المشهور بين الجمهور من الرواة. اهـ. والمعنى أن إضافة السهو إلى واحد منهم أولى ولأنه ورد أن علم الخلائق ينتهي إليها وليس كذلك في السادسة على ما لا يخفى. وقال النووي: هكذا هو في جميع الأصول. قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح قول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قال النووي: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها

---

(١) في المخطوطة «العالم».

(٢) مالك في الموطأ ٢/ ٩١٣ حديث رقم ٧ من كتاب اللباس.

الحديث رقم ٥٨٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٧٤. حديث رقم ٣٣٤٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٧ حديث رقم (٢٧٩ . ١٧٣). وأحمد في المسند ١/ ٣٨٧.

إِليها ينتهي ما يُعرجُ به من الأرضِ فيُقبضُ منها، وإِليها ينتهي ما يُهبطُ به من فوقِها فيُقبضُ منها، قال: ﴿إِذ يغشى السِّدْرَةَ ما يغشى﴾. قال: فراشٌ من ذهب، قال: فأعطيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعطيَ الصلواتِ الخمسَ، وأُعطيَ خواتيمَ سورة البقرةِ،

في نهاية من العظم. وقد قال الخليل: السدرة في [السماء] السابعة قد أظلت السموات والجنة. وقد ذكر القاضي عياض أن مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصل المنتهى أن يكون أصلها في الأرض فإن سلم له هذا أمكن حمله على ما ذكرناه. (**إليها**) أي إلى السدرة (**ينتهي ما يعرج به من الأرض**) أي ما يصعد به من الأعمال والأرواح الكائنة في الجهة السفلى (**فيقبض منها**) بصيغة المجهول فيه وفيما بعده، ويحتمل تعدد القابض واتحاده فيهما (**وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها**) أي من الوحي والأحكام النازلة من الجهة العليا (**فيقبض منها قال:**) أي قرأ ابن مسعود أو قال الله تعالى: (**إذ يغشى السدرة ما يغشى. قال:**) أي ابن مسعود في تفسير قوله: ما يغشى (**فراش**) أي هو فراش (**من ذهب**) يحتمل أن يكون مرفوعاً أو في حكم المرفوع. قال الطيبي: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وبين قوله في غير هذا الحديث: فغشيها ألوان لا أدري ما هي. قلت: قوله: غشيها ألوان لا أدري ما هي. في موقع قوله: ﴿**إذ يغشى السدرة ما يغشى**﴾ [النجم ـ ١٦]. في إرادة الإبهام والتهويل وإن كان معلوماً كما في قوله تعالى: ﴿**فغشيهم من اليم ما غشيهم**﴾ [طه ـ ٧٨]. في حق فرعون. ثم قوله هنا: فراش من ذهب. بيان له. أقول: الأظهر والله أعلم أن ما يغشى أشياء كثيرة لا تحصى ومما لا يمكن أن يحاط بها ويستقصى، لأن [نفس] السدرة إذا كانت هي المنتهى فكيف يكون إحاطة العلم بما فوقها مما يغشى. وهو لا ينافي ذكر بعض ما رأى ورؤي، وبه يجمع بين سائر الروايات والأقوال. فقيل: يغشاهم جم غفير من الملائكة. وروي أنه ﷺ قال: «رأيت على كافة ورقة ملكاً قائماً يسبح». وقيل: فرق من الطير الخضر[1] وهي أرواح الأنبياء. وقيل غير ذلك. على أن في قوله: لا أدري. إشارة إلى أنها لا تشبه الأعيان المشهودة المستحقرة في النفوس الموجودة. فينعت لهم بذكر نظائرها. ثم اعلم أن الفراش بالفتح طير معروف ومنه قوله تعالى: ﴿**[يوم يكون الناس] كالفراش المبثوث**﴾ [القارعة ـ ٤]. وقد قال شارح: الفراش ما تراه كصغار البق يتهافت ويتساقط في النار. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالفراش أرواح الأنبياء، وهذا لا ينافي قوله في غير هذا الحديث: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي». لجواز أن يكون هذا أيضاً مما غشيها. اهـ. وتبين البون البين بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿**فغشيهم من اليم ما غشيهم**﴾. حيث إنه وقع[2] الإبهام هنا لتعظيمه والعجز عن إحاطته وفي قضية فرعون إشارة إلى معلوميته وحقارته. (**قال:**) أي ابن مسعود (**فأعطي رسول الله ﷺ**) أي تلك الليلة أو في ذلك المقام والحالة (**ثلاثاً**) أي لها على ما عداها مزية كاملة (**أعطي الصلوات الخمس**) أي فرضيتها (**وأعطي خواتيم سورة البقرة**) أي إجابة دعواتها. فإن قلت: هذا بظاهره ينافي ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس: «بينا جبريل

---

(١) في المخطوطة «الخفير». (٢) في المخطوطة «أوقع».

وغُفِر لمن لا يشرِكُ باللّهِ من أُمته شيئاً المقحِمات.

قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه أي صوتاً فرفع رأسه فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[(١)]. قلت: لا منافاة فإن الإعطاء كان في السماء من جملة ما أوحى إلى عبده ما أوحى بقرينة إعطاء الصلوات الخمس في المقام الأعلى ونزول الملك المعظم لتعظيم ما أعطي. وبشارة ما خص به من بين سائر الأنبياء. نعم يشكل هذا بكون سورة البقرة مدنية وقضية المعراج بالاتفاق مكية فيدفع باستثناء الخواتيم من السورة فهي مدنية باعتبار أكثرها. فقد نقل ابن الملك عن الحسن وابن سيرين ومجاهد: إن الله تعالى تولى إيحاءها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج فهي مكية عندهم. وأما الجواب على قول الجمهور، أن السورة بكمالها مدنية. فقد قال التوربشتي: ليس معنى [قوله:] أعطي. أنها أنزلت عليه، بل المعنى أنه استجيب له فيما لقن في الآيتين من قوله سبحانه: ﴿غفرانك ربنا﴾ إلى قوله: ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة ـ ٢٨٥ و٢٨٦]. ولمن يقوم بحقها من السائلين. قال الطيبي: في كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال لأن المراد منه[(٢)] الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج في مكة. ويمكن أن يقال هذا من قبيل: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم ـ ١٠]. والنزول بالمدينة من قبيل: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾ [النجم ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥]. اهـ. وحاصله أنه وقع تكرار الوحي فيه تعظيماً له واهتماماً بشأنه فأوحى إليه في تلك الليلة بلا واسطة، ثم أوحى إليه في المدينة بواسطة جبريل، وبهذا يتم أن جميع القرآن نزل بواسطة جبريل كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [الشعراء ـ ١٩٣ ـ ١٩٤]. ويمكن أن يحمل كلام الشيخ على أن المراد هنا بالإعطاء استجابة الدعاء مما اشتمل الإتيان عليه، وهو لا ينافي نزولها بعد الإسراء إليه. قال الطيبي: وإنما أوثر الإعطاء لما عبر عنها بكنز تحت العرش. فقد روينا عن أحمد بن حنبل: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبل»[(٣)]. وكان لنبينا ﷺ مع الله تعالى مقامان يغبطهما الأوّلون والآخرون أحدهما في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في العقبى وهو المقام المحمود، ولا أهتم فيهما إلا بشأن هذه الأمة المرحومة. **(وغفر)** بصيغة المجهول **(لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات)** بالرفع على نيابة الفاعل وهو بكسر الحاء، أي الكبائر المهلكات التي تقحم صاحبها النار إن لم يتجاوز عنه الملك الغفار. والمعنى أنه ﷺ وعد تلك الليلة الكاملة بهذه المغفرة الشاملة، وإن نزل قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء ـ ٤٨]. بعد ذلك فإنه من سورة النساء وهي مدنية. ولعل عدم ذكر المشيئة في الحديث لظهور القضية في حكم القديم والحديث. هذا وقال ابن حجر: المراد بغفرانه أنه لا

---

(١) مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٤ حديث رقم ٨٠٦.

(٢) في المخطوطة «منها». (٣) أحمد في المسند ٥/ ١٨٠.

رواه مسلم.

٥٨٦٦ ـ (٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجرِ وقريشُ تسألني عن مسْراي، فسألَتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أُثبتْها، فكُرِبتُ كرباً ما كُربتُ مثلَه، فرفعَه اللّهُ لي أنظرُ إليه، ما يسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهم، وقد رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياءِ،

يخلد في النار بخلاف المشركين. وليس المراد أنه لا تعذب أمته أصلاً. إذ قد علم من نصوص الشرع وإجماع أهل السنة إثبات عذاب العصاة من الموحدين. اهـ. وفيه أنه حينئذ لا يبقى خصوصية لأمته ولا مزية لملته، اللهم إلا أن يقال المراد غالب هذه الأمة فإنها أمة مرحومة والله أعلم. **(رواه مسلم)**.

٥٨٦٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني)** أي والله لقد أبصرت نفسي الأنفس أو علمت ذاتي الأقدس **(في الحجر)** أي قائماً **(وقريش)** أي والحال أن جماعة من قريش **(تسألني عن مسراي)** بفتح الميم مصدر ميمي أي عن سيري إلى بيت المقدس بالضبطين **(فسألتني)** أي قريش **(عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها)** من الإثبات أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأمور أهم منها **(فكربت)** بصيغة المفعول أي أحزنت **(كرباً)** كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق. والمعنى حزناً شديداً، ويناسبه قوله: **(ما كربت مثله)** أي مثل ذلك الكرب. وفي القاموس: الكرب الحزن يأخذ بالنفس كالكربة وكربه الغم فهو مكروب. قال الطيبي: كذا في المصابيح. وفي شرح صحيح مسلم: كربة. قال النووي: الضمير في قوله: مثله. يعود إلى معنى الكربة وهو الغم أو الهم أو الشيء. قال الجوهري: الكربة بالضم الغم الذي يأخذ النفس لشدته. **(فرفعه الله)** أي بيت المقدس **(لي)** أي لأجلي **(أنظر إليه)** حال، والمعنى رفع الحجاب بيني وبينه لأنظر إليه وأخبر الناس بما اطلعت عليه، وهذا معنى كلامه مستأنفاً مبيناً. **(ما يسألوني)** بتشديد النون وتخفف **(عن شيء إلا أنبأتهم)** أي أخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة. ولذا لم يقل ما سألوني بصيغة الماضية. **(وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء)** أي مع جمع في ليلة الإسراء، كما يدل عليه السياق والسباق واللحاق وهذه الرؤية غير رؤية السماء بالاتفاق. ثم قيل: رؤيته إياهم في السماء محمولة على رؤية أرواحهم إلا عيسى لأنه ثبت أنه رفع بجسده. وقد قيل في إدريس ذلك. وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح ويحتمل الأجساد بأرواحها. والأظهر أن صلاته لهم في بيت المقدس كان قبل العروج. قلت: قد سبق أنهم أحياء عند ربهم وأن الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم، ثم أجسادهم كأرواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال. ومما يؤيد تشكل

الحديث رقم ٥٨٦٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٢٨٠. حديث رقم ٣٣٩٤. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم (٢٧٨ ـ ١٧٢). والترمذي في السنن ٥/ ٢٨٠ حديث رقم ٣١٣٠.

فإذا موسى قائمٌ يُصلي. فإذا رجلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنه من رجالِ شنوءةَ، وإذا عيسى قائمٌ يُصلي، أقربُ الناس به شبهاً عروةُ بن مسعودٍ الثَّقفيُّ، فإذا إبراهيمُ قائمٌ يُصلي، أشبهُ الناس به صاحبُكم ـ يعني نفسَه ـ فحانت الصلاةُ فأَمَمْتُهم،

الأنبياء وتصوّرهم على وجه الجمع بين أجسادهم وأرواحهم قوله: (فإذا موسى قائم يصلي) فإن حقيقة الصلاة وهي الإتيان بالأفعال المختلفة إنما تكون للأشباح لا للأرواح لا سيما، وكالتصريح في المعنى المراد قوله: (فإذا رجل ضرب) أي نوع وسط (من الرجال) أو خفيف اللحم على ما في النهاية (جعد) بفتح فسكون وفيه معنيان أحدهما جعودة الجسم وهو اجتماعه، والثاني جعودة الشعر والأوّل أصح هاهنا. لما جاء في رواية أبي هريرة. أنه رجل الشعر. كذا قاله صاحب التحرير: قال النووي: ويجوز أن يراد به المعنى الثاني أيضاً لأنه يقال: شعر رجل إذا لم يكن شديد الجعودة. (كأنه من رجال شنوءة) وهي قبيلة مشهورة (وإذا عيسى قائم يصلي) فيه إيماء إلى أن الصلاة معراج المؤمن من حيث إنها حالة حضور الرب وكمال القرب في الحالات وأنواع الانتقالات وهو من أعظم اللذات عند عشاق الذات والصفا. (أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي) نسبة إلى ثقيف قبيل، وليس هذا أخاً لعبد الله بن مسعود كما في حواشي المصابيح فإنه هذلي. (وإذا بإبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به) أخبار متعاقبة لإبراهيم. قال الطيبي: والمعنى أكثر الناس شبهاً بإبراهيم (صاحبكم يعني نفسه) هذا من كلام أبي هريرة، أو من بعده. أي يريد النبي ﷺ بقوله: صاحبكم. نفسه وذاته إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [التكوير ـ ٢٢]. ثم رؤيته إياهم يصلون يحتمل أنها كانت في أثناء الإسراء إلى بيت المقدس أو في نفس المسجد الأقصى وهو المعبد الأعلى ويؤيده الفاء التعقيبية في قوله: (فحانت الصلاة) أي دخل وقتها. ولعل المراد بها صلاة التحية أو يراد بها صلاة المعراج على الخصوصية. (فأممتهم) أي صرت لهم إماماً وكنت لهم إماماً في شرح مسلم للنووي. قال القاضي عياض: فإن قيل: كيف رأى موسى عليه السلام يصلي وأم ﷺ الأنبياء في بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات. فالجواب يحتمل أنه ﷺ رآهم وصلّى بهم في بيت المقدس ثم صعدوا إلى السماء فوجدهم فيها، وأن يكون اجتماعهم وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى. اهـ. والأظهر أنه لا منع من الجمع حيث لا يخالفه العقل والسمع، مع أن الأمور الخارقة للعادة عن الكيفية العقلية خارجة. فقد روي أنه قيل للسيد عبد القادر رحمه الله أن قضيب البان ما يصلى فقال: لا تقولوا فإن رأسه دائماً على باب الكعبة ساجد. وتشكله بصورة المتعددة في الأماكن المختلفة معرفة عند طبقة الصوفية. فكأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم، فلما تبين لهم اسراء سيد الأنبياء إلى جهة السماء استقبلوه واجتمعوا معه في بيت المقدس الذي هو مقر الأصفياء واقتدوا بالإمام الحي الذي هو أفضل رجال الطي ثم تقدموا بطريق المشايعة وآداب المتابعة إلى السموات وتوقف كل فيما أعطاه الله تعالى من المقامات فمر عليهم وخص كلاً بالسلام عليه، وهم أظهروا الترحيب والتعظيم لديه مع سائر الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين. إلى أن تجاوز عن سدرة المنتهى وانتهى إلى مقام قاب

فلمّا فرغتُ من الصلاةِ، قال لي قائلٌ: يا محمَّدُ! هذا مالكٌ خازنُ النارِ فسلِّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلامِ». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٦٧ - (٦) عن جابرٍ، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «لما كذَّبني قريشٌ قمتُ في الحجرِ فجلَّى اللّهُ بي بيتَ المَقدسِ، فطفِقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه». متفق عليه.

البداية بعد العروج إلى النهاية للحكم الصمدانية وللقسم الفردانية رجع عن حاله من العظمة النبوية والدولة الخاتمية واجتمع بسائر الأنبياء ثانياً ونزلوا معه متقدمين ومتأخرين وتبايناً، إلى أن اجتمعوا إلى المسجد الأقصى آخراً وصلّى بهم صلاة مودع فاخر. ثم قوله: **(فلما فرغت من الصلاة)** يحتمل أن يكون قبل صعوده وأن يكون بعد شهوده **(قال لي قائل:)** هو جبريل أو غيره من ملك جليل **(يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه)** أي تعظيماً لجلال الملك القهار أو تواضعاً كما هو دأب الأبرار **(فالتفت إليه)** أي على قصد السلام عليه **(فبدأني بالسلام)** أي لما عرف من تعظيم المقام وآداب الكرام وقال الطيبي: إنما بدأ بالسلام ليزيل ما استشعره من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداء كما سبق قلت: قد سبق قلت أنه ابتدأ بالسلام عليهم تواضعاً له وتكريماً لهم، أو لأنه كان قائماً وهم قعود على ما صرح به في آدم، أو لأنه كان ماراً وهم وقوف وهو مختار الشيخ التوربشتي، أو لأنه حي وأنهم في صورة الأموات والله أعلم بحقيقة الحالات. **(رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)** أي فلا تستغرب من قوله.

(الفصل الثالث)

٥٨٦٧ - **(عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبني)** أي نسبني إلى الكذب **(قريش)** أي فيما ذكرت من قضية الإسراء وطلبوا مني علامات بيت المقدس وما [في] طريقه من الإنس **(قمت في الحجر)** أي في موضع بدىء بي الصعود أوّلاً لينجلي لي الشهود ثانياً **(فجلى الله)** بتشديد اللام من التجلية أي فأظهر **(لي بيت المقدس)** أي وطريقه الأقدس **(فطفقت)** بكسر الفاء قبل القاف، أي فشرعت. **(أخبرهم عن آياته)** أي علامات بيت المقدس ودلالاته مما يكون من شواهد حالات النبي ﷺ ودلائل معجزاته **(وأنا أنظر إليه)** أي كان نظري واقع عليه وجسدي حاضر لديه. **(متفق عليه)**.

تم الجزء العاشر، ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله: «باب في المعجزات» من كتاب الفضائل والشمائل

الحديث رقم ٥٨٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٩٦. حديث رقم ٣٨٨٦. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم (٢٧٦ - ١٧٠). والترمذي في السنن ٥/ ٢٨١ حديث رقم ٣١٣٣. وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٨.

الفهرس

كتاب الفتن

كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق

كتاب الفضائل والشمائل

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص "مرقاة المفاتيح" وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب "الإكمال في أسماء الرجال" وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء الحادي عشر

المحتوى
كتاب الفضائل والشمائل - كتاب المناقب
تراجم رجال المشكاة

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

بسم الله الرحمن الرحيم

(٧) باب في المعجزات

الفصل الأول

٥٨٦٨ ـ (١) عن أنسِ بن مالكٍ، أنَّ أبا بكرٍ الصديق رضيَ الله عنه قال: نظرتُ إلى أقدامِ المشركينَ على رؤوسنا ونحنُ في الغارِ، فقلتُ: يا رسول الله! لو أنَّ أحدَهم نظرَ إلى قدمِه أبصرَنا، فقال: «يا أبا بكرٍ! ما ظنُّكَ

(باب في المعجزات)

المعجزة مأخوذ من العجز الذي هو ضد القدرة. وفي التحقيق المعجز فاعل العجز في غيره وهو الله سبحانه. وسميت دلالات صدق الأنبياء وأعلام الرسل معجزة لعجز المرسل إليهم عن معارضتهم بمثلها. والهاء فيها إما للمبالغة كعلامة ونسابة، وإما أن يكون صفة لمحذوف كآية وعلامة ذكره الطيبي.

(الفصل الأوّل)

٥٨٦٨ ـ **(عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه)** بصيغة الإفراد في أصح النسخ بناء على نهاية خصوصيته وغاية مزيته لا سيما في هذا المقام، فإنه بالنسبة إلى أنس كالسيد والغلام نظراً إلى أنه الأستاذ، وإليه الإسناد مع احتمال أن الترضية من كلام أنس. وفي نسخة رضي الله عنهما جمعا بينهما لأداء حقوقهما وأصل استحقاقهما. **(قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا)** أي كأنها فوق رؤوسنا **(ونحن)** أي أنا ورسول الله ﷺ **(في الغار)** اللام للعهد الذهني، نحو قوله تعالى: ﴿**إذ هما في الغار**﴾ [التوبة ـ ٤٠]. أي غار ثور للاختفاء من الكفار على قصد الهجرة إلى الدار. قال الطيبي: الغار نقب في أعلى ثور وهو جبل بمنى مكة على مسيرة ساعة أي ساعة نجومية، أو المراد بها مدة قليلة. قيل: طلع المشركون فوق الغار في طلب سيد الأبرار فأشفق أبو بكر على رسول الله ﷺ وقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله. وقال أيضاً: من كمال الاضطراب خوفاً على ذلك الجناب ما رواه أنس عنه. **(فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمه)** أي موضعها **(أبصرنا)** أي لتقابلنا **(فقال: يا أبا بكر ما ظنك**

الحديث رقم ٥٨٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨. حديث رقم ٣٦٥٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٤ حديث رقم (١/ ٢٣٨١). والترمذي في السنن ٥/ ٢٦٠ حديث رقم ٣٠٩٦ وأحمد في المسند ١/ ٤.

باثنينِ اللَّهُ ثالثُهما؟». متفق عليه.

٥٨٦٩ ـ (٢) وعن البراءِ بن عازبٍ، ع أبيهِ، أنه قال لأبي بكرٍ: يا أبا بكرٍ! حدِّثني كيف صنعتُما حين سرَيتَ معَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: أسرَينا ليلتَنا ومنَ الغدِ، حتى قامَ قائمُ الظهيرةِ

باثنين الله ثالثهما) فنزل قوله تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** [التوبة ـ ٤٠]. ونسبة إلا خراج إليهم لكونهم سبباً لخروجه بأمر الله إياه لحكمة أراد[ها] الله. روي أن رسول الله ﷺ قال: اللهم أعم أبصارهم. فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه. اهـ. ولا يخفى أن القصة بانضمام هذه الرواية وما في معناه من قضية الحمامة والعنكبوت حيث أظهرها الله في عيونهم على باب الغار تصير معجزة. هذا وقال الطيبي: معنى قوله: الله ثالثهما. جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى إليهما في المعية المعنوية التي أشار إليها بقوله سبحانه: **﴿إن الله معنا﴾**. ثم قال: فإن قلت: أي فرق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى وهارون: **﴿لا تخافا إنني معكما﴾** [طه ـ ٤٦]. قلت: بينهما بون بعيد لأن معنى قوله: معكما. ناصركما وحافظكما من مضرة فرعون. ومعنى قول الله: ثالثهما. إن الله تعالى جاعلهما ثلاثة فيكون سبحانه أحد الثلاثة وإن كل واحد منهم مشترك فيما له وعليه من النصرة والخذلان. فإن قلت: ما الفرق بين قول الله ثالثهما وبين قوله: ثالثهما الله. قلت: يفيد الأول أنهما مختصان بأن الله ثالثهما وليس بثالث غيرهما، وفي عكسه يفيد أن الله تعالى ثالثهما لا غيره وكم بين العبارتين. وقال أكمل الدين في شرح المشارق: استشكل بأن في قوله: ثالثهما. إطلاق الثالث على الله وهو كلام حق ليس فيه زيغ. وفي قوله تعالى: **﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾** [المائدة ـ ٧٣]. إطلاق الثالث عليه كفر وكفر القائلون به فما سبب ذلك. أجيب بأن في الحديث إضافة الثالث إلى عدد أنقص منه بواحد وذلك بمعنى التصيير وهو مصير كل شيء. وفي الآية إضافته إلى عدد مثله وذلك بمعنى واحد منهم، تعالى وتقدس. قلت: وكذا زال الإشكال به من قوله تعالى: **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾**. حيث لم يقل [ثالثهم] وخامسهم. ثم رفع وهم المعية الكائنة بالحجة السبحانية والبينة البرهانية حيث عمم الحكم بقوله: **﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا﴾** [المجادلة ـ ٧] الآية. **(متفق عليه)**.

٥٨٦٩ ـ **(وعن البراء بن عازب)** صحابيان جليلان **(عن أبيه أنه قال لأبي بكر: يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت)** من سرى لغة في أسرى بمعنى السير في الليل، أي حين سافرت من مكة إلى المدينة للهجرة بعد الخروج من الغار. **(قال: أسرينا ليلتنا)** أي جميعها **(ومن الغد)** أي وبعضه وهو نصفه كما يفيده قوله: **(حتى قام قائم الظهيرة)** أي بلغت الشمس

الحديث رقم ٥٨٦٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٢٢. حديث رقم ٣٦١٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٣٠٩ حديث رقم (٧٥/ ٢٠٠٩). وأحمد في المسند ١/ ٢.

وخَلا الطريقُ لا يمرُّ فيه أحدٌ، فرُفِعتْ لنا صخرةٌ طويلةٌ، لها ظلٌّ لم يأتِ عليها الشمسُ، فنزلنا عندَها، وسَوَّيتُ للنبيِّ ﷺ مكاناً بيديَّ ينامُ عليه، وبسطتُ عليه فروةً، وقلتُ: نَمْ يا رسولَ الله! وأنا أنفضُ ما حولكَ، فنامَ وخرجتُ أنفضُ ما حولَه، فإذا أنا براعٍ مقبلٍ. قلتُ: أفي غنمكَ لبنٌ؟ قال: نعم، قلتُ: أفتحلبُ؟ قال: نعم. فأخذَ شاةً فحلبَ في قَعْبٍ كُثْبَةً من لبنٍ، ومعي إِداوَةٌ حملتُها للنبيِّ ﷺ يَرتوي فيها، يشربُ

وسط السماء. ففي النهاية: أي قامت الشمس وقت الزوال من قولهم: قامت به دابته أي وقفت. والمعنى: إن الشمس إذا بلغت وسط السماء أبطأت حركة الظل إلى أن تزول، فيحسب الناظر أنها قد وقفت وهي سائرة لكن سيراً لا يظهر له أثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده، فيقال لذلك الوقوف المشاهد قام قائم الظهيرة. **(وخلا الطريق)** أي صار خالياً عن مرور الفريق **(لا يمر فيه أحد)** تأكيد لما قبله أو بيان **(فرفعت لنا صخرة طويلة)** أي أظهرت. قال الطيبي: ومنه رفع الحديث وهو إذاعته وإظهاره، وفيه بحث لأن الحديث المرفوع خاص بما أسند إليه ﷺ وسمي الحديث به لأنه يحصل له كمال الرفعة بسببه. **(لها)** أي لتلك الصخرة **(ظل)** أي عظيم من صفته **(أنه لم تأت)** بالتأنيث ويذكر، أي لم تحكم عليه. **(الشمس)** أي بشعاعها حينئذ **(فنزلنا عندها)** أي عند الصخرة **(وسوّيت للنبي ﷺ مكاناً بيدي)** بصيغة التثنية إشعاراً بزيادة الاهتمام في الخدمة. **(ينام عليه)** استئناف تعليل أو صفة لمكاناً. **(وبسطت عليه فروة)** أي وفرشت على المكان جلداً بشعره. **(وقلت: نم يا رسول الله وأنا أنفض ما حولك)** بضم الفاء أي أتجسس الأخبار وأتفحص عن العدو وأرى هل هناك مؤذ من عدوّ وغيره. من النفض الذي هو سبب النظافة من نحو الغبار. وفي النهاية: أي أحرسك وأطوف هل أرى طلباً، يقال: نفضت المكان إذا نظرت جميع ما فيه، والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوّاً أو خوفاً. **(فنام وخرجت أنفض ما حوله فإذا أنا براع مقبل)** بالجر صفة راع، ومعناه: جاء من قبلنا ومن جهة قدامنا. **(قلت: أفي غنمك لبن. قال: نعم. قلت: أفتحلب)** بضم اللام ويجوز كسرها على ما في القاموس. والمعنى: أفتحلبها لي. **(قال: نعم. فأخذ شاة فحلب في قعب)** بفتح القاف وسكون العين أي في قدح من خشب مقعر **(كثبة)** بضم الكاف وسكون المثلثة فموحدة أي قدر حلبته. **(من لبن)** وقيل: ملء القدح من اللبن. فقوله: من لبن على قصد التجريد أو لمزيد التأكيد. **(ومعي إداوة)** بكسر الهمز، أي ظرف ماء مطهرة أو سقاية. **(حملتها للنبي ﷺ)** أي خاصة أو خالصة في النية وقصد الطوية **(يرتوي فيها)** قال التوربشتي: رويت من الماء بالكسر وارتويت وترويت كلها بمعنى. قال الطيبي: فعلى هذا ينبغي أن يقال يرتوي منها لا فيها. قلت: في القاموس أن في تأتي بمعنى[1] من، أو التقدير يرتوي من الماء فيها. وقال النووي: معنى يرتوي فيها جعل القدح آلة للري والسقي ومنه الرواية الإبل التي يستقى عليها الماء. اهـ. فعلى هذا يكون في بمعنى الباء. ثم قوله: **(يشرب**

---

(١) في المخطوطة «بسبب».

ويتوضَّأ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فكرهتُ أن أُوقظَه، فوافقتُه حتى استيقظَ، فصَبَبْتُ من الماءِ على اللبنِ حتى بَرَدَ أسفلُه، فقلتُ: اشربْ يا رسولَ الله! فشربَ حتى رضيتُ، ثمَّ قال: «ألم يأنِ للرَّحيلِ؟» قلتُ: بَلى قال: فارتحلنا بعد ما مالت الشمسُ، واتَّبَعَنا سُراقةُ بنُ مالكٍ، فقلتُ: أُتينا يا رسولَ الله! فقال: ﴿لا تحزنْ إنَّ اللّهَ معَنا﴾ فدَعا عليه النبيُّ ﷺ، فارتطمتْ بهِ فرسُه إلى بطنِها في جَلدٍ منَ الأرضِ. فقال: إني أراكُما دعوتُما عَليَّ، فادعُوَا لي، فاللّهُ لكُما أنْ أرُدَّ عنكُما الطلبَ،

(ويتوضأ) مستأنفان للبيان والجملة، أعني قوله: ومعي الخ حالية معترضة بين قوله: فحلب وقوله: **(فأتيت النبي ﷺ)** أي باللبن **(فكرهت أن أوقظه)** أي أنبهه من النوم لاستغراقه فيه **(فوافقته)** بتقديم الفاء على القاف في النسخ المصححة أي تأنيت به **(حتى استيقظ)** وأبعد من قال أي فوافقته في النوم، إلا أن يقال المعنى فوافقته في اختياره النوم لأن الإيقاظ نوع مخالفة له. قال صاحب الخلاصة: وفي بعض نسخ البخاري، حين استيقظ، أي وافق إتياني وقت استيقاظه. ويؤيده ما في بعض الروايات: فوافقته وقد استيقظ. وقال شارح: روي بتقديم القاف على الفاء من الوقوف، والمعنى: صبرت عليه وتوقفت في المجيء إليه حتى استيقظ. **(فصببت من الماء)** أي بعضه **(على اللبن)** أي تبريداً **(حتى برد أسفله)** كناية عن كثرته **(فقلت: اشرب يا رسول الله فشرب حتى رضيت)** أي طاب خاطري **(ثم قال: ألم يأن للرحيل)** من أنى يأني إذا دخل وقت الشيء، والمعنى ألم يدخل وقت الرحيل كذا قاله شارح. والأظهر في المعنى: ألم يأت وقت التحويل للرحيل، وهو السير الجميل إلى موضع النخيل فيطابق قوله تعالى: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** [الحديد ـ ١٦]. **(قلت: بلى. قال:)** أي أبو بكر **(فارتحلنا بعدما مالت الشمس)** أي من وسط السماء وحصل برد الهواء. **(واتبعنا)** بتشديد التاء الفوقية، وفي نسخة بهمزة قطع وسكون فوقية أي وقد لحقنا. **(سراقة بن مالك)** بضم السين. قال المؤلف في فصل الصحابة: هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني كان ينزل قديداً ويعد في أهل المدينة روى عنه جماعة وكان شاعراً مجيداً. **(فقلت: أتينا)** بصيغة المجهول أي أتانا العدوّ **(يا رسول الله. فقال: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾. فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه)** أي ساخت قوائمها كما تسوخ في الرمل **(إلى بطنها في جلد)** بفتحتين أي صلب من الأرض **(فقال: إني أراكما)** بفتح الهمز من الرأي **(دعوتما علي)** أي بالمضرة **(فادعوا لي)** أي بالمنفعة والنجاة من المشقة **(فالله لكما)** بالرفع وفي نسخة بالنصب. قال شارح: هو مرفوع بالابتداء، أي فالله كفيل علي لكما أن لا أهم بعد ذلك لغدركما، أو فالله مستجيب والفاء للسببية. وقوله: **(أن أرد عنكما الطلب)** متعلق بادعوا، أي لأن أرد أو منصوب بإضمار فعل، أي أسأل الله لكما أن أرد عنكما الطلب أي طلب الكفار الذين طلبوكما. كما وقال الأشرف: الجار محذوف وتقديره بأن أرد. وقوله: فالله لكما. حشو بينهما ويمكن أن يقال: فالله مبتدأ أو لكما خبره. وقوله: أن أرد خبر ثان للمبتدأ. أو قال غيره: معناه فادعوا لي كي لا يرتطم فرسي على أن أترك طلبكما ولا أتبعكما بعد. ثم دعا لهما بقوله: فالله لكما، أي الله تعالى حافظكما وناصركما حتى تلبغا بالسلامة إلى مقصدكما. ويجوز أن يكون

فدَعا له النبيُّ ﷺ فنَجا، فجعلَ لا يلقى أحداً إلا قال: كُفيتُم، ما ههنا، فلا يلقى أحداً إلا ردَّه. متفق عليه.

٥٨٧٠ ـ (٣) وعن أنسٍ، قال: سمع عبدُ الله بنُ سلام بِمقدَم رسولِ الله ﷺ وهو في أرضٍ يخترفُ، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لا يعلمُهنَّ إلا نبيٌّ: فما أوَّلُ أشراطِ الساعةِ، وما أولُ طعامِ أهل الجنةِ؟ وما ينزعُ الولدُ إلى أبيهِ أو إلى أُمه؟

معناه: ادعوا لي حتى أنصرف عنكما فإن الله تعالى قد تكفل بحفظكما عني وحبسني عن البلوغ إليكما. قال الطيبي: الفاء في فالله تقتضي يترتب ما بعدها عليه، فالتقدير: أدعوا لي بأن أتخلص مما أنا فيه فإنكما إن فعلتما فالله أشهد لأجلكما أن أرد عنكما الطلب. ويؤيد هذا التقدير ما في شرح السنة: والله على القسم أي أقسم بالله لكما على أن أرد الطلب عنكما. **(فدعا له النبي ﷺ فنجا)** أي فتخلص من العناء كما رجا **(فجعل)** أي فشرع في الوفاء بما وعد **(لا يلقى أحداً)** أي من ورائهما **(إلا قال: كفيتم)** بصيغة المفعول وفي نسخة: لقد كفيتم أي استغنيتم عن الطلب في هذا الجانب لأني كفيتكم ذلك. **(ما ههنا)** أي ليس ههنا أحد فما نافية على ما ذكره بعض الشراح. وقال الطيبي: ما ههنا بمعنى الذي، أي كفيتم الذي ههنا. اهـ. والأوّل أظهر وهو أولى لما يستفاد منه التأكيد كما لا يخفى. كقوله: **(فلا يلقى أحداً إلا رده)** أي بهذا المعنى **(متفق عليه.)** قال النووي: فيه فوائد منها هذه المعجزة الظاهره لرسول الله ﷺ والفضيلة الباهرة لأبي بكر رضي الله عنه من وجوه. وفيه خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة ونحوها في السفر للطهارة والشرب. وفيه فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته.

٥٨٧٠ ـ **(وعن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام)** بتخفيف اللام وهو من أجلاء الصحابة الكرام ومن أولاد يوسف عليه السلام وكان أولاً من أحبار اليهود وأعلمهم بالتوراة. فعلم **(بمقدم رسول الله ﷺ)** بفتح الميم والدال أي بقدومه من مكة إلى المدينة **(وهو)** أي والحال أن ابن سلام **(في أرض)** أي في بستان **(يخترف)** أي يجتني من الفواكه. **(فأتى النبي ﷺ)** أي فجاءه **(فقال: إني سائلك عن ثلاث)** أي ثلاثة أشياء **(لا يعلمهن إلا نبي)** أي أو من يأخذ منه أو من كتابه لئلا يشكل بأنه كان ممن يعلمها إما مجملاً أو مفصلاً، ولهذا صار جوابها معجزة له وعلم يقين بنبوته عنده، وهو الظاهر من إيراد الحديث في هذا الباب. ويمكن أن يكون قد تحقق عنده معجزات أخر منضمة إلى هذا الجواب والله أعلم بالصواب. **(فما أوّل أشراط الساعة)** أي علاماتها **(وما أوّل طعام أهل الجنة وما ينزع)** بكسر الزاي. يقال: نزع الولد إلى أبيه إذا أشبهه ذكره في الغريبين. فالمعنى وما يشبهه. **(الولد)** بالنصب **(إلى أبيه أو إلى أمه)** أو للتنويع ولعل المراد قومها أو أصل الشبه أو الحكم غالبي عادي. وفي نسخة برفع الولد وإليه يشير ما قال الطيبي: أي ما سبب نزوع الولد وميله إلى أحد الأبوين. فحذف المضاف وأن

الحديث رقم ٥٨٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٦٢. حديث رقم ٣٣٢٩. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠٨.

قال: «أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفاً؛ أمَّا أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشرُ النَّاسَ من المشرقِ إلى المغربِ. وأمَّا أولُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنةِ فزيادةُ كَبِدِ حوتٍ، وإذا سبَقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأةِ نزَعَ الولدُ، وإذا سبقَ ماءُ المرأةِ نزعتْ». قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّكَ رسولُ اللَّهِ! يا رسولَ اللَّهِ! إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي من قبل أنْ تسألَهم يبهتونني. فجاءتِ اليهودُ فقال: «أيُّ رجلٍ عبدُ الله فيكم؟» قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وسيّدُنا وابنُ سيدِنا فقال: «أرأيتم إنْ أسلم عبدُ الله بنُ سلامٍ؟» قالوا: أعاذَه اللَّهُ من ذلكَ. فخرجَ عبدُ الله

المصدرية من المضارع كما في قوله: أحضر الوغى. اهـ. والأظهر ما قال شارح: معناه أي شيء يجذب الولد إلى أبيه في الشبه. **(قال: أخبرني بهن جبريل)** قاله دفعاً لتوهم أنه سمع من بعض علماء أهل الكتاب. **(آنفاً)** بالمد ويقصر، أي هذه الساعة. **(أما أوّل أشراط الساعة فنار تحشر الناس)** أي تجمعهم **(من المشرق إلى المغرب. وأما أوّل طعام يأكله أهل الجنة)** أي المسمى بنزلاً المعبر عنه بما حضر وهو مقدمة بقية النعمة. **(فزيادة كبد حوت)** أي طرفها وهي أطيب ما يكون من الكبد. وقد يقال: إنه الحوت الذي على ظهره الأرض وإذا جعل الأرض طعمة لأهل الجنة فالحوت كالأدام لهم كذا ذكره شارح. وهو مشعر بأن هذه الطعمة يوم القيامة لأهل الجنة. **(وإذا سبق ماء الرجل)** أي علا وغلب **(ماء المرأة نزع الولد)** بالنصب أي جذب الرجل أو ماؤه الولد إلى شبهه، ويرفع **(وإذا سبق ماء المرأة نزعت)** أي جذبت المرأة **(الولد)** وفي نسخة برفع الولد، وإليه ينظر ما قال المظهر: يعني إذا غلب ماء الرجل أشبهه الولد وإذا غلب ماء المرأة أشبهها الولد. [قال الطيبي]: فعلى هذا التأنيث في نزعت بتأويل السمة(١). وقال شارح: قوله: نزعت أي جذبت المرأة بالولد إلى مشابهتها بسبب غلبة مائها، أو جذبت ماءها فأكسب التأنيث من المضاف إليه. اهـ. وأما نسبة الذكورة والأنوثة(٢) فباعتبار مسابقة ماء الرجل وعكسه على ما ورد في حديث آخر. **(قال:)** أي ابن سلام **(أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله)** ثم استأنف **(وقال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت)** بضم موحدة وسكون هاء في النهاية هو جمع بهوت من بناء المبالغة في البهتان، كصبور وصبر ثم سكن تخفيفاً. **(وإنهم إن يعلموا بإسلامي من قبل أن تسألهم)** أي عني **(يبهتوني)** بتشديد النون ويخفف أي يبهتونني كما في بعض النسخ المصححة أي ينسبوني إلى البهتان ويجعلوني مبهوتاً حيران ولم يكن إسلامي عليهم حجة واضحة البرهان. **(فجاءت اليهود)** أي بإحضارهم أو اتفاقاً في مأتاهم وابن سلام في اختفاء عنهم. **(فقال:)** أي النبي عليه الصلاة والسلام **(أي رجل عبد الله فيكم)** أي فيما بينكم أو في زعمكم ومعتقدكم **(قالوا: خيرنا وابن خيرنا)** أي في الحسب من العلم والصلاح **(وسيدنا وابن سيدنا)** أي في النسب أو في سائر مكارم الأخلاق **(قال: أرأيتم)** أي أخبروني **(إن أسلم عبد الله بن سلام)** أي فهل تسلمون **(قالوا: أعاذه الله من ذلك)** أي معاذ الله أن يتصوّر هذا منه **(فخرج عبد الله**

---

(١) في المخطوطة «السنة».
(٢) في المخطوطة «المذكورة والمؤنثة».

فقال: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمَّداً رسولُ الله. فقالوا: شرنا وابنُ شرِّنا، فانتقصوهُ. قال: هذا الذي كنتُ أخافُ يا رسولَ الله! رواه البخاريُّ.

٥٨٧١ ـ (٤) وعنه، قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ شاورَ حينَ بلغَنا إقبالُ أبي سفيانَ، وقامَ سعدُ بن عبادةَ، فقال: يا رسولَ الله! والذي نفسي بيدِه لو أمرتَنا أن نخيضَها البحرَ لأخَضْناها، ولو أمرتَنا أن نضربَ أكبادَها إلى بَرْكِ الغمادِ

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا) أي هو شرنا **(وابن شرنا فانتقصوه)** من النقص وهو العيب **(قال: هذا)** أي هذا الانتقاص **(هو الذي كنت أخاف)** أي أحذره وحملتك على سؤالهم تصديقاً لحالهم وشهادة على مقالهم **(يا رسول الله. رواه البخاري)**.

٥٨٧١ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: إن رسول الله ﷺ شاور)** أي أهل المدينة للامتحان **(حين بلغنا إقبال أبي سفيان)** أي بالعير من الشام إلى مكة **(وقام سعد بن عبادة)** أي وقد قام من بين الصحابة وهو رئيس الأنصار وقال ما قال مما سيأتي. وإنما خص بالقيام لأن سبب الاستشارة اختبار الأنصار لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدوّ، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن قصده. فلما عرض له الخروج لعير أبي سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقونه على ذلك أم لا فأجابوا أحسن [جواب] بالموافقة التامة في هذه المرة وفي غيرها. وفيه حث على استشارة الأصحاب وأهل الرأي والخبرة. قال الطيبي: وذلك أن قريشاً أقبلت من الشام فيها تجارات عظيمة ومعه أربعون راكباً منهم أبو سفيان فأعجب المسلمين تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا بلغ مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة النجاء النجاء. فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة. فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة. فقال: لا والله. فمضى بهم إلى بدر ونزل جبريل فأخبر أن الله وعدكم إحدى الطائفتين. فقال رسول الله ﷺ: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقام سعد بن عبادة. **(فقال: يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها)** بضم النون وكسر الخاء، أي ندخل الدواب بقرينة المقام ودلالة المرام. **(البحر لأخضناها)** قال القاضي: الإخاضة الإدخال في الماء والكناية للخيل والإبل وإن لم يجر ذكرها بقرينة الحال. **(ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها)** قال القاضي: ضرب الأكباد عبارة عن تكليف الدابة للسير بأبلغ مما يمكن. فالمعنى: لو أمرتنا بالسير البليغ والسفر السريع. **(إلى برك الغماد)** أي مثلاً من المواضع البعيدة، وهو بفتح الموحدة وضم الغين المعجمة ويكسران. قال شارح: ومنهم من يجعل كسر الغين وكسر الباء أصح الروايتين.

الحديث رقم ٥٨٧١: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٣ حديث رقم (٨٣ ـ ١٧٧٩). وأبو داود في السنن ٣/ ١٣٠ حديث رقم ٢٦٨١. والنسائي في السنن ٤/ ١٠٨ حديث رقم ٢٠٧٤. وأحمد في المسند ٣/ ٢١٩.

لفعلنا. قال: فندبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً، فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا مصرعُ فلان» ويضعُ يدَه على الأرضِ هُهُنا وهُهُنا. قال: فما ماطَ أحدُهم عن موضعِ يدِ رسولِ الله ﷺ. رواه مسلم.

٥٨٧٢ ـ (٥) وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال وهوَ في قُبَّةٍ يومَ بدرٍ: «اللهُمَّ أَنْشُدُكَ عهدَكَ ووعدَكَ، اللهُمَّ إنْ تشأْ لا تُعبَدْ بعدَ اليومِ»

قال النووي: هو بفتح الباء وإسكان الراء هو المشهور في كتب الحديث وروايات المحدثين. وقال القاضي عياض عن بعض أهل اللغة: صوابه كسر الباء وكذا قيد شيوخ حديث أبي ذر في البخاري، واتفقوا على أن الراء ساكنة إلا ما حكاه القاضي عن الأصيلي بإسكانها وفتحها وهذا غريب ضعيف. والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان، وأهل الحديث على ضمها واللغة على كسرها. قلت: رواية المحدثين أرجح وللاعتماد أصح. قال: وهو موضع بأقصى هجر واختار غيره أنه موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل. وقيل: بلد من اليمن. ثم قوله: **(لفعلنا)** جواب لو، ولعل وجه العدول عن ضربنا أكبادها إليه للإيجاز أو للإيماء، إلى أن كل أمر صعب كالسير في بحر والسفر في بر لو أمرتنا بفعله لفعلنا. **(قال:)** أي أنس **(فندب)** أي فدعا **(رسول الله ﷺ الناس)** أي المهاجرين والأنصار فإنهم كانوا هم الناس **(فانطلقوا حتى نزلوا بدراً)** وهو مشهد معروف ويأتي بيانه **(فقال رسول الله ﷺ:)** أي لأصحابه **(هذا مصرع فلان)** أي مقتل فلان من الكفار وهذا مهلك فلان وهذا مطرح فلان حتى عد سبعين منهم. **(ويضع يده على الأرض ههنا وههنا)** إشارة إلى خصوص تلك القطع من الأرض لزيادة توضيح المعجزة **(قال:)** أي أنس **(فما ماط)** أي ما زال وبعد وتجاوز **(أحدهم)** أي من الكفار **(عن موضع رسول الله ﷺ. رواه مسلم)**.

٥٨٧٢ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال وهو)** أي والحال أنه **(في قبة يوم بدر)** الحديث من جملة مراسيل الصحابة لأن ابن عباس ما حضر بدراً. والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله. وهو قوله: **(اللهم أنشدك)** بضم الشين أي أطلبك وأسألك **(عهدك)** أي أمانك **(ووعدك)** أي انجازه **(اللهم إن تشأ)** أي عدم العبادة أو عدم الإسلام أو هلاك المؤمنين **(لا تعبد)** بالجزم على جواب الشرط **(بعد اليوم)** لأنه لا يبقى على وجه الأرض مسلم. وفيه إشعار بأن الله سبحانه لا يجب عليه شيء، مع أنه لا خلف في وعده بل ولا في وعيده من حيث إنه لا يجوز الخلف في خبره. فالخوف إنما هو لاحتمال استثناء مقدر أو قيد مقرر أو وقت محرر وهذا مجمل المرام في هذا المقام. وأما تفصيل الكلام فقد قال التوربشتي: يقال: نشدت فلاناً أنشده نشداً إذا قلت له: نشدتك الله أي سألتك بالله وقد يستعمل في موضع السؤال. والعهد ههنا بمعنى الأمان. يريد: أسألك أمانك وإنجاز وعدك الذي وعدتنيه بالنصر. فإن قيل: كان النبي ﷺ أعلم الناس بالله وقد علم أن الله سبحانه لم يكن

الحديث رقم ٥٨٧٢: أخرجه البخاري في ٦/ ٩٩. حديث رقم ٢٩١٥. وأحمد في المسند ١/ ٣٢٩.

فأخذَ أبو بكرٍ بيدِه فقال: حسبُكَ يا رسولَ الله! أَلْحَحتَ على ربِّكَ، فخرجَ وهو يثبُ في الدِّرعِ وهو يقولُ: ﴿سيُهزَمُ الجمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾». رواه البخاري.

٥٨٧٣ ـ (٦) وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال يومَ بدْرٍ: «هذا جبريلُ آخذٌ برأسِ فرسِه، عليه أداةُ الحربِ».

ليعده وعداً فيخلفه فما وجه هذا السؤال. قلنا: الأصل الذي لا يفارق [هذا] الحكم هو أن الدعاء مندوب إليه علم الداعي حصول[1] المطلوب أو لم يعلم. ثم إن العلم بالله يقتضي الخشية منه ولا ترفع الخشية من الأنبياء عليهم السلام بما أوتوا ووعدوا من حسن العاقبة، فيجوز أن يكون خوفه من مانع ينشأ ذلك من قبله أو من قبل أمته فيحبس عنهم النصر الموعود. ويحتمل أنه وعد بالنصر ولم يعين له الوقت وكان على وجل من تأخر الوقت، فتضرع إلى الله تعالى لينجز له الوعد في يومه ذلك. وأما ما أظهر من الضراعة فقيل: الأحسن أن يقال: إن مبالغة رسول الله ﷺ في السؤال مع عظم ثقته بربه وكمال علمه كان به تشجيع للصحابة وتقوية لقلوبهم لأنهم كانوا يعرفون أن دعاءه لا محالة مستجاب، لا سيما إذا بالغ فيه. قلت: وفيه إشعار بأن من لم يقدر على المحاربة أو لم يؤمر بالمقاتلة فينبغي له حينئذ أن يدعو بالنصرة ليحصل له ثواب المشاركة، فإنه ﷺ لما رأى أصحابه أنهم توجهوا إلى الخلق رجع بنفسه إلى الذات المطلق وراجع ربه في طلب الحق. قال الطيبي: المراد بالوعد ما في قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم﴾ [الأنفال ـ ٧]. ولعله ﷺ استحضر معنى قوله تعالى: ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ [العنكبوت ـ ٦]. وقوله سبحانه: ﴿والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم﴾ [فاطر ـ ١٥ ـ ١٦]. **(فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك)** أي يكفيك ما دعوت **(يا رسول الله ألححت على ربك.)** أي بالغت في السؤال، والجملة استئناف بيان للحال. **(فخرج)** أي النبي ﷺ **(من قبته وهو يثب)** بكسر المثلثة المخففة قبل الموحدة من الوثوب، أي يسرع فرحاً ونشاطاً. **(في الدرع)** أي حال كونه في درعه للمحافظة، وعلى نية المقاتلة. **(وهو يقول:)** أي يقرأ ما نزل عليه (**﴿سيهزم الجمع﴾**) أي جمع الكفار (**﴿ويولون﴾**) أي ويدبرون (**﴿الدبر﴾**[2].) بضمتين أي الظهر. وقال شارح: بضم الباء وسكونها. ثم الجملة الثانية تأكيد للأولى ويمكن أن تكون الهزيمة كناية عن المغلوبية. والمعنى: سيغلب الجمع، بل الحمل عليه أولى مراعاة للتأسيس كما لا يخفى. **(رواه البخاري.)** وكذا النسائي.

٥٨٧٣ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس: **(أن النبي ﷺ قال يوم بدر:)** قال النووي: بدر ماء معروف على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة. قال ابن قتيبة: هو بئر كانت لرجل يسمى بدراً. وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الثانية من الهجرة **(هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه)** أي على جبريل **(أداة الحرب)** أي آلته، ولعله ﷺ

---

(١) في المخطوطة «خطاب».
(٢) سورة القمر. آية رقم ٤٥.

الحديث رقم ٥٨٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣١٢. حديث رقم ٣٩٩٥.

رواه البخاري.

٥٨٧٤ ـ (٧) وعنه، قال: بينما رجلٌ منَ المسلمينَ، يومئذٍ يشتدُّ في إِثْرِ رجلٍ منَ المشركينَ أمامَه، إذ سمعَ ضربةً بالسَّوطِ فوقَه، وصوتُ الفارسِ يقولُ: أقدِمْ حَيزومُ. إذ نظرَ إلى المشركِ أمامَه خرَّ مستلقياً، فنظرَ إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه وشُقَّ وجهُه كضربة السَّوطِ، فاخْضَرَّ ذلك أجمعُ،

أظهر لأنس[١] حتى أبصره كما يشير إليه قوله. هذا لأنه في الأصل موضوع للمحسوس، وبهذا يتبين وجه إيراد الحديث في باب المعجزات. **(رواه البخاري)**.

٥٨٧٤ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس[٢] رضي الله عنه **(قال: بينما رجل)** أي أنصاري **(من المسلمين يومئذ يشتد)** أي يسرع ويعدو **(في إثر رجل)** بكسر الهمز وسكون المثلثة، وفي نسخة بفتحهما أي في عقب رجل **(من المشركين أمامه)** أي واقع قدامه **(إذ سمع)** أي المسلم. فالحديث من مراسيل الصحابة كما يدل عليه آخره. **(ضربة)** أي صوت ضربة **(بالسوط فوقه)** أي فوق المشرك **(وصوت الفارس يقول: أقدم)** بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى اعزم **(حيزوم)** أي يا حيزوم وهو اسم فرسه. وفي نسخة بضمهما بمعنى تقدم. قال النووي: هو بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الإقدام. قالوا: وهي كلمة زجر للفرس. أقول: فكأنه يؤمر بالإقدام فإنه ليس له فهم الكلام. وأما بالنسبة إلى فرس الملك فيمكن حمله على الحقيقة أو على خرق العادة. ويؤيده النداء باسمه والله أعلم. ثم قال: وقيل: بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم[٣]. والأول أشهرهما. وحيزوم اسم فرس الملك، وهو منادى بحذف حرف النداء وقال شارح: سمي بأقوى ما يكون من الأعضاء منه وأشد ما يستظهر به الفارس في ركوبه منه، وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام. قلت: ويمكن أن يكون، فيعول للمبالغة من مادة الحزم وهو شدة الاحتياط في الأمر. **(إذ نظر)** أي المسلم **(إلى المشرك أمامه خر مستلقياً)** أي سقط على قفاه **(فإذا هو)** أي المشرك **(قد خطم)** بضم الخاء المعجمة من الخطم وهو الأثر على الأنف. فقوله: **(أنفه)** للتأكيد أو إيماء إلى التجريد. وقال شارح المصابيح: أي كسر فظهر أثره. اهـ. وهو يشعر بأن رواية المصابيح بالحاء المهملة كما لا يخفى، والحاصل أنه جرح أنفه. **(وشق وجهه)** أي قطع طولاً **(كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع)** بتشديد الراء، أي صار موضع الضرب كله أخضر أو أسود، فإن الخضرة قد تستعمل بمعنى السواد كعكسة للمبالغة.

---

(١) الأصح أن يقال «لابن عباس» لأنه هو راوي الحديث. إلا أن عبد الله كان صغيراً جداً يوم بدر. فكان يناهز الخمسة أو أكثر بقليل. وقد روى الترمذي عنه أنه رأى جبريل عليه السلام مرتين. والله تعالى أعلم بالصواب.

الحديث رقم ٥٨٧٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٨٤ حديث رقم (٥٨. ١٧٦٣).

(٢) في المخطوطة «أي عن أنس». والصحيح عن ابن عباس كما في مسلم.

(٣) في المخطوطة «القدم».

فجاء الأنصاريُّ، فحدَّث رسولَ الله ﷺ فقال: «صدَقتَ، ذلك منْ مدَدِ السَّماءِ الثالثةِ» فقتلوا يومئذٍ سبعينَ وأسروا سبعينَ. رواه مسلمٌ.

٥٨٧٥ ـ (٨) وعن سعد بن أبي وقاص، قال: رأيتُ عن يمينِ رسول الله ﷺ وعن شماله يومَ أُحُدٍ رجلين، عليهما ثيابٌ بيضٌ، يقاتلان كأشد القتال، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ. يعني جبريل وميكائيل. متفق عليه،

٥٨٧٦ ـ (٩) وعن البراءِ، قال: بعثَ النبي ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبدُ الله بن عتيك بيتَه ليلاً وهو نائم

ومن قبيل الثاني قوله تعالى: ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن ـ ٦٤]. (**فجاء الأنصاري فحدث رسول الله ﷺ فقال: صدقت**) فيه أن هذا الكشف كرامة للصحابي وكرامة الأتباع بمنزلة معجزة المتبوع، لا سيما ووقوعه في حضرته حصوله لأجل بركته، أو يقال أخبر الصحابي وهو ثقة بنقل صحيح عما يدل على نزول الملك للمعاونة وقد صدقه الصادق المصدوق في هذه المقالة، فيصح عد من المعجزة. ثم في قوله: (**ذلك من مدد السماء الثالثة**) تنبيه على أن المدد كان من السموات كلها وهذا من الثالثة خاصة، فالإشارة إلى الملك في ذلك وهو مبتدأ خبره ما بعده. وأغرب الطيبي حيث أعرب وقال: ذلك مفعول صدقت، وقال إشارة إلى المذكور من قوله: سمع ضربة الخ. (**فقتلوا**) أي المسلمون (**يومئذ سبعين وأسروا سبعين**) وفي نسخة على بناء المفعول فيهما، فضميرهما راجع إلى المشركين (**رواه مسلم**).

٥٨٧٥ ـ (**وعن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين.**) الظاهر أنهما على سبيل التوزيع بأن يكون كل منهما على جانب منه وإلا لكانوا أربعة. (**عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال**) الكاف زائدة للتأكيد ذكره الطيبي: ولا يظهر وجه كونه للتأكيد. والأظهر أن معناه قتالاً مثل أشد قتال رجال الإنس. (**ما رأيتهما قبل ولا بعد**) أي فتعين أنهما من الملائكة. وقوله: (**يعني جبريل وميكائيل**) من قول الراوي أدرجه بياناً ولعله عرف ذلك من دليل (**رواه البخاري**).

٥٨٧٦ ـ (**وعن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ رهطاً**) قال شارح: الرهط ما دون العشرة من الرجال ليست فيهم امرأة. وفي القاموس: الرهط ويحرك من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة. ولا واحد له من لفظه. (**إلى أبي رافع**) قال القاضي: كنيته أبي الحقيق اليهودي أعدى عدوّ رسول الله ﷺ نبذ عهده وتعرض له بالهجاء وتحصن عنه بحصن كان له فبعثهم إليه ليقتلوه. (**فدخل عليه عبد الله بن عتيك**) بفتح فكسر (**بيته ليلاً وهو نائم**

الحديث رقم ٥٨٧٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٥٣. حديث رقم ٤٠٤٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٢ حديث رقم (٤٦ ـ ٢٣٠٦).

الحديث رقم ٥٨٧٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٥٥. حديث رقم ٣٠٢٢.

فقتَلَه. فقال عبد الله بن عتيك: فوضعتُ السيف في بطنه، حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته. فجعلت أفتحُ الأبواب، حتى انتهيتُ إلى درجة، فوضعتُ رجلي فوقعتُ، في ليلة مُقمِرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، فانطلقتُ إلى أصحابي، فانتهيتُ إلى النبي ﷺ فحدَّثته، فقال: «ابسطْ رجلَك». فبسطتُ رجلي فمسَحها، فكأنما لم أشتكها قطُّ. رواه البخاري.

٥٨٧٧ ـ (١٠) وعن جابرٍ، قال: إنَّا يومَ الخندق نحفِر، فعرضَت كُدْيةٌ شديدة، فجاؤوا النبيَّ ﷺ فقالوا: هذه كُدْيةٌ عَرَضت في الخندق. فقال: «أنا نازل». ثم قامَ وبطنُه معصوبٌ بحجرٍ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوقُ ذَوَاقاً، فأخذ النبيُّ ﷺ المِعْوَلَ،

فقتله. فقال عبد الله بن عتيك:) أي في صفة قتله **(فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره)** قال الطيبي: عداه بفي ليدل على شدة التمكن وأخذه منه كل مأخذ[1]، وإليه أشار بقوله: حتى أخذ في ظهره **(فعرفت أني قتلته. فجعلت أفتح الأبواب)** ولعله بعد فتحها أوّلاً ردها حفظاً لما وراءه، أو طلع عليه من طريق آخر. **(حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي)** أي على ظن أني وصلت الأرض **(فوقعت)** أي سقطت من الدرجة **(في ليلة مقمرة)** بضم الميم الأولى وكسر الثانية أي مضيئة. قال الطيبي: يعني كان سبب وقوعه على الأرض أن ضوء القمر وقع في الدرج ودخل فيه فحسب أن الدرج مساوٍ للأرض. فوقع منه على الأرض **(فانكسرت ساقي فعصبتها)** بتخفيف الصاد ويشدد للمبالغة والتكثير، أي شددتها. **(بعمامة)** بكسر العين **(فانطلقت إلى أصحابي)** أي من الرهط الواقفين أسفل القلعة **(فانتهيت إلى النبي ﷺ)** أي مع أصحابي **(فحدثته)** أي بما جرى لي وعلي **(فقال: ابسط رجلك)** أي مدها **(فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط)** أي كأنها لم تتوجع أبداً **(رواه البخاري)**.

٥٨٧٧ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: إنا)** أي نحن معاشر الأصحاب **(كنا يوم الخندق نحفر)** أي الأرض حول المدينة بيننا وبين الأعداء **(فعرضت)** أي ظهرت في عرض الأرض معارضاً لمقصدنا **(كدية)** بضم الكاف وسكون الدال أي قطعة **(شديدة)** أي صلبة لا يعمل فيها الفأس **(فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق. فقال: أنا نازل)** أي في الخندق **(وبطنه معصوب)** أي مربوط **(بحجر)** أي من شدة الجوع **(ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً)** بفتح أوّله، أي مأكولاً ومشروباً، وهو فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم والجملة معترضة لبيان سبب ربط الحجر. **(فأخذ النبي ﷺ المعول)** بكسر الميم وفتح الواو، بالفارسي كلند قاله شارح وفي القاموس: المعول كمنبر الحديدة ينقر بها الجبال.

---

(١) في المخطوطة «وأخذ من كل ما أخذ».

الحديث رقم ٥٨٧٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٩٥. حديث رقم ٤١٠١ و٤١٠٢. وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦١٠ حديث رقم (١٤١ . ٢١٣٩). وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٣٣ حديث رقم ٤٢.

فضرب فعاد كثيباً أَهْيَلَ، فانكفأتُ إِلى آمرأتي فقلت: هل عندك شيءٌ؟ فإني رأيتُ بالنبيِّ ﷺ خَمْصاً شديداً، فأخرجتْ جراباً فيه صاعٌ من شعير، ولنا بَهْمَةٌ داجنٌ فذبحتُها، وطحنتُ الشعير، حتى جعلنا اللحم في البُرمةِ، ثم جئتُ النبيَّ ﷺ فساررتُه، فقلت: يا رسولَ اللّهِ؟ ذبحنا بهيمةً لنا، وطحنتُ صاعاً من شعيرٍ، فتعال أنتَ ونفرٌ معك، فصاحَ النبيُّ ﷺ: «يا أهلَ الخندق! إن جابراً

(**فضرب فعاد**) أي انقلب الحجر وصار (**كثيباً**) أي رملاً (**أهيل**) أي سائلاً. ومنه قوله تعالى: ﴿**وكانت الجبال كثيباً مهيلاً**﴾ [المزمل ـ ١٤]. قال القاضي: والمعنى أن الكدية التي عجزوا عن رضها صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله ﷺ كتل من الرمل مصبوب سيال. (**فانكفأت إلى امرأتي**) أي انقلبت وانصرفت إلى بيتها (**فقلت: هل عندك شيء**) أي من المأكول (**فإني رأيت بالنبي ﷺ خمصاً**) بفتحتين ويسكن الثاني واقتصر عليه القاضي وسكت عنه[1] الطيبي أي جوعاً. وسمي به لأن البطن يضمر به. وفي المشارق لعياض: رأيت به خمصاً بفتح الميم أي ضموراً في بطنه من الجوع، ويعبر بالخمص عن الجوع أيضاً. وقال السيوطي: قوله: خمصاً بفتح المعجمة والميم وقد يسكن ومهملة. اهـ. والمراد به أثر الجوع وعلامته من ضمور البطن أو صفار الوجه ونحو ذلك من طول مكثهم وشدة كدهم على غير ذواق من غاية ذوقهم ونهاية شوقهم. (**شديداً فأخرجت**) أي المرأة (**جراباً**) بكسر الجيم (**فيه صاع**) أي قدر صاع (**من شعير ولنا بهمة**) بفتح موحدة وسكون هاء. قال النووي: هي الصغيرة من أولاد الضأن ويطلق على الذكر والأنثى كالشاة وفي نسخة بهيمة وهي أصل المصابيح: قال شارح له: هي تصغير بهمة بفتح الباء وسكون الهاء ولد الضأن. وقيل: ولد الشاة أول ما تضعه أمه. وقيل: السخلة وهي ولد المعز. (**داجن**) أي سمينة قاله صاحب المواهب. وفي شرح مسلم: ما ألف البيت. ويؤيده ما في القاموس دجن بالمكان دجوناً أقام والحمام والشاة وغيرهما ألفت وهي داجن. (**فذبحتها وطحنت**) أي المرأة (**الشعير**) وفي نسخة بصيغة المتكلم. والأول أوفق لقيام كل من الرجل والمرأة بخدمة تليق به مع تحقق المسارعة، كما يدل عليه رواية البخاري: ففرغت إلى فراغي. اللهم إلا أن يؤول ويقال معناه: أمرتها أو غيرها بالطحن. (**حتى جعلنا**) أي بالاتفاق (**اللحم في البرمة**) أي القدر من الحجر. وقيل: هي القدر مطلقاً وأصلها المتخذ من الحجر. (**ثم جئت النبي ﷺ فساررته**) قال النووي: فيه جواز المسارة بالحاجة في حضرة الجماعة. وإنما المنهي أن يناجي اثنان دون الثالث. اهـ. وفيه بحث لا يخفى والأظهر أن يقال: إنما محل النهي توهم ضرر للجماعة. (**فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا**) بالتصغير هنا للتحقير في جنب عظمة الضيف الكبير. (**وطحنت**) بالوجهين (**صاعاً من شعير**) والمقصود أن هذا قدر يسير وأصحابك كثير. (**فتعال أنت ونفر معك**) وهو ما دون العشرة من الرجال. ويطلق على الناس كلهم على ما في القاموس وكأنه ﷺ نظر إلى المعنى الثاني لما فيه من الأمر الرباني. (**فصاح النبي ﷺ: يا أهل الخندق إن جابراً**

---

(١) في المخطوطة «عليه».

صَنَعَ سُوراً فحيَّ هَلاً بكم». فقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلُنَّ بُرمتكم ولا تخبزُنَّ عجينكم حتى أَجيء». وجاء، فأخرجتُ له عَجيناً، فبصقَ فيه وبارك، ثمَّ عَمَد إِلى بُرمْتنا فبصقَ وبارك، ثمَّ قال: «ادعي خابزةً فلتخبزْ معك، واقدَحي من بُرمتكم، ولا تُنزلوها». وهمْ ألفٌ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإِن برُمتنا لتغِطُّ كما هي،

صنع سوراً) بضم فسكون واو، أي طعاماً. وفي القاموس: السور الضيافة فارسية شرفها النبي ﷺ. **(فحي)** بتشديد الياء المفتوحة **(هلا)** بفتح الهاء واللام منوّنة، وفي نسخة بغير تنوين والباء في **(بكم)** للتعدية، أي اسرعوا بأنفسكم إليه. قال النووي: السور بضم السين غير مهموز هو الطعام الذي يدعى إليه. وقيل: الطعام مطلقاً. وهي لفظة فارسية. وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله ﷺ تكلم بالألفاظ الفارسية وهو يدل على جوازه. وأما حي هلا فهو بتنوين هلا. وقيل: بلا تنوين على وزن علا. ويقال: حي هل. ومعناه عليكم بكذا وأدعوكم بكذا. وفي القاموس: بسط لهذا المبنى والمعنى ولكن اقتصرنا على ما ذكرنا بناء على أن الجوع معنا والتعطش لما هنا. **(فقال رسول الله ﷺ: لا تنزلن)** بضم التاء واللام **(برمتكم ولا تخبزن)** بفتح التاء وكسر الباء وضم الزاي **(عجينتكم حتى أجيء)** أي إلى بيتكم **(وجاء فأخرجت له)** أي أنا وفي نسخة بصيغة الواحدة. **(عجيناً)** أي قطعة من العجين **(فبصق فيه)** قال النووي: هو بالصاد في أكثر الأصول وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة. اهـ. والمعنى رمى بالبزاق فيه **(وبارك)** أي ودعا بالبركة فيه **(ثم عمد)** بفتح الميم أي قصد **(إلى برمتنا فبصق)** أي فيها كما في نسخة **(وبارك ثم قال: ادعي)** بهمز وصل مضموم وكسر عين أمر مخاطبة من دعا يدعو أي اطلبي. **(خابزة)** قال النووي: جاء في بعض الأصول ادعي على خطاب المؤنث وهو الصحيح الظاهر. ولهذا قال: **(فلتخبز معك)** يعني لروايته كسر الكاف. وفي بعضها: ادعوا بالواو، أي اطلبوا. وفي بعضها: ادع. **(واقدحي)** بفتح الدال أي اغرفي من برمتكم. قال التوربشتي: يقال: قدحت المراق أي غرفته، ومنه المقدح وهو المغرفة سلك بالخطاب مسلك التلوين فخاطب به ربة البيت. قال الطيبي: لعله في نسخته: فلتخبز معي. بالإضافة إلى ياء المتكلم كما هو في بعض نسخ المصابيح، فحمله على ما ذهب إليه. وقد علم من كلام النووي أن معي لم ترد في رواية وإذا ذهب إلي ادعي فلتخبز معك لم يكن من تلوين الخطاب في شيء. اهـ. وهو غريب منه، إذ مراد الشيخ أنه ﷺ خاطبهم بصيغة الجمع أوّلاً بقوله: لا تنزلن ولا تخبزن. ثم قال: ادعي فلتخبز معك. ثم قال: واقدحي من برمتكم بالجمع بين الإفراد والجمع. ثم قال: **(ولا تنزلوها)** بصيغة الجمع المذكر على طريق الأوّل على سبيل التغليب فأي تلوين أكثر من هذا، مع أن في الالتفات إليها بالأمر الخاص إشارة إلى أنها ربة البيت غير خارجة عن سنن الاستقامة في المقام، وبهذا التقرير والتحرير تبين لك أنه لا فرق بين قوله: فلتخبز معك، أو معي في تلوين الكلام والله أعلم بحقيقة المرام **(قال: جابر وهم)** أي عدد أصحابه ﷺ **(ألف)** أي ألف رجل أكال في جوع ثلاثة أيام وليال **(فأقسم بالله لأكلوا)** أي من ذلك الطعام **(حتى تركوه)** أي متفضلاً **(وانحرفوا)** أي وانصرفوا **(وإن برمتنا لتغط)** بكسر الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة. أي لتفور وتغلي ويسمع غلياناً. **(كما هي)** أي ممتلئة

وإن عجيننا ليخبز كما هو. متفق عليه.

٥٨٧٨ - (١١) وعن أبي قتادة، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لعمّار حين يحفر الخندق فجعل يمسح رأسه ويقول: «بُؤْسَ ابنِ سميَّة! تقتلك الفئةُ الباغية».

على هيئة الأولى. فخبر هي محذوف، والمعنى تغلي غلياناً[١] مثل غليان هي عليه قبل ذلك. قال الطيبي: ما كافة وهي مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف أي كما هي قبل ذلك. (**وإن عجيننا ليخبز كما هو**) أي كما هو في الصحفة كأنه ما نقص منه شيء. قال النووي: قد تظاهرت الأحاديث بمثل هذا من تكثير طعام القليل ونبع الماء وتكثيره وتسبيح الطعام وحنين الجذع وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة التواتر وحصل العلم القطعي به. وقد جمع العلماء أعلاماً من دلائل النبوّة في كتبهم كالقفال الشاشي وصاحبه أبي عبد الله الحليمي وأبي بكر البيهقي وغيرهم مما هو مشهور وأحسنها كتاب البيهقي ولله الحمد على ما أنعم به على نبينا ﷺ وعلينا بإكرامه (**متفق عليه**).

٥٨٧٨ - (**وعن أبي قتادة:**) صحابي مشهور (**أن رسول الله ﷺ قال لعمار**) أي ابن ياسر (**حين يحفر الخندق**) حكاية [حال] ماضية (**فجعل يمسح رأسه**) أي رأس عمار عن الغبار ترحماً عليه من الأغيار (**ويقول: بؤس**) بضم موحدة وسكون همز ويبدل وبفتح السين مضافاً إلي. (**ابن سمية**) وهي بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية أم عمار، وهي قد أسلمت بمكة وعذبت لترجع عن دينها فلم ترجع وطعنها أبو جهل فماتت ذكره ابن الملك. وقال غيره: كانت أمه ابنة أبي حذيفة المخزومي زوجها ياسراً وكان حليفه فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفه. أي يا شدة عمار حضري فهذا أوانك، واتسع في حذف حرف النداء من أسماء الأجناس وإنما يحذف من أسماء الأعلام. وروي بؤس بالرفع على ما في بعض النسخ، أي عليك بؤس أو يصيبك بؤس. وعلى هذا ابن سمية منادى مضاف أي يا ابن سمية. وقال شارح: المعنى يا شدة ما يلقاه ابن سمية من الفئة الباغية، نادى بؤسه وأراد نداءه ولذا خاطبه بقوله: (**تقتلك الفئة الباغية**) أي الجماعة الخارجة على إمام الوقت وخليفة الزمان. قال الطيبي: ترحم عليه بسبب الشدة التي يقع فيها عمار من قبل الفئة الباغية يريد به معاوية وقومه فإنه قتل يوم صفين. وقال ابن الملك: اعلم أنّ عماراً قتله معاوية وفئته فكانوا طاغين باغين بهذا الحديث لأن عماراً كان في عسكر علي وهو المستحق للإمامة فامتنعوا عن بيعته. وحكي أن معاوية كان يؤوّل معنى الحديث ويقول: نحن فئة باغية طالبة لدم عثمان. وهذا كما ترى تحريف، إذ معنى طلب الدم غير مناسب هنا لأنه ﷺ ذكر الحديث في إظهار فضيلة عمار وذم قاتله لأنه جاء في طريق ويح. قلت: ويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم

---

(١) في المخطوطة «غليانها».

الحديث رقم ٥٨٧٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٥ حديث رقم (٧٠ . ٢٩١٥). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٨ حديث رقم ٣٨٠٠.

رواه مسلم.

٥٨٧٩ ـ (١٢) وعن سليمانَ بن صُرَد، قال: قال النبي ﷺ حين أُجلي الأحزابُ عنه:

عليه ويرثى له بخلاف ويل، فإنها كلمة عقوبة تقال للذي يستحقها ولا يترحم عليه. هذا وفي الجامع الصغير برواية الإمام أحمد والبخاري عن أبي سعيد مرفوعاً: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[1]. وهذا كالنص الصريح في المعنى الصحيح المتبادر من البغي المطلق في الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿**وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**﴾ [النحل ـ ٩٠]. وقوله سبحانه: ﴿**فإن بغت إحداهما على الأخرى**﴾ [الحجرات ـ ٩]. فإطلاق اللفظ الشرعي على إرادة المعنى اللغوي عدول عن العدل وميل إلى الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه. والحاصل أن البغي بحسب المعنى الشرعي والإطلاق العرفي خص من عموم معنى الطلب اللغوي إلى طلب الشر الخاص بالخروج المنهي، فلا يصح أن يراد به طلب دم خليفة الزمان وهو عثمان رضي الله عنه. وقد حكي عن معاوية تأويل أقبح من هذا حيث قال: إنما قتله علي وفتنته حيث حمله على القتال وصار سبباً لقتله في المآل؛ فقبل له في الجواب، فإذن قاتل حمزة هو النبي ﷺ حيث كان باعثاً له على ذلك والله سبحانه وتعالى حيث أمر المؤمنين بقتال المشركين. والحاصل أن هذا الحديث فيه معجزات ثلاث إحداها أنه سيقتل، وثانيها أنه مظلوم، وثالثها أن قاتله باغ من البغاة والكل صدق وحق. ثم رأيت الشيخ أكمل الدين قال: الظاهر أن هذا أي التأويل السابق عن معاوية وما حكي عنه أيضاً من أنه قتله من أخرجه للقتل وحرضه عليه كل منهما افتراء عليه، أما الأوّل فتحريف للحديث. وأما الثاني فلأنه ما أخرجه أحد بل هو خرج بنفسه وماله مجاهداً في سبيل الله قاصداً لإقامة الفرض. وإنما كان كل منهما افتراء على معاوية لأنه رضي الله عنه أعقل من أن يقع في شيء ظاهر الفساد على الخاص والعام. قلت: فإذاً كان الواجب عليه أن يرجع عن بغيه بإطاعته الخليفة ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة فتبين بهذا أنه كان في الباطن باغياً وفي الظاهر متستراً بدم عثمان مراعياً مرائياً. فجاء هذا الحديث عليه ناعياً وعن عمله ناهياً. لكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً. فصار عنده كل من القرآن والحديث مهجوراً فرحم الله من أنصف ولم يتعصب ولم يتعسف وتولى الاقتصاد في الاعتقاد لئلا يقع في جانبي سبيل الرشاد من الرفض والنصب بأن يحب جميع الآل والصحب (**رواه مسلم**).

٥٨٧٩ ـ (**وعن سليمان بن صرد**) بضم ففتح مصروفاً (**قال: قال النبي ﷺ حين أجلي**) بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول أي تفرق وانكشف (**الأحزاب عنه**) وهم طوائف من الكفار

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٢ حديث رقم ٩٦٤٠ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٤١ حديث رقم ٤٤٧.

الحديث رقم ٥٨٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٠٥. حديث رقم ٤١٠٩. وأحمد في المسند ٤/ ٢٦٢.

«الآن نغزوهم ولا يغزونَا، نحن نسير إليهم». رواه البخاري.

٥٨٨٠ ـ (١٣) وعن عائشةَ، قالتْ: لما رَجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضعَ السّلاحَ واغتسل أتاه جبريل وهو ينفضُ رأسه من الغبار، فقال: «قد وضعتَ السّلاح؟ واللّهِ ما وضعتهُ، أُخرجْ إليهم». فقال النبي ﷺ: «فأين». فأشار إلى بني قريظةَ، فخرج النبي ﷺ. متفق عليه.

٥٨٨١ ـ (١٤) وفي روايةٍ للبخاري قال أنس: كأني أنظرُ إلى الغبارِ ساطعاً في

تحزبوا واجتمعوا لحرب سيد الأبرار في يوم الخندق ومنهم قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من بني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان، وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن، وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر بأن أرسل عليهم ريح الصبا وجنوداً لم يروها وهم الملائكة وقذف في قلوبهم الرعب، فقال طلحة بن خويلد الأسدي: النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وهذا معنى الإجلاء. **(فقال النبي ﷺ:)** أي حينئذ **(الآن)** أي فيما بعد هذا الزمان، وعبر عنه بالآن للمبالغة في البيان **(نغزوهم)** أي ابتداء **(ولا يغزونا)** بتشديد النون ويخفف، أي ولا يغزوننا كما في نسخة. والمعنى لا يحاربوننا ففيه مشاكلة للمقابلة. **(نحن نسير إليهم)** أي وهم لا يسيرون إلينا، وكان الأمر كما أخبر فغزاهم بعد صلح الحديبية وفتح مكة وحصلت له الغلبة ولله الحمد والمنة. قال الطيبي: قوله: الآن نغزوهم. إخبار بأنه قل شوكة المشركين من اليوم فلا يقصدوننا البتة بعد، بل نحن نغزوهم ونقتلهم ويكون عليهم دائرة السوء. وكان كما قال فكان معجزة. **(رواه البخاري)**.

٥٨٨٠ ـ **(وعن عائشة قالت: لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق ووضع السلاح)** أي عن نفسه **(واغتسل)** أي أراد أن يغتسل **(أتاه جبريل وهو)** أي النبي ﷺ أو جبريل، وهو في اللفظ أقرب وفي معنى الحث أنسب. **(ينفض رأسه من الغبار فقال:)** أي جبريل **(قد وضعت السلاح والله ما وضعته أخرج إليهم)** أي إلى الكفار وأبهمهم **(فقال النبي ﷺ: فأين)** أي أين أقصد وإلى من أخرج **(فأشار إلى بني قريظة)** وهم طائفة من اليهود حول المدينة وقد نقضوا العهد وساعدوا الأحزاب. **(فخرج النبي ﷺ إليهم)** أي ونصره الله عليهم. وكيفية نصرته وبيان قصته في كتب السير وبعض التفاسير مبسوطة وما وقع له في كل قضية من المعجزات مضبوطة **(متفق عليه)**.

٥٨٨١ ـ **(وفي رواية للبخاري، قال أنس: كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً)** أي مرتفعاً **(في**

الحديث رقم ٥٨٨٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٠٧. حديث رقم ٤١١٧. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٨٩ حديث رقم (٦٥ ـ ١٧٦٩).

الحديث رقم ٥٨٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٠٧. حديث رقم ٤١١٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢١٣.

زُقاقِ بني غنم موكبَ جبريل عليه السَّلام حينَ سارَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بني قريظة.

٥٨٨٢ ـ (١٥) وعن جابرٍ، قال: عَطِشَ النَّاسُ يومَ الحديبية ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ يديه رَكوة فتوَضَّأ منها، ثم أَقبلَ الناسُ نحوه، قالوا: ليس عندنا ماءٌ نَتوضَّأُ به ونشرب إلا ما في ركوتك، فَوضَعَ النبيُّ ﷺ يَدَه في الركوة، فجعل الماءُ يفورُ من بينَ أصابعه كأمثالِ العيون، قال: فشربنا وتوضَّأنا. قيل لجابر: كم كنتم؟ قالَ: لو كنَّا مائةَ أَلفٍ لكفانا، كنَّا خمسَ عشَرةَ مائة.

زقاق بني غنم) بفتح غين معجمة وسكون نون قبيلة من الأنصار، والزقاق بضم الزاي السكة. **(موكب جبريل عليه السلام)** بالنصب على نزع الخافض على ما في صحيح البخاري وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح. وفي بعضها بإثبات من والموكب بفتح الميم وكسر الكاف جماعة ركاب يسيرون برفق على ما في النهاية. **(حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة)** الظاهر أن ذلك الزقاق كان مهجوراً من سير الناس فيه فرؤية الغبار الساطع منه تدل على أنه من أثر جند الملائكة. والغالب أن رئيسهم جبريل عليه السلام وهو معهم أو هو مع النبي ﷺ، وإضافتهم إليه لأنهم كالأتباع له.

٥٨٨٢ ـ **(وعن جابر قال: عطش الناس)** بكسر الطاء **(يوم الحديبية)** بالتخفيف أفصح **(ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة)** أي ظرف ماء من مطهرة أو سقاية **(فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه)** أي إلى جانب جنابه طالبين فتح الخير من بابه **(قالوا:)** استئناف بيان **(ليس عندنا ماء)** بالمد **(نتوضأ به ونشرب)** أي منه **(إلا ما في ركوتك)** أي من الماء، فما مقصورة موصولة والاستثناء يحتمل الاتصال والانقطاع. ثم في القضية جملة مطوية وهي أن من المعلوم بحسب العادة أن ماء الركوة لم يكف الجماعة. **(فوضع النبي ﷺ يده في الركوة)** أي في جوفها أو في فمها **(فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون)** أي التي تخرج من بين صخور الجبال أو عروق الأرض **(قال: فشربنا وتوضأنا)** أي جميعنا فطوبى لهم من طهارة الظاهر والباطن من ذلك الماء الذي هو أفضل من جنس الماء المعين والله الموفق والمعين. **(قيل لجابر: كم كنتم)** أي يومئذ حتى كفاكم. ولما كان هذا السؤال غير مناسب في مقام المعجزة **(قال:)** أي أوّلاً في الجواب **(لو كنا مائة ألف)** أي مثلاً **(لكفانا. ثم قال:)** تتميماً لفصل الخطاب **(كنا خمس عشرة مائة)** قال الطيبي: عدل عن الظاهر لاحتماله التجوّز في الكثرة والقلة، وهذا يدل على أنه اجتهد فيه وغلب ظنه على هذا المقدار. وقول البراء في الحديث الذي يتلو هذا الحديث: كنا أربع عشرة مائة. كان عن تحقيق لما سبق في الفصل الثاني من باب قسمة الغنائم، أن أهل الحديبية كانوا ألفاً وأربعمائة تحقيقاً. وقول من قال: هم ألف وخمسمائة، وهم. وقال الحافظ السيوطي: الجمع أنهم كانوا أربعمائة وزيادة لا تبلغ المائة، فالأوّل ألغى

الحديث رقم ٥٨٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٤١. حديث رقم ٤١٥٢. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٨٤ حديث رقم (٧٣ ـ ١٨٥٦). وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٩.

متفق عليه.

٥٨٨٣ - (١٦) وعن البراء بن عازب، قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ أربعَ عشرة مائةً يومَ الحديبية - والحديبية بئرٌ - فنزَحْنَاهَا، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ النبيَّ ﷺ، فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإِناءٍ مِنْ ماءٍ، فتوضأ، ثم مَضمض، ودعا ثم صَبَّه فيها، ثم قال: دعوها ساعةً». فأرْوَوا أنفسَهم ورِكابهم حتَّى ارتحلوا. رواه البخاري.

٥٨٨٤ - (١٧) وعن عوفٍ، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين، قال: كنَّا في سفرٍ معَ النبيِّ ﷺ فاشتكى إِليه الناسُ من العطش، فنزل، فدعا فلاناً - كان يُسميّه أبو رجاء ونسيه عوف - ودعا علياً،

الكسر والثاني جبره. ومن قال: ألفاً وثلاثمائة فعلى حسب اطلاعه. وقد روي ألفاً وستمائة، وألفاً وسبعمائة، وكأنه على ضم الأتباع والصبيان. ولابن مردويه عن ابن عباس: كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وهذا تحرير بالغ والله أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٨٨٣ - **(وعن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة يوم الحديبية. والحديبية بئر)** بالهمز ويبدل **(فنزحناها)** أي نزعنا ماءها **(فلم نترك قطرة. فبلغ النبي ﷺ)** أي خبر نفاد مائها **(فأتاها فجلس على شفيرها)** أي طرفها **(ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه)** أي مجه **(فيها ثم قال: دعوها)** أي اتركوها **(ساعة)** لعله للإشارة إلى أن ساعة الإجابة وقعت تدريجية وأن المراد بها الساعة النجومية لا اللغوية، أو المدة القليلة بحسب الإطلاقات العرفية. **(فأرووا)** أي أسقوا سقياً كاملاً **(أنفسهم وركابهم)** أي إبلهم أو مركوبهم واستمروا على ذلك **(حتى ارتحلوا)** أي سافروا عنها. والظاهر أن قضية جابر متقدمة على هذه القضية وأن المعجزة في الحديبية متكررة، والعجب من الناس عموماً وخصوصاً أنهم ما ضبطوا هذه البئر ولا جعلوا عليها من البناء الكبير [رجاء] للخير الكثير، مع أنها قريبة من مكة على طرف حدة في طريق جدة. **(رواه البخاري)**.

٥٨٨٤ - **(وعن عوف)** لم يذكره المصنف ولعله من أتباع التابعين **(عن أبي رجاء)** هو عمران بن تميم العطاردي أسلم في حياة النبي ﷺ وروى عن عمر وعلي وغيرهما وعنه خلق كثير، كان عالماً معمراً وكان من القراء. مات سنة سبع ومائة ذكره المؤلف في التابعين. **(عن عمران بن حصين قال: كنا في سفر مع النبي ﷺ فاشتكى إليه الناس العطش فنزل فدعا فلاناً)** أي شخصاً معروفاً **(كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف)** أي فعبر عنه بفلاناً **(ودعا علياً)** أي أيضاً

الحديث رقم ٥٨٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٤١. حديث رقم ٤١٥١. وأحمد في المسند ٤/ ٢٩٠.

الحديث رقم ٥٨٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤٤٧. حديث رقم ٣٤٤. ومسلم في صحيحه ١/ ٤٧٤ حديث رقم (٣١٢ - ٦٨٢).

فقال: «اذهبا فابتغيا الماء». فانطلقا، فتلقَّيا امرأةً بينَ مَزادتين أو سَطحيتين من ماءٍ، فجاءا بها إلى النبيِّ ﷺ، فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبي ﷺ بإناءٍ، ففرَّغ فيه من أفواه المزادتين، ونوديَ في الناس: اسقوا، فاستَقوْا، قال: فشربنا عَطاشاً أربعين رجلاً، حتى روينا، فملأنا كلَّ قربةٍ معنا وإداوة، وأيم الله لقد أُقلِع عنها وإنَّهُ ليُخيَّل إلينا أنَّها أشدُّ ملئةً منها حين ابتدأ. متفق عليه.

٥٨٨٥ ـ (١٨) وعن جابرٍ، قال: سرنا مَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتَّى نزلنا وادياً أَفيح فذَهَبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقضي حاجته، فلم يَرَ شيئاً يستتر به، وإذا شجرتين بشاطىء الوادي،

(فقال: اذهبا فابتغيا الماء) أي فاطلباه (فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين) بفتح الميم أي راكبة رواتين[1] وهي في الأصل لما يوضع فيه الزاد. (أو سطيحتين) قال القاضي: وهي نوع من المزادة يكون من جلدين قوبل أحدهما بالآخر فسطح عليه. وقال الجزري: هي أصغر من المزادة. ثم قوله: (من ماء) بيان لما فيهما (فجاءا) أي الصحابيان (بها) أي بالمرأة وما معها (إلى النبي ﷺ فاستنزلوها عن بعيرها) قال الطيبي: الضمير الأوّل يجوز أن يرجع إلى المرأة، أي طلبوا منها أن تنزل عن البعير. وقيل: راجع إلى المزادة بمعنى أنزلوها واستنزل وأنزل بمعنى. (ودعا النبي ﷺ بإناء) أي طلبه (ففرغ) بتشديد الراء أي صب (فيه من أفواه المزادتين) فيه إشارة إلى ترجيحها عند الراوي (ونودي في الناس أسقوا) بهمزة قطع مفتوحة، وقيل بهمزة وصل مكسورة، أي اسقوا أنفسكم وغيركم. والمعنى: خذوا الماء قدر حاجتكم. (فاستقوا) أي فأخذوا الماء جميعهم (قال:) أي عمران (فشربنا عطاشاً) بكسر أوّله جمع عطشان حال من فاعل شربنا (أربعين رجلاً) بيان له ذكره الطيبي. وقال شارح: حال من ضمير عطاشاً أو شربنا. (حتى روينا) بكسر الواو (فملأنا كل قربة) معنا (وأيم الله) أي وأيمن الله قسمي (لقد أقلع عنها) بصيغة المجهول أي انكفت الجماعة عن تلك المزادة ورجعوا عنها (وإنه) أي الشأن (ليخيل) على بناء المفعول أي ليشبه (إلينا أنها) أي تلك المزادة (أشد ملئة) بكسر الميم ويفتح وسكون اللام فعلة من الملء مصدر ملأت الإناء. (منها) أي من المزادة (حين ابتدأ) أي النبي ﷺ (الأخذ منها) وفي نسخة ابتدىء بصيغة المجهول أي الاستقاء والشرب منها، والمعنى أنها حينئذ كانت أكثر ماء من تلك الساعة التي استقوا منها (متفق عليه).

٥٨٨٥ ـ (وعن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح) أي واسعاً على ما في النهاية. (فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به وإذا شجرتين) قال الطيبي: بالنصب كذا في صحيح مسلم وأكثر نسخ المصابيح، وفي بعضها شجرتان بالرفع وهو مغير. فتقدير النصب: فوجد شجرتين نابتتين. (بشاطىء الوادي) أي بطرفه. وقال شارح

---

(١) في المخطوطة «رواتين».

الحديث رقم ٥٨٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٣٠٦ حديث رقم ٣٠١٢.

فانطلقَ رسولُ اللّهِ ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصنٍ من أغصانها فقال: «انقادي عَلَيَّ بإذن الله». فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده، حتى أتى الشجرةَ الأخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها، فقال: «انقادي عليَّ بإذن الله». فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنْصَفِ مما بينهما قال: «التئِما عليَّ بإذن الله». فالتأمَتا فجلستُ أحدّثُ نفسي، فحانت مني لفتةٌ، فإذا برسولِ الله ﷺ مقبِلاً، وإذا الشجرتين قد افترقتا، فقامت كلُّ واحدةٍ منهما على ساق. رواه مسلم.

٥٨٨٦ ـ (١٩) عن يزيد بن أبي عبيد، قال: رأيتُ أثر ضربةٍ في ساقِ سَلَمة بنِ الأكوع فقلت: يا أبا مسلم! ما هذه الضَّربةُ؟ قال: ضربةٌ أصابَتْني يومَ خيبر. فقال النّاس:

للمصابيح: وروي شجرتين بإضمار رأي. وفي نسخة بشجرتين وهو ظاهر. **(فانطلق رسول الله ﷺ إلى أحدهما فأخذ بغصنين من أغصانها فقال: انقادي عليّ)** أي للتستر علي **(بإذن الله)** وقال الطيبي: أي لا تعصي علي. ونظيره قوله تعالى: **﴿مالك لا تأمنا على يوسف﴾** [يوسف ـ ١١]. أي تخافنا عليه. **(فانقادت معه كالبعير المخشوش)** وهو الذي في أنفه الخشاش بكسر الخاء المعجمة، وهو عويدة تجعل في أنف البعير ليكون أسرع إلى الانقياد كذا في النهاية. **(الذي يصانع قائده)** قال التوربشتي: أي ينقاد له ويوافقه. والأصل في المصانعة الرشوة وهي أن تصنع لصاحبك شيئاً ليصنع لك شيئاً. **(حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي علي بإذن الله. فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصف)** هو بفتح الميم والصاد المهملة، نصف الطريق. والمراد هنا الموضع الوسط مما بينهما. **(قال: التئما)** أي تقاربا **(علي)** قال الطيبي: هو حال أي اجتمعا مظلتين علي. **(بإذن الله. فالتأمتا)** أي حتى قضى الحاجة بينهما **(قال جابر: فجلست أحدث نفسي)** أي بأمر من الأمور **(فحانت)** أي فظهرت **(مني لفتة)** أي التفاتة **(فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلاً)** قال الطيبي: يقال: حان إذا أتى وقت الشيء، واللفتة فعلة من الالتفات. **(وإذا الشجرتين)** أي وجدتهما أو رأيتهما. **(قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق)** أي وقفت بانفرادها في مكانها، ففيه معجزتان. **(رواه مسلم)**.

٥٨٨٦ ـ **(وعن يزيد بن أبي عبيد)** هو شيخ البخاري، روى المكي بن إبراهيم عنه وروى البخاري عن المكي. وللبخاري ثلاثيات من هذه الطريق. وقال المؤلف: هو مولى سلمة. روى عنه يحيى بن سعيد وغيره. **(قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الأكوع فقلت: يا أبا مسلم[1] ما هذه الضربة. قال: ضربة)** أي هي ضربة **(أصابتني يوم خيبر)** وفي نسخة أصابتينهما أي الساق. وفي نسخة أصابتها، وفي نسخة أصبتها بصيغة المجهول. [**(فقال الناس:**

الحديث رقم ٥٨٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٧٥. حديث رقم ٤٢٠٦. وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٢١٩ حديث رقم ٣٨٩٤.

(١) في المخطوطة «مسرعة».

أُصيبَ سلمةُ. فأتيتُ النبيَّ ﷺ فنَفثَ فيه ثلاثَ نَفَثاتٍ، فما اشتكيتُها حتى الساعةَ. رواه البخاري.

٥٨٨٧ ـ (٢٠) وعن أنسٍ قال: نَعَى النبيُّ ﷺ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قَبْلَ أن يأتيهم خبرُهم، فقال: «أخذ الرايةَ زيدٌ فأُصيبَ، ثم أخذَ جعفرٌ فأصيبَ، ثم أخذَ ابنُ رواحةَ فأصيبَ ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذَ الراية سيفٌ من سيوف الله ـ يعني خالد بن الوليد ـ حتى فتح الله عليهم». رواه البخاري.

أصيب سلمة) أي مات لشدة أثرها] **(فأتيت النبي ﷺ فنفث فيه)** أي في موضع الضربة. وفي نسخة: فيها، أي في نفس الضربة أو في الساق. **(ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة)** بالجر، وفي نسخة بالنصب. قال بعض المحققين: الساعة في أكثر نسخ البخاري بالجر، على خلاف ما جعله الكرماني. فإنه قال: يلزم من ظاهر العبارة الاشتكاء[1] من الحكاية، وأجاب بأن الساعة منصوب وحتى للعطف فالمعطوف داخل في المعطوف عليه، أي ما اشتكيتها زماناً حتى الساعة نحو أكلت السمكة حتى رأسها. قلت: يمكن أن يكون معناه ما وجدت أثر وجع إلى الآن وأما بعده فلا أدري أجده أم لا، فيصدق عليه أن حكم ما بعدها خلاف ما قبلها. أو المراد نفي الشكاية بآكد وجه بأن مراده ما وجدت وجعاً إلى الآن، فلو أمكن أن يوجد وجع يكون بعد ذلك، ومن المحال عادة أن يوجد وجع بعد مدة مضت من برئه. **(رواه البخاري)** وكذا أبو داود.

٥٨٨٧ ـ **(وعن أنس قال: نعى[2] النبي ﷺ زيداً)** أي زيد بن حارثة **(وجعفراً)** أي ابن أبي طالب **(وابن رواحة)** أي أخبر بموتهم للناس، فيه جواز النعي. **(قبل أن يأتيهم خبرهم)** أي فكان معجزة **(وقد كانوا بأرض يقال لها مؤتة)** بميم مضمومة فهمزة ساكنة فمثناة فوقية، قرية بالشام وكانت في السنة الثامنة وكان المسلمون ثلاثة آلاف والروم مع هرقل مائة ألف. **(فقال:)** تفسير وتفصيل لما قبله، أي فقال ﷺ. **(أخذ الراية)** أي العلم **(زيد)** إذ العادة أنه يأخذه أمير العسكر **(فأصيب)** أي استشهد **(ثم أخذ جعفر)** أي الراية **(فأصيب)** أي على تفصيل مشهور **(ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان)** بكسر الراء أي تسيلان دمعاً للثلاثة من خبر موتهم **(حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله)** أي شجيع من شجعانه فإنه كان يعد ألفاً وانقطع في يده يومئذ ثمانية أسياف والإضافة للتشريف. **(يعني خالد بن الوليد)** تفسير من كلام أنس أو من بعده. والمعنى: يريد النبي ﷺ بالوصف السابق خالد بن الوليد **(حتى فتح الله عليهم)** أي في يده وزمان إمارته. واختلفوا هل كان قتال فيه هزيمة للمشركين حتى رجعوا غانمين، أو المراد بالفتح حيازة المسلمين حتى رجعوا سالمين. **(رواه البخاري)**.

---

(١) في المخطوطة «الاستكانة».

الحديث رقم ٥٨٨٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٥١٢. حديث رقم ٤٢٦٢.

(٢) في المخطوطة «لقي».

٥٨٨٨ ـ (٢١) وعن عبَّاس، قال: شهدتُ معَ رسولُ الله ﷺ يومَ حنين، فلما التقى المسلمون والكفَّار، ولىّ المسلمون مدبرين، فطفِق رسولُ الله ﷺ يَرْكُض بغلتَهِ قِبَل الكفار وأنا آخذٌ بلجام بَغْلةِ رسول الله ﷺ أَكُفُّها إرادةَ أن لا تسرع، وأبو سفيان بن الحارث آخذٌ بركابِ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس! نادِ أصحاب السَّمُرة». فقال عباس ـ وكان رجلاً صيّتاً ـ فقلت بأعلى صَوْتي: أين أصحابُ السَّمُرة؟ فقال: واللّهِ لكأن عطْفَتَهم حين سمعوا صوتي عطفةُ البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يا لبيك.

٥٨٨٨ ـ (**وعن ابن عباس**[(١)] **قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين**) بالتصغير. قيل: غزوة حنين كانت في شوال سنة ثمان، وحنين واد بين مكة والطائف وراء عرفات. (**فلما التقى المسلمون والكفار**) أي وقع القتال الشديد فيما بينهم (**ولى المسلمون**) أي بعضهم من المشركين (**مدبرين**) أي لكن مقبلين إلى سيد المرسلين (**فطفق**) أي شرع (**رسول الله ﷺ يركض**) بضم الكاف أي يحرك برجله (**بغلته قبل الكفار**) بكسر القاف وفتح الباء أي إلى جهتهم وقبالتهم. قال الأكمل: بغلته هي التي يقال لها دلدل أهداها له فروة بن نفاثة. ففيه قبول هدية المشركين. وورد أنه رد بعض الهدايا من المشركين. فقيل: قبول الهدية ناسخ للرد وفيه نظر لجهالة التاريخ، والأكثرون على أنه لا نسخ وإنما قبل ممن طمع في إسلامه ويرجو منه مصلحة للمسلمين، ورد ممن على خلاف ذلك. (**وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها**) بضم الكاف وتشديد الفاء أي أمنعها. وعلة منعها (**إرادة أن لا تسرع**) أي البغلة إلى جانب العدو (**وأبو سفيان**) قيل: اسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ (**آخذ**) بصيغة اسم الفاعل أي ماسك (**بركاب رسول الله ﷺ**) أي تأدباً ومحافظة (**فقال رسول الله ﷺ: أي عباس**) أي يا عباس (**ناد أصحاب السمرة**) بفتح فضم، وهي الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية. (**فقال عباس، وكان**) أي العباس (**رجلاً صيتاً:**) جملة معترضة من كلام راوي [العباس] بعده. والصيت بتشديد الياء أي قوي الصوت وأصله صيوت وإعلاله إعلال سيد. (**فقلت**) أي فناديت (**بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة**) أي لا تنسوا بيعتكم الواقعة تحت الشجرة وما يترتب عليها من الثمرة (**فقال: والله لكأن**) بتشديد النون (**عطفتهم**) بالنصب أي رجعتهم، وفي نسخة لكان بالتخفيف وعطفتهم بالرفع. (**حين سمعوا صوتي عطفة البقر**) بالرفع على الأوّل بالنصب على الثاني. (**على أولادها**) في نسخة أولاده بناء على أن اسم الجنس يؤنث ويذكر. (**فقالوا:**) أي بأجمعهم أو واحداً بعد واحد (**يا لبيك**) المنادي محذوف، أي يا قوم كقوله تعالى: ﴿**ألا يا اسجدوا**﴾. على قراءة الكسائي. (**يا لبيك**) التكرير للتأكيد أو التكثير

الحديث رقم ٥٨٨٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٩٨ حديث رقم (٧٦. ١٧٧٥). وأخرجه أحمد في المسند ١/٢٠٧.

(١) الصواب عن العباس. كذا في مسلم والمشكاة.

قال: فاقتتلوا والكفَّار، والدعوةُ في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار! يا معشر الأنصار! قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إِلى قتالهم. فقال: هذا حين حَمِي الوطيسُ. ثم أخذَ حصياتٍ، فرمى بهن وجوهَ الكفَّار، ثم قال: «انهزموا وربِّ محمَّدٍ». فواللَّهِ ما هو إِلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرَى حدَّهم

(**قال عباس: فاقتتلوا**) أي المسلمون (**والكفار**) بالنصب أي معهم (**والدعوة في الأنصار يقولون:**) أي والنداء في حق الأنصار بخصوصهم بدل ما تقدم في حق المهاجرين بحسب تغليبهم (**يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار**) فأطلق الفعل وأريد المصدر على طريق قوله تعالى: ﴿**ومن آياته يريكم البرق خوفاً**﴾ [الروم ـ ٢٤]. وقول الشاعر: أحضر الوغى وتسمع بالمعيدي، ونحو ذلك. (**قال:**) أي العباس (**ثم قصرت الدعوة**) بصيغة المجهول أي اقتصرت وانحصرت (**على بني الحارث بن الخزرج**) أي فنودي يا بني الحارث وهم قبيلة كبيرة (**فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته**) الواو للحال، أي نظر ﷺ حال كونه على بغلته. وقوله: (**كالمتطاول عليها**) حال من الضمير المرفوع في على بغلته، أي كالغالب القادر على سوقها. وقيل: كالذي يمد عنقه لينظر إلى ما هو بعيد عنه. (**مائلاً إلى قتالهم**) وقال الطيبي: هو متعلق بنظر. ثم ذكر كلاماً يشعر أن نسخته فيها بعض اختصار مخل على وفق ما في المصابيح. (**فقال:**) أي النبي عليه السلام (**هذا حين**) بالفتح وفي نسخة بالضم (**حمي**) بفتح فكسر (**الوطيس**) قال ابن الملك: يجوز أن يكون هذا إشارة إلى القتال، وحين بالفتح ظرف له، وأن يكون إشارة إلى [وقت] القتال، وحين بالرفع خبره. وقال الأكمل: يجوز في حين الفتح لأنه مضاف إلى مبني والضم على أنه خبر مبتدأ. وقال الطيبي: هذا مبتدأ والخبر محذوف وحين مبني لأنه مضاف إلى سير متمكن متعلق باسم الإشارة، أي هذا القتال حين اشتد الحرب. وفيه معنى التعجب واستعظام الحرب. قلت: الأظهر ما قيل إن هذا مبتدأ وحين خبره وبني على الفتح لإضافته إلى الفعل، أي هذا الزمان زمان اشتداد الحرب، ثم الوطيس شدة التنور أو التنور نفسه يضرب مثلاً لشدة الحرب[1] التي يشبه حرها حره. وفي النهاية: الوطيس شبه التنور. وقيل: هو الضراب في الحرب، وقيل: هو الوطء الذي يطيس الناس أي يدقهم. وقال الأصمعي: هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطؤها ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي ﷺ، وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق. (**ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار**) أي قائلاً: شاهت الوجوه شاهت الوجوه. (**ثم قال:**) أي تفاؤلاً أو إخباراً (**انهزموا ورب محمد، فوالله ما هو**) أي ليس انهزام الكفار (**إلا أن رماهم**) أي سوى رميهم (**بحصياته**) أي ولم يكن بالقتال والضرب بالسيف والطعان، ويحتمل أن يكون الضمير عبارة عن الأمر والشأن ويكون هو المستثنى منه. (**فما زلت أرى حدهم**) أي بأسهم

---

(١) في المخطوطة «الحر» والصواب «الحرب».

كليلاً وأمرهم مُدْبِراً. رواه مسلم.

٥٨٨٩ ـ (٢٢) وعن أبي إسحاقَ، قال: قال رجلٌ للبراءِ: يا أبا عمارة! فررتُم يومَ حُنينَ؟ قال: لا والله ما ولّى رسولُ الله ﷺ ولكنْ خرجَ شُبَّانُ أصحابه ليس عليهم كثيرُ سلاحٍ، فلقوا قوماً رُماةً لا يكادُ يسقطُ لهم سهمٌ، فرشقوهُم رشقاً ما يكادونَ يُخطئونَ، فأقبلوا هناك إلى رسولِ الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ على بغلتِه البيضاءِ

وحدتهم وسيوفهم وشدتهم **(كليلاً)** أي ضعيفاً **(وأمرهم مدبراً)** أي وحالهم ذليلاً. قال النووي: فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ إحداهما[1] فعلية والأخرى خبرية. فإنه أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين. **(رواه مسلم)** وكذا النسائي.

٥٨٨٩ ـ **(وعن أبي إسحاق)** قال المؤلف: هو أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي رأى علياً وابن عباس وغيرهما وسمع البراء بن عازب وزيد بن الأرقم. روى عنه الأعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية. **(قال: قال رجل)** جاء في رواية أنه من قيس لكن لا يعرف اسمه. **(للبراء: يا أبا عمارة)** بضم فتخفيف **(فررتم)** أي أفررتم كما في الشمائل. وفي رواية: أفررتم كلكم. **(يوم حنين قال: لا والله ما ولى رسول الله ﷺ)** أي لا حقيقة ولا صورة، وفي العدول عن تغيير فر إلى ولي حسن عبارة. **(ولكن خرج)** أي إلى العدو **(شبان أصحابه)** بضم الشين وفتح الموحدة، أي جماعة من الشباب ممن ليس لهم وقار، ورأى عليه مدار. ولهذا عبر عنهم في رواية الشمائل بقوله: ولكن ولى سرعان من الناس، أي الذين يتسارعون إلى الشيء من غير روية ومعرفة كاملة كما يدل عليه قوله: **(ليس عليهم كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة)** أي تلقتهم هوازن بالنبل على ما في الشمائل. **(لا يكاد يسقط لهم سهم على الأرض فرشقوهم)** أي فرموهم رشقاً **(ما كانوا يخطئون)** قال النووي: هذا الجواب الذي أجابه البراء من بديع الأدب لأن تقدير الكلام فررتم كلكم، فيقتضي أن النبي ﷺ وافقهم في ذلك. فقال البراء: لا والله ما فر رسول الله ﷺ ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا. **(فأقبلوا)** أي الشبان **(هناك)** أي ذلك الزمان أو المكان **(إلى رسول الله ﷺ)** أي متحيزين إليه. والمعنى أنه مع هذا لا يصدق عليهم الفرار لقوله تعالى: ﴿**ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة**﴾ [الأنفال ـ ١٦]. وقد قال ﷺ: أنا فئتكم. فإن قلت: ذكر في الحديث السابق: ولى المسلمون مدبرين. وفي هذا الحديث: فأقبلوا فكيف الجمع، قلت: المراد به أن جمعاً من المسلمين وقع لهم صورة الإدبار ثم بعد توجهه ﷺ إليهم ومناداتهم بصياح العباس حصل لهم سعادة الإقبال ودولة الاتصال والانتقال من صورة الفرار إلى سيرة القرار. **(ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء)** قال العسقلاني: وقع عند البخاري على بغلته البيضاء، وعند مسلم

---

(١) في المخطوطة «إحديهما».

الحديث رقم ٥٨٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٧. حديث رقم ٤٣١٥. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٠ حديث رقم (٧٨ . ١٧٧٦).

وأبو سفيان بن الحارثِ يقودُه، فنزل واستنصرَ، وقال: «أنا النبيُّ لا كذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطلبْ» ثمَّ

من حديث العباس: أن البغلة التي كانت تحته يوم حنين أهداها له فروة بن نفاثة، وهذا هو الصحيح. وذكر أبو الحسن بن عبدوس أن البغلة التي ركبها يوم حنين هي دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس، يعني صاحب الإسكندرية. وأما التي أهداها له فروة يقال لها: فضة، ذكر ذلك ابن سعد. وذكر عكسه والصحيح ما في مسلم. **(وأبو سفيان بن الحارث يقوده)** أي يمشي قدامه أو يقود بغلته على حذف مضاف أو بتأويل المركوب. وهذا بظاهره يعارض ما تقدم من أن العباس كان آخذاً باللجام وأن أبا سفيان كان آخذاً بالركاب. لكن يمكن حمله على سبيل التناوب أو على أن تلك الحال لشدتها احتاج إلى اثنين. **(فنزل)** أي النبي ﷺ **(واستنصر)** أي طلب النصر والفتح لأمته كما يأتي تتمة قصته **(وقال:)** وفي نسخة: فقال. **(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)** بسكون الباء فيهما على جري العادة في السجع والنظم، وإنما صدر هذا من مشكاة صدر النبوّة مستقيماً على وزن الشعر بمقتضى طبعه الموزون من غير تعمد منه، فلا يعد ذلك شعراً. قال القاضي عياض: وقد غفل بعض الناس، وقال الرواية: أنا النبي لا كذب بفتح الباء وعبد المطلب بالخفض حرصاً على تغيير الرواية ليستغني عن الاعتذار، وإنما الرواية بإسكان الباء. وقال الخطابي: اختلف الناس في هذا وما أشبهه من الرجز الذي جرى على لسان النبي ﷺ في بعض أسفاره وأوقاته، وفي تأويل ذلك مع شهادة الله تعالى بأنه لم يعلم الشعر وما ينبغي له[1]. فذهب بعضهم إلى أن هذا وما أشبهه وإن استوى على وزن الشعر فإنه إذا لم يقصد به الشعر، إذ لم يكن صدوره عن نية له وروية فيه وإنما هو اتفاق كلام يقع أحياناً، فيخرج منه الشيء بعد الشيء على بعض أعاريض الشعر. وقد وجد في كتاب الله العزيز من هذا القبيل وهذا مما لا يشك فيه أنه ليس بشعر. قال النووي: فإن قيل: كيف نسب نفسه إلى جده دون أبيه وافتخر بذلك، مع أن الافتخار من عمل الجاهلية. فالجواب: إنه ﷺ كانت شهرته بجده أكثر لأن أباه قد توفي شاباً قبل اشتهاره وكان جده مشهوراً شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد أهل مكة وكان مشتهراً عندهم أن عبد المطلب بشر بالنبي ﷺ وأنه سيظهر ويكون شأنه عظيماً، وكان أخبره بذلك سيف بن ذي يزن، يعني وجماعة من الكهان. وقيل: إن عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي ﷺ وكان ذلك مشهوراً عندهم، فأراد النبي ﷺ أن يذكرهم بذلك وينبههم بأنه ﷺ لا بد له من ظهوره على الأعداء وأن العاقبة له لتقوى نفوسهم، وأعلمهم أيضاً أنه ثابت يلازم الحرب لم يول مع من ولى وعرفهم موضعه ليرجع إليه الراجعون. وأما قوله: أنا النبي لا كذب. فمعناه: أنا النبي حقاً فلا أفر ولا أزول. وفيه دليل على جواز قول الإنسان في الحرب أنا فلان أو أنا ابن فلان يعني أنه يجري على مقتضى العادة إظهاراً للشجاعة فلا يعد من باب الرياء والسمعة. **(ثم)** أي بعد ما اجتمع المسلمون ورجع

(١) قال الله تعالى: **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾** [سورة يس. آية رقم ٦٩].

صفَّهم. رواه مسلم.

٥٨٩٠ ـ (٢٣) وفي رواية لهما، قال البراءُ: كنَّا واللَّهِ إذا احمرَّ البأسُ نتَّقي به، وإنَّ الشجاعَ منَّا لَلَّذي يُحاذِيه، يعني النبيَّ ﷺ.

٥٨٩١ ـ (٢٤) وعن سلمةَ بنِ الأكوَعِ، قال: غزَونا مع رسولِ الله ﷺ حُنيناً، فولّى صحابةُ رسول اللَّهِ ﷺ، فلمَّا غشَوا رسولَ الله ﷺ نزل عن البغلةِ ثمَّ قبض قبضةً من ترابِ من الأرضِ، ثمَّ استقبلَ به وُجوهَهم، فقال: «شاهتِ الوجوهُ»، فما خلقَ اللَّهُ منهم إنساناً إلاَّ مَلأَ عينيه تراباً بتلكَ القبضةِ، فوَلّوا مدبرين فهزمهُم اللَّهِ، وقسَمَ رسولُ الله ﷺ غنائمَهم بينَ المسلمين. رواه مسلم.

الشبان المسرعون (**صفهم**) أي جعلهم صافين كأنهم بنيان مرصوص (**رواه مسلم. وللبخاري معناه**) أي فالحديث متفق عليه في مؤداه.

٥٨٩٠ ـ (**وفي رواية لهما: قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس**) أي اشتد الحرب من قولهم موت أحمر. وقال النووي: احمرار البأس كناية عن اشتداد الحرب، فاستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة أو لإسعار نار الحرب واشتعالها، كما في الحديث السابق: حمي الوطيس. (**نتقي به**) أي نلتجيء إليه ونطلب الخلاص بسببه (**وإن الشجاع**) بضم أوله أي البليغ في الشجاعة. (**منا للذي يحاذيه**) أي يوازيه ويحاذي منكبه بمنكبه. والمعنى: إن أحداً لم يقدر حينئذ على التقدم عليه فإما أن يكون جباناً فيفر عنه أو شجيعاً فيعوذ به ويلوذ إليه (**يعني**) أي يريد البراء بالضميرين (**النبي ﷺ**.) وفيه بيان شجاعته وعظيم وثوقه بالله سبحانه.

٥٨٩١ ـ (**وعن سلمة بن الأكوع قال: غزونا**) أي الكفار (**مع رسول الله ﷺ حنيناً**) أي يوم حنين (**فولى صحابة رسول الله ﷺ**) أي بعضهم (**فلما غشوا رسول الله ﷺ**) على زنة رضوا والضمير للكفار، أي لما قاربوا غشيانه. (**نزل عن البغلة [ثم] قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به**) أي بالتراب (**رامياً وجوههم فقال:**) أي دعاء أو خبراً (**شاهت الوجوه**) أي تغيرت وقبحت (**فما خلق الله منهم إنساناً**) أي فما بقي منهم أحد (**إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة**) والتعبير بما خلق الله لإفادة التأكيد وتقرير الحصر على وجه التأكيد. قال الطيبي: فيه بيان المعجزة من وجهين، أحدهما إيصال تراب تلك القبضة إلى أعينهم جميعاً، وثانيهما أنها بحيث ملأت عين كل واحد منهم من تلك القبضة اليسيرة وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب. قلت: والثالث انهزامهم بذلك كما يشير إليه قوله: (**فولوا مدبرين**) حال مؤكدة أو مقيدة، أي غير راجعين. (**فهزمهم الله**) أي ونصر رسوله واستجاب دعاءه وجمع له بين عز الجاه وحسن الحال وغنيمة المال، ولذا قال: (**وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين. رواه مسلم**).

الحديث رقم ٥٨٩٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠١ حديث رقم (٧٩ . ١٧٧٦).

الحديث رقم ٥٨٩١: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٢ حديث رقم (٨١ . ١٧٧٧).

٥٨٩٢ ـ (٢٥) وعن أبي هريرةَ، قال: شهِدنا مع رسولِ الله ﷺ حُنيناً، فقال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ ممَّنْ معه يدَّعي الإِسلامَ: «هذا من أهلِ النار» فلمَّا حضرَ القتال، قاتل الرجلُ من أشدِّ القتالِ، وكثُرتْ به الجراح، فجاء رجلٌ فقال: يا رسول الله! أَرأيتَ الذي تحدثُ أنَّه من أهلِ النار، قد قاتل في سبيل الله من أشدِّ القتال فكثُرت به الجِراحُ؟ فقال: «أَما إِنَّه من أهلِ النارِ» فكادَ بعضُ الناسِ يرتابُ، فبينما هو على ذلك إِذ وَجدَ الرجُلُ أَلَم الجراح، فأهْوى بيدِه إِلى كنانتِه، فانتزع سهماً فانتحر بها، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين إِلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! صدَّقَ اللّهُ حديثَكَ، قدِ انتحر فلانٌ وقتل نفسَه. فقال رسول الله ﷺ: «اللّهُ أكبرُ أشهدُ أني عبدُ الله ورسولُه».

٥٨٩٢ ـ **(وعن أبي هريرة قال: شهدنا)** أي حضرنا **(مع رسول الله ﷺ حنيناً فقال رسول الله ﷺ لرجل)** أي في حقه وشأنه **(ممن معه يدعي الإسلام:)** حال أو استئناف بيان. قال النووي: اسم الرجل قرمان، قاله الخطيب البغدادي وكان من المنافقين كذا في جامع الأصول. **(هذا من أهل النار.)** مقول للقول **(فلما حضر القتال)** أي وقته **(قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح)** بكسر الجيم جمع الجراحة على ما في القاموس **(فجاء رجل)** أي متعجباً **(فقال: يا رسول الله أرأيت الذي تحدث)** أي أخبرني عن حال من أخبرت **(عنه أنه من أهل النار فإنه قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح)** أي وظاهر حاله أنه من أهل الجنة لأنه قاتل في سبيل الله أشد القتال فرد عليه. **(فقال: أما إنه من أهل النار)** أي القول ما قلت لك وإن ظهر لك خلافه، لأنه لا عبرة بصورة الأعمال وإنما المدار على حسن الأحوال وخاتمة الآمال. **(فكاد)** أي قرب **(بعض الناس)** أي بعض المسلمين ممن له ضعف في الدين وقلة معرفة بعلم اليقين **(يرتاب)** أي يشك في أمره لقوله: إنه من أهل النار **(فبينما هو)** أي الرجل **(على ذلك)** أي ما ذكر من مبهم الحال **(إذ وجد الرجل ألم الجراح فأهوى بيده)** أي قصد ومال **(إلى كنانته)** بكسر أوله أي إلى جعبته وهي ظرف سهمه **(فانتزع سهماً)** أي فأخرجه **(فانتحر)** أي نحر نفسه **(بها)** أي بالمعبلة التي [هي] مركبة في السهم وهي كمكنسة نصل عريض طويل على ما في القاموس. والحاصل أنه مات كافراً لخبث باطنه أو فاسقاً بقتل نفسه. **(فاشتد رجال من المسلمين)** أي عدواً وأسرعوا قاصدين ومتوجهين **(إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك)** بتشديد الدال في أكثر النسخ أي حققه، وفي نسخة بتخفيفها أي صدق [الله] في إخبارك المطابق للواقع. **(قد انتحر فلان وقتل نفسه)** عطف تفسير وبيان **(فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله)** قال شارح: هذا كلام يقال عند الفرح فرح عليه السلام حين ظهر صدقه. وقال الطيبي: يحتمل تعجباً وفرحاً لوقوع ما أخبر عنه فعظم الله تعالى حمداً وشكراً لتصديق قوله، وأن يكون كسراً للنفس وعجبها حتى لا يتوهم أنه من عنده،

الحديث رقم ٥٨٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٧١. حديث رقم ٤٢٠٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٠٥ حديث رقم (١٧٨ ـ ١١١). والدارمي ٢/ ٣١٤ حديث رقم ٢٥١٧ وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٩.

يا بلالُ! قُم فأذِّنْ: لا يدخلُ الجنةَ إلاَّ مؤمنٌ، وإنَّ اللَّهَ لَيُؤَيّدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ». رواه البخاري.

٥٨٩٣ ـ (٢٦) وعن عائشةَ، قالت: سُحِرَ رسولُ الله ﷺ حتى إنَّه لَيُخيَّلُ إليه أنَّه فعلَ الشيءَ وما فعلَه،

وينصره قوله: أني عبد الله. **(يا بلال قم فأذن)** أي فأعلم الناس **(لا يدخل الجنة إلا مؤمن)** أي خالص احترازاً عن المنافق أو مؤمن كامل، فالمراد دخولها مع الفائزين دخولاً أولياً غير مسبوق بعذاب. **(وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)** أي المنافق أو الفاسق ممن يعمل رياء أو يخلط به معصية، وربما يكون عملاً به سوء الخاتمة نسأل الله العافية. والجملة يحتمل أن تكون داخلة تحت التأذين أو استئناف بيان لاختلاف أحوال القائلين. ومن نظائره من يصنف أو يدرس أو يعلم أو يتعلم أو يؤذن أو يؤم أو يأتم وأمثال ذلك، كمن يبني مسجداً أو مدرسة أو زاوية لغرض فاسد وقصد كاسد مما يكون سبباً لنظام الدين وقوام المسلمين، وصاحبه من جملة المحرومين جعلنا الله تعالى من المخلِصين بل من المخلَصين. **(رواه البخاري.)** وكذا مسلم. وفي الجامع: إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم[(١)]. رواه النسائي وابن حبان عن أنس وأحمد، والطبراني عن أبي بكرة. وفي رواية للطبراني عن ابن عمر بلفظ: إن الله تعالى ليؤيد الإِسلام برجال ما هم من أهله.

٥٨٩٣ ـ **(وعن عائشة قالت: سحر رسول الله ﷺ)** أي سحر يهودي **(حتى أنه ليخيل إليه)** بصيغة المفعول أي ليظن **(أنه فعل الشيء)** أي الفلاني مثلاً **(وما فعله)** أي والحال أنه ما فعل ذلك الشيء قيل: معناه أنه غلب عليه النسيان [بحيث] يتوهم من حيث النسيان أنه فعل الشيء الفلاني وما فعله أو أنه ما فعله وقد فعل وذلك في أمر الدنيا لا في الدين ونظيره ما قال تعالى في حق موسى: ﴿**فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى**﴾ [طه ـ ٦٦]. أي والحال أنها ما تسعى بل إنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل إليه أنها تتحرك. ﴿**فأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾ [طه ـ ٦٧]. قال البيضاوي: يعني فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية. وقد قرىء: يخيل على إسناده إلى الله سبحانه. قال النووي: قد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم أنه يحط من منزل النبوّة، لذلك وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع. وهذا الذي ادعاه باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ، والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز[(٢)] ما قام الدليل بخلافه باطل. فأمّا ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بها[(٣)] فهو مما يعرض للبشر

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١١٢ حديث رقم ١٧٨٩ وحديث رقم ١٧٩٠.

الحديث رقم ٥٨٩٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣٤. حديث رقم ٣٢٦٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧١٩ حديث رقم (٤٣ . ٢١٨٩).

(٢) في المخطوطة «تحرير». (٣) في المخطوطة «إليها».

حتى إِذا كان ذاتَ يومٍ عندي، دعا اللَّهَ ودعاهُ، ثمَّ قال: «أشعَرْتِ يا عائشةُ! أنَّ اللَّهَ قدِ أفتاني فيما استفتَيْتُه، جاءني رجُلان، جلسَ أحدُهما عندَ رأسي والآخرُ عند رِجليَّ، ثمَّ قال أحدُهما لصاحبِه: ما وجَعُ الرجل؟ قال: مطبوبٌ. قال: ومَن طبَّه؟ قال: لبيدُ بن الأعصم اليهوديُّ.

فغير بعيد أن يخيل إليه من السحر. وقد قيل: إنه إنما كان يتخيل إليه ما يخيل ولكنه لم يعتقد صحته وكانت معتقداته على الصحة والسداد. أقول: ويمكن أن يعتقد صحة ما لم يتعلق بالدين ثم ينبه عليه ويبين له صحيح الاعتقاد كما قال تعالى لموسى: ﴿**لا تخف إنك أنت الأعلى**﴾ [طه ـ ٦٨]. وقيل: معنى ليخيل إليه أي يظهر له من نشاطه أنه قادر على إتيان النساء فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يتمكن من ذلك. قال النووي: وكل ما جاء من أنه يخيل شيئاً لم يفعله فمحمول على التخيل بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن بالرسالة. قال المظهر: وأما ما زعموا من دخول الضرر في الشرع بأنبيائه فليس كذلك لأن السحر إنما يعمل في أبدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والأمراض ما يجوز على غيرهم، وليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل وتأثير السم وعوارض الأسقام فيهم. وقد قتل زكريا وابنه وسم نبينا ﷺ. وأما أمر الدين فإنهم معصومون فيما بعثهم الله عزَّ وجلَّ وأرصدهم له وهو جل ذكره حافظ لدينه وحارس لوحيه أن يلحقه فساد أو تبديل بأن لا يطول ذلك بل يزول سريعاً وكأنه ما حل. وفائدة الحلول تنبيه على أن هذا بشر مثلكم وعلى أن السحر تأثيره حق فإنه إذا أثر في أكمل الإنسان فكيف غيره. (**حتى إذا كان ذات يوم**) بالنصب ويجوز الرفع ذكره العسقلاني، لكن الرفع لا يلائم قولها. (**عندي دعا الله ودعاه**) كرر للتأكيد أو التكثير أي وأكثر الدعاء. قال الطيبي: أي أتى عقب دعائه بدعاء واستمر عليه. ويدل على هذا التأويل الرواية الأخرى: ثم دعا ثم دعا. قال النووي: هذا دليل على استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهة وحسن الالتجاء إلى الله تعالى. (**ثم قال: أشعرت**) أي أعلمت (**يا عائشة أن الله قد أفتاني**) أي بين لي (**فيما استفتيته**) أي فيما طلبت بيان الأمر منه وكشفه عنه ثم بينه بقوله: (**جاءني رجلان**) أي ملكان على صورة رجلين (**جلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي**) وفي نسخة بالتثنية (**ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل**) أي ما سبب تعبه الذي بمنزلة وجعه (**قال: مطبوب**) أي هو مسحور يقال: طب الرجل إذا سحر فكنوا بالطب عن السحر كما كنوا بالسليم على اللديغ (**قال:**) أي الآخر (**ومن طبه. قال: لبيد بن الأعصم اليهودي**) قيل أي بناته. لقوله تعالى: ﴿**ومن شر النفاثات في العقد**﴾ [الفلق ـ ٤]. أي النساء أو النفوس السواحر التي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق. قال القاضي: وتخصيصه بالتعوذ لما روي أن يهودياً سحر النبي ﷺ في إحدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي ﷺ فنزلت المعوذتان. وأخبره جبريل بموضع السحر فأرسل علياً رضي الله عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم أرادوا به أنه مجنون بواسطة السحر انتهى. والظاهر أن ذلك قضية أخرى فإنها مغايرة لما في هذا الحديث. ويمكن الجمع بينهما بوقوع نوعين من السحر له ﷺ ليكون أجره مرتين، وأن أحدهما وهو ما في الحديث وقع من لبيد والآخر من بناته والله أعلم.

قال: في ماذا؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطةٍ وجُفّ طلعةِ ذكرٍ، قال: فأينَ هو؟ قال: في بئرِ ذَروانَ» فذهبَ النبيُّ ﷺ في أُناسٍ من أصحابه إلى البئرِ. فقال: «هذِه البئر التي أُريتها وكأن ماءَها نُقاعةُ الحنَّاء، وكأنَّ نخلَها رؤوسُ الشياطين» فاستخرجه. متفق عليه.

٥٨٩٤ - (٢٧) وعن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قَسْماً

(**قال:**) أي الآخر (**في ماذا**) أي سحر في أي شيء (**قال: في مشط**) بضم الميم. وفي القاموس: المشط مثلثة وككتف وعنق وعتل ومنبر آلة يمتشط بها. (**ومشاطة**) بضم الميم ما سقط من شعر الرأس أو اللحية عند تسريحه بالمشط. (**وجف طلعة ذكر**) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء طلع النخل وطلعة ذكر على الإضافة. وأراد بالذكر فحل النخل. قيل: ويروى جب بالباء الموحدة أي داخل طلعة ذكر. قال النووي: الجف بضم الجيم والفاء هكذا هو في أكثر بلادنا. وفي بعضها جب بالباء وهما بمعنى، وهو وعاء طلع النخل ويطلق على الذكر والأنثى. فلهذا أضاف في الحديث طلعة إلى ذكر إضافة بيان. (**قال: فأين هو**) أي ما ذكر مما سجر به (**قال: في بئر ذروان**) بفتح الذال المعجمة، قال شارح: وفي كتاب مسلم في بئر ذي أروان. قيل: هو الصواب لأن أروان بالمدينة أشهر من ذروان وذروان على مسيرة ساعة من المدينة، وفيه بني مسجد الضرار. قلت: فذروان أوفق في هذا المقام والله أعلم بالمرام. وقال النووي: وفي كتاب مسلم في بئر ذي أروان وكذا وقع في بعض روايات البخاري، وفي معظمها ذروان وكلاهما صحيح مشهور. والأول أصح وأجود وهي بئر في المدينة في بستان أبي زريق. (**فذهب النبي ﷺ في أناس**) أي مع جمع (**من أصحابه**) أي المخصوصين (**إلى البئر فقال: هذه البئر التي أريتها**) بصيغة المفعول (**وكأن**) بالتشديد (**ماءها نقاعة الحناء**) بضم النون أي لونه، والمعنى: أن ماءها متغير لونه مثل ماء نقع فيه الحناء، والنقاعة ما يخرج من المنقوع. (**وكأن نخلها رؤوس الشياطين**) قال التوربشتي: أراد بالنخل طلع النخل، وإنما أضافه إلى البئر لأنه كان مدفوناً فيها. وأما تشبيهه ذلك برؤوس الشياطين فلما صادفوه [عليه] من الوحشة والنفرة وقبح المنظر، وكانت العرب تعد صور الشياطين من أقبح المناظر ذهاباً في الصورة إلى ما يقتضيه المعنى. وقيل: أريد بالشياطين الحيات الخبيثات القرقات، وأياماً كان فإن الإتيان بهذا المنظر في الحديث مسوق على نص الكتاب في التمثيل. قال تعالى: ﴿**كأنه رؤوس الشياطين**﴾ [الصافات - ٦٥]. (**فاستخرجه**) أي ما ذكر مما سحر به (**متفق عليه**).

٥٨٨٤ - (**وعن أبي سعيد الخدري**) رضي الله عنه (**قال: بينما نحن**) أي حاضرون (**عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً**) قال التوربشتي: القسم مصدر قسمت الشيء فالقسم سمي

الحديث رقم ٥٨٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٧. حديث رقم ٣٦١٠. ومسلم في صحيحه ١/ ٧٤٤ حديث رقم (١٤٣ - ١٠٦٤). وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٦١ حديث رقم ١٧١ وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٥٦.

أتاه ذو الخويصرة، وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يا رسولَ الله! اعدل. فقال: «ويلك فمن يَعْدلُ إذا لم أعدلْ؟! قد خِبْتَ وخسرتَ إن لم أكنْ أعدلُ» فقال عمر: ائذن لي أضرب عنقه. فقال: «دَعْهُ، فإن له أصحاباً يحقِّر أحدُكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم،

الشيء المقسوم وهو الغنيمة بالمصدر. والقسم بالكسر الحظ والنصيب ولا وجه للمكسورة في الحديث لأنه يختص بما إذا تفرد نصيب. وهذا القسم كان في غنائم خيبر[١] قسمها بالجعرانة. **(أتاه ذو الخويصرة)** تصغير الخاصرة **(وهو رجل من بني تميم)** قبيلة كبيرة شهيرة ونزل فيه قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يلمزك في الصدقات**﴾ [التوبة ـ ٥٨]. فهو من المنافقين وسيجيء أنه من أصله يخرج الخوارج. وأما قول شارح: هو رئيس الخوارج. ففيه مسامحة، إذ أوّل ظهورهم في زمن علي كرم الله وجهه. **(فقال: يا رسول الله اعدل)** الظاهر أنه أراد بذلك التورية كما هو عادة أهل النفاق بأن يراد بالعدل التسوية أو قسمة الحق اللائق بكل أحد من العدل الذي في مقابل الظلم، لكنه ﷺ علم بنور النبوّة أو ظهور الفراسة أو قرينة الحال[٢]. فإنه ﷺ كان في إعطائه يرى قدر الفاقة والحاجة وغيرها من المصلحة. فتعين أنه أراد المعنى الثاني. أو لأن التسوية في مكان ينبغي التفاضل نوع من الظلم فغضب عليه. **(فقال: ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت)** بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة وتاء الخطاب، أي حرمت المقصود. **(وخسرت)** على الخطاب أيضاً إن لم أكن أعدل. قال التوربشتي: وإنما رد الخيبة والخسران إلى المخاطب على تقدير عدم عدل منه لأن الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه ليقوم بالعدل فيهم، فإذا قدر أنه لم يعدل فقد خان[٣] المعترف بأنه مبعوث إليهم فخاب وخسر لأن الله لا يحب الخائنين، فضلاً من أن يرسلهم إلى عبادة انتهى. وخلاصته أنه إذا حكم ذلك القائل بأنه لا يعدل فقد خاب القائل وخسر بهذا الحكم. **(فقال عمر: ائذن لي أضرب عنقه)** بالجزم وجوّز رفعه وفي نسخة صحيحة أن أضرب عنقه. **(فقال: دعه)** أي اتركه. في شرح السنة: كيف منع النبي ﷺ عن قتله مع أنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم. قيل: إنما أباح قتلهم إذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا الناس، ولم تكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم. وأول ما نجم ذلك في زمان علي رضي الله عنه وقاتلهم حتى قتل كثيراً منهم انتهى. والأظهر ما ذكره الأكمل حيث قال: فيه دلالة على حسن أخلاقه ﷺ وأنه ما كان ينتقم لنفسه لأنه قال: اعدل. وفي رواية: اتق الله، وفي أخرى: إن هذه القسمة ما عدل فيها. وكل ذلك يوجب القتل إذ فيه النقص للنبي ﷺ. ولهذا لو قاله أحد في عصرنا لحكم بكفره أو ارتداده انتهى. وهو لا ينافي تعليل منعه عن قتله بقوله: **(فإن له أصحاباً)** أي أتباعاً سيوجدون من نعتهم **(أنه يحقر أحدكم صلاته)** أي كمية وكيفية **(مع صلاتهم)** أي في جنب صلاتهم المزينة المحسنة للرياء والسمعة **(وصيامه مع صيامهم)** أي في نوافل أيامهم. قال شارح: فيه تنبيه على أنهم يصلون وأنه نهى

---

(١) في المخطوطة «حنين».
(٢) في المخطوطة «الحالية».
(٣) في المخطوطة «جاء».

يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السَّهم من الرمية، يُنْظَر إلى نصله، إلى رُصافه إلى نَضِيّه وهو قِدْحه، إلى قُذَذِهِ فلا يوجد فيه شيءٌ، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجلٌ أسودُ، إحدى عضديه مِثلُ ثدي المرأة، أو مثل البَضْعَة

عن قتل المصلين انتهى. وفيه أنه ليس هذا النهي على إطلاقه. **(يقرؤون القرآن)** استئناف بيان أي يداومون على تلاوته ويبالغون في تجويده وترتيله ومراعاة مخارج حروفه وصفاته. **(لا يجاوز تراقيهم)** أي حال كونهم لا يتجاوز مقرؤوهم عن حلوقهم. وهو كناية عن عدم صعود عملهم ونفي قبول قراءتهم. قال شارح: والتراقي جمع ترقوة وهي العظام بين نقرة الحلق والعاتق، يريد أنه لا يتخلص عن ألسنتهم وآذانهم إلى قلوبهم [وأفهامهم]. وقال القاضي: أي لا تتجاوز قراءتهم عن ألسنتهم إلى قلوبهم فلا تؤثر فيها أو لا تتصاعد من مخرج الحروف وحيز الصوت إلى محل القبول والإنابة. **(يمرقون)** بضم الراء أي يخرجون **(من الدين)** أي من طاعة الإمام أو من أهل الإسلام ويمرون عليه سريعاً من غير حظ وانتفاع به. **(كما يمرق السهم من الرمية)** بتشديد التحتية فعيلة بمعنى مفعولة وهي الصيد. ويقال مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر، أي خروج السهم ومروره بجميع أجزائه وتنزهه عن التلوُّث بما يمر عليه من فرث ودم. قال شارح: شبههم في ذلك بالرمية لاستيحاشهم عما يرمون به من القول النافع، ثم وصف المشبه به في سرعة تخلصه وتنزهه عن القلوب بما يمر عليه من فرث ودم ليبين المعنى المضروب له بقوله: **(ينظر إلى نصله)** بصيغة المجهول **(إلى رصافة)** بضم الراء ويكسر بدل، وهو عصب يلوى فوق مدخل النصل. **(إلى نضيه)** بفتح فكسر فتشديد. **(وهو قدحه)** بكسر القاف وهو ما جاوز الريش إلى النصل من النضو لأنه يرى حتى صار نضواً، فهو مجاز باعتبار ما كان. وهو جملة معترضة من كلام الراوي تفسير للنضي. ثم قوله: **(إلى قذذه)** من كلامه ﷺ، وهو جمع قذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة، ريش السهم. قال القاضي: أخرج متعلقات الفعل على سبيل التعداد لا التنسق. **(فلا يوجد فيه)** أي في السهم أو في كل واحد من المذكورات **(شيء)** أي من الفرث والدم، والحال أن السهم أو كل واحد منها. **(قد سبق الفرث والدم)** أي مر عليهما. والمعنى: كما نفذ السهم في الرمية بحيث لم يتعلق به شيء من الروث والدم. كذلك دخول هؤلاء في الإسلام ثم خروجهم منه سريعاً بحيث لم يؤثر فيهم. هذا وقيل: المراد بالنصل القلب الذي هو المؤثر والمتأثر، فإذا نظرت إلى قلبه تجد فيه أثراً مما شرع فيه من العبادة، وبالرصاف الصدر الذي هو محل الانشراح بالأوامر والنواهي فلم يشرح لذلك ولم يظهر فيه أثر السعادة وبالنضي البدن. والمعنى: أن البدن وأن تحمل التكاليف الشرع من الصلاة والصوم وغير ذلك لكنه لم يحصل له منه فائدة، وبالقذة أطراف البدن التي هي بمنزلة الآلات لأهل الصناعات، أي لم يحصل له بها ما يحصل لأهل السعادات. **(آيتهم)** أي علامة[1] أصحابه الكائنة فيهم [الكامنة منهم] **(رجل أسود)** أي ظاهراً وباطناً **(إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة)** بفتح الموحدة، أي قطعة اللحم.

---

(١) في المخطوطة «علامات».

تَدَرْدَرُ، ويخرجون على خير فرقة من الناس». قال أبو سعيد: أَشهدُ أني سمعتُ هذا الحديثَ من رسولِ اللّهِ ﷺ، وأشهدُ أنَّ عليَّ بن أبي طالب قاتَلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالْتُمِسَ، فأتي به، حتى نظرتُ إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته.

وفي رواية: أقبل رجلٌ غائرُ العينين، ناتىءُ الجبهة، كثُّ اللحية، مشرفُ الوجنتين محلوقُ الرأس، فقال: يا محمد! اتَّق الله. فقال: «فمن يُطِعِ اللّهَ إذا عصيتُه؟ فيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنونّي فسأل رجلٌ قتْله، فمنعه، فلما ولّى قال: «إن من ضئضيءِ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإِسلام

وأو للتخيير في التشبيه أو للشك من الراوي. **(تدردر)** بحذف إحدى التاءين أي تضطرب وتجيء وتذهب. وقال الطيبي: أي تحرك وتزحزح ماراً أو جائياً انتهى. وظاهره أنه جعله فعلاً ماضياً وهو خلاف ما عليه الأصول المضبوطة. **(ويخرجون)** عطف على يمرقون **(على خير فرقة)** أي في زمانهم **(من الناس)** يريد علياً وأصحابه رضي الله عنهم. وفي رواية على حين فرقة بضم الفاء فعلى، بمعنى في. أي يظهرون في حين تشتت أمر الناس واضطراب أحوالهم وظهور المحاربة فيما بينهم. **(قال أبو سعيد:)** أي الخدري راوي الحديث **(أشهد)** أي أحلف **(أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه)** أي فهو ومن معه خير الفرقة **(فأمر)** أي علي **(بذلك الرجل)** أي بطلب ذلك الرجل الذي آيتهم وعلامتهم **(فالتمس)** بصيغة المجهول أي فطلب وأخذ **(فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته)** أي سابقاً **(وفي رواية:)** قال ابن الملك: أي بدل أتاه ذو الخويصرة في أول هذا الحديث. **(أقبل رجل غائر العينين)** اسم فاعل من الغور، أي غارت عيناه ودخلتا في رأسه **(ناتيء الجبهة)** بكسر الفوقية بعدها همز أي مرتفعها **(كث اللحية)** بفتح فتشديد مثلثة أي كثيفها **(مشرف الوجنتين)** أي عالي الخدين **(محلوق الرأس)** أي لادعاء المبالغة في النظافة والتأكيد في قطع التعلق وهو مخالفة ظاهرة لما عليه أكثر أصحابه ﷺ من ابقاء شعر رأسه وعدم حلقه إلا بعد فراغ النسك غير علي كرم الله وجهه، فإنه كان يحلق كثيراً لما قدمنا سببه ووجهه. **(فقال: يا محمد اتق الله)** أي في قسمك **(فقال: فمن يطع الله)** أي يتقيه من أمتي **(إذا عصيته)** أي مع عصمتي وثبوت نبوتي **(فيأمنني الله)** أي يجعلني أميناً **(على أهل الأرض ولا تأمنوني)** بتشديد النون ويخفف والخطاب على وجه العتاب لذي الخويصرة وقومه **(فسأله رجل)** وهو عمر رضي الله عنه كما سبق **(قتله)** أي تجويزه **(فمنعه)** أي لما تقدم **(فلما ولى)** أي الرجل **(قال: إن من ضئضيء هذا)** بكسر معجمتين وبهمزتين يبدل أولهما أي من أصله ونسبه وعقبه على ما في النهاية. وقال التوربشتي: من ذهب إلى أنهم يتولدون منه فقد أبعد إذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة ثم إن الزمان الذي قال فيه رسول الله ﷺ هذا القول إلى أن نابذ المارقة علياً رضي الله عنه وحاربوه لا يحتمل ذلك، بل معناه أن من الأصل الذي هو منه في النسب أو من الأصل الذي هو عليه في المذهب. **(قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز)** أي مقروؤهم **(حناجرهم)** أي ظواهرهم ولا يؤثر في بواطنهم **(يمرقون من الإسلام)** أي من كماله أو من انقياد

مُروقَ السَّهمِ من الرمِّيةِ، فيقتُلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان، لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عادٍ». متفق عليه.

٥٨٩٥ - (٢٨) وعن أبي هريرةَ، قال: كنت أدْعُو أُمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلتُ: يا رسول الله! ادع اللّهَ أن يهدي أم أبي هريرة. فقال: «اللهم أهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشراً بدعوة النبيِّ ﷺ، فلما صرت إلى الباب فإذا هو مجافٌ، فسمعتْ أُمي خَشْفَ قدميَّ فقالت: مكانَك يا أبا هريرة وسمعتُ خضخضة الماء، فاغتسلتْ فلبستْ دِرْعها، وعجلت عن خمارها،

الإمام استدل به من كفر الخوارج. وقال الخطابي: المراد بالإسلام هنا طاعة الإمام (**مروق السهم**) أي كخروجه سريعاً (**من الرمية**) أي من غير انتفاع بها (**فيقتلون أهل الإسلام**) أي لتكفيرهم إياهم بسبب ارتكاب الكبائر (**ويدعون**) بفتح الدال أي يتركون (**أهل الأوثان**) أي أهل عبادة الأصنام وغيرهم من الكفار (**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**) أراد بقتل عاد استئصالهم بالإهلاك، فإن عادا لم تقتل وإنما أهلكت بالريح واستؤصلت بالإهلاك. قيل: دل الحديث على جواز القتل عند اجتماعهم وتظاهرهم ولذلك منع من قتل ذلك الرجل انتهى. وفيه أن منع قتله لم يكن لانفراده بل لسبب آخر بيانه تقدم والله أعلم (**متفق عليه**).

٥٨٩٥ - (**وعن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة**) حال مؤكدة أو المراد بها أنها مستمرة على الشرك (**فدعوتها يوماً**) أي إلى الإسلام ومتابعة سيد الأنام (**فأسمعتني في رسول الله ﷺ**) أي في حقه وشأنه (**ما أكره**) أي شيئاً أكرهه من الكلام أو أكره ذكره بين الأنام (**فأتيت رسول الله ﷺ أبكي**) أي من الحزن والغبن حيث لم أقدر على تأديبها لكونها أمي (**قلت:**) وفي نسخة: فقلت. (**يا رسول الله ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال: اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشراً**) أي مسروراً منشرحاً (**بدعوة النبي ﷺ فلما صرت**) أي واصلاً (**إلى الباب**) أي باب أمي (**فإذا هو**) أي الباب (**مجاف**) أي مردود ومنه الحديث: أجيفوا أبوابكم. أي ردوها كذا في النهاية (**فسمعت أمي خشف قدمي**) بالتثنية وفي نسخة بالإفراد، أي صوتهما. وقيل حركتهما. (**وحسهما**) وهو بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين ويحرك على ما في القاموس. (**فقالت: مكانك**) بالنصب أي الزمه (**يا أبا هريرة. وسمعت خضخضة الماء**) أي تحريكه. وقيل: صوته. (**فاغتسلت ولبست درعها**) بكسر الدال أي قميصها (**وعجلت**) بكسر الجيم (**عن خمارها**) أي تركت خمارها من العجلة. يقال: عجلت عنه تركته، والمعنى أنها بادرت إلى فتح الباب بعد لبسها الثياب قبل أن تلبس خمارها. وهذا معنى ما قال الطيبي: عجلت الفتح متجاوزة[1] عن

الحديث رقم ٥٨٩٥: أخرجه مسلم في صحيحه ١٩٣٨/٤ حديث رقم (١٥٨ . ٢٤٩١). وأحمد في المسند ٣٢٠/٢.

(١) في المخطوطة «مجاوزة».

ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح، فحمد الله وقال خيراً. رواه مسلم.

٥٨٩٦ ـ (٢٩) وعنه، قال: إنَّكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ واللّٰهُ الموعدُ، وإن إخوتي من المهاجرين كان يَشْغلُهم الصَفْقُ بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يَشْغَلُهم عملُ أموالهم، وكنتُ امرءاً مِسْكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني. وقال النبي ﷺ يوماً: «لن يبسط أحدٌ منكم ثوبه حتى أقضيَ مقالتي هذه ثم يجمعه

خمارها. (**ففتحت الباب**) أي بعد ما وقع عليها النقاب ورفع عنها الحجاب (**ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيراً**) أي قولاً خيراً أو كلاماً يتضمن خيراً، أو التقدير وصلت يا أبا هريرة خيراً بإسلام أمك. (**رواه مسلم**).

٥٨٩٦ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: إنكم**) أي معشر التابعين. وقيل: الخطاب مع الصحابة المتأخرين (**تقولون: أكثر أبو هريرة**) أي الرواية (**عن النبي ﷺ والله الموعد**) أي موعدنا فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لأن الأسرار تنكشف هنالك. وقال الطيبي: أي لقاء الله الموعد ويعني به يوم القيامة فهو يحاسبني على ما أزيد وأنقص لا سيما على رسول الله ﷺ. وقد قال: «من كذب عليّ معتمداً فليتبوّأ مقعده من النار»[1]. (**وإن إخوتي**) أي إخواني وأصحابي (**من المهاجرين كان يشغلهم**) بفتح الياء والغين، وأما الضم والكسر فلغية قليلة أو رديئة، أي يمنعهم. (**الصفق**) بفتح فكسر أي ضرب اليد على اليد عند البيع. قال الطيبي: هو كناية عن العقود في البيع والشراء (**وإن أخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم**) أي المواضع التي فيها نخيلهم. والحاصل أن المهاجرين كانوا أصحاب تجارات والأنصار أصحاب زراعات (**وكنت امرءاً مسكيناً**) أي عاجزاً عن مال التجارة وأسباب الزراعة (**ألزم رسول الله ﷺ**) أي صحبته وخدمته حامداً (**على ملء بطني**) قال الطيبي هو حال، أي ألزمه ﷺ قانعاً بما يملأ بطني فعداه بعلى مبالغة. وفي معناه قول الشاعر:

فإن ملكت كفاف قوت فكن به * قنيعاً فإن المتقي الله قانع

(**وقال النبي ﷺ يوماً: لن يبسط**) أي لن يفرش (**أحد منكم ثوبه حتى أقضي**) أي أفرغ (**مقالتي هذه**) كأنه إشارة إلى دعاء دعاه حينئذ ذكره الطيبي. وقيل: كانت مقالته دعاءه للصحابة بالحفظ والفهم. والأظهر أن المراد بها الكلام الذي كان شرع فيه (**ثم يجمعه**) بالنصب والرفع

الحديث رقم ٥٨٩٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢١٣. حديث رقم ١١٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٣٩ حديث رقم (١٥٩ ـ ٢٤٩٢). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٢ حديث رقم ٣٨٣٤.

(١) حديث متفق عليه وهو من الأحاديث المتواترة.

إِلى صَدْره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً». فبسطتُ نَمرةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرُها حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتُها إِلى صدري، فوالذي بعثه بالحق ما نسيتُ من مقالته ذلك إِلى يومي هذا. متفق عليه.

٥٨٩٧ ـ (٣٠) وعن جرير بنِ عبدِ الله، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أَلا تُريحُني من ذي الخَلَصةِ؟». فقلت: بلى، وكنتُ لا أثبت على الخيل، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صَدْري حتى رأيتُ أثر يده في صدري، وقال: «اللهم ثبِّته واجعله هادياً مهديًّا». قال: فما وقعتُ عن فرسي بعدُ، فانطلق في مائةٍ وخمسين فارساً من أحمَس

أي يضم ثوبه (**إلى صدره فينسى من مقالتي**) أي من أحاديثي شيئاً أبداً قال الطيبي: هو جواب النفي على تقدير أن، فيكون عدم النسيان مسبباً عن المذكورات كلها. وأوثرت لن النافية دلالة على أن النسيان بعد ذلك كالمحال. وقوله: من مقالتي شيئاً. إشارة إلى جنس المقالات كلها. (**فبسطت نمرة**) بفتح النون وكسر الميم. قال الطيبي: أي شملة مخططة من مآزر الأعراب وجمعها نمار كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض. (**حتى قضى النبي ﷺ مقالته**) أي تلك (**ثم جمعتها إلى صدري. فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته**) أي من جنس مقاله ذلك، فإن المصدر يذكر ويؤنث، أو ذكر باعتبار معناها وهو القول والكلام. وقال الطيبي: إشارة إلى جنس المقالة باعتبار المذكور. (**إلى يومي هذا**) وهو وقت رواية هذا الحديث. (**متفق عليه**).

٥٨٩٧ ـ (**وعن جرير بن عبد الله**) أي البجلي (**قال: قال لي رسول الله ﷺ: ألا تريحني**) من الإِراحة وهي اعطاء الراحة، أي ألا تخلصني. (**من ذي الخلصة**) بفتحتين وهو بيت كان لخثعم يدعى كعبة اليمامة، والخلصة اسم طاغيتهم التي كانت فيه. قال الأشرف: فيه إيماء إلى أن النفوس الزكية الكاملة المكملة قد يلحقها العناء مما هو على خلاف ما ينبغي من عبادة غير الله تعالى وغيرها مما لا يجوز ولا ينبغي. (**فقلت: بلى. وكنت لا أثبت**) [بضم الباء] (**على الخيل**) أي [(1)] كنت أقع عنها أحياناً (**فذكرت ذلك**) أي عدم الثبوت (**للنبي ﷺ فضرب بيده على صدري حتى رأيت**) أي علمت (**أثر يده**) أي تأثيرها لقوة ضربها (**في صدري. وقال: اللهم ثبته**) أي ظاهراً وباطناً (**واجعله هادياً**) أي لغيره (**مهدياً**) بفتح الميم وتشديد التحتية، أي مهتدياً في نفسه لا يزيغ عن هديه. (**قال: فما وقعت**) أي سقطت (**عن فرسي بعد**) أي بعد ذلك الدعاء أو بعد ذلك اليوم (**فانطلق**) قال الطيبي: هو من كلام الراوي. وقيل: هو من كلام جرير، ففيه التفات. والمعنى: فذهب جرير. (**في مائة**) أي مع مائة (**وخمسين فارساً من أحمس**) أي من

الحديث رقم ٥٨٩٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٥٤. حديث رقم ٣٠٢٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٢٥ حديث رقم (١٣٦ . ٢٤٧٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٥ حديث رقم ٣٨٤٢. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٦ حديث رقم ١٥٩. وأحمد في المسند ٤/ ٤٦٥.

(١) في المخطوطة «بل».

فحرَّقها بالنار وكسرها. متفق عليه.

٥٨٩٨ ـ (٣١) وعن أنسٍ، قال: إنَّ رجلاً كان يكتب للنبي ﷺ فارتدَّ عن الإسلام، ولحق بالمشركين، فقال النبي ﷺ: «إنَّ الأرض لا تقبله». فأخبرني أبو طلحة أنَّه أتى الأرض التي مات فيها فوجده منبوذاً، فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفنَّاه مراراً فلم تقبلْه الأرضُ. متفق عليه.

٥٨٩٩ ـ (٣٢) وعن أبي أيُّوب، قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتاً، فقال: «يهودُ

قوم قريش، والأحمس الشجاع. ففي النهاية: هم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس، سموا حمساً لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا والحماسة الشجاعة. والحاصل أنهم كانوا متصلبين في الدين والقتال فلا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وأمثال ذلك. (**فحرقها بالنار**) بتشديد الراء أي أحرق جرير الخلصة (**وكسرها**) أي وأبطلها (**متفق عليه**).

٥٨٩٨ ـ (**وعن أنس قال: إن رجلاً**) قيل: لم يعرف اسمه. وقيل: هو عبد الله بن أبي السرح. وقيل: إنه غلط، فإنه مات مسلماً بل هو رجل كان نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران. (**كان يكتب**) أي الوحي (**للنبي ﷺ فارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين**) أي فعاد نصرانياً، وكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبت له. (**فقال النبي ﷺ: إن الأرض لا تقبله**) فأماته الله فدفنوه فأصبح ولفظته الأرض. فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا الأرض ما استطاعوا فأصبح ولفظته الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه. (**قال أنس: فأخبرني أبو طلحة**) وهو زوج أم أنس (**أنه**) أي أبا طلحة (**أتى الأرض التي مات فيها فوجده منبوذاً**) أي مطروحاً ملقى على وجه الأرض (**فقال: ما شأن هذا. فقالوا: دفناه مراراً فلم تقبله الأرض متفق عليه**).

٥٨٩٩ ـ (**وعن أبي أيوب قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس**) أي سقطت وغربت ومنه قوله تعالى: ﴿**فإذا وجبت جنوبها**﴾ [الحج ـ ٣٦]. (**فسمع صوتاً**) يحتمل أنه سمع صوت ملائكة العذاب أو صوت يهود المعذبين، أو صوت وقع العذاب. وعند الطبراني ما يؤيد الثاني، وكذا ظاهر ما بينه ﷺ (**فقال: يهود**) أي هذا يهود أي صوته يعني صوت جماعة من

الحديث رقم ٥٨٩٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٢٤. حديث رقم ٣٦١٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٥. حديث رقم (١٤ . ٢٧٨١). وأحمد في المسند ٣/ ١٢١.

الحديث رقم ٥٨٩٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٨٤ حديث رقم ١٣٧٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٠ حديث رقم (٦٩ . ٢٨٦٩). وأخرجه النسائي في السنن ٤/ ١٠٢ حديث رقم ٢٠٥٩. وأحمد في المسند ٥/ ٤١٧.

تُعذَّبُ في قبورها». متفق عليه.

٥٩٠٠ ـ (٣٣) وعن جابرٍ، قال: قدِمَ النبي ﷺ من سفر، فلما كان قربَ المدينة هاجَتْ ريحٌ تكادُ أن تدفِن الراكبَ، فقال رسول الله ﷺ: «بُعِثَتْ هذه الريح لموتِ مُنافِقٍ». فقدم المدينة، فإذا عظيمٌ من المنافقين قد مات. رواه مسلم.

٥٩٠١ ـ (٣٤) وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى قدمنا عُسْفَان، فأقام بها ليالي، فقال النَّاس: ما نحن هٰهُنا في شيءٍ، وإن عيالنا لخلوف ما نأمن عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده ما في المدينة

اليهود (**تعذب في قبورها**) فيه إثبات عذاب القبر ومعجزة من حيث كشف أحوالهم ([**متفق عليه**]).

٥٩٠٠ ـ (**وعن جابر قال: قدم النبي ﷺ من سفر فلما كان قرب المدينة**) بالنصب على نزع الخافض والخبر متعلقه، أي فلما كان النبي ﷺ واصلاً بقربها (**هاجت**) أي ثارت وظهرت (**ريح**) أي عظيمة (**تكاد أن تدفن الراكب**) بكسر الفاء، أي تقرب أن تواريه من شدة ثورانها. (**فقال النبي ﷺ: بعثت هذه الريح**) بصيغة المجهول، أي أرسلت. (**لموت منافق**) أي في وقت موته (**فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات**) قيل: هو رفاعة بن دريد والسفر غزوة تبوك. وقيل: رافع والسفر غزوة بني المصطلق. (**رواه مسلم**) وكذا البخاري.

٥٩٠١ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرجنا**) أي من مكة (**مع النبي ﷺ حتى قدمنا عسفان**) بضم أوله. ففي القاموس: عسفان كعثمان موضع على مرحلتين من مكة. وقال شارح: أي رجعنا عن السفر ووصلنا إلى عسفان، موضع قريب المدينة. قال صاحب الأزهار: [و] هو غلط بل هو على مرحلتين من مكة ذكره المغرب وغيره. (**فأقام بها**) أي بتلك البقعة أو القرية (**ليالي**) أي وأياماً (**فقال الناس:**) أي بعض المنافقين أو الضعفاء في الدين واليقين (**ما نحن ههنا في شيء**) أي شغل وعمل، أو في شيء من أمر الحرب. (**وإن عيالنا لخلوف**) بالضم، أي لغائبون، أو نساء بلا رجال. يقال: حي خلوف إذا لم يبق فيهم[1] إلا النساء. والخلوف أيضاً الحضور المتخلفون، والجملة حال وقوله: (**ما نأمن عليهم**) أي على عيالنا خبر بعد خبر، ولعل تذكير الضمير للتغليب أو تنزيلاً منزلة الرجال في الجلادة والشجاعة. (**فبلغ ذلك ﷺ**) أي فوصله هذا الكلام (**فقال: والذي نفسي بيده ما في المدينة**

الحديث رقم ٥٩٠٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٥ حديث رقم ١٥/ ٢٧٠٨٢. وأحمد في المسند ٣/ ٣١٥.

الحديث رقم ٥٩٠١: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠١ حديث رقم (٤٧٥ ـ ١٣٧٤). وأحمد في المسند ٢/ ٣٣١.

(١) في المخطوطة «منهم».

شعبٌ ولا نقبٌ إلا عليه مَلكان يحرسانها حتى تقدموا إليها». ثم قال: «ارتحلوا». فارتحلنا وأقبلنا إلى المدينة، فوالذي يُحلَفُ به ما وضعنا رحالنا حين دخلنا المدينةَ حتى أغار علينا بنو عبد الله بن غطفان وما يُهيّجُهم قبل ذلك شيء. رواه مسلم.

٥٩٠٢ ـ (٣٥) وعن أنسٍ، قال: أصابت الناس سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله! هلك المالُ، وجاع العيالُ، فادع الله لنا. فرفع يديهِ وما نرى في السماءِ قزعةً، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السّحابُ أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يَتحادرُ على لحيته، فَمُطِرْنَا

شعب) بكسر المعجمة، طريق في الجبل. **(ولا نقب)** أي طريق بين الجبلين. أي ليس في المدينة ما يطلق عليه الشعب والنقب. **(إلا عليه ملكان يحرسانها)**[1] بضم الراء أي يحفظانها بأمر الله تعالى **(حتى تقدموا)** بفتح الدال أي ترجعوا **(إليها)** قال الطيبي: قوله: عليه، أي على كل واحد من الشعب والنقب. والضمير في يحرسانها راجع إلى المدينة، والمراد شعبها ونقبها. قلت: الأظهر أن يراد بهما جميعها **(ثم قال: ارتحلوا. فارتحلنا وأقبلنا إلى المدينة)** أي متوجهين إليها **(فوالذي يحلف به)** أي الله سبحانه **(ما وضعنا رحالنا)** أي متاعنا عن ظهور جمالنا **(حين دخلنا المدينة حتى أغار علينا)** أي معشر المدينة **(بنو عبد الله بن غطفان)** بفتح المعجمة فالمهملة. والمعنى: أن المدينة حال غيبتهم عنها كانت محروسة كما أخبر النبي ﷺ إعجازاً، ولم يكن مانعاً من الإغارة والتهييج عليها إلا حراسة الملائكة. وهذا معنى قوله: **(وما يهيجهم)** بتشديد الياء، ما يثير بني عبد الله على الإغارة. **(قبل ذلك)** أي قبل دخولنا المدينة **(شيء)** أي من البواعث. وقال شارح: أي قبل الغارة وهو ليس بشيء. **(رواه مسلم)**.

٥٩٠٢ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: أصابت الناس سنة)** أي قحط **(على عهد رسول الله ﷺ)** أي في زمانه **(فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلك المال)** أي المواشي لأنها أكثر أموالهم وهلاكها إما بتغيرها أو بموتها **(وجاع العيال)** وهو بكسر العين من يلزمه النفقة من الأهل. **(فادع الله لنا)** أي متضرعاً إليه **(فرفع يديه)** أي بالسؤال لديه **(وما نرى)** أي نحن **(في السماء قزعة)** بفتح القاف والزاي، أي قطعة من السحاب **(فوالذي نفسي بيده ما وضعها)** أي يده، وأفرد الضمير باعتبار إرادة الجنس. **(حتى ثار السحاب)** أي سطع وظهر جنس السحاب ظهوراً كاملاً. **(أمثال الجبال. ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر)** في النهاية: أي ينزل ويقطر وهو يتفاعل من الحدور ضد الصعود، يتعدى ولا يتعدى. اهـ. والمعنى حتى يتساقط المطر **(على لحيته)** وقيل: يريد أن السقف قد وكف حتى نزل الماء عليه ذكره ابن الملك، ولا يخفى بعده. **(فمطرنا)** بصيغة المفعول، أي جاءنا المطر.

---

(١) في المخطوطة «يحرسان».

الحديث رقم ٥٩٠٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٤١٣. حديث رقم ٩٣٣. ومسلم في صحيحه ٢/ ٦١٢ حديث رقم (٨/ ٨٩٧). وأخرجه النسائي ٣/ ١٦٦ حديث رقم ١٥٢٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٦.

يومَنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي ـ أو غيره ـ فقال: يا رسول الله! تهدَّم البناء، وغرق المال، فادعُ الله لنا، فرفَع يديه فقال: «اللهمَّ حوالينا ولا علينا». فما يشير إِلى ناحيةٍ من السّحاب إِلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجَوْبَة،

(يومنا) أي بقية يومنا **(ذلك)** وهو يوم الجمعة **(ومن الغد ومن بعد الغد)** يحتمل أن تكون من تبعيضية، والأظهر أنها ابتدائية. لقوله: **(حتى)** أي إلى **(الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي)** حال، أي وقد قام ذلك الأعرابي بعينه. **(أو غيره)** من الأعراب أو من غيرهم. قال الحافظ العسقلاني: وفي رواية: ثم دخل [رجل] في الجمعة المقبلة. وهذا[1] ظاهر[ه] أنه غير الأوّل. وفي رواية: حتى جاء ذلك الأعرابي في الجمعة الأخرى. وهذا يقتضي الجمع بكونه واحداً. فلعل أنساً ذكره بعد أن نسيه [أو نسيه] بعد أن ذكر[ه]. قلت: ويحتمل أنه تردد في كون القائم الثاني هو الأوّل، لكن غلب على ظنه تارة أنه هو فعبر عنه بالجزم، وتارة أنه غيره فعبر عنه بالتنكير، وتارة أتى بصيغة الشك لاستواء الأمرين عنده. فالشك منه لا من غيره والله [تعالى] أعلم. **(فقال:)** أي القائم **(يا رسول الله تهدم)** بتشديد الدال، أي خرب. **(البناء وغرق المال)** بكسر الراء، أي صار غريقاً. **(فادع الله لنا فرفع يديه فقال: اللهم حوالينا)** أي أمطر حوالينا بفتح اللام أي في مواضع المنافع الحاصلة لنا. ثم أكده بقوله: **(ولا علينا)** أي لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا. قال العسقلاني: أي أنزل الغيث في موضع النبات لا على الأبنية. يقال: قعد حوله وأحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام، ولا يقال حواليه بكسر اللام؛ قاله الجوهري وغيره. ثم قال: وفي قوله: ولا علينا. بيان للمراد بقوله: حوالينا. ثم في إدخال الواو[2] ههنا معنى لطيف، وذلك لأنه يقتضي أن طلب المطر على حوالينا. ليس مقصوداً لعينه[3] بل ليكون وقاية عن أذى المطر. قلت: الواو خالصة للعطف لكنها للتعليل كقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثديها. فإن الجوع ليس مقصوداً بعينه لكن لكونه مانعاً من الرضاع بأجرة، إذ كانوا يكرهون ذلك. اهـ. وقال بعض المحققين: أوثر حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله: علينا. نحو قوله تعالى: ﴿**من سبأ بنبأ يقين**﴾ [النمل ـ ٢٢]. وقال الطيبي: قوله: ولا علينا. عطف على جملة حوالينا. ولو لم تكن الواو لكان حالاً، أي أمطر على المزارع ولا تمطر على الأبنية. وأدمج في قوله: علينا. معنى المضرة. كأنه قيل: اجعل لنا لا علينا. **(فما يشير)** حكاية حال ماضية. **(إلى ناحية)** أي جانب من السحاب جمع سحابة. **(إلا انفرجت)** أي انكشفت وتفرقت **(وصارت المدينة)** أي جوّها **(مثل الجوبة)** بفتح الجيم وسكون الواو، الفرجة في السحاب. والمعنى: إن المطر أو الغيم انكشف عما يحاذينا وأحاط بما حولنا بحيث صار جوّ المدينة مثل الجوبة خالياً عن السحاب، فحذف المضاف وهو الجوّ، وأقيم المضاف إليه مقامه كذا ذكره شارح وقيل: المعنى حتى صارت المدينة مثل الحفرة[4] المستديرة الواسعة وصار الغيم

(١) في المخطوطة «وهو».
(٢) في المخطوطة «اللام».
(٣) في المخطوطة «بعينه».
(٤) في المخطوطة «الجرة».

وسَال الوادي قناةَ شهراً، ولم يجىء أحدٌ من ناحيةٍ إلا حدَّث بالجَوْد.

وفي رواية قال: «اللهمَّ حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِراب وبطون الأودِيةِ، ومنابتِ الشَّجر». قال: فأقلعتْ،

محيطاً بأطراف المدينة منكشفاً عنها. **(وسال الوادي قناة)** بالضم على أنه بدل أو بيان للوادي وهي علم له غير منصرف. وفي نسخة بالفتح بتقدير أعني وفي أخرى بتنوينها. **(شهراً)** ظرف سال. قال ميرك: أعرب قناة بالضم على البدل بناء على أن قناة اسم الوادي، ولعله من تسمية الشيء باسم ما جاوره. أقول: فالقناة اسم أرض بجنب الوادي، والظاهر أنها محفورة في الأرض يكون نهر في بطنها يقال لها بالفارسية: كاريز، وسمي بها لطولها المشبه بالقناة وهي الرمح. وقيل: هو بالنصب والتنوين على التشبيه، أي سال مثل قناة. قيل: ووقع في رواية البخاري: حتى سال وادي قناة شهراً. وصحح بغير تنوين في هذه الرواية. اهـ. كلامه ناقلاً عن العسقلاني. وقال شارح: قناة نصب على الحال من فاعل سال أي سال الوادي سائلاً مثل القناة، ولما كان من شأن القناة الاستمرار على الجري حسن أن يجعل حالاً من الوادي. ويجوز فيه المصدر، أي سيلان القناة. وقال الطيبي: نصب على الحال أو المصدر على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي مثل القناة أو سيلان القناة في الدوام والاستمرار والقوّة والمقدار. وقال بعض المحققين: قناة بفتح القاف والنون المخففة علم على أرض ذات مزارع ناحية أحد وواديها أحد أودية المدينة المشهورة قاله الحازمي. وذكر محمد بن الحسن المخزومي في أخبار المدينة: إن أوّل من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الإِسلام. وقيل: الفقهاء يقولونه بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من القنوات وليس كذلك، وهو الذي جزم به بعض الشراح. وقال: المعنى على التشبيه. أي سال مثل القناة. وعبارة البخاري: حتى سال الوادي وادي قناة شهراً. قال الكرماني: قناة علم موضع. قيل: إنه الوادي الذي عنده قبر حمزة رضي الله عنه، وهو يأتي من الطائف. وقيل: نصب قناة على التمييز، أي مقدار قناة، بناء على أن تفسير قناة بالرمح أولى منه بحفرة في الأرض، لأنه قلما بلغ القناة في كثره مياهها مبلغ السيول وفيه بحث لا يخفى على ذوي النهي. **(ولم يجىء أحد من ناحيته)** أي من جوانب المدينة **(إلا حدث)** أي أخبر **(بالجود)** بفتح الجيم وسكون الواو أي المطر الكثير. **(وفي رواية: قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام)** بالمد وفي نسخة. بكسر الهمزة جمع الأكمة وهي التل والرابية. وقيل: الأكمة يجمع على أكم ويجمع الأكم على آكام كجبل وجبال ويجمع الآكام على أكم مثل كتاب وكتب، ويجمع الأكم على آكام كعنق وأعناق. وقال ابن الملك: هو بفتح الهمزة ممدودة وكسرها مقصورة، جمع أكمة محركة وهو ما ارتفع من الأرض. **(والظراب)** بكسر الظاء المعجمة، أي الجبال الصغار. **(وبطون الأودية)** أي الخالية عن الأبنية **(ومنابت الشجر)** أي المنتج للثمر **(قال:)** أي أنس **(فأقلعت)** وفي نسخة بصيغة المجهول، أي كفت السحاب عن المطر. وقيل: انكشفت. والتأنيث لأنه جمع سحابة، يقال: أقلع المطر انقطع. وفي القاموس: أقلعت عنه الحمى تركته، والإقلاع عن الأمر الكف. وفي المشارق: أقلع المطر كف، ومنه قوله تعالى: **﴿يا سماء أقلعي﴾**. اهـ. وتبين أن صيغة

وخرَّجْنا نمشي في الشّمسِ. متفق عليه.

٥٩٠٣ ـ (٣٦) وعن جابرٍ، قال كَانَ النبيُّ ﷺ إذا خطب استند إلى جِذع نخلة من سواري المسجد، فلما صُنِع له المنبر فاستوى عليه، صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشقَّ، فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضَمَّها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكَّت حتى استقرَّت، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر». رواه البخاري.

٥٩٠٤ ـ (٣٧) وعن سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عندَ رسولِ الله ﷺ بشماله فقال: «كلْ بيمينكَ». قال: لا أستطيع. قال: «لا استطعتَ». ما منعهُ إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم.

المفعول من رواية المجهول والله أعلم. **(وخرجنا نمشي في الشمس)** قال النووي: فيه استحباب طلب انقطاع المطر عن المنازل والمرافق إذا كثر وتضرروا به، ولكن لا يشرع له صلاة ولا اجتماع في الصحراء. **(متفق عليه)**.

٥٩٠٣ ـ **(وعن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة)** بكسر الجيم أي أصلها وساقها **(من سواري المسجد)** جمع سارية بمعنى الأسطوانة. **(فلما صنع له المنبر)** بصيغة المفعول **(فاستوى عليه)** أي قام **(صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق)** أي نصفين أو قطعاً. **(فنزل النبي ﷺ)** أي ومشى إليها **(حتى أخذها)** أي بيده **(فضمها إليه)** أي إلى نفسه ﷺ وعانقها تسلية [لها] **(فجعلت)** أي طفقت الأسطوانة أو جذع النخلة، واكتسب التأنيث من المضاف إليه. **(تئن أنين الصبي الذي يسكت)** بتشديد الكاف المفتوحة، أي مثل أنينه. **(حتى استقرت)** أي سكتت وسكنت **(قال:)** أي النبي ﷺ في سبب بكائها **(بكت على ما كانت تسمع من الذكر)** أي على فوته وفوت قرب الذاكر **(رواه البخاري)**.

٥٩٠٤ ـ **(وعن سلمة بن الأكوع: أن رجلاً)** قال التوربشتي: يقال له بشر بن راعي العير، وقيل: بسر بالسين المهملة، وهو من أشجع. وضبط في الأذكار العير بفتح العين وبالياء المثناة من تحت. وقال: هو صحابي. **(أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: كل بيمينك. قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت)** دعاء عليه لأنه كذب في اعتذاره. **(ما منعه)** أي من قبول الحق. وقال شارح: أي من الأكل باليمين. **(إلا الكبر)** أي لا العجز. قال الطيبي: هو قول الراوي: ورد استئنافاً البيان موجب دعاء النبي ﷺ عليه كأن قائلاً قال: لم دعا عليه بلا استطعت وهو رحمة للعالمين. فأجيب بأن ما منعه من الأكل باليمين العجز بل منعه الكبر. **(قال:)** أي سلمة **(فما رفعها)** أي الرجل يمينه **(إلى فيه)** أي فمه **(بعد ذلك)** لدعائه ﷺ **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٥٩٠٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٣٩٧. حديث رقم ٩١٨. والدارمي في السنن ١/ ٣٠ حديث رقم ٣٣.

الحديث رقم ٥٩٠٤: أخرجه مسلم ٣/ ١٥٩٩ حديث رقم (١٠٧ . ٢٠٢١).

٥٩٠٥ ـ (٣٨) وعن أنسٍ، أن أهل المدينة فزعوا مرةً، فرَكِبَ النبيُّ ﷺ فَرَساً لأبي طلحة بطيئاً وكان يقطِف، فلما رجع قال: «وجدنا فرسكم هذا بَحْراً». فكان بعد ذلك لا يجاري.

وفي رواية: فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم. رواه البخاري.

٥٩٠٦ ـ (٣٩) وعن جابرٍ، قال: توفي أبي وعليه دين، فعرضتُ على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه، فأبَوْا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: قد علمتَ أن والدي استُشهدَ يوم أُحد وتركَ دَيْناً كثيراً، وإني أُحبُّ أن يراك الغرماءُ، فقال لي: «اذهب فَبَيْدِرْ كلَّ تمرٍ على ناحيةٍ، ففعلتُ، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنهم أُغروا بي

٥٩٠٥ ـ (وعن أنس: أن أهل المدينة فزعوا) بكسر الزاي، أي خافوا من مأتى العدوّ مرة (فركب النبي ﷺ فرساً) أي عرياناً (لأبي طلحة بطيئاً) أي في الجري والمشي (وكان) أي الفرس (يقطف) بكسر الطاء، أي يمشي مشياً ضيقاً ذكره شارح. وقال الطيبي: أي يتقارب خطاه. (فلما رجع) أي النبي ﷺ وكان قد سبق الناس. (قال: وجدنا فرسكم هذا بحراً) أي جلداً، سمي بحراً لأن جريه لا ينفد كما لا ينفد ماء البحر. وقال الطيبي: هو المفعول الثاني لوجدنا، وشبه الفرس بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه. (فكان) وفي نسخة: وكان (بعد ذلك لا يجاري) بفتح الراء، أي لا يقاوم في الجري ولا يسبق. وفي رواية: لا يحاذي به فرس يجري معه. (وفي رواية: فما سبق بعد ذلك اليوم. رواه البخاري.) وكذا مسلم.

٥٩٠٦ ـ (وعن جابر قال: توفي) بصيغة المجهول أي قبض ومات (أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر) أي جميع تمرنا (بما عليه) أي في مقابلة ما على أبي (فأبوا) أي امتنعوا لأنه كان في أعينهم قليلاً وهم يهود (فأتيت النبي ﷺ فقلت: قد علمت) أي أنت (أن والدي استشهد يوم أحد وترك ديناً كثيراً وإني) بكسر الهمزة (أحب أن يراك الغرماء) أي عندي لعلهم يراعوني (فقال لي: اذهب فبيدر كل تمرة على ناحية) أي أجمع كل نوع صبرة على حدة، أمر من بيدر الطعام إذا داس في البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام. والمراد هنا اجعل كل نوع من تمرك بيدراً، أي صبرة واحدة. وقيل: فرق كل نوع في موضعه (ففعلت) أي صبراً وبيادر (ثم دعوته) أي طلبته ﷺ (فلما نظروا إليه كأنهم أغروا بي) بصيغة المجهول أي لجوا في مطالبتي وألحوا كأن دواعيهم حملتهم على الإغراء بي، من أغريت الكلب، أي هيجته. والمعنى: أغلظوا عليّ فكأنهم هيجوا بي. وقيل: هو من غري بالشيء إذا

الحديث رقم ٥٩٠٥: أخرجه البخاري في ٦/ ٧٠. حديث رقم ٢٨٦٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٢ حديث رقم (٤٩ ـ ٢٣٠٧). وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٩٢٦ حديث رقم ٢٧٧٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٤٧.

الحديث رقم ٥٩٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٥٧. حديث رقم ٤٠٥٣.

تلكَ السَّاعَة، فلما رأى ما يصنعون طاف حولَ أَعظمها بيدراً ثلاث مرَّات ثم جلس عليه، ثم قال: «ادْعُ لي أصحابَكَ». فما زالَ يكيلُ لهم حتى أَدَّى الله عن والدي أمانَتَه، وأنا أرضى أن يُؤدِّي الله أمانة والدي ولا أرجع إِلى أخواتي بتمرةٍ، فسلَّم الله البيادر كلَّها، وحتى إِني أنظر إِلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنَّها لم تنقصُ تمرة واحدة. رواه البخاري.

٥٩٠٧ ـ (٤٠) وعنه، قال: إِن أُمَّ مالكٍ كانت تُهدي للنبي ﷺ في عُكَّةٍ لها سمناً، فيأتيها بنوها فيسألون الأُدُمَ وليس عندهم شيءٌ فَتَعْمِدُ إِلى الذي

ولع به والاسم الغراء بالفتح والمد، فمعنى: أغروا بي ألصقوا بي. **(تلك الساعة)** أي ظناً منهم أنه ﷺ يأمرهم بالمسامحة أو يحط بعض الدين أو بالصبر فأظهروا ما يدل على أنهم لا يرضون بشيء من ذلك. **(فلما رأى ما يصنعون طاف)** أي دار **(حول أعظمها)** أي أكبر تلك البيادر **(بيدراً)** التمييز للتأكيد نحو قوله تعالى: ﴿**ذرعها سبعون ذراعاً**﴾ [الحاقة ـ ٣٢]. **(ثلاث مرات)** ظرف طاف **(ثم جلس عليه)** أي على أعظمها **(ثم قال: ادع لي أصحابك)** أي أصحاب دينك **(فحضروا فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي)** أي قضى عنه **(أمانته)** أي دينه وسمي أمانة لأنه ائتمن على أدائه. قال تعالى: ﴿**وتخونوا أماناتكم**﴾ [الأنفال ـ ٢٧]. أي ما ائتمنتكم عليه ذكره التوربشتي. **(وأنا أرضى)** أي كنت أرضى حينئذ **(أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع)** بالنصب، ويجوز رفعه على أن تكون الجملة حالية، أي ولا أنقلب. **(إلى أخواتي بثمرة فسلم الله البيادر كلها)** أي جعلها سالمة عن النقصان ذكره شارح. أو خلصها عن أيدي الغرماء ببركته ﷺ. **(وحتى أني)** بفتح الهمزة وجوّز كسرها. قال الطيبي: حتى هي الداخل ما بعدها فيما قبلها وهي عاطفة على مقدر جمع أوّلاً في قوله: فسلم الله البيادر كلها، ثم فصلها بقوله: حتى كذا وحتى كذا. اهـ. ومجمله أنها عطف على مقدر، أي فسلم الله البيادر كلها حتى لم ينقص من تلك البيادر التي لم يكلها شيء أصلاً وحتى أني **(أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ)** أي جالساً **(كأنها)** أي القصة، أو البيدر، والتأنيث باعتبار الصبرة. **(لم تنقص تمرة)** بالرفع على أن النقص لازم، أي لم ينتقص تمرة منها وفي نسخة بالنصب على أنها تمييز أو مفعول، والإِسناد إلى الصبرة مجازي. وقوله: **(واحدة)** للتأكيد **(رواه البخاري.)** وكذا النسائي.

٥٩٠٧ ـ **(وعنه)** أي عن جابر **(قال: إن أم مالك)** أي البهزية من بني سليم لها صحبة ورواية، وهي حجازية روى عنها طاوس ومكحول. **(كانت تهدي)** من الإهداء **(للنبي ﷺ في عكة)** بضم فتشديد قربة صغيرة ذكره شارح. وفي النهاية: هي وعاء من جلد مستدير ويختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص. **(لها)** أي كانت لأم مالك **(سمناً)** مفعول تهدي **(فيأتيها بنوها فيسألون الأدم)** بضمتين ويسكن الثاني، أي الآدام. **(وليس عندهم)** فيه تغليب **(شيء)** أي من الآدام أو مما يشترى به والجملة حال. **(فتعمد)** بكسر الميم أي تقصد أمهم **(إلى الذي)** أي

الحديث رقم ٥٩٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٤. حديث رقم ٨/ ٢٢٨٠. وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٠.

كانتْ تُهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمناً، فما زال يُقيم لها أُدم بيتها حتى عَصَرتْهُ، فأتتْ النبيَّ ﷺ فقال: «عصرتيها؟». قالت: نعم. قال: «لو تركتيها ما زال قائماً». رواه مسلم.

٥٩٠٨ ـ (٤١) وعن أنسٍ، قال: قال أبو طَلحَة لأمّ سُلَيم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضَعيفاً أعرِفُ فيه الجوعَ، فهلْ عندكِ من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجتْ أقراصاً من شعيرٍ، ثم أَخرجَتْ خِماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دَسَّتْهُ تحت يدي ولاثتني ببَعْضِه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبتُ به، فوجدتُ رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناسُ فسلمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبو طلحة؟». قلت: نعم.

إلى العكة والتذكير باعتبار الظرف (**كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمناً. فما زال**) أي الظرف أو السمن الذي تجده فيه (**يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته**) أي لزيادة الطمع فانقطع الإدام بناء على أن الحرص شؤم والحريص محروم. (**فأتت النبي ﷺ**) أي وأخبرته بالخبر جميعاً. وقال الطيبي: أي فأتت وشكت انقطاع إدام بيتها من العكة. (**فقال: عصرتيها**) أي العكة والياء للإشباع وهمزة الاستفهام مقدرة (**قالت: نعم. قال: لو تركتيها**) بإشباع الياء أيضاً، أي لو تركت ما فيها من السمن وما عصرتها (**ما زال**) أي إدام بيتك (**قائماً**) أي ثابتاً دائماً فإن البركة إذا نزلت في شيء ولو كان قليلاً كثر ذلك القليل. (**رواه مسلم**).

٥٩٠٨ ـ (**وعن أنس: قال أبو طلحة لأم سليم:**) وهي أم أنس زوجة أبي طلحة (**لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء**) أي ولو قليلاً من المأكول (**فقالت: نعم فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خماراً لها**) وهو ما تستر المرأة به رأسها (**فلفت الخبز ببعضه ثم دسته**) أي خبأته وأخفته (**تحت يده**) أي يد أنس، ففي النهاية يقال: دسه إذا أدخله في الشيء بقهر وقوّة (**ولاثنتي**) بالثاء المثلثة، أي عممتني (**ببعضه**) أي ببعض الخمار وهو الطرف الآخر منه قال القاضي: أي عممتني أو لفغتني من اللوث وهو لف الشيء بالشيء وإدارته عليه. اهـ. وفيه دلالة على كمال قلة الخبز. (**ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به**) أي بالخبز إليه (**فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد**) قال العسقلاني: المراد بالمسجد هو الموضع الذي أعده النبي ﷺ للصلاة فيه حين محاصرة الأحزاب للمدينة في غزوة الخندق (**ومعه الناس**) أي الكثير وهم ثمانون رجلاً على ما سيأتي. (**فسلمت عليهم**) أي بلفظ الجمع وقصد الجميع (**فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك**) بهمزة مقدرة وقال العسقلاني: بهمزة ممدودة للاستفهام أي أبعثك. (**إلي أبو طلحة. قلت: نعم**) وهو لا ينافي إرسال أمه لأن

الحديث رقم ٥٩٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٨٦. حديث رقم ٣٥٧٨. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٦١٢ حديث رقم (١٤٢ ـ ٢٠٤٠). وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٣٤ حديث رقم ٤٣. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٧ حديث رقم ١٠ من كتاب صفة النبي ﷺ.

قال: «بطعام؟». قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قُومُوا» فانطلق وانطلَقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ، فأخبرتُه، فقال أبو طلحة: يا أُمَّ سُلَيم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نُطعِمُهم فقالت: اللّٰهُ ورسوله أعلم. فانطلق أبو طلحة حتى لقيَ رسولَ الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحةَ معه. فقال رسول الله ﷺ: «هلمّي يا أُمَّ سُليمِ! ما عندك». فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسولُ الله ﷺ ففُتَّ،

مؤداهما واحد ومآلهما متحد، ولعله ﷺ عدل عن ذكرها احتشاماً، أو لأن أبا طلحة هو الباعث الأوّل فتأمل فإنه المعوّل. **(قال: بطعام. قلت: نعم)** والتفريق إما للتفهيم أو بحسب تدريج الوحي والتعليم. **(فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا)** قال ابن حجر: ظاهره أنه ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله فلذا قال لمن حوله: قوموا، وأوّل الكلام يقتضي أن أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بأنهما أرادا إرسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي ﷺ فيأكله، فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس استحى وظهر له أن يدعو النبي ﷺ ليقوم معه وحده إلى المنزل، فيحصل مقصودهم من إطعامه. ويحتمل أن يكون ذلك على رأي من أرسله عهد إليه إذا رأى كثرة الناس دعا النبي ﷺ خشية أن لا يكفيهم ذلك الشيء، وقد عرفوا إيثار النبي ﷺ وأنه لا يأكل وحده. وقد وجدت أكثر الروايات تقتضي أن أبا طلحة استدعى النبي ﷺ في هذه الواقعة. قلت: هذا الكلام كله غير مستقيم على المنهج القويم، لأنه ﷺ لما عرف بنور الوحي أن أبا طلحة أرسل أنساً طعام وأخبره به، كيف يفهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله. ثم قوله: وأوّل الكلام يقتضي الخ، ليس في محله لأنه صريح في ذلك المرام لا مقتضي الكلام، ثم لا دلالة للاستحياء والاستدعاء المنسوبين لأنس لأنه ليس له ولاية ذلك، ولا على رأي من أرسله، لأنه لو كان بأمر أبي طلحة لما حصل له فزع واضطراب بمأتى النبي ﷺ إليه. فالصواب أنه ﷺ أراد إظهار المعجزة وهو إشباع جمع كثير بخبز قليل، ومنضمة إلى معجزة أخرى وهي قضية العكة الآتية في بيت أبي طلحة وأنس وأمه ليحصل لهم بركة عظيمة بحسن نيتهم وإخلاص طويتهم وآداب خدمتهم، ويكون نظير ما تقدم والله أعلم. **(قال أنس: فانطلق)** أي النبي ﷺ ومن معه من الناس **(وانطلقت بين أيديهم)** أي قدامهم كهيئة الخادم والمضيف أو مسرعاً لإيصال الخبر. لقوله: **(حتى جئت أبا طلحة فأخبرته)** أي بإتيانهم **(فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس)** أي معهم **(وليس عندنا ما نطعمهم)** أي غير ما أرسلناه إليه وثم جمع كثير فكيف نقدم لهم شيئاً قليلاً **(فقالت: الله ورسوله أعلم)** أي فلا بد من ظهور بعض الحكم. قال النووي: فيه منقبة عظيمة لأم سليم ودلالة عظيمة على عظم دينها ورجحان عقلها وقوّة يقينها، تعني أنه ﷺ [علم] قدر الطعام فهو أعلم بالمصلحة ولو لم يعلم المصلحة لما فعلها. **(فانطلق أبو طلحة)** أي مسارعاً **(حتى لقي رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه)** أي حتى دخلا على أم سليم والناس وراءهما **(فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم)** أي عجلي وأحضري **(ما عندك)** أي من الخبز **(فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ)** أي أبا طلحة أو غيره بالخبز يعني بتفتيته **(ففت)** بصيغة المجهول الماضي أي جعل فتيتاً، أي قطعاً صغاراً مفتوتاً. قال شارح: أو هو أمر مخاطب ولعل تقديره

وعَصَرت أُم سليم عُكَّة فأدَمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذَنْ لعشرةٍ». فأذِن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثمَّ خرجوا، ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة [فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال: ائذن لعشرة] فأكل القوم كلُّهم وشَبعُوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلاً. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم أنه قال: «ائذن لعشرة» فدخلوا فقال: «كلوا وسمُّوا الله» فأكلا حتى فعلَ ذلك بثمانين رجلاً، ثمَّ أكل النبيُّ ﷺ وأهل البيت وترك سُؤْراً.

وفي رواية للبخاري، قال: «أَدْخِلْ عَلَيَّ عشرةً» حتى عدَّ أربعين، ثمَّ أكلَ النبيُّ ﷺ

فأمر به وقال: ففت. (**وعصرت أم سليم عكة فأدمته**) بفتح الهمزة. وفي نسخة بمدها. أي جعلت ما خرج من العكة وهو السمن إداماً لذلك الفتيت (**ثم قال رسول الله ﷺ فيه**) [لك] أي في ذلك الخبز مع الإدام أو فيما ذكر من الخبز والإدام (**ما شاء الله أن يقول**) أي من الدعاء أو الأسماء وفي رواية: ثم قال: باسم الله اللهم أعظم فيهما البركة. (**ثم قال:**) أي لأبي طلحة ولأنس أو لغيرهما (**ائذن لعشرة**) وإنما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم، فإن القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم ذكره الطيبي. وقيل: إنما لم يأذن للكل مرة واحدة لأن الجمع الكثير إذا نظروا إلى طعام قليل يزداد حرصهم إلى الأكل ويظنون أن ذلك الطعام لا يشبعهم والحرص عليه يمحق البركة، ويمكن أن يكون بناء على أن الجمع الجليل إذا أبصروا الطعام القليل لآثر بعضهم بعضاً على أنفسهم أو استحيوا من الأكل الكثير واستقلوا في أكلهم ولم يحصل لهم مرادهم من القوّة في الشجاعة وعلى أداء الطاعة. وقيل: لضيق المنزل. (**فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة ثم لعشرة**) أي وهلم جرا (**فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً.**) قال ابن حجر: كذا وقع هنا بالشك. وفي غير هذه الجزم بالثمانين، وفي رواية بضعة وثمانين، وفي رواية ابن أبي ليلى فعل ذلك بثمانين رجلاً. وفي رواية عند أحمد قلت: كم كانوا. قال: كانوا نيفاً وثمانين. ولا منافاة بينها لاحتمال أن يكون ألغى الكسر. لكن في رواية عند أحمد: حتى أكل منه أربعون وبقيت كما هي. وهذا يؤيد التغاير وأن القضية متعددة. قلت: القضية متحدة والجمع بأن الجمع الأوّل كانوا أربعين ثم لحقهم أربعون أخر ممن كانوا وراءهم، أو وقع منه ﷺ دعاؤهم (**متفق عليه**).

(**وفي رواية لمسلم أنه قال: ائذن لعشرة فدخلوا. فقال: كلوا وسموا الله. فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً ثم**) أي بعد فراغ أكل أصحابه[1] (**أكل النبي ﷺ وأهل البيت وترك سؤراً**) بضم سين وسكون همزة ويبدل، وجزم التوربشتي وقال: هو بالهمز، أي بقية. (**وفي رواية للبخاري قال: أدخل علي عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي ﷺ**) أي من غير انتظار

---

(١) في المخطوطة «أصحاب».

فجعلتُ أنظرُ هل نقص منها شيء؟

وفي رواية لمسلم: ثمَّ أخذ ما بقي فجمعه، ثمَّ دعا فيه بالبركةِ فعادَ كما كان. فقال: «دونكُم هذا».

٥٩٠٩ ـ (٤٢) وعنه، قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ بإناءٍ وهو بالزَّوراءِ، فوضع يدَه في الإِناءِ، فجعلَ الماءُ ينبُعُ من بينِ أصابعِه، فتوضَّأ القومُ. قال قتادةُ: قلت لأنسٍ: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائةٍ أو زهاءَ ثلاثمائةٍ.

للأربعين الأخر ليحصل بركته للطرفين من الأربعين، أو المعنى ثم بعد فراغ الكل[١] أكل. **(فجعلت أنظر)** أي أتفكر وأتردّد وأتأمل **(هل نقص منها شيء)** أي أم لا فلا يظهر منه نقص أصلاً. **(وفي رواية لمسلم: ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال:)** أي لأهل البيت **(دونكم هذا)** أي خذوه. قال التوربشتي: فإن قيل كيف تستقيم هذه الروايات من صحابي واحد ففي إحداها يقول: ترك سؤراً، وفي الأخرى يقول: فجعلت أنظر هل نقص منها شيء، وفي الثالثة: ثم أخذ ما بقي. فجمعه الحديث. قلنا وجه التوفيق فيهن هين بين وهو أن نقول إنما قال: وترك سؤراً باعتبار أنهم كانوا يتناولون منه فما فضل منه سماه سؤراً، وإن كان بحيث يحسب أنه لم ينقص منه شيء. أو أراد بذلك ما فضل عنهم بعد أن فرغوا منه. وقيل: أخبر في الأولى أنه دعا فيه بالبركة وفي الثانية يحكيه على ما وجده عليه بعد الدعاء وعوده إلى المقدار الذي كان عليه قبل التناول، والثالثة لا التباس فيها على ما ذكرناه.

٥٩٠٩ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: أتي النبي ﷺ)** أي جيء **(بإناء وهو بالزوراء)** بالفتح والمد وهي البئر البعيدة القعر. وقيل: موضع قريب بالمدينة ذكره شارح. والظاهر أن الثاني هو المراد. قال ابن حجر: هو مكان بالمدينة عند السوق. وفي القاموس: موضع بالمدينة قرب المسجد. **(فوضع يده في الإناء فجعل)** أي شرع **(الماء ينبع)** بفتح الموحدة وضمها وجوّز كسرها. فقيل: فيه ثلاث لغات، والمختار الفتح. وفي المصباح نبع كنصر وكمنع لغة. وفي القاموس: نبع ينبع مثلثة خرج من العين. **(من بين أصابعه)** قال النووي في كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره أحدهما: أن الماء يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول المزني وأكثر العلماء وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيده ما جاء في رواية: فرأيت الماء ينبع من أصابعه. وثانيهما أنه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه. **(فتوضأ القوم)** أي منه **(قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم)** أي يومئذ **(قال: ثلثمائة)** بالنصب على تقدير كنا، وفي نسخة بالرفع. أن نحن أو القوم ثلثمائة وكذا قوله **(أو زهاء ثلاثمائة)** بنصب زهاء وبرفعه وهو بضم الزاي وبالمد أي مقدارها. قال الطيبي: ثلاثمائة منصوب على

---

(١) في المخطوطة «الأكل».

الحديث رقم ٥٩٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٨٠. حديث رقم ٣٥٧٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٣ حديث رقم (٦/ ٢٢٧٩). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٦ حديث رقم ٣٦٣١. وأحمد في المسند ٣/ ١٤٧.

متفق عليه.

٥٩١٠ ـ (٤٣) وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ، قال: كنَّا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعدُّونَها تخويفاً. كنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفَرٍ، فقلَّ الماءُ. فقال: «اطلبوا فضلةً من ماءٍ» فجاؤوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ. فأدخلَ

أنه خبر لكان المقدر. وزهاء ثلثمائة، أي قدر ثلثمائة من زهوت القوم إذا جزرتهم. (متفق عليه).

٥٩١٠ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا نعد الآيات**) أي المعجزات والكرامات (**بركة وأنتم تعدونها تخويفاً**) أي إنذاراً وهلكة. قال شارح: وسميت آية لأنها علامة نبوّته، فقيل: أراد ابن مسعود رضي الله عنه بذلك أن عامة الناس لا ينفع فيهم إلا الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف وخاصتهم، يعني الصحابة كان ينفع فيهم الآيات المقتضية للبركة. اهـ. وحاصله أن طريق الخواص مبني على غلبة المحبة والرجاء، وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والعناء، ويسمي الأوّلون بالطائرين المجذوبين المرادين، والآخرون بالسائرين السالكين المريدين، وتفصيل هذا المرام مما لا يقتضيه المقام. قال الطيبي: قوله: وأنتم تعدونها تخويفاً، هو من قوله تعالى: ﴿**وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً**﴾ [الإسراء ـ ٥٩]. والآيات إما أن يراد بها المعجزات أو آيات الكتاب المنزلة، وكلاهما بالنسبة إلى المؤمن الموافق بركة وازدياد في إيمانه[(١)]، وبالنسبة إلى المخالف المعاند إنذار وتخويف. يعني: لا نرسلها إلا تخويفاً من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة [له]. وفيه مدح للصحابة الذين استعدوا بصحبة خير البرية ولزموا طريقته، وذم لمن عدل عن الطريق المستقيم. قلت: إيراد الآية المذكورة في هذا المقام غير مناسب للمرام، فإن معناها على ما قاله المفسرون: وما نرسل بالآيات، أي بالآيات المقترحة كما يدل عليه ما قبله من قوله: ﴿**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأوّلون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها**﴾ [الإسراء ـ ٥٩]. وقوله: إلا تخويفاً، أي من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل. أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة، فإن أمر من بعث إليهم مؤخر إلى يوم القيامة. فالتخويف مطلوب من المؤمنين على كلا المعنيين على ما نطق به الكتاب على أبلغ وجه وآكده حيث أتى بصيغة الحصر، فكيف يستقيم لابن مسعود رضي الله عنه أن ينكر عليهم في عدها تخويفاً. فتبين أن مراده غير هذا المعنى مما تقدم والله أعلم. والأظهر أن يقال معناه: كنا نعد خوارق العادات الواقعة من غير سابقة طلب مما يترتب عليها البركة آيات ومعجزات، وأنتم تحصرون خوارق العادات على الآيات المقترحة التي يترتب عليها مخافة العقوبة. ويدل عليه بيانه بقوله: (**كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل**

الحديث رقم ٥٩١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٨٧. حديث رقم ٣٥٧٩. والترمذي في السنن ٥/ ٥٥٧ حديث رقم ٣٦٣٣. والدارمي ١/ ٢٨ حديث رقم ٢٩.

(١) في المخطوطة «إيمانها».

يدَه في الإِناءِ، ثمَّ قال: «حيَّ على الطَّهورِ المبارك، والبركة من اللَّهِ» ولقد رأيتُ الماءَ ينبعُ من بينِ أصابعِ رسولِ الله ﷺ، ولقد كنّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكلُ. رواه البخاري.

٥٩١١ ـ (٤٤) وعن أبي قتادةَ، قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «إنَّكم تسيرونَ عشيَّتكم وليلتَكم، وتأتونَ الماءَ إنْ شاءَ اللَّهُ غداً» فانطلقَ النَّاسُ لا يَلوي أحدٌ على أحدٍ. قال أبو قتادةَ: فبينما رسولُ الله ﷺ يسيرُ حتى ابْهارَّ الليلُ فمالَ عن الطريقِ، فوضع رأسَه، ثمَّ قال: «احفظوا علينا صلاتَنا» فكانَ أوَّل من استيقظَ رسولُ الله ﷺ والشمسُ في ظهرِه، ثمَّ قال: «اركبوا» فركبنا. فسِرنا حتى اذا ارتفعتِ الشمسُ نزلَ، ثمَّ دَعا بميضأةٍ

يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور بفتح الطاء أي الماء (**المبارك**) أي الكثير البركة. والمعنى: هلموا إليه وأسرعوا. (**والبركة من الله**) أي لا من أحد سواه (**ثم قال ابن مسعود: ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ. ولقد كنا**) أي أحياناً (**نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل**) وذكر صاحب الشفاء وغيره عن أنس: أن النبي ﷺ أخذ كفاً من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح. (**رواه البخاري**) وكذا الترمذي.

٥٩١١ ـ (**وعن أبي قتادة قال: خطبنا**) أي خطب لنا (**رسول الله ﷺ فقال: إنكم تسيرون عشيتكم**) أي أول ليلتكم (**وليلتكم**) أي بقيتها وآخرها (**وتأتون الماء**) أي تحضرونه (**إن شاء الله غداً. فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد**) أي لا يلتفت إليه ولا يعطف عليه، بل يمشي كل واحد على حدته من غير أن يراعي الصحبة لاهتمامه بطلب [الماء] ووصوله إليه وحصوله لديه. (**قال أبو قتادة: فبينما رسول الله ﷺ يسير**) أي في ليلة (**حتى أبهار الليل**) بسكون الموحدة وتشديد الراء ومصدره ابهيراراً كاحمار احميرار، أي انتصف وتوسط ذكره التوربشتي. ويقال: ذهب معظمه وأكثره. وقيل: ابهار الليل إذا طلعت نجومه واستنارت. (**فمال عن الطريق**) أي لقصد النوم (**فوضع رأسه ثم قال:**) أي لبعض خدمه (**احفظوا علينا صلاتنا**) أي وقتها وهي صلاة الصبح، فكأنه غلب عليهم النوم فرقدوا. (**فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ**) وهو اسم كان أو خبره وأول عكسه. (**والشمس في ظهره**) أي طالعة جملة حالية (**ثم قال: اركبوا**) قال ابن الملك في تأخيره ﷺ قضاء الصلاة، دليل على أن من نام عن صلاة أو نسيها ثم تذكرها لا يجب عليه القضاء على الفور، وعلى ندب مفارقة الموضع الذي ترك فيه المأمور أو ارتكب فيه المنهي. يعني: ولو من غير قصد. لكن الأظهر أن تأخيره إنما هو لرجاء أن يصل إلى الماء أو لخروج وقت الكراهة كما يدل عليه قوله: (**فركبنا فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس**) أي بقدر رمح أو أكثر (**نزل ثم دعا بميضأة**) بكسر الميم وفتح الهمز[ة] وفي نسخة بألف قبل الهمز، وأصله موضأة أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها. قال ابن الملك: بكسر الميم على [وزن] مفعلة من الوضوء، وفي الفائق هي على مفعلة ومفعالة مطهرة كبيرة

الحديث رقم ٥٩١١: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٤٧٢ حديث رقم (٣١١ . ٦٨١). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٧١ حدث رقم ١٨٩٤. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١١٣٥ حديث رقم ٣٤٣٤. وأخرجه الدارمي ٢/ ١٦٤ حديث رقم ٢١٣٥. وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٤.

كانتْ معي فيها شيءٌ من ماءٍ، فتوضَّأَ منها وضوءاً دونَ وضوءٍ. قال: وبقي فيها شيءٌ من ماءٍ. ثمَّ قال: «احفَظ علينا ميضأتَكَ، فسيكونُ لها نبأٌ». ثمَّ أذَّن بلالٌ بالصلاةِ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ ركعتين، ثمَّ صلَّى الغداةَ، وركبَ وركبنا معه، فانتهينا إلى النَّاسِ حين امتدَّ النهارُ وحميَ كلُّ شيءٍ، وهُم يقولونَ: يا رسولَ الله! هلَكنا وعَطِشْنا، فقال: «لا هُلْكَ عليكم» ودعا بالمِيضأة فجعلَ يصبُّ، وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعْدُ أنْ رأى النَّاسُ ماءً في المِيضأةِ تكابُّوا عليها، فقال رسولُ الله ﷺ: «أحسِنوا المَلأَ،

يتوضأ منها ذكره الطيبي. وفي النهاية بالكسر والقصر وقد يمد، والمعنى ثم طلب مطهرة. **(كانت معي فيها شيء)** أي قليل **(من ماء فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء)** يعني وضوءاً وسطاً وذلك لقلة الماء ذكره شارح ووافقه الطيبي. وقيل: أراد أنه استنجى في هذا الوضوء بالحجر لا بالماء، والصواب الأول قاله ابن الملك: والأظهر أن يقال: وضوءاً دون وضوء يتوضأ في سائر الأوقات من التثليث بأن اكتفى بمرة أو مرتين. **(قال:)** أي ابن مسعود **(وبقي فيها شيء من ماء ثم قال:)** أي النبي ﷺ **(احفظ علينا)** أي لأجلنا **(ميضأتك)** أي ذاتها وما فيها **(فسيكون لنا نبأ)** أي خبر عظيم وشأن جسيم وفائدة جليلة ونتيجة جميلة يتحدث بها ويروى حكاياتها. وقال ابن الملك: أي معجزة كما سيأتي. **(ثم أذن بلال بالصلاة)** فيه استحباب الأذان للقضاء كما هو سنة للأداء. **(فصلى رسول الله ﷺ ركعتين)** أي سنة الصبح لفوتها مع فرضه المؤديين قبل الزوال، وأما إذا فاتت وحدها فلا قضاء لها إلا عند محمد لكن بعد طلوع الشمس إلى زوالها، وبعد الزوال لا تقضي اتفاقاً. **(ثم صلى الغدوة)** أي فرض الصبح قضاء **(وركب وركبنا معه فانتهينا إلى الناس)** أي النازلين من أهل القافلة **(حين امتد النهار)** أي ارتفع **(وحمي كل شيء)** أي اشتد حرارته **(وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا)** أي من حرارة الهواء **(وعطشنا)** بكسر الطاء أي من عدم الماء **(فقال: لا هلك)** بضم فسكون أي لا هلاك **(عليكم)** وهو دعاء أو خبر **(ودعا بالميضأة فجعل يصب)** أي الماء **(وأبو قتادة يسقيهم)** بفتح أوله ويضم **(فلم يعد)** مضارع عدا، أي لم يتجاوز. **(أن رأى الناس)** أن مصدرية أي رؤيتهم **(ماء)** أي كثيراً **(في الميضأة تكابوا)** بتشديد الموحدة أي تزاحموا **(عليها)** أي على الميضأة مكباً بعضهم على بعض. قال الطيبي: لم يضبط الشيخ محيي الدين هذه اللفظة، وفي أكثر نسخ المصابيح وقعت بفتح الياء وسكون العين وضم الدال. وإثبات الفاء في قوله: فتكابوا وليس في مسلم ولا في شرحه الفاء، وأن رأى الناس يحتمل أن يكون فاعلاً أي لم يتجاوز رؤية الناس الماء إكبابهم فتكابوا، وأن يكون مفعولاً، أي لم يتجاوز السقي أو الصب رؤية الناس الماء في تلك الحالة وهي كبهم عليه. **(فقال رسول الله ﷺ: أحسنوا الملأ)** بفتحتين أي الخلق. ففي القاموس: الملأ محركة الخلق، ومنه أحسنوا أملاءكم أي أخلاقكم. وفي الفائق الملأ حسن الخلق. وقيل: للخلق الحسن ملأ لأنه أكرم ما في الرجل وأفضله من قولهم لكرام القوم[1] ووجوههم ملأ. وإنما قيل للكرام ملأ

---

(١) في المخطوطة «القول».

كلُّكم سيُروى» قال: ففعَلوا، فجعل رسولُ الله ﷺ يصُبُّ وأسقيهم، حتى ما بقيَ غيري وغيرَ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ صبَّ فقال لي: «اشربْ» فقلتُ: لا أشربُ حتى تشربَ يا رسولَ الله! فقال: «إِنَّ ساقيَ القومِ آخرُهم» قال: فشربتُ وشربَ، قال: فأتى النَّاسُ الماء جامّينَ رِواءً. رواه مسلم هكذا في «صحيحه»، وكذا في «كتاب الحميديّ»، و «جامع الأصول». وزادَ في «المصابيح» بعد قوله: «آخرُهم» لفظة: «شرباً».

٥٩١٢ ـ (٤٥) وعن أبي هريرةَ، قال: لما كانَ يومُ غزوةِ تبوك، أصابَ النَّاس مجاعةٌ. فقال عمَرُ: يا رسولَ الله! ادْعُهم بفضلِ

لأنهم يتمالؤون أي يتعاونون. أقول الأظهر أن يقال: لأنهم يملؤون المجلس أو يملؤون العيون عظمة أو بحشمهم وخدمهم كثرة. (**كلكم سيروى**) بفتح الواو، أي جميعكم تروون من هذا الماء فلا تزدحموا ولا تسيؤوا أخلاقكم بالتدافع. (**قال:**) أي الراوي (**ففعلوا**) أي الناس إحسان الخلق ولم يزدحموا حيث اطمأنوا (**فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقاهم حتى ما بقي غيري**) أي من الصحابة (**وغير رسول الله ﷺ ثم صب فقال لي: اشرب. فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله. فقال: إن ساقي القوم آخرهم**) أي شرباً كما في بعض الروايات على ما سيأتي. ولا شك أن الساقي حقيقة هو النبي ﷺ فلا ينافي قول أبي قتادة وأسقيهم لأنه بمعنى أناولهم (**قال: فشربت وشرب. قال:**) أي أبو قتادة (**فأتى الناس الماء**) أي وصلوا إلى مكان الماء (**جامين**) بتشديد الميم أي مستريحين ذكره التوربشتي. (**رواء**) بالكسر والمد جمع راو وهو الذي روى من الماء أو جمع ريان كعطاش[1] جمع عطشان، أي ممتلئين من الماء. وقال شارح: قوله: جامين أي مجتمعين من الجم أو مستريحين من الجمام بالفتح وهو الراحة وزوال الإعياء. قال التوربشتي: وأكثر ما يستعمل ذلك في الفرس، يعني لأنه كثير العطش. (**رواه مسلم. هكذا في صحيحه وكذا في كتاب الحميدي وجامع الأصول.**) أي ساقي القوم آخرهم بدون شرباً، وهو كذلك في تاريخ البخاري. ورواية أحمد وأبي داود عن عبد الله بن أبي أوفى (**وزاد في المصابيح بعد قوله آخرهم لفظة شرباً**) قلت: وهو رواية الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة وكذا رواه الطبراني في الأوسط والقضاعي عن المغيرة.

٥٩١٢ ـ (**وعن أبي هريرة قال: لما كان يوم غزوة تبوك**) بعدم الانصراف وقد يصرف وهو موضع بينه وبين المدينة مسيرة شهر. قال ابن حجر: المشهور في تبوك عدم الصرف للتأنيث والعلمية، ومن صرفها أراد الموضع. اهـ. والأظهر أنه لا يجوز صرفه للعلمية، ووزن الفعل على وزن يزاد. قال السيوطي: وكانت سنة تسع في رجب وهي آخر غزواته ﷺ بنفسه. وقيل: سميت بذلك لأنه ﷺ رأى قوماً من أصحابه يبوكون عين تبوك، أي يدخلون فيها القدح أي السهم ويحركونه ليخرج الماء، فقال: ما زلتم تبوكونه بوكاً. (**أصاب الناس**) جواب لما، أي حصل لهم (**مجاعة**) بفتح الميم أي جوع شديد (**فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل**

---

(١) في المخطوطة «عطشان».

الحديث رقم ٥٩١٢: أخرجه مسلم في صحيحه ١/٥٦ حديث رقم (٤٥ ـ ٢٧). وأحمد في المسند ٣/١١.

أزوادِهم، ثمَّ ادعُ الله لهم عليها بالبركة. فقال: «نعم». فدَعا بنِطعٍ، فبُسطَ، ثمَّ دعا بفضلِ أزوادِهم، فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفِّ ذرةٍ، ويجيءُ الآخرُ بكفِّ تمرٍ، ويجيءُ الآخرُ بكسرةٍ، حتى اجتمعَ على النِطعِ شيءٌ يسير، فدعا رسولُ الله ﷺ بالبركة، ثم قال: «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضَلَتْ فضلةٌ. فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى اللَّهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيحجبَ عن الجنة».

أزوادهم) في الحديث اختصار، إذ روي أنهم أصابهم مجاعة فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وأدمنا. فقال: افعلوا، فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قلت: الظهور ولكن ادعهم بفضل أزوادهم. والفضل ما زاد عن شيء، والأزواد جمع زاد وهو طعام يتخذ للسفر. فالمعنى مرهم بأن يأتوا ببقية أزوادهم. **(ثم ادع الله لهم عليها)** أي على تلك الأزواد **(بالبركة)** أي كثرة الخير **(فقال: نعم فدعا بنطع)** بكسر النون وفتح الطاء. وفي نسخة بفتح فسكون والأوّل أفصح على ما صرح به شراح الشفاء. وقال النووي: في النطع لغات فتح النون وكسرها مع فتح الطاء وإسكانها، وأفصحهن كسر النون وفتح الطاء. وفي القاموس: النطع بالكسر والفتح وبالتحريك، وكعنب بساط من الأديم. **(فبسط)** بصيغة المجهول أي النطع **(ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة)** بضم[1] الذال المعجمة وتخفيف الراء. ففي القاموس: الذرة كثبة حب معروف أصله ذرو. **(ويجيء الآخر بكف تمر)** اسم جنس، واحده تمرة بالتاء. **(ويجيء الآخر بكسرة)** أي بقطعة من الخبز **(حتى اجتمع على النطع شيء يسير)** أي قليل [جداً] **(فدعا رسول الله ﷺ بالبركة)** أي بنزولها عليه **(ثم قال: خذوا)** أي ما تريدون من الزاد الواقع في النطع **(واجعلوا في أوعيتكم)** وقال الطيبي: أي صبوا في أوعيتكم آخذين. أو خذوا صابين في أوعيتكم. اهـ. وقد أشار إلى نوعي التضمين. لكن التضمين للجعل أولى من الصب في هذا المقام من جهة المعنى كما لا يخفى على ذوي النهي. **(فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر)** أي في المعسكر أو في أيدي العسكر. **(وعاءً إلاّ ملؤوه)** وما أحلى ذلك المال الحلال **(قال:)** أي أبو هريرة **(فأكلوا)** أي جميع العسكر **(حتى شبعوا وفضلت)** بفتح الضاد ويكسر أي زادت **(فضلة)** بالرفع، أي زيادة كثيرة. ففي القاموس: الفضل ضد النقص وقد فضل كنصر وكرم، والجمع فضول. **(فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)** فيه إيماء إلى أن رؤية المعجزات سبب زيادة اليقين في المعتقدات. **(لا يلقى الله بهما)** أي بالشهادتين **(عبد)** قال الطيبي: يجوز أن تكون الباء فيه سببية أو استعانة أو حالاً. وقد جيء بالجملة استطراداً أو استبشاراً للأمة. وقوله: **(غير شاك)** مرفوع صفة عبد. قلت: وفي نسخة منصوب على الاستثناء أو الحال **(فيحجب)** بالنصب وفي نسخة بالرفع أي فيمنع. **(عن الجنة)** قال شارح: فيحجب بالنصب بإضمار أن في جواب النفي وهو لا يلقى.

---

(١) في المخطوطة «بفتح».

رواه مسلم.

٥٩١٣ ـ (٤٦) وعن أنس، كانَ النبيُّ ﷺ عروساً بزينبَ، فمِدتْ أُمي أُمُ سُلَيم إلى تمرٍ وسمنٍ وأَقِطٍ، فصنعتْ حيساً فجعلته في تَوْر فقالت: يا أَنس! اذهب بهذا إلى رسول اللّهِ ﷺ فقل: بعثتْ بهذا إليكَ أُمّي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إنَّ هذا لك منّا قليلٌ يا رسول الله! فذهبتُ فقلت، فقال: «ضعْهُ» ثم قال: «اذهبْ فادعُ لي فلاناً وفلاناً وفلاناً» رجالاً سمَّاهم «وادعُ مَنْ لقيتَ» فدَعوتُ من سمَّى ومن لقيتُ، فرجعتُ فإذا البيتُ غاصٌّ بأهله. قيل

اهـ. قال ابن الملك: والمعنى من يلقى الله بالشهادتين من غير تردد ولا شك فلا يحجب عن الجنة أبداً. وقال الطيبي: فيحجب مرفوع عطفاً على الجملة السابقة والنفي منصب عليهما معاً. **(رواه مسلم)** وكذا البخاري نحوه عن سلمة.

٥٩١٣ ـ **(وعن أنس قال: كان النبي ﷺ عروساً)** هو نعت يستوي فيه المذكر والمؤنث. والمعنى زوجاً جديداً. **(بزينب)** أي بسببها. وقيل: أي متزوجاً بها. **(فعمدت)** بفتح الميم أي قصدت **(أمي أم سليم)** بدل أو بيان **(إلى تمر وسمن وأقط)** بفتح فكسر أي لبن مجفف يابس مستحجر على ما في النهاية. وفي القاموس: الأقط مثلثة ويحرك وككتف ورجل وإبل، شيء يتخذ من المخيض الغنمي. **(فصنعت حيساً)** فالحيس مجموع الثلاثة. والحديث متفق عليه. فقول ابن حجر في شرح الشمائل: الحيس هو تمر مع سمن أو أقط. وقيل: هو مجموع ثلاثة، نقل غير مرضٍ. والصواب أن يقال: وقد يطلق على التمر مع سمن أو أقط كما قال، وقد يجعل بدل الاقط دقيق أو فتيت. ويؤيد ما ذكرناه ما في القاموس: الحيس الخلط وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه، وربما يجعل فيه سويق. **(فجعلته)** أي أم سليم **(في تور)** بمثناة فوقية فواو ساكنة فراء، إناء كالقدح. **(فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام. وتقول: إن هذا لك منا قليل)** أي زهيد غير لائق بك **(يا رسول الله. فذهبت)** أي به **(إليه فقلت)** أي ما أوصتني به **(فقال: ضعه)** أي قائلاً بلسان الحال أن اليسير عندنا كثير وله بعد القبول فضل كبير. **(ثم قال: اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً رجالاً)** أي ثلاثة **(سماهم)** أي عينهم بأسمائهم ونسبتهم فعبرت عنهم بفلاناً وفلاناً، فقوله: رجالاً سماهم من كلام أنس بدل من فلاناً الخ أو بتقدير أعني أو يعني والله أعلم. **(وادع لي من لقيت)** أي على العموم **(فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فإذا البيت غاص [بأهله]**) بتشديد الصاد المهملة أي ممتلىء بهم. والظاهر أن المراد بالبيت هو الدار، ويحتمل أن يكون على بابه ويكون فيه معجزة أخرى حيث وسع خلقاً كثيراً، **(قيل**

الحديث رقم ٥٩١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/٢٢٦ حديث رقم ٥١٦٣. ومسلم في صحيحه ٢/ ١٠٥١. حديث رقم (٩٤ . ١٤٢٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٣٣٣ حديث رقم ٣٢١٨. وأخرجه النسائي في السنن ٦/١٣٦ حديث رقم ٣٣٨٧.

لأنسٍ: عددكم كم كانوا؟ قال: زُهاءَ ثلاثمائةٍ. فرأيتُ النبيَّ ﷺ وضعَ يدَه على تلكَ الحيسة، وتكلَّمَ بما شاء الله، ثمَّ جعلَ يدعو عشرةً عشرةً يأكلون منه، ويقول لهم: «اذكروا اسم الله، وليأكلْ كلُّ رجلٍ ممَّا يليه» قال: فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفةٌ، ودخلت طائفةٌ، حتى أكلوا أكلُهم قال لي: «يا أَنس! ارفعْ» فرفعت، فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعتُ. متفق عليه.

٥٩١٤ ـ (٤٧) وعن جابر، قال: غزوتُ معَ رسولِ اللّهِ ﷺ وأنا على ناضحٍ قد أَعيى، فلا يكاد يسير، فتَلاحق بي النبيُّ ﷺ فقال: «ما لِبَعيرِكَ؟» قلت: قد عَيِيَ، فتخَلَّفَ رسولُ الله ﷺ

لأنس: عددكم كم كانوا) جمع الضمير نظراً إلى معنى العدد لزيادته على الواحد. **(قال: زهاء ثلثمائة)** بنصب زهاء على تقدير كانوا. وقيل: برفعه، أي عددنا مقدار ثلثمائة. **(فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله)** أي من الذكر والدعوة **(ثم جعل يدعو عشرة عشرة)** أي عشرة بعد عشرة لما سبق **(يأكلون منه ويقول لهم: اذكروا اسم الله وليأكل)** بسكون لام الأمر ويكسر أي يتناول **(كل رجل مما يليه)** أي مما يقربه من الوعاء **(قال:)** أي أنس **(فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم)** أي وشبعوا جميعهم **(قال لي: يا أنس ارفع)** أي القدح **(فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت)** أي في الصورة، وإلا فلا شك أنه حين الرفع أكثر ببركة وضع يده ﷺ وفضلة أصحابه رضي الله عنهم. هذا وقد قيل ظاهره، أن الوليمة لزينب كانت من الحيس الذي أهدته أم سليم. والمشهور من الروايات أنه أولم عليها بخبز ولحم، ولم يقع في القصة تكثير ذلك الطعام. وأجيب بأنه يجوز أن يكون حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم. وانكار وقوع تكثير الطعام في قصة الخبز واللحم عجيب. فإن أنساً يقول: أولم عليها بشاة وإنه أشبع المسلمين خبزاً ولحماً وهم يومئذ نحو الألف. قلت: لا دلالة فيه على أن الحيس وليمة وإنما وقع إرساله هدية، ثم إما في آخر ذلك اليوم وإما في يوم آخر أولم عليها بشاة وأشبع الألف خبزاً ولحماً. فلا منافاة بين القضيتين ولا معارضة بين المعجزتين والله سبحانه [وتعالى] أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٩١٤ ـ **(وعن جابر قال: غزوت مع رسول الله ﷺ وأنا على ناضح)** أي راكب على بعير يستقي عليه كما في النهاية. **(قد أعيا)** أي عجز عن المشي. قال ابن الملك: هو لازم ومتعد **(فلا يكاد يسير)** أي لا يقرب المسير المطلوب منه. **(فتلاحق)** أي لحق **(بي النبي ﷺ فقال: ما لبعيرك. قلت: قد عيي)** بكسر الياء أي عجز **(فتخلف رسول الله ﷺ)** أي عن العسكر وعن

الحديث رقم ٥٩١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٢٢٠. حديث رقم ٢٠٩٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٢١ حديث رقم (١١٠ . ٧١٥).

فزجرَهُ فدعا له، فما زال بين يدي الإبل قدَّامَها يسيرُ. فقال لي: «كيفَ ترى بعيركَ؟» قلت: بخيرٍ، قد أصابته بركتُك. قال: «أفتبيعُنيه بوَقيَّةٍ؟» فبعْتُه على أنَّ لي فقارَ ظهرهِ إلى المدينة ـ فلما قدِمَ ـ رسولُ الله ﷺ المدينةَ غدوتُ عليه بالبعير، فأعطاني ثمنَهُ وردَّهُ عليَّ. متفق عليه.

٥٩١٥ ـ (٤٨) وعن أبي حُمَيدٍ الساعديِّ، قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ غزوةَ تبوك، فأتينا وادي القرى

الناصح (فزجره) أي بالضرب أو الصوت (فدعا له فما زال بين يدي الإبل) أي سائرها (قدامها) بدل أو بيان لقوله: بين يدي الإبل. وهو ظرف لقوله: فما زال. ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله(١). (يسير) [وهو خبر] (٢) ما زال واسمه عائد إلى ناضح، كذا حققه الطيبي. (فقال لي: كيف ترى بعيرك) أي الآن (قلت: بخير قد أصابته بركتك. قال: أفتبيعنيه بوقية) أي بأربعين درهماً، صرح به شارح. وهو بضم الواو ويفتح وكسر القاف وتشديد التحتية. قال في المصباح: وجرى على ألسنة الناس بالفتح في الوقية وهي لغة حكاها بعضهم، وفي نسخة صحيحة بأوقية بضم الهمز وسكون الواو. وقيل: هذا هو المشهور. والوقية يستعملها الآن المستعربون وهي بالضم لغة عامرية، والأوقية لغيرهم(٣). ثم قيل: هي في الحديث أربعون درهماً، وعند الأطباء ومتعارف الناس الآن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم. وفي القاموس: الأوقية بالضم سبعة مثاقيل كالوقية بالضم وفتح المثناة التحتية مشددة [و] أربعون درهماً. وقيده صاحب النهاية بقوله: في القديم. (فبعته على أن لي فقار ظهره إلى المدينة) بفتح الفاء أي ركوب فقار ظهره، وهي عظام الظهر. ففي النهاية: فقار الظهر خرزاته الواحدة فقارة، أي بالفتح كما نص عليه صاحب القاموس. واسم سيفه ﷺ ذو الفقار لأنه كان فيه فقر صغار حسان على ما في النهاية. قال ابن الملك: فيه جواز استثناء بعض منفعة المبيع مدة. (فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة غدوت عليه بالبعير) أي أتيته به غدوة (فأعطاني ثمنه ورده علي) قال ابن حجر: هذا بطريق المجاز لأن العطية إنما وقعت له بواسطة بلال كما رواه مسلم. فلما قربت المدينة قال لبلال: أعطه أوقية من ذهب وزد. اهـ. وفيه بحث، إذ الظاهر أن أمره لبلال أسبق ثم إعطاؤه في غد تحقق، مع أن حقيقة العطاء إنما تكون للأمر به. (متفق عليه).

٥٩١٥ ـ (وعن أبي حميد) بالتصغير (الساعدي) نسبة إلى بني ساعدة (قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك) أي إليها أو فيها، فنصب غزوة على نزع الخافض. (فأتينا وادي القرى) بسكون ياء الوادي، لكنها تسقط في الدرج. وفي بعضها بنصبها وهو ظاهر، على أن التركيب إضافي لا مزجي. وقال التوربشتي: وادي القرى لا يعرب الياء من الوادي، فإن

---

(١) في المخطوطة «فقوله». (٢) في المخطوطة «وهيه خده».

(٣) في المخطوطة «الغيره».

الحديث رقم ٥٩١٥: أخرجه البخاري ٣/ ٣٤٣. حديث رقم ١٤٨١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٥ حديث رقم (١١ ـ ١٣٩٢). وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٤٢٤.

على حديقة لامرأةٍ، فقال رسول الله ﷺ: «اخْرُصوها» فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسُق وقال: «أَحصيها حتى نرجعَ إليك إن شاء الله» وانطلقنا، حتى قدِمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «ستَهبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ» فلا يقمْ فيها أحد، فمن كان له بعيرٌ فليشدَّ عِقَالَهُ» فهبت ريح شديدة. فقامَ رجلٌ فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئٍ، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القُرى، فسأل رسولُ الله ﷺ المرأة عن حديقتها «كم بلغ ثمرها؟» فقالت: عشرة أوسق. متفق عليه.

٥٩١٦ ـ (٤٩) وعن أبي ذرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحونَ مِصْرَ،

الكلمتين جعلتا اسماً واحداً. اهـ. وهو موضع معروف، أي جئناه مارين. **(على حديقة)** أي بستان عليه حائط **(لامرأة فقال رسول الله ﷺ: أخرصوها)** بضم الراء، أي قدروا وخمنوا ثمرها. **(فخرصناها)** أي مختلفين في قدرها **(وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق)** والوسق ستون صاعاً **(وقال:)** أي للمرأة **(أحصيها)** بفتح الهمز أي اضبطيها واحفظي عددها كم يبلغ ثمرها **(حتى نرجع إليك إن شاء الله. وانطلقنا حتى قدمنا تبوك)** رسمه بغير ألف هنا في جميع النسخ يدل على أنه غير منصرف لا غير **(فقال رسول الله ﷺ: ستهب)** بضم الهاء وتشديد الموحدة، أي ستمر. **(عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد)** أي من مكانه فإنه يضره **(فمن كان له بعير فليشد)** أي فليربط من الآن **(عقاله)** بكسر العين ما يربط به وظيف البعير إلى ذراعه **(فهبت ريح شديدة)** فهذه معجزة. **(فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيىء)** بياء مشددة بعدها همز على وزن سيد وهو أبو قبيلة من اليمن ذكره في شرح مسلم وكذا في القاموس. ثم قيل: الجبلان أحدهما أجأ بالتحريك وهو بهمز وجيم فهمز على فعل كجبل وقيل: كعصا، والآخر سلمي بفتح السين وهما بأرض نجد. ويقال: إنهما سميا باسم رجل وامرأة من العماليق، والحاصل أن هذا معجزة أخرى. **(قال:)** الراوي **(ثم أقبلنا)** أي في الرجوع **(حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله ﷺ المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها)** بفتح المثلثة والميم ويجوز ضمهما وضم فسكون، والمراد تمرها كما في نسخة. **(فقالت: عشرة أوسق)** بالنصب أي بلغ وفي نسخة بالرفع أي عدد أوساقها عشرة أوسق مطابقاً لقوله عليه الصلاة والسلام. فهذه معجزة ثالثة لأجل تحديها وطلب معارضتها، فلا ينافيه أنه قد يقع مثل هذا اتفاقياً. ولعله ﷺ أراد بهذه المعجزات إظهار نبوّته للذين كانوا معه من أهل النفاق، ولزيادة إيقان إيمان أهل العرفان. **(متفق عليه)**.

٥٩١٦ ـ **(وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم ستفتحون مصر)**

الحديث رقم ٥٩١٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٠ حديث رقم (٢٢٧ . ٢٠٤٣) وأحمد في المسند ٥/ ١٧٤.

وهي أرضٌ يسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإنَّ لها ذمَّةً ورَحماً ـ أو قال: ذمَّةً وصِهراً ـ فإذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لَبِنَةٍ فاخرجْ منها». قال: فرأيت عبد الرحمٰن ابن شرحبيل ابن حسنة وأخاه ربيعةَ يختصان في موضع لبنةٍ، فخرجت منها. رواه مسلم.

٥٩١٧ ـ (٥٠) وعن حذيفة، عن النبيِّ ﷺ قال: «في أصحابي ـ وفي رواية قال: في

وهي بلدة معروفة (**وهي أرض يسمى**) أي يذكر (**فيها القيراط**) وهو نصف عشر دينار، وقيل خمس شعيرات. وأصله قراط بتشديد الراء أبدلت الراء الأولى ياء، ونظيره دينار. قال القاضي: أي يكثر أهلها ذكر القراريط في معاملاتهم لتشددهم فيها وقلة مروءتهم. وقيل القراريط كلمة يذكر أهلها في المسابة، ويقولون: أعطيت فلاناً قراريط، أي أسمعته المكروه. وقد حكاه الطحاوي عنهم وهو أعلم بلهجة أهل بلده لأنه منهم. ومعنى الحديث أن القوم لهم دناءة[1] وخسة، أو في لسانهم بذاء وفحش. (**فإذا فتحتموها**) أي إذا استوليتم على أهلها وتمكنتم منهم (**فأحسنوا إلى أهلها**) أي بالصفح والعفو عما تنكرون، ولا يحملنكم سوء أفعالهم وأقوالهم على الإِساءة. (**فإن لها**) أي لأهلها (**ذمة**) أي حرمة وأماناً من جهة إبراهيم ابن النبي ﷺ (**ورحماً**) بفتح فكسر أي قرابة من قبل هاجر أم إسماعيل عليه السلام. فإن هاجر ومارية كانتا من القبط. (**أو قال: ذمة وصهراً**) شك من الراوي. قال شارح: فعلى هذه الرواية الصهر يختص بمارية والذمة بهاجر. (**فإذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لبنة**) بفتح لام وكسر موحدة وهي الآجر قبل طبخه (**فأخرج**) أي يا أبا ذر (**منها**) أي من مصر. والظاهر المطابق لرأيتم أن يقال: فاخرجوا. ولعله ﷺ خص الأمر به شفقة عليه من وقوعه في الفتنة لو أقام بينهم. (**قال:**) أي أبو ذر (**فرأيت عبد الرحمٰن بن شرحبيل**) بضم ففتح فسكون فكسر فسكون بلا انصراف. (**ابن حسنة**) بفتحات (**وأخاه ربيعة**) لم يذكرهما المؤلف في أسمائه (**يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها**) وقد وقع هذا في آخر عهد عثمان حين عتبوا عليه ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخيه من الرضاعة. فهذا من قبيل ما كوشف للنبي ﷺ من الغيب أنه ستحدث هذه الحادثة في مصر وسيكون عقيب ذلك فتن وشرور بها، كخروج المصريين على عثمان رضي الله عنه أوّلاً وقتلهم محمد بن أبي بكر ثانياً، وهو وال عليهم من قبل علي فاختبأ حين أحس بالشر في جوف حمار ميت فرموه بالنار فجعل ذلك علامة وأمارة لتلك الفتن، وأمر أبا ذر بالخروج منها حيثما رآه وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر الشراح. وقال الطيبي: أو علم أن في طباع سكانها خسة ومماكسة كما دل عليه صدر الحديث، فإذا اقتضت الحال إلى أن يتخاصموا في هذا المحقر فينبغي أن يتحرز عن مخالطتهم ويجتنب عن مساكنتهم (**رواه مسلم**).

٥٩١٧ ـ (**وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: في أصحابي وفي رواية قال:**

---

(١) في المخطوطة «دثارة».

الحديث رقم ٥٩١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٣ حديث رقم (١٠ . ٢٧٧٩). وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٠.

أمتي - اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحَها حتى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخياط، ثمانيةٌ منهم تكفيهم الدُّبيلة: سراجٌ من نارٍ يظهر في أكتافهم حتى تنجُمَ في صدروهم».

في أمتي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها) مع أنه يشم من مسافة خمسمائة عام (حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة وهو من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف - ٤٠]. قال الشيخ التوربشتي: صحبة النبي ﷺ المعتد بها هي المقترنة بالإيمان. ولا يصح أن يطلق الصحابي إلا على من صدق في إيمانه وظهرت منه أمارته دون من أغمض عليهم بالنفاق، فإضافتها إليهم لا تجوز إلا على المجاز لتشبههم بالصحابة وتسترهم بالكلمة وإدخالهم أنفسهم في غمارهم ولهذا قال: في أصحابي، ولم يقل: من أصحابي. وذلك مثل قولنا إبليس كان في الملائكة، أي في زمرتهم ولا يصح أن يقال: كان من الملائكة. فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كان من الجن﴾ [الكهف - ٥٠]. وقد أسر بهذا القول إلى خاصته وذوي المنزلة من أصحابه، أمر هذه الفئة المسوّمة المتلبسة لئلا يقبلوا منهم الإيمان ولا يقبلوا من قبلهم المكر والخداع، ولم يكن يخفى على المحفوظين شأنهم لاشتهارهم بذلك في الصحابة، إلا أنهم كانوا يواجهونهم بصريح المقال أسوة برسول الله ﷺ. وكان حذيفة أعلمهم بأسمائهم وذلك لأنه كان ليلة العقبة مع النبي ﷺ مرجعه من غزوة تبوك حين هموا بقتله، ولم يكن على العقبة إلا رسول الله ﷺ وعمار يقود به وحذيفة يسوق به، وكان منادي رسول الله ﷺ قد نادى أن خذوا بطن الوادي فهو أوسع لكم فإن رسول الله ﷺ قد أخذ الثنية فلما سمعه المنافقون طمعوا في المكر به فاتبعوه متلثمين وهم اثنا عشر رجلاً، فسمع رسول الله ﷺ خشفة القوم من ورائه فأمر حذيفة أن يردهم فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها ضرباً فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة، فانقلبوا مسرعين على أعقابهم حتى خالطوا الناس فأدرك حذيفة رسول الله ﷺ فقال لحذيفة: هل عرفت أحداً منهم. قال: لا فإنهم كانوا متلثمين ولكن أعرف رواحلهم. فقال: إن الله تعالى أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك بهم إن شاء عند الصباح، فمن ثم كان الناس يراجعون حذيفة في أمر المنافقين. وقد ذكر عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر فتاب اثنان وبقي اثنا عشر على النفاق على ما أخبر به الصادق المصدوق، وقد اطلعت على أسمائهم في كتب حفاظ الحديث مروية عن حذيفة. غير أني وجدت في بعضها اختلافاً فلم أر أن أخاطر بديني فيما لا ضرورة لي. (ثمانية منهم) أي من الاثني عشر منافقاً (تكفيهم) أي تدفع شرهم (الدبيلة) قال القاضي: الدبيلة في الأصل تصغير الدبل وهي الداهية فأطلقت على قرحة ردية تحدث في باطن الإنسان ويقال لها: الدبلة بالفتح والضم. (سراج من نار) تفسير للدبيلة والظاهر أنه من كلام حذيفة (يظهر) أي يخرج السراج (في أكتافهم حتى تنجم) بضم الجيم أي تظهر وتطلع النار (في صدورهم) أي في بطونهم. وفي كلام القاضي إيماء إلى أن قوله تظهر بصيغة التأنيث حيث قال: وفسرها في الحديث بنار تخرج في أكتافهم حتى تنجم أي تظهر من

رواه مسلم.

وسنذكر حديث سهل بن سعد: «لأعطينَّ هذه الراية غداً» في «باب مناقب عليّ» [رضي الله عنه].

وحديث جابر «من يصعد الثنيّة» في «باب جامع المناقب» إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

٥٩١٨ ـ (٥١) عن أبي موسى، قال: خرج أبو طالب إلى الشام، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخٍ من قريشٍ، فلمَّا أشرفوا على الراهبِ هَبَطوا، فحلُّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم، قال: فهم يحلُّون

نجم ينجم بالضم إذا ظهر وطلع ثم قال ولعله أراد بها ورما حاراً يحدث في أكتافهم بحيث يظهر أثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم ممثلة بسراج من نار وهو شعلة المصباح. وقد روي عن حذيفة أنه ﷺ عرفه إياهم وأنهم هلكوا كما أخبره الرسول صلوات الله وسلامه عليه **(رواه مسلم)**.

(وسنذكر حديث سهل بن سعد: لأعطين هذه الراية غداً) أي رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله **(في باب مناقب علي)** أي فإنه أولى **(وحديث جابر)** أي وسنذكر حديث جابر **(من يصعد الثنية)** بكسر الدال لالتقاء الساكنين على أن من شرطية. وروي يصعد بالرفع على أن من استفهامية وتمامه: فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل **(في باب جامع المناقب)** أي فإنه المناسب **(إن شاء الله تعالى)** متعلق بسنذكر.

(الفصل الثاني)

٥٩١٨ ـ **(عن أبي موسى قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش)** أي في جملتهم والمراد منهم أكابرهم أو لسنهم **(فلما أشرفوا)** أي طلعوا **(على الراهب)** اسمه بحيراء وهو بضم الباء وفتح الحاء ممدوداً على المشهور. لكن ضبطه الشيخ الجزري بفتح الباء وكسر الحاء المهملة وياء ساكنة وفتح الراء وألف مقصورة، وهو زاهد النصارى قاله شارح. وقال المظهر: وكان أعلم بالنصرانية، وكذا ذكره الجزري. والجمع بأنه لا منع من الجمع **(هبطوا)** أي نزلوا في ذلك الموضع، وهو بصري من بلاد الشام على ما ذكره المظهر. **(فحلوا رحالهم)** أي ففتحوها **(فخرج إليهم الراهب وكانوا)** أي الناس من قريش وغيرهم **([قبل ذلك] يمرون به)** أي بمكانه **(فلا يخرج إليهم قال:)** أي الراوي **(فهم يحلون**

الحديث رقم ٥٩١٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٠ حديث رقم ٣٦٢٠.

رحالهم، فجعل يتخلَّلهم الراهب، حتى جاءَ فأخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: هذا سيِّد العالمين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخٌ من قريش: ما عِلْمُك؟ فقال: إِنكم حين أشرفتم من العقبةِ لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إِلا خرَّ ساجداً، ولا يسجدان إِلا لنبيّ، وإِني أعرفه بخاتم النبوَّةِ أسفل من غُضروف كتفِهِ مثلُ التُّفَّاحةِ، ثمَّ رجعَ فصَنَعَ لهم طعاماً، فلمَّا أتاهم به، وكان هو في رِعْية الإِبل، فقال: أرسلوا إِليه، فأقبل وعليه غمامةٌ تظلُّه. فلما دنا من القومِ وجدهم قد سبقوه إِلى فيءِ شجرةٍ، فلمَّا جلس مال فيءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إِلى فيءِ الشجرةِ مال عليه. فقال: أَنشُدكم الله أيُّكم وليُّه؟

رحالهم) إشعار بأن خروجه ونزوله عليهم في أوّل حلولهم ووصولهم. **(فجعل يتخللهم الراهب)** أي أخذ يمشي فيما بين القوم ويطلب في خلالهم شخصاً. **(حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال:)** استئناف بيان **(هذا سيد العالمين)** أي على الإطلاق **(هذا رسول رب العالمين)** أي إلى العالمين جميعهم نظراً إلى السابقة واللاحقة، كما أشار إليه بقوله: **(يبعثه الله)** أي يرسله أو يظهر رسالته **(رحمة للعالمين)** لقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]. وفيه إيماء إلى أنه مبعوث إلى كافة الخلق أجمعين **(فقال له أشياخ من قريش: ما علمك)** أي ما سبب علمك وبيان كيفيته **(فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر)** أي سقط **(ساجداً)** أي متواضعاً إليه **(ولا يسجد إلا لنبي)** أي عظيم ورسول كريم **(وإني أعرفه)** أي النبي أيضاً **(بخاتم النبوّة)** بفتح التاء ويكسر والنبوّة بالإدغام ويهمز. **(أسفل)** بالنصب أي في مكان أسفل **(من غضروف كتفه)** بضمتين وهو رأس لوح الكتف. **(مثل التفاحة)** بالنصب، وفي نسخة صحيحة بالرفع وفي أخرى بالجر على أنه صفة خاتم ذكره شارح. وقال بعض المحققين: يروى بالرفع على أنه خبر محذوف وبالنصب على إضمار الفعل. ويجوز الجر على الإبدال دون الصفة لأن مثلاً وغيراً لا يتعارفان بالإضافة إلى المعرفة. **(ثم رجع)** أي الراهب **(فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به)** أي بالطعام **(وكان هو)** أي النبي ﷺ **(في رعية الإبل)** بكسر الراء وسكون العين أي في رعايتها **(فقال:)** أي الراهب **(أرسلوا إليه)** أي فإن المدار عليه **(فأقبل)** أي بعد الإرسال أو قبله **(وعليه غمامة)** أي سحابة **(تظله)** أي تجعله تحت ظلها **(فلما دنا من القوم)** أي قرب منهم **(وجدهم)** أي وجد النبي ﷺ القوم **(قد سبقوه إلى فيء شجرة)** أي إلى ظلها **(فلما جلس مال فيء الشجرة عليه)** أي زيادة على ظل السحابة أو زالت السحابة ومالت الشجرة إظهاراً للخارقين. وقال الطيبي قوله: عليه أي واقعاً ظله عليه. **(فقال:)** أي الراهب للقوم **(انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه)** أي إن كنتم ما تنظرون إلى مظلة السماء فانظروا إلى مظلة الأرض ولكن الله سبحانه أعماهم عماهم كما أخبر به بقوله تعالى: ﴿**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**﴾ [الأعراف ـ ١٩٨]. وأظهر هذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ [الحج ـ ٤٦]. **(فقال:)** أي الراهب **(أنشدكم الله)** بنصب الجلالة وبضم الشين، أي أحلف عليكم بالله. وقيل: أي أطلب منكم بالله جواب هذا السؤال. وبطل عمل الفعل للتعليق بالاستفهام في قوله: **(أيكم وليه)** أي

قالوا: أبو طالب. فلم يزلْ يُناشده حتى ردَّه أبو طالب، وبعثَ معه أبو بكر بلالاً، وزوَّده الرَّاهب من الكعك والزيت. رواه الترمذي.

٥٩١٩ ـ (٥٢) وعن عَلي بن أبي طالب [رضي الله عنه]، قال: كنتُ معَ النبيِّ ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبلٌ ولا شجر إِلا وهو يقول: السَّلام عليك يا رسول الله. رواه الترمذي، والدارمي.

٥٩٢٠ ـ (٥٣) وعن أنسٍ، أنَّ النبي ﷺ أُتيَ بالبُراقِ ليلةَ أُسري به

قريبه والجملة مبتدأ وخبر **(قالوا: أبو طالب)** أي وليه **(فلم يزل)** أي الراهب **(يناشده)** أي يناشد أبا طالب ويطالب رده عليه السلام خوفاً عليه من أهل الروم أن يقتلوه في الشام. ويقول لأبي طالب: بالله عليك أن ترد محمداً إلى مكة وتحفظه من العدو. **(حتى رده أبو طالب)** [أي إلى مكة شرفها الله] **(وبعث معه أبو بكر بلالاً)** وفي رواية علي عن أبيه أنه قال: فرددته مع رجال، وكان فيهم بلال. أخرجه رزين **(وزوده الراهب من الكعك)** وهو الخبز الغليظ على ما في الأزهار. قال شارح: هو نوع من الخبز وقال الطيبي: هو الخبز وهو فارسي معرب، وكذا في القاموس. **(والزيت)** أي لأدام ذلك الخبز. وقد ورد من طرق رواها[(١)] أحمد وغيره: كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة[(٢)] **(رواه الترمذي)** أي وقال: حسن غريب. وقال الجزري: إسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين أو أحدهما، وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ وعده أئمتنا وهماً، وهو كذلك. فإن من سن النبي ﷺ إذ ذاك اثنا عشرة سنة وأبو بكر أصغر منه بسنتين وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت. اهـ. وقال في ميزان الاعتدال قيل: مما يدل على بطلان هذا الحديث قوله: وبعث معه أبو بكر بلالاً [وبلال لم يخلق بعد وأبو بكر كان صبياً اهـ. وضعف الذهبي هذا الحديث لقوله: وبعث معه أبو بكر بلالاً] فإن أبا بكر إذ ذاك ما اشترى بلالاً. وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: الحديث رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة، فيحتمل أنها مدرجة فيه منقطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته، كذا في المواهب اللدنية. ولا يخفى أن ايراد هذا الحديث بباب علامات النبوّة كان أوفق للتحقيق والله ولي التوفيق.

٥٩١٩ ـ **(وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل)** أي حجر كما في رواية **(ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله ﷺ)** فالحديث معجزة للنبي وكرامة للولي **(رواه الترمذي والدارمي)**.

٥٩٢٠ ـ **(وعن أنس: أن النبي ﷺ أتي)** أي جيء **(بالبراق ليلة أسري به)** بإضافتها على

---

(١) في المخطوطة «رواه». (٢) أحمد في المسند ٣/ ٤٩٧.

الحديث رقم ٥٩١٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٦. والدارمي في السنن ١/ ٢٥ حديث رقم ٢١.

الحديث رقم ٥٩٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٨١ حديث رقم ٣١٣١. وأحمد في المسند ٣/ ١٦٤.

مُلجماً مُسْرجاً، فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أَبمحمدٍ تفعل هذا؟ قال: فما ركبكَ أحدٌ أكرم على الله منه. قال فارفَضَّ عرقاً. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٩٢١ ـ (٥٤) وعن بُريدَة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لمَّا انتهَيْنا إلى بيتِ المقدس قال جبريل بأصبعه، فخرق بها الحجر، فشدَّ به البُراق». رواه الترمذي.

٥٩٢٢ ـ (٥٥) وعن يعلى بن مرَّةَ الثَّقفي، قال: ثلاثةُ أشياءَ رأيتُها من رسول الله ﷺ بَينا نحنُ نسير معه إذ مررنا ببعير يُسنى عليه، فلمَّا رآه البعير جرجر، فوضع جِرانه، فوقف عليه النبي ﷺ فقال: «أينَ صاحبُ هذا البعير؟».

البناء وجواز إعرابها منوناً والتقدير، أسري فيها به ﷺ. **(ملجماً مسرجاً)** على بناء المفعول فيهما، أي موضوعاً عليه اللجام والسرج **(فاستصعب)** أي استعصى البراق **(عليه)** ولم يمكنه من الركوب. ويقال: استصعب عليه الأمر، أي صعب. فالمعنى صعب عليه ركوبه باستعصائه. **(فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا)** ولم تفعل بغيره، أو ولو فعلت بسائر الأنبياء. **(فما ركبك أحد أكرم على الله منه)** برفع أكرم، وفي نسخة صحيحة قال التوربشتي: وجدنا الرواية في أكرم بالنصب، فلعل التقدير فما ركبك أحد كان أكرم على الله منه. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فارفض)** بتشديد الضاد المعجمة، أي انصب البراق. **(عرقاً)** تمييز والمعنى: سال منه العرق حياء لكون اهتزازه صدر عنه فرحاً، وظن أنه وقع استعصاء. **(رواه الترمذي)** وقال: هذا حديث غريب.

٥٩٢١ ـ **(وعن بريدة)** بالتصغير أسلمي أسلم قبل بدر ولم يشهدها وبايع بيعة الرضوان. **(قال: قال رسول الله ﷺ: لما انتهينا إلى بيت المقدس)** قد سبق ضبطه بالوجهين **(قال جبريل بإصبعه)** أي أشار بها **(فخرق)** أي جبريل **(بها)** أي بتلك الإشارة **(الحجر فشد)** أي جبريل أو النبي ﷺ **(به)** أي بالحجر **(البراق)** قال الطيبي: فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث أنس: فربطته بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء. قلت: لعل المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل عليه السلام. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن حبان وصححه.

٥٩٢٢ ـ **(وعن يعلى بن مرة الثقفي)** قال المؤلف: شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنيناً والطائف. روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين. **(قال: ثلاثة أشياء)** أي من المعجزات **(رأيتها من رسول الله ﷺ)** أي في سفر واحد **(بينا نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى)** على بناء المفعول أي يستقي[1] **(عليه فلما رآه البعير جرجر)** أي صاح من الجرجرة وهي صوت تردد البعير في حلقه على ما ذكره القاضي. فالمعنى ردد الصوت في حلقه **(فوضع جرانه)** بكسر الجيم أي مقدم عنقه وقيل باطن عنقه **(فوقف عليه النبي ﷺ فقال: أين صاحب هذا البعير)** أي

الحديث رقم ٥٩٢١: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٦٤.

الحديث رقم ٥٩٢٢: أحمد في المسند ٤/ ١٧٠.

(١) في المخطوطة «يسقي».

فجاءه، فقال: «بِعْنِيهِ» فقال: بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله! وإنَّه لأهلِ بيتٍ ما لهم معيشةٌ غيره. قال: أمَّا إذ ذكرتَ هذا من أمره، فإنه شكا كثرةَ العملِ وقلَّةَ العلفِ، فأحسنوا إليه، ثم سرنا حتى نزلنا منزلاً، فنام النبي ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلمَّا استيقظ رسولُ الله ﷺ ذكرت له. فقال: «هي شجرةٌ استأذَنَتْ ربّها في أن تسلّم على رسول الله ﷺ، فأذِن لها». قال: ثم سرنا فمررنا بماءٍ فأتته امرأة بابن لها به جِنَّةٌ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره ثم قال: «اخرجْ فإني محمَّد رسول الله»

مالكه فجاءه (**فقال: بعنيه فقال: بل نهبه لك**) أي لا نبيعه إياك بل نعطيك هبة (**يا رسول الله**) فإن رسالتك تقتضي جلالتك (**وإنه**) بكسر الهمز والضمير للبعير أي والحال أنه (**لأهل بيت**) أراد نفسه وعياله (**ما لهم معيشة**) أي ليس لهم ما يعيشون به (**غيره. قال: أما**) بتشديد الميم، وفي نسخة بتخفيفها على أنها للتنبيه. وهو ظاهر لقوله: (**إذ ذكرت هذا من أمره**) أي فاعلم أني ما طلبت شراءه إلا لتخليصه، لا لغرض آخر به. (**فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف**) فإذا كان كذلك بأن امتنع البيع (**فأحسنوا إليه**) أي بكثرة العلف وقلة العمل مع جواز كثرتهما[1] وقلتهما. إذ الظلم هو الجمع بين كثرة العمل وقلة العلف. قال الطيبي: جواب أما محذوف وقوله: فإنه شكا جواب لأما المقدرة، تقديره: أما إذ ذكرت أن البعير لأهل بيت مالهم معيشة فلا ألتمس شراءه، وأما البعير فتعاهدوه، فإنه اشتكى. إذ لا بد لأما التفصيلية من التكرار. أقول: الظاهر أن جواب أما المقدرة فتعاهدوه. وأما قوله: فإنه شكا فإنه علة للجواب والله أعلم بالصواب. وفي المغني أما بالفتح والتشديد هي حرف شرط وتفصيل وتأكيد. ثم قال: وقد تأتي لغير تفصيل أصلاً. نحو: أما زيد فمنطلق. وأما التأكيد فقل من ذكره ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري. فإنه قال فائدة، أما في الكلام أن يعطيه فضل تأكيد[2]. تقول: زيد ذاهب. فإذا قصدت تأكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة. قلت: أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره: مهما يكن من شيء فزيد ذاهب. وهذا التفسير يدل بفائدتين، بيان كونه تأكيداً وأنه في معنى الشرط. (**ثم سرنا**) أي سافرنا أو تحوّلنا من مكاننا. (**حتى نزلنا منزلاً فنام النبي ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض**) أي تقطعها (**حتى غشيته**) أي أتته وأظلته (**ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرت له**) أي أنا، وفي نسخة بصيغة المجهول، أي ذكرت القضية له، وهو يحتمل احتمالين. (**فقال: هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم على رسول الله فأذن لها**) أي فجاءت للسلام (**قال:**) أي يعلى (**ثم سرنا فمررنا بماء**) أي بموضع ماء فيه جمع من أهله. وقال شارح: أي بقبيلة. (**فأتته امرأة بابن لها به جنة**) بكسر الجيم، أي جنون. (**فأخذ النبي ﷺ بمنخره**) بفتح الميم وكسر الخاء [المعجمة] في النسخ كلها. وفي القاموس: المنخر بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما. وكمحلس الأنف. (**ثم قال:**) أي النبي ﷺ للمجنون، أو الشيطان الذي فيه. (**أخرج**) أي منه (**فإني محمد رسول الله**

---

(١) في المخطوطة «كثرهما».

(٢) في المخطوطة «فقيل توكيد».

ثم سرنا فلمَّا رجعنا مررنا بذلك الماء فسألها عن الصبي، فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه رَيباً بعدك. رواه في «شرح السنة».

٥٩٢٣ ـ (٥٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إنَّ امرأة جاءت بابنٍ لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! إن ابني به جنون، وإنه ليأخذه عِنْد غدائنا وعشائنا [فيخبث علينا] فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثعَّ ثعَّةً وخرج من جوفه مثل الجِرْو الأسود يسعى. رواه الدارمي.

٥٩٢٤ ـ (٥٧) وعن أنسٍ، قال: جاءَ جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ وهو جالس حزينٌ، قد تخضَّب بالدَّم من فعل أهل مكةَ،

ثم سرنا فلما رجعنا مررنا بذلك الماء فسألها) أي المرأة **(عن الصبي. فقالت: والذي بعثك بالحق ما رأينا منه)** أي من الصبي **(ريباً)** بفتح الراء وسكون الياء، أي شيئاً نكرهه. **(بعدك)** أي بعد مفارقتك أو بعد دعائك. ومنه قوله تعالى: ﴿**ريب المنون**﴾ [الطور ـ ٣٠]. أي حوادث الدهر. وقيل: ما رأينا منه ما أوقعنا في شك من حاله وتضجرنا من أمره. ومنه قوله سبحانه: ﴿**لا ريب فيه**﴾ [البقرة ـ ٢]. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي بإسناده.

٥٩٢٣ ـ **(وعن ابن عباس قال: إن امرأة جاءت بابن لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابني به جنون وأنه ليأخذه)** أي الجنون **(عند غدائنا وعشائنا)** أي عند حضورهما، أو وقت استعمالهما. وقال شارح: أي صباحنا ومساءنا **(فمسح رسول الله ﷺ صدره)** أي صدر الولد **(ودعا فثع)** بالمثلثة والعين المشددة، أي قاء. **(ثعة)** أي فيئة واحدة. ففي النهاية: الثع القيء والثعة المرة الواحدة. **(وخرج من جوفه مثل الجرو)** بكسر الجيم وسكون الراء، أي ولد الكلب. **(الأسود)** صفة للجرو وقوله: **(يسعى)** حال، أي يمشي ذلك الجرو ويسرع. **(رواه الدارمي)**.

٥٩٢٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء جبريل)** عليه السلام على ما في نسخة **(إلى النبي ﷺ وهو)** أي النبي ﷺ **(جالس حزين وقد تخضب بالدم)** أي تلوث به يوم أحد عند كسر رباعيته **(من فعل أهل مكة)** أي من ضرب كفارهم. وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: ضرب وجه النبي ﷺ بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله تعالى. ذكره السيوطي في حاشية البخاري، وذلك لقوله تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة ـ ٦٧]. لكن حصل له هذا الكسر ليكثر له الأجر والخير في مشاركة مشقة المؤمنين ومحنة المجاهدين، ولذا لما أصاب حجر أصبعه ودميت قال:

الحديث رقم ٥٩٢٣: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢٤ حديث رقم ١٩. وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٥٤.

الحديث رقم ٥٩٢٤: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢٦ حديث رقم ٢٣. وأحمد في المسند ٣/ ١١٣.

فقال: يا رسول الله! هل تُحبُّ أن نُرِيَك آيةً؟ قال: «نعم». فنَظَر إلى شجرةٍ من ورائه فقال: ادعُ بها، فدعا بها، فجاءت، فقامت بين يديه فقال: مرها فلترجع، فأمرها، فرجعت. فقال رسول الله ﷺ: «حسبي حسبي». رواه الدارمي.

٥٩٢٥ ـ (٥٨) وعن ابن عمر، قال: كنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ في سفرٍ فأقبل أعرابيٌّ فلما دنا قال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسوله؟». قال: ومَنْ يشهدُ على ما تقولُ؟ قال: «هذه السَّلَمَةُ» فدعاها رسولُ اللهِ ﷺ وهو بشاطىء الوادي، فأقبلَتْ تَخُدُّ الأرضَ حتى قامتْ بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت ثلاثاً. أنه كما قال، ثم رجعتْ إلى

هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

(فقال:) أي جبريل (يا رسول الله هل تحب أن نريك آية) أي علامة منك على نبوّتك تسلية لك على محنتك لتعرف أنها سبب لمزيد منحتك وقرب منزلتك. (قال: نعم. فنظر) أي جبريل (إلى شجرة من ورائه) أي من خلفه أو من خلف النبي عليهما الصلاة والسلام (فقال:) أي جبريل (ادع بها) أي اطلبها (فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه) أي مناد به لديه ومنقادة إليه ﷺ (فقال:) أي جبريل (مرها) أي بالرجوع[1] (فلترجع) أي لحكمة تقتضيه (فأمرها فرجعت. فقال رسول الله ﷺ: حسبي) أي كفاني (حسبي) زيد للمبالغة، أو إشارة إلى تكرار خرق العادة بالمجيء والإعادة. والمعنى: كفاني في تسليتي عما لقيته من الحزن هذه الكرامة من ربي (رواه الدارمي).

٥٩٢٥ ـ (وعن ابن عمر قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر) أي في غزوة أو عمرة (فأقبل أعرابي) أي بدوي (فلما دنا) أي قرب (قال له رسول الله ﷺ: تشهد) أي أتشهد (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. قال: ومن يشهد) أي على وجه خرق العادة وظهور المعجزة (على ما تقول) أي من دعوى الرسالة (قال: هذه السلمة) بفتحات، شجرة من البادية ذكره شارح. وفي النهاية: السلم شجر من العضاه واحدها سلمة بفتح اللام وورقها القرظ الذي يدبغ به، وبها سمي الرجل سلمة. (فدعا رسول الله ﷺ وهو) أي والحال أن النبي ﷺ (بشاطىء الوادي) أي كان واقفاً بطرفه (فأقبلت) أي الشجرة كما في نسخة (تخد الأرض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة، أي تشقها أخدوداً. وقوله: (خداً) على ما في بعض النسخ مفعول مطلق. (حتى قامت بين يديه) أي مسلمة عليه ومسلمة لديه (فاستشهدها) أي طلب الشهادة من الشجرة (ثلاثاً) أي مرتباً لا متوالياً (فشهدت ثلاثاً أنه كما قال) أي أن الشأن، كما قال النبي ﷺ من كونه رسول رب العالمين. (ثم رجعت إلى

---

(١) في المخطوطة «بالرحيل».

الحديث رقم ٥٩٢٥: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢٦ حديث رقم ٢٤.

منبتِها. رواه الدارمي.

٥٩٢٦ ـ (٥٩) وعن ابن عبَّاس، قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: بما أَعرِف أنَّك نبيٌّ؟ قال: «إن دعوتُ هذا العِذق من هذه النخلة يشهدُ أني رسولُ اللَّهِ». فدعاهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ فجعلَ ينزلُ من النخلةِ حتَّى سقطَ إلى النبيِّ ﷺ، ثم قال: «ارجع». فعادَ، فأسلم الأعرابيُّ. رواه الترمذي وصححه.

٥٩٢٧ ـ (٦٠) وعن أبي هريرةَ، قال: جاء ذئبٌ إلى راعي غَنَمٍ فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فَصَعِدَ الذئبُ على تَلٍ فأقعى واستثفر، وقال: قد عمدتُ

منبتها) بكسر الموحدة أي موضع نباتها وموطن أصلها **(رواه الدارمي)**.

٥٩٢٦ ـ **(وعن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ قال: بم أعرف)** أي من معجزاتك **(أنك نبي)** أي صادق **(قال: إن دعوت)** بكسر إن في أكثر الأصول، وفي بعضها بفتح أن وهو الأظهر، أي بأن دعوت **(هذا العذق)** بكسر العين وهو العرجون بما فيه من الشماريخ، وهي بمنزلة العنقود من العنب. وبالفتح النخلة، والمراد به الأوّل لقوله: **(من هذه النخلة يشهد)** أي حال كون العذق يشهد أني رسول الله وقال الطيبي: إن دعوت جواب لقوله: بما أعرف أي بأني إن دعوته يشهد. اهـ. ومقتضاه أن يكون يشهد مجزوماً بصيغة الغائب. والمعنى: تعرف بأني إن دعوته يشهد. وقال شارح: إن للشرط ويشهد جزاؤه، أو للمصدرية ويشهد جملة حالية. اهـ. وظاهره أن يكون يشهد على الأول مخاطباً مجزوماً كما في نسخة، ليكون جواب الأعرابي بنعم مقدراً، أو النبي ﷺ لم ينتظر جوابه إذ ليس له جواب صواب غيره. **(فدعاه)** أي العذق **(رسول الله ﷺ فجعل)** أي فشرع العذق **(ينزل من النخلة حتى سقط)** [أي] وقع على الأرض **(إلى النبي ﷺ)** أي منتهياً إليه ومستسلماً لديه **(ثم قال: ارجع فعاد)** أي إلى ما كان عليه **(فأسلم الأعرابي: رواه الترمذي)** وصححه.

٥٩٢٧ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء ذئب)** بهمزة ساكنة ويبدل **(إلى راعي غنم)** أي إلى قطعة غنم راعيها معها **(فأخذ)** أي الذئب **(منها شاة فطلبه الراعي)** أي تبعه وحمل عليه **(حتى انتزعها منه)** أي خلصها من فمه **(قال:)** أي الراعي فإنه هو الرائي[1] والراوي، ذكره شارح. **(فصعد الذئب على تل)** بتشديد اللام أي مكان مرتفع **(فأقعى)** أي جلس مقعياً بأن قعد على وركيه ونصب يديه **(واستثفر)** بالمثلثة فالفاء، أي أدخل ذنبه بين رجليه. وقيل بين أليتيه. **(وقال: قد عمدت)** بفتح الميم على صيغة المتكلم إخباراً على سبيل الشكاية. وفي نسخة

الحديث رقم ٥٩٢٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٤ حديث رقم ٣٦٢٨.

الحديث رقم ٥٩٢٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٠٦.

(١) في المخطوطة «الراعي».

إلى رزقٍ رزقنيه الله أخذتُه، ثم انتزعتَه مني؟! فقال الرجل: تاللَّهِ إن رأيتُ كاليومِ ذئبٌ يتكلَّمُ! فقال الذئب: أعْجَبُ من هذا رجلٌ في النخَلاتِ بين الحرَّتينِ يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم. قال: فكانَ الرجلُ يهوديّاً، فجاء إلى النبيِّ ﷺ فأخبرَه، وأسلم، فصدَّقه النبيُّ ﷺ ثم قال النبي ﷺ: «إنها أماراتٌ بينَ يَدَي السَّاعةِ، قَدْ أوْشكَ الرجُلُ أن يخرج فلا يرجعَ حتى يُحدِّثُهُ نعلاه وسوْطُه بما أحْدثَ أهلُه بَعْدَه». رواه في «شرح السنة».

٥٩٢٨ ـ (٦١) وعن أبي العلاء، عن سَمُرَةَ بن جندب، قال: كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ

صحيحة بصيغة الخطاب على أنه استفهام على سبيل الإنكار، والمعنى: قصدت. **(إلى رزق رزقنيه الله)** أي أباحه لي **(أخذته ثم انتزعته مني)** أي بناء على وجوب تخليصه عليك، فالكل منقادون تحت أمره مطيعون لحكمه مستسلمون لقضائه وقدره. **(فقال الرجل:)** أي الراعي قال التوربشتي: اسمه هبار بن أوس الخزاعي، ويقال له مكلم الذئب **(تالله)** قسم فيه معنى التعجب **(إن رأيت)** أي ما رأيت **(كاليوم)** أي ما رأيت ذئباً يتكلم كاليوم ذكره شارح. وفي الفائق: أي ما رأيت أعجوبة كأعجوبة اليوم فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. **(ذئب يتكلم)** خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أي شيء هو فقال: ذئب يتكلم. **(فقال الذئب: أعجب من هذا)** أي من تكلم الذئب **(رجل في النخلات)** بالفتحات أي نخيل المدينة الواقعة **(بين الحرتين)** بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي أرض ذات حجارة سود بين جبلين من جبال المدينة **(يخبركم بما مضى)** أي بما سبق من خبر الأولين ممن قبلكم **(وما هو كائن بعدكم)** أي من نبأ الآخرين في الدنيا ومن أحوال الأجمعين في العقبى. **(قال:)** أي الراوي وهو أبو هريرة **(فكان الرجل)** أي الراعي **(يهودياً)** فيه رد على ما قيل من أن ذلك الرجل خزاعي فإن خزاعة ليست بيهود، اللهم إلا أن يقال إنه كان **(يهودياً. فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره)** أي بخبر الذئب **(وأسلم فصدقه النبي ﷺ)** أي فيما رواه **(ثم قال النبي ﷺ: إنها أمارات.)** يحتمل أن يكون الضمير للقصة وأن يكون ضميراً مبهماً يفسره ما بعده وأن يرجع إلى معنى ما تكلم به الذئب باعتبار الحالة [والقصة] ذكره الطيبي. والمعنى: إن الحالة التي رآها وأمثالها علامات. **(بين يدي الساعة)** أي قدامها **(قد أوشك الرجل)** أي قرب **(أن يخرج)** أي من بيته **(فلا يرجع)** ظاهره النصب، لكن اتفق النسخ على رفعه على أن التقدير فهو لا يرجع. **(حتى يحدثه نعلاه)** أي في رجله **(وسوطه)** أي في يده **(بما أحدث أهله)** أي من أفعال السوء أو الحسن **(بعده)** أي بعد خروجه من أهله ومفارقته إياهم **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة.)** أي بإسناده.

٥٩٢٨ ـ **(وعن أبي العلاء)** بفتح العين. قال المؤلف في فصل التابعين: اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير. **(عن سمرة بن جندب)**[1] تقدم ضبطهما وسبق ذكرهما **(قال: كنا مع النبي ﷺ**

الحديث رقم ٥٩٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٥. وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢٧ حديث رقم ٢٧.

(١) في المخطوطة «سمرة بن سمرة» والصواب «سمرة بن جندب» كذا في المشكاة.

نتداول من قصعةٍ، من غُدْوَةٍ حتَّى الليلِ، يقوم عشرةٌ ويقعد عشرةٌ قلنا: فَمِمَّا كانت تُمَدُّ؟ قال: من أيِّ شيء تعجب؟ ما كانت تمَدّ إلا من هَهنا، وأشار بيده إلى السماء. رواه الترمذي، والدارمي.

٥٩٢٩ ـ (٦٢) وعن عبد الله بن عمرو، أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ يومَ بدرٍ في ثلاثمائة وخمسة عشر. قال: «اللهمَّ إنهم حفاةٌ فاحملْهم، اللهمَّ إنَّهم عُراةٌ فاكسُهم اللهمَّ إنهم جياعٌ فأشبعهم» ففتح الله له،

نتداول) يقال: تداولته الأيدي أي تناوبته، يعني أخذته هذه مرة وهذه مرة ذكره شارح. فالمعنى: نتناوب أخذ الطعام وأكله. **(من قصعة)** بفتح القاف أي من صحفة كبيرة **(من غدوة)** بضم فسكون ويجوز بفتحتين فألف أي من أول النهار **(حتى الليل)** أي إلى دخول العشية **(يقوم عشرة)** أي بعد فراغهم من الأكل منها **(ويقعد عشرة)** أي للتناول منها **(قلنا)** أي لسمرة **(فمما كانت تمد)** بصيغة المجهول من الإمداد وهو ظاهر، أو من المدد من قولك مد السراج بالزيت. والمعنى: فأي شيء كانت القصعة تمد منه وتزاد فيه ومن أين يكثر الطعام فيها طول النهار، ولما كان في هذا السؤال نوع من التعجب. **(قال:)** أي سمرة **(من أي شيء تعجب)** والخطاب لأبي العلاء من جملة القائلين. فإنه من رؤساء التابعين. أو المراد خطاب العام. والمعنى: لا تعجب أيها المخاطب. **(ما كانت تمد إلا من ههنا. وأشار بيده إلى السماء)** والمعنى: لا تكون كثرة الطعام فيها إلا من عالم العلاء بنزول البركة فيها من السماء. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿وفي السماء رزقكم﴾** [الذاريات ـ ٢٢]. وهذا ظاهر شرح الكلام على وفق المرام. وقال شارح: ضمير قال إلى النبي: وإليه ذهب المظهر ومن تبعه. وقال الطيبي: ويحتمل أن يكون القائل سمرة والسائل أبو العلاء وهو الظاهر. اهـ. ووجه ظهوره لا يخفى إذ مثل هذا السؤال من الأصحاب المشاهدين للمعجزة في غاية من الغرابة. وأما سؤال التابعين من الصحابي فقد يوجه بأنه توهم أنه كان يأتي الطعام ويوضع في القصعة مرة بعد مرة بعد فراغ عشرة أو نحوها. كما يقع في العرف على طريق العادة فأجاب الصحابي بأن هذا لم يقع إلا على سبيل خرق العادة فالمدد من رب السماء لا من أحد المخلوقين من سكان الأرض. **(رواه الترمذي والدارمي)**.

٥٩٢٩ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو:)** بالواو **(أن النبي ﷺ خرج يوم بدر في ثلثمائة)** بكسر المثلثة الثانية على الإضافة **(وخمسة عشر)** بفتح الجزءين على التركيب **(قال:)** استئناف بيان أو حال **(اللهم إنهم)** أي غالبهم **(حفاة)** بضم الحاء جمع حاف، وهو من لا نعل له. **(فاحملهم)** بهمز وصل وكسر ميم، أي أعنهم على الحمل. والمعنى: أعط كلا منهم المركوب **(اللهم إنهم عراة)** بالضم جمع عار أي عريان فيما بعد الإزار **(فأكسهم)** بضم السين أي أعطهم الكسوة وألبسهم لباس الزينة. **(اللهم إنهم جياع فأشبعهم)** أي باطناً وظاهراً ليتقوّوا على الطاعة. **(ففتح الله له)** أي للنبي ﷺ ونصره على مشركي مكة وصناديد قريش وأكابرهم حتى قتل منهم سبعون

الحديث رقم ٥٩٢٩: أخرجه أبو داود ٣/ ١٨٠ حديث رقم ٢٧٤٧.

فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقدْ رجعَ بجملٍ أو جَملين، واكتسوا، وشبعوا. رواه أبو داود.

٥٩٣٠ ـ (٦٣) وعن ابن مسعود، عن رسولِ اللّهِ ﷺ قال: «إنكم مَنْصُورون ومُصيبُون ومفتوح لكم؛ فمنْ أدْرَكَ ذلك منكم فليتَّقِ الله ولْيَأمُرَ بالمعروف ولْيَنْهَ عن المنكر». رواه أبو داود.

٥٩٣١ ـ (٦٤) وعن جابر، أنَّ يهوديةً من أَهل خيبرَ سمَّتْ شاةً مَصْلِيَّةً، ثمَّ أهدَتْها لرسولِ اللّهِ ﷺ، فأخذ رسولُ الله ﷺ الذراعَ، فأكل منها وأكل رهطٌ من أصحابِهِ معه، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديَكم» وأرسَلَ إلى اليهوديةِ فدعاها، فقال: «سممتِ هذه الشاة؟». فقالت: مَنْ أخبرَكَ؟ قال: «أخبرتني هذه

وأسر سبعون (**فانقلبوا**) أي فرجع أصحابه (**وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا**) أي من غنائم أعدائهم. فصدق الله في قوله: ﴿**فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً**﴾ [النساء ـ ١٩]. كما أخبر عنهم بقوله: ﴿**وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾ [الأنفال ـ ٥]. وفي الحديث: «إن الصبر على ما تكره فيه خير كثير». ثم هذا نتيجته في الدنيا والآخرة خير وأبقى (**رواه أبو داود**).

٥٩٣٠ ـ (**وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: إنكم منصورون**) أي على الأعداء (**ومصيبون**) أي للغنائم (**ومفتوح لكم**) أي البلاد الكثيرة (**فمن أدرك ذلك**) أي ما ذكر منكم (**فليتق الله**) أي في جميع أموره ليكون كاملاً (**وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر**) ليكون مكملاً لا سيما في أيام إمارته وتحصيل عدالته. وقيل: المراد بالمنكر الغلول وهو الخيانة في الغنيمة. والظاهر أن المراد هو المعنى الأعم والله أعلم. (**رواه أبو داود**).

٥٩٣١ ـ (**وعن جابر: أن يهودية من أهل خيبر**) قيل: إنها زينب بنت الحارث وهي بنت أخي مرحب بن أبي مرحب. (**سمت شاة**) أي جعلتها مسمومة (**مصلية**) بفتح الميم وكسر اللام وتشديد التحتية، أي مشوية. قيل: وأكثرت السم في الكتف والذراع لما بلغها أنهما أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ (**ثم أهدتها لرسول الله**) أي إليه ﷺ (**فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها وأكل رهط**) أي جماعة من أصحابه (**معه**) أي من لحم تلك الشاة (**فقال ﷺ: ارفعوا أيديكم**) أي كفوها وامنعوها عن الأكل (**وأرسل إلى اليهودية فدعاها**) أي طلبها فحضرت (**فقال: سممت هذه الشاة**) لا بتقدير الاستفهام بل بالجزم في إخبار الكلام. ولذا لم تقل لا أو نعم. (**فقالت: من أخبرك**) أي الله أو أحد من الخلق (**قال: أخبرتني هذه**) أي هذه الذراع

الحديث رقم ٥٩٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٥٤ حديث رقم ٢٢٥٧. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٩.

الحديث رقم ٥٩٣١: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٣٠. حديث رقم ٢٦١٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٢١ حديث رقم (٤٥ . ١٩٠). وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٦٤٨ حديث رقم ٤٥١٠ والدارمي في السنن ١/ ٤٦ حديث رقم ٦٨.

في يدي» للذِّراع. قالت: نعم، قلت: إن كان نبياً فلَنْ تَضُرَّهُ، وإن لم يكنْ نبياً استَرَحنا منه فعفا عنها رسول الله ﷺ، ولم يعاقبْها، وتُوفّي أصحابُه الذين أكلوا من الشاة، واحتجمَ رسول الله ﷺ على كاهلِه من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشَّفْرة، وهو مولىً لبني بياضة من الأنصار. رواه أبو داود، والدارمي.

٥٩٣٢ ـ (٦٥) وعن سهل ابن الحنظلية، أنَّهم ساروا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فأطنبوا السَّيرَ حتى كانَ عشية، فجاءَ فارسٌ فقال: يا رسول الله! إني طلعتُ على جَبَل

بإنطاق الله إياها. وقوله: **(في يدي)** حال من هذه، أي مستقرة فيها. **(للذراع)** وقيل؛ اللام بمعنى عن نحو قال لزيد إنه لم يفعل الشر، أي قال عنه. والمعنى: قال عن الذراع إنها أخبرتني. ويحتمل أن يكون بمعنى إلى، أي قال ذلك مشيراً إليها. **(قالت: نعم. قلت:)** جواب سؤال مقدر **(إن كان)** أي محمد **(نبياً فلن تضره)** أي الشاة المسمومة **(وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. فعفا عنها رسول الله ﷺ)** قال الطيبي: فيه اختلاف، إذ الرواية وردت بأنه أمر بقتلها فقتلت. ووجه التوفيق بينهما أنه عفا عنها في أول الأمر فلما مات بشر بن البراء بن معرور من الأكلة التي ابتلعها أمر بها فقتلت مكانه. اهـ. وفي المواهب وقيل أسلمت ولم تقتل. وقال بعض المحققين قوله: فعفا عنها، أي تركها أولاً لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم لما مات بشر بن البراء بن معرور أمر بقتلها قصاصاً. ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت ثم أمر بقتلها قصاصاً لقتل بشر. ولم ينفرد الزهري بدعواه أنها أسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها: وإن كنت كاذباً أرحت الناس منك وقد استبان لي أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضر على دينك أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. **(وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة)** أي بعضهم وهو بشر **(واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله)** بكسر الهاء أي بين كتفيه **(من أجل الذي أكل من الشاة)** أي المسمومة **(حجمه)** استئناف بيان **(أبو هند)** قيل اسمه يسار الحجام **(بالقرن والشفرة)** بفتح فسكون أي كانت المحجمة قرناً **(والمبضعة)** السكين العريض **(وهو)** أي أبو هند **(مولى لبني بياضة)** بفتح الموحدة وتخفيف التحتية قبيلة **(من الأنصار. رواه أبو داود والدارمي)**.

٥٩٣٢ ـ **(وعن سهل ابن الحنظلية)** قال المؤلف: هي أم جده، وقيل أمه وإليها ينسب وبها يعرف. واسم أبيه الربيع بن عمرو، وكان سهل ممن بايع تحت الشجرة وكان فاضلاً معتزلاً عن الناس كثير الصلاة والذكر وكان عقيماً لا يولد له سكن الشام ومات بدمشق في أول أيام معاوية. **(أنهم)** أي الصحابة **(ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين)** أي وقت توجهه إليه **(فأطنبوا السير)** أي أطالوا وبالغوا فيه **(حتى كان عشية)** أي السير ممتد إلى وقت العشية كذا ذكره الطيبي. والأظهر أن يقال: حتى كان الوقت عشية **(فجاء فارس)** أي راكب فرس **(مسرعاً فقال: يا رسول الله إني طلعت)** بكسر اللام وفي بعض النسخ بفتحها، أي علوت. **(على جبل**

الحديث رقم ٥٩٣٢: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٢٠ حديث رقم ٢٥٠١.

كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظُعْنهم ونَعَمِهم، اجتمعوا إلى حنين، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمةُ المسلمينَ غداً إن شاء الله تعالى» ثمَّ قال: «من يحرسنا الليلةَ؟» قال أنس بن أبي مَرثد الغَنَوي: أنا يا رسولَ اللّهِ. قال: «اركبْ» فرَكِبَ فرساً له. فقال: «استقبل هذا الشِّعْبَ حتَّى تكونَ في أعلاه» فلمَّا أصبحنا، خرج رسول الله ﷺ، إلى مُصَلاَّه، فركعَ ركعتين، ثمَّ قال: «هَلْ أحسستم فارَسكم؟» فقال رجل: يا رسول الله! ما

كذا وكذا) ففي القاموس: طلع الجبل علاه كطلع بالكسر. واقتصر الجوهري على الكسر، وصاحب المفتاح على الفتح. وفي نسخة السيد ضبط بالكسر ووضع عليه صح والله أعلم. **(فإذا أنا بهوازن)** بفتح الهاء وكسر الزاي قبيلة كبيرة **(على بكرة أبيهم)** بفتح فسكون أي كلهم مجتمعين. فقيل: كان الرجل يحمل جميع أولاده على بكرة. والبكر بالفتح الفتى من الإبل بمنزلة الغلام من الناس، والأنثى بكرة. وجاؤوا على بكرة أبيهم، كلمة للعرب يريدون بها الكثرة. وقال القاضي: يقال: جاء القوم على بكرة أبيهم أي جاؤوا بأجمعهم بحيث لم يبق منهم أحد. وعلى هاهنا بمعنى مع وهو مثل يضربه العرب. وكان السبب أن فيه جمعاً من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعاً ولم يخلفوا شيئاً، حتى أن بكرة كانت لأبيهم أخذوها معهم فقال من وراءهم: جاؤوا على بكرة أبيهم. فصار ذلك مثلاً في قوم جاؤوا بأجمعهم، وإن لم يكن معهم بكرة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت في هذا الموضع. **(بظعنهم)** بضمتين ويسكن الثاني جماعة الرجال والنساء الذين يظعنون أي يرتحلون. كذا قاله شارح: وقال الجزري: أي بنسائهم وهو الأظهر، على أنها جمع الظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج. وقيل: هي الهودج[1] كانت فيها امرأة أولاً، وهو مركب من مراكب النساء مقبب وغير مقبب. **(ونعمهم)** بفتحتين أي وبأموالهم ومواشيهم **(اجتمعوا إلى حنين)** أي متوجهين إليه **(فتبسم رسول الله ﷺ)** أي متعجباً من حسن صنيعه سبحانه **(وقال: [تلك** أي] **تلك الجماعة من الرجال والنساء والأموال (غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله)** للتبرك أو للتقييد احتياطاً **(ثم قال: من يحرسنا)** بضم الراء أي يحفظ عسكرنا من البيات **(الليلة)** أي الآتية **(قال أنس بن أبي مرثد)** بفتح الميم والمثلثة **(الغنوي:)** بفتحتين **(أنا يا رسول الله)** قال المؤلف: شهد أنس[2] بن أبي مرثد فتح مكة وحنيناً ومات سنة عشرين وله ولأبيه وجده وأخيه صحبة. واسم أبي مرثد كناز بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي. وقيل: إن اسمه أنيس. قال ابن عبد البر وهو أكثر ويقال إنه الذي قال له النبي ﷺ اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها وقيل غيره والله أعلم. **(قال: اركب فركب فرساً له فقال: استقبل هذا الشعب)** بكسر أوله وهو الطريق بين الجبلين **(حتى تكون في أعلاه. فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه فركع ركعتين)** أي سنة الصبح **(ثم قال: هل حسستم)** بكسر السين، أي أدركتم بالحس. **(فارسكم)** بأن رأيتموه أو سمعتم صوته **(فقال رجل: يا رسول الله ما**

---

(١) في المخطوطة «الحودج» بالحاء.
(٢) في المخطوطة «مرثد بن أبي...».

حسسنا، فثُوِّبَ بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ وهو يُصلي يلتفتُ إلى الشِّعْب، حتَّى إذا قضى الصلاة قال: «أَبشروا، فقد جاء فارُسكم» فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعْبِ، فإذا هو قد جاء، حتَّى وقَفَ على رسولِ اللّهِ ﷺ فقال: إني انطلقتُ حتَّى كنتُ في أعلى هذا الشعب، حيث أمرني رسولُ الله ﷺ، فلمَّا أصبحتُ طلعتُ الشعبين كليهما، فلم أر أحداً. فقال له رسول الله ﷺ: «هل نزلت الليلةَ» قال: لا إلاَّ مصلياً أو قاضيَ حاجة. قال رسول الله ﷺ: «فلا عليكَ أن لا تعْمَلَ بعدَها». رواه أبو داود.

٥٩٣٣ ـ (٦٦) وعن أبي هريرة، قال: أتيت النبيَّ ﷺ بتمراتٍ، فقلت: يا رسول الله! ادع الله فيهنَّ بالبركة، فضمَّهنَّ، ثم دعا لي فيهن بالبركة،

حسسنا) أي ما عرفنا له خبراً ولا رأينا له أثراً (فثوب) بتشديد الواو المكسورة، أي أقيم. (بالصلاة) قال الطيبي: الأصل في التثويب أن يجيء الرجل مستصرخاً فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر، فسمى الدعاء تثويباً لذلك. وكل داع مثوب. (فجعل رسول الله ﷺ وهو يصلي) جملة حالية معترضة. والمعنى: فشرع حال الصلاة. (يلتفت إلى الشعب) أي يميل بطرف عينه إلى جهة الطريق في الجبل (حتى إذا قضى الصلاة) أي أداها وفرغ منها (قال: ابشروا فقد جاء فارسكم) الاضافة لأدنى ملابسة (فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشعب) بكسر الخاء المعجمة جمع الخلل بفتحتين، وهو الفرجة بين الشيئين. (فإذا هو) أي الفارس (قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ) أي راكباً أو نازلاً (فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ) لا يخفى حسن العدول عن قوله: حيث أمرت. (فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما) أي أتيت طريقي الجبل وجوانبهما مخافة أن يكون فيه أحد مخفياً (فلم أر أحداً فقال له رسول الله ﷺ: هل نزلت) أي عن الدابة (الليلة) أي البارحة وهي الماضية (قال: لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة) أي من بول أو غائط (قال رسول الله ﷺ: فلا عليك) أي ليس عليك حرج (في أن لا تعمل) أي من النوافل والفضائل (بعدها) أي بعد هذه الخصلة التي فعلتها فإنه قد حصل لك فضيلة كافية. قال ابن الملك: وفيه بشارة منه ﷺ بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر انتهى. ولا يخفى ما فيه من النظر. وقال الطيبي: أي لا بأس عليك بأن لا تعمل بعد هذه الليلة من المبرات والخيرات فإن عملك الليلة كافية لك عند الله مثوبة وفضيلة، وأراد النوافل والتبرعات من الأعمال لا الفرائض فإن ذلك لا يسقط ويمكن أن ينزل على ما عليه من عمل الجهاد في ذلك اليوم جبراناً لقلبه وتسلية له. (رواه أبو داود).

٥٩٣٣ ـ (وعن أبي هريرة قال: أتيت النبي ﷺ بتمرات) بفتحات قال الشيخ أبو نصر: كانت التمرات إحدى وعشرين، كذا في الأذكار. (فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن البركة) أي

الحديث رقم ٥٩٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٦٤٣ حديث رقم ٣٨٣٩. وأحمد في المسند ٢/٣٥٢.

قال: «خُذهُنَّ فاجعلْهنَّ في مزودك، كلما أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل فيه يدك فخذه ولا تنثرْه نثراً». فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وَسْقٍ في سبيل اللّهِ، فكنّا نأكل منه ونُطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كانَ يوم قُتِل عثمان فإنه انقطع. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٥٩٣٤ ـ (٦٧) عن ابن عبَّاس، قال: تشاورتْ قريشٌ ليلةً بمكةَ،

اسأل الله البركة فيهن أو لأجلهن (**فضمهن**) أي فأخذهن بيده، أو وضع يده عليهن. (**ثم دعا لي**) أي لأجلي خصوصاً (**فيهن بالبركة**) أي بالبركة فيهن وكثرة الخير في أكلهن [مع] بقائهن (**قال:**) أي بطريق الاستئناف (**خذهن فاجعلهن**) أي أدخلهن (**في مزودك**) بكسر الميم وهو ما يجعل فيه الزاد من الجراب وغيره. (**كلما أردت أن تأخذ منه**) أي من التمر، أو من المزود. (**شيئاً**) قال الطيبي: إن جعل منه صلة لتأخذ، وشيئاً مفعول له فيكون نكرة شائعة، فلا يختص بالتمر. وإن جعل حالاً من شيئاً اختص به. (**فأدخل فيه**) أي في المزود (**يدك فخذه**) أي التمر منه (**ولا تنثره**) بضم المثلثة وتكسر (**نثراً**) مفعول مطلق. ففي المصباح نثرته نثراً من بابي نصر وضرب، رميت به متفرقاً. (**فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق**) أي ستين صاعاً على ما هو المشهور وصرح به شارح، أو حمل بعير على ما ذكره في القاموس. (**في سبيل الله**) قال الطيبي: يجوز أن يحمل حملت على الحقيقة وأن يحمل على معنى الأخذ، أي أخذته مقدار كذا بدفعات انتهى. والحمل على الحقيقة أولى فإنه أبلغ في المدعي. ويؤيده قوله: (**فكنا**) أي أنا وأصحابي (**نأكل منه ونطعم**) أي غيرنا (**وكان**) أي المزود (**لا يفارق حقوي**) أي وسطي. قال شارح: الحقو[1] الإزار. والمراد هنا موضع شد الإزار. وقال الطيبي: الحقو معقد الإزار، وسمي الإزار به للمجاورة. (**حتى كان يوم**) بالرفع، على أن كان تامة وجوز نصبه على أن التقدير حتى كان الزمان[2] يوم (**قتل عثمان**) بصيغة المصدر مضافاً إلى مفعوله. وفي نسخة بصيغة المجهول، وعثمان نائب الفاعل. قال الخلخالي: يجوز فتح يوم مضافاً إلى قتل، وهو جملة فعلية، ويجوز رفعه على أنه فاعل كان التامة. (**فإنه**) أي المزود (**انقطع**) أي ذلك اليوم وسقط مني وضاع فحزنت عليه حزناً شديداً. وفيه إيماء إلى أن الفساد إذا شاع ارتفعت البركة. وكان يقول أبو هريرة:

للناس هم ولي همان بينهم * هم الجراب وهم الشيخ عثمانا[3]

ذكره ابن الملك (**رواه الترمذي**).

(الفصل الثالث)

٥٩٣٤ ـ (**عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تشاورت قريش ليلة بمكة**) أي في دار

---

(١) في المخطوطة «احقوا». (٢) في المخطوطة «غير معرّفة».

(٣) في المخطوطة «عثمان».

فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوَثاقِ يريدون النبي ﷺ. فقال بعضهم بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه، فاطلع اللَّهُ نبيَّهُ ﷺ على ذلك، فباتَ عليٌّ رضي الله عنه على فراشِ النبيِّ ﷺ تلكَ الليلةَ، وخرجَ النبيُّ ﷺ حتى لحِقَ بالغار. وبات المشركونَ يحرسُونَ علياً يحسبونه النبيَّ ﷺ، فلمَّا أصبحوا ثاروا عليه، فلمَّا رأوا علياً ردَّ اللَّهُ مكرَهُمْ فقالوا: أينَ صاحبُك هذا، قال: لا أدري. فاقتَصُّوا أثَرَه، فلمَّا بلغوا الجبَلَ اختلطَ عليهم، فصعِدوا الجبل، فمرُّوا بالغارِ، فرأَوا على بابِهِ نسجَ العنكبوتِ فقالوا: لو دخلَ ههنا لم يكن نسج

الندوة وحضر معهم الشيطان على صورة شيخ نجدي. (**فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه**) بفتح همز وكسر موحدة، أي فاربطوه. (**بالوثاق**) بفتح أوله وهو ما يشد به. (**يريدون النبي ﷺ**) أي يعنونه بالضميرين البارز والمستتر. والأظهر أن المراد بإثباته به حبسه. (**وقال بعضهم: بل اقتلوه**) وحصلوا لكم منه الراحة (**وقال بعضهم: بل اخرجوه**) أي على وجه الإهانة: وقد أخبر الله سبحانه عنهم بقوله: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك**﴾ [الأنفال ـ ٣٠]. وذلك أنهم لما سمعوا بإسلام الأنصار ومتابعتهم خافوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ فقال: أنا من نجد سمعت اجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً. فقال أبو البختري: رأيي أن تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوّة تلقون إليه طعامه وشرابه منها حتى يموت. وقال الشيخ: بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم. فقال هشام بن عمرو: رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع. فقال: بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم. فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم، فإذا طلبوا العقل عقلناه. فقال: صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه. (**فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك**) أي بأن جاءه جبريل وأخبره بالخبر وأمره بالهجرة فبيت علياً كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار (**فبات علي رضي الله عنه على فراش النبي ﷺ**) أي للتعمية عنه في التخلية إذ كان رأي الكفار تقرر على أنهم يحرسونه في الليل ثم في الصبح يقتلونه كما يشير إليه قوله: (**تلك الليلة وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه**) بكسر السين وفتحها، أي يظنون علياً. (**النبي ﷺ فلما أصبحوا ثاروا**) بمثلثة بعدها ألف أي وثبوا (**عليه**) أي علي من على المرقد ظناً أنه النبي ﷺ (**فلما رأوا علياً**) أي مكانه (**رد الله مكرهم**) أي عليهم كما قال سبحانه: ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ [الأنفال ـ ٣٠]. (**فقالوا:**) أي لعلي (**أين**) أي ذهب (**صاحبك هذا**) أي المشار إليه ﷺ (**قال:**) أي علي من كمال عقله (**لا أدري**) وهو إما حقيقة أو تورية (**فاقتصوا**) بتشديد الصاد المهملة أي تتبعوا (**أثره**) أي آثار قدمه (**فلما بلغوا الجبل**) أي جبل ثور (**اختلط**) أي اشتبه أمر الأثر (**عليهم فصعدوا الجبل**) بكسر العين. ففي القاموس: صعد في السلم كسمع انتهى. فصعدوا الجبل، من باب دخلت الدار. أي فطلعوا عليه. (**فمروا بالغار**) أي بالكهف الذي فوق ذلك الجبل فظنوا أنه فيه (**فرأوا على بابه نسج**

العنكبوتِ على بابهِ، فمكثَ فيه ثلاثَ ليالٍ. رواه أحمد.

٥٩٣٥ ـ (٦٨) وعن أبي هريرة، قال: لما فُتحت خيبرُ أُهْدِيَتْ لرسول الله شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعُوا لي من كان هاهنا من اليهود». فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم مصدِّقي عنه؟». قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟». قالوا: فلان. قال: «كذبتم، بل أبوكم فلان». قالوا: صدقتَ وبررت. قال: «فهل أنتم مصدّقي عن شيء إن سألتكم عنه؟». قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناكَ عرفتَ كما عرفتَه في أبينا. فقال لهم: «مَنْ أَهْلُ النار؟». قالوا: نكونُ فيها يسيراً ثم تَخْلُفونا

العنكبوت) أي منسوجه (فقالوا: لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه) وقيل: لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه. وروي أن المشركين طلعوا فوق الغار بحيث لو نظروا إلى أقدامهم لرأوهما فأشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما. فأعماهم الله عن الغار، فجعلوا يترددون حوله فلم يروه. ولا منع من جمع الجمع. (فمكث) بضم الكاف وفتحه أي لبث (فيه ثلاث ليال) أي ثم توجه إلى المدينة (رواه أحمد).

٥٩٣٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم) بفتح السين وضمها وتكسر (فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي) أي لأجلي. وفي نسخة: إلي، أي منتهين إلي. أو اجعلوا مجتمعين عندي. (من كان ههنا) أي في هذا المكان (من اليهود فجمعوا إليه فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سائلكم عن شيء) أي أولاً (فهل أنتم مصدقي) بتشديد الدال والياء أي مصدقوني في الإخبار عنه أي ثانياً. قال بعض المحققين في أصل المالكي: صادقوني بالتحقيق. قال: كذا في ثلاثة مواضع في أكثر النسخ، فيدل على أن الأصل دخول نون الوقاية في الأسماء المعربة المضافة إلى ياء المتكلم لتقيها عن خفاء الإعراب. فلما منعوها ذلك صار الأصل متروكاً فنبهوا عليه في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل. (قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم) أي جدكم (قالوا: فلان) أي بطريق الكذب على وجه الامتحان (قال: كذبتم بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت) بكسر الراء أي أحسنت (قال: فهل أنتم مصدقي عن شيء إن سألتكم عنه) أي ثم أخبرتكم به (قالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبناك) أي في قولنا هذا (عرفت كما عرفته في أبينا فقال لهم: من أهل النار. قالوا: نكون فيها يسيراً) أي زماناً قليلاً كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ [البقرة ـ ٨٠]. (ثم تخلفونا) بضم اللام

الحديث رقم ٥٩٣٤: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٣٤٨.

الحديث رقم ٥٩٣٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧٢. حديث رقم ٣١٦٩. وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٧ حديث رقم ٦٩. وأحمد في المسند ٢/ ٤٥١.

فيها. قال رسول الله ﷺ: «اخسَؤوا فيها، واللّهِ لا نخلفكم فيها أبداً». ثم قال: «هل أنتم مصدّقي عن شيءٍ إن سألتكم عنه؟». فقالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟». قالوا: نعم. قال: «فما حملكم على ذلك؟». قالوا: أردنا إن كنتَ كاذباً أن نستريحَ منك، وإن كنتَ صادقاً لم يَضُرَّك. رواه البخاري.

٥٩٣٦ ـ (٦٩) وعن عمرو بن أخطَب الأنصاري، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ يوماً الفجرَ وصَعِدَ على المنبر فخطبنا، حتى حضرتِ الظهرُ، فنزل فصلّى، ثم صعِد المنبر، فخطبنا، حتى حضرتِ العصرُ، ثم نزل فصلى، ثم صعِد المنبر، حتى غربت الشمسُ، فأخبرنا بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة،

وتشديد النون وتخفف أي تعقبوننا (فيها) وهذا على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد أنه قول صدق وخبر حق (قال رسول الله ﷺ: اخسؤوا فيها) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿اخسؤوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون ـ ١٠٨]. وهو في الأصل زجر الكلب. فالمعنى: اسكتوا سكوت هوان فإنكم كاذبون في أخباركم. (والله لا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال: هل أنتم مصدقي في شيء إن سألكتم عنه. فقالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً. قالوا: نعم. قال: فما حملكم على ذلك. قالوا: أردنا إن كنت كاذباً) أي في دعوى رسالتك (أن نستريح منك وإن كنت صادقاً لم يضرك) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز ضمها. ولو روي بكسر الضاد وسكون الراء المخففة لجاز كما قرىء بالوجهين في قوله تعالى في آل عمران: ﴿لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ [آل عمران ـ ١٢٠]. في آل عمران. قال الطيبي في قوله: أن نستريح. مفعول لأردنا وجزاء الشرط المتوسط بين الفعل والمفعول محذوف لوجود القرينة، أي إن كنت كاذباً فنستريح منك وإن كنت صادقاً لم يضرك فننتفع بهدايتك. وحاصله: أردنا الامتحان، يعني: فإما أن نعلم أنك كاذب فنستريح منك وأما أن نعلم أنك نبي فنتبعك. وفيه أنه تبين من فحواهم أنهم كاذبون في دعواهم فثبت عليهم الحجة البالغة بظهور المعجزة السابغة. (رواه البخاري).

٥٩٣٦ ـ (وعن عمر بن أخطب الأنصاري) قال المؤلف: هو مشهور بكنيته أبي زيد غزا مع النبي ﷺ غزوات ومسح رأسه ودعا له بالجمال. فيقال: إنه بلغ مائة سنة ونيفاً وما في رأسه ولحيته إلا نبذة من شعر أبيض عداده في أهل البصرة روى عنه جماعة. (قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الفجر) أي صلاة الصبح (وصعد) بالكسر أي طلع (على المنبر فخطبنا) أي خطب لنا أو وعظنا (حتى حضرت الظهر) أي صلاة الظهر بدخول وقتها (فنزل فصلى ثم صعد المنبر) فيه إشعار بأنه قد يتعدى بنفسه (فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت) بفتح الراء أي غابت (الشمس فأخبرنا بما هو كائن إلى يوم القيامة) أي مجملاً أو

الحديث رقم ٥٩٣٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٧ حديث رقم ٢٨٩٢. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤١.

فأعلمُنا أحفظُنا. رواه مسلم.

٥٩٣٧ ـ (٧٠) وعن معن بن عبد الرحمٰن، قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقاً: من آذَنَ النبي ﷺ بالجنّ ليلةَ استمعُوا القُرآن؟ قال: حدَّثني أبوك ـ يعني عبد الله بن مسعود ـ أنه قال: آذنت بهم شجرةٌ. متفق عليه.

٥٩٣٨ ـ (٧١) وعن أنسٍ، قال: كنَّا مَع عُمر بينَ مكةَ والمدينةِ، فتراءينا الهلال، وكنتُ رجلاً حديد البصر، فرأيته وليس أحدٌ يزعم أنه رآه غيري، فجعلتُ أقولُ لعُمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه. قال: يقولُ عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي،

مفصلاً، ففيه الإعجاز أكثر. (قال:) أي عمرو (**فأعلمنا**) أي الآن (**أحفظنا**) أي يومئذ ذكره الطيبي. وقال السيد جمال الدين: الأولى أن يقال: أحفظنا الآن لتلك القصة أعلمنا أي الآن. (**رواه مسلم**).

٥٩٣٧ ـ (**وعن معن**) بفتح فسكون معدود في التابعين (**ابن عبد الرحمٰن**) أي ابن عبد الله ابن مسعود الهذلي (**قال:**) أي معن (**سمعت أبي**) أي عبد الرحمٰن ولم يذكره المؤلف في أسمائه (**قال: سألت مسروقاً**) وهو تابعي مشهور (**من آذن**) بالمد، أي من أعلم. (**النبي ﷺ بالجن**) أي بحضورهم (**ليلة**) بالتنوين ويجوز فتحها بناء على إضافتها إلى قوله: (**استمعوا القرآن**) بل قيل هو أفصح في قوله: ليلة أسري به. وكذا في يوم ولدته أمه، ومنه قوله تعالى: ﴿**يوم ينفع الصادقين**﴾ [المائدة ـ ١١٩]. عند جمهور القراء. (**فقال:**) أي مسروق لعبد الرحمٰن (**حدثني أبوك يعني عبد الله بن مسعود**) تفسير من بعض الرواة المتأخرين (**أنه**) أي ابن مسعود ولا يبعد رجع الضمير إليه ﷺ (**قال: آذنت**) بالمد أي أعلمت (**بهم شجرة. متفق عليه**).

٥٩٣٨ ـ (**وعن أنس قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال**) أي فطلبنا رؤيته (**وكنت رجلاً حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم أنه [رآه]**) أي الهلال (**غيري فجعلت أقول لعمر: أما تراه فجعل لا يراه**) قال الطيبي: كأنه اتباع لقوله: فجعلت أي طفقت أريه الهلال فهو لا يراه، فأقحم جعل مشاكلة كما أقحم. ﴿**فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب**﴾. تأكيداً لقوله: (**لا تحسبن الذين يفرحون**﴾ [آل عمران ـ ١٨٨]. انتهى ولا يبعد أن يقال: التقدير فجعل عمر يطالع في السماء حال كونه لا يراه. (**قال: يقول عمر:**) أي بعد عجزه عن رؤيته (**سأراه وأنا مستلق على فراشي**) الجملة حال من الفاعل أو المفعول. والمعنى: سأراه بلا مشقة وليس لي إلى رؤيته الآن حاجة. قال الطيبي: أي لا يهمني الآن رؤيته بتعب سأراه بعد من غير تعب.

الحديث رقم ٥٩٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٧١. حديث رقم ٣٨٥٩. ومسلم في صحيحه ١/ ٣٣٣ حديث رقم (١٥٣ . ٤٥٠).

الحديث رقم ٥٩٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٢ حديث رقم (٧٦ . ٢٨٧٣). وأخرجه النسائي في السنن ٤/ ١٠٩ حديث رقم ٢٠٧٤. وأحمد في المسند ١/ ٢٦.

ثم أَنشأ يحدِّثنا عن أهل بدرٍ قال: إِن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارعَ أهلِ بدرٍ بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلانٍ غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلانٍ غداً إن شاء الله». قال عمر: والذي بعثَه بالحقِّ ما أخطأوا الحدود التي حدَّها رسولُ الله ﷺ، قال: فجُعِلوا في بئرٍ، بعضُهم على بعض، فانطلق رسولُ اللّهِ حتى انتهى إليهم، فقال: «يا فلان بن فلان! ويا فلان بن فلان! هل وجدتم ما وعدكم اللّهُ ورسولُه حقاً؟ فإني قد وجدتُ ما وعدني الله حقّاً». فقال عمر: يا رسول الله! كيف تكلِّمُ أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال: «ما أنتم بأسمعَ لما أَقولُ منهم، غيرَ أنهم لا يستطيعون أن يَرُدُّوا عليَّ شيئاً». رواه مسلم.

٥٩٣٩ ـ (٧٢) وعن أُنَيسة بنت زيد بن أرقم، عن أبيها، أن

(ثم أنشأ) أي ابتدأ (عمر يحدثنا عن أهل بدر قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا) بضم فكسر أي يعلمنا (مصارع أهل بدر) أي مواضع طرحهم وصرعهم وهلاكهم (بالأمس) أي بأمس القضية لا الحكاية (يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله وهذا مصرع فلان أي غداً) كما في نسخة (إن شاء الله) يعني وهكذا إلى أن بين مصارع سبعين منهم (قال عمر: والذي بعثه) أي النبي ﷺ (بالحق) أي بالصدق (ما أخطأوا) أي ما تجاوزوا المذكور (الحدود التي حدها) أي المواضع التي بينها وعينها (رسول الله ﷺ) وفي نسخة السيد جمال الدين ما أخطأ بصيغة المتكلم من الثلاثي المجرد. فالمعنى: ما أغلطها بل أحفظها وأعرفها. هذا مبني على سقوط الواو عن رسم الكتابة وحينئذ يحتمل أن يكون على بناء الغائب المذكر المفرد، والضمير راجع إلى الله تعالى أو إلى النبي ﷺ والله سبحانه أعلم. (قال:) أي عمر (فجعلوا) بصيغة المجهول، أي فألقوا. (في بئر) أي مهجورة (بعضهم على بعض فانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان) بفتح النونين الأوليين وهما كنايتان عن العلمين. (ويا فلان بن فلان وهكذا) إلى أن نادى كلهم أو بعضهم أكثرهم أو أقلهم. (هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني قد وجدت ما وعدني الله حقاً) وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾ [الأعراف ـ ٤٤]. فهؤلاء أيضاً لا بد أنهم قالوا نعم إما بلسان القال أو ببيان الحال. (فقال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها) أي بظاهرها أو بكمالها (فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) متعلق بأسمع. والمعنى: لستم بأقوى أو أكثر سماعاً منهم لما أقوله لهم. (غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً) أي من الجواب مطلقاً أو بحيث إنكم تسمعون (رواه مسلم).

٥٩٣٩ ـ (وعن أنيسة) تصغير أنيسة كجليسة (بنت زيد بن أرقم) لم يذكرها المؤلف في أسمائه (عن أبيها) قال المؤلف: يكنى أبا عمرو الأنصاري الخزرجي يعد في الكوفيين سكنها ومات بها سنة ثمان وسبعين وهو ابن خمس وثمانين سنة روى عنه عطاء بن يسار وغيره (أن

الحديث رقم ٥٩٣٩: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤٧٩.

النبيّ ﷺ دَخلَ على زيدٍ يعودُه من مرضٍ كان به، قال: «ليس عليك من مرضك بأسٌ، ولكن كيف لك إذا عُمّرتَ بعدي فعَمِيتَ؟». قال: أَحتسبُ وأصبرُ. قال: «إذاً تدخلُ الجنةَ بغيرِ حساب». قال: فعميَ بعد ما مات النبيُّ ﷺ، ثم ردَّ اللّهُ عليه بصره ثم مات.

٥٩٤٠ ـ (٧٣) وعن أُسامةَ بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تَقَوّلَ عَلَيَّ ما لم أَقُلْ فليتبوَّأْ مقعده من النار». وذلك أنه بَعَثَ رجلاً، فكذب عليه، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فوُجد ميّتاً، وقد انشقَّ بطنه، ولم تقبله الأرض. رواهما البيهقي في «دلائل النبوة».

٥٩٤١ ـ (٧٤) وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ جاءه رجلٌ يستطعمُه، فأطعمه شطر وسق شعير،

النبي ﷺ دخل على زيد) يعني نفسه إما على التجريد أو بنوع الالتفات أو بتصرف الرواة **(يعوده من مرض كان به قال: ليس عليك من مرضك بأس ولكن كيف لك)** أي حالاً ومآلاً **(إذا عمرت)** بتشديد الميم المكسورة أي طال عمرك **(بعدي فعميت)** بكسر الميم، أي فصرت أعمى **(قال أحتسب)** أي أطلب الثواب **(وأصبر)** أي على حكم رب الأرباب **(قال: إذاً)** بالتنوين وفي نسخة إذا **(تدخل الجنة بغير حساب)** وفي نسخة الجزري بالرفع، ولعل وجهه أن تدخل بمعنى تستحق دخولها بغير محاسبة **(قال:)** أي الشخص الراوي سواء كان أنيسة أو غيرها **(فعمي بعد ما مات النبي ﷺ ثم رد الله عليه بصره ثم مات)** ولعله ﷺ لم يذكر له رد بصره ليكون مشقة صبره أكثر وأجره المرتب عليه أكبر ثم حصل له النصر مع الصبر.

٥٩٤٠ ـ **(وعن أسامة بن زيد)** صحابيان جليلان **(قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ تقول)** بتشديد الواو أي من كذب وافترى **(على ما لم أقل)** أي متعمداً كما في رواية **(فليتبوأ مقعده من النار)** وهذا القدر[1] من الحديث كاد أن يكون متواتراً في المعنى كما بيناه في موضعه. **(وذلك)** أي وسبب ورود هذا الحديث **(أنه)** أي النبي ﷺ **(بعث رجلاً)** أي إلى قوم أو إلى أحد **(فكذب عليه)** أي على النبي ﷺ وانكشف له بنور النبوّة أو بلغة خبره. **(فدعا عليه رسول الله ﷺ فوجد ميتاً وقد انشق بطنه ولم تقبله الأرض)** وهذا يؤيد قول الجويني أن المفتري على النبي ﷺ عمداً كافر. **(رواهما)** أي الحديثين السابقين **(البيهقي في دلائل النبوّة)**.

٥٩٤١ ـ **(وعن جابر أن رسول الله ﷺ جاءه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير)** أي نصف وسق وهو ستون صاعاً، أو حمل بعير. ويحتمل أن يراد بالشطر البعض فإنه بعض معانيه كما في قوله تعالى: ﴿**فولوا وجوهكم شطره**﴾ [البقرة ـ ١٤٤]. وهو أنسب بالمقام لدلالته

الحديث رقم ٥٩٤٠: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٤٥.

(١) في المخطوطة «المقدار».

الحديث رقم ٥٩٤١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٤ حديث رقم ٣/ ٢٢٨١. وأحمد في المسند ٣/ ٣٣٧.

فما زال الرجل يأكل منه وامرأتهُ وضيفهما حتى كالَهُ، ففني، فأتى النبيُّ ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم». رواه مسلم.

٥٩٤٢ ـ (٧٥) وعن عاصم بن كُلَيبٍ، عن أبيه، عن رجل من الأنصار، قال: خرجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في جنازةٍ، فرأيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ وهو على القبر يوصي الحافر يقول: «أوسعْ من قبَل رجليه، أوسع من قِبَل رأسه». فلمَّا رجع استقبله داعي امرأته، فأجاب ونحن معه، فجيء بالطعام، فوضع يده، ثم وضع القومُ، فأكلوا،

بالأغلبية على المرام وقد سبق تحقيقه في حديث: «الطهور شطر الإيمان»[١]. **(فما زال الرجل يأكل منه وامرأته)** بالرفع أي وتأكل هي أيضاً منه **(وضيفهما)** أي من الرجال والنساء كذلك، وهو يطلق على المفرد والجمع. **(حتى كاله)** أي الرجل بقية المأكول **(ففني)** أي نفد سريعاً **(فأتى النبي ﷺ)** أي فذكر له أو لم يذكر **(فقال: لو لم تكله لأكلتم)** أي أنت وامرأتك وأضيافكما **(ولقام لكم)** أي على وجه الدوام ببركة النبي ﷺ **(رواه مسلم)**.

٥٩٤٢ ـ **(وعن عاصم بن كليب)** بالتصغير قال المؤلف في فضل التابعين: هو الجرمي الكوفي سمع أباه وغيره ومنه الثوري وشعبة وحديثه في الصلاة والحج والجهاد انتهى. وكان حقه أن يقول: وفي المعجزات. **(عن أبيه)** لم يذكره المؤلف في أسمائه **(عن رجل من الأنصار قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة)** بكسر الجيم وفتحها **(فرأيت رسول الله ﷺ وهو على القبر)** أي طرفه والجملة حال **(يوصي الحافر)** بتخفيف الصاد وتشدد حال أخرى **(يقول:)** بيان أو بدل **(أوسع)** أمر مخاطب للحافر **(من قبل رجليه)** بكسر القاف وفتح الباء أي من جانبهما **(أوسع من قبل رأسه فلما رجع)** أي عن المقبرة **(استقبله داعي امرأته)** أي زوجة المتوفى **(فأجاب ونحن معه فجيء بالطعام فوضع يده)** أي فيه **(ثم وضع القوم)** أي أيديهم **(فأكلوا)** هذا الحديث بظاهره يرد على ما قرره أصحاب مذهبنا من أنه يكره اتخاذ الطعام في اليوم الأول أو الثالث أو بعد الأسبوع كما في البزازية. وذكر في الخلاصة أنه لا يباح اتخاذ الضيافة عند ثلاثة أيام. وقال الزيلعي: ولا بأس بالجلوس للمصيبة إلى ثلاث من غير ارتكاب محظور من فرش البسط والأطعمة من أهل الميت. وقال ابن الهمام: يكره اتخاذ الضيافة من أهل الميت، والكل عللوه بأنه شرع في السرور لا في الشرور. قال: وهي بدعة مستقبحة. روى الإمام أحمد وابن حبان بإسناد صحيح عن جرير بن عبد الله قال: «كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعهم الطعام من النياحة»[٢] انتهى. فينبغي أن يقيد كلامهم بنوع خاص من اجتماع يوجب استحياء أهل بيت الميت فيطعمونهم كرهاً، أو يحمل على كون بعض الورثة صغيراً أو غائباً أو لم يعرف رضاه أو لم يكن الطعام من عند أحد معين من مال نفسه لا من مال الميت قبل قسمته

---

(١) وهذا الحديث رقم ٢٨١.

الحديث رقم ٥٩٤٢: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٦٢٧ حديث رقم ٣٣٣٢.

(٢) أحمد في المسند ٢/ ٢٠٤.

فنظرنا إلى رسول الله ﷺ يلوكُ لُقمةً في فيه. ثم قال: «أجدُ لحم شاةٍ أُخِذَتْ بغيرِ إذنِ أهلها». فأرسلت المرأة تقولُ: يا رسول الله! إني أرسلت إلى النقيع ـ وهو موضعٌ يباع فيه الغنم ـ ليشتري لي شاةً، فلم توجدْ، فأرسلتُ إلى جارٍ لي قد اشترى شاةً أن يُرسِلَ بها إليَّ بثمنها، فلم يوجَدْ، فأرسلتُ إلى امرأته، فأرسلت إليَّ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أطعِمي هذا الطعام الأسرى». رواه أبو داود، والبيهقي في «دلائل النبوة».

٥٩٤٣ ـ (٧٦) وعن حِزام بن هشام، عن أبيه، عن جده عن حُبَيش بن خالد ـ

ونحو ذلك. وعليه يحمل قول قاضي خان: يكره اتخاذ الضيافة في أيام المصيبة لأنها أيام تأسف فلا يليق بها ما يكون للسرور، وإن اتخذ طعاماً للفقراء كان حسناً وأما الوصية باتخاذ الطعام بعد موته ليطعم الناس ثلاثة أيام فباطلة على الأصح. وقيل: يجوز ذلك من الثلث وهو الأظهر. (**فنظرنا رسول الله**(١) ﷺ) أي إلى رسول الله كما في نسخة (**يلوك لقمة في فيه**) أي يلقيها من فمه إلى جانب آخر. ففي النهاية: اللوك إدارة الشيء في الفم (**ثم قال: أجد لحم شاة أخذت**) وفي نسخة اتخذت (**بغير إذن أهلها فأرسلت المرأة تقول: يا رسول الله إني أرسلت إلى النقيع**) بالنون (**وهو موضع يباع فيه الغنم**) أي تفسير مدرج من بعض الرواة. وفي المقدمة النقيع موضع بشرق المدينة، وقال في التهذيب: هو في صدر وادي العقيق على نحو عشرين ميلاً من المدينة. قال الخطابي: أخطأ من قال بالموحدة. والجملة معترضة بين الفعل، وهو قولها: أرسلت. وبين متعلقه وهو قولها: (**ليشتري لي شاة**) بصيغة المجهول (**فلم توجد فأرسلت إلى جار لي قد اشترى شاة أن يرسل**) أي بأن يرسل الجار (**بها**) أي بالشاة المشتراة لنفسه (**إلي بثمنها**) أي الذي اشتراها به (**فلم يوجد**) أي الجار (**فأرسلت إلى امرأته فأرسلت**) أي المرأة (**إلي بها**) أي بالشاة فظهر أن شراءها غير صحيح لأن إذن جارها ورضاه غير صحيح وهو يقارب بيع الفضولي المتوقف على إجازة صاحبه: وعلى كل فالشبهة قوية والمباشرة غير مرضية. (**فقال رسول الله ﷺ: أطعمي هذا الطعام الأسرى**) جمع أسير والغالب أنه فقير وقال الطيبي: وهم كفار وذلك أنه لما لم يوجد صاحب الشاة ليستحلوا منه، وكان الطعام في صدد الفساد ولم يكن بد من إطعام هؤلاء، [فأمر] بإطعامهم انتهى. وقد لزمها قيمة الشاة بإتلافها ووقع هذا تصدقاً عنها. (**رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوّة**) متعلق بروي المقدر فتدبر.

٥٩٤٣ ـ (**وعن حزام**) بكسر حاء مهملة فزاي (**ابن هشام عن أبيه**) أي هشام ولم يذكرهما المؤلف في أسمائه (**عن جده حبيش**) بضم حاء مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية فشين معجمة. وفي نسخة بخاء معجمة فنون ثم سين مهملة والأول أصح على ما في جامع الأصول، واقتصر عليه المصنف. (**ابن خالد**) قال المؤلف: حبيش بن خالد الخزاعي قتل يوم فتح مكة

---

(١) في المخطوطة «الرسول الله» وفي سنن أبي داود بدون «إلى» أو «ل».

الحديث رقم ٥٩٤٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٦١ حديث رقم ٣٧٠٤.

وهو أخو أمِّ مَعْبَد ـ أنَّ رسول الله ﷺ حين أُخرجَ من مكةَ خرج مهاجراً إلى المدينةِ، هو وأبو بكر، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلُهما عبد الله اللَّيثي، مرُّوا على خَيْمَتي أم معبد، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يُصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القومُ مُرملين مُسْنِتين، فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلى شاةٍ في كَسْر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاةُ يا أم معبد؟» قالت: شاةٌ خَلَّفَها الجهدُ عن الغنم. قال: «هل بها من لبن» قالت: هي أجهدُ من ذلك. قال: «أتأذَنين لي أن أحلبَها؟» قال: بأبي أنت وأمّي إن رأيتَ بها حَلباً فاحلبها. فدعا رسول الله ﷺ فمسَحَ بيده ضَرعها، وسمَّى الله تعالى، ودعا لها في شاتها، فتفاجَّت عليه، ودرت

مع خالد بن الوليد روى عنه ابنه هشام (**وهو**) أي حبيش (**أخو أم معبد**) أي الخزاعية وهي عاتكة بنت خالد يقال إنها أسلمت لما نزل عليها النبي ﷺ في مهاجرته إلى المدينة. ويقال إنها قدمت المدينة فأسلمت، والحديث المعروف بحديث أم معبد مشهور ذكره المؤلف. (**أن رسول الله ﷺ حين أخرج**) بصيغة المفعول أي أمر بالخروج (**من مكة**) أو صار أهل مكة سبب خروجه إذ لم يقع إخراج إهانة كما يشير إليه قوله: (**خرج**) أي باختياره (**مهاجراً**) أي من مكة لكفر أهلها (**إلى المدينة**) أي وأهلها من الأنصار ومن انضم إليهم من المهاجرين الكبار (**هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة**) بضم فاء وفتح هاء، ولم يذكره المؤلف. (**ودليلهما**) أي مرشد النبي والصديق في الطريق (**عبد الله الليثي**) هو مولى أبي بكر الصديق هاجر معهما إلى المدينة وكان قد أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم. كذا ذكره بعضهم، ولم يذكره المؤلف. (**مروا على خيمتي أم معبد**) بلفظ التثنية مضافاً (**فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها فلم يصيبوا**) أي لم يصادفوا (**عندها شيئاً من ذلك**) أي مما ذكر من اللحم والتمر أو من جنس المأكول (**وكان القوم مرملين**) أي فاقدين الزاد. في شرح السنة: المرمل من نفد زاده؛ يقال: أرمل الرجل إذا ذهب طعامه. (**مستتين**) أي أصابهم القحط. يقال: أسنت الرجل فهو مسنت (**فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة**) بفتح الكاف وسكون السين وبكسر أوله أي جانبها. قال الطيبي: كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها جانب الخيمة. وفي القاموس: الكسر جانب البيت والشقة السفلى من الخباء، أو ما يكسر ويثني على الأرض منها والناحية ويكسر. (**فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد. قالت: شاة خلفها**) بتشديد اللام أي تركها (**الجهد**) بضم الجيم ويفتح أي الهزال (**عن الغنم**) أي متخلفة عنها (**قال: هل بها من لبن**) أي بعضه (**قالت: هي أجهد من ذلك**) والمعنى ليس فيها لبن أصلاً (**قال: أتأذنين لي أن أحلبها**) من باب نصر على ما في المصباح: وفي القاموس: الحلب ويحرك استخراج ما في الضرع من اللبن يحلِب ويحلُب. وفي النهاية: حلبت الشاة والناقة أحلبها حلباً بفتح اللام. (**قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً**) بفتحتين ويسكن اللام أي لبناً محلوباً (**فاحلبها**) قال صاحب المصباح: الحلب محركة يطلق على المصدر وعلى اللبن المحلوب (**فدعا بها رسول الله ﷺ**) أي طلبها (**فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها**) أي لأم معبد (**في شاتها**) أي في شاتها كما في نسخة أي في حقها (**فتفاجت عليه**) بتشديد الجيم أي فتحت ما بين رجليها للحلب (**ودرت**) بتشديد الراء، أي أرسلت الدر

واجترَّت، فدعا بإناءٍ يُربضُ الرهطَ، فحَلَب فيه ثجّاً، حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رَوِيَتْ، وسقى أصحابه حتى رَوُوا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه ثانياً بعد بَدْءٍ، حتى ملأ الإِناءَ، ثم غادره عندها، وبايعها، وارتحلوا عنها. رواه في «شرح السنَّة» وابن عبد البرِّ في «الاستيعاب» وابن الجوزي في كتاب «الوفاء» وفي الحديث قصَّةٌ.

بالفتح وهو اللبن. (واجترت) بالراء المشددة. قال الطيبي: الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه (فدعا بإناء يربض الرهط) بضم الياء وكسر الموحدة، أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض في المكان إذا لصق به وأقام[١] ملازماً له (فحلب فيه) أي في الإِناء (ثجاً) أي حلباً ذا سيلان، (حتى علاه) أي ظهر على الإِناء (البهاء) أي بهاء اللبن وهو بفتح الباء رغوته وهي بفتح الراء وضمها وحكي كسرها الزبد يعلو الشيء عند غليانه. (ثم سقاها) أي أم معبد (حتى رويت) ولعل الابتداء بها كرامة لها ولكونها صاحبة الشاة وترغيباً إلى إسلامها (وسقى أصحابه) أي بعدها (حتى رووا) بضم الواو (ثم شرب آخرهم) أي في آخرهم لقوله: ساقي القوام آخرهم شرباً. (ثم حلب فيه ثانياً بعد بدء) بفتح فسكون، أي بعد ابتداء بلا مكث. (حتى ملأ الإِناء ثم غادره) أي تركه (عندها) أي معجزة تريها[٢] زوجها (وبايعها) أي النبي ﷺ (على الإِسلام وارتحلوا عنها. رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده (وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الجوزي في كتاب الوفاء. وفي الحديث قصة) أي طويلة وهي أنه لما ارتحل النبي ﷺ جاء أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً ورأى في البيت لبناً فقال: من أين هذا، فقالت: مر بنا رجل مبارك. وذكرت من وصف النبي ﷺ ونعته بعبارة فصيحة فقال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتديت به * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجاري وسؤدد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها * فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
فغادرها رهناً لديها لحالب * ترددها في مصدر ثم مورد

قال محيي السنة الصوت الذي سمعوا بمكة صوت بعض مسلمي الجن أقبل من أسفل مكة والناس يتبعونه [و] يسمعون الصوت وما يرونه حتى صرخ بأعلى مكة قالت أسماء: فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهه إلى المدينة. وقال ابن عبد البر: فلما بلغ

---

(١) في المخطوطة «وقام». (٢) في المخطوطة «يريها».

(٨) باب الكرامات

حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسري إليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم وهادية كل مهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وإن قال في يوم مقالة غائب * فتصديقه في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتها * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

(باب الكرامات)

الكرامات جمع كرامة وهي اسم من الإكرام والتكريم وهي فعل خارق للعادة غير مقرون بالتحدي، وقد اعترف بها أهل السنة وأنكرها المعتزلة. واحتج أهل السنة بحدوث الحبل لمريم من غير فحل وحصول الرزق عندها من غير سبب ظاهر. وأيضاً ففي قصة أصحاب الكهف في الغار ثلثمائة سنة وأزيد في النوم أحياء من غير آفة، دليل ظاهر. وكذا في إحضار آصف بن برخيا عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف حجة واضحة. وأما المعتزلة فتعلقوا بأنه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي لخرج الخارق عن كونه دليلاً على النبوة. وأجيب بأنه تمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة وعدم اشتراطها في الكرامة، بل في الحقيقة كرامة كل ولي معجزة لنبيه لدلالتها على حقية متبوعة. وأما قول ابن الملك: وبقدرة[١] الأنبياء عليها متى أرادوها[٢] ليسهل عليهم تمهيد الأديان والشرائع ففيه نظر ظاهر.

(١) في المخطوطة «لقدرة».

(٢) في المخطوطة من «أراوه».

الفصل الأول

٥٩٤٤ ـ (١) عن أَنس، أن أُسيد بن حُضير وعباد بن بشر تحدَّثا عند النبيِّ ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة، في ليلة شديدة الظلمة، ثمَّ خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان، وبيد كلّ واحد منهما عُصَيَّةٌ، فأضاءت عصى أحدِهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إِذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كلُّ واحدٍ منهما في ضَوْءِ عصاه حتى بلغ أهله. رواه البخاري.

(الفصل الأوّل)

٥٩٤٤ ـ **(عن أنس رضي الله عنه أن أسيد بن حضير)** بالتصغير فيهما قال المؤلف: أنصاري أوسي كان ممن شهد العقبة وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وروى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع. **(وعباد)** بفتح العين وتشديد الموحدة **(ابن بشر)** بكسر فسكون، أنصاري أسلم بالمدينة قبل إسلام سعد بن معاذ شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان من فضلاء الصحابة. روى عنه أنس بن مالك وعبد الرحمٰن بن ثابت وقتل يوم اليمامة وله خمس وأربعون سنة. **(تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب ساعة من الليل)** [أي طويلة] **(في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا)** أي انصرفا **(من عند رسول الله ﷺ ينقلبان)** أي حال كونهما يرجعان **(إلى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية)** تصغير عصاة **(فأضاءت عصاة أحدهما لهما)** والأظهر أن يكون هو أسبقهما إسلاماً وهو المقدم ذكراً **(حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ)** أي وصل كل واحد **(أهله. رواه البخاري)**. قال ميرك: ليس الحديث في البخاري بهذا اللفظ، بل فيه عن أنس أن رجلين كانا من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين أيديهما. فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله. أخرجه في آخر باب علامات النبوة في الإسلام وأخرج في كتاب مناقب الأنصار في باب مناقب أسيد بن حضير وعباد بن بشر بلفظ: إن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة فإذا نور بين أيديهما حتى افترقا فافترق النور معهما. وقال معمر عن ثابت عن أنس: إن أسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار. وقال حماد: أخبرنا ثابت عن أنس قال: كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي

الحديث رقم ٥٩٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٢٤. حديث رقم ٣٨٠٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٧.

٥٩٤٥ ـ (٢) وعن جابر، قال: لما حضرَ أُحُدٌ دعاني أبي من اللَّيل، فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أوَّل من يُقتل من أصحاب النبيِّ ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منك غيرَ نفس رسولِ الله ﷺ، وإنَّ عليَّ ديناً فاقضِ، واستوص بأخواتك خيراً. فأصبحنا فكان أوَّلَ قتيلٍ، ودفنتُه مع آخرَ في قبرٍ. رواه البخاري.

٥٩٤٦ ـ (٣) وعن عبد الرَّحمن بن أبي بكر، قال: إن أصحاب الصفَّة كانوا أُناساً فقراءَ،

ﷺ، هذا ما في صحيح البخاري وقد رواه محيي السنة في شرح السنة من طريق البخاري باللفظ الأول، ثم رواه بإسناد آخر باللفظ الذي أورده صاحب المشكاة فتأمل. ويفهم من كلام الشيخ ابن حجر العسقلاني أن اللفظ الذي أورده المصابيح والمشكاة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه(١) من طريق الإسماعيلي في مستخرجه، ورواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه(٢) [بنحوه] والله أعلم.

٥٩٤٥ ـ **(وعن جابر قال: لما حضر أحد)** أي حربه **(دعاني أبي من الليل)** أي في بعض من الليل **(فقال: ما أراني)** بضم الهمز أي ما أحسبني **(إلا مقتولاً في أوّل من يقتل)** أي في أوّل جمع يقتلون **(من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ)** أي فإنه أعز علي حتى من نفسي **(وإن علي ديناً)** أي كثيراً **(فاقض)** أي سريعاً **(واستوص بأخواتك)** أي اقبل وصيتي فيهن وهن كن تسعاً. ثم انتصاب قوله: **(خيراً)** على المصدر أي استيصاء خير[اً]. وقيل: التقدير، اقبل وصيتي بالخير في شأنهن. **(فأصبحنا فكان)** أي أبي **(أوّل من قتل ودفنته مع آخر)** وهو عمرو بن الجموح(٣) وكان صديق والد جابر وزوج أخته. **(في قبر)** قال ابن الملك: فيه دليل على جواز دفن الاثنين في قبر واحد انتهى. والظاهر أن محله إذا كان ضرورة **(رواه البخاري)**.

٥٩٤٦ ـ **(وعن عبد الرحمٰن بن أبي بكر)** ذكره المؤلف في التابعين وقال: روى عنه ابنه محمد، وقال ابن الملك: أسلم تمام الحديبية وكان أسن أولاد أبي بكر وكان اسمه عبد الكعبة، فسماه النبي ﷺ انتهى. وهو الظاهر من الحديث كما لا يخفى **(قال: إن أصحاب الصفة كانوا أناساً)** أي جماعة **(فقراء)** أي من أصحاب النبي ﷺ ثم مشاهيرهم على ما ذكره

---

(١) عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٢٨٠ حديث رقم ٢٠٥٤١.

(٢) أحمد في المسند ٣/ ٢٧٢ والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٨٨.

الحديث رقم ٥٩٤٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢١٤٠. حديث رقم ١٣٥١.

(٣) في المخطوطة «عم الجوع».

الحديث رقم ٥٩٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٨٧. حديث رقم ٣٥٨١. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٦٢٧ حديث رقم (١٧٦ ـ ٢٠٥٧). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢٣٥. حديث رقم ١٨٢٠. وابن ماجه ٢/ ١٠٨٤ حديث رقم ٣٢٥٥ والدارمي في السنن ٢/ ١٣٦ حديث رقم ٢٠٤٤. وأحمد في المسند ١/ ١٩٨.

وإن النبيَّ ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعامُ أربعةٍ فلْيَذهَبْ بخامسٍ أو سادسٍ» وإنَّ أبا بكرٍ جاء بثلاثة وانطلقَ النبيّ ﷺ بعشرة، وإن أبا بكر تعَشَّى عند النبيّ ﷺ ثم لبث حتى صُلِّيَتِ العشاء، ثم رجع فلبث حتى تَعَشَّى النبي ﷺ، فجاء بعد ما مضى من اللّيل ما شاء الله.

الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء، أبو ذر الغفاري عمار بن ياسر، سلمان الفارسي صهيب، بلال، أبو هريرة، خباب بن الأرت، حذيفة بن اليمان أبو سعيد الخدري بشير ابن الخصاصية[1]، أبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ وغيرهم. وفيهم نزل قوله تعالى: **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾** [الكهف ـ ٢٨]. وكانت الصفة في المسجد مسقفة بجريد النخل، وكان هؤلاء الفقراء يستوطنون تلك السقيفة ويبيتون فيها فنسبوا إليها. وكان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريفاً ينزل على عريفه، وإن لم يكن له بها عريف ينزل الصفة. **(وإن النبي ﷺ قال:)** أي يوماً **(من كان عنده طعام اثنين)** أي من عياله **(فليذهب بثالث)** أي من هؤلاء الفقراء أصحاب الصفة قال الطيبي: وهذا هو الصحيح. وفي أكثر نسخ المصابيح بثلاثة، وهو غير صحيح رواية ومعنى. **(ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس)** أي إن لم يكن عنده ما يقتضي أكثر من ذلك **(أو سادس)** أي إن اقتضاه. فأو للتنويع أو للتخيير. ويحتمل أن تكون للشك، أو بمعنى بل لمبالغة في باب الضيافة، على أن مقتضى من كان عنده طعام اثنين أن يذهب بثالث، أن من يكون عنده طعام أربعة أن يذهب باثنين. بل روى أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن جابر مرفوعاً: طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية[2]. **(وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي ﷺ بعشرة)** قال ابن حجر: عبر عن أبي بكر بلفظ المجيء لبعد منزله من المسجد وعبر عن النبي ﷺ بالانطلاق لقربه انتهى. ولا دلالة في الحديث على ما ذكره بل مقتضاه العكس كما لا يخفى. فالأولى أن يقال: إنما عبر عنه بالمجيء لأن الراوي هو ابنه وهو من أهل البيت فكأنه قال: جاءنا بثلاثة، وذهب النبي ﷺ بعشرة. **(وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ)** ﷺ، أي أكل العشاء بالفتح وهو طعام الليل في بيته ﷺ أو مع أضيافه[3]، أو بانفراده عند بنته. **(ثم لبث)** أي مكث أبو بكر بعد تعشيه فيما بين العشاءين **(حتى صليت)** بصيغة المجهول، أي أديت معه عليه السلام **(العشاء)** بكسر العين أي صلاة العشاء **(ثم رجع)** أي إلى بيته عليه السلام **(فلبث حتى تعشى النبي ﷺ)** أي وحده أو مع أضيافه في بيت عائشة أو غيرها. وإنما رجع معه اغتناماً لرؤيته واهتماماً لصحبته، مع احتمال أنه أعاد الأكل في حضرته. **(فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله)** وفي رواية: ثم ركع بدل رجع، أي صلى النافلة. وفي أخرى: حتى نعس، أي تأخر عند النبي ﷺ حتى نعس النبي ﷺ وقام[4] لينام فرجع إلى بيته. قال الكرماني: إن قلت:

---

(١) في المخطوطة «الخصاصة» والصواب «الخصاصية» كذا في «الإصابة».

(٢) أحمد في المسند ٣/ ٣٠١ ومسلم ٣/ ١٦٣٠ حديث رقم ٢٠٥٩. والترمذي تعليقاً ٤/ ٢٣٦.

(٣) في المخطوطة «أضافته». (٤) في المخطوطة «قال».

قالت له امرأته: ما حبَسك عن أضيافك؟ قال: أو ما عشَّيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجيءَ، فغَضِبَ وقال: والله لا أَطْعَمُهُ أبداً، فحلفت المرأة أن لا تَطْعَمَه، وحلف الأضيافُ أن لا يَطْعَمُوه. قال أبو بكر: كان هذا من الشيطان، فدعا بالطعام، فأكل وأكلوا، فجعلوا لا يرفعون لقمةً إلا ربَتْ من أسفلِها أكثر منها. فقال لامرأته: يا أختَ بني فراسٍ!

هذا يشعر بأن التعشي عند النبي ﷺ كان بعد الرجوع إليه، وما تقدم أشعر بأنه كان قبله. قلت: الأول بيان حال أبي بكر في عدم احتياجه إلى طعام عند أهله، والثاني هو سوق القصة على الترتيب الواقع. أو الأول كان تعشي أبي بكر والثاني تعشي النبي ﷺ انتهى. والحاصل أن أبا بكر لما أبطأ في رجوعه إلى بيته **(قالت له امرأته: ما حبسك)** [أي منعك] **(عن أضيافك)** أي عن الحضور معهم **(قال: أو ما عشيتيهم)** بتشديد الشين وإشباع كسرة التاء إلى تولد الياء وهو من التعشية وهي إعطاء العشاء. والمعنى: أقصرت في خدمتهم وما أطعمتيهم عشاءهم **(قالت: أبوا)** أي امتنعوا من الأكل **(حتى تجيء)** أي تحضر معهم وتشاركهم في أكلهم **(فغضب)** أي على أهله لظن أنهم قصروا في الإلحاح والمبالغة، أو على نفسه حيث غفل عن هذا المبنى وذهل عن هذا المعنى. **(وقال:)** وفي نسخة: فقال. **(والله لا أطعم)** بفتح الهمز والعين أي لا آكل الطعام **(أبداً فحلفت المرأة أن لا تطعمه)** أي أبداً كما في نسخة **(وحلف الأضياف أن لا يطعموه)** أي لا يأكلوه منفردين أو مطلقاً **(قال أبو بكر: كان هذا)** أي الحلف **(من الشيطان)** أي من إغوائه **(فدعا بالطعام فأكل وأكلوا)** قال الكرماني: إن قلت: كيف جاز له خلاف اليمين، قلنا لأنه إتيان بالأفضل. لخبر «من حلف على يمين فرأى غيرها [خيراً] منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»(١). أو كان مراده لا أطعمه معكم أو في هذه الساعة أو عند الغضب. وهذا مبني على أنه هل يقبل التقييد إذا كانت الألفاظ عامة، وعلى أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب انتهى. ولا يخفى ضعف هذه الوجوه الأخيرة لا سيما مع لفظ التأبيد. **(فجعلوا)** أي أبو بكر وأضيافه **(لا يرفعون لقمة)** أي من الصحفة إلى أفواههم **(إلا ربت)** أي زادت اللقمة وارتفعت **(من أسفلها)** أي من الموضع الذي أخذت منه **(أكثر منها)** أي من تلك اللقمة وضبط أكثر بالنصب في أكثر النسخ، وفي نسخة بالرفع. قال الطيبي: أي ارتفع الطعام من أسفل القصعة ارتفاعاً أكثر انتهى. وفيه تنبيه على أن أكثر منصوب على أنه صفة لمفعول مطلق محذوف، فوجه الرفع أن يكون التقدير إلا ربت لقمة هي أكثر منها ثم قال: إسناد ربت إلى القصعة مجازي. أقول: وكونه مجازاً لأن الارتفاع إنما هو بالنسبة إلى ما في القصعة من طعامها لا إلى القصعة ذاتها، لكن الأظهر أن الإسناد إلى اللقمة على سبيل البدلية. **(فقال لامرأته:)** وهي أم رومان أم عبد الرحمٰن وأم عائشة من بني فراس بن تميم بن مالك بن النضر ابن كنانة، والمنتمون إلى النضر بن كنانة كلهم قريش ذكره التوربشتي. **(يا أخت بني فراس)**

---

(١) مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٧٣ حديث رقم (١٧ . ١٦٥١) وكذلك الترمذي وأحمد.

ما هذا؟ قالت: وقُرَّةَ عيني إِنَّها الآن لأكثرُ منها قبل ذلك بثلاث مرارٍ، فأكلوا، وبعث بها إلى النبي ﷺ فذُكِرَ أنه أكل منها. متفق عليه.

وذكر حديث عبد الله بن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام في «المعجزات».

الفصل الثاني

٥٩٤٧ ـ (٤) عن عائشة قالت: لما ماتَ النجاشي كنَّا نتحدَّث أنه لا يزال يُرى على قبره نور. رواه أبو داود.

٥٩٤٨ ـ (٥) وعنها، قالت: لما أرادوا غَسْل

بكسر الفاء **(ما هذا)** أي الأمر العجيب والشأن الغريب **(قالت: وقرة عيني)** بالجر وفي نسخة بالنصب ولعلها على نزع الخافض. وقال ابن الملك: بالجر والواو للقسم، وبالنصب منادى حذف حرف ندائه انتهى. وفيه نظر من وجوه كما لا يخفى. وقال بعض المحققين: قرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان لأن عينه قرت وسكنت لحصول غرضها، فلا تستشرف لشيء آخر. وقيل: مأخوذ من القر أي البرد، ولذا قيل دمعة السرور باردة، وإنما حلفت أم رومان بذلك لما وقع عندها من السرور بالكرامة التي حصلت لهم ببركة الصديق. وزعم بعضهم أن المراد بقرة عينها النبي ﷺ **(إنها)** أي القصعة والمراد ما فيها **(الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار)** بكسر الميم أي مرات **(فأكلوا وبعث)** أي الصديق **(بها)** أي بالقصعة أو ببعض ما فيها **(إلى النبي ﷺ فذكر)** بصيغة المجهول أي فروي **(أنه أكل منها. متفق عليه. وذكر حديث عبد الله بن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام في المعجزات)** قلت: الأظهر إبقاؤه في باب الكرامات.

(الفصل الثاني)

٥٩٤٧ ـ **(عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مات النجاشي)** سبق ضبطه وتقدم ذكره **(كنا نتحدث)** أي يذكر بعضنا لبعض **(أنه لا يزال يرى على قبره نور)** أي في الحبشة. والمعنى أن هذا أمر مشهور فيما بيننا مذكور عمّن رأى نور قبره منا ولا يتصور اتفاقنا على الكذب فهو كاد أن يكون متواتراً **(رواه أبو داود)**.

٥٩٤٨ ـ **(وعنها)** أي عن عائشة **(قالت: لما أرادوا)** أي الصحابة أو أهل البيت **(غسل**

الحديث رقم ٥٩٤٧: أخرجه أبو داود ٣/ ٣٤. حديث رقم ٢٥٢٣.

الحديث رقم ٥٩٤٨: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٥٠٢ حديث رقم ٣١٤١. وأحمد في المسند ٦/ ٢٦٧. ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢٤٢.

النبي ﷺ قالوا: لا ندري أنجرّد رسولَ الله ﷺ من ثيابه كما نجرّد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى اللّهُ عليهم النوم، حتى ما منهم رجلٌ إلا وذقنهُ في صدره، ثمَّ كلَّمهم مُكلِّمٌ من ناحيةِ البيت، لا يدرون من هو: اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه، فقاموا، فغسلوه وعليه قميصه، يصبُّون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص. رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

٥٩٤٩ ـ (٦) وعن ابن المنكدر أن سفينةَ مَوْلى رسولِ اللّهِ ﷺ أخطأ الجيش بأرض الرُّوم أو أُسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيشَ، فإذا هو بالأسد. فقال: يا أبا الحارث! أنا

النبي ﷺ قالوا: **لا ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه)** أي ونغطي عورته من غيرها **(كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه)** جملة حالية. والمعنى: فاختار بعضهم التجريد قياساً وبعضهم عدمه اختصاصاً **(فلما اختلفوا ألقى الله)** أي سلط **(عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه)** بفتحتين **(في صدره)** في القاموس: الذقن بالتحريك مجتمع اللحيين من أسفلهما ويكسر. **(ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو)** صفة مكلم. قيل: هو الخضر عليه السلام **(اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه)** بيان لقوله: كلمهم. والحديث يدل على أن غسل الميت وعليه قميصه مستحب ذكره ابن الملك. وفيه نظر، إذ لا يدل إلا على جوازه أو اختصاصه به، إذ لم يذكر في المذهب أنه مستحب. **(فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص)** قال ابن الهمام: قد ذكروا أنه ﷺ غسل في قميصه الذي توفي فيه فكيف يلبسونه الأكفان فوقه وفيه بلل. قلت: لا دلالة فيه على أنه ألبسوه الكفن فوق القميص مبلولاً إذ يحتمل ستر عورته ثم قلع قميصه ثم الباس كفنه بقميص والله سبحانه وتعالى أعلم. **(رواه البيهقي في دلائل النبوة)**.

٥٩٤٩ ـ **(وعن ابن المنكدر)** قال المؤلف: هو محمد بن المنكدر التيمي سمع جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وابن الزبير وعمه ربيعة. روى عنه جماعة، منهم الثوري. مات سنة ثلاثين ومائة وله نيف وسبعون سنة وهو تابعي كبير من مشاهير التابعين وأجلتهم جمع بين العلم والزهد والورع والعبادة والدين المتين والصدق في الفقه. **(إن سفينة مولى رسول الله ﷺ)** قال المؤلف: وقيل مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ أعتقته واشترطت عليه خدمة النبي ﷺ ما عاش. ويقال اسمه مختلف فيه وسفينة لقب له. ويقال إن النبي ﷺ كان في سفر وهو معه فأعيا رجل فألقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيئاً كثيراً. فقال النبي ﷺ: أنت سفينة. روى عنه بنوه عبد الرحمٰن ومحمد وزياد وكثير. **(أخطأ الجيش)** أي أضل طريقه بحيث لا يهتدي إليهم سبيلاً **(بأرض الروم أو أسر)** أي فيها شك من الراوي **(فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا هو)** أي سفينة **(بالأسد)** أي بفرد عظيم من جنس الأسد **(فقال: يا أبا الحارث)** وهو كنية الأسد **(أنا**

الحديث رقم ٥٩٤٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٣١٣. حديث ٣٧٣٢.

مولى رسول الله ﷺ، كانَ من أمري كَيْتَ وكَيْتَ، فأقبل الأسدُ، له بصبصةٌ حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتاً أهوى إليه، ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسدُ. رواه في «شرح السنة».

٥٩٥٠ ـ (٧) وعن أبي الجوزاء، قال: قُحِطَ أهلُ المدينةِ قَحطاً شديداً، فشكَوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبرَ النبي ﷺ، فاجعلوا منه كُوىً إلى السَّماء، حتى لا يكونَ بينه وبين السَّماء سقف، ففعلوا، فمُطِروا مَطَراً حتى نَبَتَ العُشْبُ، وسمنت الإبل، حتى تَفَتَّقَتْ من الشحمِ، فسمّي عامَ الفَتْق.

مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت) استئناف بيان لحاله في إغواء الطريق أو لكماله في خدمته نعم الرفيق (فأقبل الأسد له بصبصة) أي تحريك ذنب كفعل الكلب تملقاً إلى مالكه وتذللاً لصاحبه والجملة حال. وفي النهاية: بصبص الكلب بذنبه إذا حركه، وإنما يفعل ذلك لطمع أو خوف (حتى قام) أي الأسد (إلى جنبه كلما سمع) أي الأسد (صوتاً أهوى إليه) أي قصده ليدفعه إن كان صوت أذى (ثم أقبل يمشي إلى جنبه) أي إلى جانب سفينة (حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد) فكأنه كان دليلاً ولإيصاله كفيلاً. وقد أشار صاحب البردة إلى هذه الزبدة بقوله:

ومن تكن برسول الله نصرته * إن تلقه الأسد في آجامها تجم

(رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده.

٥٩٥٠ ـ (وعن أبي الجوزاء) قال المؤلف: هو أوس بن عبد الله الأزدي من أهل البصرة تابعي مشهور الحديث سمع عائشة وابن عباس وابن عمر، وروى عنه عمرو بن مالك وغيره. قتل سنة ثلاث وثمانين[1]. (قال: قحط أهل المدينة) على بناء المفعول (قحطاً شديداً فشكوا) أي الناس (إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبي) بالنصب على نزع الخافض، وفي نسخة: إلى قبر النبي ﷺ (فاجعلوا منه) أي من قبره (كوى) بفتح الكاف ويضم. ففي المغرب الكوّة نقب البيت والجمع كوى، وقد يضم الكاف في المفرد والجمع. اهـ. وقيل: يجمع على كوى بالكسر والقصر والمد أيضاً، والكوّة بالضم ويجمع على كوى بالضم. والمعنى: اجعلوا من مقابلة قبره في سقف حجرته منافذ متعددة (حتى لا يكون بينه) أي بين قبره (وبين السماء سقف) أي حجاب ظاهري (ففعلوا فمطروا) بضم فكسر (مطراً) أي شديداً (حتى نبت العشب) بضم فسكون أي العلف في منابته (وسمنت) بكسر الميم (الإبل) وكذا سائر المواشي بالأولى (حتى تفتقت) أي انتفخت خواصرها من الرعي. وقيل انشقت، وقيل اتسعت. (من الشحم) أي من كثرته (فسمي عام الفتق) أي سنة الخصب الذي أفضى إلى الفتق. هذا وقد قيل في

الحديث رقم ٥٩٥٠: أخرجه الدارمي في السنن ١/٥٦ حديث رقم ٩٢.

(١) في المخطوطة «ثلاثين».

رواه الدارمي.

٥٩٥١ ـ (٨) وعن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما كانَ أيام الحرَّة لم يُؤذَّنْ في مسجدِ النبي ﷺ ثلاثاً ولم يُقَمْ، ولم يَبْرَحْ سعيد بنُ المسيّب المسجدَ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمةٍ يسمعُها من قبرِ النبي ﷺ. رواه الدارمي.

٥٩٥٢ ـ (٩) وعن أبي خلدة، قال: قلت لأبي العالية:

سيب كشف قبر النبي ﷺ أن السماء لما رأت قبر النبي ﷺ سال الوادي من بكائها قال تعالى: ﴿**فما بكت عليهم السماء والأرض**﴾ [الدخان ـ ٢٩]. حكاية عن حال الكفار، فيكون أمرها على خلاف ذلك بالنسبة إلى الأبرار. وقيل: إنه ﷺ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب. أقول: وكأنه كناية عن عرض الغرض المطلوب بتوجهه إلى السماء وهي قبلة الدعاء ومحل رزق الضعفاء. كما قال تعالى: ﴿**وفي السماء رزقكم**﴾ [الذاريات ـ ٢٢]. **(رواه الدارمي)**.

٥٩٥١ ـ **(وعن سعيد بن عبد العزيز)** قال المؤلف: تنوخي دمشقي. كان فقيه أهل الشام في زمن الأوزاعي وبعده. وقال أحمد: ليس بالشام أصح حديثاً منه ومن الأوزاعي، وهو والأوزاعي عندي سواء. وكان سعيد بكاء فسئل فقال: ما قمت إلى الصلاة إلا مثلت لي جهنم. **(قال: لما كان)** أي وقع **(أيام الحرة)** بفتح فتشديد. قال الطيبي: هو يوم مشهور في الإسلام أيام يزيد بن معاوية لما نهب المدينة عسكر من أهل الشام ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين، وأمر عليهم مسلم بن عيينة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد. والحرة هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وقعت فيها هذه الوقعة **(لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ)** بصيغة المجهول أي لم يؤذن أحد فيه لأجل الفتنة **(ثلاثاً)** أي ثلاث ليال بأيامها **(ولم يقم)** على بناء المفعول من الإقامة أي ولم يقم أحد للصلاة أيضاً **(ولم يبرح)** بفتح الراء لم يفارق **(سعيد بن المسيب المسجد)** وكان الناس يقولون في حقه أنه شيخ مجنون. قال المؤلف: كان سيد التابعين جمع بين الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة لقي جماعة كثيرة من الصحابة وروى عنهم وعنه الزهري وكثير من التابعين وغيرهم، حج أربعين حجة مات سنة ثلاث وسبعين. **(وكان)** أي سعيد في ذلك الوقت الشديد **(لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة)** أي بصوت خفي لا يفهم **(يسمعها من قبر النبي ﷺ رواه الدارمي)**.

٥٩٥٢ ـ **(وعن أبي خلدة)** بفتح المعجمة وسكون اللام قال المؤلف: هو خالد بن دينار التميمي السعدي البصري الخياط من الخياطة من ثقات التابعين، روى عن أنس وعنه وكيع وغيره. **(قال: قلت لأبي العالية)** قال المؤلف: اسمه رفيع بن مهران الرباحي مولاهم البصري رأى الصديق وروى عن عمر وأبي وعنه عاصم الأحول وغيره. قالت حفصة بنت سيرين: كان

الحديث رقم ٥٩٥١: أخرجه الدارمي ١/٥٦ حديث رقم ٩٣.

الحديث رقم ٥٩٥٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٦٤١ حديث رقم ٣٨٣٣.

سَمِعَ أنسٌ من النبيِّ ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبي ﷺ، وكان له بستانٌ يحمل في كل سنةٍ الفاكهةَ مرَّتين، وكان فيها ريحانٌ يجيء منه ريحُ المسك. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب.

الفصل الثالث

٥٩٥٣ ـ (١٠) عن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل خاصمته أروى بنتُ أوس إِلى مروان

يقول: قرأت على عمر ثلاث مرات، أدرك زمن النبي ﷺ بعد سنتين من وفاته توفي سنة تسعين. **(سمع أنس)** بحذف همزة الاستفهام أي أسمع أحاديث **(من النبي ﷺ)** أي بلا واسطة يرويها، أوله مراسيل من الصحابة مع أنها حجة اتفاقاً. وكأنه بعد وفاته ﷺ تردد بعض الناس فيه **(قال:)** أي أبو العالية **(خدمه)** أي خدم أنس النبي ﷺ **(عشر سنين)** أي وعمره عشر سنين **(ودعا له النبي ﷺ)** أي بالبركة **(في عمره وولده وماله)** فهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين. ويقال إنه ولد له مائة ولد **(وكان له بستان يحمل)** أي يثمر **(في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيها)** أي في الحديقة وهي في معنى البستان وفي نسخة صحيحة فيه أي في ذلك البستان **(ريحان)** وهو نبت معروف له ريح طيب **(يجيء منه ريح المسك)** وحاصل الجواب أن من كان له هذه المنزلة والصحبة وطول ملازمة الخدمة كيف لا يسمع ولا يروي عنه **(رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن غريب)**.

(الفصل الثالث)

٥٩٥٣ ـ **(عن عروة بن الزبير)** أي ابن العوّام، يكنى أبا عبد الله القرشي سمع أباه وأمه أسماء وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة. روى عنه ابنه هشام والزهري وغيرهما. وولد سنة اثنتين وعشرين وهو من كبار التابعين وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة. **(أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل)** بضم نون ففتح فاء وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة. **(خاصمته أروى)** بفتح الهمزة والواو مقصوراً. قال صاحب جامع الأصول: لا أدري أكانت أروى صحابية أم تابعية **(بنت أوس)** بفتح فسكون هكذا في نسخ المشكاة. قيل: وكذا في نسخ المصابيح. وفي جامع الأصول أويس بضم الهمزة وفتح الواو وياء ساكنة. وفي أسماء الرجال للمؤلف في فصل الصحابة أوس بن أوس. ويقال: أوس بن أبي أوس الثقفي وهو والد عمرو بن أوس. روى عنه أبو أشعث السمعاني وابنه عمر وغيرهما. والحاصل أنها رافعته في الخصومة. **(إلى مروان**

الحديث رقم ٥٩٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣٨ حديث رقم ٣١٩٨. وأخرجه مسلم ٣/ ١٢٣١ حديث (١٣٥ ـ ١٦١٠). وأخرجه أحمد في المسند ١/ ١٨٧.

ابن الحكم، وادَّعَتْ أنه أخذ شيئاً من أرضها، فقال سعيد: أنا كنت آخذُ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله ﷺ؟! قال: ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أَخذ شبراً من الأرضِ ظُلماً طُوِّقَهُ إِلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بيِّنةً بعد هذا. فقال سعيد: اللهم إِن كانتْ كاذبةً فأعمِ بصَرَها واقتُلها في أرضِها، قال: فما ماتَتْ حتَّى ذهَبَ بصَرُها، وبينما هي تمشي في أرضها إِذْ وقعَتْ في حفرة فماتت. متفق عليه.

ابن الحكم) قال المؤلف: يكنى أبا عبد الملك القرشي الأموي جد عمر بن عبد العزيز أمره النبي ﷺ إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولى عثمان فرده إلى المدينة. وروى عن نفر من الصحابة، منهم عثمان وعلي. وعنه عروة بن الزبير وعلي بن الحسين. مات بدمشق سنة خمس وستين. اهـ. وكأنه كان والياً في المدينة. **(وادعت)** أي أروى **(أنه)** أي سعيداً **(أخذ شيئاً من أرضها)** أي ظلماً **(فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً)** فيه معنى الإنكار على نفسه المتضمن لإنكار غيره. وقوله: **(بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ)** مقرر لجهة الإنكار **(قال:)** أي مروان **(ماذا سمعت من رسول الله ﷺ. قال:)** أي سعيد **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ شبراً)** أي قدر شبر. وأراد شيئاً يسيراً. **(من الأرض)** أي أرض أحد **(ظلماً)** أي أخذ ظلم، أو من جهة ظلم. **(طوّقه)** بضم الطاء وكسر الواو المشددة، أي طوّقه الله كما في نسخة، أي جعل ذلك الشبر منها طوقه. **(إلى سبع أرضين)** بفتح الراء ويسكن. قال النووي: بفتح الراء، وإسكانها قليل. وفي الحديث تصريح بأن الأرض سبع طباق، وهو موافق لقوله تعالى: **﴿سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾** [الطلاق - ١٢]. ومن قال: المراد بالسبع، الأقاليم فقد وهم. لأنه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من كل إقليم، بخلاف طباق الأرض، فإنها تابعة لهذا الشبر. **(فقال له مروان: لا أسألك بينة)** وفي نسخة ببينة، أي لا أطالبك بحجة. **(بعد هذا)** أي بعد ايرادك هذا الحديث. والمعنى: أصدقك في باطن الأمر أنك غير ظالم أو لا أشك في نقلك الحديث ولا أحتاج لرواية أخرى، فإنك بمنزلة راويين وأكثر. وقال الطيبي: وكان سعيداً لما أنكر توجه عليها البينة وعند فقدها توجه إليه اليمين، فأجرى مروان هذا الكلام منه مجرى اليمين وقال: لا أسألك بينة بعد هذا. اهـ. ولا يخفى أن اعتبار مثل هذا غير شرعي في باب الدعوى، فالصواب ما ذكره الكرماني من أن سعيداً ترك لها ما ادعته كما يشهد له نقل عروة. **(فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها)** بفتح همز وكسر ميم، أي اجعل بصرها أعمى. **(واقتلها في أرضها)** أي التي ادعت فيها. وفي رواية: واجعل قبرها في دارها. وكان سعيد مجاب الدعوة على ما في التهذيب. **(قال:)** أي عروة **(فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة)** أي عميقة لما سيأتي من رواية: في بئر. **(فماتت. متفق عليه)** وفي رواية للبخاري عن ابن عمر مرفوعاً: من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به إلى يوم القيامة إلى سبع أرضين[1].

---

(١) ٦/ ٢٩٢ حديث رقم ٣١٩٦.

وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه، وأنه رآها عمياء تلتمس الجدُرَ، تقول: أصابتني دعوةُ سعيدٍ، وأنها مرَّت على بئرٍ في الدار التي خاصمته، فوقعت فيها، فكانت قبرَها.

٥٩٥٤ ـ (١١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمرَ بعَثَ جيشاً وأمَّرَ عليهم رجلاً يُدعى سارية، فبينما عُمَرُ يخطبُ، فجعل يصيح: يا ساري! الجبل. فَقَدِمَ رسولٌ من الجيشِ فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدُونا فهزمونا، فإذا بصائح يصيح: يا ساري! الجبلَ. فأسندنا ظهورَنا إلى الجبل، فهزمهم الله تعالى. رواه البيهقي في «دلائل النبوّة».

وفي رواية أحمد والطبراني عن يعلى بن مرة: من أخذ من الأرض شيئاً ظلماً جاء يوم القيامة يحمل ترابها إلى المحشر. وفي رواية للطبراني والضياء عن الحكم بن الحارث: من أخذ من طريق المسلمين شيئاً جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين. **(وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه)** قال المؤلف: روى عن جده وابن عباس وعنه بنوه والأعمش وغيرهم ثقة. **(وأنه)** أي محمداً المذكور **(رآها عمياء تلتمس الجدر)** بضمتين، ويجوز إسكان الدال جمع جدار. وفي نسخة بفتح فسكون. ففي القاموس: الجدر الحائط كالجدار [جمع جدر] وجدر وجدران. والمعنى أنها تدور على الجدر وتمسكها. **(تقول: أصابتني دعوة سعيد. وأنها مرت على بئر)** أي حفرة عميقة كما سبق **(في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها فكانت)** أي صارت **(قبرها)** أي حقيقة أو حكماً.

٥٩٥٤ ـ **(وعن ابن عمر: أن عمر رضي الله عنه بعث جيشاً)** أي أرسلهم **(إلى نهاوند)** مثلثة النون بلد من بلاد الجبل جنوبي همدان. **(وأمر)** بتشديد الميم، أي جعل أميراً **(عليهم رجلاً يدعى)** أي يسمى **(سارية)** في القاموس: هو ابن زنيم الذي ناداه عمر على المنبر وسارية بنهاوند. اهـ. ولم يذكره المؤلف. **(فبينما عمر يخطب)** أي في مسجد المدينة على رؤوس الأشهاد من أكابر الصحابة والتابعين منهم عثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين. فهذه كرامة عظيمة ومنقبة جسيمة دالة على مزية جلالته وصحة خلافته. **(فجعل)** أي عمر **(يصيح)** أي في أثناء خطبته، أو بعد تمامها. **(يا ساري)** مرخم سارية، وفي نسخة: يا سارية. **(الجبل)** بالنصب، أي الزم الجبل واجعله وراء ظهرك. **(فتعجب الناس. فقدم رسول من الجيش فقال: يا أمير المؤمنين لقينا)** بكسر القاف وفتح الياء. فقوله: **(عدوّنا)** بالرفع وفي نسخة بسكون الياء ونصب عدوّنا. **(فهزمونا)** أي فغلبونا أوّلاً **(فإذا بصائح يصيح يا ساري الجبل فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى)** فيه أنواع من الكرامة لعمر كشف المعركة(١) وإيصال صوته وسماع كل منهم لصيحته(٢) وفتحهم ونصرهم ببركته. **(رواه البيهقي في دلائل النبوة)**.

الحديث رقم ٥٩٥٤: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٧٠.

(١) في المخطوطة «معركة المشركين». (٢) في المخطوطة «بصيغة».

٥٩٥٥ ـ (١٢) وعن نبيهة بن وهب، أن كعباً دخلَ على عائشةَ، فذكروا رسول الله ﷺ، فقال كعبٌ: ما من يومٍ يَطْلُعُ إلا نزلَ سبعونَ ألفاً من الملائكةِ حتى يحفُّوا بقبر رسول الله ﷺ يضربونَ بأجنحتهم، ويصلُّونَ على رسول الله ﷺ، حتى إذا أمسَوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعينَ ألفاً من الملائكة يزفُّونه. رواه الدارمي.

٥٩٥٥ ـ **(وعن نبيهة)** بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية فهاء فتاء كذا ضبطه المؤلف في أسمائه. وفي نسخة نبيه بدون تاء وهو الظاهر. وقيل هو الصواب، فإنه الموافق لما في القاموس والمغني وكذلك في التحرير للعسقلاني. **(ابن وهب)** أي الكعبي الحجازي، سمع أبان بن عثمان وكعباً مولى سعيد بن العاص وروى عنه نافع، ذكره المؤلف في التابعين. **(أن كعباً)** أي كعب الأحبار بالحاء المهملة وهو من كبار التابعين. قال المؤلف: هو كعب بن مانع يكنى أبا إسحاق المعروف بكعب الأحبار أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، وأسلم في زمن عمر بن الخطاب. روى عن عمر وصهيب وعائشة ومات بحمص سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنهم. **(دخل على عائشة فذكروا)** أي أهل المجلس **(رسول الله ﷺ)** أي بعض نعته أو قضية موته. **(فقال كعب:)** أي نقلاً من الكتب السابقة مما رواه(١) أو سمعه ممن قبله أو انكشافاً له، وهو المناسب لأن يكون كرامة له. ويمكن أن يكون كرامة لغوية بمعنى: أن الله تعالى أكرم نبيه ﷺ بما ذكره من قوله: **(ما من يوم يطلع)** بضم اللام أي يظهر فجره أو تطلع شمسه. **(إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا)** بضم الحاء والفاء المشددة أي يحيطوا **(بقبر رسول الله ﷺ يضربون بأجنحتهم)** أي للطيران حوله أو فوقه يلتمسون بركته وقربه ونوره **(ويصلون على رسول الله ﷺ)** أي بالثناء الجزيل والدعاء الجميل **(حتى إذا أمسوا)** أي دخلوا في وقت المساء **(عرجوا)** بفتح الراء، أي صعدوا إلى السماء. **(وهبط)** أي نزل من السماء **(مثلهم)** أي من عدد الملائكة في ليلتهم **(فصنعوا مثل ذلك)** أي من ضرب الأجنحة وكثرة التصلية **(حتى إذا انشقت عنه الأرض)** أي عند النفخة الثانية **(خرج)** أي ظهر **(في سبعين ألفاً من الملائكة يزفونه)** بضم الزاي ويكسر وتشديد الفاء، أي يهدون المحبوب إلى الحبيب أو المحب إلى المحبوب. والأوّل فيه المبالغة أكثر وهو باعتبار أصل اللغة أظهر، فإن يزفون بالضم من زففت العروس إلى زوجها إذا أهديتها إليه، ويزفون بالكسر من زف البعير أو الظليم وهو الذكر من النعام إذا أسرع. ففيه حذف وإيصال، أي يسرعون به إليه. والمفهوم من القاموس أنه يجوز في الحديث ضم الياء وكسر الزاي على المعنيين حيث قال: زف العروس إلى زوجها من باب كتب كأزفها والظليم وغيره يزف من باب ضرب أسرع كأزف **(رواه الدارمي)**.

الحديث رقم ٥٩٥٥: أخرج الدارمي في السنن ١/٥٧ حديث رقم ٩٤.

(١) في المخطوطة «كما».

(٩) باب هجرة أصحابه ﷺ
من مكة ووفاته

الفصل الأول

٥٩٥٦ ـ (١) عن البراء، قال: أوَّل من قدم علينا من أصحاب رسولِ الله ﷺ مصعب ابن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآننا القرآن، ثم جاء عمَّار وبلال وسعدٌ، ثم جاء عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثمَّ جاء النبيُّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيءٍ، فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيانَ يقولون: هذا رسولُ اللّهِ ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأتُ: **﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾** في سُور مثلِها من المفصَّل.

(باب)

بالتنوين مرفوعاً وفي نسخة بالسكون. فقيل: المعنى هذا باب في بيان هجرة أصحابه من مكة وبيان وفاته ﷺ. وفي نسخة باب ما يتعلق بموته ﷺ من المقدمات.

(الفصل الأول)

٥٩٥٦ ـ **(عن البراء)** أي ابن عازب **(قال: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مصعب)** اسم مفعول **(ابن عمير)** بالتصغير **(وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا)** أي يعلماننا القرآن **(ثم جاء عمار)** أي ابن ياسر **(وبلال)** أي ابن رباح **(وسعد)** أي ابن أبي وقاص **(ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين)** أي رجلاً **(من أصحاب النبي ﷺ ثم جاء النبي ﷺ)** أي مع الصديق الأكبر **(فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء)** أي في الدنيا **(فرحهم به)** أي مثل فرحهم بمجيئه ﷺ إلى المدينة **(حتى رأيت الولائد)** جمع وليدة وهي الجارية الصغيرة والذكر وليد فعيل بمعنى مفعول، وقد يطلق على الأمة وإن كانت كبيرة. وقال شارح: الوليدة الصبية والأمة، ويناسبه قوله: **(والصبيان)** جمع الصبي **(يقولون:)** أي من كمال الفرح والسرور **(هذا رسول الله ﷺ قد جاء)** أي وحصل به الرجاء والنجاء **(قال البراء: فما جاء)** أي النبي ﷺ **(حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾)** أي تعلمتها ففيه ذكر المسبب وهو القراءة، وإرادة السبب وهو التعلم. **(في سور)** أي في جملة سور أو مع سور **(مثلها)** أي مثل سورة سبح في المقدار **(من المفصل)** أي

الحديث رقم ٥٩٥٦: أخرجه البخاري ٨/ ٦٩٩. حديث رقم ٤٩٤١. وأحمد في المسند ٤/ ٢٨٤.

رواه البخاريُّ.

٥٩٥٧ ـ (٢) وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إنَّ عبداً خيَّرهُ اللَّهُ بينَ أن يُؤتِيَهُ مِنْ زهرةِ الدُّنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده». فبكى أبو بكر قال: فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا، فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا!! فكان رسول اللَّهِ ﷺ هو المخيَّرَ،

من أوساطه. وهذا يدل على أن سبح اسم ربك نزلت بمكة. ويشكل عليه أن قوله تعالى: ﴿لقد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى ـ ١٤ ـ ١٥]. نزلت في زكاة الفطر، ووجوب صدقة الفطر وصلاة العيد في السنة الثانية. ويحتمل أن تكون السورة مكية إلا هاتين الآيتين، والأصح أنها كلها مكية. ثم بين النبي ﷺ أن المراد بقوله: ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾. زكاة الفطر وصلاة العيد، فليس في الآية إلا الترغيب في الزكاة والصلاة من غير بيان المراد فبينته السنة بعد ذلك كذا ذكره بعض المحققين والله أعلم. **(رواه البخاري)**.

٥٩٥٧ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر)** أي في مرضه الذي مات فيه كما في رواية، وفي أخرى كان هذا قبل أن يموت بخمس ليال. **(فقال: إن عبداً)** أي عظيماً كما يدل عليه قوله: **(خيره الله)** أي جعله مخيراً **(بين أن يؤتيه)** [أي يعطيه] **(من زهرة الدنيا)** بفتح الزاي أي بهجتها وحسنها وزينتها **(ما شاء)** مفعول مؤخر عن مبينه، والمعنى مقدار ما أراد من طول العمر والبقاء في الدنيا والتمتع بها. **(وبين ما عنده)** أي الله سبحانه مما أعد له من أنواع النعيم المقيم ولذة اللقاء من الوجه الكريم. **(فاختار ما عنده)** أي لأنه خير وأبقى **(فبكى أبو بكر)** أي لكمال فهمه وإدراكه حيث عرف مفارقته ﷺ من الدنيا بقرينة المرض، أو لأن اختيار ما عند الله وترك زهرة الدنيا بحسب الظاهر من مقدمات مراتب الأولياء. ومن المعلوم أنه لا يناسب مقام سيد الأنبياء فانتقل إلى أن معناه بطريق الإشارة اختيار الموت واللقاء وترك الحياة والبقاء. **(قال:)** استئنافاً **(فديناك بآبائنا وأمهاتنا)** أي معهم لو كان ينفع الفداء **(قال:)** الراوي **(فعجبنا له)** أي لأبي بكر حيث يفديه، ولا هناك باعث يقتضيه وما ذاك إلا لعدم فهمهم ما فهمه من الإشارة لتقيدهم بظاهر العبارة. **(فقال الناس:)** أي بعضهم لبعض **(انظروا)** أي نظر تعجب **(إلى هذا الشيخ)** أي مع كبره المقتضى لوقاره وزيادة عقله وفهمه **(يخبر رسول الله ﷺ عن عبد)** أي منكر غير معين **(خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو)** أي الشيخ **(يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا)** أي ومثل هذا ما يقال إلا لعظيم يريد الانتقال من الدنيا إلى العقبى. **(قال أبو سعيد: فكان رسول الله ﷺ هو المخير)** بالنصب وهو ضمير الفصل، وفي نسخة بالرفع وله وجه. والمعنى: فظهر لنا في آخر الأمر أنه ﷺ كان

الحديث رقم ٥٩٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٢٧. حديث رقم ٣٩٠٤. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٤ حديث رقم ٢/ ٢٣٨٢. وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٨ حديث رقم ٣٦٦٠.

وكان أبو بكر أعلَمنا متفق عليه.

٥٩٥٨ ـ (٣) وعن عقبة بن عامر، قال: صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أُحُدٍ بعدَ ثمان سنين، كالمودِّعِ للأحياء والأموات، ثم طَلَعَ المنبرَ فقال: «إني بين أيديكم فَرَطٌ، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكُم الحوضُ، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني قد أعطيتُ مفاتيح

العبد المخير. (وكان أبو بكر أعلمنا) أي أكثر علماً منا حيث علم أوّلاً أن المخير هو رسول الله ﷺ، فأعلم اسم تفضيل. ولا يبعد أن يكون فعلاً ماضياً أي وقد كان أعلمنا بالقضية لكنا ما فهمناها بالكلية. (متفق عليه).

٥٩٥٨ ـ (وعن عقبة بن عامر) جهني روى عنه نفر من الصحابة وخلق كثير من التابعين، ذكره المؤلف في الصحابة. (قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد) جمع قتيل، والمراد بهم الشهداء. (بعد ثمان سنين) أي من دفنهم، فقيل صلى عليهم صلاة الجنازة وهو الظاهر المتبادر، فهو من خصوصياته أو خصوصيتهم. وقال الشافعي: المراد بالصلاة الدعاء. (كالمودع للأحياء والأموات) قال المظهر: أي استغفر لهم واستغفاره لهم كالوداع للأحياء والأموات، أما الأحياء فبخروجه[1] من بينهم، وأما الأموات فبانقطاع دعائه واستغفاره لهم. قال السيوطي: وذلك قرب موته ﷺ. (ثم طلع المنبر فقال: إني بين أيديكم فرط) بفتح الفاء والراء، وهو الذي يتقدم الواردة فيهيىء لهم الرشاء[2] والدلاء ويسقي لهم. وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع، يريد أنه شفيع لهم لأنه يتقدمهم والشفيع يتقدم على المشفوع، وقد روى الترمذي في الشمائل عن ابن عباس يحدث: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة. فقالت له عائشة: فمن كان له فرط من أمتك. قال: ومن كان له فرط يا موفقة. قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك. قال: فأنا فرط لأمتي لن يصابوا بمثلي[3]. (وأنا عليكم شهيد) أي مطلع على أحوالكم إذ تعرض عليّ أعمالكم أو أنا شاهد لكم ومثن عليكم. (وإن موعدكم) أي مكان وعدكم للشفاعة الخاصة بكم في يوم الجمع. (الحوض) أي وروده فإنه حينئذ يتميز الخبيث من الطيب والمنافق من المؤمن فتكون الشفاعة لأمة الإجابة. (وإني لأنظر) أي الآن (إليه) أي إلى الحوض (وأنا في مقامي هذا) أي فوق المنبر وهو على ظاهره وكأنه كشف له عنه في تلك الحالة. (وإني قد أعطيت مفاتيح

الحديث رقم ٥٩٥٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٣٤٨/٧. حديث رقم ٤٠٤٢. وأخرجه مسلم في صحيحه ١٧٩٥/٤ حديث رقم (٣٠ ـ ٢٢٩٦). وأخرجه النسائي في السنن ٦١/٤ حديث رقم ١٩٥٤. وأحمد في المسند ١٤٨/٤.

(١) في المخطوطة «فيخرجوه».

(٢) في المخطوطة «الأرشاء» والصواب «الرشاء» وهو الحبل.

(٣) الترمذي في السنن ٣٧٦/٣ حديث رقم ١٠٦٢.

خزائن الأرض، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها» وزاد بعضهم: «فَتَقْتَتِلُوا، فتهلِكوا كما هلك من كان قبلكم». متفق عليه.

٥٩٥٩ ـ (٤) وعن عائشة، قالت: إِن من نعم الله عَليَّ أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفّي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأنَّ اللَّهَ جَمَع بين ريقي وريقه عند موته،

خزائن الأرض) أي ستفتح لأمتي خزائن الأرض بفتح بلادها وإيمان عبادها. **(وإني لست أخشى عليكم)** أي على مجموعكم **(أن تشركوا بعدي)** لأن ذلك قد وقع من بعض **(ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا)** بحذف إحدى التاءين أي ترغبوا **(فيها)** رغبة الشيء النفيس وتميلوا إليها كل الميل، فإن المنافسة لا تناسب النعم الفانية بل تختص بالأمور الباقية. ولذا قال تعالى: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** [المطففين ـ ٢٦]. أي المؤمنون الكاملون **(وزاد بعضهم)** أي بعض الرواة على ما سبق قوله: **(فتقتتلوا)** أي يقتل بعضكم بعضاً للملك والمال **(فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم)** أي في المال بأسوأ الحال. قال النووي: فيه معجزات لرسول الله ﷺ، فإن معناه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض وقد وقع ذلك وأنهم لا يرتدون وقد عصمهم الله تعالى من ذلك وأنهم يتنافسون في الدنيا وقد وقع ذلك. **(متفق عليه)**.

٥٩٥٩ ـ **(وعن عائشة قالت: إن من نعم الله علي)** أي خاصة **(أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي)** أي لا في غيبتي **(وفي يومي)** أي نوبتي لأكون متشرفة[1] بخدمتي. وفي جامع الأصول: كان ابتداء مرض النبي ﷺ من صداع عرض له وهو في بيت عائشة ثم اشتد به وهو في بيت ميمونة ثم استأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له [وكان] مدة مرضه اثني عشر يوماً ومات يوم الاثنين ضحى من ربيع الأوّل. فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لاثني عشرة خلت منه وهو الأكثر. **(وبين سحري ونحري)** بفتح فسكون فيهما وهو يدل على كمال قربي وقربتي. والمعنى: أنه ﷺ توفي وهو مستند إلى صدرها وما يحاذي سحرها منه إذ السحر الرئة على ما في النهاية. وقيل: السحر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن. وقال ابن الملك: النحر موضع القلادة من أعلى الصدر. وقال ابن حجر: السحر هو الصدر وهو في الأصل الرئة والمراد بالنحر موضعه. اهـ. وجاء في رواية بين حاقني وذاقني، أي كان رأسه بين منكبها وصدرها. ولا يعارضه ما للحاكم وابن سعد من طرق أن رأسه الكريم كان في حجر عليّ كرم الله وجهه لأن كل طريق منها لا يخلو عن شيء كذا قاله الحافظ ابن حجر، وعلى تقدير صحتها يجمع بأنه كان في حجره قبل الوفاة. **(وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته)** قالوا: الصواب فتح أن [عطفاً على أن رسول الله كذا ذكره الجزري. وسبب **ذلك** أنه حينئذ يدخل تحت نعم الله بخلافه إذا كسر فإنه يكون] عطفاً على إن من نعم الله فيكون مجرد إخبار. وأقول: لو صحت

الحديث رقم ٥٩٥٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٤٤. حديث رقم ٤٤٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٩٣ حديث رقم (٨٤. ٢٤٤٣). وأحمد في المسند ٦/ ٤٨.

(١) في المخطوطة «تشرفاً».

دخل عليَّ عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواكٌ وأنا مُسْنِدةٌ رسولَ الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه. وعرفتُ أنه يحبّ السّواك، فقتل: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتدَّ عليه، وقلت: أُلَيِّنهُ لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فَلَيَّنْتهُ، فأمرَّهُ وبين يديه ركوةٌ فيها ماءٌ، فجعل يُدْخِل يديه في الماءِ فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إنَّ للموتِ سَكَراتٍ» ثم نصب يده،

الرواية بالكسر لكان الوجه أن يقال الواو للحال. ثم الريق بالكسر ماء الفم ولما كان الجمع بينهما يحتاج[1] إلى بيان سبب قالت بطريق الاستئناف **(دخل علي)** أي عندي **(عبد الرحمٰن بن أبي بكر)** والمراد به أخوها **(وبيده)** أي بيد عبد الرحمٰن **(سواك)** أي غير مستعمل لما سيأتي **(وأنا مسندة رسول الله ﷺ)** بالإضافة وفي نسخة بتنوين مسندة ونصب الرسول وهو بضم الميم وكسر النون. يقال: سند إليه استند وأسندته أنا كذا في القاموس. **(فرأيته)** أي النبي ﷺ **(ينظر إليه)** أي إلى السواك أو إلى صاحبه **(وعرفت)** أي والحال أني قد عرفت في الماضي من طبعه **(أنه يحب السواك)** أي مطلقاً أو عند تغير الفم خصوصاً **(فقلت: آخذه لك)** أي منه **(فأشار برأسه أن نعم)** أي نعم فأن مفسرة **(فتناولته)** أي أخذته منه وناولته إليه فاستعمله **(فاشتد)** أي السواك **(عليه)** أي [لأنه] شديد **(وقلت:)** وفي نسخة فقلت. **(ألينه لك)** بتشديد الياء المكسورة **(فأشار برأسه أن نعم فلينته)** أي لينت السواك بريقي وأعطيته النبي ﷺ **(فأمره على أسنانه)** بتشديد الراء ماض من الإمرار. والمعنى فاجتمع الريقان في حلقي وكذا في حلقه عند موته. وفيه إيماء إلى رضاه[2] عنها حتى عند انقطاع حياته. **(وبين يديه ركوة)** أي ظرف **(فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه)** وايرادها بلفظ التثنية اشعار بنهاية حرارته وايماء إلى اظهار عجزه وعبوديته. قيل: وسببه أنه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق. ويؤخذ منه أنه ينبغي فعل ذلك لكل مريض فإن لم يفعله فعل به لأن فيه نوع تخفيف الكرب كالتجريع، بل يجب التجريع إذا اشتدت حاجة المريض إليه. **(ويقول: لا إله إلا الله)** أي الواحد القهار الذي قهر العباد بالموت وهو الحي الذي لا يموت. **(إن للموت سكرات)** بفتحات جمع سكرة أي شدائد ومشقات عظيمات من حرارات ومرارات طبيعيات حتى للأنبياء وأرباب الكمالات، فاستعدوا لتلك الحالات واطلبوا من الله تهوينه للأموات. وفي شمائل الترمذي عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت، أي مشغول أو متلبس وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: اللهم أعني على منكرات الموت أو قال: على سكرات الموت[3]. والمراد بمنكرات الموت شدائده ومكروهاته وما يحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر فهو بمعنى سكرات الموت، والشك إنما هو في اللفظ ثم في تلك السكرات زيادة رفع الدرجات. **(ثم نصب يده)** أي رفعها بطريق الدعاء أو على وجه الإيماء إلى جهة

---

(١) في المخطوطة «احتاج». (٢) في المخطوطة «رضائه».

(٣) الترمذي في السنن ٢/٣٠٨ حديث رقم ٩٧٨.

فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى». حتى قبض ومالت يده. رواه البخاري.

٥٩٦٠ ـ (٥) وعنها، قالت: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «ما

السماء (فجعل يقول:) أي مكرراً (في الرفيق الأعلى) متعلق بمحذوف أي اجعلني في الرفيق الأعلى وهم هنا الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين. اسم جاء على فعيل يقع على الواحد والجماعة كالصديق والخليط. والمراد هنا الجمع كقوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء ـ ٦٩]. والرفيق المرافق في الطريق. وقيل التقدير اجعلني في مكان رفيق الأعلى، وأراد بالمكان المقام المحمود المخصوص به. فالمعنى: اجعلني ساكناً فيه قائماً به. وقال الجوهري: الرفيق الأعلى الجنة ذكره ابن حجر، وهو لا يخلو عن غرابة. وقيل الرفيق الأعلى من أسمائه تعالى، من الرفق والرأفة فعيل بمعنى فاعل لأنه سبحانه رفيق بعباده. واختار لفظة في للدلالة على زيادة القرب المشعر بالاستغراق في حضرة الرب والفناء في مقام بقاء الحب. مع ما فيه من الإشارة إلى التوحيد المفيد لتأكيد التأبيد. وقد غفل الأزهري عن هذا المعنى الأظهر والمعنى الأنور وغلط قائل ذلك على ما نقله ابن حجر فتأمل وتدبر. ثم رأيت التوربشتي قال: قد ذهب بعضهم في الرفيق الأعلى أنه اسم من أسماء الله تعالى. قال الأزهري: غلط قائل هذا. وقوله: أن الله رفيق، لم يوجب اطلاق هذا الاسم عليه كما لم يوجب أن الله حيي ستير إطلاق ذلك عليه، وإنما أراد به إيضاح معنى لم يكن يقع في الأفهام إلا من هذا الطريق. قال الفاضل الطيبي: لم لا يجوز أن يستدل بهذا الحديث على إطلاق هذا الاسم عليه وما المانع وليس هذا نحو قوله: إن الله حيي. لأن ذلك إخبار. وقول صاحب النهاية أنه اختار ما عند الله تعالى تصريح بأن المراد منه القرب والزلفى عند الله تعالى، فلو أريد به الملائكة والنبيون لقيل من عند الله. ويؤيده حديث أبي سعيد: أن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه [من] زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده. وحديث جعفر في آخر الفصل الثالث من هذا الباب: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك. الحديث ولأن حصول هذه البغية مستلزم لحصول تلك المنزلة كما قال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾. وفي إدخال في على الرفيق إيذان بغاية القرب وشدة تمكنه فيه وحلول رضوانه عليه. وإليه الإشارة بقوله: ﴿راضية مرضية﴾ [الفجر ـ ٢٧ ـ ٢٨]. قلت: ويؤيده رواية عائشة الآتية: اللهم الرفيق الأعلى. ثم المعنى كان هذا حاله ومقاله. (حتى قبض ومالت يده) أي عن يمينه أو شماله أو عن الطريقين إيماء إلى الإغماض عن الكونين والميل إلى المكون الذي لقاؤه قرة العينين[١] ولذا كان[٢] سيد الثقلين (رواه البخاري).

٥٩٦٠ ـ (وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنها (قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما

(١) في المخطوطة «العين». (٢) في المخطوطة «قال».

الحديث رقم ٥٩٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٢٥٥. حديث رقم ٤٥٨٦. ومسلم في صحيحه ٢/ ١٨٩٣ حديث رقم (٨٦ . ٢٤٤٤). ومالك في الموطأ ١/ ٢٣٨ حديث رقم ٤٦ من كتاب الجنائز. وأحمد في المسند ٦/ ١٧٦.

من نبي يمرَضُ إلا خُيِّر بينَ الدُّنيا والآخرة». وكان في شكواه الذي قُبِض أَخذته بُحَّةٌ شديدةٌ، فسمعتُه يقول: مَعَ الذينَ أنعمتَ عليهِمْ من النبيينَ والصِّديقينَ والشهداء والصَّالحينَ. فعلمت أنه خُيِّرَ. متفق عليه.

٥٩٦١ ـ (٦) وعن أنس، قال: لما ثَقُلَ النبيُّ ﷺ جعل يَتَغشَّاهُ الكربُ. فقالت فاطمة. واكرب أباه! فقال لها: «ليس على أبيك كَرْبٌ بعد اليوم». فلما مات قالَتْ: يا أبتاه!

من نبي يمرض) بفتح الراء أي مرض الموت **(إلا خير بين الدنيا والآخرة)** أي بين بقائه[1] مدة أخرى في الدنيا وبين توجهه إلى عالم العقبى، ولا شك أن كلاً يختار ما عند الله لأنه خير وأبقى. **(وكان في شكواه)** أي في مرضه **(الذي قبض أخذته بحة شديدة)** بضم موحدة وتشديد مهملة أي غلظ الصوت وخشونته على ما في النهاية. وقال ابن حجر: هي شيء يغوص في الحلق فيتغير له الصوت فيغلظ. وقيل المراد هنا سعلة. ففي القاموس: السعال والسعلة بضمهما وهي حركة تدفع بها الطبيعة أذى عن الرئة والأعضاء التي تتصل بها. **(فسمعته يقول:)** أي الرفيق الأعلى **(مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)** أي وحسن أولئك رفيقاً. يعني مع الرفيق الأعلى، فالجمع بما ذكرناه هو الأولى حشرنا الله معهم في العقبى. **(فعلمت أنه خير)** أي بين البقاء في الدنيا وما عند الله في الأخرى من لقاء المولى **(متفق عليه)**.

٥٩٦١ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ)** بفتح المثلثة وضم قاف أي اشتد مرضه **(جعل)** أي طفق **(يتغشاه الكرب)** وفي المصابيح يتغشى بلا ضمير بلا لفظ الكرب. وقال شارح له: أي يتغطى ويتستر بالثبات. وقيل: أي يغشى عليه من شدة المرض. وفي بعض النسخ: جعل يتغشاه الكرب. وهو بالفتح وسكون الراء الغم الذي يأخذ بالنفس. أقول: وهو المناسب لقوله: **(فقالت فاطمة:)** أي بنته رضي الله عنها **(واكرب أباه)** بسكون الهاء للسكت والألف قبله للندبة، وسيلة لمد الصوت في الكلمة المفيدة للمبالغة. **(فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم)** يعني أن الكرب كان بسبب ضدة الألم وصعوبة الوجع وبعد هذا اليوم لا يكون ذلك لأن الكرب كان بسبب العلائق الجسمانية، وبعد اليوم ينقطع تلك العلائق الصورية ولا كرب في التعلقات الروحانية المعنوية. وزاد الترمذي: إنه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحد الوفاة إلى يوم القيامة، أي هو الموت إلى قيام الساعة. **(فلما مات قالت: يا أبتاه)** قال الطيبي: أصله يا أبي، أبدلت التاء من الياء لأنهما من حروف الزوائد والألف للندبة لمد الصوت والهاء للسكت، ولا بد للندبة من إحدى العلامتين ياء أو واواً لأن الندبة لإظهار

---

(١) في المخطوطة «لقائه».

الحديث رقم ٥٩٦١: أخرجه البخاري ٨/ ١٤٩. حديث رقم ٤٤٦٢ وابن ماجه في السنن ١/ ٥٢٢ حديث رقم ١٦٣٠ والدارمي في السنن ١/ ٥٤ حديث رقم ٨٧. وأحمد في المسند ٣/ ١٤١.

أجاب ربّاً دَعاه، يا أبتاه! مَن جنَّة الفردَوْس مأواه، يا أبتاه، إلى جبريل نَنعاه. فلما دُفِنَ قالت فاطمة: يا أَنس! أطابت أنفسُكم أن تحثوا على رسولِ الله ﷺ التراب؟ رواه البخاري.

الفصل الثاني

٥٩٦٢ ـ (٧) عن أنس، قال: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ لعِبتِ الحبشةُ بحرابهم

التوجع، ومد الصوت وإلحاق الألف في آخره للفصل بينها وبين النداء، وزيادة الهاء في الوقف إرادة بيان الألف لأنها خفية وتحذف في الوصل. **(أجاب رباً دعاه)** أي إلى العقبى فاختارها على الدنيا وهو بضم هاء الضمير ويسكن في الوقف مراعاة للسجع، ولا يبعد أن يكون الهاء للسكت على أن المفعول محذوف للعلم به لكن لا يستقيم هذا في قولها. **(يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه)** فإنه يتعين أن يكون للضمير بخلاف قولها. **(يا أبتاه إلى جبريل ننعاه)** فإنه يحتمل الاحتمالين. ثم قولها: من جنة الفردوس، بفتح الميم ورفع الجنة في الأصول المصححة. وفي نسخة بكسرها وخفض الجنة. قال الجزري بفتح ميم من على أنها موصولة، ويحتمل كسرها على أنها حرف جر أي موضع قراره من جنة الفردوس. وقال الطيبي: قوله: من جنة الفردوس في البخاري وشرح السنة، وقع من موصولة. وفي بعض نسخ المصابيح وقعت جارة والأوّل أنسب لأنه من وادي قولهم وامن حفر بئر زمزماه. اهـ. وقوله: ننعاه، أي نظهر خبر موته إليه من النعي كذا قاله شارح. وفي الأزهار أي نبكي إليه. وقيل نعزيه. وقيل نخبره. أقول: وأوسطها أعلاها. **(فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس[1] أطابت أنفسكم)** أي أهانت على أنفسكم أيها الصحابة **(أن تحثوا)** بفتح التاء وضم المثلثة أي تكبوا **(على رسول الله ﷺ)** أي فوقه **(التراب)** ومما ينسب إليها في تعزيتها.

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت عليّ مصائب لو أنها * صبت على الأيام صرن لياليا

(رواه البخاري).

(الفصل الثاني)

٥٩٦٢ ـ **(عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة)** بكسر العين أي رقصت **(بحرابهم)** بكسر الحاء المهملة جمع حربة وهي رمح قصير. وقيل

---

(١) في المخطوطة «أناس».

الحديث رقم ٥٩٦٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٢١ حديث رقم ٤٩٢٣. والترمذي في السنن ٥/ ٥٤٩ حديث رقم ٣٦١٨. وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٥٢٢ حديث رقم ١٦٣١ والدارمي ١/ ٥٤ حديث رقم ٨٨. وأحمد في المسند ٣/ ١٦١.

فرحاً لقدومه. رواه أبو داود.

وفي رواية الدارمي، قال: ما رأيتُ يوماً قطُّ كانَ أحسنَ ولا أضوأَ من يوم دخلَ علينا فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وما رأيتُ يوماً كانَ أقبحَ ولا أظلمَ منْ يومٍ ماتَ فيه رسولُ الله ﷺ.

وفي روايةِ الترمذي، قال: لما كانَ اليومُ الذي دَخَلَ فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ أضاء منها كلُّ شيءٍ، فلما كانَ اليومُ الذي ماتَ فيهِ أظلَمَ منها كلُّ شيءٍ، وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفي دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا.

٥٩٦٣ ـ (٨) وعن عائشة، قالت: لمَّا قُبِضَ رسولُ اللَّهِ ﷺ اختلَفُوا في دفنه.

بخناجرهم (**فرحاً لقدومه. رواه أبو داود**).

(**وفي رواية الدارمي**) أي عن أنس (**قال: ما رأيت يوماً قط كان أحسن**) أي أزهر في الخاطر (**ولا أضوأ**) أي في نور الظاهر (**من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ**) أي فإنه كان يوم الوصال للمشتاقين إلى ذلك الجمال (**وما رأيت يوماً أقبح**) أي أسوأ أو أحزن في القلب (**ولا أظلم**) أي في عين القالب (**من يوم مات فيه رسول الله ﷺ**) لأنه كان يوم الفراق على العشاق. (**وفي رواية الترمذي قال:**) أي أنس (**لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها**) أي أشرق من المدينة (**كل شيء**) بالرفع فإن أضاء[1] لازم وقد يتعدى ومن بيان تقدمت. قال الطيبي: الضمير راجع إلى المدينة وهذا يدل على أن الإضاءة كانت محسوسة (**فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء**) فإن نوره شمس العالم الصوري والمعنوي وتخصيص المدينة لكونها أقرب ولنسبة رؤية الراوي أنسب. (**وما نفضنا أيدينا عن التراب**) من النفض وهو تحريك الشيء ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما. (**وأنا لفي دفنه**) أي مشغولون بعد جملة حالية (**حتى أنكرنا قلوبنا**) أي تغيرت حالنا بوفاة رسول الله ﷺ وظهور أنواع الظلمة علينا ولم نجد قلوبنا على ما كانت عليه من أنوار [الصفا والرقة والألفة فيما بيننا لانقطاع مادة الوحي وفقدان بركة صحبته وأثر إكسير حضور حضرته. قال التوربشتي: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من] الصفا والألفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من رسول الله ﷺ من التأييد والتعليم، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت من التصديق.

٥٩٦٣ ـ (**وعن عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه**) أي في موضع يدفن فيه، فقيل يدفن في مسجده وقيل بالبقيع بين أصحابه وقيل بمكة وقيل عند أبيه إبراهيم عليه السلام أو في نفس الدفن. والمعنى هل يدفن كما روى الترمذي في الشمائل عن سالم بن عبيد وكانت له صحبة قالوا لأبي بكر: يا صاحب رسول الله ﷺ أيدفن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) في المخطوطة «إذ».

الحديث رقم ٥٩٦٣: أخرجه الترمذي في السنن ٣/ ٣٣٨ حديث رقم ١٠١٨. ومالك في الموطأ ١/ ٢٣١ حديث رقم ٢٧ من كتاب الجنائز.

فقال أبو بكر: سمعتُ من رسولِ اللّهِ ﷺ شيئاً. قال: «ما قَبَضَ اللّهُ نبياً إلاّ في الموضعِ الذي يحبُ أن يُدْفَنَ فيه». ادفنوه في موضعِ فراشِهِ. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٥٩٦٤ ـ (٩) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لن يُقْبَضَ نبيٌّ حتى يُرى مَقْعَده مِنَ الجنَّةِ ثم يُخَيَّرُ». قالت عائشة: فلما نَزَلَ به، ورأسُه على فَخذِي غُشِيَ عليه، ثم أَفاقَ،

نعم. قالوا: أين. قال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. فعلموا أنه قد صدق. اهـ. وهو لا ينافي ما روى عنه في هذا الحديث **(فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً)** أي ما نسبته كما في شمائل الترمذي. قال: يحتمل أن يكون صفة لشيئاً أو استئنافاً **(قال:)** أي قال رسول الله ﷺ **(ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب)** أي النبي أو يريد الله **(أن يدفن)** أي ذلك النبي **(فيه)** أي في ذلك المكان **(ادفنوه في موضع فراشه)** أي الذي مات فيه ولعله لم يحول إلى موضع من المواضع الشريفة ليكون شرف المكان بالمكين ويتشرف به أهل التمكين **(رواه الترمذي)** أي وقال غريب، وفي إسناده عبد الرحمٰن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه. وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه رواه ابن عباس عن أبي بكر عن النبي ﷺ، وقد روى مالك هذا الحديث وقد بلغه أن رسول الله ﷺ لما توفي قال ناس: يدفن عند المنبر[1]. وقال آخرون يدفن بالبقيع. فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما دفن نبي قط إلا في المكان الذي توفي فيه فحفر فيه. ذكره ميرك عن تصحيح المصابيح.

(الفصل الثالث)

٥٩٦٤ ـ **(عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح:)** أي والحال أنه في حال صحته **(إنه)** أي الشأن **(لن يقبض نبي)** أي لن يموت **(حتى يرى)** مجهول من الإراءة وفي نسخة معلوم من الرؤية، أي يبصر أو يعرف. **(مقعده)** أي الخاص به **(من الجنة)** أي من منازلها العالية **(ثم يخير)** بالنصب ويرفع أي يجعل مخيراً بين قعوده في الدنيا وبين وصوله إلى مقعده في العقبى **(قالت عائشة: فلما نزل)** أي الموت يعني علاماته **(به)** أي بالنبي ﷺ **(ورأسه على فخذي)** حال وجواب لما قولها **(غشي عليه)** أي أغمي **(ثم أفاق**

---

(١) في المخطوطة «القبر».

الحديث رقم ٥٩٦٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٥٧. حديث رقم ٦٥٠٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٩٤ حديث رقم (٨٧ ـ ٢٤٤٤).

فأشخص بَصَرهُ إلى السقفِ ثم قال: «اللهمَّ الرفيقَ الأعلى». قلت: إذن لا يختارُنا. قالت: وَعرَفْتُ أنه الحديثُ الذي كانَ يُحدثُنا به وهو صحيح في قوله: «إنه لن يُقبضَ نبيٌّ قطُّ حتى يُرى مقعدَه من الجنَّةِ ثم يُخيَّرُ» قالت عائشة: فكان آخر كلمةٍ تكلَّم بها النبيُّ ﷺ قولهُ: «اللهمَّ الرفيقَ الأعلى». متفق عليه.

٥٩٦٥ ـ (١٠) وعنها، قالت: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة! ما أَزالُ أجدُ أَلمَ الطعامِ الذي أكلتُ بخيبرَ، وهذا أوانُ وجدتُ انقطاعَ أَبهري من ذلك السمّ».

فأشخص) أي رفع بصره **(إلى السقف)** أي فإنه جهة السموات العلى **(ثم قال: اللهم الرفيق [الأعلى])** أي أختار أو أسألك الرفيق الأعلى **(قلت: إذاً)** بالتنوين وفي نسخة إذن **(لا يختارنا)** بالرفع وينصب **(قالت: وعرفت أنه)** أي هذا **(هو الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح)** قال الطيبي: أي أن هذا القول إشارة إلى الحديث الذي قال في حال صحته. **(في قوله: إنه لن يقبض)** وفي نسخة لم يقبض **(نبي قط)** وهو يؤيد النسخة لكنه أراد به أبداً **(حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة: فكان آخر كلمة تكلم بها النبي ﷺ قوله:)** بالنصب وفي نسخة بالرفع **(اللهم الرفيق الأعلى)** قال السهيلي: وأوّل كلمة تكلم بها النبي ﷺ وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر ذكره ابن حجر. وروي أنه ﷺ أوّل من قال بلى يوم قال **﴿ألست بربكم﴾** [الأعراف ـ ١٧٢]. **(متفق عليه)**.

٥٩٦٥ ـ **(وعنها)** أي عن عائشة **(قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة ما أزال)** أي ما أبرح **(أجد ألم الطعام)** أي المسموم **(الذي أكلت بخيبر وهذا أوان وجدت)** بفتح النون وفي نسخة بضمها. قال الطيبي: يجوز في أوان الضم والفتح [فالضم] لأنه خبر المبتدأ. والفتح على البناء لإضافته إلى المبني. قلت: وهذا هو المختار على ما سبق في يوم ولدته[(١)] وليلة أسري به، والمعنى وهذا زمان صادفت. **(فيه انقطاع أبهري)** بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة وهو عرق يتعلق به القلب، فإذا انقطع مات صاحبه. **(من ذلك السم)** أي من أثره بتأثيره سبحانه. والسم مثلثة السين والضم أشهر والفتح أكثر. هذا وفي النهاية الأبهر[(٢)] عرق في الظهر وهما أبهران. وقيل هما الأكحلان اللذان في الذراعين. وقيل هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم يبق معه حياة، وقيل الأبهر عرق منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم وله شرايين تتصل[(٣)] بأكثر الأطراف والبدن، فالذي في الرأس منه يسمى النامة ومنه قوله: أسكت

الحديث رقم ٥٩٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٣١. حديث رقم ٤٤٢٨. وأبو داود في السنن ٤/ ٦٥١ حديث رقم ٤٥١٣ والدارمي في السنن ١/ ٤٦ حديث رقم ٦٧. وأحمد في المسند ٦/ ١٨.

(١) «ولدته» هكذا في الأصل، ولعل الصواب أن يقال «ولادته».

(٢) في المخطوطة «الأبهري». (٣) في المخطوطة «يتصل».

رواه البخاري.

٥٩٦٦ ـ (١١) وعن ابن عباسٍ، قال: لما حُضِر رسولُ الله ﷺ، وفي البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «هلمُّوا أَكتبْ لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده».

الله نامته. أي أماته، ويمتد إلى الحلق فيسمى الوريد ويمتد إلى الصدر فيسمى الأبهر ويمتد إلى الساق فيسمى الصافن. والهمزة في الأبهر زائدة. **(رواه البخاري)** وروى ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة: ما زالت أكلة خيبر تعادني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري. قال الهروي: الأكلة بضم الهمزة، وقال: لم يأكل منها إلا لقمة واحدة. اهـ. وتعادني بضم التاء وتشديد الدال أي تعاودني، وقطع بصيغة الماضي مضافاً إليه.

٥٩٦٦ ـ **(وعن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ)** بصيغة المفعول أي حضره الموت، وفيه تجوّز فإنه عاش بعد ذلك اليوم وهو يوم الخميس إلى يوم الاثنين. وقيل التقدير لما حضره هم الموت. **(وفي البيت رجال)** أي كثيرة **(وفيهم عمر بن الخطاب)** جملتان حاليتان معترضتان بين لما وجوابه وهو قوله. **(قال النبي ﷺ: هلموا)** أي تعالوا واحضروا **(أكتب لكم كتاباً)** بالجزم جواباً وقوله: **(لن تضلوا بعده)** صفة لكتاباً. قال النووي في شرح مسلم: اعلم أن النبي ﷺ معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته ومرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس هو معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام مما لا نقص فيه بمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يكن يفعله ولم يصدر منه في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلفوا في الكتاب الذي أراد كتابته. فقيل أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع نزاع. قلت: هذا بعيد جداً إذ التنصيص على خلافة أبي بكر أو عمر أو العباس أو على لا يحتاج إلى كتابة بل كان مجرد القول كافياً وللمقصود وافياً مع أنه قد أشار إلى خلافة أبي بكر بنيابة الإمامة مع التصريح بقوله: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. نعم لو قيل إنه أراد أن يكتب الخلافة المستمرة خلف وفاته لمن يستحقها واحداً بعد واحد إلى خروج المهدي [وظهور] عيسى عليه السلام لكان له وجه وجيه وتنبيه نبيه، ولكن أراد الله الأمر مستوراً وكان ذلك في الكتاب مسطوراً. وقيل أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه. قلت: لم يكن في زمانه نزاع ليرتفع ولا خلاف ليندفع، وأما باعتبار ما بعده من الزمان مما سيقع [من] الاختلاف في [كل] مكان فقد أخبر بوقوعه بقوله: «اختلاف أمتي رحمة»[1].

الحديث رقم ٥٩٦٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٣٢. حديث رقم ٤٤٣٢. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٢٥٧ حديث رقم (٢٠ ـ ١٦٣٧) وأحمد في المسند ١/ ٢٢٢.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٤ حديث رقم ٢٨٨. وذكر أن البيهقي أخرجه في الرسالة =

فقال عمر: قد غَلَب عليه الوجعُ، وعندكم القرآن، حسبُكم كتابُ الله، فاختلف أهلُ البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قَرِّبوا يكتبْ لكم رسول الله ﷺ. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني».

وبقوله: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». وبقوله: «عليكم بالسواد الأعظم»[1]. وبقوله: «وإن أفتاك المفتون»[2]. وقد قال تعالى: ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾ [هود - ١١٨ - ١١٩]. ولذلك خلقهم. على أن الأحكام الشرعية المتفرقة في عشرين سنة كيف تصبح ملخصة منصوصة في ساعة بحيث لا يتصوّر فيه اختلاف الأمة[3]. نعم لو أريد به أنه قصد أن يكتب كتاباً يبين فيه بعض الأحكام التي قد توجد في الأزمنة الآتية مما ليس بمذكور في الكتاب ولا بمحفوظ في السنة لا يبعد من طريق الرأفة وسبيل الرحمة على كافة الأمة من الأئمة والعامة، أو أراد أن يكتب كتاباً يبين فيه طريق الفرقة الناجية ويفصل فيه أحوال الفرق الضالة من المعتزلة والخوارج والرافضة وسائر المبتدعة. **(فقال [عمر رضي الله عنه:] قد غلب عليه الوجع)** أراد بما ذكره التخفيف على رسول الله ﷺ عند شدة الوجع وقوله: **([وعندكم القرآن] حسبكم كتاب الله)** أي كافيكم في أمر الدين لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾** [آل عمران - ١٠٣]. وهو خطاب لمن نازعه في ذلك ورد عليه لا على النبي ﷺ، مع أنه رضي الله عنه له موافقات وفق بها في مواضع من المخالفات فيمكن حمل هذه القضية على الموافقة فترتفع المخالفة. ويدل عليه سكوته ﷺ على تلك المقالة وصرف عنانه عن أمر الكتابة هذا وقد عرف [عمر] أن ذلك الأمر لم يكن جزماً منه بل رعاية لمصالحهم. وكان أصحابه إذا أمر بشيء غير جازم يراجعونه فيه وكان يتركه برأيهم **(فاختلف أهل البيت)** أي من كان في البيت عنده من أصحابه وأقاربه **(واختصموا فمنهم من يقول: قربوا)** أي الدواة والقلم **(يكتب لكم رسول الله ﷺ)** بالجزم على جواب الأمر أي يمل عليكم ما أراد كتابته **(ومنهم من يقول ما قال عمر)** أي من المنع لشدة الوجع **(فلما أكثروا اللغط)** بفتحتين أي الصوت الذي لا يفهم مبناه ولا يتبين معناه **(والاختلاف)** أي الموجب للنزاع والخلاف **(قال رسول الله ﷺ: قوموا عني)** أي فإني تركت قصد الكتابة اعتماداً على ما ثبت عندكم من الكتاب والسنة. قال النووي: وكان النبي ﷺ هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه، أو أوحي إليه بذلك ونسخ. وأما قول عمر رضي الله عنه: حسبكم كتاب الله. فقد اتفقوا على أنه من دلائل فقهه وفضائله ودقائق نظره وفهمه لأنه خشي أن يكتب النبي ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لكونها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها. وأشار بقوله: حسبكم كتاب الله، إلى قوله: **﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾** [الأنعام - ٣٨]. وقوله تعالى: **﴿اليوم**

= الأشعرية من غير سند. وأن بعض العلماء قد أوردوه. وأبطله الغماري في كتابه المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص ١٦.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٣ حديث رقم ٣٩٥٠.

(٢) من حديث أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩٤.

(٣) في المخطوطة «طاعة».

قال عبيد الله: فكان ابنُ عباسٍ يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة مَا حالَ بينَ رسول الله ﷺ وبين أن يكتبَ لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.

وفي رواية سليمان بن أبي مُسلم الأحول قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بَلَّ دمعُهُ الحصى.

أكملت لكم دينكم ﴾ [المائدة ـ ٣]. (**قال عبيد الله**) أي ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ولد أخي عبد الله بن مسعود وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل الحديث سمع ابن عباس وخلقاً كثيراً من الصحابة. (**فكان ابن عباس يقول: إن الرزيئة**) بفتح الراء وكسر الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة. وقد يسهل فتشدد الياء على ما في شرح البخاري أي المصيبة (**كل الرزيئة**) أي تمامها وكمالها (**ما حال**) أي والحال الذي وقع حائلاً وصار مانعاً (**بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم**) متعلق بحال وكان ابن عباس مال إلى خلاف ما قال عمر ومن تبعه من الصحابة فتدبر. قال البيهقي في كتاب دلائل النبوّة: إنما قصد عمر رضي الله عنه بذلك التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلب الوجع عليه، ولو كان مراده ﷺ أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالى: ﴿**بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾ [المائدة ـ ٦٧]. كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما أمر في تلك الحالة بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك يعني مما سيأتي بيانه، قال: وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنه ﷺ أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه، ثم ترك ذلك اعتماداً على علمه من تقدير الله تعالى ذلك، كما هم بالكتابة في أول مرضه حين قال وارأساه ثم ترك الكتابة وقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. وذلك بسبب استخلافه أبا بكر في الصلاة. وقال أيضاً وإن كان المراد به بي ن أحكام الدين ورفع الخلاف فيها فقد علم عمر حصول ذلك من قوله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ [المائدة ـ ٣]. وعلم أنه لا تقع واقعة إلى يوم القيامة إلا وفي الكتاب والسنة بيانها نصاً أو دلالة، وفي تكلف النبي ﷺ في مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة. فرأى الاقتصار على ما سبق بيانه تخفيفاً عليه ولا ينسد باب الاجتهاد على أهل العلم والاستنباط وإلحاق الفروع بالأصول، فرأى عمر [رضي الله عنه أن] الصواب ترك الكتابة تخفيفاً على رسول الله ﷺ وفضيلة للمجتهدين، وفي تركه ﷺ الانكار على عمر دليل على استصواب رأيه وكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه. (**وفي رواية سليمان بن أبي مسلم الأحول**) قال المؤلف: هو خال ابن[1] أبي نجيح تابعي من أثبات الحجازيين وأئمتهم سمع طاوساً وأبا سلمة وروى عنه ابن عيينة وابن جريج وشعبة (**قال ابن عباس: يوم الخميس**) مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو عكسه وقوله: (**وما يوم الخميس**). يستعمل عند إرادة تفخيم الأمر والشدة والتعجب منه كقوله تعالى: ﴿**الحاقة ما الحاقة**﴾ [الحاقة ـ ١ ـ ٢]. ﴿**والقارعة ما القارعة**﴾ [القارعة ـ ١ ـ ٢]. (**ثم بكى**) أي ابن عباس (**حتى بل دمعه الحصى**) أي حتى سالت

---

(١) في المخطوطة «ابني».

قلت يا ابن عباس! وما يوم الخميس؟ قال: اشتدَّ برسول اللّهِ ﷺ وجعُه فقال: «ائتوني بِكتفٍ أكتبْ لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده أبداً». فتنازعوا ولا ينبغي عِنْدَ نبيٍ تنازعٌ. فقالوا: ما شأنُه؟! أهجَر؟

دموعه بلا إحصاء ووصلت إلى ما في الأرض من الحصى. ثم بكاؤه يحتمل أن يكون لتذكر وفاته وفقدان حياته ﷺ بتجدد الحزن عليه، أو لفوات ما فات في معتقد من الخير الذي كان يحصل لو كان كتب ذلك الكتاب وهذا هو الأظهر في المقام والأنسب فيما أراده من المرام. **(قلت: يا ابن عباس وما يوم الخميس)** قال ميرك: قائله سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس. وظاهره إيراد المصنف يقتضي أن قائله سليمان وليس كذلك وهذا ظاهر من سياق البخاري **(قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه)** أي في ذلك اليوم **(فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً)** بالجزم في جميع النسخ الحاضرة المصححة المقروءة، فعلى هذا يشكل جزم قوله: **(لا تضلوا بعده أبداً)** ولعل وجهه أن يكون جواباً لشرط مقدر، أي إن كتب لكم وعملتم به لا تضلوا أي لا تصيروا ضالين. وفي نسخة أن لا تضلوا وهو واضح جداً أي لئلا تضلوا، أو مخافة أن لا تضلوا. **(فتنازعوا)** أي أمرهم بينهم واختلفوا في رأيهم **(ولا ينبغي عند نبي تنازع)** قيل هو من جملة الحديث المرفوع، ويؤيده ما تقدم في العلم بلفظ: ولا ينبغي عندي التنازع. ويحتمل أن يكون مدرجاً من قول ابن عباس وهو الظاهر المتبادر. **(فقالوا:)** أي بعضهم **(ما شأنه)** أي حاله ﷺ **(أهجر)** بفتحات أي اختلف كلامه من جهة المرض، على سبيل الاستفهام. وفي النهاية: أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض. ولا يجعل إخباراً فيكون من الفحش والهذيان والقائل عمر ولا يظن به ذلك. قال الخطابي: ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله ﷺ أو ظن به غير ذلك مما لا يليق بحاله، لكنه ما رأى ما غلب عليه ﷺ من الوجع وقرب الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما [لا] عزيمة[1] له فيه فيجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدين وقد كان أصحابه يراجعونه في بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتم، كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش، فأما إذا أمر بالشيء أمر عزيمة فلا يراجعه فيه أحد منهم. ومعلوم أنه ﷺ وإن كان الله [تعالى] رفع درجته فوق الخلق كلهم لم يتنزه من سمات الحدوث والعوارض البشرية، وقد سها في الصلاة فينبغي أن يتوقف في مثل هذا حتى يتبين حقيقته، فلهذا المعنى وشبهه راجعه عمر رضي الله ﷺ. وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: أهجر رسول الله ﷺ هكذا في صحيح مسلم، وغيره أهجر على الاستفهام وهو أصح من رواية من روى هجر بغير همز لأنه لا يصح منه ﷺ، لأن معنى هجر هذي. وإنما جاء هذا من قائله استفهاماً للإنكار على من[2] قال: لا تكتبوا، أي لا تتركوا أمر رسول الله ﷺ وتجعلوه كأمر من هجر في كلامه لأنه ﷺ لا يهجر. وإن صحت الرواية الأخرى كانت خطأ من قائلها لأنه قالها بغير ثبت لما أصابه من الحيرة والدهشة لعظم ما شاهده من النبي ﷺ في هذه الحالة الدالة على

---

(١) في المخطوطة «عزيمته».

(٢) في المخطوطة «ما».

استفهموه، فذهبوا يَرُدُّونَ عليه. فقال: «دعوني، ذروني، فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعونني إِليه».

وفاته وخوف الفتن والضلال بعد حياته. أقول: لو صحت الرواية لزم حملها على تقدير الاستفهام كما يدل عليه قوله: (استفهموه) بكسر الهاء، وفي بعض النسخ بفتحها. هذا وفي فتح الباري قوله: أهجر. بهمزة عند جميع رواه البخاري في كتاب المغازي. وفي رواية في الجهاد بلفظ: قالوا هجر. بغير همزة. وعند الكشميهني: فقالوا: هجر هجر. قال القاضي: معنى أهجر أفحش. يقال: هجر الرجل إذا هذى، وأهجر إذا فحش وتعسف، فإنه يستلزم سكون الهاء. والروايات كلها إنما هي بفتحها. وقد تكلم القاضي وغيره في هذا الموضع فلخّصه القرطبي تلخيصاً حسناً ثم لخصته من كلامه. وحاصله أن قوله: هجر، الراجح فيه إثبات الهمزة الاستفهامية وبفتحات على أنه فعل ماض، والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض مما لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته، ووقوع ذلك منه ﷺ مستحيل لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم - ٣ و٤]. ولقوله ﷺ: «إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقاً»(١). وإذا عرفت ذلك فإنما قال من قال منكراً على من يتوقف في امتثال أمره بإحضار أسباب الكتابة، فكأنه قال: أتتوقف في ذلك أتظن أنه بتغيره يقول الهذيان في مرضه امتثل أمره وأحضر ما طلبه، فإنه لا يقول إلا الحق. وهذا أحسن الأجوبة. قال: ويحتمل أنه قال ذلك عن شك عرض له ولكن يبعد أن لا ينكره الباقون عليه مع كونهم من كبار الصحابة ولو أنكروه لنقل، ويحتمل أن يكون الذي صدر منه قال ذلك من دهشته وحيرته كما أصاب كثيراً منهم عند موته. وقال غيره: يحتمل أن قائل ذلك أراد اشتداد وجعه [فأطلق اللازم وأراد الملزوم لأن الهذيان الذي يقع من المريض ينشأ عن شدة مرضه واشتداد وجعه]. وقيل: قال لإرادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا أصواتهم عنده فكأنه [قال إن] ذلك يؤذيه ويفضي في العادة إلى ذلك. ويحتمل أن يكون قول: أهجر. فعلاً ماضياً من الهجر بفتح أوله وسكون ثانيه والمفعول محذوف، أي الحياة. وذكر بلفظ الماضي مبالغة لما رأى من علامات الموت عليه. قلت: ويظهر ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام. اهـ. وأقول هذا بعيد من [المرام] ومقام الكرام فإن مثله لا يكون مع الأصحاب الفخام وعلى التنزل فلا يسكتون عنه من غير زجر ولو بالكلام والله أعلم بحقيقة المرام. (فذهبوا) أي فشرع بعض أصحابه (يردون عليه) أي هذا الرأي صريحاً بخلاف قول عمر فإنه كان تلويحاً (فقال: دعوني) أي اتركوني (ذروني) بمعناه تأكيد له. والمعنى: دعوني من النزاع واللغط الذي شرعتم(٢) فيه (فالذي أنا فيه) أي من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والتفكر في ذلك ونحوه. (خير مما تدعونني إليه) أي أفضل مما أنتم عليه من الاختلاف واللغط. قال الخطابي: وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: اختلاف أمتي رحمة. والاختلاف في الدين ثلاثة أقسام أحدها في إثبات الصانع ووحدانيته وإنكار ذلك كفر. وثانيها

---

(١) أخرج الترمذي في السنن ٤/ ٣١٤ حديث رقم ١٩٩٠ . قوله: «إني لا أقول إلا حق».

(٢) في المخطوطة «نزعتم».

فأمرهم بثلاث: فقال: «أَخرجُوا المشركينَ من جزيرةِ العرب، وأجيزوا الوَفْد بنحو ما كنت أُجيزهم». وسكتَ عن الثالثة، أو قالها فنسيتُها، قال سفيان: هذا من قول سليمان. متفق عليه.

٥٩٦٧ ـ (١٢) وعن أَنس، قال: قال أبو بكر لعمر [رضي الله عنهما] بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلقْ بنا إِلى أمّ أيمن نزورُها كما كان رسول الله ﷺ يزورُها،

في صفاته وإنكارها بدعة، وثالثها في أحكام الفروع المحتملة وجودها فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء. وقال المازري: إن قيل: كيف جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع قوله: ائتوني أكتب. فالجواب أن الأوامر يقارنها قرائن تنقلها من الندب إلى الوجوب عند من قال أصلها الندب، ومن الوجوب إلى الندب عند من قال أصلها الوجوب. فلعله ظهر منه ﷺ من القرائن ما دل على أنه لم يوجب ذلك عليهم بل جعله إلى اختيارهم فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم. وهو دليل على رجوعهم إلى الاجتهاد في الشرعيات، وأدى اجتهاد عمر رضي الله عنه إلى الامتناع. ولعله اعتقد أن ذلك صدر منه ﷺ من غير قصد جازم. وكان هذا قرينة في إرادة عدم الوجوب والله أعلم. **(فأمرهم بثلاث)** أي خصال **(فقال:)** تفسير لما قبله **(أخرجوا المشركين من جزيرة العرب)** مر بيانه في باب إخراج اليهود من جزيرة العرب **(وأجيزوا الوفد)** أي أكرموا الوافدين عليكم والواصلين إليكم من حواليكم وأعطوهم الجائزة والعطية فيما لديكم. **(بنحو ما كنت أجيزهم)** أي كمية وكيفية. والتمييز فيما بينهم بحسب ما يليق بهم. قال النووي: أمر ﷺ بإكرام الوفود وضيافتهم تطييباً لنفوسهم وترغيباً لغيرهم من المؤلفة. وقالوا: سواء كان الوفد مسلمين أو كفاراً لأن الكافر إنما يفد غالباً فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحه. **(وسكت)** أي ابن عباس **(عن الثالثة)** أي نسياناً منه أو اقتصاراً **(أو قالها)** أي ذكرها **(فنسيتها)** وفي نسخة بضم النون وتشديد السين **(قال سفيان:)** الظاهر أنه ابن عيينة **(هذا)** أي قوله: سكت. **(من قول سليمان)** أي الأحول. قال النووي: الساكت هو ابن عباس والناسي سعيد بن جبير. قال مهلب: والثالثة تجهيز جيش أسامة. وقال القاضي عياض: ويحتمل أنه قوله ﷺ: لا تتخذوا قبري وثناً يعبد. **(متفق عليه)**.

٥٩٦٧ ـ **(وعن أنس قال: قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما)** بصيغة التثنية لجلالتهما أو لكونه من مقول أنس. وفي نسخة عنهم بصيغة الجمع ليعم أنساً. **(بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن)** هي أم أسامة بن زيد بن حارثة كانت مولاة النبي ﷺ فزوّجها زيداً واسمها بركة وهي حاضنة النبي ﷺ ورثها النبي ﷺ عن أبيه عبد الله، وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى وكانت من الحبشة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوماً. وأما زيد فملكته خديجة الكبرى فاستوهبه ﷺ فوهبته له فأعتقه ﷺ كذا ذكره بعض المحققين. ولم يذكر المؤلف أم أيمن في أسمائه **(نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها)** استئناف بيان كأنه قيل: لم ننطلق

الحديث رقم ٥٩٦٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٧ حديث رقم (١٠٣ ـ ٢٤٥٤). وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٥٢٣ حديث رقم ١٦٣٥.

فلمَّا انتهيا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟ أما تعلمينَ أنَّ ما عندَ اللَّهِ خيرٌ لرسول الله ﷺ؟ فقالت: إني لا أبكي أنّي لا أعلم أنَّ ما عندَ الله تعالى خيرٌ لرسول الله ﷺ، ولكن أبكي أنَّ الوحيَ قد انقطع من السَّماءِ، فهيَّجتْهُما على البكاءِ، فجعلا يبكيان معها. رواه مسلم.

٥٩٦٨ ـ (١٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، ونحن في المسجد، عاصباً رأسَهُ بخرقةٍ، حتى أهوى نحو المنبر، فاستوى عليه واتَّبعناه، قال: «والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى الحوض من مقامي هذا» ثم قال: «إنَّ عبداً عُرضتْ عليه الدنيا وزينتُها، فاختار الآخرة» قال: فلم يفطن

إليها، فأجيب نزورها لأنها مستحقة لذلك فهو أفخم بلاغة من أن لو قيل: نزورها حسب ما اقتضاه تعظيم المزور. **(فلما انتهينا)** أي أنا والشيخان وهو كذا بصيغة المتكلم في نسخ صحيح مسلم، وفي بعض نسخ المشكاة فلما انتهيا بصيغة التثنية، أي وصل أبو بكر وعمر. **(إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ. فقالت: إني لا أبكي أني لا أعلم)** بفتح الهمز على أنه مفعول له لقوله: لا أبكي. والمعنى: لا أبكي لأني لا أعلم **(أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ)** أي لأن هذا أمر ظاهر وظهوره باهر. **(ولكن أبكي أن)** أي لأن **(الوحي)** أي بالأحكام الإلهية السماوية **(قد انقطع من السماء. فهيجتهما)** بتشديد الياء أي فحملتهما **(على البكاء فجعلا يبكيان معها)** والبكاء بهذا المعنى لا ينقطع إلى آخر الدنيا **(رواه مسلم)**.

٥٩٦٨ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد)** حال من المفعول وهو قوله: علينا. **(عاصباً رأسه)** حال من ضمير فاعل خرج، أي رابطاً رأسه. **(بخرقة)** أي عصابة **(حتى)** غاية لخرج أي إلى أن **(أهوى)** أي قصد **(نحو المنبر)** أي إلى جهته **(فاستوى عليه وأتبعناه)** بهمزة قطع وإسكان تاء، وفي نسخة بهمز وصل وتشديد تاء، أي لحقناه وتبعناه بأن قعدنا تحت المنبر قريباً لديه ومتوجهاً إليه ﷺ. **(قال:)** أي بعد الحمد والثناء **(والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى الحوض)** أي الكوثر **(من مقامي هذا)** لما ورد من قوله: «ومنبري على حوضي»[(١)]. وقد سبق بيانه وتحقق شأنه. **(ثم قال: إن عبداً)** أي عظيماً وعند الله وجيهاً كريماً **(عرضت عليه الدنيا وزينتها)** أي الفانية **(فاختار الآخرة)** أي ونعمتها الباقية. وقد قال بعض العارفين: لو خير العاقل بين قدحين أحدهما خزف باق والآخر ذهب فانٍ اختار الخزف الباقي على الذهب الفاني، فكيف والأمر بالعكس فإن الآخرة ذهب باق والدنيا خزف فان، كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**والآخر خير وأبقى**﴾ [الأعلى ـ ١٧]. **(فلم يفطن)** بفتح الطاء ويضم من بابي فرح ونصر على ما في

الحديث رقم ٥٩٦٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٦٧ حديث رقم ٣٦٥٩. والدارمي في السنن ١/٤٩ حديث رقم ٧٧. وأحمد في المسند ٣/٩١.

(١) متفق عليه البخاري ٤/٩٩ حديث رقم ١٨٨٨ ومسلم ٢/١٠١١ حديث رقم ١٣٩١.

لها أحدٌ غيرَ أبي بكر، فذرفت عيناه، فبكى، ثمَّ قال: بل نفديك بآبائنا وأمَّهاتِنا وأنفسنا وأموالِنا يا رسولَ الله! قال: ثمَّ هبط فما قام عليه حتى الساعة. رواه الدارمي.

٥٩٦٩ ـ (١٤) وعن ابن عبَّاس، قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ دعا رسولُ الله ﷺ فاطمة قال: «نُعِيَتْ إليَّ نفسي» فبكت قال: «لا تبكي فإنك أوَّلَ أهلي لاحقٌ بي» فضحكت، فرآها بعضُ أزواجِ النبيِّ ﷺ فقلن: يا فاطمةُ رأيناكِ بكيتِ ثم ضحِكتِ. قالت:

المصباح. وفي القاموس: فطن به وإليه، وله كفرح ونصر وكرم. فتبين أن ما في بعض النسخ من كسر الطاء سهو قلم نشأ من قلة فطانة الكاتب، والمعنى لم يتفطن. **(لها)** أي لهذه النكتة أو للوفاة ولم يفهمها. **(أحد غير أبي بكر)** بالرفع على البدلية وينصب، أي إلا أبا بكر فإنه عرفها. **(فذرفت عيناه)** أي سالت دموع أبي بكر **(فبكى ثم قال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا)** أي عبيدنا وإمائنا وغيرهما لو كان جاز الفداء بشيء منها أو بجميعها. **(قال:)** أي أبو سعيد **(ثم هبط)** أي نزل **(عن المنبر فما قام عليه حتى الساعة)** أي إلى الآن. قال الطيبي: حتى هي الجارة، والمراد بالساعة القيامة. يعني: فما قام عليه بعد ذلك في حياته **(رواه الدارمي)**.

٥٩٦٩ ـ **(وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾)** أي إلى آخر السورة المشيرة إلى حصول الكمال المستعقب للزوال فكأنه قال: إذا صحت نصرتك فاشتغل بخدمتك من تنزيه ربك وشكر نعمتك، فقد تم المقصود من بعثتك. **(دعا رسول الله ﷺ فاطمة)** أي طلبها **(قال:)** استئناف بيان أو حال **(نعيت إلى نفسي)** بصيغة المجهول المؤنث، أي أخبرت بأني أموت. قال الطيبي: ضمن نعي معنى الإنهاء وعدي بإلى أي أنهى إلي نعي نفسي، كما تقول: أحمد إليك فلاناً. يقال: نعى الميت ينعاه، إذا أذاع موته وأخبر به. ولعل السر في ذلك أنه تعالى رتب قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ [النصر ـ ٣]. على مجموع قوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس [يدخلون في دين الله أفواجاً]﴾ [النصر ـ ٢ ـ ٣]. فهو أمر لرسول الله ﷺ بخاصة نفسه من الثناء على الله بصفات الجلال حامداً له على ما أولى من النعم بصفات الإكرام، وهي بذل المجهود فيما كلف به من تبليغ الرسالة ومجاهدة أعداء الدين، وبالإقبال على العبادة والتقوى والتأهب للمسير إلى المقامات العليا واللحوق بالرفيق الأعلى. **(فبكت)** أي فاطمة رضي الله عنها حزناً على قرب فراقه. **(قال: لا تبكي فإنك أول أهلي لاحق بي فضحكت)** أي فرحاً بسرعة وصاله **(فرآها بعض أزواج النبي ﷺ)** يراد بها عائشة رضي الله عنها، وجمعها في قوله: **(فقلن)** تعظيماً لشأنها ذكره الطيبي: ولا يبعد مشاركة غيرها معها فيما رأتها وهو الظاهر من قوله: بعض أزواج النبي ﷺ، مع قوله: فقلن. **(يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت)** ولعلهن كن في مكان متأخر عنها، أو تسار النبي ﷺ معها كما هو مصرح في رواية أخرى حيث امتنعت عن الجواب حينئذ، ثم أخبرت بعد موته ﷺ. **(فقالت:)**

الحديث رقم ٥٩٦٩: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٥١ حديث رقم ٧٩.

إنه أخبرني أنه قد نُعيَتْ إليه نفسه فبكيتُ، فقال لي: لا تبكي فإنك أوّلُ أهلي لاحقٌ بي فضحكتُ. وقال رسول الله ﷺ: «إذا جاء نصرُ الله والفتح، وجاءَ أهل اليمن، هم أرقُّ أفئدةً، والإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية». رواه الدارمي.

٥٩٧٠ ـ (١٥) وعن عائشة، أنها قالت: وارأساه! قال رسول الله ﷺ: «ذاك

والنسخة الصحيحة: قالت. (**إنه أخبرني أنه قد نعيت إليه نفسه فبكيت. فقال: لا تبكي فإنك أول أهلي لاحق بي. فضحكت.**) قال الأكمل: والصحيح أنها عاشت بعده ستة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل شهرين، وقيل سبعين يوماً. (**وقال رسول الله ﷺ: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾. وجاء أهل اليمن**) عطف على جاء نصر الله، وتفسير لقوله تعالى: ﴿**ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً**﴾. وإيذان بأن المراد بالناس هم أهل اليمن ([**هم**] **أرق أفئدة**) أي أرحم قلوباً وألين صدوراً (**والإيمان يمان**) أي يمني والألف عوض عن ياء النسبة. قيل: إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة وهي تهامة وتهامة من أرض اليمن، ولذا يقال الكعبة اليمانية. وقيل: إنه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة، وقال أبو عبيد: المراد بهم الأنصار لأنهم يمانيون في الأصل فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره. وقال الشيخ أبو عمر: بل المراد به أهل اليمن كما هو الظاهر، نسب الإيمان إليهم إشعاراً بكماله فيهم لأن من اتصف بشيء وقوي قيامه به نسب ذلك الشيء إليه، لا أن في ذلك نفياً له[1] عن غيره. فلا منافاة بينه وبين قوله ﷺ: «الإيمان في أهل الحجاز». ثم المراد بهم الموحدون في ذلك الزمان لا كل أهل اليمن في جميع الأحيان. (**والحكمة**) وهي عبارة عن إتقان العلم والعمل. وقيل الإصابة في القول والفعل، وهما متقاربان. قال تعالى: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ [البقرة ـ ٢٦٩]. وقال الطيبي: الحكمة كل كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في المهالك. (**يمانية**) بتخفيف الياء، وكذلك الألف فيه عوض. وحكى المبرد وغيره. أن التشديد لغة. (**رواه الدارمي**) وفي الجامع الصغير: الإيمان يمان. رواه الشيخان عن ابن مسعود[2]. وروى ابن عدي في الكامل وأبو نعيم في الحلية عن أنس: الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك[3]. وفي رواية لابن عدي وابن لال عن أبي هريرة: الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت[4].

٥٩٧٠ ـ (**وعن عائشة أنها قالت:**) أي لشدة صداع بها (**وارأساه**) ندبت رأسها وأشارت إلى الموت (**فقال رسول الله ﷺ: ذاك**) بكسر الكاف إشارة إلى ما يستلزمه المريض من الموت

---

(١) في المخطوطة «نفسي». (٢) الجامع الصغير ١/ ١٨٥ حديث رقم ٣٠٩٧.

(٣) ابن عدي وأبو نعيم في الحلية.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٣٣ حديث رقم ٣٨٢٨.

الحديث رقم ٥٩٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ١٢٣. حديث رقم ٥٦٦٦.

لو كان وأنا حيٌّ فأستغفرُ لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثُكْلياه! والله إني لأظنُّك تحبُّ موتي، فلو كان ذلك لظَلِلْتَ آخرَ يومك مُعْرِساً ببعض أزواجك فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه! لقد هممت ـ أو أردت ـ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأَعْهَد، أن يقول القائلون، أو يتمنَّى المتمنُّون، ثم قلت: يأبى اللَّهُ ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

(لو كان) أي إن حصل ذاك أي موتك **(وأنا حي)** أي والحال أني حي **(فأستغفر لك)** أي لمحو سيئاتك **(وأدعو لك)** أي لرفع درجاتك **(فقالت عائشة: واثكلياه)** الثكل بالضم ويحرك على ما في القاموس الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد. وقال غيره: الثكل كقفل فقد الموت أو من يعز على الفاقد، وليست حقيقته بمرادة هنا بل هو كلام يجري على ألسنتهم عند المصيبة. **(والله إني لأظنك)** أي أحسبك **(تحب موتي. فلو كان ذلك)** أي لو حصل موتي في يوم **(لظللت)** بكسر اللام أي صرت في ذلك النهار **(آخر يومك معرساً)** بضم ميم فسكون فكسر وفي نسخة بتشديد الراء أي عريساً. **(ببعض أزواجك)** والمعنى إن فقدتني وعشت بعدي تفرغت لغيري ونسيتني سريعاً. يقال: عرس وأعرس إذا بنى على زوجته، ثم استعمل في كل جماع ذكره ابن حجر. وفي النهاية: التعريس نزول آخر الليل. يقال: منه عرس وأعرس. وأعرس الرجل فهو معرس بنى بامرأته، ولا يقال: عرس. وفي القاموس: أعرس اتخذ عروساً وبأهله بنى عليها. والقوم نزلوا في آخر الليل للاستراحة كعرسوا وهذا أكثر. **(فقال النبي ﷺ: بل أنا وارأساه)** بل للإضراب أي دعي ما تجدين من وجع رأسك واشتغلي بي فإنه أهم من أمرك. وفي توافق محنتهما إيماء إلى كمال محبتهما على وفق خروج الدم من بدن[1] المجنون العامري وقت اقتصاد ليلى. **(لقد هممت)** أي قصدت **(أو أردت)** شك من الراوي **(أن أرسل إلى أبي بكر وابنه)** أي عبد الرحمٰن **(وأعهد)** أي أوصي أبا بكر بالخلافة بعدي واجعله لي عهدي **(أن يقول القائلون)** أي لئلا يقول القائلون أو مخافة أن يقول القائلون لم يعهد رسول الله ﷺ إلى أبي بكر الخلافة الكبرى، وإنما اقتصر على الخلافة الصغرى وهي الإمامة مع أن فيها الإشارة إلى إقامة تلك الأمانة. **(أو يتمنى المتمنون)** أي الخلافة لغيره من أنفسهم أو لغيرهم، فأو للتفريع لا للشك. وقال ابن الملك: أي كراهة أن يقول قائل أنا أحق منه بالخلافة أو يتمنى أحد أن يكون الخليفة غيره. وقال الطيبي: أن يقول مفعول له على تقدير محذوف، أي أجعل أبا بكر ولي عهدي كراهة أن يقول الخ. وأنت تعرف أن الفعل المعلل مذكور وهو أعهد، ولعله محذوف في أصل الطيبي والله أعلم. **(ثم قلت:)** أي في الخاطر وفي الظاهر **(يأبى الله)** أي إلا خلافته **(ويدفع المؤمنون)** أي غير خلافة أبي بكر **(أو يدفع الله)** شك من الراوي **(ويأبى المؤمنون)** أي أيضاً لاستخلافي [إياه] في الإمامة الصغرى، فإنها أمارة الإمارة الكبرى كما فهم بعض كبراء الصحابة حيث قال عند المنازعة: اختاره ﷺ لأمر ديننا أفلا نختاره لأمور دنيانا. فهذا برهان جلي وتبيان علي عند كل ولي. ثم في قوله: ويأبى الله والمؤمنون. إشارة إلى تكفير من أنكر حقية خلافة الصديق، اللهم إلا أن يقال المراد بالمؤمنين أكثرهم،

---

(١) في المخطوطة «يدي».

رواه البخاري.

٥٩٧١ ـ (١٦) وعنها: قالت: رجَعَ إِليَّ رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ من جنازةٍ من البقيع فوجدَني وأنا أجدُ صُداعاً، وأنا أقول: وارأساه! قال: «بل أنا يا عائشةُ! وارأساه» قال: وما ضرَّكِ لو متِّ قبلي، فغسلتُكِ وكفَّنتك، وصلَّيتُ عليكِ، ودفنتُكِ؟» قلت: لكأنّي بك واللّهِ لو فعلتَ ذلك لرجعتَ إِلى بيتي فعرَّستَ فيه ببعض نسائك، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ ثمَّ بُدِيءَ في وجعه الذي مات فيه. رواه الدارمي.

٥٩٧٢ ـ (١٧) وعن جعفر بن محمَّدٍ، عن أبيه، أن رجلاً من قريشٍ دخلَ على أبيه علي بن الحسين،

ففيه إثبات مخالفتهم لجمهور المسلمين. وقال ابن الملك: أي تركت الإيصاء اعتماداً على أن الله تعالى يأبى كون غيره خليفة ويدفع المؤمنون غيره، وقال ابن الملك: أي تركت الإيصاء اعتماداً على أن الله تعالى يأبى كون غيره خليفة ويدفع المؤمنون غيره، وفيه فضيلة لأبي بكر وإخبار بما سيقع فكان كما قال. **(رواه البخاري)**.

٥٩٧١ ـ **(وعنها)** أي عن عائشة **(قالت: رجع رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة)** أي من أجل جنازة فهو مفعول له **(من البقيع)** متعلق برجع[1] **(فوجدني وأنا أجد صداعاً)** بضم أوّله أي فصادفني والحال أني أحس وجع رأس بي **(وأنا أقول: وا رأساه. قال: بل أنا يا عائشة وا رأساه. قال: وما ضرك لو مت قبلي)** بضم الميم وكسرها **(فغسلتك)** بالتخفيف **(وكفنتك)** بالتشديد **(وصليت عليك ودفنتك)** فيه إيماء إلى أن موتها في حياته خير من حياتها بعد مماته. **(قلت: لكأني بك)** أي والله لكأني ملتبسة بك. قال الطيبي: اللام فيه جواب قسم محذوف والمذكور معترض بين الحال وصاحبها. المعنى: والله لكأني أبصر بك والكال كيت وكيت. **(لو فعلت ذلك)** أي [ما ذكر] من الغسل وغيره **(لرجعت إلى بيتي)** أي مكاني **(فعرست فيه ببعض نسائك)** بتشديد الراء، ففي الصحاح أعرس الرجل بأهله إذا بنى بها. ولا تقل عرس والعامة تقوله. اهـ. والحديث حجة على اللغويين، اللهم إلا أن يراد بالتعريس هنا النزول للاستراحة في آخر الليل أو مطلقاً على سبيل التجريد، ويكون كناية عن الجماع، أو يجعل من باب الاستعارة التبعية. **(فتبسم رسول الله ﷺ)** أي لما يدل عبارتها على كمال غيرتها حتى بعد وفاتها **(ثم بديء)** بصيغة المجهول أي شرع **(في وجعه الذي مات فيه رواه الدارمي)**.

٥٩٧٢ ـ **(وعن جعفر)** أي الصادق **(ابن محمد)** الباقر **(عن أبيه)** أي محمد **(أن رجلاً من قريش دخل على أبيه)** أي أبي محمد **(علي بن الحسين)** بدل أو بيان لأبيه، والمراد به زين

الحديث رقم ٥٩٧١: أخرجه الدارمي ١/ ٥١ حديث رقم ٨٠.

(١) في المخطوطة «خرج».

الحديث رقم ٥٩٧٢: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢٦٧.

فقال: ألا أُحدثُكَ عن رسولِ الله؟ قال: بَلى حدثْنا عن أبي القاسم ﷺ قال: لما مَرِضَ رسولُ الله ﷺ أتاه جبريلُ فقال: «يا محمَّد! إنَّ الله أرسلني إليك تكريماً لك، وتشريفاً لك، خاصةً لك يسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدُني يا جبريل! مغموماً، وأجدني يا جبريل! مكروباً». ثم جاءه اليوم الثاني، فقال له ذلك، فردَّ عليه النبي ﷺ كما ردَّ أوَّل يوم، ثم جاءَه اليومَ الثالث، فقال له كما قال أوَّل يوم، وردَّ عليه كما ردَّ عليه، وجاءَ معَه ملَكٌ يقال له: إسماعيل على مائة ألف مَلَك، كلُّ مَلَكٍ على مائة ألف ملَكٍ، فاستأذن عليه، فسأله عنه. ثم قال جبريل: هذا مَلَكُ الموتِ يستأذنُ عليك، ما استأذنَ على آدميّ قبلك، ولا يستأذن على آدميّ بعدك. فقال: ائذن له، فأذِنَ له، فسلَّم عليه، ثم قال: يا محمَّد! إنَّ الله أرسلني إليك، فإن أمرتني أن أقبضَ روحك قبضتُ، وإن أمرتني أن أتركه تركته؛ فقال: وتفعلُ يا ملكَ الموت؟ قال: نعم، بذلك أُمرتُ، وأُمرتُ أن أطيعَك؛

العابدين. (**فقال:**) أي علي بن الحسين رضي الله عنهم. (**ألا أحدثك عن رسول الله ﷺ قال:**) أي الرجل (**بلى حدثنا عن أبي القاسم ﷺ. قال:**) أي علي بن الحسين مرسلاً فإنه من أجلاء التابعين. (**لما مرض رسول الله ﷺ أتاه جبريل**) أي للعيادة والرسالة (**فقال: يا محمد إن الله أرسلني إليك تكريماً لك وتشريفاً لك**) أي تعظيماً (**خاصة لك**) أي في قوله: (**يسألك**) أي الله سبحانه (**عما هو أعلم به منك**) أي فإنه أقرب إلى المريد من حبل الوريد (**يقول: كيف تجدك**) أي من الأحوال (**قال: أجدني يا جبريل مغموماً**) أي مهموماً (**وأجدني يا جبريل مكروباً**) أي محزوناً، وإنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأقول في كل حال الحمد لله. (**ثم جاءه اليوم الثاني**) أي جبريل (**فقال له ذلك**) أي ما سبق من السؤال (**فرد عليه النبي ﷺ كما رد أوّل يوم**) أي من بيان الحال (**ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم**) أي أسبقه حقيقة أو إضافة[1] (**ورد عليه كما رد عليه**) أي فيما تقدم (**وجاء معه ملك**) أي في هذا اليوم أو يوماً آخر (**يقال له إسماعيل على مائة ألف ملك**) أي حاكم (**كل ملك على مائة ألف ملك**) أي أمير (**فاستأذن عليه**) أي بالدخول (**فسأله**) أي جبريل (**عنه ثم قال**) أي فقال أو بعد تأمل قال (**جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك**) أي بالدخول (**ما استأذن على آدمي قبلك**) أي من الأنبياء (**ولا يستأذن على آدمي بعدك**) أي من الأولياء بالأولى (**فقال:**) أي لجبريل (**ائذن له. فأذن له فسلم عليه**) أي فرد [عليه] (**ثم قال: يا محمد إن الله أرسلني إليك**) أي حتى أعرض الأمر عليك (**فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضت وإن أمرتني أن أتركه تركته**) والروح يذكر ويؤنث، وفي نسخة بترك الضميرين. (**فقال: وتفعل**) أي أو تفعل مأموري (**يا ملك الموت. قال: نعم بذلك**) أي بتخييرك (**أمرت وأمرت أن أطيعك**) أي فيما اخترت به، وهذا أولى من قول الطيبي قوله:

---

(١) في المخطوطة «حفيفية» أو «طافية».

قال: فنظَرَ النبيُّ ﷺ إلى جبريل عليه السلام، فقال جبريل: يا محمّد! إنَّ الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال النبيُّ ﷺ لملك الموت: «امض لما أُمِرْتَ به» فَقَبَضَ روحَهُ، فلما توفي رسولُ الله ﷺ وجاءت التَّعزيةُ سمعوا صوتاً من ناحية البيت: السَّلامُ عليكم أهلَ البيت ورحمةُ اللَّهِ وبركاته، إنَّ في اللَّهِ عزاءً من كلِّ مصيبةٍ، وخَلَفاً من كلِّ هالكٍ، ودَرَكاً من كلِّ فائت، فبالله فاتَّقوا، وإيَّاه فارجوا، فإنما المصابُ من حرُم الثواب.

وأمرت. عطف على قوله: بذلك أمرت، أي بقبض روحك من العطف المخصص للمعطوف عليه. **(قال:)** أي علي بن الحسين **(فنظر النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام)** أي كالمستشير إليه **(فقال جبريل: يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك)** أي وإلا لما أرسل إلى موجب عنائك. **(فقال النبي ﷺ لملك الموت: امض)** بكسر همز الوصل والضاد أي أنفذ **(لما أمرت به)** ولا تتوقف فيه. قال الطيبي: وإلى ههنا ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفاء، وذكر بعده: فقال جبريل عليه السلام: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطئي الأرض إنما كنت حاجتي في الدنيا. **(فقبض روحه)** إنا لله وإنا إليه راجعون. **(فلما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية)** أي من كل ناحية البيت **(سمعوا صوتاً من ناحية البيت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله)** أي في كتابه **(عزاء)** بفتح العين أي تسلية **(من كل مصيبة)** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة**﴾ [البقرة ـ ١٥٥ ـ ١٥٦]. أو في ثوابه عوضاً من كل محنة وبلية. قال صاحب النهاية: وفي الحديث: من لم يتعز بعزاء الله، قيل أراد بالتعزي في هذا الحديث التسلي والتصبر عند المصيبة وأن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. قال الطيبي: فعلى هذا يجوز أن يقدر مضاف في قوله: في الله. أي إن في لقاء الله تعالى تسلياً وتصبراً من كل مصيبة، وأن يراد إن في الله تسلية على التجريد أي الله معز ومسل[1]، نحو قوله: وفي الرحمٰن للضعفاء كاف، ويؤيده القرينتان يعني قوله: **(وخلفاً)** بفتحتين أي عوضاً **(من كل هالك ودركاً)** بفتح الدال والراء أي تداركاً **(من كل فائت)** وما أحسن من قال من أرباب الحال [شعر]

لكل شيء إذا فارقته خلف * وليس لله إن فارقت من عوض

(فبالله) أي فإذا كان الأمر كذلك فبعونه وحوله وقوّته **(فاتقوا)** أي الجزع والفزع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**واصبر وما صبرك إلا بالله**﴾ [النحل ـ ١٢٧]. وفي بعض النسخ موافقاً لما في الحصن الحصين فثقوا بكسر المثلثة وتخفيف القاف المضمومة، أي فاعتمدوا به إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾ [الفرقان ـ ٥٨]. **(وإياه فارجوا)** أي لا ترجوا سواه فإنه لا إله إلا الله، أو من عنده فارجوا الثواب. **(فإنما المصاب)** أي [في] الحقيقة **(من حرم الثواب)** بصيغة المفعول أي من منع المثوبة بسبب قلة الصبر في قضية المصيبة، والصبر المعتبر عند المولى هو الذي يكون عند الصدمة الأولى. هذا وقال الطيبي؛ الفاء في قوله:

---

(١) في المخطوطة «سلي».

فقال عليٌّ: أتدرونَ من هذا؟ هو الخَضِر عليه السلام. رواه البيهقي في «دلائل النبوَّة».

فبالله، جواب للشرط، وبالله حال قدمت على عاملها اختصاصاً كما في قوله تعالى: ﴿**فإياي فاعبدون**﴾ [العنكبوت ـ ٥٦]. أي إذا كان الله معزياً وخلفاً ودركاً فحصوه بالتقوى مستعينين[١] به، والفاء فاتقوا وردت لتأكيد الربط، وكذا في قوله: فارجوا. تقديم المفعول ليس لإرادة التخصيص بل لتتعادل به القرينة في اقتران الفاء. قلت: لا منافاة بين إرادة الاختصاص المفيد للإخلاص وحصول التعادل بين اقتران التماثل. (**فقال علي:**) أي زين العابدين، أو علي بن أبي طالب. (**أتدرون من هذا**) أي صاحب الصوت (**هذا هو الخضر عليه السلام**) بفتح الخاء وكسر الضاد، وقيل بكسر وسكون. وفي تهذيب الأسماء يجوز إسكان الضاد مع فتح الخاء وكسرها[٢]، قال الطيبي: وفيه دلالة بينة على أن الخضر عليه السلام حي موجود (**رواه البيهقي**) أي الحديث بكماله (**في دلائل النبوّة**) وقد علمت أن صدر الحديث إلى قوله: فلما توفي ذكره ابن الجوزي في كتابه الوفاء، وأما ما بعده فقد ذكره ابن الجزري في الحصن ولفظه: ولما توفي ﷺ عزتهم الملائكة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. رواه الحاكم في مستدركه عن جابر[٣] ثم قال: ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت إلى الصحابة فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله فأنيبوا [و] إليه فارغبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر وانصرف. فقال أبو بكر وعلي: هذا الخضر عليه السلام. رواه في المستدرك من حديث أنس، قال ميرك: وليس بصحيح. وقال العسقلاني: هذا الحديث واهي الإسناد أي ضعيف بخصوص هذا السند، لكن إذا انضم إلى غيره يتقوى ويترقى إلى درجة الحسن فاندفع ما قال الخضري[٤] في حاشية المشكاة من أن هذا الحديث موضوع، رواه عبد الله بن محرز عن يزيد الأصم عن زين العابدين، وابن محرز متروك كما في مقدمة مسلم[٥]. اهـ. ولا يخفى أنه لا يستلزم من كون أحد الرواة متروكاً كون الحديث موضوعاً لا سيما إذا جاء الحديث من طريق آخر بل وتعدد طرقه فلا يشك في كونه ثابتاً. ولا يضر عدم كونه صحيحاً إذ لا يتعلق به حكم شرعي مع أن أكثر الأحكام إنما ثبت بالأحاديث الحسان لقلة الصحاح حيث لا معارض[٦] والله أعلم.

---

(١) في المخطوطة «مستغنين».
(٢) كررت مرتين في المخطوطة.
(٣) الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٧.
(٤) في المخطوطة «الخضيري».
(٥) مقدمة مسلم في صحيحه ١/ ٧.
(٦) في المخطوطة «تعارض».

(١٠) باب

الفصل الأول

٥٩٧٣ ـ (١) عن عائشةَ، قالت: ما تركَ رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاةً ولا بعيراً، ولا أوصى بشيءٍ. رواه مسلم.

٥٩٧٤ ـ (٢) وعن عمرو بن الحارث أخي

(باب بالرفع والإِسكان)

(الفصل الأوّل)

٥٩٧٣ ـ **(عن عائشة قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ولا أوصى بشيء)** قال النووي: وفي رواية أخرى ذكروا عند عائشة رضي الله عنها أن علياً رضي الله عنه كان وصياً فقالت: متى أوصى إليه وقد كنت مسندته حتى مات فمتى أوصى[1]. ومعنى [و] لا أوصى بشيء أي لا أوصى بثلث ماله ولا غيره، إذ لم يكن له مال. ولا أوصى إلى علي ولا إلى غيره خلاف ما يزعمه الشيعة. وأما الأحاديث الصحيحة في وصيته ﷺ بكتاب الله ووصيته لأهل البيت وإخراج اليهود من جزيرة العرب وإجاز الوفد، فليست مرادة بقولها: ولا أوصى. وأما الأرض التي كانت له ﷺ بخيبر وفدك فقد سبلها ﷺ في حياته وجعلها صدقة للمسلمين **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي في الشمائل إلا قولها: ولا أوصى بشيء. ثم قال رزين الحبشي الراوي عن عائشة: وأشك في العبد والأمة. وسيأتي نفيهما أيضاً. وأما ما حكى بعض أهل السير من أن رسول الله ﷺ كان له إبل كثيرة وكان له عشرون ناقة يحفظونها في نواحي المدينة ويأتون بألبانها في كل ليلة وكان له سبع شياه يشربون ألبانها وكان له سبع معز يشربون من ألبانها، فلا يصلح لمعارضة هذا الحديث الصحيح، ولو صح لحمل على أنها كانت من إبل الصدقة وكان أصحابه الفقراء من أهل الصفة وغيرهم يشربون من ألبانها.

٥٩٧٤ ـ **(وعن عمرو بن الحارث)** أي الخزاعي له صحبة على ما في الشمائل **(أخي**

الحديث رقم ٥٩٧٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٥٦ حديث رقم (١٨ . ١٦٣٥) وابن ماجه في السنن ٢/ ٩٠٠ حديث رقم ٢٦٩٥. وأحمد في المسند ٦/ ٤٤.

(١) مسلم في صحيحه ٣/ ١٢٥٧ حديث رقم ١٦٣٦.

الحديث رقم ٥٩٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٣٥٦. حديث رقم ٢٧٣٩. وأخرجه النسائي في السنن ٦/ ٢٢٩ حديث رقم ٣٥٩٤.

جويرية، قال: ما تَرَكَ رسولُ اللّهِ ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً إلاّ بغلَتَه البيضاء، وسلاحَهُ، وأرضاً جعلها صدقةً. رواه البخاري.

٥٩٧٥ ـ (٣) وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً،

جويرية) بالتصغير إحدى أمهات المؤمنين **(قال: ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة)** أي في الرق. ففيه دلالة على أن ما ذكر من رقيق النبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتقه. **(ولا شيئاً)** تعميم بعد تخصيص **(إلا بغلته البيضاء)** أي التي كان يختص بركوبها **(وسلاحه)** أي الذي كان يختص بلبسه من نحو سيف ورمح ودرع ومغفر وحربة. ولعل هذا الحصر إضافي في مبنى على عدم اعتبار أشياء أخر مثل الأثواب وأمتعة البيت، وإلا فقد ثبت أنه ترك أثواباً وغيرها قد بينت في موضعها. ولعل حكمة سكوت الراوي عن ذكرها كونها محقرة بالنسبة للمذكورات. **(وأرضاً جعلها صدقة)** قال شارح: الضمير المفعول لما ذكر من البغلة والسلاح والأرض، والظاهر المتبادر أنه للأرض. قال العسقلاني: أي تصدق بمنفعة الأرض فصار حكمها حكم الوقف. والمعنى أنه جعلها في حياته صدقة جارية باقية إلى قيامها فيدوم ثواب الصدقة بدوامها، فلا ينافي أن ما عداها من أملاكه بنفس الموت تصير صدقة كما لا يخفى. قال العلامة الكرماني في شرح البخاري: هي نصف أرض فدك وثلث أرض وادي القرى وسهمه من خمس خيبر وحصة من أرض بني النضير، وضمير جعلها راجع إلى كل الثلاثة لا إلى الأرض فقط، فإنه ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة. اهـ. وسيأتي تحقيقه **(رواه البخاري)**.

٥٩٧٥ ـ **(وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا تقسم ورثتي ديناراً)** بتأنيث الفعل ورفعه فهو إخبار حقيقة. ومعناه ليس تقتسم ورثتي بعد موتي ديناراً، إذ لست أخلف بعد موتي ديناراً أملكه[1] فيقتسمون ذلك. ويحتمل أن يكون إخباراً في الصورة ونهياً في المعنى فهو أبلغ من النهي الصريح. قال الطيبي: ويجوز أن يكون بمعنى النهي، فهو على منوال قوله:

* على حب لا يهتدي بمناره *

أي لا دينار هناك فيقسم. اهـ. وفي نسخة بالتذكير وفي أخرى بالجزم، وفي بعض النسخ لا تقتسم من الاقتسام مرفوعاً ومجزوماً. قال ميرك: هو بإسكان الميم على النهي وبضمها على النفي وهو الأشهر، وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ما ثبت أنه ﷺ لم يترك مالاً يورث عنه. وتوجيه رواية النهي أنه لم يقطع بأنه لا يخلف شيئاً بل كان ذلك محتملاً فنهاهم عن قسمة ما يخلف، إن اتفق أنه خلفه، ذكره العسقلاني. وقال ابن حجر في شرح

الحديث رقم ٥٩٧٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٤٠٦. حديث رقم ٢٧٧٦. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٨٢ حديث رقم (٥٥ ـ ١٧٦٠). وأبو داود في السنن ٣/ ٣٧٩ حديث رقم ٢٩٧٤ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٣ حديث رقم ٢٨ من كتاب الكلام. وأحمد في المسند ٢/ ٤٦٤.

(١) في المخطوطة «أمكن».

ما تركتُ بعد نفقةِ نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقةٌ». متفق عليه.

الشمائل: رواية مسلم لا يقتسم وهو نفي لا نهي، لأن المنهي عنه شرطه الإمكان وإرث النبي غير ممكن، فتمحض للإخبار بأنهم لا يقتسمون شيئاً لأنه لا يورث. اهـ. وفيه أن الشرط هو الإمكان العقلي وهو متصوّر، لا الإمكان الشرعي لئلا يتعارضا. ثم قوله: ورثتي. أي بالقوّة وإلا فحيث لا قسمة فلا ورثة. قال ابن حجر: أي من يصلح ورثتي لو أمكنت. وقال ميرك: هم ورثته باعتبار أنهم كذلك بالقوّة لكن منعوا من الميراث بالدليل الشرعي، وهو قوله: لا نورث. ثم بين سببه وعلته مستأنفاً **(ما تركت)** ما موصولة مبتدأ وتركت صلته، والعائد محذوف أي الذي تركته. **(بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة)** والفاء لتضمين المبتدأ معنى الشرط كقولهم: الذي يأتيني فله درهم. وهو ضمير الفصل يفيد التوكيد والتأبيد. وفي شرح السنة قال سفيان بن عيينة: كان أزواج النبي ﷺ في معنى المعتدات إذ كن لا يجوز لهن أن ينكحن أبداً فجرت لهن النفقة. وقوله: ومؤونة عاملي. أراد بالعامل الخليفة بعده، وكان النبي ﷺ يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت له من أموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين، ثم [وليها] أبو بكر ثم عمر كذلك. فلما صارت إلى عثمان استغنى عنها بماله فأقطعها مروان وغيره من أقاربه فلم يزل في أيديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز. وقال شارح من علمائنا: يريد بما تركه من أموال الفيء التي كان يتصرف فيها تصرُّف الملاك ولم يكن ذلك لغيره. وقوله: بعد نفقة نسائه. لأن نفقة نسائه بعده كانت تتعلق بحياة كل واحدة منهن لكونهن محبوسات عن النكاح في الله وفي رسوله وبقي حكم نكاح النبي ﷺ باقياً مدة بقائهن فوجب لهن النفقة من مال الفيء وجوب نفقة النساء على أزواجهن. والحاصل أنه ليس معنى نفقة نسائه إرثهن منه بل لكونهن محبوسات وممنوعات عن الأزواج بسببه، فهن في حكم المعتدات ما دامت حياتهن. وقيل: لا عدة عليهن لأنه ﷺ حي في قبره وكذلك سائر الأنبياء، فعلى هذا لا إشكال في نفقة النساء. وقال بعضهم: لعظم حقوقهن وقدم هجرتهن وكونهن أمهات المؤمنين ولذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن. قال الشارح: وأما نفقة عامله فإنها تتعلق بعامل ذلك وهو العامل الذي استعمله على مال الفيء فاستحق العمالة بقدر عمله ولم يكن يأخذها فاستثناها من مال الفيء. اهـ. ولفظ الحديث: ومؤونة عاملي. ففي شرح المشارق: المؤونة الثقل فعولة من مأنت القوم أي احتملت مؤونتهم. وفي الصحاح: المؤونة يهمز ولا يهمز. وقال الفراء: مفعلة من الأين وهو التعب والشدة. وقيل هي مفعلة من الأون وهو الخرج والعدل لأنها ثقل على الإنسان. اهـ. وفي الحديث: المعونة تأتي على قدر المؤنة. وقال بعض المحققين: اختلف في المراد بقوله: مؤونة عاملي. فقيل: الخليفة بعده وهذا هو المعتمد. وقيل: يريد بذلك العامل على النخل والقيّم على الأرض، وبه جزم الطبري وابن بطال. وأبعد من قال المراد بعامله حافر قبره عليه الصلاة والسلام. وقال ابن دحية في الخصائص: المراد بعامله خادمه العامل على الصدقة. وقيل: العامل فيها كالأجير واستدل به على أجرة القسام. وقيل: كل عامل للمسلمين إذ هو عامل له ونائب عنه في أمته. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في الشمائل بزيادة: ولا درهماً. فقيل فائدة التقييد بهما التنبيه على أن ما فوقهما بذلك أولى وهذا الحكم عام في الأنبياء لورود الحديث الآتي: لا نورث ما تركناه

٥٩٧٦ ـ (٤) وعن أبي بكر [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نُورَثُ، ما تركناه صدَقةٌ».

صدقة. يعني لا نورث نحن معاشر الأنبياء فإنا من جملة الفقراء، ومن شرط الفقير عند الصوفية أنه لا يملك فما في يده إما أمانة أو وقف أو صدقة. وحاصل الحديث ما ميراثنا إلا واقع ومنحصر في صرف أحوال الفقراء والمساكين، كما جاء في حديث آخر أن النبي ﷺ لا يورث إنما ميراثه في فقراء المسلمين والمساكين. وقيل: لئلا يفرح أحد بموته من ورثته من حيثية أخذ تركته. وخالف الحسن البصري في المسألة العامة وقال: هذا الحكم مختص بنبينا ﷺ لقوله تعالى: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ [مريم ـ ٦]. وقال: وهي وراثة(١) مال لا نبوّة وإلا لم يقل: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ [مريم]. إذ لا يخافهم على النبوّة. وصوّب الجمهور خلاف قوله لخبر النسائي: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث»(٢). والمراد في الآية وراثة النبوّة دون حقيقة الإرث، بل قيامه مقامه وحلوله مكانه. وعلى هذا فإنما خاف من استيلاء الموالي على مرتبته الظاهرة بالقهر والقوّة والغلبة، وهذا وقال الباجي: أجمع أهل السنة أن هذا حكم جميع الأنبياء. وقال ابن علية: إن ذلك لنبينا عليه الصلاة والسلام. وقالت الإمامية: إن جميع الأنبياء يورثون ذكره السيوطي.

٥٩٧٦ ـ (**وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا نورث**) بسكون الواو وفتح الراء، أي نحن معاشر الأنبياء لا نورث. قال الطيبي: أي لا يورث منا، فحذف الجار فاستمر ضمير الجمع في الفعل فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم. اهـ. وهذا بناء على أنه لا يتعدى بنفسه. وجعله بعض اللغويين متعدياً بنفسه وبمن فلا خلاف(٣) ولا تحويل عن(٤) الإسناد، كذا حققه الأستاذ مولانا عبد الله السندي رحمه الله. وقد جاء اللغتان في التنزيل: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ [مريم ـ ٦]. وفي القاموس: ورث أباه، ومنه بكسر الراء يرثه كيعده وأورثه جعله من ورثته، وحكي نورث على صيغة المعلوم وكذا ضبط في نسخة، أي لا نترك مالاً ميراثاً لأحد. قال(٥) المغرب: ورث أباه مالاً يرث وارثه فهو وارث والأب والمال كلاهما موروث ومنه: إنا معاشر الأنبياء لا نورث. وكسر الراء خطأ رواية. اهـ. وبه اندفع زعم من قال إنه هو الأظهر. والمعنى إنه ليس بخطأ دراية لو صحت رواية لما قدمناه في المعنى المستفاد من القاموس (**ما تركناه**) الضمير راجع إلى ما الموصولة (**صدقة**) بالرفع

---

(١) في المخطوطة «وارثه».

(٢) النسائي في السنن ٧/ ١٣٢ حديث رقم ٤١٤١ والحديث يأتي في الرقم ٥٩٧٦.

الحديث رقم ٥٩٧٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ٥. حديث رقم ٦٧٢٦. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٨٣ حديث رقم (٥٦ . ١٧٦١). وأخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٣٨١ حديث رقم ٢٩٧٦ ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٣ حديث رقم ٢٧ من كتاب الكلام. وأحمد في المسند ٦/ ١٤٥.

(٣) في المخطوطة «حذف». (٤) في المخطوطة «على».

(٥) في المخطوطة «قول».

متفق عليه.

٥٩٧٧ ـ (٥) وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إنَّ الله إذا أراد رحمة أمَّةٍ من عباده قبض نَبِيَّها قَبلَها فجعله لها فَرَطاً وسَلَفاً بين يديها، وإذا أرادَ هَلَكَةَ أمَّةٍ عذَّبها ونبيُّها فأهلكها وهو ينظر، فأقرَّ عينيه بهَلَكَتِهَا حين كذَّبُوه وعصَوْا أمره». رواه مسلم.

٥٩٧٨ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه ليأتينَّ على أحدكم يومٌ ولا يراني، ثم لأنْ يراني أحبُّ إليه من أهلِهِ ومالِهِ معهم». رواه مسلم.

جملة مستأنفة. كأنه لما قيل: لا نورث، فقيل: ما تفعلون بتركتكم. فأجيب: ما تركناه صدقة. ذكره الطيبي. ويروي صدقة بالنصب وهو كذلك في نسخة، أي ما تركناه مبذول صدقة فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض. ونظيره قوله تعالى: ﴿ونحن عصبة﴾ [يوسف ـ ٨]. بالنصب في قراءة شاذة. وأما قول الشيعة إن ما نافية وصدقة مفعول تركنا فبهتان وزور، ويرده وجود الضمير في تركناه في أكثر الروايات ووجود فهو صدقة في بعضها، وصرائح بعض الأحاديث كقوله: إنا معاشر الأنبياء لا نورث. لما يلزم من التناقض بين السابق واللاحق والله الموفق للصادق. وأما ما جاء في رواية ما تركنا صدقة من غير ضمير فهو كما قال المالكي: إن ما تركنا موصولة مبتدأ وتركنا صلة والعائد محذوف وصدقة خبر وبه يحصل الجمع رواية ودراية. **(متفق عليه)**.

٥٩٧٧ ـ **(وعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً)** بفتحتين فيهما والثاني تفسير لأولهما، أي سابقاً ومقدماً وشفيعاً. **(بين يديها)** أي قدامها حين مات راضياً عنها **(وإذا أراد)** أي الله **(هلكة أمة)** بفتحتين أي هلاكها **(عذبها ونبيها حي فأهلكها وهو ينظر)** أي إليها أو إلى قدرة خالقها **(فأقر)** أي الله **(عينيه)** بالتثنية للمبالغة، أي أسرهما بما ترياه مما يشفي غيظه **(بهلكتها)** أي بسبب هلاكها **(حين كذبوه)** أي من الكفار **(وعصوا أمره)** أي من الفجار **(رواه مسلم)**.

٥٩٧٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم)** يشمل الصحابة وغيرهم **(يوم)** أي زمان **(ولا يراني)** أي أحدكم حينئذ **(ثم لأن يراني)** أي لرؤيته إياي **(أحب إليه من أهله وماله معهم)** أي مع أهله. وهو يفيد التأكيد دفعاً لما يتوهم من أن تكون الواو بمعنى أو، أو يحمل على الأهل تارة وعلى المال أخرى. **(رواه مسلم)** وفي الحديث إيماء إلى معنى ما ورد من الحديث المشهور: طوبى لمن رآني وآمن بي(١).

الحديث رقم ٥٩٧٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩١ حديث رقم ٢٤/ ٢٨٨٨.

الحديث رقم ٥٩٧٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٦ حديث رقم (١٤٢. ٢٣٦٤) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٧.

(١) أحمد في المسند ٣/ ٧١.

كتاب المناقب

(١) باب مناقب قريش وذكر القبائل

الفصل الأول

٥٩٧٩ ـ (١) عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «النَّاسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشأن، مسلمُهم تبَعٌ لمسلمهم، وكافرُهم تبعٌ لكافرهم».

(باب مناقب قريش وذكر القبائل)

المناقب جمع المنقبة وهي الشرف والفضيلة، وذكر القبائل عطف على المناقب والمراد بذكرهم أعم من مدحهم وذمهم.

(الفصل الأوّل)

٥٩٧٩ ـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الناس تبع) بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم، أي الناس كلهم تابعون. (لقريش في هذا الشأن) أي في الدين والطاعة أو في الخلافة. ويؤيد المعنى الأوّل قوله: (مسلمهم) أي مسلم عامة الناس (تبع لمسلمهم) أي مسلم قريش (وكافرهم تبع لكافرهم) قال شارح: وإذ قد علمنا أن أحداً من قريش لم يبق بعده على الكفر علمنا أن المراد منه أن الإسلام لم ينقصهم مما كانوا عليه في الجاهلية من الشرف، فهم سادة في الإسلام كما كانوا قادة في الجاهلية. اهـ. وقيل معناه إن كانوا خياراً سلط الله عليهم أخياراً منهم، وإن كانوا أشراراً سلط الله عليهم أشراراً منهم كما قيل: أعمالكم عمالكم، وكما روي: «كما تكونوا يولي عليكم»[(١)]. وفي شرح السنة معناه تفضيل قريش على قبائل العرب وتقديمها في الإمامة والإمارة. وقال المظهر: كانت العرب تقدم قريشاً وتعظمها إذ كانت دارهم موسماً والبيت الذي هم سدنته منسكاً

الحديث رقم ٥٩٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٢٦. حديث رقم ٣٤٩٥. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥١ حديث رقم (٢ ـ ١٨١٨) وأحمد في المسند ١/ ١٠١.

(١) الديلمي في مسند الفردوس ٣/ ٣٠٥ حديث رقم ٤٩١٨.

متفق عليه.

٥٩٨٠ ـ (٢) وعن جابر، أنَّ النبي ﷺ قال: «الناس تَبَعٌ لقريش في الخير والشر».

رواه مسلم.

وكانت لهم السقاية والرفادة يعظمون الحجيج ويسقونهم، فحازوا به الشرف والرياسة عليهم. وقال القاضي: المراد بهذا الشأن الدين. والمعنى: أن مسلمي قريش قدوة غيرهم من المسلمين لأنهم المتقدمون في التصديق السابقون في الإيمان، وكافرهم قدوة غيرهم من الكفار فإنهم أوّل من رد الدعوة وكفر بالرسول وأعرض عن الآيات. قال الأشرف: فلا يكون حينئذ قوله: وكافرهم إلى آخره، في معرض المدح. قلت: فلا يكون محذور حينئذ. مع أنه قد يقال ليس مدحاً شرعاً، لكنه يتضمن مدحاً عرفاً، وهو أن هذا الجنس متبوعون في الجملة لا تابعون، كما سيأتي: من أن الناس تبع لقريش في الخير والشر. ويؤيده أنه لما بعث ﷺ قال: عامة العرب ينظر ما يصنع قومه. فلما فتح مكة وأسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجاً، ولهذا استمرت خلافة النبوة في قريش. ثم رأيت الطيبي قال: ويؤيد قول القاضي الحديث الذي يتلوه كأنه قيل متبوعون في كل أمر والناس يقتفون آثارهم. ويزعمون أن كل ما صدر عنهم خير. ونحوه قول الشاعر:

ونحن التاركون لما سخطنا * ونحن الآخذون لما رضينا

أقول وفيه إشعار بأن الخلق لا يأنفون عن متابعتهم وأن قابلية المتبوعية مجبولة في جبلتهم، فينبغي أن لا يخرج عنهم أمر الخلافة لئلا يترتب عليه المخالفة، وبه يحصل الجمع بين أقوال الأئمة في معنى هذا الحديث (**متفق عليه.**) وعن علي قال: سمعته أذناي ووعاء قلبي من رسول الله ﷺ: الناس تبع لقريش صالحهم تبع لصالحهم وشرارهم تبع لشرارهم. أخرجه أحمد في المناقب[1].

٥٩٨٠ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: الناس تبع لقريش**) وجه تسميتهم بقريش[2] مبسوط في القاموس. (**في الخير**) أي الإسلام (**والشر**) أي الكفر (**رواه مسلم**) وكذا أحمد. وفي الجامع الصغير: قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم كما أن الطعام لا

---

(١) أحمد في المسند ١/١٠١.

الحديث رقم ٥٩٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٤٥١ حديث رقم (٣ . ١٨١٩). وأحمد في المسند ٣/٣٧٩.

(٢) في المخطوطة «تبعيتهم لقريش». وفي سبب تسميتهم بقريش عدة أسباب منها: أنه مشتق من دابة في البحر لا تدع الدواب إلا أكلتها قال الشاعر:

وقريش التي تسكن البحر * وبها سميت قريش قريشا

وقيل سميت بذلك لتقرشها. أي تجمعها إلى مكة من حواليها. بعد تفرقها في البلاد وقد ذكر ابن منظور في كتابه لسان العرب ذلك تفصيلاً في مادة «قرش».

٥٩٨١ ـ (٣) وعن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقي منهم اثنان». متفق عليه.

يصلح إلا بالملح[١]. رواه ابن عدي في الكامل عن عائشة مرفوعاً. وفي رواية ابن عساكر عن عمرو بن العاص مرفوعاً: قريش خالصة الله تعالى. فمن نصب لها حرباً سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة[٢]. وروى ابن عدي عن جابر مرفوعاً: قريش على مقدمة الناس يوم القيامة، ولولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب[٣]. وروى أحمد والترمذي عن عمرو بن العاص مرفوعاً: قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة[٤]. وفي رواية لأحمد عن أبي بكر وسعد مرفوعاً: قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم[٥]. وعن ابن أبي ذئب أن رسول الله ﷺ قال: شرار قريش خير شرار الناس. أخرجه الشافعي في مسنده[٦]. وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: قوّة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم، وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم. رواه أحمد. وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: : يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم. أخرجه أحمد في المناقب.

٥٩٨١ ـ **(وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: لا يزال هذا الأمر)** أي أمر الخلافة **(في قريش ما بقي منهم)** أي من الناس **(اثنان)** أي فيكون واحد خليفة وواحد تابع له. قال النووي: هذه الأحاديث وما أشبهها فيها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم. ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج بإجماع الصحابة وبين ﷺ أن هذا الحكم مستمر إلى آخر الدهر ما بقي من الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ إلى الآن. اهـ. والتحقيق أن هذا خبر بمعنى الأمر، أي من كان مسلماً فليتبعهم ولا يخرج عليهم. وإلا فقد خرج هذا الأمر عن قريش في أكثر البلاد من مدة أكثر من مائتي سنة. ويحتمل أن يكون على ظاهره وأنه مقيد بقوله في الحديث الآتي: ما أقاموا الدين ولم يخرج منهم إلا وقد انتهكوا حرماته. كذا ذكره السيوطي. وقيل: هو على ظاهره، والمراد بالناس بعض الناس أي سائر العرب ذكره ابن حجر فتدبر. **(متفق عليه.)** وفي ذخائر العقبى نسبه إلى البخاري ورواه أحمد في مسنده.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٨١ حديث رقم ٦٧١٩. وأخرجه ابن عدي بلفظ: «قريش ملح الناس» ٥/ ١٦٩٥.
(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٨١ حديث رقم ٦١٢٠.
(٣) الجامع الصغير ٢/ ٣٨١ حديث رقم ٦١٢١. وأخرجه ابن عدي ١/ ٢٩٩.
(٤) الترمذي في السنن ٤/ ٤٣٦ حديث رقم ٢٢٢٧. وأحمد في المسند ٤/ ٢٠٣.
(٥) الجامع الصغير ٢/ ٣٨١ حديث رقم ٦١٢٤.
(٦) مسند الإمام الشافعي ص ٢٧٩.

الحديث رقم ٥٩٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٣٣. حديث رقم ٣٥٠١. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥٢ حديث رقم (٤ ـ ١٨٢٠).

٥٩٨٢ ـ (٤) وعن معاوية، قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ هذا الأمرَ في قريش، لا يُعاديهم أحدٌ إِلا كبَّهُ اللّهُ على وجهه، ما أَقامُوا الدِّينَ». رواه البخاري.

٥٩٨٣ ـ (٥) وعن جابر بن سَمُرةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يزال

٥٩٨٢ ـ **(وعن معاوية)** أي ابن أبي سفيان **(قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن هذا الأمر)** أي أمر الإمارة **(في قريش لا يعاديهم أحد)** أي لا يخالفهم **(إلا كبه الله)** أي أسقطه وفي رواية: إلا أكبه الله. **(على وجهه)** والمعنى أذله وأهانه. **(ما أقاموا)** [أي قريش] **(الدين)**(١) أي أحكام دين الإسلام. ثم ما مصدرية والوقت مقدور وهو متعلق بقوله: كبه الله. قال ابن الملك: أي مدة محافظتهم على الدين وأهله. وقيل: المراد الصلاة لرواية: ما أقاموا الصلاة. لكن على هذا إنما يستقيم المعنى إذا علق قوله: ما أقاموا بكبه، إلاّ بأن هذا الأمر في قريش لأن منهم من لم يقم الصلاة ولم يصرف عنه الأمر كذا قاله التوربشتي. وفيه دلالة على اختصاص الإمامة بقريش وهم بنو النضر بن كنانة وجميع بطونها في ذلك بمنزلة واحدة، ولعل ذلك لعلمه ﷺ أنه يوجد فيهم من هو جامع لأوامر الملك والدين وصالح الأمور المسلمين. وفي شرح الطيبي قال المظهري: إن الخلافة في قريش لا يعاديهم ولا يخالفهم أحد في ذلك إلا أذله الله تعالى ما داموا يحافظون الدين. اهـ. كلامه ويفهم من كلام الشيخ التوربشتي أن قوله: ما أقاموا الدين، إذا علق بكبه يستقيم المعنى إذا حمل الدين على الصلاة، وأما إذا حمل على الدين بأصوله وتوابعها فلا، لأن منهم من غير وبدل ولم يصرف عنه الأمر. وقيل معنى الحديث: لا يخالف قريشاً أحد في الأمور المتعلقة في الدين بأن أرادوا نقضه وبطلانه، وقريش تريد إقامته وإمضاءه إلا أذله الله وقهره. قال الطيبي: واللفظ لا يساعد إلا ما عليه ليظهر وهو أظهر. أقول: الظاهر أن المراد بالصلاة الدين، وإنما عبر عنه بها لأنها عماد الدين ولكونها أم العبادات وأنها تنهى عن السيئات، أو ذكرها على منوال المثال أي الصلاة ونحوها من أمور الدين والله أعلم. **(رواه البخاري)** وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: أيها الناس قدموا قريشاً ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها. أخرجه الشافعي في مسنده وأحمد في المناقب(٢).

٥٩٨٣ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال**

الحديث رقم ٥٩٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٣٢. حديث رقم ٣٥٠٠. والدارمي في السنن ٢/ ٣١٥ حديث رقم ٢٥٢١.

(١) في المخطوطة «أي قريش» بعد «أقاموا الدين».

(٢) أخرج الشافعي في سنده عن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «قدموا قريشاً ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها».

الحديث رقم ٥٩٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٢١١. حديث رقم ٧٢٢٢. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥٣ حديث رقم (٧. ١٨٢١). وأحمد في المسند ٥/ ١٠١.

الإِسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفةً، كلُّهم من قُريشٍ». وفي رواية: «لا يزالُ أمر النَّاسِ ماضياً ما وَلِيَهُم اثنا عشر رجلاً كلُّهم من قُريشٍ». وفي رواية: «لا يزال الدِّين قائماً حتى تقومَ الساعة أو يكونَ عليهم اثنا عشرَ خليفة كلُّهم من قريش». متفق عليه.

الإِسلام عزيزاً) أي قوياً شديداً أو مستقيماً سديداً **(إلى اثني عشر خليفة)** قال الطيبي: إلى ههنا نحو حتى في الرواية الأخرى لأن التقدير: لا يزال الدين قائماً حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة، في أن ما بعدها داخل فيما قبلها الكشاف في قوله تعالى: **﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾** [المائدة ـ ٦]. إلى تفيد معنى الغاية مطلقاً، فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور على الدليل. فما فيه دليل على الخروج قوله تعالى: **﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾** [البقرة ـ ١٨٧]. لأنه لو دخل الليل لوجب الوصال. ومما فيه دليل على الدخول قولك: حفظت القرآن من أوّله إلى آخره. لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله. **(كلهم من قريش)** قال بعض المحققين: قد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة. وقيل: إنهم يكونون في زمان واحد يفترق الناس عليهم. وقال التوربشتي: السبيل في هذا الحديث وما يتعقبه في هذا المعنى أن يحمل على المقسطين منهم فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة، ولا يلزم أن يكونوا على الولاء وإن قدر أنهم على الولاء فإن المراد منه المسمون بها على المجاز. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض: توجه هنا سؤال وهو أنه قد جاء: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً. وهو مخالف لهذا الحديث. وأجيب بأن المراد بثلاثون سنة خلافة النبوّة، وقد جاء مفسراً في بعض الروايات: خلافة النبوّة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً. ولم يشترط هذا في الاثني عشر. وقيل: المراد باثني عشر أن يكونوا مستحقي الخلافة من العادلين، وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة. قلت: وقد حمل الشيعة الاثني عشر على أنهم من أهل بيت النبوّة متوالية أعم من أن تكون لهم خلافة حقيقة أو استحقاقاً، فأوّلهم علي فالحسن فالحسين فزين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق فموسى الكاظم فعلي الرضا فمحمد التقي فعلي التقي فحسن العسكري فمحمد المهدي رضوان الله عليهم أجمعين، على ما ذكره زبدة الأولياء خواجه محمد يارسا في كتاب فصل الخطاب مفصلة، وتبعه مولانا نور الدين عبد الرحمٰن الجامي في أواخر شواهد النبوّة وذكر فضائلهم ومناقبهم وكراماتهم ومقاماتهم مجملة. وفيه رد على الروافض حيث يظنون بأهل السنة أنهم يبغضون أهل البيت باعتقادهم الفاسد ووهمهم الكاسد، وإلا فأهل الحق يحبون جميع الصحابة وكل أهل البيت، لا كالخوارج الأعداء لأهل بيت النبوّة ولا كالروافض المعادين لجمهور الصحابة وأكابر الأمة. **(وفي رواية: لا يزال الناس)** أي أمر دينهم **(ماضياً)** أي جارياً مستمراً على الصواب والحق **(ما وليهم)** أي مدة ما تولى أمرهم **(اثنا عشر رجلاً كلهم من قريش. وفي رواية: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو)** [أو] بمعنى الواو لمطلق الجمع أي و **(حتى يكون عليهم)** أي على الناس متولياً **(اثنا عشر خليفة كلهم من قريش. متفق عليه)**.

٥٩٨٤ ـ (٦) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «غِفارٌ غفر الله لها، وأسلم سالَمَها الله، وعُصيَّةُ عصتِ اللَّهَ ورسولَه». متفق عليه.

٥٩٨٥ ـ (٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قريشٌ والأنصارُ وجُهينةُ ومُزينةُ وأسلمُ وغِفارٌ وأشجعُ

٥٩٨٤ ـ (**وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: غفار**) بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء وبالراء علم قبيلة. وفي القاموس: بنو غفار ككتاب، رهط أبي ذر الغفاري. وهو مبتدأ خبره (**غفر الله لها**) قال ابن الملك: أي أقول في حقهم. أقول: [و] إنما يقدر مثل هذا في نحو: زيداً ضرب، حيث لا يصح حمل الجملة الإنشائية على الاسم المرفوع بالابتدائية. (**وأسلم**) قبيلة أخرى (**سالمها الله**) أي صنع الله بهم ما يوافقهم من أمر السلامة عن المكروه (**وعصية**) بالتصغير بطن على ما في القاموس. والمراد به قبيلة أو جماعة. (**عصت الله ورسوله**) وفي الحديث إيماء إلى أن الأسماء تنزل من السماء. قال الطيبي: الجملتان الأوليان يحتمل أن تكونا خبريتين[١] وأن تحملا على الدعاء لهما. وأما قوله: وعصية عصت الله فهو إخبار ولا يجوز حمله على الدعاء، لكن فيه إظهار شكاية منهم يستلزم الدعاء عليهم بالخذلان لا بالعصيان. وفي شرح السنة قيل: إنما دعا لغفار وأسلم لأن دخولهما في الإسلام كان من غير حرب، وكانت غفار متهمة بسرقة الحجاج فدعا رسول الله ﷺ بأن يمحو عنهم تلك السيئة ويغفرها لهم، وأما عصية فهم الذين قتلوا القراء ببئر معونة فكان النبي ﷺ يقنت عليهم. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي: هو من حسن الكلام والمجانسة في الألفاظ مأخوذ من سالمته إذا لم تر فيه مكروهاً، فكأنه دعا لهم بأن يضع الله عنهم التعب الذي كانوا فيه. (**متفق عليه**) ورواه أحمد والترمذي. وفي رواية لأحمد والطبراني والحاكم عن سلمة بن الأكوع، وعن أبي هريرة مرفوعاً: أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها أما والله ما أنا قلته ولكن الله قاله[٢]. وفي رواية الطبراني عن عبد الرحمٰن بن سندر بلفظ: أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وتجيب أجابوا الله. ففي القاموس نجيب بن كندة بطن.

٥٩٨٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قريش**) أي مسلموهم من أهل مكة وغيرهم (**والأنصار**) أي قبيلتهم من أهل المدينة. وفي القاموس إن أنصار النبي ﷺ غلبت عليهم الصفة. (**وجهينة**) بالتصغير قبيلة (**ومزينة**) كذلك (**وأسلم وغفار وأشجع**)

الحديث رقم ٥٩٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٤٢. حديث رقم ٣٥١٣. والترمذي في السنن ٥/ ٦٨٨ حديث رقم ٣٩٤٨. والدارمي ٢/ ٣١٦ حديث رقم ٢٥٢٥. وأحمد في المسند ٢/ ١٥٣.

(١) في المخطوطة «خبرين». (٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٢ وأحمد في المسند ٥/ ٤٨.

الحديث رقم ٥٩٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٤٢. حديث رقم ٣٥١٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٥٤ حديث رقم (١٨٨ ـ ٢٥١٩). والدارمي في السنن ٢/ ٣١٥ حديث رقم ٣٨٥٣.

مواليَّ، ليس لهم مولى دونَ الله ورسوله». متفق عليه.

٥٩٨٦ ـ (٨) وعن أبي بكَرَةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلم وغفار ومزينة وجهينة، خيرٌ من بني تميم ومن بني عامرٍ والحليفين بني أسد وغطفان». متفق عليه.

٥٩٨٧ ـ (٩) وعن أبي هريرة، قال: ما زِلتُ أُحبُّ بني تميم منذ ثلاثٍ سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول:

أبو قبيلة، والمراد هنا أولاده المؤمنون. **(مواليّ)** بفتح الميم وكسر اللام وتشديد الياء التحتية. جمع مولى مضافاً إلى ياء المتكلم. وقال شارح: يروى على الإضافة، أي أحبائي وأنصاري. ويروى موال بالتنوين، أي بعضهم لبعض أحباء[1] وأنصار لا ولاء لأحد عليهم إلا الله ورسوله. وقال النووي: أي هم ناصروه والمختصون به، وهو[2] أيضاً وليهم وناصرهم والمتكفل بهم وبمصالحهم لقوله: **(ليس لهم مولى دون الله ورسوله)** أي غيرهما. قال الطيبي: جملة مقررة للجملة الأولى على الطرد والعكس، وفي تمهيد ذكر الله لذكر رسوله، وتخصيص ذكر الرسول إيذان بمكانته ومنزلته عند الله، وإشعار بأن توليه إياهم بلغ مبلغاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه. **(متفق عليه)**.

٥٩٨٦ ـ **(وعن أبي بكرة)** بالتاء وهو الثقفي **(قال: قال رسول الله ﷺ: أسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بني تميم)** في القاموس: تميم كأمير أبو قبيلة، ويصرف. **(ومن بني عامر)** عطف بإعادة الجار **(والحليفين)** أي ومن الحليفين يعني المتحالفين على التناصر **(بني أسد)** بفتح فسكون **(وغطفان)** بفتحتين وهما بدل من الحليفين أو عطف بيان. قال النووي: وتفضيل تلك القبائل لسبقهم إلى الإسلام وحسن آثارهم في الأحكام. **(متفق عليه)** إلا أن البخاري لم يذكر الحليفين ذكره ميرك.

٥٩٨٧ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما زلت)** بكسر الزاي، أي ما برحت. **(أحب بني تميم منذ ثلاث)** أي خصال أو كلمات. وقوله: **(سمعت)** صفة لثلاث والعائد محذوف، أي سمعتها. **(من رسول الله ﷺ يقول فيهم)** جملة حالية أي قائلاً إياها في حقهم. والمعنى أني دائماً أحبهم من الوقت الذي قال النبي في حقهم ثلاث خصال. وقال الطيبي: قوله: ثلاث، صفة موصوف محذوف وكذا سمعت. اهـ. والأظهر ما سمعت ثم قوله: **(سمعته يقول:)** بيان أو بدل لقوله: سمعت من رسول الله ﷺ. وبالجملة هو تفصيل للخصال

---

(١) في المخطوطة «أحبار».
(٢) في المخطوطة «هم».

الحديث رقم ٥٩٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٤٣. حديث رقم ٣٥٢٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٥٦ حديث رقم (١٩٤ ـ ٢٥٢٢). والترمذي في السنن ٥/ ٦٨٩ حديث رقم ٣٩٥٢. والدارمي ٢/ ٣١٦ حديث رقم ٣٨٥٤. وأحمد في المسند ٢/ ٤٢٢.

الحديث رقم ٥٩٨٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٧٠. حديث رقم ٢٥٤٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٥٧ حديث رقم (١٩٨ ـ ٢٥٢٥).

«هم أشدُّ أمتي على الدَّجال» قال: وجاءت صدقاتُهم فقال رسول الله ﷺ: «هذه صدقاتُ قومِنا» وكانت سبيَّةٌ منهم عند عائشة، فقال: «أعتقيها فإنَّها من ولد إسماعيل». متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٩٨٨ ـ (١٠) عن سعد، عن النبيِّ ﷺ قال: «من يردْ هوانَ قريش أهانه الله». رواه الترمذي.

٥٩٨٩ ـ (١١) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ أذقْتَ أوَّل قريش نكالاً، فأذِقْ آخرهم نوالاً». رواه الترمذي.

الثلاث والخصال الثلاث إحداها قوله: **(هم أشد أمتي على الدجال)** أي حين ظهوره، وفيه إشعار بوجودهم إلى زمانه بكثرة. **(قال:)** أي أبو هريرة **(وجاءت صدقاتهم. فقال رسول الله ﷺ: هذه صدقات قومنا)** شرفهم بإضافتهم إلى نفسه ﷺ، وهذه ثانيتها. قال أبو هريرة: **(وكانت سبية)** بفتح فكسر فتشديد تحتية أي أسيرة **(منهم عند عائشة)** قال ابن الملك: فيه دليل على جواز استرقاق العرب. اهـ. وفي استدلالة نظر لا يخفى. **(فقال:)** أي النبي عليه الصلاة والسلام **(أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل)** بضم الواو وسكون اللام جمع ولد ذكره الطيبي. وفي نسخة بفتحها. ففي الصحاح الولد يكون واحداً أو جمعاً، وكذلك الولد بالضم وقد يكون الولد جمع الولد كالأسد والأسد وهذه ثالثتها. فإنه دل على أن فضيلتهم لكونهم من بني إسماعيل **(متفق عليه)**.

(الفصل الثاني)

٥٩٨٨ ـ **(عن سعد عن النبي ﷺ قال: من يرد)** من الإرادة، أي من يقصد. **(هوان قريش)** أي ذلهم وإهانتهم **(أهانه الله)** أي أذله وأخزاه. **(رواه الترمذي.)** وكذا الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه.

٥٩٨٩ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم أذقت أوّل قريش)** أي يوم بدر والأحزاب **(نكالاً)** بفتح النون أي بلاء ووبالاً. وقال شارح: فسر هذا بالقحط والغلاء. وقال الطيبي: النكال العبرة، وقيل العقوبة. **(فأذق آخرهم نوالاً)** أي إنعاماً وعطاء ثقالاً **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٥٩٨٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٧١ حديث رقم ٣٩٠٥. وأحمد في المسند ١/ ١٧١.

الحديث رقم ٥٩٨٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٧٢ حديث رقم ٣٩٠٨. وأحمد في المسند ١/ ٢٤٢.

٥٩٩٠ - (١٢) وعن أبي عامر الأشعريّ، قال قال رسول الله ﷺ: «نعم الحيُّ الأسدُ والأشعرونَ لا يفرُّونَ في القتال، ولا يغُلُّون، هم مني وأنا منهم». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥٩٩١ - (١٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الأزدُ أَزْدُ اللّهِ في الأرض، يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفَعهم، وليأتينَّ على النَّاسِ زمانٌ يقول الرجل:

٥٩٩٠ - (**وعن أبي عامر الأشعري**) لم يذكره المؤلف في أسمائه (**قال: قال رسول الله ﷺ: نعم الحي**) أي القبيلة (**الأسد**) بفتح فسكون. قال التوربشتي: هو بسكون السين أبو حي من اليمن، ويقال لهم: الأزد، وهو بالسين أفصح. وهما أزدان أزد شنوءة وأزد عمان. اهـ. وسيأتي أن المراد هنا أزد شنوءة. (**والأشعرون**) وفي نسخة: والأشعريون بإثبات ياء النسبة. قال الطيبي: هو بسقوط الياء في جامع الترمذي وجامع الأصول، وبإثباته في المصابيح. قال الجوهري: تقول العرب: جاءتك الأشعرون، بحذف الياء. (**لا يفرون في القتال**) أي في حال قتالهم مع الكفار، وهو حال القبيلتين على حد: ﴿**هذان خصمان اختصموا**﴾ [الحج - ١٩]. (**ولا يغلون**) بفتح فضم فتشديد، أي ولا يخونون. في المغنم (**هم مني**) أي من أتباعي في سنتي وطريقتي، أو من أوليائي. (**وأنا منهم**) أي من أوليائهم. وفيه إشعار بأنهم متقون لقوله تعالى: ﴿**إن أولياؤه إلا المتقون**﴾ [الأنفال - ٣٤]. (**رواه الترمذي. وقال: هذا حديث غريب.**) ورواه ابن [سعد] عن الزهري مرسلاً: الأشعرون في الناس كصرة فيها مسك.

٥٩٩١ - (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: الأزد**) أي أزد شنوءة. وفي القاموس: أزد بن الغوث وهو بالسين أفصح أبو حي من اليمن ومن أولاده الأنصار كلهم. (**أزد الله**) أي جنده وأنصار دينه (**في الأرض**) قد أكرمهم الله بذلك فهم يضافون إليه (**يريد الناس أن يضعوهم**) أي يحقروهم ويذلوهم (**ويأبى الله إلا أن يرفعهم**) أي ينصرهم ويعزهم ويعليهم على أعداء دينهم. قال القاضي: يريد بالأزد أزد شنوءة وهو حي من اليمن أولاد أزد بن الغوث بن ليث بن مالك بن كهلان بن سبأ، وإضافتهم إلى الله تعالى من حيث إنهم حزبه وأهل نصرة رسوله. قال الطيبي: قوله: أزد الله، يحتمل وجوهاً أحدها اشتهارهم بهذا الاسم لأنهم ثابتون في الحرب لا يفرون على ما مر في الحديث السابق وعليه كلام القاضي، وثانيها أن تكون الإضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله وناقة الله على ما يدل عليه قوله: يريد الناس أن يضعوهم. الخ. وثالثها أن يراد بها الشجاعة والكلام على التشبيه، أي الأسد أسد الله. فجاء به إما مشاكلة أو قلب السين زاياً. اهـ. وتبعه صاحب الأزهار من شراح المصابيح، لكن إنما يتم هذا لو كان الأسد بالفتح والسكون لغة في الأسد بفتحتين كما لا يخفى وهو ليس كذلك على ما يفهم من القاموس. (**وليأتين على الناس زمان يقول الرجل:**)

الحديث رقم ٥٩٩٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٧ حديث رقم ٣٩٤٧. وأحمد في المسند ٤/ ١٢٩.

الحديث رقم ٥٩٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٣ حديث رقم ٣٩٣٧.

يا ليت أبي كان أزدياً، ويا ليت أمي كانت أزدية». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥٩٩٢ ـ (١٤) وعن عمران بن حصين، قال: مات النبيُّ ﷺ وهو يكره ثلاثة أحياءٍ: ثقيفٍ، وبني حنيفة، وبني أميَّة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٥٩٩٣ ـ (١٥) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «في ثقيفٍ كذَّابٌ ومُبيرٌ» قال عبد الله بن عَصْمة يقال: الكذاب هو المختار بن أبي عُبيد،

أي في ذلك الزمان **(يا ليت أبي كان أزدياً ويا ليت أمي كانت أزدية. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)** قال ميرك: وقد روي موقوفاً على أنس وهو عندنا أصح. اهـ. ولا يخفى أنه ولو كان موقوفاً فهو في الحكم يكون مرفوعاً لأن مثله لا يقال من قبل الرأي والله أعلم.

٥٩٩٢ ـ **(وعن عمران بن حصين)** أسلمي وخزاعي أسلم هو وأبوه وسكن البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين **(قال: مات النبي ﷺ وهو يكره ثلاثة أحياء)** جمع حي بمعنى قبيلة **(ثقيف)** كأمير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن كما في القاموس **(وبني حنيفة)** كسفينة لقب أثال بن لجيم أبي حي، منهم خولة بنت جعفر الحنفية أم محمد بن علي بن أبي طالب **(وبني أمية)** بضم ففتح فتشديد تحتية قبيلة من قريش. قال العلماء: إنما كره ثقيفاً للحجاج وبني حنيفة لمسيلمة وبني أمية لعبيد الله بن زياد. قال البخاري: قال ابن سيرين: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعله في طست وجعل ينكته بقضيب. وقال الترمذي في الجامع: قال عمارة بن عمير: لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه في رحبة المسجد فانتهيت إليهم فقالوا: قد جاءت. فإذا حية قد جاءت حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت ساعة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت. ثم قالوا: قد جاءت. ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً قال الترمذي: هذا حديث صحيح. كذا في الأزهار. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٩٩٣ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: في ثقيف كذاب)** أي مبالغ في الكذب **(ومبير)** بضم ميم وكسر موحدة أي مفسد ومهلك من البوار وهو الهلاك والفساد، وتنوينهما للتعظيم. **(قال عبد الله بن عصمة:)** بفتح فسكون كوفي حنفي، روى عن أبي سعيد وابن عمر وعنه إسرائيل وشريك. **(يقال: الكذاب هو المختار بن أبي عبيد)** بالتصغير وهو ابن مسعود الثقفي قام بعد وقعة الحسين ودعا الناس إلى طلب ثأره وكان غرضه في ذلك أن يصرف إلى نفسه وجوه الناس ويتوسل به إلى الإمارة، وكان طالباً للدنيا مدلساً في تحصيلها كذا ذكره القاضي. وقيل: كان يبغض علياً، وقيل: كان يدعي النبوّة بكوفة فسمي كذاباً، ومن جملة كذبه دعواه أن جبريل عليه السلام يأتيه بالوحي ذكره ابن الملك. وقال ابن عبد البر: كان أبوه من جملة الصحابة وولد المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية ولا رؤية وأخباره

الحديث رقم **٥٩٩٢**: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٥ حديث رقم ٣٩٤٣.

الحديث رقم **٥٩٩٣**: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٦ حديث رقم ٣٩٤٤. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦.

والمبير هو الحجَّاج بن يوسف وقال هشام بن حسان: أَحصَوْا ما قَتَل الحجَّاجُ صَبْراً فبلغ مائة ألفٍ وعشرين ألفاً. رواه الترمذي.

٥٩٩٤ ـ (١٦) وروى مسلم في «الصَّحيح» حين قتلَ الحجَّاج عبد الله بن الزبير قالت أسماءُ: إنَّ رسول الله ﷺ حدثنا «أنَّ في ثقيفٍ كذاباً ومبيراً» فأما الكذاب فرأيناه، وأمَّا المبير فلا إخالك إلا إياه وسيجيء تمام الحديث في الفصل الثالث.

٥٩٩٥ ـ (١٧) وعن جابر، قال، قالوا: يا رسول الله! أَحْرقَتْنا نبالُ ثقيفٍ،

غير مرضية، وذلك مذ طلب الإمارة إلى أن قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وسبعين، وكان قبل ذلك معدوداً في أهل الفضل والخير يظهر بذلك كله ولا يكتم الفسق فظهر منه ما كان يكتمه إلى أن فارق ابن الزبير وطلب الإمارة، وكان المختار يزيف بطلب دم الحسين ويستر طلب الدنيا والإمارة فيأتي منه الكذب والجنون، وإنما كانت إمارته ستة عشر شهراً. ويقال كان في أوّل أمره خارجياً ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً، وكان يضمر بغض علي كرم الله وجهه ويظهر منه لضعف عقله أحياناً كذا نقله ميرك عن التصحيح، وكذا ذكره المؤلف في أسمائه. **(والمبير هو الحجاج بن يوسف)** وهو بفتح الحاء مبالغة الحاج بمعنى الآتي بالحجة. قال المؤلف: هو عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان وبعده لابنه الوليد مات بواسط في شوّال سنة خمس وتسعين وعمره أربع وخمسون سنة. **(وقال هشام بن حسان:)** بفتح فتشديد غير منصرف وقد ينصرف. **(أحصوا)** بفتح الهمزة والصاد، أي ضبطوا وعدوا **(ما قتل الحجاج صبراً)** بفتح فسكون أي مصبوراً يعني محبوساً مأسوراً، لا في معركة ولا خلسة. **(فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً. رواه الترمذي)**.

٥٩٩٤ ـ **(وروى مسلم في الصحيح:)** أي صحيحه لا في كتاب آخر من تصانيفه **(حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قالت أسماء:)** أي أمة بنت الصديق **(أن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً فأما الكذاب فرأيناه)** أي أبصرناه أو علمناه وتعني به المختار على ما بيناه **(وأما المبير فلا أخالك)** بكسر الهمز وتفتح[1]. قال شارح: أخال بالفتح هو القياس، وبالكسر هو الأفصح. وفي الأزهار والكسر أشهر، أي لا أظنك. **(إلا إياه)** قيل: والظاهر فلا أخاله إلا إياك، فقدمت المفعول الثاني للاهتمام. **(وسيجيء تمام الحديث)** أي بسطه **(في الفصل الثالث)**.

٥٩٩٥ ـ **(وعن جابر قال: قالوا:)** أي بعض الصحابة **(يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف)**

الحديث رقم ٥٩٩٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧١ حديث رقم (٢٢٩ ـ ٢٥٤٥). وأحمد في المسند ٢/ ٨٧.

(١) في المخطوطة «ويفتح».

الحديث رقم ٥٩٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٥ حديث رقم ٣٩٤٢. وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٣.

فادعُ اللَّهَ عليهم. قال: «اللهمَّ اهدِ ثقيفاً». رواه الترمذي.

٥٩٩٦ - (١٨) وعن عبد الرزاق، عن أبيه، عن ميناء، عن أبي هريرة، قال: كنَّا عند النبي ﷺ، فجاءه رجل أحسبه من قيس فقال: يا رسول الله ﷺ! العن حميراً فأعرض عنه، ثمَّ جاءه من الشقّ الآخر، فأعرض عنه، ثم جاءه من الشقّ الآخر، فأعرض عنه، فقال النبي ﷺ: «رحم الله حميراً، أفواهُهم سلام، وأيديهم طعامٌ، وهم أهل أمنٍ وإيمانٍ» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق، ويُروى عن ميناءَ هذا

بكسر النون جمع نبل أي سهامهم، ولعله في غزوة الطائف ومحاصرتهم. **(فادع الله عليهم. قال: اللهم اهد ثقيفاً.)** أي إلى الإسلام أو غالبهم إلى إطاعة الأحكام **(رواه الترمذي)**.

٥٩٩٦ - **(وعن عبد الرزاق)** قال المؤلف في فصل التابعين: هو ابن همام يكنى أبا بكر أحد الأعلام، روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما، وعنه أحمد وإسحاق وصنف الكتب ومات سنة إحدى عشرة ومائتين وله خمس وثمانون سنة. **(عن أبيه)** أي همام بن الحارث النخعي تابعي سمع ابن مسعود وعائشة وغيرهما من الصحابة، وروى عنه إبراهيم النخعي. **(عن ميناء)** بميم مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فألف ممدودة، هذا هو المشهور. وقال صاحب المطالع[1] بمد وقصر كذا ذكره الإمام النووي في شرح مسلم. وقال المؤلف: روى عن مولاه عن عبد الرحمٰن بن عوف وعثمان وأبي هريرة، وعنه والد عبد الرزاق، ضعفوه. **(عن أبي هريرة قال: كنا عند النبي ﷺ فجاءه رجل أحسبه)** بكسر السين وفتحها، أي أظنه. **(من قيس)** في القاموس: قيس غيلان بالفتح أبو قبيلة، واسمه إلياس بن مضر. **(فقال: يا رسول الله العن حميراً)** بكسر فسكون ففتح أي أدع عليهم بالبعد عن الرحمة، وهو أبو قبيلة من اليمن. ففي القاموس حمير كدرهم موضع غربي صنعاء اليمن وابن سبأ بن يشجب أبو قبيلة. **(فأعرض عنه)** أي عن الرجل بإدبار وجهه عنه **(ثم جاءه من الشق الآخر فأعرض عنه ثم جاءه من الشق الآخر فأعرض عنه)** والمعنى أنه أعرض عنه من الجانبين. **(فقال النبي ﷺ: رحم الله حميراً أفواههم سلام)** أي ذات سلام أو محل سلام **(وأيديهم طعام)** أي ذات طعام، قال شارح: فالمضاف مقدر لصحة الحمل. وقال ابن الملك: ويمكن أن يقال جعل أفواههم نفس السلام وأيديهم نفس الطعام مبالغة انتهى. واقتصر عليه الطيبي، والمعنى: أنهم يفشون السلام ويطعمون الطعام فجمعوا بين الإحسان وحلاوة اللسان. **(وهم[2] أهل أمن)** أي من المضرة **(وإيمان)** وتصديق كامل بلغهم إلى مرتبة الإيقان **(رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق.)** أي من طريقه إلى ميناء **(ويروى)** بصيغة المجهول **(عن ميناء هذا)** أي المشار إليه

الحديث رقم ٥٩٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٤ حديث رقم ٣٩٣٩. وأحمد في المسند ٢/ ٢٧٨.

(١) لعله كتاب «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» وهو كتاب في غريب الحديث ولغاته لابن قرقول إبراهيم بن يوسف ت(٥٦٩).

(٢) في المخطوطة «وهل».

أحاديثُ مناكير.

٥٩٩٧ ـ (١٩) وعنه، قال: قال لي النبي ﷺ: «ممَّن أنت؟ قلت: من دَوْس. قال: «ما كنتُ أرى أنَّ في دَوْسٍ أحداً فيه خير». رواه الترمذي.

٥٩٩٨ ـ (٢٠) وعن سلمان، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تبغضني فتفارقَ دينك» قلت: يا رسول الله! كيف أبغُضك وبكَ هدانا الله؟ قال: «تبغض العربَ فتبغضني». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب.

(أحاديث مناكير) قال ميرك: قال أبو حاتم: ميناء يكذب، وقال ابن معين: ليس بثقة انتهى. وقال شارح للمصابيح قوله: منكر هذا، إلحاق من بعض أهل المعرفة بالحديث لأن المؤلف رحمه الله يعني محيي السنة، لو كان يعلم أنه منكر لم يتعرض له لأنه قد التزم الاعتراض عن ذكر المنكر في عنوان الكتاب والله أعلم بالصواب.

٥٩٩٧ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد نص عليه السيد جمال الدين. **(قال: قال لي النبي ﷺ: ممن أنت)** أي من أي قبيلة **(قلت: من دوس)** بفتح فسكون، قبيلة من اليمن من الأزد كذا في الأزهار. وفي القاموس: هو دوس بن عدنان بن عبد الله، أبو قبيلة. **(قال:)** أي على سبيل التعجب **(ما كنت أرى)** بضم الهمز على المجهول، أي ما كنت أظن قبل ذلك. **(أن في دوس أحداً فيه خير)** قال في الأزهار: فيه منقبة لأبي هريرة ومذمة لدوس لولا أبو هريرة. **(رواه الترمذي)**.

٥٩٩٨ ـ **(وعن سلمان قال: قال لي)** أي خاصة في الخطاب أو بيني وبينه بلا حجاب **(رسول الله ﷺ: لا تبغضني فتفارق دينك)** بالنصب على جواب النهي كما صرح به زين العرب. **(قلت: يا رسول الله كيف أبغضك)** أي كيف يتصور مني أني أبغضك وأنت حبيب الله ومحبوب أمتك. **(وبك هدانا الله)** أي إلى الإسلام وسائر مكارم الأحكام. **(قال: تبغض العرب فتبغضني)** أي حين تبغض العرب عموماً فتبغضي في ضمنهم خصوصاً، أو إذا أبغضت جنس العرب فربما يجر ذلك إلى بغضك إياي نعوذ بالله. والحاصل أن بغض العرب قد يصير سبباً لبغض سيد الخلق فالحذر الحذر كيلاً يقع في الخطر. قال الطيبي: العرب ما يقابل العجم. وفي النهاية: العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية أو المدن والنسبة إليهما أعرابي وعرابي. وفي القاموس: العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم. مؤنث وهم سكان الأمصار أو عام. والأعراب منهم سكان البادية لا واحد له. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب)**.

الحديث رقم ٥٩٩٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٣ حديث رقم ٣٨٣٨.

الحديث رقم ٥٩٩٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٠ حديث رقم ٣٩٢٧. وأحمد في المسند ٥/ ٤٤٠.

٥٩٩٩ - (٢١) وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشَّ العربَ لم يدخلْ في شفاعتي، ولم تَنَلْهُ مَوَدَّتي». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر، وليس هو عند أهل الحديث بذاك القوي.

٦٠٠٠ - (٢٢) وعن أُم الحرير، مولاة طلحة بن مالك، قالت: سمعتُ مولاي يقول: قال رسول الله ﷺ: «من اقترابِ الساعةِ هلاكُ العرَب». رواه الترمذي.

٥٩٩٩ - **(وعن عثمان بن عفان)** بغير صرف وقد يصرف **(من غش العرب)** أي خانهم. وقال شارح: أي أبغضهم. **(لم يدخل في شفاعتي)** أي الصغرى لعموم الكبرى **(ولم تنله مودتي)** أي لم تصبه محبتي إياه أو لم تصل ولم تحصل له محبته إياي، والمقصود نفي الكمال. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر، وليس هو)** أي حصين المذكور **(عند أهل الحديث بذاك القوي.)** قلت: فليكن الحديث ضعيفاً من طريقه وهو معتبر في الفضائل؛ وكيف وهو مؤيد بأحاديث كثيرة تكاد تصل إلى التواتر المعنوي كقوله ﷺ: حب العرب إيمان وبغضهم نفاق[١]. رواه الحاكم عن أنس. وفي رواية الطبراني في الأوسط عنه: حب قريش إيمان وبغضهم كفر، وحب العرب إيمان وبغضهم كفر. فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني[٢]. وفي رواية الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد: أحبوا قريشاً فإن من أحبهم أحبه الله. وروى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة مرفوعاً: أحبوا الفقراء وجالسوهم وأحب العرب من قلبك وليردك عن الناس ما تعلم من نفسك[٣]. هذا والحديث المذكور في المتن رواه أحمد في مسنده أيضاً، وأقل مرتبة أسانيده أن يكون حسناً، فالحديث حسن لغيره.

٦٠٠٠ - **(وعن أم الحرير)** بفتح الحاء المهملة [فكسر الراء الأولى كذا نقله المؤلف في أسمائه وكذا ضبطه صاحب المغني، وكذا في جامع الأصول. وفي نسخة بضم ففتح وهو موافق لما في التقريب حيث قال بضم الحاء المهملة] مصغراً، ويقال بفتح أولها لا يعرف حالها من الرابعة. **(مولاة طلحة بن مالك)** لم يذكره المؤلف. **(قالت: سمعت مولاي يقول: قال رسول الله ﷺ: من اقتراب الساعة)** أي من علامات قرب القيامة **(هلاك العرب)** أي مسلمهم أو جنسهم. وفيه إيماء إلى أن غيرهم تابع لهم ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس بل ولا يكون في الأرض من يقول الله. **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٥٩٩٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٠ حديث رقم ٣٩٢٨. وأحمد في المسند ١/ ٧٢.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٦.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٠ حديث رقم ٢٢٧.

الحديث رقم ٦٠٠٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨١. حديث رقم ٣٩٢٩.

٦٠٠١ ـ (٢٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المُلك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد» يعني اليمن. وفي رواية موقوفاً. رواه الترمذي وقال: هذا أصح.

الفصل الثالث

٦٠٠٢ ـ (٢٤) عن عبد الله بن مطيع، عن أبيه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لا يُقتل قرشي

٦٠٠١ ـ **(وعن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: الملك)** بالضم أي الخلافة **(في قريش)** أي غالباً أو ينبغي أن يكون فيهم وهو الأظهر المطابق لبقية القرائن الآتية، وهي قوله: **(والقضاء في الأنصار)** أي الحكم الجزئي قاله تطييباً لقلوبهم لأنهم آووا ونصروا وبهم قام عمود الإسلام وفي بلدهم تم أمره واستقام وبنيت المساجد وجمعت الجماعات ذكره ابن الملك. وقال في الأزهار: قيل: المراد بالقضاء النقابة، لأن النقباء كانوا منهم. وقيل: القضاء الجزئي، وقيل: لأنه ﷺ قال: أعلمكم بالحلال والحرام معاذ. وقيل: القضاء المعروف لبعثه ﷺ معاذاً قاضياً إلى اليمن انتهى. والأخير هو الأظهر لقوله: **(والأذان في الحبشة)** أي لأن رئيس مؤذنيه ﷺ كان بلالاً وهو حبشي. **(والأمانة في الأزد)** أي أزد شنوءة وهم حي من اليمن، ولا ينافي قول بعض الرواة. **(يعني اليمن)** لكن الظاهر المتبادر من كلامه إرادة عموم أهل اليمن فإنهم أرق أفئدة وأهل أمن وإيمان والله أعلم. **(وفي رواية موقوفاً)** أي جاء هذا الحديث موقوفاً ولو قال موقوف بالرفع لكان أظهر. والمعنى أنه وقفه بعضهم على أبي هريرة ولم يرفعه إلى النبي ﷺ، لكن مثله موقوفاً يكون حكمه مرفوعاً. **(رواه الترمذي وقال: هذا)** أي سنده موقوفاً **(أصح)** أي من إسناده مرفوعاً. ورواه الإمام أحمد في مسنده مرفوعاً، وروى الطبراني عن أبي معاوية الأزدي: الأمانة في الأزد والحياء في قريش.

(الفصل الثالث)

٦٠٠٢ ـ **(عن عبد الله بن مطيع عن أبيه)** قال المؤلف: قرشي عدوي من أهل المدينة يقال: ولد على عهد رسول الله ﷺ وذهب به أبوه إليه، وكان اسم أبيه العاص فسماه النبي ﷺ مطيعاً. وكان عبد الله من سادات قريش وهو الذي أمره أهل المدينة عليهم حين خلعوا يزيد بن معاوية. سمع أباه، وروى عنه الشعبي وغيره وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين. وكان ابن الزبير استعمله على الكوفة فأخرجه منها المختار بن أبي عبيد. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: لا يقتل)** بصيغة النفي مجهولاً **(قرشي)** أي منسوب

الحديث رقم ٦٠٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٣ حديث رقم ٣٩٣٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣٦٤.
الحديث رقم ٦٠٠٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٩ حديث رقم (٨٨. ١٧٨٢) والدارمي ٢/ ٢٦٠ حديث رقم ٢٣٨٦. وأحمد في المسند ٣/ ٤١٢.

صبراً بعد هذا اليوم، إلى يوم القيامة». رواه مسلم.

٦٠٠٣ ـ (٢٥) وعن أبي نوفل، معاوية بن مسلم، قال: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريشٌ تمرّ عليه والناس، حتى مَرّ عليه عبدُ الله بنُ عمر، فوقف عليه، فقال: السَّلام عليك أبا خُبَيبٍ! السَّلام عليك أبا خبيب! السَّلام عليك أبا خبيب! أما واللَّهِ لَقَدْ كنتُ أنهاك عن هذا، أما واللَّهِ لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا،

إلى قريش بحذف الزائد. وفي القاموس: النسبة قرشي وقريشي **(صبراً)** أي لا في المعركة كما في الأزهار **(بعد هذا اليوم)** أي يوم الفتح **(إلى يوم القيامة)** قال الحميدي: وقد تأول بعضهم هذا الحديث فقال: معناه لا يقتل قرشي بعد هذا اليوم صبراً وهو مرتد عن الإسلام ثابت على الكفر. إذ قد وجد من قريش من قتل صبراً فيما سبق ومضى من الزمان بعد النبي ﷺ ولم يوجد منهم من قتل صبراً وهو ثابت على الكفر انتهى. والمعنى أنه لا يوجد قرشي مرتداً فيقتل ويؤيد ما ورد من «أن الشيطان قد أيس من جزيرة العرب»[1]. وقال الطيبي: ويجوز أن يكون النفي بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي، كما أن رحمك الله ويرحمك أبلغ، ونحو قوله تعالى: ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية**﴾ [النور ـ ٣]. في وجه. قلت: هذا وجه غير وجيه كما لا يخفى على كل نبيه، ثم قال: وهذا الوجه أقرب إلى مدح قريش وتعظيمهم ويبقى الكلام على إطلاقه. قلت: لا يصح أن يكون هذا النهي على اطلاقه لأنه قد يجب القتل على قرشي قصاصا أو حداً، وهو لا يكون إلا صبراً فيكون حكمه كحكم غيره فلا يحصل لقريش مزية، فضلاً عن أن يكون أقرب إلى مدحهم وتعظيمهم والله أعلم. **(رواه مسلم)**.

٦٠٠٣ ـ **(وعن أبي نوفل معاوية بن مسلم)** قال المؤلف: سمع ابن عباس وابن عمر وروى عنه شعبة وابن جريج **(قال: رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة)** يريد على عقبة مكة واقعة في طريق أهل المدينة حين ينزلون مكة، وكان عبد الله بن الزبير مصلوباً هناك، ولذا جعل له قبر في الحجون قريب العقبة، لكنه غير ثابت وكذا قبور سائر الصحابة في مقبرة مكة ليس لها محل معين على وجه الصحة حتى تربة خديجة رضي الله عنها أيضاً، وإنما بني عليها اعتماداً على رؤيا بعض الأولياء والله أعلم. **(قال:)** أي أبو نوفل **(فجعلت قريش تمر عليه)** أي على ابن الزبير **(والناس)** أي وسائر الناس يمرون عليه أيضاً **(حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خبيب)** بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى بعدها تحتية ساكنة كنية ابن الزبير كني بابنه خبيب أكبر أولاده. **(السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب)** فيه استحباب تثليث السلام على الميت ولو قبل الدفن. **(لقد كنت أنهاك عن هذا [لقد كنت أنهاك عن هذا لقد كنت أنهاك عن هذا])** المشار إليه بهذا صلبه. والمعنى كنت

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/٢١٦٦ حديث رقم ٢٩١٢.

الحديث رقم ٦٠٠٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧١ حديث رقم (٢٢٩ . ٢٥٤٥).

أما والله إن كنتَ ما علمتُ صوَّاماً قوَّاماً وَصولاً للرحم، أما واللّهِ لأمَّةٌ أنت شرُّها لأمّةُ سوءٍ - وفي رواية لأمّةُ خيرٍ - ثم نَفَذَ عبد الله بنُ عمر، فبلغ الحجّاجَ موقفُ عبدِ الله وقولُهُ، فأرسل إليه، فأنزلَ عن جذعِهِ، فألقي في قبور اليهود، ثم أَرسلَ إلى أمّه أَسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، فأبت أن تأتيه، فأعادَ عليها الرسولَ لَتأتِيَنّي أو لأبعثنَّ إليك من يَسْحبُك بقرونِك.

أنهاك عما يؤدي إلى ما أراك فيه. قال الطيبي: فعلى هذا هو من وادي قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ [النساء - ١٠]. يعني من جهة مجاز الأول نحو قوله: ﴿أعصر خمراً﴾ [يوسف - ٣٦]. (أما) بالتخفيف للتنبيه (والله إن كنت) إن هي المخففة من المثقلة وضمير الشأن محذوف. وقوله: (ما) زائدة (علمت) أي علمتك (صواماً) أي كثير الصيام في النهار (قواماً) أي كثير القيام في الليل (وصولاً) بفتح الواو أي مبالغاً في الصلة (للرحم) أي للقرابة. وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: هذا أصح من قول بعض الإخباريين ووصفه بالإمساك، وقد عده صاحب كتاب الأجواد فيهم وهو المعروف من أحواله انتهى. وقد أراد ابن عمر بهذا القول براءة ابن الزبير مما نسب إليه الحجاج من قول[1]: عدو الله وظالم ونحوه، وإعلام الناس بمحاسنه وأن ابن الزبير كان مظلوماً ومرجوماً وعاش سعيداً ومات شهيداً (أما) كرره تأكيداً. (والله لأمة) أي لجماعة (أنت شر[ها]) أي بزعمهم (لأمة سوء) بفتح السين وتضم أي لفساد فهمهم وسوء اعتقادهم. قوله: لأمة، مبتدأ وأنت شرها صفتها، أي ولأمة أنت أكثر من وصل إليه شر الناس لأمة سوء. فالحكم فرضي وتقديري أو زعمي وادعائي على طريق الإنكار. (وفي رواية: لأمة خير) فهو على سبيل تهكمي واستهزائي وهو نظير ما قال بعضهم حين إخراج أبي يزيد البسطامي من بلده بلد أبي يزيد شر أهلها نعم البلد. وفي شرح مسلم للنووي هكذا هو مروي عن مشيختنا وكذا نقله القاضي عن جمهور رواة صحيح مسلم، ونقله القاضي عن رواه السمرقندي: لأمة سوء. قال: وهو خطأ وتصحيف أي سهو وتحريف، لكن حيث صحت الرواية وطابقت الدراية فلا معنى للتخطئة. (ثم نفذ) بفتح النون والهاء والذال المعجمة، أي ذهب. (ومضى عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج) أي الظالم (موقف عبد الله. وقوله:) أي خبر وقوفه عليه. وقوله: في حقه لديه. (فأرسل) أي الحجاج (إليه) أي إلى ابن الزبير (فأنزل) بصيغة المجهول (عن جذعه) أي المصلوب عليه (فألقي) بصيغة المجهول أي فطرح (في قبور اليهود) أي في موضع قبورهم من سكان مكة أو من وارديها من غير أهلها. وهذا لا ينافي ما سبق من أنه مدفون في أعلى المعلى، لأنه حمل بعد ذلك من ذلك المحل الأدنى ودفن في الموضع الأول. (ثم أرسل) أي الحجاج (إلى أمه أسماء بنت أبي بكر) أي يطلبها (فأبت أن تأتيه) أي فامتنعت من الإتيان إليه والوقوف لديه والسلام عليه. (فأعاد عليها الرسول) أي قائداً [على] لسانه (لتأتيني) بتشديد النون على صيغة الخطاب لقوله: (أو لأبعثن إليك) أي لأرسلن إلى إتيانك إلى (من يسحبك) بفتح الحاء أي يجرك (بقرونك) أي

---

(١) في المخطوطة «قوله».

قال: فأبَتْ وقالت: والله لا آتيك حتى تبعثَ إليَّ من يسحبُني بقروني. قال: فقال: أَرُوني سِبْتِيَّ، فأخذ نعليه، ثم انطلق يَتَوَذَّفُ حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدوِّ الله؟ قالت: رأيتك أفسدتَ عليهِ دُنياه وأفسدَ عليك آخرَتك، بلغني أنك تقول له: يا ابنَ ذات النطاقينِ! أنا واللّهِ ذاتُ النّطاقين، أمّا أحدُهما فكنتُ أرفع به طعامَ رسولِ الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدّواب، وأمّا الآخر فنطاق المرأةِ التي لا تستغني عنه،

بضفائر شعرك (**قال:**) أي أبو نوفل[1] (**فأبت وقالت: والله لا آتيك**) بمد الهمزة، أي لا أجيئك. (**حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني. قال:**) أي أبو نوفل (**فقال:**) أي الحجاج (**أروني سبتي**) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وفتح الفوقية وتشديد التحتية أي نعلي وكذا ضبطه النووي. وقال: هي النعل التي لا شعر عليها. وفي نسخة صحيحة سبتيتي بكسر فسكون فكسر فوقية فتشديد تحتية ففتح فوقية فتحتية مشددة. ففي النهاية: السبت بالكسر الجلود المدبوغة بالقرظ وهو بالتحريك، ورق السلم يتخذ منها النعال أي السبتية. سميت بذلك لأن شعرها قد سبت عنها أي حلق وأزيل. وقيل: لأنها انسبتت بالدباغ أي لانت. ويقال: للنعل المتخذ منها سبت اتساعاً، ومنه يا صاحب السبتين. ويروى السبتيتين[2] على النسب. وقال أبو داود: منسوب إلى موضع يقال له سوق السبت. وفي المشارق قوله: أروني سبتيتي ويا صاحب السبتيين بياءين. وذكر الهروي بياء واحدة مخففة تثنية سبت انتهى. والمعنى ائتوني بهما أو قدموهما لي. (**فأخذ نعليه**) أي فلبسهما (**ثم انطلق يتوذف**) بالواو والذال المعجمة المشددة. قال أبو عبيد: معناه يسرع، وقيل: يتبختر. (**حتى دخل عليها**) أي على أسماء (**فقال: كيف رأيتني**) بكسر التاء، وفي نسخة بإشباع كسرتها إياه، أي كيف وجدتني. (**صنعت بعدو الله**) أراد به ابنها على زعمه الفاسد واعتقاده الكاسد. (**قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرت**) والإسناد سيبي[3] فيهما (**ثم قالت: بلغني أنك تقول له:**) أي في حياته أو بعد مماته. (**يا ابن ذات النطاقين**) بكسر النون وهو ما تشد به المرأة وسطها عند معاناة الأشغال لترفع به ثوبها، وسميت بذلك لأنها قطعت نطاقها نصفين عند مهاجرة رسول الله ﷺ وشدت بأحدهما قربته وبالآخر سفرته، فسماها رسول الله ﷺ يومئذ ذات النطاقين. وقيل شدت بأحدهما سفرته وبالآخر وسطها للشغل. وكان الحجاج من خبثه حمل قوله ﷺ في حقها ذات النطاقين على الذم وأنها خدامة وخراجة ولاجة تشد نطاقها للخدمة، فكأنها سلمت أنها ذات نطاقين. ولكن نطاق ليس هذا شأنه، وإليه الإشارة بقولها: (**أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدواب**) متعلق بأرفع أي أربط به سفرة طعامهما وأعلقهما مرفوعة خشية من الدواب كالفارة والذرة ونحوهما. (**وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه**) أما لخدمتها المتعارفة في بيتها الممدوحة في حقها، وأما لربطها في وسطها إبقاء لحالها خشية أن تصير بطونية كما هو الآن عادة العرب من

---

(١) في المخطوطة «نفيل». (٢) في المخطوطة «المستبنين».

(٣) في المخطوطة «يسيء».

أما إن رسول الله ﷺ حدثنا: «إن في ثقيفٍ كذَّاباً ومُبيراً»، فأمَّا الكذّاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فَقامَ عنها فلم يُراجعها. رواه مسلم.

٦٠٠٤ ـ (٢٦) وعن نافع، أنَّ ابنَ عمر أتاه رجلانِ في فتنة ابن الزبير، فقالا: إن الناسَ صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر، وصاحبُ رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟

الحزام المصنوع من الجلد للفقراء، وألحقوا به المصنوع من الذهب والفضة للأغنياء. قال الطيبي: وهو نظير قوله تعالى: ﴿**ويقولون هو إذن قل إذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾ [التوبة ـ ٦١]. كأنه قيل: نعم هو إذن كما قلتم، إلا أنه إذن خير لا إذن شر فسلم لهم قولهم فيه، إلا أنه فسر بما هو مدح وإن كان قصدوا بذلك المذمة[١]. **(أما)** بالتخفيف للتنبيه **(أن رسول الله ﷺ حدثنا: أن)** بالفتح وجوز الكسر على أنه من جملة المحدث **(في ثقيف كذاباً ومبيراً)** أي مفسداً **(فأما الكذاب فرأيناه)** تعني المختار **(وأما المبير فلا أخالك)** بكسر الهمز وتفتح، أي فلا أظنك. **(إلا إياه)** أي ذلك المبير. قال الطيبي: الظاهر أن يقال: لا أخاله إلا إياك. فقدم ثاني مفعوليه اهتماماً وأن المحكوم عليه بهذا الحكم هو لا أن المبير من هو فهو ينظر إلى قوله: ﴿**وجعلوا لله شركاء الجن**﴾ [الأنعام ـ ١٠٠]. قدم شركاء وهو المفعول الثاني على الأول وهو الجن، وقدم أيضاً لله عليهما اهتماماً ومزيداً للإنكار. قال النووي في سلام ابن عمر عليه وهو مصلوب: استحباب السلام على الميت وتكريره، وفيه الثناء على الموتى[٢] بجميل صفاتهم[٣] المعروفة وفيه منقبة عظيمة لابن عمر لقوله: الحق في الملا، وعدم اكتراثه بالحجاج لأنه يعلم أن مقامه وثناءه عليه يبلغه فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله: عدوّ الله وظالم ونحوه. فأراد ابن عمر رضي الله عنهما براءة ابن الزبير من الذي نسب إليه الحجاج وأعلام الناس بمحاسنه، ومذهبنا أن ابن الزبير كان مظلوماً انتهى. ولا أظن أن فيه خلافاً في مذهب من المذاهب، إلا عند الخوارج. **(قال:)** أي أبو نوفل[٤] **(فقام عنها)** أي الحجاج **(فلم يراجعها)** أي فلم يردها في الكلام، ثم إنها ماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام ولها مائة سنة ولم يقع لها سن. **(رواه مسلم)**.

٦٠٠٤ ـ **(وعن نافع)** أي مولى ابن عمر **(أن ابن عمر أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير)** أي قبل قتله **(فقالا: إن الناس صنعوا ما ترى)** أي من الاختلاف **(وأنت ابن عمر)** أي وقد كان خليفة **(وصاحب رسول الله ﷺ)** يعني ومن أصحابه أيضاً فلا نشك أنك من الوجهين أولى بالخلافة من عبد الملك الذي من جملة أمرائه الحجاج **(فما يمنعك أن تخرج)** أي عليه لظهور

---

(١) في المخطوطة «المدينة».
(٢) في المخطوطة «المولى».
(٣) في المخطوطة «صفاته».
(٤) في المخطوطة «نفيل».

الحديث رقم ٦٠٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/١٨٣. حديث رقم ٤٥١٣.

فقال: يمنعني أنَّ اللَّهَ حرَّمَ عَليَّ دَمَ أخي المسلم. قالا: ألم يَقُلْ اللَّهُ تعالى: ﴿**وقاتلوهم حتى لا تكونَ فتنة**﴾ فقال ابن عمر: قد قاتلنا حتَّى لم تكن فتنةٌ وكانَ الدينُ لله، وأنتم تريدونَ أن تقاتلوا حتى تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ لغيرِ اللَّهِ. رواه البخاري.

٦٠٠٥ ـ (٢٧) وعن أبي هريرة، قال: جاءَ الطفيلُ بن عَمْرِو الدَّوْسِيُّ إلى رسول اللَّهِ ﷺ فقال: إنَّ دَوْساً قد هلكت، عَصَيت وأبت، فادْعُ اللَّهَ عليهم، فظنَّ الناسُ أنَّه يدعو عليهم، فقال: «اللهمَّ اهدِ دَوْساً وأْتِ بهم». متفق عليه.

كمال ظلمه (**فقال: يمنعني أن الله حرم عليّ دم أخي المسلم. قالا:**) أي الرجلان (**ألم يقل الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾**)[1] أي لا توجد؛ وتمامه ﴿**ويكون الدين لله**﴾ [البقرة ـ ١٩٣]. (**فقال ابن عمر: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة**) أي شرك (**وكان الدين لله**) أي وصار دين الإسلام خالصاً لله (**وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة**) أي تقع فتنة بين المسلمين (**ويكون الدين لغير الله**) أي لتزلزل دينه وعدم ثبات أمره. والحاصل أن السائل يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد هو طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك في حقه، كما يدل عليه قوله: لقد كنت أنهاك عن مثل هذا. (**رواه البخاري**).

٦٠٠٥ ـ (**وعن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**قال: جاء الطفيل**) بالتصغير (**ابن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ**) ويقال له ذو النور، لأنه لما أتى النبي ﷺ بعثه إلى قومه فقال: اجعل لي آية. فقال: اللهم نوِّر له. فسطع له نور بين عينيه. فقال: يا رسول الله أخاف أن يقولوا إنه مثلة. فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فدعا قومه إلى الإسلام فأسلم أبوه ولم تسلم أمه، وأجابه أبو هريرة وحده. وهذا يدل على تقدم إسلامه. وقد جزم ابن أبي حاتم أنه قدم بخيبر مع أبي هريرة وكأنه قدمته الثانية كذا ذكره ابن حجر. وقال المؤلف: أسلم وصدق النبي ﷺ بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه، فلم يزل بها حتى هاجر إلى النبي ﷺ وهو بخيبر بمن تبعه من قومه، فلم يزل مقيماً عنده إلى أن قبض النبي ﷺ. وقتل يوم اليمامة شهيداً. وقيل قتل عام اليرموك في خلافة عمر. روى عنه جابر وأبو هريرة، عداده في أهل الحجاز. (**فقال:**) أي الطفيل (**إن دوساً قد هلكت**) أي استحقت الهلاك (**عصت**) بيان لما قبله (**وأبت**) أي امتنعت عن الطاعة (**فادع الله عليهم**) أي بوقوع العذاب (**فظن الناس أنه يدعو عليهم فقال:**) أي لكونه رحمة للعالمين وهدى للناس (**اللهم اهد دوساً وات بهم**) أي إلى المدينة مهاجرين، أو قربهم إلى طريق المسلمين وأقبل بقلوبهم إلى قبول الدين. (**متفق عليه**).

---

(١) سورة البقرة. آية رقم ١٩٣.

الحديث رقم ٦٠٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٠١. حديث رقم ٤٣٩٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٥٧ حديث رقم (١٩٧٠ ـ ٢٥٢٤). وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٣.

٦٠٠٦ ـ (٢٨) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا العَربَ لثلاثٍ: لأني عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، وكلامُ أهلِ الجنَّة عربيٌّ». رواه البيهقي في «شعب الإِيمان».

(٢) باب مناقب الصحابة

٦٠٠٦ ـ **(وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أحبوا العرب لثلاث)** أي خصال أو أسباب **(لأني عربي)** وكل ما ينسب إلى الحبيب محبوب **(والقرآن)** أي بالنصب ويرفع **(عربي)** أي لأنه نزل بلغتهم وبلغتهم تعرف بلاغته وفصاحته ولأنهم تحملوا الشريعة ونقلوها إلينا وضبطوا أقواله وأفعاله ونقلوا إلينا معجزاته، ولأنهم مادة الإِسلام وبهم فتحت البلاد وانتشر الإِسلام في أقطار العالم، ولأنهم أولاد إسماعيل عليه السلام ولأن سؤال القبر بلسانهم. ولذا قيل من أسلم فهو عربي. **(وكلام أهل الجنة عربي)** ويفهم منه أن كلام أهل النار غير عربي. **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)** وكذا الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه[(١)] والعقيلي في الضعفاء.

(باب مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)

قال القرطبي: المنقبة بمعنى الفضيلة، وهي الخصلة الجميلة التي يحصل بسببها شرف وعلو مرتبة أما عند الله وأما عند الخلق، والثاني لا عبرة به إلا أن أوصل إلى الأول. فإذا قيل فلان فاضل، فمعناه أن له منزلة عند الله ولا يوصل إليه إلا بالنقل عن رسول الله ﷺ كذا ذكره السيوطي. وقال الطيبي: الصحابي المعروف عند أهل الحديث وبعض أصحاب الأصول كل من رأى رسول الله ﷺ، وهو مسلم، ثم يعرف كونه صحابياً بالتواتر كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أو بالاستفاضة، أو يقول صحابي غيره إنه صحابي، أو يقول عن نفسه أنه صحابي إذا كان عدلاً. والصحابة كلهم عدول مطلقاً لظواهر الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به. وفي شرح السنة قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان، ومن له مزية من أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين، وقيل: أهل بيعة الرضوان، وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيهما أفضل، وفي عائشة وفاطمة. وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة الأخيار. والحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم متأوّلون في حروبهم ولم يخرج بذلك أحد منهم من العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم في مسائل، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

الحديث رقم ٦٠٠٦: رواه البيهقي في شعب الإِيمان ٢/ ٢٣٠ حديث رقم ١٦٠٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧.

الفصل الأول

٦٠٠٧ - (١) عن أبي سعيدٍ الخدري، قال: قال النبي ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابي، فلو أَنَّ أحدَكم أَنفقَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما بَلَغَ مدَّ أحدهم ولا نصيفه».

(الفصل الأول)

٦٠٠٧ - **(عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي)** وفي نسخة رسول الله (ﷺ: **لا تسبوا أصحابي)** الخطاب بذلك للصحابة لما ورد أن سبب الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمٰن بن عوف شيء فسبه خالد. فالمراد بأصحابي أصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين في الإِسلام. وقيل: نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم، فخاطبه خطاب غير الصحابة ذكره السيوطي. ويمكن أن يكون الخطاب للأمة الأعم من الصحابة حيث علم بنور النبوة إن مثل هذا يقع في أهل البدعة فنهاهم بهذه السنة. وفي شرح مسلم: اعلم أن سب الصحابة حرام من أكبر الفواحش ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر. وقال بعض المالكية: يقتل. وقال القاضي عياض: سب أحدهم من الكبائر انتهى. وقد صرح بعض علمائنا بأنه يقتل من سب الشيخين. ففي كتاب السير من كتاب الأشباه والنظائر للزين بن نجيم: كل كافر تاب فتوبته مقبولة في الدنيا والآخرة إلا جماعة الكافر بسب النبي وسب الشيخين أو أحدهما أو بالسحر أو بالزندقة ولو امرأة إذا أخذ قبل توبته، وقال: سب الشيخين ولعنهما كفر، وإن فضل علياً عليهما فمبتدع كذا في الخلاصة. وفي مناقب الكردري: يكفر إذا أنكر خلافتهما أو أبغضهما لمحبة النبي لهما وإذا أحب علياً أكثر منهما لا يؤاخذ به انتهى[(١)]. ولعل وجه تخصيصهما لما ورد في فضيلتهما من قوله ﷺ في حقهما خاصة على ما سيأتي في باب على حدة لهما، أو للإجماع على أحقيتهما خلافاً للخوارج في حق عثمان وعلي ومعاوية وأمثالهم والله أعلم. **(فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً)** زاد البرقاني: كل يوم. **(ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)** أي ولا بلغ نصفه أي من بر أو شعير لحصول بركته ومصادمته لإعلاء الدين وكلمته مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة. ولذا ورد: «سبق درهم مائة ألف درهم»[(٢)]. وذلك معدوم فيما بعدهم وكذلك سائر طاعاتهم وعباداتهم وغزواتهم وخدماتهم. ثم اعلم أن المد بضم الميم ربع الصاع والنصيف بمعنى

الحديث رقم ٦٠٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢١. حديث رقم ٣٦٧٣. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٧ حديث رقم (٢٢٢/ ٢٥٤١). وأبو داود في السنن ٥/ ٤٥ حديث رقم ٤٦٥٨. والترمذي ٥/ ٦٥٣ حديث رقم ٣٦٨١. وأحمد في المسند ٣/ ١١.

(١) ص ١٨٩ - ١٩٠ من كتاب «الأشباه والنظائر» لابن نجيم.

(٢) النسائي في السنن ٥/ ٥٩ حديث رقم ٢٥٢٧.

متفق عليه.

النصف كالعشير بمعنى العشر. وعلى هذا الضمير راجع إلى المد. وقيل النصيف مكيال يسع نصف مد، فالضمير راجع إلى الأحد. قال القاضي [عياض]: النصيف النصف أي نصف مده. وقيل هو مكيال دون المد، والمعنى لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهباً من الأجر والفضل ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصفه لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية وكمال النفس. قال الطيبي: ويمكن أن يقال إن فضياتهم بحسب فضيلة إنفاقهم وعظم موقعه، كما قال تعالى: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾** [الحديد ـ ١٠]. وقوله: من قبل الفتح، أي قبل فتح مكة يعني قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجاً وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، وهذا في الإنفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل أرواحهم بين يدي رسول الله ﷺ انتهى. ولا يخفى أن هذا إنما يتم على ما سبق من سبب الحديث المستفاد منه تخصيص الصحابة الكبار. لكن يعلم نهي سب غير الصحابي للصحابي من باب الأولى، لأن المقصود هو الزجر عن سب أحد ممن سبقه في الإسلام والفضل إذ الواجب تعظيمهم وتكريمهم حيث قال الله تعالى: **﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾** [الحشر ـ ١٠] **(متفق عليه)**. ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد وكذا مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة(١). وأخرجه أبو بكر البرقاني على شرطهما. وأخرج علي بن حرب الطائي وخيثمة بن سليمان عن ابن عمر قال: لا تسبوا أصحاب محمد فلمنام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره(٢). وأخرج الخطيب البغدادي في الجامع وغيره أنه ﷺ قال: إذا ظهرت الفتن أو قال: البدع وسب أصحابي فليظهر العالم علمه. فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله له صرفاً ولا عدلاً. وأخرج الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً: ما ظهر أهل بدعة إلا أظهر الله فيهم حجة على لسان من شاء من خلقه. وأخرج المحاملي والطبراني والحاكم عن عويم بن ساعدة مرفوعاً: إن الله اختارني واختار لي أصحاباً وجعل لي فيهم وزراء وأنصار وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً(٣). وروى العقيلي في الضعفاء عن أنس: أن الله اختارني واختار لي أصحاباً وأنصاراً وسيأتي قوم يسبونهم ويستنقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم(٤). وروى أحمد عن أنس: دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهباً ما بلغتم أعمالهم(٥). وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود:

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/١٩٦٧ حديث رقم ٢٥٤٠.

(٢) وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «فلمقام» بدل «فمنام» ١/٥٧ حديث رقم ١٦٢.

(٣) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٣٢.

(٤) رواه العقيلي في الضعفاء ١/٢٦.

(٥) أحمد في المسند ٣/٢٦٦.

٦٠٠٨ - (٢) وعن أبي بردة، عن أبيه، قال: رَفع - يعني النبيَّ ﷺ - رأسَه إلى السَّماء، وكان كثيراً ممَّا يرفع رأسَه إلى السماءِ. فقال: «النجوم أَمَنَةٌ للسماءِ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتى السماءَ ما توعَدُ؛ وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أنا أتى أصحابي ما يوعدون؛ وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذَهَب أصحابي أتى أُمتي ما يُوعَدُون». رواه مسلم.

لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر[1].

٦٠٠٨ - **(وعن أبي بردة عن أبيه)** وهو أبو موسى الأشعري **(قال:)** أي أبوه **(رفع يعني النبي ﷺ)** هذا قول أبي بردة وضمير يعني إلى أبيه، أي يريد أبو موسى بالضمير الفاعل في قوله: رفع النبي ﷺ، وترك اسمه لظهوره. والمعنى رفع النبي ﷺ **(رأسه إلى السماء وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء)** أي انتظاراً للوحي[2] الإلهي بالنزول الملكي. قال الطيبي: من بيان لكثيراً ويجوز أن تكون من زائدة وهو خبر كان، أي كان كثيراً رفع رأسه. وما مصدرية انتهى. والجملة معترضة حالية. **(فقال: النجوم أمنة للسماء)** بفتح الهمز والميم أي أمن، وقيل أمان ومرحمة، وقيل حفظة جمع أمين وهو الحافظ ذكره شارح. وقال الطيبي: يقال أمنته وأمنته غيري وهو في أمن منه وأمنة، وفلان أمنة وأمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن، ويجوز أن يكون جمع آمن كبار وبررة. **(فإذا ذهبت النجوم)** أي الشاملة للشمس والقمر **(أتى السماء ما توعد)** أي ما وعد له من الانشقاق والطي يوم القيامة، والمراد بذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها على ما في النهاية وغيره. **(وأنا أمنة لأصحابي)** قال الطيبي: إذا نسب أمنة إلى رسول الله ﷺ يحتمل وجهين، أحدهما أن يكون مصدراً مبالغة نحو: رجل عدل، أو جمعاً فيكون من باب قوله تعالى: ﴿**شهاباً رصداً**﴾ [الجن - ١٩]. أي راصدين. وقوله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتاً**﴾ [النحل - ١٢٠]. فجعل ﷺ أمناً لأصحابه بمنزلة الجماعة. **(فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون)** أي من الفتن والمخالفات والمحن **(وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي)** أي جميعهم **(أتى أمتي ما يوعدون)** أي من ذهاب أهل الخير ومجيء أهل الشر وقيام الساعة عليهم. قال في النهاية: والإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير فإنه ﷺ لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه، فلما توفي وجالت الآراء واختلفت الأهواء كان أصحابه يسندون الأمر إليه ﷺ في قول أو فعل أو دلالة حال، فلما فقدوا قلت الأنوار وقويت الظلم. وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم. قلت: ولهذا قال ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيهم اقديتم اهتديتم. **(رواه مسلم)** وكذا الإمام أحمد في مسنده.

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٣٩٦. وأبو داود ٥/ ١٨٣. حديث رقم ٤٨٦٠ والترمذي حديث رقم ٣٨٩٦.

الحديث رقم ٦٠٠٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦١ حديث رقم (٢٠٧ . ٢٥٣١).

(٢) في المخطوطة «الوحي».

٦٠٠٩ ـ (٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يأتي على النَّاسِ زمَانٌ فيغزو فئامٌ من الناس، فيقولون: هلْ فيكم مَنْ صاحبَ رسول الله ﷺ. فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يأتي على النَّاسِ زمانٌ، فيغزو فئامٌ من النَّاسِ، فيُقال: هل فيكم مَنْ صاحبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفْتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئام من الناس، فيُقال: هل فيكم من صاحب من صاحبَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفْتَحُ لهم». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم قال: «يأتي على النَّاس زمانٌ يُبعث منهم البعث فيقولون: انظروا، هل تجدون فيكم أحداً من أصحابِ رسول اللّهِ ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم [به]. ثم يبعث البعث الثاني فيقولون: هل فيهم

٦٠٠٩ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان فيغزوا)** بالتذكير ويؤنث، أي يقاتل. **(فئام)** بكسر الفاء فهمز ويجوز ابدالها بالياء، أي جماعة. **(من الناس)** في القاموس لا واحد له من لفظه، والجمع فؤم ككتب. وفي شرح مسلم هو بفاء مكسورة ثم همزة، أي جماعة. وحكى القاضي عياض بالياء مخففة بلا همزة، ولغة أخرى بفتح الفاء عن الخليل. والمشهور الأوّل **(فيقولون:)** أي الذين يغزون الفئام لهم. وفي نسخة: فيقال. **(هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ)** بمن الموصولة صلته صاحب فعل ماض ونصب رسول الله ﷺ على المفعولية. وفي نسخة بمن الزائدة، على أن صاحب اسم فاعل مضاف إلى رسول الله ﷺ. **(فيقولون: نعم. فيفتح لهم)** على بناء المفعول **(ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال:)** كذا هنا بالاتفاق **(هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ)** بمن الموصولة بلا خلاف **(فيقولون: نعم. فيفتح لهم. ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب[1] رسول الله ﷺ)** بالموصولتين **(فيقولون: نعم. فيفتح لهم)** في الحديث معجزة لرسول الله ﷺ وفضل لأصحابه والتابعين وتابعيهم **(متفق عليه)**.

(وفي رواية لمسلم) قال ابن حجر: هذه رواية شاذة وأكثر الروايات مقتصرة على الطبقات [الثلاث]. **(قال:)** أي النبي ﷺ، أو أبو سعيد مرفوعاً. **(يأتي على الناس زمان يبعث)** أي فيه **(منهم البعث)** أي المبعوث وهو الجيش **(فيقولون:)** أي المبعوث إليهم **(انظروا هل تجدون فيكم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ. فيوجد الرجل)** أي الواحد فيهم **(فيفتح لهم)** أي ببركته **(ثم يبعث البعث الثاني)** أي من الناس إلى جمع آخر **(فيقولون: انظروا هل فيهم)** وفي نسخة: هل

الحديث رقم ٦٠٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣. حديث رقم ٣٦٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٢ حديث رقم (٢٠٩ ـ ٢٥٣٢). وأحمد في المسند ٣/ ٧.

(١) في المخطوطة من صَاحَبَ صاحِبَ رسول الله ﷺ.

من رأى أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيفتح لهم [به] ثم يبعث البعث الثالث فيقال: انظروا، هل ترون فيهم من رأى أصحابَ النبي ﷺ؟ ثمَّ يكونُ البعثُ الرابع فيقال: انظروا، هل ترون فيهم أحداً رأى من رأى أحداً رأى أصحاب النبي ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم [به]».

٦٠١٠ ـ (٤) وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أُمتي قرني، ثم الذين يلونهم،

فيكم. (من رأى أصحاب النبي) وفي نسخة: رسول الله، أي أحداً من أصحابه. (ﷺ. فيوجد) أي من رأى الصحابة وهو يوجد في بعض النسخ (فيفتح لهم ثم يبعث البعث الثالث فيقال انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى) أي بالواسطة (أصحاب النبي ﷺ. ثم يكون بعث الرابع) بالإضافة وهو مصدر، والموصوف محذوف، أي بعث البعث الرابع. [وفي نسخة البعث الرابع] على الوصف. فالمراد بالبعث الجيش المبعوث. (فيقال: انظروا هل ترون فيهم أحداً رأى من رأى أحداً رأى) أي ذلك الأحد (أصحاب النبي ﷺ) فيكون واسطتين (فيوجد الرجل. فيفتح له.) أي لأجل ذلك التابع لأتباع للتابعين. وفي نسخة: لهم، أي لأجلهم ببركته. ولما كان أهل الخير نادراً في القرن الرابع اقتصر على القرون الثلاثة في أكثر الروايات لكثرة أهل العلم والصلاح فيهم وقلة السفه والفساد منهم. ففي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعاً: النبي ﷺ خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث(١). وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً: خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء قوم لا خير فيهم(٢). وروى الطبراني والحاكم عن جعدة بن هبيرة: خير الناس قرني الذين أنا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والآخرون أرذال(٣). وروى الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء: خير أمتي أولها وآخرها أولهم فيهم رسول الله وآخرهم فيهم عيسى ابن مريم وبين ذلك همج أعوج وليسوا مني ولا أنا منهم(٤).

٦٠١٠ ـ (وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: خير أمتي قرني) أي الذين أدركوني وآمنوا بي وهم أصحابي (ثم الذين يلونهم) أي يقربونهم في الرتبة أو يتبعونهم في

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٥ حديث رقم ٢٥٣٦.
(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٤٦ حديث رقم ٤٠٣٥.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٤٦ حديث رقم ٤٠٣٦. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٩١.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير مختصراً ٢/ ٢٤٧ حديث رقم ٤٠٥٦.

الحديث رقم ٦٠١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣ حديث رقم ٣٦٥٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٤ حديث رقم (٢١٤ ـ ٢٥٣٥). وأبو داود في السنن ٥/ ٤٤ حديث رقم ٤٦٥٧. والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٢ حديث رقم ٣٨٥٩.

ثم الذين يلونهم، ثم إِن بعدَهم قوماً يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون، ولا يفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ».

الإيمان والإيقان، وهم التابعون. (ثم الذين يلونهم) وهم أتباع التابعين. والمعنى أن الصحابية والتابعين وتبعهم هؤلاء القرون الثلاثة المرتبة في الفضيلة. ففي النهاية: القرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران. فكأنه المقدار الذي يقترن به أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم. وقيل: القرن أربعون سنة، وقيل ثمانون، وقيل: مائة وقيل: هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن. قال السيوطي: والأصح أنه لا ينضبط بمدة، فقرنه ﷺ هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من مائة سنة إلى نحو سبعين، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى نحو العشرين ومائتين. [وفي] هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن وظهر مصداق قوله ﷺ: ثم يفشو الكذب. قال الطيبي: وثم فيه بمنزلته الفاء في قوله: الأفضل فالأفضل، على أنه بيان لتراخي الرتبة في النزول، والخير المذكور أولاً أطلق على اقتضاه معنى التفضيل من الاشتراك حتى انتهى إلى حد يرتفع فيه الاشتراك، فيختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله: (ثم إن بعدهم قوماً يشهدون) فهو حينئذ كما في قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ [الفرقان ـ ٢٤]. وقولك: الصيف أحر من الشتاء. قال شارح: في أكثر نسخ المصابيح: ثم إن بعدكم، وليس بسديد. والصواب: ثم إن بعدهم قوماً يشهدون. (ولا يستشهدون) بصيغة المجهول، أي والحال أنه لا يطلب منهم الشهادة. ولا يبعد أن تكون الواو عاطفة كبقية ما يأتي. والحاصل أنهم يشهدون قبل أن يطلب منهم الشهادة فهو ذم على الشهادة قبل الاستشهاد. قال النووي: وهذا مخالف في الظاهر للحديث الآخر: خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل أن يسأل. قالوا: والجمع بينهما أن الذم في ذلك لمن بادر بالشهادة في حق من هو عالم بها قبل أن يسألها له صاحبه، وأما المدح فهو لمن كانت عنده شهادة لأحد لا يعلم بها فيخبره بها ليستشهده عند القاضي ويلحق به من كانت عنده شهادة في حدود، أي المصلحة في الستر هذا ما عليه الجمهور انتهى. وقيل: المدح في حقوق الله والذم في حقوق الناس. (ويخونون ولا يؤتمنون) جمع بينهما تأكيداً، أو يخونون الناس عند ائتمانهم إياهم ولا يجعلون أمناء عند بعضهم لظهور خيانتهم. وقال النووي: ومعنى الجمع في قوله: يخونون ولا يؤتمنون. أنهم يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها ثقة، بخلاف من خان حقيراً مرة، فإنه لا يخرج به عن أن يكون مؤتمناً في بعض المواطن. (وينذرون) بضم الذال ويكسر على ما في القاموس، أي يوجبون على أنفسهم أشياء. (ولا يفون) من الوفاء، أي ولا يقومون بالخروج عن عهدتها ولا يبالون بتركها بخلاف الأبرار على ما قال سبحانه في حقهم: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ [الإنسان ـ ٧]. وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة ـ ١]. أي بالإيمان والنذور والعهود. (ويظهر فيهم السمن) بكسر السين وفتح الميم مصدر سمن

وفي رواية: «ويحلفون ولا يُستحلفون». متفق عليه.

٦٠١١ ـ (٥) وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة: «ثم يَخْلُف قومٌ يحبُّون السِّمانة».

الفصل الثاني

٦٠١٢ ـ (٦) عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا أصحابي، فإنهم خياركم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهرُ الكذبُ حتى إِن الرجل ليحلف

بالكسر والضم سمانته بالفتح وسمناً كعنب فهو سامن وسمين. قال صاحب النهاية: في الحديث يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون أي يتكبرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف. وقيل: أراد جمعهم الأموال، وقيل يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن. وقال التوربشتي: كني به عن الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الدين، فإن الغالب على ذوي السمانة أن لا يهتموا بارتياض النفوس، بل معظم همتهم تناول الحظوظ والتفرغ للدعة والنوم. وفي شرح مسلم قالوا: والمذموم من السمن ما يستكسب، وأما ما هو خلقه فلا يدخل في هذا انتهى. وبه يظهر معنى ما ورد من أن الله يبغض الحبر السمين. (**وفي رواية: ويحلفون ولا يستحلفون**) أي يحلفون من غير ضرورة داعية إليه ومن غير حاجة باعثة عليه (**متفق عليه**).

٦٠١١ ـ (**وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة: ثم يخلف**) بضم اللام، أي ثم يعقبهم ويظهر وراءهم. (**قوم يحبون السمانة**) بفتح السين. وروى أحمد والشيخان والترمذي عن ابن مسعود ولفظه: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته[١]. وروى الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين بلفظ: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها[٢].

(الفصل الثاني)

٦٠١٢ ـ (**عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أكرموا أصحابي**) أي السابقين واللاحقين أحياء وأمواتاً (**فإنهم خياركم**) والخطاب للأمة (**ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب**) أي يفشو كما في رواية. (**حتى أن الرجل**) بكسران ويفتح (**ليحلف**) بلام التأكيد

الحديث رقم ٦٠١١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٣ حديث رقم (٢١٣ . ٢٥٣٤).

(١) أحمد في المسند ١/ ٣٧٨. والبخاري في صحيحه ٧/ ٣ حديث رقم ٣٦٥١. ومسلم ٤/ ١٩٦٣ حديث رقم (٢١٢ . ٢٥٣٢). والترمذي ٥/ ٦٥٢ حديث رقم ٣٨٥٩.

(٢) الترمذي في سننه ٤/ ٤٧٥ حديث رقم ٢٣٠٢. والحاكم في المستدرك ٣/ ٤٧١.

الحديث رقم ٦٠١٢: أخرجه الترمذي في السنن بنحوه ٤/ ٤٠٤ حديث رقم ٢١٦٥. وأحمد في المسند ١/ ٢٦.

ولا يستحلف، ويشهد ولا يُستشهد، ألا مَنْ سرَّهُ بُحبوحةُ الجنة فليلزم الجماعة، فإِنَّ الشيطانَ مع الفذِّ وهو من الاثنين أبعد، ولا يَخْلُونَّ رجُلٌ بآمرأةٍ فإِنَّ الشيطان ثالثهم، ومن سرته حسنته وساءته سيِّئته فهو مؤمن». رواه.

٦٠١٣ - (٧) وعن جابر، عن النبي ﷺ، قال: «لا تمسّ النَّار مسلماً رآني أو رأى من رآني». رواه الترمذي.

(ولا يستحلف. ويشهد) عطف على يحلف أو ليحلف **(ولا يستشهد. ألا)** للتنبيه **(من سره)** أي من أحب **(بحبوبة الجنة)** بضم الموحدتين، أي وسطها وخيارها. **(فليلزم الجماعة)** أي السواد الأعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فيدخل فيه حبهم وإكرامهم دخولاً أولياً. **(فإن الشيطان مع الفذ)** بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة، أي مقارن للفرد الذي تفرد برأيه. **(وهو)** أي الشيطان **(من الاثنين أبعد)** أي بعيد. قال الطيبي: أفعل هنا لمجرد الزيادة ولو كان مع الثلاثة لكان بمعنى التفضيل، إذ البعد مشترك بين الثلاثة والاثنين دون الاثنين والفذ على ما لا يخفى. **(ولا يخلون رجل)** نهي تأكيد وتشديد. **(بامرأة)** أي أجنبية **(فإن الشيطان ثالثهم)** أي فلا بد أن يغويهما **(ومن سرته حسنته)** أي إذا وقعت منه **(وساءته سيئته)** أي أحزنته إذا صدرت عنه **(فهو مؤمن)** أي كامل، لأن المنافق حيث لا يؤمن بيوم القيامة استوت عنده الحسنة والسيئة. وقد قال تعالى: ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة**﴾ [فصلت - ٣٤]. **(رواه)** هنا بياض في أصل المصنف وألحق به النسائي وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح، إلا إبراهيم ابن الحسن الخثعمي فإنه لم يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت ذكره الجزري. فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن. وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء عن أبي أمامة مرفوعاً: إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن(١). ورواه الطبراني عن أبي موسى مرفوعاً ولفظه: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن(٢).

٦٠١٣ - **(وعن جابر عن النبي ﷺ قال: لا تمس النار مسلماً رآني أو رأى من رآني. رواه الترمذي)** وكذا الضياء وحسنه الترمذي. وروى عبد بن حميد عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلة. طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني(٣). وروى الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر: طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي طوبى لهم وحسن مآب(٤). وأنْشِدَ شعر:

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ١٤ وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٢. وابن حبان ١/ ٢٠١ حديث رقم ١٧٦.
(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٢٩ حديث رقم ٨٧٥١.
الحديث رقم ٦٠١٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥١ حديث رقم ٣٨٥٨.
(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٢٧ حديث رقم ٥٣٠٥.
(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٢٧ حديث رقم ٥٣٠٤. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٦.

٦٠١٤ ـ (٨) وعن عبد الله بن مُغَفَّل، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهَ الله في أصحابي، اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، لا تتَّخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبَّهم، ومن أبغَضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله

واستنشق الأرياح من نحو أرضكم * لعلي أراكم أو أرى من يراكم

وقال بعضهم شعر:

سعدت أعين رأتك وقرت * والعيون التي رأت من رآكا

وكأنه ﷺ لما تذكر المحرومين من ذلك الجناب وعن رؤية الأصحاب وعن خدمة الأتباع من أولي الألباب قال تسلية: طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن لم يرني وآمن بي ثلاث مرات. رواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر(١) وقال أيضاً: طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني. رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد(٢). وقال أيضاً: طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات. رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة، ورواه أحمد أيضاً عن أنس(٣). وحاصله أنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل كما هنا من الإيمان بالغيب عن مشاهدة المعجزات التي قارب من رآها(٤) أن يكون إيمانه بالعيان.

٦٠١٤ ـ **(وعن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: الله الله)** بالنصب فيهما، أي اتقوا الله ثم اتقوا الله **(في أصحابي)** أي في حقهم. والمعنى لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم. أو التقدير أذكركم الله ثم أنشدكم الله في حق أصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم، كما يقول الأب المشفق الله الله في حق أولادي ذكره الطيبي. أو التقدير: اتقوا مخالفته اتقوا عقابه في عداوة أصحابي المقربين ببابي الملتجئين إلى جنابي. **(لا تتخذوهم غرضاً [من بعدي)** بفتح الغين المعجمة والراء، أي هدفاً لكلامكم القبيح لهم في المحاورات ورميهم في غيبتهم بالوقائع والمكروهات. **(فمن أحبهم فبحبي)** أي بسبب حبي إياهم **(أحبهم)** وقال الطيبي: بسبب حبه إياي أحبهم، وهو أنسب بقوله: **(ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم)** والمعنى: إنما أحبهم لأنه يحبني وإنما أبغضهم لأنه يبغضني والعياذ بالله تعالى. فحق لذلك قول من قال: إن من سبهم فقد استوجب القتل في الدنيا على ما سبق من مذهب المالكية. **(ومن آذاهم فقد آذاني)** أي حكماً **(ومن آذاني فقد آذى الله)** ونظيره: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾** [النساء ـ ٨٠].

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٢٧ حديث رقم ٥٣٠٢.

(٢) أحمد في المسند ٣/ ٧١ وابن حبان ٩/ ١٧٨ حديث رقم ٧١٨٦.

(٣) أحمد في المسند ٥/ ٢٤٨. وعن أنس ٣/ ١٥٥. وابن حبان ٧١٨٨.

(٤) في المخطوطة «يراها».

الحديث رقم ٦٠١٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٣ حديث رقم ٣٨٦٢. وأحمد في المسند ٤/ ٨٧.

فيُوشِكُ أنْ يأخذه». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٦٠١٥ ـ (٩) وعن أَنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ أصحابي في أُمَّتي كالملح في الطعام، لا يصلح الطعام إِلا بالملح». قال الحسن: فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح؟ رواه في «شرح السنة».

٦٠١٦ ـ (١٠) وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحدٍ من أصحابي يموتُ بأرضٍ إِلا بُعِث قائداً ونوراً لهم يوم القيامة». رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

وذكر حديث ابن مسعود «لا يبلّغني أحد» في باب «حفظ اللسان».

(ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) أي يعاقبه في الدنيا أو في الأخرى ولعله مقتبس من قوله تعالى: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾** [الأحزاب ـ ٥٧ و٥٨]. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٦٠١٥ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا بالملح)** استئناف مبين لوجه الشبه ولا يلزم من التشبيه أن يكون من جميع الوجوه حتى يقال: كثرة الملح تفسد الطعام. كما قيل في حق النحو أنه في الكلام كالملح في الطعام. بل المراد منه، أن الطعام بدونه ليس له كمال المرام. **(قال الحسن:)** أي البصري **(فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح)** أي في حالنا. قلت: نصلح بكلامهم ورواياتهم ومعرفة مقاماتهم وحالاتهم وبالاقتداء بأخلاقهم وصفاتهم، فإن العبرة بهذه الأشياء دون صورهم وذواتهم. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي بإسناده وكذا رواه أبو يعلى في مسنده عن أنس مرفوعاً.

٦٠١٦ ـ **(وعن عبد الله بن بريدة)** بالتصغير **(عن أبيه)** يعني أبا موسى الأشعري **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد من أصحابي)** من الأولى زائدة لتأكيد نفي الاستغراق، والثانية بيانية. **(يموت بأرض إلا بعث)** أي إلا حشر ذلك الأحد من أصحابي **(قائداً)** أي لأهل تلك الأرض **(ونوراً)** أي هادياً لهم **(يوم القيامة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وكذا رواه الضياء. **(وذكر حديث ابن مسعود: لا يبلغني أحد)** أي من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر، أي مع كلكم فلو سمعت شيئاً منكم ربما تغير خاطري بمقتضى البشرية فالأولى سد باب الذريعة المؤدية إلى الأذية. **(في باب حفظ اللسان)** أي على ظن أنه أولى بذلك الباب والله أعلم بالصواب.

الحديث رقم ٦٠١٥: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ٧٢ حديث رقم ٣٨٦٣.

الحديث رقم ٦٠١٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٤ حديث رقم ٣٨٦٥.

الفصل الثالث

٦٠١٧ ـ (١١) عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبُّون أصحابي فقولوا: لعنةُ الله على شرِّكم». رواه الترمذي.

٦٠١٨ ـ (١٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدي، فأوحى

(الفصل الثالث)

٦٠١٧ ـ **(عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم)** أي أبصرتم أو عرفتم **(الذين يسبون أصحابي فقولوا: لعنة الله على شركم)** فيه إشارة إلى أن لعنهم يرجع إليهم فإنهم أهل الشر والفتنة، وأن الصحابة من أهل الخير المستحقين للرضا والرحمة. قال الطيبي: وهو من كلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف، قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك. ومنه بيت حسان في حق من هجا رسول الله ﷺ شعر:

أتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما فداء

والتعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقلة شوكته بالهوينا. **(رواه الترمذي)** وكذا الخطيب: ورواه ابن عدي عن عائشة مرفوعاً: إن شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي[1]. وفي الحديث المرفوع: يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم فإنهم مشركون[2]. وفي رواية: ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك إنهم يسبون أبا بكر وعمر. كذا في الصواعق. ولعل الحكمة في سب الروافض بعض الصحابة، والخوارج بعض أهل البيت أنهم لما انقطع عنهم أعمالهم بانتهاء آجالهم أراد الله أن يستمر لهم الثواب لمزيد حسن المآب وأن يرجع أعداؤهم إلى سوء الحساب وشدة العذاب.

٦٠١٨ ـ **(وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سألت ربي عن اختلاف أصحابي)** أي عن حكمة تخالفهم في فروع الشرائع **(من بعدي فأوحى)** أي الله

الحديث رقم ٦٠١٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٤ حديث رقم ٣٨٦٦.

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٨ حديث رقم ٢٢٨١.

(٢) نسبه صاحب كنز العمال إلى اللالكائي في السنة كنز العمال ١١/ ٣٢٤ حديث رقم ٣١٦٣٧.

الحديث رقم ٦٠١٨: رواه رزين:

اللهِ إليَّ: يا محمَّد! إنَّ أصحابَك عندي بمنزلةِ النجوم في السَّماءِ، بعضُها أقوى من بعضٍ، ولكلّ نورٌ، فمن أخذَ بشيءٍ ممَّا هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هُدىً» قال: وقال رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنجوم، فبأيّهم اقتديتم اهتديتم». رواه رزين.

كما في نسخة (إليّ: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء) أي في اظهار الهداية وإبطال الغواية كما قال تعالى: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ [النحل - ١٦]. (بعضها أقوى من بعض) أي بحسب مراتب أنوارها المقدرة لها (ولكل نور) أي وكذلك لكل من الأصحاب نور بقدر استعداده. (فمن أخذ بشيء مما هم عليه) بيان شيء (من اختلافهم) بيان ما (فهو عندي على هدى) وفيه أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة. قال الطيبي: المراد به الاختلاف في الفروع لا في الأصول كما يدل عليه قوله: فهو عندي على هدى. قال السيد جمال الدين: الظاهر أن مراده ﷺ الاختلاف الذي في الدين من غير اختلاف للغرض[1] الدنيوي، فلا يشكل باختلاف بعض الصحابة في الخلافة والإمارة. قلت: الظاهر أن اختلاف الخلافة أيضاً من باب اختلاف فروع الدين الناشىء عن اجتهاد كل لا من الغرض الدنيوي الصادر عن الحظ النفسي، فلا يقاس الملوك بالحدادين. (قال:) أي عمر (وقال رسول الله ﷺ: أصحابي كالنجوم) أي فاقتدوا بهم جميعهم أو بأكثرهم وإن لم يتيسر (فبأيهم اقتديم اهتديتم). [وكأنه أخذ من هذا بعضهم فقال: من تبع عالماً لقي الله سالماً. (رواه رزين)] قال ابن الربيع: اعلم أن حديث: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. أخرجه ابن ماجه كذا ذكره الجلال السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء، ولم أجده في سنن ابن ماجه بعد البحث عنه. وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في تخريج أحاديث الرافعي في باب أدب القضاء وأطال الكلام عليه، وذكر أنه ضعيف واه. بل ذكر عن ابن حزم أنه موضوع باطل. لكن ذكر عن البيهقي أنه قال: إن حديث مسلم يؤدي بعض معناه يعني قوله ﷺ: النجوم أمنة للسماء الحديث[2]. قال ابن حجر: صدق البيهقي، وهو يؤدي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم أما في الاقتداء فلا يظهر. نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم. قلت: الظاهر أن الاهتداء فرع الاقتداء. قال: وظاهر الحديث إنما هو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض الصحابة من طمس السنن وظهور البدع ونشر الجور في أقطار الأرض. اهـ. وتكلم على هذا الحديث ابن السبكي في شرح ابن الحاجب الأصلي في الكلام على عدالة الصحابة ولم يعزه لابن ماجه، وذكره في جامع الأصول. ولفظه عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: سألت ربي. الحديث إلى قول: اهتديتم. وكتب بعده أخرجه، فهو من الأحاديث التي ذكرها رزين في تجريد الأصول ولم يقف عليها ابن الأثير في الأصول المذكورة، وذكره صاحب المشكاة وقال: أخرجه رزين.

---

(١) في المخطوطة «الغرض».

(٢) راجع الحديث رقم (٦٠٠٨).

(٣) باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه

الفصل الأول

٦٠١٩ ـ (١) عن أبي سعيد الخدري، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ من أمَنِّ الناس عليَّ في صحبته ومالِه أبو بكر ـ وعند البخاري أبا بكر ـ ولو كنتُ متخذاً خليلاً

(باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه)

(الفصل الأوّل)

٦٠١٩ ـ (**عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن من أمن الناس**) بفتح الهمزة وميم وتشديد نون، أي أنعمهم. (**علي**) أو أبذلهم لأجلي (**في صحبته**) أي دوام ملازمته ببذل نفسه في خدمتي (**وماله**) أو وبذل ماله بل وجميع ماله في طريقتي (**أبو بكر**) كذا في صحيح مسلم (**وفي البخاري: أبا بكر**) أي بالنصب وهو الظاهر لأنه اسم إن والرفع مشكل ذكره الطيبي: قال المظهر: وفيه أوجه: الأوّل أن يكون من زائدة على مذهب الأخفش. وقيل: أن هاهنا بمعنى نعم كما في جواب قوله: لعن الله ناقة حملتني إليك إن وصاحبها. فقوله: أبو بكر مبتدأ، ومن أمن الناس خبره. وقيل: اسم إن ضمير الشأن[١]. اهـ. فالتقدير أنه من أمن الناس، أو هو من باب علي بن أبو طالب وأما ما توهم بعضهم من أن قوله: أبو بكر خبر مبتدأ محذوف هو هو على أنه جواب عن سؤال، كأنه قيل: من أمن الناس. فقيل: أبو بكر. فغير صحيح لبقاء أن حينئذ بلا خبر. قال التوربشتي: يريد أن، من أبذلهم وأسمحهم من منّ عليه منّاً لا من من عليه منة، إذ ليس لأحد أن يمتن على رسول الله ﷺ، ثم إنه ورد مورد الإحماد[٢]. وإذا حمل على معنى الامتنان عاد ذماً على صاحبه لأن المنة تهدم الصنيعة. (**ولو كنت متخذاً خليلاً**) قال القاضي: الخليل الصاحب الواد الذي يفتقر إليه ويعتمد في الأمور عليه، فإن أصل التركيب من الخلة بالفتح وهي الحاجة. والمعنى: لو كنت متخذاً من الخلق خليلاً أرجع إليه في الحاجات وأعتمد إليه في المهمات. (**لاتخذت أبا بكر خليلاً**) ولكن الذي ألجأ إليه وأعتمد عليه في جملة الأمور ومجامع الأحوال هو الله تعالى. وإنما سمي إبراهيم عليه السلام خليلاً من الخلة بالفتح التي هي الخصلة، فإنه تخلق بخلال حسنة اختصت به، أو من التخلل. فإن الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه. أو من الخلة من حيث إنه عليه السلام ما كان يفتقر الافتقار إلا إليه وما كان يتوكل إلا عليه، فيكون فعيل بمعنى فاعل. وفي

الحديث رقم ٦٠١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٢. حديث رقم ٣٦٥٤. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٥ حديث رقم ٢/ ٢٣٨٢. والدارمي ٢/ ٤٥١ حديث رقم ٢١٩٠ وأحمد في المسند ١/ ٢٧٠.

(١) في المخطوطة «للشأن». (٢) في المخطوطة «الاضمار».

لأتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوة الإِسلام ومودَّتِه، لا تُبْقَيَنَّ في المسجدِ خوخَةٌ إِلا خوخَةُ أبي بكر».

الحديث بمعنى مفعول. **(ولكن إخوّة الإسلام)** استدراك عن مضمون الجملة الشرطية وفحواها كأنه قال: ليس بيني وبينه خلة ولكن بيننا في الإسلام أخوّة. فنفي الخلة المنبئة عن الحاجة وأثبت الإخاء المقتضي للمساواة في المحبة والإلفة، ولذا قال: **(ومودّته)** أي ومودة الإسلام الناشئة عن المحبة الدينية لا لغرض من الأغراض الدنيوية أو النفسية الدنية. قال السيد جمال الدين: أي لكن بيني وبينه أخوّة الإسلام أو لكن أخوّة الإسلام حاصلة أو لكن أخوّة الإسلام أفضل كما وقع في بعض الطرق، فإن أريد أفضلية أخوّة الإسلام ومودته عن الخلة كما هو الظاهر من السوق يشكل، فيجب أن يراد أفضليتها من غير الخلة، أو يقال أفضل بمعنى فاضل، أو يقال أخوّة الإسلام التي بيني وبين أبي بكر أفضل من أخوّة الإسلام التي بيني وبين غيره، أو من أخوّة الإسلام التي بينه وبين غيري. والأول أحسن تأمل. أقول: ويمكن أن يكون الحديث محمولاً على ما كان تعاهد العرب من عهدة الأخوّة وعقد الخلة والمحبة فيما بينهم، فقال: لو كنت متخذاً خليلاً من الخلق لفقد الخلة وعهد المحبة لاتخذت أبا بكر خليلاً من بين أصحابي، ولكن أخوّة الإسلام ومودته الشاملة له ولغيره كافية أو أفضل حيث إنه خالص لله وعلى وفق رضاه ومن غير ملاحظة من سواه. وقال ابن الملك: اللام في قوله: ولكن أخوّة الإسلام للعهد، أي ولكن أخوّة الإسلام الذي سبق من المسلمين أفضل، لأن اتخاذه خليلاً بفعله وأخوّة الإسلام بفعل الله تعالى فما اختاره الله للنبي ﷺ يكون أفضل مما اختاره لنفسه. **(لا تبقين)** بصيغة المجهول نهياً مؤكداً مشدداً. وفي نسخة بفتح أوّله، والمعنى لا تتركن باقية. **(في المسجد)** أي مسجد المدينة **(خوخة إلا خوخة أبي بكر)** الخوخة بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الواو كوّة في الجدار تؤدي الضوء إلى البيت. وقيل: باب صغير ينصب بين بيتين أو دارين ليدخل من أحدهما في الآخر. قال التوربشتي: وهذا الكلام كان في مرضه الذي توفي فيه في آخر خطبة خطبها، ولا خفاء بأن ذلك تعريض بأن أبا بكر هو المستخلف بعده وهذه الكلمة أن أريد بها الحقيقة، فذلك لأن أصحاب المنازل اللاصقة بالمسجد قد جعلوا من بيوتهم مخترقاً يمرون فيه إلى المسجد أو كوّة ينظرون إليها منه، فأمر بسد جملتها سوى خوخة أبي بكر تكريماً له بذلك أوّلاً ثم تنبيهاً للناس في ضمن ذلك على أمر الخلافة حيث جعله مستحقاً لذلك دون الناس. وإن أريد به المجاز فهو كناية عن الخلافة وسد أبواب المقالة دون التطرق إليها والتطلع عليها. وأرى المجاز فيه أقوى إذ لم يصح عندنا أن أبا بكر كان له منزل بجنب المسجد وإنما كان منزله بالسنح من عوالي المدينة، ثم إنه مهد المعنى المشار إليه وقرره بقوله: ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ليعلم أنه أحق الناس بالنيابة عنه، وكفانا حجة على هذا التأويل تقديمه إياه في الصلاة وإباؤه كل الإباء أن يقف غيره ذلك الموقف. اهـ. وقيل: أراد ﷺ بخوخة أبي بكر [خوخة] بنته عائشة فإنه ﷺ أمر بسد خوخات الأزواج إلا خوخة عائشة، ووجه الإضافة إلى أبي بكر

وفي رواية: «لو كنت متَّخذاً خليلاً غيرَ ربِّي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً». متفق عليه.

٦٠٢٠ ـ (٢) وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متَّخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذَ الله صاحبكم خليلاً».

ظاهر لإمامته فيه بإذنه كما يشير إليه لفظ المسجد ذكره السيد جمال الدين. وفي الرياض عن عائشة أن النبي ﷺ أمر بسد أبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر، أخرجه الترمذي[١] وأبو حاتم، وأخرجه ابن إسحاق وزاد في آخره: فإني لا أعلم رجلاً كان أفضل في الصحبة يداً منه. وعن جبير بن نفير أن أبواباً كانت مفتحة في مسجد رسول الله ﷺ فأمر بها فسدت غير باب أبي بكر فقالوا: سد[٢] أبوابنا غير باب خليله، وبلغه ذلك فقام فيهم فقال: أتقولون سد أبوابنا وترك باب خليله فلو كان منكم خليل كان هو خليلي ولكني خليل الله فهل أنتم تاركون لي صاحبي فقد واساني بنفسه وماله وقال لي: صدق وقلتم كذب. **(وفي رواية)** أي مستقلة **(لو كنت)** وفي رواية بدلاً مما قبله فكان المناسب أن يقول: ولو كنت **(متخذاً خليلاً غير ربي)** أي بإفادة هذه الزيادة **(لاتخذت أبا بكر خليلاً)** أي لكن لا يجوز لي أن آخذ غير الله خليلاً لأكون له خليلاً، سواء يكون بمعنى الفاعل أو المفعول **(متفق عليه.)** ورواه أحمد والترمذي وأبو حاتم. وفي مسند أبي يعلى عن ابن عباس: أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر. وأخرجه أحمد والبخاري وأبو حاتم واللفظ له عن ابن عباس: إن رسول الله ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه ليس من الناس أحد أمن علي بنفسه وماله من ابن أبي قحافة ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذته ولكن خلة الإسلام سدوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر[٣]. قال أبو حاتم: وفي قوله: سدوا الخ. دليل على حسم أطماع الناس كلهم من الخلافة إلاّ أبا بكر.

٦٠٢٠ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي)** زاد أحمد: في الدين. **(وصاحبي)** زاد أحمد: في الغار. ذكره السيوطي. **(وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً)** فيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿وما صاحبكم بمجنون﴾** [التكوير ٢٢]. وإشارة إلى أن من جعل غير ربه خليلاً يكون مجنوناً بخلل عقله ويصير مخذولاً ذليلاً. قال الطيبي في قوله: اتخذ الله. مبالغة من وجهين، أحدهما أنه أخرج الكلام على

---

(١) الترمذي في السنن ٤/ ٥٧٥ حديث رقم ٣٦٧٨.

(٢) في المخطوطة «سدوا».

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٥٨ حديث رقم ٤٦٧. وأحمد في المسند ١/ ٢٧٠.

الحديث رقم ٦٠٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٥ حديث رقم ٣/ ٢٣٨٣. وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٦ حديث رقم ٣٦٥٥. وابن ماجه ١/ ٣٦ حديث رقم ٩٣ وأحمد في المسند ٤/ ٤.

رواه مسلم.

٦٠٢١ ـ (٣) وعن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادْعِي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً؛ فإني أخاف أن يتمنَّى متمَنٍ ويقولُ قائل:

التجريد حيث قال: صاحبكم، ولم يقل: اتخذني. وثانيهما اتخذ [الله] صاحبكم. بالنصب عكس ما لمح إليه الحديث السابق من قوله: غير ربي. فدل الحديثان على حصول المخاللة[1] من[2] الطرفين (**رواه مسلم**.) ورواه أحمد والبخاري عن ابن الزبير. ورواه أحمد والبخاري أيضاً عن ابن عباس بلفظ: لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي. وفي رواية للبخاري: لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذته خليلاً ولكن أخوة الإِسلام أفضل. وروى مسلم عن جندب قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس ليال وهو يقول: إني أبرأ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يكون لي منكم خليل فإن الله عزَّ وجلَّ قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا[3]. وأخرج الواحدي في تفسيره عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وإنه لم يكن نبي إلا له في أمته خليل ألا وإن خليلي أبو بكر. وأخرج الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الحربي السكري عن أبي بن كعب أنه قال: إن أحدث عهدي بنبيكم[4] ﷺ قبل وفاته بخمس ليال دخلت عليه وهو يقلب يديه وهو يقول: إنه لم يكن نبي إلا وقد اتخذ من أمته خليلاً [وإن خليلي] من أمتي أبو بكر بن أبي قحافة ألا وأن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً. والأحاديث النافية للاتخاذ أصح وأثبت. وإن صحت هذه الرواية فيكون قد أذن الله له عند تبرئه من خلة غير الله مع تشوقه لخلة أبي بكر لولا خلة الله في اتخاذه خليلاً مراعاة لجنوحه إليه وتعظيماً لشأن أبي بكر، ولا يكون ذلك انصرافاً عن خلة الله عزَّ وجلَّ بل الخلتان ثابتتان كما تضمنه الحديث. إحداهما تشريف[5] للمصطفى ﷺ، والأخرى تشريف لأبي بكر رضي الله عنه والله أعلم. وفي الجملة هذا الحديث دليل ظاهر على أن أبا بكر أفضل الصحابة.

٦٠٢١ ـ (**وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه**:) أي الذي توفي فيه (**ادعي لي**) بضم همز وصل وكسر عين على أن أصله أدعوي فاعل بالنقل والحذف وهو أمر مخاطبة، أي نادي (**أبا بكر أباك**) بدل (**وأخاك**) عطف على أبا بكر. والمراد به عبد الرحمٰن. وفي شرح مسلم أن طلبه لأخيها ليكتب الكتاب. فقوله: (**حتى أكتب كتاباً**) أي أمر أن يكتب كتاباً (**فإني**

---

(١) في المخطوطة «المخاللة». (٢) في المخطوطة «في».

(٣) مسلم في صحيحه ١/ ٣٧٧ حديث رقم ٥٣٢.

(٤) في المخطوطة «نبيكم». (٥) في المخطوطة كلمة بعيدة المعنى وهي «تسويق».

الحديث رقم ٦٠٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٧ حديث رقم (١١/ ٢٣٨٧) وأبو داود في السنن ٥/ ٤٧ حديث رقم ٤٦٦٠. وأحمد في المسند ٤/ ٣٢٢.

أنا، ولا؛ [و] يأبى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكر». رواه مسلم وفي «كتاب، الحميديِّ»: «أنا أَوْلى» بدل: «أنا ولا».

٦٠٢٢ - (٤) وعن جبير بن مطعم، قال: أتتِ النبيَّ ﷺ امرأةٌ فكلَّمته في شيءٍ، فأمرها أن ترجع إليه قالت: يا رسول الله! أرأيت إن جئتُ ولم أجدْك؟ كأنها تريدُ الموتَ. قال: «فإن لم تجديني فأتي أبا بكر». متفق عليه.

أخاف أن يتمنى متمن) أي للخلافة على تقدير عدم الكتابة. **(ويقول قائل)** أي وأخاف أن يقول قائل ممن يتمنى الإمارة **(أنا ولا)** أي أنا مستحق للخلافة، ولا يكون مستحقاً لها مع وجود أبي بكر كما يدل عليه قوله: **(ويأبى الله والمؤمنون)** أي خلافاً للمنافقين والرافضة في أمر الخلافة. **(إلا أبا بكر)** قال شارح: أي يأبيان خلافة كل أحد إلا خلافة أبي بكر. اهـ. ومعنى يأبى الله يمتنع لعدم رضاه أو لعدم قدره وقضاه. **(رواه مسلم)**. **(وفي كتاب الحميدي)** وهو الجامع بين الصحيحين وقع في نسخته: **(أنا أولى بدل أنا ولا)** في شرح مسلم قوله: أنا ولا. هكذا هو في بعض النسخ المعتمدة، أي يقول: أنا أحق بالخلافة ولا يستحقها غيري. وفي بعضها: أنا أولى، أي أنا أحق بالخلافة. قال القاضي عياض: هذه الرواية أجود. اهـ. فالجزم من المصنف أنه رواه مسلم خلافاً للحميدي ليس من الحزم. قال النووي: وهذا دليل لأهل السنة على أن خلافة أبي بكر رضي الله عنه ليست بنص من النبي ﷺ صريحاً، بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة بين الأنصار وغيرهم أوّلاً ولذكر حافظ النص ما معه ورجعوا إليه واتفقوا عليه. وأما ما يدعيه الشيعة من النص على علي كرم الله وجهه والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، وأول من يكذبهم علي حين سئل: هل عندكم شيء ليس في القرآن. قال: ما عندي إلا ما في هذه الصحيفة الحديث. ولو كان عنده نص لذكره.

٦٠٢٢ - **(وعن جبير بن مطعم قال: أتت النبي ﷺ امرأة فكلمته في شيء)** أي من أمرها **(فأمرها أن ترجع إليه)** أي إلى النبي ﷺ مرة أخرى حتى يعطيها [شيئاً]، ذكره شارح. **(قالت: يا رسول الله أرأيت)** أي أخبرني **(إن جئت ولم أجدك)** ولعل مسكنها كان بعيداً من المدينة **(كأنها)** أي قال جبير: كأن المرأة **(تريد)** أي تعني بعدم الوجدان. **(الموت)** أي موته ﷺ **(قال: فإن لم تجديني فأتي أبا بكر)** أي فإنه خليفتي مطلقاً أو وصيي في هذا الأمر، والأوّل أظهر ولذا قال النووي: ليس فيه نص على خلافته بل هو إخبار بالغيب الذي أعلمه الله به. قلت: ويؤيده ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تسأله شيئاً فقال تعودين فقالت: يا رسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت قال: إن جئت فلم تجديني فأتى أبا بكر فإنه الخليفة من بعدي. **(متفق عليه)** وعن سهل بن أبي حثمة قال: بايع أعرابي النبي ﷺ بقلائص إلى أجل فقال علي للأعرابي: ائت النبي ﷺ فسله إن أتى عليه أجله من يقضيه قال:

الحديث رقم ٦٠٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٧. حديث رقم ٣٦٥٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٦ حديث رقم (١٠ . ٢٣٨٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٤ حديث رقم ٣٦٧٦.

٦٠٢٣ - (٥) وعن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ بعثَه على جيشِ ذاتِ السَّلاسل، قال: فأتيتُه، فقلت: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «عمر». فعدَّ رجالاً، فسكتُّ مخافةَ أن يجعلني في آخرهم. متفق عليه.

٦٠٢٤ - (٦) وعن محمد ابن الحنفيَّة، قال: قلت لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعدَ النبي ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيتُ أن

يقضيك أبو بكر. فرجع إلى علي فأخبره فقال علي: ارجع فسله إن أتى على أبي بكر أجله من يقضيه، فأتى الأعرابي النبي ﷺ فسأله فقال: يقضيك عمر. فقال علي للأعرابي: سله من بعد عمر فقال: يقضيك عثمان. فقال علي للأعرابي: ائت النبي ﷺ فاسأله إن أتى على عثمان أجله من يقضيه. فسأله فقال النبي ﷺ: إذا أتى على أبي بكر أجله وعلى عمر وعثمان فإن استطعت أن تموت فمت. أخرجه الإسماعيلي في معجمه.

٦٠٢٣ - **(وعن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه)** أي أرسله أميراً **(على جيش ذاتِ السلاسل)** بإضافة الجيش. قال القاضي: السلاسل رمل ينعقد بـعضه ببعض، وسمي الجيش بذلك لأنهم كانوا مبعوثين إلى أرض بها رمل كذلك. **(قال: فأتيته)** أي قبل السفر، ويحتمل أن يكون بعده. **(فقلت: أي الناس أحب إليك)** أي الموجودين في زمنك، أو المراد بهم أهل الجيش. وذلك لأن سبب سؤاله لما أمره النبي ﷺ على الجيش وفيهم أبو بكر وعمر لمصلحة كانت تقتضيه وقع في نفس عمرو أنه مقدم عنده في المنزلة عليهما فسأله لذلك. لكن يؤيد الأول وهو إرادة العموم الذي هو أفيد للمفهوم جوابه **(قال: عائشة)** أي هي أحبهم إليّ من النساء **(قلت: من الرجال)** أي سؤالي عنهم(١)، أو التقدير من أحب إليك **(قال: أبوها. [قلت] ثم من قال: عمر. فقد رجالاً)** أي فعد النبي ﷺ رجالاً آخرين بعد أسئلة أخرى **(لي فسكت)** أي عن ذلك السؤال **(مخافة أن يجعلني في آخرهم)** أي آخر الناس مطلقاً أو آخر من أسأل عنهم لو سألته **(متفق عليه)**.

٦٠٢٤ - **(وعن محمد ابن الحنفية)** سبق ذكره وهو ابن علي من غير فاطمة رضي الله عنهم. **(قال: قلت لأبي)** أي لعلي كرم الله وجهه **(أي الناس خير بعد النبي ﷺ. قال:)** أي علي **(أبو بكر)** أي هو أبو بكر أو أبو بكر هو الخير **(قلت: ثم من. قال: عمر وخشيت أن**

الحديث رقم ٦٠٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٧٤. حديث رقم ٤٣٥٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٦ حديث رقم (٨ . ٢٣٨٤). وابن ماجه في السنن ١/ ٣٨. حديث رقم ١٠١.

(١) في المخطوطة «منهم».

الحديث رقم ٦٠٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٠. حديث رقم ٣٦٧١. وأبو داود ٥/ ٢٦ حديث رقم ٤٦٢٩.

يقولَ: عثمانُ قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين. رواه البخاري.

٦٠٢٥ ـ (٧) وعن ابن عمرٍ، قال: كنا في زمنِ النبي ﷺ لا نعدِلُ بأبي بكرٍ أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نتركُ أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. رواه البخاري.

وفي روايةٍ لأبي داود، قال: كنّا نقولُ ورسولُ اللّهِ ﷺ حيٌّ: أفضل أمّةَ النبيِّ ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رضي الله عنهم.

يقول عثمان) أي لو قلت: ثم من. فعدلت عن منوال السؤال لهذا فحينئذ **(قلت: ثم أنت. قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين)** وهذا على سبيل التواضع منه مع العلم بأنه حين المسألة خير الناس بلا نزاع لأنه بعد قتل عثمان رضي الله عنهم. **(رواه البخاري)** وكذا أحمد.

٦٠٢٥ ـ **(وعن ابن عمر قال: كنا)** أي معشر الصحابة **(في زمن النبي ﷺ لا نعدل)** أي لا نساوي **(بأبي بكر أحداً)** أي من الصحابة بل نفضله على غيره **(ثم عمر ثم عثمان)** أي ثم لا نعدل بهما أحداً، أو ثم نفضلهما على غيرهما. **(ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل)** أي لا نوقع المفاضلة بينهم. والمعنى لا نفضل بعضهم على بعض، والمراد مفاضلة مثلهم، وإلا فأهل بدر وأحد وأهل بيعة الرضوان وسائر علماء الصحابة أفضل. ولعل هذا التفاضل بين الأصحاب، وأما أهل البيت فهم أخص منهم وحكمهم يغايرهم فلا يرد عدم ذكر علي والحسنين[(١)] والعمين رضي الله عنهم أجمعين. قال المظهر: وجه ذلك أنه أراد به الشيوخ وذوي الأسنان منهم الذي كان رسول الله ﷺ إذا حزبه[(٢)] أمر شاورهم فيه، وكان علي رضي الله عنه في زمن رسول الله ﷺ حديث السن، وفضله لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة. وقال التوربشتي: وأيضاً قد عرف أن أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وأصحاب العقبتين الأولى والثانية يفضلون غيرهم وكذلك علماء الصحابة وذوو الفهم منهم والمتبتلون عن الدنيا. **(رواه البخاري)**.

(وفي رواية لأبي داود قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة النبي ﷺ) أي الذين هم خير الأمم **(بعده)** أي بعد النبي وأمثاله من الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام أو بعد وجوده **(أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم)** لا يخفى أن الأحاديث المتقدمة لها المناسبة التامة بباب مناقب الثلاثة.

الحديث رقم ٦٠٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/٥٣. حديث رقم ٣٦٩٧. وأخرجه أبو داود في السنن ٥/٢٦ حديث رقم ٤٦٢٨. والترمذي في السنن ٥/٥٨٨ حديث رقم ٣٧٠٧.

(١) في المخطوطة «الحسين».

(٢) في المخطوطة «حزنه».

الفصل الثاني

٦٠٢٦ ـ (٨) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكرٍ، فإن له عندنا يداً يكافيه اللَّهُ بها يومَ القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً ألا وإنَّ صاحبكم خليلُ الله». رواه الترمذي.

(الفصل الثاني)

٦٠٢٦ ـ (**عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما لأحد عندنا يد**) أي عطاء وإنعام (**إلا وقد كافأناه**) بهمزة ساكنة بعد الفاء ويجوز إبدالها الفاً. ففي القاموس: كافأه مكافأة جازاه ذكره في المهموز، وكفاه مؤونته كفاية ذكره في المعتل. ولا يخفى أن المناسب للمقام هو المعنى الأوّل. وفي بعض النسخ المصححة بالياء ولا يظهر له وجه. والمعنى: جازيناه مثلاً بمثل أو أكثر. (**ما خلا أبا بكر**) أي ما عداه، أي إلا إياه (**فإن له عندنا يداً**) قيل: أراد باليد النعمة وقد بذلها كلها إياه ﷺ، وهي المال والنفس والأهل والولد ذكره شارح ويحتمل أن يكون المراد بتلك اليد إعتاق بلال كما يشير إليه قوله: ﴿**وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى**﴾ [الليل ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١]. وفسر بأن المراد منه أبو بكر، وإليه ينظر قوله: (**يكافيه الله**) أي يجازيه (**بها يوم القيامة**) أي جزاء كلاملاً. واقتصر صاحب الرياض على هذا المقدار من الحديث وقال: رواه الترمذي وقال: حسن غريب. (**وما نفعني مال أحد قط ما نفعني**) ما مصدرية ومثل مقدر، أي مثل ما نفعني. (**مال أبي بكر ولو كنت متخذاً**) أي من أمتي (**خليلاً لأتخذت أبا بكر خليلاً ألا**) للتنبيه (**وأن صاحبكم خليل الله**) يحتمل أن يكون فعيلاً بمعنى فاعل أو مفعول والأوّل أظهر في هذا المقام فتدبر. (**رواه الترمذي**) وفي الجامع: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة. وفي الرياض عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر. فبكى أبو بكر وقال: ما أنا ومالي إلا لك. أخرجه أحمد[1] وأبو حاتم وابن ماجه والحافظ الدمشقي في الموافقات. وعن ابن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر. وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه، أخرجه عبد الرزاق في

الحديث رقم ٦٠٢٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٦ حديث رقم ٣٦٥٥. وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٣.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٥٧. وابن ماجه ١/ ٣٦ حديث رقم ٩٤.

٦٠٢٧ ـ (٩) وعن عمر [رضي الله عنه] قال: أبو بكر سيّدنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ. رواه الترمذي.

٦٠٢٨ ـ (١٠) وعن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «أنتَ صاحبي في الغار، وصاحبي على الحوض». رواه الترمذي.

٦٠٢٩ ـ (١١) وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمَّهم غيرُه».

جامعه[1]. قلت: وكأنه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أو صديقكم﴾ [النور ـ ٦١]. هذا. وعن عائشة قالت: أنفق أبو بكر على النبي ﷺ أربعين ألفاً. أخرجه أبو حاتم. وعن عروة قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً أنفقها كلها على رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، أخرجه أبو عمر. وعن عروة قال: أعتق أبو بكر سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة. أخرجه أبو عمر. وعن إسماعيل بن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدقوق بالحجارة بخمسين أواق ذهباً فقالوا: لو أبيت الأوقية لبعناكه. فقال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته. أخرجه في الصفوة.

٦٠٢٧ ـ **(وعن عمر رضي الله عنه)** أي موقوفاً **(قال:)** أي عمر **(أبو بكر سيدنا)** أي نسباً وحسباً **(وخيرنا)** أي أفضلنا معرفة وكسباً **(وأحبنا إلى رسول الله ﷺ)** أي حضوراً وغيباً **(رواه الترمذي)**.

٦٠٢٨ ـ **(وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال لأبي بكر: أنت صاحبي في الغار)** أي في غار ثور بمكة حالة الهجرة من ديار الكفار حيث قال تعالى: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** [التوبة ـ ٤٠]. فالمعنى أنت صاحبي المخصوص حينئذ، أو أنت صاحبي بشهادة الله، إذ أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه في الآية هو أبو بكر. وقد قالوا: من أنكر صحبة أبي بكر كفر، لأنه أنكر النص الجلي بخلاف إنكار صحبة غيره من عمر أو عثمان أو علي رضوان الله عليهم أجمعين. **(وصاحبي)** أي المخصوص **(على الحوض)** وفيه إيماء إلى أنه صاحبه في الدارين كما أنه صاحبه الآن في البرزخ. **(رواه الترمذي)** وفي مسند الفردوس للديلمي عن عائشة: أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة[2].

٦٠٢٩ ـ **(وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره)** وفي معناه: من هو أفضل القوم من غيرهم. وفيه دليل على أنه أفضل جميع الصحابة،

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٢٢٨ حديث رقم ٢٠٣٩٧.

الحديث رقم ٦٠٢٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٦ حديث رقم ٣٦٥٦.

الحديث رقم ٦٠٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٢ حديث رقم ٣٦٧٠.

(٢) مسند الفردوس ١/ ٤٣٧ حديث رقم ١٧٨٠.

الحديث رقم ٦٠٢٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٣ حديث رقم ٣٦٧٣.

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٦٠٣٠ ـ (١٢) وعن عمر رضي الله عنه، قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدقَ، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر إنْ سبقتُه يوماً. قال: فجئت بنصفِ مالي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيتَ لأهلك؟». فقلت: مثله. وأتى أَبو بكرٍ بكلِّ ما عندَه. فقال: «يا أبا بكر! ما أبقيتَ لأهلك؟». فقال: أبقيتُ لهم اللّهَ ورسولَه. قلت: لا أسبقه إِلى شيءٍ أبداً.

فإذا ثبت هذا فقد ثبت استحقاق الخلافة ولا ينبغي أن يجعل المفضول خليفة مع وجود الفاضل. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**).

٦٠٣٠ ـ (**وعن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق**) أي في بعض الجهات (**ووافق ذلك عندي مالاً**) أي صادف أمره بالتصدق حصول مال عندي، فعندي حال من مال والجملة حال مما قبله. يعني: والحال أنه كان لي مال كثير في ذلك الزمان. (**فقلت: اليوم أسبق أبا بكر**) أي بالمبارزة أو بالمغالبة (**إن سبقته يوماً من الأيام**) وإن شرطية دل على جوابها ما قبلها، أو التقدير: إن سبقته يوماً فهذا يومه. وقيل: إن نافية أي ما سبقته يوماً[(١)] قبل ذلك، فهو استئناف تعليل. (**قال:**) أي عمر (**فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك. فقلت: مثله.**) أي أبقيت مثله، يعني: نصف ماله. (**وأتى أبو بكر بكل ما عنده**) وهو أبلغ من كل ماله بكسر اللام، وأصرح من كل ماله بالفتح. (**فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهله. فقال: أبقيت لهم الله ورسوله**) أي رضاهما. روي أنه ﷺ قال لهما: ما بينكما كما بين كلمتيكما (**قلت:**) أي في باطني واعتقدت (**لا أسبقه إلى شيء**) أي من الفضائل (**أبداً**) لأنه إذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله وقلة مال أبي بكر، ففي غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه. (**رواه الترمذي وأبو داود**) وقال الترمذي: حسن صحيح. ومما يناسبه ما أخرجه أحمد عن ابن مسعود قال: مر بي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وأنا أحمد الله عزَّ وجلَّ وأصلي على النبي ﷺ فقال: سل تعط. ولم أسمعه، فأدلج أبو بكر فسرني بما قال النبي ﷺ ثم أتاني عمر فأخبرني بما قال النبي ﷺ فقلت: قد سبقك إليها أبو بكر قال عمر: ما استبقنا بخير إلا قد سبقني إليه إنه كان سباقاً للخيرات. فقال عبد الله: ما صليت فريضة ولا تطوّعاً إلا دعوت الله في دبر صلاتي: اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبيك ﷺ في أعلى جنات الخلد وأنا أرجو أن أكون دعوت بهن البارحة. أخرجه أحمد وابن شاهين[(٢)]. وعن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: وقد سمع قراءة ابن مسعود ليلاً: من سره أن يقرأ القرآن رطباً فليقرأه كما يقرؤه ابن أم عبد. فلما أصبحت غدوة إليه لأبشره فقال: قد سبق أبو بكر. قال: ما سابقته

الحديث رقم ٦٠٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ٣١٢ حديث رقم ١٦٧٨ وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٤ حديث رقم ٣٦٧٥. وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٨٠ حديث رقم ١٦٦٠.

(١) في المخطوطة زيادة: «فهذا يومه». (٢) أحمد في المسند ١/ ٤٣٧.

رواه الترمذي، وأبو داود.

٦٠٣١ ـ (١٣) وعن عائشة رضي الله عنهما، أن أبا بكرٍ دَخَلَ على رسول الله ﷺ فقالت: «أنت عتيقُ اللَّهِ من النار». فيومئذ سُمّي عتيقاً. رواه الترمذي.

٦٠٣٢ ـ (١٤) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أَوَّلُ من تنشق عنه الأرض، ثم أَبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهلَ البقيعِ فيُحشرونَ معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشرَ بين الحرمين».

إلى خير قط إلا سبقني[1]. أخرجه أحمد ومعناه في الصحيحين.

٦٠٣١ ـ **(وعن عائشة أن أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال:)** أي رسول الله ﷺ **(أنت عتيق الله من النار. فيومئذ سمي عتيقاً)** قال الراغب: العتيق المتقدم في الزمان أو المكان أو الرتبة. ولذا قيل للقديم عتيق والكريم عتيق ولمن خلا عن الرق عتيق. اهـ. وسمي البيت العتيق لكرمه أو لقدم زمانه أو لرتبة مكانه أو لأنه عتق عن الطوفان أو عن تصرف الجبابرة. ثم قوله: فيومئذ سمي عتيقاً أي لقب به من ذلك اليوم. قال المؤلف: اسمه عبد الله بن عثمان أبي قحافة بضم القاف ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة. وصل بالأب السابع إلى النبي ﷺ وقال ﷺ: من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها ولم يفارقه في جاهلية ولا إسلام وهو أوّل الرجال إسلاماً كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين معروق الوجه غائر العينين ناتىء الجبهة[2] له ولأبويه وولده وولد ولده صحبة، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة. كان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلا أياماً ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ولم يرو عنه من الحديث إلا القليل لقلة مدته بعد النبي ﷺ **(رواه الترمذي)**.

٦٠٣٢ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض)** أي من الخلق **(ثم أبو بكر)** أي من أمتي أو من الأولياء مطلقاً **(ثم عمر ثم آتي)** بصيغة المتكلم أي أجيء **(أهل البقيع)** وهو مقبرة المدينة **(فيحشرون معي)** أي يجمعون. قال تعالى: **﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾** [طه ـ ٥٩]. **(ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين)** أي بين

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٢٧.

الحديث رقم ٦٠٣١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٦ حديث رقم ٣٦٧٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٤٩ حديث رقم ١٣٧.

(٢) في المخطوطة «الجبهتين».

الحديث رقم ٦٠٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.

رواه الترمذي.

٦٠٣٣ ـ (١٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي» فقال أبو بكر: يا رسول الله! وَدِدْتُ أنّي كنتُ معَكَ حتى أنظر إليه. فقال رسول الله ﷺ: «أما إِنك يا أبا بكر! أوّلُ من يدخل الجنّةَ من أُمّتي». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٦٠٣٤ ـ (١٦) عن عمر رضي الله عنه، ذُكر عنده أبو بكر

أهليهما (في محشر القيامة) وفيه إيماء إلى ما روي: من أحب قوماً حشر معهم. وقال الطيبي: أي أجمع معهم بين حرم مكة وحرم المدينة. وقال شارح: أي أجمع أنا وهم حتى يكون لي وهم اجتماع بين الحرمين. اهـ. وذلك بظاهره مخالف لقوله: انتظر أهل مكة، لأن كلامهما يدل على أنه ﷺ يتوجه إلى حرم مكة وأن أهل مكة يتوجهون إليه ﷺ فيحصل الاجتماع بين الحرمين. والظاهر من كلامه ﷺ أنه ينتظرهم في البقيع إلى أن يجتمعوا فيتوجهوا إلى المحشر وهو أرض الشام فيجتمعون هناك مع سائر الأنام (رواه الترمذي) وذكر الحديث في الجامع إلى قوله: ثم انتظر أهل مكة[1]. وقال: رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر. هذا لا يخفى أن هذا الحِديث كان أنسب أن يذكر في مناقب الشيخين رضي الله عنهما.

٦٠٣٣ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت**) بكسر الدال أي أحببت (**أني كنت معك حتى أنظر إليه**) أي إلى باب الجنة (**فقال: أما**) للتنبيه (**إنك يا أبا بكر أوّل من يدخل الجنة من أمتي**) أي فسترى بابها وتدخلها قبل كل أحد من أمتي. وفيه دليل على أنه أفضل الأمة وإلا لما سبقهم في دخول الجنة، وإيماء إلى أنه أسبق الأمة إيماناً لقوله تعالى: ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم**﴾ [الواقعة ـ ١٠ و١١]. قال الطيبي: لما تمنى رضي الله عنه بقوله: وددت. والتمني إنما يستعمل فيما لا يستدعي إمكان حصوله قيل له: لا تتمن النظر إلى الباب فإن لك ما هو أعلى منه وأجل وهو دخولك فيه أوّل أمتي. وحرف التنبيه ينبهك على الرمزة التي لوحنا بها (**رواه أبو داود**).

(الفصل الثالث)

٦٠٣٤ ـ (**عن عمر رضي الله عنه ذكر عنده أبو بكر**) جملة حالية وحاصله أنه روي عن

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٦٩٠.

الحديث رقم ٦٠٣٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٤١ حديث رقم ٤٦٥٢.

الحديث رقم ٦٠٣٤: رواه رزين.

فبكى وقال: وَدِدْتُ أنَّ عملي كلَّه مثل عمله يوماً واحداً من أيامه، وليلةً واحدةً من لياليه، أما ليلته فليلةٌ سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخلهُ حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيءٌ أصابني دونك، فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثُقَباً، فشقَّ إزاره وسدَّها به، وبقي منها اثنانِ فألقمهما رجليه، ثمَّ قال لرسول الله ﷺ: ادخُل، فدخل رسولُ الله ﷺ، ووضع رأسه في حجره ونام، فلُدِغَ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسولُ الله ﷺ، فسَقَطَتْ دموعُهَ على وجهِ رسولِ اللّهِ ﷺ فقال: «ما لك يا أبا بكر؟» قال: لُدغتُ فداك أبي وأمّي،

عمر أنه ذكر عنده أبو بكر (**فبكى**) أي عمر (**وقال: وددت أن عملي كله**) أي في جميع الأيام (**مثل عمله**) أي مثل عمل أبي بكر (**يوماً واحداً من أيامه**) أي في زمن مماته ﷺ (**وليلة واحدة من لياليه**) أي أوقات حياته عليه السلام. والظاهر أن الواو بمعنى أوقاته[١] أبلغ في المبالغة باعتبار كل من الحالة أو التوزيع بحسب الوقتين المختلفين. (**أما ليلته فليلة سار**) بالرفع والتنوين أي سافر وهاجر فيها (**مع رسول الله**) وفي نسخة مع النبي (ﷺ **إلى الغار**) وفي بعض النسخ المصححة بفتح ليلة بنيت للإضافة إلى المبنى وهو الأظهر. (**فلما انتهيا إليه**) أي وصلا إلى الغار (**قال:**) أي أبو بكر (**والله لا تدخله**) بالرفع وفي نسخة بالجزم (**حتى أدخل قبلك**) أي الغار لما ذكره بقوله: (**فإن كان فيه شيء**) أي مما يؤذي من عدوّ أو هوام (**أصابني دونك. فدخل فكسحه**) أي كنسه (**ووجد في جانبه**) أي في أحد أطرافه (**ثقباً**) بضم مثلثة وفتح قاف جمع ثقبة كغرفة وغرف وقد جاء ثقب كقفل وفلس كل منهما لغة في المفرد بمعنى الخرق والجحر. لكن المراد هنا الجمع لقوله: (**فشق إزاره وسدها به وبقي منها اثنان فألقمهما رجليه**) أي جعل رجليه كاللقمتين لهما غاية للحرص على سدهما حيث لم يبق من إزاره ما يدخلهما (**ثم قال لرسول الله ﷺ: أدخل فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره**) بكسر الحاء وفي نسخة بفتحها. ففي القاموس الحجر بالكسر ويفتح الحضن. وفي النهاية: الحجر بالفتح والكسر الحضن والثوب وكذا في المشارق وزاد[٢]، وإذا أريد به المصدر فالفتح لا غير وإن أريد به الاسم فالكسر لا غير. (**ونام**) أي النبي ﷺ فإن نوم العالم عبادة كما أن نوم الظالم عبادة باعتبارين مختلفين. (**فلدغ أبو بكر في رجله**) بدل من أبو بكر بدل البعض، وجيء بفي بياناً لشدة تمكن اللدغ فيها كما في قول الشاعر:

* يجرح في عراقيبها نصلي *

(**من الجحر**) أي من أحد الحجرين (**ولم يتحرك**) أي أبو بكر (**مخافة أن ينتبه**) من باب الافتعال. وفي نسخة أن يتنبه من باب التفعيل أي خشية أن يستيقظ (**رسول الله ﷺ**) أي في غير أوانه فتصبر على وجعه (**فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ**) أي فاستنبه فرأى بكاءه (**فقال: ما لك يا أبا بكر. قال: لدغت فداك أبي وأمي**) بفتح الفاء ويكسر. ففي القاموس: فداه

---

(١) في المخطوطة «وفاته». (٢) في المخطوطة «ردائه».

فتَفَل رسولُ اللّهِ ﷺ فذهبَ ما يَجِدهُ، ثم انتقَض عليه، وكان سببَ موته. وأما يومُه، فلمّا قُبِضَ رسولُ اللّهِ ﷺ ارتدَّت العربُ وقالوا: لا نؤدي زكاةً فقال: لو منعوني عِقالاً لجاهدتُهم عليه. فقلت: يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ! تألَّفِ الناسَ وارفُقْ بهم. فقال لي: أجبَّارٌ في الجاهليةِ

يفديه فداء وفدى ويفتح أعطى شيئاً فأنقذه، والفداء ككساء وكعلى وإلى ذلك المعطى. اهـ. وقال الأصمعي: الفداء يمد ويقصر، أما المصدر من فاديت فممدود لا غير والفاء في كل ذلك مكسور. وحكى الفراء فدا لك مقصور وممدود ومفتوح. وفداك أبي وأمي فعل ماض مفتوح الأول أو يكون اسماً على ما حكاه الفراء كذا في المشارق. **(فتفل)** أي بزق **(رسول الله ﷺ)** أي عليه، كما في نسخة أي على موضع اللدغ **(فذهب ما يجده)** أي ما كان يحسه من الألم **(ثم انتقض)** بالقاف والمعجمة أي رجع **(أثرالسم عليه)** وقال الطيبي: أي نكس الجرح بعد أن اندمل لتفل رسول الله ﷺ. **(وكان)** أي الانتقاض **(سبب موته)** أي فحصل له شهادة في سبيل الله حالة كونه رفيقاً لرسول الله ﷺ في طريقه **(وأما يومه)** أي أبي بكر **(فلما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب وقالوا: لا نؤدي زكاة)** يحتمل أن يكون العطف تفسيرياً لما قال بعض علمائنا من قيل له أد الزكاة، فقال لا أؤدي[1] كفر. **(فقال: لو منعوني عقالاً)** بكسر أوله أي حبلاً صغيراً **(لجاهدتهم عليه)** أي لقاتلتهم على أخذه أو لأجل منعه. ففي النهاية: أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة لأن على صاحبها التسليم وإنما يقع القبض بالرباط وقيل: أراد ما يساوي عقالاً من حقوق الصدقة. وقيل: إذا أخذ المصدق أعيان الإبل. [و] قيل: أخذ عقالاً إذا أخذ أثمانها. قيل أخذ نقداً، وقيل أراد بالعقال صدقة العام. يقال: أخذ المصدق عقال هذا العام إذا أخذ منهم صدقة وبعث فلان على عقال بني فلان، إذا بعث على صدقاتهم واختاره أبو عبيد. وقال: هذا أشبه عندي بالمعنى. وقال الخطابي: إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر وليس بسائر في لسانهم أن العقال صدقة عام. قلت: ولهذا قال أبو عبيد بالمعنى فلا اعتراض عليه بالمبنى، وسببه استبعاد أن يقاتل على الشيء الحقير وإن كان قد يعبر عن الكثير بالقليل على قصد المبالغة كالنقير والقطمير، ويؤيد إيماء أبي عبيد أنه في أكثر الروايات: لو منعوني عناقاً وفي أخرى جدياً. قال الطيبي: قد جاء في الحديث ما يدل على القولين، فمن الأول حديث عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالاً فإذا جاءت إلى المدينة باعها ثم تصدق بها. وحديث محمد بن سلمة أنه كان يعمل الصدقة في عهد رسول الله ﷺ فكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتي بعقالهما وقرانهما. ومن الثاني حديث عمر أنه لم يأخذ الصدقة عام الرمادة فلما أحيا الناس بعث عامله فقال: اعقل عنهم عقالين، فاقسم فيهم عقالاً وائتني بالآخر. يريد صدقة عامين. اهـ. ولا خلاف في إطلاق العقال على كل منهما، وإنما الخلاف في المراد به هنا والله أعلم. **(فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس)** أي اطلب ألفتهم لا فرقتهم **(وارفق بهم)** بضم الفاء أي الطف بهم ولا تغلظ عليهم **(فقال لي: أجبار في الجاهلية)** أي أنت شجيع متهوّر غضوب في زمن الجاهلية

---

(١) في المخطوطة «أدري».

وخَوَّارٌ في الإِسلام؟ إِنَّهُ قد انقطعَ الوحيُ وتمَّ الدينُ أينقُص وأنا حي؟.

(وخوّار) بتشديد الواو أي جبان وعطوف (في الإِسلام) أي في أيامه وأحكامه، مع أن ما ورد من «أن معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإِسلام إذا فقهوا»[١]، مشعر بأن طباعهم الأصلية لم تتغير عن أحوالهم الأوّلية وإنما يختلف ايقاعها في الأمور الدينية بعد ما كان يصرف حصولها في الحالات التعصبية من الأمور النفسية والعرفية. ففي النهاية: هو من خار يخور إذا ضعفت قوّته ووهنت شوكته. قال الطيبي: أنكر عليه ضعفه ووهنه في الدين ولم يرد أن يكون جباراً، بل أراد به التصلب والشدة في الدين، لكن لما ذكر الجاهلية قرنه بذكر الجبار. قلت: هذا وهم، فإن المراد به أنه كان جباراً متسلطاً متعدياً عن الحد في الجاهلية وقد عفا الله عما سلف، فهذا مما لا يضره أبداً. ولا شك أن إرادة هذا المعنى أيضاً أبلغ في تحصيل المدعي من المؤدي. (إنه) أي الشأن وهو استئناف تعليل (قد انقطع الوحي) أي فلا نصل إلى التيقين فلا بد لنا من الاجتهاد المبين (وتم الدين) وفي نسخة: فتم الدين. أي لقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ [المائدة - ٣]. (أينقص) أي الدين وهو بصيغة الفاعل، وفي نسخة على بناء المفعول بناء على أنه لازم أو متعد. (وأنا حي) جملة حالية على طبق قولهم: جاء زيد والشمس طالعة. (رواه رزين) وفي الرياض ذكره من قوله: لما قبض رسول الله ﷺ الحديث. ثم قال: رواه النسائي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين. ونقل الحلبي في حاشية الشفاء للقاضي عياض عن أبي الحسن الأشعري أنه قال: لم يزل أبو بكر بعين الرضا من الله. واختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم: لم يزل مؤمناً قبل البعثة وبعدها وهو الصحيح المرضي. وقال آخرون: بل أراد أنه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار. قال الشيخ تقي الدين السبكي: لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك، وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق لم تحفظ عنه في حق غيره. فالصواب أن الصديق لم يثبت عنه في حال كفر بالله. اهـ. وهو الذي سمعناه من مشايخنا وممن يقتدي به وهو الصواب إن شاء الله. ونقلَ ابن ظفر: بل في أنباء نجباء الأبناء أن القاضي أبا الحسن أحمد بن محمد الزبيدي روى بإسناده في كتابه المسمى معالي العرش إلى عوالي الفرش أن أبا هريرة قال: اجتمع المهاجرون والأنصار عند رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: وعيشك يا رسول الله أني لم أسجد لصنم قط وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة وإن أبا قحافة أخذ بيدي وانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام فقال: هذه آلهتك الشم العلي فاسجد لها وخلاني ومضى. فدنوت من الصنم فقلت: إني جائع فأطعمني فلم يجبني. فقلت: إني عار فاكسني فلم يجبني. فأخذت صخرة فقلت: إني ملق عليك هذه الصخرة فإن كنت إلهاً فامنع نفسك فلم يجبني. فألقيت عليه الصخرة فخر لوجهه وأقبل أبي فقال: ما هذا يا بني فقلت: هو الذي ترى فانطلق بي إلى أمي فأخبرها فقالت: دعه فهو الذي ناجاني الله تعالى به. فقلت: يا أمه ما الذي ناجاك به. قالت: ليلة أصابني المخاض لم يكن

(١) ذكره ابن سلام في كتاب الأموال ص ١٥٤.

رواه رزين.

(٤) باب مناقب عمر رضي الله عنه

الفصل الأول

٦٠٣٥ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كانَ فيما قبلكم من الأمم مُحدَّثون فإن يَكُ في أمّتي أحدٌ فإنَّه عمر».

عندي أحد فسمعت هاتفاً يقول: يا أمة الله على التحقيق أبشري بالولد العتيق اسمه في السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق. قال أبو هريرة: فلما انقضى كلام أبي بكر نزل جبريل عليه السلام وقال: صدق أبو بكر. اهـ. ومما يؤيده: كنت وأبو بكر كفرسي رهان. لأنه لو كان على الكفر لما صدق عليه هذا الأمر، ولعل وجه ما قال ﷺ: لو اتخذت أحداً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. هو أنه صدر عنه ما سبق مشابهاً لما وقع من الخليل في ضرب الصنم ومخالفة الأب والله أعلم.

(باب مناقب عمر رضي الله عنه)

(الفصل الأوّل)

٦٠٣٥ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقد كان فيما قبلكم من الأمم)** بيان لما بمعنى من، أي في الذين كانوا قبلكم. **(محدثون)** بفتح الدال المشددة، أي ناس ملهمون كما فسر به ابن وهب. **(فإن يك في أمتي أحد)** أي واحد منهم فرضاً وتقديراً **(فإنه عمر)** أي وإن يك أكثر فهو حينئذ أولى وأظهر. قال التوربشتي: المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق الظن وهو في الحقيقة من ألقي في روعة شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدث به. وفي قوله: فإن يك في أمتي أحد فهو عمر. لم يرد هذا القول مورد التردد، فإن أمته أفضل الأمم وإن كانوا موجودين في غيرهم من الأمم فبالحري أن يكونوا في هذه الأمة أكثر عدداً وأعلى رتبة، وإنما ورد مورد التأكيد والقطع به. ولا يخفى على ذي الفهم محله من المبالغة كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان. يريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقته لا نفي الأصدقاء. اهـ.

الحديث رقم ٦٠٣٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ . حديث رقم ٣٦٨٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٦٤ حديث رقم ٣٦٨٩. والترمذي في السنن ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٣. وأحمد عن عائشة ٦/ ٥٥.

متفق عليه.

وتوضيحه أنك لا تريد بذلك الشك في صداقته والتردد في أنه هل لك صديق، بل المبالغة في أن الصداقة مختصة به لا تتخطاه. وقيل هو على ظاهره، لأن الحكمة في كونهم في بني إسرائيل احتياجهم إلى ذلك حيث لا يكون بينهم نبي وكتبهم طرأ عليها التبديل واحتمل عنده ﷺ أن لا تحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن المأمون تبديله وتحريفه ذكره السيوطي. وقال الطيبي: هذا الشرط من باب قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي. وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه. فالمراد بالمحدث: الملهم المبالغ فيه الذي انتهى إلى درجة الأنبياء في الإلهام. فالمعنى: لقد كان فيما قبلكم من الأمم أنبياء يلهمون من قبل الملأ الأعلى فإن يك في أمتي أحد هذا شأنه فهو عمر. جعله لانقطاع قرينه وتفوّقه على أقرانه في هذا، كأنه تردد في أنه هل هو نبي أم لا. فاستعمل أن. ويؤيده ما ورد في الفصل الثاني: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»[(١)]. فلو في هذا الحديث بمنزلة إن على سبيل الفرض، والتقدير كما في قول عمر رضي الله عنه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. (متفق عليه) قال ميرك: ولفظه للبخاري، ولمسلم نحوه عن عائشة. ومن العجب أن الحاكم أخرج حديث عائشة في مناقب عمر مستدركاً على مسلم في كونه لم يخرجه، وقد أخرجه في المناقب أيضاً[(٢)]. قلت: وقد سبق عنه الجواب والله أعلم بالصواب. ثم لفظ الحديث في الجامع[(٣)]: كان فيما مضى قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب. رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة، وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة. ففي قول المصنف متفق عليه مسامحة لا تخفى كما أشار إليه ميرك، ثم اعلم أن لفظ أحمد ومسلم عن عائشة: قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فهو عمر بن الخطاب. ذكره في الرياض، ثم قال: وأخرجه الترمذي وصححه أبو حاتم وخرجه البخاري عن أبي هريرة، وخرج عنه نحوه[(٤)] من طريق آخر قال: قال رسول الله ﷺ: لقد كان فيمن قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر، ومعنى محدثون والله أعلم ملهمون الصواب، ويجوز أن يحمل على ظاهره بأن تحدثهم الملائكة لا الوحي بل بما يطلق عليه اسم حديث وتلك فضيلة عظيمة.

---

(١) وهو الحديث رقم (٦٠٤٧).

(٢) الحاكم المستدرك ٣/ ١٦ وأوله: «كان في الأمم محدثون...»

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٩ حديث رقم ٦٠٩٧.

(٤) في المخطوطة «عليه».

٦٠٣٦ - (٢) وعن سعد بن أبي وقَّاص، قال: استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسولِ الله ﷺ وعنده نسوةٌ من قريش يكلِّمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتهن، فلما استأذن عمر قُمن فبادرن الحجابَ، فدخل عمر ورسولُ الله ﷺ يضحكُ، فقال: أضحك اللّهُ سِنَّك يا رسول الله! فقال النبي ﷺ: «عجبتُ من هؤلاءِ اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعنَ صوتَك ابتدرنَ الحجاب» قال عمر: يا عدوَّاتِ أنفسهنَّ! أتهَبْنَني ولا تهبْنَ رسولَ اللّه ﷺ؟ فقلن: نعم:

٦٠٣٦ - (وعن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة) أي جماعة من النساء (من قريش) قال القسطلاني: هن عائشة وحفصة وأم سلمة وزينت بنت جحش وغيرهن. وقال العسقلاني: أي نسوة من أزواجه ﷺ، ويحتمل أن يكون معهن غيرهن. لكن قرينة قوله: (يكلمنه ويستكثرنه) تؤيد الأوّل، أي يستكثرنه[1] في الكلام ولا يراعين مقام الاحتشام. وقال النووي: أي يطلبن منه النفقات الكثيرة. وفي رواية: يسألنه ويستكثرنه. (عالية) بالنصب على الحال، وقال السيوطي: أو بالرفع على الوصف. اهـ. وفي رواية: رافعات. (أصواتهن) بالرفع على الفاعلية. قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ، ويحتمل أن علوّ أصواتهن إنما كان لاجتماعهن في الصوت لا أن [كلام] كل واحدة بانفراده أعلى من صوته ﷺ. أقول: ليس في الكلام دليل على أن رفع أصواتهن كان فوق صوت النبي ﷺ ليرد الإشكال بقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ [الحجرات - ٢] الآية. بل المراد أنهن في تلك الحالة على خلاف عادتهن من الخفض [و] رفعن أصواتهن في كلامهن معه ﷺ اعتماداً على حسن خلقه ﷺ. (**فلما استأذن عمر**) والحال أنه من الأجانب بالنسبة إلى أكثرهن، لا سيما وهو غيور غضوب غالب عليه الصفة الجلالية. (**قمن**) أي من مكانهن (**فبادرن الحجاب**) أي سارعن إلى حجابهن على مقتضى آدابهن (**فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك**) أي يتبسم. ومن الغريب أن عمر مع غلبة قهره وشدة سطوته كان مظهراً لبسطه ﷺ. (**فقال:**) أي عمر كما في رواية. (**أضحك الله سنك**) وفي رواية: يا رسول الله. أي أدام الله فرحك الموجب لبروز سنك وظهور نورك، ولكن لا بد له من سبب وظهور أمر عجب فأطلعني عليه وشرفني بالإشارة إليه. (**فقال النبي ﷺ: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي**) أي في حالة غريبة ومقالة عجيبة (**فلما سمعن صوتك**) أي بالإذن (**ابتدرن الحجاب**) أي بالانتقال من مكانهن وإخفاء حالهن وشأنهن خوفاً منك وهيبة لك (**قال عمر:**) أي خطاباً لهن (**يا عدوات أنفسهن أتهبنني**) بفتح الهاء. يقال: هبت الرجل. بكسر الهاء إذا وقرته وعظمته من الهيبة، أي أتوقرنني. (**ولا تهبن**) أي ولا تعظمن (**رسول الله ﷺ. فقلن: نعم**) هذا غير راجع إلى مجموع قول عمر، بل إلى قوله:

الحديث رقم ٦٠٣٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤١. جحديث رقم ٣٦٨٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٣ حديث رقم (٢٢ . ٢٣٩٦). وأحمد في المسند ١/ ١٧٨.

(١) في المخطوطة «يكثرنه».

أنت أفظ وأغلظ فقال رسول الله ﷺ: «إِيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيَك الشيطان سالكاً فجاً قطُ إلا سَلك فجّاً غير فجِك».

أتوقرنني فقط، وإلا فيشكل كما لا يخفى. ولا يبعد أن يكون نعم تقريراً وتأكيداً ومقدماً على قوله: **(أنت أفظ وأغلظ)** أي أنت كثير الفظ، أي سيىء الكلام وكثير الغلظ أي شديد القلب بخلافه ﷺ فإنه حسن الخلق كما أخبر الله سبحانه بقوله: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** [القلم - ٤]. وقال: **﴿ولو كنت فظاً غليظا القلب لأنفضوا من حولك﴾** [آل عمران - ١٥٩]. وقد قال ﷺ على ما رواه ابن ماجه عن ابن عمرو مرفوعاً: «خياركم خياركم لنسائهم»[(١)]. قال الطيبي: لم يردن[(٢)] [بذلك] إثبات مزيد الفظاظة والغلظة لعمر على رسول الله ﷺ، فإنه كان حليماً مواسياً رقيق القلب في الغاية بل المبالغة في فظاظة عمر وغلظته مطلقاً. اهـ. وخلاصته أن فيك زيادة فظاظة وغلظة بالقياس إلى غيرك، لا بالقياس إلى رسول الله ﷺ فإنه كان رفيقاً حليماً جداً. لكن يشكل هذا بما ذكره البخاري في رواية أخرى في باب التبسم من كتاب الأدب، فقلن: إنك أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. ويمكن دفعه بأن يجعل من باب العسل أحلى من الخل والشتاء أبرد من الصيف فيرجع المعنى، إلى أن كلاً منهما على ما في حاله على أعلى مرتبة كماله. **(فقال رسول الله ﷺ: إيه)** بكسر الهمز والهاء منوّناً وقد يترك تنوينه، أي حدث حديثاً ولا تلتفت إلى جوابهن. **(يا ابن الخطاب)** وفي رواية: يا عمر. وقيل: هو اسم فعل يطلب به الزيادة، أي استزد على ما أنت عليه من التصلب. ويؤيده قوله: **(والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً)** أي ذاهباً طريقاً واسعاً **(قط إلا سلك فجاً غير فجك)** ففيه منقبة عظيمة لعمر، إلا أن ذلك لا يقتضي وجوب العصمة إذ لا يمنع ذلك من وسوسته الموجبة لغفلته. قال التوربشتي: إيه اسم سمي به الفعل لأن معناه الأمر تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل، إيه بكسر الهاء. فإن وصلت نوّنت وقلت: إيه حدثنا، وإذا أسكته وكففته قلت: إيهاً عنا. ومن حقه في هذا الحديث أن يكون إيهاً، أي كف يا ابن الخطاب عن هذا الحديث. ورواه البخاري في كتابه مجروراً منوّناً. والصواب إيهاً. وروى مسلم هذا الحديث في جامعه وليس لهذه الكلمة في روايته ذكر. أقول[(٣)]: إذا صحت الرواية وطابقت الدراية على ما قدمناه من تصحيح معناه فلا معنى للتخطئة[(٤)] في مبناه والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وقال الطيبي: معنى قول عمر: أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ أتوقرنني ولا توقرن رسول الله ﷺ. في شرح السنة هو من قولهم، هبت الرجل إذا وقرته وعظمته. يقال: هب الناس يهابوك أي وقرهم يوقروك. اهـ. كلامه ولا شك أن الأمر بتوقير رسول الله ﷺ مطلوب لذاته تجب الاستزادة منه، فكأن قول رسول الله ﷺ إيه استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه ولذلك عقبه بقوله: والذي نفسي بيده. الخ فإنه يدل على استرضاء ليس بعده

---

(١) أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ١/ ٦٣٦ حديث رقم ١٩٧٨.

(٢) في المخطوطة «يردون». (٣) في المخطوطة «وقول».

(٤) في المخطوطة «التخبط».

متفق عليه. وقال الحميدي: زاد البرقاني بعد قوله: يا رسول الله: ما أضحكك.

٦٠٣٧ ـ (٣) وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجَنَّةَ فإِذا أنا بالرُميصاء أمرأةِ أبي طلحة، وسمعتُ خَشفَةً، فقلت: من هذا؟ فقال:

استرضاء إحماداً منه ﷺ لفعاله كلها لا سيما هذه الفعلة. قال التوربشتي: في قوله: ما لقيك الشيطان سالكاً. تنبيه على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض حتى كان بين يدي رسول الله ﷺ كالسيف الصارم والحسام القاطع، إن أمضاه مضى وإن كفه كف فلم يكن له على الشيطان سلطان إلا من قبل رسول الله ﷺ، وكان هو كالوازع بين يدي الملك فلهذا كان الشيطان ينحرف عن الفج الذي سلكه. ولما كان النبي ﷺ رحمة مهداة إلى العالمين مأموراً بالعفو عن المذنبين معنياً بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمده من فعل مكروه أو سوء أدب بالفظاظة والغلاظة والزجر البليغ، إذ لا يتصوّر الصفح والعفو مع تلك الخلال فلهذا تسامح هو فيها واستحسن إشعارهن الهيبة عن عمر رضي الله عنه. قال النووي: هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان متى رآه سالكاً فجاً هرب لرهبته من عمر رضي الله عنه وفارق ذلك الفج لشدة بأسه. قال القاضي عياض: ويحتمل أن ضرب مثلاً بالشيطان وإغوائه وأن عمر رضي الله عنه فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد وخالف ما يأمره به، والصحيح الأوّل. (**متفق عليه**) وكذا أخرجه أحمد: وأخرجه النسائي وأبو حاتم ولفظهما: فلما سمعن صوت عمر انقمعن وسكن، أي ذللن وارتدعن فقال عمر: يا عدوّات أنفسهن الحديث. من غير ذكر جوابهن. (**وقال الحميدي:**) أي في جامعه بين الصحيحين (**زاد البرقاني**) بفتح الموحدة وقد تكسر منسوب إلى برقان قرية من قرى خوارزم بعد قوله: (**يا رسول الله ما أضحكك**). اهـ. فكأنه حذفه بعض الرواة نسياناً أو اختصاراً لظهوره، أو هذا من زيادة بعض الثقات، أو من أدراج بعض الرواة. والمعنى عليه كما أشرنا في شرح الحديث إليه.

٦٠٣٧ ـ (**وعن جابر قال: قال النبي**) وفي نسخة: رسول الله. (ﷺ: **دخلت الجنة**) أي ليلة المعراج أو في عالم الكشف أو حالة الرؤيا (**فإذا أنا بالرميصاء**) بالصاد المهملة تصغير رمصاء وهي امرأة في عينها رمص بفتحتين، وهو ما جمد من الوسخ في الموق، وهو هنا اسم أم أنس أو لقبها. (**امرأة أبي طلحة**) بدل أو عطف بيان، وجوّز رفعها وكذا نصبها. (**وسمعت خشفة**) بفتح المعجمتين والفاء أي حركة وزناً ومعنى. وفي نسخة بالسكون، أي صوتاً. ففي المشارق الخشفة بفتح الخاء وسكون الشين [هو الصوت ليس بالشديد. قال أبو عبيد: وقال الفراء: هو الصوت الواحد، وبتحريك الشين] الحركة. وفي النهاية: الخشفة بالفتح والسكون الحركة وقال شارح: هي صوت قرع النعل وهي في الأصل الحركة. اهـ. والمراد هنا صوت النعل الناشىء من حركة الماشي. (**فقلت: من هذا**) أي المتحرك أو صاحب الحركة (**فقال:**)

الحديث رقم ٦٠٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٠. حديث رقم ٣٦٧٩. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٦٣ حديث رقم (٢١ . ٢٣٩٥). وأحمد في المسند ٣/ ٣٨٩.

هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً بفنائه جاريةٌ، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظرَ إليه فذكرتُ غيرتك» فقال عمر: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله! أعليك أغار؟. متفق عليه.

أي قائل من جبريل أو غيره من الملائكة أو خزان الجنة (**هذا بلال. ورأيت قصراً بفنائه**) بكسر الفاء وتخفيف النون والمد، أي ما امتد من جوانبه. (**جارية**) أي مملوكة أو حوراء (**فقلت: لمن هذا**) أي القصر وما فيه وفي حواليه (**فقالوا:**) وفي نسخة: قالوا. أي جماعة من أهل الجنة أو من سكان القصر. (**لعمر بن الخطاب. فأردت أن أدخله**) أي القصر (**فأنظر إليه**) أي نظراً مفصلاً أو إلى باطنه كما رأيت ظاهره (**فذكرت غيرتك**) أي شدتها وحدتها. وفي القاموس، يقال: غار على امرأته وهي عليه تغار غيرة بالفتح. (**فقال عمر: بأبي أنت وأمي**) الباء للتعدية وأنت مبتدأ وبأبي خبره أي أنت مفدي بأبي وأمي كذلك، وفي نسخة: بأبي وأمي، أي أنت مفدي بهما. والمعنى جعلهما الله فداءك (**يا رسول الله أعليك**) أي على فعلك أو دخولك (**أغار**) متكلم من الغيرة. وقيل في الكلام قلب. والأصل: أعليها أغار منك. وزاد عبد العزيز: وهل رفعني الله إلا بك وهل هداني الله إلا بك. ذكره السيوطي. (**متفق عليه**) وروى أحمد والترمذي وابن حبان والنسائي عن أنس وأحمد والشيخان عن جابر، وأحمد أيضاً عن بريدة وعن معاذ مرفوعاً: دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب. فقلت: لمن هذا القصر. قالوا: لشاب من قريش. فظننت أني أنا هو قلت: ومن هو. قالوا: عمر بن الخطاب فلولا ما علمت من غيرتك لدخلت(١). وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أنس مرفوعاً دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت: ما هذه الخشفة. فقيل: الغميصاء بنت ملحان(٢). ورواه عبد بن حميد عن أنس والطيالسي عن جابر بلفظ: دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: ما هذه قالوا: هذا بلال. ثم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت: ما هذه. قالوا: هذه الغميصاء بنت ملحان(٣). قال في الرياض عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: أدخلت الجنة فرأيت قصراً من ذهب ولؤلؤ فقلت: لمن هذا القصر قالوا: لعمر بن الخطاب فما منعني أن أدخله إلا علمي بغيرتك. قال: عليك أغار بأبي أنت وأمي عليك أغار. أخرجه أبو حاتم وخرجه مسلم ولم يقل: من ذهب ولؤلؤ. وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب قالوا: لعمر بن الخطاب. أخرجه أحمد وأبو حاتم. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا أنا بامرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت: لمن هذا. فقالت: لعمر بن الخطاب. فذكرت غيرة عمر فوليت مدبراً(٤). قال أبو

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ١٠٧. والترمذي ٥/ ٥٧٨ حديث رقم ٣٦٨٨. وعن جابر أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٠٩. ومسلم ٤/ ١٨٦٢ حديث رقم ٢٣٩٤. والبخاري بنحوه حديث رقم ٢٤٥٦.

(٢) وأخرجه مسلم ٤/ ١٩٠٨ حديث رقم ٢٤٥٦. وأحمد في المسند ٣/ ٩٩.

(٣) وروى مسلم نحوه ٤/ ١٩٠٨ حديث رقم ٢٤٥٧.

(٤) مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٦٣ حديث رقم ٢٣٩٥.

٦٠٣٨ ـ (٤) وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا نائمٌ رأيت الناس يُعرَضون عليَّ، وعليهم قُمُص، منها ما يَبْلُغ الثديَ، ومنها ما دون ذلك، وعُرِض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميصٌ يجرُّه» قالوا: فما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الدينَ».

هريرة: فبكى عمر ونحن جميع في ذلك المجلس. ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أعليك أغار. أخرجه مسلم والترمذي وأبو حاتم. وعن بريدة قال: لما أصبح رسول الله ﷺ دعا بلالاً فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامي، دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت: لمن هذا القصر فقالوا: لرجل [من العرب. قلت: أنا عربي لمن هذا القصر فقالوا: لرجل] من قريش فقلت: أنا قرشي لمن هذا القصر فقالوا: لرجل من أمة محمد ﷺ قال: أنا محمد لمن هذا القصر قالوا: العمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عنده[1] ورأيت أن لله علي ركعتين. قال ﷺ: بهما.

٦٠٣٨ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا نائم رأيت الناس يغرضون علي وعليهم قمص)** بضمتين جمع قميص والجملة حالية **(منها)** أي من القمص **(ما يبلغ الثدي)** بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد التحتية جمع الثدي. وفي نسخة بالفتح والسكون والتخفيف، فهو مفرد أريد به الجنس. **(ومنها ما دون ذلك)** أي قمص أقصر منه أو أطول منه أو أعم منهما بناء على أن دون ذلك بمعنى غير ذلك لقوله تعالى: **﴿وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك﴾** [الجن ـ ١١]. وفي فتح الباري يحتمل أن يريد دونه من جهة السفل وهو ظاهر فيكون أطول، ويحتمل أن يريد دونه من جهة العلوّ فيكون أقصر. ويؤيد الأول ما في رواية الحكيم الترمذي من طريق آخر عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري في هذا الحديث: فمنهم من كان قميصه إلى سرته ومنهم من كان قميصه إلى ركبته ومنهم من كان قميصه إلى أنصاف ساقيه. قلت: وفي رواية الرياض: ومنها ما هو أسفل من ذلك. **(وعرض علي عمر بن الخطاب)** أي فيما بينهم **(وعليه قميص)** أي عظيم **(يجره)** أي يسحبه في الأرض لطوله **(قالوا:)** أي بعض الصحابة من الحاضرين **(فما أولت ذلك يا رسول الله)** أي فما عبرت جر القميص لعمر **(قال: الدين)** بالنصب، أي أولته الدين. وفي نسخة بالرفع أي المؤوّل[2] به هو الدين. والمعنى يقام الدين في أيام خلافته مع طول زمان إمارته وبقاء أثر فتوحاته حال

---

(١) في المخطوطة «عقدها».

الحديث رقم ٦٠٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٣. حديث رقم ٣٦٩١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٩ حديث رقم (١٥ . ٢٣٩٠). والترمذي في السنن ٤/ ٤٦٧ حديث رقم ٢٢٨٥ والنسائي في السنن ٨/ ١١٣ حديث رقم ٥٠١١. وأحمد في المسند ٣/ ٨٦.

(٢) في المخطوطة «المآل».

متفق عليه.

٦٠٣٩ ـ (٥) وعن ابن عمر، قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «بينا أنا نائمٌ أُتيتُ بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الرِّيَّ يخرج [في] أظفاري، ثم أَعطيتُ فضلي عُمَر بنَ الخطاب» قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «العلم».

حياته ومماته، أو لأن الدين يشمل الإنسان ويحفظه ويقيه المخالفات كوقاية الثوب وشموله. قال النووي: القميص الدين وجره يدل على بقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليقتدى به. **(متفق عليه)** ورواه أحمد وأبن حاتم.

٦٠٣٩ ـ **(وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم ثم أتيت بقدح لبن)** وفي رواية: إذ رأيت قدحاً أتيت به فيه لبن. **(فشربت حتى إني)** بكسر الهمز وقد يفتح **(لأرى الري)** بكسر الراء وتشديد الياء، أي أثر اللبن من الماء. **(يخرج)** أي يظهر. وفي رواية: يجري. **(في أظفاري. ثم أعطيت فضلي)** أي سؤري الكثير الخالص **(عمر بن الخطاب)** فلا ينافي أن سؤره حصل للصديق أيضاً، فإنه كان قليلاً جداً ولا أن سؤره لعثمان وعلي أيضاً وصل فإنه لهما لم يكن صافياً **(قالوا: فما أولته)** أي اللبن. وفي رواية. [فما] أولت ذلك. **(يا رسول الله. قال: العلم)** بالنصب وروي بالرفع على ما قدمناه. والمراد بالعلم هو علم الدين والله أعلم. قال العلماء: بين عالم الأجسام وعالم الأرواح عالم آخر يقال له عالم المثال، وهو [عالم] نوراني شبيه بالجسماني والنوم سبب لسير الروح المنور في عالم المثال ورؤية ما فيه من الصور غير الجسدانية، والعلم مصور بصور اللبن في ذلك العالم بمناسبة أن اللبن أول غذاء البدن وسبب صلاحه، والعلم أول غذاء الروح وسبب صلاحه. وقيل: التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور: الماء واللبن والخمر والعسل تناولتها آية فيها ذكرت أنهار الجنة، فمن شرب الماء يعطى العلم اللدني، ومن شرب اللبن يعطى العلم بأسرار الشريعة، ومن شرب الخمر يعطى العلم بالكمال، ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق الوحي. وقد قال بعض العارفين: إن الأنهار الأربعة عبارة عن الخلفاء. ويطابقه تخصيص اللبن بعمر رضي الله عنه في هذا الحديث. وأما الري في العلم فقد اختلف فيه فمنهم من قال بوجوده لأن الاستعداد متناه ولا يزيد على ما لم يقبل فيحصل الري وظاهر الحديث معهم. ومنهم من قال بعدمه لقوله تعالى: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** [طه ـ ١١٤]. فالأمر بطلب زيادة العلم بلا ذكر النهاية يدل على أنه لا ينتهي، ولذا قيل: من لم يكن في زيادة فهو في نقصان وإن التوقف ليس في طور الإنسان. ويدل عليه حديث: «منهومان لا يشبعان طالب العلم

الحديث رقم ٦٠٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٠. حديث رقم ٣٦٨١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٩ حديث رقم (١٦ . ٢٣٩١). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٦٧ حديث رقم ٢٢٨٤. والدارمي في السنن ٢/ ١٧١ حديث رقم ٢١٥٤. وأحمد في المسند ٢/ ١٠٨.

متفق عليه.

٦٠٤٠ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائمٌ رأيتُني على قَليبٍ عليها دلوٌ؟ فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قُحافة فنزع منها ذَنوباً أو ذَنوبين وفي نزعِهِ ضعفٌ، واللَّهُ يغفرُ له ضَعْفَه، ثم استحالت غرْباً فأخذها ابنُ الخطَّاب، فلم أَرَ عبقريّاً من النَّاس ينزِع نزع عمر حتى ضرب الناس بعَطَن».

وطالب الدنيا»[١]. ومنه ما نقل عن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره السامي أنه قال:

شربت الحب كأساً بعد كأس * فما نفد الشراب ولا رويت

وبمكن الجواب عن دليل الأوّلين بأن العلم إذا حصل بقدر الاستعداد القابل أعطاه الله تعالى استعداداً لعلم آخر فيحصل له عطش آخر، وعن هذا قيل: طالب العلم كشارب البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً. وعن الحديث بأنه محمول على البداية قبل نزول الآية التي تدل على عدم النهاية. **(متفق عليه)** وأخرجه أحمد وأبو حاتم والترمذي وصححه. ولهذا بلغ علمه ما روي عن ابن مسعود أنه قال: لو جمع علم أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر. ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم.

٦٠٤٠ ـ **(وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيتني على قليب)** أي بئر لم تطو، وضدها المطوية بالحجارة والآجر. **(عليها)** أي فوقها **(دلو)** أي ودلو معلقة عليها **(فنزعت)** أي جذبت مما فيها **(منها ما شاء الله)** أي ما قدره الله وقضاه **(ثم أخذها)** أي الدلو **(ابن أبي قحافة)** بضم القاف **(فنزع منها ذنوباً)** بفتح الذال المعجمة وهو الدلو وفيها ماء، أو الملأى أو دون الملأى كذا في القاموس. **(أو ذنوبين)** شك من الراوي. والصحيح رواية ذنوبين ذكره ابن الملك. والأظهر أن أو بمعنى بل فلا يحتاج إلى تخطئة[٢] الراوي ولا إلى شكه وتردده. ويمكن أن يكون المراد بذكرهما إشارة إلى قلته مع عدم النظر عن تحقق عدده. **(وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه)** جملة حالية دعائية وقعت اعتراضية مبينة أن الضعف الذي وجد في نزعه لما يقتضيه تغير الزمان وقلة الأعوان غير راجع إليه بنقيصة. **(ثم استحالت)** أي انقلبت الدلو التي كانت ذنوباً. **(غرباً)** بفتح فسكون، أي دلواً عظيمة على ما في القاموس. وزاد ابن الملك التي تتخذ من جلد ثور. **(فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً)** بتشديد التحتية، أي رجلاً قوياً. **(من الناس ينزع)** بكسر الزاي **(نزع عمر)** أي جبذه، وهو مفعول مطلق. **(حتى ضرب الناس بعَطَن)** بفتحتين، أي حتى أرووا إبلهم فأبركوها، وضربوا

---

(١) أخرجه الدارمي في المسند ١/٨ الحديث رقم ٣٣٤.

الحديث رقم ٦٠٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/١٨. حديث رقم ٣٦٦٤. ومسلم في صحيحه ٤/١٨٦٠ حديث رقم (١٧ ـ ٢٣٩٢).

(٢) في المخطوطة «تخليط».

٦٠٤١ ـ (٧) وفي رواية ابن عمر، قال: «ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غَرباً، فلم أرَ عبقرياً يفري فَريَّه، حتى رَوِي النَّاسُ وضربوا بعَطَنٍ».

لها عطناً وهو مبرك الإبل حول الماء. قال القاضي: لعل القليب إشارة إلى الدين الذي هو منبع ما به تحيا النفوس ويتم أمر المعاش، ونزع الماء في ذلك إشارة إلى هذا الأمر ينتهي من الرسول عليه السلام إلى أبي بكر ومنه إلى عمر. ونزع أبي بكر ذنوباً أو ذنوبين إشارة إلى قصر مدة خلافته وأن الأمر إنما[1] يكون بيده سنة أو سنتين ثم ينتقل إلى عمر. وكان مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وضعفه فيه إشارة إلى ما كان في أيامه من الاضطراب والارتداد واختلاف الكلمة، أو إلى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة والمداراة مع الناس. ويدل على ذلك قوله: وغفر الله له ضعفه. وهو اعتراض ذكره ﷺ ليعلم أن ذلك موضوع ومغفور عنه غير قادح في منصبه، ومصير الدلو في ثوبه عمر غرباً وهو الدلو الكبير الذي يستقي به البعير إشارة إلى ما كان في أيامه من تعظيم الدين وإعلاء كلمة وتوسع خططه وقوّته، وجده في النزع إشارة إلى ما اجتهد في إعلاء أمر الدين وإفشائه في مشارق الأرض ومغاربها اجتهاداً بما لم يتفق لأحد قبله ولا بعده. والعبقري القوي. وقيل: العبقر اسم واد يزعم العرب أن الجن تسكنه فنسبوا إليه كل من تعجبوا منه أمراً كقوّة وغيرها فكأنهم وجدوا ما وجدوا منه خارجاً عن وسع الإنسان فحسبوا أنه جيء من العبقر، ثم قالوا لكل شيء نفيس. وقال النووي: قوله: في نزعه ضعف. ليس فيه حَطٌّ لمنزلته ولا إثبات فضيلة لعمر عليه، وإنما هو إخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتساع الإسلام وفتح البلاد وحصول الأموال والغنائم. وأما قوله: والله يغفر له ضعفه. فليس فيه نقص ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها كلامهم. وقد جاء في صحيح مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك. وفي قوله: فنزعت[2] منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة. إشارة إلى نيابة أبي بكر وخلافته بعده وراحته ﷺ بوفاته من نصب[3] الدنيا ومشاقها. وفي قوله: ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر إلى قوله: وضربوا بعطن إشارة إلى أن أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وابتدأ الفتوح ومهد الأمور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر رضي الله عنه.

٦٠٤١ ـ **(وفي رواية ابن عمر قال: ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غرباً، فلم أر)** أي فلم أبصر أو فلم أعرف **(عبقرياً يفري فريه)** بفتح فسكون وفي نسخة بفتح فكسر فتشديد أي يعمل عمله. قال النووي: يروى بإسكان الراء وتخفيف الياء وبكسر الراء[4] وتشديد الياء وهما لغتان صحيحتان. وأنكر الخليل التشديد. ومعناه لم أر شيئاً يعمل

---

(١) في المخطوطة «أن». (٢) في المخطوطة «فرغت».

(٣) في المخطوطة «نصيب».

الحديث رقم ٦٠٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/ ٤١٢. حديث رقم ٧٠١٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٦٠ حديث رقم (١٧ ـ ٢٣٩٢). وأحمد في المسند ٢/ ٢٧.

(٤) في المخطوطة «الياء».

متفق عليه.

الفصل الثاني

٦٠٤٢ ـ (٨) عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه». رواه الترمذي.

٦٠٤٣ ـ (٩) وفي رواية أبي داود، عن أبي ذرّ، قال: [سمعتُ رسول الله ﷺ يقول]: «إِنَّ اللَّهَ وضعَ الحقَّ على لسان عمر يقول به».

٦٠٤٤ ـ (١٠) وعن علي [رضي الله عنه] قال: ما كنا

عمله ويقطع قطعه. وأصل الفري بالإِسكان القطع، تقول العرب: تركته يفري الفري إذا عمل العمل فأجاد. **(متفق عليه)**(١) المفهوم من الرياض أن الرواية الأولى لمسلم وحده وأن الرواية الثانية لهما ولأحمد وزاد بعد قوله: يفري فريه، حتى روي الناس وضربوا بعطن. وفي بعض الطرق: رأيت أني أنزع على حوض فأخذ أبو بكر الدلو من يدي فنزع ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فأما ابن الخطاب فأخذها حتى تولى الناس والحوض يتفجر. أخرجاه وأحمد. وللحديث مناسبة لباب مناقب الشيخين، لكن لما كان فيه زيادة مدح لعمر خصه المصنف بباب مناقبه.

(الفصل الثاني)

٦٠٤٢ ـ **(عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله جعل الحق)** أي أظهره ووضعه **(على لسان عمر وقلبه)** قال الطيبي: ضمن جعل معنى أجري فعداه بعلى، وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه، وفي وضع الجعل موضع أجري إشعار بأن ذلك كان خلقياً ثابتاً مستقراً. **(رواه الترمذي)** أي وصححه وكذا رواه أحمد وأبو حاتم عن أبي هريرة وعن ابن عمر مثله. وفي رواية بعد قوله: وقلبه يقول الحق وإن كان مراً. وفي رواية: إن الله نزل الحق على قلب عمر ولسانه. أخرجهما البغوي في الفضائل.

٦٠٤٣ ـ **(وفي رواية أبي داود عن أبي ذر قال: إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول)** أي عمر **(به)** أي بالحق، أو التقدير: يقول الحق بسبب ذلك الوضع، والجملة استئناف بيان أو حال عيان.

٦٠٤٤ ـ **(وعن علي رضي الله عنه)** أي موقوفاً **(قال: ما كنا)** أي أهل البيت أو معشر

---

(١) وفي متن المصابيح زيادة وهي قوله: «حتى روى الناس وضربوا بوطن».

الحديث رقم ٦٠٤٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٦ حديث رقم ٣٦٨٢. وأحمد في المسند ٢/ ٥٣.

الحديث رقم ٦٠٤٣: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٣٦٥ حديث رقم ٢٩٦٢. وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٤٠ حديث رقم ١٠٨.

الحديث رقم ٦٠٤٤: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٦٩. والبغوي في شرح السنة ١٤/ ٨٦ حديث رقم ٣٨٧٧.

نُبْعِد أن السكينةَ تنطق على لسان عمر. رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

٦٠٤٥ ـ (١١) وعن ابن عبَّاس، عن النبيِّ ﷺ قال: «اللهمَّ أعزَّ الإِسلامَ بأبي جهل ابنِ هشام، أو بعمرَ بن الخطاب» فأصبح عمر، فغدا على النبيّ ﷺ فأسلم، ثم صلّى في المسجدِ ظاهراً.

الصحابة، ويؤيده رواية: ونحن متوافرون أصحاب رسول الله ﷺ. **(نبعد)** من الإبعاد بمعنى الاستبعاد، وقيل معناه: ما كنا نعد بعيداً. **(أن السكينة)** أي ما به تسكن النفس وتميل إليه ويطمئن به القلب ويعتمد عليه **(تنطق)** أي تجري **(على لسان عمر)** أي من قلبه. وقد قال ابن مسعود: ما رأيت عمر قط إلا وكأن بين عينيه ملكاً يسدده. قال التوربشتي: أي لم تكن نبعد أنه ينطق بما يستحق أن تسكن إليه النفوس وتطمئن به القلوب وأنه أمر غيبي ألقي على لسانه. ويحتمل أنه أراد بالسكينة الملك الذي يلهمه ذلك القول. وفي النهاية قيل: أراد بها السكينة التي ذكرها الله في كتابه العزيز، وقيل في تفسيرها إنها حيوان له وجه كوجه الإنسان مجتمع وسائرها خلق رقيق كالريح والهواء. وقيل: هي صورة كالهرة كانت معهم في جيوشهم فإذا ظهرت انهزم أعداؤهم. وقيل: هي ما كانوا يسكنون إليه من الآيات التي أعطيها موسى عليه السلام. والأشبه بحديث عمر أن يكون من الصورة المذكورة ذكره الطيبي. ولا يخفى بعد إرادة القولين هنا فالأقرب هو القول الأخير الذي أشار إليه التوربشتي أولاً وهو الذي ينزل على معناه جميع ما جاء في القرآن من لفظ السكينة كقوله تعالى: **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾** [الفتح ـ ٤]. وقوله: **﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾** [الفتح ـ ٢٦]. ونحو ذلك **(رواه البيهقي في دلائل النبوّة)**.

٦٠٤٥ ـ **(وعن ابن عباس عن النبي ﷺ)** الظاهر أنه من المراسيل **(قال: اللهم أعز الإسلام)** أي قوّة وانصره **(بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب)** أو للتنويع لا للشك، ولا يبعد أن تكون بل للإضراب. **(فأصبح عمر)** أي دخل في الصباح بعد دعائه عليه السلام قبله **(فغدا)** أي أقبل غادياً أي ذاهباً في أول نهاره **(على النبي ﷺ)** قال الطيبي: هو إما خبر، أي غدا مقبلاً على النبي، أو ضمن غداً معنى أقبل ونحوه قوله تعالى: **﴿وغدوا على حرد قادرين﴾** [القلم ـ ٢٥]. اهـ. فعلى الأوّل غدا من الأفعال الناقصة وعلى الثاني يتعلق على بغداً. **(فأسلم ثم صلى)** أي النبي ﷺ. وفي نسخة بصيغة المجهول، أي صلى المؤمنون. **(في المسجد ظاهراً)** أي عياناً غير خفي أو غالباً غير مخوف. روى الحاكم أبو عبد الله في دلائل النبوّة عن ابن عباس أن أبا جهل قال: من قتل محمداً فله علي مائة ناقة وألف وقية من فضة. فقال عمر: الضمان صحيح. فقال: نعم عاجلاً غير آجل. فخرج عمر فلقيه رجل فقال: أين تريد. قال: أريد محمداً لأقتله. قال: فكيف تأمن من بني هاشم. قال: إني لأظنك قد صبوت. قال: ألا

الحديث رقم ٦٠٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٧ حديث رقم ٣٦٨٣. وابن ماجه ١/ ٣٩ حديث رقم ١٠٥.

رواه أحمد، والترمذي.

أخبرك بأعجب من هذا إن أختك وختنك قد صبوا مع محمد. فتوجه عمر إلى منزل أخته وكانت تقرأ سورة طه فوقف يستمع ثم قرع الباب فأخفوها فقال عمر: ما هذه الهينمة. فأظهرت الإسلام، فبقي عمر حزيناً كئيباً فباتوا كذلك إلى أن قامت الأخت وزوجها يقرآن: طه ما أنزلنا. فلما سمع قال: ناولني الكتاب حتى أنظر فيه. فلما قرأه إلى قوله: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى. قال: اللهم إن هذا أهل أن لا يعبد سواه أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فبات ساهر العين ينادي في كل ساعة واشوقاه إلى محمد حتى أصبح فدخل عليه خباب بن الأرت فقال: يا عمر إن رسول الله ﷺ بات اللية ساهراً يناجي الله عزَّ وجلَّ أن يعز الإسلام بك أو بأبي جهل وأنا أرجو أن تكون دعوته قد سبقت فيك. فخرج مقلداً سيفه فلما وصل إلى منزل فيه رسول الله ﷺ خرج إليه رسول الله ﷺ وقال: يا عمر أسلم أو لينزلن الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة. فارتعدت فرائص عمر ووقع السيف من يده فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال: اللات والعزى تعبد على رؤوس الجبال وفي بطون الأودية والله يعبد سراً والله لا يعبد الله سراً بعد يومنا هذا. **(رواه أحمد والترمذي)** وانتهت روايته إلى قوله: فأسلم. ولم يذكر ثم صلى الخ. وقال: غريب من هذا الوجه وفي سنده أبو عمرو بن النضر تكلم فيه بعضهم وقال: يروي المناكير من قبل حفظه. اهـ. وزيادة ثم صلى الخ رواها محيي السنة في شرح السنة من جملة الحديث في هذا السند ذكره ميرك. وقال ابن الربيع في مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي: حديث: اللهم أيد الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب. رواه الإمام أحمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعاً وقال الترمذي: حسن صحيح غريب[(١)]. وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس: اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب[(٢)]. وفي لفظ: أعز الإسلام بعمر[(٣)]. وقال: إنه صحيح الإسناد. وفيه عن عائشة: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة[(٤)]. وقال: إنه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قلت: وأما ما يدور على الألسنة من قولهم: اللهم أيد الإسلام بأحد العمرين. فلا أعلم له أصلاً. اهـ. كلامه وقال الزركشي: حديث: اللهم أعز الإسلام الخ. رواه الترمذي. وروى الحاكم عن عائشة: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة. وقال: صحيح على شرط الشيخين. وذكر أبو بكر التاريخي عن عكرمة أنه سئل عن حديث: اللهم أيد الإسلام. فقال: معاذ الله دين الإسلام أعز من ذلك ولكنه قال: اللهم أعز عمر بالدين أو أبا جهل. أقول: ليس فيما ورد من الحديث محذور بل هو من قبيل قوله تعالى: ﴿**فعززناهما بثالث**﴾ [يس ـ ١٤]. أي قوينا الرسولين وما أتيا من الدين به، أو من باب قوله ﷺ: «زينوا القرآن

(١) الترمذي في السنن عن ابن عمر بلفظ «أعز».. ٥/ ٥٧٦ حديث رقم ٣٦٨١.
(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ٨٣.
(٣) الحاكم في المستدرك ٣/ ٨٣.
(٤) الحاكم في المستدرك نفس المصدر السابق.

....

بأصواتكم»[١]. على أنه يمكن أن يكون من نوع القلب قي الكلام كما في عرضت الناقة على الحوض ولذا ورد أيضاً: زينوا أصواتكم بالقرآن. والحاصل أنه إن صحت الرواية وطابقت الدراية فلا وجه للتخطئة، ثم لا شك في حصول إعزاز الدين به رضي الله عنه أوّلاً من إخفائه إلى إعلانه كما في قوله تعالى: ﴿**يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين**﴾ [الأنفال - ٦٤]. وهو كمال الأربعين إيماء إلى ذلك وآخراً من فتوحات البلاد وكثرة إيمان العباد وفيما بينهما من غلظته على المشركين والمنافقين كما في قوله تعالى: ﴿**أشداء على الكفار**﴾ [الفتح - ٢٩]. إشعاراً إليه بل وما تم أمر خلافة الصديق وجهاده مع المرتدين إلا بمعونته، وما فتح باب النزاع والمخالفة الباعثة[٢] على المقاتلة فيما بين المسلمين إلا بعد موته وبعد غيبته. ولعله ﷺ أشار بذلك في قوله: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»[٣]. وقال داود بن الحصين والزهري: لما أسلم عمر نزل جبريل فقال: يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. وهو مروي عن ابن عباس على ما رواه أبو حاتم والدارقطني[٤]. وقال المؤلف: هو عدوي قرشي يكنى أبا حفص أسلم سنة ست من النبوّة، وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ويقال به تمت الأربعون. قال ابن عباس: سألت عمر بن الخطاب لأي شيء سميت الفاروق فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت: الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى. فما في الأرض نسمة أحب إلي من نسمة رسول الله ﷺ فقلت: أين رسول الله ﷺ. قالت أختي: هو في دار الأرقم عند بني الأرقم عند الصفا. فأتيت الدار فإذا حمزة في أصحابه جلوس في الدار ورسول الله ﷺ في البيت. فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: ما لكم. قالوا: عمر بن الخطاب قال: فخرج رسول الله ﷺ فأخذ بمجامع ثيابي ثم نثرني نثرة فما ملكت أن وقعت على ركبتي. فقال رسول الله ﷺ: ما أنت بمنته يا عمر. فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا. قال: بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم. فقلت: ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن. فأخرجنا ﷺ في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر ولي كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد، فنظرت إلى قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها فسماني رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق، فرق الله بي بين الحق والباطل. اهـ. وذكر أهل التفسير عن ابن عباس أيضاً: إن منافقاً خاصم يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله ﷺ فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال: نتحاكم إلى عمر. فقال اليهودي لعمر: قضى لي رسول الله ﷺ فحكم فلم

---

(١) أخرجه أبو داود ٢/ ١٥٥ حديث رقم ١٤٦٨. والنسائي وابن ماجه.

(٢) في المخطوطة «الباغية». (٣) وهو الحديث رقم (٦٠٤٧).

(٤) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٨٤.

٦٠٤٦ ـ (١٢) وعن جابر، قال: قال عمر لأبي بكر: يا خيرَ النَّاس بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فقال أبو بكر. أما إنك إن قلتَ ذلك، فلقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما طلعت الشمسُ على رجلٍ خير من عُمَر».

يرض بقضائه وخاصم إليك. فقال عمر للمنافق: أكذلك. قال: نعم. فقال: مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد. وقال: هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله. فنزلت: ﴿**ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت**﴾ [النساء ـ ٦٠]. قيل: فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن. فأنزل الله تلك الآية. فهدر دم ذلك الرجل وبرىء عمر عن قتله ظلماً. فقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرق بين الحق والباطل. فسمي الفاروق. وقد قال السيوطي: ورد أيضاً بلفظ ابن عمر من حديث عمر نفسه أخرجه البيهقي في الدلائل، ومن حديث أنس أخرجه البيهقي، ومن حديث ابن مسعود أخرجه الحاكم، ومن حديث ربيعة السعدي أخرجه البغوي في معجمه، ومن حديث ابن عباس وخباب أخرجهما ابن عساكر في تاريخه، ومن حديث عثمان بن الأرقم ومرسل سعيد بن المسيب ومراسيل الزهري أخرجهما ابن سعد في الطبقات، وورد بلفظ عائشة من حديث ابن عباس رواه الحاكم، ومن حديث ابن عمر أخرجه ابن سعد، ومن حدبث أبي بكر الصديق أخرجه الطبراني في الأوسط، ومن حديث ابن مسعود أخرجه ابن عساكر، ومن حديث ثوبان أخرجه الطبراني، ومن مرسل الحسن أخرجه ابن سعد وقال ابن عساكر في الجمع بين اللفظين: إنه دعا بالأول أوّلاً فلما أوحي إليه أن أبا جهل لن يسلم خص عمر بدعائه فأجيب فيه. وقد اشتهر هذا الحديث على الألسنة بلفظ: بأحب العمرين. ولا أصل له من طرق الحديث بعد الفحص البالغ. اهـ. كلام السيوطي رحمه الله.

٦٠٤٦ ـ (**وعن جابر قال: قال عمر لأبي بكر: يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر: أما**) للتنبيه (**إنك إن قلت ذلك**) أي إذ قلت ذلك الكلام وعظمتني من بين الأنام فأجازيك بمثل هذا المرام من التبشير في هذا المقام (**فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر**) وهو إما محمول على أيام خلافته أو مقيد ببعد أبي بكر، أو المراد في باب العدالة أو في طريق السياسة ونحو ذلك جمعاً بين الألفاظ الواردة في السنة. قال الطيبي: جواب قسم محذوف وقع جواباً للشرط على سبيل الإخبار كأنه أنكر عليه قوله: يا خير الناس بعد رسول الله لقوله: ما طلعت الشمس الخ. ونحوه في الإخبار والإنكار قوله تعالى: ﴿**وما بكم من نعمة**﴾ [النحل ـ ٥٣]. اهـ. والتحقيق ما قدمناه، مع أن معنى الآية هو الإخبار عن كون النعمة من الله على طريق الانحصار وإن كان يتضمن إنكار أن يكون نعمة من الأغيار لا سيما في نظر الأبرار ومشاهدة الأخيار كما قيل:

الحديث رقم ٦٠٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٧ حديث رقم ٣٦٨٤.

رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٦٠٤٧ - (١٣) وعن عقبة بن عامر، قال: قال النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبيٌّ لكانَ عمر بن الخطاب». رواه الترمذي. وقال: هذا حديث غريب.

٦٠٤٨ - (١٤) وعن بريدة، قال: خرجَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ في بعضِ مغازيه فلما انصرفَ جاءت جاريةٌ سوداءُ. فقالت: يا رسولَ الله! إني كنتُ نذرتُ إن ردَّك اللّٰهُ صالحاً أن أضربَ بين يديكَ بالدُّفِّ وأتغنى. فقال لها رسول الله ﷺ: «إن كنتِ نذرتِ فاضربي،

---

* ليس في الدار غيره ديارا *

(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.) قيل: نقل في الميزان عن أهل الحديث تضعيفه، وأقول: يقوّيه ما في الجامع من أن قوله: ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر. رواه الترمذي والحاكم في مستدركه عن أبي بكر مرفوعاً[1]. وقد أخرج البغوي في الفضائل عن ثابت بن الحجاج فقال: خطب عمر ابنة أبي سفيان فأبوا أن يزوّجوه فقال رسول الله ﷺ: ما بين لابتي المدينة خير من عمر. ولا شك أن المراد بعده ﷺ للإجماع وبعد أبي بكر لما تقدم والله أعلم.

٦٠٤٧ - (وعن عقبة بن عامر قال: قال النبي) وفي نسخة: رسول الله. (ﷺ: لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.) بزيادة حسن في نسخة من الترمذي، وقد نقله ابن الجوزي أيضاً عنه، ورواه أيضاً أحمد في مسنده والحاكم في صحيحه[2] عنه، والطبراني، عن عصمة بن مالك. وفي بعض طرق هذا الحديث: لو لم أبعث لبعثت يا عمر.

٦٠٤٨ - (وعن بريدة) بالتصغير (قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه) أي أزمنة غزواته (فلما انصرف جاءته) أي النبي ﷺ. وفي نسخة: جاءت. (جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً) أي منصوراً. وفي رواية: سالماً. (أن أضرب بين يديك) أي قدامك وفي حضورك (بالدف) بضم الدال وتشديد الفاء وهو أفصح وأشهر، وروي الفتح أيضاً. هو ما يطبل به والمراد به الدف الذي كان في زمن المتقدمين، وأما ما فيه الجلاجل فينبغي أن يكون مكروهاً اتفاقاً. وفيه دليل على أن الوفاء بالنذر الذي فيه قربة واجب، والسرور بمقدمه ﷺ قربة سيما من الغزو الذي فيه تهلك الأنفس، وعلى أن الضرب بالدف مباح. وفي قولها: (واتغنى) دليل على أن سماع صوت المرأة بالغناء مباح إذا خلا عن الفتنة (فقال رسول الله ﷺ: إن كنت نذرت فاضربي

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٥ حديث رقم ٧٩٣٧. والحديث أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٧ حديث رقم ٣٦٨٤. والحاكم في المستدرك ٣/ ٩٠.

الحديث رقم ٦٠٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٨ حديث رقم ٣٦٨٦. وأحمد في المسند ٤/ ١٥٤.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ٨٥.

الحديث رقم ٦٠٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٦ حديث رقم ٣٦٩٠. وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٣.

وإلا فلا» فجعلتْ تضرِبُ، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثمَّ دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثمَّ دخلَ عُمَر فألقت الدُّفَّ تحت أستها ثم قعدت عليها، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشيطانَ ليخافُ منك يا عمر! إني كنتُ جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلمَّا دخلت أنت يا عمر! ألقتِ الدُّفَّ». ثم قعدت عليها

(وإلا فلا) فيه دلالة ظاهرة على أن ضرب الدف لا يجوز إلا بالنذر ونحوه مما ورد فيه الإذن من الشارع كضربه في إعلان النكاح. فما استعمله بعض مشايخ اليمن من ضرب الدف حال الذكر فمن أقبح القبيح والله ولي دينه وناصر نبيه. **(فجعلت تضرب. فدخل أبو بكر وهي تضرب)** جملة حالية **(ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها)** بهمز وصل مكسور وسكون سين، أي أليتها بأن رفعتها ووضعته تحتها. **(ثم قعدت عليها)** أي على أستها لتستره عن عمر هيبة. وفي رواية: ثم قعدت عليه، أي على الدف. **(فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر)** يريد به تلك المرأة السوداء لأنها شيطان الإنس وتفعل فعل الشيطان، أو المراد شيطانها الذي يحملها على فعلها المكروه وهو زيادة الضرب التي هي من جنس اللهو على ما حصل به[1] إظهار الفرح. **(إني كنت جالساً)** استئناف تعليل **(وهي تضرب)** حال **(فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف)** أي تحت أستها **(ثم قعدت عليها)** قال التوربشتي: وإنما مكنها ﷺ من ضرب الدف بين يديه لأنها نذرت فدل نذرها على أنها عدت انصرافه على حال السلامة نعمة من نعم الله عليها فانقلب الأمر فيه من صنعة اللهو إلى صنعة الحق، ومن المكروه إلى المستحب ثم إنه لم يكره من ذلك ما يقع به الوفاء بالنذر وقد حصل ذلك بأدنى ضرب، ثم عاد الأمر في الزيادة إلى حد المكروه ولم ير أن يمنعها لأنه لو منعها ﷺ كان يرجع إلى حد التحريم فلذا سكت عنها وحمد انتهاءها عما كانت فيه بمجيء عمر. اهـ. وفيه أنه كان يمكن أن يمنعها منعاً لا يرجع إلى حد التحريم. قال الطيبي: فإن قلت: كيف قرر إمساكها عن ضرب الدف ههنا بمجيء عمر ووصفه بقوله: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ولم يقرر انتهاء أبي بكر رضي الله عنه الجاريتين اللتين كانتا تدففان أيام منى. قلت: منع أبا بكر بقوله: دعهما وعلله بقوله: فإنها أيام عيد. وقرر ذلك هنا فدل ذلك على أن الحالات والمقامات متفاوتة فمن حالة تقتضي الاستمرار ومن حالة لا تقتضيه. أقول: ويمكن أن يقال منع الصديق لهما عن فعلهما بحضور الحضرة النبوية لا يخلو أنه من قصور آداب البشرية، فلذا ما قرر له ذلك وبين له سبب استمرار فعلهما هنالك. وأما هنا فلو دخل عمر ورآها على حالها بحضرة سماع النبي ﷺ وأصحابه لم يكن يمنعها كما هو مقتضى حسن آدابه لكن لما جعل الله مأتاه سبباً لانتهائها عن فعلها

---

(١) في المخطوطة «طهر به حصول».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ غريب.

٦٠٤٩ ـ (١٥) وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغَطاً وصوت صبيانٍ. فقام رسول الله ﷺ فإِذا حبشيَّةٌ تَزفِن والصبيانُ حولَها فقال: «يا عائشة! تعالي فأنظري»

المكروه بحسب أصله، ولو صار مندوباً بموجب نذره واستحسنه ﷺ وقرر امتناعها وقرر منعه بالقوّة الإِلهية الغالبة على الإِرادة الشيطانية وقيل: إنه ﷺ علم انتهاءها عما كانت فيه بمجيء عمر فسكت ليظهر بذلك فضل عمر ويقول ما قال. اهـ. ولا يخفى أن هذه العلة مدخولة فإن الزيادة تبقى معلولة، نعم لا يبعد أن يكون انتهاء مدة ضرب الدف على طريق العرف بابتداء مأتى عمر في مجلس الحضرة النبوية، وأظن أن هذا أظهر [وأولى] مما تقدم والله أعلم. ثم ظهر لي وجه وهو أن يقال: إن عمر رضي الله عنه ما كان يحب ما صورته يشبه باطلاً وإن كان هو من وجه حق، ويؤيده ما روي عن الأسود بن سريع قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني قد حمدت الله بمحامد فقال عليه السلام: إن ربك تعالى يحب المدح هات ما امتدحت به ربك. قال: فجعلت أنشده فجاء رجل يستأذن. قال: فاستنصتني له رسول الله ﷺ ووصف لنا أبو سلمة كيف استنصته قال: كما يصنع بالهر. فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج ثم أخذت أنشده أيضاً ثم رجع بعد فاستنصتني فقلت: يا رسول الله من ذا الذي تستنصتني له. فقال: هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب. أخرجه أحمد(١) وأطلق على هذا باطلاً وهو متضمن حقاً لأنه حمد ومدح لله، إلا أنه من جنس الباطل إذ الشعر كله جنس واحد. ومن هذا القبيل ما روي عن عائشة أنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ بحريرة طبختها له فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها: كلي فأبت. فقلت: لتأكلن أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي في الحريرة وطليت بها وجهها. فضحك النبي ﷺ فوضع فخذه لها وقال لسودة: الطخي وجهها. فلطخت وجهي فضحك النبي ﷺ أيضاً فمر عمر فنادى: يا عبد الله فظن النبي ﷺ أنه سيدخل فقال: قوما فاغسلا وجوهكما. قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ إياه. رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملأ في سيرته **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب)**.

٦٠٤٩ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً فسمعنا لغطاً)** بفتح لام وغين معجمة أي صوتاً شديداً لا يفهم **(وصوت صبيان فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشية)** بفتحتين أي جارية أو امرأة منسوبة إلى الحبش **(تزفن)** بسكون الزاي وكسر الفاء ويضم أي ترقص **(والصبيان حولها)** أي ينظرون إليها ويتفرجون عليها **(فقال: يا عائشة تعالي)** بفتح اللام أي تقدمي **(فانظري)** وهو أمر مخاطبة من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ٤٣٥.

الحديث رقم ٦٠٤٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٠ حديث رقم ٦/ ٢٣٣.

فجئت فوضعت لحييَّ على منكب رسول الله ﷺ، فجعلتُ أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه. فقال لي: «أما شبعتِ؟ أما شبعتِ؟» فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر فارفضَّ النَّاسُ عنها. فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لأنظر إلى شياطينِ الجنِّ والإِنس قد فرُّوا من عُمَر». قالت: فرجعْتُ. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

سفل فاتسع فيه بالتعميم كذا ذكره البيضاوي في قوله تعالى: ﴿قل تعالوا﴾ [الأنعام ـ ١٥١]. وقرىء بضم لام تعالوا، فإن الأصل فيه تعاليوا فنقل ضمة الياء إلى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها وحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وعلى هذا يجوز كسر اللام في تعالي كما هو المشهور على ألسنة أهل زماننا، خصوصاً أهل الحرمين الشريفين. وأما إعلال فتح اللام في الجمع والمخاطبة فبناء على القلب[١] والحذف. (**فجئت فوضعت لحيي**) بالإِضافة إلى ياء المتكلم تثنية لحي بالفتح وسكون الحاء المهملة منبت الإنسان (**على منكب رسول الله ﷺ**) وهو مجتمع رأس الكتف والعضد (**فجعلت**) أي شرعت (**أنظر إليها**) أي إلى الحبشية[٢] (**ما بين المنكب**) ظرف لأنظر حذف منه في أي فيما بين المنكب (**إلى رأسه. فقال لي:**) أي بعد ساعة أو فكان يقول لي (**أما شبعت أما شبعت**) أي مكرراً (**فجعلت أقول: لا**) أي لا لا، لا لعدم الشبع حرصاً على النظر إليها، بل كان قصدي من قولي لا. (**لأنظر منزلتي**) أي نهاية مرتبتي وغاية محبتي (**عنده إذ طلع عمر**) أي ظهر (**فارفض الناس عنها**) بتشديد الضاد المعجمة، أي تفرق النظارة التي كانوا حول الحبشية[٣] الراقصة عنها لمهابة عمر والخوف من إنكاره عليهم (**فقال رسول الله ﷺ: إني لأنظر إلى شياطين الجن والإِنس**) وفي رواية: إلى شياطين الإِنس والجن. (**قد فروا من عمر. قالت:**) أي عائشة (**فرجعت**) أي من عند النبي ﷺ (**إلى بيتي**) وفيه دليل على عظمة خلقه عليه الصلاة والسلام وغلبة صفة الجمال[٤] كما يدل على غلبة نعت الجلال على عمر رضي الله عنه (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.**) وأخرجه ابن السمان في الموافقة عن عائشة قالت: دخلت امرأة من الأنصار إلي فقالت: إني أعطيت الله عهداً إذا رأيت النبي ﷺ لأنقرن على رأسه بالدف. قالت عائشة: فأخبرت النبي ﷺ بذلك فقال: قولي لها فلتف بما حلفت فقامت بالدف على رأس النبي ﷺ فنقرت نقرتين أو ثلاثاً فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها وأسرعت إلى خدر عائشة فقالت لها عائشة: ما لك. قالت: سمعت عمر فهبته. فقال ﷺ: إن الشيطان ليفر من حسن عمر.

---

(١) في المخطوطة «النقل».

(٢) في المخطوطة «الحبشة».

(٣) في المخطوطة «الحبشة».

(٤) في المخطوطة «الجلال».

الفصل الثالث

٦٠٥٠ ـ (١٦) عن أنس، وابن عمر، أنَّ عُمَر [رضي الله عنهما] قال: وافقتُ ربي في ثلاث: قلت: يا رسولَ الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى؟ فنزلت **﴿واتَّخِذوا من مقام إِبراهيم مصلًى﴾**.

(الفصل الثالث)

٦٠٥٠ ـ **(عن أنس وابن عمر أن عمر رضي الله عنه قال: وافقت ربي)** قال الطيبي: ما أحسن هذه العبارة وما ألطفها حيث راعى فيها الأدب الحسن ولم يقل: وافقني ربي. مع أن الآيات إنما نزلت موافقة لرأيه واجتهاده. أقول: ولعله رضي الله عنه أشار بقوله هذا أن فعله حادث لاحق وقضاء ربه قديم سابق. **(في ثلاث)** لكن في الرياض عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث. الحديث أخرجه الشيخان وأبو حاتم. قال الحافظ العسقلاني: ليس في تخصيص الثلاث ما ينفي الزيادة لأنه حصلت له الموافقة في أشياء من مشهورها قصة أساري بدر وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين خمسة عشر. قال صاحب الرياض: منها تسع لفظيات وأربع معنويات واثنتان في التورية فإن أردت تفصيلها فراجعها[١]. **(قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى)** أي لكان حسناً أو لو للتمني. والمراد أن يجعل مصلى لصلاة الطواف بأن يكون فيما حوله أفضل. **(فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾)** بكسر الخاء على أن الأمر للاستحباب وقيل للإيجاب.

الحديث رقم ٦٠٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٠٤. حديث رقم ٤٠٢. وأحمد في المسند ١/ ٢٣.

(١) أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: «كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن». وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه: «إن في القرآن لرأياً من رأي عمر». وقد أوصل بعضهم موافقات عمر رضي الله عنه للقرآن إلى أكثر من عشرين. منها: ما أخرجه الشيخان عن عمر قال: «وافقت ربي في ثلاث» الحديث... فذكر اتخاذ المقام والحجاب والطلاق.

وأخرج مسلم عنه «وافقت ربي في ثلاث» وذكر الحجاب وأسارى بدر ومقام إبراهيم والخامسة ما ذكره الإمام النووي في التهذيب: نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر. وهو قوله رضي الله عنه: «اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً» ذكره الحاكم في مستدركه.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره. وافقت ربي في أربع، نزلت هذه الآية: **﴿ولقد خلقنا الإِنسان من سلالة من طين﴾** الآية فلما نزلت قلت فتبارك الله أحسن الخالقين فنزلت كما هي...

وزاد خصلة سابعة أبو عبد الله الشيباني في كتاب «فضائل الأمامين» وهي الصلاة على عبد الله بن أبي حيث نزل قول الله تعالى: **﴿ولا تصل على أحد منهم أبداً﴾** ومنها قول عمر للرسول ﷺ لما أكثر من الاستغفار لقوم قال عمر سواء عليهم فأنزل الله **﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾** الآية.

ومنها قصته في الصيام لما جامع زوجته في الليل وكان ذلك محرماً فنزل قول الله تعالى: **﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾** الآية. وهناك موافقات كثيرة ذكرها السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه تاريخ الخلفاء ص ١١٤. والذي لخصنا بعضها منه.

وقلت: يا رسول الله! يدخلُ على نسائك البرُّ والفاجرُ، فلو أمرْتَهُنَّ يحتجبنَ؟ فنزلت آيةِ الحجاب، واجتمع نساءُ النبيِّ ﷺ في الغيرة، فقلت: ﴿عسى ربُّه إن طلَّقكنَّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنَّ﴾. فنزلت كذلك.

٦٠٥١ ـ (١٧) وفي رواية لابن عمر قال: قال عمر: وافقتُ ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر. متفق عليه.

وفي نسخة بفتح الخاء وهي قراءة المدني والشامي من السبعة. قال القاضي: أي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون إليها. اهـ. والأظهر أنه خبر معناه الأمر وهو أبلغ في الحكم المقرر، فكأنه أمر به وامتثل فأخبر. والمراد بمقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو رفع بناء البيت ولا منع من الجمع وهو موضعه اليوم. روي أنه عليه السلام أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال: هذا مقام إبراهيم عليه السلام. فقال عمر: أفلا نتخذه مصلى، فقال: لم أؤمر بذلك. فلم تغب الشمس حتى نزلت. والمراد به الأمر بركعتي الطواف لما روى جابر أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(١) [البقرة ـ ١٢٥]. قال البيضاوي: وللشافعي في وجوب الركعتين قولان. اهـ. وهما واجبتان عقب كل طواف عندنا. (**وقلت: [يا رسول الله] يدخل على نسائك البر**) بفتح الموحدة أي البار وهو الصالح (**والفاجر**) أي الفاسق (**فلو أمرتهن أن يحتجبن**) أي عن الأجانب مطلقاً (**فنزلت آية الحجاب**) وهي قوله تعالى: ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب**﴾ [الأحزاب ـ ٥٣]. وقد أخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت آكل مع النبي ﷺ حيساً في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال: حس أواه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين. فنزلت آية الحجاب. وقوله: حس بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما أحرقه كالجمرة والضربة ونحوهما. (**واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة**) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له الحديث. فنزل: ﴿**يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك**﴾ [التحريم ـ ١] (٢). (**فقلت: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله﴾**) بالتشديد والتخفيف أي يعطيه بدلاً عنكن (**﴿أزواجاً خيراً منكن. فنزلت كذلك﴾**).

٦٠٥١ ـ (**وفي رواية لابن عمر قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أساري بدر**) بدل تفصيل باعادة الجار (**متفق عليه.**) لكن الرواية الثانية

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ١٧٠.

(٢) البخاري في صحيحه ٩/ ٣٧٤. حديث رقم ٥٢٦٨.

الحديث رقم ٦٠٥١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٦٥ حديث رقم (٢٤ ـ ٢٣٩٩).

٦٠٥٢ ـ (١٨) وعن ابن مسعود، قال: فُضِّلَ النَّاسَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بأربع: بذكر الأسارى يوم بدرٍ، أُمر بقتلهم، فأنزل الله تعالى: **﴿لولا كتاب من اللّهِ سبق لمسَّكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾**

منسوبة إلى مسلم على ما في الرياض. وأخرج الواحدي في أسباب النزول وأبو الفرج عن أنس ابن مالك قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع. قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله تعالى: **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**. وقلت: يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجاباً فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فأنزل الله تعالى: **﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾** [الأحزاب ـ ٥٣]. وقلت: لأزواج النبي ﷺ: [لتنتهين] أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكن، ونزل قوله تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾** [المؤمنون ـ ١٢] إلى قوله: **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾** [المؤمنون ـ ١٤]. قلت: فتبارك الله أحسن الخالقين. فنزل: وفي رواية: فقال ﷺ: تزيد في القرآن يا عمر. فنزل جبريل بها وقال: إنها تمام الآية. أخرجها السجاوندي في تفسيره. وقد روي مثل ذلك عن عبد الله بن أبي سرح كاتب رسول الله ﷺ فلما أملي كذلك قال: إن كان محمد يوحى إليه فأنا كذلك، فارتد. وقد روي أنه راجع الإسلام واستعمله عمر.

٦٠٥٢ ـ **(وعن ابن مسعود)** أي موقوفاً **(قال: فضل الناس)** بضم فاء وتشديد ضاد معجمة ونصب الناس على أنه مفعول ثان مقدم على نائب الفاعل، وهو قوله: **(عمر بن الخطاب رضي الله عنه)** أي فضله الله عليهم لاختصاصه **(بأربع)** أي من الخصال[(١)] **(بذكر الأسارى)** أي بذكره إياهم أو بذكرهم عنده **(يوم بدر أمر بقتلهم)** استئناف أو حال **(فأنزل الله تعالى: ﴿لولا كتاب﴾)** [أي مكتوب أو حكم] **(﴿من الله سبق﴾)** أي إتيانه في اللوح المحفوظ أو في العلم بأنه لا يعاقب المخطىء في اجتهاده، أو أن أهل بدر مغفور لهم **(﴿لمسكم﴾)** أي لأصابكم **(﴿فيما أخذتم﴾)** أي من الفداء عوضاً عن الأعداء **(﴿عذاب عظيم﴾)**[(٢)] أي في الدنيا قبل الأخرى، وكان أخذهم الفدية يوم بدر من الكفار خطأ في الاجتهاد مبنياً على أن أخذ المال منهم أنسب ليتقوّى المؤمنون به ولعلهم يؤمنون به بعد ذلك، وذهب إليه أبو بكر ومن تبعه من أرباب الجمال، أو بل ينبغي قتلهم فإنهم أئمة الكفر ورؤساؤه[(٣)] وهو قول عمر ومن وافقه من أصحاب الجلال. ولما كان ﷺ من كماله مائلاً إلى الجمال اختار قول الصديق في الحال وكان مطابقاً لما في أزل الآزال من حسن المآل. وتفصيله على ما في الرياض عن ابن عباس عن عمر قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر: يا رسول الله بنو العم وبنو العشيرة والإخوان غير أنا نأخذ منهم الفداء فيكون لنا قوّة على

الحديث رقم ٦٠٥٢: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٥٦.

(١) في المخطوطة «الخصائل». (٢) سورة الأنفال. آية رقم ٥٨.

(٣) في المخطوطة «رؤسائهم».

وبذكره الحجاب، أُمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبنَ، فقالت له زينب: وإنك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿**وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراءِ حجاب**﴾ وبدعوة النبيِّ ﷺ: «اللّهم أيّد الإِسلام بعمر» وبرأيه في أبي بكر [رضي الله عنه] كان أوّل ناسٍ بايعه. رواه أحمد.

٦٠٥٣ ـ (١٩) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاك الرجلُ أرفع أمتي درجةً في الجنة». قال أبو سعيد: والله ما كنّا نُرى ذلك الرجلَ إلا عمر

المشركين وعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام ويكونوا لنا عضداً. قال: فما ترى يا ابن الخطاب. قلت: يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم فنقرِّبهم ونضرب أعناقهم قال: فهوى رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء. فلما أصبحت غدوت على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان قلت: يا نبي الله من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما فقال: لقد عرض علي عذابكم أدنى من الشجر والشجرة[١] قريبة حينئذ فأنزل الله تعالى: ﴿**ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة**﴾ [الأنفال ـ ٦٧]. أخرجه مسلم[٢]. وعند البخاري معناه. وفي رواية لأحمد: فأنزل الله: ﴿**لولا كتاب من الله سبق لمسكم**﴾ [الأنفال ـ ٦٨] الآية[٣]. وفي طريق أن النبي ﷺ لقي عمر فقال: لقد كاد يصيبنا بلاء أخرجه الواحدي مسنداً في أسباب النزول، وفي بعضها[٤]: لقد كاد[٥] يصيبنا بخلافك شر يا ابن الخطاب. وفي رواية: لو نزل من السماء نار لما نجا منها إلا عمر. وفي هذه الأحاديث دليل على أنه ﷺ كان يحكم باجتهاده. (**وبذكره الحجاب**) والضمير لعمر (**أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن فقالت له زينب:**) أي بنت جحش وهي بنت عمة النبي ﷺ وإحدى أمهات المؤمنين (**وإنك علينا**) أي تحكم أو تغار (**يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا**) جملة حالية (**فأنزل الله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن﴾**) بالهمز ونقله، أي اطلبوهن حال كونهن. (**﴿من وراء حجاب﴾**)[٦] أي ستارة (**وبدعوة النبي**) أي وبإجابة دعائه ﷺ في حقه بقوله: (**اللهم أيد الإسلام**) أي أعزه (**بعمر وبرأيه في أبي بكر رضي الله عنه**) أي وباجتهاده في شأن أبي بكر حال خلافته (**كان أوّل ناس**) وفي نسخة صحيحة: أوّل الناس. (**بايعه**) أي أبا بكر ثم غيره تابعه (**رواه أحمد**).

٦٠٥٣ ـ (**وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ذاك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى**) بضم النون وفتح الراء، أي ما كنا نظن. (**ذلك الرجل إلا عمر**

---

(١) في المخطوطة «غير معرفة».
(٢) مسلم في صحيحه ٣/ ١٣٨٣ حديث رقم ١٧٦٣.
(٣) أحمد في المسند ٣/ ٢٤٣.
(٤) في المخطوطة «بعضهما».
(٥) في المخطوطة «كان».
(٦) سورة الأحزاب. آية رقم ٥٣.
الحديث رقم ٦٠٥٣: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٩ حديث رقم ٤٠٧٧.

ابنَ الخطاب حتى مضى لسبيله. رواه ابن ماجه.

ابن الخطاب حتى مضى لسبيله) أي مات عمر، وفيه دفع توهم أنه وقع له تغير في آخر عمره. **(رواه ابن ماجه)** قال الطيبي: فإن قلت فيلزم من هذا أنه أفضل من أبي بكر، قلت: قوله ﷺ: ذاك الرجل، إشارة إلى مبهم والقصد فيه أن يجتهد ويتحرى كل واحد من أمته أن ينال تلك الدرجة، وإنما ينال بتوخي العمل وتحري الأصوب من الأخلاق الفاضلة والاجتهاد في الدين والمواظبة على المبرات، ولم تشاهد هذه الخلال في أحدكما شوهد منه رضي الله عنه من أوّل حاله إلى منتهاه وبهذا القياس ظنوا أن المشار إليه هو لا غيره، ونحوه إخفاء ليلة القدر في الليالي فلا يلزم من هذا [أن يكون] هو أفضل من أبي بكر، وأيضاً يجوز أن يحمل على الخصوص. ويؤيد التقرير الأول الحديث الذي يتلوه. اهـ. وحاصل كلامه أن كون المراد بذلك الرجل عمر مظنون فيه عند بعضهم، فلا يدل على أنه أفضل من أبي بكر عند الجمهور كما تقرر عليه الانعقاد وحصل به الاعتماد، مع أنه قد يقال المراد به أنه أفضل أهل زمانه حال خلافته فيرتفع الإِشكال من أصله، لكن فيه أن المشار إليه بذلك ليس مبهماً بل هو مبين في الجملة كما هو مصرح في سياق حديث ابن ماجه من طريق عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكا أكثر خطبته حديثاً حدثناه عن الدجال وحذرنا منه وكان من قوله أنه قال: إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله آدم [أعظم] من فتنة الدجال وذكر الحديث إلى أن قال: وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها فينشرها بالمنشار حتى يلقي شقتين ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن. ثم لم يزعم أن له رباً غيري فيبعثه الله فيقول له الخبيث: من ربك فيقول: ربي الله وأنت عدوّ الله أنت الدجال والله ما كنت أشد بصيرة بك من اليوم. قال أبو الحسن الطنافسي: فحدثنا المحاربي حديثاً عن عبد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: ذاك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة. قال أبو سعيد: والله ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله[1]. انتهى سياق ابن ماجه، فانظر وتأمل سياق المصنف الحديث واختصاره حتى لم يفهم المقصود من الحديث ذكره ميرك. فعلى هذا قوله: والله ما كنا الخ. معناه أنا كنا نظن أن ذلك الرجل الذي يقتل على يد الدجال هو عمر حتى مات فتبين أنه غيره لكن يشكل أفضلية ذلك الرجل ويدفع بأن معناه في زمانه، وقد تقدم عن الجزري في باب العلامات بين يدي الساعة أن ذلك الرجل المقتول على يد الدجال هو الخضر عليه السلام فلا إشكال بناء على أنه نبي كما هو أصح الأقوال والله أعلم بالحال.

---

(١) راجع التخريج لهذا الحديث.

٦٠٥٤ ـ (٢٠) وعن أسلم، قال: سألني ابن عمر بعضَ شأنه ـ يعني عمر ـ فأخبرتُه، فقالَ: ما رأيتُ أحداً قطُّ بعد رسولِ الله ﷺ من حين قُبض كان أجدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر. رواه البخاري.

٦٠٥٥ ـ (٢١) وعن المِسور بن مَخْرَمَةَ، قال: لما طُعِنَ عُمَرُ جعل يألم، فقال له ابن عبَّاس وكأنه يُجزِّعُه: يا أمير المؤمنين! ولا كلّ ذلك؟! لقد صحبتَ رسولَ اللّهِ ﷺ

٦٠٥٤ ـ **(وعن أسلم)** هو مولى عمر بن الخطاب كنيته أبو خالد كان حبشياً وقيل: من سبي اليمن، اشتراه عمر بمكة سنة إحدى عشرة سمع عمر وغيره بعثه أبو بكر ليقيم الحج بالناس. روى عنه زيد بن أسلم وغيره مات في ولاية مروان وله مائة وأربع عشرة سنة. **(قال: سألني ابن عمر بعض شأنه)** وفي بعض النسخ: عن بعض شأنه. **(يعني)** أي يريد بالمضمر **(عمر)** ولعل المراد بعض شأنه المخفي عن الناس من عادته الكائنة بينه وبين الله على طريق الإخلاص. **(فأخبرته فقال: ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله ﷺ)** قال الطيب [رحمه الله]: يحتمل وجهين، أي بعد وفاة رسول الله [أو بعد رسول الله] ﷺ في هذه الخلال. وتعقبه بقوله: **(من حين قبض رسول الله ﷺ)** يدل على الأوّل لأن المراد بيان ابتداء استمراره على تلك الحالات وثباته عليها. **(حتى مضى لسبيله)** أي مات[1]، وضبط حين بالفتح وفي نسخة: بالجر. **(كان)** أي ذلك الأحد **(أجد)** أي أجهد في الدين **(وأجود)** أي أحسن في طلب اليقين **(حتى انتهى)** أي إلى آخر عمره **(من عمر)** تنازع فيه أجد وأجود ذكره الطيبي: وقال السيوطي: أي في زمن خلافته ليخرج أبو بكر **(رواه البخاري)**.

٦٠٥٥ ـ **(وعن المسور)** بكسر فسكون ففتح **(ابن مخرمة)** بفتح فسكون خاء معجمة ففتح راء هو ابن أخت عبد الرحمٰن بن عوف ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وقدم به إلى المدينة في ذي الحجة سنة ثمان وقبض النبي ﷺ وله ثمان سنين وسمع منه وحفظ عنه وكان فقيهاً من أهل الفضل والدين وتقدمت بقية ترجمته. **(قال: لما طعن عمر)** بصيغة المجهول، أي طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين **(جعل)** أي طفق **(عمر يألم)** أي يظهر أثر ألمه بالأنين ونحوه **(فقال له ابن عباس وكأنه)** أي ابن عباس **(يجزعه:)** بتشديد الزاي، أي ينسبه إلى الجزع ويلومه عليه ويقول له ما يسليه بما يزيل عنه الجزع نحو قوله تعالى: ﴿**فزع عن قلوبهم**﴾ [سبأ ـ ٢٣]. أي أزيل عنهم الفزع، والجملة معترضة بين القائل ومقوله. **(يا أمير المؤمنين ولا كل ذلك)** بالرفع وفي نسخة بالنصب، والمعنى لا تبالغ فيما أنت فيه من الجزع. قال ميرك: وفي نسخة ولئن كان ذلك كذا، وقع عند أكثر رواة البخاري. والذي في الأصل رواية الكشميهني، ولبعضهم: ولا كان ذلك وكأنه دعاء أي لا يكون ما تخافه أو لا يكون الموت بتلك الطعنة. **(لقد صحبت رسول الله ﷺ**

الحديث رقم ٦٠٥٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٢. حديث رقم ٣٦٨٧.

(١) في المخطوطة «انتهى».

الحديث رقم ٦٠٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٣. حديث رقم ٣٦٩٢.

فأحسنتَ صحبته، ثم فارقَك وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ أبا بكرٍ فأحسنتَ صحبته، ثم فارقكَ وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ المسلمين فأحسنتَ صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون. قال: أمَّا ما ذكرت من صحبةِ رسولِ الله ﷺ ورضاه فإنما ذلك مَنٌّ مِنَ اللَّهِ مَنَّ به عليّ، وأمَّا ما ذكرتَ من صحبة أبي بكرٍ ورضاه، فإنما ذلكَ منٌّ من اللَّهِ منَّ به عليَّ. وأما ما ترى من جزعي، فهو من أجلك ومن أجل أصحابك، واللَّهِ لو أنَّ لي طِلاع الأرض ذهباً لأفتديتُ به من عذاب اللَّهِ قبل أن أراه.

فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض) أي لقوله: لو كان بعدي نبي لكان عمر(١). (ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض) أي حيث جعلك أمير المؤمنين (ثم صحبت المسلمين) أي أيام خلافتك (فأحسنت صحبتهم) أي بإظهار العدالة وإتقان السياسة (ولئن فارقتهم) أي في هذه القضية (لتفارقنهم) وفي نسخة: لفارقتهم. (وهم عنك راضون) أي وهذا كله يدل على أن الله عنك راض وأنت راض عنه فأنت مبشر بقوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [الفجر ٢٧ ـ ٢٨]. والموت تحفة المؤمن حيث يكون سبباً للقاء المولى في المقام الأعلى. (قال:) أي عمر (أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذلك منٌّ) بفتح ميم وتشديد نون أي منة عظيمة (من الله من به عليّ) أي تفضل عليّ به من [غير] كسب بل بجذبة منه فلا أنكر كرمه، بل أشكره وأحمده. (وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك منٌّ الله منَّ به علي) أي حيث وفقني على تقديمه ومساعدته في تقويمه، ولعل إعراضه عن رضا الناس للإشعار بأنه لا اعتبار لهم وإنما(٢) المدار على رضا الله كما قال تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة ـ ٦٢]. وللإيماء أن رضاهم أيضاً من أثر رضا الله ورسوله ومن جملة ما من الله به عليه وهداه الله إليه. (وأما ما ترى من جزعي) أي فزعي المتوهم أنه من أجل موتي (فهو من أجلك [ومن أجل] أصحابك) عطف بإعادة الجار، أي من جهة أني أخاف عليكم من وقوع الفتن بينكم لما كان كالباب يسد المحن، ومع هذا كله أخاف أيضاً على نفسي ولا آمن من عذاب ربي لأنه: (والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً) بكسر أوله أي ما يملؤها ذهباً حتى يطلع ويسيل (لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه) أي الله أو عذابه وإنما قال ذلك لغلبة الخوف الذي وقع له في ذلك الوقت من خشية التقصير فيما يجب من حقوق الله أو من الفتنة بمدحهم كذا في فتح الباري. وقال الطيبي: كأنه رضي الله عنه رجح جانب الخوف على الرجاء لما أشعر من فتن تقع بعده في أصحاب رسول الله ﷺ فجزع جزعاً عليهم وترحماً لهم ومن استغناء الله [تعالى] عن العالمين، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ [المائدة ـ ١١٨]. وكان جانب الخوف عليه غالباً فاستمر على ذلك هضماً لنفسه وانكساراً ولذلك نسب ما حصل له من الفضيلة إلى منة الله تعالى وإفضاله. وفي الاستيعاب أن عمر رضي الله عنه حين احتضر قال ورأسه في حجر ابنه عبد الله: ظلوم لنفسي غير أني مسلم أصلي صلاتي كلها وأصوم. قال

---

(١) راجع الحديث رقم (٦٠٤٧).

(٢) في المخطوطة «أما».

رواه البخاري.

المؤلف: ودفن يوم الأحد عاشر محرم سنة أربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو أصح ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفاً وصلى عليه صهيب، وروى عنه أبو بكر وباقي العشرة وخلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين. (رواه البخاري) وفي الرياض من جملة كراماته ومكاشفاته ما روي عن عمرو بن الحارث قال: بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل على خطبته فقال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنه لمجنون ترك خطبته ونادى يا سارية الجبل. فدخل عليه عبد الرحمٰن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال: يا أمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالاً بينما أنت في خطبتك إذ ناديت يا سارية الجبل أي شيء هذا فقال: والله ما ملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون[1] منه من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض أيام حتى جاء رسول سارية بكتابه إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلى أن حضرت الجمعة ودرّ حاجب الشمس فسمعنا صوت مناد ينادي الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدوّنا حتى هزمهم الله تعالى. ويروى أن مصر لما فتحت أتى أهلها عمرو بن العاص وقالوا له: إن هذا النيل يحتاج في كل سنة إلى جارية بكر من أحسن الجواري فنلقيها فيه وإلا فلا يجري وتخرب[2] البلاد وتقحط. فبعث عمرو إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بالخبر فبعث إليه عمر الإسلام يجب ما قبله ثم بعث إليه بطاقة فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم إلى نيل مصر من عبد الله عمر بن الخطاب أما بعد فإن كنت تجري بأمر الله فاجر على اسم الله وأمره أن يلقيها في النيل فجرى في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً فزاد على كل سنة ستة أذرع. وفي رواية: فلما ألقي كتابه جرى ولم يعد يقف. خرجها الملأ في سيرته. قلت: الأوّل أخرجه البيهقي وأبو نعيم واللالكائي وابن الأعرابي والخطيب وابن مردويه عن نافع عن ابن عمر بإسناد حسن، والثاني أخرجه أبو الشيخ في العظمة بسنده إلى قيس بن الحجاج عن جدته. ولما دخل أبو مسلم الخولاني المدينة من اليمن وكان الأسود بن قيس الذي ادعى النبوّة في اليمن عرض عليه أن يشهد أنه رسول الله فأبى فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله قال: نعم قال: فأمر بتأجيج نار عظيمة وألقى فيها أبو مسلم فلم يضره فأمر بنفيه من بلاده، فقدم المدينة فلما دخل من باب المسجد قال عمر: هذا صاحبكم الذي زعم الأسود الكذاب أنه يحرقه فنجاه الله منها. ولم يكن القوم ولا عمر سمعوا قضيته ولا رأوه ثم قام إليه واعتنقه وقال: ألست عبد الله بن أيوب قال: بلى فبكى عمر ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ شبيهاً بإبراهيم الخليل عليه السلام. وروي أنه عس ليلة من الليالي فأتى على امرأة وهي تقول لابنتها: قومي وامرثي اللبن. فقالت: لا تفعلين فإن أمير المؤمنين عمر نهى عن

---

(١) في المخطوطة «يوفون». (٢) في المخطوطة «يخرب».

. . . .

ذلك. قالت: ومن أين يدري. فقالت: فإن لم يعلم هو فإن رب أمير المؤمنين يدري ذلك. فلما أصبح عمر قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا فإن هناك صبية فإن لم تكن مشغولة فتزوّج بها لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة. فتزوّج عاصم تلك البنية فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر فتزوّجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز. خرجهما في الفضائل. وروي عن عمر أنه أبصر أعرابياً نازلاً من جبل فقال: هذا رجل مصاب بولده قد نظم فيه سبعة أبيات لو أشاء لأسمعتكم ثم قال: يا أعرابي من أين أقبلت. فقال: من أعلى هذا الجبل. قال: وما صنعت فيه قال: أودعته وديعة لي. قال: وما وديعتك. قال: بني لي هلك فدفنته فيه. قال: فأسمعنا من مرثيتك فيه قال: ما يدريك يا أمير المؤمنين فوالله ما تفوّهت بذلك وإنما حدثت به نفسي ثم أنشد شعراً:

يا غائباً ما يؤب من سفر * عاجلة عند موته على صغره
يا قرة العين كنت لي آنساً * في طول ليلي نعم وفي قصره
ما تقع[1] العين حيثما وقعت * في الحي إلاّ على أثره
شربت كأساً من أبوك شاربه * لا بد منه له على كبره
بشربها والآنام كلهم * من كان في بدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك له * في حكمه كان ذا وفي قدره
قدر موتاً على العباد فما * يقدر خلق يزيد في عمره

قال: فبكى عمر حتى بل لحيته. ثم قال: صدقت يا أعرابي. ومن كثرة اتباعه للسنة ما رواه أحمد عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ولبس ثياباً غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس وقال: والله إنه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ فقال عمر للعباس: وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ففعل ذلك العباس. أخرجه[2] وهذه الاستقامة خير من ألف كرامة، ومن ذلك أن نفقته في حجته كانت ستة عشر ديناراً ومع ذلك يقول: أسرفنا في هذا المال، ولم يستظل إلا تحت كساء أو نطع ملقاة على شجرة.

(١) في المخطوطة «يقع». (٢) أحمد في المسند ١/ ٢١٠.

(٥) باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

الفصل الأول

٦٠٥٦ ـ (١) عن أبي هريرةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «بينما رجلٌ يسوقُ بقرةً إذْ عَيِيَ، فركبها، فقالت: إنا لم نُخلَق لهذا، إنما خُلِقْنا لحراثة الأرضِ. فقال النَّاس: سبحانَ اللَّهِ! بقرةٌ تَكلَّمُ!». فقال رسول الله ﷺ: «فإني أُؤمنُ به أنا وأبو بكر وعمر». وما هما ثَمَّ

(باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)

(الفصل الأوّل)

٦٠٥٦ ـ **(عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يسوق بقرة)** أي يدفعها من ورائها **(إذ أعيا)** بفتح الهمزة وفي نسخة صحيحة: إذ عيي بفتح العين وكسر الياء الأولى، أي تعب الرجل من المشي. **(فركبها فقالت: إنا)** أي جنس البقر **(لم نخلق لهذا)** أي للركوب **(إنما خلقنا لحراثة الأرض)** بفتح الحاء أي إثارتها لزراعتها. وفيه دلالة على أن ركوب البقر والحمل عليها غير مرضي كما ذكره ابن الملك، فالحصر إضافي لتأكيد ما قبله. وقال ابن حجر: استدل به على أن الدواب لا تستعمل إلا فيما جرت العادة باستعمالها فيه. ويحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى تعظيم ما خلقت [لأجله] ، ولم يرد الحصر في ذلك لأنه غير مراد اتفاقاً لأنها من جملة ما خلقت له أن تذبح وتؤكل بالاتفاق. قلت: لا شك أن الحديث يفيد نفي جواز ركوب البقر لا سيما وقد قرره ﷺ لنا وليس الكلام في ذبحها وأكلها لأنهما معلومان من الدين بالضرورة، فهما مستثنيان شرعاً وعرفاً. **(فقال الناس:)** أي الحاضرون **(سبحان الله)** أي تعجباً **([بقرة] تكلم)** بضم الميم مضارع حذف منه إحدى التاءين، أي البقرة تتكلم والحال أنها من الحيوانات[1] الصامتة. **(فقال رسول الله ﷺ: فإني أومن به)** جزاء شرط محذوف، أي فإن كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فإني لا أستغربه وأؤمن به **(أنا وأبو بكر وعمر)** قال شارح: عطف على المستكن في أؤمن وأنا تأكيد له. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما فائدة ذكر أنا وعطف ما بعده عليه، وهذا عطف على المستتر في أومن مستغنياً عنه بالجار والمجرور. قلت: لو لم يذكر أنا لأحتمل أن يكون وأبو بكر عطفاً على محل إن واسمها والخبر محذوف فلا يدخل في معنى التأكيد وتكون[2] هذه الجملة واردة على التبعية ولا كذلك في هذه الصورة، يعني في زيادة أنا فإنه يفيد حينئذ الاشتراك. **(وما هما ثم)** بفتح المثلثة وتشديد الميم أي وليس أبو بكر وعمر في المكان الذي قال ﷺ فيه الكلام المذكور. وفي رواية الترمذي:

الحديث رقم ٦٠٥٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ . حديث رقم ٣٤٧١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٧ حديث رقم (١٣ . ٢٣٨٨). والترمذي في السنن ٥/ ٥٧٥ حديث رقم ٣٦٧٧.

(١) في المخطوطة «الحيوان». (٢) في المخطوطة «يكون».

وقال: «بينَما رجلٌ في غنمٍ له إذ عدا الذئبُ على شاةٍ منها، فأخذها، فأدركها صاحبُها، فاستنقذها، فقال له الذئبُ: فمن لها يومَ السَّبُعُ، يوم لا راعي لها غيري؟ فقال الناس: سبحانَ الله ذئبٌ يتكلمُ؟!». فقال: «أؤمنُ به أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثَمَّ. متفق عليه.

٦٠٥٧ ـ (٢) وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: إنِي لواقفٌ في قومٍ فدَعُوا الله

فإني أؤمن بذلك ثم أبو بكر وعمر وما هما في القوم يومئذ. قال التوربشتي: إنما أراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذي بلغ عين اليقين وكوشف صاحبه بالحقيقة التي ليس وراءها للتعجب مجال. قال ابن الملك: قوله: به، أي أصدق أنا بما أخبرني به الملك من تكلم البقرة وأبو بكر وعمر لقوّة إيمانهما بما أخبرت. قال ابن حجر: هو محمول على أنه ﷺ كان أخبرهما به فصدقاه أو أطلق ذلك لما اطلع عليه من أنهما يصدقان بذلك ولا يترددان فيه. اهـ. والأخير هو الصحيح لما يدل عليه مقام المدح[1] وكما يشعر إليه قول الراوي: وما هما ثم. وإلا فكل مؤمن يصدق النبي فيما أخبره به فلا بد من وجه يميزهما عن غيرهما، كما يشير إليه مشاركتهما في الإيمان المنسوب إليه ﷺ. **(وقال:)** أي النبي عليه السلام **(بينما رجل في غنم له)** أي في قطعة غنم كائن له ملكاً أو اختصاصاً برعيها **(إذ عدا الذئب)** أي حمل ذئب من الذئاب **(على شاة منها)** أي من قطعة الغنم **(فأخذها)** أي الذئب الشاة **(فأدركها صاحبها فاستنقذها)** أي استخلصها من الذئب **(فقال له الذئب: فمن لها)** أي فمن يحفظ للشاة **(يوم السبع)** بفتح السين المهملة وسكون الموحدة، وفي نسخة بضمها. **(يوم لا راعي لها غيري)** [قال شارح]: وري السبع بضم الباء وسكونها كعضد وعضد، والمراد بيوم السبع حين يموت الناس ويبقى الوحوش أو يوم الإِهمال من قولهم سبع الذئب الغنم إذا افترسها وأكلها. فالمراد به من لها عند الفتن حين يتركها الناس لا راعي لها نهبة للذئاب والسباع. فجعل السبع لها راعياً إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء. وقيل: يسكن على لغة تميم وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التي يهمل[2] الناس فيها مواشيهم فيتمكن منها السباع بلا مانع. وقيل: يوم السبع بسكون الباء [ويروى بضمها أيضاً، عيد كان لأهل الجاهلية يجتمعون فيه على اللهو ويهملون مواشيهم فيأكلها السبع. وقيل: السبع بسكون الباء]، الموضع الذي عنده المحشر يريد بيومه يوم القيامة، وهو ضعيف لا يناسب ما بعده من قوله: يوم لا راعي لها غيري. **(فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم. فقال: أؤمن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم. متفق عليه)** وأخرجه أحمد.

٦٠٥٧ ـ **(وعن ابن عباس قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله)** أي القوم. [وفي رواية: يدعون الله.] **(لعمر وقد وضع على سريره)** جملة حالية من [عمر]. والمعنى أنه وضع عمر يوم

---

(١) في المخطوطة كلمة مختصرة.

(٢) في المخطوطة «يعمل».

الحديث رقم ٦٠٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٢. حديث رقم ٣٦٧٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٨ حديث رقم (١٤ ـ ٢٣٨٩). وابن ماجه في السنن ١/ ٣٧ حديث رقم ٩٨.

لعمرَ وقد وُضِع على سريره، إذا رجلٌ من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: يرحمك الله، إني لأرجو أن يجعلَك الله معَ صاحبيك، لأني كثيراً ما كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنتُ وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، ودخلت وأبو بكر وعمر، وخرجت وأبو بكر وعمر». فالتفتُّ فإذا علي بن أبي طالب [رضي الله عنه]. متفق عليه.

مات على سريره للغسل وحضره جمع من أصحابه (**إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه**) بكسر الميم وفتح الفاء، ويجوز عكسه. (**على منكبي**) بفتح ميم وكسر كاف (**يقول:**) أي مخاطباً لعمر (**يرحمك الله**) وفي رواية: رحمك الله. (**إني لأرجو**) وفي نسخة: إني كنت لأرجو. (**أن يجعلك الله مع صاحبيك**) أي النبي ﷺ وأبي بكر في القبر أو في الجنة ذكره السيوطي. قال الطيبي: واللام في قوله: (**لأني**) تعليل لقوله: أن يجعلك الله مع صاحبيك، أي أرجو أن يجعلك معهما في عالم القدس لأني (**كثيراً ما كنت**) بزيادة ما لإفادة المبالغة في الكثرة عكس قوله تعالى: ﴿**وقليل ما هم**﴾ [ص ـ ٢٤]. قال الطيبي: كذا في صحيح البخاري وما فيه إبهامية مؤكدة. وليس في جامع الأصول لفظة ما، فقوله: كنت. خبر إن، وكثيراً ظرف وعامله كان، قدم عليه ونحوه: ﴿**قليلاً ما تشكرون**﴾ [الأعراف ـ ١٠، المؤمنون ـ ٧٨، السجدة ـ ٩، الملك ـ ٢٣]. وفي أكثر نسخ المصابيح وقع هكذا: لأني كثيراً مما كنت. بزيادة من وليس له محمل صحيح إلا أن يتعسف ويقال: إني أجد كثيراً مما كنت أسمع. أقول: ويمكن أن تكون ما موصولة بمعنى من، والمعنى لأني في كثير من الأوقات ممن كنت. (**أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت**) أي في مكان كذا (**وأبو بكر وعمر. وفعلت**) أي الشيء الفلاني من أمور العبادة أو من رسوم العادة (**وأبو بكر وعمر. وانطلقت**) أي ذهبت أي إلى مكان كذا (**وأبو بكر وعمر. ودخلت**) أي المسجد ونحوه (**وأبو بكر وعمر. وخرجت**) أي من نحو البيت (**وأبو بكر وعمر.**) قيل دل على جواز العطف على الضمير المرفوع المتصل بلا تأكيد، وفصل وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر إلا على ضعف. والصحيح جوازه نظماً ونثراً كما قاله المالكي، ونظيره قول عمر: كنت وجار لي من الأنصار. وكذا قوله تعالى: ﴿**ما أشركنا ولا آباؤنا**﴾ [الأنعام ـ ١٤٨]. فإن كلمة لا بعد العاطف ومع ذلك هي زائدة. اهـ. وفي رواية: زاد هنا فإني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. (**قال ابن عباس: فالتفت**) أي إلى ورائي (**فإذا**) أي ذلك الرجل (**علي بن أبي طالب رضي الله عنه**) وفي نسخة عنهم (**متفق عليه.**) وفي رواية لهما عنه: وإنه وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال: **ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك** وذلك أني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، دخلت أنا وأبو بكر وعمر، خرجت أنا وأبو بكر وعمر، وإني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما.

الفصل الثاني

٦٠٥٨ ـ (٣) عن أبي سعيدٍ الخدري، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إن أهلَ الجنَّةِ ليتراءَوْن أهلَ عليين، كما تَرَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيّ في أُفُقِ السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما». رواه في «شرح السنة»، ورُوِيَ نحوه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(الفصل الثاني)

٦٠٥٨ ـ **(عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن أهل الجنة ليتراءون)** بفتح الياء والهمز من الرؤية، وأصله يتراءيون من باب التفاعل، أي يرى بعضهم بعضاً. **(أهل عليين)** أي مقامهم ومنزلتهم في غاية من العلو والارتفاع **(كما ترون)** أي تبصرون. **(الكوكب الدري)** بضم الدال ويكسر وتشديد التحتية ويهمز أيضاً، أي المضيء كالدر أو الدافع بنوره ظلمة ما حوله. **(في أفق السماء)** بضمتين ويسكن الثاني على ما في القاموس أي ناحيتها، وجمعه آفاق. **(وإن أبا بكر وعمر منهم)** أي من أهل عليين **(وأنعما)** أي زادا في الدرجة والرتبة وتجاوزا عن كونهما أهل عليين في المنزلة. وقيل المعنى دخلا في النعيم كما يقال أشمل إذا دخل في الشمال وهو عطف على المقدر في منهم[1] أي استقرا منهم وأنعما. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** أي بإسناده **(وروي نحوه أبو داود والترمذي [وابن ماجه]**) قال التوربشتي: وفي أكثر نسخ المصابيح لمنهم واللام زائدة على الرواية فإنه نقل هذا الحديث عن كتاب الترمذي وفيه منهم وأنعما من غير لام. قال الطيبي: وكذا في سنن أبي داود وابن ماجه وجامع الأصول بغير لام. وقال السيوطي في الجامع الصغير: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم. رواه أحمد والشيخان عن أبي سعيد، والترمذي عن أبي هريرة[2]. وزاد في الجامع الكبير قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. رواه ابن حبان والدارمي عن أبي سعيد[3]، ورواه ابن حبان عن سهل بن سعد. وفي رواية لأحمد والشيخين عن سهل بن سعد أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء[4]. وفي رواية لأحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد، والطبراني عن جابر بن سمرة، وابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق

الحديث رقم ٦٠٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٢٨٧ حديث رقم ٣٩٨٧. والترمذي في السنن ٥/ ٥٦٧ حديث رقم ٣٦٥٨. وابن ماجه في السنن ١/ ٣٧ حديث رقم ٩٦. وأحمد في المسند ٣/ ٢٦.

(١) في المخطوطة «يمنهم». (٢) الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٢٣٠.

(٣) أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٢٨٣١. والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٢٠ حديث رقم ٣٢٥٦.

(٤) البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٦ حديث رقم ٦٥٥٥ ومسلم ٤/ ٢١٧٧ حديث رقم ٢٨٣٠. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٠.

٦٠٥٩ ـ (٤) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيّدا كهولِ أهلِ الجنةِ من الأوَّلين والآخرين إِلّا النبيين والمرسلين». رواه الترمذي.

٦٠٦٠ ـ (٥) ورواه ابن ماجه عن علي [رضي الله عنه].

السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما(١). وفي رواية لابن عساكر عن أبي سعيد أن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما(٢).

٦٠٥٩ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة)** الكهول بضمتين جمع الكهل وهو على ما في القاموس من جاوز الثلاثين أو أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين، فاعتبر ما كانوا عليه في الدنيا حال هذا الحديث وإلا لم يكن في الجنة كهل كقوله تعالى: ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم**﴾ [النساء ـ ٢]. وقال شارح: يعني الكهول عند الدخول وهو معلول مدخول. وقيل: سيداً من مات كهلاً من المسلمين فدخل الجنة لأنه ليس فيها كهل بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين وإذا كانا سيدا الكهول فأولى أن يكونا سيدي شباب أهلها. اهـ. وفيه بحثان لا يخفيان. **(من الأولين)** أي من أولياء الأمم المتقدمين فيكونان أفضل من أصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون ومن الخضر أيضاً على القول بأنه ولي **(والآخرين)** أي من أولياء هذه الأمة وعلمائهم وشهدائهم **(إلا النبيين والمرسلين)** فخرج عيسى عليه السلام وكذا الخضر على القول بنبوّته. **(رواه الترمذي)** أي عن أنس.

٦٠٦٠ ـ **(ورواه ابن ماجه عن علي رضي الله عنه)** وفي الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن علي وابن ماجه عن أبي جحيفة وأبو يعلى والضياء في المختارة عن أنس، والطبراني في الأوسط عن جابر وعن أبي سعيد(٣). وفي الرياض عن علي قال: كنت مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر فقال رسول الله ﷺ: هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما. أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث غريب. وأخرجه عن أنس وقال: حسن غريب(٤). وأخرجه أحمد وقال: سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين(٥). وأخرجه المخلص الذهبي ولم يقل: شبابها وزاد قال علي: فما أخبرت به حتى ماتا ولو كانا حيين ما حدثت به. وقوله: ولا تخبرهما يا علي. ربما سبق إلى الوهم أنه عليه السلام خشي عليهما العجب والأمن وذلك وإن كان من طبع

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ٣٨. والترمذي في السنن ٥/ ٥٦٧ حديث رقم ٣٦٥٨ وابن ماجه ١/ ٣٧ حديث رقم ٩٦.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٢٣٢.

الحديث رقم ٦٠٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٠ حديث رقم ٣٦٦٤. وأحمد في المسند ١/ ٨٠.

الحديث رقم ٦٠٦٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٣٦ حديث رقم ٩٥.

(٣) الجامع الصغير ١/ ١١ حديث رقم ٦٨. (٤) الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٠ حديث رقم ٣٦٦٤.

(٥) أحمد في المسند ١/ ٨٠.

٦٠٦١ ـ (٦) وعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أدري ما بقائي فيكم؟ فاقتدوا باللّذَين من بعدي: أبي بكر وعمر». رواه الترمذي.

٦٠٦٢ ـ (٧) وعن أَنسٍ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخلَ المسجدَ لم يرفعْ أحد رأسه غيرَ أبي بكر وعمر، كانا يتبسَّمان إليه ويتبسم إليهما. رواه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ غريب.

البشرية إلا أن منزلتهما عنده ﷺ أعلى من ذلك وإنما معناه والله لا تخبرهما يا علي قبلي لأبشرهما بنفسي فيبلغهما السرور مني. وإنما قال: سيدا كهول أهل الجنة مع أن أهل الجنة شباب إشارة إلى كمال الحال فإن الكهل أكمل الإنسانية عقلاً من الشباب ومدارج الجنة على قدر العقول كما روي أنه ﷺ قال: لعلي يا علي إذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بأنواع العقل. أخرجه الخجندي. وعن الشعبي قال: آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر فأقبل أحدهما آخذاً بيد صاحبه فقال ﷺ: من سره أن ينظر إلى سيدي كهول أهل الجنة فلينظر إلى هذين المقبلين. رواه الغيلاني.

٦٠٦١ ـ **(وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لا أدري ما بقائي فيكم)** وفي رواية: إلا قليلاً. قال الطيبي: ما استفهامية، أي لا أدري كم مدة بقائي فيكم أقليل أم كثير، وفيه تعليق. **(فاقتدوا باللذين)** باللامين للإشعار بأنه تثنية الذي **(من بعدي أبي بكر وعمر)** بدل من اللذين. وفي رواية: وأشار إلى أبي بكر وعمر. **(رواه الترمذي)** وفي الجامع: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة[1]، وزاد الحافظ أبو نصر القصار: فإنهما حبل الله الممدود فمن تمسك بهما تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

٦٠٦٢ ـ **(وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد لم يرفع أحد)** أي من الصحابة **(رأسه)** أي رأس نفسه لهيبة مجلسه ورعاية الأدب حال انبساطه وأنسه. وأبعد شارح حيث قال: أي رأس النبي ﷺ لاشتغاله بذكر الله تعالى. **(غير أبي بكر وعمر)** بالرفع على البدلية من أحد، وفي نسخة بالنصب على الاستثناء. **(كانا يتبسمان إليه ويتبسم إليهما)** استئناف بيان والتبسم مجاز عن كمال الانبساط فيما بينهم **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وفي الرياض عن أنس أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فلا يرفع إليه أحد منهم بصره إلا أبا بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما. أخرجه أحمد والترمذي وقال: غريب. والمخلص الذهبي والحافظ الدمشقي وعن أبي هريرة قال: كنا نجلس عند النبي ﷺ كأن على رؤوسنا الطير ما يتكلم أحد منا إلا أبو بكر وعمر.

الحديث رقم ٦٠٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٠ حديث رقم ٣٦٦٣. وابن ماجه في السنن ١/ ٣٧ حديث رقم ٩٧. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٢.

(١) الجامع الصغير ١/ ٨٢ حديث رقم ١٣١٨.

الحديث رقم ٦٠٦٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧١ حديث رقم ٣٦٦٨.

٦٠٦٣ ـ (٨) وعن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ ذاتَ يوم ودَخَلَ المسجدَ وأبو بكر وعمر، أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما. فقال: «هكذا نُبعثُ يوم القيامة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٦٠٦٤ ـ (٩) وعن عبد الله بن حنطب، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السَّمعُ والبصرُ». رواه الترمذي مرسلاً.

٦٠٦٣ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج ذات يوم)** أي من الحجرة الشريفة **(ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله)** الظاهر أنه نوع لف ونشر مرتب فوض إلى رأي السامع لظهوره عنده **(وهو آخذ)** بصيغة اسم الفاعل **(بأيديهما)** [أي بيديهما] **(فقال: هكذا)** أي بالوصف المذكور من الاجتماع المسطور **(نبعث)** أي نخرج من القبور إلى موضع النشور **(يوم القيامة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٦٠٦٤ ـ **(وعن عبد الله بن حنطب)** بفتح الحاء والطاء المهملتين بينهما نون ساكنة، ومنهم من يروي بالظاء المعجمة ومنهم من يضمهما ذكره ابن الملك. وهو تابعي ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(أن النبي ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: هذان السمع والبصر)** أي نفسهما مبالغة كرجل عدل، أو هما في المسلمين أو في الدين كالسمع والبصر في الأعضاء، فحذف كاف التشبيه للمبالغة، ولذا يسمى تشبيهاً بليغاً[(١)]. أو هما في العزة عندي بمنزلتهما، ويؤيد هذا ما ذهب إليه بعضهم من أن المراد بالأسماع والأبصار في قوله ﷺ: اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا أبو بكر وعمر. قال القاضي: ويحتمل أنه ﷺ سماهما بذلك لشدة حرصهما على استماع الحق واتباعه وتهالكهما على النظر في الآيات المنبثة في الأنفس والآفاق والتأمل فيها والاعتبار بها. اهـ. وفيه دليل على فضل السمع على البصر كما يؤيده الآيات القرآنية من قوله [تعالى]: ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار**﴾ [النحل ـ ٧٨]. ونحوه في مواضع كثيرة بتقديم السمع على البصر، ولعل وجهه أن حصول العلم بدون البصر يتصوّر بخلاف فقد السمع مع أنه يستلزم الصمم البكم والله أعلم. **(رواه الترمذي مرسلاً)** قال شارح: وهذا الحديث مرسل لأن عبد الله الراوي [هذا] لم ير النبي ﷺ. زاد ميرك: وقد يقال له صحبة. قلت: وقد يقال له رؤية لكن ليس له رواية. لكن قال السيوطي في الجامع الصغير: أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس. رواه أبو يعلى في مسنده عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جده مرفوعاً. قال ابن عبد البر: وماله غيره. ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس مرفوعاً[(٢)] والخطيب عن جابر مرفوعاً. وروى الملأ في سيرته عن ابن مسعود وأبي ذر قالا: قال رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر في أمتي مثل الشمس والقمر في النجوم.

الحديث رقم ٦٠٦٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٢ حديث رقم ٣٦٦٩. وابن ماجه ١/ ٣٨ حديث ٩٩.
الحديث رقم ٦٠٦٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٧٢ حديث رقم ٣٦٧١.

(١) في المخطوطة «تشبيه بليغ». (٢) الجامع الصغير ١/ ١١ حديث رقم ٦٩.

٦٠٦٥ ـ (١٠) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبيّ إلاّ وله وزيرانِ من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهلِ السماءِ فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعمر». رواه الترمذي.

٦٠٦٥ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض) الوزير المؤازر لأنه يحمل الوزر أي الثقل عن أميره، والمعنى أنه إذا أصابه أمر شاورهما كما أن الملك إذا حزبه أمر مشكل شاور وزيره ومنه قوله تعالى: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هٰرون أخي أشدد به أزري﴾ [طه ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١]. أي عضدي ليحصل به نصري. ﴿وأشركه في أمري﴾ [طه ـ ٣٢]، أي في تدبير أمري ﴿كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾ [طه ـ ٣٣ ـ ٣٤]. فإن الهيئة الاجتماعية لها بركة كثيرة في العبادات الإلهية. (فأما وزير أي من أهل السماء فجبريل وميكائيل) فيه دلالة ظاهرة على فضله صلوات الله [وسلامه] عليه على جبريل وميكائيل عليهما السلام، كما أن فيه إيماء إلى تفضيل جبريل على ميكائيل. (وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر) فيه دلالة ظاهرة على فضلهما على غيرهما من الصحابة وهم أفضل الأمة وعلى أن أبا بكر أفضل من عمر لأن الواو وإن كان لمطلق الجمع ولكن ترتبه في لفظ الحكيم لا بد له من أثر عظيم. (رواه الترمذي وقال: حسن غريب.) ورواه الحاكم عن أبي سعيد والحكيم عن أبي هريرة بلفظ: إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فوزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر(١). وروى ابن عساكر عن أبي ذر ولفظه: أن لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر(٢). وأخرج الحافظ أبو الحسن علي بن نعيم البصري عن أنس بن مالك قال: دخلت على رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره قال: فمد يده المباركة بين كتفي أبي بكر [ومد يساره بين كتفي عمر] (٣) ثم قال لهما: أنتما وزيراي في الدنيا وأنتما وزيراي في الآخرة هكذا تنشق الأرض عني وعنكما وهكذا أزور وأنتما رب العالمين. وعن الحسن البصري قال: مكتوب على ساق العرش أو في ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله وزيراه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق. أخرجه صاحب الديباج، وعن عبد العزيز بن عبد المطلب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزَّ وجلَّ أيدني من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبي بكر وعمر. أخرجه السمرقندي.

الحديث رقم ٦٠٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٧٦ حديث رقم ٣٦٨٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٤.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤٧ حديث رقم ٢٤٣٦.

(٣) في المخطوطة مكان المعكوفتين «وعمر».

٦٠٦٦ - (١١) وعن أبي بكرة، أنَّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ: رأيتُ كأنَّ ميزاناً نَزَلَ مِنَ السماءِ، فوُزِنتَ أنت وأبو بكر، فرجحتَ أنتَ؛ ووزِن أبو بكرٍ وعمرُ فرجح أبو بكرٍ، ووزن عمرُ وعثمانُ، فرجح عمر؛ ثم رُفِعَ الميزانُ». فاستاءَ لها رسولُ الله ﷺ، يعني فساءَهُ ذلك. فقال: «خلافةُ نبوَّةٍ، ثم يؤتي اللَّهُ المُلْكَ مَنْ يشاء». رواه الترمذي، وأبو داود.

٦٠٦٦ - (**وعن أبي بكرة**) أي الثقفي (**أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: رأيت كأن**) بتشديد النون (**ميزاناً نزل من السماء فوزنت**) بصيغة المجهول المخاطب (**أنت**) ضمير فصل وتأكيد لتصحيح العطف (**وأبو بكر فرجحت**) بفتح الجيم وسكون الحاء، أي ثقلت وغلبت. (**أنت**) للتأكيد المجرد (**ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان**) وفيه إيماء إلى وجه ما اختلف في تفضيل علي وعثمان (**فاستاء**) بهمز وصل وسكون سين فتاء فألف فهمز أي فحزن (**لها**) أي للرؤيا (**رسول الله ﷺ، يعني**) هذا قول الراوي (**فساءه**) أي فأحزن النبي ﷺ (**ذلك**) أي ما ذكره الرجل من رؤياه وذلك لما علم ﷺ من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الأمور وظهور الفتن بعد خلافة عمر، ومعنى رجحان كل من الآخر في الميزان أن الراجح أفضل من المرجوح. وإنما لم يوزن عثمان وعلي لأن خلافة علي على اختلاف الصحابة فرقة معه وفرقة مع معاوية فلا تكون خلافة مستقرة متفقاً عليها ذكره ابن الملك. وفي النهاية: استاء بوزن افتعل من السوء وهو مطاوع ساء. يقال: استاء فلان بكذا، أي ساءه ذلك. ويروى فاستاء لها أي طلب تأويلها بالنظر والتأمل. قال التوربشتي: إنما ساءه والله أعلم من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه من تأويل رفع الميزان فإن فيه احتمالاً لانحطاط رتبة الأمر في زمان القائم به بعد عمر رضي الله عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتأييد، ويحتمل أن يكون المراد من الوزن موازنة أيامهم لما كان نظر فيها من رونق الإِسلام وبهجته ثم إن الموازنة إنما تراعى في الأشياء المتقاربة مع مناسبة ما فيظهر الرجحان، فإذا تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان. (**فقال:**) أي النبي ﷺ (**خلافة نبوّة**) بالإِضافة ورفع خلافة على الخبر أي الذي رأيته خلافة نبوّة. [وقيل التقدير: هذه خلافة. (**ثم يؤتي الله الملك من يشاء**) وقيل: أي انقضت خلافة النبوّة]. يعني هذه الرؤيا دالة على أن الخلافة بالحق تنقضي وتنتهي حقيقتها بانقضاء [خلافة] عمر رضي الله عنه. وقال الطيبي [رحمه الله]: دل إضافة الخلافة إلى النبوّة على أن لا ثبوت فيها من طلب الملك والمنازعة فيه لأحد وكانت خلافة الشيخين على هذا، وكون المرجوحية انتهت إلى عثمان رضي الله عنه دل على حصول المنازعة فيها وأن الخلافة في زمن عثمان وعلي مشوبة بالملك فأما بعدهما فكانت ملكاً عضوضاً. (**رواه الترمذي**) وأبو داود، وأخرجه أحمد في مسنده عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات غدوة بعد طلوع الشمس فقال: رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين فأما المقاليد فهي المفاتيح وأما

الحديث رقم ٦٠٦٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٩ حديث رقم ٤٦٣٤. والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٢٨٧. وأحمد في المسند ٥/ ٥٠.

الفصل الثالث

٦٠٦٧ ـ (١٢) عن ابن مسعود، أنَّ النبي ﷺ قال: «يطَّلع عليكم رجلٌ من أهلِ الجنةِ». فاَطلع أبو بكر، ثم قال: «يطَّلع عليكم رجل من أهل الجنة». فاَطلع عمر. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

الموازين فهذه التي يوزن بها ووضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت، ثم جيء بأبي بكر فوزن بهم فرجح، ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح، ثم يجي بعثمان فوزن بهم فرجح، ثم رفعت. قلت: ولعل في راجحية كل أحد منهم بجميع الأمة إيماء إلى اتفاق جميع الأمة على خلافته وكأنه قعد بهم وناء بحملهم، وفي رفع الميزان إشارة إلى الاختلاف الواقع بعد ذلك. ولا تنافي بين هذا الحديث وبين حديث أخرجه أحمد أيضاً أنه ﷺ قال: رأيت الليلة في المنام كأن ثلاثة من أصحابي وزنوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح[١]. اهـ. بل نحملهما على معنيين مختلفين جمعاً بين الحديثين بقدر الإمكان فإن ذلك أولى من إلغاء أحدهما فيحمل قوله السابق: فرجح أبو بكر على ما تقدم من الاتفاق على خلافته، ويحمل قوله: فوزن على موافقة رأيهم وأن رأيه وازن آراءهم فجاء موزوناً معتدلاً معها لم يخالفوه في رأي رآه. ومن أحاديث الباب ما أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين[٢]. ومما يناسبه ما روي عن مالك بن أنس وقد سأله الرشيد كيف كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله ﷺ في حياته قال: كقرب قبريهما من قبره بعد وفاته. قال: شفيتني يا مالك. أخرجه البصري والحافظ السلفي. ونحوه أخرجه ابن السمعاني في الموافقة عن علي بن الحسين. ومما يناسبه أيضاً ما أخرجه القلعي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ استلف من يهودي[٣] شيئاً إلى الحول فقال: أرأيت إن جئت ولم أجدك فإلى من أذهب قال: إلى أبي بكر. قال: فإن لم أجده. قال: إلى عمر. قال: إن لم أجده. قال: إن استطعت أن تموت إذا مات عمر فمت. ومن أحاديث الباب ما أخرجه أحمد والترمذي وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة مرفوعاً: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء، والحاكم من حديث ابن مسعود[٤].

(الفصل الثالث)

٦٠٦٧ ـ **(عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يطلع)** بتشديد الطاء أي يشرف أو يظهر أو يدخل **(عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع أبو بكر، ثم قال: يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع عمر. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

---

(١) أحمد في المسند ٥/ ٣٧٦.
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) في المخطوطة «مُعرّفة».
(٤) الترمذي في السنن حديث رقم ٣٦٦٢.

الحديث رقم ٦٠٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٤.

٦٠٦٨ ـ (١٣) وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: بينا رأسُ رسولِ اللّهِ ﷺ في حِجري في ليلة ضاحيةٍ إذْ قُلْتُ: يا رسول الله! هل يكون لأحدٍ من الحسنات عدد نجوم السماءِ؟ قال: «نعم، عمر». قلت: فأين حسناتُ أبي بكر؟ قال: «إِنما جميع حسنات عمر كحسنة واحدةٍ من حسنات أبي بكر». رواه رزين.

(٦) باب مناقب عثمان رضي الله عنه

الفصل الأول

٦٠٦٩ ـ (١) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسولُ الله ﷺ مضطجعاً في بيته، كاشفاً عن فَخِذَيه ـ أو ساقيه ـ

٦٠٦٨ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: بينا رأس رسول الله ﷺ في حجري)** بفتح الحاء وكسرها **(في ليلة ضاحية)** أي مقمرة **(إذ قلت: يا رسول الله هل يكون لأحد من الحسنات عدد نجوم السماء قال: نعم عمر. قلت: فأين حسنات أبي بكر. قال: إنما جميع حسنات عمر كحسنة واحدة من حسنات أبي بكر.)** ولعله لسبقه إلى الإِسلام . الله [تعالى] أعلم بالمرام **(رواه رزين)** وإن اتفق خلاف ذلك في بادىء النظر رجعوا[1] إليه في ثانيه مستصوبين رأيه معترفين بأن الحق كان معه كما في قتال أهل الردة ونحو ذلك. وهذا المعنى فقد في عثمان فإنهم خالفوا رأيه في كثير من وقائعه ولم يرجعوا إليه بل أصروا إلى إنكارهم عليه حتى قتل، وكان مع ذلك على الحق على ما شهدت به الأحاديث وكان رجلاً صالحاً على ما دل عليه هذا الحديث، فالنقص إنما كان عما نبت للشيخين قبله. كذا حققه الطبري في الرياض النضرة في فضائل العشرة.

(باب مناقب عثمان رضي الله عنه)

(الفصل الأوّل)

٦٠٦٩ ـ **(عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه)** قال النووي [رحمه الله]: احتج به المالكية وغيرهم ممن يقول ليست الفخذ عورة، ولا حجة فيه لأنه شك الراوي في المكشوف هل هما الساقان أم الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز

الحديث رقم ٦٠٦٨: رواه رزين.

(١) في المخطوطة «راجعوا».

الحديث رقم ٦٠٦٩: أخرجه مسلم في صحيحه ١٨٦٦/٤ حديث رقم (٢٧ . ٢٤٠٢). وأحمد في المسند ٧١/١.

فاستأذن أبو بكرٍ، فأذِنَ له وهو على تلك الحال، فتحدَّثَ، ثم اَستأذن عُمرُ، فأذِن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذنَ عثمانُ فَجَلَسَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وسوَّى ثيابَه، فلما خرج قالت عائشة: دَخَلَ أبو بكرٍ فلم تهتش له ولم تُبَالِهِ، ثم دخل عمرُ فلم تهتشَّ له ولم تُبالِهِ، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك فقال: «أَلَا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكةُ؟».

كشف الفخذ. قلت: ويجوز أن يكون المراد بكشف الفخذ كشفه عما عليه من القميص لا من المئزر كما سيأتي ما يشعر إليه من كلام عائشة، وهو الظاهر من أحواله ﷺ مع آله وصحبه. **(فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ)** أي بعد ما كان مضطجعاً **(وسوى ثيابه)** أي بعد عدم تسويته. وفيه إيماء إلى أنه لم يكن كاشفاً عن نفس أحد العضوين بل عن الثياب الموضوعة عليهما، ولذا لم تقل: وستر فخذه. فارتفع به الإشكال واندفع به الاستدلال والله [تعالى] أعلم بالأحوال. **(فلما خرج)** أي عثمان ومن معه، أو تقديره: فلما خرج القوم. **(قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له)** بتشديد الشين، أي لم تتحرك لأجله. وفي شرح مسلم الهشاشة البشاشة وطلاقة الوجه وحسن الالتقاء. **(ولم تباله)** أي أبا بكر، وفي نسخة بهاء السكت. ففي القاموس: ما أباليه مبالاة، أي ما أكترث. والمعنى ثبت على اضطجاعك وعدم جمع ثيابك **(ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك فقال: ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة.)** باليائين في الفعلين وهي اللغة الفصحى. قال النووي: فيه فضيلة[1] ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وأن الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة. قال[2] المظهر: وفيه دليل على توقير عثمان رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ، ولكن لا يدل على حط منصب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عنده ﷺ وقلة الالتفات إليهما، لأن قاعدة المحبة إذا كملت واشتدت ارتفع التكلف كما قيل: إذا حصلت الألفة بطلت الكلفة. قلت: فانقلب الحديث دلالة على فضلهما إلا أنه لما كان الظاهر المتبادر منه تعظيمه وتوقيره ذكر في باب مناقبه. وأغرب ابن الملك حيث جزم أن المراد بالاستحياء التوقير وسيأتي في الرواية الآتية ما يدل على أن المراد به حقيقة الاستحياء. وذلك لأن مقتضى حسن المعاملة والمجاملة في المعاشرة هو المشاكلة والمقابلة بالنسبة إلى كل أحد من غلبة الصفة والحالة التي تكون فيه، ألا ترى أن من يراعي صاحبه بكثرة التواضع يقتضي له زيادة التواضع معه، وكذا إذا كان كثير الانبساط يوجب الانبساط وإذا كان كثير الأدب يحمل صاحبه على تكلف الأدب معه وعلى هذا القياس سائر الأحوال من السكوت والكلام والضحك والقيام وأمثال ذلك. [هذا] وقد قال الحافظ السخاوي في فتاويه: سئلت عن الموطن الذي استحت فيه الملائكة من سيدنا عثمان رضي الله عنه

---

(١) في المخطوطة «دلالة».
(٢) في المخطوطة «على».

وفي روايةٍ قال: إن عثمانَ رجلٌ حييٌّ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحالة أن لا يبلغ إليّ في حاجته». رواه مسلم.

فأجبت: لم أقف عليه في حديث يعتمد ولكن أفاد شيخنا البدر النسابة في بعض مجاميعه عن الجمال الكازروني أنه لما آخى بين المهاجرين والأنصار بالمدينة في غيبة أنس بن مالك وتقدم عثمان لذلك كان صدره مكشوفاً فتأخرت الملائكة حياء، فأمره النبي ﷺ بتغطية صدره فعادوا إلى مكانهم. فسألهم النبي ﷺ عن سبب تأخرهم فقالوا: حياء من عثمان. اهـ. فهذا يدل على أن الحياء يوجب الحياء وأن حياء الملائكة صار سبباً لحياء عثمان وكأنه استمر عليه وبالغ فيه حتى صار سبباً لاستحياء غيره منه والله أعلم. وعن الحسن: وذكر عثمان وشدة[1] حيائه فقال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه منلق ثم يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه. كما أخرجه أحمد وصاحب الصفوة[2]. **(وفي رواية قال:)** قال ميرك: ظاهر إيراد المصنف يقتضي أن الرواية الثانية مع[3] التي قبلها في حديث واحد وإنما هما حديثان فالمتقدم من حديث عائشة والرواية الثانية من حديث سعيد[4] بن العاص أن عثمان وعائشة حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف. قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعي على ثيابك يعني المرط. قال: فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت. فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان فقال: **(إن عثمان رجل حيي)** فعيل بمعنى كثير الحياء **(وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ إليّ في حاجته)** أي إن أذنت له في تلك الحالة أخاف أن يرجع حياء مني عندما يراني على تلك الهيئة ولا يعرض عليّ حاجته لغلبة أدبه وكثرة حيائه. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد وأبو حاتم. وروى أحمد عن حفصة قالت: دخل علي رسول الله ﷺ فوضع ثوبه بين فخذيه فجاء أبو بكر يستأذن فأذن له وهو على هيئته ثم جاء عمر يستأذن فأذن له وهو على هيئته، ثم جاء عثمان يستأذن فتجلل ثوبه ثم أذن له فتحدثوا ساعة ثم خرجوا. قلت: يا رسول الله دخل أبو بكر وعمر وعلي وناس من أصحابك وأنت على هيئتك لم تتحرك فلما دخل عثمان تجللت ثوبك. قال: ألا أستحي ممن يستحي منه الملائكة[5]. وخرجه رزين مختصراً، وقال البخاري: قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد. وجاء في رواية: أن النبي ﷺ قال: عثمان رجل ذو حياء فسألت ربي أن لا يقف للحساب فشفعني فيه. وفي رواية: إني سألت عثمان حاجة سراً فقضاها سراً فسألت الله

(١) في المخطوطة «شديد».
(٢) أحمد في المسند ١/ ٧٣.
(٣) في المخطوطة «من».
(٤) في المخطوطة «سعد».
(٥) أحمد في المسند ٦/ ٢٨٨.

الفصل الثاني

٦٠٧٠ ـ (٢) عن طلحةَ بنِ عبيدِ الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلّ نبيّ رفيق، ورفيقي ـ يعني في الجنة ـ عثمان». رواه الترمذي.

٦٠٧١ ـ (٣) ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة.

وقال الترمذي هذا حديثٌ غريب، وليس إسناده بالقويّ، وهو منقطع.

أن لا يحاسب عثمان. وفي رواية: فسألت الله أن يحاسبه سراً. وهذه من خصائصه إذ ورد في سياق: أوّل من يحاسب أبو بكر ثم عمر ثم علي. وقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعاً: أشد أمتي حياء ابن عفان[1]. وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً: عثمان حيي تستحيي[2] منه الملائكة[3]. وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر مرفوعاً: عثمان أحيى أمتي وأكرمها[4]. وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة مرفوعاً: أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان[5]. وأخرج أبو يعلى عن عائشة مرفوعاً قال: إن عثمان حين يسير تستحيي منه الملائكة.

(الفصل الثاني)

٦٠٧٠ ـ **(عن طلحة بن عبيد الله)** وهو أحد العشرة المبشرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: لكل نبي رفيق)** أي خاص **(ورفيقي، يعني في الجنة، عثمان)** خبر للمبتدأ والجملة معترضة بينهما من كلام طلحة أو غيره تفسيراً وبياناً لمكان الرفاقة. والأظهر أنه في كلامه ﷺ على سبيل الإطلاق الشامل للدنيا والعقبى جزاء وفاقاً. ثم هو لا ينافي كون غيره أيضاً رفيقاً له ﷺ، كما ورد عن ابن مسعود في رواية الطبراني ولفظه: إن لكل نبي خاصة من أصحابه وإن خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر[6]. نعم يستفاد منه أن لكل نبي رفيقاً وأنه له رفقاء ولا منع من ذلك في مقام الجمع، ومع هذا في تخصيص ذكره إشعار بعظيم منزلته ورفع قدره. **(رواه الترمذي)** أي عن طلحة.

٦٠٧١ ـ **(ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة قال:)** وفي نسخة: وقال. **(الترمذي: هذا حديث غريب)** والغرابة لا تنافي الصحة ولذا قال: **(وليس إسناده بالقوي وهو)** أي الحديث أو إسناده **(منقطع)** وهو أن يكون الساقط من الرواة اثنين متواليين، أو سقط واحد فقط أو أكثر من

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٥٦.　　(٢) في المخطوطة «يستحي».

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٣٣ حديث رقم ٥٣٨٠.

(٤) أخرجه الأصفهاني في حلية الأولياء ١/ ٥٦.

الحديث رقم ٦٠٧٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٣ حديث رقم ٣٨٩٨. وأحمد في المسند ١/ ٧٤.

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤٧ حديث رقم ٢٤٣٣.

الحديث رقم ٦٠٧١: أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٤٠ حديث رقم ١٠٩.

٦٠٧٢ ـ (٤) وعن عبد الرحمن بن خبَّاب، قال: شهدتُ النبيَّ ﷺ وهو يحثُّ على جيش العُسْرة، فقام عثمان، فقال: يا رسول الله! عَلَيَّ مائةُ بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان، فقال: عليَّ مائتا بعيرٍ

اثنين لكن بشرط عدم التوالي فيتحصل منه أن الحديث ضعيف، لكنه يعتبر قوياً في الفضائل. ويؤيده ما رواه ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً: لكل نبي خليل في أمته وإن خليلي عثمان بن عفان. وأورد السيوطي حديث الأصل في الجامع بلفظ: لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان[(١)]. رواه الترمذي عن طلحة، وابن ماجه عن أبي هريرة. وفي الرياض عن زيد بن أسلم قال: شهدت عثمان يوم حوصر ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل على الناس فقال لطلحة: أنشدك الله أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك قال: نعم. قال: فقال لك رسول الله: يا طلحة إنه ليس من نبي إلاّ ومعه من أصحابه رفيق في الجنة وإن عثمان رفيقي في الجنة يعنيني. قال طلحة: اللهم نعم. ثم انصرف. أخرجه أحمد، وأخرجه الترمذي مختصراً عن طلحة بن عبيد الله ولفظه: لكل نبي رفيق ورفيقي عثمان. ولم يقل في الجنة[(٢)].

٦٠٧٢ ـ **(وعن عبد الرحمٰن بن خباب)** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى، ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(قال: شهدت النبي ﷺ)** أي حضرته[(٣)] **(وهو يحث)** بضم حاء وتشديد مثلثة، أي يحرض. **(الناس على جيش العسرة)** أي على ترتيب غزوة تبوك. وسميت جيش العسرة لأنها كانت في زمان اشتداد الحر والقحط وقلة الزاد والماء والمركب بحيث تعسر عليهم الخروج من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، لما كانت المناهضة إلى عدو جم العدد شديد البأس بالنسبة إلى المسلمين مع كثرتهم حينئذ، فإنه قيل على ما ذكره شارح كان مع النبي ﷺ يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ويوم أحد سبعمائة ويوم الحديبية ألف وخمسمائة ويوم الفتح عشرة آلاف، ويوم حنين اثنا عشر ألفاً وهم آخر مغازيه. **(فقام عثمان)** أي بعد[(٤)] حثه عليه السلام **(فقال: يا رسول الله علي)** أي نذر علي **(مائة بعير بأحلاسها)** أي مع جلالها **(وأقتابها)** أي رحالها. قال التوربشتي وغيره: الأحلاس جمع حلس بالكسر وسكون اللام وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة، والأقتاب جمع قتب بفتحتين وهو رحل صغير على قدر سنام البعير وهو للجمل كالأكاف لغيره، يريد [علي] هذه الإبل بجميع أسبابها وأدواتها. **(في سبيل الله)** أي في طريق رضاه **(ثم حض)** بتشديد المعجمة، أي حث وحرض. **(على الجيش)** أي في ذلك المقام أو في غيره من الزمان **(فقام عثمان فقال: علي مائتا بعير)** أي غير تلك المائة لا بانضمامها كما

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٠ حديث رقم ٧٣٣١.
(٢) أحمد في المسند ١/ ٧٤ والترمذي ٥/ ٥٨٣ حديث رقم ٣٨٩٨.
الحديث رقم ٦٠٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٤ حديث رقم ٣٧٠٠. وأحمد في المسند ٤/ ٧٥.
(٣) في المخطوطة «حضرت». (٤) في المخطوطة «يوم».

بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ، فقام عثمان، فقال: عليَّ ثلاثمائة بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها في سبيل الله، فأنا رأيتُ رسولَ الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمانَ ما عمِل بعد هذه، ما على عثمانَ ما عمِل بعد هذه». رواه الترمذي.

٦٠٧٣ ـ (٥) وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألفِ دينارٍ في كُمّه حين جهَّز جيش العسرة، فنثرها في

يتوهم والله أعلم. **(بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض)** أي ثالثاً، وفي رواية: ثم حض على الجيش **(فقام عثمان فقال: علي ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله)** فالتزم عثمان رضي الله عنه في كل مرتبة بحكم رتبة المقام. ففي المقام الأوّل ضمن مائة واحدة وفي الثاني مائتين وفي الثالث ثلثمائة، فالمجموع ستمائة. وسيأتي له من الزيادة. **(قال طلحة: فأنا)** أي بنفسي من غير أن أسمع من غيري **(رأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان)** ما هذه نافية بمعنى ليس [وفي قوله]: **(ما عمل بعد هذه)** موصولة اسم ليس، أي ليس عليه. ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة. والمعنى أنها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيئاته الآتية. كما ورد في ثواب صلاة الجماعة. وفيه إشارة إلى بشارة له بحسن الخاتمة. وقال شارح: ما فيه إما موصولة، أي ما بأس عليه الذي عمله من الذنوب بعد هذه العطايا في سبيل الله، أو مصدرية أي ما على عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا لأن تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل. قال المظهر: أي ما عليه أن لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لأن تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل. اهـ. وهو حاصل المعنى وإلا فلا يطابق المبنى. **(ما على عثمان ما عمل بعد هذه)** كررة تأكيداً لما قرره. قال الطيبي: ونحوه قوله ﷺ في حديث حاطب بن أبي بلتعة: لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]. اهـ. ولا يخفى ما بينهما من الفرق عند ذوي النهي، إذ الأوّل مجزوم به قطعاً والثاني مبني على الرجاء. **(رواه الترمذي)** وكذا رواه أحمد. وقال في آخره قال: فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها، وأخرج عبد الصمد: يحرك يده كالمتعجب: ما على عثمان ما عمل بعدها. وقال أبو عمر: وجهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً وأتم للألف بخمسين فرساً. وعن ابن شهاب الزهري قال: حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعمائة وأربعين بعيراً وستين فرساً أتم الألف بها أخرجه القزويني والحاكمي.

٦٠٧٣ ـ **(وعن عبد الرحمٰن بن سمرة)** أي القرشي أسلم يوم الفتح وصحب النبي ﷺ وروى عنه ابن عباس والحسن وخلق سواهما. **(قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كمه حين جهز)** بتشديد الهاء، أي حين رتب وعاون. **(جيش العسرة فنثرها)** أي كبها **(في**

---

(١) متفق عليه. راجع الحديث رقم (٦٢٢٥).

الحديث رقم ٦٠٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٥ حديث رقم ٣٧٠١. وأحمد في المسند ٥/ ٦٣.

حِجره، فرأيتُ النبي ﷺ يقتِبها في حجره ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم» مرَّتين. رواه أحمد.

٦٠٧٤ ـ (٦) وعن أنسٍ، قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعةِ الرضوان كان عثمانُ [رضي الله عنه] رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى مكة، فبايَعَ الناس،

حجره) بكسر الحاء وفتحه، أي ثوبه أو حضنه ﷺ. **(فرأيت النبي ﷺ يقلبها)** أي الدنانير **(بيده في حجره ويقول: ما ضر عثمان ما عمل)** فاعل ضر. والمعنى لم يضر عثمان الذي عمل أي من الذنوب سابقاً ولاحقاً. **(بعد اليوم)** أي بعد عمله اليوم **(مرتين)** ظرف. يقول: ولعل التكرار فيه وفيما قبله للإشعار بعدم ضرره ودوام نفعه في الدارين، والمراد بالتثنية التكرير والتكثير. ويؤيده أنه في رواية أحمد: ويرددها مراراً. هذا وقال السيد جمال الدين في كمية رجال جيش العسرة روايتان إحداهما أنها سبعون ألف رجل والأخرى أنها عشرون ألفاً، وعلى اختلاف الروايتين جهز عثمان رضي الله عنه ثلث جيش العسرة فعلى هذا [لا] يكون الألف دينار الذي جاء به عثمان إلى رسول الله ﷺ في كمه ثمن ثلاثمائة بعير والله أعلم. اهـ. وفي الرياض عن عبد الرحمٰن بن عوف قال: شهدت رسول الله ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بتسعمائة أوقية من ذهب. أخرجه الحافظ السلفي. وهذه الاختلافات في الروايات قد توهم التضاد بينهن، والجمع ممكن بأن يكون عثمان دفع ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها على ما تضمنه الحديث السابق ثم جاء بالألف لأجل المؤن التي لا بد للمسافر منها، ثم لما اطلع على أن ذلك لا يكفي زاد في الإبل وأردف بالخيل تتميماً للألف، ثم لما لم يكتف بذلك تمم الألف أبعرة وزاد عشرين فرساً على تلك الخمسين وبعث بعشرة آلاف دينار للمؤن. وفي رواية أخرجها الدارقطني عن عثمان: أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم فقال: من يجهز هؤلاء غفر الله له. يعني جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالاً ولا خطاماً. **(رواه أحمد)** وأخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، وعن حذيفة قال: بعث النبي ﷺ إلى عثمان في جيش العسرة فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصب بين يديه فجعل النبي ﷺ يقول بيده ويقلبها ظهراً لبطن ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها. أخرجه الملا في سيرته والفضائلي.

٦٠٧٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان)** وهي البيعة التي كانت تحت الشجرة عام الحديبية، سميت بها لأنه نزل في أهلها: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** [الفتح ـ ١٨]. **(كان عثمان [رضي الله عنه] رسول رسول الله ﷺ [إلى مكة]**) أي رسولاً منه إليهم مرسلاً من الحديبية إلى مكة. وفي رواية: إلى أهل مكة، أي لتبليغ بعض الأحكام فشاع أنهم قتلوه. **(فبايع)** أي رسول الله ﷺ **(الناس)** أي بيعاً خاصاً على

الحديث رقم ٦٠٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٥ حديث رقم ٣٧٠٢.

فقال رسول الله ﷺ: «إِن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله» فضرب بإِحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ الله ﷺ لعثمانَ خيراً من أيديهم لأنفسهم. رواه الترمذي.

٦٠٧٥ - (٧) وعن ثُمامة بن حَزْنٍ القشيري، قال: شهدتُ الدار حينَ أشرفَ عليهم عثمان فقال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قَدِمَ المدينةَ وليس بها ماءٌ يُستعذَب غيرُ رُومة؟ فقال: «من يشتري بئرَ رُومةَ يجعلُ دلوه مع دلاءِ المسلمين

الموت (فبايعوه. فقال رسول الله ﷺ: إن عثمان في حاجة الله) أي نصرة دينه حيث احتاج خلقه إليه، ونظيره قوله سبحانه: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ [البقرة - ٩]. حيث نزل ذاته العزيزة شريكاً للمؤمنين تشريفاً وتعظيماً، أو يقدر مضاف ويقال: في حاجة خلقه. (وحاجة رسوله) أي تخصيصاً، أو ذكر الله للتزيين زيادة للكلام من التحسين. وقال الطيبي: هو من باب قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ [الأحزاب - ٥٧]. في أن رسول الله ﷺ بمنزلة عند الله ومكانة وأن حاجته حاجته، تعالى الله عن الاحتياج علواً كبيراً. اهـ. ولا يخفى أن ظاهر معنى الآيتين أن الذين يخالفونهما كما حقق في حديث: يؤذيني ابن آدم[١] والله أعلم. (فضرب بإحدى يديه على الأخرى) أي في البيعة عن جهة عثمان على فرض أنه حي في المكان والزمان، والمعنى أنه جعل إحدى يديه نائبة عن يد عثمان فقل هي اليسرى، وقيل هي اليمنى وهو الصحيح لما سيأتي بيانه بالتصريح. (فكانت يد رسول الله ﷺ خيراً) وفي رواية: لعثمان. أي له كما في رواية: (من أيديهم) أي من أيدي بقية الصحابة (لأنفسهم) فغيبته ليست بمنقصة بل سبب منقبة (رواه الترمذي وقال: [حسن] صحيح غريب).

٦٠٧٥ - (وعن ثمامة) بضم المثلثة (ابن حزن) بفتح جاء مهملة وسكون زاي فنون. (القشيري) بالتصغير يعد في الطبقة الثانية من التابعين رأى عمر وابنه عبد الله وأبا الدرداء وسمع عائشة، وروى عنه الأسود بن شيبان البصري. (قال: شهدت الدار) أي حضرت دار عثمان التي حاصروه فيها، وتفصيل قضيتها مذكور في الرياض وغيره. (حين أشرف عليهم عثمان) أي اطلع على الذين قصدوا قتله (فقال: أنشدكم الله والإِسلام) بضم الشين ونصب الاسمين، أي أسألكم بالله والإِسلام، أي بحقهما. (هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب) أي يعد عذباً أي حلواً (غير بئر رومة) برفع غير وجوز نصبه. والبئر مهموزة ويبدل، ورومة بضم الراء وسكون الواو فميم اسم بئر في العقيق الأصغر اشتراها عثمان رضي الله عنه بمائة ألف درهم وفي المدينة عقيقان، سميا بذلك لأنهما عقا عن حرة المدينة أي قطعاً. (فقال:) أي النبي ﷺ (من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين) بكسر الدال جمع دلو وهو كناية عن الوقف العام. وفيه دليل على جواز وقف السقايات وعلى خروج الموقوف

---

(١) راجع الحديث رقم (٢٢).

الحديث رقم ٦٠٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٥ حديث رقم ٣٧٠٣. والنسائي في السنن ٥/ ٢٣٥ حديث رقم ٣٦٠٨. والدارقطني ٤/ ١٩٦ حديث رقم ٢ من باب وقف المساجد والسقايات.

بخيرٍ لَهُ منها في الجنة؟». فاشتريتها من صلب مالي، وأنتم اليوم تمنعونني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟! فقالوا: اللهمَّ نعم. فقال: أنشدكم اللَّهَ والإِسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاقَ بأهله فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعةَ آل فلانٍ فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟». فاشتريتها من صلب مالي،

عن ملك الواقف حيث جعله مع غيره سواء ذكره ابن الملك. وجملة يجعل[١] مفعول له أو حال، أي إرادة أن يجعل أو قاصداً أن يجعل دلوه مساوياً أو مصاحباً مع دلائهم في الاستقاء ولا يخصها من بينهم بالملكية. فقوله: مع دلاء المسلمين. هو المفعول الثاني لجعل، أي يجعل دلوه. روي عن عثمان أنه قال: إن المهاجرين قدموا المدينة واستنكروا ماءها وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع القربة منها بمد. فقال ﷺ: هل تبيعها بعين في الجنة. قال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي سواها فلا أستطيع ذلك. فقال: من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين. **(بخير)** متعلق يشتري والباء للبدل. قال الطيبي: وليست مثلها في قولهم: اشتريت هذا بدرهم، ولا في قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى**﴾ [البقرة - ١٦]. فالمعنى: من يشتريها بثمن معلوم ثم يبدلها بخير منها، أي بأفضل وأكمل أو بخير حاصل. **(له)** أي لأجله **(منها)** أي من تلك البئر أو من جهتها **(في الجنة واشتريتها من صلب مالي)** بضم الصاد أي من أصله أو خالصه ني الرياض. قال: فبلغ ذلك عثمان[٢] فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ وقال: اجعل لي مثل الذي جعلته له عيناً في الجنة. قال: نعم. قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين. أخرجه الفضائلي **(وأنتم اليوم تمنعونني أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر)** أي مما فيه ملوحة كماء البحر، والإِضافة فيه للبيان أي ما يشبه البحر. **(فقالوا: اللهم نعم)** قال المطرزي: قد يؤتى باللهم ما قبل، إلا إذا كان المستثنى عزيزاً نادراً، وكان قصدهم بذلك الاستظهار بمشيئة الله تعالى في اثبات كونه ووجوده إيماء [إلى أنه] بلغ من الندور حد الشذوذ وقبل كلمتي الجحد والتصديق في جواب المستفهم كقوله: اللهم لا ونعم. **(فقال: أنشدكم الله والإِسلام هل تعلمون أن المسجد)** أي [مسجد النبي ﷺ في المدينة][٣] **(ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: من يشتري بقعة آل فلان فنزيدها)** بالرفع وفي نسخة بالنصب، أي فنزيد تلك البقعة. **(في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي)** أي بعشرين ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً، على ما رواه الدارقطني[٤]. وروى البخاري عن ابن عمر أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً وزاد فيه عمر وبناه على بنائه على عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ثم عمره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه

---

(١) في المخطوطة «يفعل». (٢) في المخطوطة «عثمان ذلك».

(٣) في المخطوطة بدل المعكوفتين لفظ «المدنية».

(٤) الدارقطني ضمن حديث رقم ١ من باب وقف المساجد والسقايات.

فأنتم اليوم تمنعونني أن أصلّي فيها ركعتين؟! فقالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم اللّهَ والإسلام، هل تعلمون أني جهَّزتُ جيشَ العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم اللّهَ والإِسلامَ، هل تعلمونَ أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرَّكَ الجبلُ حتى تساقطت حجارتهُ بالحضيضِ، فركَضَه برجله قال: «اسكنْ ثبيرُ!

بالساج[١]. وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه كان من شأن عثمان أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أهل مكة: يا فلان ألا تبيعني دارك أزيدها في مسجد الكعبة ببيت أضمنه في الجنة فقال الرجل: يا رسول الله ما لي بيت غيره فإن أنا بعتك داري لا يؤويني وولدي بمكة شيء[٢] قال: ألا بل بعني دارك أزيدها في مسجد الكعبة ببيت أضمنه لك في الجنة. فقال الرجل: والله ما لي إلى ذلك حاجة فبلغ ذلك عثمان وكان الرجل صديقاً له في الجاهلية فأتاه فلم يزل به عثمان حتى اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار. فقال: يا رسول الله بلغني أنك أردت من فلان داره لتزيدها في مسجد الكعبة ببيت تضمنه له في الجنة وإنما هي داري فهل أنت آخذها ببيت تضمنه لي في الجنة. فأخذها منه وضمن له بيتاً في الجنة وأشهد له على ذلك المؤمنين. كذا في الرياض. **(فأنتم)** بالفاء هنا خلافاً لما تقدم **(اليوم تمنعونني أن أصلي فيها)** أي في تلك البقعة فضلاً عن سائر المسجد **(فقالوا: اللهم نعم. قال:)** بلا فاء منا وفيما بعده خلافاً لما قبل. **(أنشدكم الله والإِسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي)** أي وقال لي ما قال مما يدل على حسن حالي ومآلي **(قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإِسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة)** بفتح مثلثة وكسرة موحدة وتحتية ساكنة فراء، جبل بمكة. وفي المصباح جبل بين مكة ومنى وهو يرى من منى وهو على يمين الذاهب منها إلى مكة. وقال الطيبي: ثبير جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى وهو جبل كبير مشرف على كل جبل بمنى وبمكة جبال كل منها اسمه ثبير. اهـ. والمشهور أنه جبل مشرف على منى من جملة [العقبة] إلى تلقاء مسجد الخيف وأمامه قليلاً على يسار الذاهب إلى عرفات. كذا حكاه عز الدين بن جماعة. وقال عياض في المشارق: إنه على يسار الذاهب إلى منى وقال ابن جماعة: وقيل وهو جبل عظيم بالمزدلفة على يمين الذاهب إلى عرفة. قال الطبري: وقيل هو أعظم جبل بمكة عرف برجل من هذيل[٣] كان اسمه ثبيراً دفن فيه. وقال الجوهري والسهيلي والمطرزي في المغرب: هو جبل من جبال مكة أي بقرب مكة. وقيل: هو جبل مقابل لجبل حراء. اهـ. وفي رواية قال: حراء مكان ثبير. **(ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل)** أي اهتز ثبير **(حتى تساقطت حجارته)** أي بعضها **(بالحضيض)** أي أسفل الجبل وقرار الأرض **(فركضه)** أي ضربه **(برجله قال)** استئناف **(أسكن ثبير)** فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) أي حقيقيان حيث قتلا عقب الطعن وماتا قريباً من أثر الضرب وهما عمر وعثمان.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٤٠ حديث رقم ٤٤٦.

(٢) في المخطوطة «شيء بمكة». (٣) في المخطوطة «هذين».

فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدانِ»؛ قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر! اشهدوا وربِّ الكعبة أني شهيدٌ، ثلاثاً. رواه الترمذي، والنسائي، والدارقطني.

٦٠٧٦ ـ (٨) وعن مرّة بن كعب، قال: سمعتُ مِنْ رسولِ اللّهِ ﷺ وذكر الفتن فقرَّبَها، فمَرَّ رجلٌ مقنَّعٌ في ثوبٍ فقال: «هذا يومئذٍ على الهدى»

ولا ينافيه أن النبي ﷺ والصديق شهيدان حكميان حيث كان أثر موتهما من السم القديم لهما. (**قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر**) كلمة يقولها المتعجب عند إلزام الخصم وتبكيته ولذلك قال: (**شهدوا ورب الكعبة أني شهيد**) بفتح الهمز مفعول شهدوا، أي شهد الناس أني شهيد. (**ثلاثاً**) أي قال: الله أكبر إلى آخره ثلاث مرات لزيادة المبالغة في إثبات الحجة على الخصم، وذلك لأنه لما أراد أن يظهر لهم أنه على الحق وأن خصماءه على الباطل على طريق يلجئهم إلى الإقرار بذلك أورد حديث ثبير مكة وأنه من أحد الشهيدين مستفهماً عنه(١) فأقروا بذلك وأكدوا إقرارهم بقولهم: اللهم نعم. فقال: الله أكبر. تعجباً وتعجيباً [وتجهيلاً] لهم واستهجاناً لفعلهم. ونظيره قوله تعالى: ﴿**هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ [الزمر ـ ٢٠]. فإنه تعالى لما ضرب مثل عابد الأصنام وعابد الله تعالى برجلين أحدهما له شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه وهو متحير في أمره لا يدري أيهم يرضى بخدمته والآخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو يلتزم خدمته فهمه واحد وقلبه مجتمع، واستفهم منهم بقوله: هل يستويان مثلاً. فلا بد لهم أن يذعنوا ويقولوا: لا. فقال: الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون. كذا حققه الطيبي (**رواه الترمذي والنسائي والدارقطني**) وفي بعض الروايات زاد: وأنشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى المشركين أهل مكة فقال: هذه يدي وهذه يد عثمان، فبايع لي فانتشد له رجال. زاد الدارقطني في بعض طرقه: وأنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ زوجني إحدى ابنتيه بعد الأخرى رضاً لي ورضاً عني قالوا: اللهم نعم.

٦٠٧٦ ـ (**وعن مرة بن كعب**) بضم ميم وتشديد راء. قال المؤلف في فصل الصحابة عداده في أهل الشام، روى عنه نفر من التابعين مات بالأردن سنة خمس وخمسين. (**قال: سمعت من رسول الله ﷺ**) لعل في زيادة من تأكيد إفادة السماع بلا واسطة. (**وذكر الفتن**) جملة حالية (**فقربها**) بتشديد الراء، أي قرب النبي ﷺ الفتن يعني وقوعها. (**فمر رجل مقنع**) بفتح النون المشددة، أي مستتر في ثوب جعله كالقناع. (**فقال:**) أي رسول الله ﷺ (**هذا**) أي هذا الرجل المقنع (**يومئذ**) أي يوم وقوع تلك الفتن (**على الهدى**) من قبيل قوله تعالى: ﴿**أولئك على هدى من ربهم**﴾ [البقرة ـ ٥]. فمفعول محذوف دل عليه قوله: هذا يومئذ على الهدى.

---

(١) في المخطوطة «عنهم».

الحديث رقم ٦٠٧٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٨٦ حديث رقم ٣٧٠٤. وابن ماجه ١/٤١ حديث رقم ١١١. وأحمد في المسند ٥/٣٥.

فقمتُ إليه فإذا هو عثمانُ بنُ عفَّان. قال: فأقبلتُ عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «نعم». رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٦٠٧٧ ـ (٩) وعن عائشة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يا عثمان! إنَّه لعلَّ اللَّهَ يقمِّصُكَ قميصاً، فإن أرادوكَ على خلْعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم». رواه الترمذي، وابن ماجه،

(فقمت إليه) أي لقرب[1] الرجل لأعرفه فإذا هو عثمان بن عفان (قال:) أي الراوي (فأقبلت عليه) أي على النبي ﷺ (بوجهه) أي بوجه عثمان، والمعنى أدرت وجهه إليه ليتبين الأمر عليه. (فقلت: هذا) أي أهذا هو الرجل الذي يومئذ على الهدى (قال: نعم) فيه مبالغة في استحضار القضية وتأكيدها بتحقق الصورة الجلية. (رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.) وفي الرياض عن كعب بن عجرة قال: ذكر النبي ﷺ فتنة فقربها وعظمها قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق. فانطلقت فأخذت بضبعه فقلت: هذا يا رسول الله. قال: هذا فإذا هو عثمان بن عفان. أخرجه أحمد[2]. وأخرج الترمذي معناه عن مرة بن كعب النهري وقال: هذا يومئذ على الهدى. ورواه أحمد أيضاً عن مرة بن كعب النهري قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة قال: كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر. قالوا: فنصنع ماذا يا رسول الله. قال: عليكم بهذا وأصحابه. قال: فأسرعت حتى عطفت الرجل فقلت: هذا يا نبي الله. قال: هذا فإذا هو عثمان بن عفان. وفي رواية لأحمد قال: فأسرعت حتى عييت فلحقت بالرجل فقلت: هذا يا نبي الله الخ[3].

٦٠٧٧ ـ (وعن عائشة أن النبي ﷺ قال:) أي لعثمان ذات يوم كما في رواية (يا عثمان إنه) أي الشأن (لعل الله) وفي رواية: أن الله لعله. (يقمصك) بتشديد الميم أي يلبسك (قميصاً) قيل أي خلافة، والمراد خلعة الخلافة. (فإن أرادوك) أي حملوك (على خلعه) أي نزعه (فلا تخلعه لهم) زفي رواية: فلا تخلعه ثلاثاً. والمعنى إن قصدوا عزلك فلا تعزل نفسك عن الخلافة لأجلهم لكونك على الحق وهم على الباطل، وفي قبول الخلع إيهام وتهمة فلهذا الحديث كان عثمان رضي الله عنه ما عزل نفسه حين حاصروه يوم الدار. قال الطيبي: استعار القميص للخلافة ورشحها بقوله: على خلعه. قال: في أساس البلاغة ومن المجاز قمصه الله وشي الخلافة وتقمص لباس العز، ومن هذا الباب قوله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري. وقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه انتهى. (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أبو حاتم (وقال الترمذي: حسن غريب) وفي رواية: فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها مرتين أو ثلاثاً. وفي رواية: فإن أرادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يا

---

(١) في المخطوطة «أي قرب».

(٢) أحمد في المسند ٤/ ٢٤٢.

(٣) أحمد في المسند ٥/ ٣٥.

الحديث رقم ٦٠٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٧ حديث رقم ٣٧٠٥. وابن ماجه في السنن ١/ ٤١ حديث رقم ١١٢. وأحمد في المسند ٦/ ٧٥.

وقال الترمذي في الحديث قصّةٌ طويلةٌ.

٦٠٧٨ - (١٠) وعن ابن عمر، قال: ذكَرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقال: «يقتلُ هذا فيها مظلوماً» لعثمان. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ، غريبٌ إسناداً.

٦٠٧٩ - (١١) وعن أبي سهلة، قال: قال لي عثمانُ يومَ الدارِ: إنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قد عَهِدَ إليَّ وأنا صابرٌ عليه. رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فذكره ثلاث مرات. أخرجها أحمد: **(وقال الترمذي: في الحديث قصة طويلة.)** وفي بعض الروايات زاد: وأنشدكم الله من شهد بيعة الرضوان إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى المشركين أهل مكة فقال: هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي فأشتد له رجال. زاد الدارقطني في بعض طرقه: وأنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ زوجني إحدى إبنتيه بعد الأخرى رضائي ورضا عني قالوا: اللهم نعم.

٦٠٧٨ - **(وعن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة)** أي عظيمة **(فقال: يقتل هذا فيها مظلوماً لعثمان)** بيان هذا **(رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن غريب إسناداً)** وأخرجه أحمد وقال: يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوماً. فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان.

٦٠٧٩ - **(وعن أبي سهلة)** قال المؤلف في فصل الصحابة: هو السائب بن خلاد يكنى أبا سهلة الأنصاري الخزرجي مات سنة إحدى وتسعين روى عنه ابنه خلاد وعطاء بن يسار انتهى. والظاهر أن المراد به هنا مولى عثمان كما سيأتي قريباً والله أعلم. **(قال: قال لي عثمان يوم الدار إن رسول الله ﷺ قد عهد إلي عهداً)** أي أوصاني أن لا أخلع بقوله: وإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم **(وأنا صابر عليه)** أي على تحمل ذلك العهد **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح)** وعن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: ادعو لي بعض أصحابي. قلت: أبا بكر قال: لا. قلت: عمر. قال: لا. قلت: ابن عمك. قال: لا. قلت: عثمان. قال: نعم. فلما جاء قال: تنحي. فجعل يساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل قال: لا إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً وإني صابر نفسي عليه. رواه أحمد(١).

---

(١) الدارقطني ١٩٦/٤ . ١٩٧ حديث رقم ٣ من باب وقف المساجد.

الحديث رقم ٦٠٧٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٨ حديث رقم ٣٧٠٨. وأحمد في المسند ٢/ ١١٥.

الحديث رقم ٦٠٧٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٠ حديث رقم ٣٧١١. وابن ماجه في السنن ١/ ٤٢ حديث رقم ١١٣. وأحمد في المسند ١/ ٥٨.

(٢) أحمد في المسند ٦/ ٥٢.

الفصل الثالث

٦٠٨٠ - (١٢) عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب، قال: جاءَ رجلٌ من أهلِ مصر يريدُ حَجَّ البيتِ فرأى قوماً جُلوساً، فقال: من هؤلاءِ القومُ؟ قالوا: هؤلاءِ قريشٌ. قال: فمن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ الله بنُ عمر. قال: يا ابنَ عمر! إِني سائلك عن شيءٍ فحدِّثني: هل تعلم أن عُثمانَ فرَّ يومَ أُحد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيّب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعةِ الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: اللَّهُ أكبرُ. قال ابن عمر: تعالَ أُبيّنْ لك أما فِراره يوم أُحد فأشهدُ أن اللَّهَ عفا عنه، وأما تغيُّبه عن بدر فإِنه كانت

(الفصل الثالث)

٦٠٨٠ - **(عن عثمان بن عبد الله بن موهب)** بفتح الميم وسكون الواو وفتح الهاء والباء الموحدة على ما في الجامع والمغني. وفي القاموس موهب كمقعد اسم، فما وقع في شرح ابن حجر من ضبطه بكسر الهاء وهم. قال المؤلف: هو تيمي روى عن أبي هريرة وابن عمر وغيرهما، وعنه شعبة وأبو عوانة. **(قال: جاء رجل من أهل مصر)** أي إلى مكة **(يريد حج البيت فرأى قوماً جلوساً)** أي جالسين **(فقال: من هؤلاء القوم. قالوا:)** أي قال بعض من سئل **(هؤلاء قريش)** أي أكابرهم **(قال: فمن الشيخ)** أي العالم المعتبر **(فيهم)** فإن الشيخ في قومه كالنبي في أمته **(قالوا: عبد الله بن عمر قال: يا ابن عمر إني سائلك عن شيء فحدثني.)** أي أخبرني عن جوابه. **(هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد)** يعني والفرار منقصة عظيمة **(قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها)** أي لم يحضرها، ذكره تأكيداً وأراد أنه فاته فضل أهل بدر(١). **(قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها. قال: نعم. قال: الله أكبر)** قال الطيبي: قوله: الله أكبر. بعد ما عد من الأمور بمنزلة الله أكبر في الحديث السابق فإنه أراد أن يلزم ابن عمر ويحط من منزلة عثمان على الطريق المذكور، فلما قال ابن عمر نعم قال: الله أكبر، تعجباً وتعجيباً وإظهاراً لإفحامه إياه. **(قال ابن عمر: تعال)** أي ارتفع عن حضيض مقامك من الجهل إلى علو فهم القضايا المبهمة المبينة عند أرباب العلم(٢) والمعرفة **(أبين لك)** بالجزم على جواب الأمر، وفي نسخة بالرفع أي أنا أبين لك. **(أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه)** وفي رواية: وغفر له. يعني لقوله تعالى: ﴿**إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم**﴾ [آل عمران - ١٥٥]. ومن المعلوم أن المعفو خارج عن معتبة المعيبة بالمغيبة. **(وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت**

الحديث رقم ٦٠٨٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٥٤. حديث رقم ٣٦٩٨. والترمذي في السنن ٥/ ٥٨٧ حديث رقم ٣٧٠٦.

(١) في المخطوطة «وأهلة».

(٢) في المخطوطة «الفهم».

تحته رقيةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ وكانت مريضةً، فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّ لك أجرَ رجلٍ ممَّن شهد بدراً وسهمه». وأما تغيُّبه عن بيعةِ الرضوان فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطنِ مكةَ من عثمان لبعثه،

تحته) أي تحت عقده **(رقية)** بالتصغير **(بنت رسول الله ﷺ)** أي وهذا علامة كمال رضا النبي ﷺ حيث زوجه بنته، ثم الأخرى وهي أم كلثوم وبه سمي ذا النورين. ثم قال: لو كانت لي بنت أخرى لزوجتها إياه. وفي الرياض عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله أوحى إلي أن أزوج كريمتي عثمان بن عفان. أخرجه الطبراني، وأخرجه خيثمة بن سليمان عن عروة بن الزبير عن عائشة وزاد بعد قوله: كريمتي، يعني رقية وأم كلثوم. وعن أبي هريرة قال: لقي النبي ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال: يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله قد أمرني أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها[1]. أخرجه ابن ماجه القزويني والحافظ أبو بكر الإسماعيلي وغيرهما. وعنه قال: قال عثمان: لما ماتت امرأته بنت رسول الله ﷺ بكيت بكاء شديداً. فقال رسول الله: ما يبكيك. فقلت: أبكي على انقطاع صهري منك. فقال: هذا جبريل بأمر الله عزَّ وجلَّ أن أزوجك أختها. وعن ابن عباس معناه وزاد فيه: والذي نفسي بيده لو أن عندي مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شيء هذا جبريل أخبرني أن الله عزَّ وجلَّ يأمرني أن أزوجك أختها وأن أجعل صداقها مثل صداق أختها. أخرجه الفضائلي. وفي الذخائر عن سعيد بن المسيب قال: آم عثمان من رقية وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال: هل لك في حفصة. وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال: هل لك في خير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم. أخرجه أبو عمر. وقال: حديث صحيح. وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل فأمرني أن أزوّج عثمان ابنتي. وقالت عائشة: كن لما لا ترجوه أرجى منك لما ترجوه فإن موسى عليه السلام خرج يلتمس ناراً فرجع بالنبوّة. أخرجه الحافظ أبو نعيم البصري. **(وكانت)** أي رقية **(مريضة)** أي في المدينة. وفي الذخائر عن ابن شهاب أنها كانت أصابتها الحصبة فمرضت وتخلف عنها عثمان وماتت بالمدينة وجاء زيد بن حارثة بشيراً بفتح بدر وعثمان قائم على قبر رقية. أخرجه أبو عمر. وعن ابن عباس قال: لما عزي رسول الله ﷺ بابنته رقية قال: الحمد لله دفن البنات من المكرمات. أخرجه الدولابي. **(فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر ممن شهد بدراً وسهمه)** أي جمع له بين أجر العقبى وغنيمة الدنيا فلا نقصان في حقه أصلاً، فيكون نظير تغيب علي عن تبوك حيث جعله خليفة علي أهله وأمره بالإقامة فيهم، لكن لم يعرف أنه جعل لعلي سهم من الغنيمة أيضاً أم لا والله أعلم ثم رأيته في الرياض أنه كذلك. **(وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز)** أي أكثر عزة من جهة العشرة من بقية الصحابة **(ببطن مكة من عثمان لبعثه)** أي مكانه كما في رواية، لكن لما فقد الأعز منه حتى امتنع عمر رضي الله عنه خوفاً على نفسه

(١) ابن ماجه في السنن ١/ ٤٠ حديث رقم ١١٠.

فبَعثَ رسولُ الله ﷺ عثمان، وكانت بَيْعةُ الرضوان بعدَ ما ذهبَ عثمانُ إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يدُ عثمانَ» فضربَ بها على يده، وقال: «هذه لعثمان». ثم قال ابن عمر: اذهب بها الآن معك. رواه البخاري.

٦٠٨١ ـ (١٣) وعن أبي سهلة مولى عثمان [رضي الله عنهما] قال: جعلَ النبيُّ ﷺ يُسِرُّ إلى عثمان، ولونُ عثمان يتغيَّر، فلما كانَ يومُ الدارِ قلنا: ألا تقاتل؟ قال: لا، إنَّ رسول الله ت عَهِدَ إليَّ أمراً، فأنا صابرٌ نفسي عليه.

معللاً: يا رسول الله ما لي قوم بمكة يعينوني ويحفظوني وراء ظهري. **(فبعث رسول الله ﷺ عثمان)** أي إلى مكة فاستقبله أهله ورهطه وركبوه قدامهم وأجاروه من تعرض أحد له وقالوا: طف بالبيت لعمرتك. فقال: حاشا أني أطوف في غيبته ﷺ. **(وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة)** أي وشاع عندهم أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي ﷺ تحت الشجرة على أن لا يفروا، وقيل بل جاء الخبر بأن عثمان قتل. **(فقال رسول الله ﷺ)** أي أشار **(بيده اليمنى: هذه)** أي قائلاً هذه **(يد عثمان فضرب بها على يده)** أي اليسرى **(وقال: هذه)** أي هذه البيعة أو هذه اليد **(لعثمان)** أي لأجله أو عنه على فرض وجود حياته، أو إشارة إلى تكذيب خبر مماته. **(ثم قال ابن عمر: اذهب بها)** أي بالكلمات التي أجبت لك عن أسئلتك الآن معك فإنه لا يضرنا بل يضرك. قال الطيبي: فلما نقض ابن عمر كل واحد مما بناه وأقلعه من أصله قال تهكماً: اذهب بها، أي بما جئت وتمسكت به بعدما بينت لك الحق المحض الذي لا يرتاب فيه انتهى. والمعنى لا ينفعك اعتقادك الفاسد[1] في عثمان بعد ما بينت لك الحق الصريح بالجواب الصحيح. **(رواه البخاري)** وكذا الترمذي[2]، واللفظ مختلف والمعنى واحد.

٦٠٨١ ـ **(وعن أبي سهلة مولى عثمان رضي الله عنه)** وفي بعض النسخ المصححة رضي الله عنهما بلفظ التثنية تغليباً، ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(قال: جعل النبي ﷺ يسر)** بضم [فكسر] فتشديد، أي يخفي الكلام. **(إلى عثمان ولون عثمان يتغير)** أي من البياض والحمرة إلى الصفرة **(فلما كان يوم الدار)** بالرفع وينصب **(قلنا ألا تقاتل)** بتخفيف ألا ويشدد. **(قال: لا إن رسول الله ﷺ)** استئناف تعليل أي لأنه **(عهد إلي أمراً فأنا صابر)** بالتنوين **(نفسي عليه)** قال الطيبي: أي أوصاني بأن أصبر ولا أقاتل ولا يجوز أن يقال هي قوله: فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم، فإن ذلك يوهم المقاتلة معهم للدفع فعلى هذا ينبغي أن يحمل الحديث الآخر في الفصل الثاني على هذا المعنى ليتفقا. قلت: الأظهر أن العهد كان مركباً من عدم الخلع وترك القتال للدفع بل لمجرد الصبر للوصول إلى مقام الجمع.

---

(١) في المخطوطة «الفاسق».

(٢) الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٢ حديث رقم ٣٦٩٦.

الحديث رقم ٦٠٨١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٠ حديث رقم ٣٧١١. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٩١.

٦٠٨٢ ـ (١٤) وعن أبي حبيبةَ، أنَّه دخلَ الدارَ وعثمانُ محصورٌ فيها، وأنَّه سمِعَ أبا هريرةَ يستأذنُ عُثمانَ في الكلامِ، فأذنَ له، فقامَ فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنكم ستَلْقون بعدي فتنةً واختلافاً ـ أو قال: اختلافاً وفتنة ـ فقال له قائل من النَّاس: فمَن لنا يا رسولَ الله؟ أوَ ما تأمرنا به؟ قال: «عليكم بالأمير وأصحابه» وهو يشير إلى عثمان بذلك. رواهما البيهقي في «دلائل النبوَّة».

٦٠٨٢ ـ (**وعن أبي حبيبة**) اسمه عمرو بن نصر الحازمي الهمداني روى عن علي بن أبي طالب، ذكره المؤلف في التابعين. (**أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها وأنه**) أي أبا حبيبة (**سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام**) أي عنده أو على الحاضرين من الحاضرين، ويؤيد الثاني قوله: (**فأذن له فقام فحمد الله وأثنى عليه**) أي على الله وهو عطف تفسير وبيان، أو الجمد بمعنى الشكر. (**ثم قال:**) أي أبو هريرة (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم**) أي أيها الأمة أو أيها الصحابة (**ستلقون بعدي فتنة**) أي محنة عظيمة (**واختلافاً**) أي كثيراً (**أو قال: اختلافاً وفتنة**) شك الراوي في تقديم أحد اللفظين. (**فقال له**) أي لرسول الله ﷺ (**قائل: فمن لنا يا رسول الله**) قال الطيبي: هو متوجه إلى قوله اختلافاً، أي ستلقون اختلافاً بين الأمير ومن خرج عليه فمن تأمرنا أن نتبعه ونلزمه فتكون[1] لنا العاقبة لا علينا. (**أو ما تأمرنا به**) شك من الراوي بين اللفظين مع أن مؤداهما في المعنى واحد. (**قال: عليكم بالأمير وأصحابه وهو**) أي أبو هريرة: والأظهر أي النبي ﷺ (**يشير إلى عثمان بذلك.**) أي بقوله: الأمير بأن يكون حاضراً في ذلك المجلس أو مذكوراً فيه. (**رواهما**) أي الحديثين السابقين (**البيهقي في دلائل النبوّة**) قال المؤلف: كان إسلامه في أول الإسلام على يدي أبي بكر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين وكان أبيض ربعة حسن الوجه عظيم اللحية يصغرها، استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين وقتله الأسود التجيبي من أهل مصر وقيل غيره، ودفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة، وقيل ثمان وثمانون وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا أياماً، وروى عنه خلق كثير.

الحديث رقم ٦٠٨٢: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٩٣.

(١) في المخطوطة «يكون».

(٧) باب مناقب هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم

الفصل الأول

٦٠٨٣ - (١) عن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ صَعِدَ أُحُداً، وأبو بكرٍ وعُمرُ وعثمانُ، فرجف بهم، فضربه برجله، فقال: «اثبت أُحُد، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان». رواه البخاري.

(باب مناقب هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم)

(الفصل الأول)

٦٠٨٣ - (**عن أنس أن النبي ﷺ صعد**) بكسر العين أي طلع (**أحداً**) أي جبل أحد (**وأبو بكر وعمر وعثمان**) أي معه (**فرجف**) أي تحرك (**أحد بهم**) أي انتعاشاً واهتزازاً بقدومهم (**فضربه**) أي النبي عليه السلام (**برجله فقال: أثبت أحد**) أي ولا تظهر[1] شيئاً على ظاهرك كالكاملين الواصلين على ما حكي أن الجنيد سئل: ما بالك عند السماع ظاهراً مع تحقق حالك باطناً فقرأ: ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**﴾ [النمل - ٨٨]. (**فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) أي وصحبة أهل التمكين والوقار لا بد لها من تأثير خال عن الإظهار، وتقدم مثله في جبل ثبير. (**رواه البخاري**) وكذا أحمد والترمذي وأبو حاتم. وأخرجه أحمد عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان جالساً على حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل فقال رسول الله ﷺ: اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد[2]، وفي رواية عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد[3]. وفي رواية سعد بن أبي وقاص لم يذكر علياً[4]، خرجهما مسلم وخرجه الترمذي ولم يذكر سعداً وقال: اهدأ مكان أسكن، وقال: حديث صحيح[5]. وخرجه الترمذي أيضاً عن سعيد بن زيد وذكر أنه كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة وقال: اثبت حراء الحديث[6]، فاختلاف الروايات محمول على تعدد

الحديث رقم ٦٠٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٢. حديث رقم ٣٦٨٦. وأبو داود في السنن ٥/ ٤٠ حديث رقم ٤٦٥١. والترمذي في السنن ٥/ ٥٨٣ حديث رقم ٣٦٩٧. وأحمد في المسند ٥/ ٣٣١.

(١) في المخطوطة «يظهر».
(٢) أحمد في المسند ٥/ ٣٤٦.
(٣) مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٠ حديث رقم ٢٤١٧.
(٤) ذُكر علي رضي الله عنه في الرواية: وهي حقب حديث ٢٤١٨.
(٥) الترمذي ٥/ ٥٨٢ حديث رقم ٣٦٩.
(٦) الترمذي في السنن الحديث رقم ٣٦٩٦.

٦٠٨٤ - (٢) وعن أبي موسى الأشعري، قال: كنتُ معَ النبيّ ﷺ في حائطٍ من حيطانِ المدينة، فجاءَ رجُلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشّره بالجنة» ففتحتُ له، فإذا أبو بكر، فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجلٌ فاستفتح، فقال النبي ﷺ: «افتح له وبشّرْهُ بالجنَّة» ففتحت له، فإذا عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي «افتح له وبشّره بالجنة على بلوى تصيبه» فإذا عثمانُ، فأخبَرْتُه بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان. متفق عليه.

القضية في الأوقات وإثبات الشهادة لبعضهم حقيقة وللباقين حكماً والله أعلم.

٦٠٨٤ - **(وعن أبي موسى الأشعري قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط)** أي بستان **(من حيطان المدينة)** بكسر الحاء جمع **(فجاء رجل)** أي لا يعرف حاله **(فاستفتح)** أي طلب الفتح **(فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة)** أي العالية **(ففتحت له فإذا أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله)** وفي نسخة النبي **(ﷺ فحمد الله)** أي شكره على تلك البشارة. ففي رواية قال: اللهم حمداً. وفي رواية قال: الحمد لله. **(ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ: افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا عمر فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله. ثم استفتح رجل فقال لي:)** زاده هنا لكمال الاهتمام بمعرفة القضية **(افتح له وبشره بالجنة على بلوى)** أي مع بلية عظيمة **(تصيبه)** على ما ذكره الأشرف. وقال الطيبي: إذا جعل على متعلقاً بقوله بالجنة يكون المبشر به مركباً، وإذا جعل حالاً من ضمير المفعول كانت البشارة مقارنة بالإنذار ولا يكون المبشر به مركباً وهو الظاهر وعلى بمعناه انتهى. والأظهر الأوّل لأن البلاء نعمة عند أرباب الولاء. **(فإذا عثمان)** وإنما خص عثمان به مع أن عمر أيضاً ابتلي به لعظم ابتلاء عثمان لا سيما مع امتداد الزمان وقلة الأعوان من الأعيان. **(فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله ثم قال: الله المستعان)** أي المطلوب منه المعونة على جميع المؤونة ومنه الصبر على مرارة تلك البلية. ثم [في] ترتيب مأتاهم إلى الجنة التي فيها النبي ﷺ إيماء إلى مراتبهم العلية في الجنة [العالية] في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ومن القرب بحضرة النبي البشير. **(متفق عليه.)** ذكر في الرياض عن أبي موسى أنه خرج إلى المسجد فسأل [عن] النبي ﷺ فقالوا: وجه ههنا. فخرجت في أثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس[1] وتوسط قفها، وهو بالضم ما ارتفع من الأرض. فجلست عند الباب فقلت: لأكونن بواباً للنبي ﷺ فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت:

الحديث رقم ٦٠٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٣. حديث رقم ٣٦٩٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٦٧ حديث رقم (٢٨ . ٢٤٠٣). والترمذي في السنن ٥/ ٥٨٩ حديث رقم ٣٧١٠. وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٦.

(١) بئر أريس. ويقال له أيضاً بئر الخاتم حيث وقع فيه خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه. ويعتقد أنه كان غرب مسجد قباء.

. . . .

من هذا. فقال: أبو بكر. فقلت: على رسلك. ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذا أبو بكر يستأذن فقال: ائذن له وبشره بالجنة. فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: أدخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلا رجليه في البئر كما صنع رسول الله ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت: إن يرد الله بفلان خيراً. يريد أخاه يأت به فإذا بإنسان يحرك الباب فقلت: من هذا فقال: عمر بن الخطاب. فقلت: على رسلك. ثم جئت النبي ﷺ فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذنك. فقال: ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت: أدخل ويبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلاً رجليه في البئر فرجعت وجلست وقلت: إن يرد الله بفلان خيراً يأت به فجاء إنسان فحرك الباب فقلت: من هذا فقال: عثمان بن عفان. فقلت: على رسلك. ثم جئت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه [فجئت] فقلت: ادخل ورسوله الله يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك. فدخل فوجد القف قد ملىء فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم. أخرجه أحمد ومسلم وابن أبي حاتم، وأخرجه البخاري وزاد بعد قوله: [فأولتها] قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان[(١)]. وأخرجه مسلم أيضاً من طريق أخرى عن أبي موسى ولفظه قال: كان رسول الله ﷺ متكئاً في حائط من حيطان المدينة وهو يقول بعود في الماء والطين ينكت به فجاء رجل فاستفتح فقال رسول الله ﷺ: افتح له وبشره بالجنة. فإذا هو أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة، ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال: افتح له وبشره بالجنة فإذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة. ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى [تصيبه]. قال: ففتحت له فإذا هو عثمان فبشرته بالجنة وقلت له الذي قال، فقال: اللهم صبراً[(٢)]. وخرج الترمذي معناه عنه ولفظه: انطلقت مع رسول الله ﷺ فدخل حائطاً للأنصار فقضى حاجته فقال لي: يا أبا موسى أملك على الباب فلا يدخلن أحد علي إلا بإذن فجاء رجل فضرب الباب فقلت: من هذا، قال: أبو بكر. قلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن قال: ائذن له وبشره بالجنة. ثم ذكر نحوه في عمر وعثمان[(٣)]. وهذا الحديث يدل على تكرر القضية، فإن أبا موسى ذكر في حديث مسلم الأوّل أنه سأل عن النبي ﷺ فقيل: وجه ههنا فاتبع أثره. وهذا الحديث ينطق بأنه انطلق معه، ويحتمل أن يكون لما اتبع أثره لحق به قبل دخول الحائط الذي فيه بئر أريس ثم انطلق معه حتى دخل فقال له تلك المقالة، ويكون أبو موسى ذكر سبب جلوسه بواباً في رواية ولم يذكره في رواية واستوفى القصة في رواية واختصرها في رواية، والقصة واحدة والله أعلم.

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/١٨٦٧ حديث رقم ٢٤٠٣. والبخاري ٧/ ٢١ حديث رقم ٣٦٧٤.

(٢) مسلم في صحيحه ٤/١٨٦٧. حديث رقم ٢٤٠٣.

(٣) الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٩ حديث رقم ٣٧١٠.

الفصل الثاني

٦٠٨٥ ـ (٣) عن ابن عمر، قال: كنَّا نقولُ ورسولُ الله ﷺ حيّ: أبو بكر وعمرُ وعثمانُ، رضي الله عنهم. رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٦٠٨٦ ـ (٤) عن جابر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أُرِيَ

(الفصل الثاني)

٦٠٨٥ ـ **(عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي:)** جملة حالية معترضة بين القول ومقوله **(أبو بكر وعمر وعثمان)** أي على هذا الترتيب عند ذكرهم وبيان أمرهم **(رضي الله عنهم)** وقال شارح: أبو بكر وما عطف عليه مبتدأ خبره رضي الله عنهم والجملة مقول القول[١]، ورسول الله حي جملة معترضة، أي كنا نذكر هؤلاء الثلاثة بأن الله تعالى رضي عنهم. وفي بعض النسخ بعد قوله حي: أفضل أمة النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، أي ونسكت عن الباقين. **(رواه الترمذي)** وفي رواية له عنه قال: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ فنقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلا ينكره. وعنه: «كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ فنفضل أبا بكر ثم عمر ثم عثمان»[٢]. خرجه البخاري. وعنه: «كنا نقول ورسول الله ﷺ: حي أفضل أمة محمد بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان»[٣]. خرجه أبو داود والحافظ في الموافقات. وعنه قال: «اجتمع المهاجرون والأنصار على أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان». وعنه: «كنا نتحدث في حياة رسول الله ﷺ وأصحابه أوفر ما كانوا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان». خرجهما خيثمة بن سعد، وخرج معناه الحاكمي وزاد: فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره، كذا في الرياض النضرة.

(الفصل الثالث)

٦٠٨٦ ـ **(عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: أري)** بضم الهمز وكسر[٤] الراء وفتح الياء أي

الحديث رقم ٦٠٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٢٦ حديث رقم ٤٦٢٨. أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٨. حديث رقم ٣٨٠٧. وأحمد في المسند ٢/ ١٤.

(١) في المخطوطة «يقول».

(٢) البخاري في صحيحه ٧/ ١٦ حديث رقم ٣٦٥٠.

(٣) أخرجه أبو داود.

الحديث رقم ٦٠٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٠ حديث رقم ٤٦٣٦.

(٤) في المخطوطة «بفتح».

الليلةَ رجلٌ صالحٌ كأنَّ أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر» قال جابرٌ: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أمَّا الرجلُ الصّالح فرسولُ الله، وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاةُ الأمر الذي بعث الله به نبيَّهُ ﷺ. رواه أبو داود.

(٨) باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أبصر في منامه **(الليلة)** أي البارحة **(رجل صالح كان أبا بكر نيط)** بكسر أوله أي علق **(برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر)** قال الطيبي: كان من الظاهر أن يقول: رأيت نفسي الليلة وأبو بكر نيط بي فجرد منه ﷺ لكونه رسول الله وحبيبه رجلاً [صالحاً] ووضع رسول الله ﷺ موضع رجلاً تفخيماً غب تفخيم انتهى. وخلاصته أن قوله: رجل صالح، بيان للضمير المرفوع في أري على سبيل التجريد، وإنما يتم هذا على أن أرى بفتح الراء بصيغة المجهول المتكلم على ما في نسخة لكن قيد وصحح بأنه أري بصيغة الماضي المجهول، ورجل صالح مفعول ما لم يسم فاعله. ويؤيده أنه لما كان الرجل الصالح على صرافة إبهامه **(قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الرجل الصالح فرسول الله ﷺ)** أي بالاجتهاد والظن الغالب، وإلا فيحتمل [أن] صالحاً كعلي مثلاً رأى تلك الرؤيا فأخبره ﷺ أو انكشف له بنور النبوة فأظهره لكن لحكمة أبهمه وستره. ويؤيده ما قال صاحب الرياض أخرجه أبو حاتم في صحيحه: وهكذا أريت، والصواب: أري الليلة. **(وأما نوط بعضهم [ببعض])** أي تعلقهم واتصالهم **(فهم ولاة الأمر)** أي أمر الدين **(الذي بعث الله به نبيه ﷺ، رواه أبو داود)** وفي الرياض ذكر باب ما جاء في مناقب أبي بكر وعمر وعلي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: يطلع عليكم من تحت الصور رجل من أهل الجنة فطلع أبو بكر فهنأناه. ثم لبث هنيهة ثم قال: يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة فطلع عمر فهنأناه. ثم قال: طلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة اللهم اجعله علياً ثلاث مرات فطلع علي. أخرجه أحمد(١). والصور جماعة النخل وسيأتي حديث على في الفصل الثاني من باب مناقب العشرة من المختصات بالثلاثة.

(باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

قال أحمد والنسائي وغيرهما لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي كرم الله وجهه، وكان السبب في ذلك أنه تأخر ووقع الاختلاف في زمانه وكثر محاربوه والخارجون عليه فكان ذلك سبباً لانتشار مناقبه لكثرة من كان يرويها من الصحابة رداً على من خالفه، وإلا فالثلاثة قبله لهم من المناقب ما يوازيه ويزيد عليه كذا ذكره السيوطي.

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ٣٥٦. والصور في لفظه بالسين. والله تعالى أعلم.

الفصل الأول

٦٠٨٧ ـ (١) عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ:

وقد جاء في الصحيح من شعره رضي الله عنه:

* أنـا الـذي سـمـتـنـي أمـي حـيـدرة *

[وحيدرة] اسم الأسد، وكانت فاطمة أمه لما ولدته سمته باسم أبيها فلما قدم أبو طالب كره الاسم فسماه علياً وعن سهل بن سعد قال: استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً فأبى فقال: أما إذا أبيت فقال: لعن الله أبا تراب. فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أب تراب أنه كان يفرح به إذا دعي به. فقال له: أخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب. قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت فقال: أين ابن عمك. فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل عندي. فقال رسول الله ﷺ لإنسان: أنظر أين هو. فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد. فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: قم أبا تراب قم أبا تراب. أخرجه الشيخان[١]. وفي الرياض عن أبي سعيد التيمي قال: كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فإذا رأينا علياً قد أقبل قلنا بزرك أشكم قال علي: ما يقولون قال: يقولون[٢] عظيم البطن. قال: أجل أعلاه علم وأسفله طعام. وعن أبي لبيد قال: رأيت علي بن أبي طالب يتوضأ فحسر العمامة عن رأسه فرأيت رأسه مثل راحتي عليه مثل خط الأصابع من الشعر. أخرجه ابن الضحاك. وعن قيس بن عباد قال: قدمت المدينة أطلب العلم فرأيت رجلاً عليه بردان وله ضفيرتان قد وضع يده على عاتق عمر فقلت: من هذا. قالوا: علي. أخرجه ابن الضحاك أيضاً ولا تضاد بينهما، إذ يكون الشعر انحسر عن وسط رأسه وكان في جوانبه شعر مسترسل جمع فضفر باثنتين.

(الفصل الأوّل)

٦٠٨٧ ـ (عن سعد بن أبي وقاص) أحد العشرة المبشرة (قال: قال رسول الله ﷺ لعلي:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٥٣٥ حديث رقم ٤٤١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٤ حديث رقم ٢٤٠٩.

(٢) في المخطوطة «تقول».

الحديث رقم ٦٠٨٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٧١. حديث رقم ٣٧٠٦. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٠ حديث رقم (٣٠. ٢٤٠٤). والترمذي في السنن ٥/ ٥٩٦ حديث رقم ٣٧٢٤. وأخرجه ابن ماجه ١/ ٤٢ حديث رقم ١١٥. وأحمد في المسند ١/ ١٧٧.

«أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي».

أنت مني بمنزلة هارون من موسى) يعني في الآخرة وقرب المرتبة، والمظاهرة به في أمر الدين كذا قاله شارح من علمائنا. وقال التوربشتي: كان هذا القول من النبي ﷺ مخرجه إلى غزوة تبوك وقد خلف علياً رضي الله عنه على أهله وأمره بالإقامة فيه فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً وتخففاً منه، فلما سمع به علي أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال: يا رسول الله زعم المنافقون كذا فقال: كذبوا إنما خلفتك لما تركت ورائي فارجع فأخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. تأوّل قول الله سبحان[1]: ﴿**وقال موسى لأخيه هٰرون أخلفني في قومي**﴾ [الأعراف - ١٤٢]. والمستدل بهذا الحديث على أن الخلافة كانت له بعد رسول الله ﷺ زائغ عن منهج الصواب، فإن الخلافة في الأهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الأمة بعد مماته، والمقايسة التي تمسكوا بها تنتقض عليهم بموت هارون قبل موسى عليهما السلام. وإنما يستدل بهذا الحديث على قرب منزلته واختصاصه بالمؤاخاة من قبل الرسول ﷺ. وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: هذا مما تعلقت به الروافض وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقاً لعلي رضي الله عنه أنه وصى له بها، فكفرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره، وزاد بعضهم فكفر علياً لأنه لم يقم في طلب حقه، وهؤلاء أسخف عقلاً وأفسد مذهباً من أن يذكر قولهم. ولا شك في تكفير هؤلاء لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأوّل خصوصاً فقد أبطل الشريعة وهدم الإسلام. ولا حجة في الحديث لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره وليس فيه دلالة على استخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك. ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لأنه توفي قبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة، وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة. وقال الطيبي: وتحريره من جهة علم المعاني أن قوله: مني خبر للمبتدأ ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص، والباء زائدة كما في قوله تعالى: ﴿**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**﴾ [البقرة - ١٣٧]. أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم يعني أنت متصل بي ونازل مني بمنزلة هارون من موسى. وفيه تشبيه ووجه الشبه منه لم يفهم أنه رضي الله عنه فيما شبهه به ﷺ فبين بقوله: **(إلا أنه لا نبي بعدي)** أن اتصاله به ليس من جهة النبوة، فبقي الإتصال من جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في المرتبة. إما أن يكون حال حياته أو بعد مماته فخرج من أن يكون بعد مماته، لأن هارون عليه السلام مات قبل موسى فتعين أن يكون في حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك انتهى. وخلاصته أن الخلافة الجزئية في حياته لا تدل على الخلافة الكلية بعد مماته لا سيما وقد عزل عن تلك الخلافة برجوعه ﷺ إلى المدينة. وفي شرح مسلم قال بعض العلماء في قوله: إلا أنه لا نبي بعدي. دليل على أن عيسى ابن مريم إذا نزل ينزل حكماً من حكام هذه الأمة يدعو بشريعة محمد ﷺ، ولا ينزل نبياً. أقول: ولا منافاة بين أن يكون نبياً ويكون متابعاً لنبينا ﷺ في بيان

(١) كذا في المخطوطة. والأفضل أن يقال «سبحانه وتعالى».

متفق عليه.

٦٠٨٨ ـ (٢) وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ، قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: والذي فَلَق الحبَّةَ

أحكام شريعته وإتقان طريقته ولو بالوحي إليه كما يشير إليه قوله ﷺ: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي»[١]، أي مع وصف النبوة والرسالة وإلا فمع سلبهما لا يفيد زيادة المزية، فالمعنى أنه لا يحدث بعده نبي لأنه خاتم النبيين السابقين. وفيه إيماء إلى أنه لو كان بعده نبي لكان علياً، وهو لا ينافي ما ورد في حق عمر صريحاً لأن الحكم فرضي وتقديري فكأنه قال: «لو تصور بعدي نبي لكان جماعة من أصحابي أنبياء ولكن لا نبي بعدي. وهذا معنى قوله ﷺ: لو عاش إبراهيم لكان نبياً»[٢]. وأما حديث: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل. فقد صرح الحفاظ كالزركشي والعسقلاني والدميري والسيوطي أنه لا أصل له، ثم رأيت بعضهم ذكر وزيادة: ولو كان لكنته، لكن قال الخطيب: هذه الزيادة لا نعلم من رواها إلا ابن الأزهر وكان يضع، وقال ابن النجار المتن صحيح والزيادة غير محفوظة الله أعلم بواضعها. **(متفق عليه)** [وفي الرياض أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذي وأبو حاتم ولم يقولا: إلا أنه لا نبي بعدي. وعنه قال: خلف رسول الله ﷺ علياً في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان قال: أما ترضى بأن تكون مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. أخرجه أحمد ومسلم وأبو حاتم. وعن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أقول كما قال أخي موسى: اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي أخي علياً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً أنك كنت بنا بصيراً. أخرجه أحمد في المناقب. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لعلي في غزوة تبوك: أما ترضى أن يكون لك من الأجر مثل ما لي ولك من المغنم ما لي. وأخرجه الخلعي]. وروى ابن ماجه وأبو بكر الطبري في جزئه عن أبي سعيد ولفظه: علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي[٣]. وروى الخطيب عن البراء والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس بلفظ: علي مني بمنزلة رأسي من بدني[٤].

٦٠٨٨ ـ **(وعن زر)** بكسر الزاي وتشديد الراء **(ابن حبيش)** بضم مهملة وفتح موحدة فسكون تحتية فشين معجمة. قال المؤلف: أسدي كوفي عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإِسلام ستين وهو من أكابر القراء المشهورين من أصحاب عبد الله بن مسعود، وسمع عمر روى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم. **(قال: قال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة)** أي

---

(١) لم أجده في الكتب الستة ولا في غيرها. والله تعالى أعلم.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٤٥٧ حديث رقم ٧٤٥٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ عند ابن ماجه والله تعالى أعلم. والموجود نحوه في الحديث رقم ١٢١.

(٤) مسند الفردوس ٣/٦٢ حديث رقم ٤١٧٤.

الحديث رقم ٦٠٨٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/٨٦ حديث رقم (١٣١ . ٧٨). والترمذي في السنن ٥/٥٩٤ حديث رقم ٣٧١٧. والنسائي ٨/١١٥ حديث رقم ٥٠١٨. وأحمد في المسند ١/٨٤.

وبَرَأ النسمة، إنه لعهدُ النبي الأمّي ﷺ إليَّ: أن لا يحبُّني إلا مؤمنٌ، ولا يبغضني إلا منافق. رواه مسلم.

شقها وأخرج النبات منها (**وبرأ النسمة**) أي خلق كل ذات روح[1] (**إنه**) أي الشأن (**لعهد النبي الأمي ﷺ إلي**) أي أكد ذلك وبالغ علي حتى كأنه عهد إلي. وفي نسخة بسكون الهاء على أنه مصدر مرفوع مضاف إلى النبي الأمي وهو فاعله لقوله: إلي وأن في قوله: (**أن لا يحبني**) مصدرية أو تفسيرية لما في العهد من معنى القول، والمعنى لا يحبني حباً مشروعاً مطابقاً للواقع من غير زيادة ونقصان ليخرج النصيري[2] والخارجي. (**إلا مؤمن**) أي كامل الإيمان، فمن أحبه وأبغض الشيخين مثلاً فما أحبه حباً مشروعاً أيضاً كما أشار إليه السيد جمال الدين. لكن عبارته قاصرة بل موهمة حيث قال: أي لا يحبني حباً مشروعاً فلا ينتقض حينئذ بمن يحبه ويبغض أبا بكر وعمر. (**ولا يبغضني إلا منافق**) أي حقيقة أو حكماً (**رواه مسلم**) وأخرجه الترمذي ولفظه: عهد إلي من غير قسم. وقال: حسن صحيح. وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة[3]. أخرجه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث غريب. وعن أم سلمة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ [يقول]: لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن[4]. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب. وعنها أن رسول الله ﷺ قال لعلي: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق[5]. أخرجه أحمد في المسند. وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرابتي أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فإنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني. أخرجه أحمد في المناقب. وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته. أخرجه أحمد. وروى الحاكم عن أنس مرفوعاً: حب العرب إيمان وبغضهم نفاق[6]. وروى ابن عدي عن أنس: حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق[7]. وروى ابن عساكر عن جابر: حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما كفر، وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر وحب العرب من الإيمان وبغضهم كفر، ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة[8].

---

(١) في المخطوطة اللفظ: «أي خرج كل ذي روح».

(٢) في المخطوطة «البصري».

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٩٩ حديث رقم ٣٧٣٣. وأحمد في المسند ١/ ٧٦.

(٤) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٩٤ حديث رقم ٣٧١٧.

(٥) أحمد في المسند ٦/ ٢٩٢.

(٦) الحاكم في المستدرك ٤/ ٨٧.

(٧) ابن عدي ٣/ ٩٤٣.

(٨) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٨.

٦٠٨٩ ـ (٣) وعن سهل بن سعد، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يوم خيبرَ: «لأُعطينَّ هذه الرَّايةَ غداً رجلاً يفتح اللَّهُ على يديه، يُحبُّ اللَّهَ ورسولَه ويحبُّه اللَّهُ ورسولُه». فلما أصبح النَّاسُ غدَوا على رسولِ الله ﷺ كلُّهم يرجون أن يُعطاها فقال: «أينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ؟». فقالوا: هو يا رسولَ الله! يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه». فأُتِيَ به فبَصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ في عينيه فَبَرأَ حتى كأنْ لم يكن به وجع، فأعطاه الرايةَ فقال عليٌّ: يا رسولَ الله! أُقاتلهم حتى يكونوا مثلَنا؟ قال: «انفُذْ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم،

٦٠٨٩ ـ (وعن سهل بن سعد) أي الساعدي (أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:) أي زمن محاصرته أو آخر نهار من أيامه، لما في البخاري: فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحه (قال رسول الله ﷺ: لأعطين هذه الراية) أي العلم التي هي علامة للإمارة (غداً) أي في غد (رجلاً يفتح على يديه) أي بسببه (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة ـ ٥٤]. وبحثه طويل الذيل عزيز النيل. وفي رواية قال: فبات الناس يدوكون ليلهم أيهم يعطى والدوك الخوض. (فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ) أي أتوه وقت الغدوة (كلهم يرجون) أي يتمنون (أن يعطاها) أي الراية التي هي آية الفتح: فجمع الضمير في يرجون نظر إلى معنى كلهم، وأفرد في يعطي نظراً إلى لفظه. وفيه لطيفة وهي شمول الرجاء دون حصول الإعطاء. (فقال: أين علي بن أبي طالب) فيه أنه وقع في هذا المقام مراد وغير مريد والله غالب على أمره في إعطاء المزيد لمن يريد. (فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه) والمعنى أنه حصل عذر لديه. قال الطيبي: أي أين علي ما لي لا أراه حاضراً فيستقيم جوابهم، هو يا رسول الله يشتكي عينيه. ونحوه قوله تعالى: ﴿ما لي لا أرى الهدهد﴾ [النمل ـ ٢٠]. كأنه ﷺ استبعد غيبته عن حضرته في مثل ذلك الموطن لا سيما وقد قال: لأعطين هذه الراية إلى آخره. وقد حضر الناس كلهم طمعاً بأن يكون هو الذي يفوز بذلك الوعد، وتقديم القوم الضمير وبناء يشتكي عليه اعتذار منهم على سبيل التوكيد. (قال: فأرسلوا إليه) بكسر السين، والمعنى فأرسلوا إليه. (فأتي به) أي فجيء به (فبصق) وفي رواية: فلما جاء بصق. (رسول الله ﷺ) أي ألقى بزاقه (في عينيه) وفي رواية فدعا له (فبرأ) بفتح الراء وقد يكسر، أي فصح على من جهة عينيه وعوفي عافية كاملة. (حتى كأن لم يكن به وجع) أي ولا سبب وجع من الرمد ولا ضعف بصر أصلاً. (فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم) بهمزة مقدرة أو بدونها (حتى يكونوا مثلها) أي حتى يسلموا (قال: انفذ) بضم[1] الفاء، أي امض. (على رسلك) بكسر فسكون، أي رفقك ولينك. (حتى تنزل بساحتهم) أي حتى

الحديث رقم ٦٠٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٢١٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٢ حديث رقم (٣٣. ٢٤٠٦). والترمذي في السنن ٥/ ٥٩٦ حديث رقم ٣٧٢٤. أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٤٣ حديث رقم ١١٣. وأحمد في المسند ١/ ٣٣١.

(١) في المخطوطة «بفتح».

ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حقّ اللّهِ فيه، فوالله لأن يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم». متفق عليه.

تبلغ فناءهم من أرضهم **(ثم ادعهم إلى الإسلام)** أي أولاً **(وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه)** أي في الإسلام، وكأن هنا محذوفاً أو جملة مطوية وهي فإن أبوا عنه فاطلب الجزية. **(فإن أبوا فقاتلهم حتى يسلموا)** حقيقة أو حكماً، أو معناه ينقادوا. قال الطيبي: كأنه ﷺ استحسن قوله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا واستحمده على ما قصده من مقاتلته إياهم حتى يكونوا أمثالنا مهتدين إعلاء لدين الله، ومن ثم حثه ﷺ على ما نواه بقوله: **(فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعيم)** يراد به حمر الإبل وهي أعزها وأنفسها، ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه. قال النووي: تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فقدر يسير من الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها[1]. أقول: والظاهر أن قوله: فوالله الخ. تأكيد لما أرشده من دعائهم إلى الإسلام أولاً، فإنه ربما يكون سبباً لإيمانهم من غير حاجة إلى قتالهم المتفرع عليه حصول الغنائم من حمر النعم وغيرها، فإن إيجاد مؤمن واحد خير من إعدام ألف كافر على ما صرح به ابن الهمام في أول كتاب النكاح معللاً به على وجه تقديمه على كتاب السير والجهاد. والحمر بضم فسكون جمع أحمر وأما بضم الميم فهو جمع حمار، والنعم بفتحتين وقد يكسر عينه على ما في القاموس الإبل والشاة أو خاص بالإبل، وأما النعم بكسر النون فهو جمع نعمة. **(متفق عليه)** وروى الطبراني عن أبي رافع مرفوعاً: لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس، أي خير من الدنيا وما فيها. وقيل أراد أن تكون له ويتصدق بها. وفي الرياض عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله بفتح الله عليه. وقال عمر: فما أحببت الإمارة [إلا يومئذ] فتشارفت. فدعا رسول الله ﷺ علياً فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتف. فسار على شيئاً ثم وقف ولم يلتفت. فصرخ: يا رسول الله على ما أقاتل فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ. أخرجه مسلم[2]. وعن سلمة بن الأكوع قال: كان علي قد تخلف عن رسول الله ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ. فلما كانت الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية، أو ليأخذن الراية غداً رجل يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله يفتح الله عليه. فإذا نحن بعلي وما نرجوه. فقال: هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ ففتح الله عليه. أخرجه البخاري ومسلم[3]. وعن بريدة قال: حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له[4] ثم أخذ عمر من الغد فخرج

---

(١) في المخطوطة «معه».
(٢) مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧١ حديث رقم ٢٤٠٥.
(٣) مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٢ حديث رقم ٢٤٠٧.
(٤) في المخطوطة «عليه».

وذكر حديث البراءِ، قال لعليّ: «أنت مني وأنا منك» في باب «بلوغ الصَّغير».

ورجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة فقال رسول الله ﷺ: إني دافع غداً إلي رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح عليه فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً. فلما أصبح ﷺ قام قائماً فدعا باللواء والناس على مصافهم. فدعا علياً وهو أرمد فتفل في عينه ودفع اللواء إليه ففتح له. قال بريدة: وأنا ممن تطاول لها. أخرجه أحمد في المناقب. وعن سلمة بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق برايته وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ولم يكن فتح وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار. فدعا رسول الله ﷺ علياً وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال: خذ هذه الراية فامض حتى يفتح الله عليك. قال سلمة: فخرج والله بها يهرول هرولة وأنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن. فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت. قال: أنا علي بن أبي طالب. قال اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى أو كما قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه. أخرجه ابن إسحاق. **(وعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود وطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل بيده حتى فتح الله عليه.)** [ثم][1] ألقاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر مع سبعة إناثاً منهم نجتهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه. **(أخرجه أحمد في المناقب**[2]).

(وعن جابر بن عبد الله أن علي بن أبي طالب حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها، وبعد ذلك لم يحمله أربعون رجلاً) وفي طريق ضعيف: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب. **(أخرجهما الحاكمي في الأربعين)**.

(وعن علي قال: ما رمدت بعد تفل النبي ﷺ في عين)[3] أخرجه أحمد. وأخرج أحمد أيضاً عن عبد الرحمٰن بن أبي يعلى قال: كان أبي يسمر مع علي، وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له: لو سألته فسأله فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله إني أرمد العين. قال: فتفل في عيني. وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ وقال: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار. فتشرف لها أصحاب محمد ﷺ فأعطانيها. **(وذكر حديث البراء قال لعلي: أنت مني وأنا منك. في باب بلوغ الصغير)** أي لما كان له تعلق بالحضانة. والحديث هناك مشتمل على فضل علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) في المخطوطة بدل «ثم» «لم يكن».
(٢) أحمد في المسند ٦/٨.
(٣) أحمد في المسند ١/٧٨.

الفصل الثاني

٦٠٩٠ ـ (٤) عن عمران بن حصين، أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ علياً مني وأنا منه، وهو وليّ كلِّ مؤمن». رواه الترمذي.

(الفصل الثاني)

٦٠٩٠ ـ **(عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال: إن علياً مني وأنا منه)** أي في النسب والمصاهرة والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا لا في محض القرابة، وإلا فغيره مشارك له فيها. **(وهو ولي كل مؤمن)** أي حبيبه كما قاله ابن الملك. أو ناصره أو متولي أمره. قال الطيبي هو إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾** [المائدة ـ ٥٥]. وفي الكشاف قيل: نزلت في علي رضي الله عنه، فإن قلت: كيف يصح أن يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة. قلت: جيء به ترغيباً للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه وليبنه على أن سجية المؤمن يجب أن تكون[١] على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان. قال البيضاوي: قوله: وهم راكعون، أي متخشعون في صلاتهم وزكاتهم. وقيل: هو حال مخصوصة بيؤتون، أي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً على الإحسان ومسارعة إليه، فإنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه انتهى. والحديث رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بروايات مختلفة. قال القاضي: واستدل به الشيعة على إمامته زاعمين أن المراد بالولي المتولي للأمور والمستحق للتصرف فيهم، والظاهر ما ذكرناه من أنه تعالى لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها، وإنما لم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع، مع أن حمل الجمع على الواحد أيضاً خلاف الظاهر. قال السيد معين الدين الصفوي ما قبل الآية ينادي على أن المراد من الولاية ليس التولي للأمور والمستحق للتصرف كما قالت الشيعة، بل ذكره بلفظ الجمع تحريضاً على المبادرة على الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر فلا يستدل بهذه الآية على إمامة علي رضي الله عنه انتهى. والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لا سيما واللفظ بصيغة الجمع فيدخل علي كرم الله وجهه فيه دخولاً أولياً، لا أن الأمر[٢] محصور فيه حقيقياً. **(رواه الترمذي)** وفي الرياض عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها علياً قال: فمضى على السرية فأصاب جارية فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي. فقال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ وسلموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله ﷺ فقام أحد

الحديث رقم ٦٠٩٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٠ حديث رقم ٣٧١٢. وأحمد في المسند ٤/ ٤٣٧.

(١) في المخطوطة «يكون». (٢) في المخطوطة «المراد».

٦٠٩١ ـ (٥) وعن زيد بن أرقم، أنَّ النبيّ ﷺ قال: «مَنْ كُنتُ مولاه فعليٌّ مولاه».

الأربعة فقال: يا رسول الله ﷺ ألم تر أن علياً صنع كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل إليه رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه فقال: ما تريدون من علي ثلاثاً إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب. وأخرجه أحمد وقال فيه: فأقبل رسول الله ﷺ على الأربع وقد تغير وجهه فقال: دعوا علياً، عليّ مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي. وله طريق آخر عن بريدة وأصله في صحيح البخاري. وأخرجه أحمد في المناقب عن أبي رافع قال: لما قتل علي أصحاب الألوية يوم أحد قال جبريل: يا رسول الله إن هذه [لهي] المواساة، فقال له النبي ﷺ: إنه مني وأنا منه. فقال جبريل: وأنا منكما يا رسول الله.

٦٠٩١ ـ **(وعن زيد بن أرقم)** ذكره تقدم **(أن النبي ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه)** قيل: معناه من كنت أتولاه فعلي يتولاه، من الولي ضد العدو أي من كنت أحبه فعلي يحبه. وقيل معناه: من يتولاني فعلي يتولاه كذا ذكره شارح من علمائنا. وفي النهاية: المولى يقع على جماعة كثيرة كالرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه، وأكثرها قد جاءت في الأحاديث فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه. وقوله: من كنت مولاه يحمل على أكثر هذه الأسماء المذكورة. قال الشافعي: يعني بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى: ﴿**ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم**﴾ [محمد ـ ١١]. وقول عمر لعلي: أصبحت مولى كل مؤمن، أي والي كل مؤمن. وقيل سبب ذلك أن أسامة قال لعلي: لست مولاي إنما مولاي رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. وفي شرح المصابيح للقاضي، قالت الشيعة: هو المتصرف، وقالوا: معنى الحديث أن علياً رضي الله عنه يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول ﷺ التصرف فيه ومن ذلك أمور المؤمنين فيكون إمامهم. قال الطيبي: لا يستقيم أن تحمل[1] الولاية على الإمامة التي هي التصرف في أمور المؤمنين، لأن المتصرف المستقل في حياته ﷺ هو هو لا غيره، فيجب أن يحمل على المحبة وولاء الإسلام ونحوهما. اهـ. وقيل سبب ورود هذا الحديث كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن إسحاق: أن علياً تكلم بعض من كان معه باليمن فلما قضى النبي ﷺ حجة خطب بها تنبيهاً على قدره ورداً على من تكلم فيه كبريدة كما في البخاري. وسبب ذلك كما رواه الذهبي وصححه أنه خرج معه إلى اليمن فرأى منه[2] جفوة نقصه للنبي ﷺ، فجعل يتغير وجهه عليه السلام ويقول: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قلت: بلى يا رسول

الحديث رقم ٦٠٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩١ حديث رقم ٣٧١٣. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٨.

(١) في المخطوطة «يحمل».

(٢) في المخطوطة «عنه».

رواه أحمد، والترمذي.

٦٠٩٢ ـ (٦) وعن حُبْشِيِّ بنِ جُنادةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليٌّ مني وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عني إلا أنا أو عليّ». رواه الترمذي.

الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. (رواه أحمد والترمذي) وفي الجامع رواه أحمد وابن ماجه عن البراء، وأحمد عن بريدة والترمذي والنسائي، والضياء عن زيد بن أرقم. ففي إسناد المصنف الحديث عن زيد بن أرقم إلى أحمد والترمذي مسامحة لا تخفى. وفي رواية لأحمد والنسائي والحاكم عن بريدة بلفظ: من كنت وليه فعلي وليه[١]، وروى المحاملي في أماليه عن ابن عباس. ولفظه: علي بن أبي طالب مولى من كن مولاه[٢]. والحاصل أن هذا حديث صحيح لا مرية فيه، بل بعض الحفاظ عده متواتراً إذ في رواية أحمد أنه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعليل لما نوزع أيام خلافته، وسيأتي زيادة تحقيق في الفصل الثالث عند حديث البراء.

٦٠٩٢ ـ (وعن حبشي) بضم حاء وسكون موحدة فكسر فتشديد تحتية (ابن جنادة) بضم الجيم. قال المؤلف: رأى النبي ﷺ في حجة الوداع وله صحبة، عداده في أهل الكوفة روى عنه جماعة. (قال: قال رسول الله ﷺ: علي مني وأنا من علي) مر معناه (ولا يؤدي عني) أي نبذ العهد (إلا أنا وعلي) كان الظاهر أن يقال لا يؤدي عني إلا علي، فأدخل أنا تأكيداً لمعنى الاتصال في قوله: علي مني وأنا منه. قال التوربشتي: كان من دأب العرب إذا كان بينهم مقاولة في نقض وإبرام وصلح ونبذ عهد أن لا يؤدي ذلك إلا سيد القوم أو من يليه من ذوي قرابته القريبة ولا يقبلون ممن سواهم. فلما كان العام الذي أمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس رأى بعد خروجه أن يبعث علياً كرم الله وجهه خلفه لينبذ إلى المشركين عهدهم ويقرأ عليهم سورة براءة، وفيها: ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا**﴾ [التوبة ـ ٢٨]. إلى غير ذلك من الأحكام. فقال قوله هذا تكريماً له بذلك. قلت: واعتذاراً لأبي بكر في مقامه هنالك ولذا قال الصديق لعلي حين لحقه من ورائه أمير أو مأمور فقال: بل مأمور. وفيه إيماء إلى أن إمارته إنما تكون متأخرة عن خلافة الصديق كما لا يخفى على ذوي التحقيق. (رواه الترمذي) وكذا أحمد والنسائي وابن ماجه عن حبشي على ما في الجامع. ورواه أحمد عن أبي جنادة، فلعل أحمد له روايتان ولم يذكر المؤلف أبا جنادة في أسمائه.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٤٢ الحديث رقم ٩٠٠٠. والحديث رقم ٩٠٠١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٤٦. حديث رقم ٥٥٩٨.

الحديث رقم ٦٠٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٣ حديث رقم ٣٧١٦. وابن ماجه ١/ ٤٤ حديث رقم ١١٩ وأحمد في المسند ٤/ ١٦٤.

ورواه أحمد عن أبي جنادة.

٦٠٩٣ - (٧) وعن ابن عمر، قال: آخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه، فجاءَ عَليٌّ تدْمَعُ عيناه، فقال: آخيتَ بين أصحابِك، ولم تُؤاخِ بيني وبين أحدٍ. فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب.

٦٠٩٤ - (٨) وعن أَنس، قال: كان عند النبي ﷺ طيرٌ، فقال: «اللهم ائْتني بأحبّ خلقِكَ إِليكَ يأكل معي هذا الطير» فجاءه عليٌّ، فأكل معه. رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريب.

٦٠٩٣ - **(وعن ابن عمر قال: آخى رسول الله ﷺ)** بمد الهمزة أي جعل المؤاخاة في الدين. **(بين أصحابه)** أي اثنين اثنين كأبي الدرداء وسلمان **(فجاء علي تدمع عيناه)** أي فسئل مالك **(فقال:)** وفي رواية: يا رسول الله. **(آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ)** بالهمز ويجوز إبداله واواً. **(بيني وبين أحد. فقال رسول الله ﷺ:)** أي جبراً له بما كان خيراً له **(أنت أخي في الدنيا والآخرة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.)** وأخرجه أحمد في المناقب عن عمر ابن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً فقال: يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني. قال: ولم تراني تركتك [تركتك] لنفسي أنت أخي وأنا أخوك، فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعد إلا كذاب.

٦٠٩٤ - **(وعن أنس قال: كان عند النبي ﷺ طير)** أي مشوي أو مطبوخ أهدي إليه ﷺ. وفي رواية: أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ طيرين بين رغيفين فقدمت إليه. **(فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك)** وفي رواية: وإلى رسولك. **(يأكل)** بالرفع وفي نسخة بالجزم. **(معي هذا الطير. فجاءه علي فأكل معه، رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)** أي إسناداً أو متناً ولا منع من الجمع، قال ابن الجوزي: موضوع. وقال الحاكم: ليس بموضوع. وفي المختصر قال: له طرق كثيرة كلها ضعيفة. وفي الرياض رواه أحمد في المناقب قال الإمام التوربشتي: نحن وإن كنا لا نجهل بحمد الله فضل علي رضي الله عنه وقدمه وسوابقه في الإسلام واختصاصه برسول الله ﷺ لقرابته القريبة ومؤاخاته إياه في الدين ونتمسك من حبه[1] بأقوى وأولى مما يدعيه الغالون فيه، فلسنا نرى أن نضرب عن تقرير أمثال هذه الأحاديث في نصابها صفحاً لما يخشى فيه من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وهذا باب أمر بمحافظته وجيء أمر بالذب عنه فحقيق علينا أن ننصر فيه الحق ونقدم فيه الصدق. وهذا حديث تدلس[2] به المبتدع شأنه ويوصل به المنتحل جناحه ليتخذه ذريعة إلى الطعن في خلافة

الحديث رقم ٦٠٩٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٥ حديث رقم ٣٧٢٠.

الحديث رقم ٦٠٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٥ حديث رقم ٣٧٢١.

(١) في المخطوطة «جهة». (٢) في المخطوطة بالتاء.

٦٠٩٥ ـ (٩) وعن علي [رضي الله عنه]، قال: كنتُ إِذا سألتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ أعطاني وإِذا سكتُّ ابتدأني.

أبي بكر رضي الله عنه التي هي أوّل حكم أجمع عليه المسلمون في هذه الأمة وأقوم عماد أقيم به الدين بعد رسول الله ﷺ. فنقول وبالله التوفيق: هذا الحديث لا يقاوم ما أوجب تقديم أبي بكر والقول بخيريته من الأخبار الصحاح منضماً إليها إجماع الصحابة لمكان سنده، فإن فيه لأهل النقل مقالاً. ولا يجوز حمل أمثاله على ما يخالف الإِجماع لا سيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل في هذا الإجماع واستقام عليه مدة عمره ولم ينقل عنه خلافه، فلو ثبت عنه هذا الحديث فالسبيل أن يؤوّل على وجه لا ينقض[(١)] عليه ما اعتقده ولا يخالف ما هو أصح منه متناً وإسناداً. وهو أن يقال يحمل قوله: بأحب خلقك على أن المراد منه ائتني بمن هو من أحب خلقك إليك فيشاركه فيه غيره وهم المفضلون بإجماع الأمة. وهذا مثل قولهم: فلان أعقل الناس وأفضلهم، أي من أعقلهم وأفضلهم. ومما يبين لك أن حمله على العموم غير جائز هو أن النبي ﷺ من جملة خلق الله ولا جائز أن يكون علي أحب إلى الله منه. فإن قيل ذلك شيء عرف بأصل الشرع، قلنا والذي نحن فيه عرف أيضاً بالنصوص الصحيحة وإجماع الأمة فيؤوّل هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه، أو على أنه أراد به أحب خلقه إليه من بني عمه وذويه، وقد كان النبي ﷺ يطلق القول وهو يريد تقييده ويعم به ويريد تخصيصه فيعرفه ذوو الفهم بالنظر إلى الحال أو الوقت أو الأمر الذي هو فيه. قال الطيبي: والوجه الذي يقتضيه المقام هو الوجه الثاني لأنه ﷺ كان يكره أن يأكل وحده لأنه ليس من شيمة أهل المروءات، فطلب من الله تعالى أن يؤتى[(٢)] له من يؤاكله وكان ذلك براً وإحساناً منه إليه وأبر المبرات بذوي الرحم وصلته، كأنه قال بأحب خلقك إليك من ذوي القرابة القريبة ومن هو أولى بإحساني وبري إليه. اهـ. وفيه أن لا شك أن العم أولى من ابنه وكذا البنت وأولادها في أمر البر والإِحسان، على أن قول الطيبي هذا إنما يتم إذا لم يكن أحد هناك ممن يؤاكله ولا شك في وجوده، لا سيما وأنس حاضر وهو خادمه ولم يكن من عادته أنه لا يأكل معه. فالوجه الأوّل هو المعوّل. ونظيره ما ورد أحاديث بلفظ: أفضل الأعمال في أمور لا يمكن جمعها إلا أن يقال في بعضها أن التقدير من أفضلها.

٦٠٩٥ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: كنت إذا سألت رسول الله ﷺ)** أي طلبت **(شيئاً أعطاني)** أي المسؤول أو جوابه **(وإذا سكت ابتدأني)** أي بالتكلم أو الاعطاء، ففيه إشعار بأن حسن الأدب هو السكوت وتفويض الأمر الموجب للتعظيم المتفرع عليه الإقبال المنتج للإعطاء أولاً. ويؤيده حديث: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». ومما يدل على كرمه وزهده ما ذكره أصحاب المناقب **عن علي** قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع وإن صدقتي اليوم أربعون ألفاً. وفي رواية: وأن

---

(١) في المخطوطة «ينفض». (٢) في المخطوطة «يمنح».

الحديث رقم ٦٠٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٥ حديث رقم ٣٧٢٢.

. . . .

صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار. أخرجهما أحمد[١]. وربما يتوهم متوهم أن مال علي تبلغ[٢] زكاته هذا القدر، وليس كذلك، فإنه كان أزهد الناس. فقيل معناه أن الذي تصدقت به منذ كان لي مال إلى اليوم كذا وكذا ألفاً، ثم ذكره لذلك إنما هو في معرض الشكر على هذه الخلة وعدم الاكتراث بما خرج لله تعالى وإن إخراجه أبلغ في الزهد من عدمه. وأبعد من قال: ويحتمل أن يكون في معرض التوبيخ لنفسه تنتقل الحال إلى مثل هذا بعد ذلك الحال. وعن سهل بن سعد أن علي بن أبي طالب دخل على فاطمة والحسن والحسين يبكيان فقال: ما يبكيهما. قالت: الجوع. فخرج علي فوجد ديناراً في السوق فجاء إلى فاطمة فأخبرها فقالت: اذهب إلى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقاً فجاء إلى اليهودي فاشترى به دقيقاً. فقال اليهودي: أنت ختن هذا الذي يزعم أنه رسول الله قال: نعم قال: فخذ دينارك ولك الدقيق. فخرج عليّ حتى جاء به فاطمة فأخبرها فقالت: اذهب إلى فلان الجزار فخذ لنا بدرهم لحماً. فذهب فرهن الدينار بدرهم على لحم فجاء به فعجنت ونصبت وخبزت فأرسلت إلى أبيها فجاءهم فقالت: يا رسول الله أذكر لك فإن رأيته حلالاً أكلنا وأكلت من شأنه كذا قال: كلوا باسم الله. فأكلوا فبينما هم مكانهم إذا غلام ينشد الله والإسلام للدينار فأمر رسول الله ﷺ فدعي له فسأله فقال: سقط مني في السوق. فقال النبي ﷺ: يا علي اذهب إلى الجزار فقل إن رسول الله ﷺ يقول لك أرسل إلي بالدينار ودرهمك عليّ. فأرسل به فدفع إليه. أخرجه أبو داود[٣]. ومما يدل على تواضعه ما أخرجه البغوي في معجمه عن أبي صالح بياع الأكسية عن جده قال: رأيت علياً اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته فقيل: يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك. قال: أبو العيال أحق بحمله. وعن زيد بن وهب أن الجعد بن نعجة من الخوارج عاتب علياً في لباسه فقال: ما لي وللباس هذا هو أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم. أخرجه أحمد[٤] وصاحب الصفوة[٥]. ومما يدل على ورعه ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن رزين قال: دخلت على علي يوم الأضحى فقرب إلينا حريرة فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط، يعني الأوز فإن الله قد أكثر الخبز. فقال: يا ابن رزين سمعت رسول الله يقول: لا يحل لخليفة من مال الله إلا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين أيدي الناس[٦]. وعن علي ابن أبي ربيعة أن علي بن أبي طالب جاءه ابن التياح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء قال: الله أكبر. فقام متوكئاً على ابن التياح حتى قام وأمر فنودي في الناس

---

(١) أحمد في المسند ١/١٥٩.
(٢) في المخطوطة «يبلغ».
(٣) أخرجه أبو داود ٢/٣٣٨ حديث رقم ٣٣٨.
(٤) أحمد في المسند ١/٩١.
(٥) لعل المراد: «صفوة الصفوة» لأبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي المعروف بابن الجوزي. ت ٥٩٧. وهو اختصار حلية الأولياء.
(٦) أحمد في المسند ١/٧٨.

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث «حسنٌ غريب».

٦٠٩٦ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دارُ الحكمةِ، وعليٌّ بابها».

فأعطي جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غري غيزي ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين. أخرجه أحمد في المناقب. وفي رواية عند أحمد: فصلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة. وعن علي قال: جعت بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدراً فظننتها تريد بله فأتيتها فعاطيتها كل دلو بتمرة فعددت ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يدي، ثم أتيتها فقلت: بكلتي يدي هكذا بين يديها وبسط إسماعيل راوي الحديث يديه جميعاً فعدت لي ستة عشر تمرة. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فأكل معي منها وقال لي خيراً ودعا لي[(١)]. أخرجه أحمد في المناقب وصاحب الصفوة والفضائلي **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وأخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له: مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ قال: إني كنت إذا سألته آتاني وإذا سكت ابتدأني.

٦٠٩٦ ـ **(وعنه)** أي عن علي **(قال: قال رسول الله ﷺ: أنا دار الحكمة)** وفي رواية: أنا مدينة العلم. وفي رواية [المصابيح] أنا دار العلم **(وعلي بابها)** باب من أبواب [وفي رواية زيادة: فمن أراد العلم فليأته من بابه[(٢)]. والمعنى على باب من أبوابها] ولكن التخصيص يفيد نوعاً من التعظيم وهو كذلك لأنه بالنسبة إلى بعض الصحابة [أعظمهم] وأعلمهم. ومما يدل على أن جميع الأصحاب بمنزلة الأبواب قوله ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. مع الإيماء إلى اختلاف مراتب أنوارها في الاهتداء، ومما يحقق ذلك أن التابعين أخذوا أنواع العلوم الشرعية من القراءة والتفسير والحديث والفقه من سائر الصحابة غير علي رضي الله عنه أيضاً، فعلم عدم انحصار البابية في حقه اللهم إلا أن يختص بباب القضاء. فإنه ورد في شأنه: إنه أقضاكم، كما أنه جاء في حق أبيّ: أنه أقرؤكم[(٣)]، وفي حق زيد بن ثابت: إنه أفرضكم، وفي حق معاذ بن جبل: إنه أعلمكم بالحلال والحرام[(٤)]. ومما يدل على جزالة علمه ما في الرياض عن معقل بن يسار قال: وضأت رسول الله ﷺ فقال: هل لك في فاطمة [تعودها.] فقلت: نعم فقام متوكئاً علي. فقال: إنه سيحمل ثقلها غيرك[(٥)] ويكون أجرها لك. قال: فكأنه لم يكن علي شيء حتى دخلنا على فاطمة فقلنا: كيف تجدينك. قالت: لقد اشتد حزني

---

(١) أحمد في المسند ١/ ١٣٥.

الحديث رقم ٦٠٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٦ حديث رقم ٣٧٢٣.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٧.

(٣) أخرج البخاري عن عمر رضي الله عنه قال: «أقرؤنا أبي وأقضانا علي...» الحديث. ٨/ ١٦٧ حديث رقم ٤٤٨١.

(٤) الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٣ حديث رقم ٣٧٩٠.

(٥) في المخطوطة «غيرها».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وقالَ: روى بعضُهم هذا الحديثَ عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحيّ، ولا نعرفُ هذا الحديث عن أحدٍ من الثقات غير شريك.

واشتدت فاقتي وطال سقمي. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: وجدت بخط أبي في هذا الحديث قال: أو ما ترضين أن زوجك أقدمهم سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. أخرجه أحمد[١]. وعن ابن عباس وقد سأله الناس فقالوا: أي رجل كان علياً. قال: كان قد ملىء جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة مع قرابته من رسول الله ﷺ. أخرجه أحمد في المناقب. وعن سعيد بن المسيب قال: عمر كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن. أخرجه أحمد. قال الطيبي: لعل الشيعة تتمسك بهذا التمثيل أن أخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوزه إلى غيره إلا بواسطته رضي الله عنه لأن الدار إنما يدخل[٢] من بابها، وقد قال تعالى: ﴿**وأتوا البيوت من أبوابها**﴾ [البقرة - ١٨٩]. ولا حجة لهم فيه، إذ ليس دار الجنة بأوسع من دار الحكمة ولها ثمانية أبواب. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**)[٣] أي إسناداً (**وقال**) أي الترمذي (**روى بعضهم هذا الحديث عن شريك**) وهو شريك بن عبد الله قاضي بغداد، ذكره شارح. (**ولم يذكروا**) أي ذلك البعض (**فيه**) أي في إسناد هذا الحديث (**عن الصنابحي**) بضم صاد وكسر موحدة ومهملة (**ولا نعرف**) أي نحن (**هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك**) بالنصب على الاستثناء، وفي نسخة بالجر على أنه بدل من أحد. قيل وفي بعض نسخ الترمذي عن شريك بدل غير شريك والله أعلم. ثم اعلم أن حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها. رواه الحاكم في المناقب من مستدركه من حديث ابن عباس وقال: صحيح. وتعقبه الذهبي فقال: بل هو موضوع. وقال أبو زرعة: كم خلق افتضحوا فيه. وقال يحيى بن معين: لا أصل له كذا قال أبو حاتم ويحيى بن سعيد. وقال الدارقطني: ثابت ورواه الترمذي في المناقب من جامعه وقال: إنه منكر. وكذا قال البخاري إنه ليس له وجه صحيح، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال ابن دقيق العيد: هذا الحديث لم يثبتوه. وقيل: إنه باطل، لكن قال الحافظ أبو سعيد العلائي الصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف فضلاً عن أن يكون موضوعاً، ذكره الزركشي. وسئل الحافظ العسقلاني عنه فقال: إنه حسن لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قال ابن الجوزي. قال السيوطي: وقد بسطت كلام العلائي والعسقلاني في التعقبات التي على الموضوعات. اهـ. وفي خبر الفردوس: أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها[٤]. وشذ بعضهم فأجاب إن معنى وعلي بابها أنه فعيل من العلو على حد قراءة: صراط علي مستقيم برفع علي وتنوينه كما قرأ به يعقوب.

---

(١) أحمد في المسند ٥/ ٢٦.

(٢) في المخطوطة «مثل».

(٣) قال الترمذي هذا الحديث غريب منكر. راجع تخريج الحديث.

(٤) مسند الفردوس ١/ ٤٣ حديث رقم ١٠٥.

٦٠٩٧ ـ (١١) وعن جابر، قال: دعا رسولُ الله ﷺ علياً يومَ الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مَعَ ابنِ عمّه، فقال رسول الله ﷺ: «ما انتجيتُه، ولكن الله انتجاه». رواه الترمذي.

٦٠٩٨ ـ (١٢) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «يا عليّ! لا يحلُّ لأحدٍ يُجْنِبُ في هذا المسجد غيري وغيرُك» قال علي بن المنذر:

٦٠٩٧ ـ **(وعن جابر قال: دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف)** قال شارح: أي يوم أرسل النبي ﷺ علياً إلى الطائف **(فأنتجاه)** من باب الافتعال من النجوى أي فساره وقال له نجوى. **(فقال الناس:)** أي المنافقون أو عوام الصحابة **(لقد طال نجواه مع ابن عمه. فقال رسول الله ﷺ: ما انتجيته)** أي ما خصصته بالنجوى **(أنا ولكن الله انتجاه)** بتشديد لكن ويخفف. والمعنى أني بلغته عن[1] الله ما أمرني أن أبلغه إياه على سبيل النجوى، فحينئذ انتجاه الله لا انتجيته. فهو نظير قوله تعالى: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾ [الأنفال ـ ١٧]. قال الطيبي [رحمه الله]: كان ذلك أسراراً إلهية وأموراً غيبية جعله من خزانها. اهـ. وفيه أن الظاهر أن الأمر المتناجى به من الأسرار الدنيوية المتعلقة بالأخبار الدينية من أمر الغزو ونحوه، إذ ثبت في صحيح البخاري أنه سئل علي كرم الله وجهه: هل عندكم شيء ليس في القرآن. فقال: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطاه[2] رجل في كتابه وما في الصحيفة. [قيل: وما في الصحيفة]، فقال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر. ثم هذا التناجي يحتمل أنه بعد نزول آية: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ [المجادلة ـ ١٢]. واختلفوا في أمره للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله: ﴿**أأشفقتم**﴾. وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولاً حتى يمكن العمل به. وعن علي رضي الله عنه: إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري، كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم[3]. **(رواه الترمذي)**.

٦٠٩٨ ـ **(وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي لا يحل لأحد يجنب)** بضم أوله وكسر نونه. قال الطيبي: ظاهره أن يجنب يكون[4] فاعلاً لقوله: لا يحل. وقوله: **(في هذا المسجد)** ظرف ليجنب وفيه إشكال ولذلك أوّله ضرار بن صرد صفة لأحد. **(غيري وغيرك)** بالنصب على الاستثناء، وفي كثير من النسخ بالرفع ولا يظهر له وجه إلا أن يقال خبر مبتدأ محذوف، أي هو غيري وغيرك. **(قال علي بن المنذر:)** قال المؤلف: هو كوفي عرف

الحديث رقم ٦٠٩٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٩٧ حديث رقم ٣٧٢٦.

(١) في المخطوطة «من». (٢) في المخطوطة «يعطي».

(٣) الحاكم في المستدرك ٢/٤٨٢.

الحديث رقم ٦٠٩٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٣٩٧ حديث رقم ٣٧٢٧.

(٤) في المخطوطة «فيكون».

فقلت لضرار بن صُرَدٍ: ما معنى هذا الحديث؟ قال: لا يحلُّ لأحدٍ يستطرقه جنباً غيري وغيرك. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب.

٦٠٩٩ ـ (١٣) وعن أم عطيّة، قالت: بعثَ رسولُ اللّهِ ﷺ جيشاً فيهم عليّ، قالت: فسمعتُ رسول الله ﷺ وهو رافعٌ يديه يقول: «اللهم لا تمتني حتى تريَني عليّاً». رواه الترمذي.

بالطريقي، روى عن ابن عيينة والوليد بن مسلم، وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم. قال ابن أبي حاتم: سمعت منه مع أبي وهو ثقة صدوق. وقال النسائي: شيعي محض ثقة مات سنة ست وخمسين ومائتين. **(فقلت لضرار)** بكسر الضاد المعجمة **(ابن صرد:)** بضم ففتح فتنوين يكنى أبا نعيم الكوفي الطحان، سمع المعتمر بن سليمان وغيره وروى عنه علي بن المنذر **(ما معنى هذا الحديث قال: لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك)** قال القاضي: ذكره في شرحه أنه لا يحل لأحد يستطرقه جنباً غيري وغيرك، وهذا إنما يستقيم إذا جعل يجنب صفة لأحد ومتعلق الجار محذوفاً فيكون تقدير الكلام: لا يحل لأحد تصيبه الجنابة يمر في [هذا] المسجد غيري وغيرك. وكان ممر دارهما خاصة في المسجد. قال الطيبي: والإشارة في هذا المسجد مشعرة بأن له اختصاصاً بهذا الحكم ليس لغيره من المساجد، وليس ذلك إلا لأن باب رسول الله ﷺ يفتح إلى[1] المسجد وكذا باب علي. ويؤيده حديث ابن عباس في الفصل الثالث: أمر بسد الأبواب[2] إلا باب علي. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث [حسن] غريب.)** وقال الجزري: هذا الحديث ضعيف باتفاقهم. اهـ. وسيأتي بحث وارد هنا في الفصل الثالث عند قوله: أمر بسد الأبواب[3] إلا باب علي.

٦٠٩٩ ـ **(وعن أم عطية)** قال المؤلف: هي نسيبة بضم النون وفتح السين المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بنت كعب، وقيل بنت الحارث الأنصارية بايعت النبي ﷺ فتمرض المرضى وتداوي الجرحى **(قالت: بعث رسول الله ﷺ جيشاً فيهم علي قالت: فسمعت رسول الله ﷺ وهو رافع يديه يقول:)** أي حين إرساله أو عند توقع إقباله. **(اللهم لا تمتني)** بضم فكسر[4]، أي لا تقبض روحي. **(حتى تريني)** بضم فكسر، أي تبصرني **(علياً)** أي رجوعه بالسلامة **(رواه الترمذي.)** وعن الحسن أنه قال حين قتل علي: لقد فارقكم رجل ما سبقه الأوّلون بعلمه ولا أدركه الآخرون، كان رسول الله ﷺ يبعثه بالسرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح عليه. أخرجه أحمد.

---

(١) في المخطوطة «في». (٢) في المخطوطة «الباب».

(٣) في المخطوطة «الباب».

الحديث رقم ٦٠٩٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠١ حديث رقم ٣٧٣٧.

(٤) في المخطوطة «فسكون».

الفصل الثالث

٦١٠٠ ـ (١٤) عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحبُ عليّاً منافقٌ ولا يبغضه مؤمن». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن، غريب إِسناداً.

٦١٠١ ـ (١٥) وعنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «من سبَّ عليّاً فقد سبَّني». رواه أحمد.

(الفصل الثالث)

٦١٠٠ ـ **(عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن)** أي كامل **(رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب إسناداً.)** وقد سبق ما يؤيده.

٦١٠١ ـ **(وعنها)** أي عن أم سلمة **(قالت: قال رسول الله ﷺ: من سب علياً)** أي من جهة النسب **(فقد سبني)** أي من شتم علياً فكأنه شتمني؛ فمقتضاه أن يكون سب علي كفراً أو هو محمول على التهديد والوعيد، أو مبني على الاستحلال والله أعلم بالحال. **(رواه أحمد)** وكذا الحاكم[١]. وروى الطبراني عن ابن عباس: من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وفي رواية للطبراني عن علي: من سب الأنبياء قتل ومن سب أصحابي جلد[٢]. وفي الرياض عن عمرو بن شاش[٣] الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال: خرجت مع علي إلى اليمن فجافاني في سفري فوجدت في نفسي عليه. فلما قدمت المدينة أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فلما رآني أمد بي عينيه يقول: حدد إلى النظر حتى إذا جلست قال: يا عمرو والله لقد آذيتني، قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. فقال: بلى من آذى علياً فقد آذاني. أخرجه أحمد[٤]. وعن ابن عباس [رضي الله عنه] قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب فقال له: أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة، من أحبك فقد أحبني، وحبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوي وعدوي عدو الله، الويل لمن أبغضك. أخرجه أحمد في المناقب. وعن ابن عباس أيضاً: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله عزَّ وجلَّ أكبه الله على منخره. أخرجه أبو عبد الله الجلالي. وعن أم سلمة قالت:

الحديث رقم ٦١٠٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٤ حديث رقم ٣٧١٧. وأحمد في المسند ٦/ ٢٩٢.

الحديث رقم ٦١٠١: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٢٣.

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٢١.

(٢) ذكرهما السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٢٩ حديث رقم ٨٧٣٤ وحديث رقم ٨٧٣٥.

(٣) في المستدرك ذكره عمر بن شاس بالسين المهملة.

(٤) أحمد في المسند ٣/ ٤٨٣.

٦١٠٢ - (١٦) وعن عليّ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «فيك مثَلٌ من عيسى، أبغضتهُ اليهودُ حتى بَهَتوا أُمَّه، وأحبَّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له». ثم قال: يهلك فيَّ رجلانِ: مُحِبٌّ مفرط يقرِّظني بما ليس فيَّ، ومبغضٌ يحمله شنآني على أن يَبهتني. رواه أحمد.

٦١٠٣ - (١٧) وعن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا نزل

سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد سبني. أخرجه أحمد. وعن عروة بن الزبير أن رجلاً وقع في علي بن أبي طالب بمحضر من عمر فقال [له] عمر: أتعرف صاحب هذا القبر، هذا محمد بن عبد الله بن [عبد] المطلب لا تذكر علياً إلا بخير فإنك إن تنقصه آذيت صاحب هذا القبر ﷺ. أخرجه أحمد في المناقب. وعن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً يوماً فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول: يا أيها الناس لا تشكوا علياً فوالله إنه لأحسن في ذات الله، أو قال: في سبيل الله. أخرجه أحمد[١].

٦١٠٢ - **(وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: قال لي)** أي مخصوصاً به **(النبي ﷺ: فيك مثل)** أي في حقك شبه **(من عيسى)** أي من وجهين متعارضين لقومين متخالفين **(أبغضته اليهود)** أي بغضاً مفرطاً **(حتى بهتوا أمه)** من بهته كمنعه، قال عليه ما لم يفعل. والمعنى أنهم افتروا عليها بأن نسبوها إلى الزنا. **(وأحبته النصارى)** أي حباً بليغاً **(حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له)** أي مع اختلاف لهم في تلك[٢] المنزلة **(ثم قال:)** أي علي موقوفاً **(يهلك فيّ)** أي يضل في حقي **(رجلان)** أي أحدهما رافضي والآخر خارجي **(محب مفرط)** بضم فسكون، أي مبالغ عن الحد **(يقرظني)** بكسر الراء المشددة، أي يمدحني **(بما ليس فيّ)** أي بتفضيلي على جميع الصحابة أو على الأنبياء، أو بإثبات الألوهية كطائفة النصيرية. **(ومبغض)** وإنما لم يقل هنا مفرط لأن البغض بأصله ممنوع، بخلاف أصل الحب فإنه ممدوح. **(يحمله)** أي يبعثه ويكسبه **(شنآني)** بفتحتين ويسكن الثاني وحكي ترك الهمز، أي عداوتي. **(على أن يبهتني)** أي يتكلم عليّ بالبهتان وينسب إلى الزور والعصيان. **(رواه أحمد)** أي في المسند. وعنه قال: ليحبني أقوام حتى يدخلوا النار في حبي، ويبغضي أقوام حتى يدخلوا النار في بغضي. رواه أحمد في المناقب. وعن السدي قال: قال علي: اللهم العن كل مبغض لنا وكل محب لنا غال. أخرجه أحمد في المناقب.

٦١٠٣ - **(وعن البراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ لما نزل)** أي في مرجعه

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ٨٦.

الحديث رقم ٦١٠٢: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٦٠.

(٢) في المخطوطة «ذلك».

الحديث رقم ٦١٠٣: أخرجه الترمذي في ٥/ ٥٩١ حديث رقم ٣٧١٣. وابن ماجه في السنن ١/ ٤٣ حديث رقم ١١٦. وأحمد في المسند، ٤/ ٢٨٠.

بغديرِ خمٍّ أخذ بيدِ عليٍّ رضي الله عنه فقال: «أَلستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: بلى. قال: «أَلستم تعلمون أني أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه؟» قالوا: بلى. قال: «اللهمَّ مَنْ كنتُ مولاه فعَليٌّ مولاه، اللهمَّ والِ منْ والاه، وعادِ من عاداه». فلقيه عمر رضي الله عنه بعد ذلك فقال له: هنيئاً يا ابن أبي طالب! أصبحتَ وأمسيتَ مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. رواه أحمد.

من حجة الوداع في حال [كمال] أصحابه من الاجتماع (**بغدير خم**) بضم خاء وتشديد ميم [اسم] لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيضة. (**أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين**) أي بجنسهم (**من أنفسهم**) وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ [الأحزاب ـ ٦]. (**قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن**) أي بخصوصه (**من نفسه**) أي فضلاً عن بقية أهله (**قالوا: بلى. فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.**) وفي رواية: وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار. (**فلقيه عمر رضي الله عنه بعد ذلك فقال له: هنيئاً**) أي طوبى لك، أو عش عيشاً هنيئاً. (**يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت**) أي صرت في كل وقت (**مولى كل مؤمن ومؤمنة**) تمسكت الشيعة أنه من النص المصرح بخلافة علي رضي الله عنه حيث قالوا: معنى المولى الأولى بالإمامة، وإلا لما احتاج إلى جمعهم كذلك وهذه من أقوى شبههم. ودفعها علماء أهل السنة بأن المولى بمعنى المحبوب، وهو علي كرم الله وجهه سيدنا وحبيبنا وله معان أخر تقدمت ومنه الناصر وأمثاله، فخرج عن كونه نصاً فضلاً عن أن يكون صريحاً. ولو سلم أنه بمعنى الأولى بالإمامة فالمراد به المآل، وإلا لزم أن يكون هو الإمام مع وجوده عليه السلام، فتعين أن يكون المقصود منه حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافيه تقديم الأئمة الثلاثة عليه لانعقاد اجماع من يعتد به حتى من علي، ثم سكوته عن الاحتجاج به إلى أيام خلافته قاض على أن من له أدنى مسكة بأنه علم منه أنه لا نص فيه على خلافته عقب وفاته عليه السلام، مع أن علياً كرم الله وجهه صرح نفسه بأنه ﷺ لم ينص عليه ولا على غيره. ثم هذا الحديث مع كونه آحاداً مختلف في صحته، فكيف ساغ للشيعة أن يخالفوا ما اتفقوا عليه من اشتراط التواتر في أحاديث الإمامة هذا إلا تناقض صريح وتعارض قبيح. (**رواه أحمد**) أي في مسنده، وأقل مرتبته أن يكون حسناً فلا التفات لمن قدح في ثبوت هذا الحديث. وأبعد من رده بأن علياً كان باليمن لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي ﷺ، ولعل سبب قول هذا القائل أنه وهم أن [النبي] ﷺ قال هذا القول عند وصوله من المدينة إلى غدير خم. ثم قول بعضهم إن زيادة: اللهم وال من والاه. موضوعة مردودة، فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيراً منها والله أعلم. وفي الرياض عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا؛ فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم عرب. قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه. قال رباح [بن الحارث]: فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو

٦١٠٤ - (١٨) وعن بريدة، قال: خطب أبو بكرٍ وعمرُ فاطمةَ فقال رسول الله ﷺ: «إنها صغيرةٌ» ثم خطبها عليٌّ فزوَّجها منه. رواه النسائي.

أيوب الأنصاري. أخرجه أحمد[١]. وعن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على النبي ﷺ ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم. قلت: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. أخرجه أحمد[٢].

٦١٠٤ - **(وعن بريدة قال: خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة.)** وفي رواية: فسكت، ولعلها محمولة على مرة أخرى. **(ثم خطبها علي فزوّجها منه)** يوهم أنه مما يدل على أفضلية علي عليهما، وليس كذلك. أو يحتمل أنها كانت صغيرة عند خطبتهما ثم بعد مدة حين كبرت ودخلت في خمسة عشر خطبها علي. أو المراد أنها صغيرة بالنسبة إليهما لكبر سنهما وزوجها من علي لمناسبة سنه لها، أو لوحي نزل بتزويجها له. ويؤيده ما في الرياض أنه قال لأبي بكر وعمر وغيرهما ممن خطبها: لم ينزل القضاء بعد. فارتفع الإشكال واندفع الاستدلال. **(رواه النسائي)** وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن أنس بن مالك قال: خطب أبو بكر إلى النبي ﷺ ابنته فاطمة فقال ﷺ: يا أبا بكر لم ينزل القضاء، ثم خطبها عمر مع عدة من قريش كلهم يقول له مثل قوله لأبي بكر. فقيل لعلي: لو خطبت إلى النبي ﷺ فاطمة عسى أن يزوّجكها. قال: وكيف وخطبها أشراف قريش فلم يزوّجها. فخطبها فقال ﷺ: قد أمرني ربي بذلك. قال أنس: ثم دعاني النبي ﷺ بعد أيام فقال لي: يا أنس اخرج وادع لي أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمٰن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وبعدة[٣] من الأنصار. قال: فدعوتهم، فلما اجتمعوا عنده ﷺ وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً في حاجة النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ، أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ، إن الله تبارك وتعالى اسمه وعظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام وألزمه للأنام فقال عز من قائل: **﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾** [الفرقان - ٥٤]. فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوّج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوّجته على أربعمائه مثقال فضة إن رضي بذلك علي بن أبي طالب. ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين أيدينا ثم قال: انهبوا فنهبنا فبينا نحن ننهب، إذ دخل علي على النبي ﷺ فتبسم

(١) أحمد في المسند ٥/ ٤١٩. (٢) أحمد في المسند ٥/ ٣٤٧.

الحديث رقم ٦١٠٤: أخرجه النسائي في السنن ٦/ ٦٢ حديث رقم ٣٢٢١.

(٣) في المخطوطة «ولعدة».

٦١٠٥ ـ (١٩) وعن ابن عبَّاس، أنَّ رسولَ الله ﷺ أمر بسدِّ الأبوابِ إلا باب عَليّ.

رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

النبي ﷺ في وجهه ثم قال: إن الله أمرني أن أزوّجك فاطمة على أربعمائة مثقال[1] فضة إن رضيت بذلك. فقال: قد رضيت بذلك يا رسول الله. قال أنس: فقال النبي ﷺ: جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً. قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما كثيراً طيباً.

٦١٠٥ ـ **(وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب)** أي المفتوحة **(في المسجد إلا باب علي)** ولذا قال: لا يحل لأحد في هذا المسجد غيري وغيرك. قيل: ولا يشكل هذا الحديث بما مر في مناقب أبي بكر من أمره بسد الخوخ جميعها إلا خوخة أبي بكر، لأن ذاك فيه التصريح أن أمرهم بالسد كان حال مرض موته وهذا ليس فيه ذلك، فيحمل هذا على أمر متقدم على المرض وبذلك يتضح قول العلماء أن ذلك فيه إشارة إلى خلافة أبي بكر، على أن ذلك الحديث أصح من هذا وأشهر فإنه حديث متفق عليه وهذا كما قال المؤلف: **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** أي متناً وإسناداً أو معاً لكن قد أخرج أحمد والضياء عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال: إني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي[2]. ففي الرياض أخرجه أحمد عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد قال: فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي. قال: فتكلم فيه ناس. فقام رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم. وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته. وعن ابن عمر قال: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، زوّجه [رسول الله] ﷺ ابنته وولدت له وسد الأبواب إلا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر. أخرجه أحمد[3]. وعن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن أرقم الكناني قال: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك فقال: أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي. أخرجه أحمد. قال السغدي عبد الله بن شريك كذاب، وقال ابن حبان: كان غالياً في التشيع، وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس وجابر ولا يصح. وإنما الصحيح [ما أخرج في الصحيحين] عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: لا يبقى باب في المسجد إلا سد إلا باب أبي بكر. وإن صح الحديث في علي أيضاً، حمل ذلك أيضاً على حالين مختلفين توفيقاً بين الحديثين والله أعلم.

---

(١) في المخطوطة «مثاقيل».

الحديث رقم ٦١٠٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٩ حديث رقم ٣٧٣٢. وأحمد في المسند ١/ ١٧٥.

(٢) أحمد في المسند ٤/ ٣٦٩.

(٣) أحمد في المسند ٢/ ٢٦.

٦١٠٦ - (٢٠) وعن عليّ رضي الله عنه، قال: كانت لي منزلةٌ من رسولِ اللَّهِ ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق، آتيه بأعلى سحر فأقول: السَّلام عليك يا نبيَّ الله! فإن تنحنحَ انصرفتُ إِلى أهلي، وإِلا دَخَلْتُ عليه. رواه النسائي.

٦١٠٧ - (٢١) وعنه، قال: كنتُ شاكياً، فمرَّ بي رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنا أقول: اللهمَّ إِنْ كان أَجَلي قد حضر فأَرحني، وإن كان متأخِّراً فارفَغني، وإِن كان بلاء فصبِّرني.

٦١٠٦ - **(وعن علي رضي الله عنه قال: كانت لي منزلة)** أي مرتبة قرب **(من رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق)** فيه مبالغة لا تخفى حيث عبر عن الصحابة بجميع الخلائق التي لا تحصى **(آتيه)** بالمد استئناف بيان لتلك المنزلة، أي أجيئه **(بأعلى سحر)** أي بأول أوقاته وهو السدس الأخير على ما ذكره الكشاف **(فأقول السلام عليك يا رسول الله)** أي سلام استئذان **(فإن تنحنح)** أي مع جواب السلام أو بدونه، بناء على أن سلام الاستئذان هل له جواب واجب أو لا. **(انصرفت إلى أهلي)** أي رجعت إلى أهل بيتي، عالماً بأن هناك مانعاً شرعياً أو عرفياً(١) **(وإلا)** أي وإن لم يتنحنح **(دخلت عليه)** أي وتشرفت بالحضور لديه ومطالعة النظر إليه. **(رواه النسائي)**.

٦١٠٧ - **(وعنه)** أي عن علي **(قال: كنت شاكياً)** أي مريضاً **(فمر بي رسول الله ﷺ)** أي ذاهباً أو عائداً **(وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي)** أي انتهاء عمري **(قد حضر)** أي وقته **(فأرحني)** أي بالموت من الإراحة، وهي اعطاء الراحة بنوع إزاحة للبلية. **(وإن كان)** أي أجلي **(متأخراً فارفغني)** بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة، أي وسع لي في المعيشة بإعطاء الصحة فإن عافيتك أوسع. وفي نسخة صحيحة بالعين المهملة. ويؤيد الأوّل ما في النهاية في حديث علي: أرفغ لكم [المعاش]، أي أوسع وعيش رافغ أي واسع ذكره الطيبي. وهو مشعر بأن أرفغني من باب الأفعال والله أعلم بالحال. وفي القاموس الرفغ السعة والخصب، وزاد في الصحاح يقال: رفغ عيشه رفاغة، أي اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ أي واسع طيب وترفغ الرجل توسع في رفاغته من العيش. قال ميرك: والظاهر أن رفغ لازم، فقول الطيبي في الحديث(٢): أي وسع لي عيشي، لا يخلو عن تأويل. قلت: يعني به الحذف والإيصال، ثم قال: والذي صحح في أصل سماعنا: فأرفعني، بالعين المهملة من الرفع ومعناه ظاهر وهو الأنسب بالمقام كما لا يخفى على المتأمل. قلت: إذا وقع حق التأمل في المقام يظهر أنه غير ملائم للمرام لأن الرفع المتعدي بمعنى القبض، ومنه قوله تعالى: ﴿ورافعك إلي﴾. نعم إن صحت الرواية فيقال التقدير فارفع، أي المرض عني. **(وإن كان)** عطف على أن كان الأوّل فتأمل، والمعنى وإن كان المرض. **(بلاء)** أي مما قدرت له قضاء **(فصبرني)** بتشديد الموحدة المكسورة، أي أعطني

الحديث رقم ٦١٠٦: أخرجه النسائي في السنن ٣/ ١٢ حديث رقم ١٢١٣ وأحمد في المسند ١/ ٨٥.

(١) في المخطوطة «شرعي» أو «عرفي».

الحديث رقم ٦١٠٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٢٣ حديث رقم ٣٥٦٤. وأحمد في المسند ١/ ١٠٧.

(٢) في المخطوطة «فقوله في الحديث وقول الطيبي».

فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت؟» فأعاد عليهِ ما قال، فضربه برجله، وقال: «اللهمَّ عافِهِ - أو اشفهِ -» شكَّ الراوي قال: فما اشتكيتُ وجعي بعدُ. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٩) باب مناقب العشرة رضي الله عنهم

الصبر[1] عليه ولا تجعلني من أهل الجزع لديه. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾** [النحل - ١٢٧]. **(فقال رسول الله ﷺ: كيف قلت، فأعاد)** أي علي **(عليه ما قال)** أي أوّلاً **(فضربه برجله)** أي ليتنبه عن غفلة أمره وينتهي عن شكاية حاله وتتصل[2] إليه بركة قدمه وليحصل له كمال متابعته [في أثره]. **(وقال: اللهم عافه)** بهاء الضمير، وفي نسخة بهاء السكت وكذا في قوله: **(أو اشفه)** شك الراوي، هذا كلام أحد الرواة المتأخرة وفيه تنبيه نبيه على أن علياً ونحوه ينبغي أن يقول في مرضه: اللهم عافني أو اشفني من غير تردد فإن الله تعالى لا مستكره له. **(قال:)** أي علي **(فما اشتكيت وجعي)** أي هذاك **(بعد)** أي بعد دعائه ﷺ **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.)** قال المؤلف: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب القرشي يكنى أبا الحسن وأبا تراب وهو أوّل من أسلم من الذكور في أكثر الأقوال، وقد اختلف في سنه يومئذ فقيل كان له خمس عشرة سنة، وقيل ثمان سنين، وقيل عشر سنين. شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها غير تبوك فإنه خلفه في أهله وفيها قال له: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. كان آدم شديد الأدمة عظيم العينين أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية [أصلع] أي الرأس واللحية، استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن ودفن سحراً وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً. روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق من الصحابة والتابعين. اهـ. ولا يخفى أنه كان مقتضى ما سبق من ترتيب الأبواب أن يذكر هنا باباً في مناقب هؤلاء الأربعة ولعله اكتفى بما يذكرون في ضمن العشرة المبشرة، وسيأتي في حديث علي في حق الأربعة بخصوصهم في أواخر الفصل الثاني.

(باب مناقب العشرة المبشرة رضي الله عنهم)

أراد بذكرهم أعم من أن يكونوا مجتمعين في حديث واحد أو متفرقين في أحاديث. وفيه إيماء إلى أن أفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة بقية العشرة على ما صرح به السيوطي في النقاية.

(١) في المخطوطة «اصبر».

(٢) في المخطوطة «ليصل» ولعل الصواب لتصل.

الفصل الأول

٦١٠٨ ـ (١) عن عمر رضي الله عنه، قال: ما أحدٌ أحقُّ بهذا الأمرِ من هؤلاءِ النفر الذين تُوفيّ رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمَّى عليّاً، وعُثمانَ، والزبيرَ، وطلحةَ، وسعداً، وعبد الرَّحمن. رواه البخاري.

(الفصل الأوّل)

٦١٠٨ ـ (**عن عمر رضي الله عنه**) أي موقوفاً (**قال:**) أي قرب موته يوم الشورى. (**ما أحد أحق بهذا الأمر**) أي أمر الخلافة (**من هؤلاء النفر**) وهو من ثلاثة إلى عشرة (**الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض**) [أي] في كمال الرضا بحيث إنه كان معلوماً لكل أحد بلا شبهة، أو المراد بالرضا الرضا المخصوص وهو الذي يستحقون به الخلافة. قال الطيبي: علل الأحقية بقوله: ورسول الله عنهم راض. والحال أنه ﷺ كان راضياً عن الصحابة كلهم فيحمل رضاه عنهم على الزيادة لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة وكلهم من قريش والأئمة منهم. (**فسمي علياً**) أي فعده (**وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمٰن**) أي فهم أفضل الناس في ذلك الزمان، فلما دفن عمر أجمعوا على خلافة عثمان. وسيأتي ترجمة الأربعة عند ذكر كل منهم منفرداً إن شاء الله تعالى. ثم اعلم أن اقتصار عمر على الستة من العشرة لا إشكال فيه لأنه منهم، وكذلك أبو بكر، ومنهم أبو عبيدة وقد مات قبل ذلك. وأما سعيد بن زيد. فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبري. وقد صح من رواية المدائني بأسانيده أن عمر عد سعيد بن زيد فيمن مات النبي ﷺ وهو عنهم راض، إلا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه. (**رواه البخاري**) وفي الرياض عن عمرو بن ميمون أنهم قالوا لعمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف. قال: ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمي علياً وطلحة وعثمان والزبير وعبد الرحمٰن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص. قال: ويشهد عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصاب الأمر سعداً فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر[1] فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة. فلما توفي وفرغ من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. فخلا هؤلاء الثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمٰن. فقال عبد الرحمٰن للآخرين: أيكما يتبرأ من هذا الأمر ويجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن إلى أفضلهم في نفسه وليحرصن على صلاح الأمة. قال: فأسكت الشيخان علي وعثمان. فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آلو على أفضلكم.

الحديث رقم ٦١٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٥٩٠. حديث رقم ٣٧٠٠.

(١) في المخطوطة «أمرني».

٦١٠٩ ـ (٢) وعن قيس بن أبي حازِمٍ،

قالا: نعم. فأخذ بيد علي فقال: إن لك من القدم والإسلام والقرابة ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بعثمان فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال لعثمان: ارفع يدك فبايعه ثم بايعه علي. ثم ولج أهل الدار فبايعوه. أخرجه البخاري[1] وأبو حاتم. وفي رواية ذكرها ابن الجوزي في كتاب منهاج أهل الإصابة في محبة الصحابة أن عبد الرحمٰن لما قال لعلي وعثمان أفتجعلونه إلي قالا: نعم. قال لعلي: أبايعك على سيرة أبي بكر وعمر. فقال علي: واجتهاد رأيي. فخاف أن يترخص من المباح ما لا يحتمله من ألف ذلك التشدد من سيرة الشيخين، فقال لعثمان: أبايعك على سيرة أبي بكر وعمر فقال: نعم. فبايعه فسار سيرة أبي بكر وعمر مدة، ثم ترخص في مباحات ولم يتحملوها حتى أنكروا عليه. وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن أسامة بن زيد عن رجل منهم إنه كان يعني عبد الرحمٰن بن عوف كلما دعا رجلاً منهم يعني من أهل الشورى تلك الليلة وذكر مناقبه وقال: إنك لها أهل فإن أخطأتك فمن يقول إن أخطأتني فعثمان. اهـ. والحكمة الخفية في ترتيب الأربعة ما قاله بعض العارفين من أنه أراد الله أن يتشرف كل منهم بمنصب الخلافة وكان أمر الله قدراً مقدوراً وكان ذلك في الكتاب مسطوراً. وقد أجاب محمد بن جرير الطبري لما قيل له أن العباس مع جلالته وقربه من رسول الله ﷺ ومنزلته لم لم يدخله في الشورى فقال: إنها لما جعلها في أهل السبق من المهاجرين البدريين. والعباس لم يكن مهاجراً ولا سابقاً ولا بدرياً. وسيأتي أن عثمان وطلحة وسعيداً في حكم أهل بدر حيث أعطي لهم من سهمها وأجرها، ثم اعلم أن الإمامة تثبت إما بعقدها من أهل العقد والحل لمن عقدت له من أهلها كأبي بكر، وأما بنص من الإمام على استخلاف واحد من أهلها كعمر، ويجوز نصب المفضول مع وجود من هو أفضل منه بإجماع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على إمامة بعض من قريش مع وجود أفضل منه منهم، ولأن[2] عمر جعل الخلافة بين ستة منهم عثمان وعلي وهما أفضل زمانهما بعد عمر، فلو تعين الأفضل لعين عمر عثمان أو علياً. فدل عدم تعينه أنه يجوز نصب غيرهما مع وجودهما إذ غير الأفضل قد يكون أقدر منه على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الملك وأوفق لانتظام حال الرعية وأوثق في اندفاع الفتنة. وأما اشتراط العصمة في الإمام وكونه هاشمياً وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه، فمن خرافات الشيعة وجهالاتهم وتوطئة وتمهيد لهم على ضلالاتهم من بطلان خلافة غير علي مع انتفاء ذلك في علي كرم الله وجهه.

٦١٠٩ ـ **(وعن قيس بن أبي حازم)** قال المؤلف: بجلي أدرك زمن الجاهلية وأسلم وجاء إلى النبي ﷺ ليبايعه فوجده قد توفي. يعد في تابعي الكوفة، روى عن العشرة إلا عن عبد

---

(١) راجع التخريج لهذا الحديث.

(٢) في المخطوطة «إلا أن».

الحديث رقم ٦١٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٥٩. حديث رقم ٤٠٦٣. وابن ماجه في السنن ١/ ٤٦ حديث رقم ١٢٨.

قال: رأيتُ يد طلحة شلاَّءَ وَقَى بها النبيَّ ﷺ يوم أُحدٍ. رواه البخاري.

٦١١٠ ـ (٣) وعن جابر، قال: قال النبي ﷺ: «من يأتيني بخبر القوم؟ يوم الأحزاب»، قال الزبير: أنا فقال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ لكل نبيّ حَوارِيًا، وحَوارِيَّ الزبيرُ».

الرحمٰن بن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة. وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة إلا هو، وروى عنه جماعة كثيرة من التابعين. شهد النهروان مع علي بن أبي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة ومات سنة ثمان وتسعين. **(قال: رأيت يد طلحة شلاء)** بتشديد اللام فعلاء من الشلل، وهو نقص في الكف وبطلان العمل. وليس معناه القطع كما زعم بعضهم. **(وقى)** استئناف بيان علة [بها]) أي حفظ بها **(النبي ﷺ يوم أحد)** أي جعل يده وقاية له يومئذ، فحصل لها ما حصل بسببه من طعنة وقعت عليها. **(رواه البخاري)** قال المؤلف: هو طلحة بن عبيد الله يكنى أبا محمد القرشي أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها غير بدر، لأن النبي ﷺ كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر، وجرح يوم أحد أربعة وعشرين جراحة. قيل: كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية. وكان آدم كثير الشعر حسن الوجه قتل في وقعة يوم الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة.

٦١١٠ ـ **(وعن جابر قال: قال النبي)** وفي نسخة: رسول الله. **(ﷺ: من يأتيني)** بإثبات الياء التي هي لام الفعل فإن من هنا موصولة. وفي نسخة صحيحة بحذفها تخفيفاً، أو على أن من شرطية محذوفة الجواب. والمعنى من يجيئني **(بخبر القوم)** أي قوم الكفار **(يوم الأحزاب)** وهو يوم الخندق **(قال الزبير: أنا فقال النبي ﷺ: إن لكل نبي حواريا)** بتشديد الياء، ويجوز تخفيفها أي ناصراً مخلصاً. **(وحواري)** بتشديد الياء المفتوحة، وفي نسخة بكسرها. وفي نسخة: وحواريي. **(الزبير)** وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: ضبط جماعة من المحققين بفتح الياء المشددة، وضبط أكثرهم بكسرها. اهـ. ولا يخفى أن الأخير يحتمل أن يكون بعد الياء المشددة ياء الإضافة مفتوحة على وفق القراءة المتواترة في قوله تعالى: **﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب﴾** [الأعراف ـ ١٩٦]. ويحتمل أن يكون ياء الإضافة ساكنة تحذف وصلاً وتثبت وقفاً، ويحتمل أن يكون بالياء المشددة المكسورة فقط كما روي عن السوسي في أن ولي الله بكسر الياء المشددة. ثم لا يخفى أنه على تقدير الياء المشددة المفتوحة، أو المكسورة بلا ياء الإضافة ينبغي أن يكون مرسوماً بياء واحدة كما وجدناه في بعض النسخ المصححة ومنها نسخة الجزري، وهو الظاهر من نقل النووي والموافق للرسم القرآني. ثم توجيهه المشددة بلا ياء

الحديث رقم ٦١١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٢. حديث رقم ٢٨٤٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٩ حديث رقم (٤٨ ـ ٢٤١٥). والترمذي في السنن ٥/ ٦٠٤ حديث رقم ٣٧٤٤. وابن ماجه ١/ ٤٥ حديث رقم ١٢٢. وأحمد في المسند ٣/ ٣١٤.

متفق عليه.

٦١١١ ـ (٤) وعن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقتُ، فلما رجعتُ جمعَ لي رسول الله ﷺ أبوَيه فقال: «فداك أبي وأمي». متفق عليه.

بعدها هو أنه جاء الحواري بتخفيف الياء وقد قرىء: قال الحواريون. بالتخفيف شاذاً، فالثانية ياء إضافة وهي قد تكون مفتوحة وقد تكون ساكنة وتكسر لالتقاء الساكنين. هذا وفي شرح السنة: المراد منه الناصر. وحواري عيسى عليه السلام أنصاره سموا به لأنهم كانوا يغسلون الثياب فيحوّرونها أي يبيضونها[1]. قال المؤلف: هو الزبير بن العوّام أبو عبد الله القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، أسلم قديماً وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان ليترك الإسلام فلم يفعل، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو أوّل من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد. كان أبيض طويلاً يميل إلى الخفة في اللحم قتله عمرو بن جرموز بسفوان بفتح السين والفاء من أرض البصرة سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن بوادي السباع، ثم حوّل إلى البصرة وقبره مشهور بها. وروى عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما. **(متفق عليه)** وفي الجامع: إن لكل نبي حوارياً وإن حواري الزبير. رواه البخاري والترمذي عن جابر، والترمذي والحاكم عن علي[2]. وفي الرياض عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي حوارياً وحواري الزبير. أخرجه البخاري والترمذي والحاكم بزيادة ولفظه: ندب رسول الله ﷺ يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير [ثم ندبهم فانتدب الزبير]. فقال النبي ﷺ: لكل نبي حواري وحواري الزبير. وأخرجه الترمذي عن علي وقال: حسن صحيح. وأخرجه أحمد عن عبد الله بن الزبير بزيادة ولفظه: لكل نبي حواري والزبير حواري وابن عمتي.

٦١١١ ـ **(وعن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: من يأتي بني قريظة)** أي من يذهب [إليهم] وهم طائفة من اليهود من سكان حوالي المدينة. **(فيأتيني بخبرهم. فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه)** أي في الفداء **(فقال: فداك أبي وأمي)** بفتح الفاء وقد يكسر، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له. وقال صاحب النهاية في الحديث: فاغفر فداء لك ما اقتفينا إطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والاستعارة، لأنه إنما يفدي من المكاره من يلحقه فيكون المراد بالفداء التعظيم. **(متفق عليه.)** وأخرجه الترمذي وقال: حديث

---

(١) في المخطوطة «يبصرونها». (٢) الجامع الصغير ١/ ١٤٧ حديث رقم ٢٤٣١.

الحديث رقم ٦١١١: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٠. حديث رقم ٣٧٢٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٩ حديث رقم (٤٩ ـ ٢٤١٦). والترمذي في السنن ٥/ ٦٠٤ حديث رقم ٣٧٤٣. وابن ماجه ١/ ٤٥ حديث رقم ١٢٣. وأحمد في المسند ١/ ١٦٦.

٦١١٢ ـ (٥) وعن عليّ، قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ جَمَعَ أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أُحُد: «يا سعدُ! ارمِ فداك أبي وأمي». متفق عليه.

حسن. وهذا القول لمن ينقل أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب لغيره. وأخرج أحمد عنه قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه يوم أحد، والمشهور في ذلك اليوم[1] أنه كان لسعد ويحتمل أن يكون جمعهما[2] لهما، أو اشتهر في سعد لكثرة ترديد القول له بذلك. وقد روي عنه أنه قال: جمع لي رسول الله ﷺ أبويه مرتين في أحد وفي قريظة، وعن عروة قال: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال: يا بني ما من عضو إلا وقد جرح مع رسول الله ﷺ حتى انتهى ذلك إلى الوجه. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب[3]. وعن عبد الله بن الزبير قال: قلت للزبير: ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث عنه أصحابه قال: أما والله لم أفارقه منذ أسلمت ولكني سمعته يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار. أخرجه البخاري[4].

٦١١٢ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه)** أي في الفداء **(لأحد)** أي من الصحابة **(إلا لسعد بن مالك فإني سمعته يقول يوم أحد: يا سعد ارم فداك أبي وأمي)** قيل: الجمع بينه وبين خبر الزبير أن علياً لم يطلع على ذلك، أو أراد بذلك تقييده بيوم أحد. اهـ. والظاهر الإطلاق المقيد بنفي السماع بلا واسطة، وهو لا ينافي أنه[5] اطلع على تفدية الزبير بواسطة الغير. قال المؤلف: سعد بن أبي وقاص يكنى أبا إسحاق واسم أبي وقاص مالك بن وهيب الزهري القرشي أسلم قديماً وهو ابن سبع عشرة سنة وقال: كنت ثالث الإسلام وأنا أوّل من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك تخاف دعوته وترجى لاشتهار إجابتها عندهم. وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: اللهم سدد سهمه وأجب دعوته، وجمع له رسول الله ﷺ وللزبير أبويه فقال لكل واحد منهما: فداك أبي وأمي، ولم [يقل] ذلك لأحد غيرهما. وكان آدم شديد أشعر الجسد مات في قصره بالعقيق قريباً من المدينة فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذٍ والي المدينة، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون سنة. وهو آخر العشرة موتاً ولاه عمر وعثمان الكوفة. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين **(متفق عليه)**.

---

(١) في المخطوطة «أحد». (٢) في المخطوطة «جمعه».

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٥ حديث رقم ٣٧٤٦. وفيه إلى «فرجه» وليس «إلى الوجه».

(٤) مر فيما سبق.

الحديث رقم ٦١١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٥٨. حديث رقم ٤٠٥٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٦ حديث رقم (٤١ . ٢٤١١). والترمذي في السنن ٥/ ٦٠٨ حديث رقم ٣٧٥٥ وابن ماجه ١/ ٤٦ حديث رقم ١٢٩. وأحمد في المسند ١/ ١٢٤.

(٥) في المخطوطة «إنما».

٦١١٣ ـ (٦) وعن سعد بن أبي وقاص، قال: إني لأوَّلُ العرب رمَى بسهمٍ في سبيلِ اللّهِ. متفق عليه.

٦١١٤ ـ (٧) وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: سَهِرَ رسولُ الله ﷺ مَقْدَمَه المدينة ليلةً فقال: «ليتَ رجلاً صالحاً يحرسني» إِذْ سمعنا صوتَ سلاَحٍ فقال: «من هذا؟» قال: أنا سعدٌ، قال: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوفٌ على رسولِ اللّهِ ﷺ فجئتُ

٦١١٣ ـ (**وعن سعد بن أبي وقاص قال: إني لأوّل العرب**) التعريف فيه للجنس وقوله: (**رمى بسهم في سبيل الله**) صفة له[1] فهو كقوله:

* ولـقـد أمـر عـلـى الـلـئـيـم يـسـبـنـي *

ذكره الطيبي. وخلاصته إن رمى صفة أوّل عربي رمى، واللام في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني (**متفق عليه**.) وتمامه على ما في الرياض: ولقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحبلة وهذا السمر، حتى أن كان أحدنا ليضع كما تضع[2] الشاة ماله خلط. أخرجه الشيخان. وعن عامر بن سعد قال: بينا سعد في إبله فجاء ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر الراكب. فقال له: نزلت في إبلك وتركت [بنيك] يتنازعون الملك بينهم. فضرب سعد صدره وقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي. أخرجه مسلم[3]. قال ابن قتيبة: كان آخر العشرة موتاً. وقال الفضائلي: بل كان آخر المهاجرين وفاة.

٦١١٤ ـ (**وعن عائشة قالت: سهر**) كفرح أي لم ينم. وفي رواية: أرق (**رسول الله مقدمه**) أي وقت قدومه (**المدينة ليلة**) وفي رواية: ذات ليلة. قال الطيبي [قوله]: مقدمه، مصدر ميمي ليس بظرف لعمله في المدينة ونصبه على الظرفية على تقدير مضاف، وهو الوقت أو الزمان. وليلة بدل البعض من المقدر، أي سهر ليلة من الليالي وقت قدومه المدينة من بعض الغزوات. (**فقال: ليت رجلاً صالحاً**) وفي رواية: من أصحابي. (**يحرسني**) بضم الراء. وفي رواية: الليلة، أي يحفظني بقية الليلة لأنام مستريح الخاطر مطمئن القلب. (**إذ سمعنا**) وفي رواية: فسمعنا (**صوت سلاح**) بكسر أوّله. وفي رواية: خشخشة السلاح. (**فقال: من هذا. قال: أنا سعد. قال: ما جاء بك. قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ فجئت**

الحديث رقم ٦١١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٣. حديث رقم ٣٧٢٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٧ حديث رقم (١٢ . ٢٩٦٦). والترمذي في السنن ٤/ ٥٠٢ حديث رقم ٢٣٦٥. وابن ماجه ١/ ٤٧ حديث رقم ١٣١. وأحمد في المسند ١/ ١٧٤.

(١) في المخطوطة «لهم».
(٢) في المخطوطة «يطع».
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٧ حديث رقم ٢٩٦٥.

الحديث رقم ٦١١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٨١. حديث رقم ٢٨٨٥. ومسلم في صحيحه =

أَحْرِسُه، فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام. متفق عليه.

٦١١٥ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدةَ بنُ الجراح». متفق عليه.

أحرسه) وفي رواية: أحرسك. (فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام.) وفي رواية: حتى سمعنا غطيطه. (متفق عليه.) وفي الرياض أخرجه مسلم والترمذي.

٦١١٥ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لكل أمة) وفي رواية: [إن] لكل أمة. (أمين) أي ثقة ومعتمد ومرضي (وأمين هذه الأمة) وفي رواية: وإن أمين أيتها الأمة. (أبو عبيدة ابن الجراح) بتشديد الراء، وإنما خصه بالأمانة وإن كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة لغلبتها فيه بالنسبة إليهم. وقيل: لكونها غالبة بالنسبة إلى سائر صفاته. وأخرج أبو حذيفة في فتوح الشام أن أبا بكر لما توفي وخالد على الشام والياً واستخلف عمر كتب إلى أبي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالداً. فكتم أبو عبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب وكتب خالد الأمان لأهل دمشق، وأبو عبيدة الأمير وهم لا يدرون. ثم لما علم خالد بذلك بعد مضي نحو من عشرين ليلة دخل على أبي عبيدة وقال: يغفر الله لك، جاءك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وتصلي خلفي والسلطان سلطانك. فقال له أبو عبيدة: ويغفر الله لك، ما كنت لأعلمك حتى تعلمه من غيري وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، وقد كنت أعلمك إن شاء الله تعالى، وما سلطان الدنيا أريد ولا للدنيا أعمل وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عزَّ وجلَّ، وما يضر الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه بل يعلم أن الوالي يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة وأوقعهما في الحطة لما تعرض من الهلكة إلا من عصم الله عزَّ وجلَّ وقليل ما هم. فدفع أبو عبيدة عند ذلك الكتاب إلى خالد. وتوفي رضي الله عنه بالأردن، بضم الهمزة وتشديد النون، كورة بأعلى الشام، سنة ثمان عشرة في خلافه عمر وهو ابن ثمان وخمسين. (متفق عليه) وروى أحمد عن عمر مرفوعاً: إن لكل نبي أميناً وأميني أبو عبيدة بن الجراح[1]. وعن حذيفة جاء السيد والعاقب إلى النبي ﷺ فقالا: يا رسول الله ابعث معنا أمينك. فقال: سأبعث معكم أميناً حق أمين. فتشرفت لها الناس فبعث أبا عبيدة. أخرجه الشيخان[2]. وعن أبي مسعود قال: لما جاء

= ٤/ ١٨٧٥ حديث رقم (٤٩ . ٢٤١٠). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٨ حديث رقم ٣٧٥٦. وأحمد في المسند ١/ ٣٩١.

الحديث رقم ٦١١٥: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٣٨٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨١ حديث رقم (٥٣ . ٢٤١٩). والترمذي في السنن ٥/ ٦٢٥ حديث رقم ٣٧٩٦. وابن ماجه ١/ ٤٩ حديث رقم ١٣٦. وأحمد في المسند ١/ ١٨.

(١) أحمد في المسند ١/ ١٨.

(٢) البخاري في صحيحه ٧/ ٩٣ حديث رقم ٣٧٤٥.

٦١١٦ - (٩) وعن ابن أبي مليكة، قال: سمعتُ عائشة وسُئلت: من كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مستخلفاً لو استخلفَه؟ قالت: أبو بكر. فقال: ثمَ منْ بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل: مَنْ بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. رواه مسلم.

٦١١٧ - (١٠) وعن أبي هريرة، أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ كانَ على حراءٍ

العاقب والسيد صاحبا نجران أرادا أن يلاعنا رسول الله ﷺ فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه[1] فوالله لئن كان نبياً ولاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا أبداً. قال: فأتياه فقالا: لا نلاعنك ولكنا نعطيك ما سألت فابعث معنا رجلاً أميناً. فقال رسول الله ﷺ: سأبعث رجلاً أميناً حق أمين. قال: فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ. فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح. فلما قفي قال: هذا أمين هذه الأمة. أخرجه أحمد، وأخرجه الترمذي وقال: فبعث أبا عبيدة مكان قم يا أبا عبيدة ولم يذكر ما بعده[2]. ومن كلامه: بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات والأرب مبيض لثيابه مدنس لدينه، والأرب مكرم لنفسه وهو لها مهين. قال المؤلف: هو عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي ﷺ يوم أحد من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه. كان طوالاً معروق الوجه خفيف اللحية[3]. مات في طاعون عمواس بفتح العين بالأردن سنة ثمان عشرة، ودفن ببنيان وصلى عليه معاذ بن جبل وهو ابن ثمان وخمسين سنة. يلتقي[4] مع النبي ﷺ في فهر بن مالك روى عنه جماعة من الصحابة.

٦١١٦ - **(وعن ابن أبي مليكة)** بالتصغير. قال المؤلف هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، واسم أبي مليكة زهير بن عبد الله التميمي القرشي الأحول، من مشاهير التابعين وعلمائهم وكان قاضياً على عهد عبد الله بن الزبير سمع ابن عباس وابن الزبير وعائشة. روى عنه ابن جريج وخلق كثير سواه. مات سنة سبع عشرة ومائة. **(قال: سمعت عائشة وسئلت:)** أي والحال أنها سئلت **(من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً)** أي جاعلاً خليفة له **([لو] استخلفه)** أي صريحاً على الفرض **(قالت: أبو بكر. فقيل: ثم من)** بفتح الميم أي الذي **(بعد أبي بكر. قالت: عمر. قيل: من بعد عمر. قالت: أبو عبيدة بن الجراح.)** ففيه أن اعتقاد عائشة على أن أبا عبيدة كان أولى بالخلافة بعد الشيخين من بقية أصحاب الشورى. **(رواه مسلم)**.

٦١١٧ - **(وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان على حراء)** بكسر الحاء منصرفاً وقد لا

---

(١) في المخطوطة «بلاغة». (٢) أخرجه الترمذي ٥/ ٦٢٥. حديث رقم ٣٧٩٦.
(٣) في المخطوطة «اللمم». (٤) في المخطوطة «أباده».

الحديث رقم ٦١١٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٥٦ حديث رقم ٩/ ٢٣٨٥. وأحمد في المسند ٦/ ٦٣.
الحديث رقم ٦١١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٠ حديث رقم (٥٠ - ٢٤١٧). وأبو داود ٥/ ٤٠ حديث رقم ٤٦٥١. والترمذي في السنن ٥/ ٦٠٩ حديث رقم ٣٧٥٧. وابن ماجه ١/ ٤٨ حديث رقم ١٣٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٣١.

هو وأبو بكرٍ، وعمَرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأ فما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد». وزاد بعضهم: وسعدُ بنُ أبي وقاص، ولم يذكر علياً. رواه مسلم.

الفصل الثاني

٦١١٨ ـ (١١) عن عبد الرحمن بن عوف،

ينصرف (هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله) وفي نسخة النبي (ﷺ: اهدأ) بفتح الدال وسكون الهمز أي اسكن (فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد) يريد به الجنس لأن المذكور في الحديث بعد الصديق كلهم شهداء. ثم أو للتنويع أو بمعنى الواو. وقال النووي: في الحديث معجزات لرسول الله ﷺ لإخباره أن هؤلاء شهداء، فقتل عمر وعثمان وعلي مشهور، وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال فأصابه سهم فقتله. وقد ثبت أن من قتل ظلماً فهو شهيد. وفيه بيان فضيلة هؤلاء، وفيه إثبات التمييز في الحجارة وجواز التزكية. اهـ. وأغرب السيد جمال الدين حيث قال في كون من أصابه سهم مقتولاً ظلماً تأمل. (وزاد بعضهم) أي في الحديث قوله: (وسعد بن أبي وقاص. ولم يذكر) أي ذلك البعض (علياً) فقوله زاد فيه مسامحة، إذ فيه معاوضة ومبادلة. ثم إن سعداً مات في قصره بالعقيق، فتوجيه هذه الرواية أن يكون بالتغليب أو كما قال السيد جمال الدين: إنه ينبغي أن يقال: كان موته بمرض من الأمراض التي تورث حكم الشهادة. اهـ. ومع هذا فيه نوع تغليب كما لا يخفى (رواه مسلم.) وعن عبد الله بن سالم عن سعيد بن زيد قال: كنا مع رسول الله ﷺ على حراء فتحرك فقال: اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد. قيل: من هم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمٰن بن عوف. قال: قيل: فمن العاشر. قال: أنا أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح[1]. وفي الرياض أنه مات بالمدينة على فراشه، فوجه شهادته أنه شهيد حكمي كسعد وعبد الرحمٰن حيث ماتا على فراشهما أيضاً أو دخلوا في صفة الصديقية، ولا بعد فيه فإنه قال تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ [الحديد ـ ١٩].

(الفصل الثاني)

٦١١٨ ـ (عن عبد الرحمٰن بن عوف) قال المؤلف: يكنى أبا محمد الزهري القرشي أسلم قديماً على يد أبي بكر الصديق وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٩ حديث رقم ٣٧٥٧.

الحديث رقم ٦١١٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٥ حديث رقم ٣٧٤٧. وأحمد في المسند ١/ ١٩٣.

أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أبو بكرٍ في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبد الرَّحمن بن عوف في الجنَّة، وسعدُ بن أبي وقاص في الجنة، وسعيدُ بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة». رواه الترمذي.

٦١١٩ ـ (١٢) ورواه ابن ماجه عن سعيد بن زيد.

النبي الله وثبت يوم أحد وصلى النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته. كان طويلاً رقيق البشرة أبيض مشرباً بالحمرة ضخم الكفين أقنى، أصيب يوم أحد عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فعرج. ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله اثنتان وسبعون سنة. روى عنه ابن عباس وغيره. وفي الرياض: كان اسمه في الجاهلية قيل عبد الكعبة فسماه النبي ﷺ عبد الرحمٰن ووصفه بأنه الصادق البار، ذكره الدارقطني. **(أن النبي ﷺ قال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)** الظاهر أن هذا الترتيب هو المذكور على لسانه ﷺ كما يشعر إليه ذكر اسم الراوي بين الأسماء، وإلا كان مقتضى التواضع أن يذكره في آخرهم فينبغي أن يعتمد عليه في ترتيب البقية من العشرة. **(رواه الترمذي)** [أي] عن عبد الرحمٰن.

٦١١٩ ـ **(ورواه ابن ماجه)** وكذا أحمد والضياء والدارقطني **(عن سعيد بن زيد)** قال المؤلف: يكنى سعيد بن زيد أبا الأعور العدوي، أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ غير بدر فإنه كان مع طلحة يطلبان خبر عير قريش، وضرب له النبي ﷺ بسهم. وكانت فاطمة أخت عمر تحته وبسببها كان إسلام عمر. كان آدم طويلاً أشعر مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع سنة إحدى وخمسين وله بضع وسبعون سنة. روى عنه جماعة. اهـ. ولم يذكر المؤلف حديثاً يدل على مناقبه منفرداً اكتفاء بما سق عنه في باب الكرامات. وفي الرياض عن عمر بن الخطاب ابن عم أبيه، كان أبوه زيد يطلب دين الحنيفية دين إبراهيم قبل أن يبعث النبي ﷺ وكان لا يذبح للأنصاب ولا يأكل الميتة ولا الذم وخرج يطلب الدين هو وورقة بن نوفل فتنصر ورقة وأبى هو التنصر. فقال له الراهب: إنك تطلب ديناً ما هو على وجه الأرض اليوم. قال: وما هو. قال: دين إبراهيم كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً ويصلي إلى الكعبة. وكان زيد على ذلك حتى مات. وعن سعيد بن زيد قال: خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام فأما ورقة فتنصر وأما زيد فقيل له إن الذي تطلب أمامك، قال: فانطلق حتى أتى الموصل فإذا هو براهب. قال: ما تطلب. قال: الدين. فعرض عليه النصرانية فقال: لا حاجة لي فيها. وأبى أن يقبلها. فقال: إن الذي تطلب سيظهر بأرضك. فأقبل وهو يقول: لبيك حقاً حقاً تعبداً ورقاً مهما يجشمني، أي يحملني ويكلفني فإني جاشم عذت بما عاذ به إبراهيم. قال: ومر النبي ﷺ ومعه أبو سفيان بن الحرث يأكلان من سفرة لهما فدعواه

الحديث رقم ٦١١٩: أخرجه ابن ماجه ١/٤٨ حديث رقم ١٣٣.

٦١٢٠ ـ (١٣) وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أرحم أُمَّتي بأمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أُبيُّ بن كعب، وأعلمهم بالحلالِ والحرام معاذ بن جبل، ولكلِّ أمةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو

إلى الغداء فقال: يا ابن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب [قال: فما رؤي النبي ﷺ من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب] حتى بعث ﷺ قال: فأتاه سعيد بن زيد فقال: إن زيداً كان كما قد رأيت وبلغك أستغفر له. فقال: نعم. فاستغفر له وقال: إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. أخرجه ابن عمر. وعن أسماء قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي المؤودة ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها وأنا أكفيك مؤونتها. فيأخذها. فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها. أخرجه البخاري(١). وعن أبي سعيد عن أبيه قال في قوله تعالى: ﴿**والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها**﴾ [الزمر ـ ١٧]. نزلت في ثلاثة نفر كانوا يوحدون الله عزَّ وجلَّ، زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان، أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي. أخرجه الواحدي وأبو الفرج في أسباب النزول.

٦١٢٠ ـ (**وعن أنس عن النبي ﷺ قال: أرحم أمتي**) أي أكثرهم رحمة (**بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله**) أي أقواهم في دين الله كما في رواية (**عمر وأصدقهم حياء عثمان، وأفرضهم**) أي أكثرهم علماً بالفرائض (**زيد بن ثابت**) أي الأنصاري كاتب النبي ﷺ، وكان حين قدم النبي ﷺ له إحدى عشرة سنة وكان أحد فقهاء الصحابة الأجلة القائم بالفرائض، وهو أحد من جمع القرآن وكتبه في خلافة أبي بكر، ونقله من المصحف في زمن عثمان. روى عنه خلق كثير. مات بالمدينة سنة خمس وأربعين وله ست وخمسون سنة. (**وأقرؤهم**) أي أعلمهم بقراءة القرآن (**أبي بن كعب**) أي الأنصاري الخزرجي كان يكتب للنبي ﷺ الوحي وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وكناه أبا المنذر وعمر أبا الطفيل، وسماه النبي ﷺ سيد الأنصار وعمر سيد المؤمنين(٢). مات بالمدينة سنة تسع عشرة روى عنه خلق كثير. (**وأعلمهم بالحلال والحرام**) وفي نسخة: بالحرام والحلال. (**معاذ بن جبل**) يكنى أبا عبد الله الأنصاري الخزرجي وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وبعثه ﷺ إلى اليمن قاضياً ومعلماً. روى عنه [عمر وابن] عمر وابن عباس وخلق سواهم، وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم. واستعمله عمر على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح فمات في عامه ذاك من طاعون عمواس سنة ثمان عشرة وله [ثمان] وثلاثون سنة. وقيل غير ذلك. (**ولكل أمة أمين**) أي مبالغ في الأمانة (**وأمين هذه الأمة [أبو]**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٦٣ حديث رقم ٣٨٢٨.

الحديث رقم ٦١٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٣ حديث رقم ٣٧٩٠. وابن ماجه ١/ ٥٥ حديث رقم ١٥٤ وأحمد في المسند ٣/ ٢٨١.

(٢) في المخطوطة «المسلمين».

عبيدة بن الجراح». رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وروي عن مَعْمر عن قتادة مرسلاً وفيه: «وأقضاهم عليّ».

عبيدة بن الجراح) ومما يدل على كمال زهده ما ذكره في الرياض عن عروة بن الزبير قال: لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه أمراء الأجناد وعظماء الأرض فقال عمر: أين أخي. قالوا: من. قال: أبو عبيدة. قالوا: يأتيك الآن. فلما أتاه نزل فأعتقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله. فقال عمر: ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك. فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل. أخرجه صاحب الصفوة والفضائلي وزاد بعد قوله: ويأتيك الآن. فجاء على ناقة مخطومة بحبل. وفي رواية أن عمر قال له: اذهب بنا إلى منزلك. قال: فدخل منزله فلم ير شيئاً. قال: أين متاعك ما أرى إلا لبداً وصحفة وسيفاً وأنت أمير، أعندك طعام. فقام أبو عبيدة إلى جزنة فأخذ منها كسرات فبكى عمر وقال: غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة. **(رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. وروي)** بصيغة المجهول أي الحديث **(عن عمر عن قتادة مرسلاً)** أي بحذف الصحابي **(وفيه:)** أي في هذا المروي **(وأقضاهم علي)** أي أعلمهم بأحكام الشرع قاله شارح. والأظهر أن معناه أعلم بأحكام الخصومة المحتاجة إلى القضاء. قال النووي في فتاويه قوله: أقضاكم علي، لا يقتضي أنه أقضى من أبي بكر وعمر لأنه لم يثبت كونهما من المخاطبين، وإن ثبت فلا يلزم من كون واحد أقضى من جماعة كونه أقضى من كل واحد يعني لاحتمال التساوي مع بعضهم، ولا يلزم من كون واحد أقضى أن يكون أعلم من غيره، ولا يلزم من كونه أعلم كونه أفضل، يعني لا يلزم من كونه أكثر فضيلة كونه أكثر مثوبة كذا في الأزهار. وفيه بحث، لأن المدار عندنا على الظاهر إذ لا نطلع نحن على السرائر وقد قال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[1]. وأما حديث: ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. فقد ذكره الغزالي بلفظ: ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صوم. وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وهو عند الحكيم الترمذي من قول بكر بن عبد الله المزني. نعم لو لوحظ اعتبار الأسبقية في أكثرية الثواب الآخروية مع المشاركة في سائر الأبواب [لكان] له وجه وجيه إلى صوب الصواب. فقد قالوا: المعتبر في السبق هو إيمان أبي بكر وإن شاركه علي وخديجة وزيد، إذ إيمان الصغير والمرأة والمولى لا سيما وهم من الأتباع ليس له شأن عند الأعداء، ولهذا قوي الإيمان بحمزة وعز بإسلام عمر كما قال عزَّ وجلَّ: **﴿فعززنا بثالث﴾** [يس ـ ١٤]. والحاصل أن الأحاديث متعارضة والأدلة متناقضة فالعبرة بما اتفق عليه جمهور الصحابة وبما أجمع[2] عليه أئمة أهل السنة، ومع هذا فالمسألة ظنية لا يقينية خلافاً لمن خالف. وقد صرح شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي [حيث] قال في علم

---

(١) الترمذي في السنن ٥/ ٤٨ حديث رقم ٢٦٨٥ .

(٢) في المخطوطة «أجمعوا».

٦١٢١ ـ (١٤) وعن الزبير، قال: كانَ على النبيِّ ﷺ يوم أُحُد دِرعانِ، فنهضَ إِلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَوجب طلحةُ».

الهدى: فإن قبلت النصح فأمسك عن التصرف في أمرهم واجعل محبتك للكل على السواء من غير أن ترجح محبة أحدهم على الآخر، وأمسك عن التفضيل والغلو، وإن خامر باطنك فضل أحدهم على الآخر فاجعل ذلك من جملة أسرارك فلا يلزمك إظهاره ولا يلزمك أن تحب أحدهم أكثر من الآخر أو تعتقد فضله أكثر من الآخر، بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك في العقيدة السليمة أن تعتقد صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ثم تعلم أن علياً ومعاوية كانا على القتال والخصام وكان الطائفتان يسب بعضهم بعضاً وما حكم أحد منهم[1] بكفر الآخرين، وإنما كانت ذنوباً لهم فلا تكفر أحداً بما ترى منه من الجهل والسب. واعتقد أن أمير المؤمنين [علياً] اجتهد في الخلافة وأصاب في الاجتهاد وكان أحق الناس بالخلافة إذ ذاك، وأن معاوية اجتهد في ذلك وأخطأ في الاجتهاد ولم يكن مستحقاً لها مع علي رضي الله عنه والله تعالى ينفعنا بمحبتهم ويحشرنا في زمرتهم.

٦١٢١ ـ (**وعن الزبير قال: كان على النبي ﷺ درعان يوم أحد**) أي مبالغة في امتثال قوله تعالى: ﴿**خذوا حذركم**﴾ [النساء ـ ٧١]. وقوله: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ [الأنفال ـ ٦٠]. فإنها تشمل الدرع وإن فسرها النبي ﷺ بأقوى أفرادها حيث قال: ألا إن القوة الرمي. (**فنهض**) أي فقام منتبهاً أو متوجهاً (**إلى الصخرة**) أي التي كانت هناك ليستوي عليها وينظر إلى الكفار ويشرف على الأبرار ويظهر للفرار والكرار. وفي رواية: فذهب لينهض على صخرة. (**فلم يستطع**) أي لثقل درعيه (**فقعد طلحة تحته**) أي وجعل نفسه تحته وبهذا رفع قدره. وفي رواية: فبرك طلحة تحته. (**حتى استوى**) أي النبي. وفي رواية: فصعد على الصخرة. (**فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أوجب طلحة**) أي الجنة كما في رواية. والمعنى أنه أثبتها [لنفسه] بعمله هذا أو بما فعل في ذلك اليوم فإنه خاطر بنفسه يوم أحد وفدى [بها] رسول الله ﷺ وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت يده وجرح ببضع وثمانين جراحة. (**رواه الترمذي**) وكذا أحمد وقال الترمذي: حسن صحيح. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يوم أحد فكسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قميئة جرح وجنته فدخل حلقتان من حلق الدرع في وجنته ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بيد رسول الله ﷺ ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومص مالك بن سنان أبو سعيد الخدري الدم من وجه رسول

---

(١) في المخطوطة «أحدهم».

الحديث رقم ٦١٢١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٦٠٢ حديث رقم ٣٧٣٨. وأحمد في المسند ١/١٦٥.

رواه الترمذي.

٦١٢٢ ـ (١٥) وعن جابر، قال: نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى طلحةَ بن عبيد الله قال: «من أحبَّ أنْ يَنْظُرَ إلى رجلٍ يمشي على وجهِ الأرض وقد قضى نحبه فَلْيَنْظُرْ إلى هذا». وفي رواية: «من سرَّه أن ينظرَ إلى شهيدٍ يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله». رواه الترمذي.

الله ﷺ فقال ﷺ: من مس دمه دمي لم تمسه النار. أخرجه ابن إسحاق.

٦١٢٢ ـ (**وعن جابر قال: نظر رسول الله ﷺ إلى طلحة بن عبيد الله قال:**) استئناف أو حال (**من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحبه**) أي نذره، والمراد به الموت أي مات وإن كان حياً. (**فلينظر إلى هذا**) قال السيوطي في مختصر النهاية: النحب النذر، كأنه ألزم نفسه أن يصدق أعداء الله في الحرب فوفى به. وقيل: الموت، كأنه ألزم نفسه أن تقاتل حتى تموت. وقال التوربشتي: النذر والنحب المدة والوقت ومنه يقال: قضى فلان نحبه إذا مات، وعلى المعنيين يحمل قوله سبحانه: ﴿**فمنهم من قضى نحبه**﴾ [الأحزاب ـ ٢٣]. فعلى النذر أي نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق في مواطن القتال والنصرة لرسول الله ﷺ، وعلى الموت أي مات في سبيل الله وذلك أنهم عاهدوا الله أن يبذلوا نفوسهم في سبيله. فأخبر أن طلحة ممن وفى بنفسه أو ممن ذاق الموت في سبيله وإن كان حياً. ويدل عليه قوله: (**وفي رواية: من سره**) أي أحبه وأعجبه وأفرحه (**أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**) وكان طلحة قد جعل نفسه يوم أحد وقاية لرسول الله ﷺ وكان يقول: عقرت يومئذ في سائر جسدي حتى عقرت في ذكري. وكانت الصحابة رضي الله عنهم إذا ذكروا يوم أحد قالوا: ذاك يوم كان كله لطلحة. وأقول الرواية الثانية يحتمل أن تكون إيماء إلى حصول الشهادة في مآله الدالة على حسن خاتمته وكماله. وفي شرح الطيبي قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي: إن هذا ليس على سبيل المجاز مغيابه التعبير بالحال عن المآل، بل هو ظاهر في معناه جلي من حيث فحواه إذ الموت عبارة عن الغيبوبة عن عالم الشهادة وقد كان هذا حاله من الانجذاب بكليته إلى عالم الملكوت، وهذا إنما يثبت بعد إحكام المقدمات من كمال التقوى والزهد في الدنيا والخروج من الارتهان بنظر الخلق وامتطاء صهوة الإخلاص وكمال الشغل بالله عزَّ وجلَّ بتناوب أعمال القلب والقالب وصدق العزيمة في العزلة واغتنام الوحدة والفرار عن مساكنة الإنس بالجلساء والإخوان. (**رواه الترمذي**) ووافقه الحاكم في الرواية الثانية بلفظ: من أحب، بدل: من سره. وروى ابن ماجه عن جابر وابن عساكر عن أبي هريرة وأبي سعيد: طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض[1].

الحديث رقم ٦١٢٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٢ حديث رقم ٣٧٣٩. وابن ماجه ١/ ٤٦ حديث رقم ١٢٥.

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٤٦ حديث رقم ١٢٥.

٦١٢٣ ـ (١٦) وعن علي [رضي الله عنه] قال: سَمِعَت أُذني من فِي رسول الله ﷺ يقول: «طلحةُ والزبيرُ جاراي في الجنة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٦١٢٤ ـ (١٧) وعن سعد بن أبي وقاص، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال يومئذٍ، يعني يومَ أُحُدٍ: «اللهمَّ اشدُدْ رَمْيَتَهُ وأجِبْ دعوتَه». رواه في «شرح السنة».

٦١٢٥ ـ (١٨) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهمَّ استجب لسعدٍ

وروى الترمذي وابن ماجه عن معاوية، وابن عساكر عن عائشة: طلحة ممن قضى نحبه[(١)]. وفي الرياض عن موسى بن طلحة قال: دخلت على معاوية فقال: ألا أبشرك سمعت رسول الله ﷺ يقول: طلحة ممن قضى نحبه. أخرجه الترمذي وقال: غريب. وعن طلحة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سله عمن قضى نحبه من هو. وكانوا لا يجترؤون على مساءلته يوقرونه ويهابونه فسأله الأعرابي فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه. ثم إني اطلعت من باب المسجد وعليّ ثياب خضر فلما رآني النبي ﷺ قال: أين السائل عمن قضى نحبه. قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: هذا ممن قضى نحبه. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب[(٢)]. وفي الرياض أن محمداً ولده وهو السجاد، سمي به لكثرة عبادته. ولد في عهد النبي ﷺ فسموه محمداً وكنوه أبا القاسم. فقيل: إن النبي ﷺ سماه محمداً وكناه أبا سليمان وقال: لا أجمع بين اسمي وكنيتي. أخرجه الدارقطني. وروي أن علياً مر به قتيلاً فقال: هذا السجاد قتله بره بأبيه. رواه الدارقطني.

٦١٢٣ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت أذني)** بضم الذال ويسكن **(من في رسول الله ﷺ)** أي من فمه. وقوله: أذني، للمبالغة على طريق رأيت بعيني. **(يقول:)** وفي رواية: وهو يقول. **(طلحة والزبير جاراي في الجنة)** وهو كناية عن كمال قربهما له **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وكذا رواه الحاكم[(٣)].

٦١٢٤ ـ **(وعن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال يومئذ، يعني يوم أحد:)** هذا تفسير من روى بعد سعد **(اللهم أشدد)** بضم الدال الأولى أي قو **(رميته)** بفتح فسكون، أي رميه. وفي رواية: سدد سهمه. **(وأجب دعوته. رواه)** أي البغوي. **(في شرح السنة)**.

٦١٢٥ ـ **(وعنه)** أي عن سعد **(أن رسول الله ﷺ قال: اللهم استجب)** أي الدعاء **(لسعد)**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٤٦ حديث رقم ١٢٧. والترمذي في السنن ٥/ ٦٠٢ حديث رقم ٣٧٤٠.

(٢) الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٣ حديث رقم ٣٧٤٢.

الحديث رقم ٦١٢٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٣ حديث رقم ٣٧٤١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٠٦٤.

الحديث رقم ٦١٢٤: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٤/ ١٢٤ حديث رقم ٣٩٢٢.

الحديث رقم ٦١٢٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٧ حديث رقم ٣٧٥١.

إذا دعاك». رواه الترمذي.

٦١٢٦ - (١٩) وعن علي [رضي الله عنه] قال: ما جمَعَ رسولُ الله ﷺ أباه وأُمه إلا لسعدٍ، قال له يوم أُحد: «ارمِ فداك أبي وأُمي» وقال له: «ارمِ أيُّها الغلامُ الحَزَوَّر». رواه الترمذي.

أي ابن أبي وقاص على ما يفهم من الترمذي. (**إذا دعاك**) أي كلما دعاك (**رواه الترمذي.**) وأخرجه أيضاً عن قيس أن النبي ﷺ قال: الحديث.

٦١٢٦ - (**وعن علي رضي الله عنه قال: ما جمع رسول الله ﷺ أباه وأمه**) أي في التفدية، وفي رواية: أبويه (**لأحد إلا لسعد**) أي يوم أحد أو بناء على سماعه، ويؤيد الأول قوله: (**قال له**) أي لا لغيره (**يوم أحد: ارم فداك أبي وأمي**) بفتح الفاء وقد يكسر. (**وقال له:**) أي أيضاً (**ارم أيها الغلام**) أي الشاب القوي (**الحزوّر**) بفتح الحاء المهملة والزاي والواو المشددة، وفي نسخة بسكون الزاي وتخفيف الواو ولد الأسد. ذكره شارح وفي النهاية: وهو الذي قارب البلوغ، والجمع الحزاورة ذكره الطيبي. قال السيد جمال الدين: هذا أصل معناه، ولكن المراد هنا الشاب لأن سعداً جاوز البلوغ يومئذ. اهـ. وقد سبق أنه أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة فليحمل على أنه قارب بلوغ كمال الرجولية في الشجاعة. ففي القاموس الحزوّر كعملس، الغلام القوي والرجل القوي. (**رواه الترمذي**) وفي رواية: غير سعد بن مالك فإنه جعل يقول [له] يوم أحد: [ارم] فداك أبي وأمي. رواه مسلم[(١)] والترمذي وقال: حسن صحيح. وأخرجه من طريق آخر ولفظه: ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي أحداً بأبويه الحديث، وقال: حسن صحيح[(٢)]. وأخرجه من طريق آخر ولفظه: ما سمعت رسول الله ﷺ أفدى رجلاً غير سعد فإنه قال يوم أحد ويوم حنين: ارم فداك أبي وأمي. أخرجه الملأ في سيرته. وعنه قال: جمع رسول الله ﷺ له أبويه يوم أحد قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال له النبي ﷺ: ارم فداك أبي وأمي. قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جبينه فسقط وانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه[(٣)]. أخرجه الشيخان. وأخرج الترمذي منه جمع أبويه يوم أحد. وفي بعض طرقه نثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أحد وقال: ارم فداك أبي وأمي. أخرجه الشيخان، وفي الرياض أن سعداً كان ممن لزم بيته في الفتنة وأمر أهله أن لا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على الإمام. وعن سعد أن رسول الله ﷺ عاده عام حجة الوداع بمكة من مرض أشفى فيه فقال سعد: يا رسول الله قد خفت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها. فقال ﷺ: اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً اللهم اشف سعداً. وفيه ذكر الوصية وقوله: والثلث كثير، وفيه أن صدقتك من مالك صدقة، وأن نفقتك

الحديث رقم ٦١٢٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٦٠٧ حديث رقم ٣٧٥٣. وأحمد في المسند ١/ ٩٢.

(١) مسلم في صحيحه ٤/١٨٧٦ حديث رقم ٢٤١١.

(٢) الترمذي ٥/٦٠٨ حديث رقم ٣٧٥٥. (٣) مسلم في صحيحه ٤/١٨٧٦ حديث رقم ٢٤١٢.

٦١٢٧ ـ (٢٠) وعن جابر، قال: أقبلَ سعدٌ فقال النبيُّ ﷺ: «هذا خالي فَلْيُرني امرؤٌ خالَه». رواه الترمذي. وقال: كان سعدٌ من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: «هذا خالي». وفي «المصابيح»: «فلْيُكرمَنَّ» بدل «فَلْيُرني».

الفصل الثالث

٦١٢٨ ـ (٢١) عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت سعدَ بنَ أبي وقاص يقول: إني لأوَّلُ رجلٍ

على عيالك صدقة، وأن ما تأكل امرأتك من مالك صدقة. أخرجه الشيخان[1].

٦١٢٧ ـ **(وعن جابر قال: أقبل سعد)** أي إلى المجلس الأسعد **(فقال النبي ﷺ: هذا خالي)** أي من قوم أمي **(فليرني)** بضم ياء وكسر راء، فليبصرني. **(امرؤ)** أي كل امرىء بمعنى شخص **(خاله)** أي ليظهر أن ليس لأحد خال مثل خالي. **(رواه الترمذي)** وقال: غريب. **(وقال:)** أي الترمذي **(وكان سعد من بني زهرة)** بضم الزاي حي من قريش **(وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة)** وزهرة اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. **(فلذلك)** أي لما ذكر من الكونين **(قال النبي ﷺ: هذا خالي. وفي المصابيح، فليكرمن[2])** أمر غائب من الإكرام مؤكداً **(بدل فليرني)** قال ابن حجر: هو تصحيف. قلت: بل هو تحريف فقد قال الطيبي: الفاء فيه على تقدير الشرط في الكلام، فإن الإشارة بهذا لمزيد التمييز وكمال التعيين فهو كالإكرام له، أي أنا أكرم خالي. هذا وإذا كان كذلك فليتبع كل سنتي فليكرمن من كل أحد خاله. وعلى رواية الكتاب كما في رواية الترمذي والجامع تقديره: أنا أميز خالي، كمال تمييز وتعيين لأباهي به الناس فليرني كل امرىء خاله مثل خالي. ونحوه في التمييز قول الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(الفصل الثالث)

٦١٢٨ ـ **(عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: إني لأوّل رجل**

---

(١) البخاري في صحيحه ٥/ ٣٩٣ حديث رقم ٢٧٤٢. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٢٥٣ حديث رقم (٨ ـ ١٦٢٨).

الحديث رقم ٦١٢٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٧ حديث رقم ٣٧٥٢.

(٢) في المخطوطة فليكرر. ولفظ المصابيح كلفظ المشكاة. مصابيح السنة ٤/ ١٨٢ حديث رقم ٤٧٩٤.

الحديث رقم ٦١٢٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٣. حديث رقم ٣٧٢٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٧ حديث رقم (١٢ ـ ٢٩٦٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٠٢ حديث رقم ٢٣٦٥. وأحمد في المسند ١/ ١٧٤.

من العربِ رمى بسهمٍ في سبيلِ اللَّهِ، ورأيتُنا نغزو مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وما لنا طعامٌ إلا الحُبْلَةَ وورق السَّمُر، وإن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاةُ ما لَه خلْطٌ، ثم أصبحتْ بنو أسد تعزّرني على الإسلام، لقد خبتُ إذاً وضلَّ عملي، وكانوا وشوا به إلى عمر، وقالوا: لا يُحسن يصلي. متفق عليه.

من العرب رمى بسهم في سبيل الله) سبق معناه مع تحقيق مبناه، وهذا القدر من الحديث أخرجه الشيخان. **(ورأيتنا)** أي جمعاً من الصحابة **(نغزو مع رسول الله ﷺ وما لنا طعام إلا الحبلة)** بضم الحاء المهملة وسكون الموحدة، ثمر السمر يشبه اللوبيا قاله ابن الأعرابي. وقيل: ثمر العضاه. **(وورق السمر)** بفتح السين [المهملة] وضم الميم، شجر معروف واحدتها سمرة وبها سموا كذا في القاموس. **(وإن)** مخففة من الثقيلة **(كان أحدنا ليضع)** واللام لام الفارقة، والمعنى يخرج منه. **(كما تضع الشاة)** أي من البعر. والمعنى أن نجوهم يخرج بعراً ليبسه وعدم الغذاء المألوف. **(ما له خلط)** بكسر الخاء المعجمة، أي لا يختلط بعضه ببعضه لجفافه ويبسه. **(ثم أصبحت)** أي صارت **(بنو أسد)** أي قبيلتهم **(تعزرني)** بتشديد الزاي، أي توبخني **(على الإسلام)** أي على الصلاة لأنها عماد الإسلام أو على عمدة شرائعه. والمراد أنهم كانوا يؤدبوني ويعلموني الصلاة ويعيروني بأني لا أحسنها **(لقد خبت)** بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة، أي خسرت. **(إذاً)** بالتنوين، أي إذا لم أحسن الصلاة وأفتقر إلى تعليم بني أسد إياي. **(وضل عملي)** أي جميع طاعاتي ومجاهداتي ومسابقتي في الإسلام وصدق قدمي في الدين. **(وكانوا)** أي بنو أسد حين ولاه عمر العراق **(وشوا)** بفتح الشين المخففة، أي نموا وسعوا **(به)** أي بعيبه على زعمهم **(إلى عمر رضي الله عنه)** أي بالرسالة أو الكتابة **(وقالوا: لا يحسن)** أي سعد **(الصلاة)** أي أركانها أو شرائطها أو سننها ومراعاة أحوالها. هذا وفي النهاية التعزيز الإعانة والتوقير والنصرة مرة بعد مرة. قلت ومنه قوله تعالى: ﴿**وتعزروه وتوقروه**﴾ [الفتح - ٩]. وقال: وأصل التعزير المنع والرد، وكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه. ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزيز لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب فهو من الأضداد، ومنه حديث سعد: أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، أي توقفني عليه. وقيل توبخني على التقصير فيه. قال الطيبي: عبر عن الصلاة بالإسلام كما عبر عنها بالإيمان في قوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ [البقرة - ١٤٣]. إيذاناً بأنها عماد الدين ورأس الإسلام. **(متفق عليه)** وعن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعد بن مالك إلى عمر فقالوا: لا يحسن الصلاة. قال سعد: أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ أمد في الأولين وأخفف في الأخريين. فقال عمر: ذاك الظن بك أبا إسحاق. قال: فبعث رجالاً يسألون عنه في مساجد الكوفة. قال: فلا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا أثنوا عليه خيراً وقالوا معروفاً، حتى أتوا مسجد من مساجد[1] بني عبس قال: فقال رجل يقال له أبا سعدة:

---

(١) في المخطوطة «مسجد».

٦١٢٩ ـ (٢٢) وعن سعد، قال: رأيتُني وأنا ثالثُ الإِسلام، وما أسلم أحد إلاّ في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لثلث الإِسلام. رواه البخاري.

٦١٣٠ ـ (٢٣) وعن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقول لنسائه: «إنَّ أمركنَّ مما يَهُمُّني

اللهم إنه كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية. قال: فقال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. فكان بعد ذلك يقول إذا سئل: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. قال جابر بن سمرة: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه يتعرض للجواري في الطريق فيغمزهن. وفي رواية: وأما أنا فأمد في الأولبين وأحذف في الأخريين ولا آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ. قال عمر: صدقت ذلك الظن بك أو ظني بك أبا إسحاق. أخرجه البخاري[1]، وأخرجه البرقاني على شرطه بنحوهما وقال: فقال عبد الملك بن عمير، الراوي عن جابر: فأنا رأيته يتعرض للإماء في السكك، وإذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد. وعنده: اللهم إن كان كاذباً فأعم بصره وأطل عمره. ثم ذكر ما بعده.

٦١٢٩ ـ **(وعن سعد قال: رأيتني وأنا ثالث الإسلام)** والآخران أبو بكر وخديجة ذكره السيوطي. وهذا يدل على أن إيمان علي متأخر، ويمكن دفعه بأن الكلام في البلغاء أو في الأجانب. **(وما أسلم أحد)** أي ممن أسلم قبلي **(إلا في اليوم الذي أسلمت فيه. ولقد مكثت)** بفتح الكاف وضمها، أي لبثت **(سبعة أيام)** أي على ما كنت عليه من الإسلام ثم أسلم بعد ذلك من أسلم. والمعنى مكثت سبعة أيام على هذه الحالة وهي قوله: **(وإني لثلث الإسلام)** بضم اللام ويسكن. قال أبو عبد الله: معنى ثلث الإسلام يعني أنه ثالث ثلاثة حين أسلم. قال بعض المحققين: الجمع بينه وبين خبر عمار: رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة، أعبد وامرأتان وأبو بكر. بأن يحمل قول سعد على الأحرار البالغين ليخرج الأعبد المذكورون وعلي أو لم يكن اطلع على أولئك. **(رواه البخاري، وأخرجه البغوي في معجمه.)** وقال: ما أسلم أحد قبلي. وقال: ستة أيام. وعن جابر بن سعد عن أبيه قال: لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام. أخرجه البخاري[2]. وفي رواية الفضائلي: إن الاثنين أبو بكر وعلي.

٦١٣٠ ـ **(وعن عائشة)** وفي الرياض عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن عائشة **(أن رسول الله ﷺ كان يقول لنسائه: إن أمركن)** أي شأنكن **(مما يهمني)** بفتح الياء وضم الهاء وتشديد

---

(١) البخاري في صحيحه ٢/ ٢٣٦ حديث رقم ٧٥٥.

الحديث رقم ٦١٢٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٣. حديث رقم ٣٧٢٧. وابن ماجه في السنن ١/ ٤٧ حديث رقم ١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٣. حديث رقم ٣٧٢٦.

الحديث رقم ٦١٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٦ حديث رقم ٣٧٤٩. وأحمد في المسند ٦/ ٧٧.

من بعدي، ولن يصبر عليكنَّ إلا الصابرون الصدِّيقون» قالت عائشة: يعني المتصدِّقين، ثم قالت عائشة لأبي سلمة بن عبد الرحمن: سقى الله أباكَ من سلسبيل الجنة، وكان ابنُ عوفٍ قد تصدق على أمَّهات المؤمنين بحديقةٍ بيعت بأربعين ألفاً. رواه الترمذي.

الميم. وفي نسخة بضم فكسر، أي مما يوقعني في الهم. وفي رواية لهما: يهمني. **(من بعدي)** أي من بعد وفاتي حيث لم يترك لهن ميراثاً وهن قد آثرن الحياة الآخرة على الدنيا حين خيرن. **(ولن يصبر عليكن)** أي على بلاء مؤونتكن. **(إلا الصابرون)** أي على مخالفة النفس من اختيار القلة وإعطاء الزيادة. **(والصديقون)** أي كثيرو الصدق في البذل والسخاوة **(قالت عائشة: يعني)** أي يريد بهم **(المتصدقين. ثم قالت عائشة لأبي سلمة بن عبد الرحمٰن:)** أي ابن عوف. قال المؤلف: أبو سلمة روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري القرشي، أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين وأعلامهم، ويقال إن اسمه كنيته. وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم، روى عنه الزهري ويحيى بن أبي كثير والشعبي وغيرهم. مات سنة سبع وتسعين وله اثنتان وسبعون سنة. اهـ. ولا يخفى أنه مخالف لأصل الحديث. **(سقى الله أباك من سلسبيل الجنة)** وهي عين في الجنة سميت لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها في الباطن. ومنه قوله تعالى: **﴿يسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾** [الإنسان - ١٧ - ١٨]. يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة. وقيل: المعنى سل سبيلاً[١] إليها، **(وكان ابن عوف)** من كلام الراوي حال من عائشة والعامل قالت كذا، قاله الطيبي. ولا يبعد أن يكون من قول عائشة بياناً لتصدقه وتبياناً لقولها يعني المتصدقين. **(قد تصدق على أمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألفاً)** أي من درهم أو دينار **(رواه الترمذي)** وفي رواية: وقد رصد أزواج النبي ﷺ بمال بيع بأربعين ألفاً. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن: أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب[٢]. وعن الزهري قال: تصدق عبد الرحمٰن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة. أخرجه في الصفوة. وعن عروة بن الزبير أنه قال: أوصى عبد الرحمٰن بن عوف بخمسين ألف دينار في سبيل الله، أخرجه الفضائلي. وعن ابن عباس قال: مرض عبد الرحمٰن بن عوف فأوصى بثلث ماله فصح فتصدق بذلك بيد نفسه ثم قال: يا أصحاب رسول الله كل من كان [من] أهل بدر له عليّ أربعمائة دينار. فقام عثمان وذهب مع الناس فقيل له: يا أبا عمرو ألست غنياً قال: هذه موصلة من عبد الرحمٰن لا صدقة وهو من مال حلال. فتصدق عليهم في ذلك اليوم مائة

---

(١) في المخطوطة «سلسبيلها».

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٠٦ حديث رقم ٣٧٥٠.

٦١٣١ ـ (٢٤) وعن أم سلمة، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لأزواجه: «إنَّ الذي يحثو عليكنَّ بعدي هو الصادق البارُّ، اللهمَّ اسق عبدَ الرَّحمن بنَ عوفٍ من سلسبيلِ الجنةِ». رواه أحمد.

٦١٣٢ ـ (٢٥) وعن حذيفة، قال: جاء أهل نجران إِلى رسولِ اللّهِ ﷺ فقالوا: يا رسول

وخمسين ألف دينار. فلما جن عليه الليل جلس في بيته وكتب جريدة بتفريق جميع المال على المهاجرين والأنصار، حتى كتب أن قميصه الذي على بدنه لفلان وعمامته لفلان ولم يترك شيئاً من ماله إلا كتبه للفقراء. فلما صلى الصبح خلف رسول الله ﷺ هبط جبريل وقال: يا محمد إن الله تعالى يقول: أقرىء مني [على] عبد الرحمٰن السلام وأقبل منه الجريدة ثم ردها عليه وقل له: قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ووكيل رسوله فليصنع في ماله ما شاء وليتصرف فيه كما كان يتصرف قبل ولا حساب عليه وبشره بالجنة. أخرجه الملأ في سيرته. وعن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمٰن [بن عوف] أعتق ثلاثين ألفاً. أخرجه صاحب الصفوة. وعن محمد أن عبد الرحمٰن بن عوف توفي وكان فيما خلفه ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفاً أخرجه في الصفوة. وعن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن قال: صالحنا امرأة عبد الرحمٰن التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثلاثين ألفاً. وفي رواية: من ربع الثمن. أخرجه أبو عمرو. قال الطائي: قسم ميراثه على ستة عشر سهماً، فبلغ نصيب كل امرأة مائتي ألف درهم.

٦١٣١ ـ **(وعن أم سلمة)** وهي إحدى أمهات المؤمنين **(قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه: إن الذي يحثو)** أي يجود وينثر **(عليكن)** أي ما تنفقن **(بعدي)** أي بعد موتي **(هو الصادق)** أي الصادق الإِيمان **(البار.)** بتشديد الراء، أي صاحب الإِحسان. **(اللهم اسق)** بوصل الهمزة وقطعها. **(عبد الرحمٰن بن عوف من سلسبيل الجنة)** وهذا دعاء له قبل أن يصدر عنه ما صدر من الحثي كأنه صنع الصنيعة فشكره ودعا له. ومن هنا دعت الصديقة له بهذا الدعاء حين تصدق على أمهات المؤمنين بالحديقة **(رواه أحمد)** وفيه معجزة لرسول الله ﷺ كذا ذكره الطيبي. ولا يبعد أن يكون الدعاء هنا أيضاً من كلامها رضي الله عنها.

٦١٣٢ ـ **(وعن حذيفة)** أي ابن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ وقد سبق ذكره **(قال: جاء أهل نجران)** بفتح نون فسكون جيم، موضع باليمن فتح سنة عشر سمي بنجران بن زيدان ابن سبأ، وموضع بحوران قرب دمشق، وموضع بين الكوفة وواسطة الكل من القاموس. والمراد به الأول على ما هو الظاهر **(إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول**

الحديث رقم ٦١٣١: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٢٩٩.

الحديث رقم ٦١٣٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٣. حديث رقم ٣٧٤٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٢ حديث رقم (٥٥ ـ ٢٤٢٠). والترمذي في السنن ٥/ ٦٢٥ حديث رقم ٣٧٩٦. وابن ماجه ١/ ٤٨ حديث رقم ١٣٥. وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٨.

الله! ابعثْ إلينا رجلاً أميناً. فقال: «لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمين» فاستشرف لها الناسُ، قال: فبعث أبا عبيدةَ بن الجرّاح. متفق عليه.

٦١٣٣ ـ (٢٦) وعن عليّ، رضي الله عنه، قال: قيل لرسول الله: من نُؤمِّر بعدكَ؟ قال: «إن تؤمِّروا أبا بكرٍ تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمِّروا عمرَ تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمِّروا عليّاً ـ ولا أُراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مَهدِيّاً، يأخذُ بكم الطريق المستقيم».

الله ابعث) أي أرسل (إلينا رجلاً أميناً) أي ليكون أميراً أو قاضياً أو معلماً لنا (فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين) بالنصب على أنه مفعول مطلق نحو قولهم: قدمت خير مقدم، أي أميناً صادق الأمن وثابته ومستحقاً أن يقال له الأمين. قال الطيبي: فيه توكيد، ولذا أضافه نحو: إن زيداً لعالم حق عالم وجدّ عالم، أي عالم حقاً، وجداً يعني عالم يبالغ في العلم جداً ولا يترك من الجد المستطاع منه شيئاً. ومنه قوله تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ [الحج ـ ٧٨]، أي جهاداً فيه حقاً خالصاً لوجهه. فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة. (فاستشرف) أي طمع. (لها) أي للإمارة وتوقعها (الناس) أي حرصاً بهم على تحصيل صفة الأمانة لا على الولاية من حيث هي. (قال:) أي حذيفة (فبعث أبا عبيدة بن الجراح. متفق عليه).

٦١٣٣ ـ (وعن علي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ﷺ من نؤمر) بضم نون وفتح همزة وكسر ميم مشددة فراء، أي من نجعله أميراً علينا (بعدك) أي بعد موتك. وفي نسخة صحيحة بالتاء الفوقية بدل النون، أي من تجعله أميراً علينا بعدك. ويؤيد الأوّل قوله (قال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أميناً) أي ديناً لا يحكم إلا بالأمانة وعلى وجه العدالة. (زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة) فيه إشعار إلى أن الخليفة ينبغي أن يكون بهذه الصفة ليتم الإخلاص الموجب للخلاص. وفي رواية: تجدوه مسلماً أميناً وفي رواية: تجدوه قوياً في أمر الله ضعيفاً في نفسه. (وأن تؤمروا عمر تجدوه قوياً) أي قادراً على حمل ثقل أعبار الإمارة[١]. (أميناً) أي لا تجيء منه الخيانة (لا يخاف في الله لومة لائم) أي لا يراعي أحداً في أمر الدين. والمعنى أنه صلب في الدين إذا شرع في أمر من أموره لا يخاف إنكار منكر، ومضى فيه كالمسمار المحمى لا يزعه قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم، يشق عليه جده واللومة المرة من اللوم. وفيها وفي التنكير مبالغتان، كأنه قيل: لا يخاف شيئاً قط من لوم أحد من اللوّام. وفي رواية: تجدوه قوياً في أمر الله قوياً في نفسه. (وأن تؤمروا علياً ولا أراكم) بضم الهمز، أي والحال أني لا أظنكم. (فاعلين) أي التأمير له بلا خلاف حال خلافته (تجدوه هادياً) أي مرشداً مكملاً (مهدياً) بفتح ميم وتشديد تحتية، أي مهتدياً كاملاً. (يأخذ بكم الطريق المستقيم) قال الطيبي [رحمه الله]: يعني الأمر مفوّض إليكم أيها الأمة لأنكم أمناء مجتهدون مصيبون في الاجتهاد

الحديث رقم ٦١٣٣: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١٠٩.

(١) في المخطوطة «الأمانة».

رواه أحمد.

٦١٣٤ ـ (٢٧) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا بكرٍ، زوَّجني ابنتَه، وحملني إلى دار الهجرة، وصحبني في الغار، وأعتق بلالاً من ماله. رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّاً، تركه الحقُّ وما له من صديقٍ.

ولا تجتمعون[(١)] إلا على الحق الصرف، وهؤلاء المذكورون كالحلقة المفرغة لا يدري أيهم أكمل فيما يدلي إليه مما يستحق به الإمارة. قيل: وفي تقديم أبي بكر إيماء إلى تقدمه ولم يذكر عثمان صريحاً لكن في قوله: ولا أراكم. إشارة إلى أنه المتقدم على علي. ثم أبعد من قال: قوله: ولا أراكم فاعلين. متعلق بإمارة عمر وعلي [رضي الله عنهما]. نعم يمكن أن يقال المعنى لا أراكم فاعلين تأمير علي مقدماً على كلهم، لما علم من قضاء الله وقدره أن عمر علي أطول من أعمارهم فلو قدم لفاتهم الخلافة، مع أنه كتب لهم الخلافة أيضاً فيتعين أنكم غير فاعلين. فالظن بمعنى اليقين والله أعلم وهو الموفق والمعين. **(رواه أحمد)** وعن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله [ألا تستخلف. قال: إلا إني إن استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب. قالوا]: ألا نستخلف أبا بكر قال: إن تستخلفوه تجدوه قوياً في أمر الله ضعيفاً في نفسه. قالوا: ألا نستخلف عمر. قال: إن تستخلفوه تجدوه قوياً في أمر الله قوياً في بدنه. قالوا: ألا نستخلف علياً. قال: إن تستخلفوه تجدوه هادياً مهديا يسلك بكم الطريق المستقيم. خرجه ابن السمان.

٦١٣٤ ـ **(وعنه)** أي عن علي **(قال: قال رسول الله ﷺ: رحم الله أبا بكر)** فيه جواز الدعاء بالرحمة للأحياء **(زوّجني ابنته)** بهمزة وصل والجملة استئناف تعليل، وهذا تواضع منه ﷺ وإلا فله صنيع عليه من جهة تزوّجها. **(وحملني إلى دار الهجرة)** أي على بعيره ولو على قبول ثمنه **(وصحبني في الغار)** أي حين هجرني الأغيار **(وأعتق بلالاً من ماله.)** أي وجعله خادماً لي في مآله **(رحم الله عمر يقول الحق)** أي الصرف أو القول الحق **(وإن كان)** أي ولو كان [الحق] الصرف أو القول الحق **(مراً)** أي صعباً على الخلق **(تركه الحق)** استئناف بيان **(وماله من صديق)** جملة حالية أي صيره قول الحق بهذه الصفة أو خلاه بهذه الحالة، وهي أنه لا صديق له اكتفاء برضا الله ورسوله. والمعنى من صديق تكون[(٢)] صداقته للمراعاة والمداراة لا مطلقاً، وإلا فلا شك أن الصديق كان صديقاً له. قال الطيبي، قوله: تركه الخ. جملة مبينة لقوله: يقول الحق وإن كان مراً. لأن تمثيل الحق بالمرارة يؤذن باستبشاع الناس من سماع الحق استبشاع من يذوق[(٣)] العلقم فيقل لذلك صديقه. وقوله: وما له من صديق، حال من المفعول إذا جعل ترك بمعنى خلى، وإذا

---

(١) في المخطوطة «يجتمعون».

الحديث رقم ٦١٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩١ حديث رقم ٣٧١٤.

(٢) في المخطوطة «يكون». (٣) في المخطوطة «ذوق».

رحم الله عثمان تستحيي الملائكة، رحم الله عليّاً، اللهمَّ أدِرِ الحقَّ معه حيث دار». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

(١٠) باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ورضي الله عنهم

الفصل الأول

٦١٣٥ ـ (١) عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم﴾ دعا رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة وحَسَناً وحُسَيْناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتي». رواه مسلم.

٦١٣٦ ـ (٢) وعن عائشة، رضي الله عنها قالت: خرج النبيُّ ﷺ غداةً

ضمن معنى صير كان هذا مفعولاً ثانياً والواو فيه داخلة على المفعول الثاني كما في بعض الأشعار. (**رحم الله عثمان تستحيي منه الملائكة، رحم الله علياً اللهم أدر الحق**) أمر من الإدارة أي اجعل الحق دائراً وسائراً معه (**حيث دار**) أي علي، أو الحق (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**).

(باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ)

وفي نسخة صحيحة زيادة ورضي الله عنهم.

(الفصل الأوّل)

٦١٣٥ ـ (**عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية**) أي المسماة بآية المباهلة (﴿**ندع أبناءنا وأبناءكم**﴾) أوّلها: ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم**﴾ [آل عمران ـ ٦١]. (**دعا رسول الله ﷺ علياً**) فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والإِخوّة (**وفاطمة**) أي لأنها أخص النساء من أقاربه (**وحسناً وحسيناً**) فنزلهما منزلة ابنيه ﷺ (**فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي**) أي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (**رواه مسلم**).

٦١٣٦ ـ (**وعن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداة**) أي صباحاً، وفي رواية: ذات

الحديث رقم ٦١٣٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧١ حديث رقم (٣٢ . ٢٤٠٤). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٢١٠ حديث رقم ٢٩٩٩.

الحديث رقم ٦١٣٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٣ حديث رقم (٦١ . ٢٤٢٤) وأبو داود في السنن ٤/ ٣١٥ حديث رقم ٤٠٣٢. والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٦ حديث رقم ٣٨٧١ وأحمد في المسند ٦/ ١٦٢.

وعليه مِرطٌ مُرَحَّل من شَعْرٍ أسود، فجاء الحسَنُ بنُ عليّ فأدْخَله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهل البيت ويطهّرَكم تطهيراً﴾.

غداة[١]. (وعليه مرط) بكسر ميم وسكون راء، كساء يكون من خز وصوف فيه علم. (مرحل) بفتح الحاء المهملة المشددة، ضرب من برود اليمن لما عليه من تصاوير الرجل كذا ذكره شارح. وروي بجيم وهم ما عليه صورة المراجل بمعنى القدور. (من شعر) بفتح عين ويسكن. (أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله) أي تحت المرط بالأمر أو الفعل. وفي رواية: فأدخله فيه. (ثم جاء الحسين فدخل معه) أي بإدخال أو بغيره لصغره. وفي رواية: فأدخله فيه (ثم جاءت فاطمة فأدخلها) أي فيه كما في رواية (ثم جاء علي فأدخله) أي فيه كما في رواية (ثم قال:) أي قرأ (﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾) أي [الإثم] وكل ما يستقذر مروءة (﴿أهل البيت﴾) نصب على الغداء أو المدح. وفيه دليل على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته أيضاً لأنه مسبوق بقوله: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب - ٣٢]. وملحوق بقوله: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن﴾ [الأحزاب - ٣٤]. فضمير الجمع إما للتعظيم أو لتغليب ذكور أهل البيت على ما يستفاد من الحديث. (﴿ويطهركم تطهيراً﴾)[٢] من التلوّث بالأرجاس والأدناس المبتلى بها أكثر الناس. قال الطيبي: استعار للذنب الرجس، وللتقوى الطهر لأن غرض المقترف للمقبحات أن يلتوّث بها ويتدنس كما يتلوّث بدنه بالأرجاس، وأما المحسنات فالغرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر. وفي هذه الاستعارة ما ينفر أولي الألباب عما كره الله لعباده وينهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به. وسيأتي تراجم الحسنين وأمهما في محالها المختصة بهم (رواه مسلم.) وأخرجه أحمد عن واثلة وزاد في آخره: اللهم هؤلاء [أهل بيتي] وأهل بيتي أحق. وفي الرياض عن سعد قال: أمر معاوية سعداً أن يسب أبا تراب فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً فالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه لأن يكون في واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول له، وخلفه في بعض مغازيه، فقال علي: تخلفني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية. وذكر القصة. ولما نزلت هذه الآية: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم﴾ [آل عمران - ٦١]. دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي. مسلم والترمذي[٣]. وعن أم سلمة أن النبي ﷺ جعل[٤] على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. [وفي] رواية للترمذي قالت أم سلمة: وأنا معهم يا

---

(١) في المخطوطة «غدوة».

(٢) سورة الأحزاب. آية رقم ٣٣.

(٣) مسلم في صحيحه ٤/١٨٧١ حديث رقم ٢٤٠٤. والترمذي في سننه ٥/٥٩٦ حديث رقم ٣٧٢٤.

(٤) في المخطوطة «جلل» وهكذا في الترمذي.

رواه مسلم.

٦١٣٧ ـ (٣) وعن البراء، قال: لما تُوُفِّيَ إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إنَّ له مُرْضِعاً

رسول الله قال: أنت على مكانك وأنت على خير[١]. وعن أم سلمة قالت: بينا رسول الله ﷺ في بيته يوماً إذ قالت الخادم أن علياً وفاطمة بالسد أي الباب قالت: فقال لي: قومي فتنحي لي عن أهل بيتي. قالت: فقمت فتنحيت في البيت قرباً. فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران. فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة بالأخرى وقبل فاطمة وقبل علياً وأغدف، أي أرسل عليهم خميصة سوداء ثم قال: اللهم إليك لا إلى الغار أنا وأهل بيتي. قالت: قلت: وأنا يا رسول الله ﷺ عليك. قال: وأنت. أخرجه أحمد[٢]. والظاهر أن هذا الفعل تكرر منه ﷺ في بيت أم سلمة والمنع وقع من دخولها معهم فيما جللهم [به]، وعليها يحمل قولها في الحديثين الأوّلين: وأنا معهم، أي أدخل معهم لا أنها ليست من أهل البيت بل هي منهم. ولذلك لما قالت في الحديث الآخر: وأنا ولم تقل معهم، أي أنا أيضاً إلى الله لا إلى النار. قال: وأنت إلى الله لا إلى النار. وكذا لما قالت: وأنا من أهل البيت، وفي رواية قال: وأنت من أهل البيت. وأثبتك أيضاً على أنه قد ورد أنه ﷺ أذن لها في الدخول معهم في الكساء. وعن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ [الأحزاب ـ ٣٣]. قال: نزلت في خمسة: رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين. أخرجه أحمد في المناقب، وأخرجه الطبراني. وعن أنس أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. رواه أحمد[٣]. وعن علي أن النبي ﷺ قال لفاطمة: أنا وإياك وهذين يعني حسناً وحسيناً وهذا الراقد يعني علياً في مكان واحد يوم القيامة. أخرجه أحمد. وعن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ [الشورى ـ ٢٣]. قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم. قال: علي وفاطمة وابناهما. أخرجه أحمد في المناقب.

٦١٣٧ ـ **(وعن البراء قال: لما توفي إبراهيم)** أي ابن النبي ﷺ من مارية القبطية سريته، ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان ومات وله ستة عشر شهراً وقيل ثمانية عشر ودفن بالبقيع عند عثمان بن مظعون عمه الرضاعي. **(قال رسول الله ﷺ: إن له مرضعاً)** بضم الميم وكسر الضاد، أي من[٤] يكمل رضاعه. وفي نسخة صحيحة بفتحهما، أي موضع رضاع كامل.

---

(١) الترمذي في سننه ٥/ ٦٢١ حديث رقم ٣٧٨٧ (٢) أحمد في المسند ٦/ ٢٩٧.

(٣) أحمد في المسند ٣/ ٢٥٩.

الحديث رقم ٦١٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٤. حديث رقم ١٣٨٢. وأخرجه ابن ماجه ١/ ٤٨٤ حديث رقم ١٥١١. وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٠.

(٤) في المخطوطة «ممن».

في الجنة». رواه البخاري.

٦١٣٨ ـ (٤) وعن عائشة، رضي الله عنها، قالت: كنا ـ أزواج النبي ﷺ ـ عنده، فأقبلت فاطمة ما تَخفى مِشيتها من مِشيةِ رسول الله ﷺ، فلما رآها قال: «مرحباً بابنتي» ثمَّ أجلسها،

(في الجنة) فيه دلالة ظاهرة أن أرباب الكمال يدخلون الجنة في الحال عقيب الانتقال، وأن الجنة الموعودة مخلوقة موجودة. قال الخطابي: هذا يروى على وجهين أحدهما مرضعاً بفتح الميم أي رضاعاً، والآخر مضمومة الميم أي من يتم رضاعه. يقال: امرأة مرضع بلا هاء وأرضعت المرضعة[1] فهي مرضعة، إذ أنيب الاسم من الفعل. قال التوربشتي: أصوب الروايتين الفتح لأن العرب إذا أرادوا الفعل ألحقوا به هاء التأنيث، وإذا أرادوا أنها ذات رضيع أسقطوا الهاء فقالوا: امرأة مرضع بلا هاء. ولما كان المراد من هذا اللفظ أن الله يقيم له من لذات[2] الجنة وزوجها ما يقع منه موقع الرضاع، فإنه كان رضيعاً لم يستكمل مدة الرضاع كان المصدر فيه أقوم وأصوب. ولو كان على ما ذكره من الرواية لكان من حقه أن يلحق به هاء التأنيث. قال الطيبي: هذا إذا أريد تصوير حالة الإرضاع وإلقام المرضعة الثدي في في الصبي في مشاهدة السامع كأنه ينظر إليها، وإلا فلا الكشاف في قوله تعالى: ﴿**تذهل كل مرضعة عما أرضعت**﴾ [الحج ـ ٢]. فإن قيل: لم قيل مرضعة دون مرضع، قلت: المرضعة التي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت، أي عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل. ووجهه القاضي في شرحه مجيباً عنه بقوله: أو أن له من يقوم مقام المرضعة في المحافظة والأنس. اهـ. ولا يخفى أن ارتكاب المجاز غير جائز مع إمكان الحقيقة، بل لأجل المبالغة في تحقق الإرضاع عبر عن المرضع بالمرضعة، إيماء إلى أن حالة إرضاعه أمر مشاهد له ﷺ. **(رواه البخاري)**.

٦١٣٨ ـ **(وعن عائشة قالت: كنا أزواج النبي ﷺ)** نصبه على النداء على سبيل الاختصاص، أو تفسير للضمير المبهم على تقدير أعني، وخبر كان قولها. **(عنده)** أي جالسين أو مجتمعين. وفي رواية: لم تغادر منهن واحدة **(فأقبلت فاطمة)** روي أنما سميت بها لأن الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار. وفي رواية: فأقبلت فاطمة تمشي **(ما تخفى)** أي ما تمتاز، وفي رواية: ما تخطىء. **(مشيتها)** بكسر الميم لأن المراد هيئتها **(من مشية رسول الله)** وفي نسخة من مشية النبي (ﷺ) أي شيئاً كما في رواية. فما للنفي، والمعنى مشيتها كمشية رسول الله ﷺ وكان هذا قرب مرض موته. **(فلما رآها قال: مرحباً بابنتي. ثم أجلسها)** أي أمرها

---

(١) في المخطوطة «المرأة».
(٢) في المخطوطة «ذات».

الحديث رقم ٦١٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧٩/١١. حديث رقم ٦٢٨٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٤ حديث رقم (٩٨ . ٢٤٥٠). وأخرجه ابن ماجه في السنن ٥١٨/١ حديث رقم ١٦٢١.

ثمَّ سارَّها، بكت بكاءً شديداً، فلمَّا رأى حُزْنها سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فلما قام رسول الله ﷺ سألتُها: عما سارَّك؟ قالت: ما كنت لأفشي عَلَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ، فلما توفيّ قلتُ: عَزَمْتُ عليك بما لي عليك من الحقِّ لمَّا أخبرتني. قالت: أمّا الآن فنِعم؛ أما حين سارَّ بي في الأمر الأوّل فإنه أخبرني: «إنَّ جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنةٍ مرَّةً، وإنه عارضني به العام مرَّتين، ولا أُرى الأجل إلا قد اقترب، فاتَّقي اللَّهَ واصبري، فإني نعم السَّلف أنا لك»

بالجلوس **(عنده)** أي قريباً منه. وفي رواية: عن يمينه، أو عن شماله. **(ثم سارها)** بتشديد الراء، وفي رواية: فسارها أي كلمها سراً. **(فبكت بكاء شديداً، فلما رأى حزنها)** [بضم فسكون وفي نسخة بفتحتين أي شدة حزنها وكثرة بكائها، وفي رواية: جزعها][1]. **(سارها الثانية فإذا هي)** أي فاطمة **(تضحك)** أي تتبسم وتتبسط وتنشرح. وفي رواية: فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين. **(فلما قام رسول الله ﷺ)** أي لطهارة أو صلاة **(سألتها عما سارك)** الظاهر عمّا سارها على أن ما موصولة، لكن التقدير سألتها قائلة عم سارك، فما استفهامية. وفي رواية: سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ. **(قالت: ما كنت لأفشي)** من الإفشاء أي أذيع وأظهر **(على رسول الله ﷺ سره)** بكسر السين، أي ما أخفاه لأنه لو أراد إفشاءه لما أسره. **(فلما توفي قلت: عزمت)** أي أقسمت **(عليك بما لي عليك من الحق)** أي من نسبة الأمومية الثانية أو الأخوة أو المحبة الصادقة والمودة السابقة. فما موصولة **(لما)** بفتح لام وتشديد ميم، أي ألا. **(أخبرتني)** وفي نسخة بإشباع التاء. وفي رواية: لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ. قال الطيبي: يعني ما أطلب منك إلا إخبارك إياي بما سارك، ونحوه: أنشدك بالله ألا فعلت. **(قالت: أما الآن فنعم)** أي أخبرك، وتفصيله هذا **(أما حين سارني في الأمر الأوّل)** أي الموجب للحزن. وفي رواية: في المرة الأولى **(فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضني)** وفي رواية: يعارضه. **(القرآن كل سنة مرة)** [أي] يدارسني جميع ما نزل من القرآن من المعارضة المقابلة، ومنه عارضت الكتاب بالكتاب أي قابلته كذا في النهاية. ولعل سبب المقابلة إبقاء المحافظة وليظهر الناسخ والمنسوخ من المقابلة، وفيه إشارة إلى استحباب المدارسة. **(وإنه)** بكسر الهمزة وفي نسخة بالفتح. **(عارضني به العام)** أي هذه السنة، وفي رواية: إنه عارضه[2] الآن. **(مرتين)** فيه إيماء إلى أن هذا الحديث بعد رمضان الآخر من عمره. **(ولا أرى)** بضم الهمز وفتح الراء، أي ولا أظن. وفي رواية: وإني لا أرى. **(الأجل)** أي انتهاءه **(إلا قد اقترب فاتقي الله)** أي دومي على التقوى أو زيدي فيها ما استطعت **(واصبري)** أي على الطاعة وعن المعصية وفي البلية لا سيما على مفارقتي **(فإني)** وفي رواية: فإنه **(نعم السلف)** أي الفرط **(أنا لك)** أي على الخصوص والجملة بتأويل مقول في حقي خبر لأن في

---

(١) في المخطوطة العبارة وقعت في غير مكانها.

(٢) في المخطوطة «عارضني» وهي رواية مسلم حديث ٩٨/ ٢٤٥٠.

فبكيتُ، فلما رأى جَزعي سارَّني الثانيةَ قال: «يا فاطمة! ألا ترضين أن تكوني سيدةَ نساءِ أهلِ الجنَّة أو نساء المؤمنين؟». وفي رواية: فسارَّني فأخبرني أنه يُقْبَض في وجعه، فبكيتُ، ثم سارَّني فأخبرني أني أوَّل أهل بيته أَتبَعه، فضحكتُ.

إني. قال الطيبي: أنا مخصوص بالمدح ولك بيان، كأنه لما قيل نعم السلف أنا، قيل: لمن، قيل: لك. **(فبكيت)** وفي رواية: قالت: فبكيت للذي رأيت **(فلما رأى جزعي)** أي قلة صبري **(سارني الثانية قال:)** وفي رواية: فقال: **(يا فاطمة ألا ترضين)** وفي رواية: أما ترضين. **(أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة)** أي جميعها، أو مخصوصة بهذه الأمة. وفي رواية: سيدة نساء هذه الأمة. **(أو نساء المؤمنين)** شك من الراوي. والحديث بظاهره يدل على أنها أفضل النساء مطلقاً حتى من خديجة وعائشة ومريم وآسية وقد تقدم الخلاف والله أعلم. **(وفي رواية: فسارني فأخبرني أنه يقبض)** أي يموت **(في وجعه فبكيت. ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه)** بفتح فسكون ففتح. وفي نسخة بتشديد التاء الفوقية وكسر الموحدة، أي ألحقه. **(فضحكت)** وتوضيحه ما في الذخائر أنه قال: وفي رواية بعد قول عائشة: حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه حدثني أنه كان جبريل يعارضه القرآن كل عام مرة وأنه عارضني به في هذا العام مرتين ولا أرى إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك، ثم سارني وذكر مثل الأوّل. أخرجهما مسلم(١)، وعن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً وحديثاً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قالت: وكانت إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه. وكان النبي ﷺ إذا دخل عليها قامت له فقبلته وأجلسته في مجلسها. فلما مرض رسول الله ﷺ أتت فاطمة وأكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها فبكت ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت، فقلت: إن كنت لأظن أن هذه من أعقل نسائنا فإذا هي من النساء، فلما توفي رسول الله ﷺ قلت لها: رأيت حين أكبيت على النبي ﷺ ورفعت رأسك فبكيت ثم أكبيت عليه فرفعت رأسك فضحكت ما حملك على ذلك، قالت: إني إذاً لبذرة أخبرني أنه ميت من وجعه هذا فبكيت ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به فذلك حين ضحكت. أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي(٢)، وقال الترمذي: حسن غريب. وفي الذخائر عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر آخر عهده إتيان فاطمة وأوّل من يدخل عليه إذا قدم فاطمة. أخرجه أحمد(٣). وعن أبي ثعلبة قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم أتى فاطمة ثم أتى أزواجه. أخرجه أبو عمرو. قال المؤلف: هي فاطمة الكبرى بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة وهي أصغر بناته في قول، وهي سيدة نساء العالمين، تزوّجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وبنى عليها في ذي الحجة فولدت له الحسن والحسين

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٤ حديث رقم (٩٨ . ٢٤٥٠).

(٢) أبو داود ٥/ ٣٩١ حديث رقم ٥٢١٧. والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٧ حديث رقم ٣٨٧٢.

(٣) أحمد في المسند ٥/ ٢٧٥.

متفق عليه.

٦١٣٩ ـ (٥) وعن المِسور بن مَخْرَمة، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «فاطمةُ بضعةٌ مني، فمن أغضَبَها أغضبني». وفي رواية: «يُريبُني ما أَرابها، ويؤذيني

والمحسن وزينب وأم كلثوم ورقية. وماتت بالمدينة بعد موت النبي ﷺ بستة أشهر، وقيل: بثلاثة أشهر ولها ثمان وعشرون سنة، وغسلها علي وصلى عليها ودفنت ليلاً. روى عنها علي وابناها الحسن والحسين وجماعة سواهم. قالت عائشة: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها. (متفق عليه) وروى الحاكم عن أبي سعيد: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران[١].

٦١٣٩ ـ (وعن المسور بن مخرمة) سبق ذكره (أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة) وفي رواية: إن فاطمة (بضعة) بفتح موحدة، أي قطعة لحم. (مني) وقد تكسر الباء على ما في النهاية. وفي القاموس البضعة بفتح الموحدة، وحكي ضمها وكسرها وسكون المعجمة، قطعة من اللحم. والمعنى أنها جزء مني كما أن القطعة جزء من اللحم. ونعم ما قال الإمام مالك: ولا أفضل أحداً على بضعة رسول الله ﷺ. (فمن أغضبها أغضبني) أي فكأنه أغضبني. ففيه نوع من التشبيه البليغ فاندفع ما استدل به السهيلي على أن من سبها يكفر إذ لا يخفى أن مثل هذا الكلام محمول على المبالغة في مقام المرام، ومنه قوله عليه السلام على ما رواه ابن عساكر عن علي: من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله. ومنه ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه عن معاوية، وابن حبان عن البراء: من أحب الأنصار فقد أحبه الله ومن أبغض الأنصار أبغضه الله[٢] ومنه ما رواه الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً حب قريش أيمان وبغضهم كفر وحب العرب إيمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني[٣]. (وفي رواية) أي بعد قوله: فقد أغضبني، أو زيادة عليه. (يريبني) من الإرابة بالموحدة، أي يقلقني في الظاهر. (ما أرابها ويؤذيني) أي في الباطن (ما آذاها) في شرح السنة: رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني وأدهمني ما أستيقنه. قال الطيبي: بغير ألف معناه يسوءني ما يسوءها ويزعجني ما أزعجها. قلت: الظاهر أنهما لغتان والمزيد له مزية [ومناسبة] لقوله: ما أرابها. ويؤيده اتفاق النسخ على الضم والله أعلم. ثم أوّل الحديث: قال مسور:

---

(١) في الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٤.

الحديث رقم ٦١٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٥١. حديث رقم ٣٧٦٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٣ حديث رقم (٩٤ ـ ٢٤٤٩). وأبو داود في السنن ٢/ ٥٥٨. حديث رقم ٢٠٧١. وأخرجه الترمذي ٥/ ٦٥٦ حديث رقم ٣٨٦٩. وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٦٤٣ حديث رقم ١٩٩٨. وأحمد في المسند ٢٠٧١.

(٢) أحمد في المسند ٤/ ٩٦ وابن حبان ٩/ ١٩٥ حديث رقم ٧٢٢٨.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٦.

ما آذاها». متفق عليه.

سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا علي بن أبي طالب ولا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني يريبني الحديث. وفي شرح مسلم قالوا: في الحديث تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد الإيذاء مما كان أصله مباحاً وهو من خواصه صلوات الله وسلامه عليه وهو لوجهين: أحدهما أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك علي رضي الله عنه من أذاه، فنهى عن ذلك لمكان شفقته على علي. وثانيهما أنه خاف الفتنة عليها بسبب الغيرة. وقيل: ليس المراد بقوله: لا آذن، النهي عن جمعهما بل معناه أنه ﷺ علم من فضل الله تعالى أنهما لا يجتمعان كما قال أنس بن النضر: والله لا تكسر ثنيتها. (متفق عليه.) وفي لفظ الذخائر عن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها. أخرجه الشيخان والترمذي، وصححه. وعن المسور أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل. قال المسور: فقام النبي ﷺ فسمعته حين تشهد ثم قال: أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وأن فاطمة بضعة مني وإنما أكره أن يفتنوها وإنه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً. قال: فترك علي الخطبة. وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: إن فاطمة مني وإني أخاف أن تفتن في دينها. ثم ذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال: حدثني فصدقني ووعدني فأوفى لي وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدوّ الله مكاناً واحداً أبداً. وعن يحيى بن سعيد القطان قال: ذاكرت عبد الله بن داود قول النبي ﷺ: لا آذن إلا أن يحب على أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم. قال ابن داود: حرم الله على علي أن ينكح على فاطمة في حياتها لقوله عزَّ وجلَّ: **﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾** [الحشر ـ ٧]. قال: فلما قال النبي ﷺ: لا آذن لم يكن يحل لعلي أن ينكح على فاطمة إلا أن يأذن رسول الله ﷺ. وسمعت عمر بن داود يقول: لما قال النبي ﷺ: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها، حرم الله على علي أن ينكح على فاطمة ويؤذي رسول الله ﷺ لقول الله تعالى: **﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾** [الأحزاب ـ ٥٣]. أخرجهما الحافظ[1] أبو القاسم الدمشقي. وعن المسور بن مخرمة أنه بعث إليه حسن بن الحسن يخطب ابنته فقال له: فليأتني في العتمة.

---

(١) في المخطوطة «الحاكم».

٦١٤٠ ـ (٦) وعن زيد بن أرقم، قال: قام رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى: خُمّاً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظَ وذكّرَ، ثم قال: «أمّا بعدُ ألا أيُّها الناس! إنما أنا بشر، يوشِكُ أن يأتيَني رسولُ ربي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم الثَّقَلين:

فلقيه فحمد [المسور] الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه وقال: أما بعد فما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب إلي من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع إلا نسبي وسببي وصهري وعندك ابنته ولو زوّجتك لقبضها ذلك، فانطلق عاذراً. أخرجه أحمد[1]. وفيه دليل على أن الميت يراعي منه ما يراعي في الحي. وقد ذكر الشيخ أبو علي السنجي في شرح التلخيص: إنه يحرم التزوج على بنات النبي ﷺ، ولعله يريد من ينتسب إليه بالبنوة ويكون هذا دليله. وفي الجامع: فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري. رواه أحمد والحاكم[2]. وعن المسور: فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها، قاله لعلي. رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة. وفي الصواعق روي عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق.

٦١٤٠ ـ **(وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء)** أي بموضع فيه ماء **(يدعى)** أي يسمى ذلك الماء، أو ذلك المكان. **(خماً)** بضم فتشديد وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة، وتقدم أنه كان حين رجوعه من مكة وتوجهه إلى المدينة عام حجة الوداع **(فحمد الله)** أي شكره **(وأثنى عليه)** أي بعلي ذاته وجلى صفاته **(ووعظ)** أي نصحهم بما نفعهم **(وذكر)** بتشديد الكاف، أي نبههم من نوم غفلتهم. **(ثم قال: أما بعد)** أي بعد الحمد والثناء **(ألا)** بتخفيف اللام للتنبيه زيادة في الاهتمام على التوجيه. **(أيها الناس إنما أنا بشر)** أي مثلكم لكن امتيازي عنكم بأنه يوحى إلي **(يوشك)** أي يقرب **(أن يأتيني رسول ربي)** أي جبريل ومعه عزرائيل، أو المراد به ملك الموت. **(فأجيبه)** بالنصب **(وأنا تارك فيكم الثقلين)** بفتحتين أي الأمرين العظيمين، سمى كتاب الله وأهل بيته بهما لعظم قدرهما ولأن العمل بهما ثقيل على تابعهما. قال صاحب الفائق: الثقل المتاع المحمول على الدابة، وإنما قيل للجن والإنس الثقلان لأنهما ثقال الأرض فكأنهما ثقلاها. وقد شبه بهما الكتاب والعترة في أن الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين. وفي شرح السنة سماهما ثقلين لأن الأخذ والعمل بهما ثقيل. وقيل في تفسير قوله تعالى: **﴿أنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾** [المزمل ـ ٥].

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ٣٣٢.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٦٠ حديث رقم ٥٨٣٤.

الحديث رقم ٦١٤٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٧٣ حديث رقم (٣٦ ـ ٢٤٠٨). وأخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٥٢٤ حديث رقم ٣٣١٦. وأحمد في المسند ٣/ ١٤.

أوَّلهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكِركم الله في أهل بيتي» وفي رواية: «كتابُ الله هو حبلُ الله، من اتَّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة». رواه مسلم.

أي أوامر الله ونواهيه لأنه لا يؤدي إلا بتكلف ما يثقل. وقيل: قولاً ثقيلاً أي له وزن، وسمي الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلاً بالتميز على سائر الحيوان، وكل شيء له وزن وقدر متنافس فيه فهو ثقيل. (**أولهما كتاب الله، فيه الهدى**) أي الهداية عن الضلالة (**والنور**) أي نور القلب للاستقامة، أو سبب ظهور النور يوم القيامة. (**فخذوا بكتاب الله**) أي استنباطاً وحفظاً وعلماً (**واستمسكوا به**) أي وتمسكوا به اعتقاداً وعملاً. ومن جملة كتاب الله العمل بأحاديث رسول الله ﷺ لقوله سبحانه: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ [الحشر - ٧]. ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ [النساء - ٨٠]. ﴿**وقل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [آل عمران - ٣١]. وفي رواية: فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به. (**فحث**) بتشديد المثلثة، أي فحرض أصحابه. (**على كتاب الله**) أي على محافظته ومراعاة مبانيه ومعانيه والعمل بما فيه. (**ورغب فيه**) بتشديد الغين المعجمة، أي ذكر المرغبات من حصول الدرجات في حقه. ثم يمكن أنه رهب وخوّف بالعقوبات لمن ترك متابعة الآيات، فيكون حذفه من باب الاكتفاء. ويمكن أنه اقتصر على البشارة إيماء إلى سعة رحمة الله تعالى وأن رحمته للعالمين، وأمته أمة مرحومة. (**ثم قال**) أي النبي ﷺ (**وأهل بيتي**) أي وثانيهما أهل بيتي (**أذكركم الله**) بكسر الكاف المشددة، أي أحذركموه (**في أهل بيتي**) وضع الظاهر موضع المضمر اهتماماً بشأنهم وإشعاراً بالعلة. [والمعنى] أنبهكم حق الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم وإكرامهم ومحبتهم ومودتهم. وقال الطيبي: أي أحذركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم. فالتذكير بمعنى الوعظ يدل عليه قوله: وعظ وذكر قلت، وقد تقدم التغاير بينهما، والحمل على التأسيس أولى. (**أذكركم الله في أهل بيتي**) كرر الجملة لإفادة المبالغة، ولا يبعد أن يكون أراد بأحدهما آله وبالأخرى أزواجه لما سبق من أن أهل البيت يطلق عليهما. وفي رواية قال: ثلاث مرات. (**وفي رواية:**) أي بدل أولهما: كتاب الله الخ. (**كتاب الله هو حبل الله**) أي ما يوصل العبد إلى ربه ويتوسل به إلى قربه والترقي من حضيض البشرية إلى أوج رفعة الملكية بالحضور في الحضرة الإلهية والغيبة عن شعور أمور الكونية، وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً**﴾ [آل عمران - ١٠٣]. (**من اتبعه**) أي إيماناً وحفظاً وعلماً وعملاً وإخلاصاً. (**كان على الهدى**) أي على الهداية الكاملة (**ومن تركه**) أي بجهة من الجهات المتعددة (**كان على الضلالة**) أي الغواية الشاملة. فالقرآن كالحبل ذو وجهين، يمكن أن يكون وسيلة للترقي وأن يكون ذريعة للتنزل والتدلي، كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين ﴿**يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً**﴾ [البقرة - ٢٦]. القرآن حجة لك أو عليك. ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً**﴾ [الإسراء - ٨٢]. نفعنا الله به ورفعنا بسببه (**رواه مسلم.**) وفي الذخائر فقيل لزيد: من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته.

٦١٤١ ـ (٧) وعن ابن عمر، أنه كان إِذا سلَّم على ابن جعفرٍ قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين! رواه البخاري.

٦١٤٢ ـ (٨) وعن البراء، قال: رأيت النبي ﷺ والحسنُ بن علي على عاتقه يقول: «اللهمَّ إِني أحبُّه فأحبَّه».

قال: بلى إن نساءه من أهل بيته [ولكن أهل بيته] من حرم الله عليه الصدقة بعده. قال: ومن هم. قال: هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة. قال: نعم. أخرجه مسلم وأخرج معناه أحمد عن أبي سعيد ولفظه أنه ﷺ قال: إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما(١).

٦١٤١ ـ **(وعن ابن عمر)** أي موقوفاً **(أنه كان)** أي ابن عمر، والأظهر أن يكون التقدير: كان النبي ﷺ. **(إذا سلم على ابن جعفر)** أي ابن أبي طالب، وابن جعفر هو عبد الله. ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين)** بفتح الجيم. قال القاضي: لما رأى جعفراً في الجنة يطير مع الملائكة لقبه بذي الجناحين، ولذلك سمي طياراً أيضاً. قال المؤلف: أسلم قديماً بعد أحد وثلاثين إنساناً وكان أكبر من أخيه علي بن أبي طالب بعشر سنين، وكان أشبه الناس خلقاً وخلقاً برسول الله ﷺ. روى عنه ابنه عبد الله وخلق كثير من الصحابة. قتل شهيداً يوم مؤتة سنة ثمان وله إحدى وأربعون سنة، فوجد فيما أقبل من جسده سبعون(٢) ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف. **(رواه البخاري)**.

٦١٤٢ ـ **(وعن البراء قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي)** بالرفع، والواو للحال. **(على عاتقه)** بكسر التاء وهو ما بين المنكب والعنق **(يقول: اللهم إني أحبه)** أي حباً بليغاً **(فأحبه)** ولا شك أنه أحبه الله فيجب التخلق بأخلاق الله والتعلق بشمائل رسول الله ﷺ وعلى آله في جميع أحيانه وأحواله. قال المؤلف: كنيته أبو محمد، سبط رسول الله ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة. ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو أصح ما قيل في ولادته، ومات سنة خمسين وقيل: سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة أربع وأربعين، ودفن بالبقيع. روى عنه ابنه الحسن بن الحسن وأبو هريرة وجماعة كثيرة. ولما قتل أبوه علي ابن أبي طالب بالكوفة بايعه الناس على الموت أكثر من أربعين ألفاً، وسلم الأمر إلى معاوية بن

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ١٧.

الحديث رقم ٦١٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٧٥ حديث رقم ٣٧٠٩.

(٢) في المخطوطة «تسعون».

الحديث رقم ٦١٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٤. حديث رقم ٣٧٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٣ حديث رقم (٥٩ . ٢٤٢٢). والترمذي في السنن ٥/ ٦٢٠ حديث رقم ٣٧٨٣.

متفق عليه.

٦١٤٣ - (٩) وعن أبي هريرة، قال: خرجتُ معَ رسولِ الله ﷺ في طائفة من النهار حتى أتى خباء فاطمة فقال: «أثَمَّ لكع؟

أبي سفيان في النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين. وأما الحسين فكنيته أبو عبد الله ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع. وكانت فاطمة علقت به بعد أن ولدت الحسن بخمسين ليلة، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض العراق فيما بين الكوفة والحلة. وقتله سنان بن أنس النخعي. ويقال أيضاً: سنان بن أبي سنان، وقيل: قتله شمر بن ذي الجوشن، وأجهز عليه خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وكسر اللام وتشديد الياء ابن يزيد الأصبحي من حمير، جز رأسه وأتى به عبد الله بن زياد وقال: [شعر]:

أوقر ركابي فضة وذهبا * أني قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أماً وأباً * وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وقيل إنه قتل مع الحسين من ولده وأخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً. روى عنه أبو هريرة وابنه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة، بضم السين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء والنون ابنتاه. وكان للحسين يوم قتله ثمان وخمسون سنة. وقضى الله تعالى أن قتل عبد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين، قتله إبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي في الحرب وبعث رأسه إلى المختار وبعثه المختار إلى ابن الزبير وبعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين. **(متفق عليه)**.

٦١٤٣ - **(وعن أبي هريرة قال: خرجت مع رسول الله ﷺ في طائفة من النهار)** أي قطعة منه **(حتى أتى خباء فاطمة)** بكسر الخاء المعجمة وبموحدة بعدها ألف فهمز، أي بيتها كما قاله النووي. قال الطيبي: هو من المجاز على نحو استعمال المشفر على الشفة. وفي رواية: مخبأ، وهو المخدع. وفي بعض نسخ المصابيح: خباب فاطمة، والظاهر أنه مغير. اهـ. وفيه نظر إذ قال شارح للمصابيح: الخباب بالفتح مقدم الباب. وقال ابن الملك: أراد به حجرتها. وقيل: حول دارها. وقال الجزري: جناب بفتح الجيم والنون وبالباء الموحدة، فناء الدار. **(فقال:)** أي النبي ﷺ **(أثم)** بفتح المثلثة وتشديد الميم، أي أهناك. **(لكع)** بضم اللام وفتح الكاف من غير انصراف كعمر وزفر، وفي نسخة بصرفه. قال شارح: اللكع الصبي الصغير معدول من اللكع بكسر الكاف. يقال: لكع الرجل يلكع لكعاً فهو لكع إذا خس، أي صار خسيساً وهو غالب الاستعمال في الصغير الذكر. ويقال للأنثى: لكاع مبنية. وقيل: هو ليس بمعدول وإنما هو مثل نغر وصرد فحقه، أن ينوّن لأنه ليس بمعدول. وقال ابن الملك: لكع بضم اللام وفتح الكاف الصغير قدراً أو جثة، والثاني هو المراد هنا. وقال غيره: يقال للصبي

الحديث رقم ٦١٤٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٣٩. حديث رقم ٢١٢٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٢ حديث رقم (٥٧ . ٢٤٢١). وابن ماجه ١/ ٥١ حديث رقم ١٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٩.

أثَمَّ لكع؟» يعني حسناً، فلم يلبث أن جاء يسعى، حتى اعتنق كلُّ واحد منهما صاحبَ، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أُحبُّه فأحبَّه، وأحبَّ من يحبّه». متفق عليه.

٦١٤٤ ـ (١٠) وعن أبي بكرة، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ على المنبر والحسنُ بن علي إلى جنبه وهو يُقبِل على النَّاس مرَّةً وعليه أخرى، ويقول: «إنَّ ابني هذا سيِّدٌ، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

الصغير لكع مصروفاً ذهاباً إلى صغر جثته، ويطلق على العبد واللئيم والأحمق لصغر قدرهم. وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم [والعبد والأحمق] ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره.

ويقال[1] في النداء: يا لكع ولا يصرف في المعرفة لأنه معدول من لكع. وفي النهاية: اللكع عند العرب العبد، ثم استعمل في الحمق والذم وقد يطلق على الصغير. ومنه الحديث أنه ﷺ جاء لطلب الحسن بن علي قال: «أثم لكع». فإن أطلق على الكبير أريد به الضعيف العلم والعقل. قال القاضي: المراد بهذا الاستصغار الرحمة والشفقة، كالتصغير في يا حميراء. **(أثم لكع)** كرره للاهتمام في تحصيله. **(يعني حسناً)** تفسير من الراوي. **(فلم يلبث)** بفتح الموحدة، أي لم يمكث مجيئه. **(أن جاء يسعى)** أي ساعياً **(حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه)** أي طالب صحبته. قال ابن الملك: فيه جواز المعانقة. وقال النووي: فيه استحباب ملاطفة[2] الصبي في معانقته ومداعبته رحمة ولطفاً، واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم. **(فقال رسول الله ﷺ: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه)** اللهم اجعلنا من محبيه ومواليه ولا تجعلنا من مبغضيه ومعاديه، فإن محبوب المحبوب محبوب وفي قلب المحب المغلوب مطلوب. **(متفق عليه)**.

٦١٤٤ ـ **(وعن أبي بكرة)** أي الثقفي **(قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي)** بالرفع ويجوز نصبه. **(إلى جنبه)** يحتمل الأيمن والأيسر. **(وهو)** أي رسول الله ﷺ **(يقبل على الناس مرة وعليه)** أي وعلى الحسن **(أخرى)** وفي رواية الذخائر: ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة **(ويقول إن ابني هذا سيد)** أصله سيود قلبت الواو ياء وأدغمت. قيل: وهو من لا يغلبه غضبه، وقيل: الذي يفوق في الخير والأوّل أليق بما بعده الآتي، والأظهر الثاني لأنه إنما يطلق حقيقة على من جمع السيادة نسباً وحسباً وعلماً وعملاً. **(ولعل الله)** أتى بصيغة الرجاء إيماء إلى عدم وجوب شيء على المولى، فالمعنى: أرجو منه سبحانه. **(أن يصلح به)** أي بسببه **(بين فئتين عظيمتين من المسلمين)** قال التوربشتي: كفى به شرفاً وفضلاً فلا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيداً، وإنما وصف الفئتين بالعظيمتين لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة معه وفرقة مع معاوية، وكان الحسن رضي الله عنه يومئذ أحق الناس بهذا الأمر فدعاه ورعه وشفقته على

---

(١) في المخطوطة «يقول». (٢) في المخطوطة «ملاصقة».

الحديث رقم ٦١٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٣٠٦/٥. حديث رقم ٢٧٠٤. وأخرجه أبو داود في السنن ٤٨/٥ حديث رقم ٤٦٦٢. والترمذي في السنن ٦١٦/٥ حديث رقم ٣٧٧٣. والنسائي في السنن ١٠٧/٣ حديث رقم ١٤١٠.

رواه البخاريُّ.

أمة جده إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، ولم يكن ذلك لقلة ولا ذلة فقد بايعه على الموت أربعون ألفاً وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أن لي أمر محمد ﷺ على أن يهراق في ذلك محجمة دم. وشق ذلك على بعض شيعته حتى حملته العصبية على أن قال عند الدخول: السلام عليك يا عار المؤمنين، فقال: العار خير من النار. وفي شرح السنة: في الحديث دليل على أن واحداً من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام لأن النبي ﷺ جعلهم كلهم مسلمين مع كون إحدى الطائفتين مصيبة والأخرى مخطئة، وهكذا سبيل كل متأوّل فيما يتعاطاه من رأي ومذهب إذا كان له فيما تناوله شبهة وإن كان مخطئاً في ذلك. ومن هذا اتفقوا على قبول شهادة أهل البغي ونفوذ [قضاء] قاضيهم. واختار السلف ترك الكلام في الفتنة الأولى وقالوا: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث به ألسنتنا. (رواه البخاري) وعن أبي بكرة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بنا، وكان الحسن يجيء وهو صغير فكان كلما سجد رسول الله وثب على رقبته وظهره فيرفع النبي ﷺ رأسه رفعاً رفيقاً حتى يضعه فقالوا: يا رسول الله رأيناك تصنع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد. قال: إنه ريحانتي من الدنيا إن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين. أخرجه أبو حاتم، وأخرجه أحمد بمعناه ولم يقل: ريحانتي من الدنيا، وزاد: قال الحسن بن الحسن: والله بعد أن ولي لم يهرق في خلافته ملء محجمة دم[١]. وعن أبي هريرة قال: كنا نصلي مع النبي ﷺ العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رفيقاً فيضعهما على الأرض، فإذا عاد عادا حتى قضى صلاته فأقعدهما على فخذيه. قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله أرذهما، فبرقت برقة فقال: الحقا بأمكما. قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا. أخرجه أحمد[٢]. وعن معاوية قال: كان رسول الله ﷺ يمص لسان الحسن أو شفته. وإنه لن يعذب الله لساناً أو شفة مصهما رسول الله ﷺ. أخرجه أحمد. وفي الذخائر قال أبو عمر: ولما قتل علي بن أبي طالب بايع الحسن أكثر من أربعين ألفاً كلهم قد بايع أباه قبله على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه منهم في أبيه. فبقي سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان، ثم سار إلى معاوية وسار معاوية إليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له يسكن بناحية الأنبار من أرض السواد، علم أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى فكتب إلى معاوية يخبره أنه يصير[٣] الأمر إليه على أن يشترط عليه أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه. فأجابه معاوية إلا أنه قال: عشرة أنفس فلا أو منهم. فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه يقول: إني قد آليت أنني متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده. فراجعه الحسن: أني لا أبايعك أبداً وأنت تطلب قيساً أو غيره بتبعةٍ قلت أو كثرت. فبعث إليه معاوية حينئذ برق

---

(١) أحمد في المسند ٥/ ٤٤.
(٢) أحمد في المسند ٢/ ٥١٣.
(٣) في المخطوطة «لا يصير».

٦١٤٥ ـ (١١) وعن عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ، قال: سمعتُ عبدَ اللَّهِ بن عُمَرَ وسأله رجلٌ عن المُحْرِمِ، قال شعبةُ أَحْسبه، يُقتل الذبابُ؟ قال: أهل العراقِ يسألوني عن الذباب

أبيض وقال: اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه. فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن أن يكون الأمر له من بعده فالتزم ذلك كله معاوية واصطلحا على ذلك. وكان كما قال رسول الله ﷺ: إن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. وكان رضي الله عنه يقول: ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أن لي أمر[1] محمد ﷺ على أن يهراق في ذلك محجمة دم. وعن أبي العريف قال: كنا في مقدمة الحسن بن علي اثنا عشر ألفاً مستميتين حرصاً على قتال أهل الشام. فلما جاءنا صلح الحسن كأنما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن. فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عمرو سفيان بن أبي ليلى فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين. قال: لا تقل يا أبا عمرو فإني لم أذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك. وعن عبد الله بن بريدة أن الحسن دخل على معاوية فقال: لأجيزنك بجائزة لم أجز بها أحداً قبلك ولا أجيز بها أحداً بعدك، فأجازه بأربعمائة ألف ألف فقبلها. وروي أنه لما جرى الصلح بين معاوية والحسن فقال له معاوية: قم فاخطب الناس واذكر ما كنت فيه، فقام الحسن فخطب فقال: الحمد لله الذي هدانا وحقن بنا دماءكم إلا إن أكيس الكيس التقي وإن أعجز العجز الفجور، وأن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون أحق به مني أو يكون حقي وتركته لله ولصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم. ثم التفت وقال: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ثم نزل فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما أردت إلا هذا. وفي رواية أن الحسن قال في خطبته: يا معاوية إن الخليفة من سار سيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعته، وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أماً وأباً.

٦١٤٥ ـ **(وعن عبد الرحمٰن بن أبي نعم)** بضم نون وسكون عين كذا في المغني وكذا في النسخ المعتمدة وسائر النسخ الحاضرة، ولم يذكره المؤلف في أسمائه بل ذكر عبد الرحمٰن بن أبي غنم وقال: بفتح الغين المعجمة وسكون النون. **(قال: سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل عن المحرم)** جملة حالية **(قال شعبة:)** أي أحد رواة هذا الحديث، ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(أحسبه)** بكسر السين وفتحها، أي أظنه أي السائل سأله عن المحرم. وفي الذخائر عن ابن عمر وقد سئل عن المحرم **(يقتل الذباب)** يعني أيجوز قتله أم لا والجملة معترضة. **(قال:)** وفي رواية: فقال، أي ابن عمر في جوابه متعجباً. **(أهل العراق)** أي الكوفة فإنها والبصرة تسميان عراق العرب. **(يسألوني)** بتشديد النون ويخفف **(عن الذباب)** أي عن قتل الذباب كما في نسخة. والمعنى أنهم يظهرون كمال رعاية التقوى في نسكهم. قال الطيبي: قوله: قال أهل العراق حال من سمعت وقد مقدره، والأصل سمعت قول عبد الله وقوله: وسأله رجل عن

(١) في المخطوطة «أمة».

الحديث رقم ٦١٤٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٥. حديث رقم ٣٧٥٣. والترمذي في السنن ٥/ ٦١٥ حديث رقم ٣٧٧٠.

وقد قتلوا ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ! وقال رسول الله ﷺ: «هما ريحانيَّ من الدنيا». رواه البخاري.

المحرم أيضاً حال. وقوله: قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب، قول بعض الرواة تفسير سؤال الرجل واستفتاؤه، أي ما تقول في شأن المحرم يقتل الذباب. اهـ. **(وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ)** حال من ضمير الفاعل في يسألوني **(وقال)** وفي رواية: وقد قال، أي والحال أنه قال. **(رسول الله ﷺ:)** أي في حق ابني بنته **(هما)** يعني الحسنين **(ريحاني)** ضبط في جميع النسخ بفتح النون وتشديد ياء المتكلم وسيأتي الكلام عليه. وفي الذخائر: هما ريحانتاي. **(من الدنيا)** أي من رزق الله الذي رزقنيه من الدنيا، يقال: سبحان الله وريحانه، أي أسبح الله وأسترزقه. وهو مخفف من ريحان مشدداً فيعلان من الروح لأن انتعاشه بالرزق. ويجوز أن يراد بالريحان المشموم، لأن الشمامات تسمى ريحاناً. ويقال: حباه بطاقة نرجس وبطاقة ريحان، فيكون المعنى أنهما مما أكرمني الله به وحياني، أو لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين التي أنبتها الله. وفي النهاية: الريحان الرحمة [والراحة] والرزق، وبه سمي الولد ريحاناً وكل نبت طيب الريح من أنواع الشموم. وقال الطيبي: موقع من الدنيا ههنا كموقعها في قوله ﷺ: «حبب إلي من الدنيا الطيب والنساء»[1]، أي نصيبي منها. ونصب ريحاني على المدح. أقول: الظاهر من كلام الفائق أنه جعل ريحاني خبر المبتدأ، أو من الدنيا بمعنى في الدنيا. لكن يشكل على رواية الكتاب بغير رفع. ولعله مبني على ما روي ريحانتاي. أو ريحاناي أو ريحاني بكسر النون وتخفيف الياء، والإفراد باعتبار كل منهما، والتقدير كانا ريحاني. ثم رأيت القاضي عياضاً قال في المشارق: قوله: وهما ريحاناي من الدنيا، الولد يسمى الريحان ومن هنا بمعنى في أي في الدنيا. وقيل: ريحاناي من الجنة في الدنيا، كما قال في الحديث: «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»[2]. وقد قيل: يوجد منهما ريح الجنة، والريحان ما يستراح إليه أيضاً. وقيل: سماهما بذلك لأن الولد يشم كما يشم الريحان. اهـ. وعن جابر بن عبد الله على ما رواه أحمد في المناقب قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: سلام عليك يا أبا الريحانين فعن قليل يذهب ركناك والله خليفتي عليك. فلما قبض رسول الله ﷺ قال علي: هذا أحد الركنين. فلما ماتت فاطمة قال: هذا الركن الآخر. **(رواه البخاري)** وعن عبد الرحمٰن بن أبي نعم أن رجلاً من أهل العراق سأل ابن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر: انظروا إلى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا. أخرجه الترمذي وصححه[3].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٤٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ونسبه للترمذي الحكيم. ٢/ ٥٧٥ حديث رقم ٩٦٩٠ ولم يذكر الصالح.

(٣) الترمذي في السنن ٥/ ٦١٥ حديث رقم ٣٧٧٠.

٦١٤٦ ـ (١٢) وعن أنس، قال: لم يكن أحدٌ أشْبَه بالنبي ﷺ من الحسن بن عليّ، وقال في الحسن أيضاً: كان أشبَهم برسول الله ﷺ. رواه البخاري.

٦١٤٧ ـ (١٣) وعن ابن عبّاس، قال: ضمَّني النبيُّ ﷺ إلى صدره فقال «اللهم علّمه الحكمة».

٦١٤٦ ـ (**وعن أنس قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي وقال:**) أي أنس (**في الحسين أيضاً كان أشبههم برسول الله ﷺ**) وسيأتي في حديث علي في الفصل الثاني تفصيل معنى هذا الحديث. (**رواه البخاري**) وكذا الترمذي.

٦١٤٧ ـ (**وعن ابن عباس قال: ضمني**) بتشديد الميم أي أخذني (**النبي ﷺ إلى صدره**) إيماء إلى أنه منبع العلم ومعدن الحكم (**فقال: اللهم علمه الحكمة**) أي إتقان العلم والعمل. قال تعالى: ﴿**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ [البقرة ـ ٢٦٩]. وليس المراد بها حكمة[1] الفلاسفة. ففي النهاية: الحكمة عبارة عن معرفة الفضلاء الأشياء بأفضل العلوم، والحكيم الذي يحكم الأشياء ويتقنها. وفي فتح الباري: واختلف في المراد بالحكمة ههنا فقيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق بينه وبين الإلهام والوسواس. وقيل: سرعة الجواب، وقيل غير ذلك. قلت: لا منع من الجمع شعر:

عباراتنا شتى وحسنك واحد ❋ فكل إلى ذاك الجمال يشير

(**وفي رواية: علمه الكتاب**) أي علمه ما يتعلق به من سائر العلوم الشرعية. وحكي عن ابن عباس أنه قال:

جميع العلم في القرآن لكن ❋ تقاصر عنه أفهام الرجال

وهذه الرواية تؤيد قول من فسر الحكمة بعلم الكتاب، ولذا يقال لابن عباس: ترجمان الكتاب. وقال الطيبي: [الظاهر] أن يراد بالحكمة السنة قال [تعالى]: ﴿**يعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ [آل عمران ـ ١٦٤]. قلت: الأظهر أن يراد بالكتاب لفظه وقراءته، وبالحكمة معرفة أحكامه وتبيين آياته، فإنه رضي الله عنه كان مشهوراً بالعلمين، أي القراءة والتفسير. على أن تفسير الحكمة بالسنة في الآية لوقوعها عطفاً على الكتاب. والأصل التغاير في العطف،

الحديث رقم ٦١٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٤. حديث رقم ٣٧٤٨. والترمذي في السنن ٥/ ٦١٨ حديث رقم ٣٧٧٨.

الحديث رقم ٦١٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٠. حديث رقم ٣٧٥٦. والترمذي ٥/ ٦٣٨ حديث رقم ٣٨٢٤. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٨ حديث رقم ١٦٦.

(١) في المخطوطة «حكمة».

وفي رواية: «علّمه الكتاب». رواه البخاري.

٦١٤٨ ـ (١٤) وعنه، قال: إِن النبيَّ ﷺ دخل الخلاء فوضعتُ له وَضوءاً، فلما خرج قال: «من وضع هذا؟» فأخبِرَ فقال: «اللهمَّ فقهه في الدين». متفق عليه.

٦١٤٩ ـ (١٥) وعن أسامة بن زيدٍ، عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسنَ، فيقول: «اللهمَّ أَحبَّهما فإِني أُحبُّهما».

لكن سيأتي أنه دعا له بالفقه أيضاً وهو العلم بالكتاب والسنة أصولاً وفروعاً فهو جامع العلوم رضي الله عنه. قال المؤلف: ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة، [وقيل خمس عشرة سنة] ، وقيل عشر. كان حبر هذه الأمة وعالمها دعا له ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل ورأى جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في آخر عمره، ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن إحدى وسبعين سنة. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين [رضوان الله عليهم] أجمعين. **(رواه البخاري)**.

٦١٤٨ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(قال: إن النبي ﷺ دخل الخلاء)** بالفتح والمد، أي مكان البراز. **(فوضعت له وضوءاً)** بفتح الواو، ماء الوضوء. **(فلما خرج قال: من وضع هذا)** أي ظرف الماء **(فأخبر)** بصيغة الماضي المجهول، أي فأخبره مختبر وهو يحتمله وغيره. **(فقال: اللهم فقهه)** بكسر القاف المشددة، أي اجعله فقيهاً عالماً. **(في الدين)** أي أصوله وفروعه. وليس المراد به الفقه المتعارف المختص بفروع المعاملات والخصومات. قال النووي: فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظهر الغيب واستحباب الدعاء لمن عمل[1] خيراً، وقد أجاب الله دعاه في حقه فكان من الفقه بالمحل الأعلى. **(متفق عليه)**.

٦١٤٩ ـ **(وعن أسامة بن زيد)** أي ابن حارثة القضاعي وأمه أم أيمن واسمها بركة وهي حاضنة رسول الله ﷺ، وكانت مولاة لأبيه عبد الله بن عبد المطلب، وأسامة مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه وحبه وابن حبه. قبض النبي ﷺ وهو ابن عشرين. وقيل غير ذلك، ونزل وادي القرى وتوفي به بعد قتل عثمان، وقيل سنة أربع وخمسين. قال ابن عبد البر: وهو عندي أصح، روى عنه جماعة. **(عن النبي ﷺ كان يأخذه)** أي يأخذ أسامة **(والحسن فيقول: اللهم أحبهما فإني أحبهما)** فيه إشعار بأن محبته لله، ولذا رتب محبة الله على محبته، وفي ذلك أعظم منقبة لهما. ولفظ الذخائر: اللهم إني أحبهما فأحبهما، أو كما قال: رواه البخاري.

الحديث رقم ٦١٤٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٤٤. حديث رقم ١٤٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٢٧ حديث رقم (١٣٨ . ٢٤٧٧) وأحمد في المسند ١/ ٣١٤.

(١) في المخطوطة «علم».

الحديث رقم ٦١٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٨. حديث رقم ٣٧٣٥. وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٠ حديث رقم ٣٧٨٣. وأحمد في المسند ٥/ ٣٦٩.

وفي رواية: قال: كانَ رسول الله ﷺ يأخذني فيُقعدني على فخذه، ويقعد الحسن بن عليّ على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهمَّ ارحمْهما فإني أرحمُهما». رواه البخاري.

٦١٥٠ ـ (١٦) وعن عبد الله بن عُمَرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَثَ بعثاً وأمَّر عليهم أسامةَ ابن زيد، فطعن بعض الناس في إِمارته، فقال رسول الله ﷺ: «إن كنتم تَطْعنون في إِمارته فقد كنتم تطعنون في إِمارة أبيه من قبل، وأَيم الله إِن كان لخليقاً للإمارة،

(وفي رواية قال:) أي أسامة (كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني) بضم الياء وكسر العين، أي يجلسني. (على فخذه) أي اليمنى أو اليسرى (ويقعد الحسن بن علي على فخذه الأخرى ثم يضمهما) كذا في المصابيح وجامع الأصول، وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة ذكره الطيبي. والظاهر أن في غيرهما يضمنا على تغليب المتكلم، كما أن في يضمهما تغليب الغائب. ففي تسميته التفاتاً نوع مسامحة. (ثم يقول: اللهم ارحمهما) [أي رحمة شاملة كاملة تغنهما عن رحمة من سواك. (فإني أرحمهما)] أي رحمة خاصة وإلا فرحمته عامة للمؤمنين بل شاملة للعالمين. (رواه البخاري).

٦١٥٠ ـ (وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً) أي أرسل جيشاً (وأمر) بتشديد الميم، أي جعل أميراً. (عليهم أسامة بن زيد فطعن) بفتح العين من طعن كمنع في العرض والنسب، وأما بالضم فبالرمح واليد. ويقال: هما لغتان، والمعنى فتكلم. (بعض الناس) أي المنافقون، أو أجلاف العرب. (في إمارته) بكسر الهمزة، أي ولايته لكونه مولى. (فقال رسول الله) وفي نسخة: نبي الله. (ﷺ: إن كنتم تطعنون في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه) يشير إلى إمارة زيد بن حارثة في غزوة مؤتة. (من قبل) أي من قبل هذا أو من قبل إمارة ابنه. قال الطيبي: قوله: فقد كنتم طعنتم هذا الجزاء إنما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والتوبيخ، أي طعنكم الآن فيه سبب لأن أخبركم أن ذلك من عادة الجاهلية وهجيراهم، ومن ذلك طعنكم في أبيه من قبل نحو قوله تعالى: ﴿أن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ [يوسف ـ ٧٧]. (وأيم الله) بهمز وصل، وقيل قطع أي والله. (إن) مخففة أي الشأن (كان) أي أبوه (لخليقاً) أي لجديراً وحقيقاً (للإمارة) أي لفضله وسبقه، وقربه مني. وفي أصل المالكي: وأيم الله لقد كان. وفي نسخة عنده: إن كان خليقاً، فقد استعمل إن المخففة المتروكة العمل عارياً ما بعدها من اللام الفارقة لعدم الحاجة إليها. قال التوربشتي: إنما طعن من طعن في إمارتهما لأنهما كانا من الموالي وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف، فلما جاء الله بالإسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة

الحديث رقم ٦١٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٨٦. حديث رقم ٣٧٣٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٤ حديث رقم (٦٣ ـ ٢٤٢٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٥ حديث رقم ٣٨١٦. وأحمد في المسند ٢/ ٢٠.

وإن كان لمن أحبِّ الناس إليّ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناس إليّ بعده». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم نحوه

والعلم والتقى وعرف حقهم المحفوظون من أهل الدين. فأما المرتهنون بالعادة والممتحنون[1] بحب الرياسة من الأعراب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك، لا سيما أهل النفاق. فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة النكير عليه، وكان رسول الله ﷺ قد بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه أميراً على عدة سرايا، وأعظمها جيش مؤتة وسار تحت رايته في تلك الغزوة خيار الصحابة منهم، جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان خليقاً بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله ﷺ. ثم كان يبعث أسامة وقد أمره في مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم، وكأنه رأى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة أن يمهد الأمر ويوطئه لمن يلي الأمر بعده، لئلا ينزع أحد يداً من طاعة وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها. **(وإن كان)** أي أبوه **(لمن أحب الناس إلي وإن هذا)** أي أسامة **(لمن أحب الناس إلي بعده)** أي بعد أبيه زيد **(متفق عليه.)** وعند النسائي عن عائشة قالت: «ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمره عليهم». قال بعض المحققين: فيه جواز إمارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل. قلت: ولعل تأميره مع تأمير ابنه وقع جبراً لما اختاره من عبوديته ﷺ حين خيره. فقد قال المؤلف: زيد بن حارثة أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت به تزور قومها فأغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على أبيات من بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يقال: له ثمان سنين، فوافوا به سوق عكاظ فعرض[2] للبيع فاشتراه حكيم بن حزام ابن خويلد لعمته خديجة بأربعمائة درهم. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فقبضه. ثم إن خبره اتصل بأهله فحضر أبوه حارثة وعمه كعب في فدائه فخيره النبي ﷺ بين نفسه والمقام عنده، وبين أهله والرجوع إليهم. فاختار النبي ﷺ لما يرى من بره وإحسانه إليه، فحينئذ خرج به النبي ﷺ إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه، فصار يدعى زيد ابن محمد إلى أن جاء الله بالإسلام ونزل: **﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾** [الأحزاب ـ ٥]. فقيل له زيد بن حارثة وهو أوّل من أسلم من الذكور في قول. وكان النبي ﷺ أكبر منه بعشر سنين، وقيل بعشرين سنة وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن فولدت له أسامة، ثم تزوّج زينب بنت جحش بنت عمة النبي ﷺ ثم طلقها لتكبرها عليه، فتزوّجها النبي ﷺ. ولم يسم الله تعالى في القرآن أحداً من الصحابة غيره في قوله تعالى: **﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾** [الأحزاب ـ ٣٧]. روى عنه ابنه أسامة وغيره وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير الجيش في جمادى الأولى سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة. **(وفي رواية لمسلم نحوه)** أي نحو الحديث

---

(١) في المخطوطة «المستحسنون».
(٢) في المخطوطة «تعرض».

وفي آخره: «أوصيكم به، فإنه من صالحيكم».

٦١٥١ ـ (١٧) وعنه قال: إن زيدَ بن حارثة مولى رسولِ اللّهِ ﷺ، ما كنا ندعوه إلا زيدَ بن محمَّدٍ، حتى نزل القرآن ﴿أُدعوهم لآبائهم﴾. متفق عليه.

وذكر حديث البراء قال لعليّ: «أنت مني» في «باب بلوغ الصغير وحضانته».

الفصل الثاني

٦١٥٢ ـ (١٨) عن جابر، قال: رأيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ في حجَّته يوم عرفة وهو على ناقته القَصواء يخطبُ، فسمعته يقول: «يا أيُّها النَّاسُ! إِني تركتُ فيكم ما إِن أخذتم به لن

المتفق عليه سابقاً (**وفي آخرها:**) أي رواية مسلم (**أوصيكم به**) أي بأسامة (**فإنه من صالحيكم**) أي ممن غلب عليه الصلاح فيما بينكم، وإلا فكل الصحابة صالحون والخطاب لجماعة من الحاضرين أو المبعوثين معه.

٦١٥١ ـ (**وعنه**) أي عن عبد الله بن عمر (**قال:**) [أي ابن عمر] (**أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ**) إيراد هذا الحديث في هذا الباب للإشعار بأن مولى الرجل من أهل بيته (**ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد**) قال النووي: كان تبنى زيداً ودعاه ابنه. وكانت العرب تتبنى مواليهم وغيرهم فيصير ابناً له يوارثه وينسب إليه. (**حتى نزل القرآن**) أي الآية منه: ﴿**أدعوهم لآبائهم**﴾. قبله: ﴿**وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم**﴾ أي انسبوهم ﴿**لآبائهم هو أقسط**﴾، أي أعدل ﴿**عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم**﴾ [الأحزاب ـ ٤ ـ ٥] الآية. فرجع كل إنسان إلى نسبه (**متفق عليه، وذكر حديث البراء قال لعلي: أنت مني. في باب بلوغ الصغير وحضانته.**) بكسر الحاء ويفتح أي تربيته.

(الفصل الثاني)

٦١٥٢ ـ (**عن جابر قال: رأيت رسول الله ﷺ [في حجته]**) أي حجة الوداع (**يوم عرفة وهو على ناقته القصواء**) بفتح القاف ممدوداً ويقصر. قيل: سميت قصواء لا لأنها مجذوعة[١] الأذن، بل لأن القصواء[٢] لقب لها. (**يخطب**) حال (**فسمعته يقول: يا أيها الناس إني تركت فيكم ما**) موصولة صلتها (**إن أخذتم به**) أي تمسكتم به علماً وعملاً (**لن**

الحديث رقم ٦١٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٧. حديث رقم ٤٧٨٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٤ حديث رقم (٦٢ ـ ٢٤٢٥).

الحديث رقم ٦١٥٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢١ حديث رقم ٣٧٨٦. وأحمد في المسند ٣/ ١٤.

(١) في المخطوطة «مجذوع». (٢) في المخطوطة «القصوى».

تضلُّوا: كتابَ الله، وعترتي أهل بيتي». رواه الترمذي.

٦١٥٣ ـ (١٩) وعن زيد بن أرقمَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي، أحدُهما أعظم من الآخر: كتاب اللّهِ حبلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي،

تضلوا بعده) أي بعد أخذ ذلك الشيء. (كتاب الله) بالنصب بيان ما في ما إن أخذتم به، أو بدل أو بتقدير أعني. وفي نسخة بالرفع، أي هو كتاب الله. (وعترتي) في محل نصب أو رفع وقوله: (أهل بيتي) معرب من وجهين. قال التوربشتي: عترة الرجل أهل بيته ورهطه الأدنون، ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة بينها رسول الله ﷺ بقوله: أهل بيتي. ليعلم أنه أراد بذلك نسله وعصابته الأدنين وأزواجه. اهـ. والمراد بالأخذ بهم التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم. وهو لا ينافي أخذ السنة من غيرهم لقوله ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. ولقوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [الأنبياء ـ ٧]. وقال ابن الملك: التمسك بالكتاب العمل بما فيه، وهو الائتمار بأوامر الله والانتهاء بنواهيه. ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم. زاد السيد جمال الدين: إذا لم يكن مخالفاً للدين. قلت: في اطلاقه ﷺ إشعار بأن من يكون من عترته في الحقيقة لا يكون هديه وسيرته إلا مطابقاً للشريعة والطريقة (**رواه الترمذي**).

٦١٥٣ ـ (**وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي**) أي بعد فوتي. [وفي نسخة بعد موتي] (**أحدهما**) وهو كتاب الله (**أعظم من الآخر**) وهو العترة كما بينه بقوله: (**كتاب الله**) بالنصب وبالرفع، وهو أظهر هنا لقوله: (**حبل ممدود بين السماء والأرض**) أي قابل للترقي والتنزل كما مر بيانه وسبق برهانه. (**وعترتي أهل بيتي**) قال الطيبي: في قوله: إني تارك فيكم. إشارة إلى أنهما بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله ﷺ، وأنه يوصي الأمة بحسن المخالقة معهما وإيثار حقهما على أنفسهم، كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده. ويعضده الحديث السابق في الفصل الأوّل: أذكركم الله في أهل بيتي. كما يقول الأب المشفق: الله الله في حق أولادي. وأقول: الأظهر هو أن أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه وحكمته، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ [البقرة ـ ١٢٩]. ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد بن عبد الله بن زيد أن النبي ﷺ ذكر عنده قضاء قضى به علي بن أبي طالب فأعجبه وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت. وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن مسعر اليربوعي قال: قال علي للحسن: كم بين

الحديث رقم ٦١٥٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٢ حديث رقم ٣٧٨٨. والدارمي في السنن ٢/ ٥٢٤ حديث رقم ٣٣١٦. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٦.

ولن يتفرّقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». رواه الترمذي.

٦١٥٤ ـ (٢٠) وعنه، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال لعليّ وفاطمة والحسن

الإِيمان واليقين. قال: أربع أصابع. قال: بين. قال: اليقين ما رأت عينك، والإِيمان ما سمعت أذنك وصدقت به. قال: أشهد أنك ممن أنت منه ذرية بعضها من بعض. وقارف الزهري فهام على وجهه فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك. فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالته. فرجع إلى أهله وحاله. **(ولن يتفرقا)** أي كتاب الله وعترتي **(في مواقف القيامة حتى يردا علي الحوض)** أي الكوثر. قال الطيبي: في تفصيل مجمل الحديث: ما موصولة والجملة الشرطية صلتها، وإمساك الشيء التعلق به وحفظه. قال تعالى: ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض**﴾ [الحج ـ ٦٥]. وتمسك بالشيء إذا تحرى الإِمساك به. ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالمتمسك به صريحاً وهو الحبل في قوله: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وفيه تلويح إلى قوله تعالى: ﴿**ولو شئنا لرفعنا بها ولكنه أخلد إلى أرض واتبع هواه**﴾ [الأعراف ـ ١٧٦]. كأن الناس واقعون في مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهوتهم وإن الله تعالى يريد بلطفه رفعهم فأدنى حبل القرآن إليهم ليخلصهم من تلك الورطة، فمن تمسك به نجا ومن أخلد إلى الأرض هلك. ومعنى كون أحدهما أعظم من الآخر أن القرآن هو أسوة للعترة وعليهم الاقتداء به وهم أولى الناس بالعمل بما فيه. ولعل السر في هذه التوصية واقتران بالقرآن أن إيجاب محبتهم لائح من معنى قوله تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى**﴾ [الشورى ـ ٢٣]. فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطاً بمحبتهم على سبيل الحضر، فكأنه ﷺ يوصي الأمة بقيام الشكر، وقيد تلك النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يرد الحوض. فشكرا صنيعه عند رسول الله ﷺ، فحينئذ هو بنفسه يكافئه والله تعالى يجازيه بالجزاء الأوفى، ومن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس. وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله: **(فانظروا كيف تخلفوني فيهما)** والنظر بمعنى التأمل والتفكُر، أي تأملوا واستعملوا الروية[1] في استخلافي إياكم، هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء. اهـ. وقوله: تخلفوني بتشديد النون وتخفف. **(رواه الترمذي)** ورواه أحمد والطبراني عن زيد بن ثابت ولفظه: إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

٦١٥٤ ـ **(وعنه)** أي عن زيد بن أرقم **(أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن**

---

(١) في المخطوطة «الرواية».

الحديث رقم ٦١٥٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٦ حديث رقم ٣٨٧٠. وابن ماجه ١/ ٥٢ حديث رقم ١٤٥ أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٢.

والحسين: «أنا حربٌ لمن حارَبهم، وسِلمٌ لمن سالَمَهم». رواه الترمذي.

٦١٥٥ ـ (٢١) وعن جُمَيْع بن عُمير، قال: دخلتُ مع عمَّتي على عائشة، فسئلت أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها [إن كان ما علمت صواماً قواماً]. رواه الترمذي.

والحسين:) أي لأجلهم وفي حقهم **(أنا حرب)** أي محارب. [وعن علي قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. أخرجه أحمد والترمذي وقال: كان معي في الجنة. وقال: حديث غريب[1]]. **(لمن حاربهم)** جعل ﷺ نفسه نفس الحرب مبالغة، كرجل عدل. **(وسلم)** بكسر أوله ويفتح، أي [مسالم ومصالح] **(لمن سالمهم)** والمعنى: من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني **(رواه الترمذي)**.

٦١٥٥ ـ **(وعن جميع بن عمير)** بالتصغير فيهما. قال المؤلف: تيمي من الكوفة. قال السخاوي: سمع عمر وعائشة، روى عنه العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى. **(قال: دخلت مع عمتي على عائشة فسألت:)** أي أنا. وفي نسخة بصيغة التأنيث، أي عمتي. **(أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ. قالت:)** أي عائشة **(فاطمة)** أي هي كانت أحب **(فقيل: من الرجال.)** أي هذا جوابك من النساء، فمن أحب إليه من الرجال. **(قالت: زوجها. رواه الترمذي)** وفي الرياض عن عائشة سئلت: أي الناس أحب إلى رسول الله ﷺ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال. قالت: زوجها إن كان ما علمت صوّاماً قوّاماً. أخرجه الترمذي وقال: حسن غريب. وفي الأزهار رواه السدي. وقال الحاكم: السدي شيعي يسب الشيخين. اهـ. وقد ذكروا أن السدي شخصان: كبير وهو سني، وصغير وهو رافضي. قال السيوطي في شرح التقريب: من أمارات كون الحديث موضوعاً أن يكون الراوي رافضياً، والحديث في فضائل أهل البيت. قال الشيخ الحافظ علي بن عراق في كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، أو في ذم من حاربهم. وذكر بعض شيوخي أنه روى عن شيخه الحافظ المحدث البرهان الناجي بالنون: أن من أمارات الموضوع أن يكون فيه، وأعطي ثواب نبي أو النبيين ونحوهما. قلت: كلام السيوطي وابن عراق ليس على الإطلاق، بل ينبغي أن يكون مقيداً بما إذا وجد فيه مبالغة زائدة غير معروفة في مدح أهل البيت أو ذم أعدائهم ، وإلا ففضل أهل البيت وذم من حاربهم أمر مجمع عليه عند علماء السنة وأكابر أئمة الأمة. ثم لا يلزم من أكثرية المحبة تحقق الأفضلية، إذ محبة الأولاد وبعض الأقارب أمر جبلي مع العلم القطعي بأن غيرهم قد يوجد أفضل منهم، وأما بالنسبة إلى الأجانب فالأفضلية توجب زيادة المحبة وبهذا يندفع الإشكال والله أعلم بالأحوال.

---

(١) الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٩ حديث رقم ٣٧٣٣. وأحمد في المسند ١/ ٧٦.

الحديث رقم ٦١٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٨ حديث رقم ٣٨٧٤.

٦١٥٦ - (٢٢) وعن عبد المطلب بن ربيعة، أنَّ العباس دخلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ مُغْضَباً وأنا عنده، فقال: «ما أغضبَك؟» قال: يا رسول الله! ما لنا ولقريش إذا تلاقَوْا بينهم تلاقَوْا بوجوه مُبْشَرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟ فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتى احمرَّ وجهُه، ثم قال: «والذي نفسي بيده لا يدخلُ قلبَ رجلِ الإِيمانُ حتى يُحبَّكم لله ولرسوله» ثم قال: «أيُّها الناس! من آذى عَمّي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صِنوْ أبيه». رواه الترمذي. وفي «المصابيح» عن المطلب.

٦١٥٦ - **(وعن عبد المطلب بن ربيعة)** أي ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي سكن المدينة ثم تحوّل عنها إلى دمشق ومات بها سنة اثنتين وستين. روى عنه عبد الله بن الحارث. ذكره المؤلف في فصل الصحابة. **(أن العباس دخل على رسول الله ﷺ مغضباً)** بصيغة المفعول **(وأنا عنده فقال: ما أغضبك)** أي أي شيء جعلك غضبان. **(قال: يا رسول الله ما لنا)** أي معشر بني هاشم **(ولقريش)** أي بقيتهم **(إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة)** على صيغة المفعول من الإبشار. وروي من التبشير وعليه بعض النسخ. قال الطيبي: كذا في جامع الترمذي. وفي جامع الأصول مسفرة، يعني على أنه اسم فاعل من الإسفار بمعنى مضيئة. قال التوربشتي: هو بضم الميم وسكون الباء وفتح الشين، يريد بوجوه عليها البشر من قولهم: فلان مؤدم مبشر، إذا كانت له أدمة وبشرة محمودتين. اهـ. والمعنى تلاقي بعضهم بعضاً بوجوه ذات بشر وبسط. **(وإذا لقونا)** بضم القاف **(لقونا بغير ذلك)** أي بوجوه ذات قبض وعبوس، وكأن وجهه أنهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. **(فغضب رسول الله ﷺ)** أي من إظهار ذلك، أو من أصل هذه الصفة الذميمة. **(حتى احمر وجهه)** أي اشتد حمرته من كثرة غضبه **(ثم قال: والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان)** أي مطلقاً، وأريد به الوعيد الشديد أو الإيمان الكامل. فالمراد به تحصيله على الوجه الأكيد. **(حتى يحبكم)** أي أهل البيت **(لله ولرسوله)** أي من حيث أظهر رسوله فيكم، والله أعلم حيث يجعل رسالته. وقد كان يتفوّه أبو جهل حيث يقول: إذا كان بنو هاشم أخذوا الراية والسقاية والنبوّة والرسالة فما بقي لبقية قريش. **(ثم قال: يا أيها الناس من آذى عمي)** أي خصوصاً **(فقد آذاني)** أي فكأنه آذاني **(فإنما عم الرجل صنو أبيه)** بكسر الصاد وسكون نون، أي مثله وأصله أن يطلع نخلتان أو ثلاث من أصل عرق واحد، فكل واحدة منهن صنو. يعني ما عم الرجل وأبوه إلا كصنوين من أصل واحد فهو مثل أبي أو مثلي. **(رواه الترمذي)** أي عن عبد المطلب. **(وفي المصابيح عن المطلب)** قال المؤلف: هو المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم القرشي، كان عاملاً على عهد رسول الله ﷺ عداده في أهل الحجاز، وروى عنه عبد الله بن الحارث. قدم مصر لغزو إفريقية سنة تسع وعشرين ولم يقع إلى أهل الحديث عنه رواية. اهـ. فما وقع في المصابيح سهو سببه وهم. وفي الجامع روى الترمذي عن أبي هريرة:

الحديث رقم ٦١٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٠ حديث رقم ٣٧٥٨. وأحمد في المسند ٤/ ١٦٥.

٦١٥٧ ـ (٢٣) وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «العباس مني وأنا منه».

رواه الترمذي.

العباس عم رسول الله وأن عم الرجل صنو أبيه[١]. وروى ابن عساكر عن علي مرفوعاً: العباس عمي وصنو أبي، فمن شاء فليباه بعمه[٢]. وفي ذخائر العقبى عن ابن عباس قال: إن العباس قال: يا رسول الله إنا لنخرج فنرى قريشاً تتحدث فإذا رأونا سكتوا. فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق الغضب بين عينيه ثم قال: والله لا يدخل قلب امرىء إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي. رواه أحمد[٣]. وعن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهم عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو [ابن] عم أبيك، ومنا سبط هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك، ومنا المهدي. أخرجه الطبراني في معجمه.

٦١٥٧ ـ (**وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: العباس مني**) أي من أقاربي أو من أهل بيتي أو متصل بي. (**وأنا منه، رواه الترمذي**) وكذا الحاكم[٤]. وروى الخطيب عن ابن عباس مرفوعاً: العباس وصيي ووارثي[٥]. وكان العباس أكبر منه ﷺ بسنتين، ومن لطائف طبعه وحسن أدبه أنه لما قيل له أنت أكبر أم النبي ﷺ فقال: هو أكبر وأنا أسن قال المؤلف: وأمه امرأة من النمر بن قاسط وهي أوّل عربية كست الكعبة الحرير والديباج وأصناف الكسوة، وذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك. وكان العباس رئيساً في الجاهلية وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية. أما السقاية فهي معروفة وأما العمارة فإنه كان يحمل قريشاً على عمارته وبالخير وترك السباب فيه وقول الهجر. قال مجاهد: أعتق العباس عند موته سبعين مملوكاً. ولد قبل سنة الفيل ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين، ودفن بالبقيع. وكان أسلم قديماً وكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً، فقال النبي ﷺ: من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مكرهاً فأسره أبو اليسر كعب بن عمر ففادى نفسه ورجع إلى مكة، ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً. روى عنه جماعة.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١١ حديث رقم ٣٧٦١.
(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٥٠ حديث رقم ٥٦٦٧.
(٣) أحمد في المسند ١/ ٢٠٨.
الحديث رقم ٦١٥٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٠ حديث رقم ٣٧٥٩.
(٤) الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢٥.
(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٥٠ حديث رقم ٥٦٦٥.

٦١٥٨ - (٢٤) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ للعباس: «إذا كان غداةَ الاثنين فأتني أنتَ وولَدُك حتى أدعو لهم بدعوة ينفعُك الله بها وولدك» فغدا وغدَونا معه، وألبسنا كساءه ثم قال: «اللهمَّ اغفر للعبَّاس ووُلْده مغفرةً ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، اللهمَّ احفظه في ولده». رواه الترمذي. وزاد رزين: «واجعل الخلافةَ باقيةً في عقبه» وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

٦١٥٩ - (٢٥) وعنه، أنه رأى جبريل مرتين،

٦١٥٨ - **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(قال: قال رسول الله ﷺ للعباس: إذا كان غداة الاثنين)** بهمزة وصل، وقد عدوا قول الشاعر:

* [و] كل سر جاوز الاثنين شاع *

لحناً لعدم اتزانه إلا بهمز القطع، مع أنه قد يجوز لضرورة الشعر. **(فائتني أنت وولدك)** بفتحتين وبضم وسكون، أي أولادك. **(حتى أدعو لهم)** أي للأولاد معك. قال الطيبي: وهو كذا في الترمذي وفي جامع الأصول. وبعض نسخ المصابيح: لكم. اهـ. والمعنى حتى أدعو لكم جميعاً. **(بدعوة ينفعك الله بها وولدك)** أي وينفع بها أولادك. **(قال ابن عباس: فغدا)** أي العباس **(وغدونا)** أي نحن معاشر الأولاد **(معه)** والمعنى فذهبنا جميعنا إليه ﷺ. وأبعد شارح في قوله: أي[قال] ابن عباس، فغدا رسول الله ﷺ. **(وألبسنا)** أي النبي ﷺ جميعنا، أو نحن الأولاد مع العباس. **(كساءه)** أي لباسه الخاص على وجه الاختصاص وإرادة الإخلاص. **(ثم قال: اللهم اغفر للعباس وولده)** أي أولاده **(مغفرة ظاهرة وباطنة)** أي ما ظهر من الذنوب وما بطن من العيوب التي لم يعلمها إلاّ علاّم الغيوب. **(لا تغادر)** أي لا تترك تلك المغفرة **(ذنباً)** أي غير مغفور **(اللهم احفظه في ولده. رواه الترمذي. وزاد رزين: واجعل الخلافة باقية في عقبه. وقال الترمذي: هذا حديث غريب.)** قال التوربشتي: أشار النبي ﷺ بذلك إلى أنهم خاصته وأنهم بمثابة النفس الواحدة التي يشملها كساء واحد، وأنه يسأل الله تعالى أن يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم، وأنه يجمعهم في الآخرة تحت لوائه وفي هذه الدار تحت رايته لإعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دعوة رسوله: اللهم احفظه في ولده. أي اكرمه وراع أمره كيلا يضيع في شأن ولده. وهذا معنى رواية رزين: واجعل الخلافة باقية في عقبه.

٦١٥٩ - **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(أنه)** أي ابن عباس كما صرح به شارح **(رأى جبريل مرتين)** روى ابن النجار عن ابن عباس قال: دخلت أنا وأبي على النبي ﷺ فلما خرجنا من عنده قلت لأبي: أما رأيت الرجل الذي كان مع النبي ﷺ، ما رأيت رجلاً أحسن وجهاً منه. فقال لي: أهو كان أحسن وجهاً أم النبي ﷺ. قلت: هو. قال: فارجع بنا. فرجعنا حتى دخلنا

الحديث رقم ٦١٥٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١١ حديث رقم ٣٧٦٢.

الحديث رقم ٦١٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٧ حديث رقم ٣٨٢٢.

ودعا له رسول الله ﷺ مرَّتين. رواه الترمذي.

٦١٦٠ ـ (٢٦) وعنه، أنه قال: دعا لي رسولُ الله ﷺ أن يُؤتِيَني اللَّهُ الحكمةَ مرَّتين. رواه الترمذي.

٦١٦١ ـ (٢٧) وعن أبي هريرة، قال: كانَ جعفرٌ يحبُّ المساكين ويجلس إِليهم، ويحدِّثهم ويحدِّثونه، وكان رسولُ الله ﷺ يكنّيه بأبي المساكين. رواه الترمذي.

٦١٦٢ ـ (٢٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جعفراً

عليه فقال له أبي: يا رسول الله أين الرجل الذي كان معك، زعم عبد الله أنه كان أحسن وجهاً منك. قال: يا عبد الله رأيته. قلت: نعم. قال: أما إن ذلك جبريل، أما إنه حين دخلتما قال لي: يا محمد من هذا الغلام. قلت: ابن عمي عبد الله بن عباس. قال: إنه لمحل للخير. قلت: يا روح الله ادع الله له. فقال: اللهم بارك عليك، اللهم اجعل منه كثيراً طيباً. اهـ. ولا يخفى أن قوله أحسن يحتاج إلى توجيه حسن وتأويل مستحسن، وهو أنه لما رآه أوّل نظرة استحسنه بحيث إنه ظن أنه أحسن كما هو مشاهد في المرئيات المستحسنة أوّلاً، أو لأن جبريل كان متوجهاً إليه منبسطاً عليه، أو لعدم تمييز ابن عباس حينئذ مع المناسبة الطفولية المشابهة بالصفة الملكية التي كأنها علة الضم [من الجنسية]، وإلا فجبريل عليه السلام كان يظهر على صورة دحية ولم يقل أحد من الصحابة إنه كان أحسن صورة من رسول الله ﷺ. **(ودعا له)** أي لابن عباس **(رسول الله ﷺ مرتين)** أي مرة بإعطاء الحكمة، أو علم الكتاب حين ضمه إلى صدره. ومرة بتعلم الفقيه حين خدمه بوضع ماء وضوئه. **(رواه الترمذي)**.

٦١٦٠ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(أنه قال: دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة)** أي العلم بأصول الشريعة وفروعها **(مرتين)** أي مرة بلفظ الحكمة ومرة بعبارة الفقه. والظاهر أنهما في مجلسين كما تقدم والله أعلم. **(رواه الترمذي)**.

٦١٦١ ـ **(وعن أبي هريرة قال: كان جعفر يحب المساكين)** أي محبة زائدة **(ويجلس إليهم)** أي ويتواضع لديهم **(ويحدثهم ويحدثونه)** أي بالمؤانسة **(فكان)** وفي نسخة صحيحة: وكان. **(رسول الله ﷺ يكنيه)** أي لكثرة ما ذكر **(بأبي المساكين)** أي ملازمهم ومداومهم، كما كنى علياً بأبي تراب لمباشرته ومعاشرته بقعوده ورقوده عليه، وكما يقال للصوفي: أبو الوقت وابن الوقت، وللمسافر ابن السبيل. **(رواه الترمذي)**.

٦١٦٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت [في المنام] جعفراً**

الحديث رقم ٦١٦٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٨ حديث رقم ٣٨٢٣.

الحديث رقم ٦١٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٣ حديث رقم ٣٧٦٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٨١ حديث رقم ٤١٢٥.

الحديث رقم ٦١٦٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٢ حديث رقم ٣٧٦٣.

يطيرُ في الجنَّةِ مع الملائكة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٦١٦٣ - (٢٩) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسنُ والحسينُ سيّدا شباب أهلِ الجنة». رواه الترمذي.

٦١٦٤ - (٣٠) وعن ابن عمر، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِن الحسنَ والحسينَ هما ريحانيَّ من الدنيا». رواه الترمذي وقد سبَق في الفصل الأول.

يطير) أي بأجنحة روحانية أو جسمانية **(في الجنة مع الملائكة)** قال التوربشتي: كان جعفر قد أصيب بمؤتة من أرض الشام وهو أمير بيده راية الإِسلام[١] بعد زيد بن حارثة فقاتل في الله حتى قطعت يداه ورجلاه، فأري نبي الله ﷺ فيما كوشف به أن له جناحين ملطخين بالدم يطير بهما في الجنة مع الملائكة. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٦١٦٣ - **(وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)** قال المظهر: يعني هما أفضل من مات شاباً في سبيل الله من أصحاب الجنة، ولم يرد به سن الشباب لأنهما ماتا وقد كهلا، بل ما يفعله الشباب من المروّة كما يقال: فلان فتى وإن كان شيخاً، يشير إلى مروّته وفتوته، أو إنهما سيدا أهل الجنة سوى الأنبياء والخلفاء الراشدين. وذلك لأن أهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب، وليس فيهم شيخ ولا كهل. قال الطيبي: ويمكن أن يراد هما الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد عن أبي سعيد والطبراني عن عمر، وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة، والطبراني في الأوسط عن أسامة بن زيد، وعن البراء وابن عدي [في الكامل] عن ابن مسعود. وورواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ولفظه: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. وكذا رواه الطبراني عن قرة وعن مالك بن الحويرث، والحاكم عن ابن مسعود[٢]. وورواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد بلفظ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران.

٦١٦٤ - **(وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: إن الحسن والحسين هما ريحاني)** بفتح نون وتشديد ياء كما سبق. وفي نسخة صحيحة هما ريحاناي، وفي نسخة ريحاني بكسر النون. **(من الدنيا رواه الترمذي. وقد سبق)** أي هذا الحديث **(في الفصل الأوّل)** قال السيد

---

(١) في المخطوط «الشام».

الحديث رقم ٦١٦٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٤ حديث رقم ٣٧٦٨. وابن ماجه ١/ ٤٤ حديث رقم ١١٨. وأحمد في المسند ٣/ ٣.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٦٧ عن ابن عمر وأبو سعيد وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

الحديث رقم ٦١٦٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٥ حديث رقم ٣٧٧٠.

٦١٦٥ ـ (٣١) وعن أسامةَ بنِ زيدٍ قال: طرقت النبيَّ ﷺ ذاتَ ليلةٍ في بعضِ الحاجةِ، فخرَجَ النبيُّ ﷺ وهو مشتملٌ على شيءٍ لا أدري ما هو، فلمَّا فرغتُ من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه، فإذا الحسنُ والحسينُ على وَرِكَيهِ. فقال: «هذان ٱبناي وٱبنا ٱبنتي، اللهمَّ إنِي أُحبُّهما فأحِبَّهما وأحَبَّ من يحبُّهما». رواه الترمذي.

٦١٦٦ ـ (٣٢) وعن سلمى، قالت: دخلتُ على أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ ـ تعني في المنام ـ وعلى رأسه ولحيته الترابُ فقلتُ: ما لكَ يا رسول الله؟ قال: «شهدتُ قتل الحسين آنفاً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

جمال الدين: فيه إشارة إلى الاعتراض على صاحب المصابيح. قلت: ويدفع بأن الأول رواية البخاري وقعت في محله، وهذا رواية الترمذي جاء في موضعه فلا تكرار، مع أن اللفظين متغايران في الجملة.

٦١٦٥ ـ **(وعن أسامة بن زيد)** أي ابن حارثة **(قال: طرقت النبي ﷺ)** أي طلبت الطريق إليه. ففي القاموس الطرق الإتيان بالليل، كالطروق. ففي الكلام تجريد أو تأكيد. والمعنى أتيته. **(ذات ليلة)** أي ليلة من الليالي، وذات مقحمة لتأكيد الإبهام. **(وفي بعض الحاجة)** أي لأجل غرض حاجة من الحاجات الحادثة في الأوقات. **(فخرج النبي ﷺ وهو مشتمل)** أي محتجب **(على شيء لا أدري ما هو. فلما فرغت من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه. فكشفه)** أي أزال ما عليه من الحجاب، أو المعنى فكشف الحجاب عنه على أنه من باب الحذف والإيصال. **(فإذا الحسن والحسين على وركيه)** بفتح فكسر. وفي القاموس بالفتح والكسر، وككتف ما فوق الفخذ. **(فقال: هذان ابناي)** أي حكماً **(وابنا ابنتي)** أي حقيقة **(اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)** ولعل المقصود من إظهار هذا الدعاء حمل أسامة زيادة على محبتهما **(رواه الترمذي)**.

٦١٦٦ ـ **(وعن سلمى)** بفتح أوّله زوجة أبي رافع مولى النبي ﷺ قابلة إبراهيم ابن نبي الله ﷺ، روى عنها ابنها عبيد الله بن علي **(قالت دخلت على أم سلمة)** وهي من أمهات المؤمنين **(وهي تبكي)** أخرج أحمد في المناقب عن الربيع بن منذر عن أبيه قال: كان حسن بن علي يقول: من دمعت عيناه فينا دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة آتاه الله عزَّ وجلَّ الجنة. **(فقلت: ما يبكيك)** بضم أوله وكسر كافيه **(قالت: رأيت رسول الله ﷺ، تعني في المنام)** هذا من كلام سلمى أو ممن بعدها، أي تريد أم سلمة بالرؤية الرؤية في المنام. **(وعلى رأسه ولحيته التراب)** أي أثره من الغبار **(فقلت: ما لك)** أي من الحال **(يا رسول الله. قال: شهدت)** أي حضرت **(قتل الحسين آنفاً)** بمد الهمزة ويجوز قصرها، أي هذه الساعة القريبة. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** قال

الحديث رقم ٦١٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٤ حديث رقم ٣٧٦٩.

الحديث رقم ٦١٦٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٥ حديث رقم ٣٧٧١.

٦١٦٧ ـ (٣٣) وعن أنس، قال: سُئِلَ رسولُ اللّهِ ﷺ: أيُّ أهلِ بيتِك أحبُّ إليك؟ قال: «الحسنُ والحسينُ» وكان يقول لفاطمة: «ادعي لي ابنيَّ» فيشمُّهما ويضمُّهما إليه. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٦١٦٨ ـ (٣٤) وعن بريدة، قال: كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ يخطُبُنا، إذ جاءَ الحسنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثُران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «صدق الله ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثُران فلم أصبرْ حتى قطعتُ حديثي ورَفَعْتُهما».

ميرك: رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وفي سنده حسن بن أسامة بن زيد يضعف. قال الذهبي: ولم يصح خبره. قلت: لكن يقوّيه خبر ابن عباس الآتي في الفصل الثالث.

٦١٦٧ ـ **(وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ: أي أهل بيتك أحب إليك. قال: الحسن والحسين. وكان يقول لفاطمة: ادعي لي)** بسكون الياء وفتحها، أي اطلبي لأجلي. **(ابني)** بصيغة التثنية **(فيشمهما)** بضم الشين وقد يفتح. ففي القاموس: الشم حس الأنف، شممته بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم. قال غيره: شممت الشيء، [من باب فرح وجاء من باب نصر لغة فيه. والمعنى فيحضران فيشمهما لأنهما ريحاناه. **(ويضمهما إليه)** أي بالاعتناق والاحتضان **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وفي الذخائر حسن غريب. وعن يعلى بن مرة قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده في عنقه فضمه إلى بطنه ﷺ ثم جاء الآخر فجعل يده الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى بطن ﷺ وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال: إني أحبهما فأحبوهما أيها الناس، الولد مبخلة مجبنة مجهلة. رواه أحمد.

٦١٦٨ ـ **(وعن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما)** وفي نسخة بزيادة الواو الحالية **(قميصان أحمران)** أي فيهما خطوط حمر **(يمشيان ويعثران)** بضم المثلثة ويجوز تثليثها. ففي القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم، كبا. والمعنى أنهما يسقطان على الأرض لصغرهما وقلة قوّتهما. وفي رواية الكشاف يعثران ويقومان. **(فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما)** أي على كتفيه **(ووضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله)** أي في قوله: (**﴿إنما أموالكم وأولادكم﴾**) أي بالخطاب العام (**﴿فتنة﴾**)[1] أي محنة **(فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر)** أي عنهما لتأثير الرحمة والرقة في قلبي. **(حتى قطعت حديثي)** أي كلامي في الخطبة **(ورفعتهما)** أي عندي ليحصل لهما الرفعة عند الله وعند

الحديث رقم ٦١٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٥ حديث رقم ٣٧٧٢.

الحديث رقم ٦١٦٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٦٦٣. حديث رقم ١١٠٩. والترمذي في السنن ٥/ ٦١٦ حديث رقم ٣٧٧٤. والنسائي في السنن ٣/ ١٩٢ حديث رقم ١٥٨٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١٩٠ حديث رقم ٣٦٠٠.

(١) سورة التغابن. آية رقم ١٥.

رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي.

٦١٦٩ ـ (٣٥) وعن يعلى بن مرَّة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبَّ اللَّهُ من أَحَبَّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط». رواه الترمذي.

خلقه **(ثم أخذ في خطبته)** على ما في الكشاف **(رواه الترمذي وأبو داود والنسائي.)** وقال الترمذي: حسن غريب.

٦١٦٩ ـ **(وعن يعلى بن مرة)** بضم فتشديد، ثقفي شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنيناً والطائف، روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين. **(قال: قال رسول الله ﷺ: حسين مني وأنا من حسين)** قال القاضي: كأنه ﷺ [علم بنور] [(١)] الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وبين أنهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة وأكد ذلك بقوله: **(أحب الله من أحب حسيناً)** فإن محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله. **(حسين سبط)** بكسر السين وفتح الموحدة، أي ولد ابنتي **(من الأسباط)** ومأخذه من السبط بالفتح وهي شجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد، كأن الوالد بمنزلة الشجرة والأولاد بمنزلة أغصانها. وقيل في تفسيره إنه أمة من الأمم في الخير. قال القاضي: السبط ولد الولد، أي هو من أولاد أولادي أكد به البعضية وقررها ويقال للقبيلة. قال تعالى: ﴿**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً**﴾ [الأعراف ـ ١٦٠]، أي قبائل. ويحتمل أن يكون المراد ههنا على معنى أنه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق كثير فيكون إشارة إلى أن نسله يكون أكثر وأبقى، وكان الأمر كذلك. **(رواه الترمذي)** وكذا سعيد بن منصور في سننه. وقال الترمذي: حسن. وعن خالد بن معدان قال: وفد المقدام بن معدي كرب وعمرو بن الأسود إلى معاوية فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي. فرجع المقدام فقال له معاوية: أتراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حجره وقال: هذا مني وحسين من علي. أخرجه أحمد[(٢)]. وهو لا ينافي ما رواه أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معدي كرب مرفوعاً: الحسن مني والحسين من علي. لأنه أراد قسمة الولدين للأبوين فالكبير للجد والصغير للأب كما هو معروف في العرف. ولفظ الجامع: حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي والنسائي والحاكم في مستدركه عن يعلى بن مرة[(٣)].

الحديث رقم ٦١٦٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٧ حديث رقم ٣٧٧٥. وابن ماجه في السنن ١/ ٥١ حديث رقم ١٤٤. وأحمد في المسند ٤/ ١٧٢.

(١) في المخطوطة أتى بكلمة نور بعد كلمة الوحي وهو خطأ.

(٢) أحمد في المسند ٤/ ١٣٢.

(٣) الجامع الصغير ١/ ٢٢٧ حديث رقم ٣٧٢٧.

٦١٧٠ ـ (٣٦) وعن عليّ [رضي الله عنه] قال: الحسَنُ أشبهَ رسولَ الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك. رواه الترمذي.

٦١٧١ ـ (٣٧) وعن حذيفة، قال: قلت لأمي: دعيني آتي النبيَّ ﷺ فأصلّي معه المغربَ وأسأله أن يستغفر لي ولكِ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فصلَّيتُ معه المغربَ، فصلَّى حتى صلى العشاء، ثم انفتل فتبعتُه، فسمع صوتي، فقال: «من هذا؟ حذيفةُ؟» قلت: نعم. قال: «ما حاجتك؟ غفر الله لك ولأمّك، إنَّ هذا مَلَك لم ينزل الأرضَ قطُّ قبلَ هذه الليلةِ، استأذنَ ربَّه أن يسلِّم عَلَيَّ ويبشرني بأن فاطمةَ سيدةُ نساءِ أهل الجنّة، وأنَّ الحسنَ والحسينَ سيّدا شبابِ أهل الجنّة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٦١٧٠ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه)** فعل ماض أي شابه في الصورة **(رسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس)** قال الطيبي: بدل من الفاعل المضمر في أشبه أو من المفعول بدل البعض. وكذا قوله الآتي: ما كان أسفل. **(والحسين أشبه النبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك)** أي كالساق والقدم. فكأن الأكبر أخذ الشبه الأقدم لكونه أسبق، والباقي للأصغر قد تحقق. وفيه إشعار بأنهما لم يأخذا شبهاً كثيراً من والديهما. **(رواه الترمذي)** وكذا أبو حاتم. وقال الترمذي: حسن غريب.

٦١٧١ ـ **(وعن حذيفة قال: قلت لأمي: دعيني)** أي اتركيني وخلي سبيلي **(آتي)** بإثبات الياء فهو استئناف، أي أنا آتي **(النبي ﷺ فأصلي معه المغرب)** ولعلها كانت تمنعه لبعد محله[1] خوفاً عليه أو عليها. **(وأسأله أن يستغفر لي ولك)** أي فأذنت لي **(فأتيت النبي ﷺ فصليت معه المغرب فصلى)** أي النبي ﷺ النوافل **(حتى [صلى] العشاء ثم انفتل)** أي انصرف ورجع **(فتبعته فسمع صوتي)** أي صوت حركة رجلي. **(فقال: من هذا حذيفة)** أي فقال قبل جوابي حذيفة لما علم من نور النبوّة أو طريق الفراسة. وهو خبر مبتدأ محذوف، أي أهذا أو هو أو أنت حذيفة. **(قلت: نعم. قال: ما حاجتك غفر الله لك ولأمك)** وهذا إبهام وتبيين للحاجة السابقة ثم استأنف وقال: **(إن هذا)** أي المحسوس عنده ﷺ الملحوظ حكماً عند حذيفة **(ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة)** فيه إيماء إلى تعظيم الأمر الذي نزل فيه **(استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.)** وفي الذخائر أخرجه أحمد والترمذي وقال: حسن غريب.

الحديث رقم ٦١٧٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٨ حديث رقم ٣٧٧٩. وأحمد في المسند ١/ ٩٩.

الحديث رقم ٦١٧١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦١٩ حديث رقم ٣٧٨١. وأحمد في المسند ٥/ ٣٩١.

(١) في المخطوطة «مجلسة».

٦١٧٢ ـ (٣٨) وعن ابن عباس، قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حاملاً الحسنَ بنَ عليّ على عاتقه، فقال رجل: نعم المركبُ ركبتَ يا غلام! فقال النبي ﷺ: «ونعم الراكبُ هو». رواه الترمذي.

٦١٧٣ ـ (٣٩) وعن عمر [رضي الله عنه] أنه فَرض لأسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة، وفرض لعبد الله بن عمر في ثلاثة آلاف، فقال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضَّلتَ أسامةَ عليَّ؟ فوالله ما سبقني إلى مشهدٍ. قال: لأن زيداً كانَ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامةُ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، فآثرتُ حِبَّ رسول الله ﷺ على حبّي. رواه الترمذي.

٦١٧٢ ـ **(وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ حاملاً الحسن بن علي)** [وفي رواية: حاملاً للحسن]. **(على عاتقه)** بكسر التاء، أي ما بين منكبه وعنقه. **(فقال رجل: نعم المركب)** أي هو **(ركبت)** أي ركبته **(يا غلام، فقال ﷺ: ونعم الراكب هو. رواه الترمذي)** أي وقال: غريب.

٦١٧٣ ـ **(وعن عمر رضي الله عنه أنه فرض)** أي قدر في إمارته **(وظيفة لأسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة)** أي من أموال بيت المال رزقاً له **(وفرض)** أي عمر **(لعبد الله بن عمر)** أي ولده بل أعز أولاده **(في ثلاثة آلاف)** أي بنقص خمسمائة من وظيفة أسامة **(فقال عبد الله بن عمر لأبيه: لم فضلت أسامة علي)** أي في الوظيفة المشعرة بزيادة الفضيلة **(فوالله ما سبقني إلى مشهد)** أي محضر من الخير علماً وعملاً. وقال الطيبي: أراد بالمشهد مشهد القتال ومعركة الكفار **(قال: لأن زيداً)** أي أبا أسامة **(كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك)** فيه دلالة على ما قدمناه من أنه لا يلزم من كون أحد أحب أن يكون أفضل. **(وكان أسامة أحب إلى رسول الله ﷺ منك)** وسببه أنهما من أهل البيت فإن مولى القوم منهم **(فآثرت)** بهمز ممدود أي اخترت[1] **(حب رسول الله ﷺ)** بكسر الحاء وقد يضم، أي محبوبه. **(على حبي)** أي مع قطع النظر عن ملاحظة الفضيلة بل رعاية لجانب المحبة وإيثاراً للمودة[2] ومخالفة لما تشتهيه النفس من مزية الزيادة الظاهرة. **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٦١٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٠ حديث رقم ٣٧٨٤. وابن ماجه في السنن ١/ ٢١٦ حديث رقم ٦٥٨.

الحديث رقم ٦١٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٤ حديث رقم ٣٨١٣.

(١) في المخطوطة «اخترت».

(٢) في المخطوطة «المروءة».

٦١٧٤ ـ (٤٠) وعن جبلة بن حارثةَ، قال: قدِمتُ على رسولِ اللّهِ ﷺ فقلت: يا رسول الله! ابعث معي أخي زيداً. قال: «هو ذا، فإنِ انطلقَ معَك لم أمنَعْهُ» قال زيدٌ: يا رسول الله! والله لا أختارُ عليك أحداً. قال: فرأيتُ رأيَ أخي أفضلَ من رأيي. رواه الترمذي.

٦١٧٥ ـ (٤١) وعن أسامة بن زيد، قال: لما ثَقُل رسول الله ﷺ هبطْتُ وهبَطَ الناسُ المدينةَ، فدخلتُ على رسولِ الله ﷺ وقد أُصمِتَ فلم يتكلم، فجعَلَ رسولُ اللّهِ ﷺ يضع يديه عليَّ ويرفعُهما، فأعرف أنّه يدعو لي. رواه الترمذي. وقال: هذا حديث غريب.

٦١٧٦ ـ (٤٢) وعن عائشة، رضي الله عنها قالت: أراد النبيُّ ﷺ أن يُنَحّيَ

٦١٧٤ ـ **(وعن جبلة)** بفتح الجيم والموحدة **(ابن حارثة)** قال المؤلف في فصل الصحابة: هو أكبر من أخيه زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وغيره. **(قال: قدمت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ابعث معي أخي زيداً)** بيان أو بدل **(قال: هو ذا)** [هو] عائد إلى زيد، وذا اشارة إليه، أي هو حاضر مخير. **(فإن انطلق معك لم أمنعه)** أي[1] فإني أعتقته **(قال زيد: يا رسول الله والله لا أختار عليك)** أي على ملازمتك **(أحداً)** أي لا أخاً ولا أباً ولا أماً أبداً **(قال:)** أي جبلة **(فرأيت)** أي فعلمت بعد ذلك **(رأي أخي)** [أي] زيد **(أفضل من رأيي)** حيث اختار الملازمة لحضرة المتفرغ عليه خير الدنيا والآخرة **(رواه الترمذي)**.

٦١٧٥ ـ **(وعن أسامة بن زيد قال: لما ثقل)** بضم القاف أي ضعف **(من مرضه الذي مات منه رسول الله ﷺ هبطت)** أي نزلت من سكنى التي كانت في عوالي المدينة **(وهبط الناس)** أي الصحابة جميعهم من منازلهم **(المدينة)** أي إليها على طريق الحذف والإيصال نحو قوله تعالى: ﴿**واختار موسى قومه**﴾ [الأعراف ـ ١٥٥]. أي منهم. قال الشراح: إنما قال هبطت لأنه كان يسكن العوالي والمدينة من أي جهة توجهت إليها صح فيها الهبوط لأنها واقعة في غائط من الأرض ينحدر إليها السيل وأطرافها ونواحيها من الجوانب كلها مستعلية عليها. **(فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت)** على بناء المفعول، يقال: أصمت العليل إذا اعتقل لسانه. **(فلم يتكلم)** أي أصلاً **(فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه علي)** أي على بدني **(ويرفعهما)** أي عني **(فأعرف)** أي بنور الولاية وظهور الفراسة **(أنه يدعو لي)** أي لمحبته ورعاية خدمته حتى حين غيبة حضرته. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)**.

٦١٧٦ ـ **(وعن عائشة قالت: أراد النبي ﷺ أن ينحي)** بتشديد الحاء المكسورة، أي

الحديث رقم ٦١٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٤ حديث رقم ٣٨١٥.

(١) في المخطوطة «قال».

الحديث رقم ٦١٧٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٥ حديث رقم ٣٨١٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٠١.

الحديث رقم ٦١٧٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٦ حديث رقم ٣٨١٨.

مُخاطَ أسامةَ. قالت عائشة: دعني حتى [أكون] أنا الذي أفعل. قال: «يا عائشة! أحبّيه فإني أُحبُّه». رواه الترمذي.

٦١٧٧ - (٤٣) وعن أسامة، قال: كنت جالساً، إذ جاء عليٌّ والعباسُ يستأذنان، فقالا لأُسامة: استأذِنْ لنا على رسولِ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! عليٌّ والعبَّاسُ يستأذنان، فقال: «أتدري ما جاء بهما؟» قلت: لا، قال: «لكني أدري، ائذن لهما» فدخلا، فقالا: يا رسول الله! جئناك نسألك أيُّ أهلك أحبُّ إليك؟ قال: «فاطمةُ بنتُ محمَّد» قالا: ما جئناكَ نسألكَ عن أهلك قال: «أحبُّ أهلي إليَّ مَنْ قد أنعم الله عليه وأنعمتُ عليه: أُسامةُ بن زيد» قالا: ثمَّ مَنْ؟ قال: «ثمَّ علي بن أبي طالب»

يزيل: **(مخاط أسامة)** بضم الميم وهو ما يسيل من الأنف **(قالت عائشة: دعني)** أي اتركني[1]. **(حتى أنا الذي أفعل)** أي خدمته **(قال: يا عائشة أحبيه فإني أحبه. [رواه الترمذي)**.

٦١٧٧ - **(وعن أسامة قال: كنت جالساً)** أي عند بابه عليه الصلاة والسلام **(إذ جاء علي والعباس يستأذنان)** أي يريدان طلب الإذن في دخولهما **(فقالا لأسامة: استأذن لنا على رسول الله ﷺ)** ولعله كان صغيراً إذ ذاك **(فقلت: يا رسول الله علي والعباس يستأذنان)** أي على الباب **(فقال: أتدري ما جاء بهما)** أي ما سبب مجيئهما **(قلت: لا. قال: لكني أدري، ائذن لهما.)** بهمزة ساكنة وصلا وبإبدالها ياء **(فدخلا)** أي بعد إذنهما **(فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك. قال: فاطمة بنت محمد. قالا: ما جئناك نسألك عن أهلك)** أي عن أزواجك وأولادك، بل نسألك عن أقاربك ومتعلقيك. **(قال: أحب أهلي إلي)** أي من الرجال **(من قد أنعم الله عليه)** أي [بالإسلام] والهداية والإكرام **(وأنعمت عليه)** أي أنا بالعتق والتبني والتربية، وهذا وإن ورد في حق زيد لكن ابنه تابع له في حصول الإنعامين. **(قالا: ثم من. قال: [ثم] علي بن أبي طالب.)** وفي نسخة بدون ثم. فهذا نص جلي على أنه لا يلزم من الأحبية الأفضلية، فإن علياً أفضل من أسامة وزيد بالإجماع. قال الطيبي: أي أهلك أحب إليك مطلق ويراد به المقيد، أي من الرجال بينه ما بعده وهو قوله: أحب أهلي إلي من قد أنعم الله عليه. وفي نسخ المصابيح قوله: ما جئناك نسألك عن أهلك مقيد بقوله: من النساء. وليس في جامع الترمذي وجامع الأصول هذه الزيادة ولم يكن أحد من الصحابة إلا وقد أنعم الله عليه [وأنعم عليه] رسوله، إلا أن المراد المنصوص عليه في الكتاب وهو قوله تعالى: **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾** [الأحزاب - ٣٧]. وهو زيد لا خلاف في ذلك ولا شك، وهو وإن نزل في حق زيد لكنه لا يبعد أن يجعل أسامة تابعاً لأبيه في هاتين العمتين وحل ما حل ما من الله تعالى في التنزيل من الإنعام على بني إسرائيل نحو. **﴿أنعمت عليكم﴾** [البقرة -

---

(١) في المخطوطة «اترك لي».

الحديث رقم ٦١٧٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٦ حديث رقم ٣٨١٩.

فقال العباس: يا رسول الله! جعلت عمّك آخرَهم؟ قال: «إن عليًّا سبَقَك بالهجرة». رواه الترمذي.

وذُكر أن عم الرجل صنوُ أبيه في «كتاب الزكاة».

الفصل الثالث

٦١٧٨ ـ (٤٤) عن عقبةَ بن الحارث، قال: صلى أبو بكرٍ العصرَ ثم خرج يمشي ومعه عليٌّ، فرأى الحسنَ يلعبُ معَ الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيهٌ بالنبي، ليس شبيهاً بعليّ، وعليٌّ يضحك. رواه البخاري.

١٢٢]. نعم أسداها إلى آبائهم **(فقال العباس: يا رسول الله جعلت عمك آخرهم)** أي آخر أهلك **(قال: إن علياً سبقك بالهجرة)** أي وكذا بالإسلام فهذا أوجب تقديم الأحبية المترتبة على الأفضلية لا على الأقربية، ونظيره أنه جاء العباس وأبو سفيان وبلال وسلمان إلى باب عمر يستأذنونه فقال خادم عمر بعد إعلامه بالجماعة: يدخل بلال. فقال أبو سفيان للعباس: أما ترى أنه يقدم علينا موالينا. فقال العباس: نحن تأخرنا فهذا جزاؤنا. **(رواه الترمذي)** وروى الديلمي في الفردوس [عن عائش بن ربيعة: خير إخوتي علي وخير أعمامي حمزة] (١). **(وذكر أن عم الرجل صنو أبيه في كتاب الزكاة)** أي حيث قاله ﷺ لعمر في قصة زكاة العباس.

(الفصل الثالث)

٦١٧٨ ـ **(عن عقبة بن الحارث)** قرشي أسلم يوم الفتح عداده في أهل مكة، روى عنه عبد الله بن أبي مليكة وغيره. **(قال: صلى أبو بكر العصر)** أي في زمن خلافته أو قبلها **(ثم خرج يمشي ومعه علي، فرأى)** أي أبو بكر **(الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي)** قال الطيبي: يحتمل أن يكون التقدير هو مفدى بأبي فقوله: **(شبيه بالنبي ﷺ)** يكون خبراً بعد خبر أو أفديه بأبي فعلى هذا شبيه خبر مبتدأ محذوف وفي تنكيره لطف، وفيه إشعار بعلية الشبه للتفدية. اهـ. ولا يعارض هذا قول علي: لم أر قبله ولا بعده مثله. لأن المنفي محمول على عموم(٢) الشبه والمثبت على معظمه كما أشار إليه الطيبي بقوله: وفي تنكيره لطف، أي إيماء لطيف إلى أن المراد به نوع شبه وقوله: **(ليس)** أي الحسن **(شبيهاً بعلي. وعلي يضحك)** أي فرحاً، والجملة حال، **(رواه البخاري)** قال ميرك: كذا وقع في المشكاة قوله: شبيهاً بالنصب على أنه خبر ليس وهو ظاهر، لكنه في البخاري في جميع الروايات ليس شبيه بالرفع

---

(١) لم أقف عليه في الفردوس.

الحديث رقم ٦١٧٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٥. حديث رقم ٣٧٥٠.

(٢) في المخطوطة «عدم».

٦١٧٩ ـ (٤٥) وعن أنس، قال: أُتي عبيدُ الله بنُ زياد برأسِ الحسين، فجُعِل في طَسْت، فجعَلَ ينكتُ وقال في حُسنِه شيئاً، قال أنسٌ: فقلتُ: واللّهِ إنه كان أشبهَهُم برسولِ اللّهِ ﷺ، وكان مخضوباً بالوَسمة. رواه البخاري.

وإعرابه لا يخلو عن خفاء. فقيل: ليس حرف عطف وهو مذهب الكوفي. وقيل: يجوز أن يكون شبيه اسم ليس ويكون خبرها ضميراً متصلاً حذف استغناء عنه بلفظ شبيه، ونحوه قوله في خطبته يوم النحر: أليس ذو الحجة. اهـ. ولا يخفى ظهور الوجه الأوّل لخلوّه عن التكلف. وقيل: لا يخفى ما في التوجيهين من التعسف، والأظهر أن يقال: إن اسم ليس ضمير الشأن وشبيه خبر مبتدأ محذوف، أي هو شبيه والجملة خبر ليس. قلت: وفيه أن هذا التوجيه يشتمل على تعسفين بخلاف ما سبق، فإنه متضمن لتعسف واحد. هذا ولفظ الحديث على ما في الذخائر عن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر حمل الحسن على رقبته وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ﷺ ليس شبيهاً بعلي. وهو يضحك. أخرجه البخاري. وفي رواية: خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ وعلي يمشي إلى جانبه، فمر الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته يعني أبا بكر وهو يقول الحديث. وفي الحديث رد على الغرابية وهم على ما في حواشي الشفاء طائفة من الرفضة لقبوا بذلك لقولهم: كان محمد أشبه بعلي من الغراب بالغراب فبعث الله جبريل إلى علي فغلط.

٦١٧٩ ـ **(وعن أنس قال: أتي)** أي جيء **(عبيد الله بن زياد برأس الحسين)** قال المؤلف: هو عبيد الله بن عبد الله بن زياد، وهو الذي سير الجيش لقتل الحسين وهو يومئذ أمير الكوفة ليزيد بن معاوية. قتل بأرض الموصل على يد إبراهيم بن مالك بن الأشتر النخعي في أيام المختار بن أبي عبيد سنة ست وستين. **(فجعل)** بصيغة المفعول أي وضع رأس الحسين **(في طست)** بفتح طاء وسكون سين مهملة وسبق تحقيقه. **(فجعل)** أي ابن زياد **(ينكت)** بفتح الياء وضم الكاف والفوقية، أي يضرب. **(برأس القضيب)** في أنفه كما سيأتي. وفي النهاية: قوله: ينكت، أي يفكر ويحدث بنفسه وأصله من النكت بالعصا، وهو ضرب الأرض بها. ونكت الأرض بالقضيب هو أن يؤثر فيها بطرفه، كفعل المفكر الموهوم. **(وقال:)** أي ابن زياد **(في حسنه)** أي في حسن الحسين **(شيئاً)** أي من المدح كما سيجيء. **(قال أنس: فقلت: والله إنه كان أشبههم)** أي أشبه الصحابة أو أهل البيت **(برسول الله ﷺ وكان)** أي الحسين حينئذ **(مخضوباً بالوسمة)** بكسر السين وقد يسكن. فقال بعض الشراح: الوسمة نبت يخضب به ويميل إلى السواد، وتسكين السين لغة فيه. وفي المصباح لغة الحجاز بكسر السين وهي أفصح من السكون. بل أنكر الزهري السكون وقال: كلام العرب بالكسر، نبت يخضب بعروقه. اهـ. وهو بفتح الواو وأخطأ من ضمها. وقيل: يجوز فتح سينها. وفي القاموس: الوسمة وكفرحة، ورق النيل أو نبات يخضب بورقه. وفي النهاية: الوسمة نبت يخضب به. **(رواه البخاري.**

الحديث رقم (٦١٧٩): أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٤. حديث رقم ٣٧٤٨. والترمذي في السنن ٥/ ٦١٨ حديث رقم ٣٧٧٨.

وفي رواية الترمذي قال: كنتُ عندَ ابن زياد فجيءَ برأسِ الحسينِ، فجعل يضربُ بقضيبٍ في أنفه ويقول: ما رأيتُ مثلَ هذا حسناً. فقلت: أما إِنه كان من أشبههم برسولِ الله ﷺ. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ حسنٌ غريبٌ.

٦١٨٠ ـ (٤٦) وعن أمِّ الفضل بنت الحارث، أنَّها دخلت على رسولِ اللّهِ ﷺ، فقالت: يا رسول الله! إِني رأيتُ حُلماً منكراً اللَّيلةَ، قال: «وما هو؟» قالت: إنهُ شديدٌ، قال: «وما هو؟» قالت: رأيت كأنَّ قطعةً من جسدكَ قُطِعَتْ ووُضعت في حجري. فقال رسول الله ﷺ: «رأيتِ خيراً، تلد فاطمةُ إِن شاءَ الله غلاماً يكونُ في حِجْرِك». فولدت فاطمةُ الحسينَ، فكان في حجري كما قال رسول

وفي رواية الترمذي قال:) أي أنس (كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين) أي إليه (فجعل) أي شرع (يضرب بقضيب في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً) بضم فسكون. قيل: هذا لا يلائم السياق، إلا أن يحمل على الاستهزاء. اهـ. فحينئذ يحمل استهزاؤه على المكابرة وزيادة المعاندة (فقلت: أما) بالتخفيف للتنبيه (إنه) أي الحسين (كان من أشبههم برسول الله ﷺ. وقال:) أي الترمذي (هذا حديث صحيح حسن غريب.) وللطبراني: فجعل يجعل قضيباً في يده في عينه وأنفه. فقلت: ارفع قضيبك فقد رأيت رسول الله ﷺ في موضعه. وفي رواية البزار قال: فقلت له: إني رأيت رسول الله ﷺ يشم حيث يقع قضيبك. قال: فانقبض. كذا في فتح الباري. وفي الذخائر عن عمارة بن عمير قال: لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه فصرت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيب ثم قالوا: قد جاءت. ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً. أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح[(١)].

٦١٨٠ ـ (وعن أم الفضل بنت الحارث) اسمها لبابة العامرية امرأة العباس بن عبد المطلب وأم أكثر بنيه، [وهي] أخت ميمونة أم المؤمنين. ويقال: إنها [أوّل] امرأة أسلمت بعد خديجة. روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة. فعنها (أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلماً) بضم فسكون ويضمان. ففي النهاية: الحلم بضمتين وبضم فسكون، ما يراه النائم (منكراً) بفتح الكاف المخففة أي مهولاً (الليلة) أي البارحة (قال: وما هو. قالت: إنه شديد) أي صعب سماعه (قال: وما هو. قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت) بصيغة المجهول وكذا قوله: (فوضعت في حجري) بالكسر ويفتح. وتقدم أن الحجر بالكسر أشهر في الحضن، وبالفتح في التربية. (فقال رسول الله ﷺ: رأيت خيراً. تلد فاطمة إن شاء الله غلاماً يكون في حجرك. فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول

---

(١) أخرجه الترمذي الحديث رقم ٣٧٨٠.

الحديث رقم ٦١٨٠: رواه البيهقي في دلائل النبوة.

الله ﷺ، فدخلتُ يوماً على رسول اللّهِ ﷺ، فوضعته في حجره، ثم كانت مني التفاتةٌ، فإذا عينا رسولِ اللّهِ ﷺ تهريقان الدموعَ، قالت: فقلتُ: يا نبيَّ الله! بأبي أنتَ وأمّي، ما لكَ؟ قال: «أتاني جبريل عليه السلام، فأخبرني أنَّ أمتي ستقتلُ ابني هذا، فقلت: هذا؟ قال: نعم، وأتاني بتربةٍ من تربته حمراءَ».

٦١٨١ ـ (٤٧) وعن ابن عبَّاس، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ فيما يرى النائم ذاتَ يوم بنصف النهار، أشعثَ أغبرَ، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنتَ وأمي، ما هذا؟ قال: «هذا دم الحسين وأصحابه، ولم أزل ألتقطه منذ اليوم» فأحصي ذلك الوقت فأجد قُتِل ذلك الوقت.

الله ﷺ. **فدخلت يوماً على رسول الله ﷺ فوضعته في حجره)** وفي نسخة في حجري **(ثم كانت مني التفاتة)** أي وقعت مني ملاحظة إلى غيره فنظرت إلى جانبه. **(فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموع)** بفتح الهاء ويسكن، أي تسيلان ماء العين للبكاء. **(قالت: فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي، ما لك)** أي ما الحال الذي يبكيك **(قال: أتاني جبريل)** وفي نسخة عليه السلام. **(فأخبرني أن أمتي)** أي أمة الإجابة **(ستقتل ابني هذا)** أي ظلماً **(فقلت:)** أي لجبريل **(هذا)** أي ابني هذا لزيادة التأكيد. **(قال: نعم. وأتاني بتربة من تربته)** أي من ترابه الذي يقتل به **(حمراء)** بالفتح صفة لتربة. وفي الذخائر عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك. قالت: [رأيت] رسول الله ﷺ تعني في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب. فقلت: ما لك يا رسول الله. قال: شهدت قتل الحسين آنفاً. أخرجه الترمذي وقال: حديث غريب. والبغوي في الحسان.

٦١٨١ ـ **(وعن ابن عباس أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم)** أي بعد موته عليه السلام **(ذات يوم بنصف النهار)** وفي الذخائر زيادة: وهو قائم. **(أشعث أغبر)** أي حال كونه متفرق الشعر مغبر البدن. **(بيده قارورة فيها دم. فقلت: بأبي أنت وأمي ما هذا)** أي الدم **(قال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل)** وفي نسخة: ولم أزل. **(ألتقطه منذ اليوم)** قال الطيبي: هذا من كلام الرسول ﷺ يجوز أن يكون خبراً بعد خبر لقوله: هذا[1]. ويجوز أن يكون خبراً ودم الحسين بدل من هذا وقوله: **(فأحصي ذلك الوقت)** من كلام ابن عباس. اهـ. أي لحفظ تاريخ ذلك الوقت من زمن الرؤيا **(فأجد قتل ذلك الوقت)** أي فوجدته قتل في ذلك الوقت، والعدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحال الغريبة. ولا يخفى أن هذا إنما يتم إذا كان وقت القتل محفوظاً في نفس الرؤيا بأن قال ﷺ: هذا دم الحسين وأصحابه يقتلون في وقت كذا. لكن يشكل بقوله: لم أزل ألتقطه منذ اليوم، اللهم إلا أن يقال تصويره أن الرائي

الحديث رقم ٦١٨١: أحمد في المسند ١/ ٢٤٢.

(١) في المخطوطة «هو».

رواهما البيهقي في «دلائل النبوة» وأحمد الأخير.

٦١٨٢ ـ (٤٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا الله لما يغذوكم من نعمه، فأحبوني لحبِّ اللَّهِ، وأحبُّوا أهل بيتي لحبّي». رواه الترمذي.

٦١٨٣ ـ (٤٩) وعن أبي ذرٍ،

رأى في نومه كأنه مضى عليه بعض سنين ثم في آخر سنة منها يوم عاشوراء سنة كذا، رآه ﷺ بالوصف المذكور والقول المسطور فحفظ تاريخ الوقت فوجده مطابقاً وللنعت موافقاً والله أعلم. ثم رأيت الحديث في الذخائر من غير قوله: فأحصى ذلك الوقت. فأجد الخ بل لفظه بعد قوله: لم أزل ألتقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل في ذلك اليوم. أخرجه ابن بنت منيع وأبو عمرو والحافظ السلفي والله أعلم. **(رواهما)** أي حديثي أم الفضل وابن عباس **(البيهقي في دلائل النبوّة، وأحمد الأخير.)** أي وروى أحمد الحديث الأخير وهو حديث ابن عباس فقط. وعن علي قال: دخلت على النبي ﷺ وعيناه تفيضان قلت: يا نبي الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان. قال: قام من عندي جبريل قبل حديثي وحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من ترتبه. قلت: نعم. فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا. أخرجه أحمد[1].

٦١٨٢ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(قال: قال رسول الله ﷺ:. أحبوا الله لما يغذوكم)** أي به كما في نسخة، وهو بفتح الياء وضم الذال المعجمة، أي يرزقكم. **(من نعمة)** أي من أي نعمة لقوله تعالى: ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله**﴾ [النحل ـ ٥٣]. وفي نسخة صحيحة من نعمة بكسر النون وفتح العين، فميم مضاف إلى هاء الضمير. [أو المعنى: إن كنتم لا تحبون الله إلا لما يغذوكم به من نعمة فأحبوه، وإلا فلا فهو سبحانه محبوب لذاته وصفاته عند العارفين من المحبين سواء أنعم أو لا، فهو على منوال قوله سبحانه: ﴿**فليعبدوا رب هذا البيت**﴾ [قريش ـ ٣]. **(فأحبوني)** أي إذا ثبت سبب محبة الله فأحبوني. **(لحب الله)** لأن محبوب المحبوب محبوب ولقوله تعالى: ﴿**إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ [آل عمران ـ ٣١]. وفي نسخة: وأحبوني، بالواو عطفاً على ما قبله. **(وأحبوا أهل بيتي لحبي)** أي إياهم أو لحبكم إياي. **(رواه الترمذي)** وكذا الحاكم في مستدركه[2]، وقال الترمذي: حسن غريب.

٦١٨٣ ـ **(وعن أبي ذر)** قال المؤلف: هو جندب بن جنادة الغفاري وهو من أعلام الصحابة وزهادهم أسلم قديماً بمكة. ويقال: كان خامساً في الإِسلام ثم انصرف إلى قومه

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٨٥.

الحديث رقم ٦١٨٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٢ حديث رقم ٣٧٨٩.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٠.

الحديث رقم ٦١٨٣: هذا الحديث ليس موجوداً في مسند الإمام أحمد. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥١.

أنه قال وهو آخذ بباب الكعبة: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «ألا إنَّ مثَلَ أهل بيتي فيكم مثَلُ سفينةِ نوحٍ، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك». رواه أحمد.

فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة على النبي ﷺ بعد الخندق، ثم سكن الربذة إلى أن مات بها سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان. وكان يتعبد قبل مبعث النبي ﷺ، روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين. **(أنه قال)** أي أبو ذر **(وهو آخذ)** أي متعلق **(بباب الكعبة:)** قال الطيبي: أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا الحديث وكذا أبو ذر اهتم بشأن روايته فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسكوا به. **(سمعت النبي)** وفي نسخة صحيحة: رسول الله (ﷺ **يقول: ألا إن مثل أهل بيتي)** بفتح الميم والمثلثة، أي شبههم. **(فيكم مثل سفينة نوح)** أي في سببية الخلاص من الهلاك إلى النجاة. **(من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)** فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدارين، وإلا فهلك فيهما ولو كان يفرق المال والجاه أو أحدهما. **(رواه أحمد)** وكذا الحاكم[١] لكن بدون لفظ: إن. قال الطيبي: وفي رواية أخرى لأبي ذر يقول: من عرفني فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت النبي ﷺ يقول: ألا إن مثل أهل بيتي الحديث. أراد بقوله: فأنا من قد عرفني، وبقوله: فأنا أبو ذر، أنا المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية وأن هذا الحديث صحيح لا مجال للرد فيه. وهذا تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبي ذر[٢]. وفي رواية لأبي ذر؛ من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى ابن مريم. فقال عمر بن الخطاب كالحاسد يا رسول الله أفتعرف ذلك له. قال: أعرف ذلك فاعرفوه[٣]. أخرجه الترمذي وحسنه الصغاني في كشف الحجاب. شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والجهالات والأهواء الزائغة ببحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلها وليس منه خلاص ولا مناص إلا تلك السفينة، وهي محبة أهل بيت الرسول ﷺ. وما أحسن انضمامه مع قوله: مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منه اهتدى. ونعم ما قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: نحن معاشر أهل السنة بحمد الله ركبنا سفينة محبة أهل البيت واهتدينا بنجم هدي أصحاب النبي ﷺ فنرجو النجاة من أهوال القيامة ودركات الجحيم، والهداية إلى ما يوجب درجات الجنان والنعيم المقيم. اهـ. وتوضيحه أن من لم يدخل السفينة كالخوارج هلك مع الهالكين في أول وهلة، ومن دخلها ولم يهتد بنجوم [الصحابة] كالروافض ضل ووقع في ظلمات ليس بخارج منها. هذا ورواه أحمد عن أنس مرفوعاً: إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة[٤]. ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن علي قال: قال رسول

(١) راجع التخريج.
(٢) الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٨ حديث رقم ٣٨٠١.
(٣) الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٨ حديث رقم ٣٨٠٢.
(٤) أحمد في المسند ٣/ ١٥٧.

(١١) باب مناقب أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهن

الفصل الأول

٦١٨٤ ـ (١) عن عليّ [رضي الله عنه] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد». متفق عليه.

وفي رواية قال أبو كُرَيْب: وأشار وكيعٌ إلى السماء والأرض.

الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء [فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء]، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض.

(باب مناقب أزواج النبي ﷺ)

وفي نسخة ورضي الله عنهن.

(الفصل الأوّل)

٦١٨٤ ـ (**عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خير نسائها**) أي نساء زمانها، أو عالمها. (**مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد.**) [بالتصغير] قال القرطبي: الضمير عائد إلى غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني به الدنيا. والذي يظهر لي أن قوله: خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم، فكأنه قال: مريم خير نساء زمانها. (**متفق عليه**) وكذا رواه الترمذي والنسائي. ورواه الحارث عن عروة مرسلاً: خديجة خير نساء عالمها، ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها. (**وفي رواية قال أبو كريب:**) بالتصغير (**وأشار وكيع إلى السماء والأرض**) قال التوربشتي: والضمير في الأولى عائد إلى الأمة التي كانت فيهم مريم، وفي الثانية إلى هذه الأمة. ولهذا كرر القول من أوّلها تنبيهاً على أن حكم كل واحد منهما غير حكم الآخر وكلا الفصلين كلام مستأنف، وإشارة وكيع الذي هو من جملة رواة هذا الحديث إلى السماء والأرض منبئة عن كونهما خيراً ممن هو فوق الأرض وتحت أديم السماء، وهو نوع من الزيادة في البيان. ولا يستقيم أن يكون تفسيراً لقوله: خير نسائها، لأن إعادة الضمير إلى السماء غير مستقيمة فيه، ثم إنهما شيئان مختلفان والضمير راجع إلى شيء واحد. قال القاضي: إنما وحد الضمير لأنه أراد جملة طبقات السماء وأقطار الأرض، أو أن مريم خير من صعد بروحهن إلى السماء، وخديجة خير نساء على وجه الأرض. والحديث ورد في أيام حياتها. وقال الطيبي: يجوز أن يرجع الضمير إلى السماء

الحديث رقم ٦١٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٧٠. حديث رقم ٣٤٣٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم (٦٩ . ٢٤٣٠). والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٩ حديث رقم ٣٨٧٧.

٦١٨٥ ـ (٢) وعن أبي هريرةَ، قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: «يا رسولَ اللَّهِ! هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيه إدام وطعام، فإذا أتتك فأقرأ عليها السلام من ربِّها ومني، وبشِرها ببيتٍ في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

والأرض وإن اختلفا باعتبار الدنيا مجازاً كما عبر بهما عن العالم في قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**﴾ [آل عمران ـ ٥]. الكشاف: أي لا يخفى عليه شيء في العالم، فعبر عنه بالسماء والأرض، ونحوه قوله تعالى: ﴿**الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة**﴾ [سبأ ـ ١]. على معنى له الحمد في الدنيا والآخرة، فعبر بهما عن الدنيا. ويؤيد هذا التأويل ما سيأتي في الفصل الثاني [من] حديث: حسبك من نساء العالمين مريم الحديث. وتفسير وكيع إنما يستقيم إذا بين ما أبهم في الحديث، والمبهم فيه كل واحد. اهـ. وقال النووي: الأظهر في معناه أن كل واحدة منهما خير من نساء الأرض في عصرها، وأما الفضل بينهما فمسكوت عنه ذكره الجزري.

٦١٨٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي ﷺ**) [أي وهو ﷺ بحراء. (**فقال: يا رسول الله هذه**) إشارة إلى ما في ذهن جبريل (**خديجة قد أتت**) أي توجهت من (**مكة معها إناء فيه أدام**) أي مع خبز (**أو طعام**) أي مشتمل عليهما (**فإذا أتتك**) أي تحقق مأتاها عندك (**فاقرأ عليها**) بفتح الراء أي أبلغها (**السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب**) بفتحتين، أي لؤلؤ مجوّف واسع كالقصر المنيف. وقال ابن حجر: أي من قصب اللؤلؤ، ولم يقل من لؤلؤ إذ في لفظ القصب مناسبة لأنها أحوزت قصب السبق لمبادرتها إلى الإِيمان دون غيرها. قلت: ويؤيده حديث: خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإِيمان بالله وبمحمد. رواه الحاكم في مستدركه عن حذيفة[1]. (**لا صخب**) بفتح الصاد والخاء المعجمة، ولا لنفي الجنس، أي لا صياح أو لا اختلاط صوت. (**فيه**) أي في القصب المعبر به عن القصر. وفي نسخة فيها، فالضمير راجع إلى الجنة. ويؤيده قوله: (**ولا نصب**) بفتحتين. قال تعالى: ﴿**لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب**﴾ [فاطر ـ ٣٥]. أي كلال. قال شارح: أي لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ الجنة ولا تعب ينقصها. وقال القاضي: نفى عن القصب الصخب والنصب لأنه ما من بيت في الدنيا يسكنه قوم إلا كان بين أهله صخب وجلبة، وإلا كان في بنائه وإصلاحه نصب وتعب. فأخبر الله تعالى أن قصور الجنة خالية عن هذه الآفات. قال الطيبي: ويؤيد الوجه الثاني أن بناء بيت الجنة حاصل بقوله: كن. ليس كأبنية الدنيا، فإنها إنما يتسبب بناؤها بصخب

الحديث رقم ٦١٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٣٣. حديث رقم ٣٨٢٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٧ حديث رقم (٧١ ـ ٢٤٣٢) والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٩ حديث رقم ٣٨٧٦. وأحمد في المسند ٢/ ٢٣١.

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٨٤.

متفق عليه.

٦١٨٦ ـ (٣) وعن عائشة، قالت: ما غِرتُ على أحدٍ من نساءِ النبي ﷺ ما غِرتُ على خديجةَ وما رأيتها، ولكن كان يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم تكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة، فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد». متفق عليه.

ونصب، وكذا السكون فيها لا يخلو عنهما، وليس حكم بيت في الجنة كذلك. **(متفق عليه)** ورواه النسائي.

٦١٨٦ ـ **(وعن عائشة قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ)** بكسر الغين المعجمة، من غار يغار نحو خاف يخاف. **(ما غرت على خديجة)** ما الأولى نافية والثانية موصولة أو مصدرية، أي ما غرت مثل التي غرتها أو مثل غيرتي عليها، والغيرة الحمية والأنفة. **(وما رأيتها)** الجملة حالية وهي تقتضي[1] عدم الغيرة لعدم الباعث عليها غالباً، ولذا قالت: **(ولكن كان يكثر ذكرها)** أي في مقام المدح **(وربما)** بالتشديد ويخفف **(ذبح الشاة)** أي شاة من الشياه **(ثم يقطعها)** بتشديد الطاء، أي يكثر قطعها. **(أعضاء)** أي عضواً عضواً بأن يجعل كل عضو قطعة **(ثم يبعثها)** أي أعضاء الشاة **(في صدائق خديجة)** أي أصدقائها جمع صديقة وهي [المحبوبة]. **(فربما قلت له: كأنه)** أي الشأن **(لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة)** بالرفع وفي نسخة صحيحة بالنصب **(فيقول: إنها كانت وكانت)** أي كانت صوّامة وقوّامة ومحسنة ومشفقة إلى غير ذلك. قال الطيبي: كرر كانت ولم يرد به التثنية، ولكن التكرير ليتعلق به كل مرة من خصائلها ما يدل على فضلها كقوله تعالى: **﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكأن تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً﴾** [الكهف ـ ٨٢]. ولم يذكر هنا متعلقه للشهرة تفخيماً. **(وكان)** أي مع هذا **(لي منها ولد)** بضم فسكون وفي نسخة صحيحة بفتحتين، والمراد بهما جمع ولد ومنهم فاطمة. قال المؤلف: خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية كانت تحت أبي هالة بن زرارة ثم تزوجها عتيق بن عابد ثم تزوّجها النبي ﷺ ولها يومئذ من العمر أربعون سنة، ولم ينكح ﷺ قبلها امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت وهي أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم، وجميع أولاده منها غير إبراهيم فإنه من مارية. وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل بأربع سنين، وقيل بثلاث. وكان قد مضى من النبوّة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة، وكان مدة مقامها مع رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة ودفنت بالحجون. **(متفق عليه.)** ورواه الترمذي.

الحديث رقم ٦١٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٣٣. حديث رقم ٣٨١٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٩ حديث رقم (٧٦ ـ ٢٤٣٤). والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٩ حديث رقم ٣٨٧٥. وابن ماجه ١/ ٦٤٣ حديث رقم ١٩٩٧. وأحمد في المسند ٦/ ٢٠٢.

(١) في المخطوطة «يقتفي».

٦١٨٧ ـ (٤) وعن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشُ! هذا جبريل يُقرئُكِ السلام». قالت: وعليه السَّلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى. متفق عليه.

٦١٨٨ ـ (٥) وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «أُريتُكِ في المنام ثلاث ليال، يجيء بكِ الملَك في سَرَقةٍ من حريرٍ، فقال لي. هذه امرأتُك، فكشفتُ عن وجهِكِ الثوبَ، فإذا أنتِ هي

٦١٨٧ ـ **(وعن أبي سلمة)** قال المؤلف: هو روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول، ومن مشاهير التابعين وأعلامهم. **(أن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائش)** بضم الشين وفي نسخة بفتحها على الترخيم **(هذا جبريل يقرئك السلام)** من الإقراء. ففي القاموس قرأ عليه السلام كأقرأه، أو لا يقال أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوباً. **(قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت:)** أي عائشة **(وهو)** أي النبي ﷺ **(يرى ما لا أرى)** وأبعد شارح حيث قال: أو يرى جبريل ما لا أراه. اهـ. واستنبط من هذا الحديث فضل خديجة على عائشة لأنه ورد في حقها أن جبريل أقرأها(١) السلام من ربها وههنا من جبريل نفسه **(متفق عليه.)** ورواه الترمذي والنسائي.

٦١٨٨ ـ **(وعن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: أريتك)** بصيغة المجهول المتكلم من الإِراءة، أي أعلمتك. **(في المنام ثلاث ليال يجيء بك)** الباء للتعدية أي يأتي بصورتك **(الملك في سرقة)** بفتحتين **(من حرير)** أي في قطعة من جيد الحرير، قيل وهو معرب سرة. **(فقال)** أي الملك **(لي: هذه)** أي هذه الصورة **(امرأتك)** أي صورتها **(فكشفت عن وجهك الثوب فإذا أنت هي)** أي تلك الصورة. قال الطيبي: يحتمل وجهين أحدهما كشفت عن وجه صورتك فإذا أنت الآن تلك الصورة، وثانيهما كشفت عن وجهك عندما شاهدتك فإذا أنت مثل الصورة التي رأيتها في المنام. وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وحملها عليه كقوله تعالى: **﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾** [البقرة ـ ٢٥]. ومنه مسألة الكتاب: كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هي، أي فإذا الزنبور مثل العقرب. فحذف الأداة مبالغة فحصل التشابه، وإليه لمح الآية: **﴿وأتوا به متشابهاً﴾** [البقرة ـ ٢٥]. ومعنى المفاجأة في إذا يساعد هذا الوجه. اهـ. والجمع بينه وبين قولها: نزل جبريل بصورتي في

الحديث رقم ٦١٨٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٦. حديث رقم ٣٧٦٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٩٦ حديث رقم (٩١ ـ ٢٤٤٧) والترمذي في السنن ٢٥/ ٦٦٢ حديث رقم ٣٧٨١. والنسائي في السنن ٧/ ٦٩ حديث رقم ٣٩٥٣.

(١) في المخطوطة «يقرئك».

الحديث رقم ٦١٨٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٢٣. حديث رقم ٣٨٩٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٨٩ حديث رقم (٧٩ ـ ٢٤٣٨).

فقلت: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه». متفق عليه.

٦١٨٩ ـ (٦) وعنها، قالت: إِن الناس كانوا يتحرّون

راحته حين أمر رسول الله ﷺ أن يتزوّجني. بأن المراد أن صورتها كانت في الخرقة والخرقة [في] راحته، ويحتمل أن يكون نزل بالكيفيتين لقوله في نفس الخبر: نزل مرتين، أي نزل جبريل بصورتها في راحته وملك آخر في سرقة. (**فقلت:**) أي في جواب الملك (**إن يكن هذا**) أي ما رأيته في المنام (**من عند الله يمضه**) بضم الياء من الإمضاء، أي ينفذه لدي ويوصله إلي ويظهره عليّ. وفي نسخة بهاء السكت. قال الطيبي: هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الأمر المدل بصحته تقريراً لوقوع ٱلجزاء وتحققه. ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره: إن كنت سلطاناً انتقمت منك، أي السلطانة مقتضية للانتقام. وفي شرح مسلم قال القاضي عياض: إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوّة وقبل تخليص أحلامه ﷺ من الاضغاث، فمعناها أن كانت رؤيا حق وإن كانت بعد النبوّة فلها ثلاث معان أحدها. [المراد] أن تكون الرؤيا على وجهها وظاهرها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير يمضه الله وينجزه، فالشك عائد إلى أنها رؤيا على ظاهرها، أم تحتاج إلى تعبير وصرف عن ظاهرها. وثانيها أن المراد إن كانت هذه الزوجية في الدنيا يمضها الله فالشك أنها زوجية في الدنيا أم في الجنة. وثالثها أنه لم يشك ولكن أخبره على التحقيق وأتى بصورة الشك وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف، وسماه بعضهم فرج الشك باليقين قال الطيبي: وهذا هو الذي ضعفناه[1] فيما سبق وكان من توارد الخاطر. قال المؤلف: خطبها النبي ﷺ وتزوّجها بمكة في شوّال سنة عشرة من النبوّة وقبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل غير ذلك. وأعرس بها بالمدينة في شوّال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً أوّلها تسع سنين. وقيل دخل بها بالمدينة بعد سبعة أشهر من مقدمه وبقيت معه تسع سنين. ومات عنها ولها ثمان عشرة سنة ولم يتزوّج بكراً غيرها. وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها. روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان. وأمرت أن تدفن ليلاً فدفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية. (**متفق عليه**).

٦١٨٩ ـ (**وعنها**) أي عن عائشة (**قالت: إن الناس [كانوا] يتحرون**) بتشديد الراء المفتوحة، من التحري وهو طلب الحري بمعنى اللائق أو قصد الأحرى بمعنى الأحق والأولى. قال الطيبي: وهو الرواية، وفي بعض نسخ المصابيح: يتحينون. وما وجدناها في الأصول. وفي النهاية: التحري القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء

---

(١) في المخطوطة «حققناه».

الحديث رقم ٦١٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٠٥. حديث رقم ٢٥٨١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٩١ حديث رقم (٨٢. ٢٤٤١). والترمذي في السنن ٥/ ٦٦٠ حديث رقم ٣٨٧٩.

بهدَاياهم يومَ عائشة، يبتغون بذلك مرضاةَ رسول الله ﷺ. وقالت: إن نساءَ رسول الله ﷺ كُنَّ حزبين: فحزب فيه عائشةُ وحفصة وصفيّة وسودة، والحزبُ الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ،

بالفعل والقول. وفي الحديث: تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر[١]، أي تعهدوا طلبها فيها. اهـ. والمعنى يطلبون زيادة الثواب. **(بهداياهم يوم عائشة)** أي في اليوم الذي هو نوبة عائشة والنبي ﷺ عندها. [**(يبتغون)** أي يطلبون **(بذلك)** أي بإرسال هداياهم إليه في يومها] **(مرضاة رسول الله ﷺ)** أي زيادة رضاه لمزيد محبته لها **(وقالت: إن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين)** أي طائفتين اتفقت مزاج كل طائفة ورأيها في عشرتها وصحبتها. **(فحزب)** أي جمع منهن **(فيه عائشة)** وسبق ذكرها **(وحفصة)** وهي بنت عمر بن الخطاب، وأمها زينب بنت مظعون كانت قبل رسول الله ﷺ تحت حبيش بن حفافة السهمي هاجرت ومعه ومات عنها بعد غزوة بدر. فلما ضاعت ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما، فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها في سنة ثلاث وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها حيث نزل عليه الوحي: راجع حفصة فإنها صوّامة قوامة وإنها زوجتك في الجنة. روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين وهي ابنة ستين. **(وصفية)** وهي بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل سبط هارون بن عمران عليه السلام، وكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق، فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول الله ﷺ. وقيل: وقعت في سهم دحية الكلبي[٢] فاشتراها منه بسبعة أرؤس فأسلمت فأعتقها وتزوّجها [وجعل] عتقها صداقها. وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع. روى عنها أنس وابن عمر وغيرهما. **(وسودة)** أي بنت زمعة أسلمت قديماً وكانت تحت ابن عم لها يقال له: السكوان ابن عمرو. فلما مات زوجها تزوجها النبي ﷺ ودخل بها بمكة وذلك بعد موت خديجة قبل أن يعقد على عائشة، وهاجرت إلى المدينة. فلما كبرت أراد طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها. وتوفيت بالمدينة في شوّال سنة أربع وخمسين **(والحزب الآخر)** أي من أمهات المؤمنين **(أم سلمة)** وهي بنت أبي أمية اسمها هند، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي سلمة فلما مات أبو سلمة سنة أربع، وقيل سنة ثلاث، تزوّجها النبي ﷺ في ليال بقين في شوّال من السنة التي مات فيها أبو سلمة. وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة. روى عنها ابن عباس وعائشة وزينب بنتها وابن المسيب وخلق سواهم كثير من الصحابة والتابعين. **(وسائر نساء رسول الله ﷺ)** أي وباقيهن وهن زينب وأم حبيبة وجويرية بالتصغير وميمونة. أما زينب فهي بنت جحش وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، وكانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ فطلقها ثم تزوجها النبي ﷺ سنة خمس وهي أول من مات من أزواجه بعده، وكان اسمها برة فجعله النبي ﷺ

(١) متفق عليه البخاري ٤/٢٥٩ حديث رقم ٢٠٢٠ واللفظ له ولمسلم معناه.

(٢) في المخطوطة دحية بن الكلبي.

فكلم حزب أم سلمة فقلن لها: كلِّمِي رسول الله ﷺ يُكلِّم الناسَ فيقول: من أراد أن يُهْدِيَ إِلى رسولِ اللّهِ ﷺ فليُهدِه إِليه حيث كان. فكلمتْهُ، فقال لها: «لا تؤذيني في عائشة؛

زينب. قالت عائشة في شأنها: لم تكن امرأة خيراً منها في الدين وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبذلاً لنفسها في العمل الذي تتصدق به، وتتقرب إلى الله تعالى. ماتت بالمدينة سنة عشرين. وقيل سنة إحدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة. روت عنها عائشة وأم حبيبة وغيرهما. وأما أم حبيبة فاسمها رملة بنت أبي سفيان بن صخر ابن حرب وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان، فقد اختلف في نكاح رسول الله ﷺ إياها وموضع العقد، فقيل إنه عقد بأرض الحبشة سنة ست وزوجه منها النجاشي وأمهرها أربعمائة دينار، وقيل أربعة آلاف درهم من عنده. وبعث النبي ﷺ شرحبيل ابن حسنة فجاء بها إليه ودخل بها بالمدينة. وقيل إنه عقد عليها بالمدينة وزوجه منها عثمان بن عفان. وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين. روى عنها جماعة كثيرة. وأما جويرية فهي بنت الحارث بن حزام سباها النبي ﷺ في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها، فقضى عنها النبي ﷺ كتابتها ثم أعتقها وتزوّجها. وكان اسمها برة فغيره النبي ﷺ وسماها جويرية. وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين ولها خمس وستون سنة. روى عنها ابن عباس وابن عمر وجابر. وأما ميمونة فهي بنت الحارث الهلالية العامرية ويقال إن اسمها كان برة فسماها النبي ﷺ ميمونة، وكانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية ففارقها فتزوجها أبو درهم وتوفي عنها، فتزوّجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضاء بسرف على عشرة أميال من مكة. وقدر الله تعالى أنها ماتت في المكان الذي تزوجها فيه بسرف سنة إحدى وستين، وقيل إحدى وخمسين وقيل غير ذلك. وصلى عليها ابن عباس، وهي أخت أم الفضل امرأة العباس وأخت أسماء بنت عميس وهي آخر أزواج النبي ﷺ. روى عنها جماعة منهم عبد الله بن عباس كذا في الأسماء للمؤلف. **(فكلم حزب أم سلمة)** أي إياها، والمعنى فكلمنها. **(فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس)** بالرفع على ما في نسخة السيد على أنه استئناف تعليل. وقال ابن حجر: بالجزم والميم مكسورة لالتقاء الساكنين، ويجوز الرفع، قلت: الصواب الرفع لقوله: **(فيقول)** والمعنى ليكلم رسول الله ﷺ الناس فيقول لهم **(من أراد أن يهدي)** بضم الياء وكسر الدال، أي يرسل هدية. **(إلى رسول الله ﷺ فليهده)** وضع السيد في نسخته علامة الشك فوق الضمير، وفيه أنه يستوي وجوده وعدمه في المعنى المراد. نعم قد يحذف ضمير المفعول لكن النسخ اجتمعت على وجوده وهو أوضح من تقديره فلا وجه للشك وتنظيره. والمعنى فليرسل مهداه، أي هديته. **(إليه)** أي إلى النبي ﷺ **(حيث كان)** أي من حجرات الأمهات، ومرادهن أنه لا يقع التحري في ذلك لا لهن ولا لغيرهن بل بحسب ما يتفق الأمر فيهن ليرتفع التمييز الباعث للغيرة عنهن. **(فكلمته)** [أي] أم سلمة **(فقال)** [النبي ﷺ] **(لها: لا تؤذيني في عائشة)** أي في حقها وهو أبلغ من لا تؤذي عائشة لما يفيد من أن ما آذاها فهو

فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأةٍ إلا عائشة». قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله! ثم إنهنَّ دعونَ فاطمةَ فأرسلن إلى رسول الله ﷺ فكلمتْهُ، فقال: «يا بنيَّة! ألا تحبين ما أُحِبُّ؟». قالت: بلى. قال: «فأحبّي هذه». متفق عليه.

وذكر حديث أنس «فضلُ عائشة على النساء» في باب «بدء الخلق» برواية أبي موسى.

الفصل الثاني

٦١٩٠ ـ (٧) عن أنس، أنَّ النبي ﷺ قال: «حسبكَ من نساء العالمين

يؤذيه. (فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة) أي لحاف زوجة (إلا عائشة) قال الطيبي: إلا بمعنى غير، أي امرأة غير عائشة. اهـ. والمعنى إلا في ثوب عائشة. ففي كتاب الخميس قالت عائشة: نزلت ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص ـ ٥٦]. وأنا مع رسول الله ﷺ في اللحاف. (قالت:) أي أم سلمة (أتوب إلى الله من أذاك) أي مما يجر إلى أذاك[1] (يا رسول الله. ثم إنهن) أي حزب أم سلمة (دعون فاطمة) أي طلبنها (فأرسلن) أي فبعثنها (إلى رسول الله ﷺ) أي لتكلمه في هذه القضية (فكلمته) ولعلها ما اطلعت على قصة أم سلمة السابقة (فقال: يا بنية) تصغير للشفقة والمرحمة (ألا تحبين ما أحب. قالت: بلى. قال: فأحبي هذه) أي عائشة، يعني ولا تذكري ما يكون سبباً لكراهية خاطرها. (متفق عليه.) ورواه النسائي. (وذكر حديث أنس: فضل عائشة على النساء) تمامه: كفضل الثريد على سائر الأطعمة. (في باب بدء الخلق برواية أبي موسى) وتقدم الخلاف في أن المراد بالنساء جنسهن، أو أزواجه ﷺ عموماً أو بعد خديجة. والأظهر أنها أفضل من جميع النساء كما هو ظاهر الإطلاق من حيث الجامعية للكمالات العملية والعملية المعبر عنهما في التشبيه بالثريد، فإنما يضرب المثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب وأنه مركب من الخبز واللحم والمرقة ولا نظير لها في الأغذية، ثم إنه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم والمريء. فضرب رسول الله ﷺ لها المثل به ليعلم أنها أعطيت مع حسن الخلق وحسن الخلق وحسن الحديث وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل التحبب إلى البعل، فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وإلى غير ذلك من المعاني التي اجتمعت فيها، وحسبك من تلك المعاني أنها عقلت من رسول الله ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال والله أعلم بالحال.

(الفصل الثاني)

٦١٩٠ ـ (عن أنس أن النبي ﷺ قال: حسبك) أي بالخطاب العام، والمعنى يكفيك. (من نساء العالمين) أي الواصلة إلى مراتب الكاملين في الاقتداء [بهن] وذكر محاسنهن

---

(١) في المخطوطة «أذاكما».

الحديث رقم ٦١٩٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٦٠ حديث رقم ٣٨٧٨. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٥.

مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمَّد، وآسيةُ امرأة فرعون». رواه الترمذي.

٦١٩١ ـ (٨) وعن عائشة، أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراءَ إلى رسول الله ﷺ فقال: «هذه زوجتُكَ في الدنيا والآخرة». رواه الترمذي.

٦١٩٢ ـ (٩) وعن أنس، قال: بلغَ صفيّةَ أن حفصةَ قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيكِ؟» فقالت: قالت لي حفصة: إني ابنةُ يهودي فقال النبي ﷺ: «إنك لابنةُ نبي، وإن عمَّك لنبي، وإنك

ومناقبهن وزهدهن في الدنيا وإقبالهن على العقبى **(مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون)** والظاهر أن مراتبهن على وفق ذكرهن. ولعل هذا الحديث قبل حصول كمال عائشة ووصولها إلى وصال الحضرة. ثم رأيت في الجامع روى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى مرفوعاً: كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[(١)]. قال الطيبي: حسبك مبتدأ، ومن نساء متعلق به ومريم خبره، والخطاب إما عام أو لأنس، أي كافيك معرفتك فضلهن عن معرفة سائر النساء. اهـ. قال السيوطي في النقاية: نعتقد أن أفضل النساء مريم وفاطمة وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة. وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها التوقف. أقول: التوقف في حق الكل أولى، إذ ليس في المسألة دليل قطعي والظنيات متعارضة غير مفيدة للعقائد المبنية على اليقينيات. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد وابن حبان، والحاكم في مستدركه عن أنس[(٢)]. وورواه أحمد والطبراني عنه أيضاً بلفظ: خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون. وورواه الحاكم في مستدركه عن عائشة بلفظ: سيد نساء أهل الجنة أربع: مريم وفاطمة وخديجة وآسية[(٣)].

٦١٩١ ـ **(وعن عائشة أن جبريل جاء بصورتها)** أي بصورة عائشة، والباء للتعدية. **(في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله ﷺ فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة. رواه الترمذي)**.

٦١٩٢ ـ **(وعن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت)** أي في حق صفية **(إنها بنت يهودي)** أي نظراً إلى أبيها **(فبكت. فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي فقال: ما يبكيك. فقالت:)** أي صفية **(قالت لي حفصة)** أي في حقي **(إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ إنك لابنة نبي)** أي نظراً إلى جدها الأكبر، وهو إسحاق أو هارون. **(وإن عمك لنبي)** وهو إسماعيل أو موسى، والأوّل فيهما ذكره المظهر. وقال الطيبي: لعل الأخير هو الأظهر. **(وإنك)** أي الآن

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٩٩ حديث رقم ٦٤٢٠ ويراجع الحديث رقم ٥٧٢٤.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٧. (٣) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٨٥.

الحديث رقم ٦١٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٦١ حديث رقم ٣٨٨٠.

الحديث رقم ٦١٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٦٦ حديث رقم ٣٨٩٤ وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٦٥.

لَتَحتَ نبيّ، ففيم تفخرُ عليك؟ . ثم قال: «اتقي اللّهَ يا حفصةُ!». رواه الترمذي، والنسائي.

٦١٩٣ ـ (١٠) وعن أُمّ سلمة، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ دعا فاطمةَ عامَ الفتح فناجاها، فبكتْ، ثم حدَّثها فضحكتْ، فلما توفيّ رسول الله ﷺ سألتُها عن بكائها وضحكها. قالت: أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموتُ فبكيت، ثم أخبرني أني سيّدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ إلاَّ مريمَ بنتَ عمران، فضحكت. رواه الترمذي.

(**لتحت نبي، ففيم تفخر.**) بفتح الخاء أي تفخر حفصة عليك. وفيه إيماء إلى ظهور مختار. الطيبي. فإن الأوّل يشتركان فيه غايته أن أبا حفصة إسماعيل وعمها إسحاق، وأما الثاني فيختص بصفية وبه يحصل لها المزية. ففي جامع الأصول: هي بنت حيي بن أخطب من سبط هارون بن عمران عليه السلام. (**ثم قال: اتقي الله**) أي مخالفته أو عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من عادات الجاهلية. (**يا حفصة. رواه الترمذي والنسائي**).

٦١٩٣ ـ (**وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة عام الفتح**) الظاهر أن هذا وهم، إذ لم يثبت عند أرباب السير وقوع هذه القضية عام الفتح بل كان هذا في عام حجة الوداع، أو حال مرض موته عليه السلام. (**فناجاها**) أي كلمها بالسر (**فبكت ثم حدثها**) أي خفية أيضاً (**فضحكت**) وتقدم أن عائشة سألتها في حياته فلم تجبها وبعد مماته أجابتها نحو ما ذكرت أم سلمة بقولها: (**فلما توفي رسول الله ﷺ سألتها عن بكائها وضحكها**) أي عن سببهما (**فقالت:**) وفي نسخة: قالت: (**أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموت**) أي قريباً (**فبكيت، ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت.**) وهو لا ينافي ما قال لها أيضاً من أنك أوّل من يلحقني من أهلي على ما سبق. قال الطيبي: هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب إنما يناسب باب مناقب أهل البيت، لكن ذكره مستطرداً للحديث الأوّل من هذا الفصل حيث ذكرت فيه فاطمة مع ذكر خديجة ومريم، وهو فن من بديع الكلام. اهـ. فيكون تفصيلاً لبعض ما سبق مجملاً. ولا يبعد أن يكون تلميحاً إلى ما ورد من أن مريم تكون زوجة نبينا ﷺ في الجنة. (**رواه الترمذي**) وفي الجامع: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران. رواه الحاكم في مستدركه[1].

الحديث رقم ٦١٩٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٨ حديث رقم ٣٨٧٣.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٦٠ حديث رقم ٥٨٣٥.

الفصل الثالث

٦١٩٤ ـ (١١) عن أبي موسى، قال: ما أشكل علينا أصحابَ رسولِ الله ﷺ حديثٌ قطُّ فسألنا عائشة إلاّ وجدنا عندها منه عِلماً. رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

٦١٩٥ ـ (١٢) وعن موسى بن طلحةَ، قال: ما رأيتُ أحداً أفصح من عائشة. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنُ غريب.

(الفصل الثالث)

٦١٩٤ ـ **(عن أبي موسى قال: ما اشتكل)** أي ما اشتبه، وفي نسخة: ما أشكل، أي ما أغلق. **(علينا أصحاب رسول الله ﷺ)** بالنصب في جميع النسخ الحاضرة المعتمدة. وقال الطيبي: بالجر بدل من المجرور، ويجوز النصب على الاختصاص. **(حديث قط)** أي معنى حديث، أو فقد حديث يتعلق بمسألة مهمة. **(فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه)** أي من ذلك الحديث ومتعلقاته. **(علماً)** أي نوع علم بأن يوجد الحديث عندها تصريحاً أو تأويلاً لأن يؤخذ الحكم منه تلويحاً. **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب)** وأما حديث: خذوا شطر دينكم عن الحميراء، يعني عائشة. فقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: لا أعرف له إسناداً ولا رواية في شيء من كتب الحديث، إلا في النهاية لابن الأثير ولم يذكر من خرجه. وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه. وقال السخاوي: ذكره في الفردوس بغير إسناد وبغير هذا اللفظ، ولفظه: خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء. وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له إسناداً. وقال السيوطي: لم أقف عليه.

٦١٩٥ ـ **(وعن موسى بن طلحة)** قال المؤلف: يكنى أبا عيسى التيمي القرشي سمع جماعة من الصحابة، مات سنة أربع ومائة **(قال: ما رأيت أحداً أفصح من عائشة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب)**.

الحديث رقم ٦١٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٦٢ حديث رقم ٣٨٨٣.

الحديث رقم ٦١٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٦٣ حديث رقم ٣٨٨٤.

(١٢) باب جامع المناقب

الفصل الأول

٦١٩٦ ـ (١) عن عبد الله بن عمر، قال: رأيتُ في المنام كأن في يديَّ سَرَقةً من حرير، لا أهوي بها إلى مكانٍ في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصةَ، فقصَّتها حفصةُ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «إنَّ أخاكِ رجلٌ صالحٌ ـ أو إن عبدَ الله رجل صالح ـ».

(باب جامع المناقب)

(الفصل الأوّل)

٦١٩٦ ـ **(عن عبد الله بن عمر)** أي ابن الخطاب القرشي العدوي أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وشهد ما بعد الخندق من المشاهد، وكان من أهل الورع والعلم والزهد شديد التحري والاحتياط. قال جابر بن عبد الله: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال إليها ما خلا عمر وابنه عبد الله. قال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد. وكان يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف فيها، وكان يعز على الحجاج. وخطب الحجاج يوماً وأخر صلاة الفجر أو العصر، فقال ابن عمر: أن الشمس لا تنتظرك. فقال له الحجاج: لقد هممت أن أصيرك الذي في عينيك. قال: لا تفعل فإنك سفيه مسلط. وقيل إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه. فأمر الحجاج رجلاً فسم زج رمحه، وزاحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه. وكانت ولادته قبل الوحي بسنة وموته سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل بستة أشهر. وكان أوصى أن يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله أربع وثمانون سنة. روى عنه خلق كثير. **(قال: رأيت في المنام كأن)** بالتشديد على التشبيه للملاحظة في التعبير. **(في يدي)** وفي نسخة بالتثنية **(سرقة)** بفتحتين، أي قطعة **(من حرير)** أي كائنة منه **(لا أهوي)** بكسر الواو، أي لا أقصد. **(بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه)** أي تبلغني إلى ذلك المكان مثل جناح الطائر، والباء للتعدية. وقال الطيبي: أي لا أريد الميل بها إلى مكان في الجنة إلا كانت مطيرة بي ومبلغة إياي إلى تلك المنزلة، فكأنها لي مثل جناح الطير للطائر. **(فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: إن أخاك رجل صالح، أو إن عبد الله رجل صالح)** قال شارح للمصابيح: تأول هذا على أن السرقة كانت ذات يده من العمل الصالح وبياض السرقة منبىء عن خلوصه من الهوى وصفائه عن كدر النفس.

الحديث رقم ٦١٩٦: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٧٠١٥. والترمذي في السنن ٥/ ٦٣٨ حديث رقم ٣٨٢٥. والدارمي ٢/ ٣٥٩ حديث رقم ٢٦٣٨.

متفق عليه.

٦١٩٧ ـ (٢) وعن حذيفة، قال: إن أشبه الناس دلاً وسَمْتاً وهدياً برسولِ الله ﷺ لابنُ أم عبدٍ من حينَ يخرجُ من بيتِه إلى أن يرجع إليه، لا ندري ما يصنع في أهله إذا خلا. رواه البخاري.

٦١٩٨ ـ (٣) وعن أبي موسى الأشعري، قال قدِمتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهل بيتِ النبي ﷺ، لما نرى من دخوله ودخول أمّه على النبي ﷺ.

اهـ. ولعله مبني على أن في المصابيح: سرقة من حرير بيضاء. والله أعلم. **(متفق عليه)** قال ميرك: ولفظ مسلم: أرى عبد الله رجلاً صالحاً. وقال السيد جمال الدين: ورواه الترمذي والنسائي.

٦١٩٧ ـ **(وعن حذيفة)** سيأتي ترجمته **(قال: إن أشبه الناس دلاً)** بفتح الدال المهملة وتشديد اللام، أي طريقة. **(وسمتاً)** أي سيرة **(وهدياً)** أي هداية ودلالة **(برسول الله ﷺ)** متعلق بأشبه **(لابن أم عبد)** بفتح لام التأكيد الداخل على خبر إن. والمراد به عبد الله بن مسعود، وكانت أمه تكنى أم عبد. قال القاضي: الدل قريب من الهدي والمراد به السكينة والوقار، وما يدل على كمال صاحبه من ظواهر أحواله وحسن مقاله، وبالسمت القصد في الأمور وبالهدي حسن السيرة وسلوك الطريقة المرضية. وقال شارح: السمت يستعار لهيئة أهل الخير، **(من حين يخرج)** متعلق بأشبه. والمعنى أن أكثرية الشبه فيما ذكر مستمرة عليه من حين يخرج. **(من بيته إلى أن يرجع إليه)** أي إلى بيته وهذا بحسب الظاهر الذي كنا نطلع عليه. **(لا ندري ما يصنع في أهله)** أي في حال كونه عند أهله **(إذا خلا)** أي معهم من غير أن يكون هناك أحد. قال الطيبي: لا ندري جملة مستأنفة يريد إنا نشهد له بما يستبين لنا من ظاهر أمره، ولا ندري ما بطن منه. **(رواه البخاري)**.

٦١٩٨ ـ **(وعن أبي موسى الأشعري)** سيأتي منقبته **(قال: قدمت)** أي المدينة **(أنا وأخي من اليمن فمكثنا)** بفتح الكاف وضمها، أي فلبثنا. **(حيناً)** أي زماناً كثيراً **(ما نرى)** بضم النون وفتح الراء على ما صرح به النووي، أي ما نظن. **(إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ لما نرى)** بفتح النون، أي لما نبصر. **(من دخوله ودخول أمه)** أي من كثرة دخولهما **(على النبي ﷺ)** قال الطيبي: قوله: ما نرى، حال من فاعل مكثنا، ويجوز أن يكون صفة

الحديث رقم ٦١٩٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٥٠٩. حديث رقم ٦٠٩٧ والترمذي في السنن ٥/ ٦٣١. حديث رقم ٣٨٠٧. وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٤.

الحديث رقم ٦١٩٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٢. حديث رقم ٣٧٦٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩١١ حديث رقم (١١٠ ـ ٢٤٦٠) والترمذي في السنن ٣٧٦٣.

متفق عليه.

٦١٩٩ ـ (٤) وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل». متفق عليه.

٦٢٠٠ ـ (٥) وعن علقمةَ، قال: قدمتُ الشام، فصلَّيتُ ركعتين،

حيناً، أي زماناً غير ظانين فيه شيئاً إلا كون عبد الله بن مسعود، كذا. قال المؤلف: يكنى أبا عبد الرحمٰن الهذلي كان إسلامه قديماً في أوّل الإسلام قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وقبل عمر بزمان. وقيل كان سادساً في الإسلام ثم ضم إليه رسول الله ﷺ سواكه ونعله وطهوره في السفر. هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ثم ما بعدها من المشاهد، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة وقال: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد»[1]. وكان خفيف اللحم قصيراً شديد الأدمة نحيفاً يكاد طوال الرجال يوازيه جالساً، ولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة. روى عنه أنه بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين [رضوان الله عليهم أجمعين]. اهـ. وهو عند أئمتنا أفقه الصحابة بعد الخلفاء الأربعة. (**متفق عليه**) ورواه الترمذي والنسائي.

٦١٩٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو**) بالواو (**أن رسول الله ﷺ قال: استقرئوا القرآن من أربعة**) أي اطلبوا القرآن من هؤلاء الأربعة فإنهم حفظة الصحابة[2] (**من عبد الله بن مسعود**) بزيادة من لمزيد البيان [في البيان] (**وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل**) في شرح مسلم قالوا: هؤلاء الأربعة تفرغوا الأخذ القرآن منه ﷺ مشافهة وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم أو أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ من تقدم هؤلاء الأربعة وأنهم أقرأ من غيرهم. قال المؤلف: سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من أهل فارس من اصطخر وكان من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم شهد بدراً وروى عنه ثابت بن قيس وابن عمر وغيرهما. وأما أبيّ ومعاذ بن جبل فقد تقدم ذكرهما. (**متفق عليه**) [ورواه الترمذي].

٦٢٠٠ ـ (**وعن علقمة**) تابعي مشهور وقد سبق ذكره (**قال: قدمت الشام فصليت ركعتين**)

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٣١٧.
(٢) في المخطوطة «الصحابة».

الحديث رقم ٦١٩٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٠٢ حديث رقم ٣٧٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩١٤ حديث رقم (١١٨ . ٢٤٦٤) وأحمد في المسند ٢/ ١٨٩.

الحديث رقم ٦٢٠٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٠. حديث رقم ٣٧٤٢. والترمذي في السنن ٥/ ٦٣٣ حديث رقم ٣٨١١. والنسائي في السنن ١/ ٢٣٢ حديث رقم ٤٦٥. وأحمد في المسند ٦/ ٤٥٠.

ثم قلت: اللهم يسّر لي جليساً صالحاً، فأتيتُ قوماً، فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداءِ، قلت: إني دعوتُ اللَّهَ أن يُيَسّرَ لي جليساً صالحاً، فيسرك لي فقال: من أنت؟ قلت: من أهلِ الكوفة، قال: أوليس عندكم ابن أمّ عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة، وفيكم الذي أجاره

أي في مسجد دمشق **(ثم قلت: اللهم سير)** أي سهل **(لي جليساً صالحاً)** أي عالماً عاملاً أو قائماً بحق الله وحق عباده. **(فأتيت قوماً فجلست إليهم فإذا شيخ)** أي كبير أو عظيم **(قد جاء حتى جلس إلى جنبي)** روي أن لله ملائكة تجر الأهل إلى الأهل **(قلت:)** أي للقوم **(من هذا. قالوا: أبو الدرداء. قلت:)** أي له **(إني دعوت الله أن ييسر)** أي يسهل **(لي جليساً صالحاً فيسرك لي. فقال: من أنت. فقلت: من أهل الكوفة)** قال الطيبي: أي رجل من أهل الكوفة [ليطابق السؤال، أو تقدير السؤال من أين أنت ليطابقه الجواب. وقوله: أو ليس عندكم الخ. فقال ابن الملك: صوابه من أين أنت لقوله من أهل الكوفة]، ولعل لفظة أين، سقطت من القلم أو من بعض الرواة الثبات، أو صحف أين بأنت ومن الجارة بمن الاستفهامية. هـ. ولا يخفى أنه يلزم منه تخطئة جماعة من الرواة الثقات في الحفظ والتيقظ، فالأحسن أن يقال إن الجواب يدل على أن السؤال عن معرفة مّا أو معرفة بلده، أو يحمل على أن المجيب مقصر أو مقتصر، أو يكون رجل أو علقمة محذوفاً، أو تقديره فقلت في جملة الجواب من أهل الكوفة، وإنما اقتصر عليه لما يترتب عليه ما بعده وينشأ عنه. وهذا هو الأظهر لئلا ينسب أحد من الأكابر إلى الخطأ، وعلى تقدير الضرورة فنسبته إلى التابعي أولى من الصحابي خصوصاً السائل. فإنه لا يقال للسائل سؤالك غير مطابق للجواب بل الأمر بالعكس والله أعلم بالصواب. ثم رأيت نظير هذا الإشكال في باب الحب في الله عند قوله: أين تريد فقال: أريد أخاً لي. فأجابوا بأن السؤال متضمن لقوله: أين تريد ومن تريد فتدبر. ثم رأيت أنه وقع في البخاري في رواية: فقال: ممن أنت، كذا في جامع الأصول. وفي رواية: من أين أنت، كذا في الحميدي. **(قال:)** أي أبو الدرداء **(أوليس عندكم ابن عم صاحب النعلين والوسادة)** بكسر الواو المخدة **(والمطهرة)** بفتح الميم ويكسر. ففي القاموس: المطهرة بالكسر والفتح، إناء يتطهر به. وفي الخلاصة فتح الميم في المطهرة أعلى ولا يخفى ما فيه من العبارة اللطيفة. قال القاضي: يريد به أنه كان يخدم الرسول ﷺ ويلازمه في الحالات كلها، فيصاحبه في المجالس(١) ويأخذ نعله ويضعها إذا جلس وحين نهض، ويكون معه في الخلوات فيسوّي مضجعه ويضع وسادته إذا أراد أن ينام ويهيىء له طهوره ويحمل معه المطهرة إذا قام إلى الوضوء. اهـ. وحاصله أنه لشدة ملازمته له ﷺ في هذه الأمور ينبغي أن يكون عنده من العلم الشرعي ما يستغني طالبه عن غيره، وفيه إشعار بما ذكر في آداب المتعلمين من أن الطالب أوّلاً يحيط بعلم علماء بدله، ثم يرتحل إلى غيره من البلدان في طلب زيادة البيان(٢) من الأعيان. **(وفيكم)** أي وأليس فيكم **(الذي أجاره**

(١) في المخطوطة «المجالس».

(٢) في المخطوطة «العيال» والواضح أن كلمة البيان أصوب من كلمة العيال والله تعالى أعلم.

اللَّهُ من الشَّيطان على لسان نبيه؟ يعني عمَّاراً، أوَليس فيكم صاحب السّر الذي لا يعلمُه غيرُه؟ يعني حذيفةَ. رواه البخاري.

٦٢٠١ ـ (٦) وعن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُريتُ الجنَّة فرأيتُ امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشةً [أَمامي] فإذا

الله) أي أنقذه وخلصه (**من الشيطان على لسان نبيه**) أي بناء على[1] لسانه مما صدر عنه من دعائه (**يعني**) أي يريد (**أبو الدرداء به عماراً**) وهذا قول بعض الرواة. (**أوليس فيكم صاحب السر**) أي صاحب سر النبي ﷺ (**الذي لا يعلمه**) أي ذلك السر (**غيره**) أي غير حذيفة. قيل من تلك الأسرار أسرار المنافقين وأنسابهم، أسر بها إليه رسول الله ﷺ كما دل عليه حديثه المذكور قبل هذا. (**يعني حذيفة**) قال المؤلف: عمار بن ياسر العبسي مولى بني مخزوم وحليفهم، وذلك أن ياسراً والد عمار قدم مكة مع أخوين له يقال لهما الحارث ومالك في طلب أخ لهم رابع[2] فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة فزوّجه أمة له يقال لها سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة. فعمار مولى وأبوه حليف. أسلم عمار قديماً وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة ليرجعوا عن الإسلام، وأحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله ﷺ يمر به فيمر يده عليه ويقول يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم. وهو من المهاجرين الأوّلين، وشهد بدراً والمشاهد كلها. وسماه النبي ﷺ الطيب المطيب[3]. قتل بصفين وكان مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة. روى عنه جماعة منهم علي وابن عباس رضي الله عنهم. وأما حذيفة فهو ابن اليمان واسم اليمان حثيل[4] بالتصغير واليمان لقبه، وكنيته حذيفة أبو عبد الله العبسي بفتح العين وسكون الباء. روى عنه عمر وعلي وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين. مات بالمدائن وبها قبره سنة خمس وثلاثين، وقيل ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة. (**رواه البخاري**) وكذا النسائي.

٦٢٠١ ـ (**وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال: أريت الجنة**) بصيغة المجهول (**فرأيت امرأة أبي طلحة**) وهي أم سليم، تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك فولدت له أنساً ثم قتل عنها مشركاً وأسلمت فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته إلى الإسلام فأسلم. فقالت: إني أتزوّجك ولا آخذ منك صداقاً لإسلامك، فتزوّجها أبو طلحة. روى عنها خلق كثير. (**وسمعت خشخشة**) بالخاءين والشينين المعجمات، أي صوتاً يحدث من تحرك الأشياء اليابسة واصطكاكها كالسلاح والنعل والثوب. (**أمامي**) أي قدامي تقدم الخادم على المخدوم. (**فإذا**

(١) في المخطوطة «في». (٢) في المخطوطة «راجع».
(٣) في المخطوطة «الطيب». (٤) في المخطوطة «حسبل».

الحديث رقم ٦٢٠١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٠٨ حديث رقم (١٠٦. ٢٤٥٧) وأحمد في المسند ٥/ ٣٦٠.

بلال». رواه مسلم.

٦٢٠٢ ـ (٧) وعن سعد، قال: كنَّا معَ النبيِّ ﷺ ستَّة نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاءِ لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابنُ مسعود ورجلٌ من هُذَيْل، وبلالٌ ورجلانِ لست أسميهما، فوقعَ في نفسِ رسولِ اللّهِ ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّثَ نفسه،

بلال) وهو ابن رباح مولى أبي بكر الصديق أسلم قديماً، وهو أول من أظهر إسلامه بمكة. شهد بدراً وما بعده من المشاهد وسكن الشام آخراً ولا عقب له. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، ومات بدمشق سنة عشرين ودفن بباب الصغير وله ثلاث وستون سنة. وقيل مات بحلب ودفن بباب الأربعين. وكان ممن عذبه أهل مكة على الإسلام، وممن كان يعذبه ويتولى ذلك بنفسه أمية بن خلف الجمحي، وكان من قدر الله تعالى أن قتله بلال يوم بدر. قال جابر كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، يعني بلالاً. اهـ. وأخرج أحمد في مسنده أن أول من أظهر الإِسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصيّروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله عزَّ وجلَّ وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد[١]. كذا في الرياض. **(رواه مسلم)** وكذا البخاري والنسائي، ذكره السيد جمال الدين.

٦٢٠٢ ـ **(وعن سعد بن أبي وقاص)** أحد العشرة **(قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر)** أي أشخاص **(فقال المشركون)** أي من أكابر صناديد قريش **(للنبي ﷺ: اطرد)** أي أبعد عن حضرتك **(هؤلاء)** أي الموالي والفقراء **(لا يجترئون علينا)** أي لا يكون لهم جراءة علينا في مخاطبتهم بنا إن كنت تريد أن نؤمن بك وندخل عليك. **(قال:)** أي سعد **(وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل)** بالتصغير **(وبلال ورجلان لست اسميهما)** بتشديد الميم وجوّز تخفيفها، أي لا أتذكرهما. قال صاحب الأزهار: ورجلان خباب وعمار، وإنما قال لست اسميهما لمصلحة في ذلك عند المتكلم[٢]، وقيل للنسيان والأول أقرب إلى اللفظ. قال المؤلف: خباب بن الأرت يكنى أبا عبد الله التميمي وإنما لحقه سباء في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وهو ممن عذب في الله على إسلامه فصبر. نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة. روى عنه جماعة. **(فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع)** أي من الميل إلى طردهم طمعاً في إسلام الأكابر المتفرع عليه إسلام الكل بعدهم. **(فحدث نفسه)** أي للتألف بهم أن يطردهم صورة بأن لا يأتوه حال وجود الأكابر عنده، أو يقوموا عنه إذا هم جلسوا عنده مراعاة للجانبين. وقال

---

(١) أحمد في المسند ١/٤٠٤.
(٢) في المخطوطة «التكلم».

الحديث رقم ٦٢٠٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٧٨ حديث رقم ٤٦/١٧٤٨.

فأنزلَ الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجهه﴾. رواه مسلم.

٦٢٠٣ - (٨) وعن أبي موسى، أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «يا أبا موسى! لقد أُعطيتَ مزماراً من مزامير آل داود». متفق عليه.

٦٢٠٤ - (٩) وعن أنس، قال: جَمعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ:

الطيبي: ورد في تفسير الآية أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: لو طردت هؤلاء جلسنا إليك وحدثناك. فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين. قالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا. قال: نعم طمعاً في إيمانهم. (**فأنزل الله تعالى:**) أي عتاباً لسيد الأنبياء في حق الفقراء (**﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة﴾**) بفتح الغين والدال بعده ألف مبدلة من واو، وفي قراءة بضم وسكون وفتح واو. (**﴿والعشي﴾**) أريد بهما طرفا النهار أو الملوان. (**﴿يريدون وجهه﴾**)[1] جملة حالية أي يريدون بعبادتهم رضا الله تعالى لا شيئاً آخر من أغراض الدنيا. (**رواه مسلم**).

٦٢٠٣ - (**وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال له: يا أبا موسى لقد أعطيت مزماراً**) بصيغة المجهول أي صوتاً حسناً ولحناً طيباً. (**من مزامير آل داود**) أي من ألحانه والأول مقحم، واستعير المزمار بكسر الميم وهو الآلة للصوت الحسن والنغمة الطيبة. قال القاضي: أي أعطيت حسن صوت يشبه بعض الحسن الذي كان لصوت داود. والمراد بآل داود نفسه، إذ لم يكن آله مشهوراً بحسن الصوت. قال المؤلف: هو عبد الله بن قيس الأشعري أسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينة ورسول الله ﷺ بخيبر. ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز ثم لم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان ثم عزل عنها، فانتقل إلى الكوفة فأقام بها وكان والياً على أهل الكوفة إلى أن قتل عثمان. ثم انتقل أبو موسى إلى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها إلى أن مات سنة اثنتين وخمسين. (**متفق عليه**) ورواه الترمذي.

٦٢٠٤ - (**وعن أنس رضي الله عنه قال: جمع القرآن**) أي قرأه كله ذكره شارح، والأظهر أنه حفظه أجمع. (**على عهد رسول الله ﷺ**) أي في زمانه (**أربعة**) أي من الرجال، أراد أنس

---

(١) سورة الأنعام. آية رقم ٥٢.

الحديث رقم ٦٢٠٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٩٢. حديث رقم ٥٠٤٨. ومسلم في صحيحه ١/ ٥٤٦ حديث رقم (٢٣٥ . ٧٩٣) والترمذي في السنن ٥/ ١٥٠ حديث رقم ٣٨٥٥ والنسائي في السنن ٢/ ١٨٠ حديث رقم ١٠١٩. وابن ماجه ١/ ٤٢٥ حديث رقم ١٧٦ والدارمي ٢/ ٥٦٣ حديث رقم ٣٤٩٢. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٩.

الحديث رقم ٦٢٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٤٧. حديث رقم ٣٨١٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩١٤ حديث رقم (١١٩ . ٢٤٦٥) وأحمد في المسند ٥/ ١٣٤.

أُبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. متفق عليه.

٦٢٠٥ ـ (١٠) وعن خبّاب بن الأرتّ،

بالأربعة، أربعة من رهطه وهم الخزرجيون، إذ روي أن جمعاً من المهاجرين أيضاً جمعوا القرآن. (**أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت**) وقد سبق ذكرهم (**وأبو زيد. قيل لأنس: من أبو زيد، قال: أحد عمومتي**) بضم[1] العين أي أحد أعمامي. قال المؤلف: في أسمائه: هو الذي جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ، وقد اختلف في اسمه فقيل سعيد بن عمير، وقيل قيس بن السكن. اهـ. والحاصل أن الذين حفظوا القرآن كله في حياته ﷺ وهم من الأنصار هذه الأربعة، فلا منافاة بينه وبين خبر: استقرئوا القرآن، على أن مفهوم العدد غير معتبر، وعلى أنه لا يلزم من الأخذ بالقرآن منهم أن يكونوا استظهروا القرآن جميعه. هذا وفي شرح مسلم قال المازري: هذا الحديث مما تعلق به بعض الملاحدة في تواتر القرآن، وجوابه من وجهين أحدهما: أنه ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، فيكون المراد الذين علمهم من الأنصار أربعة والمراد نفي علمه لا نفي غيره من القراء. وقد روى مسلم حفظ جماعات من الصحابة في عهد النبي ﷺ، وذكر منهم المازري خمسة عشر صحابياً. وثبت في الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن، وكانت اليمامة قريباً من وفاة النبي ﷺ. فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها، ولم يذكر في هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم في الخير وحرصهم على ما هو دون ذلك من الطاعات، وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى أهل عصرنا يحفظه منهم في كل بلدة ألوف. وثانيهما أنه لو ثبت أنه لم يجمع إلا أربعة لم يقدح في تواتره، إذ ليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه، بل إذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك. قال التوربشتي: المراد من الأربعة أربعة من رهط أنس وهم الخزرجيون. ويحتمل أنه أراد أربعة من الأنصار أوسهم وخزرجهم وهو أشبه. وكان بين الحيين مناوأة قبل الإِسلام بقيت منها بقية من العصبية بعد الإِسلام، فلعله ذكر ذلك على سبيل المفاخرة لما روي عن أنس أنه قال: افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن الكاتب ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته سعد بن معاذ، وقالت الخزرج: منا أربعة قرؤوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يقرأه غيرهم زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب. فقوله: لم يقرأه غيرهم، أي لم يقرأ كله أحد منكم يا معشر الأوس. (**متفق عليه**).

٦٢٠٥ ـ (**وعن خباب**) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى (**ابن الأرت**) بفتح

---

(١) في المخطوطة «بفتح».

الحديث رقم ٦٢٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٢٢٦ حديث رقم ٣٨٩٧. ومسلم في صحيحه =

قال: هاجرنا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ نبتغي وجهَ اللَّهِ تعالى، فوقع أجرُنا على اللَّهِ، فمنَّا من مضى لم يأكلْ من أجرِهِ شيئاً، منهم: مُصعب بن عمير، قُتِلَ يوم أُحُد، فلم يوجد له ما يكفَّنُ فيه إلا نمرة، فكنَّا إذا غطَّينا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه خرج رأسُه، فقال النبي ﷺ: «غطُّوا بها رأسَه، واجْعَلُوا على رجليهِ من الإذخر». ومنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ له ثمرته فهوَ يَهْدِبها.

همز وراء وتشديد فوقية (**قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ نبتغي وجه الله تعالى**) أي رضاه (**فوقع أجرنا على الله**) أي ثبت أجرنا الدنيوي والأخروي عنده سبحانه (**فمنا من مضى**) أي مات (**لم يأكل من أجره**) أي الدنيوي (**شيئاً**) أي من الغنائم ونحوه مما تناولها من أدرك زمن الفتوح، فيكون أجره كاملاً. فالمراد بالأجر ثمرته فليس مقصوراً على أجر الآخرة (**منهم مصعب**) بصيغة المجهول (**ابن عمير**) بالتصغير (**قتل يوم أحد**) أي استشهد (**فلم يوجد له ما يكفن فيه**) بتشديد الفاء المفتوحة (**إلاّ نمرة**) بفتح نون فكسر ميم أي كساء غليظ فيه خطوط بيض وسود (**فكنا إذا غطينا رأسه**) أي بها (**خرجت رجلاه**) أي ظهرتا (**وإذا غطينا رجليه**) أي بها (**خرج رأسه**) أي انكشف فتحيرنا في أمره (**فقال ﷺ: غطوا بها رأسه**) أي لأنه أشرف (**واجعلوا على رجليه من الإذخر**) بكسر الهمز والخاء، وهو نبت معروف. (**ومنا من أينعت**) بهمز مفتوح وسكون تحتية وفتح نون، أي نضجت. (**له ثمرته**) وأدركت وطابت وبلغت أوان الجداد وهو كناية عن حصول بعض المراد، والينع بفتح الياء إدراك الثمار ومنه قوله تعالى: ﴿**أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه**﴾ [الأنعام ـ ٩٩]. وفي النهاية: أينع الثمر يونع وينع وينيع، فهو مونع ويانع إذا أدرك ونضج وأينع أكثر استعمالاً. (**فهو**) أي من أينعت له ثمرته. (**يهدبها**) بفتح الياء وكسر الدال ويضم على ما اقتصر عليه النووي، وحكى ابن التين تثليثها، أي يجتنيها. قال الطيبي: هذه الفقرة قرينة لقوله: فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً. كأنه [قيل]: ومنهم من لم يعجل شيء من ثوابه ومنهم من عجل بعض ثوابه. وقوله: يهدبها، على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية والآتية استحضاراً له في مشاهدة السامع. وفي الحديث: ما من غازية تغرو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم في الآخرة ويبقى لهم الثلث(١). وفيه بيان فضيلة مصعب بن عمير وأنه ممن لم ينقص له من ثواب الآخرة شيء. قال المؤلف: مصعب قرشي عبدري من أجلة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى أرض الحبشة في أول من هاجر إليها ثم شهد بدراً. وكان رسول الله ﷺ بعث مصعباً بعد العقبة الثانية إلى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة، وكان في الجاهلية من أنعم الناس عيشاً وألينهم لباساً. فلما أسلم زهد في الدنيا. وقيل إنه بعثه النبي ﷺ بعد أن بايع العقبة

= ١٩١٦/٤ حديث رقم (١٢٦ . ٢٤٦٨) والترمذي في السنن حديث رقم ٣٨٥٣. وأحمد في المسند ١١٢/٥.

(١) مسلم في صحيحه ١٥١٤/٣ حديث رقم ١٩٠٦.

متفق عليه.

٦٢٠٦ - (١١) وعن جابر، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اهتزَّ العرشُ لموت سعدِ ابنِ معاذ».

وفي رواية: «اهتز عرشُ الرحمنِ لموتِ سعدِ بن معاذ».

الأولى وكان يأتي الأنصار في دورهم ويدعوهم إلى الإسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الإسلام فيهم، فكتب إلى النبي ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له. ثم قدم على النبي ﷺ مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية، فأقام بمكة قليلاً وفيه نزل: ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه**﴾ [الأحزاب - ٢٣]. وكان إسلامه بعد دخول النبي ﷺ دار الأرقم (**متفق عليه**).

٦٢٠٦ - (**وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اهتز العرش**) بتشديد الزاي أي تحرك (**لموت سعد بن معاذ**) وفي رواية: اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ، والمعنى اهتز اهتشاشاً وسروراً بتقلبه[١] من الدار الفانية إلى الدار الباقية، وذلك لأن أرواح السعداء والشهداء مستقرها تحت العرش تأوي إلى[٢] قناديل معلقة هناك. وقيل: اهتز استعظاماً لتلك الواقعة، وقيل اهتز وفرح حملة العرش بقدوم روحه فأقام العرش مقام حامليه. وقيل محمول على ظاهره ويكون اهتزازه إعلاماً للملائكة بوقوع أمر عظيم. وقال النووي: اختلفوا في تأويله فقال طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم روح سعد، وجعل الله في العرش تمييزاً ولا مانع منه كما قال تعالى: ﴿**وإن منها لما يهبط من خشية الله**﴾ [البقرة - ٧٤]. وهذا القول هو المختار. وقال المازري قال بعضهم: وهو على حقيقته لا ينكر، هذا من جهة العقل لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون. وقيل المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف. والمراد بالاهتزاز الاستبشار ومنه قول العرب: فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها. وقال الحربي: هو كناية عن تعظيم شأن وفاته. والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقولون: أظلمت بموت فلان الأرض وقامت له القيامة. وقال جماعة: المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش، وهذا القول باطل ترده الرواية الأخرى، وإنما أولوا هذا التأويل لأنه لم يبلغهم هذه الرواية. قال المؤلف: سعد بن معاذ الأنصاري الأشهلي الأوسي أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية، وأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ودارهم أول دار أسلمت من الأنصار وسماه رسول الله ﷺ سيد الأنصار، وكان مقدماً مطاعاً شريفاً في قومه، وهو من أجلة الصحابة وأكابرهم وخيارهم. شهد بدراً وأحداً وثبت مع النبي ﷺ يومئذ

الحديث رقم ٦٢٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٢٢. حديث رقم ٣٨٠٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩١٥ حديث رقم (١٢٤ - ٢٤٦٦). والترمذي في السنن ٥/ ٦٤٧ حديث رقم ٣٨٤٩. وابن ماجه ١/ ٥٦ حديث رقم ١٥٨ وأحمد في المسند ٣/ ٣١٦.

(١) في المخطوطة «بقلبه». (٢) في المخطوطة «أيها».

متفق عليه.

٦٢٠٧ ـ (١٢) وعن البراءِ، قال: أُهدِيَتْ لرسول الله ﷺ حُلَّةُ حريرٍ، فجعل أصحابه يمسُّونها ويتعجَّبون من لينها، فقال: «أتعجبون من لين هذه؟ لَمناديلُ سعدِ بن معاذ في الجنَّةِ خيرٌ منها وألْيَنُ». متفق عليه.

٦٢٠٨ ـ (١٣) وعن أم سليم، أنها قالت: يا رسول الله! أَنسٌ خادِمُك، ادعُ الله له قال: «اللهمَّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته». قال أنس: فواللّٰهِ إنَّ مالي لكثير،

ورمي يوم الخندق في أكحله فلم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر، وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة، ودفن بالبقيع. روى عنه نفر من الصحابة. **(متفق عليه)** وفي الجامع: اهتز عرش الرحمٰن لموت سعد بن معاذ. رواه أحمد ومسلم عن أنس، ورواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن جابر.

٦٢٠٧ ـ **(وعن البراء قال: أهديت)** بصيغة المجهول **(لرسول الله ﷺ حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها)** أي يلمسونها ويمسحونها **(ويتعجبون من لينها)** أي نعومتها ورقتها **(فقال: أتعجبون من لين هذه،)** أي الحلة **(لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين)** أي المناديل التي يمسح بها سعد يده خير من هذه. والمعنى أن أرفع شيء من هذه لا يقاوم أوضع شيء [من] تلك. قال النووي: المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يحمل في اليد. قال ابن الأعرابي وغيره: هو مشتق من الندل وهو النقل لأنه ينقل من واحد إلى واحد. وقيل هو من الندل وهو الوسخ لأنه يندل به. قال الخطابي: إنما ضرب المثل بالمناديل لأنها ليست من علية الثياب، بل هي تبذل من أنواع المرافق فيمسح بها الأيدي وينفض بها الغبار عن البدن وتغطي ما يهدي في الأطباق، وتتخذ لفافاً للثياب فصار سبيلها سبيل الخادم، وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم. فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بأعلاها. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي.

٦٢٠٨ ـ **(وعن أم سليم)** وهي أم أنس **(أنها قالت: يا رسول الله أنس خادمك أدع الله له قال: اللهم أكثر ماله وولده)** بفتحتين وضم فسكون، أي أولاده **(وبارك له فيما أعطيته)** أي من المال والولد، والبركة زيادة النماء في إفادة النعماء. **(قال أنس: فوالله إن مالي ليكثر)** أي غاية

الحديث رقم ٦٢٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٢٢. حديث رقم ٣٨٠٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩١٦ حديث رقم (١٢٦ ـ ٢٤٦٨) والترمذي في السنن ٥/ ٦٤٦ حديث رقم ٣٨٤٧. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٥ حديث رقم ١٥٧. وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٩.

الحديث رقم ٦٢٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ١٤٤. حديث رقم ٦٣٤٤. وأخرجه مسلم ٤/ ١٩٢٨ حديث رقم (١٤١ ـ ٢٤٨٠). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٠ حديث رقم ٣٨٢٩.

وإن ولدي وولدَ ولدي ليتعادُونَ على نحو المائة اليوم. متفق عليه.

٦٢٠٩ ـ (١٤) وعن سعد بن أبي وقاص، قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على وجه الأرض «إنه من أهل الجنةِ» إلاّ لعبدِ اللَّهِ بن سلام.

الكثرة ونهاية البركة على وفق البغية[1]. **(وإن ولدي)** أي بلا واسطة **(وولد ولدي ليتعادون)** بضم الدال المشددة، أي يزيدون في العدد. **(على نحو المائة اليوم)** أي في هذا الوقت من الحديث. روى أنه قال: رزقت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين، أي ذكوراً إلا بنتين على ما قيل، وإن أرضي لتثمر[2] في السنة مرتين، ذكره ابن حجر في شرح الشمائل. وقال صاحب المشكاة في أسماء رجاله: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي كنيته أبو حمزة قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين. وقيل تسع وتسعون سنة. قال ابن عبد البر وهو أصح. ويقال إنه ولد له مائة ولد، وقيل ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكراً واثنتان أنثى. روى عنه خلق كثير. اهـ. فما ذكره ابن حجر بظاهره يخالف هذا النقل وكذا يخالف ظاهر الحديث لأنه دال على مجموع أولاده وأولادهم يتجاوزون عن المائة، لا أولاد الأولاد والله أعلم بالعباد والمراد. وقال النووي: هذا من أعلام نبوّته ﷺ، وفيه دليل لمن يفضل الغنى على الفقر. وأجيب بأنه يختص بدعاء النبي ﷺ وأنه قد بارك فيه ومتى بارك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير في أداء حق الله. وفيه استحباب أنه إذا دعا بشيء يتعلق بالدنيا ينبغي أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة، وقد ثبت في صحيح البخاري عن أنس أنه دفن من أولاده قبل مقدم الحجاج مائة وعشرين، قلت: وكأنه أراد بأولاده المعنى الأعم الشامل للصلب وغيره، وإلا لذكر أولاد الأولاد أيضاً إذ المقام يقتضيه والله أعلم. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي.

٦٢٠٩ ـ **(وعن سعد بن أبي وقاص قال: [ما] سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض)** صفة مؤكدة لأحد كما في قوله تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض﴾** [الأنعام ـ ٣٨]. لمزيد التعميم والإحاطة. اهـ. وفيه نظر لا يخفى، إذ الحديث ليس من قبيل الآية فإن الدابة ما تدب على الأرض [فتكون الأرض] داخلة في مفهوم الدابة فذكرها يفيد التأكيد، ونظيره رأيته بعيني وسمعته بأذني بخلاف لفظ أحد، فإنه يفيد معنى العموم القابل للتقييد. فقوله: يمشي على وجه الأرض، صفة احترازية ممن كان قبله من العشرة، فكأنه قال: لأحد هو حي الآن على وجه الأرض. **(إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام)** وقال ميرك: يحتمل أن قوله على وجه الأرض صفة مخصصة لأهل الجنة، لكن يرد عليه أنه حين التكلم حي.

---

(١) في المخطوطة «البعيدة». (٢) في المخطوطة «يثمر».

الحديث رقم ٦٢٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/١٢٨. حديث رقم ٣٨١٢ ومسلم في صحيحه ٤/١٩٣٠ حديث رقم (١٤٧ ـ ٢٤٨٣).

متفق عليه.

٦٢١٠ - (١٥) وعن قيس بنِ عُبَاد، قال: كنتُ جالساً في مسجدِ المدينةِ، فدخل رجلٌ على وجهه أثر الخشوعِ، فقالوا: هذا رجلٌ من أهلِ الجنة، فصلَّى ركعتين تجوَّر فيهما، ثمَّ خرَجَ وتبعتُه، فقلت: إنك حين دخلتَ المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنَّة. قال: والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقولَ ما لا يعلم، فسأحدِّثك لمَ ذاك؟

اهـ. وقال النووي: ليس هذا مخالفاً لقوله ﷺ: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة إلى آخر العشرة[1] وغيرهم من المبشرين بالجنة ، فإن سعداً قال: ما سمعت ونفي سماه ذلك لا يدل على نفي البشارة للغير، وإذا اجتمع النفي والإثبات فالإثبات مقدم عليه. اهـ. ويؤيده ما قدمناه ما ذكره الحافظ العسقلاني بأن الحديث استشكل بأنه ﷺ قال لجماعة إنهم من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام، ويبعد أن لا يطلع سعد على ذلك أو ينفي سماع ذلك عن نفسه كراهة تزكية نفسه. فالظاهر أن ذلك بعد موت المبشرين، لأن عبد الله بن سلام عاش بعدهم ولم يتأخر بعده من العشرة غير سعد وسعيد. ويؤخذ ذلك من قوله: يمشي على وجه الأرض. ووقع عند الدارقطني: ما سمعت النبي ﷺ يقول لحي يمشي أنه من أهل الجنة. اهـ. ولا يخفى ما فيه من الغموض على حصول المدعي، اللهم إلا أن يقال إن سعداً لم يذكر نفسه بناء على أن تبشيره بلغه من غيره، وهذا سمعه بنفسه كما يشير إليه صدر الحديث. لكن يبقى الكلام في وجود سعيد حياً، ويمكن دفعه به أيضاً. ويمكن أن يراد بقوله: يمشي، أنه وقع بشارته ﷺ لعبد الله حين كان يمشي على وجه الأرض بمعنى أنه يسير، بخلاف بشارات غيره وبه يزول الإشكال والله أعلم بالأحوال. **(متفق عليه)** ورواه النسائي.

٦٢١٠ - **(وعن قيس بن عباد)** بضم عين وتخفيف موحدة، بصري من الطبقة الأولى من تابعي البصرة، روى عن جماعة من الصحابة. **(قال: كنت جالساً في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع)** أي السكون والوقار والحضور **(فقالوا:)** أي بعض الحاضرين **(هذا رجل من أهل الجنة. فصلى ركعتين)** أي تحية المسجد أو غيرها **(تجوّز)** بتشديد الواو، أي اختصر. **(فيهما)** على ما لا بد منه وخففهما. ففي النهاية: فأتجوّز في صلاتي، أي أخففها وأقللها. **(ثم خرج وتبعته فقلت:)** أي له **(إنك حين دخلت المسجد قالوا: هذا رجل من أهل الجنة. قال: والله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم.)** قال النووي: هذا انكار من عبد الله بن سلام عليهم حيث قطعوا له بالجنة، فيحتمل أن هؤلاء بلغهم خبر سعد بن أبي وقاص أن ابن سلام من أهل الجنة ولم يسمع هو ذلك. ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعاً وإيثاراً للخمول وكراهة للشهرة. قال الطيبي: فعلى هذا الإشارة بقوله: **(فسأحدثك لم ذاك)** وهو بلا

---

(١) راجع حديث رقم ٦١١٨.

الحديث رقم ٦٢١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٢٩. حديث رقم ٣٨١٣. ومسلم ٤/ ١٩٣٠ حديث رقم (١٤٨ . ٢٤٨٤) وأحمد في المسند ٥/ ٤٥٢.

رأيتُ رؤيا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضةٍ - ذكر من سَعَتِها وخضرتها - وَسْطها عمودٌ من حديد، أسفلُه في الأرض وأعلاه في السَّماء. في أعلاه عروة ،فقيل لي: ارقَهْ. فقلت: لا أستطيع، فأتاني مِنصَفٌ فرفع ثيابي من خلفي، فرقِيتُ حتى كنتُ في أعلاه، فأخذتُ بالعروة، فقيل: استمسكْ، فاستيقظتُ وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبيّ ﷺ فقال: «تلك الروضة الإسلام، وذلك العمود [عمود] الإسلام، وتلك العروة العروة الوثقى»

لام إلى إنكاره إياهم، يعني أني أحدثك سبب إنكاري عليهم وهو هذا. (**رأيت رؤيا**) الخ وهذا لا يدل على النص بقطع النبي ﷺ على أني من أهل الجنة كما نص على غيري. ويمكن أن تكون[1] الإشارة بذلك إلى قولهم: هذا رجل من أهل الجنة. يعني لا ينبغي لأحد ممن أدرك النبي ﷺ وصحبه أن يقول بما لا يعلم، فإنهم علموا ذلك وقالوا وأنا أيضاً أقول رأيت رؤيا. (**على عهد رسول الله ﷺ**) أي في زمانه (**فقصصتها عليه ورأيت**) بيان لما قبله (**كأني في روضة ذكر**) أي عبد الله بن سلام (**من سعتها**) بفتح أوّليها (**وخضرتها وسطها**) بالنصب على أنه ظرف وقع خبراً مقدماً لمبتدأ مؤخر، هو قوله: (**عمود من حديد أسفله**) أي أسفل العمود (**في الأرض وأعلاه في السماء**) والجملتان صفتان لعمود (**في أعلاه**) أي العمود (**عروة**) بضم العين أي حلقه. ففي القاموس: العروة من [الدلو] والكوز المقبض، فاستعيرت لما يوثق ويعوّل عليه. (**فقيل لي ارقه**) بفتح القاف وسكون الهاء للسكت، وفي نسخة بضم الهاء على أنه ضمير. ففي القاموس: رقي كرضي صعد. وقال ابن الملك: من رقي يرقى إذا صعد، والهاء للسكت ويجوز أن يعود إلى العمود. (**فقلت: لا أستطيع**) أي الرقي والصعود (**فأتاني منصف**) بكسر الميم وفتح الصاد ذكره النووي وعليه النسخ المعتمدة. وقال القاضي عياض: ويقال بفتح الميم وهو الخادم من نصف نصافة إذا خدم. وفي شرح مسلم قالوا الوصيف الصغير المدرك للخدمة. (**فرفع**) أي المنصف (**ثيابي من خلفي فرقيت**) بكسرالقاف. وقال ميرك: وحكي بفتحها. أقول: وفيه نظر، إذ رقي يرقى كرمى يرمي من الرقية ولا معنى لها ههنا، بل المراد فصعدت. (**حتى كنت في أعلاه**) أي أعلى العمود، وفي نسخة في أعلاها أي أعلى العروة. (**فأخذت**) وفي سخة أخذت (**بالعروة فقيل:**) أي لي[2] (**استمسك**) أي بالغ في المسك بمعنى الأخذ (**فاستيقظت وإنها لفي يدي**) أي أن الاستيقاظ كان حال الأخذ من غير فاصل فلم يرد أنها بقيت في يده حال يقظته، ولو حمل على ظاهره ما امتنع في قدرة الله تعالى، لكن يظهر خلافه. ويحتمل أن يريد أن أثرها بقي في يدي بعد الاستيقاظ كأن يصبح فيرى يده[3] مقبوضة. (**فقصصتها على النبي ﷺ فقال: تلك الروضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام وتلك العروة**) مبتدأ خبره قوله (**الوثقى**) وفي نسخة صحيحة: العروة الوثقى. قال الطيبي:

---

(١) في المخطوطة «تكون».
(٢) في المخطوطة «لي أي».
(٣) في المخطوطة «يدي».

فأنت على الإِسلام حتى تموتَ، وذلك الرجلُ عبد الله بن سلام». متفق عليه.

٦٢١١ - (١٦) وعن أنس، قال: كانت ثابتُ بنُ قيس بنِ شمَّاسٍ خطيبَ الأنصار، فلما نزلت: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ إلى آخر الآية جلس ثابتٌ في بيته، واحتبسَ عن النبي ﷺ، فسأل النبيُّ ﷺ سعدَ بن معاذ فقال: «ما شأنُ ثابت؟ أيشتكي؟» فأتاه سعدٌ، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعِكم صوتاً على رسولِ الله ﷺ، فأنا من أهلِ النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة». رواه مسلم.

الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انقطاعها. (**فأنت على الإسلام حتى تموت**) اهـ. كلامه ﷺ. (**فقال قيس: وذلك الرجل عبد الله بن سلام**) ولا يبعد أن يكون من قول عبد الله بن سلام بأن يخير عن نفسه. (**متفق عليه**).

٦٢١١ - (**وعن أنس قال: قال كان ثابت بن قيس بن شماس**) بتشديد الميم (**خطيب الأنصار**) أي فصيحهم أي في النثر كما يقال الشاعر في النظم. قال المؤلف: خزرجي شهد له النبي ﷺ وكان خطيب رسول الله ﷺ وخطيب الأنصار. واستشهد يوم اليمامة مع مسيلمة الكذاب سنة اثنتي عشرة. وروى عنه أنس بن مالك وغيره. (**فلما نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ إلى آخر الآية.**)[1] وهو قوله: ولا ﴿**تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون**﴾ [الحجرات - ٢]. (**جلس ثابت في بيته واحتبس**) أي نفسه (**عن النبي ﷺ. فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ**) استشكل بأن الآية المذكورة نزلت سنة تسع وسعد بن معاذ مات قبل ذلك سنة خمس، وأجيب بأن ما نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت لا أوّل السوره وهو: ﴿**لا تقدموا بين يدي الله**﴾ [الحجرات - ١]. (**فقال:**) أي النبي ﷺ لسعد حيث كان رئيسهم (**ما شأن ثابت**) أي حيث إنه غير ثابت معنا (**أيشتكي**) أي مرضاً أو وجعاً، فكأنه تحير في الجواب ولم يعرف طريق الصواب (**فأتاه**) أي ثابتاً سعد (**فذكر**) أي سعد (**له**) أي لثابت (**قول رسول الله ﷺ**) أي في تفقده (**فقال ثابت: أنزلت هذه الآية**) أي المتقدمة (**ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ**) أي بحسب الجبلة (**فأنا من أهل النار**) ولم يعرف أن المراد به رفع صوت يكون اختيارياً يقتضي قلة الأدب (**فذكر ذلك**) أي تعليل ثابت (**سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: بل هو من أهل الجنة**) أي حيث بالغ في الأدب حتى لم يجوز رفع الصوت الجبلي أيضاً، ووقع مصداق ذلك أنه قتل باليمامة شهيداً. وقد نقل الكوراني عن أنس: لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط وليس الكفن فقاتل حتى قتل في كفنه (**رواه مسلم**) والنسائي.

الحديث رقم ٦٢١١: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١١٠ حديث رقم (١٨٧ . ١١٩).

(١) الحجرات . آية رقم ٢.

٦٢١٢ ـ (١٧) وعن أبي هريرة، قال: كنّا جلوساً عندَ النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة، فلما نزلت ﴿وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم﴾ قالوا: من هؤلاءِ يا رسول الله؟ قال: وفينا سلمانُ الفارسي، قال: فوضَعَ النبيُّ ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإِيمان عند الثريَّا لَنَالَهُ رجالٌ من هؤلاء». متفق عليه.

٦٢١٢ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوساً)** أي جالسين **(عند النبي ﷺ إذ نزلت سورة الجمعة)** بضم الجيم والميم ويسكن **(فلما نزلت: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾)**[١] قال الطيبي: هذا على أن يكون آخرين عطفاً على الأميين، يعني أنه تعالى بعثه في الأميين الذين[٢] على عهده، وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم، وهم بعد الصحابة رضي الله عنهم. **(قالوا: من هؤلاء)** أي وآخرين منهم **(يا رسول الله. قال:)** أي أبو هريرة **(وفينا سلمان الفارسي)** بكسر الراء ويسكن **(قال:)** أي أبو هريرة **(فوضع النبي ﷺ يده على سلمان)** أي على كتفه **(ثم قال: لو كان الإِيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء)** قال الطيبي: جمع اسم الإِشارة والمشار إليه سلمان وحده إرادة للجنس، ويحتمل أن يراد بهم العجم كلهم لوقوعه مقابلاً للأميين وهم العرب، وأن يراد به أهل فارس. ولو ههنا بمعنى أن لمجرد الفرض والتقدير على سبيل المبالغة. قال المؤلف: سلمان الفارسي، يكنى أبا عبد الله مولى رسول الله ﷺ وكان أصله من فارس من رامهرمز، ويقال: بل كان أصله من أصفهان من قرية يقال لها حيّ. سافر يطلب الدين، فدان[٣] أوّلاً بدين النصرانية وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات متتالية، فأخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود، ثم إنه كوتب فأعانه رسول الله ﷺ في كتابته. ويقال إنه تداوله بضعة عشر سيداً حتى أفضى إلى النبي ﷺ، وأسلم لما قدم النبي ﷺ إلى المدينة. وقال: «سلمان منا أهل البيت[٤] وهو أحد الذين اشتاقت إليهم الجنة»، وكان من المعمرين. قيل عاش مائتين وخمسين سنة، وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة والأوّل أصح. وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه، ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة وأثنى عليه النبي ﷺ ومدحه في كثير من الأحاديث. ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين. روى عنه أنس وأبو هريرة وغيرهما. **(متفق عليه)** وفي الجامع: لو كان الإِيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس. رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة[٥]، ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة أيضاً ولفظه: لو كان العلم معلقاً بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس[٦].

الحديث رقم ٦٢١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٤١. حديث رقم ٤٨٩٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٧٢ حديث رقم (٢٣١ ـ ٢٥٤٦). والترمذي في السنن ٥/ ٣٥٨ حديث رقم ٣٢٦١.

(١) سورة الجمعة ـ آية رقم ١٣.
(٢) في المخطوطة «الذي».
(٣) في المخطوطة «فدين».
(٤) الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٩٨.
(٥) الجامع الصغير ٢/ ٤٥٧ حديث رقم ٧٤٥٩.
(٦) حلية الأولياء ٦/ ٦٤.

٦٢١٣ ـ (١٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حبّب عُبيدك هذا». يعني أبا هريرة «وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبّب إليهم المؤمنين». رواه مسلم.

٦٢١٤ ـ (١٩) وعن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان أتى على سلمانَ وصهيبٍ وبلالٍ في نفر، فقالوا: ما أَخذتْ سيوفُ الله من عنق عدوِّ الله مأْخذَها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخِ قريشٍ وسيّدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلَّكَ أغضبتَهم، لئن كنتَ أغضبتهم

٦٢١٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم حبب عبيدك)** بالتصغير للشفقة **(هذا)** أي المشار إليه **(يعني أبا هريرة)** تفسير منه أو من غيره مدرج فيه معترضة **(وأمه)** عطف على عبيدك **(إلى عبادك المؤمنين)** متعلق بحبب **(وحبب إليهم)** وفي نسخة: إليهما. **(المؤمنين)** قال ميرك: كذا وقع بضمير الجمع في أصل سماعنا من المشكاة وهو الموافق لأصل السماع من صحيح مسلم وأكثر النسخ الحاضرة منه، وتوجيهه باعتبار أن أقل الجمع اثنان أو باعتبار أهلهما وأولادهما والمنتسبين إليهما ليكون أشمل والله أعلم. اهـ. ويمكن أن يقال نزلاً منزلة الجماعة تعظيماً لهما كما ينزل الواحد أيضاً منزلة جمع. **(رواه مسلم)**.

٦٢١٤ ـ **(وعن عائذ بن عمرو)** بالواو وهو اسم فاعل من العوذ بمعنى اللوذ. قال المؤلف: هو مدني من أصحاب الشجرة سكن البصرة وحديثه في البصريين، روى عنه جماعة. **(أن أبا سفيان)** أي ابن حرب **(أتى)** أي مر **(على سلمان وصهيب)** بالتصغير **(وبلال في نفر)** أي وعلى بلال مع جمع. قال النووي: هذا الإتيان كان لأبي سفيان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية. **(فقالوا:)** أي سلمان وأصحابه **(ما أخذت سيوف الله من عنق عدوّ الله)** يعنون أبا سفيان **(مأخذها)** بفتح الخاء [المعجمة] أي حقها. وفي نسخة صحيحة وهي أصل السيد: مآخذها بهمزة ممدودة وكسر خاء، على أنه جمع. روعي فيه مقابلة الجمع لسيوف. قال الطيبي: ما نافية، وأما مأخذها فقيل مفعول به، وقيل مفعول فيه. ويجوز أن يكون مصدراً والكلام إخبار فيه معنى الاستفهام المتضمن للاستبطاء، يعني لم تستوف [السيوف] حقها من حقه. واستعار الأخذ للسيف تشبيهاً له بمن له حق على صاحبه، وهو يلزمه ويطالبه، والغريم يمتنع عن ايفاء حقه ويماطله. **(فقال أبو بكر:)** أي لهم **(أتقولون هذا لشيخ قرشي)** أي لكبيرهم **(وسيدهم)** أي رئيسهم **(فأتى)** أي أبو بكر **(النبي ﷺ فأخبره)** أي بخبرهم وخبره **(فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم)** لعل ههنا للإشفاق نحو قوله تعالى: **﴿فلعلك باخع نفسك﴾** [الكهف ـ ٦]. وقوله ﷺ: لعلي لا أعيش بعد عامي هذا. **(لئن كنت أغضبتهم)** حيث إنهم مؤمنون

الحديث رقم ٦٢١٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٣٨ حديث رقم (١٥٨ . ٢٤٩١). وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٠.

الحديث رقم ٦٢١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٤٧. حديث رقم (١٧٠ . ٢٥٠٤) وأحمد في المسند ٥/ ٦٤.

لقد أغضبتَ ربَّك» فأتاهم، فقال: يا إِخوتاه! أغضبتُكم. قالوا: لا، يغفِرُ اللَّهُ لك يا أُخيَّ. رواه مسلم.

٦٢١٥ ـ (٢٠) وعن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: «آية الإِيمان حبُّ الأنصار، وآية النِّفاقِ بغضُ الأنصار».

محبون محبوبون لله تعالى (لقد أغضبت ربك) أي حيث راعيت جانب الكافر بربه (فأتاهم) أي أبو بكر (فقال: يا أخوتاه) بالهاء الساكنة (أغضبتكم) أي فاعفوا عني. والأظهر أن الإستفهام مقدر، أي أغضبتكم. (قالوا: لا) أي لا حرج عليك أو لا غضب لنا بالنسبة إليك. (يغفر الله لك) جملة دعائية. قال الطيبي: يجب أن يوقف على لا، ولو زادوا واواً كما في جواب اليزيدي عن سؤال المأمون: لا وجعلني الله فداك، لحسن موقعه. وقوله: (يا أخي) الظاهر أن يقال: يا أخانا، ولعله حكاية قول كل واحد واحد. قال النووي: ضبطوه بضم الهمزة على التصغير وهو تصغير تحبيب، وفي بعض النسخ بفتحها. اهـ. وفي نسخة السيد جمال الدين وكثير من الأصول المعتمدة، بالتصغير وفتح الياء. وفي بعض النسخ بكسرها. وقد قرىء بهما في: ﴿يا بني﴾ [هود ـ ٤٢، يوسف ـ ٥، لقمان ـ ١٣ ـ ١٦ ـ ١٧، الصافات ـ ١٠٢]، وفي نسخة بفتح الهمزة وسكون الياء ويجوز فتحها. هذا وقال المؤلف: صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التميمي، يكنى أبا يحيى كانت منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات، فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير، فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة، فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام معه إلى أن هلك. ويقال إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم وقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان وأسلم قديماً بمكة. يقال إنه أسلم وعمار بن ياسر في يوم واحد، ورسول الله ﷺ بدار الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلاً. وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة، ثم هاجر إلى المدينة وفيه نزل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقرة ـ ٢٠٧]. روى عنه جماعة، مات سنة ثمانين بالمدينة وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع. وأما أبو سفيان فتأتي ترجمته في منقبته. (رواه مسلم).

٦٢١٥ ـ (وعن أنس عن النبي ﷺ قال: آية الإِيمان) أي علامة كماله (حب الأنصار) قال ابن التين المراد حب[1] جميعهم، لأن ذلك إنما يكون للدين فمن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض به، فليس داخلاً في ذلك وهو تقرير حسن. (وآية النفاق بغض الأنصار) وضع الظاهر موضع المضمر اهتماماً بشأنهم وإشعاراً بالعلة في حبهم وبغضهم، وهو جمع ناصر أو نصير واللام للعهد. والمراد أنصار رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، وكانوا يعرفون قبل الإِسلام بأبناء قيلة وهي الأم التي تجمع القبيلتين، فسماهم النبي ﷺ الأنصار فصار علماً لهم، ونزل

الحديث رقم ٦٢١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٣. حديث رقم ٣٧٨٤. ومسلم في صحيحه ١/ ٨٥ حديث رقم (١٢٨ ـ ٧٤) وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٦٩ حديث رقم ٣٩٠٠. وأخرجه النسائي ٨/ ١١٦ حديث رقم ٥٠١٩. وأحمد في المسند ٣/ ٧٠.

(١) في المخطوطة «الموجب».

متفق عليه.

٦٢١٦ ـ (٢١) وعن البراءِ، قال: قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الأنصار لا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ، فمن أحبّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله». متفق عليه.

٦٢١٧ ـ (٢٢) وعن أنس، قال: إنَّ ناساً من الأنصار قالوا حينَ أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاءَ، فطفِقَ يُعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل،

القرآن بمدحهم[١]، وقد أطلق على أولادهم وحلفائهم ومواليهم. وإنما فازوا بهذه المنقبة لأجل إيوائهم النبي ﷺ ونصرته حيث تبوّؤوا الدار والإيمان وجعلوه مستقراً ومتوطناً لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك فكان ذلك موجباً لمعاداة العرب والعجم، فأفضى ذلك إلى الحسد وهو يجر إلى البغض، فلذا جاء الترهيب عن بغضهم والترغيب في حبهم، فمن أحبهم فذلك من كمال إيمانه ومن أبغضهم فذلك من علامة نفاقه ونقصان ايقانه. (**متفق عليه**) ورواه أحمد والنسائي وكذا ابن ماجه عنه لكن لفظه: حب الأنصار آية الإيمان وبغض الأنصار آية النفاق.

٦٢١٦ ـ (**وعن البراء**) أي ابن عازب (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن**) أي كامل (**ولا يبغضهم إلاّ منافق**) أي حقيقي أو مجازي وهو الفاسق الشبيه بالمنافق. (**فمن أحبهم**) أي لله (**أحبه الله، ومن أبغضهم**) أي بغير سبب شرعي بالنسبة إلى بعض أفرادهم (**أبغضه الله. متفق عليه**).

٦٢١٧ ـ (**وعن أنس قال: إن ناساً**) أي جمعاً (**من الأنصار قالوا حين أفاء الله على رسوله**) أي أعطاه فيئاً أي غنيمة (**من أموال هوازن**) وهي قبيلة شهيرة (**ما أفاء**) أي شيئاً أفاءه عليه (**فطفق**) أي فأخذ وشرع (**رسول الله ﷺ وهو بالجعرانة**) حين مرجعه من الطائف[٢] (**يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل**) ومن جملتهم أبو سفيان والد معاوية، وكان إعطاؤه تألفاً لهم

---

(١) قال الله تعالى: ﴿**والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرن على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾ [الحشر ـ ٩].

الحديث رقم ٦٢١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٣. حديث رقم ٣٧٨٣. ومسلم في صحيحه ١/ ٨٥ حديث رقم (١٢٩ ـ ٧٥) وابن ماجه في السنن ١/ ٥٧ حديث رقم ١٦٣. وأحمد في المسند ٤/ ٩٦.

الحديث رقم ٦٢١٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٥٠. حديث رقم ٣١٤٧. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٣٣ حديث رقم (١٣٢ ـ ١٠٥٩). وأحمد في المسند ٣/ ١٦٦.

(٢) الأصح أنه نزل به بعد عودته من غزوة حنين. «والجعرانة» موقع شمال شرقي مكة في صدر وادي شرف.

فقالوا: يغفرُ الله لرسولِ اللّهِ ﷺ يعطي قريشاً ويدَعُنا وسيوفُنا تقطُر من دمائهم! فحدّث لرسول اللّهِ ﷺ بمقالتهم، فأرسلَ إِلى الأنصارِ فجمعهم في قُبَّة من أَدَم ولم يَدَعْ معهم أحداً غيرَهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسولُ الله ﷺ فقال: «ما حديثٌ بلغني عنكم؟». فقال فقهاؤهم: أمَّا ذَوُوا رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً، وأما أُناسٌ منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفرُ الله لرسول الله ﷺ يُعطي قريشاً ويَدَعُ الأنصارَ، وسيوفُنا تقطرُ من دمائهم. فقال رسول الله ﷺ: «إني أُعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألَّفُهم، أَما ترْضَوْنَ أن يذهبَ الناسُ بالأموالِ وترجعون إِلى رحالكم برسول الله ﷺ؟» قالوا: بَلى يا رسول الله، قد رضينا.

بالإسلام. ولذا كان يعطي الصادقين من المهاجرين، والأنصار أقل من المائة. **(فقالوا:)** أي ناس من الأنصار زعماً منهم أنه ﷺ يراعي بعض قومه من قريش **(يغفر الله لرسول الله ﷺ، يعطي قريشاً)** أي شيئاً كثيراً **(ويدعنا)** أي يتركنا في إعطاء الكثير **(وسيوفنا تقطر)** بضم الطاء أي والحال أن سيوفنا نحن معاشر الأنصار تنقط **(من دمائهم)** أي من دماء كفار قريش بمحاربتنا إياهم حتى يسلموا. قال الطيبي: قولهم يغفر الله، توطئة وتمهيد لما يرد بعده من العتاب كقوله تعالى: ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم**﴾ [التوبة ـ ٤٣]، وقولهم: وسيوفنا تقطر من دمائهم. من باب قول العرب: عرضت الناقة على الحوض. اهـ. ولا يبعد أن يكون التقدير: وسيوفنا، باعتبار ما عليها تقطر من دمائهم. وهو إشعار بقرب قتلهم كفار قريش، وإيماء إلى أنهم أولى بزيادة البر، فالجملة حال مقررة لجهة الإشكال. **(فحدث)** بضم حاء وتشديد دال مكسورة، أي فحكي **(لرسول الله ﷺ بمقالتهم)** أي بقول ذلك البعض من الأنصار **(فأرسل)** أي الرسول رسولاً **(إلى الأنصار فجمعهم)** أي الرسول أو أمر بجمعهم **(رسول الله ﷺ في قبة)** أي خيمة **(من أدم)** بفتحتين أي جلد **(ولم يدع)** بسكون الدال وضم العين، أي لم يطلب. وفي نسخة بفتح الدال وسكون العين، أي لم يترك معهم **(أحداً غيرهم. فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: ما حديث)** أي أيّ شيء خير عظيم **(بلغني عنكم. فقال فقهاؤهم:)** أي علماؤهم أو عقلاؤهم **(أما ذوو رأينا)** أي أصحاب عقولنا وفهومنا **(يا رسول الله ﷺ فلم يقولوا شيئاً،)** أي من هذا الباب **(وأما أناس)** بضم الهمز لغة في ناس أي جماعة **(منا حديثة)** أي جديدة **(أسنانهم)** جمع السن بمعنى العمر، والمراد منهم الشبان. **(قالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويدع الأنصار)** أي يتركهم **(وسيوفنا تقطر من دمائهم. فقال رسول الله ﷺ: إني أعطي)** أي من هذا المال **(رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم)** أي أطلب إلفتهم بالإسلام باعطاء المال، لا لكونهم من قريش أو لغرض آخر من الأحوال. **(أما ترضون أن يذهب الناس)** أي غيركم من المتألفة قلوبهم **(بالأموال وترجعون إلى رحالكم)** بكسر الراء، أي منازلكم في المدينة. **(برسول الله)** وفي نسخة: ﷺ. **(قالوا: بلى يا رسول الله قد رضينا)** فيه تأكيد لما فهم من بلى، وما أحسن من قال من أرباب الذوق والحال:

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللأعداء مال
فإن المال يفنى عن قريب * وإن العلم يبقى لا يزال

متفق عليه.

٦٢١٨ ـ (٢٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لولا الهجرةُ لكنتُ امرءاً من الأنصار، ولو سَلَكَ الناسُ وادياً وسلكَت الأنصارُ وادياً أو شِعْباً لسلكتُ وادي الأنصار وشِعَبها، الأنصارُ شِعارٌ،

(متفق عليه).

٦٢١٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار)** في شرح السنة: ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادي لأنه حرام، مع أن نسبه ﷺ أفضل الأنساب وأكرمها، وإنما أراد به النسب البلادي، ومعناه لولا الهجرة من الدين ونسبتها دينية لا يسعني تركها لأنها عبادة كنت مأموراً بها، لانتسبت إلى داركم ولانتقلت عن هذا الاسم إليكم. وقيل: أراد ﷺ بهذا الكلام إكرام الأنصار والتعريض بأن لا رتبة بعد الهجرة أعلى من النصرة، وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغاً، لولا أنه ﷺ من المهاجرين إلى المدينة لعد نفسه من الأنصار لكرامتهم عند الله تعالى. وتلخيصه: لولا فضلي على الأنصار بسبب الهجرة لكنت واحداً منهم، وهذا تواضع منه ﷺ وحث للناس على إكرامهم واحترامهم، لكن لا يبلغون درجة المهاجرين السابقين الذين أخرجوا من ديارهم وقطعوا عن أقاربهم وأحبابهم وحرموا أوطانهم وأموالهم، وهم رضي الله عنهم ما نالوا ذلك بآلة لأجل رضا الله ورسوله وإعلاء لدين الله وسنة رسوله. والأنصار وإن اتصفوا بصفة النصرة والإيثار والمحبة والإيواء ولكنهم مقيمون في مواطنهم ساكنون مع أقاربهم وأحبابهم، وحسبك شاهداً في فضل المهاجرين قوله هذا لأن فيه إشارة إلى جلالة رتبة الهجرة فلا يتركها نبي مهاجري لأنصاري. **(ولو سلك الناس وادياً)** أي طريقاً حسياً أو معنوياً **(وسلكت الأنصار وادياً)** أي سبيلاً آخراً **(أو شعباً)** [بكسر] فسكون، شك من الراوي إذ مآلهما واحد. **(لسلكت وادي الأنصار أو شعبها)** أي شعب جماعة الأنصار وتركت سلوك وادي سائر الناس. قال الخطابي: أراد أن أرض الحجاز كثيرة الأودية والشعاب فإذا ضاق الطريق عن الجميع فسلك رئيس شعباً اتبعه قومه حتى يفضوا إلى الجادة، وفيه وجه آخر وهو أنه أراد بالوادي الرأي والمذهب كما يقال: فلان في واد وأنا في واد. وقيل: أراد ﷺ بذلك حسن موافقته إياهم وترجيحهم في ذلك على غيرهم لما شاهد منهم حسن الوفاء بالعهد وحسن الجوار، وما أراد بذلك وجوب متابعته إياهم فإن متابعته حق على كل مؤمن، لأنه ﷺ هو المتبوع المطاع لا التابع المطيع. **(الأنصار شعار)** بكسر أوله ويفتح وهو الثوب الذي يلي شعر البدن. **(والناس دثار)** بكسر الدال وهو الثوب فوق الشعار. شبه الأنصار بالشعار لرسوخ صداقتهم وخلوص مودتهم. والمعنى أنهم أقرب الناس

الحديث رقم ٦٢١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٤٧. حديث رقم ٤٣٣٠. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٣٨ حديث رقم (١٣٥ ـ ١٠٦١) وأخرجه الترمذي ٥/٦٦٩ حديث رقم ٣٨٩٩ وابن ماجه ١/٥٨ حديث رقم ١٦٤. والدارمي في السنن ٢/٣١٣ حديث رقم ٢٥١٤ وأحمد في المسند ٣/٥٧.

والناس دِثارٌ، إنكم سترون بعدي أَثَرَةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض». رواه البخاري.

٦٢١٩ ـ (٢٤) وعنه، قال: كنّا معَ رسولِ اللّهِ ﷺ يوم الفتح فقال: «من دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السّلاحَ فهو آمن». فقالت الأنصار: أمّا الرجلُ فقد أخذَتْه رأفةٌ بعشيرته ورغبةٌ في قريته. ونزل الوحي على رسول الله ﷺ [قال]: «قلتم: أما الرجلُ فقد أخذته رأفةٌ بعشيرته ورغبة في قريته؛ كلاّ إني عبدُ اللّهِ ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم،

إليّ مرتبة وأولاهم مني منزلة. (إنكم) التفات إليهم متضمن للترحم عليهم. (سترون بعدي أثرة) بفتحتين وبضم فسكون، أي استئثاراً. (يستأثر عليكم أمراؤكم) بأمور الدنيا من المغانم والفيء ونحوهما، ويفضل عليكم غيره نفسه أو من هو أدناكم. (فاصبروا) أي على ذلك الاستئثار (حتى تلقوني على الحوض) أي فحينئذ يحصل جبر خاطركم المتعطش إلى لقائي بسقيكم شربة لا تظمؤون بعدها أبداً (رواه البخاري).

٦٢١٩ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح) أي فتح مكة (فقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) أي ذو أمن، والأمن ضد الخوف. وقيل أي مأمون. قال الطيبي: إنما قال ﷺ ذلك حين أسلم أبو سفيان، وقال العباس لرسول الله ﷺ: هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قال المؤلف: هو أبو سفيان بن صخر بن حرب الأموي القرشي والد معاوية، ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من أشراف قريش في الجاهلية، وكان انتهى إليه راية الرؤساء في قريش. أسلم يوم فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنيناً وأعطاه النبي ﷺ مائة بعير وأربعين أوقية فيمن أعطاه من المؤلفة قلوبهم، وفقئت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك فأصاب عينه الأخرى حجر فعميت. روى عنه عبد الله بن عباس، مات سنة أربع وثلاثين بالمدينة ودفن بالبقيع. (ومن ألقى السلاح) أي آلة الحرب (فهو آمن. فقالت الأنصار:) أي بعضهم (أمّا الرجل) أي النبي ﷺ (فقد أخذته رأفة) أي شدة رحمة (بعشيرته) أي قبيلته (ورغبة) أي محبة (في قريته) أي في أهل بلدته، أو بالسكون في قريته. (ونزل الوحي على رسول الله ﷺ) أي بما قالوا (قال: قلتم أمّا الرجل أخذته) وفي نسخة صحيحة: فقد أخذته. (رأفة بعشيرته ورغبة في قريته، كلا) ردع، أي ليس الأمر كما توهمتم من إقامتي بمكة لأن هجرتي إلى المدينة كانت خالصة لله، كما بينه بقوله: (إني عبد الله ورسوله) أي كوني على هذه الصفة يقتضي أن لا أعود إلى دار تركتها لله، وأن لا أرغب في بلدة هاجرت منها إلى الله. (هاجرت إلى الله) أي إلى ثوابه أو مأموره (وإليكم) أي وإلى دياركم لميلكم إلي وإلى المهاجرين إليكم كما قال تعالى: ﴿والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾ [الحشر ـ ٩]. وخلاصته أن القصد في

الحديث رقم ٦٢١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٧ حديث رقم (٨٦. ١٧٨٠).

المحيا محياكم، والممات مماتكم» قالوا: والله ما قلنا إلاَّ ضناً بالله ورسوله. قال: «فإنَّ اللّهَ ورسولَه يصدِّقانِكم وَيعْذرانِكم». رواه مسلم.

٦٢٢٠ ـ (٢٥) وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى صبياناً ونساءً مقبلين من عُرس، فقام النبيُّ ﷺ فقال: «اللهمَّ أنتم من أحبِّ الناس إليَّ، اللهمَّ أنتم من أحبِّ الناسِ إليَّ». يعني الأنصار. متفق عليه.

٦٢٢١ ـ (٢٦) وعنه، قال: مرَّ أبو بكرٍ والعبَّاسُ بمجلسٍ من

الهجرة كان إلى الله، وأن التهاجر كان من دار قومي إلى داركم. **(المحيا)** أي محياي **(محياكم والممات)** أي مماتي **(مماتكم)** والمعنى ما حييت أحيى في بلادكم كما تحيون فيها وإذا توفيت توفيت في بلادكم كما تتوفون، لا أفارقكم حياً ولا ميتاً. **(قالوا:)** أي الأنصار **(والله ما قلنا)** أي ما قلناه **(إلا ضناً)** بكسر الضاد المعجمة وتشديد النون، أي شحاً وبخلاً **(بالله ورسوله)** أي من شرف الجوار والصحبة، واسم الله للتحسين والتزيين. وقال الطيبي: يريدون ما قلنا ذلك إلا ضنة بما آتانا الله من كرامته خشية أن يفوتنا فيناله غيرنا، وشحاً برسوله ﷺ أن ينتقل من بلدتنا إلى بلدته انتهى. وتوضيحه أنهم عنوا أن الآدمي مجبول على حب الأقارب والأوطان فخشينا أن تميل عنا إليهم فحركناك بهذا الكلام وجربناك ليتبين لنا المرام، فلا يرد أنهم كيف قالوا ذلك مع قوله تعالى: ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾ [النور ـ ٦٣]. على ما أورده الطيبي [رحمه الله] **(قال: فإن الله ورسوله يصدقانكم)** أي في إخباركم عن أخباركم **(ويعذرانكم)** بفتح أوله ويضم، أي يقبلان ما ذكرتم من اعتذاركم فيما قلتم من دعوى الضنة. وفيه دلالة على جواز البخل بالعلماء والصلحاء وعدم الرضا بمفارقتهم. **(رواه مسلم)**.

٦٢٢٠ ـ **(وعن أنس أن النبي ﷺ رأى صبياناً ونساء مقبلين)** أي راجعين **(من عرس)** وهو بضم العين طعام الوليمة ذكره ابن الملك. والأظهر ما في القاموس: العرس الإقامة في الفرح، [ويضم] وبالضم، وبضمتين طعام الوليمة والوليمة طعام العرس، أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها. **(فقام النبي ﷺ)** أي عن طريقهم أو إلى لقيهم **(فقال: اللهم)**فيه التفات، والتقدير: اللهم أنت تعلم صدقي فيما أقول في حق الأنصار. ثم خاطبهم بقوله: **(أنتم من أحب الناس إلي [اللهم أنتم من أحب الناس إلي، اللهم أنتم من أحب الناس إلي]**) كرره للتأكيد. وفي الخطاب التفات وتغليب للصبيان على النساء أو للغائبين على الحاضرين. ويؤيده قول الراوي يعني الأنصار، أي يريد النبي ﷺ بقوله أنتم طائفة الأنصار. **(متفق عليه)**.

٦٢٢١ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: مر أبو بكر)** أي الصديق **(والعباس بمجلس من**

الحديث رقم ٦٢٢٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٣. حديث رقم ٣٧٨٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٨. حديث رقم (١٧٤ ـ ٢٥٠٨).

الحديث رقم ٦٢٢١: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٢٠. حديث رقم ٣٧٩٩. وأخرجه مسلم في=

مجالس الأنصارِ وهم يبكون. فقالا: ما يُبْكيكم؟ فقالوا ذكرنا مجلسَ النبيِّ ﷺ منّا، فدخل أحدُهما على النبيِّ ﷺ، فأخبره بذلك، فخرج النبيُّ ﷺ وقد عصَّبَ على رأسه حاشيةُ بُرْدٍ، فصَعِدَ المنبر ولم يَصْعَد بعدَ ذلك اليومِ. فحمد اللَّهَ تعالى وأثنى عليه. ثم قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كِرْشيَّ وعَيْبَتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فأقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم». رواه البخاري.

مجالس الأنصار وهم) أي والحال أن أهل ذلك المجلس (**يبكون**) أي في أيام مرضه ﷺ (**فقالا: ما يبكيكم. قالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ**) يعنون نخاف فوته إن قدر الله موته (**فدخل أحدهما**) روي أنه العباس (**على النبي ﷺ فأخبره بذلك**) أي بما ذكر من بكائهم وسبب عنائهم (**فخرج النبي ﷺ وقد عصب**) بتشديد الصاد، أي ربط وشد. (**على رأسه حاشية برد**) أي على هيئة عصابة لدفع وجع رأسه من الشدة (**فصعد**) بكسر العين، أي طلع. (**المنبر، ولم يصعد بعد ذلك اليوم. فحمد الله**) أي شكره على ما أنعم (**وأثنى عليه**) أي بالوجه الأتم (**ثم قال: أوصيكم**) أي أيها الناس أو المهاجرون (**بالأنصار**) أي برعايتهم وحمايتهم (**فإنهم كرشي**) بفتح فكسر، وفي نسخة بكسر فسكون، أي بطانتي. (**وعيبتي**) بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة، أي وخاصتي كذا ذكره الزركشي. وفي القاموس الكرش بالكسر وككتف[1]، لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان مؤنثة وعيال الرجل وصغار ولده والجماعة. وفي النهاية: أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته، أو أراد الجماعة أي جماعتي وأصحابي. وفي المصباح أي أنهم في المحبة والرأفة بمنزلة الأولاد الصغار، لأن الإنسان مجبول على محبة ولده الصغير. قال التوربشتي: الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان، والعرب تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن، والبطن مستودع مكتوم السر، والعيبة مستودع مكنون المتاع. والأول أمر باطن والثاني أمر ظاهر، فيحتمل أنه ضرب المثل بهما إرادة اختصاصهم به في أموره الظاهرة والباطنة. وفي شرح السنة: عيبتي، أي خاصتي وهو موضع سري، والعرب تكني عن القلب والصدر بالعيبة لأنهما مستودع السرائر، كما أن العياب مستودع الثياب. (**وقد قضوا**) أي أدى الأنصار (**الذي عليهم**) أي من الوفاء بما وقع لهم من المبايعة ليلة العقبة، فإنهم بايعوا على أنهم ينصرون النبي ﷺ ولهم الجنة فوفوا بذلك، ذكره العسقلاني. (**وبقي الذي لهم**) أي من الأجر والثواب عند الله تعالى (**فأقبلوا من محسنهم**) أي إن أتوا بعذر فيما صدر عنهم (**وتجاوزوا عن مسيئهم**) أي إن عجزوا عن عذر (**رواه البخاري**).

= صحيحه ٤/١٩٤٩ حديث رقم (١٧٦ . ٢٥١٠). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٦١٧ حديث رقم ٣٩٠٤ وأحمد في المسند ٣/١٨٨.

(١) في المخطوطة «تكنف».

٦٢٢٢ ـ (٢٧) وعن ابن عبَّاس، قال: خرج النبيُّ ﷺ في مرَضه الذي ماتَ فيه حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الناسَ يَكثرون ويَقلُّ الأنصار، حتى يكونوا في الناسِ بمنزلة الملح في الطعامِ، فمن وَلِيَ منكم شيئاً يَضُرُّ فيه قوماً وينفع فيه آخرين فَلْيقبلْ من مُحسِنهم وليتجاوزْ عن مُسيئهم». رواه البخاري.

٦٢٢٣ ـ (٢٨) وعن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اغفرْ للأنصار ولأبناء الأنصارِ، وأَبناءِ أبناءِ الأنصار». رواه مسلم.

٦٢٢٢ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه)** أي من حجرته واستمر على مشيته **(حتى جلس على المنبر فحمد الله)** أي على ما وجد من النعمة لديه **(وأثنى عليه)** أي بما ألهمه إليه **(ثم قال: أما بعد)** أي بعد الحمد والثناء **(فإن الناس)** أي أهل الإسلام لأنهم خلاصة الناس **(يكثرون)** بضم المثلثة إخبار بالغيب **(ويقل الأنصار)** بفتح الياء وكسر القاف وتشديد اللام. قال التوربشتي: لأن الأنصار هم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه في حال الضعف والعسرة، وهذا أمر قد انقضى زمانه لا يلحقهم اللاحق ولا يدرك شأوهم السابق، فكلما مضى منهم واحد مضى من غير بدل فيكثر غيرهم ويقلون. **(حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام)** أي من حيث إن الملح بوصف القلة سبب لكمال الطعام في اللذة، وهذه الجملة الأخيرة تؤيد ما قال الطيبي. وهذا المعنى أي التقليل قائم في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، ولعل الحمل على الحقيقة أظهر لأن المهاجرين وأولادهم كثروا وتبسطوا في البلاد وانتشروا فيها وملكوها بخلاف الأنصار انتهى. وهذا أمر مشاهد في الأشراف والعلويين والعباسية وبني خالد وأمثالهم. **(فمن ولي منكم)** بفتح الواو وكسر لام، وفي نسخة بضم فتشديد، أي من تولى منكم أيها المهاجرين مثلاً **(شيئاً)** يجوز أن يكون مفعولاً به وأن يكون في موضع مصدر، أي قليلاً من الولاية. وقوله: **(يضر فيه قوماً)** أي مسيئين **(وينفع فيه آخرين)** أي محسنين صفة كاشفة **(فليقبل)** أي المتولي منكم **(من محسنهم)** أي إحسانهم **(وليتجاوز عن مسيئهم)** أي إساءتهم **(رواه البخاري)**.

٦٢٢٣ ـ **(وعن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار)** وهم التابعون **(وأبناء أبناء الأنصار)** وفي نسخة ولأبناء الأنصار وهم الأتباع، فدعا لأهل القرون الثلاثة التي هي خير القرون. ولا يبعد أن يراد به أبناؤهم ولو بوسائط إلى يوم القيامة. **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٦٢٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٦٢٤. حديث رقم ٣٦٢٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٩ حديث رقم (١٧٦ ـ ٢٥١٠) وأحمد في المسند ١/ ٢٨٩.

الحديث رقم ٦٢٢٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٥٠. حديث رقم ٤٩٠٦. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٤٨ حديث رقم (١٧٢ ـ ٢٥٠٦). والترمذي في السنن ٥/ ٦٧٢ حديث رقم ٣٩٠٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٨ حديث رقم ١٦٥.

٦٢٢٤ ـ (٢٩) وعن أبي أُسَيْد، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثمَّ بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خيرٌ». متفق عليه.

٦٢٢٥ ـ (٣٠) وعن عليّ رضي الله عنه قال: بعثني رسولُ اللّهِ ﷺ أنا والزبير والمقداد ـ

٦٢٢٤ ـ **(وعن أبي أسيد)** بالتصغير **(قال: قال رسول الله ﷺ: خير دور الأنصار)** أي أفضل قبائلهم **(بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير)** أي فضل بالنسبة إلى غيرهم من أهل المدينة، وهو تعميم بعد تخصيص. قال العسقلاني: الخير الأول بمعنى أفضل، والثاني بمعنى الفضل يعني الخير حاصل في جميع الأنصار وإن تفاوتت مراتبهم. وقال النووي: خير دور الأنصار خير قبائلهم، وكانت كل قبيلة تسكن محلة فسمى تلك المحلة دار بني فلان، ولهذا جاء في كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار. قالوا: تفضيلهم على قدر سبقهم في الإِسلام ومآثرهم فيه، وفي هذا دليل على جواز تفضيل القبائل والأشخاص من غير مجازفة ولا هوى، ولا يكون هذا غيبة. قال القاضي: إن أراد بها ظاهرها فقوله: بنو النجار، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ويكون خيريتها بسبب خيرية أهلها وما يوجد فيها من الطاعات والعبادات. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي والنسائي. وفي الجامع: خير ديار الأنصار بنو النجار. رواه الترمذي عن جابر. وفي رواية للترمذي عنه: خير ديار الأنصار بنو عبد الأشهل[(١)].

٦٢٢٥ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا)** كذا في جميع النسخ الحاضرة، والظاهر إياي فكأنه من باب استعارة المرفوع للمنصوب. **(والزبير)** أي ابن العوام، وقد سبق ذكره في العشرة. **(والمقداد)** بكسر الميم، وهو ابن عمرو الكندي، وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها. وإنما سمي [با] بن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه كان في حجره. وقيل بل كان عبداً فتبناه وكان سادساً في الإِسلام. روى عنه علي وطارق بن شهاب وغيرهما، مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث

الحديث رقم ٦٢٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٥. حديث رقم ٣٧٨٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٥٠ حديث رقم (١٧٩ . ٢٥١١). والترمذي في السنن ٥/ ٦٧٣ حديث رقم ٣٩١١.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٤٧ حديث رقم ٤٠٦٥. و٢/ ٢٤٨ حديث رقم ٤٠٦٦ والترمذي في السنن حديث رقم ٣٩١٢.

الحديث رقم ٦٢٢٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٤٣. حديث رقم ٣٠٠٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤١ حديث رقم (١٦١ . ٢٤٩٤) وأبو داود في السنن ٣/ ١٠٨ حديث رقم ٢٦٥٠. والترمذي في السنن ٥/ ٣٨١ حديث رقم ٣٣٠٥. وأخرجه الدارمي ٢/ ٤٠٤ حديث رقم ٢٧٦١. وأحمد في المسند ١/ ٨٠.

وفي رواية: وأبا مَرْثَد بدلَ المقداد ـ فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها، فانطلقنا تتعادى بنا خيلُنا حتى أتينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أَخرجي الكتاب. قالت: ما معي من كتابٍ. فقلنا: لتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لتُلقِيَنَّ الثياب،

وثلاثين وهو ابن سبعين. (وفي رواية: وأبا مرثد بدل المقداد.) بفتح الميم والمثلثة وسكون راء بينهما. قال المؤلف: هو كناز بن حصين، ويقال ابن حصين الغنوي مشهور بكنيته، شهد بدراً هو وابنه مرثد وهو من كبار الصحابة. روى عن حمزة وعنه واثلة بن الأسقع وعبد الله بن عمر، مات سنة اثنتي عشرة. وقال السيد جمال الدين: هو وابنه حليفا حمزة بن عبد المطلب. قال الواقدي وابن إسحاق: آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت. قال محمد بن سعد: شهد أبو مرثد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ومات بالمدينة في خلافة أبي بكر الصديق وهو ابن ست وستين سنة. ثم الحاصل من الجمع بين الروايتين أنه ﷺ بعث الأربعة، إلا أن المذكور في بعض الروايات المقداد وفي بعضها أبو مرثد. وتوضيحه ما قال الطيبي: إنه لم يرد بذلك إن المبدل منحى، بل المراد أنه ذكر في رواية هذا وفي رواية ذاك، لأن الأربعة قد بعثوا لهذا الأمر انتهى. ولا يخفى أن المبدل منحى في الرواية الثانية ولذا قال بدل المقداد، وإن كان في نفس الأمر غير منحى عن المراد. وفي شرح مسلم وعن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام. وفي الرواية السابقة: والمقداد بدل أبا مرثد، ولا منافاة بل بعث الأربعة علياً والزبير والمقداد وأبا مرثد. (فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ) بخاءين معجمتين مصروفاً وقد لا يصرف. قال الطيبي: بالخاءين المعجمتين هو الصواب، وهي موضع بين مكة والمدينة [بقرب المدينة]. وفي القاموس: وخاخ يصرف ويمنع. (فإن بها ظعينة) أي امرأة اسمها سارة، وقيل أم سارة مولاة لقريش. (معها كتاب) أي مكتوب من أهل المدينة إلى أهل مكة (فخذوه منها. فانطلقنا تتعادى) أي تتسابق (بنا خيلنا حتى أتينا إلى الروضة) أي روضة خاخ (فإذا نحن بالظعينة) أي المرأة (فقلنا: أخرجي الكتاب. قالت: ما معي من كتاب) من زائدة لمزيد تأكيد النفي (فقلنا: لتخرجن) بفتح لام فضم فسكون فكسرتين وتشديد نون، أي لتظهرن (الكتاب أو لتلقين) بفتح فضم فسكون فكسر ففتح فتشديد. وفي نسخة صحيحة بكسر التحتية، وفي نسخة بحذفها وهو ظاهر، أي لترمين. (الثياب) وتتجردن عنها ليتبين لنا الأمر. وفي نسخة بصيغة المجهول ورفع الثياب وهو ظاهر أيضاً. قال ميرك: كذا جاءت الرواية بإثبات الياء مكسورة ومفتوحة. فإن قلت: القواعد العربية تقتضي أن تحذف تلك الياء ويقال: لتلقن. قلت: القياس ذلك وإذا صحت الرواية بالياء فتأويل الكسرة أنها المشاكلة لتخرجن والفتح بالحمل على المؤنث الغائب على طريق الالتفات من الخطاب إلى الغيبة. وفي بعض النسخ بفتح القاف ورفع الثياب كذا قاله الكرماني في شرح البخاري. وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه: كذا فيه بإثبات الياء والوجه حذفها، وقيل إنما ثبتت لمشاكلة لتخرجن قال: ويظهر لي أن صواب الرواية: لتلقين الثياب، بالنون بلفظ الجمع وهو ظاهر جداً لا شك فيه البتة ولا يحتاج إلى تخريج

فأخرجتُه من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بنِ أبي بلتعةَ إلى ناسٍ من المشركين من أهلِ مكة، يُخْبِرُهم ببعضِ أمرِ رسولِ اللّهِ ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطبُ! ما هذا؟!». فقال: يا رسول الله! لا تعجل عليَّ، إني كنتُ أمرءاً مُلْصَقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان مَنْ معك من المهجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتَّخذ فيهم يداً يحمونَ بها قرابتي، وما فعلتُ كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضىً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني يا رسول الله! أضربْ عُنُق هذا المنافق.

تكلف والله أعلم انتهى كلامه. أقول: ويؤيده ما وقع عند البخاري في باب فضل من شهد به بدراً بلفظ: لتخرجن الكتاب أو لنجردنك. انتهى. **(فأخرجته من عقاصها)** وهو بكسر العين جمع عقيصة وهي الشعر المضفور. قال العسقلاني: والجمع بينه وبين رواية: أخرجته من حجزتها، بضم الحاء وسكون الجيم وبالزاي، أي معقد الإزار لأن عقيصتها طويلة بحيث تصل إلى حجزتها فربطته في عقيصتها وغرزته بحجزتها. **(فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه)** أي في الكتاب **(من حاطب)** بكسر الطاء **(ابن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين)** قال الطيبي: ليس هذا حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوي وضع موضع قوله: إلى فلان وفلان وفلان. **(من أهل مكة يخبرهم)** أي حاطب، أو مكتوبه مجازاً **(ببعض أمر رسول الله ﷺ)** أي ببعض شأنه وحاله، وهو أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم فنزل جبريل فأخبره. **(فقال رسول الله ﷺ:)** أي لحاطب **(ما هذا)** أي الفعل الشنيع **(فقال: يا رسول الله لا تعجل علي)** أي في الحكم بالكفر ونحوه، ثم استأنف يبين عذره في فعله بقوله: **(إني كنت امراء ملصقاً)** بصيغة المجهول، أي حليفاً. **(في قريش)** أي فيما بينهم **(ولم أكن من أنفسهم)** قال النووي: وكان حليف الزبير بن العوام **(وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة)** أي ذوو قرابة أي أقارب أو قرابة مع ناس **(يحمون)** أي الأقارب أو الناس الذين أقاربهم يحفظون ويراعون **(بها)** أي بتلك القرابة **(أموالهم)** أي أموال المهاجرين **(وأهليهم بمكة)** يحتمل أن يكون ظرفاً ليحمون، والأقرب أن التقدير: أموالهم وأهليهم الكائنين بمكة. **(فأحببت إذ فاتني ذلك)** أي القرب من النسب **(فيهم)** أي في قريش. قال الطيبي: إذا فاتني تعليل وقع بين الفعل ومفعوله، وهو قوله: **(أن أتخذ فيهم يداً)** أي صنيعة **(يحمون)** أي قريش **(بها)** أي بتلك اليد **(قرابتي)** أي الكائنة بمكة. قال الطيبي: قوله: يحمون صفة يداً، وأراد باليد يد إنعام أو قدرة. **(وما فعلت)** أي ذلك **(كفراً)** أي أصلياً **(ولا ارتداداً عن ديني)** أي حادثاً **(ولا رضاً بالكفر)** أي بوجوده **(بعد الإسلام)** أي بعد حصوله، وهو تأكيد لما قبله أو تعميم لأنواع حدوث الكفر **(فقال رسول الله ﷺ:)** أي خطاباً للأصحاب **(إنه قد صدقكم)** بتخفيف الدال، أي قال الصدق. **(فقال عمر: دعني)** أي اتركني **(يا رسول الله أضرب)** بالجزم أي أقطع **(عنق هذا المنافق)** وإنما قال ذلك مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب في معذرته لما كان عند عمر من قوة في الدين وبغض من ينتسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره النبي ﷺ استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن في قتله

فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدراً، وما يُدريك لعلَّ اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنةُ».

وفي رواية: «فقد غفرتُ لكم» فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء﴾. متفق عليه.

وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره فإنه صنع ذلك متأولاً ولا ضرر فيه. (**فقال رسول الله ﷺ: إنه**) أي حاطباً (**قد شهد بدراً**) أي حضره (**وما يدريك**) أي أي شيء يعلمك أنه مستحق للقتل (**لعل الله اطلع**) بتشديد الطاء أي أقبل (**على أهل بدر**) ونظر إليهم نظر الرحمة والمغفرة (**فقال: اعملوا ما شئتم**) أي من الأعمال الصالحة والأفعال النافلة قليلة أو كثيرة (**فقد وجبت لكم الجنة**) أي ثبتت أو وجبت بموجب إيجابي من الوعد الواجب وقوعه. قال الطيبي: معنى الترجي فيه راجع إلى عمر رضي الله عنه لأن وقوع هذا الأمر محقق عند رسول الله ﷺ وأوثر على التحقيق بعثاً له على التفكر والتأمل فلا يقطع الأمر في كل شيء انتهى. والأقرب أن ذكر لعل لئلا يتكل من شهد بدراً على ذلك وينقطع عن العمل بقوله: اعملوا ما شئتم، فإن المراد به إظهار العناية لا الترخص لهم في كل فعل، بل الحديث الآتي عن حفصة صريح في أنه ﷺ كان في مقام الرجاء لا في حال القطع والله أعلم. (**وفي رواية: فقد غفرت لكم**) وهي أرجى مما قبلها كما لا يخفى. قال النووي: هذا في الآخرة وأما في الدنيا فلو توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه، وقد أقام رسول الله ﷺ على مسطح حد الفرية وكان بدرياً، وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ وجواز هتك أستار الجواسيس وقراءة كتبهم، وفيه هتك ستر المفسد إذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة. وما فعله حاطب كان كبيرة قطعاً لأنه يتضمن إيذاء النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿**إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة**﴾ [الأحزاب ـ ٥٧]. ولا يجوز قتله لأنه لا يكفر به انتهى كلامه. وفيه أنه لو ارتكب كبيرة متضمنة لأذى النبي ﷺ لكان كفراً، فالصواب أنه لم يقصد به أذى النبي ﷺ، بل إنما قصد دفع أذى الكفار عن قرابته على ظن أنه لا يضر النبي ﷺ هذا الإبلاغ، وقد صدقه النبي ﷺ على ذلك. نعم قصر في اجتهاده حيث أخفى أمره ولم يستأذن منه ﷺ في فعله ذلك والله أعلم. (**فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي﴾**) أي الذين أعاديهم (**﴿وعدوكم﴾**) أي الذين يعادونكم وهم الكفار (**﴿أولياء﴾**) أي أحباء، وما بعده: ﴿**تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله**﴾ [الممتحنة ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤] الآية. وإنما عم الخطاب ليدخل فيه أمثال حاطب ولذا قيل: العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. (**متفق عليه**).

٦٢٢٦ ـ (٣١) وعن رفاعة بن رافع، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم». قال: «من أفضلِ المسلمين». أو كلمةً نحوها قال: «وكذلك من شهد بدراً من الملائكة». رواه البخاري.

٦٢٢٧ ـ (٣٢) وعن حفصةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يَدْخلَ النارَ إن شاء الله أحدٌ شهدَ بدراً والحديبيةَ». قلت: يا رسول الله! أليس قد قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: «فلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجّي الذين اتقوا﴾».

٦٢٢٦ ـ **(وعن رفاعة)** بكسر الراء **(ابن رافع)** يكنى أبا معاذ الزرقي الأنصاري شهد بدراً واحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد مع علي الجمل وصفين. مات في أول ولاية معاوية، روى عنه أبناه عبيد ومعاذ وابن أخيه يحيى بن خلاد. **(قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ قال:)** أي جبريل **(ما تعدون)** بضم عين وتشديد دال، أي ما تعتبرون. **(أهل بدر فيكم)** والخطاب لرسول الله ﷺ والجمع للتعظيم أو له ولمن كان من أصحابه معه، والمعنى أي شيء من مراتب الفضل تحسبونها لأهل بدر. **(قال: من)** أي هم من **(أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها.)** والظاهر أنها هم أفضل المسلمين **(قال:)** أي جبريل **(وكذلك)** أي عندنا حكم **(من شهد بدراً من الملائكة)** أي هم أفضل ممن لم يشهد منهم فيكونون أفضل الملائكة، أو من أفاضلهم. وقال الطيبي: أي ممن يعدون ليطابقه الجواب وهو من أفضل المسلمين، وأتى بما بدل من تعظيماً لشأنهم نحو قولهم: سبحان ما سخركن لنا، انتهى. ولا يخفى عدم ظهور افادة التعظيم من العدول من من إلى ما، وإنما جاء ما في مواضع بمعنى من، أو أريد به الوصف كما في المثال المذكور، ونحوه قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها﴾ [الشمس ـ ٧]. **(رواه البخاري).**

٦٢٢٧ ـ **(وعن حفصة)** أي بنت عمر أم المؤمنين **(قالت: قال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدراً والحديبية)** بالتخفيف ويشدد **(قلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿وإن منكم﴾)** أي ما منكم **(﴿إلا واردها﴾)**[1] أي مار بها أو حاضرها، وكانت حفصة ظنت أن معنى واردها داخلها **(قال: فلم تسمعيه)** أي أفلم تسمعي كلام الله **(يقول:)** أي بعد ذلك **(﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾)**[2] أي من الدخول. وقال ابن الملك: أي فينجي الله المتقين بفضله عنها فتكون عليهم برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، ويترك

الحديث رقم ٦٢٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣١١. حديث رقم ٣٩٩٢. وابن ماجه ١/ ٥٦ حديث رقم ١٦٠.

الحديث رقم ٦٢٢٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٢ حديث رقم(١٦٣ ـ ٢٤٩٦) وأبو داود في السنن ٥/ ٤١ حديث رقم ٤٦٥٣. والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٢ حديث رقم ٣٨٦٠. وابن ماجه ٢/ ١٤٣١ حديث رقم ٤٢٨١.

(١) سورة: مريم. آية رقم ٧١. (٢) سورة مريم. آية رقم ٧٢.

وفي رواية: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة ـ أحدٌ ـ الذين بايعوا تحتها». رواه مسلم.

٦٢٢٨ ـ (٣٣) وعن جابر، قال: كنّا يومَ الحديبية ألفاً وأربعمائة. قال لنا

الكافرين فيها بعدله انتهى. ويوافقه قول الطيبي: يعني أردت بقولي أن لا يدخل النار دخولاً يعذب فيها ولا نجاة [له] منها انتهى. ويؤيد ما اخترناه سابقاً ما قاله النووي في شرح مسلم: الصحيح أن المراد بالورود المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون. قال الطيبي: والأوّل هو الوجه على ما يظهر بأدنى تأمل. قلت: تأملنا كثيراً فلم يظهر وجه أرجحيته ولا قدراً يسيراً، بل ظهر أنّ المعنى الثاني أبلغ وأتم والله أعلم. ثم قال الطيبي: وفيه جواز المناظرة والاعتراض، والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ. قلت: وفي تسميته مناظرة واعتراضاً وجواباً لا يخلو عن سوء أدب يرجي مسامحته، بل الصواب أنها استشكلت معنى الحديث حيث ظاهره على ظنها غير موافق للآية، فسألت سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض كما هو طريق أرباب المناظرة، بل على سبيل ما هو واجب على كل من لم يفهم معنى آية أو حديث أو جمع بينهما أو غير ذلك من المسائل أن يسأل واحداً من العلماء كما قال تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ [الأنبياء ـ ٧]. وإنما تسمى بالمناظرة المباحثة والمجادلة بين النظراء والأمثال في المعاصرة. (**وفي رواية: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**)(١) بيان لأصحاب الشجرة أو بدل. (**رواه مسلم**) وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه، ذكره السيد جمال الدين. وقال ميرك: ظاهر إيراد المصنف يقتضي أن هذا الحديث في صحيح مسلم من مسند حفصة وليس كذلك، فإن فيه من مسند أم مبشر الأنصارية أنها سمعت رسول الله ﷺ عند حفصة يقول: لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها. فقالت: بلى يا رسول الله، فانتهرتها حفصة. فقالت: ﴿**وإن منكم إلا واردها**﴾ [مريم ـ ٧١]. فقال النبي ﷺ: قد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً**﴾ [مريم ـ ٧٢]. هكذا في صحيح مسلم. وليس حديث حفصة في واحد من الصحيحين بل هو في صحيح مسلم من حديث أم مبشر، نعم رواه ابن ماجه من طريق أم مبشر عن حفصة كما هو في المصابيح، وكذا رواه في شرح السنة [والله أعلم]. هذا محصل ما أورده الجزري في تصحيح المصابيح انتهى. ولا يخفى أن معنى هذا الحديث مروي عن حفصة في صحيح مسلم، فصح إسناده إليه.

٦٢٢٨ ـ (**وعن جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة**) قد سبق الخلاف فيه (**قال لنا**

---

(١) في المخطوطة «تحت الشجرة».

الحديث رقم ٦٢٢٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٤٤٣. حديث رقم ٤١٥٤. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٨٤ حديث رقم (٧١ ـ ١٨٥٦).

النبي ﷺ: «أنتم اليوم خيرُ أهلِ الأرض». متفق عليه.

٦٢٢٩ ـ (٣٤) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: من يصعدِ الثنية ثنيةَ المُرار فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل». وكان أوّلَ من صعدها خيلُنا خيلُ بني الخزرج، ثم تتامَّ الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «كلكم مغفورٌ له، إلا صاحب الجملِ الأحمر». فأتيناه، فقلنا: تعالَ يستغفرْ لك رسوله الله ﷺ قال: لأَنْ أَجِدَ ضالَّتي أحبُّ إليَّ من أن يستغفرَ لي صاحبُكم. رواه مسلم.

وذكر حديث أنس قال لأبيِّ بن كعب: «إنَّ الله أمرَني أن

النبي ﷺ: أنتم اليوم خير أهل الأرض) ولذا قال بعض العلماء منهم السيوطي، أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة ثم بقية العشرة ثم أهل أحد ثم أهل الحديبية. **(متفق عليه)**.

٦٢٢٩ ـ **(وعنه)** أي عن جابر **(قال: قال رسول الله ﷺ: من يصعد الثنية)** بكسر الدال على أنه مجزوم حرك لالتقاء الساكنين، وفي نسخة بالرفع على أن من موصولة مبتدأ متضمن معنى الشرط. والثنية هي الطريق العالي في الجبل. وقوله: **(ثنية المرار)** بالنصب بدل أو عطف بيان، والمرار بضم الميم وهو المشهور على ما في النهاية. وبعضهم يكسرها وبعضهم يقوله بالفتح، وهو موضع بين مكة والحديبية من طريق المدينة. وإنما حثهم على صعودها لأنها عقبة شاقة وصلوا إليها ليلاً حين أرادوا مكة سنة الحديبية، فرغبهم في صعودها بقوله: **(فإنه يحط عنه)** بصيغة المجهول، أي يوضع عنه. **(ما حط)** أي مثل ما وضع **(عن بني إسرائيل)** أي لو قالوا ما أمروا به، وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾** [البقرة ـ ٥٨]. أي حط عنا ذنوبنا حطة. **(فكان)** بالفاء، وفي نسخة وكان. **(أوّل من صعدها خيلنا)** بالرفع وأبدل منه **(خيل بني الخزرج)** والمعنى أنه كان خيلنا أوّل خيل من صعدها. **(ثم تتام)** بتشديد الميم تفاعل من التمام، أي تتابع. **(الناس)** وجاؤوا كلهم وتموا والمعنى صعد الثنية كلهم. **(فقال رسول الله ﷺ: كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر)** وهو عبد الله بن أبي، رئيس المنافقين، فالاستثناء منقطع نحو: جاء القوم إلا حماراً. **(فأتيناه فقلنا: تعال)** أي إلى الحضرة العلية **(يستغفر)** بالجزم على جواب الأمر. وفي نسخة: أن يستغفر، فالتقدير لأن يستغفر. **(لك رسول الله ﷺ. قال: لأن أجد ضالتي)** أي من جمل أو خيل **(أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم)** وهذا كفر صريح منه، وقد أشار إليه قوله تعالى: **﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾** [المنافقون ـ ٥ ـ ٦]. **(رواه مسلم. وذكر حديث أنس قال)** أي النبي عليه الصلاة والسلام **(لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن**

الحديث رقم ٦٢٢٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٤ حديث رقم (١٢ . ٢٨٨٠). والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٣ حديث رقم ٣٨٦٣.

أقرأَ عليك» في «بابٍ» بعدَ فضائل القرآن.

الفصل الثاني

٦٢٣٠ - (٣٥) عن ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال: «اقتدوا بالَّلذَيْنِ من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّارٍ، وتمسكوا بعهدِ ابنِ أمّ عبدٍ».

وفي رواية حذيفة ما حدثكم ابن مسعود فصدقوه

أقرأ عليك) أي القرآن قراءة المعلم على المتعلم تعليماً له، وفيه منقبة عظيمة ومرتبة جسيمة حيث إن الله تعالى وتعظم ذكره ميزه عن أقرانه بإقراء حبيبه عليه ليكون إيماء إلى أنه رئيس القراء. **(في باب بعد فضائل القرآن)** متعلق بقوله: ذكر.

(الفصل الثاني)

٦٢٣٠ - **(عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: اقتدوا باللذين)** بصيغة التثنية، وفي نسخة الذين بصيغة الجمع، ولعله للتعظيم أو بناء على أن أقل الجمع اثنان. **(من بعدي)** أي من بعد موتي أو من بعد الاقتداء بي **(من أصحابي)** أي من جملة أصحابي **(أبي بكر وعمر)** بدل أو بيان للذين **(واهتدوا بهدي عمار)** أي سيروا بسيره، وكأن الاقتداء أعم من الاهتداء حيث يتعلق [به] القول والفعل، بخلاف الاهتداء فإنه يختص بالفعل. **(وتمسكوا بعهد ابن أم عبد)** أي بوصية ابن مسعود وقوله، ولذا يختار إمامنا الأعظم روايته. وقوله على سائر الصحابة بعد الخلفاء الأربعة لكمال فقاهته ونصح وصيته. قال التوربشتي: يريد عهد عبد الله بن مسعود وهو ما يعهد إليه[(١)] فيوصيهم به، وأرى أشبه الأشياء بما يراد من عهده أمر الخلافة فإنه أول من شهد بصحتها وأشار إلى استقامتها من أفاضل الصحابة وأقام عليها الدليل فقال: لا نؤخر من قدمه رسول الله ﷺ ألا نرضى لدنيانا من ارتضاه لديننا[(٢)]. ومما يؤيد هذا المعنى المناسبة الواقعة بين أول الحديث وآخره، ففي أوله: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، وفي آخره: وتمسكوا بعهد ابن أم عبد. ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه قوله: **(وفي رواية حذيفة: ما حدثكم ابن مسعود فصدقوه)** وهذه إشارة إلى ما أسر إليه من أمر الخلافة في الحديث الذي نحن فيه، ويشهد لذلك الاستدراك الذي أوصله بحديث الخلافة فقال: لو استخلفت عليكم فعصيتموه

الحديث رقم ٦٢٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٧ حديث رقم ٣٧٩٩. وابن ماجه ٢/ ٣٧ حديث رقم ٩٧ وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٩.

(١) في المخطوطة «عهد إليهم».

(٢) في المخطوطة «ألا نرضى من ارتضاه لديننا من ارتضاه لدنياه». وهذا خطأ واضح والله تعالى أعلم.

بدل وتمسكوا بعهد ابن أم عبدٍ. رواه الترمذي.

٦٢٣١ ـ (٣٦) وعن عليّ، [رضي اللّهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لوْ كنتُ مؤمِّراً منْ غيرِ مَشوَرةٍ، لأَمَّرْتُ عليهِم ابنَ أُمِّ عبْدٍ». رواه الترمذيُّ، وابن ماجه.

عذبتم، ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه. وحذيفة هو الذي يروي عن رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي. ولم أر في التعريض بالخلافة في سنن رسول الله ﷺ أوضح من هذين الحديثين ولا أصح من حديث أبي سعيد: «سدوا عني كل خوخة إلا خوخة أبي بكر رضي الله عنه»[1]. ثم قوله بدل (وتمسكوا بعهد ابن أم عبد) الظاهر بدل تمسكوا، فإن الواو العاطفة لا بد من وجودها على التقديرين من (رواه الترمذي) الرواية الأولى رواها الترمذي من حديث ابن مسعود وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل وهو يضعف في الحديث والرواية الثانية رواها الترمذي أيضاً لكن من حديث حذيفة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار بأبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه. وقال: حديث حسن، نقله ميرك عن التصحيح. أقول: وحديث حذيفة رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه. وفي الجامع الصغير: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[2]. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، ثم أورد الحديث الذي في المشكاة وقال: رواه الترمذي عن ابن مسعود، والروياني عن حذيفة، وابن عدي عن أنس.

٦٢٣١ ـ (**وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لو كنت مؤمراً**) وفي نسخة زيادة أحداً على أنه مفعوله وهو بتشديد الميم المكسورة، أي جاعل أحداً أميراً يعني أمير جيش بعينه، وفي رواية لو كنت مستخلفاً. (**من غير مشورة**) بفتح فسكون ففتح، وفي نسخة بفتح فضم والوجهان في الصحاح. وفي القاموس مشورة [مفعلة] لا مفعولة يعني كمقولة: (**لأمرت عليهم ابن أم عبد. رواه الترمذي وابن ماجه**) وفي الجامع بلفظ: «لو كنت مؤمراً على أمتي أحداً من غير مشورة منهم لأمرت عليهم ابن أم عبد»[3] قال التوربشتي: ومن أي وجه روي هذا الحديث فلا بد أن يؤوّل على أنه ﷺ أراد به تأميره على جيش بعينه، أو استخلافه في أمر من أموره حال حياته. ولا يجوز أن يحمل على غير ذلك، فإنه وإن كان من العلم والعمل بمكان وله الفضائل الجمة والسوابق الجلة، فإنه لم يكن من قريش وقد نص رسول الله ﷺ على أن هذا الأمر في قريش فلا يصح حمله إلا على الوجه الذي ذكرناه.

---

(١) راجع الحديث رقم ٦٠٦٩. (٢) الجامع الصغير ١/ ٨٢ ديث رقم ٦٣١٨.

الحديث رقم ٦٢٣١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٢ حديث رقم ٣٨٠٩. وأخرجه ابن ماجه ١/ ٤٩ حديث رقم ١٣٧. وأحمد في المسند ١/ ١٠٧.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٤٥٨ حديث رقم ٧٤٨٤.

٦٢٣٢ ـ (٣٧) وعن خيثمةَ بن أبي سبْرَةَ، قال: أتيتُ المدينةَ فسألتُ الله أن يُيَسّرَ لي جليساً صالحاً، فيسر لي أبا هريرة، فجلستُ إليه فقلتُ: إني سألتُ الله أن يُيَسّرَ لي جليساً صالحاً، فوُفّقتَ لي. فقال: مِن أين أنتَ؟ قلت: من أهل الكوفة، جئتُ ألتمسُ الخيرَ وأطلبه. فقال: أليس فيكم سعدُ بنُ مالك مجابُ الدعوة؟ وابنُ مسعودٍ صاحبُ طَهور رسولِ الله ﷺ ونعليه؟ وحذيفةُ صاحبُ سرِّ رسولِ اللّهِ ﷺ؟ وعمَّارُ الذي أجاره الله منَ الشيطانِ على لسانِ نبيّه ﷺ؟ وسلمانُ صاحب الكتابين؟ يعني الإنجيل والقُرآن. رواه الترمذي.

٦٢٣٣ ـ (٣٨) وعن أبي هريرةِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكرٍ، نعم الرجل عمرَ، نعم الرجل أبو عبيدةَ بن الجراح، نعم الرجل أُسَيْد حضير،

٦٢٣٢ ـ **(وعن خيثمة)** بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء التحتية وفتح الثاء المثلثة. **(ابن أبي سبرة)** بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة. قال المؤلف: هو خيثمة بن عبد الرحمٰن ابن أبي سبرة الجعفي، وكان خيثمة من كبار التابعين سمع علياً وابن عمر وغيرهما، وعنه الأعمش ومنصور وعروة بن مرة، وورث مائتي ألف فأنفقهما على العلماء. **(قال: أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر)** أي يسهل **(لي جليساً صالحاً)** أي مجالساً يصلح أن يجلس معه ويستفاد من مجالسته. **(فيسر لي أبا هريرة فجلست إليه فقلت: إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فوفقت لي)** أي جعلت أنت موافقاً لي واتفق لي مجالستك. **(فقال: من أين أنت. قلت: من أهل الكوفة جئت ألتمس الخير)** أي العلم المقرون بالعمل المعبر عنهما بالحكمة التي قال الله فيها: **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾** [البقرة ـ ٢٦٩]. وقد يقال: لا خير خير منه أو لا خير غيره. **(وأطلبه)** عطف تفسير يفيد بيان المبالغة. **(فقال: أليس فيكم)** أي في بلدكم **(سعد بن مالك)** وهو سعد بن أبي وقاص **(مجاب الدعوة)** وقد تقدم ذكره وبيان إجابة دعوته. **(وابن مسعود صاحب طهور رسول الله ﷺ)** بفتح الطاء، أي ما يطهر به فإنه كان صاحب مطهرته. **(ونعليه)** وكذا صاحب وسادته ونحوها مما يدل على كمال خدمته وقربه المنتجة لكمال معرفته وحسن أدبه. **(وحذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ [وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ]، وسلمان صاحب الكتابين)** يعني الإنجيل والقرآن فإنه آمن بالإنجيل قبل نزول القرآن وعمل به ثم آمن بالقرآن أيضاً. وهو المعروف بسلمان الجر، ولم يعرف اسم أبيه فسئل عنه فقال: أنا ابن الإسلام. وكان يأكل من كسب يده بعمل الخوص، وقد سبق بعض ترجمته. **(رواه الترمذي)**.

٦٢٣٣ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح)** وقد تقدم ذكرهم **(نعم الرجل أسيد بن حضير)** بالتصغير

الحديث رقم ٦٢٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٣ حديث رقم ٣٨١١.

الحديث رقم ٦٢٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٥ حديث رقم ٣٧٩٥.

نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجلُ معاذ بن عمرو ابن الجموح». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٦٢٣٤ ـ (٣٩) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنةَ تشتاق إلى ثلاثة: عليّ، وعمّارٍ، وسلمانَ». رواه الترمذي.

٦٢٣٥ ـ (٤٠) وعن عليّ [رضي الله عنه] قال: استأذن عمّارُ على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، مرحباً بالطيّبِ المطيَّبِ». رواه الترمذي.

٦٢٣٦ ـ (٤١) وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما خُيِّرَ عمَّارٌ

فيهما. قال المؤلف: أنصاري أوسي كان ممن شهد العقبة الثانية، وكان بين العقبتين سنة. شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، روى عنه جماعة من الصحابة. مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع. **(نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس)** بتشديد الميم **(نعم الرجل معاذ بن جبل)** وسبق ذكرهما **(نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح)** بفتح جيم فضم ميم. قال المؤلف: أنصاري خزرجي شهد العقبة وبدراً هو وأبوه عمرو، وهو الذي قتل مع معاذ ابن عفراء أبا جهل ولهما ذكر في باب قسمة الغنائم. روى ابن عبد البر عن أبي إسحاق أن معاذ بن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه. قال: وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معاذ ابن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه حين أمره رسول الله ﷺ أن يلتمس أبا جهل في القتلى. روى عنه عبد الله بن عباس، ومات في زمن عثمان. **(رواه الترمذي)** وكذا النسائي **(وقال:)** أي الترمذي **(هذا حديث غريب)**.

٦٢٣٤ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: إن الجنة تشتاق)** أي اشتياقاً كثيراً **(إلى ثلاثة)** أي أشخاص **(علي)** بالجر، وجوّز رفعه. **(وعمار وسلمان)** قال الطيبي: سبيل اشتياق الجنة إلى هؤلاء الثلاثة سبيل اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ. قلت: ولعل وجه الاختصاص أن علياً وعماراً وقعا بين طائفة غريبة من أهل البغي والفساد والتعدي والعناد فقاتلا على طريق السداد حتى قتلا فيمن قتل من العباد، وسلمان وقع في الغربة مدة كثيرة من الزمن وابتلي بالعبودية والمحن **(رواه الترمذي)**.

٦٢٣٥ ـ **(وعن علي رضي الله عنه قال: استأذن عمار على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له، مرحباً بالطيب المطيب)** فيه مبالغة كظل ظليل **(رواه الترمذي)** وكذا ابن ماجه.

٦٢٣٦ ـ **(وعن عائشة قال: قال رسول الله ﷺ: ما خير عمار)** بضم فتشديد تحتية، أي

الحديث رقم ٦٢٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٦ حديث رقم ٣٧٩٧.

الحديث رقم ٦٢٣٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٦ حديث رقم ٣٧٩٨. وابن ماجه ١/ ٥٢ حديث رقم ١٤٦.

الحديث رقم ٦٢٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٧ حديث رقم ٣٧٩٩. وابن ماجه ١/ ٥٢ حديث رقم ١٤٨. وأحمد في المسند ١/ ٣٨٩.

بين أمرينِ إلا اختار أرشدَهما». رواه الترمذي.

٦٢٣٧ ـ (٤٢) وعن أنس قال: لما حُمِلَتْ جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخفَّ جنازتَه! وذلك لحُكمِهِ في بني قريظة، فبلغ ذلكَ النبيَّ ﷺ، فقال: «إِنَّ الملائكة كانت تحملُه». رواه الترمذي.

٦٢٣٨ ـ (٤٣) وعن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلَّت الخضراءُ، ولا أقلَّت الغبراء أصدق من أبي ذر».

ما جعل مخيراً. (بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما) وهو أصل الترمذي أي أصلحهما. وفي نسخة صحيحة وهو أصل المصابيح أشدهما بالشين المعجمة، أي أصعبهما. فقيل: هذا بالنظر إلى نفسه فلا ينافي رواية: ما اختير عمار بين أمرين إلاّ اختار أيسرهما. فإنه بالنظر إلى غيره. وفي نسخة: أسدهما، بالسين المهملة أي أصوبهما. والأظهر في الجمع بين الروايات أنه كان يختار أصلحهما وأصوبهما فيما تبيّن ترجيحه، وإلاّ فاختار أيسرهما. (رواه الترمذي) وكذا النسائي وابن ماجه. وفي الجامع بلفظ: أرشدهما[1]. قال: ورواه الترمذي والحاكم. وروى ابن عساكر عن عائشة مرفوعاً: كم [من] ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره[2].

٦٢٣٧ ـ (وعن أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ) أي لما حملها الناس ورأوها خفيفة (قال المنافقون: ما أخف جنازته) ما للتعجب (وذلك) أي استخفافه واستحقاره (لحكمه في بني قريظة) أي بأن تقتل المقاتلة وتسبى الذرية، فنسبه المنافقون إلى الجور والعدوان، وقد شهد رسول الله ﷺ له بالإصابة في حكمه كما سبق في محله. (فبلغ ذلك) أي كلامهم (النبي ﷺ فقال: إن الملائكة كانت تحمله) أي ولذا كانت جنازته خفيفة على الناس، وأيضاً ثقل الميت مشعر بتعلُّقه إلى الدنيا وخفته إلى قوّة شوقه للمولى وسرعة طيران روحه إلى المقصد الأعلى. قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون ـ ٨]. قال الطيبي: كانوا يريدون بذلك حقارته وازدراءه، فأجاب ﷺ بما يلزم من تلك[3] الخفة بتعظيم شأنه وتفخيم أمره. (رواه الترمذي).

٦٢٣٨ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) أي ابن العاص (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أظلت الخضراء) أي على أحد (ولا أقلت) بتشديد اللام، أي حملت ورفعت (الغبراء) أي الأرض (أصدق من أبي ذر) مفعول أقلت وصفة للأحد المقدر وهو نوع من التنازع، والمراد

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٣ حديث رقم ٧٩٠٥. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٨٨.
(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٩٩ حديث رقم ٦٤١٣.
الحديث رقم ٦٢٣٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٦ حديث رقم ٣٨٤٧.
(٣) في المخطوطة «بذلك».
الحديث رقم ٦٢٣٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٨ حديث رقم ٣٨٠١. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٥ حديث رقم ١٥٦. وأحمد في المسند ٢/ ١٧٥.

رواه الترمذي.

٦٢٣٩ ـ (٤٤) وعن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أظلت الخضراءُ ولا أقلت الغبراءُ من ذي لهجةٍ أصدقَ ولا أوْفى من أبي ذرّ شِبْهِ عيسى ابن مريم». يعني في الزهد.

بهذا الحصر التأكيد والمبالغة في صدقه لا أنه أصدق من غيره مطلقاً، إذ لا(١) يصح أن يقال أبو ذر أصدق من أبي بكر رضي الله عنه وهو صديق هذه الأمة وخيرها بعد نبيها، وقد كان النبي ﷺ أصدق من أبي ذر وغيره، كذا قالوا. وفيه أنه ﷺ وسائر الأنبياء مستثنى شرعاً، وأما الصديق لكثرة تصديقه لا يمنع أن يكون أصدق في قوله، وقد جاء في الحديث: أقرؤكم أبي وأقضاكم علي. ولا بد أن يكون في المفضول ما لا يوجد في الفاضل، أو يشترك هو والأفضل في صفة من الصفات على وجه التسوية. **(رواه الترمذي)**.

٦٢٣٩ ـ **(وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة)** بفتح فسكون وقيل بفتحتين وهي اللسان، وقيل طرفه. والمعنى من ذي نطق، وقيل لهجة اللسان ما ينطق به أي من صاحب كلام. **(أصدق)** أي أكثر صدقاً **(ولا أوفى)** أي بكلامه من الوعد والعهد. **(من أبي ذر)** قال الطيبي: من زائدة وذي لهجة معمول أقلت، وقد تنازع فيه العاملان فأعمل الثاني وهو مذهب البصريين. وهذا دليل ظاهر لهم كقوله تعالى: ﴿**يستغفر لكم رسول الله**﴾ [المنافقون ـ ٥]. إذ لو عمل(٢) الأول لنصب رسول الله فعلى هذا أصدق في الحديث صفة موصوف محذوف، أي ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق. قلت: الموصوف الذي ذكر[ه] بعينه مذكور لكنه يحتاج إلى موصوف آخر، فالتقدير ولا أقلت الغبراء أحداً ذا لهجة(٣) أصدق. ثم قوله: لو أعمل الأول لنصب رسول الله فيه مسامحة، لأن تعالوا غير متعد بنفسه بل بحرف الجر كما في قوله تعالى: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة**﴾ [آل عمران ـ ٦٤]. فالأظهر أن متعلقة محذوف للاكتفاء بظهوره فلا يكون من هذا الباب والله أعلم بالصواب. **(شبه عيسى ابن مريم)** بالجر بدل، أي شبيهه. وفي الاستيعاب من الحديث: من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر. انتهى. فالتشبيه يكون من جهة التواضع. فقول الراوي: **(يعني في الزهد)** مبني على عدم اطلاعه للحديث المذكور، مع أنه لا منافاة بين أن يكون متواضعاً وزاهداً، بل الزهد هو الموجب للتواضع. ثم قوله يعني في الزهد ليس في المصابيح، وإنما هو من زوائد صاحب المشكاة. **(رواه الترمذي)** قال ميرك: وزاد فيه: فقال عمر بن الخطاب: أفتعرف ذلك له، قال: نعم فعرفوه له. انتهى. وهو حديث رجاله

---

(١) في المخطوطة «ولا».

الحديث رقم ٦٢٣٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٨ حديث رقم ٣٨٠٢. وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٥٥ حديث رقم ١٥٦. وأحمد في المسند ٢/ ١٧٥.

(٢) في المخطوطة «ولو عمل». (٣) في المخطوطة «واللهجة».

رواه الترمذي.

٦٢٤٠ - (٤٥) وعن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: التَمِسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان، وعند ابن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشرُ عشرة في الجنَّة».

موثوقون. وفي الجامع رواه أحمد والترمذي وأبو داود، والحاكم في مستدركه عن ابن عمر(١). وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر. قال التوربشتي: قوله: أصدق من أبي ذر، مبالغة في صدقه، لا أنه أصدق من كل على الإطلاق لأنه لا يكون أصدق من أبي بكر بالإجماع، فيكون عاماً قد خص. قال الطيبي: يمكن أن يراد به أنه لا يذهب إلى التورية والمعاريض في الكلام فلا يرخي عنان كلامه ولا يواسي مع الناس ولا يسامحهم، ويظهر الحق البحص والصدق المحض ومن ثمة عقبه بقوله: ولا أوفى، أي يوفي حق الكلام إيفاء(٢) لا يغادر شيئاً منه. وقد روى الإمام أحمد عن أبي ذر أنه استأذن على عثمان فأذن له وبيده عصاه فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالاً فما ترى فيه. فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس عليه. فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبّل مني أذر خلفي منه ست أواقي أنشدك بالله يا عثمان أسمعته، ثلاث مرات. قال: نعم(٣). وروى ابن عبر البر أن عثمان استقدمه لشكوى معاوية منه فأسكنه الربذة فمات بها، وقال علي في حقه: ذاك رجل وعى علماً عجز عنه الناس ثم أوكيء عليه شيء.

٦٢٤٠ - (**وعن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال:**) أي معاذ (**التمسوا العلم**) أي علم الكتاب والسنة، أو علم الحلال والحرام وهو الأظهر لقوله ﷺ: «أعلمكم بالحلال أو الحرام معاذ بن جبل»(٤). وبهذا يظهر أيضاً وجه الخصوصية. (**عند أربعة**) أي من الرجال (**عند عويمر**) تصغير عامر (**أبي الدرداء**) قال المؤلف: هو عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي واشتهر بكنيته، والدرداء ابنته. تأخر إسلامه قليلاً وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عالماً سكن الشام ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين. (**وعند سلمان وعند ابن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم**) صفة كاشفة. قال الطيبي: ليس بصفة مميزة لعبد(٥) الله لأنه لا يشارك في اسمه غيره، بل هو مدح له في التوصية بالتماس العلم منه لأنه جمع بين الكتابين. (**فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه**) أي عبد الله بن سلام (**عاشر عشرة في الجنة**) أي مثل عاشر

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٤٢ والحديث عن «ابن عمرو» وليس عن «ابن عمر» كذا في الجامع الصغير ٢/ ٤٧٩ حديث رقم ٧٨٢٥.

(٢) في المخطوطة «أيضاً».

(٣) أحمد في المسند ١/ ٦٣.

الحديث رقم ٦٢٤٠: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٠ حديث رقم ٣٨٠٤. وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٣.

(٤) راجع الحديث رقم (٦١٢٠).

(٥) في المخطوطة «بعبد».

رواه الترمذي.

٦٢٤١ ـ (٤٦) وعن حذيفة، قال: قالوا: يا رسولَ اللّهِ لو استخلفتَ؟ قال: «إن استخلفتُ عليكم فعصيتموه عُذّبتم، ولكن ما حدَّثكم حذيفةُ فصدقوه، وما أقرأكم عبدُ الله فاقرؤوه». رواه الترمذي.

٦٢٤٢ ـ (٤٧) وعنه، قال: ما أحدٌ من الناس تُدركه الفتنة

عشرة، ونحوه أبو يوسف أبو حنيفة إذ ليس هو من العشرة المبشرة كذا ذكره ميرك، وهو قول الطيبي. أو المعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة في الجنة ذكره السيد جمال الدين. وفيه أنه يلزم تقدُّمه على بعض العشرة، فلعله العاشر من الذين أسلموا من اليهود أو مما عدا العشرة المبشرة فيدخل الجنة بعد تسعة عشر من الصحابة والله أعلم. **(رواه الترمذي)**.

٦٢٤١ ـ **(وعن حذيفة قال: قالوا:)** أي بعض الصحابة بعد امتناعه من الاستخلاف **(يا رسول الله لو استخلفت)** أي إن استخلفت شخصاً فمن يكون. وقال الطيبي: لو هذه للتمني، أي ليتنا، أو الامتناعية وجوابه محذوف، أي لكان خيراً. اهـ. وفيه أنه نزع اعتراض **(قال: إن استخلفت عليكم)** أي أحداً **(فعصيتموه)** أي استخلافي أو مستخلفي **(عذبتم)** أي عذاباً شديداً. قال الطيبي: عذبتم جواب الشرط، ويجوز أن يكون مستأنفاً، والجواب فعصيتموه. والأول أوجه لما يلزم من الثاني أن يكون الاستخلاف سبباً للعصيان، والمعنى أن الاستخلاف المستعقب للعصيان سبب للعذاب. وقوله: **(ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه، وما أقرأكم عبد الله)** أي ابن مسعود **(فاقرؤوه)** من الأسلوب الحكيم لأنه زيادة على الجواب كأنه قيل: لا يهمكم استخلافي فدعوه، ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا بهما. وخص حذيفة لأنه كان صاحب سر رسول الله ﷺ ومنذرهم من الفتن الدنيوية، وعبد الله بن مسعود لأنه كان منذرهم من الأمور الأخروية. اهـ. والأظهر أنه استدراك من مفهوم ما قبله، والمعنى: ما أستخلف عليكم أحداً ولكن الخ. ثم وجه اختصاصهما بهذا المقام أنهما شاهدان على صحة خلافة الصديق على ما تقدم والله أعلم. ففيه إشارة إلى الخلافة دون العبارة لئلا يترتب على الثاني شيء من المعصية الموجبة للتعذيب بخلاف الأول، فإنه يبقى للاجتهاد مجال. **(رواه الترمذي)** قال ميرك: وفي إسناده شريك وفيه مقال. قلت: وخرجه ابن السمان عن حذيفة ولفظه: قالوا: يا رسول الله ألا نستخلف قال: إني أن استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب بكم قالوا ألا نستخلف أبا بكر. قال: إن تستخلفوه تجدوه قوياً في أمر الله ضعيفاً في نفسه. قالوا: ألا نستخلف عمر [قال: إن تستخلفوه تجدوه قوياً في أمر الله قوياً في بدنه، قالوا: ألا نستخلف علياً]. قال: إن تستخلفوه تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم.

٦٢٤٢ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة **(قال: ما أحد من الناس تدركه الفتنة)** أي البلية الدنيوية

الحديث رقم ٦٢٤١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٣ حديث رقم ٣٨١٢.

الحديث رقم ٦٢٤٢: أخرجه أبو داود ٥/ ٤٩ حديث رقم ٤٦٦٣.

إِلا أنا أخافها عليه، إلا محمدَ بن مسلمةَ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضرُّكَ الفتنة». رواه [أبو داود].

٦٢٤٣ - (٤٨) وعن عائشةَ، أنَّ النبي ﷺ رأى في بيت الزبير مصباحاً فقال: «يا عائشةُ! ما أُرى أسماءَ إلا قد نُفِستْ، ولا تُسمُّوه حتى أُسمّيهِ» فسمَّاه عبدَ اللَّهِ وحنَّكَهُ بتمرةٍ بيدِه. رواه الترمذي.

(**إلا أنا أخافها عليه إلاّ محمد بن مسلمة**) بكسر فسكون ففتح. (**فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:**) أي مخاطباً له (**لا تضرك الفتنة**) قال المؤلف: أنصاري حارثي شهد المشاهد كلها إلاّ تبوك، روى عن عمر وغيره من الصحابة وكان من فضلاء الصحابة وكان من الذين أسلموا على يد مصعب بن عمير بالمدينة. ومات بها سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة. (**رواه**) هنا بياض في أصل المصنف وكتبوا فيه. رواه أبو داود وسكت عنه وأقره عبد العظيم.

٦٢٤٣ - (**وعن عائشة أن النبي ﷺ رأى في بيت الزبير**) أي ابن العوّام (**مصباحاً**) أي سراجاً (**فقال: يا عائشة ما أرى**) بضم الهمزة وفتح الراء، أي ما أظن (**أسماء**) وهي أخت عائشة زوجة الزبير (**إلاّ قد نفست**) بضم النون وكسر الفاء وقد يفتح النون، أي ولدت وصارت ذا نفاس (**ولا تسموه**) بالواو وفي المصابيح فلا تسموه وهو بصيغة الخطاب تغليباً للحاضر على الغائب، والضمير للمولود. (**حتى أسميه. فسماه عبد الله وحنكه بتمرة**) بتشديد النون (**بيده**) يقال: حنكت الصبي إذا مضغت تمراً أو غيره ثم دلكته بحنكه؛ وفيه أنه إذا ولد ولد لأحد ولد أن يطلب من شريف القوم أن يسمي ذلك الولد ويحنكه بتمرة أو عسل ونحوهما من الحلواء تبرُّكاً ببزاقه. قال المؤلف: هو أسدي قرشي كناه النبي ﷺ بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق وسماه باسمه، وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة أول سنة من الهجرة. وأذن أبو بكر في أذنه. ولدته أمه أسماء بقباء وأتت به النبي ﷺ فوضعته في حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه، وكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم دعا له وبرك عليه. وكان أملس لا شعر له في وجهه كان كثير الصيام والصلاة شهماً ذا أنفة شديد البأس قائلاً بالحق وصولاً للرحم، اجتمع له ما لم يجتمع لغيره. أبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه أسماء بنت الصديق، وجده الصديق وجدته صفية عمة النبي ﷺ وخالته عائشة زوج النبي ﷺ. وبايع رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين. قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين. وكان بويع له بالخلافة سنة أربع وستين، وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة فاجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام أو بعضه. وحج بالناس ثماني حجج، روى عنه خلق كثير. (**رواه الترمذي**).

الحديث رقم ٦٢٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٣٩ حديث رقم ٣٨٢٦. وأحمد في المسند ٦/ ٩٣.

٦٢٤٤ ـ (٤٩) وعن عبد الرحمٰن بن أبي عَمِيرة، عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهمَّ اجعله هادياً مهدياً، واْهدِ بِهِ». رواه الترمذي.

٦٢٤٤ ـ **(وعن عبد الرحمن بن أبي عميرة)** بفتح فكسر مدني صحابي كذا ذكره ميرك. وقال المؤلف: مدني، وقيل قرشي مضطرب الحديث لا يثبت في الصحابة، قاله ابن عبد البر. وهو شامي روى عنه نفر. **(عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية:)** الظاهر المتبادر من الإطلاق أنه معاوية بن أبي سفيان، وإلاّ فمعاوية بن الحكم ومعاوية بن جاهمة أيضاً من الصحابة على ما ذكره المؤلف في أسماء رجاله. **(اللهم اجعله هادياً)** أي للناس، أو دالاً على الخير **(مهدياً)** بفتح الميم وتشديد الياء، أي مهتدياً في نفسه. **(واهد به)** أي بمعاوية الناس. فيه تأكيد لمعنى الهداية المتعدية. اعلم أن الهداية إما مجرد الدلالة أو الدلالة الموصلة إلى البغية. قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري: فهديناهم دللناهم على الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿**وهديناه النجدين**﴾ [البلد ـ ١٠]. والهدي الذي للإرشاد بمعنى الإسعاد، من ذلك قوله سبحانه: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام ـ ٩٠]. وقال غيره: معنى الهداية في اللغة الدلالة، هداه في الدين يهديه هداية إذا دله على الطريق. والهدى يذكر لحقيقة الإرشاد أيضاً ولهذا جاز النفي والإثبات قال تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾ [القصص ـ ٦٥]. وقال تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى ـ ٥٢]. قال الطيبي: لو حمل قوله: هادياً على المعنى الأول، كان قوله: مهدياً، تكميلاً له لأنه رب هاد ولا يكون مهدياً. وقوله: واهد به، تتميماً لأن الذي فاز بمدلوله فوزاً يتبعه كل أحد فكمل ثم تمم، وإذا ذهب إلى المعنى الثاني كان مهدياً تأكيداً وقوله: اهد به، تكميلاً يعني أنه كامل مكمل. ولا ارتياب أن دعاء النبي ﷺ مستجاب، فمن كان هذا حاله كيف يرتاب في حقه. ومن أراد زيادة بيان في معنى الهداية فعليه بفتوح الغيب فإن فيه ما يكفيه. قال المؤلف: قرشي أموي وأمه هند بنت عتبة، كان هو وأبوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ، وقيل لم يكتب له من الوحي، شيئاً إنما كان يكتب له كتبه. روى عنه ابن عباس وأبو سعيد، تولى الشام بعد أخيه يزيد في زمن عمر ولم يزل بها متولياً وحاكماً إلى أن مات وذلك أربعون سنة، منها في أيام عمر أربع سنين أو نحوها ومدة خلافة عثمان وخلافة علي وابنه الحسن، وذلك تمام عشرين سنة. ثم استوثق له الأمر بتسليم الحسن بن علي إليه في سنة إحدى وأربعين ودام له عشرين سنة. ومات في رجب بدمشق وله ثمان وسبعون سنة وكان أصابته لقوة في آخر عمره، وكان يقول في آخر عمره: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى ولم أر من هذا الأمر شيئاً. وكان عنده إزار رسول الله ﷺ ورداؤه وقميصه وشيء من شعره وأظفاره، فقال: كفنوني في قميصه وأدرجوني في ردائه وأزروني بإزاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره وظفره، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين. **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٦٢٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٥ حديث رقم ٣٨٤٢. وأحمد في المسند ٤/ ٢١٦.

٦٢٤٥ ـ (٥٠) وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَسْلم الناسُ، وآمن عمرو بنُ العاص». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب، وليس إسناده بالقوي.

٦٢٤٦ ـ (٥١) وعن جابر، قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر! ما لي أراك منكسراً؟» قلت: استُشهد أبي وترك عيالاً وديناً. قال: «أفلا أبشرك بما لقي اللهَ به أباك؟». قلت: بلى يا رسول الله! قال: «ما كلَّم الله أحداً قطُّ إلا من وراء حجاب، وأحيى أباك فكلَّمه كِفاحاً.

٦٢٤٥ ـ (**وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: أسلم الناس**) التعريف فيه للعهد والمعهود مسلمة الفتح من أهل مكة (**وآمن عمرو بن العاص**) أي قبل الفتح بسنة أو سنتين طائعاً راغباً مهاجراً إلى المدينة. فقوله ﷺ هذا تنبيه على أنهم أسلموا رهبة، وآمن عمرو رغبة فإن الإسلام يحتمل أن يشوبه كراهة، والإيمان لا يكون إلاّ عن رغبة وطواعية ذكره الطيبي وغيره. وقال ابن الملك: إنما خصه بالإيمان رغبة لأنه وقع إسلامه في قلبه في الحبشة حين اعترف النجاشي بنبوّته، فأقبل إلى رسول الله ﷺ مؤمناً من غير أن يدعوه أحد إليه فجاء إلى المدينة في الحال ساعياً فآمن، فأمره النبي ﷺ على جماعة فيهم الصديق والفاروق، وذلك لأنه كان مبالغاً قبل إسلامه في عداوة النبي ﷺ وإهلاك أصحابه، فلما آمن أراد ﷺ أن يزيل عن قلبه أثر تلك الوحشة المتقدمة حتى يأمن من جهته ولا ييأس من رحمة الله تعالى. (**رواه الترمذي وقال: هذا ديث غريب وليس إسناده بالقوي**).

٦٢٤٦ ـ (**وعن جابر قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: يا جابر ما لي أراك منكسراً**) أي منكسر البال والخاطر، يعني مهموماً حزيناً مغموماً (**قلت: استشهد أبي وترك عيالاً**) أي كثيراً (**وديناً**) أي ثقيلاً، فاجتمع أسباب الحزن. (**قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك. قلت: بلى يا رسول الله. قال: ما كلم الله أحداً قط**) أي قبل أبيك، ففيه إيماء إلى أنه بخصوصه أفضل من سائر الشهداء الماضية حيث ما كلم الله أحداً منهم. (**إلاّ من وراء حجاب**) فيه إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلِّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب**﴾ [الشورى ـ ٥١] الآية. مقيد بالدنيا لقوله: (**وأحيا أباك فكلمه كفاحا**) بكسر الكاف، أي مواجهاً عياناً. ففي النهاية: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول. وقال شارح: أي كلم أباك من غير واسطة بينه وبين الله تعالى. فإن قلت: كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿**بل أحياء عند ربهم**﴾ [آل عمران ـ ١٦٩]. لأن التقدير هم أحياء فكيف يحيا الحي فقال المظهر: قيل: جعل الله تعالى تلك الروح في جوف طير خضر فأحيا ذلك الطير بتلك الروح فصح الإحياء. أو أراد بالإحياء زيادة قوة روحه فشاهد الحق بتلك القوة. قال الطيبي: وهذا الجواب أيضاً من

الحديث رقم ٦٢٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٥ حديث رقم ٣٨٤٤. وأحمد في المسند ٤/ ١٥٥.

الحديث رقم ٦٢٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢١٤ حديث رقم ٣٠١٠. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٨ حديث رقم ١٩٠ وأحمد في المسند ٣/ ٣٦١.

قال: يا عبدي! تَمَنَّ عَليَّ أُعطِكَ قال: يا رب! تحييني فأقتلَ فيك ثانية. قال الربُّ تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون» فنزلت: ﴿**ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً**. . . ﴾ الآية. رواه الترمذي.

٦٢٤٧ ـ (٥٢) وعنه، قال: استغفرَ لي رسول الله ﷺ خمساً وعشرين مرَّة. رواه الترمذي.

الأسلوب الحكيم، أي لا تهتم بشأن أمر دنياه من هم عياله وقضاء دينه، فإن الله تعالى يقضي عنه دينه ببركة نبيه وبلطف بعياله، ولكن أبشرك بما هو فيه من القرب عند الله سبحانه وما لقيه به من الكرامة والمنحة. (**قال: يا عبدي**) الخاص (**تمن علي**) أي ما تريد (**أعطك**) أي إياه مع المزيد (**قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية**) [خبر بمعنى الدعاء، أي أحيني حتى] أي أستشهد في سبيلك مرة أخرى ليكون وسيلة إلى زيادة مرضاة المولى. (**قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم**) أي الأموات (**لا يرجعون**) أي إلى الدنيا بحيث إنهم يعيشون فيها مدة طويلة يعملون فيها الطاعات، فلا ينافي وقوع إحياء بعض الأموات لعيسى وغيره. والأظهر أن الضمير راجع إلى الشهداء ومعناه لا يرجعون بالتماسهم وتمنيهم فلا يشكل بشهيد الدجال أيضاً. وقال السيد جمال الدين: قوله: أنهم، أي أهل أحد أو مطلق الشهداء لئلا يشكل بقصة عزير، (**فنزلت**) أي في حقه وأصحابه من شهداء أحد (﴿**ولا تحسبن**﴾) بالخطاب مع فتح السين وكسرها، أي لا تظن أيها المخاطب. وفي قراءة بالغيبة، أي لا يحسبن حاسب. (﴿**الذين قتلوا**﴾) وفي رواية قتلوا بالتشديد، أي استشهدوا (﴿**في سبيل الله أمواتاً**﴾)[1] مفعول ثان (**الآية**) يعني بل: ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل**﴾ أي للمجاهدين. ﴿**وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**﴾ [آل عمران ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧١]. (**رواه الترمذي**) أي وقال: حسن غريب.

٦٢٤٧ ـ (**وعنه**) أي عن جابر رضي الله عنه (**قال: استغفر لي رسول الله ﷺ خمساً وعشرين مرة**) يحتمل أن يكون في مجلس أو مجالس، ويؤيد الأول قوله (**رواه الترمذي**) حيث لفظه: استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمساً وعشرين. وقال: حديث حسن، وقصة البعير سبقت. قال المؤلف: جابر بن عبد الله كنيته أبو عبد الله الأنصاري السلمي من مشاهير الصحابة وأحد المكثرين من الرواية، شهد بدراً وما بعدها مع النبي ﷺ ثماني عشرة غزوة وقدم الشام ومصر وكف بصره آخر عمره. روى عنه خلق كثير، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وتسعون سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول. وأما أبوه فلم يذكره المؤلف في أسمائه.

---

(١) آل عمران. آية رقم ١٦٩.

الحديث رقم ٦٢٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٨ حديث رقم ٣٨٥٢.

٦٢٤٨ ـ (٥٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبَرَّهُ، منهم البراءُ بنُ مالك». رواه الترمذي، والبيهقي في «دلائل النبوة».

٦٢٤٩ ـ (٥٤) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ عَيبتي التي آوي إليها أهل بيتي، وإن كَرِشي الأنصارُ، فاْعفوا عن مسيئهم واْقبلوا من محسنهم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن.

٦٢٥٠ ـ (٥٥) وعن ابن عبَّاس، أنَّ النبي ﷺ قال: «لا يبغض الأنصار أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٦٢٤٨ ـ (**وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: كم من أشعث**) أي متفرق شعر الرأس (**أغبر**) أي مغبر البدن (**ذي طمرين**) بكسر فسكون، أي صاحب ثوبين خلقين. (**لا يؤبه [له]**) بضم ياء وسكون واو، وقد يهمز وفتح موحدة. ففي النهاية: لا يبالي به ولا يلتفت إليه لحقارته. ويقال: ما وبهت له بفتح الباء وكسرها وبهاء بالسكون والفتح وأصل الواو الهمزة. اهـ. والمفهوم من القاموس أن الهمزة [لغة أخرى]. قال ابن الملك: كم خبرية مبتدأ ومن مبين لها، وخبره لا يؤبه. اهـ. والظاهر أن الخبر هو قوله: (**لو أقسم على الله لأبرّه**) أي لأمضاه على الصدق وجعله باراً في الخلق. (**منهم البراء بن مالك**) وهو أخو أنس شهد أحداً وما بعدها من المشاهد وكان من الأبطال الأشداء، قتل من المشركين مائة مبارز سوى من شارك فيه، ولم يذكره المؤلف في أسمائه. (**رواه الترمذي والبيهقي في دلائل النبوّة**) وكذا الضياء.

٦٢٤٩ ـ (**وعن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: ألا**) للتنبيه (**إن عيبتي**) أي خاصتي (**التي آوي**) أي أميل وأرجع (**إليها أهل بيتي وإن كرشي**) أي بطانتي (**الأنصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن**) وفي نسخة: من (**محسنهم**) والضمير راجع إلى الصنفين من أهل البيت والأنصار على حد قوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا**﴾ [الحج ـ ١٩]. ويحتمل أن يرجع إلى الأخير، والأول يفهم بالطريق الأولى. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن**).

٦٢٥٠ ـ (**وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: لا يبغض الأنصار**) أي جميعهم أو جنسهم (**أحد يؤمن بالله واليوم الآخر. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح**).

الحديث رقم ٦٢٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٥٠ حديث رقم ٣٨٥٤. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٦٨.

الحديث رقم ٦٢٤٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٧١ حديث رقم ٣٩٠٤. وأحمد في المسند ٣/ ٨٩.

الحديث رقم ٦٢٥٠: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٨٦ حديث رقم (١٣٠ . ٧٠). والترمذي في السنن ٥/ ٦٧١ حديث رقم ٣٩٠٦. وأحمد في المسند ١/ ٣٠٩.

٦٢٥١ ـ (٥٦) وعن أنس، عن أبي طلحة، قال: قال [لي] رسول الله ﷺ: «أقرىء قومك السلام، فإنهم ما علمت أَعِفَّةٌ صُبُرٌ». رواه الترمذي.

٦٢٥٢ ـ (٥٧) وعن جابر، أنَّ عبداً لحاطب جاء إلى النبيّ ﷺ يشكو حاطباً إليه. فقال: يا رسول الله ليدخُلَنَّ حاطبُ النار، فقالَ رسول الله ﷺ: «كذبتَ، لا يدخلها فإنه قد شهد بدْراً والحديبية». رواه مسلم.

٦٢٥١ ـ (**وعن أنس عن أبي طلحة**) أي زوج أمه (**قال: قال لي**) أي بخصوصي (**رسول الله ﷺ: أقرىء**) بفتح الهمزة وكسر الراء، وفي نسخة كما في المصابيح بكسر همز وفتح راء، أي أبلغ. (**قومك السلام**) ففي النهاية: يقال: أقرىء فلاناً السلام واقرأ عليه السلام، وكأنه حين يبلغه السلام يحمله على أن يقرأ السلام. وفي المغرب: اقرأ سلامي على فلان وأقرئه سلامي عامي. وفي القاموس: قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه [أو] لا. يقال: أقرأه إلاّ إذا كان السلام مكتوباً. وفي الصحاح: فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام، بمعنى وأقرأه القرآن فهو مقرىء. وفي المصباح: قرأت على زيد السلام أقرأه عليه قراءة، وإذا أمرت منه قلت: اقرأ عليه السلام. قال الأصمعي: وتعديته بنفسه خطأ فلا يقال: اقرأه السلام لأنه بمعنى اتل عليه. وحكى ابن القطان أنه يتعدى بنفسه رباعياً، فيقال: فلان يقرئك السلام. (**فإنهم**) أي قومك (**ما علمت**) ما موصولة، أي بناء على ما علمته فيهم من الصفات. (**أعفة**) بفتح فكسر فتشديد، جمع عفيف وهي خبر إن وما علمت معترضة. (**صبر**) بضمتين جمع صابر كبزل وبازل. وفي نسخة بضم فتشديد مفتوحة كركع جمع راكع. قال الطيبي: ما موصولة والخبر محذوف أي الذي علمت منهم أنهم كذلك يتعففون عن السؤال ويتحملون الصبر عند القتال. وهو مثل ما في الحديث: يقلون عند الطمع ويكثرون عند الفزع. وقال شارح: ما مصدرية يعني أنهم يتعففون ويتحملون مدة علمي بحالهم، أو في علمي بحالهم أو موصولة، أي فيما علمت منهم. (**رواه الترمذي**).

٦٢٥٢ ـ (**وعن جابر أن عبداً لحاطب**) أي ابن بلتعة (**جاء إلى النبي ﷺ يشكو حاطباً إليه فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار**) أي لكثرة ما ظلمني (**فقال رسول الله ﷺ: كذبت**) أي حيث جزمت وأكدت (**لا يدخلها فإنه قد شهد بدراً والحديبية**) أي ومن حضرهما لا يدخل النار جزماً، ومما يدل على إيمانه خطابه في عقابه في كتابه: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء**﴾ [الممتحنة ـ ١] الآية. (**رواية مسلم**).

الحديث رقم ٦٢٥١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٧٠ حديث رقم ٣٩٠٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٥٠.
الحديث رقم ٦٢٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٢ حديث رقم (١٦٢ ـ ٢١٩٥) والترمذي في السنن ٥/ ٦٥٤ حديث رقم ٣٨٦٥. وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٥.

٦٢٥٣ - (٥٨) وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** قالوا: يا رسول الله ﷺ! من هؤلاءِ الذين ذكر الله، إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومُه، ولو كانَ الدِّينُ عندَ الثريّا، لتناوَلَه رجالٌ منَ الفُرْسِ». رواه الترمذي.

٦٢٥٤ - (٥٩) وعنه، قال: ذُكرتْ الأعاجم عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لأنَابهم - أو ببعضهم - أوثقُ مني بكم - أو ببغضكم -».

٦٢٥٣ - **(وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية)** أي قوله تعالى: (**﴿وإن تتولوا﴾**) أي إن تعرضوا وتنصرفوا وتدبروا عن الإيمان بمحمد ونصرة دينه (**﴿يستبدل﴾**) أي الله (**﴿قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾**)(١) بل يكونون خيراً منكم **(قالوا)**: أي بعض الصحابة **(يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا)** وفيه رد على ابن الملك حيث قال الخطاب لصناديد قريش **(فضرب)** أي النبي ﷺ **(بيده على فخذ سلمان الفارسي)** وفيه إيماء إلى قربه **(ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس)** بضم فسكون أي طائفة العجم مطلقاً، أو من يكون لسانه فارسياً أو من بلده فارس وهو إقليم منه شيراز، والأول أظهر لما يدل عليه الحديث الذي يليه. **(رواه الترمذي)**.

٦٢٥٤ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: ذكرت الأعاجم عند رسول الله ﷺ)** أي بالمدح أو الذم **(فقال رسول الله ﷺ: لأنابهم أو ببعضهم)** شك من الراوي، والظاهر أن المراد بهم مجموعهم فلا ينافي قوله. **(أو ببعضهم أوثق)** أي أرجى في الاعتماد على طلب الدين **(مني بكم أو ببعضكم)** قيل فيه تفضيل الأعاجم. أقول: والظاهر أن هذا مقتبس من قوله تعالى: **﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾** [الشعراء - ١٩٨ - ١٩٩]. ومن قوله: **﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي﴾** [فصلت - ٤٤]. ومن الآية السابقة. هذا وقال المظهر: أنا مبتدأ وأوثق خبره ومني صلة أوثق، والباء في بهم مفعوله وأو عطف على بهم، والباء في بكم مفعول فعل مقدر يدل عليه أوثق وأوفى، أو ببعضكم(٢)، عطف على بكم إما متعلق أيضاً بأوثق، إذ هو في قوّة الوثوق وزيادة، فكأنه فعلان جاز أن يعمل في مفعولين أو بآخر دل عليه الأول. والمعنى وثوقي واعتمادي بهم أو ببعضهم أكثر من وثوقي بكم أو ببعضكم. قال الطيبي: الأول من باب العطف على الانسحاب، والثاني من باب العطف على التقدير. والمخاطبون بقول: بكم أو ببعضكم، قوم مخصوصون دعوا إلى الإنفاق في سبيل الله فتقاعدوا عنه، فهو كالتأنيب والتعيير

الحديث رقم ٦٢٥٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٢ حديث رقم ٣٩٣٣.

(١) سورة محمد. آية رقم ٣٨.

الحديث رقم ٦٢٥٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٨٢ حديث رقم ٣٩٣٢.

(٢) في المخطوطة «بعضهم».

رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٦٢٥٥ ـ (٦٠) عن عليّ [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكُل نبيّ سبعةَ نجباءَ رقباءَ، وأُعطيتُ أنا أربعةَ عشر قلنا: من هم؟ قال: «أنا وابناي، وجعفرٌ، وحمزةُ، وأبو بكرٍ،

عليهم، ويدل عليه قوله تعالى في الحديث السابق: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم**﴾ [محمد ـ ٣٨]. فإنه جاء عقيب قوله: ﴿**ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل**﴾ [محمد ـ ٣٨]. يعني أنتم هؤلاء المشاهدون بعد ممارستكم الأحوال وعلمكم بأن الإنفاق في سبيل الله خير لكم تدعون إليه فتتبثطون عنه وتتولون، فإن استمر توليكم يستبدل الله قوماً غيركم بذالون لأرواحهم وأموالهم في سبيل الله، ولا يكونوا أمثالكم في الشح المبالغ فهو تعريض وبعث لهم على الإنفاق، فلا يلزم منه التفضيل. قلت: إن كان مراده أنه لا يلزم التفضيل مطلقاً فهو خلاف الكتاب والسنة، مع أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وإن كان مراده أنه لا يلزم التفضيل المطلق فهو صحيح. إذ يدل على أنهم في بعض الصفات أفضل من العرب ولا بدع أن يوجد في المفضول زيادة فضيلة بالنسبة إلى بعض فضائل الفاضل، فجنس العرب أفضل من جنس العجم بلا شبهة، وإنما الكلام في بعض الأفراد والله أعلم بالعباد. **(رواه الترمذي)**.

(الفصل الثالث)

٦٢٥٥ ـ **(عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي سبعة نجباء رقباء)** بإضافة سبعة رهما على وزن فعلاء جمع، والنجيب هو الكريم المختار والرقيب الحافظ على الاقتدار والمراد بهم الموجودون في زمن كل نبي لقوله: **(وأعطيت أنا أربعة عشر)** أي نجيباً رقيباً بطريق الضعف تفضلاً **(قلنا من هم)** أي الأربعة عشر **(قال: أنا)** قال الطيبي: فاعل ضمير النبي ﷺ وأنا ضمير علي رضي الله عنه، يعني هو عبارة عنه نقله بالمعنى، أي مقوله أنا. **(وابناي)** أي الحسنان **(وجعفر)** أي أخو علي **(وحمزة)** قال المؤلف: حمزة بن عبد المطلب كنيته أبوعمارة بضم العين عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب وهو أسد الله. أسلم قديماً في السنة الثانية من المبعث، وقيل: بل كان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة فأعز الله الإسلام بإسلامه. وشهد بدراً واستشهد يوم أحد قتله وحشي بن حرب، وكان أسن من رسول الله ﷺ بأربع سنين. قال ابن عبد البر: ولا يصح هذا عندي لأنه رضيع رسول الله ﷺ إلا أن تكون ثويبة أرضعتهما في زمانين. وقيل: كان أسن منه بسنتين. روى عنه علي والعباس وزيد بن حارثة. اهـ. **(وأبو بكر**

الحديث رقم ٦٢٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٢٠ حديث رقم ٣٧٨٤. وأحمد في المسند ١/ ١٤٨.

وعمرُ، ومصعبُ بن عُمير، وبلالٌ، وسلمانُ، وعمَّار، وعبدُ الله بن مسعود، وأبو ذرّ، والمقداد». رواه الترمذي.

٦٢٥٦ ـ (٦١) وعن خالد بن الوليد، قال: كانَ بيني وبين عمّارِ بن ياسرٍ كلامٌ، فأغلظتُ له في القول، فانطلق عمَّار يشكوني إلى رسول الله ﷺ، فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبيِّ ﷺ. قال: فجعلَ يُغلظُ له ولا يزيده إلا غلظة، والنبيُّ ﷺ ساكتٌ لا يتكلَّمُ، فبكى عمَّارٌ وقال: يا رسول الله! ألا تراه؟ فرفع النبيُّ ﷺ رأسَه وقال: «من عادى عمَّاراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أَبغَضَه الله». قال خالدٌ: فخرجتُ فما كانَ شيءٌ أحبَّ إِليَّ من رضى عمَّارٍ، فلقيته بما رضي فرضي.

٦٢٥٧ ـ (٦٢) وعن أبي عُبَيدَةَ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالدٌ

وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد) وقد تقدم تراجمهم، والواو أطلق الجمع **(رواه الترمذي)**.

٦٢٥٦ ـ **(وعن خالد بن الوليد)** قال المؤلف: مخزومي وأمه لبابة الصغرى أخت ميمونة زوج النبي ﷺ وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية، سماه رسول الله ﷺ سيف الله. مات سنة إحدى وعشرين وأوصى إلى عمر بن الخطاب. وروى عنه ابن خالته ابن عباس وعلقمة وجبير ابن نفير **(قال: كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام)** أي مكالمة في معاملة **(فأغلظت له في القول، فانطلق عمار يشكوني إلى رسول الله ﷺ. فجاء خالد)** قال الطيبي: هذا كلام الراوي عن خالد. وقال: محذوف يدل عليه قوله بعده: قال خالد: فخرجت. وقال ميرك: يحتمل أن يكون من كلام خالد على الالتفات. **(وهو)** أي عمار **(يشكوه)** أي خالداً **(إلى النبي ﷺ. قال:)** أي الراوي **(فجعل)** أي خالداً **(يغلظ له)** أي لعمار **(في الكلام ولا يزيده)** أي خالد عماراً **(إلا غلظة)** أي شدة في الغضب **(والنبي ﷺ ساكت لا يتكلم)** تأكيد لما قبله **(فبكى عمار)** أي من قلة صبره وكثرة غضبه، ورأى أنه ﷺ خافض رأسه كأنه متفكر في أمره فتضرع إليه. **(وقال:)** أي عمار **(يا رسول الله ألا تراه)** أي ألا تعلم خالداً فيما يقول في حقي من الغلظة **(فرفع النبي ﷺ رأسه وقال: من عادى عماراً)** أي بلسانه **(عاداه الله ومن أبغض عماراً)** أي بقلبه **(أبغضه الله. قال خالد: فخرجت)** أي من عنده ﷺ أي تسكيناً للقضية أو على قصد إرضاء عمار بالكلية كما يدل عليه قوله: **(فما كان شيء أحب إلي من رضا عمار)** أي بعد ما خرجت **(فلقيته)** أي فواجهته **(بما رضي)** أي من التواضع والاستحلال والاعتناق ونحوها من أسباب الرضا. **(فرضي)** أي عمار عني رضي الله عنهما.

٦٢٥٧ ـ **(وعن أبي عبيدة)** أي ابن الجراح **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خالد**

الحديث رقم ٦٢٥٦: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٩٠.

الحديث رقم ٦٢٥٧: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٩٠.

سيفٌ من سيوف الله عزَّ وجلَّ، ونعم فتى العشيرة». رواهما أحمد.

٦٢٥٨ ـ (٦٣) وعن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى أمرني بحبِّ أربعة، وأخبرني أنه يحبُّهم». قيل: يا رسول الله: سمِّهم لنا. قال: «عليٌّ منهم» يقول ذلك ثلاثاً: «وأبو ذرّ، والمقدادُ، وسلمانُ، أمرني بحبّهم وأخبرني أنه يحبُّهم». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسن غريب.

سيف) أي كسيف سله الله على المشركين وسلطه على الكافرين، أو ذو سيف. **(من سيوف الله عزَّ وجلَّ)** أي حيث يقاتل مقاتلة شديدة في سبيله مع أعداء دينه. وقال الطيبي: هو من باب قول الله تعالى: **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾** [الشعراء ـ ٨٨ ـ ٨٩]. جعل بالإدعاء جنس السيوف نوعين متعارف وغيره وخالد من أحد نوعيه. اهـ. والظاهر أن الآية ليست من هذا القبيل بل هو استثناء منقطع، أي لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينفعه سلامة قلبه في ذلك اليوم، أو المضاف مقدر، أي إلاّ مال وابن من أتى الله فالاستثناء متصل، أو التقدير يوم لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا من أتى الله بقلب سليم. **(ونعم فتى العشيرة)** أي في بني مخزوم والمخصوص بالمدح محذوف، أي هو. **(رواهما)** أي الحديثين **(أحمد)** وفي الجامع: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله[(١)]. رواه البغوي عن عبد الله بن جعفر. وروى ابن عساكر عن عمر مرفوعاً: خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين[(٢)]. وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس: خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة أسد الله وأسد رسوله وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله، وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمٰن، وعبد الرحمٰن بن عوف من تجار الرحمٰن عزَّ وجلَّ[(٣)].

٦٢٥٨ ـ **(وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة)** أي على الخصوص **(وأخبرني أنه)** أي سبحانه وتعالى **(يحبهم. قيل: يا رسول الله سمهم لنا)** أي حتى نحن نحبهم أيضاً تبعاً لمحبة الله ورسوله **(قال: علي منهم)** وفي نسخة الجامع: منهم علي. **(يقول ذلك ثلاثاً)** أي للإشعار بأنه أفضلهم أو يحبه قدر ثلاثتهم **(وأبو ذر والمقداد وسلمان أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم)** هذا فذلكة مفيدة لتأكيد ما سبق **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب)**. ولفظ الجامع: إن الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان. رواه الترمذي وابن ماجه، والحاكم في مستدركه[(٤)].

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٣٦ حديث رقم ٣٨٧٤.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٣٦ حديث رقم ٣٨٧٥.

(٣) مسند الفردوس ٢/ ١٩٤ حديث رقم ٢٩٦٧.

الحديث رقم ٦٢٥٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٩٤ حديث رقم ٣٧١٨. وابن ماجه في السنن ١/ ٥٣ حديث رقم ١٤٩. وأحمد في المسند ٥/ ٣٥١.

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٠٦ حديث رقم ١٦٩٢ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٣٠.

٦٢٥٩ ـ (٦٤) وعن جابر، قال: كانَ عمر يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتَقَ سيدَنا، يعني بلالاً. رواه البخاري.

٦٢٦٠ ـ (٦٥) وعن قيس بن أبي حازم: أنَّ بلالاً قال لأبي بكرٍ: إِن كنتَ إِنما اشتريتَني لنفسك فأمسكني، وإِن كنتَ إِنما اشتريتَني لله فدَعْني وعملَ الله. رواه البخاري.

٦٢٦١ ـ (٦٦) وعن أبي هريرةَ، قال: جاء رجلٌ إِلى رسول الله ﷺ فقال: إِني

٦٢٥٩ ـ **(وعن جابر قال: كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا)** أي خيرنا وأفضلنا **(وأعتق)** أي أبو بكر **(سيدنا يعني)** أي يريد عمر بقوله: سيدنا الثاني. **(بلالاً)** وإنما قاله تواضعاً فإن عمر أفضل منه إجماعاً. وقال ابن التين: يعني أن بلالاً من السادة ولم يرو أنه أفضل من عمر. وقال غيره: السيد الأوّل حقيقة والثاني قاله عمر تواضعاً على سبيل المجاز، إذ السيادة لا تثبت الأفضلية، وقد قال ابن عمر: ما رأيت أسود من معاوية على أنه رأى أبا بكر وعمر. كذا ذكره العسقلاني في فتح الباري. والأظهر أنه قال ابن عمر بعد الخلفاء الأربعة، فالمراد به أنه أسود في زمانه. **(رواه البخاري)**.

٦٢٦٠ ـ **(وعن قيس بن أبي حازم)** قال المؤلف: هو أحمسي، بجلي أدرك زمن الجاهلية وأسلم وجاء إلى النبي ﷺ ليبايعه فوجده توفي. يعد في تابعي الكوفة روى عن العشرة إلا عن عبد الرحمٰن بن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة [وليس في] التابعين من روى عن تسعة من العشرة إلا هو، وروى عنه جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين. شهد النهروان مع علي بن أبي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة ومات سنة ثمان وتسعين. **(أن بلالاً قال لأبي بكر)** أي حين أراد التوجه إلى الشام بعد وفاة النبي ﷺ لعدم صبره على رؤية المسجد النبوي بغير حضوره ﷺ، وعدم القدرة على الأذان فيه ولا على تركه في زمن غيره. وسيجيء أنه صار سيد الأبدال ومحلهم غالباً هو الشام. **(ومنعه أبو بكر رضي الله عنه:)** أي عن الرواح بالإلزام على المجاوزة مع اختيار الأذان. **(إن كنت إنما اشتريتني لنفسك)** أي لرضاها ووفق مدعاها **(فأمسكني)** أي فأحكم علي بالقعود **(وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني)** أي فاتركني **(وعمل الله)** أي العمل الذي اخترته لله أو الأمر الذي قدره الله وقضاه. وأما حديث رحيل بلال ثم رجوعه إلى المدينة بعد رؤيته ﷺ في المنام وأذانه بها وارتجاج المدينة به فلا أصل له، وهي بينة الوضع ذكره السيوطي في الذيل. **(رواه البخاري)**.

٦٢٦١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني**

الحديث رقم ٦٢٥٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٩. حديث رقم ٣٧٥٤.

الحديث رقم ٦٢٦٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٩٩. حديث رقم ٣٧٥٥.

الحديث رقم ٦٢٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٩. حديث رقم ٣٧٩٨. وأخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٢٤ حديث رقم (١٧٢ ـ ٢٠٥٤). والترمذي في السنن ٥/ ٣٨١ حديث رقم ٣٣٠٤.

مجهودٌ. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثَك بالحقّ ما عندي إلا ماءٌ، ثُمَّ أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. وقلن كلُّهن مثل ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «من يضيِّفهُ؟ ويرحمُه الله» فقام رجل من الأنصار يقال له: أبو طلحة، فقال: أنا يا رسولَ اللّهِ! فانطلَقَ به إلى رَحْله فقال لامرأته: هل عندكِ شيء؟ قالت: لا، إلا قوتَ صبياني قال: فعلّلِيهم بشيءٍ ونوميهم، فإذا دخل ضيفُنا فأريه أنّا نأكلُ، فإذا أهوى بيده ليأكلَ، فقومي إلى السّراج كي تصلحيه فأُطفئيه، ففعلَتْ، فقعدوا، وأكل الضيفُ، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على رسولِ اللّهِ ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «لقد عَجِبَ الله - أو ضحك الله - [من] فُلانٍ وفلانة».

وفي رواية مثله،

مجهود) أي فقير أصابه الجهد وهو المشقة والحاجة أو الجوع **(فأرسل)** أي النبي ﷺ **(إلى بعض نسائه)** أي من الأزواج الطاهرات **(فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي)** أي من المأكول والمشروب **(إلا ماء. ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك)** أي وهكذا حتى أرسله إلى كل واحدة منهن **(وقلن كلهن مثل ذلك)** ولعل هذا كان في أوّل الحال قبل أن يفتح خيبر وغيرها ويحصل الغنائم والأموال. **(فقال رسول الله ﷺ: من يضيفه)** من باب التفعيل، وفي نسخة من باب الإفعال وهو مرفوع، فمن موصولة مبتدأ خبره جملة قوله: **(يرحمه الله. فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة)** وهو زيد بن سهل الأنصاري زوج أم أنس بن مالك وسبق ذكره **(فقال: أنا)** أي أضيفه **(يا رسول الله. فانطلق به إلى رحله)** أي منزله **(فقال لامرأته وهي أم أنس: هل عندك شيء)** أي من الطعام **(قالت: لا إلا قوت صبياني)** بالرفع وقيل بالنصب، أي إلا قوت الصغار بناء على أنهم يجوعون في كل ساعة من الليل والنهار، وإلا فمن المعلوم أنه لا يجوز اجاعة الصبيان وإضاعتهم وإطعام الضيفان وإطاعتهم. **(قال: فعلليهم)** أي سكنيهم من علله بشيء أي ألهاه به **(ونوميهم)** أي رقديهم وكأنه قصد أنهم إن يروا أكل الضيف فيشتهوا كما هو عادة الأولاد **(فإذا دخل ضيفنا فأريه)** أي فأحضريه لأنها كانت عجوزاً، والقضية قبل الحجاب وأظهريه. **(أنا)** أي جميعنا **(نأكل)** أي من هذا الطعام، فإن الضيف إذا رأى أن أحداً امتنع من الأكل ربما تشوّش خاطره. **(فإذا هوى)** أي قصد الضيف ومد **(بيده ليأكل فقومي إلى السراج كي تصلحيه)** أي لإصلاحه فكي تعليلية **(فأطفئيه)** أي ليقع الظلام فلا يطلع على امتناعنا من أكل الطعام **(ففعلت. فقعدوا)** أي ثلاثتهم **(وأكل الضيف وباتا طاويين)** أي جائعين **(فلما أصبح)** أي الضيف، قال الطيبي: هي[1] ههنا تامة وقوله: **(غدا على رسول الله ﷺ)** جواب لما وضمن فيه معنى الإقبال، أي لما دخل في الصباح أقبل على رسول الله ﷺ غادياً. اهـ. وفي أكثر النسخ المصححة إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى ذهب إلى رسول الله ﷺ في الغدوة **(فقال رسول الله ﷺ:)** أي بنور الكشف أو من طريق الوحي **(لقد عجب الله أو ضحك الله)** والمعنى رضي **(من فلان وفلانة)** أي أبي طلحة وامرأته **(وفي رواية مثله)** بالرفع وفي نسخة بالنصب، أي

---

(١) في المخطوطة «هو».

ولم يسمِّ أبا طلحة. وفي آخرها فأنزل الله تعالى: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾. متفق عليه.

٦٢٦٢ ـ (٦٧) وعنه، قال: نزلنا مع رسولِ اللّهِ ﷺ منزلاً، فجعلَ الناسِ يَمرُّون، فيقول رسول الله ﷺ: «من هذا يا أبا هريرة؟» فأقول: فلانٌ. فيقول: «نِعْمَ عبد الله هذا» ويقول: «من هذا؟» فأقول: فلانٌ. فيقول: «بئس عبد الله هذا» حتى مرَّ خالدُ بنُ الوليد فقال: «من هذا؟» فقلتُ: خالد بن الوليد. فقال: «نعم عبد الله بن خالدُ بن الوليد! سيفٌ من سيوف الله». رواه الترمذي.

٦٢٦٣ ـ (٦٨) وعن زيد بن أرقم قال: قالت الأنصار: يا نبيَّ الله! لكل نبيّ أتباعٌ وإنَّا قد اتَّبعناكَ، فادْعُ اللَّهَ أن يجعلَ أتباعَنا منَّا، فدعا به.

مثل ما ذكر من الحديث المتقدم (**ولم يسم أبا طلحة**) أي في هذه الرواية (**وفي آخرها فأنزل الله تعالى**: ﴿**ويؤثرون**) أي أضيافهم أو غيرهم (﴿**على أنفسهم**﴾) أي على حظوظها (﴿**ولو كان**﴾) أي وقع (﴿**بهم خصاصة**﴾)(١) أي حاجة ومجاعة. قال الطيبي: والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض، أي يؤثرون على أنفسهم مفروضة خصاصتهم. (**متفق عليه**).

٦٢٦٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: نزلنا مع رسول الله ﷺ منزلاً فجعل الناس يمرون**) أي علينا من كل جانب (**فيقول رسول الله ﷺ: من هذا يا أبا هريرة فأقول: فلان**) أي أسميه باسمه ووصفه (**فيقول: نعم عبد الله هذا. ويقول**:) أي في مار غيره (**من هذا فأقول: فلان. فيقول: بئس عبد الله هذا**) وهذا من باب ما روى أبو يعلى وغيره مرفوعاً: اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس. (**حتى مر**) أي استمر هذا السؤال والجواب حتى مر (**خالد بن الوليد فقال: من هذا. فأقول: خالد بن الوليد**) وفي هذا اشعار بأنه ﷺ كان في خيمة وأبو هريرة خارجها، وإلا فمثل خالد بن الوليد لا يخفى عليه ﷺ. (**فقال: نعم عبد الله**) أي هذا (**خالد بن الوليد سيف من سيوف الله**) أو التقدير: نعم عبد الله خالد بن الوليد هو سيف من سيوف الله. والجملة على التقديرين مبينة لسبب المدح (**رواه الترمذي**).

٦٢٦٣ ـ (**وعن زيد بن أرقم قال: قالت الأنصار: يا نبي الله لكل نبي أتباع وإنا قد اتبعناك**) بتشديد التاء أي بالغنا في اتباعك (**فادع الله أن يجعل أتباعنا منا**) قال الطيبي: الفاء تستدعي محذوفاً، أي لكل نبي أتباع ونحن أتباعك لأنا قد اتبعناك فادع الله أن يكون أتباعنا منا، أي متصلين بنا مقتفين آثارنا بإحسان كما قال تعالى: ﴿**والذين اتبعوهم بإحسان**﴾ [التوبة ـ ١٠٠]. وقال غيره: أتباع الأنصار حلفاؤهم والموالي، والمعنى ادع الله أن يقال لهم الأنصار حتى يتناولهم الوصية لهم بالإحسان إليهم وغير ذلك. (**فدعا**) أي النبي ﷺ (**به**) أي بجعل

---

(١) سورة الحشر. آية رقم ٩.

الحديث رقم ٦٢٦٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٤٦ حديث رقم ٣٨٤٦.

الحديث رقم ٦٢٦٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١١٤. حديث رقم ٣٧٨٧.

رواه البخاري.

٦٢٦٤ - (٦٩) وعن قتادةَ قال: ما نعلمُ حيًّا من أحياءِ العرب أكثرَ شهيداً أعزَّ يوم القيامةِ من الأنصار. قال: وقال أنس: قُتِلَ منهم يوم أُحُدٍ سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويومَ اليمامة على عهد أبي بكر سبعون. رواه البخاري.

٦٢٦٥ - (٧٠) وعن قيس بن أبي حازم، قال: كان عطاءُ البدريينَ خمسةَ آلاف. وقال عمر: لأفضلنَّهم على مَنْ بَعدَهم. رواه البخاري.

تسمية من سمي من أهل بدر في «الجامع للبخاري»

أتباعهم منهم (**رواه البخاري**).

٦٢٦٤ - (**وعن قتادة**) تابعي جليل مشهور سبق ذكره (**قال: ما نعلم حياً**) أي ما نعرف قبيلة وقوماً (**من أحياء العرب**) أي من قبائلهم (**أكثر شهيداً**) صفة حياً بعد صفة وكذا قوله: (**أعز**) أي شهيداً (**يوم القيامة**) أي يتحقق فيه (**من الأنصار**) والجار متعلق بالفعلين على التنازع (**قال:**) أي قتادة دليلاً على ما ذكره (**قال أنس: قتل منهم**) أي من الأنصار (**يوم أحد سبعون**) ظاهره أن الجميع من الأنصار، وهو كذلك إلا القليل. إذ روى ابن منده من حديث أبي: قتل من الأنصار يوم أحد أربعة وستون، ومن المهاجرين ستة. وصححه ابن حبان من هذا الوجه (**ويوم بئر معونة**) بفتح فضم (**سبعون ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون. رواه البخاري**).

٦٢٦٥ - (**وعن قيس بن أبي حازم قال: كان**) أي في زمن الصديق (**عطاء البدريين**) أي الذين حضروا قضية بدر (**خمسة آلاف خمسة آلاف**) كرره ليفيد أن كل واحد منهم له خمسة آلاف (**وقال عمر لأفضلنهم على من بعدهم**) أي على غيرهم في المرتبة، يعني كانت عطياتهم كاملة بخلاف غيرهم وأنا أيضاً لأفضلنهم على غيرهم وإن زدت على هذا المقدار (**رواه البخاري**).

(تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع للبخاري رضي الله عنهم أجمعين)

أي هذا ذكر من ذكر من أهل بدر بأسمائهم في صحيح البخاري حقيقة أو حكماً ليدخل عثمان دون من لم يسم فيه ودون من لم يذكر فيه أصلاً. قال ميرك: والمراد بمن تسمى من

الحديث رقم ٦٢٦٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٧٤. حديث رقم ٤٠٧٨.

الحديث رقم ٦٢٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٢٣. حديث رقم ٤٠٢٢.

١ ـ النبي محمَّدُ بن عبد الله الهاشميُّ ﷺ. ٢ ـ عبد الله بن عثمان أبو بكر الصدِّيق القرشي. ٣ ـ عمر بن الخطاب العدويّ. ٤ ـ عثمان بن عفان القرشي خلَّفه النبي ﷺ على ابنته رقيَّة وضرَبَ له بسهمه. ٥ ـ عليُّ بن أبي طالب الهاشمي. ٦ ـ إياس بن البُكَير. ٧ ـ بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق. ٨ ـ حمزة بن عبد المطلب الهاشميُّ. ٩ ـ حاطب بن أبي بلتعة حليفٌ لقريش. ١٠ ـ أبو حذيفةَ [بن عتبة] بن ربيعة القرشي. ١١ ـ حارثة ابن الربِّيع الأنصاري، قتل يوم بدر، وهو حارثة بن سراقة، كان في النَّظَّارة.

جاء ذكره فيه برواية عنه أو عن غيره بأنه شهد بدراً، لا مجرد ذكره دون التنصيص على أنه شهدها. وبهذا يجاب عن ترك إيراد مثل أبي عبيدة بن الجراح فإنه شهدها باتفاق أهل الحديث والسير وذكره في صحيح البخاري في عدة مواضع، إلا أنه لم يقع فيه التنصيص على أنه شهدها. اهـ. وقد سبق في رواية أبي داود عن ابن عمر أنه خرج يوم بدر في ثلثمائة وخمسة عشر، وجاء في رواية أن المشركين كانوا ألفاً والصحابة ثلاثمائة وسبعة عشر. (**النبي محمد بن عبد الله الهاشمي**) بدأ به ﷺ تيمناً بذكره وتبركاً باسمه ذكره ميرك، أو دفعاً لتوهم أنه لم يكن معهم. (**عبد الله بن عثمان**) اسم الصديق عبد الله، وعثمان اسم أبيه أبي قحافة، وكنيته (**أبو بكر الصديق القرشي**) يعني التيمي وكان أنيسه ﷺ يوم بدر وجليسه في العريش وحافظه من العدوّ، شاهراً سيفه على رأس رسول الله ﷺ لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه. (**عمر بن الخطاب العدوي**) منسوب إلى عدي بن كعب بطن من قريش (**عثمان بن عفان القرشي**) يعني الأموي (**خلفه النبي ﷺ**) بتشديد اللام، أي تركه خلفه خليفة للاطلاع (**على ابنته**) أي رقية على ما في نسخة السيد، لكنها ليست في البخاري. والمعنى لمراعاة حالها فإنها كانت مريضة حينئذ. (**وضرب له بسهمه**) أي وقدر له بنصيبه من الغنيمة. (**علي بن أبي طالب الهاشمي**) عن ابن عباس قال: كان علي آخذاً براية رسول الله ﷺ يوم بدر. قال الحاكم يوم بدر والمشاهد أخرجه أحمد في المناقب. ثم اعلم أن المصنف إلى هنا راعى المراتب الرتيبة ثم اعتبر ترتيب الحروف الهجائية. (**إياس**) بكسر الهمز ويفتح (**ابن البكير**) تصغير البكر. قال المؤلف: هو ليثي شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وكان إسلامه في دار الأرقم. مات سنة أربع وثلاثين. (**بلال بن رباح**) بفتح الراء (**مولى أبي بكر الصديق، حمزة بن عبد المطلب الهاشمي**) عم النبي ﷺ (**حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش**) وسبق أنه حليف الزبير (**أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي**) قيل اسمه مهشم، وقيل هاشم. كان من فضلاء الصحابة شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. (**حارثة ابن الربيع**) بضم ففتح فتشديد تحتية مكسورة وهو اسم أمه، واسم أبيه سراقة. (**الأنصاري قتل يوم بدر**) هو أوّل قتيل من الأنصار (**وهو حارثة بن سراقة. كان**) أي حال قتله (**في النظارة**) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة، أي من الذين طلبوا مكاناً مرتفعاً ينظرون إلى العدوّ ويخبرون عن حالهم. ففي الصحاح النظارة قوم ينظرون إلى شيء، وزاد في القاموس وبالتخفيف بمعنى التنزه، لحن تستعمله بعض الفقهاء. وقال الحافظ العسقلاني: أي خرج نظاراً على ما أخرجه أحمد

١٢ ـ خبيب بن عديّ الأنصاري. ١٣ ـ خُنيس بن حذافة السَّهميُّ. ١٤ ـ رفاعة بن رافع الأنصاري. ١٥ ـ رفاعة بن عبد المنذر أو لُبابة الأنصاريُّ. ١٦ ـ الزبيرُ بن العوَّام القرشي. ١٧ ـ زيد بن سهل أبو طلحة الأنصاري. ١٨ ـ أبو زيد الأنصاريُّ. ١٩ ـ سعد بن مالك الزهري. ٢٠ ـ سعد بن خولة القرشي. ٢١ ـ سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل القرشي. ٢٢ ـ سهل بن حنيف الأنصاري. ٢٣ ـ ظُهير بن رافع الأنصاري. ٢٤ ـ وأخوه.

والنسائي وزاد: ما خرج لقتال، أقول: لعله كان به عذر يمنعه عن القتال فعين أن يكون عيناً للمسلمين. (**خبيب**) بضم معجمة وفتح موحدة (**ابن عدي الأنصاري**) أي الأوسي شهد بدراً وأسر في غزوة الرجيع سنة ثلاث، فانطلق به إلى مكة فاشتراه بنو الحارث بن عامر. وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر كافراً فاشتراه بنوه ليقتلوه فأقام عندهم أسيراً ثم صلب بالتنعيم، وهو أوّل من صلب في الإسلام. روى عنه الحارث بن البرصاء (**خنيس**) بضم معجمة وفتح نون (**ابن حذافة**) بضم أوله (**السهمي**) أي القرشي وهو الذي كان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي ﷺ شهد بدراً ثم أحداً فجرح فمات بالمدينة من جراحته ولا عقب له. (**رفاعة بن رافع الأنصاري**) شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، وشهد مع علي الجمل وصفين ومات في أول ولاية معاوية. (**رفاعة بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصاري**) عطف بيان لما قبله. قال المؤلف: رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي هو أبو لبابة غلبت عليه كنيته كان من النقباء وشهد العقبة وبدراً والمشاهد بعدها. وقيل لم يشهد بدراً، بل أمره رسول الله ﷺ على المدينة وضرب له بسهم مع أصحاب بدر. مات في خلافة علي بن أبي طالب (**الزبير بن العوام القرشي**) وهو أحد العشرة المبشرة (**زيد بن سهل أبو طلحة الأنصاري**) عطف بيان لما قبله. قال المؤلف: أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري النجاري وهو مشهور بكنيته وهو زوج أم أنس بن مالك وكان من الرماة المذكورين، قال النبي ﷺ: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة»[1]. مات سنة إحدى وثلاثين وهو ابن سبع وسبعين سنة، شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدراً وما بعدها من المشاهد. (**أبو زيد الأنصاري**) هو الذي جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ وقد اختلف في اسمه. قيل سعد بن عمير، وقيل قيس بن السكن. (**سعد بن مالك الزهري**) هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة (**سعد بن خولة**) بفتح الخاء المعجمة (**القرشي**) شهد بدراً ومات بمكة في حجة الوداع (**سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل**) بضم[2] النون ففتح فاء القرشي هو أحد العشرة (**سهل بن زيد بن حنيف**) بالتصغير (**الأنصاري**) أي الأوسي شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد وصحب علياً بعد النبي ﷺ واستخلفه على المدينة ثم ولاه فارس، مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين. (**ظهير**) بالتصغير (**ابن رافع الأنصاري**) أي الأوسي شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدها من المشاهد (**وأخوه**) أي أخو ظهير واسمه مظهر بضم الميم وفتح المعجمة وكسر الهاء المشددة ولم يسمه

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٥٢.
(٢) في المخطوطة «بفتح».

٢٥ ـ عبد الله بن مسعود الهُذَلي. ٢٦ ـ عبد الرحمٰن بن عوف الزهري. ٢٧ ـ عُبَيْدةُ بن الحارث القرشي. ٢٨ ـ عبادةُ بن الصامت الأنصاري. ٢٩ ـ عمرو بن عوف حليف بني عامر ابن لؤي. ٣٠ ـ عقبة بن عمرو الأنصاري. ٣١ ـ عامرُ بن ربيعةَ العَنزي. ٣٢ ـ عاصم بن ثابت الأنصاري. ٣٣ ـ عويم بن ساعدة الأنصاري. ٣٤ ـ عتبَانُ بن مالك الأنصاريُّ. ٣٥ ـ قُدامة ابن مظعون. ٣٦ ـ قتادة بن النعمان الأنصاري. ٣٧ ـ معاذ بن عمرو بن الجموح.

البخاري. وذكر أنهما شهدا بدراً، لكن قال أبو عمرو إن ظهيراً لم يشهدها وشهد أحداً وما بعدها، وكذا قيل لم يشهدها مظهر فتسقط الواو من قوله: وأخوه كذا ذكره العسقلاني. **(عبد الله بن مسعود الهذلي)** بضم ففتح نسبة إلى قبيلة بني هذيل من غير قبائل قريش وسبق ذكره. **(عبد الرحمٰن بن عوف الزهري)** بضم فسكون نسبة إلى بني زهرة قبيلة من قريش وهو أحد العشرة **(عبيدة بن الحارث القرشي)** لم يذكره المؤلف في أسمائه **(عبادة)** بضم عين وتخفيف الموحدة **(ابن الصامت الأنصاري)** كان نقيباً وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة وشهد بدراً والمشاهد كلها، قيل مات ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين **(عمرو بن عوف)** أي المزني كان قديم الإسلام وهو ممن نزل فيه: **﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾** [المائدة ـ ٩٢]. سكن المدينة ومات بها في آخر أيام معاوية. **(حليف بني عامر بن لؤي)** بدل أو بيان لما قبله، ولؤي بضم ففتح همز ويبدل واواً فتشديد. **(عقبة بن عمرو الأنصاري)** قال المؤلف: يكنى أبا مسعود البدري، شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدراً عند جمهور أهل العلم بالسير. وقيل إنه شهدها والأول أصح، وإنما نسب إلى ماء بدر لأنه نزله فنسب إليه. اهـ. ولذلك خطىء البخاري بعده من أصحاب بدر **(عامر بن ربيعة العنزي)** بفتح العين وسكون النون. ففي المقدمة العنزة بفتح النون والزاي ينسب إليه العنزيون. وقال المغني: وأما عامر بن ربيعة [العنزي] فبسكون النون وكذا يفهم من القاموس، وفي نسخة العدوي والظاهر أنه تصحيف. قال المؤلف: هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها، أسلم قديماً مات سنة اثنتين وثلاثين. **(عاصم بن ثابت)** يكنى أبا سليمان [الأنصاري] شهد بدراً وهو الذي حمته الدبر وهي النحل من المشركين أن يحتزوا رأسه في غزوة الرجيع حين قتله بنو لحيان، فسمي حمي الدبر. **(عويم)** تصغير عام بمعنى سنة **(ابن ساعدة الأنصاري)** هو أوسي شهد العقبتين وبدراً والمشاهد كلها، ومات في حياة رسول الله ﷺ. **(عتبان)** بكسر فسكون **(ابن مالك الأنصاري)** خزرجي سلمي بدري مات زمن معاوية **(قدامة)** بضم القاف **(ابن مظعون)** بالظاء المعجمة قرشي جمحي خال عبد الله بن عمر، هاجر إلى أرض الحبشة وشهد بدراً وسائر المشاهد. مات سنة ست وثلاثين. **(قتادة بن النعمان)** بضم أوّله **(الأنصاري)** عقبي بدري وشهد بعدهما المشاهد كلها، وأبو سعيد الخدري أخوه لأمه. مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة. **(معاذ بن عمرو بن الجموح)** بفتح جيم وضم ميم. قال المؤلف: خزرجي شهد العقبة وبدراً هو وأبوه عمرو، وهو الذي قتل مع معاذ ابن عفراء أبا جهل، ولهما ذكر في باب قسمة الغنائم. ثم روى ابن عبد البر عن أبي إسحاق أن معاذ ابن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه قال: وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معاذ ابن عفراء حتى

٣٨ ـ معوّذ ابن عفراءَ. ٣٩ ـ وأخوه. ٤٠ ـ مالك بن ربيعة أبو أُسَيْد الأنصاري. ٤١ ـ مِسطحُ بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مناف. ٤٢ ـ مُرارة ابن الرَّبيع الأنصاريُّ. ٤٣ ـ مَعْن بن عديّ الأنصاري. ٤٤ ـ مقداد بن عمروٍ الكنديّ حليفُ بن زهرة. ٤٥ ـ هلالُ بن أمية الأنصاري، رضي الله عنهم أجمعين.

أثبته ثم تركه وبه رمق. ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحترز رأسه حين أمره رسول الله ﷺ أن يلتمس أبا جهل في القتلى. قلت: لما كان قتل أبي جهل موجباً للثواب الكثير قدر الله أن جمعاً تشاركوا في قتله. **(معوّذ)** بتشديد الواو المكسورة أو المفتوحة والذال معجمة. قال السيوطي: هو بتشديد الواو وفتحها على الأشهر، وجزم الرقشي أنه بالكسر على ما في فتح الباري واقتصر عليه المغني وهو ظاهر ما في القاموس، وكذا ضبطه المؤلف. **(ابن عفراء)** بفتح عين فسكون فاء. قال المؤلف: هو معاذ بن الحارث أخو معاذ، وعفراء أمه. شهد بدراً وهو الذي قتل أبا جهل مع أخيه معاذ، وهما أصحاب زرع ونخل. وقاتل في بدر حتى قتل بها **(وأخوه)** أي أخو معاذ. قال صاحب جامع الأصول: شهد بدراً معاذ وأخواه عوف ومعوّذ، والحارث أبوهم وعفراء أمهم. وقال المؤلف: معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري الزرقي، وعفراء أمه وهي بنت عبيد بن ثعلبة وكان هو ورافع بن مالك أوّل أنصاريين من الخزرج أسلما شهدا بدراً. وأخواه عوف ومعوذ وقُتلَ أخواه هذان ببدر. وشهد بعد بدر من المشاهد في قول بعضهم. وبعضهم يقول إنه خرج يوم بدر فمات بالمدينة من جراحته، وقيل إنه عاش إلى زمن عثمان. **(مالك بن ربيعة أبو أسيد الأنصاري)** بالتصغير كنية مالك وهو مشهور بكنيته، وهو ساعدي شهد المشاهد كلها. مات سنة ستين وله ثمان وسبعون بعد أن ذهب بصره، وهو آخر من مات من البدريين. **(مسطح)** بكسر فسكون ففتح **(ابن أثاثة)** بضم الهمزة **(ابن عباد)** بفتح فتشديد موحدة **(ابن المطلب بن عبد مناف)** أي القرشي، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها بعدها. وهو الذي قال في عائشة أم المؤمنين ما قاله من حديث الإفك وجلده النبي ﷺ فيمن جلد. ويقال إن مسطحاً لقبه واسمه عوف. قال ابن عبد البر: لا خلاف في ذلك، مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين. **(مرارة)** بضم الميم **(ابن الربيع)** بفتح فكسر الأنصاري عامري شهد بدراً وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وتاب الله عليهم. ونزل القرآن في شأنهم. **(معن بن عدي الأنصاري)** بفتح ميم فسكون عين، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة في خلافة الصديق شهيداً، وكان النبي ﷺ آخى بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا معاً يومئذ. **(مقداد)** بكسر الميم **(ابن عمرو الكندي)** بكسر الكاف **(حليف بني زهرة)** بدل أو بيان. وقال المؤلف: إن أباه حالف كندة فنسب إليها، وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أولاً فتبناه، وكان سادساً في الإسلام. مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة. **(هلال بن أمية)** بالتصغير **(الأنصاري)** أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم، شهد بدراً. وهو الذي قذف امرأته بشريك له، ذكر في اللعان. روى عنه جابر وابن عباس. فتحصل أن عدد المجموع خمسة وأربعون، وفي نسخة: **(رضي الله عنهم أجمعين)**.

(١٣) باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرني

الفصل الأول

٦٢٦٦ ـ (١) عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له: أُويس، لا يدَع باليمن غيرَ أُم له، قد كان به بياض، فدعا اللَّهَ فأذهبه إلاّ موضعَ الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفرْ لكم».

(باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرني)

في المغرب: اليمن مأخوذ من اليمين بخلاف الشام، لأنها بلاد على يمين الكعبة والنسبة إليها يمني بتشديد الياء، أو يماني بالتخفيف على تعويض الألف من إحدى يائي النسبة. وفي القاموس: اليمن محركة ما على يمين القبلة من بلاد الغور، وهو يمني ويماني ويمان. والشام بلاد عن مشاءمة القبلة وسميت بذلك لأن قوماً من بني كنعان تشاءموا إليها أي تياسروا، أو سمي بشام بن نوح[١] فإنه بالشين بالسريانية، أو لأن أرضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا يهمز، وقد يذكر. قلت: وعلى الأوّل يهمز، ويجوز إبدالها وهو الأشهر في الاستعمال والأشمل للمعاني. ثم المراد بذكر اليمن والشام أعم من أن يكون الحديث متعلقاً بذكر المكانين أو بأهليهما. فقوله: وذكر أويس القرني، تخصيص بعد تعميم للتشريف، ثم القرن بفتحتين. ففي القاموس: القرن بفتح فسكون ميقات أهل نجد، وهي قرية عند الطائف واسم الوادي كله. وغلط الجوهري في تحريكه، وفي نسبة أويس القرني إليه لأنه منسوب إلى قرن ابن رومان بن ناجية بن مراد أحد أجداده.

(الفصل الأول)

٦٢٦٦ ـ (**عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس**) تصغير أوس (**لا يدع**) أي لا يترك (**باليمن غير أم له**) والمعنى أن ليس له أهل وعيال في اليمن غيرها، وإنما منعه عن الإتيان إلينا خدمتها. (**قد كان به**) أي بأويس (**بياض**) أي برص (**فدعا الله فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم**) شك من الراوي. ولعله أبقاه للعلامة كما قيل في ظفر آدم إنه أثر من جلده السابق، أو ترك ذاك البعض ليكون سبب تنفره ولهذا كان يحب الخمول والعزلة ويكره الشهرة والخلطة. (**فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**) قال النووي: هذه منقبة ظاهرة لأويس القرني

(١) أي سام بن نوح عليه السلام.

الحديث رقم ٦٢٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٦٨ حديث رقم (٢٢٣ . ٢٥٤٢).

وفي رواية قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إن خيرَ التابعينَ رجلٌ يقال له: أُويس، وله والدةٌ، وكان به بياض، فمروه فليستغفرْ لكم». رواه مسلم.

وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم. أقول: وفي رواية لمسلم عن عمر أنه قال لأويس القرني: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد من اليمن من مراد ثم من قرن، كان فيه برص فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة وهو لها بر لو أقسم على الله لأبره فلو استطعت أن يستغفر لك فافعل. فاستغفر في فاستغفر له[1]. **(وفي رواية قال:)** أي عمر **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن خير التابعين)** أي من حيث إنه من المخضرمين وحصل له مانع شرعي عن حضور حضرته ونور طلعته ﷺ **(رجل يقال له أويس)** قال النووي: والحديث يدل على أنه خير التابعين. وقال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب. والجواب أن مرادهم أن سعيداً أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها، لا في كونه أكثر ثواباً عند الله تعالى. **(وله والدة)** أي أم **(هو بار لها وكان به بياض)** أي برص **(وذهب الله به)** أي أذهبه كله **(إلا قدر اليسير)** وفيه معجزة ظاهرة **(فمروه)** أي فالتمسوه، أو مروه بناء على أمرنا إياكم أو إياه. **(فليستغفر لكم)** قال ابن الملك: أمر ﷺ أصحابه باستغفار أويس لهم وإن كان الصحابة أفضل من التابعين، ليدل على أن الفاضل يستحب له أن يطلب الدعاء من المفضول، أو قاله ﷺ تطييباً لقلبه لأنه كان يمكنه الوصول إلى حضرته لكن منعه بره لأمه. فأمرهم النبي ﷺ به ليندفع به أنه مسيء في التخلف. اهـ. وهو لا ينافي ما نقل أنه ترك أمه وجاء واجتمع بالصحابة، فإن امتناعه من الإتيان كان بعذر عدم من يكون في خدمتها وقائماً بمؤونتها فلما وجد السعة توجه إلى الصحابة، أو لما فرض حجة الإسلام تعين مأتاه، أو أذنت له بالسير في سبيل الله. **(رواه مسلم)** وفي الرياض عن أسيد بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى عن أويس فقال: أنت أويس بن عامر. قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن. قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم. قال: نعم. قال: ألك والدة. قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة وهو لها بر لو أقسم على الله لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي. فاستغفر له. فقال [له] عمر: أين تريد. قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها. قال: أكون في غير الناس أحب إليّ. قال: فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس فقال: تركته رث البيت قليل المتاع[2]. قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكر الحديث ثم قال: فإن استطعت أن يستغفر لك فأفعل فأتى أويساً فقال: استغفر لي. فقال: أنت أعهد عهد بسفر صالح فاستغفر لي. قال: لقيت عمر. قال: نعم فاستغفر له.

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٩ حديث رقم (٢٢٥ . ٢٥٤٢).

(٢) في المخطوطة «المطاع».

٦٢٦٧ ـ (٢) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «أتاكم أهلُ اليمن، هم أَرَقُّ أفئدَةً، وأَلينُ قلوباً، الإِيمانُ يمانٍ، والحكمة يمانيةٌ،

ففطن له الناس فانطلق على وجهه. أخرجه مسلم. اهـ. ولا يخفى أن وجه خفائه أنه كان مستجاب الدعوة في مادة الاستغفار، ولو كان ظاهراً لتوجه إليه البر والفاجر مستوراً أو غيره فلا يمكنه الاستغفار للكل ولا امتناعه عن البعض لما يوجب من الإيحاش وكشف الحال والله أعلم بالأحوال. وروى الحاكم عن علي مرفوعاً: خير التابعين أويس(١). روى ابن عدي عن ابن عباس: سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبد الله القرني وأن شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر.

٦٢٦٧ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة**) أي من سائر من يأتيكم. والرقة ضد القساوة والغلظة، والفؤاد القلب. وقيل باطنه وقيل ظاهره. والمعنى هم أكثر رقة ورحمة [من جهة] الباطن. (**وألين قلوباً**) أي أكثر لينة لقبول النصحية والموعظة من قلوب سائر الناس بحسب الظاهر. قال المظهر: وصف الأفئدة بالرقة والقلوب باللين وذلك أنه يقال إن الفؤاد غشاء القلب، إذا رق نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر وصوله إلى داخله. فإذا صادف القلب لينا علق به ونجع فيه وقال القاضي: الرقة ضد الغلظة والصفاقة واللين مقابل القساوة فاستعيرت في أحوال القلب فإذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر من الآيات والنذر يوصف بالغلظة فكان شغافه صفيقاً لا ينفذ فيه الحق، وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ. وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين، فكان حجابه رقيقاً لا يأبى نفوذ الحق وجوهره لين يتأثر بالنصح. ثم لما وصفهم بذلك أتبعه ما هو كالنتيجة والغاية بقوله: (**الإيمان يمان والحكمة يمانية**) فإن صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدي به إلى عرفان الحق والتصديق به وهو الإِيمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه والتيقظ والاتقاء فيما يأتيه ويذره وهو الحكمة، فيكون قلوبهم معادن الإِيمان وينابيع الحكمة وهي قلوب منشؤها اليمن. نسب إليه الإيمان والحكمة معاً لانتسابهما إليه تنويهاً بذكرهما وتعظيماً لشأنهما. وقال الطيبي: يمكن أن يراد بالفؤاد والقلب ما عليه أهل اللغة في كونهما مترادفين فكرر ليناط به معنى غير المعنى السابق، فإن الرقة مقابلة للغلظة واللين مقابل للشدة والقسوة، فوصفت أوّلاً بالرقة ليشير إلى التخلق مع الناس وحسن المعاشرة مع الأهل والإِخوان. قال تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. وثانياً باللين ليؤذن بأن الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها وصاحبها مقيم على التعظيم لأمر الله فقوله: الإِيمان يمان والحكمة يمانية. يشمل حسن المعاملة مع الله تعالى والمعاشرة مع الناس. فلشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل فيهم: ﴿**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو**

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٦٢٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٩٨. حديث رقم ٤٣٨٨. ومسلم في صحيحه ١/ ٧٢ حديث رقم (٨٤ ـ ٥٢). وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٢.

والفخر والخيلاءُ في أصحابِ الإبل، والسَّكينة والوقار في أهل الغنم».

أشد قسوة ﴾ [البقرة ـ ٧٤]. وللين جانب المؤمنين وصفوا بقوله: ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [الزمر ـ ٢٣]. اهـ. وقال شارح: الإيمان يمان، هو نسبته إلى اليمن والألف فيه عوض عن ياء النسبة فلا يجتمعان. قال أبو عبيدة: مكة من أرض تهامة وتهامة من أرض اليمن، ولهذا سميت مكة وما وليها من أرض الحجاز تهائم، فمكة على هذا التقدير يمانية وفيها ظهر الإيمان. قال: وفيه وجه آخر وهو أن النبي ﷺ قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة. وقيل: عنى بهذا القول الأنصار لأنهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم فنسب إليهم، وهذه وجوه متقاربة مع ما فيها من بعد التناسب بين الفصل الأول من الكلام. والثاني: فإن أتاكم أهل اليمن، يخاطب بذلك أصحابه والجمهور منهم أهل الحرمين وما حولهما، فعلمنا أن المشير لهم غير المخاطبين. وقيل: المراد أهل اليمن وينسب إليهم الإيمان إشعاراً بكماله فيهم، والمراد الموجودون منهم في ذلك الزمان لا كل أهل اليمن في جميع الأحيان. فالمقصود تفضيل أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق. ويؤيد هذا قوله: أتاكم أهل اليمن. ثم قوله: الإيمان يمان، لا ينافي كونه حجازياً وإنما ينبيء عن استعداد أهل اليمن لقبول ذلك وفشوه فيهم واستقرار أمرهم عليه، فإنهم هم الذين فتحت بأمدادهم الشام والعراق زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(١)]. ثم قوله: والحكمة يمانية بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد. فقيل أراد بها الفقه في الدين، وقيل كل كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في الهلكة، ولما كانت قلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة وكانت الخصلتان منتهى هممهم، نسب الإيمان والحكمة إلى معادن نفوسهم ومساقط رؤوسهم نسبة الشيء إلى مقره. **(والفخر)** أي الافتخار بالمباهاة والمنافسة في الأشياء الخارجة عن نفس الإنسان كالمال والجاه. **(والخيلاء)** بضم ففتح ممدودة وهي التكبر، يتخيل أنه أفضل من غيره ويمنعه عن قبول الحق والانقياد. **(في أصحاب الإبل)** وفي معناها الخيل، بل هي أدهى بالويل. وسيأتي الجمع بينهما في رواية. **(والسكينة والوقار)** أي التأني والحلم والأنس **(في أهل الغنم)** قال القاضي: تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل. والوقار بأهل الغنم يدل على أن مخالطة الحيوان تؤثر في النفس وتعدي إليها هيئات وأخلاقاً تناسب طباعها وتلائم[(٢)] أحوالها. قلت: ولهذا قيل: الصحبة تؤثر [في النفس]. ولعل هذا أيضاً وجه الحكمة في أن كل نبي رعى الغنم. وخلاصة الكلام ورابطة النظام بين فصول الحديث أن أهل اليمن يغلب عليهم الإيمان والحكمة، كما أن أهل الإبل يغلب عليهم الفخر، وأهل الغنم يغلب عليهم السكون. فمن أراد صحبة أهل الإيمان والعرفان فعليه بمصاحبة نحو أهل اليمن على وجه الإيمان. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [التوبة ـ ١١٩]. وفيه إشعار إلى

---

(١) في المخطوطة «عنهم».

(٢) في المخطوطة «يلائم».

متفق عليه.

٦٢٦٨ ـ (٣) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأسُ الكفرِ نحوَ المشرق، والفخرُ والخيلاءُ في أهل الخيل والإِبل، والفدَّادين أهلِ الوبر،

إظهار معجزة، وهي أنه يظهر في اليمن كثير من الأولياء مع قلة أهله بخلاف سائر الأطراف، فإنه وإن ظهر منهم الصالحون فهم بالنسبة إلى كثرة خلائقهم قليلون. **(متفق عليه)** وفي الجامع: الإيمان يمان[1]. رواه الشيخان عن أبي مسعود. وروى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية[2].

٦٢٦٨ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: رأس الكفر)** أي معظمه ذكره السيوطي. والأظهر أن يقال منشؤه. **(نحو المشرق)** بالنصب. قال الطيبي نحوه: رأس الأمر الإِسلام، أي ظهور الكفر من قبل المشرق. وقال ابن الملك: أي منه يظهر الكفر والفتن كالدجال ويأجوج ومأجوج وغيرهما. وقال النووي: المراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط الشيطان على أهل المشرق، وكان ذلك في عهده ﷺ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق. [فإنه منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفر الترك]. وقال السيوطي نقلاً عن الباجي: يحتمل أن يريد فارس وأن يريد نجداً. **(والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإِبل)** قال الراغب: الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه، ومنها تتأول لفظ الخيل ما قيل: إنه لا يركب أحد فرساً إلا وجد في نفسه نخوة، والخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً. اهـ. والأظهر أن الخيل اسم جنس للفرس لقوله تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾** [الأنفال ـ ٦٠]. وأما قوله ﷺ: يا خيل الله اركبوا. فمجاز. **(والفدَّادين)** بالتشديد ويخفف، أي وفي الفلاحين عطف على أهل الخيل. وقوله: **(أهل الوبر)** بفتح الواو والموحدة شعر الإبل وهو بالجر بدل أو بيان، والمراد بهم سكان الصحارى لأن بيوتهم غالباً خيام من الشعر. قال صاحب النهاية: الفدادون بالتشديد الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم. واحدهم فداد. يقال: فد الرجل يفد فديداً، إذا اشتد صوته. وقيل: هم المكثرون من الإبل، وقيل: هم الجمالون والبقارون والحمارون والرعيان. وقيل: الفدادون بالتخفيف جمع فداد مشدداً، وهي البقرة التي تحرث بها وأهلها أهل جفاء وغلظة. قال التوربشتي: إذ روي بالتخفيف تقديره وفي أهل الفدادين. وأرى أصوب الروايتين بالتشديد لما في حديث أبي مسعود الذي يتلو هذا الحديث: والجفاء والغلظ في الفدادين. والتخفيف في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٨٥ حديث رقم ٣٠٩٧.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١١ حديث رقم ٧٥. والحديث متفق عليه.

الحديث رقم ٦٢٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٥٠. حديث رقم ٣٣٠١. ومسلم في صحيحه ١/ ٧٢ حديث رقم (٨٥ . ٥٢). والترمذي في السنن ٤/٤٤٦ حديث رقم ٢٢٤٣. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٧٠ حديث رقم ١٥ من كتاب الاستئذان. وأحمد في المسند ٢/ ٤١٨.

والسَّكينةُ في أهلِ الغنم». متفق عليه.

٦٢٦٩ ـ (٤) وعن أبي مسعودٍ الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «من هٰهنا جاءت الفتنُ ـ نحوَ المشرق ـ والجفاءُ، وغِلَظُ القلوب في الفدَّادين أهلِ الوبر عند أصولِ أذناب الإبل والبقر،

هذه الرواية غير مستقيم وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية. ومعنى: فرددنا المختلف فيه إلى المتفق عليه، هذا وقد صح عن النبي ﷺ أنه رأى مسكة وشيئاً من آلات الحرث. فقال: «ما دخل هذا دار قوم إلا أدخل عليهم الذل»، وأين إيقاع الفخر والخيلاء من موقع الذل. قلت: لعله ﷺ أخبر عما سيقع في آخر الزمان من أن كثرة الزراعة تكون سبباً للافتخار والتكبر كما هو مشاهد في أرباب الدنيا من أهل المزارع الكثيرة في العجم، بحيث إنهم يتقدمون في المحافل على أصحاب الإبل والخيل. بل لهم اعتبار عظيم عند الملوك حتى يصير أكثرهم وزراء لهم وكبراء عند سائر رعيتهم. (**والسكينة**) أي الوقار والتأني والحلم والأنس. (**في أهل الغنم. متفق عليه**) وكذا رواه الإمام مالك. قال ميرك: إلا أن مسلماً لم يقل: والفدادين، بالواو، بل هي محذوفة فيه. وفي البخاري ثابتة. فعلى رواية مسلم نعت لأهل الخيل وعلى اثباته عطف عليها. قلت: فعلى رواية مسلم مراد الجمع بين الوصفين، وعلى رواية البخاري يراد التغاير بينهما فيكون عطفاً على الخيل برواية تخفيف الفدادين، وعلى أهل الخيل برواية التشديد والله الملهم للتسديد.

٦٢٦٩ ـ (**وعن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: من ههنا جاءت الفتن نحو المشرق**) حال متعلق بمحذوف أي قال ﷺ: من ههنا جاءت الفتن، مشيراً نحو المشرق كذا ذكره الطيبي. ولا يبعد أن يكون من الراوي مدرجاً على قصد التفسير لقوله ﷺ: ههنا. (**والجفاء**) بالمد وهو ضد الوفاء. وفي القاموس: الجفاء نقيض الصلة، ويقصر. والأظهر أن المراد به ههنا غلظ الألسنة بقرينة قوله: (**وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر**) بيان للفدادين، ويراد بأهل الوبر الأعراب أو سكان الصحارى. وإنما ذمهم لبعدهم عن المدن والقرى الموجب لقلة العلم الحاصل به حسن الأخلاق وسائر علوم الشريعة[1] قال تعالى: ﴿**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ [التوبة ـ ٩٧]. وفي الحديث: من بدا جفا[2]. (**عند أصول أذناب الإبل والبقر**) أي هم تبع لأصولها ويمشون خلفها للرعي فيهما أو لإثارة الأرض خلف البقر ولسقي الماء خلفهما، فالمراد بهم الأكارون. وفيه إيماء إلى أنهم جعلوا المتبوع تابعاً والتابع متبوعاً، فعكسوا ما هو معتبر موضوعاً ومشروعاً وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أولئك كالأنعام بل هم أضل**﴾ [الأعراف ـ ١٧٩]. وقال الطيبي: قوله عند ظرف

الحديث رقم ٦٢٦٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٢٦. حديث رقم ٣٤٩٨. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧١ حديث رقم (٨١ . ٥١). والترمذي في السنن ٤/ ٤٥٩ حديث رقم ٢٢٦٨. وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٧٥ حديث رقم ٢٩ من كتاب الاستئذان وأحمد في المسند ٢/ ١٢١.

(١) في المخطوطة «الشرعية». (٢) أحمد في المسند ٢/ ٤٤٠.

في ربيعةَ ومضر». متفق عليه.

٦٢٧٠ ـ (٥) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «غِلَظُ القلوبِ والجفاءُ في المشرق، والإِيمانُ في أهل الحجاز». رواه مسلم.

٦٢٧١ ـ (٦) وعن ابن عمر، قال: قال النبي ﷺ: «اللهمَّ باركْ لنا في شامنا، اللهمَّ باركْ لنا في يمننا». قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ قال: «اللهمَّ باركْ لنا في شامنا، اللهمَّ باركْ لنا في يمننا» قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ فأظنُّه قال في الثالثة: «هناك الزلازل

لقوله: الفدادين على تأويل الذين بهم جلبة، وصياح عند سوقهم لها لأن سائق الدواب إنما يعلو صوته خلفها. **(في ربيعة ومضر)** أما خبر مبتدأ محذوف، أي هذه الطائفة فيهم أو خبر بعد خبر لقوله: والجفاء. وقال الطيبي: بدل من قوله: في الفدادين، بإعادة العامل. **(متفق عليه)**.

٦٢٧٠ ـ **(وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: غلظ القلوب والجفاء في المشرق)** ولفظ الجامع: في أهل المشرق. **(والإيمان)** [ولفظ الجامع: والسكينة والإيمان]. **(في أهل الحجاز)** أي مكة والمدينة وحواليهما. وقال ابن الملك: أراد به الأنصار **(رواه مسلم)** وكذا الإِمام أحمد في مسنده.

٦٢٧١ ـ **(وعن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: اللهم بارك لنا في شامنا)** لعل تقديمه على اليمن مشير إلى أنه مبارك في أصله لقوله تعالى: **﴿الذي باركنا حوله﴾** [الإسراء ـ ١]. ولوجود كثير من الأنبياء فيه. فالمراد زيادة البركة أو البركة الحاصلة لأهل المدينة وسائر المؤمنين على الخصوص. **(اللهم بارك لنا في يمننا)** أي بركة ظاهرية ومعنوية ولهذا كثر الأولياء فيهم، والظاهر في وجه تخصيص المكانين بالبركة لأن طعام أهل المدينة مجلوب منهما. **(قالوا:)** أي بعض الصحابة **(يا رسول الله وفي نجدنا)** عطف تلقين والتماس، أي قل وفي نجدنا لتحصل البركة لنا في صوبه أيضاً. والنجد ما ارتفع من الأرض وهو اسم خاص لما دون الحجاز على ما في النهاية. وقال ابن الملك: هو خلاف الغور من بلاد العرب. **(قال: اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا)** قال الأشرف: إنما دعا لهما بالبركة لأن مولده بمكة وهو من اليمن ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام، وناهيك من فضل الناحيتين أن إحداهما مولده والأخرى مدفنه. فإنه أضافهما إلى نفسه وأتى بضمير الجمع تعظيماً وكرر الدعاء ثلاث مرات. **(قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة:)** يعني أو في الثانية **(هناك)** أي في ناحية نجد وهو المعنى بقوله: نحو المشرق. **(الزلازل)** أي الحسية أو المعنوية وهي تزلزل

الحديث رقم ٦٢٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٩٩. حديث رقم ٤٣٨٩. ومسلم في صحيحه ١/ ٧٣ حديث رقم (٩٢ ـ ٥٣). وأحمد في المسند ٣/ ٣٣٢.

الحديث رقم ٦٢٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٥. حديث رقم ٧٠٩٤. والترمذي في السنن ٥/ ٦٨٩ حديث رقم ٣٩٥٣.

والفتن، وبها يطلُع قرن الشيطان». رواه البخاري.

الفصل الثاني

٦٢٧٢ ـ (٧) عن أَنس، عن زيد بن ثابت، أن النبيَّ ﷺ نظر قِبَلَ اليمن، فقال: «اللهمَّ أَقبِلْ بقلوبهم، وباركْ لنا في صاعِنا ومُدِّنا». رواه الترمذي.

القلوب واضطراب أهلها **(والفتن)** أي البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وقلة الديانة فلا يناسبه دعوة البركة له. **(وبها)** أي بتلك البقعة ونواحيها **(يطلع)** بضم اللام أي يظهر **(قرن الشيطان)** أي حزبه وأهل وقته وزمانه وأعوانه ذكره السيوطي. **(رواه البخاري)** وكذا مسلم والترمذي، نقله السيد جمال الدين.

(الفصل الثاني)

٦٢٧٢ ـ **(عن أنس عن زيد بن ثابت)** هذا نقل الصحابي عن مثله فيكون من باب نقل الأقران، والأظهر أنه من نقل الأصاغر عن الأكابر. **(أن النبي ﷺ نظر قبل اليمن)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي إلى جانبه **(فقال: اللهم أقبل)** أمر من الاقبال. والباء في قوله: **(بقلوبهم)** للتعدية. والمعنى: اجعل قلوبهم مقبلة إلينا، وإنما دعا بذلك لأن طعام أهل المدينة كان يأتيهم من اليمن ولذا عقبه ببركة الصاع والمد لطعام يجلب لهم من اليمن. فقال: **(وبارك لنا في صاعنا ومدنا)** وأراد بهما الطعام المكتال بهما فهو من باب اطلاق الظرف وإرادة المظروف، أو المضاف مقدر، أي طعام صاعنا ومدنا. ثم الصاع على ما في القاموس أربعة أمداد، كل مد رطل وثلث. والرطل يكسر اثنتا عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهماً. قال الداودي: معيار المد الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا بصغيرهما، إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي ﷺ. اهـ. وجربت ذلك فوجدته صحيحاً تم كلامه. وقال التوربشتي: وجه التناسب بين الفصلين أن أهل المدينة ما زالوا في شدة من العيش وعوز من الزاد لا تقوم[1] أقواتهم لحاجتهم، فلما دعا الله بأن يقبل عليهم بقلوب أهل اليمن إلى دار الهجرة وهم الجم الغفير دعا الله بالبركة في طعام أهل المدينة ليتسع على القاطن بها والقادم عليها، فلا يسأم المقيم من القادم عليه ولا تشق الإقامة على المهاجر إليها. **(رواه الترمذي)** وفي الجامع: اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين. رواه الترمذي عن علي[2].

الحديث رقم ٦٢٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٩٠ حديث رقم ٣٩٥٤. وأحمد في المسند ٥/ ١٨٥.

(١) في المخطوطة «يقوم». (٢) الجامع الصغير ١/ ٩٣ حديث رقم ١٤٩٤.

٦٢٧٣ ـ (٨) وعن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى للشام» قلنا: لأيٍ ذلك يا رسول الله؟ قال: «لأنَّ ملائكةَ الرحمن باسطةٌ أجنحتها عليها». رواه أحمد، والترمذي.

٦٢٧٤ ـ (٩) وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرجُ نارٌ من نحو حضرموتَ، أو من حضرموت، تحشر الناس» قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام». رواه الترمذي.

٦٢٧٣ ـ (**وعن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى للشام**) أي حالة طيبة لها ولأهلها. قال الطيبي: طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى. ومعنى طوبى لك، أصبت خيراً وطيباً. (**قلنا: لأي ذلك يا رسول الله**) بتنوين العوض في أي، أي لأي شيء كما في بعض نسخ المصابيح. قال الطيبي: كذا في جامع الترمذي على حذف المضاف إليه، أي لأي سبب. قلت: ذلك وقد أثبت في بعض نسخ المصابيح لفظ شيء، وأغرب ميرك حيث قال: حذف المضاف إليه وأجري إعرابه على المضاف. اهـ. وغرابته لا تخفى (**قال: لأن ملائكة الرحمٰن**) فيه إيماء إلى أن المراد بهم ملائكة الرحمة (**باسطة أجنحتها عليها**) أي على بقعة الشام وأهلها بالمحافظة عن الكفر. (**رواه أحمد والترمذي**) وكذا الحاكم في مستدركه[1]. وفي رواية الطبراني عنه بلفظ: طوبى للشام أن الرحمٰن لباسط رحمته عليه، أي على بلد الشام. فهو يذكر ويؤنث باعتبارين.

٦٢٧٤ ـ (**وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ستخرج نار**) يحتمل أن يكون حقيقة وهو الظاهر على ما ذكره الجزري، ويحتمل أن يراد بها الفتنة (**من [نحو] حضرموت**) بفتح فسكون ففتحتين فسكون ففتح. ففي القاموس: حضرموت وبضم الميم بلد وقبيلة، ويقال: هذا حضرموت ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء، وإن شئت لا تنوّن الثاني. (**أو من حضرموت**) أي من جانبها المقتص عنها (**تحشر النار**) أي تجمعهم النار وتسوقهم، على ما في النهاية. (**قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا**) أي في ذلك الوقت (**قال: عليكم بالشام**) أي خذوا طريقها والزموا فريقها فإنها سالمة من وصول النار الحسية أو الحكمية إليها حينئذ لحفظ ملائكة الرحمة إياها. قال التوربشتي: يحتمل أن تكون النار رأي عين وهو الأصل، ويحتمل أنها فتنة عبر عنها بالنار. وعلى التقديرين فالوجه فيه أنه قبل قيام الساعة لأنهم قالوا: فما تأمرنا، يعنون في التوقي عنها. فقال: عليكم بالشام. (**رواه الترمذي**).

الحديث رقم ٦٢٧٣: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٦٩٠ حديث رقم ٣٩٥٤. وأحمد في المسند ٥/ ١٨٤.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٢٩.

الحديث رقم ٦٢٧٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣١ حديث رقم ٢٢١٧. وأحمد في المسند ٢/ ١١٩.

٦٢٧٥ ـ (١٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكونُ هجرةٌ بعد هجرةٍ، فخيار الناس إلى مُهَاجَرِ إبراهيم». وفي رواية: «فخيار أهل الأرض ألزمُهم مُهاجَر أبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفِظهم أرَضوهم،

٦٢٧٥ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها)** أي القصة **(ستكون هجرة بعد هجرة)** قال الشارحون: كان من حق الثانية أن يؤتى بها مع لام العهد لأن المراد منها الهجرة الواجبة قبل الفتح، وإنما أتي بها منكرة لتساوق الأولى في الصيغة مع إضمار في الكلام، أي بعد هجرة حقت ووجبت. وإنما حسن الحذف اعتماداً على معرفة السامعين. والمعنى: ستكون هجرة إلى الشام بعد هجرة كانت إلى المدينة. قال التوربشتي: وذلك حين تكثر الفتن ويقل القائمون بأمر الله في البلاد ويستولي الكفرة الطغام على بلاد الإسلام ويبقى الشام تسومها العساكر الإسلامية منصورة على من ناوأهم، ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال. فالمهاجر إليها حينئذ فار بدينه ملتجىء إليها لإصلاح آخرته يكثر سواد عباد الله الصالحين القائمين بأمر الله تعالى. ولعل الحديث إشارة إلى العصر الذي نحن فيه. قال الطيبي: ويمكن أن يراد التكرير كما في قولك: لبيك وسعديك أي ألبك إلباباً بعد إلباب. والفاء في قوله: **(فخيار الناس)** يلوح إليه لأنه تفصيل للمجمل، كأنه قيل: سيحدث للناس مفارقة من الأوطان وكل أحد يفارق وطنه إلى آخر ويهجره هجرة بعد هجرة، فخيارهم من يهاجر أو يرغب. **(إلى مهاجر إبراهيم)** عليه السلام وهو الشام. اهـ. وقوله: إلى مهاجر إبراهيم بفتح الجيم، أي موضع هجرته وإلى مخففة الياء المنقلبة إلى الألف على أنها حرف جر مجرد، وهو الرواية تتعلق بمحذوف وهو خبر المبتدأ تقديره: فخيار الناس المهاجرون إلى مهاجرة، لأن المهاجر حينئذ فاز بدينه. وفي بعض النسخ إلي بتشديد الياء على أنها مضافة إلى ياء المتكلم. فهو متعلق[1] بخيار، وحينئذ مهاجر مرفوع على أنه خبر المبتدأ بتقدير حذف المضاف تقديره: فخيار الناس مهاجر هاجر مهاجر إبراهيم فحذف المضاف وأعرب المضاف إليه بإعرابه. والمراد بمهاجر إبراهيم، الشام. فإن إبراهيم لما خرج من العراق مضى إلى الشام **(وفي رواية: فخيار أهل الأرض ألزمهم)** أي أكثرهم لزوماً **(مهاجر إبراهيم)** [عليه السلام] بفتح الجيم، أي الشام. فمهاجر بالنصب ظرف ألزم وهو أفعل التفضيل عمل في اسم الظاهر. **(ويبقى في الأرض شرار أهلها)** أي أهل الأرض من الكفار والفجار **(تلفظهم)** بكسر الفاء أي ترميهم **(أرضوهم)** بفتح الراء. والمعنى: ترمي شرار الناس أراضيهم من ناحية إلى [ناحية] أخرى. قال الشراح: يعني ينتقل من الأراضي التي يستولي عليها الكفرة خيار أهلها ويبقى خساس تخلفوا عن المهاجرين رغبة في الدنيا ورهبة عن القتال وحرصاً على ما كان لهم فيها

الحديث رقم ٦٢٧٥: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٩ حديث رقم ٢٤٨٢. وأحمد في المسند ٢/ ١٩٩.

(١) في المخطوطة «يتكلم».

تقذَرهم نَفسُ الله، تحشرهم النارُ مع القِرَدَة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتَقيل معهم إذا قالوا». رواه أبو داود.

٦٢٧٦ ـ (١١) وعن ابن حَوالة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيصير الأمر أن تكونوا جنوداً مجندةً، جندٌ بالشام، وجندٌ باليمن، وجندٌ بالعراق» فقال ابن حَوالة: خِرْ لي يا رسول الله! إن أدركتُ ذلك. فقال: «عليك بالشام، فإنها خِيرَةُ

من ضياع ومواش ونحوهما من متاع الدنيا، فهم لخسة نفوسهم وضعف دينهم كالشيء المسترذل المستقذر عند النفوس الزكية وكأن الأرض تستنكف عنهم فتقذفهم والله سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته ومحل كرامته، إبعاد من يستقذر الشيء وينفر عنه طبعه. فلذلك منعهم من الخروج وثبطهم قعوداً مع أعداء الدين نحو قوله تعالى: **﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾** [التوبة ـ ٤٦] . فقوله: **(تقذرهم نفس الله)** من التمثيلات المركبة التي لا تطلب لمفرداته ممثلاً وممثلاً به. مثل: شابت لمة الليل وقامت الحرب على ساق. ثم اعلم أن قوله: تقذرهم بفتح الذال المعجمة، من قذرت الشيء بالكسر أي كرهته. ونفس الله بسكون الفاء أي ذاته. قال التوربشتي: وهو وإن كان من حيث إنه حصل له مضاف ومضاف إليه، يقتضي المغايرة وإثبات شيئين، لكنه جاز من حيث الاعتبار على سبيل الاتساع تعالى الله عن الأثنوية ومشابهته للمحدثات علوّاً كبيراً. **(تحشرهم النار مع القردة والخنازير)** أي تلازمهم النار ليلاً ونهاراً وتجمعهم مع الكفرة الذين هم باعتبار صغيرهم وكبيرهم كالقردة والخنازير **(تبيت)** أي النار **(معهم إذا باتوا وتقيل)** بفتح التاء أي تضحي وتظل النار **(معهم إذ قالوا)** أي اضحوا وظلوا، وهو من القيلوله وهي الاستراحة بالنهار. فالجملة مستأنفة مبينة لدوام الملازمة. وقال الطيبي: جملة مؤكدة لما قبلها أو حال منه. وأما الجمل السابقة فكلها مستأنفة أجوبة للأسئلة المقدرة. قال المظهر: النار ههنا الفتنة، يعني تحشرهم نار الفتنة التي هي نتيجة أفعالهم القبيحة وأقوالهم مع القردة والخنازير لكونهم متخلقين بأخلاقهم، فيظنون أن الفتنة لا تكون إلا في بلدانهم فيختارون جلاء أوطانهم ويتركونها. والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون وينزلون ويرحلون. **(رواه أبو داود)**.

٦٢٧٦ ـ **(وعن ابن حوالة)** بفتح الحاء ولم يذكره المؤلف في أسمائه **(قال: قال رسول الله ﷺ: سيصير الأمر)** أي أمر الإسلام أو أمر القتال **(أن تكونوا جنوداً)** أي عساكر **(مجندة)** بتشديد النون المفتوحة، أي مجموعة في كلمة الإسلام أو مختلفة في مراعاة الأحكام. **(جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق)** أي عراق العرب وهو البصرة والكوفة، أو عراق العجم وهو ما وراءهما دون خراسان وما وراء النهر. **(فقال ابن حوالة: خر لي)** بكسر الخاء وسكون الراء أمر من الخيرة بمعنى الاختيار، أي اخترلي جنداً ألزمه. **(يا رسول الله إن أدركت ذلك)** أي ذلك الوقت **(فقال: عليك بالشام فإنها)** أي الشام **(خيرة)** بكسر الخاء وفتح التحتية وقد يسكن

الحديث رقم ٦٢٧٦: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ١٠ حديث رقم ٢٤٨٣. وأحمد في المسند ٤/ ١١٠.

الله من أرضه، يَجتبي إِليها خيرته من عباده، فأما إِن أبيتُم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُرِكم، فإِنَّ الله عزَّ وجلَّ توكل لي بالشام وأهله». رواه أحمد، وأبو داود.

أي مختارة (**الله من أرضه**) أي من بلاده ففيها خير عباده. قال الطيبي: الخير بسكون الياء الاسم من خار، وأما بالفتح فهي الاسم من قولك: اختار، ومحمد خيرة الله من خلقه. بالفتح والسكون. اهـ. والمعنى: اختارها الله من جميع الأرض للإقامة في آخر الزمان. (**يجتبي إليها خيرته**) بالنصب على ما في أكثر النسخ المعتمدة. وفي نسخة بالرفع، ثم من تبعيضية في قوله: (**من عباده**) قال شارح: يجتبي يفتعل من جبوت الشيء وجبيته جمعته. فالمعنى يجمع الله إلى أرض الشام المختارين من عباده. ويجوز أن يكون يجتبي لازماً، أي يجتمع إليها المختارون من عباده. وقال السيد جمال الدين: خيرته مرفوع بأنه فاعل يجتبي، إن كان من الاجتباء اللازم وهو بمعنى الاجتماع، أو منصوب بأنه مفعول إن كان من الاجتباء المتعدي، وهو بمعنى الاصطفاء والاختيار. اهـ. والمختار أنه من الثاني موافقة لما ورد في التنزيل: ﴿**الله يجتبي إليه من يشاء**﴾ [الشورى ـ ١٣]. (**فأما إن أبيتم**) أي امتنعتم من القصد إلى الشام (**فعليكم بيمنكم واسقوا**) بهمز الوصل ويجوز قطعه، أي أنفسكم ودوابكم (**من غدركم**) بضم معجمة وفتح مهملة، أي حياضكم. (**فإن الله توكل**) أي تكفل (**لي**) أي لأجلي وإكراماً لي في أمتي. وقيل صوابه تكفل لي، أي ضمن القيام. (**بالشام**) أي بأمر الشام وحفظ أهله. قال التوربشتي: قوله: فأما إن أبيتم، هذا كلام معترض أدخله بين قوله: عليكم بالشام، وبين قوله: واسقوا من غدركم، أي الزموا الشام واسقوا من غدركم فإن الله عزَّ وجلَّ قد تكفل لي بالشام، وأهلها رخص لهم في النزول بأرض اليمن، ثم عاد إلى ما بدىء منه. وإنما أضاف اليمن إليهم لأنه خاطب به العرب، واليمن من أرض العرب. ومعنى قوله: واسقوا من غدركم، ليسق كل واحد من غديره الذي يختص به. والأجناد المجندة بالشام لا سيما أهل الثغور والنازلين في المروج من شأنهم أن يتخذ كل فرقة لنفسها غديراً تستنقع فيها الماء للشرب والتطهر وسقي الدواب، فوصاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سبباً للاختلاف وتهييج الفتنة. وقال الطيبي: كان قوله: فأما إن أبيتم وارد على التأنيب والتغيير. يعني: إن الشام مختارة الله تعالى من أرضه فلا يختارها الله إلا لخيرة الله من عباده، فإن أبيتم أيتها العرب ما اختاره الله تعالى واخترتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي فالزموا يمنكم واسقوا من غدرها لأنه أوفق لكم من مياه البوادي. ألا ترى كيف جمع الضميرين في القرينتين بعد إفراده في قوله. عليك بالشام، فعلم من هذا أن الشام أولى بالاختيار واليمن عند الاضطرار. والغدر جمع غدير وهو حفرة ينقع فيها الماء، والعرب أكثر الناس اتخاذاً لها ولذلك أضيفت إليهم. قال التوربشتي في سائر نسخ المصابيح: فإن الله قد توكل لي بالشام. والصواب قد تكفل لي وهو سهو، أما في أصل الكتاب أو من بعض رواة الحديث، فنقل على ما وجد. قال القاضي: أراد بالتوكل التكفل. فإن من توكل في شيء فقد تكفل بالقيام به. والمعنى: إن الله ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية. (**رواه أحمد وأبو داود.**) قال الطيبي: في مسند أحمد وجامع الأصول عن

الفصل الثالث

٦٢٧٧ - (١٢) عن شُرَيح بن عُبيد قال: ذُكر أهل الشام عند عليّ [رضي الله عنه] وقيل: العنهم يا أمير المؤمنين! قال: لا، إِني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسقى بهم الغيثُ ويُنتصرُ بهم على الأعداءِ، ويُصرفُ عن أهل الشام بهم العذابُ».

أبي داود كما في المصابيح، وقوله: لي، ليس بصلة توكل وصلته إما على أو الباء، ولا يجوز الأوّل فتعين الثاني. أي توكل بالشام لأجلي. وفي النهاية يقال: توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به.

(الفصل الثالث)

٦٢٧٧ - (**عن شريح بن عبيد**) بالتصغير فيهما. حضرمي تابعي، روى عن أبي أمامة وجبير بن نفير، وعنه صفوان بن عمرو ومعاوية بن صالح. (**قال: ذكر أهل الشام عند علي رضي الله عنه**) أي بالسوء (**وقيل: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا**) أي لا يجوز لعنهم، أو لا ألعنهم. (**إني**) بالكسر على أنه استئناف تعليل (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث**) أي المطر (**وينتصر بهم على الأعداء**) أي من الكفار (**ويصرف عن أهل الشام بهم**) أي ببركتهم أو بسبب وجودهم فيها (**العذاب**) أي الشديد. كما سيأتي. أن هذا الحديث رواه أحمد. وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً: إن الله تعالى خلق ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى، وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل، وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل. كلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة، وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة، وكلما مات واحد من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة. بهم يدفع البلاء عن هذه الأمة. قال بعض العارفين: لم يذكر رسول الله ﷺ أن أحداً على قلبه إذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والأمر أعز وأشرف وألطف من قلبه ﷺ فلا يساويه ولا يحاذيه قلب أحد من الأولياء سواء كانوا أبدالاً أو أقطاباً. قال الشيخ علاء الدين السيمناني في كتاب العروة له: والبدل من البدلاء السبعة كما أخبر عنه عليه الصلاة والسلام فقال: هو من السبعة وسيدهم وكان القطب في زمان النبي ﷺ عم أويس القرني عاصماً، فحرى أن يقول إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن، وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي ﷺ مظهراً خاصاً للتجلي الإلهي المخصوص باسم الذات وهو الله سبحانه. اهـ. وفيه نظر ظاهر فإنه على تقدير ثبوته بالنقل أو الكشف يشكل بأنه كيف تكون القطبية [له تابع] مع وجود الخلفاء الأربعة الذين هم

الحديث رقم ٦٢٧٧: أخرجه أحمد في المسند ١/ ١١٢.

٦٢٧٨ ـ (١٣) وعن رجل من الصَّحابة، أن رسول الله ﷺ قال: «ستفتحُ الشام، فإذا خُيِّرتم المنازلَ فيها، فعليكم بمدينةٍ يقال لها: دمشق، فإنَّها مَعقِل المسلمين من الملاحم وفُسطاطُها، منها أرضٌ يقال لها: الغُوطَةُ». رواهما أحمد.

٦٢٧٩ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بالمدينة، والملك بالشام».

٦٢٨٠ ـ (١٥) وعن عمر [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عموداً

أفضل الناس بعد الأنبياء بالإجماع، مع أن عاصماً هذا ليس له ذكر لا في الصحابة ولا في التابعين، وقد قال: خير التابعين أويس القرني. على أن الإمام اليافعي رحمه الله على ما نقله السيوطي عنه قال: وقد سترت أحوال القطب هو الغوث عن العامة والخاصة[1] غيرة من الحق عليه.

٦٢٧٨ ـ **(وعن رجل من الصحابة)** تقدم أن جهالة الصحابي لا تضر، فإن الصحابة كلهم عدول ومراسيلهم حجة اتفاقاً. **(إن رسول الله ﷺ قال: ستفتح الشام)** أي بلادها **(فإذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق)** بكسر الدال وفتح الميم ويكسر على ما في القاموس، وهو الآن مشهور بالشام. **(فإنها)** أي مدينة دمشق **(معقل المسلمين)** بفتح ميم فكسر قاف أي ملاذهم **(من الملاحم)** بفتح ميم وكسر حاء جمع الملحمة وهي الحرب والقتال. والمعنى يتحصن المسلمون ويلتجؤون إليها كما يلتجىء الوعل إلى رأس الجبل. **(وفسطاطها)** بضم الفاء وقد يكسر وهو البلدة الجامعة للناس. **(ومنها)** أي من أراضي دمشق **(أرض يقال لها)** أي لتلك الأرض **(الغوطة)** بضم الغين وهي اسم البساتين والمياه التي عند دمشق، ويقال لها غوطة دمشق. قال الزمخشري: جنان الدنيا أربع: غوطة، ومشعر نهر الايل وشعب كدان وسمرقند. قال ابن الجوزي: رأيت كلها وفضل الغوطة على الثلاث كفضل الأربع على غيرها. **(رواهما)** أي الحديثين السابقين **(أحمد)** أي في مسنده.

٦٢٧٩ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة)** أي الحقة **(بالمدينة)** أي غالباً لكون علي في الكوفة زمن خلافته، أو الخلافة المستقرة بالمدينة. **(والملك بالشام)** وفيه إشعار بأن معاوية بعد تسليم الحسن لم يصر خليفة. ويؤيده ما رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة: الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك[2].

٦٢٨٠ ـ **(وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت عموداً)** بفتح العين أي

---

(١) في المخطوط كررت «العامة» مرتين.

الحديث رقم ٦٢٧٨: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٤ حديث رقم ٤٢٩٨. وأحمد في المسند ٤/ ١٦٠.

الحديث رقم ٦٢٧٩: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤٤٧. والحاكم في المستدرك ٣/ ٧٢.

(٢) أحمد في المسند ٥/ ٢٢١.

الحديث رقم ٦٢٨٠: أخرجه أحمد في المسند والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤٤٩.

من نور، خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقرَّ بالشام». رواهما البيهقي في «دلائل النبوة».

٦٢٨١ - (١٦) وعن أبي الدَّرداءِ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إن فُسطاط المسلمين يوم الملحمةِ بالغوطة، إلى جانب مدينةٍ يقال لها: دمشق من خير مدائن الشام». رواه أبو داود.

٦٢٨٢ - (١٧) وعن عبد الرَّحمن بن سليمان، قال: سيأتي مَلِكٌ من ملوك العجم، فيظهرُ على المدائنِ كلّها إلا دمشق. رواه أبو داود.

(١٤) باب ثواب هذه الأمة

أسطوانة (من نور) ولعله أمر الخلافة المشبه بالعمود في أنه عماد بناء الإسلام وإحكام ثبات الأحكام. (خرج من تحت رأسي ساطعاً) أي رافعاً لامعاً واصلاً أثره في الآفاق والأنفس. (حتى استقر) أي ثبت ذلك العمود واستمر (بالشام رواهما) أي الحديثين (البيهقي في دلائل النبوة) ووافقه في الحديث الأول البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه.

٦٢٨١ - (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن فسطاط المسلمين) أي مكان الفئة منهم (يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام رواه أبو داود).

٦٢٨٢ - (وعن عبد الرحمن بن سليمان) لم يذكره المؤلف في أسمائه (قال: سيأتي ملك من ملوك العجم فيظهر) أي يغلب (على المدائن) أي البلدان (كلها) أي جميعها (إلا دمشق) أي إلا مدينة دمشق الشام (رواه أبو داود).

(باب ثواب هذه الأمة)

أي الطائفة الجامعة بين الإجابة والمتابعة المعبر عنهم بالفرقة الناجية. ففي التنقيح المبتدع ليس من[1] الأمة على الإطلاق. قال في التوضيح: المراد بالأمة المطلقة أهل السنة والجماعة، وهم الذين طريقتهم كطريقة رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم دون أهل البدع. قال صاحب التلويح: لأن المبتدع وإن كان من أهل القبلة فهو من أمة الدعوة دون المتابعة كالكفار.

الحديث رقم ٦٢٨١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٤ حديث رقم ٤٢٩٨.

الحديث رقم ٦٢٨٢: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٢ حديث رقم ٤٦٣٩.

(١) في المخطوطة «في».

الفصلُ الأول

٦٢٨٣ - (١) عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أَجَلُكم في أَجَلِ مَن خلا من الأمم ما بين صلاةِ العصرِ إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عُمَّالاً فقال: من يعمل إلى نصفِ النَّهار على قيراطٍ قيراط، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراطٍ قيراطٍ، ثمَّ قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على

(الفصل الأول)

٦٢٨٣ - (**عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: إنما أجلكم**) قال الطيبي: الأجل المدة المضروبة للشيء قال تعالى: ﴿**ولتبلغوا أجلاً مسمى**﴾ [غافر - ٦٧]. ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل، فيقال: دنا أجله، وهو عبارة من دنو الموت. وأصله استيفاء الأجل أي مدة الحياة. والمعنى ما أجلكم من مضى من الأمم السابقة في الطول والقصر إلا مقدار ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب من الزمان. اهـ. وتوضيحه أن الأجل تارة يعبر عن جميع الوقت المضروب للعمر سواء يكون معلقاً أو مبرماً كما في قوله تعالى: ﴿**ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده**﴾ [الأنعام - ٢]. وتارة يطلق على انتهاء المدة وآخرها وهو المعنى بقوله سبحانه: ﴿**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ [الأعراف - ٣٤]. والمراد بالأجل هنا هو المعنى الأوّل، فالمعنى إنما مدة أعماركم القليلة. (**في أجل من خلا من الأمم**) أي في جنب آجال من مضى من الأمم الكثيرة (**ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس**) أي مثل ما بينهما في جنب ما بين صلاة الظهر إلى العصر، أو ما بين الفجر والظهر لا ما بين الفجر والعصر للمثل المضروب الآتي. وخلاصته أن مدتكم في العمل قليلة وأجرتكم كثيرة على قياس ما ذكره من المثل، وهو قوله: (**وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى**) أي مع الرب سبحانه وتعالى (**كرجل استعمل عمالاً**) بضم فتشديد جمع عامل، أي طلب منهم العمل (**فقال:**) أي على طريق الاستفهام (**من يعمل لي إلى نصف النهار**) وهو من طلوع الشمس إلى زوالها، فالمراد بالنهار العرفي لأنه عرف عمل العمال. (**على قيراط قيراط**) أي نصف دانق على ما في الصحاح. وقيل: القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشرة في أكثر البلاد، والياء فيه بدل من الراء كما أنها بدل من النون في الدينار. ويدل عليه جمعهما على دنانير وقناطير وكرر قيراط للدلالة على أن الأجر لكل واحد منهم قيراط، لا أن مجموع الطائفة قيراط. (**فعملت اليهود**) أي أتباع موسى السابق في الزمان (**إلى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال:**) أي الرجل المستعمل للعمال (**من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على**

الحديث رقم ٦٢٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٥. حديث رقم ٣٤٥٩. وأحمد في المسند ٢/ ١٢٤.

قيراطٍ قيراطٍ، فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاةِ العصرِ إلى مغرب الشمس، ألا لكم الأجرُ مرّتين، فغضبتِ اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثرُ عملاً، وأقلُّ عطاءً! قال الله تعالى: فهل ظلمتكم من حقّكم

قيراط قيراط. فعملت النصارى) أي أتباع عيسى بعد اليهود **(من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، إلا)** للتنبيه **(فأنتم الذين تعملون)** بالخطاب. ويلائمه ما في رواية للبخاري: فأنتم تعملون. وفي نسخة صحيحة بالغيبة، وهو الظاهر من إيراد الموصول، أي فأنتم مثل الذين يعملون، أو فأنتم هم الذين يعملون مثلاً. **(من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا)** للتنبيه **(لكم الأجر مرتين)** أي مثلي ما لليهود والنصارى، وكأنه مقتبس من قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته﴾** [الحديد ـ ٢٨]. فإن هذه الأمة صدقوا بنبيهم والأنبياء الماضية أيضاً **(فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثر أعمالاً وأقل عطاء)** أي قال أهل الكتاب: ربنا أعطيت أمة محمد ثواباً كثيراً مع قلة أعمالهم وأعطيتنا ثواباً قليلاً مع كثرة أعمالنا. ولعلهم يقولون ذلك يوم القيامة وقد حكى عنهم النبي ﷺ بصيغة الماضي[(١)] لتحقق ذلك، أو صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا على فضائل هذه الأمة في كتبهم أو على ألسنة رسلهم. وعلى كل تقدير ففي الحديث دليل على أن الثواب للأعمال ليس على قدر التعب ولا على جهة الاستحقاق، لأن العبد لا يستحق على مولاه لخدمته أجرة، بل المولى يعطيه من فضله وله أن يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد، فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال الطيبي: لعل هذا تصوير وتخيل لا أن ثمة مقاولة ومكالمة حقيقة، اللهم إلا أن يحمل ذلك على حصولها عند إخراج الذر فيكون حقيقة. اهـ. واستدل به علماؤنا تقوية لقول أبي حنيفة: إن أول العصر بصيرورة ظل كل شيء مثله. [إذ لا يتصوّر أن يكون النصارى أكثر عملاً من هذه الأمة إلا باعتبار هذه المدة. فإن قيل من الزوال إلى صيرورة ظل كل شيء مثله] أكثر منه إلى آخر[(٢)] النهار فيتحقق كون النصارى أكثر عملاً على هذا التقدير. أجيب بأن التفاوت بين هذين الوقتين لا يعرفه إلا الحساب، والمراد من الحديث تفاوت يظهر لكل أحد من الأمة أو لأكثرهم، فإن الأحكام الفقهية مبنية على الاعتبارات الغالبية فالنادر لا حكم له. وقال الكرماني في شرح البخاري: لا يلزم من كونهم أكثر عملاً أكثر زماناً لاحتمال كون العمل أكثر في الزمان الأقل. فأقول[(٣)]: هذا احتمال بعيد معارض باحتمال كون العمل أقل في الزمان الأكثر، فإذا تعارض الاحتمالان العقليان تساقطا، والعرف حاكم باعتبار الغالب أن الزمان معيار للعمل فيكون العمل الأكثر في الزمن الأزيد وكذا عكسه. مع أن في نفس الحديث الشريف دلالة على اعتبار هذا المعيار. **(قال الله تعالى: فهل ظلمتكم)** أي هل نقصتكم **(من حقكم**

---

(١) في المخطوطة «المضي».

(٢) في المخطوطة «أجزاء».

(٣) في المخطوطة «فله أقوى».

شيئاً؟ قالوا: لا. قال الله تعالى: فإنه فضلي، أُعطيه من شئتُ». رواه البخاري.

شيئاً) مفعول به أو مطلق (**قالوا:**) أي أهل الكتاب (**لا. قال الله تعالى: فإنه**) أي الشأن (**فضلي**) أي عطائي الزائد (**أعطيه من شئت**) أو التقدير: فإن العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق فضلي. وقال الطيبي: الضمير واقع موقع اسم الإشارة والمشار إليه قوله: الأجر مرتين، وإنما لم يكن ظلماً لأنه تعالى شرط معهم شرطاً وقبلوا أن يعملوا به، فكان فضله مع النصارى على اليهود شرطه في زمان أقل من زمانهم مع أنهما في الأجرة متساويان، وأما المسلمون فمدة عملهم أقل مع ضعف الأجرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. اهـ. لكن قوله: إنهما في الأجرة[1] متساويان، ليس في محله لأن المراد باليهود والنصارى الممثلين في هذا الحديث هم الذين ثبتوا على دين الحق من متابعة الكتابين والنبيين دون الكفار من الطائفتين، فإنهم ليس لهم من الأجر شيء. ولا شك أن النصارى حيث آمنوا بعيسى والإنجيل مع إيمانهم بموسى والتوراة لهم من المثوبة الحسنى ما ليس لليهود الذين كان إيمانهم بكتابهم ونبيهم فقط، كما حقق في تفسير قوله تعالى: ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين**﴾ [القصص ـ ٥٤]. فعلم من هذا الحديث أن تكرار الأجر غير مختص بالكتابي إذا دخل في دين الإسلام كما هو مفهوم من ظاهر آية: ﴿**يؤتكم كفلين من رحمته**﴾ [الحديد ـ ٢٨]. ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين**﴾ [القصص ـ ٥٤]. ومن حديث: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ.»[2] ويوضحه ما في تفسير البغوي بسنده مرفوعاً قال: مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملناه باطل. فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً. فأبوا وتركوا. واستأجر قوماً آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: ما عملناه باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه. فقال: أكملوا بقية عملكم وإنما بقي من النهار شيء يسير. فأبوا واستأجر قوماً أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور. يعني في قوله تعالى: ﴿**يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به**﴾ [الحديد ـ ٢٨]. (**رواه البخاري**) وفي شرح السنة قال الخطابي: يروى هذا الحديث على وجوه مختلفة في توقيت العمل من النهار وتقدير الأجرة. ففي هذه الرواية قطع الأجرة لكل فريق قيراطاً قيراطاً وتوقيت العمل عليهم زماناً زماناً واستيفاؤه منهم وايفاؤهم الأجرة، وفيه قطع الخصومة وزوال العنت عنهم وإبراؤهم من الذنب. وهذا الحديث مختصر وإنما اكتفى الراوي منه يذكر مآل العاقبة فيما أصاب كل واحدة من الفرق. وقد روى محمد بن إسماعيل هذا الحديث بإسناده عن سالم بن عبد الله عن أبيه وقال: أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً. [ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا

---

(١) في المخطوطة «الآخرة».
(٢) راجع الحديث رقم (١١).

٦٢٨٤ - (٢) وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ من أشدّ أمتي لي حُبّاً ناسٌ يكونون بعدي يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله». رواه مسلم.

٦٢٨٥ - (٣) وعن معاويةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا يزال

قيراطاً قيراطاً] ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين[١] [قيراطين][٢]. فهذه الرواية تدل على أن مبلغ الأجرة لليهود لعمل النهار كله قيراطان، وأجرة النصارى للنصف الباقي قيراطان فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه لم يصيبوا إلى قدر عملهم فأعطوا على قدر عملهم وهو قيراط. ثم إنهم لما رأوا المسلمين قدم استوفوا قدر أجرة الفريقين حاسدوهم فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل أجراً. اهـ. وبالجملة فيدل الحديث على أن زمن هذه الأمة أقل من زمن النصارى كما أن زمن النصارى أقل من زمن اليهود، وعلى أن دين هذه الأمة متصل إلى قيام الساعة لا ينسخه ناسخ.

٦٢٨٤ - **(وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن)** أي إنه يعني الشأن، وقد روى صاحب المشارق في أنواع شتى بحذف أن وكذا هو في الجامع الصغير بلفظ: **(من أشد أمتي لي حباً)** أي بالنسبة إلى غيرهم في زمانهم **(ناس)** بالرفع على أنه مبتدأ موصوف بقوله: **(يكونون بعدي)** أي يوجدون بعد فوتي **(يودّ أحدهم لو رآني)** أي يتمنى أن رآني **(مفدياً بأهله وماله)** قال المظهر: الباء في بأهله باء التعدية كما في قوله: بأبي أنت، يعني يتمنى أحدهم أن يكون يفدي بأهله وماله لو اتفق رؤيتهم ووصولهم إليّ. قال الطيبي: لو ههنا كما في قوله تعالى: ﴿**ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**﴾ [الحجر - ٢]. فلا بد ليودّ من مفعول، فلو مع ما بعده نزل منزلته. كأنه قيل: يود أحدهم ويحب ما يلازم قوله: لو رآني بأهله، أي يفدي أهله وماله ليراني. فقلت: الأظهر كلام المظهر على ما أشار إليه، أن لو هنا حرف مصدري بمنزلة أن، إلا أنها لا تنصب وأكثر وقوع هذه بعد ود أو يود نحو: ﴿**ودوا لو تكفرون**﴾ [النساء - ٨٩]. ﴿**ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾ [القلم - ٩]. ﴿**يود أحدهم لو يعمر ألف سنة**﴾ [البقرة - ٩٦]. قال المغني: وأكثرهم لم يثبت ورود لو المصدرية. والذي أثبته الفراء وأبو علي وأبو البقاء والتبريزي وابن مالك. ويقول: المانعون في نحو: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة. إنها شرطية وأن مفعول يود وجواب لو محذوفان والتقدير: يود أحدهم التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك، ولا خفاء فيما في ذلك من التكلف. **(رواه مسلم)**.

٦٢٨٥ - **(وعن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال)** وفي نسخة

---

(١) في المخطوطة «قيراطان». (٢) البخاري في صحيحه ٢/ ٣٨ حديث رقم ٥٥٧.

الحديث رقم ٦٢٨٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٨ حديث رقم (١٢ . ٢٨٣٢) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٧.

الحديث رقم ٦٢٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٣٢. حديث رقم ٣٦٤١. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٤ حديث رقم (١٧٤ . ١٠٣٧). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٥٠ حديث رقم ٤٢٥٢ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٤/ ١٠١.

من أُمَّتي أُمَّةٌ قائمةٌ بأمر الله لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتِيَ أمر الله وهم على ذلك». متفق عليه.

وذكر حديث أنس «إِن من عباد

بالفوقية[1] (من أمتي) أي من جملة أمتي بالإجابة (أمة) أي طائفة (قائمة بأمر الله) أي بأمر دينه وأحكام شريعته من حفظ الكتاب وعلم السنة والاستنباط منهما والجهاد في سبيله والنصيحة لخلقه وسائر فروض الكفاية كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [آل عمران ـ ١٠٤]. (**لا يضرهم**) أي لا يضر دينهم وأمرهم (**من خذلهم**) أي من ترك عونهم ونصرهم، بل ضر نفسه وظلم عليها بإساءتها. (**ولا من خالفهم**) أي لم يوافقهم على أمرهم (**حتى يأتي أمر الله**) أي موتهم أو انقضاء عهدهم (**وهم على ذلك**) أي على القيام بأمره. وفيه إشارة إلى أن وجه الأرض لا يخلو من الصلحاء الثابتين على أوامر الله المتباعدين [عن نواهيه] الحافظين لأمور الشريعة يستوي عندهم معاونة الناس ومخالفتهم إياهم. وفسر شارح أمر الله بالقيامة، ويشكل عليه حديث: «لا تقوم الساعة حتى لا يكون في الأرض من يقول: الله»[2]. وقال شارح: قائمة بأمر الله، أي متمسكة بدينه. قيل: هم الأمة القائمة بتعليم العلم وحفظ الحديث لإقامة الدين. وقيل: هم المقيمون على الإسلام المديمون له، من قام الشيء دام. والباء في بأمر الله بمعنى مع أو للتعدية، أي دائمة مع أمر الله أو مديمة إياه. وقيل: يحتمل أن المراد به أن شوكة أهل الإسلام لا تزول بالكلية فإن ضعف أمره في قطر، قوي وعلا في قطر آخر وقام بإعلائه طائفة من المسلمين. وقال التوربشتي: الأمة القائمة بأمر الله وإن اختلف فيها، فإن المعتد به من الأقاويل أنها الفئة المرابطة بثغور الشام نضر الله بهم وجه الإسلام، لما في بعض طرق هذا الحديث وهم بالشام وفي بعضها: حتى نقاتل آخرهم المسيح الدجال. وفي بعضها قيل: يا رسول الله وإنى هم. قال: ببيت المقدس. فإن قيل: ما وجه هذا الحديث وما في معناه من الأحاديث التي وردت في الشام وقد عاشت الذئاب في القطيع وعيرت الجنود العاتية عن الفرات وأباحت على ما وراءه من البلاء كنبيح وسروج وحلب وما حواليها. قلت: إنما أراد بقوله: لا يضرهم كل الضرر، وقد أضر الكفار يوم أحد بأصحاب النبي ﷺ ولما كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضرر عليهم مع أن الفئة الموعودة لهم بالنصر هم الجيوش الغازية بها، ولم يصبهم بحمد الله إلى اليوم غضاضة ولا هوان بل كان لهم النصرة وعلى عدوهم الدبرة. (**متفق عليه**) ورواه أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجه كذا قاله السيد جمال الدين. ورواه الشيخان عن المغيرة ولفظه: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون. ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة ولفظه: لا تزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها. ورواه الحاكم عن عمر ولفظه: لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة. (**وذكر حديث أنس. أن من عباد**

---

(١) في المخطوطة «الفوقتين».

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه وراجع الحديث رقم (٥٥١٦).

الله» في «كتاب القصاص».

الفصل الثاني

٦٢٨٦ ـ (٤) عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوَّلُه خيرٌ أم آخرُه».

الله) أي من لو أقسم على الله لأبره **(في كتاب القصاص)**.

(الفصل الثاني)

٦٢٨٦ ـ **(عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل أمتي مثل المطر)** أي في حكم إبهام أفراد الجنس **(لا يدري أوّله)** أي أوائل المطر أو المطر الأوّل **(خير)** أي أنفع **(أم آخره)** أي أواخره أو المطر الآخر. قال التوربشتي: لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأوّل على الآخر، فإن القرن الأوّل هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي. وإنما المراد بهم نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة. قال القاضي: نفى تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيرية، وأراد به نفي التفاوت كما قال تعالى: **﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾** [يونس ـ ١٨]. أي بما ليس فيهن كأنه قال: لو كان يعلم لأنه أمر لا يخفى، ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشوء والنماء لا يمكنك إنكارها، والحكم بعدم نفعها. فإن الأوّلين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول ﷺ بالإجابة [والإيمان]، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالإحسان، وكما أن المتقدمين اجتهدوا في التأسيس والتمهيد فالمتأخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم في التقرير والتأكيد. فكل [ذنبهم] مغفور وسعيهم مشكور وأجرهم موفور. اهـ. وحاصله أنه كما لا يحكم بوجود النفع في بعض الأمطار دون بعض، فكذا لا يحكم بوجود الخيرية في بعض أفراد الأمة دون بعض من جميع الوجوه إذ الحيثيات مختلفة الكيفيات. **﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾** [البقرة ـ ١٤٨]. ومع هذا فالفضل للمتقدم، وإنما هذا تسلية للمتأخر إيماء إلى أن باب الله مفتوح وطلب الفيض من جنابه مفسوح. قال الطيبي: وتمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم كما أن تمثيله ﷺ الغيث بالهدى والعلم، فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع، فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية ولو ذهب إلى الخيرية. فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها وأوّلها وآخرها بالخير وأنها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة

الحديث رقم ٦٢٨٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٤٠ حديث رقم ٢٨٦٩. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٠.

رواه الترمذي.

الفصل الثالث

٦٢٨٧ ـ (٥) عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا وأبشروا،

التي لا يدرى أين طرفاها. وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد المكملة. ويلمح إلى هذا المعنى قول الشاعر:

إن الخيار من القبائل واحد * وبنو حنيفة كلهم أخيار

فالحاصل أن الأمة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث أبهم أمرها فيها وارتفع التمييز بينها، وإن كان بعضها[1] أفضل من بعض في نفس الأمر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره. وفي معناه أنشد مروان بن أبي حفصة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا * فما نحن ندري أي يوميه أفضل

أيوم بداء العمر أم يوم يأسه * وما منهما إلا أغر محجل

ومن المعلوم علماً جلياً أن يوم بداءة العمر أفضل من يوم يأسه، لكن البدء لما لم يكن يكمل ويستتب إلا باليأس أشكل عليه الأمر فقال ما قال، وكذا أمر المطر والأمة. اهـ. وخلاصته أن هذه الأمة كلها لا تخلو عن الخير كما أشار إليه بقوله: هذه أمة مرحومة، لكون نبيها نبي الرحمة بخلاف سائر الأمم فإن الخير [انحصر] في سابقهم ثم جاء الشر في لاحقهم حيث بدلوا كتبهم وحرفوا ما كان عليه أولهم. **(رواه الترمذي)** أي وقال: هذا حديث [حسن] غريب. ورواه أحمد عن عمار بن ياسر وابن حبان في صحيحه عن سلمان. فقول النووي في فتاواه ضعيف متعقب، وقد يصحح كلامه بأنه ضعيف في بعض طرقه لكن في عرف المحدثين ينافيه الإطلاق. فالأحسن أن يقال إنه ضعيف في نفسه حسن لغيره. بل قال بعض المحققين حديث: مثل أمتي مثل المطر، حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة. اهـ. وفي الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي عن أنس، وأحمد عن عمار، وأبو يعلى عن علي، والطبراني عن ابن عمر، وعن ابن عمرو[2].

(الفصل الثالث)

٦٢٨٧ ـ **(عن جعفر)** أي الصادق **(عن أبيه)** أي محمد الباقر **(عن جده)** أي زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ويسمى مثل هذا السند سلسلة الذهب. **(قال: قال رسول الله ﷺ: أبشروا)** من الإبشار. ففي القاموس أبشر فرح، ومنه أبشر بخير. **(وأبشروا)**

---

(١) في المخطوطة «بعض».

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٩٩ حديث رقم ٨١٦١.

الحديث رقم ٦٢٨٧: رواه رزين.

إِنما مثلُ أُمَّتي مثَلُ الغيث، لا يُدرى آخره خيرٌ أم أوَّله! أو كحديقةٍ أُطعم منها فوج عاماً، ثم أُطعم منها فوجٌ عاماً، لعلَّ آخرها فوجاً أن يكون أعرَضَها عرضاً، وأعمَقها عمقاً، وأحسنَها حسناً، كيف تهلِك أمَّةٌ أنا أوَّلها والمهديُّ وسطُها، والمسيحُ آخرها؟ ولكن بين ذلك فَيْجٌ أعوج، ليسوا مني ولا أنا منهم».

كرره للتأكيد أو أحدهما للدنيا والآخر للأخرى، ولا يبعد أن يكون الثاني بمعنى بشروا على ما في القاموس. (**إنما مثل أمتي**) أي أفراد أمة الإجابة (**مثل الغيث**) أي مثل أنواع المطر في حصول المنفعة (**لا يدرى آخره خير أم أوّله**) ولعل عكس الترتيب هنا لإفادة زيادة المبالغة (**أو كحديقة**) أو للتنويع أو التخيير. والمعنى كمثل بستان ذي أشجار ذات أثمار، شبه به الدين باعتبار شرائعه وأركانه وشعبه وأغصانه. (**أطعم**) بصيغة المجهول، أي انتفع. (**منها**) أي من بعضها (**فوج**) أي جمع (**عاماً**) أي سنة (**ثم أطعم منها**) أي من بعضها الآخر (**فوج عاماً لعل آخرها فوجاً**) منصوب على التمييز (**أن يكون**) أي آخرها (**أعرضها عرضاً وأعمقها عمقاً وأحسنها حسناً**) بالنصب على أنها خبر يكون. وجوّز الطيبي رفعها كما سيأتي، لكنه غير موجود في النسخ الحاضرة. (**كيف تهلك أمة**) أي بالكلية (**أنا أوّلها والمهدي وسطها**) بفتح السين ويسكن (**والمسيح**) أي عيسى عليه السلام (**آخرها**) أي آخر الأمة (**ولكن بين ذلك**) أي بين ما ذكر من أوّلها وأوسطها المتصل بآخرها (**فيج**) بفتح فاء وسكون ياء فجيم، أي فوج (**أعوج**) وأفرد باعتبار لفظ الفوج. قال في المصباح: الفيج الجماعة، وقد يطلق على الواحد فيجمع على فيوج وأفياج كبيوت وأبيات. وقال الأزهري: أصل فيج فيج بالتشديد لكنه خفف، كما قيل في هين هين. (**ليسوا**) أي ذلك الفوج وجمعه باعتبار المعنى (**مني**) أي متصلاً بي ومتبعاً لي، أو من أتباعي وأحبابي. (**ولا أنا منهم**) بل أنا متبرىء منهم وغير راض عنهم بفسقهم وظلمهم. هذا وقال الطيبي في قوله: أو حديقة، أو هذه مثلها في قوله تعالى: ﴿**أو كصيب من السماء**﴾ [البقرة - ١٩]. في أنها مستعارة للتساوي في غير الشك كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، يريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا. ومعناه أن كيفية صفة أمتي مشبهة بكيفيتي المطر والحديقة وأنهما سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل قيامها مثلها، فأنت مصيب في تمثيلها بهما جميعاً. فإن قلت: أي فرق بين التمثيلين، قلت: شبهت الأمة في التمثيل الأول بالمطر في نفع الناس بالعلم والهدي، وفي الثاني بالاستنفاع من علم الرسول وهداه في إنبأته الكلأ والعشب الكثير وحصول الإخاذات، ثم انتفاع الناس منهما بالرعي والسقي، وهو المعني بالفوج الذي أطعم من الحديقة عاماً. والحديقة كل ما أحاط به البناء من البساتين وغيرها. وقوله: أن يكون، خبر لعل وأدخل فيه أن تشبيهاً للعل بعسى، واسم يكون يحتمل أن يكون ضميراً عائداً إلى آخرها، وأعرضها خبره. ووصف الأمة بالطول والعرض والعمق باعتبار ملابستها بالحديقة وأن يكون أعرضها صفة موصوف محذوف هو اسم يكون والخبر مقدراً، أي أن تكون[1] الحديقة أعرضها عرضاً له إن روي مرفوعاً، وأعرض

---

(١) في المخطوطة «يكون».

رواه رزين.

٦٢٨٨ ـ (٦) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّ الخَلْق أعجب إليكم إيماناً؟» قالوا: الملائكةُ. قال: «وما لهم لا يؤمنون وهُمْ عندَ ربّهم؟». قالوا: فالنَّبيُّون. قال: «وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزلُ عليهم؟» قالوا: فنحنُ. قال: «وما لكم لا تؤمنونَ وأنا بين أظهركم؟» قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أعجبَ الخلق إليَّ إيماناً لَقومٌ يكونونَ من بعدي يجدون صُحُفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها».

وأعمق وأحسن جيء بها مبالغة أي أبلغها عرضاً وعمقاً وحسناً نحو قولك: العسل أحلى من الخل، والصيف أحر من الشتاء. أقوْل: لا يخفى الفرق بينهما على ذوي النهي. ثم قال: وقوله: أحسنها حسناً كقوله: جد جده وجن جنونه، وعرضاً يحتمل أن يكون اسم عين بدليل قوله: وأعمقها عمقاً، وأن يكون اسم معنى بدليل وأحسنها حسناً. **(رواه رزين)** ينبغي أن يقال: مرسلاً، لأن الإمام زين العابدين [معدود من أكابر التابعين وكذا ولده محمد الباقر عد من التابعين لأنه سمع جابر بن عبد الله وأباه زين العابدين. و[روى عنه] ابنه جعفر الصادق وغيره. وأما جعفر الصادق فذكره المؤلف في التابعين وأظن أنه سهو أو وهم، فإنه لم يدرك أحداً من الصحابة بل روى عن أبيه وغيره وسمع منه الأئمة الأعلام كأبي حنيفة ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وغيرهم، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده زين العابدين.

٦٢٨٨ ـ **(وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده)** وقد سبق الكلام على ما يتعلق بهذا السند من المرام **(قال: قال رسول الله ﷺ: أي الخلق)** أي أي المخلوقات **(أعجب)** أي أغرب **(إليكم إيماناً)** تمييز **(قالوا:)** أي بعض الصحابة **(الملائكة)** أي أعجب الخلق إيماناً، أو التقدير هم الملائكة. **(قال: وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم)** أي مقربون ومشاهدون عجائب الملكوت وغرائب الجبروت. فأي عجب وغرابة في إيمانهم **(قالوا:)** أي ذلك البعض أو بعض آخر **(فالنبيون)** أي إن لم يكن الملائكة فالنبيون **(قال: وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم)** بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول **(قالوا: فنحن. قال: وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم)** أي فيما بينكم تشاهدون معجزاتي وأتلو عليكم آياتي. **(قال:)** أي الراوي **(فقال رسول الله ﷺ: إن أعجب الخلق إليّ)** أي عندي **(إيماناً لقوم يكونون)** أي يوجدون **(من بعدي)** أي من بعد مماتي من التابعين وأتباعهم إلى يوم الدين **(يجدون)** استئناف بيان أي يصادفون **(صحفاً)** بضمتين جمع صحيفة، أي مصاحف وأجزاء. **(فيها كتاب)** أي مكتوب من عند الله وهو القرآن **(يؤمنون بما فيها)** أي بما في تلك الصحف، ولا يبعد أن يفسر الصحف بما يشمل الكتاب والسنة. وحيث ورد الكلام في الأعجبية والأغربية فلا استدلال بالحديث في الأفضلية بوجه من وجوه المزية. هذا وقال الطيبي: قوله: أعجب إيماناً، يحتمل أن يراد به أعظم إيماناً على سبيل

الحديث رقم ٦٢٨٨: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٥٣٨/٦.

٦٢٨٩ - (٧) وعن عبد الرحمٰن بن العلاء الحضرمي، قال: حدَّثني من سمع النبي ﷺ يقول: «إنه سيكون في آخر هذه الأمة قومٌ لهم مثلُ أجر أوَّلهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويُقاتِلونَ أهلَ الفتنِ». رواهما البيهقي في «دلائل النبوة».

٦٢٩٠ - (٨) وعن أبي أُمامةَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «طوبى لمن رآني [وآمن بي]، وطوبى سبعَ مرَّاتٍ لمن لم يرني وآمن بي». رواه أحمد.

المجاز لأن من تعجب من شيء عظمه، فجوابهم مبني على المجاز ورده ﷺ مبني على إرادة الحقيقة. والفاء في قوله: فالنبيون، وفي قوله: فنحن كما في قولك: الأمثل فالأمثل والأفضل فالأفضل. ولا يلزم من هذا أفضلية الملائكة على الأنبياء لأن القول في كون ايمانهم متعجباً منه بحسب الشهود والغيبة. قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿**يؤمنون بالغيب**﴾ [البقرة - ٣]. أي غائبين عن المؤمن به. ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله ﷺ وإيمانهم فقال ابن مسعود: إن أمر محمد كان بيناً لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب[1]. ثم قرأ هذه الآية. اهـ. ولا يخفى أن الصحابة أيضاً كانوا مؤمنين بالغيب لكن باعتبار بعض المؤمن به مع مشاهدة بعضه بخلاف التابعين، فإن إيمانهم بالغيب كله فمن هذه الحيثية إيمانهم أعجب وأفضل والله أعلم.

٦٢٨٩ - (**وعن عبد الرحمٰن بن العلاء الحضرمي**) لم يذكره المؤلف في أسمائه وذكر أباه العلاء فقال: هو عبد الله من حضرموت كان عاملاً للنبي ﷺ على البحرين وأقره أبو بكر وعمر عليهما إلى أن مات العلاء سنة أربع عشرة. روى عنه السائب بن يزيد وغيره (**قال: حدثني من سمع النبي ﷺ**) يحتمل أن يكون أباه أو غيره (**يقول:**) أي النبي ﷺ (**إنه**) أي الشأن (**سيكون في آخر هذه الأمة قوم لهم مثل أجر أولهم يأمرون بالمعروف**) استئناف بيان (**وينهون عن المنكر ويقاتلون**) أي بأيديهم أو بألسنتهم (**أهل الفتن**) أي من البغاة والخوارج والروافض وسائر أهل البدع (**رواهما**) أي الحديثين (**البيهقي في دلائل النبوّة**).

٦٢٩٠ - (**وعن أبي أمامة**) أي الباهلي (**أن رسول الله ﷺ قال: طوبى لمن رآني**) يعني وآمن بي (**وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي**) ولا يبعد أن يكون هذا قيداً لهما. قال الطيبي: قوله: وطوبى جملة معطوفة على السابقة، أي وقال رسول الله ﷺ: طوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات. فعلى هذا سبع مرات ظرف لقال مقدر تخلل بين طوبى وما يتعلق به. ويحتمل أن يكون سبع مرات مصدراً لطوبى ومقولاً لقول رسول الله ﷺ، والمراد به التكثير لا التحديد. اهـ. وخلاصته أن سبع مرات على الأوّل قول الراوي وهو بعيد، والأقرب ما قرره ثانياً كما يؤيده الروايات الآتية. (**رواه أحمد**) وفي الجامع: طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى

---

(١) في المخطوطة «بالغيب».

الحديث رقم ٦٢٨٩: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٥١٣.

الحديث رقم ٦٢٩٠: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٢٦٤.

٦٢٩١ ـ (٩) وعن أبي مُحَيريزٍ، قال: قلت لأبي جُمُعَة رجلٍ من الصحابة: حدِّثنا حديثاً سمعتَهُ من رسولِ اللّهِ ﷺ. قال: نعم أُحدّثُكُمْ حديثاً جيّداً، تَغَدَّيْنا مع رسولِ اللّهِ ﷺ ومعنا أبو عبيدةَ بن الجراح، فقال: يا رسولَ اللّهِ! أحد خيرٌ منّا؟ أسلمْنا، وجاهدْنا مَعَكَ. قال: «نعم، قوم يكونون من بعدِكم يؤمنون بي ولم يروني». رواه أحمد، والدارمي.

وروى رزينٌ عن أبي عبيدة من قوله: قال: يا رسول الله! أحد خيرٌ مِنّا إلى... آخره.

لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات. رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن حبان في صحيحه. والحاكم في مستدركه عن أبي أمامة وكذا أحمد أيضاً عن أنس. ورواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر بلفظ: طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات. رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد ولفظه: طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني(١).

٦٢٩١ ـ **(وعن أبي محيريز)** بضم ميم وفتح حاء وسكون تحتية فراء مكسورة فتحتية ساكنة فزاي، لم يذكره المؤلف في أسمائه. **(قال: قلت لأبي جمعة)** بضمتين ويسكن الثاني **(رجل)** بدل من أبي جمعة **(من الصحابة)** بيان لرجل، قال المؤلف: يقال له الأنصاري، ويقال الكناني. واختلف في اسمه، فقيل: حبيب بن سباع، وقيل جنيد بن سباع، وقيل غير ذلك. له صحبة يعد في الشاميين **(حدثنا)** بصيغة الأمر استدعاء والتماساً **(حديثاً سمعته عن رسول الله ﷺ قال: نعم)** أي قبلت(٢) **(أحدثك حديثاً جيداً)** بفتح جيم وتشديد ياء مكسورة أي حسناً **(تغدينا)** أي أكلنا الغداء **(مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح)** وهو أحد العشرة المبشرة **(فقال:)** أي أبو عبيدة **(يا رسول الله أحد)** أي أحد **(خير منا)** أي ممن بعدنا أو من السابقين واللاحقين **(أسلمنا)** أي على يدك **(وجاهدنا معك. قال: نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)** والمعنى أنهم خير منكم من هذه الحيثية وإن كنتم خيراً منهم من جهة المسابقة والمشاهدة والمجاهدة. قال الطيبي: قوله: معك، حال من الجملة الثانية ومثله مقدر في الجملة الأولى، أي أسلمنا معك كقوله تعالى: ﴿**قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان**﴾ [النمل ـ ٤٤]. وحرف الاستفهام محذوف. ويحتمل أن يكون لمجرد الاستفهام وأسلمنا وجاهدنا حال، ونعم وقعت موقعها. وأن يكون الاستفهام للإنكار وأسلمنا استئناف لبيان نفي خيرية الغير عنه. وعلى هذا وقعت نعم موقع بلى فالخيرية بحسب(٣) الشهود والغيبة كما سبق بيانه آنفاً والله أعلم. **(رواه أحمد والدارمي. وروى رزين عن أبي عبيدة من قوله: قال: يا رسول الله أحد خير منا إلى آخره)**.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٢٧ الأحاديث رقم ٥٣٠١ و٥٣٠٢ و٥٣٠٣.

الحديث رقم ٦٢٩١: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٣٩٨ الحديث رقم ٢٧٤٤. وأحمد في المسند ٤/ ١٠٦.

(٢) في المخطوطة «كلت». (٣) في المخطوطة «بسبب».

٦٢٩٢ ـ (١٠) وعن معاويةَ بن قُرَّةَ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا فَسَدَ أهل الشام فلا خيرَ فيكم. ولا يزال طائفة من أُمَّتي منصورين لا يضرُّهم من خذلهم حتى تقومَ الساعةُ» قال ابن المديني: هم أصحابُ الحديث. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٦٢٩٣ ـ (١١) وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «إِن الله تجاوز عن أمتي الخطأَ والنسيان

٦٢٩٢ ـ **(وعن معاوية بن قرة)** بضم قاف فتشديد راء فتاء. قال المؤلف: معاوية بن قرة يكنى أبا إياس البصري سمع أباه وأنس بن مالك وعبد الله بن مغفل. روى عنه قتادة وشعبة والأعمش عن أبيه، وهو قرة بن إياس المزني سكن البصرة ولم يرو عنه غير ابنه معاوية، قتله الأزارقة. **(قال: قال رسول الله ﷺ إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم)** أي للقعود فيها أو التوجه إليها **(ولا يزال طائفة من أمتي منصورين)** أي غالبين على أعداء الدين **(لا يضرهم من خذلهم)** أي ترك نصرتهم ومعاونتهم **(حتى تقوم الساعة)** أي يقرب قيامها لما سبق من أنها لا تقوم وفي الأرض من يقول: الله. **(قال ابن المديني)** من أكابر المحدثين **(هم)** أي تلك الطائفة **(أصحاب الحديث)** أي المحدثون عن حفاظ الحديث ورواتهم أو العاملون بالسنة المبينة للكتاب، فالمراد بهم أهل السنة والجماعة، قال الطيبي: لا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق: لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، على ما مر فإن المراد منها الفئة المرابطة بثغور الشام لأن اللفظ يحتمل كلا المعنيين. أقول: ويحتمل أيضاً الجمع بين الوصفين. قال: وأما قوله: لا يضرهم من خذلهم، فيحتمل الخذلان على ترك المعاونة لهم على المبتدعة فيكون هنا مجازاً وهنالك حقيقة. اهـ والظاهر أن كلا المعنيين حقيقة، ففي القاموس: خذله وعنه خذلاً وخذلاناً بالكسر، ترك نصرته. **(رواه الترمذي)** أي الحديث. فقوله: قال ابن المديني جملة معترضة لبيان الحديث وتفسيره، ويحتمل أن يكون مدرجاً داخلاً تحت قوله. رواه الترمذي. **(وقال: هذا حديث حسن صحيح)**. وسبق جواب الإِشكال عن هذا الإِسناد.

٦٢٩٣ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تجاوز)** أي عفا وزاد في الجامع **(لي)** أي لأجلي **(عن أمتي)** أي الإِجابة **(الخطأ)** بفتحتين ويجوز مده وهو ضد الصواب. والمراد به هنا ما لم يتعمده، والمعنى أنه عفا عن الإِثم المترتب عليه بالنسبة إلى سائر الأمم، وإلا فالمؤاخذة المالية كما في قتل النفس خطأ وإتلاف مال الغير ثابتة شرعاً. ولذا قال علماؤنا في أصول الفقه: الخطأ عذر صالح لسقوط حق الله تعالى إذا حصل من اجتهاد، ولم يجعل عذراً في حقوق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان. **(والنسيان)** وهو لا ينافي الوجوب في حق الله تعالى، لكن النسيان إذا كان غالباً كما في الصوم والتسمية في الذبيحة

الحديث رقم ٦٢٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٠ حديث رقم ٢١٩٢.

الحديث رقم ٦٢٩٣: أخرجه ابن ماجه ١/ ٦٥٩ حديث رقم ٢٠٤٥.

وما استُكرهوا عليه». رواه ابن ماجه والبيهقي.

٦٢٩٤ - (١٢) وعن بهزِ بن حكيم، عن أبيه عن جدِّه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمَّةٍ أُخرجتْ للناس﴾

يكون عفواً، ولا يجعل عذراً في حقوق العباد حتى لو أتلف مال إنسان بالنسيان يجب عليه الضمان. **(وما استكرهوا عليه)** بصيغة المجهول أي ما طلب منهم من المعاصي على وجه الإِكراه وهو حمل الإنسان على ما يكرهه ولا يريد مباشرته لولا الحمل عليه بالوعيد كالقتل والضرب الشديد. وله تفصيل في حق الله وحق العباد محله كتب أصول الفقه. **(رواه ابن ماجه والبيهقي)** وفي الجامع رواه ابن ماجه عن أبي ذر والطبراني، والحاكم في مستدركه عن ابن عباس، وفي رواية للطبراني عن ثوبان(١).

٦٢٩٤ - **(وعن بهز)** بفتح موحدة وسكون هاء فزاي **(ابن حكيم)** أي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري، قد اختلف العلماء فيه. **(عن أبيه)** أي حكيم بن معاوية. قال البخاري: في صحبته نظر روى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم، وقتادة **(عن جده)** أي معاوية بن حيدة. لم يذكره المؤلف في أسمائه. **(أنه)** أي جده **(سمع رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة﴾)** المعنى أنهم كانوا كذلك في علم الله أو اللوح المحفوظ، أو بين الأمم المتقدمة. والمراد جميع المؤمنين من هذه الأمة على الأظهر، ويدل له هذا الحديث. وقيل: خاص بالمهاجرين أو بالأصحاب، وقيل: مبهم كذا في تفسير شيخنا المرحوم مولانا زين الدين عطية السلمي المكي وفي تفسير الكوراني. وقيل: خاص بالشهداء والصالحين. وقيل: كان بمعنى صار. وقال البغوي: قوله: كنتم أي أنتم. كقوله تعالى: **﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً﴾** [الأعراف - ٨٦]. وقال في موضع آخر: **﴿واذكروا إذ أنتم قليل﴾** [الأنفال - ٢٦]. وقال البيضاوي: قوله: كنتم، دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله: **﴿وكان الله غفوراً رحيما﴾** [الأحزاب - ٥٩]. اهـ وروي عن عمر رضي الله عنه أن هذه الآية تكون لأوّلنا ولا تكون(٢) لآخرنا كذا ذكره البغوي، وأيده بحديث: خير القرون قرني. ثم قال: وقال الآخرون هم جميع المؤمنين من هذه الأمة. قال السيد الصفوي: وهو الأصح. **(﴿أخرجت للناس﴾)**(٣) أي أظهرت لهذا الجنس والجملة صفة لأمة. وقال الصفوي: يعني أنتم خير الناس وأنفع الناس للناس. ويوضحه ما قال البغوي: أنه قال: قوله للناس من صلة قوله: خير أمة، أي أنتم خير الناس للناس. وقال أبو هريرة: معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الإسلام. وقال قتادة: هم أمة محمد ﷺ لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٦ حديث رقم ١٧٠٥.

الحديث رقم ٦٢٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢١١ حديث رقم ٣٠٠١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٣ حديث رقم ٤٢٨٨. والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٤ حديث رقم ٢٧٦٠.

(٢) في المخطوطة «يكون». (٣) سورة آل عمران. آية رقم ١١٠.

قال: «أنتم تُتِمُّون سبعين أُمَّةً، أنتمُ خيرُها وأكرمُها على الله تعالى» رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن.

قال مؤلف الكتاب شكر الله سعيه وأتم عليه نعمته: قد وقع الفراغ من جمع الأحاديث النبوية آخر يوم الجمعة من رمضان عند رؤية هلال شوال سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، بحمد الله، وحسن توفيقه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمدٍ وآله وأصحابه أجمعين.

الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس. وقيل: قوله: للناس من صلة قوله: أخرجت، ومعناه ما أخرج الله للناس أمة خيراً من أمة محمد ﷺ، وقد أشار إليه صاحب البردة بقوله:

لمـا دعـا الله داعـينـا لـطـاعـتـه * بـأكـرم الـرسـل كـنـا أكـرم الأمـم

إشارة خفية إلى أن المفهوم من كون الأمة موصوفة بنعت الخيرية، أن يكون رسولهم منعوتاً بنعت الأكرمية. ولكنه عكس القضية الاستدلالية إجلالاً لمرتبة الرسالة العلية، فإن كوننا خير أمة من بقايا جائزته وجدوى متابعته لأن تكريم التبع من تكريم المتبوع على مقتضى المعقول والمشروع، وإلا فينعكس المطبوع والموضوع ولا يظهر حسن المصنوع. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(أنتم تتمون)** بضم فكسر فتشديد أي تكملون وتوفون. **(سبعين أمة)** أي من الأمم الكبار **(أنتم خيرها وأكرمها على الله)** قال الطيبي: في قوله تعالى: أي في تفسير قوله تعالى: فالمراد بسبعين التكثير لا التحديد ليناسب إضافة الخبر إلى المفرد النكرة لأنه لاستغراق الأمم الفائتة للحصر باعتبار أفرادها، أي إذا نقصت أمة أمة من الأمم كنتم خيرها، وتتمون علة للخيرية لأن المراد به الختم كما أن نبيكم خاتم الأنبياء أنتم خاتم الأمم. اهـ وفيه إيماء إلى أن ختامه مسك في الاختتام كما أشار لفظ النبوة في نفس الحديث الشريف بالإتمام. **(رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي)** وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني والحاكم في مستدركه[1] **(وقال الترمذي: هذا حديث حسن)** وفيه إشعار إلى حسن المقطع، وقد ذكر البغوي بسنده مرفوعاً قال: إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي. اهـ وهذا إشارة إلى حسن الخاتمة المنبئة على حسن البداءة كما أشار إليه قوله سبحانه: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾** [الأنبياء - ١٠١]. فنحن الآخرون الأولون واللاحقون السابقون والحمد لله الذي جعلنا من أهل الإسلام وعلى دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزيد البركات والخيرات. وقد فرغت من تسويد هذا الشرح أنامل العبد المفتقر إلى كرم ربه الغني الباري علي بن سلطان محمد الهروي القاري الملتجىء إلى الحرم المحترم المكي خادم الكتاب القديم والحديث

---

(١) الحاكم في مستدركه ٤/ ٨٤.

. . . .

النبوي عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي وعفا عما زل قدمه أو خل قلمه وختم له بالحسنى وبلغه المقام الأسنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً. وذلك عاشر ربيع الثاني عام ثمان وألف بعد الهجرة النبوية على صاحبها ألوف من الصلاة وآلاف من التحية. [قال الناسخ] تم الجزء الثالث ـ وهو آخر الكتاب ـ بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من ذلك في اليوم الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١١٣٦ هجرية.

تمّ بعونه تعالى كتاب «مرقاة المفاتيح»

ويليه تراجم رجال المشكاة

الفهرس

كتاب الفضائل والشمائل

كتاب المناقب

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الإكمال

في أسماء الرجال

وهو تراجم رجال المشكاة

تأليف

الإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي

المتوفى سنة ٧٤١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ذو الجلال والإكرام وعلى رسوله ألف صلاة وسلام وعلى آله وصحبه من كانوا للناس خير إمام.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له له المِنّة وأشهد أن محمداً رسول الله بلغ الأمة وأنذر من النار وبشّر بالجنة.

أما بعد.

فهذا كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» لصاحب «مشكاة المصابيح» الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي رحمه الله تعالى. ترجم فيه للصحابة الكرام والتابعين لهم رضوان الله تعالى عليهم الذين لهم ذكر في كتابه وكذلك أصحاب الأصول والأمهات إلاّ أنه رحمه الله تعالى أخطأ فذكر من ليس بصحابي في فضل الصحابة في ثلاثة مواضع: وهم أبو طالب وأبو لهب وأبو جهل.

وقد أخذنا هذا الكتاب عن طبعة باكستانية طبعت عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

وقمنا بمقارنتها بطبعة المكتب الإسلامي. فما وجد ضمن معكوفتين فهو زيادة منها.

ونسأل الله تعالى أن يتقبّل منّا سائر عملنا وأن يجعله خالصاً له أنه على كل شيءٍ قدير وبالإجابة جدير. وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ وفّقني للتكميل والتتميم اللهم بك نستعين وعليك نتوكّل سبحانك اللهم ونحمدك على نعمك بجميع محامدك. أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبدك ورسولك صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى جميع إخوانه من النبيين.

أما بعد فهذا كتاب في أسماء الرجال مشتمل على البابين الباب الأول في ذكر الصحابة ذَكَرهم وأنثاهم ومن بعدهم من التابعين وغيرهم ممن له ذكر أو رواية في كتاب المشكاة مرتب على حروف التهجي. واذكر الكنية ممن اشتهر بها في حروف الكنية دون حرف اسمه في حروف الإسم. مثل أبي هريرة اسمه عبد الله أو عبد الرحمن أذكره في حرف الهاء لا في حرف العين.

والباب الثاني: في ذكر من لهم الأصول من المذكورين في أول المشكاة وغيرهم وإن لم نذكرهم في أولها رضوان الله عليهم أجمعين.

الباب الأول

في ذكر الصحابة ومن تابعهم وفيه فصول

حرف الهمزة: وفيه فصول

فصل في الصحابة

١ ـ أنس بن مالك: هو أنس بن مالك بن النضر، كنيته أبو حمزة الخزرجي، خادم النبي ﷺ، أمه أم سليم بنت ملحان. قدم النبي ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين، وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، ليفقه الناس بها، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين، وله من العمر مائة وثلاث سنين وقيل تسع وتسعون سنة. قال ابن عبد البر وهو أصح ما قيل: يقال إنه ولد له مائة ولد وقيل ثمانون، منهم ثمانية وسبعون ذكراً واثنتان أنثى، روى عنه خلق كثير.

٢ ـ أنس بن مالك الكعبي: هو أنس بن مالك الكعبي، كنيته أبو أمامة أسند حديثاً واحداً في صوم المسافر والحامل والمرضع، سكن البصرة روى عنه أبو قلابة رضي ا لله عنه.

٣ ـ أنس بن النضر: هو أنس بن النضر الأنصاري النجاري، وهو عم أنس ابن مالك قتل يوم أحد شهيداً ووجد فيه بضع وثمانون ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم. وفيه نزلت ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾.

٤ ـ أنس بن مرثد: هو أنس بن مرثد بن أبي مرثد، واسم أبي مرثد كنّاز بن الحصين. وقيل إن اسمه أنيس. قال ابن عبد البر: وهو أكثر. ويقال شهد أنيس هذافتح مكة وحنيناً، وقال: يقال إنه الذي قال له النبي ﷺ: «اغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها». وقيل: هو غيره والله أعلم. مات سنة عشرين في خلافة عمر، له ولأبيه وجده وأخيه صحبة. روى عنه سهل بن الحنظلية والحكم بن مسعود.

(كنّاز) بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي المعجمة.

٥ ـ أسيد بن حضير: هو أسيد بن حضير الأنصاري الأوسي، كان ممن شهد العقبة الثانية، وهو من النقباء ليلة العقبة، وكان بين العقبتين سنة، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد. روى عنه جماعة من الصحابة، مات بالمدينة سنة عشرين، ودفن بالبقيع رضي الله عنه.

٦ ـ أبو أسيد: هو أبو أسيد بن مالك بن ربيعة الأنصاري الساعدي، شهد المشاهد كلها،

وهو مشهور بكنيته. روى عنه خلق كثير، مات سنة ستين، وله ثمان وسبعون سنة، بعد أن ذهب في خلافة عثمان رضي الله عنه، وهو آخر من مات من البدريين.

(أُسيد) بضم الهمزة وفتح السين المهملة وسكون الياء.

٧ ـ أسلم: هو أسلم، وكنيته أبو رافع، مولى النبي ﷺ، سيجيء ذكره في حرف الراء.

٨ ـ أسمر: هو أسمر بن مضرِّس الطائي، صحابي عداده في أعراب البصرة.

(مضرس): بضم الميم وفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء المكسورة.

٩ ـ أشعث بن قيس: هو أشعث بن قيس بن معد يكرب، كنيته أبو محمد الكندي قدم على النبي ﷺ في وفد كندة، وكان رئيسهم، وذلك في سنة عشر. كان رئيساً في الجاهلية، مطاعاً في قومه، وكان وجيهاً في الإسلام، وارتد عن الإسلام لما مات النبي ﷺ، ثم رجع إلى الإسلام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ونزل الكوفة، ومات بها سنة أربعين، وصلّى عليه الحسن بن علي رضي الله عنه. وروى عنه نفر.

١٠ ـ أشج: هو الأشج، اسمه المنذر بن العائذ العصري العمدي، كان سيد قومه وقائدهم إلى الإسلام، وفد على النبي ﷺ في وفد عبد القيس، عداده في أعراب أهل المدينة. روى عنه نفر، له ذكر في «باب الحذر والتأني».

(العصري): بفتح العين وفتح الصاد المهملتين.

١١ ـ أشيم الضبابي: هو أشيم الضبابي، له ذكر في «باب الفرائض» في حديث الضحاك.

١٢ ـ الأسود بن كعب العَنْسي: هو الأسود بن كعب اسمه عَبهلة العنسي، وهو الذي ادّعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي ﷺ وقتل والنبي ﷺ حي، والذي قتله فيروز الديلمي، وقيس بن عبد يغوث، فأما فيروز، فقعد على صدره لئلا يفلت. وأما قيس فقتله واحتزّ رأسه، له ذكر في «باب الرؤيا».

(العنسي): بفتح العين المهملة وسكون النون، وبالسين المهملة.

و(عبهلة): بفتح العين المهملة، وسكون الباء الموحدة، وفتح الهاء واللام.

١٣ ـ إبراهيم بن النبي ﷺ: هو إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية سريته، ولد في المدينة في ذي الحجة سنة ثمان، ومات وله ستة عشر شهراً، وقيل: ثمانية عشر، ودفن بالبقيع.

١٤ ـ الأغر المازني: هو الأغر بن المزني، له صحبة، عداده في أهل كوفة. روى عنه ابن عمر، ومعاوية بن قرة.

(الأغر): بفتح الهمزة، وفتح الغين المعجمة، وتشديد الراء.

١٥ ـ أبيض: هو أبيض بن حمّال المأربي السبائي، وفد على النبي ﷺ، وله صحبة، نزل اليمن، وهو قليل الحديث.

(حمال): بفتح الحاء المهملة، وتشديد الميم.

و(مأرب): بفتح الميم، وسكون الهمزة، وكسر الراء والباء مدينة قديمة باليمن قريباً من صنعاء (السبائي): بفتح السين المهملة، وفتح الباء الموحدة والهمزة.

١٦ ـ الأقرع بن حابس: مات في خلافة عمر، هو الأقرع بن حابس التميمي، وفد على النبي ﷺ بعد فتح مكة وفي وفد بني تميم، وكان من المؤلفة قلوبهم، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، استعمله عبد الله بن عامر على جيش أنفذه إلى خراسان، وأصيب هو والجيش بالجوزجان. روى عنه جابر، وأبو هريرة.

١٧ ـ أبو الأزهر: هو أبو الأزهر الأنماري، له صحبة، روى عنه خالد بن معدان، وربيعة بن يزيد، عداده في الشاميين.

١٨ ـ أكيدر دومة: هو أُكيدر بن عبد الملك، ويعرف بصاحب دومة الجندل، كتب إليه النبي ﷺ، وأهدى إلى النبي ﷺ، له ذكر في «باب الجزية».

(أُكيدر): تصغير أكدر، و(دومة) بضم الدال المهملة وفتحها: موضع بين الشام والحجاز.

١٩ ـ أوس بن أوس: هو أوس بن أوس، ويقال أوس بن أبي أوس، الثقفي، وهو والد عمرو بن أوس. روى عنه أبو الأشعث السمعاني، وابنه عمر، وغيرهما.

٢٠ ـ إياس بن بُكَيرُ: هو إياس بن بكير الليثي، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وكان إسلامه في دار الأرقم، مات سنة أربع وثلاثين.

٢١ ـ إياس بن عبد الله: هو إياس بن عبد الله الدوسي المدني، قد اختلف في صحبته. قال البخاري: لا نعرف له صحبة، له حديث واحد في ضرب النساء. روى عنه عبد الله ابن عمر.

٢٢ ـ أُسامة بن زيد: هو أسامة بن زيد بن حارثة، القضاعي، وأمه أم أيمن، واسمها بركة، وهي حاضنة رسول الله ﷺ، وكانت مولاة لأبيه عبد الله بن عبد المطلب وأسامة: مولى رسول الله ﷺ، وابن مولاه، وحبه وابن حبه. قبض النبي ﷺ، وهو ابن عشرين. وقيل غير ذلك، ونزل وادي القرى، وتوفي به بعد قتل عثمان رضي الله عنه. وقيل: سنة أربع وخمسين. قال ابن عبد البر: وهو عندي أصح. روى عنه جماعة.

٢٣ ـ أسامة بن شريك: هو أسامة بن شريك الذبياني الثعلبي، حديثه في الكوفيين وعداده فيهم. روى عنه زياد بن علاقة وغيره.

٢٤ ـ أبي بن كعب: هو أُبي بن كعب الأكبر، الأنصاري، الخزرجي، كان يكتب للنبي ﷺ الوحي هو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله ﷺ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله تعالى، كنّاه النبي ﷺ أبا المنذر، وعمر أبا الطفيل، وسمّاه النبي ﷺ سيد الأنصار، وعمر سيد المسلمين. مات بالمدينة سنة تسع عشرة روى عنه خلق كثير.

٢٥ ـ أفلح: هو أفلح مولى رسول الله ﷺ. وقيل مولى أم سلمة. وروى عنه حبيب المكي.

٢٦ ـ أيفع بن ناكوز: هو أيقع بن ناكوز، من اليمن، المعروف بذي الكلاع، بفتح الكاف، كان رئيساً في قومه، مطاعاً، متبوعاً. أسلم فكتب إليه النبي ﷺ في التعاون على الأسود العنسي، وقتله، وقتل بصفين مع معاوية سنة سبع وثلاثين، قتله أشتر النخعي.

٢٧ ـ أنجشة: هو أنجشة العبد الأسود، الحادي، حادي النبي ﷺ، وكان حسن الحداء، وروى عنه أبو طلحة، وأنس بن مالك، وهو الذي قال له النبي ﷺ: «رويدك يا أنجشة، رفقاً بالقوارير».

(أنجشة)؛ بفتح الهمزة، وسكون النون، وفتح الجيم، وبالشين المعجمة.

٢٨ ـ أبو أمامة الباهلي: هو أبو أمامة صُدَيّ بن عجلان الباهلي، سكن مصر ثم انتقل إلى حمص ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين. روى عنه خلق كثير. مات سنة ست وثمانين، وله إحدى وتسعون سنة، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام. وقيل: آخر من مات منهم بالشام عبد الله بن بشر.

(صدي): بضم الصاد، وفتح الدال المهملة، وتشديد الياء.

٢٩ ـ أبو أمامة الأنصاري: هو أبو أمامة، سعد بن سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي، مشهور بكنيته ولد على عهد النبي ﷺ قبل وفاته بعامين. ويقال: إنه سمَّاه باسم جده لأمه سعد ابن زرارة، وكنَّاه بكنيته، ولم يسمع منه ﷺ شيئاً لصغره، ولذلك قد ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة، وأثبته ابن عبد البر في جملة الصحابة، ثم قال: وهو أحد الأجلّة من العلماء، من كبار التابعين بالمدينة. سمع أباه، وأبا سعيد، وغيرهما. وروى عنه نفر مات سنة مائة، وله اثنتان وتسعون سنة.

٣٠ ـ أبو أيوب الأنصاري: هو أبو أيوب، خالد بن زيد الأنصاري الخزرجي، وكان مع علي رضي الله عنه بن أبي طالب في حروبه كلها، ومات بالقسطنطينية مرابطاً سنة إحدى وخمسين، وكان ذلك مع يزيد بن معاوية لما غزاه أبوه القسطنطينية، خرج معه فمرض، فلما ثقل قال لأصحابه: إذا أنا مت فاحملوني، فإذا صافقتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم، ففعلوا، وقبره قريب من سورها، معروف إلى اليوم، معظَّم، يستشفون به فيشفون. روى عنه جماعة.

(القسطنطينية) هي بضم القاف، وسكون السين، وضم الطاء الأولى، وكسر الثانية، وبعدها ياء ساكنة قال النووي: هكذا ضبطناه، وهو المشهور. ونقل القاضي عياض المغربي في «المشارق» عن الأكثرين بزيادة ياء مشددة بعد النون.

٣١ ـ أبو أمية المخزومي: هو أبو أمية المخزومي، صحابي، عداده في أهل الحجاز. روى عنه أبو المنذر.

٣٢ ـ أمية بن مَخْشي: هو أمية بن مخشي الخزاعي الأزدي، عداده في أهل البصرة، حديثه في الطعام. روى عنه ابن أخيه المثنى بن عبد الرحمن (مخشي)، بفتح الميم، وسكون الخاء، وكسر الشين المعجمة، وتشديد الياء.

٣٣ ـ أمية بن صفوان: هو أمية بن صفوان بن أمية بن خلف الجهمي. روى عن أبيه وعن ابن أخيه عمرو وغيره في «العارية»..

٣٤ ـ أبو إسرائيل: هو أبو إسرائيل، رجل من الصحابة، نذر أن لا يتكلّم، وأن يقف صائماً في الشمس، ولا يستظل، فأمره النبي ﷺ، أن يقعد، ويستظل، ويتكلّم حديثه عن ابن عباس رضي الله عنه، وجابر بن عبد الله.

٣٥ ـ آبي اللحم، خلف بن عبد الملك: هو خلف بن عبد الملك الغفاري، المعروف بآبي اللحم. وقيل: اسمه عبد الله وقيل: الحويرث، وإنما كني بآبي اللحم، لأنه كان يأبى اللحم مطلقاً وقيل: لأنه كان لا يأكل ما ذبح للأصنام. قتل يوم حنين شهيداً. روى عنه عمير مولاه.

(آبي): بفتح الهمزة، والمد، وكسر الباء الموحدة، وسكون الياء.

فصل في التابعين

٣٦ ـ أويس القرني: هو أويس بن عامر، كنيته أبو عمرو القرني، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، وبشر به. ورأى عمر بن الخطاب ومن بعده. وكان مشهوراً بالزهد والعزلة فقتل بصفين سنة سبع وثلاثين.

٣٧ ـ أبان بن عثمان بن عفان القرشي: من أهل المدينة، تابعي، سمع أباه وغيره من الصحابة، وله روايات كثيرة. روى عنه الزهري. مات بالمدينة زمن يزيد بن عبد الملك.

(أبان) بفتح الهمزة، وتخفيف الباء الموحدة.

٣٨ ـ أيوب بن موسى: هو أيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد بن العاص، الأموي روى عن عطاء ومكحول، وطبقتهما، وعن شعبة وغيره، وكان أحد الفقهاء. مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

٣٩ ـ أمية بن عبد الله: هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد المكي. روى عن ابن عمر، وعن الزهري، وغيره ثقة، ولي خراسان. ومات سنة ثمانين.

٤٠ ـ أسلم: هو أسلم مولى عمر بن الخطاب، كنيته أبو خالد، يقال: كان حبشياً، ابتاعه عمر بمكة سنة إحدى عشرة. سمع عمر بن الخطاب. روى عنه زيد بن أسلم وغيره. مات في ولاية مروان وله مائة وأربع عشر سنة.

٤١ ـ أزرق بن قيس: هو أزرق بن قيس الحارثي، تابعي، سمع أبا برزة، وابن عمرو، وأنس بن مالك. روى عنه جماعة.

٤٢ ـ الأعمش: هو الأعمش، اسمه سليمان بن مهران الكاهلي الأسدي، مولى بني كاهل، بطن من بني أسد خزيمة، ولد سنة ستين بأرض الري، فجيء به حميلاً إلى الكوفة، فاشتراه رجل من بني كاهل فأعتقه، وهو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة، عليه مدار أكثر الكوفيين. روى عنه خلق كثير. مات سنة ثمان وأربعين ومائة.

٤٣ ـ الأعرج: هو الأعرج اسمه عبد الرحمن بن هرمز المدني، مولى بني هاشم، من مشاهير التابعين وثقاتهم. روى عن أبي هريرة، واشتهر بالرواية عنه، وروى عنه الزهري مات بالإسكندرية سنة عشر ومائة.

٤٤ ـ الأسود: هو الأسود بن هلال المحاربي. روى عن عمرو بن معاذ وابن مسعود، وعنه جماعة. مات سنة أربع وثمانين.

٤٥ ـ إبراهيم بن ميسرة: هو إبراهيم بن ميسرة الطائفي، يعد في التابعين، حديثه في أهل مكة، ثقة، صحيح الحديث.

٤٦ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن: هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، كنيته أبو إسحاق الزهري القرشي، أدخل على عمر وهو صغير، سمع أباه وسعد بن أبي وقاص. روى عنه ابنه سعد، والزهري مات سنة ست وتسعين وله خمس وسبعون سنة.

٤٧ ـ إبراهيم بن إسماعيل: هو إبراهيم بن إسماعيل الأشهلي. روى عن موسى بن عقبة، وجماعة، وعنه القعنبي وجماعة، وهو صوَّام قوَّام قال الدارقطني وغيره: متروك. مات سنة خمس وستين ومائة.

٤٨ ـ إبراهيم بن الفضل: هو إبراهيم بن الفضل المخزومي. روى عن المقبري وغيره. وعنه وكيع، وابن نمير، وعدة، ضعفوه.

٤٩ ـ إسحاق بن عبد الله: هو إسحاق بن عبد الله الأنصاري، من ثقات تابعي المدينة. قال الواقدي: كان مالك لا يقدم عليه أحداً في الحديث سمع أنس بن مالك وأبا مرثد، وغيرهما وعنه يحيى بن أبي كثير، ومالك، وهمام، وله ذكر في باب الإنفاق، مات سنة اثنين وثلاثين ومائة.

٥٠ ـ إسحاق بن راهويه: هو أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم التيمي، المعروف بابن راهَوَيْه، أحد أركان المسلمين وعلم من أعلام الدين، وممن جمع بين الحديث والفقه والاتقان والحفظ والصدق والورع، طاف بلاد خراسان، والعراق، والحجاز، واليمن، والشام في طلب العلم، ثم استوطن نيسابور إلى أن مات بها في سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وهو ابن أربع وسبعين سنة. وفضائله أكثر من أن تحصى. سمع سفيان بن عيينة، ووكيعاً، وخلقاً كثيراً من الأئمة. روى عنه البخاري، ومسلم، والترمذي وجماعة كثيرة منا الأئمة الأعلام.

٥١ ـ أبو إسحاق السبيعي: هو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي رأى علياً وابن عباس وغيرهما من الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن أرقم. روى عنه الأعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية. ولد لسنتين من خلافة عثمان. ومات سنة تسع وعشرين ومائة.

(والسبيعي) بفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وبالعين المهملة.

٥٢ ـ إسحاق بن موسى: هو إسحاق بن موسى الأنصاري مدني الأصل، كوفي الدار ورد بغداد. وحدّث بها عن سفيان بن عيينة وغيره. روى عن أبيه موسى بن عبيد وروى عنه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم كان حجة. مات سنة أربع وأربعين ومائتين.

٥٣ ـ أبو إبراهيم الأشهلي: هو أبو إبراهيم الأشهلي الأنصاري، هكذا جاء ذكره سمع أباه. روى عنه يحيى ابن أبي كثير قاله مسلم في كتاب الكنى، وقال الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل عن والد إبراهيم هذا فلم يعرفه وهو صحابي.

٥٤ ـ أبو إسرائيل: هو أبو إسرائيل إسماعيل بن الخليفة الملائي. روى عن الحكم وغيره. وعنه أبو نعيم وأسيد بن الحمال وغيرهما ضعيف. مات سنة تسع وستين.

٥٥ ـ أبو أيوب المراغي: هو أبو أيوب المراغي العتكي روى عن جويرية وأبي هريرة. وعنه قتادة وثابت. ثقة.

٥٦ ـ أبو الأحوص: هو أبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن فضلة. سمع أباه وابن مسعود وأبا موسى. روى عنه الحسن البصري، وأبو إسحاق، وعطاء بن السامي.

٥٧ ـ الأحوص: هو الأحوص بن جوّاب، وكنيته أبو الجوّاب الضبي من أهل الكوفة. روى عنه علي بن المديني. مات سنة إحدى وعشرين ومائتين.

(والجوَّاب) بفتح الجيم وتشديد الواو بالباء الموحدة.

٥٨ ـ أبو الأحوص: هو أبو الأحوص سلام بن سليم الحافظ. روى عن آدم بن علي وزياد بن علاقة. وعنه مسدد وهناد. وله نحو أربعة آلاف حديث. قال ابن معين: ثقة متقن. مات سنة تسع وسبعين ومائة.

٥٩ ـ أبي بن خلف وأخوه أمية: هو أبي بن خلف بن وهب، وأخوه أمية. فأما أبيٌّ فإنه قتل يوم أحد مشركاً قتله النبي ﷺ بيده، وأما أمية فإنه قتل يوم بدر مشركاً.

فصل في الصحابيات

٦٠ ـ أسماء بنت أبي بكر: هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وتسمّى ذات النطاقين لأنها شقت نطاقها ليلة خرج النبي ﷺ مهاجراً، فجعلت واحداً شداداً لسفرته، والآخر عصاباً لقربته وقيل جعلت النصف الثاني نطاقاً لها، وهي أم عبد الله بن الزبير أسلمت بمكة قديماً قيل: أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً، وهي أكبر من أختها عائشة رضي الله عنها بعشر سنين، وماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام وقيل: بعشرين يوماً بعدما أنزل ابنها من الخشبة، ولها مائة سنة وذلك سنة ثلاث وسبعين بمكة روى عنها خلق كثير.

٦١ ـ أسماء بنت عميس: هي أسماء بنت عميس، هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، فولدت هناك محمداً وعبد الله وعوناً. ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر الصديق، وولدت له محمداً. فلما مات الصديق تزوجها علي بن أبي طالب، فولدت له يحيى. روى عنها جماعة من كبار الصحابة.

(عميس): بضم العين وفتح الميم وسكون الياء وبالسين المهملة.

٦٢ ـ أنيسة بنت خُبيب: هي أنيسة الأنصارية صحابية تعد في أهل البصرة. روى عنها ابن أختها خبيب بن عبد الرحمن.

(أنيسة) مصغرة، وكذا (خبيب).

٦٣ ـ أميمة بنت رُقيقة: هي أميمة بنت رقيقة، وأبوها عبد الله، ورقيقة أمها بنت خويلد، وهي أخت خديجة زوج النبي ﷺ عدادها في أهل المدينة.

(رقيقة) بضم الراء وفتح القافين وسكون الياء تحتها نقطتان.

٦٤ ـ أمامة بنت أبي العاص: هي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، أمها زينب بنت رسول الله ﷺ تزوجها علي بن أبي طالب بعد فاطمة، وهي بنت أختها أمرته فاطمة بذلك، زوّجها منه الزبير بن العوام، لأن أباها أوصى بها إليه. لها ذكر في «باب ما لا يجوز من العمل في الصلاة».

حرف الباء

فصل في الصحابة

٦٥ ـ أبو بكر الصديق: هو أبو بكر الصديق، اسمه عبد الله بن عثمان أبي قُحافة بضم القاف ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وصل بالأب السابع إلى النبي ﷺ، وإنما سمّي عتيقاً لأن النبي ﷺ قال: «من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر» شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، ولم يفارقه في جاهلية، ولا في الإسلام، وهو أول الرجال إسلاماً، كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين، معروق الوجه غائر العينين ناتىء الجبهة عاري الأشاجع، يخضب بالحناء والكتم، ولأبويه وولده وولد ولده وصحبه. ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة، كان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر، إلاّ أياماً ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الأخرى سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة، وأوصى أن تغسله زوجته أسما بنت عميس فغسلته وصلّى عليه عمر بن الخطاب، وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، ولم يرو عنه من الحديث إلاّ القليل، لقلة مدّته بعد النبي ﷺ.

٦٦ ـ أبو بكرة: هو أبو بكرة نفيع بن الحارث، وكان عبداً للحارث بن كلدة الثقفي فاستلحقه وغلبت عليه كنيته، ويقال إن أبا بكرة تدلى يوم الطائف ببكرة وأسلم. فكنّاه النبي ﷺ بأبي بكرة وأعتقه فهو من مواليه، ونزل البصرة ومات بها سنة تسع وأربعين. روى عنه خلق كثير.

(نفيع): بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء.

٦٧ ـ أبو بَرزة: هو أبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي، أسلم قديماً، وهو الذي قتل عبد الله بن خَطَل ولم يزل يغزو مع رسول الله ﷺ حتى قبض فتحوّل ونزل البصرة، ثم غزا خراسان، ومات بمرو سنة ستين.

٦٨ ـ أبو بردة: هو أبو بردة هانىء بن نيار شهد العقبة الثانية مع السبعين، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد وهو خال البراء بن عازب ولا عقب له، مات في أول زمن معاوية بعد

شهوده مع علي حروبه كلها روى عنه البراء وجابر.

(هانىء): بكسر النون وبعدها همزة و(نيار): بكسر النون وتخفيف الياء وتحتها نقطتان وبالراء.

٦٩ ـ أبو بصير: هو أبو بصير عتبة بن أسيد الثقفي قديم الإسلام والصحبة، له ذكر في غزوة الحديبية، مات في عهد رسول الله ﷺ.

(أسيد): بفتح الهمزة وكسر السين المهملة سيجيء ذكره في حرف العين.

٧٠ ـ أبو بصرة: هو بفتح الباء وسكون الصاد المهملة، حميل بن بصرة الغفاري (حميل) مصغر حَمل:

٧١ ـ أبو بشير: هو أبو بشير قيس بن عبيد الأنصاري المازني، وقال ابن عبد البر صاحب «الاستيعاب» لا يوقف له على اسم صحيح، ولا سمّاه من يوثق به ويعتمد عليه، وذكره ابن مندة في الكنى، ولم يسمّه. روى عنه جماعة مات بعد الحرة، وكان قد عمّر طويلاً.

٧٢ ـ أبو البدّاح: هو أبو البداح، وقد اختلف في اسمه فقيل أن اسمه عاصم بن عدي. وقيل: أبو البداح هو ابن عاصم بن عدي لقب غلب عليه، وإنما كنيته أبو عمر. وقد اختلف في صحبته، فقيل له: أدراك وقيل: إن الصحبة لأبيه وليست له صحبة، والصحيح أنه صحابي قاله ابن عبد البر البداح بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال وبالحاء المهملتين، مات سنة سبع عشرة ومائة، وله أربع وثمانون سنة. روى عن أبيه وعنه أبو بكر بن عبد الرحمن.

٧٣ ـ البراء بن عازب: هو البراء بن عازب أبو عمارة الأنصاري الحارثي نزل الكوفة وفتح الري سنة أربع وعشرين، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، ومات بالكوفة أيام مصعب بن الزبير. روى عنه خلق كثير.

(عمارة) بضم العين المهملة وتخفيف الميم.

٧٤ ـ بلال بن رباح: هو بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق أسلم قديماً. هو أول من أظهر إسلامه بمكة، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، وسكن الشام آخراً ولا عقب له. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ومات بدمشق سنة عشرين، ودفن بباب الصغير، وله ثلاث وستون سنة. وقيل: مات بحلب، ودفن بباب الأربعين. قال صاحب الكشاف: الأول هو الصحيح. وكان ممن عذّبه أهل مكة على الإسلام، وممن كان يعذّبه ويتولّى ذلك بنفسه أمية بن خلف. فكان من قدر الله تعالى أن قتله بلال يوم بدر، قال جابر: كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ـ يعني بلالاً ـ.

٧٥ ـ بلال بن الحارث: هو بلال بن الحارث أبو عبد الرحمن المزني سكن بـ (الأشعر) وراء المدينة. روى عنه ابنه الحارث وعلقمة بن وقّاص. مات سنة ستين، وله ثمانون سنة.

٧٦ ـ بريدة بن الحُصَيب: هو بريدة بن الحصيب الأسلمي، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها، وبايع بيعة الرضوان، وكان من ساكني المدينة، ثم تحوّل إلى البصرة ثم خرج منها

إلى خراسان غازياً، فمات بمرو زمن يزيد بن معاوية سنة اثنين وستين. روى عنه جماعة و(الحصيب) تصغير الحصب.

٧٧ ـ بشر بن معبد: هو بشر بن معبد المعروف بابن الخصاصية، وهي أمه واسمها كبشة فنسبوا إليها، وهو مولى النبي ﷺ وعداده في البصريين.

٧٨ ـ بُسر بن أبي أرطأة: هو بسر بن أبي أرطأة أبو عبد الرحمن، واسمه أبو أرطأة عمير العامري القرشي، قيل إنه لم يسمع من النبي ﷺ لصغره، وأهل الشام يثبتون له سماعاً قال الواقدي: ولد قبل وفاة النبي ﷺ بسنتين يقال إنه خَرِفَ في آخر عمره. مات زمن معاوية، وقيل: زمن عبد الملك.

٧٩ ـ بديل بن ورقاء: هو بديل بن ورقاء الخزاعي تقدّم إسلامه. روى عنه ابناه عبد الله وسلمة وغيرهما. قتل في عهد النبي ﷺ، وقيل: قتل يوم صفين. وقيل الذي قتل يوم صفين هو ابنه عبد الله (بديل) مصغّر بدل.

٨٠ ـ ابنا بسر: هما ابنا بسر عطية وعبد الله سيجيء ذكرهما في حرف العين لهما حديث في أكل التمر والزبد مقروناً بين اسمهما، فقال ابنا بسر ولم يسمِّهما.

٨١ ـ البياضي: منسوب إلى بياضة بن عامر، واسمه عبد الله بن جابر الأنصاري صحابي.

فصل التابعين

٨٢ ـ بلال بن يسار: هو بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ، وليس بزيد ابن حارثة. روى عن أبيه وجده، وعنه عمرو بن مرة حديثه في البصريين.

٨٣ ـ بلال بن عبد الله: هو بلال بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، صالح الحديث.

٨٤ ـ بسر بن محجن: هو بسر بن محجن الديلي حجازي، روى عن أبيه وأورده ابن مندة في أسماء الصحابة، وقال إنه روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً وقال البخاري وغيره إنه تابعي، وهو الصواب. روى عنه زيد بن أسلم.

(محجن) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم وبالنون.

(والديلي) بكسر الدال وسكون الياء تحتها نقطتان.

٨٥ ـ بهز بن حيكم: هو بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري البصري، قد اختلف العلماء فيه. روى عن أبيه عن جده وعنه جماعة، ولم يخرج البخاري ومسلم عنه في «صحيحيهما» شيئاً، وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً.

(حيدة) بفتح الحاء المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الدال.

٨٦ ـ بشر بن مروان: هو بشر بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أخو عبد الملك كان والياً على العراق من قبل أخيه. له ذكر في الخطبة يوم الجمعة.

(بشر) بكسر الباء وسكون الشين المعجمة.

٨٧ - بشر بن رافع: هو بشر بن رافع روى عن يحيى ابن أبي كثير وجماعة. وعنه عبد الرزاق وجماعة. ضعّفه أحمد بن حنبل وقوّاه ابن معين.

٨٨ - بشير بن أبي مسعود: هو بشير بن أبي مسعود البدري. روى عن أبيه وعنه عروة ويونس بن ميسرة وجماعة.

٨٩ - بشير بن ميمون: هو بشير بن ميمون. روى عن عمه أسامة بن أخدري. وعنه بشر ابن المفضل وغيره صدوق.

٩٠ - بَجَالة بن عَبْدَة: وهو بجالة بن عبدة التميمي كاتب جزء ابن معاوية عم الأحنف بن قيس مكي ثقة. ويعد في أهل البصرة سمع عمران بن الحصين. وعنه عمرو ابن دينار كان حياً بمكة سنة تسعين.

(بجالة) بفتح الباء الموحدة وتخفيف الجيم.

و(جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي وبعدها همزة.

٩١ - أبو بردة: هو أبو بردة عامر بن عبد الله بن قيس وهو عامر بن أبي موسى الأشعري أحد التابعين المشهورين المكثرين، سمع أباه وعلياً وغيرهما كان على قضاء الكوفة بعد شريح، فعزله الحجاج.

٩٢ - أبو بكر بن عيّاش: هو أبو بكر بن عياش الأسدي أحد الأعلام. روى عن أبي إسحاق وغيره، وعنه أحمد وابن معين قال أحمد: صدوق ثقة ربما غلط مات سنة ثلاث وخمسين ومائة، وله ست وتسعون سنة.

(عياش) بتشديد الياء تحتها نقطتان وبالشين المعجمة.

٩٣ - أبو بكر بن عبد الرحمن: هو أبو بكر بن عبد الرحمن المخزومي اسمه كنيته تابعي سمع عائشة وأبا هريرة، وروى عنه الشعبي والزهري.

٩٤ - أبو بكر ابن عبد الله بن الزبير: هو أبو بكر بن عبد الله بن الزبير الحميدي شيخ البخاري سيجيء ذكره في حرف العين.

٩٥ - أبو البختري: اسمه سعيد بن فيروز. حديثه في رؤية الهلال.

فصل في الصحابيات

٩٦ - بريرة: هي بريرة بفتح الباء وكسر الراء الأولى وسكون الياء تحتها نقطتان، مولاة عائشة أم المؤمنين، روت عن عائشة وابن عباس وعروة بن الزبير.

٩٧ - بسرة: هي بسرة بنت صفوان بن نوفل القرشية الأسدية وهي بنت أخ ورقة ابن نوفل.

٩٨ - بهيسة: هي بهيسة الفزارية لها صحبة، روت عن أبيها عن النبي ﷺ، وحديثها في البيع.

(بهيسة) بضم الباء وفتح الهاء وسكون الياء وبالسين المهملة.

٩٩ ـ أم بجيد: هي أم بجيد حواء بنت يزيد بن السكن الأنصارية أخت أسماء بنت يزيد وهي مشهورة بكنيتها، كانت من المبايعات روى عنها عبد الرحمن بن بجيد.

(بجيد) مصغّر بجد.

فصل في التابعيات

١٠٠ ـ بُنانة: هي بنانة بضم الباء وتخفيف النون، مولاة عبد الرحمن بن حيّان الأنصارية، تروي عن عائشة وعنها ابن جريج، حديثها في الجلاجل.

(حيان) بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء تحتها نقطتان.

حرف الثاء

فصل في الصحابة

١٠١ ـ تميم الداري: هو تميم بن أوس الداري، كان نصرانياً، أسلم سنة تسع وكان يختم القرآن في ركعة، وربما ردد الآية الواحدة الليل كله إلى الصباح، قال محمد بن المنكدر: إن تميماً الداري نام ليلة لم يقم يتهجّد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع، سكن المدينة ثم انتقل منها إلى الشام بعد قتل عثمان، وأقام بها إلى أن مات. وهو أول من أسرج السّراج في المسجد روى عنه النبي ﷺ قصة الدجّال والجساسة، وعنه أيضاً جماعة.

فصل في التابعين

١٠٢ ـ أبو تميمة: هو أبو تميمة طريف بن خالد الهجيمي البصري، كان أصله من عرب اليمن، فباعه عمه وهو تابعي. روى عن نفر من الصحابة وعنه قتادة وغيره مات سنة خمس وتسعين.

حرف الثاء

فصل في الصحابة

١٠٣ ـ ثابت بن قيس بن شماس: هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري الخزرجي شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وكان من أكابر الصحابة وأعلام الأنصار، شهد له النبي ﷺ بالجنة وكان خطيب رسول الله ﷺ واستشهد يوم اليمامة مع مسيلمة الكذّاب سنة ثنتي عشرة وروى عنه أنس بن مالك وغيره.

١٠٤ ـ ثابت بن الضحاك: وهو ثابت بن الضحاك أبو زيد الأنصاري الخزرجي، كان ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان وهو صغير. مات في فتنة ابن الزبير.

١٠٥ ـ ثابت بن الداحداح: هو ثابت بن الدحداح وقيل ابن الدحداحة الأنصاري شهد

أحداً قتل بها شهيداً طعنه خالد بن الوليد برمح فأنفذه، وقيل: إنه مات على فراشه، مرجع النبي ﷺ من الحديبية له ذكر في تشييع الجنازة.

١٠٦ ـ ثوبان: هو ثوبان بن بُجْدُد أبو عبد الله اشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه ولم يزل معه سفراً وحضراً إلى أن توفّي النبي ﷺ فخرج إلى الشام فنزل الرملة ثم انتقل إلى حمص وتوفي بها سنة أربع وخمسين. روى عنه خلق كثير.

(بجدد) بضم الباء الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الأولى.

١٠٧ ـ ثمامة بن أثال: هو ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة، كان أسر فأطلقه النبي ﷺ فمضى وغسل ثيابه واغتسل ثم أتى النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه. روى عنه أبو هريرة وابن عباس.

(ثمامة) بضم الثاء وتخفيف الميمين و(أثال) بضم الهمزة وتخفيف الثاء المثلثة وباللام.

١٠٨ ـ أبو ثعلبة: هو أبو ثعلبة جُرهُم بن ناشب الخشني وهو مشهور بكنيته بايع النبي ﷺ بيعة الرضوان، وأرسله إلى قومه فأسلموا، نزل الشام ومات بها سنة خمسن وسبعين.

(جرهم) بضم الجيم والهاء.

فصل في التابعين

١٠٩ ـ ثابت بن أبي صفية: هو ثابت بن أبي صفية، كنيته أبو حمزة، وهو كوفي سمع محمد بن علي الباقر. روى عنه وكيع وابن عيينة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة.

١١٠ ـ ثابت بن أسلم البُناني: هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد، تابعي، من أعلام أهل البصرة وثقاتهم، اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك، وصحبه أربعين سنة، روى عن جماعة وعنه نفر، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وله ست وثمانون سنة.

١١١ ـ ثمامة بن حَزْن: هو ثمامة بن حزن القشيري يعد في الطبقة الثانية من التابعين، حديثه عند البصريين رأى عمر وابنه عبد الله وأبا الدرداء، وسمع عائشة. روى عنه أسود بن شيبان البصري.

(حزن) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي والنون.

١١٢ ـ ثور بن يزيد: هو ثور بن يزيد الكلاعي الشامي حمصي، سمع خالد بن معدان روى عنه الثوري ويحيى بن سعيد. مات سنة خمس وخمسين ومائة وله ذكر في «باب الملاحم».

حرف الجيم

فصل في الصحابة

١١٣ ـ جابر بن عبد الله: كنيته أبو عبد الله الأنصاري السلمي، من مشاهير الصحابة، وأحد المكثرين من الرواية، شهد بدراً وما بعدها مع النبي ﷺ ثماني عشرة غزوة، وقدم الشام

ومصر، وكفّ بصره في آخر عمره. روى عنه خلق كثير، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وله أربع وتسعون سنة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول.

١١٤ ـ جابر بن سمرة: هو جابر بن سمرة، كنيته أبو عبد الله العامري ابن أخت سعد بن أبي وقاص نزل الكوفة ومات بها سنة أربع وسبعين روى عنه جماعة.

١١٥ ـ جابر بن عتيك: هو جابر بن عتيك، كنيته أبو عبد الله الأنصاري، شهد بدراً وجميع المشاهد بعدها. روى عنه ابناه عبد الله وأبو سفيان وابن أخيه عتيك بن الحارث، مات سنة إحدى وستين وله إحدى وتسعون سنة.

١١٦ ـ جبّار بن صخر: هو جبار بن صخر الأنصاري السلمي، شهد العقبة وبدراً وما بعدها من المشاهد، وكان أحد السبعين ليلة العقبة. روى عنه شرحبيل بن سعد.

(جبار) بفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة.

١١٧ ـ جرير بن عبد الله: هو جرير بن عبد الله أبو عمرو، أسلم في السنة التي توفي النبي ﷺ فيها، قال جرير أسلمت قبل موت النبي ﷺ بأربعين يوماً، ونزل الكوفة وسكنها زماناً ثم انتقل إلى قرقيسيا، ومات بها سنة إحدى وخمسين. روى عنه خلق كثير.

١١٨ ـ جندب بن عبد الله: هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقي، وعلقة بطن من بجيلة، وفي بجيلة بطن يسمّى قسراً بفتح القاف وسكون السين المهملة، وهو رهط خالد ابن عبد الله القسري. مات في فتنة ابن الزبير بعد أربع سنين منها. روى عنه جماعة.

(جندب) بضم الجيم وسكون النون وضم الدال المهملة وفتحها أيضاً.

١١٩ ـ جبير بن مطعم: هو جبير بن مطعم، كنيته أبو محمد القرشي النوفلي، أسلم قبل الفتح ونزل المدينة، ومات بها سنة أربع وخمسين. روى عنه جماعة وكان من أنسب قريش بقريش.

١٢٠ ـ جرهد بن خويلد: هو جرهد بن خويلد الأسلمي المدني، كان من أهل الصفة، مات سنة إحدى وستين. روى عنه بنوه عبد الله وعبد الرحمن وسليمان ومسلم.

(جرهد) بفتح الجيم والهاء.

١٢١ ـ جعفر بن أبي طالب: هو جعفر بن أبي طالب الهاشمي أخو علي بن أبي طالب ذو الجناحين، أسلم قديماً بعد إحدى وثلاثين إنساناً، وكان أكبر من أخيه علي بعشر سنين، وكان أشبه الناس خلقاً وخُلقاً برسول الله ﷺ. قال أخوه علي: «بينا أنا مع النبي في خير لأبي طالب نصلي إذ أشرف علينا فبصر به النبي ﷺ فقال: يا عم ألا تنزل فنصلي؟ قال: يا ابن أخي إني أعلم أنك على الحق ولكن أكره أن أسجد فيعلوني استي ولكن انزل يا جعفر فصل جناح ابن عمك، فنزل فصلّى عن يسار رسول الله ﷺ فلما قضى النبي ﷺ صلاته التفت إلى جعفر فقال: أما إن الله قد أوصلك بجناحين تطير بهما في الجنة كما وصلت جناح ابن عمك». روى عنه ابنه عبد الله وخلق كثير من الصحابة، قتل شهيداً يوم مؤتة سنة ثمان وله إحدى وأربعون سنة فوجد فيما أقبل من جسده تسعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف.

١٢٢ ـ الجارود: هو الجارود بن المُعلّى العبدي واسمه بشر بن عمر، والجارود لقبه في قول، وفيه خلاف كثير، قدم على النبي ﷺ سنة تسع فأسلم مع وفد عبد القيس. ثم إنه سكن البصرة وقتل بأرض فارس في خلافة عمر رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين. روى عنه جماعة.

١٢٣ ـ جبلة بن حارثة: هو جبلة بن حارثة الكلبي أخو زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وهو أكبر من زيد روى عنه أبو إسحاق السبيعي وغيره.

١٢٤ ـ أبو جُهيم: هو أبو جهيم بضم الجيم وفتح الهاء وسكون الياء عبد الله بن جهيم فيما ذكره وكيع وقيل هو عبد الله بن الحارث بن الصمّة الأنصاري.

(الصمة) بكسر الصاد المهملة وتشديد الميم.

١٢٥ ـ أبو جُحيفة: هو أبو جحيفة واسمه وهب بن عبد الله العامري، نزل الكوفة وكان من صغار الصحابة، ذكر أن النبي ﷺ توفي ولم يبلغ الحلم، ولكنه سمع منه، وروى عنه. مات بالكوفة سنة أربع وسبعين. روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين.

(جحيفة) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وبالفاء.

١٢٦ ـ أبو جمعة: هو أبو جمعة يقال الأنصاري ويقال الكناني، اختلف في اسمه فقيل حبيب بن سباع وقيل غير ذلك، له صحبة يعد في الشاميين.

١٢٧ ـ أبو الجعد: هو أبو الجعد الضميري اسمه كنيته وقيل اسمه وهب. روى عنه عبيدة بن سفيان.

(عبيدة) بفتح العين وكسر الباء الموحدة.

١٢٨ ـ أبو جندل: هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري، أسلم بمكة وجاء يوم الحديبية إلى النبي ﷺ وهو في الحديد يرسف في قيوده كان أبوه فعل به ذلك حيث أسلم، له ذكر في غزوة الحديبية، مات في خلافة عمر بن الخطاب.

١٢٩ ـ أبو جهم: هو أبو جهم عامر بن حذيفة العدوي القرشي، وهو مشهور بكنيته، وهو الذي طلب النبي ﷺ انبجانيته في الصلاة.

١٣٠ ـ أبو جُرَيّ: هو أبو جري جابر بن سليم وهو تميمي نزل البصرة وحديثه عندهم وهو من المقلين لا يعرف له كثير رواية.

(جري) بضم الجيم وفتح الراء وتشديد الياء.

١٣١ ـ أبو جميل: هو أبو جميل له ذكر في كتاب الزكاة لا يعرف اسمه.

فصل في التابعين

١٣٢ ـ جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الصادق كنيته أبو عبد الله كان من سادات أهل البيت. روى عن أبيه وغيره سمع منه الأئمة الأعلام نحو يحيى بن سعيد وابن جريج ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبو حنيفة ولد

سنة ثمانين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وستين سنة ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين.

١٣٣ ـ جعفر بن محمد: هو جعفر بن محمد بن أبي عثمان الطيالسي، كنيته أبوالفضل روى عنه جماعة وعنه نفر، كان ثقة ثبتاً حسن الحفظ. مات سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

١٣٤ ـ أبو جعفر القارىء: هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع القارىء المدني تابعي مشهور، مولى عبد الله بن عيَّاش سمع ابن عمر وابن عباس. روى عنه مالك بن أنس وغيره.

(القارىء) من القراءة مهموز.

١٣٥ ـ أبو جعفر عمير بن يزيد: هو أبو جعفر عمير بن يزيد الخطمي سمع جماعةً روى عنه شعبة وحماد ويحيى بن سعيد.

١٣٦ ـ أبو الجويرية: هو أبو الجويرية حطان بن خفاف الجرمي تابعي سمع ابن مسعود ومعن بن يزيد. روى عنه جماعة

(الجويرية) تصغير جارية (حطان) بكسر الحاء وتشديد الطاء المهملة وبالنون.

و(خفاف) بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء الأولى.

و(الجرم) بفتح الجيم وسكون الراء.

١٣٧ ـ أبو الجوزاء: هو أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الأزدي من أهل البصرة تابعي مشهور الحديث سمع عائشة وابن عباس وابن عمر. وروى عنه عمرو بن مالك وغيره. قتل سنة ثلاث وثمانين.

١٣٨ ـ جزء بن معاوية: هو جزء بن معاوية التميمي. روى عنه بجالة، له ذكر في أخذ الدية من المجوس.

(جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي المعجمة بعدها همزة، وهو الصحيح، وكذا يرويه أهل اللغة وأهل الحديث يقولونه بكسر الجيم وسكون الزاي وبعدها ياء تحتها نقطتان قاله الدارقطني، وقال عبد الغني بفتح الجيم وكسر الزاي وبعدها ياء.

١٣٩ ـ جُميع بن عُمير: هو جميع بن عمير التيمي من أهل الكوفة، قال البخاري: سمع عمر وعائشة. روى عنه العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى.

١٤٠ ـ ابن جريج: هو ابن جريج اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي الفقيه أحد الأعلام. روى عن مجاهد وابن أبي مليكة وعطاء، وعنه جماعة قال ابن عيينة: سمعته يقول ما دون العلم تدويني أحد. مات سنة خمسين ومائة.

١٤١ ـ جُبير بن نُفير: هو جبير بن نفير الحضرمي أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من ثقات الشاميين، وحديثه فيهم. مات سنة ثمانين بالشام. روى عن أبي الدرداء وأبي ذر، وعنه جماعة.

(نفير) بضم النون وفتح الفاء وسكون الياء وبالراء.

١٤٢ ـ أبو جهل: هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي الجاهلي المعروف كان يكنّى أبا الحكم، فكنّاه النبي ﷺ: أبا جهل، فغلبت عليه هذه الكنية.

فصل في الصحابيات

١٤٣ ـ جُويرية أم المؤمنين: هي جويرية بنت الحارث أم المؤمنين سباها النبي ﷺ في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس فوقعت في سهم ثابت ابن قيس فكاتبها فقضى عنها النبي ﷺ كتابتها، ثم أعتقها وتزوجها، وكان اسمها برّة فغيّره النبي ﷺ وسمّاها جويرية، وماتت في ربيع الأول سنة ست وخمسين، ولها خمس وستون سنة. روى عنها ابن عباس وابن عمر وجابر.

١٤٤ ـ جُدامة: هي جدامة بنت وهب الأسدية، أسلمت بمكة وبايعت النبي ﷺ، وهاجرت مع قومها ردّت عنها عائشة.

(جدامة) بالجيم المضمومة والدال المهملة، ويروى بالذال المعجمة أيضاً قال الدارقطني وهو تصحيف.

حرف الحاء

فصل في الصحابة

١٤٥ ـ حمزة بن عبد المطلب: هو حمزة بن عبد المطلب، وكنيته أبو عُمارة عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثُويبة مولاة أبي لهب. هو أسد الله، أسلم قديماً في السنة الثانية من البعث، وقيل: بل كان إسلام حمزة بعد دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم في السنة السادسة فاعتزّ الإسلام بإسلامه، وشهد بدراً واستشهد يوم أحد، قتله وحشي بن حرب، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بأربع سنين. قال ابن عبد البر: لا يصح هذا عندي لأنه رضيع رسول الله ﷺ إلاّ أن تكون ثويبة أرضعتهما في زمانين، وقيل: أسن منه بسنتين، روى عنه علي وعباس وزيد بن حارثة.

(عمارة) بضم العين و(ثويبة) بضم الثاء المثلثة وفتح الواو وسكون الياء تحتها نقطتان وبالباء الموحدة.

١٤٦ ـ حمزة بن عمرو الأسلمي: هو حمزة بن عمرو الأسلمي يعد في أهل الحجاز، روى عنه جماعة، مات سنة إحدى وستين، وله ثمانون سنة.

١٤٧ ـ حذيفة بن اليمان: هو حذيفة بن اليمان، واسم اليمان (حُسيل) بالتصغير و(اليمان) لقبه وكنية حذيفة أبو عبد الله (العيسي) بفتح العين وسكون الياء. هو صاحب سر رسول الله ﷺ، روى عنه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين. مات بالمدائن ـ وبها قبره ـ سنة خمس وثلاثين، وقيل: ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة.

١٤٨ ـ الحسن بن علي: هو الحسن بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو محمد سبط

رسول الله ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة. ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وهو أصح ما قيل في ولادته، ومات سنة خمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، وقيل: تسع وأربعين، وقيل: أربع وأربعين، ودفن بالبقيع. روى عنه ابنه الحسن بن الحسن وأبو هريرة وجماعة كثيرة، ولما قتل أبوه علي بن أبي طالب بالكوفة بايعه الناس على الموت أكثر من أربعين ألفاً، وسلّم الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان في النصف من جمادي الأولى سنة إحدى وأربعين.

١٤٩ ـ الحسين بن علي: هو الحسين بن علي بن أبي طالب، وكنيته أبو عبد الله سبط رسول الله ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة، ولد لخمس خلون من شهر شعبان سنة أربع، وكانت فاطمة علقت به بعد أن ولدت الحسن بخمسين ليلة، وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بـ (كربلاء) من أرض العراق فيما بين (الكوفة) و(الحلة) قتله سنان بن أنس النخعي، ويقال سنان بن أبي سنان، وقيل قتله شمر بن ذي الجوشن، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير، جزّ رأسه وأتى به عبد الله بن زياد وقال شعراً:

وفر ركابي فضةً وذهبا ... إني قتلت الملك المحجّبا
قتلت خير الناس أماً وأبا ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وقيل: إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاث وعشرون رجلاً. روى عنه أبو هريرة وابنه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة بنتاه، وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة، وقضى الله تعالى أن قتل عبد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين قتله إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي في الحرب وبعث برأسه إلى المختار، وبعث به المختار إلى ابن الزبير، وبعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين.

(خولي) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وكسر اللام وتشديد الياء.

و(سكينة) بضم السين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وبالنون.

١٥٠ ـ حسان بن ثابت: هو حسان بن ثابت، يكنّى أبا الوليد الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله ﷺ، وهو من فحول الشعراء، قال أبو عبيدة: أجمعت العرب على أن أشعر أهل المدر حسان بن ثابت روى عنه عمر وأبو هريرة وعائشة، ومات قبل الأربعين في خلافة علي، وقيل: سنة خمسين وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين سنة في الجاهلية وستين في الإسلام.

١٥١ ـ الحكم بن سفيان: هو الحكم بن سفيان الثقفي، ويقال: سفيان بن الحكم، ويقال: إنه لم يسمع من النبي ﷺ قال ابن عبد البر وسماعه عندي صحيح.

١٥٢ ـ الحكم بن عمرو الغفاري: هو الحكم بن عمرو الغفاري، وليس غفارياً إنما هو من ولد نُعَيلة أخي غفار بن مُلَيل (مليل) بضم الميم وفتح اللام الأولى. عداده في أهل البصرة ومات بمرو، ويقال: بالبصرة سنة خمس، ودفن هو وبريدة الأسلمي بـ (مرو) في موضع واحد. روى عنه جماعة.

١٥٣ ـ حنظلة بن الربيع: هو حنظلة بن الربيع التميمي، يقال له: الكاتب لأنه كتب

الوحي لرسول الله ﷺ، وانتقل إلى مكة. ثم خرج منها إلى (قرقيسيا) وسكنها ومات في زمن معاوية. روى عنه أبو عثمان النهدي ويزيد بن الشِخِيِّر.

١٥٤ ـ حاطب بن أبي بلتعة: هو حاطب بن أبي بلتعة، واسم أبي بلتعة عمرو، وقيل: راشد اللخمي شهد بدراً والخندق وما بينهما من المشاهد. مات سنة ثلاثين بالمدينة وهو ابن خمس وستين سنة. روى عنه نفر.

١٥٥ ـ حُوَيِّصة: هو حويصة بن مسعود بن كعب الأنصاري الحارثي أخو محيّصة وكان حويصة أكبر سناً من أخيه، وأسلم بعد محيصة، شهد أحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد. روى عنه محمد بن سهل وغيره.

(حويصة) بضم الحاء وفتح الواو وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها بالصاد المهملة.

١٥٦ ـ حبيش بن خالد: هو حبيش بن خالد الخزاعي قتل يوم فتح مكة مع ابن الوليد روى عنه ابنه هشام.

(حبيش) بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء والشين المعجمة.

١٥٧ ـ حبيب بن مسلمة: هو حبيب بن مسلمة القرشي الفهري بكسر الفاء، وكان يقال له حبيب الروم لكثرة مجاهدته إياهم، وكان فاضلاً مجاب الدعوة. مات بالشام سنة اثنتين وأربعين. روى عنه ابن أبي مليكة وغيره.

١٥٨ ـ حكيم بن حزام: هو حكيم بن حزام، يكنّى أبا خالد القرشي الأسدي، وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين، ولد في الكعبة قبل الفيل بثلاث عشرة سنة وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، وتأخر إسلامه إلى عام الفتح. ومات بالمدينة في داره سنة أربع وخمسين وله مائة وعشرون سنة، ستون في الجاهلية وستون في الإسلام، وكان عاقلاً فاضلاً تقياً، حسن إسلامه بعد أن كان من المؤلّفة قلوبهم، أعتق في الجاهلية مائة رقبة، وحمل على مائة بعير. روى عنه نفر.

١٥٩ ـ حكيم بن معاوية: هو حكيم بن معاوية النميري، قال البخاري في صحبته نظر. روى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم وقتادة.

١٦٠ ـ حصين بن وحوح: هو حصين بن وحوح الأنصاري، حديثه في المدنيين، يقال إنه قتل بالتعذيب.

١٦١ ـ حُبشي بن جنادة: هو حبشي بن جنادة، رأى النبي ﷺ في حجة الوداع، وله صحبة، عداده في أهل الكوفة. روى عنه جماعة.

١٦٢ ـ حجاج بن عمرو: وهو الحجاج بن عمرو الأنصاري المازني، يعد في أهل المدينة، حديثه عند الحجازيين. روى عنه جماعة.

١٦٣ ـ حارثة بن سراقة: هو حارثة بن سراقة الأنصاري، والربيع أمه، وهي عمة أنس بن مالك شهد بدراً وقتل فيها شهيداً، وهو أول من قتل من الأنصار يومئذٍ وقد جاء في «صحيح البخاري» أن اسم أمه الرُبَيِّع والذي كتب في أسماء الصحابة.

(الربيع) بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها.

١٦٤ ـ حارثة بن وهب: هو حارثة بن وهب الخزاعي أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمه، عداده في الكوفيين. روى عنه أبو إسحاق السبيعي.

(السبيعي) بفتح السين وكسر الباء الموحدة.

١٦٥ ـ حارثة بن النعمان: هو حارثة بن النعمان، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وكان من فضلاء الصحابة، له ذكر في «باب البر والصلة» روي أنه قال: مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبرائيل جالس بالمقاعد فسلمت عليه وأجزت، فلما رجعت وانصرف النبي ﷺ قال لي: هل رأيت الذي كان معي؟ قلت: نعم! قال: فإنه جبريل وقد رد عليك السلام، وكان قد كفّ بصره.

١٦٦ ـ الحارث بن الحارث: هو الحارث بن الحارث الأشعري، يعد في الشاميين. روى عنه أبو سلام الحبشي وغيره.

١٦٧ ـ الحارث بن هشام: هو الحارث بن هشام المخزومي أخو أبي جهل بن هشام عداده في أهل الحجاز، كان شريفاً مذكوراً، أسلم يوم الفتح، استأمنت له أم هانىء بنت أبي طالب، فأمنه النبي ﷺ وخرج إلى الشام وقتل (باليرموك) سنة خمس عشرة وأعطاه النبي ﷺ مائة من الإبل كما أعطى المؤلفة قلوبهم، وكان منهم، ثم حسن إسلامه، وخرج إلى الشام في زمن عمر بن الخطاب راغباً في الجهاد، فخرج أهل مكة يبكون لفراقه فقال: إنها لنقلة إلى الله تعالى وما كنت لأوثر عليكم أحداً، فلم يزل بالشام مجاهداً إلى أن مات.

١٦٨ ـ الحارث بن كَلَدَة: هو الحارث بن كلدة الثقفي الطبيب، مولى أبي بكر، له ذكر في كتاب الأطعمة، وقد أورده ابن مندة وابن الأثير وغيرهما في أسماء الصحابة فقال ابن عبد البر عند ذكر ابنه الحارث بن كلدة الصحابي، وأما أبوه الحارث بن كلدة فمات في أول الإسلام ولم يصح إسلامه.

(كلدة) بفتح الكاف وفتح اللام والدال المهملة.

١٦٩ ـ أبو حبة: هو أبو حبة ثابت بن النعمان الأنصاري البدري، وفي كنيته واسمه خلاف كثير ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً فذكره بكنيته ولم يسمعه.

(حبة) بفتح الحاء وتشديد الباء الموحدة، وقيل هو بالنون وقيل بالياء تحتها نقطتان والأول أكثر، قتل يوم أحد.

١٧٠ ـ أبو حميد: هو أبو حميد عبد الرحمن بن سعد الأنصاري الخزرجي الساعدي، غلبت عليه كنيته. روى عنه جماعة. مات في آخر ولاية معاوية.

١٧١ ـ أبو حذيفة: هو أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، قيل اسمه مهشم وقيل هشيم وقيل هاشم، كان من فضلاء الصحابة، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيداً وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

١٧٢ ـ أبو الحنظلية: هو سهل بن عبد الله الحنظلية وهي أم جده وبها يعرف.

فصل في التابعين

١٧٣ ـ الحارث بن سويد: هو الحارث بن سويد التميمي الكوفي من كبار التابعين وثقاتهم روى عن ابن مسعود وعنه إبراهيم التيمي مات آخر أيام عبد الله بن الزبير.

١٧٤ ـ حارث بن مسلم: هو الحارث بن مسلم التميمي حديثه في الشاميين. روى عنه عبد الرحمن بن حسان.

١٧٥ ـ الحارث بن الأعور: هو الحارث بن عبد الله الأعور الحارثي الهمداني ممن اشتهر بصحبة علي بن أبي طالب، ويقال: إنه سمع منه أربعة أحاديث، وروى عن ابن مسعود، وعنه عمرو بن مرة والشعبي قال النسائي وغيره: ليس بالقوي، وقال ابن أبي داود، وكان أفقه الناس وأفرض الناس وأحب الناس. مات بالكوفة سنة خمس وستين.

١٧٦ ـ حارث بن شهاب: هو الحارث بن شهاب الحرمي. روى عن أبي إسحاق وعاصم بن بهدلة، وعنه طالوت والعيسى وأمم، ضعفوه.

١٧٧ ـ حارث بن دحية: هو الحارث بن دحية الراسي. روى عن مالك بن دينار وعنه المقدمي ونصر بن علي، ضعّفوه.

١٧٨ ـ حارثة بن مضرب: هو الحارثة بن مضرب العبدي الكوفي عند أهل الكوفة.

١٧٩ ـ حارثة بن أبي الرجال: هو حارثة بن أبي الرجال. روى عن أبيه وجدّته عمرة وعنه ابن نمير ويعلى بن عبيد وعدة، ضعّفوه.

١٨٠ ـ حفص بن عاصم: هو حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي من أجلة التابعين ثقة مجمع عليه كثير الحديث، سمع ابن عمر.

١٨١ ـ حفص بن سليمان: هو حفص بن سليمان يكنّى أبا عمرو الأسدي مولاهم روى عن علقمة بن مرثد وقيس بن مسلم، وعنه نفر، ثبت في القراءة، لا في الحديث قال البخاري تركوه. مات سنة مائة وثمان، وله تسعون سنة.

١٨٢ ـ حنش بن عبد الله: هو حنش بن عبد الله السبائي، قيل إنه كان مع علي بن أبي طالب بالكوفة، وقدم مصر بعد قتل علي. مات سنة مائة.

١٨٣ ـ حكيم بن معاوية: هو حكيم بن معاوية القشيري وأعرابي حسن الحديث. روى عن أبيه سمع منه ابنه بهز الجريري.

١٨٤ ـ حكيم بن الأثرم: هو حكيم بن الأثرم. روى عن أبي تميم والحسن وعنه عوف وحماد بن سلمة، صدوق.

١٨٥ ـ حكم بن ظهير: هو الحكم بن ظهير الفزاري. روى عن علقمة بن مرثد وزيد بن رفيع. وعنه محمد بن الصباح الدولابي قال البخاري تركوه.

١٨٦ ـ حرام بن سعيد: هو حرام بن سعيد بن محيصة يكنّى أبا نعيم الأنصاري الحارثي تابعي. روى عن أبيه والبراء بن عازب، وعنه الزهري مات سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن سبعين سنة (حرام) ضد حلال.

١٨٧ ـ حماد بن سلمة: هو حماد بن سلمة بن دينار ويكنّى أبا سلمة الربيعي مولى ربيعة ابن مالك وهو ابن أخت حميد الطويل من أعلام البصريين وأئمتهم كثير الحديث، واسع الرواية. مشهور بالسنّة والعبادة. مات سنة سبع وستين ومائة، سمع ثابتاً وحميد الطويل وقتادة. روى عنه يحيى بن سعيد وابن المبارك ووكيع.

١٨٨ ـ حماد بن زيد: هو حماد بن زيد الأزدي أحد الأعلام الأثبات. روى عن ثابت البناني وغيره، وعنه ابن المبارك، ويحيى بن سعيد، ولد في زمن سليمان بن عبد الملك ومات سنة تسع وتسعين ومائة، وكان ضريراً.

١٨٩ ـ حماد بن أبي سليمان: هو حماد بن أبي سليمان واسم أبي سليمان مسلم الأشعري مولى إبراهيم بن أبي موسى الأشعري كوفي يعد في التابعين، سمع جماعة. روى عنه شعبة والثوري وغيرهما، كان أعلم الناس، رأى إبراهيم النخعي، يقال: مات سنة عشرين ومائة.

١٩٠ ـ حماد بن أبي حميد: هو حماد بن أبي حميد المدني. روى عن زيد بن أسلم وغيره، وعنه القعبني وعدة، ضعّفوه.

١٩١ ـ حميد بن عبد الرحمن: هو حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي المدني هو من كبار التابعين. مات سنة خمس ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

١٩٢ ـ حميد بن عبد الرحمن: هو حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري من ثقات البصريين وأئمتهم تابعي جليل من قدماء التابعين. روى عن أبي هريرة وابن عباس.

١٩٣ ـ الحسن البصري: هو الحسن البصري بن أبي الحسن أبو سعيد مولى زيد بن ثابت، وأبوه يسار من بني سبي ميسان أعتقته الربيع بنت النصر، وولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة، وحنكه عمر بيده، وكانت أمه تخدم أم سلمة أم المؤمنين فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها تعلّله بها إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه، وكانوا يقولون: إن الذي بلغ الحسن من الحكمة من بركة ذلك، وقدم البصرة، بعد قتل عثمان. ورأى عثمان وقيل: إنه لقي علياً بالمدينة، وأما البصرة فإن رؤيته إياه لم تصح لأنه كان في وادي القرى متوجهاً نحو البصرة حين قدم علي بن أبي طالب البصرة. روى عن الصحابة مثل أبي موسى وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم، وعنه خلق كثير من التابعين وتابعيهم وهو إمام وقته في كل فن وعلم وزهد وورع وعبادة مات في رجب سنة عشر ومائة.

١٩٤ ـ الحسن بن علي بن راشد: هو الحسن بن علي بن راشد الواسطي. روى عن أبي الأحوص وهشيم، وعنه أبو داود والساجي صدوق مات سنة سبع وثلاثين ومائتين.

١٩٥ ـ الحسن بن علي الهاشمي: هو الحسن بن علي الهاشمي. روى عن الأعرج، وعنه مسلم بن قتيبة قال البخاري: هو منكر الحديث.

١٩٦ ـ الحسن بن أبي جعفر: هو الحسن بن أبي جعفر الجعفري. روى عن نافع وأبي الزبير، وعنه ابن مهدي وغيره ضعّفوه، وكان صالحاً. مات سنة سبع وستين ومائة.

١٩٧ ـ حنظلة بن قيس الزرقي: هو حنظلة بن قيس الزرقي الأنصاري من ثقات أهل

المدينة وتابعيهم، سمع رافع بن خديج وغيره. روى عنه يحيى بن سعيد وغيره.

١٩٨ ـ حبيب بن سالم: هو حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير وكاتبه. روى عنه محمد بن المنتشر وغيره.

١٩٩ و٢٠٠ ـ حرب بن عبيد الله: هو حرب بن عبيد الله الثقفي مختلف في اسمه وحديثه. روى حديثه عطاء بن السائب، وقد اختلف عنه فرواه سفيان بن عيينة عن عطاء عن حرب عن خال له عن النبي ﷺ، وقال أبو الأحوص عن عطاء عن حرب عن جده أبي أمه عن أبيه وقال: حميد عن عطاء عن حرب بن هلال الثقفي عن أبي أمه، وجاء في رواية أبي داود عن حرب بن عبيد الله عن جده أبي أمه عن أبيه، وهو الأشهر، وحديثه في العشور على اليهود والنصارى.

٢٠١ ـ الحجاج بن حسان: هو الحجاج بن حسان الحنفي يعد في البصريين تابعي سمع أنس بن مالك وغيره، وعنه يحيى بن سعيد ويزيد بن هارون.

٢٠٢ ـ حجاج بن الحجاج: هو الحجاج بن الحجاج الأحول الأسلمي، وقيل: الباهلي البصري. روى عن الفرزدق وقتادة وعدة،وعنه إبراهيم بن طهمان يزيد بن زريع وثّقوه. توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة.

٢٠٣ ـ حجاج بن يوسف: هو الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان وبعده ابنه الوليد مات بواسط في شوال سنة خمس وتسعين. عمره أربع وخمسون سنة له ذكر في «باب مناقب قريش وذكر القبائل» وسيجيء قصة موته في حرف السين في ذكر سعيد بن جبير.

٢٠٤ ـ أبو حية: هو أبو حية، واسمه عمرو بن نصر الخارقي الهمداني. روى عن علي ابن أبي طالب.

٢٠٥ ـ أبو حُرة: هو أبو حرة بضم الحاء وتشديد الراء واسمه حنيفة الرقاشي. روى عن عمه حديثه في «باب الغصب»: «ألا لا تظلموا ألا لا يحل مال امرىءٍ إلاّ بطيب نفس منه».

٢٠٦ ـ ابن حزم: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. روى عن أبي حية وابن عباس، وعنه الزهري.

فصل في الصحابيات

٢٠٧ ـ حفصة بنت عمر: هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب، وأمها زينب بنت مظعون كانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر، فلما مات ذكرها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها في سنة ثلاث وطلّقها تطليقة واحدة، ثم راجعها إذ أنزل عليه الوحي يقول: راجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة وإنها زوجتك في الجنة. روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين، وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين، وهي ابنة ستين سنة.

٢٠٨ ـ حليمة: هي حليمة بنت أبي ذؤيب مرضعة النبي ﷺ بعد أن أرضعته ثويبة مولاة

أبي لهب ووالد حليمة الذي أرضعت النبي ﷺ بلبنه عبد الله بن الحارث وأخته التي كانت تحضنه الشيماء، ثم ردّته إلى أمه بعد سنتين وشهرين، وقيل بعد خمس سنين. روى عنها عبد الله بن جعفر، ولها ذكر في «باب البر والصلة».

٢٠٩ ـ أم حبيبة: هي أم حبيبة أم المؤمنين اسمها رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان، وقد اختلف في وقت نكاح رسول الله ﷺ إياها، وموضع العقد فقيل: إنه عقد بأرض الحبشة سنة ست، وزوّجه منها النجاشي وأمهرها أربع مائة دينار، وقيل: أربع مائة آلاف درهم من عنده، وبعث النبي ﷺ شرحبيل بن حسنة فجاء بها إليه، دخل بها بالمدينة، وقد قيل: إنه عقد عليها بالمدينة وزوّجها منها عثمان ابن عفان، وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين. روى عنها جماعة كثيرة.

٢١٠ ـ أم الحصين: هي أم الحصين بنت إسحاق الأحمسية. روى عنها [ابن] ابنها يحيى ابن الحصين وغيره. شهدت حجة الوداع.

٢١١ ـ أم حرام: هي أم حرام بنت ملحان بن خالد النجارية، وهي أخت أم سليم أسلمت وبايعت، وكان النبي ﷺ يقيل في بيتها، وهي زوجة عبادة بن الصامت ماتت غازية مع زوجها بأرض الروم وقبرها بـ (قبرس). روى عنها ابن أختها أنس بن مالك وزوجها عبادة. قال ابن عبد البر: لا أقف لها على اسم صحيح غير كنيتها، وكان موتها في خلافة عثمان.

(ملحان) بكسر الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة وبالنون.

٢١٢ ـ حمنة: هي حمنة بنت جحش أخت زينب زوج النبي ﷺ الأسدية كانت تحت مصعب بن عمير فقتل عنها يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد الله.

فصل في التابعيات

٢١٣ ـ حسناء: هي حسناء بنت معاوية الصريمية. روت عن عمها عن النبي ﷺ، روى عنها عَوْف الأعرابي، حديثها في البصريين هكذا أوردها ابن ماكولا في (حسناء) وذكرها الحازمي فقال (خنساء) بنت معاوية ويقال حسناء الصرمية وعماها الحارث وأسلم.

(الصرمية) بفتح الصاد المهملة وكسر الراء و(حسناء) فعلاء من الحسن و(خنساء) بالخاء المعجمة وتقديم النون على السين.

٢١٤ ـ حفصة بنت عبد الرحمن: هي حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق زوجة المنذر بن الزبير بن العوام.

٢١٥ ـ أم الحرير: هي أم الحرير بفتح الحاء وكسر الراء الأولى، مولاة طلحة بن مالك. روت عن مولاها، وروى حديثها محمد بن أبي رزين عن أمه عنها حديثها في «أشراط الساعة».

حرف الخاء

فصل في الصحابة

٢١٦ ـ خالد بن الوليد: هو خالد بن الوليد القرشي المخزومي، وأمه لبابة الصغرى أخت ميمونة زوج النبي ﷺ. كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، سمّاه رسول الله ﷺ «سيف الله». مات سنة إحدى وعشرين. وأوصى إلى عمر بن الخطاب. روى عنه ابن خالته ابن عباس، وعلقمة، وجبير بن نفير.

٢١٧ ـ خالد بن هَوذَة: هو خالد بن هَوذَة العامري، وفد هو وأخوه حرملة على النبي ﷺ، فكتب النبي ﷺ إلى خزاعة يبشّرهم بإسلامهما. هما من المؤلّفة قلوبهم. وخالد بن هوذة هذا هو والد القداء بن خالد بن هودة الذي ابتاع منه رسول الله ﷺ العبد أو الأمة وكتب له العهد.

٢١٨ ـ خلاد بن السائب: هو خلاد بن السائب بن الخلاد الخزرجي. روى عن أبيه وزيد ابن خالد، وعنه حبان بن واسع وغيره.

٢١٩ ـ خباب بن الأرت: هو خباب بن الأرت، يكنّى أبا عبد الله التميمي، وإنما لحقه سبأ في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة فأعتقته. أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وهو ممّن عذّب في الله على إسلامه فصبر، نزل الكوفة، ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة. روى عنه جماعة.

٢٢٠ ـ خارجة بن حذافة: هو خارجة بن حذافة القرشي العدوي كان أحد فرسان قريش يقال إنه كان يعدل بألف فارس. وعداده في أهل مصر. وهو الذي قتله الخارجي ظناً منه أنه عمرو بن العاص.

و(الخارجي) هو أحد الثلاثة الذين اتّفقوا على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، وتوجّه كل واحد منهم إلى واحد من الثلاثة فنفذ قضاء الله عزّ وجلّ في علي دونهما وكان قتل خارجة في سنة أربعين.

٢٢١ ـ خزيمة بن ثابت: هو خزيمة بن ثابت يكنّى أبا عمارة الأنصاري الأوسي، يعرف بذي الشهادتين، شهد بدراً وما بعدها، كان مع علي يوم صفين فلما قتل عمار بن ياسر جرّد سيفه فقاتل حتى قتل. روى عنه ابناه عبد الله وعمارة وجابر بن عبد الله.

(خزيمة) بضم الخاء وفتح الزاي و(عمارة) بضم العين.

٢٢٢ ـ خزيمة بن جزء: هو خزيمة بن جزء، يكنّى أبا عبد الله السلمي. روى عنه أخوه حبان بن جزء، يعد في الوحدان.

(جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي وبعدها همزة، وأصحاب الحديث يقولون جزي بفتح الجيم وكسر الزاي بعدها ياء. قاله عبد الغني وقال الدارقطني بكسر الجيم وسكون الزاي و(حبان) بكسر الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة.

٢٢٣ ـ خريم بن الأخرم: هو خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي وقد ينسب إلى جده فيقال خريم بن فاتك وعداده في الشاميين وقيل في الكوفيين. روى عنه جماعة.

٢٢٤ ـ خبيب بن عدي: هو خبيب بن عدي الأنصاري الأوسي، شهد بدراً، وأُسر في غزوة الرجيع سنة ثلاث فانطلق به إلى مكة، فاشتراه بنو الحارث بن عامر وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر كافراً فاشتراه بنوه ليقتلوه به، فأقام عندهم أسيراً ثم صلبوه بالتنعيم، وهو أول من صلب في الإسلام. روى عنه الحارث بن البرصاء.

روي في «صحيح البخاري» أن خبيباً استعار من بعض بنات الحارث موسى ليستحديها فأخذ ابناً لها وهي غافلة فأجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت أمه فزعة عرفها خبيب في وجهها فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. فقالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمر وكان يقول: إنه لرزق من الله رزقه خبيباً، فلما أخرجوه من الحرم ليقتلوه في الحل قال خبيب ذروني أركع ركعتين فتركوه فركعهما، فقال والله لولا أن ينسبوني إلى جزع لزدت، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شق كان في الله مضجعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ ممزعِ

وكان خبيب هو الذي سنّ الركعتين لكل امرىءٍ مسلم قتل صبراً.

٢٢٥ ـ خنيس بن حذافة: هو خنيس بن حذافة السهمي القرشي، كان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي ﷺ، شهد بدراً ثم أحداً فجرح، ثم مات بالمدينة من جراحه ولا عقب له.

(خنيس) مصغّر.

٢٢٦ ـ أبو خراش: هو أبو خراش حدرد الأسلمي صحابي.

(خراش) بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الراء وبالشين المعجمة.

و(حدرد) بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين وفتح الراء.

٢٢٧ ـ أبو خلاد: هو أبو خلاد رجل من الصحابة، قال ابن عبد البر لا أقف على اسمه ولا نسبه، حديثه عند يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا رأيتم المؤمن أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة» وفي رواية مثله، ولكن بين أبي فروة وأبي خلاد أبو مريم وهذا أصح.

فصل في التابعين

٢٢٨ ـ خيثمة بن عبد الرحمن: هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي كان اسم أبي سبرة يزيد بن مالك، وكان خيثمة من كبار التابعين. مات قبل أبي وائل سمع علياً وابن عمر وغيرهما، وعنه الأعمش ومنصور وعمرو بن مرة، وورث مائتي ألف فأنفقها على

العلماء.

(خيثمة) بفتح الخاء وسكون الياء تحتها نقطتان وفتح الثاء المثلثة.

و(سبرة) بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة.

٢٢٩ ـ خالد بن معدان: هو خالد بن معدان يكنّى أبا عبد الله الشامي الكلاعي من أهل حمص، قال: لقيت سبعين رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، وكان من ثقات الشاميين مات بطرسوس سنة أربع ومائة.

(معدان) بفتح الميم وسكون العين وتخفيف الدال المهملة.

٢٣٠ ـ خالد بن عبد الله: هو خالد بن عبد الله الواسطي الطحان. روى عن حصين وغيره كان من خيار عباد الله الصالحين، يقال إنه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات فتصدّق بوزن نفسه فضة، مات سبع وسبعين ومائة وقيل اثنين وثمانين ومائة وكان مولده سنة عشر ومائة.

٢٣١ ـ خارجة بن زيد: هو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري المدني، تابعي جليل القدر، أدرك زمن عثمان، وسمع أباه وغيره من الصحابة، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة، ثبت ثقة، روى عنه الزهري مات سنة تسع وتسعين.

٢٣٢ ـ خارجة بن الصلت: هو خارجة بن الصلت البرجمي، من البراجم، وهو من بني تميم تابعي. روى عن ابن مسعود وعن عمه، وعنه الشعبي حديثه عند أهل الكوفة.

٢٣٣ ـ خِشْف بن مالك: هو خشف بن مالك الطائي روى عن أبيه وعمه وعمرو ابن مسعود، وعنه زيد بن جبير وثق.

(خشف) بكسر الخاء وسكون الشين المعجمة وبالفاء.

٢٣٤ ـ أبو خزامة: هو أبو خزامة بن يعمر، أحد بني الحارث بن سعد. روى عن أبيه، وعنه الزهري وهو تابعي.

(خزامة) بكسر الخاء وتخفيف الزاي.

٢٣٥ ـ أبو خلدة: هو أبو خلدة خالد بن دينار التميمي السعدي البصري الخياط، من الخياطة من ثقات التابعين. روى عن أنس، وعنه وكيع وغيره.

(خلدة) بفتح الخاء وسكون اللام.

٢٣٦ ـ ابن خطل: هو عبد الله بن خطل التميمي مشرك. أمر النبي ﷺ بقتله يوم فتح مكة فقتل.

(خَطَل) بفتح الخاء وفتح الطاء المهملة.

فصل في الصحابيات

٢٣٧ ـ خديجة بنت خويلد: هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية، كانت تحت أبي هالة بن زرارة، ثم تزوجها عتيق بن عائذ ثم تزوّجها النبي ﷺ ولها يومئذٍ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى، وكان لرسول الله ﷺ خمس وعشرون سنة، ولم ينكح ﷺ قبلها

امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت، وهي أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم، وجميع أولاده منها غير إبراهيم فإنه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع سنين، وقيل بثلاث وكان قد مضى من النبوة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة وكانت مدة مقامها مع رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سة ودفنت بالحجون.

٢٣٨ ـ خولة بنت حكيم: هي خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون، كانت امرأة صالحة فاضلة. روى عنها جماعة.

٢٣٩ ـ خولة بنت ثامر: هي خولة بنت ثامر الأنصارية، حديثها عند أهل المدينة روى عنها النعمان بن أبي عياش الزرقي، وقيل هي خولة بنت قيس بن مالك بن النجار.

(ثامر) لقب قيس والصحيح أنهما اثنتان.

٢٤٠ ـ خولة بنت قيس: هي خولة بنت قيس الجهنية حديثها عند أهل المدينة. روى عنها النعمان بن خربوذ بضم الخاء المعجمة وبالراء والذال المعجمة.

٢٤١ ـ خنساء بنت خِذَام: هي خنساء بنت خذام ابن خالد الأنصارية الأسدية حديثها في المدنيين. روى عنها أبو هريرة وعائشة وغيرهما.

(خنساء) بفتح الخاء وسكون النون وبالسين المهملة والمد وخذام بكسر الخاء وتخفيف الذال المعجمتين.

٢٤٢ ـ أم خالد: هي أم خالد بن سعيد بن العاص الأموية وهي مشهورة بكنيتها، ولدت بأرض الحبشة وقدم بها إلى المدينة وهي صغيرة ثم تزوّجها الزبير بن العوام. روى عنها نفر.

حرف الدال

فصل في الصحابة

٢٤٣ ـ دحية الكلبي: هو دحية بن خليفة الكلبي من كبار الصحابة، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر في الهدنة وذلك في سنة ست فآمن به قيصر وأبت بطارقته فلم تؤمن، وهو الذي كان ينزل جبرائيل على صورته نزل الشام وبقي أيام معاوية. روى عنه نفر من التابعين.

(دحية) بكسر الدال وسكون الحاء المهملة وبالياء تحتها نقطتان كذا يرويه أكثر أصحاب الحديث وأهل اللغة، وقيل هو بالفتح.

٢٤٤ ـ أبو الدرداء: هو أبو الدرداء عويمر بن عامر الأنصاري الخزرجي، واشتهر بكنيته، والدرداء ابنته، تأخر إسلامه قليلاً، فكان آخر أهل داره إسلاماً وحسن إسلامه وكان فقيهاً عالماً حكيماً، سكن الشام ومات بدمشق سنة اثنتين وثلاثين.

فصل في التابعين

٢٤٥ ـ داود بن صالح: هو داود بن صالح بن دينار التمار، مولى الأنصاري المدني روى

عن سالم بن عبد الله وعن أبيه وأمه.

٢٤٦ ـ داود بن الحصين: هو داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان بن عفان. روى عن عكرمة، وعنه مالك وغيره مات سنة خمس وثلاثين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة.

٢٤٧ ـ ابن الديلمي: هو الضحاك بن فيروز تابعي حديثه في المصريين. روى عن أبيه.

(الديلمي) بفتح الدال منسوب إلى الديلم وهو الجبل المعروف بين الناس و(فيروز) بفتح الفاء وسكون الياء تحتها نقطتان بضم الراء وبالزاي.

٢٤٨ ـ أبو داود الكوفي: هو أبو داود، نفيع بن الحارث الأعمى الكوفي، روى عن عمران بن حصين وأبي برزة، وعنه الثوري وشريك تركوه، كان يترفّض، له ذكر في «كتاب العلم».

فصل في الصحابيات

٢٤٩ ـ أم الدرداء: هي أم الدرداء اسمها خيرة بنت أبي حدرد الأسلمية وهي زوجة أبي الدرداء، كانت من فضلاء النساء الصحابيات وعقلائهنّ وذوات الرأي منهنّ مع العبادة والنسك. روى عنها جماعة وماتت قبل أبي الدرداء بسنتين، وكان وفاتها بالشام في خلافة عثمان.

حرف الذال

فصل في الصحابة

٢٥٠ ـ أبو ذر الغفاري: هو أبو ذر جندب بن جنادة، وهو من أعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين، وأسلم قديماً بمكة يقال كان خامساً في الإسلام ثم انصرف إلى قومه فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة على النبي ﷺ بعد الخندق، ثم سكن الربذة إلى أن مات بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان، وكان يتعبّد قبل مبعث النبي ﷺ. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.

٢٥١ ـ ذو مخبر: (بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة) ابن أخ النجاشي خادم النبي ﷺ. روى عنه جبير بن نفير وغيره. يعد في الشاميين وحديثه فيهم.

٢٥٢ ـ ذو اليدين: هو رجل من بني سليم يقال له الخرباق صحابي حجازي، شهد النبي ﷺ وقدّسها في صلاته.

(الخرباق) بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء والباء الموحدة.

٢٥٣ ـ ذو السويقتين: هو ذو السويقتين الحبشي، ذكر النبي ﷺ أنه يهدم الكعبة.

حرف الراء

فصل في الصحابة

٢٥٤ ـ رافع بن خديج: هو رافع بن خديج، يكنّى أبا عبد الله الحارثي الأنصاري، أصابه

سهم يوم أُحُد فقال له رسول الله ﷺ أنا شهيد لك يوم القيامة، وانقضت جراحته زمن عبد الملك بن مروان فمات سنة ثلاث وسبعين بالمدينة وله ست وثمانون سنة. روى عنه خلق كثير.

(خديج) بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال والجيم.

٢٥٥ ـ رافع بن عمرو: هو رافع بن عمرو الغفاري، عداده في البصريين. روى عنه عبد الله بن الصامت حديثه في أكل التمر.

٢٥٦ ـ رافع بن مكيث: هو رافع بن مكيث الجهني، شهد الحديبية. روى عنه ابناه هلال والحارث.

(مكيث) بفتح الميم وكسر الكاف وسكون الياء تحتها نقطتان وبالثاء المثلثة.

٢٥٧ ـ رفاعة بن رافع: يكنى أبا معاذ الزرقي الأنصاري، شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد مع علي الجمل وصفين. مات في أول إمارة معاوية. روى عنه ابناه وعبيد ومعاذ وابن أخيه يحيى بن خلاد.

٢٥٨ ـ رفاعة بن سِمْوال: هو رفاعة بن سموال القرظي، وهو الذي طلّق امرأته ثلاثاً فتزوّجها عبد الرحمن بن الزبير. روت عنه عائشة وغيرها.

(سموال) بكسر السين المهملة ويقال بفتحها وسكون الميم وتخفيف الواو باللام. و(الزبير) بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة وقيل بضم الزاي وفتح الباء، ورفاعة هذا هو خال صفية زوج النبي ﷺ.

٢٥٩ ـ رفاعة بن عبد المنذر: هو رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري، يكنى أبا لبابة وسيجيء ذكره في حرف اللام.

٢٦٠ ـ رويفع بن ثابت: هو رويفع بن ثابت بن سكن الأنصاري، عداده في المصريين وأمره معاوية على طرابلس الغرب سنة ست وأربعين، ومات (ببرقة) وقيل (بالشام) روى عنه حنش بن عبد الله وغيره.

(رويفع) تصغير رافع و(حنش) بفتح الحاء المهملة وفتح النون وبالشين المعجمة.

٢٦١ ـ ركانة بن عبد يزيد: هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب القرشي، كان من أشد الناس، حديثه في الحجازيين، بقي إلى زمان عثمان وقيل مات سنة اثنتين وأربعين. روى عنه جماعة.

(ركانة) بضم الراء وتخفيف الكاف وبالنون.

٢٦٢ ـ رباح بن الربيع: هو رباح بن الربيع الأسيدي الكاتب، حديثه في البصريين. روى عنه قيس بن زهير.

(الأسيدي) بضم الهمزة وفتح السين وتشديد الياء الأولى والثانية.

٢٦٣ ـ ربيعة بن كعب: هو ربيعة بن كعب يكنّى أبا فراس الأسلمي، معدود في أهل المدينة، وكان من أهل الصفة، ويقال كان خادماً لرسول الله ﷺ صحبه قديماً، وكان يلزمه

سفراً وحضراً مات سنة ثلاث وستين روى عنه جماعة.

٢٦٤ - ربيعة بن الحارث: هو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عم رسول الله ﷺ له صحبة ورواية. مات سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر وهو الذي قال له النبي ﷺ، يوم فتح مكة «وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث» وذاك أنه قتل لربيعة ابن الحارث ابن في الجاهلية يسمّى آدم فأبطل رسول الله ﷺ الطلب به في الإسلام.

٢٦٥ - ربيعة بن عمرو: هو ربيعة بن عمرو الجرشي، قال الواقدي: قتل ربيعة يوم مرج راهط.

٢٦٦ - أبو رافع أسلم: هو أبو رافع أسلم مولى النبي ﷺ، غلب عليه كنيته، كان قبطياً وكان للعباس وهبه للنبي ﷺ فلما بشّر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه، وكان إسلامه قبل بدر. روى عنه خلق كثير. مات قبل عثمان بيسير.

٢٦٧ - أبو رمثة: هو أبو رمثة بن رفاعة بن يثربي التميمي من ولد امرىء القيس ابن زيد ابن مناة بن تميم وفي اسمه اختلاف كثير فقيل ما ذكرنا وقيل عمارة بن يثربي وقيل غير ذلك. قدم على النبي ﷺ مع أبيه، وعداده في الكوفيين. روى عنه إياد بن لقيط.

(رمثة) بكسر الراء وسكون الميم وبالثاء المثلثة.

٢٦٨ - أبو رزين: هو أبو رزين لقيط بن عامر بن صبرة. سيرد ذكره في حرف اللام.

٢٦٩ - أبو ريحانة: هو أبو ريحانة شمعون بن يزيد القرظي الأنصاري، حليف لهم، ويقال له مولى رسول الله ﷺ وكانت ابنته ريحانة سرية رسول الله ﷺ وكان من الفضلاء الزاهدين في الدنيا. نزل الشام روى عنه جماعة.

فصل في التابعين

٢٧٠ - أبو رجاء: هو أبو رجاء عمران بن تميم العطاردي أسلم في حياة النبي ﷺ. روى عن عمر بن الخطاب وعلي وغيرهما، وعنه خلق كثير، كان عالماً عاملاً معمراً، وكان من القراء. مات سنة سبع ومائة.

٢٧١ - ربيعة بن أبي عبد الرحمن: هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن تابعي جليل القدر أحد فقهاء المدينة متّفق عليه. سمع أنس بن مالك والسائب بن يزيد. روى عنه الثوري ومالك بن أنس مات سنة ست وثلاثين ومائة.

٢٧٢ - أبو رافع: هو أبو رافع بن الحُقيق. واسمه عبد الله اليهودي تاجر أهل الحجاز، ذكره في المعجزات في حديث البراء.

(الحقيق) بضم الحاء المهملة وفتح القاف الأولى وسكون الياء.

٢٧٣ - رعل بن مالك: هو رعل بن مالك بن عوف من الذين قنت النبي ﷺ عليهم ولعنهم لقتلهم القراء.

(رعل) بكسر الراء وسكون العين المهملة.

فصل في الصحابيات

٢٧٤ ـ الرُبَيع بنت معوِّذ: هي الربيع بنت معوذ صحابية أنصارية، ولها قدر عظيم. حديثها عند أهل المدينة وأهل البصرة.

(الربيع) بضم الراء وفتح الباء الموحدة وتشديد الياء المكسورة تحتها نقطتان.

٢٧٥ ـ الربيع بنت النضر: هي الربيع بنت النضر عمة أنس بن مالك الأنصاري. وهي أم حارثة بن سراقة، وقد جاء في «صحيح البخاري» أنها أم الربيع بنت النضر الذي ذكر في أسماء الصحابيات أنها الربيع هو الصحيح.

٢٧٦ ـ الرميصاء: هي الرميصاء أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك سيجيء ذكرها في حرف السين.

حرف الزاي

فصل في الصحابة

٢٧٧ ـ زيد بن ثابت: هو زيد بن ثابت الأنصاري كاتب النبيﷺ، وكان له حين قدم النبيﷺ المدينة إحدى عشرة سنة، وكان أحد فقهاء الصحابة الجلة القائم بالفرائض وهو أحد من جمع القرآن وكتبه في خلافة أبي بكر، ونقله من المصحف في زمن عثمان. روى عنه خلق كثير ، مات بالمدينة سنة خمس وأربعين وله ست وخمسون سنة.

٢٧٨ ـ زيد بن أرقم: هو زيد بن أرقم يكنى أبا عمرو الأنصاري الخزرجي يعد في الكوفيين وسكنها، ومات بها سنة ست وستين. روى عنه جماعة.

٢٧٩ ـ زيد بن خالد: زيد بن خالد الجهني نزل الكوفة. ومات بها سنة ثمان وسبعين وهو ابن خمس وثمانين سنة. روى عنه عطاء بن يسار وغيره.

٢٨٠ ـ زيد بن الحارثة: هو زيد بن الحارثة يكنى أبا أسامة وأمه سُعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت به أمه تزور قومها، فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية فمروا على أبيات من بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيداً وهو يومئذٍ غلام يفعة له ثمانية سنين فوافوا به سوق فعرضوا للبيع فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمة خديجة بأربع مائة درهم، فلما تزوّجها رسول اللهﷺ وهبته له فقبضه. ثم إن خبره اتّصل بأهله، فحضر أبوه حارثة وعمه كعب في فدائه فخيّره النبيﷺ بين نفسه والمقام عنده وبين أهله والرجوع إ ليهم، فاختار النبيﷺ على أهله لما يرى من بره وإحسانه إليه، فحينئذٍ خرج به النبيﷺ إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه. فصار يدعى زيد بن محمد إلى أن جاء الله بالإسلام ونزل ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ فقيل له: زيد بن حارثة وهو أول من أسلم من الذكور، وفي قول: وكان النبي ﷺ أكبر منه بعشر سنين وقيل: بعشرين سنة وزوّجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن فولدت له أسامة، ثم تزوّج زينب بنت جحش، وكان يقال له: حب رسول الله ﷺ ولم يسم الله تعالى في القرآن أحداً من الصحابة غيره في قوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد

منها وطراً زوّجناكها﴾ روى عنه ابنه أسامة وغيره، وقتل في غزوة موتة، وهو أمير الجيش في جمادي الأولى سنة ثمان، وهو ابن خمس وخمسين سنة.

٢٨١ ـ زيد بن الخطاب: هو زيد بن الخطاب العدوي القرشي أخو عمر بن الخطاب وكان أسن من عمر، وهو من المهاجرين الأولين، وأسلم قبل عمر، وكان شهد بدر وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. روى عنه عبد الله بن عمر.

٢٨٢ ـ زيد بن سهل: هو زيد بن سهل واشتهر بكنية أبي طلحة سيجيء ذكره في حرف الطاء.

٢٨٣ ـ الزبير بن العوام: هو الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ أسلمت، وأسلم هو قديماً، وهو ابن ست عشرة سنة فعذّبه عمه بالدخان ليبرك الإسلام، فلم يفعل وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وهو أول من سل السيف في سبيل الله، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد، وهو أحد العشرة المبشّرة بالجنة كان أبيض طويلاً يميل إلى الخفة في اللحم، ويقال: كان أسمر كثير الشعر خفيف العارضين قتله عمرو بن جرموز بـ (سفوان) بفتح السين والفاء من أرض البصرة سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن (بواد السباع) ثم حوّل إلى البصرة وقبره مشهور بها. روى عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما.

٢٨٤ ـ زياد بن لبيد: هو زياد بن لبيد يكنّى أبا عبد الله الأنصاري الزرقي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ واستعمله على حضرموت. روى عنه عوف بن مالك وأبو الدرداء، ومات في أيام معاوية.

٢٨٥ ـ زياد بن الحارث: هو زياد بن الحارث الصُدائي بايع النبي ﷺ فأذن بين يديه يعد في البصريين.

(والصدائي) بضم الصاد وتخفيف الدال المهملتين وبعد الألف همزة.

٢٨٦ ـ زاهر بن الأسود: هو زاهر بن الأسود الأسلمي كان ممن بايع تحت الشجرة سكن الكوفة وعداده في أهلها.

٢٨٧ ـ زارع بن عامر: هو زارع بن عامر بن عبد القيس وفد على النبي ﷺ في وفد عبد القيس عداده في البصريين وحديثه عندهم.

٢٨٨ ـ زرارة بن أبي أوفى: هو زرارة بن أبي أوفى له صحبة. مات في زمن عثمان بن عفان.

٢٨٩ ـ أبو زيد الأنصاري: هو أبو زيد الأنصاري الذي جمع القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ واختلف في اسمه، قيل: سعيد بن عمير، وقيل: قيس بن السكن.

٢٩٠ ـ أبو زهير النميري: هو أبو زهير النميري عداده في أهل الشام.

٢٩١ ـ الزبيدي: بضم الزاي وفتح الباء الموحدة منسوب إلى زبيد، واسمه (منبه) ابن سعد لم أحقق له صحبة.

فصل في التابعين

٢٩٢ ـ الزبير بن عدي: هو الزبير بن عدي الهمداني الكوفي، كان قاضي الري وهو تابعي. سمع أنس بن مالك. روى عنه الثوري وغيره. مات سنة إحدى وثلاثين ومائة و(الهمداني) بسكون الميم.

٢٩٣ ـ الزبير بن العربي: هو الزبير بن العربي النميري البصري روى عن ابن عمر، وعنه معمر وحماد بن زيد ثقة.

٢٩٤ ـ زياد بن كُسيب: هو زياد بن كسيب العدوي يعد في البصريين تابعي. روى عن أبي بكرة.

(كسيب) مصغّر.

٢٩٥ ـ زهرة بن معبد: هو زهرة بن معبد كنيته أبو عقيل (بفتح العين) القرشي المصري. سمع جده عبد الله ابن هشام. وغيره. روى عنه جماعة ومعظم حديثه عند أهل مصر.

٢٩٦ ـ زهير بن معاوية: هو زهير بن معاوية يكنى أبا خيثمة الجعفي الكوفي سكن الجزيرة، وكان حافظاً ثقة ثبتاً. سمع أبا إسحاق الهمداني وأبا الزبير. روى عنه ابن المبارك ويحيى بن يحيى وغيرهما، له ذكر في «الزكاة» مات سنة أربع وسبعين ومائة.

٢٩٧ ـ زُمَيل بن عباس: روى عن مولاه عروة، وعنه يزيد بن الهاد فيه شيء.

٢٩٨ ـ الزهري: هو الزهري منسوب إلى زهرة بن كلاب ممن اشتهر بالنسب إليهم. هو أبو بكر محمد بن عبد الله ابن شهاب أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الأعلام من التابعين بالمدينة المشار إليه في «فنون علوم الشريعة» سمع نفراً من الصحابة. روى عنه خلق كثير منهم قتادة ومالك بن أنس، قال عمر بن عبد العزيز: لا أعلم أحداً أعلم بسنّة ماضية، منه قيل لمكحول: من أعلم من رأيت؟ قال: ابن شهاب، قيل له: ثم من؟ قال: ابن شهاب، قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب، مات في شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة.

٢٩٩ ـ زر بن حبيش: هو زر بن حبيش أبو مريم الأسدي الكوفي عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين سنة، وهو من أكابر قراء العراق المشهورين من أصحاب عبد الله ابن مسعود، وسمع عمر. روى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم.

(زر) بكسر الزاي وتشديد الراء.

(حبيش) بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء والشين المعجمة.

٣٠٠ ـ زرارة بن أبي أوفى: هو زرارة بن أبي أوفى أبو حاجب الحرشي قاضي البصرة روى عن جماعة من الصحابة منهم: ابن عباس فمما روى عنه قال: «سأل رجل النبي ﷺ فقال: أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ فقال: الحال المرتحل، قال يا رسول الله ما الحال المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ومن أخيره حتى يبلغ أوله». وروى عنه قتادة وعوف، وكان قد أمّ فقرأ (فإذا نقر في الناقور) فشهق ومات سنة ثلاث وتسعين.

٣٠١ ـ زياد بن حدير: هو زياد بن حدير يكنى أبا مغيرة الأسدي الكوفي تابعي سمع عمر وعلياً. روى عنه خلق كثير منهم الشعبي.

(حدير) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء وبالراء.

٣٠٢ ـ زيد بن أسلم: هو زيد بن أسلم يكنى أبا أسامة مولى عمر بن الخطاب مدني من أكابر التابعين سمع جماعة من الصحابة. روى عنه الثوري وأيوب السختياني ومالك وابن عيينة مات سنة ست وثلاثين ومائة.

٣٠٣ ـ زيد بن طلحة: هو زيد بن طلحة روى عنه سلمة ابن صفوان الزرقي أخرج حديثه مالك في «الحياء».

٣٠٤ ـ زيد بن يحيى: هو زيد بن يحيى الدمشقي. روى عن الأوزاعي، وعنه أحمد والدارمي ثقة.

٣٠٥ ـ أبو الزبير: هو أبو الزبير محمد بن مسلم المكي مولى حكيم بن حزام في الطبقة الثانية من تابعي مكة سمع جابر بن عبد الله. روى عنه جماعة كثيرة مات سنة خمس وعشرين ومائة.

٣٠٦ ـ أبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم الرازي سمع خلقاً كثيراً. وروى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل وغيره. كان إماماً حافظاً متقناً ثقة عالماً بالحديث عارفاً بالمشايخ والجرح والتعديل ولد سنة مائتين. ومات بالري سنة أربع وستين ومائتين.

فصل في الصحابيات

٣٠٧ ـ زينب بنت جحش: هي زينب بنت جحش أم المؤمنين وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ وكانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ فطلّقها ثم تزوّجها النبي ﷺ سنة خمس، وهي أول من مات من أزواجه بعده، وكان اسمها برة فجعله النبي ﷺ زينب، قالت عائشة في شأنها: ولم تكن إمرأة خيراً منها في الدين وأتقى للّه وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشد تبذُّلاً لنفسها في العمل الذي يتصدّق به، ويتقرّب إلى الله تعالى ماتت بالمدينة سنة عشرين، وقيل سنة إحدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة. روت عنها عائشة وأم حبيبة وغيرهما.

٣٠٨ ـ زينب بنت عبد الله: وهي زينب بنت عبد الله بن معاوية الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود. روى عنها زوجها وأبو سعيد وأبو هريرة وعائشة.

٣٠٩ ـ زينب بنت أبي سلمة: هي زينب بنت أم سلمة زوج النبي ﷺ كان اسمها برة فغيّره النبي ﷺ فسمّاها زينب ولدت بأرض الحبشة. كانت تحت عبد الله بن زمعة وكانت أفقه نساء زمانها. روى عنها نفر ماتت بعد وقعة الحرة.

فصل في التابعيات

٣١٠ ـ زينب بنت كعب: هي زينب بنت كعب ابن عجرة الأنصارية من بني سالم بن عوف تابعية.

حرف السين

فصل في الصحابة

٣١١ ـ سعد بن أبي وقاص: هو سعد بن أبي وقاص يكنّى أبا إسحاق واسم أبي وقاص مالك بن وهيب الزهري القرشي، هو أحد العشرة المبشّرة بالجنة، أسلم قديماً وهو ابن سبع عشرة سنة، وقال: كنت ثالث الإسلام، وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، كان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك تخاف دعوته وترجى لاشتهار إجابتها عندهم، وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: «اللهم سدِّد سهمه، وأجب دعوته» وجمع له رسول الله ﷺ وللزبير أبويه فقال لكل واحد منهما: «ارم فداك أبي وأمي» ولم يقل ذلك لأحد غيرهما، وكان قصيراً غليظاً آدم أشعر الجسد. مات في قصره بالعتيق قريباً من المدينة فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة وصلّى عليه مروان بن الحكم، وهو يومئذٍ والي المدينة، ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون سنة، وهو آخر العشرة موتاً، ولاّه عمر وعثمان الكوفة. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.

٣١٢ ـ سعد بن معاذ: هو سعد بن معاذ الأنصاري الأشهلي الأوسي أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ودارهم أول دار أسلمت من الأنصار، وسمّاه رسول الله ﷺ سيد الأنصار كلن مقدّماً مطاعاً شريفاً في قومه من أجلّة الصحابة وأكابرهم وخيرهم شهد بدراً وأحداً وثبت مع النبي ﷺ يومئذٍ ورمي يوم الخندق في أكحلة، ولم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر. وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن بالبقيع. روى عنه نفر من الصحابة.

٣١٣ ـ سعد بن خولة: هو سعد بن خولة شهد بدراً. ومات بمكة في حجة الوداع.

٣١٤ ـ سعد بن عبادة: هو سعد بن عبادة يكنّى أبا ثابت الأنصاري الساعدي الخزرجي كان أحد النقباء الاثني عشر، وكان سيد الأنصار مقدّماً فيهم وجيهاً له رياسة وسيادة يعترف له قومه بها. روى عنه نفر ومات بـ (حوران) من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر سنة خمس عشرة، وقيل: مات في خلافة أبي بكر سنة إحدى عشرة ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله، وقد أخضرّ جسده ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول ولا يرون أحداً:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فيقال: إن الجن قتلته.

٣١٥ ـ سعد بن الربيع: هو سعد بن الربيع الأنصاري الخزرجي قتل يوم أحد شهيداً، وكان آخى النبي ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف ودفن هو وخارجة ابن زيد في قبر واحد.

٣١٦ ـ سعد بن الأطول: هو سعد بن الأطول الجهني له صحبة. روى عنه ابنه عبد الله وأبو نضرة.

٣١٧ ـ سعيد بن زيد: هو سعيد بن زيد يكنّى أبا الأعور العدوي القرشي، وهو أحد العشرة المبشَّرة بالجنة أسلم قديماً، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ غير بدر، فإنه كان مع طلحة بن عبد الله يطلبان خبر عير قريش، وضرب له النبي ﷺ بسهم، وكانت فاطمة أخت عمر تحته، وبسببها كان إسلام عمر، كان أدم طوالاً أشعر. مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع سنة إحدى وخمسين، وله بضع وسبعون سنة. روى عنه جماعة.

٣١٨ ـ سعيد بن حريث: هو سعيد بن حريث القرشي المخزومي، شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة، ثم نزل الكوفة ومات بها، وقبره بها. وقال ابن عبد البر قتل بالجزيرة ولا عقب له روى عنه أخوه عمرو.

٣١٩ ـ سعيد بن العاص: هو سعيد بن العاص القرشي، ولد عام الهجرة وكان أحد أشراف قريش، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان على الكوفة وغزا بالناس (طبرستان) ففتحها ومات سنة تسع وخمسين.

٣٢٠ ـ سعيد بن سعد: هو سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري، قيل: له صحبة. روى عن أبيه، وعنه ابنه شرحبيل وأبو أمامة بن سهل، قال الواقدي وغيره: له صحبة صحيحة، وكان والياً لعلي بن أبي طالب على اليمن.

٣٢١ ـ سَبْرة بن معبد: هو سبرة بن معبد الجهني سكن المدينة. روى عنه ابنه الربيع وعداده في المصريين.

(سبرة) بفتح السين وسكون الباء الموحدة.

٣٢٢ ـ سهل بن سعد: هو سهل بن سعد الساعدي الأنصاري، يكنّى أبا العباس، وكان اسمه حَزَنا فسمّاه النبي ﷺ سهلاً، مات النبي ﷺ وله خمس عشرة سنة، ومات سهل بالمدينة سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة ثمان وثمانين، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة. روى عنه ابنه العباس والزهري وأبو حازم.

٣٢٣ ـ سهل بن أبي حثمة: هو سهل بن أبي حثمة يكنّى أبا محمد، ويقال: أبا عمارة الأنصاري الأوسي، ولد سنة ثلاث من الهجرة سكن الكوفة، وعداده في أهل المدينة وبها كان وفاته في زمن مصعب بن الزبير. روى عنه جماعة.

٣٢٤ ـ سهل بن حنيف: هو سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وثبت مع النبي ﷺ يوم أحد وصحب علياً بعد النبي ﷺ واستخلفه على المدينة ثم ولاّه فارس. روى عنه ابنه أبو أمامة وغيره. مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين.

٣٢٥ ـ سهل بن بيضاء: هو سهل بن بيضاء وأخوه سهيل، و(بيضاء) أمهما اسمها دعد وأبوهما وهب بن ربيعة، وكان سهل ممن أظهر إسلامه بمكة وقيل إنه كان يكتم إسلامه بمكة، وخرج مع المشركين إلى بدر فأسر يومئذٍ، فشهد له عبد الله بن مسعود أنه رآه بمكة يصلي فخلي عنه. مات بالمدينة وصلّى عليه النبي ﷺ في المسجد وعلى أخيه، لهما ذكر في «الصلاة على الجنازة».

٣٢٦ ـ سهل بن الحنظلية: هو سهل بن الحنظلية، والحنظلية أم جده وقيل أمه، وإليها

ينسب وبها يعرف، واسم أبيه الربيع بن عمرو، وكان سهل ممن بايع تحت الشجرة، وكان فاضلاً معتزلاً عن الناس كثير الصلاة والذكر، وكان عقيماً لا يولد له. سكن الشام، ومات بدمشق في أول أيام معاوية.

٣٢٧ ـ سهيل بن عمرو: هو سهيل بن عمرو القرشي العامري والد أبي جندل، كان أحد الأشراف من قريش وساداتهم، أسر يوم بدر كافراً وكان خطيب قريش، فقال عمرو يا رسول الله: انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال رسول الله ﷺ: دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده، وهو الذي جاء في صلح الحديبية، ولما مات النبي ﷺ اختلف الناس بمكة وارتد من ارتد منهم، فقام سهيل خطيباً وسكن الناس ومنعهم من الاختلاف. مات سنة ثماني عشرة في طاعون عمواس، وقيل قتل بـ (اليرموك).

نسخة: وعن ابن عبد البر قال: حضر الناس باب عمر بن الخطاب وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الشيوخ من قريش فخرج اذنه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيب وبلال فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا! فقال سهيل: أيها القوم إني والله قد أرى الذي في وجوهكم فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعي القوم دعيتم وأسرعوا وأبطأتم، أما والله لما سبقوكم من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون فيه، ثم قال: أيها القوم! قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله أن يرزقكم شهادة ثم نفض ثوبه فقام ولحق بالشام، قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله. وصدق والله لن يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

٣٢٨ ـ سهيل بن بيضاء: هو سهيل بن بيضاء القرشي، تقدّم تمام نسبه عند ذكر أخيه سهل، أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها، روى عنه عبد الله ابن أنيس وأنس بن مالك. مات في حياة النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك سنة تسع ولا عقب له.

٣٢٩ ـ سمرة بن جندب: هو سمرة بن جندب الفزاري حليف الأنصار، كان من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ. روى عنه جماعة مات بالبصرة آخر سنة تسع وخمسين.

٣٣٠ ـ سليمان بن صرد: هو سليمان بن صرد، يكنى أبا المطرف الخزاعي، كان خيراً فاضلاً عابداً، سكن الكوفة من أول ما نزل بها المسلمون وله ثلاث وتسعون سنة.

(صرد) بضم الصاد المهملة وفتح الراء.

٣٣١ ـ سليمان بن بريدة: هو سليمان بن بريدة الأسلمي. روى عن أبيه وعمران بن حصين، وعنه علقمة وغيره. مات سنة خمس ومائة.

٣٣٢ ـ سلمة بن الأكوع: هو سلمة بن الأكوع، يكنى أبا مسلم الأسلمي المدني كان ممن بايع تحت الشجرة، وكان من أشد الناس وأشجعهم راجلاً. توفي بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة. روى عنه خلق كثير.

٣٣٣ ـ سلمة بن هشام: هو سلمة بن هشام القرشي المخزومي، كان من مهاجري الحبشة وكان من خيار الصحابة وفضلائهم، وهو أخو أبي جهل وكان قديم الاسلام، وعذب

في سبيل الله عز وجل وحبس بمكة، وكان النبي ﷺ يدعو له في قنوته مع الجماعة الذين كان يدعو لهم في القنوت من المستضعفين بمكة، ولم يشهد بدراً لذلك، وقتل يوم مرج الصفر سنة أربع عشرة في خلافة عمر.

٣٣٤ ـ سلمة بن صخر: هو سلمة بن صخر الأنصاري البياضي، وقيل اسمه سليمان وهو الذي ظاهر من امرأته ثم وقع عليهاوكان أحد البكائين. روى عنه سليمان بن يسار وابن المسيب. قال البخاري: ولا يصح حديثه.

٣٣٥ ـ سلمة بن المحبق: هو سلمة بن المحبق، يكنى أبا سنان واسم المحبق صخر بن عتبة الهذلي، يعد في البصريين.

(المحبق) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة المكسورة والقاف. وأصحاب الحديث يفتحون الباء.

٣٣٦ ـ سلمة بن قيس: هو سلمة بن قيس الأشجعي، قال أبو عاصم هو الشامي، عداده في أهل الكوفة. روى عنه هلال بن يساف وغيره.

٣٣٧ ـ سلمان الفارسي: هو سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله، مولى رسول الله ﷺ وكان أصله من فارس من(رامهرمز) ويقال بل كان أصله من أصفهان من قرية يقال لها(جي) سافر لطلب الدين فدان أولاً بدين النصرانية وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات متتالية، فأخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود، ثم انه كوتب فأعانه رسول الله ﷺ في كتابته ويقال إنه تداوله بضعة عشر ربا حتى أفضى الى النبي ﷺ لما قدم النبي ﷺ المدينة وقال« سلمان منا أهل البيت» وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة وكان من المعمرين قيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة والأول أصح وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه، ومناقبه كثيرة وفضائله جمة غزيرة أثنى عليه النبي ﷺ ومدحه في كثير من الحديث ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين. روى عنه أنس وأبو هريرة وغيرهما.

٣٣٨ ـ سلمان بن عامر: هو سلمان بن عامر الضبي، عداده في البصريين. قال بعض أهل العلم ليس في الصحابة من الرواة ضبي غيره.

٣٣٩ ـ سفينة: هو سفينة مولى رسول الله ﷺ وقيل مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ أعتقته واشترطت عليه خدمة النبي ﷺ ما عاش، ويقال إن سفينة لقب له واسمه مختلف فيه فقيل رباح وقيل مهران وقيل رومان وهو من مولدي الاعراب، وقيل هو من أبناء فارس، ويقال إن النبي ﷺ كان في سفر فأعيى رجل فألقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيئاً كثيراً فقال النبي ﷺ أنت سفينة. روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير.

٣٤٠ ـ سالم بن معقل: هو سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من أهل فارس، وكان من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم، وهو معدود في القراء لأن النبي ﷺ قال: خذوا القرآن من أربعة: ابن ام عبد، ومن أُبي بن كعب، ومن سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومن معاذ بن جبل. شهد بدراً. روى عنه ثابت بن قيس وابن عمر وغيرهما.

٣٤١ ـ سالم بن عبيد: هو سالم بن عبيد الأشجعي من أهل الصفة، وعداده في أهل الكوفة. روى عنه هلال بن يساف وغيره.

(يساف) بفتح الياء تحتها نقطتان وتخفيف السين المهملة وبالفاء.

٣٤٢ ـ سراقة بن مالك: هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني، كان ينزل قديداً ويعد في أهل المدينة روى عنه جماعة وكان شاعراً مجيداً مات سنة أربع وعشرين.

٣٤٣ ـ سفيان بن أسيد: هو سفيان بن أسيد الحضرمي الشامي. روى عنه جبير بن نفير، حديثه في الحمصيين.

(أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين وهو الأكثر، والثانية بضم الهمزة وفتح السين والثالثة بفتح الهمزة وفتح السين وحذف الياء.

٣٤٤ ـ سفيان بن أبي زهير: هو سفيان بن أبي زهير الأزدي الشنوءي، حديثه في الحجازيين روى عنه ابن الزبير وغيره.

٣٤٥ ـ سفيان بن عبد الله: هو سفيان بن عبد الله بن ربيعة. يكنى أبا عمر والثقفي، يعد في أهل الطائف له صحبة وكان عاملاً لعمر بن الخطاب على الطائف.

٣٤٦ ـ سخبرة: هو سخبرة يكنى أبا عبد الله الأزدي. روى عنه ابنه عبد الله، له رواية في كتاب العلم.

(سخبرة) بفتح السين وسكون الخاء المعجمة وفتح الباء الموحدة.

٣٤٧ ـ السائب بن يزيد: هو السائب بن يزيد يكني أبا يزيد الكندي، ولد في السنة الثانية من الهجرة، حضر حجة الوداع مع أبيه وهو ابن سبع سنين. روى عنه الزهري ومحمد بن يوسف ومات سنة ثمانين.

٣٤٨ ـ السائب بن خلاد: هو السائب بن خلاد يكنى أبا سهلاً الأنصاري الخزرجي مات سنة احدى وتسعين. روى عنه ابن خلاد وعطاء بن يسار.

٣٤٩ ـ سويد بن قيس: هو سويد بن قيس يكنى أبا صفوان. روى عنه سماك بن حرب، وعداده في الكوفيين.

٣٥٠ ـ أبو سيف القين: هو أبو سيف القين ظئر ابراهيم بن النبي ﷺ، اسمه البراء بن أوس الأنصاري وهو معروف بكنيته، وزوجته التي أرضعت ابراهيم أم بردة.

٣٥١ ـ أبو سعيد سعد بن مالك: هو أبو سعيد سعد بن مالك الأنصاري الخدري، اشتهر بكنيته كان من الحفاظ المكثرين والعلماء الفضلاء العقلاء روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. مات سنة أربع وسبعين ودفن بالبقيع وله أربع وثمانون سنة.

(خدري) بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة.

٣٥٢ ـ أبو سعيد بن المعلى: هو أبو سعيد بن المعلى الأنصاري الزرقي. مات سنة أربع وستين وهو ابن أربع وستين.

٣٥٣ ـ أبو سعيد بن أبي فضالة: هو أبو سعيد بن أبي فضالة الحارثي الانصاري، اسمه كنيته يعد في أهل المدينة، حديثه عند الحميد بن جعفر عن أبيه عن زياد بن(مينا) بكسر الميم وسكون الياءتحتها نقطتان وبالنون والمد والقصر.

٣٥٤ ـ أبو سلمة: هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي القرشي ابن عمة النبي ﷺ وأمه برة بنت عبد المطلب وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ وأسلم بعد عشرة وشهد المشاهد الى ان مات بالمدينة سنة أربع وهو ممن غلب عليه كنيته.

٣٥٥ ـ أبو سفيان بن حرب: هو أبو سفيان صخر بن حرب الأموي القرشي والد معاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين، وكان من أشراف قريش في الجاهلية وكان اليه راية الرؤساء في قريش، أسلم يوم فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنيناً وأعطاه النبي ﷺ من غنائمها مائة بعير وأربعين اوقية فيمن أعطاه من المؤلفة قلوبهم، وفقئت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك فأصاب عينه الأخرى حجر فعميت. روى عنه عبد الله بن عباس. مات سنة أربع وثلاثين بالمدينة ودفن بالبقيع.

٣٥٦ ـ أبو سفيان بن الحارث: هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وكان أخاه من الرضاعة أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، قال قوم اسمه المغيرة وقال آخرون بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه، وكان من الشعراء المطبوعين وكان سبق له هجاء في رسول الله ﷺ وأجابه حسان بن ثابت ثم أسلم فحسن اسلامه، فيقال إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه، وكان اسلامه عام الفتح وقال له علي ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) ففعل ذلك أبو سفيان فقال رسول الله ﷺ(لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وقبل منه وأسلم وكان سبب موته أنه حج فلما حلق الحلاق رأسه قطع تؤلولاً كان في رأسه فلم يزل مريضاً منه حتى مات مقدمه من الحج بالمدينة سنة عشرين ودفن في دار عقيل بن أبي طالب وصلى عليه عمر.

٣٥٧ ـ أبو السمح: هو أبو السمح اسمه إياد خادم النبي ﷺ ويقال مولاه اشتهر بكنيته.

(إياد) بكسر الهمزة وتخفيف الياء تحتها نقطتان ولا يدرى أين مات.

٣٥٨ ـ أبو سهلة: هو أبو سهلة السائب بن خلاد وتقدم ذكره في هذا الحرف.

فصل في التابعين

٣٥٩ ـ سعيد بن المسيب: هو سعيد بن المسيب يكنى أبا محمد القرشي المخزومي المدني ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب كان سيد التابعين من الطراز الأول جمع بين الفقه والحديث والزهد والعبادة والورع وهو المشار إليه المنصوص عليه، وكان أعلم الناس بحديث أبي هريرة وبقضايا عمر، لقي جماعة كثيرة من الصحابة وروى عنهم وعنه الزهري وكثير من التابعين وغيرهم. قال مكحول طفت الارض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب وقال ابن المسيب حججت أربعين حجة. مات سنة ثلاث وتسعين.

٣٦٠ ـ سعيد بن عبد العزيز: هو سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، كان فقيه أهل الشام في زمن الأوزاعي، وبعده قال أحمد ليس بالشام أصح حديثاً منه ومن الأوزاعي وهو والأوزاعي عندي سواء كان سعيد بكاء فسئل فقال: ما قمت الى صلاة الا مثلت لي جهنم وقال النسائي: ثقة ثبت. روى عن مكحول والزهري وعنه الثوري. مات سنة سبع وستين ومائة وله بضع وسبعون سنة.

٣٦١ ـ سعيد بن أبي الحسن: وهو سعيد بن أبي الحسن واسم أبي الحسن يسار البصري تابعي روى عن ابن عباس وأبي هريرة، وعنه قتادة وعون. مات قبل أخيه بسنة وذلك سنة تسع ومائة.

٣٦٢ ـ سعيد بن الحارث: هوسعيد بن الحارث بن المعلى الأنصاري الحجازي قاضي المدينة من مشاهير التابعين سمع ابن عمرو وأبا سعيد وجابرا، وعنه نفر.

٣٦٣ ـ سعيد بن أبي هند: هو سعيد بن أبي هند مولى سمرة. روى عن أبي موسى وأبي هريرة وابن عباس، وعنه ابنه عبد الله ونافع ابن عمر الجمحي، ثقة مشهور.

٣٦٤ ـ سعيد بن جبير: هو سعيد بن جبير الأسدي الكوفي أحد أعلام التابعين سمع أبا مسعود وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأنا. وعنه نفر قتله الحجاج بن يوسف في شعبان سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة، ومات الحجاج في رمضان ويقال في شوال من السنة، ويقال مات بعده بستة أشهر، ولم يسلط بعده على قتل أحد لدعاء سعيد بعد ما قال الحجاج له: اختر لنفسك قتلة إني قاتلك بها، قال: اختر لنفسك يا حجاج فوالله، ما تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها في الآخرة، قال: تريد أن أعفوا عنك، قال، إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر، فقال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما أخرج من الباب ضحك. فأخبر به الحجاج فقال: ردوه فرد، فقال: ما أضحكك، قال: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك فأمر بالنطع فبسط، فقال: اقتلوه، فقال سعيد (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) قال: شدوا به لغير القبلة، قال (فأينما تولوا فثم وجه الله) قال: كبوه على وجهه، قال سعيد (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) قال: اذبحوه، فقال سعيد: أما إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة، ثم دعا سعيد وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فذبح على النطع، قيل: عاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة، ووقع الأكلة في بطنه فدعا بالطبيب لينظر اليه فدعا باللحم المنتن فعلقه ب الخيط ، وأرسله في حلقه وتركها ساعة ثم استخرجها، وقد لزق من الدم فعلم أنه ليس بناج، وكان ينادي بقية حياته مالي ولسعيد بن جبير كلماأردت النوم أخذ برجلي ودفن سعيد بظاهرواسط العراق وقبره بها يزار.

٣٦٥ ـ سعيد بن إبراهيم: هو سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي قاضي المدينة من أفاضل المدنيين وتابعيهم سمع أباه وغيره توفي سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

٣٦٦ ـ سعيد بن هشام: هو سعيد بن هشام الأنصاري تابعي جليل القدر سمع ابن عمر

وعائشة وغيرهما. روى عنه الحسن وحديثه عند أهل البصرة.

٣٦٧ ـ سفيان بن دينار: هو سفيان بن دينار التمار الكوفي. روى عن سعيد بن جبير ومصعب بن سعد. وعنه ابن المبارك وغيره ولد زمن معاوية ورأى قبر النبي ﷺ.

٣٦٨ ـ سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد الثوري الكوفي امام المسلمين وحجة الله على خلقه جمع في زمنه بين الفقه والاجتهاد فيه والحديث والزهد والعبادة والورع والثقة واليه المنتهى في علم الحديث وغيره من العلوم، أجمع الناس على ديانته وزهده وورعه وثقته ولم يختلفوا في ذلك وهو أحد الأئمة المجتهدين وأحد أقطاب الاسلام وأركان الدين. ولد في أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين، سمع خلقاً كثيراً. روى عنه معمر والأوزاعي وابن جريج ومالك وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير سواهم. مات بالبصرة سنة احدى وستين ومائة.

٣٦٩ ـ سفيان بن عيينة: هو سفيان بن عيينة الهلالي مولاهم، ولد بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومائة، كان إماماً عالمأثبتاً حجة، زاهدً ورعاً، مجمعاً على صحة حديثه سمع الزهري وخلقاً كثيراً. روى عنه الأعمش والثوري وشعبة والشافعي وأحمد وخلق كثير سواهم قالوا: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. مات بمكة أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، ودفن بالحجون وكان حج سبعين حجة.

٣٧٠ ـ سليمان بن حرب: هو سليمان بن حرب البصري قاضي مكة، أحد أعلام البصريين وعلمائهم، قال أبو حاتم: هو إمام من الأئمة قد ظهر من حديثه نحو عشرة آلاف حديث، وما رأيت في يده كتابا قط، ولقد حضرت مجلسه ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجل، ولد في صفر سنة أربعين ومائة، وطلب الحديث في سنة ثمان وخمسين ومائة ولزم حماد بن زيد تسع عشرة سنة. روى عنه أحمد وغيره مات سنة أربع وعشرين ومائتين.

٣٧١ ـ سليمان بن أبي مسلم: هو سليمان بن أبي مسلم الأحول المكي خال ابن أبي نجيع تابعي من ثقات الحجازيين وأئمتهم، سمع طاوساً وأبا سلمة. روى عنه ابن عيينة وابن جريج وشعبة.

٣٧٢ ـ سليمان بن أبي حثمة: هو سليمان بن أبي حثمة القرشي العدوي، كان من فضلاء المسلمين وصالحيهم، وهو معدود في كبار التابعين. روى عنه ابنه أبو بكر.

٣٧٣ ـ سليمان بن مولى ميمونة: هو سليمان بن مولى ميمونة ـ وليس بابن يسار المعروف ـ تابعي.

٣٧٤ ـ سليمان بن عامر: هو سليمان بن عامر الكندي بمرو. روى عن الربيع بن أنس، وعنه ابن راهويه وجماعة سواه.

٣٧٥ ـ سليمان بن أبي عبد الله: هو سليمان بن أبي عبد الله تابعي أدرك المهاجرين. روى عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة، أخرج حديثه أبو داود في فضل المدينة.

٣٧٦ ـ سليمان بن يسار: هو سليمان بن يسار يكنى أبا أيوب مولى ميمونة زوج النبي ﷺ

وأخوه عطاء بن يسار من أهل المدينة وكبار التابعين، كان فقيهاً فاضلاً ثقة. عابداً ورعاً حجة، وهو أحد الفقهاء السبعة. مات سنة سبع ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

٣٧٧ ـ سالم بن عبد الله: هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب يكنى أباعمر القرشي العدوي المدني أحد فقهاء المدينة من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم. مات بالمدينة سنة ست ومائة.

٣٧٨ ـ سالم بن أبي الجعد: هو سالم بن أبي الجعد، واسم أبي الجعد رافع الكوفي من مشاهير التابعين وثقاتهم، سمع ابن عمر وجابراً وأنساً روى عنه المنصور والأعمش مات سنة سبع وتسعين.

٣٧٩ ـ سيار بن سلامة: هو سيار بن سلامة يكنى أبا المنهال البصري التميمي من مشاهير التابعين.

٣٨٠ ـ سماك بن حرب: هو سماك بن حرب الذهلي يكنى أبا المغيرة روى عن جابر بن سمرة والنعمان بن بشير، وعنه شعبة وزائدة، وله نحو مائتي حديث ثقة ساء حفظه وضعفه ابن المبارك وشعبة وغيرهما مات سنة ثلاث وعشرين ومائة.

٣٨١ ـ سويد بن وهب: هو سويد بن وهب شيخ لابن عجلان.

٣٨٢ ـ أبو السائب: هو أبو السائب مولى هشام بن زهرة تابعي. روى عن أبي هريرة وأبي سعيد والمغيرة، وعنه العلاء بن عبد الرحمن.

٣٨٣ ـ أبو سلمة: هو أبو سلمة. روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين وأعلامهم، ويقال: ان اسمه كنيته، وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم. روى عنه الزهري ويحي بن أبي كثير والشعبي وغيرهم. مات سنة أربع وتسعين، وله اثنتان وسبعون سنة.

٣٨٤ ـ أبو سورة: هو أبو سورة روى عن عمه أبي أيوب وعدي بن حاتم، وعنه واصل ابن السائب ويحي بن جابر الطائي ضعفه ابن معين وغيره، وقال الترمذي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث.

فصل في الصحابيات

٣٨٥ ـ سودة: هي سودة بنت زمعة أم المؤمنين أسلمت قديماً، وكانت تحت ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو، فلما مات زوجها تزوجها النبي ﷺ ودخل بها مكة وذلك بعد موت خديجة، وقبل أن يعقد على عائشة وهاجرت إلى المدينة فلما كبرت أراد طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها، وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين.

٣٨٦ ـ أم سلمة: هي أم سلمة أم المؤمنين هند بنت أبي أمية، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت أبي سلمة، فلما مات أبو سلمة سنة أربع، وقيل: سنة ثلاث تزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت

بالبقيع، وكان عمرها أربعاً وثمانين سنة. روى عنها ابن عباس وعائشة وزينب ابنتها وعمر ابنها وابن المسيب وخلق كثير من الصحابة والتابعين.

٣٨٧ ـ أم سُليم: هي أم سُليم بنت ملحان وفي اسمها اختلاف، فقيل، سهلة، وقيل: رملة، وقيل: مليكة، وقيل: الغميصاء وقيل: الرميصاء تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك، فولدت له أنساً ثم قتل عنها مشركاً وأسلمت فخطبها أبو طلحة، وهو مشرك فأبت ودعته إلى الإسلام فأسلم، فقالت: إني أتزوجك ولا آخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها أبو طلحة. روى عنها خلق كثير.

(ملحان) بكسر الميم وسكون اللام وبالحاء المهملة.

٣٨٨ ـ سُبَيْعة: هي سبيعة بنت الحارث الأسلمية كانت تحت سعد بن خولة فتوفي عنها بمكة في سنة الوداع حديثها عند الكوفيين. روى عنها جماعة.

٣٨٩ ـ سُهيمة بنت عمير: هي سُهيمة بنت عمير المزنية زوجة ركانة بن عبد يزيد لها ذكر في الطلاق.

(سهيمة) بضم السين وفتح الهاء.

٣٩٠ ـ سلامة بنت الحُر: هي سلامة بنت الحر الأزدية، ويقال: الفزارية حديثها عند أهل الكوفة.

(الحر) ضد عبد.

٣٩١ ـ سلمى: هي سلمى أم رافع وزوجة أبي رافع صحابية. روى عنها ابن ابنها عبيد الله بن علي. وهي قابلة إبراهيم بن النبي ﷺ وغاسلة فاطمة مع بنت عميس.

حرف الشين

فصل في الصحابة

٣٩٢ ـ شداد بن أوس: هو شداد بن أوس يكنى أبا يعلى الأنصاري، وهو ابن أخي حسان بن ثابت نزل بيت المقدس، وعداده في أهل الشام ومات بالشام سنة ثمان وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة، قال عبادة بن الصامت وابو الدرداء كان شداد ممن أوتي العلم والحلم.

٣٩٣ ـ شريح بن هانىء: هو شريح بن هانىء أبو المقدام الحارثي، أدرك النبي ﷺ وبه كنى النبي ﷺ أباه هانىء بن يزيد فقال: أنت أبو شريح وشريح من جملة أصحاب علي كرم الله وجهه. روى عنه ابن المقدام.

٣٩٤ ـ شريد بن سويد: هو شريد بن سويد الثقفي ويقال: إنه من حضرموت، وعداده في ثقيف وقيل: يعد في أهل الطائف وحديثه في الحجازيين. روى عنه نفر.

٣٩٥ ـ شكل بن حميد: هو شكل بن حميد العبسي. روى عنه ابنه شُتير لم يرو عنه غيره وعداده في الكوفيين.

(شكل) بفتح الشين وفتح الكاف واللام و(شُتير) تصغير شتر.

٣٩٦ ـ شريك بن سَحْماء: هو شريك بن سحماء، هي أمة عرف بها وأبوه عبدة بن مغيث له ذكر في كتاب اللعان، وهو الذي قذفه هلال بن أمية بامرأته، لاعنها لذلك، شهد مع أبيه أحداً.

(عبدة) بفتح العين والباء الموحدة وقيل بسكون الباء.

٣٩٧ ـ شبرمة: هو شبرمة بضم الشين وسكون الباء الموحدة وضم الراء. صحابي غير منسوب وله ذكر في النيابة في الحج في حديث ابن عباس توفي في حياة النبي ﷺ.

٣٩٨ ـ أبو شريح: هو أبو شريح خويلد بن عمرو الكعبي العدوي الخزاعي، أسلم قبل الفتح ومات بالمدينة لسنة ثمان وستين. روى عنه جماعة وهو مشهور بكنيته وعداده في أهل الحجاز.

فصل في التابعين

٣٩٩ ـ شقيق بن سلمة: هو شقيق بن سلمة، يكنّى أبا وائل الأسدي، أدرك زمن النبي ﷺ ولم يسمع منه قال: كنت قبل أن يبعث النبي ﷺ ابن عشر سنين أرعى غنماً لأهلي بالبادية. وروى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وكان خصيصاً به من أكابر الصحابة وهو كثير الحديث ثقة حجة. مات زمن الحجاج وقيل سنة تسع وتسعين.

٤٠٠ ـ شريق الهوزني: هو شريق الهوزني، تابعي. روى عن عائشة، وعنه أزهر الحرازي.

٤٠١ ـ شريك بن شهاب: هو شريك بن شهاب الحارثي البصري، يعد في التابعين. روى عن أبي برزة الأسلمي وعنه الأزرق بن قيس وليس بذلك المشهور.

٤٠٢ ـ شريح بن عبيد: هو شريح بن عبيد الحضرمي. روى عن أبي أمامة وجبير بن نفير، وعنه صفوان بن عمرو ومعاوية بن صالح.

٤٠٣ ـ أبو الشعثاء: هو أبو الشعثاء سليم بن الأسود المحاربي الكوفي، من مشاهير التابعين وثقاتهم. مات في زمن الحجاج.

٤٠٤ ـ الشعبي: هو الشعبي عامر بن شراحيل الكوفي أحد الأعلام، ولد في خلافة عمر. روى عن خلق كثير وروى عنه أمم، وقال: أدركت خمسمائة من الصحابة، وقال: ما كتبت سوداء في بيضاء قط ولا حدّثت بحديث إلاّ حفظته، قال ابن عيينة: كان ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه، وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام. مات سنة أربع ومائة وله اثنتان وثمانون سنة.

٤٠٥ ـ ابن شهاب: هو الزهري تقدّم ذكره في حرف الزاي.

٤٠٦ ـ شيبة بن ربيعة: هو شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف جاهلي، قتله علي ابن أبي طالب يوم بدر مشركاً.

فصل في الصحابيات

٤٠٧ ـ الشفاء بنت عبد الله: هي الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية قال أحمد بن صالح المصري: اسمها ليلى و(الشفاء) لقب غلب عليها، أسلمت قبل الهجرة، كانت من عقلاء النساء وفضلائهنّ وكان رسول الله ﷺ يأتيها ويقيّل عندها في بيتها، وكانت اتّخذت لرسول الله ﷺ فراشاً وإزاراً ينام فيه.

(الشفاء) بكسر الشين وبالفاء والمد.

٤٠٨ ـ أم شريك غزية: هي أم شريك غزية بنت دودان بضم الدال المهملة الأولى القرشية العامرية صحابية.

٤٠٩ ـ أم شريك الأنصارية: هي أم شريك الأنصارية التي جاء ذكرها في حديث فاطمة بنت قيس في «كتاب العدة» حيث قال النبي ﷺ لفاطمة: «اعتدي في بيت أم شريك» وقد قال بعضهم: إن التي أمرها أن تعتد في بيتها هي أم شريك الأولى ولا يصح لأن الأولى قرشية من بني لؤي بن غالب وهذه أنصارية، فإنه قد جاء في بعض روايات حدثت فاطمة بنت قيس أن أم شريك امرأة غنية من الأنصار.

حرف الصاد

فصل في الصحابة

٤١٠ ـ صفوان بن عسال: هو صفوان بن عسال المرادي سكن الكوفة وحديثه فيهم.

(عسال) بفتح العين وتشديد السين المهملة وباللام.

٤١١ ـ صفوان بن معطل: يكنى أبا عمرو السلمي، شهد الخندق والمشاهد كلها وهو الذي قيل له ما قيل في حديث الإفك وكان رجلاً خيراً فاضلاً شجاعاً، قتل في غزاة أرمينية شهيداً سنة ثمان وخمسين وهو ابن بضع وستين سنة.

٤١٢ ـ صفوان بن أمية: هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي هرب يوم الفتح فاستأمن له عمير بن وهب وابنه وهب بن عمير رسول الله ﷺ فأمنه وأعطاهما رداءه أماناً له، فأدركه وهب فردّه إلى النبي ﷺ فلما وقف عليه قال له: إن هذا وهب ابن عمير يزعم أنك أمنتني على أن أسير شهرين، فقال رسول الله ﷺ: «انزل أبا وهب فقال: لا حتى تبيّن لي، قال رسول الله ﷺ: انزل فلك أن تسير أربعة أشهر، فنزل وخرج معه إلى حنين فشهدها وشهد الطائف كافرا وأعطاه من المغانم فأكثر، فقال صفوان: أشهد بالله ما طابت بهذا إلاّ نفس نبي فأسلم يومئذٍ وأقام بمكة، ثم هاجر إلى المدينة فنزل على العباس فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح». وكان صفوان أحد أشراف قريش في الجاهلية وكانت امرأته أسلمت قبله بشهر فلما أسلم صفوان أقرّ على نكاحها. مات صفوان بمكة سنة اثنتين وأربعين. روى عنه نفر وكان من المؤلفة قلوبهم، وحسن إسلامه بمكة، وكان من أفصح قريش لساناً.

٤١٣ ـ صخر بن وداعة: هو صخر بن وداعة الغامدي، وهو ابن عمرو بن عبد الله ابن كعب من الأزد، سكن الطائف وهو معدود في أهل الحجاز.

٤١٤ ـ صخر بن حرب: هو صخر بن حرب يكنّى أبا سفيان القرشي، والد معاوية تقدّم ذكره في حرف السين.

٤١٥ ـ صهيب بن سنان: هو صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان النيمي يكنّى أبا يحيى كانت منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه، فأقام معه إلى أن هلك ويقال: إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم وقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان وأسلم قديماً بمكة، يقال: إنه أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم واحد ورسول الله ﷺ بدار الأرقم معه بضعة وثلاثون رجلاً، وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر إلى المدينة وفيه نزل: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾. روى عنه جماعة. مات سنة ثمانين بالمدينة وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع.

(جدعان) بضم الجيم وسكون الدال المهملة وبالعين المهملة.

٤١٦ ـ الصعب بن جثّامة: هو الصعب بن جثامة الليثي، كان ينزل (بودان) و(الأبواء) من أرض الحجاز، حديثه في الحجازيين. روى عن عبد الله بن عباس وغيره. مات في خلافة أبي بكر.

(جثامة) بفتح الجيم وتشديد الثاء المثلّثة.

٤١٧ ـ الصنابحي: هو الصنابحي بضم الصاد وتخفيف النون والباء الموحدة وبالحاء المهملة، منسوب إلى صنابح بن ناهر بن عامر بطن من مراد، وسيرد في حرف العين اسمه عبد الله.

٤١٨ ـ أبو صرمة: هو أوب صرمة مالك بن قيس المازني، وقيل: قيس بن مالك، وقيل: قيس بن صرمة وهو مشهور بكنيته، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد. روى عنه جماعة.

(صرمة) بكسر الصاد المهملة وسكون الراء.

فصل في التابعين

٤١٩ ـ صالح بن خوات: هو صالح بن خوات الأنصاري المدني، تابعي مشهور، عزيز الحديث، سمع أباه وسهل بن أبي حثمة. روى عنه يزيد بن رومان وغيره حديثه عند أهل المدينة.

(خوات) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الواو وبالتاء فوقها نقطتان.

٤٢٠ ـ صالح بن درهم: هو صالح بن درهم الباهلي. روى عن أبي هريرة وسمرة وعنه شعبة والقطان. ثقة.

٤٢١ ـ صالح بن حسان: هو صالح بن حسان مدني، نزل بالبصرة. روى عن ابن المسيب وعروة، وعنه أبو داود الحفري، وضعّفه جماعة. وقال البخاري: هو منكر الحديث.

٤٢٢ ـ صخر بن عبد الله: هو صخر بن عبد الله بن بريدة. روى عن أبيه عن جده وعن عكرمة، وعنه حجاج بن حسان وعبد الله بن ثابت.

٤٢٣ ـ صفوان بن سليم: هو صفوان بن سليم الزهري، مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف، تابعي جليل القدر من أهل المدينة مشهور. روى عن أنس بن مالك ونفر من التابعين. كان من خيار عباد الله الصالحين، يقال: إنه لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، ويقولون: إن جبهته ثقبت من كثرة السجود، وكان لا يقبل جوائز السلطان ومناقبه كثيرة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. روى عنه ابن عيينة.

٤٢٤ ـ أبو صالح: هو أبو صالح ذكوان السمّان الزيّات المدني كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة، وهو مولى جويرية بنت الحارث زوج النبي ﷺ وهو جليل مشهور كثير الحديث واسع الرواية روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وعنه ابنه سهيل والأعمش.

فصل في الصحابيات

٤٢٥ ـ صفية: هي صفية بنت حيي بن أخطب من بني إسرائيل من سبط هارون ابن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن أبي الحقيق، قتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول الله ﷺ، وقيل: وقعت في سهم دحية بن خليفة الكلبي فاشتراها منه بسبعة أرؤس فأسلمت فأعتقها وتزوّجها وجعل عتقها صداقها. ماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع روى عنها أنس وابن عمر وغيرهما.

(حيي) بضم الحاء المهملة وفتح الياء تحتها نقطتان وتشديد الأخرى.

و(أخطب) بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة والباء الموحدة.

٤٢٦ ـ صفية بنت عبد المطلب: هي صفية بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ كانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب فهلك عنها ثم تزوّجها العوام بن خويلد، فولدت له الزبير وعاشت زماناً طويلاً، وتوفيت في خلافة عمر سنة عشرين ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع.

٤٢٧ ـ صفية بنت أبي عبيد: هي صفية بنت أبي عبيد الثقفية أخت المختار بن أبي عبيد، وهي زوجة عبد الله بن عمر أدركت النبي ﷺ وسمعت منه ولم ترو عنه، وروت عن عائشة وحفصة، وعنها نافع مولى ابن عمر.

٤٢٨ ـ صفية بنت شيبة: هي صفية بنت شيبة الحجبي. روى عنها ميمون بن مهران وغيره، وقد اختلف في رؤيتها النبي ﷺ فقيل: إنها لم تره.

٤٢٩ ـ الصماء بنت بسر: هي الصماء بنت بسر المازنية صحابية، يقال إن الصماء لقب لها واسمها بهية. روى عنها أخوها عبد الله.

حرف الضاد

فصل في الصحابة

٤٣٠ ـ ضماد بن ثعلبة: هو ضماد بن ثعلبة الأزدي مَن أزدشنوءة كان صديقاً للنبي ﷺ في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبّب ويرقي ويطلب العلم، أسلم في أول الإسلام وهو الذي قال للنبي ﷺ حين قرأ عليه شيئاً من القرآن: لقد بلغت كلماتك هذه قاموس البحر، له ذكر في باب «علامات النبوة». روى عنه ابن عباس.

(ضماد) بكسر الضاد وتخفيف الميم.

و(شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وسكون الواو وفتح الهمزة.

٤٣١ ـ الضحاك بن سفيان: هو الضحاك بن سفيان الكلابي العامري عداده في أهل المدينة وكان ينزل بنجد، وولاّه النبي ﷺ على من أسلم من قومه. روى عنه ابن المسيب والحسن البصري ويقال: إنه كان لشجاعته يعد بمائة فارس وكان يقوم على رأس النبي ﷺ بالسيف.

فصل في التابعين

٤٣٢ ـ ضحاك بن فيروز: هو ضحاك بن فيروز الديلمي تابعي حديثه في البصريين روى عن أبيه تقدّم ذكره في حرف الدال.

ضرار بن صُرَد: هو ضرار بن صرد يكنّى أبا نعيم الكوفي الطحان سمع المعتمر بن سليمان وغيره. روى عنه علي بن المنذر.

(نعيم) بضم النون وفتح العين المهملة.

و(ضرار) بكسر الضاد وتخفيف الراء الأولى.

و(صرد) بضم الصاد المهملة وفتح الراء.

حرف الطاء

فصل في الصحابة

٤٣٣ ـ طلحة بن عبيد الله: هو طلحة بن عبيد الله يكنّى أبا محمد القرشي وهو من العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديماً وشهد المشاهد كلها غير بدر لأن النبي ﷺ كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرّفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب، فعاد يوم اللقاء ببدر ودنا النبي ﷺ يوم أُحد بيده فشلّت أصبعه، وجرح يومئذٍ أربعة وعشرين جراحة وقيل: كانت فيه خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وكان آدم كثير الشعر ليس بالجعد القطط ولا بالسبط حسن الوجه، قتل في وقعة الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادي الآخرة سنة

ست وثلاثين، ودفن بالبصرة، وله أربع وستون سنة روى عنه جماعة.

٤٣٤ ـ طلحة بن البراء: هو طلحة بن البراء الأنصاري الذي قال النبي ﷺ لما مات وصلّى عليه: «اللهم الق طلحة وأنت تضحك إليه ويضحك إليك» عداده في أهل الحجاز. روى عنه حصين بن وحوح.

٤٣٥ ـ طلق بن علي: هو طلق بن علي يكنّى أبا علي الحنفي اليمامي ويقال له أيضاً: طلق بن ثمامة. روى عنه ابنه قيس.

٤٣٦ ـ طارق بن شهاب: هو طارق بن شهاب يكنّى أبا عبد الله البجلي الكوفي أدرك الجاهلية ورأى النبي ﷺ وليس له سماع منه إلاّ شاذاً وغزا في خلافة أبي بكر وعمر ثلاث وثلاثين ومات سنة اثنتين وثمانين.

٤٣٧ ـ طارق بن سويد: هو طارق بن سويد له صحبة، حديثه في باب «بيان الخمر» روى عنه علقمة بن وائل.

٤٣٨ ـ الطفيل بن عمرو: هو الطفيل بن عمرو الدوسي أسلم وصدق النبي ﷺ بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه فلم يزل بها حتى هاجر إلى النبي ﷺ ثم قدم عليه وهو بخيبر بمن تبعه من قومه فلم يزل مقيماً عنده إلى أن قبض النبي ﷺ وقتل يوم اليمامة شهيداً وقيل: قتل عام اليرموك في خلافة عمر. روى عنه جابر وأبو هريرة، عداده في أهل الحجاز.

٤٣٩ ـ أبو الطفيل: هو أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي الكناني غلبت عليه كنيته أدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين ومات سنة مائة واثنتين بمكة وهو آخر من مات من الصحابة في جميع الأرض. روى عنه جماعة.

٤٤٠ ـ أبو طيبة: هو أبو طيبة نافع الحجام مولى مُحَيِّصة بن مسعود الأنصاري صحابي معروف.

(محيصة) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها وبالصاد المهملة.

٤٤١ ـ أبو طلحة: هو أبو طلحة زيد بن سهل الأنصاري البخاري وهو مشهور بكنيته، وهو زوج أم أنس بن مالك وكان من الرماة المذكورين قال النبي ﷺ: «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة». مات سنة إحدى وثلاثين وهو ابن سبع وسبعين سنة وأهل البصرة يرون أنه ركب البحر فمات فدفن في جزيرة بعد سبعة أيام شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدراً وما بعدها من المشاهد. روى عنه نفر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم.

فصل في التابعين

٤٤٢ ـ طلحة بن عبيد الله: هو طلحة بن عبيد الله بن كريز الخزاعي تابعي من أهل المدينة. روى عن نفر من الصحابة، وعنه نفر من التابعين.

٤٤٣ ـ طلحة بن عبد الله: هو طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري القرشي من مشاهير التابعين، وعداده في أهل المدينة كان موصوفاً بالجود. روى عن عمه عبد الرحمن وغيره. مات سنة تسع وتسعين.

٤٤٤ ـ طلق بن حبيب: هو طلق بن حبيب العنزي البصري، كان من العباد الموصوفين بكثرة العبادة. روى عن عبد الله بن الزبير وجابر وابن عباس، وعنه مصعب وعمرو بن دينار وأيوب.

(العنزي) بفتح العين المهملة وفتح النون.

٤٤٥ ـ الطفيل بن أبيّ: هو الطفيل بن أبيّ بن كعب الأنصاري، تابعي عزيز الحديث، حديثه في الحجازيين. روى عن أبيه وغيره، وعنه أبو الطفيل.

٤٤٦ ـ طاووس بن كيسان: هو طاووس بن كيسان الخولاني الهمداني اليماني من أبناء الفرس. روى عن جماعة، وعنه الزهري وخلق سواه، قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً مثل طاووس، كان رأساً في العلم والعمل. مات بمكة سنة خمس ومائة.

٤٤٧ ـ أبو طالب: هو أبو طالب عم النبي ﷺ والد علي واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي جاهلي، ولما مات تناولت قريش من رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف، وكان بين وفاته ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام.

٤٤٨ ـ ابن طاب: هو ابن طاب الذي ينسب إليه نوع من رطب المدينة فيقال رطب ابن طاب وتمر بن طاب.

حرف الظاء

فصل في الصحابة

٤٤٩ ـ ظهير بن رافع: هو ظهير بن رافع الحارثي الأنصاري الأوسي، شهد العقبة الثانية وبدراً وما بعدهما من المشاهد، وهو غير رافع بن خديج. روى عنه رافع هذا.

(ظهير) بضم الظاء وفتح الهاء وسكون الياء تحتها نقطتان.

حرف العين

فصل في الصحابة

٤٥٠ ـ عمر بن الخطاب: هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفاروق يكنّى أبا حفص العدوي القرشي أسلم سنة ست من النبوة، وقيل: سنة خمس بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، ويقال به تمّت الأربعون، وظهر الإسلام يوم إسلامه، وسمي الفاروق لذلك قال ابن عباس: سألت عمر بن الخطاب لأي شيء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للإسلام فقلت: الله لا إله إلاّ هو له الأسماء الحسنى، فما في الأرض نسمة أحب إليّ من نسمة رسول الله ﷺ فقلت: أين رسول الله ﷺ؟ قالت أختي: هو في دار الأرقم بن أبي الأرقم عند الصفا، فأتيت الدار وحمزة في أصحابه جلوس في الدار، ورسول الله ﷺ في البيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة: مالكم؟ قالوا: عمر بن الخطاب، قال: فخرج رسول الله ﷺ، فأخذ بمجامع ثيابي، ثم نترني نترة فما تمالكت أن

وقعت على ركبتي فقال رسول الله ﷺ: «ما أنت بمنته يا عمر؟!» فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فكبّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد، فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟ قال: «بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم، فقلت: ففيم الاختفاء؟ والذي بعثك بالحق لتخرجنّ فأخرجنا ﷺ في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر ولي كديد، ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد فنظرت إليّ قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسمّاني رسول الله ﷺ، يومئذٍ الفاروق فرّق الله بي بين الحق والباطل، فقال داود بن الحصين والزهري لما أسلم عمر نزل جبرائيل فقال: يا محمد! استبشر أهل السماء بإسلام عمر، وقال عبد الله بن مسعود: والله إني لأحسب علم عمر إذا وضع في كفة الميزان ووضع علم سائر أحياء الأرض في كفة الميزان لرجح عليه علم عمر، وقال: إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم حين ذهب. وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين وكان أبيض تعلوه حمرة، وقيل: آدم طوالاً أصلع شديد حمرة العينين قام بالأمر بعد موت أبي بكر بعهده إليه ونصبه عليه طعنه أبو لؤلؤة غلام مغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد غرة المحرم سنة أربع وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وهو أصح ما قيل في عمره وكانت في خلافته عشر سنين ونصفاً وصلّى عليه صهيب. روى عنه أبو بكر وباقي العشرة، وخلق كثير من الصحابة والتابعين.

٤٥١ ـ عمر بن أبي سلمة: هو عمر بن أبي سلمة واسم أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي القرشي، وعمر هذا هو ربيب النبي ﷺ وأمه أم سلمة زوج النبي ﷺ، ولد بأرض الحبشة في السنة الثانية من الهجرة، وقبض رسول الله ﷺ، وله تسع سنين ومات زمن عبد الملك بن مروان بالمدينة سنة ثلاث وثمانين، حفظ عن رسول الله ﷺ، وروى عنه أحاديث، وعنه جماعة.

٤٥٢ ـ عثمان بن عفان: هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان ويكنّى أبا عبد الله الأموي القرشي، كان إسلامه في أول الإسلام على يدي أبي بكر قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين ولم يشهد بدراً لأنه تخلّف بمرض رقية بنت النبي ﷺ وضرب له النبي ﷺ بسهم ولم يشهد بالحديبية بيعة الرضوان لأن النبي ﷺ كان بعثه إلى مكة في أمر الصلح، فلما كانت البيعة ضرب النبي ﷺ يده على يده وقال: «هذه لعثمان». وسمي ذا النورين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ، رقية وأم كلثوم كان أبيض ربعة وقيل: أسمر رقيق البشرة حسن الوجه بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس عظيم اللحية يصفرها، استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين قتله الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل: غيره دفن ليلة السبت بالبقيع، وله يومئذٍ من العمر اثنتان وثمانون سنة، وقيل: ثمان وثمانون سنة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة، إلاّ أياماً. روى عنه خلق كثير.

٤٥٣ ـ عثمان بن عامر: هو عثمان بن عامر والد أبي بكر الصديق القرشي التميمي يكنى أبا قحافة بضم القاف وتخفيف الحاء أسلم يوم الفتح عاش إلى خلافة عمر، ومات سنة أربع عشرة، وله سبع وتسعون سنة. روى عنه الصديق وأسماء بنت أبي بكر.

٤٥٤ ـ عثمان بن مظعون: هو عثمان بن مظعون يكنّى أبا السائب الجمحي القرشي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً، وكان حرّم الخمر في الجاهلية وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة، وقبّل النبي ﷺ وجهه بعد موته ولما دفن قال: «نعم السلف هو لنا» ودفن بالبقيع، وكان عابداً مجتهداً من فضلاء الصحابة. روى عنه ابنه السائب وأخوه قدامة بن مظعون.

٤٥٥ ـ عثمان بن طلحة: هو عثمان بن طلحة العبدري القرشي الجمحي، له صحبة وذكره في باب «المساجد». روى عنه ابن عمه شيبة وابن عمر. مات بمكة سنة اثنتين وأربعين.

٤٥٦ ـ عثمان بن حنيف: هو عثمان بن حنيف الأنصاري أخو سهل، ولاّه عمر مساحة االسواد، وضرب الخراج والجزية على أهله، وولاّه على البصرة، فأخرجه طلحة والزبير لما قدماها لوقعة الجمل، ثم سكن الكوفة وبقي إلى زمان معاوية. روى عنه نفر.

٤٥٧ ـ عثمان بن أبي العاص: هو عثمان بن أبي العاص الثقفي استعمله النبي ﷺ على الطائف فلم يزل عليها حياة رسول الله ﷺ، وخلافة أبي بكر، وسنتين [من] خلافة عمر، ثم عزله عمر وولاّه عُمان والبحرين، وكان وفد على النبي ﷺ في وفد ثقيف وهو أحدثهم سناً وله تسع وعشرون سنة، وذلك سنة عشر وسكن البصرة، ومات بها سنة إحدى وخمسين، ولما مات النبي ﷺ وعزمت ثقيف على الردة قال لهم: يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أول الناس ردّة فامتنعوا من الردة. روى عنه جماعة من التابعين.

٤٥٨ ـ علي بن أبي طالب: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ويكنّى أبا الحسن وأبا تراب القرشي وهو أول من أسلم من الذكور في أكثر الأقوال، وقد اختلف في سنّه يومئذٍ، قيل: كان له خمس عشرة سنة، وقيل: ست عشرة، وقيل: ثماني سنين، وقيل: عشر سنين شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها غير تبوك فإنه خلفه في أهله وفيها قال له: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» كان آدم شديد الأدمة عظيم العينين أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثماني عشرة خلّت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلّى عليه الحسن، ودفن ضحى، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وقيل: خمس وستون سنة، وقيل: سبعون، وقيل: ثمان وخمسون، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً. روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق من الصحابة والتابعين.

٤٥٩ ـ علي بن شيبان: هو علي بن شيبان الحنفي اليمامي. روى عنه ابنه عبد الرحمن.

٤٦٠ ـ علي بن طلق: هو علي بن طلق الحنفي اليمامي. روى عنه سلم بن سلام وهو من أهل اليمامة وحديثه فيهم.

٤٦١ ـ عبد الرحمن بن عوف: هو عبد الرحمن بن عوف يكنّى أبا محمد الزهري القرشي وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة، أسلم قديماً على يد أبي بكر الصديق وهاجر إلى

الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وثبت يوم أُحُد، وصلّى النبي ﷺ خلفه في غزوة تبوك وأتمّ ما فاته، كان طويلاً رقيق البشرة أبيض مشوباً بالحمرة ضخم الكفين أقنى أعرج أصيب يوم أُحُد وجرح عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فعرج، ولد بعد الفيل بعشر سنين، ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله اثنتان وسبعون سنة. روى عنه ابن عباس وغيره.

٤٦٢ ـ عبد الرحمن بن أبزى: هو عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي مولى نافع بن عبد الحارث، سكن الكوفة واستعمله علي بن أبي طالب على خراسان، أدرك النبي ﷺ وصلّى خلفه وأكثر روايته عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب. روى عنه ابناه سعيد وعبد الله وغيرهما. مات بالكوفة.

٤٦٣ ـ عبد الرحمن بن أزهر: هو عبد الرحمن بن أزهر القرشي، وهو ابن أخي عبد الرحمن بن عوف، شهد حنيناً. روى عنه ابنه عبد الحميد وغيره مات قبل الحرة.

٤٦٤ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر: هو عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأمه أم رومان أم عائشة أسلم عام الحديبية وحسن إسلامه، وكان أسن ولد أبي بكر. روت عنه عائشة وحفصة وغيرهما، مات سنة ثلاث وخمسين.

٤٦٥ ـ عبد الرحمن بن حسنة: هو عبد الرحمن بن حسنة، وهي أمه يعرف بها وأبوه عبد الله بن المطاع. روى عنه يزيد بن وهب.

٤٦٦ ـ عبد الرحمن بن شرحبيل: هو عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة ابن أخي عبد الرحمن بن حسنة رأى النبي ﷺ، وروى عنه ابنه عمران، وشهد فتح مصر هو وأخوه ربيعة.

٤٦٧ ـ عبد الرحمن بن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وهو ابن أخي عمر ابن الخطاب العدوي القرشي، أتى به جده أبو لبابة إلى النبي ﷺ طفلاً فحنّكه ومسح رأسه، ودعا له بالبركة، قال محمد بن سعد: توفي النبي ﷺ، وله ست سنين، وسمع عمه عمر بن الخطاب، ومات أيام عبد الله بن الزبير قبل موت عبد الله بن عمر.

٤٦٨ ـ عبد الرحمن بن سمرة: هو عبد الرحمن بن سمرة القرشي، أسلم يوم الفتح وصحب النبي ﷺ، وروى عنه، عداده في أهل البصرة، ومات بها سنة إحدى وخمسين. روى عنه ابن عباس والحسن وخلق سواهما.

٤٦٩ ـ عبد الرحمن بن سهل: هو عبد الرحمن بن سهل الأنصاري القتيل بخيبر، له ذكر في «القسامة» يقال: إنه شهد بدراً، وكان له فهم وعلم. روى عنه سهل بن أبي حثمة.

٤٧٠ ـ عبد الرحمن بن شبل: ههو عبد الرحمن بن شبل الأنصاري، يعد في أهل المدينة. روى عنه تميم بن محمد وأبو راشد.

٤٧١ ـ عبد الرحمن بن عثمان: هو عبد الرحمن بن عثمان التميمي، وهو ابن أخي طلحة بن عبيدالله الصحابي، وقيل: له إدراك، وليس له رواية. روى عنه جماعة.

٤٧٢ ـ عبد الرحمن بن أبي قراد: هو عبد الرحمن بن أبي قراد الأسلمي، يعد في أهل

الحجاز. روى عنه أبو جعفر الخطمي وغيره.

(قراد) بضم القاف وتخفيف الدال.

٤٧٣ ـ عبد الرحمن بن كعب: هو عبد الرحمن بن كعب يكنّى أبا ليلى المازني الأنصاري، شهد بدراً. مات سنة أربع وعشرين، وهو ممّن نزل فيه: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاّ يجدوا ما ينفقون﴾.

٤٧٤ ـ عبد الرحمن بن يعمر: هو عبد الرحم بن يعمر الديلمي، له صحبة ورواية، نزل الكوفة، وأتى خراسان. روى عنه بكير بن عطاء، ولم يرو عنه سواه.

٤٧٥ ـ عبد الرحمن بن عايش: هو عبد الرحمن بن عايش الحضرمي، يعد في أهل الشام مختلف في صحبته، له حديث في الرؤية. روى عنه أبو سلام ممطور وخالد بن اللجلاج، وحديثه عن مالك بن يُخامر عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ، وعن بعضهم حديثه عن رسول الله ﷺ، والصحيح الأول. قاله البخاري وغيره.

(عايش) بكسر الياء تحتها نقطتان وبالشين المعجمة.

و(يخامر) بضم الياء تحتها نقطتان وتخفيف الخاء المعجمة وكسر الميم وبالراء.

ويقال: إن حديث مالك هذا مرسل، لأنه لم يسمع من النبي ﷺ.

٤٧٦ ـ عبد الرحمن بن أبي عميرة: هو عبد الرحمن بن أبي عميرة المدني، وقيل: القرشي مضطرب الحديث، لا يثبت في الصحابة، قاله ابن عبد البر، وهو شامي. روى عنه نفر.

(عميرة) بفتح العين المهملة وكسر الميم وبالراء.

٤٧٧ ـ عبد الله بن أرقم: هو عبد الله بن أرقم الزهري القرشي، أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ، ثم لأبي بكر وعمر، واستعمله عمر على بيت المال، وبعده عثمان، ثم استعفى فأعفاه عثمان. روى عنه عروة وأسلم مولى عمر. ومات في خلافة عثمان.

٤٧٨ ـ عبد الله بن أبي أوفى: هو عبد الله بن أبي أوفى، واسم أبي أوفى علقمة بن قيس الأسلمي شهد الحديبية وخيبر وما بعدهما من المشاهد، ولم يزل بالمدينة حتى قبض النبي ﷺ، ثم تحوّل إلى الكوفة، وهو آخر من مات من الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين. روى عنه الشعبي وغيره.

٤٧٩ ـ عبد الله بن أنيس: هو عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري شهد أُحُداً وما بعدها روى عنه أبو أمامة وجابر وغيرهما. مات سنة أربع وخمسين بالمدينة.

٤٨٠ ـ عبد الله بن بسر: هو عبد الله بن بسر السلمي المازني له ولأبيه بسر وأمه وأخيه عطية وأخته الصماء صحبة. نزل الشام ومات بحمص فجأة وهو يتوضأ سنة ثمان وثمانين، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام، وقيل: آخر من مات منهم بها أبو أمامة، روى عنه جماعة.

٤٨١ ـ عبد الله بن عدي: هو عبد الله بن عدي القرشي الزهري، وهو من عداد أهل

الحجاز، وكان ينزل فيما بين قديد وعسفان. روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمن ومحمد بن جبير.

٤٨٢ ـ عبد الله بن أبي بكر: هو عبد الله بن أبي بكر الصديق شهد الطائف مع رسول الله ﷺ فرمي بسهم، رماه أبو محجن الثقفي فمات منه في أول خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشرة، وكان أسلم قديماً.

٤٨٣ ـ عبد الله بن ثعلبة: هو عبد الله بن ثعلبة المازني العذري، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، ومات سنة تسع وثمانين. ورأى النبي ﷺ عام الفتح، ومسح وجهه روى عنه ابنه عبد الله الزهري.

٤٨٤ ـ عبد الله بن جحش: هو عبد الله بن جحش الأسدي أخو زينب زوج النبي ﷺ أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وكان ممن هاجر الهجرتين، وكان مجاب الدعوة، شهد بدراً، واستشهد يوم أحد، وهو أول من خمس الغنائم، ونزل القرآن بعد ذلك بتقريره في قوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ للّه خمسه وللرسول﴾الآية وذلك أنه لما عاد من سرية أخذ خمس الغنيمة (وأقره) النبي ﷺ، وكان قبل ذلك في الجاهلية (المرباع). روى عنه سعد بن أبي وقاص وغيره، قتله أبو الحكم بن الأخنس، وله يومئذٍ نيف وأربعون سنة، ودفن هو وحمزة في قبر واحد.

٤٨٥ ـ عبد الله بن أبي الحمساء: هو عبد الله بن أبي الحمساء العامري عداده في البصريين حديثه عند عبد الله بن شقيق عن أبيه عنه.

٤٨٦ ـ عبد الله بن أبي الجدعاء: هو عبد الله بن أبي الجدعاء التميمي يذكر في الوحدان. روى عنه عبد الله بن شقيق، عداده في البصريين.

٤٨٧ ـ عبد الله بن جعفر: هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي، وأمه أسماء بنت عميس، ولد بأرض الحبشة، وهو أول مولود في الإسلام، بها توفي بالمدينة سنة ثمانين وله تسعون سنة، كان جواداً ظريفاً حليماً عفيفاً يسمّى بحر الجود، قيل: لم يكن في الإسلام أسخى منه. روى عنه خلق كثير.

٤٨٨ ـ عبد الله بن جهم: هو عبد الله بن جهم الأنصاري حديثه في المار بين يدي المصلي. روى عنه بسر بن سعيد وغيره. روى حديثه مالك عن أبي جهم، ولم يسمه ورواه ابن عيينة ووكيع فسمياه عبد الله بن جهم، وهو مشهور بكنيته. وقد ذكرناه في حرف الجيم.

٤٨٩ ـ عبد الله بن جزء: هو عبد الله بن جزء أبو الحارث السهمي سكن مصر وشهد بدراً. روى عنه جماعة من المصريين. مات سنة خمس وثمانين بمصر.

(جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها همزة.

٤٩٠ ـ عبد الله بن حبشي: هو عبد الله بن حبشي الخثعمي له رواية، عداده في أهل الحجاز، وسكن بمكة. روى عنه عُبيد بن عمير وغيره.

(عبيد) و(عمير) مصغّران.

٤٩١ ـ عبد الله بن أبي حدرد: هو عبد الله بن أبي حدرد واسم أبي حدرد سلامة بن عمير الأسلمي أول مشاهده الحديبية، ثم خيبر وما بعدها، مات سنة إحدى وسبعين، واه إحدى وثمانون سنة يعد في أهل المدينة. روى عنه القعقاع وغيره.

٤٩٢ ـ عبد الله بن حنظلة: هو عبد الله بن حنظلة الأنصاري وحنظلة هذا هو غسيل الملائكة، ولد عبد الله على عهد رسول الله ﷺ، وتوفي النبي ﷺ وله سبع سنين، وقد رآه، وروى عنه. كان خيراً فاضلاً مقدماً في الأنصار وهو الذي بايعه أهل المدينة على خلع يزيد بن معاوية، وقتل يوم الحرة بسبب ذلك سنة ثلاث وستين. روى عنه ابن أبي مليكة وعبد الله بن يزيد وأسماء بنت زيد بن الخطاب وغيرهم.

٤٩٣ ـ عبد الله بن حوالة: هو عبد الله بن حوالة الأزدي نزل الشام. روى عنه جبير ابن نفير وغيره مات بالشام سنة ثمانين.

٤٩٤ ـ عبد الله بن خبيب: هو عبد الله بن خبيب الجهني حليف الأنصار مدني له صحبة، حديثه في أهل الحجاز. روى عنه ابنه معاذ.

٤٩٥ ـ عبد الله بن رواحة: هو عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد بعدها إلاّ الفتح وما بعده فإنه قتل يوم مؤتة شهيداً أميراً فيها سنة ثمان وهو أحد الشعراء المحسنين. روى عنه ابن عباس وغيره.

٤٩٦ ـ عبد الله بن الزبير: هو عبد الله بن الزبير يكنّى أبا بكر الأسدي القرشي كنّاه النبي ﷺ بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق وسمّاه باسمه وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة أول سنة من الهجرة وأذّن أبو بكر في أذنه، ولدته أمه أسماء (بقباء) وأتت به إلى النبي ﷺ فوضعته في حجره فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه فكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم دعا له وبرك عليه وكان أطلس لا شعر له في وجهه ولا لحية وكان كثير الصيام والصلاة شهماً ذا أنفة شديد البأس قابلاً للحق وصولاً للرحم، اجتمع له ما لم يجتمع لغيره أبوه حواري رسول الله ﷺ وأمه أسماء بنت الصديق وجده الصديق وجدّته صفية عمة رسول الله ﷺ وخالته عائشة زوج رسول الله ﷺ، وبايع رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني سنين. قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادي الآخرة سنة ثلاث وسبعين، وكان بويع له بالخلافة سنة أربع وستين، وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة فاجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام أو بعضه، وحج بالناس ثماني حجج. روى عنه خلق كثير.

٤٩٧ ـ عبد الله بن زمعة: هو عبد الله بن زمعة القرشي الأسدي عداده في أهل المدينة روى عنه عروة بن الزبير وغيره.

٤٩٨ ـ عبد الله بن زيد: هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وبدراً والمشاهد بعدها، وهو الذي أري الأذان في النوم بعد الهجرة. عداده في أهل المدينة، ومات بها سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن أربع وستين وله ولأبويه صحبة. وروى عنه ابنه محمد وسعيد بن المسيب وابن أبي ليلى.

٤٩٩ ـ عبد الله بن زيد: هو عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري المازني شهد أحداً ولم يشهد بدراً وهو الذي قتل مسيلمة الكذاب مشاركاً وحشي بن الحرب في قتله، وقتل عبد الله يوم الحرة سنة ثلاث وستين. روى عنه عبّاد بن تميم وهو ابن أخيه وابن المسيب.

(عباد) بتشديد الباء الموحدة.

٥٠٠ ـ عبد الله بن السائب: هو عبد الله بن السائب المخزومي القرشي أخذ عنه أهل مكة القراءة وعداده في أهل مكة وبها مات قبل قتل ابن الزبير. روى عنه نفر.

٥٠١ ـ عبد الله بن سرجس: هو عبد الله بن سرجس المزني، ويقال: المخزومي أظنه حليفاً لهم وهو بصري حديثه في البصريين. روى عنه عاصم الأحول وغيره.

(سرجس) بالسينين وبينهما جيم بوزن نرجس.

٥٠٢ ـ عبد الله بن سلام: هو عبد الله بن سلام يكنّى أبا يوسف الإسرائيلي من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وكان حليفاً لبني عوف بن الخزرج وهو أحد الأحبار وأحد من شهد له النبي ﷺ بالجنة. روى عنه ابناه يوسف ومحمد وغيرهما. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين.

(سلام) بتخفيف اللام.

٥٠٣ ـ عبد الله بن سهل: هو عبد الله بن سهل الأنصاري الحارثي أخو عبد الرحمن وابن أخي محيصة وهو المقتول بخيبر وذكره في «القسامة».

٥٠٤ ـ عبد الله بن الشخير: هو عبد الله بن الشخير العامري يعد في البصريين وفد إلى النبي ﷺ في بني عامر. روى عنه ابناه مطرف ويزيد.

(الشخير) بكسر الشين المعجمة وكسر الخاء المعجمة وتشديدها وسكون الياء.

٥٠٥ ـ عبد الله الصنابحي: هو عبد الله الصنابحي، وقيل: أبو عبد الله، وقال ابن عبد البر الصواب عندي أن الصنابحي أبو عبد الله التابعي لا عبد الله الصحابي قال: وعبد الله الصنابحي غير معروف في الصحابة، والصنابحي الصحابي قد أخرج حديثه مالك في «الموطأ» والنسائي في «سننه».

٥٠٦ ـ عبد الله بن عامر: هو عبد الله بن عامر بن كريز القرشي، وهو ابن خال عثمان ابن عفان، ولد على عهد رسول الله ﷺ فأتي به فتفل عليه وعوذه، وتوفي النبي ﷺ وله ثلاث عشرة سنة، وقيل: إنه لم يرو عن النبي ﷺ شيئاً ولا حفظ عنه، ومات سنة تسع وخمسين ولاّه عثمان البصرة وخراسان وأقام عليهما إلى أن قتل عثمان، فلما أفضى الأمر إلى معاوية رد إليه ذلك، وكان سخياً كريماً كثير المناقب، وهو افتتح خراسان وقتل كسرى في ولايته، ولم يختلفوا أنه افتتح أطراف فارس وعامة خراسان وأصفهان وكرمان وحلوان، وهو الذي شق نهر البصرة.

٥٠٧ ـ عبد الله بن عباس: هو عبد الله بن عباس ابن عم النبي ﷺ وأمه لبابة بنت الحارث أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي ﷺ وهو ابن

ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: عشرة، كان خير هذه الأمة وعالمها دعا له النبي ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، ورأى جبرائيل عليه السلام مرتين، قال مسروق: وكنت إذا رأيت عبد الله بن عباس قلت: أجمل الناس فإذا تكلّم قلت: أفصح الناس فإذا تحدّث قلت: أعلم الناس، وكان عمر بن الخطاب يقرّبه ويدنيه ويشاوره مع أجلّة الصحابة. وكفّ بصره في آخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن إحدى وسبعين سنة. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين، وكان أبيض طويلاً مشرباً صفرة جسيماً وسيماً صبيح الوجه له وفرة يخضب بالحناء.

٥٠٨ ـ عبد الله بن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير ولم يشهد بدراً، واختلفوا في شهوده أحداً، والصحيح أن أول مشاهده الخندق، قيل: إنه استصغر يوم بدر، وأجازه النبي ﷺ يوم أُحُد. وروى أنه ردّه يوم أُحُد لأنه كان له أربع عشرة سنة وشهده بعد الخندق من المشاهد، وكان من أهل الورع والعلم والزهد شديد التحري والاحتياط، وقال جابر بن عبد الله: ما منّا أحد إلاّ مالت به الدنيا ومال بها ما خلا عمر وابنه عبد الله. وقال ميمون بن مهران: ما رأيت أورع من ابن عمر ولا أعلم من ابن عباس، وقال نافع: ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو زاد، ولد قبل الوحي بسنة، ومات سنة ثلاثة وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر، وقيل بستة أشهر. وكان قد أوصى أن يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وكان الحجاج قد أمر رجلاً فسم زُجّ رمحه وزجه في الطريق ووضع الزُجّ في ظهر قدمه، وذلك أن الحجاج خطب يوماً وأخّر الصلاة فقال ابن عمر: إن الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج: لقد هممت أن أضرب الذي في عينيك، فقال: إن تفعل فإنك سفيه مسلط، وقيل: إنه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه وكان يتقدّمه في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي ﷺ وقف فيها، وكان ذلك يعزُّ على الحجاج. وله أربع وثمانون سنة وقيل ست وثمانون. روى عنه خلق كثير.

٥٠٩ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص: هو عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي القرشي أسلم قبل أبيه وكان أبوه أكبر منه بثلاث عشرة سنة وقيل باثنتي عشرة سنة، وكان عابداً عالماً حافظاً، قرأ الكتب، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه فأذن له. وقد اختلف في وفاته فقيل مات ليالي الحرة في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقيل مات بمكة سنة سبع وستين، وقيل مات بالطائف سنة خمس وخمسين، وقيل مات بمصر سنة خمس وستين. روى عنه خلق كثير قال يعلى بن عطاء عن أمه إنها كانت تصنع الكحل لعبد الله بن عمرو، وإنه كان يقوم بالليل فيطفىء السراج ثم يبكي حتى رسغت عيناه (وفي نسخة الرسغ فساد في الأجفان).

٥١٠ ـ عبد الله بن مسعود: هو عبد الله بن مسعود، يكنّى أبا عبد الرحمن الهذلي، كان إسلامه قديماً في أول الإسلام قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، قبل عمر بزمان وقيل كان سادساً في الإسلام، ثم ضمه إليه رسول الله ﷺ فكان من خواصه وكان صاحب سر رسول الله ﷺ وسواكه ونعليه وطهوره في السفر، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً ثم ما بعدها من مشاهد،

وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وقال رسول الله ﷺ: «رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد، وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد» يعني ابن مسعود، وكان يشبه بالنبي ﷺ في سمته ودله وهديه، وكان خفيف اللحم قصيراً شديد الأدمة نحيفاً، يكاد طوال الرجال يوازيه جالساً، وولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافة عثمان، ثم صار إلى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة. روى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين.

٥١١ ـ عبد الله بن قرط: هو عبد الله بن قرط الأزدي الثمالي، كان اسمه شيطان فسمّاه النبي ﷺ عبد الله، يعد في الشاميين وحديثه عندهم وكان أميراً على حمص لأبي عبيدة بن الجراح. روى عنه نفر، قتل سنة ست وخمسين بأرض الروم.

(قرط) بضم القاف وسكون الراء.

٥١٢ ـ عبد الله بن غنام: هو عبد الله بن غنام البياضي، عداده في أهل الحجاز حديثه عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عنبسة عنه في الدعاء.

٥١٣ ـ عبد الله بن مغفل: هو عبد الله بن مغفل المزني، كان من أصحاب الشجرة، سكن المدينة ثم تحوّل منها إلى البصرة، وكان أحد العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقهون الناس ومات بالبصرة سنة ستين. روى عنه جماعة من التابعين منهم الحسن البصري وقال: ما نزل البصرة أشرف منه.

٥١٤ ـ عبد الله بن هشام: هو عبد اللهبن هشام القرشي التيمي، يعد في أهل الحجاز ذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى النبي ﷺ وهو صغير، فمسح برأسه ودعا له ولم يبايعه لصغره. روى عنه ابن ابنه زهرة.

٥١٥ ـ عبد الله بن يزيد: هو عبد الله بن يزيد الخطمي الأنصاري، شهد الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان أميراً على الكوفة في عهد ابن الزبير ومات بها زمن ابن الزبير، وكان الشعبي كاتبه. روى عنه ابنه موسى وأبو بردة بن أبي موسى وغيرهما.

٥١٦ ـ عاصم بن ثابت: هو عاصم بن ثابت، يكنّى أبا سليمان الأنصاري، شهد بدراً وهو الذي حمته الدَبْر (وهي النحل) من المشركين أن يحتزوا رأسه في غزوة الرجيع حين قتله بنو لحيان فسمي حمي الدبر وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب لأمه.

وفي نسخة: وذلك أنه بعث رسول الله ﷺ عشر رهط سرية، وأمر عليهم عاصماً هذا فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان ومكة فنزلهم بني لحيان قريباً من مائة رجل كلهم رماة فاقتفوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمراً تزوّدوه من المدينة فقالوا: هذا تمر يثرب، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى فدفد فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطونا بأيديكم ولكم الأمان، فقال عاصم: أما أنا فوالله لا أنزل في ذمة كافر اللهم أخبر عنّا نبيّك، فرموا بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة، فاستجاب الله لعاصم يوم أصيب فأخبر النبي ﷺ أصحابه وبعث ناس من كفّار قريش إلى عاصم حين حدّثوا أنه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدر على أن يقطع من لحمه شيئاً. هذا مختصر من رواية البخاري.

٥١٧ ـ عامر الرام: هو عامر الرام له رؤية ورواية. روى عنه أبو منظور.

(الرام) بفتح الراء وهو الرامي.

٥١٨ ـ عامر بن ربيعة: هو عامر بن ربيعة يكنّى أبا عبد الله العنزي، هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد كلها وكان أسلم قديماً. روى عنه نفر. مات سنة اثنتين وثلاثين.

٥١٩ ـ عامر بن مسعود: هو عامر بن مسعود بن أمية بن خلف الجمحي وهو ابن أخي صفوان بن أمية. روى عنه نمير بن عريب أخرج حديثه الترمذي في الصوم وقال هو مرسل لأن عامر بن مسعود لم يدرك النبي ﷺ، وقد أورده ابن مندة وابن عبد البر في أسماء الصحابة وقال ابن معين لا صحبة له.

(عريب) بفتح العين المهملة وكسر الراء وسكون الياء وبعدها باء موحدة.

٥٢٠ ـ عائذ بن عمرو: هو عائذ بن عمرو المزني من أصحاب الشجرة، سكن البصرة وحديثه في البصريين. روى عنه جماعة.

٥٢١ ـ عباد بن بشر: هو عباد بن بشر الأنصاري، أسلم بالمدينة قبل إسلام سعد ابن معاذ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان من فضلاء الصحابة. روى عنه أنس بن مالك وعبد الرحمن بن ثابت وقتل يوم اليمامة وله خمس وأربعون سنة.

(عباد) بفتح العين وتشديد الباء الموحدة.

٥٢٢ ـ عباد بن عبد المطلب: هو عباد بن عبد المطلب له ذكر فيمن شهد بدراً ولا يعرف له رواية.

(عباد) بتشديد الباء الموحدة، والمطلب بتشديد الطاء وكسر اللام.

٥٢٣ ـ عبادة بن الصامت: هو عبادة بن الصامت، يكنّى أبا الوليد الأنصاري السالمي، كان نقيباً وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة، وشهد بدراً والمشاهد كلها، ثم وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها في الرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

(عبادة) بضم العين وتخفيف الباء.

٥٢٤ ـ العباس بن عبد المطلب: هو العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ كان أسن من النبي ﷺ بسنتين وأمه امرأة من النمر بن قاسط، وهي أول عربية كست الكعبة الحرير والديباج وأصناف الكسوة، وذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك. وكان العباس رئيساً في الجاهلية وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية.

أما السقاية وهي معروفة، وأما العمارة فإنه كان يحمل قريشاً على عمارته بالخير وترك السيئات فيه وقول الهجو، قال مجاهد: أعتق العباس عند موته سبعين مملوكاً، ولد قبل سنة الفيل ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين

سنة ودفن بالبقيع وكان أسلم قديماً وكتم إسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً فقال النبي ﷺ من لقي العباس فلا يقتله فإنه خرج مكرهاً فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع إلى مكة ثم أقبل إلى المدينة مهاجراً. روى عنه جماعة.

٥٢٥ ـ العباس بن مرداس: هو العباس بن مرداس. يكنّى أبا الهيثم السلمي، شاعر عداده في المؤلفة قلوبهم وأسلم قبل فتح مكة بيسير وحسن إسلامه بعد ذلك، وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية. روى عنه ابنه كنانة.

(كنانة) بكسر الكاف وبنونين بينهما ألف.

٥٢٦ ـ عبد المطلب بن ربيعة: هو عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم القرشي، سكن المدينة ثم تحوّل عنها إلى دمشق ومات بها سنة اثنتين وستين. روى عنه عبد الله بن الحارث.

٥٢٧ ـ عبد الله بن محصن: هو عبد الله بن محصن الأنصاري الخطمي، يعد في أهل المدينة وحديثه فيهم. روى عنه ابنه سلمة قال ابن عبد البر من الناس من يرسل حديثه.

٥٢٨ ـ عبيد بن خالد: هو عبيد بن خالد السلمي البهزي المهاجري، سكن الكوفة. روى عنه جماعة من الكوفيين.

٥٢٩ ـ عتّاب بن أسيد: هو عتاب بن أسيد القرشي الأموي، أسلم يوم الفتح واستعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح يوم خروجه إلى حنين وقبض النبي ﷺ وهو عامل عليها وأقرّه أبو بكر عليها إلى أن مات بها سنة ثلاث عشرة يوم موت أبي بكر، وكان من سادات قريش، خيراً صالحاً. روى عنه عمرو بن أبي عقرب.

(عتاب) بفتح العين وتشديد التاء و(أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين.

٥٣٠ ـ عتبة بن أسيد: هو عتبة بن أسيد يكنى أبا بصير الثقفي حليف لبني زهرة، قديم الاسلام والصحبة، له ذكر في غزوة الحديبية وهو الذي قال النبي ﷺ فيه: ويل امه مسعر حرب لو أن له رجالاً. مات في عهد رسول الله ﷺ.

٥٣١ ـ عتبة بن عبد السلمي: هو عتبة بن عبد السلمي وقال ابن عبد البر[وهو] عتبة بن النُدَّر وقال: قد قيل إنهما اثنان، ومال ابن البر إلى القول الأول، وأما البخاري فانه جعلهما اثنين وكذلك أبو حاتم الرازي، وعتبة هذا اسمه عتلة فسماه النبي ﷺ عتبة شهد خيبر. روى عنه جماعة مات بحمص سنة سبع وثمانين وهو ابن أربع وتسعين، وهو آخر من مات بالشام في قول الواقدي.

٥٣٢ ـ عتبة بن غزوان: هو عتبة بن غزوان المازني، قديم الاسلام هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد بدراً، وقيل أسلم بعد ستة رجال فهو سابع سبعة في الاسلام واستعمله عمر على البصرة ثم قدم على عمر فرده إليها والياً فمات في الطريق سنة خمس عشرة وهو ابن سبع وخمسين سنة روى عنه خالد بن عمير.

٥٣٣ ـ العدّاء بن خالد: هو العداء بن خالد بن هوذة العامري، أسلم بعد الفتح وكان

يسكن البادية وحديثه عند أهل البصرة. روى عنه أبو رجاء وغيره.

(العداء) بفتح العين وتشديد الدال المهملة.

٥٣٤ ـ عدي بن حاتم: هو عدي بن حاتم الطائي، قدم على النبي ﷺ في شعبان سنة سبع ونزل الكوفة وسكنها وفقئت عينه يوم الجمل مع علي بن أبي طالب وشهد صفين والنهروان. ومات بالكوفة سنة سبع وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل مات بـ (قرقيسيا). روى عنه جماعة.

٥٣٥ ـ عدي بن عميرة: هو عدي بن عميرة الكندي الحضرمي، سكن الكوفة ثم انتقل إلى الجزيرة وسكنها ومات بها. روى عنه قيس بن أبي حازم وغيره.

(عميرة) بفتح العين المهملة وكسر الميم وبالراء.

٥٣٦ ـ العرباض بن سارية: هو العرباض بن سارية، يكنى أبا نجيح السلمي، كان من أهل الصفة وسكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين. روى عنه أبو أمامة وجماعة من التابعين.

(نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة.

٥٣٧ ـ عرفجة بن أسعد: هو عرفجة بن أسعد. روى عنه ابنه طرفة وهو الذي أمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفاً من ورق ثم من ذهب، وكان ذهب أنفه يوم الكلاب بضم الكاف.

٥٣٨ ـ عروة بن أبي الجعد: هو عروة بن أبي الجعد البارقي استعمله عمر على قضاء الكوفة ويعد فيهم وحديثه عندهم، وقيل: هو عروة بن الجعد، قال ابن المديني: من قال فيه ابن الجعد فقد أخطأ وإنما هو عروة بن أبي الجعد. روى عنه الشعبي وغيره.

٥٣٩ ـ عروة بن مسعود: هو عروة بن مسعود شهد صلح الحديبية كافراً وقدم على النبي ﷺ سنة تسع بعد عوده من الطائف فأسلم وعنده نسوة عدة، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعاً واستأذنه في الرجوع فرجع فدعا قومه إلى الإسلام فأبوا عليه فلما كان عند الفجر قام على غرفة له في داره فأذن بالصلاة فتشهد فرماه رجل من ثقيف فقتله، فقال رسول الله ﷺ لما بلغه خبره: «مثل عروة مثل صاحب (يس) دعا قومه إلى الله عزّ وجلّ فقتلوه».

٥٤٠ ـ عطية بن قيس: هو عطية بن قيس السعدي له صحبة ورواية. روى عنه أهل اليمن وأهل الشام.

٥٤١ ـ عطية بن بسر: هو عطية بن بسر المازني وهو أخو عبد الله بن بسر، أخرج أبو داود حديثه مقروناً بأخيه عبد الله، فقال عن ابني بسر، ولم يسمهما، وهو في أكل الزبد والتمر في كتاب الطعام. روى عنه مكحول.

٥٤٢ ـ عطية القرظي: هو عطية القرظي من سبي بني قريظة، هكذا يجيء، قال ابن عبد البر لم أقف على اسم أبيه، رأى النبي ﷺ وسمع منه. روى عنه مجاهد وغيره.

٥٤٣ ـ عقبة بن رافع: هو عقبة بن رافع القرشي، استشهد بإفريقية قتله البربر سنة ثلاث وستين. روى عنه جماعة له ذكر في تعبير الرؤيا.

٥٤٤ ـ عقبة بن عامر: هو عقبة بن عامر الجهني، كان والياً على مصر لمعاوية بعد عتبة ابن أبي سفيان ثم عزله ومات بها سنة ثمان وخمسين. روى عنه نفر من الصحابة وخلق كثير من التابعين.

٥٤٥ ـ عقبة بن الحارث: هو عقبة بن الحارث القرشي، أسلم يوم الفتح عداده في أهل مكة. روى عنه عبد الله بن أبي مليكة وغيره.

٥٤٦ ـ عقبة بن عمرو: هو عقبة بن عمرو يكنى أبا مسعود وسنذكره في حرف الميم.

٥٤٧ ـ عكّاشة بن مِحْصَن: هو عكاشة بن محصن الأسدي حليف بني أمية، شهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً والمشاهد بعدها وانكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي ﷺ عوداً أو عرجوناً فصار في يده سيفاً، وكان من فضلاء الصحابة. مات في خلافة الصديق وله خمس وأربعون سنة. روى عنه أبو هريرة وابن عباس وأخته أم قيس.

(عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وتخفيفها والتشديد أكثر وبالشين المعجمة.

(محصن) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الصاد المهملة وبالنون.

٥٤٨ ـ عكرمة بن أبي جهل: هو عكرمة بن أبي جهل واسم أبي جهل عروة بن هشام المخزومي القرشي، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ هو وأبوه، وكان فارساً مشهوراً وهرب يوم الفتح فلحق باليمن فلحقت به امرأته أم حكيم بنت الحارث، فأتت به النبي ﷺ فلما رآه قال: مرحباً بالراكب المهاجر فأسلم بعد الفتح سنة ثمان وحسن إسلامه، وقتل يوم اليرموك سنة ثلاث عشرة وله اثنتان وستون سنة، قالت أم سلمة عن رسول الله ﷺ: رأيت لأبي جهل عذقاً في الجنة فلما أسلم عكرمة قال: يا أم سلمة هذا هو قالت: وشكى عكرمة إلى رسول الله ﷺ إنه إذا مرّ بالمدينة قالوا هذا ابن عدو الله أبي جهل فقام رسول الله ﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

٥٤٩ ـ العلاء الحضرمي: هو العلاء الحضرني واسم الحضرمي عبد الله من حضرموت كان عاملاً للنبي ﷺ على البحرين، وأقرّه أبو بكر وعمر عليها، إلى أن مات العلاء سنة أربع عشرة. روى عنه السائب بن يزيد وغيره.

٥٥٠ ـ علقمة بن وقاص: هو علقمة بن وقاص الليثي، ولد على عهد رسول الله ﷺ وشهد الخندق، ومات في أيام عبد الملك بن مروان بالمدينة. روى عنه ابنه عمرو ومحمد بن إبراهيم التيمي.

٥٥١ ـ عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر العنسي مولى بني مخزوم وحليفهم، وذلك أن ياسراً والد عمار قدم مكة مع أخوين له، يقال لهما: الحارث ومالك في طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن، وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة فزوّجه أبو حذيفة أمة له، يقال لها: سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة. فعمّار مولى وأبوه حليف أسلم عمار قديماً، وكان من المستضعفين الذين عذّبوا بمكة ليرجعوا عن الإسلام وأحرقه المشركون بالنار، وكان رسول الله ﷺ يمر به، فيمر يده عليه ويقول: يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم، وهو من المهاجرين الأولين شهد بدراً والمشاهد كلها،

وأبلى فيها وسمّاه النبي ﷺ الطيّب المطيّب قتل بصفين، وكان مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة. روى عنه جماعة منهم علي وابن عباس.

٥٥٢ ـ عمرو بن الأحوص: هو عمرو بن الأحوص الكلابي. روى عنه ابنه سليمان.

٥٥٣ ـ عمرو بن الأخطب: هو عمرو بن الأخطب الأنصاري، واشتهر بكنيته أبي زيد، غزا مع النبي ﷺ غزوات، ومسح رأسه ودعا له بالجمال، فيقال: إنه بلغ مائة سنة ونيفاً وما في رأسه ولحيته إلاّ نبذ من شعر أبيض عداده في أهل البصرة. روى عنه جماعة.

٥٥٤ ـ عمرو بن أمية: هو عمرو بن أمية الضمري بفتح الضاد وسكون الميم وشهد بدراً وأحداً مع المشركين، ثم أسلم حين انصرف المسلمون من أُحُد، وكان من رجال العرب، وأول مشهد شهده مع المسلمين يوم بئر معونة فأسره عامر بن الطفيل، ثم أطلقه بعد أن جز ناصيته، بعثه النبي ﷺ في سنة ست إلى النجاشي بالحبشة، فقدم على النجاشي بكتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأسلم النجاشي، عداده في أهل الحجاز. روى عنه ابناه جعفر وعبد الله، وابن أخيه الزبرقان بن عبد الله، مات في أيام معاوية بالمدينة، وقيل: سنة ستين.

(الزبرقان) بكسر الزاي المعجمة وسكون الباء الوحدة وكسر الراء المهملة وبالقاف.

٥٥٥ ـ عمرو بن الحارث: هو عمرو بن الحارث الخزاعي أخو جويرية زوج النبي ﷺ، عداده في أهل الكوفة. روى عنه أبو وائل شقيق بن سلمة وأبو إسحاق السبيعي.

٥٥٦ ـ عمرو بن حريث: هو عمرو بن حريث القرشي المخزومي رأى النبي ﷺ وسمع منه ومسح رأسه ودعا له بالبركة، وقيل: قبض النبي ﷺ، وله اثنتا عشرة سنة نزل الكوفة وسكنها، وولي إمارة الكوفة، ومات بها سنة خمس وثمانين. روى عنه ابنه جعفر وغيره.

٥٥٧ ـ عمرو بن حزم: هو عمرو بن حزم يكنى أبا الضحاك الأنصاري أول مشاهده الخندق، وله خمس عشرة سنة استعمله النبي ﷺ على نجران سنة عشر. مات سنة ثلاث وخمسين بالمدينة. روى عنه ابنه محمد وغيره.

٥٥٨ ـ عمرو بن سعيد: هو عمرو بن سعيد القرشي هاجر الهجرتين إلى الحبشة في المرة الثانية، ثم نزل إلى المدينة، وقدم مع جعفر بن أبي طالب سنة خيبر، قتل بالشام شهيداً سنة ثلاث عشرة.

٥٥٩ ـ عمرو بن سلمة: هو عمرو بن سلمة الجرمي أدرك زمن النبي ﷺ، وكان يؤم قومه على عهد النبي ﷺ لأنه كان أقرأهم للقرآن، وقيل: إنه قدم على عهد رسول الله ﷺ مع أبيه، ولم يختلف أحد في قدوم أبيه على رسول الله ﷺ نزل عمرو البصرة روى عنه نفر من التابعين.

٥٦٠ ـ عمرو بن العاص: هو عمرو بن العاص السهمي القرشي، أسلم سنة خمس من الهجرة، وقيل: سنة ثمان قدم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة فأسلموا جميعاً، وولاّه النبي ﷺ على عمان، فلم يزل عاملاً له عليها حتى قبض النبي ﷺ وعمل لعمر، وعثمان ومعاوية، وهو افتتح مصر لعمر، ولم يزل عاملاً له عليها إلى آخر وفاته، وأقرّه عثمان عليها نحواً من أربع سنين، وعزله ثم أمره عليها معاوية لما صار الأمر إليه. فمات بها سنة ثلاث

وأربعين، وله تسعون سنة، وولي مصر بعده ابنه عبد الله، ثم عزله معاوية. روى عنه ابنه عبد الله وابن عمر وقيس بن أبي حازم.

٥٦١ ـ عمرو بن عَبَسة: هو عمرو بن عبسة كنيته أبو نجيح السلمي أسلم قديماً في أول الإسلام، قيل: كان رابع أربعة في الإسلام، ورجع إلى قومه بني سليم، قال له النبي ﷺ: «إذا سمعت أني قد خرجت فاتبعني» فلم يزل مقيماً بقومه حتى انقضت خيبر، فقدم بعد ذلك على النبي ﷺ، وأقام بالمدينة، وعداده في الشاميين. روى عنه جماعة.

(عبسة) بفتح العين والباء الموحدة وبالسين المهملة و(نجيح) بفتح النون وكسر الجيم وبالحاء المهملة.

٥٦٢ ـ عمرو بن عوف: هو عمرو بن عوف الأنصاري شهد بدراً، وقال ابن إسحاق: هو مولى سهيل بن عمرو العامري سكن المدينة، ولا عقب له. روى عنه المسور بن مخرمة.

٥٦٣ ـ عمرو بن عوف المزني: كان قديم الإسلام وهو ممن نزلت فيه: ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع﴾ سكن المدينة ومات بها في آخر أيام معاوية. روى عنه ابنه عبد الله.

٥٦٤ ـ عمرو بن الحمق: هو عمرو بن الحمق الخزاعي له صحبة. روى عنه جبير بن نفير ورفاعة بن شداد وغيرهما، قتل بالموصل سنة إحدى وخمسين.

٥٦٥ ـ عمرو بن مرة: هو عمرو بن مرة يكنى أبا مريم الجهني، وقيل شهد أكثر المشاهد، وسكن الشام ومات في أيام معاوية. روى عنه جماعة.

٥٦٦ ـ عمرو بن قيس: هو عمرو بن قيس، وقيل: عبد الله بن عمرو القرشي الأعمى وهو ابن أم مكتوم، واسم أم مكتوم عاتكة وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أسلم قديماً بمكة، كان من المهاجرين الأولين مع مصعب بن عمير استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة مرات آخرها حجة الوداع، مات بالمدينة، وقيل: استشهد.

٥٦٧ ـ عمرو بن تغلب: هو عمرو بن تغلب العبدي من عبد القيس. روى عنه الحسن البصري وغيره.

(تغلب) بالتاء فوقها نقطتان وبالغين المعجمة.

٥٦٨ ـ عكراش بن ذؤيب: هو عكراش بن ذؤيب التميمي يعد في البصريين. روى عنه ابنه عبيد الله، وكان قدم على النبي ﷺ بصدقات قومه.

(عكراش) بكسر العين وسكون الكاف وبالراء وبالشين المعجمة.

٥٦٩ ـ عمران بن حصين: هو عمران بن حصين يكنى أبا نجيد الخزاعي. أسلم عام خيبر، سكن البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين، وكان من الصحابة وفقهائهم، أسلم هو وأبوه. روى عنه أبو رجاء ومطرف وزرارة بن أبي.

(نجيد) بضم النون وفتح الجيم وسكون الياء وبالدال المهملة.

٥٧٠ ـ عمير مولى آبي اللحم: هو عمير مولى آبي اللحم الغفاري حجازي خيبر مع مولاه. روى عنه جماعة وسمع النبي ﷺ وحفظ عنه.

(آبى اللحم) بفتح الهمزة وبعدها ألف ساكن وباء موحدة مكسورة.

٥٧١ ـ عمير بن الحُمام: هو عمير بن الحمام الأنصاري شهد بدراً، وقتل بها شهيداً قتله خالد بن الأعلم، وله ذكر في «كتاب الجهاد» وقيل: إن عميراً أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام.

٥٧٢ ـ عوف بن مالك: هو عوف بن مالك الأشجعي أول مشاهده خيبر، وكان معه راية أشجع يوم الفتح سكن الشام ومات بها سنة ثلاث وسبعين. روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين.

٥٧٣ ـ عويم بن ساعدة: هو عويم بن ساعدة الأنصاري الأوسي شهد العقبتين وبدراً والمشاهد كلها ومات في حياة رسول الله ﷺ، وقيل: لا بل مات في خلافة عمر بالمدينة. وهو ابن خمس أو ست وستين سنة. روى عنه عمر بن الخطاب.

٥٧٤ ـ عويمر بن عامر: هو عويمر بن عامر أبو الدرداء اشتهر بكنيته، وقد تقدم ذكره في حرف الدال.

٥٧٥ ـ عويمر بن أبيض: هو عويمر بن أبيض العجلاني الأنصاري حليف لهم صاحب اللعان، وقال الطبري: عويمر صاحب اللعان، هو عويمر بن الحارث بن زيد بن الحارثة بن الجد بن العجلان.

٥٧٦ ـ عياض بن حمار: هو عياض بن حمار المجاشعي. يعد في البصريين، وكان صديقاً لرسول الله ﷺ قديماً. روى عنه جماعة.

٥٧٧ ـ عصام المزني: هو عصام المزني له صحبة ورواية، وهو قليل الحديث حديثه في الجهاد، وأخرجه الترمذي وأبو داود، ولم ينسباه.

٥٧٨ ـ عتبان بن مالك: هو عتبان بن مالك الخزرجي السالمي بدري. روى عنه أنس ومحمود بن الربيع. مات زمن معاوية.

٥٧٩ ـ عمارة بن خزيمة: هو عمارة بن خزيمة بن ثابت الأنصاري. روى عن أبيه وغيره وعنه جماعة.

(عمارة) بضم العين وتخفيف الميم وفي صحبته تردد.

٥٨٠ ـ عمارة بن رويبة: هو عمارة بن رويبة الثقفي عداده في الكوفيين. روى عنه أبو بكر وغيره.

(عمارة) بضم العين وتخفيف الميم.

٥٨١ ـ عرس بن عميرة: هو عرس بن عميرة الكندي. روى عنه عدي ابن أخيه وغيره.

(عرس) بضم العين وسكون الراء وبالسين المهملة.

٥٨٢ ـ عياش بن أبي ربيعة: هو عياش بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، وهو أخو أبي جهل لأمه. أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم هاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة هو وعمر بن الخطاب فقدم عليه أبو جهل والحارث ابنا هشام فذكرا له: أن أمه حلفت

أن لا تدخل رأسها دهناً ولا تستظل حتى تراه، فرجع معهما فأوثقاه رباطاً وحبساه بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له في القنوت: «اللهم... الخ...».

٥٨٣ ـ عياش بن أبي ربيعة: قتل يوم اليرموك بالشام. روى عنه عمر بن الخطاب وغيره.

(عياش) بتشديد الياء تحتها نقطتان وبالشين المعجمة.

٥٨٤ ـ عابس بن ربيعة: هو عابس بن ربيعة الغطيفي شهد فتح مصر. روى عنه ابنه عبد الرحمن.

٥٨٥ ـ أبو عبيدة بن الجراح: هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي أحد العشرة المبشرة بالجنة، وأمين هذه الأمة، أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ، وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي ﷺ يوم أُحد من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه، كان طوالاً معروق الوجه خفيف اللحية مات في طاعون عمواس بفتح العين بالأردن سنة ثماني عشرة ودفن ببيسان وصلّى عليه معاذ بن جبل وهو ابن ثمان وخمسين سنة يلقى أباه النبي ﷺ في فهر بن مالك روى عنه جماعة من الصحابة.

٥٨٦ ـ أبو العاص بن الربيع: هو أبو العاص بن الربيع مقسم بن الربيع، وقيل: اسمه لقيط وهو ختن النبي ﷺ زوج ابنته زينب هاجر إلى النبي ﷺ بعد أن كان أُسر يوم بدر كافراً، وكان مؤاخياً لرسول الله ﷺ مصافياً، قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. روى عنه ابن عباس وابن عمر وابن العاص.

مقسم، بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين.

٥٨٧ ـ أبو عياش: هو أبو عياش زيد بن الصامت الأنصاري الزرقي روى عنه جماعة مات بعد الأربعين من الهجرة.

٥٨٨ ـ أبو عمرو بن حفص: هو أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي اسمه عبد الحميد وقيل: أحمد، وقيل: بل اسمه كنيته، وقد جاء في بعض الروايات أبو حفص بن المغيرة.

٥٨٩ ـ أبو عبس عبد الرحمن بن جبير: هو أبو عبس عبد الرحمن بن جبير الأنصاري الحارثي غلبت عليه كنيته شهد بدراً ومات بالمدينة سنة أربع وثلاثين، ودفن بالبقيع وله سبعون سنة. روى عنه عباية بن رافع بن خديج.

(عبس) بفتح العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة وبالسين المهملة.

و(عباية) بفتح العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة وبالياء تحتها نقطتان.

٥٩٠ ـ أبو عسيب: هو أبو عسيب مولى رسول الله ﷺ، واسمه أحمر. روى عنه مسلم ابن عبيد.

(عسيب) بفتح العين وكسر السين المهملتين.

فصل في التابعين

٥٩١ ـ عبد الله بن بريدة: هو عبد الله بن بريدة الأسلمي قاضي مرو تابعي من مشاهير التابعين وثقاتهم سمع أباه وغيره من الصحابة. روى عنه ابن سهل وغيره. مات بمرو وله حديث كثير.

٥٩٢ ـ عبد الله بن أبي بكر: هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني أحد أعلام المدينة تابعي. روى عن أنس بن مالك وعروة بن الزبير، وعنه الزهري ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة، كان كثير الحديث رجل صدق، قال أحمد: حديثه شفاء، توفي سنة خمس وثلاثين ومائة وله سبعون سنة.

٥٩٣ ـ عبد الله بن الزبير: هو عبد الله بن الزبير يكنى أبا بكر الحميدي القرشي الأسدي، كان من أثبت الناس. روى عن مسلم بن خالد ووكيع والشافعي ورحل معه إلى مصر حتى مات الشافعي ورجع إلى مكة. روى عنه البخاري محمد بن إسماعيل كثيراً في «صحيحه»، ومات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين، قال يعقوب بن سفيان: ما رأيت أنصح للإسلام وأهله من الحميدي.

٥٩٤ ـ عبد الله بن مطيع: هو عبد الله بن مطيع القرشي العدوي من أهل المدينة يقال: ولد على عهد رسول الله ﷺ وذهب به أبوه إليه، وكان اسم أبيه العاص فسمّاه النبي ﷺ مطيعاً، وكان عبد الله من سادات قريش وهو الذي أمرّه أهل المدينة عليهم حين خلعوا يزيد بن معاوية، وقال الواقدي إنما تأمر على قريش دون غيرهم، والذي تأمر على غيرهم هو عبد الله ابن حنظلة الغسيل سمع أباه وروى عنه الشعبي وغيره، وقتل مع عبد الله ابن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين، وكان ابن الزبير استعمله على الكوفة فأخرجه منها المختار بن أبي عبيد.

٥٩٥ ـ عبد الله بن مسلمة: هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب التميمي المدني، ويعرف بالقعنبي، سكن البصرة وكان أحد الثقات الأثبات المأمونين، وهو صاحب مالك ابن أنس، وهو مشهور بصحبته سمع هشام بن سعد وغيره من الأئمة. روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. مات بمكة في المحرّم سنة إحدى وعشرين ومائتين.

٥٩٦ ـ عبد الله بن موهب: هو عبد الله بن موهب الفلسطيني الشامي كان قاضي فلسطين. روى عن تميم الداري وسمع قبيصة بن ذؤيب، وقيل: لم يسمع تميماً، وإنما سمع قبيصة بن تميم. روى عنه عمر بن عبد العزيز.

٥٩٧ ـ عبد الله بن المبارك: هو عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة سمع هشام بن عروة ومالكاً والثوري وشعبة والأوزاعي وخلقاً كثيراً سواهم. روى عنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد ويحيى بن معين وغيرهم، كان من الربانيين إماماً فقيهاً حافظاً زاهداً ورعاً جواداً ثقة ثبتاً. قال إسماعيل بن عياش: ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلم أن الله تعالى ما خلق خصلة من خصال الخير إلاّ جعلها في عبد الله بن المبارك، قدم بغداد غير مرة وحدّث بها، ولد سنة ثماني عشرة ومائة ومات سنة إحدى وثمانين ومائة.

٥٩٨ ـ عبد الله بن عكيم: هو عبد الله بن عكيم الجهني أدرك زمن النبي ﷺ ولا يعرف

له رؤية ولا رواية، وقد خرّجه غير واحد من أصحاب المعارف في عداد الصحابة والصحيح أنه تابعي سمع عمر، وابن مسعود حذيفة. روى عنه جماعة وحديثه في الكوفيين.

٥٩٩ ـ عبد الله بن أبي قيس: هو عبد الله بن أبي قيس يكنى أبا الأسود الشامي مولى عطية بن عازب في الشاميين. روى عن عائشة وعنه نفر.

٦٠٠ ـ عبد الله بن عصم: ويقال: عبد الله بن عصمة كوفي حنفي. روى عن أبي سعيد وابن عمر وعنه إسرائيل وشريك حديثه في ثقيف كذاب ومبير.

٦٠١ ـ عبد الله بن محيريز: هو عبد الله بن محيريز الجمحي القرشي، كان من خيار عباد الله الصالحين وأحد الأعلام التابعين. روى عن أبي محذورة وعبادة بن الصامت وغيرهما وعنه مكحول والزهري قال رجاء بن حيوة إن فخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر فأنا نفخر بعابدنا ابن محيريز. مات قبل المائة.

٦٠٢ ـ عبد الله بن المثنى: هو عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك. روى عن عمومه والحسن، وعنه ابنه محمد ومسدد وغيرهما. قال أبو حاتم: صالح وقال أبو داود: لا أخرج حديثه.

٦٠٣ ـ عبد الله بن عمر بن حفص: هو عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العمري. روى عن أخيه عبيد الله ونافع والمقبري، وعنه القعنبي وغيره. قال ابن معين: صويلح وقال ابن عدي: لا بأس به صدوق. مات سنة إحدى وسبعين ومائة.

٦٠٤ ـ عبد الله بن عتبة: هو عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ابن أخي عبد الله ابن مسعود، مدني الأصل سكن الكوفة، أدرك زمن النبي ﷺ، وهو من كبار التابعين بالكوفة، سمع عمر بن الخطاب وغيره. روى عنه ابنه عبيد الله ومحمد بن سيرين وغيرهما. مات في ولاية بشر بن مروان بالكوفة.

٦٠٥ ـ عبد الله بن مالك بن بحينة: هو عبد الله بن مالك بن القشب الأزدي، وأمه بحينة بنت الحارث بن المطلب. مات في ولاية معاوية ما بين سنة أربع وخسين أو ثمان وخمسين.

(القشب) بكسر القاف وسكون الشين المعجمة وبالباء الموحدة.

٦٠٦ ـ عبد الله بن مالك: هو عبد الله بن مالك يكنى أبا تميم الجيشاني، سمع عمر وأبا ذر وغيرهما، يعد في تابعي المصريين وحديثه عند أهل مصر.

٦٠٧ ـ عبد الله بن مالك: هو عبد الله بن مالك الهمداني. روى عن علي وابن عمر وعائشة، وعنه أبو إسحاق وأبو روق حديثه في الجمع بين الصلاتين.

٦٠٨ ـ عبد الله بن عبد الرحمن: هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي القرشي، تابعي، روى عن أبي الطفيل وسمع نفراً من التابعين. روى عنه مالك والثوري وابن عيينة.

٦٠٩ ـ عبد الله بن عبيد الله: هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة واسم أبي مليكة زهير ابن عبد الله التميمي القرشي الأحول من مشاهير التابعين وعلمائهم وكان قاضياً على عهد عبد

الله بن الزبير، سمع ابن عباس وابن الزبير وعائشة. روى عنه ابن جريج وخلق كثير سواه. مات سنة سبع عشرة ومائة.

(مليكة) بضم الميم وفتح اللام.

٦١٠ ـ عبد الله بن شقيق: هو عبد الله بن شقيق، يكنى أبا عبد الرحمن العقيلي البصري وهو من مشاهير التابعين وثقاتهم. سمع عثمان وعلياً وعائشة. روى عنه الجريري.

٦١١ ـ عبد الله بن شهاب: هو عبد الله بن شهاب يكنى أبا الجزل الخولاني. يعد في الطبقة الثانية من التابعين، وحديثه في الكوفيين، عزيز الحديث. روى عن ابن عمر وعائشة وعنه جماعة.

٦١٢ ـ عبيد الله بن رفاعة: هو عبيد الله بن رفاعة بن رافع الأنصاري الزرقاني، تابعي مشهور. روى عن أبيه وأسماء بنت عميس وعنه جماعة.

٦١٣ ـ عبيد الله بن عبد الله: هو عبيد الله بن عبد الله بن عمر، يكنى أبا بكر، سمع من أهل المدينة، تابعي. روى عنه الزهري ونفر من أعلام التابعين. مات قبل أخيه سالم وهو ثبت ثقة، حديثه في الحجازيين.

٦١٤ ـ عبيد الله بن عدي: هو عبيد الله بن عدي بن الخيار القرشي يقال إنه ولد على عهد رسول الله ﷺ ويعد في التابعين. روى عن عمر وعثمان وغيرهما مات في زمن الوليد ابن عبد الملك.

٦١٥ ـ عبيد بن عمير: هو عبيد بن عمير يكنى أبا عاصم الليثي الحجازي قاضي أهل مكة ولد في زمن رسول الله ﷺ ويقال رآه، وهو معدود في كبار التابعين، سمع عمر، وأبا ذر وعبد الله بن عمرو بن العاص وعائشة. روى عنه نفر من التابعين. ومات قبل ابن عمر.

٦١٦ ـ عبد الرحمن بن كعب: هو عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري، يعد في تابعي المدينة. روى عنه الزهري.

٦١٧ ـ عبد الرحمن بن الأسود: هو عبد الرحمن بن الأسود القرشي الزهري الحجازي، تابعي مشهور من تابعي المدينة وثقاتهم عزيز الحديث. روى عن جماعة من الصحابة، وعنه سليمان بن يسار وغيره.

٦١٨ ـ عبد الرحمن بن يزيد: هو عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة الأنصاري المدني، يقال ولد على عهد رسول الله ﷺ، حديثه عند أهل المدينة. مات سنة ثمان وتسعين.

٦١٩ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى: هو عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، ولد لست سنين بقيت من خلافة عمر وقتل بدجيل وقيل غرق بنهر البصرة وقيل فقد بدير الجماجم سنة ثلاث وثمانين في واقعة ابن الأشعث، حديثه في الكوفيين، سمع أباه وخلقاً كثيراً من الصحابة وعنه الشعبي ومجاهد وابن سيرين وخلق كثير سواهم وهو في الطبقة الأولى من تابعي الكوفيين.

٦٢٠ ـ عبد الرحمن بن غَنْم: هو عبد الرحمن بن غنم الأشعري الشامي أدرك الجاهلية

والإسلام وأسلم على عهد رسول الله ﷺ ولم يره ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه النبي ﷺ إلى اليمن إلى أن مات معاذ، وكان أفقه أهل الشام روى عن قدماء الصحابة مثل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل. مات سنة ثمان وسبعين.

(غنم) بفتح الغين المعجمة وسكون النون.

٦٢١ ـ عبد الرحمن بن أبي عمرة: هو عبد الرحمن بن أبي عمرة واسم أبي عمرة عمرو ابن محصن الأنصاري البخاري قاضي المدينة من ثقات التابعين ومشهوري الحديث عندهم. روى عن أبيه وعثمان وأبي هريرة وعنه جماعة.

٦٢٢ ـ عبد الرحمن بن عبد الله: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة المازني الأنصاري. روى عن أبيه عطاء بن يسار وعنه جماعة مالك بن أنس وغيره حديثه في المدنيين. مات سنة تسع وثلاثين ومائة.

٦٢٣ ـ عبد الرحمن بن أبي عقبة: هو عبد الرحمن بن أبي عقبة مولى بن جبير بن عتيك الأنصاري، وقيل أن اسم أبي عقبة رشيد بضم الراء وفتح الشين المعجمة وهو صحابي من أبناء فارس، وعبد الرحمن، تابعي. روى عن أبيه وعنه داود بن الحصين.

٦٢٤ ـ عبد الرحمن بن عبد القاري: هو عبد الرحمن بن عبد القاري، يقال إنه ولد على عهد رسول الله ﷺ وليس له منه سماع ولا رواية وعده الواقدي من الصحابة فيمن ولد على عهد النبي ﷺ، والمشهور أنه تابعي وهو من جملة تابعي المدينة وعلمائها سمع عمر بن الخطاب مات سنة إحدى وثمانين وله ثمان وسبعون سنة.

(القاري) بفتح القاف والراء وتشديد الياء بغير همزة.

٦٢٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الله: هو عبد الرحمن بن عبد الله وأمه أم الحكم بنت أبي سفيان بن حرب استعمله معاوية أميراً على الكوفة له ذكر في الخطبة يوم الجمعة.

٦٢٦ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر: هو عبد الرحمن بن أبي بكر تابعي. روى عنه ابنه محمد.

٦٢٧ ـ عبد الرحمن بن أبي بكرة: هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الأنصاري البصري الثقفي، ولد بالبصرة سنة أربع عشرة حيث نزلها المسلمون وهو أول مولود ولد للمسلمين بها، تابعي كثير الحديث، سمع أباه وعلياً وروى عنه جماعة.

٦٢٨ ـ عبد الرحمن بن عبد الله: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار المكي. روى عنه جابر وسمع معاذاً. وروى عنه جماعة.

٦٢٩ ـ عبد الرحمن بن زيد: هو بد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني. روى عن أبيه وابن المنكدر، وعنه قتيبة وهشام وغيرهما، ضعفوه. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة.

٦٣٠ ـ عبد العزيز بن رفيع: هو عبد العزيز بن رفيع الأسدي المكي، سكن الكوفة وهو من مشاهير التابعين وثقاتهم، سمع ابن عباس وأنس بن مالك، وأتى عليه نيف وتسعون سنة.

(رفيع) تصغير رفع.

٦٣١ ـ عبد العزيز بن جريج: هو عبد العزيز بن جريج المكي. روى عن عائشة وابن عباس وعنه ابنه الفقيه عبد الملك وخصيف.

٦٣٢ ـ عبد العزيز بن عبد الله: هو عبد العزيز بن عبد الله أحد فقهاء المدنيين وأعلامهم سمع الزهري ومحمد بن المنكدر وحميد الطويل وخلقاً سواهم. روى عنه جماعة كثيرة قدم بغداد وحدث بها سنة أربع وستين ومائة ببغداد، ودفن في مقابر قريش.

٦٣٣ ـ عبد الملك بن عمير: هو عبد الملك بن عمير الفرسي الكوفي منسوب إلى الفرس ومن لا يدري يقول (القرشي) نسبة إلى (قريش) وليس كذلك إنما هو منسوب إلى فرسه. كان على قضاء الكوفة بعد الشعبي وهو من مشاهير التابعين وثقاتهم ومن كبار أهل الكوفة. روى عن جندب بن عبد البر وجابر بن سمرة، وعنه الثوري وشعبة. مات سنة ست وثلاثين ومائة أو نحوها وهو ابن مائة سنة وثلاث سنين.

٦٣٤ ـ عبد الواحد بن أيمن: هو عبد الواحد بن أيمن المخزومي والد القاسم بن عبد الواحد سمع أباه وغيره من التابعين ومنه جماعة.

٦٣٥ ـ عبد الرزاق بن همام: هو عبد الرزاق بن همام يكنى أبا بكر، أحد الأعلام. روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما، وعنه أحمد وإسحاق والرمادي وصنّف الكتب. مات سنة إحدى عشرة ومائتين وله خمس وثمانون سنة.

٦٣٦ ـ عبد الحميد بن جبير: هو عبد الحميد بن جبير الحجبي. روى عن عمته صفية وابن المسيب، وعنه ابن جريج وابن عيينة.

٦٣٧ ـ عبد المهيمن بن عباس: هو عبد المهيمن بن عباس بن سهل الساعدي. روى عن أبيه وأبي حازم، وعنه أبو مصعب ويعقوب بن حميد بن كاسب، وله ذكر في «باب الحذر والتأني».

٦٣٨ ـ عبد الأعلى: هو عبد الأعلى بن مسهر أبو مسهر الغساني شيخ الشام. روى عن سعيد بن عبد العزيز ومالك، وعنه ابن معين وأبو حاتم وابن الراس، وكان من أحفظ الناس وأجلهم وأفصحهم جرّد للقتل على أن يقول بخلق القرآن فأبى فسجن. مات في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين.

٦٣٩ ـ عبد المنعم: هو عبد المنعم بن نعيم الأسواري. روى عن الجريري وجماعة وعنه يونس المؤدب ومحمد بن أبي بكر المقدمي.

٦٤٠ ـ عبد خير بن يزيد: هو عبد خير بن يزيد، يكنى أبا عمارة الهمداني، يقال إنه أدرك زمن النبي ﷺ إلاّ أنه لم يلقه وصحب علياً وهو من أصحابه، ثقة مأمون سكن الكوفة أتى عليه مائة وعشرون سنة.

(خير) ضد (شر).

٦٤١ ـ عمران بن حطّان: هو عمران بن حطان الدوسي الخارجي، سمع عائشة وابن عمر وابن عباس وأبا ذر. وروى عنه محمد بن سيرين ويحيى بن [أبي] كثير وغيرهما.

(حطان) بكسر الحاء المهملة وتشديد الطاء المهملة وبالنون.

٦٤٢ ـ عمرو بن شعيب: هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي، سمع أباه وابن المسيب وطاؤساً. روى عنه الزهري وابن جريج وعطاء وخلق كثير سواهم، ولم يخرج البخاري ومسلم عنه في صحيحيهما حديثاً لأنه يروي أحاديثه عن أبيه عن جده هكذا وقد يحذف فيه، فإن كان يريد بقوله عن أبيه عن جده أبا نفسه وجده، فيكون قد روى عن شعيب عن محمد جده أن رسول الله ﷺ قال كذا، وهذا مرسل لأن محمداً جده لم يلق النبي ﷺ ولم يدركه وإن كان يريد بقوله عن أبيه عن جده أبا نفسه وهو شعيب وجد شعيب الذي هو عبد الله فيكون قد ذهب إلى أن شعياً روى عن جده عبد الله وشعيب لم يدرك جده عبد الله فلهذه العلة لم يخرجا حديثه في صحيحيهما وقيل إن شعيباً أدرك جده عبد الله.

٦٤٣ ـ عمرو بن سعيد: هو عمرو بن سعيد مولى ثقيف، بصري. روى عن أنس وأبي العالية وغيرهما، وعنه ابن عون وجرير بن حازم وجده عمر.

٦٤٤ ـ عمرو بن عثمان: هو عمرو بن عثمان بن عفان سمع أسامة بن زيد وأباه عثمان، له ذكر في حديث البكاء على الميت. روى عنه مالك بن أنس.

٦٤٥ ـ عمرو بن الشريد: هو عمرو بن الشريد الثقفي، تابعي عداده في أهل الطائف سمع ابن عباس وأباه وأبا رافع مولى رسول الله ﷺ روى عنه صالح بن دينار وإبراهيم ابن ميسرة.

٦٤٦ ـ عمرو بن ميمون: هو عمرو بن ميمون الأودي، أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ ولم يلقه، وهو معدود في كبار التابعين من أهل الكوفة. روى عن عمر ابن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود سمع منه [أبو] إسحاق مات سنة أربع وسبعين.

٦٤٧ ـ عمرو بن عبد الله: هو عمرو بن عبد الله السبيعي، كنيته أبو إسحاق تقدّم ذكره في حرف الهمزة.

٦٤٨ ـ عمرو بن عبد الله: هو عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي القرشي. روى عن يزيد بن شيبان، وعنه عمرو بن دينار وغيره.

٦٤٩ ـ عمرو بن دينار: هو عمرو بن دينار يكنى أبا يحيى. روى عن سالم بن عبد الله وغيره وعنه الحمادان ومعتمر وعدة ضعفوه.

٦٥٠ ـ عمرو بن واقد: هو عمرو بن واقد الدمشقي. روى عن يونس بن ميسرة وعدة، وعنه النفيلي وهشام بن عمار تركوه.

٦٥١ ـ عمرو بن مالك: هو عمرو بن مالك يكنى أبا ثمامة، جاهلي له ذكر في حديث الكسوف وفي باب الغضب عن جابر، أخرجه مسلم وذكر أنه الذي رآه النبي ﷺ يجر قصبة في النار هكذا جاء في الرواية والمعروف في باقي الروايات أنه عمرو بن لحي ولحي هو ربيعة بن حارثة وعمرو هو أبو خزاعة.

٦٥٢ ـ عمر بن عبد العزيز: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، يكنى أبا

حفص الأموي القرشي، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلى. روى عن أبي بكر بن عبد الرحمن، وعنه الزهري وأبو بكر بن حزم، ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين ومات سنة إحدى ومائة في رجب (بدير سمعان) من أرض حمص، وكانت مدة ولايته سنتين وخمسة أشهر وأياماً وله من العمر أربعون سنة قبل ولم يستكملها، وكان على صفة من العبادة والزهد والتقى والعفة وحسن السيرة لا سيما أيام ولايته.

قيل: لما أفضت إليه الخلافة سمعوا في منزله بكاءً عالياً فسألوا عن ذلك فقالوا: إن عمر خيَّر جواريه، فقال: نزل بي ما شغلني عنكن فمن أحب أن أعتقه أعتقته ومن أحب أن أمسكه أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء فبكين. وسأل عقبة بن نافع زوجته فاطمة بنت عبد الملك فقال: ألا تخبريني عن عمر؟ فقالت ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه. وقالت: قد يكون من الرجال من هو أكثر صياماً وصلاة من عمر، ولكني لم أر من الناس أحداً قط أشد خوفاً من ربه [من عمر] كان إذا دخل البيت ألقى نفسه في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلة أجمع، وقال وهب بن منبه إن كان في هذه الأمة مهدي فهو عمر بن عبد العزيز ومناقبه كثيرة ظاهرة.

٦٥٣ ـ عمر بن عطاء: هو عمر بن عطاء بن [أبي] الخوار المكي، يعد في التابعين، حديثه في المكيين، مشهور الرواية عن ابن عباس وروى عن السائب بن يزيد ونافع بن جبير وسمع منه ابن جريج وغيره وهو كثير الحديث.

(الخوار) بضم الخاء المعجمة وبفتح الواو وبالراء.

٦٥٤ ـ عمر بن عبد الله: هو عمر بن عبد الله بن أبي خثعم. روى عن يحيى ابن أبي كثير، وعنه زيد بن الحباب وجماعة قال البخاري: ذاهب الحديث.

٦٥٥ ـ عثمان بن عبد الله: هو عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي. روى عن جده وعمه عمرو، وعنه إبراهيم بن ميسرة ومحمد بن سعيد وجماعة.

٦٥٦ ـ عثمان بن عبد الله: هو عثمان بن عبد الله بن موهب التيمي. روى عن أبي هريرة وابن عمر وغيرهما، وعنه شعبة وأبو عوانة.

٦٥٧ ـ علي بن عبد الله: هو علي بن عبد الله بن جعفر المعروف بابن المديني بفتح الميم وكسر الدال الحافظ. روى عن أبيه وحماد وغيرهما، وعنه البخاري وأبو يعلى وأبو داود قال شيخه ابن مهدي علي بن المديني: أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ وقال النسائي: كأن الله خلقه لهذا الشأن، مات في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين، وله ثلاث وسبعون سنة.

٦٥٨ ـ علي بن الحسين: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا الحسن المعروف بزين العابدين من أكابر سادات أهل البيت ومن أجلّة التابعين وأعلامهم قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين مات سنة أربع وتسعين وهو ابن ثمان وخمسين سنة، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه عمه الحسن بن علي.

٦٥٩ ـ علي بن المنذر: هو علي بن المنذر الكوفي عرف بالطَّريقي كان من العباد المذكورين يقال: حج خمساً وخمسين حجة. روى عن ابن عيينة والوليد بن مسلم، وعنه

الترمذي والنسائي وابن ماجة وغيرهم. قال ابن أبي حاتم: سمعت منه مع أبي وهو ثقة صدوق، وقال النسائي: شيعي محض ثقة مات سنة ست وخمسين ومائتين.

(الطريقي) بفتح الطاء المهملة وكسر الراء وبالقاف.

٦٦٠ - علي بن زيد: هو علي بن زيد القرشي البصري يعد في تابعي البصريين، وهو مكي نزل البصرة وسمع أنس بن مالك وأبا عثمان النهدي وابن المسيب. روى عنه الثوري وغيره. مات سنة ثلاثين ومائة.

٦٦١ - علي بن يزيد: هو علي بن يزيد الألْهَاني. روى عن القاسم أبي عبد الرحمن وعنه طائفة وضعفه جماعة.

٦٦٢ - علي بن عاصم: هو علي بن عاصم الواسطي. روى عن يحيى البكاء وعطاء ابن السائب وخلق سواهما، وعنه أحمد وأمم ضعفوه، وكان عنده مائة ألف حديث وله بضع وتسعون سنة.

٦٦٣ - العلاء بن زياد: هو العلاء بن زياد المطر العدوي، والبصري تابعي في الطبقة الثانية، كان ممن قدم الشام. روى عن أبيه وعنه قتادة مات سنة أربع وتسعين.

٦٦٤ - عطاء بن يسار: هوعطاء بن يسار يكنى أبا محمد مولى ميمونة زوج النبي ﷺ من التابعين المشهورين بالمدينة كان كثير الرواية عن ابن عباس. مات سنة سبع وتسعين، وله أربع وثمانون سنة.

٦٦٥ - عطاء بن عبد الله: هو عطاء بن عبد الله الخراساني سكن الشام، ولد سنة خمسين ومات سنة خمس وثلاثين ومائة. روى عنه مالك بن أنس ومعمر بن راشد.

٦٦٦ - عطاء بن أبي رباح: هو عطاء بن أبي رباح يكنى أبا محمد، كان جعد الشعر أسود أفطس أشل أعور، ثم عمي، وكان أجل الفقهاء وتابعي مكة قال الأوزاعي: مات يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، قال أحمد بن حنبل: العلم خزائن يقسمه الله لمن أحب، لو كان يخص بالعلم أحد لكانت بنت النبي ﷺ أولى. كان عطاء بن أبي رباح حبشياً، وقال سلمة بن كهيل: ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله إلاّ هؤلاء الثلاثة: عطاء وطاووس ومجاهد، مات سنة خمس عشرة ومائة، وله ثمان وثمانون سنة سمع ابن عباس وأبا هريرة وأبا سعيد وخلقاً سواهم من الصحابة. روى عنه جماعة.

٦٦٧ - عطاء بن عجلان: : هو عطاء بن عجلان البصري. روى عن أنس وأبي عثمان النهدي وعدة، وعنه ابن نمير وجماعة كثيرة، اتّهمه بعضهم.

٦٦٨ - عطاء بن السائب: هو عطاء بن السائب بن يزيد الثقفي، مات سنة ست وثلاثين ومائة أو نحوها.

٦٦٩ - عدي بن عدي: هو عدي بن عدي الكندي. روى عن أبيه وعن رجاء بن حيوة، وعنه عيسى بن عاصم وغيره.

٦٧٠ - عدي بن ثابت: هو عدي بن ثابت. روى عن أبيه عن جده، أخرج حديثه

الترمذي في «العطاس». روى عنه أبو اليقظان، قال الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل يعني البخاري عن جد عدي ابن ثابت، فقال: لا أدري اسمه، وقال: وذكر يحيى بن معين أن اسمه دينار.

٦٧١ ـ عيسى بن يونس: هو عيسى بن يونس بن إسحاق أحد الأعلام في الحفظ والعبادة. روى عن أبيه والأعمش وخلق سواهما، وعنه حماد بن سلمة مع جلالته وخلق كثير، وكان يحج سنة ويغزو سنة. مات سنة سبع وثمانين ومائة.

٦٧٢ ـ عامر بن مسعود: هو عامر بن مسعود القرشي تابعي والد إبراهيم بن عامر. روى عنه شعبة والثوري.

٦٧٣ ـ عامر بن سعد: هو عامر بن سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي سمع أباه وعثمان، وعنه الزهري وغيره. مات سنة أربع ومائة.

٦٧٤ ـ عامر بن أسامة: هو عامر بن أسامة يكنّى أبا المليح الهذلي البصري سمع أباه وبريدة وجابراً وأنساً وخلقاً سواهم. روى عنه ابناه زياد ومبشر وغيرهما.

(المليح) بفتح الميم وكسر اللام وبالحاء المهملة.

٦٧٥ ـ عاصم بن سليمان: هو عاصم بن سليمان الأحول البصري التابعي. روى عن أنس وحفصة وغيرهما سمع منه الثوري وشعبة مات اثنتين وأربعين ومائة.

٦٧٦ ـ عاصم بن كليب: هو عاصم بن كليب الجرمي الكوفي سمع أباه وغيره وعنه الثوري وشعبة حديثه في الصلاة والحج والجهاد.

٦٧٧ ـ عروة بن الزبير: هو عروة بن الزبير بن العوام يكنّى أبا عبد الله القرشي الأسدي سمع أباه وأمه أسماء وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة. روى عنه ابنه هشام والزهري وغيرهما، ولد سنة اثنتين وعشرين وهو من كبار التابعين، وهو أحد الفقهاءالسبعة من أهل المدينة، قال أبو الزناد كان من فقهائنا بالمدينة ممن ينتهي إلى قولهم منهم سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير، وذكر آخرين، وقال ابن شهاب: عروة بحر لا ينزف.

٦٧٨ ـ عروة بن عامر: هو عروة بن عامر القرشي تابعي سمع ابن عباس وغيره، روى عنه عمرو بن دينار وحبيب بن أبي ثابت، أخرج أبو داود، حديثه في الطيرة وهو مرسل.

٦٧٩ ـ عبيد بن عمير: هو عبيد بن عمير يكنّى أبا عاصم الليثي الحجازي قاضي أهل مكة ولد في زمن رسول الله ﷺ، ويقال: رآه. هو معدود في كبار التابعين سمع جماعة من الصحابة روى عنه نفر من التابعين، ومات قبل ابن عمر.

٦٨٠ ـ عبيد بن السباق: هو عبيد بن السباق حجازي يعد في التابعين عزيز الحديث حديثه في الحجازيين. روى عن زيد بن ثابت وسهل بن حنيف وجويرية، وعنه ابنه سعيد وغيره.

٦٨١ ـ عبيد الله بن زياد: وهو عبيد الله بن زياد ـ هو كلب ـ هو الذي سير الجيش لقتل حسين بن علي بن أبي طالب وهو يومئذ أمير الكوفة ليزيد بن معاوية، قتل بأرض الموصل على

يد إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي في أيام المختار بن أبي عبيد سنة ست وستين.

٦٨٢ ـ عكرمة: هو عكرمة مولى عبد الله بن عباس يكنّى أبا عبد الله أصله من البربر، وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها سمع ابن عباس وغيره من الصحابة. روى عنه خلق كثير، مات سنة سبع ومائة، وله ثمانون سنة، قيل لسعيد بن جبير: هل أحد أعلم منك قال عكرمة.

٦٨٣ ـ علقمة بن أبي علقمة: هو علقمة بن أبي علقمة اسم أبي علقمة بلال مولى عائشة أم المؤمنين. روى عن أنس بن مالك، وعن أمه، وعنه مالك بن أنس وسليمان بن بلال.

٦٨٤ ـ عون بن وهب: هو عون بن وهب تابعي، وكنيته وهب أبو جحيفة.

٦٨٥ ـ أبو عثمان عبد الرحمن بن مُلُّ: هو أبو عثمان عبد الرحمن بن مل النهدي البصري أدرك الجاهلية وأسلم في عهد النبي ﷺ ولم يلقه، ويقال: إنه عاش في الجاهلية أكثر من ستين سنة، ومثلها في الإسلام، ومات سنة خمس وتسعين، وله مائة وثلاثون سنة سمع عمر وابن مسعود وأبا موسى. روى عنه قتادة وغيره.

(مل) بضم الميم وكسرها وتشديد اللام.

٦٨٦ ـ أبو عاصم: هو أبو عاصم الشيباني شيخ البخاري.

٦٨٧ ـ أبو عبيدة: هو أبو عبيدة محمد بن عمار بن ياسر العنسي تابعي. روى عن جابر وعنه عبد الرحمن بن إسحاق.

(العنسي) بفتح العين والنون وبالسين المهملة.

٦٨٨ ـ أبو عمير بن أنس: هو أبو عمير بن مالك الأنصاري. يقال: اسمه عبد الله روى عن عمومة له من الأنصار وهو معدود في صغار التابعين، عمَّر بعد أبيه أنس زماناً طويلاً.

٦٨٩ ـ أبو العُشَراء: هو أبو العُشَراء أسامة بن مالك الدارمي تابعي. روى عن أبيه، وعنه حماد بن سلمة يعد في البصريين، وفي اسمه اختلاف كثير وهذا أشهر ما قيل فيه.

(العشراء) بضم العين المهملة وفتح الشين المعجمة والمد.

٦٩٠ ـ أبو العالية رفيع: هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري رأى الصديق، وروى عن عمر، وأبي، وعنه عاصم الأحول وغيره، قالت حفصة بنت سيرين: سمعته بقول: قرأت القرآن على عمر ثلاث مرات أدرك الجاهلية [وأسلم بعد سنتين من وفاة النبي ﷺ توفي سنة تسعين.

٦٩١ ـ أبو العلاء: هو أبو العلاء بن يزيد بن عبد الله بن الشخير، روى عن أبيه وأخيه مطرف وعائشة، وعنه قتادة وجماعة ومات سنة إحدى عشرة ومائة.

٦٩٢ ـ أبو عبد الرحمن: هو أبو عبد الرحمن الحبلى اسمه عبد الله بن يزيد المصري العامري تابعي.

(الحبلى) بضم الحاء المهملة وضم الباء الموحدة.

٦٩٣ ـ أبو عطية: هو أبو عطية العقيلي مولاهم. روى عن مالك بن الحويرث.

٦٩٤ ـ أبو عاتكة: هو أبو عاتكة روى عن أنس، وعنه الحسن بن عطية وغيره ضعفوه.

٦٩٥ ـ عتبة بن ربيعة: هو عتبة بن ربيعة جاهلي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر مشركاً.

٦٩٦ ـ عبد الله بن أُبي: هو عبد الله بن أبي بن سلول، وسلول امرأة من خزاعة زوجة أبي وعبد الله هذا رأس المنافقين، واسم ابنه أيضاً عبد الله، وهو كان من فضلاء الصحابة وخيارهم، شهد بدراً والمشاهد بعدها.

٦٩٧ ـ العاص بن وائل: هو العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص جاهلي أدرك الإسلام، ولم يسلم وهو الذي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة. له ذكر في «باب الوصايا» والله تعالى أعلم.

فصل في الصحابيات

٦٩٨ ـ عائشة الصديقة: هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر خطبها النبي ﷺ وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوّة وقبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: غير ذلك وأعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثماني عشر شهراً، ولها تسع سنين، وقيل: دخل بها بالمدينة بعد سبعة أشهر من مقدمه وبقيت معه تسع سنين، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة، ولم يتزوج بكراً غيرها، وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب وأشعارها. روى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان وأمرت أن تدفن ليلاً فدفنت بالبقيع وصلّى عليها أبو هريرة، وكان يومئذٍ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية.

٦٩٩ ـ عمرة بنت رواحة: هي عمرة بنت رواحة الأنصارية لها صحبة وهي أم النعمان ابن بشير. روى عنها زوجها بشير بن سعد وابنها.

٧٠٠ ـ أم عمارة: هي أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية كانت قد شهدت بيعة العقبة، وشهدت أحداً مع زوجها زيد بن عاصم، ثم شهدت بيعة الرضوان، ثم شهدت اليمامة فقاتلت: حتى أصيبت يدها وجرحت يومئذٍ اثنا عشر جرحاً من بين طعنة وضربة روى عنها جماعة.

(عمارة) بضم العين وتخفيف الميم.

و(نسيبة) بفتح النون وكسر السين.

٧٠١ ـ أم العلاء: : هي أم العلاء الأنصارية من التابعيات حديثها عند أهل المدينة. روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت، وهي أمه وكان رسول الله ﷺ يعودها في مرضها.

٧٠٢ ـ أم عطية نسيبة بنت كعب: وقيل: بنت الحارث الأنصارية بايعت النبي ﷺ. روى عنها جماعة كانت من كبار الصحابيات، وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله ﷺ فتمرّض المرضى وتداوي الجرحى.

(نسيبة) بضم النون وفتح السين المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة.

فصل في التابعيات

٧٠٣ ـ عمرة بنت عبد الرحمن: هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، وكانت في حجر عائشة أم المؤمنين وربّتها، وروت عنها كثيراً من حديثها، وعن غيرها. روى عنها جماعة ماتت سنة ثلاث ومائة، وهي من التابعيات المشهورات.

حرف الغين

فصل في الصحابة

٧٠٤ ـ غُضيف بن الحارث: هو غضيف بن الحارث الثمالي يكنّى أبا أسماء شامي أدرك النبي ﷺ وقد اختلف في صحبته قال: ولدت على عهد رسول الله ﷺ فبايعته وصافحني وسمع عمرو أبا ذر وعائشة. روى عنه مكحول وسليم بن عامر.

(غضيف) بضم الغين المعجمة وفتح الضاد المعجمة وسكون الياء وبالفاء.

و(الثمالي) بضم الثاء المثلثة وتخفيف الميم.

٧٠٥ ـ غيلان بن سلمة: هو غيلان بن سلمة الثقفي أسلم بعد فتح الطائف، ولم يهاجر وهو أحد وجوه ثقيف ومقدّمهم، وكان شاعراً محسناً مات في آخر خلافة عمر. روى عنه عبد الله بن عمر، وعروة بن غيلان وغيرهما.

فصل في التابعين

٧٠٦ ـ غالب بن أبي غيلان: هو غالب بن أبي غيلان وهو ابن خطاف البصري. روى عن بكر بن عبد الله، وعنه ضمرة بن ربيعة.

٧٠٧ ـ غريف بن عياش: هو غريف بن عياش بن الديلمي. روى عن واثلة بن الأسقع عداده في الشاميين.

(الغريف) بفتح الغين المعجمة وبالفاء.

٧٠٨ ـ أبو غالب: هو أبو غالب، اسمه حَزَوَّر الباهلي البصري أعتقه عبد الرحمن ابن الحضرمي. روى عن أبي أمامة ولقيه في الشام، وعنه ابن عيينة وحماد بن زيد.

(حزور) بفتح الحاء وفتح الزاي وبشديد الواو وبعدها راء.

حرف الفاء

فصل في الصحابة

٧٠٩ ـ الفضل بن عباس: هو الفضل بن عباس بن عم النبي ﷺ وغزا معه حنيناً وثبت معه فيمن ثبت، وشهد حجة الوداع، وشهد غسله مع من شهد، ثم خرج إلى الشام مجاهداً

ومات وله إحدى وعشرون سنة بناحية الأردن في طاعون (عمواس) سنة ثماني عشرة، وقيل: إنه قتل يوم اليرموك، وقيل: غير ذلك. روى عنه أخوه عبد الله وأبو هريرة.

٧١٠ ـ فضالة بن عبيد: هو فضالة بن عبيد الأنصاري الأوسي أول مشاهده أُحُد، ثم شهد ما بعدها وبايعه تحت الشجرة، ثم انتقل إلى الشام فسكن دمشق وقضى بها لمعاوية زمن خروجه إلى صفين، ومات في عهد معاوية، وقيل: سنة ثلاث وخمسين روى عنه ميسرة مولاه وغيره.

(فضالة) بفتح الفاء وبالضاد المعجمة.

و(عبيد) بضم العين.

٧١١ ـ الفُجيع بن عبد الله: هو الفجيع بن عبد الله العامري، وفد على النبي ﷺ مع قومه وسمع منه. روى عنه وهب بن عقبة.

(الفجيع) بضم الفاء وفتح الجيم وسكون الياء تحتها نقطتان وبالعين المهملة.

٧١٢ ـ فروة بن مُسيك: هو فروة بن مسيك المرادي الغطيفي من هل اليمن، قدم على رسول الله ﷺ سنة تسع فأسلم وانتقل إلى الكوفة زمن عمر وسكنها. روى عنه الشعبي وغيره، وكان من وجوه قومه ومقدميهم وكان شاعراً محسناً.

(مسيك) بضم الميم وفتح السين المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان وبالكاف.

٧١٣ ـ فروة بن عمرو: هو فروة بن عمرو البياضي الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها من المشاهد، روى عنه أبو حازم التمار.

٧١٤ ـ فيروز الديلمي: هو فيروز الديلمي يقال له الحميري لنزوله بحمير، وهو من أبناء فارس من صنعاء، كان ممن وفد على النبي ﷺ، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب الذي ادّعى النبوة باليمن، قتل في آخر أيام رسول الله ﷺ ووصله خبره في مرضه الذي مات فيه روى عنه ابناه الضحاك وعبد الله وغيرهما. مات في خلافة عثمان.

(العنسي) بفتح العين سكون النون وبالسين المهملة.

فصل في التابعين

٧١٥ ـ الفرافصة بن عمير: هو الفرافصة بن عمير الحنفي من الطبقة الأولى من تابعي المدينة. روى عن عثمان بن عفان وعنه القاسم بن محمد وغيره.

(الفرافصة) بفاءين وراء خفيفة وصاد مهملة إلاّ أنه عند المحدثين بفتح الفاء الأولى. وقال ابن حبيب: كل اسم في العرب هو فرافصة فهو مضموم الفاء الأولى، إلاّ الفرافصة بن الأحوص فيكون فرافصة بن عمير عند ابن حبيب مضموم الأولى وأما أهل اللغة فلا يعرفون فيه الفتح.

٧١٦ ـ فروة بن نوفل: هو فروة بن نوفل الأشجعي، يعد في الكوفيين، سمع أباه وعائشة. روى عنه أبو إسحاق الهمداني وهلال بن يساف.

٧١٧ ـ ابن الفرك: هو ابن الفرك اسمه أحمد بن زكريا بن فارس اللغوي صاحب المجمل في اللغة كان مقيماً بهمدان وهو من أعيان أهل العلم، فأفراد الدهر فجمع إتقان العلم وظرف الكتّاب والشعراء وهو في بلاد الجبل ويقال لأبيه الفراس والفرسي وله صحبة.

(الفراس) بكسر الفاء وتخفيف والراء وبالسين المهملة.

فصل في الصحابيات

٧١٨ ـ فاطمة الكبرى: هي فاطمة الكبرى بنت رسول الله ﷺ وأمها خديجة بنت خويلد وهي أصغر بناته في قول، وهي سيدة نساء العالمين تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وبنى عليها في ذي الحجة فولدت له الحسن والحسين والمحسن وزينب وأم كلثوم ورقية، وماتت بالمدينة بعد موت النبي ﷺ بستة أشهر وقيل بثلاثة أشهر ولها ثمان وعشرون سنة وغسلها علي وصلّى عليها العباس ودفنت ليلاً. روى عنها علي ابن أبي طالب وابناها الحسن والحسين وجماعة من الصحابة سواهم. قالت عائشة: ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة رضي الله عنها غير أبيها، قالت وكان بينهما شيء فقالت يا رسول الله سلها فإنها لا تكذب.

٧١٩ ـ فاطمة بنت أبي حبيش: هي فاطمة بنت أبي حبيش القرشية الأسدية وهي التي استحيضت. روى عنها عروة بن الزبير وأم سلمة، وفاطمة هي زوجة عبد الله ابن جحش.

(حبيش) مصغّر حبش.

٧٢٠ ـ فاطمة بنت قيس: هي فاطمة بنت قيس القرشية أخت الضحاك، كانت من المهاجرات الأول. روى عنها نفر، كانت ذات جمال وعقل وكمال وكانت عند أبي عمرو ابن حفص فطلّقها وزوجها النبي ﷺ من أسامة بن يزيد مولاه.

٧٢١ ـ الفُريعة بنت مالك: هي الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدري، شهدت بيعة الرضوان ولها رواية، حديثها عند أهل المدينة، روت عنها زينب بنت كعب بن عجرة.

(الفريعة) بضم الفاء وفتح الراء وسكون الياء وبالعين المهملة.

٧٢٢ ـ أم الفضل: هي أم الفضل لبابة بنت الحارث العامرية امرأة العباس بن عبد المطلب وأم أكثر بنيه وهي أخت ميمونة أم المؤمنين، يقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، روت عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة.

٧٢٣ ـ أم فروة: هي أم فروة الأنصارية، كانت من المبايعات. روى عنها القاسم ابن غنام.

فصل في التابعيات

٧٢٤ ـ فاطمة الصعرى: هي فاطمة الصغرى بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية القرشية تزوجت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومات عنها فتزوجها عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان.

حرف القاف

فصل في الصحابة

٧٢٥ ـ قبيصة بن ذؤيب: هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، ولد في أول سنة من الهجرة ويقال إنه أتى به إلى النبي ﷺ فدعا له، كان ذا علم وفقه ورفعة قال أبو الزناد: كان فقهاء المدينة أربعة ابن المسيب وعروة بن الزبير وعبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب. روى عن أبي هريرة وأبي الدرداء وزيد بن ثابت، وعنه الزهري وغيره مات سنة ست وثمانين هذا قول ابن عبد البر في كتابه، جعله من الصحابة وغيره لم يثبته في الصحابة بل جعله في الطبقة الثانية من تابعي الشام.

(قبيصة) بفتح القاف وكسر الباء الموحدة وبالصاد المهملة (ذؤيب) تصغير ذئب.

٧٢٦ ـ قبيصة بن مخارق: هو قبيصة بن مخارق الهلالي وفد على النبي ﷺ، عداده في أهل البصرة. روى عنه ابنه قطن وأبو عثمان النهدي وغيرهما.

(مخارق) بضم الميم وبالخاء المعجمة وبالراء والقاف.

٧٢٧ ـ قبيصة بن وقاص: هو قبيصة بن وقاص السلمي سكن البصرة وعداده فيهم. روى عنه صالح بن عبيد.

٧٢٨ ـ قتادة بن النعمان: هو قتادة بن النعمان الأنصاري عقبي بدري شهد بعدها المشاهد كلها. روى عنه أخوه لأمه أبو سعيد الخدري وعمر ابنه وغيرهما، مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون سنة وصلّى عليه عمر، وكان من فضلاء الصحابة.

٧٢٩ ـ قُدامة بن عبد الله: هو قدامة بن عبد الله الكلابي، وقيل: العامري أسلم قديماً وسكنَ مكة، ولم يهاجر وشهد حجة الوداع، وأقام بركية في البدر. روى عنه أيمن بن نائل وغيره.

(قدامة) بضم القاف وتخفيف الدال المهملة.

٧٣٠ ـ قدامة بن مظعون: هو قدامة بن مظعون القرشي الجمحي خال عبد الله بن عمر هاجر إلى أرض الحبشة وشهد بدراً وسائر المشاهد. روى عنه عبد الله بن عمر، وعبد الله ابن عامر. مات سنة ست وثلاثين وله ثمان وستون سنة.

٧٣١ ـ قطبة بن مالك: هو قطبة بن مالك الثعلبي كوفي له صحبة. روى عنه زياد بن علاقة وهو ابن أخي قطبة بن مالك.

٧٣٢ ـ قيس بن أبي غرزة: هو قيس بن أبي غرزة الغفاري عداده في أهل الكوفة روى عنه أبو وائل شقيق بن سلمة وليس له إلاّ حديث واحد في ذكر التجارة.

(غرزة) بفتح الغين المعجمة وفتح الراء والزاي.

٧٣٣ ـ قيس بن سعد: هو قيس بن سعد بن عبادة يكنّى أبا عبد الله الأنصاري الخزرجي،

كان من كرام أصحاب النبي ﷺ، وكان أحد الفضلاء الأجلّة وأهل الرأي والمكيدة في الحرب، وكان شريف قومه، وكان لرسول الله ﷺ لما قدم مكة مكان صاحب الشرطة من الأمراء، وكان والياً لعلي بن أبي طالب عل مصر، ولم يفارق علياً إلى أن قتل ومات بالمدينة سنة ستين. روى عنه جماعة، وكان قيس بن سعد، وعبد الله بن الزبير، وشريح القاضي، والأحنف ليس في وجوههم شعر ولا لأحدهم لحية، وكان قيس مع ذلك جميلاً.

٧٣٤ ـ قيس بن عاصم: هو قيس بن عاصم يكنّى أبا قبيصة، قال ابن عبد البر: والمشهور [أنه] يكنّى أبا علي التميمي قدم على النبي ﷺ في وفد تميم وأسلم سنة تسع، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا سيد أهل الوبر، وكان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم يعد في البصريين. روى عنه ابنه حكيم وخلق سواء.

٧٣٥ ـ قَرَظَة بن كعب: هو قرظة بن كعب الأنصاري الخزرجي شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد، وكان فاضلاً ولاّه علي بن أبي طالب. وشهد معه المشاهد كلها، مات في خلافته في الكوفة. روى عنه الشعبي وغيره.

(قرظة) بفتح القاف وفتح الراء وفتح الظاء المعجمة.

٧٣٦ ـ قرة بن إياس: هو قرة بن إياس المزني سكن البصرة لم يرو عنه غير ابنه معاوية قتله الأزارقة.

(إياس) بكسر الهمزة.

٧٣٧ ـ أبو قتادة: هو أبو قتادة الحارث بن رِبْعي الأنصاري فارس رسول الله ﷺ مات بالمدينة سنة أربع وخمسين، وقيل: بل مات في خلافة علي بالكوفة، وكان شهد معه المشاهد كلها وهو ابن سبعين سنة، وهو ممن غلبت عليه كنيته.

(ربعي) بكسر الراء وسكون الباء الموحدة وكسر العين المهملة.

٧٣٨ ـ أبو قحافة: هو أبو قحافة عثمان بن عامر والد أبي بكر، تقدّم ذكره في حرف العين.

فصل في التابعين

٧٣٩ ـ القاسم بن محمد: هو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالمدينة كان من أكابر التابعين، وكان أفضل أهل زمانه، قال يحيى بن سعيد: ما أدركنا بالمدينة أحداً نفضله على القاسم بن محمد. روى عن جماعة من الصحابة منهم: عائشة ومعاوية وعنه خلق كثير. مات سنة إحدى ومائة وله سبعون سنة.

٧٤٠ ـ القاسم بن عبد الرحمن: هو القاسم بن عبد الرحمن الشامي مولى عبد الرحمن ابن خالد سمع أبا أمامة. روى عنه العلاء بن الحارث وغيره قال عبد الرحمن بن يزيد: ما رأيت أحداً أفضل من القاسم مولى عبد الرحمن.

٧٤١ ـ قبيصة: هو قبيصة بن هُلْب الطائي. روى عن أبيه ولأبيه صحبة. روى عنه سماك.

(هلب) بضم الهاء وسكون اللام وبالباء الموحدة، قالوا: والصواب بفتح الهاء وكسر اللام.

٧٤٢ ـ القعقاع بن حكيم: هو القعقاع بن حيكم المدني تابعي سمع جابر بن عبد الله وأبا يونس. روى عنه سعيد المقبري ومحمد بن عجلان.

٧٤٣ ـ قَطَن بن قبيصة: هو قطن بن قبيصة الهلالي عداده في أهل البصرة. روى عن أبيه وعنه حيان بن علاء، وكان قطن شريفاً وولي سجستان.

(قطن) بفتح القاف وفتح الطاء المهملة وبالنون.

٧٤٤ ـ قتادة بن دعامة: هو قتادة بن دعامة يكنى أبا الخطاب السدوسي الأعمى الحافظ، قال بكر بن عبد الله المزني: من أراد أن ينظر إلى أحفظ زمانه فلينظر إلى قتادة، وما أدركنا الذي هو أحفظ منه، وقال قتادة: ما سمعت أذناي شيئاً قط إلاّ وعاه قلبي، وقال: لا يقبل قول إلاّ بعمل فمن أحسن العمل قبل الله قوله. روى عن عبد الله ابن سرجس وأنس وخلق سواهما، وعنه أيوب وشعبة وأبو عوانة وغيرهم، مات سنة سبع ومائة.

٧٤٥ ـ قيس بن عباد: هو قيس بن عباد البصري من الطبقة الأولى من تابعي البصرة. روى عنه جماعة من الصحابة.

(عباد) بضم العين وتخفيف الباء الموحدة.

٧٤٦ ـ قيس بن أبي حازم: هو قيس بن أبي حازم الأحمسي البجلي أدرك الجاهلية وأسلم وجاء إلى النبي ﷺ ليبايعه فوجده قد توفي، يعد في تابعي الكوفة، وقد ذكر في أسماء الصحابة مع اعترافهم بأنه لم ير النبي ﷺ. روى عن العشرة إلا عن عبد الرحمن بن عوف، وعن جماعة كثيرة من الصحابة، وعنه جماعة كثيرة من التابعين، وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة إلاّ هو، شهد النهروان مع علي بن أبي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة ومات سنة ثمان وتسعين.

٧٤٧ ـ قيس بن مسلم: هو قيس بن مسلم الجدلي الكوفي. روى عن سعيد بن جبير وغيره، وعنه الثوري وشعبة مات سنة عشرين ومائة.

(الجدلي) بفتح الجيم وفتح الدال المهملة.

٧٤٨ ـ قيس بن كثير: هو قيس بن كثير سمع أبا الدرداء. روى عنه داود بن جميل هكذا أخرج حديثه الترمذي عن قيس بن كثير وقال: كذا حدّثنا محمود بن خداش وإنما هو كثير بن قيس وكذلك سمّاه أبو داود كثير بن قيس، وأورده البخاري في باب (كثير) لا في باب (قيس).

٧٤٩ ـ أبو قلابة: هو أبو قلابة بكسر القاف وتخفيف اللام وبالباء الموحدة عبد الله ابن زيد الجرمي تابعي معروف مشهور. روى عن أنس وغيره، وعنه خلق كثير، قال السختياني: كان والله أبو قلابة من الفقهاء ذوي الألباب. مات بالشام سنة ست ومائة.

(الجرمي) بفتح الجيم وبالراء.

٧٥٠ ـ ابن قطن: هو عبد بن قطن بفتح القاف وفتح الطاء المهملة جاهلي له ذكر في «قصة الدجال».

٧٥١ ـ قزمان: هو قزمان الذي أظهر إسلامه وهو منافق له ذكر في «باب المعجزات» إنه حضر غزوة حُنين وقاتل أشد القتال فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «أما إنه من أهل النار، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

فصل في التابعيات

٧٥٢ ـ قَيْلة بنت مخرمة: هي قيلة بنت مخرمة التميمية روت عنها صفية ودُحيبة ابنتا علُيبة وكانتا [ربيبتي قيلة، وكانت قيلة] جدة أبيهما، ولها صحبة.

و(دحيبة) و(عليبة) مصغّران.

٧٥٣ ـ أم قيس بنت محصن: هي أم قيس بنت مِحْصن بكسر الميم وسكون الخاء المهملة والنون الأسدية أخت عكاشة أسلمت بمكة قديماً، وبايعت النبي ﷺ وهاجرت إلى المدينة.

حرف الكاف

فصل في الصحابة

٧٥٤ ـ كعب بن مالك: هو كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي شهد العقبة الثانية واختلف في شهوده بدراً والمشاهد بعدها غير تبوك، وكان أحد شعراء النبي ﷺ، وهو أحد الثلاثة الذين تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهم كعب بن مالك هذا وهلال ابن أمية ومرارة بن ربيعة. روى عنه جماعة. مات سنة خمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة بعد أن عمي.

٧٥٥ ـ كعب بن عجرة البلوي: نزل الكوفة ومات بالمدينة سنة إحدى وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة. روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين.

٧٥٦ ـ كعب بن مرة: هو كعب بن مرة البهزي السلمي سكن الأردن من الشام ومات بها سنة تسع وخمسين روى عنه نفر.

٧٥٧ ـ كعب بن عياض: هو كعب بن عياض الأشعري معدود في الشاميين. روى عنه جابر بن عبد الله وجبير بن نفير.

(عياض) بكسر العين المهملة وتخفيف الياء تحتها نقطتان وبالضاد المعجمة.

٧٥٨ ـ كعب بن عمرو: هو كعب بن عمرو الأنصاري السلمي شهد العقبة وبدراً وهو الذي كان أسر العباس بن عبد المطلب يوم بدر توفي بالمدينة سنة خمس وخمسين. روى عنه ابنه عمار وحنظلة بن قيس.

٧٥٩ ـ كثير بن الصلت: هو كثير بن الصلت بن معد يكرب الكندي ولد على عهد رسول الله ﷺ وسمّاه كثيراً، وكان اسمه قليلاً: روى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت.

٧٦٠ ـ كركرة: هو كركرة بفتح الكافين وكسرهما كان على ثقل رسول الله ﷺ في بعض مغازيه وله ذكر في الغلول.

٧٦١ ـ كَلَدَة بن حنبل: هو كلدة بن حنبل الأسلمي وهو أخو صفوان بن أمية الجمحي لأمه، وكان عبداً لمعمر بن حبيب اشتراه من أهل اليمن بسوق عكاظ وحالفه وأنكحه وأقام بمكة إلى أن مات بها. روى عنه عمرو بن عبد الله بن صفوان.

(كلدة) بفتح الكاف واللام والدال المهملة.

٧٦٢ ـ أبو كبشة: هو أبو كبشة عمرو بن سعد الأنماري نزل بالشام. روى عنه سالم بن أبي الجعد ونعيم بن زياد.

فصل في التابعين

٧٦٣ ـ كعب الأحبار: هو كعب الأحبار بن المانع، يكنى أبا إسحاق المعروف بكعب الأحبار، وهو من حمير أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، أسلم في زمن عمر بن الخطاب روى عن عمر وصهيب وعائشة ومات بحمص سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان.

٧٦٤ ـ كثير بن عبد الله: هو كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المازني المديني، سمع أباه. روى عنه مروان بن معاوية وغيره.

٧٦٥ ـ كثير بن قيس: هو كثير بن قيس أو قيس بن كثير، تقدم ذكره في حرف القاف.

٧٦٦ ـ كريب بن أبي مسلم: هو كريب بن أبي مسلم مولى عبد الله بن عباس ومعاوية. روى عنه جماعة.

٧٦٧ ـ أبو كريب محمد: هو أبو كريب محمد بن العلاء الهمداني الكوفي، سمع أبا بكر بن عياش وغيره. روى عنه البخاري ومسلم وغيرهما. مات سنة ثمان وأربعين ومائتين.

فصل في التابعيات

٧٦٨ ـ كبشة بنت كعب: هي كبشة بنت كعب بن مالك وهي زوجة عبد الله ابن أبي قتادة، حديثها في سؤر الهرة. روت عن أبي قتادة، وعنها حميدة بنت عبيد ابن رفاعة.

٧٦٩ ـ كريمة بنت هُمَام: هي كريمة بنت همام بضم الهاء وتخفيف الميم. روت عن عائشة أم المؤمنين حديثها في الخضاب.

٧٧٠ ـ أم كرز: هي أم كرز الكعبية الخزاعية مكية. روت عن النبي ﷺ أحاديث. روى عنها عطاء ومجاهد وغيرهما، حديثها في العقيقة.

(كرز) بضم الكاف وسكون الراء وبالزاي.

٧٧١ ـ أم كلثوم بنت عقبة: هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت بمكة وهاجرت ماشية وبايعت ولم يكن لها بمكة زوج، فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة فقتل عنها في غزوة مؤتة فتزوجها الزبير بن العوام ثم طلّقها فتزوجها عبد الرحمن ابن عوف

فولدت له إبراهيم وحميداً ومات عنها فتزوجها عمرو بن العاص فمكثت عنده شهراً وماتت، وهي أخت عثمان بن عفان لأمه. روى عنها ابنها حميد وغيره.

حرف اللام

فصل في الصحابة

٧٧٢ ـ لقيط بن عامر: هو لقيط بن عامر بن صَبِرة، يكنى أبا رزين العقيلي، صحابي مشهور، عداده في أهل الطائف. روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيرهما.

(لقيط) بفتح اللام وكسر القاف و(صبرة) بفتح الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة.

٧٧٣ ـ لقمان بن باعوراء: هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب النبي ﷺ أو ابن خالته وقيل كان في زمن داود عليه السلام وأخذ العلم عنه وكان قاضياً في بني إسرائيل وقيل كان عبداً أسود نوبياً من سودان مصر، وأكثر الأقاويل أنه لم يكن نبياً وإنما كان حكيماً له ذكر في كتاب الرقاق.

٧٧٤ ـ لبيد بن ربيعة: هو لبيد بن ربيعة الشاعر العامري، قدم على النبي ﷺ سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، نزل الكوفة مات سنة إحدى وأربعين وله من العمر مائة وأربعون سنة وقيل مائة وسبع وخمسون وقيل غير ذلك وكان من المعتمرين.

٧٧٥ ـ أبو لبابة: هو أبو لبابة رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي، غلبت عليه كنيته، كان من النقباء وشهد العقبة وبدراً والمشاهد بعدها، وقيل لم يشهد بدراً بل أمره رسول الله ﷺ على المدينة وضرب له بسهم مع أصحاب بدر مات في خلافة علي بن أبي طالب. روى عنه ابن عمر ونافع وغيرهما.

٧٧٦ ـ ابن اللُّتبية: هو ابن اللُّتبية عبد الله، صحابي، له ذكر في أخذ الصدقات.

(اللتبية) بضم اللام وفتح التاء فوقها نقطتان وكسر الباء الموحدة وتشديد الياء تحتها نقطتان.

فصل في التابعين

٧٧٧ ـ ليث بن سعد: هو ليث بن سعد يكنى أبا الحارث، فقيه أهل مصر، يقال إنه مولى خالد بن ثابت الفَهْمِي، ولد في قرية في أول مصر سنة أربع وتسعين. روى عن ابن أبي مليكة وعطاء والزهري وغيرهم وحدّث عنه خلق كثير منهم ابن المبارك، قدم بغداد سنة إحدى وستين ومائة وعرض عليه المنصور ولاية مصر فأبى واستعفاه، وقال يحيى بن بكير: ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد، وقال قتيبة بن سعيد كان [دخل] ليث بن سعد في كل سنة عشرين ألف دينار وما وجبت عليه زكاة. مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة.

٧٧٨ ـ ابن أبي ليلى: هو ابن أبي ليلى، اسمه عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار الأنصاري

ولد لست سنين بقيت من خلافة عمر وقيل غرق بـ (دجيل) بنهر البصرة سنة ثلاث وثمانين حديثه في الكوفيين، سمع خلقاً كثيراً من الصحابة، وعنه جماعة كثيرة وهو في الطبقة الأولى من تابعي الكوفيين.

وقد يقال (ابن أبي ليلى) لولده محمد وهو قاضي الكوفة إمام مشهور في الفقه صاحب مذهب وقول، وإذا أطلق المحدثون ابن أبي ليلى فإنما يعنون إياه. فإذا أطلق الفقهاء (ابن أبي ليلى) فإنما يعنون محمداً، وولد محمد هذا سنة أربع وسبعين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة.

٧٧٩ ـ ابن لهيعة: : هو ابن لهيعة الحضرمي الفقيه، اسمه عبد الله وكنيته أبو عبد الرحمن قاضي مصر. روى عن عطاء وابن أبي مليكة والأعرج وعمرو بن شعيب، وعنه يحيى ابن بكير وقتيبة والمقرىء، ضعيف الحديث، وقال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول ما كان مثل ابن لهيعة بمصر في كثرة حديثه وضبطه وإتقانه. مات سنة أربع وسبعين ومائة.

٧٨٠ ـ لبيد بن الأعصم: هو لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق وقيل إنه حليف اليهود، له ذكر في السحر في باب المعجزات.

٧٨١ ـ أبو لهب: هو أبو لهب عبد العزي بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ﷺ جاهلي له ذكر في كتاب الفتن.

فصل في الصحابيات

٧٨٢ ـ لبابة بنت الحارث: هي لبابة بنت الحارث وكنيتها أم الفضل تقدّم ذكرها في حرف الفاء.

حرف الميم

فصل في الصحابة

٧٨٣ ـ مالك بن أوس: هو مالك بن أوس بن الحدثان البصري اختلف في صحبته قال ابن عبد البر والأكثر على إثباتها وقال ابن مندة لا تثبت وروايته عن النبي ﷺ قليلة وأما روايته عن الصحابة فكثيرة. روى عن العشرة وأكثر عن عمر بن الخطاب. روى عنه جماعة منهم الزهري وعكرمة مات بالمدينة سنة اثنتين وتسعين.

(الحدثان) بفتح الحاء والدال المهملتين وفتح الثاء المثلثة.

٧٨٤ ـ مالك بن الحويرث: هو مالك بن الحويرث الليثي، وفد على النبي ﷺ وأقام عنده عشرين ليلة وسكن البصرة. روى عنه ابنه عبد الله وأبو قلابة وغيرهما. مات سنة أربع وتسعين بالبصرة.

٧٨٥ ـ مالك بن صعصعة: هو مالك بن صعصعة الأنصاري المازني المدني، سكن البصرة، وهو قليل الحديث.

٧٨٦ ـ مالك بن هبيرة: هو مالك بن هبيرة السكوني الكندي، معدود في الشاميين ومنهم

من يعده في المصريين. روى عنه مرثد بن عبد الله، وكان أميراً لمعاوية على الجيوش وغزو الروم.

(مرثد) بفتح الميم وسكون الراء وبالثاء المثلثة.

٧٨٧ ـ مالك بن يسار: هو مالك بن يسار السكوني ثم العوفي، عداده في أهل الشام. روى عنه أبو بحرية، وقد اختلف في صحبته.

(السكوني) بفتح السين وبالكاف والنون.

٧٨٨ ـ مالك بن التيهان: هو مالك بن التيهان، يكنّى أبا الهيثم الأنصاري، شهد العقبة، وهو أحد النقباء الاثني عشرة وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، روى عنه أبو هريرة ومات في خلافة عمر سنة عشرين بالمدينة، وقيل قتل بصفين سنة تسع وثلاثين، وقيل غير ذلك.

(الهيثم) بفتح الهاء وسكون الياء وبالثاء المثلثة (التيهان) بفتح التاء فوقها نقطتان وتشديد الياء تحتها نقطتان وكسرها وبالنون.

٧٨٩ ـ مالك بن قيس: هو مالك بن قيس يكنى أبا صرمة، وهو مشهور بكنيته تقدّم ذكره في حرف الصاد.

٧٩٠ ـ مالك بن ربيعة: هو مالك بن ربيعة يكنى أبا أسيد، وهو مشهور بكنيته، تقدّم ذكره في حرف الهمزة.

٧٩١ ـ ماعز بن مالك: هو ماعز بن مالك الأسلمي، معدود في المدنيين وهو الذي رجمه النبي ﷺ. روى عنه ابنه عبد الله حديثاً واحداً.

٧٩٢ ـ مطر بن عكامس: هو مطر بن عكامس السلمي، عداده في الكوفيين، له حديث واحد ولم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي.

(عكامس) بضم العين المهملة وتخفيف الكاف وكسر الميم وبالسين المهملة.

٧٩٣ ـ معاذ بن أنس: هو معاذ بن أنس الجهني، معدود في أهل مصر وحديثه عندهم روى عنه ابنه سهل.

٧٩٤ ـ معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل يكنى أبا عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة الثانية من الأنصار، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد وبعثه النبي ﷺ إلى اليمن قاضياً ومعلماً روى عنه عمر وابن عباس وابن عمر وخلق سواهم، وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم واستعمله عمر على الشام بعد أبي عبيدة ابن الجراح فمات من عامه ذلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وثلاثون سنة وقيل غير ذلك.

٧٩٥ ـ معاذ بن عمرو بن الجموح: هو معاذ بن عمرو بن الجموح الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وهو وأبوه عمرو وهو الذي قتل مع معاذ بن عفراء أبا جهل، ولهما ذكر في باب قسمة الغنائم، روى ابن عبد الرحمن وابن إسحاق أن معاذ بن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد معاذ بن عمرو فطرحها ثم ضربه معاذ بن

عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه حتى أمره رسول الله ﷺ أن يلتمس أبا جهل في القتلى. روى عنه عبد الله بن عباس. مات في زمن عثمان.

٧٩٦ ـ معاذ بن الحارث: هو معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري الزرقي وعفراء أمه وهي بنت عبيد بن ثعلبة وكان هو ورافع بن مالك أول الأنصاريين من الخزرج إسلاماً شهد بدراً هو وأخواه عوف ومُعَوِّذ، وقتل أخواه هذان ببدر، وشهد [ما] بعد بدر من المشاهد في قول بعضهم. وبعضهم يقول إنه جرح يوم بدر فمات بالمدينة من جراحته وقيل إنه عاش إلى زمن عثمان. روى عنه ابن عباس وابن عمر.

(عفراء) بفتح العين المهملة وسكون الفاء وبالمد.

٧٩٧ ـ معوذ بن الحارث: هو معوذ بن الحارث، وعفراء أمه، شهد بدراً، وهو الذي قتل أبا جهل مع أخيه معاذ وهما أصحاب زرع ونخل وقاتل في بدر حتى قتل بها.

(معوذ) بضم الميم وفتح العين وكسر الواو المشددة وبالذال المعجمة.

٧٩٨ ـ مسطح بن أثاثة: هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي، شهد بدراً وأحداً والمشاهد بعدها، وهو الذي قال في عائشة أم المؤمنين ما قال من حديث الإفك، وجلده النبي ﷺ فيمن جلد، ويقال: إن مسطحاً لقبه واسمه عوف، قال ابن عبد البر لا خلاف في ذلك. مات سنة أربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين سنة.

(مسطح) بكسر الميم وسكون السين وفتح الطاء المهملة وبالحاء المهملة.

و(أثاثة) بضم الهمزة وتخفيف الثاء المثلثة الأولى و(عباد) بتشديد الباء الموحدة.

٧٩٩ ـ المسور بن مخرمة: هو المسور بن مخرمة يكنى أبا عبد الرحمن الزهري القرشي وهو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وقدم به أبوه المدينة في ذي الحجة سنة ثمان، وقبض النبي ﷺ وله ثماني سنين وسمع منه وحفظ عنه، وكان فقيهاً من أهل الفضل والدين، لم يزل بالمدينة إلى أن قتل عثمان وانتقل إلى مكة فلم يزل بها حتى مات معاوية، وكره بيعة يزيد فلم يزل مقيماً بمكة إلى أن بعث يزيد عسكره وحاصر مكة وبها ابن الزبير فأصاب المسور حجر من حجارة المنجنيق وهو يصلي في الحجر فقتله، وذلك في مستهل ربيع الأول سنة أربع وستين. روى عنه خلق كثير.

(المسور) بكسر الميم وسكون السين المهملة وفتح الواو و(مخرمة) بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الراء.

٨٠٠ ـ المسيَّب بن الحزن: هو المسيب بن الحزن، يكنى أبا سعيد القرشي المخزومي هاجر مع أبيه حزن وكان المسيب ممن بايع تحت الشجرة. روى عن أبيه حزن، حديثه في الحجازيين. روى عنه ابنه سعيد بن المسيب.

(المسيب) بضم الميم وفتح السين وتشديد الياء المفتوحة بنقطتين تحتها و(حزن) بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبالنون.

٨٠١ ـ المستورد بن شداد: هو المستورد بن شداد الفهري القرشي، عداده في أهل

الكوفة، ثم سكن مصر ويعد فيهم، يقال إنه كان غلاماً يوم قبض النبي ﷺ ولكنه سمع منه ووعى عنه. روى عنه جماعة.

٨٠٢ - المغيرة بن شعبة: هو المغيرة بن شعبة الثقفي، أسلم عام الخندق وقدم مهاجراً نزل الكوفة ومات بها سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة وهو أمير لمعاوية بن أبي سفيان. روى عنه نفر.

٨٠٣ - المقدام بن معد يكرب: هو المقدام بن معديكرب، يكنى أبا كريمة الكندي، يعد في أهل الشام وحديثه فيهم. روى عنه خلق كثير. مات بالشام سنة سبع وثمانين وله إحدى وتسعون سنة.

٨٠٤ - المقداد بن الأسود: هو المقداد بن الأسود الكندي وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها، وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه كان في حجره، وقيل: بل كان عبداً له فتبناه، وكان سادساً في الإسلام. روى عنه علي وطارق بن شهاب وغيرهما مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة.

٨٠٥ - المهاجر بن خالد: هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي كان غلاماً على عهد رسول الله ﷺ هو وأخوه عبد الرحمن، وكانا مختلفين، كان عبد الرحمن مع معاوية، وكان المهاجر مع علي شهد معه الجمل وصفين، قال أبو عمر: قالوا إن المهاجر ابن خالد فقئت عينه يوم الجمل وقتل يوم صفين وهو مع علي.

٨٠٦ - مهاجر بن قنفذ: هو مهاجر بن قنفذ القرشي التيمي، ويقال: إن مهاجراً وقنفذاً لقبان، واسمه عمرو بن خلف هاجر إلى النبي ﷺ مسلماً فقال رسول الله ﷺ «هذا المهاجر حقاً» وقيل: إنه أسلم يوم الفتح وسكن البصرة ومات بها روى عنه أبو ساسان حُضين بن المنذر.

(قنفذ) بضم القاف وسكون النون والفاء والذال المعجمة.

و(ساسان) بالسين المهملتين.

و(حضين) بضم الحاء المهملة وفتح الضاد المعجمة وبالنون بعد الياء.

٨٠٧ - معيقيب بن أبي فاطمة: هو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي مولى سعيد بن أبي العاص شهد بدراً، وكان أسلم قديماً بمكة وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية وأقام بها حتى قدم النبي ﷺ بالمدينة وكان على خاتم النبي ﷺ واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال. روى عنه ابنه محمد وابن ابنه إياس بن الحارث وغيرهما مات سنة أربعين.

٨٠٨ - معقل بن يسار: هو معقل بن يسار المزني بايع تحت الشجرة سكن البصرة وإليه ينسب نهر معقل بالبصرة. روى عنه الحسن وجماعة مات في إمارة عبيد الله بن زياد بعد الستين، وقيل: مات في زمن معاوية.

٨٠٩ - معقل بن سنان: هو معقل بن سنان الأشجعي شهد فتح مكة ونزل الكوفة وحديثه

فيهم وقتل يوم الحرة صبراً. روى عنه ابن مسعود وعلقمة والحسن والشعبي وغيرهم.

(معقل) بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف.

٨١٠ - معن بن عدي: هو معن بن عدي البلوي وهو أخو عاصم شهد بدراً وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة في خلافة الصديق شهيداً، وكان النبي ﷺ آخى بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا معاً يومئذٍ.

٨١١ - معن بن يزيد: هو معن بن يزيد بن الأخنس السلمي له ولأبيه وجده صحبة شهد بدراً فيما قيل يعد في الكوفيين. روى عنه وائل بن كليب وغيره.

٨١٢ - مُجَمّع بن جارية: هو مجمع بن جارية الأنصاري المدني كان أبوه منافقاً من أهل مسجد الضرار، وكان مجمع مستقيماً وكان قارئاً يقال: أخذ ابن مسعود منه نصف القرآن. روى عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد وغيره مات في آخر أيام معاوية.

(مجمع) بضم الميم وفتح الجيم وتشديد الميم الثانية وكسرها وبالعين المهملة.

٨١٣ - محجن بن الأدرع: هو محجن بن الأدرع الأسلمي كان قديم الإسلام، عداده في البصريين. روى عنه حنظلة بن علي ورجاء وسعيد بن أبي سعيد، عمر طويلاً يقال: إنه مات في آخر أيام معاوية.

(محجن) بكسر الميم وسكون الحاء المهملة وفتح الجيم وبالنون.

٨١٤ - مخنف بن سليم: هو مخنف بن سليم الغامدي، ولاّه علي بن أبي طالب أصفهان. روى عنه ابنه وأبو رملة، عداده في أهل البصرة.

(مخنف) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح النون وبالفاء.

٨١٥ - مِدعَم: هو مدعم مولى النبي ﷺ وهو عبد أسود، كان عبداً لرفاعة بن زيد فأهداه إلى رسول الله ﷺ، وله ذكر في الغلول.

(مدعم) بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين المهملتين.

٨١٦ - مرداس بن مالك: هو مرداس بن مالك الأسلمي، كان من أصحاب الشجرة، يعد في الكوفيين. روى عنه قيس بن أبي حازم حديثاً واحداً ليس له غيره.

٨١٧ - محيصة: وهو محيصة بن مسعود الأنصاري الحارثي، يعد في أهل المدينة وحديثه فيهم، شهد أُحداً والخندق وما بعدهما من المشاهد، روى عنه ابنه سعد.

(محيصة) بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر الياء المشددة وفتح الصاد المهملة.

٨١٨ - مخارق بن عبد الله: هو مخارق بن عبد الله، يعد في الكوفيين وفي حديثه اختلاف كثير، ولم يرو عنه غير ابنه قابوس.

٨١٩ - مخرفة العبدي: هو مخرفة العبدي، قد اختلف في اسمه فقيل مخرفة العبدي وقيل مخرمة والأول أكثر. روى عنه سويد بن قيس وله ذكر في حديث سويد.

٨٢٠ - مجاشع بن مسعود: هو مجاشع بن مسعود السلمي. روى عنه أبو عثمان النهدي

قتل يوم الجمل في صفر سنة ست وثلاثين. حديثه عند البصريين.

٨٢١ ـ مُرارة بن الربيع: هو مرارة بن الربيع العامري الأنصاري، شهد بدراً وهو أحد الثلاثة الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم ونزل القرآن في شأنهم.

(مرارة) بضم الميم.

٨٢٢ ـ مصعب بن عمير: هو مصعب بن عمير القرشي العدوي، كان من أجلّة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى أرض الحبشة في أول من هاجر إليها، ثم شهد بدراً، وكان رسول الله ﷺ بعث مصعباً بعد العقبة الثانية إلى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة، وكان في الجاهلية من أنعم الناس عيشاً وألينهم لباساً فلما أسلم زهد في الدنيا فتخشّف جلده تخشُّف الحية، وقيل: إنه بعثه النبي ﷺ إلى المدينة بعد أن بايع العقبة الأولى، فكان يأتي الأنصار في دورهم ويدعوهم إلى الإسلام، فيسلّم الرجل والرجلان حتى فشا الإسلام فيهم، فكتب إلى النبي ﷺ يستأذنه أن يجمع بهم فأذن له، ثم قدم على النبي ﷺ مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلاً ثم عاد إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ وهو أول من قدمها وقتل يوم أحد شهيداً وله أربعون سنة أو أكثر وفيه نزل (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وكان إسلامه بعد دخول النبي دار الأرقم.

٨٢٣ ـ معاوية بن أبي سفيان: هو معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي وأمه هند بنت عتبة كان هو وأبوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم، وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ الوحي وقيل لم يكتب له من الوحي شيئاً إنما كتب له كتبة. روى عنه ابن عباس وأبو سعيد، تولّى الشام بعد أخيه يزيد في زمن عمر ولم يزل بها متولياً حاكماً إلى أن مات وذلك أربعون سنة، منها في أيام عمر أربع سنين أو نحوه ومدة خلافة عثمان وخلافة علي وابنه الحسن وذلك تمام عشرين سنة ثم استوثق الأمر بتسليم الحسن بن علي إليه في سنة إحدى وأربعين ودام له [الأمر] عشرين سنة، ومات سنة ستين في رجب بدمشق وله ثمان وأربعون سنة وكان أصابته لقوة في آخر عمره، وكان يقول في آخر عمره يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى ولم أر من هذا الأمر شيئاً، وكان عنده إزار رسول الله ﷺ ورداؤه وقميصه وشيء من شعره وأظفاره فقال كفّنوني في قميصه وأدرجوني في ردائه وأزروني بإزاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره وأظفاره وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين.

٨٢٤ ـ معاوية بن الحكم: هو معاوية بن الحكم السلمي، كان ينزل المدينة وعداده في أهل الحجاز. روى عنه ابنه كثير وعطاء بن يسار وغيرهما مات سنة سبع عشرة ومائة.

٨٢٥ ـ معاوية بن جاهمة: هو معاوية بن جاهمة السلمي، عداده في أهل الحجاز. روى عن أبيه وعنه طلحة ابن عبيد الله.

٨٢٦ ـ مروان بن الحكم: هو مروان بن الحكم، يكنى أبا عبد الملك القرشي الأموي جد عمر بن عبد العزيز، ولد مروان على عهد رسول الله ﷺ قيل سنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق وقيل غير ذلك فلم ير النبي ﷺ لأن النبي ﷺ نفى أباه إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولي عثمان فردّه إلى المدينة فقدمها وابنه معه. مات بدمشق سنة خمس وستين. روى عن

نفر من الصحابة. وروى عنه نفر من التابعين منهم عثمان وعلي وعنه عروة بن الزبير وعلي بن الحسين.

٨٢٧ ـ مرة بن كعب: هو مرة بن كعب البهزي عداده في أهل الشام. روى عنه نفر من التابعين. مات بالأردن سنة خمس وخمسين.

٨٢٨ ـ مَزْيَدة بن جابر: هو مزيدة بن جابر البصري يعد في البصريين وحديثه عندهم. روى عنه هوذة بن عبد الله بن سعد وهو ابن أمه.

(مزيدة) بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الياء تحتها نقطتان.

٨٢٩ ـ مسلم القرشي: هو مسلم القرشي، اسمه مسلم بن عبد الله وقيل عبيد الله ابن مسلم.

٨٣٠ ـ المطلب بن أبي وداعة: هو المطلب بن أبي وداعة، واسم أبي وداعة الحارث السهمي القرشي، أسلم يوم الفتح ثم نزل الكوفة ثم المدينة وكان أسر أبوه يوم بدر فجاء المطلب في فدائه ففداه بأربعة آلاف درهم. روى عنه عبد الله بن الزبير وابناه كثير وجعفر، والمطلب بن السائب وهو ابن أخيه.

٨٣١ ـ المطلب بن ربيعة: هو المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي كان غلاماً على عهد رسول الله ﷺ عداده في أهل الحجاز. روى عنه عبد الله ابن الحارث قدم مصر لغزو أفريقية سنة تسع وعشرين ولم يقع لأهل مصر عنه رواية.

٨٣٢ ـ محمد بن أبي بكر الصديق: هو محمد بن أبي بكر الصديق يكنى أبا القاسم، ولد عام حجة الوداع بذي الحليفة سنة ثمان وأمه أسماء بنت عميس. روى عن عائشة كثيراً وعن غيرها من الصحابة وعنه ابنه القاسم كثيراً وغيره من التابعين قتله أصحاب معاوية بمصر سنة ثمان وثلاثين وأحرقوه في جيفة حمار.

٨٣٣ ـ محمد بن حاطب: هو محمد بن حاطب القرشي الجمحي له ولأبويه وأخيه الحارث وعمه الخطاب صحبة ولد بأرض الحبشة وتوفي بمكة سنة أربع وسبعين وقيل بالكوفة، عداده في الكوفيين. روى عنه ابنه إبراهيم وسماك بن حرب ويقال إنه أول من سمي باسم النبي ﷺ.

٨٣٤ ـ محمد بن عبد الله: هو محمد بن عبد الله بن جحش القرشي الأسدي، ولد قبل الهجرة بخمس سنين وهاجر مع أبيه إلى أرض الحبشة ثم إلى مكة ثم هاجر من مكة إلى المدينة. روى عنه أبو كثير مولاه غيرهم.

٨٣٥ ـ محمد بن عمرو: هو محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، ولد في عهد رسول الله ﷺ سنة عشر بنجران، وكان أبوه عامل النبي ﷺ على نجران، ويقال: إن النبي ﷺ أمر أباه أن يكنيه بأبي عبد الملك وكان محمد فقيهاً. روى عن أبيه وعن عمرو بن العاص، وعنه جماعة من أهل المدينة قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك سنة ثلاث وستين.

٨٣٦ ـ محمد بن أبي عميرة: هو محمد بن أبي عميرة المزني، يعد في الشاميين. روى عنه جبير بن نفير.

(عميرة) بفتح العين المهملة وكسر الميم وبالراء.

٨٣٧ ـ محمد بن مسلمة: هو محمد بن مسلمة الأنصاري الحارثي، شهد المشاهد كلها إلاّ تبوك. روى عن عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة، وكان من فضلاء الصحابة، وكان من الذين أسلموا على يد مصعب بن عمير بالمدينة ومات بها سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة.

٨٣٨ ـ محمود بن لبيد: هو محمود بن لبيد الأنصاري الأشهلي، ولد على عهد رسول الله ﷺ وحدث عنه أحاديث. قال البخاري له صحبة، وقال أبو حاتم لا يعرف له صحبة، وذكره مسلم في التابعين في الطبقة الثانية منهم. قال ابن عبد البر والصواب قول البخاري فأثبت له صحبة، وكان محمود أحد العلماء. روى عن ابن عباس وعتبان بن مالك مات سنة ست وتسعين.

٨٣٩ ـ معمر بن عبد الله: هو معمر بن عبد الله القرشي العدوي، أسلم قديماً معدود في أهل المدينة وحديثه فيهم. روى عنه سعيد بن المسيب.

٨٤٠ ـ مغيث: بضم الميم وكسر الغبن المعجمة وسكون الياء تحتها نقطتان وبالثاء المثلثة زوج بريرة مولاة عائشة وهو مولى لآل أبي أحمد بن جحش. روى عنه ابن عباس وعائشة.

٨٤١ ـ المنذر بن أبي أسيد: هو المنذر بن أبي أسيد الساعدي أتى به النبي ﷺ حين ولد فوضعه على فخذه وسمّاه المنذر.

(أسيد) تصغير أسد.

٨٤٢ ـ أبو موسى: هو أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينة ورسول الله ﷺ بخيبر ولاّه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين فافتتح أبو موسى الأهواز، ولم يزل على البصرة إلى صدر من خلافة عثمان، ثم عزل عنها فانتقل إلى الكوفة فأقام بها، وكان والياً على أهل الكوفة إلى أن قتل عثمان، ثم انتقل أبو موسى إلى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها إلى أن مات سنة اثنتين وخمسين.

٨٤٣ ـ أبو مرثد: هو أبو مرثد كنّاز بن حصن، ويقال: ابن حصين الغنوي مشهور بكنيته شهد بدراً هو وابنه مرثد، وهو من كبار الصحابة. روى عن حمزة، وعنه واثلة بن الأسقع، وعبد الله بن عمر. مات سنة اثنتي عشرة.

(كناز) بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي.

٨٤٤ ـ أبو مسعود: هو أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري شهد العقبة الثانية، ولم يشهد بدراً عند جمهور أهل العلم بالسير، وقيل: إنه شهدها والأول أصح وإنما نسب إلى ماء بدر لأنه نزله فنسب إليه وسكن الكوفة ومات في خلافة علي، وقيل: سنة إحدى أو اثنتين وأربعين. روى عنه ابنه بشير وخلق سواه.

٨٤٥ ـ أبو مالك: هو أبو مالك كعب بن عاصم الأشعري كذا قاله البخاري في «التاريخ» وغيره، وقال البخاري في رواية عبد الرحمن بن غَنْم عنه: حدّثنا أبو مالك أو أبو عامر بالشك

قال ابن المديني: أبو مالك هو الصواب. روى عنه جماعة، مات في خلافة عمر.

٨٤٦ ـ أبو محذورة: هو أبو محذورة اسمه سمرة بن مِعْيَرة بكسر الميم، وقيل: أوس بن معير وهو مؤذن رسول الله ﷺ بمكة، مات بها سنة تسع وخمسين، ولم يهاجر ولم يزل مقيماً حتى مات.

٨٤٧ ـ ابن مربع: هو زيد بن مربع ا لأنصاري، وقيل اسمه يزيد، وقيل: عبد الله والأول أكثر. روى عنه يزيد بن شيبان عداده في أهل الحجاز حديثه في الوقوف بعرفة.

(مربع) بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وبالعين المهملة.

فصل في التابعين

٨٤٨ ـ محمد بن حنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب يكنى أبا القاسم أمه خولة بنت جعفر الحنفية، وقيل: بل كانت أمه من سبأ اليمامة فصارت إلى علي بن أبي طالب، وقالت أسماء بنت أبي بكر: رأيت أم محمد بن الحنفية سندية سوداء، وكانت أمة لبني حنيفة. روى عن أبيه، وعنه ابنه إبراهيم مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين، وله خمس وستون سنة ودفن بالبقيع.

٨٤٩ ـ محمد بن علي: هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يكنى أبا جعفر المعروف بـ (الباقر) سمع أباه زين العابدين وجابر بن عبد الله. روى عنه ابنه جعفر الصادق وغيره. ولد سنة ست وخمسين ومات بالمدينة سنة سبع عشرة، وقيل: ثماني عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك، ودفن بالبقيع وسمي (الباقر) لأنه تبقّر في العلم أي توسّع.

٨٥٠ ـ محمد بن يحيى: هو محمد بن يحيى بن حبّان يكنى أبا عبد الله الأنصاري. روى عنه جماعة، وهو من مشايخ مالك بن أنس، وكان مالك يجلّه ويذكره بكل فضل من العبادة والزهد والفقه والعلم مات بالمدينة سنة إحدى وعشرين ومائة وهو ابن أربع وسبعين سنة.

(حبان) بفتح الحاء وتشديد الباء الموحدة.

٨٥١ ـ محمد بن سيرين: هو محمد بن سيرين يكنى أبا بكر مولى ابن أنس بن مالك. روى عن أنس بن مالك، وابن عمر، وأبي هريرة، وعنه خلق كثير كان فقيهاً عالماً زاهداً عابداً ورعاً محدثاً من مشاهير التابعين وجلّتهم، واشتهر بفنون علوم الشريعة. قال مورق العلم العجلي: ما رأيت أحداً أفقه في ورعه ولا أورع في فقهه من ابن سيرين، وقال خلف ابن هشام: كان ابن سيرين قد أعطي هدياً وسمتاً وخشوعاً، فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله، وقال الأ شعث: كان محمد إذا سئل عن مسألة من الفقه والحلال والحرام تغيّر لونه وتبدّل كأنه ليس بالذي كان، قال مهدي: نجلس إلى محمد فيحدّثنا ونحدّثه ويكثر إلينا ونكثر إليه، فإذا ذكر الموت تغيّر لونه واصفرّ وأنكرناه وكأنه ليس بالذي كان، مات سنة عشرة ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة.

٨٥٢ ـ محمد بن سوقة: هو محمد بن سوقة أبو بكر الغنوي الكوفي العابد. روى عن

أنس والنخعي وطائفة، وعنه ابن المبارك، وابن عيينة وغيرهما، يقال: كان لا يحسن أن يعصي الله وأنفق مائة ألف درهم على إخوانه، ثقة مرضي.

٨٥٣ ـ محمد بن عمر: هو محمد بن عمرو بن الحسن بن علي بن أبي طالب. روى عن جابر بن عبد الله.

٨٥٤ ـ محمد بن سليمان: هو محمد بن سليمان الباغندي يكنى أبا بكر الواسطي المعروف بالباغندي سكن بغداد وحدّث بها عن جماعة. وروى عنه خلق كثير منهم: أبو داود السبحستاني مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

٨٥٥ ـ محمد بن أبي بكر: هو محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري المدني سمع أباه روى عنه سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، وكان قاضياً بالمدينة بعد أبيه، وهو أكبر من أخيه عبد الله مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ومات أبوه أبو بكر سنة عشرين ومائة.

٨٥٦ ـ محمد بن المنكدر: هو محمد بن المنكدر التيمي سمع جابر بن عبد الله، وأنس ابن مالك، وابن الزبير، وعمه ربيعة. روى عنه جماعة منهم: الثوري ومالك، مات سنة ثلاثين ومائة، وله نيف وسبعون سنة وهو تابعي مشهور من مشاهير التابعين وجلّتهم جمع بين العلم والزهد والعبادة والدين المتين والصدق والعفة.

٨٥٧ ـ محمد بن المنتشر: هو محمد بن المنتشر الهمداني ابن أخي مسروق. روى عن ابن عمر وعائشة وغيرهما وعنه جماعة.

٨٥٨ ـ محمد بن الصباح: هو محمد بن الصباح، أبو جعفر الدولابي البزار مصنف «السنن». روى عن شريك وهشيم وغيرهما وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد وخلق سواهم، وثقوه وكان حافظاً. مات سنة سبع وعشرين ومائتين.

٨٥٩ ـ محمد بن خالد: هو محمد بن خالد السلمي. روى عن أبيه عن جده، ولجده صحبة.

٨٦٠ ـ محمد بن زيد: هو محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر. روى عن جده وابن عباس وعنه بنوه والأعمش وغيرهم، ثقة.

٨٦١ ـ محمد بن كعب: هو محمد بن كعب القرظي، مدني سمع نفراً من الصحابة ومنه محمد بن المنكدر وغيره. كان أبوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك. مات سنة ثمان ومائة.

٨٦٢ ـ محمد بن أبي المجالد: هو محمد بن أبي المجالد الكوفي من تابعيها، حديثه فيهم سمع جماعة من الصحابة، وعنه أبو إسحاق وشعبة وغيرهما.

٨٦٣ ـ محمد بن قيس: هو محمدبن قيس بن مخرمة القرشي الحجازي. روى عن أبي هريرة وعائشة، وعنه عبد الله بن كثير وغيره.

٨٦٤ ـ محمد بن إبراهيم: هو محمد بن إبراهيم القرشي التيمي، سمع علقمة بن وقاص وأبا سلمة، أخرج له الترمذي حديثاً في ركعتي الفجر عن قيس جد سعد بن سعيد، وقيس هو

جد يحيى بن سعيد وسعد أخيه قال: وهو قيس بن عمرو ويقال: «قيس بن قهد» ثم قال: «وإسناد هذا الحديث ليس بمتصل فإن محمد بن إبراهيم التيمي لم يسمع من قيس».

(قهد) بفتح القاف وقيل بفتح الفاء.

٨٦٥ ـ محمد بن أبي بكر: هو محمد بن أبي بكر بن عوف الثقفي الحجازي. روى عن أنس بن مالك وعنه جماعة.

٨٦٦ ـ محمد بن مسلم: هو محمد بن مسلم يكنى أبا الزبير تقدّم ذكره في حرف الزاي.

٨٦٧ ـ محمد بن القاسم: هو محمد بن القاسم ابن خلاد الضرير المعروف بأبي العيناء مولى أبي جعفر المنصور، أصله من اليمامة ومولده بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة، ومنشؤه بالبصرة، كان من أحفظ الناس وأفصحهم لساناً وأسرعهم جواباً مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين. روى عنه جماعة.

٨٦٨ ـ محمد بن الفضل: هو محمد بن الفضل بن عطية. روى عن أبيه وزياد بن علاقة ومنصور، وعنه داود بن رشيد، ومحمد بن عيسى المدائني، تركوه مات سنة ثمانين ومائة.

٨٦٩ ـ محمد بن إسحاق: هو محمد بن إسحاق المدني مولى قيس بن مخرمة تابعي رأى أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب وسمع جماعة كثيرة من التابعين حدّث عنه الأئمة والعلماء يحيى بن سعيد، والثوري، والنخعي، وابن عيينة وخلق سواهم، كان عالماً بالسير والمغازي وأيام الناس وأخبار المبدأ وقصص الأنبياء، وعلم الحديث والقرآن والفقه، وقدم بغداد وحدّث بها ومات سنة خمسين ومائة ودفن بمقبرة الخيزران في الجانب الشرقي.

٨٧٠ ـ مُسَدَّد بن مُسَرْهد: هو مسدد بن مسرهد البصري سمع حماد بن زيد، وأبا عوانة وغيرهما. روى عنه البخاري وأبو داود وخلق كثير سواهما مات سنة ثمان وعشرين ومائتين.

(مسدد) بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الدال الأولى وفتحها.

وكذلك (مسرهد) بضم الميم وفتح السين وسكون الراء وفتح الهاء.

٨٧١ ـ مجاهد بن جبر: هو مجاهد بن جبر يكنى أبا حجاج مولى عبد الله بن السائب المخزومي من الطبقة الثانية من تابعي مكة وفقهائها وقرّائها والمشهورين بها وأحد الأعلام المعروفين، كان إماماً في القراءة والتفسير. روى عنه جماعة. مات سنة مائة.

(جبر) بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة.

٨٧٢ ـ مهاجر بن مسمار: هو مهاجر بن مسمار الزهري مولاهم. روى عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، وعنه ابن أبي ذؤيب وغيره، ثقة.

٨٧٣ ـ مكحول بن عبد الله: هو مكحول بن عبد الله يكنى أبا عبد الله الشامي من سبي كابل، كان مولى لامرأة قيس، وقيل: مولى لبني ليث وكان معلم الأوزاعي، وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام، ولم يكن في زمان مكحول أبصر بالفتيا منه، وكان لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، هذا رأي، والرأي يخطىء ويصيب. روى عن جماعة، وعنه خلق كثير. مات سنة ثماني عشرة ومائة.

٨٧٤ ـ مسروق بن الأجدع: هو مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي أسلم قبل وفاة النبي ﷺ، وأدرك الصدر الأول من الصحابة: كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وكان أحد الأعلام والفقهاء، قال مرة بن شراحيل: ما ولدت همدانية مثل مسروق وقال الشعبي: إن كان أهل بيت خلقوا للجنة فهم هؤلاء: الأسود، وعلقمة، ومسروق، وقال محمد بن المنتشر: إن خالد بن عبد الله كان عاملاً على البصرة أهدى إلى مسروق ثلاثين ألفاً، وهو يومئذٍ محتاج فلم يقبلها، يقال: إنه سرق صغيراً، ثم وجد فسمّي مسروقاً. روى عنه جماعة كثيرة مات بالكوفة سنة اثنتين وستين.

٨٧٥ ـ مرثد بن عبد الله: هو مرثد بن عبد الله يكنى أبا الخير اليزني المصري سمع عقبة ابن عامر، وأبا أيوب: وعبد الله بن عمرو، وعمرو بن العاص. روى عنه يزيد بن أبي حبيب.

٨٧٦ ـ مالك بن مرثد: هو مالك بن مرثد. روى عن أبيه، وعنه سماك بن الوليد وغيره.

٨٧٧ ـ مسلم بن أبي بكرة: هو مسلم بن أبي بكرة الثقفي تابعي. روى عن أبيه وعنه عثمان الشحام.

٨٧٨ ـ مسلم بن يسار: هو مسلم بن يسار الجهني أخرج الترمذي حديثه في تفسير سورة (الأعراف) عن عمر بن الخطاب، وقال: حديثه حسن إلاّ أنه لم يسمع عمر، وقال البخاري: إن مسلم بن يسار روى عن نعيم عن عمر.

٨٧٩ ـ مصعب بن سعد: هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص القرشي سمع أباه وعلي ابن أبي طالب، وابن عمر. روى عنه سماك بن حرب وغيره.

٨٨٠ ـ معن بن عبد الرحمن: هو معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي. روى عن أبيه.

٨٨١ ـ معدان بن طلحة: هو معدان بن طلحة اليعمري سمع عمر، وأبا الدرداء، وثوبان.

٨٨٢ ـ معمر بن راشد: هو معمر بن راشد يكنى أبا عروة الأزدي مولاهم عالم اليمن. روى عن الزهري، وهمام، وعنه الثوري، وابن عيينة وغيرهما، قال عبد الرزاق: سمعت عنه عشرة آلاف حديثاً مات سنة ثلاث وخمسين ومائة وله ثمان وخمسون سنة.

٨٨٣ ـ المهلب بن أبي صفرة: هو المهلب بن أبي صفرة الأزدي صاحب المقامات المأثورة والحروب المشهورة مع الخوارج سمع سمرة، وابن عمر. روى عنه جماعة مات سنة ثلاث وثمانين بمرو والروذ من أرض خراسان في أبا عبد الملك بن مروان، وهو في الطبقة الأولى من تابعي البصرة.

٨٨٤ ـ المورق بن المشمْرج: هو المورق بن المشمرج أبو المعتمر العجلي البصري حدث عن أبي ذر، وأنس بن مالك، وابن عمر، وعنه مجاهد وقتادة وغيرهما.

(مورق) بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء وبالقاف.

و(المشمرج) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وسكون الميم وكسر الراء وبالجيم.

٨٨٥ ـ موسى بن طلحة: هو موسى بن طلحة يكنى أبا عيسى التيمي القرشي سمع جماعة من الصحابة مات سنة أربع ومائة.

٨٨٦ ـ موسى بن عبد الله: هو موسى بن عبد الله الجهني الكوفي سمع مجاهداً ومصعب ابن سعد. روى عنه شعبة، ويحيى بن سعيد، ويعلى.

٨٨٧ ـ موسى بن عبيدة: هو موسى بن عبيدة الربذي. روى عن محمد بن كعب، ومحمد بن إبراهين التيمي، وعنه شعبة وعبيد الله بن موسى، وعلي ضعفوه. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة.

٨٨٨ ـ مطرف بن عبد الله: هو مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري روى عن أبي ذر، وعثمان بن أبي العاص، مات بعد سنة سبع وثمانين.

(مطرف) بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشديد الراء المكسورة بالفاء.

(الشخير) بكسر الشين المعجمة وكسر الخاء المعجمة المشددة.

٨٨٩ ـ معاذ بن زهرة: هو معاذ بن زهرة السلمي الكوفي تابعي أرسل. روى عنه حصين ابن عبد الرحمن.

٨٩٠ ـ معاذ بن عبد الله: هو معاذ بن عبد الله بن خُبيب الجهني المدني. روى عن أبيه.

٨٩١ ـ المُخَلد بن خِفاف: هو المخلد بن خفاف. روى عن عروة، وعنه ابن أبي ذئب، وحديثه حديث الخراج بالضمان.

٨٩٢ ـ المختار بن فُلفُل: هو المختار بن فلفل المخزومي الكوفي سمع أنس بن مالك. روى عنه الثوري وغيره.

(فلفل) بفائين مضمومتين.

٨٩٣ ـ المختار بن أبي عبيد: هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي كان أبوه من أجلّة الصحابة، وولد المختار عام الهجرة، وليس له صحبة ولا رواية، وهو الذي قال في حقه عبد الله بن عصمة: هو الكذاب الذي قال رسول الله ﷺ: «في ثقيف كذاب» كان أولاً مشهوراً بالفضل والعلم والخير، وكان ذلك منه بخلاف ما يبطنه إلى أن فارق عبد الله ابن الزبير، وطلب الإمارة، وأظهر ما كان يبطل من فساد الرأي والعقيدة والهوى إلى أن ظهر منه أسباب كثيرة تخالف الدين، وكان يظهر طلب ثأر الحسين بن علي ابن أبي طالب ليتمشّى أمره الذي يرومه من الإمارة وطلب الدنيا، ولم يزل كذلك إلى أن قتل سنة سبع وستين في أيام مصعب بن الزبير.

٨٩٤ ـ المغيرة بن زياد: هو المغيرة بن زياد البجلي الموصلي. روى عن عكرمة ومكحول، وعنه وكيع وأبو عاصم وجماعة، وقال أحمد بن حنبل: منكر الحديث ولم أجد المغيرة بن زياد في الصحابة.

٨٩٥ـ المغيرة بن مقسم: هو المغيرة بن مقسم الكوفي الأعمى. روى عن أبي وائل، والشعبي، وعنه شعبة، وزائدة، وابن فضيل، وروى جرير عنه قال: ما وقع في مسامعي شيء فنسيته. مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

٨٩٦ ـ المثنى بن الصباح: هو المثنى بن الصباح اليماني ثم المكي روى عن عطاء ومجاهد وعمرو بن شعيب، وعنه عبد الرزاق وغيره، قال أبو حاتم وغيره: ليّن الحديث مات سنة تسع وأربعين ومائة.

٨٩٧ ـ معاوية بن قرة: هو معاوية بن قرة يكنى أبا إياس البصري سمع أباه أنس ابن مالك، وعبد الله بن مغفل. روى عنه قتادة وشعبة والأعمش.

(إياس) بكسر الهمزة وتخفيف الياء تحتها نقطتان.

٨٩٨ ـ معاوية بن مسلم: هو معاوية بن مسلم يكنى أبا نوفل سمع ابن عباس وابن عمر روى عنه شعبة وابن جريج.

٨٩٩ ـ ميناء: هو ميناء روى عن مولاه عبد الرحمن بن عوف وعثمان وأبي هريرة وعنه والد عبد الرزاق، ضعفوه.

٩٠٠ ـ أبو المليح: هو أبو المليح عامر بن أسامة الهذلي البصري. روى عن جماعة من الصحابة.

(المليح) بفتح الميم وكسر اللام وبالحاء المهملة.

٩٠١ ـ أبو مودود: هو أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان المدني، رأى أبا سعيد الخدري وسمع السائب بن يزيد وعثمان الضحاك، وعنه ابن مهدي العقبني وكامل ابن طلحة، وثقوه. توفي في إمارة المهدي له ذكر في «باب فضائل سيد المرسلين ﷺ».

٩٠٢ ـ أبو ماجد: هو أبو ماجد الحنفي روى عن ابن مسعود، وعنه يحيى الجابر له ذكر في «باب المشي بالجنازة» في حديث ابن مسعود سمّاه الترمذي أبا ماجد، وقال: سمعت محمد بن إسماعيل يضعف حديثه، وقال ابن عيينة: وهو طائر طار.

٩٠٣ ـ أبو مسلم: هو أبو مسلم الخولاني الزاهد عبد الله بن ثُوب على الأصح لقي أبا بكر وعمر ومعاذاً. روى عنه جبير بن نفير وعروة وأبو قلابة، ومناقبه كثيرة. مات سنة اثنتين وستين.

٩٠٤ ـ أبو المطوس: روى عن أبيه، وعنه حبيب بن أبي ثابت، وقيل: بينهما عمارة، وثق.

٩٠٥ ـ ابن المديني: هو علي بن عبد الله تقدّم ذكره في حرف العين.

٩٠٦ ـ ابن المثنى: هو محمد بن عبد الله المثني بن أنس بن مالك الأنصاري البصري سمع أباه وسليمان التيمي وحميد الطويل وغيرهم. روى عنه قتيبة وأحمد بن حنبل ومحمد ابن إسماعيل البخاري وغيرهم من الأئمة الأعلام، ولي قضاء البصرة أيام الرشيد وقدم بغداد فولي القضاء وحدث بها ثم رجع إلى البصرة، ولد سنة ثماني عشرة ومائة مات سنة خمس عشرة ومائتين.

٩٠٧ ـ ابن أبي مليكة: هو عبد الله بن عبيد الله تقدّم ذكره في حرف العين.

٩٠٨ ـ المحاربي: هو المحاربي بضم الميم وبالحاء المهملة وبالراء وبالباء الموحدة

منسوب إلى محارب بطن من قريش، وهو عبد الرحمن بن محمد. روى عن الأعمش ويحيى ابن سعيد وعنه أحمد وعلي بن حرب، وكان حافظاً مات سنة خمس وتسعين ومائة.

فصل في الصحابيات

٩٠٩ ـ ميمونة: هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية العامرية، يقال: كان اسمها برة فسمّاها النبي ﷺ ميمونة، كانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية ففارقها وتزوجها أبو رهم وتوفي عنها فتزوجها النبي ﷺ في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضاء بـ (سرف) على عشرة أميال من مكة. وقدر الله تعالى أنها ماتت في المكان الذي تزوجها فيه بـ (سرف) سنة إحدى وستين، وقيل غير ذلك وصلّى عليها ابن عباس، وهي أخت أم الفضل امرأة العباس وأخت أسماء بنت عميس، وهي آخر أزواج النبي ﷺ، قيل: إنه لم يتزوج بعدها. روى عنها جماعة منهم: عبد الله بن عباس.

٩١٠ ـ أم المنذر: هي أم المنذر بنت قيس الأنصارية، ويقال: العدوية، لها صحبة ورواية. روى عنها يعقوب بن أبي يعقوب.

٩١١ ـ أم معبد بنت خالد: هي أم معبد الخزاعية عاتكة بنت خالد، يقال: إنها أسلمت لما نزل النبي ﷺ عليها في مهاجرته إلى المدينة، ويقال: إنها قدمت المدينة فأسلمت وحديثها المعروف بـ (حديث أم معبد) مشهور.

٩١٢ ـ أم معبد بنت كعب: هي أم معبد بنت كعب بن مالك الأنصارية، وكانت قد صلّت القبلتين. روى عنها ابنها معبد قاله ابن مندة وقال ابن عبد البر هي أم معبد زوجة كعب ابن مالك الأنصاري السلمي وهي أم معبد ابن كعب بن مالك الأنصاري. روى عنها ابنها معبد، والذي جاء في تاريخ البخاري في باب (معبد) أن معبداً هو ابن كعب ابن مالك الأنصاري هذا يعضد قول ابن عبد البر.

٩١٣ ـ أم مالك البهزية: هي أم مالك البهزية لها صحبة ورواية، وهي حجازية. روى عنها طاووس ومكحول.

فصل في التابعيات

٩١٤ ـ معاذة بنت عبد الله: هي معاذة بنت عبد الله العدوية. روت عن علي وعائشة وعنها قتادة وغيره، ماتت سنة ثلاث وثمانين.

٩١٥ ـ المغيرة: هي المغيرة أخت الحجاج بن حسان، رأت أنس بن مالك وروت عنه وروى عنها أخوها الحجاج، حديثها في «باب الترجل».

حرف النون

فصل في الصحابة

٩١٦ ـ النعمان بن بشير: هو النعمان بن بشير يكنى أبا عبد الله الأنصاري، وهو أول مولود ولد للأنصار من المسلمين بعد الهجرة، قيل: مات النبي ﷺ وله ثماني سنين وسبعة

أشهر وله ولأبويه صحبة، سكن الكوفة، وكان والياً عليها زمن معاوية، ثم ولي حمص فدعا لعبد الله بن الزبير فطلبه أهل حمص فقتلوه سنة أربع وستين. روى عنه جماعة منهم: ابنه محمد والشعبي.

٩١٧ ـ النعمان بن عمرو بن مَقرّن: هو النعمان بن عمرو بن مقرن المزني. روي أنه قال: قدمنا على النبي ﷺ في أربع مائة من مزينة، سكن البصرة ثم تحوّل إلى الكوفة، وكان عامل عمر على جيش نهاوند، واستشهد يوم فتحها سنة إحدى وعشرين. روى عنه معقل بن يسار، ومحمد بن سيرين وغيرهما.

(مقرن) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المكسورة وبالنون.

٩١٨ ـ نعيم بن مسعود: هو نعيم بن مسعود الأشجعي هاجر إلى النبي ﷺ وأسلم بالخندق، وهو الذي سعى بين بني قريظة وأبي سفيان بن حرب، وأبو سفيان يومئذٍ رأس الأحزاب وخذلهم عن رسول الله ﷺ، وحكايته معروفة سكن المدينة. روى عنه ابنه سلمة ومات في خلافة عثمان، وقيل: بل قتل في وقعة الجمل قبل قدوم علي بن أبي طالب.

٩١٩ ـ نَعيم بن همَّار: هو نعيم بن همار بفتح الهاء وتشديد الميم وبالراء، وقيل: همام بالميم الغطفاني. روى عنه أبو إدريس الخولاني وغيره.

٩٢٠ ـ نعيم بن عبد الله: هو نعيم بن عبد الله القرشي العدوي المعروف بالنحام، وقيل: هو نعيم بن النحام بن عبد الله أسلم بمكة قديماً، يقال: إنه أسلم قبل إسلام عمر، وكان يكتم إسلامه، ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم فقالوا: أقم عندنا على أي دين شئت، وهاجر عام الحديبية وقتل بـ (أجنادين) شهيداً في آخر خلافة أبي بكر. روى عنه نافع ومحمد بن إبراهيم التيمي.

(النحام) بفتح النون وتشديد الحاء المهملة.

و(اجنادين) بفتح الهمزة وسكون الجيم وبالنون وفتح الدال المهملة وسكون الياء تحتها نقطتان.

٩٢١ ـ ناجية بن جندب: هو ناجية بن جندب الأسلمي صاحب بدن رسول الله ﷺ، ويقال: إنه ناجية بن عمرو، وهو معدود في أهل المدينة، وكان اسمه ذكوان فسمّاه النبي ﷺ ناجية إذ نجا من قريش، وهو الذي نزل القليب في الحديبية بسهم رسول الله ﷺ فيما يقال. روى عنه عروة بن الزبير وغيره. مات بالمدينة في أيام معاوية.

٩٢٢ ـ نبيشة الخير: هو نبيشة الخير الهذلي. روى عنه أبو المليح وأبو قلابة، يعد في البصريين وحديثه فيهم.

٩٢٣ ـ نوفل بن معاوية: هو نوفل بن معاوية الديلي، قيل: إنه عمر في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين، وقيل: بل عاش مائة سنة، وأول مشاهده فتح مكة. وكان أسلم قبل ذلك، عداده في أهل الحجاز مات بالمدينة زمن يزيد بن معاوية. روى عنه نفر

(الديلي) بكسر الدال وسكون الياء.

٩٢٤ ـ النواس بن سمعان: هو النواس بن سمعان الكلابي، سكن الشام وهو معدود فيهم. روى عنه جبير بن نفير وأبو إدريس الخولاني.

٩٢٥ ـ (سمعان) بكسر السين المهملة وقيل بفتحها وسكون الميم وبالعين المهملة.

٩٢٦ ـ نُفيع بن الحارث: هو نفيع بن الحارث الثقفي، يكنى أبا بكرة، تقدّم ذكره في حرف الباء.

٩٢٧ ـ نافع بن عتبة: هو نافع بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص. روى عنه جابر بن سمرة وأسلم يوم فتح مكة عداده في أهل الكوفة.

٩٢٨ ـ أبو نجيح: هو أبو نجيح، اسمه عمرو بن عتبة، تقدم ذكره في حرف العين.

فصل في التابعين

٩٢٩ ـ نافع بن سَرْجِس: هو نافع بن سرجس مولى عبد الله بن عمر، كان ديلمياً، وهو من كبار التابعين، سمع ابن عمر وأبا سعيد. روى عنه خلق كثير منهم الزهري ومالك بن أنس وهو من المشهورين بالحديث ومن الثقات الذين يؤخذ عنهم ويجمع حديثهم ويعمل به، معظم حديث ابن عمر عليه دائر، قال مالك كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر لا أبالي أن لا أسمعه من أحد مات سنة سبع عشرة ومائة.

(سرجس) بفتح السين المهملة الأولى وسكون الراء وكسر الجيم.

٩٣٠ ـ نافع بن جبير: هو نافع بن جبير بن مطعم القرشي الحجازي. روى عن أبيه وأبي هريرة وغيرهما، وعنه الزهري وغيره.

٩٣١ ـ نافع بن غالب: هو نافع بن غالب، يكنّى أبا غالب الخياط الباهلي، يعد في تابعي البصرة. روى عن أنس بن مالك وعنه عبد الوارث.

٩٣٢ ـ نبيه بن وهب: هو نبيه بن وهب الكعبي الحجازي، سمع أبان بن عثمان وكعب مولى سعيد بن العاص. روى عنه نافع.

(نبيه) بضم النون وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان.

٩٣٣ ـ النضر بن شُميل: هو النضر بن شميل، يكنى أبا الحسن المازني، سكن المرو مات بها سنة ثلاث ومائتين أو نحوها. روى عنه خلق كثير، كان إماماً في اللغة والنحو وسائر فنون الأدب.

(شميل) بضم الشين المعجمة.

٩٣٤ ـ ناصح بن عبد الله: هو ناصح بن عبد الله المحلمي، له ذكر في باب الشفقة والرحمة. روى عن سماك ويحيى بن أبي كثير، وعنه يحيى بن يعلى وإسحاق السلمي بن منصور السلولي صالح ضعفوه.

٩٣٥ ـ النُفَيلي: هو عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل الحافظ. روى عن مالك، وعنه أبو داود. وقال ما رأيت أحفظ منه وكان أحمد يعظّمه وهو من أركان الدين. مات سنة أربع وثلاثين ومائتين.

٩٣٦ ـ النجاشي: هو النجاشي ملك الحبشة، والذي أسلم وآمن بالنبي ﷺ، هو أصحمة. مات قبل الفتح وصلّى عليه النبي ﷺ لما جاءه خبر موته ولم يره، وأورده ابن مندة في جملة الصحابة وإن لم يصحب النبي ﷺ ولا رآه، والأولى أن لا يعد في جملة الصحابة لأن اسم الصحابة لا يطلق عليه بحال، له ذكر في صلاة الجنازة وغيرها.

٩٣٧ ـ أبو نضر: هو أبو نضر سالم بن أبي أمية مولى عمر بن عبيد الله بن معمر القرشي التيمي المدني، يعد في التابعين. روى عنه مالك والثوري وابن عيينة.

(النضر) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة.

٩٣٨ ـ أبو نضرة المنذر: هو أبو نضرة المنذر بن مالك العبدي، سمع ابن عمر وأبا سعيد وابن عباس. روى عنه إبراهيم التيمي وقتادة وسعيد بن يزيد، عداده في تابعي البصرة. مات قبل الحسن بقليل.

٩٣٩ ـ ابن النواحة: هو عبد الله الذي جاء مع صاحبه ابن أثال من عند مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ لهما ذكر في باب الأمان، وأما ابن النواحة فدخل في غمار المسلمين بعد مقتل مسيلمة فأرسل زمن عمر بن الخطاب إلى الكوفة في إمداد اليمن، وكان إمام قومه من بني حنيفة فشهد عليه حارثة بن مضرب، وعلى صحابه كانوا يتدارسون بعد صلاة الصبح في مسجد القرية التي اختلقها مسيلمة وزعم أنها مما أوحي إليه وكان على الكوفة عبد الله بن مسعود معلماً للناس ووزيراً لأبي موسى فأحضرت الفئة الطاغية واستبان غيُّهم فاستتيبوا فتابوا فقبلت التوبة عنهم إلاّ ابن النواحة فإن ابن مسعود أبى أن يقبل توبته فنفي القوم إلى الشام ووكّلت سرائرهم إلى الله، وقال ابن مسعود إن كانت سرائرهم على ما كانت عليه فسينفيهم طاعون الشام وإلاّ فلا سبيل لنا عليهم، وأما ابن النواحة فأبى ابن مسعود إلاّ قتله لأنه كان من الزنادقة الدعاة فأمر قرظة بن كعب فضرب عنقه في السوق.

حرف الواو

فصل في الصحابة

٩٤٠ ـ واثلة بن الأسقع: هو واثلة بن الأسقع الليثي، أسلم والنبي ﷺ يتجهّز إلى تبوك ويقال إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين وكان من أهل الصفة نزل البصرة ثم نزل الشام وكان منزله على ثلاثة فراسخ من دمشق بقرية يقال لها (البلاط) ثم تحوّل إلى بيت المقدس ومات بها وهو ابن مائة سنة. روى عنه نفر.

(الأسقع) بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح القاف وبالعين المهملة.

٩٤١ ـ وهب بن عمير: هو وهب بن عمير بن وهب الجمحي، أسر يوم بدر كافراً، قدم أبوه المدينة فأسلم فأطلق له النبي ﷺ ابنه وهباً فأسلم، وكان له قدر وشرف، بعثه النبي ﷺ إلى صفوان بن أمية زمن فتح مكة يدعوه إلى الإسلام مات بالشام مجاهداً.

٩٤٢ ـ وابصة بن معبد: هو وابصة بن معبد، يكنى أبا شداد الأسدي، نزل الكوفة ثم

تحوّل إلى الجزيرة ومات بالرقة. روى عنه زياد بن أبي الجعد.

٩٤٣ ـ وائل بن حُجر: هو وائل بن حجر الحضرمي، كان قيلاً من أقيال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم، وفد على النبي ﷺ ويقال إنه بشّر به النبي ﷺ أصحابه قبل قدومه وقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله عزّ وجلّ وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك، فلما دخل عليه رحّب به وأدناه من نفسه وبسط له رداءه فأجلسه عليه وقال: اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده واستعمله على الأقيال من حضرموت. روى عنه ابناه علقمة وعبد الجبار، وغيرهما.

(حجر) بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وبالراء.

٩٤٤ ـ وحشي بن حرب: هو وحشي بن حرب الحبشي من سودان مكة، مولى جبير بن مطعم وهو الذي قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وكان وحشي يومئذٍ كافراً أسلم بعد الطائف وشهد اليمامة وزعم أنه قتل مسيلمة فقال قتلت خير الناس وشر الناس بحربتي هذه، نزل الشام ومات بحمص. روى عنه ابناه إسحاق وحرب، وغيرهما.

٩٤٥ ـ الوليد بن عقبة: هو الوليد بن عقبة، يكنّى أبا وهب القرشي أخو عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم الفتح وقد ناهز الاحتلام ولآه عثمان الكوفة وكان من رجال قريش وشعرائهم. روى عنه أبو موسى الهمداني وغيره. مات بالرقة.

٩٤٦ ـ الوليد بن الوليد: هو الوليد بن الوليد القرشي المخزومي، أخو خالد بن الوليد أُسر يوم بدر كافراً وفداه أخواه خالد وهشام، فلما فدي أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل أن تُفتدى؟ فقال: كرهت أن تظنوا أني أسلمت جزعاً من الأسار، فحبسوه بمكة وكان النبي ﷺ يدعو له في القنوت مع من يدعو له من المستضعفين بمكة ثم أُفلت من أسرهم ولحق برسول الله ﷺ وشهد عمرة القضية. روى عنه عبد الله بن عمر وأبو هريرة.

٩٤٧ ـ ورقة بن نوفل: هو ورقة بن نوفل بن أسد القرشي، كان تنصّر في الجاهلية وقرأ الكتاب وكان شيخاً كبيراً قد عمي، وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين.

٩٤٨ ـ أبو واقد: هو أبو واقد الحارث بن عوف الليثي، قديم الإسلام، عداده في أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة ودفن بـ (فخ).

٩٤٩ ـ أبو وهب: هو أبو وهب الجشمي، اسمه كنيته وله صحبة ورواية.

(الجشمي) بضم الجيم وفتح الشين المعجمة وكسر الميم.

فصل في التابعين

٩٥٠ ـ وهب بن منبه: هو وهب بن منبه يكنّى أبا عبد الله الصنعاني من أبناء فارس سمع جابر بن عبد الله وابن عباس مات سنة أربع عشرة ومائة.

(منبه بضم الميم وفتح النون وتشديد الباء الموحدة وكسرها.

٩٥١ ـ وبرة بن عبد الرحمن: هو وبرة بن عبد الرحمن، يكنّى أبا خزيمة الحارثي روى عن ابن عمر وسعيد بن جبير وعن جماعة.

(وبرة) بفتح الواو وسكون الباء الموحدة.

٩٥٢ ـ وكيع بن الجراح: هو وكيع بن الجراح الكوفي من قيس عيلان وقيل: إن أصله من قرية من قرى نيسابور، سمع هشام بن عروة والأوزاعي والثوري وغيرهم. روى عنه عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وخلق كثير سواهم، قدم بغداد وحدّث بها وهو من مشايخ الحديث الثقات المعول بحديثهم المرجوع إلى قولهم، كان يفتي بقول أبي حنيفة، وكان قد سمع منه شيئاً كثيراً. ولد سنة تسع وتسعين ومات يوم عاشوراء ودفن بـ (فيد) وهو راجع من مكة.

٩٥٣ ـ وحشي بن حرب: هو وحشي بن حرب، روى عن أبيه عن جده، وعنه صدقة ابن خالد وغيره، يعد في الشاميين.

٩٥٤ ـ أبو وائل: هو أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، أدرك الجاهلية والإسلام، وأدرك النبي ﷺ ولم يره ولم يسمع منه، قال كنت قبل أن يبعث النبي ﷺ ابن عشر سنين أرعى غنماً لأهلي بالبادية، روى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وكان خصيصاً به من أكابر أصحابه، وهو كثير الحديث ثقة ثبت حجة. مات زمن الحجاج.

٩٥٥ ـ الوليد بن عقبة: هو الوليد بن عقبة بن ربيعة، جاهلي له ذكر في غزوة بدر قتل بها مشركاً.

حرف الهاء

فصل في الصحابة

٩٥٦ ـ هشام بن حكيم: هو هشام بن حكيم بن حزام القرشي الأسدي، أسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، روى عنه نفر منهم عمر بن الخطاب ومات قبل أبيه ومات أبوه سنة أربع وخمسين.

٩٥٧ ـ هشام بن العاص: هو هشام بن العاص أخو عمرو بن العاص، كان قديم الإسلام، أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة ثم قدم مكة حين بلغه مهاجرة النبي ﷺ بعد الخندق بالمدينة، كان خيراً فاضلاً، روى عنه عبد الله بن أخيه، وقتل باليرموك سنة ثلاث عشرة.

٩٥٨ ـ هشام بن عامر: هو هشام بن عامر الأنصاري، سكن البصرة ومات بها وعداده في البصريين وحديثه عندهم، روى عنه ابنه سعد والحسن البصري وغيرهما.

٩٥٩ ـ هلال بن أمية: هو هلال بن أمية الواقفي الأنصاري، أحد الثلاثة الذين تخلّفوا من غزوة تبوك فتاب الله عليهم، شهد بدراً وهو الذي قذف امرأته بشريك، له ذكر في اللعان. روى عنه جابر وابن عباس.

٩٦٠ ـ هزّال بن ذئاب: هو هزال بن ذئاب، يكنى أبا نعيم الأسلمي، روى عنه ابنه نعيم ومحمد بن المنكدر، له ذكر في حديث ماعز ورجمه، ومن الناس من يقول: إن محمداً بن المنكدر إنما روى عن نعيم عن أبيه.

٩٦١ ـ أبو هريرة: هو أبو هريرة قد اختلف الناس في اسمه ونسبه اختلافاً كثيراً وأشهر ما قيل فيه أنه كان في الجاهلية عبد شمس أو عبد عمرو، وفي الإسلام عبد الله أو عبد الرحمن وهو دوسي، قال الحاكم أبو أحمد أصح شيء عندنا في اسم أبي هريرة عبد الرحمن ابن صخر غلبت عليه كنيته فهو كمن لا اسم له، أسلم عام خيبر وشهدها مع النبي ﷺ ثم لزمه وواظب عليه راغباً في العلم راضياً بشبع بطنه، وكان يدور معه حيثما دار وكان من أحفظ الصحابة ويحضر ما لا يحضر أحد منهم بملازمة النبي ﷺ قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله اسمع منك شيئاً فلا أحفظها قال: ابسط رداءك فبسطته فحدّث حديثاً كثيراً فما نسيت شيئاً حدّثني به وقال البخاري: روى عن أكثر من ثمانمائة رجل من بين صحابي وتابعي فمنهم ابن عباس وابن عمر وجابر وأنس، مات بالمدينة سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وقيل تسع وهو ابن ثمان وسبعين سنة وإنما سمي أبا هريرة لأنه كان له هرة صغيرة يحملها معه.

٩٦٢ ـ أبو الهيثم: هو أبو الهيثم مالك بن التيهان. تقدّم ذكره في حرف الميم.

٩٦٣ ـ أبو هاشم: هو أبو هاشم شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشي، ويقال: إن اسمه هشام ويقال اسمه كنيته، وهو خال معاوية بن أبي سفيان أسلم يوم الفتح وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلاً صالحاً روى عنه أبو هريرة وغيره.

٩٦٤ ـ أبو هند: هو أبو هند يسار الحجاج الذي حجم النبي ﷺ وهو مولى بني بياضة، روى عنه ابن عباس وأبو هريرة وجابر.

فصل في التابعين

٩٦٥ ـ هشام بن عروة: هو هشام بن عروة بن الزبير، يكنّى أبا المنذر القرشي المدني أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين من الحديث المعدودين في أكابر العلماء وجلّة التابعين، سمع عبد الله بن الزبير وابن عمر. روى عنه خلق كثير منهم الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة، قدم على المنصور ببغداد، وولد سنة إحدى وستين ومات بها سنة ست وأربعين ومائة.

٩٦٦ ـ هشام بن زيد: هو هشام بن زيد بن أنس بن مالك الأنصاري. روى عنه جده أنس، سمع منه جماعة، يعد في البصريين.

٩٦٧ ـ هشام بن حسان: هو هشام بن حسان القُردُوسي مولاهم وقيل كان نازلاً فيهم وهو الذي قال: احصوا ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة ألف وعشرين ألفاً سمع الحسن وعكرمة وعطاء. روى عنه حماد بن زيد وفضيل بن عياض وغيرهما. مات سنة سبع وأربعين ومائة.

(القردوسي) بضم القاف وضم الدال المهملة وبالسين المهملة.

٩٦٨ ـ هشام بن عمار: هو هشام بن عمار، يكنى أبا الوليد السلمي الدمشقي المقرىء

الحافظ خطيب دمشق. روى عن مالك ويحيى بن ضمرة وعنه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجة ومحمد بن خريم والباغندي، عاش اثنتين وتسعين سنة، مات سنة خمس وأربعين ومائتين.

٩٦٩ ـ هشام بن زياد: هو هشام بن زياد أبو المقدام. روى عن القرظي والحسن، وعنه شيبان بن فروخ والقواريري، ضعفوه.

٩٧٠ ـ هشيم بن بشير: هو هشيم بن بشير السلمي الواسطي، سمع عمرو بن دينار والزهري ويونس بن عبيد وأيوب السختياني وغيرهم من الأئمة المشهورين. روى عنه مالك والثوري وشعبة وابن المبارك وخلق كثير سواهم، ولد سنة أربع ومائة ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة.

٩٧١ ـ هلال بن علي: هو هلال بن علي بن أسامة منسوب إلى جده وهو هلال ابن أبي ميمونة الفهري. روى عن أنس وعطاء بن يسار، وعنه مالك بن أنس وغيره.

٩٧٢ ـ هلال بن عامر: هو هلال بن عامر المزني يعد في الكوفيين. روى عن أبيه وسمع رافعاً المزني. روى عنه يعلى وغيره.

٩٧٣ ـ هلال بن يساف: هو هلال بن يساف مولى أشجع أدرك علي بن أبي طالب. روى عن سلمة بن قيس، وسمع أبا مسعود الأنصاري، وعنه جماعة.

٩٧٤ ـ هلال بن عبد الله: هو هلال بن عبد الله يكنّى أبا هاشم الباهلي. روى عن أبي إسحاق، وعنه عفان ومسلم، قال البخاري: منكر الحديث.

٩٧٥ ـ همام بن الحارث: هو همام بن الحارث النخعي تابعي سمع ابن مسعود وعائشة وغيرهما من الصحابة. روى عنه إبراهيم النخعي.

٩٧٦ ـ هود بن عبد الله: هو هود بن عبد الله بن سعد العصري. روى عن جده مزيدة وسعيد بن وهب الصحابيين، وعنه طالب بن حجير.

٩٧٧ ـ هبيرة بن يريم: هو هبيرة بن يريم. روى عن علي وابن مسعود، وعنه أبو إسحاق وأبو فاختة ثقة. وقال النسائي: ليس بالقوي مات سنة ست وستين.

٩٧٨ ـ هُزَيل بن شرحبيل: هو هزيل بن شرحبيل الأزدي الكوفي الأعمى سمع عبد الله ابن مسعود. روى عنه جماعة.

٩٧٩ ـ أبو الهيّاج: هو أبو الهياج حيان بن حصين الأسدي كاتب عمار بن ياسر قال أحمد: هو والد منصور بن حيان تابعي جليل صحيح الحديث. روى عن علي وعمار، وعنه الشعبي وأبو وائل.

(الهياج) بتشديد الياء تحتها نقطتان والجيم.

فصل في الصحابيات

٩٨٠ ـ هند بنت عتبة: هي هند بنت عتبة بن ربيعة امرأة أبي سفيان وأم معاوية أسلمت

عام الفتح بعد إسلام زوجها فأقرّهما رسول الله ﷺ على نكاحهما، وكان لها فصاحة وعقل فلما بايعت رسول الله ﷺ مع النساء قال لهنّ: لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل ممسك، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فقال: ولا تزنين، قالت: هل تزني الحرة، قال: ولا تقتلن أولادكن، فقالت: وهل تركت لنا ولداً إلاّ قتلته يوم بدر بينا هم صغاراً، وقتلتهم كباراً. ماتت في خلافة عمر يوم مات أبو قحافة والد أبي بكر. روت عنها عائشة.

٩٨١ ـ أم هانيء: هي أم هانيء اسمها فاختة بنت أبي طالب أخت علي، كان رسول الله ﷺ خطبها في الجاهلية وخطبها هبيرة بن أبي وهب فزوّجها أبو طالب من هبيرة، وأسلمت ففرّق الإسلام بينها وبين هبيرة وخطبها النبي ﷺ، فقالت: والله إن كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مصبية فسكت عنها. روى عنها خلق كثير منهم: علي وابن عباس.

٩٨٢ ـ أم هشام: هي أم هشام بنت حارثة بن النعمان صحابية. روى عنها جماعة.

حرف الياء

فصل في الصحابة

٩٨٣ ـ يزيد بن الأسود: هو يزيد بن الأسود السوائي. روى عنه ابنه جابر، وعداده في أهل الطائف وحديثه في الكوفيين.

(السوائي) بضم السين المهملة وتخفيف الواو وبالمد.

٩٨٤ ـ يزيد بن عامر: هو يزيد بن عامر السوائي حجازي شهد حنيناً مع المشركين ثم أسلم بعد ذلك. روى عنه السائب بن يزيد وغيره.

٩٨٥ ـ يزيد بن شيبان: هو يزيد بن شيبان الأزدي له صحبة ورواية، ويذكر في الوحدان. روى عن ابن مربع بكسر الميم، وعنه عمرو بن عبد الله بن صفوان، حديثه في الحج.

٩٨٦ ـ يزيد بن نعامة: هو يزيد بن نعامة الضبي. روى عنه سعيد بن سليمان، وكان قد شهد حنيناً مشركاً، ثم أسلم بعد ذلك، قال الترمذي: لا يعرف له سماع من النبي ﷺ.

(نعامة) بفتح النون وبالعين المهملة.

٩٨٧ ـ يحيى بن أُسيد بن حضير: هو يحيى بن أُسيد بن حضير الأنصاري ولد على عهد رسول الله ﷺ وبه كان يكنّى أبوه، له ذكر في فضل القراءة والقارىء، قال ابن عبد البر: وكان في سن من يحفظ، ولا أعلم له رواية.

٩٨٨ ـ يوسف بن عبد الله: هو يوسف بن عبد الله بن سلام يكنّى أبا يعقوب، كان من بني إسرائيل من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ولد في حياة رسول الله ﷺ وحمل إليه وأقعده في حجره، وسمّاه يوسف ومسح رأسه وحفظ عنه، ومنهم من يقول: له رواية ولا رواية له، عداده في أهل المدينة.

٩٨٩ ـ يعلى بن أمية: هو يعلى بن أمية التميمي الحنظلي أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً

والطائف وتبوك، وهو معدود في أهل الحجاز روى عنه صفوان، وعطاء، ومجاهد وغيرهم. قتل بصفين مع علي بن أبي طالب.

٩٩٠ ـ يعلى بن مرة: هو يعلى بن مرة الثقفي شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنيناً والطائف. روى عنه جماعة، وعداده في الكوفيين.

٩٩١ ـ أبو اليسر: هو أبو اليسر بفتح الياء تحتها نقطتان وفتح السين المهملة، كعب ابن عمرو. تقدّم ذكره في حرف الكاف.

فصل في التابعين

٩٩٢ ـ يزيد بن هارون: هو يزيد بن هارون السلمي مولاهم الواسطي. روى عن جماعة، وعنه أحمد بن حنبل وعليّ بن المديني وغيرهما. قدم بغداد وحدث بها، ثم عاد إلى واسط ومات بها، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، وقال ابن المديني: لم أر أحداً أحفظ من ابن هارون، كان عالماً بالحديث حافظاً، ثقة. زاهداً عابداً مات سنة سبع عشرة ومائتين.

٩٩٣ ـ يزيد بن زُريع: هو يزيد بن زريع يكنى أبا معاوية الحافظ. روى عن أيوب، ويونس، وعنه ابن المديني، ومسدد، له ذكر في «باب الشفقة والرمة» قال أحمد بن حنبل: إليه المنتهى في التثبت بالبصرة. مات سنة اثنتين وثمانين ومائة في شوال، وله من العمر إحدى وثمانون سنة.

٩٩٤ ـ يزيد بن هرمز: هو يزيد بن هرمز الهمداني المديني مولى بني ليث. روى عن أبي هريرة، وعنه ابنه عبد الله، وعمرو بن دينار، والزهري.

٩٩٥ ـ يزيد بن أبي عبيد: هو يزيد بن أبي عبيد مولى سلمة بن الأكوع. روى عن سلمة، وعنه يحيى بن سعيد وغيره.

٩٩٦ ـ يزيد بن رومان: هو يزيد بن رومان يكنى أبا روح يعد في أهل المدينة سمع ابن الزبير وصالح بن خوات. روى عنه الزهري وغيره.

٩٩٧ ـ يزيد بن الأصم: هو يزيد بن الأصم ابن أخت ميمونة زوج النبي ﷺ. روى عن ميمونة وأبي هريرة.

٩٩٨ ـ يزيد بن نعيم: هو يزيد بن نعيم بن هزّال الأسلمي. روى عن أبيه وجابر. وعنه جماعة.

(نعيم) بفتح النون والعين المهملة.

و(هزال) بفت الهاء وتشديد الزاي.

٩٩٩ ـ يزيد بن زياد: هو يزيد بن زياد الدمشقي. روى عن الزهري وسليمان ابن حبيب، وعنه وكيع وأبو نعيم.

١٠٠٠ ـ يعلى بن مملك: هو يعلى بن مملك بفتح الميم الأولى وسكون الثانية وفتح اللام وبعدها كاف. تابعي روى عن أم سلمة، وعنه ابن أبي مليكة.

١٠٠١ ـ يعيش بن طخفة: هو يعيش بن طخفة بن قيس الغفاري. روى عن أبيه وكان أبوه من أصحاب الصفة، وعنه أبو سلمة.

(طخفة) بكسر الطاء وسكون الخاء المعجمة.

١٠٠٢ ـ يعقوب بن عاصم: هو يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي حجازي. روى عن ابن عمر.

١٠٠٣ ـ يحيى بن خلف: هو يحيى بن خلف الباهلي. روى عن معتمر وغيره وعنه مسلم وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين، له ذكر في «باب إعداد آلة الجهاد».

١٠٠٤ ـ يحيى بن سعيد: هو يحيى بن سعيد الأنصاري المدني سمع أنس بن مالك والسائب بن يزيد وخلقاً سواهما روى عنه هشام بن عروة ومالك بن أنس وشعبة والثوري وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم، كان يتولّى القضاء بمدينة الرسول ﷺ زمن بني أمية، وأقدمه منصور العراق وولاّه القضاء بـ (الهاشمية) مات سنة ثلاث وأربعين ومائة بالهاشمية، كان إماماً من أئمة الحديث والفقه عالماً ورعاً زاهداً صالحاً مشهوراً بالفقه والدين.

١٠٠٥ ـ يحيى بن الحصين: هو يحيى بن الحصين. روى عن جدته أم الحصين وطارق، وعنه أبو إسحاق وشعبة، ثقة.

١٠٠٦ ـ يحيى بن عبد الرحمن: هو يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة مدني. روى عن جماعة من الصحابة وجماعة عنه.

١٠٠٧ ـ يحيى بن عبد الله: هو يحيى بن عبد الله بن بحير الصنعاني. روى عمّن سمع فروة بن مسيك، وعنه معمر.

(بحير) بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة وبالراء.

١٠٠٨ ـ يحيى بن أبي كثير: هو يحيى بن أبي كثير يكنى أبا نصر اليمامي مولى لطي، أصله بصري صار إلى اليمامة. رأى أنس بن مالك وسمع عبد الله بن أبي قتادة وغيره. روى عنه عكرمة والأوزاعي وغيرهما.

١٠٠٩ ـ يونس بن يزيد: هو يونس بن يزيد الأيلي. روى عن القاسم وعكرمة والزهري، وعنه ابن المبارك وابن وهب، ثقة إمام. مات سنة تسع وخمسين ومائة.

١٠١٠ ـ يونس بن عبيد: هو يونس بن عبيد البصري سمع الحسن وابن سيرين. روى عنه الثوري وشعبة مات سنة تسع وثلاثين ومائة.

فصل في الصحابيات

١٠١١ ـ يُسيرة: هي يسيرة أم ياسر الأنصارية. كانت من المهاجرات. روى عنها حفيدتها حميضة بنت ياسر.

(يسيرة) بضم الياء وفتح السين المهملة وسكون الياء وبالراء.

الباب الثاني

في ذكر أئمة أصحاب الأصول

١٠١٢ ـ مالك بن أنس: هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي يكنى أبا عبد الله، وقد بدأنا بذكره لأنه المقدّم زمانا، وقد زاد معرفةً وعلماً، وهو شيخ العلماء وأستاذ الأئمة، وإن كان في مقدمة الكتاب قدمنا عليه البخاري ومسلماً للشرط الذي لكتابيهما، فلا نقدِّمهما عليه في الذكر ههنا إذ هو أحق وأولى وكتاباهما أجدر بالتقديم من كتابه وأحرى. ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة ومات بالمدينة سنة تسع وتسعين ومائة، وله أربع وثمانون سنة.

وقال الواقدي: مات وله تسعون وهو إمام الحجاز بل الناس في الفقه والحديث، وكفاه فخراً أن الشافعي من أصحابه أخذ العلم عن الزهري، ويحيى بن سعيد، ونافع ومحمد بن المنكدر، وهشام بن عروة، وزيد بن أسلم، وربيعة بن أبي عبد الرحمن وخلق كثير سواهم، وأخذ العلم عنه خلق كثير لا يحصون كثرة، وهم أئمة البلاد، ومنهم: الشافعي، ومحمد بن إبراهيم بن دينار، وأبو هاشم، وعبد العزيز بن أبي حازم، وهؤلاء نظراؤه من أصحابه، ومعن ابن عيسى، ويحيى بن يحيى، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعبد الله بن وهب وغير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم، وهؤلاء مشايخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم من أئمة الحديث.

قال بكر بن عبد الله الصنعاني: أتينا مالك بن أنس فجعل يحدّثنا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وكنّا نستزيده عن حديثه فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق؟ فأتينا ربيعة فنبّهناه وقلنا: لأنت ربيعة؟ قال نعم قلنا: الذي يحدّث عنك مالك بن أنس؟ قال نعم، قلنا: كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك، قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من جمل علم.

قال عبد الرحمن بن مهدي: سفيان الثوري إمام في الحديث، وليس بإمام في السنّة، والأوزاعي إمام في السنّة، وليس بإمام في الحديث، ومالك بن أنس إمام فيهما جميعاً، وكان مالك مبالغاً في تعظيم العلم والدين حتى كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب، وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة، ثم حدث فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ومر يوماً على أبي حازم وهو جالس يحدّث فجازه، فقيل له في ذلك، فقال: إني لم أجد موضعاً أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

قال يحيى بن سعيد: ما في القوم أصح حديثاً من مالك.

وقال الشافعي: إذا ذكر العلماء فمالك النجم وما أحداً من [في علم الله] علي من مالك، وقال: إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يديك به. وقال: كان مالك بن أنس إذا جاء بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بيِّنة من ديني، وأما أنت فشاك اذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

وقال مالك: إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير. وقال: ليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو نور يضعه الله في القلب.

وقال أبو عبد الله: رأيت كأن النبي ﷺ في المسجد قاعداً والناس حوله ومالك قائم بين يديه وبين يدي رسول الله ﷺ مسك فهو يأخذ منه قبضة قبضة، ويدفعها إلى مالك ومالك يذرها على الناس، قال مطرف: فأولت ذلك العلم وإتباع السنّة.

وقال الشافعي: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجباً! فقلت لها: وما هو؟ قال: رأيت كأن قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض، قال الشافعي: فحسبنا ذاك فإذا هو يوم مات مالك بن أنس.

وروي عن مالك أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك «الموطأ» قال: قلت أعز الله أمير المؤمنين إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن ذللتموه ذل، والعلم يؤتى ولا يأتي، فقال: صدقت، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

وروي أن الرشيد سأل مالكاً فقال: هل لك دار؟ قال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك: ينبغي أن تخرج معي، فإني عزمت أن أحمل الناس على «الموطأ» كما حمل عثمان الناس على القرآن، فقال: أما حمل الناس على «الموطأ» فليس لك إلى ذلك سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدّثوا فعند كل أهل مصر علم، وقد قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» وقال: «المدينة تنفي خبثها» وهذه دنانيركم هي إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعني: إنك إنما تكلّفني مفارقة المدينة لما اصطنعته لي فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ.

وقال الشافعي: رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت له: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها فقال: أنا أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة، وكم [من] مثل هذه المناقب لمثل هذا الطود الأشم والبحر الزاخر.

١٠١٣ ـ النعمان بن ثابت: هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفي، هو من رهط حمزة الزيات، كان خزازاً يبيع الخز وكان جده زوطى من أهل كابل مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة فأعتق وولد أبوه ثابت على الإسلام، وقيل هو من الأحرار وما وقع عليه رق قط.

وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريّته ولد سنة ثمانين ومات ببغداد سنة خمسين ومائة ودفن بمقابر الخيزران وقبره معروف ببغداد وكان في أيامه أربعة من الصحابة: أنس بن مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واصلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنهم. وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السبيعي ومحمد ابن المنكدر ونافعاً وهشام بن عروة وسماك بن حرب وغيرهم، روى عنه عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون والقاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهم، ونقله المنصور من الكوفة إلى بغداد وأقام بها إلى أن مات فيها، وكان أكرهه ابن هبيرة أيام مروان بن محمد الأموي على القضاء بالكوفة فأبى فضربه مائة سوط في عشرة أيام كل يوم عشرة، فلما رأى ذلك خلى سبيله، ولما أشخصه المنصور إلى العراق أراده على القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن وحلف أبو حنيفة لا يفعل وتكررت الأيمان بينهما فحبسه المنصور ومات في الحبس.

قال الحكم بن هشام حدثت بالشام عن أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب الله تعالى.

وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها.

كان ربعة من الرجال وقيل كان طوالاً تعلوه سمرة، حسن الوجه، أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نعمة، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لأعوانه.

قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة قال: نعم رأيت رجلاً لو كلّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجة، وقال الشافعي من أراد أن يتبحّر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة.

وقال أبو حامد الغزالي روي أن أبا حنيفة كان يحيي نصف الليل فأشار إليه إنسان وهو يمشي وقال لغيره هذا هو الذي يحيى كل الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال: أنا أستحيي من الله تعالى أن أوصف بما ليس فيَّ من عبادة.

وقال شريك النخعي كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من أوضح الإمارات على علم الباطن والاشتغال بمهمات الدين، فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله، ولو ذهبنا إلى شرح مناقبه وفضائله لأطلنا الخطب ولم نصل إلى الغرض، فإنه كان عالماً عاملاً ورعاً زاهداً عابداً إماماً في علوم الشريعة، والغرض بإيراد ذكره في هذا الكتاب وإن لم يرو عنه حديث في «المشكاة» للتبرُّك به لعلو مرتبته ووفور علمه.

١٠١٤ ـ محمد بن إدريس الشافعي: هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد [بن] هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي لقي شافع النبي ﷺ وهو مترعرع وأسلم أبوه السائب يوم بدر، وكان السائب صاحب راية بني هاشم فأسر وفدى نفسه ثم أسلم. ولد الشافعي بغزة سنة خمسين ومائة،

وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وقيل ولد بعسقلان وقيل باليمن وهي السنة التي مات فيها الإمام أبو حنيفة، ومنهم من قال: إنه ولد يوم مات أبو حنيفة، قال البيهقي: هذا التقييد في اليوم لم أجده إلاّ في بعض الروايات، أما التقييد بالعام فهو مشهور بين أهل التواريخ.

قال محمد بن عبد الحيكم: إن أم الشافعي لما حملت به رأت المشتري خرج من بطنها وانقض [بمصر] ثم وقع في كل بلدة منه شظية فقال المعبر إنه يخرج منك عالم عظيم.

وقال الشافعي: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي: يا غلام من أنت؟ فقلت: من رهطك يا رسول الله فقال: ادن مني، فدنوت منه فأخذ من ريقه ففتحت فيّ فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي فقال: امش بارك الله فيك وقال أيضاً: رأيت النبي ﷺ بمكة في زمان الصبا رجلاً ذا هيبة يؤم الناس في المسجد الحرام فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس يعلّمهم فدنوت منه فقلت علّمني، فأخرج ميزاناً من كمه فأعطانيه وقال هذا لك قال الشافعي: وكان هناك معبر فعرضت الرؤيا عليه فقال: إنك تصير إماماً في العلم وتكون على السنة لأن إمام المسجد الحرام أفضل الأئمة كلهم، وأما الميزان فإنك تعلم حقيقة الشيء في نفسه.

وذكروا أن الشافعي كان في أول الأمر فقيراً، ولما سلّموه إلى المعلم ما كانوا يجدون أجرة المعلم فكان المعلم يقصر في التعليم، إلاّ أن المعلم كلما علّم صبياً شيئاً كان الشافعي يتلقّف ذلك الكلام ثم لما قام المعلم عن مكانه أخذ الشافعي يعلم الصبيان تلك الأشياء فنظر المعلم فرأى الشافعي يكفيه أمر الصبيان من الأجرة التي كان يطلب منه فترك طلب الأجرة واستمر [على] هذه الأحوال حتى تعلم القرآن لتسع سنين.

قال الشافعي: لما ختمت القرآن دخلت المسجد وكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث والمسألة وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف كنت فقيراً بحيث ما أملك ما أشتري بها القراطيس فكنت آخذ العظم وأكتب فيه.

وكان في أول الأمر تفقّه على مسلم بن خالد وفي أثناء الأمر وصل إليه الخبر بأن مالك ابن أنس إمام المسلمين وسيدهم، قال الشافعي فوقع في قلبي أن أذهب إليه فاستعرت «الموطأ» من رجل بمكة وحفظته، ثم دخلت إلى والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك ابن أنس وقدمت المدينة وبلغت الكتاب فقال والي المدينة: يا فتى إن كلّفتني المشي من جوف المدينة إلى جوف مكة راجلاً حافياً كان أهون عليّ من المشي إلى باب مالك، فقلت: إن رأى الأمير أن يحضره، فقال: هيهات ليتنا إذا ركبت إليه ووقفت على بابه كثيراً فتح لنا الباب، ثم ركب وذهبنا معه إلى دار مالك فتقدّم رجل وقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب فدخلت الجارية وأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقول إن كان لك مسألة فادفعها في رقعة حتى يُخرج إليك الجواب وإن كان المجيء لمهم آخر فقد عرفت يوم الخميس فانصرف، فقال لها إن معي كتاب والي مكة في مهم، فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته فإذا مالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطيلس، فدفع الوالي الكتاب إليه فلما بلغ إلى قوله إنه محمد بن إدريس رجل شريف من أمره كذا وكذا رمى الكتاب من يده فقال: سبحان الله صار علم الرسول ﷺ بحيث يطلب بالرسائل. قال الشافعي: فقدمت إليه فقلت: أصلحك الله إني رجل مطلبي من حالتي وقصتي كذا وكذا، فلما سمع

كلامي نظَر إليّ ساعة وكان لمالك فراسة فقال لي: اسمك؟ فقلت: محمد، فقال لي: يا محمد اتّق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن من الشؤون فقلت: نعم وكرامة، فقال: إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية، ثم قال إذا كان غداً تجيء بمن يقرأ لك «الموطأ».

فقلت: إني أقرأه من الحفظ ورجعت إليه من الغد وابتدأت بالقراءة، فكلما أردت قطع القراءة خوفاً من ملاله أعجبه حسن قراءتي فيقول: يا فتى زد، حتى قرأت في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك.

وكان الشافعي إذا حكى قولاً لمالك قال: هذا قول أستاذنا مالك.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر الدعاء له، فقال لي: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو عنهما عوض.

وقال أخوه صالح بن أحمد جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده وكان عليلاً قال: فوثب أبي عليه وقبّل بين عينيه ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه ثم أخذ يسأله ساعة فلما قام الشافعي وركب أخذ أبي بركابه ومشى معه فبلغ يحيى بن معين ذلك فقال سبحان [الله] لم فعلت ذلك فقال أبي: وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لانتفعت به. من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة.

وقال أحمد بن حنبل ما أعلم أحداً أعظم منّة منه على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي وإني لأدعو له في أدبار صلاتي، اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي.

وقال الحسين بن محمد الزعفراني: ما قرأت على الشافعي من الكتب شيئاً إلاّ وأحمد ابن حنبل شاهد.

قال الشافعي ما طلب أحد العلم بالتعمُّق وعز النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العلماء أفلح.

وقال: ما ناظرت أحداً قط إلاّ أحببت أن يوفق ويسدد ويعاون ويكون إليه رعاية الله وحفظه، وما ناظرت أحداً إلاّ ولم أبال أن بين الله الحق على لساني أو لسانه.

وقالو يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: «لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام فإني والله اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط» وقال: «ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح».

وقال أبو محمد بن أخت الشافعي عن أمه قالت: ربما قدمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر كان المصباح بين يدي الشافعي وكان يستلقي ويتذكّر ثم ينادي يا جارية هلمي المصباح فتقدّمه ويكتب ما يكتب ثم يقول ارفعيه، فقيل لأبي محمد ما أراد برد المصباح فقال: الظلمة أجلى للقلب.

وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر. وقال: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه.

وقال الحميدي: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف في منديل فضرب خباءه خارجاً من مكة، وكان الناس يأتونه فما برحت حتى ذهبت كلها ثم دخل مكة.

وقال المزني: ما رأيت أكرم من الشافعي خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره في مسألة حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس فقال له: مولاي يقرؤك السلام ويقول لك خذ هذا الكيس فأخذه منه، فأتاه رجل قال: يا أبا عبد الله ولدت امرأتي الساعة وليس عندي شيء، فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شيء. وفضائله أكثر من أن تحصى، كان إمام الدنيا وعالم الناس شرقاً وغرباً، جمع الله له من العلوم والمفاخر ما لم يجمع لإمام قبله ولا بعده وانتشر له من الذكر ما لم ينتشر لأ حد سواه، سمع مالك ابن أنس وسفيان بن عيينة ومسلم بن خالد وخلقاً سواهم كثيراً. حدث عنه أحمد بن حنبل وأبو ثور وإبراهيم بن خالد وأبو إبراهيم المزني والربيع بن سليمان المرادي وخلق كثير غيرهم.

قدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة وأقام بها سنتين ثم خرج إلى مكة ثم قدم لسنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها أشهراً ثم خرج إلى مصر ومات بها عند العشاء الآخرة ليلة الجمعة ودفن في يوم الجمعة بعد العصر وكان آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة.

قال الربيع: رأيت في المنام قبل موت الشافعي بأيام، أن آدم مات ويريدون أن يخرجوا بجنازته فلما أصبحت سألت بعض أهل العلم عنه فقال هذا موت أعلم أهل الأ رض لأن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فما كان يسيراً حتى مات الشافعي.

وقال المزني: دخلت على الشافعي في علّته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً ولكأس المنية شارباً وبسوء أعمالي ملاقياً وعلى الله وارداً فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منّة وتكرُما
فلولاك لم يسلم من إبليس عابدٌ ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما

وقال أحمد بن حنبل: رأيت الشافعي في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوّجني وزوّجني وقال لي: هذا بما لم تزه بما أرضيتك، ولم تعجب وتتكبّر فيما أعطيتك.

اتّفق العلماء قاطبة من أهل الفقه والأصول والحديث واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه وتقواه وجوده وحسن سيرته وعلو قدره، فالمطنب في وصفه مقصّر والمسهب في مدحه مقتصر.

١٠١٥ - أحمد بن حنبل: هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني

المروذي، ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة ومات بها سنة إحدى وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة. كان إماماً في الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة، وبه عرف الصحيح والسقيم، والمجروح من المعدل، ونشأ ببغداد وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وكتب عن علماء ذلك العصر. فسمع من يزيد بن هارون ويحيى بن سعيد القطان وسفيان بن عيينة ومحمد بن إدريس الشافعي وعبد الرزاق بن الهمام وخلق كثير سواهم. روى عنه ابناه صالح وعبد الله وابن عمه حنبل بن إسحاق ومحمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري وأبو زرعة وأبو داود السبحستاني وخلق كثير سواهم، إلاّ أن البخاري لم يذكر في «صحيحه» عنه إلاّ حديثاً واحداً في آخر «كتاب الصدقات» تعليقاً.

وروى أحمد بن الحسن الترمذي عنه حديثاً آخر، وفضائله كثيرة ومناقبه جمة، وآثاره في الإسلام مشهورة، ومقاماته في الدين مذكورة، انتشر ذكره في الآفاق وسرى حمده في البلاد، وهو أحد المجتهدين المعمول بقوله ورأيه ومذهبه في كثير من البلاد.

قال إسحاق بن راهويه: أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبيده في أرضه.

قال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى وأروع ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

وقال أحمد بن سعيد الدارمي: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبد الله أحمد بن حنبل.

وقال أبو زرعة: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له ما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد بن حنبل كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف يقول: ما شاء ويمسك ما شاء.

قال أبو داود السجستاني: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، وما رأيته ذكر الدنيا قط.

وقال محمد بن موسى حمل إلى الحسن بن عبد العزيز ميراثه من مصر مائة ألف دينار فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس في كل كيس ألف دينار وقال يا أبا عبد الله هذه من ميراث حلال فخذها واستعن بها على عائلتك، قال: لا حاجة لي فيها أنا في كفاية فردّها ولم يقبل منها شيئاً.

وقال [أبو] عبد الرحمن بن أحمد: كنت أسمع أبي كثيراً يقول دبر صلاته: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصن وجهي عن المسألة لغيرك.

وقال ميمون بن الأصبغ: كنت ببغداد فسمعت صيحة، فقلت ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فدخلت فلما ضرب سوطاً قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا، فضرب تسعة وعشرين سوطاً وكانت تكة أحمد حاشية ثوب

فانقطعت فنزل السراويل إلى عانته فرمى أحمد طرفه إلى السماء وحرَّك شفتيه، فما كان أسرع من ارتقاء السراويل، ولم ينزل فدخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبد الله رأيتك تحرِّك شفتيك فأي شيء قلت؟ قال قلت: اللهم إني أسألك بإسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي ستراً.

وقال أحمد بن محمد الكندي: رأيت أحمد بن حنبل في المنام، فقلت: ما صنع الله بك قال: غفر لي ثم قال: يا أحمد ضربت فيّ، قال قلت: نعم يا رب، قال: يا أحمد هذا وجهي فانظر إليه فقد أبحتك النظر إليه.

١٠١٦ ـ محمد بن إسماعيل البخاري: هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، وإنما قيل له الجعفي لأن المغيرة أبا جده كان مجوسياً أسلم على يد يمان البخاري وهو الجعفي والي بخارى فنسب إليه حيث أسلم على يده. وجعفي أبو قبيلة من اليمن وهو جعفي بن سعد والنسبة إليه كذلك، ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وعمره اثنتان وستون سنة إلاّ ثلاثة عشر يوماً، ولم يعقب ولداً ذكراً. والبخاري الإمام في علم الحديث رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن المشايخ الحفاظ منهم: مكي بن إبراهيم البلخي وعبيد الله بن موسى العبسي وأبو عاصم الشيباني وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعبد الله بن الزبير الحميدي وغير هؤلاء من الأئمة، وأخذ عنه الحديث خلق كثير في كل بلدة حدّث بها.

قال الفريري: سمع كتاب البخاري منه تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة وطلب العلم وله عشر سنين.

قال البخاري: خرجت كتابي «الصحيح» من زهاء ست مائة ألف حديث وما وضعت فيه حديثاً إلاّ صلّيت ركعتين وقال أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح، وجملة ما في كتابه «الصحيح» سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكررة، وقيل إنها بإسقاط المكررة أربعة آلاف حديث، «وصحيح مسلم» أيضاً نحو أربعة آلاف حديث بإسقاط المكررة، وصنّف الكتاب في ستة عشر سنة وقدم البخاري بغداد فسمع به أصحاب الحديث واجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذه الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ودفعوها إلى عشرة أنفس لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوها على البخاري فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه حتى فرغ من العشرة والبخاري يقول: لا أعرفه، فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يعرفوا ذلك منه ثم انتدب إليه رجل آخر من العشرة فكان حاله معه كذلك، ثم انتدب آخر إلى تمام العشرة والبخاري لا يزيدهم على قوله لا أعرف فلما فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا على النسق إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى

متنه ثم فعل بالباقين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

قال أبو مصعب أحمد بن بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من أحمد ابن حنبل فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد، فقال أبو مصعب لو أدركت مالكاً ونظرت إلى وجهه وجه محمد بن إسماعيل البخاري لقلّت كلاهما واحد في الفقه والحديث.

وقال أحمد بن حنبل: ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل وقال انتهى الحفظ إلى أربعة من أهل خراسان وذكر منهم البخاري.

وقال رجاء بن مرجىء: فضل محمد بن إسماعيل على العلماء كفضل الرجال على النساء فقال له رجل: يا أبا محمد كل ذلك فقال: هو آية من آيات الله يمشي على ظهر الأرض.

قال محمد بن إسحاق: ما رأيت تحت أديم هذه السماء أعلم بالحديث من محمد بن إسماعيل البخاري.

وقال أبو سعيد بن منير: بعث الأمير خالد بن أحمد بن الذهلي والي بخارى إلى محمد ابن إسماعيل البخاري أن احمل إليّ كتاب الجامع والتاريخ لأسمع منك فقال لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فإن كان لك إليّ شيء حاجة فاحضر في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا مني فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة. فإني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ: «من سُئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار».

وقال غيره: إن سبب مفارقة البخاري بخارى أن خالداً سأله أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع» و«التاريخ» على أولاده فامتنع عن الحضور عنده فسأله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيره فامتنع عن ذلك أيضاً وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم، فاستعان خالد بعلماء بخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه فنفاه عن البلد فدعا عليهم البخاري فاستجيب [له] ووقعوا بعد زمان يسير في البلايا.

وقال محمد بن أحمد المروزي كنت نائماً بين الركن والمقام فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: يا أبا زيد إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله وما كتابك؟ قال: «جامع محمد بن إسماعيل البخاري».

وقال النجم بن الفضل: رأيت النبي ﷺ في المنام ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمد ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺ ويتبع أثره.

وقال عبد الواحد بن آدم الطواويسي: رأيت النبي ﷺ في النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره فسلّمت عليه فرد السلام فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: «أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري» فلما كان بعد أيام بلغنا موته فنظرنا فإذا هو قد مات في تلك الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها.

١٠١٧ ـ مسلم بن الحجاج: هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري أحد الأئمة الحفاظ ولد سنة أربع ومائتين وتوفي في عشية يوم الأحد لست بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين، رحل إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى النيسابوري وقتيبة بن سعيد وإسحاق بن راهويه وأحمد ابن حنبل وعبد الله

ابن مسلمة القعنبي وغير هؤلاء من أئمة الحديث وعلمائه، وقدم بغداد غير مرة وحدّث بها. روى عنه خلق كثير، منهم إبراهيم بن محمد بن سفيان والترمذي وابن خزيمة وكان آخر قدومه بغداد سنة سبع وخمسين ومائتين.

وقال مسلم: صنفت «المسند الصحيح» من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة.

وقال محمد بن إسحاق بن مندة: سمعت أبا علي النيسابوري يقول: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم في علم الحديث.

وقال الخطيب أبو بكر البغدادي: إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر مرة لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه.

وقال الدارقطني لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء.

١٠١٨ ـ سليمان بن الأشعث: هو أبو داود سليمان بن الأشعث السبحستاني، أحد من رحل وطوف وجمع وصنّف وكتب عن العرافيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزيريين ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفي بالبصرة لأربع عشرة من شوّال سنة خمس وسبعين ومائتين، وقدم بغداد مراراً ثم خرج منها آخر مراته سنة إحدى وسبعين، وأخذ الحديث عن مسلم بن إبراهيم وسليمان بن حرب وعبد الله بن مسلمة القعنبي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء من أئمة الحديث ممن لا يحصى كثرة، وأخذ الحديث عنه ابنه عبد الله وعبد الرحمن النيسابوري وأحمد بن محمد الخلال وغيرهم. وكان أبو داود سكن البصرة وقدم بغداد وروى كتابه المصنف في «السنن» بها ونقله أهلها عنه وعرضه على أحمد ابن حنبل فاستجاده واستحسنه.

وقال أبو داود: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمّنته هذا الكتاب جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» والثاني قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، والثالث قوله ﷺ «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه»، والرابع قوله ﷺ: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن. .» الحديث.

قال أبو بكر الخلال: أبو داود هو الإمام المقدم في زمانه، رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواضعه أحد في زمانه رجل ورع مقدم.

وقال أحمد بن محمد الهروي كان أبو داود أحد حفاظ الإسلام لحديث رسول الله ﷺ وعلّله وسنده في أعلى درجة من النسك والعفاف والصلاح والورع من فرسان الحديث، وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق فقيل له: يرحمك الله ما هذا؟ قال: الواسع للكتب والآخر لا يحتاج إليه. وقال الخطابي: كتاب «السنن» لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله.

وقال أبو داود: ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه.

وقال إبراهيم الحربي: لما صنّف أبو داود هذا الكتاب ألين لأبي داود الحديث، كما ألين

لداود عليه السلام الحديد. وقال ابن الأعرابي عن كتاب أبي داود لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلاّ المصحف الذي فيه كتاب الله عزّ وجلّ ثم هذا الكتاب لم يحتج معهما إلى شيء من العلم البتة.

١٠١٩ ـ محمد بن عيسى الترمذي: هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، توفي بترمذ ليلة الاثنين لثالث عشرة من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، وهو أحد العلماء الحفاظ الأعلام وله في الفقه يد صالحة أخذ الحديث عن جماعة من أئمة الحديث ولقي الصدر الأول من المشايخ مثل قتيبة بن سعيد ومحمود بن غيلان ومحمد بن بشار وأحمد بن منيع ومحمد ابن المثنى وسفيان بن وكيع ومحمد بن إسماعيل البخاري وغير هؤلاء وأخذ الحديث عن خلق كثير لا يحصون كثرة، وأخذ عنه خلق كثير منهم محمد بن أحمد المحبوبي المروزي، له تصانيف كثيرة في علم الحديث وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأحسنها ترتيباً وأكثرها فائدة وأقلها تكراراً، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب، وفيه جرح وتعديل وفي آخره كتاب العلل وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها.

قال الترمذي: صنّفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلّم.

(الترمذي) بكسر التاء وبالذال المعجمة منسوب إلى ترمذ وهي مدينة مشهورة من وراء جيحون على شاطئه الشرقي.

١٠٢٠ ـ أحمد بن شعيب النسائي: هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. مات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة وهو مدفون بها، وهو أحد الأئمة الحفاظ العلماء الفقهاء، لقي المشايخ الكبار وأخذ الحديث عن قتيبة بن سعيد وهناد بن السري ومحمد بن بشار ومحمود بن غيلان وأبي داود سليمان بن الأشعث وغير هؤلاء من المشايخ الحفاظ وأخذ عنه الحديث خلق كثير منهم أبو القاسم الطبراني وأبو جعفر الطحاوي وأبو بكر أحمد بن إسحاق السني الحافظ وله كتب كثيرة في الحديث والعلل وغير ذلك.

قال مأمون المصري الحافظ: خرجنا مع أبي عبد الرحمن إلى طرطوس فاجتمع جماعة من مشايخ الإسلام واجتمع من الحفاظ عبد الله بن أحمد بن حنبل ومحمد بن إبراهيم وغيرهما فتشاوروا من ينتخب لهم على الشيوخ فأجمعوا على أبي عبد الرحمن النسائي وكتبوا كلهم بانتخابه.

وقال الحاكم النيسابوري: أما كلام أبي عبد الرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن يذكر ومن نظر في كتابه «السنن» تحيّر في حسن كلامه وقال سمعت علي بن عمر الحافظ غير مرة يقول: أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم في زمانه، كان شافعي المذهب وكان ورعاً متحرياً.

(النسائي) بفتح النون وتخفيف السين المهملة وبالمد والهمزة منسوب إلى مدينة (نسا) من خراسان.

١٠٢١ ـ ابن ماجه: هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني الحافظ صاحب «السنن» سمع أصحاب مالك والليث، وعنه أبو الحسن القطان وخلق سواه، ولد سنة تسع ومائتين ومات سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وله من العمر أربع وستون سنة.

١٠٢٢ ـ عبد الله الدارمي: هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي الحافظ، عالم سمرقند. روى عن يزيد بن هارون والنضر بن شميل، وعنه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم.

قال أبو حاتم: هو إمام أهل زمانه، ولد سنة إحدى وثمانين ومائة ومات سنة خمس وخمسين ومائتين. وله من العمر أربع وسبعون سنة.

١٠٢٣ ـ الدارقطني: هو أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ الإمام العلامة المشهور، كان فريد عصره وقريع دهره وإمام وقته انتهى إليه علم الحديث والمعرفة بعلله وأسماء الرجال، ومعرفة الرواة مع الصدق والأمانة والثقة والعدالة وصحة الاعتقاد وسلامة المذهب، والقيام بعلوم أخرى سوى الحديث منها: علم القرآن ومعرفة مذاهب الفقهاء، درس فقه الشافعي على أبي سعيد الاصطخري، وكتب عنه الحديث أيضاً، ومنها معرفة الأدب والشعر.

قال أبو الطيب: كان الدارقطني أمير المؤمنين في الحديث سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه الحافظ أبو نعيم وأبو بكر البرقاني والجوهري والقاضي أبو الطيب الطبري وغيرهم ولد سنة خمس وثلاثمائة، ومات يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

(الدارقطني) بالقاف وبالنون منسوب إلى دار القطن محلة كانت ببغداد قديماً.

١٠٢٤ ـ أبو نُعَيم: هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني صاحب «الحلية» هو من مشايخ الحديث الثقات المعمول بحديثهم المرجوع إلى قولهم، كبير القدر، ولد سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ومات في صفر سنة ثلاثين وأربعمائة بأصفهان، وله من العمر ست وتسعون سنة.

١٠٢٥ ـ الإسماعيلي: هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الجرجاني الإمام الحافظ جمع بين الفقه والحديث والأصول ورياسة الدين والدنيا وصنّف «الصحيح» على شرط البخاري، وأخذ عنه ابنه أبو سعيد وفقهاء جرجان ولد سنة سبع وسبعين ومائتين، وله من العمر أربع وتسعون سنة.

١٠٢٦ ـ البرقاني: هو أبو بكر أحمد بن محمد الخوارزمي المعروف بالبرقاني سمع ببلده من أبي العباس بن أحمد بن النيسابوري وغيره، ثم خرج إلى جرجان فسمع أبا بكر الإسماعيلي، ثم إلى بغداد فاستوطنها وحدّث بها، وكان ثقة ورعاً متقياً فهماً ثبتاً.

قال الخطيب أبو بكر البغدادي: لم أر في شيوخنا أثبت منه، كان حافظاً للقرآن عارفاً بالفقه، له حظ من علم العربية، وله تصانيف في علم الحديث، ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات في رجب سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وله من العمر تسع وثمانون سنة ودفن في مقبرة جامع المنصور.

(البرقاني) بكسر الباء الموحدة وفتحها وبالقاف وبالنون.

١٠٢٧ ـ أحمد السُنّي: هو أبو بكر أحمد بن محمد السني الحافظ الدينوري حدّث عن أحمد بن شعيب النسائي وغيره، وعنه خلق كثير. مات سنة أربع وستين وثلاثمائة.

(السني) بضم السين المهملة وتشديد النون المكسورة.

١٠٢٨ ـ البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي كان أوحد دهره في الحديث والتصانيف ومعرفة الفقه، وهو من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله قالوا: سبعة من الحفاظ أحسنوا التصنيف وعظم الانتفاع بتصانيفهم، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، ثم الحاكم أبو عبد الله النيسابوري، ثم أبو محمد عبد الغني الأزدي حافظ مصر، ثم أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، ثم أبو عمر بن عبد البر النمري حافظ أهل المغرب، ثم أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ثم أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادي. ولد البيهقي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ومات في نيسابور في جمادي الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وله من العمر أربع وسبعون سنة.

١٠٢٩ ـ محمد بن أبي نصر الحميدي: هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأندلسي الحميدي صاحب كتاب «الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم» وهو إمام عالم كبير مشهور، سمع ببلده وسمع بمصر أصحاب المهندس، وسمع بمكة أصحاب ابن فراس وغيرهم، وسمع بالشام أصحاب ابن جميع وغيرهم ورد ببغداد فسمع أصحاب الدارقطني وغيرهم، وصنّف تاريخاً لأهل الأندلس.

قال الأمير بن ماكولا: لم أر مثله في نزاهته وعفّته وورعه مات ببغداد في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان مولده قبل العشرين وأربعمائة.

١٠٣٠ ـ الخطّابي: هو الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي المشار إليه في عصره والعلامة، فريد دهره في الفقه والحديث والأدب ومعرفة الغريب، له التصانيف المشهورة والتأليفات العجيبة مثل معالم «السنن» و«أعلام السنن» و«غريب الحديث» وغير ذلك.

١٠٣١ ـ أبو محمد الحسين البغوي: هو أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الفقيه الشافعي صاحب كتاب «المصابيح» و«شرح السنّة» وكتاب «التهذيب في الفقه» و«معالم التنزيل في التفسير» له من التصانيف الحسان، كان إماماً في الفقه والحديث، وكان متورعاً ثبتاً حجّة صحيح العقيدة في الدين، مات بعد المائة الخامسة سنة ست عشرة وخمسمائة.

(البغوي) بفتح الباء وفتح الغين المعجمة منسوب إلى مدينة تسمى (بغشور) من مدن خراسان نسبوا إليها على غير قياس، وقيل: اسم الدينة (بغ).

١٠٣٢ ـ رزين بن معاوية: هو أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب «التجريد في الجمع بين الصحاح» مات بعد العشرين وخمسمائة.

١٠٣٣ ـ المبارك بن محمد الجزري: هو أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير صاحب كتاب «جامع الأصول» و«مناقب الأخيار» و«النهاية» كان عالماً محدثاً لغوياً روى عن خلق من الأئمة الكبار، كان بالجزيرة وانتقل إلى الموصل سنة خمس

وستين وخمسمائة، ولم يزل بها إلى أن قدم بغداد حاجاً، وعاد إلى الموصل ومات بها يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة.

١٠٣٤ ـ ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الحنبلي الواعظ ببغداد وتصانيفه مشهورة، وكان مولده سنة عشر وخمسمائة ومات سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

١٠٣٥ ـ الإمام النووي: هو أبو زكريا محيي الدين بن يحيى بن شرف النووي إمام أهل زمانه، كان عالماً فاضلاً متورعاً فقيهاً محدثاً ثبتاً حجة له مصنّفات كثيرة مشهورة، وتأليفات عجيبة مفيدة في الفقه مثل «الروضة» وفي الحديث مثل «الرياض» و«الأذكار» وفي شروحه مثل «شرح مسلم» وغير ذلك من معرفة علوم الحديث واللغة سمع من المشايخ الكبار، ومنه خلق كثير، وأجاز رواية «شرح مسلم» و«الأذكار» لجميع المسلمين، وكان من أهل (نوى) قرية من أعمال دمشق نشأ بها وحفظ الختمة، وقدم دمشق في سنة خمسين وستمائة، وله تسع عشرة سنة فتفقّه وبرع، وكان خشن العيش قانعاً بالقوت تاركاً للشهوات صاحب عبادة وخوف، وكان قوّالاً بالحق صغير العمامة كبير الشأن كثير السهر مكباً على العلم والعمل مات في رجب سنة ست وسبعين وستمائة وقبره يزار بنوى عاش خمساً وأربعين سنة.

قال المؤلف رحمه الله: وقع ذكره في آخر الكتاب، كما وقع اسمه في آخر الحروف ثم إني ما اعتمدت في نقل ما أوردته إلاّ على كتب الأئمة الثقات مثل «الاستيعاب» لابن عبد البر و«حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني و«جامع الأصول» و«مناقب الأخيار» لأبي السعادات الجزري و«الكاشف» لأبي عبد الله الذهبي الدمشقي، وفرغت من هذه تصنيفاً يوم الجمعة عشرين رجب الحرام الفرد سنة أربعين وسبعمائة من جمعه وتهذيبه وتشذيبه، وأنا أضعف العباد الراجي إلى عفو الله تعالى وغفرانه. محمد ابن عبيد الله الخطيب بن محمد بمعاونة شيخي ومولاي سلطان المفسّرين إمام المحققين شرف الملّة والدين حجة الله على المسلمين: الحسين ابن عبد الله بن محمد الطيبي متّعه الله بطول بقائه، ثم عرضته عليه كما عرضت «المشكاة» فاستحسنه كما استحسنها واستجادها والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه أجميعن.

فهرس المحتويات